عدد ممتاز
... العربية، حديقة الوطن العربي

العربي

العدد ١٧٠ يناير (كانون الثانى) ذو القعدة ١٣٩٢



"الأزهر" فى عيده الألفى
يفتح أبوابه للفتيات

٢٢٨ صفحة - الثمن كالمعتاد



من روائع الفن الإسلامى

هذا هو محراب مسجد قرطبة الجامع وهو من اجمل اقسام المسجد ، أن لم نقل أجملها . ويتمثل فيه فن العمارة والزخرفة الاسلامية اروع تمثيل . وقد صنعوه حجرة ، أو كالحجرة ، كما ترى ، لا جداراً كسائر المحاريب الاخرى .

(انظر صفحة ١٣٧)



عزيزي القارئ

● هذا هو العدد الممتاز الذى تعودنا ان نصدره اول كل شهر ، من اول كل عام ميلادى . فهذا العدد لأول يناير عام ١٩٧٣ .

وبدخول « العربى » فى عام ١٩٧٣ دخل فى عامه الخامس عشر .

والميلاد الذى نحتفل به انما هو ختام عامه الرابع عشر .

ولم يبق الا ان نقول ، كل عام وانت بخير ، وسائر القراء ، وسائر الدول التى نتوجه اليها « بالعربى » ، راجين لها من التوفيق فوق ما شاءت الاقدار ان تعطيها فى العام المنصرم .

* * *

ولقد كان فى هذه الكلمة فرصة للحديث عن « العربى » فى تقدمه وتطوره ، ولكن ، وجدناه حديثا يطول ، نعود اليه فى فرصة افسح ان شاء اللـه .

ولكن لا يمنع ذلك من ان نذكر ان المطابع استطاعت بجهد كبير ان تزيد ما يطبع من « العربى » فى الشهر الواحد من ١٢٥٠٠٠ الى ١٥٠٠٠٠ ، وستظل تزيد . ومع هذا ظلت الاسواق تشكو قلة المعروض.

وطبعت المطابع من هذا العدد الممتاز ٢٥٠٠٠٠ نسخة ، فوجدناها لا تفى الا بنصف المطلوب .

وليس لدينا الا الدعاء بان يوفق الله اهل الحل والربط ، الى المزيد.

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

استطلاعات مصورة :

لغة وادب :

طب وعلوم :

فلسفة :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 170 January 1673 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● واخيرا وبعد نحو الف عام من انشاء الازهر الشريف ، دخلت الفتيات الى هذا المعهد العتيد . وفي عام ١٩٦٢ تم انشاء اول معهد ازهري للفتيات في المعادي . وهذا المعهد الثانوي يضم الف طالبة . وقد حقق نتائج تربوية ممتازة وكانت نسبة النجاح في الشهادة الثانوية في العام الماضي ١٠٠٪ . وقد تم افتتاح معهدين آخرين للفتيات في طنطا بالوجه البحرى وسوهاج بالوجه القبلي .

(انظر الاستطلاع عن الازهر على صفحة ٧٢)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا .سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائرى . المغرب ٢ درهم. اليمن ٥ر٢ ريال. ليبيا ١٥٠ درهما. جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القراء



اطبعوا العربي في كل بلد عربي

● كثيرا ما نقرا في باب بريد القراء رجاء بعض الاخوة العرب الى المسئولين عن مجلة العربي القراء ان يطبعوا العربي بالملايين لكى تفى بحاجة جيلنا العربي المتعطش للعلم والثقافة . وانا واثق من انه لو استطاعت مطابع العربي ان تطبع اكثر من هذه النسخ لما قصرت في ذلك ، ولكن كما يقال « ما باليد حيلة » .

ان حبي لمجلة العربي واملي في ان تصل السيد كل عربي جعلني اقدم الاقتراح التالي في سبيل تحقيق هذا الامل .

الاقتراح هو ان تتفق « العربي » مع دار كبرى للطبع والنشر والتوزيع في كل بلد عربي شقيق على الخطوات التالية :

١ ـ بعد ان تكتمل المجلة بين ايدى المحررين والفنيين وتصبح جاهزة للطباعة والنشر ، تقوم مطابع العربى بطبع ما تحتاجه الكويت من هذه الاعداد ، وترسل بدورها نسخة مكتملة الى دار للنشر متفق معها سابقا فتطبع هذه الدار مجلة العربى بمطابعها بالمواصفات المعتمدة نفسها من حيث نوع الورق والالوان والكليشيهات ، وتحت اشراف لجان للمراقبة وبذلك يخف الضغط عن مطابع العربى وتصل هذه المجلة العزيزة الى يد كل عربى ، يبحث عنها ولا يجدها .

٢ ـ يمكن ان يتم ذلك بالاتفاق مع وزارات الثقافة في البلاد العربية ليكتسب هذا الاقتراح الصفة الرسمية فهذا اكثر ضمانا لنجاح المشروع.

واذا تحققت هذه الخطوة الجزئية نكون بذلك قد سهلنا وبشكل كبير وصول العربى الى كل يد عربية ، بفضل تضافر جهود حكوماتنا لنشر الثقافة والمعرفة في كافة ارجاء الوطن العربى من محيطه الى خليجه . والله الموفق .

احمد رامز الجندى ـ دمشق

العربي : صورة بديعة ، احسن ما فيها هو الرجاء في أن تعم مجلة العربى ، كل الارجاء .

قرصنة من نوع ...

● ارسل لكم هذا العدد من مجلة « الهلال » القاهرية ، وهو قطعا احد اعداد عام ١٩٤٨ ، منشور فيه قصة بعنوان « الهوى والشباب ـ للكاتب السويدى اكسل مونتيه ـ على الصفحات من ١٣٣ ـ ١٤١ ومذيلة بحرفي ح.م وهما الحرفان الاولان من اسم الاديب المصرى المعروف حلمى مراد . وهى نفس القصة التى نشرها « العربى » في عدده رقم ١٦٧ بعنوان « انا والقمر » والتى زعم صاحبها انه ترجمها عن الاصل للكاتب السويدى « جين فونتيبه » .

واظهارا للحقيقة اكتب لكم هذا ، لكى تتأكدوا بانفسكم مما اقول .

طارق على محمد ـ الموصل ـ

العربى :

راجعنا القصة المنشورة في « الهلال » في عدد اول يناير ١٩٤٨ لمؤلفها الكاتب السويدى اكسل مونتيه ، ومترجمها الاستاذ حلمى مراد ، وقارناها بالقصة التي ارسلها لنا توفيق ونوس وزعم ان مؤلفها جين فونتيبه ، وانه هو مترجمها ، فوجدنا الترجمتين متطابقتين لاصل واحد .. ونأسف لنزول بعض الناس الى مثل هذا الدرك . هذا اذا لم يكن هناك وقائع لا نعلمها . والشكر كل الشكر للسيد طارق على محمد .

مع الله في الارض

● قرات كتابكم « مع الله في السماء » ، وقد اشرتم في مقدمة الكتاب ، انكم سوف تصدرون كتابا آخر بعنوان « مع الله في الارض » . ترى هل صدر هذا الكتاب واين اجده .

امين عبد الموجود
مهندس زراعي ــ القاهرة

العربي : سبق ان ذكرنا وكررنا للسائلين ان «مع الله في الارض» نشر الآن تباعا في مجلة العربي تحت عنوان « وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه » وستجمع هذه المقالات ولعلها تصدر في كتاب باذن الله بعد الانتهاء من عرضها .

استطلعوا الكوفة

● لقد ارتبط اسم الكوفة بالبصرة منذ عهد اجدادنا العرب ، وقد قمتم باستطلاع البصرة ، وقدمتم لنا وجها مشرقا لهذه المدينة التاريخية القديمة في حاضرها ، فنرجوكم الا تنسوا اختها التوأم ، مدينة الكوفة وما تحويه من آثار قديمة وانجازات حديثة ، حققت لها تراثها ومجدها العريق . نأمل أن نرى استطلاعا لها في العربي .

غني كاظم عبيد ــ الكوفة ــ العراق

يطلب اصدار فهرس العربي في كتاب

● في الحقيقة ان مجلة العربي هي اعظم مجلة يفخر بها العرب ولا اظن ان بيتا من بيوت المثقفين العرب الا والعربي تسعى كل شهر اليه . ولست اجامل اذا قلت انها المرجع الاول ولكن المشكلة تكمن في كيفية الرجوع الى مواضيع قديمة ، لذا اتمنى ان يتم تجميع الفهارس السابقة في كتاب واحد وانا على ثقة ان من يشتري مجلة العربي كل شهر ويحافظ عليها مستعد لدفع ثمن الفهرس .

عبد الله عبد الرحمن البسام
عنيزة ــ المملكة العربية السعودية

العربي : اما ان العربي تدخل في كل بيت عربي ، فهذا غير صحيح ، لان النسخ التي نطبعها شهريا لا تفي مطلقا للوفاء بالسوق العربية ، ويعلم ذلك . اما فيما يختص بعمل فهرس عام لمواضيع المجلة في الخمسة عشر عاما الماضية من عمرها ، فرأى سامرنا ، نرجو تحقيقه باذن الله في موعده المناسب .

استفتاء العربي

● في عدد أول نوفمبر وجهنا الى القراء استفتاء نسألهم الرأي فيما ينشره « العربي » سائلين اياهم ان يقترحوا من الابواب الجديد ، وان يذكروا الابواب التي يحل محلها بالحذف ، هذا الجديد . وبدات تأتينا الاقتراحات ، والذي وصلنا يتمثل في الخطابات الآتية :

الخطاب الاول : من كامل محمد الشهابي ، من سوريا ، وقد عدد فيه ابواب « العربي » وقد بلغت عنده ٢٦ بابا ، وقال في خلاصة حكمة « لايمكن الاستغناء عن اى باب من هذه الابواب .. ان كل ابواب مجلتكم جميلة بمواضيعها شيقة » ورأى الايجاز في عرض الاستطلاعات ، وابدال ذلك بمواضيع ثقافية اخرى أو زيادة في المواضيع التي تقدمها « العربي » فعلا .

أما الخطاب الثاني فهو من ابراهيم يونس السيد يوسف من الاسكندرية ، ويقول فيه ، انه لا يرى حذف اى باب من ابواب المجلة الحالية ، ففي كل الابواب نفع للقارىء ، ثم يقترح بعد هذا اضافة باب جديد للتعارف .

والخطاب الثالث من المهندس محمد صبحي عبد الرحمن ويقول فيه : « ان ابواب المجلة العزيزة تمتاز بالتنوع المدروس الى جانب غزارة المعلومات في مجالات شتى .. في الطب والعلوم والفن والادب ، الى جانب الابحاث في الميادين الداخلي في الكويت وخارج الكويت » . ثم يقترح بعد هذا اضافة باب جديد بعنوان « موسوعة الصناعة الحديثة » .

وغير هذه الخطابات ، رسائل اخرى لا تختلف في معناها عن ماقدمناه ، ونحن في انتظار المزيد من آراء القراء .

« العربي »

حديث الشهر

حقائق عشر عن تخلف الشرق

بقلم رئيس التحرير

الحقيقة الاولى

قلنا انها حقائق عشر ، والحقيقة انها عشر وعشر ، وانما قلنا عشرا مناغمة للوصايا العشر . اولعلها حقائق في اصولها عشر ، والبقية حقائق لواحق .

الحقيقة الثانية

ان التخلف الواقع الذى نحن فيه ، والتقدم المستقبل الذي نرجوه ، لن يتحقق ايهما في يوم وليلة . والغرب لم يبلغ ما بلغ من حضارة هو ينعم بالجانب المشرق منها هذه الايام في يوم وليلة ، ولو اننا بدأنا مع الغرب نقيس من نقطة الصفر ، وهي عام ١٤٩٢ ، عام خرج فيه العرب من الاندلس ، وهو هو العام الذى خرج مكتشفهم فيه يرود الهند فوقع على العالم الجديد ، اذن لقلنا ان الغرب استغرق من حيث بدأ الى حيث انتهي اليوم ما بين الأربعة من القرون والخمسة .

واذن وجب ان نقول انه يجب علينا ان نفسح للعرب مثل ما افسحنا للغرب من قرون . ولكن اذا اعتبرنا انهم بدأوا من الصفر ، واننا اليوم من الصفر غير بادئين ، واذا اعتبرنا انهم كشفوا في الارض ، وفي الصناعة والعلم ، ما لم يكن لأحد به علم كثير سابق ، واننا اليوم عنهم ناقلون ، واعتبرنا هذا وهذا ، واشياء شبيهة هذه ، لنزلنا بالأربعة

يجب أن يحفظها كل عربي يعيش في خواتيم هذا القرن العشرين

قرون او الخمسة الى قرنين ، او حتى قرن ، يتاح فيه للشرق ان يبلغ ما بلغ الغرب من حضارة .

وخبرة اخرى عرفها الانسان ، في قياس الحضارة بالزمان ، تلك الحضارة التي بلغتها اليوم وقبل اليوم اليابان . فاليابان ظلت مغلقة ابوابها على العالم حتى عام ١٨٥٣ ، ثم غصبت غصبا على فتح ابوابها، والحكم الاقطاعي رفعتها، وامبراطورها تربع عرش بلاده وحده، كما كان وجب، والنظم الديمقراطية دخلتها . ودخلتها الحضارة الغربية من النوافذ والابواب . وما هل القرن العشرون حتى عرفت اليابان عند العرب وغير العرب بالشمس المشرقة ، وحسب لها الف حساب . ووقعت الحرب بينها وبين روسيا القيصرية في عام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، فكان للروس على يديها اندحار شديد . واليابان اليوم تصارع الولايات المتحدة في الصناعة والأسواق حتى اضطرتها امريكا الى رفع سعر عملتها ليكون للدولار في أسواق العالم مسيرة مأمونة وحظ غير منقوص .

فبأي المقاييس نقيس الزمن الذي نرجو ان يبلغ الشرق فيه مبلغ الغرب ؟

اما بلوغنا هذا المبلغ فلا شك فيه . فينا القدرة، وفينا الفهم ،وفينا الكفاية، وفينا المواهب الانسانية التي يبلغ بها الرجال ما شاءوا من زمانهم ، ولكن ليس فينا الجلد الياباني ، وليس عندنا ان نفتح ابوابنا والنوافذ ليدخل منها الينا من الحضارة الانسانية الحاضرة ما نراه جديرا بدخول ، في سماحة مديدة، وافق من الفكر واسع .

واذن ، فان قلنا ان مسيرتنا من التخلف الى التقدم قد تستغرق قرنا واحدا من الزمان ، لم نسرف فى يأس او رجاء .

ومن قال بزمن اقصر من هذا ، فهو لا يدرى ابعاد ما يطلبه العرب من حضارة فى علم هو الف ، وادب هو الف ، وضروب اخرى من المعرفة الاكاديمية هي الف ، وزراعة هي الف ، ومواصلات هي الف ، وتجارة هي الف ، وصناعة هي آلاف ، وشئون اخرى من الحضارة ادق من هذه وارق تعجز الاعداد عن عدها .

ومن قال بزمن اقصر من هذا فهو ثائر ، منعته الحمىّ التى برأسه عن الرؤية الواضحة .

ومعنى هذا اني اريد ان اصحح ما عند الكثير من شبابنا ، ومن رجالنا ، الذى يحسبون ان التحول من التخلف الى التقدم واقع غدا ،او بعد غد ، ويأتي الغد ، وبعد الغد ، والغد الذى بعده ، والعرب يكادون ان يكونوا حيث كانوا فى الماضي القريب . واذن يصاب هؤلاء الشباب ، ويصاب الرجال باليأس الشديد ، وشر الاشياء اليأس يصيب العاملين .

اني اذكر عام ١٩٢٢ او نحوه ، فى مصر ، عندما جاءوا بالثائر المصرى ، الشيخ عبد العزيز جاويش ، لما عاد من الآستانة بطلا ، فجعلوا له فى وزارة التربية منصبا ممتازا ، بداه بأن خطط لمحو الأمية فى مصر فى عشر سنوات . ومضت السنون ، والأمية تتقاصر ، ولكن كما يتقاصر الجليد فى الشتاء . ثم اذا هي اليوم ، بعد خمسين عاما ، تبلغ ٧٠ فى المائة ، او نحو ذلك .

ونعم ،عهدنا اليوم ليس كعهدنا الماضى ، عهد الشيخ عبد العزيز جاويش ، ومع هذا فالذين درجوا على ملاحظة سير دوران العجلات فى الشئون العربية يقدرون انه قد يكون من حظ العرب المظيم ، بل من حظ شبابهم الذين هم



اذا قلنا ان نهضة الغرب بدأت بجاليلو ، وانها الغرب لبلوغ هذه الغاية . فليحسب كل منا

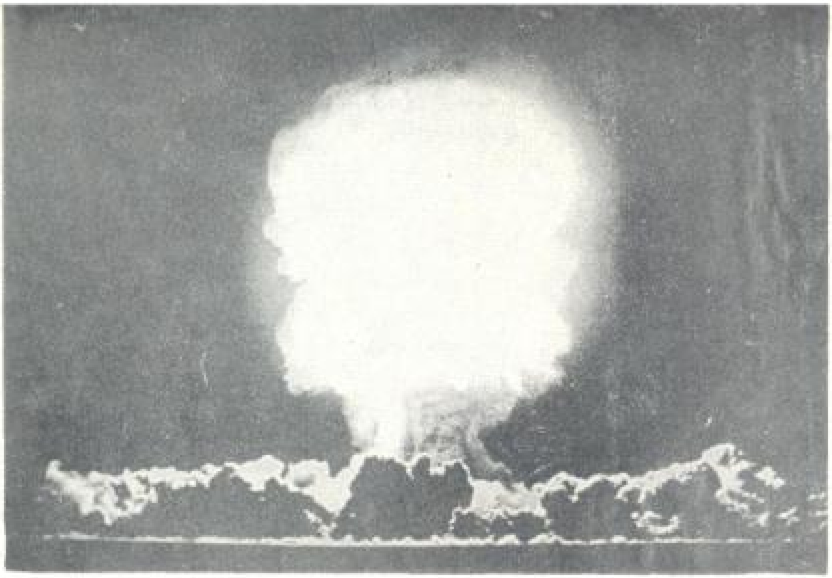
اليوم من اعمارهم فى الثلاثين ، ان يروا مقدارا من التقدم يرتاحون اليه قبل بلوغهم الستين والسبعين .

الحقيقة الثالثة

وهي مستمدة من واقع الحضارة الاوروبية الحاضرة .

فهذه الحضارة حضارة لها الوان عدة، وكان آخر الوانها ، او آخر ادوارها الصناعة . والصناعة هي التى جاءت اساسا بالثروة والغنى ، وجاءت برخاء العيش وارتفاع مستوى المعيشة بين القوم .

وهذه الصناعة لم تدب فيها الحياة حقا الا فى القرن التاسع عشر . وكانت انجلترا اسبق الدول اليها . وسبق اليها العلم . ومع العلم كانت لها امبراطورية عظيمة، ولها منها منافع واسعة . وكان فى انجلترا الفحم ، وكان مع الفحم رجال فى الصناعة ولو بادئة، مكافحون . وكانت القوة التي تدير النسيج خاصة مستمدة من عضل الرجال ، فما اسرع ما انتجوها



وصلت في ايامنا الى انفجار الذرة ، لم نخطىء كثيرا . وبين الاثنين بضعة قرون ، استغرقها كم يحتاج الشرق لبلوغ مثل تلك الغاية ، او قريبا منها .

من بخار الماء . فكان المحرك البخارى .

ولكن الصناعة ايضا تحتاج الى رؤوس اموال ، فهذه على الأغلب استمدوها من مستعمراتهم بالذى كان لهم من يسر تجارة فيها ، ومن سلطات .

وبما استغل اولو الأمر المستعمرات ، مصادر خامات واسواقا ، استغلوا الشعب البريطاني عمالا . كان للعمال في عهود النشأة الصناعية الأجر الأقل ، والرعاية الأدنى ، والمساكن التي يسكنها المرض ايضا . واستغلوا حتى الصبية . وساعات العمل زادت على ١٢ ساعة .

فعهد الصناعة في انجلترا الناشئة لم يكن عهد رخاء ، ولا رحمة .

واذا نحن انتقلنا بالحديث الى روسيا ، وجدنا تاريخ الصناعة بها اشبه شيء بتاريخها في انجلترا .

ان الحكم الشيوعي لما حل في روسيا ، بين العقد الثاني والثالث من القرن الحاضر ، لم تكن روسيا من البلاد الصناعية في شيء .

ثم ادرك القوم هناك ان لا بقاء لهم ، ولا خلاص ، الا بالعلم ، ومع العلم الصناعة ، يتخذونها من الالمان ، ومن غير الالمان ومن كل مكان . وزادت الدعوة الى الصناعة في عهد ستالين شدة . ولم اكد اسمع له خطابا سياسيا الا وفيه دعوة الى العلم والصناعة حتى خلت انه كان داعية للعلم والصناعة اولا ، وداعية للشيوعية ثانيا . ومن الناس من يخطىء فيحسب قوة روسيا الحاضرة جاءت من شيوعيتها ، والحق انها جاءت من الدعوة الصناعية التي كانت مركزة اكثر التركز فيها .

والذى اريد ان اقوله في صدد روسيا انها في عهد نهضتها الصناعية نال شعبها من الضنك مثل ما نال شعب انجلترا . الصناعة تحتاج الى مال كثير ، ولا مصدر لهذا المال غير الشعب ، فكل ما اقتصد الشعب الروسي ، فمصبوب في خزائن الصناعات .

حتى اذا جاء خروشوف وجد الكيل قد فاض ، ووجد الشعب ، رغم سلطان النظام القائم ، بدأ يشكو وتسمع شكواه . فما كان من خروشوف الا ان بدأ في الصناعة

عهدا جديدا ؛ زاد صناعة المستهلكات من البضائع ، الى جانب الآلات والمكنات الانتاجية، فهذه لا يأكلها الناس . وبدأت تظهر في الاسواق المأكولات والملبوسات وتلك الاشياء التي يلين بها العيش .

ونحن اذ ننتقل الى العالم العربي ، نجد الصناعة فيه تحتاج الى المال. فالمصانع تشترى، وهي من الغرب، أو من الشرق الأوربي تشترى . وهي بالعملة الصعبة تشترى . وليس في العالم العربي مصادر للغنى غير الزيت ، وزراعة الأرض .

واذا نظرنا الى الدول العربية عامة نجد الزيت لا يكفي . لا بد مع الزيت الزراعة موردا للرزق ، ومنها ، مع القليل من الصناعة القائمة ، ارزاق الناس . والزراعة التي لها نصيب من تخلف امتها ، لا تأذن للمواطنين بالربع الكثير . ووجب على المواطن ان يقسم ربعه بين حاجاته وحاجات اسرته ، وبين ما يودعه في خزائن الدولة مما فاض عن نفقته ، تلك الفوائض التي اسموها بالمدخرات .

والحقيقة التي اريد ان يعلمها العرب، واكثرهم لاشك أيقاظ لها وبها عارفون، انه لا سبيل الى أن تكون للعرب صناعة، الا من هذه المدخرات . ولست اريد للعرب زمانا صناعيا ضنكا كالذى كان للشعب الانجليزي في القرن الماضي ، ولا كالذى كان للشعب الروسي في القرن الحاضر ، ولكن اريد ان اقول ان انشاء الصناعة العربية يحتاج الى تضحية من اقلها ترك البذخ والاسراف في اقتناء السيارات وبناء القصور ، واقامة الحفلات التي تذكر بعهد الرشيد، ويكفي العرب ، الى حين،اكثر مما كفى الانجليز والروس في نشأة صناعتهم .

واني لاعجب من سرعة ما يعجب بعض العرب بصناعاتهم : صناعة نسيج تضاف اليها محالج قطن ، تضاف اليها معاصر زيت،تضاف اليها مطاحن قمح ، تضاف اليها مصافي زيت ، تضاف اليها مصانع صابون ، وتكون هذه فخر مواطن بوطنه واحسبها فخراً لصناعة بادئة ، ولكنه يجب ان لا ينسى أن الصناعات الف والف،لا بضع خمسات او عشرات . وعلى هذا المواطن أن يراجع قوائم الصناعات في البلاد الصناعية، ويحتاط حتى لا يتورط في انهيار عصبي شديد .

الحقيقة الرابعة

انا اليوم نتحدث عن العدالة الاجتماعية، وعن الدولة الخيرة ، ونعني بذلك الخدمات الاجتماعية من تعليم الناس ، ومن العناية بصحة الناس ، ومن معونتهم عند العجز ، وتوفير العيش لهم عند التقاعد ، ورعايتهم عند التعطل، الى كثير من المساعدات الاخرى غير المذكورة بسبب كثرة عددها وتنوعها .

ثم تقريب مكاسب الناس بعضها من بعض، وتقريب الطبقات بتقريب دخولها، وذلك بالضرائب المتصاعدة بتصاعد هذه الدخول .

ثم بتقليل الضريبة على الدخل المكسوب بالعمل ، وتكثيره على دخل المال المستغل بعمل الآخرين .

وكل هذه الأمور اخذت بها دول اوروبا الغربية الديمقراطية ، برغم انها دول ديمقراطية راسمالية .

فهذه العدالة الاجتماعية امكنت في هذه الدول من بعد استقرار الصناعة فيها ، وزيادة مرتبات العمال وكل العاملين فيها. فأمكن كلا ان يدفع نصيبه من هذا المال اللازم لنفقات هذه الخدمات ، كل حسب قدرته .

فاذا نحن نظرنا في الدول العربية الحاضرة وجدنا الصيحة قائمة بين الشعوب تطالب بهذه المزايا جميعا ، واولها زيادة الأجور ، ثم من خدمات اجتماعية في تعليم وفي صحة ، ثم من تأمين اجتماعي في عجز وعند شيخوخة .

وينسى هؤلاء الصائحون ان هذا كله يحتاج الى نفقات باهظة . وهي نفقات تجمعها الدولة من مناشط العمل والصناعة فيها ، فهي مرتبطة مقدارا بالذى يقوم به الشعب من اعمال كاسبة .



كثرت الخدمات الاجتماعية ، من طب ، وتعليم ،وزيادة في الرواتب، وتامين بطالة ، وتامين شيخوخة . وبلغت من الكمال حدا كبيرا ، وذلك في الامم المتقدمة . والشعوب في الامم المتخلفة تنظر الى ما جنته الشعوب المتقدمة من ذلك،وتطالب بمثل ذلك ، وتنسى ان تلك الشعوب استمتعت بهذه الخدمات لانها دفعت اثمانها عملا وعرقا وضرائب من شتى الوجوه فعلى المطالبين بمثل ما في الدول المتقدمة من خدمات ان يوفروا من مكاسبهم اثمان هذه الخدمات . فالخدمات لاتعطى بالمجان .

والدولة الناشئة ، ان بقي عندها آخر العام فضل من نفقة ، وجدت عند بابها اثنين يطالبان بهذا الفضل : العمال والعاملون باسم الدولة الخيّرة ، والصناعة باسم الصناعة المتزايدة المتطورة .

والدولة ان انفقت في سبيل الدولة الخيرة ، بقيت حيث هي من التخلف ، وازداد الشعب العامل على الايام سوءا .

والدولة ان انفقت في زيادة من صناعة واسباب انتاج جديدة ، فازت بالنقمة من عمالها والعاملين فيها .

فهذا موقف يجب ان يعيه كل فرد من افراد الشعب ، وكل الشعب عامل ، وذلك حتى يستوثقوا ان موقفا كهذا لا تفريج له الا زيادة انتاج العامل ، كل عامل ، فبزيادة الدخل حتى يفي بهاتين الغايتين، بعضٌ بحبوحة في عيشة العامل، وكل في الدولة عامل ، ووفاءٌ بعض ما تتطلبه الصناعة وشتى اعمال الانتاج من تطور وزيادة .

الحقيقة الخامسة

تلك التي تختص بموضع الزراعة ، والصناعة من تقدير الناس .

انت تشتغل بالزراعة ، فانت تشتغل في الحقل الاحط ، وفي المهنة البدائية التي تحتاج الى عضل وقليل من التدريب .

والزراعة عند هؤلاء علامة التخلف . وليس لك منها الا الفقر .

وغير ذلك الصناعة . فان كنت تريد لبلدك دورا متقدما فعليك بالصناعة . ففي الصناعة تطبيق العلم ، وتطبيق التكنية ، والحصول على ثمرات الجهود اضعافا . وانت بالصناعة اكثر معرفة، واوسع بالدنيا علما واعمق ثقافة واكثر مالا .

وقول من يقول هذا حق ، لو أنه قصر النظر على الزراعة في البلاد المتخلفة ، وغير ذلك البلاد المتقدمة ، فالتكنية دخلتها في تجهيز التربة،وفي بذر البذور، وفي السقاية ، وفي الوقاية من الامراض والحشر ، بمقدار ما دخلت في كثير من الصناعات التي بناؤها من فولاذ ووقودها من زيت .

ويأتي من بعد ذلك الحصاد ، ويأتي تصنيع الثمرات ، ولكل طرقه الدقيقة، ولكل أسلوبه . ويأتي قبل كل ذلك العلم، علم التربة ، وعلم الانسال في البذرة ، والتهجين بين الاصناف ليخرج منها اطيبها ثمرة ، واكثرها محصولا .

وانت واجد دليل ذلك ، لا بالنظر في الأمم المتخلفة ، ولكن بالنظر في الأمم



الزراعة ، بالتكنية قد تزيد على ما تجنيه الحكومة من صناعتها بالتكنية . والامم المتخلفة لا يمكن ان تصنع الا بوفر من زراعتها ، فالي الزراعة ايها العرب .

المتقدمة، ومنها الولايات المتحدة ، وفيها صناعة الالبان ، وتربية الدجاج وزراعة الأرز من أكثر صناعات الدنيا تقدما ، فهى تكاد تسير تلقائيا وبقليل جدا من ايدى العمال ، وتلك صفة من احدث صفات التكنية الحاضرة .

وليس ادل على دخول التكنية الى زراعة الولايات المتحدة من انها ، وهى الأمة الزراعية الكبيرة ، لا تشغل الزراعة الا دون العشر من القوة العاملة من سكانها .

فالزراعة لا تقل عن الصناعة فى النصيب من المجهود الذى تبذله الأمم المتخلفة فى الخروج من تخلفها .

لأن اكثر اهل هذه الارض يشتغلون بالزراعة ، فمنها طعامهم وشرابهم والأرزاق .

ولأن العالم،صناعيا وزراعيا،غذاؤه من الزراعة طعاما ، ولباسه مما تنبت من الياف . وكلاهما خامات للتصنيع عظيمة . وعليها بنيت صناعات كثيرة يكفى منها أن نذكر النسيج .

الزراعة وتقديمها ذات خطر عظيم في الأمم المتخلفة ، لأنها المورد الطبيعى الاول الذى يستطيع ان يفى بحاجات الناس ، ويفيض منه ، مع التكنية ، فضل من المال،يعتبر من المدخرات التى تستخدم فى تطوير الصناعة . وتمديدها وشراء ما تحتاج اليه من الأجهزة والآلات ، والخبرة الانسانية من الامم الصناعية ذات العلم والحضارة والثراء .

الحقيقة السادسة

وهى تختص بالعلاقة بين القطاعين الزراعى والصناعى فى الأمم المتخلفة .

ان ذوى الاحصاء يقررون لنا ان اجر عامل المدينة على العموم نحو ثلاثة امثال عامل الريف ، العامل الزراعى . ذلك بأن فى الأمم المتخلفة عادته الفقر ، منسوبا

الى حضره . والسبب فى هذا ، ضمن اسباب اخرى : ان ما ينتجه الريف من زراعة انما هو ماكول الناس عامة ، وملبسهم . واذن فقد وجب ان تبقى اثمانه واطئة ، والا شكت طوائف الامة جميعها ، وشكا عمال الحضر ، عمال المدينة . وشكوى عمال المدن اكثر اسماعا فى آذان رجال الحكومة من شكوى عمال الريف ، لأن غضب عمال المدن اخطر . فتجد أن الحكومات تعمل على ابقاء أثمان الاغذية رخيصة ، وذلك بتحديد الاسعار . واحيانا تدخل السوق وتدفع عن المستهلكين بعض اثمان الحاجات لا سيما الأصيلة فى العيش ، لكى تبقى ثمن الخبز مثلا قليلا لمن يشترى ، فى حضر كان او ريف .

والغريب ان تحدد اثمان المحاصيل الزراعية فى الأمم المتخلفة ، ولا تحدد انتجة المصانع ، الا قليلا . والمصانع كثيرا ما لا تهتم بالريف ، ان ينتعش فيكون سوقا لها. ذلك لأن سوق المصانع انما يكون فى البيئات المتوسطة الدخول لا الريفية الفقيرة .

وضعف الريف فى انه مشتت . وغير ذلك الحال فى دول كفرنسا والولايات المتحدة، فللزراعة رجال يقفون بالمرصاد. ومزارعو فرنسا هم الذين وقفوا طويلا يعارضون دخول بريطانيا الى السوق الأوروبية المشتركة خشية ما يعود عليهم من ذلك من خسارة .

وهذه المقابلة بين زراعة وصناعة لا بد ان تزول ، فلا يمكن بقاء فئة من امة على فقر بينما الفئة او الفئات الاخرى على غنى . ان غنى الأمة هو مجموع ما لفئاتها من ثروة ، وما لها فى السنين من دخول . فان زاد ثمن الخضر احيانا ، او زاد ثمن الضأن ، وعرفنا ان هذه الزيادة لخير الفلاح ، لا لجيب مستغل ، ولا بسبب سوء تدبير ، وجب ان نحمد الله على ما آتانا .



اجر العامل فى الريف ضئيل ، واجر الصانع فى المدن وفير . والمساواة تقضى بالمساواة فى الاجور . ويجب الا تستغل الحكومات تشتت الفلاحين فى الارض فتغفل عن امرهم وتخشى تجمع الصناع فى المدن فتخشى لودنهم .

الحقيقة السابعة

وهذه تتصل بالاشتغال والتعطل .

فالذى يعرفه كل واحد أن التعطل هو بعض السمات الدائمة للمجتمع الصناعى ، لا تكاد تخلو منه امة . الا أن تكون حرب ، فلا تكاد تجد يد رجل او يد امرأة ، الا وهى فى عمل ، تشارك فى المجهود القومى القائم .

والمتعطلون قد يبلغون فى الأمم الصناعية المتقدمة الملايين .

ولا اعلم ان هناك حصرا لعدد المتعطلين فى الأمم المتخلفة ، ولو أنى أعلم أن الكثير من المشتغلين انما هم مشتغلون فى أعمال هى اقرب الى التعطل منها الى الاشتغال . فبائع الفجل قد يعد مشتغلا ، وهو ما يكاد يكسب شيئا ، وكذا ماسح الأحذية .

وللتعطل اسباب عديدة ، من اظهرها

ان العمال زادوا وقلّ العمل ، وابتداع عمل جديد يحتاج الى راس مال جديد ، ورؤوس الأموال اما غير موجودة ، او هى متراجعة خائفة خشية الفشل .

ومن الجديد فى القرن العشرين ان صارت حكومات الدول المتقدمة تعترف بتبعتها عن تعطل المواطنين ، فهى تعطيهم عند التعطل بدلا من عمل ، فى كثير منه ما يزيد على الرمق ، وفى بعضه ما حمل العمال على التخاذل فما قاموا يبحثون عن اعمال ، ووجدوا ان الراحة على معونة التعطل امتع .

والأمم المتخلفة لا تستطيع أن تتحمل نفقة هذه المعونة،فهى تكف عن اسدائها. ومن هذه الأمم من أنشأ وظائف لا حاجة لأحد بها لكى تمتص المتعطلين زعما منها ان حشرهم فى حجرات المكاتب اقل خطرا من ان يحتشدوا فى الشوارع . ومعنى هذا ان الرغيف الذى كان يأكله الواحد أصبح يأكله الاثنان . فهو من حيث الاقتصاد خسارة فادحة ، وهو من حيث أنفس الناس افساد لها . فهى بذلك تتعود أن تأكل ولا تعمل .

وهو من الوجهة السياسية تخلص من موقف عسير لا حل له ، ثم تأخير لمشكلة تتراكم ، تترك ثقيلة ليحلها القوم الآخرون .

ونسمع ان حل البطالة فى الاكثار من الصناعة . والحق ان الصناعة الجديدة المتقدمة عبارة عن اجهزة لاتحتاج ادارتها الا الى القلة من العمال . ومن القلة الماهرة ، فهى من اجل ذلك لا تسعف فى حل مشكلة المتعطلين .

وكما فى الصناعة المتقدمة ، فكذلك فى الزراعة المتقدمة ، فهذه لا تحتاج على التقدم الا الى النزر القليل ، فأكثر العمل فيها للآلات .

من اجل هذا لا بد من الابقاء على



مصيبة بلاد التخلف كثرة التعطل . وكثرة العطل قصور فى الخطة ، والقصور فى الخطة قصور فى الفكر . وفى الشرق اقوام كثيرون يعملون وهم فى الواقع فى حكم المتعطلين . منهم بائع الفجل هذا ، فهو لا يكاد يعمل ولا يكاد يكسب من عمله شيئا .

عامل الحقل فى البلاد المتخلفة ، والكف عن استيراد الآلات الى حين .

واذن لا يبقى للأمم المتخلفة ، والنقص فى رؤوس الأموال قائم ، والمشاريع الصناعية والزراعية والعمرانية معطلة بسبب الفقر النسبى ، لا يبقى لهذه الأمم الا تشغيل الرجال فى الأعمال التى تحتاج الى الأيدى الانسانية الكثيرة ، والتى لا سوق لها تباع فيها وتشترى . ومثال هذه شق الطرق وحفر الترع ، وتمهيد الارض البور للزراعة ، وكل ما عمل العضل الانسانى فيه افعل وأرخص من عمل الأذرع وهى من حديد .

والحقيقة الثامنة

وهذه الحقيقة تتعلق بمستوى المعيشة فى البلاد المتخلفة . انها مستويات مختلفة ، بعضها العالى كل العلو ، وبعضها المنخفض كل الخفض . ولقد حدثنى بعض اقطاب الصناعة فى الغرب ، قال انه وجد فى الدول المتخلفة اقواما

تعيش في مستوى أعلى بكثير من مستويات يعيش فيها أمراء الصناعة وأصحاب الاعمال الواسعة في الغرب .

ولقد عرفت هذا من قبل ، ولكني ارجعته الى عقليتين مختلفتين في فهم معنى المال وخطورة الثراء .

ان الطبقة الارستقراطية في الغرب زالت كل الزوال او كادت ان تفعل ، وحلت مكانها طبقة ذات ثراء ، هم رؤساء الصناعة والأعمال . وهي غالبا ما تكون فئات فتية نشأت من طبقات اكثر ديمقراطية ، فتجدها في طعامها وشرابها وسائر شئونها احتفظت بالكثير من عاداتها الأولى . ثم ان الطبقات الدنيا ارتفعت ، واصبحت وسطى ، وارتفعت مستويات المعيشة فيها .

ثم هناك الجو الديمقراطي العام ، فلا يكاد يوجد فخر مسموع لاحد بمال او مظهر سافر من مظاهر الثراء . بل انك لتجد رئيسا من رؤساء الثراء يعيش في أوسط لندن في شقة ، في عمارة ، ويخرج يسوق سيارته . وبالطبع لهم المناسبات الجامعة الفخمة ، ولكنها لا تشغل من حياتهم نصيبا بارزا شديد الضياء .

وغير ذلك الارستقراطية الموجودة في بلاد التخلف . ان الارث لا يزال ارث سادة ومسودين . والتعليم للثراء والمال قائم . بل وقائم رجاء فيه . وقائم خوف منه . وذو المال في الشرق ذو نفوذ ، حتى عند الشرطة ، لا سيما في ريف ، والشعب الفقير العاجز يخشى الشرطة . فمظهر الثراء في البلد المتخلف كسب وسلطان .

ولست اقول ان هذه صفة كل ذي ثراء في بلد متخلف .

ولست اقول ان تلك صفة كل ذي ثراء في بلد متقدم .

انما هي خبرة خبرتها ، والحديث على الأعم والأشمل .

والذى فعل في الدول المتقدمة هذا ، ولم يفعل مثله في المتخلفة ، اشياء شتى ، منها اليقظة والوعى اللذان اكسبهما



هذا قد يكون احد الوزراء في الدول المتقدمة ، وهذا قد يكون كل طعامه والعمل متراكم . وهو قلما يعرف معنى الديكة الرومية والخراف الكاملة المشوية . فهذه انما خلقها الله لاهل الثراء في بلاد التخلف .

التعليم والتثقيف ، فضيقا سوق الوهم والخزعبلة . ولكن اشد هذه العوامل اثرا كانت الضرائب المتصاعدة .

وعند العرب ضريبة واحدة ، لو ان كان قبلها المسلمون على شتى العصور ، لتقاربت اليوم فى مستويات العيش كل الطبقات . تلكم الزكاة . واذن لما اضطغن قلب على قلب ، ولا جرت من لسان الى اذن كلمة سوء .

واذن لعلم الثرى،بالبذل ، ان البذل فيه ثواب الباذل ، وفيه متعة الباذل ، حين يرى جائعا شبع ، او عاجزا قدر ، او مريضا شفى ، أو صبيا ضاقت به مسالك العلم ثم تفتحت له ، فابتسم . وكل ذلك كان من بذل الباذلين .

انها زكاة مال وطهارة نفس ، وراحة ضمير ، وحمد لله على ما آتى القوم الباذلين .

الحقيقة التاسعة

وينتقل بنا هذا الحديث انتقالا طبيعيا الى معنى المساواة .

واكثر الناس ، واعنى المحرومين خاصة، يطلب المساواة فى ثمرات الحياة، وهو لا يحدد ، اولا تتحدد فى ذهنه الحدود التى اليها يصل . انه فقير . فهو فى حاجة الى مال . وجاره غنى ، فعنده فضل من مال ، او هكذا هو يخال . واذن فلنقتسم .

هذا كلام قد يؤذن به ان يأتى من فرد فى ضيق ، وقد يكون قولا مرتضى فى حالة ما ، ولكنه كلام لا يؤذن به ان يأتى من رجل من رجال دولة مسئول .

ليس بهذه السهولة تعالج العلاقة ما بين الفقر والغنى . فلو ان قوما فعلوا هذا يوما ، فى حى ، لتحول القوم وشيكا الى قوم جياع عراة . ان المجتمع الانسانى أعمق من هذا ، وعلائقه الف ، ان اتضح لنا بعضها فخفى علينا منها الاكثر . وثروة الناس ليس فيما يملكون، وانما ثروتهم ، ثروة الغد ، هى ما اختزنوا فى عقولهم من فن ، وفى ادمغتهم من مران ، وما هم قادرون على انتاجه، لو ان ثروة اليوم اطاح بها كلها حريق ماحق شامل . والى جانب القدرة والموهبة العقلية ، الحوافز القلبية .

فالمجتمع الانسانى لا يعالج هكذا بالسكين ، بهذه البساطة .

ان الفقير العاجز له حق على الغنى القادر ، لا شك فى هذا . ومن اول حقوقه أن يقيمه الغنى على رجليه فيعطيه القدرة على الكسب . للفقير الصحة عند الولادة ، والطعام والكساء حتى يكبر ، وحق التعليم ، وحق الاحتراف او الامتهان ليعمل ، وكل هذا بالمجان فى المجتمع القادر . ثم ينزل فى المعترك يجاهد ويصارع .

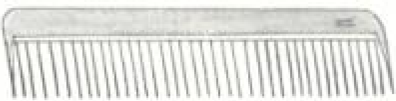
المساواة بين الفقير وغير الفقير ،فنعم.

ولكنها مساواة فى فرص الحياة . ويدخل الكل ميدان العمل ، فيحتلون فيه بحكم الطبع ، وبحكم الذكاء والموهبة مراتب شتى .

ولن يكونوا ابدا كأسنان المشط ،كلها سواء .

ومع هذا ، فالمجتمع الكريم ينظر الى حظوظ العاملين ، ويعلم انه الى جانب النوايا الطيبة تعمل الاقدار . فهو بالضرائب يقارب بين هذه الحظوظ .

الفقير وغير الفقير ، فى فرص الحياة ، كأسنان المشط ، سواء . ثم هم يحتلون بعد ذلك فى الحياة ، بالعمل ، مراتب شتى .





الدخل القومي لكل امة محدود . وهو كالكعكة الكبيرة يتزاحم عليها الناس ، كل يريد قطعة . والكعكة لا تتسع لألف ، فان هي ضاقت بالناس على شتى مهنهم ، فليس امامهم الا ان يصنعوا كعكة اكبر .

الحقيقة العاشرة

وهى تختص بالفطيرة الواحدة التى تجمع حولها فئات عدة كل منهم يريد شطرة ، وكل يريدها اكبر من اخيه .

اما الفطيرة ، فهى حصيلة الدولة من انتاج . انه دخلها السنوى ، وهو مجموع ما تدره الزراعة والصناعة وسائر مناشط الحياة ومكاسبها ، من ظاهر منها وخاف .

ويأتى العاملون يقفون على الابواب ، كل يطالب بأجر أكبر ، والا فهو الاضراب. عمال الحديد ، وعمال البريد ، عمال المناجم . عمال المواصلات . طيارو الطيارات . عمال السيارات . انهم مئات .

ويهددون من بالاضراب ؟ يهددون مصالح الدولة . وما مصالح الدولة ؟ هى مصالح هؤلاء العمال الآخرين بحسبان انه لا يوجد فى الدولة الا رجل يعمل .

فهذه لعنة من لعنات العهد الصناعى فى الدول الديمقراطية الحرة . وتحتملها هذه الدول لما فى عودها من صلابة وقوة .

وهى لو انتقلت الى مصانع الدول المتخلفة اذن لقتلت البيض قبل أن يتفقس .

وعندى أن كل العمال فى الدول الناشئة لهم الحمد كل الحمد ، ولهم الحق فى العيشة الطيبة كل الحق ، ولكن الفطيرة صغيرة . فهى قليلة وهم كثرة . والدولة لم تصنع هذه الفطيرة مباشرة وانما هم الذين صنعوها . فان شكوا ضيقا فما عليهم الا زيادة فى حجم هذه الفطيرة التى هم منتجوها .

ان الدولة هى العاملون فيها . وان يكن للدولة معنى روحى فكل العاملين فيها هم أبناؤها . وأبناء الدولة الواحدة أخوة ، لبسوا الأقمصة الزرقاء أو الأقمصة البيضاء . وكلهم لهم على الدولة السعة والرخاء ، توزعها بينهم سوية من فضل ما يعملون . والذى يرفع من مرتبة أزرق فوق أبيض ، أو أبيض فوق أزرق ، انما يدق فى كيان الدولة ، لا سيما المتخلفة ، الأسافين .

والله الموفق .

●●

أحمد زكى

اجتهاد كبار الصحابة

بقلم : الشيخ بدر المتولى عبد الباسط

■ وعدنا ان نعرض لبعض القضايا الهامة التى حدثت في هذا العهد ، لنرى كيف عالج المجتهدون هذه المشاكل بروح يسيطر عليها الخوف من الله ، ومحاولة رد كل حل الى اصل شرعي .

وقد عرضنا لبعض هذه المشاكل في مقالاتنا السابقة ، بعضها على طريق التفصيل كالذى عرضت له في المقال المنشور بعدد يناير ١٩٧٢ تحت عنوان « عمر والمصلحة في التشريع الاسلامي » ، فقد عرضت – بالتفصيل – موقفه من بعض المسائل التي اثارها بعض الناس حوله مدعين انه عطل النصوص الشرعية بالمصلحة ، وذلك كمسألة منع المؤلفة قلوبهم من اخذ الزكاة ، وكعدم تطبيق حد السرقة في عام المجاعة ، وعلى غلمان حاطب بن ابي بلتعة ومنعه متعة النساء ، ومتعة الحج ، وكايقاعه الطلاق الثلاث – بلفظ واحد – ثلاثا ، وموقفه في ارض السواد . وقد بينت هذه الامور بالتفصيل الوافي بما يدفع عنه شبهة تعطيل النصوص بالمصلحة – كما قيل – ، كما بينت وجهة نظره ونظر المعارضين له في عصره ..

كما بينت في المقال السابق موقف الشيخين في مسألة جمع القرآن ، الجَمْعة الاولى في عهد ابى بكر – رضي الله عنه – ووجهة نظره اولا واخيرا ، ووجهة نظر عمر – رضي الله عنه – وراى زيد بن ثابت في هذا الموضوع ، بما يدل على سعة افقهم في الجدل والنقاش ، والرجوع الى الحق متى استبان سبيله .

كما بينت موقفهم – رضي الله عنهم – في قتال المرتدين ومانعي الزكاة ، واشرنا اشارة خفيفة الى مسالة توريث الجد مع الاخوة . وها نحن اولاء نعرض عليك – ايها القارىء العزيز – صورة صادقة ، لنقاشهم لترى الى اى مدى كانت حرية الراى مكفولة حتى في وجه الخليفة ، وهو السلطة العليا في الامة .

النقاش حول توريث الجد

كان ابو بكر – رضي الله عنه – يرى ان الجد اب ، فياخذ حكمه ، وينفرد بالتركة كلها دون الاخوة ما لم يكن هناك اصحاب فروض كالزوجين والام ، ويعتمد في ذلك على قوله تعالى – حكاية عما قاله يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن – : « واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل

نماذج من اجتهادهم وصور من حوارهم .

مدى تأثرهم بأنظمة البلاد المفتوحة .

العرف ومدى مراعاته في المسائل التشريعية .

الله علينا وعلى الناس ، ولكن اكثر الناس لا يشكرون » (١)

وبيان وجهة نظره بهذه الآية ، انه وصف ابراهيم واسحق بانهما من ابائه ، والواقع انهما جدان ليوسف – عليه السلام – فهو ابن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام .

وقد كان عمر – اولا – يرى راى ابى بكر ، ولكن الظاهر انه كان مترددا ، فكتب في هذا الى زيد بن ثابت رضي الله عنهما .

ويقول زيد انه كان يرى – اولا – ان الاخوة أولى من الجد ، فقد كتب الى عمر – رضي الله عنه – يقول : « ضربت لعمر – رضي الله عنه – في ذلك مثلا فقلت له : لو ان شجرة تشعب من اصلها غصن ، ثم تشعب من ذلك الغصن خوطان (فرعان) ، ذلك الغصن يجمع الخوطين دون الأصل ويغذوهما ، الا ترى يا امير المؤمنين ان احد الخوطين اقرب الى اخيه منه الى الأصل ».

فهو يرى تشبيه الجد والأخوة بشجرة تولد من اصلها غصن اصبح مستقلا بالحياة ، وانما قلنا ذلك ليتم المطلوب لزيد ، ثم ان هذا الغصن المستقل بالحياة تولد منه غصنان غذاؤهما من هذا الغصن دون الأصل ، فقد شبه الجد بالأصل والأب بالغصن المتولد منه المستقل لأسباب الحياة ، والغصنين الصغيرين (الخوطين) بالاخوين .

ولم يكتف عمر بمشاورة زيد مع شهرته في مسائل الفرائض ، بل استشار عليا – رضي الله عنه وكرم الله وجهه – وارسل اليه يسأله ، فكان رأيه كرأى زيد في عدم حرمان الاخوة ، واستشهد على رأيه بمثل اخر فقد قال : « ارأيت لو ان سيلا سال ، فانشعبت منه شعبة ، ثم انشعبت من هذه الشعبة شعبتان ، أرأيت ان ماء هذه الشعبة الوسطى اذا رجع ، فانما يرجع الى الشعبتين جميعا » .

ومن هذا الحوار رجع عمر – رضي الله عنه – عن رأيه في انفراد الجد بالتركة ، وحرمان الاخوة ، واخذ برأى زيد وعلي في المشاركة ، ولم يأنف من الرجوع الى رأيهما ، بعد ان ترجح عنده وجاهة رأيهما .

وقد يقال ان رأى علي وزيد وموافقة عمر لهما اجتهاد في مقابلة النص الذى تمسك به ابو بكر – رضى الله عنه – ولكن الرد على ذلك يسير ، فان اطلاق لفظ الاب على الجد اطلاق مجازى ، كاطلاق لفظ الاب على العم في القرآن الكريم ، فقد ورد في سورة البقرة قوله تعالى : « ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوبَ الموتُ اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق ، الها واحدا ، ونحن له مسلمون » (١) .

واسماعيل – بيقين – عم يعقوب ، وليس ابا او جدا . (٢)

---

(١) سورة يوسف الآية (٣٨) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٣٣) .

(٢) يراجع الروض النضير جـ ١ ص ١٥ – ٥٩ ، الأم للشافعي جـ ٤ ص ٨١ .. بتصرف .

وهذا الحوار يعطينا صورة صحيحة عن اسلوب هؤلاء المجتهدين في استنباط الاحكام الشرعية كما يدل دلالة قاطعة على ان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يلجاون الى القياس اذا لم يكن في المسالة نص يعتمد عليه .

قتل الجماعة بالواحد

كتب عامل عمر على اليمن اليه : ان امراة وخليلها قتلا ابن زوجها ، وساله عما يفعل بهما، وتوقف عمر لانه فهم من آيتى القصاص ، انه لا يقتل بالنفس الا نفس واحدة ، وهما قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى : الحر بالحر،والعبد بالعبد، والانثى بالانثى » (٤) .

وقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف ، والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص .. » (٥) .

وتوقف عمر حينا الى ان قال له على ـ رضى الله عنه ـ : « يا امير المؤمنين ارايت لو أن نفرا اشتركوا في سرقة جزور فاخذ هذا عضوا ، وهذا عضوا ، اكنت قاطعهم ؟ قال : نعم . قال : وذلك . » .

وكتب عمر الى عامله : « ان اقتلهما فلو اشترك فيه اهل صنعاء كلهم لقتلتهم .» (٦)

قضية خطيرة واجهت عثمان اول عهده بالخلافة

لما طعن عمر ـ رضى الله عنه ـ بيد المجوسى ابى لؤلؤة . قال عبد الرحمن بن ابى بكر : «لقد رايت امس ابا لؤلؤة معه جفينة والهرمزان ،وهم نجى (يتهامسون) فلما رهقتهم (أفزعتهم بقربى منهم) ثاروا وسقط منهم خنجر له راسان ،نصابه في وسطه ، فانظروا باى شيء قتل عمر ؟ » فجاءوا بالخنجر الذى طعن به عمر ، فوجد على الوصف الذى وصفه عبد الرحمن بن ابى بكر . فما كان من عبيد الله بن عمر (وهو يومئذ شاب تغلى في عروقه دماء الحمية والغضب) الا أن استل سيفه، ومضى فقتل الهرمزان وجفينة ، وابنة ابى لؤلؤة، وغضب المسلمون لأن هذا حدث في الاسلام ، فكيف يقتل ثلاثة بغير بينة ولا دليل ، وطالب البعض بالقود منه .

ولما تمت البيعة لعثمان كانت هذه القضية اول ما صادفه من مشاكل الدولة ، وانعقد مجلس الشورى ، واليك صورة مما وقع من الحوار الذى حدث : يرى على انه لا بد من القصاص من عبيد الله بن عمر ، لان النص صريح في وجوب القصاص من القاتل عمدا .

وقال البعض : « قتل عمر بالامس . وتريدون أن تتبعوه ابنه اليوم . »

وورد ان عمرو بن العاص قال : « يا امير المؤمنين ، ان الله قد اعفاك أن يكون هذا الامر ولك على الناس سلطان ، انما كان هذا الامر ، ولا سلطان لك ، فاصفح عنه يا امير المؤمنين . » (يريد أن ما وقع من عبيد الله كان قبل ان تتم البيعة لعثمان ، فلا قود حيث لا امام يقيم الحدود ويستوفي الحقوق) .

اما عثمان فقد وردت عنه روايات متعددة ، رواية تقول : انه قال : انا ولى الهرمزان وجفينة والجارية ، وقد جعلتها دية . » وفي رواية أخرى انه قال لعلى ، حين طالب بالقود من عبيد الله : « كيف اقتل رجلا قتل ابوه بالامس؟ لا افعل ، ولكن اعفو عنه ، وأودى الدية . »

وفي رواية ثالثة : انه حكم بالقصاص ، وسلم عبيدالله الى ابن الهرمزان ليقتص منه،فخرج ابن الهرمزان بعبيد الله،وما في الارض احد الا ويحب أن يعفو عن عبيد الله . فقال ابن الهرمزان : ألى قتله ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلكم أن تمنعوه ؟ (اى تحموه منى) .. قالوا : لا .. فقال ابن الهرمزان : تركته لله ولكم ، فلما عفا عنه احتملوه حتى بلغوا به المنزل على رءوسهم ، تكريما له ، وتقديرا لعفوه . » (٧)

هذه هى الروايات في هذه القصة ، وهى مجمعة على ان راى على كان وجوب القصاص ، وهذا الراى يمثل وجهة نظر المتشددين في تطبيق

(٤) سورة البقرة من الآية (١٧٨) . (٥) سورة المائدة الآية (٤٥) .

(٦) الأم للشافعي جـ ٦ ص ١٦ ، واعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ .

(٧) راجع البدائع للكاساني في كتاب القصاص ،والقضايا الكبرى في الاسلام ص ١٢٦ .

الاحكام ، كما تعطينا فكرة عن ان البعض كان يرى استعمال الرحمة والرافة ، تقديرا لظروف الحادث ، كما تعطينا صورة عن ان عمرو بن العاص كان يريد رفع المسئولية عن الخليفة ، لان الحادث وقع ، ولم تتم له البيعة ، ولكن هذا الرأى لم يصادف قبولا من احد ، والا ضاعت الدماء والاعراض والاموال في الفترة التي تكون بين موت امام وبيعة امام آخر .

اما موقف عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقد تضاربت فيه الروايات كما قلنا ، ولكن الجمع بين الروايات ممكن ، ويجب علينا ان نفهم انه كان يود ان لو وجد مخرجا من هذا المازق .. نعم السلطان ولى من لا ولى له ، ولكن الهرمزان له ولد «وهو ولى دمه ، فكيف يسقط حقه في القصاص ؟! »

والظاهر انه نزل على راى على ـ رضي الله عنه ـ وسلم عبيد الله الى ابن الهرمزان ليقتص منه ، وهو مطمئن الى انه سيعفو عنه ، لما بدا من حرص الجماعة على تنفيذ حكم الشرع وحب العفو .

وايا ما كان فهل لولى الامر ان يعفو عن الدم ؟ مسالة فيها نظر والذى اطمئن اليه ان هذا من حقه ، وهو راجع الى السياسة الشرعية التي يراد بها صيانة المجتمع من الهزات العنيفة .

توريث المراة المعتدة

في عهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ طلق حبان بن منقذ ـ من الانصار ـ زوجته ، وكان صحيحا معافى ، وكانت لهذه المراة ابنة ترضعها ، وكعادة اكثر النساء المرضعات انه يتاخر حيضهن ، ومكثت على ذلك سبعة عشر شهرا ، وقيل لحبان : انها تريد ان ترثك ، فقال لاهله : احملونى الى عثمان ؛ فحملوه اليه ، فذكر له شان مطلقته ، وعنده على ابن ابى طالب وزيد بن ثابت ـ رضى الله عنهما ـ فقال لهما عثمان : ما تريان : ؟ فقالا : انا نرى ان ترثه اذا مات ، ويرثها اذا ماتت ، فانها ليست من القواعد اللائي يئسن من المحيض (فتكون عدتها ثلاثة اشهر) ، وليست من الابكار اللائى لم يحضن ـ الصغيرات اللائى لم يبلغن سن الحيض (فتكون عدتها كذلك ثلاثة اشهر) ، ثم هى على عدة حيضها ما كان من قليل او كثير (اى لابد ان تحيض ثلاث حيضات طالت المدة أو قصرت) ، فرجع حبان الى اهله فاخذ ابنته ، فلما قعدت عن الرضاع حاضت حيضة ، ثم حاضت مرة أخرى ، ثم توفى حبان قبل ان تحيض الحيضة الثالثة ، فاعتدت عدة المتوفى عنها زوجها ، وورّثته .

هذه صور لبعض القضايا التي عرضت لكبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وكيف عالجوها على ضوء من تعاليم الدين ، وكيف انهم قد افسحوا صدورهم لسماع حجج المعارضين والمخالفين ، وانتهوا آخر الامر الى ما ترجح عندهم من دليل .

كلمة الى الباحثين في الفقه الاسلامى

اني اتوجه على صفحات هذه المجلة الذائعة الصيت التي لايكاد مثقف يترك الاطلاع عليها ، ان يتجهوا ببحوثهم الى ان يجمعوا لنا من فقه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ما تبعثر في الكتب .

واذكر ان احد قراء هذه المجلة ـ وهو مصرى في الجزائر ـ ارسل الي ، عقيب اطلاعه على مقالتي « عمر والمصلحة » ، ان ارشده الى المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في تتبع فقه عمر ، واني ارى ان فقه عمر وغيره من الصحابة يمكن الرجوع اليه في المسانيد المشهورة ، كمسند الامام احمد ، ومصنف ابن شيبة ، وكتب الخلاف المشهورة المعتمدة وذلك كالمغنى لابن قدامة الحنبلى ، والبدائع للكاسانى ، وفتح القدير للكمال بن الهمام ـ وهما حنفيان ـ والمجموع للنووى ، والخلاف للطوسي الامامى ، والبحر الزخار في فقه الزيدية ، وغير ذلك من الكتب المعتمد عليها الموثوق بصحة نقولها .

ونصيحتي ان يكون جهد الباحث موجها الى التثبت اولا من صحة الروايات والنقول ، وان يحاول ـ جهد طاقته ـ ان يجمع بين الروايات المتعارضة . او ان يرجح بعضها على بعض بالموازين الصحيحة لا تعصبا لرأى ، او تحكيما لهوى .

مدى تأثر الصحابة بانظمة البلاد المفتوحة وقوانينها

يحاول بعض الناس ان يدخلوا في روع ابنائنا ان المسلمين الاولين قد تاثروا في المسائل التشريعية بانظمة البلاد المفتوحة ، وهذا رجم بالظن ، وقول لا يعتمد على دليل ، ولا يستند الى برهان ، فان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ما استندوا الى رأى ارتآه احد ، وانما كان اعتمادهم اولا على

كتاب الله ، وثانيا على سنة رسول الله - صلى عليه وسلم - فان اعياهم ان يجدوا نصا من كتاب او سنة ، اجتهدوا ما وسعهم الاجتهاد ، معتمدين في اجتهادهم على قواعد الشريعة المستنبطة من استقراء الاحكام الشرعية ، وكذلك كانوا يوازنون بين المصلحة والمفسدة ، ثم هم بعد ذلك بين ان يجمعوا على رأى فلا سبيل الى الخروج عنه ، او يبقى كل منهم على رأيه فيطبقه في خاصة نفسه ، او يفتى به من يطمئن اليه ، من غير حجر على مجتهد ، او الزام برأى الامام ، ومن يدعّ غير ذلك فعليه ان يأتي بمسألة استمدت من قانون سابق على الاسلام .

نعم ان السلف الصالح - ولا سيما عمر رضى الله عنه - قد انتفعوا ببعض الانظمة التي وجدوها في البلاد المفتوحة ، لا في المسائل التشريعية ، ولكن في تنظيم الدولة ، وذلك كاتخاذ تاريخ للدولة ، فان هذا لم يكن معروفا قبل عهد عمر ، ثم رأى ان يتخذ للدولة تاريخا وجعل الهجرة مبدءه ، وانه ليس للاسلام دولة قبل الهجرة ، واقتبس ذلك من الروم الذين كانوا يؤرخون بميلاد المسيح - عليه السلام - وقبط مصر الذين كانوا يؤرخون بموقعة الشهداء ، وكذلك نجده وضع الدواوين التي تبين اسماء الجند واعطياتهم ، وهذا امر لم يكن معروفا من قبل ، كما انه نظم بيت المال وضبط موارده ومصارفه ، وهذا ايضا لم يكن معروفا ، بل كانت الاموال تجبى ، ثم تنفق على اربابها في الحال .

ونجد عليا - رضي الله عنه - اتخذ السجن - لأول مرة في الاسلام - ليحجز فيه العابثون ممن لم يقم عليهم حد او قوَد .

وبالجملة فان كبار الصحابة لم يستنكفوا ان يأخذوا عن الدول المغلوبة انظمة تعود على البلاد الاسلامية بالخير ، وتضبط اعمالها ، وهذا يدل على سعة افقهم ، وبالغ حرصهم على رعاية مصلحة الأمة ، ما لم يكن في ذلك خروج على نص ، او تعطيل لقاعدة شرعية .

وهذه الأمور المقتبسة كلها ترجع الى التنظيم ، والضبط ، لا الى التشريع والفقه ، وهذا امر لا بأس به ، بل يجب علينا أن نأخذ من هذه الامور كل نافع ، وليس ابتداعا في الدين ، بل هو تطبيق له .

العرف ومدى مراعاته في المسائل التشريعية في هذا العهد

سبق أن بينت ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يراعى الاعراف التى لم يبطلها الشارع كمسائل المعاقل ، وما وقع منه من فتياه اولا في أمر الظهار ، الى ان نزلت آيات الظهار (اوائل سورة المجادلة) ، وكتبنيه لزيد بن حارثة - رضي الله عنه - حتى نزل قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم ، وما جعل ادعياءكم ابناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .. ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما » (٨) .

واذا كان الأمر كذلك على عهد الرسول الاكرم ، فكذلك الشأن في عهد كبار الصحابة ، لم يحملوا الناس على ترك اعرافهم المألوفة سواء في معاملتهم ، او عاداتهم من لبس ومأكل ومشرب ، اللهم الا اذا كان هناك نص على ابطال هذه الأعراف ، بل تركوا لأهل الذمة ما تعارفوا عليه ، وتدينوا به ، حتى لو كان الاسلام مبطلا لهذه الاعراف ، كتعارف البعض منهم على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، ولبس الحرير ، وكتزوج المجوسي الذى دخل في ذمتنا لأمه أو بنته ، بل ان الخلفاء الراشدين حموا خمر الذمي وخنزيره ، والزموا من اتلفهما - من المسلمين - بالتعويض ، فقد صح أن عليا - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - قضى في مسلم قتل خنزيرا لنصراني وضمنه قيمة الخنزير . وقال : « انما أعطيناهم الذمة على أن يتركوا يستحلون في دينهم ما كانوا يستحلون من قبل »(٩) .

ولعلنا ان نتكلم على ما يباح للحاكم ، وما لا يباح من وجهة نظر السياسة الشرعية ، ومدى تطبيق الخلفاء الراشدين لهذا المبدأ . والله ولي التوفيق . ■■

بدر المتولى عبد الباسط

(٨) سورة الاحزاب الآيتان (٤ ، ٥) .

(٩) براجع الروض النضر جـ ٣ ص ٧٧ .

أخلاقنا في الميزان

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ اذا سلمنا بان الاخلاق هي « مجموعة القواعد السلوكية التى تتبعها بالفعل جماعة من الناس في حقبة ما من الحقب التاريخية » ، فقد يكون في وسعنا ان نتحدث عن « اخلاق عربية » هي بمثابة مجمع العادات والسنن والطباع الخلقية التي يتسم بها مجتمعنا الراهن . فلسنا نريد – في هذه المجالة القصيرة – ان نعرض لدراسة النظريات الاخلاقية التى رأى مفكرونا وضعها لتحديد ما ينبغي ان يكون عليه سلوك الانسان العربي ، بل نحن نريد الاقتصار على وصف اساليب السلوك التى يصطنعها الانسان العربي في حياته الاخلاقية الفعلية ، وفي علاقاته الاجتماعية العملية . ولا شك ان تعقد « الظاهرة الخلقية » قد يجعل من العسير علينا تحديد كل مقومات الاخلاق العربية ، ولكن من المؤكد ان الالتجاء الى المنهج المقارن قد يعيننا – الى حد كبير – على الكشف عن اهم الخصائص التى تتميز بها اخلاقنا . .

نحن – اولا –
لا نكاد نحيا « في الحاضر »

وهنا قد يحق لنا ان نقف عند سمة اساسية تكاد تطبع بطابعها كل حياتنا الاجتماعية ، وتلك هي التحسر على الماضي ، والتطلع الى المستقبل ! فنحن نفكر في امجادنا القديمة ، ونتمسك بتراث اسلافنا ، ونفخر بما حققته حضارتنا العربية المجيدة في تاريخ البشرية جمعاء وهذا جميل ولكننا في الوقت نفسه نتطلع بشغف ولهفة الى مستقبلنا الزاهر ، ونحن الى العصر الذهبي الذى نسترجع فيه امجاد الماضي ، ونتحرق شوقا الى المستقبل المشرق الذى سيكون هو الكفيل باشباع ميولنا وتحقيق آمالنا ! وبين هذا التحسر على «الماضي»، وذلك التطلع الى « المستقبل » ، يقف « الحاضر » هزيلا خاشع الراس ، وكانما هو « النقطة الهندسية » التى لا وجود لها ، لانها مجرد ظاهرة عرضية تعبر عن تلاقي خط الماضي / بخط المستقبل !

والحق اننا كثيرا ما نلغي حاضرنا لحساب ماضينا او مستقبلنا ، دون ان نفطن الى ان « الحاضر » وحده هو كل ما نملكه من اقسام

الزمان . ومن هنا نرسم الخطط ، ونضع المشروعات ، ولكننا قلما ننتهز الفرص ، وقلما نفيد مما بين ايدينا من امكانات . والسبب في ذلك اننا لانفهم ان الفعل الحقيقي هو دائما « فعل في الآن » ، وان الزمان الحقيقي هو باستمرار « حاضر الحاضر » ! وهكذا تضيع منا الفرص ، وتفلت من بين ايدينا لحظات الزمان ، لاننا ـ مع الاسف ـ لانعرف كيف نعمل في الحاضر ، ولا ندرك ان الحياة الصحيحة هي تلك التي تنقضي في الحاضر ! وهذه الظاهرة النفسية الخطيرة التي تصدق علينا أفرادا وجماعات ، هي السر في اننا قلما « نحقق » شيئا : لاننا مشغولون من جهة بما « حققه » اسلافنا ، ومهمومون من جهة اخرى بما « سيحققه » ابناؤنا ! والرأي عندنا ان بيت الداء في المجتمع العربي المعاصر انه مجتمع واهم حالم ، يحيا في الماضي او في المستقبل ، دون أن يفطن الى أن « الحاضر » ـ الحاضر وحده ـ هو الوجود الواقعي ، الحقيقي ، اليقيني ، الاكيد !

ثم اننا كثيرا ما نخلط الحلم بالواقع !

وثمة سمة اخرى تكاد تقترن بمعظم مظاهر سلوكنا ، وتلك هي الخلط بين « الحلم » و « الواقع » او بين « الخيال » و « الحقيقة » فنحن كثيرا ما نأخذ رغباتنا وآمالنا على انها وقائع او حقائق ، لدرجة ان البعض منا يكاد يعيش في عوالم وهمية هي من نسج خياله الواسع العريض ! وقد يكون من الحديث المعاد أن نقول ان افتقارنا الى الموضوعية هو السبب الاساسي في هذا الخلط المستمر بين « الواقع » و «الخيال» فان الانسان العربي قد الف في سلوكه نمطا خاصا من انماط السلوك ، الا وهو سلوك « الهروب » او « الفرار » : Evesion

وآية ذلك اننا حين نستشعر مقاومة الواقع ، او حين نلتقي ببعض المصاعب ، فاننا قلما نحاول احالة « العائق » الى «واسطة» ، بل نحن لا نلبث ان نلوذ بقوقعة اليأس ، لكي ندفن رؤوسنا في الرمال كالنعام ! وليست الاحلام ، والاوهام ، والاخيلة الكاذبة (على اختلاف اشكالها) سوى وسائل تعويضية نحاول عن طريقها تحويل « الفشل الواقعي » الى « نجاح وهمي » . وعلى حين ان الوعي بالفشل هو المناسبة المواتية للشعور بالواقع ، نجد لدى الانسان العربي ان الخلط بين الحلم والواقع هو الذي يجعله عاجزا عن الافادة من « خبرة الفشل » !

ومن هنا فاننا نقتصر على تزييف الفشل بالنجاح ، والزعم لانفسنا بان الهزيمة هي الانتصار ، دون ان نفطن الى الصلة الحقيقية التي تجمع بين الاحساس بالواقع من جهة ، وخبرة الفشل من جهة اخرى . وهذا « المسلك الهروبي » يكاد يسم بطابعه سلوكنا كله ـ افرادا كنا او جماعات ـ لدرجة اننا قلما نلتقي بانسان شجاع يعترف بخطئه ، او يسلم بفشله ، بل نحن نجد لدى الكثيرين من اساليب « التضليل الذاتي » وخداع النفس ما يشهد بان « سوء الطوية » La mauvaise Foi قد اصبح هو الرائد الاوحد لنا في كل سلوكنا !

وربما كان خداع النفس من أكبر آفاتنا واخطرها ايضا

والحق اننا لا نخدع الآخرين فحسب ، بل نحن كثيرا ما نخدع انفسنا ايضا . وهذا « الخداع الذاتي » هو الذي قد يصور لنا ـ احيانا ـ فشلنا الواقعي بصورة نجاح وهمي ، وعندئذ لا نلبث ان نقنع انفسنا بان « الهزيمة » التي حاقت بنا انما هي « الانتصار » بعينه ! ونحن نعرف ان « خداع النفس » هو صورة من صور التحلل من المسئولية ، او التنازل عن الحرية ، فهو ضرب من ضروب الخيانة الوجودية للذات بوصفها « وعيا » و « حرية » .

وحينما يحاول الانسان العربي ان يلقي بالتبعة على الظروف الخارجية ، او ان ينحى باللائمة على بعض القوى المعادية ، فانه ـ بلا شك ـ يمارس هذا الاسلوب « التبريري » من اساليب السلوك ، الا وهو اسلوب « الخداع الذاتي » او « سوء الطوية » . وعلى الرغم من الدروس

القاسية التي قدمتها لنا حرب ٥ يونيه (حزيران) سنة ١٩٦٧ ، فان الكثيرين منا ما يزالون يمارسون في تفكيرهم وسلوكهم طريقة « الخداع الذاتي » .. وربما كان اخطر ما في هذه الطريقة انها تعمينا عن رؤية الحقائق الموضوعية ، لكي تجعلنا نسترسل في احلامنا الذاتية ! وهكذا يقتصر البعض منا على اجترار احلام النصر ، والتغنى باناشيد الظفر ، دون ان يقوم باى جهد ايجابي في سبيل العمل على مواجهة الواقع ، والنهوض باعباء المعركة .

وليس من شك في ان ما كتبناه على اعقاب هزيمة حرب ١٩٦٧ ، ما يزال — حتى اليوم — واقعا تشهد بصحته صحافتنا ، واذاعاتنا ، وشتى وسائل الاعلام عندنا (١) . والا ، فهل يستطيع احد ان ينكر اننا ما نزال نضلل انفسنا، ونخدع الرأى العام في مجتمعاتنا ، ونمارس من اساليب « الخداع الذاتي » ما يخلط على الناس الحقيقة بالوهم ؟

ونحن نخلط ايضا بين « التسامح » و « التساهل »

صحيح ان الاخلاق العربية في اصلها — اخلاق سمحة تتسم بالاريحية والتسامح ، ولكننا نلاحظ اليوم ان الكثير منا قد اصبح يخلط بين التسامح والتساهل . فادى ذلك الى التهاون في امور لا تحتمل التهاون ! وليس من شك في ان الانزلاق من « التسامح » الى « التساهل » عملية سيكولوجية عادية تتم في سهولة ويسر،ولكن الملاحظة — عندنا — ان « التساهل » كثيرا ما يقترن بمظاهر « اللامبالاة » او عدم الاكتراث . ومن هنا فاننا قد نستخف بامور خطيرة لا يجوز فيها الاستخفاف ، كما اننا قد نتسامح ، دون ان نفطن الى اننا بذلك نقوض اركان الحياة الخلقية لمجتمعنا تقويضا تاما ! والحق ان الصرامة Rigorisme ، مطلب اخلاقي اساسي : لان كل مجتمع يتساهل مع المجرمين والعابثين والخارجين على العرف او القانون انما هو مجتمع منحل متفكك يهدم نفسه بنفسه ! ..

واما حين يقف المجتمع بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالخروج على المعايير الجمعية ، او الاستهتار بقيم الجماعة ، فهنالك يكون للاخلاق سند اجتماعي قوى يضمن للمجتمع ردع المخالفين، وقمع المارقين. ولسنا نعنى ان مجتمعنا العربي قد اصبح يفتقر تماما الى كل وعى اخلاقي ، بل كل ما نعنيه ان هذا الوعى الاخلاقى قد اصبح يخلط التسامح بالتساهل ، على نحو ما اعتاد الخلط بين الاتكال والتواكل ! وهذا هو السبب في اننا صرنا نختلق المعاذير للمارقين والمتمردين ، كما اصبحنا نجد دائما من « الظروف المخففة » ما يبرر استعمال الرافة مع المجرمين والمنحرفين ! وفات حماة القانون ودعاة الاخلاق — عندنا — ان اى استثناء يتعرض له القانون ، او اى شذوذ يخرق القاعدة الاخلاقية ، قد يكون هو الكفيل وحده بهدم هذا القانون او تحطيم تلك القاعدة الاخلاقية . ولعل هذا هو السر فيما نلاحظه — احيانا — في بعض المجتمعات العربية المعاصرة من ان « الاستثناء » كثيرا ما يصبح هو « القاعدة » ، وكان « القانون » قد استحال — باسره — الى مجموعة من « الحالات الخاصة » التى لا تنطبق عليها « القاعدة العامة ».

ولسنا نريد ان نسهب في ضرب الامثلة التي تشهد على ان « التسامح » عندنا قد استحال الى « تساهل » ، وانما حسبنا ان نقول ان المتامل في اجهزتنا الادارية يجد الآلاف من الامثلة على هذا التهاون الصارخ الذى ليس من التسامح في شيء ! وسواء اتجهنا بابصارنا نحو الموظف ، او نحو الطالب ، او نحو العامل ، او نحو المثقف ، او نحو رجل السياسة (وغير هؤلاء) ، فاننا لن نجد — في معظم الاحيان — سوى نماذج مختلفة لهذا « التهاون » الذى تمليه على الناس روح الاستخفاف بالمسئولية ، والتساهل مع الذات ، وعدم الاكتراث بمصالح الآخرين . وانت تعجب حين تجد كل هؤلاء يروحون ويغدون ، بكل امن واطمئنان ، دون ان يلقوا اية عقوبة او جزاء ، ولكنك لن تلبث ان تعرف السر في هذا «التسامح»

---

(١) ارجع الى مقالنا : « ازمة القيم في عالمناالعربي المعاصر » ، مجلة العربي العدد ١٠٧ ، اكتوبر ١٩٦٧ .

الذي تتفاهم به الجماعة : فان « الوعي الاخلاقي » عندنا قد اصبح وعيا زئبقيا سهلا لا يتسم بأية صورة من صور « الصرامة » . ولا شك ان هذه « السهولة » ـ او هذا « التساهل » ـ انما هو الدليل الاكبر على اننا لم نعد نقف بالمرصاد لاهل الفساد الخلقي ، بل صرنا نتهاون في ابسط ـ واخطر ـ واجباتنا الخلقية : الا وهي واجبات حماية القانون ، ورعاية الاخلاق . ولن يتسنى لنا تحقيق اي شكل من اشكال «التكامل الاخلاقي» او الاجتماعي اللهم الا اذا استعدنا اولا وقبل كل شيء روح الصرامة الاخلاقية .

هل انعدم ـ عندنا ـ مفهوم « الواجب » ؟

واذا كانت سنة الحياة ـ في كل زمان ومكان ـ هي الاخذ والعطاء ، فانها ـ عندنا ـ الاخذ ، دون العطاء ، وآية ذلك انك تسمع اليوم عن مطالب العمال ، وحقوق الطلبة ، (وغير هؤلاء واولئك من فئات الشعب) ولكنك قلما تسمع عن واجبات العمال ، او التزامات الطلبة ! وقد لا نبالغ اذا قلنا اننا جميعا ـ في مجتمعنا العربي المعاصر ـ نطالب بحقوقنا ، ولكننا قلما نفكر في واجباتنا !! واغلب الظن ان يكون مفهوم الواجب نفسه قد اصبح عندنا تصورا خاويا من كل مضمون ، ان لم نقل انه قد اصبح اثرا بعد عين ! وما يزال كاتب هذه السطور يذكر كيف كان طلبته في الجامعة يجدون في فلسفة كانط Kant الخلقية ، مجرد فلسفة خيالية وهمية ، لا لشيء الا لان صاحبها كان يقدس الواجب ، وينادي باداء الواجب بدافع من احترام الواجب في ذاته ولذاته . واليوم ما يزال مجتمعنا العربي في حاجة ماسة الى الاصوات المخلصة التي تدعو الى تقديس الواجب بوصفه القانون الاخلاقي الاوحد . ولن يصبح المجتمع العربي مجتمعا انسانيا ـ بحق ـ اللهم الا يوم يدرك اهله ان « الواجب هو الذي يميز مملكة الانسان ـ باعتبارها مملكة الحرية ـ عن مملكة الطبيعة ـ باعتبارها مملكة الضرورة .. » والا ، فهل قامت لاي مجتمع قائمة ، ان لم يكن قد اتخذ من « الواجب » الدعامة التي يستند اليها كل حكم اخلاقي ، والاساس الذي يقوم عليه كل تقدم عملي ؟

ومفهوم « النظـام » : أتراه أيضا قد اختفى من حياتنا الاجتماعية ؟

وثمة مفهوم اخلاقي آخر قد تراجع عندنا ايضا ، نحت تأثير تراجع مفهوم « الواجب » ، الا وهو مفهوم « النظام » . والحق ان الاخلاق ـ في جانب من جوانبها ـ تعبير عن « الالتزام » ، و « الالتزام » وثيق الصلة بمعنى « النظـام » . وانت حين تلقى نظرة على معظم مرافق حياتنا الاجتماعية ، فانك تجدها بلا شك حافلة باسباب الفوضى والاضطراب والاختلال . وقد لا تخلو حياتنا الخاصة ايضا من مثل هذه الفوضى : لاننا نشأنا على الاستهانة بكل قاعدة ، والاستخفاف بكل نظام ! واعجب ما في الامر ان اطفالنا قد يجدون احيانا ضربا من اللذة في الخروج على النظام ، او الاستهتار بالانظمة الموضوعة ! ومثل هذه المتعة التي يجدها اطفالنا في الفوضى انما هي الدليل القاطع على انهم قد اشربوا ـ منذ نعومة اظفارهم ـ « حب المخالفة » ! وقد تكون هناك ميول عدوانية مكبوتة ، تكمن من وراء هذه النزعة التمردية نحو « الخروج على النظام » ، ولكن من المؤكد ان « حب الفوضى » هو صورة من صور « التفكك الاخلاقي » الذي يجعل من كل فرد منا « ذاتا » متعزلة تعمل لحسابها الخاص ، دون ان تعير الآخرين اي اهتمام !

وليس من شك في ان اختفاء النظام من حياتنا الاجتماعية (في الظاهر ، على الاقل) يخلق من مجتمعنا مجتمعا فوضويا لا خلاق له ! ولكن اختفاء النظام من حياتنا الفردية هو الذي يولد لدينا ضربا من الاضطراب الخلقي ، وكان في وسع اي فرد منا ان يفعل ما يشاء كيفما شاء ! وعلى حين ان « الاخلاق » ، تمثل الوحدة والتكامل والاتساق ، نجد ان اللا اخلاقية Immoralism ، تمثل في العادة التوزع والتفكك والانحلال . وهذا ما يدفعنا الى القول بان جانبا غير قليل من

انحلالنا الاخلاقي ، مرجعه الى قلة اهتمامنا بالنظام ، وتزايد استهتارنا بالقانون ! وهل كانت اللا اخلاقية الا صورة من صور الاستباحة والفوضى ؟!

هل يكون مجتمعنا العربي « مجتمع رجال » فقط ؟!

على أن هناك سمة اخرى بارزة تكاد تسم بطابعها كل سلوكنا الاخلاقي أوجلته ، وتلك هي سمة الاهتمام الزائد بمسائل الجنس ، حتى لقد اصبح « الجنس » عندنا - على حد تعبير علماء النفس - « حصارا » او « وسواسا » lobsession فالشاب العربي - مثلا - لا يكاد يقرأ سوى الروايات الجنسية . والافلام الرائجة عندنا لا تكاد تعدو افلام الجنس ، والاحاديث الجارية بيننا تكاد تدور في معظمها حول النساء ، والنكات المتداولة بيننا هي في الغالب نكات جنسية او فكاهات بذيئة ، وهلم جرا .. وقد يكون السر في هذا الاهتمام المفرط بمسائل الجنس هو حالة القمع ، أو الكبت ، او الحرمان ، التي ما تزال سائدة في معظم مجتمعاتنا العربية ، ولكن من المؤكد أيضا أن القيم الاخلاقية عندنا قد بقيت في معظمها قيما جنسية ترتبط بمسائل « الرجولة » و « الفحولة » .. الخ .

وعلى الرغم من أن الفتاة العربية قد اقتحمت ميدان التعليم ، وغزت الجامعات ، وخرجت الى ميدان العمل ، واصبحت تشارك الرجل أعباء الحياة الاجتماعية ، الا أن المرأة العربية - مع ذلك - قد بقيت « موجودا هامشيا » (ان صح هذا التعبير) لا يقوم بدو ايجابي فعال في صميم التكوين الخلقي لمجتمعنا الحالي . وآية ذلك ان المجتمع العربي ما يزال مجتمع رجال فقط ، لا مجتمع رجال ونساء معا !!

وقد جاز ان يكون مجتمعٌ رجال ونساء ،ولكن على غير التبرج وغير الفتنة المتعمدة ، بل على الأخلاق العربية المأثورة من احترام المرأة وصيانتها والغيرة عليها ان تهان او تذل او تخدش او تخدش حياؤها ولو بكلمة او اشارة . فهكذا تكون اخلاق المروءة التي تنظر الى المرأة على أنها ام ، للاعزاز والتكريم ، ولا تنظر اليها على أنها لعبة يلهو بها الاغرار .

وحسبنا ان ننظر الى التنظيم الاجتماعي السائد في معظم الاقطار العربية ، لكي نتحقق من انه تنظيم متخلف يكاد يسقط من حسابه حقوق المرأة وواجباتها . بل اننا حتى لو نظرنا الى البلدان العربية المتقدمة التي اصبحت تفسح للمرأة مجالا واسعا للعمل الملائم لها ، فاننا قد نلتقي بنساء عاملات يقضين معظم اوقاتهن في الثرثرة ، او اشغال الابرة ، او غير ذلك من الاعمال النسوية التي الفنها داخل جدران البيوت ! والحق ان المرأة العربية ما تزال تطالب بحقوقها ، ولكنها قلما تفكر في واجباتها !

وفضلا عن ذلك ، فقد دلتنا التجربة على ان ثمة قيما أخلاقية وجمالية تقترن في العادة بقيام المرأة في قلب المجتمع ، ولكن مثل هذه « القيم » - حتى في المجتمعات العربية المتقدمة - ما تزال مفقودة او منعدمة ! والواقع انك لا تجد في المجتمع العربي من مظاهر الذوق ، والرقة ، والدماثة ، وحسن المعاملة وطيبها ، ما يشهد بوجود نساء عربيات قد خرجن الى ميدان الحياة الاجتماعية ! وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان معظم العلاقات الاجتماعية عندنا ما تزال تقوم على الخشونة ، والغلظة ، والقسوة والفظاظة .. الخ ، وكان بعد المرأة - وفيها الرحمة والحنان ، وفيها العزة والاباء لم تمتد بعد الى صميم حياتنا الاجتماعية!

وبعد ، لقد حاولنا في هذا العرض السريع لأهم سماتنا الخلقية ، أن نبرز المآخذ والعيوب ، اكثر مما اهتممنا باظهار المحاسن والمزايا . وربما كان لنا بعض العذر في ذلك : فقد أصبح « النقد الذاتي » اليوم أهم بكثير عندنا من التفاخر بالامجاد القديمة ! وقد يأخذ علينا القارىء اننا شخصنا الداء (وهو معروف) ، دون ان نصف الدواء (وهو الأهم) ولكن ردنا على ذلك ان تشخيص الداء هو الخطوة الاولى على درب الشفاء . ■■

زكريا ابراهيم

مسابقة العربي

ألقاب لشخصيات دخلت التاريخ !

■ امامك اثنا عشر لقبا ، كل لقب منها لأحد المشاهير من الفلاسفة او الشعراء او الفقهاء او المفكرين او القادة او الزعماء ، والمطلوب ان تختار عشرة من هذه الألقاب وتضع امام كل لقب منها اسم صاحبه او كنيته او نسبته . وتيسيرا عليك وضعنا امام كل لقب موجزا يوضح معالم من حياة صاحبه ، فيقرب اليك الاجابة ، ثم وضعنا بين قوسين ثلاثة اجوبة : احدها هو الجواب الصحيح :

(١) الشيخ الرئيس : **احد فلاسفة الاسلام الكبار ، كان طبيبا اديبا شاعرا لغويا ، وكان وزيرا ، وله كتب مشهورة في الفلسفة والطب ، وقد اشتغل بعلاج المرضى في سن مبكرة ، ظهر في القرن الرابع (الكندى ـ ابن سينا ـ ابو بكر الرازى) .**

★★★

(٢) سيف الله : **من اشهر قواد الاسلام في اخريات العهد النبوى وبعده ، حاز انتصارات باهرة في حروب الردة ، وفتوح العراق والشام ، وقبره في حمص حيث مات فدفن هناك (ابو عبيدة ـ عمرو بن العاص ـ خالد بن الوليد) .**

★★★

(٣) المعلم الاول : **من اشهر فلاسفة اليونان واعظمهم ، له كتب معروفة في كثير من جوانب الفلسفة والعلم ، انتفع باثاره كثير من نوابغ الامم بعده ، ومنهم العرب والمسلمون ، وهو واضع علم المنطق ، ولذلك لقب المعلم الاول (فيثاغورس ـ افلاطون ـ ارسطو) .**

★★★

(٤) ثعلب الصحراء : **قائد الماني كبير ، اشتهر بانتصاراته وحركاته البارعة في الكر والفر ضد جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، وكانت ابرع حركاته في صحراء مصر الغربية ، مات قبل ان يشهد هزيمة بلده في هذه الحرب (روندشتد ـ روميل ـ هندنبرج) .**

★★★

(٥) الاخطل : **كان مسيحيا ، ويعد من اكبر شعراء الدولة الاموية ، المدافعين عنها ضد كل اعدائها ، لقب بالاخطل لطول لسانه ، وفي شيخوخته جرى هجاء بينه وبين معاصره جرير الذى كان يومئذ شابا ، فغلبه جرير لانه كان عند ذاك اخصب قريحة واطول لسانا (جميل بن معمر ـ مسكين الدارمي ـ غياث التغلبي) .**

★★★

(٦) ذو القروح : **من اوائل شعراء الجاهلية كان ابوه ملكا من قبيلة كندة اليمنية يحكم قبائل عربية عدنانية شمالا في نجد ، وقد خلعه ابوه حين راى ولوعه بالنساء والخمر ورفاق السوء ، فتنقل في كثير من اطراف الجزيرة العربية حتى جاءه يوما ـ وهو في مجلس خمره ولهوه ـ خبر مقتل ابيه ، فقال كلمة صارت مثلا : « اليوم خمر وغدا امر » ، وحاول الاخذ بثار ابيه واسترجاع ملكه ، فلم يفلح . أصيب في آخر حياته بمرض معد فتقرح جلده ، ومات بهذا المرض فدعوه ذا القروح (امرؤ القيس ـ زهير ـ طرفة) .**

(٧) المعلم الثاني : من مشهوري فلاسفة الاسلام ، ظهر في القرن الهجرى الرابع ، كان شاعرا لغويا ، عاش عزوفا عن حكام عصره ، له كتب في الفلسفة والسياسة والاخلاق ، وقد وضحت كتبه الفلسفية غوامض فلسفة اليونان ، ومنها المنطق ، ومن هنا لقب المعلم الثاني ، كما ان واضع علم المنطق يدعى المعلم الاول (ابن مسكويه ـ واصل بن عطاء ـ الفارابي) .

★ ★ ★

(٨) رهين المحبسين : من اكبر شعراء العربية وحكمائها : اصابه العمى في صغره ، ولكنه تنقل في بلاد كثيرة لطلب المعرفة ، تبحر في الادب واللغة ، وله فيهما كتب ورسائل ، كما ان له عدة دواوين مشهورة . في نحو الاربعين من عمره لزم بيته لم يبرحه نحو اربعين سنة اخرى ، وقد لقب رهين المحبسين ، لعماه ولزومه بيته معا (المتنبى ـ المعرى ـ ابو تمام) .

★ ★ ★

(٩) ـ حجة الاسلام : اجتمع له النبوغ في الفقه والاصول والتصوف والفلسفة ، وله في كل منها مؤلفات مشهورة ، ظهر في اواخر القرن الهجرى الخامس ، والاسلام يومئذ مهدد بالفتن من داخله وخارجه ، فاظهر محاسنه ودفع عنه شبه اعدائه ، ومن هنا اكتسب لقبه (الفخر الرازى ـ الغزالي ـ الزمخشرى) .

★ ★ ★

(١٠) محرر العبيد : من اعظم رؤساء الولايات المتحدة الامريكية ، قرر الغاء الرق في بلده ، فخرجت عليه الولايات الجنوبية بسبب ذلك وغيره من اسباب ، فحاربهم بالولايات الشمالية التي ايدته حتى تم له النصر ، ومات اغتيالا سنة ١٨٦٥ (ابراهام لنكولن ـ واشنطن ـ روزفلت) .

★ ★ ★

(١١) الخنساء : اشهر شاعراتنا العربيات ، اكثر شعرها في رثاء اخوين لها ماتا قتيلين ، ادركت الاسلام فاسلمت ، وكان النبي يكرمها ، استشهد لها اربعة ابناء في موقعة القادسية (ليلى الاخيلية ـ جليلة ـ تماضر) .

★ ★ ★

(١٢) الامام الاعظم : صاحب مذهب فقهى واسع الانتشار في البلاد الاسلامية حتى اليوم ، ولد في الكوفة سنة ٨٠ ، ومات ودفن في بغداد سنة ١٥٠ ، والمحلة التي دفن فيها ببغداد تنسب اليه ، وقد اشتهر مذهبه بانه مذهب اهل الراى والقياس (الاوزاعي ـ ابو حنيفة ـ مالك) .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧٠ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر فبراير (شباط) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة

الكفايات العلمية

تحضيرها في بلادها
ثم هجرتها إلى بلاد غيرها

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ سبق لي ان تحدثت في مقال سابق عن مؤتمر (تطوير التعليم الجامعي والعالي) الذي انعقد في دمشق فيما بين الثامن والعشرين والحادي والثلاثين من شهر آب (اغسطس) عام ١٩٧١ وعن اعمال لجنة (البحث العلمي والكفايات العلميـة وهجرتها) وعن مناقشاتها وتوصياتها فيما يخص البحث العلمي . واستانف اليوم هذا الحديث لاتكلم عن تحضير الكفايات العلمية ومشكلة هجرتها التي تعاني منها كثير من البلاد وفي ضمنها بلادنا العربية .

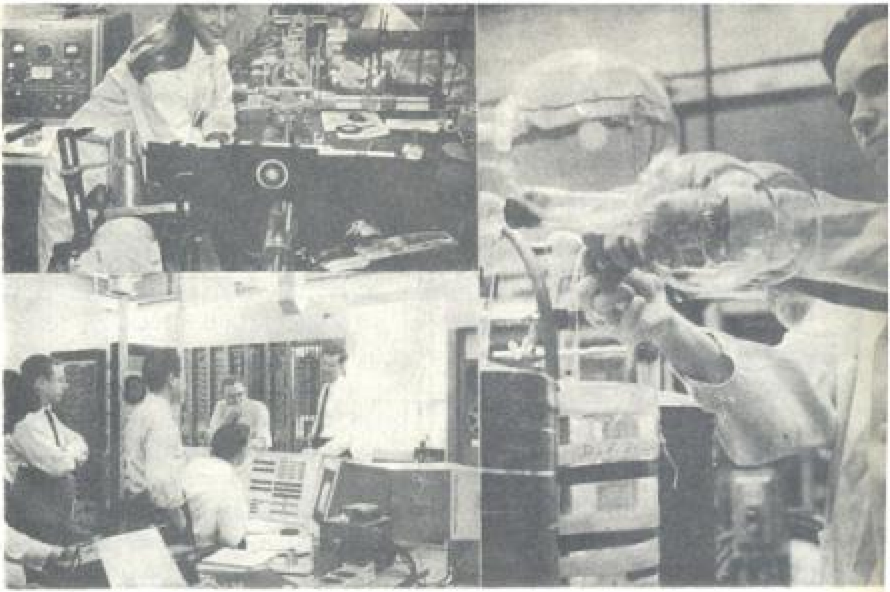
وارى من واجبي ان اشير ها هنا الى ان لجان المؤتمر استعانت في عملها ببحوث حضرها بعض اعضائها . وقد كان في جملة هذه البحوث بحث قيم حضره الزميل الدكتور عبد الرحمن حميدة رئيس قسم الجغرافية في كلية الآداب بجامعة دمشق وقد استعنت به في تحضير مقدمة هذا المقال .

اهمية المشكلة

ان البحث العلمي يحتاج ـ اول ما يحتاج ـ الى باحثين علميين ، ولا بحث علمي بدون باحثين علميين . وتحضير هؤلاء الباحثين امر دقيق ومعقد . ويخطىء الكثيرون اذ يعتقدون بان هؤلاء الباحثين يحضرون في الجامعات فقط ذلك بانهم يحضرون بدءا من دور الحضانة وانتقالا الى المدرسة الابتدائية فالثانوية فالجامعة . ثم ان البيئة المنزلية والمحيط العام والجو الثقافي والحضاري عوامل تعمل مع المدرسة في تكوين هؤلاء الباحثين وتحضيرهم وتيسير عملهم وبالتالي استبقاؤهم في وطنهم وتمكينهم من اداء مهمتهم على الوجه المرغوب فيه .

ومشكلة (هجرة الادمغة) مشكلة بالغة الخطورة ستوضح البيانات والاحصائيات التالية اهميتها او بعض اهميتها .

ويرى الاخصائيون (ولا سيما الامريكيين) ان المهن والاختصاصات التي تدخل تحت مفهوم (هجرة الادمغة) هي : الطب ، طب الاسنان ، التمريض ، الهندسة ، العلوم وتشمل الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا والزراعة



والرياضيات وبعض العلوم الاجتماعية كالاقتصاد وعلم النفس وسواهما .

وظاهر ان ثمة استبعادا للجامعيين من ذوى التكوين الادبي الصرف ، وكذلك رجال القانون والادارة ، والشعراء والادباء والفلاسفة ، تقول ان ثمة استبعادا لهؤلاء جميعا من مفهوم (هجرة الادمغة) لان عددهم يكون وفيرا في البلاد التي تجتذب (الادمغة) ولانهم لا يساهمون في التنمية الاقتصادية والتقدم التكنولوجي لا في البلد الذى يهاجرون منه ولا في البلد الذى يهاجرون اليه ، بل ان في مغادرتهم للبلد ـ اى بلد ـ نوعا من تخفيف حدة ازمة البطالة .

واذا كانت هجرة العلماء ظاهرة قديمة قدم المجتمعات الانسانية فان لها في المجتمع الانساني الحاضر اسبابا واتجاهات .

لقد كانت الهجرة في الماضي هجرة افراد ، واذا ما زادت عن هذا الحد فبسبب من ازمات او كوارث ، وهى غالبا هجرة قسرية كمثل هجرة العلماء الالمان ـ ولا سيما اليهود منهم ـ الى الولايات المتحدة وانكلترا وسواهما من بلاد الغرب اثر اشتداد الحكم النازي في المانيا الهتلرية .

هجرة الادمغة بدأت عام ١٩٣٣

والحق اننا نستطيع القول بان هجرة الادمغة بشكلها الجماعي ابتدات عام ١٩٣٣ حين هرب الاساتذة والطلاب الالمان الذين نالهم قانون تطهير (الادارة) الذى شمل (غير الآريين) والاشخاص الذين كانت ميولهم السياسية لا تروق للنازيين . وهكذا استقال (او اقيل) اكثر من ١٢٠٠ استاذ وباحث معظمهم من اليهود من الجامعات الالمانية فيما بين عام ١٩٣٣ وعام ١٩٣٥ وغادر المانيا ٦٥٠ عالم منهم (اينشتاين) وخمسة آخرون من الحائزين على جائزة نوبل والتجأوا الى بريطانيا والولايات المتحدة بالدرجة الأولى والى فرنسا وهولاندا وسويسرا بالدرجة الثانية .

بيد ان هذا النوع من الهجرة وما يشابهه من هجرات جماعية لاسباب سياسية ليس المقصود من بحثنا وانما المقصود شيء آخر الا وهو الهجرة الطوعية للعلماء والتكنولوجيين لاسباب معظمها اقتصادية وفنية وعلمية واجتماعية .

لقد اخذ الاميركان ـ مثلا ـ يشعرون بالخطر المحدق بزعامتهم للعالم اقتصاديا وتكنيا منذ اواسط الخمسينيات فكتبت مجلة المختار (الطبعة الفرنسية ، في عدد تموز ١٩٥٦) تقول تحت عنوان لنقرع ناقوس الخطر : (تخرج الجامعات الاميركية (٣٥٠٠٠) مهندس في مختلف فروع الهندسة مقابل (٨٠٠٠٠) تخرجها جامعات الاتحاد السوفييتي ، فاذا لم نلحق بهم ونتفوق

عليهم فمستقبل الولايات المتحدة في خطر مميت).

ولذلك فقد اجتذبت الولايات المتحدة (٤٣٠٠٠) مهندس وعالم فيما بين ١٩٤٩ و ١٩٦١ وفي عام ١٩٦٥ وجد ان من بين/٤١٠٠٠/طبيب داخلي كانوا يعملون في المشافي الامريكية كان/١١٠٠٠/منهم قد حصلوا على شهاداتهم العليا من جامعات غير امريكية .

هذا وقد اتضح ان هؤلاء الاختصاصيين يأتون اكثر فاكثر من الاقطار المتخلفة التي نسميها النامية التي تعتبر من افقر البلدان بالمهندسين والاطباء والاساتذة وهكذا لوحظ ان /٨٠٠٠/ طبيب من اصل /١١٠٠٠/ طبيب داخلي من اصل اجنبي في المشافي الامريكية كانوا يعودون اصلا لاقطار متخلفة . وقد لوحظ ان العون الذي تقدمه الولايات المتحدة الامريكية واوروبا من الاختصاصيين للبلاد المتخلفة ضمن اطار برامج المساعدة الفنية يكون في معظم الاحيان اقل بكثير مما تقدمه هذه الاقطار المتخلفة للبلاد المتقدمة من ابنائها الاختصاصيين . وهكذا فان ولاية نيويورك وحدها تحتوي على عدد من الاطباء الايرانيين يفوق ما لدى ايران ذاتها من اطباء .وفي عام ١٩٦٨ كان يعمل في الولايات المتحدة اكثر من /٥٠٠/ طبيب تركي . وتجتذب فرنسا من اطباء (طوغو) اكثر بكثير مما تقدمه من اطباء لجمهورية طوغو .

تكاليف اعداد العالم الواحد تساوي ٢٠ الف دولار !

وهكذا نرى ان هجرة الادمغة حدث جديد له محاذير واخطار كبرى بالنسبة للاقطار النامية التي تتعرض لنزيف هائل في اختصاصييها . على ان هذه الظاهرة لا تقتصر على البلدان النامية وحدها بل تتعداها الى الاقطار الصناعية المتقدمة نفسها مثل بريطانيا وفرنسا وبلاد اسكاندنافيا . لقد صرح(و. دوغلاس)رئيس مؤسسة Careers Incorporation وهي مؤسسة تعمل على تهجير العلماء الى امريكا ان مؤسسته استطاعت تسفير ٧٠٠ مهندس شاب وعالم بريطاني الى الولايات المتحدة دون مقابل . ويقدر البريطانيون ان خسارتهم في هؤلاء تعادل ١٤ مليون دولار وذلك على اعتبار ان نفقة التكوين العلمي لكل واحد من هؤلاء العلماء تعادل /٢٠٠٠٠/ دولار . وواضح ان هذه الخسارة هي خسارة (مواد خام) دون اعتبار ما سينتجونه لبلدهم وما سيخترعون .

ويرى (روبير شومان) وزير البحث العلمي الفرنسي سابقا ان مائة الف عالم قد هاجروا الى الولايات المتحدة الامريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ويعتقد ان هؤلاء قدموا للولايات المتحدة (رأسمالا بشريا) تعادل قيمته ما وزعته امريكا على الاقطار الاجنبية منذ نهاية الحرب حتى ١٩٦٨ وذلك على اساس من ان كلفة تحضير كل عالم هي عشرون الف دولار .

وبما ان جامعات امريكا ومدارسها العالية لا تخرج سنويا اكثر من /٤٥٠٠٠/ مهندس (عام ١٩٦٨) بينما تبلغ حاجتها (٧٥٠٠٠) منهم فقد عمدت امريكا الى الاكثار من وكالات تسفير العلماء ونشر شبكاتها لاصطيادهم من معظم ارجاء العالم وبذلك استطاعت ان تستورد بين عام ١٩٤٩ و ١٩٦٤ حوالي /٨٥٠٠٠/ باحث وتكني وطبيب الخ ...

٨٨ مليون دولار كسبتها امريكا من هجرة ٤٣٩٠ عالما

وبالرغم من كل الضجة التي تثيرها الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية عن عونها الذي تقدمه للبلاد النامية فان الارقام تظهر مدى صحة هذه الدعاوى ، ففي ١٩٦٦ كان في الجامعات والكليات الامريكية ١١٤٣ استاذا من اصل هندي مقابل /١٩٢/ استاذا امريكيا يعملون في الهند.وترى المجلة التشيلية (ديسفيله) ان حوالي (١٩٠٠٠) اخصائي كلف تكوينهم اكثر من (٤٠٠) مليون دولار قد غادروا اوطانهم في امريكا اللاتينية كي يعملوا في الولايات المتحدة . ومن المعلوم ان ٩٠٪ من الطلاب الاسيويين الذين يدرسون في امريكا لا يعودون الى اوطانهم بعد انتهائهم من دراساتهم . ويقدر الاختصاصيون الامريكان ان كلفة تكوين الـ ٤٣٩٠ عالما ومهندسا وطبيبا الذين هاجروا الى الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ من بلدان العالم الثالث تبلغ ٨٨ مليون دولار .

وليس الامر مقصورا على الولايات المتحدة فحسب بل ان بريطانيا وهي بلد يصدر الادمغة الى امريكا يستورد بدوره الادمغة من الاقطار النامية و هكذا فان ٣٥٪ من العاملين في وزارة الصحة البريطانية

هم من اصل هندي او باكستاني . وقل الشيء نفسه عن فرنسا وسواها .

العرب يقدمون لأمريكا ٦٪ من حاجتها للعلماء

واذا التفتنا الى البلاد العربية نجد ان العرب الذين يؤلفون ٤٪من سكان العالم يقدمون للولايات المتحدة ٦٪ من ذوي المهارات العالية من مهندسين واطباء وخبراء . وبعد الحرب العالمية الثانية اصبح المهاجرون من البلاد العربية الى اميركا من النخبة المختارة ذلك بان ٥٨٪ من المهاجرين المصريين هم من العلماء والمهندسين و ٧٠٪ من هؤلاء من حملة شهادة الدكتوراه و ٥ر١٧٪ منهم من حملة شهادة الماجستير .

وبالنسبة لسورية – وحسب تصريحات المسؤولين في وزارة الصحة – تشير الاحصائيات الى ان عدد الاطباء السوريين العاملين في البلاد (١٥٠٠) مقابل (٤٠٠٠) يعملون في الخارج واغلب الظن ان هذه الارقام تنطبق على سائر الفروع العلمية .

وتشير احدى الدراسات الاميركية الحديثة الى ان قرابة ٩٠٪ من الطلاب اللبنانيين الذين يدرسون في الولايات المتحدة لايرغبون في العودة الى وطنهم وان ٨٠٪ من الطلاب الاردنيين الذين يدرسون في جامعات الغرب لا يعودون مطلقا وان ثلث الطلاب السعوديين يستنكفون عن الرجوع لبلدهم .

احصائيات أمريكية عن هجرة العلماء العرب

وتقدم لنا الولايات المتحدة الاميركية التي تعتبر المستفيد الاول من هجرة الادمغة في العالم احصاءات عن العلماء والمهندسين والاطباء والمهاجرين اليها من بعض الدول العربية في خمسة اعوام (١٩٦٢ – ١٩٦٧) فتذكر انه دخلها (٢٣٢) عالما من العراق و (١٦٠) من الاردن و (٤٣٦) من لبنان و (١٤١) من سورية و (٢٧٠) من مصر .

ان هذه الارقام توجب ان نقف متسائلين عن السبب في هجرة هؤلاء العلماء والاختصاصيين . وسنعود الآن الى تقرير (لجنة البحث العلمي والكفايات العلمية وهجرتها) لنتبين الاسباب . على اننا سنبدأ بذكر ما ورد في هذا التقرير عن تحضير هؤلاء الباحثين .

تحضير الكفايات العلمية

سبق ان تحدثنا في مقالنا السابق عن تحضير الباحثين العلميين وذكرنا الكثير من الامور الواجب مراعاتها في تحضير الكفايات العلمية . على انه لا بد في هذا المقام من التذكير ببعض الامور :

١ – وجوب اعادة النظر في التعليم الثانوي وفروعه المختلفة وقصر الدراسة في الفرع الثانوي العام على المتميزين عقليا المستعدين لمتابعة دراستهم العالية .

٢ – وجوب اعادة النظر في التعليم الجامعي (المرحلة الاولى) ورفع مستواه وقصره على القادرين عليه عقليا بغيةرفع مستوى هذا التعليم.

٣ – وجوب اجراء مسابقات للدخول الى التعليم الجامعي تقوم بها الكليات واقسامها وتحديد العدد المقبول في كل فرع .

٤ – فرض الدوام الاجباري(حضور الدراسات) شرط لا بد منه لرفع مستوى التعليم الجامعي .

٥ – اعادة النظر في المناهج والطرائق والوسائل التعليمية والامتحانات والتخلص من الطريقة التلقينية في التعليم والاهتمام بالامور العملية والتطبيقات وكتابة البحوث ومعالجة المشكلات امور لا غنى عنها لرفع مستوى التعليم الجامعي .

٦ – الاهتمام باللغات الاجنبية وتعليم بعض المواد باللغة الاجنبية والعناية بالمصطلحات العلمية الاجنبية ضرورية في تحضير طلاب التعليم العالي .

٧ – حسن انتقاء الموفد الى الخارج وحسن انتقاء الجامعة الموفد اليها وحسن توجيه ومتابعة الاشراف على عمله والحرص على ان يكون هذا العمل نظريا وعمليا وان يكون بحثا جديا امور هامة في تكوين الباحث العلمي .

٨ – التخطيط الذكي الواعي للباحثين الذين تحتاجهم البلاد وعلاقة ذلك كله بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٩ – الاختيار الدقيق لطلاب الدراسات العليا وقصرها علىاصحاب المستوى الرفيعوفرضمستوى جدي عليهم .

١٠ – استقدام بعض الاساتذة الزائرين من كبار الاختصاصيين الجديين للمساهمة في البحث العلمي ولا سيما في بداياته .

١١ – صيانةالباحثين العلميينوتجديد معلوماتهم عن طريق توسيع صلاتهم بالعالمينالعربي والخارجي وايفادهم بين حين وآخر للاطلاع .

هجرة الكفايات العلمية

هجرة الكفايات العلمية ظاهرة تشكو منها معظم اقطار العالم ، متقدمها والمتخلف . وفي الاقطار النامية بالذات شكاية مرة من ان الكثيرين ممن يدرسون في الخارج وينجحون في دراستهم لا يعودون الى بلادهم . واذا عادوا فكثيرا ما يغادرونها بعد ان يصابوا بخيبة الامل . ولهذه الهجرة اسباب نشير فيما يلي الى اهمها :

١ ـ الرواتب التي تدفعها البلاد النامية لابنائها من الاختصاصيين ضئيلة جدا اذا قورنت بمثيلاتها في البلاد المتقدمة من جهة واذا قورنت بالرواتب التي تدفعها هذه البلاد النامية الى الخبراء الاجانب الذين تستقدمهم هي او تعطيها اياهم المنظمات الدولية .

ومما يزيد الطين بلة الغلاء الذي يسود البلاد النامية مما يجعل الاختصاصي القادم الى البلاد حديثا عاجزا عن مواجهة حاجاته من مأكل ومسكن وملبس ناهيك بالتفكير في الزواج وتكوين اسرة .

ولعل اخطر ما في الموضوع سلم الدخل المقلوب في هذه البلاد النامية بحيث نرى ان الكثيرين ممن هم اقل من هذا الاختصاصي يتمتعون بدخل يفوق دخله اضعافا مضاعفة ، الامر الذي يشعره بالنقص ازاء سواه ويدفعه الى الهجرة الى حيث يجد الدخل المناسب ، لا سيما اذا كان متزوجا من اجنبية .

٢ ـ جو العمل الذي يسود البلاد النامية جو غير مشجع في معظم الاحيان . ان الكثيرين من يوفدون الى الخارج يعودون بعد حصولهم على الشهادات المطلوبة ليجدوا انهم لا محل لهم او ليصادفوا عقبات في التعيين قد تمتد شهورا بل وسنين واذا عينوا فانهم في معظم الاحيان لا يجدون المختبر اللازم والآلات المطلوبة والمراجع الضرورية والتسهيلات الاساسية مما يجعلهم يشعرون بالاشمئزاز والقرف والرجوع الى الخلف .

ثم ان توفير الحرية للباحث العلمي واكرامه واشعاره بالهدوء والاطمئنان امور لا غنى عنه لاستبقاء الباحث ودفعه الى العمل الجدي المثمر .

٣ ـ لا يكاد الاختصاصي يعود الى بلده حتى يساق الى الخدمة الالزامية . واذا كانت الخدمة الالزامية واجبا على كل مواطن فان ثمة طرائق ووسائل للتخفيف من وطأتها على امثال هؤلاء الاختصاصيين ذلك بانه من الممكن مثلا ان يخدم الطالب الجامعي جزءا من خدمته اثناء دراسته الجامعية ، كما ان من الواجب تقصير مدة الخدمة بالنسبة للاختصاصيين وحملة الشهادات العليا . ومن الممكن بعد ذلك الاستفادة من هؤلاء الاختصاصيين في وزارة الدفاع اوسواها من دوائر الدولة ذات العلاقة باختصاصهم ولا سيما في مجال عملهم الخاص من مثل الجامعة او دوائر البحث . ومن الممكن اخيرا مشاركة رجال الاختصاص وهيئاته (نقابة الاطباء ، نقابة المهندسين الخ) ، في تعيين نوع الخدمة التي يؤديها هؤلاء الاختصاصيون .

٤ ـ كثيرون من هؤلاء الاختصاصيين يقضون فترة طويلة خارج البلاد . وقد تصل مدة الغياب عن الوطن مدة لا تقل عن عشرة اعوام يكون الموفد او الدارس خلالها منقطعا تماما عن وطنه وما يجري فيه اللهم الا رسائل خاصة يتبادلها مع اهله او اصحابه . ان هذا الانقطاع عن الوطن يضعف صلة الدارس بوطنه ويفقده اهتمامه به وبأموره فاذا كان هذا الدارس قد تزوج اجنبية من البلد الذي يدرس فيه مال الى الاستقرار في هذا البلد وعدم العودة الى وطنه الام . ولذلك كان لا بد من ابقاء هؤلاء الدارسين على صلة وثيقة ومستمرة باوطانهم والعمل على جعلهم رسلا لبلدهم ودعاة له وذلك بتزويدهم باخباره وتطوراته ودعوتهم اليه بين الحين والحين على حساب الدولة ومدهم بالمعلومات والمنشورات عنه وعن ماجريات الامور فيه ، وحرص السفارات العربية وملحقيها الثقافيين والاقتصاديين على الاتصال الدائم بهم .

ثم ان امكانية الخروج الى الخارج للاطلاع والاستزادة من العلم وعدم اشعاره بان وطنه سجن كبير امر على جانب كبير من الاهمية والخطورة .

٥ ـ عدم الاستقرار عامل هام من عوامل هجرة الكفايات العلمية . ذلك بان ازدهار العلم بحاجة الى الاستقرار المادي والمعنوي ، الاجتماعي والسياسي ولا بد من اكرام العلماء وتوفير المناخ الطيب لهم .

٦ ـ ان تقويم الكفايات تقويما متناسبا وعادلا والمساواة بين اصحاب الكفايات المتماثلة في الاعمال المتناظرة امر ضروري لاستبقاء هذه الكفايات في الوطن .

ثم ان تهيئة العمل المناسب للموفد حال رجوعه وامتصاص جميع الكفايات والافادة منها بالشكل المناسب ضرورة للاحتفاظ بها .

فاخل عاقل



نداء قلب

بقلم : أحمد السقاف

■ أحبُّكَ لكنني موجَعُ ... فهل أنت يا هاجري تسمَعُ ؟
صددتَ فأدميتَ مني الفؤادَ ... ولم تَهْدَإ النفسُ والأضلُعُ
ولم أرَ بَعْدَكَ ما يُستطابُ ... ولم أرَ بَعْدَكَ ما ينفعُ
ولا الليلُ ليلي إذا ما أطلَّ ... ولا الصبحُ صبحي متى يَطلُعُ
وما الروضُ إلا هشيمٌ كئيبٌ ... بهجرك في ناظري مفزِعُ
وإن غرَّدَ الطيرُ فوق الغصون ... عَجِبْتُ له صادحاً يسجَعُ
وهيهات أُنشِدُ غيرَ النحيب ... وإن خفيَ الحزْنُ والأدمُعُ
لك الشعرُ وحدَكَ كيف الغناءُ ... لغيرك ؟ لا جادَ لي مطلَعُ ! !
عبدتُكَ يا كلَّ شيءٍ لديَّ ... لعينيك يافتنتي أركعُ !
فلاعيشَ دونَكَ إنَّ الحياةَ ... عذابٌ إذا أنت لا ترجِعُ
لقد أصبحَ الفكرُ رهنَ الشرود ... كثيرَ التشتُّتِ لا يُجمَعُ
وأصبح قلبي كطفلٍ ينوحُ ... تحيَّرَ في الدربِ ما يصنَعُ ؟ !
يطوفُ ويطلُبُ مَنْ ضيَّعوه ... فهل يَحمَدُ العيشَ من ضيَّعوا ؟
وهل يستلذون طعمَ المنامِ ... ويهنَأُ في نومهم مضجَعُ ؟

■■

الكويت ــ أحمد السقاف

مَنطِقٌ جَديدٌ .. لِفكرٍ جَديدٍ

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

■ لم يكن تحليل الاشياء الى « ذرات » تتألف منها ، بالفكرة الجديدة التي جاء عصرنا ليستحدثها من العدم ، اذ الفكرة قديمة قدم اليونان الاولين ، فرأيناها عند ديمقريطس، ثم رأيناها عند نفر من فلاسفة العرب ومتكلميهم ، ولبثت بعد ذلك قائمة تتردد ظهورا وخفاء ؟ لكن الجديد فيما استحدثه عصرنا هو بناء الذرة كيف يكون، واذا استطاع القارىء أن يتصور النقلة التي انتقلتها فكرة الذرة في عصرنا ، استطاع بذلك أن يمسك بخيط رئيسي تتعلق به أوجه كثيرة من حياتنا العلمية والفكرية ، مما ينتهي بنا الى طابع عام يجعل من العصر الحاضر عصرا متميزا مما عداه ، وانه ليكفيه في هذا التصور أن يعلم أن « الذرة » الأولية بعد أن كانت ـ عند من جعلوها نهاية التحليل للوجود المادي ـ قطعة صماء لا ينفذ خلالها شيء . لأنها ملاء كلها ليس فيها خلاء بأى معنى من معانيه ، وهي تستعصي على التجزئة بطبيعة الحال ، والا لما كانت أولية بسيطة ينتهي عندها التحليل ، أقول ان صورة الذرة ـ عند القائلين بها ـ بعد أن كانت على هذا النحو المصمت الصلب المليء ، أصبحت عند عصرنا كيانا مخلخلا، يتشابه تكوينه مع تكوين المجموعة الشمسية ـ مثلا ـ فنَوَيَّة او نويات في مركزها ، تدور حولها كهارب في افلاك ، الى آخر تفصيلات هذه الصورة الجديدة للذرة ، مما تستطيع مراجعته مبسطا في كثير جدا مما ينشر من تبسيط العلم في الكتب والمجلات .

ولو كان قارئنا ممن ألموا بشيء من الدراسة الفلسفية ـ قليل أو كثير ـ لأدرك من فوره أن أهم فارق يميز هاتين الصورتين للذرة احداهما من الأخرى ، هو أن الذرة في صورتها القديمة كانت « جوهرا » (بلغة الفلاسفة) واما في صورتها الجديدة فهي « تاريخ »! وبين هاتين الفكرتين يكمن الفرق العميق بين فكر قديم وفكر جديد ... لكن مهلاً ، فمن حق القارىء علينا شيء من الأناة ، حتى يستوثق أولا مما نعنيه ـ في الفلسفة ـ بكلتا هاتين الفكرتين : «الجوهر» و «التاريخ».

الجوهر عند الفلاسفة

اما فكرة « الجوهر » فلست أطمع في شرح

مفصل للكثير من وجهات النظر التي اتخذها الفلاسفة حيالها ؟ ولا عجب ، فقد كانت هذه الفكرة من اهم ما شغل الفلسفة قديمها ووسيطها وحديثها ، وحسبي أن أقول عن « الجوهر » هنا انه هو ـ من اى كائن ـ ما يستحيل ازالته ، لانه بزواله يزول الكائن ، اى انه مهما تغير الكائن حجما وشكلا ولونا ، ففيه عنصر ذو دوام ، هو الذى يعطي الكائن هويته منذ لحظة وجوده والي لحظة فنائه ، بل انه بالنسبة لبعض الكائنات ـ كالانسان ـ قد لا يكون « لجوهره » فناء حتى بعد أن يفنى منه الجسد بكل ظواهره وتغيراته ، خذ فردا من الناس تعرفه ، وانظر ، تجده متغيرا ابدا لا يستقر على حالة واحدة لحظتين ، فقد كان رضيعا ثم اخذ يتغير ناميا ، حتى بلغ ما بلغ ، لكنه مع هذا التغير الذى لم يجمد دقيقة واحدة ، كانت له « هوية » واحدة ، عرف بها وما يزال معروفا ، فعلي أي أساس دامت له هذه الهوية الواحدة برغم ما تعرض له من تحول مستمر ؟ لقد كان ذلك على أساس ما نزعمه لانفسنا في تكوينه وهو أن مجموعة الظواهر المتغيرة فيه ليست هي حقيقته كلها ، وانما حقيقته هي « جوهره » وهو الذي تطرأ عليه التغيرات ، حتى لقد قيل انه بغير افتراض ذلك الجوهر ، لما امكن ان يكون للتغير نفسه معنى ، اذ ما الذي يتغير ؟ ما الذي يستوعب الخبرات على مر الزمن ؟ انه ذلك الجوهر المفروض ، يدوم ما دام الشيء ، وليطرأ عليه بعد ذلك من التحولات ما يجيء ويذهب ، ما يظهر ويختفي ، لكنه يبقى شيئا « واحدا » بفضل جوهره ذاك .

الجوهر
في كرة يلعب بها طفل

على أن الامر في هذا لم يقتصر على افراد الناس ، بل يمتد حتى يصبح هو الطريقة التي لا طريقة للناس سواها في تصورهم للاشياء كائنة ما كانت ، فهذه كرة يلعب بها على مرأى مني الآن طفل صغير ، تجرى بدفعته ، وتنط ، وتنضغط وتنبسط بضغطات من اصابعه ؟ فهل كانت هذه « الظواهر » البادية هي كل حقيقة الكرة ؟ كلا ، لانها لما اختفت تحت قطع الاثاث ، ظل الطفل يبحث عنها ، فحتى هذا الطفل قد اوحت اليه فطرته أن وراء ظواهر الكرة المتغيرة ، « كرة » يبحث عنها اذا لم تعدلها ظواهر بادية ، ومعنى ذلك ان لها «دواما» في افتراضنا ، ما دامت «الظواهر» متغيرة لا تدوم ، اذن لا بد ان يكون الدوام خاصا بحقيقة خافية ، هي « الجوهر » الذي جعل لكرة الطفل « هوية » متصلة يميزها بها من سواها ؟ بل انه بغير افتراض هذا الجانب الثابت الدائم ، لما استطعنا أن نتحدث عن شيء ، الا ترانا نقول ـ مثلا ـ ان الكرة مستديرة ، والكرة بيضاء والكرة متدحرجة او ساكنة ، الخ الخ ؟ فانظر الى مجموعة الجمل التي يقولها المتكلم عن «الكرة» تجدها عنده « موضوعا » يراكم عليه ما يراه لها من صفات ، ومن ثم كان التركيب اللغوي نفسه لعباراتنا التي نقولها عن الاشياء ، شاهدا على اننا « نفرض » قيام « موضوع » معين ، تتبدل عليه الصفات وهو ذو ثبات .

ثم قارن هذه النظرة في تفسير فهمنا للاشياء بنظرة اخرى لا ترى من أي كائن الا احداثه التي تظهر ، دون أن تضطر الى افتراض حامل خفي يحمل تلك الاحداث الظاهرة ، فهي نظرة لو سألت صاحبها : ما حقيقة هذا الفرد المعين من افراد الناس ، أو هذه الكرة التي يلعب بها طفلنا هناك ؟ اجابك : حقيقة كل منهما سلسلة « الأحداث » التي وقعت ، فاكتب لى تاريخا مفصلا لتلك الأحداث تكن لنا حقيقة الانسان المعين او الكرة المعينة أو ما شئت من كائنات ؟ لكنك لن تطمئن لجوابه هذا ، وستعاود سؤاله : اذا كان هذا الانسان المعين لا يزيد على كونه خطا من أحداث تتابعت ، فما الذى يجعل له « هوية » واحدة مستمرة منذ نشأته حتى هذه اللحظة ؟ هنا يجيبك بان « الهوية » الواحدة للكائن الواحد ، ليست مرهونة بقيام عنصر مستقل بل هي مرهونة بمجموعة « العلاقات » الرابطة لتلك الاحداث ، فحتي لو وقع ما كاد يستحيل ان يقع ، وهو أن يتشابه فردان في الأحداث التي تكون تاريخهما ، فلن تكون الروابط بين تلك الأحداث واحدة في الحالتين ، ومن ثم ينتج لنا « نمطان » او تركيبتان مختلفتان ، هما ما نميز بهما بين الفردين .

كيان الشيء في تسلسل أحداثه

خلاصة القول : وجد الفلاسفة قبل عصرنا (فيما عدا استثناءات قليلة) انه لا مندوحة لنا من « افتراض » جوهر ثابت لكل شيء ، وكان ذلك منهم على اساس انه بغير افتراض هذا الجانب الثابت لما امكننا ان نفهم معنى للتغير ، ولما استطعنا ان نسند الى الاشياء صفات معينة ، واما فلاسفة عصرنا فمعظمهم على اتفاق بان كيان الشيء ــ اي شيء ــ ليس في جوهر لمزعوم ، انما هو في تسلسل الاحداث التي تصنع تاريخه ، مضافا اليها الطريقة الفريدة المتميزة التي ربطت بها تلك الاحداث ، ولنلاحظ هنا ان افتراض « جوهر » للشيء ، يتضمن ان ذلك الجوهر لايتأثر بمر الزمن ، فالروح ــ مثلا ــ هي الروح سواء مرت عليها ساعة واحدة او الف الف عام ، والمربع هو المربع بالتعريف الواحد الذي يحدد فكرته بغض النظر عن زمن يطول بالكون ملايين السنين ، واما ان تجعل حقيقة الشيء مساوية للاحداث التي صنعت تاريخه ، فمعناه ان الزمن عنصر اساسي لان الاحداث انما تحدث على فترة من الزمن ، لا يكون الشيء المعين في أولها هو هو نفسه في آخرها ، وهاتان الوقفتان تنعكسان ــ كما قدمنا ــ في تصور الانسان للذرات الاولية ما وصفها ؟ فمع تصور الدوام والثبات كانت الذرة جسيما صلدا اصم لا ينقسم ولا يتفتت ولا خلاء فيه ، ومع تصورنا لحقائق الأشياء على انها تواريخ يمتد كل تاريخ منها ما امتدت سلسلة الأحداث التي تكون هذا الشيء او ذاك ، تكون الذرة ــ كما نعرفها الآن ــ كهارب دوارة في افلاكها حول نواة ، وبفصل الكهارب بعضها عن بعض وعن النواة خلاء ، فما تنفك الذرة في حركة ، يؤخذ منها بالاشعاع او يضاف اليها .

زيادة المقارنة بين النظريتين

ولكي نزيد المقارنة بين النظرتين وضوحا ، نسوق لك الأمثلة ؟ فقد كان الظن أن كل اسم من الأسماء الواردة في لغة الناس ، انما يدل ــ اذا دل ــ على مسمى معين ثابت بحكم التعريف القائم على طبيعة ذلك المسمى ، أي القائم على « جوهره » ، فاذا قلنا « انسان » كانت الاشارة هنا الى «حيوان ناطق » ، أعني الى كائن حي عاقل ، لان طبيعة الانسان أو جوهره هو انه حياة عاقلة ، لكن انظر معي الى اسماء كهذه : « تجارة » « مدينة » « مسرحية » « موسيقى » ولنسأل أنفسنا : ماذا نسمي هذه الأسماء ؟ هل هناك على ارض الواقع كيان معلوم القسمات محدود المعالم هو الذي اطلقنا عليه اسم « تجارة » ؟ ان نظرة واحدة فاحصة تكفيك لتعلم أن ما هنالك هو مجموعة « علاقات » بين أفراد من الناس بعضهم مع بعض فالذي اسميناه « تجارة » ليس « شيئا » ولكنه نمط من تفاعلات ، لذلك قل في « المدينة » ولتكن هي مدينة القاهرة مثلا ، ان ما جعلها كذلك هو مجموعة سكانها الذين يعيشون فيها ، وهذه المجموعة تزيد وتنقص وتموت وتولد وتنشط وتتاجر ، انها كخلية النحل ، يكون لها « شكل » عام ، لكن المحتوى هو في حركة دائبة لا تستقر لحظة ، وكذلك قل في « المسرحية » وفي « الموسيقى » ــ كلها انساق من « علاقات » وانماط ، من حركة وأطر من بناء ، انك لا تنتظر لترى موضوع المسرحية المعينة ومضمونها الفعلي لتقول انها مسرحية ، بل يكفيك ان تعلم انها قد صُبَّتْ في الاطار المعلوم الذي هو شكل المسرحية كما نعرفه او كما نريده ، ولقد يخيل اليك بعد هذه الأمثلة أن الكائنات صنفان : صنف له طبيعة « الاشياء » الثوابت ذات « الجوهر » المعلوم ، وصنف آخر له طبيعة الهيكل البنائي ، تحدده « العلاقات » الرابطة لاجزائه ، لكن الجديد في وجهة النظر المعاصرة هو أن كل حقيقة في دنيا الواقع او في عالم الفكر انما تحددها طريقة بنائها ، كما هي الحال بالنسبة الى « الذرة » في التصور الحديث .

ملايين البشر نوع واحد ، لأن لهم بنية واحدة

هاك مزيدا من امثلة تبين ابعاد هذه الفكرة الخصبة الجديدة لتتمثلها في مختلف أبعادها ، لانها من الفكر المعاصر بمثابة الركيزة التي يعتمد عليها البناء ، اذا سئلت : ما الذي يجعل ملايين البشر نوعا واحدا ؟ كان الجواب فيما مضى هو انهم جميعا يتميزون بما يسمى عقلا ، واما الجواب الأصح فهو انهم جميعا ذوو « بنية » واحدة ،

او هم ذوو « تشريح » واحد ، أي ان الطريقة التي تتصل بهـا الاعضاء بعضها ببعض ليكتمل بها بناء عضوي معين طريقة واحدة فيهم جميعا ، كذلك قل في كل نوع حيواني على حدة، وكذلك قل في عالم الحيوان كله ماخوذا معا من حيث هـو جنس واحد ، فالحيوان حيوان لطريقة تركيبه وادائه لوظائفه ، وهكذا الامر في انواع النبات وفي النبات جملة ، ما الذي يجعلنا نجمع الهملايا والالب والانديز في اسم واحد هو « جبل » ؟ ان ذلك ليس مرجعه نوع الصخور ، بل مرجعه « البنية » التي على هيكلها العام قام الجبل ... تماما كما اصبحنا نحدد ذرة الهيدروجين أو ذرة الكربون بطريقة بنائها النوعي ، ونحدد « الذرة » اجمالا ـ بغض النظر عن اختلاف أنواعها ـ بطريقة بنائهـا .

والقطعة الموسيقية بنية واحدة في اذنك مسموعة، او على النوتة مرقومة

ان القطعة الموسيقية الواحدة قد تتعدد ظروف عزفها ، بل قد تتفاوت اجادة العزف في كل مرة ، لكننا نظل نقول عنها انها قطعة موسيقية بعينها في جميع الحالات ، لان البنية الصوتية واحدة ، ثم انظر ! ان هنالك هذه القطعة الموسيقية كما تقع في مسـمعك ، وهنالك أيضا هذه القطعة الموسيقية نفسها مرقومة على « النوتة » ، وهي نفسها كذلك مسجلة على شريط او على أحـد اقراص الحاكي ، صور مختلفة ، لكننا برغم ذلك نخلع عليها كلها هوية واحدة ، لما بينها من تشابه في طريقة البناء .

وكذا المسرحية

وقل الشيء نفسه في مسرحية تمثل على المسرح كمسرحية هاملت ، ثم تكون هي نفسها مكتوبة في كتاب ، ويشاهدها الاف المشاهدين ،وتتعدد مرات تمثيلهـا بمجموعات مختلفة مـن الممثلين ، وقد يلتقطها شريط سينمائي لتعاد على الشاشة صورا متحركة ، فما الذي يجعلك على درجة تقرب من اليقين بان الهوية واحدة برغم هذا التعدد والتنوع في الظهور ؟ انها البنية الواحدة .

الاعتماد على واحدية البنية في صميم المنهج العلمى

ان الاعتماد على واحدية البنية في الحكم بواحدية الهوية لهو في صميم المنهج العلمي نفسـه ، فالعلماء يجرون التجارب في المعامل حتى اذا ما اتفقت تجربتان او اكثر على نتيجة واحدة ، كنا على اطمئنان معقول في قبولها ، فما معنى « اتفاق » التجارب ، او « اتفاق » الشهادات عند مختلف المشاهدين ؟ ان كل تجربة وحدة قائمة بذاتها ، وكذلك كل مشاهدة يقوم بها مشاهد ، لكن الذى يجمعها معا هو التشابه في البنية ، فكأنما عديد التجارب المتشابهة قد اندمج بفضل هذه البنية الواحدة فاصبح تجربة واحدة ، او مشاهدة واحدة ، انهم ليقولون ان الموضوعية هي من أهم شروط النظرة العلمية ، وما الموضوعية ؟ هي ان ننظر الى الامر الواحد من زوايا مختلفة (أو باعين عدة مشاهدين)فنجد ان البنية المرئية واحدة برغم اختلاف الزوايا التي ننظر منها .

اننا نقول عن خريطة جغرافية انها صحيحة ، اذا راجعناها على الواقع الذى تصوره فوجدنا الطرفين على بنية واحدة ، أعني أن كل جانب من جوانب الواقع له ما يقابله على الخريطة ، ونقول ان هذا الظل هو لتلك الشجرة اذا رأيت اتفاقا بينهما في البنية ، برغم ما قد يكون بينهما بعد ذلك من اختلاف في الابعاد المكانية وفي مادة المضمون الفعلي ، وما اكثر ما تهتدي الشرطة الى مجرم معين ارتكب عدة جرائم ، بالأسلوب الذى يرونه مشـتركا بينها ، فالجرائم قـد اختلفت وتعددت ، لكن يوحد بينها انها قامت كلها على بناء واحد ، يقف المذيع امام المذياع ويرسل موجات صوتية ، تتحول الى موجات كهرومغناطيسية ، ثم تعود في الطرف الآخر الى موجات صوتية كما كانت ، والذي يجعلها ـ رغم هذه التحولات على الطريق ـ تثبت على صورة واحدة نسمعها في الطرف الآخر وكأننا نسمعها عند نطقها في الطرف الاول، هو ان البنية تظل واحدة من أول الطريق الى آخره ، بل لماذا لا نضرب المثل بانفسنا اذا سمعنا محدثا يتحدث الينا مباشرة ، انه يبعث موجات صوتية تنتقل على الهواء الى الأذن ، ثم تتحول في عصب السمع الى حركة من نوع آخر ، وتصل الى المخ على اسلاك الجهاز العصبي ، لكنها مع

تحولاتها هذه تحتفظ ببنية واحدة هي التي تضمن أن يكون الصوت المسموع مطابقا للصوت المنطوق في الصورة وان اختلفا في المادة ، وهكذا وهكذا ، امثلة لا حصر لها من ادراكنا للاشياء من حولنا ومن ادراكنا للافكار العلمية وغير العلمية على السواء ، كلها تؤكد ان اعتمادنا في معرفة دنيانا لم يعد على ادراكنا « لجواهر » الاشياء ، بل لطرائق بنائها وادائها لوظائفها وفق ذلك البناء

اليوم لا نعول على الجوهر في ادراك حقيقة الاشياء

الى هنا وقد اشرنا الى لمحة من الوقفة العصرية في احد جوانبها ، وخلاصتها ان المعول في معرفتنا لحقائق الاشياء والمواقف ، لم يعد على ادراكنا « لجوهر » غيبي قائم فيها بل المعول في ذلك انما هو على ادراكنا لشكل بنائها ، وبالتالي فهو على ادراكنا « للعلاقات » المحددة لصورتها ، وبقي أن نبين كيف ان هذا الفكر الجديد قد اقتضى منطقا جديدا .

المنطق عند دارس الفلسفة

لا بد لي بادىء ذي بدء ان انبه القارىء الى مجمل المعنى الذي يقصد اليه دارس الفلسفة بما يسمى « منطقا » ، لان هذه اللفظة كثيرا ما تستخدم في حياتنا الفكرية الجارية بمعان اخرى ، ليست هي المعاني التي اصطلح عليها الدارسون ، فباختصار شديد نقول ان المنطق هو استخراج للصور الشكلية التي نظن ان تفكيرنا العلمي يسير على نهجها ، ولما كان هذا الفكر العلمي نفسه يتوقف الى حد كبير على ما « نعتقد » انه الواقع ، كان المنطق كذلك ـ في صوره التي يتابع بها سير الفكر العلمي ـ متوقفا ايضا على ما « نعتقد » انه حقيقة الواقع ، كل ما هنالك من فرق بين « العلوم » المختلفة في موضوعات بحثها ، وبين « منطقها » هو أن للعلوم مادة معينة ، كالضوء او الصوت أو النبات أو الحيوان ، وأما المنطق فهو يطرح من حسابه تلك المادة المعينة ليتابع « شكل » التفكير وكيف تتتابع خطواته ، نتائج من مقدمات ، لكن العلوم ومنطقها معا يرتبطان باوثق الروابط مع ما « يعتقد » الانسان ـ في العصر المعين ـ انه طبيعة الوجود .

كانت الطبيعة عند الفلاسفة طبيعتين

وكان ارسطو ـ كما نعلم ـ هو واضع «المنطق» كما عرفه عصره والعصور التالية لعصره حتى عهد قريب ، فكيف كانت « العقيدة » عندئذ فيما يختص بطبيعة الوجود ؟ كانت « الطبيعة » عندهم طبيعتين : احداهما هي هذه الاشياء التي تظهر من حولنا وتختفي ، هي هؤلاء الاناسي ، وافراد الحيوان والطير ، هي هذه الشجرات والصخرات والانهار والبحار ، هي هذه الشمس وهذا القمر وتلك الكواكب والنجوم .. تلك هي احدى الطبيعتين ، ولما كانت كائناتها ـ كما ترى ـ متغيرة متحولة ، فهي طبيعة لا تصلح اساسا لعلم ثابت مكين ، اذ العلم الثابت لا بد ان يكون علما بما هو ثابت كذلك .

وهنا يأتي تصورهم لطبيعة اخرى ، قوامها « الافكار » لا مفردات الاشياء ، والافكار انما تتعلق « بالانواع » لا بالافراد الجزئية ، ففكرتنا عن « المربع » ليست مرهونة بمربع يرسمه تلميذ على ورق لان الرسم ـ مهما دق ـ فلن يبلغ حد الكمال في استقامة الخطوط واكتمال الزوايا ، وانما ترتهن فكرتنا عن المربع بتعريف عقلي له ، تحدد به جوهره ، وهكذا قل في كل شيء ، فكرتنا عن « الانسان » لا ينبغي ان ترتكز على ما نشاهده في فلان او فلان ، لان هؤلاء الاناسي قد يتفاوتون كمالا ، لكن ليس فيهم واحد نستطيع ان نقطع بانه هو فكرة الانسان في غاية كمالها ، واذن ففكرتنا عن الانسان قائمة على تعريف عقلي له ، تحدد به جوهر حقيقته ، وهلم جرا .

اقام ارسطو منطقه على اساس الجوهر

وعلى هذا الاساس ـ اساس « الجوهر » اقام ارسطو « منطقه » ، لانه هو نفسه الاساس الذي اقام عليه العلم عندئذ بناءه ، ونستطيع ان تدرك الفرق بين ما هو « فرد » متغير وبين ما هو « جوهر » للنوع ، بان تقارن الاسماء التي نطلقها على الافراد بالاسماء التي نطلقها على الانواع ، قارن بين قولي « معاوية » وقولي « انسان » ، الاول اسم لفرد ولذلك لم يكن يمثل عندهم

« فكرة علمية » » ، واما الثانى فاسم لنوع ولذلك فهو يتضمن فكرة علمية لانه يتضمن تعريفا محددا لنوع باسره .

من نقطة الابتداء هذه انطلق ارسطو يبين لنا كيف تتحد في اذهاننا تصوراتنا الذهنية عن الانواع ، ثم كيف تتدرج الانواع في سلم هرمى تحت اجناس اعم منها ، وهذه تحت اجناس اعم وهكذا ، فاذا نحن احكمنا هذا البناء الهرمى الذى يشمل جميع « الانواع » واجناسها ، كنا بمثابة من احاط بعلم الطبيعة كما هى قائمة في عالم الثبات العقلى ، لا كما هى منظورة في جزئيات العالم الحسي ، ومن تصوراتنا الذهنية عن الانواع نستطيع ان نبنى احكامنا على حقائق الوجود ، بان نربط بين تصورين منها ربطا يثبت احدهما للاخر او ينفيه عنه ، وكلما انتهينا الى حكم صادق من تلك الاحكام ، كان لنا ان نستدل منه احكاما اخرى ، وهكذا دواليك .

وساير منطق ارسطو ادراكنا الفطرى للاشياء

الذى اكسب المنطق الارسطى قوته الجارفة التى مكنته من البقاء اكثر من عشرين قرنا ، هو انه يساير ادراكنا الفطرى للاشياء ، فنحن بالفطرة اميل الى الاعتقاد بان ما تقع عليه ابصارنا ، او اية حاسة اخرى من حواسنا ، كالكرسي والقلم والفنجان والنافذة والسمكة والطائر والسحابة والشجرة ، انما هو ذو كينونة مستقلة قائمة بذاتها ، وما علينا بعدئذ الا ان ننتقل من الكرسي الفرد الى الكرسي بالمعنى العام ، ومن القلم الفرد الى القلم بالمعنى العام وهكذا ، فتكون لدينا « التصورات » التى نبنى عليها علمنا بالوجود ، وحتى اذا وجد الانسان بين يديه الفاظا تسمى كائنات مجردة ، كالحرية والجمال والفضيلة وغير ذلك ، فلن يرى في الامر بعد ذلك عسرا حين يجريها في الطريق الاستدلالى الذى رسمه المنطق الارسطى ، لانه لن يطالب « بتحليل » هذه المعانى بحيث يردها الى عناصرها الاولية ، فما عليه — مثلا — سوى ان يقول : ان كل ما في الكون قد جاء على نظام جميل ، وهذا الواقع الفلانى هو جزء من الكون ، واذن فلابد ان يكون على نظام جميل ، فاذا لم تكن عينى ترى فيه النظام الجميل فلانها عن عشواء ، اما ان يحلل المتكلم معانى « الكون » و « النظام » و « الجمال » فليس ثمة ما يحتم عليه ذلك في منطق الفكر القديم .

المنطق الجديد

فماذا — اذن — عن المنطق الجديد ، ارجو الا يكون القارىء قد نسي الجانب الذى ركزنا عليه القول في الفكر الجديد ، وهو اننا نلتمس حقائق الاشياء في طرائق بنائها ، لا في « جوهر » انواعها ، اعنى اننا نلتمس تلك الحقائق في « العلاقات » الرابطة بين الاطراف ، اكثر مما نلتمسه في الاطراف نفسها المرتبطة بتلك العلاقات ، وذلك نفسه هو شان « الرياضة » ، فانت حين تقول ان : « ٢+٣=٥ » تقولها ولا تدرى ما هي « الاشياء » التى سترتبط بهذه العلاقة الرياضية ؟ هل هى برتقالتان وثلاث برتقالات ؟ او هى كتابان وثلاثة كتب ؟ ولم يبعد برتراند رسل عن الصواب قيد شعرة حين قال بطريقته الخاصة في التعبير : ان الرياضي هو الرجل الذى لا يعرف عمَّ يتحدث . وكذلك الشان في المنطق الجديد : هو منطق « للعلاقات » لا لحقائق الاشياء المتعلقة بها ، واذا احكمنا بناءه ، كان لك ان تملأ اطار تلك العلاقات باى شيء اردت .

انها لم تكن مصادفة عمياء في تاريخ الفكر المعاصر ، ان ظهرت فكرة الوحدات الذرية في اكثر من ميدان ، وعلى فترة قصيرة ، ففى وقت واحد تقريبا ظهرت النظرية الذرية في الفزياء ، كما ظهر كذلك تحليل الكائنات العضوية الى « خلايا » ، كانما الخلايا في البيولوجيا هي المقابلة للذرات في الفزياء ، ثم ظهرت بعد ذلك بقليل نظرية برتراند رسل في « الذرية المنطقية » وهى ما نعنى به بصفة خاصة في هذا الحديث .

فلقد كان معظم الخطا في التفكير ، ينشأ عن خلط الانسان بين ما هو «فرد» وما هو «مجموعة» ، حتى كاد الا يفرق بين قولنا « هذه الشجرة » و « الشجر » او بين قولنا « عباس العقاد » و « انسان » ، لذلك كان اذا ما صادف جملة تتحدث عن مجموعات (والاكثرية العظمى مما يقوله الناس او يكتبونه هو عن مجموعات لا عن مفردات) ظن انها تتحدث حديثا مباشرا عن الاشياء الواقعة

مع ان هذه الاشياء الواقعة لا تكون الا مفردات ، فاذا جاء كلام المتكلم عن مجموعات ، كان معنى ذلك ان كلامه هذا يحتاج الى خطوة وسطى نرده اولا الى صورة لفظية تشير الى مفردات ، قبل ان يتوافر لنا امكان التقابل بين البناء اللفظي وبناء الواقع الخارجي ، فافرض ـ مثلا ـ انى قلت لك جملة كهذه : « العرب روحانيون » واردت ان تفهم عن القول فهما علميا دقيقا ، فاول ما تصنعه هو ان تحلل هذه الجملة التي يدور فيها الخبر حول «مجموعة» هي «العرب»، اى ان تحللها الى قائمة من جمل يكون موضوع الحديث في كل منها شخصا عربيا واحدا يقع لك في مشاهداتك ، وبعد ان تحلل المقصود من لفظة « روحاني » الى عناصرها المكونة لها ، عندئذ يكون بين يديك عبارات عن اشخاص باعينهم يتصفون بصفات معينة،فيكون التقابل بين العبارة والحالة الواقعة تقابلا مباشرا ، وبتعبير مختصر : لا بد ان تحلل الكلام المجمل الى « ذراته » لتتمكن من مراجعة كل ذرة فكرية على الواقعة المفردة التي جاءت تلك الذرة الفكرية لتصفها ، اما ان تترك الكلام على اجماله ، ثم يخيل اليك انك قادر على الحكم بصوابه او ببطلانه ، فذلك هو المنزلق الذى يؤدى الى الضلال ، واهم ما نلفت اليه النظر هنا ، هو هذا المعيار : اذا وجدت انالكلام المجمل العام يستعصي على الرد الى ذرات فردية في دنيا اللفظ وفي دنيا الواقع الذى يقابل اللفظ ، فاعلم ان ارجح الراى عندئذ هو انك بازاء كلام بغير معنى .

المنطق الرياضي

لعلك قد سمعت بما يسمى في عصرنا « بالمنطق الرياضي » (او المنطق الرمزى) ، بل لعلك قد سمعت كذلك بالاتجاه الجديد الذى بداه رجال التعليم في اقطار كثيرة من ارجاء الارض (وبينها بعض الاقطار العربية) وهو ان يتخذ تدريس الرياضة صورة جديدة تختلف اختلافا واضحا عن الصورة التى الفناها في المدارس ، وهو اتجاه جاء نتيجة مباشرة للمنطق الجديد الذى نتج بدوره عن اللفتة الفكرية الجديدة في عصرنا الراهن .

وخلاصة هذا الاتجاه ، هي اننا قد كشفنا آخر الامر عن حقيقة هامة ، وهي ان تفكير الانسان في حياته العادية وعن الاشياء المألوفة ، انما يجرى ـ في اساسه ـ على اسلوب الرياضة في جريانها، لقد لبث الانسان قرونا ، يظن ان الفكر في مجال الرياضة له طريقته ورموزه التي نعرفها جميعا ، واما في الحياة المألوفة الجارية فقد تقول ـ مثلا ـ « البرتقال اصفر » فيكون قولك من نوع آخر لايمت الى الرياضة ورموزها بسبب ، ومن ثم جاء المنطق الارسطى القديم ليواجه حالات الفكر التي من هذا القبيل ، بعبارة اخرى ، كان الظن ان الرياضة انما تهتم بدنيا « الكم » واما «المنطق» فيهتم بدنيا « الكيف » .

فلما وقف نفر من اعلام الرياضة واعلامالمنطق خلال القرن الاخير ، وقفتهم التي ارادوا بها ان يزدادوا تحليلا وفهما للعلاقة بين الرياضةوالمنطق، وقعوا على هذا الكشف العلمي الخطير ، وهو : اولا ـ ان اسس الرياضة (كفكرة العدد) يمكن تحليلها باسرها الى مفهومات من النوع الذى يتناوله المنطق بالدراسة ، وثانيا ـ ان المنطق بدوره يمكن ان يقام له بناء جديد يقوم على الاسلوب الرياضي ، بمعنى أن يُقتنن جهاز من الرموز تدار في اطاره عمليات الاستدلال ، تماما كما تفعل الرياضة ، حتى لا يتعثر الفكر بما تشتمل عليه الفاظ اللغة العادية من مشحونات غامضة ، وبهذا نكون قد ضممنا عالمي التفكير : التفكير فيما هو « كم » والتفكير فيما هو « كيف » في جهاز رمزى واحد ـ وهذا هو ما يحاولهاصحاب الفكرة الجديدة في تدريس الرياضة على اسس المنطق الرمزى .

الفكر العربي
غارق في ضروب من الفكر عتيقة

انكون قد شطحنا بالقارىء الى سماء التجريد اكثر مما ينبغى ؟ قد نكون ، لكننا لن نامل في اصلاح فكرى الا اذا تناولنا علة الفساد من جذورها ، فالفكر العربي ما يزال الى يومنا غارقا في ضروب من الفكر عتيقة ذهب زمانها ، ولم يعد لها اثر عند قادة الحضارة العلمية الراهنة ، وذلك من وجهين على الاقل : احدهما ـ انه ما يزال يضمر في تفكيره عن الكائنات انها ثوابت في طبائعها ، كانما لكل كائن « جوهره » الذى لا يتغير مع الزمن ، مع ان عصرنا ـ كما اسلفنا ـ

قد استبدل بهذه الفكرة فكرة اخرى ، وهى ان الكائن المعين او الموقف المعين انما هو « نمط من علاقات » ، اى ان وجه الثبات هو فى صورة البناء ، لا فى المضمون الذى يملأ تلك الصورة ، اذ قد يتغير هذا المضمون مع ثبات الصورة ، فيبقى للشيء ثباته ودوامه ، وثانيهما – انه (اعنى الفكر العربى) لا يكاد يعبأ عند قبوله الافكار التى تعرض عليه ، بان ينظر ليرى ان كان فى دنيا الواقع « مفردات » تؤيدها ، ليكون على استعداد لرفض اية فكرة لا يجد لها وسيلة للتطبيق .

اما عن الوجه الاول فانظر فى حياتنا الاجتماعية كيف كان لوقفتنا المخطئة ابلغ الاثر ، ويكفى ان نسوق مثلا واحدا : النظم الاجتماعية بما فى ذلك النظم السياسية ، فانظر الى بلد اشترب اهله باللغة الفكرية الجديدة ، تجدهم هناك على عقيدة راسخة بان الجانب الثابت من النظم الاجتماعية والسياسية هو بنية الاطار ، واما الافراد انفسهم فيجيئون ويذهبون ، فليست العبرة باشخاص الرجال فى ذواتها ، بل هى فى الدور الذى يؤدونه فى المجموعة المنتوعة التى هم اعضاؤها ، ولذلك فقد يجيء حاكم ويذهب حاكم ، لكن اطار الحكم نفسه باق وثابت ، ان الديمقراطية او الدكتاتورية او اى نظام سياسي شئت ، انما هى « تركيبة » معينة ، اذا بقيت على طريقة بنائها بقيت صورة الحكم كما هى مهما تبدل عليها اشخاص الحاكمين ، قل مثل ذلك فى مؤسسات التجارة والصناعة وغيرها من منظمات المجتمع المتطور ، تجدها هناك قادرة على البقاء عشرات من السنين متوالية ، بسبب ان اصحابها يحافظون على « كيانها » الذى بنيت على اساسه ، برغم تبدل الاشخاص الذين يتولون امورها ، الامر فى كل هذا كالامر فى فريق الكرة – مثلا – حيث يكون الجانب الهام فيه هو الدور الذى يؤديه الفرد الواحد فى موضعه من التكوين الجماعى ، وليس هو انه فلان بن فلان من الاسرة الكريمة الفلانية ، ان المجتمع الحديث هو مجتمع من نظم قبل ان يكون مجتمعا من افراد ، وليس فى ذلك حيف على الفرد ، ما دمنا نفهم الفرد على انه عضو فى جماعة .. فارن كل هذا بما هو شائع فى حياتنا ، نجد الوزن كله – او معظمه – فى شخصية الفرد من حيث هو فرد ، لا يربط علاقته بالنظام الذى هو عامل فيه بقدر ما يربطها بالاسرة التى جاء منها ، المهم عندنا هو « مَنْ هذا الرجل ؟ » لا « اين موقع هذا الرجل من البناء الاجتماعى وماذا يؤديه ؟ » ولا غرابة ان نجد النظام – كائنا ما كان ، سياسيا او اجتماعيا او تربويا او غير ذلك – ليس له الاهمية الاولى بحيث يدخله الافراد ليخدموه ثم يذهبوا عنه وهو اكثر رسوخا ، بل اننا لنجد عندنا ان ايسر الامور علينا هو ان يتحطم النظام القائم على يدى كل قادم جديد ، ليقيم هذا القادم الجديد نظامه الخاص ، امعانا منه فى توكيد شخصه هو على حساب اى بناء اجتماعى او سياسى قائم .

واما عن الوجه الثانى ، الذى هو مراجعة القول على وقائع العالم ، فحدث فى امره وليس عليك من حرج ، لانك مهما اسرفت فلا مبالغة فيما اسرفت به ، فاننا امام الاقوال لفى غيبوبة المنتشي بخمر ، فننسى ان القول انما يقوله صاحبه – فى ميادين الجد – ليعنى به شيئا من مفردات الواقع ، ننسى ذلك الى الحد الذى قد يميل بالراى العام بين المثقفين – ودع عنك جمهور الناس – الى ازدراء من يطالبهم بأن يكون معنى الكلام فى دنيا التطبيق والعمل .. وان الحديث فى هذه الافة ليطول ، فاذا كان قادة الحضارة فى عصرنا مشغولين « بالتكنولوجيا » ، فنحن مشغولون – كما قلت مرة فى احدى المناسبات العامة – « بالكلامولوجيا » .

الا ان فى عصرنا لفكرا جديدا ، ولهذا الفكر الجديد منطق جديد ، فاما قبلناهما فى شجاعة من اراد لنفسه مسايرة زمانه ، او رضينا بالتخلف الفكرى فى غير شكاة ولا ضجر . ■■

زكى نجيب محمود



الإدارة والتعاون

مهما اختلفت النظم السياسية

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

■ نحن نرى الدول تختلف فى نظمهاالسياسية، وتلتقى فى الادارة والتعاون. نراها تتباعد فى النظر ، ولكن نظرياتهاتختلط عند التطبيق . فقد اجمعت الدول كلها على نبذ النظام الاقطاعى ،ثم انحاز بعضها الى اليمين ، وانحاز بعضها الى اليسار ، ثم تحرك الفريقان كل من موقعه نحو الآخر بدرجات متفاوتة .

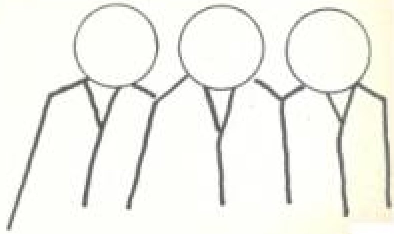
واليمين فى اختصار شديد ـ يؤمن بان المال فى يد الفرد أكثر غلة منه فى يد الدولة لأن الدولة عنده تاجر سيىء Bad Trader فالمجتمع تتحقق مصلحته بشكل أحسن اذا بقيت الملكيات فى يد الافراد مع فرض الضرائب على ايرادها بنسب متصاعدة لمصلحة الدولة . وابرز الأمثلة لليمين الولايات المتحدة الامريكية واليابان .

واليسار فى اختصار شديد ـ يؤمن بأن الأفراد اذا تركت لهم ملكية العقار والمصنع فسيعملون لتحقيق الربح لا لتحقيق رفاهية المجتمع . وسيتحكمون فى العمال فيأخذون منهم اقصى الجهد باقل الأجر . وابرز الأمثلة لليسار الصين والاتحاد السوفييتى .

والاشتراكية تأتى بين بين . فتدعو الى ان تكون مشروعات الانتاج الكبرى فى يد الدولة ،ومشروعات الانتاج والخدمات الصغرى فى يد الافراد . وبذلك يشترك القطاع العام والقطاع الخاص فى خدمة المجتمع كل فى حدود ما يناسبه . وابرز الأمثلة للاشتراكية مصر والعراق وسوريا والجزائر .

شركات اليمين واليسار

ان انجلترا وفرنسا وسويسرا من الدول اليمينية



ان البلاد العربية لا حق لها في ان تعلق اخطاءها على نظمها السياسية فتكثر من التعديل والتبديل في دساتيرها وقوانينها وبرامج جامعاتها على حين ان أغلب الخطأ في التطبيق .

ومع ذلك فان انجلترا اممت صناعات الصلب والفحم والغاز وطرق المواصلات ومهنة الطب وقررت تقاعدا للمتعطلين من العاملين .

وفرنسا اممت البنوك وشركات التأمين وطرق المواصلات . وهى تعطى اعانات الغلاء للابناء الشرعيين وغير الشرعيين على السواء .

وسويسرا تعطى تقاعدا شهريا لكل من يبلغ من سكانها الستين من عمره ، اذا كان قد مضى على اقامته فيها عشر سنين .

ومن الدول اليمينية ما يهيىء لأبنائه التعليم والعلاج بالمجان ، ويقطع اهله ارض البناء وارض الاستصلاح للزرع بمقابل يسير . ومنها ما يبنى المساكن الاقتصادية ويوزعها على العمال والفلاحين باقساط طويلة الاجل وفوائد زهيدة القيمة . وكل هذه اتجاهات اشتراكية .

ومن الدول اليسارية كيوغوسلافيا ما يسمح لأفراده بتملك المساكن والمزارع الصغيرة . بل ان منها ما يجيز تملك المصانع بشرط الا يزيد العاملون فيها على عدد محدود . ولو قارنا بين الصين والاتحاد السوفييتي وهما قطبا الشيوعية لوجدنا مفهومهما لها على غير اتفاق .

وقد اعتنقت دول عربية كمصر وسوريا والعراق والجزائر والسودان النظام الاشتراكي ولكنها تمسكت جميعا بدينها الاسلامي وقوميتها العربية .

ولو استعرضنا الدول على اختلاف نظمها السياسية ، لوجدنا منها الناجح في كل نظام . فمن اليمين مثلا الولايات المتحدة واليابان والمانيا والسويد ، ومن اليسار الاتحاد السوفييتي والصين والمانيا الشرقية وبولندا .

الادارة عامل مشترك

والذى نستنبطه من هذا الاستقراء ان النجاح يمكن ان يوجد في ظل أى نظام سياسي ، فكل النظم تحض على الانتاج ولا تتدخل الا في توزيع الفائض . ونجاح الانتاج يتوقف على حظ الدولة من الادارة العلمية الحديثة . والادارة تتمثل في العلاقة بين المدخلات Input والمخرجات Output . والمدخلات اربعة يطلق عليها رجال الادارة 4m's وهى :

Men - materiais - machines - money

أى رؤوس الاموال والآلات والمواد والقوى البشرية .

أما المخرجات فهى الوحدات المنتجة . وقياس الكفاية يكون بقسمة الناتج من المخرجات على كل عنصر من العناصر الاربعة للمدخلات .

ان الادارة حقا في خدمة السياسة ، ولكن السياسة لاتستطيع الوصول الى أهدافها بغير ادارة . والمدير الكفء ـ اذا توافرت لديه عناصر النجاح ـ يستطيع أن يدفع عجلة الانتاج الى ما يحقق لكل مواطن بيتا سعيدا ، فهذا هو الهدف النهائى لكل نظام .

وهل التعاون مشترك أيضا ؟

نعم فقد لجأت الراسمالية الى التعاون كوسيلة ملطفة لسوء توزيع الثروة والدخل والتطاحن بين الطبقات ، وقيام الأزمات الاقتصادية .

ولجأت الشيوعية الى التعاون كوسيلة ملطفة لمبدأ الدكتاتورية المطلقة ، وانعدام الدافع الشخصي لزيادة الانتاج ، والقضاء على المذاهب الروحية للافراد .

ولجات الاشتراكية الى التعاون كنظام مكمل للتاميم في القطاع الزراعي والقطاع السكنى والصناعات الصغرى .

يؤيد ما تقدم ان التعاون ظهر في انجلترا على يد « وبرت اوين » (١٧٧١ ـ ١٨٥٨) حين أدخل الاصلاحات الآتية : ـ

١ ـ قلل ساعات العمل من ١٩ ساعة الى ١٠ ساعات .

٢ ـ رفع أجور العمال .

٣ ـ منع تشغيل النساء والاطفال دون العاشرة .

٤ ـ فتح مدارس لتعليم أطفال العمال .

٥ ـ أسكن العمال مساكن صحية .

٦ ـ وفر المواد الغذائية للعمال باثمان معتدلة .

وقد اقترح انشاء وحدات زراعية تتراوح كل منها بين ٦٠٠ و ١٨٠٠ فدان ، ويسكن كلا منها نحو ١٢٠٠ شخص« ينتج كل منهم حسب قدرته . ومكث يبشر برسالة التعاون حتى قيل ان الفضل في الاشتراكية البريطانية يرجع اليه » .

ثم جاء أخيرا « برتراند رسل » فوصف الجمعية التعاونية بانها وسيلة لقهر القوة السياسية المستقلة ، ووجد تعارضا بين التعاون والشيوعية، خصوصا وان اعضاء الجمعيات هم عادة من اصحاب الملكيات الصغيرة ، فهم لا يميلون الى الثورات . ومعنى هذا أن الجمعية التعاونية في رايه ملكية فردية مشتركة تحت اشراف حكومي .

وفي فرنسا نادى « لويس بلان » Louis Blanc (١٨١١ ـ ١٨٢٢) بالمجتمع الاشتراكي وتبنى مبدأ « كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » وارسل (شارل فربيه Charles Fourier) الى محمد على في مصر خطابا يقترح فيه انشاء مجمعات تعاونية تكون اساسا للنظام الزراعي في مصر .

وفي المانيا انشا (فردريك رايفايزن Fredrick Reffeisen ـ ١٧١٧) ( ) و (هيرمان شولز Hermann Sheultz) بنوك التسليف لحماية صغار العمال والتجار من المرابين .

اما في البلاد الشيوعية فقد صرح « كارل ماركس » (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) في كتابه (راس المال) بأن التعاون تجربة كبرى تؤدي الى انتاج عصري بدون اشراف راسمالي . واوصى بانشاء البنوك التعاونية الزراعية والجمعيات التعاونية الانتاجية .

وراى « لينين » ان الجمعية التعاونية عضو اشتراكي ووسيلة للاشراف على التجارةالداخلية. وذكر في المؤتمر الاشتراكي بكوبنهاجن عام ١٩١٠ ان الجمعية التعاونية الاستهلاكية يمكن ان تساهم في الكفاح الاقتصادي للبروليتاريا بمساعدة العمال خلال فترات الاغلاق .

ومن قبل ذلك قرر المؤتمر الاشتراكي الالماني بهانوفر عام ١٨٩٩ ان الجمعية التعاونية اداة للثورة الاشتراكية في تجميع الاموال وفي تدريب العمال على ادارة الاعمال وعلى الاشراف على الشركات المؤممة .

لقد اتجه أصحاب المذهب الشيوعي الى التخفيف من غلوائه فطعموه بالتعاون وعدلوا مبدأ (لويس بلان) ليصبح « من كل على قدر طاقته ولكل على قدر عمله » وانشاوا المزارع الجماعية والمزارع الحكومية وخططوا الاستهلاك القومي بما يتفق مع الخطة الاقتصادية العامة .

وماذا في الشرق الاوسط ؟

لقد دعا « عمر لطفي » في مصر الى التعاون ونجح في تاسيس عدد من الجمعيات الزراعية المنزلية حين رأى تراكم الديون على أصحاب الاراضي الزراعية ووصول الفائدة التي يتقاضاها الاجانب الى ٣٪ شهريا اي ٣٦٪ في السنة وامعان المحاكم المختلطة في تامين حقوق الاجانب .

وبعد قيام الثورة في سنة ١٩٥٢ اخذت الدولة على عاتقها النهوض بالحركة التعاونية ودعمها بمختلف الوسائلحتى زاد عدد الجمعيات الزراعية على ٨٠٠٠ وغير الزراعية على الفين .

وفي اسرائيل تبرع « روتشيلد » بانشاء سبع مستعمرات زراعية باسم (الكيبوتز Kibbutz) وكل مستعمرة تبلغ مساحتها نحو الف فدان ، تؤجر بعقود متوارثة لمدة ٤٩ عاما قابلة للتجديد يعيش فيها حوالى خمسمائة شخص نصفهم من الزراعيين والنصف الآخر يشتغل بالصناعة والتجارة . اما الزراعيون فيستخدمون الالات المخصصة لهم ، ويقومون على تربية الماشية والدواجن ، ولا يجوز لأى منهم ان تكون له ارض وماشية خاصة . على أن هنالك نوعين آخرين من المستعمرات استجدا باسم (افديم Ovdim) و (شيفوتى Shifute) وسمح فيها بالملكية الخاصة ، على ان تكون شركة في راس المال والادارة والعمل وطرق الاستغلال ، وعلى ان تكون الزراعات خاضعة للمنهج العام في المستعمرة .

ومن احصاء ظهر في سنة ١٩٥٠ اتضح أن في اسرائيل ٢٤٠ كيبوتزا ، و١٥٨ افديم ، و١٥ شيفوتى ، ولا شك أن هذا العدد قد تضاعف في العشرين سنة التى تلت ظهور هذا الاحصاء . اما تسويق المنتجات فهو في يد منظمة واحدة قومية هى (تنوفا Tnuva) .

ونذكر هذا عن اعدائنا ، ومن احق بالذكر من اعداء .

نحن والعالم

ان البلاد العربية لا حق لها في أن تعلق اخطاءها على نظمها السياسية فتكثر من التعديل والتبديل في دساتيرها وقوانينها وبرامج جامعاتها على حين ان اغلب الخطأ في التطبيق . ان قوانيننا على الورق من خير القوانين طرا ، وبرامج الدراسة على الورق تعادل نظائرها في اوروبا وأمريكا . ولكن العيب في التنفيذ والتنفيذ سنده الادارة .

لقد كنا في المدرسة ونحن صغار نحب اللغة العربية لاننا نحب مدرسها ونكرهها لاننا لا نحبه مع أن برنامج الدراسة واحد في الحالتين وانما طريقة نقل المعلومات الى افهام التلاميذ هى التى يتوقف عليها في النهاية ان يتعلموا او لا يتعلموا .

ان القوانين حين توضع تبقى مجرد حبر على ورق حتى تجيء الادارة فتحركها الى عمل صالح او سييء . ونحن نعرف ان الدستور في انجلترا غير مكتوب ومع ذلك فان هذا البلد اكثر البلاد استرشادا بتقاليده الدستورية .

اما التعاون فهو السبيل الى تكتيل الجهود وتقليل النفقات . ان ١ + ١ = ٢ ولكن ١ – ١ = صفرا ، فاذا سارت الجهود في اتجاه واحد كانت اضافات ، وان سارت في اتجاهات متعارضة تحولت الى هدم ، لان كلا منها يبطل فعل الآخر . وقديما قالوا : « تعارضا تساقطا » .

يقول الله تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى» ويقول الرسول الكريم : « الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه » ولكن هل يكفى ان ينتشر التعاون كنظام في البلاد العربية لكى يصلح كل شيء ؟ ان التعاون كنظام اقرته البلاد العربية ولكنها لم تاخذ به حتى الآن كعمل .

ان في أمريكا جمعيات تعاونية لحلج القطن وكبسه وتخزينه وتسويقه،وفيها جمعيات لتحسين تقاوى القطن وانتاجها وتوزيعها ، وجمعيات لعصر زيت البذرة ، وجمعيات للقروض الزراعية ، وجمعيات للتامين ضد الحريق .

وفي انجلترا جمعيات لتربية الماشية والدواجن، وجمعيات لتسويق البيض وأخرى للفواكه ،وثالثة للمنتجات اللبنية ، ورابعة لتسويق الماشية واللحوم والصوف ، وخامسة للخدمات الزراعية.

وفي فرنسا وايطاليا وسويسرا والاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية ويوغوسلافيا من البنيان التعاونى والاشراف الحكومى ولوائح الزراع الجماعية ومحطات الآلات والجرارات ما يغنينا عن البحث في تنظيم الجمعيات والاتحادات التعاونية في العالم العربى .

كل ما هو مطلوب منا ان ننقل الادارة والتعاون عن هؤلاء في الشرق والغرب فهل نحن فاعلون ؟ ■■

سيد أبو النجا

الهجرة العربية إلى الشرق الأقصى

بقلم : حسن الامين

■ اشتهر الادب المهجري اللبناني اشتهارابعيدا ، ودوى في تاريخنا الادبي دويا شديدا . ونبغ فيه متفوقون سواء في الشعر او النثرسيظلون ابدا من انصع الكواكب في آفاقنا الادبية قديما وحديثا . وحسبنا ان نعد منهم في الشعر :الشاعر القروي والياس فرحات وايليا ابو ماضي ، وفي النثر جبران وامين الريحاني .

والشعر المهجري اللبناني لا يحتاج الى تعريفولا تنقصه الشهرة وبعد الصيت . ولكن هنالك ادبا مهجريا عربيا آخر حمله فريق من مهاجريالعرب الى منائيهم البعيدة ومهاجرهم القصية لم يكتب له من الذيوع والانتشار جزء مما كتب للادباللبناني . بل يمكن ان نقول انه لم يعرف اصلا في اوساط العرب وديارهم ، ولم يقرأ في نواديهم ومعاهدهم . اذا استثنينا قلة قليلة ، بل افرادا معينين وقعوا على هذا الادب صدفة او لظرف معين ومناسبة محدودة .

أدب الهجرة الحضرمية

هذا الادب هو ادب الهجرة الحضرمية من جنوبي الجزيرة العربية الى الجزر الاندونيسية وغيرها من بلاد الشرق الاقصى ، واذا كانت الهجرة اللبنانية الى الامريكتين هجرة جارفة حملت عشرات الالوف من مدارج صباهم ومنابت اصولهم الى بلاد العالم الجديد سعيا وراء الرزق وطلبا للثروة ، فكذلك كانت الهجرة الحضرمية من الارض الجديبة والوطن القفر ، الى عالم التجارة والغنى والاخذ والعطاء .

واذا كانت الهجرة الاولى قد انتجت ادبا مهجريا كثيرا ، فكذلك كانت الهجرة الثانية . ولكن الفرق بين الهجرتين العربيتين ان الاولى كتبت لها الشهرة وطول الذكر وارخت في كثير من الموارد والمصادر ،ولم يكتب للثانية شيء من هذا ، ولم تعرف ابدا ولم يشر اليها بحال من الاحوال ، شانها في ذلك شان ادبها .

ولعلنا في هذه الكلمة نستطيع ان نرفع الستار عن بعض جوانب الهجرة الحضرمية ، ونزيل الحجاب عن شيء من نواحي ادبها فاتحين بذلك الباب امام الباحثين ، لا سيما ممن عانوا تلك الهجرة ، وتحملوا اعباءها ، او بالاحرى من ابنائهم واحفادهم .

الهجرة الاولى

على انه لا بد لنا من القول ان الهجرة العربية الى اندونيسيا والشرق الاقصى كلمة ذات شقين او ذات عهدين متباعدين ، هجرة بعيدة تعود الى تاريخ بعيد يصل الى العهد العباسي ، حين هاجر فريق من العلويين طلبا للسلامة والامان ، فحل

هجرة مجهولة من العرب، وأدبها مجهول منهم

بعض احفاد علي العريضي بن الامام جعفر الصادق في جنوب الجزيرة العربية « اولا » لم امتدوا منها حتى وصلوا الى الهند والصين وملابا واندونيسيا والفيليبين وجزائر سليمان . وفي الطليعة من هؤلاء كان احمد بن عيسى بن محمد بن علي بن الامام جعفر الصادق ، هذا الذى رحل من العراق عام ٣١٣ وما زال يمضي حتى استقر في جنوب الجزيرة العربية . وربما لان هذا الرجل كان فاتح باب الهجرة ، عرف في التاريخ باسم احمد بن عيسى المهاجر . واذا كان احمد هذا قد استقر في الجنوب العربي فان احفاده هم الذين انتشروا بعد ذلك في كل مكان من الشرق الاقصى حاملين معهم الاسلام ينشرونه حيث حلوا .

قال المقريزى في الخطط (ج ١ ص ١٦) : « في جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر ايضا تعرف بجزائر السيلي نزلها بعض العلويين في اول الاسلام خوفا على انفسهم من القتل » .

وقال المؤرخ الاندونيسي محمد تمين ابراهيم استاذ الدراسات الاسلامية والتاريخ الاسلامي في جامعة جاكرتا من محاضرة له : « ان اول مملكة اسلامية هنا يراسها شخص يلقب بلقب شيخ كانت بايدى العرب من الهاشميين » .

وقد ذكر هجرات العلويين الى جزر الشرق الاقصى كل من المستشرقين الهولنديين « فن دن برخ » و « فرين ميس » في كتاب تاريخ البلدان الجاوية « سيجارة تانه جاوا » و « بيخمان » وكذلك نور الدين محمود عوفي . يقول فن دن برخ في كتابه (حضرموت والمستوطنات العربية في الجزائر الهندية) الصادر باللغة الفرنسية : « ان نجاح الدعوة الاسلامية في جاوا كان لان الدعاة كانوا من ذرية النبي » .

ويقول المؤرخ الهولندى سبات في كتابه (الاسلام في الهند الهولندية) : ان حملة الاسلام الى هذه البلاد هم الاسرة العلوية آل علوى .

ويقول نور الدين عوفي عن انتشار الاسلام في الصين : ان الاشراف العلويين هربوا الى بلاد الصين ونشروا الاسلام فيها .

ويذكر محمد تمين في محاضرته التى القاها في الندوة التاريخية في ميدان سومطرا الشمالية : ان الاشراف العلويين انتشروا في كامبودجا والصين وسيام وغيرها ، وان من الواصلين الى كامبودجا الحسين الملقب بجمال الدين الاكبر . وانه كان للحسين هذا ولدان احدهما ابراهيم . وتقول الروايات الجاوية ان ابراهيم وصل مع ابيه الحسين الى سيام وجاوا وتزوج اميرة من جامبا اسمها باندااوولاق فولدت له ولدين عليا واسحق كانا من انجح العاملين على نشر الاسلام ، وان أعظم نجاح لاسحاق كان في بانيو وانقى .

ووصل العلويون الى الفيليبين فاستوطنوا ونشروا فيها الاسلام لم اقاموا فيها ملكا واستمر حكم العلويين فيها حتى سنة ٨٨٥ هـ (١٤٦٥ م) وقيل الى سنة ١٥٢١ حين هاجم الاسبان المسلمين وفشل السلطان عبد القاهر في صد هجومهم . وفي تاريخ الفيليبين ذكر مجيء الشريف اولياء بسفينة طافت في تلك الجزر لنشر الاسلام . وجاء في كتاب

(دراسات عن المسلمين المورو وتاريخهم) المطبوع بمانيلا سنة ١٩٠٥ ان مجيء الاسلام الى الفيليبين كان بواسطة شريف علوى اسمه حسن بن علي من ذرية احمد بن عيسى المهاجر . وقد عمل هذا العلوى على نشر الاسلام اول الامر في جزائر (بوايان) الفليبينية فاسلم ملكها على يديه وانتشر الاسلام في (ميندانا ومافينيدانا وسبيو وسولو وكوتا بارو وتمبارا ولبيمنقان وباكمبايان).

وجاء في ذلك الكتاب ان هؤلاء العلويين كانوا اول من علم الاهلين هناك الكتابة العربية .

قبور المهاجرين الاولين

ولا تزال المقابر الاندونيسية تضم حتى اليوم قبور احفاد اولئك الرواد الاوائل وقبور احفاد احفادهم ، ولا تزال تلك الاجداث محجة للزائرين من كل مكان . ويمكن ان نعد منهم كلا من مولانا ابراهيم المدفون في مدينة قرسيء بجاوا ، ومولانا حسن الدين المدفون في مدينة بانتن بجاوا الشرقية، ومولانا هداية الله المدفون في مدينة شربون بجاوا الشرقية ، وهو ابن عبد الله المتوفي في كامبودجا بالهند الصينية ، ومولانا زين العابدين المتوفى بمدينة دماك بجاوا الوسطى ، ومولانا رحمة الله المتوفي بمدينة سورابايا بجاوا الشرقية ، ومولانا محمد الملقب بعين اليقين المتوفى في مدينة قرسيء بجاوا ، وكل هؤلاء ينتهي نسبهم الى احمد ابن عيسى المهاجر . هذا المهاجر الذى نحسب انه اول من حمل هذا اللقب في العالم العربي كله .

على انه يبدو من بعض النصوص ان استقرار هؤلاء العلويين في الجزر الاندونيسية وشهرة مقامهم فيها قد حملت بعض الخائفين على التوجه اليها والحلول بين تلك الجاليات التي تناسلت وتكاثرت ، وانه كان بين من نزحوا اليها احد احفاد الخلفاء العباسيين المسمى عبد الله والذى نجا بنفسه فرارا من مذابح المغول بعد سقوط بغداد على يدى هولاكو .

ومهما يكن من شيء فان هذه الهجرة العربية الكبيرة قد انطوت في غمار التاريخ ولم تترك لنا من اثر سوى انها كانت من اكبر العوامل في نشر الاسلام في تلك الاقاصي وحسبه من اثر . وقد ذابت تلك الاصول العربية في المجتمع الاندونيسي وغير الاندونيسي من المجتمعات المهجرية التي عاشت فيها وغابت ملامحها غيبة كاملة وعادت اندونيسية خالصة حتى في اسماء الاعلام ، وان ظل بعض رجالها يسلسل آباءه مبتدئا باسمه الاندونيسي واسم ابيه وجده وهكذا حيث يعود الى الاسماء العربية . فهناك مثلا : ابوكو سنتو جوكر وسويو سو الذى ينتمي الى آل عظيمة خان الى ان تنتهي السلسلة الى علي بن عبد الله بن احمد بن عيسى المهاجر .

الهجرة الاخيرة

ان تلك الهجرة الاولى لا تعنينا في بحثنا هذا وليست هي المقصودة بهذه الكلمات . بل ان المقصود هو الهجرة الاخيرة التى انتجت الادب العربي المهجرى الشرقي في مقابل الادب العربي المهجرى الغربي .

وليس بين ايدينا ما حدد لنا التاريخ الذى بدات فيه هذه الهجرة من الجنوب العربي الى جنوب آسيا تحديدا دقيقا ، ولكننا نستطيع القول استنادا الى بعض المصادر ان اول فوج من المهاجرين الحضارمة خرج من موطنه كان خروجه في اواسط القرن الثاني عشر الهجرى ، بل نستطيع ان نذكر بان ذلك كان في حدود سنة ١١٥٠ هـ وكان هذا الفوج مؤلفا من اربعة مغامرين هم : حسين القدرى الملقب بالحسني وعثمان بحسن ومحمد احمد القدسي ومحمد بن حامد .

وكان الدافع لهم الى الهجرة هو السعي وراء العيش الكريم . وبلغ النجاح ببعضهم الى الزواج بالاميرات بنات السلاطين الاندونيسيين . وكان المغرى الوحيد بهذا الزواج ان المهاجرين كانوا من سلالة الرسول ، فراى السلاطين في تزويج بناتهم من هؤلاء الغرباء العلويين تشريفا لهم ولبناتهم . ثم تطور الامر بعد ذلك فاذا ببعض ابناء المهاجرين او احفادهم يتولى الملك بنفسه لان السلاطين رأوا في الاسباط المتصلين بالنسب النبوى ما يفضلون به الاحفاد غير المتصلين بهذا النسب . وهكذا نجد ان من بين سلاطين سياك وفونتيانك وغيرهما من هم من الاشراف العلويين ابناء واحفاد بعض اولئك المهاجرين .

على ان هذا التزاوج قد ادى الى ذوبان اعقاب المهاجرين في الوسط الاندونيسي فلم يعودوا يعرفون بالطابع العربي ولا باسم الاسرة العربي . اما الذين لم يقدر لهم مثل هذا الزواج فقد ظلوا محتفظين حتى اليوم باسماء عربية لاسرهم وهم من سنتحدث عن بعضهم في الآتي من القول .

واذا كنا قد ذكرنا فيما تقدم اسماء المهاجرين الاربعة طلائع الهجرة فلا يفوتنا ان نذكر اسماء اخرى كانت في اوائل المواكب النازحة ، ونستطيع ان نعد من ذلك مهاجرى آل كثير وآل النهدى وآل باحمد وآل بارجاء وآل العمودى وغيرهم .

وهنا نقف لنشير الى بعض الاسر التي ظلت محتفظة باصولها العربية وخرج منها العلماء والشعراء والادباء :

آل الجفرى

وابرز من خرج فيهم السيد عقيل بن زين العابدين الجفرى الذى كان عالما مرموقا خرج من اندونيسيا الى تركيا ،دخل جامعة اسطنبول ثم سافر الى اوروبا وكثير من بلدان آسيا واتصل بالكثيرين من علماء العالم الاسلامي ، ثم صار من اقطاب السياسة الاندونيسية فقاوم الاستعمار الهولندى مقاومة شديدة ادت الى ان تعتقله السلطات الهولندية وتسجنه سنة ١٩٢٨ ثم صادرت املاكه وابادت مكتبته الكبيرة القيمة . ثم اطلقته فقيرا لا يملك شيئا . وعاش حتى ادرك الاستقلال فكانت فرحته فيه فرحة تتناسب مع نضاله وتضحيته . وتوفي للعام ١٩٥٢ عن عمر ناهز التسعين .

ويعتبر السيد عقيل من الادباء المؤلفين باللغة العربية . وقد ترك العديد من المؤلفات التي ظلت مخطوطة لصعوبة الطباعة العربية في تلك البلاد .

آل المحضـــار

وابرز من خرج فيهم السيد محمد بن احمد المحضار المتوفى سنة ١٩٢٤ في مدينة سورابايا وهو عالم وشاعر يعتبر في طليعة شعراء المهجر الاندونيسيين. وقد ترك ديوانا كبيرا وعدة مؤلفات. ولكنها ظلت كغيرها مخطوطة لم تطبع ولم تنشر .

آل يحيى

وابرزهم السيد محمد بن عقيل الذى يعتبر في وقته من اكبر علماء العالم الاسلامي واعظم رواد الاصلاح فيه . وكانت دار هجرته جزيرة سنغافورا حيث اسس فيها دعوة اسلامية اصلاحية امتدت حتى شملت اندونيسيا وغير اندونيسيا . وكانت طريقته هي انشاء الجمعيات وتاسيس المدارس ونشر الصحف ويمكن ان تعد جريدته التي نشرها في سنغافورة اول جريدة عربية في تلك المهاجر وكذلك جمعيته ومدرسته التي حرص على ان تكون مدرسة عربية اسلامية.وكان تاسيس الجمعية سنة ١٣٢٢ هـ ، وتولى رئاستها السيد احمد السقاف ، وكانت هي نواة جمعيات الاصلاح في البلاد الجاوية كلها ،وصارت مركزا عاما يقصده المثقفون ، بل كانت على حد تعبير احد الباحثين سببا لجمع شمل العرب الذى كان مفرقا . ثم اضاف الى ذلك اصدار مجلة عربية سماها (الامام) ، صدر العدد الاول منها في اول جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦) وصدر آخر عدد منها في شهر ذى الحجة سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨) . وقد سمى مدرسته مدرسة الاقبال ، ولم يكن من الميسور ايجاد مدرسين لها في المهجر فاستدعى لها المدرسين من مصر . وكان تاسيسها سنة ١٣٢٦ (١٩٠٨) ثم صدرت بمساعيه جريدة الاصلاح التي لم تعمر طويلا ، شانها في ذلك شان مجلة (الامام) اذ صدر العدد الاول منها في اول شوال سنة ١٣٢٦ وصدر آخر عدد منها في ٢٤ ذىالحجة سنة ١٣٢٨.

وكانت هذه النهضة العربية في سنغافورا مدعاة لان تقوم مثلها في اندونيسيا وبلدان جنوب آسيا التي كانت تصلها مجلة الامام وجريدة الاصلاح فتاسست في جاكرتا جمعية خير سنة ١٣٢٤ ، وتاسسة اول مدرسة لجمعية خير في جاكرتا ، وفي فلمباغ بمسعى السيد علي بن عبد الرحمان المساوى والسيد محمد بن عبد الرحمان المنور سنة ١٣٢٦ .كما تاسست مدرسة فيسورابايابنفس السنة بمسعى السيد شيخ بن زين الحبشي . ومدرسة في جاكرتا بمسعى السيد عبد الله بن علوى العطاس . وكلها مدارس عربية التدريس اسلامية المناهج .

وكان ابن عقيل يزور اندونيسيا بين الحين

والحين لدعم النهضة فيها وبث الاصلاح بين رجالها وكانت آخر زيارة له لجاوا سنة ١٩١٨ .

وهكذا نستطيع ان نعتبر السيد محمد بن عقيل رائد نهضة وداعي اصلاح ومربي اجيال . واذا كان قد قدر لبعض كتبه ان تطبع خارج المهجر فان معظم تلك الكتب ظل مخطوطا .

آل الحداد

نبغ من هذا البيت العديد من العلماء والشعراء منهم العالم الشاعر السيد عبد الله بن علوى الحداد الذى ظل ديوانه كغيره مخطوطا لم يطبع .

آل السقاف

ومن هذا البيت ايضا خرج العلماء والشعراء كالسيد احمد بن عبد الله السقاف والسيد ابن عبيد الله . والاول منهما كاتب بارع وشاعر مجيد ومن اعرق الثائرين على الاستعمار الهولندى وله في هذا المضمار الكفاحي الكثير من الشعر الحماسي المثير لاسيما في اول الحركات التحررية سنة ١٩١٠ واذا كان معظم شعر بقية الشعراء المهجريين لم ينشر حتى في الصحف بل ظل مخطوطا في الدواوين مقروءا في المنتديات فان شعر هذا الشاعر كان له من الحظ اكثر مما كان لغيره اذ نشر الكثير منه في الصحف والمجلات العربية التي كانت تصدر في المهجر ، ولكنه لم يجمع في ديوان مطبوع .

آل شهاب

نبغ الكثيرون من رجال هذا البيت ويعتبر السيد علي بن احمد بن شهاب من ابرزهم ، كان من الكتاب المؤلفين ولكن مؤلفاته ظلت هي الاخرى مخطوطة . وهو من المكافحين للاستعمار الهولندى ومن اركان الحركة التحررية وابرز زعمائها . وكان هو الداعي الى تاسيس جمعية خير سنة ١٩٠٧ كما كان عضوا في الحزب الاسلامي الاندونيسي (شركة اسلام) وفي العام ١٨٨١ هوجم اجتماع وطني كان برأسه فساقته الشرطة الهولندية الى السجن حيث قضى فيه فترة ، وبعد خروجه من السجن ساح في البلاد الاسلامية فزار تركيا ومصر وسورية ثم ادى فريضة الحج ، ثم عاد الى اندونيسيا متابعا الكفاح الاستقلالي وظل حيا حتى دخول الجيوش اليابانية الى اندونيسيا ، ثم توفي سنة ١٩٤٥ في اواخر العهد الياباني عن عمر ناهز الخامسة والثمنين .

ابو بكر بن شهاب

من هذه الاسرة خرج العالم الشاعر المؤلف السيد ابو بكر بن شهاب . وهو الشاعر الذى نريد ان نتخذ منه نموذجا للشعر المهجرى العربي الشرقي لانه الوحيد الذى طبع ديوانه من بين شعراء المهجر الشرقي .

واذا كانت الانفعالات العاطفية مفقودة ـ كما قلت ـ في الشعر الشرقي فذلك لايعني ان اصحاب هذا الشعر لم يحنوا شعرا الى اوطانهم ، ولم يتاوهوا في غربتهم شوقا الى ديارهم . بل هم فعلوا احيانا ذلك ، ولكنه كان انفعالا عابرا مر قصيرا خلال القصائد الطويلة . فشاعرنا ابو بكر ابن شهاب مثلا ينظم قصيدة من اطول القصائد يتحدث فيها عن علي بن ابي طالب فلا يكون فيها من الحنين والاشارة الى الغربة الا بيتان اثنان :

الا ليت شعرى والتمني محبب
الى النفس تبريدا لحر اوامها
متى تنقضي ايام سجني وغربتي
وتنحل روحي من عقال اهتمامها

تبرير الهجرة

وهذا الشوق في الهند الى بلده يبرر الهجرة ويعين اسبابها ، ويرى انه مادام المقام في الوطن مدعاة للخمول والاهتضام فلا بد من الرحيل عنه الى اقصى مكان :

سنغافورا

وفي كل ما نظم الشاعر لم يذكر اسما من اسماء منازله في المهجر ماعدا مارأينا من ذكره للهند ذكرا عابرا لادلالة فيه على شيء سوى انه نزلها. على انه يخص جزيرة سنغافورا بقصيدة يحييها بها ويحيي نازليها من مهاجرة العرب :

مدينـــة ســـنغفورا حـــين تبـــدو
معالمهـــا تـــرى الســـوح الرحيبـــا
فحياهـــا الحيـــا الوســـمي حـــتى
يغـــادر سفحهـــا ابـــدا خصيبـــا
قصـــور لابلـــم بهـــا قصـــور
ودور بالبـــدور نفحـــن طيبـــا

كيف هم بقايا المهاجرين

هذه صفحة من تاريخ الهجرة العربية الى الشرق الاقصى ، تلك الهجرة التي له تنل مـن عناية الدارسين ما هى خليقة به. كما نالت الهجرة الى امريكا ..

وتتحد الهجرتان الغربية والشرقية وتتوافقان في مصير واحد . فما انتهى اليه امر المهاجرين الى امريكا انتهي اليه امر المهاجرين الى جنوبي آسيا. ونستطيع ان نقسم بقايا مهاجـــرى جنوبى آسيا الى ثلاثة اقسام :

قسم ذاب بالكلية في مهجره فلم يعد يربطه بوطنه الاول اية رابطة ولم يعد له من الماضي اية ذكرى . وكان العامل الاول في هذا الذوبان ان اسرا بكاملها هاجرت تدريجيا ، حتى استغرق المهجر مجموعها ، فلم يعد لها في موطنها من ترتبط به ، او تتطلع اليه من أهلها ، فانغمرت في موطنها الجديد انغمارا كليا ، ونستطيع أن نعد من هذه الاسر اسرة ابن احسن ، واسرة بارقبة ، واسرة باركوان ، واسرة باشيبان ، التى انطوت اسماؤها العربيـة انطواء تاما واصبحت سلالاتها تحمل الاسماء الاندونيسية .

وقسم ثان لايزال يحتفظ من الماضي باسـم الاسرة العربي وببعض العادات العربية ويحس انه عربي النجار ، وان كان لايحسن النطق باية عبارة عربية .

وقسم ثالث ، وهو اقل من القليل لايزال مرتبطا بالوطن العربي ويجيد التكلم بالعربية ويكتب بها تاريخا وادبا . ولا يزال محافظا على تراثه وعاداته.

الصحافة العربية فى المهجر الاسيوى

على اننا وقد بلغنا في القول الى هذه النقطة نرى حقا علينا ان نشير الى الصحافة العربية في تلك المهاجر مضافا الى ما مر ذكره انفا فنقول : كما حفل المهجر الامريكي بصحافة عربية كان لها يوما من الايام شاو رفيع . وكما اخذت تلك الصحافة بالتراجع والتلاشي آنا بعد آن حتى انتهت او كادت . كذلك كان الامر في المهجر الاسيوى . فقد صدر فيه العديد من الصحف جرائد ومجلات . ولكن على كثرة تلك الصحف لم تصدر منها واحدة يومية على خلاف المهجر الامريكي الذى صدرت فيه اكثر من صحيفة يومية .

واذا كانت الصحافة المهجرية الامريكية قد عرفت وارخت ، فان من حق الصحافة المهجرية الاسيوية علينا ومن حق محرريها ان نلم بها وبمن عرفنا منهم المامة ولو قصيرة . ففي سنغافورا صدرت الصحف العربيـة الاتية : السـلام : اسبوعية رئيس تحريرها احمد بافقيه ، صوت حضرموت : اسبوعية رئيس تحريرها طه السقاف. الهدى : اسبوعية رئيس تحريرها عبد الوهاب الجيلاني .

وفي اندونيسيا صدرت الصحف الاتية :حضرموت اسمها عيدروس المشهور ورئيس تحريرها محمد ابن هاشم ، صدرت اول الامر اسبوعية ثم صارت تصدر مرتين في الاسبوع . الرابطة : شهرية رئيس تحريرها احمد بن عبد الله السقاف .

المدرسة : نصف شهرية . الثقافة : نصف شهرية . الاقبال اسبوعية رئيس تحريرها محمد ابن سالم بارجاء . القسطاس : اسبوعية رئيس تحريرها عمر مكارم . الدهناء : اسبوعيـة . الاحقاف : اسبوعية وهناك جريدة اسبوعية وحيدة كانت تصدر باللغة الاندونيسية اسمها : المهجر.

اما اليوم فقد عفى الزمن على تلك الصحف جميعها ولم تبق منها بقية . وانني لاذكر اننا كنا نتلقى في مطالع الشباب بعض تلك الصحف فنرى فيها ادبا رفيعا وشعرا رقيقا وبيانا ناصعا وحكمة اصيلة .

هذه نفحة من تاريخ الهجرة العربية ، بل صفحـة مـن صميم تاريخنا ، جديرة بالحفظ والذكـر . ■■

حسن الامين — بيروت

طرائف

اللسان

● قيل ان في اللسان عشر خصال : فهو اداة يظهرها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وحاكم يفصل به القضاء ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تقضى به الحاجات ، وواصف تعرف به الاشياء ، وواعظ ينهى به عن القبيح ، ومعز تسكن به الاحزان ، وملاطف تذهب به الضغينة ، ومونق يلهي الاسماع .

درس

● قال ابرويز لصاحب بيت المال : اني لا احتملك على خيانة درهم ، ولا احمدك على حفظ الف الف درهم ، لانك انما تحقن بذلك دمك ، وتعمر به امانتك ، فانك ان خنت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين : النقصان فيما تأخذ والزيادة فيما تعطي ، واعلم اني لم اجعل

اندمُ من الكُسَعِيّ

● الكسعي هو غامد بن الحرث من بني كسع ، كان راميا ماهرا ، فاتخذ قوسا احسن صنعها وخمسة اسهم ، وخرج للصيد ، فاستتر في مكان ، فمر به قطيع من حمر الوحش ، فرمى واحدا منها فاصابه . ونفذ منه السهم وصدم الجبل فاخرج نارا ، فظن الكسعي انه قد اخطأ الرمي ، فرمى مرة ثانية بعضا من حمر الوحش ومرة ثالثة الى ان رمى المرة الخامسة والاسهم تصيب حمر الوحش وتنفذ منها ، ثم تصطدم بالجبل ، وهو يظن انه قد اخطأ الرمي ، فغضب غضبا شديدا وكسر قوسه ، ثم بات متاسفا ، فلما اصبح نظر ، فاذا حمر الوحش مصروعة واسهمه ملوثة بالدماء فندم ندما شديدا على كسر قوسه . وعض ابهامه حتى قطعها ، وقد ضربت العرب به المثل الآتي : فقالت : (اندم من الكسعي) .

تهنئة

● قيل انه لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز حضرت وفود من امصار المسلمين المختلفة لتهنئته ، لتقدم له فروض الولاء ، فتكلم كل رئيس بكلام في هذه المناسبة ، ثم انتقل القول الى خالد بن عبد الله القسري ، فقال : من كانت الخلافة زانته ، فانك قد زنتها ، ومن كانت قد شرفته فانك شرفتها . وانك كما قال القائل :

واذا الدُّرُ زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز : اعطيَ صاحبكم مقولا ولم يعطَ معقولا .

عربيـة

بليـغ

احـدا على ذخائر الملك وعماره المملكة والعدة على العدو الا وانت آمن عندي من موضعه الذي هو فيه، وخواتيمه التي هو عليها، فحقق ظني في اختياري اياك، احقق ظنك في رجائك لي، ولا تتعوض بخير شرا، ولا برفعه ضعة، ولا بسلامة ندامة، ولا بأمانة خيانة.

أحجيـة

● كان يحيى بن اكثم يمتحن من يريدهم للقضاء . فقال لرجل : ما تقول في رجلين ، زوج كل واحد منهما الآخر امه فولد لكل واحد من امراته ولد ، فما قرابة ما بين الوالدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لامه .

اختبار للقضاء

● لما عزل ابن شبرمة عن القضاء ساله والي اليمن ان يختار رجلا يوليه القضاء، فقال له ابن شبرمة : ما اعرفه. ثم ذُكِرَ له رجل من اهل صنعاء، فارسل اليه فجاءه ، فقال لـه ابن شبرمـة :هل تدري لم دُعيت ؟ قال : لا . قال : انك دُعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال :ما ايسر القضاء .. فقال له ابن شبرمة : فنسالك عن شيء يسير منه . قال :سلْ . قال له ابن شبرمة : ما تقول في رجل ضرب بطن شاة حامل فالقت ما في بطنها ؟ فسكت الرجل . فقال له : انا بلوناك فما وجدنا عندك شيئا . فقيل له ما القضاء فيها ؟ قال ابن شبرمة ، تقوم حاملا ، وتقوّم حائلا (غير حامل) ويغرم قدر ما بينهما .

اجتهـاد

● قيل ان زياد بن عبيد الله الحارثي استشار عبيد الله بن عمر في اخيه ابي بكر ان يوليه القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث الى ابي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد الى عبيد الله بن عمر يستعين به على ابي ابكر ، فقال ابو بكر لعبيد الله : انشُدُك اللهَ : اترى لي أن أتولى القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد الحارثي : سبحان الله ، استشرتك فأشرت عليَّ به ، ثم أسمعك تنهاه .. قال : ايها الأمير ، استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فاجتهدت له رأيي ، ونصحته .

مواقف رجـــال

في يوم ذي قـــار

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ لا يخلو تاريخ العرب من مواقف رائعة على مستوى الجماعات ، حيث يحن الدم الى الدم ، ويتناسى القوم الحزازات امام العدو المشترك .

وبين هذه المواقف العامة تتجلى مواقف رجال، في لحظات المحنة والشدة ، يكون لهم في النصــر أوفى نصيب،اذ يقفون كالطود الراسخ ، لاتزعزعهم القوة الجامحة ، ذلك انهم وطنوا انفسهم على التضحية بها رخيصة في سبيل النصر الغــالي . وليس لهم من وقفتهم الا ارادة حازمة ، تفيض على الجموع حولها ، فتكسبها ثباتا ومشاركة ، فيتحقق لهم ما ارادوا ، بصدق اخلاصهم وحسن نواياهم .

غرة أيام العرب

وغرة ايام العرب في جاهليتهم هي موقعة ذي قار .

وسبب هذه الموقعة ، التي انتهت بالانتصار الساحق للعرب على جيوش كسرى يرجع الى أن النعمان بن المنذر كان يتولى مُلك العرب بالحيرة ، من قِبَل كسرى ملك الفرس .

ووقعت عداوة بين النعمان وبين عَدِيّ بن زيد العِبَادي،الذي كان أحد التراجمة لكسرى.وتمكن النعمان من قتل عديّ بن زيد،ثم أرسل الى كسرى يعتذر له عما فعل بعَدِيّ،وبين الأسباب التي دعته الى قتله . وكان ابنه زيد بن عدي ، وأخــو عَدِيّ ، عند كسرى ، فلما جاء كتاب النعمان بالاعتذار حرّفا ترجمته ، وذكرا من الكـــلام ما اغضب كسرى ، فامر باستدعاء النعمان ، واضمر ان يقتله ، واحس النعمان بالشر ، وانه لا شك مقتول ، فاودع لــدى هانىء الشيباني أموالــه وسلاحه . ثم توجــه الى مدائن كســرى لعله يستطيع أن يجد لنفسه مخلصا مما وقع فيه من غضب الملك . لكن كسرى لم يمهله ، وامر بقتله .

كسرى يسأل عن تركة النعمان

وولى كسرى بعده اياس بن قبيصة ، ثم بعث الى اياس يسأله عن تركة النعمان أين هي ؟ فكان جوابه له انه خزنها في قبيلة بكر بن وائل التي منها بنو شيبان . وأرسل كسرى الى هــانىء الشيباني يطالبه بوديعة النعمان . وقال له مع رسوله : ان النعمان كان عاملي ، فابعث الى بوديعته ، والا بعثت اليك بجنود تقتل المقاتلة ، وتسبي الذرية .

لن يسلم الحر أمانته

فكان جواب هانىء للرسول : ان يكن الأمــر كما قيل فانا أحد رجلين ، اما رجل استودعه غيره أمانة فهو جدير أن يرد الأمانة على من استودعه اياها ، ولن يُسلِم الحرّ امانته . واما أن أكون رجلا مكذوبا عليه ، وليس ينبغي للملك أن يأخذ بقول عدوّ يكذب عليه ليوقعه في البلاء .

ووصلت رسالة هانىء ، الى كسرى ، فغضب أشد الغضب ، واظهر انه سيستاصل قبيلة بكر ابن وائل ، وانتهز الفرصة أحد خصومهم ممن يحب هلاكهم ، فاشار على كسرى أن ينتظر حتى

تأتي شهور القيظ والحر ، فان قبيلة بكر اذا جاء القيظ تحضر الى ماء لها يقال له « ذو قار » وتتساقط عليه تساقط الفراش في النار . وان أعداءهم في ذلك الوقت من حولهم كثيرون ، فحينئذ تأمر فيهم بما تشاء ، وتصل منهم الى ما تريد .

كسرى يخيرهم بين ثلاث

وجاءت أشهر القيظ وتوجهت بكر بن وائل الى ذي قار . فارسل اليهم كسرى رسولا يخيرهم بين ثلاث خصال : اما أن يستسلموا للملك فيحكم فيهم الملك بما شاء . واما ان يتصرفوا من اماكنهم واوطانهم بذي قار . واما ان يأذنوا بالحرب .

وجاءهم رسول كسرى ، وهو من ألد أعدائهم وقال لهم : « انا رسول الملك ، أخيركم في احدى ثلاث خصال ، اما كذا واما كذا واما كذا » على ما سبق من الاستسلام او التشريد أو الحرب .

استشارة القبيلة

ورأى هانيء الشيباني ما لم يكن يتوقع في مثل هذا الوقت ، ولم يكن يريد أن يفصل في أمر له ما بعده ، فبعث الى قومه يستشيرهم فيما جاء به رسول كسرى ؟

وتشاور القوم فيما بينهم ، ثم اختاروا الحرب ، ونظروا فيمن يتولى قيادة الجيش . ويكون صاحب الأمر والنهي فيهم ، وأخيرا أجمعوا أمرهم على أن يولوا حنظلة بن ثعلبة بن سيّار . وكانوا يتيمّنون به في حروبهم وفي كل ما ينوبهم من الحوادث . وطلبوا منه الرأي في موقفهم وفيما اختاروه من الحرب ، فقال لهم : اني لا أرى الا القتال ، فلأن يموت الرجل كريما خير له من أن يحيا مذموما ، لأنكم ان سلمتم أمركم لكسرى وتركتموه يختار فيكم رأيه قتلكم وسبى ذراريكم . وان هربتم منه وتركتم مكانكم الذي أنتم فيه قتلكم العطش وتلقاكم أعداؤكم من العرب فاهلكوكم . فليس لكم الا أن تؤذنوا الملك كسرى بالحرب .

وكان الرسول ينتظر الجواب . واذا برسول بكر بن وائل يعود اليه قائلا : قل للملك اننا قد آذناه بالحرب .

كسرى يجيش الجيوش

وعجب كسرى من رد أولئك القوم الذين اقتربوا من ذي قار في أشد القيظ . فارسل كسرى الى اياس ابن قبيصة وامره أن يخرج بجيوشه ، كما أرسل الى أحد قواده واسمه « الهامَرْز » أن يتجه بمن معه من أجناد ، وبعث الى قائد آخر اسمه « خَنَابِزِين » أن يذهب بمن يتولى قيادتهم من الجنود . كما بعث كسرى الى قيس ابن مسعود ، وكان من عُمّال كسرى على « طَفّ سَفَوان » وأمره أن يذهب بجنوده الى حيث يعسكر اياس بن قبيصة الطائي .

واقبلت جنود كسرى من كل فجّ . واحاطوا بقبيلة بكر بن وائل ، ليتفقوا فيهم ما يريده بهم كسرى ملك الفرس .

عربي يحن لقومه

ولم تطب نفس قيس بن مسعود أن يرى بني جنسه العرب يذهبون ضحايا التكتل والطغيان . فانسلّ في الليل ، الى هانيء الشيباني ، ولما اجتمع به قال له : ان سلاح النعمان بن المنذر معك ، فاعطه قومك ، ليقوّوا انفسهم ، ويقاتلوا به ، فان هلكوا كان تبعا لأنفسهم ، وكنتَ قد أخذت بالأمر الحازم ، وان انتصر قومك ردّوا السلاح اليك . فعرف هانيء ان الرأي هو ما قاله . ففرق السلاح والدروع عليهم ،

وأسرى يعاهدون على المساعدة

ان التصميم على الثبات ، والعزم على القتال بصدق واخلاص ، يهيء الله له من أسباب المساعدة ما يؤدي الى النصر ، فكلُّ عَوْن هو منفعة ، في وقت كان الأعداء كثيرين فيه ، لقد كان في قبيلة بكر أسْرَى من تميم ، يقرب عددهم من مائتي أسير ، وفيهم رجل من بني رياح من تميم يقال له جزء بن سعد ، فقال لبني بكر : خلّونا نقاتل معكم ، فاننا بذلك ندافع عن أنفسنا . فقالوا له : اننا نخاف ان لا تكونوا مخلصين معنا في القتال ، فعاهدوهم على الاخلاص ، وانهم لن يهربوا ، حتى بعد انتهاء القتال ، بل يرجعون ويسلمون انفسهم . فاطلقوهم ، فكانوا لهم عونا كبيرا ، وصدقوا في عهدهم وموقفهم .

رهبة الموقف قد تفت في العضد

ولما اقبلت جموع كسرى لا تحصى كثرة ، ورآهم هانيء الشيباني دَبّ في قلبه الاشفاق على قومه أن يعمهم الهلاك ، فقال لهم : يا قوم ، انه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ،

فمن استطاع منكم النجاة فلينج بنفسه . ووجدت هذه الدعوة استجابة من ضعيفى العزائم، فاتجهوا يريدون الانطلاق فى كل اتجاه .

زعيم حقـا

وفى مثل هذه المواقف الخطيرة تتجلى الزعامة الحقة ، وتتولى القيادة عن جدارة ، وتقود الى النصر العظيم ، ذلك أن حنظلة بن ثعلبة بن سيّار ، وثب فقال لهانىء الشيبانى : انك أردت بمشورتك هذه نجاتنا ، لكنك فى الحقيقة لم تزد الأمر الا سوءا ، فاننا لو اتبعنا رأيك فى النجاة بانفسنا القينا انفسنا فى التهلكة بتفرقنا ، وسيتخطفنا اعداؤنا من كل مكان ونحن لا نملك قوة التجمع ولا قوة الصبر على اللقاء . ولم يكتف حنظلة بن ثعلبة بن سيار بهذا القول بل انه اتجه الى النياق التى تحمل النساء فى الهوادج ، فقطع الأحزمة ، لكى لا تستقر الهوادج على ظهور الابل ان اراد أحد الهرب بمن معه من النساء ، وحينئذ اضطر كل رجل أن يقف ليدافع عن حريمه، وبدأ حنظلة بن ثعلبة بقطع حزام هودج ابنته « مارية » .

لا يفر حتى تفر القبة

ثم زاد حنظلة بن ثعلبة الموقف حماسة وشجاعة، اذ انه ضرب قبة على نفسه ببطحاء ذى قار ، واقسم أن لا يفر حتى تفر القبة، فلما رأى الناس ذلك التفوا حوله وكلهم عزائم لا تخشى الباس ، ولا ترى فى الموت مخافة .

الاعداد للموقعة

ان اقسى ما يلاقيه الانسان فى الصحراء هو العطش ، ولهذا فان حنظلة بن ثعلبة قال لقومه : عليكم بالتزوّد من الماء ، بحيث يكون ما معكم يكفى لعدة أيام . ففعلوا ما قال ، فكان ذلك مما ساعد على ثباتهم ، ووقوفهم فى وجه أعدائهم الذين لم يعملوا للماء حسابا ، ظنا منهم ان العرب الذين يقاتلونهم من القلة والضعف بحيث يفرون عند اول لقاء .

بشـائر النصر

وكانت فى صف جيوش كسرى قبيلة اياد ، مع اياس بن قبيصة ، فارسلوا رسولا الى بكر سرا يقولون لهم : اى الأمرين احب اليكم ، ان نترك الفرس ومن معهم ونتسلل بالليل ولا نحارب معهم، او ان نبقى معهم حتى اذا التقى الجمعان اظهرنا الهزيمة والفرار ؟ فكان جواب بنى بكر لهم أن يبقوا ، حتى اذا تلاقوا انهزموا ، ليكون ذلك ادعى لاضعاف جيوش كسرى .

وكمين أيضا

ومن قبيلة السكون كان يزيد بن حمار السكونى حليفا لبنى شيبان ، من بكر بن وائل ، فقال لهم : اطيعونى وضعوا كمينا لجيوش الاعداء يفاجئهم على حين غرة . فوافقوه على ذلك ، وجعلوه هو على راس هذا الكمين ، ونفذ الأمر ، وكمن فى مكان من « ذى قار » صار فيما بعد يسمى « الخَبِىء » .

اناشيد الحرب

وجعلت النساء تحرض رجالها على القتال ، برجز يثير الهمم ، كما أخذ الرجال يرتجزون بما يلهب المشاعر ، قال حنظلة بن ثعلبة :

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا
أجدر يوم أن تفلّوا الفرسا

وكان مما قاله حنظلة ايضا :

قد جدّ أشياعكم فجدّوا
قد جعلت أخبار قومى تبدو
أن المنايا ليس منها بدّ
تفنى قد تكم وأبى والجدّ

اما ابن حنظلة بن ثعلبة بن سيّار ، واسمه يزيد بن حنظلة فقد قال :

من فرّ منكم فرّ عن حريمه
وجاره وفرّ عن نديمه

ومن النساء من تقول :

ويها بنى شيبان صفّا بعد صفّ

ومنهن من تقول :

ايه فدى أبى لكم بنى عجل

وحميت العزائم ، وصار كل فرد يتمنى اللقاء ولا يهاب الموت ، وبخاصة بعد ان قطع حنظلة بن ثعلبة بن سيار احزمة الهوادج ، وبدأ بابنته « مارية » وهى ام عشرة نفر فقطع حزام هودجها فنزلت على الارض . حينئذ قطع سبعمائة رجل من بنى شيبان أكمامهم من ناحية مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف .

اول النصر

وبرز قائد من قادة الفرس ، كان معجبا بنفسه وبفروسيته ، واسمه « الهَامَرْز » ونادى بالفارسية قائلا « مَرْد مَرْد » يريد ان يقول رَجل لرجل . فقال « يَزْد بن حارثة اليشكرى » او « يزيد بن حارثة » : ما يقول هذا الرجل ؟ قالوا : انه يدعو الى البراز ، رجل ورجل ، فقال ابن حارثة اليشكرى: أقسم انه لقد أنصف، وانا الذى سابارزه ، وحمل عليه ابن حارثة وجال معه جولة ، ثم اسفرت المعركة عن انتصار ابن حارثة وقتله للهامرز .

الاشتباك

والتحم الجيشان ، وكان جيش كسرى يرمى بالنشاب على بُعْد ، فنادى حنظلة بن ثعلبة وهو زعيم القوم : يا قوم لا تقفوا لهم فيصيبكم نشابهم ، ولكن التحموا بهم . وحمل بميسرته على ميمنة الجيش الفارسى . وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسْهِر على ميسرة الجيش الذى كان يقوده « خُنَابزِين » وخرج عليهم الكمين من الخبىء من وراء الفرس، فهجموا علىقلبالجيش. ونفذت قبيلة اياد ما وعدت به ، فولت مظهرة الهزيمة فى وقت الظهيرة ، فى يوم قائظ شديد حَرّه . فكان لكلّ هذا اثره فى ضعضعة جيوش كسرى ، والقاء الذعر فى نفوسهم ، على رغم كثرتهم وما عليهم من عُدَد وسلاح .

محمد يا منصور

ولم تنس قبيلة بكر بن وائل ، ان تتفق على شعار تنادى به ، حتى يدوّى فى ارجاء « ذى قار » وليعرف كل امرىء من هذا النداء انه من قبيله وليس من عدوّه . وكانت دعوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام قد ظهرت فى جزيرة العرب . وانتصاراته قد تسامعت بها القبائل . فالهم الله قبيلة بكر بن وائل ان تجعل شعارها فى موقعتها فى « ذى قار » ان يقول كل فرد وهو يضرب فى الأعداء « يا محمد يا منصور » ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى ذلك اليوم انتصفت العرب من العجم وبى نُصِروا » .

النصر الساحق

وانجلى الموقف عن النصر الساحق للعرب ، والهزيمة الماحقة للفرس ، فلا عجب ان يتغنى الشعراء بهذا اليوم وان يُعَدّ من المفاخر فى التاريخ ، قال العُدَيل بن الفرخ العجلى :

الاَ اصطلينا وكُنّا مُوقدى النار
ما اَوقد الناسُ من نارٍ لِمَكرمة
وما يَعُدّون من يومٍ سَمِعْتَ به
للناس افضل من يومٍ بذى قار
جئنا بأسلابهم والخيلُ عابسةٌ
يومَ استلبنا لكسرَى كلّ اسوَارِ

الاسوار هو القائد من قادة الفرس . وقال الأعشى قصيدة يمدح بنى شيبان : نقتبس منها :

فِدًى لبنى ذُهْلِ بن شيبانَ ناقتى
وراكبُها يوم اللقاء وقلّتِ
هُمُ ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قُراقِرٍ
مُقدّمةَ « الهامَرْز » حتى تولّتِ
فثارُوا وثُرنا والمنيّة بيننا
وهاجتْ علينا غَمْرةٌ فتجلّتِ
كفَوْا اذ اتى «الهامَرْز» تخفق فوقه
كظلّ العقاب اذ هوتْ فتدلّتِ
واَحمَوْا احمَى ما يمنعون فاصبحت
لنا ظُعُنٌ كانتْ وقوفاً فحلّتِ

يشير الى ما فعله حنظلة بهوادج النساء وقطع الاحزمة منعا من هرب الرجال ليدافعوا عن النساء .

اذاقوهمُ كأسا من الموت مُرّةً
وقد بذَخَتْ فرسانهم واَدَلّتِ

يشير الى بذخ الفرس اى تكبرهم وعلوهم . والى ادلالهم اى ترفعهم وتيههم .

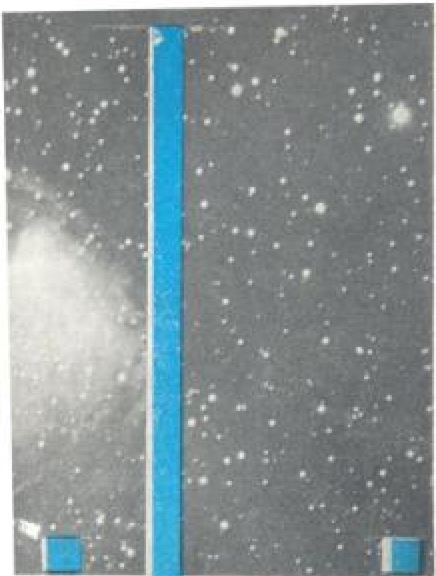
فجادَتْ على «الهامَرْز» وسْطَ بيوتهم
شآبيبُ موتٍ اَسْبَلَتْ واستهلّتِ
تناهَتْ بنو الأحرار اذ صَبَرتْ لهم
فوارسُ من شيبان غُلْبٌ فولّتِ

وفى الاسلام ايضا افتخر ابو النجم العجلى بموقف قومه فى ذى قار فقال :

نحن ابتَحْنا رايةَ للمُختار
يومَ استلبْنا رايةَ الجبّار
باسفلِ البطحاء من ذى قار

عبد الستار احمد فراج

في سبيل
موسوعة
علمية



الانسان

كيف قاس مكانه ؟

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ مسكين هذا الانسان .

ومع مسكنته ما أحيله !

وُجد على الأرض عاريا من كل شيء . عاريا جسما ، وعاريا عقلا . وأمامه الحياة مبهمة المسالك . وكان عليه أن يكشف مسالكها مسلكا مسلكا . وعلى السنين ، بل على القرون ، اخذ يعرف ، ويتفقه ، ويُعمل عقله حينا ، وحيلته حينا ، وتقف دونه الحواجز تمنعه الخطى ، فيدور حول العوائق ، عائقا من بعد عائق .

وهو فى كل هذا يعتمد على الطبيعة التي هو فيها .

كيف قاس الانسان مكانه ؟

والانسان يعيش فى المكان ، فهو يريد ان يعرف البعيد منه و الدانى ، وأن ينقل الى غيره هذه المعانى . وهو يعيش بين الشجر والطير ، والأشياء من احياء وغير احياء ، وهذه تعطيه معنى الصغر ومعنى الكبر ، فهو يريد ان يعبّر وأن ينقل .



بلغ الانسان فى قياس مكانه وزمانه الى أجزاء من الصغر ، فاتت قدرته على تصورها ، والى اشياء من الكبر ، عجز خياله عن استيعابها . وفى عجز عينه عن ادراك الصغير ، وفى عجز تصوره عن استيعاب الكبير ، راح يتفرغ وعيه لادراك حاجات العيش وهى تقع من الأمور فى أواسطها .

وكيف قاس زمانه ؟

انه يحتاج الى القياس .

وهو لم يكن عنده علم هو عندنا اليوم، فيقوم يرد هذه الابعاد فى المكان ، وهذا التفاوت فى الصغر والكبر ، الى اشياء فى الحياة ثابتة .

وكأني بالانسان لم يجد فى الحياة، من حيث القياس ، اثبت من جسمه .

عند قدماء المصريين

فقدماء المصريين قاسوا الاشياء بالاصبع ، وعنوا به عرضه . وسماه الافرنج من بعد ذلك Digit ، وهو عندهم الرقم من ١ الى ٩ ، او هو عندهم الاصبع .

والأربع الأصابع التى فى اليد، غير الابهام، انت تبسطها، فيكون عرضها عرض الكف. فهذا هو القياس الاكبر ، الكف ، الذى اتخذه قدماء المصريين بعد الاصبع .

وضموا سبع أكف من هذه ، بعضها الى بعض، فكان الذراع ، وهو فى الرجل من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى . ولا يزال الذراع شائع الاستعمال فى بعض مناطق الشرق وبعض البلاد العربية الى يومنا هذا .

الفرسخ والميل

وتسمع ، عن الفرسخ عند العرب ، وتنظره فى المعجم ، فتجد انه ثلاثة أميال هاشمية ، وقيل اثنى عشر الف ذراع ، اى نحو ثمانية كيلو مترات .

والكلمة اصلها فارسي . وتسأل عن الميل الهاشمي فتعلم انه الف باع . وتسأل عن الباع فتعلم انه قدر مد اليدين ، فهو مقياس كسائر المقاييس

ترَدُّ الى الطبيعة ، واجسام الناس من الطبيعة .

وتسال عن الميل عامة عند العرب فتعلم انه قدر منتهى مد البصر من الأرض ، او هو اربعة آلاف ذراع .

وهي كلها ، واساسها الذراع ، ليس لها حظ من الضبط كبير .

وتسال عن المسافة بين بلد وبلد ، فيقال لك انها مسيرة عشرة ايام بلياليها ، اى بالنياق . وليست النياق بثابتة السرعة ، ولا ساعات عملها فى ليل او نهار بواحدة .

ولعل هذا القدر من التعبير عن القياس كان فى القديم من الزمان كافيا لسائر الناس وسائر حاجات العيش .

البوصة والقدم

وعند الانجليز ، وعند الأمريكان ، توجد البوصة Inch وتوجد القدم . وكلتاها ترَدُّ الى اشياء هذه الطبيعة .

اما البوصة فهى عرض الابهام .

واما القدم فهى طول القدم عند الانسان .

وتأتى عندهم الياردة بعد ذلك ، وهى مسافة ما بين طرف الأنف وطرف الذراع عند امتداده .

المتـر واجزاؤه ومضاعفاته

والمتر هو المقياس الشائع اليوم فى اكثر الامم .

وهو حديث العهد . ففرنسا كانت اول من اتخذه مقياسا ، وذلك فى عام ١٧٩٥ وقد انتهت الثورة الفرنسية ولم تكد .

وهو كسائر المقاييس مردها الى الطبيعة .

والطبيعة هنا هى الارض .

فالدائرة التى ترسم حول الأرض مارة بالقطب الشمالي والجنوبي ، وعمودية على خط الاستواء ، تسمى بدائرة خط انطول Meridian . وقدَّروا طول ربع هذه الدائرة ، وهو الذى يصل بين القطب وخط الاستواء ، وقسموه الى عشرة ملايين جزء . فهذا الجزء هو المتر .

ولما كان لا بد من مقياس ملموس محسوس للمتر تتفق الامم عليه ، فقد اتفقوا على طول المتر المحفوظ فى قبو فى باريس ، وهو عبارة عن قضيب من البلاتين ، عليه خدشان يتحدد بينهما طول المتر . وهو فى درجة من الحرارة ثابتة فلا يزيد طوله ولا ينقص .

فمن الطبيعة المطبوعة ، انتقل الانسان فى القياس الى المقاييس المصنوعة ، معايير متفقاً عليها .

ومن الاطوال ، الى المساحات والأحجام

ومن المتر الطولى ، الى المتر المساحى ، وهو المتر المربع . ثم الى المتر الحجمى ، وهو المتر المكعب .

اجزاء المتر ، نزولا فى المقادير

ويراعى ان المتر قريب من الياردة ، والظاهر ان كليهما من الطول بحيث يتفق وحاجات الناس . فطول الانسان بين المتر والمترين ، والياردة والياردتين ، وكذلك ملابسه . وكذا المساكن ، فالحجرة خمسة امتار فى اربعة ، او هى ياردات . وارتفاع الاسقف ثلاثة امتار ونصف او هى اربعة ، او هى ياردات .

ويفتقد تاجر القماش المتر الخشبى فيروح يقيس بما بين ارنبة انفه وامتداد ذراعه . ورب البيت قد يقيس طول حجرة بالخطو يخطوه ، وهو قريب من المتر والياردة .

ولكن الناس فى حاجة الى ما هو اصغر ، فوجب تقسيم المتر . فالتجأوا الى الطبيعة مرة اخرى يستوحونها . انها اليد وبها خمس اصابع . وفى اليدين عشرة . فاتخذوا من العشرة عددا يقسمون المتر وغير المتر اليه . فكان من ذلك دِسى المتر (اى عشر المتر) ، ثم سنتى المتر (اى جزء من المائة من

المتر) ثم ملى المتر (اى جزء من الف من المتر) .

ووقفت عند ذلك حاجة الناس حينا .

البكتير

ثم ظهرت اشياء فى حياة الناس ، وفى العلم ، من الضآلة ، بحيث لم يف الملى متر بقياسها .

من ذلك الكائن العضوى المسمى بالبكتير Bacteria . فاستدعى قياسه مقياسا اصغر ، فكان المكرون Micron وهو جزء من الف من الملى متر .

ومن البكتير ما يصل طوله الى نصف مكرون ، ولكن منه ما يصل قطره الى مكرونين وطوله الى ٢٠٠ مكرون ، وهذا نادر .

واصغر من البكتير الفيروس Virus بوجه عام . والفيروس يعده العلماء اصغر الأحياء .

الضوء

وحتى المكرون لم يف بحاجات اصغر ، من امثلتها قياس موجات الضوء ، ولنضرب مثلا بامواج الوان الطيف :

الضوء	طول موجته
منتصف اللون الاحمر	٠ر٧١٠ مكرون
منتصف اللون البرتقالي	٠ر٦٢٠ مكرون
منتصف اللون الأصفر	٠ر٥٧٠ مكرون
منتصف اللون الاخضر	٠ر٥٢٠ مكرون
منتصف اللون الازرق	٠ر٤٧٠ مكرون
منتصف اللون البنفسجي	٠ر٤١٠ مكرون

(المكرون جزء من الف من الملى متر)

واذ قد عبّرنا عن طول الموجة بالمكرون ، فقد خرج العدد كسرا . واستخدام الكسور فى العلم ثقيل . لهذا ابتدعوا وحدة جديدة هى ملى المكرون Millimicron ، وهى جزء من الف الف من الملى متر .

واذن تصبح الاعداد القائمة هى ٧١٠ و ٦٢٠ و ٥٧٠ و ٥٢٠ و ٤٧٠ و ٤١٠ ملى مكرون ، وهى اطوال متوسط موجات هذه الالوان من الوان الطيف .

ما وراء الضوء المرئي

فاذا ذهبنا الى ما وراء الضوء المرئي ، الى الاشعاع الذى لا يُرى ، كالأشعة السينية X-Rays ، واشعة جاما Gamma Rays ، وجدنا الحاجة ماسة لقياس موجاتها الاقصر الى وحدة اصغر .

فكانت هذه الوحدة هى الانج شتروم Angstrom نسبة الى العالم السويدى الذى ابتدعها ، وهى اصغر عشر مرات فقط من الوحدة الماضية ، اى من الملى مكرون . او هى جزء من ١٠ مليون من الملى متر !!

حتى ذرات العناصر تقاس

ومن الطريف هنا هو استخدام هذه الوحدات المتناهية الصغر فى قياس ذرات العناصر وجزيئات العناصر والمركبات .

ومثال ذلك : قطر ذرة الأدروجين ، وهى اصغر ذرات عنصر ، وجدوا انه يبلغ نحو ٣ر١ انجشتروم .

وقطر ذرة النتروجين ، وجدوا انه يبلغ نحو ٨ر١ انجشتروم . ونحو ذلك قطر الاكسجين .

وجزىء الماء ، لو انه كان مكورا ، اكان قطره نحو ٧ر١ من الانجشتروم ،

ومعنى هذا ان الذرات ، وجزيئات المركبات التى تتألف من ذرات قليلة ، صغيرة بحيث لا يمكن ان تكشف عن وجودها ، لا المكرسكوبات الضوئية الزجاجية العادية ، ولا المكرسكوبات الالكترونية ، مع ان هذه الأخيرة تكبر الاشياء مائة الف مرة .

ان القطعة الصغيرة من المادة التى يستطيع المجهر الزجاجى الضوئي المعروف كشفها لاعيننا لا بد ان تبلغ من الكبر بحيث تحتوى على الف مليون ذرة او فوق ذلك عددا .

حقائق مبسطة ، ولكنها معجزة

هكذا نتحدث فى العلم عن المادة بل المواد التى نعيش فيها وتعيش بها . وننزل فى قياسها الى وحدات ، نحن نصنعها ، من المتر الى الملى متر ، الى مليون جزء من الملى متر ، الى عشرة ملايين جزء من الملى المتر .

ونحن نستطيع ان نتصور المتر، والملى متر ، وعشر الملى . ثم بعد ذلك يأخذ التصور يعجز ، فيقوم العلم يبدل من العجز قدرة ، ومن الضيق فسحة ، ومن الدنيوات الصغيرة الضئيلة دنيوات عظيمة، بما يبتدعه من آلات تكبّر الصغير وتضخم الضئيل .

وكان الله قادرا ان يجعل من عيون البشر مجاهر ترى الى حدود هذا الصغر، ومن خيال الانسان قدرة تلم باطراف هذا العماء . ولكن شاء الله غير ذلك . واعطاه بدل ذلك العقل ، واعطاه الحيلة، فاخذ يكشف عن تلك الاشياء الصغيرة التى خرجت عن دنياه ، فاحلها من دنياه محل الواثق بها . فالعالم اذا قال ان ذرة الادروجين قطرها كذا عشر مليون ملى متر ، فهو فى الوثوق فيما يقول كالجغرافى حين يقول ان نهر كذا طوله كذا الفا من الكيلو مترات ، او كالفلكى حين يقول ان القمر يبعد عن الارض نحوا من ٢٤٠٠٠٠ ميل .

ونعود نقول ان الله كان قادرا ان يجعل من عيون البشر آلات احدّ بصرا، واذهب عمقا . ولكن ظنى انه لو فعل ذلك لوقع الانسان بسبب هذا الابصار العميق فى حيص بيص ، وللفتَته من دقائق المادة الفُ شيء وشيء مما لا حاجة الى الوعى به فى كل خطوة من خطوات الحياة . ان عين الانسان فيها من البصر القدر الذى يفى بحاجات الحياة ومطالب العيش ولا يبلبلها . او ان شئت قلت ان عين الانسان فيها من قصور الابصار، ولا اقول العمى ، ما يحجب عن الانسان تطفل الاشياء ، وهى الوف ، على وعيه، فى حين لا حاجةَ به اليها .

ومن المقاييس الصغيرة ، الى المقاييس الكبيرة

ومن المتر نصعد الى الامتار العشرة ، فالمائة ، فالالف ، فهذه هى الكيلو متر .

او نصعد من الياردة الى الميل وهو ١٧٦٠ ياردة ، او هو ١٦٠٩٫٣٥ من الامتار ، فهو اكثر من كيلو متر ونصف. والميل لفظ فرنسى ، او هو لاتينى قديم Mille ، ومعناه الالف . وقد عنوا به الف خطوة .

وقالوا عشرة اميال ، ومائة ميل ، والف ميل .

وقدروا محيط الارض فكان نحو ٢٤٠٠٠ ميل .

وكان فى هذا البعد كفاية لقضاء حاجات اهل الارض . ولكن ما لبث ان خرج الانسان عن الارض يقدّر ابعاد السماء . فكان بعد القمر عن الارض نحوا من ٢٤٠٠٠٠ ميل ، وبعد الشمس عن الارض نحو ٩٣ الف الف ميل ، اى ٩٣ مليون .

والشمس اقرب نجم الينا ، ولهذا لا تظهر لنا نقطة بيضاء فى الليل كما تظهر النجوم .

فاذا ذهبنا من نجوم السماء الى ما هو ابعد ، زادت ارقام هذه الابعاد . فاذا وصلنا الى الف مليون، سمى الفرنسيون والامريكان هذا الرقم بليون Billion . اما الانجليز والالمان فالبليون عندهم هو مليون مليون .

على ان هذا الرقم يتضاءل ولا يفى بالقياس عندما يمضى الانسان بين النجوم يقيس ابعادها فى اغوار السماء ، اذن وجب ان يكون عنده وحدةٌ للقياس اعظم، فكانت السنة الضوئية .

والسنة الضوئية هى اسم لمسافة عظيمة نتخذها وحدة للقياس عندما نتحدث عن النجوم ، وهى المسافة التى

يقطعها الضوء في سنة كاملة . والضوء يقطع ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية الواحدة، فهو يقطع في السنة على التقريب ٦ مليون مليون ميل ٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ، او يقطع بالقياس المترى ٩٤٦١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كيلو متر .

وهي ارقام بعيدة عن التصور الانساني المألوف . والى هنا ينتهي القياس او تنتهي وحداته الكبرى ، فهذا الكون هو اوسع شيء في دنيانا . ولكن ابعاده تتعاظم فترة من بعد فترة من الزمان حتى ما يكاد الانسان يثق بأنه سوف يصل يوما منه الى نهاية يقف عندها القياس .

وقد حسبوا المسافة بين الأرض وابعد مجرة راتها اكبر تلسكوب معروفة فوجدوا انها تبعد بمقدار الفى مليون سنة ضوئية .

كيف قاس الانسان زمانه ؟

فهذا ما كان من الانسان عندما اراد ان يقيس مكانه ، وما به من ابعاد ، تتحدد بها اشياء واشياء .

انه بدأ فاعتمد على الطبيعة ، وما بها من ثوابت . فمراجع الاقيسة لا بد ان تكون ثوابت .

وهو كذلك اعتمد على الطبيعة في قياس زمانه . نظر في الطبيعة التي يعيش في احضانها فوجدها حاضرة تلبي مطلبه .

وجد الشمس تشرق ، فسمي الزمن بين الشروق والشروق يوما ، وخال ان اليوم زمن ثابت ، فاتخذه لقياس الزمن مرجعا

ووجد الشمس تغير مواضعها من السماء ، ثم تعود الى تكرار . واتفق هذا معما لاحظه الانسان من دورة يحس فيها البرد ثم يحس الحر ، ويحس فيها بطول النهار وقصر الليل ، ثم بقصر النهار وطول الليل ، ثم هي تعود بكل ذلك الى تكرار. فهذه اعطته معنى العام. وزاد في معنى العام ان من النجوم ما كان يشرق من مثل سابق اشراقه فكان بين الاشراقتين العام . وحسبوا فكان العام عندهم ٣٦٠ يوما . وكانت الدائرة ٣٦٠ درجة .

وانتقل الانسان من العام الى القرن ، فالألف عام ، فألف الألف ، ولعله وقف عند الأربعة او الخمسة الاف مليون عام باعتبار انها عمر ارضنا هذه ، والخلائق التي عليها .

وجاءت اللغة تتم ما وقف عنده الحساب، فقالت الأزل، وهو اول الدهر ان كان له اول ، وقالت الأبد وهو آخر الدهر ان كان له آخر .

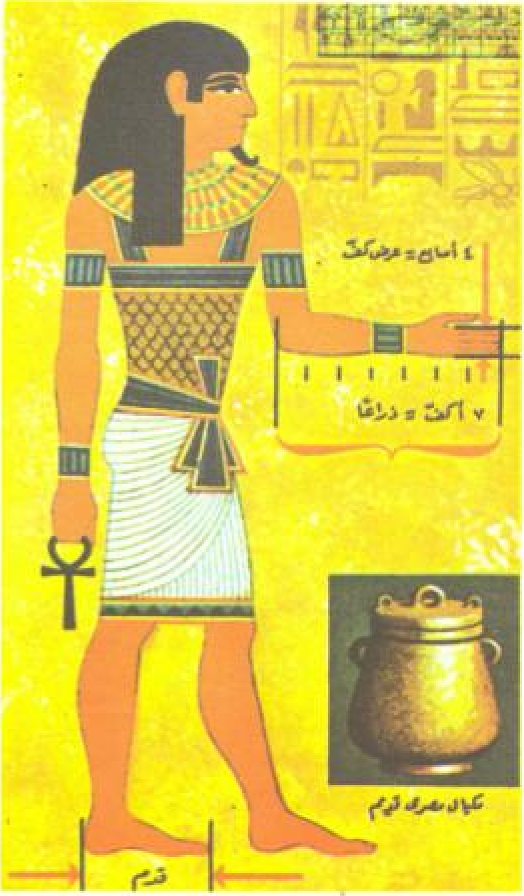
ومن اليوم هبط الانسان الى الساعة من الزمان ، فتألف اليوم من ٢٤ ساعة. وتالفت الساعة من ٦٠ دقيقة ، والدقيقة من ستين ثانية .

وكما هبط العلماء بمقادير المكان الى اجزاء من عشرة ملايين من الملى متر ، هبطوا في حساب الزمن الى اجزاء من ملايين الثانية .

الظهر
وخط الزوال

كل من درس علم الجغرافيا عرف ما خطوط الطول وخطوط العرض . وخطوط الطول هي الخطوط المرسومة توهما بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي ، وهي انصاف دوائر . وهي تتقاطع مع خط الاستواء في ٣٦٠ نقطة ، فانقسم خط الاستواء الى ٣٦٠ درجة كما تنقسم الدوائر ، وصار عدد خطوط الطول ذات العدد الصحيح ٣٦٠ خطا ، تبدأ بخط الصفر قاطعا لبلدة جرينتش Greenich قرب لندن ، ثم تليه الخطوط شرقا فيكون منها خط طول ١٠ ويقطع تونس ، وخط طول ٢٠ ويقطع بنغازى ، وخط طول ٣٠ ويقطع الاسكندرية وهلم جرا .

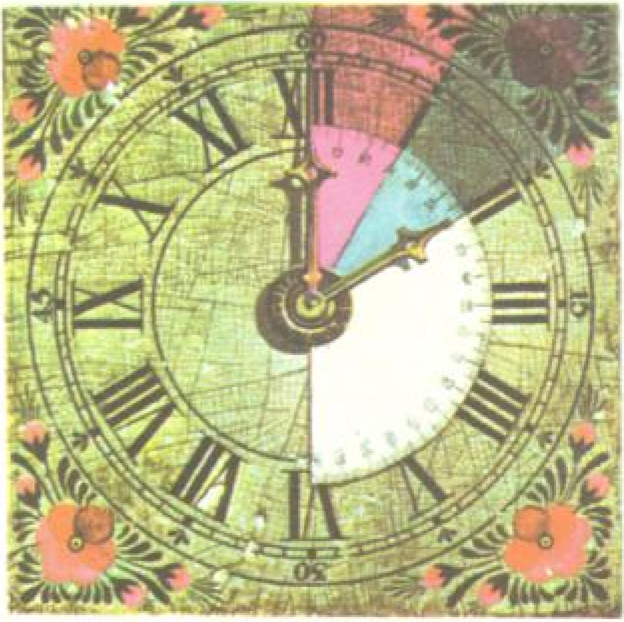
وهذه الدائرة ، التي هي خط الطول ، هي ايضا خط الزوال او هي



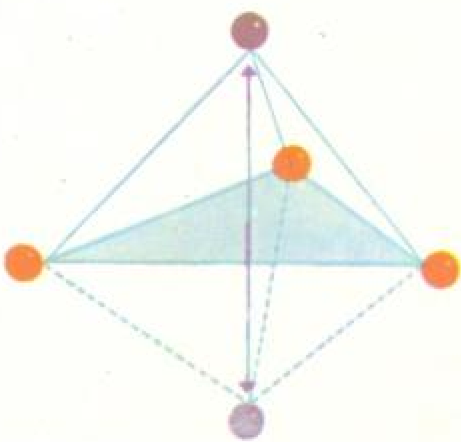
الرجل المصرى القديم اتخذ من جسمه مقاييس الاطوال والاعراض
فاربع اصابع = كفا
ستة اكف = ذراعا
والقدم = قدما

تحت : في الصورة الاجرام الطبيعية التى اعتمدنا على حركاتها المنتظمة في تقدير زماننا .
فالأرض تدور حول الشمس دورة كاملة ، فهذه هي السنة .
والقمر يدور حول الأرض دورة كاملة ، فهذا هو الشهر .
والأرض تدور على محورها دورة كاملة ، فهذا هو اليوم .





اعتمدنا في قياس الزمان على اشياء تدور : الشمس ، الارض ، القمر ، فلما جئنا نصنع الساعة ، اعتمدنا على عقارب تدور . والدورة الواحدة ٣٦٠ درجة ، فهكذا ظهر ان السنة ٣٦٠ يوما ودار عقرب الدقائق فجعلناه يقطع ٦ درجات فيما اسميناه بالدقيقة ودار عقرب الساعات ، فجعلناه يقطع ٣٠ درجة فيما اسميناه بالساعة . واذن فاليوم ٢٤ ساعة .



وجاءت في آخر المطاف ادق الساعات جميعا ، الساعة الذرية . وهي تعتمد على تردد نواة ذرة النتروجين بين

موضعين اثنين من الكترونات الذرة الثلاثة . وفي الصورة رسم ايضاحي لهذين الموضعين .

دائرته . ولكل موضع من مواضع الأرض خط زواله .

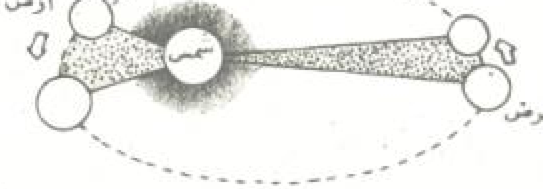
والظهر هو النقطةمن الزمان التي فيها تعبر الشمس خط الزوال لكل موضع في الأرض . ومعنى هذا ، ان كل موضع في الأرض له ظهره ، الا ان تقع مواضع على خط زوال واحد ، فظهرها واحد .

والزمن يختلف من موضع لموضع باختلاف خط الطول ، فاذا قسمنا عدد دقائق اليوم الواحد ، وهي ٢٤ × ٦٠ = ١٤٤٠ دقيقة ، على ٣٦٠ درجة ، وهي الحزام الذي يجمع ٣٦٠ خط طول ، لكان الناتج ٤ دقائق ، وهي الفرق في الزمن من بلد في خط طول ما ، وآخر في خط طول آخر يزيد عليه واحدا او ينقص واحدا .

فاذا كان الوقت في الاسكندرية ظهرا، كان الوقت في لندن قبل الظهر بمقدار ٣٠ (خط الطول) × ٤ دقائق = ١٢٠ دقيقة ، اي ساعتين .

وقت واحد في الدولة الواحدة رغم الطبيعة

ومعنى هذا انه في الدولة الواحدة يكون لكل بلد خط زواله الخاص، ووقته الخاص به . والدولة التي تحكم مدنا عديدة لا بد ان توحد بين اوقات هذه المدن حتى تجرى ساعاتها جميعا على قراءة واحدة . فصح مثلا ان يتخذوا من زمن العاصمة ، او زمن خط الطول الذى يتوسط الدولة ، الزمن الذى تحتذيه كل ساعات البلاد .



الارض ، في اقترابها من الشمس ، تزيد في سرعة جريانها

ولقد حدث مرة ، منذ اعوام كثيرة ، اني كنت في الاسكندرية زائرا ، وذهبت للافطار في رمضان في مطعم من مطاعمها. وجلس الصائمون الى الموائد . وسمعت دقة المدفع فبدأت طعامي ، ولكن لم يتحرك احد من القوم لطعام . ثم أدركني مدرك ، قال : ان المدفع الذى سمعته هو مدفع القاهرة لا الاسكندرية ، ويبقي على افطار الاسكندرية نحو ٥ دقائق !!

يومنا ، ليس بطول واحد في العام ، اعتمادا على الشمس

ان الدقة في الوقت والتوقيت ضرورة كبرى في بعض الشئون ، ومنها شئون الناس والشئون العلمية خاصة .

والناس تحسب اليوم من شروق الشمس الى شروقها ، أو من غروب الشمس الى غروبها ، وتحسب ان هذه الفترة من الزمان ثابتة لا تتغير . وما هي بذلك .

ان دوران الأرض حول محورها من اثبت الأشياء في الطبيعة . ولكن الارض تقترب من الشمس بعض العام ، وتبتعد بعض العام . وهي في اقترابها تزيد من سرعة جريانها حول الشمس . وهي في ابتعادها تنقص من سرعة جريانها حول الشمس . وهذا بالطبع يؤثر في طول اليوم ، عند اقتراب وابتعاد .

ومن اسباب ذلك ان الشمس ، في جريانها من شرق الى غرب ، تصعد الى شمال الأرض ظاهرا ، ثم تهبط الى جنوبها . واذن كان الانسان في حاجة الى ما يسمى بمتوسط الطول اليومي . وعند علماء الفلك حساب ذلك .

النجوم ، مرجعا لتقدير الزمان

ولكن عند الفلكيين كذلك انهم يرجعون الى نجم ما في تقدير الزمن بدل الرجوع الى الشمس. ان النجوم اثبت . ودوران

الأرض حول محورها كذلك ثابت .

واذن فهم يحسبون اليوم من وقت ان يعبر نجم في موضع ما ، دائرة خط الزوال في هذا الموضع ، الى وقت ان يعود ليعبره مرة اخرى .

ويسمى هذا اليوم باليوم النجمي Sidereal Day ، وطوله ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة و ٤ ثوان .

ولا يمكن استخدام الزمن النجمي مباشرة في حياة الناس ، لأن عبور النجم لخط الزوال المذكور يتقدم في الوقوع ٤ دقائق في كل يوم .

انسان اليوم ، استخدم ساعات الجيب الصغيرة ، والساعات الكبيرة ، في قياس الزمان

وهو بها في حضارته الحاضرة اهتدى . وبلغ من دقة هذه الساعات اليوم ان منها ما لا يزيد الخطأ فيه عن جزء من مائة من الثانية في اليوم .

بدأ الانسان القديم يقيس زمانه من ظلال الشجر ، ومن ذلك ادرك اقتراب الظلام .

وجاءت المدنيات القديمة من مصرية ، ومن بين الرافدين ، ومن الاغريق والرومان . فابتدعوا عدة اشياء منها المزولة وساعة الماء ، وفي عصر النهضة صنع الانسان الساعات التي تديرها القوة الميكانيكية . وبعد خمسة قرون جاءت الساعة التي تديرها القوة الكهربائية .

كان لا بد في كل ساعة من مصدر للقوة يدير اجزاءها . ثم ضابط لترددها ، ذلك الذي كان يعطي للثواني والدقائق فتراتها .

وكان من مصادر القوى اول الأمر الثقل ذو الوزن ، وهو يعمل بقوة من جاذبية الأرض . وكان منها الزنبرك وكان يعمل بالذي فيه من توتر بسبب لفه وضم اجزائه . وهلم جرا .

وكان مصدر ضبط الفترات التي تحدد الثواني ، البندول ، ولأطواله فترات من الزمان معلومة لا يتعداها .

وكان من هذه المصادر عجلة الموازنة او رقاص الساعة Balance Wheel وهي تضبط الطاقة المبذولة للحركة فلا تزيد فوق ما يجب .

الخطير في كل هذا ، هو ان هذه الساعات فاقت في ثباتها ، ومن حيث ادائها ، ساعات الطبيعة ، ولو ان الانسان انما صنعها بناء على قواعد الطبيعة ، وهو حين يضبط زمانها انما يردها الى الزمان الذي تنطق به الطبيعة ، وبانبائنا عبر ألسنة العلماء ، علماء الفلك .

الساعة الذرية

وتأتي آخر المطاف الساعة الذرية .

ونعرف منها الساعة الذرية النشادرية .

وضبط الزمن بالارض يعتمد على ثبوت دورانها حول محورها .

وضبط الزمن بالشمس يعتمد على ثبوت دورانها الظاهر حول الأرض .

وكذا ضبط الزمن بالنجم .

وضبط الزمن في الذرات يعتمد على شيء اوغل في الطبيعة واعمق في اسرارها ، ذلك الذبذبات التي تجرى فيها ، في هذه الذرات .

والذبذبة التي تجرى في جزيء النشادر ، وهو يتألف من ذرة ازوت مرتبطة بثلاث ذرات من الادروجين ، هي أثبت في الزمن من ثبوت ارض او شمس او قمر او نجم . وهي تبلغ ٢٣٨٧٠ مليون ذبذبة في الثانية !!

نعم هي هكذا . وعند هذا الحد نقف ، وقد بلغنا من معاني الزمان حداً من الصغر يعجز عن تصوره خيال الانسان .

●●

احمد زكي





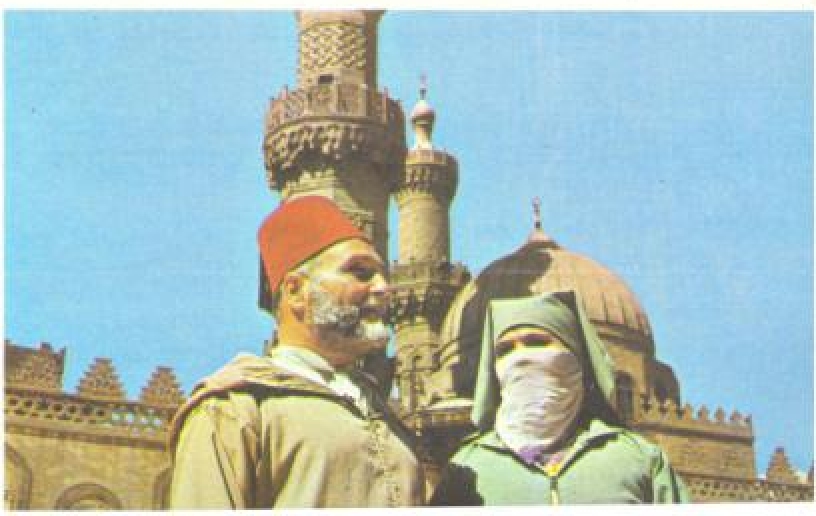
الأزهر

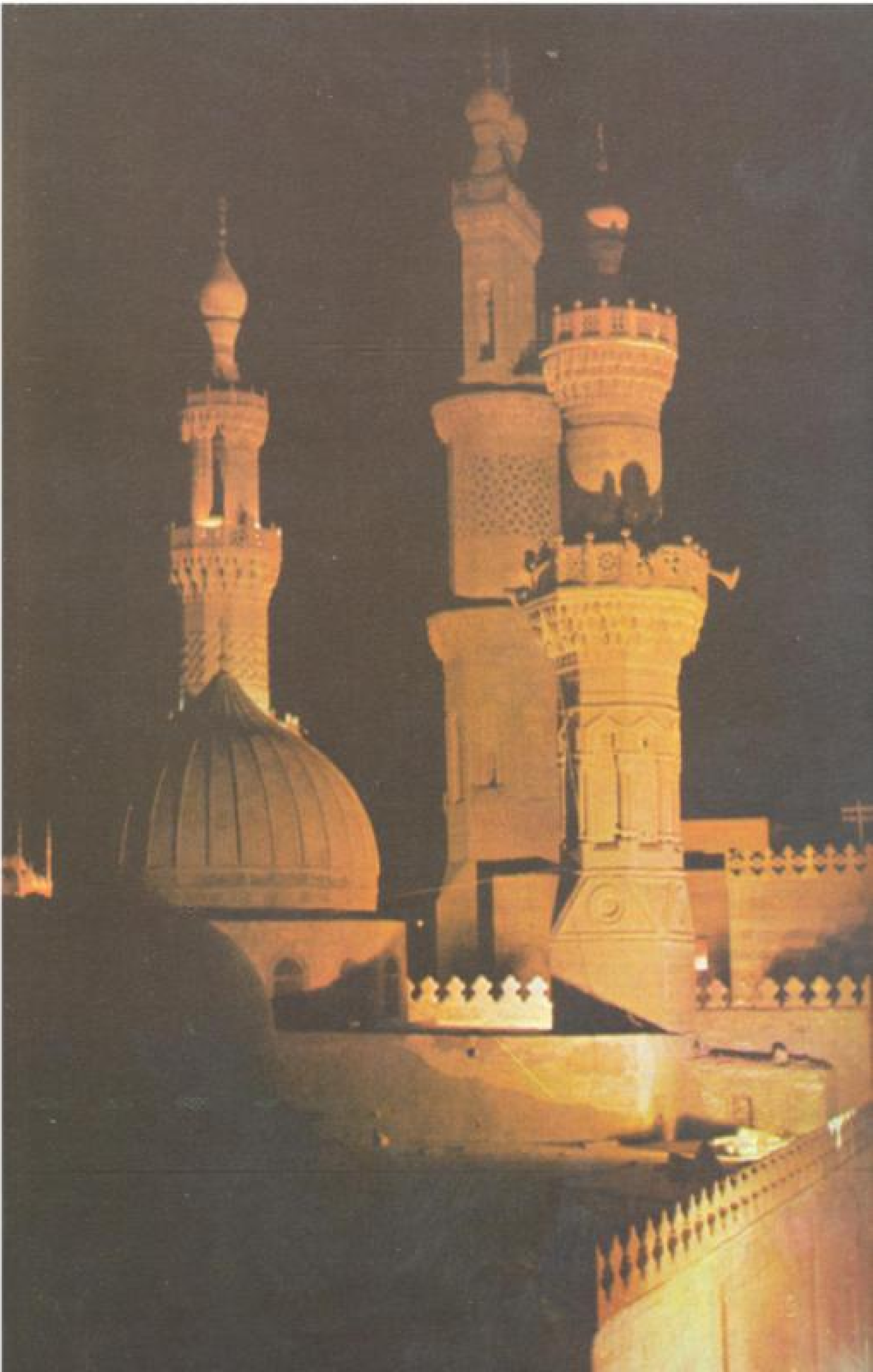
جامعة عمرها ألف عام

استطلاع بقلم
محمد طنطاوى

تصـــوير
عبد الناصر شقره

الى اليسار : صورة التقطت في ليلة من ليالى رمضان للجامع الأزهر الشريف ويظهر في الصورة الواجهة الغربية للجامع وتظهر فيها قبة ومنارة المدرسة الاقبغاوية ومنارة السلطان الغورى المزدوجة الرأس ومنارة قايتباى . **والى اسفل :** رجل مغربى وزوجته جاءا الى القاهرة في طريقهما لاداء فريضة الحج ، وكان أول مكان زاراه في القاهرة هو الجامع الأزهر .





● تدريس العلوم الدينية باللغة الانجليزية في بعض كليات جامعة الأزهر

● كلية للبنات تكتمل جامعة في عام ١٩٧٥

■ تاريخ القاهرة كله منذ انشائها حتى اليوم مرتبط بالازهر . فهو مسجدها الكبير ، وهو جامعتها العتيدة ، وهو جزء من مجدها ، وجزء من تاريخها .

ومصر ، والعالم الاسلامي كله ، مدينون للازهر في الفكر والعقيدة .. فهو اقدم الجامعات الاسلامية واعرقها . تطور من حلقات الدرس حيث كان الطلبة يلتفون حول اساتذتهم في صحن الجامع الكبير او اروقته ، الى المدرجات الحديثة والمعامل المجهزة بأحدث ما وصل اليه العلم . وتطور من حيث العلوم التى تدرس فيه ، واصبح الآن يجمع بين العلوم الدينية والتخصصات العلمية مثل الطب والهندسة والعلوم ، حيث انه لم يكن فيه قبل ذلك دراسات علمية في غير الفلك والطب .

هذا المسجد الجامع تخرج منه الآف والآف من رجال الدين في مصر والعالم الاسلامي كله . ادى رسالته ولايزال يؤديها ، طوال الف عام ، صارع الزمن ليبقى ، وصمد للغزاة ، وخرّج من بين اساتذته وطلابه زعماء وثوارا حملوا مشاعل الحرية ، وجاهدوا في سبيل دينهم وبلادهم .

كان صوته دائما يعلو على اصوات الظلم ، يدوى بالحق فيصم آذان الظالمين .

ويكفي هنا ان نورد فقرات من اقوال بعض علماء المسلمين وغير المسلمين عن الازهر ، لكي نستعيض بها عن كلمات نقولها نحن ..

يقول الدكتور بيير دودج P. Dodge في كتابه عن « الازهر » :

● « ان الازهر ظاهرة ظهرت مع الزمن شيئا فشيئا ، عشرة قرون قام فيها حارسا امينا على الدين الاسلامي وعلى اللغة العربية » .

وكتب الشيخ على طنطاوى من علماء سوريا :

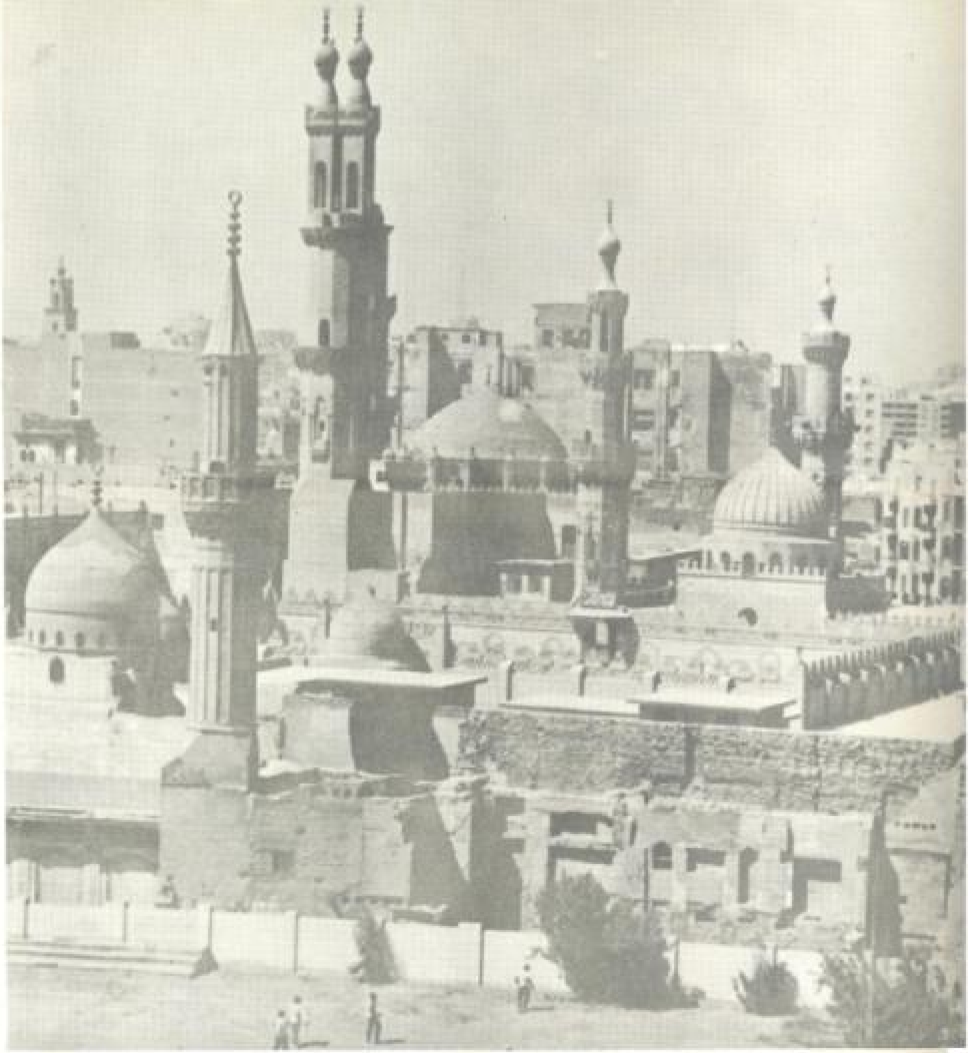
● « اولئكم علماء الازهر ، وهل في الدنيا معهد علم له قدم الازهر ، وعظمة الازهر ، واثر الازهر في الفكر البشرى وفي الحضارة الانسانية ؟

اى معهد يجر وراءه امجاد الف سنة ؟

فالازهر درة الدهر تكسرت على جدرانه امواج القرون وهو قائم .. »

وكتب الدكتور احمد زكي رئيس تحرير مجلة « العربي » :

● « اني ادعو كل مفكر ان يفكر في الازهر ، وكل كاتب ان يكتب في الازهر مدرسة الاسلام الكبرى ، ليتحقق للازهر ما يبتغيه وما يُبتغى له على ضوء من الفكر هاد ان شاء الله »



صورة تبين ٤ من مآذن الجامع الازهر ، ومن بينها المئذنة ذات الراس المزدوج والتى بناها السلطان الغورى . ويظهر في الصورة قباب مدارس الاقبغاوية ، والجوهرية وغيرها وكذلك صحن الجامع .

وكتب الاستاذ عباس محمود العقاد عن الازهر :

● « يكفي تاريخ كل فترة من حياة هذا المعهد الخالد للتعريف بوظيفته التي استقر عليها ، وبيان مكانته التي تبواها من الامة فى ايام خضوعها لسلطان الدخلاء الواغلين عليها . فقد تقرر بحكم العرف والتقليد وحكم العقيدة والسمعة انه صوت الامة الذى يسمعه الحاكم الدخيل من المحكومين . وانه ملاذ القوة الروحية فى نفوس ابناء الامة وفى نفوس الحاكمين الذين يدينون بعقيدتها .. »

وكتبت دائرة معارف كوليرز « Colliers » :

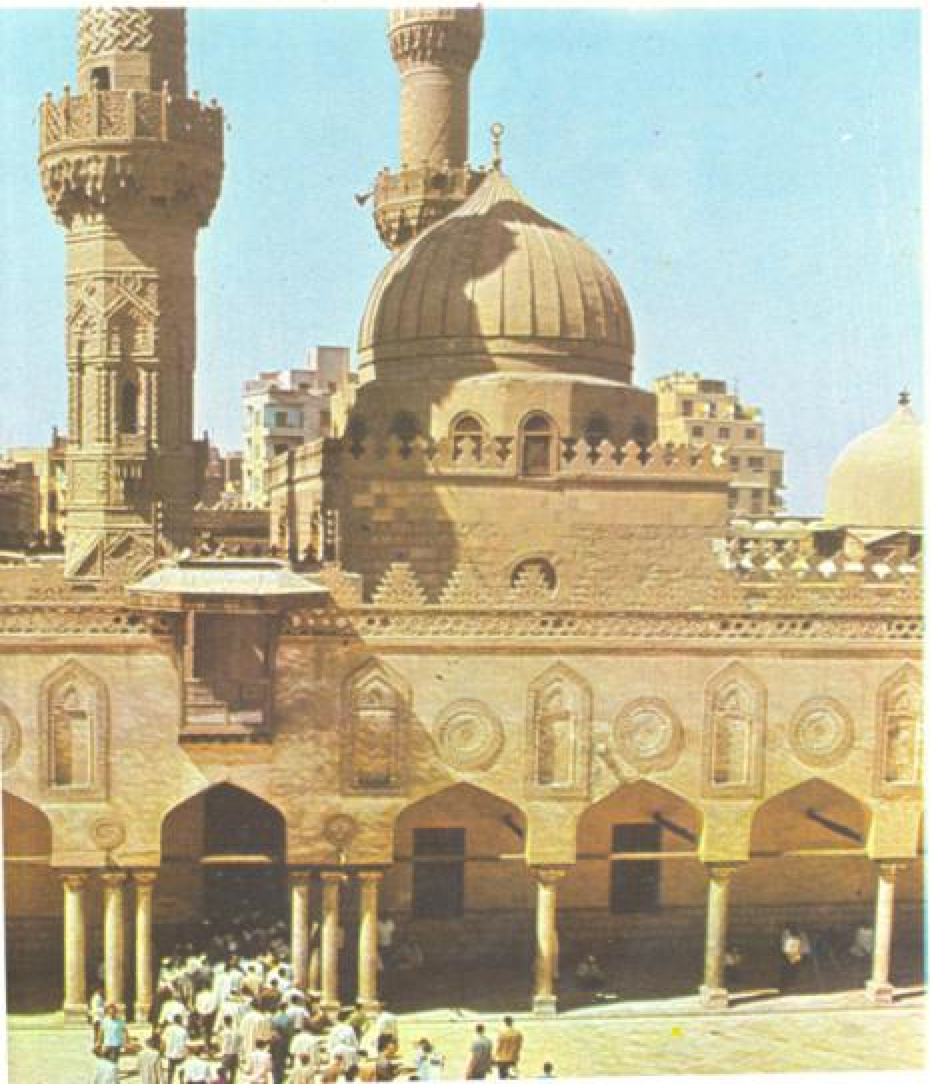
● ... ويفد الى الازهر الالوف من



الى اليسار : فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الدكتور محمد الفحام ، لقد تحدث الدكتور الفحام «للعربي» عن الدور الثقافي الكبير الذى يلعبه الازهر في العالم الاسلامي .

☆☆☆

الى اسفل : جموع المصلين تغادر صحن الجامع الازهر بعد صلاة الجمعة بينما ظهرت النقوش الجميلة على جدران صحن الجامع .

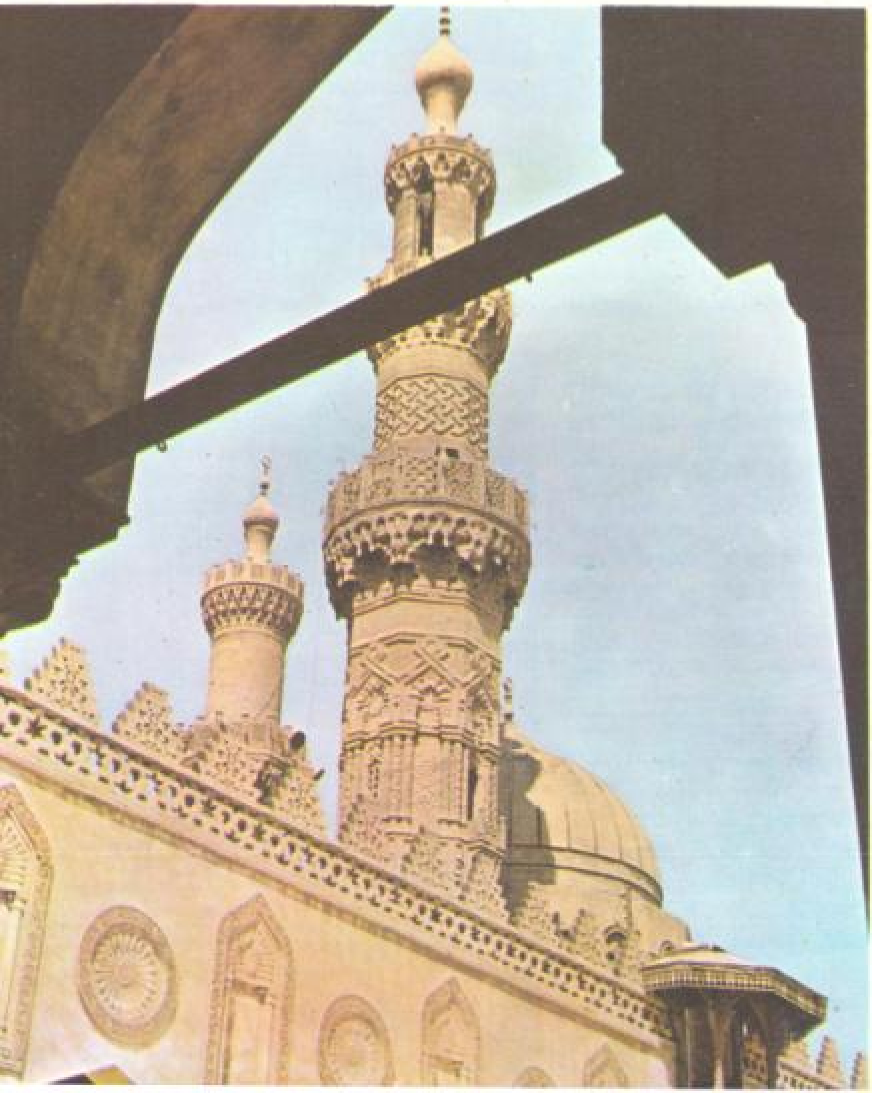


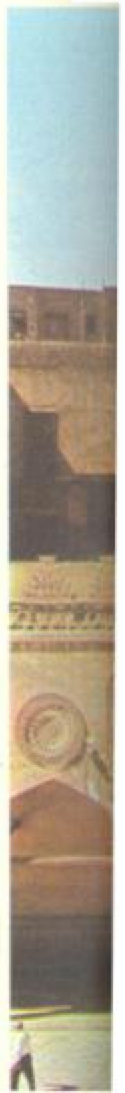


الى اليسار : الشرفة الخشبية التى تطل على صحن الجامع الازهر . ومن هذه الشرفة كان الخطباء يلقون خطبهم الوطنية على جموع المواطنين التى تحتشد في صحن الجامع في ثورة عام ١٩١٩ وغيرها من الثورات الوطنية الشعبية التى لعب الازهر وعلماؤه دورا كبيرا فيها .

☆☆☆

الى اسفل : جانب من الواجهة الغربية لصحن الجامع الازهر وتظهر في الصورة منارة السلطان قايتباى .





دول العالم الاسلامي ويعتبر اقدم جامعة في العالم تدرس علوم القرآن والشريعة مع العلوم التطبيقية والاكاديمية » .

وكتبت دائرة معارف القرن العشرين :

● « ان الجامع الازهر هو اقدم جامعة علمية في العالم . وهو يعتبر مركزا لنشر علوم القرآن عبر التاريخ » .

انشاء الازهر وتحوله الى جامعة

قبل ان نبدأ في استطلاعنا للازهر في حاضره لا بد لنا من عودة الى الوراء لنلقي نظرة سريعة على تاريخ هذا المسجد الجامع .

في عام ٣٥٩ هـ (٩٧١ م) وضع جوهر الصقلي اساس الجامع الازهر وتم بناؤه في عامين تقريبا . واقيمت فيه الصلاة لاول مرة في ٧ رمضان عام ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) ..

ولم يبدأ « الازهر » في مهمته التعليمية سوى في اواخر عهد المعز لدين الله حيث انعقدت اول حلقة دراسية في الجامع الازهر وذلك في عام ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) . وقد قام بهذه البداية قاضي القضاة ابو الحسن علي بن النعمان بن محمد القيرواني ، الذى بدأ في قراءة الفقه الشيعي من كتاب « الاختصار » على الحاضرين . ولكن هذه البداية ، لم تكن بداية الرسالة التعليمية المنتظمة للازهر . وفي الحقيقة فان انتظام حلقات الدرس وتحول الازهر الى مسجد جامع او جامعة ، لم



الى اعلى : جزء من باب « الصعايدة » وهو الباب المزدوج القائم امام الباطلية وقد بناه عبد الرحمن كتخدا في عام ١٧٥٣ م . وقد فكت مبانيه ثم اعيد تركيبها في عام ١٨٦٥ م . وتعلو هذا الباب القبة التى بها مدفن الامير كتخدا .



الى اليمين : في صحن الجامع الازهر من الجهة الجنوبية لاتزال توجد بعض الاروقة القديمة ، ومن بينها اروقة الجبرت والاتراك والمغاربة . وفي الصورة رجل وسيدة جاءا من المغرب في طريقهما الى الاراضي المقدسة ، وقررا ان يزورا « الازهر » واسترعى انتباهما اللافتة التي كتب عليها رواق المغاربة .. فوقفا يتأملاها .



يوجد في مكتبة الازهر الكثير من المخطوطات النادرة . ومن بين هذه المخطوطات ربعة قرآن كريم مخطوطة محفوظة داخل صندوق مصحف خاص بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون .

يبدأ الا في عام ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) حين اشار يعقوب ابن كلس وزير الخليفة العزيز بالله الفاطمي بتحويل الازهر الى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والتعليمية . وتم تخصيص بعض العلماء للتدريس في الازهر وخلعت الرواتب عليهم .

ومنذ هذا التاريخ اصبح الازهر جامعة .. وبدأت تتطور حتى اصبح تدريس الطب والفلك فيها جنبا الى جنب مع العلوم الدينية . وذلك في الوقت الذى كانت اوربا فيه لاتزال تعيش في ظلام العصور الوسطى .

لماذا سمي بالأزهر ؟ !

يقال ان الفاطميين اطلقوا اسم « الازهر » على هذا المسجد الجامع نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء ابنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتي ينتسب اليها الفاطميون . وقيل ايضا لان القصور الفخمة « الزاهرة » كانت تحيط بهذا الجامع من كل ناحية .

وقال بعض المؤرخين ان اسم « الازهر » اطلق على هذا الجامع ، الذى كان معروفا باسم « جامع القاهرة » عند انشائه ، لأن الفاطميين بنوا عدة جوامع اخرى بالقاهرة ، فاسموا هذا الجامع « بالازهر » لانه يَزْهُو على بقية المساجد التى انشاوها ويكبرها حجما ، علاوة على انه كان الجامع الرسمى للدولة الفاطمية .

الجامع الأزهر اليوم

مر الجامع الازهر بعصور كثيرة ، ازدهر في بعضها ، وانتكس امره في بعضها الاخر . ولا يتسع لنا المقام هنا في الافاضة عن هذا التاريخ الذى يمتد عشرة قرون طوال ، ولكن سنركز فقط على الازهر في العصر الحديث .

كان اول عمل قمنا به في استطلاعنا هو زيارة « الجامع الازهر » .. والجامع الذى نراه اليوم ليس كله بالجامع الفاطمي الذى وضع اساسه جوهر الصقلى ، ولكنه في الحقيقة مجموعة من





الى أعلى : الباب الغربي للجامع الازهر ، والذى انشاه الامير عبدالرحمن كتخدا في عام ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) وتظهر في الصورة النقوش الملونة الرائعة والكتابة الكوفية على الباب . **والى اليسار :** جموع المصلين داخل مقصورة الجامع الازهر الشريف بينما ظهر المنبر والمحراب وهو واحد من ٦ محاريب موجودة في الجامع الكبير . **والى اسفل :** حلقة من الجماهير التفت حول احد علماء الازهر وهو يلقى درسا دينيا بعد صلاة الجمعة داخل الجامع الشريف .







الشيخ عبد الله الشرقاوي
(١٧٩٣ م – ١٨١٢ م)



الشيخ حسونة النواوي
(١٨٩٦ – ١٩٠٠)



الشيخ سليم البشرى
(١٩٠٩ – ١٩١٦)

انشيء منصب شيخ الأزهر في عهد الحكم العثماني ليتولى رياسة علمائه، ويشرف على شئونه الـ

الاثار التي ضمت اليه في عهود وازمنة مختلفة .
ولم يبق من الاعمال الفاطمية في الجامع سوى :

ـ الزخارف الجصية والكتابات حول الشبابيك الباقية وكذلك عقود المجاز بجانبيه وما اشتملت عليه من زخارف وكتابات كوفية .

ـ المحراب الكبير بكتاباته ونقوشه .

ـ زخارف وكتابات عقود مؤخر الايوان الشرقي من الداخل، وهي ترجع الى عصر الحاكم بامر الله.

ـ القبة التي على راس المجاز وقد احتفظت بنقوشها وكتاباتها الكوفية .

المقصورة وصحن الجامع

وقد كان الجامع يحتوي على المقصورة ، وهي المكان المسقوف ، وصحن الجامع وهو مكشوف غير مسقوف. والمقصورة كانت تتكون من ٧٦ عمودا من المرمر الابيض ، اضيف اليها مقصورة اخرى قام بانشائها الامير عبد الرحمن كتخدا في عام ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) .

وتشمل اعمال عبد الرحمن كتخدا في الازهر الكثير ، فهو الذى انشا الباب الكبير الغربي ، وهو الباب الرئيسي للجامع الان .. وهذا الباب اعيد بناؤه من جديد وحوفظ على طرازه واعيدت اليه الزخارف والكتابات الرخامية . وقد كتب على الباب ابيات من الشعر هي :

ان للعلم أزهرا يتسامى
كسماء ما طاولتها سماء
حين وافاه ذو البناء ولولا
منة الله ما اقيم البناء

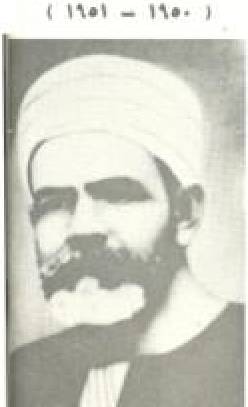
الشيخ مصطفى عبد الرازق
(١٩٤٥ – ١٩٤٧)



الشيخ محمد مأمون الشناوي
(١٩٤٨ – ١٩٥٠)



الشيخ عبد المجيد سليم
(١٩٥٠ – ١٩٥١)




الشيخ محمد ابوالفضل الجيزاوى
(١٩١٦ – ١٩٢٨)


الشيخ محمد مصطفى المراغى
(١٩٢٨ – ١٩٢٨) (١٩٣٥ – ١٩٤٥)


الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى
(١٩٣٠ – ١٩٣٥)

الوالي التركي هو الذي يعين شيوخ الازهر . وقد تولى مشيخة الازهر منذ عام ١٦٩٠م حتى اليوم ٤٢ شيخا

رب أن الهـدى هـداك وآيا
تـك نور تهـدى بـه من تشاء

مد تنـاهى أرخـت باب علـوم
وفخـار بـه يجاب الدعـاء

٥ مآذن و ٦ محاريب

الجامع الازهر له خمس منارات كان يؤذن عليها خمسة من المؤذنين في وقت واحدة ، ولعل ابرز هذه المنارات هي المنارة الضخمة ذات الراس المزدوج، والتي انشاها السلطان قنصوه الغورى في عام ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) وتمتاز بوجود سلمين فيما بين دورتيها الاولى والثانية لا يرى الصاعد في احدهما الاخر .

وساحة الجامع الحالية ، تصل الى حوالي ١٢ الف متر مربع . والمحاريب بالجامع كان عددها عشرة، لم يبق منها سوى ستة محاريب اهمها المحراب الاصلي ، والمحراب الجديد في المقصورة القديمة .

اروقة الازهر

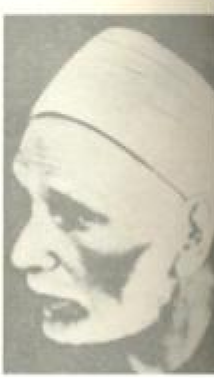
تحيط بصحن الجامع من الناحية الجنوبية ، حتى الان ، عدة اروقة هي : اروقة الجبرت ، والاتراك ، والمغاربة ، وكان الطلبة يشغلون هذه الاروقة ويقيمون فيها ، وبها دواليب امتعتهم المصنوعة على الطراز العربي ، وقد راينا عددا قليلا من الطلبة لا يزالون يقيمون في هذه الاروقة حتى الان . ولاروقة الازهر ، تاريخ قديم . ويقول المقريزى عن الاروقة انها كانت تضم في عهده (القرن التاسع الهجرى) اكثر من ٧٥٠ رجلا ، ما بين عجم وزيالعة (جيل من السودان في طرف

الشيخ ابراهيم حمروش
(١٩٥١ – ١٩٥٢)

الشيخ محمد الخضر حسين
(١٩٥٢ – ١٩٥٤)

الشيخ عبد الرحمن تاج
(١٩٥٤ – ١٩٥٨)

الشيخ محمود شلتوت
(١٩٥٨ – ١٩٦٣)

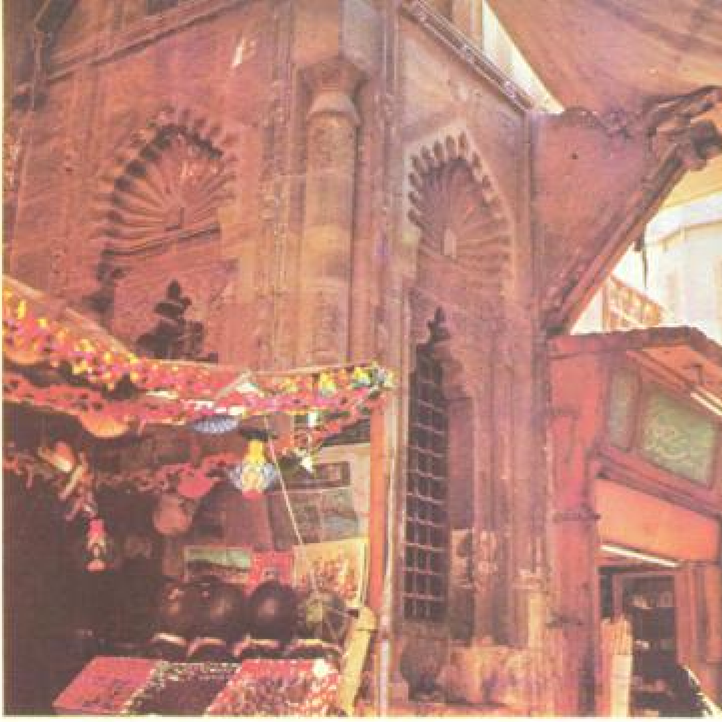








الى اليمين : سبيل السلطان قايتباى أثر من الآثار الاسلامية المحيطة بالازهر في شارع الباطنية وللاسف اقام فاكهي محله على هذا السبيل مشوها هذا المكان التاريخي .

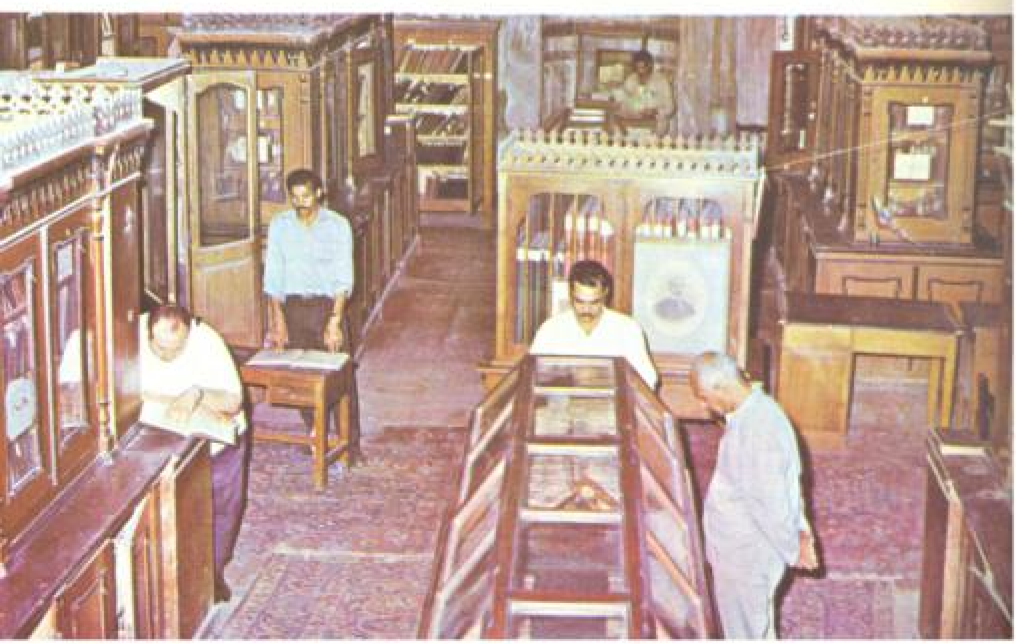


الى اسفل : محراب المدرسة الاقبغاوية ، وهى تقع الى يسار الداخل الى الجامع الازهر وقد انشأها الامير علاء الدين اقبغا عبدالواحد استادار الملك الناصر محمد قلاوون سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠ م) ويتميز هذا المحراب بدقة اعمال الرخام فيه وكذلك الفيفساء المذهبة التى تدل على تقدم فن البناء في ذلك العصر .





تضم مكتبة الازهر الكثير من الكتب والمخطوطات القديمة النادرة .. وهذه الصورة لمصحف شريف، مخطوط اهداه الامير اقبغا لمدرسته . وهذا المصحف السطر الاول من كل صحيفة منه مكتوب بالقلم المجوف . واسماء السور مكتوبة بالذهب واللون الازرق وهو واحد من المخطوطات النادرة التى تضمها هذه المكتبة . والى اسفل منظر عام للمكتبة التى تضم ٧٤٩٥٣ كتابا .. ويعيبها عدم توفر قاعات للمطالعة بها .





هذا الجهاز الحديث في احد معامل كلية طب الازهر يعمل بواسطة النظائر المشعة لقياس نسبة الهرمونات في الدم ويسمى هذا الجهاز « Leukocentillator » .



في مبنى الجا...
الادارة العا...
الوقت الى ...

ارض الحبشة) ومن اهل ريف مصر ، ولكل طائفة منهم رواق يعرف بهم .

وكان عدد الاروقة يصل الى ٢٥ رواقا . كل رواق منها يحمل اسم ساكنيه من الاغراب او من اهل الريف او الصعيد في مصر . وكان لكل رواق منها شيخ وجراية من الخبز يعطاها الطالب كل يوم .

مكتبة الأزهر

الداخل الى الازهر الشريف من الباب الغربي (الرئيسي) يجد الى يساره مباشرة مكتبة الازهر الحالية . وهي بطبيعة الحال ليست مكتبة الازهر القديمة التي قال عنها المؤرخون انها كانت من اهم مكتبات عصرها وان لم يعينوا عدد الكتب التي كانت تضمها . ومكتبة الازهر الحالية تحتل مكان المدرسة الاقبغاوية القديمة وقد انشاها الامير اقبغا عبد الواحد في عام ٧٤٠ هـ . وتحتل المكتبة ايضا المدرسة الطيبرسية وهي على يمين الداخل الى الازهر وانشاها علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش المصرية وتمت عمارتها عام ٧٠٩ هـ .

وقد تم تخصيص هذا المكان للمكتبة في عام ١٨٩٧ م بعد ان تسربت كثير من نفائس الكتب التي كانت مودعة في مكتبات الاروقة الى خارج مصر . ولولا مجهودات كبيرة قام بها متبنى مشروع انشاء المكتبة الشيخ محمد عبده لاقناع اهل الاروقة بفائدة ضم مكتباتهم في مكتبة واحدة ، لفشل المشروع ، ولتبددت ثروة الازهر من المخطوطات والكتب النادرة .

ويبلغ عدد الكتب الموجودة في المكتبة الان ٧٤٩٥٣ كتابا . وهي تضم نوادر في كثير من الفنون لا تتيسر لمكتبة اخرى . ويعيب المكتبة الازهرية عدم تلاؤم الامكنة التي تحتلها مع الغرض الرئيسي من المكتبة . وقد تنبه الى ذلك النقص الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي حين تولى مشيخة الازهر عام ١٩٢٨ م . فوضع ، ضمن مشروع مباني الجامعة الازهرية ، مشروع بناء خاص بالمكتبة تلاحظ فيه المتطلبات الضرورية في فن المكتبات .

وظل هذا المشروع حبرا على ورق حتى الان !

وان كنا سمعنا ان وزير الاوقاف وشئون الازهر الحالي مهتم اهتماما كبيرا بانجاز هذا المشروع



منظر عام لقاعة محاضرات الشيخ محمد عبده ، وهي اضخم قاعة محاضرات في جامعة الازهر مخصصة للنشاط الثقافي للجامعة ولها موسم محاضرات سنوى يحضره الجمهور من خارج الجامعة .



لبنان امام مدخل
يؤدى في نفس
يده .

وبناء مكتبة حديثة للازهر يلحق بها مركز وثائقى للمخطوطات .

فضيلة شيخ الأزهر يتحدث

بعد هذه الجولة السريعة في الجامع الازهر ومكتبته توجهنا الى لقاء فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الدكتور محمد الفحام . وهو خريج السوربون بجامعة باريس . وكان لقاء سريعا .. تحدث فيه فضيلة الدكتور الفحام عن اهمية الازهر وروى لنا باسلوبه الشيق ما لمسه هو شخصيا من رحلاته في الخارج وخاصةفي الشرق الاقصى وافريقيا ، عن تقدير المسلمين لقيمة الازهر ورسالته وعلمائه .

وتحدث فضيلته عن الازهر واداراته واعماله وتاديته لرسالته التي تشمل العالم الاسلامي كله . ثم تحدث عن الجامعة الازهرية الحديثة التي تضم مختلف الكليات العملية والنظرية . وعن اقبال الطلبة من العالم الاسلامي كله على الالتحاق بها .

وفي ختام الحديث اثنى الدكتور الفحام على مجلة « العربي » ووصفها بانها « مجلة فريدة في العالم العربي ، من انجح المجلات لانها تجمع بين العلم والدين والثقافة والادب وهو ما لا تجمعه مجلة واحدة سواها » .

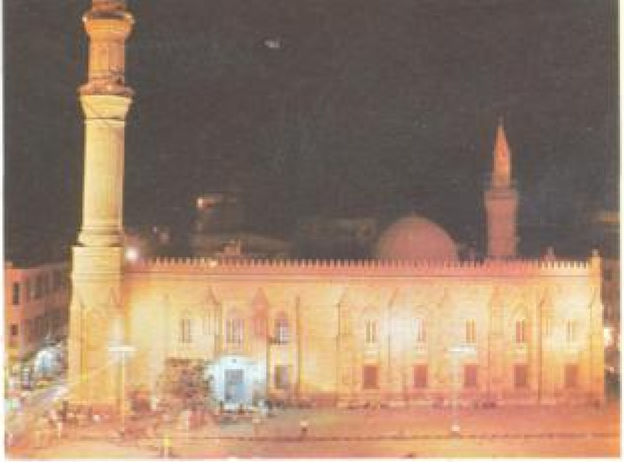
الأزهر والتطوير

في تاريخ الازهر الكثير من محاولات الاصلاح والتطوير .. وذلك للقضاء على التخلف الذى لحقه نتيجة الفتح العثماني لمصر عام ٩٢٣ ـ ١٢١٣ هـ (١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م) واللى ادى الى هجرة الكثير من علماء الازهر وطلبته الى اقاصى الصعيد ، فرارا من عسف الحكام وجورهم . وقامت نتيجة لذلك حركة علمية ادبية دينية في مدن قفط وقوص وغيرهما من مدن الصعيد .

وفي القرن التاسع عشر بدات في مصر حركة تجديد وتطوير ، ودخلت نظم التعليم الغربية في مدارسها .. ولكن الازهر ظلعلى جموده بعيدا عن هذا التطورات .

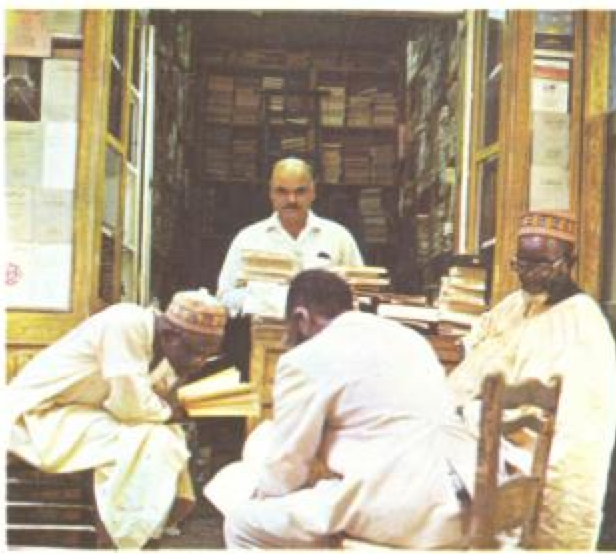
وكان اول من طالب بتطوير الازهر رفاعة الطهطاوى الذى نادى بادخال العلوم الحديثة الى

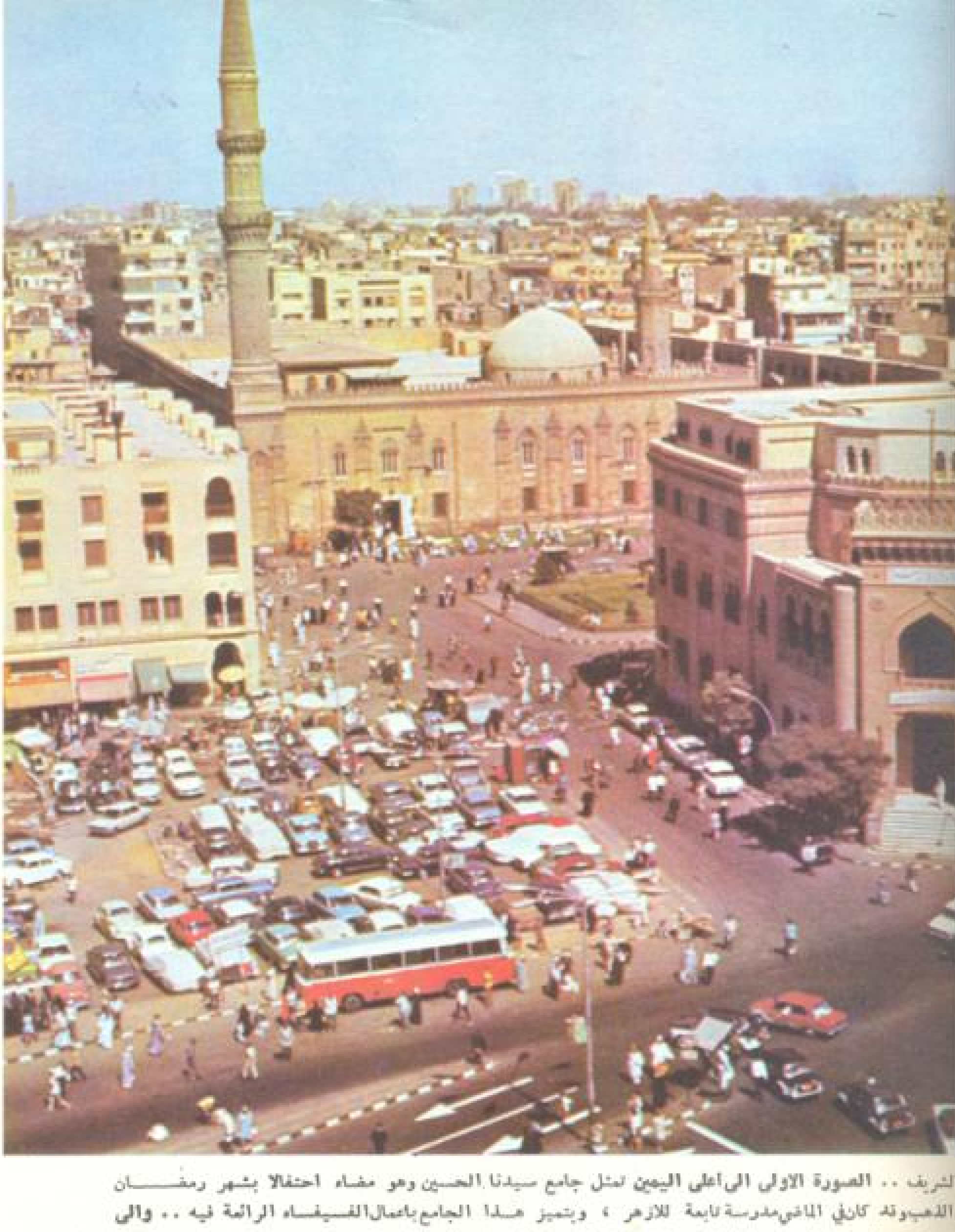






صور أربع للمنطقة المحيطة
المكرم ، **والصورة الثانية** لجا
اسفل مكتبة في حي الصنادق
الاسلامية .. **والصورة الى** ا





الشريف .. **الصورة الاولى الى اعلى اليمين** تمثل جامع سيدنا الحسين وهو مضاء احتفالا بشهر رمضان
و اللعبوله كان في الماضي مدرسة تابعة للازهر ، ويتميز هذا الجامع باعمال الفسيفساء الرائعة فيه .. **والى**
الذى يضم المكتبات المخصصة في الكتب الدينية وقد جلس امامها مسلمان من نيجيريا يتصفحان بعض الكتب
الازهر وجامع الحسين ومنطقة حي الحسين وهي من اكثر مناطق القاهرة ازدحاما بالزوار .

الازهر ، ودلل على ان العلوم الحكمية العلمية التي يقال انها اجنبية ، هي علوم اسلامية ، ولا تـزال كتبهـا محفوظة في الخـزائن كالذخيرة .

وذكر رفاعة الطهطاوي في كتابه «مناهج الالباب» ان شيخ الجامع الازهر الشيخ احمد الدمنهوري الذي تولى المشيخة في الفترة ما بين ١١٨٢ ـ ١١٩٠ هـ (١٧٦٧ ـ ١٧٧٦ م) قد ذكر انه درس العلوم العلمية..وينقل الطهطاوي عن الدمنهوري انه قال في هذا الصدد :

« اخذت عن استاذنا الشيخ على الزعتري ـ خاتمة العارفين بعلم الحساب واستخراج المجهولات وبما توقف عليها كالفرائض والميقات ـ وسيلة ابن الهائم ومعونته في الحساب ، والمقنع لابن الهائم ، ومنظومة الياسيني في الجبر والمقابلة ودقائق الحقائق في حساب الدرج ، والدقائق للسبط الماردينى في علم حساب الازياج .. » ثم يستطرد « .. واخذت عن سيدى احمد القرافي الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفية في اسباب الامراض وعلاماتها ، وبعضا من قانون ابن سينا ، وبعضا من كامل الصناعة ، وبعضا من منظومة ابن سينا الكبرى ، وكلها في الطب » .

في احد المدرجات بمستشفى الحسين الجامعي فريق من خريجي اول دفعة من كلية طب الازهر والذين يعملون الان في المستشفى كأطباء امتياز يتلقون محاضرة من احد معيدى الكلية .



ويعدد الشيخ الدمنهورى بعد ذلك الكثير من الكتب في الفلك وعلم المساحة ، والهندسة ، وعلم المواليد والممالك الطبقية اى الحيوانات والنباتات والمعادن » .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان للازهر في الماضي نصيبا كبيرا في تدريس العلوم المختلفة ومن بينها الطب والفلك جنبا الى جنب مع العلوم الدينية .

وقد صدر اول قانون بتطوير الازهر في عام ١٢٨٧ هـ (١٧٨٢ م) استصدره الشيخ محمد العباسي المهدى شيخ الازهر ايام الخديوى اسماعيل. واقتصر هذا القانون على ان يكون الحصول على شهادة العالمية بامتحان امام لجنة من العلماء ، وان تحدد العلوم التي يمتحن فيها الطلبة باحد عشر علما هي :

الفقه ، الاصول ، التوحيد ، الحديث ، التفسير ، النحو ، الصرف ، المعاني ، البيان ، البديع ، والمنطق .

وبعد هذا القانون بدا الشيخ محمد عبده حركته الكبرى لاصلاح الازهر . ونجح الاستاذ الامام في حركته بالرغم من معارضة شيوخ الازهر له . واستطاع محمد عبده ان يقنع الخديوى عباس باصدار قانون الاصلاح في عام (١٣١٢ هـ ـ ١٨٩٥ م) .

ودخلت مواد الحساب والهندسة والجبر والجغرافية والتاريخ والخط الى الازهر . وقسمت مدة الدراسة الى ١٢ سنة . واصبح الطالب الذى يتم دراسة مواد معينة في ٨ سنوات وينجح فيها يمنح شهادة الاهلية ، ومن يستمر في الدراسة بعد ذلك اربع سنوات لم يجتاز الامتحان بنجاح يمنح شهادة العالمية . وجاء بعد ذلك من المصلحين الشيخ الاحمدى الظواهرى الذى نادى بتقسيم الدراسة في الازهر الى ٣ مراحل ، مرحلة ابتدائية ، ومرحلة متوسطة ومرحلة عالية . وهذا هو نفس التقسيم الذى اقترحه الشيخ محمد مصطفى المراغى الذى عين شيخا للجامع الازهر بعد ذلك ب ٢٥ عاما اى في عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) . وعين بعده الشيخ الظواهرى الذى عمل على استصدار قانون الاصلاح في عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠م) وهو القانون الذى حدد كيان الازهر منذ ذلك الحين ، وقسمه الى كليات ثلاث هي :

الشريعة ، واصول الدين ، واللغة العربية .

•• الأزهر الآن
بعد قانون ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)

بعد ان استعرضنا حال الازهر في الماضي ، وسردنا سردا موجزا بعض حركات الاصلاح التي







الى اعلى : لمدينة البعوث مستشفى خاص بها يعمل فيه ١٦ طبيبا . وفي الصورة احد الاطباء يقيس ضغط الدم لاحد المرضى من الوافدين . **والى اسفل :** حجرة احد الطلبة في مدينة البعوث وقد جاء اليه زميلاه وجلسا يلعبان لعبة شعبية شائعة في اندونيسيا .. والطلبة الثلاثة في الصورة من اندونيسيا .



الى اعلى : منظر عام لمباني مدينة البعوث الاسلامية . وهي تضم ٤١ عمارة سكنية تتسع لحوالى ٥ آلاف طالب من الذين يفدون الى الازهر من كافة انحاء العالم . وتتوفر في المدينة كل مرافق الحياة من محلات ونواد ومطاعم . **والى اليسار** بعض الطلبة من دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية يتناولون طعامهم المكون من الدجاج والمكرونة والبازلاء والبلح .





قامت في سبيل تطوير هذا الصرح الديني الكبير ، ننتقل الان الى الحاضر .. الى الازهر الجديد بعد صدور قانون تطويره في عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) .. هذا القانون الذى جعل من الازهر جامعة دينية علمية شاملة .. والذى انتقل بالازهر من العصور الوسطى الى مسايرة التطور العلمي في العالم الحديث . محافظا في نفس الوقت على رسالته الدينية السامية وتقاليده القديمة .

وينص القانون على ان الازهر يشمل الهيئات الآتية :

١ ـ المجلس الأعلى للأزهر

وهو الهيئة التى تختص بالتوجيه ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق اغراض الازهر في سبيل خدمة الفكرة الاسلامية الشاملة . ويرأس هذا المجلس شيخ الازهر ويضم اعضاء من كبار العلماء المتخصصين .

٢ ـ مجمع البحوث الاسلامية

وهو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية . ويقوم بدراسة كل ما يتصل بهذه البحوث . ويعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتنقيتها من الشوائب ، والكشف عن جوهرها الاصيل . والعمل على نشر الدعوة الاسلامية . وتنظيم بعوث الازهر الى العالم الاسلامي ، ومن العالم الاسلامي . ويتكون المجمع من خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام ، يمثلون جميع المذاهب الاسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد عن العشرين من غير مواطني جمهورية مصر العربية ويرأس المجمع شيخ الازهر .



التربية البدنية لها هي الاخرى نصيب كبير في النشاط الذى يجرى داخل مدينة البعوث الاسلامية . وفي الصورة ثلاثة من الطلبة يقومون بتمرينات لكمال الاجسام .



من آسيا ومن افريقيا وامريكا اتوا الى مصر يطلبون العلم في الازهر .. واقام لهم الازهر مدينة ضخمة تقع على ٣٠ فدانا وتتسع لخمسة آلاف طالب . وهي مدينة ناصر للبعوث الاسلامية والتي تضم الان حوالي ٣ آلاف طالب من هؤلاء المبعوثين يمثلون ٦٥ دولة

ويكون نصف اعضائه على الاقل متفرغين لعضويته .

٣ ـ ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية

وهي الجهاز الذى يهيىء لمجمع البحوث الاسلامية كل اسباب البحث والدراسة . ويختص بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الاسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح .

٤ ـ جامعة الأزهر

وتختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالي في الازهر . كما تهتم ببعث التراث العلمي والفكرى والروحي للشعوب الاسلامية والعربية . واعداد بعض العاملين الذين يجمعون الى جانب التفقه في العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية ومهنية تؤهلهم للاشتراك في كل انواع النشاط والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . وتضم الجامعة كليات الدراسات الاسلامية (اصول الدين والشريعة والقانون) ، وكليه الدراسات العربية ، وكلية المعاملات والادارة ، وكلية الهندسة والصناعات ، وكلية الزراعة ، وكلية الطب ، وكلية التربية ، وذلك علاوة على كلية البنات الاسلامية والتي فتحت مجالا جديدا لدخول الفتيات الى هذه الجامعة المتيدة .

جامعة الأزهر الجديدة تكلفت مبانيها ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه

ما أن صدر قانون تطوير الازهر ، حتى بدىء في وضعه موضع التنفيذ .

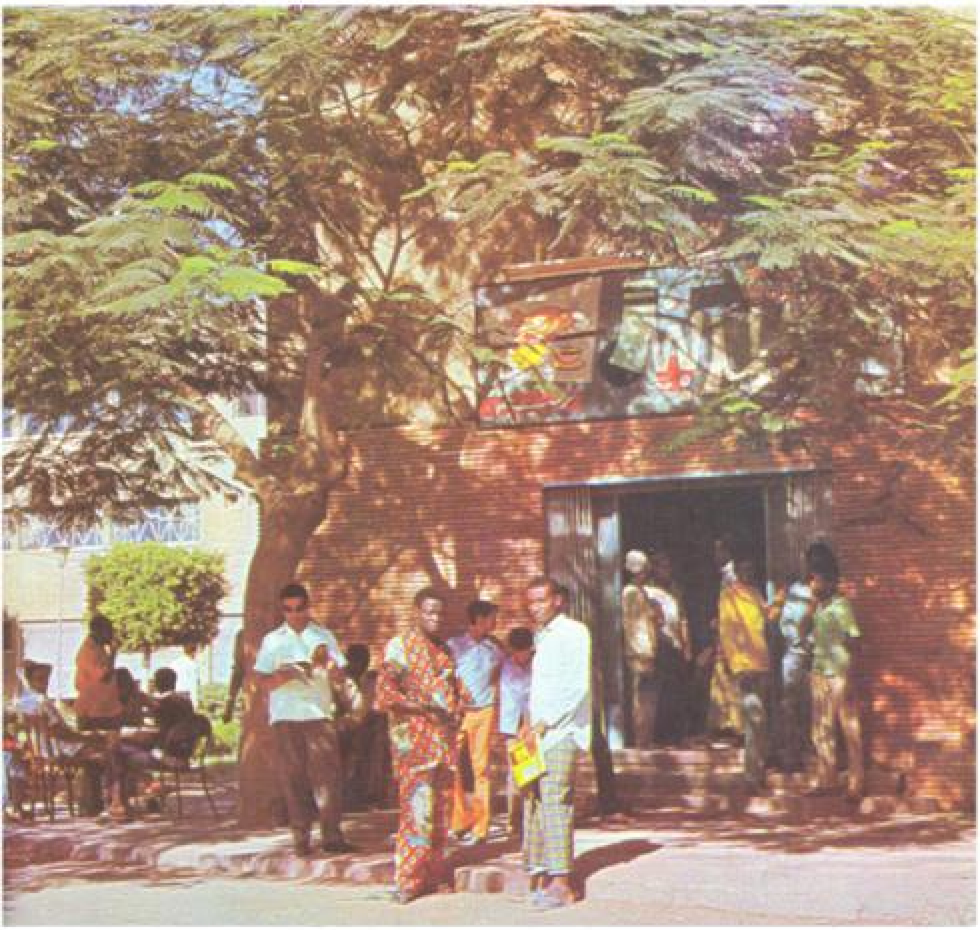
وفي شهر مارس ١٩٦٤ وضع حجر الاساس لمباني الجامعة الجديدة في مدينة نصر . وقد تم افتتاح مباني بعض الكليات مثل كليات الهندسة ، والعلوم ، والادارة والمعاملات ، والزراعة ، وكلية البنات ، ويجرى الان العمل في انهاء بقية مباني ومعامل هذه الكليات وتقدر تكاليف هذه المباني بحوالي ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى . وهي مصممة على احدث الطرز وتضم مدرجات ومعامل حديثة .

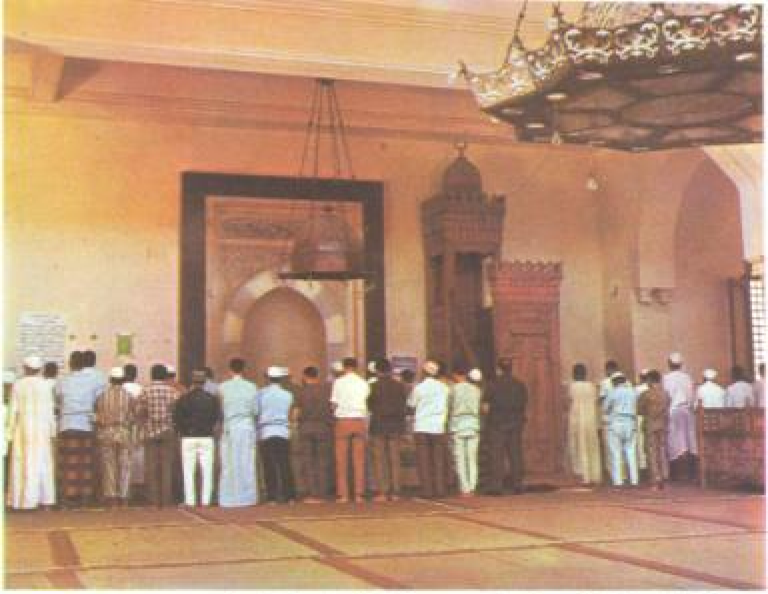
وتقع كلية الطب في مستشفي الحسين الجامعي بجوار الجامع الازهر . وهي تضم حاليا ٥٠٠



الى اليمين : في صيدلية مستشفى مدينة البعوث الاسلامية يتم تحضير الادوية اللازمة للطلبة وتصرف مجانا لهم .

الى اسفل : عدد من الطلبة الوافدين يقفون امام الكافتريا في مدينتهم وهناك مشروع جديد يدرس الان لبناء كافتريا جديدة على احدث طراز وتتسع لاكثر من ٥٠٠ شخص في وقت واحد.





الى اليسار : في مسجد مدينة البعوث ، وهو مسجد حديث يتسع لخمسة آلاف مصلٍ وقف الطلبة الذين أتوا من أركان الدنيا الخمس يصلون صلاة العصر .

عدد من الطالبات الوافدات يقفن امام مبنى كلية البعثات الاسلامية بمدينة نصر . ان هذه الكلية ستتحول الى جامعة اسلامية للبنات .



سرير ويتم الان بناء جناح اخر بها يضم ٥٠٠ سرير اخر . كما يجرى انشاء مستشفى جامعى جديد في مدينة نصر الى جوار مباني الكلية في سنواتها الاولى .

جامعة اسلامية للبنات

وقد قمنا بزيارة لجامعة الازهر . وتحدثنا مع المسئولين فيها عن التطور الذى حققته هذه الجامعة خلال السنوات العشر الماضية . كما تحدثنا عن مشروعات المستقبل .. ويعتبر انشاء جامعة اسلامية للبنات واحدا من اهم هذه المشروعات .

وفي كلية البنات التي تعتبر نواة الجامعة الاسلامية للبنات ، والتي يرجى ان يتم افتتاحها جامعة في عام ١٩٧٥ ، شاهدنا امتحانا يجرى للفتيات للقبول في شعبة اللغة والترجمة الفورية ..

وتضم الكلية الان حوالي ٢٢٩١ طالبة منهن ٢٥٣ طالبة وافدة من سوريا وفلسطين والاردن واندونيسيا وماليزيا .

وقد بدأت الدراسة في هذه الكلية عام ٦٣/٦٢ وكان عدد طالباتها ٨٨ طالبة فقط .

وتوجد بالكلية ٧ شعب هي :

١ ـ شعبة الدراسات الاسلامية .
٢ ـ شعبة اللغة العربية .
٣ ـ شعبة الدراسات الاجتماعية والنفسية .
٤ ـ شعبة التجارة .
٥ ـ شعبة اللغة والترجمة الفورية (انجليزى وفرنسي) .
٦ ـ شعبة الطب والجراحة .
٧ ـ شعبة العلوم الاساسية .

وسيباح الاختلاط بالنسبة لطالبات الجامعة الاسلامية في دراسة الطب في السنوات النهائية واثناء تدريبهن في المستشفى الجامعى .



صورتان التقطتا في المعهد الثانوى للفتيات بالمعادى الصورة الاولى تمثل بعض الطالبات اثناء درس في التربية الفنية .. واحدة ترسم وثلاثة طالبات يقمن بعمل نموذج لمسجد من الجريد .. وفي الصورة الثانية وكيل المعهد يتلقى طلبات الطالبات الشعبة التي يرغبن بالنسبة لاختيار الدراسة فيها .

ولطالبات الجامعة زى اسلامي خاص هو عبارة عن بنطال يرتدين فوقه رداء طويلا يصل الى ما تحت الركبة بقليل وفوق رؤوسهن طرحة من نسيج خفيف .

الفلسفات واللغات والأديان في كليات الدراسات الاسلامية

وفي مبنى الجامعة القديم ، بجوار الجامع الازهر حيث تقعادارة الجامعة والكليات الاسلامية، شاهدنا قاعة الشيخ محمد عبده وهي قاعة محاضرات ضخمة اطلق عليها اسم الامام الاكبر تكريما له ، ولجهاده في سبيل اصلاح الازهر وتطويره .

وفي زيارة لنا لكلية اصول الدين اطلعنا على المناهج التي تدرس في اقسامها الاربعة وهي :

١ ــ قسم القرآن وعلومه .

٢ ــ قسم السنة وعلومها .

٣ ــ قسم التوحيد والفلسفة .

٤ ــ قسم الاخلاق والاجتماع .

وقد لاحظنا ان المناهج تضم لغة اوربية ، والفلسفة الاسلامية وسائر فروعالفلسفة لضرورتها لكل صاحب دين ، وتضم ايضا علم النفس ودراسة الاديان مع مقارنتها بالدين الاسلامي . وكلها علوم حديثة على الازهر تدل على مدى التطور الذى حدث . وتضم الكلية ١٩٠٠ طالب يدرسون لدرجة الاجازة العالية (الليسانس) . و ٤٤٠ طالب بمرحلة الدراسات العليا (التخصص اى الماجستير والعالمية اى الدكتوراه) .

تدريس العلوم الدينية بالانجليزية

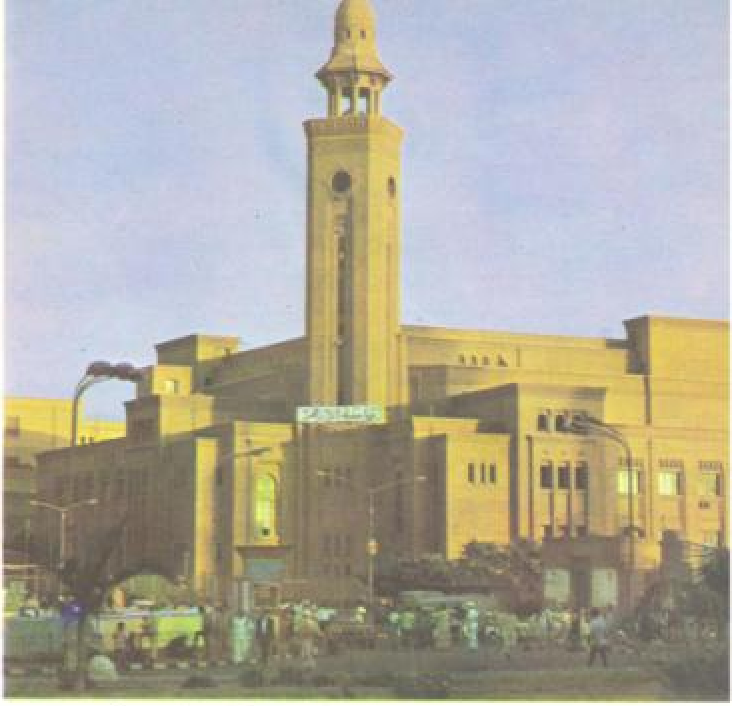
تعتبر كلية طب جامعة الازهر من احدث الكليات فهى قد افتتحت في العام الدراسي ٦٥/٦٤ . وهى تهتم بتدريس العلوم الاسلامية باللغة الانجليزية، لكى يتمكن الطلاب في المستقبل وبعد تخرجهم ،



الى اليمين : مبنى جامعة الازهر القديم والذى يضم الان كليات اصول الدين واللغة العربية والشريعة والقانون وادارة الجامعة .

☆☆☆

الى اليسار : امتحان القبول في معهد اللغات والترجمة التابع لكلية البنات وقد تقدمت اعداد كبيرة من الطالبات لتأدية الامتحان .



الى اليسار : المبانى الحديثة لكليات جامعة الازهر في مدينة نصر .. ولا يزال العمل جاريا في استكمال بقية المعامل والمبانى .

الى اسفل : مستشفى الحسين الجامعى ، يضم الان كلية طب جامعة الازهر ، وبه ٥٠٠ سرير ويتم الان بناء جناح جديد به يتسع لخمسمائة سرير آخر .











عائشة عبد الله امريكية اسمها الاصلي فيرجينيا هنري .. اعتنقت الاسلام وجاءت لتدرس اصوله في الازهر . وهي تقوم الان بتدريس الانجليزية لطالبات معهد المعادي .

من حمل رسالة الدين الاسلامي وشرح مبادئه لشعوب آسيا وافريقيا والعالم اجمع . ويقبل في الكلية الطلبة الحاصلون على شهادة اتمام الدراسة الثانوية الازهرية وكذلك الطلبة الحاصلون على الثانوية العامة على ان يقضي هؤلاء الطلبة سنة تأهيلية يقومون فيها بتحصيل العلوم الدينية . وتضم كلية الطب ٣١٣٢ طالبا من بينهم ٥٩١ وافدا من الطلبة الاجانب .

مع الطلبة الوافدين في مدينة البعوث الاسلامية

وتدل الاحصائيات (لعام ٧٠/٧١) ان جامعة الازهر تضم ٢٤٨٢٤ طالبا من بينهم ٢٩٦١ طالبا وافدا يمثلون حوالى ٦٥ دولة من دول العالم المختلفة .

وقد اهتمت جامعة الازهر بتوفير سبل الحياة والاقامة لهؤلاء الوافدين. وبعد ان كان هؤلاء الطلبة يقيمون في الاروقة في قديم الزمان .. تم انشاء مدينة خاصة بهم تقع في حي العباسية القبلية على الطريق الرئيسي الموصل من الجامع الازهر الى حي الدراسة .

وقد اقيمت هذه المدينة على قطعة ارض مساحتها حوالى الثلاثين فدانا وتحتل مباني هذه المدينة مساحة ٢٠ فدانا ، بينما بقيت الفدادين العشرة الاخرى حدائق ومتنزهات وشوارع بين هذه المباني. وقد تم وضع حجر اساس هذه المدينة في عام ١٩٥٤ واستغرق بناؤها ٥ سنوات كاملة . وتكلف انشاء المباني السكنية فقط حوالى المليونين من الجنيهات ، وهي تتسع لحوالى ٥ الاف طالب. وبالمدينة ٤١ مبنى سكنيا يتكون كل مبنى من ثلاثة طوابق . كل طابق يتكون من جناحين سعة كل جناح ٢٠ غرفة . ويخصص لكل جناح في كل طابق دورة مياه وملحق به غرفة للتخديم .ويفصل بين كل جناحين حجرة كبيرة للمطالعة والاستذكار. ويشتمل الدور الارضي في كل مبنى على ناد يجتمع فيه الطلبة في اوقات فراغهم . علاوة على خمسة مطاعم موزعة على المساكن لكي يتناول طلبة كل منطقة طعامهم فيها » .

وفي المدينة مسجد يتسع لاكثر من ٥ الاف طالب. وهناك ايضا مكتبة ومستشفى خاص للطلبة به خمسون سريرا ومعمل للتحاليل ، واقسام للاشعة وللجراحة ، والاسنان ، والامراض الباطنية ، وصيدلية لصرف الدواء بالمجان .

واقيمت في المدينة ايضا محلات حلاقة، ومكوى، ونقطة للمطافيء ، وناد خاص يستقبل فيه الطلبة ضيوفهم . وامام المدينة يوجد استاد رياضي كامل على مساحة قدرها ٣٠ فدانا ويحتوى على مجموعة من الملاعب وحمام للسباحة وميدان لضرب النار وتعليم الرماية .

ولكن للاسف اصيبت بعض مباني هذا الاستاد بتصدع نتيجة لانهيار التربة ، وقد كانت في الاصل مقابر ، ولذلك فانه مغلق الان لاجراء الاصلاحات التي قد تعيده الى حالة . وامام المدينة تم انشاء معهد البعوث الاسلامية ويقوم بتدريس اللغة والقران والعلوم الشرعية . وهو يضم ٣ مراحل دراسية . المرحلة الاولى تتساوى مع الدراسة الاعدادية ثم الثانوية ، ثم الدراسات العالية . ويقوم الازهر بصرف منح شهرية للطلبة الوافدين وتصل المنحة الشهرية للطالب الجامعي ١٢ جنيها

يخصم منها ٤ جنيهات شهريا نظير الاقامة والاكل في المدينة ويصرف له ٨ جنيهات كمصروف جيب.

اما طلبة المعاهد فيتقاضى الطالب منهم ١٠ جنيهات يخصم منها نفس المبلغ كمصاريف اقامة.

معاهد الأزهر

لم يقتصر قانون الازهر على تطوير الدراسات الجامعية في هذا المسجد ، ولكنه شمل ايضا تطوير الدراسة في المعاهد الازهرية ، والتي تعتبر اساس التعليم في الازهر . وقد تم اعتبار مدارس تحفيظ القرآن المرحلة الاولى بالنسبة للطلاب المتقدمين للالتحاق بالمعاهد الازهرية الاعدادية .

اما الاقسام الابتدائية في معاهد الازهر فقد اصبحت الان المعاهد الاعدادية . وتسمى الاقسام الثانوية المعاهد الثانوية للازهر . ومدة الدراسة في المعاهد الاعدادية ٣ سنوات ، والدراسة الثانوية ٤ سنوات ، وتقوم هذه المعاهد بتزويد تلاميذها بالثقافة الاسلامية الى جانب البرنامج العادى للمدارس وزارة التربية والتعليم . ويمكن لطالب المعهد الاعدادى الازهرى ان يلتحق بالمدارس الثانوية العادية ، او لطالب ثانوية المعاهد الازهرية ان يلتحق بالجامعات الاخرى المصرية. ويبلغ عدد طلبة المعاهد الازهرية الاعدادية في جمهورية مصر ١٩٤٨٧ طالبا و ٩٤٣ طالبة . اما عدد طلبة المعاهد الازهرية الثانوية فيبلغ ١٧٩٧٨ طالبا و ١٦٥٠ طالبة .

وكما اصبح للبنات كلية في الجامعة ، اصبح ايضا لهن معاهد خاصة بهن .. معاهد اعدادية واخرى ثانوية .

وفي معهد الفتيات الثانوى بالمعادى الذى انشىء في عام ١٩٦٢ توجد حوالى الف طالبة وفي المعهد الاعدادى توجد ٤٧٢ طالبة . والطالبات يرتدين زيا خاصا بهن يتفق مع التقاليد الاسلامية .. وقد قال لنا شيخ المعهد ان نسبة النجاح في شهادة الثانوية كانت ١٠٠٪ في العام الماضي . وهي نسبة لم تحدث في اية مدرسة ثانوية في التعليم العام .

ويتم تدريس العلوم الدينية للطالبات وتعريفهن بكل نواحى دينهن الحنيف الى جانب دراستهن للعلوم الاخرى التى تطابق علوم المدارس الثانوية في التعليم العام .

وهناك الان ٣ معاهد ازهرية للفتيات في جمهورية



في المعهد الازهرى الاعدادى النموذجي بالقاهرة المدرس يشرح لطلبته درسا في الكيمياء ويستعين بأدوات من المختبر ليؤيد شرحه للدرس عمليا .

مصر .. اولها معهد المعادى وثانيها في طنطا وثالثها في سوهاج بالصعيد .

وفي معهد الفتيات التقينا بسيدة امريكيةاعتنقت الاسلام مؤخرا هى وزوجها ، ورحلا من امريكا لكى يحضرا الى « الازهر » حيث يقومان بدراسة الدين الاسلامى على اسس سليمة . وهذه السيدة اسمها الحالي عائشة عبد الله ، تقوم الانبتدريس اللغة الانجليزية لطالبات معهد المعادى . وفي نفس الوقت تقوم هى وزوجها بدراسة الدين الاسلامى في الأزهر . وهى تقوم الان هى وزوجها بترجمة كتاب فقه النووى الى اللغة الانجليزية .

وبعد هذه صورة سريعة عن الازهر الشريف .. الجامعة الاسلامية التى حملت امانة نشر العلم والدين الاسلامى طوال الف عام .. وادت هذه الامانة ، ولا تزال تؤديها ، على اتم وجه . ■■

محمد طنطاوى

☆☆☆

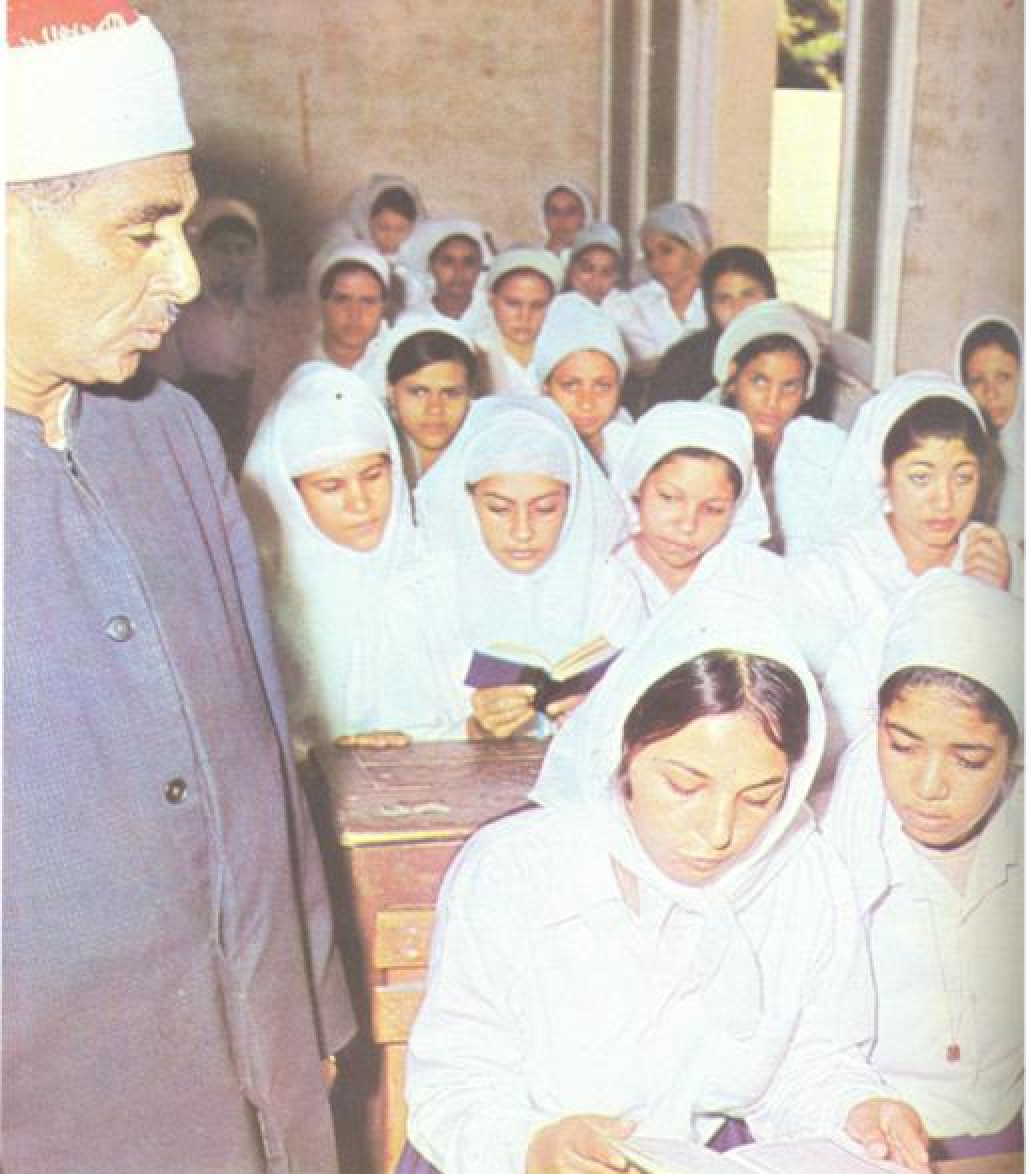


الى اعلى : بعض طلبة وطالبات السنوات النهائية في كلية الطب اثناء مشاهدتهم لعملية جراحية يجريها استاذهم في درس للجراحة .

الى اسفل : محاضرة في قسم امراض النساء بمستشفى الحسين الجامعي . وقد حضرها عدد من الاطباء العاملين في المستشفى .

الى اليسار : صورتان التقطتا في معهد الفتيات الازهرى بالمعادى .. **الصورة العليا** درس في القرآن .. **والثانية** اثناء درس في الفقه . وقد حققت الدراسة في المعهد نجاحا كبيرا ووصلت نسبة النجاح في شهادة الثانوية ١٠٠٪ .







مع الله في الأرض

وَحْدَةُ اللهِ تتراءى في وَحْدَةِ خَلْقِهِ
وقُدرةُ اللهِ تتراءى في بديع صُنْعِهِ

الأسماك

أوّلُ الحيوانات الفقارية وأقدمُها
وأكثرها أنواعًا
وأشدُّها تباينًا فيما بينها واختلافًا

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ جمعنا في المقال الماضي بين ما سبق ان درسناه من الحيوانات غير ذوات الفقار، وبين ما سوف ندرسه من الحيوانات ذوات الفقار، وقارنا بينها اشكالا واعضاء وصفات وعادات، في ايجاز شديد.

وقلنا ان الفقاريات خمس طوائف :

(١) الأسماك Pisces وهي من مألوف الحيوانات بيننا .

(٢) البرمائيات Amphibia وهي الحيوانات التي تعيش في البر كما تعيش في الماء مثل الضفدع .

(٣) الزواحف Reptiles وهي التي تزحف على سطح الأرض مثل المظاءة او السحلية والثعبان .

(٤) والطير Birds كالغراب والحداة والدجاج .

(٥) والحيوانات الثديية Mammals وهي التي لها ثدي يخرج منها لبن حليب غذاء لاولادها . وهي تضم اكثر ما الف الانسان من الحيوان كالمواشي وحاملات الأثقال والقطط ، والكلاب ، والقرود ، والسباع ، والانسان نفسه .

وتتسم الفقاريات جميعا بسلسلة ظهرية Back Chain تتألف من فقرات كالحلقات يجري فيها حبل شوكي ، يتصل من اول الجسم بالمخ ، ومن اوسط

الجسم بأعصاب تخرج من هذا الحبل وتمتد في سائر الجسم .

وتتسم الفقاريات كذلك بأطراف اربعة هي عند الانسان يدان ورجلان ، وهي عند سائر الفقاريات اربعة ارجل ، تستثنى من ذلك الاسماك ، فلها اطراف اربعة نعم ، ولكنها زعانف ، اثنان منها صدرية Pectorol fins واثنان حوضية Pelvic fins .

وبينا الحيوانات ذات الاطراف تتنفس عن طريق الرئة ، فان الاسماك بوجه عام تتنفس عن طريق الخياشيم .

ونعدّد ما نعدّد ما بين هذه الحيوانات الفقارية من صفات مشتركة ، وهي معان من معاني الوحدة التي بين الخلائق اصيلة .

مساكن الاسماك ، اعظم مساكن الأرض جميعا

ذلك لأن مساكنها البحار والمحيطات ، وهذه تشغل من مساحة سطح الكرة الأرضية نحو ثلاثة ارباعها . وهي ، على خلاف سطح اليابسة ، لها اعماق ، فمن سطوح البحار ، الى اعماقها ، الى اوساطها ، مساكن للأسماك هائلة ، والاسماك تكثر في بعض وتقل في بعض .

وامواه البحار والمحيطات تمتد من خط الاستواء ، وهو حار ، الى القطبين ، ومياههما باردة . والمياه تختلف ملوحة . ومن المياه الضحل ، ومنها العميق ، وكلها مساكن تؤثر في طبيعة هذه الأحياء ، اعني الاسماك .

وليس كل ما سكن البحار بسمك . والذي ليس بسمك قد يبلغ من الصغر حدا لاتراه الا المجاهر ، وقد يبلغ من الكبر حدا كالذي بلغته الحيتان وهي ليست بسمك . فالحيتان من الثدييات وهي تلد ، وهي تستنشق الهواء الجوي فتصعد اليه .

وكما البحار فكذلك الأنهار مساكن للاسماك .

اثر البيئة في تنفس السمك

الاسماك اذ تعيش في الماء لا في الهواء لم تستطع ان تتنفس الهواء بواسطة الرئات ، ولهذا كانت لها الخياشيم ، وهي بواسطتها تتنفس باقتباس الاكسجين الذائب في الماء . وقد يكون لبعض الاسماك مثانات هواء خاصة تتنفس بها الهواء مباشرة ، والى جانبها الخياشيم . وذلك في ظروف خاصة واستعدادا للطوارىء .

اثر البيئة في تشكيل جسم السمك

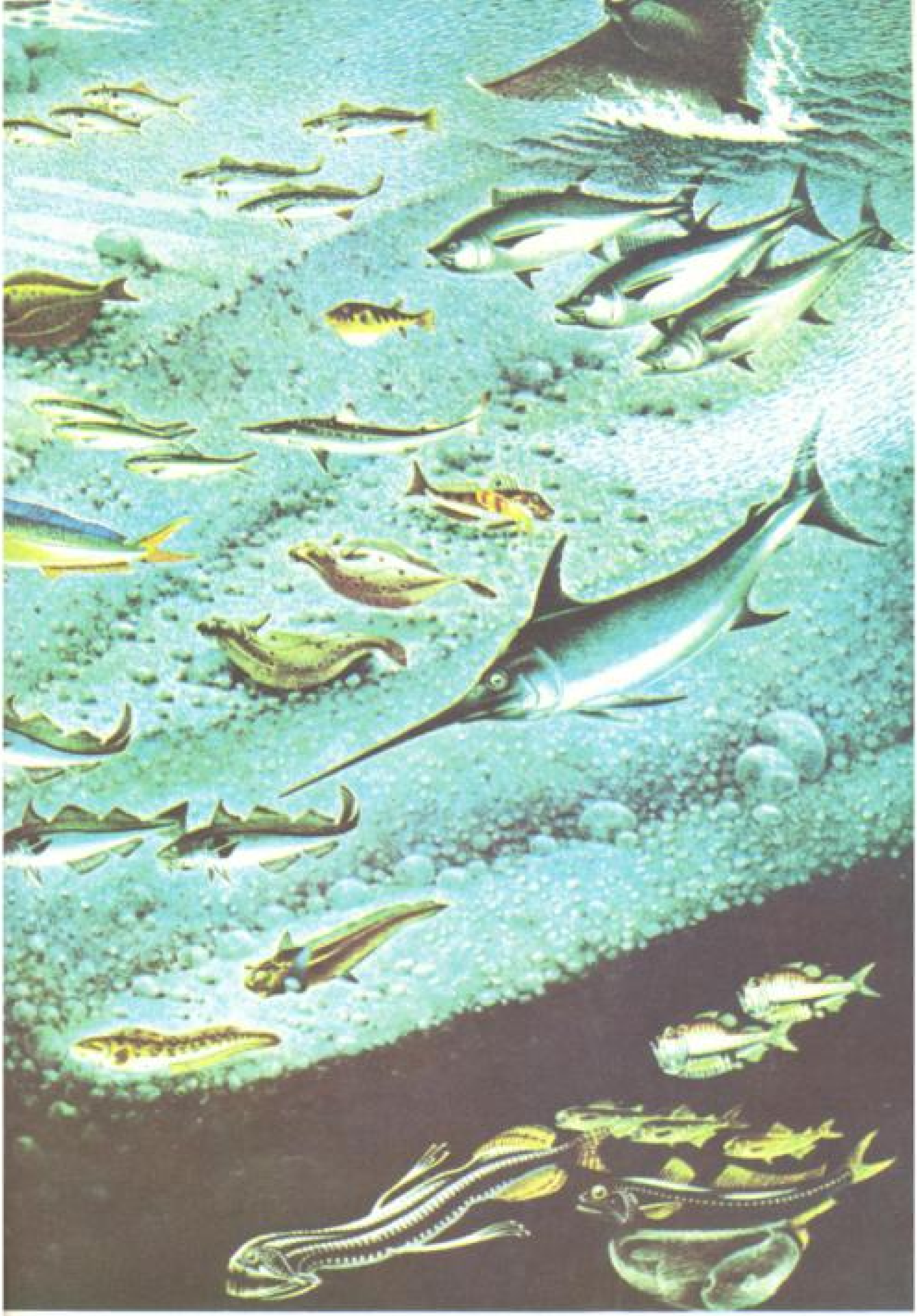
والاسماك تعيش في الماء ، والماء له ضغط على اجسام ما يعيش فيه من الاحياء ، غير ضغط يقع على اجسام الاحياء التي تعيش في الهواء ، وهو ضغط يضاف الى ما فوق الماء من ضغط هواء وقد كان لهذا الضغط في تشكيل اجسام الاسماك اثر واضح . فالسمك جسمه مكتنز ، وجسمه مفرطح غالبا ، يكاد يشبه حدّ السيف وهو يقطع في سباحته الماء . من اجل هذا كانت الطاقة التي يبذلها الجسم في شق الماء اقل مما لو كان لجسم السمك اشكال اجسام حيوانات الأرض اليابسة . وغير ذلك اسماك من شيمتها الركود والسكون .

وزعانف مكان ايد واقدام

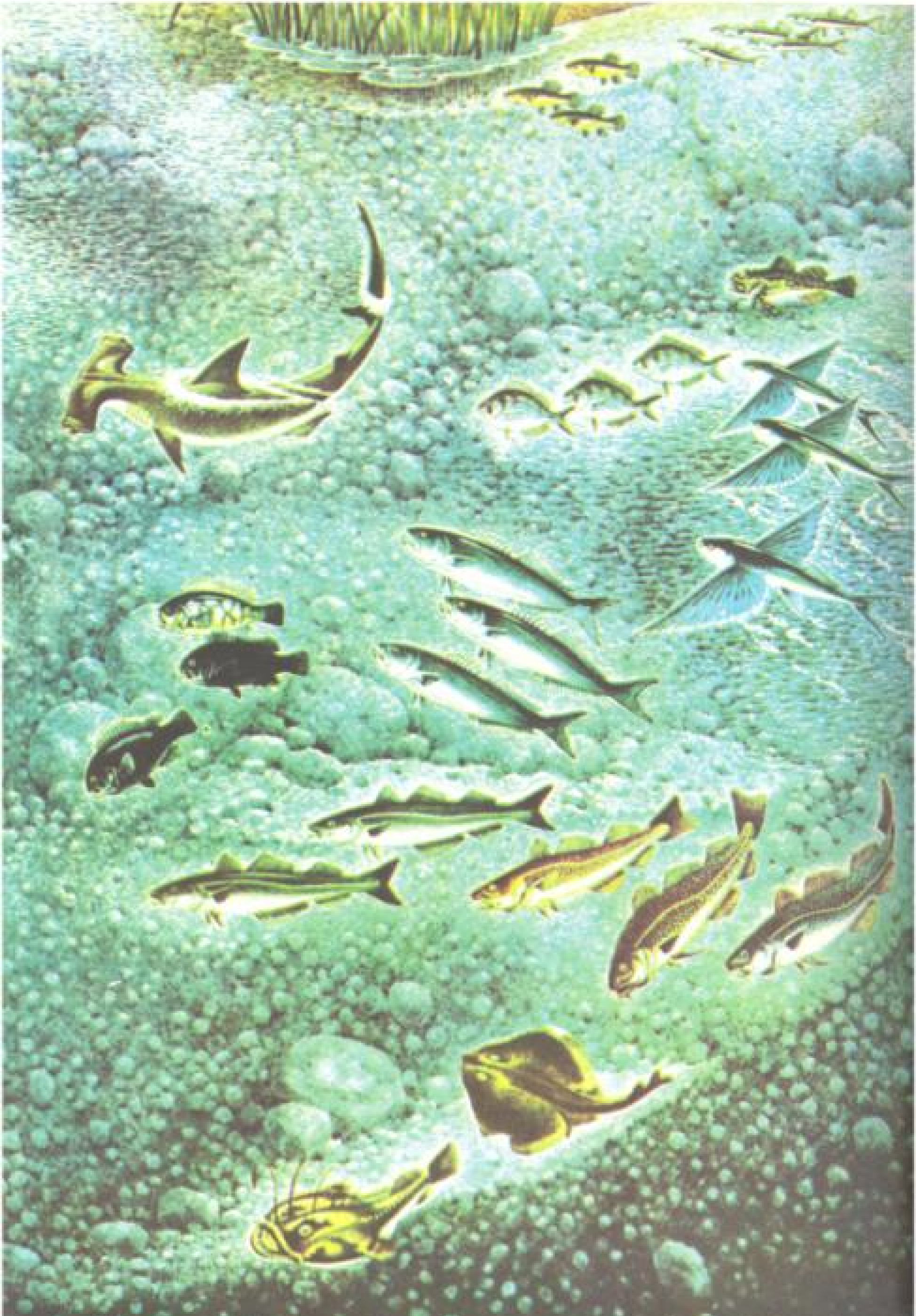
والماء فرض على السمك الزعانف ، بدل الاطراف ، يحركها في الماء فتوجه حركته ، وتزنها ، وما كانت تنفع في ذلك ايد ولا اقدام . وزعانف اخرى في الظهر وغير الظهر ، منها ما ينفع في موازنة حركة . واكثر كفاية ، في أكثر من وجه ، زعنفة الذيل . وعضلات السمك افعل شيء في تحريك الاسماك .

اثر البيئة في الوان الاسماك

حتى الوان الاسماك تتغير بتغير مساكنها . فنجدها بوجه عام قاتمة من اعلى ، نيّرة من اسفل . والسمك الذي يعيش قرب سطح الماء يميل الى اكتساب



صورة ايضاحية لانواع من السمك شتى ، فيها سمك الترا‌ى والسمك الطائر ولهما زعانف كال



نها سمك القرش، والسمك ذو السيف، واسماك" تعيش في ظلام الاعماق وتصنع الضوء من اجسامها لترى.

المزرق او المخضر من الالوان ، والذى يعيش قرب القاع يغلب عليه اللون البني والأسود لونا لظهره والجوانب. اما الذى يعيش فى الاعماق حيث لا ينفذ الضوء ، فهذا يكون لونه اسود او فضيا . وكثيرا ما يحدث فى هذه الاعماق المظلمة ان ينتج السمك ضوءا من صنعه . وسمك آخر يعزف عن الضوء كله ويصيبه العمى .

ومع كل هذه الاختلافات التي تفرضها البيئة يظل السمك سمكا فى كل اصول الحياة . انها الوحدة القائمة فى اصول كيانها ولو اختلفت الظواهر والمظاهر واشياء من تفاصيل التكوين استجابة للبيئة المتغيرة .

الأسماك
آكلات عشب ، وآكلات لحم
وجامعات بين عشب ولحم معا

هكذا هو الحال في حيوانات البحر . وهكذا هو الحال في حيوانات البر ، حيوانات الارض اليابسة . ويزيد الشبه بين المجموعتين من الحيوانات ، من ارضية ، ومن بحرية ، اذا نحن نظرنا في اصول طعامها .

ان اصول طعام حيوانات الأرض ، النباتات . ومن حيوانات الأرض ما ياكل النبات وحده ، ثم تاتي فتاكل هذه الحيوانات حيوانات لا تعيش الا على اللحم ، او هي تجمع بين اللحم والنبات كما يفعل الانسان .

وكذلك اصول طعام حيوانات البحر ، الا انها اخفى .

وتفصيل ذلك ، ان في سطوح مياه البحار والمحيطات كائنات دقيقة ، غاية في الصغر ، يسميها العلماء في لغتهم Plankton ويسميها علماء العرب العوالق ، لانها تظل طافية فوق سطح الماء ، ومنها النباتية ، وهي تتخذ من اشعة الشمس طاقة تنمو بها كما يفعل نبات الارض . وقد قدروا كم ينتج الفدان من سطح بحر كالمحيط الاطلسي من هذه العوالق النباتية في العام ، فخرجوا على انه طن منها . وقدروا كم تنتج سطوح البحار والمحيطات من هذه العوالق النباتية في العام فخرجوا على انها تنتج في العام نحوا من ......٥ مليون طن ، وهو مقدار يزيد على ما ينتجه سطح الأرض اليابسة في العام من نبات .

ومن ياكل هذا الطعام النباتي البحري ؟

تاكله كائنات دقيقة ، غاية في الصغر اخرى ، هي بعض ما يسميه العلماء Plankton ، اى العوالق . الا ان هذه ، هذه المرة ، كائنات حيوانية ، تتغذى على العوالق النباتية .

ثم من ياكل هذه العوالق بصنفيها ، من نباتية وحيوانية ؟

انها الاسماك الصغيرة .

وتاكل الاسماك الاكبر ، الاسماك الأصغر ، وهلم جرا .

وقد قلنا ان الاسماك منها آكلة النبات ومنها آكلة الحيوان . ونعود فنقول ، ولكن آكلة النبات قلة ، وآكلة الحيوان ، آكلة السمك ، كثرة .

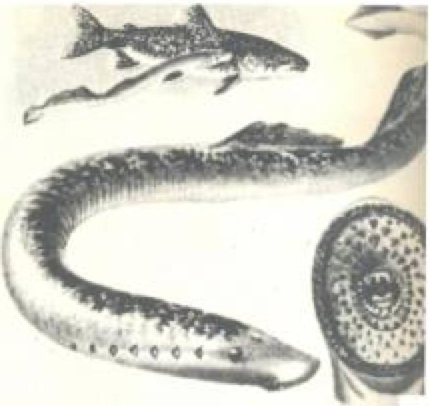
ومن السمك الضخم ما يتغذى على العوالق ، ويدخل الماء فمه فيتصفى ويخرج ، وتبقى هذه العوالق في الفم لتاخذ طريقها الى المعدة .

نظام للحياة
فى بر وفى بحر
واحد

من هذا نرى أسلوب الحياة على الأرض اليابسة ، وفى الماء المائع ، واحد : شمس ، فزرع ، فحيوان ياكل الزرع ، وحيوان ياكل بعضه بعضا . وهو واحد حيثما ذهبت فى اليابسة . وواحد حيثما ذهبت فى المائعة . خطة واحدة لمخطط واحد .

والبحار والمحيطات
مناطق استوائية ، ومعتدلة ، وباردة

اى هي كالأرض تماما . فالمناطق الاستوائية ، وهي على جانبي خط الاستواء ، تقع بين درجة حرارة ٢٠ مئوية شمالا ، ومثلها جنوبا . والمعتدلة تمتد شمالا الى درجة حرارة ١٢ مئوية ومثلها جنوبا . ثم الباردة وتقع شمالا وجنوبا وراء ذلك .



سمكة اللتمبْرى في الاوسط .
والى اليمين صورة مكبرة لفمها .
وفوق تجد السمكة تنهش بفمها هذا لحم سمكة اكبر .



سمكة الهـاج

ولكل من هذه المناطق اسماكها ، وهي اشباه في المنطقة الواحدة حول الأرض .

فتوزع الاسماك على البر مثل توزع الحيوانات على الارض اليابسة . بعض للمناطق الحارة ، وبعض للمعتدلة ، وبعض للباردة ، الا ان يتدخل الانسان فتغير حضارته من الطبيعة ما تغير .

الأسماك
طوائف ثلاث

والاسماك طوائف ثلاث .

طائفة لا فك لها ، وهي لا تكاد تعد من السمك القح الصادق .

وطائفة لها هيكل ولكن ليس من عظم ، انما هو من غضروف . ويعد سمكها من السمك القح الصادق الذى لا ريبة فيه .

وطائفة ثالثة ، هي التي لها هياكل من عظم ، وهي اوسع الطوائف ، انواعا واعدادا ، وانفعها .

السمك الذى لا فكوك له

ويتضمن اللتمبْرى Lamprey وهو سمك طويل لا فك له ، وله فم ماص ، ولسان قاشط كالمبرد ، وهو يضرب بفمه هذا في جسم ضحيته من السمك، ويمص من سائلها ومن لحمها حتى يتركها شيئا لا حياة فيه .

وهذا السمك ، او شبه السمك ، صار اليوم وبالا على الأسماك حين تجمع الظروف بينه وبينها في بيئة محصورة ، كالبحيرات الكبرى التي بين كندا والولايات المتحدة . فمنذ وصلت هذه البحيرات بالمحيط بقناة ، دخل منها اليها هذا الوباء ، وتكاثر كثرة كادت تقضي على ما بتلك البحيرات من اسماك طيبة .

وكاللتمبْرى سمك آخر شبيه به هو سمك الهاج Hagfish ، ويغلب عليه اكل السمك بعد موته او السمك المحبوس في شباكه .

وليس في هذا السمك بنوعيه من قيمة فيما نحن دارسوه من وحدة الخلق . انه سمك لم يستتم خلقا .

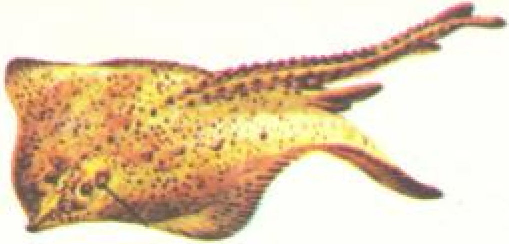
السمك
الذى هياكله من غضروف

ويشمل سمك القرش Sharks ، وسمك الراى Ray ، وهما من الاسماك القديمة في الخلق ، ومن الأسماك الأولية التي عاشت في البحار منذ نحو ٣٥٠ مليون عام ، والى اليوم .

صورة الأسماك
في الصفحتين التاليتين

هي صنوف من الأسماك المعروفة ، على الأقل عند الدارسين ، تركناها باسمائها الافرنجية ، لأننا لم نجد لها اسماء عربية واحدة متفقا عليها، ولأن هذا اضمن للدلالة عليها والاستزادة من علم عنها .

Ray





Lamprey

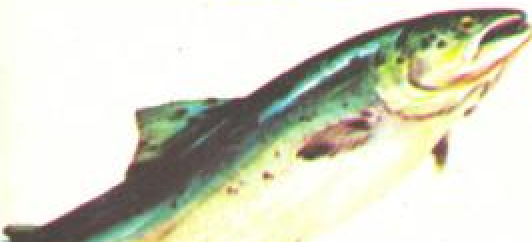
maig

chromis multicolor,





Trout



Salmon

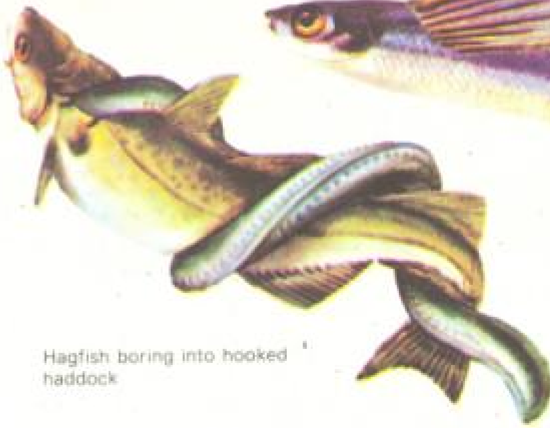


Male sea horse



Flying-fish.



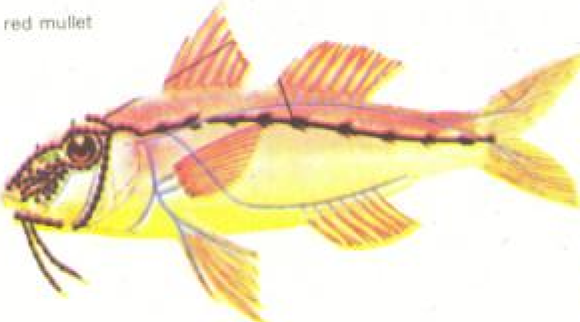


Hagfish boring into hooked haddock

Moorish Idol.



red mullet





Orange Chromide.



Pelmatochromis annectens.



Bumphead Surgeon.



Sunfish.

القرش
سمك مخوف

والقرش حيوان مخوف وله سمعة مرعبة. ولجسمه شكل انسيابي جميل ، الا فمه ، فهو هلالي ، يميل موضعه الى اسفل الراس . وبفمه اسنان مخوفة للقنص والمزق ، وهي اسنان تتجدد كلما ضاع منها شيء . وجسم القرش مغطى بشبه اسنان صغيرة اذا مست جسم رجل في الماء قشطت جلده . وذيل القرش به عضل قوى يدفع القرش وهو يسير في الماء .

سمك الراى

وسمك الراى Ray سمك مفرطح ، وقد تفرطحت زعنفتاه الصدريتان ، وامتدتا فكانتا كالاجنحة . وذيل اكثر هذا السمك قد دق حتى صار كانه السوط .

ومن انواع هذا السمك نوع يعرف بالراى اللادغ Sting Ray ، وذلك لأنه يحمل عند قاعدة الذيل شوكة بها سم ينال بها اعداءه فيشل به حركتهم ، ويفعل هذا في الانسان ، وقد يميته .

وكل من القرش وسمك الراى هيكله من غضروف .

الخياشيم اداة التنفس

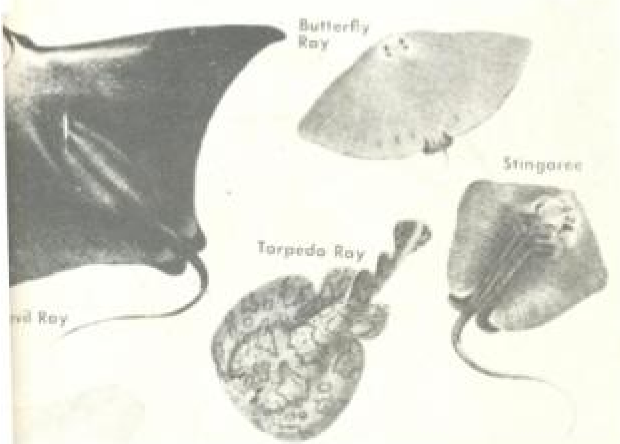
ولكليهما خياشيم بدائية التركيب عموما ، ولها في ظاهر الجسم فتحات ، هي شقوق وراء الراس . ويدخل ماء البحر بالذى فيه من اكسجين ذائب ، فتمتصه شعريات الدم التي بالخياشيم ، ويخرج الماء منقوص الاكسجين ، وهكذا تتنفس الأسماك .

قصر المعاء

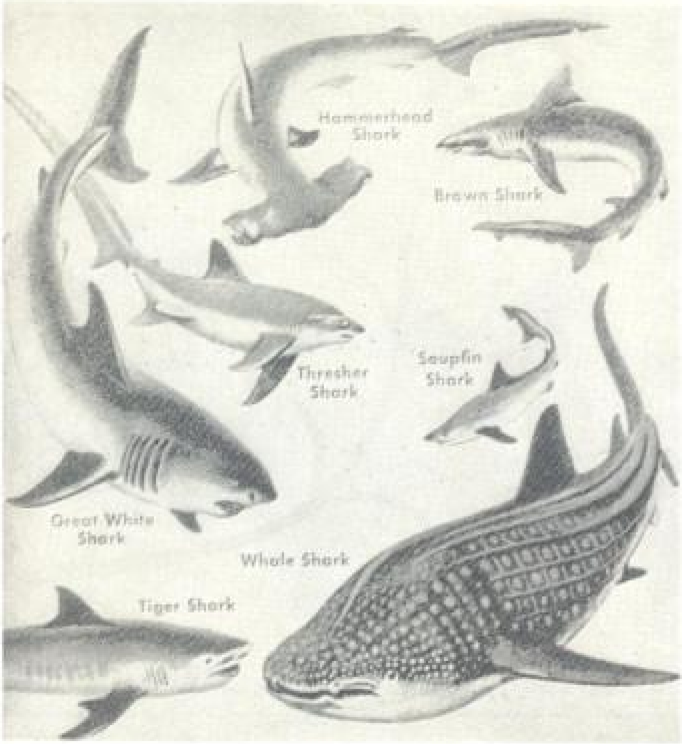
ويتميز سمك القرش والراى بقصر المعاء ، ولهذا نجد لهما معاء حلزونيا Spiral يجرى فيه الطعام فيطول بقاؤه فيه بفضل تلوّيه ، وبهذا تطول فرصة هضم الطعام وفرصة امتصاصه.

المثانات الهوائية

وفي الاسماك ما يعرف بالمثانة الهوائية . وفيها يحفظ السمك شيئا من الهواء فيساعده ذلك على ان يطفو في الماء ، وان يسهل ارتفاعه فيه وهو في اسافله . وليس في سمك الراى ولا سمك القرش



صنوف من سمك الراى. وقد امتدت زعانفها واتسعت ، فكانت اشبه بالاجنحة .



انواع من سمك القرش، تركناها باسمائها الافرنجية فى غيبة الأسماء العربية الواحدة المتفق عليها، وذلك اعون للدارسين .

هذه المثانات الهوائية . وافتقادها ليس بالشيء الخطير لمثل سمك الراى الذى يسكن عادة قيعان البحار ، ولكنه خطير بالنسبة لسمك القرش لكثرة حركته ونشاطه فى الماء . وهو بدون هذه المثانة ، اما ان يظل يسبح فى الماء ، واما ان يسكن فيثقل فيسقط الى الأعماق ، ومن صنوف القرش ما يغالب هذا الأمر بأن يبتلع فى جوفه شيئا من الهواء .

ومن القرش الذى يعيش فى أعماق من البحار متوسط أعماقها ، ما عالج هذا الأمر بكبد نماها ، وقد احتوت مقادير كبيرة من الزيت . والزيت أخف من الماء ، فعمل ذلك على بقائه حيث يريد من أعماق الماء .

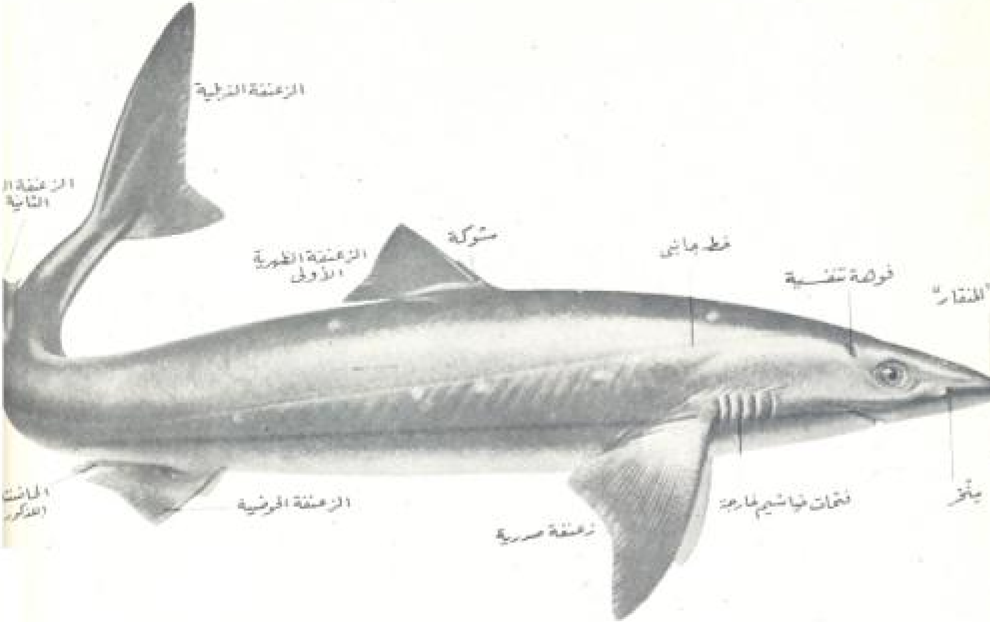
التلاقح والانسال

ومن حيث الانسال نجد القرش والراى قد سبقا سائر السمك فى طريقة ذلك . فالذكر فيها يتصل بالأنثى ، ويتلقح البيض داخل جسم الانثى . وكثير من صنوف القرش والراى يلقى بالانسال ولائد حية .

الأسماك التي هياكلها من عظم

وهي أحدث الاسماك وجودا فى الكون، وهى أكثر الاسماك انتشارا فى البحار ، والانسان اكثر علما بها منه بسائر الانواع . وقدروا عدد انواعها المختلفة بعشرين الفا ، وقدروها بثلاثين الفا .

والفروق بين أنواعها كثيرة . ففيها الوحدة أصيلة ؛ ولكنها وحدة على اختلاف ، لا سيما فى المظاهر . وهو اختلاف ؛ وهو تعدل استجابة لظروف للعيش مختلفة .



صورة ايضاحية لسمكة القرش وترى فيها الأعضاء الظاهرة من السمكة .

واول صفة من صفات هذا السمك يحملها اسمه ، وهى ان هيكله من عظم ، وليس من غضروف .

وهو يشترك فى صفات سبق ان ذكرناها للسمك عامة ، فاكثره له شكل انسيابى يسهل له اختراق الماء ، وله زعانف صدرية ، واخرى حوضية ، وقد تصغر وقد تختفى .. وزعانف فى الذيل واخرى فى الصدر . والزعانف بعينها على انتصاب اشواك من عظم .

والتنفس من خياشيم ،ولكنها تختلف عن خياشيم سمك القرش والراى بأن لها غطاء من عظم .

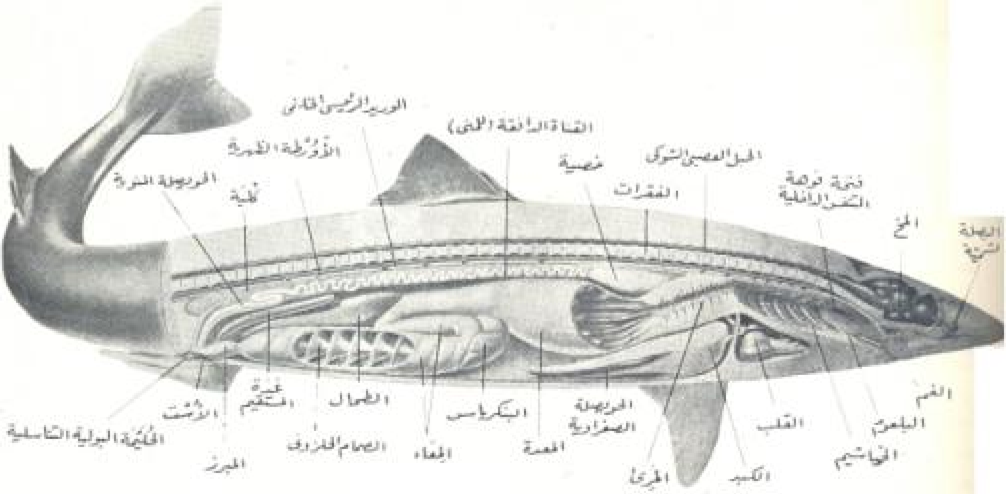
وان يكن سمك القرش والراى ياكل اللحم ، فالسمك العظمى منه ما ياكل اللحم ، ومنه ما ياكل العشب ، ومنه ما يخلط .

والسمك العظمى يتلقح بيضه فى داخله ، فى بعض الانواع ، وإذن تخرج الولائد مكتملة . ولكن فى اكثر الانواع يتم تلقيح البيض فى خارج السمك .

والسمك العظمى يضم اكثر المشهور من الاسماك التى الفها الانسان ، ومنها سمك القد Cod ، والجرِّيث Eel والكارب Carp ، والرنجة Herring ، والسلمون Salmon ، والتِّرَوْت Trout والسمك الطائر Flying fish وكثير غيرها .

اكتمال خلق السمك ومقداره

لقد ذكرنا فيما سبق من هذه الكلمة عن خلق السمك ما ذكرنا ، وكذلك عن خلق الحيوانات



صورة ايضاحية لسمكة القرش ، وترى فيها الاعضاء الداخلية من السمكة .

ذوات الفقار والسمك اولها ، ومن كل هذا الحديث عن الاسماك يتضح لنا اننا صعدنا في السلم الحيواني ، سلم الخلق ، لنبلغ السمك ، درجات كبيرة ، حتى كدنا نقترب من الانسان ، وهو الغاية التي بلغتها الاحياء في خلقها من اكتمال .

ونزيد هنا هذه المعاني بعرض صورتين لسمكة ، ولتكن سمكة القرش ، احداهما لظاهر السمكة ، لظاهر اعضائها ، والاخرى لباطن السمكة ، لباطن اعضائها وباطن اجهزتها .

وفي ضوء هاتين الصورتين المرفقتين نستطيع ان نقول ، ونحن نكرر القول ، ان السمك ، بصفة عامة ، حيوان مائي ، درجة حرارته ليس لها ضابط في جسمه ، وهو يتنفس ، ولكن عن طريق الخياشيم بصفة عامة ، وجسمه يحمل الزعانف ، وبها اشواك تقيمها وتقوّيها .

والاسماك عامةً لها رأس ، ولها مخ تحميه جمجمة . وهذا المخ متصل بحبل شوكي يمد الجسم بشتى الاعصاب . وللاسماك عيون وآذان واجهزة للشم ، واخرى للمذاق ، واخرى للمس . وخط جانبي يحس ما قد يجري في الماء من حركة واضطراب .

وجسم السمك عماده السلسلة الفقارية ، وهي تمتد الى الذيل ، وحول السلسلة تقوم فلق من العضلات في الجسم قوية ، هي مصدر الحركة في اكثر الاسماك . ثم الزعانف ، وتستخدم دافعةً ، وتستخدم دفةً فهي كسكان السفينة ، وتستخدم لاتزان السمكة في الماء ، وتهدئة حركتها ، واحيانا تستخدم كما تستخدم الحيوانات اطرافها لتجد السمكة تمشي في قاع البحر معتمدة على زعانفها .

واذا نحن دخلنا الى باطن السمك ، الى ما به من اعضاء واحشاء ، وجدنا اجهزة الحياة هناك ، تؤدي وظائفها التي عرفناها في الانسان ، ولو في غير اكتمال . وهذا كله قول اجمال نزيده فيما يلي تفصيلا .

الجهاز الهضمي في الاسماك

ونتخذ مثلا لهذا الجهاز احد اسماك الترش ، وفيه تتمثل على العموم الاسماك ، ان لم يكن ما فوقها ، من اكتمال خلق .

والسمك له فم وبلعوم ومرىء ومعدة واثنا عشرى ومعى دقيق ومعى غليظ ومذرق واست . وهذا يؤلف القناة الهضمية،وهذه بهذا التعداد توحي بأنها اشبه ما تكون بالقناة الهضمية للانسان.

وليكتمل الجهاز الهضمي تضيف الى القناة الهضمية ، الكبد والبنكرياس .

والفم به صفوف من الاسنان ، كلها سواء . فليس فيها القاطع والطاحن وغير ذلك . لان السمك يبلع ما يقضم من فرائسه بلعا . وبقاع الفم لسان ، ولكنه قليل الحركة ، وهو لا يعين على مضغ ولا على بلع . وليس في الفم غدد تفرز اللعاب ، وانما تفرز المخاط .

والقناة الهضمية تغطى من الداخل بخلايا كالتى تكسو ظاهر الجلد ، وفي المعدة والامعاء تتكون في الانسجة الرابطة غدد تفرز الانزيمات التى تهضم الطعام . ولا يخرج الطعام من المعدة حتى تفرغ المعدة منه ، وعندئذ تنفتح له العضلة الحلقية التى بين المعدة والاثنى عشرى ليمر منها .

وفي الاثنى عشرى زحام من غدد افرازية للهضم ،وفيه تنفتح قناة الصفراء فتصب صفراءها ، وقناة البنكرياس فتصب عصارتها .

والمعى الدقيق حلزونى التركيب ليجرى الطعام في مجراه اللولبى فيطول بقاؤه في المعى ، ويطول وقت امتصاص المعى لغذائه المهضوم .

وبعد المعى الدقيق ، يأتي القولون ، وهو قصير ، ثم المذرق ، وهو المكان الذى يتجمع فيه ذرق السمك قبل خروجه من الاست ، ثم الاست .

من هذا يتضح الى كم اقتربنا من جهاز الهضم في الانسان ، سيد الحيوانات جميعا .

القلب والدورة في الأسماك

والاسماك لها قلب ، وكذلك لها دورة ، وهى دورة مغلقة ، اى ان الدم يخرج من القلب ، الى الشرايين ، فالشعريات ، فالاوردة ، ثم يعود الى القلب .

والى هنا يتراءى ان الاسماك لها مثل قلب الانسان ودورته .

وهذا صحيح مع فوارق عظيمة .

اولا : قلب الاسماك ، ممثلا في قلب القرش ، هو غير قلب الانسان . قلب الانسان هو في واقع الامر قلبان ، يمين ويسار . اما اليمين فيتلقى الدم العائد من اوردة الجسم ، وهو ناقص اكسجينه ، وزائد ثانى اكسيد كربونه . ويدفع به الى الرئتين ليتهوى ، كما هو معروف ، ثم يعود الى القلب الايسر . ويقوم القلب الايسر بدفعه في شرايين الجسم وشعيراته ثم اوردته ثم هو الى القلب الايمن يعود . دورتان دمويتان ، صغرى وكبرى ، وقلبان ، كل منهما قلب .

اما السمك فليس له غير قلب واحد ، فجوة من بعد فجوة ، من بعد فجوة . فجوات اربع ، على استقامة واحدة ، يمر بهما الدم . يدخل الى الفجوة الاولى اوردة ، ويخرج من الفجوة الرابعة شرايين . ثم يذهب الى الخياشيم ، وهى تقوم له مقام الرئة . واذا يفقد هناك ثانى اكسيد كربونه ، واذ يزيد هناك اكسجينه من الاكسجين الذائب في الماء ، يخرج ويمضى في الدورة الى الراس والجسم ، في شرايين ، ثم هو يعود الى القلب في اوردة .

ولا ينتظر ان يكون لدم السمك ضغط ذو بال . ان ضغطه الكبير هو الذى يكون له عند خروجه من القلب . فالفجوة الثانية من القلب اذين ، والفجوة الثالثة بطين . والبطين يدفع الدفعة فيزداد ضغط الدم الذى بين القلب والخياشيم .

والكبد لهـا دورة في الانسان خاصة تعرف بالكبدية البابية Portal . وللسمك دورة بابية شبيهة بها .

وللكليتين في الانسان دورة خاصة تعرف بالكلوية البابية . وللسمك دورة شبيهة بتلك .

اقتربت الاسماك ، قلبا ودورة ، من الانسان ، ولكنها لم تبلغ مبلغه . انها الوحدة المتدرجة بين الخلائق التى تجد تمامها عند الانسان .

جهاز التنفس في الأسماك

لقد ذكرنا عن الخياشيم الشيء الكافي . انها تقوم مقام الرئات . والرئات تمتلىء بالهواء في صدور الحيوانات التي تعيش طليقة في الهواء . وفي جدران الرئة يلتقي الهواء بالدم ، فيحدث بينهما التبادل المطلوب للحياة : خروج ثاني اكسيد الكربون ، ودخول الاكسجين الى الدم عنصرا لاجراء الحياة لا بد منه . ويمتنع كل هذا والاسماك في الماء . ولكن الماء فيه اكسجين ذائب . واذن جاءت الخياشيم لتأخذ من الماء ، لا من الهواء ، هذا الاكسجين ، بطريقة تكاد تكون هي الطريقة التي يحدث فيها التبادل بين الدم في شعرياته والهواء في رئاته .

فهذا مثل رائع لكيف تتعدل الخطة العامة لتستجيب لظروف خاصة . هواء وماء . واذن وجب ان تكون رئات وخياشيم ، واين الوحدة ؟ لا تزال قائمة . الهدف في كلا الحالين واحد : الحصول على الاكسجين ، ذلك الذي به تحترق الاغذية في كل حي ، ومنه تنطلق الطاقة للحياة على شتيت صورها وشتى وجوهها .

الجهاز العصبي في الأسماك

مخ الاسماك ، كما يتمثل في راس سمك القرش ، يتألف من اجزاء توحي بما سيكون بعدها ، او منها ، من اجزاء المخ المكتمل ، مخ الانسان .

ومخ الاسماك يتألف من مجموعة من الحويصلات الجوفاء ، متصل بعضها ببعض في تتابع ، وفي جوفها يجري السائل المخي الشوكي يحمل الغذاء اللازم . ويتقدم هذه الحويصلات الحويصلة المعروفة بالمخ الامامي Forebrain وهو يتضمن الجزء المسمى في الجهاز العصبي المكتمل بالمخ Cerebrum . ثم تأتي الحويصلة التالية بعد الاولى ، وتعرف بالمخ الاوسط Midbrain ثم تأتي الحويصلة التالية وتعرف بالمخ الخلفي ، وهي تتضمن الجزء المسمى في الجهاز المكتمل بالمخيخ Cerebellum وكذلك الجزء المسمى النخاع المستطيل Medulla Oblongata وهذا الاخير يتصل بالنخاع الشوكي الممتد في الجسم ، ومنه تخرج الاعصاب الى اقسام الجسم ، جسم السمك .

ولقد اسهبنا في ذكر هذه الاجزاء لانها تتنبأ بما سوف يكون عليه المخ والجهاز العصبي عند سائر الفقاريات ، تلك التي بدات بالسمك ، وتمر بالبرمائيات ، فالزواحف ، فالطيور ، فالثدييات ، فالانسان .

اما احاسيس السمك ، فلا تبلغ بالطبع احاسيس الحيوانات ذوات الاجهزة العصبية المكتملة .

فالسمك لا يحسن الرؤية لسببين : اولهما تركيب عيونه ، وثانيهما ان الانسان كلما تعمق في البحر قل النور . والاسماك في اعمق من ١٥٠٠ قدم ، انما تعيش في ظلام .

ومع هذا ، فللاسماك حس تام في الذوق ، وفي اتزان الجسم . وبعضها لها حس شديد للمس . ويستطيع السمك ان يسمع ، وهو يحس الذبذبة تكون في الماء ، وكذلك تغير الحرارة فيه ، وتغير الضغط . وهو يحس الذبذبات ذات التردد القليل بواسطة احاسيس توجد عند الخطوط الجانبية من جسمه . ●●

احمد زكي

شباب

ولكن في الثمانين والتسعين من أعمارهم أطال حياتهم الفكر والإنتاج، والعمل الخلاق

■ كيف نقيس اعمارنا ، كيف نحسب ايامنا على الارض ؟

هل نحسبها بتلك الوريقات الصغيرة التي تحمل اسماء الايام والتي نقتلعها ونطويها ونلقي بها في سلة المهملات يوما من بعد يوم !

ثم ماذا تعني هذه الوريقات ؟

يقول علماء النفس ، انها عند البعض ايام مرت من عمرنا ولن تعود .. وما اكثر وقوفنا عندها ، وتأملنا لها ، ونحن ننتزعها من مكانها حيث عاشت معنا تسجل احداث يوم طويل بكل ما حملته لنا من عمل وفكر واحداث وانفعالات !

وهي عند البعض ساعات مضت ، كما يمضي كل شيء حولهم ، دون ان يستوقفهم او يشغل تفكيرهم في قليل او كثير .. فهم يعيشون حياتهم ، في عبث ويقضون ايامهم في لهو وعربدة ، وهم قلما حسبوا للزمن حسابا ، او عرفوا للوقت قيمة .. وما اكثر هؤلاء الذين يعيشون حياتهم بالطول ، فتدركهم الشيخوخة او يدركونها وهم بعد على طريق الحياة ، يمرون فيه مرورا ، دون ان يتركوا بصماتهم عليه !

الخلق والابتكار

وهي عند البعض اخيرا ، لحظات ممتعة ، مليئة ، حافلة بالعمل والخلق والابتكار ، يومهم في غدهم ، وعملهم في انتاجهم .. الوقت عندهم عبادة ، والحياة عمل ، فلا حياة بغير عمل ، ولا عمل بغير حياة ..

انهم هؤلاء الذين يرون في النوم مضيعة للزمن ، هذا الذي تجري به عقارب الساعة جريا وكأنها في سباق معهم .. وهم قلما توقفوا الا عندما يستبد بهم التعب ، فيركنون الى الراحة ، او عندما يعوزهم الزاد فيأخذون منه حاجتهم ، ليستعيدوا نشاطهم وحيويتهم ..

العمل والحياة

يقول الموسيقار الكبير بابلوكاسال ، الذي احتفل هذا العام بعيد ميلاده الخامس والتسعين « ان عملي هو حياتي .. وانا لا استطيع ان افكر في احدهما دون الاخر .. انهم يسألونني : متى تتقاعد ؟ » وانا اقول : « وكأنكم تريدون بي ان اقول لكم متى اموت .. فالتقاعد هو نهاية الحياة وبداية الموت ..

ويسألونني : « لقد تقدم بك العمر ، ومن حق



... وشابة في التسعين !

اشعر انني ما زلت فتاة شابة ! » هكذا قالت ليدي سبل لورن دايك ، وهي تحتفل بعيد ميلادها التسعين منذ شهرين تقريبا ، لقد بدأت هذه الممثلة الانجليزية الشهيرة عملها على المسرح عام ١٩٠٤ ، واختارها برنارد شو بطلة لمسرحيته المعروفة القديسة جان دارك . تقول ليدي سبل ، وهي تعزف على البيانو في عيد ميلادها التسعين : « لتمنيت لو انني نشأت عازفة بيانو ، ولكنني اخترت المسرح لانه اقل عبقرية ! » .

نفسك عليك ان تريحها ! » وانا اقول : « ان الذى يعمل ، والذى لا يحس بالملل في عمله ، ايا كان نوع هذا العمل ، لا يشعر بالشيخوخة ابدا .. انني احس بانني قد ولدت من جديد مع شمس كل يوم جديد .. لقد مضيت الاعوام الثمانين الاخيرة،اؤدي عملي الذى عشقته ووهبته حياتي .. كنت في كل يوم اعيد ما فعلته بالامس .. شيء واحد ، كان في تغير مستمر .. انه لون انتاجي من تلك الانغام التي اضعها واعزفها .. كانت هذه الالوان الجديدة من الموسيقي تعيد الى نفسي الحياة ..

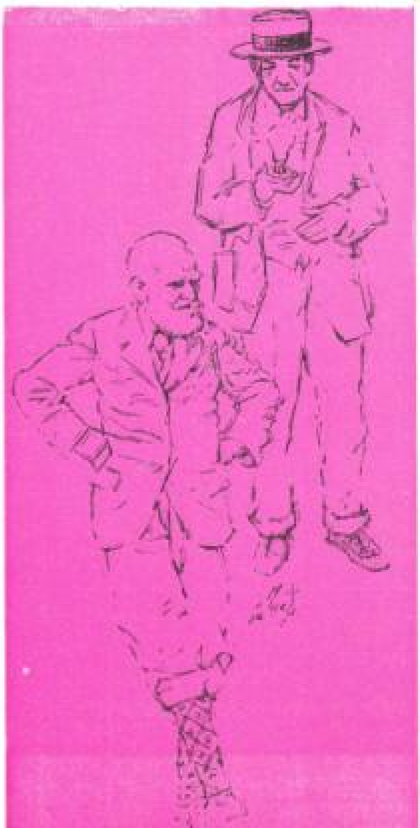
ما اكثر الذين يشكون من رتابة الحياة والينها ، وانا اقول لهؤلاء ان هذه الرتابة هي التي تذكرنا باننا مازلنا احياء .. فكل شيء حولنا رتيب منظم .. الشمس تغرب من بعد شروق .. والظلام ياتي من بعد نور .. فلماذا نمل الروتين !

« انني لم امل يوما الجلوس الى البيانو ، لاعزف الحاني الجديدة .. وكنت في كل مرة اسمع فيها موسيقاى ، يحتويني هذا الشعور الذى يملأ كل انسان حي بلذة الحياة .. »

غرور الشباب

قالوا للفيلسوف الانجليزى جورج برنارد شو George Bernard Shaw (١٨٥٦ – ١٩٥٠) ، عندما وقف يحتفل بعيد ميلاده التسعين : « الا ترى ان الوقت حان لكي تعتزل الحياة ! »

وقال شو وابتسامة ساخرة تعلو وجهه النحيل: « ارجو الا يكون غرور الشباب هو الذى دفعكم الى طلب تنحيتي ! على اى حال اريد ان اؤكد لكم انني لم اشعر في يوم من الايام ، بحيوية ونشاط كتلك التي اشعر بها اليوم .. انني على استعداد لان انازلكم باى سلاح تختارونه ، ولو انني شخصيا افضل ان يكون القلم ، ذلك السلاح



الرفيق ، هو وسيلة المبارزة التي تختارونها لمنازلتي ! »

شاب في التسعين

وفي مساء ذلك اليوم ، قصد برنارد شو الى مكتبه ، وجلس يكتب مقالا بعنوان : « شاب في التسعين ! » قال فيه : « اليس غريبا ان يشعر من كان في مثل سني ، بدماء الشباب تجرى في عروقه ؟ ولكن لم الغرابة ؟ ان الشيخوخة لاتصيب سوى المقعدين ! اما انا فلم اقعد يوما .. لقد قضيت عمرى كله اعمل وانتج وافكر واكتب ، ولعلها بحثت عنى ، في وقت او في آخر ، ولكنها لم تجدني ، لانني لم اكن ابدا هناك في انتظار مجيئها ! »

لقد بكى اصدقاء الرسام الفرنسي العالمي رينوار Renoir (١٨٤١ ــ ١٩١٩) ، عندما وجدوه جالسا يوما امام احدى لوحاته يرسم ، فقد كانوا يعلمون ان يدى الرجل قد تصلبتا من اثر روماتيزم المفاصل الذى اصاب جميع اطرافه .. وبالرغم من هذا لم يستسلم للمرض ، فقد كان يحب الحياة ، ويعشق عمله ، فكان يرجو بعض اصدقائه بان يربطوا الفرشاة في يده ، ثم يجرى بيده المربضة والفرشاة مثبتة فيها على القماش ليسجل بهما اروع لوحاته !

وكان الرسام الكبير ، اذا رأى احدهم يبكى من حوله ، التفت اليه ضاحكا وقال : « انتم وحدكم الذين تتعذبون ، اما انا فما زلت اجد في الحياة صورا جميلة من حولي ، كما ترون وما زلت اجد متعة في نقلها وتصويرها ! »

الرغبة في الحياة

ماذا في هؤلاء الرجال مما ليس في غيرهم ؟ اليسوا هم ايضا بشرا مثلنا ؟

يقول العلماء : « بل هم بشر لا يميزهم عنا سوى شيء واحد ، هو ذلك الشعور بالرغبة في الاستمرار في الحياة .. ثم تعريفهم لمعنى الحياة ، فالحياة بالنسبة لهؤلاء الرجال الذين دخلوا التاريخ هي عمل وخلق وابتكار .. وقليلون هم الذين يدركون هذا المعنى .. فنحن نعمل ونكدح ، حتى اذا اقتربنا من سن التقاعد ، او اقترب بنا ، جلسنا ننتظره ، فوق مقعد مريح وسط احدى الحدائق العامة نرقب الطبيعة من حولنا او في مقهى صغير في ركن من اركان الشارع الصاخب ، حيث تمر امامنا مواكب الحياة التي تذكرنا بماضينا البعيد ، او ربما انتهى بنا المطاف على فراش المرض ، حتى لو لم يكن بنا علة ولا مرض .

الجسم والعقل

فالتقاعد هو نهاية الحياة ، وبداية الموت .. ولو اننا توقفنا برهة وتساءلنا : « ولماذا نرضى بالموت ، ونحن احياء .. لماذا نكف عن العمل مادمنا قادرين عليه ، لماذا لانبدأ حياة جديدة بعد التقاعد .. لماذا نركن للكسل والنوم والاستسلام للمرض !؟ لو فعلنا هذا لاستطعنا ان ندرك المعنى الكبير الذى قصده هؤلاء العباقرة للحياة ! » .

لقد اثبتت البحوث التي اجراها العلماء ان العقل لايهرم ، فقد يصاب الجسم بالوهن وقد يحس الانسان بالضعف ، ومع ذلك يبقى ذهنه متقدا ، وتبقى ذاكرته قوية قادرة على استيعاب كل ماهو جديد وحديث ، حتى بعد ان يبلغ الثمانين . ان التاريخ حافل بالادلة على ان المواهب التي تمنح للانسان تستمر في تفاعلها طالما ان العقل يدعوها الى هذا الاستمرار ..

فعندما بلغ الفنان الايطالي الشهير مايكل انجلو الستين من عمره ، بدأ ينظم القصائد الشعرية ، وعندما بلغ السبعين ، نجح في انجاز عمل فني رائع ، تمثل في مجموعة التماثيل التي نحتها بيده واسماها « لوسى والعبيد » .

وبقى هذا الفنان الكبير مبدعا ، حتى وافته منيته في عام ١٥٦٤ عن ٨٩ عاما .. وفي سنوات حياته الاخيرة ، استطاع ان يتوج عمله الخلاق في قبة كنيسة القديس بطرس ، تلك التي زينها بصوره المشهوره ولوحته الخالده التي اسماها الديثونة وغير ذلك من الاعمال التي كشفت عن عبقريته ..

عالم ضرير

قال عالم الفلك الشهير جاليليو Galileo (١٥٦٤ ــ ١٦٤٢) ، عندما اصيب بالعمى ، بعد بلوغه العام الثالث والسبعين : « لا اظن انني سوف استسلم لهذا الظلام .. حقا ، انني ارى كل شيء من حولي ظلاما في ظلام مستمر .. ولكنني ارجو ان اتمكن من الاستمرار في تجاربي .. ساعتمد على ذراع مساعدى في العمل ، وسوف اجزل له العطاء ، وانا واثق من انه لن يتخلى

عني .. فلا بد ان امضي في تجاربي ، لان الحياة لم تنته بالنسبة لي بعد ! »

وبقي جاليليو بعد هذا خمس سنوات كاملة يجري تجاربه ويباشر نشاطه ، مستندا على ذراع صديقه ومساعده في المعمل ، الذي ظل يرافقه كظله حتى فارق الحياة !

مخترع بعد الثمانين

وعندما توصل العالم الامريكي الشهير توماس اديسون Thomas Edison (١٨٤٧ – ١٩٣١) ، الى اكتشاف نوع جديد من المطاط ، قبل وفاته بعام واحد ، اي عندما بلغ عامه الثالث والثمانين ، جلس يتحدث الى اصدقائه ويقول : « ارجو ان انتقل في تجاربي المقبلة الى مجال جديد .. وقد تستغرق هذه التجارب الجديدة خمس سنوات او اكثر او اقل لا ادرى ، ولكنني عازم على ان اغزو ميدانا جديدا لايمت الى الكهرباء بصلة على اية حال » .

يقول الذين عاصروا هذا المخترع الكبير ، انه كان يتميز بذهن صاف وعقل راجح وحيوية فياضة ، ولو كان امتد به العمر خمس سنوات اخرى ، كما اراد ، لاستطاع ان يقدم للبشرية عشرات من الاختراعات والاكتشافات الجديدة !

وكان فولتير Voltaire (١٦٩٤ – ١٧٧٨) كاتب فرنسا وفيلسوفها الشهير ، شيخا جاوز عامه الثالث والثمانين ، عندما كان يسير في شوارع باريس ، وجماهير الشعب تحيط به في كل مكان يذهب اليه ، وقد امتلأت صدورهم بالحماس ، لتلك الكلمات الرائعة التي مضى يكتبها وينشرها عليهم عن الحرية والمساواة .. لقد مضى فولتير يدعو الى الثورة « الفرنسية » التي لم يعش ليشترك فيها ، حتى اخر لحظة من حياته !

تحدى المرض

قال ونستون تشرشل Winston Churchill السياسي الانجليزي الداهية (١٨٧٤ – ١٩٦٥) عندما نصحه الاطباء بان يكف عن حضور جلسات مجلس العموم البريطاني (البرلمان) . وكان قد جاوز عامه السابع والثمانين قال تشرشل ، وقد استبد به غضب هائل : « انني افضل الموت على ان اترك هذا المجلس لهؤلاء الصبية ، يعبثون به ما شاء لهم العبث .. ثم من قال لكم انني مريض . ان المرض وحده لايكفي لكي يمنعني عن تأدية واجبي نحو بلدي ونحو الناخبين الذين منحوني ثقتهم .. يجب ان افقد القدرة على الكلام اولا ثم القدرة على السمع ، ثانيا ، واخيرا القدرة على الحركة .. عندئذ فقط ، قد افكر في ترك مقعدي في البرلمان ، لمن هم اقدر مني ! »

اعظم اعماله

لقد توقع الشعب الامريكي ان يعتزل توماس جيفرسون Thomas Jefferson (١٧٤٣ – ١٨٢٦) السياسة ، ويركن الى الهدوء في بيته ومزرعته ، بعد ان تولى رئاسة الولايات المتحدة فترتين متتاليتين !

وقد اعتزل جيفرسون السياسة فعلا ، ولكنه لم يتقاعد ، ولم يركن الى الهدوء كما توقعوا .. لقد فوجئوا به يبدأ بعد ان جاوز عامه الستين ، في انجاز اعظم عمل قام به في حياته ، على حد وصفه هو له ، وهو انشاء جامعة فرجينيا ، التي لا تزال قائمة حتى اليوم ، تحمل اسم مؤسسها !

ثم ماذا ؟ ان التاريخ مليء بالشخصيات التي مضت تعمل وتفكر وتنتج وتبتكر ، دون ان تتوقف لحظة لتحسب كم مضى عليها من الزمن في هذا العمل الخلاق .

نمو العقل ونضجه

حقيقة ، ان الملايين من الرجال والنساء على السواء يضيعون افضل سني حياتهم سدى ، عندما يشعرون انهم بلغوا سن التقاعد ، نتيجة لتوقفهم عن استخدام عقولهم في اي عمل يعود بالنفع عليهم وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه .. ولكن الذي يبعث على الامل ، هو تلك الاعداد المتزايدة من الرجال ومن النساء ايضا الذين بدأوا يكتشفون من تلقاء انفسهم ، انه بالرغم من ان نمو جسم الانسان يكتمل تماما بين سن العشرين والخامس والعشرين ، الا ان العقل يمضي في نموه ونضجه .. وانه من المؤسف حقا ان تهمل هذه الطاقة الهائلة ، فتتركها بين جدران سجنها المظلم حيث يعلوها الصدأ وتهرم وتموت !

يقول علماء النفس : « ان الشيوخ هم رواد الحياة .. وعندما تدرك هذه الحقيقة تماما سوف تتمكن من اضافة ابعاد جديدة للحضارة التي تعيشها اليوم ! » ■■

(م ٠ ن)

أمراض شائعة

التسمم

ظاهرة زادت في عصرنا الحاضر بزيادة التقدم في مجالات الحياة

● بالولايات المتحدة مليون حالة تسمم في السنة الواحدة

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

■ لا احد ينكر ان مدنيتنا الحديثة اعطتنا من اسباب الحياة الشيء الكثير ــ وكان عطاء كله سخاء ، فكان منا من حافظ عليه ، واعتنى به ، فنزل نعمة وبركة عليه ، وكان منا من اسرف واستهان بكل شيء فكان العطاء نقمة عليه .
والعاقل من ينظر الى الامور بعين الحكمة ، ولا يتبع نفسه هواها فيسلم ويتنعم . ولعل هذا ينطبق على ما نشاهده من حالات التسمم التى نواجهها كل يوم ، بل كل ساعة نتيجة لاهمالنا ، سواء في انفسنا ، او مع اولادنا ، او مع المجتمع الذى نعيش فيه ، او لتهور ينتابنا فيكون التفكير في البعد عن مسئوليات الحياة ، فنسرف في مشروب او مخدر ، وربما تعدى ذلك الى التخلص من الحياة فيكون الانتحار . وهذه الاحصائيات شاهدة على ذلك . ففى الولايات المتحدة ــ المتقدمة المتحضرة ــ وجد ان حالات التسمم تربو على مليون حالة سنويا ، ويموت من هذا العدد اكثر من الفين ــ ولقد وجد ان نصف هذا العدد اى اكثر من ۵۰۰٫۰۰۰ يكون نتيجة للتسمم بطريق الخطأ ، والبقية نتيجة لمحاولات الانتحار .

ولا يقتصر التسمم على شخص دون آخر ، بل يعاني منه الاطفال والشباب والمسنون . ومنهم من ينجو اذا اسعف في الوقت المناسب ، وكانت المادة التى تناولها ضعيفة لا تؤثر على اعضائه ، ومنهم من يعاني من المضاعفات كضيق في المرىء ــ او التهاب في الكبد ، او تأثر في الكلى . ومنهم من يكون للمادة الاثر الشديد على خلايا جسمه ، وعلى اجهزته المختلفة فتسبب الغيبوبة التى ربما ادت الى الوفاة .



اسباب التسمم :

واسباب التسمم عديدة متشعبة : فهناك التسمم الغذائى والتسمم الناتج من تعاطى الكحول ، والتسمم نتيجة التعرض لبعض الغازات السامة ـ والتسمم بمركبات بعض المعادن ، والتسمم ببعض انواع الادوية وعلى راسها المهدئات او المنومات وغير ذلك كثير ـ وساقتصر فى مقالى هذا على اسباب التسمم الشائعة فنتعرف عليها ، ونقى انفسنا من ويلاتها ، وكيف نعالج من يصاب بهذا التسمم مع التركيز بصفة خاصة على الاسعافات الاولية .

كيف نقى انفسنا من التسمم :

ولعل اهم ما فى التسمم ، هو ان نقى انفسنا من التسمم ، فاذا كنا نعلم ان الوقاية خير من العلاج فانى لا اجد مجالا يطبق فيه هذا المثل افضل من مجال التسمم ـ فكثيرا ما تفشل المحاولات فى انقاذ مرضى تمكنت السموم منهم ، وكانت سببا فى القضاء عليهم .

وسبل الوقاية سهلة ميسرة ، فما علينا الا ان نحافظ على طعامنا فلا نعرضه للتلوث ، ثم يجب ان توضع الادوية فى مكان امين بعيد عن تناول الاطفال ـ ثم لا توضع فى اماكن تكون قريبة للاطعمة فتؤخذ بطريق الخطا ـ فلقد قابلت بعض من اصيبوا بتسمم وقد وضعوا المطهرات مثلا ، او بعض الاحماض ، وادوية مهدئة او منومة فى ثلاجات واخذت على انها شراب وكانت سببا فى التهاب حاد بالفم والمرىء ادت فى النهاية الى ضيق بالمرىء وتقرحات بالمعدة .

ثم يجب أن تغلق الخزانة التي بها أدوية خاصة حتى لا يمكن لأحد أن يصل إليها إلا بعد فتحها. وما أجدرنا أن لا نقع في خطأ نوهم الأطفال فيه أن الدواء مثل الحلوى ، لنشجعهم على تعاطيه ــ فبعد ذلك تراهم يلتهمون منه جزءاً كبيراً ، يكون سبباً في ضررهم ، بل ربما أودى بحياتهم . وكم شاهدت أطفالا وقد شربوا من « الكيروسين » الذي ترك في مكان غير مأمون وكان سهلا أن تصل إليه أيديهم . فما أحرانا بعد كل هذا أن نحرص كل الحرص على أن لا نستهين بهذه الأمور ، حتى نقي أنفسنا وأولادنا شرور السموم الفتاكة .وهل نلوم طفلا لا يعقل ، ونقول انه « عفريت وشقي » دون أن نلوم أنفسنا ونحس بتأنيب الضمير لاهمالنا . ؟

الاسعافات الاولية :

واجب أن أنوه هنا أنه يجب على كل أسرة (أبا وأما) أن يكون عندها دراية في هذا المجال ــ فاذا حدث تسمم في البيت أجريت بكل هدوء هذه الاسعافات الاولية التي لو أجريت بمعرفة وعناية ورباطة جأش فإنها تكون منجاة من الخطر المحدق بمن يصابون بالتسمم ــ وليعرف رب كل أسرة وربتها أن كل دقيقة تمر على المصاب انما تقربه الى الهلاك . ومن هنا كانت أهمية الاسعافات الاولية ، وأهمية نقل المريض الى المستشفى في أسرع وقت ممكن .

وسأهتم بالنقاط الهامة في الاسعافات الاولية التي يمكن القيام بها لأي رب أسرة وربتها .

أولا :

التخلص من المواد السامة التي يتناولها المصاب والتي لا تمتص في الجسم ــ فاذا كان المريض قد تقيأ معظمها فلا داعي لاعطائه مقيئا بكميات كبيرة ، ويكفي أن يعطى ماء من الصنبور «الحنفية» أو ماء زيد عليه بعض الملح مرة أو مرتين للتثبت من أن معظم المادة قد تخلص منها ــ أما اذا لم يتقيأ المريض فلا بد من جعله يتقيأ (إلا في بعض حالات خاصة مثل تعاطي المواد الكاوية لأنه يكون في ألم شديد ، أو أنه شرب شيئا من كيروسين ، لأن ذلك يسبب التهابا في مجرى الهواء والرئتين ــ أو يكون المصاب في حالة غيبوبة) وفي الصغار من الممكن أن تجرى هذه العملية باعطائهم كوبا من الماء ثم وضع الاصبع في الحلق ــ أو لمسه بملعقة غير حادة ، فيتقيأ الطفل ما قد أخذ من ماء حاملا معه المادة التي تناولها ، ونكرر هذه العملية عدة مرات ، حتى نرى أن الماء الذي يخرج من معدته صافيا لا يعلق به شيء ، وهذا دليل تخلصه من المادة التي تناولها . وتكون هذه العملية سهلة في الكبار ، لأن المصاب يمكنه أن يأخذ كميات وفيرة من الماء العادي ، ويضع أصبعه في فمه ليتقيأ ، ويساعد على التقيؤ اضافة كمية من ملح الطعام . وتستعمل حقن الابومورفين Apomorphin في المستشفيات عند العجز عن حمل المريض على القيء .

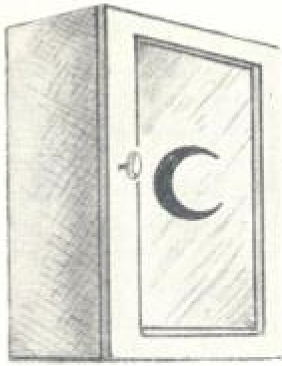
وفي حالة القيء في الأطفال لابد أن يكون الرأس منخفضا عن الجسم ، حتى لا يدخل شيء من المادة التي يتقيؤها ، داخل القصبة الهوائية ، فتسبب له اختناقا .

ثانيا : غسيل المعدة :

واذا لم يمكن حمل المريض على القيء أو كان في غيبوبة ــ كان غسيل المعدة من الأمور الهامة في حالة التسمم ــ والعملية سهلة لو أجريت بتؤدة . ويتجنب غسيل المعدة اذا كان المصاب قد تعاطى مادة كاوية شديدة ، اذ أنه قد تسبب أنبوبة غسيل المعدة عند دخولها ضررا شديدا ، نتيجة للتقرح الذي يصيب المريء ، وربما تثقبه . وكذلك اذا كان المريض قد شرب بترولا .

وتستعمل قسطرة صغيرة في حالة الأطفال الصغار ، أما الأطفال الكبار والبالغون فتستعمل معهم أنبوبة غسيل معدة . تدخل عن طريق الفم ويشجع المريض على البلع بالتدريج الى أن تدخل المعدة ، ويمكن التأكد من ذلك بخروج عصارة من المعدة تكون في بعض الأحيان ملونة بالصفراء .

ثم يوضع المصاب على طرف المنضدة ويكون



تقفل الصيدلية حتى لا يصل الطفل الى الادوية ومنها اليود

مضطجعا على جنبه الايسر ويكون راسه معلقا على اخر المنضدة ، ووجهه الى اسفل ، ثم توصل الانبوبة بقمع يرتفع الى اعلى قليلا ويصب فيه الماء الذى يصل الى المعدة ثم يقلب القمع الى اسفل تحت مستوى الراس فنرى ان الماء الذى دخل المعدة ، ينزل من القمع ، وتكرر العملية الى ان تختفى المادة العالقة بالماء ، وربما احتاج ذلك الى حوالى عشر مرات . ويستعمل الماء من الصنبور فى غسيل المعدة ، وفى بعض الحالات تستعمل الماء وبه بيكربونات الصودا التى لا تستعمل فى حالات التسمم بالاحماض .

ثالثا : اعطاء المواد المضادة للسموم :

وبعد غسيل المعدة ، وقبل ان تزال انبوبة الغسيل ، يوضع فى المعدة مادة مضادة للمادة السامة ـ وهى كثيرة وعديدة ـ ولكن يجب ان يكون فى كل بيت ما يسمى بالمادة المضادة العامة Universal antidote وهى تكون من فحم نشط (يمكن الحصول عليه من حرق توست خبز) ويوضع منه جزءان ، ثم جزء من « حليب المانيزيا Milk of Magnasia وجزء من حامض التنيك Tannic ، (ويمكن عمله من شاى مغلى ثقيل) هذه يخلط بعضها مع بعض ، وتكون على هيئة محلول يوضع فى الانبوبة ، فيترسب ما تبقى من المادة ، وينزل فى الامعاء ويحدث الاسهال ، وتخرج باقى المادة دون أن تمتص فى الجسم .

واذا كانت المادة قلوية فيؤخذ ماء الخل او عصير ليمون او عصير برتقال واذا كانت المادة كاوية فتعطى المواد الملطفة لتغطى الغشاء المخاطى للفم والمرىء والمعدة مثل زيت الزيتون حوالى ٢٠٠سم٣ أو بياض بيض حوالي ١٠٠ سم٣ أو حليب او ماء مذاب به نشا او زبدة .

ومن الأشياء الهامة في حالة التسمم أن لابد وأن يحضر اهل المصاب عينة من المادة التى تعاطاها المريض الى المستشفى ليتعرف عليها الطبيب ، حتى يمكنه ان يعطى العقار المضاد لها فى اسرع وقت ممكن بدلا من ضياع الوقت لتحليلها والتعرف على كنهها .

وكذلك لابد أن تؤخذ عينة من القىء او غسيل المعدة لتحليلها ، والتأكد من المادة التى تعاطاها المريض .

وفى المستشفى تعطى العلاجات الخاصة لكل مادة وتعطى العلاجات التى تتغلب على المضاعفات التى تنتج من تعاطى هذه المادة كالمهدئات وعلاج الصدمة وانخفاض ضغط الدم اذا حدث ، وما الى ذلك من علاجات لتحافظ على حياة المريض .

وهناك جداول عديدة لمضادات المواد السامة يعرفها الاطباء المختصون .

وعلى رأس قائمة التسمم يأتى التسمم الغذائى ـ الذى يصاب منه العشرات وأسر بكاملها .

التسمم الغذائى :

اكثر امراض الامعاء انتشارا . والتسمم الغذائى يطلق على حالة التهاب بالمعدة والامعاء تحدث بعد ساعات من تناول طعام او شراب فاسد .

الاسباب :

١ ـ أكل الأطعمة السامة مثل بعض الطحالب وتؤكل على انها (خرشوف) .

٢ ـ أكل الأطعمة الملوثة ببعض المواد الكيماوية (وقد قلت الحوادث من جراء ذلك في هذه الايام) والسبب في ذلك هو حفظ الأطعمة في اوان كانت تستعمل لحفظ الكيماويات او وضع عصير ليمون يحتوى على حامض الليمون في اوعية رخيصة من الالمنيوم او الزنك او نحاس غير مطلى ، فتخرج من ذلك مادة الزنك والنحاس وتسبب التهابا بالمعدة والامعاء .

٣ ـ تسمم بواسطة ميكروبات خاصة ، وهذا اكثر الاسباب شيوعا ، وهو اما ان يكون بواسطة ميكروب أو بواسطة سم يفرزه الميكروب .

التسمم الغذائي بواسطة الميكروب : والميكروب من فصيلة السالمونيلا او السالمونية Salmonell ويحدث نتيجة تلوث المأكولات بافرازات الفيران ، أو تنقل العدوى بواسطة الذباب ، وكذلك تنتقل العدوى بواسطة العمال الذين يعملون في تجهيز الاطعمة ، بوجود جرح في ايديهم حامل للميكروبات المنقودية او يكون حاملا للميكروب في حلقه او في انفه . والاطعمة التى تسبب التسمم هى الشطائر المحشوة بالقشدة أو الزبدة والالبان ومستخرجاتها والمرق وخصوصا اذا كانت غير طازجة أو لم تحفظ بالثلاجات ، أو عندما تؤكل المأكولات المحفوظة ، والعلبة مفتوحة لمدة طويلة . ومعظم الحوادث التى نشاهدها تحدث من الاطعمة التى تترك لمدة طويلة دون غطاء ودون حفظها بالثلاجات .

ويلاحظ في حالات التسمم أن عددا من افراد الاسرة يصابون في نفس الوقت ، وبنفس الاعراض، وتظهر الاعراض مختلفة باختلاف سبب التسمم فلقد وجد أن القيء يحصل بعد نصف ساعة أو ساعة بعد تناول الاطعمة التى تحتوى مواد كيماوية سامة . ويحدث القيء بعد ست ساعات من تناول اطعمة بها افراز سم من السموم ، واذا حدث في ظرف ١٢ ـ ٤٨ ساعة فمن المحتمل أن يكون سبب ذلك ميكروبا .

والاعراض عبارة عن غثيان وقيء واسهال والام بالبطن مع مغص معوى ، وفي الحالات الشديدة يحدث هبوط عام مع فقدان كثير من سوائل الجسم ، وفي هذه الحالات تنخفض درجة الحرارة ويكون البراز سائلا وذا رائحة كريهة ، وفي بعض الحالات يكون هناك دم ومخاط .

ويشخص المرض ـ علاوة على هذه الاعراض ـ بالظروف الخاصة المحيطة به وبتحليل القيء وغسيل المعدة وبتحليل البراز والاطعمة المتبقية التى سببته .

وعلاج هذه الحالة يتلخص في :

١ ـ راحة تامة بالفراش .

٢ ـ غسيل معدة بمحلول ملح دافء .

٣ ـ سوائل بالفم أو بالوريد ثم تناول شاى بكميات قليلة ومتعددة وبعد ذلك تزداد كمية الطعام تدريجيا ويعطى خبزا مدهونا بزبدة او فالوذج .

٤ ـ لعلاج الاسهال يعطى مزيج البيزموت Bismuth mixture والطباشير .

٥ ـ في حالة وجود ميكروب يعطى الكلورمايستين او الاستربتوميسين أو غيرهما .

العلاج الوقائي :

العناية الصحية التامة بحفظ الاطعمة وبالقائمين على تحضير الاطعمة وحفظ المأكولات في الثلاجات وغلى اللبن جيدا ثم يبرد سريعا ويحفظ في الثلاجات ايضا حتى يحين وقت استعماله .

التسمم الغذائي نتيجة تناول المعلبات :

ويشمل ذلك اللحوم والخضر والفواكه وغيرها التى تحفظ في علب ، وقد يكون سبب التسمم راجعا الى تلوث الاطعمة اثناء عملية التحضير ،

او قد تكون عملية الطهي غير كافية لقتل الميكروبات المسببة أو اتلاف سمومها .

والاعراض تظهر بعد ١٢ ـ ٤٨ ساعة او اكثر وفي ثلث الحالات تحدث تلبكات معدية ومعوية ، مع شعور المريض بغثيان وحدوث قيء واسهال . وفي معظم الحالات لا يحدث الاسهال بل يحدث امساك بسبب شلل عضلات الامعاء.واكثر الاعراض حدوثا هي اعراض اصابة الجهاز العصبي ، فيحدث عدم رؤية الاشياء بوضوح ، وفي بعض الاحيان ازدواج النظر ، وارتخاء بجفن العينين ، وعدم القدرة على البلع والكلام . ثم يحدث ضعف عام في الاطراف،والشعور بتعب شديد عند القيام باي مجهود عضلي ، وفي بعض الحالات تحدث تشنجات عصبية ، ويكون النبض سريعا ، وفي الحالات الشديدة تتوقف عضلات التنفس ،ويحدث التهاب رئوي شعبي ، وتسوء حالة المريض .

وتحدث الوفاة بنسبة ١٥ ـ ٦٥ بالمئة من الحالات في مدة اربعة ايام الى ثمانية .

والوقاية اهم شيء في مثل هذه الحالات ، فيجب عدم تعاطي المعلبات التي يشك في امرها ، ويجب طبخ محتويات المعلبات لمدة ١٠ دقائق قبل تعاطيها.

في حالة التسمم تغسل المعدة مع حقنة شرجية لغسل الامعاء،واعطاء مسهل وراحة تامة بالفراش، وفي حالات تراخي العضلات الشديدة تعطى مادة نيوستجمين .

استنشاق اوكسجين بواسطة جهاز التنفس الصناعي اذا لزم الامر ، تدفئة المريض .

واعطاء جلوكوز بالوريد وحقن المنبهات مثل الكورامين ، واعطاء المضادات الحيوية اذا لزم الامر .

التسمم بواسطة الكحول المثيلي والاثيلي

وهو يوجد في الكولونيا والاصباغ ، ومزيلات الاصباغ ، وتظهر اعراض التسمم منها على هيئة اضطرابات في الجهاز الهضمي وحرقة بالمعدة مع قيء ، ثم صداع واضطراب في الابصار ، وربما ادى الى فقد البصر،وفي الحالات الشديدة يسبب غيبوبة ثم هبوطا في التنفس وفي النهاية وقف التنفس وربما اودى بحياة المريض .

وفي هذه الحالة تغسل المعدة بواسطة بيكروبونات الصودا المذابة في الماء ثم يترك حوالي ٣ اوقيات من بيكوبونات الصودا المذابة في المعدة وتعطى ١ ـ ٤ جم بيكربونات الصودا بالفم اذا لم يكن المريض في غيبوبة كل ١٥ دقيقة على اربع دفعات ـ كما يعطى الجلوكوز بواسطة الوريد ـ وفي بعض الحالات يعطى الكحول الاثيلي بواسطة الفم ، أو يعطى في الوريد محلول ٥٪ من محلول الملح ، وهذا يقلل من التسمم بالكحول الميثيلي ـ وفي الحالات الشديدة ربما استعان الطبيب المعالج بواسطة الكلى الصناعية لازالة الكحول المثيلي من الدم . وفي حالة التسمم بالكحول الاثيلي تغسل المعدة بالماء وتعطى المنبهات كالكافيين ـ كما يعطى الجلوكوز في الوريد اذا حدث هبوط في سكر الدم ـ وعندما يصحو المريض يعطى قهوة بكميات كبيرة .

التسمم بمواد التنظيف

حامض الاوكزاليك Oxallic Acid وهو يوجد في بعض المطهرات وفي مزيلات الالوان ، وفي المواد التي تستعمل في تنظيف المعادن . ويسبب هذا تقرحات بالفم وصعوبة في البلع ، وربما سبب نزيفا في المعدة مع الشعور بعطش شديد ـ وتقلصات في عضلات الوجه وربما سبب انحطاطا عاما في الجسم .

ويستعمل ماء الجير أو الطباشير بكميات كبيرة ـ وتغسل المعدة اذا لم تحدث تقرحات بالفم او البلعوم .

والتسمم بالقلويات التي تستعمل في التنظيف مثل التايد Tide وما شابهه يسبب التهابا في الفم والمعدة مع تقرح بها ، والقيء المدمم والذي يحتوي على قطع من الغشاء المبطن للمعدة والامعاء. ويعطى المصاب في هذه الحالة الخل المخفف او عصير الليمون او البرتقال ولا تغسل المعدة .

وفي حالة التسمم بحامض الادروكلوريك الذي يستعمل في التنظيف فانه يسبب كذلك التهابا

في الفم والبلعوم والاما شديدة في البطن ، مع تقرحات بالفم والبلعوم والمرىء والمعدة والامعاء ، وفي الحالات الشديدة ربما ادى الى ضيق في المرىء مع تاثر الكبد والكلى ، وفي هذه الحالة يعطى المصاب حليبا بكميات كبيرة او ماء الجير او بياض البيض او ماء الصابون .

وتعطى العلاجات المسكنة للالم والمحاليل بواسطه الوريد اذا حدث هبوط في ضغط الدم ، وكذلك يجب ان يغسل الجلد المتهيج من جراء الحامض بالماء والصابون .

المنومات والمسكنات

وهي لو استعملت بكميات كبيرة فانها تؤثر من النواحي العقلية للجسم ، وربما ادت الى غيبوبة مع تاثر الجهاز التنفسي ، وهبوط في الضغط ، وتوقف عمل الكلى وربما ادت الى صدمة شديدة تقضي على حياة المصاب .

والسرعة في العلاج من اهم الواجبات .

تغسل المعدة اذا كانت الفترة قصيرة بعد تعاطي المنوم ، مع حقنة شرجية ، ثم اعطاء المنبهات والادوية التي تكثر من ادرار البول ، حتى يمكن التخلص من المنوم ،وفي حالة فقدان سوائل الجسم يعطى محلول الملح او الجلوكوز .

ولا بد ان نراعي استمرار خلو مجرى الهواء من المواد الغريبة ،حتى لا تسبب اختناقا ، وكذلك يهيأ للمريض استنشاق الاكسجين ، ليساعد عملية التنفس التي تتاثر كثيرا في التسمم بمثل هذه المواد .

وخوفا من حدوث التهابات بالرئتين ، تعطى المضادات الحيوية واذا وجد ان هذا النوع من العلاج ليس كافيا والمريض لا يظهر علامات تدل على تحسن حالته فقد تستعمل الكلى الصناعية للتخلص من المنوم .

هذه بعض السموم حاولت وضعها في قالب مبسط حتى يتسنى لكل رب وربة اسرة ان ترعى افراد اسرتها وتبعدهم عن الضرر الذي يلحق بهم من تناولها ، هذا وفي البيت الشيء الكثير الذي الذي ربما سبب تسمما للافراد ولم اشر اليه ، كالادوية المختلفة والاصباغ التي تستعمل في تلوين اللوحات خصوصا اذا كان رب الاسرة فنانا وتركها لاطفاله فهي ايضا سامة ، والدهون المختلفة خصوصا الدهون التي اصلها من الرصاص كما هو الحال اذا دهن سرير الطفل . فالواجب الا يدهن بمثل هذه الدهانات ، ثم المواد التي تساعد على زوال الرائحة من الحمامات ، والادوات التي تستعمل في التجميل ومنها المواد التي تستعمل في الشعر للمحافظة على تصفيفه ، وغيرها كثير .

وكلي امل ان تقي ربة الاسرة اولادها من هذه الاخطار وتبعد مثل هذه الاشياء السامة حتى تحافظ على سلامة افرادها ولا تندم ساعة لا ينفع الندم . وتكون عندها دراية بالاسعافات الاولية التي طالما انجت افرادا كانوا على حافة الهلاك ثم نجوا . ■■

محمد محمد ابو شوك

بين معاوية والحسن

● حكي ان معاوية بن ابي سفيان كان في مجلس ، فدار الحديث عن القبائل، وما تشتهر به كل قبيلة من شجاعة وكرم ونخوة ، فقال معاوية : لا ينبغي ان يكون الهاشمي غير جواد ولا الاموي غير حليم ، ولا الزبيري غير شجاع ، ولا المخزومي غير تياه .. فبلغ ذلك الكلام الحسن بن علي فقال : قاتل الله معاوية اراد ان يجود بنو هاشم فينفد ما بأيديهم ، ويحلم بنو امية فيتحببوا الى الناس ، ويشجع آل الزبير فيفنوا ، ويتيه بني مخزوم فيبغضهم الناس .

يوسف بن تاشفين

ملك الملثمين وصاحب دعوة المرابطين

بقلم : عبد الله كنون

■ هو ابو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني ، ملك الملثمين المعروفين بالمرابطين ، ومختط مدينة مراكش ، وبطل معركة الزلاقة ، وواضع الحجر الأساسي في وحدة المغرب الكبير ، وأول من تلقب بأمير المسلمين من ملوك الاسلام كافة .

نشأة يوسف وثقافته

ولد على رأس المائة الرابعة ، ولا نعلم عن نشأته شيئا ، الا انه من غير شك كان ممن لازم عبد الله ابن ياسين صاحب دعوة المرابطين ، والمؤسس الاول لدولتهم ، وربما كان ممن دخل رباطه ، وتلقى تعليمه عنه ، وهذا الرباط كان فر"عا" من مدرسة وَجّاج بن زَلّوا ورباطه الكبير الذى تخرج منه عبد الله بن ياسين ، والصلة بين وجاج وبين الامام ابى عمران الفاسي معروفة ، والدعوة الاصلاحية التى قام بها هذا الامام وتلقاها عنه تلميذه وَجّاج ونشرها بقطر سوس ثم تلقاها عبد الله بن ياسين عن وجاج وبثها فى اقليم الصحراء ، هى التى كان لها الفضل فى قيام دولة المرابطين وتكوين القادة المصلحين من رجال لمتونة وقبائل صنهاجة على العموم ، امثال يحيى بن عُمَر واخيه أبى بكر وابن عمهما يوسف المترجم له .

واذا صح هذا التقدير ، وهو صحيح حتما ، لاننا لم نر عبدالله بن ياسين يقدم للولاية الا خاصة الخاصة من مريديه ، وكذلك كان القوم بعده ، نقول اذا صح هذا التقدير ، فان يوسف يكون قد صحب عبد الله اكثر من عشرين سنة قبل ولايته ، وهى مدة كافية لتجعل منه رجلا صالحا للحكم ، مستجمعا لشروط القيادة ، كفؤا من الوجهتين النظرية والعملية للمهمة العظمى التى اسندت اليه وقام بها خير قيام .

على انه عند دخول عبد الله بن ياسين لبلاد صنهاجة ، كان فى نحو الثلاثين من عمره ، فلا شك انه قبل ذلك تلقى تعليما عاما،وتدرب خاصة على الفروسية واعمال الحرب،مما جعل منه بطلا نجدا شجاعا حازما ، كما يصفه المؤرخون .

وعليه نستطيع ان نجزم بانه سواء فى شبيبته او كهولته تكوّن تكوينا صحيحا (اولا) فى المجال الدينى وما تجب عليه معرفته من احكام الشريعة وطرق الدعوة والاصلاح ، (وثانيا) فى تدبير الحروب والقيادة العسكرية (وثالثا) فى نظام الحكم وسياسة الدولة . وهى الامور التى برهن فيها على مقدرته الكاملة وكفايته التامة ، حتى انا نعده من النماذج النادرة لملوك الاسلام الذين كانوا دائما فى خدمة دولته،فعملوا على اعلاء كلمته وتطبيق شريعته ووحدة امته ، ولم يتخذوا الدولة مطية لبلوغ اغراضهم وقضاء شهواتهم .

يوسف فى ميدان العمل

واول ما نلتقى به فى ميدان العمل ، وكان على عهد عبد الله بن ياسين ، سنة ٤٤٨ حين ولى ابو بكر بن عمر الامارة وندب عبد الله المرابطين الى

غزو المصامدة وبلاد السوس، فجعل الامير ابو بكر على مقدمة الجيش ابن عمه يوسف بن تاشفين ، كما يقول ابن ابى زَرْع ، واصبح بذلك القائد الاول لجيش المرابطين ، الذى اخضع القطر السوسي ، وقاتل في مدينة تارُودَانْت قوما من الروافض كانوا قد استوطنوها منذ قدوم عُبَيْد الله الشيعى الى افريقية ، كما نازل أغْمَات واستخلصها من يد المَغْراوِيِّين الذين كانوا يسيطرون على المغرب . ثم ارتحل الى تادِلاَ وكانت خاضعة لبنى يَفْرَن ابناء عمّ المَغْراوِيِّين فاجلاهم عنها ، وسار الى بلاد تامَسْنَا المعروفة بالشاوية وقاتل فيها قبائل بَرْغَوَاطَة الضالة ، وهم الذين قاتلهم المولى ادريس من قبل ، ولكن شوكتهم لم تنكسر ، وقد كان قتال المرابطين لهم شديدا وطويل المدة مات اثناءه عبد الله بن ياسين، ولكنهم تنفيذا لوصيته لم يقلعوا عنهم حتى استأصلوهم وقضوا على نِحْلَتهم الخبيثة .

ففى هذه المعارك كلها كان يوسف على راس الجيش ، يبلى البلاء الحسن ، ويقف الى جنب عبد الله بن ياسين وأبى بكر بن عمر ، فيكون الشخصية الثالثة من قادة الدولة الناشئة .

وبعد الانتهاء من حرب برغواطة ، رجع الأمير الى أغمات، حيث استراح قليلا ، ثم خرج في حرب تصفوية لما بقى من مملكة المغراويين بالمغرب ، وذلك في صفر ٤٥٢ ، ومما لا ريب فيه ان يوسف كان معه في هذه الحرب ، لأنه بعد وفاة عبد الله اصبح الرجل الثانى في الدولة ، فهو الوزير والمشير والقائد الذى لا غنى عنه . ولم تطل مدة هذه الحملة الا ثلاثة أشهر ، اذ اضطر ابو بكر للعودة الى اغمات ، لما بلغه من اختلال الصحراء ونشوب الخلاف بين قبائل صنهاجة ، فعزم على السير اليها ليصلح احوالها ، ويستأنف حركة الجهاد في اقطار السودان . ولكن كان عليه ان يضبط الامر في المغرب ، ولا يترك مكاسب الدولة فيه للضياع ، لأنه يعلم ان الوجهة التي يقصدها سحيقة وأنه ربما لا يعود منها ، وفي احسن الأحوال يطول غيابه ، فتنتقض عليه البلاد التي فتحها ويسترجع خصومه ما انتزعه منهم .

الأمير أبو بكر يستخلف يوسف على المغرب

وهكذا اخذ الأمير ابو بكر في تدبير سفره البعيد ، فاستخلف على المغرب ابن عمه يوسف ، وامره بالرجوع الى استصفاء ملك زناتة من مغراوة وبنى يفرن . وكان له زوجة تدعى زينب بنت اسحاق الهوارى ، رجل من التجار أصله من القيروان ، وهي ذات حسن وجمال وعقل وتدبير ، فمن ورعه وشهامته انه لم يشأ أن يتركها معلقة ولا أن يأخذها معه الى الصحراء لعدم استطاعتها العيش هناك ، فطلقها وقال لها انى ذاهب الى الصحراء وأريد الجهاد بالسودان ، ولعلى أرزق الشهادة ، فلا أحملك ما لا تطيقين ، فنعمت عينا بذلك ، وقيل انها هي التي طلبت منه طلاقها فاسعفها . ويقال انه أوعز لابن عمه يوسف بتزوجها وقال له انها امراة عاقلة .

وارتحل ابو بكر قاصدا الصحراء في ذى القعدة ٤٥٣ ، وقبض يوسف على زمام الأمور بالمغرب ، وقد وافق على خلافته أشياخ المرابطين يقول ابن ابى زرع: لما يعلمون من دينه وفضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدله وورعه وسداد رايه ويمن نقيبته . وتزوج زينب بنت اسحاق ، فاعانته برأيها وحصافتها وحسن تدبيرها . ومن ذلك انه لما ظهر امره وغلب على اكثر بلاد المغرب ، وسمع ابن عمه ومستخلفه الأمير ابو بكر بفخامة ملكه اقبل اليه من الصحراء ، ليتسلم الأمر من يده ، فشاور يوسف زوجته زينب في ذلك فقالت له : ان ابن عمك رجل متورع فاذا لقيته فقصّر عما كان يعهده منك من الأدب والتواضع ، واظهر له انك مساو له ومماثل ، ولاطفه مع ذلك بالأموال والهدايا ، فانه يسلم لك ، فلما قرب الأمير أبو بكر من عمل يوسف خرج هذا اليه فتلقاه في الطريق وسلم عليه وهو راكب ، ولم ينزل له ، فنظر الأمير كثرة جيوشه فقال له يا يوسف ما تفعل بهذه الجيوش كلها ؟ قال : أستعين بها على من خالفني . ثم نظر الى عدد كبير من الابل موقورة قد اقبلت . فقال ما هذه الابل ؟ قال أيها الأمير : جئتك بكل ما معى من مال وثياب وطعام لتستعين به على عيش الصحراء . فعلم ابو بكر ان يوسف قد استبد بالأمر دونه ، وأنه لن يتخلى له عن ولايته ، فرضي بما قدم له ، واستوصاه خيرا بالرعية وانصرف الى الصحراء من جديد فاقام بها على جهاد السودان الى ان استشهد في سنة ٤٨٠ بعد أن استولى على نحو تسعين مرحلة من بلادهم ، واما يوسف فانه كان خرج مع ابن عمه أبى بكر الى

سجلماسة لتوديعه ، حين استخلافه له على المغرب وبعد ذلك فصل عنها الى وادى ملوية ، حيث ميز جيوشه فوجدهم أربعين ألفا ، فاختار منهم أربعة قواد ، وعقد لكل واحد منهم على خمسة الاف ، وقدمهم بين يديه الى قتال من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وغيرهم من قبائل البربر القائمين به ، وسار هو ببقية الجيش في اثرهم ، ففتح الله عليه ودانت له القبائل بالطاعة واستوثق امره وكثرت جموعه ، وذاع صيته وتعلقت به الآمال ، ولا سيما بعد تسليم ابى بكر له واستقلاله عنه .

يوسف يبني مراكش

وشعر بالحاجة الى بناء قاعدة تكون اساس ملكه ، ومنطلق لحركاته في الوسط ما بين الجنوب والشمال ، فاهتدى الى مكان مدينة مراكش فنزله في سنة ٤٥٤ بخيامه وثقله ، واختط فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان الأموال والسلاح ، وكان لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه وتقربا الى الله عز وجل . وقيل ان اختطاط مدينة مراكش كان في زمن الامير ابى بكر بن عمر لما ضاقت اغمات بجنده ، وان اختيار مكانها كان على أساس رحب الساحة وخصب الناحية والتحكم في بلاد المصامدة الذين هم من اشد قبائل المغرب قوة واكثرهم جمعا . ولكن الصحيح أن يوسف هو الذى نفذ الفكرة وان قلنا بسبق الاهتمام بها ، وعلى كل فان مراكش لم تستكمل وجودها كعاصمة كبرى الا في زمن علي بن يوسف وملوك الموحدين ولا سيما يعقوب المنصور منهم .

وجند يوسف الأجناد ، واستكثر من القواد ، واتخذ الطبول والبنود ، وبعث العمال والعهود ، وبلغ جيشه أزيد من مائة ألف .

يوسف أمير المسلمين

وقد استغرق يوسف في زحفه هذا على المغرب وتوحيده لاطرافه تحت حكمه زهاء عشرين سنة ، منذ خرج من مراكش سنة ٤٥٤ الى سنة ٤٧٤ .. وكان في اثناء ذلك يسدد ويقارب ويصلح ما افسدته الفتنة وجور الولاة السابقين ويقعد قواعد الدولة ويختار الرجال لأعماله . وقد قسم المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه ، وضرب السكة في اسمه ، وتسمى بأمير المسلمين ، بعد أن اراد أشياخ القبائل من صنهاجة وكبار رجال دولته أن يدعوه أمير المؤمنين ، فأبى تواضعا وقال انما تسمى بهذا الاسم الخلفاء ، فقالوا لا بد من اسم تمتاز به ، وكان انما يدعى بالامير ، فقال لهم يكون أمير المسلمين ، فاتفقوا على ذلك وكتب به الى الاقاليم .

وقيل انما سمي بذلك بعد وقعة الزلاقة لما وقع الفتح واجتمع لديه ملوك الطوائف يهنئونه بالنصر فخاطبوه بأمير المسلمين ، وعلى كل حال ، فهو اول من لقب بذلك من ملوك الاسلام .

ملوك الأندلس يستنجدون يوسف

وفي سنة ٤٧٥ ورد عليه وهو بمراكش ، كتاب المعتمد بن عباد صاحب اشبيليه ، يعلمه بحال الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب العدو على اكثر ثغورها وبلادها ، ويسأله النصر والاعانة . فاجابه يوسف ان ذلك يكون بعد فتح سبتة ان شاء الله .. وكانتسبتة ما تزال بيد ضياء الدولة ابن سكوت البرغواطي ، فعرض عليه المعتمد مساعدته في فتحها ، فنازلها المرابطون برا وأحاطت بها اساطيل ابن عباد بحرا ، فسقطت للحال في يد المرابطين . وشاور يوسف مشيخة لمتونة ورجال المغرب في شأن اصراخ ابن عباد فقالوا له انه من الواجب على كل مسلم اغاثة أخيه المسلم ولا يحل لنا ان يكون هذا الرجل جارنا وليس بيننا وبينه الا ساقية ماء ، وتتركه طعمة للعدو ، فعزم يوسف حينئذ على نصرة الأندلسيين .

وأجاز ابن عباد البحر الى يوسف ، فلقيه في فاس ، وألح عليه في الجواز الى الاندلس لقتال العدو ، وتوالت عليه رسل أهل الاندلس وكتبهم يستصرخونه في تنفيس قبضة العدو عن مختنقهم فطلب يوسف من ابن عباد ان يمكنه من الجزيرة الخضراء ليتخذها رباطا لجيشه .

وكان الوضع في الأندلس يزداد سوءا يوما بعد يوم .. فقد بدأ الاسبان حملة اكتساح قوية لبلاد المسلمين أو ما يسمى بحروب الاسترداد Reconquista واستخفوا كثيرا بملوك الطوائف الذين ورثوا خلافة قرطبة لما رأوا تنازعهم وقلة غنائهم في الدفاع عن حوزتهم، حتى انهم رضوا بدفع الاتاوة للعدو؟ لقاء كفه عن قتالهم وقام الفونس السادس ملك قشتالة في نفس السنة التي وصل فيها المعتمد الى المغرب للاستنجاد بيوسف، بجولة

عبر أراضي ملوك الطوائف في جيش كثيف ، فشق بلاد الاندلس شقا ، يقف على كل مدينة ويخرب في انحائها ويقتل ويسبي ، ثم يرتحل الى غيرها ، حتى وصل الى جزيرة طريف ، فادخل قوائم فرسه في البحر ،وقال « ان هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته » وهو يحكي ولا شك ما كان فعله عقبة ابن نافع حين انتهى من فتح المغرب فاقحم فرسه في البحر وقال « اللهم اشهد انيقد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت اقاتل في سبيلك ، حتى لا يعبد احد سواك » .

وفي هذه الأثناء سقطت مدينـــة طليطلة في يد الفونس المذكور ، فكان ذلك انذارا بمصير بقية العواصم الاندلسية ، ومصير المسلمين في شبه الجزيرة ، وعظمت الفجيعـة بسقوطها بين ملوك الطوائف انفسهم فاحرى بين الشعب الاندلسي المنكوب، لذلك أصفقت كلمة الجميع علىاستصراخ عاهل المغرب ، والاحتماء بجيش المرابطين المتين .

واقام يوسف بمدينة فاس ينظر في امر الجهاد ، ويستنفر له قبائل المغرب ، ثم رحل الى سبتة ، فهدئتها واصلح أحوالها وسفنها،ولحقت بهالعساكر والجنود ، فشرع في تجويز الجيوش الى الاندلس، فلما استوفى جوازها وجواز المجاهدين ، واستقر الجميع بســاحل الجزيـرة الخضراء ، جاز هو على الرهم في جيش عظيـــم من قبائـل المرابطين وانجادهم وصلحائهـــم . وكان ذلك زوال يـوم الخميس ١٥ ربيع الأول سنة ٤٧٩ وكان جوازه باسرع ما يكون ، فنزل بارض الجزيرة الخضراء وصلى بها الظهر ، وتلقاه المعتمد وغيره من ملوك الاندلس وامرائها ، فاتصل خبره بالفونس وكان محاصرا لمدينة سرقسطة ، فارتحل عنها ، وشرع في اتخاذ الأهبة للقاء العاهل المغربي .

وفيما توجه هذا الاخير الى اشبيلية ، أخذ الفونس يجمع حشوده ووضع يده في يد ملكاراغون والكونت برنجير رايموند . وكان الأول محاصرا لمدينة طرطوشة ، والثاني يتاهب لغزو بلنسية ، فكفا كلاهما عما كانا بصدده وانضما الى صف الفونس ، كما انضمت اليه قوات أخرى جاءت من جنوب فرنسا ومن ايطاليا وغيرها ، وتاهب الفريقان للقاء ، وكان المعتمد على جيش الاندلس ، الذي يضم جميع ملوك الطوائف ، وابن تاشـفين على جيش المغرب ، الذي يقوده ابطال انجاد مثل داود ابن عائشة وسير بن ابي بكر وغيرهما . .

موقعة الزلاقة

وكانت هذه المعركة الحاسمة من أعظم المعارك التي جرت بين المسلمين والاسبان في الاندلس ، اذ قتل فيها معظم جيش العدو الذي لم يكن يقل عن مائة الف شخص ، وكسرت شوكة الاسبان الى حين طويل ، وامد الله بسببها في حياة الاندلس قرابة ثلاثة قرون ونصف قرن ، وكان الاسبان قد اجمعوا امرهم على طرد المسلمين من شبه الجزيرة الاندلسية في تلك الفترة التي بلغت دولتهم فيها منتهى الضعف تحت حكم ملوك الطوائف ، ولكن الله خيـب املهم وابطل تدبيرهـم وعادت لدولة الاسلام في الاندلس عزتها وصولتها .

وكانت هذه الواقعة العظمى يـوم الجمعة ١١ رجب ٤٧٩ كما في القرطاس ، قال : وهو الموافق للثالث والعشرين من شهر اكتوبر ، يعني سنة ١٤٨٦ ، واجتمع ملوك الاندلس وامراؤها الذين شهدوا الحرب مع يوسـف فسلموا عليـه بامير المسلمين وهنؤوه بالنصر ، وخرجت كتبه مصدرة بلقب أمير المسلمين الى بلاد العَدْوَة والاندلس ، فقرئت على المنابر ولعل ذلك ما حمل بعضهم على القول بانه انما لقـب بهذا الاسم بعد معركة الزلاقة ، ومما سجل ليوسف من المآثر في هذه المعركة تجافيه عن الغنائم التي جمعت فيها وتركها لملوك الاندلس ، مبرهنا بذلك على نزاهة قصده وعفة نفسه ، وكانت هذه الغنائم شيئا كثيرا مما اطلق السنة الاندلسيين بالثناء عليه ، والاعتراف له بالجميل ، وان كانت بعد ذلك لم تتورع ان تتهمه بالحرص والطمع وان ذلك كان هو باعثه على استصفاء ملوك الطوائف .

يوسف بين الاندلس والمغرب

ولم يطل بيوسف المقـام بالاندلس اذ وصله نبا وفاة ابنه ابي بكر ، وكان تركه مريضا بسبتة ، فاغتم لذلك وانصرف واجما الى المغرب ، واقام بمراكش الى سنة ٤٨٠ فخرج في شهر ربيع الآخر منها يتطوف على البلاد ويتفقد أحوال الرعية ، وفي سنة ٤٨١ جاز الى الاندلس جوازه الثاني برسمالجهاد ، تلبية لدعوة ابن عباد ، وقد انطلقت فرسان العدو من حصن لبسيط Calèdo المتاخم لبلاده،تعيثفيالارضفسادا وتقتل وتاسر كل يوم ،

بحيث جعلوا ذلك وظيفة لهم ، وقد قصروا تحركاتهم هذه على مملكة ابن عباد انتقاما منه لانه كان السبب في دخول المرابطين الى الاندلس ووقوع غزوة الزلاقة . فلما وصل الى الاندلس ، تلقاه ابن عباد ، وكتب الى ملوك الاندلس يدعوهم الى الجهاد ، وقال لهم الموعد بيننا حصن لبسيط ، فلم يصل اليه ممن كتب اليهم الا صاحب مرسية، وحاصر يوسف الحصن المذكور اربعة اشهر الى ان دخل فصل الشتاء ، ووقع شنآن بين ابن عباد وابن عبد العزيز صاحب مرسية ، واختلت أحوال الجيش ، وجاء المدد الى الحصن فاقلع عنه يوسف ورجع الى المغرب ، وقد تغير على ملوك الاندلس لكونهم تخلفوا عن دعوته .

واما العدو فقد عمد الى الحصن واخلاه ، لأن الحصار كان انهكه ، ولم يبق فيه من يستطيع الدفاع فاستولى عليه ابن عباد .

قال ابن خلدون : وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر امير المسلمين ، فساء نظره فيهم ، وافتاه الفقهاء واهل الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الامر من ايديهم ، وصارت اليه بذلك فتاوى اهل المشرق الاعلام مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما » .

وهذا الى توالي استنجاد اهل الأندلس به ، خاصتهم وعامتهم ، وطلبهم منه انقاذهم مما هم فيه من الظلم والغشم والروع والفزع ، فلما جاز الى الاندلس جوازه الثالث برسم الجهاد سنة ٤٨٣ سار حتى نازل طليطلة وحاصرها ، والفونس بها ، فهتكها وقطع ثمارها وخرب ناحيتها ، انتقاما مما فعله جيش الفونس بالمسلمين في نواحي المدن سابقة الذكر ، والغارات التي كان فرسان حصن لبسيط يشنونها عليهم ليل نهار .. لكن الغريب في الامر هو ان احدا من ملوك الاندلس لم يأته ولا عرج عليه . فلما شفى نفسه من طليطلة سار الى غرناطة ، وكان صاحبها عبد الله بن بسلكين قد ظاهر الفونس على يوسف فاخذها من يده هي ومالقة التي كانت بيد أخيه ، وسيرهما معا الى مراكش مع حريمهما واولادهما ، فاقاما بها واجرى عليهما النفقة الى أن ماتا بها .

ولما خلع يوسف بن بسلكين عن ملك غرناطة ، طمع المعتمد بن عباد في تسليمها له ، فتجافى عنه يوسف ورجع الى مراكش ، وقدم على الاندلس قائده سير بن أبي بكر اللمتوني ، وفوض اليه في مصيرها ، وان لم يأمره في ابن عباد بشيء فسار نحو اشبيلية وهو يظن ان ابن عباد سيخرج اليه ويتلقاه بالضيافة ، فلم يفعل وتحصن منه فراسله سير في ان يسلم اليه البلاد فامتنع المعتمد ، فلم يكن بد من القتال .. وهكذا سقطت اشبيلية في يد المرابطين وتقبض سير على المعتمد واهله وولده وسيرهم الى المغرب .

يوسف يضم الاندلس الى ملكه فيحميها

وتتابع وقوع العواصم الاندلسية في يد قواد المرابطين واستسلام اصحابها او هلاكهم في الدفاع عنها كما وقع لابن الافطس صاحب بطليوس .. وكانت سنة ٤٨٤ حاسمة في استصفاء ممالك الطوائف ، اذ سقطت فيها قرطبة واشبيلية وجيان وغيرها ، وفي السنة التي تليها سقطت دانية وبلنسية ، وفي سنة ٤٨٦ فتحت مدينة افراغ من بلاد شرق الاندلس ، ولم يزل الفتح يتوالى وجهاد العدو وحماية الثغور ديدن الجيش المغربي حتى خلصت البلاد كلها ليوسف بن تاشفين ما عدا ولاية الثغر الاعلى التي بقيت بيد ابن هود باقرار يوسف له عليها لما اظهره من روح المسالمة وقوله له : « نحن بينكم وبين العدو سد لا يصلكم منه ضرر » مع تحصينه لبلده وضبط امرها .

وكما راينا فان يوسف قد بذل مجهودا عظيما في استصلاح أحوال الاندلس وجهاد العدو المغير على ممالكها استجابة لدعوة اهلها من ملوك وامراء ، وخاصة وعامة ، وكان عمله في اصلاح ذات البين ما بين القادة والزعماء اكثر من عمله في اى ميدان آخر ، ولكن النزاع لم يزل مستشريا بينهم ، والخصومة على اشدها ، واللجوء الى العدو احتماء به وانتصارا على المنافس شنشنة لم يقلعوا عنها ، حتى بعد نجدة يوسف لهم وهزيمة هذا العدو في موقعة الزلاقة،بل انهم لما استوحشوا من يوسف ، واستشعروا غضبه عليهم ، وخافوا من عقابه وانتقامه ، لم يترددوا ان يضعوا يدهم في يد العدو ، ويستظهروا به عليه ، وعادت هيف الى اديانها ، واصبحت سيطرة العدو على الاندلس كما كان يتمنى ، فاب قوسين او ادنى .

ففى مثل هذا الوضع لم يكن هناك وسيلة للانقاذ ، ولا سبيل الى الاحتفاظ ببلاد الاندلس للعرب والمسلمين ، الا ما قام به يوسف من

استخلاصها من يد هؤلاء الزعماء والقادة الذين لم يكونوا يقدرون مسؤوليتهم ، وفي كل يوم يستعجلون النهاية المحتومة لوجودهم بسبب فرقتهم وتخاذلهم ، وعلى احسن الاحتمالات ومع عدم اساءة الظن بهم ، فان ما كان يمليه الموقف لاستمرار السيادة الاسلامية على هذه البلاد ، وتفادى وقوعها العاجل في يد العدو ، هو ما فعله يوسف ، وتدارك به الامر ، قبل حصول الكارثة . وما اشبه ما كانت عليه الحال في الاندلس وقتئذ ، بما عليه حال البلاد العربية اليوم من التقسيم والخلاف والتبعية للاجنبي ، وتبديد طاقاتها في المعارك الداخلية، والعدو جاثم على صدرها يسومها الذل والهوان، ويقتطع كل يوم من ارضها ما يوسع به الاقليم الخاضع لنفوذه ، الذى اغتصبه في غفلتها وسوء تصرف حكامها فهى احوج ما يكون الى قائد عصامي مثل يوسف يراب صدعها ويلم شملها ويطهر ارضها من رجس العدو الدخيل .. فمن يعترض على تدخل يوسف في الاندلس وتوحيده لاقاليمها الموزعة بين ملوك الطوائف ، الخاضعين لنفوذ الفونس المؤتمرين بامره ، هو كمن يعترض اليوم على من يعمل لوحدة العرب وجمع كلمتهم ، لطرد الصهاينة المعتدين ، وجعل حد لاستهتار الزعماء والقادة العرب بقضية فلسطين الشهيدة والقدس المحتل .

كان ثاني رجل في الدولة ايام امارة ابى بكر بن عمر ، ثم رجلها الفذ وامير المسلمين بعد ذلك الذى لم ينازعه احد ، ولا شك في اهليته وتقدمه واستحقاقه قريب او بعيد . وقد برهن في تسييره لشؤون الدولة وتدبيره للحروب على جدارته وكفاءته ومقدرته ، مما لا يستقيم ابدا لرجل جاهل ساذج لا يعرف حتى اللغة التى يدير بها سياسة بلاده ، كما يزعم القوم .

هذا ولعل العمل الجليل الذى قام به يوسف بعد انقاذه للاندلس ، هو انضواؤه تحت لواء الخلافة العباسية ، وطلبه العهد من خليفة بغداد على ما بيده من الاقاليم لتكون ولايته شرعية ، بحسب النظر الاسلامى ، حتى لا يعد خارجا على الامام الاعظم الذى هو امير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، ومن ثم تسمى بامير المسلمين ورفض ان يلقب بامير المؤمنين كما سبق الالماع الى ذلك .

واشار ابن خلكان بعد كلامه السابق الى صفة يوسف الخلقية بفتح الخاء بعد ذكره لصفته الخلقية بضمها ، وهذا الوصف هو عند ابن ابى زرع اتم واكمل ، فنحن ننقل قوله فيه لعمومه وشموله . قال رحمه الله بعد ما ذكر اسمه واسم آبائه ثم ذكر اسم امه وهو فاطمة بنت سير بن يحيى من ابناء عمومته اللمتونيين : « صفته اسمر اللون نقيه ، معتدل القامة نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، رقيق الصوت ، اكحل العينين ، اقنى الانف ، له وفرة تبلغ شحمة اذنيه ، مقرون الحاجبين ، جعد الشعر ، وكان رحمه الله بطلا نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطا لملكه ، متفقدا الموالى من رعيته ، حافظا لبلاده وثغوره ، مواظبا على الجهاد مؤيدا منصورا ، جوادا كريما سخيا ، زاهدا في الدنيا متورعا عادلا صالحا ، متقشفا على ما فتح الله عليه من الدنيا ، لباسه الصوف ، لم يلبس قط غيره ، واكله الشعير ولحوم الابل والبانها ، مقتصرا على ذلك لم ينتقل منه مدة عمره الى ان توفي رحمه الله تعالى على ما منحه الله من سعة الملك في الدنيا وخوله منها ، فانه خطب له بالاندلس والمغرب على الف وتسعمائة منبر » .

وتوفي يوسف بن تاشفين ، وقد بلغ عمره مائة سنة في مستهل محرم كما عند ابن ابى زرع ، وقال ابن خلكان في يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسمائة . وما في الحلل الموشية من انه توفي في ربيع الاخر لا معول عليه . قال « ودفن بقصره بحاضرة مراكش ، وحضر موته ابناؤه وعترته الصنهاجية واسرته اللمتونية ، وقبض وهو على اوله في العزم والجد في نصر الدين واظهار الكلمة وعضد الاسلام رحمة الله عليه » .

ولا بد ان نشير في آخر هذه الترجمة الى ما مضى من وصف قوم يوسف بالملثمين ، وهو وصف كاشف لحالهم ، فانهم كانوا اهل صحراء ، يتقون لفح حرها باللثام ، اما وصفهم بالمرابطين ، فلما سبق قيام دولتهم من دخولهم مع عبد الله بن ياسين الى المحل الذى رابط فيه للعبادة وتربية من انقطع اليه من قبائل صنهاجة ، على ما بيناه في ترجمة ابن ياسين وتنتسب قبائل صنهاجة في اصلها الى حمير من عرب اليمن ، والى ذلك المع ابن حامد في شعره المتقدم حين قال :

قوم لهم شرف العلى من حمير ..

عبد الله كنون

مسجد قرطبة

أكبر مساجد الأندلس وأعرقها

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ يحتل مسجد قرطبة الكبير مكانة فريدة بين آثار العمارة الاسلامية فى الاندلس . فهو الرائد بينها ، معماريا ، وقد ظهرت فيه اول ما ظهرت الاقواس النصف دائرية والعقود المنحنية انحناء حدوة الفرس ، وهي المعالم التى تميز بها فن البناء الاندلسى واشتهر . وهذه الريادة ليست بغريبة اذا ذكرنا صفة لمسجد قرطبة ثانية . فهو اقدم مبانى الاندلس جميعا . اقدم من قصر الحمراء بأكثر من ٤٦٠ سنة ، واقدم من مدينة الزهراء بنحو ١٥٠ سنة . فالمسجد اذن بالغ القدم ، وقد اقامه العرب فى غضون ٧٥ سنة من فتحهم الاندلس سنة ٧١١ م بقيادة طارق بن زياد . ويعجب الكثيرون كيف امكن لابناء الصحراء ان يشيدوا فى تلك الفترة الوجيزة وفى ذلك البلد النائي الغريب صرحا كجامع قرطبة البديع .

المسجد الاول بناه عبد الرحمن الاول

على ان لمسجد قرطبة صفة اخرى ثالثة ، هى مسايرته للحكم الاموى فى الاندلس . فقد تم تأسيسه مع تأسيس ذلك الحكم . الا ان اعمال البناء او التوسيع لم تتوقف فيه ، بل استمرت طوال القرنين ونصف القرن التى عاشها البيت الاموى فى الاندلس حتى اصبح بواقع الحال اربعة مساجد ضمن مسجد واحد .

ونحن لا نستطيع التحدث عن مسجد قرطبة بتفصيل ، وقد سبق للعربى ان افاض فى الحديث عنه فى استطلاع خاص مصور (راجع العدد ٩٥ صفحة ٦٨) . وحسبنا ان نقف قليلا عند المسجد الرائد بين تلك المساجد الاربعة وعند بانيه عبد الرحمن الداخل .

المسجد الاول بناه عبد الرحمن الداخل

لقد باشر صقر قريش بناء مسجده هذا سنة ١٦٨ هـ — ٧٨٤ م .. كان ذلك فى اواخر عهده الذى امتد اكثر من ثلاثين سنة (١٣٨ هـ — ١٧٢ هـ) ، انفقها عبد الرحمن فى توطيد حكمه وتوحيد فئات شعبه . وقد استعمل فى تشييد مسجده هذا من الحجارة والاعمدة الرومانية والقوطية ما اشتراه بالمال او عثر عليه بين الاطلال . ويذكر المؤرخون ان مجموع ما انفقه عبد الرحمن الاول على اعمال بناء مسجده هذا بلغ نحو ٨٠٠٠٠ دينار . واستمرت تلك الاعمال حوالى سنتين ، (او سنة واحدة حسبما يقول بعض المؤرخين) . وانتهت فى عام ١٧٠ هـ — ٧٨٦ م

وتوفي عبد الرحمن بعد انتهاء تلك الاعمال بنحو سنتين .

وقد جاء مسجد عبد الرحمن هذا مستطيل الشكل ، يضم ١١ رواقا ممتدا من الشمال الى الجنوب حيث جدار القبلة والمحراب . ولا يزال هذا المسجد الرائد قائما حتى الان ، وهو يشغل جانبا محدودا من جامع قرطبة الكبير ، ويقع في الجهة الشمالية الغربية منه .

ويجد المختصون في هذا المسجد شاهدا على الذروة التي بلغها فن العمارة الاندلسية . ذلك ان الاعمدة التي استعملت في اقامته والتي ، كما اشرنا ، لم تصنع خصيصا من اجله ، وانما اخذت من مبان قديمة رومانية وقوطية .. تلك الاعمدة كانت قصيرة ولا تفي باغراض الصرح المرتفع الذي اراده عبد الرحمن الداخل . وقد حل المهندس العربي هذه المشكلة بان اقام تلك الاعمدة بعضها فوق بعض ، فحقق بذلك ارتفاعا يبلغ ضعف طول العمود الواحد ، او يزيد . وجاء هذا الازدواج في الاعمدة على نحو من الجمال لا يسمح للناظر اليه بالاشتباه بانه مجرد حل لمشكلة . هذا اذا لم يحمله على الظن بانه غاية مقصوده ، وان الاعمدة القصيرة انما صنعت قصيرة من اجل تحقيق تلك الغاية .

ولعل اكثر ما يجتذب السواح في مسجد قرطبة هو كثرة الاعمدة ، او غاباتها ، كانما هي سيقان اشجار ، وقد اقامها امراء بني امية وخلفاؤهم على مر الاجيال وملات فراغ المبنى في نسق وانتظام . ولعل اكثر ما يلفت نظر المدققين من اولئك السواح هو تلك الاعمدة المزدوجة التي ذكرنا .

عبد الرحمن الداخل ، شاعر وكاتب

وقد يتوقع القارىء بعد هذا موجزا بسيرة عبد الرحمن الداخل . ولكن المجال هنا يضيق بسيرة طويلة حافلة بصنوف المغامرات والمنجزات . ولعل سيرة صقر قريش اقرب الى الملاحم الخيالية ، كملحمة الاوديسى لهوميروس وملحمة الاينايد لفرجيل ، منها الى التراجم التاريخية . وهي بلا ريب جديرة باهتمام شعرائنا وجهود مؤرخينا وكتابنا ، مما لم يظفر منه بشيء يذكر حتى الآن .

الا اننا نغتنم هذه الفرصة لنقدم الى القراء باقة مما كتب عبد الرحمن الداخل من نثر وما نظم من شعر . فقد كان صقر قريش المغامر المحارب والسياسي المحنك كاتبا مجيدا وشاعرا رقيقا بخلاف ما يتوقع الكثيرون . وحسبنا ان يجد قراؤنا المتعة في مقتطفاتنا التالية وقد اخترناها كلها من كتاب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » للشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني . الا اننا واثقون من انهم سيجدون في هذه المختارات ايضا ما يزيدهم اعجابا بشخصية عبد الرحمن الداخل .

المسيرة الكبرى

ونبدا بمسيرة عبد الرحمن الملحمية وبما نسبه ابن حيان اليه من وصف لتلك المسيرة او لبدايتها على الاقل . فقد فر صقر قريش من بني العباس ونجح في الهرب من جند السفاح وقطع الفرات سباحة حين راى راس اخيه الصغير مقطوعا ومنفصلا عن جسمه ، ثم انطلق في رحلته الكبرى عبر الشمال الافريقي الى الاندلس .

« قال ابن حيان في « المقتبس » : انه لما وقع الاختلال في دولة بني امية والطلب عليهم ، فر عبد الرحمن ، ولم يزل في فراره متنقلا باهله وولده الى ان حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض ، يريد المغرب ، لما حصل في خاطره من بشرى مسلمة ، فمما حكي عنه انه قال : اني لجالس يوما في تلك القرية في ظلمة بيت تواريت فيه لرمد كان بي ، وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي ، وهو يومئذ ابن اربع سنين او نحوها ، اذ دخل الصبي من باب البيت فازعا باكيا فاهوى الى حجري ، فجعلت ادفعه لما كان بي ويابى الا التعلق ، وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع ، فخرجت لانظر ، فاذا بالروع قد نزل بالقرية ، ونظرت فاذا بالرايات السود عليها منحطة ، واخ لي حديث السن كان معي يشتد هاربا ويقول لي : النجاء يا اخي ، فهذه رايات المسودة ، فضربت بيدي على دنانير تناولتها ، ونجوت بنفسي والصبي اخي معي ، واعلمت اخواتي بمتوجهي ومكان مقصدي ، وامرتهن ان يلحقنني ومولاي بدر معهن ، وخرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية ، فما كان الا ساعة حتى اقبلت الخيل فاحاطت بالدار ، فلم تجد اثرا ، ومضيت ولحقني بدر ، فاتيت رجلا من معارفي بشط الفرات ، فامرته ان يبتاع لي دواب وما يصلح لسفري ، فدل عليّ عبد سوء له العامل » .

« فما راعنا الا جلبة الخيل تحفزنا فاشتددنا

في الهرب ، فسبقناها الى الفرات ، فرمينا فيه بانفسنا ، والخيل تنادينا من الشط : ارجعا لا باس عليكما ، فسبحت حالا لنفسي وكنت احسن السبح ، وسبح الغلام اخى ، فلما قطعنا نصف الفرات قصر اخى ودهش ، فالتفت اليه لاقوى من قلبه ، واذا هو قد اصغى اليهم وهم يخدعونه عن نفسه ، فناديته : تقتل يا اخى ، الى الى ، فلم يسمعنى ، واذا هو قد اغتر بامانهم ، وخشى الغرق ، فاستعجل الانقلاب نحوهم ، وقطعت انا الفرات ، وبعضهم قد هم بالتجرد للسباحة في اثرى ، فاستكفه اصحابه عن ذلك ، فتركونى ، ثم قدموا الصبى اخى الذى صار اليهم بالأمان فضربوا عنقه ، ومضوا براسه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاحتملت فيه ثكلا ملأنى مخافة ، ومضيت الى وجهى احسب انى طائر وانا ساع على قدمى ، فلجات الى غيضة اشبة ، فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ، ثم خرجت اؤم المغرب حتى وصلت الى افريقية . »

(من كتاب نفح الطيب ، طبعة صادر ج ٣ ص ٢٧ ــ ٢٨)

مختارات من شعره ونثره

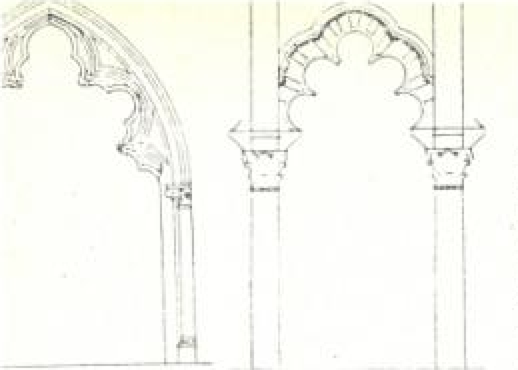
وهذه ابيات من الشعر نظمها في مناجاة نخلة فريدة كان قد زرعها في قصره ، « الرصافة » . وكان عبد الرحمن قد زرعها من فسيلة انتزعت من نخلة اخرى ، وذلك للمرة الاولى في تاريخ اسبانيا . وكان الاسبان يزرعون النخل قبل ذلك من البذور . ويقال ان الفينيقيين هم الذين ادخلوا تلك الزراعة الى اسبانيا . يقول عبد الرحمن :

« يا نخل انت فريدة مثلى
في الارض نائية عن الاهل
تبكى وهل تبكى مكممة
عجماء لم تجبل على جبلى
ولو انها علقت اذا لبكت
ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حرمت واخرجنى
بغضى بنى العباس عن اهلى »

(المرجع نفسه ص ٦٠)

★ ★ ★

وهذه عبارات بليغة قالها عبد الرحمن على سبيل التذمر من الاقارب والمؤيدين الذين غالوا في الولاء عند الحاجة والذين تمردوا وتنكروا لدى قضاء تلك الحاجة :



طرازات من الاندلس ، يمثل اولهما عقود مسجد قرطبة الجامع ويمثل الثانى الشبيهة او المقتبسة التى ظهرت في بريطانيا في حوالى القرن الرابع عشر الميلادى .

وتعتبر هذه العقود البريطانية مرحلة اولى من مراحل الطراز القوطى الفخيم في فن البناء الاوروبى .

« ما عجبى الا من هؤلاء القوم ، سعينا فيما يضجعهم في مهاد الامن والنعمة ، وخاطرنا فيه بحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا ، ويسر الله تعالى اسبابه ، اقبلوا علينا بالسيوف ، ولما آويناهم وشاركناهم فيما افردنا الله تعالى به حتى امنوا ودرت عليهم اخلاف النعم هزوا اعطافهم ، وشمخوا بانافهم ، وسموا الى العظمى ، فنازعونا فيما منحنا الله تعالى ، فخذلهم الله بكفرهم النعم اذ اطلعنا على عوراتهم ، فعاجلناهم قبل ان يعاجلونا ، وادى ذلك الى ان ساء ظننا في البرىء منهم ، وساء ايضا ظنه فينا ، وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه . »

(المرجع نفسه ص ٤٧)

★ ★ ★

وهذا موقف ، بل امتحان يكشف لك عن معدن عبد الرحمن الداخل وجوهر شخصيته :

« لما خرج (عبد الرحمن) من البحر اول قدومه على الاندلس اتوه بخمر ، فقال : اننى محتاج لما يزيد في عقلى لا لما ينقصه ، فعرفوا بذلك قدره ، ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال : ان هذه من القلب والعين بمكان ، وان انا اشتغلت عنها بهمتى فيما اطلبه ظلمتها ، وان اشتغلت بها عما اطلبه ظلمت همتى ، ولا حاجة لى بها الآن ، وردها على صاحبها » . ■■

(المرجع نفسه ص ٤٢)

يوسف زعبلاوي

خِطَابٌ إِلَى أَخِي العَرَبِيّ

بقلم: محمد خليفة التونسي

■ لا تقل لي: «حقي» فحقُّك إن لم ... يَحْمِهِ السيف في المجامع ضاع
لا تقل لي: «هذا هو السيف» لن ينـ ... ـفع سيف حتى تكون شجاعا
لا تقل: «هذه الشجاعة» أين الرَّ ... أي؟ فانظر، ترَ الحروب خداعا
فاجمع السيفَ والشجاعة والرأ ... يَ تَنَلْ حقك المُضاع انتزاعا

★ ★ ★

كم حقوقٍ قد أُهدرت دو ... ن حياء، إذ لم تجد من يقيها
كم سيوفٍ حُيِّرت بقُوَتِ الذراري ... ي فجُزَّت بها رقابُ ذويها
ولكم من شجاعة خانها الرأ ... ي، فكانت ويلاً على أهليها
انه الرأيُ أولا وأخـيرا ... ليس يُغري السفاه إلا السفيها

★ ★ ★

إن هذي الوغى صراعُ عقول ... لا نطاحٌ، ولا هِراشُ سباع
أوَساد الإنسانُ كلَّ وحوشِ الأر ... ض إلا بعقله في الصراع؟
كيف تنسى سلاحك الأول الأفـ ... ـضل، إن في الهجوم أو في الدفاع؟
كيف ترجو نصراً لحقك إن لـم ... تكُ فوق العدو في الإبداع؟

★ ★ ★

لا تجعجع، ولا تهوّل على النا ... س، ابتغاء الأمجاد بالتضليل
لا تزمر، ولا تطبل، فلا خيْـ ... ـر وراء التزمير والتطبيل
لا تمثل مالا تطيق من الأمـ ... ـجاد، ليس الأمجاد بالتمثيل
إذ يحل البلاءُ ينكشفُ الـزيـ ... ـفُ ويبني الغِناءَ طولُ العويل

★ ★ ★

بل تدبر عواقب الأمر، وانظـر ... ما يُعِدُّ العدو سراً وجهرا
وتيقظ له، وإن نام، واحـذرْ ... هُ، وإن يَبْدُ لاهيا مستقرا
إنها الحرب، لا انتصار بهـا إلا ... لأعلى الخصمين بأسا ومكرا
وفجاءاتها كثيرٌ، ولكـن ... ليس فيها نصرٌ لمن كان غِرّا

لا تشكك في الحق ، فهو أســاس   راسخ في صميم هذا الوجـــود
وبه قامت الســمــوات والأر   ض ، بلطف المهيمن المعبــود
فإذا الحق لم يُلبكَ إذْ تــــد   عو ، فلا ترمه بعين كَنُــود
بل ترقّبْ فيُوضَه بعد حيـــن   بزحوفٍ من جنده وبنــــود

★★★

يا أخي ، إنني شريكُكَ في كـــل   بلاء ، فأين تفزعْ تجدْنـــى
فلماذا في الأمنِ تهضِم حقـــى   ثم ترجو في الروع أبلغ عونـــى ؟
لا تحطم شجاعتى ثم ترجـــو   ها ، فليس الجبان في الحرب يغنى
أبقها لى ، فليس يجديك جُبْنِـــى   واستعِنِّى من قوة ، وأَعِـــنِّى

★★★

لو جمعت الدنيا على باطل لـــم   يستقمْ سيرُه ، وإن سار عمـــرا
بل تهاوى وأهلَه في جحيم الــــ   خزى ، جمرا في النار يلعن جمـــرا
لكن الحقُّ ، إن تصنه ـــ ولو فَـــرْ   داً رعتْكَ السماء والأرض طرا
وإذا لم تجد معينا على الحــــق   فمت دونه ـــ مع الصبر ـــ حـــرا

★★★

إنه الموت منتهى كل حـــىٍّ   فلنمت أو نعش ، ولكن كراما
وإذا ضاعت الكرامةُ في الدنـــــيا   ، فأكرم بالموت فيها فطامـــا
وإذا الفرد هان في أى قـــــوم   مُسِخَ القوم كلهم أقزامـــا
وإذا ما حرية الفرد ضاعـــــت   مُزِّق القومُ بِغضْة وخصاماً

★★★

من يُضيِّعْ حقا فلن يستردَّ الـــحقَّ   ، ما لم يكن شجاعا حكيمـــا
ليس في عالم الطبيعة والنـــــا   س فراغٌ ، والكون يجرى قويما
أىَّ حقٍّ إن تنسَهُ عنه ـــ ولولمْـــحا   ـــ يَضِعْ في يد اللئام هضيما
وإذا ما اللئام سادُوا بـــأرض   يصطلى الخصمُ والصديقُ الجحيما

★★★

قوم ، إن نصحت ، فابتدروا النصْـــ   ـــرَ ، وإلا طال الأسى والعويلُ
فلتضُمُّوا صفوفكم إخوةً في الرَّ   وع ، والأمن ـــ كيف كان السبيل
إن تخاذلتم وأنتم كـــثير   لا تنالوا نصرا وأنتم قليـــل
وارصدوا للخصوم أكفاءهم منْـــ   كم، ففيكم لكل خصمٍ مثيلُ ■■

محمد خليفة التونسى



الصين
تتخلى عن صور لغتها ورموزها الى حروف أيسر

● قرأت في العدد (١٦٥) ص ٣٣ ما ذكرتم عن لغة أهل الصين وعن كثرة ما تعتمد عليه هذه اللغة من صور ورموز بدلا من الحروف ، وقد بلغ عدد هذه الرموز نحو ٥٠٠٠٠ رمز .. نرجو أن تعطونا فكرة أوضح من الكتابة الصينية ورموزها ...

خالد البرامكي ــ دمشق

ــ الكتابة الصينية كتابة تصويرية تشبه كثيرا او قليلا الكتابة الهيروغليفية وما اليها في الكتابات التي عرفها التاريخ القديم .

فالصينيون ، على سبيل المثال ، يرسمون الكلب رسما بدلا من كتابة اسمه بالحروف على نحو ما نفعل في الكتابة العربية .

وهم يرمزون الى «الدعوى» او «القضية» القضائية برسم كلبين معا ، وكأن الخصام من صفات الكلاب او كأنه لا بد واقع بين كلبين اذا اجتمعا . اما الرجل فالظاهر انه معروف ومألوف لدى اهل الصين بحيث يكتفون برسم ساقين للدلالة عليه . هذا بخلاف الزوجة ويرمز اليها الصينيون برسم امرأة معها مكنسة .. ومن اطرف ما يذكر هنا ان رمز «الثرثرة» في الكتابة الصينية لا يعدو كونه رسما لثلاث نساء مجتمعات !

لا عجب اذا ان كانت رموز الكتابة عند اهل الصين كثيرة ككثرة المفردات في لغتهم وفي سائر اللغات . وقد قدروا ما ينبغي معرفته من تلك الرموز للكاتب الصيني الاديب بنحو ٥٠٠٠٠ رمز . اما المحرر الصحفي فلا يجوز أن يقل رصيده عن ٦٠٠٠ ــ ٧٠٠٠ رمز ، اذا هو أراد اصدار صحيفته اليومية باستمرار . هذا بخلاف القراء الذين قد لا يحتاجون الى اكثر من ٢٠٠٠ رمز لقراءة احد اعداد تلك الصحيفة . ولا بد لهؤلاء من أن يعرفوا من رموز الكتابة الصينية ٣٠٠٠٠ رمز ، أو يزيد اذا هم ارادوا قراءة كونفوشس وامثاله من كتاب الادب الصيني الرفيع .

ولا يفهم من هذا ان لدى اهل الصين من رموز الكتابة بقدر ما لديهم من مفردات اللغة . واذا كانت الاولى اقل كثيرا من الثانية فما ذلك الا نتيجة للرموز الاساسية التي تقوم عليها كتابتهم . اذ لا يزيد عدد هذه الرموز الاساسية التي تسمى « جذورا » Radicals على ٢١٤ جذار . وتتردد هذه الجذور وتتكرر في شتى رموز الكتابة الصينية وصورها ، باضافات هنا وتعديلات هناك ، حتى





يبدو الدور الذى تلعبه هذه الجذور شبيها الى حد ما بدور الحروف في سائر اللغات .

ويسمى اهل الصين كتابتهم (ون لى) Wen Li اى « الادب الجميـل » . ولا عجـب ، فهـم يرون الصلة وثيقة بين ادبهم الجميل هذا وبين شعرهم وفن الرسم لديهم . لذلك كانت اللوحات الفنية الصينية قوامها الرسم في اوسطها ، واما الشعر والرموز الكتابية فتظهر في زواياها .

وتعود أصول الكتابة الصينية الى حوالى سنة ١٥٠٠ ق . م وقـد اقتبس اهـل اليابان هـذه الكتابة عن جيرانهم الصينيين في حوالي القـرن الرابع الميلادى . الا انهم ما لبثوا ان اضافوا اليها الحركات ، ثم ابتكروا لكتابتهم حـروفا سموها حروف كانا Kana ، واستعملوها بالاضافة الى الرموز الصينية .

ولم يقتصر هذا التجديد على اهل اليابان . فقد قررت حكومة بكين مؤخرا التخلى عن الرموز الكتابية والاخذ بابجدية لاتينية قوامها ٢٦ حرفا . وأعلن هذا القرار رئيس اكاديمية العلوم الصينية الأقدم في مطلع شهر ابريل ١٩٧٢ . ولا يخفى ما يترتب على هذا القرار من خطورة وآثار بعيدة .

(ى . ز .)

أفرغ من فؤاد ام موسى

● كنت اقرأ كتابا عن حياة نابليون فقابلتني العبارة الآتية : « فحسر المعركة وانضم الى صفوفهم وجيوبه اخلى مـن فؤاد ام موسى ، فكان موضع استهزائهم وتحقيرهم » فلم افهم جملة « جيوبه اخلى من فؤاد ام موسى » فما معنى هذا المثل ؟ وما المناسبة التى قيل فيها ، ومن قائله ؟

محمد السيد عبيد / طنطا

– في أوائل سورة القصص من القرآن الكريم ، وردت قصة مولد موسى عليه السلام ، وايحـاء الله لامه ان ترضعه ، وان تلقيه في اليم اذا خافت عليه ان يؤخذ منها ليقتل ، والا تخاف عليـه ولا تحزن اذا القته في اليم ، ووعد من الله لها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين . كما ورد في القصة ان الله حقق وعده لها بنجاة ابنها فقد التقطه آل فرعون،«وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه ، عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ، وهم لا يشعرون . واصبح فؤاد ام موسى فارغا ، ان كادت لتبدى به ، لولا ان ربطنا على قلبهـا لتكون من المؤمنين » .

وبقية القصة ان الله اتم وعده لها ، فـرده اليها « كي تقر عينها ولا تحزن ، ولتعلم ان وعد الله حق » ثم لما كبر اتاه الله حكما وعلما ثم ارسله رسولا .

ويعنينا هنا اشارة السورة الى ان ام موسى اصبح فؤادها فارغا من الخوف والحزن لان الله ثبتها في محنة امومتها العطوف ، ومن هنا صار يضرب المثل « افرغ من فؤاد ام موسى » او معناه « اخلى من فؤاد ام موسى » للدلالة على الفراغ او الخلو من الهم ، وهو لذلك مثل قرآني . ومعنى الجملة المسئول عنها ان « جيوبه خالية من اى مال » .

(م . خ . ت)

الشيخ مجيب الرحمن
الثائر السياسي
بدأ نشاطه وهو طالب فى الجامعه

● تحدثت الصحف والمجلات مرارا عن مجيب الرحمن مؤسس دولة بنجلادش ، ارجو من مجلتي الحبيبة « العربي » أن تذكر لنا نبذة مختصرة عن حياة هذا الرجل .

عبد الكريم الجنابي
مدينة الشرطة ـ بغداد ـ العراق

ـ الشيخ مجيب الرحمن مؤسس دولة بنجلادش هو زعيم حزب رابطة عوامي الذى يتولى الحكم الان في باكستان الشرقية .

وهو من مواليد عام ١٩٢٠. ولد في بلدة تونجيبارا Tongipara لوالدين من اصحاب الاراضي هناك. وقد تلقى مجيب علومه الاولى في احدى المدارس التابعة لارسالية تبشرية مسيحية في بلده. وبعدها التحق بجامعة كلكتا ثم بجامعة دكا حيث قام بدراسة القانون . ونظرا لنشاطه السياسي في ذلك الوقت طرد مجيب الرحمن من الجامعة ووضع في السجن لاول مرة في تاريخه الحافل بالنضال .

وعندما انشئت دولة باكستان في اغسطس عام ١٩٤٧ كان الشيخ مجيب الرحمن من اشد مؤيدى مؤسس دولة باكستان محمد علي جناح . وعندما تأسس حزب رابطة عوامي ، وهو حزب الشعب ونادى بمنح باكستان الشرقية استقلالا ذاتيا ، اصبح مجيب الرحمن اول سكرتير عام للحزب وذلك في اوائل الخمسينيات من هذا القرن . وانتخب مجيب لعضوية مجلس نواب باكستان الشرقية في عام ١٩٥٤ . وبعدها تولى عدة مناصب وزارية في باكستان الشرقية .

وفي عام ١٩٥٨ عندما استولى الجيش على الحكم بقيادة المارشال أيوب خان اصبح مجيب الرحمن من اشد معارضي النظام العسكرى .وبعد ذلك بعشر سنوات اى في عام ١٩٦٨ تسبب القبض على مجيب الرحمن في مظاهرات عنيفة نتج عنهـا وقوع عدد كبير من القتلى في اصطدامات مسلحة بين الجيش والطلبة. وادت في النهاية الى عزل أيوب خان من الحكم، ومجيء يحيى خان الى الرئاسة .

وفي الانتخابات التى اجريت في شهرى ديسمبر ١٩٧٠ ويناير ١٩٧١ ، حصل حزب رابطة عوامي برئاسة مجيب الرحمن على اغلبية كبيرة في اول انتخابات حرة تجرى في باكستان منذ انشائها .

واصبح الشيخ مجيب الرحمن مرشحا لتولي رئاسة الوزارة الباكستانية . وأبدى مجيب الرحمـــن استعداده لتاليف وزارة ائتلافية على أن تقبل باكستان الغربية بشروط حزبه الستة الخاصـــة بمنح باكستان الشرقية نوعا من الحكم الذاتي داخل اطار باكستان المتحدة .

وفشلت المفاوضات بين يحيى خـــان رئيس الجمهورية ، ومجيب الرحمن حول هذه المطالب ، وادى فشل هذه المفاوضات الى انفجار اعمال العنف في باكستان الشرقية . واعلنت الحكـومة العسكرية الاحكام العرفية وتم القبض على الشيخ مجيب الرحمن وقدم للمحاكمة بتهمة الخيـــانة .. وثار انصاره من اعضاء حزب رابطة عوامي واعلنوا قيام دولة بنجلادش المستقلة في باكستان الشرقية . واشتعلت نيران الحرب بين باكستان الغربية وباكستان الشرقية . وادت هذه الحرب الى تدخل الهند الى جانب باكستان الشرقية . وانتهت الحرب بهزيمة باكستان الغربية واعلان قيام دولة بنجلادش . وبعد ذلك افرجت حكومة ذو الفقار علي بوتو ، رئيس باكستان الحـالي ، عن مجيب الرحمن وعاد الى باكستان الشرقية ، والتى اصبح اسمها الان بنجلادش ، حيث راس حكومتها .

(م . ط)



القطن ليس وحده مادة غزل ونسج

● صناعة النسيج في وطننا العربي ، هل تعتمد على غزل ونسج القطن فقط ام هنالك مواد أخرى غير القطن ؟ .. وما هي أهم الدول العربية التي اشتهرت بهذه الصناعات ، وما مقدار انتاجها ؟

أبو الحسن مهد جنيف

– صناعة الغزل والنسج اصبح لها نصيب الاسد من اجمالي استثمارات الدول العربية في مجال الصناعة . وهذا اتجاه طبيعي نظرا لتوفر المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة في البلاد العربية .. ويأتي القطن في مقدمة المواد الخام المستعملة في الغزل والنسيج ..

وحسب دراسات مركز التنمية الصناعية للدول العربية تعتبر مصر اكثر الدول العربية انتاجا للقطن الخام ، ويمثل انتاجها ٥٦٪ من اجمالي انتاج القطن الوطني العربي ، يليها السودان وسوريا بنسب ٢٥٪ و ٦٫٩١٪ على التوالي ، من انتاج الوطن العربي .

وقد بلغ مجموع انتاج القطن الخام في الوطن العربي حوالي ٩٢٢ الف طن خلال عام ١٩٦٨ وفي هذا العام ١٩٦٨ بلغت كمية القطن الخام الذى صدرته الدول العربية الى الخارج ٥٥٣ الف طن، وكانت الكمية ٦.٨ الف طن في عام ١٩١٤ .

والدول العربية المنتجة لغزل القطن ثمان وكانت كميات نتاج غزل القطن كالاتي :

مصر ١٥٧٠٠٠ طن – سوريا ١٧٢١٥ طن – المغرب ١٠٢٦٠ طن – الجزائر ٦٨٧٠ طن – العراق ٥٢٢٤ طن – لبنان ٤١٢٠ طن – تونس (الارقام غير متوفرة) .

وهذه الارقام للاسف لاتمثل انتاج سنة واحدة محددة ، وانما توضح انتاج سنوات مختلفة ، تتدرج من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٨ .

وتلي صناعة القطن في الاهمية ، صناعة الصوف وغزله . واهم الدول العربية انتاجا للصوف الخام هي المغرب ، تليها سوريا ثم تونس ، وقد بلغ مجموع انتاج الدول العربية من الصوف الخام ١٧ الف طن في عام ١٩٦٨ .

والدول العربية المنتجة لغزل الصوف عددها ٦ دول ، اهمها مصر ثم المغرب .. وكان الانتاج كالاتي : مصر ٩٠٠٠ طن – المغرب ٦٨٩١ طن – سوريا ١٤٤٠ طن – العراق ١٢٩٨ طن – لبنان ٦١٠ طن – الجزائر ٤٧٣ طن .. وهذه الارقام ايضا لاتمثل انتاج سنة واحدة معينة ، وانما بعضها انتاج عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٦٨) .

واهم الدول العربية المنتجة للحرير سوريا ، وكان انتاجها ٢٤٢٥ طنا من الحرير عام ١٩٦٨ اما بقية الانتاج العربي ، فارقامه غير متوفرة . وهنالك غزل الالياف الصناعية المشتقة من مصادر نباتية سيلولوزية ، واهم الدول العربية المنتجة لغزل هذه الالياف هي المغرب ، يليها لبنان وسوريا ، ومقدار انتاجهم على التوالي ٢٣٧٠ – ١٨١٠ – ٢٢٠٠ طن .

ومن الصناعات التي تكاد تنفرد مصر بها ، صناعة غزل الالياف المخلقة من مشتقات البترول. وكان انتاج مصر من هذا الغزل ١٢ الف طن في حين بلغ انتاج العراق ١.٦ طن .

كما ان مصر تنتج الجزء الاكبر من غزل الجوت وبلغ انتاجها منه ٢٧ الف طن في عام ١٩٦٨ تليها لبنان التى انتجت ٣٠٠٠ طن منه سنة ١٩٦٦ .

وتنفرد الجزائر بانتاج غزل فبران Fibranne وبلغ انتاجها منه ٣٨.٥ طن عام ١٩٦٨ .

والخلاصة ان صناعة الغزل والنسج اصبحت من اكثر الصناعات ازدهارا في الوطن العربي .. ويحتل غزل ونسج القطن مركز الصدارة من حيث الكمية المستهلكة في البلاد العربية .. وباستثناء مصر وسوريا تعتمد دولنا على استيراد منتجات القطن..في حين ان جميع البلاد العربية – باستثناء المغرب – تعتمد على استيراد الصوف لتغطية حاجة استهلاكها المحلي ..

وهنا نهيب بالمسئولين الصناعيين في البلاد العربية ، ان يمدوا مركز التنمية الصناعية التابع لجامعة الدول العربية باخر الاحصاءات والارقام ، حتى تجيء نشراته الاحصائية معبرة تماما عن الحالة الحاضرة لمختلف الصناعات في وطننا العربي .

(س . ز)

حلف الفضـــــول

● قرأت في مجلة « العربي » العدد ١٦٦ موضوعا عن صلح الحديبية ، أشير فيه الى «حلف الفضول» فأرجو ان تبينوا لنا اعضاء هذا الحلف ، والى اى القبائل ينتسبون ، ومن عبد الله بن جدعان الذى عقد الحلف في داره .

احمد محمد الفضيدى

الخطوط الجوية السعودية ـ جدة

ـ كان هذا الحلف ـ كما تقول كتب السيرة النبوية والتاريخ ـ اكرم حلف واشرفه ، وقد عقد قبل البعثة المحمدية بنحو عشرين سنة ، وكان الداعي اليه الزبير (اكبر اولاد عبد المطلب بن هاشم ، وهو ـ كابى طالب ـ عم شقيق للنبى عليه السلام) وليس هو الزبير بن العوام (ابن عمة النبى) . وكان سبب الحلف ان رجلا يمنيا من زبيد جاء مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصى ابن وائل السهمى (والد عمرو بن العاص) ، وكان ذا قدر وشرف بمكة ، وحبس عنه حقه ، وكان من سوء حظ الزبيدى وسوء نظره معا انه استعدى على غريمه بعض العشائر القرشية التي تحالف عشيرة هـذا الغريم ـ وهذه القبائل وتسمى (الاحلاف) هي عبد الدار ومخزوم وعدى بن كعب وسهم (عشيرة العاصى) ـ فابت ان تنصره ، ونهرته ، ورأى الزبيدى ضياع حقه وهوان قدره لان هذه العشائر تنصر غريمه وتجامله وتهابه ، ثم كان من حسن حظه ان ارشده ناصح الى ان يستعين بجماعة اخرى من العشائر القرشية كانت في حلف يسمى « حلف المطيبين» وكانت خصما للعشائر السابقة (الاحلاف) منذ عهد بعيد ، وطلب الناصح منه أن يصعد عند طلوع الشمس على جبل ابي قبيس المجاور للكعبة ، وقريش عندئذ في انديتهم حولها ، فيهتف بظلامته ، فنفذ الزبيدى المشورة ، اذ صعد الجبل وصاح باعلى صوته :

« يا آلَ فِهرٍ لمظلوم بضاعتـــــه
ببطــن مكّةَ ، نائى الدار والنفَرِ
ومُحْرِمٍ أشعثٍ لم يَقضِ عُمْرتَه
يا للرجالِ ، وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
إن الحرامَ لمن تمّتْ كرامتُـــــه
ولا حرامَ لثوب الفاجرِ الغُدَرِ »

فاسرع اليه الزبير بسيفه ، وهو يقول : « مالهذا مترك » ـ اى لايترك هذا بل ينصر ـ فاجتمع اليه مع الزبير معظم العشائر من حلف المطيبين : اسد بن عبد العزى (عشيرة خديجة ام المؤمنين) وزهرة بن كلاب (عشيرة امنة ام النبى عليه السلام) وتيم بن مرة (عشيرة ابي بكر) وفي مقدمهم فرعان من عبد مناف : بنو هاشم وبنو المطلب ، وتخلف عنه فرعان آخران هما فرع نوفل وفرع عبد شمس (جد الامويين) مع ان هاشما والمطلب ونوفلا وعبد شمس اخوة ، ابوهم جميعا عبد مناف .

اجتمع هؤلاء كلهم في دار عبد الله بن جدعان (من تيم بن مرة) ـ لشرفه وسنه ـ فصنع لهم طعاما ، وتعاقدوا وتعاهدوا على الا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه ، حتى ترد عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف « حلف الفضول » .

ثم اتوا العاصى بن وائل فتوعدوه ـ غير مبالين بالحرب اذا نصرته عشيرته سهم واحلافها ـ حتى رد على الزبيدى حقه كاملا ، فانصرف راضيا . وهكذا سار حلف الفضول مع غير الزبيدى فيما روته كتب السيرة والتاريخ .

وقد حضر النبي ـ عليه السلام ـ عقد هذا الحلف مع اعمامه ـ وكان يومئذ شابا في العشرين ـ واغتبط به لانه كان يوافق اخلاقه واخلاق اسرته من الاريحية والشجاعة وحب العدل والنفور من الظلم ورؤيته ، وكان له في نفسه الشريفة اثر عميق بعيد ، فقد نوه به بعد البعثة عن غبطة واعجاب ، فقال : « لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفا ، ما احب ان لى به (اى مقابله) حمر النعم، ولو دُعيَ به في الاسلام لاجبت». ■■

(م . غ . ت)

نتيجة مسابقة العدد ١٦٨

اللوغارتمات من صنع العرب

■ قامت مسابقة العدد ١٦٨ على المعلومات العامة فى نواح شتى من المعرفة ، وكانت الاسئلة فى الاعم تدور حول مادة التاريخ وسير الاشخاص . وقد لوحظ أن الاجوبة التى وردت اليناكثيرة ، ويرجع ذلك الى سهولة المسابقة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة، ثم اسماء من حالفهم التوفيق فى الفوز بالمسابقة .

١ ـ سنة ١٢٦٠ ميلادية تقابلها فى التقويم الهجرى سنة ٦٥٩ هـ ، وسنة ٨٩٨ هجرية تقابلها فى التقويم الميلادى سنة ١٤٩٢ م .

٢ ـ انديرا غاندى هى ابنة الباندیت جواهر لال نهرو الذى توفى سنة ١٩٦٤ .

٣ ـ الفرعان اللذان لا تشملهما جائزة نوبل هما : الفلسفة والتاريخ .

٤ ـ تقع بيت لحم الثانية فى الولايات المتحدة ، وهى مدينة صناعية تقع فى ولاية بنسلفانيا .

٥ ـ البيت هو :

يا اعدل الناس الا فى معاملتى
فيك الخصام وانت الخصم والحكم

وقائله هو المتنبى .

٦ ـ اسم ذلك العلم هو علم اللوغارتمات .

٧ ـ فلورنس نانتجيل عملت كممرضة فى حرب القرم .

٨ ـ قرطاجة : فى تونس ، جزيرة فيلة فى مصر . اكروبوليس فى اليونان . تدمر فى سوريا .

٩ ـ يطلق عليه الآن بحر قزوين .

١٠ ـ واشنطن ، عاصمة الولايات المتحدة الامريكية ، تقع فى منطقة كولومبيا ، وهى منطقة خاصة بها ، وليست من الولايات الخمسين .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **السيد مصطفى الجرف** ـ طنطا ـ مصر .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **على شكر داود** ـ بغداد ـ العراق .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : **نادية راشد سهيل** ـ دبى ـ الخليج العربى .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

١ ـ **احمد عمر باخواد** ـ عدن ـ اليمن الديمقراطى .

٢ ـ **عبد العزيز بزيع الخالدى** ـ الزراعية ـ الكويت .

٣ ـ **صفية ابراهيم ابو الريش** ـ الخرطوم ـ السودان .

٤ ـ **محمد محمد احمد ابو على** ـ المحرق ـ البحرين .

٥ ـ **محمد مسعود شقير** ـ بيروت ـ لبنان .

٦ ـ **احمد حمد**/وادى السير ـ الاردن .

٧ ـ **حسين صالح عبد الله** ـ بنغازى ـ ليبيا .

٨ ـ **محمد كزارة** ـ حلب ـ سوريا .

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■



استطلاع الكويت



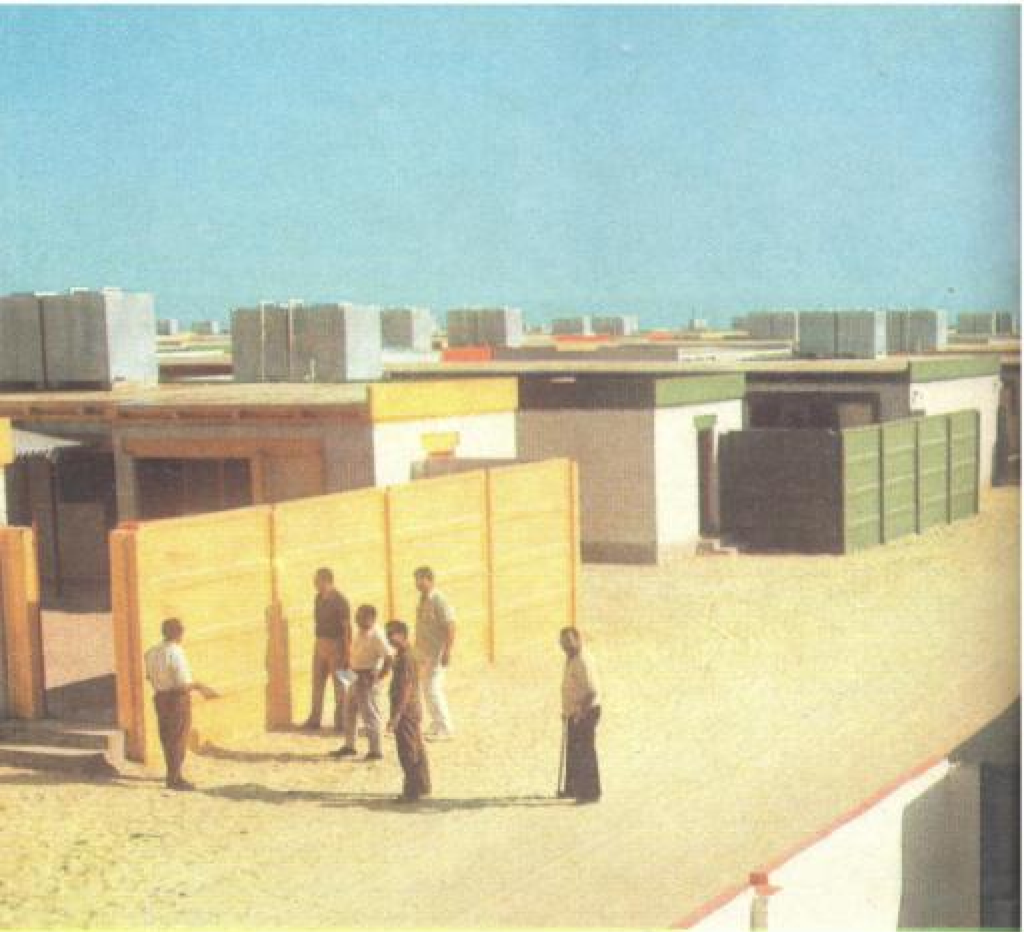
المشروع الرائد ، او مشروع بناء المساكن الشعبية .. ابناء ولي عهد الكويت ورئيس مجلس الوزراء .. والهدف منه توفير السكن الصحي الملائم للكويتيين وغير الكويتيين ، من ذوى الحرف الذين ساهموا وما زالوا يسهمون فى نهضة البلاد وتعميرها .. ان بناء هذه المساكن سوف يعمل على تنفيذ مشروع ازالة العشيش والخيام التي تستخدم كمساكن دائمة والمنتشرة في صحراء الكويت..وفي الصورة(الى اليسار) مجموعة من هذه المساكن التي انتهى العمل من تشييدها في ميناء عبد الله ، اما الصورة الاخرى فتمثل « خيمة عربية » من تلك التي اعتزمت الدولة ازالتها بصورة تامة عند الانتهاء من المشروع

تنمية الوعى الادخارى ونشره بين المواطنين ، من اهداف البنك الرئيسية ، والصورة لتلميذتين فى مدرسة للاطفال تقومان بلصق الطوابع التى يصدرها البنك لتكوين مجموعات منها وتوفير قيمتها فى صندوق الادخار .

بنك

استطلاع
منير نصيف
تصوير
أوسكار مترى





لتسليف والادخار

مَصرفٌ، وماهو بمصرفٍ..

صندوق، وضعت فيه دولة
الكويت جانبا من أموال
الشعب فى خدمة الشعب



المقر المؤقت لبنك التسليف والادخار

■ اذا كنت مواطنا من ابناء الكويت ،واعوزك المال لبناء سكن لك ولاسرتك ، اعطاك البنك قرضا ..

واذا كنت صاحب مصنع ، وشئت في مرحلة او في اخرى من مراحل نمو انتاج مصنعك وتطويره ، الحصول على قرض لتمويل مشروعات التوسع ، اعطاك البنك قرضا ..

واذا كنت شابا على عتبة الحياة ،وتريد ان تكمل دينك بالزواج ، اعطاك البنك قرضا ليعاونك على مواجهة أعباء حياتك الجديدة ..

واذا ادخرت مبلغا واردت أن تستثمره اخذه منك البنك ، واستثمره لك في مختلف مجالات التنمية في البلاد ،واعطاك ربحا سنويا يصل الى ٤٫٢٥٪ .

ولعل هذا الدور الاخير الذي بدأ البنك يضطلع به منذ عام ١٩٦٥ ، هو الذي اضفى على هذا الصندوق صفة المصارف وطبيعة عملها ، في هذا المجال بالذات ، دون غيره من مجالات ..

هذه مقدمة قصيرة تقودنا الى السؤال التقليدي الذي يبدأ به الحديث ، كل باحث عن اصل هذا المشروع الذي بدأ يلعب دورا هاما في حياة المواطنين الكويتيين .. والسؤال متى انشىء هذا البنك ، وما هي قصة انشائه ، وما هي الانجازات التي حققها في تعمير الكويت ونهضتها .

أهداف البنك

قال لنا السيد يوسف الشايجي المدير العام لبنك التسليف والادخار ، الذي عاصر هذا المشروع منذ بدايته ، قال : « لقد انشىء البنك في عام ١٩٦٠ برأسمال قدره سبعة ملايين ونصف مليون دينار ، وكان اسمه بنك الائتمان ، الى ان جاء عام ١٩٦٥ ، عندما اضيفت اليه مسئولية تنمية روح الادخار بين المواطنين ، حينئذ تقرر تغيير اسمه الى بنك التسليف والادخار . واصبح رأس المال اليوم يزيد على ٢٥ مليون دينار .

« اما الفكرة من انشاء هذا البنك ، فقد نشأت لتوفير الجهود التي كانت تبذل من جانب الوزارات والمؤسسات لتأمين حاجة موظفيها من القروض الاجتماعية التي كانت تصرف لهم لمواجهة ظروفهم الطارئة .. فقد ظلت طلبات القروض من جانب الموظفين في ازدياد مستمر ، حتى بلغت قيمة القروض المنصرفة لهم في وقت من الاوقات ١١ مليون دينار .

« ورأت الدولة في ضوء هذه الظروف ان تعمل على تحديد الجهة التي تقدم مثل هذه القروض للمواطنين لتوفير الوقت والجهد على الوزارات والمؤسسات ، وبناء عليه صدر المرسوم الخاص بانشاء بنك الائتمان ثم ما لبث دور البنك ان اتسع بعد انشائه ، فلم يعد مقصورا على مواجهة مسئولياته تجاه المواطنين فحسب ، بل امتد ليشمل الاقتصاد القومي للبلاد .. » .

ومضى مدير البنك يقول : « لقد كان انشاء بنك التسليف والادخار في صورته الحالية تعبيرا صادقا عن سياسة الحكومة التي تهدف الى تدعيم الاقتصاد القومي وتنميته وازدهاره عن طريق استغلال الموارد الرئيسية للبلاد ، واستثمار رؤوس الاموال، سعيا وراء زيادة الدخل القومي ، والاتجاه نحو الاكتفاء الذاتي ، والعمل على خلق موارد اخرى بجانب موارد البترول .

يضم البنك ما يزيد على المائة وستين موظفا من الفنيين والكتابيين ، وقد حرصت ادارة البنك على تزويدهم باحدث الاجهزة الحاسبة ، والصورة لقسم الحاسب الالكتروني Computer .





السيد يوسف الشايجي ، مدير عام بنك التسليف والادخار .. شرح لنا أهداف البنك ، وقال ان انشاء هذا البنك في صورته الحالية هو تعبير صادق عن سياسة الحكومة التي تهدف الى تدعيم الاقتصاد القومي وتنميته وازدهاره من ناحية وتقديم الخدمات الأساسية لأفراد الشعب الكويتي من ناحية أخرى .

« اننا نستطيع ان نلخص الفوائد المرجوة من انشاء البنك فى النقاط التالية :

(أولا) المشاركة فى النهضة العمرانية عن طريق تقديم القروض العقارية ، وتنفيذ المشاريــــع السكنية لذوى الحاجة .

(ثانيا) تشجيع الصناعة والعمل على نموها وازدهارها لسد حاجات البلاد من المواد الانتاجية الممكن صناعتها محليا .

(ثالثا) العمل على زيادة المنتجات الزراعيــة والثروة الحيوانية وتربية الدواجن .

(رابعا) الحد من اطماع المرابين .

(خامسا) تيسير القروض الاجتماعية لمــن يحتاجها من المواطنين .

(سادسا) الاسهام فى تشغيل الايدى العاملة .

(سابعا) تشجيع المدخرات الصغيرة واشراكها فى مجالات النهضة المختلفة .

« واود أن اضيف الى هذا أن البنك لــم يؤسس بهدف تحقيق ربح مادى، ولذا فان الفوائد التى يأخذها على القروض ضئيلة جدا ، وتحقيقا لاهداف البنك فان الادارة ترحب وتؤازد كل مشروع من شأنه أن يخدم الصالح العام » .

بهذا الحديث مع المدير العام لبنك التسليف والادخار بدأنا استطلاعنا الذى نقدمه اليــوم ، لم افترقنا ، على أن يكون لنا معه لقاء آخر ، بعد ان نرى بأنفسنا بعض الانجازات التى حققها البنك منذ انشائه خلال الاثنى عشر عاما الماضية .

مدينة سكنية متكاملة

وفى منطقة الدوحة التى تقع على طريق الجهراء ، وتبعد عن قلب مدينة الكويت بحوالى عشرين كيلو مترا : زرنا المدينة السكنية التى شيدها البنك لذوى الدخل المحدود .... مدينة سكنية ، كاملة بكل مرافقها الحيوية من مدارس ومساجد ومستوصفات للعلاج ، وهى تحوى ١٣٧٢ مسكنا ، ويتالف كل مسكن من ثلاث غرف بمرافقها ، وغرفة اخرى للزائرين ، أو « الديوانية العربية » .. وقد وزعت كل هذه المساكن على مستحقيها عن طريق وزارة الشئون الاجتماعية منذ عام تقريبا ... ويدفع المواطن ايجارا رمزيا قدره تسعة دنانير شهريا ، على أساس ان يصبح له الحق فى امتلاك هذا المسكن ، اذا اقام فيه بصفة مستمرة لمدة عشر سنوات كاملة ، على أن تحسب المبالغ التى سبق أن دفعها ، فى صورة ايجار لمسكنه ، من القيمة الاصلية لهذا المسكن .

وفى قرية الجهراء ، شاهدنا نموذجاآخر من مساكن ذوى الدخل المحدود ، انتهى العمل فى بنائها مؤخرا ، ولم يتم توزيعها بعد على مستحقيها ، وهى مساكن متطورة ، يتالف كل واحد منها ، من طابقين (فلة) وهى تتمشى مع تطور حركة العمران فى الكويت ، ومتطلبات الاسرة الكويتية ..

مدينة الرقة الحديثة

ثم زرنا مدينة الرقة ، التى تقع على بعد ٣٣ كيلو مترا من قلب مدينة الكويت ، على الطريق المؤدى الى مدينة الاحمدى ، وهى مدينة سكنية كبرى لذوى الدخل المحدود أيضا تضم ٢٢٣٢ بيتا ، وقد بدا العمل فيها منذ عام ١٩٧٠ ، واستغرق بناء المساكن عامين ، واشترك فى بناء وتنفيذ المشروع أربع عشرة شركة كويتية .

ويجرى العمل الان فى تنفيذ الخدمات العامة ، وبناء المدارس والمساجد والمستشفيات والحدائق العامة ، وكذلك توصيل التيار الكهربائى والمياه العذبة الى هذه المساكن الجميلة التى تعتبر احدث نموذج لمساكن أصحاب الدخل المحدود .

ويتالف كل مسكن من طابقين (فله) ، ويضم الطابق الارضى ثلاث غرف وصالة ومطبخا وحماما ،



الحليب الطازج الذي تنتجه الشركة الكويتية للالبان ويباع في جميع انحاء الكويت ... ويقدم غذاء للاطفال في المدارس ، وللمرضى في المستشفيات .

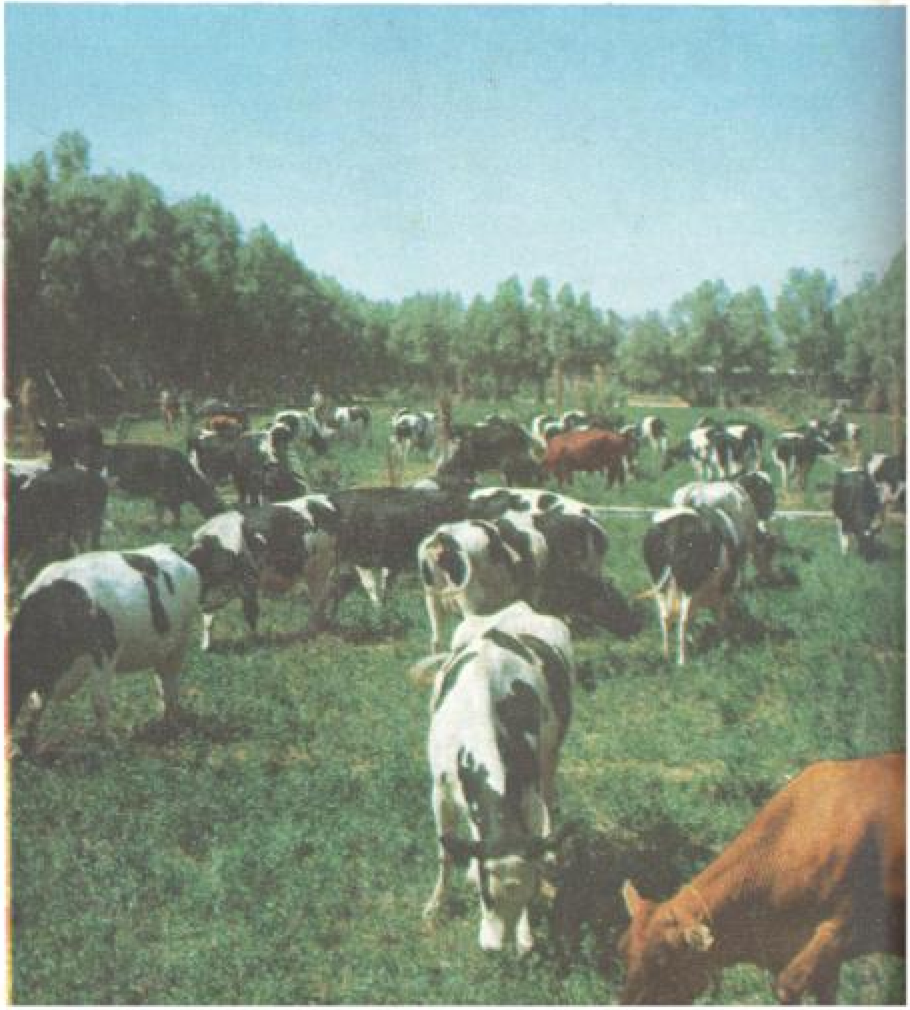


تعتبر الشركة الكويتية للالبان من المشروعات الزراعية الرائدة في الكويت ، فقد انشئت في عام ١٩٦٠ وهي تضم اليوم حوالي ١٤٠٠ بقرة ، وقد ساهم البنك في تطوير هذه الصناعة عن طريق تقديم قرض لاصحاب الشركة في عام ١٩٦٥ لبناء معمل جديد للبسترة وتجهيزه بأحدث الآلات والمعدات **(الصورة السفلى)** . وفي الصورة **الى اليسار** ، مجموعة من الابقار ترعى في المزرعة التي اقيمت فوق مساحة من الارض تبلغ ١٦٥ الف متر مربع ، وتضم أكثر من عشرين حظيرة .





مندوبة بنك التسليف والادخار لجمع الطوابع التي تشتريها التلميذات من مصروفهن ، لتضع لهن قيمتها في حسابات التوفير التي فتحت باسمائهن في البنك.





مجلس ادارة البنك في احد اجتماعاته وهو يضم عشرة أعضاء .

وغرفة للخادم ، وحماما خاصا به ، اما الدور العلوى ، فيضم ثلاث غرف نوم اخرى وحمامين ، وقد بدات وزارة الشئون الاجتماعية التى تسلمت هذه المساكن اثر الانتهاء من بنائها فى توزيعها على المواطنين من مستحقيها ، وينتظر ان ينتقل المواطنون الى المساكن الجديدة خلال عام ١٩٧٣ .

المساكن الشعبية

وفى ميناء عبد الله ، شاهدنا اخر نموذج من هذه المساكن التى انتشرت فى طول الكويت وعرضها : ومن افواه العاملين فى بناء هذه المساكن الجديدة التى لم يكتمل العمل فيها بعد ، سمعنا قصة هذا المشروع الرائد .. ونقول المشروع الرائد ، لان هذه المساكن البسيطة الجميلة التى شاءوا أن يطلقوا عليها « المساكن الشعبية » لن تكون للكويتيين وحدهم ، بل للكويتيين وغير الكويتيين من اخوانهم العرب الذين ساهموا وما زالوا يساهمون فى بناء وتعمير الكويت.

ولكن لهذه المساكن قصة ، سنترك الحديث فيها ، الى مدير البنك فى لقائنا معه بعد انتهاء جولتنا ..

بعض منجزات البنك الصناعية والزراعية

وننتقل الان الى بعض منجزات البنك فى القطاعين الصناعى والزراعى ..

وفى منطقة الشويخ الصناعيه ، زرنا شركة السبك الكويتية (١) .. لقد تأسست هذه الشركة التى تقوم بانتاج اغطية غرف التفتيش، ووصلات انابيب الاسبستت ، والانابيب الصحية وانابيب الزهر التى تستخدم فى المجارى والمنازل وغيرها، فى عام ١٩٦٣ .

وقد كانت كل هذه المنتجات تستورد من الخارج قبل انشاء هذا المصنع الحديث ، ويقول المدير الكويتى للمصنع المهندس عبد الحميد عبدالرحمن الفارس ، وهو يحمل بكالوريوس في الهندسة الصناعية من جامعة اريزونا : « في عام ١٩٦٧ ساهم في الشركة ، شركاء جدد ، وبناء عليه تقرر اقامة مصنع حديث ، وبدأ العمل في بناء هذا المصنع وتجهيزه بالمعدات والالات الحديثة ، واتسعت اعمال الشركة منذ ذلك التاريخ ، الى أن كان شهر مارس من عام ١٩٧٢ ، عندما قرر الشركاء طلب قرض من بنك التسليف والادخار . ووافق البنك بعد اجراء الدراسات والبحوث لامكانيات الشركة ومركزها المالي ، على منحها قرضا قيمته ٢٦٠ الف دينار كويتي ، مساهمة منه في تدعيم هذه الصناعة الناشئة وتطويرها .

وفي مصنع المواد العازلة الستايروبور (٢) Styropor جلسنا الى السيد يعقوب يوسف القطامي مدير عام المصنع نستمع الى قصة هذه الصناعة الحديثة في الكويت ودور البنك في تطويرها ، قال السيد يعقوب : كان اصحاب هذا المصنع ، وانا واحد منهم يستوردون المواد العازلة التي يكثر استخدامها في جو الكويت الحار ، من الخارج . وفي احد الايام ، وقع في يدى كتاب عن صناعة هذه المواد وجلست اقرأه باهتمام ، وما كدت افرغ من قراءته حتى اقتنعت بامكان انتاج هذه المواد العازلة محليا .. وبالفعل بدأنا نعد العدة لاقامة اول مصنع من نوعه في الكويت . وما كاد العمل يبدأ في مصنعنا الجديد ، حتى اعلنت الصحف ان بنك التسليف والادخار يقدم قرضا

(١) لا السكب كما شاءت الشركة ان تسمى نفسها والمصانع التى تقوم بالسبك تعرف بالمسابك Foundries

(٢) هذا هو الاسم التجارى للمادة العازلة وهي من اللدائن المعروفة باسم Polystyrene .

لتشجيع الصناعات الوطنية . وكان ذلك في عام ١٩٦٥ ، وحصلنا بالفعل على قرض قيمته ٣٠ الف دينار ، وهو نصف راس المال الذى بدانا به هذا المصنع . وقد نجحت هذه الصناعة التي اتاحت المجال لاقامة مشروعات صناعية اخرى مثل البيوت المتنقلة والجاهزة الاجزاء Mobile & Prefab Houses واصبحنا نصدر انتاجنا الى الدول العربية وفي مقدمتها سوريا والمملكة العربية السعودية والاردن وامارات الخليج ومسقط وعمان والبحرين وقطر » .

اقدم صناعة في الكويت

وفي منطقة الشويخ الصناعية ايضا استمعنا الى قصة اقدم صناعة وطنية قامت في الكويت ، وهي صناعة الاخشاب ، لقد انشيء هذا المصنع في عام ١٩٥٣ ، في مكان صغير بالمرقاب (احد احياء مدينة الكويت) ، وبدا العمل فيه باربعين عاملا ، وكان انتاج المصنع في بدايته مقصورا على صناعة الابواب والشبابيك للمساكن التي تشيد في الكويت .. الى ان جاء عام ١٩٦٠ ، فاتسع المصنع وتنوع انتاجه حتى اصبح يشمل صناعة اثاثات المنازل ..

يقول مدير المصنع السيد ميلاد سركيس :

« لقد كانت المنافسة شديدة عندما بدانا نطرق مجال صناعة الاثاثات ، فالكويت كما تعلمون كانت وما تزال سوقا حرة .. ولذلك فقد كانت الاثاثات المستوردة من الخارج تشكل خطرا كبيرا على هذه الصناعة الوطنية الوليدة .. ولكن بالرغم من ذلك ، فقد مضى المصنع يؤدى رسالته ويغمر بانتاجه الاسواق ، واستطعنا ان نصمد ، حتى اذا جاء عام ١٩٦١ ، كان مصنع الشويخ للنجارة قد حصل على امتياز انتاج نوع جديد من الابواب الجاهزة التي تسمى Placarol ، بلا كارول ، ثم كوت الاسم فاصبح كويت رول Kuwait Rol ، وبلغ انتاجنا اليومي من هذه الابواب ٤٥٠ بابا ، وكان مصنعنا هو الوحيد في الكويت وفي شبه جزيرة العرب الذى ينتج هذا النوع من الابواب .

وفي هذا العام نفسه ، قام بنك التسليف والادخار ، او بنك الائتمان كما كان يعرف في هذه الآونة من تاريخه ، قام البنك بدوره في تدعيم هذه الصناعة ومساندتها ، فقد طلب المصنع قرضا من البنك قيمته مائة الف دينار . ووافق البنك على اعطائنا القرض الذى طلبناه بعد دراسة لمركز الشركة المالي وقدراتها ..

واستطاع المصنع بفضل انتاجه الجديد ان يوفر على الدولة ٥٠٪ من التكاليف التي كانت تدفعها لاستيراد هذه الابواب والشبابيك الجاهزة من الخارج ، او انتاجها محليا ..

« ثم مضى المصنع يتسع ويتسع ، ويتضاعف انتاجه ويتنوع عاما من بعد عام .. فاصبح ينتج الآن البيوت الجاهزة ، الى جانب الاثاث الفاخر ، والخشب المضغوط (او الخشب المصنوع من النفايات ، ويسمونه ايضا الخشب الحبيبي) .

« واصبح انتاج المصنع من هذا كله يسد جانبا كبيرا من احتياجات السوق المحلي ، وتصدر منه كميات كبيرة الى سوريا والعراق والمملكة العربية السعودية وكل امارات الخليج وعمان وايران .. وبلغت قيمة الصادرات خلال عام ١٩٧١ – ١٩٧٢ ، مليونا ونصف المليون دينار .. واصبح المصنع اليوم يضم اكثر من ٨٠٠ عامل يتقاضون اجورا تصل الى ٥٠ الف دينار شهريا .

الشركة الكويتية للالبان

وفي منطقة الصليبية ، في الطريق الى محطة

صناعة الستايروبور ، او المواد العازلة ، من الصناعات الحديثة الناجحة في الكويت ، وهي تستخدم في عزل اسطح المنازل ، وغرف التبريد لحفظ المواد الغذائية المجمدة ، وعزل مواسير تكييف الهواء .. ويغطى انتاج المصنع حاجة السوق المحلي ، ويصدر الفائض لبعض البلدان العربية .. وقد كانت هذه الصناعة من الصناعات التي شجعها البنك وساندها بأن قدم لاصحابها قرضا يبلغ نصف راس المال منذ انشائها .



شركة السبك الكويتية التي اقامت مصانعها في منطقة الشويخ الصناعية فوق مساحة تقدر بحوالي ٤٠ الف متر مربع ، وهي من الصناعات التي قامت على اساس المواد الخام المتوفرة في الكويت .. وقد ساهم البنك في تشجيع هذه الصناعة وتطويرها بقرض قيمته ٢٦٠ الف دينار في عام ١٩٧٢ .

والصورة الى اليمين ، لعملية صب حديد الزهر المنصهر في البوتقة وتبين **الصورة الاخرى** تحت هذه الكلام عملية صب الزهر المنصهر في القوالب .









معرض الاثاثات التي ينتجها مصنع الشويخ للتجارة .. وتعتبر صناعة الاخشاب من اقدم الصناعات الحديثة في الكويت .. وقد ساهم البنك في تشجيعها ومساندتها بتقديم قرض قيمته مائة الف دينار .

الاسواق التجارية الحديثة في الكويت ساهم بنك التسليف في تمويل بنائها .



فتاتان كويتيتان ، تعملان في قسم الحاسب الالكتروني في البنك ، ويتركز عملهما في تحويل المعلومات من اشياء منظورة الى مقروءة بلغة ال Computer .

الارسال الجديدة ، زرنا مزرعة الشركة الكويتية للالبان وهي ايضا واحدة من اقدم الصناعات التي قامت في الكويت وحققت نجاحا ملموسا .

يقول الدكتور عبدالرحمن سلمان ، المدير الفني المسئول عن الشركة ، وهو قد عاصرها منذ انشائها ، وعاش مراحل نموها وتطويرها ، يقول : « لقد انشئت الشركة بالتضامن بين مجموعة من المواطنين الكويتيين ، وهم جاسم القطامي ، وعبدالله القطامي واحمد القطامي، وينتمي الرجال الثلاثة الى اسرةواحدة كما هو واضح من اسمائهم، ثم يعقوب الحميضي وورثة سالم الحميضي وعبد الرزاق الخالد..وقد بدات الشركة اعمالها في عام ١٩٦٠ ، وكانت تعرف باسم مزرعة الحميضي .. وكان راسمالها عند تاسيسها لا يتجاوز الاربعين الف دينار ، ولم تكن تضم في حظيرتها الصغيرة اكثر من خمسين بقرة .. وكان انتاج المزرعة كله من الحليب يباع لوزارة الصحة طازجا ..

ثم توالت بعد ذلك عمليات التوسع ، في عام ١٩٦٢ ، ثم في عام ١٩٦٤ ، ثم في عام ١٩٦٥ حيث ارتفع عدد الابقار الى اربعمائة راس او ما يزيد .. وفي هذا العام الاخير من التوسعات ، وهو عام ١٩٦٥ ، قررت الشركة ان تلجا الى بنك التسليف والادخار ، لتحصل على قرض تستطيع بموجبه استكمال توسعها وتطور انتاجها . وكان تفكير اصحابها في ذلك الوقت ، يتجه الى تطوير مصنع البسترة الموجود فعلا ، وتجهيزه بالمعدات والآلات الحديثة للبسترة والغسيل والتعقيم والتعبئة ووافق البنك على تقديم القرض فعلا ، وحصلت الشركة على ٦٤ الف دينار .

« ومضت عمليات التوسع تاخذ طريقها ، واستمرت الشركة في استيراد الابقار الحلوب ، من انجلترا ونيوزيلندا بالطائرات والبواخر ، وبالرغم من مرض الطاعون البقرى الذى اصاب الابقار في مزارع الكويت كلها عام ١٩٦٨ والذى قضى على اكثر من ٣٠٠ راس في مزارع هذه الشركة وحدها ، فقد تمكن اصحابها من تعويض خسائرهم في نفس العام ، وقد بلغت اكثر من ٥٠ الف دينار ، واصبحت الشركة اليوم تضم ما يزيد على الالف واربعمائة راس من اجود انواع الابقار ، واصبح لها اسطول من السيارات التي تقوم بتوزيع اللبن الطازج ، ومنتجاته من الجبن والزبد الى جميع انحاء الكويت حتى الفحاحيل والاحمدى .

وانتهت جولتنا ، تلك التي قمنا بها لنقف على بعض انجازات البنك والدور الذى قام به في تطوير وتدعيم تلك الصناعات الرائدة في الكويت الحديثة .. وهي بطبيعة الحال ليست صورة كاملة لما حققه البنك من انجازات في شتى المجالات .. ولكنها على اية حال تعطينا صورة لدور هذا البنك ، او الصندوق ، في دعم الاقتصاد الوطني وتنميته . وعدنا الى السيد يوسف الشايجي ، مدير عام بنك التسليف والادخار ، ننقل له انطباعاتنا ، قلنا : « لقد لاحظنا ان القسم الاكبر من القروض والاعتمادات يقدم لبناء المساكن لذوى الدخل المحدود ، فقد راينا مدنا تقام في الصحراء ، والافا من المساكن تشيد في طول البلاد وعرضها ، ومئات الالوف من الدنانير تقدم قروضا للمواطنين لبناء مساكنهم الخاصة وتوسعتها وترميمها ، بينما وجدنا ان القروض التي تقدم لقطاع الصناعةضئيلة اذا قيست بالقروض العقارية ، فلماذا لا تضاعفون من اهتمامكم بهذه القروض الاخيرة ؟ » .

مدير البنك يتحدث

قال مدير البنك : « ان الصناعة في بلادنا ما زالت ناشئة كما رايتم ، وقد كانت تواجه كثيرا من المشاكل في بدايتها ، مثل المنافسة ، وقلة



ورشة مصنع الشويخ للنجارة ، وهي تضم ٨٠٠ عامل يتقاضون اجورا شهرية تصل في مجموعها الى ما يزيد على الخمسين الف دينار كويتي .. ويقول مدير التسليف والادخار : « ان هذا المصنع مفخرة للكويت » .

الايدي العاملة والافتقار الى الخبرة في هذا الميدان الجديد ، الذي بدانا نطرق ابوابه حديثا .. هذا الى جانب ضيق مجال التسويق المحلي ، وعدم توافر المواد الخام .

« حقيقة ، ان بعض الصناعات الحديثة ، قامت بالفعل على اساس المواد الخام المتوفرة في الكويت ، حتى لا تضيع هذه الموارد سدى ، او تستوردها الدول الصناعية الكبرى لتصنيعها ، ثم تعيد تصديرها الينا مرة اخرى ، كما حدث ويحدث في الدول الاخذة باسباب النمو .. مثال هذه الصناعات التي اشرت اليها ، صناعة البتروكيماويات وصناعة الطابوق الجيري او الرملي ، وصناعة السبك .

« اما الصناعات التي تعتمد على المواد الخام المستوردة من الخارج ، فهي صناعة الاسمنت ، وصناعة النجارة ، والمطاحن والالبان ، ولو انها حققت نجاحا ملموسا بعد ان بدات الدولة تهتم اهتماما خاصا بهذه الصناعات الوليدة وتشجعها وتحميها من المنافسة ، عن طريق اعطائها القروض الصناعية ، وفرض ضريبة جمركية مرتفعة نسبيا على الواردات التي يتم انتاج مثيلها محليا .

مشروع انشاء بنك صناعي

« ولا شك ان قيام الدولة بتوجيه مزيد من الاهتمام الى هذه الصناعات وغيرها من صناعات جديدة ناشئة وتشجيعها ، سيؤدي في نهاية الامر الى ظهور نهضة صناعية في البلاد ، يمكن ان تشكل مصدرا اخر من مصادر الدخل القومي ، وهي السياسة التي ترمي الدولة الى تحقيقها حتى لا يكون الاعتماد كليا على الدخل من البترول .

ومضى مدير البنك يقول : « وبهذه المناسبة اود ان اشير الى ان الدولة الان بصدد انشاء بنك صناعي يهتم بالمؤسسات الصناعية الرائدة في البلاد ، وتطويرها ، وتقديم كافة المساعدات المالية والتكنولوجية لها ، حتى تضمن لهذه الصناعات التطور والنمو والازدهار . كما تعنى الدولة عناية خاصة بدراسة وسائل حماية الصناعات الوطنية والعمل على خلق صناعات جديدة » .

قلنا لمدير البنك : « حدثنا عن مشروع المساكن الشعبية في ميناء عبد الله او المشروع الرائد ، كما يسميه العاملون فيه ؟ » .

المشروع الرائد

وقال السيد يوسف الشايجي : « ان هذا المشروع ، يعتبر من أهم المشروعات التي شرع البنك في تنفيذها ، وهذا المشروع تبناه سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ، وقد اسند الى البنك مسئولية تنفيذه .. وهنا اود ان اقول انه اول مشروع من نوعه ينفذ عن طريق التمويل من الخارج .

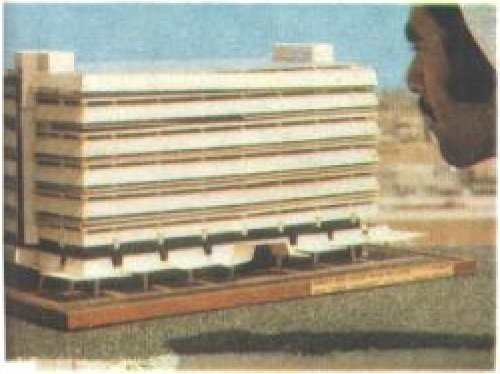
« وقد بدا البنك في تنفيذ هذه الرغبة الكريمة بتوجيه دعوة للشركات العالمية ، عن طريق سفارات دولة الكويت في الخارج ، وقد تضمنت هذه الدعوة القيام بعمليات التصميم والتمويل والتنفيذ والصيانة ، وذلك وفق الاسس التي وضعها البنك في المسابقة ، وتضمنت شروط هذه المسابقة ان يقوم بنك التسليف والادخار بسداد تكاليف المشروع خلال عشر سنوات وبفائدة قدرها ٥ر٥٪ وذلك مقابل سندات يصدرها البنك ، وهي سندات تصدر لاول مرة في دولة الكويت .. ويحمل كل سند منها تاريخ استحقاق يسدد البنك بموجبه قيمة السند ، بما في ذلك الفائدة التي ذكرناها .

ومضى مدير البنك يقول : « ولم تكد سفارات الكويت في الخارج ، توجه هذه الدعوة الى الشركات ، حتى استجابت لها اكثر من ٣٢ شركة عالمية ، ولا شك ان هذه الاستجابة السريعة ، ان



في منطقة الدوحة ، أقام البنك مدينة سكنية كاملة متكاملة تحوى ما يزيد على ١٣٧٠ بيتا .. وفي الصورة اثنان من المواطنين الكويتيين يقفان أمام احدى هذه الوحدات السكنية ...

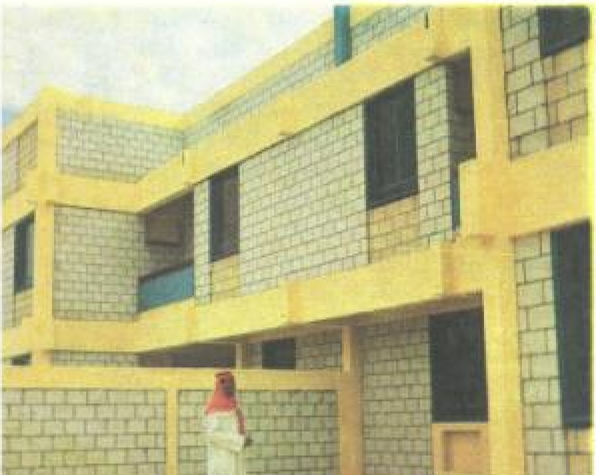
نموذج صغير للمقر الجديد لبنك التسليف والادخار، وسيشيد بجوار مبنى بلدية الكويت ، ويبدأ العمل في بنائه هذا العام .



انتهى العمل في بناء مساكن ذوى الدخل المحدود في مدينة الرقة التي تقع على بعد ٣٢ كيلو مترا من قلب الكويت في الطريق الى مدينة الاحمدى .. وفي الصورة مجموعة من هذه المساكن الحديثة او الفلات التي سينتقل أصحابها للسكن فيها هذا العام .. انه واحد من مشروعات البنك المتعددة التي يسهم بها في تعمير البلاد .

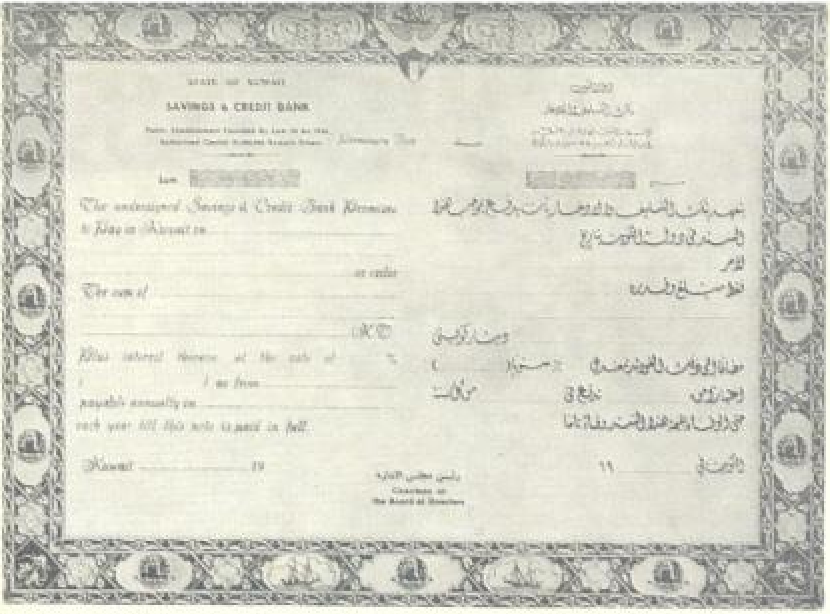






فوق : نموذج لما يمكن ان يتبع في تأثيث فلات مدينة الرقة ، وفي الصورة أحد المواطنين الكويتيين مع اسرته في « الديوانية العربية » باحد مساكن الرقة .

الى اليسار : مساكن اخرى ذات تصميم متطور شيدها البنك في مدينة الجهراء ، لذوى الدخل المحدود ، لكى تتمشى مع تقدم حركة العمران في الكويت وتشرف وزارة الشئون الاجتماعية والعمل الآن على توزيعها على مستحقيها


STATE OF KUWAIT
SAVINGS & CREDIT BANK
The undersigned Savings & Credit Bank Promises to Pay in Kuwait on
as order
The sum of
K.D.
Plus interest thereon at the rate of %
payable annually on
each year till this note is paid in full.
Kuwait 19
رئيس مجلس الادارة
Chairman of the Board of Directors

مشروع المساكن الشعبية . أول مشروع من نوعه ينفذ عن طريق التمويل من الخارج . ويقوم بنك التسليف والادخار بسداد تكاليف المشروع مقابل سندات تصدر لأول مرة من نوعها في تاريخ الكويت .. والصورة لأحد هذه السندات .

دلت على شيء ، فهي تدل على مدى ثقة العالم في مركز الكويت المالي والدولي .

دراسة على الطبيعة

« وقد تكونت لجنة لاختيار افضل العروض وانسبها ، وتم توقيع العقد الاول مع شركة Energo Project وهي شركة يوغوسلافية جاء ممثلها الى الكويت وكان امراة مهندسة ، وكانت اول مهمة لها بعد وصولها هي التعرف على طبيعة حياة سكان العشيش الذين سينتقلون الى الحياة في هذه المساكن الشعبية الجديدة. وعاشت بينهم فترة من الوقت،داخل تلك العشش الصغيرة المنتشرة في صحراء الكويت ، تلك التي اعتزمت الدولة ازالتها بصورة تامة بعد الانتهاء من هذا المشروع الجديد ..

« وراحت المهندسة اليوغوسلافية تدرس وتسجل حاجات هؤلاء السكان الجدد ، ومتطلباتهم وطريقة معيشتهم ، ثم ما لبثت بعد هذا ان قدمت مشروعها الذى تضمن تقريرا وافيا عن حياة سكان العشيش. وبناء عليه بدأت الشركة تعمل في تنفيذ مشروعها ، وهى تقوم الآن ببناء ٣٢١٠ مسكن في ميناء عبد الله . وقد اوشكت الشركة على تسليم الدفعة الاولى من هذه المساكن وعددها ١٢٠٠ مسكن ، ويتالف كل مسكن من ثلاث غرف ومطبخ وحمام ، اقيمت فوق قسيمة تبلغ مساحتها ١٥٠ مترا مربعا، ولكن مساحة المباني لا تزيد على ٦٠ مترا مربعا ، ولم تزد تكاليف المسكن على ٧٢٠ دينارا كويتيا ، بما في ذلك التمديدات الكهربائية داخل البيت ، وخزان المياه ، وقد شيدت جدران هذه المساكن من الطابوق الجيرى الذى تنتجه مصانع الكويت ، اما الاسقف والاسوار فهي من انتاج مصانع الشركة اليوغوسلافية في موقع البناء » .

للكويتيين وغير الكويتيين

وقال السيد يوسف الشايجي : « ان ايجار البيت لا يزيد على سبعة دنانير كويتية ، وهو ايجار رمزي كما ترون ، ومن المحتمل ان تقرر الدولة تمليك هذا البيت لمن يرغب في امتلاكه من المواطنين في المستقبل باذن الله .

« انني اود ان اشير هنا الى نقطة هامة ، وهي ان هذه المساكن قد شيدت للكويتيين ، وغير الكويتيين ، وهو أول مشروع من نوعه تقوم الدولة بتنفيذه للمواطنين من ابناء الكويت ومن غير ابناء الكويت .. ان الهدف من وراء هذا المشروع ، هو توجيه المزيد من الاهتمام باحوال اخواننا من غير الكويتيين وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم ..

فهم يعملـــون في مختلف المجالات في الكويت ، ويساهمون مساهمة كبيرة في نهضة البلاد وتعميرها، ولذلك فقد رأت الدولة ان توفر لهم السكن الصحي الملائم ، لكي يشعروا بنوع من الاستقرار من ناحية ، ولكي تربطهم بالبلد الذى يعملون فيه ويرتزقون من ناحية اخرى ، وبذلك تستفيدالبلاد من الخبرة التى اكتسبها هؤلاء الحرفيون خـلال فترة عملهم في الكويت ، لاطول مدة ممكنة .

ولا شك ان هذه السياسة من شانها ان توفر للكويت على المدى البعيد هيئة فنية دائمة ، يمكن ان تقوم بدور كبير في بناء الكويت وتعميرها ، وتسد حاجتها المتزايدة الى اليد العاملة الفنية الماهرة .. وهو هدف انساني وهدف اجتماعي في الوقت نفسه كما ترون .. » .

وسالنا مدير البنك : « هل هذه المساكن الشعبية مقصورة على ما تقوم الشركة اليوغوسلافية ببنائه في ميناء عبد الله ، ام ان هناك مساكن اخرى تشيد في انحاء اخرى من الكويت ؟ » .

عشرة آلاف و ٧٠٠ منزل

وقال السيد الشايجي : « ان ما شاهدتموه في ميناء عبد الله ، هو جزء من كل ، فالمشروع يستهدف بناء عشرة الاف و ٧٠٠ مسكن ، وسيتم تشييد باقي المساكن في قرية الجهراء والعارضية ، وبهذه المناسبة اود ان اقول ان بعض المقاولين الكويتيين قد اشتركوا في هذه المسابقة ، بين المتنافسين العالميين ، وقد فازت مؤسسة الحميضي ببناء ٢٥٠٠ مسكن في الجهراء ، كما فازت مؤسسة العتيقي للتجارة والمقاولات بالتعاون مع بعض الشركات الايطالية والالمانية ببناء ٥ الاف مسكن في منطقة العارضية » .

هذه هى قصة المساكن الشعبية ، او المشروع الرائد في الكويت .. المشروع الذى تبناه ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ، كما رواها لنا المدير العام لبنك التسليف والادخار .

وعدنا نسال المدير : « حدثنا عن القروض التى تقدمونها للمواطنين » .

لا فوائد

قال : « ان طلبات القروض تقدم راسا من المواطنين الى البنك . وهناك لجنة متفرعة من مجلس الادارة تدرس هذه الطلبات وتقدم توصياتها الى المجلس الذى يملك حق ابداء الراى النهائي فيها ..

« اما القروض العقارية ، فتقدم بدون فوائد وبحد اقصى قدره ١٥ الف دينار ، تسدد في مدة اقصاها ثلاثون عاما .

« وكذلك القروض الاجتماعية التى تصرف لمن يرغب في اتمام دينه بالزواج، او لاى ظرف طارىء، فهذه ايضا تقدم بدون فوائد ، وتسدد خلال فترة لا تزيد على الخمس سنوات ..

« ان القروض الصناعية وحدها هى التى تقدم بفائدة قدرها ٣٪ ، لان المفروض ان المصانع تحقق ارباحا من وراء انتفاعها بهذه القروض ، وهى تسدد خلال مدة اقصاها عشر سنوات .. وكذلك القروض الزراعية ، فالبنك يقدمها بفائدة ٢٪ وتسدد خلال مدة اقصاها خمس سنوات ..

٢٢ الف مدخر

وقال مدير البنك : « بقيت كلمة اخيرة ، احب ان اختتم بها حديثى الى مجلة العربى عن دور البنك بعد ان اضطلع بمهمة الادخار في عام ١٩٦٥ .. لقد كنا نتوقع عندما افتتحنا قسما للادخار، الا يكون هناك اقبال كبير من جانب المواطنين على هذا الفرع الجديد ، لان المدخر ، انما يجمع مدخراته ، لكى يبنى بها مسكنا خاصا ، او لينفق منها على تعليمه وتعليم ابنائه ، او لكى يؤمن لنفسه معاشا في شيخوخته او مرضه ..

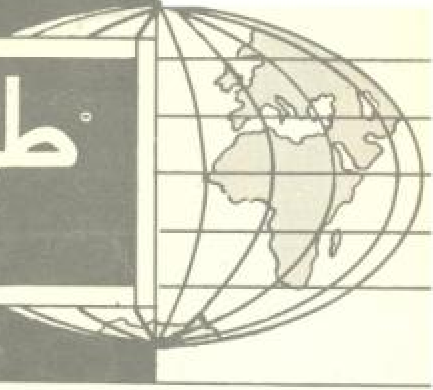
« وحكومة الكويت توفر وتؤمن كل هذا لابنائها، فلماذا يدخر المواطن اذن ؟

« وبدا قسم الادخار يؤدى عمله ، وكانت النتيجة ، مفاجاة لم يتوقعها احد ، فقد استطاع البنك عن طريق اجهزة الاعلام المختلفة وبفضل التسهيلات التى قدمتها وزارة الاعلام الكويتية ، ان ينشر الوعى الادخارى بين المواطنين حتى ان حصيلة المدخرات بلغت خلال فترة لا تزيد على الثلاث سنوات مبلغ ثمانية ملايين دينار ، تستغل الان في مشاريع التنمية داخل البلاد .. كما بلغ عدد المدخرين ٢٢ الف مواطن ، معظمهم من ابناء ذوى الدخل المحدود » .

هذه هى قصة الصندوق الذى اقامته الدولة لخدمة الشعب .. انه وجه آخر من وجوه الدولة الخيّرة .. ■■

منير نصيف

طرائف غربية



العقل والجسم !

كان الفيلسوف الفرنسي هنري لويس برجسون Henri Louis Bergson (١٨٥٩ – ١٩٤١) ، يدمن القراءة ، وكان كلما تقدم به العمر ، راح يلتهم الكتب التهاما ، فكان يجلس على كرسيه المفضل ، منذ ساعات الفجر الاولى والكتاب فى يده ، ولا يترك كرسيه ، الا بعد ان يكون قد فرغ منه .. حتى طعامه ، كانوا يأتون اليه به وهو جالس فى مقعده لا يتحرك .. وكأنه لا يحس بشىء مما يدور حوله .. وكم من مرة جاءوا اليه بالطعام ثم حملوه دون ان يقربه ! حتى اذا ما ضعف بصره واستعصت القراءة عليه ، جاء احفاده يقرأون عليه كل جديد فى الكتب !

سألوه يوما عندما تقدم به العمر ولم يعد قادرا حتى على الانصات والتركيز : « الا تنوى ان تريح ذهنك المكدود ؟ »

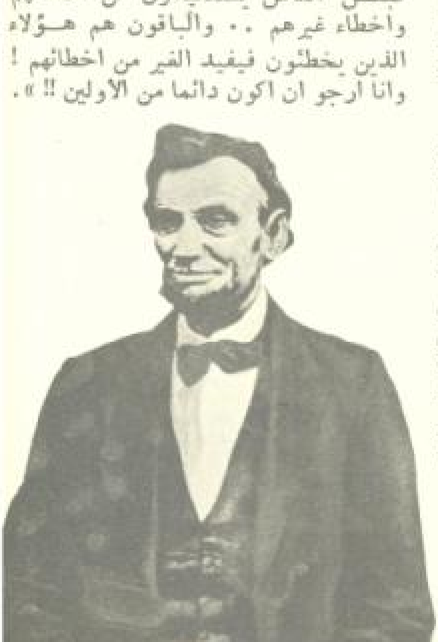
قال : « ماذا يحدث عندما يشعر المرء انه يقترب من اليوم الذى سيصبح فيه سجين بيته لا يبرحه .. انه يحرص على ان يزوده بكل جديد حديث ، حتى لا يشعر بالملل فى وحدته .. وكذلك العقل ! ولكن قد يشيخ الجسم ويهرم ، اما العقل فيبقى حيا متقدا باحثا عن المعرفة ، سائلا دوما : « هل من مزيد ؟ »

الخطا والخطيئة

قالوا لابراهام لنكولن الرئيس الاسبق للولايات المتحدة الامريكية : « لقد اخطأت ! » فقال : « ومن منكم لم يخطىء ! » .

قالوا : « ولكنك رئيس الجمهورية .. انت الرجل الذى يجلس فوق اعلى كرسى فى الدولة ! » .

قال : « وهذا هو ما يجعل من خطئى، خطيئة ! ولهذا ارجوكم ان تصفحوا عنى فبعض الناس يستفيدون من اخطائهم واخطاء غيرهم .. والباقون هم هؤلاء الذين يخطئون فيفيد الغير من اخطائهم ! وانا ارجو ان اكون دائما من الاولين !! » .



سر عظمة شوبان

● الموسيقار البولندي شوبان Chopin ، شاعر الموسيقى ، او شاعر البيانو ، كما كانوا يسمونه ، (١٨١٠ — ١٨٤٩) ، لم تكن موسيقاه وحدها هي سر عظمته وشاعريته بل كان سرها شخصية هذا الفنان الكبير ودوره في ايقاظ امته ، تلك التي عبر عنها اصدق تعبير في الحانه الخالدة .

كتب الصحفي الانجليزي الكبير جلبرت هاردنج يصف شوبان ، قال : « لقد سمعت شوبان يعزف ، ورأيت الشعب البولوني يستمع .. وما اروع ما سمعت ورأيت ..

« سمعت الانشودة التي اعطت الفلاح البولوني اشرف واجمل عطاء .. لقد حمله شوبان بموسيقاه من الحقل الى العالم الفسيح من حوله ، واجلسه على منصة الشرفاء .. تماما كما حمل اليتيم الى حيث جلس الارستقراطيون ، والراعي الى جانب الحاكم المتعجرف !

« ورأيت البولوني يستمع الى موسيقى شوبان .. انه يرهف الاذن ، فلا يلبث خفقان قلبه ان يزداد ، ثم تترقرق الدموع في عينيه ..

« لقد هد هذا الرجل الكبير جسمه وعصر رئتيه واعطب قلبه .. وكان في هذا كله ، ومع انغام موسيقاه التي تتخلل ظلام الليل يثير دروب الثائرين في بلده ، ويسقي التائهين عصير دماه .. لقد قسم هذا الفنان حبه وقلبه بين المرأة التي احبها ، وبين تراب بلده وارضه ! فعبدوه ، لانه مزج عذابه بعذاب شعبه ، ولم يتخل عنه ابدا .. ومن اجل هذا بقي شوبان حيا وبقيت الحانه في قلوب ابناء امته بولونيا حتى اليوم !! » .

التشاؤم في حياة ولز

● الكاتب البريطاني الشهير هربرت جورج ولز H.G. Wells (١٨٦٦ — ١٩٤٦) ، الذي آمن بالعلم كوسيلة لتقدم البشرية وخيرها .. ثم ما لبثت كتاباته ومؤلفاته ان اتسمت بالتشاؤم في آخر ايامه ..

قالوا له يوما : « هل تغيرت نظرتك الى الحياة ؟ » .

قال : « لا .. وانما تغيرت نظرتي الى الانسان نفسه ، صانع هذه الحياة .. فانا مؤمن بالعلم ، وبكل ما قدمه العلم والعلماء لخير البشرية ونفعها .. ولكنني بدأت انظر الى الحياة من خلال منظار اسود .. بدأ التشاؤم يغلب علي .. كنت في الماضي اتخيل الطائرة واصنعها ، واري فيها صورة من صور التقدم والتطور والانطلاق الى دنيا جديدة .. فاذا بي اليوم ارى هذه الطائرة العظيمة تسقط امامي وتتحطم ، ويموت كل من فيها واذا بفكري يتجه بكليته الى وسيلة



لانقاذ ارواح الناس من هذا الاختراع العلمي الجديد .. الى صنع المظلة الواقية (الباراشوت) !

« هذا هو الفرق بين التفاؤل والتشاؤم ، لقد انطفأت شعلة ايماني بالعلم او كادت عندما رأيت البشرية تحترق وسط لهب القنبلة الذرية في هيروشيما .. ترى كم من العلماء يفكرون اليوم مثلما فكرت بالامس في صنع « مظلات واقية » من هذا الجحيم ! » .



أنا في ليلةِ العيد..

■ أنا وحدي مع الذكرى . .   وماضٍ غير مردود
أحس بليلتي زحفت   على صدري كجلمود
وألمس طيَّ أعماقي   فراغ القفر والبيد
وحولي . . عالمٌ يلهو   بإغراق وتبديد

★★★

أكاد أضيق بالأعيا   د في دنيا التقاليد
وكم سالت جراحاتي   على بنت العناقيد
فما للريح تلطمني . . ؟   وقد جفّت أماليدي
كأن هموم أيامي   تلاقت بعد تشريد
وهبّت مثل إعصار   طليقِ الكفِّ عربيد

★★★

أنا وحدي كما شاءت   حطيم الكأس والعود
يعاودني سناها الحُلْـ   ـو في إطلالة العيد
خطاها . خلف أيامي   صداها . . في أناشيدي
يكاد الشوق يسبقني   فيا أيامها عودي
ستضحك عندها الدنيا   وتعلو بالزغاريد

■■

نور الدين ابو ريشة





طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

تخطيط القلب يكشف اضطرابات القلب ويحدد نوع العلاج ومتى يعود المريض الى عمله

ـ تخطيط القلب ما هو مدى الاستفادة منه فى امراض القلب ؟ .

● ان تخطيط القلب هام جدا فى معرفة امراض كثيرة يتعرض لها القلب فهو يساعد على فهم نوع الاضطرابات التى تحدث فى ضربات القلب ومن اى جزء فى القلب تنشأ هذه الضربات الزائدة لأن ذلك يؤثر على نوع العلاج . وتخطيط القلب هام ايضا فى امراض الذبحة الصدرية .

وفى مرض الجلطة او السدة القلبية اذ انه يحدد مدى تأثر القلب ومدى اصابته ، واستجابة المريض للعلاج ومتى نسمح للمريض بمغادرة الفراش ، ومتى يعود الى عمله . وهل حدثت مضاعفات من اثر الجلطة، الا انه فى بادىء المرض ربما يكون التخطيط طبيعيا ولأجل ذلك لا بد من ان يعاد التخطيط من آن لآخر حتى نتأكد من حدوث المرض من عدمه .

والتخطيط هام جدا فى متابعة المريض فى حالة جلطة القلب فترة الخطر الى بعد زوالها لأنه يدلنا على العلاج اللازم فى اسرع وقت ممكن حينما تتغير او تتوقف او تسرع نبضات القلب كل هذا يحتاج الى علاج خاص . وكذلك يمكن تشخيص وتأكيد مرض التهاب التامور بعد عمل تخطيط القلب .

وامراض القلب الخلقية كذلك تغير من شكل التخطيط الطبيعى ويمكن تحديد المرض الخلقى واى جزء من القلب مصاب بالمرض .

وتخطيط القلب يساعد على معرفة امراض اخرى خارج القلب كمرض خمول الغدة الدرقية واضطرابات املاح الدم كملح البوتاسيوم مثلا من الممكن ملاحظته بتخطيط القلب ورجوع التخطيط الى حالته الطبيعية بعد ارجاع الملح الى نسبته الطبيعية فى الدم .

والتخطيط يبين مدى تأثير ارتفاع ضغط الدم على القلب ، ومدى تأثر القلب باى امراض اخرى واستجابة القلب للعلاج بعد زوال السبب .

واهمية تخطيط القلب تكون كذلك اثناء العمليات الجراحية على القلب ويوضح الاضطرابات التى تحدث فى ضربات القلب اثناء العملية وعودتها الى حالتها الطبيعية ، وتوقف القلب او ذبذباته البطينية التى اذا لم تعالج بسرعة اودت بحياة المريض .

الحمى الشوكية وباء ينتشر في الشتاء والربيع

– يسال عن الحمى الشوكية ؟ .

● الحمى الشوكية Meningitis هى مرض ينتشر على شكل وباء وخاصة فى الشتاء والربيع وفى معظم الاحيان يصيب الاطفال بين السنة الاولى والثانية وفى بعض الأحيان يصيب الشباب ويسببه ميكروب يسمى Meningococci المكورات السحائية ، وهى تنتشر بطريق الرذاذ وتكمن فى الحلق لتنتهز الفرصة وتذهب عن طريق الدم وتسبب التهابا للسحايا المحيطة بالمخ والنخاع الشوكى .

وعندما تلتهب السحايا يتحول السائل النخاعى الى سائل يحتوى على نسبة من الكرات الدموية البيضاء والخلايا الصديدية والميكروب الذى يسبح فيه ، وتبعا للالتهاب يزداد ضغط السائل ويسبب صداعا شديدا وآلاما بالراس .

والاعراض تكون على هيئة آلام شديدة بالراس مع تقلص بعضلات الرقبة ربما تكون شديدة فتنحنى الى الوراء ، وكذلك تيبس الظهر – وترتفع الحرارة والنبض – ويحدث القىء ، واحتمال وجود طفح على الجلد ولا يقوى الطفل على ان يواجه الضوء فتراه دائما مغمضا عينيه واذا كانت الحالة شديدة اغمى على المصاب وفى بعض الحالات تحدث له غيبوبة وتكون مصحوبة بتشنجات فى انحاء الجسم .

والعلاج هام جدا فى اسرع وقت حتى لا تحدث المضاعفات التى تكون على هيئة امتداد الالتهاب الى المخ او توقف مجرى السائل النخاعى مما يؤدى الى استسقاء دماغى وكبر الراس .



وفى بعض الحالات يحدث شلل باعصاب الوجه والأطراف ، والتهابات فى الاذن والتهابات اخرى فى اجزاء عدة من الجسم . وفى الحالات المميتة تتأثر الغدة فوق الكلية وتحدث صدمة للمريض .

والعلاج يكون على هيئة اعطاء المريض سوائل بالفم اذا كان ليس فى غيبوبة ولا يتقيأ ، او بواسطة الوريد ثم اعطاء مركبات السلفا وهى هامة فى مثل هذه الحالة ثم كمية كبيرة من البنسلين للتغلب على المرض فى أسرع وقت – واعطائه مركبات حامض البربتيوريت اذا حدث له تشنجات .

وفى معظم الحالات خصوصا اذا كان العلاج مبكرا يستجيب المرض للعلاج فتنخفض الحرارة فى مدة ثلاثة او اربعة ايام وتتحسن الحالة بسرعة ،، ويشفى المريض فى اسبوع او عشرة ايام ، اما المرافقون والمخالطون للمريض فيعطون ٤ اقراص من السلفاديازين لمدة ثلاثة ايام .

الاضطرابات النفسية
تسبب ٩٥٪ من حالات العنة عند الشباب

ـ أنا شاب في الخامسة والعشرين اعاني من مرض « العنة » فهل لهذا من سبب وما العلاج ؟ .

● مرض العنة (ضعف الانتصاب) اخذ ينتشر فى هذه الايام خصوصا بين الشباب ، ولقد لوحظ أن اكثر من ٩٥٪ يعود الى اضطرابات نفسية تجتاح الشباب فى هذه الايام ـ وهذا يرجع الى اسباب كامنة فى نفسية المصاب يمكن الوصول اليها بواسطة التحليل النفسي ـ او الى توتر عصبى شديد أو خوف من عملية الجماع وما يترتب عليها من اضرار تصيب كلا الطرفين حتى ولو كانا زوجين شرعيين ، ثم التنافر بينهما من الاسباب التى تؤدى الى هذه الظاهرة، هذا ويمكن علاج المرض بتحليل نفسي بسيط ، وتوجيه لكلا الطرفين ثم البعد عن الاضطرابات النفسية والتوتر العصبى والتعب ، والارهاق الشديد ومساعدة ذلك باعطاء المريض مهدئات لفترة من الوقت .

وهناك اسباب مرضية تؤدى الى هذه الظاهرة ، منها الضعف العام ، وسوء التغذية ، ثم مرض السكر البولى خصوصا اذا كان هذا المرض قد اهمل بدون علاج ثم مرض الزهرى ، والأمراض التى تصيب الجهاز العصبى ، والملاحظ هنا ان هذه الامراض يمكن التوصل اليها بالفحص الطبى وعمل الفحوصات اللازمة .

والعلاج فى هذه الحالة هو علاج السبب لو امكن فتتحسن حالة المريض تبعا لذلك .

تمدد الشعب الهوائية اسبابه وعلاجه ؟!

ـ انا شاب في العشرين من عمرى اصبت بمرض، وصف بانه تمدد الشعب الهوائية ـ وحدث لي نزف من الصدر مرتين ـ فهل لحالتي من علاج ؟ .

● مرض تمدد الشعب الهوائية ينتج فى معظم الحالات من التهاب حدث فى الصغر فى الشعب الهوائية او الرئة ، ولم يعالج كما يجب، وترك اثرا فى الشعب الهوائية مما سبب تآكلا فى غضاريفها فتمددت واصبحت تختزن فيها افرازات الشعب مع وجود ميكروب يسبب التهابا مزمنا ، وتكون الحالة مصحوبة دائما ببصاق كثيرا ما يكون فى معظم الحالات ذا رائحة كريهة ، ويكثر البصاق عند الاستيقاظ من النوم فى الصباح الباكر .

وفى معظم الحالات ينتقل المرض من الجزء المصاب الى السليم ، ويعانى المريض من التهابات شديدة تتشابه بين فترة واخرى وتترك اثرا فى رئتيه .

وعندما يمتد الالتهاب فى جدار الشعب ربما يصادف وعاء دمويا فينفجر ويبصق المريض دما ، ويظن انه مصاب بداء الصدر أو الدرن الرئوى ، ولكن بفحص البصاق لا توجد به ميكروبات السل .

والعلاج فى هذه الحالة هو اعطاء المضادات الحيوية المناسبة مع المساعدة على خروج البصاق المتراكم داخل الشعب الهوائية ، وذلك باعطاء الادوية المساعدة على طرد البصاق مع وضع المريض فى الموضع المناسب ليساعد على خروج البصاق .

ويجرى فحص شامل للشعب الهوائية بواسطة الاشعة بواسطة مادة ملونة تظهر الشعب الهوائية السليمة منها والمريضة. فاذا كان عدد الشعب المريضة منها قليلا، وما تبقى يكفى للقيام بحياة طيبة استؤصل هذا الجزء لانه لا يفيد الجسم ، بل على العكس يضره ويضر الشعب الهوائية الاخرى بانتقال الالتهاب الى الشعب الهوائية السليمة . اما اذا كانت الشعب المصابة كثيرة فيتم العلاج بالدواء كما اسلفت .

●●

كتاب الشهر

أَنْدرِيه مَالرُو[1]

Andre Malraux

تاليف : فؤاد كامل

عرض : الدكتور محمود السمره

■ اندريه مالرو قمة فكرية من قمم هذا القرن ، حتى ان وزارة الثقافة التي التى تولاها في عهد ديجول اكتسبت بريقا ولمعانا من اسمه، انعكسا ايضا على هيئة الوزارة بكاملها . ومن هنا كان ترحيبنا بهذا الكتاب ، يصدر عنه بالعربية ، وبخاصة لانه كتاب فيه جد وعمق ووضوح .

والكتاب في ثلاثة ابواب رئيسية هي : مالرو الانسان ، ومالرو الفنان ، ومالرو مؤرخ الفن . وفي آخره ثبت بالمراجع عن مالرو ، مفيد للراغب في الاستزادة .

مالرو الانسان

واول ما يفجؤنا قلة المعلومات عن مالرو الانسان لانه هو نفسه لايحب الحديث عن نفسه ، حتى انه عندما نشر مذكراته (وقد صدر منها الجزء الاول) دعاها « اللامذكرات » ، امعانا منه في نكران الذات .

ولد مالرو في الثالث من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٠١ في باريس ، من عائلة غنية لم تلبث ان افتقرت ، ويبدو ان طفولته لم تكن سعيدة ، فهو يقول في « اللامذكرات » : « يكاد جميع الكتاب الذين اعرفهم يحبون طفولتهم ، اما انا فابغضها . ولعل السبب في هذا افلاس جده ، عميد الاسرة ، وانتحاره فيما بعد . وقد وصف لنا مالرو في « اللامذكرات » هذه الحادثة وصفا شاعريا ، فهو يقول :

« بعد احدى زيارات رجال الشرك لقريتنا ، تركوا وراءهم ببغاء كبيرا ، اخضر اللون ، اسمه (كازيمير) وقد لقنه الجد ، على سبيل السخرية، جملة مؤلفة من اربع كلمات هي : « افعل ما ينبغي

---

(١) فؤاد كامل : أندريه مالرو ، دار المعارف بمصر ، ٢٨٧ صفحة قطع كبير .



عليك ! » ... وحين انتحر الجد ، وضعت جثته وسط فناء الدار في آنية من آنيات الصيف ، على حين اخذ الببغاء يحوم في حجرات المنزل المعتمة وكأنه روح الموت ترفرف على المكان ، وقد اخذ يردد في تلك الوحشة الرهيبة بصوت اقرب الى العواء : افعل ما ينبغي عليك ! »

وكان مالرو في الثانية عشرة من عمره حين انتحر جده ـ ولعل انتحار جده هو الشيء العائلي الوحيد الذى يشير اليه في « اللامذكرات » بشيء يزيد قليلا عن الاقتضاب . واقدم والده ايضا على الانتحار، وهو يذكر عنه مايلي : « كان والدي يقول . كم من سخافات تناهت الى سمعي عن موضوع الانتحار ، بيد انني لم اشعر امام رجل انتحر في اصرار بشعور غير الاحترام . اما ان نتساءل : هل الانتحار فعل من افعال الشجاعة ام لا ، فسؤال لايوضع الا امام اولئك الذين لم ينتحروا » .

وبيدو ان انتحار والد مالرو قد اثر فيه كثيرا ، ولكنه مع هذا يكبت عواطفه ، ولا يتحدث عن مشاعره . ولعل في عبارة مالرو « الحق انه ليس بين الناس اشخاص عظام » مايفسر سبب عزوفه عن الحديث عن حياته الخاصة .

وظاهرة الموت قد شغلت مالرو منذ صباه الباكر ، وازداد شعوره به حدة بعد مقتل زوجته في حادثة قطار ، وموت ولديه منها في حادثة سيارة ، ومصرع شقيقين له في الحرب العالمية الثانية . وعندما سأله صاحب مجلة عن اصدقائه، اجابه قائلا : « لم يعد لي اصدقاء ، فكلهم قد ماتوا في المقاومة السرية وفي الثورات » . وانشغال مالرو بالموت واضح في كتاباته الروائية والفلسفية على السواء .

★★★

وبعد ان تخرج مالرو من مدرسة اللغات الشرقية بباريس متخصصا في الآثار واللغتين السنسكريتية والصينية ، عمل مع دور نشر متعددة وفي الصحافة . وفي عام ١٩٢١ اصدر اول كتاب له وهو « اقمار من ورق » Lunes en Papier ، وهو عبارة عن ديوان من الشعر المنثور اهداه الى الفنان المعروف ماكس جاكوب ، ورسم لوحات قصائده فنان موهوب هو فرنان ليجيه .

وفي هذه السن المبكرة تزوج مالرو من كلارا جولد شميت ، وهي ابنة رجل من رجال الاعمال ينحدر من اصل الماني . وفي عام ١٩٢٣ اصطحب زوجته للتنقيب عن الآثار في الهند الصينية ولاوس العليا وكمبوديا ولكنه لم يلبث ان انصرف عن التنقيب عن الآثار ، لينضم الى منظمة ثورية تهدف الى تحرير الهند الصينية من الاستعمار الفرنسي . وهذه المنظمة هي التي عرفت باسم « رابطة انام الفتاة» Young Annam League ، وقد شارك مالرو في المعارك التي خاضتها هذه المنظمة ضد الفرنسيين . وازداد مالرو انغماسا في الحركات الثورية : فارتحل الى الصين عام ١٩٢٥ وشهد معارك الحرب الاهلية في كانتون وشنغهاي ، وحارب الى جانب تشانج كاى شيك ، ثم انضم الى الشيوعيين ضده. ويقال انه كان في عام ١٩٢٦ عضوا في « لجنة الاثنى عشر » التي نظمت ثورة كانتون . واشترك في تنظيم الاضراب العام الذى شل حركة ميناء هونج كونج . وهذه الاحداث هي الخلفية التي بنى عليها اولى رواياته التي اصدرها عام ١٩٢٧ وسماها « الفزاة » Les conguerants ، واصدر في الفترة نفسها كتابه « غواية الغرب La Tentation de L'occident »

، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل تبادلها شاب فرنسي وشاب صيني من التوريين ، وكانها حوار بين حضارتي الشرق والغرب .

★ ★ ★

وفي عام ١٩٢٧ عاد مالرو الى فرنسا ، وكان اول ما فعله هو ان اصدر بيانا سماه «عن الشبيبة الاوروبية » وفيه يؤكد ما اعلنه في كتابه « غواية الغرب » ، وهو انهيار الحضارة الغربية ، وتوالت كتبه فصدر منها : « المملكة الخرافية » Royaume Farflu (١٩٢٨) ، « الطريق الملكي » La Voie Royale (١٩٣٠) ، و «قدر الانسان» La Condition Humaine (١٩٣٣) ، وهي الرواية التي نال عليها جائزة « كونكور »،والتي استقبلتها الاوساط الادبية بالتهليل ، واجمعت على انها انتاج عبقرية جديدة في عالم الرواية . وقد دهش لكل هذه الحماسة التي استقبلت بها هذه الرواية اديب فرنسا الكبير فرانسوا موریاك ،فقال متسائلا بعجب : « كيف يمكن ان يمجد مجتمع بورجوازي راسمالي شابا يهدد هذا المجتمع بالثورات والاضرابات العامة ، ويحارب الى جانب اولئك الذين يطردون اوروبا من آسيا ؟! حقا اننا نعيش في مجتمع غريب .. مجتمع شائخ قد اصابه الضجر ، ولذلك فهو يغفر لمن يستطيع التسرية عنه ، حتى ولو جاءت هذه التسرية بالقاء الرعب في نفسه .. هذا فتى لم يكد يتعدى طور المراهقة حتى حمل على مجتمعه،شاهرا خنجرا . ولكن لاضير عليه ، فهو يتمتع بموهبة لايتمتع بها اى فتى في مثل سنه ! » وتوقع له موریاك مستقبلا باهرا ، وصدق حدسه ، فاذا به يبلغ الذروة في دنيا الأدب ، والفكر .. والسياسة ايضا ، اذ تقلد مالرو في عام ١٩٤٥ منصب الوزارة ، وهو في سن الرابعة والاربعين .

★ ★ ★

وفي عام ١٩٣٤ قام مالرو برحلة عجيبة محفوفة بالاخطار ، ترضي نزعته الى المغامرة : فقد استقل طائرة عتيقة ذات محرك واحد وخالية من جهاز لاسلكي ، يقودها صديقه موليتييه ، الذى اصبح فيما بعد جنرالا وبطلا من ابطال المقاومة الفرنسية للاحتلال النازى ، ثم وزيرا . وكانت وجهتهما منطقة « الربع الخالي » شرقي عدن بحثا عن عاصمة بلقيس ملكة سبأ . واستطاع مالرو وصديقه تسجيل هذا الاكتشاف في ٩ مارس (اذار) ١٩٣٤ . ومع ان علماء الآثار لم يروا لهذا العمل قيمة علمية ، الا ان الصحافة العالمية رحبت به ترحيبا حارا بحيث بقي في حديث الناس بضعة شهور .

وفي طريق العودة ، وفوق جبال اوراس في الجزائر ،هبت عاصفة هوجاء على الطائرة العتيقة، لم ينجوا منها الا باعجوبة ، ويقول مالرو : « لقد خيل الي انني افلت من جاذبية الارض .. » .

★ ★ ★

وعاد مالرو الى فرنسا عام ١٩٣٤ ، واستانف نشاطه السياسي والادبي : فانشا عام ١٩٣٥ بالاشتراك مع الشاعر الفرنسي (لوى اراجون) Aragon « رابطة الكتاب العالمية للدفاع عن الثقافة » التي عقدت اول مؤتمر لها في باريس في ٢١ يونيو (حزيران) ١٩٣٥ .

وعندما اندلعت نار الحرب الاهلية الاسبانية عام ١٩٣٦ ، قام مالرو بتنظيم سرب جوى ، واشترك في خمس وستين غارة على الاراضي التى يحتلها انصار فرانكو ، واصيب مرتين . ومن وحي هذه الاحداث كتب روايته الضخمة « الامل » التي صدرت عام ١٩٣٧ .

★ ★ ★

وشهدت الحرب العالمية الثانية القطيعة بين مالرو والشيوعية : لان الاتحاد السوفييتي كان في بداية الحرب مع المانيا النازية ، ولان ستالين هاجم بولندا ودول بحر البلطيق وفنلندا .

وفي عام ١٩٣٩ استدعي مالرو للخدمة العسكرية ، والحق بفرقة الدبابات الفرنسية ، واصيب في يونيو (حزيران) ١٩٤٠ ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى الجبهة بعد ان شفي . واسره الالمان ، ولكنه تمكن من الهرب ، وانضم الى قوات فرنسا الحرة ، ولم يلبث ان اصبح قائدا من قواد حرب العصابات في حركة المقاومة الفرنسية ، وعرف باسم الكولونيل (برجيه) وهو الاسم الذى اختاره ايضا لبطل روايته « اشجار الجوز في التنبورج » . وفي عام ١٩٤٤ اسره الالمان ثانية ، وبقي في الاسر الى ان حررته قوات فرنسا الحرة . وقام بعد ذلك بتكوين « لواء الالزاس ـ لورين » الذى حرر اقليم الالزاس ، وواصل زحفه مع الجيش الفرنسي الاول حتى استطاع الوصول الى مدينة نورمبرج التي دارت فيها محاكمات زعماء النازية . وفي جبهة الالزاس التقى

بالجنرال ديجول ، وقامت بينهما صداقة عميقة وطيدة .

★ ★ ★

وانتهت الحرب العالمية الثانية ، وانسلخ مالرو عن شخصية الكولونيل (برجيه) ، وعاد الى حياته المدنية عام ١٩٤٥ . وفي هذا العام لقيت زوجته الثانية ، التي كان تزوجها بعد طلاقه من زوجته الاولى ، مصرعها في حادث قطار ، وهذه الزوجة هي الاديبة الفرنسية (جوزيت كلوتيس) Josette Clotis .

وتزوج مالرو للمرة الثالثة ، وعين ملحقا ثقافيا بمكتب رئيس الوزارة الفرنسية ، حتى عينه ديجول وزيرا للاستعلامات في وزارة الاتحاد القومي (من نوفمبر ١٩٤٥ الى يناير ١٩٤٦) . وساعد مالرو ديجول مساعدة ممتازة في تكوين ما عرف باسم « تجمع الشعب الفرنسي » وهو حزب ديجول،وكان مالرو عضوا في اللجنة الادارية لهذا الحزب ، كما كان مسؤولا عن الدعاية له . وقد ساهم بمواهبه الخطابية في انجاح الحزب ، حتى انه تعرض لمحاولة اغتيال عام ١٩٤٧ . وفي عام ١٩٥٨ استدعاه ديجول ليكون وزيرا للدولة ، ثم وزيرا للشؤون الثقافية ، وهو المنصب الوزاري الذي ظل يشغله حتى استقال ديجول نهائيا عام ١٩٦٩ ، وقد اثبت في منصبه الوزاري انه ذو كفاءة نادرة في هذا الميدان ، وبه ارتفع اسم هـذه الوزارة . ويقول فرانسوا موورياك : « ان صعود مالرو الى كرسي الوزارة لم يرفع من شانه ، ولم يقلل منه ... ومع ذلك فقد راى بعض المعجبين به ان في قبوله هذا المنصب ضربا من الخيانة ، لانهم عرفوه مناضلا في الهند الصينية ، والصين ، واسبانيا ، وفي حرب المقاومة ، وها هو الآن يترك هذا كله ليتربع على كرسي الوزارة » .

شخصية مالرو

من كل ما مر من حديث عن مالرو الانسان ، نستطيع ان نستخلص خصائص شخصيته :

فهو متمرد ثائر ، يسعى الى اكثر المواقف خطورة ، ويزج نفسه فيها ، وشعاره قول نيتشه: « عش في خطر » . وهدفه من كل هذا ان يسبر اغوار الحياة ليصل الى لبها وجوهرها ، حتى لنستطيع ان نقول : انه ليس في الآداب العالمية كاتب شارك في صنع عصره مثل مالرو ، حيث لا فاصل في حياته بين الفكر والعمل ، وبهذا كانت اعماله الفنية مطابقة لحياته .

ومالرو يعي وعيا جادا الوضع الانساني ، الذى نسيجه القلق واليأس ، ومصيره العذاب والموت . ولكنه رغم وعيه ان الحياة تافهة ، الا انه يؤمن انه اذا كانت « الحياة لاتساوى شيئا ، فانه لا شيء يساوى الحياة » !! وفي الموت وبالموت ، يتجلى عبث الوضع الانساني . وفي حضرة الموت فقط يمكن ان تقاس الحياة قياسا صادقا . ولهذا كانت كلمة « الموت » هي اكثر الكلمات ورودا في كتاباته . ولا يعني هذا ان مالرو كاتب قدرى ، بل العكس هو الصحيح : فهو يرى هذه الجوانب المظلمة من الحياة ، ويتحداها ، ليمتحن بهذا التحدى شجاعته . وحياته نفسها ليست سوى محاولة لتجاوز هذا الوضع الانساني ، والتمرد عليه . ولهذا نجد معظم ابطال رواياته يقفون وجها لوجه امام الموت ، دفاعا عما يستحق ان يعرضوا انفسهم للموت من اجله : « فليربط الانسان نفسه بفعل عظيم ، وليتشبث به ، وليصبح له مطاردا وبه منتشيا . » وليس هذا « الفعل العظيم » عند مالرو سوى حبه الصادق للبشر ، وايمانه بالانسان ، وحريته ، وكرامته . ولم تكن حياته سوى سلسلة من هذا « الفعل العظيم » : فهو لم يثر من اجل الثورة ، وانما دفاعا عن قيم عليا هي : العدالة ، والحرية ، والكرامة الانسانية .

مالرو الانسان

هناك ثلاثة اعمال تعد تعبيرا عن المرحلة الاولى من حياة مالرو الفنية ، وهذه الاعمال هي : اقمار من ورق (١٩٢١) و « غواية الغرب » (١٩٢٦) ، و « المملكة الخرافية » (١٩٢٨) . وليس لهذه الاعمال الادبية الثلاثة التى كتبها مالرو بين سن العشرين والسابعة والعشرين ، اية قيمة ادبية حقيقية ، ولكنها تدل على ان هذا الشاب موهوب ، وانه قد فقد في سن مبكرة ايمانه بالحضارة الغربية وقيمها الزائفة ، فهي في نظره قد شاخت ، ولم تعد صالحة للعصر . ونحن نجد مالرو بعد هذه المرحلة انسانا قد ولى ظهره لقيم لم يعد يؤمن بها ، متطلعا الى عالم جديد يحاول ان يكتشف ابعاده .

★ ★ ★

وبصدور رواية « الغزاة » انتقل مالرو الى

مرحلة جديدة تختلف عن المرحلة السابقة ، وبها وباعماله الروائية التالية : « قدر الانسان » ، و « عصر الاحتقار » ، و « الامل » ، و « اشجار الجوز في التنبورج » ، اصبح مالرو واحدا من اعظم الكتاب الذين انجبهم عصرنا .

وتبدا رواية « الغزاة » باللحظة التي يتقرر فيها بدء الاضراب العام في ميناء (كانتون) الصيني . وهذا الاضراب هو بداية الصراع بين الحكومة المحلية والاستعمار البريطاني ، وهو صراع تؤيد فيه روسيا الحكومة المحلية ، والهدف منه هو شل حركة ميناء (هونج كونج) . ونلاحظ من موضوع الرواية ان مالرو يستمد موضوعات رواياته من الاحداث التي شارك فيها ، كما اثبت باعماله الروائية ابتداء من « الغزاة » ان بالامكان ابداع اعمال ادبية خالدة ، من الاحداث التاريخية المعاصرة . والحدث التاريخي في هذه الرواية هو الصراع ضد الاستعمار البريطاني ، وهو صراع يحمل الى الانسان وعيا جديدا بوجوده وكرامته . ولا تختلف نهاية رواية مالرو عن نهاية الروايات الكلاسيكية الا في ان البطل هنا يعي وعيا تاما ما يقوم به . وتنتهي رواية « الغزاة » بكلمات ثلاث هي : الموت ، واليأس ، والاخاء .

وتكاد رواية « الطريق الملكي » ان تكون مكملة لرواية « الغزاة » : فالبناء الروائي فيها متماثل ، والشخصيات متشابهة ، والمشكلات واحدة ، وهي تنتهي ايضا بثلاث كلمات ، هي : الاخاء ، والموت ، والغربة .

★★★

وفي عام ١٩٣٣ صدرت رواية مالرو « قدر الانسان » ، التي نال عليها جائزة « جونكور » . وتدور احداث الرواية في شنغهاي في عام ١٩٢٧ ، اي في الفترة التي سبقت انفصال الشيوعيين عن (تشانج كاي شيك) وتنتهي بالمذبحة الرهيبة التي فتك فيها (تشانج كاي شيك) بالشيوعيين .

ولا تدور هذه الرواية حول بطل واحد ، كما هو الحال في روايتيه السابقتين ، ولكنها تدور حول مجموعة من الشخصيات ، قسم بينها مالرو البطولة قسمة عادلة . ولهذا فاننا نستطيع ان نقول ان مالرو ، في هذه الرواية ، قد انصرف عن فكرة البطل الفردي ، الى جعل مجموعة من الشخصيات هي البطل ، وهذا تأكيد على معنى التضامن الانساني في مواجهة المصير الواحد .

وفي هذه الرواية تطوير بلغ حد الكمال للنغمات الرئيسية في الروايتين السابقتين ، وهي : الموت ، والغربة ، والاخاء . ويبدو ان مالرو كان معجبا جدا بروايته هذه ، حيث قال : « والحق انها الرواية الوحيدة التي احبها انا على الاقل » .

★★★

وفي عام ١٩٣٤ ، استولت الاشتراكية القومية على السلطة في المانيا ، وكان لهذا الحدث اصداء عميقة في اوساط المثقفين في اوروبا ، الذين راوا ان الصراع ضد الفاشية هو نضال في سبيل حرية الانسان وكرامته . وكان مالرو من المؤمنين بهذا . ورواية « عصر الاحتقار » (١٩٣٥) تعبير عن هذا الموقف . وهذه الرواية هي الرواية الوحيدة التي كتب لها مالرو مقدمة ، شرح فيها طبيعة هذه الرواية والعالم الذي تدور فيه .

والتجربة الاساسية في هذه الرواية تدور حول مدى احتفاظ الانسان بروح الاخاء الثوري في ظروف تعزله عزلة تامة عن اي اتصال مع الاخرين . فالزنزانة الانفرادية التي وضع فيها (كاسنر) هي رمز هذه العزلة التامة التي يجد فيها الانسان نفسه بعيدا عن عالم الاخرين . والخطر الاعظم الذي يتهدده فيها هو ان ينسى شخصيته كانسان ، وان يتكيف مع كل ما يمكن ان يحرره من الوعي بالذات . ان نضال كاسنر الاساسي هو بينه وبين نفسه ، لانه يقاوم اقوى فتنة يمكن ان يتعرض لها الانسان ، وهي فتنة الاستسلام للعدم .

وحين يطغى عليه الشعور الساحق بالعزلة ، يحاول ان يسترجع ذكرياته ليرفع من معنوياته . وعندما يقوم الحراس بضربه ، تثور في نفسه روح المقاومة ، فاذا تركوه عاد الى حالة الضعف والخور ، وهبوط روحه المعنوية . ويظل هكذا متارجحا بين التجلد والضعف الى ان تنتصر الارادة في النهاية . ومثال ذلك انه في نوبة من نوبات اليأس فكر في الانتحار ، فشحذ احد اظافره بالحائط لكي يقطع به شريانا من شرايينه ، ولكن ما ان القى اليه الحارس بحبل ليوحي له بالانتحار ، حتى عادت اليه قواه وارادته وصلابته . وشعوره « بالاخاء الرجولي » الذي يربط بينه ورفاقه في النضال ، وتذكره لقولهم « نحن معك » ، هو ما كان ينقذه من العدم والاستسلام للجنون .

وبتحقق هذا « الاخاء الرجولي » في اعلى صوره حين يتقدم رفيق من رفاقه لا يعرفه معرفة شخصية ، فيدعي انه (كاسنر) الذى يبحث عنه البوليس ، وبهذا يتم الافراج عن (كاسنر) الحقيقى ، ويكون مصير رفيقه الاعدام ، ويعود كاسنر الى مواصلة النضال ضد الفاشية .

وبالافراج عن (كاسنر) يبدا القسم الثاني من الرواية ، ويدور حول رحلته الى براج بالطائرة . وكان يحس انه لن يكون بمامن حتى يجتاز حدود المانيا ، ولهذا يضع التنظيم السرى الذى ينتمي اليه طائرة وطيارا تحت تصرفه . وتهب عاصفة هوجاء فلا يتوانى الطيار من التضحية بنفسه في سبيل انقاذه . وهذه تضحية اخرى مبعثها هذا « الاخاء الرجولي » ، والصراع المشترك من اجل الحرية والاخاء .

ويحكي القسم الثالث وصول (كاسنر) الى براج ، ولاول مرة يلتقي بالحياة العادية بعد سنوات من السجن في الزنزانة ، فيرى الناس يسيرون في الشوارع ويعملون . ويذهب الى منزله بحثا عن زوجته وابنه ، فيعلم انها ذهبت لحضور اجتماع يدعو الى تحرير المناهضين للفاشية والمعتقلين في المانيا . ويذهب الى الاجتماع ، فيلتقي هناك بمئات من الرجال والنساء ... كلهم يناضلون في سبيل حريته ، وحرية البشر جميعا . وفي هذا الموقف يتذكر الرجل الذى ضحى بحياته من اجله ، والطيار الذى خاطر بنفسه في سبيله ، فيناجي نفسه قائلا : « يالسخرية الا يسمي المرء الاخوة اخوة ، الا من كانوا من دم واحد !! » .

★★★

ورواية « الامل » (١٩٣٧) فيها النغمة نفسها التى وجدناها في رواية « عصر الانتحار » ونحن لا نجد قصة واحدة ، بل مجموعة من القصص ، ولا نجد ابطالا بالمعنى الروائي القديم ، بل مجموعات من الافراد . وهذه القصة اشبه ببانوراما ، فكان المؤلف فيها يرتقي مكانا مرتفعا فوق مدينة من المدن ، ثم يروى لنا ما يرى ، حادثة وراء حادثة ، ومشهدا اثر مشهد .

والتاكيد في هذه الرواية هو على النظام لا على الحماسة او الاندفاع العاطفي ، ذلك لان النظام يعني الكفاءة ومن ثم الانتصار في اخر الامر ، بينما تعني الحماسة والاندفاع الهمجية والفوضى والهزيمة .

وتبدا الرواية ببداية الحرب الاهلية الاسبانية التى بداها الجيش بقيادة فرانكو ضد الحكومة الجمهورية .وكان فرانكو وانصاره مسيطرين على المنطقة الشمالية من اسبانيا . وتوضح الرواية ما يمكن ان ينشا من خطر حين يخلط المسؤولون بين المواطف والاخلاق ، ويلح مالرو على ان كل ازمة تصيب الثورة فهي ازمة في القيادة وسببها الخلل في التنظيم . يؤكد ، كما اكد سابقا ، ان الاخاء الرجولي الذى يجمع بين المحاربين ، وبين المحاربين والشعب ، هو الذى يعطي لحياة الانسان معنى .

★★★

وفي عام ١٩٤٣ اصدر مالرو « اشجار الجوز في التنبورج » ، وهي الجزء الاول من ثلاثية بعنوان « صراع مع الملاك » Lutte avec L'ange كان مالرو يقترح اصدارها بعد اعلان الحرب العالمية الثانية وسقوط فرنسا ، والبطل فيها هو مالرو نفسه المسمى في الرواية (برجيه) Berget وهو الاسم الذى عرف به في صفوف المقاومة الفرنسية. ولم يستطع مالرو ان يصدر هذه الثلاثية كاملة لان الجستابو احرقوا المخطوطة ، ولم يبق منها الا الجزء الاول الذى نشره عام ١٩٤٣ في سويسرا بعنوان « اشجار الجوز في التنبورج » .

ونحن لا نعد هذا العمل رواية الا تجاوزا ، لانه سلسلة من المشاهد ، ولا يكاد القارىء يتبين الصلة بين المشاهد ، وهو في واقع الامر اقرب الى المقال الذى يكتبه فيلسوف ومؤرخ ، منه الى عمل كاتب روائي .

ويمكن ان نعتبر هذا الكتاب الجسر الذى يصل بين اعمال مالرو الروائية واعماله الخاصة بتاريخ الفن وفلسفته .

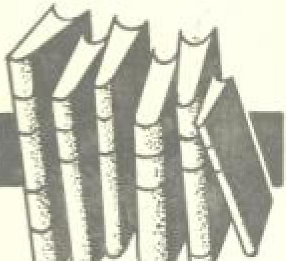
والمشكلة الرئيسية التى تشغل الكاتب هنا ، ليست هي انتصار هذا الدين او تلك الفلسفة ، انما هي بقاء الانسان على الارض ، فعدو الانسان

في نظر (برجيه) ليس القدر ، او الالهة ، او الارض ، بل الانسان نفسه !!

ويحدد مفهوم الانسان في رواية مالرو الاخيرة هذه ، قوله : « اننا نعلم اننا لم نختر ان نولد ، واننا لا نستطيع ان نفعل شيئا ضد الزمان ، وان هناك بين كل منا والحياة الكلية نوعا من الهوة . وحين اقول ان كل انسان يجرب في اعماق نفسه حضور المصير ، فانني اعني ان يجرب لامبالاة العالم به » .

وفي هذا القول نجد التاكيد الملح على عزلة الانسان التي لا علاج لها ، وتعطشه الذي لا يرتوي للانتصار على الزمان ، وحرصه على الحرية والتزامه بها الى درجة المخاطرة بحياته في سبيل الدفاع عن قيمه ، وتحديه للموت بوصفه التاكيد النهائي للوجود الاصيل . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

سيارتك : اجزاؤها وكيف تصونها وتحافظ عليها

تاليف : العميد احمد ممدوح حسن

الناشر : مطبعة الخليج ومكتبتها / الكويت

● دراسة في ميكانيكية السيارات تقدم معلومات مبسطة واساسية عن السيارات وطرق اصلاحها بشكل يفيد جميع المتصلين بالسيارة وهندستها ، فقد قدم الكتاب مادة شاملة للموضوع يفهمه الميكانيكي والمبتدىء .

وقد قسم المؤلف كتابه الى جزءين : عالج في الجزء الاول منهما اعطال السيارة المحتمل حدوثها يوميا ممسكا بكل جزء من اجزاء السيارة على حدة ، باحثا عن العطل ومقدما طريقة الاصلاح اللازمة ، وهذه الطريقة في العرض تسهل على قائد السيارة تتبع العطل اذا ما توقفت سيارته فجاة ، فاذا علم مكان العطل وكيفية اصلاحه امكنه بسهولة اعادة تشغيل السيارة خاصة اذا ما كان العطل طفيفا سهلا كتثبيت طرفي كابل البطارية او تنظيف شمعات الاحتراق او استبدالها . اما اذا احتاج العطل الى آلات وعدد خاصة في الورش فلا اقل من ان يكون الشخص عالما بما يجري هناك .

اما الجزء الثاني من الكتاب فقد تناول شرحا وافيا لاجزاء السيارة موضحا ما جاء في الشرح برسومات عدة تم اختيارها لتبين المطلوب بطريقة مبسطة سهلة ، وقد تم في هذا الجزء تقسيم السيارة الى اجزائها الاساسية وتناول الكتاب كل جزء بوصف اوضح التركيب الميكانيكي لهذا الجزء ، والاساس العلمي لطريقة عمله حتى يلم القارىء بنظرية تشغيل كل جزء من السيارة مما يساعد على امكانية العناية بها وصيانتها .

الطريق الى المدائن

تاليف : احمد عادل كمال

الناشر : دار النفائس / بيروت / لبنان

● كتاب في التاريخ العسكري الاسلامي يدرس الاستراتيجية والتكتيك الحربي الاسلامي بكل دقائقه لان الفتوحات الاسلامية من وجهة النظر الحربية ، ومن حيث هي تاريخ حربي لم تنل ما تستحق من عناية ، فهناك دراسات مستفيضة تناولت التاريخ الفكري والثقافي والاجتماعي .. الخ ، تعرضت لجانب من جوانب المعارك الحربية ، ولكن هذه الدراسات لم تتناول وجهة النظر الاستراتيجية والتكتيك الحربي او تركتها دون وصف او شرح كما نجد مثلا في وصف معركة العلمين او دنكرك او اي معركة شهيرة اخرى .

ان كتب التاريخ المتداولة تكتفي بالاشارة الى مجد العرب والى الانتصارات بعد المعارك عندما كان التاريخ لا يسجل لهم الا الانتصارات ، ولكنها لا تذكر الثمن الذي يدفعه المنتصرون ، وبعض المؤرخين يعدون الفتوحات ويشيرون بكل بساطة الى ان سبب النصر هو الاسلام ويهملون الرابطة بين النصر والاستعداد التام الذي ربط الاسلام بينه وبين النصر .

يقول العلماء ان تركيب الدماغ متشابه عند البشر ، وان الانسان لا يستغل الا جزءا من قدراته العقلية ، لكنه عندما تسيطر عليه فكرة فانه ينتج اضعافا مضاعفة، فيصح تقديره ويصيب حدسه ، وذلك ما جعل قادة الفتح الاسلامي الذين لم يدرسوا في كليات عسكرية ولم يخرجوا من الجزيرة الا فاتحين ، قادرين على ايجاد الحلول السريعة لكل وضع طارىء واجههم وعلى وضع خطط قتال تصلح لان تدرس في ارقى المعاهد العسكرية في العصر الحديث تحت عنوان استراتيجية الفتوحات الاسلامية ، لقد كانوا فرسانا شجعانا لا يهابون الموت ، وكانوا في الوقت ذاته قادة ومخططين من ارفع طراز ، وهذا ما يحاول المؤلف ان يبرزه ويشرحه في مؤلفه .

احكام الدستور والنظام الداخلي للبرلمان والسوابق البرلمانية في التطبيق

تأليف : محمد عبد السلام الزيات ــ هاني خير

الناشر : مطبعة القوات المسلحة الاردنية/عمان

● الدساتير في حياة الامم هي ثمرة جهادها وسعيها لاستقرار الاضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اوطانها ، ولذلك تأتي الدساتير انعكاسا للواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي السائد في بلد ما تسجيلا للتطورات التاريخية وتعبيرا عن القوى الاجتماعية السائدة في المجتمع ، كما تأتي الدساتير تعبيرا عن النظرية الفلسفية السائدة في الفكر السياسي في الدولة .

وهذا الكتاب يعتبر مرجعا هاما للشؤون والابحاث الدستورية والبرلمانية، لمن يهمه الدستور والحياة البرلمانية الشرح والبيان وكل من يعنيهم ان يتبينوا الاحكام الدستورية في امر من الامور او التطبيق العملي لمبدأ من مبادىء الدستور او لحكم من احكام اللوائح او الانظمة الداخلية .

كما ان الكتاب يعتبر من الكتب النادرة ، اذا علمنا ان الكتابة او التأليف في مجال الاجراءات او السوابق البرلمانية نادر في مجال التأليف . وبالاضافة الى ذلك فان الكتاب طعم ببعض الاصول النظرية والنصوص الدستورية ونصوص اللوائح القديمة في مصر او في الاردن ، وبذلك يستطيع الباحث ان يستطلع بالمقارنة اصول الاحكام واوجه الشبه والخلاف ، كما ذيلت هوامشه بالكثير من تقارير لجان الشئون الدستورية بمجلس البرلمان المصري وقرارات المجلس العالي الاردني لتفسير احكام الدستور ، وقد سلك المؤلفان في اعداد هذا الكتاب سبيلا ميسرا ورتبا مباحثه ترتيبا سليما ، واوردا السوابق والمبادىء التطبيقية البرلمانية، ليأتي البحث متصلا متناسقا سهلا ميسرا على الباحث المدقق ليجد المبدأ عندما يحتاج الرجوع اليه ، كما يجد بجانبه المرجع الذي يستطيع استكمال بحثه منه اذا اراد تفصيلا لما اجمل واوجز ، كما يجد النص الدستوري ونص النظام الداخلي الذي يتصل بموضوع البحث .

رحلة الى الأندلس

تأليف : ناجي جواد

الناشر : دار الاندلس للطباعة والنشر / بيروت

● كتاب في ادب الرحلات يشرح فيه المؤلف رحلته الى بلاد الاندلس وما تركت هذه الرحلة في نفسه من انطباعات لماضي الاندلس التليد حينما كانت الاندلس جزءا من الامبراطورية العربية الاسلامية المترامية الاطراف .

والمؤلف في هذا الكتاب قام بدراسة وافية عن الاندلس من مناحيها العديدة وخاصة الجانب الجغرافي والتاريخي واعقب ذلك دراسات عن اهم مدن الاندلس مثل طليطلة وغرناطة وملقا واشبيلية وقرطبة تليها دراسة عن قصة عبد الرحمن الداخل رجل الاندلس الاول .

فالسائح العربي يقضي ايامه في الاندلس غائصا في بحار العبر هائما في اودية الفكر ، فكلما عثر على اثر اثناء زيارته لاحدى مدن الاندلس خفق قلبه ، وراح يتأمل سلامة الذوق ودقة الصنع وعلو الهمم التي اجتازت تلك الفيافي والقفار والبحار واصطدمت بامواج الامم الاوروبية ، فشيدت شوامخ الآثار والحصون وبنت الجوامع والقصور ، واسست من كل علم وفن وادب وحضارة راقية ما زال تاريخها حافلا بروائع العصور مليئا بكل غال من الدروس والعبر ، فالسائح العربي موزع العواطف بين الاعجاب والتأمل ثم الحسرة على ماضي العرب التليد .

والمؤلف في هذا الكتاب يحاول دراسة نتاج العلماء والفلاسفة والادباء والشعراء الذين عاشوا في الاندلس وذاع صيتهم هناك فيتحدث عن نتاجهم العلمي والادبي ، ويورد بعض قصائدهم واعمالهم الفنية الشهيرة . ■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

حق الحياة بالنسبة للجنين هل يقرره الاطباء ؟!

● ادى التقدم العلمى والطبى الكبير فى علوم الوراثة وتشخيص امراض الاجنة قبل الولادة الى اثارة عدة تساؤلات بالنسبة لحق الطبيب فى انهاء الحمل عن طريق الاجهاض اذا اثبتت الفحوص ان الطفل سيولد وهو يحمل مرضا خطيرا او تشويها خلقيا مستديما .

ومن بين الاسئلة التى اثارها هذا المجال الطبى الجديد سؤال هام لم يستطع عدد من الاطباء الذين اجتمعوا لمناقشة هذه المشكلة الاجابة عليه بدقة وهذا السؤال هو : ما هى الحياة ، ومن الذى له حق الحياة ؟! وقد اجاب العالم البريطانى هارولد همسوبرث Harold Himsworth ، وهو سكرتير مجلس البحوث الطبى البريطانى ، على هذا السؤال بالتعريف التالى للحياة : « الحياة هى مقدرة اعضاء الجسم فى العمل كوحدة متناسقة » ولكنه يقول محذرا : ان العبرة هنا فى معرفة فى اى مرحلة من المراحل يصبح فيها الجنين انسانا ؟! وهذا هو السؤال الذى عجز الاطباء عن الاجابة عليه بدقة .

وقد صرح الدكتور مايكل كيباك Michael Kayback الاستاذ فى جامعة جون هوبكنز الامريكية ان تطبيق التشخيص لحالات الاجنة قبل الولادة Prenatal Diagnosis قد يكون غير اخلاقى ، لان الاطباء قد يخطئون فى تشخيصهم مما قد يؤدى الى اجهاض اجنة نتيجة لخطأ فى التشخيص .

ويقول كيباك انه قد قام بفحص حوالى ١٠ آلاف من الازواج لتقرير ما اذا كانوا



يحملون جينة المرض المعروف باسم «Tay Sachs» وهو مرض يتسبب فى اصابة الاطفال بتخلف عقلي شديد ويؤدى الى موتهم فى السنوات الاولى من حياتهم ؛ وقد قام بتشخيص ٤٠ حالة يشك فى اصابتهم بجينة هذا المرض . ومن بين هذه الحالات الاربعين تم اعادة تشخيص ٣١ حالة تشخيصا نهائيا ، بانهم عاديون وليسوا مصابين بالمرض ، وقد تمت عمليات الولادة بعد ذلك واتضح ان الاطفل كلهم عاديون .

اما الحالات التسعة الاخرى فقد ثبت اصابتهم بالمرض وتم اجهاضهم . وبفحص الاجنة تأكد أصابتهم بهذا المرض الخطير .

وقد اثار الاطباء المجتمعون تساؤلا آخر هو هل هناك شخص سليم من ناحية عوامل الوراثة ١٠٠٪ ، وخصوصا ان الاحصائيات الطبية تبين ان كل شخص امريكى يحمل فى جسمه علي الاقل من ٥ الى ١٠ جينات غير سليمة ؟!

وقد استمرت هذه المناقشات دون ايجاد اجابة على هذه التساؤلات يوافق عليها كل الاطباء ، ولكن انتهى النقاش على انه يجب ان يستمر البحث العلمى لايجاد علاج ناجع يعطي للاجنة المشتبه فى أصابتها بأمراض خلقية وهم فى بطون امهاتهم ، وان هذا هو السبيل الوحيد لايجاد اجابة حاسمة على التساؤلات حول هذه المشاكل .

الالوان .. هل تكشف عن شخصيتك ؟!
اللونات الاحمر والارجوانى هما المفضلان بالنسبة للمصابين بالعصاب

● كثير من الناس يفضلون لونا من الالوان على غيره . وهذا التفضيل ، فى حد ذاته ، قد يدل على واحدة من اثنتين ؛ اما ان هذا الشخص يفضل هذا اللون لان نظره يرتاح اليه ، واما ان هذا التفضيل يعنى شيئا اكثر عمقا ودلالة عن شخصية هذا الانسان .

ويعتقد الدكتور آسادور شونجوريان Assador Choungourian ، من جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، أن تفضيل الألوان يمكن استعماله للتفريق بين انواع الشخصية المختلفة . وقد قام هذا العالم النفسانى بمحاولة لتحديد الالوان المفضلة بين فئتين من الناس وهما فئة المصابين بالعصاب Neurotics وفئة الاشخاص الذين يهتمون اهتماما كليا بكل ما هو خارج ذاتهم Extroverts وقد قام هذا الباحث بتقسيم عدد من طلبة الجامعة الأمريكية فى بيروت الى ثلاث فئات ، نتيجة اختبار للشخصية اجرى لهم . الفئة الأولى تضم ٨٠ من المصابين بالعصاب ، والفئة الثانية تضم ٨٠ من الذين ينصب اهتمامهم خارج ذواتهم ، والفئة الثالثة تضم ١٦٠ طالبا يتمتعون بشخصيات عادية . كما انه تم ايضا جمع عدد مساو من الرجال والنساء والطلبة فى الولايات المتحدة ، ولبنان ، والكويت ، وايران ، لاجراء نفس التجربة عليهم .

وقام الباحث الأمريكى بتوزيع بطاقات ملونة على كل فئة من الفئات فى اختيار للون المفضل لكل شخص . ودلت النتائج على ان المصابين بالعصاب يفضلون اللونين الاحمر والارجوانى اكثر من هؤلاء الذين يهتمون بكل ما هو خارج ذواتهم والذين يفضلون اللون الأصفر المخضر عن غيره من الالوان .

وهكذا قد تكشف الالوان عن شخصية الانسان ..!!

١٠٪ من ضحايا حوادث السيارات . . منتحرون !

● كشف عالمان امريكيان عن حقيقة جديدة بالنسبة للانتحار بواسطة السيارات. ويقول كل من الكس بوكورني Alex Pokorny وجيمس سميث من كلية بايلور للطب فى ولاية تكساس Baylor College of Medicine ان الاعتقاد الشائع ان استعمال السيارات فى الانتحار يقتصر على استنشاق غاز عادم السيارات داخل مرائبها ، انما هو اعتقاد خاطىء، بدليل انهما قاما بدراسة تقارير مفصلة عن ٢٨ حادثة سيارة ، قتل فيها قائدو هذه السيارات ، وقد بينت هذه الدراسة انه فى كل هذه الحالات قام الشخص الذى قتل فى الحادث بقيادة سيارته بعد مناقشة عنيفة ، او مشاجرة مع شخص آخر . كما بينت الدراسة ان اربعة اشخاص من ضحايا هذه الحوادث كانوا مصابين بانهيار عصبى تحت ضغوط نفسانية تجعل من السهل التنبؤ باقدامهم على الانتحار .

وينهى العالمان النفسيان بحثهما بانه من المحتمل ان ما يزيد عن ١٥ ٪ من ضحايا حوادث السيارات فى العام الواحد، والذين يصل عددهم الى ٥٥ الف قتيل ، انما هم فى الحقيقة منتحرون بواسطة سياراتهم . ولذلك فانه يجب اضافتهم الى عدد ضحايا حوادث الانتحار الذين يصل عددهم الى ٢٢ الف ضحية كل عام .

اتحاد النفسانيين الامريكيين يدين حرب فتنام ويؤكد تأثيرها السيىء على الجيل الجديد في أمريكا

● فى بيان مفاجىء ادان مجلس ادارة رابطة النفسانيين الامريكيين حرب فتنام . واعرب البيان عن اسف الرابطة العميق لاستمرار عمليات القتل والابادة بالنسبة لشعوب الهند الصينية ، وكذلك عمليات تدمير مجتمعاتها وقراها. وتمثل رابطة النفسانيين الامريكيين ٣٤ الف عالم نفسانى . وفى نفس الوقت ، اذاعت ٧ هيئات علمية اخرى تمثل اكثر من ٦٥ الفا من العاملين فى ميادين الصحة العقلية والاجتماع ، بيانا ادانت فيه عملية تصعيد الحرب فى فتنام ووصفتها بانها السبب فى التاثير النفسى السيىء على الجيل الجديد فى امريكا ، واتجاهه الى العنف والقتل وتكوين العصابات، نتيجة لما تعلموه من هذه الحرب .

وهذه هى المرة الاولى التى تقوم هيئات علمية امريكية كبرى بادانة حرب فتنام ، والتاكيد على تأثيرها الضار بالنسبة للحالة النفسية والسلوك الاجتماعى للجيل الجديد الامريكى .

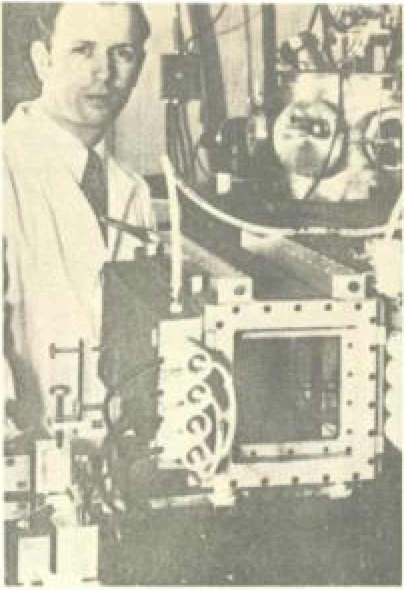
انتاج الطاقة بواسطة اللازر

بدات الولايات المتحدة الامريكية مؤخرا فى رفع بعض الحظر المفروض على اذاعة البحوث الخاصة بالحصول على اندماج نووى حرارى مستحدث عن طريق اللازر Laser-inudced Thermo-nuclear Fusion وقد تبين مما صرح بنشره ان الابحاث فى هذا المجال قد قطعت شوطا ابعد مما كان متوقعا .

وقد صرح العالم الامريكي جون نيكولز John Nickolls ، وهو يجرى ابحاثه فى معمل لورانس ليفرمور Lawrece livemore بانه يأمل الحصول على تحقيق التحام نويات الذرة بواسطة كمية من طاقة اللازر اقل بكثير مما كان العلماء يتوقعون، ان المشكلة الرئيسية فى تحقيق هذا الامر هو عملية تحويل الطاقة من نبضة اشعة اللازر الى كرية من وقود الديوتيريوم الصلب Solid Deuterium والترتيوم Tritium بطريقة تجعل الكرية تتأين Ionized الى بلازما (غاز مؤين يحتوى على اعداد متساوية تقريبا من الايونات والالكترونات الموجبة) وتندمج نويات الديوتيريوم والترتيوم منتجة بذلك الطاقة النووية المرتجاة بطريقة الاندماج بعد نجاح العالم فى انتاجها عن طريق انفلاق الذرة .

وفى خلال اسابيع من رفع الحظر الحكومي على انباء الابحاث عن تحقيق الاندماج النووى باللازر ، اعلنت ثلاث شركات امريكية كبرى ، انها ستدخل الى ميدان هذه الابحاث ، اما بعلمائها ، او بمساعدة بعض العلماء المتخصصين فى الجامعات ، على اجراء ابحاث فى هذا الموضوع بتمويل من هذه الشركات .

ومن بين العلماء الذين ستستفيد الشركات الامريكية بابحاثهم وتشجعهم على استكمال بحوثهم ، الدكتور لوبين Lubin الاستاذ بجامعة روتشستر Rochester والذى يرى ان احسن وسيلة للحصول على الاندماج النووى بواسطة اللازر هي زيادة كفاءة امتصاص طاقة اللازر فى الوقود .



العالم « لوبين »
وابحاث لتحسين امتصاص الطاقة .

وقد اعلن عالم امريكى آخر هو كيث بروكنر « K. Brueckner » ، وهو يعمل لحساب احدى الشركات الامريكية ، نظرية جديدة تؤدى الى طريق جديد اكثر كفاءة للحصول على اندماج نووى حرارى . ولكن فرض حظر على اذاعة اى شيء عن هذه النظرية .

ويأمل العلماء ان يتمكنوا ، فى خلال سنوات ثلاث ، من الحصول على طاقة تنتج من الاندماج النووى تزيد عن الطاقة المستعملة فى احداث هذا الاندماج بواسطة اللازر .

ولكن ما الذى ستحققه الشركات الامريكية من تمويلها لهذه الابحاث ؟ . . والاجابة هي ان نجاح هذه البحوث قد يؤدى الى انشاء مفاعلات جديدة تكون تكاليفها ارخص من المفاعلات النووية المستعملة الآن . وتستطيع ان تنتج طاقة رخيصة التكاليف .

■■



قصة

الحصالة

بقلم:
محمود تيمور

■ كانت لى جدة تجمع المتناقضات ..

هي على شحها الكريه ، تسرف في اقتناء التحف والالطاف ، تزين بها دارها ، ولاتبخل في سبيل الحصول عليها وان غلا الثمن .

ومن اجل ذلك حرصت على أن ترتاد قاعات المزايدة ، فاذا لمح اصحاب القاعات شبحها فسحوا لها الطريق ، واستقبلوها بتاهيل وترحاب .

وعلى الرغم من رقة شعورها ، وطيبة قلبها ، تبدو دائما معقودة الجبين ، جافة اللهجة ، راضية كانت او ساخطة ، ومتى سمعتها تلقى بتحيتها قائلة :

صباح الخير عليكم ياجماعة ...

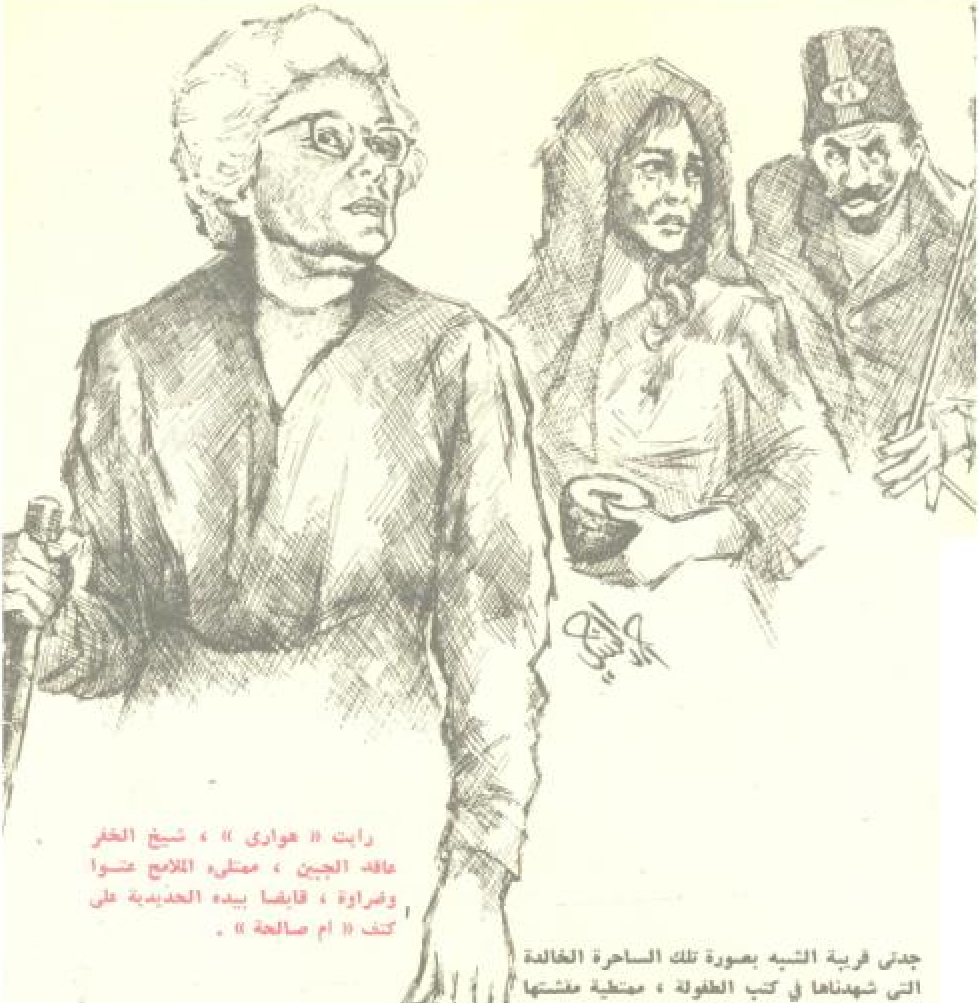
حسبتها تقول :

صباح الشر عليكم يا اوغاد !

سيدة نحيفة ، بائنة الطول ، محنية الظهر ، لاتفارق العصا يدها ، تجوب بها الدار ليل نهار ، معتمدة عليها في المسير ... وحين تدخل فراشها ، تضع العصا في احتراس على مقربة من راسها ، لتكون عند الحاجة في متناول يدها ، وانها لتتخذها ايضا سلاح ترهيب وتحذير ، وان كانت لم تمس بها احدا بسوء قط ، ومن ثم فقدت هذه العصا مهمتها ، باعتبارها اداة عقاب وتاديب ، فلم تعد لها هيبة حتى بين القطط والكلاب !

هي السيدة الوحيدة التى رايتها لا تخشى الحشرات ، ولا تشمئز منها ، وبخاصة الصراصير ... فاذا برزت من شقوقها تلتمس رزقها هبت جدتي في وجهها ، ولوحت لها بعصاها ، حتى تتراجع الى الشقوق ... بيد ان جدتي لاتلبث أن تجمع فتات الخبز وقشور الخضر ، فتدسها في تلك الشقوق ، لتكون مؤونة لهذه الحشرات الجائعة !

شعرها كالكتان منتفش على راسها ... وكثيرا ماضغطته بمنديل ازرق يحليه رفيف بنفسجي ، فلا يبدو من الشعر الا حافات عاصية ثائرة ، تجعل



رايت « هوارى » ، شيخ الخفر عاقد الجبين ، ممتلىء الملامح عتوا وضراوة ، قابضا بيده الحديدية على كتف « ام صالحة » .

جدتى قريبة الشبه بصورة تلك الساحرة الخالدة التى شهدناها فى كتب الطفولة ، ممتطية مقشتها الطويلة ، تسبح بها فى الجو .

وكان لجدتى اسلوب مبتكر فى التحايل ، لا استحى ان اسميه اسلوبا جهنميا فى استرداد بعض مصروفى الخاص الذى تتبرع به لى ... جاءتنى يوما ، وفى يدها لفيفة كروية ، وقالت لى :

ـ جئتك بهدية ليس بعدها هدية ...

فتصايحت طربا :

ـ الله يطول عمرك يا ستى !

وكشفت عن اللفيفة ، فاذا هى حصالة من فخار ، وبادرتنى جدتى بقولها :

ـ انها تعلمك الادخار ... وهو يابنى اساس الحياة الناجحة ...

فهمهمت اقول ، والشك يساور نفسى :

ـ ومانفعها لى ياستى ؟

ـ نفعها كبير جدا ... تضع فيها كل يوم جزءا من مصروفك اليومى ، فاذا امتلات الحصالة وجدت نفسك تملك قدرا من المال يعينك على شراء ماتصبو اليه .

فتناولت الحصالة انفحصها واتطلع الى رسومها الملونة البهيجة ، فارتحت لمرآها ، وقلت :

ـ ارجو ان اجد فيها مايتولى طلباتي الخاصة .

وخطوت بالحصالة الى حجرتى ، فاذا جدتى تلاحقنى بقولها :

ـ عليك ان تضع فيها يا « عزوز » جزءا من مصروفك كل يوم ... بل تضع اكبر قدر من المصروف تستغنى عنه .

ـ سافعل ياستي ...

ـ وساحضر بنفسي ما تصنع كل يوم ... لاعلم كم تضع من القروش في الحصالة المباركة عليك ان شاء الله .

فلم اجبها ، وواصلت سيرى .

ومضت الامور على خير وجه ، حتى جاء يوم تحطيم الحصالة ، والاستحواذ على المدخر ، فرأيت جدتى تمسك بالحصالة ، وتهزها في عناية بالغة ، فانبعث منها صوت اجش كتيم ، وغمغمت جدتي :

ـ ما شاء الله كان ... مقدار لايستهان به ...

واتت بفوطة نظيفة بسطتها على المنضدة ، ثم دقت الحصالة بخشبة غليظة ، فتصدعت جوانبها، وسرعان ما انهارت مقاومتها ، واستحالت انقاضا متناثرة .. وصاحت بي جدتى :

ـ لا تمد يدك الى الكومة ياولدى .. خشية ان تجرح قطع الفخار اصابعك ... انها مسنونة كالسكين .

وشرعت تستخلص من الانقاض المبعثرة مايتناثر من القروش،وهى دائبة على النفخ فيها ، لتنقيتها من الغبار و الكسار .

واستغرق ذلك بعض وقت ، حتى ان جدتى لم تقتنع الا بغربلة الانقاض ، لكي لا يتسرب فيها شيء من القروش .

ومثلت امامى ، ويداها مملوءتان،وقالت مزهوة:

ـ تستطيع الآن ان تشترى قميصا لك ...

فسارعت مهتاج النفس اقول :

ـ لا شان لي بالقمصان ... هذا مصروفى اليومى ... اريد ان اشترى به ما اشتهى ...

ـ اتريد ان تضيع النقود هباء ، بحجة انها مصروفك اليومى ؟

فضربت الارض بقدمى ، وانا اقول :

ـ لا شان لي بالقمصان ، ولا شان لكم بمصروفى اليومي ...

ـ ومتى يكون لك بقمصانك شان ؟ ... الم تصبح كبيرا ... انحسب نفسك مازلت طفلا ؟ .. تعلم يا « عزوز » ان تشترى لنفسك شيئا ينفعك.

ـ اريد ان اشترى عجلة خشبية ..

فحدجتنى بنظراتها تقول :

ـ لتقلق بها راحتى وراحة الخلق من حولنا ؟ ... هيهات ...

وصرت كومة القروش في منديلها وربطتها ربطا محكما ، ورجعت وئيدة الخطا الى حجرتها تقول :

ـ اريد ان اجعل منك رجلا ، وانت تصر على ان تظل طفلا ...

واستمرت الحال على هذا المنوال ، جدتى تريد ان تجعل منى رجلا ، وانا مصر على ان اظل طفلا !

وكرهت الحصالة الى درجة المقت ولكن هذه الكراهية لم تجد نفعا في الخلاص من تلك الوسيلة الاستغلالية التي حرمتنى التصرف في قدر من مصروفي اليومى .

وكانت لنا في « كوم زمران » دار ريفية ساذجة، تحيط بها ضيعة صغيرة ، وقد الفت جدتى ان تقضى فيها اشهر الصيف ، وكانت هيمانـة بالحياة في الريف ، تشرف على زراعة الخضر ، وتحضر حلب الجاموسة ، وتجمع البيض من اكنان الدجاج ، وتراقب في دقة صنع الزبد والجبن ، وهى طوال اليوم في ذهاب واوبة ، لا تهدا لهـا حركة ، وفي يدها عصاها لاتبرح ، ومن ورائها « ام صالحة » المجانة ، تقتفى اثرها . وتعينها فيما تريد .

و « ام صالحة » هذه امراة معروقة متضائلة ، شاخت قبل الاوان ، فتجعد وجهها ، وابيض شعر راسها ، ولكنها تحاول ان تبدو في نشاط الشباب، وهى في الحق تنهض بالاعباء الملقاة عليها ، لا تدخر من جهد ، تساعدها في عملها حفيدتها « لطيفة » : صبية لطيفة حقا ، مشرقة الجبين ، تلتمع في عينيها فورة الحياة ، بشرتها حمراء قاتمة في لون

الطوب المحرق ، وكثيرا ما خرجت انا معها الى الحقل نتواثب ونتلاعب .

وفي كل مساء ، كنت اجمع حولي بعد العشاء « ام صالحة » وحفيدتها « لطيفة » اقرا لهما مغامرات « السندباد » وما اليها من قصص شعبي، فكانتا ترهفان السمع في غبطة وتشوف ، وعيونهما مشدودة الى وجهي لا تطرف . فاذا فرغت من قراءتي جاء دور « ام صالحة » لتاخذ بزمام الحديث تروى المستملح من نوادر الريف ، وتنشد المواويل الشعبية العذبة ، وتهز صدرها هزات راقصة تثير الضحك وتبعث في النفس انتعاشا وبهجة .

كان « لام صالحة » غير هذا الجانب الضاحك جانب حزين مغرق في الحزن ، فلطالما فاجانها منتحية ركنا في صمت كئيب ، وكتفاها متراخيتان كانهما تنوءان بحمل ثقيل ... وعلمت ان المراة تكفل حفيدتها ، وتعمل ما وسعها ان تعمل لاسعادها ، ولكنها لاتستطيع أن توفر لها الا عيش الكفاف ...

وصحبتني الحصالة في رحلتي الى الريف ، تؤدى مهمتها كل صباح في نشاط دائب ، وانا ارميها من عيني بشواظ ، وجدتي تخصها بانظار الرعاية والحفاظ .

وكنا على ابواب العيد ، واهل القرية يتاهبون لاستقبال مباهجه في زيطة ماتوسة ، الكل يعد القشيب من الثياب ، ويباهي بالحصول عليه ...

وهيات لي جدتي حلة العيد السعيد ، فاغتبطت بها ، وحملتها الى « ام صالحة » اريها اياها ، وهي قابعة في ركنها تخيم عليها الكآبة والوجوم ... فما لبثت ان انفرجت شفتاها عن ابتسامة شاحبة ، وامتدحت الحلة مهنئة اياي بها ... وادركت انا ما تعانيه المراة من الحسرة والضيق في تدبير كسوة العيد لحفيدتها العزيزة الغالية .

وتوقفت اسائل نفسي :

ماذا في يدى ان اعمل لاعينها على ما تنشد ؟

وهرعت الى جدتي اقول :

ــ « ام صالحة » فقيرة ياستي ... والعيد له مطالب ... افلا تقدمين لها منحة في هذه الايام المباركة ؟

فاجابتني عابسة الوجه ، وهى تقرع الارض بعصاها :

ــ مالك ولهذا ؟ هناك عوائد ورواتب مقررة في المناسبات ، يتولى الكاتب امرها ...

وكنت اعلم أن تلك العوائد والرواتب المقررة لا تسمن ولا تغنى ...

وواصلت جدتي حديثها تقول :

ــ ارح نفسك ، واهتم بشانك ... ستكسر الحصالة صبح العيد ، وستظفر بعيديتك من مدخراتك ...

ففارقت جدتي ، وقلبي يتمزع غيظا ...

وقضيت اليوم مهموما ، لا اجد في نفسي رغبة اللعب ، وفي المساء هممت ان اروح عن نفسي بقراءة القصص الشعبية « لام صالحة » وحفيدتها « لطيفة » ، ففوجئت بانهما غائبتان ، فقد لزمت المراة بيتها لوعكة الت بها ، ولازمتها حفيدتها ... فازداد بى الكرب ، وظللت كذلك حتى احتواني وجدتي الفراش ، ساهد الجفن ، اتقلب يمنة ويسرة ، لا يستقر لى جنب ، فنهرتني جدتي ، وامرتني ان استغرق في المنام ، فاطبقت عيني ، وعلا غطيط جدتي بعد حين ، ولكن الارق حالفني...وفيما انا كذلك احسست حركة خفيفة بباب الحجرة ، وسمعت مقبض الباب يدور ، فخفق قلبي ، ومكثت مرهف السمع ، شاخص الطرف ، على الرغم من الظلمة الحالكة حولي ... رايت مصراع الباب ينفتح ، وينسل منه شبح ، فاشتد بقلبي الخفوق ، وكادت صيحة تفلت من حلقي ، وشعرت بالشبح ينقل خطاه في محاذرة وتلصص ، وواصل خطوه ، والفيته يتوخى الخزانة ، ولم يستعص عليه ان يفض مغاليقها ، ثم وقف امامها برهة يطلق يده في ارجائها ، ولم يعتم ان اعاد اقفالها ، وتسلل خارجا كما دخل...

لماذا لم اصرخ ؟ لماذا لم اوقظ جدتي ، ورحت افكر في شخص معين اثار الشبح شكله في مخيلتي، امكن هذا ؟

وظللت ارتجف وقتا ، وقد وقع في وهمى انى صريع كابوس مزعج ، واخيرا حل بى تعب ، ودهمنى نعاس .

وظل بى النوم الثقيل ، تحف به فى الحلم أطياف سود ، يتوسطها دائما ذلك الشبح الذى طرق الحجرة فى جوف الليل ...

ولم تعاودنى اليقظة الا فى الضحى ، وقد تعالت الشمس ...

استيقظت على أصوات حادة غير بعيدة ، يتخللها وعيد وتهديد ، فتركت فراشى على حذر ، واختبأت خلف الباب أتطلع من فرجته الضيقة ، فرأيت مشهدا يدور امامى ، اثارنى واشعرنى بكرب : رأيت « هوارى » ، شيخ الخفر عاقد الجبين ، ممتلىء الملامح عتوا وضراوة ، قابضا بيده الحديدية على كتف « ام صالحة » يهزها فى عنف ، والمرأة تضطرب امامه ، وطرحتها الغبراء ممزقة تنحسر عن شعرها الاشيب ، وثوبها الاسود مهلهل يكشف عن مواضع من الجسد المترهل ، وخيط من الدمع يتخذ من أخاديد الوجه مسيلا له ...

وكانت جدتى واقفة عن كثب ، مرفوعة الهامة ، متقلصة السمات ، وغير بعيد من المشهد « لطيفة » الصغيرة منكمشة فى ركن من القاعة تنتحب فى حرقة .

وخرجت اعالج ضبط عواطفى جهد استطاعتى ، وقلت :

ـ ماذا جرى ؟

فعاجلتنى جدتى تجيب :

ـ جرى ان « ام صالحة » سرقت حصالتك ... ضبطها معها شيخ الخفر !

فصاح « هوارى » فى صلف وتنفخ :

ـ محال ان تقع سرقة ، وانا موجود هنا ...

فجعلت انقل بصرى بين الجمع ، وشهيق « لطيفة » يصفع سمعى ... ورأيتنى اقول دون تردد :

ـ هناك خطأ يجب تصحيحه ...

فقالت جدتى بصوت اجش :

ـ اى خطأ ياولد ؟

فواصلت قولى هادىء اللهجة :

ـ ليست هناك سرقة ...

ووجهت حديثى الى « ام صالحة » فى حزم ،

ـ لماذا لم تقولى الحقيقة ؟ لماذا لم تخبرى « هوارى » بأنى انا الذى أعطيتك الحصالة ؟

فحملقت المرأة فىّ بعينين شاخصتين ، وغطت وجهها منخرطة فى البكاء ..

وصاحت جدتى :

ـ انت اعطيتها الحصالة ؟ انت ؟

ـ اؤكد لك يا ستى انى اعطيتها اياها .. بمناسبة العيد !

فقالت وهى تنعم النظر فى وجهى متفحصة ، تحاول ان تسبر اغوار نفسى :

ـ متى اعطيتها الحصالة يا ولد ؟

ـ بالليل ..

ـ ولماذا لم تخبرنى ؟

ـ ارجأت ذلك الى الصباح ..

فهمهمت بكلام لا تبين .

وخطت فى القاعة محنية الرأس ، غادية رائحة، ثم وقفت تقرع الارض بعصاها ، وهى تزم شفتيها.

واخيرا اعادت الحصالة الى « ام صالحة » ، وهى تقول :

ـ مادام « عزوز » قد سمح لك بها ، فهى من قسمتك ونصيبك ..

ثم قالت لشيخ الخفر :

ـ اشكرك يا « هوارى » .. اترك «ام صالحة» وشأنها ..

وسارعت « ام صالحة » الى يد جدتى تقبلها ، وبارحت القاعة تلملم ثوبها ، وتجمع طرحتها على وجهها .

وفى الغد نادتنى جدتى ، فأجلستنى بجوارها تلف ذراعها حولى ، وقالت :

ـ لا تظن انى ساحرمك من هديتك .. ستنالها كاملة !

فقبلت وجنتيها ..

ومنذ تلك الحادثة ، لازمتنى الحصالة وسيلة من وسائل الادخار ، دون ان يكون لجدتى سلطان على حريتى فى انفاق ما ادخره كما اريد .. ! ■■

محمود تيمور



مِنَ المسرح العَالَميّ

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يناير ١٩٧٣

(٤٠)

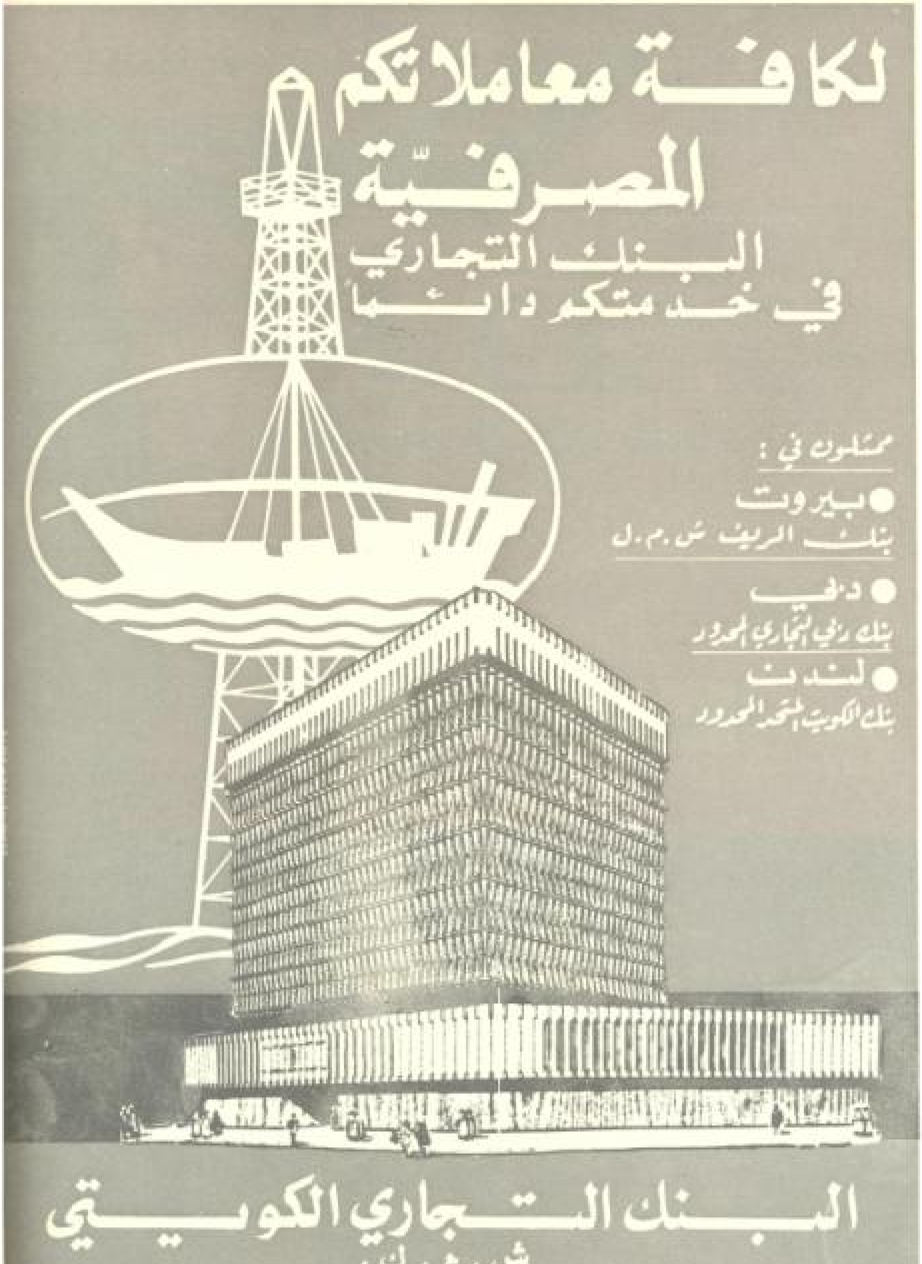
شيطان الغابة

الخال فانيا

تأليف : انطون تشيخوف

ترجمة وتقديم : محمد حسن التيتي

مراجعة : حسن عبد المقصود حسن


لكافة معاملاتكم
المصرفيّة
البنك التجاري
في خدمتكم دائماً
ممثلون في :
● بيروت
بنك الريف ش.م.ل
● دبي
بنك دبي التجاري المحدود
● لندن
بنك الكويت المتحد المحدود
البنك التجاري الكويتي
ش . م . ك .
كويت - ص.ب: ٢٨٦١ / برقيا : بانكتجارت - كويت / تلكس : ٢٠٠٤-٢١٦٧ / تلفون : ٤٢٤١٤١/٢٠ خط

شبابك لايعني فقط عمرك
انه حيويتك
ونشاطك ايضاً





سوبر ويت أون بطعم الفريز والموز هو مستحضر غذائي جديد غني بالكالوريهات.

سوبر ويت أون يحتوي على عدة فيتامينات، د، ب ١٢، ب ١ و ب ٦ يعطيك ما يلزمك من قوة وحيوية ونشاط لتتمتع بما أعطتك إياه الحياة.

سوبر ويت اون مستحضر مقو للجسم في بضعة أيام يجعل منك رجل آخر.

النساء يكتسبن شكلاً جذاباً بازدياد وزنهن في الأماكن اللازمة.

سوبر ويت اون يباع في كافة الصيدليات

سوبر ويت - اون

انتاج د.د.د

بشرائك الكاسيت والمسجل من باسف
تضمن لنفسك السعادة التامة والفوائد الكثيرة في الحياة العملية وفي أوقات الفراغ



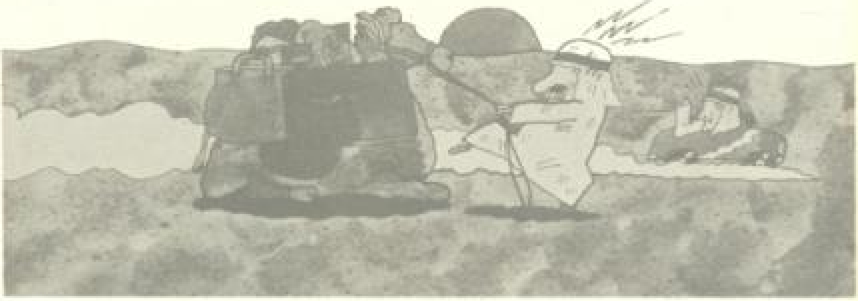
اطلبوا الكاسيت المسجلة بأغاني أم كلثوم وبالقرآن الكريم
مجموعة متنوعة ومختارة مسجلة من الشريط الأصلي
على شرائط الكاسيت BASF CrO₂ SM وعلى أحدث الآلات الفنية والتكنيكية للتسجيل
ولا تنس أن باسف هي الشركة العالمية الوحيدة التي تحوز على امتيازات حق التسجيل

BASF

الشركة العالمية الأولى في إنتاج شرائط التسجيل

VNAE 2015 a

وداعاً أيها الصديق..



كان للجمل فوائد جمّى، إلا أن معظم الناس يعلم أن السيارة أصبحت اليوم أكثر إعتماداً، وبالتأكيد، أكثر سرعة.
أما وإن أصبحت السيارة أكثر إعتماداً من الجمل، فإنّ من السيارات أكثر اعتماداً من داتسون !! .
بعض السائقين يظن أننا ننتج السيارات السباقة. صحيح أن داتسون قد فازت بعدة سباقات عالية، إلا أنك إن ركبت سيارة داتسون 260C الجديدة، فإن قوتها وفخامتها وراحتها ستشعرك بالعظمة.
إن إنتاج السيارات الأفضل والأكثر أماناً هو ما تصبو إليه شركة نيسان دوماً، لأنها تعطي سلامة الإنسان الأفضلية الأولى. أمان، قوة، جاذبية، عظمة..
.. تحصل على كل هذا من داتسون.

حيث الدقة أصبحت حتمية

DATSUN

NISSAN MOTOR CO., LTD.



DATSUN 260C


خليط إرينمور ــ متعة صادقة نضمنها
خليط إرينمور . متعة صادقة من كل الوجوه . بعطره . . . يميزه عن كل ما عداه . بالنكهة الغنية ، الرائقة ، وإن تكن رطبية إلى حد الروعة . السر في ذلك ؟ ثمانية أجيال من الخبرة ، وصفوة منتقاة من أجود التبوغ تخلط وفقاً لوصفة مري الأصلية . خليط إرينمور . تمتعوا بملء غليون منها . ونضمن لكم أنكم لن تجدوا خليطاً أمتع ولا أكثر أصالة .
MURRAY'S
ERINMORE
MIXTURE
TRADE
MARK
IMPORTED
FINE
TOBACCOS
SINCE 1810

١٩٥٢

١٩٧٢

أموالك تتنمو مع نمو البنك الوطني

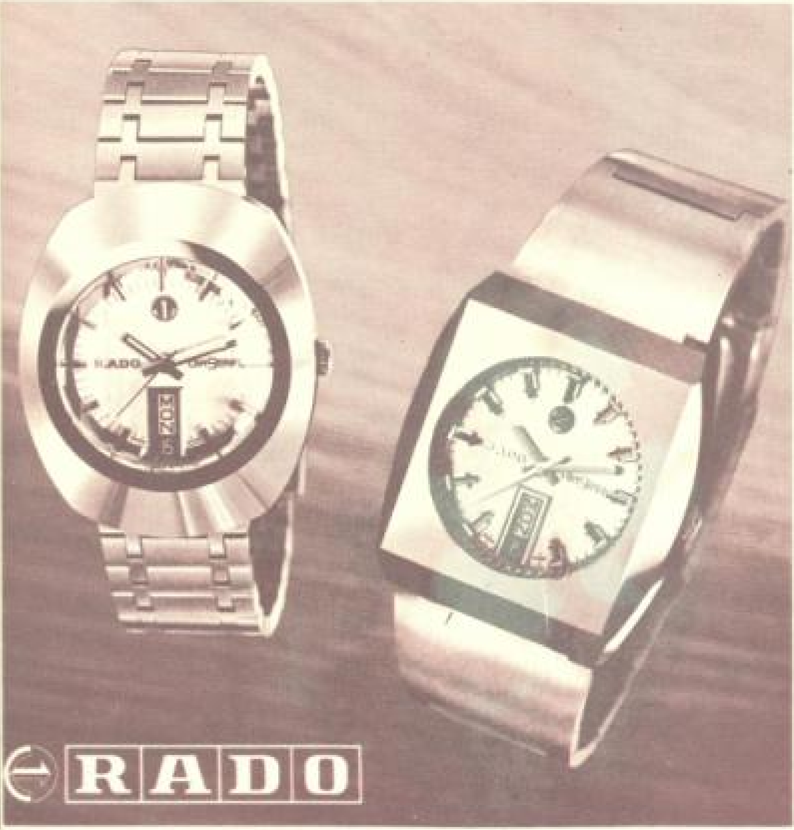
بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

رأس المال والاحتياطي : -/٢١,١١٦,٧١٨ د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧١ :
-/٣٤٦,١٢٦,٨٠٨ د.ك

المكتب الرئيسي : ص.ب. ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً)



رادو

الساعة الوحيدة في العالم الغير قابلة للخدش

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد

20 CLASS A
CIGARETTES

KENT

WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ .



كنغ سايز ، دي لوكس ..١٠٠ مليمتر و كراش بروف

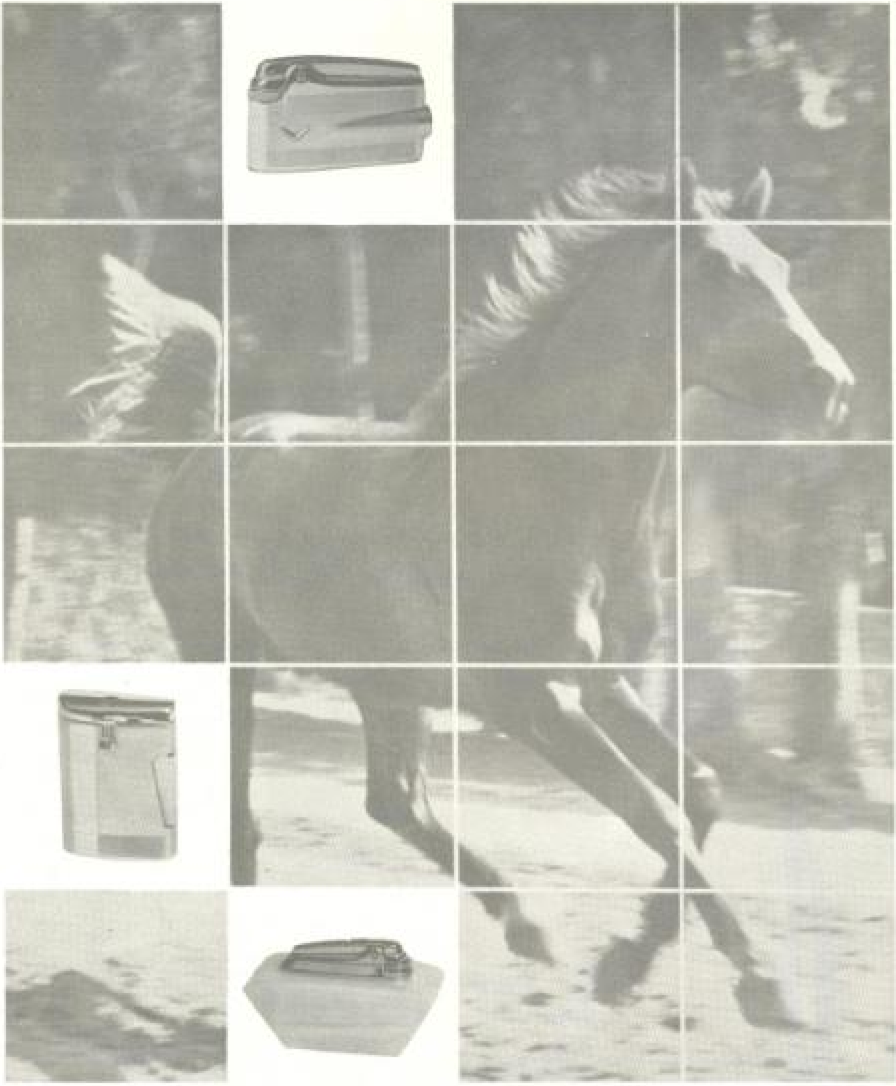
دنيا الصوت مجمعة في مسجل فيليبس

النقل من شريط لشريط في المسجلات دنيا من الترفيه قائمة بذاتها . وشركة فيليبس تنتج تشكيلة كاملة من هذه المسجلات تتراوح بين مسجلات أشرطة المعربين ذات السرعة الواحدة ومسجلات أشرطة الأربعة ممرات الفخمة ومسجلات الهاي فاي ذات العطول الإلكترونية القائمة في داخلها . على سبيل المثال ، مسجل ومضخم ستيريو الهاي فاي موديل ن ٤٤٥٠ . هذا الجهاز يحتوي على كل ما يطلبه هواة التسجيل المتخصصون . ثلاثة موتورات ، ثلاث سرعات ، ستة رؤوس ، ضوابط أوتوماتيكية للدوران الخلفي تتجاوب مع اخف ردة فعل منك ، وميزات تجديد كثيرة أخرى ساهمت في جعل هذا المسجل جهازاً فريداً في نوعه . إن تكنولوجيا عصر الفضاء تسربت إلى كل مسجلات فيليبس . كل جهاز منها يقبض على أصوات دنياك ويردها لمسامعك كما هي وعلى حقيقتها .



PHILIPS

هدية اصيلة



امينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات
الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكّر اصدقاءك دوماً بأنه
يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون
الشيقة والامينة لا تخذلك ابداً.



تقدم أكثر
من هدية
تقدم
رونسون
RONSON

فائدة

مرّتان فى السنة

مضمونة

طول السنة

عند فتح حساب توفير فى بنك لومبارد نورث سنترال

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

٪٦

الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

Lombard North Central

LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو فى ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨٠٠٠٠٠٠ جنيه استرلينى .



GXC-40 T

للاستمتاع بصوت GX
احصل على آكاي

لقد أصبح إسمنا معروفاً في مجال الابتكارات الالكترونية ومنها رأس GX الذي احدث ضجة في عالم المسجلات. ان هذه الرائعة الصغيرة مصنوعة من الزجاج ومن بلورة واحدة من الفريت لايعلق الغبار عليها وتقدم اداة رائعاً حياً خالياً من التشويش في كامل مدى الترددات.

تجد مثلاً هذا الرأس من للمسجل/ المنغم الكاسيت الستريو الجديد GXC-40T الذي تستطيعون بواسطته مباشرة ان تسجلوا برامجكم المفضلة عن الموجات المتوسطة و الـ FM. مدى الترددات يبلغ ۱۸,۰۰۰ هرتز (± دسي بل) مع الشريط الكرومي الخاص. ومن ميزات هذا الجهاز الرائع الاخرى محرك ذو دوار خارجي، دوائر متكاملة، ترانزيستورات احادية القطب، فلتر خزفي. مقبس خاص للتسجيل مباشرة من الغراموفون.

وهناك ايضاً المسجل GXC-40 الذي يتمتع بميزات وخصائص المسجل GXC-40T ما عدا بالنسبة لقسم التنغيم.

آكاي تقدم الكثير، سلوا بائعكم عن منتجاتنا الاخرى ولا بد ان يدهشكم تنوعها، دهشة مسرّة بدون شك.

اوديو وفيديو

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

فافر - لوبا

سي رايدر

نظرة الثقة للتجربة العالمية

اجمل ساعة نصنعها ، واكثرها رواجا .

سي رايدر صنعت لتكون ساعة رجل اليوم النشيط ، لتمازج خطوطها المحددة الجميلة ، مع الحركة السريعة للحياة العصرية ..

لتزوده بكل المعلومات اللازمة فافر لوبا (**سي رايدر**) : التوقيت الدقيق ، واليوم والتاريخ ، اوتوماتيكية ٣٦٫٠٠٠ نبضة في الساعة الواحدة . يمكن تعديل التاريخ ، وذلك بضغطة بسيطة على قمة التاج .

ويمكن ضبط التوقيت بالثانية ، بطريقة « تعديل الثانية » .

مقاومة للماء لغاية ١٥٠ قدما ، ضد الصدمات وغير مغناطيسية

تلك هي فافر - لوبا من أجلك



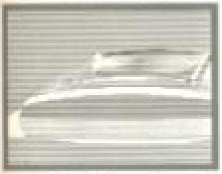
جهاز ضبط التاريخ السريع
نظام تعديل الثانية



٣٦٫٠٠٠ نبضة في الساعة
اوتوماتيكية ، اليوم والتاريخ
، مقاومة للماء (١٥٠ قدما)



خطوط قوية



فكرة جريئة مبتكرة



FAVRE-LEUBA

Genève

هذا الجهاز بمثابة ٢٠ راديو وساعة واحدة

اي راديو بموجة اف ام ، وراديو بموجة طويلة ، وراديو بتردد عالي (VHF) وراديو بموجة متوسطة ، وراديو بموجتين وراديو بـ ١٥ موجة قصيرة.
كل ذلك في راديو هيتاشي واحد كبير نطلق عليه اسم KH-5000
وهو مجهز بكل ما تحتاج اليه لتحقيق التقاط ممتاز لكل موجة على هذه الموجات : اي اف سي ، اف جي سي / ام جي سي ، اي ان ال ، بي اف او ، اي اس اس آي سي . ومزود ايضا بمفتاح الحساسية ومفتاح الانتقال وعداد للضبط ومراقبة قوة البطارية ومفتاح مزدوج لضبط الاصوات الجهيرة والصادحة (بايس وتريبل).
وزيادة على ذلك زود الجهاز بساعة تمثل اوقات الكرة الارضية في جميع انحاء العالم كما زود بهوائيات في داخل الجهاز ومقابس للهوائيات الخارجية . وهو يعمل على بطاريات او على بطارية سيارتك او على الطاقة الكهربائية في البيت حيثما كانت في جميع انحاء العالم.
واننا فخورون براديو هيتاشي موديل KH-5000 ذلك لانه ليس في وسع احد كائنا من يصنع عشرين جهاز راديو وساعة في راديو واحد فضلا عن ان هيتاشي ليست بالشركة العادية.
فهي ثاني اكبر شركة في اليابان وتتناول صناعتنا كل شيء ابتداء من الترانزستورات الى اسرع قطارات العالم . وانطلاقا من القاعدة الفريدة الى الوسائل الآلية الذكية "ريكت" و "يفكر" او "يشعر" بالاضافة الى جميع انواع الادوات المنزلية الالكترونية بما فيها جهاز راديو يضم ٢٠ راديو دفعة واحدة وساعة دقيقة.



HITACHI
هيتاشي

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن التوسّع الصّناعي في هونغ كونغ ؟

هل باستطاعته ان يوضح لكم كيف يتأثر التوسع الصناعي بسوق اليد العاملة ؟ أو أن يشرح لكم حاجة هونغ كونغ الى التحول من مركز تخزين تجاري الى مركز صناعي بصدد السلع الالكترونية والبلاستيكية والاجهزة البصرية ؟ أو أن يبين لكم كيف يتأثر الميزان التجاري والانماء الاقتصادي المحلي ووضع المدفوعات الخارجية بهذا التحول ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يوضح لكم كيف تحمل النزعة الاقليمية بلدان المنطقة الواحدة على التعاون فيما بينها ؟ أو كيف يمكن بواسطتها توسيع منطقة السوق الفعلية ؟ أو كيف يمكن للاسواق المالية ان تتكامل ؟ أو كيف يمكن لشركتكم أن تتأثر بهذه الامور ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المتوقعة . حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدّون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الاقصى ، او في اي مكان آخر ، فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولاً .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافوره ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن . ب . أ . غروب ليمتد .

نيوزيلنده - تشيس - ن . ب . أ . نيوزيلند غروب ليمتد

ان لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

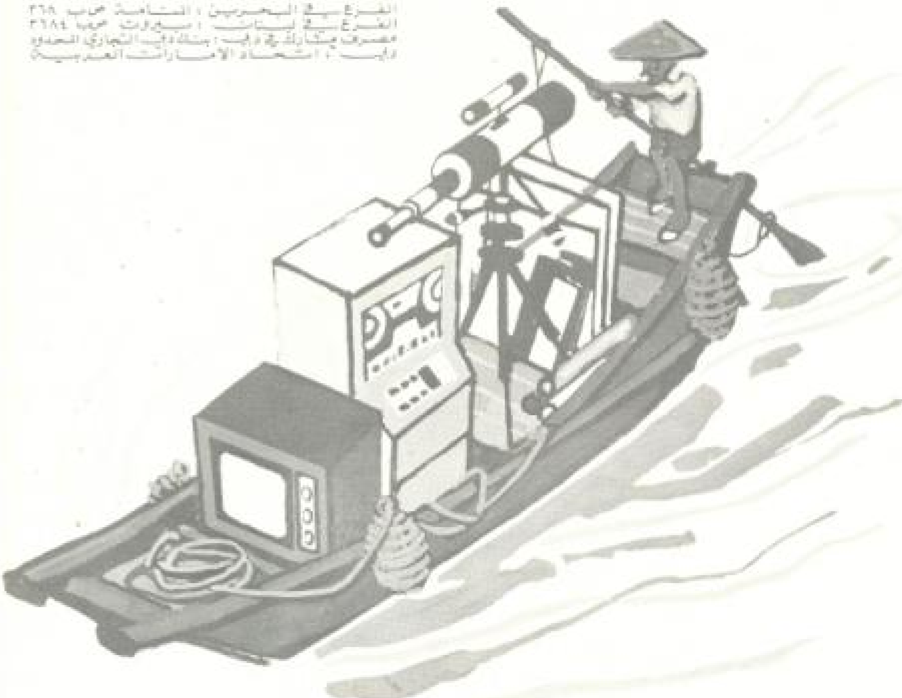
المركز الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015 U.S.A.

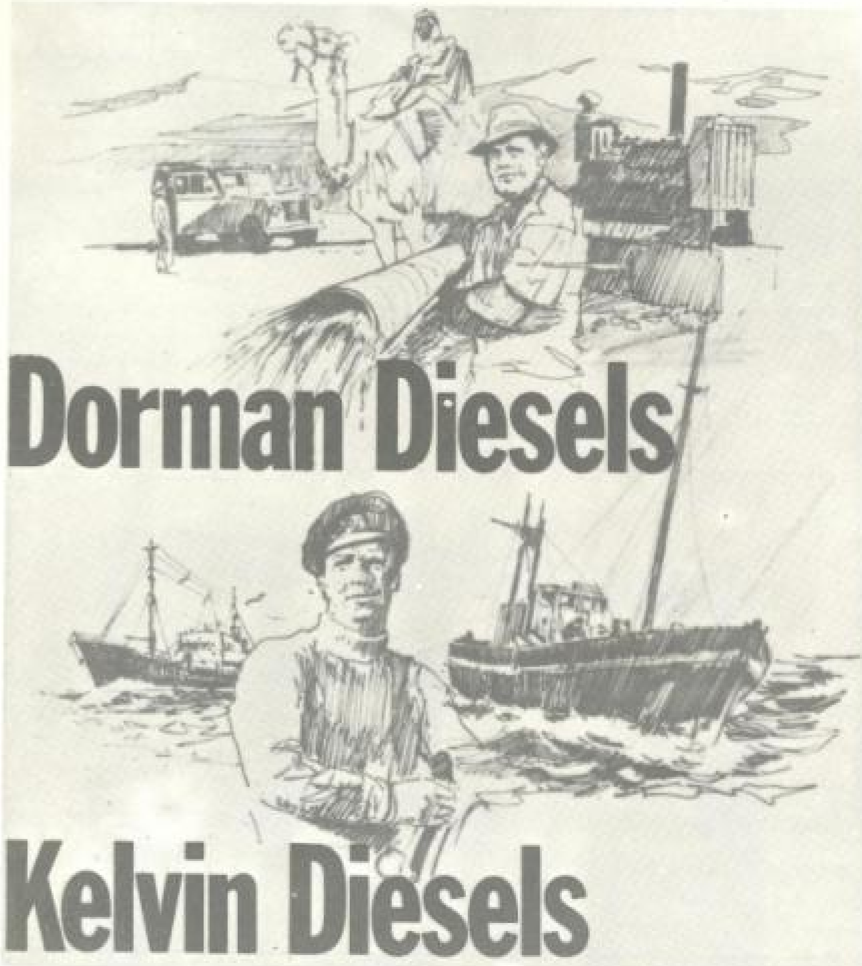
الفرع في البحرين : المنامة ص.ب ٣٦٨

الفرع في لبنان : بيروت ص.ب ٣٦٨٤

مصرف مشارك في دبي : بنك دبي التجاري المحدود

دبي ، اتحاد الامارات العربية





powerful arguments for long term reliability

On land or at sea—home or abroad—it's always the toughest assignments that call for Dorman and Kelvin diesels. In earthmoving plant, pumping sets and site generators, aboard tugs, fishing boats and barges. All these applications need exceptional guts, endurance and reliability. They get them from Dorman and Kelvin. With economy, advanced design, minimal maintenance and exceptional power to weight/size ratios.
Air and water-cooled models available covering the range 6-827 bhp.

Dorman Diesels Ltd
Dorman Works, Tixall Rd., Stafford, England

Kelvin Marine Division
254 Dobbies Loan, Glasgow C4, Scotland

© D.632-2

جهاز سوني CF-550A المدهش
مع نظام الماتريكس الصوتي الستريو الفريد

سوني تقدم لك ، في وحدة فريدة مضمومة الحجم يمكنك نقلها الى اي مكان بسهولة تامة ، المجموعة التالية من الخصائص الممتازة :

- منغم حساس FM ستريو/ FM-AM
- تسجيل لأنغام الستريو على الكاسيت
- مباشرة من المنغم .
- تسجيل ستريو حي مع مكبري اصوات ضمنيين

اصوات ستريو غنية ونشطة من المنغم أو الكاسيت . هل سمعت بشيء كهذا قبل الآن؟ الاستماع يعني التصديق ، ومكان الاستماع الى كل شيء عن ذلك هو لدى موزعي **سوني** المعتمدين . فاطلب من احدهم هذه الخدمة . وستكون مندهشاً من النتيجة!

هذا هو سر نظام سوني للماتريكس الصوتي الستريو

جهاز CF-550A يضم ٤ حاكيات في قطعة واحدة . هذه الحاكيات موجهة الى جهات مختلفة ومدارة بإشارات ماتريكسية مختلفة . ويكون الاتجاه والتأخير متوازنين وذلك كي تندمج الأصوات المختلفة مع بعضها أمام الجهاز فتعطي انغاماً غنية وطبيعية . وبالحقيقة فإن الفاصل الستريو عريض وعميق لدرجة انه ، اذا اغمضت عينيك ، تعتقد بأنك تستمع الى حاكيين ستريو منفصلين.



CF-550A

SONY® سوني

العربي

فهرس سنة ١٩٧٢

من العدد ١٥٨ إلى العدد ١٦٩

حديث الشهر

بقلم رئيس التحرير الدكتور أحمد زكى

الموضوع	السنة والشهر	العدد	الصفحة
وابقلته مفكرا/اهل السياسة اهل السيطرة على مستقبل الامم/الحضارة تعليم وتثقيف/اتساع الحضارة هو الذى جعل التعليم تبعة الدولة/انت في ابيك وغير جدك .	٧٢/٦	١٦٣	٨
بين الحرية والكسب : الذين يدعون الى القناعة/زيارة للدير/قناعة وقناعة/الفرد والمجتمع : فكرة حديثة / لا ادعو الى سرقة .	٧٢/٧	١٦٤	٨
الزعامةوالزعماء: في كل خلائق للزعامة/زعامة ضلت الطريق/الزعامة منتشرة في الناس وحيث لاتظن ان هنالك زعامة/الزعامة تكون فرضا/والزعامة تكون طوعا/صفة الزعيم/حينما يتحول زعيم الطوع الى زعيم الفرض/زعامات بلغت في شعوبها مكانا قدسيا / قدسية الزعماء تسبقها نفسية في الشعوب مؤاتية/من الزعامات ما حلت بها ومعها الكوارث والنكبات/الزعامات معتدلة وكاسحة .	٧٢/٨	١٦٥	٨
حزبان ولكن .. لاحزبية : ديمقراطية ظاهرة/باطن النظام/رؤساء الولايات المتحدة لا يدينون بمبادىء خاصة / مجلس الشيوخ والنواب ليس فيهما حزبية ولكن فيهما المصالح مكتلة / مبدا التراضي بالاكثرية المصلحية/كيف يعمل هذا المبدا/اللجان البرلمانية/ويل للكتلة التي تركب راسها/يقتلون القوانين بالكلام المتطاول/مبدا المصالح يطبق ايضا في حكومة الولايات/وكذا مبدا التراضي / عـداء الولايات للحزبيـة والعقائديـة / منافع ومضار تتصل بحاجات الدنيا/مصالح الخارج والداخل .	٧٢/٩	١٦٦	٨
بين التخصص والتعمم في الدراسات الجامعية : درس في الادب الانجليزى في كلية للهندسة/التعمم حركة جديدة وماهي بجديدة/الحركة موضوع نزاع في اوربا قديم/في عصر النهضة/ثورة على العرب والاغريق/في عصر التنور/ثم الحركة الرومانسية / حيرة وحرب في القرن العشرين/ حافزان يمدهما رايان/رجحان العلوم الطبيعية على الانسانية/العلوم الطبيعية والحروب والكوارث/في بريطانيا/توسع في الخلط بين فروع المعرفة/مبعولون يبشرون بمعهد جديد/حرية الطالب فيما يختار/الولايات المتحدة الامريكية .	٧٢/١٠	١٦٧	٨
الاخلاق والقيم والعادات في حياة الناس : مجتمعات مستقرة/مجتمعات فقدت الاستقرار/افترق الشرق من الغرب/مصادر السلوك والاخلاق في امم الارض/الفكر ، احد هذه المصادر/الطبيعة مصدر آخر/الجبلة الانسانية مصدر ثالث/الاديان ومصادر السلوك/العلم الحديث ليس مصدرا .	٧٢/١١	١٦٨	٨
حضارتان عريقتان يعيش العربي في ظلالهما : بين الكتّاب والمدرسة / كل ما في دور العلم اليوم في ضروب المعرفة غربي / كان في العرب جغرافيون ولكنهم توقفوا/العلم الحديث تضاءل الى جانبه كل ما سبق من علم ، وكذا الصناعة / مرافق العيش اليوم كلها ذات كيان غربي / المطبخ والحمّام والصالون والبناء / وكذلك السيارات والقاطرات والطائرات / والبترول والكهرباء وسائر مصادر القوى / والنظم السياسية والديمقراطية كذلك حضارية غربية / شيئان تردّى فيهما من تردّى : استباحة الجنس وانكار وجود الله / وللعرب من ذلك مندوحة واي مندوحة .	٧٢/١٢	١٦٩	٨

شعر وشعراء

أدب ولغة

علوم

صفحة فى اللغة

تاريخ

تاريخ أشخاص عرب

تاريخ أشخاص غير عرب

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
كنفوشيوس .	علي ادهم	٧٢/٦	١٦٣	١٣٨
بتشكين .	د . حياة شرارة	٧٢/٧	١٦٤	٨٨
هوشي منه .	منير نصيف	٧٢/٧	١٦٤	٨١
نابليون .	علي ادهم	٧٢/٨	١٦٥	١٦٦
ابن الفوطي .	حسن الامين	٧٢/٩	١٦٦	٤٠
في بيت شكسبير .	د . صفاء خلوصي	٧٢/١٠	١٦٧	١٤٨
ساروجيني نايدو ، شاعرة الهند الزعيمة	فائزة عبد المجيد	٧٢/١٢	١٦٩	١٧٤

دين ورجال دين

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
عمر والمصلحة في التشريع الاسلامي .	الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	٧٢/١	١٥٨	١٩
الاجتهاد في الدين .	»	٧٢/٢	١٥٩	٢٧
الاجتهاد في عصر الرسول.	»	٧٢/٣	١٦٠	٢٠
الاسلام والضمان الاجتماعي .	د . محمد شوقي الفنجرى	٧٢/٣	١٦٠	٤٤
رحلتي مع القرآن .	سليمان فياض	٧٢/٣	١٦٠	٩٤
البينة والاً حدّ في ظهرك .	الشيخ احمد حسن الباقوري	٧٢/٤	١٦١	٢٤
عمر والمصلحة في التشريع الاسلامي .	الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	٧٢/٤	١٦١	٥٠
التصوف الاسلامي .	سعيد زايد	٧٢/٤	١٦١	١٠٤
مجالس الشيخ محمد عبده .	انور الجندى	٧٢/٤	١٦١	١٥٤
النبي قدوة للمؤمنين .	الشيخ احمد حسن الباقورى	٧٢/٥	١٦٢	١٩
اجتهاد الرسول الكريم في الامور التشريعية .	الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	٧٢/٥	١٦٢	٤٦
الجويني، امام الحرمين .	د . فوقية حسين محمود	٧٢/٥	١٦٢	١٦٤
اجتهاد الصحابة .	الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	٧٢/٦	١٦٣	٥٢
الاقتصاد الاسلامي .	د . محمد شوقي الفنجرى	٧٢/٧	١٦٤	٦٤
الاسلام كرم المراة فليلزم سبيله المؤمنون .	الشيخ احمد حسن الباقوري	٧٢/٨	١٦٥	٢٠
سحنون لم يخش في الله لومة لائم .	عبد الستار فراج	٧٢/٨	١٦٥	٦٤
الحكم بقطع يد السارق في الشريعة الاسلامية .	د ح . احمد عبيد الكبيسي	٧٢/٩	١٦٦	٢٠
صلح الحديبية	حسن فتح الباب	٧٢/٩	١٦٦	٦٥

تربية وعلم نفس

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	السنة والشهر	العدد	الصفحة
تمويل التنمية الاقتصادية .	د. عبد المنعم الطناملى	٧٢/١	١٥٨	٩٩
الاحصاء .	محمد عدنان وديع	٧٢/٢	١٥٩	١٧٠
تخفيض قيمة الدولار بالنسبة الى الذهب .	د . عبد المنعم الطناملي	٧٢/٣	١٦٠	٧٤
الصناعات اليابانية.	المهندس وجيه السمان	٧٢/٣	١٦٠	١٠٦
سيناء يسكنها ..٤ الف عربي	محمد طنطاوى	٧٢/٣	١٦٠	١٦٠
دور الاعلام في التنمية الزراعية	مصطفى محمود فرحات	٧٢/٥	١٦٢	٣٥
تخطيط القوى البشرية في مجالات التنمية .	د. محمد صوان	٧٢/٥	١٦٢	١٧٦
السوق العربية المشتركة .	د. حسن عبدالله ابوركبه	٧٢/٦	١٦٣	٢٥
الاقتصاد الاسلامي	د. محمد شوقى الفنجرى	٧٢/٧	١٦٤	٦٤
هوشي منه .	منى نصيف	٧٢/٧	١٦٤	٨٨
حاجتنا الملحة الى اعذاب المياه	د. عبد الحليم منتصر	٧٢/٩	١٦٦	١٤٢
الاثار الاقتصادية للظواهر الجوية	د. محمد على الفرا	٧٢/١٠	١٦٧	١٥٤
الاسلام ومشكلة الفقر	د. محمد شوقى الفنجرى	٧٢/١٢	١٦٩	٣٤

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	السنة والشهر	العدد	الصفحة
وسائل الاعلام العربية هل نجحت في توعية الجماهير.	د . السيد ابو النجا	٧٢/١	١٥٨	٤٦
الطلاق في العالم العربى .	محمد عدنان وديع	٧٢/١	١٥٨	١٥٠
المرأة العربية بين البيت والمجتمع	الغزالي حرب	٧٢/٢	١٥٩	١٢٦
بين المدرسة والمجتمع .	عدنان لطفي عثمان	٧٢/٣	١٦٠	٣٢
الاسلام والضمان الاجتماعي .	د . محمد شوقي الفنجرى	٧٢/٣	١٦٠	٤٤
العالم العربيتنقصه الادارة قبلان تنقصه التكنية.	د . السيد ابو النجا	٧٢/٤	١٦١	٢٠
البيئة ، والا حد لي ظهرك .	الشيخاحمد حسنالباقوري	٧٢/٤	١٦١	٢٤
حوادث الطرق وباء القرن العشرين .	د. ملاك جرجس	٧٢/٤	١٦١	٨٥
سوء التواصل بين العاملين في منشاتنا هو المسؤول عن فشل معظمها	د . السيد ابو النجا	٧٢/٥	١٦٢	٢٢
عام ١٩٧١،العام العربيلمحو الاميةفي العالمالعربي.	اسحق يعقوب القطب	٧٢/٥	١٦٢	٦٨

فلسفة

استطلاعات الكويت المصورة

الموضـــوع		الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الكويت الحديثة : لمحات في صور وكلمات	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/١	١٥٨	١٣٦
بنوك الكويت .	استطلاع : محمد طنطاوى تصوير : فهد الكوح	٧٢/٢	١٥٩	٥٢
عشر مكتبات خاصة .	استطلاع : سليم زبال	٧٢/٣	١٦٠	٨٤
المبنى المركزى للمواصلات السلكية واللاسلكية	استطلاع منير نصيف تصوير : اوسكار مترى	٧٢/٤	١٦١	٥١
معهد المعلمات .	استطلاع : منير نصيف تصوير : عبدالناصر شقره	٧٢/٥	١٦٢	٥٢
مصنع الاطراف الصناعية	استطلاع : محمد طنطاوى تصوير : فهد الكوح	٧٢/٦	١٦٣	٥٦
انسان العصر الحجرى عاش في الكويت .	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/٧	١٦٤	٥٦
مصنع البطاريات للسيارات .	استطلاع : محمد طنطاوى المصور : فهد الكوح	٧٢/٨	١٦٥	٥٦
المتحف العلمي .	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/٩	١٦٦	٥٦
المسرح الكويتي .	منير نصيف	٧٢/١٠	١٦٧	٥٦
التعليم الدينى في الكويت	استطلاع : محمد خليفة التونسي تصوير : حسن الصفار	٧٢/١١	١٦٨	٦٠
تعليم الاجانب في الكويت	استطلاع : محمد خليفة التونسي تصوير : صلاح آدم	٧٢/١٢	١٦٩	٥٦

الاستطلاعات العربية المصورة

الموضـــوع		الشهر/السنة	العدد	الصفحة
مسيرة رسول الله بين مكة والمدينة	استطلاع : محمد طنطاوى المصور : عبد الناصرشقره	٧٢/١	١٥٨	٥٠

الموضوع		تاريخه	العدد	الصفحة
بلاد المهرة .	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/٢	١٥٩	٩٢
قبة الصخرة والمسجد الاقصى في ظلال الاسرائيليين .	يوسف زعبلاوى	٧٢/٣	١٦٠	٥٢
مولد دولة الامارات .	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/٣	١٦٠	١٢٤
طرابلس ، عاصمة ليبيا.	استطلاع : محمد طنطاوى تصوير : عبد الناصرشقره	٧٢/٤	١٦١	١١٦
دلتا ابين في جمهورية اليمن الديمقراطية	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/٥	١٦٢	١٠٨
بيروت .	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/٦	١٦٣	١٠٠
سوسه .	استطلاع : محمد طنطاوى تصوير : عبدالناصر شقره	٧٢/٧	١٦٤	١٠٠
سد الفرات .	استطلاع : منير نصيف تصوير اوسكار مترى	٧٢/٨	١٦٥	١٠٨
القاهرة .	استطلاع : منير نصيف تصوير : عبدالناصر شقره	٧٢/٩	١٦٦	١٠٠
المدينة المنورة.	استطلاع : محمد طنطاوى تصوير : عبدالناصر شقره	٧٢/١٠	١٦٧	١٠٠
زبيد (اليمن)	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/١١	١٦٨	١٠٠
بشرى ، مسقط راس جبران خليل جبران	استطلاع : سليم زبال تصوير : اوسكار مترى	٧٢/١٢	١٦٩	٩٩

امراض شائعة

الموضوع	الكاتب	تاريخه	العدد	الصفحة
الشيخوخة لها امراض بها خاصة .	د. محمد محمد ابو الشوك	٧٢/١	١٥٨	١١١
التدخين وامراض الفم .	د. سعيد عجام	٧٢/٢	١٥٩	٦٢
الضعف العقلي والاجرام .	د. محمد عبيد ششمان	٧٢/٣	١٦٠	١٦٢
ارتفاع ضغطالدم	د. محمد محمد ابو الشوك	٧٢/٤	١٦١	١٤٤
الالام البطنية: المغص المعوى	د. سالم نجم	٧٢/٥	١٦٢	٨٠
الجلطة الدموية .	د. احمد حافظ يوسف	٧٢/٦	١٦٣	٧٤

طبيب الأسرة

بقلم نخبة من الأطباء

أنباء الطب والعلم والاختراع

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه

بقلم الدكتور أحمد زكي

الموضوع	شهر/سنة	العدد	الصفحة
من هنا نبدا المسيرة مع الوحدة : البحث عن وحدة الخلق بين مليون نوع من الحيوانات او تزيد/مرتبتان عليا وسفلى/الاميبة من ذوات الخلية الواحدة/الخلايا ذوات الاهداب/الخلايا ذوات السياط/ مثل الكوخ القصر /حيوانات شعبة الاوليات ، اى ذوات الخلية الواحدة ، وصلتها بامراض الانسان / مرض النوم .	٧٢/١	١٥٨	١١٨
شعبة الاسفنج : من الحيوانات الاولية الى الاسفنجيات/ظنوا الاسفنج نباتا/الاسفنج مستعمرة من خلايا عدة/النسيج والعضو والكائن الحي والفرق بينها/الاسفنج ومكانه من ترابط الخلايا/الوحدة الاسفنجية لها شكل زهرية الورد/دورة الماء في المستعمرة الاسفنجية/هيمنة الكائن الحي مجتمعا على خلاياه افرادا/ انواع الخلايا /هيكل الاسفنج /التناسل في الاسفنج /لااعصاب في الاسفنج/الاستقلال في الاسفنج والتعاون بين خلاياه .	٧٢/٢	١٥٩	٣٢
الحيوانات اللاسعة / قنديل البحر / شقائق البحر/الحيوانات المرجانية/الحيوانات الهدريات/حيوانات مختلفة المظهر ولكنها واحدة من حيث خطة بناء اجسامها/خطوات سبقت بها الحيوانات اللاسعة الحيوانات الاسفنجية في السلم الحواني .	٧٢/٣	١٦٠	٣٦
الديدان المفلطحة : الشعبة البدائية الاولى التى منها الاميبة / الدودة الشريطية/طوائف ثلاث تتضمنها الديدان المفلطحة/الديدان المفلطحةالمستقلة/التماثل ذو الجانبين/ظهور مقدم ومؤخر للجسم/بشرة الجلد الظاهرة وبشرة الزكيبة الهاضمة في هذه الديدان / التناسل في الديدان المفلطحة .	٧٢/٤	١٦١	٢٦
الديدان المدورة : التطفل والديدان المدورة / الديدان المحلقة .	٧٢/٥	١٦٢	٤٠
شعبة الحيوانات الرخوة : الرخويات اكثر من ١٠٠،٠٠٠ نوع / القواقع / الحيوانات الرخوة ذات الصدفتين ومثلها المحار/والبطلينوس مثل المحار / الحيوانات الرخوة الراسية القدم/السبيدج او الحبار/الاخطبوط /الصفات العامة للرخويات .	٧٢/٦	١٦٣	٤٢
الحيوانات ذوات الارجل ذوات المفاصل : لماذا سموها مفصلية/صفات اخرى توحد بينها/توحيد يشمل مئات الالوف من الانواع/ثلاث طوائف في المفصليات هامة.والحيوانات القشرية:الراس والصدر مما يوحّد بين القشريات/الهيكل الخارجي/قرون القشريات/عدد الارجل في القشريات/عيون القشريات/الاعضاء الداخلية / الانسال في القشريات / اين تعيش القشريات .	٧٢/٧	١٦٤	٢٦
الحشرات اكثر مخلوقات الارض انواعا : ارجل الحشرات/اجنحةالحشرات/قرون الحشرات / عيون الحشرات / بطن الحشرة /طعام الحشرات /للحشرات اعصاب/والحشرات تبيض/عمر الحشرات/حشرات تعيش في مجتمعات/للحشرات اعداء وعندها دفاع/التخفي عند الحشرات/الحشرات والانسان .	٧٢/٨	١٦٥	١٠٠

الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
العناكب :العناكب ليست حشرات/ لا قرون ولا اجنحة للعناكب/للعناكب خصر/انفاس العنكبوت/للعناكب فكان ونابان ساسان/العناكب تعيش على الحشرات/نسيج العناكب .	٧٢/٩	١٦٦	٣٦
العقارب : صفات العقارب/كيف تحصل العقارب على ارزاقها/العقارب عندما يلتقى ذكرها بانثاها/ العقارب تعمل في الليل وحده /العقارب انواع كثيرة/ صغار العقارب القراد .	٧٢/١٠	١٦٧	٧٦
وقفة بين شطرين من الحيوانات غير ذات فقار وذات فقار	٧٢/١٢	١٦٩	٤٢

في سبيل موسوعة علمية

بقلم الدكتور أحمد زكي

الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
امثنا الارض كم مضى من عمرها المديد .. اشياء نسال عن اعمارها/شيء واحد لا نسال عن عمره/طرائق العلم الاولى في الكشف عن عمر الارض/عمر الانسان اقصر من ان تتغير فيه للارض صور/ملوحة البحار في تقدير الاعمار / وكملوحة البحار رواسب الصخور/عمر الارض في عصر العلم الطبيعي الحاضر/ الذرات الكيماوية الثابتة/الادروجين ذرة خفيفة وذرة ثقيلة/والاكسجين له نظائر طبيعية ثلاثة/والكربون له نظائر/اليورنيوم ونظائره المشعة/عمر الصخر شيء وعمر الارض شيء آخر .	٧٢/١	١٥٨	٣٤
عمر الارض والحياة والانسان/حفرية او احفورة/حفريات النبات/حفريات الحيوان/الحيوانات اللافقرية/ الحشرات/ الطيور/عالم الحفريات/ تاريخ الصخور وتاريخ الحفريات والاحافير/اعمار اول حفريات النباتات والحيوانات/عمر الارض وعمر الانســـان .	٧٢/٤	١٦١	٢٦
الجبال : جعل اليونان منها مساكن لآلهتهم/وقدسها اليابان/باطن الارض ، من اى شيء يتالف/كيف تكونت الجبال/نظرية التفاحة/نظرية العناصر المشعة/ نظرية تحرك القارات/من اى الصخور تتالف الجبال/التعرية ونصيبها في بناء الجبال/اشكال الجبـال الاربعة/ الجبل المتطوى/الجبل المتصدع/الجبل البركاني / الجبل المقبب / الجبال عوائق .	٧٢/٥	١٦٢	٣٦
الماس : القصة من اولها/صور الفحم/الماس كربون نقي/تخليق الماس من الكربون/تجربة الاسكتلندى هاناى/تجربة مواسان/الماس لم يتخلق من الفحم الا في عام ١٩٥٥/اثر تخليق الماس في التجارة/كلمة لاهل اللغة .	٧٢/٦	١٦٣	٢٠
مجاهـر العلم ثلاثة : المجهر الضوئي/المجهر الالكتروني/المجهد الالكتروني			

أنت تسأل ... ونحن نجيب

الموضوع	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
او الرسول/ اسرع قطار في العالم / اربع دول عربية تزرع الارز .	٧٢/٨	١٦٥	١٣٢
تيار الخليج الدافيء/حقل برقان/جعفر الصادق/٣ موانيء في فلسطين المحتلة/ بترول الاسكا .	٧٢/٩	١٦٦	١٣٦
الغواصات من بعد حاملات الطائرات/الكونكورد/خط انابيب البترول في اسرائيل/١٣٢ كيلوجراما استهلاك الفرد العربي من الاسمنت / البهائية .	٧٢/١٠	١٦٧	١٣٢
الاسلام معناه العام ومعناه الخاص / المرأة الروسية وحظها من العمل / الديانات السماوية والكتابية / انفاق البحار .	٧٢/١١	١٦٨	١٤٤
الانتربول او البوليس الدولي / التغلغل الاسرائيلي في افريقيا / المياه الاقليمية مصدر ثروة سمكية / هجرة اليهود الروس الى اسرائيل	٧٢/١٢	١٦٩	١٣٦

عروبة

الموضوع	الكاتب	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
وسائل الاعلام العربية، هل نجحت في توعية الجماهير .	د. السيد ابو النجا	٧٢/١	١٥٨	٤٦
تمويل التنمية الاقتصادية .	د. عبدالمنعم الطناملى	٧٢/١	١٥٨	٩٩
رفقا بالذكاء المبدع .	د. حلمى اللحام	٧٢/١	١٥٨	١٨٠
مؤتمر الادباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر .	احمد السقاف	٧٢/٣	١٦٠	٧٠
العالم العربي تنقصه الادارة قبل ان تنقصه التكنية .	د. السيد ابو النجا	٧٢/٤	١٦١	٢٠
سعيد بن سلطان .	د. جمال زكريا قاسم	٧٢/٤	١٦١	٩٢
السوق العربية المشتركة .	د. حسن عبدالله ابوركبه	٧٢/٦	١٦٣	٢٥
يا معشر العرب .. اما ان نكون .. اولا نكون	احمد السقاف	٧٢/٦	١٦٣	٢٨
حق المؤلف	مصطفى عبد الرحمن	٧٢/١١	١٦٨	٩٣
العرب في بلد السواحل الافريقية	المهندس عصام عيسى غيدان	٧٢/١١	١٦٨	١٦٤
العرب وكشف امريكا	سمير عطا	٧٢/١٢	١٦٩	١٦٤

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
الاسرائيليون المؤسسون والابناء لاموس آلون .	عرض : د. محمود السمره	٧٢/١	١٥٨	١٩٦
الادب والقومية في سورية لسامي الكيالي	عرض: محمد شهير ارسلان	٧٢/٢	١٥٩	١٥٢
هجرة الكفاءات لمؤلفه ولتر آدمز .	عرض : د. محمود السمره	٧٢/٣	١٦٠	١٦٦
طلائع المسرح العربي تاليف محمود تيمور	عرض : د. محمود السمره	٧٢/٤	١٦١	١٦٢
كتاب باللغة الاسبانية عن تاريخ بلنسية الاسلامية .	محمد عبد الله عنان	٧٢/٥	١٦٢	٩٢
سمرست موم وفلسفة حياته في كتابه الخلاصة	على ادهم	٧٢/٥	١٦٢	١٥٤
الصهيونية الامريكية وسياسة امريكا الخارجية				

ركن الأسرة والمرأة

بقلم منير نصيف

قصص وجرائم

فنون

بقلم يوسف زعبلاوي



مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc Richmond, Va., USA

سَاعة بالأرقَام

ذات أعداد كبيرة تُحرّك بأطراف الأصابع ، مَع جَرس رنّان أو منبّه راديو ، تدار مرّة واحدة فقط كل ٢٤ ساعة . ويزداد إرتفاع الصّوت بصُورة متواصلة إذا لم تنهض فوراً .

راديو بموجتين

موجة AM وأخرى FM مع ساعة وقف " تهدهدك " للنوم مُدة ٣ ساعات ، ثمّ يتوقف الراديو اتوماتيكيا ، بعد أن تكون قد استغرقت في نوم هادئ .

مسَجّل كاسيت

لتخزين الموسيقى المسجلة التي تشتريها ، أو للتسجيل الشخصي بواسطة المكبّر المثبت في الداخل ، مع جهاز توقيت آلي للتسجيل ، أثناء غيابك أو أثناء النوم .

الموديل
M 5400 F



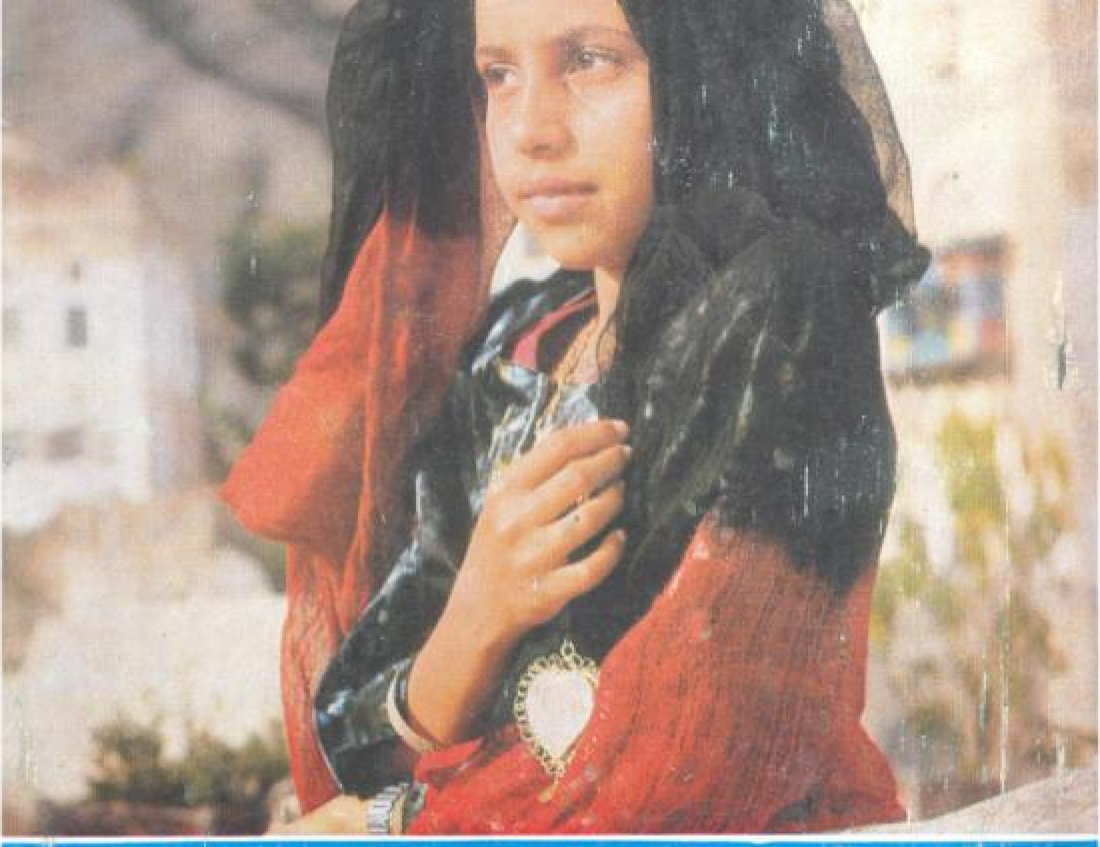
كلّ ذلك ضمن صندوق واحد جذاب

SANYO سانيو

Sanyo Electric Trading Co., Ltd

العدد ١٧١
ذو الحجة ١٣٩٢
فبراير
(شباط) ١٩٧٣

العربي



فتاة من حجة : البلدة اليمنية التي اتخذت من قمة الجبل مستقرا لها

الثمن

الكويت	[illegible]	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ [illegible]
الخليج العربي	٢ ريال	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ [illegible]
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	[illegible]
البحرين	[illegible]	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ [illegible]
اليمن	[illegible]	[illegible]	[illegible]	المغرب	٢ [illegible]

جوائز
١٣٠٠
دينار سنويا



مكتبة فى البيت عامرة
معناها
عقول عامرة ،
وقلوب عامرة انظر صفحة ١٣٧

عزيزى القارئ

● اختصم رجلٌ ورجل

وطال الخصام بينهما ولم يوفقا الى اتفاق

فقام احدهما ، وبيده مطرقة ثقيلة ، واخذ يدقُ رأس صاحبه بها حتى اسال دمه ، ثم هو لا يتوقف .

وقيل : له فى ذلك

قال : انه رأس صلب ذو منطق لا يلين . فهذا الطرق يلينه

قيل : وبعد اللين ؟

قال : يكون اتفاق ، بعد الدقة الالف .

قيل : أو يكون هذا اتفاقا ؟

قال : بل تصحيحَ رأى .

قيل : فاين الحرية ، واين حقوق الانسان ، واين المدنية ؟

قال : هذه مكانها حجرات الدراسة فى الجامعات وصالات المحاضرات

ان المطرقة التي تصيبُ وقعت على رأس فتنام ، واخشى ان يجيء الوقت الذى تقع فيه على غير رأس فتنام . انها فلسفة العصر الحضارى الحاضر .

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 171 February 1973 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● كيف يعيش الناس في العزلة التى فرضت عليهم فوق قمة جبل في بلاد اليمن ؟ هذا هو موضوع الاستطلاع الذى نقدمه لك في هذا العدد .. انهم اهالى مدينة حجة المنزوية بعيدا عن الاضواء والاسماع .. زرناها فوجدنا عالما غريبا قليل الصلة بعالمنا .. وفي الصورة احدى طالبات مدرسة الفتح للبنات بلباسها الوطنى البسيط .

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ١٠٠)

جتماع وفلسفة :

ـئـون :

ربية وعلم نفس :

ـعر .. وشعراء :

قتصاد وسياسة :

ـتـب :

ـصـة وقضـاء :

ـتـنـوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠م٠ع ١٠ قروش، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم، اليمن ٢٫٥ ريال، ليبيا ١٥٠ درهما، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بريد القراء

ضعف الطلاب في اللغة العربية

● حديث عدد اكتوبر سنة ١٩٧٢ « بين التعمم والتخصص » جميل جدا . وبمناسبته ارجو ان توجهوا النظر الى ضعف الطلاب في اللغة العربية في الجامعات والمتخرجين في الجامعات ، واني لارجو ان تكون هناك دروس لمادة اللغة العربية في الجامعة في جميع اقسامها ، فان لغتنا في طريقها الى الزوال ما لم نتداركها ، بعد ان طغت العامية بشكل مخيف .

لواء مصطفى محمد صادق
جمهورية مصر العربية

الشعر القديم

● نقرا في مجلتنا « العربي » قصائد لشعرائنا المعاصرين ، وفي تراثنا كثير من ذخائر الشعر العربي لا تبلى جدتها مهما يتطاول بها الزمن ، ولكنها مطوية في بطون المراجع البعيدة عن متناول اليد ، فليتكم تفسحون مكانا لبعض هذه الذخائر الشعرية، لنطلع عليها، لا سيما الشبان الاحدثون، لتزداد ايماننا بتراثنا الادبي ، وترتفع بلغتنا فيما نقرا ونكتب .

محمد فايد هيكل ـ الفيوم ـ مصر

العربي : سبق ان عملنا بهذا الاقتراح ، فنشرنا بعض القصائد الجياد من الشعر القديم ، وسنعود الى مثل هذا بعون الله .

الزهراوي ومكتشفاته

● في عدد اكتوبر الماضي ، طالعنا المقال الذي كتبه الاستاذ عبد اللطيف البدري عن ابي القاسم الزهراوي .

وكان جديرا بالباحث الفاضل ان يشير الى ان معظم مكتشفات الزهراوي ومخترعاته نسبت الى علماء غربيين . اما لانهم اكتشفوها ثانية بعده او لانهم انتحلوها . ولـذا فانني ارجو ان تنشروا الاسطر التالية تعقيبا على مقال الباحث الفاضل ، وتقديرا لمجهودات الجراح العربي العظيم .

اهتم الزهراوي قبل برسيفال بوت Percival Pott بمرض السل في فقرات الظهر . وهو يعرف اليوم بالداء البوتي نسبة الى ذلك العالم الانجليزي .

والزهراوي هو اول من اوصى بولادة الحوض . وهذه الولادة تحمل اليوم اسم الدكتور فالشر Walcher ، من شتوتجارت بالمانيا .

وقد اوصى ابو القاسم في جراحة النصف الاسفل من الجسم بان يرفع الحوض والارجل قبل العملية. وهذه الطريقة تنسب الى الجراح الالماني فريدريك ترندلنبورج Trendelenburg .

اما عملية ايقاف النزيف بربط الشرايين الكبيرة فقد نسبت الى الجراح الفرنسي امبرواز باري Ambroise Paré وتجدر الاشارة هنا الى ان عالما امريكيا اخترع سكينا للجراحة تعمل دون احداث نزيف دموي حيث تعمل بالكهرباء وتحدث ذبذبات تولد حرارة نتيجة الاحتكاك السريع، وهذه الحرارة تغلق الاوعية الدموية .

لطف الله قاري ـ جدة ـ السعودية ـ

بين التخصص والتعمم

● طالعنا في حديث الشهر للدكتور احمدزكي تحت عنوان « بين التخصص والتعمم في الدراسات الجامعية» وقد افادنا ،خاصة ما ذكرهاستاذنامن امر جامعات الولايات المتحدة وانجلترا. حيث يدرس طالب العلوم الطبيعية ـ بجانب موادتخصصه ـ بعضا من العلوم الانسانية .

ونحن نود ان نشير ـ بهذه المناسبة ـ الى انجامعة الازهر في كلياتها العملية الجديدة (كليات : العلوم .. والزراعة .. والطب .. والهندسة)تاخذ بنصيب وافر من هذا الاتجاه حيث يدرس الطالب ـ في هذه الكليات ـ الى جانب علومهالطبيعية المتخصصة بعضا من العلوم الانسانية كعلم الاجتماع .. وعلم النفس (خاصة طلبةقسم الارشاد الزراعي بكلية الزراعة) . فضلا عن العلوم الاسلامية : كعلوم الشريعة الاسلامية(الفقه) .. والتاريخ الاسلامي (السيرة) .. والفلسفة الاسلامية .. الخ فضلا عن القرآنالكريم .

وهذا طابع تميزت به جامعة الازهر في كلياتهاالعملية عن باقي الجامعات في ج.م.ع .

كلية الزراعة ـ جامعة الازهر سيد صبحي محمد

يطلب اصدار فهرس عام للعربي

● لست اشك انكم تلقيتم من غيري من القراء طلبات لاصدار فهرس عام لمجلة العربي ، لانها اصبحت موسوعة .

وانني اضم صوتي الى هذه الاصوات راجيااصدار هذا الفهرس،لصعوبة العودة الى الفهارس المستقلة والبحث فيها . وقد احصيت فهارسالعربي فوجدتها ١٥٤ يمكن حذف عشر صفحات منها للعناوين المكررة فتكون في حدود ١٤٠ ـ ١٤٥صفحة .

يحيى عبد الغني ـ سوريا

العربي : قد نفعل ان شاء الله .

تصويبات

● يؤسفنا ان يقع اي خطا في اي كلام تنشره المجلة لا سيما آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، وننبه الى خطا وقع في الصفحة (١٤٦) من العدد (١٦٨) خاصا باية قرآنية ، فقد كتبت كلمة «الصائبين» والصواب «الصابئين» ورقم الاية التي وردت فيها (٦٢) من سورة البقرة .

● في العدد ١٦٧ من مجلتنا العربي ، ص ٤١ ورد خطا مطبعي في آية قرآنية هذا نصه « وفي انفسكم افلا تفكرون » وصواب الاية « وفي انفسكم افلا تبصرون »

احمد محمد اليملاحي /اصيلة/المغرب

العربي : شكرا ، ورقم الاية (٢١) من سورة الذاريات .

● ارجو استدراك الخطا المطبعي الذي وقع في العدد ١٦٥ ص ٧٥ في موضوع « تليف الكبد وتشمعه » حيث ذكر ان المواد السامة التي تفلت الى الدورة الدموية تنتقل الى الجهاز الهضمي المركزي ـ والصواب انها تنتقل الى الجهاز العصبي المركزي فتؤثر على المخ وتتلف اغشيته .

العربي : هذا صحيح ، وشكرا .

عبد العزيز عبد العليم مكاوي
ج.م.ع ـ محافظة المنوفية

● في مقالة « وجود الله ووحدانيته » المنشورة في مجلتنا العربي العدد ١٦٤ وردت آية قرآنية في صفحة ٨٠ هكذا « قل لو كان معه الهة كما يقولون ، اذا لا بتغوا الى ذي العرش سبيلا » وهذه الاية من سورة « الاسراء » ، لا من سورة « الانبياء كما جاء في هامش الصفحة » كتب فيها « يقولون » والصواب « تقولون » ..

الشاكري احمد ـ فاس/ المغرب

العربي : نشكر لكم هذه المتابعة ، ونشارككم في ان الآية من سورة الاسراء، كما قلتم ورقمها ٤٢ ، ولكن عندما ترجعون الى المصحف الكريم تجدون ان كلمة « يقولون » كما نشرناها صحيحة فربما التبس عليكم الامر .

حديث الشهر

للجدل آداب لابد من إحيائها

بقلم رئيس التحرير

■ عاد الصبي الى بيته ، وفى نفسه شيء من درسه .

حكى لهم مدرسهم ، فى آخر ساعة من ساعات النهار ، قصة سيدنا يونس عليه السلام . قال ان الحوت ابتلعه ، وانه بقي فى جوف الحوت اياما .

وسأل الوالد ولده ، كيف صنع فى يومه ؟ فوجد الصبي الفرصة حاضرة ليبثّ والده بعض ما فى نفسه . ذكر له قصة يونس عليه السلام ، وسأل اباه كيف يبقى يونس فى جوف الحوت كل هذه الايام ولا يتنفس ، وقد تعلمنا فى دروس علوم الأحياء والأشياء انه ليس من حيّ الا ويتنفس . وسأل اباه : هل فى جوف الحوت هواء ؟

قال الوالد لولده : عليك بالاستاذ فهو اقدر على جواب سؤالك ،وهو به أجدر .

قلْ لى من ابوك ؟

وجاء الولد الاستاذ يسأله ما سأل فيه اباه ، وقص عليه قصة والده .

فما كان من الاستاذ الا ان قال للصبيّ غاضبا : قلْ لي من ابوك ؟

فتردد الصبي فى الجواب ، وخال انه

من نقاد العرب من لا يعرف الجدل الا اشتباكا واعتراكا ومشاحنة ، تنتهي بالقذف بالأعراض . وان أنت اختلفتَ معهم فى سياسة ،فأنت المنحرف المارق . وان أنت اختلفتَ معهم في أمر دينى،فأنت الزنديق الكافر ، وان أنت اختلفت معهم فى موضوع خُلقي،فأنت المتفسخ الفاجر . عندهم ان تجريح الشخص المجادل فى نفسه ، أو فى ذويه ، أيسر و أكثر قبولا عند الجماهير من تجريح موضوع الجدل . هذا ، والقرآن الكريم يقول : ((وجادلهم بالتى هى أحسن)) .

لا يمكن ان تكون هناك علاقة بين السؤال وبين مَنْ ابوه .

فقال الاستاذ : لو ان اباك انشاك نشاة طيبة ما جاز لك ان تسأل فى امر كهذا ، وما جاز ان يردك والدك الىّ لأعطيك الجواب فى امر بيّن كهذا يعرفه اهل الكتاب اجمعون .

ومضى الصبي وهو لا يدرى ما عَنى الاستاذ بأهل الكتاب .

وحكى لوالده ما جرى، فسأله الوالد: من اخبرك بأن كل حي لا بد ان يتنفس ؟ قال الصبي : انه الاستاذ فلان . قال عليك به ، فعنده جواب ما تسأل فيه .

عند استاذ علم الحياة

وذهب الصبي الى الاستاذ الذى يدرّس علم الحياة . وما سأله الصبي هذا السؤال حتى قال له : اعلم يا بني ان كل حي لا بد ان يتنفس . وليس فى جوف الحوت على ما اعلم هواء كان فى امكان يونس عليه السلام ان يتنفسه . فاعلم ان هذه القصة تحكي عن معجزة . والمعجزة هي التى تجرى برغم خروجها عن سُنن الكون. فلو انه كان ببطن الحوت هواء ، امكن لسيدنا يونس ان يتنفسه ، لما كان فى القصة اعجاز، وما رواها احد .

ورضي الصبي بهذا الشرح وارتاحت نفسه واطمأن روعه .

أدب النقاش

وهذه القصة ضربت مثلا للادب الذي يسمونه أدب النقاش .

وهي مثل للمتحدث كيف يخرج عن قوانين الجدل والنقاش .

النقاش : موضوع للجدل واشخاص يتجادلون

عند الاحدثين والاقدمين من اهل الكلام ، عندما تعرض مسألة بين اثنين، انها تتألف من ثلاثة عناصر : موضوع النقاش،ثم المؤيد للموضوع،والمعارض.

والمؤيد والمعارض عادة ناس ، فهم اشخاص .

واذن فالجدل يتألف من موضوع للجدل ، ومن أشخاص يتجادلون .

ومن قواعد الجدل ، وله الف قاعدة ، ان لا يخرج المتجادل عن موضوع الجدل الى شخص المجادل .

ويتحدث الناس عن فلان ، فيقولون انه موضوعي ، اى يلتزم الموضوع لا الاشخاص عند الجدل، وبذلك يمتدحونه. ويتحدثون عن فلان ، فيقولون انه شخصي في جدله ، اى انه يخرج عن الموضوع ، الى الشخص او الأشخاص الذين يجادلهم ، وذلك عادة بالتجريح ، وهو يرجو من وراء ذلك ان يجرح الموضوع عن طريق تجريح صاحبه او اصحابه .

فعند هؤلاء الأخيرين انهم يعجزون عن

من قواعد الجدل ان لا يخرج المتجادل عن موضوع الجدل الى شخص المجادل .
وهذا رجل يقول لصاحبه : « انت لا تعرف من انا ، ولا مكانك من مكاني »



اسداء الحجة الموضوعية ، ليجرّحوا الموضوع ، فيجدون ان الأسهل عندهم ، والاستر لهم ، تجريحُ صاحبِ الموضوع. ذلك لان الحجة الضعيفة اذا هم ادلوا بها فما اسرع ما يبين للناس ضعفها . اما تجريح الرجل الذى اتخذوا منه خصما ، فلن يطالبهم احد بدليل على ما يقولون به من لغو فى القول .

ان اخطاء المناقشة والجدل كثيرة ، ولكني لم ار اكثر من هذا الخطا شيوعا فى كتاباتنا ، وحتى فى الكثير من كلامنا ، وفى اكثر من فن من فنون الكتابة وفنون الكلام .

وفى العربي

ونحن فى « العربي » فى موضع نتلقى فيه من القراء خطابات كثيرة ، فى اغراض شتى . والكثير منها يتصل بالحمد لما يقراون، وبعضها يعارض ما يقرا، فياخذ ينقد. والكثير من هؤلاء المعارضين يبداون معارضتهم بتجريح اشخاص من يعارضون وكان تجريحُ الموضوع بالحجة اولى .

جدل فى الحجاب

واضرب مثلا لذلك،عالم فاضل وفقيه مشهور راى رايا فى الحجاب ، عمده بحديث من احاديث الرسول ، وذكر فيما ذكران الرسول الكريم رافق السيدة عائشة الى حفل عرس كان دُعي اليه . وفى قصة اخرى ان زوجة احد الصحابة قامت على تكريم الرسول ومن معه من ضيوف زوجها .

قصصٌ بالطبع تشق على من نشا بين الحُجُب الكثاف ، وعلى من آمن بقدم الحجاب ، وكان طبيعيا ان يفرج هؤلاء عن انفسهم بمناقشة الموضوع ونقده. نقد الموضوع لا نقد صاحبه. ولكن



حجاب

جدل ليس الخطر الاول فيه ان يفوز الحجاب او يفوز السفور . انما الخطر الاول ان نراعى فيه للجدل آداب

اتتنا بعض الكتب تتحدث اول ما تتحدث عن العالم الفاضل والفقيه الشهير صاحب هذا الراى فى امر الحجاب . عندهم انه، قبل ان نعرف الراى ، وقبل ان نتحدث عن الراى ، لا بد ان نتحدث عن صاحبه. لا بد ان نجرّحه ، وقد يغني هذا عن تجريح الموضوع ، وقد يغني اذا نحن لم نستطع ان ننال من الموضوع منالا .

ومنهم من ذهب الى ان العالم الفاضل يدعو الى اختلاط كاختلاط اهل الغرب، والى بهرج وفساد كالذى نراه فى الدنيا حيث أعطيت للنساء حريتهن . ونرجع الى مقال العالم الفاضل فلا نجد فيه شيئا من هذا. لقاء فى احتشام وحسن مودة اخرجوه الى لقاءات عبث وفجور .

مجانبة لقواعد النقاش اى مجانبة

مجانبة عن عمد وعن عادة

والمجانبون هؤلاء ، بعض يفعل ذلك عن عمد ، وبعض يفعل ذلك عن عادة . واكثرهم يفعل عن عادة. والسامعون لهم والقارئون يسمعون ويقراون ، ويرضون بما يسمعون او يقراون ، عن عادة . وهي عادة كوّنها فيهم الكتّاب والخطباء واهل الكلام .

المنطق في المدارس

ان المدارس قد تعلم المنطق ، وهي اذا علمته لظروف طارئة ، فهي لا تعلمه بحيث ينتفع به المتنفع في امور حياته .

ولد مجروح ، ورأسه يدمى منه الدم . وسالوه ما جرى ، فقال لا ادرى . وانما وجدت في الطريق معركة عامة فوجدتني اخوض غمارها . وسالوه في اى جانب غامرت . قال والله ما ادرى . كنت اضرب من يضربني . ان من الناس من يطلب الخصومة طبعا .



جناية الكاتب الناقد على الجمهور أكبر

والجناية التي يجنيها الكاتب في نقده ، بتجريح شخوص الناس دون مواضيعهم ، شرٌ منها ان تتلقى الجماهير ما يكتب هؤلاء الكتاب من نقد دون ان يتنبهوا الى ما فيه من خطل . انهم يتقبلون النقد زائفا ، ويتقبلون تجريح صاحب النقد تجريحا زائفا ظالما .

والغالب ان يكون الشخص المجروح ، ذو الراى المجرّح صاحبَ انفتاح على الحق ، وانفتاح على الدنيا ، وانفتاح على المستقبل ، بينا الناقد المجرّح صاحب انغلاق دون الحق ، وانغلاق دون الدنيا ، وانغلاق دون المستقبل .

وبامثال هؤلاء تضيع الأمم .

والعجيب من امر الجماهير ، كل الجماهير ، انها لا تتكوكب الا حيث الدم يسيل ، والا حيث الحرمات تستباح . وتقرا عن الجرائم وتلذ ما فيها من عنف ومن سفه .

ان الشعوب في عمومها لا تعرف المنطق . ولا يمنعنا ذلك من القول بأن الشعوب هي مصادر السلطات . ذلك لانه ليس غير الشعوب من احد نرد اليه سلطانا .

★★★

امور ثلاثة يتمزق فيها المنطق

انها امور ثلاثة يتمزق فيها المنطق هكذا تمزقا :

ـ المواضيع الدينية .

ـ والمواضيع السياسية .

ـ والمواضيع الأخلاقية .

امّا الدين

اما الدين ، فلا ينفع فيه المنطق ،

كل المنطق ، الا عند القمة من الأئمة . اولئك الذين يطلبون الحق من أصوله . وهم الى هذه الاصول قريبون . وهم فى هذا الأمر يؤمنون . وهم يحملون تبعة الامامة . ثم يجيء بعد الأئمة انصاف ، واثلاث ، وارباع ، واخماس ، وعلى مقدار ذلك ينقسم المنطق اثلاثا واخماسا وتنقسم التبعة. وتزخر الأنفس بالعواطف والانفعالات ، بمقدار ما تقل القدرة على الحكم ، وينزل عن مراقي السلطة العقل. ويصبح الدين عند الكثير من الناس ، بل الكثرة الكاثرة ، عاطفة ولا عقل . وتأخذهم انت بالمنطق ، فى احياء الدين والدنيا ، فيأخذون برجمك اولا بالحجر ، فان بقي من الوقت بقية فهي للحجة . واحيانا تخطيء الحجة واحيانا تصيب .

ولست اقول ، ان الذين يبداون برجمك بالاحجار ، على خطا دائما ، وانك على صواب دائما ، ولكني اقول ان العادة جرت على رمي صاحب الراى بالحجر اولا ، ثم رمي رايه . فان هم قتلوا الراى قبها . والا ، ففي قتل الرجل قتل للراى ، وفى هذا الفناء كل الفناء .

والزنديق لفظ شاع فى العرب منذ قرون ، وهو صفة للرجل ، قبل ان تكون صفة لموضوع . والمعرى عندهم كان زنديقا ، لانه من الشعراء رجل الراى والفكر . فلندمغه اولا بالزندقة ، ثم ننظر بعد ذلك فيما يقول .

وكما فى الدين ففي السياسة

وكما فى الدين فكذلك فى السياسة .

ان السياسة كالاديان تملأ القلوب بشيء كثير من مشحون العاطفة . والعاطفة التي تشحن خير ، شريطة ان تشحن بمثل شحنتها الخيرة العقل .

ومن اجل هذا تقصر فى السياسة عادة مدة الجدل ، لانها لا تلبث ان تنتقل الى اشخاص المتجادلين لا الى مواضيع جدلهم .

مثل ذلك الحرب القائمة النائمة بين العرب واسرائيل . ما لبث ان استعر الجدل فى امرها حتى رأينا الناس يصنفون فيها صنفين ، صنف يطلب السلام عن طريق الدبلوماسية ان امكن ذلك والا فالحرب، وصنف يطلب الحرب عن طريق الدبابة والطائرة والمدفع والصاروخ .

ويشتد الجدل فلا يلبث ان يخرج النزاع من الموضوع الى اصحاب المواضيع. من مواضيع الجدل الى المتجادلين، وتبرز فى الجدل صفات جديدة ، تتصل بالأشخاص، فهؤلاء حمائم ، وهؤلاء نسور او صقور .

ولا يخفى على احد ما تحمل هذه الالفاظ من معان غير ما تضفيه عليها المعاجم ، فالحمائم وداعة ، ومع الوداعة جبن ، والنسور شراسة ، ومع الشراسة شجاعة .

والموضوع القائم : حرب بالسلاح ، او حرب بالدبلوماسية ، ايهما الحق وايهما الباطل .

انه موضوع يعالج بالحجج . وقد حاولت انا واصحاب لي ان نعالجه، فوجدنا ان كل المعطيات التي يتطلبها الجدل والحكم غائبة عنا . كم عند هؤلاء ، وكم عند اولئك ، من رجال ، ومن عتاد، وكم عند هؤلاء واولئك من امور قد تكون الصق بالنصر او بالهزيمة من رجال ومن عتاد ؟ فما استطعنا حكما .

ومع هذا نقرأ فى الصحف اقلاما تقصف بالراى قصف الرعد ، وتقطع فيه قطع السيف ، تقول بالحرب . ونقول معهم بالحرب عاطفة . ولكن نسالهم الحجة ليطمئن العقل . فما اسرع ما نجدهم يرمون طالب الحجة بضعف الراى

في حين ان احداً لم يبد رأياً يتضعف او يتقوى .

وكذلك تقرأ في الصحف اقلاماً تقول بالسلم . ونسأل عن حجة فلا نجد حجة . ويشتد الجدل ، خصومة بين رجال ورجال ، لا بين رأي ورأي ، فاذا هؤلاء يرمون اولئك ، حجراً بحجر ، بانهم مغامرون يريدون كسب الجماهير التي تجهل ، وهي في جهلها انما تجري طبعاً وراء الصارخ بالحرب والاقدام ، لا وراء الداعي الى السلم و «الاستسلام» .

مجادلات عقيمة ، لانها لا تصحبها حجة .

واني للحجة في امر حرب او سلام ان تاتي الصحفي او الكاتب المدني كان من كان . ان من هؤلاء الكتاب ، من يدعون الى حرب ، او من يدعون الى سلم ، من تقرأ لهم ، فتحسب ان عندهم اسرار الجيوش ، من اسرائيلية ومن عربية . والاسرار قابعة في اقباء هي مخازن للسر لا يطلع عليها الا القائمون بها . ومع هذا يتبارى الكتاب المدنيون ، ويقولون ويجولون ويصولون ، فتحسبهم الجنرالات في حومة الوغى يروحون ويغدون .

انه لا يتكلم في هذا الأمر احد عن علم وثيق غير الحكومات ، بل غير ذلك الجانب منها المتصل بتلك الشئون التي هي من وجدان الدولة في الصميم .

وقوم قالوا ان الهزيمة خير من الاستسلام

وقوم قالوا : ان الهزيمة خير من الاستسلام .

ولم اجد في المنطق خداعاً كهذا .

انهم قارنوا بين الاقدام على الحرب ومعه الهزيمة ، وبين الاستسلام .

ولم يقل احد بهذا ، ولا قامت مقارنة بين هذين .

ان الموازنة كانت بين الحرب مع احتمال الهزيمة ، وبين السلم الدبلوماسي مع رد الارض المغتصبة .

فتسمية السلم الدبلوماسي مع رد الارض بانه استسلام ، خروج عن المنطق باطلاق ضباب يحجب عن الجماهير صفاء الرؤية .

ان التزام موضوع النقاش ، والحرص فيه على قواعد الجدل الصحيحة ، والبعد به عن الاعيب الجدل المعروفة ، واجب كل كاتب عربي في موضوع مصيري كالموضوع الذي نحن فيه ، ونحن اعجز ما نكون في تكوين رأي فيه ، لان معطيات الرأي ليست لدينا ، بل لدى الحكومات وهي لا تفشيها .

الحكومات لا تفشي أسرارها

والحكومات لا تفشي اسرارها بدعوى سرية هذه المعلومات ، ولكنها ايضاً لا تفشيها ، لكي لا تعلمها شعوبها . ان الشعوب العربية ما عرفت قط تاريخ يومها الا بعد فوات الف يوم ، فالف اخرى . ومع هذا ظلت من تاريخها بعد ذلك على غير يقين . ان الشعوب العربية هي آخر من يعلم من امر نفسها شيئاً .

وقد استثنى .

ولقد سألت رجلاً من اهل الحكم في ذلك ، فما نفاه . وانما علله . ومن علله ان « ما كل حق يقال » . ومن العلل السائغة عنده ، ان من الشعوب من لم يبلغ سن الرشد بعد .

واني لانظر في تاريخ العرب ، منذ عام ١٩٤٨ ، وقبل هذا العام ، وبعده ، وفي رأي الناس ، ورأي الصحافة ، ورأي الشعوب ، وفيما كان من تحمس تضمن

اخطاء فاحشة ، ادت الى هذه الازمة الاسـرائيلية الحاضرة ، انظر فى هـذا التاريخ ، فأخشى ان يكـون تاريخا فى الخيبـة متصـلا . ووتـيرة واحـدة ، لا يختلف فيها يوم عن امس ، ولا عام عن عام . ومن ذلك ان الشعوب آخر من يعلم .

والى اليوم لاتعلم الشعوب

والى اليوم هي لا تعلم .

ومثال ذلك ما صحب مؤتمر وزراء الخارجية الذى انعقد فى الكويت منذ اسابيع . قيل ان هدفه الاول كان ازالة ما بين الـدول العربية مـن خلافات . ورحنا نسأل فى الشعب العربي ، علّه يعلم ما هذه الخلافات ، فما عرف احد شيئا . وقالوا ان الخلاف بين الشعوب العربية هو سبب الثغرة القائمة، وسبب التقاعس عن مناصرة جهود الحرب ، والسبب الأول الذى تبنى عليه اسرائيل ما ترجو من توسع وازدهار ، ومع كل هذا لا تعلم شعوب العرب عن هـذه الخلافات شيئا .

والهـدف ؟

ان تظل هذه الشعوب ساكنة هادئة ، تنعم فى الجهالة بخيرات الحياة،ما تحقق منها . فان جاء يوم تمطر السماء فيه على الناس نارا ودمارا ، فهذا قدر الله ، وهذا ما كنتم به توعدون .

ومن الفلاسفة من يقر الحكام على سياستهم هذه ، ايمانا بان الاطلاع على وقائع الاشياء وهي محزنة يورث الألم . وعندهم ، وعند الفلاسفـة الابيقوريين خاصة ، ان السعادة انما هي انتفاء الألم .

ونعود الى موضوع الجدل

ونعود الى موضوع الجدل والنقاش ، فيما يتناوله الناس والكتاب من امورهم ، فنقول ان المجادل يجادل فى امر يتصل بحياة الناس ، فى سياسة ، او مجتمع ، او خلق ، وهو يهدف الى الوصول الى حقيقة واحدة ، هي عنده واحدة فى هذا الامر ، وغيرها الباطل .

الحقيقة فى نطاق العلوم الطبيعية

و الحقيقةالواحدة،التى تخرج عن الأمر الواحد،انما تكون فى نطاق العلوم الطبيعية، وفى علوم الرياضة خاصة . ففي الرياضة نقول ٧×١٢ = ٨٤ ولا شيء غير ٨٤ . وفى الهندسة نقول : ان زوايا المثلث ، اى مثلث تساوى ١٨٠ درجة،ولا يأتي مجادل فيقول بل قد تكون ٢٠٠ او ٣٠٠ . وفى الفزياء نقول ان الماء الصافي ، اى ماء ، يتجمد فى درجة الصفر،ويغلى فى درجة المائة تحت ظروف كـذا وكذا . واذ نحدد الظروف بالضبط نغلق الباب على اى منكر . وفى الكيمياء نقول انك تضع الزنك فى الحامض، كحامض الكبريتيك ، فيذوب، ويخرج غاز هو الادروجـين ، ويتكون ملح هو كبريتات الزنك او الخارصين . وفى علم النبات تبذر فى الارض بذور القطن ، فلا يخرج منها غير شجرة القطن ولا شيء غير القطن ، وتزرع بذرة المانجو فلا يخرج لك غير شجرة المانجو ، لا شجرة الخوخ ولا الرمان. وفى عالم الحيوان يجتمع الديك بالدجاجة فلا ينتج عنهما الا ديك او دجاجة . . لا ينتج عنهما ارنب او فأر .

معان ارجو ان لا تكون غريبة على بعض القراء .

قضايا فى العلم ليس لها غير نتائج واحدة .



في الحساب انت تجمع بين السبعة والثمانية فتحصل على ١٥ ، وانت متاكد من ذلك . ولكنك تجمع بالزواج بين محمود وعائشة ، وانت غير متاكد من حاصل الجمع . لهذا انت تدعو الله لهما بالتوفيق .

غير ذلك في قضايا الناس

ولكن غير ذلك قضايا الناس .

خذ مثلا، ابسط شيء واكثر شيء يمارسه الناس : الزواج . انك تجمع في الحساب بين السبعة والثمانية فتحصل على ١٥، وانت متاكد من ذلك . ولكنك تجمع في الزواج بين محمود وعائشة ، وتسالك عن مصيرهما ، فتقول نرجو خيرا . انك ترجو ، ولكنك غير متاكد . الجمع هنا قد يكون سعادة غامرة ، او شقاء غامرا . او درجات من السعادة والشقاء تقع بينهما . ولهذا ترى اكثر ما يهدى الناس الى العروسين انما هو الدعاء بالتوفيق .

وليس الزواج وحده هو مشكلة الحياة الواحدة .

انها مشاكل بين الفرد والفرد في اسرته . ومشاكل بين الفرد والفرد في عمله . ومشاكل للفرد بين اصدقائه . ومشاكل للفرد من وضعه في الدنيا . ومشاكل للفرد حتى من حيث ما سوف يكون عليه في الآخرة . ويفكر في هذه الأمور الف من الناس والف . كلهم مختلفو الأوضاع ، مختلفو التعليم ، مختلفو العيش ومراتب العيش ، مختلفو الصفات والنزعات . من اجل هذا يكون الاختلاف في اكثر امور الحياة كثير .

وانت من بعد ذلك تقف برايك الواحد في هذا الألف من الناس او الألفين ، فترى ان رايك هذا الواحد هو الراى الصائب الواحد ، وراى الناس فاسد .

ومن هذا ياتي غرور اهل الراى . والغرور صنوف .

وكم اقرا لكاتب فى كتاب ، او صحفي فى صحيفة ، قولا يدلي به قاطعا ، ويمضي يفند فى حرارة يكاد يخرج منها الشرر آراء غيره من الكتاب والصحفيين، او من الحكام الحاضرين او الذاهبين . وهو موقن بالذى يقول كانما ياتيه به الوحي من وراء الغيب . فاقول لو ان صاحبنا تواضع لرفعه الناس رايا . ثم اعود فاقول لا . واقول ان الناس ، وان الجماهير خاصة ، تحب الصوت الصارخ ، والقلم الملتهب ، وهي لا تتكوكب على الحكمة ينطق بها حكيم يقف على قارعة الطريق ، وانما تتكوكب كما سبق أن ذكرت ،على معركةفى الطريق يسيل فيها الدم احمر قانيا .

هذا اصدق ما يكون فى الجماهير المتخلفة . وغير ذلك، او لعلي اقول ، اقل من ذلك ، الجماهير المثقفة .

وعلى كل حال ، جماهير متخلفة ، او جماهير مثقفة ، فلن ينال شيء من ذلك من الحقيقة التي يقررها الكثير من المفكرين : تلك غرور الراى عند اكثر اهل الراى .

واذكر بهذا ما قاله الفيلسوف العالم الكبير برتراند رسل Bertrand Russel فى احدى اذاعاته :

« اظن ان من بعض متاعب هذه الدنيا ان الناس تعودوا ان يصدقوا كل ما يسمعون او يقراون من اشياء كثيرة لا تدعمها الحجة . اشياء يحوطها الشك من كل جانب . وعندى ان الرجل العاقل

ان الجماهير لا تتكوكب على الحكمة ينطق بها حكيم فى قارعة الطريق



السليم الفكر لن تستحوذ عليه الثقة كل الثقة بصحة ما يقول . وعندي انه يجب علينا ان نمزج رأيا لنا نراه بشيء من الشك قليل او كثير » .

وبهذا اذكر ما كان من الكثير من ائمة الاسلام من رفض ما يوكل اليهم من اعمال القضاء . والقاضي كان له المكانة الرفيعة والأجر الوفير . ولكنهم خشوا على الرغم من ذلك من الخطأ يقع فى احكامهم . شكوا فى قدرتهم على ابداء رأى فى حكم ، فوجدوا السلامة اكبر السلامة فى البعد عن مواطن الزلل .

جماهير يخشاها أهل الرأى

وشيء آخر لا بد ان ننبه عليه ، ونحن نذكر من امر الجدل والنقاش ما نذكر .

ان تاريخ العرب مليء فى هذه السنين الحديثة بالمآسي، لا سيما قبل عام ١٩٤٨ ومن بعده . وكان للعرب فى هذه العشرات الثلاث من السنوات سادة ، وكان لهم قادة ، وكان كتاب صحافة . ونحن ننعى على هؤلاء جميعا سوء الراى ، وسوء التدبير ، وماجرونا اليه من نكبات ، ولا نكاد نستثنى احدا .

ان الجماهير خاصة ، ينسيها منطقها ، الصوت الصارخ ، والقلب الملتهب



وننسى ان هؤلاء السادة ، وهؤلاء القادة ، وهؤلاء الكتاب واهل الصحافة، كان فيهم آراء اكثر صوابا ، وانجح اصابة ، منعهم من الادلاء بها خشية الجماهير . منعهم من الادلاء بها اصحاب الصحف ، ومنع اصحاب الصحف الحكومات ، ومنعت الحكومات صلات كثيرة مشبوهة. ولكن كل الذى منع هؤلاء جميعا ، فى زحمة الأحداث وتعدد الأسباب ، انما هو خشية الجماهير ، او ان شئت فممالأة الجماهير .

ان علم النفس علمنا ان للجماهير قواعد خاصة تلتزم بها الجماهير اكثر ما تلتزم الافراد ، ومن هذه ان العقل فى حكم الجماهير على ما يسمعون او يقراون ان كان واحدا ، كانت عاطفتهم فى الميزان عشرا . وعلم النفس يعلمنا انك اذا جئت جمعا من الناس ، واردته ان يتبع ، فلا تهمس له، بل اصرخ . وان كان معك طبل فبالطبل اضرب .

هكذا الجماهير فى اى بقعة من بقاع الارض .

والفرق بين جمهور وجمهور ، ان الاول تعود استخدام العقل فى الحكم ، فثقل به العقل وخفت العاطفة . وان الثاني ثقلت به العاطفة وخف العقل لقلة استخدامه ، بعد ان ضيع له الحكام والكتاب فرص استخدامه .

والحكام والكتاب واهل الصحف ضيعوا على الجمهور فرصة استخدام عقله (وانا اتحدث عن الماضي) خشية منه . واقتضت هذه السياسة ممالأته بمنع الراى الحر عنه ، فى الازمات ، خشية ان يصاب بالصداع . ومن الراى الحر ما جاز ان يصيب الناس ، فى الازمات ، بالشلل (وانا ما زلت اتحدث عن الماضي) .

ولقد ورثنا من هذا الماضي ، الى اليوم ، التناغم مع احلام الجماهير والامتناع عما يقض عليهم مضاجعهم فى الليل ، كما ورث الكتاب خشية الجماهير .

واني لاذكر امسية، كانت منذ سنوات عدة ، اجتمع فيها فى بيتي نفر كريم صديق من علماء الأزهر ، وقضينا الساعات نبحث فى امور شتى ، على غير سابق علم . ورايت من الراى الحر الجميل ما دفعني الى سؤالهم ، قلت : هذه الآراء لماذا لا تعلنونها ، وفيها صلاح الدين والدنيا . ولما سكتوا ، قال اصغرهم سنا : لو اعلناها لضربونا بالاحذية .

والاحذية الذى ذكرها ذاكرهم لا بد بليت الآن ، فقد كان هذا منذ نحو عشرين عاما .

مشكلة العروبة الأولى

واختتم كلمتي هذه باني احس اني قلت فيها اكثر مما وجب .

ومع هذا اختتم بالقول ان العرب اليوم فى احلك ايامهم ، وقد تشرق الشمس غدا، او بعد غد . ولكن لا بد لاشراقها من اصلاح ذلك الخلل الاول فى بناء الناس ، ذلك الذى حال بين اهل الراى، وجماهير الناس . فأهل الراى عليهم رقابتان ، رقابة الحكومة ، وقد تكون جائرة ، ورقابة الجمهور المتخلف ، وهو كثيرا ما يرفض الخير لجهالة ضاربة فيه . ولنذكر دائما تلك السنة التي اتم بها العرب فى القرن العشرين ، تلك ان بهم سبعين فى المائة من الأميين .

●●

احمد زكي

اجتهاد كبار الصحابة

بقلم: الشيخ بدر المتولى عبد الباسط

■ انتقل الرسول الاكرم الى الرفيق الاعلى وقد اكمل الله دينه واتم نعمته وانقطع بموته الوحى الذى كان يسددخطاه ، ويأتى بحل لكل مشكلة ، ولكن المشاكل والاحداث لم تنته ، بل زادت وتكاثرت بكثرة الفتوحات ، وتعدد البيئات واختلاف الاعراف والعادات ، فقد دخلت امم كثيرة فى حوزة المسلمين فمنهم من آمن ، ومنهم من بقى على دينه ، وهؤلاء واولئك لم ينخلعوا عن عاداتهم انخلاعا ، ولم ينسلخوا عن تاريخهم انسلاخا ، وكان لا بد لهذه المشاكل من حلول ، وان تكون هذه الحلول فى اطارهذا الدين .

وهناك خط ثابت لم يخرج عنه حاكم . وهو ان ينظر في كتاب الله ـ اولا ـ فان وجد فيه نصا في المشكلة العارضة طبق النص اما بظاهره او بروحه وفحواه ، وهنا قد يختلفون فى التطبيق ان كان النص فيه مجال الاجتهاد ، وهو ما يعبر عنه العلماء بظنى* الدلالة ، ومن ادعى انهم شذوا فعطلوا نصا من كتاب الله فهذا افتراء عليهم ، اما عن جهل باسلوبهم في الاستنباط ، واما عن سوء قصد لتبرير الخروج على النصوص القطعية . وقد بينت فى مقالات سابقة اساليبهم فى فهم بعض النصوص ، واعود ـ هنا ـ واكرر ـ للاهمية ان ـ هناك ـ فرقا شاسعا بين الاجتهاد مع النص والاجتهاد في النص ، فالاول محظور والثانى مشروع .

فان لم يكن فى المشكلة العارضة نص من كتاب الله بحثوا عن نص من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فان وجدوه وصح ـ عندهم ـ وصح ـ عندهم كذلك ـ انه صدر من الرسول الاكرم ـ كرسول ـ ولا كحاكم ـ لم يعدلوا عنه الى اجتهاد ، وكان لقرب عهدهم بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولاطلاعهم على قرائن الاحوال يستطيعون أن يفرقوا بين ما صدر منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كرسول وما صدر منه كحاكم وامام ، وما صدر منه كقاض ، وما صدر منه كانسان فكان فهمهم للنص ـ فى ضوء هذه القرائن قريبا جدا من الصواب ، وهم مع هذا قد يختلفون ويكون لكل مجتهد منهم رايه ، لم يحجر حاكم على مجتهد ان يجهر برايه متى كان هذا الراى لا يضر بمصلحة الأمة ، أو كان ظاهر الخطا .

(العربى) انظر فى الموضوع نفسه العددين السابقين .

- أُسلوبهم في مُعالجة المشاكل .
- ما أخذوه عن غيرهم من الأمم وما رفضوه .
- أمثلة تدلُّ على بُعْد نظرهم في سياسة الأمم .
- ما يُباح للحاكم وما لا يُباح ، ومدى سُلطانه في التشْريع .

فان لم يجدوا في سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يحل مشكلتهم اجتهدوا مراعين روح الشريعة وقواعدها مستهدفين مصلحة الأمة وخير العامة ، وقد يتفقون كاتفاقهم على توريث الجدات السدس عند عدم الأم ، وكاتفاقهم على تحريم زواج المسلمة بالكتابى وهذا اللون من الأحكام ـ هو ـ ما يعرف بالاجماع ، وقد بينا انه لا يجوز لأى حاكم او محكوم آن يخرج على هذه الاحكام .

فان لم يوجد اجماع بقيت المسائل محلا للاجتهاد البعيد عن الاهواء والاغراض ، بالشروط التى استنبطها المتاخرون من العلماء من أحوال المجتهدين الأولين ومن قواعد الشريعة ، وقد بينت هذه الشروط ، والدليل على كل شرط .

ما اخذوه عن الامم الاخرى وما رفضوه :

لم يكن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من الجمود والتعصب بحيث يرفضون كل شيء وجدوه لدى الامم المغلوبة بل اخذوا عنهم ـ وان كانوا مغلوبين ـ ما رأوه أوفق وأقرب الى مصلحة الأمة في المسائل التنظيمية فقد أخذوا عنهم مبدأ وضع تاريخ للدولة تؤرخ به الرسائل والأحداث ، وتجبى ـ بمقتضاه ـ الضرائب والزكوات ، كما أخذوا عنهم تدوين الدواوين ، وعمل السجلات ، فهذا ديوان الخراج ، وهذا ديوان الغنائم ، وهذا ديوان المجاهدين ، وقد رفضوا ما لا يتفق مع مبادىء دينهم كتمييز طبقة الحاكمين بامتيازات اجتماعية واقتصادية ، وعدم تطبيق بعض القوانين عليهم .

سلطان الحاكم
اختيار الولاة والقضاة وقادة الجيوش :

والأساس الذى عليه بنى الخلفاء الراشدون اختيار هؤلاء المذكورين ـ هو ـ رعاية مصلحة الجماعة من غير ان يكون للصداقة أو القرابة مدخل في الاختيار ، امتثالا منهم لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله . » (١) .

ولقد صرح عمر ـ رضى الله عنه ـ بهذا المعنى فقد قال : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين (٢) » .

وليس المراد بالصلاح والاصلحية التقوى بالمعنى المشهور بل المراد الصلاحية ، لما أسند اليه من عمل ، فكم من تقى ورع متبتل أبعد عن الامارات ، بينما اسندت لمن دونه ـ في ذلك ـ ولكنه القدير على القيام بعبء وظيفته .

وقد وضع الرسول الاكرم لخلفائه هذا المبدأ ،

---

(١) رواه الحاكم في صحيحه وقد قيل : انه من قول عمر لابنه عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما .
(٢) كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ص٩ ـ ١٠

فهذا ابوذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ الذى قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « ما اظلت الخضراء (٣) ولا اقلت الغبراء (٤) اصدق من ابي‌ذر » وابوذر هذا يقول له النبي الكريم ـ « يا اباذر : انى اراك ضعيفا وانى احب لك ما احب لنفسي : لاتامرّنّ على اثنين ، ولا تولّينّ مال يتيم » (٥) .

ولعل خشية رسول الله ـ من ولاية ابي ذر على يتيم انه لشدة تدينه وتحرجه ربما فوت مصلحة لليتيم بتردده وخوفه من الخطأ ، والخيانة كما تكون في اكل مال اليتيم تكون ـ كذلك ـ بتفويت مصلحة بالتردد . وهذا المعنى هو ما اشار اليه امين المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ « اللهم اشكو اليك جلَد الفاجر ، وعجزَ الثقة » (٦) .

فكم من فاجر جرىء قادر على حل المشاكل ، ومواجهة الأخطار وكم من ثقة متدين متردد يضيع المصلحة بتردده وبحرجه .

ومن هنا تأتى الموازنة بين المصلحتين ، وهى مهمة شاقة عسيرة ، فالفاجر ـ مع قدرته وحسن تصريفه ـ لا يؤمَن غدره ، ولا يطمأن الى سريرته ، والثقة المتدين ـ وان أمن غدره واطمئن الى سريرته ـ يخشى من تردده .

قاعدة شرعية التزمها الخلفاء الراشدون :

اذا تعارضت‌مصلحتان اخذنا بالمصلحة الراجحة واهملنا المصلحة المرجوحة ، واذا تعارضت مفسدتان ولا بد من احداهما ارتكبنا اخف‌الضررين لدفع الضرر الاقوى .

هذه القاعدة‌كانت اساس‌اختيار الولاة والقادة .

موقف كل من ابى بكر وعمر من خالد بن الوليد :

على ضوء القاعدة السابقة نستطيع ان نعلل موقف أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ من خالد مع علمه ان له هنات . فقد كان ابو بكر رجلا لينا ، يعالج الأمور ـ في أكثر الأحايين ـ باللين ، وكان خالدرجل حرب‌صلب العريكة قوى الشكيمة يعالج الأمور ـ غالبا ـ بالقوة ، فكان لين ابى بكر يكبح جماح خالد . اما عمر فكان رجلا صلبا حازما شديد المراس ، فلا تحتمل الأمورُ شدّته وشدة خالد ، فكان لا بد للمعادلة من اختيار رجل لين العريكة ليتوام مع عمر فكان اختيار ابى عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ .

فكان موقف كل من ابى بكر وعمر من خالد في منتهى الحكمة وسداد الرأى وحسن السياسة .

مقاسمة عمر لولاته :

عرف عن عمر ـ رضي‌الله عنه ـ انه كان يقاسم ولاته أموالهم مع انهم كانوا اهل دين وفضل ، لا يتهمون بخيانة،والا عزلهم فالمعروف عنه‌الشدة‌في هذا الامر ،فكيف ساغ له أن يشاطرهم اموالهم؟!!

ان عمر ـ كامام عادل ـ يعلم ان الحاكم ـ مهما كان نزيها عدلا ـ لابد ان يحابى في البياعات فتباع له السلعة بثمن لا تباع به لسائر الناس ، ويحابى في كل المعاملات رضى أو ابى ، والتنزه عن ذلك تشدد قد يصل الى درجة التنطع في الدين ، فالتاجر ـ عادة ـ يبيعه السلعة بثمنها وتكلفتها او بربح‌ربحا زهيدا جدا،وليس ـ كذلك معاملة التجار لعامة الشعب ، لهذا شاطر الولاة أموالهم، ولم يأخذها لنفسه وأهله بل لبيت مال المسلمين ، وكان حظه من مال المسلمين كافل فرد في الرعية .

موقف عمر مع نصارى العرب :

كان موقف الاسلام من أهل الكتاب ـ عربا او غير عرب ـ أن يخيرهم ـ قبل القتال ـ بين ثلاث خصال : اما الاسلام أو الجزية أو الحرب، واختار قوم من نصارى العرب الجزية على عهد رسول الله ، وأبى بكر . وفي عهد عمر ـ سألوه أن يرفع عنهم الجزية ، وان يأخذ بدلها صدقة كصدقة المسلمين الا انها مضعفة ، فقبل منهم ذلك ، وقال : هى جزية ، فليسموها ما شاءوا .

ونأخذ من هذاان العبرة بروح التشريع وفحواه لا يتعلق بالالفاظ ، ولا سيما اذا لم يتعلق بالالفاظ غرض دينى . كما يؤخذ من ذلك أن من حسن سياسة الحاكم أن يرضى الرعية ما لم

---

(٣) السماء (٤) الأرض

(٥) رواه مسلم .

(٦) كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ص١٣ . ، والثقة : الأمين الذى يوثق به .

تكن ترضيتها اثما .

فان نصارى العرب انفوا من دفع الجزية ،فانها دليل الضعف وهم اهل انفة . فكان تصرفه ـ فيه دليل على كياسته وبعد نظره ، فليس من الحكمة اذلال العرب ، وهم ردء الاسلام ومعدنه ، ومع هذا فقد حافظ على حق الجماعة .

سياسة الخلفاء الراشدين (درء أسباب الشر والفساد قبل وقوعها) :

في عهد ابى بكر ـ جمع القران الكريم ، لأول مرة في صحف حفظت عند ام المؤمنين حفصة بنت عمر ـ وذلك لما استحر القتل في القراء في حرب مسيلمة الكذاب في اليمامة .

ومن ذلك استخلافه لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ في مرض موته ، وذلك لأن الدولة كانت ـ يومئذ ـ تقاتل في جبهتين شمالا مع الروم ، وجنوبا مع الفرس ، وهما اعتى دول الارض واقواها ، فليس من الحكمة أن يترك الامة في هذا الظرف في مهب الفتن ، وهي أحوج ما يكون الى الوحدة ، وكانت بيعة ابى بكر عامة فكان عليه ان يختار ما يعتقد انه الخير للامة في حياته وبعد مماته فكان واجبا عليه ان يستخلف من يراه اصلح لقيادة الامة في هذا الظرف العصيب، ولم يجد الا عمر بن الخطاب وكان الخير كل الخير فيما فعل ، ولقد بايعت الأمة عمر ـ بعد موت ابى بكر ـ راضية مختارة .

وفي عهد عمر ـ كانت سياسته في حسم اسباب الفساد قوية ورشيدة ، وقد تتسم ـ احيانا ـ بالشدة ، فها هو يامر امراء الجند ان يسمحوا لجنودهم بالعودة الى اهلهم وزوجاتهم كل اربعة اشهر عصمة للازواج والزوجات ، وكان يتولى بنفسه قضاء حوائج اسر المجندين منعا لكل قيل او قال ، وها هو ينفى نصر بن حجاج وهو شاب جميل سمع النساء يتغزلن به فابعده عن مجتمع المدينة المليئة بنساء الجند المغتربين حسما للشر لا عقوبة لنصر هذا ، بل لعله وفر له كل وسائل الراحة ليعوضه عن الام الغربة .

وسياسة عمر في حسم الشر قبل وقوعه امرها مشهور ووقائعها كثيرة ، وهو بهذا يطبق قاعدة شرعية مشهورة « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » .

سياسة توزيع الاموال :

كانت السياسة المالية ـ عامة ـ تدور على قاعدة واحدة « أن لا يؤخذ مال الا من وجه مشروع ، وان لا ينفق الا في وجه مشروع » .

نعم ـ احيانا ـ يختلفون في تطبيق هذا المبدا واختلافهم مبنى على ما يظنونه اقرب للمصلحة واوفق لخير الامة .

فها هو ابو بكر كان يسوى في العطاء بين المهاجرين والانصار ومن تقدم اسلامهم ومن تاخر، لا ينظر الى سابقة ، ولا بلاء حسن قدمه بعضهم للاسلام ، وكان يرى ـ رضي الله عنه ـ انحقهم في المال سواء ، وانسابقتهم الى الاسلام ونصرتهم له وقت الشدة متروك جزاؤهما لله وحده .

اما عمر فكان يرى ان لا يسوى بين من حارب مع الرسول ومن حارب الرسول ، وان مسلمة الفتح لا يستوون ـ في العطاء ـ مع السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ، وان اهل بدر احق واولى ممن جاء بعدهم ، وهكذا فقد فاضل بين المسلمين في العطاء ، وأعطى لاصحاب النجدة اكثر من غيرهم .

وانت ترى وجاهة كل من الرايين ، فمثل هذا مما يسوغ لولى الامر . بشرط ان يراعى المصلحة في الجباية والانفاق .

وجباية الاموال ـ في هذا العهد ـ كانت لها موارد محددة لم يستبح خليفة ان يحدث جبايات جديدة ، وكانت محصورة في اموال الصدقات والعشور ، وهذه مصارفها محددة تحديدا صريحا في كتاب الله ـ تعالى ـ : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (٧) .

والغنائم ، وهى الأموال التى حازها المسلمون في المعارك الحربية ، وهذه ـ ايضا ـ قد حدد القرآن الكريم مصارفها « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (٨) » .

وهناك اموال الفيء وهى التى حازها المسلمون من غير قتال وهى ـ في الجملة ـ تنفق على المصالح العامة من تجنيد الجند وشق الطرق واقامة القناطر وغير ذلك .

---

(٧) الاية ٦٠ من سورة التوبة .

(٨) الاية ٤١ من سورة الانفال

وهناك الجزية وهى ضريبة الدفاع التى يدفعها اهل الذمة فى نظير حمايتهم والدفاع عنهم ، وهذه ـ ايضا تنفق فى المصالح العامة . والخراج وهو ضريبة الأرض المفتوحة عنوة أو التى تسقى من الأنهار التى تحتاج الى صيانة ورعاية ، وهذه ايضا ـ تنفق لمصلحة الأمة .

نعم كان الكثير من المسلمين يتسابقون الى دفع نفقات المجاهدين وسد حاجات المحتاجين من غير حاجة تدعو الى فرض ضريبة من قبل الخليفة .

وقواعد الشريعة تبيح لولى الامر أن يفرض مثل تلك الضرائب متى دعت اليها الحاجة ، وبالقدر الذى تدعو اليه الضرورة فان الضرورات تقدر بقدرها .

وضرورة الدفاع عن الدعوة ـ هى ـ أقوى الضرورات ـ كلها ، اذ لا قيمة للأبدان والأموال فى ظل الذل والاستعباد .

ولا اذكر أن خليفة من الراشدين لجأ الى فرض ضريبة سوى ما فرضه الله ، لأنهم كانوا فى غنية عن هذا لكثرة الغنائم وسخاء المسلمين يومئذ .

سياستهم فى عقوبة المذنبين :

ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، والمجتمع ـ مهما ارتقت أخلاقه ـ لا بد أن تقع فيه الجرائم ، والفرق بين المجتمع الفاضل والمجتمع المنحرف أن المجتمع الفاضل يمقت الجريمة ويزدريها ويحاول ان يجتث أصولها أو يقلل من شرورها ولهذا شرع الله العقوبات زجرا للنفوس الجامحة وصيانة للدين والأرواح والعقول والاعراض والاموال ، وكان لا بد أن يقوم على تنفيذ هذه العقوبات ولى الامر .

وكان الخلفاء الراشدون يتشددون فى اقامة الحدود وهى العقوبات التى نص عليها الشارع وحددها ، وهذا بعد محاولة درئها بالشبهات ـ نعم كانوا يختلفون فى تقدير الشبهة وهل هى كافية فى دره الحد ام ان الامر أوضح من ذلك . وكذلك اختلفوا فى التطبيق كما يختلف القضاة فى تطبيق القانون .

واما الجنايات التى ليس فيها حد منصوص عليه فقد كانوا يقدرون العقوبة على قدر الجريمة ، فليست الجريمة فى حق فرد كالجريمة فى حق الجماعة ، وليست الجريمة فى حق العرض كالجريمة فى حق المال .

وكان من سياستهم ترك تقدير هذه العقوبات للقضاة ورب قائل يقول : انه لا عقوبة الا بقانون ، وحيث لم يحدد الشارع قدر العقوبة فكيف يحددها القاضى ؟ والجواب عن هذا ان المبدأ قد أقره الاسلام فى قوله ـ تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »(٩) .

وهذه الجرائم ، وان لم يحدد لها الشارع عقوبة ، فقد جعل لولى الامر حق ايقاع العقوبة التى يراها مناسبة بعد أن يستنير برأى من يعتد برأيهم ، فالمجرم عندما أجرم ارتكب ذنبا يستحق عليه العقوبة التى يراها ولى الامر رادعة له ولأمثاله ، فلم تكن العقوبة بغير تشريع ، بل بتشريع فوض فيه تقديرها الى ولى الامر .

ويسمى هذا اللون من العقوبات بالتعزير ، وليس ـ هناك ـ حد ادنى له باتفاق العلماء قديما وحديثا ، فقد يكتفى فيه بنظرة ازدراء أو اعراض أو كلمة ، ولكن الخلاف ـ قديما وحديثا فى بيان حده الاعلى ، والذى كان عليه كبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم انه ليس له حد اعلى ، فعقوبة الجاسوس ليست كعقوبة القاذف بغير الفاحشة ، وعقوبة مثير الفتن ليست كعقوبة النمام بين شخصين وهكذا .

★ ★ ★

وبعد فان سلطة الخليفة ـ فى هذا الوجه الذى نتحدث عنه ـ لم تكن ـ كما يتصور البعض ـ مطلقة ، بل كانت مقيدة بقيود الشريعة فى نصوصها وروحها وقواعدها ، ولكنه كانت له حرية التصرف فى تطبيق الأحكام مراعيا مصلحة الجماعة مقدما لها على مصلحة الفرد ، ومع أن له هذا الحق ، ولكنهم ـ رضى الله عنهم ـ لم يكونوا مستبدين حتى فى هذا التطبيق ، بل كانوا يستشيرون من يؤنس منهم معرفة الحق ، وكان هذا المجتمع الذى رباه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجتمعا متعاونا على البر والتقوى ، واذا اختلفوا فرائدهم هو الحق وخير الأمة والجماعة فاستحقوا بهذا أن يصفهم الله ـ تعالى ـ بأنهم خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . ■■

بدر المتولى عبد الباسط .

---

(٩) الآية ١٥ من سورة الاسراء .

أخلاقنا في حاجة إلى إصلاح

- اصلاح المربي اولا
- ثم تنمية الوعى الخلقى
- ثم الاحسان للمحسن والاساءة للمسىء
- ثم اختيار القادة أهل الريادة
- ثم استخدام وسائل الاعلام
- واخيرا صعود المراة على المسرح لتدعيم القيم الروحية

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ اذا كنا قد حاولنا ــ فى مقال ــ سابق ــ (١) أن نشخص الداء ، فقد صار لزاما علينا ــ اليوم ــ ان نصف الدواء . ولا بد لنا من أن نعترف ــ بادىء ذى بدء ــ بأن « الاصلاح الخلقى » اعسر بكثير من اى ضرب آخر من ضروب الاصلاح : فان تغيير عقول الافراد اشقُّ من تغيير دُخولهم ، او انْ شئت فقلْ : ان التحكم فى جيوب الناس ايسر من التحكم فى قلوبهم ! وقد يستطيع رجل الاقتصاد او عالم الاجتماع أن يدخل بعض التعديلات على انظمة الجماعة الاقتصادية او الحضارية ، ولكنه لن يضمن ــ عن هذا الطريق ــ

(١) ارجع الى مقالنا السابق « أخلاقنا في الميزان » : مجلة « العربي » عدد يناير ١٩٧٣ ورقم العدد ١٧٠ .

احداث تغير ملموس في اخلاق الناس وانماطهم السلوكية ، اللهم الا اذا كانت عقول الناس وافئدتهم قد تهيأت لمثل هذا التغير الاخلاقي – تحت تأثير عوامل أخرى متعددة – بحيث يستجيبون لدعوة الاصلاح .

والواقع أن « الظاهرة الخلقية » ظاهرة انسانية نوعية ، تتميز عما عداها من ظواهر بشرية اخرى ، ولكنها في الوقت نفسه « ظاهرة اجتماعية » ديناميكية ، تخضع – كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى – لسنة التطور ، ومن ثم فانها تقبل التغير ، وقد يطرأ عليها ضرب من التقدم أو التأخر ..

ومن هنا فان « الاصلاح الخلقي » لا يدخل في باب المستحيل ، وانما هو صورة من صور التطور المقصود – أو التغير المراد – الذي يعمل المصلحون على تحقيقه ، عن طريق بعض الوسائل العملية الفعالة ، والمهم أن يهتدي المصلحون الاخلاقيون الى هذه الوسائل العملية الفعالة التي تكفل لمجتمعاتهم السير على درب « الترقي الخلقي » ، حتى لا تستحيل « أدواء » المجتمع الى « عادات » ثابتة ، فيصبح من المتعذر – او المستحيل – العمل على استئصال شأفتها . ولا شك أن النقائص الاخلاقية التي تتخذ طابع الانماط السلوكية المتحجرة ، هي في العادة ظواهر اجتماعية جامدة ، قد لا يسهل اقتلاعها من جذورها ، ولكنها – مع ذلك – وقائع بشرية يمكن التأثير عليها والعمل على مواجهتها في عقر دارها !! ونحن لا ننكر ان الصلة وثيقة بين الظاهرة الخلقية وغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى – وفي مقدمتها الظاهرة الاقتصادية – ولكننا نرى في الوقت نفسه ان تغير الاحوال الاقتصادية في مجتمعنا العربي لا يمكن أن يكون هو الكفيل وحده بحل سائر مشكلاتنا الاجتماعية والأخلاقية . فالاصلاح الخلقي امر لا يمكن أن يتحقق من تلقاء نفسه وكأنما هو مجرد نتيجة حتمية تترتب بالضرورة على تحسن أحوالنا الاقتصادية ، وانما هو ثمرة لما نبذل من جهود ايجابية في سبيل العمل على خلق « مجتمع جديد » . ولعل هذا هو السبب فيما دعونا اليه دائما من ضرورة مواجهة المشكلة الخلقية عندنا بطريقة صريحة مباشرة ، دون الاقتصار على مواجهتها من خلال بعض الظروف الاقتصادية او المادية .

لا بد – أولا – من العمل على تربية المربّي نفسه !

ولو اننا حاولنا – الآن – أن نتلمس الوسائل العملية الفعالة للتأثير على « الظاهرة الخلقية » ، لكان علينا أن نمضي الى الاصول الجذرية للفساد الخلقي الذي نشكو منه ، ومن ثم فانه لا بد لنا من تغيير اساليبنا التربوية ، حتى ننمّي لدى الأفراد « الوعي الخلقي » أو « الاحساس بالقيم » ولن يتسنى لنا تحقيق مثل هذا « التغير » ، اللهم الا اذا شرعنا في خلق جيل جديد من « المربّين » . وهنا تتضح لنا الصلة الحقيقية للاخلاق بالتربية : فان الوظيفة الاولى للمربّي هي العمل على تفتيح ذهن الطفل – او الحدث – للقيم الخلقية . وكلما زادت حساسية المربي نفسه للقيم ، كان تأثيره الخلقي على النشء اقوى وافعل . والحق أن الخطوة الاولى على درب «الاصلاح الخلقي» ، انما تكون بالعمل على تربية المربّي نفسه ، حتى يصبح أهلاً لتربية النشء . وقد لا نبالغ اذا قلنا ان كل جانب من جوانب الحياة الأخلاقية للمجتمع رهن بالقائمين على شئون التربية : فان هؤلاء – وهؤلاء وحدهم – هم الذين يضطلعون بمهمة تنمية الاحساس بالقيمة (او القيم) لدى الطفل . ولما كانت « الأخلاق » ظاهرة عملية تتصل بالقدرة اكثر مما تتوقف على التعليم ، فان التدقيق في اختيار القائمين على شئون التربية شرط ضروري لتوافر جيل سليم من الأبناء الصالحين . واذا كانت مهنة التعليم(اوالتدريس) قد بقيت حتى الآن مهنة سهلة يتقبل عليها الكثيرون من المتخصصين وغير المتخصصين ، فقد آن لنا الأوان – اليوم – لان نفطن الى خطورة هذه المهنة ، واهمية الدور الذي يضطلع به أربابها في خلق جيل جديد من الشباب الواعي ، المتفتح ، المتبصر ، المؤمن بالقيم الخلقية والروحية ...

ضرورة تنمية الوعي الخلقي لدى الافراد والجماعات

اننا ننسى – أو نتناسى – في كثير من الاحيان ان « الوعي الخلقي » ليس هبة فطرية تجود بها الطبيعة على قوم دون قوم ، أو فرد دون آخر ، بل هو عادة مكتسبة يحصلها الافراد والجماعات – تحت تأثير التربية والقدوة الصالحة – وحينما يدقق المجتمع في محاسبة افراده ، وحينما يرفض الافراد انفسهم مبدأ التساهل مع الذات (ومع الآخرين) ، فهنالك تجيء الصرامة الخلقية لتزيد من احساس الافراد بالقيم ، وتنمي لديهم روح التمسك بالمبادىء الأخلاقية. ومعنى هذا أن المشرع العربي يملك – الى حد كبير – تنمية الوعي الخلقي لدى الافراد والجماعات : لأنه يستطيع فرض العقوبات على كل جرائم الاهمال والتهاون ، فيخلق بذلك جواً روحيا مواتيا لاخلاق الصرامة وعدم التساهل مع الذات . وليس من شك في أن جانبا غير قليل من الفساد الخلقي السائد في مجتمعاتنا العربية – كما قلنا في مقال سابق – انما يرجع الى تفشي روح التساهل ، وانتشار مبدأ التهاون (مع الذات ومع الآخرين) . فلا بد لنا اليوم من العمل على تنمية روح الصرامة الخلقية ، حتى لا يبقى مجتمعنا – كما عُرف عنه في الشرق والغرب معا – مجتمعا متساهلاً متهاونا يحكمه مبدأ مَعْلِهْش(٢) (– ما عليه شيء) !! والحق أن مجتمعا يبيح كل شيء ، ولا يرى مانعا من التسامح مع المخطئين والعابثين ، لا يمكن الا أن يكون مجتمعا منحلاً متفككا ! ولهذا فان « الاصلاح الخلقي » متوقف – الى حد كبير – على نمو « الوعي الخلقي » ، وتزايد حظ الافراد (والجماعات) من « الصرامة الاخلاقية ».

دور « الجزاء » في تأصيل جذور « الأخلاق »

صحيح أن الأخلاق لا تفرض على الأفراد بقوة القانون ، ولكن من المؤكد – مع ذلك – ان الظاهرة الخلقية – مثلها في ذلك كمثل الظاهرة القانونية – تخضع لنظام المكافآت والعقوبات . وقد يكون من واجب المصلح الأخلاقي (على الأقل في المرحلة الاولى من مراحل الاصلاح الخلقي) العمل على تثبيت دعائم القيم بالالتجاء الى أساليب التشجيع والعقاب ، حتى يعرف الجميع ان المصيب لا بد من أن يثاب ، وأن المخطىء لا يمكن أن ينجو من العقاب . وهنا قد يقال ان اداء الفرد لواجبه لا بد من أن يصدر عن باعث اخلاقي صرف (دون أن يكون هناك اي حافز آخر يدفعه الى ذلك) ، ولكن اهل التربية يعلمون أن الطفل يحتاج – في مستهل حياته الخلقية – الى الكثير من مظاهر التشجيع ، حتى يكتسب عادة اداء الواجب ، والاقبال على فعل الخير . ونحن – بالمثل لا نفطن الى أن « الفضيلة جزاء لنفسها » (على حد تعبير اسپينوزا Spinoza ، اللهم الا في مرحلة متأخرة من مراحل ترقينا الخلقي . ومن هنا فانه لا بد للمصلح الأخلاقي من الاستعانة بنظام الثواب والعقاب ، من اجل تأصيل الأخلاق في سلوك الأفراد ، آملا أن يتمكن يوما من تحويل « العادات السلوكية » الى « مبادىء اخلاقية » ، بحيث يصدر الأفراد في سلوكهم عن ايمان عميق بالقيم ، لا خوفا من عقاب ، أو طمعا في ثواب .

ضرورة الاهتمام باختيار القادة وأهل الريادة

بيد أننا نلاحظ – مع الأسف الشديد – ان المشرفين على أنظمة الجزاء ، كثيرا ما يسيئون استخدام سلطتهم ، فلا يتلقى المصيب ثوابه ، ولا يلقى المخطىء عقابه ! والسبب في ذلك اننا قلما ندقق في اختيار القادة وأهل الريادة ، ومن ثم فاننا نضع على قمة أجهزتها الادارية نفوسا ضعيفة يفتقر أصحابها الى الكثير من العفة ونقاء الضمير ! ونحن لا ننكر أن « انتقاء القادة » أمر عسير – في كل زمان ومكان – ولكن المجتمعات المتقدمة لا تترك هذه العملية نهبا للصدفة (حتى تتدخل فيها اعتبارات المحسوبية

---

(٢) لقد أصبحت هذه الكلمة علما على المجتمع العربي ، حتى أن الكاتب الفرنسي جان كوكتو Jean Cocteau أطلق على كتابه الذي وصف فيه جولته في ربوع البلاد العربية ، اسم « معلهش » : Mâleche !!

والتفضيل الشخصي وغير ذلك) ، بل هي تلتجيء الى اساليب « الاختيار المهنى » من أجل انتقاء القادة الصالحين . ومعنى هذا ان هناك طرقا سيكلوجية حديثة (تستند الى بعض الاختبارات العلمية الدقيقة) يمكن عن طريقها التحكم في عملية اختيار القادة والروّاد وغيرهم من اهل المراكز الكبرى ، حتى لا يوضع على رأس أى جهاز ادارى سوى الرجل الكفء ، اجتماعيا ، واخلاقيا ، ومهنيا .. الخ .

والحق انه لا بد لنا اليوم ـ في مجتمعنا العربى المعاصر ـ من وضع الانظمة الكفيلة باختيار القادة ، والروّاد ، واهل المسئولية ، من اصحاب الخلق ، واهل الكفاءة ، وارباب القيم . ولا شك أننا حين نضع على راس كل مركز اجتماعى هام ، رجلا صالحا ، اشتهر بين الناس بحبه للفضيلة ، وتعلقه بمكارم الاخلاق، فاننا بذلك نقدم للناس قدوة صالحة يترسّمون خطاها ، ويحذون حذوها . وليس افسد للحياة الخلقية في اى مجتمع من المجتمعات ـ من أن يكون القائمون على رعاية الآداب ، وحماية الاخلاق ـ في هذا المجتمع ـ أناسا منحلين عرفوا بفساد ذممهم ، وخراب ضمائرهم ! واذن فلا قيام للاصلاح الخلقى ، بدون رجال صالحين ومصلحين ، يكونون ـ على حدّ تعبير عيسى عليه السلام ـ « مِلْح الارض » الذى ـ بدونه ـ لا يكون للتربة الاجتماعية صلاح !

ولا بد أيضا من ربط الأخلاق بالدين ..

واذا كان قد وقع في ظن البعض أنه لا شأن للدين بالاخلاق ، فقد يكون من واجبنا ـ على العكس من ذلك ـ أن ننبّه الى ضرورة الاهتمام باحياء الروح الدينية ، من أجل العمل على تثبيت دعائم القيم الأخلاقية . وحينما قال رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ قولته المأثورة: « انما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، فانما كان يكشف لنا بذلك عن الصلة الوثيقة التى تجمع بين كل من الدين والاخلاق . صحيح أن الناس كثيرا ما ينسون أن « الدين هو المعاملة » ، وأن الروح الدينية الحقة انما هى الارادة الخيّرة ، ولكن هؤلاء يجهلون قول الرسول الكريم : « ما من شيء يوضع في الميزان ، اثقل من حسن الخلق . وان صاحب حُسْن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة . » .. واذن فان الروح الدينية ـ على الحقيقة ـ انما هى الحساسية المرهفة بالقيم ، والسلوك الخيّر النابع من حب البر . ولعلّ هذا ما حدا بالكثير من المصلحين الاخلاقيين الى ربط القيم الأخلاقية بالقيم الدينية ، اعتقادا منهم بأن هذه وتلك « قيم روحية » لا تزدهر الا في الأوساط الاجتماعية المتكاملة ، حيث تقوم « المحبة » بين الناس مقام « القانون » .

ضرورة وضع وسائل الاعلام في خدمة الأخلاق

ولا بد لنا أيضا من استخدام شتى وسائل الاعلام المتوافرة لنا ، من اجل العمل على نشر القيم الأخلاقية ، وتثبيت دعائم الحياة الروحية السليمة . صحيح أننا كثيرا ما نتوهم أن « الحرية » هى « الاباحية » ، ولكن من المؤكد أن افساح المجال أمام الافلام الساقطة ،والروايات البذيئة ، والكتب الخليعة ، ليس من «الحرية» في شيء . فنحن نسيء الى شبابنا ، ونخطيء في حق اجيالنا المقبلة ، حين نضع بين أيديهم تلك السموم الخبيثة التى لن يكون من شأنها سوى أن تهوى بهم الى قاع الرذيلة ! ولسنا نجهل أن الكثير من حملة الاقلام عندنا أصبحوا يجدون في مسألة الجنس تربة خصبة لانتزاع اهتمام الشباب ، وتكوين ثروات طائلة على حساب المساكين من الاغرار والسذّج ، ولكنّ في استطاعة وسائل الاعلام ـ عندنا ـ أن تتناول هذه المسائل بالبحث العلمي الدقيق ، والعرض الأخلاقى السليم ، بدلاً من ان تتركها نهبا لأصحاب الاقلام الرخيصة من الانتهازيين والطامعين ! ولا شك أننا حين نبرز الجانب الروحيّ العميق الذى يكمن من وراء شتى مسائل الجنس ، فاننا نسهم بذلك في القضاء على الكثير من الأوهام الخاطئة التى قد يقع شبابنا صَرعى لها ، نتيجة لجهلهم بحقيقة الجنس ، وطبيعة الدور الذى يقوم به كل من الجنسين في الحياة البشرية . وربما كان من واجب القائمين على شئون التربية في المدارس والمعاهد والجامعات ، العمل على توفير

الأفلام العلمية الناضجة ، للاجيال المقبلة من الذكور والاناث ، حتى لا يُقبلوا ـ من بعد ـ على وظيفة الأبوة أو الامومة ، وهم يجهلون الكثير من الحقائق الفسيولوجية والسيكولوجية الأساسية التي تقوم عليها « الحياة الزوجية » . ومعنى هذا انه لا بد من استخدام وسائل الاعلام العربي ، لا لخدمة القضايا السياسية وحدها ، بل لخدمة القيم الاخلاقية والروحية ايضا . وقد يكون من مصلحة الاعلام السياسي نفسه ، ان يقوم على رأسه جماعة من أهل مكارم الأخلاق ، يعرفون كيف يوجّهون الاعلام السياسي توجيها اخلاقيا رفيعا ..

دور المرأة العربية في الإصلاح الخلقي

... لقد شاء بعض الفلاسفة أن يستعينوا في فهمهم لطبيعة كل من الرجل والمرأة بتشبيه مستمد من نظرية العناصر الأربعة ، فقالوا ان الرجل هو النار أو الهواء ، في حين أن المرأة هي الماء أو التراب . وعلى حين أن النار تمثل الحركة أو الاندفاع ، نجد أن التربة تمثل الاستقرار أو الثبات . وقال آخرون ان المرأة اشبه ما تكون بالزهرة او النبات ، في حين أن الرجل اشبه ما يكون بالحيوان ! وعلى حين ان النبات ـ كما نعلم ـ يتصف بالاستقرار والتأصل في التربة ، نجد أن الحيوان يعشق التنقل ويهوى الحركة . فالمرأة تمثل الطبيعة النباتية التي تتصف بالهدوء والسكينة وحب الاستقرار ، في حين أن الرجل يمثل الطبيعة الحيوانية التي تتصف بالحركة والتنقل والميل الى الاقتناص ! ولهذا فقد قال بعض الفلاسفة : ان المرأة هي الموجود الذي هو في صميمه « طبيعة » ، في حين ان الرجل هو الموجود الذي هو في جوهره « فِعْل » . وعلى حين ان الرجل يعبّر عن التاريخ والزمان والصيرورة المستمرة ، نجد أن المرأة تعبّر عن حَضْرة « الأبدية » في الزمان !

وعلى ضوء هذه التفرقة الثنائية بين الجنسين قد يكون في وسعنا أن نهتدي الى تحديد دور المرأة في الاصلاح الخلقي . والواقع أن الاخلاق ـ في جانب من جوانبها ـ مظهر للنظام والثبات والاستقرار ، فليس بدْعا أن يكون للمرأة ـ وهي المخلوق الذي يتسم بالهدوء والسكينة وحب الاستقرار ـ دور كبير في تأصيل القيم الاخلاقية ، وترسيخ المبادىء الروحية . وقد دلتنا التجربة على انه حينما تضطلع المرأة بدورها الحقيقي في التنظيم الاجتماعي ، فانها تسْهم ـ الى حد كبير في نشر الوعي الخلقي ، وتنمية الروح الدينية ، وتثبيت دعائم القيم الروحية . وقد يكون من الحديث المعاد أن نقول ان فتح المجال أمام المرأة العربية للقيام بدور ايجابي في تربية النشء وتوعية الجماهير (اخلاقيا واجتماعيا) ، لا بد من أن يؤدي ـ ان عاجلاً أو آجلا ـ الى رفع المستوى الاخلاقي للافراد والجماعات في سائر ارجاء الوطن العربي . فلا بد لنا ـ اذن ـ من دعوة المرأة العربية الى القيام بواجبها ـ في مضمار الاصلاح الخلقي ـ حتى يتسنّى لنا ان نخلق جيلاً واعيا من الرجال والنساء : جيلاً يعرف قيمة الجهد ، ويؤمن بضرورة العمل ، ويجزع من كل مظهر من مظاهر السهولة أو التساهل، ويدرك أن مستقبل امته مرهونٌ بتكاتف الجميع من أجل خلق « المجتمع الصالح » ...

كلمة أخيرة ...

ويبقى ان نقول ان « الاصلاح الخلقي » تعبير عن « ارادة التغيير » التي لا ترضى عن الواقع الحالي، بل تتطلع الى مستقبل أخلاقيٍّ افضل . وليس من شك في أننا ـ جميعا ـ نشعر باستياء بالغ ، لما في مجتمعنا العربي الراهن من مفاسد أخلاقية. ولكن هذا الشعور لا يزيد عن كونه مجرد خطوة على دَرْب الاصلاح ، (ولو أنها خطوة اولية ضرورية لا بُدّ منها لكل اصلاح) ، فلا بد لنا ـ اذن ـ من أن نُتبع هذه الخطوة بخطوات ، حتى لا تبقى رغبتنا في الاصلاح مجرد « حلم » او « امل » اجوف ! وحينما تصحّ النيات على القيام بجهود ايجابية فعّالة في سبيل السير على درب « الترقي الأخلاقي » ، فهنالك لا بُدّ للمصلحين الأخلاقيين من أن يعرفوا طريقهم الى تنفيذ مخططاتهم الاصلاحية ، واقين من أن الخطوة الاولى على طريق الأخلاق هي الايمان بقيمة الأخلاق ! ■■

زكريا ابراهيم

استفتاء "العربي"

في عدد اول يناير من هذا العام الجديد ، نشرنا ثلاثة نماذج من الرسائل التى تلقيناها من قراء « العربي » ، استجابة للاستفتاء الذى طرحناه فى عدد نوفمبر من العام الماضى ، نسألهم الراى فيما ينشره « العربى » ، طالبين ان يقترحوا من الابواب ما هو جديد ، وان يذكروا فى الوقت نفسه الابواب التي يرون حذفها ليحل محلها الجديد الذى يريدونه . وكل هذا عملا بالقول ، ان المستهلك هو وحده الذى يسأل عن بضاعة ينفق فيها من فكره ومن زمنه، وهو اذا قال ، قال عن علم . . وقد تلقينا كثيرا جدا من الاجابات من القراء فى مختلف انحاء العالم العربي ، ولكثرتها لا نستطيع ان ننشر غير امثلة لاجوبة مختلفة منها . . ولما كانت الكثرة الكاثرة بها المديح الكثير والتحية للعربي رأينا ان نكتفى بهذا الذكر هنا اختصارا وشكرا واليكم بعض هذه النماذج :

*** كل ابواب مجلتكم جميلة ومواضيعها شائقة، ولكن حبذا لو اختصرتم من تفاصيل الاستطلاعات، ووضعتم بدلا منها الموضوعات العلمية والادبية وزدتم من طرائف عربية وطرائف غربية .**

كامل محمد الشهابي / الباب / سورية



*** هذه المكتبة المتجولة العامرة بالوان من العلوم والمعرفة ، شيء ينقصها ، ان تقدموا لنا بابا جديدا منوعا يختص بالعلوم بحيث يشمل كل عدد تعريفا بشخصية من الشخصيات العلمية . . . .**

احمد عبد الرحمن / الكويت.

* الخص قولي بانني معجب بالابواب التي تحويها المجلة وكل ما تقدمونه من مواضيع جديدة شائقة للقارىء العربي الكريم ، وليس عندي ما ازيد الا أنْ تكون هدية مجلتي العربي هي خريطة للوطن العربي الكبير بالحدود الجديدة التى تطورت لبعض الدول العربية النامية والمستقلة ، ولا تنسوا العربي الصغير في العدد الممتاز لان العربي مجلة للكبار وللصغار معا .

ابراهيم زكي حسن / بغداد .

*** سررت جدا لاهتمام المجلة بقرائها واعتزازها بهم ــ ان كل ما قدمته العربي عظيم . . واقترح ادخال باب للثقافة العسكرية اى (تزويد المواطن العربي بالمعلومات عن الطائرات وانواعها وتسليحها وكذلك الصواريخ والمدافع والدبابات والاساطيل وقصص البطولة العسكرية) . ولكني لم ار بابا قديما يمكن حذفه ليحل محله باب الثقافة العسكرية .**

مصطفى محمد حسنين / القاهرة

* ابواب العربى ابواب تشفي غليل كل قارىء متلهف للعلم والمعرفة ، وتتبع الاخبار العلمية الحديثة ، وليس عندى من جديد اضيفه .

قصي يوسف الحاج ناجي / بغداد

*** الانسان الذى يتابع مجلة العربي لا يستطيع الاستغناء عن اى من ابوابها وذلك لانها على اعتقادى ترضى كل الفئات ، واقترح ان تكون الاستطلاعات المصورة خارج الكويت اكثر عموما وشمولا من حيث النواحي الاقتصادية والتاريخية والجغرافية والاثرية وما الى ذلك .**

ابوبكر احمد ساسي/طرابلس/ليبيا

* اود ان ارد على رغبتكم حول اقتراحات القراء فاسألكم هل بالامكان ان يتخلى انسان عن عضو من اعضاء جسمه ؟ هكذا موقفنا من ابواب العربي ، ان لم نقل هل من مزيد ؟ نتمنى للعربي

وللامة العربية الخير كل الخير وكل عام وانتم بخير .

فاروق حكيم / حلب . سوريا .

*** مع تقديرنا لجميع ما ينشر من ابواب في مجلتنا المحبوبة فاني اقترح ان تقدمو لنا بابا بعنوان : « اخبار العالم في شهر » وتكون الاخبار مختصرة لكي يقف كل قارىء للعربي على ما حدث في خلال هذا الشهر في العالم او في المجتمع العربي من بحوث وانجازات علمية.**

عبد الله ناصر عمر

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

* ليس لدى اقتراح فكل ابواب المجلة جيدة ، ولكن اقتراحي الوحيد هو ان تزيدوا كمية الاعداد المطبوعة لان المجلة تصل وتنفد في نفس اليوم ، ويعود القراء حاملين خيبة املهم لانهم لم يحصلوا على المجلة .

صلاح محمد علي/ام درمان/السودان



*** لا ارى حذف اى باب من الابواب التى تحويها مجلة العربي، ولكنني اقترح عليكم ان تزيدوا من نشر الموضوعات العلمية حتى نستطيع ان نقف على ما يجرى في الدول التى سبقتنا من الناحيتين العلمية والتكنولوجية .**

فكرى محمد فارس ـ المنصورة /ج٠م٠ع

* .... حاولت ان اجد ابوابا تستحق الحذف فلم اجد ، ولكني اقترح ادماج البابين « طرائف عربية » و « طرائف غربية » في باب واحد يعرف باسم « طرائف من الشرق والغرب » يحمل لنا هذا الباب طرائف وحكم مفكرى الامم غربية او شرقية وما اكثر حكم الامم الشرقية من هندية وصينية وروسية .

زابن مناور العيثي/المملكة العربية السعودية

*** اما عن رجائكم الى القراء باقتراح اى باب قديم يودون ان يحل الجديد محله ، فاننا لانستطيع ان نقترح حذف اى باب، لاننا نلاحظ ان جميعها نافعة ، ولكن اذا كان ولا بد من الغاء احد الابواب لضيق صفحات المجلة ، فاننا نقترح عليكم التخفيف من نشر المقالات الادبية والشعر والقصص ، بحدود موضوع واحد بالشهر ، املين ان يكون راينا عند حسن ظنكم وتقبلوا خالص شكرنا .**



نعمان الحمدى ـ ديترويت/امريكا

* شهدت في الجزائر مجلة العربي تباع في السوق السوداء .. فالحصول عليها من اشق الامور ، اللهم الا اذا كان القارىء من معارف موزعى الصحف واصحاب المكتبات . ارجو منكم ان تضاعفوا كمية الاعداد التي تطبع من العربي ، انني اعلم ان هذا ليس استجابة لاستفتائكم ، ولكنها كلمة وجب ان تقال .

خليف نعمان ـ الجزائر

*** .. اقترح ان يحل محل ابواب التاريخ والشعر والقصص ، باب جديد ، هو ندوة « مع اهل الاختصاص » يديرها الاستاذ الدكتور احمد زكى مع شخصيات موجودة في الكويت او من الزائرين للكويت ، بحيث تتنوع موضوعات هذه الندوة فتشمل الشئون السياسية والاقتصادية والتربية والزراعة الخ ..**

كما اقترح ايضا نشر باب جديد بعنوان « العالم بين يديك » نقف منه على النواحي الاجتماعية والثقافية في دول العالم الخارجي ، وكذلك الاهتمام بنشر موضوعات تقدمون لنا فيها المعلومات عن الجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، وفي خارج الوطن العربي ..

اما عن موضوعات المجلة الحالية ، فكلها ممتازة ، فهي قد كرست نفسها لخدمة الله والانسان .

البير قسيس ـ بيروت / لبنان

العربي : نكتفي بهذا وهو قليل من كثير ، ونشكر القراء جميعا

الناس

بين المساواة والمحاباة في قديم الشرائع وحديثها

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتى

استاذ تاريخ القانون ـ جامعة عين شمس

■ لعل اكثر المجتمعات البشرية تحقيقاً للمساواة بين الناس هي اقربها الى الفطرة وابعدها عن التطور . ففي المجتمعات التي تعتمد في حياتها على جمع الثمار والنباتات ، وصيد السمك او قنص الحيوانات ، يسود علاقات الافراد من المساواة ما لا يتحقق في غيرها .

فافراد كل جماعة يعيشون نفس النمط من الحياة ، ويتمتعون بنفس القدر من الحقوق . فهم ياوون الى الكهوف ، او يقيمون في حفر ، او يتخذون اخصاصا من الاعشاب او فروع الشجر . وهم في غالبيتهم لا يرتدون شيئا من الثياب ، واذا فعلوا اقتصروا على ما يستر العورة . الا في المناطق القطبية حيث تفرض برودة الجو ارتداء ثياب ثقيلة يتخذونها من فراء الحيوانات وجلودها . وهم يتعيشون على ما يلتقطون من خشاش الارض ، او يقتنصون من حيوانات ، او يصطادون من اسماك . وهم فيما عدا ذلك لا يعرفون سوى القليل جدا من الادوات التى يتخذونها من الحجر او الخشب او الجلود . يصنعها كل منهم بنفسه لنفسه وذويه . كذلك افراد الجماعة في اوضاعهم يتساوون . فليس هناك احرار وعبيد اذ لا وجود للرق بينهم . وليست هناك طبقات يعلو بعضها فوق بعض فالجميع على حد سواء . وليست هناك تفرقة بين ذكور واناث . فالمراة تتمتع فيها بمركز تغبطه عليها بنات جنسها في معظم المجتمعات الحديثة . قد يدهش لذلك الكثيرون ، لكنه امر اسفرت عنه الدراسات الحديثة في علم الانسان .

المساواة في المجتمعات القبلية

وتتغير ملامح الصورة بعض التغير في المجتمعات القبلية التى تعتمد على الزراعة او الرعي . حيث يظهر قدر من التفاوت بين افراد القبيلة في ظروف حياتهم ، كما ينشا نوع من التفرقة بينهم في الحقوق والواجبات . فبعض افراد القبيلة اكثر ثراء من بعض . ومع ذلك لا يكاد يكون لتفاوت الثروة في المجتمعات القبلية اثر في اسلوب الحياة . فافراد القبيلة يطعمون نفس المأكل . ويسترون عوراتهم ، ان كانوا يفعلون ، باردية بسيطة يتخذونها من اوراق النبات او جلود الحيوان . غير انه رغم بساطة مظاهر الحياة المادية في تلك المجتمعات وتقارب حظوظ الناس منها ، فان بوادر التفرقة تخرج الى حيز الوجود . فالى جانب الاحرار هناك العبيد . والاحرار انفسهم ليسوا بمنزلة سواء . فمن الأسر والعشائر ما ينظر اليه بوصفه اكرم محتدا واشرف نسبا من غيره . وابناء القبيلة على اية حال اسمى مكانة من اولئك النازلين بديارها ، المستظلين بظلها . كذلك تظهر بوادر التفرقة بين الجنسين فتكون للذكور حقوق تفوق ما للاناث . فيسمو وضع الرجل بينما يتدنى وضع المراة . ويختلف كل ذلك في مداه باختلاف القبائل والشعوب .

المساواة في المجتمعات المدنية القديمة

وفي المجتمعات المدنية القديمة تزداد الفوارق بين الناس . وينقسم المجتمع طبقات تختلف فيما

- في العهد القبلي .
- في المجتمع الهندوسي .
- في المجتمع القديم الصيني .
- في العهد الساساني الفارسي .
- في امم العهود الحاضرة .

بينها اختلافا ينعكس على مستوى المعيشة واسلوب الحياة ، كما ينعكس على حقوق كل طبقة وواجباتها . فمن الناس من يملك القصور الفخمة والضياع الواسعة والاموال الطائلة . ومنهم من لا يملك سوى كدح اليدين وعرق الجبين . ومنهم من يحيا حياة مترفة ناعمة يأكل ما لذ وطاب ويرتدي افخر الثياب . ومنهم من يحيا حياة بؤس وفاقة لايكاد يجد ما يقيم اوده او يستر جسده . ولم يقتصر الامر على تفاوت الافراد في حظوظهم من مظاهر الحياة المادية ، بل لقد تدخل الشرع ، في بعض المجتمعات المدنية القديمة ، لكي يكرس الانقسام الطبقي ولكي يجعل منه لا مجرد انقسام واقعي افضت اليه اعتبارات عملية اجتماعية واقتصادية بل نظاما قانونيا تحميه الدولة وترعاه . وفي ظل هذا النظام الطبقي ضاعت المساواة بين افراد المجتمع ، وتفاوتت حقوقهم وتباينت واجباتهم . ولما كانت الطبقة العليا هي التي تملك ناصية القوة الاقتصادية والنفوذ السياسي ، كان من الطبيعي ان تختص نفسها ، دون باقي الطبقات ، بالمركز الاسمى . واهم مظاهر الاختلاف بين الطبقات هو تفاوتها في الحقوق والواجبات . والقاعدة في هذا الخصوص انه كلما سمت الطبقة اتسعت حقوق افرادها وتضاءلت اعباؤهم . وكلما دنت انكمشت الحقوق وتضخمت الاعباء . وبلغ الامر في بعض المجتمعات حد ارتباط الفرد بطبقته ارتباطا لا انفصام له . فكان الفرد يرث طبقته كما يرث نوع شعره او لون بشرته . وكما ازدادت الفوارق بين الطبقات ، بعدت الشقة بين الجنسين . فلم تعد المرأة تلعب في المجتمعات المدنية سوى دور قليل الاهمية . ولقد وصل الامر في بعض منها الى حد الزام المرأة القعود في البيت والاحتجاب عن الرجال .

لا مساواة في المجتمع الهندوسي

ولعل المجتمع الهندوسي هو اوفر المجتمعات القديمة نصيبا من عدم المساواة بين افراده . فالمجتمع ينقسم ، طبقا للديانة الهندوسية ، الى طبقات بعضها فوق بعض درجات . ففي القمة يأتي البراهمة Brahmans وهم رجال الدين ، يليهم الكشتريا Kshatriyas وهم رجال الحرب والادارة ، يليهم الويشيا Vaisyas وهم الفلاحون واصحاب الحرف ، يليهم الشودرا Sudras وهم العمال . وبالاضافة الى هذه الطبقات الاربع هناك طائفة من الناس تعيش على هامش المجتمع وهي طائفة المنبوذين . وتفسر الاسطورة الدينية هذا الانقسام بأن براهم (الذات الالهية) خلق البرهمي من رأسه ، والكِشتريا من ذراعيه ، والوَيْشيا من وسطه ، والشودرا من قدميه (١) . ويرث افراد كل طبقة حالتهم ابا عن جد ، ولا يستطيع احدهم ان يتحول عن طبقته الى طبقة اسمى . فقد جاء في شريعة منو (اشهر فقهاء الهندوس) ان « رب المخلوقات فوض امر الحيوانات النافعة بعد خلقها الى الويشي ليقوم بتربيتها كما وضع الجنس البشري تحت وصاية البراهمة الكشترية . ولا يتبع ويشي هواه فيقول « عدت راغبا عن تربية المواشي » فاذا تخلى عنها وجبان يقوم آخر مقامه فيها »(٢) . وتميز شريعة الهندوس بين هذه الطبقات من عدة وجوه . ففيما يتعلق بالمسئولية الجنائية يختلف الجزاء باختلاف طبقة الجاني والمجني عليه . فاذا كان الجاني اسمى طبقة من المجني عليه كان جزاؤه اخف مما لو كان الامر على النقيض . فاذا قتل برهمي برهميا آخر كان جزاؤه ان يوسم فوق جبهته بالحديد المحمي وينفى . اما اذا قتل برهميا شخص من طبقة ادنى كان جزاء القاتل الاعدام ومصادرة الاموال . ودية الكشتريا الف بقرة ، ودية الويشي مائة بقرة ، واما دية الشودرا فعشر بقرات فحسب (٣) . كذلك فرقت هذه الشريعة ،

(١) انظر : Panikkar, Hindu Society at cro.s roads, P. 29
(٢) جوستاف لوبون ، حضارات الهند ، ترجمةعادل زعيتر ص ٣٢٤ .
(٣) انظر Wertermarck, L'origine et le de veloppement. des morales, P. 439

فيما يتعلق بمقدار الفائدة التى يجوز للدائن اقتضاؤها من المدين ، تبعا للطبقة التى ينتمى اليها هذا الاخير . فقد نص منو على ان للدائن ان يحصل من البرهمى على فائدة شهرية قدرها اثنان بالمائة ، ومن الكشترى على ثلاثة بالمائة ، ومن الويشى على اربعة بالمائة ، ومن الشودرا على خمسة بالمائة (٤) . بل لقد روى البيرونى ، بمناسبة حديثه عن تعدد الزوجات عند الهندوس ، ان منهم من يرى ان عدد النساء اللاتى يجوز للرجل الجمع بينهن يختلف باختلاف طبقته . فللبرهمى ان يتخذ اربع زوجات ، وللكشترى ان يتخذ ثلاثا ، وللويشى اثنتين ، اما الشودرا فواحدة (٥) .

ولامساواة فى المجتمع الصينى القديم

وفى الصين القديمة كان المجتمع منقسما الى طبقات . فكانت هناك الطبقة العليا وتضم النبلاء ورجال الادارة ، تليها طبقة العامة وتضم العلماء والحرفيين والتجار والفلاحين ... الخ . وفى الدرك الاسفل طبقة الرعاع وتضم عبيد الحكومة والافراد والبغايا والموسيقيين والمغنين وعداثى الحكومة . وكان افراد الطبقة العليا يتمتعون بالاعفاء من دفع الضرائب واداء السخرة ، ويمنحون الاقطاعات ويخفف عنهم العقاب ، ويحكمون امام محاكم خاصة . وكانت هناك قواعد عرفية وقانونية تحدد لافراد كل طبقة اصناف طعامهم واشكال لباسهم وحليهم ، ونمط مسكنهم ، وطراز عرباتهم ، بل وانواع توابيتهم واكفانهم ومقابرهم . وكانت هناك قواعد تحدد سلوك افراد الطبقات المختلفة فى مواجهة بعضها بعضا . فقد كان من واجب الادنى ان يخلى الطريق لمن هو اعلى منه . فكان على افراد العامة ، اذا راوا نبيلا وموظفا قادما ، ان يترجلوا فى الحال وان يقفوا على حافة الطريق ليسمحوا له ولحاشيته بالمرور . وبينما كان القانون يسمح للرجل الاسمى بأن يستعمل عند الضرورة الادوات الخاصة بمن هو ادنى منه ، لم يكن يسمح على الاطلاق لمن هو ادنى باستعمال الادوات الخاصة بمن هو اسمى منه . وكانت هناك جزاءات يتعرض لها من يخالف هذه الاحكام . وكانت الجزاءات بالنسبة للموظفين اشد منها بالنسبة لغيرهم . وكان الجزاء يتمثل فى عدد من الجلدات ، يضاف اليها بالنسبة للموظف الطرد من الوظيفة او النقل الى وظيفة ادنى . وقد بلغ من تشدد القانون فى ذلك ان كان يعاقب الحرفى او الحائك الذى يصنع لاحد العامة شيئا لا حق له فى استعماله بالجلد خمسين جلدة . اما الاشياء التى تستعمل على خلاف ما يقضى به القانون فكانت احيانا تباع او يستبدل بها غيرها ، واحيانا تصادر ، واحيانا تعطى على سبيل المكافاة لمن ارشد عن مستعملها . كذلك منع القانون فى بعض العصور الزواج بين افراد هذه الطبقات . ولم يكن الامر يقتصر على ابطال الزواج المختلط بل كان المخالفون يتعرضون للعقاب . كذلك كان وضع المراة ادنى بكثير من وضع الرجل . فكانت النساء تخضع خضوعا يكاد يكون مطلقا لسلطة الرجال من الاباء والازواج (٦) .

ولا مساواة فى المجتمع الفارسى أيام الساسانيين

ومن المجتمعات التى اقرت شريعتها انقسام المجتمع الى طبقات ، المجتمع الفارسي زمن الساسانيين اى قبل الاسلام مباشرة . فقد كان هذا المجتمع منقسما الى طبقات اربع : طبقة رجال الدين وطبقة رجال الحرب ، وطبقة كتاب الدواوين ، وطبقة الشعب من الفلاحين والصناع . وكانت كل طبقة منها تنقسم الى عدة اقسام . وكانت الطبقات الثلاث الاولى طبقات مميزة تفصل بينها وبين الشعب حدود محكمة . وكان التمييز بينهم يبدو جليا فى « المركب والملبس والمسكن والبستان والنساء والخدم » . وقد جاء فى بعض كتبهم « وميّز الاشراف عن المحترفة او المتهنة باللباس والمركب والزينة كما ميزت ازواجهم بثياب الحرير والقصور العظيمة والسراويل وغطاء الراس والصيد وبكل مزايا الاشراف » . وكان الانتقال من طبقة الى اخرى محظورا بوجه عام . وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة الا يطمع احد فى مرتبة اعلى من المرتبة التى يخولها له مولده . وقد حكى سعد الدين الوردينى فى كتابه « مرزبان نامه » ان احد ملوك الساسانيين قد امر باعداد وليمة يدعى

---

(٤) جوستاف لوبون، المصدر السابق، ص ٣٢٣ . (٥) البيرونى ، مقولات الهند ، ص ٢٧٨ .

(٦) T'ung-Tsu Ch'ü, Law and Society in Traditional China, Chap. III

اليها الناس من جميع الطبقات ، من اعظم النبلاء الى احقر الفقراء وان يجلسوا على مراتبهم ، ثم قدمت لهم افخر الاطعمة ، وقد جلس على المائدة جماعة من موظفى الدولة ورجال الديوان لعرض المظالم حتى ينال الآثمون جزاءهم وفقا لرسوم الشريعة المقدسة . ثم اعتلى الملك عرشه وامر المنادى باذاعة هذا المقال : « أيها الحاضرون امام الملك ، افتحوا عيون بصائركم ! انتم ايها الحاضرون من الندماء ورجال الديوان ، انظروا الى من هم اقل منكم طبقة ، ولا تتطلعوا الى الطبقة الاعلى منكم ، ليقتنع كل منكم بما هو فيه وليشكر الله على المرتبة التى هو فيها حين ينظر الى غيره ممن هم ادنى منه » . وهكذا اخذ كل فرد ينظر الى من هم ادنى منه مرتبة . حتى ان الذين كانوا في آخر مرتبة من ادنى طبقة احسوا السعادة بالنسبة لمن ادى بهم سوء سلوكهم الى التعزير ، وكان هؤلاء يحسون انهم اعلى منزلة ممن عوقبوا ليكونوا مثلا رادعا لغيرهم ، وكان من حكم عليه بمثل هذه العقوبة حين يرى من صلب او قطعت رقبته بطريقة اخرى يعد نفسه سعيدا لانه ليس في مكان احد منهم . ويضيف المؤلف الى ذلك قوله ان اقامة هذه المآدب اصبحت منذ ذلك اليوم عادة عند ملوك ايران (٧) .

المساواة بين المجتمعات القديمة والحديثة

فالطابع المميز للمجتمعات المدنية القديمة هو اذن التفرقة بين افراد المجتمع وتمييز بعضهم على بعض . فهناك تفرقة بين احرار وعبيد ، وهناك تفرقة بين نبلاء وعامة ، وهناك تفرقة بين ذكور واناث . اما في المجتمعات الحديثة فعلى العكس اذ يسودها مبدا المساواة بين افراد المجتمع الواحد . فقد اختفى ، بالغاء الرق خلال القرن الماضى ، تقسيم الناس الى احرار وارقاء . كما اختفت او كادت التفرقة بينهم تبعا لنسبهم او حسبهم او اصلهم ، واخذت التفرقة بين الذكور والاناث تسير بدورها نحو الاختفاء . وجرت عادة واضعى الدساتير الحديثة بتصديرها بالنص على المساواة بين المواطنين بغض النظر عن العرق او القومية او الدين او الوضع الاقتصادى او الجنس .. الخ . منها دساتير تخص دولا في اوروبا واخرى في آسيا وثالثة في افريقية وغيرها . ومنها دساتير تخص دولا رأسمالية واخرى تخص دولا انتهجت طريق الاشتراكية .

ويكفى هنا ان نضرب بعض الامثال . فقد نصت المادة ١٢٣ من دستور الاتحاد السوفيتى (الصادر في ٥ ديسمبر ١٩٣٦) على ان المساواة في الحقوق بين مواطنى الاتحاد السوفيتي بصرف النظر عن القومية والعنصر في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والعامة والثقافية والاجتماعية والسياسية ، هى قانون ثابت لا يمكن التنازل عنه ولا يمكن ابطاله . ونصت المادة ٣ من القانون الاساسي لجمهورية المانيا الاتحادية (الصادر في ٢٣ مايو ١٩٤٩ ، والمعدل بقانون اتحادى في ١٩ مارس ١٩٥٦) على ان الافراد جميعا لدى القانون سواء . وانه لا يجوز تمييز شخص بسبب الجنس او النسب ، او العنصر ، او اللغة او الوطن او الاصل ، او العقيدة ، او بسبب آرائه الدينية او السياسية . ونصت المادة ٨٥ من دستور الجمهورية الشعبية الصينية (الصادر في ٢ سبتمبر ١٩٥٤) على ان جميع مواطنى الجمهورية الشعبية الصينية متساوون امام القانون . ونصت المادة الثانية من الدستور الفرنسى (الصادر في ٤ اكتوبر ١٩٥٨) على ان فرنسا جمهورية لا تتجزأ علمانية ديمقراطية اجتماعية . وهى تضمن المساواة امام القانون لجميع المواطنين دون تمييز بسبب الاصل او الجنس او الدين . كما نصت المادة ١٤ من الدستور اليابانى (الصادر في ٣ نوفمبر ١٩٦٣) على ان المواطنين لدى القانون سواء وان أى تمييز بينهم اساسه الاصل او العقيدة او الجنس او الحالة الاجتماعية او منشأ الاسرة لا يمكن ان يكون له اثر في العلاقات السياسية أو الاقتصادية والاجتماعية . وان طبقة النبلاء لا يقرها الدستور .

واذا كانت المساواة امام القانون قد اضحت الآن قضية مسلمة ، فان الامر لم يقف عند هذا الحد . فقد شرع الكثير من المجتمعات الحديثة في محاولات تهدف الى تضييق الشقة بين افراد المجتمع من حيث اوضاعهم الاقتصادية . ■■

محمود سلام زناتى

---

(٧) انظر : كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، ص ٣٠٣ وما بعدها .

مع ... الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الضفدع

مثلاً للحيوانات التي تسكن اليابسة والماء على حد سواء

بقلم الدكتور أحمد زكي

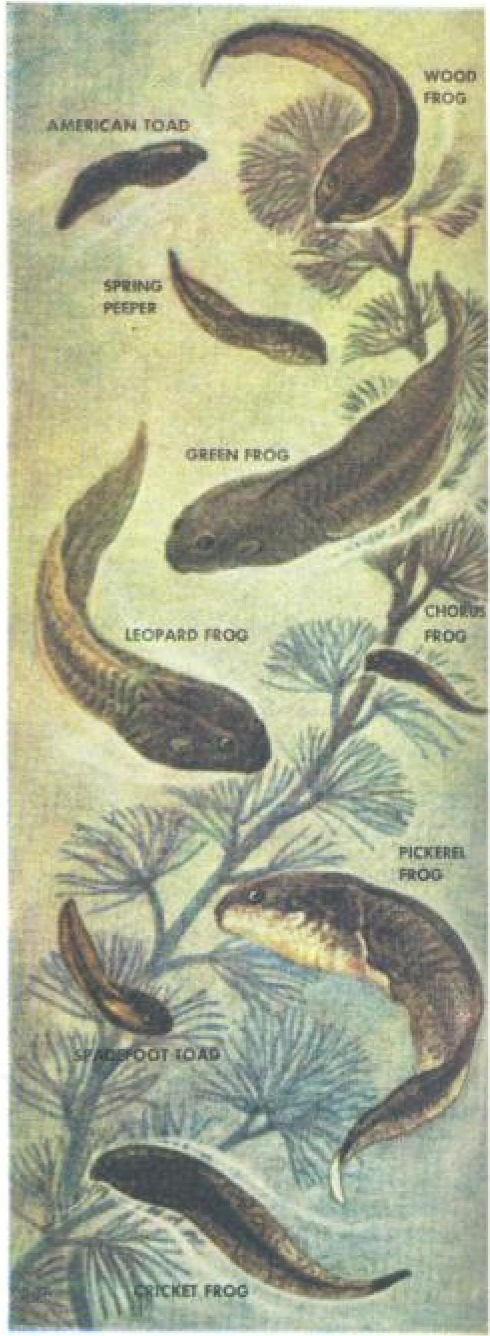
■ خرج الصبي عصر يوم من منزله الى حديقة الدار يعبث في مياه قنواتها ؛ وهي تستمد ماءها من قناة اكبر في خارج الدار ، وهذه تستمد ماءها هي الاخرى من ترعة غير بعيدة . وبعد غيبة طالت عاد الصبي ، وبيده زجاجة بها ماء من ماء الترعة وبه أشياء تسبح .

قال الصبي لجدته وهو في زهو وامل: ان الترعة بها كثير من هذا السمك . وهذا صغير ، ولا بد في مائها من سمك كبير ، ولا بد من شرائي عصاة لصيد السمك وخيطا وسائر الجهاز لاجرب حظي مع سمك هذه الترعة .

ونظرت الجدة الى القنينة وما يسبح فيها ، وقالت للطفل ، وهي تبتسم ،ما هذا يا عزيزى بسمك يؤكل ، انما هو شيء كالسمك يتحول بعد اسابيع الى ضفدع . ولم يصدق الصبى ما سمعت أذناه . ولما ألحت عليه الجدة وزادته ايضاحا ، جرى بالقارورة الى الخادم ليفاجئه بالذى قالته جدته ، وما اسرع ما كذّب الخادم ما سمعت اذناه . قال: هذا سمك لا شك فيه . فأين هو من الضفدع ؟ ! وجرى بين الصبي والخادم رهان .

وعمل الصبى بنصيحة جدته، وجاء هو والخادم بوعاء كبير ملأوه من ماء الترعة القريب من الشاطىء ، وفيه هذا السمك

صورة لافراخ عدة ، لانواع من الضفادع عدة ، وهى تعوم كالسمك في الماء . ومن هذه الضفادع الضفدع الاخضر،والضفدع الفهد. وقد تركنا الاسماء الافرنجية مع الصور لفائدتها ، ولانه لا يوجد لهذه الضفادع اسماء عربية متفق عليها .



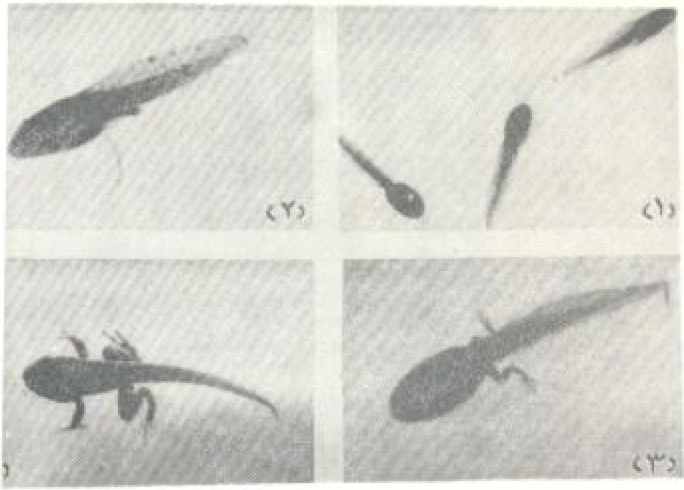
يشق الماء شقا ، في كل اتجاه . وحفظ الصبي الوعاء بسمكه في حجرته ، واخذ يغذيه بالطريقةالتيوصفتها جدته، فيأتيه بطعام ، من هنا وهنا ، لا سيما الأخضر .

وهال الصبي بعد فترة من الزمن ان اخذ هذا السمك يتحول . بدات تظهر له رجلان خلفيتان . وبعد ايام ظهرت له رجلان اماميتان . والذيل يتقلص . ورويدا رويدا يتطور هذا المخلوق حتى يكون له مظهر الضفدع .بلهو الضفدع.

ويلاحظ الصبي انه لايزال يسبح في الماء ،وواسطته في ذلك رجلاه الخلفيتان. بكل رجل خمس اصابع ، وبين الاصبع والاصبع غشاء يعين على السبح ، فهي ارجل كالمجاديف . ويضع الصبي احد هذه الضفادع على حشيش في الحديقة فيراه ينط ، ويدفع برجليه الخلفيتين . وعندما يسقط ، يسقط على رجليه الصغيرتين الأماميتين ، وبهما اصابعاربع ليس بينها أغشية .

حدث ، اختبل له الصبي اختبالا . سمك يصبح حيوانا ذا اربع أرجل ، لا في عام او اعوام او قرون ، ولكن في بضعة اسابيع .

وقبل اختبال الصبي اختبل العلماء .



اذا افرخ بيض الضفدع خرجت صغاره افراخا كالسمك ، تسبح في الماء ، وتتنفس بالخياشيم (١) ثم تتحول فيظهر فيها الرجلان الخلفيتان (٢) و (٣) ، ثم الرجلان الأماميتان (٤) ثم يختفى الذيل ويتم خلق الضفدع كما نعرفه، ويخرج الى اليابسة وقد تكونت فيه الرئتان فهو يتنفس الهواء.

ويزيد وقوفنا عند هذا الحدث فى دهشة ، ان تعلم ان هذا السمك ، وكان موطنه الطبيعي الماء ، اخذ يتحول باطنا كما تحول ظاهرا ، ليكون موطنه الأرض اليابسة ايضا .

فقد كان وهو فى الماء يتنفس الهواء كما يتنفس السمك ، عن طريق الخياشيم ، اذ يمتص الدم الذى يجرى بها الذائب فى الماء من الاكسجين . ثم اخذت الخياشيم تتقلص الى اختفاء ، حين اخذت الرئات تكبر وتتسع حتى استطاعت ان تتنفس من الجو الهواء .

وكان فَرْخ الضفدع هذا Tadpole يأكل وهو فى الماء شتى النبات ، ثم صار وقد صعد الى اليابسة ، يقتات من الحشر ودود الأرض والعناكب واشباه ذلك . وتعدّل لذلك فمه ، والمعى ، وكانت طويلة مَحواة والضفدع آكل نبات ، صارت قصيرة والضفدع آكل حيوان ، كما هى الحال فى سائر الخلق.

صفات الضفدع

للضفدع البالغ جلد ناعم بليل ، وله عينات بينتان . ووراء العين طبلة الاذن ظاهرة . وللضفدع فم واسع به اسنان فى الفك الأعلى واسنان فى سقفه .

وللضفدع لسان طويل ، وهو متصل بمقدّم الفك الأسفل ، ويمتد الى الخلف حتى الحلق ، وطرفه الأمامي ينطوى بعضه على بعض . فاذا بان للضفدع صيد ، ذبابة او نحوها ، فما اسرع ما يقذف الضفدع بطرف لسانه اليها ، واذ يمسك اللسان صيده بطرفه اللزق ، يعود بما يحمل الى الفم ، ويلقى بفريسته فى الحلق ، فالى المعدة. ويحدث كل هذا فى زمن اقصر من ان تتابعه فيه عين انسان .

اصوات الضفادع

والضفدع يحدث صوته المعروف بامرار الهواء عبر احبال له صوتية . وللذكور من الضفدع اكياس صوتية على جانبي الحلق تنتفخ فى الجزء الخلفي من الفم . وهذه الاكياس تزيد فى قوة الصوت الذى تحدثه الأحبال الصوتية .

دفاع الضفادع عن نفسها

والضفدع يدفع الأعداء عن نفسه

بالنط ، وقد تبلغ نطته ٣ اقدام . او بالغطس في الماء . او بالسبح فالهرب . ويستطيع الضفدع ان يطفو في الماء وانفه وعيناه فوق سطحه ، وذلك بان يحبس في رئتيه المقدار الواجب من الهواء .

كم يعيش الضفدع ؟

اعمار الضفادع تختلف باختلاف الأجناس . وهي لذلك تعيش ما بين ١٠ اعوام و ٤٠ عاما ، اذا هي نجت من اسباب الموت الطارئة كالبرد الشديد والجفاف ، واذا هي اخطاها اعداؤها ، ومن هذه الأعداء الثعابين والصقور ، والبوم ، والسمك الكبير .

نومة الشتاء للضفادع

في الشتاء لا نسمع للضفادع صوتا ، فاذا جاء الربيع ، كان صوت الضفدع بعض الدلائل على قدوم الربيع .

والسبب في ذلك ؟ ان الضفادع تنام في الشتاء القارس Hibernate

ذلك ان الضفادع من الحيوانات التي تعرف بذوات الدم البارد . ومعنى هذا ان درجة حرارة اجسامها تتوقف على حرارة الجو الذى تعيش فيه ، فاذا بردت هذه ، بردت تلك ، وان احترت هذه ، احترت تلك . وغير ذلك الانسان . وغير ذلك الحيوانات الثدية والطير . فهذه تحدث في اجسامها الحرارة احداثا تاتلف وجريان الحياة فيها .

ويأتي الشتاء فلا يتحمل الضفدع برده القارس فيخلد الى النوم هربا من الموت وهو لذلك يحفر عميقا في الوحل وفيه يرقد . وهو اذ ينام تقل مناشط جسمه . والطاقة التي يحتاجها الضفدع ليُجري حياته على هذا المستوى الخفيض يستمدها مما كان اختزن في جسمه في الصيف ، وهو من دهن .

واذا جاء الصيف خرج الضفدع من حفائر الوحل وبدأ فترة من حياته كبيرة النشاط . وفيها يحدث التلاقح وتخرج الانسال الجديدة بانفقاس البيض . وتأتي بعد هذه الفترة فترة كساد ، ويأكل فيها الضفدع ويختزن لشتائه .

بعض صنوف من الضفادع

الضفادع صنوف عديدة ، وتختلف بيئاتها ، فتختلف صنوفها وبختلف توزعها .

من الضفادع ضفدع في ظهره بقع تجعله يشبه الفهد، ويسمى هذا الصنف بالضفدع الفهد Leopard Frog ، وآخر كبير الحجم ، فهم يسمونه الضفدع الثور Bullfrog ، وما هو في حجم الثور . واناثه اكبر من ذكره فهي قد تبلغ ٧ او ٨ بوصات طولا .

ثم الضفدع الاخضر Green Frog وهو اخضر اللون ، ويستطيع ان يبدل لونه بحيث يلتئم مع المكان الذى به ، وذلك طلبا للتخفي .

ومن الضفادع ضفادع ضخمة ، بعض يبلغ طوله القدم ، وبعض يبلغ حجم القطة حجما .

ومن الضفادع ماله جيوب في ظهره يخفي فيها بيضه حتى يستتم تشكل الجنين ، فينفقس البيض وهو لا يزال في جيوبه .

الضفادع في المطاعم وفي المدارس والجامعات

اما الجزء المستطاب منها فالارجل الخلفية ، لوفرة لحمها وطيب مذاقها عند من يحبون اكلها . ولزيادة الطلب عليها اخذ بعض المغامرين في تربية الضفادع في برك مصنوعة ، اسموها المزارع .

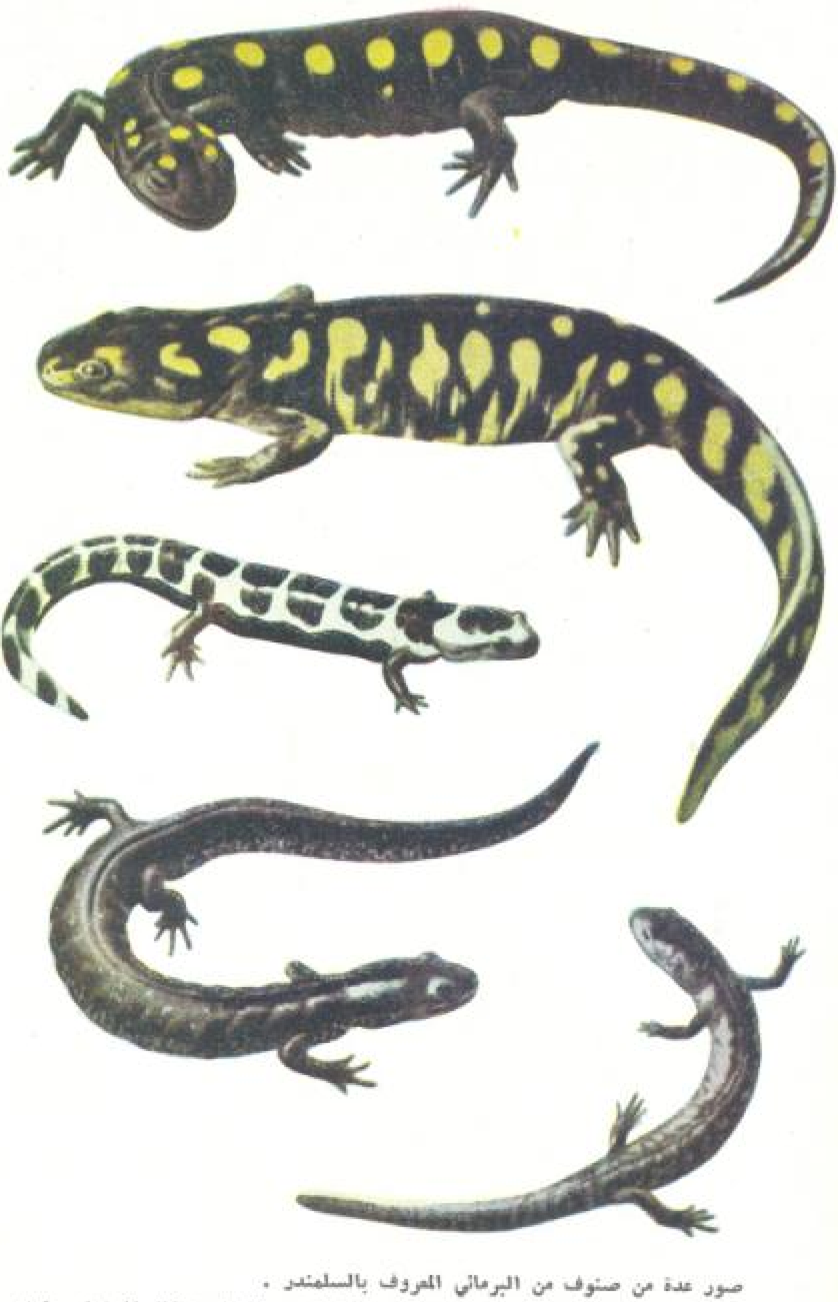
والضفدع كثيرا ما يستخدم في



صورة لصنفين من الضفادع ، وهما يعومان في الماء . اليمنى لضفدع الفهد ، واليسرى لضفدع البكريل ، وقد تركنا الاسماء الافرنجية في الصورة لفائدتها ، ثم لانه لا يوجد لهذه الضفادع اسماء عربية متفق عليها .

الضفدع الاخشن ، المعروف باسم التود الامريكي ، وبجلده ثآليل كثيرة ، هي التي تكسب هذا البرمائي خشونة جلده.





صور عدة من صنوف من البرمائي المعروف بالسلمندر .
الى اعلى سلمندر ارقط يليه السلمندر النمر فالسلمندر الرخامي (كالرخام) ثم سلمندر جفرسن واخيرا سلمندر تكساس . والسلمندر ، كالضفدع ، من حيث انه يؤلف رتبة من الطائفة المعروفة بالبرمائية .

المدارس والجامعات فى دراسات علم الحياة وهم يشرّحونه فيما يفعلون ؛ وذلك لأن أعضاء الضفدع بينها وبين أعضاء الانسان شبه كثير .

ويستخدم الضفدع كذلك فى الجامعات والمعاهد والمختبرات لاجراء البحوث عليه. ومن نتائجها يستنتج العلماء ماتكون هذه النتائج فى نفس الظروف فى الانسان . معنى أصيل فى وحدة الخلق يجب ان لا يفوت انسانا .

الضفدع شبيهُ الانسان اعضاءً وأجهزةً بناء

الضفدع راس وجذع واطراف :

نبدا براس الضفدع ، فنرى أنه راس مفرطح بـه المخ والعينان والاذنان والفم والأنف .

ويلى الراس عنق قصير يكاد ان لا تكون به حركة . فالراس من فوقه لا يتحرك كثيراً .

ويلى العنق الجذع ، وهو قصير غليظ تضم جدرانه جوفا يشتمل على سائر الاعضاء والاحشاء .

واعضاء الجسم واحشاؤه يقعان من هذا الجوف فى فجوات ثلاث : الصدر ، والبطن ، والحوض .

وبين الصدر والبطن فى الانسان الحجاب الحاجز ، ولا يوجد حجاب كهذا فى الضفدع .

ويخرج من الجذع الرجلان الخلفيتان للضفدع. ويخرج منه الرجلان الاماميتان.

الهيكل العظمى للضفدع :

ويتالف من الجمجمة ،وهي مفرطحة، وفيها مخ الضفدع الصغير .

ويتالف العمود الفقرى للضفدع من ٩ فقرات ، بينا العمود الفقارى للانسان به ٢٤ فقرة. وليس للضفدع كما للانسان اضلاع. وليس له ذيل، الا عظمة صغيرة توحى بأن ذيلا كان هناك ثم امّحى .

واكتاف الضفادع وارجلها الامامية تشبه اكتاف الانسان واذرعه .

غير ان الانسان له فى النصف المتقدم من ذراعه عظمتان ، الكُعبرة وعظم الزَّند . اما الضفدع فله عظم واحد . والنصف الأعلى من الدراع فى الانسان به عظم واحد ، هو عظم العَضُد ، وكذا الضفدع .

والساق فى الضفدع بها عظم واحد ، وفى الانسان عظمان ، عظم القصبة وعظم الشَّظيَّة . والفخذ فى كليهما بها عظم واحد .

ولليد (اى الرجل الامامية) أربع اصابع ، وللرجل الخلفية خمس ، وللانسان خمس فى كليهما .

عضلات الضفدع :

هي التي تحرك العظم كما تحرك الروافع الاثقال .

والعضل الذى يحرك عظام الهيكل من النوع المعروف بالمخطط او القلم . اما الاعضاء الداخلية فعضلاتها من النوع المعروف بالناعم . وكذا سائر الفقاريات .

والمهم هنا ان يظل القارىء مستيقظا متنبها لوجوه الشبه العديدة التي بين الاحياء ، فى هيكل عظمى ، أو عضلة ، او غير ذلك . فالكشف عن الوحدة هدفنا .

الجهاز الهضمي للضفدع :

يذهب الصيد الذى يصطاده الضفدع غذاء له من الفم الى المرىء ، الى المعدة . ثم من المعدة الى المعى الصغير حيث يجرى اكثر الهضم . ويساعد على الهضم الكبد والبنكرياس (وكذا هما فى الانسان) ومع الكبد توجد الحويصلة الصفراوية .

والكلية ، وهى تفرز من الدم ما لا حاجة للجسم به ، فيجرى منها مع الماء عن طريق مجارى البول الى المثانة البولية استعدادا للخروج .

وكذلك النفايات التي تتبقى من الهضم فلا ينتفع بها الجسم تتجمع فى المعى الكبير استعدادا للخروج .

والنفايات جميعا ، من سائل وصلب، تخرج عن طريق المَذْرَق Cloaca فالشَرَج .

الدورة الدموية ، للضفادع :

قلب الانسان يتألف من أذينين ، وبطينين . او من أذين يسارى ، ومن تحته بطين يسارى ، ومن أذين يمينى ومن تحته بطين يمينى . والبطين فيه القوة الدافعة للدم ليجرى .

اما قلب الضفدع فيتألف من أذينين، اذين يسارى واذين يمينى ، ومن تحتهما بطين واحد ، هو ايضا القوة الدافعة للدم ليجرى .

والدم يأتى الى الأذين الأيمن من اوردة جسم الضفدع وهو ناقص الاكسجين ، فيدفعه هذا فى البطين ليدفعه الى الرئة ، وهناك يتزود بالاكسجين ويتخلص من ثانى اكسيد الكربون ، ثم هو يعود الى الأذين الأيسر، ومنه الى البطين السابق نفسه ، وهذا يدفعه عن طريق الشرايين الى الجسم .

ومعنى هذا ان الدم ناقص الاكسجين يلتقى بالدم المتزود بالاكسجين ، فى بطين واحد . فهل يختلطان ؟

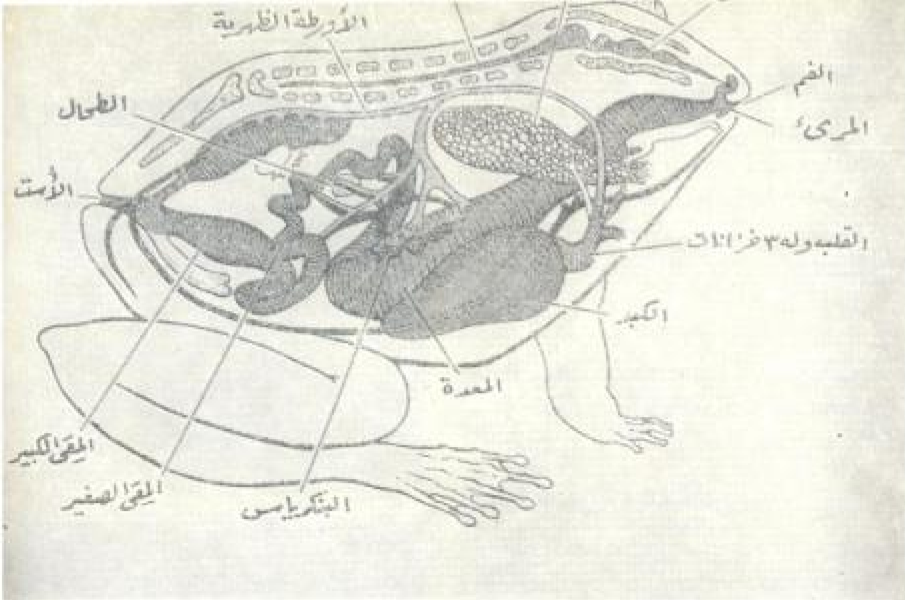
الواقع ان الأذين الأيمن يفوص فى البطين ، فالدم ناقص الاكسجين الداخل منه الى البطين يكون فى النصف الاسفل من البطين . والدم المتزود بالاكسجين الداخل الى هذا البطين نفسه من الاذين الايسر يحتل مكانا فى البطين فوق الدم ناقص الاكسجين . واذن فالذى يسبق فى الخروج من البطين هو الدم الناقص







صورة الضفدع وقد لمح فراشة فى الجو طائرة ، فاستعد لالتقاطها بلسانه طعاما شهيا . وترى لسانه فى فمه وهو منطو ، ثم وهو قد امتد خطفا الى الفراشة ، ثم اذا بها فى فمه فيبلعها .



صورة ايضاحية لضفدع ، وقد ظهرت كل اعضائه الداخلة واجهزة حياته ، وهى اشبه ما تكون بالذى بداخل جسم الانسان من مثلها ، أعضاء واجهزة

الاكسجين ، فيكون اسبق الى الرئتين ويزدحم به الطريق فلا يأذن للدم المتخلف ، الكثير الاكسجين ، الا ان يسلك طريقه الى الشرايين فالى الجسم ، جسم الضفدع .

دم الضفدع :

ودم الضفدع يتألف من البلزمة Plasma ، وهى السائل الذى توجد فيه خلايا الدم الحمراء وخلاياه البيضاء (قارن ذلك بدم الانسان) .

جهاز التنفس فى الضفدع :

هما جهازان : الجلد والرئتان .

وجلد الضفدع يتألف كجلد الانسان من البشرة Epidermis والادمة Demris . وتجرى فى هذا الجلد شبكة من الأوعية الدموية ، يستطيع الاكسجين ان يخترق انسجتها الى دمها فيحدث التنفس المطلوب .

وهذا هو الذى يحدث اذا غطس الضفدع غطسا فى الماء .

وغير الجلد الرئتان ، وهما خزانتان للهواء صغيرتان ، يدخل الهواء اليهما من المنخارين ، فالى القصبة الهوائية فالى الرئتين .

والانسان يستعين على التنفس بالحجاب الحاجز وبالاضلاع ، فهى تتحرك حركة تناغم التنفس ، تتسع بها الرئتان فيدخل اليهما الهواء ، هواء الشهيق ، ويضيقان فيخرج منهما هواء الزفير .

وليس فى الضفدع حجاب حاجز ولا اضلاع . فكل الذى يصنعه أن يفتح فمه فيدخل الهواء .

وطريقة اخرى لتنفس الضفدع وهو مغلق فمه ، وذلك بأن يخفض قاع فمه فينتفخ حلقه ، فاذا فتح منخاريه دخل منهما الهواء . ويسد الضفدع المنخارين ، ويدفع بالهواء الى الرئة . انها طريقة اخرى للتنفس والفم مغلق .

الجهاز العصبى للضفدع :

للضفدع جهاز عصبى بالغ الاداء ، يتألف من المخ ، والحبل الشوكى ، وما يخرج عنهما من اعصاب . وتقابل

اجزاء هذا الجهاز نظيراتها فى الانسان من حيث الوظائف .

ومخ الضفدع صغير جدا اذا قارناه بمخ الانسان، ومخ الانسان يقوم بوظائف كثيرة كبيرة تتصل بعمل الحياة . وللضفدع مخيخ كما للانسان مخيخ ، وهو يقوم على الاحتفاظ باوضاع الجسم وبالمناسقة بين عمل العضلات . وللضفدع نخاع مثل النخاع المستطيل فى الانسان Modulla ، وهو ينظم اعمال الجسم الخارجة عن ارادة الانسان مثل الهضم والتنفس .

ومن جمجمة الانسان يخرج ١٢ عصبا ، ومن جمجمة الضفدع عشرة اعصاب .

ومن الحبل الشوكى فى الانسان يخرج ٣٠ زوجا من الاعصاب ، يخرج مثلها فى الضفدع عشرة ازواج .

وللضفدع منخاران وهما المدخل الى حاسة الشم .

وعين الضفدع سيئة الابصار ، وعدستها لا تتغير بؤرتها .

وأذن الضفدع تفتقد الاذن الخارجة، وهى تبدأ بالطبلة . ولا يوجد فى الاذن الوسطى غير عظم واحد بينا مثيلتها فى الانسان بها ٣ عظام . وكما فى اذن الانسان ، فكذلك فى اذن الضفدع ، قنوات نصف دائرية تساعد على احتفاظ الجسم باتزانه .

الحيوانات البرْمائية
أى التى تعيش فى البر والماء

وقد ضربنا لها بالضفدع خير مثل .

بعد ان ذكرنا عن الضفدع ما ذكرنا يسهل ان نصف الحيوانات البرمائية بالصفات الآتية :

اولا : البرمائيات طائفة Class من طوائف الفقاريات ، وهى الاسماك ، والبرمائيات والزواحف ، والطيور ، وذوات الثدى ومنها الانسان .

ثانيا : والبرمائيات طائفة من اشهر رتبها Orders الضفدع Frog ، والضفدع الأخشن الجلد او التود Toad ، والسلمندر Salamander .

ثالثا : وهى حيوانات تعيش حياتها الاولى فى الماء ، وتتنفس كالاسماك بالخياشيم ، ثم هى تتنشأ فيها الرئات وتصبح قادرة على العيش على الارض اليابسة . وهى تراوح بين اليابسة والماء . ومن السلمندر ما يعيش فى الماء طول حياته . والضفدع الأخشن او التود Toad يعيش اكثر ما يعيش على الارض .

رابعا : وتتميز البرمائيات على الاسماك بان تنبت لها ارجل بدل الزعانف ، ورئات بدل الخياشيم ، وليس فى جلودها ، من قشر السمك ، اى سَفَطه ، شيء .

خامسا : فى الاجهزة الداخلة للبرمائيات تقدم فى الخلق كبير ، فالقلب له خزانات ثلاث (للسمك خزانتان رئيسيتان فقط) ، والدورة الدموية مغلقة .

سادسا : والتناسل فى البرمائيات اشبه بالتناسل فى الاسماك منه بتناسل الفقاريات على الارض . فالانثى تضع بيضها فى الماء حيث تتلقح بما يسقط الذكر ، ومن التلاقح تتولد تلك الصور الاولى للبرمائيات التى تشبه الاسماك وفى الماء تبدأ حياتها .

وخطورة البرمائيات تقع فى انها تتوسط سكان البحر ، الاسماك ، وسكان الارض من سائر الفقاريات ، من زواحف وطيور وذوات ثدى ●●

احمد زكى

اللغة الأم

كيف يتعلمها الطفل في سنواته الأولى

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ لعل اعظم قدرة يمتلكها الانسان هي القدرة على تعلم اللغة الام وذلك خلال السنوات الاولى من الحياة ، تلك المنظومة الواسعة المعقدة للغة التي يتكلمها مجتمعه وحضارته ، ان الانسان حين يترجم الحوادث المادية الى رموز لغوية يتمكن من تقليب الامور في ذهنه موفرا على نفسه مقدارا كبيرا من سلوك المحاولة والخطا مما يمكنه من الانتقال الى عوالم غير مرئية ، بل وفي بعض الاحيان الى عوالم غير موجودة . ان الكلام امتياز للانسان على جميع المخلوقات بل هو اداة المجتمع الاساسية .

ولقد عني علماء النفس وعلماء اللغة ـ على حد سواء ـ منذ امد بعيد بدراسة هذه الهبة وكان من جراء تعاونهم ان وجد العلم الجديد الذى يمكن ان نسميه السيكولوجيا اللغوية Psycholimgnistics . وقبل ان نستطيع فحص النظريات الكبرى عن كيفية تعلم اللغة لا بد لنا من التساؤل : مم تتالف اللغة ؟ وكيف تتكون ؟

في الظاهر تبدو اللغات الانسانية متنوعة الى ابعد الحدود . اما الاختصاصي بالسيكولوجيا اللغوية فسرعان ما يرى ان هذه اللغات تتقاسم فيما بينها بعض الصفات والخصائص العامة . ولذلك فان حديثنا التالي وان استند الى الدراسات التي اجريت على اللغة الانكليزية ، فان مبادئه العامة تنطبق على كل اللغات بما في ذلك لغتنا العربية .

مستويات التحليل اللغوي

من بين الخصائص العامة الشائعة في كل اللغات

الانسانية خاصة وجود بناء لغوي اساسي ووجود منظومة بنائية متدرجة من الوحدات الصوتية البسيطة الى الوحدات الفكرية المعقدة . وفي فهمنا للكلام نعتمد على دلالات – في مستويات مختلفة – لهذا التنظيم اللغوى بما في ذلك المستويات الفونولوجية والنحوية والدلالية .

المستوى الفونولوجى(١)

نهتم في المستوى الفونولوجي بوحدات الاصوات الاساسية التى تكون مجرى الكلام . ان الفونيمة Phoneme (الوحدة الصوتية الاساسية للغة ما) (٢) هي صنف من الاصوات يميزها متكلمو لغة ما على اعتبار ان لها بعض الصفات المميزة تفرق بينها وبين غيرها من الاصوات . وهكذا فان الصوت في حرف (س) غير الصوت في حرف (ث) او في حرف (ص) . وواضح انه لا بد في فهم لغة الكلام من التمييز بين الوحدات الصوتية ، كما ان الطفل في تقدمه بالسن يزداد بالتدرج رصيده من هذه الوحدات كما يزداد تمييزه لها وتفريقه بينها . وقد ايدت الدراسات التجريبية هذا الامر .

المستويان النحوى والدلالى

وفي المستوى النحوي نفرق بين تشكيل الكلمة واعرابها ، ففي اللغة الانكليزية تتراكب الوحدات الصوتية لتكون مائة الف من الوحدات الكلامية Morpheme . والوحدة الكلامية (اصغر وحدة من الكلام ذات معني) قد تكون كلمة وقد لا تكون وهكذا فان كلمة (حب) وحدة كلامية ، اما كلمة (حبي) فهي وحدتان كلاميتان اى انها مكونة من (حب) و ياء النسبة .

اما الكلمة فهي تنظيم اعتباطي مكون من حروف (بصرية) او اصوات (سمعية) تكون رمزا وتكون في الوقت نفسه صنفا عاما من الاشياء او الحوادث او الفعاليات الخ ... وبعض الكلمات تدل على شيء معين مثل كلمة (الخنافس) (اشارة الى الشبان الذين ظهروا في انكلترا وسموا بهذا الاسم) في حين ان معظم الكلمات تدل على صنف واسع من الاشياء مثل (قرد) .

وتتجمع الكلمات في وحدات أوسع ، في جمل ، وفقا لقواعد النحو والاعراب . وهذه القواعد تحدد كيفية اتصال الكلمات بعضها ببعض وتنظيمها لتكون جملة مفيدة. وقد افترض العالم تشومسكى عام ١٩٥٧ ان العنصر الاساسي هو الجملة البسيطة الايجابية ، وان هذه الجملة الاساسية تتخذ اشكالا عديدة وفقا لقواعد النحو والاعراب . وهكذا تكون الجملة الاساسية البسيطة (اكلَ احمدُ) . ويمكن تغييرها بحيث نقول (احمد اكل) و (احمد لم ياكل) و (احمد اكل كثيرا) و (ما اكل احمد) الخ ..والقواعد الاساسية تختلف بطبيعة الحال من لغة الى اخرى . ولكن هذه القواعد وتغيراتها تكون عامة بالنسبة لكل اللغات .

لبعض الحوادث اللغوية معنى ، وبعضها الاخر لا معنى له . ودراسة المعنى تسمى (علم دلالات الالفاظ Sewatics) . ان لبعض الكلمات ، او مجموعة الكلمات ، معنى لانها تستحضر صورا معينة . ولبعضها الاخر معنى اصطلح عليه مثل مصطلح (علم دلالات الالفاظ) ، بل ان بعض الكلمات او مجموعة الكلمات تحصل على معناها من خلال ارتباطاتها العاطفية او العقلية . ثم ان معنى الكلمة يتوقف ايضا على سياقها المباشر او على اللهجة التى تستعمل في لفظها . وهكذا فان لكلمة (جرى) اكثر من معنى . ثم ان قولك (صباح الخير) بلهجة خاصة قد يعنى التوبيخ بالنسبة لموظف اتى الى عمله متاخرا . اما قولك (هذه الفتاة غنت الطاولة) فهو قول صحيح من وجهة الفونولوجيا والنحو الصرف ولكنه لا معنى له فهو مرفوض من الناحية الدلالية .

الواقع السيكلوجى للتحليل اللغوى

هل تملك هذه الوحدات والمستويات والقواعد بالفعل واقعا سيكولوجيا بالنسبة للمتكلم والسامع؟ من اجل الاجابة عن هذا السؤال لجأ علماء سيكولوجية اللغة الى تغيير عنصر لغوى واحد ثم عمدوا الى ملاحظة اثر ذلك على قدرة المجرَّب عليه على الادراك والتعلم والتذكر فيما يخص قولا ما .

---

(١) الفونولوجيا Phonology هى علم الاصوات الكلامية .

(٢) وستسميها فيما يلى بالوحدة الصوتية .

الفونولوجيا
(علم الاصوات الكلامية)

ان الباحثين العاملين في المستوى الفونولوجي قد نجحوا في تحديد الخصائص المادية الصوتية وادراكها . وقد تبين لهم ان بعض الانماط الجسدية المتشابهة جدا تدرك كوحدات صوتية متباينة (كما هو الحال بالنسبة لـ (Da و Ga) في حين ان ثمة وحدات مختلفة جدا لا تميز (كما هو الحال بالنسبة لـ Di و Du) . ان هذه الحقيقة ، حقيقة عدم وجود شكل جسدي واحد يتمشى مع ادراك كل وحدة صوتية (كحرف D مثلا) حيرت العلماء في كيفية استخلاص السامع للوحدة الصوتية الواحدة من مجرى الكلام .

علم الوحدات الكلامية
Morphewics

في اللغة الانكليزية تكون الوحدة الكلامية في الجمع على اشكال ثلاثة وذلك بحسب الوحدة الصوتية الاخيرة للاسم . وهكذا فانت تضيف S الى كلمة مثل Trick وتضيف حرف Z الى كلمة مثل Bird وحرف iz الى كلمة مثل Glass . ونحن نستطيع ان نعين القواعد الدقيقة لاستعمال كل صيغة في الحالات المعينة . ولكن هل يعرف الناطقون بالانكليزية هذه القواعد؟

لقد دلت التجارب التي اجرتها (بركو Berko) عام ١٩٥٨ على اطفال من سن سابقة لدخول المدرسة او من طلاب الصف الابتدائي الاول على ان الاطفال قادرون على مثل هذا التفريق ، بل ان طلاب الصف الاول كانوا اقدر من الطلاب الاصغر سنا على ذلك .

ولعل من المهم ان نلاحظ ان المجربة استعملت اسماء غير ذات معنى ، ولو انها استعملت كلمات ذات معنى مثل (Bird و Trick) لكان السؤال: هل يعرف الاطفال القاعدة ام انهم يطبقونها بالسماع ؟ على ان من الجدير بالملاحظة هو ان ما يقصد (بمعرفة القاعدة الكلامية) ليس القدرة على استعمالها بشكل صحيح ولا سيما في المواقف الجديدة . وهكذا تكون التجربة واضحة الدلالة في ان الاطفال يعرفون القاعدة بدليل انهم طبقوها في مواقف جديدة .

قواعد النحو والدلالات

اجرى ميلر Miller ومعاونوه عام ١٩٦٤ تجارب خرقوا فيها قواعد النحو وعلم دلالات الالفاظ وراقبوا الآثار النفسية لهذا الخرق . لقد اخذوا خمس جمل انكليزية سوية تبدا بالفاعل ثم الفعل ثم المفعول به ثم حرف الجر ثم الاسم المجرور واستخرجوا منها خمس جمل اخرى تخالف علم دلالات الالفاظ ولكنها تحافظ على القواعد النحوية ، ثم حضتروا خمس جمل تخالف علم دلالات الالفاظ والقواعد النحوية معا. ولقد سجلت الجمل كلها على الة تسجيل وطلب الى المجرَّب عليهم اعادة كل كلمة بعد لفظها مباشرة. وحين فحصت قدرتهم على اعادة الجمل وجد انهم استطاعوا اعادة ٨٩٪ من الجمل السوية و ٨٠٪ من الجمل التى تحافظ على قواعد النحو وتخالف علم دلالات الالفاظ و ٥٦٪ من الجمل التى تخالف قواعد النحو وعلم دلالات الالفاظ .

وقد حصل المجربون على نتائج مماثلة حين طلبوا الى المجرَّب عليهم استظهار هذه الجمل . وفي هذا دلالة على ان قدرة الانسان على اعادة الكلام وحفظه تتوقفان على دلالة الالفاظ ومحافظتها على القواعد .

تفسير تعلم اللغات

حين يتعلم الطفل لغته الام يتحتم عليه ان يمتلك (أ) الية جسدية للكلام (ب) ادارة سمع تقدم له التغذية الراجعة من اجل ضبط وتنظيم اصواته هو وتمكينه من سماع اصوات الاخرين (ج) دماغ يقوم بوظائفه بصورة سوية ويضبط حركات الفم والحلق ويخزن الاحساسات ويفيد من المعلومات وغير ذلك (د) قدرة على تقليد كلام الاخرين . وحينئذ فانه لا يتحتم على المحيط الا ان يقدم نماذج كلامية ماخوذة من المجتمع . وهكذا فان الطفل حين يواجه المجتمع يكتسب اللغة . ومع ان معظم العلماء يوافقون على هذا العرض البسيط الذى عرضناه فانهم يختلفون بالنسبة للدور الذى يلعبه المجتمع في اكساب اللغة للطفل .

اصحاب نظرية التعلم

ان اصحاب نظريات التعلم من مثل سكنر Skinner عام ١٩٥٧ وموور Mowrer عام ١٩٥٨ يعتقدون ان اللغات تتعلم وفقا للمبادىء نفسها التى يتعلم الطفل بواسطتها انواع سلوكه الاخرى. فالطفل الصغير لا تكون له معرفة باللغة ولكنه

يحصل على المهارات اللغوية بالتدريج وذلك عن طريق تقليده المعزز لكلام الراشدين . والطفل يجمع بين الكلمات فيما بعد في جمل فاذا كانت صحيحة عززت .

تعزيز التصويت الباكر

المبدأ الاساسي للتعزيز يقول انه حين تكون نتائج السلوك مكافئة وايجابية ومرضية من وجهة نظر العضوية فانها تقوى او تعزز الميل الى اعادة ذلك السلوك وتكراره . واذن فبحسب نظرية التعلم فان الاصوات التي يخرجها الطفل بعضها سوف يعزز وبعضها الآخر لن يعزز . وهكذا فان التعزيز سيتلو الاصوات التي تشبه كلام الراشدين والتي تصدر عن الطفل . ومثال ذلك ان الاهل ينتبهون الى الطفل حين يبدأ بلفظ بعض الاصوات فاذا كان هذا الصوت مشابها لكلمة (بسكويت) سارع الاهل لاعطائه قطعة من البسكويت. ونفترض هذه النظريات ان الطفل يخرج جميع الاصوات الموجودة في جميع اللغات ، وان الاهل يعززون الاصوات التي تشبه الاصوات الموجودة في لغتهم. ومع مرور الوقت فان الطفل يقتصر على اخراج هذه الاصوات التي تعزز وبذلك يشارك مجتمعه في لغته.

وثمة فرع من هذه النظريات التعلمية يؤكد اهمية تقليد الاصوات بدلا من تأكيد اهمية (تشكيل) اللغة عن طريق التعزيز الانتقائي للاصوات الملفوظة عفويا مما شرحناه في الفقرة السابقة . انهم يقولون انه بسبب اقتران صوت الام بالطعام والدفء والراحة فان اصوات الراشدين تعمل عمل المعززات الثانوية . ومن ثم يصبح من السهل على الطفل ان يعزز نفسه عن طريق اصدار الاصوات هو ذاته . وهكذا فان (مورر) يرى ان الاصوات المقلدة المناسبة تعاد لانها تسبب خبرة سارة بالنسبة للطفل اضف الى ذلك ان التقليد الجيد يعزز من قبل الراشدين الذين يسرون به ويبدؤون بالتحدث الى الطفل والانتباه اليه .

وثمة دلائل خبرية تؤيد الرأي القائل بان اصوات الطفل الذي له من العمر ثلاثة اشهر يمكن ان تزاد عن طريق التعزيز . وقد دلت الدراسات المتأخرة على ان حدوث صوت ما يمكن ان يزاد او ينقص عن طريق التعزيز (روث ١٩٦٩) . وقد دلت دراسات مورر على الطيور المتكلمة على ان تقليد الاصوات يتبع التعزيز .

فحص نظريات التعلم

لنحاول ذكر بعض الاعتراضات على هذه النظريات التعلمية ومحاولتها تفسير النمو اللغوي. واول هذه الاعتراضات هي ان تنوع المحيط او الظروف المعززة يجب ان ينتهي بتنوع كبير في النمو اللغوي عند الاطفال المختلفين في المحيط الواحد او الحضارة الواحدة او في المحيطات والحضارات المختلفة ولكن ذلك ليس كذلك . فبالرغم من الفروق في فرص التدريب والتعزيز الاجتماعي فان نمو اللغة عند اطفال مختلف الحضارات والطبقات الاجتماعية يبدو وكأنه يتبع نمطا نموذجيا وعالميا. ان مجتمعا يكون فيه الابوان اصمين يكون محيطا من نوع خاص جدا ، ذلك بان هذين الابوين عاجزان عن تعزيز الاصوات التي تشبه اصوات الراشدين والتي تصدر عن طفلهما وذلك بسبب عجزهما عن سماعه . يشير لينيبرغ Lenneberg عام ١٩٦٩ الى دراسة قام بها وسجل خلالها الاصوات المحيطية والاصوات التي يصدرها اطفال في فريقين ستة منهم ولدوا لابوين اصمين وستة ولدوا لابوين عاديين . وقد كان هذا العالم يجري ملاحظاته مرتين في الاسبوع وتابر على ذلك ثلاثة اشهر بعد بلوغ الاطفال اليوم العاشر من اعمارهم . وكانت النتيجة كما يلي :

ان الاطفال الذين كان الابوان لكل منهم اصمين لم يسمعوا منهم الا القليل من الكلام والاصوات الكلامية وكان هناك طبعا عدد من الاصوات اقل يصدر عن جهاز التلفزيون او المذياع او غيرهما في البيت وذلك بالقياس الى بيوت الاطفال المولودين لابوين يسمعان . ومع ذلك فان هذا المحيط الخاص والفروق التي يتميز بها لم يخلق اي فرق بين الاطفال في الفريقين فيما يخص تصويتهم . وهكذا فان النمو الباكر للاصوات الانسانية يبدو مستقلا عن مقدار الاصوات التي تصدر عن الابوين او طبيعتها او توقيتها .

اضف الى ذلك ان (واهلر Wehler) عام ١٩٦٩ وجد ان الامهات في الظروف الطبيعية لا يعززن الاصوات بصورة مميزة اي انهن لا يعززن الاصوات التي تشبه كلام الراشدين فقط ، انهن على العكس يعززن كل الاصوات بمقدار متساو . ومع ذلك فان الاطفال تعلموا اصدار الاصوات المناسبة.

اما الاعتراض الثاني على نظريات التعلم وتحليلها لاكتساب اللغة فهو القول بانه في المحيطات

(السوية) يجب ان يكون اكتساب اللغة عملية متدرجة ومستمرة . ولكن البحوث العلمية دلت على عدم الاستمرار بين المرحلة التى تأتى قبل اللغوية والمرحلة اللغوية الحقيقية . اضف الى ذلك ان هذه الدراسات قد دلت على ان الاصوات التى يخرجها الطفل لا تشتمل على كل الاصوات الموجودة في كل لغة . لقد اشار (برستون Preston) عام ١٩٦٨ الى انه وجد ان صوت حرف (أ) لا يصدر عن ابناء عشرة الاشهر في اى مجتمع من المجتمعات اللغوية .

واما النقد الثالث فهو القائل بان التعزيز يجب ان يقود الى تعلم استجابات محددة هى التى تعزز ومن ثم وبالتدريج وعن طريق التعميم ينتقل الطفل الى اصناف من الاستجابات أوسع . ان (بندورا) وهو من علماء التعلم قال عام ١٩٦٩ « ان الاطفال يستطيعون ان يبنوا سلسلة لا حدود لها من الجمل التى لم يسمعوها قط » . انهم بدلا من تقليد بعض الجمل التى كانوا قد سمعوها وحفظوها عن ظهر قلب في وقت او في آخر ، يتعلمون مجموعة من القواعد التى يستندون اليها في توليد عدد غير محدود من الجمل .

هذا ولا باس في ان نشيرهاهنا الى ان طيور (مورر) قلدت صفيرا صفر امامها بوجود الطعام مما حمله على تاكيد نظريته التعزيزية . ولكن تبين فيما بعد انها استطاعت تقليد الصفير دون وجود الطعام (عام ١٩٦٤) وفي هذا دلالة على ان لدى هذه الطيور نزعة للتقليد .

نظريات علماء السيكولوجيا اللغوية

ان ثمة نوعا آخر من النظريات لا يعتبر التعزيز الآلية الاساسية في نمو اللغة ، وهذا النوع الجديد مبنى على نظريات (ايريك لينيبرغ Lenneberg) الذى يتشدد في اهمية الوجوه البيولوجية وذلك عام ١٩٦٩ . ويرى (لينيبرغ) ان جميع الدلائل تشير الى ان القدرة على تنمية لغة حقيقية هى خاصية نوعية Species Specific بمعنى انها خاصية يتفرد بها النوع الانسانى . ان بعض الحيوانات من مثل الرباح (سعدان افريقى وآسيوى قصير الذيل قبيح المنظر) تملك منظومة معقدة من الاشارات تستعملها لنقل وجود الخطر او الطعام . ولكن هذه المنظومات ليس فيها وسائط لجدة التعبير او التجريد كما هو الحال في اللغة البشرية ، ومن هنا كانت قدرة هذه الحيوانات على تعلم الكلام البشري محدودة جدا .

ثم ان القدرة اللغوية واحدة في النوع Species Uniform على ما يبدو ، ذلك باننا لا نعرف جماعة من الناس لا تملك لغة . اضف الى ذلك ان الفروق طفيفة في تعدد الاوصاف لمختلف اللغات فيما يخص مجموعة القواعد اللغوية المجردة . ان مثل هذه الملاحظات قادت الكثيرين من دارسي العمليات اللغوية الى الاعتقاد بان الكثير من وجوه قدرتنا اللغوية فطرية . اى ان الكثير من قدرتنا على الكلام وفهم اللغة مردود الى تكويننا الجسدى وليس الى التعزيزات الخاصة التى تلقيناها. ويشير (لينيبرغ) الى ان « الاطفال يتكلمون متى وصلوا الى مرحلة معينة من النضج الجسدى وليس قبل ذلك او بعده » . هذا وقد اثبت ان النمو اللغوى يترابط بالتاكيد مع النمو الحركى ونمو الدماغ .

ومن المعلوم ان الوظائف اللغوية بالنسبة للراشدين موجودة على نصف الكرة الدماغية الايسر وان الاضرار التى تلحق بهذه المنطقة تسبب اضرارا دائمة للقدرة اللغوية . لكن هذا ليس صحيحا بالنسبة للاطفال الصغار جدا الذين يبقى نصف الكرة الدماغية الايمن عندهم قادرا على القيام بالوظائف اللغوية . وعلى ضوء هذه الحقيقة نستطيع تعيين فترة زمانية لاكتساب اللغة . فحتى سني المراهقة الباكرة لا تكون الاضرار اللاحقة بمركز اللغة في نصف الكرة الدماغية الايسر سببا في القضاء الكامل على القدرة اللغوية . ولكن بعد ذلك الوقت وبعد ان يكون الدماغ قد اتخذ حالة النهائي من النضج فيما يخص البناء والوظائف فان التعويض لا يعود ممكنا ولذلك فان الاضرار تكون بالغة الخطورة على القدرة الكلامية ودائمتها.

وبعد

فهذه نظرة سريعة القيناها على تعلم اللغة ونظرياته اردنا منها تبصير القارىء العربى بما يجرى من بحوث في هذا الحقل لما فيه من متعة وفائدة . ■■

فاخر عاقل

تأثير الأسرة الكبيرة في الأبناء والأحفاد

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ من يتأمل رحلة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلبي في هذه الدنيا يجدها غنية بالتجارب. فقد عرف خير هذه الحياة وشرها وذاق حلوها ومرها ، اذ كان في أول حياته فقيرا معدما يتمنى ان يملك درهما يشترى به لحما فلا يستطيع، ولقد بلغ من شدة ما هو فيه ان قال :

الا مــوت يبــاع فاشتريــه
فهـذا العيش ما لا خيـر فيــه
اذا ابصـرت قبـرا مـن بعيـد
وددت لـو انـنى فيمـا يليــه
الا رحـم المهيمـن نفس حـر
تصـدق بالوفـاة على اخيــه

ثم اصبح فيما بعد من المترفين يتقلب على أوثر الفرش ويلبس افضل الملبس ويأكل وجبة طعامه بملاعق الفضة وقيل بملاعق الزجاج، فقد كان يقف غلام على يمينه وبيده عديد من الملاعق ، فكـان الوزير يأخذ من ذلك الغلام لكل لقمة ملعقة ، ويبدو من هذا الخبر ان المترفين في القرن الرابع للهجرة عرفوا الاكل بالملاعق بخلاف ما يظنه اكثر الناس من ان الاكل بالملاعق قد جاءنا من الغربيين.

وفي الحق ان المتأمل في الحضارة الاسلامية يجد فيها الكثير مما نصطنعه في هذه الايام . فقد ذكر الثعالبي في يتيمة الدهر انه كانت لشاعرنا المهلبي حديقة جميلة فيها حجرة تعرف بحجرة الريحان وفيها حوض مستدير ينصب اليه الماء من دجلة بالدواليب . والدواليب لفظة تعني كل آلة عجلة تدور على محور . ومهما يكن من امر فان نضارة العيش لم تنسه اخوانه الذين شاطروه ايام فقره وحاجته . فقد روى ان رفيقه الذي كان معه ايام تمنيه اكل اللحم جاء اليه وقد اشتدت به الحاجة وكان قد حقق امنية الوزير ايام فقره وذلك انه اشترى له لحما بدرهم وطبخه وقدمه اليه ، ثم فرقت الايام بينهما فوصل المهلبي الى الوزارة وبقي رفيقه في ضنك من العيش فلما اشتدت به الحاجة ذكر ما بينهما من صحبة في ايام العسرة فقصده وكتب اليه هذين البيتين :

الا قل للوزيـر فدتـه نفسى
مقال مذكـر ما قـد نسيــه
اتذكر اذ تقـول لضنك عيش
الا مـوت يبـاع فاشتريــه

فلما نظر فيها تذكره وهزته اريحية الكرم للحنين اليه ورعاية حق الصحبة فيه والجرى على حكم من قال :

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وامر له في عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملا يرتفق به ويرتزق منه .

ومما يؤثر في النفوس انه كان كثير الاحتمال واسع الصدر مع اخوانه من الادباء ، وخير برهان على ذلك خبره مع ابي الفرج الاصفهاني . فقد كان ابو الفرج رحمه الله لا يهتم بالنظافة وربما بدرت منه بعض امور تقزز النفس وكان المهلبي مع ذلك يجالسه ويتملى منه . وقد لا يكون من المستساغ رواية ذلك الخبر في هذا المقام فليرجع اليه من يشاء في المراجع الادبية(١) . ولكم كنا نتمنى لو ان تاريخنا العربي الاسلامي قد عني بتوضيح اسس الوصول الى الوزارة في تلك العصور فكل ما نعرفه عن خير ذلك قول المؤرخين عن الذين يصلون الى الوزارة بعد فقر وحاجة : « انه قد ترقت به الحال وان ايامه قد سعدت بعدما كانت في النحوس حتى اصبح وزيرا يشار اليه بالبنان » ، وهذا كلام يلفه الغموض فما الذى جعل ايامه تكون حسنة بعدما كانت سيئة ، ولقد ترشحت جماعة للوزارة التي تسلمها المهلبي ، منهم ابو علي الحسن بن هارون بن نصر ، وابو علي الحسن بن محمد الطبرى ، وابو الحسن محمد بن احمد المافروخي . وقد بذل ابو علي الطبرى مئتي الف درهم للصعود على كرسي الوزارة ، لكنهم جميعا لم ينجحوا فكانت من نصيب ابي محمد المهلبي ، فما هو سبب ذلك ؟ يظل هذا السؤال حائرا في كثير من الحالات لان المؤرخين لم يهتموا بذلك .

ونود ان ننوه هنا ان مئتي الف درهم للوصول الى الوزارة يدل على ان الامور لم تكن تسير حسب ما يامر به الدين الاسلامي الحنيف من حيث سيطرة العدل والمنطق ، وانما كانت تسير حسب المصالح والاهواء . اذ ان كل من يتسلم الرفيع من المناصب لا يلبث ان تكون لديه ثروة يحسب حسابها . فقد مات صاحبنا المهلبي عن خمسة آلاف الف درهم .

على ان ايام الوزارة في تلك العصور لم تكن كلها مفروشة بالورود وانما كانت بعكس ذلك محفوفة بالاخطار والمخاوف ، اذ كثيرا ما تسبب المناصب الرفيعة اجتماع الحساد والوشاة فتنسب لهم امور قد لا يكون لها اساس من الصحة واذا بذلك النعيم والترف ينقلب الى جحيم وبؤس ، يصادر كل ما لديه من مال ويؤخذ كل ما عنده من عقار . وليت المسألة تقف عند هذا الحد وانما ينقل المغضوب عليه الى السجون والتعذيب . وكثيرا ما يشمل الاضطهاد اقاربه بل المقربين اليه.

وقد كاد هذا الحال يحصل لصاحبنا المهلبي لولا ان الله اكرمه بان استأثره الى جواره لثلاث او لست بقين من شعبان لسنة ٣٥٢ هـ .

وقد اقام المهلبي في الوزارة ثلاث عشرة سنة في بحر من الوشايات والحسد وهذا يبرهن على قوة شخصيته وحسن تصرفه،ولا نبعد عن الصواب اذا قلنا انه قد ورث هذه القوة من الاسرة التي ينتمي اليها ونعني بها المهالبة الذين اطلق عليهم هذا الاسم لنسبتهم الى المهلب ابن ابي صفرة . فتاريخهم يشهد لهم بانهم من الاسر التي كانت لها صفحات بيضاء .

ولقد اجمع المؤرخون على ان آل المهلب غرة من غرر التاريخ في ايام بني امية ، انطقت اعمالهم فحول الشعراء بروائع الشعر كزياد الاعجم والاخطل والفرزدق ، فمن ذلك قول بعض الشعراء :

نزلت على آل المهلب شاتيا
بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل
فما زال بي معروفهم وافتقادهم
وبرهم حتى حسبتهم اهلي

وقصيدة زياد الاعجم في رثاء المغيرة بن المهلب معروفة لدى كل اديب ، ومعظم ابياتها سائرة مسرى الامثال فقد جاء فيها :

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا
للباكرين وللمجد الرائح
ان السماحة والمروءة ضمنا
قبرا بمرو على الطريق الواضح

وقوله :

واذا النياح على امرىء فلتعلمن
ان المغيرة فوق نوح النائح
تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا
والباكيات برنة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرض
للقتل بين اسنة وصفائح

وذكر ابن خلكان . ان الحجاج قبض على يزيد واخذه بسوء العذاب فسأله ان يخفف عنه العذاب على ان يعطيه كل يوم مائة الف درهم ، فان اداها والا عذبه الى الليل قال: فجمع يوما مائة الف درهم ليشترى بها عذابه في يومه . فدخل عليه الاخطل الشاعر ، وقيل الفرزدق ، فقال :

ابا خالد بانت خراسان بعدكم
وصاح ذوو الحاجات اين يزيد

---

١ ـ فوات الوفيات ، وانيس الجليس .

فلا مطر المرْوان بعـــدك مطـــرة
ولا اخضَر بالمرْ وَيْنِ بعدك عود(٢)
فمـــا لسرير الملك بعـــدك بهجة
ولا لجـــواد بعـــد جودك جود

قال : فاعطاه يزيد مائة الف . فبلغ ذلــك الحجاج فدعا به وقال يا مروزى(٣) افيك هذا الكرم وانت بهذه الحالة قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده . الا تبين لك هذه الاخبار ان الشهامة والمروءة متاصلتان في افراد هذه الاسرة ، يهون عليهم ان يصبروا على التعذيب ولا يقدرون ان يتخلوا عن ما تعنيه هاتان الخصلتان ، ولو ذهبت في رواية اخبار آل المهلب التي تبرهن على علو اخلاقهم لخرجت عن القصد .

والحق ان الانسان يطرب طربا شديدا وهــو يقرا اخبار هذه الاسرة لما فيها من دلالة على علو الهمة ، ولقد وفق عمر بن لجا حين قال في مدحهم :

آل المهلـــب قـــوم ان نسبتهم
كانـــوا المكـــارم آبـــاء واجدادا
كم حاســـد لهم يعيـــا بفضلهم
وما دنا من مســـاعيهم ولا كـــادا
ان العرانين تلقاهـــا محســـدة
ولا ترى للئـــام الناس حســـادا
لو قيل للمجد: خَذْ عنهم وخلهم
بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكـــارم ارواح يكـــون لهـــا
آل المهلب دون النـــاس اجســـادا

وقد اشتهرت وصية المهلب بين الناس لما فيها من دلالة على حكمته وبعد نظره حتى اصبحت مصـــدرا يستند اليـــه الذين يدعون امتهم الى الوحدة ، ومجملها انه لما حضره الموت وكان اولاده عنده مجتمعين امر ان يؤتى له بعشرة اسهم فاخذها في يده مجتمعة قال اتراكم قادرين على كسرها مجتمعة ، فقالوا له : لا . ثم فرقها وقال اتراكم قادرين على كسرها متفرقة قالوا نعم ، فقد اصبحت هذه الوصية ميدانا يجول فيه الشعراء .

وبالجملة فان القول بتاثر صاحبنا في قـــوة شخصيته بالاسرة التي ينتسب اليها مما يعترف به علم الوراثة . وامر آخر اود ان اشير اليه وهو ان صاحبنا المهلبي قد استمتع في ايام وزارته متعة لم يظفر بها الا امثاله الذين واتاهم الحظ من الدنيا ، وسبب ذلك يعود الى ان المهلبي شاعر يتذوق الجمال فمتعته ليست متعة مادية وانما هي متعة مادية ومعنوية ، فانت حين تقرا ما جادت به قريحته من شعر يتبين لك ذلك بكل وضوح . وما اعذب قول الثعالبي في يتيمة الدهر حين يصف عذوبة شعره (وكان يقول الشعر قولا لطيفا يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلى معه العسل ، يغذى الرُوح ، ويجلب الرَوح ، كما قال بعض اهل العصر) :

بأبـــى مـــن اذا اراد ســـرارى
عبـــرت لى انفاســـه عن عبير
وسبانى ثغـــر كـــدر نظيـــم
تحتـــه منطـــق كـــدر نثير
ولـــه طلعـــة كنيـــل الامانـــى
او كشعـــر المهلبـــيّ الوزيـــر

ومن ذلك قوله يصف بعض جلسات انسه :

الـــورد بـــين مضمـــخ ومضرج
والزهـــر بين مكلـــل ومتـــوج
والثلج يهبط كالنثـــار فقم بنـــا
نلتـــذ بابنـــة كرمة لم تمـــزج
طلع النهار ولاح نـــور شقائق
وبدت سطور الورد تلو بنفـــسج
فكـــأن يومك في غلالـــة فضـــة
والنبت من ذهب على فيروزج

ولا يتسع المقام لرواية شعره ، الا اني اود ان اختم هذا المقال بابيات تعد من الهجاء السياسي اللاذع ، قالها في هجاء غلام جميل اسمه تسكين الجامدار ، وكان معز الدولة يميل اليه ميلا شديدا وكان الغلام منهمكا في الملذات ، لكن ذلك لم يمنع معز الدولة ان جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بني حمدان : قال المهلبي :

ظبي يـــرق المـــاء في
وجناته ويرق عـــوده
ويكاد من شبه العـــذا
رى فيه أن تبدو نهوده
ناطـــوا بمعقد خصره
ســـيفا ومنطقة تؤوده
جعلوه قائـــد عسكـــر
ضـــاع الرعيل ومن يقوده

فما كان اسرع ان دارت الدائرة على هـــذا الغلام ، وصار الامر كما اشار اليه المهلبي . ■■

عبد الرزاق البصير

---

(٢) قوله فلا مطر المروان ، ولا اخضر بالمروين ، وهما مدينتان بخراسان . والمفرد « مرو » . والمدينتان : مرو الروز ، ومرو الشاهجان .

(٣) مروزى : نسبة الى مرو الروز .

مواقف
رجال

رجال أبطال

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ لولا رجال صدقوا ماعاهدوا اللـه عليه ، بذلوا نفوسهم رخيصة فى سبيل دعوة الحق فى اشـد ساعات الضـعف والقلة ، لظل الاسلام فى دائرة محدودة . لكن الله قال : « يريدون ليُطفئوا نورالله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

لقد تجلت مواقف عظيمة للسابقين الاولين من المسلمين وفى مواطن كثيرة ، وبفضل هؤلاء انتشر الاسلام .

اقتصر فى حديثى هذا على بعض مواقف رجال فى قتال احد الطغاة المتنبئين ، وبعض ما كان لهم من قبل ومن بعد .

مسيلمة

ان الطاغية هو مسيلمة بن حبيب من اهل اليمامة ، ينتمى الى قبائل بنى حنيفة ، اضله الشيطان ، فحسب ان النبوة ملكا يورث ، وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض قومه بنى حنيفة ، وكانت وفود العرب تأتي الى الرسول بعد فتح مكة سنة تسع من الهجرة وانتصاره في غزوة حنين .

واقبل رسول الله على وفد بنى حنيفة ومعه ثابت بن قيس بن شمّاس الانصارى ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلمة في اصحابه ، وكان مسيلمة يقول لهم : ان جعل لى محمد الامر من بعده اتبعته . فقال له رسول الله « لو سالتني هذه القطعة من الجريد ما اعطيتكها » .

وعاد مسيلمة مع قومه الى اليمامة لم استخف قومه فادعى النبوة ، واطاعوه ، وبعث في سنة عشر من الهجرة كتابا الى الرسول يقول فيه

« من مسيلمة رسول الله ، الى محمد رسول الله ، سلام عليك ، اما بعد ، فاني قد اشركت في الامر معك ، فان لنا نصف الامر ، ولقريش نصف الامر . ولكن قريشا قوم يعتدون » .

وكان كتاب مسيلمة مع رجلين ، فسالهما رسول الله عن مسيلمة ، وهل يصدقان بنبوته . فاعترفا بانهما يصدقان به ، فقال لهما : « لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكما » ثم ارسل اليه رسول اللـه معهما كتابا جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد ، فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزعم مسيلمة الكذاب لقومه انه استقل بالامر من بعده وكان يقول :

خُذِى الدُّفَّ يا هذه والْعَبِى
وبُثِّى محاسِنَ هذا النَّبِى
تَوَلَّى نَبِىُّ بَنِى هاشِمٍ
وقامَ نَبِىُّ بَنِى يَعْرُبِ

وانطبق عليه قول الله تعالى « فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الي ولم يوح اليه شيء » .

في قتال مُسَيْلَمَة الكذَّاب

ابو بكر يرسل الجيوش

وتولى سيدنا ابو بكر الخلافة ، وارتدت احياء كثيرة من الاعراب وكثر المتنبئون وعادت العصبيات تطل برأسها ، اذ اجتمعت قبائل كثيرة حول زعمائها ، ووافقوهم على ضلالهم حتى ان بعض الاعراب من ربيعة التي منها بنو حنيفة جاء الى مسيلمة وقال له : اشهد انك كذاب وان محمدا صادق . ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر . وصار هذا الاعرابي من أتباع مسيلمة الكذاب . اتباعا للعصبية الممقوتة .

ووقف ابو بكر الصديق وقفته الحازمة وسير جيش أسامة ثم سير الجيوش لقتال المرتدين ومانعي الزكاة ، وكان خالد بن الوليد ممن سيره الى عدة أحياء من العرب ومن بين هؤلاء بنو حنيفة وعلى رأسهم متنبئهم مسيلمة الكذاب .

غرور بني حنيفة

وكانت راية المهاجرين مع زيد بن الخطاب اخي عمر بن الخطاب ، وراية الانصار مع ثابت بن قيس ابن شماس الانصاري ، وكان يتبع خالدا بعض الاعراب عادوا الى الاسلام ولكل قبيلة منهم رايتها.

وحين علم مسيلمة الكذاب بتوجه خالد بن الوليد اليه حرض الناس وحثهم على القتال فتجمعوا من كل صوب آلافا مؤلفة . وقد صاحبهم الغرور ، لانهم سبق ان هزموا جيشا للمسلمين كان يقوده عكرمة بن ابي جهل اذ تسرّع في حربهم وعددُ من معه قليلون بالنسبة الى بني حنيفة الذين كانوا في نحو من اربعين الفا من المقاتلة .

ضال يشهد لمسيلمة

ومما زاد من التفاف بني حنيفة حول كذابهم مسيلمة ان رجلا اسمه نهّار بن عنفوة ولقبه « الرَّجّال » كان قد وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ بعض القرآن . فلما جاء زمن الردة بعثه سيدنا ابو بكر الى اهل اليمامة يدعوهم الى الله ويثبتهم على الاسلام . لكنه ما كاد يصل الى مسيلمة حتى ارتد عن الاسلام وشهد لمسيلمة بالنبوة ، ولم يكتف بهذا بل ادعى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه قد اشرك معه مسيلمة بن حبيب في الامر فكان ادعاؤه هذا من اكبر ما اضل اهل اليمامة .

في عقرباء

وانتظر مسيلمة باتباعه الذين لا يحصون عددا في مكان يقال له « عَقْرَباء » في طرف اليمامة ، بحيث يكون وراء ظهره ريف بلاده وما فيه من خير وأمداد . ولما تراءى الجمعان خطب مسيلمة في اتباعه ، ودعاهم الى الدفاع عن نسائهم ، وعن احسابهم ، ووقع التصادم الاول بين المسلمين والمرتدين ، وكانت جولة تراجع فيها المسلمون وقد كادوا ينقلبون وانهزمت الاعراب التي كانت مشتركة مع جيوش خالد . وعلى الرغم من هذا فان زيد بن الخطاب اخا عمر بن الخطاب استطاع ان يصل الى الرجال بن عنفوة فقتله ، وبهذا فقد مسيلمة اعز انصاره واصدقائه .

ورأى صحابة رسول الله من المهاجرين والانصار ما كاد يقع من الهزيمة فنادى بعضهم بعضا .

زيد بن الخطاب

اما زيد بن الخطاب اخو عمر بن الخطاب ، فقد قال : أيها الناس ، عضوا على اضراسكم ، واضربوا في عدوكم ، وامضوا قدما . ثم قال : والله لا اتكلم حتى يهزم الله المرتدين أو القى الله فاكلمه بحجتي . وأخذ يتقدم ويقاتل وبيده راية المهاجرين ، حتى سقط شهيدا ، فاخذ الراية بعده عبد الله بن حفص بن غانم أو سالم مولى ابي حذيفة ، وكان زيد بن الخطاب اكبر من عمر وأسلم قبله .

ومما يذكر ان عمر بن الخطاب لما بلغه استشهاد اخيه قال : سبقني الى الحُسْنَيين : : أسلم قبلي واستشهد قبلي .

ثابت بن قيس

وثابت بن قيس بن شماس ، كانت معه راية الانصار ، وكان يقال له : خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، كما كان يقال لحسان : شاعر النبي.

ولما راى ثابت بن قيس تراجع المسلمين في جولتهم الاولى قال : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ، بئس ما عودتم انفسكم يا معشر المسلمين اللهم انى ابرأ اليك مما يصنع هؤلاء ـ يعنى اهل اليمامة ـ واعتذر اليك مما يصنع هؤلاء ـ يعنى المسلمين ـ ثم حفر لقدميه في الارض الى انصاف ساقيه ، حتى لا يتزحزح ولا يتراجع واستعد للموت وما زال في مكانه يقاتل وادركه احد من المشركين فقطع رِجْلَ ثابت ، فاخذها ثابت وضربه بها حتى قتله وما زال في مكانه يقاتل حتى سقط شهيدا .

سالم مولى ابى حذيفة

وسالم بن عبيد ، او ابن يَعْمَل مولى ابى حذيفة بن عتبة تسلم راية المهاجرين من زيد بن الخطاب حين استشهد او من عبد الله بن حفص ابن غانم بعد استشهاده .

وكان سالم ممن يحفظون القرآن ، فلما اخذ الراية قال له المهاجرون : اتخشى ان نُؤْتَى من قبلك ؟ يريدون بذلك أن يعرفوا هل يستطيع ان يثبت بالراية أو انه لا قبل له بها ولا يمكنه الثبات . فكان جوابه لهم أن قال : بئس حامل القرآن انا اذن .

وحفر لقدميه حفرة كما فعل ثابت بن قيس ، وهاجمه المرتدون ، فقطعت يده اليمنى ، فاخذ الراية بيده اليسرى ، فقطعت . فاحتضن الراية وهو يقول : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » ويقول : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير » (١) وما زال في موقفه الى ان سقط شهيدا.

وهو كان من سادات المسلمين ، أسلم قديما ، وهاجر الى المدينة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يصلى بمن بها من المهاجرين ومنهم عمر بن الخطاب لكثرة حفظه القرآن .

ابو حذيفة

ووقف ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي يحرض المسلمين على القتال وقال : يا أهل القرآن ، زينوا القرآن بالفعال ، وحمل على المرتدين فما زال يدفعهم ويبعدهم حتى أصيب وسقط شهيدا .

خالد بن الوليد

وخالد بن الوليد ، سيف الله المسلول غنى عن التعريف بمواقفه ، مواقف الابطال ، الكثيرة ولكننا نذكر موقفه في المعركة وهو قائد الجيوش في اليمامة .

انه لما راى الهزيمة الاولى ، حمل على العدو مقاتلا ، مخترقا صفهم حتى جاوزهم ، وأخذ يبحث عن مسيلمة ، فلم يلقه أمامه ، ثم رجع ، ثم وقف بين الصفين ودعا الى البراز وقال : انا ابن الوَليد العَوْد ، ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ : يامحمداه ـ وجعل خالد لا يبرز اليه أحد الا قتله ، ودارت رحى الحرب، ثم اقترب من مسيلمة وناداه لكى يرجع الى الحق فما فعل ، وتراجع مبتعدا عن خالد خائفا منه ، فعاد خالد لينظم جنوده تنظيما يجعل كل فريق مسئولا عن نفسه تحت رايته ، حتى يعرف الناس من المتقدم الجرىء ، ومن المتاخر الضعيف .

صبر وانتصار

وصاح خالد في الناس يحثهم على القتال ، فتقدموا يهاجمون ، ولم يزالوا يتقدمون الى نحور اعدائهم ، ويبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل الله ، وبدا النصر يلوح لهم ، وظهر على الاعداء الضعف والهزيمة ، فولوا الادبار ، وتبعهم المسلمون يقتلونهم ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا ، وسبقهم مسيلمة هاربا ، ولجأ مسيلمة الى حديقة كبيرة واسعة كانت له ، وهي ذات اسوار وابواب ، وتبعه قومه متدفقين اليها فدخلوها محتمين بها واغلقوا أبوابها وأحاط المسلمون بالحديقة التى فيها ما ينفع الملتجئين اليها من ظل وطعام وماء وحماية ، وليس مع المسلمين ادوات حصار ولا آلات لهدم الاسوار ، وتحطيم الابواب . وكانت تلك الحديقة تسمى في اول الامر « حديقة الرحمن » .

(١) الربيون : الجماعة او العلماء الاتقياء

البراء بن مالك

وكان ممن له موقف رائع في المعركة الاولى البَرّاء ابن مالك الانصاري « أخو انس بن مالك » وهو اذا حضرت الحرب أخذته هزة ، ثم يثور كالاسد. وكان خالد بن الوليد قد قال قم يا برّاء . فركب فرسه فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا اهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم ، وانما هو الله وحده والجنة.

ثم حمل وحمل الناس معه حتى كانت هزيمة الكفار والتجاؤهم الى الحديقة .

اقتحام

وحين وجد المسلمون انفسهم خارج السور ولا سبيل الى دخولهم على اتباع مسيلمة الكذاب قال لهم البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ، القوني عليهم في الحديقة ، فقالوا : لا نفعل . فقال : والله لتطرحنني عليهم بها ، فرفعه جماعة منهم حتى صار في مستوى اعلى الجدار قرب الابواب فاقتحم واثبا وكان كالاسد شجاعة وقوة ، واخذ يقاتل من تجمعوا حوله ، واصابته جراحات كثيرة من سيوفهم ونبالهم ، ولكنه ثبت ولم يضعف وقتل منهم جماعة وما زال حتى وصل الى الباب ففتحه واندفع المسلمون منه الى الحديقة متتابعين يقاتلون قتال الابطال واعداؤهم امامهم يتطايرون وينهزمون . وانقذ الله البراء بن مالك بعد ان كاد ينتهي اجله في هذه المعركة ، وحملوه الى رحله ، ليداوى فيه ، وظل علاجه حوالي شهر حتى شفي .

واستشهد البراء على باب حصن

ولم يمت البراء بن مالك في هذه الموقعة بل تابع مع خالد بن الوليد مسيرته الى العراق وظل بالعراق في جهاده ، حتى سنة ٢٠ من الهجرة حيث معركة حصن « تستر » ووصل المسلمون الى باب الحصن، فقاتل البراء بن مالك على الباب حتى استشهد، وانتصر المسلمون وملكوا الحصن .

قتل اكثر من مائـة

ولقد ذكر ان انس بن مالك حضر اغلب المعارك التي حضرها أخوه البراء ، وكان البراء حسن الصوت ، ودخل عليه أخوه « انس » مرة وهو يتغنى بالشعر فقال له : يا اخي ، تتغنى بالشعر وقد ابدلك الله به ما هو خير منه وهو القرآن ؟ فقال البراء : اتخاف عليّ أن أموت على فراشي وقد تفردت بقتل مائة من المشركين سوى من شاركت فيه ؟ اني لارجو ان لا يفعل الله ذلك بي . وحقا لقي الله شهيدا ، وكان في جرأته كما وصفه عمر بن الخطاب فقال انه مَهلكة من المهالك .

ابو دجانـة

ومن الذين كان لهم موقف عظيم في هذه الموقعة ابو دجانة سِماك بن خَرَشَة، او سماك بن اوس ابن خرشة الساعدي الانصاري من الخزرج اذ كان من المقتحمين الذين وثبوا من حائط الحديقة ، وهو من الابطال الشجعان المعدودين وفي وثبته سقط فكسرت رجله ، لكنه تحمل آلامه وظل يقاتل حتى اقترب من عدو الله مسيلمة الكذاب ، وشارك في قتله عندما ضربه وحشي بحربته ، ووحشي هذا هو الذي قتل حمزة بن عبدالمطلب في غزوة أحُد ، لكنه اسلم وشارك في الحروب واشترك في قتل اكبر اعداء الله مسيلمة الكذاب اما ابو دجانة فضرب مسيلمة بسيفه فقضى عليه ، لكن ابا دجانة استشهد في هذه المعركة ، اذ ان كسر رجله اثر فيه ، فاحاط به المشركون وقتلوه .

بطولة معروفة

وابو دجانة معروف ببطولته من ايام الرسول ، خصوصا يوم غزوة احد اذ تجلى موقفه البطولي ، وتقدير رسول الله ومعرفته بشجاعته .

ذلك ان الرسول عليه السلام شهر سيفا وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام اليه رجال فامسكه عنهم ، حتى قام ابو دجانة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : ان تضرب به في العدو حتى تثخن . وفي رواية انه قال له : لا تقتل به مسلما ، ولا تفرّ به من كافر . قال ابو دجانة : انا آخذه يارسول الله بحقه . فاعطاه اياه .

وكان ابو دجانة معروفا بالشجاعة ، وانه عند الحرب اذا تقدم يمشي مختالا . وانه كانت له عصابة حمراء اذا وضعها على راسه فاعتصب بها علم الناس انه سيقاتل . فلما اخذ السيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج عصابته تلك ، فعصب بها راسه ، وجعل يتبختر بين الصفين . فقال الرسول حين راى ابا دجانة

يتبختر : « انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن » .

وواضح أن الله يرضى عنها في الحرب لانها تدل على قوة ثبات المحارب المتقدم للموت ، وانها تخيف الاعداء وتلقى في قلوبهم الرعب . وكان الزبير بن العوام ممن قام ليأخذ السيف ، وسأل رسول الله ان يعطيه اياه ، وكان ذلك قبل ان يقوم ابو دجانة ويأخذه . قال الزبير : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه واعطاه أبا دجانة وقلت : أنا ابن « صفية» عمة رسول الله ، ومن قريش ، وقد قمت اليه فسألته اياه قبل أبي دجانة فاعطاه اياه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع . فاتبعته ، فاخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار : اخرج أبو دجانة عصابة الموت ـ وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها ـ فخرج ابو دجانة وهو يقول :

انا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
الا أقوم الدهر في الكيُول (١)
اضربْ بسيف الله والرسول (٢)

قال الزبير بن العوام : وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا زفف عليه ـ اى أجهز عليه ـ فجعل كل منهما يدنو من صاحبه . فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك ابا دجانة فاتقاه بدرقته فعضّت بسيفه ـ اى امسكت به وعطلت حركته ـ فضربه ابو دجانة فقتله . ثم رأيت أبا دجانة قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة اى أراد أن يضربها ثم عدل السيف عنها .

حينئذ اطمأن الزبير وعرف ان اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في موضعه ، ولهذا قال الزبير : فقلت : الله ورسوله اعلم .

اما هند بنت عتبة ، وهي امرأة أبى سفيان بن حرب ، فانها كانت تحرض الناس تحريضا شديدا وهي في ملابس لا يتبين منها المرء أهي رجل او امرأة ، وكان اغلب أهلها قد قتلوا وهم مشركون في غزوة بدر منهم أبوها وأخوها وعمها ، لهذا كان طلبها للثأر حثيثا فهي تحرض الناس بالاراجيز .

قال أبو دجانة : رأيت انسانا يحمش الناس احماشا شديدا ـ اى يحرضهم ـ فصمدت له ـ اىقصدت اليه ـ فلما حملتعليه السيف وَلْوَلَ فاذا امرأة ـ كانت هي هند بنت عتبة ـ فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اضرب به امرأة .

ثم لما كانت قد حلت بالمسلمين الهزيمة ، في غزوة أحد واندفع المشركون الى رسول الله ليقتلوه جعل أبو دجانة نفسه ترسا يتلقى النبال عن الرسول ، فكانت تقع في ظهره وهو منحن عليه يحوطه بنفسه مع من وقفوا يدافعون ، حتى كثرت النبال في ظهره ، ومع ذلك ثبت في شجاعة نادرة . وكانت له مشاركة في الغزوات الى ان استشهد في يوم الحديقة .

حديقة الموت

حين قتل مسيلمة الكذاب ، صاح الصائح انه قتل ، وتسامع بنو حنيفة بذلك ، فولوا منهزمين شر هزيمة ، واخذتهم السيوف من كل جانب . حتى قتل منهم بضعة الاف ، وكان قتل منهم في المعركة قبلها بمقرباء بضعة الاف ، كما انه قتل منهم وهم يتطايرون منهزمين بضعة الاف ، والحديقة كانت تسمى حديقة الرحمن . فلما حاق بأهلها الهلاك سميت بعد ذلك حديقة الموت .

ابطال كثيرون

في هذه المعركة تجلت بطولات كثيرة ، ومواقف عظيمة ، واستشهد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة مئات ، من الذين حضروا الغزوات معه ، ومنهم جماعة ممن كانوا يحفظون القرآن الكريم . لهذا كان من المآثر الخالدة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، انه حين عرف كثرة من استشهد من الصحابة في اليمامة أمر بجمع القرآن ، لئلا يذهب بذهاب الحافظين ، فجمع كله بتوفيق من الله ، وصدق الله العظيم اذ يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . ■■

عبد الستار احمد فراج

---

(١) الكيول : آخر الصف .

(٢) سكن كلمة أضرب ، وهذا جائز في لغة بعض العرب اذا كثرت الحركات ، وكانت في الغالب احداها ضمة أو كسرة ، وجاء ذلك في القراءات السبع وفي الشعر .

مسابقة العربي

اثنتا عشرة موقعة حربية مشهورة

■ امامك اسماء اثنتي عشرة موقعة حربية مشهورة ، والمطلوب اختيار عشر معارك ، فتكتب اسم المعركة ، وتكتب امامهـا اسـم الفريق المنتصر فيها .

١ ـ **موقعة العلمين** : حدثت على حدود مصر الغربية في الحرب العالمية الثانية ، وكانت احدى المعارك الفاصلة في مصير هذه الحرب .

٢ ـ **معركة ابي قير البحرية** : حدثت قرب الاسكندرية، بين اسطولين تابعين لدولتين اوربيتين كانتا تتحاربان بين اواخر القرن ١٨ واوائل القرن ١٩ .

٣ ـ **معركة ذي قار** : وقعت جنوبي العراق في مكان بهذا الاسم فنسبت اليـه ، وكـان ذلك قبل الهجرة النبوية بقليل .

٤ ـ **موقعة ستالينجراد** : حدثت خلال الحرب العالمية الثانية ، وانتهت بتراجع الغزاة ، ثم هزيمتهم السـاحقة ، وكانت من المعارك الفاصلة التي شاركت في مصير هذه الحرب .

٥ ـ **واترلـو** : حدثت في بلجيكا في اوائل القرن التاسع عشر بين دولة اوروبية وحلفاء من عدة دول اخرى اوروبية .

٦ ـ **معركة سيبستبول في القرم (او القريم)** : والقريم شبه جزيرة في شمالي البحر الاسود ، وقد حدثت عندها هذه المعركة في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكانت بين دولة اوروبية وحلف من عدة دول اخرى .

٧ ـ **نورماندي** : معركة بحرية جوية بريـة حدثت خلال الحرب العالمية الثانية ، وانتهت بفتح اوربا الغربية امام الفريق المنتصر ، وسحق المهزوم .

٨ ـ **معركة بيرل هاربر (ميناء اللؤلؤ)** : ميناء في المحيط الهادى تملكه احدى الدول الكبرى ، وقد هاجمته دولة اخرى خلال الحرب العالمية الثانية ، فخربت منشآته ، وحطمت كثيرا من السفن الراسية فيه ، مما اضطر الدولة الاولى للدخول في هذه الحرب .

٩ ـ **معركة بورت آرثر** : بورت آرثر ميناء في الصين ، حدثت عنده معركة بحرية برية في العقد الاول من القرن العشرين بين دولتين كبيرتين .

١٠ ـ **معركة الجمل** : حدثت قرب البصرة في جنوبي العراق بين طائفتين اسلاميتين ، سميت كذلك لجَمَلٍ كانت تركبه خلال المعركة شخصية كبيرة اكتفت في المعركة بتحريض طائفتها ضد الطائفة الاخرى ، فلم تشترك في المعركة بسلاح غير الكلام .

١١ ـ **اليرموك** : حدثت على نهر اليرموك في الشام في فاتحة عهد عمر بن الخطاب .

١٢ ـ **عين جالوت** : حدثت في الشام في القرن الهجري السـابع ، وكان من آثارها حماية شمالي افريقية من جيوش الغزاة التي كان همها نشر الخراب في كل ما تفتحه من بلاد .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧١ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مارس (آذار) ١٩٧٣ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى **٣٠ دينارا** . الجائزة الثانية **٢٠ دينارا** . الجائزة الثالثة **١٠ دنانير** .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة
العدد ١٧١



الانفعالات

ودورها في حياة الأفراد

بقلم : الدكتور علي احمد علي

■ « عندما يحدث ما يضايق العقل .. فاننا نرى أن الروح الموجودة في كل عضو تشارك في هذا الضيق . فالعرق والشحوب ينطلقان في جميع اجزاء الجسم . وتصبح اللغة مضطربة وينخفض الصوت ، وتغور العينان ، وترتعد الاطراف ، وتطن الآذان . وغالبا ما نرى الرجال يتساقطون من تأثير الخوف المسيطر على عقولهم » .

هذا الوصف الحي الذى كتبه الشعراء الرومان منذ حوالى الفى عام ، يرينا كيف ان الانفعالات Emotions كان لها خطر معروف منذ الاف السنين تماما كما هى الآن ، وقد كانت لها نفس الجاذبية في الماضي كما في الحاضر بالنسبة لدارسي السلوك الانسانى .

وفي خلال العصور الطويلة التى مرت على بنى الانسان ، حاول بعض الرسل والفلاسفة والحكماء والقديسين أن يتغلبوا على انفعالاتهم السالبة كالحقد والغضب والكراهية وان يسيطروا عليها حتى يمكنهم ان يعيشوا في هدوء وسلام مع انفسهم في جو من الصفاء العقلى .

وبالرغم من المحاولات التى تبذل للتحكم في الانفعالات او السيطرة عليها ، فان غالبية الناس ترى أن الحياة بلا انفعالات لا يمكن تصورها ، لان الانفعالات تعطى لونا وطعما للوجود الانسانى . فالانسان لا يحس بالفرح الا اذا عرف الحزن ، ولا يعرف طعم الحب الا اذا ذاق طعم الكراهية .

وبعض الافراد يسعون ليس فقط وراء الانفعالات السارة بل يجرون وراء الانفعالات الحزينة وغير السارة ايضا . وكثيرا ما نسمع احد الافراد يقول انه استمتع بمشاهدة فلم معين لانه كان فلما حزينا ، وكم من فرد شعر بارتياح بعد فترة بكاء .

وبالرغم من القول بان الانفعالات هى التوابل التى تعطى طعما للحياة ، الا ان الانفعالات الدائمة قد تكون مظهرا للمرض العقلى او النفسي . فالخوف امر عادى اذا واجه الفرد موقفا يثير خوفه . ولكن



اذا خاف الفرد الناس في كل المواقف بدون سبب ظاهر اصبح انفعال الخوف هذا مظهرا للمرض النفسي او العقلي . والغضب امر عادي وضروري اذا واجه الفرد موقفا يستحق ويقتضي غضبه ولكن الفرد الغضوب الذي يواجه جميع المواقف بهذا الغضب هو شخص مريض يحتاج الى رعاية نفسية.

الانفعالات في القرآن الكريم

والمتصفح للقرآن الكريم يجده مليئا بالصور الانفعالية المعبرة الرائعة . فسورة يوسف عليه السلام فيها الكثير من الانفعالات الانسانية ، ففيها انفعالات الحزن والخوف ، والبكاء والفرح، وفي هذا الجزء من السورة نرى عددا من الانفعالات قد ذكرت في صورة لغوية رائعة : « قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون . ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون . قال انى ليحزنني ان تذهبوا به ، واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون . قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ، فلما ذهبوا واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون . وجاءوا اباهم عشاء يبكون » .

وفي سورة يوسف نفسها نجد صورة اخرى للحزن البالغ على غياب يوسف حين قال يعقوب لبنيه :

«قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم . وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين.

قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون » .

وليس هناك اقوى من هذا الموقف الانفعالى الذى ذكر في سورة عبس ليوم القيامة : « فاذا جاءت الصاخة . يوم يفر المرء من اخيه ، وامه وأبيه . وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء ، منهم يومئذ شأن يغنيه ، وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، اولئك هم الكفرة الفجرة » .

ولا تكاد تخلو سورة من القرآن الكريم الا ونجد فيها بعض الصور الرائعة المعبرة للانفعالات الانسانية مصاغة بأسلوب قوى بالغ في الدقة .

خصائص الانفعالات

هناك صعوبة كبيرة في الوصول الى تعريف شامل للانفعالات ، ولكن من الممكن ان نوضح ماهية الانفعالات وذلك عن طريق دراسة خصائصها والآثار المترتبة عليها ، ومن اهم خصائص الانفعالات :

١ ـ ان الانفعال حالة تغيير مفاجىء واستجابة عامة تشمل الفرد كله دون ان يختص بها جزء معين من جسمه ، والانفعال عادة ما يحدث بسرعة كبيرة .

٢ ـ ان الانفعال عبارة عن حالة شعورية يحس بها الفرد ويمكنه وصفها في معظم الاحوال . وبناء على ذلك فانه من الممكن تمييز كل انفعال عن غيره . فهناك انفعال الغضب والخوف والفرح والحزن والحب والغيرة والقلق والارتياح .. كما ان كل انفعال من الانفعالات السابقة يمكن ملاحظته عن طريق التغييرات الخارجية الظاهرة التى يحدثها . ولكن قد يجد الملاحظ احيانا صعوبة في التعرف على انفعالات الشخص عن طريق الملاحظة الخارجية نظرا لطبيعة بعض الانفعالات المركبة . هذا بالاضافة الى قدرة بعض الافراد على اخفاء انفعالاتهم .

٣ ـ ان للانفعال في اغلب الاحوال مظهرا داخليا عضويا يعمل على تنشيط الكيان العضوى للفرد ويجعله في حالة تهيؤ . ولقد كان للابحاث المختلفة التى قام بها بعض العلماء اهمية كبيرة في توضيح العلاقة بين الانفعال والنواحى الفسيولوجية . ومن هذه الابحاث ما لاحظه كانون Cannon من تغيرات تعترى الغضبان والخائف كسرعة ضربات القلب واضطراب التنفس وازدياد افراز بعض الغدد وخاصة الغدة النخامية والغدة الدرقية والغدد العرقية . وهذه التغيرات الداخلية تعمل على تنشيط الكيان العضوى للانسان فتجعله في حالة تهيؤ يؤدى به الى الهرب في حالة الخوف والى الاعتداء في حالة الغضب .

الانفعالات كاستجابات

يحدث عادة نوعان من التغيرات في حالة الاستجابات الانفعالية وهى :

١ ـ الاستجابات الخارجية للجسم وعضلات الوجه كاسلوب للتعبير الخارجى عن الانفعالات . وهذه الاستجابات تساعد الفرد على التعامل مع البيئة المحيطة به . فمثلا في حالة الغضب يستطيع الفرد ان يوجه ضربات شديدة الى العدو ، وفي حالة ما اذا كان العدو شديد الخطورة او اكثر قوة يضطر الفرد الى الانسحاب بسرعة من الموقف والهرب منه : والانفعال يساعد الفرد على ذلك . وقد تحل الكلمات محل الضربات . فمثلا في حالة الغضب قد يوجه الفرد شتائمه الى الغير بدلا من ان يوجه ضرباته اليهم والاعتداء عليهم . ويعتبر الوجه بارومتر انفعالات الشخص ويمكن ملاحظة اثر فعل او حديث معين على شخص ما ، عن طريق ملاحظة تعبيرات وجهه . وبعض الناس من السهل تمييز انفعالاتهم عن طريق تفسير تعبيرات وجوههم اكثر من غيرهم . وقد اجرى دانلوب Dunlop عددا من التجارب اوضحت ان النصف الاسفل من الوجه والذى يتضمن الفم اكثر تعبيرا عن الانفعال من الجزء الاعلى الذى يشمل العينين . وقد ثبت ايضا ان الصوت الانسانى يعكس الانفعالات الى درجة كبيرة .

٢ ـ والنوع الآخر من الاستجابات للانفعالات يتمثل في التغييرات الكبيرة الداخلية والحشوية نتيجة لزيادة افرازات بعض الغدد كالغدة النخامية والغدد العرقية وغيرها ونتيجة لاشتراك الجهاز العصبى ، والتغيرات التى تشمل الصفات الكهربية للجسم .

ولا شك ان الانشطة اللاارادية التى يقوم بها الجسم تحت تأثير التوتر الانفعالى تساعد الفرد على ان يتعايش ويتعامل مع البيئة المحيطة به خاصة في اوقات الشدة . فالانسان اذا واجه حيوانا مفترسا يستطيع ان يجرى بأقصى سرعة اذا ارتفعت نسبة السكر في دمه وتوفر الهواء في رئتيه . وهذا ما يحدث عادة نتيجة لانفعال الخوف الشديد ، وبالمثل فان التغييرات التى يسببها انفعال الغضب

تعطى الجسم طاقة تمكنه من توجيه ضربات قوية للخصم .

الانفعالات كدافع

يرى البعض الانفعالات على انها دافع يحرك سلوك الفرد . فالغضب يحرك سلوك الفرد ويدفعه للقيام بعمل او نشاط معين عادة ما يتسم بالقوة والشدة. والقلق البسيط قد يدفع الطالب مثلا الى بذل مزيد من الجهد في الاستذكار والتحصيل . وانفعال الخوف قد يدفع الفرد الى الهرب بمنتهى السرعة من الموقف الذى يثير خوفه او يهدد حياته .

والمثال الآتى يوضح الدور الذى تلعبه الانفعالات كدافع ، فالطفل عندما يرى طفلا آخر يعبث بلعبه المفضلة ، لا شك ان الاستثارة البصرية Visual Stimulation للطفل صاحب اللعبة ليست على درجة كافية من القوة بحيث تستدعى اكثر من استرعاء انتباهه وادراك الموقف والتحرك بهدوء للحصول على اللعبة . ولكن اذا استثار هذا المنظر غضب الطفل صاحب اللعبة ، فلا شك ان هذا الغضب سيعمل على تعبئة الطفل عضليا وحشويا وداخليا ،ويصبح في حالة توتر وتأهب،وهذا يدفع الطفل الى القيام بنشاط قوى دائم ومستمر حتى تزول الظروف التى سببته وفي هذه الحالة يقوم الطفل صاحب اللعبة بالهجوم بقوة وبقسوة على الطفل الآخر واستخلاص لعبته من بين يديه . فانفعال الغضب في هذه الحالة دفع وعبأ طاقات الفرد وحرك سلوكه .

الانفعالات كأسلوب للتوافق والتكيف

قد يستخدم الفرد الانفعال كأسلوب من اساليب التوافق والتكيف مع بيئته ، وكثيرا ما يكون هذا التوافق والتكيف غير سوى . ومن امثلة ذلك ما نلاحظه بالنسبة للفرد الذى يقابل دائما الصعوبات والمشكلات التى تواجهه بانفعال الثورة والغضب ، حتى يصبح هذا استجابته المعتادة ، ومن الامثلة الاخرى حالة الفرد الذى يواجه احوالا وظروفا سيئة . فبدل ان يفعل شيئا ايجابيا لتغييرها ، يجلس يندب حظه ويعيش حياته حزينا مكتئبا وقد يسوده الغضب على المجتمع وعلى الناس.

ولكن الانفعال لعب دوره على مر الازمان والعصور في مساعدة الحيوان والانسان في مراحل تطوره على حفظ نوعه والمواءمة مع بيئته . وكما يقول كانون Cannon في نظرية الطوارئ Emergency Theory ان التغييرات الداخلية الحشوية تحت الاستثارة القوية لهـا استخدام هام في الحياة البدائية Primitive Life حيث الصراع القاسي او الهروب ضرورة للحياة وللمواءمة بين الفرد والبيئة . فزيادة ضغط الدم وضربات القلب واطلاق السكر من الكبد ، وافراز الادرينالين تعتبر جميعا ردود فعل تعد الحيوان لبذل جهد بدنى كبير في قتاله وصراعه او في هروبه من مواقف الخطر التى تواجهه. وبالرغم من وضـوح قيمة الانفعال في مساعدة الحيوان او الانسان على حفظ نوعه والتوافق مع بيئته الا ان دور الانفعال كدافع له دلالة اكبر . فبغير الانفعال فان الحيوان عليه ان ينتظر عدوه حتى ينقض عليه وينهش لحمه قبل ان يهيىء نفسه لمواجهة هذا الحيوان المعتدى.ولكن بواسطة الانفعال فانه يمكن تعبئة الحيوان او الانسان للاستجابة للخطر قبل وقوعه وتحريك سلوكه اذا كان هناك ما ينبه الى قرب وقوع الخطر .

الانفعالات العادية والانفعالات المغالى فيها

ان ينفعل الانسان امر لا غبار عليه . فالانفعالات تصاحب الانسان في حياته كلها . فمن منا لم يفرح ولم يغضب ولم يحزن ولم يكره ولم يحب ؟ ومن منا لم يقلق ولم يكتئب ؟ ومن منا لم يشعر بالارتياح احيانا وبالضيق احيانا اخرى ؟ الواقع ان الانفعالات ظاهرة عادية وصحية في حياة كل فرد طالما ان استخدام الفرد لهذه الانفعالات بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب وفي مواجهة الظروف المناسبة . بل اننا نذهب الى ابعد من ذلك الى القول بان عدم الانفعال في مواجهة موقف معين يعتبر ظاهرة مرضية خطيرة في معظم الاحوال ، وقد يكون هذا مظهرا للمرض العقلى . فالفرد الذى يفقد القدرة على ان يخبر المشاعر السارة وان يستجيب انفعاليا لما يحيط به من مواقف واحداث ، لا يعتبر هذا السلوك الانفعالى مرغوبا فيه ولا يعتبر ايضا مظهرا من مظاهر الاتزان الانفعالى ، بل يعتبر صورة للتبلد الانفعالى وفقدان الشعور والاحساس. فالشخص الذى لا يغضب اذا اهين اهانة شديدة او اذا انتهكت حرمة وطنه يعتبر شخصا متبلدا فاقد الحساسية .

والشخص الذى لا يستطيع ان يشارك اهله وعشيرته واصدقاءه مشاعرهم ، وان يفرح لفرحهم

ويحزن لاحزانهم ، لا شك انه يعاني من اضطراب نفسي يعوقه عن المشاركة الانفعالية للافراد المحيطين به.

ومن امثلة التبلد الانفعالي وعدم اظهار الانفعال في ظروف ووقت يقتضي ذلك ، حالة الطالب الذي يتحدث عن فشله ورسوبه في الدراسة ولا تظهر عليه اية بوادر انفعالية ، ولا يبدو عليه اي احراج او عدم ارتياح عند حديثه عن فشله ورسوبه كانما يتحدث عن امر لا يهمه او لا يخصه او لا يتعلق به.

وهكذا ، فالشخص المتبلد انفعاليا عادة ما يأخذ موقف اللامبالاة وعدم الاهتمام بالنسبة لفشله الدراسي او فشله في الحياة عموما ، او بالنسبة لفقد بعض الصداقات او لوفاة الاقارب او لكارثة تحل بالاسرة .

فالانفعالات العادية ضرورية للحياة السعيدة اليومية للافراد بل نذهب الى اكثر من هذا فنقول ان الانفعالات المعتدلة تستخدم الآن لتحريك سلوك الافراد تحريكا موجبا . فالجنود يجب ان يغضبوا ويزداد غضبهم من العدو الذي انتهك حرمة اوطانهم، على ان يكون هذا الغضب في حدود منطقية معقولة وان يسانده ايمان وفهم للقضية والحق المغتصب. والطلاب يجب ان يقلقوا من الامتحان، فهذا يدفعهم الى بذل الجهد في المذاكرة والتحصيل ، ولكن يجب الا يستبد بهم القلق لان ذلك يعطلهم عن التركيز والاستيعاب .

اما الانفعالات الضارة بالفرد وبسلوكه فهي تلك الانفعالات الزائدة او المغالى فيها Exaggerated Emotions والتي لا تتناسب مع الظروف المحيطة بالفرد او المواقف التي تقابله . ومن امثلة هذه الانفعالات الغضب الشديد الذي يقابل به الفرد الكثير من المواقف التي لا تستاهل كل هذا الغضب. ومن الامثلة الاخرى للانفعالات الزائدة والمغالى فيها خوف الفرد من اشياء من المفروض الا يخافها ، او قلقه او اكتئابه الشديد بدون سبب ظاهر ، او فرحه وسروره المتطرف دون داع . مثل هذه الانفعالات تعتبر مظهرا للاضطراب النفسي للفرد يقتضي مواجهة وعلاجا .

الانفعالات والصحة

بدأ الطب الحديث في الاعتراف باهمية العمليات الانفعالية المختلفة Emotional Processes كعامل في الصحة البدنية. ففي فترة الثلاثين سنة الاخيرة ظهر تخصص طبي جديد يسمى الطب النفسي البدني Psychosomatic Medicine مسئول عن تشخيص وعلاج الامراض والاوجاع البدنية التي تنتج جزئيا من استمرار التوتر الانفعالي لفترة كبيرة .

والانفعالات عادة ما يصاحبها تغييرات فسيولوجية وهذه التغييرات الفسيولوجية تمكن من بذل مزيد من الطاقة لمواجهة هذا الموقف الطارىء . ولا شك ان الانفعالات تؤدي الى تجنيد الجسم لكل امكانياته وطاقاته والى استمرار النشاط الفسيولوجي . وهذا النشاط اذا لم يتوقف واذا لم يتمكن الفرد من مواجهة المسالة او الصعوبة التي سببت هذه الانفعالات فان هذا يؤدي في المدى البعيد الى انهاك الجسم نتيجة للاحتفاظ بالنشاط الفسيولوجي لفترة طويلة. وقد يحدث تلف لبعض انسجة الجسم كما يحدث في قرح المعدة Peptic Uleen .

وقد قدر ان حوالى نصف المرضى الذين يذهبون لزيارة الاطباء للعلاج قد أسهمت الاضطرابات الانفعالية Emotional Disturbances فيما يعانون من امراض .

وقد وضح دور الاضطرابات الانفعالية كمسبب لامراض مثل قرح المعدة وضغط الدم المرتفع وبعض انواع الالتهابات الجلدية ، ومرض السكر والسمنة الزائدة والصداع النصفي والربو وغيرها من امراض واوجاع .

ومن الامثلة الصغيرة ولكن ذات الدلالة التي تساق على اثر الانفعالات على كيمياء الجسم Body Chemistry نتائج الابحاث الحديثة التي اوضحت ان الدموع التي تذرف اثناء الانفعال تحتوي على نسبة زلال اكبر من الدموع التي تتساقط اثناء تقشير بصلة مثلا .

ومما يميز الامراض النفسية البدنية والناتجة عن الاضطرابات الانفعالية ان هذه الامراض عادة ما تختفي اذا غيرت البيئة المحيطة بالفرد وتعود الى الظهور مرة ثانية اذا ما اعيد الفرد الى اسلوب الحياة السابق او الى البيئة غير المناسبة التي كان يعيش فيها من قبل .

ونظرا للتفاعل المستمر بين الجسم والعقل ، فانه احيانا يصعب التأكد من ان مرضا معينا يرجع الى اسباب نفسية ، او الى اسباب فسيولوجية كما هو الحال في الربو الشعبي .

وقد اصبح الاطباء الآن اكثر تأكدا من اي وقت مضى من ان بعض الامراض وحتى لو كان سببها بدنيا Physical Cause الا ان التوتر والاضطراب الانفعالي يعمل ضد العلاج الطبي الناجح .

فالشخص المتوتر والمضطرب انفعاليا ، والذى يعانى من بعض الاضطرابات العضوية الخطيرة ، قد يصبح قلقا ومكتئبا لدرجة انه يفقد قدرته الذاتية علىاستعادة صحته والوصول الى الشفاء. وعادة ما يتمتع بمثل هذه القدرة الشخص الذى يتميز بحالة انفعالية جيدة . وهذا ما يحدث عادة في بعض الامراض مثل السل ، وامراض القلب ومرض السكر ، والصرع ، ففى مرض السل مثلا عادة ما يُبذل جهد كبير حتى يتقبل المريض المرض وظروفه المرضية، وحتى يبتعد عن كل ما يسبب له الاضطراب الانفعالى الذى يسىء الىحالته المرضية، خاصة وان مريض السل عادة ما يمنع من العمل المرهق ومن بذل الجهد العضلى الذى كان من الممكن انيساعده علىتخفيض التوتر الذى يعانيه.

وهكذا فان المريض ان لم يساعد على ان يتمتع بقدر من الاستقرار الانفعالى فان مرضه الذى يرجع الى اسباب عضوية قد يتفاقم ويشتد ، وقد يفقد العلاج فاعليته .

الطريق الى الصحة الانفعالية

وقد يتساءل القارىء ما الطريق الى الصحة الانفعالية Emotional Health وكيف للفرد العادى ان يحقق قدرا من الصحة الانفعالية يمكنه من الحياة السعيدة المستقرة والاستمتاع بهذه الحياة ، ويمكنه من توجيه كل جهده وطاقاته توجيها بناء لتحقيق مصلحة الفرد وتقدمه ومصلحة الجماعة التى يحيا فيها . وللرد على التساؤلات السابقة نذكر التوجيهات الآتية التى يمكن ان تساعد الفرد على التمتع بالصحة الانفعالية :

١ ــ التمتع بالصحة البدنية يساعد الفرد على تحقيق قدر من الصحة الانفعالية، ذلك لانه لوحظ ان الكثير من الافراد الذين يعانون من اوجاع وامراض بدنية عادة ما يجدون صعوبة كبيرة في التحكم في انفعالاتهم او في التمتع بالصحة الانفعالية . فصحة البدن قد تؤدى الى الصحة الانفعالية .

٢ ــ اختيار المهنة المناسبة التى يحقق الفرد فيها ذاتهويثبت فيها كيانه ووجوده، يساعد الفرد على الاستقرار والتمتع بالصحة الانفعالية .

٣ ــ الاستقرار الاسرى ايضا ضرورى لكى يشعر الفرد بهدوء العيش والطمانينة مما يؤدى به الى الصحة الانفعالية .

٤ ــ الحصول على القدر الكافى من الراحة ، ذلك لان العمل الشاق المستمر كثيرا ما يؤدى الى التوتر والاضطراب الانفعالى .

٥ ــ تجنب الضغوط غير الضرورية ومحاولة الفرد انيعيش عيشة بسيطة فيظل اهداف واقعية يمكنه تحقيقها دون جهد كبير او عناء عظيم .

٦ ــ مساعدة الفرد على حل المشكلات المحيطة به ، ذلك لان تراكم المشكلات وتركها دون حل عادة ما يؤدى بالفرد الى التوتر والقلق والى الاضطراب الانفعالى في النهاية .

٧ ــ تهيئة الفرص التى تمكن الفرد من التنفيس عن ضيقه ومتاعبه وذلك عن طريق الهوايات المفيدة والانشطة المحببة الى النفس . فالشخص الذى لا يجد العمل الذى يناسبه قد يمكنه اشباع ميوله ورغباته عنطريق الهواية والنشاط الرياضي المحبب الى نفسه . والفرد عندما يبلغ سن الاحالة الى المعاش ويشعر بالوحدة والفراغ وما يصاحب ذلك من توتر انفعالى او قلق يمكنه ان يملأ هذا الفراغ عن طريق الهوايات والانشطة المفيدة والتمتعبحياة مليئة بالسعادة والايجابية .

٨ ــ محاولة التمتع بكل ما هو جميل وحسن في هذا الكون وعدم التركيز فقط على النواحى السيئة والرديئة . فالشخص الذى يرى الحسن والجمالفي ملكوت اللهوفي الكثير من مخلوقاته عادة ما يكونمستبشرا يتمتع بالهدوء والاتزان الانفعالى.

٩ ــ الترويح عن النفس ، فالروتينية فيالحياة عادة ما تسهم في خلق الاضطرابات الانفعالية . والترويح عن النفس ضرورى للتمتع بالصحة الانفعالية . وهذا الترويح يأخذ شكل استمتاع بوقت الفراغ واستغلاله في النافع والمفيد من الانشطة وفي التسلية ، وتكوين الصداقات المفيدة والعلاقات الاجتماعية المثمرة . والترويح عن النفس يعنى عدم الانغماس كل الوقت في عمل ممل وشاق ، بل يجب الابتعاد عن هذا العمل ولو لبعض الوقت لكى يمارس الفرد ما يحب من هوايات ولكى يشبع ميوله المختلفة .

١٠ ــ تهيئة النفسوالاستعداد دائما للطوارىء في الحياة اليومية. فالفرد الذى يتوقع دائما حدوث ما يغضبه او ما يحزنه او ما يقلقه او ما يفرحه ، يمكنه مواجهة المواقف التى تثير انفعاله بقدر كبير من الثبات والهدوء . ■■

على احمد على

خليل مطران

كان داعية للحرية

بقلم : خميس سلمونة

■ خليل مطران .. وليد « بعلبك » احدى أعمال لبنان العربى ، وهى مدينة عريقة الاصل ، ذات حضارة تليدة وتاريخ طويل حافل بالامجادوالبطولات .. وينحدر شاعرنا من اصل غسانى نسبة الى « بنى غسان » الذين حكموا بلاد الشام ردحا طويلا من الزمن ، وكانوا ارباب حضارة وفن يعشـون بالشعر ويحتفلون به ، ولذلـك كان « للخليل » شاعرية مأثورة ملأت جوانب حياته وكل تاريخه ، وقد احتفظ والده « عبده مطران » بالتقاليد العربية ، من اباء وكرم ، وتربى شاعرنا في ظل هذه الدوحة الوارفة الظلال التى يرعاها والده وتشاركه والدته .

وتلقى تعليمه الابتدائي في مدينة « زحلة » بعد أن كان والده قد لقنه مبادىء القراءة والكتابة .. وردد على مسامعه القصة بعض اشعار الجاهلية والاسلام ، التى كان والده يحفظها ويتذوقها ويستشهد بها في احاديثه وجلساته فتحركت شاعريته ، وتنبهت احاسيسه للفن ، وبين مروج « زحلة » عروس لبنان كانت اول قصة حب شدا فيها بقوله :

هـــل تذكرين ونحـــن طفلان
عهـــداً بزحلة ذكـــره غنم
اذ يلتقى فى الكـــرم ظـــلان
يتضـاحكان ويـــانس الكـــرم

وانتقل الى « بيروت » العاصمة ليلتحق بالكلية البطريركية ، وقضى بها مدة الدراسة ، وتخرج فيها بزاد ثقافي وافر في العلوم والآداب ، واللغتين العربية والفرنسية ، وتعرف خلال تلمذته على بعض الاساتذة امثال الشيخ ابراهيم اليازجى وسليم تقلا الذى صار فيما بعد احد صاحبى جريدة الأهرام وكان لهما اكبر الأثر في نفسه ونشأته الفنية .

الهجرة

كانت منطقة الشام في تلك الاونة في اضطراب دائم ، نتيجة لسيطرة الحكم التركى واستبداده فابى الاحرار الصبر على الضيم ، وهاجر الكثير منهم الى البلاد الاخرى .. فبدأ الخليل نشاطه

أسهم في الصحافة والاقتصاد والمسرح

وعوناً لأنصارها من الزعماء

كان نصيراً للمرأة وحصولها على حقوقها العامة

السياسي والقومي بنظم مجموعة قصائد كان يقوم بتوزيعها في بيروت بلا توقيع ليستحث ابناء العروبة على الثورة .. وكان آنذاك قد بلغ الثامنة عشرة وهو يعمل بالتدريس في الكلية البطريركية فنظم قصيدة حماسية طويلة يقول فيها :

بني العرب فيم الصبر والحال ما نرى
وبأبى علينا الخسف تاريخنا قدما

وحتام نطوى العمر والليل دامس
ونحتمل الاجحاف والضيم والظلما

وتناقلتهما الافواه من بيت الى بيت ، حتى وصلت الى مسامع الوالي التركى ، الذى ارسل يهدده .. ويتوعده ، فابت روح شاعرنا الثائرة ان ترضخ للتهديد فقرر الهجرة الى باريس عام ١٨٩٠. وهناك سعى الى لقاء اخوانه الاحرار من سوريا ولبنان الذين سبقوه الى الهجرة والفرار من وجه الحكم التركى ، ولكن السلطات التركية لم تغفل عن نشاطاته في باريس ، فدست له الدسائس لدى السلطات الفرنسية التى ضيقت عليه الخناق ، فلما شعر بذلك قرر الهجرة الى مصر ليكون في حقل العروبة ، وارست السفينة به على ميناء الاسكندرية في مساء الحادى عشر من اغسطس ١٨٩٢ ، فنزل مصر التى كانت كعادتها ملتقى الاحرار العرب الساخطين على الحكم التركى وكلهم من رجال العلم والادب الذين كانوا يحاربون الاستعمار والظلم فوجدوا من الشعب المصرى الترحيب والتعاون والتشجيع ، فلقى الخليل من تكريم مصر مثل ما لقى اولئك الاحرار ، مما حدا به الى ان يقول :

يا مصر انت الاهل والسكن
وحِمىً على الارواح مؤتمن

حبى كعهدك فى نزاهته
والحب حيث القلب مرتهن

ويستطرد في موقف آخر قائلا :

بلد من حياته دعة الوا
دى ومن كبريائه الاهرام

حبذا مصر فى الرِّباع رباعا
لا يضاهى المقامُ فيها مقام

الخليل الصحفى

وكانت الصحافة هى المجال الاول لنشاط الخليل ، المهاجر بمبادئه وافكاره ، فاحترفها واحدا من كتاب جريدة « الاهرام » التى كانت تصدر بمدينة « الاسكندرية » وكان هو مراسلها في القاهرة ، وقام بعدة رحلات صحفية اكثرها الى الاستانة ، ليوافي جريدته بأخبارها ، فتعرف خلال هذه الفترة بكثير من رجال الصحافة مثل الشيخ على يوسف ، ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، وجورجى زيدان ، وحفنى ناصف ، وقاسم امين ، وحرية الراى ، واستقلال التفكير . وفي خلال هذه الفترة انشغل بكتابة اشعار الحب والغرام ، وكان منهجه الصحفى يعتمد على ثقة المصدر ، ووصف الطبيعة والجمال ، باسلوب « رومانسي » تمثل في بواكير شعره العاطفى الممزوج بالحب ، ومشاعر الجمال اينما كان ، ولم يكن الحب عنده لوعة يشقى بها المحب ، كما يصفه بعض الشعراء، ولكنه على العكس يصف الحب بانه دواء للقلوب من متاعب الحياة ومآسيها :

سوى الحب لا يشفى الفؤاد المكلما
ولا يهنىء المضنى وان كان مؤلما

وما زال ذو القلب الخلى من الهوى
كظمآن لا يروى له مورد ظما

وفي صيف عام ١٨٩٩ استقال من الاهرام ليعمل

حرا في الصحافة غير مقيد بوظيفة فيها وسافر في تلك الفترة الى لبنان ، يدفعه الحنين لرؤية اقاربه ، ولزيارة اهله ، ومنبت نشأته الاولى ، ولبث في هذه الزيارة ثلاثة اشهر ، ثم عاد الى مصر، يدعوه واجب العمل والشوق الى احبائه ..

وعاد كذلك ليصدر عام ١٩٠٠ العدد الاول من « المجلة المصرية » وهي مجلة جامعة ، في مختلف الالوان في الفنون والآداب والعلوم ، واشترك في تحريرها الشاعر « احمد شوقي » باشعاره ومقالاته المختلفة في الادب والاخلاق والاجتماع .. واسهم فيها شيخ الشعراء « اسماعيل صبري » بعدة قصائد ، وحافظ ابراهيم باشعاره ، وشكيب ارسلان بفصوله ومقالاته ، ونظرا لظروفه المالية لم يقدر لمجلته البقاء طويلا ، فاحتجبت بعد صدور دام عامين من حياتها العريضة الناجحة .. وعاد قلمه الى الصحافة اليومية ليكون كذلك صاحب جريدة سياسية واقتصادية اطلق عليها « الجوائب المصرية »* وقفت تؤدي رسالتها الامينة بجوار « الاهرام والمؤيد واللواء » ولقيت في اول عهدها اقبالا من القراء لاهتمامها بكل ما يفيد البلاد سياسيا واقتصاديا ، واجتماعيا ، وادبيا ، وكانت صاحبة رسالة نقدية لا تقصد منها الا المصلحة العامة ولكنها ولنفس الظروف المادية القاسية التي كان يمر بها احتجبت هي الاخرى .

وفي عام ١٩٠٩ ارتأت الحكومة القائمة ، العمل بقانون تقييد الصحافة ، الذي سبق أن صدر عام ١٨٨١ للحد من الحرية التي كانت تنال من هيبة الحكم المستغل وتهاجمه علانية، على صفحات المجلات والصحف وبذلك ضيق هذا القانون على هذه المهنة الحرة وكمم انفاسها .. وعلى اثر ذلك انطلق صوت الخليل يقول :

كسّروا الأقلام ، هل تكسيرها
يمنع الأيدي أن تنقش صخرا ؟
قطّعوا الأيدي ، هل تقطيعها
يمنع الاعين أن تنظر شزرا ؟
اطفئوا الأعين ، هل اطفاؤها
يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا ؟
اخمدوا الانفاس ، هذا جهدكم
وبه منجاتنا منكم ، فشكرا

فلما قرأ رئيس الوزارة هذه الابيات ارسل اليه من يتهدده بالنفي من مصر اذا استمر في كتاباته واشعاره ضد الوزارة وقانون المطبوعات ، فكان رده على هذا التهديد أن نظم قصيدة واهداها الى رئيس الوزارة ومطلعها :

أنا لا أخاف ولا أرجّي
فرسي مؤهبة وسرجي
فاذا نبا بي متنُ بر
فالمطية بطن لُجّ
لا قول غير الحق لي
قول وهذا النهج نهجي
الوعد والايعاد ما
كانا لدىّ طريق فلج

وبهذا سيطر « القانون » على الصحافة وكمم الافواه الحرة ، فقرر « الخليل » اعتزال الصحافة واشتغل بالتجارة ، واهتم بشئون الاقتصاد ، وانتقل الى هذا الميدان تدفعه الحاجة لكسب العيش فربح الكثير ، وخسر الكثير ، لان الخليل لم يخلق للبيع والشراء وهي حرفة تحتاج الى راس المال الكبير الذي لم يكن في مقدوره ان يدبره ..

ونظرا لخبرته في هذه الشئون فقد طلبت منه « النقابة الزراعية » الموافقة على ان يسند اليه منصب « الامين العام » بها فقبل هذه الوظيفة وبقي يعيش من مرتبها الى ان توفي .

خليل الوطني الاجتماعي

ارتاد شاعرنا المنتديات السياسية ، وادلى برايه في اصلاح البلاد ، وتوطدت الصداقة بينه وبين مصطفى كامل ، ورجال الحزب الوطني ، ولما توفي مصطفى كامل صاحب اللواء ظل شاعرنا وفيا لذكراه ولم تمر مناسبة الا واشاد بدعوته للحرية ، وحبه للوطن ، واستهل قصيدته في حفل تابينه بقوله :

---

* الجوائب : جمع جائبة وهو الخبر الشائع او الطارئ .

أعلى مكانتك الاله وشرفا
فانعم بطيب نعيمه يا مصطفى

ولم يكن وفاء الخليل لصديقه مصطفى وحده ، بل امتدت صداقته لرجال الحركة الوطنية جميعا حتى انه لما توفى « محمد فريد » في المانيا عام ١٩١٩ رثاه بقصيدة باكية :

افريد لا تبعد عن الادهار
انت الشهيد الخالد التذكار
بالاهل والدم والرفاهة والغنى
فديت مصر وفديت من عار
انى لأذكر مصطفى ورفيقه
في مستهلهما وفي الادبار
متوخيا اعتاق مصر كلاهما
وكلاهما لاخيه خير مبار

واشتعلت ثورة ١٩١٩ وانخرط الخليل فيها بكل احاسيسه وشعوره فنظم عدة قصائد وطنية في الحث على الثورة ، ولما توفى زعيم الثورة « سعد زغلول » رثاه باحدى قصائده :

ذاك اللواء الذى لفّ الرئيس به
زيدت له اليوم في أعناقنا ذمم

وهكذا كانت للخليل مكانته الرفيعة في المجتمع المصرى ، وبين الجاليات الاجنبية ، فانعم عليه بوسام رفيع ، واقيم له مهرجان تكريم ، عام ١٩١٢ اشترك فيه شوقى وحافظ بشعرهما فقال شوقى :

لبنان مجدك في المشارق أول
والارض رابية وأنت سنام
هذا اديبك يحتفى بوسامه
وبيانه للمشرقين وسام
ويجل قدر قلادة في صدره
وله القلائد سمطها الالهام

وقال حافظ :

نظم الشام والعراق ومصرا
سلك آياته فكان الاماما
فمشى النثر خاضعا ومشى الشـ
ـعر والقى الى الخليل الزماما
فعقدنا له اللواء علينا
واحتفلنا نزيده اكراما

وكذلك اشترك حفنى ناصف بقصيدة طويلة داعب الخليل في نهايتها :

يا شعر مطران لعبـ
ـت بلبنا ونفثت سحرك
لله ما احلاك يا
سحر البيان وما أمرك
ما أنت للآداب مطـ
ـران ولكن انت بطرك

وفي تلك الفترة ظهرت بوادر تلقيبه « بشاعر القطرين » لانه ربط القطرين المصرى واللبنانى بشعره القوى ومعانيه الوطنية الرائعة .

الموسيقى والمسرح

وتعددت اهتمامات « الخليل » مع بداية القرن العشرين وظهور بوادر النهضة الفنية في المشرق العربى وهى تشمل اولها تشمل الموسيقى والمسرح، لان الموسيقى فن المجتمع الراقى المتقدم التى تعبر عن خلجات النفس والاحاسيس والوجدان ، اتخذ الخليل من مقالاته المجال لنقدها وتقييمها ، ليمكن الارتقاء بهذا الفن ودفع عجلته الى الامام ، وبذلك تتبوأ الموسيقى العربية مكانتها بين الموسيقى والفن العالميين ، ولقد وصلت الموسيقى في مصر ابان هذه الفترة الى مستوى منحدر في الاغراض والاداء، واهملت قواعدها الاساسية واصولها الفنية الى ان ظهر (عبده الحمولى) فارتفع بعض الشيء بالقواعد الاساسية في فن الغناء ، وخلال هذه الفترة القصيرة التى عقدت التعارف بينه وبين شاعرنا استطاعا ان يتدارسا الموقف الموسيقى ويعملا على الارتقاء بمستواه الفنى حتى توفى (الحمولى) عام ١٩٠١ فرثاه الخليل بقوله « مات عبده الحمولى ـ فمات فن وزال آخر شعاع من عصر توارت شمسه في ظلمة الابد » .

وكذلك تعرف على الفنان (محمد عثمان) فقال عنه « كان عثمان يجدد للناس روح«عبده الحمولى» وعبده يسمع الناس روح عثمان فهما العاملان المتكاملان احدهما بالآخر » .

اما المسرح فقد أولاه الخليل جل اهتمامه ورعايته لايمانه بدوره الخلاق في تربية النشء والمجتمع وقيامه كمنبر للحرية ، وللتعبير عن الراى ، ولا يتاتى ذلك الا بالاهتمام بالنهضة المسرحية الشاملة ، التى سبق ان ظهرت في بلاد

الشام ، ولقد اسهم مع سلامة حجازي في انشاء فرقته ، وعاون جورج ابيض في تكوين فرقته المسرحية ، واهتم بترجمة معظم مسرحيات شيكسبير « عطيل ، مكبث ، هملت ، وتاجر البندقية » وترجم هرناني لفيكتور هوجو، والسيد لكورني، ولا شك ان نقل هذه المسرحيات وترجمتها الى العربية حينذاك امدت المسرح العربي في بواكيره بثروة نفيسة واحتلت مصر بهذا العمل مكانتها بين دول العالم العربي في النهضة الفنية والمسرحية .

وفي سنة ١٩٣٥ انشئت الفرقة القومية واسندت ادارتها الى « الخليل » فادار الفرقة ادارة فنية واعية ، ووضع كافة الامكانات تحت امرة العاملين معه ، وعلى يديه تم ايفاد بعض البعثات المسرحية الى الخارج لدراسة فن التمثيل والاخراج والديكور ، ولكن في هذه الفترة نشبت بعض الخلافات التي اضطر « الخليل » من اجلها الى تقديم الاستقالة ، وظل من بعيد يثابر على مواكبة الفن المسرحي ومتابعته ، وارساء قواعده بالترجمة اليه من اللغات الاجنبية ، وتحليل مواده ، ونقد عروضه ، وانتاجه ، بطريقة هادفة وبناءة .

الخليل وتحرير المراة

في حياة الخليل العريضة كثير من الجوانب الانسانية، والاجتماعية لا ينبغي اهمالها وهو جهاده الدائم في سبيل نهضة المراة العربية ومن اجل ذلك وطد صداقته بالسيدة « هدى شعراوي » زعيمة الحركة النسائية في الشرق العربي حينئذ، وكان يعاونها في تادية رسالتها الانسانية السامية، التي رفعت من مستوى المراة العربية ، وساند فكرة حرية المراة ، التي هي نصف المجتمع وهتف قائلا :

هذب بنات الشعب ان شئت ان
تبلغه اقصى المنى من أمم
ان لم تكن أم فلا أمة
وانما بالامهات الامم

وكان الخليل كذلك من اوائل الكتاب والشعراء الذين ايدوا بحماس صادق «قاسم امين» وساعده في دعوته لحرية المراة ، والتي على كتابه « المراة الجديدة » بقوله انه : « من اجل الكتب التي وضعت هذه الايام » .

وفي عام ١٩٣٩ تخرج الفوج الاول من فتيات جامعة القاهرة ، فاحتفل نادي الاتحاد النسائي بتكريمهن ودعى شاعرنا للمشاركة في هذا الحفل فالقى قصيدة قال فيها :

انصفت يا « نور الهدى » ولحكمة
اذكيت شعلة عزمك المتوقد
نعم المثال مثالك الأعلى لمن
بك في الرياسة والكياسة يقتدي

وتصادف ان زارت هدى شعراوي مدينة القدس في مهمة نسائية رسمية ، فحياها الخليل بقوله :

لله درك في جهادك يا هدى
لا ترقدين وكل عين ترقد
في القدس أحسنت البلاء وانها
ليد ، وكم لك في مرابعنا يد
حرمان في حرم دعوت لصونه
ايجيء عيسى آخر ومحمد

النهاية

وهذا الشاعر الذي كان ملء السمع والبصر وكرمته كل رجالات العروبة في المشرق والمغرب يقبع في منزله ، في هدوء وصمت ، يصارع المرض حتى انهكته العلة وصعدت روحه في دعة وسلام وفقدته الامة العربية في مساء الثلاثين من شهر يونيو ١٩٤٩ ، ودفن بالقاهرة في صباح اليوم الاول من يوليو ـ وهو الموافق ليوم مولده وبذلك اتم السابعة والسبعين من عمره .

والحق انه كان شاعرا ممتازا من شعراء النهضة الحديثة ومجددا من الذين بثوا في الشعر العربي روح العصر متاثرين بثقافة الغرب مع الاحتفاظ الشديد بمقومات شعرنا الاصيلة من الجزالة والقوة والمتانة ، وترك لنا حصاده الفني والثقافي المتعدد في ديوان من اربعة اجزاء وترجمة لكتاب « الموجز في الاقتصاد » بالاشتراك مع الشاعر حافظ ابراهيم ، وترجمة لسبع من المسرحيات العالمية الى اللغة العربية عدا مقالاته المتعددة وابحاثه وفصوله ، التي نشرت في موضوعات السياسة ، والاجتماع ، والاخلاق وبعض الكتب التي لم تنشر بعد . ■■

خميس سلمونة

الانفصال الشبكي

DETACHMENT OF THE RETINA

بقلم : الدكتور حسن عبد الوهاب

هناك نوعان من الانفصال الشبكي هما الاولي والثانوي ، المقصود بالأولى هو : الحالة المرضية التي تنشأ من انفصال الجزء الخارجي للشبكية عن الجزء الداخلي لها . والحد الفاصل بين هذين الجزءين هو الحيز الواقع بين الظهارة المخضبة للشبكية Retinal Pigment Epithelium وطبقة القضبان والمخاريط Rods & Cones وبعبارة اخرى فان الجزء المنفصل للشبكية يحتوي على كل الطبقات المكونة للشبكية ما عدا طبقة الظهارة المخضبة. وللعلم فان عدد طبقات الشبكية يبلغ عشرا .

اما النوع الثاني فهو المعروف بالانفصال الشبكي الثانوي، فهو انفصال الشبكية كلها عن المشيمة Choroid اما بواسطة ورم خبيث أو رشح أو نزيف . ولن نتعرض لهذا النوع الثاني الا بالاشارة فقط عند الضرورة .

الانفصال الشبكي الأولي

اسباب المرض :

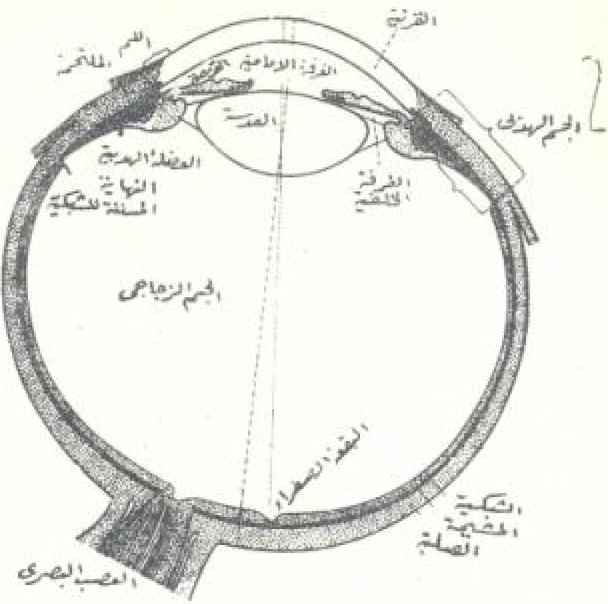
لوحظ ان الانفصال الشبكي الأولي يحدث في المسنين وقصار النظر ، وبعد الاصابات المختلفة ، وبعد عملية استخراج السد الأبيض من العين ، وبعد حدوث نزيف داخل المقلة وفي حالات تفسخ الشبكية الحوصلي ، وانحلال الشبكية والمشيمة.

وهناك عوامل عديدة تتسبب في حدوث الانفصال الشبكي ، وهي بتلخيص شديد :

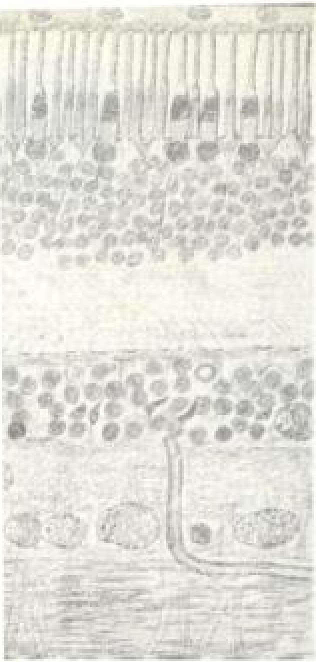
١ ــ السن : لوحظ ندرة حدوث الانفصال الشبكي في الأطفال ، الرضع منهم او صغار السن ، اللهم الا تلك الحالات الناشئة عن حدوث اصابة اثناء الولادة ادت الى حدوث نزيف داخل المقلة ، او كمضاعفات لمرض التكثر الليفي خلف العدسة Retrolental Fibroplasia او مرض داء الشبكية النضحي المعروف بمرض كوتس Coates' Disease ولوحظ ان اغلب حالات الانفصال الشبكي تحدث بين المسنين ، وغالبا بين سن الخمسين والستين ، ووفقا لاحد الاحصاءات فان ٦٠٪ من حالات الانفصال الشبكي عامة تحدث فوق سن الأربعين .

٢ ــ قصر النظر Myopia : لاحظ الأطباء ان حوالي ثلثي حالات الانفصال الشبكي تحدث في المرضى المصابين بقصر النظر ، ويعني هذا ان قصار النظر اكثر تعرضا للاصابة بالانفصال الشبكي عن غيرهم ، واذا اخذت حالات قصر النظر كلها في الاعتبار فانه ما بين ٢ الى ٤٪ منهم يصابون بانفصال الشبكية ، وكلما زادت درجة قصر النظر زادت نسبة التعرض للانفصال .

٣ ــ الصدمات Traumas : وهذه القسم الى اصابات مباشرة، وغير مباشرة، واصابات جراحية :



رسم يوضح تركيب العين


قطاع بين طبقات الشبكية العشر

أ ـ الصدمات المباشرة : مثل الجروح النافذة مع او بدون دخول اجسام غريبة داخل المقلة . والرضوض الشديدة للمقلة سواء تلك التي يصاحبها انفجار الصلبة Sclera او التي لا يحدث بها انفجار .

ب ـ الاصابات غير المباشرة : مثل الاصابات التي تصيب الرأس سواء العرضية منها ـ كضرب الرأس بالحائط او الأرض ـ او المقصودة ، مثل اصابات الفك والوجه اثناء الملاكمة .

جـ ـ الاصابات الجراحية للعين : وفيها يحدث الانفجار كأحد المضاعفات مثلما يحدث بعد عملية استخراج السد الأبيض سواء مع المحفظة او دون المحفظة أو عملية تفتيت العدسة Lens Disci - ssion ، او عملية تفريغ العدسة الخطى - Linear- Extraction of the Lens

هذه الأنواع المختلفة من الاصابات تسبب الانفصال الشبكي بنسب متفاوتة ، وقد لوحظ ان الصدمات المباشرة وغير المباشرة تسبب حوالي ٢٠٪ من حالات الانفصال ، وان ١٪ من المرضى الذين تجرى لهم عملية استخراج السد يصابون بالانفصال ، وان ١٠٪ من هؤلاء الذين تجرى لهم عملية تفتيت العدسة او عملية تفريغها يصابون بالانفصال الشبكي عندما يبلغون العقد الثالث او الرابع من العمر .

د ـ النزيف داخل المقلة : قد يتلو النزيف داخل المقلة حدوث الياف في الجسم الزجاجي Vitreous Humour ، وهذه قد تلتصق بالشبكية وعند انكماش تلك الالياف تجذب الشبكية بشدة فيحدث بها تمزق يعقبه الانفصال . مثل هذا يحدث في بعض الحالات التي تصاب بنزيف متكرر داخل العين مثل حالات مرض الشبكية الديابيطي (السكرى) Diabetic Retenopathy الذى يصيب الشبكية مع مرض السكر ، وايضا يحدث نزيف متكرر في مرض الالتهاب بالأوعية الدموية بالشبكية المعروف باسم مرض ايلز .

هـ ـ انحلال الشبكية والمشيمة : وهذه قد تحدث نتيجة التهابات بالشبكية او بعد مرض بالاوعية الدموية للشبكية او المشيمة ، وما يهمنا هو الانحلال الذى يحدث على شكل بؤرات او بقع صغيرة تؤدى مع الزمن الى حدوث ثقوب صغيرة بالشبكية ، وتلك التي يصاحبها سيولة بالجسم الزجاجي أو حدوث التصاقات بين تلك البؤرات الشبكية والجسم الزجاجي .

٦ ـ امراض الجسم الزجاجي Vitreous Humour الجسم الزجاجي في حالته الطبيعية يشبه الجيلاتين اي انه هلامي لزج وشفاف، وهو يشترك مع الرطوبة المائية Aqueous Humour في حفظ شكل العين بواسطة ضغطهما الداخلي على انسجة العين كما يحفظ الهواء المضغوط كرة القدم منتفخة ومستديرة اذا حبس داخلها .

والجسم الزجاجي يلتصق طبيعيا بالشبكية في موضعين هما: حول نهايتها المسننة Ora Serrata وحول البقعة العمياء Hlind Spot ، والالتصاق في الموضع الاول قوي ومتين اما في الثاني فهو ضعيف .

وتؤدي امراض الجسم الزجاجي اما الى تميعه وازدياد سيولته كما يحدث في كبار السن . او الى حدوث الياف به والتصاقات غير طبيعية مع الشبكية : وفي حالة وجود ثقوب بالشبكية ـ سواء كانت نتيجة انحلال بها كما سبق ان ذكرنا او كمضاعفات لانكماش الالتصاقات ـ فان السائل اللاصق للشبكية ـ نتيجة تميع الجسم الزجاجي ـ يدخل من خلالها الى الشبكية ثم يتجمع في الحيز الفاصل بين الظهارة المخضبة للشبكية وطبقة القضبان والمخاريط . ويؤدي الى انفصال الجزء الداخلي للشبكية عن جزئها الخارجي .

٧ ـ حالات التسمم : المصحوبة بارتشاح مصلي بالشبكية نتيجة مرض آخر بالجسم مثل :

- داء الشبكية مع تسمم الحمل .
- داء الشبكية الكلوي .
- وداء الشبكية مع فرط الضغط (ذو الضغط المفرط) .

٨ ـ حالات تفسخ الشبكية الحويصلي
Cystic Degensration of Retina

لوحظت هذه الحويصلات الدقيقة في المسنين وقصار النظر وبعد حالات الاصابات المباشرة وغير المباشرة للعين وبعد حالات انسداد الوريد الرئيسي للشبكية ، كما لوحظت ايضا في صغار السن ووجد ان بعضها يرجع الى امراض الوراثة . وقد تحدث هذه الحويصلات في اطراف الشبكية بالقرب من نهايتها المسننة او قد تحدث في وسطها عند البقعة الصفراء فاذا حدث تفسخ في الشبكية نتيجة هذه الحويصلات ادى الى حدوث انشقاق في الجزء الداخلي للشبكية Neural Lavers والانفصال الناشيء بهذه الكيفية يسمى الانفصال الشقي للشبكية Retino Schisis وهو يبدو على شكل حويصلة كبيرة داخل الشبكية او عدة حويصلات وعادة تكون في الجزء الخارجي السفلي للشبكية ، وهذا النوع من الحويصلات عادة يصيب العينين ، وقد يتطور فيؤدي الى انفصال تام للشبكية اذا حدث انثقاب للجدار الخارجي للحويصلة .

ومما سبق يتضح لنا ان اهم العوامل المسببة للمرض الثاني :

١ ـ مرض او علة بالشبكية .
٢ ـ انكماش الجسم الزجاجي داخل العين .

اعراض المرض

يشكو المريض المصاب بالانفصال بالشبكي من حدوث واحد او اكثر من الأعراض التالية :

١ ـ الذباب الطائر Floaters :

يرى المريض اجساما رمادية او سوداء على شكل بقع مستديرة او خيوط حلزونية امام العين المصابة وتتحرك هذه الجسيمات في اتجاهات مختلفة .

٢ ـ اضواء خاطفة مثل الشهب Flashes of Light :

قد تظهر امام العين عند تحركها الى اتجاه معين وتتكرر في هذا الاتجاه لبرهة قصيرة ثم لا تلبث ان تختفي .

٣ ـ ستارة ظلماء او سحابة داكنة Field Defects :

امام العين تأتي من اطراف ميدان البصر مارة بمركزه مسببة عدم الرؤية (مثل انسدال ستار المسرح) .

٤ ـ ضعف قوة الابصار :

وهذا قد يحدث تدريجيا او على شكل فجائي مع اختلاف في اشكال الاجسام المعروفة مثل حدوث تعرج في السطوح المستقيمة او تباعد او تقارب هذه الأجسام مع كونها ثابتة وعلى مسافات محددة ، وقد يصل الضعف منتهاه الى درجة العمى الكلي .

العلاج

يعتمد العلاج على عدة عوامل منها درجة ومساحة الانفصال الشبكي ، وحدة البصر ،

وميدان النظر ، وضغط العين « التوتر » وحالة الشبكية ، وحالة الجسم الزجاجي وحالة عدسة العين ووجود التهاب قزحى هدبى ام لا ، وعدد ونوع ومكان الثقوب بالشبكية الخ ..

والعلاج اغلبه بالجراحة ويمكن تلخيصه في الآتي :

تقريب الشبكية من المشيمة في مكان التمزق بالشبكية،ولحام التمزق او الثقب وازالة السائل المتجمع في مكان الانفصال . ويمكن الحصول بهذا على نتائج طيبة في حالات كثيرة .

وبدون الدخول في تفاصيل العلاج الجراحى فانه يمكن ايجاز الطرق المتبعة كالآتي :

١ ـ الراحة التامة : للجسم والراس والعين ، ويعتمد وضع الراس والجسم الى حد كبير على مكان الانفصال ، والغرض من هذه الراحة المطلقة هو السماح للشبكية بان ترتكز على المشيمة اذا امكن ، وذلك بالسماح للسائل في مكان الانفصال بالتجمع في مكان غير حيوى نسبيا ثم مساعدة هذا على الامتصاص تدريجيا . كما انه في حالات كثيرة تظهر ثقوب او تمزقات بالشبكية كانت مختفية بين طيات الشبكية المنفصلة عند الفحص الاولى ويحدد الطبيب مكانها تمهيدا للخطوة التالية من العلاج . وراحة العين تكون بوضع قطرة الاتروبين وربط العينين معا .

٢ ـ لحام التمزقات او الثقوب بالشبكية : ويجرى عمل هذا اللحام بواسطة الكى الكهربائي او الكى الضوئي Photocoagulation أو استعمال اشعة الليزر أو بواسطة التبريد الجراحى .

٣ ـ ازالة السائل تحت الشبكية : ويتم ذلك بعمل ثقب دقيق جدا في الصلبة ـ او عدة ثقوب ـ والمشيمة في منطقة تجمع السائل بمكان الانفصال الشبكى بواسطة ابرة دقيقة خاصة او مشرط دقيق ثم تفريغ هذا السائل ، وهذا يؤدى بالتالى الى تقريب الشبكية من المشيمة وتطابقهما ثم التحامهما .

٤ ـ تقريب الشبكية الى المشيمة : وهذا يحدث (أ) بواسطة عمليات جراحية مختلفة في الصلبة او وضع رباط دائرى حول الصلبة ، وبواسطة هذه العمليات او الرباط يضغط على الصلبة التى تضغط على المشيمة وهذه بالتالى تلتصق بالشبكية .

(ب) بواسطة حقن هواء او سائل زجاجي طبيعى ماخوذ من عين اخرى او سائل زجاجي صناعى ، وعند حقنها داخل العين تدفع الشبكية الى الالتصاق بالمشيمة ، وخصوصا في الحالات الناشئة عن فقد الجسم الزجاجى اثناء عملية سابقة في تلك العين .

(جـ) بواسطة أ + ب معا وهو المتبع في اكثر الحالات .

٥ ـ عمليات جراحية داخل الجسم الزجاجي : لقطع الالياف والالتصاقات المسببة للانفصال الشبكى في حالة وجودها .

التمريض بعد العملية عامل هام للشفاء

بعد العملية يتبع نظام خاص للتمريض حيث يوضع المريض في السرير في وضع خاص طبقا لوضع العملية فمثلا : اذا كان التمزق في الجزء العلوى من الشبكية ينام المريض على ظهره وراسه على وسادة واحدة ، واذا كان التمزق في الجزء السفلى للشبكية ينام المريض في وضع نصف جالس او جالسا تماما ، وتربط العينان لمدة ٤٨ ساعة وبعدها يلبس نظارة طبية خاصة سوداء وذات ثقوب دقيقة لمدة اسبوع . والغرض منها هو منع حركة العينين ، وبعدها يلبس نظارة اخرى ذات ثقوب طولية « مستطيلة » لمدة اسبوع آخر ويسمح له بالحركة البسيطة عدة ساعات يوميا ، وبعد حوالى اسبوعين من تاريخ العملية يسمح له بالحركة العادية مع تجنب الانحناء والحزق ورفع او حمل اوزان ثقيلة .

وفي بعض الحالات يحتاج المريض الى اكثر من عملية للوصول الى النتيجة المرجوة .

اما في الحالات التى لا يمكن اعادة الشبكية الى موضعها جراحيا او تلك التى لم تعالج اصلا ، فان الانفصال الشبكى يكبر وينتشر حتى يعم حتى يشمل الشبكية كلها ـ انفصال شامل للشبكية ـ وينتهى هذا بالعمى الكامل للعين المصابة .

بقى ان نشير الى ان حالات الانفصال الناتجة عن حالات التسمم المصحوبة بارتشاح مصلى ، لا تعالج بالعمليات الجراحية ، وانما تشفى تلقائيا بعلاج السبب . ■■

حسن عبد الوهاب

نتيجة مسابقة العدد ١٦٩

سيلان كان اسمها سرنديب

■ كانت مسابقة العدد ١٦٩ من « العربى » من مسابقاتنا السهلة الميسرة، اذ كانت اسئلتها مألوفة لا تحتاج الى كثير عناء للوصول الى الاجابة الصحيحة، وقد كانت مادة التاريخ والاحداث التى تمخضت عنها هى المادة الاولية التى دارت عليها المسابقة ، وقد لوحظ ان اجابات القراء كانت كثيرة ، والحلول صحيحة الا النزر اليسير .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، واسماء من حالفهم الحظ بالفوز فى المسابقة .

١ ـ اولاد الخنساء الاربعة قتلوا جميعا في موقعة القادسية .

٢ ـ اسم الكتاب هو وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان .

٣ ـ تقع خوارزم شمال بحر قزوين .

٤ ـ سيلان اطلق عليها العرب اسم سَرَنديب.

٥ ـ ابن خلدون كان مولده في تونس .

٦ ـ اسم الجمعية السياسية الدينية هو : اخوان الصفا .

٧ ـ بحر القلزُم هو البحر الاحمر .

٨ ـ تتألف دولة الامارات العربية المتحدة من الامارات التالية :

ابو ظبى ـ دُبَىّ ـ الشارقة ـ عَجمان ـ ام القيوين ـ راس الخيمة ـ الفجيرة .

٩ ـ نينَوَى تقع بالقرب من الموصل .

١٠ ـ ابن ماجد هو البحار وابن باجة هو الفيلسوف

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **مصطفى محمد علي شمص** ـ بعلبك لبنان .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **احمد محمد السومحى** ـ المكلا ـ اليمن الديمقراطى.

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : **بدرية على عبد الله** ـ المحرق البحرين .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **صالح ابو سيف محمد** ـ بنغازى ـ ليبيا.

٢ ـ **عبد الغفار محمد حسين** ـ بنها ـ مصر .

٣ ـ **شيخة عبد الرحمن التويجرى** ـ الكويت.

٤ ـ **عباس محمد مصطفى** ـ الدامر ـ السودان.

٥ ـ **يوسف محمد النزهة** ـ الدمام ـ السعودية.

٦ ـ **باقر امين الورد** ـ الكاظمية ـ العراق .

٧ ـ **عبد الغنى محمود** ـ عمان ـ الاردن .

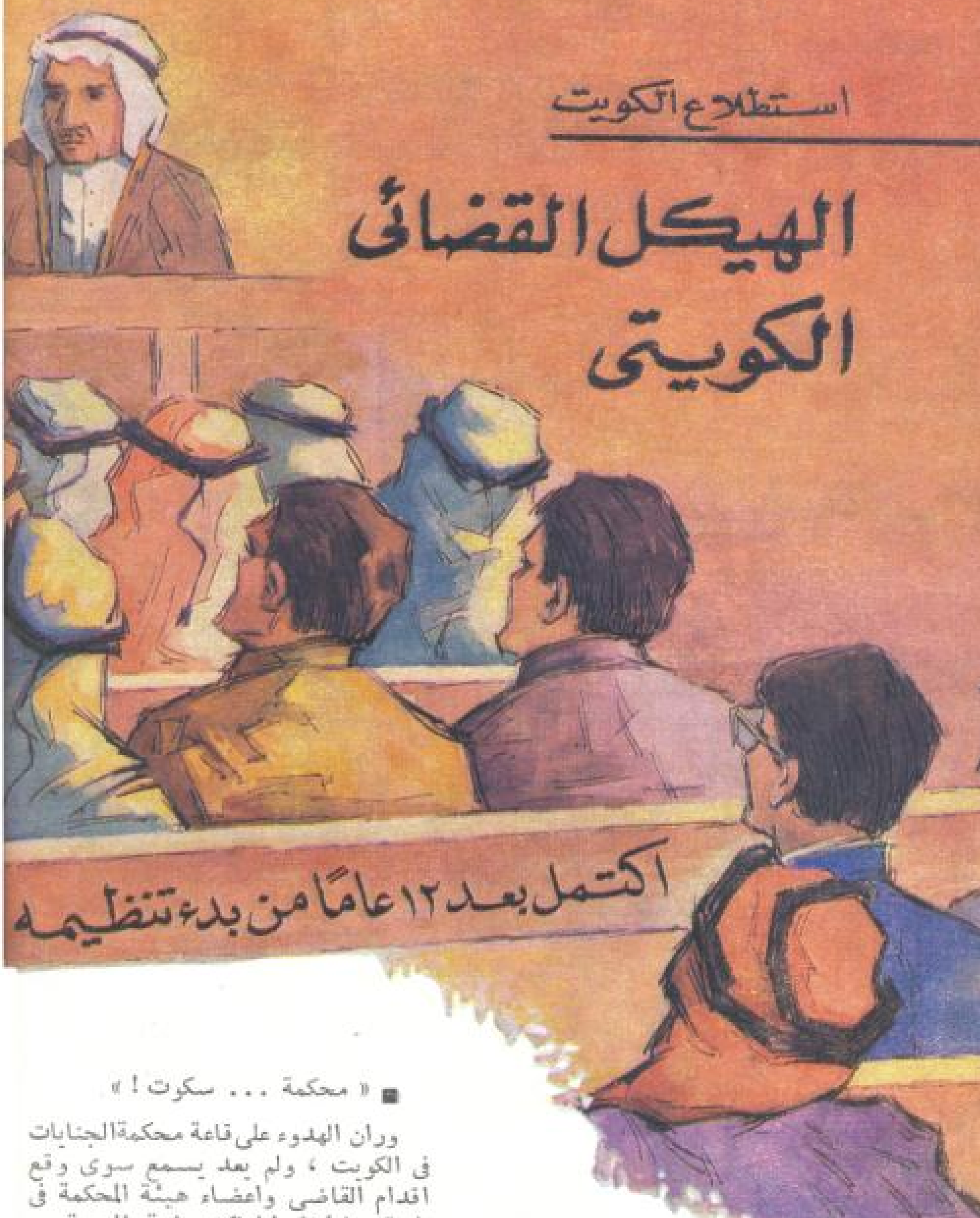
٨ ـ **ناصر الزربى** ـ صفاقس ـ تونس .

وسترسل الجوائز الى اصحابها .

استطلاع الكويت

الهيكل القضائى الكويتى

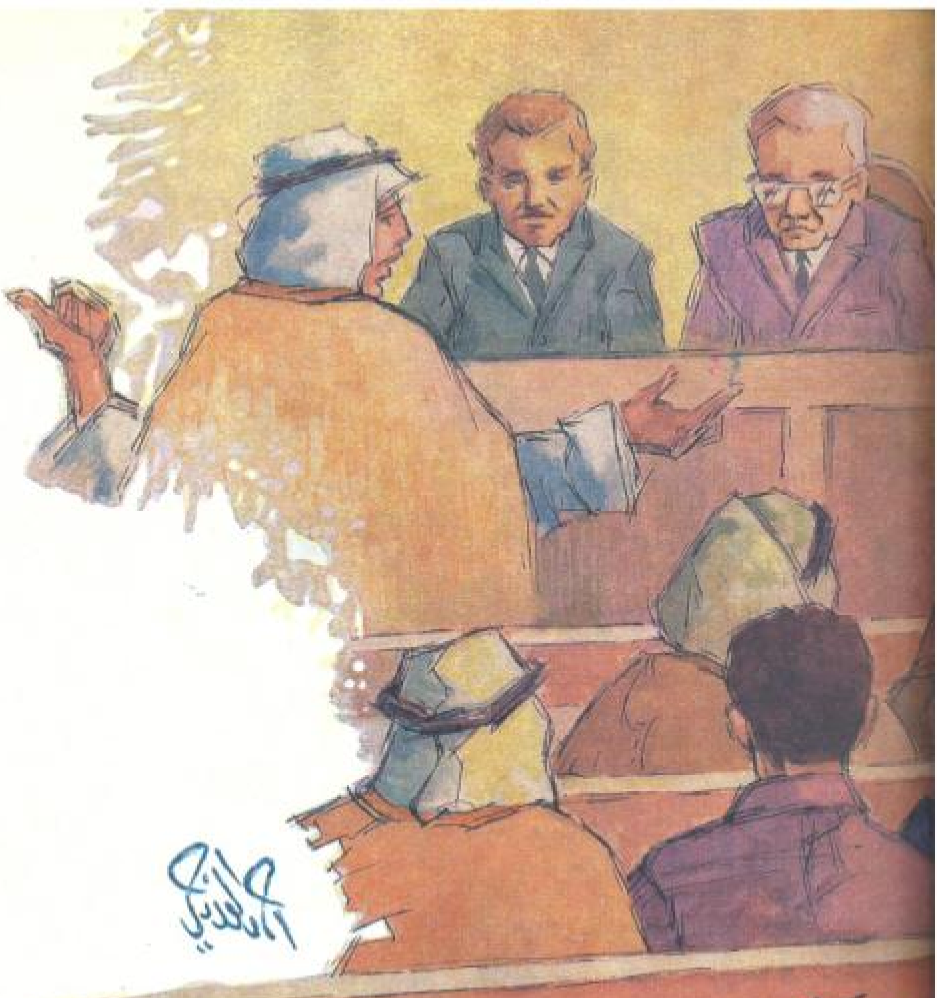
اكتمل بعد ١٢ عامًا من بدء تنظيمه



■ « محكمة ... سكوت ! »

وران الهدوء على قاعة محكمة الجنايات فى الكويت ، ولم يعد يسمع سوى وقع اقدام القاضي واعضاء هيئة المحكمة فى طريقهم لياخذوا اماكنهم فوق المنصة ..

وبدات الجلسة ، وارتفع صوت الحاجب معلنا اسماء المتهمين فى القضية الاولى .. وتقدم المحامي للدفاع ، واستعدت النيابة العامة لتوجيه الاتهام.



• محاكم الكويت تضرب رقماً قياسياً في سرعة الفصل في القضايا

لقد رفض القضاء السماح لنا بالتصوير الفوتوغرافي ، منعا لاى تأثير على هيئة المحكمة اثناء عملها المقدس من اجل انصاف المظلوم من الظالم ، واحقاق العدل .

القضاء في قديم الكويت

لقد تطور العالم ، وتغيرت حياة الفرد ، وتبدلت مفاهيم الجريمة ، وتنوعت طرق العقاب ، وتعددت المحاكم واختصاصاتها في الدنيا .

ولم تشذ الكويت ، فقد تطور القضاء فيها مع التبدل الكبير الذى طرا على مجتمعها .

فقديما كان المتنازعون في الكويت ، هم الذين يختارون القاضى الذى يفصل بينهم .. وفي اواخر القرن الثامن عشر تولى آل العدسانى وظيفةالقضاء في الكويت، لفترة متصلة استمرت قرنا ونصفقرن من الزمان ، انتهت في عام ١٩٢٩ . كانوا يتوارثون

خلالها هذا المنصب أبا عن جد ، وبعدها ظهرت اسماء لعدة قضاة أمثال : عبد الله الدحيان ، وعبد العزيز القاسم ، والشيخ احمد عطية الاثرى ..

وكان القضاء في عهدهم قضاء شرعيا ، يطبق مبادىء الشريعة الاسلامية على المذهب المالكي ، ولكن حدث ان عين الشيخ على الشارخ الحنبلي قاضيا ، فكانت أول اعماله احراق الاكواخ التي كانت تؤوى اهل الفساد ، واسس في موضعها المسجد المعروف بمسجد آل مديرس ..

اما الاجانب في الكويت فكانت المحكمة القنصلية بدار الاعتماد البريطانية تتولى امورهم القضائية منذ عام ١٩٢٥ وظلت هذه المحكمة تعمل دون رقيب حتى عام ١٩٥٣ عندما صدر مرسوم أميرى يحدد جنسية الاشخاص الخاضعين لولاية هذه المحكمة برعايا : بريطانيا ،ودول الكومنولث،والامريكيين .

بداية القوانين

واول قانون صدر في الكويت كان في عام ١٩٤٠ وهو قانون الغوص ، اذ كان اهل الكويت يعتمدون في حياتهم على الغوص الى قاع الخليج العربي بحثا عن اللؤلؤ ، فجاء هذا القانون بمواده الواحدة والخمسين منظما لعمليات الغوص .. وبعده مباشره صدر قانون السفر ..

ثم تفجر النفط وتبدلت صورة الحياة فوق ارض الكويت تبدلا جذريا ، وتوالت القوانين تحاول اللحاق بالتقدم الحضارى .. فعندما ارتفعت الاف العمارات السكنية فوق الرمال ، بدأت المشاكل الحادة بين الساكن والمالك ، فصدر قانون تنظيم الايجارات عام ١٩٥٤ .. وعندما ازداد عدد العاملين في القطاع الحكومى ، ازدادت مشاكلهم ، فصدر اول كادر لعمال الحكومة عام ١٩٥٥ .

وهكذا .. قوانين وتشريعات وضعت على عجل في محاولة لتنظيم هذا المجتمع الزاحف المتدفق ..

ازدياد عدد الجرائم فى الكويت

كشف بعدد القضايا الواردة للنيابة العامة
من سنة ١٩٦١ حتى سنة ١٩٧١ .

السنة	عدد القضايا	عدد السكان
١٩٦١	٥٨٧	٣٢١ الف
١٩٦٢	٨٤٥	
١٩٦٣	١٠١٧	
١٩٦٤	١٢١٦	
١٩٦٥	١٤٨٣	٤٧٠ الف
١٩٦٦	١٥٧٤	
١٩٦٧	١٥٣١	
١٩٦٨	١٨٨٥	
١٩٦٩	١٥٢١	
١٩٧٠	١٧٦٢	٧٣٩ الف
١٩٧١	٢٢٥٨	

تنوع السلطات القضائية

وظلت الكويت تتقدم والجهات القضائية تتنوع، وخير وصف لحالة القضاء في الكويت قبل عام ١٩٦٠ نجده في المذكرة التفسيرية لقانون تنظيم القضاء الصادر في نوفمبر ١٩٦١ ، التي جاء فيها :

« يستوقف نظر الباحث في النظام القضائي في الكويت ، أن هذا النظام ينقصه بعض المقومات الاساسية لنظم السائدة في البلاد العربية . فهو قضاء لاتنظمه وحدة تضم اطرافه ، ومحكمة الكويت لاتنفرد بالقضاء في هذا البلد ، بل تنشأ الى جانبها بحكم العادة ومسايرة لطبائع الامور، جهات قضائية اخرى تفرضها الضرورة ويقتضيها اطراد العمران والتقدم .. فمن لجان لفض المنازعات في دائرة البلدية ، الى لجان نظر الدعاوى في دائرة الامن العام ، الى لجان التجار لحسم الخلافات في مسائل التجارة ، هذا الى جانب قضاء اجنبي قام الى جانب القضاء الوطنى .. » .

الحضارة تسبق النظم

واستمر الحال على هذا الوضع : لجان تتولى مهمة المحاكم ، والدعاوى تسير بغير اجراءات محددة او ضوابط معروفة .. رجال الامن والشرطة يتولون مهمة النيابة العامة امام المحاكم الوطنية ، بينما القاضى يحكم في القضايا المدنية طبقا لقواعد الشرع والمجلة المعروفة باسم مجلة الاحكام العدلية، ويستند في قضايا الاحوال الشخصية الى مذهب الامام مالك .. وكان طبيعيا مع تعدد وجهات القضاء ان تختلف التشريعات التي تطبقها هذه الجهات .

رسالة فى القضاء لا تنسى

وجهها عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى عندما ولاه قضاء الكوفة

((بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس ..

« سلام عليك . اما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة . فافهم اذا أدلي اليك ، وانفذ اذا تبين لك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

« آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .

« البينة على من ادعى ، واليمين على من انكر .

« والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا .

« ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، ان ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى في الباطل .

« الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك ، مما ليس في كتاب الله ، ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم . ثم اعرف الاشباه والامثال ، فقس الامور عند ذلك بنظائرها ، واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق .

« واجعل ، لمن ادعى حقا غائبا او بينة ، امدا ينتهى اليه ، فان احضر بينته اخذت له بحقه ، والا استحللت عليه القضية ، فان ذلك أنفى للشك ، واجلى للعمى ، وابلغ في العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد ، او مجربا عليه شهادة زور ، او ظنينا في ولاء او نسب . فان الله قد تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والايمان . واياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته ، واقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه ، شانه الله . فما ظنك بثواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام . »

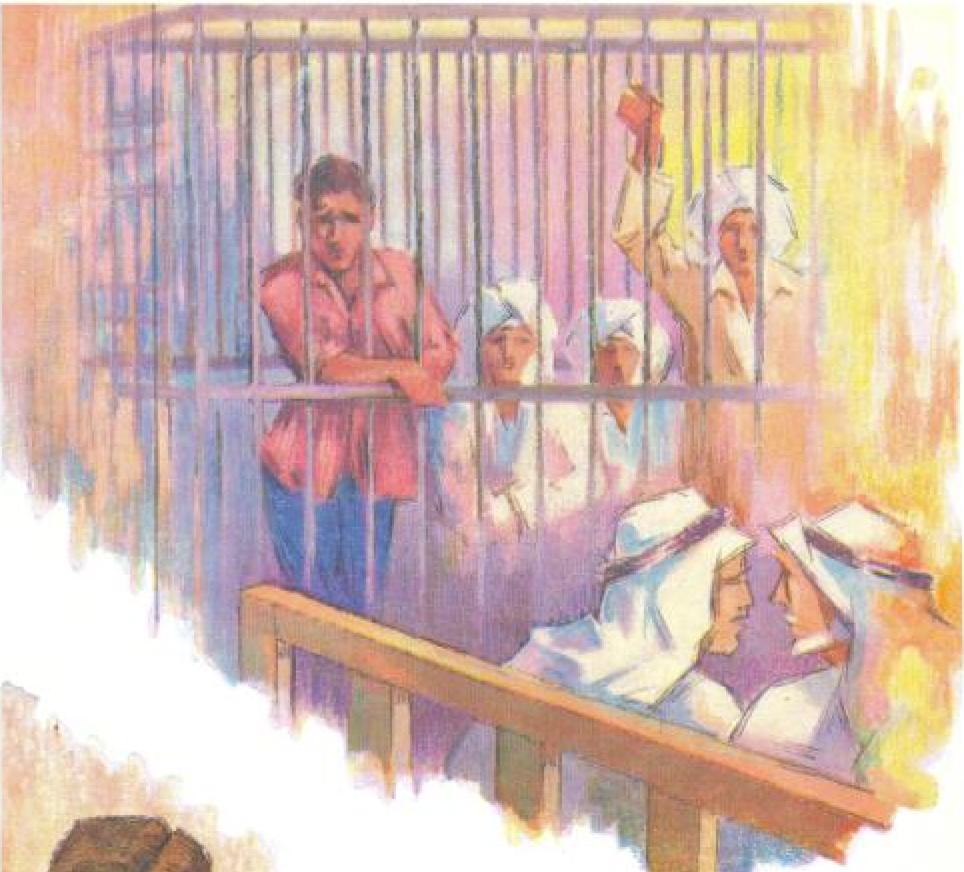
وظلت عجلة الرقى تدور حثيثة في الكويت تسبق النظم الموضوعة ، الناس يبتدعون ما يلائمهم من النظم ، ولو عن طريق الارتجال ، فيسبقون المشرع الى شق الطريق الذى يسيرون فيه .. ومن عجب الامور ان البلاد الاخرى تسير نظمها امام حضارتها ، فترتقى الحضارة بارتقاء النظم ، بينما الامر في الكويت كان على النقيض من ذلك ، فحضارتها كانت تسير أمام نظمها ، لهذا ارتقت الحضارة فيها ، وظلت النظم متأخرة متخلفة .

اربعة قوانين اساسية

وشعر المسئولون بخطورة هذا الوضع ، ولسد الثغرة في النظم المتأخرة في زمانها ، واعادة النظر في النظام القضائى كله ، اختارت الكويت عالما تفاخر به العروبة العلماء ، وفقيها تباهى به في المجال القانوني الفقهاء انه المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، الذى اختارته الكويت ليكون خبيرا قانونيا لها ، فقام بوضع اول اربعة قوانين حديثة في تاريخ الكويت هي :

- قانون المرافعات المدنية والتجارية ، ويتألف من ٢٠٦ مادة .
- قانون التجارة ويتألف من ١٠٤٠ مادة .
- قانون الاجراءات والمحاكمات الجزائية ، ويتألف من ٢٥٠ مادة .
- قانون الجزاء ، ويتكون من ٢٠٨ مادة .

ونصت هذه القوانين على اسس رئيسية تتلخص في أن اى « فعل » لايعد جريمة ، ولا يجوز توقيع عقوبة من اجله ، الا اذا وجد له نص في القانون .





متهمون من كل صقع عربي ، ينتظرون الحكم في قفص الاتهام بمحكمة الجنايات في الكويت .

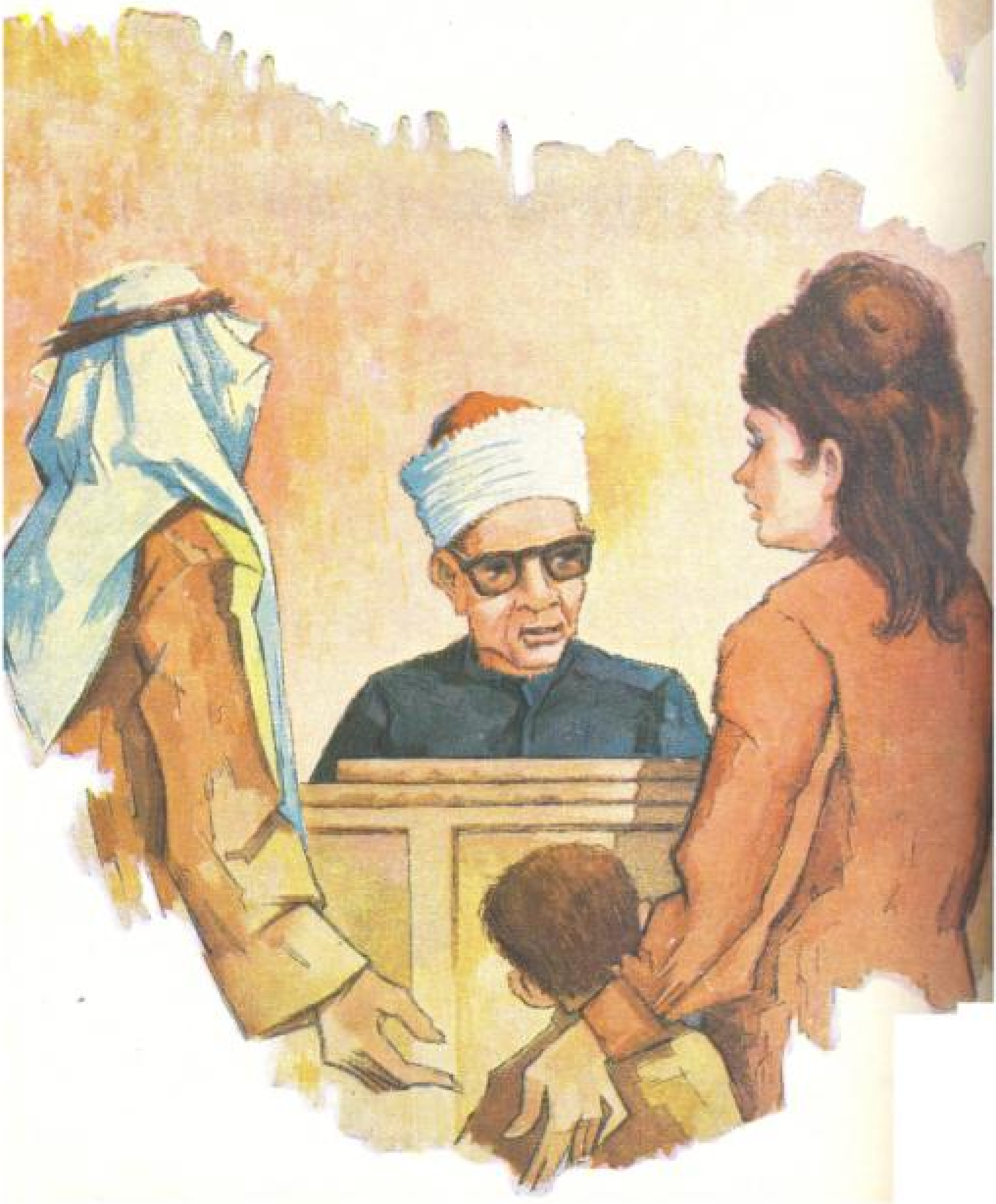
الى اليسار : رسم لهيئة محكمة الاحوال الشخصية اثناء قيامها بعملها .

كما نصت على انه لايجوز توقيع عقوبة جزائية الا بعد محاكمة .. وهذا يعتبر من الضمانات الهامة للافراد ..

القوانين الحديثة مستمدة من الشريعة

ورغم أن هذه القوانين كانت تضاهى احدث القوانين العالمية ، الا أن المشرع لم يجعلها بصورة انتفاضة ، بل نظر الى الماضي وابقى لاحكام الشريعة الاسلامية الدور الاكبر في القوانين الكويتية الحديثة .

فما زال مذهب الامام مالك ـ وهو المذهب الذى كان يعمل به قبل تطبيق القوانين الحديثة ـ





٣٢ محاميا كويتيا ، و٨٨ محامين من البلاد العربية الاخرى ، يعملون امام محاكم الكويت .. ويلزم قانون المحاماة ارتداء روب المحاماة اثناء المرافعة ، لكن لبس « البشت » أى العباءة ، يجعل من المتعذر ارتداء الروب فوقها .. اما عن اتعاب المحامين في الكويت ، فقد جرى العرف على تقاضي ما يعادل ١٠٪ من قيمة الدعوى ٥ منها مقدما ، و ٥ مؤخرا .. وفي الصورة مجموعة من المحامين الكويتيين في غرفة الاستراحة بمبنى المحاكم .

يطبق في مسائل الاحوال الشخصية من زواج وطلاق ، ونسب وولاية على المال ، وميراث ووصية وهبة ووقف ..

أما في المعاملات المالية فقد ظلت مجلة الاحكام العدلية هي القانون المدنى العام المطبق في المنازعات المدنية .. ومن المعروف ان مجلة الاحكام العدلية وضعها مجموعة من الفقهاء العرب والاتراك عام ١٢٨٦ هـ (١٨٧٠ م) وتعتبر اول تجربة رسمية لقانون مدنى حديث ماخوذ بكامله من الفقه الاسلامي ، وقد التزم الفقهاء مذهبا واحدا في وضع مواد مجلة الاحكام ، هو المذهب الحنفى ، الذى كان مذهب الدولة العثمانية .

اما قانون الجزاء فقد راعى المشرع الا يكون فيه اى تعارض مع احكام الفقه الاسلامي ، الذى ـ فيما عدا « الحدود » ـ فتح باب التعزير واسعا للقاضي يدخل فيه الى تحديد الاعمال المعاقب عليها والى تقرير العقوبة على كل عمل ، وهذا ما جاء به قانون الجزاء الجديد ، اذ رسم حدودا واضحة لهذه الاعمال ، وتقديرا مرنا لهذه العقوبات ، دون الخروج عن المبادىء المسلم بها في الفقه الاسلامي ..

الغاء المحاكم الاجنبية

وما كاد الدكتور السنهوري وزملاؤه ، ينتهون من صياغة هذه التشريعات ، بما فيها قانون تنظيم القضاء ، حتى صدر بيان رسمي من سكرتارية حكومة الكويت في ١٣ فبراير سنة ١٩٦٠ يعلن الاتي :

« كانت حكومتا صاحب السمو امير دولة الكويت ، وصاحبة الجلالة في المملكة المتحدة ، قد وجدتا من المناسب لهما ، بالنظر للظروف السائدة في الماضي ، أن تخضع بعض الجنسيات الاجنبية في الكويت الى سلطة صاحبة الجلالة القضائية في القضايا المدنية والجنائية ، وتمشيا مع التقدم الذى احرزته الكويت في السنوات الاخيرة ، وتغير الظروف الماضية المشار اليها ، فقد اتفقت الحكومتان على أن الوقت قد حان لحكومة الكويت أن تفرض كامل سلطتها القضائية على جميع المقيمين في بلادها دون استثناء .. »

وهكذا انتهى وضع قضائي شاذ استمر ٢٥ عاما .

جهة قضائية واحدة

وفي مطلع شهر نوفمبر ١٩٦٠ عرفت الكويت أول

نظام قضائي موحد على احدث النظم العصرية ، اذ اصبحت جميع المنازعات والقضايا بين الافراد، وبين الافراد والحكومة ، في ولاية جهة قضائية واحدة هي المحاكم ..

وهذه المحاكم تنقسم الى درجتين : محكمة كلية ومحكمة استئناف .. والمحكمة الكلية تتفرع منها اربعة فروع : دائرة الاحوال الشخصية ، والدائرة المدنية وتختص بالفصل في الخلافات حول الاموال العقارية والمنقولة وغيرها ، والدائرة التجارية ، والدائرة الجزائية ، وتختص بالنظر في الجنح والجنايات ..

ومن فوائد نظام التقاضي على درجتين انه يقلل من الوقوع في الخطأ ، ويعطي للمتقاضين ضمانة حسن سير العدالة ، خاصة وان محكمة الدرجة الثانية ، اى الاستئناف ، تشكل من قضاة أزيد عددا ، واكثر تجربة وخبرة .

وليست كل الاحكام يمكن استئنافها ، فمثلا هناك الاحكام التى لا تزيد قيمتها على ٣٠٠ دينار في المنازعات المدنية والتجارية تعتبر نهائية غير قابلة للاستئناف ، كما ان الحكم الصادر فيجنحة بالغرامةالتى لا تجاوز ٤٠ دينارا لا يجوز استئنافه من المحكوم عليه، وذلك توفيرا للوقت والمصروفات والجهد ، وحتى تتفرغ محكمة الاستئناف العليا للقضايا الاخطر .

ممنوع التدخل في شئون القضاء

وورث النظام القضائي الجديد اكثر من الفي قضية من النظام القديم ، ما لبثت ان بلغت نهايتها سريعا بسبب ما كان في النظم الحديثة من حركة وسرعة .

وحرص المسئولون في الكويت على ان يتمتع التنظيم القضائي الجديد باستقلال تام، فليس لاى فرد أو جهة ـ مهما كانت ـ أن تتدخل في اعمال القضاة،ولا سلطان عليهم الا ضمائرهم والقانون..

وتوج دستور الكويت هذا الاستقلال بنص في المادة ١٦٣ منه تقول : « لا سلطان لاى جهة على القاضي في قضائه ، ولا يجوز بحال التدخل في سير العدالة ، ويكفل القانون استقلال القضاء ، ويبين ضمانات القضاة والاحكام الخاصة بهم واحوال عدم قابليتهم للعزل .. »

وانشا القانون مجلسا للقضاء جعله المرجع لشئون القضاء ، فيؤخذ رايه بصفة استشارية في تعيين القضاة وترقيتهم واعضاء النيابة ، ويرأس هذا المجلس رئيس محكمة الاستئناف العليا .

القضاء مفخرة للكويت

وقد استعانت الكويت بنخبة من صفوة القضاة العرب ذوى الخبرة الطويلة ، جاءوا اليها لتثبيت هذا الصرح القضائي وتعميق جذوره ، فالقضاء خلق وعلم وفن ، تنبع من ذات الانسان وخبرة الانسان ، بالمران والعمل يرسى خلالها تقاليد وعادات تتوارثها الاجيال .

والى جانب ٢٧ قاضيا ومستشارا عربيا يعمل حاليا ١٧ قاضيا ومستشارا كويتيا .

ولقد اثنى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد على هؤلاء القضاة بقوله : « اود أن اؤكد لكم تقديرى للقضاء ، كفاءته ونزاهته ، لقد كان مفخرة لنا ، بالرغم مما واجهه من نقص في التشريعات ، وتعقيد في الاجراءات ، ولكن الامر في حاجة الى مزيد من الضمانات ليزداد الشعب ثقة . » .

الخبير يسند القاضي

وكثيرا ما يستعين القاضي بادارة الخبراء فيوزارة

اصغر المحامين الكويتيين سنا هو حسن يوسف العيسي ، تخرج من كلية الحقوق بجامعة الكويت عام ١٩٧٢ وعمره ٢٢ سنة . وتراه في الصورة الى جانب اكبر المحامين الكويتيين سنا : عبد الوهاب المقلع ، الذى بلغ الثمانين من عمره .



العدل ، عندما لا تكفي معارفه العادية او الاوراق المعروضة للفصل في دعوى فنية ، لهذا قد يحتاج الى راى مهندس في الميكانيك او تكييف الهواء ، او طبيب ، او محاسب .. ليستند اليه عند اصدار حكمه .

وتضم ادارة الخبراء ١٨ خبيرا منهم ١٠ مهندسين و ٨ محاسبين ، وهذا يوضح لنا نوع القضايا المعروضة امام المحاكم ، واغلبها مرتبط بالحركة الاقتصادية والعمرانية في البلاد .

وقد قامت ادارة الخبراء بابداء رأيها في ٥١٢ دعوى خلال عام ١٩٧١ .

وتجدر الاشارة هنا الى ان السنة القضائية في الكويت تمتد من اول اكتوبر حتى ٣٠ يونيو من كل عام .. وهذا النظام استحدث لتمكين الجهاز القضائي ، من قضاة ومحامين وموظفين ، ان ياخذوا قسطهم من العطلات الصيفية .. ولا تنظر خلال العطلة سوى القضايا المستعجلة فقط .

سرعة الفصل في القضايا

وفي خلال السنة القضائية المنتهية في ٣٠ يونيو ١٩٧٢ عرضت على المحكمة الكلية ٨٥٨ قضية جنائية فصل في ٨٣٢ منها ، وكانت نسبة الفصل ٩٧٪ تقريبا .. اما قضايا الجنح فقد عرضت امامها ٢٥٠١ قضية ، فصل في ٢٤٤١ منها ، اى بنسبة ٩٨٪ هذا غير الالوف من قضايا المرور ، التى عرضت وفصل فيها امام محكمة المرور .. وفي محكمة الاستئناف تم الفصل في ١٤١٢ قضية مختلفة خلال عام واحد .

اكتمال الهيكل القضائي

وفي الذكرى الثانية عشرة لتنظيم القضاء الحديث في الكويت اى في اول نوفمبر ١٩٧٢ شهدت محكمة التمييز النور ، وبتكوين هذه المحكمة ، التى عهد باعمالها الى دائرة من دوائر محكمة الاستئناف، يكتمل الهيكل القضائي الحديث في الكويت .. وطريق الطعن بالتمييز كان معروفا في الكويت، وكان يقوم به رجل من رجالات الكويت الاوائل الذين تعتز بهم البلاد وهو الشيخ يوسف ابن عيسى القناعى ، وكان التمييز مقصورا على قضايا الاحوال الشخصية والشرعية .. اما اليوم فقد فتح الباب امام الخصم والنيابة العامة للطعن بالتمييز في الاحكام النهائية الاستئنافية ، شريطة ان يكون الخطأ في تطبيق القانون وتأويله او بطلان الاجراءات .. وبمعنى آخر ان المتهم المحكوم عليه في الدرجتين الاولى والثانية ليس من حقه الطعن بالتمييز الا في حالة الخطأ في تطبيق القانون .

ان انشاء دائرة التمييز سيحقق الرقابة على تطبيق القوانين ، وتقرير القواعد القانونية الصحيحة .

محاكم الاحوال الشخصية والاجانب

وجلسنا الى القاضي محمود عبد القادر مكاوى قاضي الدائرة الاولى للاحوال الشخصية ، الذى ينظر في الاحوال الشخصية للمواطنين والاجانب على حد سواء ..

سألناه : « ما هى الاحكام المطبقة على اهل الكويت في الاحوال الشخصية ؟ »

فقال : « مذهب مالك هو الواجب التطبيق على الكويتيين ، ما لم يكن جميع اطراف الخصومة من الشيعة الجعفرية ، وهؤلاء تسرى عليهم احكام الفقه الجعفرى . »

ـ وماذا عن غير الكويتيين ؟

ـ يحكم في احوالهم الشخصية حسب قواعد الاسناد التى اوردها قانون العلاقات القانونية ذات العنصر الاجنبى . وتطبق فيها قوانين الاحوال الشخصية لكل بلد ينتمى اليه المتقاضون . وعند تطبيقنا لهذا القوانين تبدو الفوارق مجسمة بين العرب المسلمين .. ففى البلاد العربية التى يسود فيها المذهب الحنبلى مثلا ، لا يقع طلاق السكران، وهذا هو المتبع في مصر والاردن وسوريا حسب قوانينها المستحدثة ، بينما يقع هذا الطلاق في الكويت حيث يطبق المذهب المالكى .

مثال آخر .. النفقة المتجمدة للزوجة لا يحكم بها اصلا على الزوج الاردنى ، ويحكم بها لمدة اربعة اشهر فقط على الزوج السورى .. ولمدة ثلاث سنين على الاكثر بالنسبة للمصرى .. واما الزوج الكويتى فيلزم بالنفقة من تاريخ الامتناع ، ولو كانت مدته اكثر من عشر سنين !!

وبين غير المسلمين تطبق قوانين بلادهم النافذة من شرائع المسيحيين وغيرهم ، فلا يحكم بالطلاق بين الكاثوليك ، ولا يجوز تعدد الزوجات بين جميع الطوائف المسيحية ..

ـ وماذا عن بقية الجنسيات في الكويت ؟



بعد مرور ١٢ عاما على ترتيب المحاكم بنظام التقاضي على درجتين ، اى محكمة كلية ومحكمة استئناف ، رئى ان الحاجة تدعو الى اقامة محكمة ثالثة هى دائرة التمييز ، تميز امامها بعض احكام محكمة الاستئناف العليا .وتمثل الصورة حفل افتتاح دائرة التمييز في اول نوفمبر ١٩٧٢ وقد جلس في الوسط رئيس دائرة التمييز المستشار قطب عبد الحميد فراج ، رئيس محكمة الاستئناف العليا وعن يمينه المستشارين صلاح الدين موسى ذكرى ، وعبد الله على العيسى . وعلى يساره المستشارين محمد يوسف الرفاعى ، ولطفى على احمد ، ومحمد نور الدين عويس .. وهم جميعا اعضاء دائرة التمييز ..

ـ يوجد في الكويت حوالى ٧٥ جنسية مختلفة، ويسرى على كل منها قانون احوالها الشخصية ، وقد تقدم الينا اكثر من زوج انجليزى يطلب الطلاق من زوجته الانجليزية او اليوغوسلافية مثلا ، فحكم لهم بالطلاق ، لان الزوجة هجرت الزوج ثلاث سنين فأكثر .. وتطبيقا للقانون الانجليزى الحالى الصادر عام ١٩٦٥ يسمح بالطلاق في هذه الحالة .

وهل توجد لدى المحكمة جميع قوانين الاحوال الشخصية لهذه الجنسيات ؟

ـ لا توجد هذه القوانين حتى اليوم بين ايدينا، ومرجعنا عند التطبيق هو ثمرة مجهود شخصي منذ ثلاثين عاما في القضاء والعمل بلجان التشريع في الاحوال الشخصية بمصر .. ولكن عند الضرورة تكلف المحكمة المدعى بتقديم قانون بلاده كمستند له في الدعوى ..

ـ هل جرت محاولات لتوحيد قوانين الاحوال الشخصية في البلاد العربية والاسلامية ؟

ـ نعم ، في عهد الوحدة المصرية السورية السابقة ، تكونت لجنة عليا لوضع مشروع موحد للاحوال الشخصية ، ضمت في عضويتها الشيخ حسن مأمون شيخ الازهر السابق ، واستمرت اجتماعاتها على مدى عامين ، وضعت خلالهما مشروعا شاملا لاحكام الزواج والطلاق وآثارهما ، واحكام الاولاد والقرابة والوصية والولاية على المال والنفس والمواريث ، اختارت فيه اصلح الاحكام ، لحاضر المسلمين من جميع المذاهب المعروفة الاربعة وغيرها كالجعفرية والظاهرية ومن



.. « ولقد اتسعت حركة المعاملات في الكويت اتساعا يفوق كل تصور ، وترتب على ذلك زيادة الخلافات والمنازعات وتشعبها ، مما ادى بالتالي الى تضارب الاحكام نتيجة لاختلاف وجهات النظر في تفسير القانون وتطبيقه ، وهكذا أضحى وجود محكمة للتمييز امرا ضروريا ، لان استقرار المعاملات يفترض توحيد المبادىء القانونية وثباتها » .. هذا ما قاله الاستاذ محمد مساعد الصالح المحامي نيابة عن جمعية المحامين بمناسبة افتتاح محكمة التمييز.

اقوال الصحابة والتابعين وائمة السلف . وكان عدد مواد القانون الجديد ٤٥٢ مادة وبينت اللجنة اسانيدها ومراجعها بدقة ، وانتهت اعمالها بوضع مذكرة ضخمة ، من الممكن ان تعتبر موسوعة للاحوال الشخصية للفقه الاسلامي بوجه عام .

« وكان تمام ذلك عام ١٩٦١ ولا تزال هذه المذكرة بين ايدي اولى الامر بجمهورية مصر .

« ولا اذكر ان هناك مشروعا خلاف ذلك . »

امانة فى عنق النيابة

والى جانب المحاكم والقضاة ، تؤدى النيابة العامة دورا على اعظم جانب من الاهمية والخطورة .. وجلسنا الى النائب العام الشاب فارس عبد الرحمن الوقيان الذى تولى منصب النائب منذ عام ١٩٦٨ نسأله عن النيابة العامة والجرائم في الكويت فقال : شكلت النيابة العامة مع التنظيم القضائي الكويتي الحديث عام ١٩٦٠ والنيابة العامة هى صاحبة الدعوى العمومية وهى لسان المجتمع ، تباشر اختصاصها باسمه، وحق المجتمع في عقاب المجرم امانة في عنق النيابة العامة ، ومن ناحية اخرى هى الضمان القوى للافراد من اجل سيادة القانون وتطبيق احكامه ، فلا يجوز أن يقبض على انسان او يفتش منزله ، أو يحبس أو يعتدى على حريته بأى وجه من الوجوه الا طبقا لاحكام القانون .. وتطبيق هذه الاحكام هو من مسئولية النيابة العامة ..

لقد كانت النيابة العامة مختصة بجميع الجرائم والجنح والجنايات ولكن في عام ١٩٦١ رئى قصر عمل النيابة العامة على الجرائم المهمة ، اى الجنايات ، وترك الجنح لمحققى الشرطة باعتبارها بسيطة مع ان النيابة تقوم بتنفيذ الاحكام الصادرة فيها .. الا ان هذا الوضع الاستثنائي قد يتغير ،



النائب العام فارس الوقيان ، في حديث عن الجريمة في الكويت



نقيب المحامين سليمان خالد المطوع ، يتحدث عن متاعب المهنة

وتصبح النيابة العامة مسئولة عن تحقيق كل الجرائم بالكويت ، في حالة موافقة مجلس الامة على ذلك » .

ويتابع النائب العام حديثه بقوله :

ـ اما عن ظاهرة ازدياد الجرائم في الكويت فهذا وضع طبيعي في اي مجتمع ، لان ازدياد السكان يستتبعه بالضرورة ازدياد الجرائم .. وحتى الان لم نعرف مجتمعا في العالم بدون جريمة ..

« وهنا في الكويت كانت الصحف لا تكترث كثيرا بنشر اخبار الجرائم ، ولكنها في الفترة الاخيرة ضخمت اخبارها واصبحت تنشرها على عرض صفحاتها الاولى ، حتى اصبح توزيع الصحيفة يزداد بزيادة ابراز الجريمة !!

واكثر جرائم الجنايات عندنا هي السرقة وهتك العرض ، واعتقد ان السبب وراء زيادة الجرائم هو طريقة تكوين مجتمع الكويت ، فهو مجتمع يزيد عدد الوافدين فيه على عدد اهله .. والوافد يأتي الى الكويت حاملا معه حسناته وسيئاته ، وخيراته وشروره .. ونظرة الى احصائيات الجرائم تجعلنا ندرك ان المتهم يكون غالبا غير كويتي .. » .

وينهي النائب العام حديثه بقوله :

« والجاني لا يستطيع الهرب بسهولة من العقاب على جريمة ارتكبها في الكويت ، اذ توجد اتفاقية موقعة من اغلب البلاد العربية تتعاون كلها في تسليم المجرمين الفارين .. وهناك دراسات تجرى حاليا مع وزارة خارجيتنا من اجل توقيع اتفاقية لتبادل تسليم المجرمين مع ايران .. »

مشاكل المحاماة

ولا يكتمل الحديث عن المحاكم الا بالحديث عن المحامين .. ويعطي قانون المحاماة الحق للخريج الكويتي بالعمل في سلك المحاماة بعد تخرجه مباشرة من كلية للحقوق او الشريعة ، لهذا وجدنا محامين كويتيين لا تتجاوز اعمارهم ٢٢ ربيعا ..

ويعمل حاليا في الكويت ٢٣ محاميا كويتيا مقيدين في الجدول الدائم ، وهناك جدول آخر مؤقت للمحامين من رعايا الدول العربية ، يدرج فيه عدد لا يتجاوز ثمانية محامين غير كويتيين ، يتم اختيارهم من كل بلد عربي وتختارهم لجنة قبول المحامين ، وهذا الجدول المؤقت مدته سنتان .

ويعطي قانون المحاماة ، الحق للمحامي غير الكويتي بالترافع امام المحكمة بعد الحصول على اذن خاص من وزير العدل وجمعية المحامين ، على ان ينضم الى احد المحامين الكويتيين المقيدين في الجدول .

ويتحدث نقيب المحامين الاستاذ سليمان المطوع عن متاعب المهنة فيقول : « قانون المحاماة الحالي لا يحمي المهنة ، وفيه نقص كبير ، لهذا قدمت جمعية المحامين منذ عامين مشروعا متكاملا الى وزير العدل من اجل تنظيم مهنة المحاماة وزيادة صلاحيات جمعية المحامين .

« ان القانون الحالي يعطي مدراء الشركات الكويتية المساهمة حق الترافع في المحكمة عن قضايا شركاتهم وحق تعيين محامين خاصين بشركاتهم ، وهذا الوضع خلق مزاحمة غير مشروعة للمحامين العاملين ، فقد استغل مدراء بعض الشركات الوضع فاصبح الواحد منهم يمثل عدة شركات ..

« اننا نعاني من متاعب عديدة وخاصة من مفهوم كلمة المحامي عند بعض العامة ، الذين يعتقدون ان مهنتنا لا تخرج عن كونها ثرثرة وصناعة كلام .. في حين انها رسالة ومثل عليا ومبادىء قيمة رفيعة .. » ■■

غزة

قلعة الصمود الفلسطيني

بقلم : الدكتور محمد على الفرا

■ وتقترب السيارة من قطاع غزة فتمتزج مختلف المشاعر بمن فيها ، فتارة ينتاب المرء قلق وحذر ويسيطر عليه احيانا شعور بالرهبة والحنين .. قلق على مستقبل هذا القطاع وعروبته ومصيره ، وحذر من النيات المبيتة للقطاع وما تحاك ضده من خطط في العلن والخفاء .. وحنين الى لقاء قومه واهله وذويه ، فرقت بينه وبينهم أهوال الزمان ، ونكبة الحدثان ، ومصيبة من صنع بني الانسان !! ورهبة مما يسمع ويرى عن بطولات هذا الشعب وصموده حتى كأنهم صخرة لا تلين ، ذات عزيمة لا تفتر ولا تستكين .. ان اهل غزة بكفاحهم هذا يصنعون الاحداث ، بها استطاعوا ان يلفتوا اليهم انظار العالم ، وينتزعوا الاعجاب والاكبار من العدو والصديق على حد سواء .. فلا عجب ان ترى اليوم اسم غزة على كل لسان فتتناقله جميع وكالات الانباء .

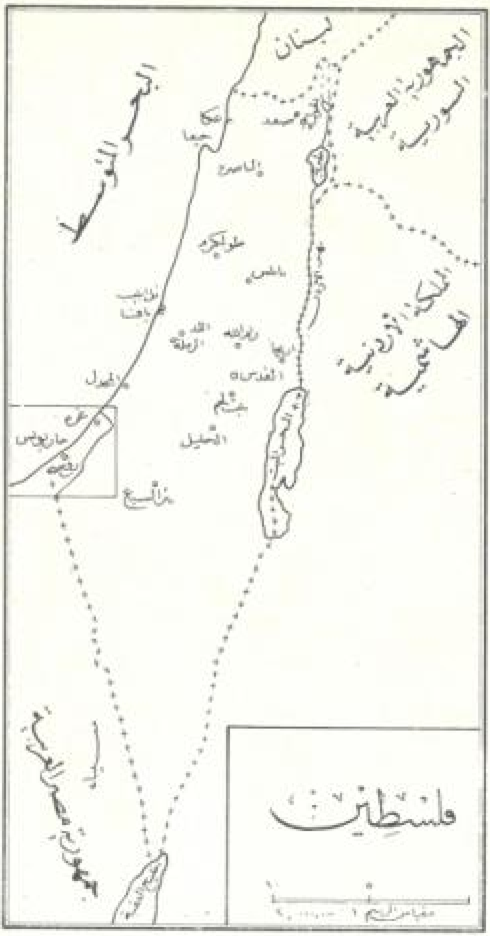
الطريق الى غزة

وتمر السيارة من جسر كان يطلق عليه جسر النبى ، فاصبح اليوم بحق جسر الهموم والاحزان ، لانه يفرق بين البلد الواحد والشعب الواحد ، فيرى المسافر على جنبات الطريق قرى ومدنا كانت مهدا وموطنا لعرب فلسطين منذ كانت في سابق الأزمان ، ولكن اليوم آثارها قد طمست

كانت الادارة المصرية تحرص على تدريب ابناء القطاع . وفي الصورة فريق من فتيات مدرسة غزة الثانوية بلباس التدريب العسكري



ورموز النضال العربي





قطاع غزة

ومعالمها قد ازيلت ، واقيمت على انقاضهـــا مستوطنات ومدن وقرى ، ، انشاها اقوام غرباء عن الديار ، واطلقوا عليها اسماء لا تمت الى واقع البلاد بصلة ، ويسكنها اجناس من البشر مختلفون في سحنهم واشكالهم ولغاتهم وثقافاتهم ، ولكنهم تجمعوا تحت هدف واحد : هو طرد العرب من بلاد هي للعرب منذ الازل .

ويسير المرء من اريحا الى غزة دون أن يعترضه معترض ، او يقف في طريقه حائل ، اللهم الا ما ينتابه من شعور بالحسرة والالم ، وهو يرى المروج الخضراء والارض الطيبة التي كانت له يوما ، فاصبح ـ وبالسخرية الاقدار ـ غريبا عنها شريدا طريدا لا يلوى على شيء .

غزة حزينة

وما أن تقترب السيارة من مشارف غزة حتى يلمس المرء تبدل الحال ، اذ تقف عند نقطة الحدود فيقترب الجندي بسلاحه ونظرة القلق والحذر يرشقها كسهام مسمومة من عينه الى من في السيارة من ركاب .

وتصل غزة فتحزن ، لما ترى من اطلال وبيوت مهدمة كانت بالامس عامرة . وتنظر فاذا بالشوارع ساعة الغسق من المارة خالية ، فالكل الى بيته يسرع الخطى حتى لا يتعرض لرصاص ـ تصيب منه مقتلا تنطلق من بنادق دوريات الجنود التي لا تنقطع ، او حتى لا يخضع لاستجواب يليه اعتقال لا يعرف له بداية من نهاية .

ويصبح الصبح فترى غزة في وضح النهار فاذا



تحيط بمدينة خان يونس مزارع النخيل والاشجار المثمرة لوفرة مياهها وطيب جوها .

بها كالحة حزينة وكأنها تندب حالها وحظها العاثر ، وتبكى مستقبلها الضائع .. وكان التاريخ قد تنكر لها وهى المدينة العريقة ذات المجد التليد والتاريخ الحافل المجيد . وتزور مدن القطاع وقراه من خان يونس الى دير البلح ورفح فتراها جميعا غير ما كانت عليه بالامس ، فرفح اصبحت اليوم معقلا للفدائيين ، وكذلك معسكر جباليا وبقية المعسكرات كالشاطىء بغزة والبريج والنصيرات في وسط القطاع .

غزة عريقة فى التاريخ

غزة من اقدم مدن العالم ، ويقال ان الكنعانيين – وهم اول من استوطن أرض فلسطين ، – هم الذين بنوها . وكانت غزة عاصمة لدولة الفلسطينيين (١) الساحلية التى امتدت من اسدود شمالا حتى رفح جنوبا . وقد قامت الحروب بينهم وبين العبرانيين حيث ورد ذكر شمشون الجبار الذى وضع الله سر قوته كما يقولون في شعر رأسه ولما تمكن منه اعداؤه بمساعدة زوجته دليله التى خانته بافشاء سر قوته ، امسك باعمدة المكان الذى كان به اسيرا وقال جملته الشهيرة « علىّ وعلى اعدائى يارب » فهدم المكان على من فيه . ولا يزال هذا المكان فى غزة يزار حيث يطلق عليه الغزيون « ابو العزم » .

هاشم بن عبد مناف يدفن فى غزة

وتطورت غزة على مر العصور كمدينة ذات موقع هام تربط ديار مصر بالشام، ومحطة تمر بها القوافل التجارية القادمة من مكة ومدن الحجاز الى الشام في رحلتها الصيفية التى ورد ذكرها في القرآن الكريم « لايلاف قريش ، ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

وكان هاشم بن عبد مناف والد عبد المطلب جد النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – سيد قريش وسادن الكعبة على راس احدى القوافل التجارية ، فمرض ومات في غزة ودفن بها ولا يزال قبره فيها يزار ، ويعتبر من اهم المعالم التاريخية في غزة ، حيث اطلق عليها المؤرخون (غزة هاشم)

غزة موطن الامام الشافعى

وفي مدينة غزة ولد احد ائمة الفقه الاسلامى وهو الامام ابو عبد الله بن ادريس بن العباس بن شافع القرشى الملقب بالامام الشافعى ، وكانت ولادته في سنة ١٥ هجرية تقريبا او فى سنة ٧٦٧ الميلادية . ويروى عن الإمام الشافعى بعد ان رحل من غزة الى الحجاز يطلب العلم على يد الامام مالك ، انه كان يحن اليها دوما ويقول :

(١) جاء الفلسطينيون على شكل موجات من بحرايجه قرب بلاد اليونان وهم الذين اعطوا اسمهم لفلسطين .

وانـي لمشتـاق الـى ارض غـزة
وان خانني بعـد التفـرق كتماني

سقى الله ارضا لو ظفرت بتربها
كحلت بها من شدة الشوق اجفاني

ومن معالم غزة الاثرية مسجدها الكبير ، وكان في الاساس كنيسة يرجع تاريخها الى عام ٤١٩ م. وهى السنة التى هدم فيها الرومان اكبر معابد غزة الوثنية فامر الامبراطور اركاديوس Arcadius وزوجته الملكة ادوكسيا Eudoxia ببنـاء هـذه الكنيسـة مكان ذلك المعبد .

يونس الداودار وخانه

وفي سنة ٥٨٠ هـ تقريبا بنى يونس الداودار احد المقربين للملك الظاهر برقوق المملوكى خانا اى فندقا ، ومحطة للقوافل ، لتامين سير الحملات العسكرية والتجارية والبريد من مصر الى الشام التى كانت تابعة لدولة المماليك في مصر . وبنى قلعة شهيرة تطورت فيما بعد الى مدينة يطلق عليها اليوم « خان يونس » وتبعد عن غزة نحو ثلاثة وعشرين كيلو مترا نحو الجنوب ويبلغ سكانها نحو ستين الف نسمة بما في ذلك اعداد اللاجئين.

اقتصاديات القطاع

الزراعة : يتالفقطاعغزة من اراض ساحلية تطل على البحر المتوسط ومعظمها مكون من تلال وكثبان رملية هي امتداد لصحراء سيناء والنقب . ويكثر فيها مكونات الجير لذلك فهى فقيرة عموما في المواد الدبالية والعضوية اللهم الا في بعض مناطق معينة بعيدة عن البحر بنحو ثلاثة كيلو مترات . هـذا وتزداد خصوبة التربة كلما اتجهنا شمالا ،ويصبح لونها شمال غزة احمـر ، وتكثر نسبة الطين والصلصال بفضل رواسب بعض الوديان والمجارى المائية التى تمتلىء بماء المطر شتاء ، وهو قليل لا يزيد على ٥٠٠ مليمتر سنويا ، فيما عدا بعض السنين الشاذة حيث يصل الى ٦٠٠ مليمتر . ويبدأ فصل المطر من اوائل نوفمبر ، ويستمر بصورة متقطعة حتى ابريل ، والمطر مذبذب كمية

قلعة خان يونس التاريخية التى انشاها الامير يونس الداودار في عهد السلطان برقوق المملوكي سلطان مصر . ونرى في الصورة سيارة عامة تابعة لشركة « ابجيد » الاسرائيلية التى تدعمها السلطات لتقضي على الشركات الوطنية . ولكن كثيرا ما يقوم الفدائيون بنسف هذه السيارات ويبدو في الصورة نساء يلبسن الحبرة السوداء وهو مظهر انتشر بعد عدوان ١٩٦٧ حدادا على شهداء المدينة المناضلة .





شارع عمر المختار وهو الشارع الرئيسي في مدينة غزة كان قبل الاحتلال يموج حركة ونشاطا وفيه يتمثل النشاط التجاري . اما اليوم فهو خال من الناس والنشاط وكأنه مهجور بعد تكرر العمليات الفدائية فيه .

وفصلية ، وذلك بحسب مسار الانخفاضات الجوية والاعاصير التى تسوقها الرياح الغربية ، وهذا ما يميز مناخ البحر المتوسط .

ومحاصيل القطاع التقليدية هى الحبوب كالقمح والشعير والذرة ، وقد اشتهرت غزة في الماضي كميناء يصدر الشعير الى اوروبا .

وبجوار مدينتى غزة وخان يونس تكثر زراعة الخضراوات التى تسقى بمياه الامطار شتاء ، ومياه الآبار العميقة صيفا ، والتى وصل عمقها الى اكثر من عشرين مترا احيانا ، ويستخرج ماؤها بواسطة الموتورات والمضخات .

وكانت مدينة خان يونس وما حولها تمد يافا ومدن فلسطين الوسطى بكميات كبيرة من الخضراوات يوميا . هذا ويزرع في القطاع الفواكه بانواعها . وعلى ساحل البحر المواجه لمدينة خان يونس تكثر زراعة الخضار والفاكهة ، بحيث لا تبعد عن مياه البحر المالحة الا بضع مئات من الامتار ، فالماء الحلو العذب لا يبعد عن سطح الارض اكثر من متر او مترين فقط ، ويطلق الاهالى على هذه المزارع « المواصي » وهى حدائق جميلة يؤمها كثير من الناس من مختلف القطاع للبهجة والاستمتاع .

وعلى اثر انكماش حدود قطاع غزة وفقدانه معظم اراضيه الزراعية في يد العدو عمل السكان على استغلال كل شبر فظهرت الزراعة الكثيفة ونشطت زراعة الموالح (الحمضيات) وطغت على زراعة الحبوب والخضراوات فبلغت المساحة المزروعة بالموالح في سنة ١٩٦٧ نحو (٦٥) الف دونم (يساوى الدونم ١٠٠٠ متر مربع) اى نحو ٤٠٪ من المساحة المزروعة والبالغة (١٧٠) الف دونم تقريبا .

وتعتبر الموالح من اهم صادرات القطاع ، اذ بلغ ما صدره في سنة ١٩٦٥ حوالى ٣٠٠ر١٠٠٠ صندوق بلغ ثمنها ٦٠٠ر٣٠٠٠ جنيه مصرى .

ولعل ما يلفت النظر هذه الايام هو كثرة انشاء المستوطنات الاسرائيلية على اراضي قطاع غزة ، والمستوطنات تقام على أجود الاراضي الزراعية . واول اجراء يتم في هذا الشان هو أن تحدد هذه الاراضي المطلوبة ، ثم تسور بالاسلاك الشائكة بعد ان يطرد اصحابها منها ، ويكون موقف الاسرائليين تجاههم بحسب نوع ملكيتهم لهذه الاراضي ، فان كانت ايام العهود العثمانية ـ اى قبل اكثر من سبعين عاما ـ سلطانية (اى حكومية) صودرت بدون تعويض على الرغم من اكتسابهم لهذه الاراضي بحق المزارعة منذ العهد البريطانى ، وهذا قانون تعترف به كل دول العالم . اما ان كانت الاراضي مثبتة لمالكها في سجلات دائرة الاملاك (الطابو) وخارج الاراضي السلطانية فانهم يضعون عليها اليد ايضا ولكن في هذه الحالة يدفعون لصاحبها مبلغا تافها ، وذلك على اساس قيمة الارض المسجلة قبل خمسين عاما يوم ان كانت بورا مهملة غير مستصلحة ، وكان ثمنها زهيدا . وكان الاهالى آنذاك يخفضون من قيمة اراضيهم في

السجلات الرسمية حتى يقللوا من مقدار الضرائب المفروضة عليها .

والاسف فان معظم الاشجار المثمرة قد اجتثت ابناء المستوصفات فخسر القطاع بذلك اجود اراضيه واصبحت عروبته في خطر .

الصناعة : يعتبر الفخار (الخزف) من اهم صناعات غزة التقليدية التي اكسبتها شهرة قديمة، وذلك لتوفر الطين الملائم لهذه الصناعة في المدينة. ويحرص الغزيون على الحفاظ على هذه الصناعة باعتبار انها جزء من تراثهم الشعبي، ومن الطريف اني قابلت مع احد ابناء القطاع في مطار لندن وهو في طريقه الى الولايات المتحدة الامريكية يحمل ابريقا فخاريا اسود اللون وطبقا فخاريا (زبدية) كهدية طلبها منه اخ له في المهجر الذى لا يستطعم اكل السلطة بالفلفل (الدقة) الا في زبدية غزة ويحن الى شرب الماء في ابريق وطنه . وكان هذا مثار فضول رجل الجمرك في المطار .

ومن صناعات غزة القديمة صناعة النسيج التي كانت تدار بالنول اليدوى ثم تأسست اول شركة تعمل بالانوال الآلية في اواخر عهد الانتداب البريطاني على يد المرحوم السيد جعفر فلفل أحد مؤسسي شركة المنار .

ولقد ازدهرت هذه الصناعة مؤخرا بعد هجرة ابناء المجدل الذين اشتهروا بها وكانت الانوال والخيوط النسيجية في كل بيت بل تدار في الشوارع وعلى قارعة الطريق مما وفر للقطاع منسوجات قطنية وحريرية باسعار رخيصة .

وبعد سنة ١٩٤٨ قامت في غزة صناعات كثيرة اهمها السجاير والطباق والصابون والحلويات والمياه الغازية والثلج ، وقد اقيم مؤخرا مصنع في غزة لتشميع البرتقال المصدر للخارج . هذا وفي الستينيات نشطت صناعة حياكة الملابس الجاهزة وصناعة الاحذية المطاطية التي كانت تصدر لمصر والسعودية . وتسعى السلطات الاسرائيلية اليوم بشتى السبل لقتل هذه الصناعات الوطنية حتى يصبح القطاع مستهلكا للمنتجات الاسرائيلية ويضطر المواطنون الى الاشتغال كعمال في المصانع اليهودية .

كثرة في السكان وقلة في الموارد والامكانيات

يبلغ عدد سكان القطاع في سنة ١٩٦٧ أى عشية الاحتلال الصهيوني نحو نصف مليون نسمة منهم اكثر من ثلاثمائة الف لاجيء وفدوا الى القطاع من مدن وقرى اللواء الجنوبي بعد سقوطها في ايدى العدو بعد سنة ١٩٤٨ ، اما الباقون فهم سكان القطاع الاصليون ، لهذا فالكثافة السكانية في القطاع مرتفعة للغاية (٢٥٠٠ شخص لكل كيلو متر مربع) ، بينما موارده الزراعية والصناعية محدودة للغاية لا تكفي حاجات السكان . ويقدر العجز في الميزان التجارى باكثر من ستة ملايين جنية مصرى سنويا كان يتم تسديدها من مصادر مختلفة منها معونات مادية وعينية مباشرة من مصر ، ومما يحوله ابناء القطاع العاملين في البلاد العربية

الجندى المجهول الذى اقيم تخليدا لمن استشهدوا في عدوان ١٩٥٦ والاحتلال الاول للقطاع آنذاك . وقد قامت السلطات الاسرائيلية بهدمه بعد الاحتلال الثاني مباشرة في سنة ١٩٦٧





الميدان الرئيسي لمدينة خان يونس .

وبخاصة في الكويت والسعودية وقطر وليبيا الى ذويهم ،وكذلك من مصروفات وكالة الغوث الدولية United Nations Relief Works Agency (UNRWA)

وما توزعه من اطعمة وكساء للاجئين في القطاع . وكذلك يستفيد القطاع من نفقات افراد الجيش المصرى المرابط آنذاك ومن قوات الطوارىء الدولية التى جاءت الى القطاع بعد انسحاب اسرائيل منه في مارس ١٩٥٧ .

وقد شجعت السلطات في القطاع على انعاش احواله الاقتصادية عن طريق تحويله الى منطقة تجارية شبه حرة ترد اليه البضائع ، من جميع انحاء العالم ويعاد تصديرها الى مصر . هذا وكان كثير من ابناء مصر يفدون الى غزة بتشجيع من الحكومة لشراء ما يلزمهم من كماليات مستوردة من الخارج وكانت الادارة تنظم استقبال بعثات طلابية وشعبية من مصر للاقامة في القطاع بضعة ايام على شكل سياحة . وهذا كان مصدرا هاما من مصادر القطاع ترتب عليه ازدهار صناعة الفندقة فاقيمت الفنادق الكثيرة واماكن الاستجمام على شاطىء البحر ونشط معها قطاع الخدمات .

وصحب هذا الانتعاش الاقتصادى بعد ان استتب الامن عقب مرابطة قوات الطوارىء الدولية على الحدود مع العدو ان ازداد العمران ازديادا ملموسا وارتفعت اسعار الاراضي ومواد البناء ارتفاعا فاحشا حتى صار ثمن الدونم في المدينة يباع بثلاثين الف جنيه مصرى وعلى بعد كيلو مترين من مركز المدينة بيع الدونم باثنى عشر الفا وعلى الاطراف بثلاثة آلاف جنيه .

وتتميز المبانى في غزة بنظام الفلات التى تبنى الواحدة على قطعة من الارض مساحتها دونم واحد تحيط بها الاشجار المثمرة والازهار من كل جانب . وبهذا ظهرت غزة الجديدة التى شيدت على هذا الطراز الجميل في منطقة الرمال البحرية بينما غزة القديمة ظلت على ازدحام مبانيها وضيق ازقتها وحواريها كالمدن العربية القديمة .

قطاع غزة يخوض حربين فى اقل من اثنتى عشرة سنة

حينما تعرضت مصر في سنة ١٩٥٦ لعدوان ثلاثى غادر من قبل بريطانيا وفرنسا بالتواطؤ مع اسرائيل صمد القطاع امام قوات اسرائيل المعتدية التى تفوقه عددا وعدة وتنظيما وتدريبا على الرغم من انه في وضع عسكرى سيىء للغاية فالعدو يحيط به من الشمال والشرق والبحر المتوسط من الغرب ولا يصله بمصر الا معبر ضيق مفصول

بصحراء سيناء الواسعة . وكان من السهل على اسرائيل ان تفصل القطاع عن مصر كما يفصل الراس عن الجسد . وقد ابلى الاهالى بلاء حسنا عن قطاعهم الى ان نفدت ذخائرهم وخضع للاحتلال الاسرائيلي الاول الذى استمر من اول نوفمبر ١٩٥٦ حتى ٧ مارس ١٩٥٧ . ولكن اثناء هذا الاحتلال ظلت حركة المقاومة تعمل ليلا ونهارا ولا يخمد لها أوار . وفي يوليو ١٩٦٧ قامت الحرب بين العرب واسرائيل فتعرض القطاع ثانية لهجوم اسرائيلي انتهى باحتلال القطاع ولا يزال القطاع يعاني من وطأة الاحتلال العسكرى الاسرائيلي .

خان يونس مدينة الصمود

في الاحتلال الاسرائيلي الاول للقطاع في سنة ١٩٥٦ وفي الثاني في سنة ١٩٦٧ ضربت مدينة خان يونس مثلا أعلى في التضحية والفداء والبطولة والشجاعة ، اذ ظلت المدينة تقاوم في سنة ١٩٥٦ بعناد واصرار من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت بعد ان سقطت جميع مدن القطاع وقراه . وكانت القوات الاسرائيلية تحارب بضراوة ووحشية حرب ابادة من البحر والبر والجو وتتوعد الاهالى بالابادة أن ظلوا على عنادهم دون استسلام . ولكن نفدت ذخيرة المدينة في النهاية وانهارت المقاومة لعدم التكافؤ بين القوتين فدخل اليهود المدينة وفرضوا منع التجول ثم نادوا بمكبرات الصوت بضرورة تجمع الرجال في امكنة خاصة من المدينة وتم فرز الشباب واطلق عليهم جميعا الرصاص وقامت الدوريات بالمرور في المنازل فمن وجد في داره قتل دون استجواب وظلت الجثث تملأ الاماكن والساحات العامة حتى هدد الوباء المدينة واخيرا تم نقل الجثث في عربات والقيت في حفر ووريت التراب لعل أكبرها كان ملجا يستخدم ضد الغارات الجوية في وسط المدينة اقيم عليه بعد جلاء العدو نصب تذكارى .

وفي عدوان ١٩٦٧ صمدت خان يونس للمرة الثانية صمودا جبارا واخذت تقاتل بمن فيها رجالا ونساء شيبا وشبابا وكان بعضهم يتمنطق بالاحزمة الناسفة فيلقي بنفسه تحت دبابة العدو فينسفها ومن فيها مطبقا قول شمشون الذى ذهب مثلا « عليّ وعلى اعدائي يارب » .

قطاع غزة صخرة الكفاح والنضال

لقد حارت اسرائيل في أمر غزة وقطاعها فسلكت اسلوب الترغيب في البداية علها تكسب ود السكان فاغرت العاطلين بالعمل والاجر المغرى ، ووعدت السكان باصلاح حال القطاع واقامة المشاريع فيه وفتحت لاهالية حدود اسرائيل ليتنقلوا الى حيثما يشاؤون . ولم تنجح هذه السياسة فكشرت اسرائيل عن أنيابها وقلبت للناس ظهر المجن وسلكت اسلوب البطش والارهاب والتنكيل وصار الجنود يطلقون الرصاص لاقل شك في الامر ، ويدخلون البيوت في الليل دون استئذان بسلالم يتسلقون بها الجدران وينفذون من الشبابيك الى غرف النوم والناس نيام بحجة البحث عن الفدائيين وساقوا الشباب زمرا الى السجون لاقل ارتياب في سلوكهم .

ومنع الاهالى اليهود من دخول قطاعهم بالقاء القنابل على سياراتهم حتى منعت اسرائيل رعاياها من دخول مدن القطاع وقراه حفاظا على سلامتهم. واخيرا اقدمت على تنفيذ مخطط يرمى الى ترحيل اعداد كثيرة من السكان خارج القطاع بغية تخفيف كثافته السكانية ظنا منها بأن سبب المقاومة يكمن في الزيادة السكانية . ونتيجة لذلك هدمت اسرائيل كثيرا من المنازل في معسكرات اللاجئين وعلى الاخص معسكر جباليا (ويعتبر اليوم اكبر مراكز المقاومة والبطولة في القطاع) بحجة شق الطرق وتوسيعها حتى تتمكن الدوريات التى لا تسير الا في دبابات ومصفحات من المرور ليل نهار . واقفلت منافذ الشوارع الفرعية في المدن بالجدران العالية حتى تحول دون تمكن الفدائيين من القاء القنابل منها على الدوريات وهي تسير في الطرق الرئيسية . وها هي ذى اليوم تسعى لتفريغ معسكرى رفح وخان يونس للاجئين من السكان .

ولم تنجح اسرائيل في تنفيذ مخطط تفريغ القطاع من سكانه وذلك بفضل صمود ابنائه والامثلة على ذلك كثيرة منها ان عائلة اصرت على عدم الخروج من مسكنها رغم تحذير اليهود لهم بنسف المنزل فما كان من رب الاسرة الا ان قال ان كان امر النسف سيتم فليكن نحن والبيت معا. ومثل آخر نسوقه هو ان قوات الاحتلال نسفت



مدخل الجامع العمري الكبير بمدينة غزة وكان في الاصل كنيسة ويبدو عليه الاعمال

احد المساكن واجبرت سكانه على مغادرته الى مكان اخر اعدته لهم فما كان من أفراد الاسرة الا ان عادوا بعد مدة بسيطة فاقاموا فوق مسكنهم المنسوف ووضعوا بطانيات على اعمدة لتقيهم من حرارة الشمس وليثبتوا لقوات العدو ان التخلى عن الوطن مستحيل .

ان مثل هذه الاعمال جعلت احد الصحفيين العالميين يقول بعد أن زار القطاع ما يلى : « ان قطاع غزة يحكمه الاسرائيليون نهارا ويحكمه الفدائيون ليلا » .

هذا الكفاح والنضال له مقوماته

ان مقومات كفاح قطاع غزة ونضاله يستندان الى اسباب هامة لا بد من دراستها وتحليلها لنخرج منها بنتيجة قد تفيد ابناء الامة العربية التى تتطلع اليوم الى استعادة اراضيها المحتلة واسترداد حقها وكرامتها المهدورة . هذه الاسباب يمكن ان نجملها في الامور الآتية :

١ ــ ارتفاع نسبة التعليم في القطاع .

٢ ــ التعبئة الوطنية والتدريب العسكرى .

٣ ــ انشاء الجيش الفلسطيني في غزة .

ارتفاع نسبة التعليم

لم يلق قطاع غزة الاهتمام المطلوب من جميع النواحى ابان الانتداب البريطانى لفلسطين شانه في ذلك شان سائر انحاء فلسطين ، فاهملت شئون التعليم فلم يكن في غزة المدينة الكبيرة العريقة غير مدرسة ثانوية للبنين واخرى للبنات اكتملتا في أواخر عهد الانتداب ، هذا الى جانب المدارس الابتدائية . وكان سكان غزة يرسلون ابناءهم لتلقى العلم في القدس ويافا او خارج فلسطين وهذا دفع نفرا من الوطنيين الغيورين الى التفكير بانشاء مدرسة ثانوية كاملة فاسس الاخوان شفيق ووديع ترزى كلية غزة التى خرجت جيلا من الشباب يعتمد عليه .

ولم يكن في مدينة خان يونس الا مدرسة ابتدائية للذكور ضم اليها في سنة ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ صفان ثانويان ، هذا الى جانب مدرسة اخرى للبنات ابتدائية . وحينما وفد كثير من اللاجئين عقب احداث سنة ١٩٤٨ الى قطاع غزة زاد عدد السكان كما رأينا وكثير منهم كان في سن التعليم ، فكان

لا بد تحت ضغط الحاجة من توفير المدارس لهم فقامت السلطات المسئولة في القطاع بفتح العديد من المدارس بالتعاون مع وكالة الغوث الدولية وبعض المنظمات العالمية كاليونسكو حتى صار عدد المدارس في القطاع (١٥٦) مدرسة من جميع المراحل وذلك في سنة ١٩٦٦ ، بعد ان كان عددها في سنة ١٩٤٨ نحو (١٦) مدرسة فقط . وزاد عدد الطلاب تمشيا مع عدد السكان في نفس الفترة من (١٤) الف طالب الى (١١٨) الف طالب وعدد المدرسين ارتفع من نحو (٣٠٠) مدرس الى (٣٠٠٠) مدرس تقريبا . هذا بخلاف المدارس الليلية لكبار السن الذين لم يستطيعوا مواصلة التعليم اثناء الانتداب .

وقد سهلت مصر لابناء غزة الالتحاق بالجامعات والمعاهد المصرية فارتفعت نسبة التعليم نتيجة كل ما ذكرنا من عوامل حتى اصبحت من اعلى النسب في الوطن العربي ، وصارت غزة شهيرة بابنائها المتعلمين الذين يسهمون في نشر العلم والثقافة في وطنهم العربي الكبير وكانت غزة تستفيد من هؤلاء الابناء الذين يحولون الاموال لذويهم واقاربهم في القطاع .

لقد كان من نتيجة انتشار التعليم في القطاع ان تصاعد الشعور الوطني وتولد عند الناس شعور بالظلم والرغبة في دفعه ، فالعدو على مرمى البصر ينعم بما سلَب ، والفلسطيني مشرد طريد يسكن الخيمة . وهنا ينطبق قول احد الفلاسفة ومؤداه « ان الظلم وحده لا يكفي لقيام الثورة بل ان الشعور بالظلم هو الذى يولد الثورة على الطغيان » .

التعبئة الوطنية والتدريب العسكرى

لقد ساعد التعليم على زيادة التعبئة الوطنية في قطاع غزة بفضل تطوير المناهج المدرسية وادخال مواد التربية الوطنية والتركيز على التاريخ والجغرافيا في مواضيع تدور حول مفهوم الوطن والوطنية ومكان الفرد ودوره في خدمة وطنه وتحرير بلاده .

هذا وكان للنوادى ومراكز الشباب ومعسكراتهم الرياضية دور بارز في التعبئة الوطنية كما قامت سلطات القطاع بناء على الحاح من الاهالى بتدريب الشباب على حمل السلاح وتنظيم اول خلية للعمل الفدائى . ولن ينسى ابناء غزة الضابط المصرى الشهيد مصطفى حافظ الذى يرجع اليه الفضل على المستوى الرسمى في تبنى اول جماعة فدائية فلسطينية في القطاع وكان هذا في منتصف الخمسينيات ، وقد قامت هذه الجماعة بدور هام فاقلقت امن اسرائيل وأرعبت سكانها فارسل اليهود الى مصطفى حافظ طردا بريديا ملغوما أودى بحياته .

وحينما بدأت سحب حرب يوليو ١٩٦٧ تتجمع في الافق طالب سكان القطاع بحمل السلاح ليقوموا بواجبهم نحو الوطن فاستجابت السلطات لهم فاصبح القطاع عشية الحرب اشبه بترسانة ملآنة بالسلاح فالذخيرة في كل بيت والسلاح في كل يد قادرة على حمله رجالا ونساء ، فلما جاءت ساعة الصفر تحول القطاع الى شعلة من نار فلم يكن احتلاله بالامر السهل بل تكبد الاسرائيليون الكثير من الضحايا والخسائر .

انشاء الجيش الفلسطينى فى غزة

في سنة ١٩٥٤/١٩٥٥ انشئت نواة الجيش الفلسطيني وجعلت مدينة خان يونس مركزا له وقد ابلى هذا الجيش في حرب ١٩٥٦ بلاء حسنا في الدفاع عن القطاع وحينما تكونت منظمة التحرير الفلسطينية عقب مؤتمر القمة العربي الاول في سنة ١٩٦٣ ، اعيد تنظيم هذا الجيش وزيد عدد قواته وبقى قطاع غزة قاعدة له وفيها كانت تعقد الكثير من المؤتمرات الشعبية والوطنية فتاججت الروح الوطنية عند الجميع . وقد شارك الجيش الفلسطيني في معارك القطاع وسيناء وقناة السويس وذلك في حرب يوليو ١٩٦٧ . ومما لا شك فيه ان انشاء هذا الجيش من ابناء القطاع كان يبعث الامل في نفوس الناس ويقوى من عزائهم ويرفع من روحهم المعنوية فهم احق من غيرهم في تحرير وطنهم . ■■

محمد علي الفرا

ذِكرياتُ الأَمْسِ



بقلم : مصطفى عبد الرحمن

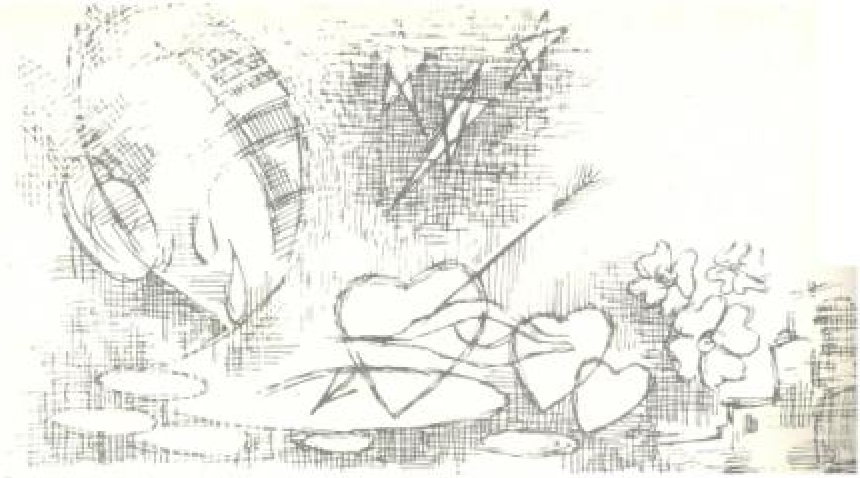
■ ذِكرياتُ الأمسِ عادت من جديدْ تُوقظُ الماضى الذى ولّى وَراحْ
ما الذى تبغيه منى ؟ .. ما تُريدْ بعدما أغفتْ بجنبيَّ الجراحْ
بعدما كِدتُ مع الأيامِ أنسى ماضيا ولّى وأفراحاً وأُنسا
ومُنىً بدّدها عصفُ الرياحْ

★★★

لاحتِ الأيامُ لاحتْ لعيونى رغم ليلٍ من ظلامٍ وبعادْ
وَصَبَاباتى وحُبّى وحنينى نفضتْ عنها وعن عينى الرمادْ
آهِ من قلبى ومن لوعةِ قلبى عاد لايقوَى على نسيان حُبى
وكأنَّ الأمسَ كلَّ الأمسِ عادْ

★★★

يا لأمسٍ عادَ مشبوبَ الحنينْ يسأل الأيامَ عن أيامنا
أين غابتْ ؟ كيفَ وارتها السنون أين أحبابى وأفراحُ المُنى
فيجيبُ الدمعُ فى عينِ الغريبِ فاتنى لليلِ والسُّهدِ حبيبى
وطوى المُشرقَ من أحلامنا



أين لى ياحبُ واديكَ الحنونْ   وليالى العمرِ نجوى وغرامْ
فرحٌ فالكون رقصٌ ولحُونْ   وعيونٌ ساهرات لاتنامْ
وزهورٌ وعبيرٌ وأملْ   بنشر البسمةَ والدفءَ قُبلْ
ومنىً تُروى غليلَ المُستهامْ

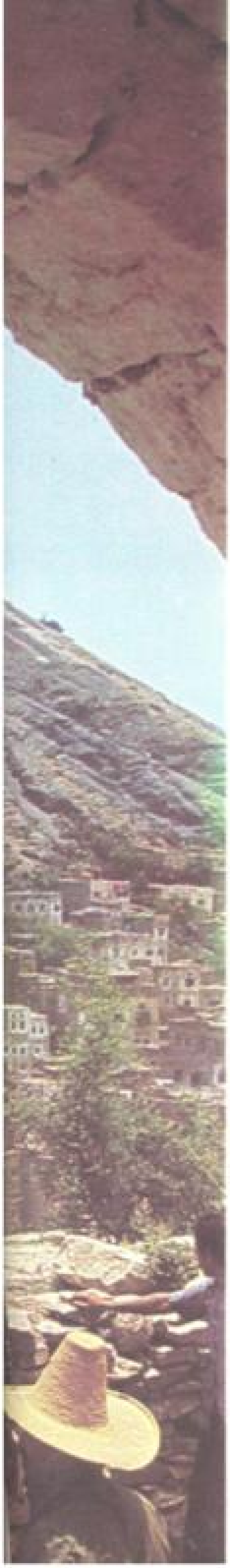
★★★

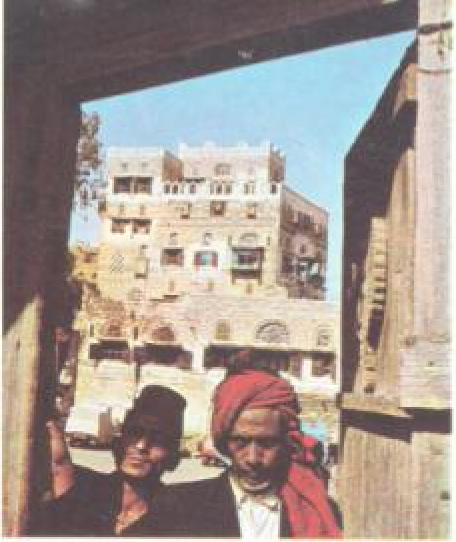
هذه الجنةُ عشنا آمنا   في روابيها نُغنى ونُعيدْ
وملأنا من سناها الأعْيُنا   وهتفنا لمزيدِ ومزيدْ
نسهرُ الليلَ ونحكى للنجومْ   قصةً ياحبُ قلنا ستدومْ
كلّ لفظٍ من معانيها جديدْ

★★★

ياليالينا على الشطّ الحبيبْ   ألَنا من عودةٍ تحيى الرجاءْ ؟
نلتقى فيها عيونٌ وقلوبْ   تستقى النُعمىَ وتشدو بالغناءْ
آهِ لو عاد لنا الأمس البعيدْ   وصحت عيني على حلْم سعيد
والليالى من فتونٍ وصفاءْ ■■

مصطفى عبد الرحمن





ابواب قصر سعدان وقد فتح لاول مرة .

اعرف وطنك أيها العربي

حجة

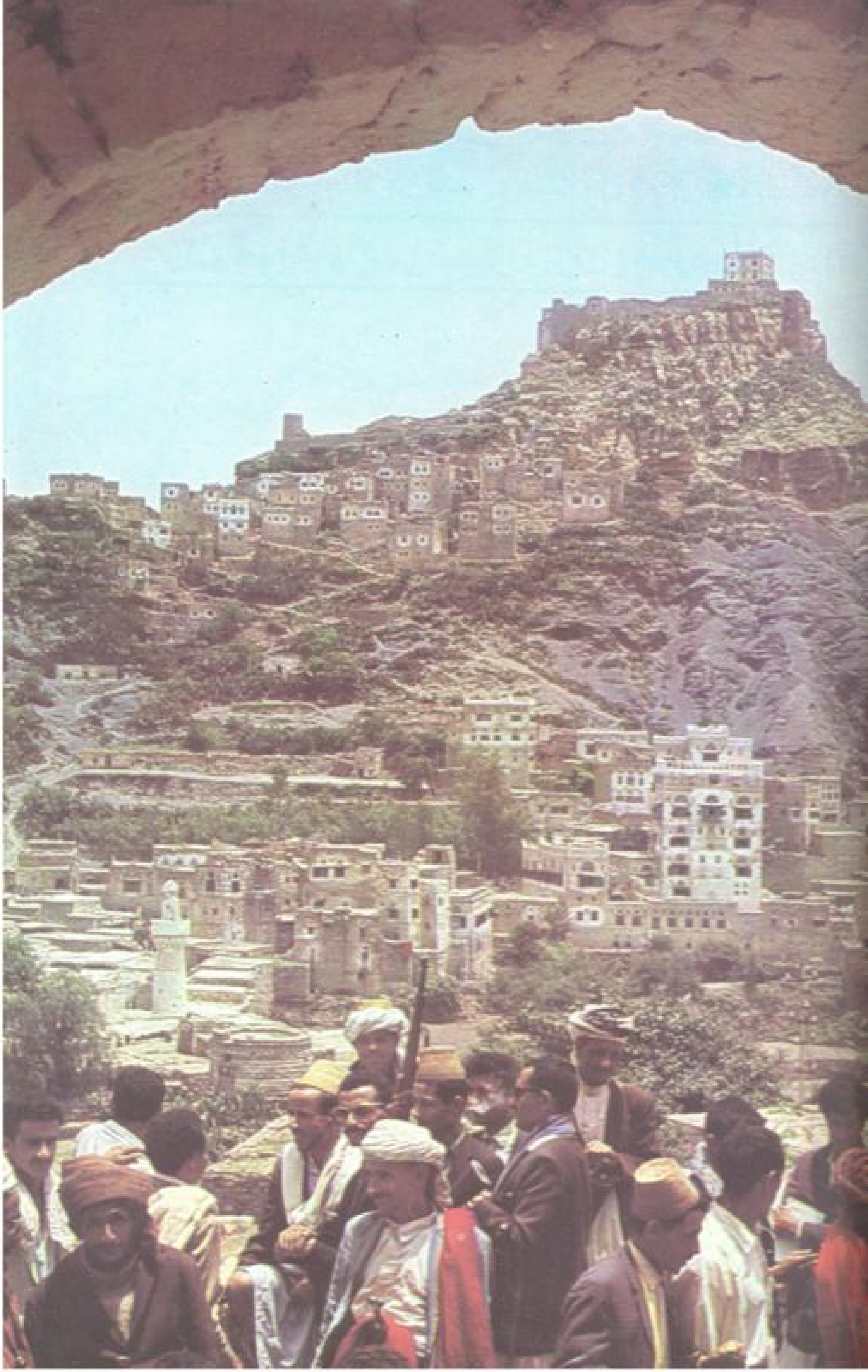
بَلدةٌ فَوقَ قِمَّةِ جَبَل

استطلاع :
سليم زبال

تصوير :
أوسكار مترى

الى اليسار : هذه هي حجة ، وكأنها لوحة فنية رائعة ، والى اسفل : الشعب كله يعمل على اصلاح مبنى مستشفى حجة .





حجة : بلدة فوق قمة جبل:
وهي كسائر بلاد اليمن : مدائن فوق جبال
عزلتها مواقعها فهي تعيش في زمان غير هذا الزمان

■ فوق قمة كل جبل في اليمن قرية.. وفي كل قرية اناس يعيشون حياة غريبة .. لا يحس بهم احد ، ولا يحسون بأحد.. انها العزلة التي اختاروها لانفسهم، وفرضتها عليهم ظروف الحياة في اليمن السعيد .

وطرنا الى اليمن في محاولة لاستطلاع هذه العزلة .. فماذا رأينا ؟

لقد شاهدنا العجب العجاب ، مما لايخطر على بال ، فقد رأينا اناسا لا يمتون بصلة الى الحياة التي نعيشها .. رأينا اناسا خيّروا بين أهون الشرين : المرض او الموت .. وطبعا اختاروا المرض عن طيب خاطر ! رأيناهم يتألمون في صمت دون أن يسمعهم احد .. وعندما اطمأنوا الينا سألونا بسذاجة .. «انا بشر ، لنا حقنا في الحياة ، فلماذا لا تساعدوننا ؟!»

عزلة فوق الجبل !

وحتى نلم بجميع اطراف الصورة ، تعالوا نتفهم اولا الاسلوب العجيب الذى عليه التوزيع السكاني في اليمن ..

يقول احصاء ١٩٧١ ان عدد سكان المدن الثماني الرئيسية في اليمن يقترب من نصف مليون نسمة تقريبا ، .. فاين يعيش بقية الاهالي ؟ .. اين يعيش ثمانية ملايين نسمة ؟ .. ويأتينا الجواب : انهم يعيشون في نحو ١٧ الف قرية وعزلة ..

لقد كرست اليمن كلمة الانعزالية شعبيا ورسميا ، فاصبحت كلمة عزلة تطلق على كل تجمع سكاني صغير فوق قمة جبل في سلسلة جبال اليمن الهائلة ..

ويبدأ تكوين العزلة عندما يصعد رجل وزوجته الى قمة الجبل ، وتتكاثر العائلة مع الايام، فيضطر الاب الى بناء غرفة اضافية .. وينضم اليهم عريس جديد ، فتتسع رقعة العزلة وتصبح على شكل قرية .. ولكن اسلوب الحياة يظل على ما هو عليه منذ آلاف السنين حفرة كبيرة في وسط العزلة تتجمع فيها مياه الامطار ، والرجال ينزلون الى الوادى كل يوم لزراعة رقعة صغيرة من الارض ، ومع الغروب يصعدون الى قمة الجبل ثانية حاملين معهم كمية من الطين لتوسيع الرقعة الزراعية عند القمة .. وهم يزرعون غالبا نوعين : الذرة للطعام، والقات للعادة الرذيلة المعروفة في اليمن !

لماذا ؟ !

واول سؤال يتبادر الى الاذهان هو : لماذا اختار اهل اليمن قمم الجبال مكانا مفضلا لسكناهم ؟

وتجيبنا كتب التاريخ اليمني قائلة : « لم يذق اليمن طعم السلام والاستقرار ، الا خلال فترات قصيرة نادرة من حياته الطويلة .. ففي أيام الخلفاء الراشدين استتب السلام لمدة ١٥ عاما .. وفي ايام الامام يحيى بعد اكثر من الف من السنين استقرت البلاد لمدة ٣٥ عاما .. تحت الذل والارهاق .. وفيما بين ذلك كانت الفتن والحروب والغزوات والمعارك تمزق كيان اليمن .. وكانت المدن الثائرة تباح لرجال القبائل ، ينهبونها ويقتلون رجالها ، ويسبون نساءها .. بلاء اصاب اليمن فجعلها يمنا شقية تعسة ، بدلا من يمن سعيدة ..



الى اليسار : توضح هذه الخريطة موقع « حجة » في الطرف الشمالي من الجمهورية العربية اليمنية .. لقد ظلت حجة تعتبر منفى للمسجونين ، واليوم تراها تنتظر بلهفة فتح الطرق المؤدية اليها حتى ترتبط بالعالم الخارجي .

وفي غمرة الحروب تهدمت السدود التي تحجز مياه الامطار ، ولم يقم احد باصلاحها ، وانطمست الجداول ، وانسدت الفيول (عيون الماء) ، وانعدمت اشجار الفاكهة ، التي ذكرها احد المؤرخين بقوله : « من فرط كثرة اشجار الفاكهة في اليمن ، كانت الثمار تسقط في صينية العروس اثناء ذهابها لبيت الزوجية !! »

ولم تقتصر حروب اليمن على التاريخ القديم ، فما زالت في اذهان جميع القراء ذكرى الحرب اليمنية الاهلية الاليمة التي وقعت بين الجمهوريين والملكيين من اهل اليمن بين عام ١٩٦٢ وعام ١٩٦٨ ازهقت خلالها حياة مئات الالوف من ابناء اليمن ، ماتوا دون ان يعلم بهم احد .. وما كادت تلك الحرب تتوقف حتى نشبت في العام الماضي فقط ، عام ١٩٧٢ معارك حربية طاحنة بين الاشقاء من ابناء اليمن ، شماله وجنوبه .

حروب ومعارك لا تكاد تهدأ حتى تشتعل من جديد حاملة الخراب والدمار الى بلد في اشد الحاجة الى الاستقرار ..

لكل هذه الاسباب اتجه غالبية ابناء اليمن الى



الى اسفل : يعشق اهل اليمن الالوان الصارخة ، وهم يصنعون ملابسهم ملونة بها ، وهي تشبه في الوانها ملابس الاكراد في شمال العراق .. ويرتدى القضاة عمامة من الشاش فوق رؤوسهم ، ويضعون الشاش الحريرى الطويل حول اكتافهم ، ويزركشونه بالسيم ، اى الخيوط الفضية . اما عامة الناس فيضعون كوفية من القطن ، يطلق عليها اسم « عواذل » .. ويتمنطقون بالجنبية ذات المقبض المصنوع من عظم وحيد القرن ، الغالى الثمن.

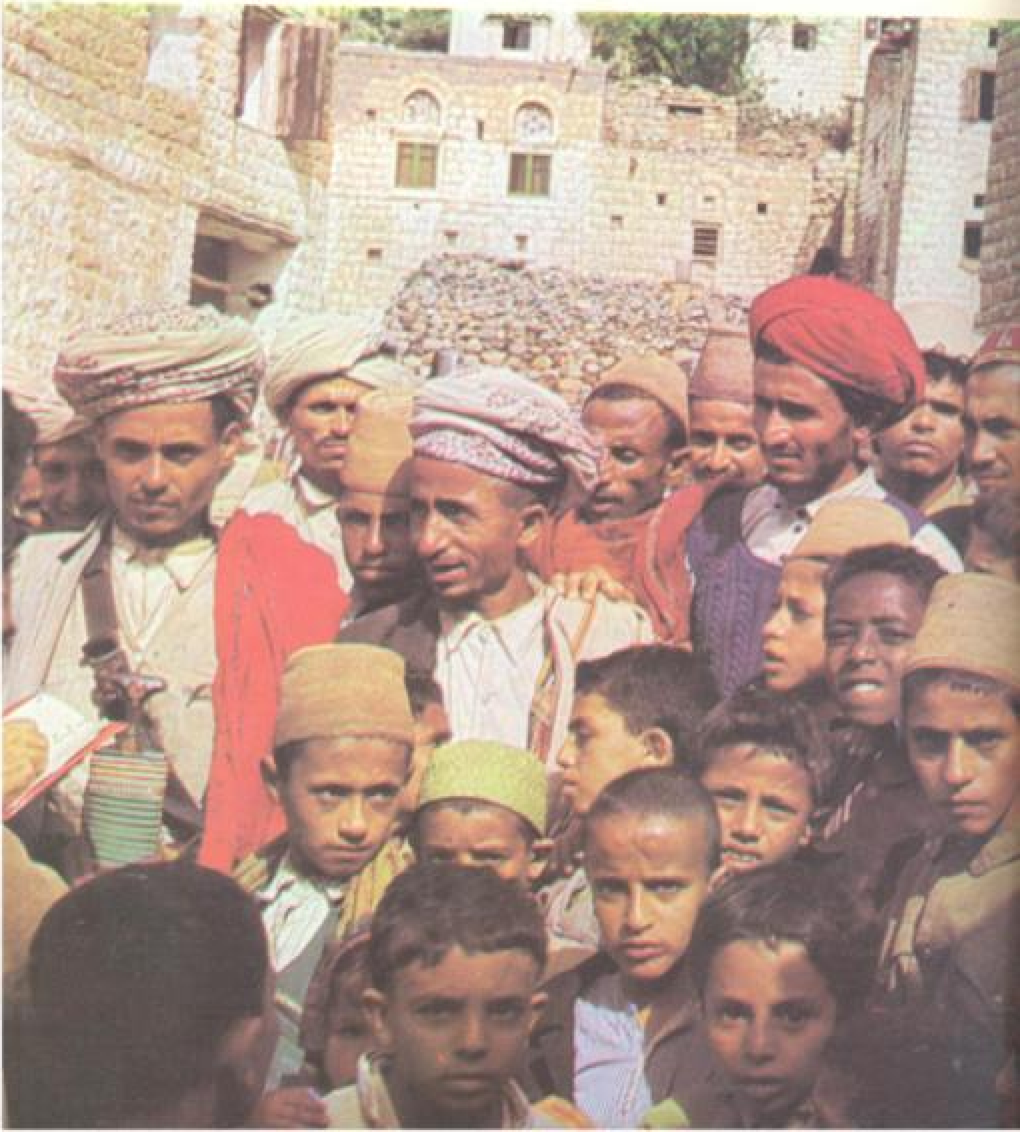






الى اليمين : « الشرع » كلمة تطلق على المحكمة الشرعية، وتحال الى هذه المحكمة جميع القضايا المدنية والعمالية والجنائية . لقد زالت جميع التفرقات المذهبية في ربوع اليمن وأصبح المعتمد هو الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة . وقد تتفق قواعد الاحكام كثيراً مع مذهب الامام ابى حنيفة والامام زيد بن على (امام الزيدية) .. واكثر القضايا المعروضة حاليا هى قضايا الدم ، اى الثأر ، والقضايا المالية ..

الى اسفل : ابناء حجة بملابسهم الملونة العادية .. لقد كانوا يحيطون بنا دائما ويتطلعون بفضول زائد الى مصور العربى اثناء عمله .







ثلاث صور : اثنان منها توضحان وعورة الطريق الجبلي الطويل المؤدي الى حجة ، والثالثة
المحافظات التي يمر بها الطريق .. هذا الطريق الجديد سيختصر المسافة بين الحديدة وحـ

قمم الجبال يحتمون بها ويتحصنون بعيدا عن الاماكن المضطربة .

الطريق الى حجة

وكان هدفنا في اليمن هو استطلاع مدينة حجة .. اكبر المدن المعزولة عن الحياة في اليمن .. وعندما علموا في ميناء الحديدة اننا قاصدون حجة ، قالوا : رحم الله الشاعر الذى قال عندما سالوه الى اين تسير فنظم هذا البيت :

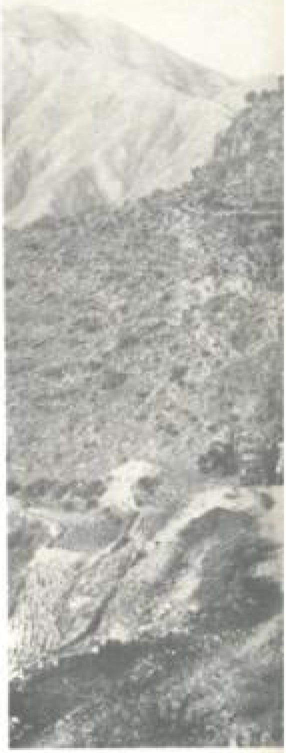
الى ايـن تمشـي والطريـق وعـور
فقلـت الـى حيـث النسـور تطـير

ومع اشراقة الشمس ، كنا داخل السيارة الصحراوية (اللاند روفر) التي انطلقت بنا من الحديدة متجهة شمالا بمحاذاة مياه البحر الاحمر .. ثم انعطفت الى الداخل ، الى بحر من الرمال الناعمة ، انها صحراء تهامة ، المحصورة بين جبال اليمن من الشرق والبحر الاحمر من الغرب، بعرض يقرب من ٢٥ كيلو مترا .

وتتابعت امامنا قرى تهامة ووديانها .. هـذه قرية سردود : ١٥ عشة ومقهى .. ارضها طيبة ، زرعتها الطبيعة بالاعشاب ، ولم يزرع الانسان فيها شيئا .. وهذه قرية الضحى بمدرستها الابتدائية للبنين ، اما البنات فلم يتعلمن حتى اليوم لعدم وجود مدرسة لهن ، وكذلك الطب الحديث لم تعرفه هذه القرية التي يقرب عدد سكانها من اربعة الاف نسمة وجوههم صفراء وعيونهم حمراء من فرط الارهاق والمرض !!

وعند قرية المعروفية وقفنا امام بئر الماء ، التي يشرب منها الاهالي .. المرأة هي التي تعمل .. تلقى بالطربال (الدلو المصنوع من الجلد الاسود) الى داخل البئر العميق، ثم تسحب الحبل الطويل الثقيل ، وتفرغ الماء في الكد (الجرة الفخار) وتحملها الى منزلها ، حيث يجلس الزوج دون





شق طريق جديد يوصل من الحديدة الى حجة ، تقوم بها وزارة الاشغال اليمنية ، بتمويل من
كيلو مترا ، بدلا من ٢٦٠ كيلو مترا ، هى طول الطريق الحالى ..

عمل الا ان يخزن القات ، وينتظر هطول الامطار حتى ينبت البذر الذى كان بذره .

الصورة تتبدل

وتركنا صحراء تهامة ، ويسمونها بالصحراء الكاذبة ، لأن الماء موجود فيها على عمق امتار قليلة تحت الرمال ، ينتظر من يرفعه ليحول الصحراء الى جنة خضراء ..

وانعطفت بنا السيارة الى المنطقة الجبلية ، الصورة تتبدل ، فالاشجار الخضراء منتشرة فى الوديان وعلى سفوح الجبال .. والمياه تتفجر عيونا غزيرة .

وبدات السيارة الصحراوية « تتسلق » الجبل ، فالطريق بعد منطقة «الأمان» لا يمكن أن يسمى طريقا ، انه مجموعة حفر متجاورة حولها الاحجار النارية ، احجار البازلت السوداء ، ويزيد الحالة خطورة أن الطريق يكاد يرتفع عموديا .

وعند المنعطفات الخطرة الضيقة ، كان السائق يصيح بالصبى الذى معه : « انزل يا ابن .. » ويهرول جاسم المسكين الى خلف السيارة ، يأخذ حجرا من الطريق ويضعه تحت الاطار الخلفى للسيارة حتى لا تنزلق .. ويطمئن السائق فيدفع السيارة تاركا الصبى المسكين يجرى لاهثا ليلحق بها .

وصادفتنا سيارة واقفة فى الطريق ، فتوقفنا فرأينا صبيا يصرخ متألما والدم يسيل بغزارة من يده ، لقد بتر اطار السيارة بعض أصبعه اثناء وضعه الحجر تحت الاطار ..

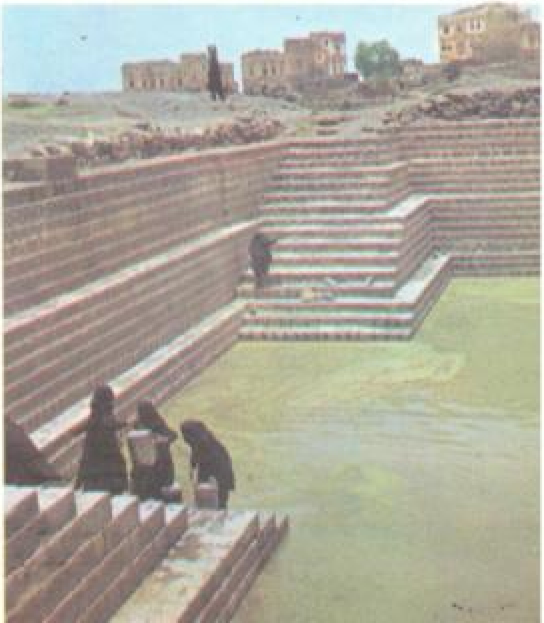
النوم فى قصر الامام

وأخيرا وبعد رحلة شاقة مرهقة استغرقت اكثر من ١٢ ساعة قطعنا خلالها ٢٦٠ كيلومترا ، لاحت امامنا حجة ، وكأنها لوحة زيتية رائعة ، منازل حجرية عالية متراصة فوق الجبل ، بعضها فوق

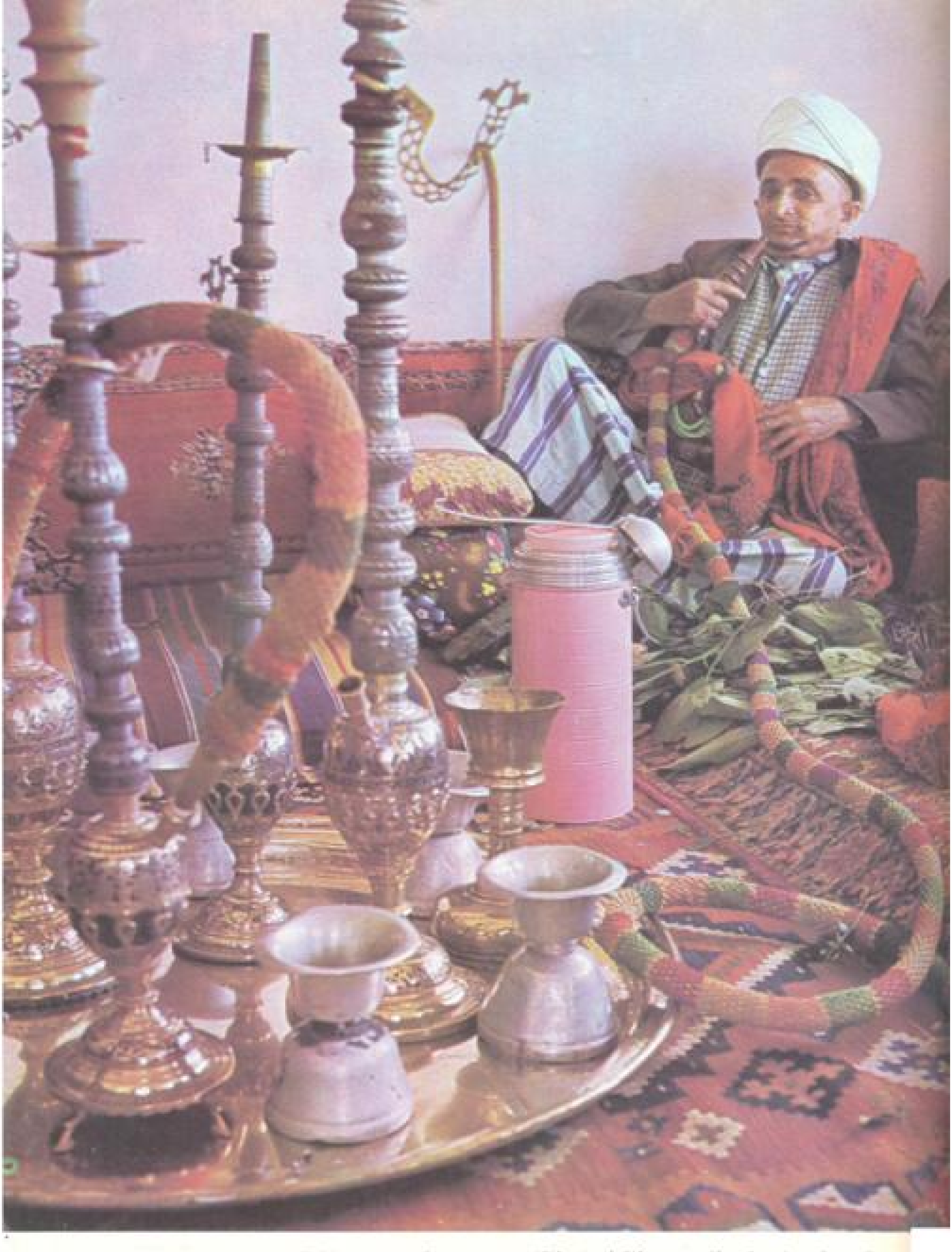


لم يكن للشعب اليمنى اية حقوق ، وانما عليه واجبات فقط .. يدفع الزكاة ويطيع الاوامر طاعة عمياء من حاكم مطلق الصلاحيات .. اما اليوم فقد بدأ الناس يشعرون بحقوقهم وخاصة التعليم والعلاج ، ولكن المشكلة انهم في غمرة حماسهم للثورة قد نسوا كل واجباتهم ، واصبحوا لا يطالبون الا بحقوقهم .. ويرى هنا الدكتور عنتر يعالج بعض نساء حجة في المستشفى .

الى اسفل : هذه هى بركة الماء التى تنطلق منها ميكروبات البلهارسيا ، بصورة وبائية ، جعلت ٩٨٪ من سكان حجة مصابين بالبلهارسيا .. وفي الصورة الثانية تبدو النساء يحملن الصفائح المليئة بهذا الماء الملوث ، وهناك صبى يحذر النسوة من مصورنا ..







اكثر ما يضايق ابن اليمن هو القول بان القات مخدر .. انه يرفض هذا الادعاء ويتهمنا بالمقابل قائلا : « الحمد لله اننا لم نصب بأي علة من عللكم ، عندكم الافيون والحشيش والخمر وبقية المسكرات ، فأين هو القات من آفاتكم ؟ » وفي الصورة ترى في مثل هذه الجلسة هادي بن حسن المسعودي الذي مضى عليه ٧٠ عاما وهو يخزن القات ، وعندما سألناه عن تأثير القات عليه : اجاب « ان القات شيء تمام ، ينشط الذاكرة ، ويجعلك سريع البديهة ، لانه يفتح العقل ! » .

بعض ، وكأنها تتزاحم على احتلال قمة الجبل .

ودخلنا المدينة .. لقد وصلناها قبل وصـول البرقية المستعجلة التى ارسلها محافظ الحديدة لمحافظ حجة يخبره فيها باننا في طريقنا الى حجة.

وتجمع بعض الاهالى حول سيارتنا ، وبداوا يتحدثون الينا ، وبين كل جملة واخـرى كانوا يضيفون اوراقا خضراء رطبة الى القات المخزون في افواههم .. حتى الاطفال الصغار شـهدناهم يخزنون القات ويمضغونه !

واخذونا الى قصر حجرى عال .. انه قصـر سعدان الذى كان يقيم فيه الامام احمد .. لقد اصبح اليوم مضيفا ينزل فيه زوار حجة الخالية من كل اثر للفنادق .. وصعدنا درجات السلالم العالية ونحن نلهث ، فقد كانت عملية تسلق اكثر منها عملية صعود على درجات سلم ، وفى الطابق العلوى خصصوا لنا غرفتين ، وما هى الا دقائق حتى رحنا في سبات عميق ، تحت الكتابة المحفورة على الحائط ، وفيها مديح في الامام احمد .

حجة تستيقظ

ومع تباشير الصباح جلسنا الى نافذة القصر العالى ، نتطلع الى المدينة ، فراينا المراة تخرج من منزلها ملتحفة بالسواد من قمة راسها الى أخمص قدميها ، تسير مع صديقاتها ، كل منهن تحمل على راسها صفيحة سمن فارغة ، عليها ماركة التليفون الاحمر .. انهن يتجهن الى بركة الماء ليملان الصفائح الفارغة ..

وتتقابل حاملات الماء مع رجل يسير متمنطقـا بالجنبية وممسكا بعصا خيزرانية ، فلا يعير أحدهم الآخر التفاتا ولا سلاما .. ويتسارع الاطفال حاملين في أيديهم المداعة (الارجيلة) والتبريش .. انها الأدوات الضرورية لجلسة القات ، ياخذونهـا لاصلاحها حتى تكون جاهزة لجلسة المقيل بعد الظهر ..

وتحت القصر شهدنا في حديقته اشجار البرقوق والرمان والموز والنخيل تنمو بنجاح .. وبينها كان الفلاح يقتلع الأعشاب ، تساعده زوجته .. انها تساعده في زرع الحبوب والفواكه والخضراوات ، ولكنها لا تساعده ابدا في زراعة القات او جنيـه او بيعه ، بعكس أختها في « جبل صبر » المطل على



« تعز » ، فهناك المرأة هى التى تتولى كل شئون القات ..

ومن أحد المنازل الحجرية الكبيرة ، اندفعت مجموعة من الماعز والدجاج ومعها حمار .. الماعز ذهب في حال سبيله ياكل كل ما يجده في الطريق ، والصبى الصغير ركب على الحمار الذى انطلق به نشيطا سريعا .. أما الدجاج فقد اتجه الى ركن بجوار الباب ، وبدأ ينبش بمنقاره بين اكـوام النفايات المتدفقة من فتحة في المنزل على هيئة مجار مفتوحة .. ويميل أهل اليمن ـ عموما ـ الى تخصيص الطابق الاول من منازلهم التقليديـة القديمة ليكون حظيرة للحيوانات .. والطابق الثانى يستعمل مخزنا والطابق الثالث يستعمل للنـوم والطعام ، أما الطابق الرابع فيستعمل صالونا يجلس فيه الاصحاب لمضغ القات وتخزينه ..





صورتان توضحان مدى المتاعب والآلام التى تتحملها المرأة في صحراء تهامة التابعة لمحافظة حجة ، من اجل الحصول على الماء اللازم للحياة .. ان مهمة تأمين المياه هى مسئولية المرأة ، اما الرجل فعليه مسئولية زرع الارض ، وتخزين القات !!

انت صينى ؟

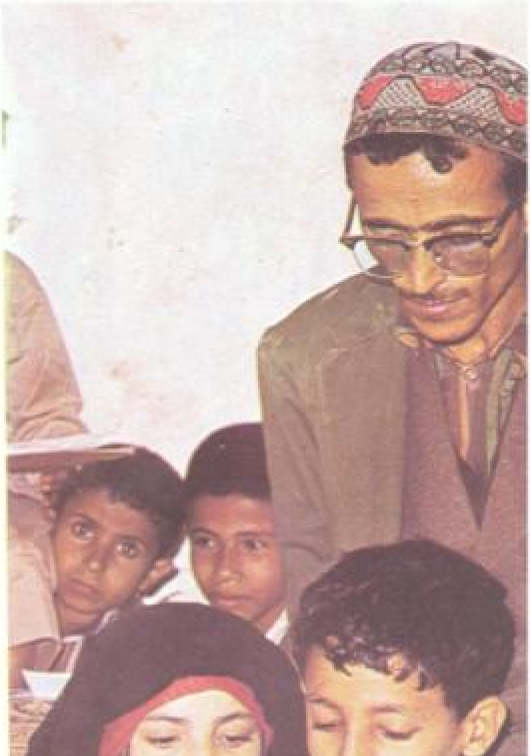
وهبطنا درجات سلم القصر ، بعد ان شربنا الشاى الطيب المخلوط بالقرنفل ، وسرنا في شوارع حجة مع نائب المحافظ .. المناخ جاف رائع .. اننا على ارتفاع ٢٤٠٠ قدم .. المبانى لا يربطها رابط ، لقد تطورت المدينة وفق ذوق السكان ، دون مبالاة بالاحتياجات الاولية،من حيث الصحة، وجمال المدينة الهندسي ، وشق الطرق .

كنا نسير في الطريق ، وعدد الصبية المحيطين بنا يزداد مع كل خطوة نخطوها .. كانوا يتحدثون ويتهامسون وهم يشيرون الينا ، واقترب منا احدهم ، وسألنا بسرعة : « انت صينى ؟ » .. وتعجبنا من السؤال ، فملامحنا أبعد ما تكون عن الملامح الصينية .. وأدرك نائب المحافظ الوضع

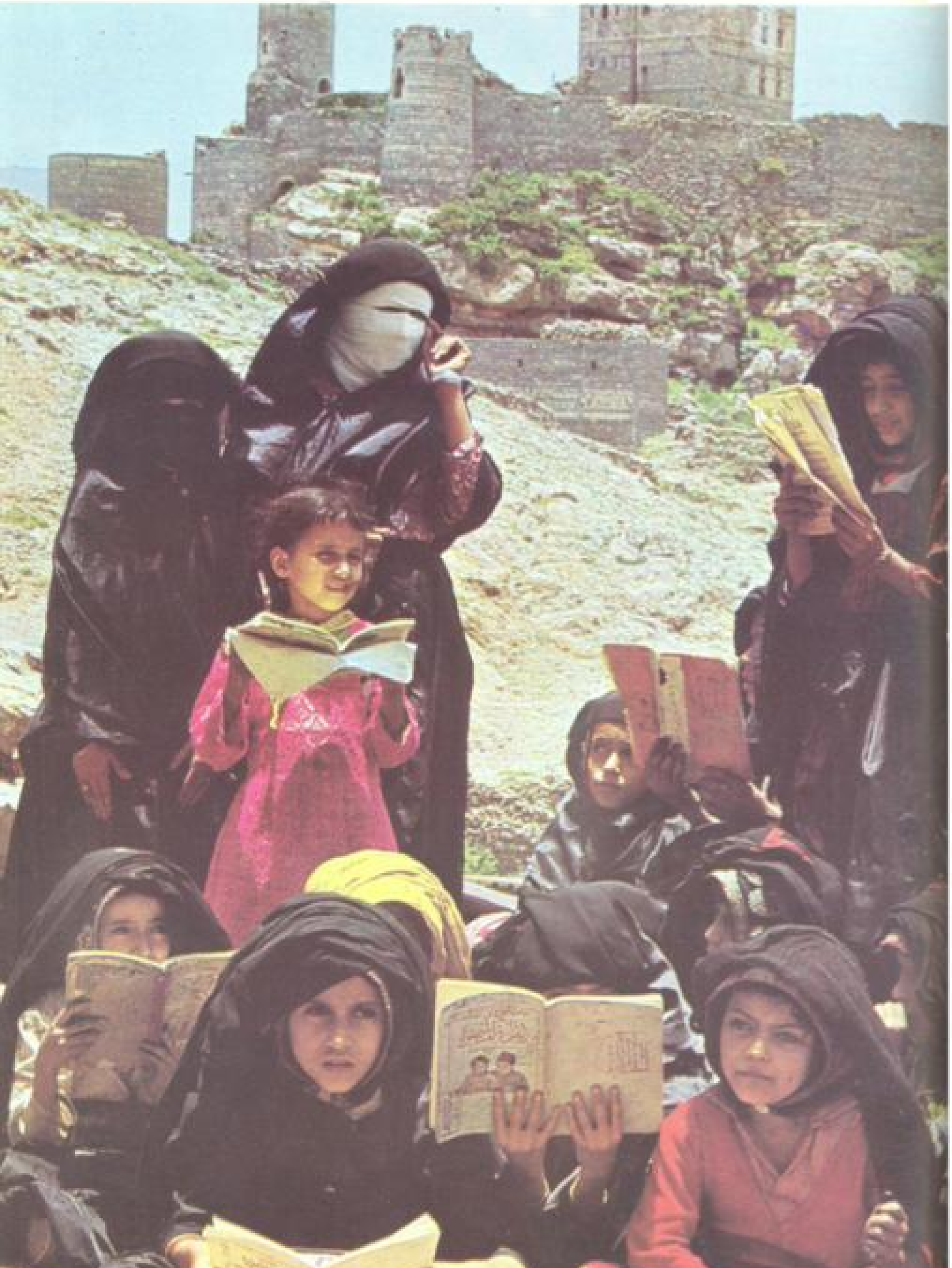


مع بداية الثورة قام التعليم الحديث في حجة، ولكنه لم يأخذ صفة الدوام بسبب ظروف حجة الصحية.. واليوم اصبح في حجة ثلاث مدارس تضم ٩٠٠ طالب وطالبة يجلس بعضهم الى جانب بعض ويتعلمون، تحت اشراف اساتذة مخلصين يبذلون قصارى جهدهم لتعليمهم كما ترى في الصور الثلاث المنشورة على هذه الصفحة .. ان وزارة التربية هي اول وزارات اليمن التي دخلت الى حجة وبدات تعمل بحماس زائد .





الى اسفل : بعض فتيات « **مدرسة الفتح** » للبنات يتلقين درسا في الهواء الطلق بجوار القلعة المسماة « قلعة القاهرة » وتشرف عليهن مدرسة هي صفية محمد احمد سعد ، التى لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها ، وتراها في الصورة مغطاة الوجه بلثام ابيض ..



فقال موضحا : « لا تتعجبوا من هذا التساؤل ، فقد عاش ابناء حجة قرونا من الزمان دون ان يحتكوا بالعالم المحيط بهم ، ومنذ سنة مضت ، جاءت الى حجة بعثة صينية لتدرس عملية شق اول طريق يصل حجة بالعالم الخارجي عن طريق صنعاء .. وشعر الاهالي بامتنان بالغ لهؤلاء القوم الغرباء ، حتى اصبح كل شخص غريب يدخل حجة يعتبر صينيا .. حتى ولو كان امريكيا !! »

قصة الصين واليمن

وترجع علاقة الصين باليمن الى عام ١٩٥٦ عندما اعترف الامام احمد بالصين الشعبية ، فكانت اليمن اول بلد عربي يعترف بالجمهورية الصينية التى كانت تعانى من سياسة العزلة المفروضة عليها .. وحفظت الصين الجميل لليمن ، فراحت تمدها بقروض تقدر قيمتها بعشرات الملايين من الجنيهات، دون أن تطالبها بأى فائدة أو تتمسك معها بضرورة تسديد القروض في مواعيدها .. ولا تعطى الصين نقودا لليمن ، انما تقوم بتنفيذ الاعمال بواسطة عمال ومهندسين صينيين ، مثل شق طريق (صنعاء ـ الحديدة) الذى تكلف ٥٤ مليون فرنك سويسرى وشق طريق (صنعاء ـ صعدة) وطوله ٢٢٨ كيلو مترا ، وتكاليفه عشرة ملايين من الجنيهات الاسترلينية وشق طريق (حجة ـ عمران) وطوله ٦٠ كيلو مترا .. واقامة اول مصنع للغزل والنسيج في صنعاء وقد تكلف ٣٠ مليون فرنك سويسرى .. والى جانب ذلك ارسلت الصين منذ عام ١٩٦٦ بعثة طبية مع جميع ادويتها ومعداتها تضم ٣٢ طبيبا صينيا .. حتى الميزان التجارى المختل مع جميع دول العالم ، نجده يتحول الى صالح اليمن عند تعاملها مع الصين ، فهى قد صدرت ما قيمته مليونا و٦٠٠ الف دولار من القطن الخام الى الصين ، واستوردت منها بضائع قيمتها مليون دولار فقط خلال عام ١٩٧١ .

واخر مساعدات الصين لليمن ، جلبها معه دولة محسن العينى رئيس الوزراء ، عندما عاد من رحلته الى الصين الشعبية حاملا معه قرضا جديدا بمبلغ ثمانية ملايين ونصف مليون جنيه استرليني ، خصصت لشق طرق جديدة في الجمهورية العربية اليمنية .

ترى اين مساعدات الدول العربية من هذه المساعدات الضخمة ، ان مجموع ما قدمته ١٧ دولة عربية لليمن لم يقترب بعد من رقم خمسة ملايين جنيه استرليني الى اليوم !!

بركة سليمان

وتابعنا سيرنا في طرقات حجة الجبلية الوعرة حتى اقتربنا من بركة ماء هائلة محفورة في الارض، ومبطنة الجوانب ، اشبه ما تكون ببركة النبى سليمان قرب مدينة بيت لحم بفلسطيننا المحتلة ، ولكن هنا في حجة تحولت هذه البركة الى بؤرة لتوزيع الميكروبات والامراض على السكان ، ففى منتصف شهر مارس من كل عام تهطل الامطار بغزارة على حجة ، وتستمر هطولها حتى منتصف شهر ابريل ، فتكون السيول في الطرقات ، وتندفع المياه الى البركة حاملة معها الاتربة وروث البهائم، وقاذورات الطرق ، فتحيل لون مياه البركة الى بنى غامق تتخلله بقع خضراء ، تعاف رائحتها النفس ..

وفي كل صباح تأتى نساء القرية الى البركة ، يحملن منها الماء في صفائح التليفون الاحمر ، الى

الى اسفل : ابرة للتحصين ضد الكوليرا يعطيها الاستاذ لطالبات مدرسة الفتح الابتدائية « ... ويتم التحصين باستعمال جرعة من نفس الابرة الضخمة التي لا تتغير !





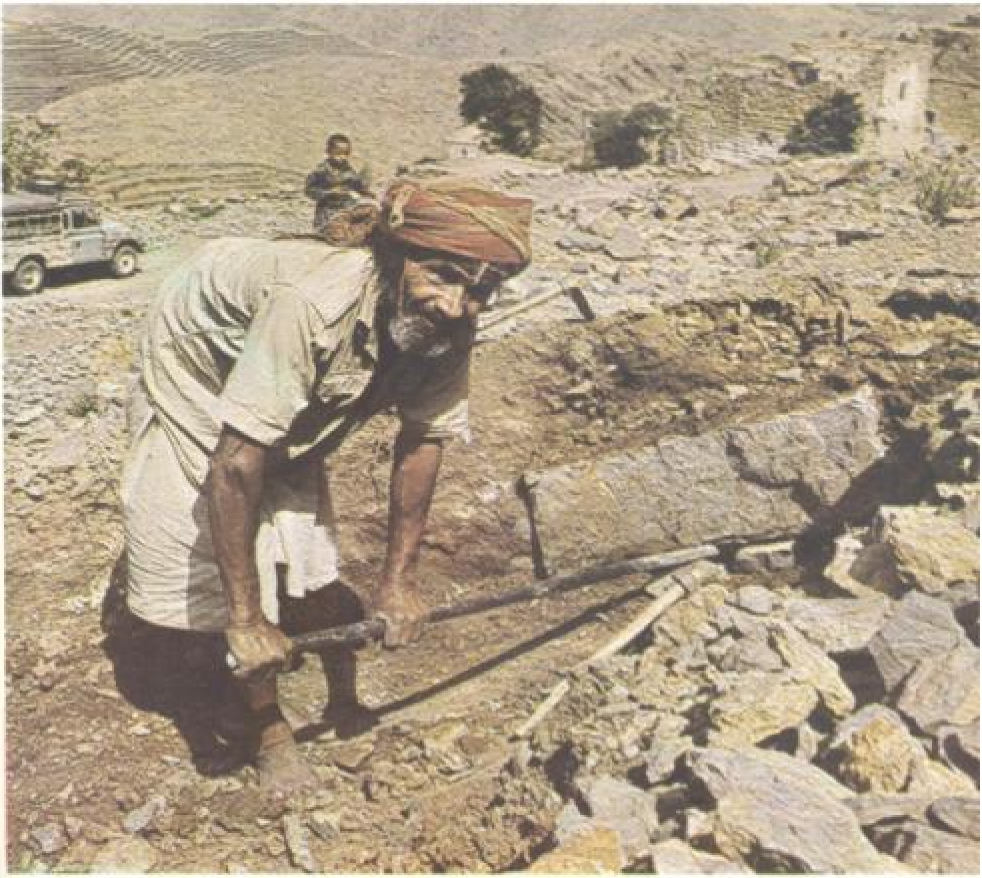
الظروف الصعبة الدقيقة المحيطة بالدكتور عنتر ، الطبيب الوحيد في حجة ، تجعل من اعماله ملحمة اسطورية رائعة .. فالكهرباء غير موجودة ، وتعقيم المعدات يتم في الحديدة ورغم ذلك تجده يقوم شهريا بعمل ٤٠ عملية جراحية فوق مكتبه الخشبي ، يربط خلالها المريض بالحبال حتى لا يسقط اثناء العملية ويعطيه بنجا نصفيا او موضعيا لعدم وجود طبيب بنج .. تحية الى هذا الطبيب الشاب المثابر ..

منازلهن لاستعمالها في الغسيل والتنظيف والشرب، معتقدات أن تركها لمدة يومين راكدة بدون حركة يزيل منها كل اثر للميكروبات !!

صحة اهل حجة

وهالنا الامر فاتجهنا في الحال لمقابلة الدكتور عنتر ، ابن مدينة حجة ، الذى تخرج جراحا من جامعة موسكو ، وترك عمله الخاص في تعز ، وجاء الى حجة ليخدم أبناء بلدته .. قال لنا متألما :

ـ عندنا في حجة ٤٠ بركة ماء ، مثل البركة التى شاهدتموها في طريقكم ، تتجمع فيها مياه الامطار منذ عهد الاتراك ، دون ان يفكر احد في تغيير مياهها ، فهى برك صماء ليس لها مصارف ولا موتورات .. ونتيجة لهذا أصبحت معظم هذه البرك مركزا مختارا لقواقع مرض البلهارسيا ، المصاب به نحو ٩٨٪ من سكان المدينة .. ان النساء يحملن الميكروبات مع المياه التى يحملنها الى



شقاء الانسان في اليمن تجده في صورة هذا الكهل الذي ينبش الجبل ليستخرج منه حجر البازلت الاسود حتى يبنى به منزلا ٠

الى اسفل : اسواق عامة ، تعقد يوميا بالتتابع في قرى محافظة حجة .. لاحظ الاشجار المقطوعة بكثرة ٠٠ ان الثروة الخشبية اصبحت في خطر ٠٠





تحيط بحجة جبال شاهقة مرتفعة من جهاتها الاربع وعلى مدرجات الجبل يزرع الاهالي الذرة والقات ..



الى اليسار : تنتشر زراعة شجرة القات في حجة والجبال المحيطة بها ، ونرى هنا المزارع (عبده رزه) أمام شجرة « قات » يانعة .. انه يسقيها ثلاث مرات في السنة ، في حين ان شجرة البن تلزمها عناية زائدة وروى مستديم .



بداية التنظيم الادارى بدخل حجة .. وترى هنا المقدم احمد على العمرى ، مدير الامن في لواء حجة يراقب العمال اثناء طلائهم لمبنى الامن العام الجديد.



بئر الماء في
غائرة الى
البركة ولك

منازلهن .. وعندما اقول لهن هذا تكون اجابتهن لي :

ــ نحن نعلم ان هذه المياه ملوثة ، ولكن الا تعتقد يا حكيم ان مرض البهارسيا اهون شرا من الموت عطشا ؟!

« وامام هذه الحال لا استطيــع شيئا ... فامكانيات التنظيف والتوعية معدومة في حجة .. »

التيمم بدلا من الوضوء

ووجه الينا الدكتور عنتر سؤالا فقال : هــل رايتم بركة ماء الوضوء امام مسجد حجة ؟ قلنا : « لا » قال : « ارجو ان تذهبوا وتروا بانفسكم مدى بشاعة المأساة التى نعيشها .. »

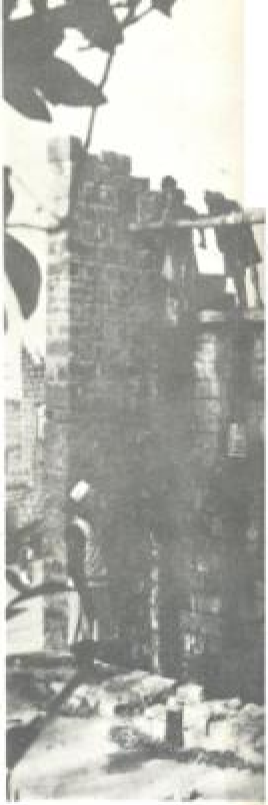
واتجهنا الى مسجد حجة ، وعند الباب شهدنا منظرا غير معقول .. فداخل حوض واسع ، مياهه ضحلة لم تتبدل منذ عشرات السنين ، تجمع اكثر من ١٥٠ شخصا يتوضأون بمائه ويتطهرون به ، ليدخلوا بعد ذلك الى المسجد . ورأينا الرجال يشدون على انوفهم ويبصقون في مياه الحوض ، ثم يغسلون افواههم بنفس هذا الماء .. ويغسلون اسنانهم .. ويتسلل الاطفال بين أرجل الكبار ، يخلعون جلابيبهم ويغطسون للاستحمام في الماء .

وشعر احد المغتسلين باننا نتألم لهذا المنظر فجاءنا قائلا :

« ان هذه المياه التى ترونها هى مياه نقيــة طاهرة ، فالله يرسل ملائكته ويطهرونها في غفلة عن الانسان ، فيقتلون كل ما فيها من جراثيم.. »

ونقلنا القصة بحذافيرها الى السيد يحيــى الضحيانى وزير الاوقاف اليمنى ، فكان أن أصدر





سجن نافع ، أو سجن الاحرار فهنا سجن الارياني والنعمان والاحمر والسلال والعمري ، كان الامام يسجنهم في الطابق الذى تحت الارض ، اما اليوم فاصبح السجناء يسجنون في الطوابق العليا فقط.

.. اصبحت مياهها
.. المياه النظف من مياه
.. لجماعة الجميع .

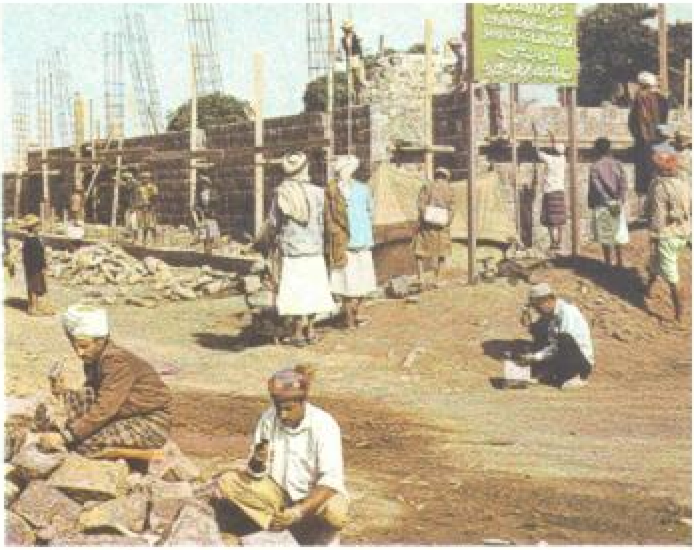
أوامره بوقف الوضوء بهذه المياه الآسنة ، والاستعاضة عنها بالتيمم ، حتى يتم تطهير الحوض من المياه الملوثة ..

من يساعد حجة ؟

لقد وصل مندوب هيئة الصحة العالمية ، وهو طبيب افغاني الجنسية ، الى مدينة حجة في اوائل عام ١٩٧٢ وشهد المأساة بعينيه ، وسجل جميع ابعادها في مذكرته التى رفعها الى المسئولين الدوليين .. ولكن اهل حجة يعلمون جيدا انه لا يمكنهم الاعتماد كثيرا على مساعدات الامم المتحدة ، فالتعقيدات الادارية فيها تجعلها تتقدم بسرعة السلحفاة في سيرها .. وقد يفنى أهل حجة عن بكرة أبيهم قبل أن تصلهم مساعدات الامم المتحدة !

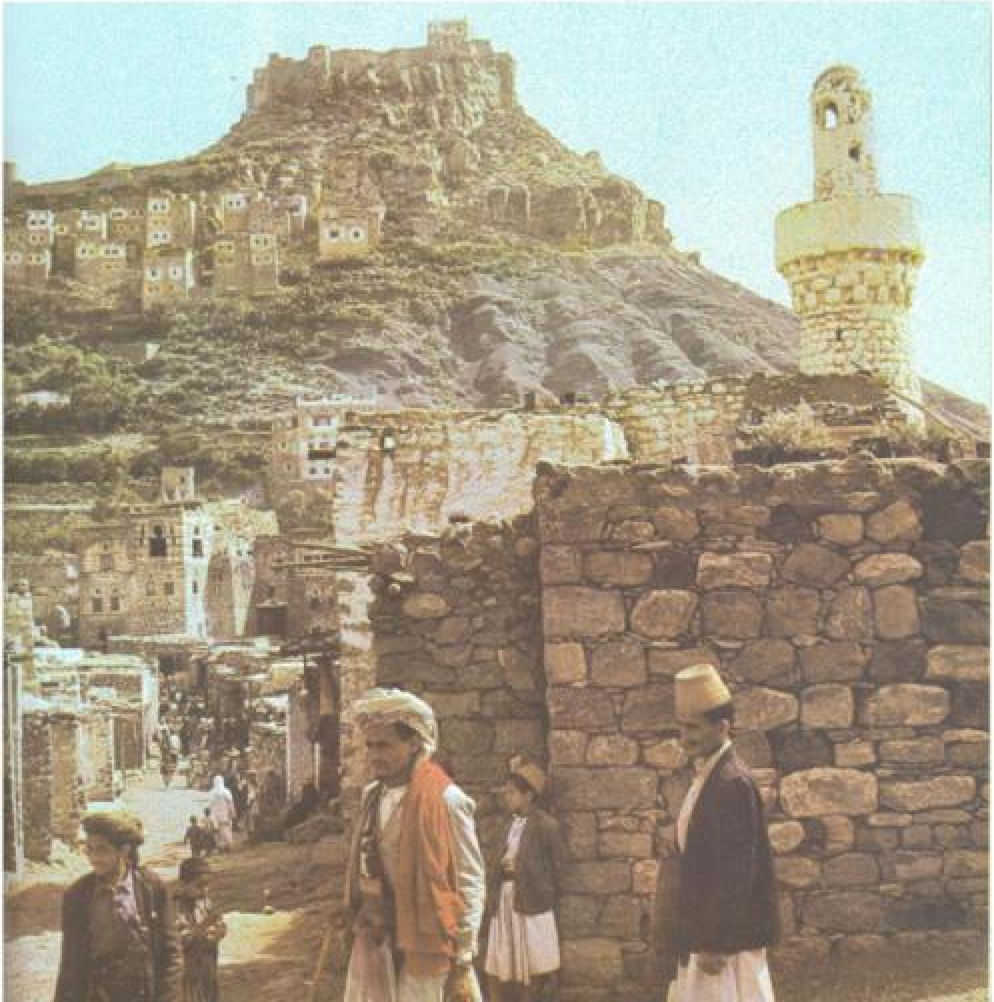
أما المساعدات العربية فحالها ليس بأحسن من حال مساعدات الامم المتحدة ، كل دولة عربية لها مشاكلها ومتاعبها ، وهى ليست على استعداد للتضحية بدقيقة من وقتها للتفكير في حل مشاكل مدينة عربية أصيلة مثل حجة ، ربما لم تسمع باسمها من قبل !

مرارة وخيبة امل لمساناهما يسيطران على قلوب ابناء حجة .. يريدون ما يوازى ٧٠ الف دينار كويتى من اجل رفع المياه المتدفقة في الوادى ، وتوصيلها الى قمة الجبل ، لارواء عطش أهل حجة وانقاذهم من جراثيم البلهارسيا التى تفتك بهم ، وتحد من حيويتهم ونشاطهم ، وتحرمهم من أكل البسباس ، أى الفلفل الاحمر الحار ، الذى يعشق أكله أهل المنطقة ! ذلك لان الطبيب نصحهم بالابتعاد عن الفلفل ما داموا مصابين بالبلهارسيا.



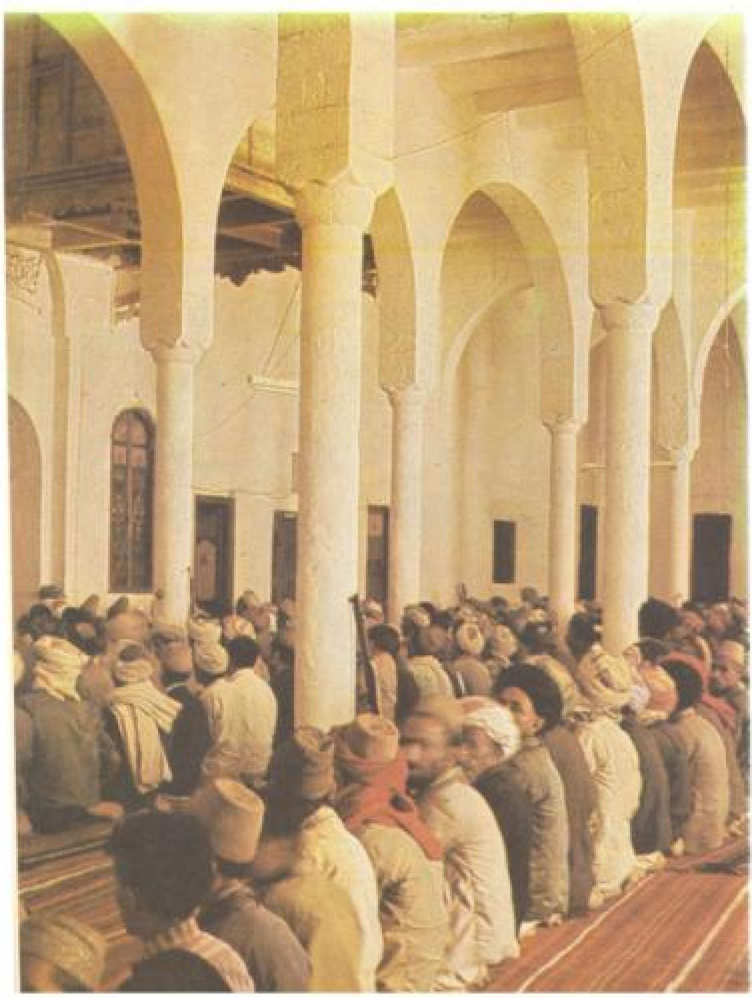
الى اليمين : كانت الكويت اول بلد يقدم مساعدات ملموسة لاهل حجة .. وهذه المساعدة تتجلى في بناءين كبيرين سيصبحان مدرستين: واحدة للبنين ، واخرى للبنات .

الى اسفل : الطريق التجارى الرئيسي في حجة .. ومن فوقه تظهر المنازل متناثرة على قمة الجبل، يعلوها قصر نعمان .





في هذه الساحة كانت الرقاب تقطع بالسيف في عهد الائمة، خلال الموسيقى التي تصدح بالالحان التركية .. اما اليوم فما زالت الموسيقى تصدح ، ولكن تحية للجنود الابطال الذين يتدربون في حجة ..



الى اليسار : بحلول ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ انتهت التفرقة الحادة التي كانت موجودة بين الشافعية والزيدية .. وهذه جموع من المصلين في مسجد حورة، الذي شيد في عهد الامام احمد ..

الكتب بالمظلة الجوية

ومن بين أسباب تأخر حجة، تأخر التعليم فيها، وهو لم يبدأ في الانتظام الا في العام الماضي فقط .. فقد ظلت حجة محاصرة أثناء الحرب الاهلية .. التي كانت قائمة .. كانت الكتب المدرسية والادوات القرطاسية ، تصلها خلال ذلك عن طريق الجو ، وتلقى بالمظلة مع الطعام والسلاح !!

واليوم أصبح في حجة ثلاث مدارس : اعدادية، وابتدائية مشتركة بنين وبنات ، وابتدائية بنات .. تضم كلها ٢٨٠ طالبة و٦٢١ طالبا من أصل ١٥ الف مواطن يعيشون في حجة ..

ويعمل المدرسون اليمنيون قصارى جهدهم للنهوض بمستوى الطلبة ، بعد أن ترك المدينة ثلاثة أساتذة عرب كانوا يعملون باخلاص فيها ، وذلك بعد مرض أحدهم ووفاته في صنعاء ، فخاف الاستاذان الباقيان من أمراض حجة فتركاها .

مشاكل الاباء

وليست مشاكل التعليم مقصورة على تأمين المدرس والمعلم ، وانما نجد مشاكل نابعة من طبيعة المنطقة وعاداتها وتقاليدها ، فالطلبة يأتون الى مدارس حجة من العزلات العديدة المحيطة بالمدينة ، يهبطون جبلا ، ويتسلقون آخر حتى يصلوا الى المدرسة بعد ساعتين من الجهد والتعب ..

أما الآباء فاغلبهم يصمم على ترك ابنه للمدرسة ليساعده في الحقل أثناء موسم الحصاد الذي يستمر شهرا .. وعندما تحدث وفاة في المدينة ، يترك الاطفال المدرسة ويسيرون خلف الجنازة ، حسب تقاليد البلد !!

غزو خشن

وبعد أن انتهينا من زيارة مدارس البنين اتجهنا لزيارة مدرسة الفتح للبنات ، مدرسة افتتحوها في مبنى مهجور يقع محاذيا للقلعة المسماة بقلعة القاهرة ، وكانت سجنا للمعتقلين الاحرار في عهد الائمة ..

واعتقد البعض أن هذا المكان النائي الصعب سوف يصرف البنات عن التعليم ، ولكن العكس هو الذي حدث فقد أقبلت الفتيات على التعليم بشغف زائد .. ولم يتركهم الأطفال يدرسون بمفردهن بل جاءوا الى المدرسة ، وجلسوا بجوار الفتيات على نفس المقاعد ، يتعلمون معهن ، بعد أن ضاقت مدرسة البنين عن استيعابهم.

تعبنا من الحياة عند قمة الجبل

وقابلنا المعلمة صفية سعد ، أول فتاة من بنات حجة تعمل في التعليم ، سنها لا يتجاوز السادسة عشرة ، وعندما سألناها عن حالة المرأة في حجة اجتماعيا وتربويا ، أجابتنا بأسلوب ساخط حزين، جعلنا نقف مبهوتين ، اذ قالت :

« المرأة في حجة تعيش في فراغ وكبت زائدين.. انها لا تستطيع أن تعبر عن رأيها الا من خلال رجلها .. واصبحت من فرط تعودها على حياة الضغط والحرمان ، تخاف من حياة الحرية والانطلاق ..



مصنوعات فخارية يصنعها أهل حجة، وينقلونها على ظهور الجمال الى القرى المجاورة .

اننا نريد ان نعيش مثلكم .. نريد ان ننطلق في هذا العالم الجميل المحيط بنا .. لقد تعبنا من حياتنا فوق قمة الجبل ، حيث اضحى للاعراف والتقاليد قوة تفوق قوة القانون .. اننا بشر لنا حقنا في الحياة ، فلماذا لا تساعدوننا » .

واشارت صفية سعد الى لوحة مكتوبة على الجدار وقالت :

« هذه اللوحة تعبر لكم عن مدى سخطنا على ماضينا » فهي تقول :

« قاتل الله ماضينا ، كان من عصور الحجر » .. نعم كنا نعيش في عصر حجرى ، بينما كان غيرنا يعيش في عصر الصعود الى القمر !! »

تدهور الصحة

كانت صفية تتحدث من خلف لثام أبيض يغطى وجهها تماما .. وبعد أن انتهت من حديثها دعتنا الى زيارة المدرسة .. ودخلنا أحد الفصول .

فقالت صفية : « عندنا هنا ١٨٥ فتاة ، أكبر واحدة عمرها ١٢ سنة والتى تتجاوز تلك السن يسحبها أهلها من المدرسة لتزويجها ، أو وضعها في المنزل تساعد والدتها .. »

كانت تتحدث وكنا نتأمل بحسرة الفتيات الصغيرات ، كل منهن تسعل بدورها من خلف قطعة قماش تغطى وجهها باعتبارها لثاما .. انهن يجلسن داخل غرف ليس لها اى منفذ للهواء او الشمس .

في انتظار الخريجات

لقد حصلت المرأة اليمنية على حقوقها السياسية ، ولكنها للآن لم تستطع الحصول على اى حق من حقوقها في الحياة العادية .. وعندما تألفت اول جمعية نسائية في صنعاء دب الخلاف بين العضوات فتفككت الجمعية .. ولن يكون من المجدى اقامة جمعية نسائية جديدة ، الا بعد تخرج عدة دفعات من الجامعات والمدارس الثانوية .



جموع المصلين تخرج من مسجد حجة الكبير ..

فوائد الحلبة

والمرأة في حجة هى التى تطبخ في المنزل مختلف أنواع الاطعمة اليمنية ، وهى التى تطحن القمح ، وتخبز في تنور بمنزلها .. وعندما دعانا نائب المحافظ لتناول الغداء في منزله كانت كل أنواع الاطباق مصفوفة على السماط الممدود على الارض ، وامتدت الايدى كلها الى صحن الحلبة أولا ، ويسمونه الحامضة ، ويتم اعداده بعد نقع كمية كبيرة من الحلبة وضربها حتى تصبح بيضاء اللون ، ثم يضاف لها كمية من الخضر المسحوق من نعنع وكزبرة وكرات ، ومعها كمية من الملح والبسباس (فلفل احمر) والكمون وقليل من الخل ..

ويعتقد أهل حجة ـ مثل بقية أهل اليمن ـ ان الحلبة تساعد على الهضم ، وعلى صحة البدن ، فتعطيه قوة وتفتح الشهية ، وتطرد الامساك والأوجاع .

والصحن الثانى الذى اقبل عليه المدعوون كان الشفوط ويصنع من خبز الذرة مع الحليب والكرات والطماطس (طماطم) وبصلة مع الخل ..

ويطلقون على هذين النوعين : قيادة الاكل ، اى المشهيات ، وبعدهما بدأ تناول الطعام العادى، وكان مكونا من : « بنت الصحن » ، وهى نوع من الحلو ، مطبوخ من دقيق وبيض وسمن مع حبة سوداء ، توضع في الفرن ، ثم يرش عليها العسل والسمن ثانية ، وتقدم ساخنة .. وبعدها اكلنا مختلف انواع الخضراوات من بامية وفرع مطبوخ مع صلصة الطماطم واللحم ..

وطوال مدة الغداء كان رب البيت خارج قاعة الطعام التى كان يجلس فيها اكثر من ٤٠ مدعوا .. لقد جرت العادة أن يختفى صاحب البيت عن مائدة الطعام ليترك لضيوفه حرية الاكل كما يشتهون !!

وما اشبه ذلك بالذى يجرى في البلاد العربية الاخرى لا سيما بلاد الجزيرة ، من أن صاحب الضيافة لا يأكل مع اضيافه ، وانما يظل يخدمهم والمائدة قائمة .

القات بعد الطعام

وبعد الطعام صعد الجميع الى الطابق العلوى، وجلسنا في صالة المقيل ، وبدأ كل مدعو يخرج لفافة القات من طيات ملابسه .

لقد قدرت وزارة الزراعة مساحة الارض المزروعة قاتا في اليمن بنحو ٢٠ الف فدان ، يباع انتاج الفدان الواحد منها بنحو ١٠ الاف ريال يمنى سنويا ، اى نحو ٢٠٠٠ دولار تقريبا .. وفى عام ١٩٧٠ صدرت اليمن ١٠٥٢ طنا من القات، بلغ ثمنها مليونين ومائة الف ريال يمنى ، اى ما يوازى ٤٢٠ الف دولار ..

لقد اصدر المؤتمر الادارى لكبار موظفى الحكومة اليمنية قرارا هاما في ٢٠ مايو ١٩٧٢ يقضي بقلع شجرة القات من املاك الدولة والاوقاف ..وشعر ابناء اليمن بمدى الاضرار التى تلحق بسمعة جمهوريتهم الفتية من جراء ادمانهم على مضغ القات وتخزينه ، فبدأت حملات مركزة في الاذاعة والصحف تحارب القات وتلعنه ، وتطالب بالقضاء عليه ، ليتفرغ الشعب للقضاء على المصائب الاخرى التى تثقل كاهله ..

ولكن القضاء على القات لا يمكن أن يتم بهذه السهولة انه مشكلة عميقة الجذور ، تمتد الى جميع مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اليمن ، والقضاء عليه لن يتم الا بعد دراسات مستفيضة ، يشترك فيها خبراء اجتماعيون واقتصاديون ونفسانيون عاليون .. والشيء الاهم من هذه الدراسات هو ايجاد الجهاز القادر على تطبيق تلك التوصيات ، ووضعها موضع التنفيذ، حتى لا تصبح حبرا على ورق فقط ..

مطلوب سياسة اسكانية جديدة

لقد تركنا حجة بعد أن مكثنا فيها عشرة ايام.. تركناها ونحن نتأسف ، فهى صورة لما يعانيه نحو نصف سكان اليمن الذين يعيشون في عزلة فوق قمم الجبال الجميلة الصعبة .

ان هذا الوضع الشاذ يتطلب بالضرورة وضع سياسة اسكانية جديدة تعيد النظر في اماكن التجمعات السكانية على اسس حديثة .. لانه يستحيل على اى دولة ان تقيم مدرسة ومستشفى وتوصل المياه والكهرباء وتشق الطرق الجبلية الصعبة الى كل قمة من الوف القمم الجبلية .

نداء من العربي الى كل عربي

ان مناخ حجة لا يضارعه مناخ ، يشفى كل مريض وكل صاحب علة ، ولكنهم هنا كلهم مرضى بأمراض صنعوها بايديهم ، ولن يستطيعوا التخلص منها الا اذا امتدت اليهم كل يد قادرة على المساعدة ، لتخرجهم من عزلتهم التى فرضتها عليهم ظروف الحياة القاسية ..

لا بد لنا أن نصعد جميعا الى قمم الجبال في حجة وغيرها ، حيث يعيش الالوف من اخواننا العرب الذين شاءت الاقدار أن تفصل ما بيننا وبينهم ..

انه نداء يوجهه العربى الى كل عربى .. ■■

سليم زبال



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

مرض هودجكن يسبب تضخم الفدد الليمفاوية وفقر الدم

● لي صديق اصيب بمرض الفدد «هودجكن» Hodgkin's Disease فما هو هذا المرض وما اسبابه ؟ .

ـ هذا المرض (والمسمى باسم العالم الذى وصفه أول مرة) يصيب الانسجة الليمفاوية فى الجسم بما فى ذلك الفدد الليمفاوية فتكبر وتتضخم ، ويتبع ذلك فقر دم . وهو يصيب صغار السن فى معظم الاحيان ، ولا يعرف له سبب حتى الآن . وهو يشبه الى حد كبير الامراض السرطانية فى انه ينتشر فى انسجة الجسم كلها .

ويبدأ بتضخم بعض الفدد الليمفاوية فى الرقبة مثلا او تحت الابط او فوق الفخذ وفى بعض الأحيان فى الصدر والبطن، ويكبر الطحال ويتضخم الكبد ويتبع ذلك الشعور بالضعف العام ونقصان فى الوزن. ثم ارتفاع بسيط فى درجة الحرارة وربما اخذ هذا الارتفاع طابعا خاصا فترتفع الحرارة الى (٣٨ او ٣٩°) لعدة ايام ثم تنخفض الى المستوى الطبيعي لتعاود المريض بعد عدة ايام أخرى وهكذا، وهذا النوع من الحرارة كثيرا ما يحدث عند اصابة الفدد فى الصدر أو تضخم الفدد فى البطن مع تضخم الطحال ، ويحدث حكة فى الجلد فى نسبة من المرضى وتكون فى بعض الاحيان شديدة تؤرق المريض ، ويشكو المريض كذلك من الاجهاد عند قيامه بأى مجهود عضلي حتى ولو كان بسيطا وذلك يرجع لفقر الدم الذى يحدث فى هذه الحالات .

والعلاج فى مثل هذه الحالة يختلف باختلاف انتشار المرض فاذا كان مقصورا على بعض الفدد فى الرقبة مثلا ، فتعالج بالاشعة العميقة ، اما اذا كان منتشرا فى الجسم فيعالج بالادوية المضادة لتوقف هذا الانتشار بعض الشيء .

ويجب ان يكون المريض فى المستشفى تحت ملاحظة الطبيب اذ ان لهذه العلاجات مضاعفاتها .

وتختلف مدى استجابة المريض للعلاج بل ومدى تقدم المريض ففي بعض الحالات يسير سيرا بطيئا وربما استمر لعشر سنوات او عشرين سنة وفى بعض الحالات يكون شديدا وقاسيا . فيودى بحياة المريض فى فترة وجيزة لا تتعدى الشهور .

داء الكَلَب .. مرض قاتل!

ــ يسال عن مرض « داء الكلب » Rabies

● مرض الكلب يسببه « فيروس » ويصيب بعض الحيوانات كالكلاب والقطط ، وينتقل الى الانسان عن طريق هذه الحيوانات بواسطة العض ، او لحس الجلد او الغشاء المخاطى شريطة ان يكون هذا به جروح لينفذ منها الفيروس الى جسم الانسان .

وتختلف مدة الحضانة عادة ما بين ثلاثين وسبعين يوما ، ولكن فى بعض الحالات تكون قصيرة لمدة عشرة ايام اذا كانت العضة قوية وعميقة او فى الوجه او الراس مثلا ، بينما تمتد الى شهور عدة اذا كانت العضة سطحية ، وبعد فوات مدة الحضانة تظهر الاعراض على المصاب فترتفع الحرارة تدريجيا ، ويحدث تغير فى حساسية الجزء حول العضة . ثم يكون التقلص الشديد فى عضلات البلع ، والهياج وعدم الاستقرار ويبلغ التقلص فى هذه العضلات مداه بواسطة اى منبه بسيط حتى صوت الماء أو ذكر اسمه ، وبذلك اطلق عليه Hydrophebia الخوف المرضى من الماء ، وتتاثر كذلك عضلات التنفس ، وتحدث نوبات هلوسة ووهم واضطراب شديدين ، ثم يحدث شلل فى عضلات الجسم المختلفة ، وتكون الوفاة بعد اسبوع من حدوث الاعراض .

والعلاج الوقائى فى هذا المرض المميت من اهم العوامل التى تساعد على اقلال نسبة الاصابة به ، وهو التخلص من الحيوانات الضالة أو المصابة بهذا الداء . وبالفعل تمكنت بعض الدول الموبوءة من حصر هذا المرض بهذه العملية ، وفى حالة اصابة شخص بعضه كلب يشتبه فى امره ، فيمسك هذا الكلب ويحجز لمدة عشرة ايام ، فاذا ظهرت عليه اعراض المرض وتوفى ، عُدّ المصاب مصابا بداء الكلب واستمر فى اخذ العلاج الذى يبدا من اول يوم تحدث فيه العضة ، اما اذا اتضح ان الكلب غير مصاب فلا داعى للاستمرار فى العلاج .

واذا كانت العضة قوية او اشتبه فى مرض الحيوان تعطى حقنة من المصل الواقى ٥٠٠٠ وحدة فى المصل و٥٠٠٠ وحدة تحقن حول العضة ، وينظف الجرح جيدا ، ثم تبدا فى اعطاء اللقاح ضد المرض وهو ما يعرف باسم Semple type الذى لا بد وان يحفظ فى ثلاجة «براد» ويعطى تحت الجلد ويتراوح من ٢ ــ ١٠ سم٣ يوميا لمدة سبعة او اربعة عشر يوما تبعا لفترة العضة وعمر المصاب ، ومن بدء العلاج بعد العضة ، فاذا تاخر مدة بعض الوقت زدنا فى عدد الأيام ومقدار الجرعة .

وللقاح مضاعفات منها الحساسية ضد اللقاح ويمكن التغلب على ذلك باعطاء العلاج ضد الحساسية ومركبات الكورتيزون ، وفى بعض الحالات ربما سبب اضطرابا فى الاعصاب ، لذا كان التوقف عن اعطاء اللقاح واجبا عندما نعلم ان الكلب كان غير مصاب بالمرض ولم يمت بعد حجزه بعشرة ايام .





لماذا يقيء الطفل الحليب ؟

● انني ام ابلغ من العمر الحادية والعشرين وقد رزقت طفلا يبلغ من العمر شهرا واحدا الان واعطيه حليبا اصطناعيا ولكنه يرجع الحليب كثيرا ، فما هو السبب علما بان حرارته طبيعية باستمرار ، وانا اعتني بنظافة زجاجات الرضاعة عناية تامة .

ـ عليك ان تتاكدي من عدم تلوث الحليب الاصطناعي بالميكروب ، وذلك باستعمال الماء المغلي جيدا بعد تبريده لاذابة الحليب، وبتعقيم زجاجة الرضاعة وخاصة الحلمة الاصطناعية تعقيما تاما . وعليك التاكد ايضا من ان نوع الحليب المستعمل يناسب عمر الطفل وان طريقة تحضيره صحيحة فاذا تاكدت من هذين الامرين فان اهم سبب للحالة المذكورة هو ابتلاع الهواء Aerophagia ، اثناء الرضاعة بكميات كبيرة . لان هذا الهواء يسخن داخل جسم الطفل ، فيتمدد ويكبر حجمه، فيضغط على غشاء المعدة، ويحاول الطفل التخلص منه بارجاعه عن طريق الفم . فيرجع قبله كمية الحليب المتجمعة فوقه داخل المعدة . ولو ان الام اعطت الطفل الفرصة الكافية في منتصف مدة الرضاعة لاخراج هذه الكمية من الهواء قبل اعطاء الطفل النصف الثاني للرضعة ـ لاراحت طفلها ونفسها من تحضير وجبة جديدة .

كيف تتم عملية ابتلاع الهواء

عندما يمتص الطفل الحليب من الثدي او من زجاجة الرضاعة فانه لابد وان يبتلع كمية صغيرة من الهواء ولكنه يتخلص منها عادة بعملية التجشؤ Eructation . ويطلب من الام دائما ان تحمل الطفل ورأسه الى اعلى ، مستلقيا على كتفها الايسر ووجهه الى الخلف مع حركة خفيفة من يدها اليمنى على ظهره مرتين قبل ان تلفه لينام : الحركة الاولى بعد اخذ نصف الرضعة والثانية بعد اخذ النصف الثاني ، الى ان يتجشأ في المرتين ، لان الطفل اذا تجشأ وهو نائم لا بد وان يرجع الرضعة.

ويبتلع الطفل كمية من الهواء اكبر واذا كانت فتحة الحلمة الاصطناعية اصغر مما يجب ، لانه في هذه الحالة سيضطر الى مص الحلمة ثلاثمائة مرة ، بدلا من مائتي مرة مثلا، وبذا يزداد عدد جرعات الهواء المبتلعة، واذا كانت الفتحة مناسبة فان الطفل يتم الرضعة في خمس عشرة دقيقة ، وتعتبر الفتحة مناسبة اذا نزل الحليب منها على ظهر يد الام نقطا متتالية ، ليست بالبطيئة جدا ، ولا بالسريعة جدا . لتكون خيطا من الحليب وبهذه الطريقة ايضا تقدر الام درجة حرارة الحليب .

والسرعة المثالية هي نقطة من الحليب في كل ثانية .

واذا كان الطفل يحتاج لدقيقتين في منتصف الرضعة ليتجشأ فيجب عدم لفه عند اتمام الرضعة كلها الا بعد مضي عشرين دقيقة ليتجشأ كل الهواء الذي ابتلعه ، والا فانه سيرجع الحليب ، كما ان بعض الهواء سينزل الى الامعاء ويسبب المغص والبكاء، واحيانا الاسهال وعدم اتمام عملية الهضم . لان الامعاء المضغوطة من الداخل بالهواء المتمدد تحاول التخلص منه . فتزداد حركتها ، وتطرد الحليب منها غير مهضوم هضما كاملا . وذلك قبل ان يمتص الجسم منه المواد الضرورية التي يحتويها الحليب وهذا يفسر الاسهال في هذه الحالات .

تركان خاتون

بقلم : سنية قراعة

■ مع الترف والاسراف في الملاذ ، وتحكم الجوارى ، وتعاظم الخصيان ، وتزايد قوة جنود المرتزقة ، تألق نجم الوزراء من « بنى بويه » وامتدت اشراقته، حتى لقد خبت أضواء الخلافة، واصبح امير المؤمنين العباسي شبه سجين ، لا حول له ولا قوة ، وراحت تتفكك عرا الامبراطورية العربية الكبرى فاستقل امراؤها الأقوياء باماراتهم ولم يعد للخلافة الاسلامية عليها غير ظل من السلطان الروحى الذى كان أضعف من أن يروض اطماع الطامعين ..

وفي زمن « القائم بأمر الله » بدأت قوات الطوران القوية المراس في الحروب تتحرك من موطنها حول بحر قزوين ، وتندفع بجموعها نحو مراكز الحضارات ، لتأخذ لها مكانا هناك تستطيع من خلاله أن تظهر سطوتها ومدى ما يتمتع به أفرادها من طموح وحب للسلطان ..

وظل « الطوران السلاجقة » او « الأتراك السلاجقة » كما يعرفون ، يتقدمون بجحافلهم تحت قيادة زعيمهم « ارطغرل » حتى وصل الى ابواب بغداد ، وعندها تصور القائم بامر الله العباسي أن نجاته من قبضة بنى بويه قد حان موعدها ، وأنه يستطيع عن طريق قوة السلاجقة أن يتحرر من طغيانهم ، فأسرع يستقبلهم مرحبا، وبلغ من اسرافه في تكريمهم أن تنازل لقائدهم « ارطغرل » عن سلطته الزمنية ، واكتفى هو بالسلطة الدينية والسيادة الروحية .. وبالرغم من أن ما حدث من توزيع السلطة بين سيدين كان امرا مستغربا الى حد بعيد ، أخذت الدولة العباسية ، التى كادت تفنى وتنهار في ذلك الوقت، تنهض من كبوتها وتستعيد سالف امجادها وعزها تحت حكم السلاجقة . خاصة أيام السلطان العظيم « ألبارسلان » .

وكان « ألبارسلان » من الحزم وبعد النظر بحيث ربى وريثه جلال الدين تربية تؤهله لان يخلف والده في كل شيء ، فكان الوريث عند حسن ظن أبيه ، فارسا لا يشق له غبار ، ومغامرا لا تقف دونه عقبة من العقبات .

وتولى زمن « ألبارسلان » ، وجاء من بعده وريثه الكبير القلب جلال الدين الذى تولى العرش الزمنى للخلافة العباسية باسم « السلطان شاه » او « ملكشاه » .

ولم يكد « ملكشاه » يرقى الملك ، حتى بدا في يسر واحكام يحاول الوصول الى اهدافه التى أعده لها ابوه العظيم « ألبارسلان » فعمل أول ما عمل على جمع زمام السلطتين الزمنية والدينية في يده ، فكان أن أسرع يربط نسبه بالخليفة العباسي « المهتدى بالله » وتزوج ابنته ، فكان زواجا بارعا موفقا ساوى بينه وبين أمير المؤمنين، وجعلهما سواء بسواء .

واتجه « ملكشاه » الى القيام باصلاحات داخلية متعددة ، ونهض بالدولة نهوضا لا مثيل له ثم ..



ثم لم ينس « ملكشاه » نفسه في زحمة الاحداث الكبرى ، فسار في طريق تعزيز مركزه ، وتحصين مكانته شوطا بعيدا ، وجعل نفسه «قمة» السلطة ثم فوض عنه في حكم الاقاليم المختلفة نوابا عنه من خاصته وأهله وذوي قرباه سماهم «الاتابكة» ليجمع بذلك السلطة ، كل السلطة في يده .

لقد كان ملكشاه يتمنى من وراء زواجه بابنة الخليفة العباسي « المهتدي بالله » أن ينجب الوريث الذي تكون له السلطان الزمنية والروحية ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه .

وفكر ملكشاه في الزواج بأخرى الى جانب بنت المهتدي بالله ، ولم يطل به البحث فقد وجد غايته في بيت أهله ، وبين ذوي قرباه ، وما أسرع ما طلب يد الأميرة « زبيدة » بنت عمه الأمير « ياقوتي » فاستجاب له عمه على الفور ووجد في ذلك شرفا أي شرف ..

وعاد القلق بعد عام من اتمام الزواج الجديد يتملك قلب « ملكشاه » اذ لم تقر عينه بالوريث الذي تمناه ، ومن هنا .. وأمام تأخر ابنة عمه وزوجته السلطانة زبيدة في الانجاب بدأت تراوده من جديد فكرة الزواج الثالث وهو يرجو أن تتحقق له فيه كل الآمال ..

ونقل « ملكشاه » بصره في حيرة هنا وهناك بحثا عن الزوجة التي تصلح له ، والتي تكون من العراقة ويكون أهلها من النفوذ بحيث يكونون قوة تضاف الى قوة السلطان .

وامتدت عينا ملكشاه في النهاية الى ما وراء حدود ملكه .. الى البلاد التي يرجع اليها أصله .. الى ما وراء سيحون وجيحون « وبحر قزوين » .. الى بلاد الطوران وهو يرجو أن يجد عند ملوكهم وأمرائهم طلبته فيتحقق بذلك أمله في عز وجاه جديد ..

كانت الأميرة تركان خاتون وقتها في عمر الورد ونضارته في أبهى أيام الربيع .. حسناء فاتنة ، فيها من جمال الطوران روعة وملاحة . ومن حبهم للطموح وغرامهم بالفروسية وحب المغامرة الشيء الكثير .

ورواة سيرة الاميرة الفاتنة « تركان خاتون » يقفون هنا .. وأمام القول بأنها كانت بنت الملك « الطوراني » « افراسياب » ـ وقفة تتباين فيها رواياتهم المتعددة التي تتجمع رغم تشعبها وانطلاقها في سبيل المبالغات عند حقيقة واحدة هي أن الاميرة الفاتنة كانت « طورانية » الاصل وأميرة عالية الحسب فوق ما كانت تتمتع به من جمال ، وأنها على أغلب الروايات كانت احدى حفيدات الملك « افراسياب » .

وسواء كانت الأميرة « تركان خاتون » بنت افراسياب الطوراني ، أم كانت حفيدته فان هذا الامر لا يهمنا في شيء بقدر ما يهمنا أن «ملكشاه» العظيم قد أجلها وأعلى قدرها ، ورفع مكانتها فوق كل مكانة نسائية في قصره ، وأنه قد شغف بها حبا ، ووجد فيها خير ام [illegible] أن تنجب له الوريث المرتقب الذي كان يرجوه .

واقدمت تركان خاتون على حياة القصور في حكمة من خبرت الحياة وكان لها فيها عديد من التجارب .

والى جانب « تركان خاتون » بدا « ملكشاه » ينسى وجوده وشواغل دنياه ومهام أمورها ، ليحيا سعيدا منعما في ظل فاتنته التي لم تهبه الحب فقط ، ولم تتملكه بالحنان الناعم فحسب، بل كانت أسرع نسائه في تحقيق أمنيته التي عاش بها ولها ، فانجبت له الوريث الذي كان يرجوه، فاطلق عليه اسم «محمود» وهو يرجو أن يكون محمودا في كل شيء ، وأن يكون مولده بشائر سعادة لأبيه العظيم ، وأن يكون مقدمه ، مقدما للعز والنصر والأمجاد ..

وضحك القدر ضحكة غريبة دوت في شتى أنحاء الدولة .. ضحك القدر ضحكة الحكيم الذي يأبى الا أن يسوق حكمته في وقت يكون الناس فيه أحوج ما يكونون الى تعلم الحكمة ، وتعرف معانيها وشتى مفاهيمها ..

وخيل « للملكشاه » أن ضجة خافتة تتناهى الى سمعه ، وان ثمة اقداما مترددة وجلة تقترب منه ، فرفع رأسه ليرى أمامه من جاءه ينبأ جعل رأسه يدور وقد سمع أن زوجته وابنة عمه زبيدة قد انجبت هي الأخرى مولودها الاول ، وأنها تخيرت له اسم «بركيارق» !!

لقد انجبت زبيدة بنت عم السلطان وزوجته الابن الذي ظلت ترقبه طويلا ، وتنتظر مقدمه ،

فلما تاخر اقدم أبوه على الزواج بتركان خاتون .

ومـــرة اخرى ، وامام حادثي ميلاد الاميرين الصغيرين وريثي « ملكشاه » وقف رواة السيرة ومن ارخوا لذلك العصر واحداثه موقف الحيرة التي لم يستطيعوا معها ان يحددوا اى الوريثين كان اسبق من اخيه ، وهل تم ميلادهما في وقت واحد ، او سبق محمود بالقدم اخاه بركيارق .

ومضى عام في اثره عام ، والحال على ما هى عليه .. زبيدة وابنها بركيارق حيث ارادا ان يكونا وسط بطانة وحاشية متربصة طامعة ، كان يظاهرها ابناء عمومة ملكشاه ، وهم احرص الناس على أن لا يخرج العرش عن نطاقهم ، وأن يظل فيهم عن طريق « بركيارق » الذى كان ينمو مع مسير الاعوام ..

و..«تركان خاتون » زوج ملكشاه الاثيرة عنده، والتى عاد رواة السيرة يذكرون اسم والدها ، ويقررون عن ثقة ان اسمه كان « طوخـاج » حفيد الملك افراسياب ..

« تركان خاتون » هذه الشديدة الذكاء .. عاشقة المغامرات وفارسة الخيل التىكان لايشق لها غبار ، ماذا كان موقفها ؟ هل استطاعت هى الاخرى أن تجعل من حولها عصبة من عشاق الجاه يقفون الى جانبها ، ويؤيدونها وابنها اذا جد الجـد ؟

لقد كان الصراع الخفى فيحريم «ملكشاه» أخطر من انيستطيع احد التهوين من شانه او تجاهل عاقبته وما قد يسفر عنه من أحداث ومفاجآت ، ولكن شخصية السلطان القوى الواثق من مقدرته وتحكمه قضت حتى على مجرد الهمس الذى كانت ترددهبعض الشفاه في بعض اجنحة القصـــــر ومقصوراته .

وبالرغم من جو الصفاء الوادع الذى كان يخيم ظاهريا على « حريم » السلطان العظيم لم تفت احاسيس غيرة زبيدة وتركان خاتون على فطنته ، وهو اعلم الناس بمشاعرهما ، ولكنه كان من الحكمة وبعد النظر بحيث أغلق الباب قبل أن تفكر دسيسة من الدسائس ، أو همسة محمومة من اصحاب الوشايات ان تفتحه ، ولم يسمح لواحدة من الزوجتين أن تشير الى غيرتها ..

كانت الدولة من السعة بحيث كان كل عامل مجد مخلص يستطيع أن يجد في مجاليها فرصته، وأن ملكشاه البعيد النظرة ليعرف كيف يمهد للمناسبة ويعطى الفرصة صاحبها ، ومن كان اجدر من ولديه بان يعطيا فرصة المشاركة في شئون الحكم ، وتعرف اسرار الدولة والاشراف على شئونها !!

وهكذا .. ودون أن يشعر « ملكشاه » واحدة من زوجتيه المتنافستين بانه رغم صمته يعــرف كل صغيرة وكبيرة من شئونهما ، وأنه واقف على سريهما ومطلع على ما كانت تحاول كل منهما ان تخفيه في طيات صدرها ، حقق لكل منهما امالها العريضة في صمت وادع وسكون ودون مقدمات احساسا منه بانه لم يفعل اكثر مما كان يجب عليه أن يفعله بالنسبة لولديه ووريثيه ، من اشراكهما معه بطريق مباشر في شئون الحكم والزج بهما في حلبة النضال الادارى ، فعين كلا منهما « اتابكا » على احد اقاليم الدولة بين بغـداد واصبهان ..

وكانت تجربة دقيقة فعلا أحب « ملكشاه » من ورائها أن يتعرف على حقيقة معدن كل من ولديه بركيارق ومحمود ، فلم يكتف بان جعل كلا منهما « اتابكا » متصرفا في ولايته ، بل وضعه تحت رعايته الخاصة ومراقبته الدقيقة ، ولم يترك لهما حبل الامور على غاربه ، فكان يزودهما بالنصح مرة ، ويردهما بالزجر مرة اخرى ، ويوصيهما بان يتبعا نهج وزيره الامين ورفيق صباه المخلص « نظام الملك » الذى كان عونه وساعده في كل عمل عظيم واصلاح اجتماعي رائع .

وبدا يعظم شان الوريثين الشابين ويتعالى نجمهما في تلك الدولة ، وصارت لكل منهما مكانته وهيبتـه و .. بطانتـه التـى التفت حـوله ، واصبحت ترى أن مستقبلها في تعاظم مستقبله ، وان علو مكانتها في علو مكانته ، فاحاطته بالرعاية ، وراحت في حدود طاقاتها تجمع من أسباب السلطة والتقرب الى الشعب ما تستطيع .

وكان من عادة السلطان العظيم أن يتنقل في كل أصقاع دولته ، وأن يشعر عماله وشعبه أنه معهم حيثما كانوا ، وأنه لا يبارحهم لحظة ، فالفوا تنقله ، واعتادوا زياراته المفاجئة للبعيد والقريب من الاقاليم .

وذات مرة .. وخلال رحلة من رحلات التجول هذه صحب « ملكشاه » زوجته الأثيرة « تركان خاتون » الى أحد اقاليم الحدود . الا ان قضاء الله المحتوم وافاه في هـذه الرحلة فمات السلطان العظيم ، دون أن يكون الى جانبه أحد غير زوجته الغالية تركان خاتون !!

ووجدت الملكة الباسلة نفسها وللمرة الاولى في حياتها أمام المسئولية التى لم تتصور انها سيقدر عليها أن تحملها ذات يوم ..

انهـا اليـوم لتشعر بوحـدتها ، فقـد مات « ملكشاه » وأصبح جثة مسجاة لا يعلم أحـد سرها .

لطالما احست أنها قوية وقادرة ، ولكن .. كان ذلك « وملكشاه » الى جانبها يهب لها القـوة والتعالي والكبرياء .. اما اليوم .. وهذا اليوم بالذات وهي بعيدة عن القصر والاعوان ومـن تظنهم في مكان المخلصين لها فانها تحس بالحيرة ، وتستشعر الضياع ، ولا تدرى على أى حـال تستطيع أن تواجه الواقع ان هو فاجاها بوجوده الذى اصبحت تبغضه وتخافه وتخشاه ..

وارادت « تركان خاتون » في غمرة اساها ان تبكى .. أن تولول .. أن تصيـح .. أن تندب حظها العاثر .. ان تجمع النائحات لتشعر بثقل العبء الذى القته على كتفيها الاقدار ، ولكنها ابت ، فكيف كان لمثلها ان تولول وان تصيح ، وان العقل ليؤكد لها انها تستطيع عن طريق الصمت والصبر ، والروية ان تفكر في موقفها وأن تستعرضه من شتى نواحيه لترى فيه ما يوحى الحكمة ان تراه ...

انه يجب عليها ان تعود الى القصر .. الى بغداد .. الى حصن المنعة .. الى حيث الانصار وحتى ان عز النصير فان المال يستطيع بسحره ونفوذه أن يصنع المعجزات !!

ورافت للملكة الحزينة فكرة العودة سريعا الى بغداد حاضرة الملك ومركز السلطات جمعاء ، ورات انه من اللازم أن تسرع جهد طاقتها وفي حذر شديد وان يكون هو .. « ملكشاه » العظيم معها في هذه العودة الاخيرة .

واعدت الملكة خطتها باحكام .. وامرت الموكب ان يستعد للعودة الى بغداد سريعا ، فالسلطان يشكو وعكة طارئة ، ويطلب أن يعود الى قصره ..

واسرع رجال الحاشية ينفذون الامر .. واستعد الموكب ليتحرك ، وحمل اليه جثمان « ملكشاه » الذى قيل يومها انه مرهق ويجب أن يظل نائما طوال رحلته ..

وتحرك موكب « ملكشاه » الى بغداد ..

كان ذلك في منتصف شوال من عام ٤٨٥ الهجرى في عهد الخليفةالعباسي المقتدى باحكام الله، وقد عادت تركان خاتون مع ملكشاه جثة مسجاة ، ظلت تخفى نبأ وفاة صاحبهـا حتـى احكمت المؤامرة ، وجمعت الاتباع واسرفت في توزيع المال، ثم أعلنت موت « ملكشاه » وتولية ابنه محمود من بعده سلطانا زمنيا للدولة العباسية باسـم « السلطان الملك ناصر الدين محمود » .

وكانت مباغتة مذهلة ، ومفاجـاة قاسيـة ، اذهلت الجميع ، حتى لقد راحوا يتساءلون كيف تم ذلك ، وكيف استطاعت « تركان خاتون » الرقيقة الفاتنة ان تقدم على تدبير هذا الامر كله في صمت ، وتنفيذه في حزم ، حتى أصبح واقعا، كان على الجميع أن يقبلوه !!

ولكن ..

ان كان الشعب قد رضى بما تم .. وان كان الخليفة العباسى الضعيف الشأن قد اقر ما كان .. وان كان خلصاء « ملكشاه » قد مدوا يد المساعدة للملكة الشديدة الذكاء ونادوا بابنهـا سلطانا على البلاد .. فكيف يرضى بذلك من يؤمن في أعماق نفسه أنه وحده صاحب هـذا الحق الذى سلب منه عن طريق مؤامرة مباغتة !!

كيف كان لزبيدة ان تطاطىء راسها لكل ما تم .. وكيف كان ولدها بركيارق يقبله وهو يعرف انه هو وحده الابن البكر « لملكشاه » ووريثه بلا منازع وصاحب السلطان من بعده .. !!

كان بركيارق وقتها يحكم اقليم فارس . وقد ازعجته المؤامرة الرخيصة على سلبه حقه باضعاف ما إزعجته انباء وفاة أبيه الفجائية . فقرر ان يعمل في سرعة ، وان يتحرك لاسترداد حقه ومعه قواته التى أعدها لذلك النضال الرهيب .

وبدات عاصفة من الحرب الاهلية تتجمع لتجتاح دولة بني العباس التي كان يحكمها الاتراك السلاجقة ، وارتفع صوت « بركيارق » الغاضب يطالب بحقه ، ومن ورائه امه زبيدة تعيشه وتشجعه ...

ووصلت الانباء الى بغداد بتحرك قوات « بركيارق » اليها ليسترد حقه من آخيه الذى اغتصبه عن طريق مؤامرة رخيصة احكمت امه تركان خاتون خيوطها .. وحار السلطان ناصر الدين محمود ، ولم يدر ماذا يصنع ، انها الحرب الاهلية ..

انها الحرب بين الاخوين ناصر الدين محمود وبركيارق .. ولا شيء غير الحرب فهي وحدها التي تستطيع ان تحسم الامور !!

وتحرك « بركيارق » بجيشه ، وكذلك تحرك جيش السلطان ناصر الدين محمود بتدبير من امه « تركان خاتون » واسرع ليسبق عدوه ويحاول صده في منتصف الطريق ، وقبل ان يتخطى حدود فارس الى بغداد !!

كان ذلك في شهر ذى القعدة من عام ٤٨٥ الهجرى ، اى بعد شهرين من اعلان وفاة « ملكشاه » العظيم ، وتدبير « تركان خاتون » المحكم للمناداة بولدها وريثا لملك ابيه باسم السلطان ناصر الدين محمود .

ووصل جيش السلطان ناصر الدين محمود الى حدود اصبهان ، ثم تخطاها في سرعة حيث وصل الى « بروجرد » وهناك التقى الجيشان .. بل الجيش الواحد الذى قسمته الفتنة الى جيشين وجعلته المؤامرة شطرين يتوثب كل منهما بصاحبه ليقضى عليه ..

وفي ميدان « بروجرد » الحصينة .. وعلى ارضها تقابل رفقة السلاح بالامس في موقعة رهيبة ، ظلت رحاها دائرة في عنف وقسوة ، وبين مد وجزر حتى لاحت بوادر النصر فيها أخيرا ، فدارت الدائرة على قوات السلطان الملك ناصر الدين محمود ...

وفر الجيش المهزوم في النهاية هاربا لايلوى على شيء ، عائدا الى اصبهان ليحتويها ..

وكان من البديهى الا يدع « بركيارق » فرصة اتمام النصر تفلت من يده ، ووجد ان واجبه يحتم عليه ان يطارد فلول الجيش الهارب ويطاردها ليقضى عليها بصفة نهائية ، فلا تقوم لاخيه السلطان قائمة ، فكان ان اسرع يلاحق المنهزمين حتى وصل الى اصبهان ثم وقف امامها ..

كان ذلك في شهر شعبان من عام ٤٨٦ الهجرى ، وقد فرض « بركيارق » الحصار على اصبهان ، واقسم ليدخلنها عنوة وليقضين على منافسه وبحطمن فلول جيشه .. وهنا وامام تطور الاحداث غير المتوقعة اطلاقا اسقط في يد ناصر الدين محمود ، وكاد يفت في عضده ، وقد خشى مغبة اتساع رقعة الحرب ومفاجآتها ، فكان ان اسرع الى امه الملكة القوية القلب ، التي سخرت منه لانه تخاذل ولم يحتدم اوار المعركة بعد ، وطلبت اليه ان يثق بها ويتركها تتصرف كما تشاء وكما تصرفت في شتى الامور من قبل ..

وراحت تركان خاتون تستعرض الموقف بعينى النمرة الضارية ، وعقل الافعى الحذرة ، صاحبة الحكمة والدهاء ..

ان الامور تكاد تتطور فعلا ، وان الهزيمة التي لحقت بجيش ابنها ربما زعزعت من مكانته ، وتركت الفرصة لذوى الاغراض من الاتابكة الصغار لينضموا الى قوات « بركيارق » وفي هذا ما يعنى الحشد الذى سوف يتسع نطاقه ، ويميل ميزان القوى في ناحية العدو ..

وبدات الملكة الوثابة القلب ، الشديدة الشكيمة ترى امورا عديدة محتملة الوقوع ، ولو حدث ووقعت لساءت العاقبة ، ورات ان واجبها ان تحول دون ذلك كله ، وان تسارع بالوقوف ضد فكرة تلاقى القوى الصغيرة ، واتحادها في قوة كبرى ، وان تهدم اى اتحاد او تحالف يضر بصالح ابنها .. بل بمكانتها هي ، فكان ان راحت تعصر ذهنها عساها تجد الحل الموفق الذى تتمناه ..

وتملك تركان خاتون احساس طاغ بالراحة وقد احست انها وجدت الوسيلة ، كما استطاعت ان تعثر على الاداة الطيعة التي ستكون عونها على تحقيق ما كانت تريد واكثر مما كانت تريد !!

وانتزعت « تركان خاتون » من انياب الصمت المخيم عليها ضحكة راحت تردد مع اصدائها الحبيسة التي عز عليها ان تنطلق ـ اسم « اسماعيل بن ياقوتي » شقيق زبيدة وخال بركيارق عدوها اللدود .

ان اسماعيل اليوم يمثل في نظر «تركان خاتون» المفاجاة المجهولة التي ستكون لعبتها الجديدة على مسرح الاحداث ..

كانت « تركان خاتون » تعرف ان اسماعيل قوة .. وقوة لها تاثيرها ان هي دخلت ميدان المعركة ، فهو اقوى الاتابكة واعمهم نفوذا ، ولو استطاع « بركيارق » ان يضمه وقواته اليه لمال في صفه ميزان الحوادث وما عاد على المسرح من احد سواه ...

وبقدر ما شغل اسماعيل بن ياقوتي تفكير الملكة العنيدة القاسية ، اذا هو انضم الى قوات ابن اخته بركيارق ، فقد راحت تهون من شانه وهي واثقة انها حين تدعوه فسوف يأتيها خاضعا مطيعا حتى لو استجار به ابن شقيقه ، وانه حين يكون الى جانب « تركان خاتون » فلن يكن اكثر من اداة طيعة في يدها ، ومن هنا قررت ان تلعب لعبتها الجريئة في سبيل اهدار رابطة الدم بين افراد البيت السلجوقي ، وتفريق وحدتهم وتمزيق شملهم ..

وكانت خطة « تركان خاتون » تتلخص في ارسال رسول الى الاتابك اسماعيل ، يعرض عليه شروطها بان يعاهدها ، وان يطيعها ، وان يكون عون ولدها السلطان ناصر الدين محمود ، وفي مقابل هذا تمنيه بزواجها به .

وامام العرض الذكي ، والخطة البارعة التي احكمت الملكة شباكها ، وقع اسماعيل بن ياقوتي في المحظور واسرع الى صبوة قلبه ، وغاية مناه ، وقد سلم لها بكل ما ارادت ، ووافق مقدما على ما كانت تطلبه منه .

وساد ميداني الاستعداد والترقب نشاط مثير .. واكفهر الجو ، واشفق الشعب من مغبة الصراع الرهيب الذي كانت اعاصيره تتوثب للتلاحم والانقضاض .. ولم يمض وقت طويل حتى كانت « تركان خاتون » قد جمعت جيشا عظيما من « التركمان » الذين وفدوا مع امرائهم وكبار رؤوس عشائرهم ليسيروا تحت قيادة اسماعيل ابن ياقوتي الى المعركة الفاصلة للقضاء على بركيارق ..

وبالرغم من مرارة الاسى الذي احسته زبيدة وقد خيب شقيقها اسماعيل ظنها فيه وثقتها به .. وبالرغم من قسوة الطعنة التي وجهها الخال الى قلب شقيقته ، فقد اصر بركيارق على المضي في المغامرة حتى نهايتها ، ولو تمادى القدر في العبث به فجعله يقدم على حرب جيش يقوده خاله اسماعيل ..

وخرج بركيارق الى الميدان .. واسرع ورجاله ليلقوه في موقعة فاصلة .. وتلاحم الجيشان في موقعة قاسية بالقرب من « الكرج » دارت فيها الدائرة على اسماعيل وجيشه ، وكتب فيها النصر لابن شقيقته بركيارق !!

ومرة ثانية ضحك الحظ ساخرا من طموح « تركان خاتون » واشاح عنها بوجهه ، فهرب جيشها وقائده الذي وضعت فيه كل الامال ، واسرع عائدا الى اصبهان يحتمي بها وليؤكد للملكة انه لن يسكت على تلك الهزيمة ابدا ، وانه سيكرر المغامرة مرة بعد اخرى حتى يظفر بذلك اللعين بركيارق ..

وكانت « تركان خاتون » من الدهاء ، وبعد النظر بحيث لم تقف من اسماعيل موقفا غير كريم ففتحت له ابواب قصرها ، وبالغت في اكرامه وهي ترجو ان يحفز هذا من همته ورغبته في رد الاهانة في ابن اخته في محاولة ثانية ، ورفعت من منزلته باكثر مما كان يتوق اليه ويتمناه ، وضربت اسمه على السكة تحت اسم ولدها السلطان ناصر الدين ، وجعلت خطباء المساجد تثنون السلطة وقائد الجيش العام .

وكانت مجاملة بارعة ، بقدر ما ارتاح لها قلب اسماعيل ، ونالت رضاه ، وزادته قربا من الملكة تركان خاتون وابنها ، ورغبة في معاونتها ، فانها اثارت غضب الخاصة ذات النفوذ الواسع في حاشية السلطان ناصر الدين محمود ووالدته واخصهم ، بل وعلى راسهم الامير « انز » مدبر شئون السلطة وقائد الجيش العام .

وبدات « تركان خاتون » تحس بان الارض

موشكة أن تهتز من تحتها ، وان عاصفة مدمرة توشك أن تثور وتقتلع كل ما أرست ، وارادت له البقاء ، ورات أن الحكمة توجب أن تعالج الامر وفق طريقة غير هذه ولكن ..

ولكن كيف !!

ان اسماعيل بن ياقوتي ورقة رابحة في يد الملكة العنيدة ، ولكن الامير « انز » قائد الجيش ومدبر شئون الدولة قوة لا يستهان بها .. فاى الاثنين كان على الملكة أن ترجح كفته .. وهل تستطيع أن تكون من المهارة والدهاء وسعة الحيلة بحيث تجمع بين الاثنين في حين كان الواقع يفرض ان تضحى بواحد منهما دون جدال .

وحاولت « تركان خاتون » جهدها أن تزيل ما علق بنفس « انز » وان تهدىء من ثائرته ، دون جدوى فقد اصر على انه يجب أن يختفى من وجودهم ذلكم الدخيل اسماعيل الذى احس بما كان ، واستشعر في وجوده حيث وضعته المقادير حرجا يجب أن يتفاداه فاسرع يصارح الملكة بانه من صالحها أن تتركه وشانه وهو قادر على تدبير اموره كلها .

وخرج اسماعيل ، وارسل الى أخته زبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم ، ووصلت رسله الى شقيقته زبيدة فعز عليها أن يقف شقيقها موقف الذلة والضياع ، فسامحت وغفرت له ما كان ، وسالته أن يعود ، واسرعت ترجو ابنها في امره ، فكان من البر بامه والطاعة لها الى الحد الذى نسى فيه كل أخطاء خاله الاتابك اسماعيل ، فعاد يقربه ، ومرة أخرى اعاد اليه كل ما كان له .. ولكنه كان في سريرته يريد الغدر بابن أخته بركيارق طمعا في السلطان . وخلا مع مجموعة من اعوان ابن اخته بركيارق ، وكان من السذاجة بحيث كاشفهم بخطته الهادفة الى التخلص من سيدهم ، فتظاهروا بطاعته ، ثم .. وبعد أن وضعوه في الموضع الذى تظهر فيه حقيقة نياته ، ولا يجسر على انكاره وثبوا عليه هو .. وقتلوه !!

ونال الخائن جزاءه .. ولم يشيعه احد بدمعة واحدة ، وشعرت زبيدة بعد التخلص منه وبعد ان قضى عليه سواد قلبه ، ان ثمة رصدا كان يقف في طريق ابنها بركيارق قد زال والى الابد ، وان الغد سيطالعها وولدها بكل أمل كانت تتمناه .

واخذت الايام تمضي في مسيرها ، وتبدت المغامرة في عيون الطامعين غير مأمونة العواقب ، فراح كل أتابكة الدولة يراجعون مواقفهم غير الواضحة ، ليتبعوا الطريق السوى الواجب أن يمضوا قدما فيه ، بما يبعدهم عن حلبة الاحداث العاصفة التى كانت تدور بالشر والهلاك بين ابنى ملكشاه العظيم .

وراحت « تركان خاتون » تنظر حولها في غير وعى وهى لا تدرى .. هل تثور وتغضب .. هل تقر الواقع وتعود الى جادة الصواب ..

لقد فقدت الملكة الطامعة بموت اسماعيل عضوا كبيرا ، وعونا كانت له قيمته ، وكان لمجرد وجوده في معسكرها تاثيره على كثيرين ، اما اليوم ، فقد وضحت المؤامرة ، وتكشفت الستور .

واستبدت الرغبة في التملك من نفس تركان خاتون . وكبر عليها وقد وصلت الى ما وصلت اليه ، وحاكت العديد من الآمال أن تتراجع امام تردد البعض عن نصرتها ، او نكوص البعض على اعقابهم مشفقين ، وقررت أن تستمر في المغامرة الى نهاية الشوط ، وما دام الامير انز وضع نفسه في موضع الصدارة واحب أن يفرض وجوده، وما دامت غيرته من اسماعيل هى التى وصلت بهم الى ما وصلوا اليه ، فان على الملكة أن تضعه في مكان نمناه لنفسه ، فان واتاه حظه واستطاع أن يصل ، حمل عنها اعباء عديدة ، وان تنكر له حظه وتعثر كما تعثر اسماعيل بن ياقوتى من قبله ، فانه انما يحكم على نفسه بنفسه ، ويكتب نهايته بيده ، وفي ميدان من ميادين الصراع الرهيب الذى اقسمت الملكة أن تدور رحاه من جديد ..

كان « توران شاه » حاكم فارس ، واحد الامراء الموالين للسلطان ناصر الدين محمود قد بدا يراجع نفسه ، ويحجم عن الاستمرار في المغامرة تمهيدا لانسحابه من مجالها ، واعتبرت « تركان خاتون » محاولته هذه خيانة لولدها ، ولعهد الولاء الذى قطعه على نفسه ، وخشيت أن يخرج عن موقف الحيدة الذى وقفه لينضم وجيشه الى بركيارق، ورات أن تسرع الى تاديبه و .. وفي نفس الوقت تحاول الاستفادة من وجود الامير انز « فامرته بالخروج الى فارس وانتزاعها من يد توران شاه».

واسرع الامير الحالم بالجاه الى حيث امرته سيدته .. ونال بعض التوفيق في جولة الصراع الاولى ودحر قوات « توران شاه » وخلا له الجو، فاذا بالغرور يركب راسه ، واذا بحب السلطة يعمي بصيرته ، واغلظ للشعب ، واستبد به ، وراح يسومه الخسف ، ويذيقه مرارة الظلم والهوان ..

وثار شعب فارس .. ووجدها « توران شاه » فرصة ليسترد مكانته ، فقاد ثورة الشعب ، واعد الكثير من الانصار والمحاربين ليخوض المعركة ضد الامير « اتز » .. وهزموه ، ولكن توران شاه مات بعد شهر بسبب سهم كان اصابه في المعركة .

ورات « تركان خاتون » ان رقعة الارض التي كانت تقف فوقها قد راحت تصغر وتتضاءل ، ووجدت ان الحكمة توجب الاسراع في توجيه ضربة قاصمة الى بركيارق ومن معه ، وقد بدا يعظم امرهم ، والا ضاع الامر وافلت الزمام من يد الملكة المعاندة وابنها ..

وتلفتت « تركان خاتون » حولها تبحث عن النصير الذي تستنجد به ، وخيل اليها انها قد وجدته اخيرا في الامير القوي « تاج الدولة » فتملكتها فكرة الخروج اليه بنفسها لمفاوضته والاتفاق معه ..

انها الورقة الاخيرة التي بقيت في يد الملكة .. وانها بحكم غرامها بالمخاطر ترى ان التفاوض مع الحليف الجديد شخصيا هو الامر السليم ، فاستعدت للخروج ، واعدت له العدة ، ثم .. وفي جو من التكتم والسرية خرجت المراة الداهية لتلعب لعبتها الاخيرة ، وتلقي السهم الواحد الذي لم يعد بيدها سلاح غيره تحمي به نفسها وتصون ملك ابنها ناصر الدين محمود .

وسار الركب ، ولكنه توقف .. فقد اصيبت « تركان خاتون » بمرض فجائي ، جعلها تسرع بالعودة ثانية الى « اصبهان » المقاطعة الوحيدة التي بقيت في يدها ، وعلى ولائها لولدها محمود..

ووصلت تركان خاتون الى قصرها محطمة ، كسيرة القلب .

وبدات تركان خاتون تتكلم وهي على فراش موتها ، فاوصت الامراء الذين بقوا على الولاء ان يكونوا الى جانب ابنها ناصر الدين محمود ثم .. احتواها الظلام ..

وماتت تركان خاتون ..

ماتت « الملكة اللغز » التي عزت على الحقيقة ولم يستطع الواقع ان يرفع عن وجه غموضها النقاب ..

لقد تعشقت السلطان .. وناضلت من اجل السلطان ، ولكن .. هل كانت تعمل من اجل سلطانها هي او من اجل سلطان ولدها الاوحد محمود ..

عاشت تركان خاتون لغزا .. ومات اللغز في قمته . وما تكشف وما استطاع احد ان يعرف حقيقته ..

ولكنها خلدت آثارا من مساجد ومدارس ومستشفيات . ■■

سنية قراعة

اسير عند معاوية

● اسر معاوية يوم صفين رجلا من اصحاب علي بن ابي طالب فلما اقيم بين يديه قال : الحمد لله الذي امكنني منك . قال : لا تقل ذلك فانها مصيبة . قال : واية نعمة اعظم من ان يكون الله اظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من اصحابي . اضربا عنقه . فقال : اللهم اشهد ان معاوية لم يقتلني فيك ولا لانك ترضى قتلي ، ولكن قتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو اهله ، وان لم يفعل فافعل به ما انت اهله . فقال : قاتلك الله .. لقد سببت فأوجعت في السب ودعوت فأبلغت في الدعاء ، خلّيا سبيله .



مكتبة في البيت عامرة معناها عقول عامرة وقلوب عامرة

■ الصفحة رقم ٢ ، من « العربي » ، ربطنا بينها دائما وبين الفن ، ممثلا في الوانه الزاهية وغير الالوان ، ودائما بمعنى من معاني الحياة الاصيلة المستقرة . واتصلت هذه المعاني احيانا بالتاريخ ، واتصلت احيانا بالفن المرسوم لوجوه واجسام كثيرة ، واتصلت بالفن المعماري ، لا سيما العربي الاسلامي .

واليوم وصلنا الفن ، في الصفحة الثانية من « العربي » ، بمعنى اصيل مستقر وثيق ، ذلك معنى الكتاب . ونصيبه من حياة الناس ، وهو الشيء الجامد الذي لا يتحرك ،في اجراء الحياة ، وهي تختلط امواجا في بعض الاحيان وتصطخب ، او وهي تجرى سادرة مطمئنة على مهل .

الصورة بصفحة ٢ هي صورة لحجرة كتاب ، في مسكن من مساكن الناس .

الناس تطلب المسكن ، فحجرة للجلوس ، وحجرة للطعام ، وحجرة للنوم . ولنوم الاطفال حجرات . وقلما ان يجد رب المسكن ، او ربته ، حجرة لكتاب . وقد يذهب الرفه الى بناء حمام للسباحة طويل عريض ، يتطهر الجسم فيه من اوضاره ، ويتخفف من اثقاله ، ولا يذهب الرفه الى بناء ، ولو ركن ، غير طويل ولا عريض ، لكتاب . يتطهر العقل به من أوضاره ، وتتخفف الروح من اثقالها ، وتتصفى من عكرها . وقد يطلب صاحب البيت متطهرا لنفسه ولعقله ، ولا يجد ذلك الا بنفي العقل وطمس النفس ، ببناء بار للخمر في الدار ، هي على الاصح مهرب من الحياة واعبائها .

ان الناس تسكن في بيوت . والمواشي تسكن في زرائب . وعهدي ان الفرق بين البيت والزريبة ، اني ما رايت قط في زريبة كتابا .

والقى الناس . والقى منهم الفقير في الملبس المهترىء . والثرى في صوف الشتاء ، وحرير الصيف . والذى بين الفقر والغنى ، ملابس اشتات .

واتحدث الى الناس . فاجد فقير العقل واللسان . وثرى العقل واللسان . فاعلم اني ، اذ اتحدث الى الثرى بعقله وقلبه ، لا اتحدث اليه وحده . ولكن اتحدث عبره الى زمرة كريمة من الناس شقت طريقها اليه فيالي عبر كتاب .

ان الامية سبة . والامية لا ينفيها انك تستطيع ان تكتب وان تقرا . ولكن ينفيها ان تشارك الناس عقولهم . وتقاسمهم احاسيسهم ، من حاضر الناس وممن سبق من اجيال ، وذلك عن طريق كتاب .

ويتحدثون عن الاختراعات . وعندى ان اول الاختراعات ترويجا للانسانية ، وتحقيقا لها ، اختراع الكتابة ، أحرفا وكلمات ، واختراع الورق والطباعة . واختراع كتاب .

فلينتفع كل انسان بهذا الاختراع الاول ، والاخطر ، بأن يجعل في بيته حجرة ، او لا ، فركنا ، يجعل منه مسكنا ، يأوى اليه كتاب . ●●

الحياة بلا خطة لا تؤدي لغير ضياع

الحياة فرص .. إن فوتناها، فاتتن

بقلم : منير نصيف

■ كان كل شيء فى صباح ذلك اليوم ينذر بقدوم عاصفة ممطرة .. وحان موعد ذهاب الزوج الى عمله ، فاستقل سيارته وانطلق مسرعا الى مكتبه محاولا ان يصله قبل ان تقذف السماء بما فى جوفها من ماء .. ولكنه ما كاد يبتعد قليلا عن بيته حتى ادركته الامطار التى راحت تهطل بغزارة حتى اغرقت كل الطرق المؤدية الى قلب المدينة .. واوقف الزوج سيارته ، وراح يفكر .. ترى ماذا عساه يفعل . هل يجازف ويستمر فى طريقه الى مكتبه .. ولكن لم المجازفة ، وطريق العودة الى البيت اسلم .. ونظر من حوله ، فاذا بالسيارات كلها تعود من حيث جاءت .

وعاد .. عاد الى بيته .. وطرق الباب ، واسرعت زوجته وابناؤه الثلاثة يستقبلونه وقد ظهرت على وجوههم علامات الارتياح . فقد كانوا فى قلق على الاب الذى خرج يقود سيارته وسط العواصف والامطار .. انهم لم يذهبوا الى مدارسهم فى هذا الصباح ، فقد الغيت الدراسة فى جميع مدارس المدينة ، حتى تهدأ العاصفة وتنقشع السحب ..

حديث حلو

وذهبت الزوجة لتعد لزوجها قدحا من القهوة الساخنة ، وجلس الاثنان يتحدثان ، وفجأة التفت الرجل الى زوجته ، وقال : « لا ادرى ماذا حل بي اليوم ، ولكنني اشعر انني اريد ان اقول لك انني سعيد بك ، سعيد ببيتي وسعيد باطفالنا .. انني احبك يا عزيزتي ، ولو عادت عقارب الزمن الى الوراء ، الى اليوم الذى لقيتك فيه واخترتك زوجة لي ، لما فعلت غير ما فعلت .. انني لا استطيع ان اتصور ان هنالك رجلا اسعد حالا مني في هذا العالم الواسع ! »

ونظرت الزوجة الى عيني زوجها ، فوجدتهما تلمعان ببريق صادق عجيب لم تره من قبل ، طوال تلك المدة التي مضت على زواجهما منذ خمسة



عشر عاما او يزيد .. وفي دهشة مشوبة بالحيرة ، راحت الزوجة تستعيد هذه الكلمات الحلوة التي لم تسمعها من قبل ابدا ..

ماذا دهاه . ؟ ولماذا اختار اليوم بالذات ليعبر لها عما يجيش في صدره من احاسيس مفعمة بالحب نحوها ونحو ابنائهما وبيتهما ؟ .

ذهب .. ولم يعد !

وتوقف المطر ، وهدأت العاصفة ، او هكذا خيل لهما ! واحست بيديه تحتضنان اناملها الرقيقة ثم اقترب منها وطبع على جبينها قبلة تحمل كل معاني الحب والحنان .. قال مودعا :

« لا بد ان اذهب الى مكتبي ، فهناك عمل هام يتحتم على انجازه ! »

ووقفت وراء النافذة تلوح له بيدها ، وترجوه الا يسرع ، وان يلزم الحذر في قيادته وذهب الزوج .. ولم يعد ..

لقد عادت الامطار تهطل بشدة وقسوة ، وجرفته السيول .. ولم يعثروا على حطام سيارته الا بعد مرور اسبوع كامل ، هناك في بطن الجبل !

ماذا تعني هذه القصة التي رواها الفيلسوف الامريكي ايمرسون ، وهو يشرح معنى الحياة ؟

معنى الحياة

يقول الكاتب الشهير : « كثيرون منا يمضون في طريق الحياة ، دون ان يدركوا المعنى الحقيقي للحياة .. ثم يتساءل : « ولكن ما هو هذا المعنى الذى كثيرا ما غاب عن اذهان العديد من البشر ؟ » انه عمرنا على هذه الارض .. انه الدقائق والساعات والايام والسنين التي نقضيها قبل ان نرحل عن هذه الدنيا .. ومن اجل هذا فلا بد لنا ان نفيد ونستفيد من كل لحظة من لحظات حياتنا ! لا بد لنا ان نشعر اننا احياء ، وان نشعر من حولنا بقيمة الحياة وثمنها ..

ولكن قليلون هم الذين يفعلون ذلك .. واقل منهم هم هؤلاء الذين يدركون المعنى الحقيقي للحياة .. ولقد كان هذا الزوج المسكين احد هؤلاء ، انه لم يكتشف انه اب لاسرة سعيدة ، ولم ير هذه السعادة ويحس بها الا عندما اقترب اجله ..

« ولقد كان في وسعه ان يقول ما قاله لزوجته لحظة وداعه لها ، منذ سنوات وسنوات ، ولقد كان في مقدوره ان يعيد على مسامعها تلك الكلمات الحلوة التي رات معناها في عينيه ، كلما كانت هناك مناسبة لان يقولها لها ..

« ولكنه لم يقلها ، الا عندما لم يعد في العمر بقية .. لم يحس بها ، او لعله احس ، ولكنه شاء ، لسبب او لآخر ، ان يكتم هذه الاحاسيس، الا عندما اقترب الاجل من نهايته ..

الحياة حب وانتاج وعمل

ثم يقول ايمرسون في نهاية تعريفه للمعنى الحقيقي للحياة .. الحياة حب .. وهو ليس بحب مقصود على ما يتبادله الجنسان من عواطف ، وانما هو حب للناس .. كل الناس .. وحب للعمل ، اى عمل يؤديه المرء مهما كان لونه ، طالما ان في هذا العمل نفعا لصاحبه وللاخرين .. فالحياة انتاج وعمل وفن وابتكار وقلوب بعد هذا مليئة بالحب للحياة نفسها ..

يقول نورمان فنسنت بيل
Norman Vincent Peale
في كتابه : « استمتع بحياتك طول العمر » :

« ما الذي تريده انت ، ما الذي اريده انا ، ما الذي يريده كل انسان في هذه الدنيا ؟ ان الاجابة على هذا السؤال هي ببساطة الحياة .. فكلنا يريد الحياة » .

« ولكن ما هي الحياة ؟ انها العمل ، انها الحرية ، انها النمو والطاقة والحركة ، انها الشعور بالحياة ذاتها ، ثم هي بعد ذلك القدرة التي يجب ان تتوفر في كل انسان حي ، على التغلب على مشاكل الحياة ومتاعبها وصعابها ، واخيرا فالحياة هي الرضا الذي يشعر به المرء عندما ينجح في ان يصنع شيئا او يبتكر شيئا او يعطي شيئا او يساعد احدا ..

« ترى كم منا ادرك هذا المعنى الكبير للحياة ؟ والذي لا شك فيه ان المناخ السياسي والاجتماعي الذي يعيش الانسان في ظله ، يلعب دورا كبيرا في احساس المرء بمعنى الحياة ، فاذا كان المناخ طيبا ازداد عدد المتفائلين بالحياة ، المبتسمين لها ، وزخر المجتمع بالفكر والانتاج والعمل الخلاق .. واذ ساء المناخ، امتلات النفوس بالخوف واكتست الوجوه بسحابة داكنة من الحزن والكآبة ، ونام الناس، وهم الذين كانوا اكثر ما يكون المرء يقظة وصحوا .. ماتوا وهم ما يزالون احياء !

شعورنا باننا أحياء

« ان الحياة الحقيقية هي في شعورنا باننا احياء .. احياء فكريا وجسديا وروحيا ، طوال ايام حياتنا ، طالت ام قصرت ..

« انها في المشاعر التي يحس بها الانسان نحو اسرته ، واصدقائه ، وكل الذين عرفوه ، ثم ترجمته لهذه المشاعر في الوقت المناسب ، وقبل فوات الاوان .. وهي اخيرا في السعادة التي يجدها المرء في عمله وفي انتاجه وفي تفكيره وفي اهدافه ومشروعاته للمستقبل » .

ثم يقول فنسنت بيل ان الهدف الذي يحدده المرء لمستقبله هو اهم مقومات الشعور بالرضا في الحياة .. وتحديد الهدف وحده ليس هو الغاية، ولكنه الوسيلة التي تقودنا الى عمل اكثر وانتاج اوفر لبلوغ هذا الهدف ، حتى اذا بلغناه مضينا نخطط لهدف آخر ابعد واسمى ، لان الوقوف موت وجمود ، والحياة حركة دائبة لا تتوقف » .

قصة انسان حي

ويروى فنسنت بيل بعد هذا قصة انسان حي، كما وصفه في كتابه ، شاءت الصدف ان تجمعه به في مكان عام منذ اكثر من عشرين عاما .. كان الرجل في العقد الخامس من عمره ، وربما جاوزه بقليل ، وكان يجلس في احدى الحدائق العامة مكتئب الوجه بادي القلق والتعب وقد امسك بيده كتابا،راح يقرا فيه ويلتهم صفحاته التهاما. وكان الكتاب يحمل عنوانا غريبا : « ماذا تنوى ان تصنع بنفسك خلال العشرين عاما القادمة ! ».

ويقول فنسنت بيل : « واقتربت منه ،وقدمت له نفسي ، وكان قد اوشك على الانتهاء من قراءة الكتاب ، وقلت : « ماذا وجدت فيما قرات ؟ » قال : « كتاب رائع يحدثنا عما يمكن ان نصنعه بانفسنا خلال الاعوام التي تبقت لنا من عمرنا »..

قلت : « ماذا تفعل الان ، وماذا تنوى ان تصنع بنفسك في المستقبل ؟ » .

وقال الرجل : « لقد اكتشفت انني قد قضيت اجمل سني حياتي سدى .. ادركت اليوم فقط انني اضعت خمسين عاما من عمري جالسا في مكاني لا اتحرك .. انني اعمل موظفا في احدى الشركات ، ومرتبي لا يكاد يكفي نفقات اسرتي .. لقد قررت ان ادخل الجامعة لاكمل تعليمي ! » .

« ومضت تسع سنوات على هذا اللقاء ، وفي احد الايام ، اصبت بالم شديد في ظهري ونصحني الاصدقاء بالذهاب الى عيادة احد الاطباء، فقصدته في وجاء دوري فدخلت ، وكانت المفاجأة ، عندما

وجدت نفسي وجها لوجه امام الرجل الذى لقيته في الحديقة العامة .. لقد قرر ان يصنع من نفسه طبيبا ونجح !

قلت : « كيف وجدت مهنتك الجديدة ؟ » .

قال : « لقد وجدت فيها معنى الحياة .. أليس غريبا ان اعرف نفسي بعد كل هذه الاعوام التى انقضت من عمرى ؟ » .

اهدافنا فى الحياة

ويمضى فنسنت بيل في كتابه يقول : « اننا نعيش عصرا استطاع فيه الانسان ان يبتكر العديد من الوسائل من اجل مساعدة اخيه الانسان .. ولكن لا بد لنا اولا ان نحدد اهدافنا في الحياة .. ان نعرف ماذا نريد وان نعرف كيف نختار نوع العمل الذى نصلح له . يجب الا نضيع الفرص التى تتاح لنا حتى لا يدركنا الوقت ، قبل ان ندركه . والا فسوف نجد اننا قد اضعنا حياتنا في محاولات متكررة ، اسبوعا من بعد اسبوع ، وشهرا من بعد شهر ، وسنة وراء اخرى ، دون ان نعرف على وجه التحديد ماذا نريد من الحياة ، وماذا سنصنع بها وتصنع بنا . وسوف ندرك في النهاية اننا وان كنا حقيقة نتحرك ، الا ان حركتنا اشبه ما تكون بعقرب الساعة الذى يدور حول نفسه !

ثم يروى بيل قصته مع الخطيب الشاب الذى اشترك معه في ندوة كان الهدف منها نبذ الحرب الكورية والدعوة الى السلام في هذه البقعة من الارض التى مزقها القتال . يقول : « والقيت كلمتى في ايجاز ونزلت عن المنصة ليعتليها شاب في الثالثة والعشرين من عمره ، او نحو ذلك .. شاب طويل القامة ، عريض المنكبين .. هادىء واثق من نفسه ..

« واشفقت عليه ، وانا اراه يتجه الى المنصة في تردد .. فقد كان جمهور المستمعين كبيرا ، ولم يكونوا كلهم دعاة سلام ، وانما كان بينهم عدد لا بأس به من صانعى الحرب .. ولكن اشفاقى عليه ، لم يطل ، اذ سرعان ما تبينت مدى الخطأ الكبير الذى وقعت فيه ، عندما خفت عليه من الفشل ! .

«فقد بدا الخطيب الشاب يتكلم ، فاذا بالكلمات تخرج قوية من شفتيه ، ونظرت حولى محاولا ان ارى اثر هذا الكلام على وجوه المستمعين ، فوجدتهم ينصتون اليه في اهتمام واعجاب شديدين ..

ومضى الشاب يتكلم ، ودوى التصفيق في ارجاء القاعة .. حتى اذا ما بلغ نهاية خطابه ، وجدت انه قد استغرق زهاء ساعة كاملة او ما يزيد قليلا .

سر نجاحه

« وتقدمت اليه بين المتقدمين ، ومددت اليه يدى مصافحا مهنئا على خطابه الرائع .. وهنا ادركت سر نجاح هذا الشاب .. لقد كان يحمل في راسه عينين قويتين نفاذتين ، لم ار مثلهما في حياتى .. كانت عيناه مليئتين بالحياة ، وقد استطاع بفضل هاتين العينين ، وبفضل ما استطاع ان يسوقه لمستمعيه من حجج قوية يدين بها تلك الحرب الضروس ، ان يبعث الحياة الى نفوس مستمعيه الذين التصقوا بمقاعدهم ، رغم حرارة الجو في ذلك اليوم من ايام شهر يونيو حيث جاوزت الحرارة الاربعين درجة مئوية ..

قلت اسال هذا الشاب الذى استطاع ان ينفذ بكلماته الى قلوب الالوف من المستمعين : « ماذا تنوى ان تصنع بنفسك ؟ » .

قال : « انني ادرس العلوم السياسية ، وقد حصلت على الماجستير ، وانا الان اعد لشهادة الدكتوراه ! » .

قلت : « ثم ماذا ؟

قال : « ثم ارشح نفسي للانتخابات .. انني اريد ان امثل دائرتى الانتخابية في البرلمان .. هذا هو الهدف الذى رسمته لحياتى ، الذى اسعى جاهدا لبلوغه » .

شعورنا بالحماس

قلت : « اذن ، فقد ادركت يا بنى ان لا حياة بغير هدف » .

قال : « نعم ، وادركت ايضا ما هو اهم : انني لن استطيع بلوغ هذا الهدف بغير حماس .. ومن اجل هذا فان حماسي لم يفتر .. انني استقبل كل يوم بحماس جديد .. بل انني انتظر الغد بنفس الحماس الذى ودعت به الامس ، وربما اشد منه .. ان الروح لم تخلق لكى تهزم وتنهار .. فنحن الذين نسمح لها بهذا الانهيار .. وفي يدنا وحدنا ان نعيد اليها حماسها وحيويتها مهما تقدم بنا العمر .. » . ■■

منير نصيف

قائد عربي أندلسي مجيد

أبو العباس أحمد بن أبي عبدة

عسكري مخلص موهوب، نذر نفسه للحفاظ على وحدة الامة الاندلسية وسلامة الجماعة العربية . وظل في الميدان قرابة ربع قرن يسير من نصر الى نصر حتى لقي شهادة الابطال في ميدان الشرف .

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ ابتداء من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) تقل بصورة تستوقف النظر اسماء القادة الكبار من العرب في جيوش الدولة العباسية وما قام في بعض ولاياتها من الدول الاسلامية ــ عدا الاندلس والمغرب ــ وتحل محلها اسماء غير عربية من امثال الافشين واشناس وبغا وبجكم وما اليها .

والسبب في ذلك ان خلفاء بني العباس ، من اوائل ايامهم ، خامرهم خوف غير مشكور على سلطانهم من العرب ، واطمئنان غير حكيم الى غير العرب ، مع ان دولتهم قامت في الحقيقة على اكتاف العرب وبفضلهم ، وليس قيام الدولة العباسية في الحقيقة الا ثورة عربية ، قام فيها فريق من العرب على فريق آخر ، وازاحه عن السلطان ، وحل محله ، وان اعتمد على بعض الانصار من الموالى الفرس .

وقد تميز العباسيون بغيرة شديدة على سلطانهم، وتخوف من ضياعه من أيديهم ، وساورتهم في ذلك اوهام جعلتهم يقتلون على الظن ويسفكون الدماء لاقل ريبة ، ولاشك ان معظم ما اقترفه ابو العباس السفاح وعبد الله بن علي وابو جعفر المنصور من جرائم كان يمكن تفاديها لو كان الخوف على السلطان اقل ، او لو كانت الاعصاب اهدا .

وهذه الغيرة على السلطان والتشبث به والاستهانة بكل شيء في سبيله كانت بعض اسباب ميلهم الى الاعتماد على موالي النعمة اى موالي العتق ممن كانوا في مراتب الرقيق ، وقد تصوروا ان هؤلاء اطوع واخلص ، وان المسئولية في العدوان عليهم يسيرة ، في حين ان العربي انوف معتز بنفسه ، وله عصبية من قبيلته تجعل العدوان عليه مصدرا لمتاعب شتى .

وقد فاتهم ان الدول لا تقوم الا على الاحرار واهل النخوة والشهامة من الرجال ، لان الحر صاحب النخوة والشهامة يصدقك القول ، ولاينافقك او يجاريك في رايك التماسا لرضاك ،



فهو انفع لك ــ ولو عارضك ــ من العبد المملوك الذى لاينطق الا بما يرضيك ، فلا تسمع منه رايا نافعا ابدا .

وغاب عنهم كذلك ان دولة الاسلام انما قامت على اكتاف العرب ، فما قام بالفتوح الكبرى ايام الراشدين وبنى امية غير العرب ، ولقد كانت جيوش بنى امية في مجموعها قليلة العدد ، فقلما وصل جيش اموى الى مائة الف ، ومع ذلك قامت بالاعاجيب من الفتوح واعمال البسالة والبطولة ، في حين ان جيوش بنى العباس كانت هائلة الاعداد ، حتى قلّ ان كان فيها جيش دون المائة الف ، ومع ذلك لم تزد هذه القوات ــ حتى في العصر العباسى الزاهر ــ رقعة دار الاسلام شبرا ، واقتصر همها على الصوائف والشواتى وغارات التدمير والاحراق والنهب ، ثم العودة السريعة ، ولقد حاول بنو امية فتح القسطنطينية ثلاث مرات ، ولو طالت بهم الايام لاستمروا في المحاولة ، اما بنو العباس وقد حكمت دولتهم ٥٠٨ سنوات (٧٥٠ ــ ١٢٥٨) فقد كان اقصى ما وصلت اليه جيوشهم هو قونية المعروفة اليوم باسكى شهر ثم العودة السريعة .

ذلك ان العربي كان يحارب عن ايمان وثقة في النفس ، واعتزاز بالاسلام والعروبة معا ، في حين ان الجندى العباسى المرتزق كان يحارب للاجر والكسب والغنيمة، وبينما كان هم الجندى العربي ان يلقى الشهادة كان هم الجندى العباسى المرتزق ان يفوز بالغنيمة ويعود بالسلامة .

الدولة الأموية الأندلسية ظلت متمسكة بمبدأ العروبة

ولم يقع بنو امية الاندلسيون في هذا الخطا ، وظل خلفاؤها مؤمنين بالعرب معتمدين عليهم في جل امورهم بالرغم مما كانوا يعانون احيانا من اعتزازهم بانفسهم واسراعهم الى الثورة والوثوب بالامراء لاسباب لاتبرر الثورة وخلع طاعة السلطان، لانهم انفسهم كانوا عربا حتى نخاع عظامهم ، وكانوا لهذا يعرفون ان دولة العرب لايقيمها غير العرب . وقد وضع اساس هذه السياسة عبد الرحمن الداخل ومن جاء بعده ، وهي جانب مما كان يسمى بالتقليد الشامى « الذى جرى عليه الامويون في الاندلس » .

(١) الصوائف جمع صائفة ، وهي غزوات الصيف وتقابلها الشواتى للغزو في الشتاء . (العربى)

ويرجع هذا التقليد الى ايام عبد الرحمن الداخل .

فقد كانت في الاندلس جماعة كبيرة من العرب الفاتحين قبل مجيء عبد الرحمن تسمى موالى بنى امية او الموالى .

«والموالى» لا يراد بهم جميعا هنا موالى النعمة او موالى العتق الذين يكونون رقيقا ثم « ينعم » عليهم اصحابهم بالعتق او يعتقونهم لوجه الله او لقاء مال ، وانما المراد موالى الموالاة فان المولى قد يكون « ابن العم والعم والاخ والابن والعصبات كلهم ، والمولى الناصر ، والمولى الولى الذى يلى عليك امرك والمولى مولى الموالاة الذى يسلم على يديك ويواليك » (لسان العرب مادة «ولى») .

ومعظم موالى بنى امية هؤلاء كانوا من موالى الموالاة . وهم من موالى بعض خلفاء بنى امية المشرقيين ، خدموهم واخلصوا لهم ودخلوا في ولائهم فكانوا في جملة رجالهم ، وعرفوا بالموالى وان كانوا عربا .

فمنهم بنو شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح وهم عرب من اشجع بن ريث بن غطفان .

ومنهم بنو عبدالرؤوف، وهم ابناء عبد الرؤوف ابن عبد السلام بن ابراهيم بن يزيد الذى ينتهى نسبه الى عمر بن ايوب مولى مروان بن الحكم .

ومنهم بنو مغيث وهم ابناء مغيث بن الحارث ابن حويرث بن جبلة بن الايهم الغسانى .

ومنهم بنو ابى عبدة وهم اولاد ابى عبده حسان ابن مالك بن جابر مولى مروان بن عبد الملك .

ومن بنى عبده هؤلاء قائدنا الذى نتحدث عنه هنا ابو العباس احمد بن ابى عبدة .

كان هؤلاء الموالى كثيرين في الاندلس قبل مجيء عبد الرحمن . وكانوا يكونون جماعة قائمة بنفسها تتركز في جنوب غرب الاندلس ، وكانوا يرون انفسهم احق من غيرهم بالرياسة وكبار الوظائف ، فقد خدموا البيت الاموى في المشرق باخلاص ، وساهموا في فتح الاندلس بنصيب كبير .

ولهذا فعندما راسلهم عبد الرحمن الداخل من ملجئه على الشاطىء الافريقى استجابوا له وايدوه، واستقدموه الى الاندلس .

وكان اخلصهم له في ذلك ابو عبدة حسان بن مالك . فقد ارسل ابنه عبد الغافر فرافقه وسار معه يجمع له الناس والمؤيدين ، ومازال ابن ابى عبدة واله ينصرون عبد الرحمن حتى استقرت له الدولة واصبح امير الاندلس في ١٥ مايو ٧٥٦ فاستوزر ابا عبدة حسان بن مالك وجعله قائدا على جيوشه .

الدول تقوم على أكتاف الرجال ثم على المال

وقد ورث عبد الرحمن الداخل عن اجداده بنى امية الاندلسيين مبدا الاعتماد على الرجال في حين ان العباسيين تصوروا ان اساس كيان الدول هو المال وان المال يصطنع الرجال ، وهو مبدا خاطىء .

فبينما حرص بنو امية المشارقة (فيما عدا سليمان بن عبد الملك) والاندلسيون على كسب الرجال ذوى الملكات الى جانبهم ، واولوهم ثقتهم واغدقوا عليهم الاموال ولم يغدروا باحد منهم الا في النادر ، نجد بنى العباس يقضون على رجالهم اولا باول ، فلا يكاد رجل من رجالهم يصل الى شيء من القوة حتى تسيطر عليهم المخاوف من ناحية ولايستريحون حتى يدبروا اغتياله ، حتى ليصل الامر الى مذابح توقع ببيوت كاملة لناس كانوا من اهل الاخلاص لبيتهم .. والنتيجة ان خاف اهل العقل وبعد النظر من خدمة بنى العباس ، فاعتمدوا على الخدم والمماليك والمغامرين وطلاب الكسب باى طريق .

ولهذا فبينما نجد بنى امية الاندلسيين يحتفظون بمستوى دولتهم الرفيع وبطول عمر دولتهم ثلاثة قرون من القوة والسلطان نجد عصر القوة لبنى العباس لايكاد يبلغ القرن من الزمان .

فقد قامت دولتهم سنة ٧٥٠ وعندما تولى هارون الواثق تاسع خلفائهم سنة ٨٤٢ كانت الدولة قد انحدرت في طريق الاضمحلال دون امل في النهوض .

وقد بلغ من حرص بنى امية الاندلسيين على رجالهم ان كل الرجال الذين عاونوا عبد الرحمن

الداخل على اقامة دولته انشاوا بيوتا ظلت الرياسة والوظائف الكبرى تتداول بين افرادها الى نهاية الدولة .

فكما اتصل الملك في اولاد عبد الرحمن الداخل اتصلت الوظائف الكبرى وخاصة الحجابة (رئاسة الوزارة) والقيادة في بني ابى عبده وبنى عبد الرؤوف وبنى مغيث وبنى جمهور (وهم اولاد يوسف بن بخت مولى مروان بن الحكم وهو الذى استضاف عبد الرحمن الداخل في قريته (طرش Tonox قرب غرناطة عندما دخل الاندلس) وبنى فطيس وبنى تمام بن علقمة .

فكما نؤرخ لرجال هذه البيوت ، ونجد ان انسابهم متصلة موازية لانساب بنى امية ، ولهذا فنحن نسميهم « ابناء الاسر الموازية » .

وبنو امية الاندلسيون هم الوحيدون من اصحاب دول المسلمين الذين احاطوا انفسهم بطبقة من اهل الحكم والادارة الذين تدربوا على الوظائف الكبرى واتقنوها ودربوا على الاخلاص للدولة والبيت المالك ، وهم يشبهون من يعرفون في تاريخ الدول الغربية بطبقة النبلاء الذين يسمون باسم Loyalisto اى اهل الاخلاص للدولة والوطن والبيت المالك .

وكما كان اهل الاخلاص هؤلاء مصدر قوة دائمة للاسر الحاكمة في فرنسا وانجلترا والمانيا فكذلك كانت الاسر الموازية مصدر قوة وثبات للبيت الاموى الاندلسي .

وبينما كان اصحاب الدول في المشرق يبحثون عن الوزير القدير او القائد المدرب او خازن المال الامين فلا يجدون – نجد ان كل امير اموى اندلسى كان يجد نفسه في وفرة من الرجال ذوى الملكات والتجربة والاخلاص ، فيختار منهم من يريد .

وكان هؤلاء الرجال معتزين بثقة الامراء فيهم ، مقدرين لاهمية المسئوليات الموكولة اليهم ، فكانوا يصارحون الامراء بالرأى السليم دون خوف ، بل يناقشونهم فيه ، وكثيرا جدا ما قدم الوزير او القائد او الخازن (وزير المالية) استقالته اذا وجد ان رأيه لايطاع وان الامير يريد ان يصرف الامور على هواه ..

وكان هذا اساس قوة الدولة الاموية في الاندلس .

بيت بنى عبدة ومكانه في تاريخ الاندلس

وكان بيت ابي عبدة اكبر بيوت موالى بنى امية هؤلاء .

فعلاقتهم ببني امية لاترجع الى ايام عبد الرحمن الداخل ، بل الى ايام مروان بن الحكم في المشرق ، فقد كان جدهم عبد الله بن جابر من اشد الناس اخلاصا لمروان ، وابلى في يوم مرج راهط سنة ٦٨٣ بلاء عظيما ، وموقعة مرج راهط هي التي ثبتت امر بنى امية عامة ، وحفظت الخلافة لفرعهم بنى مروان .

ونشا حفيده عبد الغافر بن ابى عبدة مع عبد الرحمن بن معاوية (الداخل فيما بعد) في دمشق وتادب معه ، ثم هاجر الى الاندلس قبل عبد الرحمن .

وعندما وصل عبد الرحمن وقف عبد الغافر وابنه حسن مع عبد الرحمن من اول يوم، واليه يرجع جانب كبير من الفضل في انتصار عبد الرحمن ووصوله الى الولاية في الاندلس .

وبعد انتصار عبد الرحمن اصبح عبد الغافر ابن ابى عبدة وابنه حسن بن عبد الغافر من وزراء الدولة ومن اعمدة البيت الاموى كله . واستمرت الوزارة فيهم بعد ذلك .

وفي ايام الامير عبد الله بن محمد سابع امراء بنى امية الاندلسيين (٨٨٨ – ٩١٢) بلغ بنو عبدة اوج قوتهم ، قال ابن حيان مؤرخ الاندلس : « ومن الغريب انه اجتمع في بيت الوزارة في ايامه اربعة رجال من وزرائه اقارب من بيت واحد من صميم الموالى آل ابى عبدة حسان بن مالك ، هم : ابو عثمان عبيد الله بن محمد بن ابى عبدة ، وابو العباس احمد بن محمد بن عيسى بن ابى عبدة، وسالم بن علي بن ابى عبدة ، وعبد الرحمن ابن حمدون بن ابى عبدة المعروف بدحيم » .

واهم هؤلاء جميعا ابو العباس احمد بن محمد ابن عيسى بن ابى عبدة ..

الوزير القائد
أبو العباس أحمد بن أبي عبدة

وقد بدا امر ابى العباس احمد بن ابى عبدة في الظهور عندما اشتدت الفتنة العامة الاولى التي اجتاحت الاندلس في منتصف ولاية الامير محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم .

وكانت هذه الفتنة نتيجة من نتائج سياسة الحزم والعنف الشديدين التي سار عليها الاميران الحكم الاول المعروف بالربضي (٧٩٢ ـ ٨٢٢) وحفيده محمد بن عبد الرحمن .

فقد كان كل من هذين الاميرين غاية في الحرص على سلطان الدولة يتطلبان من الرعية طاعة كاملة لا مناقشة فيها . وكان الحكم الربضي بالذات ظلوما قاسيا ارتكب كثيرا من الحماقات والوان الظلم .

وقد غاب عنه ان الاندلس يختلف تمام الاختلاف عن غيره من بلاد المشرق ، فهو قطر جبلي تسكنه جماعات من اهل الجبال والهضاب ممن لا يصبرون على الاستبداد والظلم . يستوي في ذلك الاسبان من اهل الشمال والعرب من اهل مناطق الجنوب الجبلية والمولدون وهم ثمرة الزواج بين العرب والاسبانيات ممن يعمرون سهول بعض ولايات الجنوب وهضابها ويمتدون حتى اشبيلية .

وقد اقدم زعماء هذه الجماعات على الثورة بعد ان امتلات ايديهم بالاموال نتيجة للرخاء الذى ساد الاندلس كله بعد استتباب الامور لعبد الرحمن الداخل واولاده من بعده .

وقد بدات الفتنة بخروج طليطلة وبعض ولايات الشمال ، ثم انضم اليها سنة ٨٦٨ اندلسي من اصل اسباني هو عبد الرحمن بن مروان الجليقي وثار في الغرب ، وفي سنة ٨٨٠ انضم اليها عمر بن حفصون وكان من كبار المولدين في الجنوب ، وقد تميز بجراة وذكاء وقدرة ، فتحدى السلطات تحديا خطرا ، فانفرد بولاية مالقة التي تسمى رية ، واستطال حتى هدد قرطبة . وعندما مات الامير محمد سنة ٨٥٢ كانت الثورة قد اصبحت خطرا حقيقيا يهدد مصير الامارة الاموية كلها .

واحس بعض رؤساء العرب في ولايات غرناطة والجزيرة الخضراء واشبيلية عجز الحكومة المركزية ، فانضموا الى الثورة عن قصر نظر ، حاسبين انهم ينشئون لانفسهم ملكا بذلك ، وفاتهم انهم عرضوا بذلك دولة العروبة في الاندلس للخطر الشديد .

وعندما تولى الامير عبد الله كانت الامارة القرطبية قد اقتصرت على قرطبة وما حولها ، واستولى الثوار على ما عدا ذلك ..

أمير عنيد رابط الجاش
وقائد مخلص موهوب

وعلى الرغم من الخطر المحيق لم يتزعزع ايمان عبد الله امير قرطبة ، ظل متمسكا بحقه في حكم الاندلس كلها ، دون ان يتنازل لاحد من القائدين عن شبر من الارض ، بل كان يعتبرهم جميعا اهل شر وفساد ونفاق ، وكان رغم صغر منطقة نفوذه يخاطب كبار الثائرين خطاب صاحب الحق الى المجرمين الاثمين ويعلن عليهم حربا لا هوادة فيها .

وكان عماده في هذا نفر من اهل الاخلاص من ابناء الاسرة الموازية : وبعد ان جرب منهم نفرا اسند قيادة جيوشه الى ابى العباس احمد بن عبده ، فكان في ذلك خلاص الدولة من الخطر الماثل .

قائد موهوب نذر نفسه
لاعادة وحدة الدولة والجماعة

تولى ابو العباس احمد بن ابي عبدة القيادة العليا سنة ٨٩٥ عقب حادث مؤسف وهو اقدام الامير المطرف بن عبد الله علي قتل القائد عبد الملك بن امية وكانا قد خرجا معا لحرب الثائرين في اشبيلية .

وعندما بلغ الامر الامير عبد الله انتظر حتى عاد ابنه المطرف ، فامر باعدامه عقابا على اقدامه على قتل القائد الكبير .

وولى القيادة ابا العباس احمد بن ابى عبدة .

وكان ابو العباس اذ ذاك شابا في حدود الثلاثين ، ولكنه كان في الميادين مذ كان في العشرين من عمره ، وتدرب واتقن فنون الحرب تحت اشراف قادة كبار من امثال عبيد الله بن محمد بن ابي عبدة ،وسلمة

بن علي بن ابي عبدة وحفص بن محمد بن يسيل وعبد الملك بن امية .

وكان احمد بن ابي عبدة من بداية عمله العسكري من عرفاء الخيل اى من ضباط الفرسان في الجيش الاموى ، ولهذا نجده في اعماله العسكرية يعتمد على سلاح الفرسان اعتمادا رئيسيا .

وقد سار في عمله على قواعد ثابتة لم يحد عنها خلال ٢٢ سنة قاد فيها جيش بلاده حتى قضى على ثوارها جميعا ، وهذه القواعد هي :

ـ الاخلاص المطلق للدولة واميرها ممثل الامة والجماعة .

ـ لا هدنة مع ثائر ولا تسليم له باى حق ، وليس بين الدولة والخارج على سلطة الجماعة الا السيف .

ـ مواصلة العمل العسكرى دون هوادة . وكانت خطته هي القيام بحملتين في العام لكيلا يعطى الثائرين اى هوادة او راحة .

ـ استدراج الثائرين الى المعارك الحاسمة في الميدان ، ومباغتتهم ما امكن ، وقد قتل بهذه الطريقة اكثر من اثنى عشر زعيما من زعماء الثورة .

ـ اذا استحالت منازلة ثائر في الميدان فلا معنى لانفاق الوقت في حصاره حتى يستسلم ، بل يحاصر ويطالب باداء مال السلطان ، فاذا دفعه انصرف عنه الجيش وعاد اليه في الغزوة التالية ، وكان غرضه من ذلك اضعاف الثائرين بتجريدهم من الاموال اولا باول ، واضعاف ثورتهم بالتالي .

ـ اذا حان وقت المعركة فلا بد من الهجوم بكل القوة الميسورة دفعة واحدة حتى تتضعضع قوة الخصم .

ـ الاعتماد على نخبة مختارة من الضباط في تنفيذ خطة المعركة .

ـ لا تراجع ابدا . والجندى اما ان ينتصر او يستشهد في مكانه .

على هذه الخطة الثابتة سار ابو العباس احمد طوال ٢٢ سنة ، وهي المدة التي تولى خلالها القيادة العليا حتى استشهد في ميدان الشرف سنة ٩١٧ في أيام عبد الرحمن الناصر الذي خلف الامير عبد الله بن محمد .

وقد اثارت انتصاراته على خصوم الدولة حافزا اثار همم اهل الجماعة ، وشجع الامير عبد الله ، فنهض سنة ٨٩١ فهاجم واحدا من امنع حصون ابن حفصون وهو حصن بلّى Poley واستولى عليه ، وفر عمر بن حفصون في عدد قليل من انصاره ، وقد دلت هذه الواقعة قرب هذا الثائر العنيد ، فبدأ امره يضعف .

قال ابو بكر بن القوطية الفقيه الاندلسي يتحدث عن ابي العباس احمد بن ابي عبدة : « حسن بلاء القائد ابي العباس احمد بن محمد بن ابي عبدة في قيادته لجيش الامير عبد الله بن محمد وكرمت مقاومه في الذب عن الدولة ، وقام بحرب جميع المخالفين على وفور اعدادهم ، وانما كانت عدته في حروبه ومموله في زحوفه على نحو ثلاثمائة فارس من مدونة الجند بقرطبة ، وكانوا أنجادا نخبة ، فلم يجتمع مثلهم في عسكر الاندلس . بهم اقتحم الغمرات الشديدة ، وبلغ المبالغ المشهورة ، ودافع أشد المخالفين وامام المجرمين عمر بن حفصون عند انبساطه على الغارة في احواز قرطبة باكنافها المرة بعد المرة ، الى أن نازله على بابه بقلعة ببشتر Bobastro (١) ، وجلب الخيل اليه فاشتد الامير عبد الله بمكان قائده هذا ، وانتصف من المدائن ، وأخرج الجيوش من قرطبة معه الى كثير من بلاد الاندلس المستغلقة عليه ، فارهب أهلها واورد عليه كثيرا من جباياتها » .

وقد اراد عمر بن حفصون مرة ان يتتبع جيش ابن ابي عبدة املا ان يلحق به هزيمة ، فقال له احد رجاله : « ... تعلم انك لن تفل الذين عليهم مداره من ذوى الحمية ، وهم كثير مع قلة عددهم ، والرجل حمى الانفة ، عظيم الهمة ، لو اجتمع عليه اهل الاندلس ما رضي بالفرار ، ولا ركب طريقه » .

---

(١) على جبل عال قرب مدينة شذونة Medina Sidonia جنوب قرطبة : انظر Joaquin Vallve, De Nuevo, Sobre Bobastro بحث نشر في مجلة الاندلس Al-Andalus مجلد ٣٠ سنة ١٩٦٥ ، العدد الاول (ص ١٣٧)وما يليها ، وفي هذا البحث خرائط غاية في الدقة.

لقد روى ابن حيان في « المقتبس » أعمال ابي العباس الباهرة ، سنة بعد سنة ، واعطانا مثالا باهرا للقائد القدير المقدام الذي يعيد الى ذاكرتنا صور ابطال الفتوح الاولى من العرب ، وقال في مدحه الشاعر ابن فلزم :

ففي كل صيف وفي كل مشتى
غزاتان منك على كل حــال
فتلك تبيد العدو وهذي
تفيد الامام بها بيت مال

وعندما توفي الامير عبد الله سنة ٩١٢ كانت قوى الثائرين قد انهكت،ومال معظمهم الى الصلح، فجنى خليفته ـ وهو عبد الرحمن بن محمد حفيده الذي اتخذ لقب الخلافة وسمى بالناصر فيما بعد ـ ثمرة ذلك كله .

وجانب كبير من مجد عبد الرحمن الناصريرجع الى صلابة جده عبد الله واخلاص قائده ابي العباس احمد بن ابي عبدة .

واخيرا استشهد القائد العظيم في ميدان الشرف

استمر ابن ابي عبدة قائدا اعلى للجيش ايام عبد الرحمن بن محمد (الناصر) وسار على نفس الخطة التي التزمها الى ذلك الحين .

وفي سنة ٩١٧ بلغ الناصر ان اردنيو الثاني Orduno II ملك ليون قد اتفق مع سانشو غرسية Sancho Garcia ملك نبرة Navarra وقررا السير في جيش ضخم لمهاجمة مدينة ناجرة Najera ، الى الشمال الغربي من سرقسطة للاستيلاء عليها ومهاجمة سرقسطة بعد ذلك ، فارسل قائده الاعلى ابا العباس بن ابي عبدة في جيش كبير ، من طبقات الناس من المجاهدين واهل الديوان ، وحشد اليه رجال الثغر » .

والامر ما لم يصحب ابا عبدة كبار ضباطه المدربين الذين تعلموا على يديه وعرفوا كيف يكسبون المعارك .

اغلب الظن ان الناصر ، وكان منصرفا بكل قواه للقضاء على عمر بن حفصون قد احتفظ لنفسه بهذه الفئة الممتازة من الرجال .

واضطر ابو العباس الى الخروج في نفر معظمهم من المتطوعين (المجاهدين) الذين يحاربون بالحماس دون الخبرة .

وصل ابو العباس برجاله في ربيع الاول ٣٠٥/ اغسطس ٩١٧ الى حدود نبرة . وبدأت المعارك وكسب القائد الانتصارات الاولى قرب نخرة .

ثم فوجىء بجموع من الاعداء تنصب عليه من كل ناحية ، حشدها الملكان ووضعا فيها خيرة رجالهما .

وانقضت هذه الجموع على الجيش العربي وصدمته صدمة عنيفة .

وذعر الكثيرون من المجاهدين المتطوعين واخذوا في الفرار .

وكان من عادة ابي العباس في مثل هذه المواقف ان يثبت مكانه مع جماعة من رجاله ، فلا يلبث الفارون ان يعودوا ..

ولكنهم هذه المرة لم يعودوا ..

وثبت القائد العظيم مكانه حتى لقى الشهادة هو وجماعة كبيرة من أهل الايمان والقوة والثبات.

وكان ذلك في الرابع عشر من ربيع الاول ٣٠٥ هـ ٥ سبتمبر ٩١٧ م .

وكانت الشهادة تحت اسوار قاشترو موروش Castro Moros أي قلعة العرب قرب لجرونيو Lagrono على المجرى الاعلى لنهر ابرو .

نهاية مجيدة لرجل مجيد .

ربما كان آخر عظام قواد العرب في القرن العاشر الميلادي .

لقد حزن الناصر على قائده العظيم ، وقرر ارسال حملة انتقام ، ثم ارسلها بالفعل في العام التالي ، فثارت لابي العباس الشهيد . ■■

حسين مؤنس



"بعد السبعين"

الشيخوخة فترة جميلة، هادئة.. كلها تأمل وحكمة

تاليف : هربرت كاسون
عرض : ايليا حليم حنا

■ بعد السبعين « After Seventy » كتاب كتبه « Herbert N. Casson » (هربرت . ن . كاسون) بعد ان بلغ السبعين من عمره . ويقول فيه ان الانسان بعد السبعين يجب الا يتوارى عن العيون او يتخلى عن آماله ونشاطه. بل يجب ان يستمتع بالحياة ويؤدي دوره فيها حتى النهاية دون ان يتوقف لحظة واحدة .

اخذت اتامل كلام (كاسون) واطبق ما يقوله على من رايت حولي من المسنين، فرايت ان الشيخوخة ليست توقفا عن النشاط الا فيمن هد المرض جسمه وفيمن اسرف في شهواته ومكيفاته وهو

في شبابه .. رأيت من عرف عنهم الاسراف في صحتهم وهم في فترة الشباب ، رأيتهم في شيخوختهم زاقدين كأنهم في غيبة عن الوجود .. ورأيت مسنين قد توج الشعر الابيض رؤوسهم ، ولكنّ لهم وجوها ناضرة وصحة تمكنهم من مباشرة النشاط الهادي الذي تزيد الخبرات من قيمته ، وتجعله اقوى من نشاط الشباب الهادر الفج البعيد عن الحكمة والتجارب . ويعيش بيننا مسنون يؤدون ادوارا يعجز الشباب عن القيام بها ، وكل يوم نقرأ عن ساسة عظام ، وادباء ، وفلاسفة ، وعلماء ، يقومون باكبر الادوار في حياتهم وحياة امتهم وحياة البشرية جمعاء ، وقد تعدوا من اعمارهم السبعين .

الشيخوخة تأمل وحكمة

الشيخوخة فترة جميلة هادئة كلها تأمل وحكمة ، ان خلت من مرض يدمر صاحبها او يحول دون نشاطه ، فالصحة عامل مهم في الانتاج ، والراحة النفسية ، والتفكير الصافي الواضح ، وهي اول عوامل الاستمتاع بالحياة وازدهار الآمال والاقبال على الدنيا .. انني لم ابلغ السبعين او الستين ، ولكن عندما ينتابني مرض عارض اشعر ان ضعفي يحول بيني وبين الانتاج المثمر .. اشعر ابان ضعفي بعدم مبالاة بكل نشاط احبه .. اشعر بفتور وعدم مبالاة بكل ما اعتز به من أحلام وآمال .. وعندما تدب العافية في جسمي ، بعد مرضي اشعر بالراحة تشيع في كل جوانب نفسي ، واعاود نشاطي ، وتعاودني امالي واحلامي ، واشعر كأنما الدنيا كلها قد تغيرت وغمرتها الوان زاهية محبوبة .. وهنا يجدر بنا ان ننصح الشباب ومتوسطي العمر ان يعتدلوا في كل شيء ، حتى يصلوا الى شيخوخة ممتعة مثمرة .. انني مع (هربرت كاسون) في قوله « ان اعجب فترة في حياة الانسان قد تأتي في نهايتها ، وقد تكون السنوات التي بعد السبعين اكثر فائدة وجدوى من كل السنين التي سبقتها .. »

و (كاسون) ـ ولا اظن الا انه يستمتع بصحة جيدة رغم بلوغه السبعين ـ يحدثنا عن سبيله في الحياة بعد ان بلغ هذه السن فيقول : « هذه عقيدتي الجديدة بدلا من التأسي على ما فات ، التخطيط للفترة الجديدة ، وبدلا من الاستهانة بقدري ، الثقة في امكانياتي ، وبدلا من الانقباض ، التفاؤل وبدلا من الاعتزال ، بداية جديدة احقق فيها هدفا جديرا بالتحقيق .. انها لكارثة تحيق بمثلي ان انظر الى المحطة رقم ٧٠ على انها محطة النهاية .. انها ليست كذلك » ، ويقول : « منذ عشر سنوات عندما كنت في الثانية والستين كتبت (قصة حياتي) واخطأت لانني تعجلت في كتابتها ، لان اعظم خبرات حياتي جاءت بعد الثانية والستين » .

ثروة من الخبرات

لا احدّ ينكر الثروة الهائلة من الخبرات التي تكون لنا في شيخوختنا .. انها ثروة لا تقدر بثمن .. انها خبرات العمر وتجاربه الصادقة التي نقاها الزمن من كل الشوائب .. نقاها من الغرور ، نقاها من التفكير الفج ، نقاها من الاحلام البراقة التي كثيرا ما تكون كالسراب .. جعلها الزمن جوهرا لخلص من كل زيف .. هذه الخبرات والتجارب يجب الا تظل مدفونة في راس المسن وقلبه ، بل يجب ان يقدمها لنا ، يجب ان نعطيه فترة راحة تجعله يخلد الى نفسه فيها ، ويخرج من اعماقه تجاربه وخبراته التي دفع فيها الكثير الغالي من صحته وبريق عينيه ، وآماله ، وراحته وهنائه . انها شيء قيّم غال يجب ان يدون ولا فرق في ان يكون صاحبها سياسيا عظيما ، او فنانا او اديبا ، او ان يكون عاملا او مزارعا او خفيرا .. انها خبرات ، انها جوهر أصيل بعيد عن كل زيف ، ويجب أن نفيد منها .. يجب ان نشجع ادب الشيخوخة ، ادب الخبرات الصادقة ليفيد منها الشباب ، وليبدءوا خطواتهم على اساس سليمة ، ولكي يصلوا من اقرب طريق الى الهدف ، بالاستعانة في مجهودهم بالخبرات السابقة لمن عانى الحياة ومارس النشاط نفسه .. يجب ان نطلب من كل مسن عند احالته الى المعاش ان يكتب لنا خبراته وتجاربه في عمله وفي دروب حياته المختلفة ويجب ان تهتم الدولة والهيئات المعنية بنشر هذه الخبرات .

تفكير الشيوخ عند غروب الحياة

ويرى (هربرت كاسون) ان ما يكتب عن الشيخوخة شيء ضئيل ، وكانما هذه المرحلة من الحياة مرحلة تافهة لا تستحق ما يكتب عنها .. يقول « لقد اهملت الكتابة عن الشيخوخة اهمالا تاما ، فانه لا يوجد في المتحف البريطاني من بين اربعة ملايين كتاب الا اقل من مائتي كتاب عن الشيخوخة واطالة الحياة ، كتبت في خمسة قرون .. ! »

وانا اقول لكاتبنا الشيخ ان قلة ما كتب عن الشيخوخة يلام عليه الشيوخ انفسهم فلا نتوقع من الشباب ان يكتب عن الشيخوخة وخبراتها .. ولكن الشيوخ عندما تتقدم بهم السن يزهدون في كل شيء ، يرون انهم قد اقتربوا من النهاية او انهم على حافتها ، وكانما يقولون في انفسهم : ماذا يعود علينا من الكتابة وانفاسنا قليلة فوق الارض ، وعما قريب نرحل !! ان زهدهم في الحياة من جراء التاسي عليها ، ولانهم يتوقعون الرحيل السريع عنها ، ويفكرون باستمرار في اللحد وظلامه ، وفي تحولهم الى تراب ، كل هذا يجعلهم يحجمون عن كتابة خبراتهم .. هذا هو تفكير الشيوخ عندما توشك حياتهم على الغروب .

ولكن (كاسون) لا يلوم الشيوخ لعدم الكتابة، ولكنه يلوم الاطباء ، وعلماء النفس ، يريدهم ان يهتموا بالشيوخ ، ويكتبوا لهم البحوث عن اطالة الحياة ، والتخلص من امراض الشيخوخة،ويريد من علماء النفس ان يكتبوا بحوثهم الضافية عن كيفية الاستمتاع بالشيخوخة .. ونرى في هذا مدى تشبث الكاتب بالحياة ، انه يريد ما يفتح امامه وامام امثاله من الشيوخ ، الطريق على امل جديد ، وصحة خالية من المرض .. انه يطلب ان يكتب الاخصائيون للشيوخ ما يعطيهم صحة وقوة وعزيمة واملا ، حتى لا ينقطع نشاطهم او يتوقف وحتى لا يقبعوا في انتظار الموت والحسرة على قرب فراق هذه الدنيا تحز في نفوسهم وتسلب متعتهم بالايام الباقية .. ويوصي (هربرت كاسون) المسنين من قارئيه ان يستمتعوا الى آخر حدود الاستمتاع بما تبقى لهم من الحياة قائلا لهم : (اعصر برتقالتك حتى آخر قطرة فيها) ; ويقول : « ليس كبر السن عجزا وانه لمن الخطا ان نسمي السن عجزا .. يجب ان نضع حدا لهذا الوهم، فالناس لا يمكن ان يحكم عليهم بسنهم وحدها » .

ويقدم لنا (كاسون) احصائية عن المسنين في بلاده فيقول ان عددهم بين ٧٠ – ٧٤ هو ٨٧٧٥١ وبين ٧٥ – ٧٩ هو ٩٩٨٦٣٤) وبين ٨٠ – ٨٤ هو ٢٢٥٨٢٨ وبين ٨٥ – ٨٩ هو ٧٧٠٧٢ وبين ٩٠ – ٩٤ هو ١٦٥٩١ وبين ٩٥ – ٩٩ هو ٢٢٧٨ وبين ١٠٠ الى ما فوق هو ١٥٦ . اى ان نسبة المسنين الى عدد السكان في انجلترا هو ٤٪ ، ثم قال ان نسبة الوفاة تعلو بعد السبعين،وان ما يتوقع من الحياة لمن بلغ السبعين في انجلترا هو ٨٫٨ سنة وهذا ما يقول به رجال التامين ، وليس تخمينا ، وهم يجزمون به لانهم درسوه في ملايين الاحياء الذين يؤمنون على حياتهم .

ويعود فيقول بعد تقديم هذه الاحصائية « ان الرجل المسن الذى له عادات طيبة يعيش اكثر من ٨٫٨ سنة بعد السبعين ، انه في امكانه ان يبدأ مشروعا يستغرق ١٥ عاما .

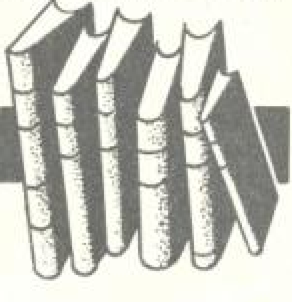
اربع فترات واضحة

ويحدثنا عن احساسه وشعوره عندما بلغ السبعين فيقول : « عندما وصلت الى السبعين شعرت براحة كبيرة فانه في مراحل عديدة من حياتي كنت لا اظن انني اصل الى هذه السن .. ان ما يريحني اكثر ان عقلي نشيط وصحتي جيدة.. » ثم يضيف قوله : « ان الشخص عندما يعيش الى الثمانين او اكثر يكون قد عاش اربعة اعمار او قل اربع فترات واضحة في حياته هي : الطفولة ، والشباب ، والعمر المتوسط ، والعمر المتقدم . لذا فانه عندما يبلغ السبعين فانه يبدأ حياته الرابعة او عمره الرابع ، ولهذا فاننا لا نخطىء ان قلنا ان الحياة تبدأ في السبعين ، وفي السبعين يجب ان يضع المسن خطة حياته في الفترة الرابعة التى بدأت ، وعلى هذا يجب الا يتوانى قبل ان يقوم بدوره في هذه المرحلة الرابعة من حياته .. » ثم يتابع (كاسون) قوله : « كل رجل بلغ السبعين يجب عليه ان ينظر الى السبعين سنة الماضية كفترة اعداد ، وبذلك يتطلع الى مستقبل يحقق فيه هدفا جديدا » او يتم شيئا كان يتطلع الى اتمامه او القيام به .. » ثم يقول : « انني في هذه السن مهيا لان اقوم باحسن انتاج لي .. فلي خبرتي التى تقلل من خطئي .. انني

عندما اعمل في سن السبعين اضع رجلي على ارض صلبة لا تخور تحت قدمي ، وأسير الى واحة جميلة لا الى سراب خادع .. ان خبراتي تمكنني من عمل ابداعي .. انني انظر الى سن السبعين على انها ارض الميعاد ، فان الانسان يصل اليها بعد كفاح سبعين عاما في ارض البرية ، وكل شاب يتمنى أن يصل اليها .. وغالبا ما يكون وقت الغروب اروع فترة في اليوم كله عندما تنحدر الشمس وراء الجبال الشامخة بالوان زاهية .. انها تذهب عندئذ في جمال وعظمة رائعة ، وهكذا يجب ان تكون شمس الغروب في حياة الانسان .. لا تعش عمرك المتقدم وانت ميت .. اترك الحياة وانت تؤدي دورك فيها بنشاط ، اتركها وانت تشعر بعظمة دورك حتى آخر نفس تلفظه .. عش حياتك واستمتع بها ، واعصر برتقالتك حتى آخر قطرة ، لا تلق بها وفيها قطرات من العصير النافع .. استمتع بالحياة حتى نهايتها فان الحياة قصيرة مهما طالت.ان العمر المتقدم له فنه ، وله كفايته في حد ذاته ولكن يؤسفني ان قليلين هم الذين يعرفون كيف يكبرون ويطيلون حياتهم » .

لقد استمتعت بكتاب (بعد السبعين) ووجدت ان كل ما به منطقي وحق ، وفرغت منه وانا اقول مع (هربرت كاسون) : « اعصر برتقالتك حتى آخر قطرة .. لا تلق بها وفيها قطرات من العصير النافع » .. وودت ان يكتب المسنون في بلادنا خبراتهم ، فحرام ان نترك هذا العالم ، وتدفن معنا هذه الثروة التي لا تقدر بثمن . ■■

ايليا حليم حنا



من الكتب التي وصلتنا

ذكريات عارية

ـ تأليف الدكتور السيد ابو النجا/الناشر : دار المعارف/القاهرة

● هذه الذكريات يشيع فيها الوان من النقد الذاتي والموضوعي ، فهي ليست مجرد خواطر عن طفولة وصبا وشباب وكهولة، بل هي ايضا ملاحظات نافذة عن الكاتب ونشأته وتربيته ، وعن بعض من عرفهم في حياته .

وقد اكثر المؤلف من النقد في مجال سرد ذكرياته .. ينقد العادات الريفية التي كان يبصرها في قريته الصغيرة ، وينقد نفسه في كثير من تصرفاته مصورا بعض عبثه في صباه وبعد صباه . وينقد الدكتور ابو النجا ما كان من شيوع المحسوبية البغيضة في التوظف ايام ان الحكام يعزلون ويبدلون . كما انه يعرض بعض تجاربه مع الناس مصورا ما كان يهدى بعضهم لبعض من الشر والكيد والمكروه تصويرا لاذعا .

وقد جاء هذا الكتاب ، تصويرا لحقبة من تاريخ مصر ، ما جاز لاحد ان يجهلها ، وان هو عرفها ان ينساها ، وقد كانت في تاريخ مصر صور من اظهر الصور للملابسات السياسية والصحفية التي وقعت في هذا القرن الحاضر .

كل هذا يجسمه الدكتور ابو النجا في اشخاص واحداث ، دون مبالغة او مواراة ومداراة ، وكأنه ينقل الواقع نقلا مطابقا له دون أي زيادة . وقد قام المؤلف بسرد ذكرياته هذه باسلوب مليء بالسخرية والفكاهة والدعابة مما يجعل القارىء متشوقا الى متابعة القراءة حتى يفرغ من الكتاب .

السلم المسلح

تأليف : غاستون بوطول
تعريب : اكرم ديري ومحمد رائف المعري
الناشر : المكتبة العصرية /بيروت / لبنان

● يقوم هذا الكتاب بتحليل لظاهرتي السلم والحرب ومعالجة تاريخية متماسكة تبين أن الحرب في ظرف واوضاع معينة هي السبيل الوحيد لاقامة السلم واستقراره وتبين ان بناء السلم لا يتحقق في منطقة معينة الا بازالة أسباب التناقض الاساسي التي تولد الحرب .

ان غاستون بوطول لا يحاول دراسة ظاهرتي السلم والحرب فحسب ، بل يستعرض ويحيط بالصور المتعاقبة للسلم عبر تاريخ الحضارات كلها ويكشف أشكال التوازنات الاجتماعية والسياسية المتطابقة مع كل مرحلة من مراحل السلم الطويلة التى نعمت بها المجتمعات الدولية.

يحلل المؤلف النماذج الرئيسية للسلم ويميز فيما بينها كما يشرح المعتقدات والمفاهيم التى سادت تنظيم كل فترة سلمية ويستنتج من هذا التحليل انه لا يمكن دراسة السلم الا من خلال دراسة علم الحرب ، ثم يبدأ الكتاب بتحليل العوامل التى أدت لوأد السلم فيعالج المشاعر النفسية العميقة ويقوم بتحليل أكثر عقد القهر عنفا في التاريخ ومنها عقدة ابراهيم وعقدة كبش الفداء وعقدة ديموقليس .

ان مشكلة الحرب والسلم عند المؤلف مشكلة اجتماعية وليست سياسية فبدلا من اللجوء الى حلها بنزع السلاح يرى أن حلها يكمن في معالجة مسائل الروح العدوانية ، فالتهديد والاحساس بعدم الأمن يثير الغضب والروح العدوانية و (الياس معلم المستحيل) .

والمعربان يشيران بانهما لا يشاركان المؤلف في كثير من آرائه سواء أكانت منطلقات نظرية او نتائج مستخلصة ، وعلى الاخص آراءه في القومية والحركات القومية والدولة القومية عندما يتحدث عنها في غير بلاد اوربا ، فآراء الكاتب قد تصح في القومية والدول القومية في اوربا ، ولكنها لا تصح على سبيل القطع في القوميات والحركات والدول القومية في بلاد آسيا وافريقيا .

ان ميل الكتاب الأوروبيين بصورة عامة الى تعميم وتقييم القومية والدولة القومية النابع من تحليل التجربة الأوروبية الراسمالية تعميما شاملا في المكان والزمان خطأ من أكبر الاخطاء التى يقع فيها الفكر الأوروبي ، فلا بد لنا من أن ننبه الى ذلك .

الاسلام والعصر

المؤلف : الدكتور عبد العزيز كامل .
الناشر : دار المعارف ــ القاهرة .

● هذا الكتاب او الكتيب هو الحلقة ٣٥٩ من سلسلة « اقرأ » التى بدأت منذ نحو ثلاثين سنة، صفحاته ٢٢٠ من القطع الصغير ، واصله مجموعة كتابات للمؤلف من بحث او مقالة او محاضرة ، جمعها وأضاف اليها اعمالا جديدة ، فكان منها هذا الكتاب بفصوله التسعة، لكل منها موضوعه من العقيدة او الشريعة او الاخلاق او تاريخ الاسلام ومعالمه ، معروضا من وجهة نظر عصرية في حدود الاسلام وعلى هدى منه .

ومن موضوعاته الايمان وطبيعته في مجتمعنا المعاصر ، والقيم الروحية والاخلاقية في تربية الشباب العربي، والعلم والتطور والنظم الاجتماعية من وجهة الاسلام وحلوله لمشكلات المجتمع .

وجملة الكتاب جواب على هذين السؤالين اللذين بدأت بهما مقدمة الكتاب : « ماذا يستطيع الدين ان يقدم من عطاء للمجتمع ؟ وكيف يستطيع اثبات ذاته على الصعيد الفكرى والعملى مستخدما ادوات العصر » .

وبهذا الجواب يقابل الدين ما يجده من تحدٍ كبير في حياتنا المعاصرة ؟

وقد يوافق القارىء او يخالف في بعض ما في الكتاب من آراء وملاحظات ولكنه يقدر للمؤلف جهده ، فهو جهد مفكر مسلم عارف بتعاليم دينه خبير بما يضطرب به مجتمعه من هزاهز ، وبما يتطلع اليه من آمال .

صفحات ضائعة من حياة بيرم التونسي

تأليف : كمال سعد
الناشر : المكتبة العصرية / بيروت

● دراسة عن فنان شعبي عبّر عن وجدان الناس ومثل آمالهم واحلامهم وغنى لهم في لحظات السعادة ولحظات الشقاء ، انه صاحب موهبة غزيرة وانتاج له قيمته ونوعيته ثم انه صاحب ثقافة واسعة ، وصاحب تجربة واسعة كذلك في الحياة ، فهو يعيش قصائده قبل ان يكتبها فقد اشترك في الكفاح الوطني ضد الاستعمار والاستغلال فطرده الملك فؤاد ونفاه الى باريس ، وفي باريس عاش مع العمال والشيالين والمكافحين بحثا عن الرزق في اشق الاعمال واكثرها قسوة ومرارة .

بيرم التونسي نموذج اصيل للشخصية المصرية في مطلع هذا القرن ، ونموذج لابن البلد الذى عاصر قمة التناقضات الاجتماعية وقاوم على طريقته جحافل المستعمرين ، كان ثائرا اجتماعيا يحمل

(البقية على صفحة ١٨١)

أنباء الطب والعلم والاختراع

احصائية طبية عن الاجهاض القانوني في أمريكا

● تم نشر احصائية طبية عن الاجهاض في الولايات المتحدة الامريكية ، بعد ان قامت حوالي ١٧ ولاية امريكية بتعديل قوانين الاجهاض فيها ، مما جعل اجراء هذه العملية اكثر يسرا من الناحية القانونية .

تقول هذه الاحصائية ان من بين ٧٢ر٩٨٨ سيدة اجريت لهن عمليات اجهاض قانونية، ١٠٪ اصبن بمضاعفات بسيطة كالنزيف والحمى و ١٪ اصبن بمضاعفات اخرى خطيرة . وتدل الارقام على ان ٩٣٪ من عمليات الاجهاض تمت بواسطة طريقتين جديدتين ، هما طريقة المص Suction ، وطريقة تقطير محلول الملح Instillation of saline داخل الرحم . بينما استعملت طريقة التوسيع والكحت في ٥ر٤٪ من الحالات . اما عمليات القيصرية او شق الرحم Hysterotomy واستئصال الرحم Hysterectomy فلم تزد عن ٤ر٢٪ من الحالات .

وقد شملت هذه الاحصائية كل عمليات الاجهاض التى اجريت في ٦٠ مستشفى جامعيا ، و ٦ عيادات اخرى في ١٢ ولاية ، ومنطقة كولومبيا « واشنطن » . وذلك في الفترة ما بين منتصف عام ١٩٧٠ الى منتصف عام



١٩٧١ . وحالات الاجهاض التى شملتها الاحصائية تمثل حوالي سبع حالات الاجهاض القانونية في أمريكا خلال هذه الفترة . ويقع حوالي نصف المستشفيات الجامعية وخمس من العيادات في ولاية نيويورك .

وقد اجريت ٦١٪ من عمليات الاجهاض في نيويورك ، و ١٢٪ في كاليفورنيا والـ ٢٧٪ الباقية في الولايات الاخرى .

وتبين الارقام ان اكبر نسبة من السيدات اللواتي اجريت لهن عملية

الاجهاض من النساء البيض صغار السن وغير المتزوجات، ويحملن لاول مرة. وقد بلغت نسبة النساء البيض اللواتي اجريت لهن عمليات الاجهاض في منتصف عام ١٩٧٠ حوالي ٧٢٪ ، وكانت نسبة النساء من الزنوج ٢٢٪ ، اما نسبتهن بين بقية الاجناس فقد بلغت ٦٪ .

اما في منتصف عام ١٩٧١ فقد تغيرت هذه النسب لتصبح ٦٣٪ للنساء من البيض ، و ٣٠٪ من النساء الزنجيات ، و ٧٪ من اجناس مختلفة .

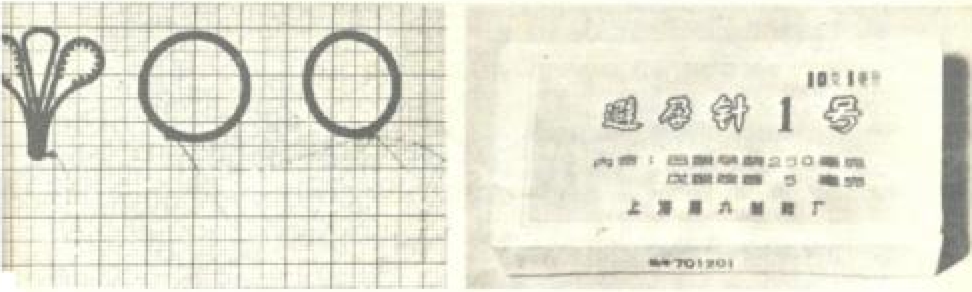
وبدا واضحا من هذه الاحصائية ان النساء الحوامل واللواتي تقل اعمارهن عن ١٨ عاما يملن الى اجراء عملية الاجهاض بعد مرور وقت طويل على الحمل ، بينما تقبل النساء الاكبر سنا على اجراء عملية الاجهاض في فترة الحمل الاولى (١٢ اسبوعا) . وتتم اجراء عمليات الاجهاض في الفترة الاولى من الحمل بطريقة المص ، اما تلك التي مضى عليها اكثر من ١٧ اسبوعا فتتم بواسطة محلول الملح . وتقل نسبة حدوث المضاعفات كلما اجريت العملية في وقت مبكر .

وقد ثبت ايضا من الارقام التي نشرت ، ان هناك ٦ حالات وفيات حدثت مما يجعل نسبة الوفيات من عمليات الاجهاض تصل الى ٢ر٨ في كل ١٠٠ الف (نسبة الوفيات في امريكا في حالات الوضع تصل الى ٢٠ حالة في كل ١٠٠ الف) . وقد ماتت ٣ سيدات بعد اجراء عملية القيصرية ، واثنتان بعد اجهاضهما بطريقة تقطير محلول الملح ، وواحدة بعد اجهاضها بطريقة المص .

مخدرات قيمتها ١٥٠٠ مليون دولار صادرتها السلطات الامريكية في عام واحد

● تدل الاحصائيات ، التي قامت وزارة العدل الامريكية باذاعتها في نهاية منتصف عام ١٩٧٢ ، على ان انتشار المخدرات في امريكا يزداد زيادة كبيرة عاما بعد عام . وتدل الارقام المعلنة على ان مكتب المخدرات الامريكي قد قام بمصادرة كميات من المخدرات والمستحضرات المخدرة والخطرة تقدر قيمتها بحوالي ٣٤٧ر٥٩٠ر٦٧٦ دولارا ، وذلك خلال السنة المالية التي بدات من اول ايلول ١٩٧١ حتى نهاية يونيو ١٩٧٢ . وهذه المخدرات المضبوطة تبلغ قيمتها ١٠ امثال قيمة المخدرات التي صودرت في العام الاسبق .

ويقول تقرير وزارة العدل ان دول العالم قد ساعدت في منع شحن كميات كبيرة من المخدرات الى امريكا يقدر ثمنها بحوالي ٤٤٠ر٩٣١ر٨٩٢ دولارا . فاذا اضفنا ثمن المخدرات المصادرة من شوارع امريكا الى ثمن المخدرات التي صودرت قبل شحنها الى الولايات المتحدة، لوجدنا ان هذا الرقم يصل الى ١٥٠٠ مليون دولار ، وذلك في عام واحد . بقي ان نعلم، انه بالرغم من ذلك ، فان المخدرات واقراص الهلوسة تملأ شوارع المدن الامريكية .



بعض الوسائل المستعملة في برنامج تحديد النسل في الصين وهي من اليمين حقن منع الحمل ، والى اليسار أنواع من اللـــوالب ..

واخيرا ...

بدأت الصين برامج تحديد النســـل !

● الصين الشعبية هي اكثر بلاد العالم سكانا، ويقدر عدد سكانها بحوالي ٧٥٠ مليون نسمة .. والصين الشعبية بلد يؤمن بكل تعاليم الماركسية ، ولذلك فهو يعتبر نظرية «مالتس» غير واقعية. وتوقع الكثيرون ان يؤدي هذا الاعتقاد الى عدم الاهتمام ببرامج تنظيم او تحديد النسل داخل الصين . ولكن ثبت اخيرا ان هذا الاعتقاد خاطىء تماما . واتضح ان هناك برنامجا ناجحا لتحديد النسل في الصين ، وان هـذا البرنامج اعطى الأولوية على مشروعات اخرى ، وانه حقق نتائج مذهلة .

وقد قام اثنان من الأطباء هما : انيبال فوندس Anibal Faundes من شيلي ، وتاباني لوكايتين Tapani laukkainen من فنلندا بنشر دراسة مطولة عن برامج تحديد النسل في الصين كما رأياها اثناء رحلة لهما زارا فيها اكثر مناطق الصين ومدنها . وتقول هذه الدراسة ان الصينيين يقومون بتنفيذ عدة برامج ناجحة لتحديد النسل ، وانهم استطاعوا ان يخفضوا نسبة زيادة النسل عندهم الى ٢٠ في الالف ، وهي نسبة تعتبر من النسب المنخفضة حتى لو قارناها بنسب زيادة النسل في الدول الغربية .

وتبين هذه الدراسة ، والتي نشرت مؤخرا ، ان برامج تحديد النسل في الصين هي جزء متمم لمشروعات وبرامج اخرى من بينها برنامج توفير الخدمات الطبية لكل مواطن . ويبدو ان الأسباب التي دعت الصين الى العمل على تحديد النسل داخلها ، لا تنبع من الاقتناع بنظرية مالتس ، ولكنها نشأت من اجل العمل على الوصول الى هدف استخدام كل طاقات القوى العاملة بطريقة أفضل، وكذلك القضاء على البطالة البنيوية Structural Unemployment ومن هذا يبدو ان برامج تحديد النسل في الصين تهدف

الى الاحتفاظ بنسبة كبيرة من المواطنين فى صفوف القوى العاملة دون اى تعطيل، وخاصة النساء . وقد تعرضت برامج تحديد النسل فى الصين للنقد العنيف من الماركسيين المتزمتين ، وادى هذا الهجوم الى تأجيل هذه البرامج ، ثم عودتها مرة اخرى على نطاق ضيق . الى ان حدثت الثورة الثقافية، وبدات النظرة الى تحديد النسل تتغير تماما .

ومن دراسة الطبيبين التشيكى والفنلندى يتضح انه بالرغم من ان برامج تحديد النسل تلاقى نجاحا فى المدن اكبر من الذى تلاقيه فى الريف ، فان انتشار ما يسمونه هناك « بالاطباء الحفاة » (وهم هؤلاء الشباب الذين يدربون تدريبا طبيا سريعا لا يستغرق اكثر من ستة شهور بعد حصولهم على شهادة اتمام الدراسة الثانوية ، بحيث يتمكنون من معالجة الكثير من الامراض والقيام بالعمليات الجراحية البسيطة ، ثم يتم ارسالهم الى الريف) ، سيؤدى بالتالى الى نجاح برامج تحديد النسل فى الريف ايضا .

ويبدو ان من اهم الاسباب التي تؤدى الى تخفيض نسبة النسل فى الصين الآن ، الزواج فى سن متقدمة نسبيا ، مع التشدد فى الاحتفاظ بالعفة والطهارة قبل الزواج . ويروى الطبيبان ، صاحبا الدراسة ، انه بالرغم من ان هناك قانونا فى الصين يحرم الاتصال الجنسي قبل الزواج ، فانهما عندما سألا فتاتين صينيتين عن العقوبة التي توقع على من يخالف هذا القانون ، اجابتا بانهما لا تعرفان، لان احدا لم يخالف هذا القانون ابدا . . !!

اضف الى هذا ايضا ان الرجال والنساء يرتدون زيا موحدا، وان النساء لا يستخدمن مستحضرات التجميل على الاطلاق . وبذلك تم القضاء على اية مثيرات صناعية للرغبة الجنسية .

وتقوم الدولة بتشجيع الزواج المتاخر بواسطة برامج تركز على ضرورة التعلم قبل الزواج . ويتزوج الرجل الصيني عادة ، وهو فى اواخر العشرينيات من عمره ، بينما لا يوجد فى مستشفيات الولادة الا قلة من النساء تبلغ اعمارهن اقل من ٢٣ او اكثر من ٣٣ . وهذا يعني ان فترات الحمل تنحصر فى ١٠ سنوات، فقط فى حياة المراة ، وان طفلين او ثلاثة هو الرقم المثالي بالنسبة لانجاب الاطفال فى اى اسرة .

ويستعمل الصينيون كل الوسائل المعروفة فى العالم ، فى برنامجهم لتحديد النسل،ومن بينها الاجهاض ، واللوالب، وحبوب وحقن منع الحمل ، والموانع الاصطناعية ، وعمليات تعقيم الرجال Vasectomy ، وعمليات تعقيم النساء Tubal ligation ،وكل هذه العمليات او الحبوب او الموانع متوفرة للجمهور فى كل مناطق الصين مجانا .

ويبدى الطبيبان الفنلندى والتشيكى اعجابهما بما حققته الصين فى مجال تحديد الأسرة ، وكذلك بما حققته من تقدم طبي حيث ان نسبة وفيات الأطفال لا تزيد عن ١٩ فى الالف . وفى تقرير لاحد المستشفيات الصينية انه من بين ٤٦ الف حالة ولادة ، تمت فى المستشفى فى الفترة ما بين ١٩٦٢ الى ١٩٧١ ، ماتت ٥ امهات فقط !!

●●

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الحرم الابراهيمي اقتحمه اليهود واستباحوه

● تردد ذكر مدينة الخليل في الانباء مؤخرا ، ولا ندرى اسباب ذلك على وجه الدقة .. الا ان الاصدقاء الذين زاروا اسرائيل في الصيف الماضي يخبروننا بان الخليل قد اصبحت منطقة سكنية يهودية وان سلطات الاحتلال ما زالت تصادر كرومها واراضيها على نطاق واسع لاقامة الاحياء السكنية عليها .. نرجو ان تحدثونا عن وضع هذه المدينة ، مدينة سيدنا ابراهيم الخليل .

بلال حسن ــ الكويت

ــ ان ما سمعتموه من اصدقائكم صحيح . فبلدة الخليل اصبحت بالفعل منطقة سكنية تقام فيها المباني والاحياء لسكن اليهود . شانها في ذلك كشان القدس التي احاطت بها المساكن اليهودية من كل جانب ، حتى ضموا الى منطقتها البلدية مؤخرا بيت لحم وبيت جالا وغيرهما .

ولكن هذا الوضع ليس بجديد في الخليل . فمنذ نهاية حرب الايام الستة واليهود يسكنون فيها او في منطقتها بشكل او باخر . الا انهم كانوا في تلك الفترة الاولى في حماية الجيش الاسرائيلي ، وكانوا يسكنون منازل مؤقتة اقيمت لهم على جناح السرعة .

ومضت الايام واذا بالسلطات الاسرائيلية تصادر وتستملك من اراضي الخليل ما بلغت مساحته نحو ١٠٠٠ فدان . واذا بوزارة جولدا مائير تقرر اقامة بلدة اسرائيلية اطلقت عليها اسم « كريات اربع » (Kiryat Arba) . كان ذلك قبل نحو ثلاثة اعوام ، اى سنة ١٩٧٠ ، وقد تضمن قرار انشاء تلك البلدة ، فيما تضمن ، بناء ٢٥٠ شقة على اراضي الخليل العربية المصادرة . ولم يلبث القرار الاول ان اتبع بقرار ثان ، اتخذ في شهر مايو الماضي ، ويقضي باقامة ٢٠٠ شقة اخرى . والخطة الموضوعة ترمي الى اقامة ١٠٠٠ شقة في البلدة اليهودية الجديدة كريات اربع .

وتقع هذه البلدة على جبل يشرف على الخليل ولا يبعد سوى ميلين عنها . وقد شغلت الشقق المئتان والخمسون الاولى كلها تقريبا واصبحت البلدة التي كانت في الامس القريب حبرا على ورق واسما لا يعرف له وجود خارج الكتاب المقدس .. اصبحت بلدة ماهولة لا يقل عدد سكانها عن الف نسمة ومرتبطة بشبكة الكهرباء الاسرائيلية . ومن يدري فقد لا يمضي وقت طويل حتى يتضاعف هذا الالف اضعافا كثيرة على نحو ما تضاعف عدد السكان في اسرائيل ككل بحيث بلغ في اواسط العام الماضي ٣ر٥ مليون نسمة او يزيد .

فالسلطات الاسرائيلية حريصة جدا على توطيد الوجود اليهودي في الخليل وما حولها . وليس ادل على ذلك من مصنع الفورمايكا الذى راحوا يقيمونه في البلدة اليهودية الجديدة . حقا ان هذا المصنع الذى يبلغ راسماله ١ر٥ مليون جنيه استرليني والذى سيتسع لنحو ١٥٠ عاملا ليس مشروعا حكوميا . فقد قام به جماعة من الراسماليين اليهود الذين يملكون مصانع للاثاث في مدن اخرى . الا انه يحظى بموافقة من الوزارة الاسرائيلية وتأييد خطي من رئيستها . هذا الى جانب التشجيع البالغ الذى يلقاه هذا المصنع من وزير الدفاع موشه دايان . وحسبنا ان نذكر ان وزير الدفاع هذا هو الذى اختار منطقة الخليل موقعا للمصنع .



على ان اخبار الخليل لم تحتل مكان الصدارة بين الانباء في المدة الاخيرة بسبب هذا المصنع او بسبب كربات اربع التى ذكرنا .فقد عم الاضطراب والقلق اهل المدينة العرب المسلمين ، وراحوا يحتجون الى المستعمر في الداخل ، ويستنجدون باخوانهم في الدين في الخارج ، نظرا لما حل بمسجد مدينتهم ، الحرم الابراهيمي المعروف .

فقد سمحت سلطات الاحتلال لرعاياها اليهود باقامة صلواتهم داخل هذا الجامع . وهم يؤدونها بانتظام ،كل يوم سبت، حيثما يشاءون في المسجد، وفي الغرف التي تؤوي مقام ابراهيم ويعقوب عليهما السلام ، أيضا .

وقد ذهب اليهود الى ابعد من ذلك في استهتارهم بمشاعر المسلمين والاعتداء على مقدساتهم . ذلك انهم سقفوا صحن الحرم الابراهيمي ، ووضعوا المقاعد والكراسي فيه ، وكأنه كنيس يهودى لا جامع اسلامي .

ويسعى اليهود حاليا الى الحصول على ترخيص بشرب الخمر وتطهير اولادهم داخل المسجد . وتجدر الاشارة الى ان مدينة الخليل كانت خلوا من الوجود اليهودى حتى جاءت حكومة الانتداب .

وتجدر الاشارة ايضا الى ان حكومة الانتداب البريطانية لم تاذن لليهود بدخول مسجد الخليل . بل انها لم تسمح لهم بالاقتراب منه ، او تعدّى الدرجة السابعة من درجات سلّمه .

ثم جاءت القوة بعد ذلك .. وجاءت المساعدات والاسلحة التي اغدقتها الولايات المتحدة على سلطات الاحتلال الاسرائيلي فاذا بهذه السلطات تصول وتجول وتمعن في تدنيس المقدسات الاسلامية، على نحو ما اسلفنا .

(ى . ز)

قراقوش لم يكن ظالما .. !!

● قراقوش .. اسم يضرب به الامثال بالاحكام الشاذة ، لدرجة اني اسمع دائما ومن طبقات مختلفة عندما ينتقدون حكما لا يرضون به انه مثل حكم قراقوش ، فمن هو قراقوش هذا ؟

فهد الرميش ــ السعودية

ــ قراقوش لفظة تركية معناها العقاب او النسر الاسود وقد اطلق هذا اللقب على بهاء الدين ابى سعيد وهو من المماليك الذين نشأوا في خدمة صلاح الدين الايوبى في مصر ، وذلك لاشتهاره بالحزم وقوة الرأى والحجة . وكان ملما بهندسة البناء وهو الذى اشرف على بناء قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين) وسور القاهرة ، وقناطر الجيزة . وعندما حرر صلاح الدين عكا ولى بهاء الدين قراقوش عليها ولكن الافرنج عادوا واستولوا على عكا واسروا بهاء الدين ، وافتداه صلاح الدين بمبلغ ٢٠ الف دينار .

ولقد نسب العامة الى بهاء الدين ابى سعيد احكاما متعسفة عجيبة هى في راى المؤرخين محل شك ، لما كان يتمتع به من ثقة صلاح الدين ، وقد الف ابن مماتي كتابا جمع فيه بعض نوادر العامة عن ظلم قراقوش ، واسماه الفاشوش في حكم قراقوش .

ويعتقد البعض ان ما يقال عن قراقوش ليس الا مجرد تنفيس لعامة الشعب عن شعورهم ضد ظلم المماليك وانهم اتخذوا من شخصية قراقوش المشهور بحزمه وصلابته شخصية يعزون اليها كل حكم جائر .

(م . ط)

عــودة برانت
عززت التعاون بين شرق أوروبا وغربها !

● قرأت في الصحف اخيرا عن عودة فيلي برانت مستشار المانيا الغربية الى الحكم على اثر ظهور نتائج الانتخابات البرلمانية الاخيرة في نوفمبر من العام الماضي .. فماذا تعني عودة زعيم حزب الاشتراكيين الديمقراطيين واستمراره في رئاسة بلاده ؟

يونس محمد ـ عمان

ـ الظاهر ان عودة فيلي برانت الى الحكم في جمهورية المانيا الاتحادية ، كانت هزيمة للصهيونية العالمية من ناحية ، ولسياسة الولايات المتحدة الامريكية في اوربا من ناحية اخرى ..

ولكي ندلل على ذلك ، لا بد لنا من العودة قليلا الى ذلك اليوم الذي خرج فيه الملايين من الناخبين الالمان للادلاء باصواتهم في انتخابات البوندستاج (البرلمان) ، وتقرير مصير الحكومة الائتلافية برئاسة برانت ، ففي ذلك اليوم طلعت الصحيفة الناطقة بلسان اليمين الرجعي في المانيا الغربية ، وهي موالية للحزب الديمقراطي المسيحي المعارض ، وللصهيونية العالمية ، وقد حوت احدى صفحاتها اعلانا انتخابيا ضخما يدعو الى تحقيق مزيد من الحماية لليهود الالمان ويتهم فيلي برانت باهماله للصداقة مع اسرائيل ، ونشرت الصحيفة بعد ذلك صورة كبيرة لمستشار المانيا الراحل كونراد اديناور مع الزعيم الاسرائيلي المجوز بن جوريون .

ثم تساءلت الصحيفة : « ولكن اين نحن اليوم ، مما كنا عليه بالامس ؟ لقد افرجت حكومة برانت عن « الارهابيين » العرب الثلاثة الذين اشتركوا في حادث ميونيخ .. ولم يعد سرا ان الحكومة الائتلافية الحالية قد ضربت بسياسة التصالح والصداقة مع اسرائيل عرض الحائط ! » .

الى هذا الحد كان تدخل الصهيونية العالمية بتأييد من الولايات المتحدة الامريكية في الانتخابات الالمانية التي انتهت بفوز الائتلاف الذي كان قائما بين حزب الاشتراكيين الديمقراطيين برئاسة برانت ، وحزب الاحرار الديمقراطيين برئاسة والتر شيل وزير الخارجية واستمرار هذا الائتلاف في الحكم .

ان عودة برانت الى الحكم في المانيا الاتحادية



تعني استمرار سياسة التقارب بين الشرق والغرب في اوربا كما تعني في نفس الوقت مزيدا من الاستقلال للقارة الاوربية ، عن تأثير ونفوذ الولايات المتحدة الامريكية وهي السياسة التي وضع الجنرال ديجول رئيس فرنسا السابق نواتها الاولى ..

وقد بدأت سياسة برانت تثمر بالفعل في الاشهر الاولى من سنوات حكمه الاول عندما رفع بيديه الانقاض التي خلفتها الحرب العالمية الثانية ، والتي ظلت حجر عثرة في سبيل ايجاد اي تقارب بين المانيا بقسميها الغربية والشرقية ..

ان عودة برانت الى الحكم تعني هزيمة لتلك القوى التي حرصت على الحيلولة دون ايجاد اي نوع من التفاهم بين الكتل المتصارعة على الارض الاوروبية ، وهزيمة للقوى التي تستغل التناقضات العالمية ، وعلى رأس هذه القوى عناصر اليمين الرجعي المتمثلة في الحزب الديمقراطي المسيحي المعارض في المانيا .

(م . ن)

السياحة صناعة المستقبل
١٧ الف مليون دولار أنفقهــا السياح في عام ١٩٧٠

● نسمع عن اهمية السياحة في العالم مصدرا رئيسيا من مصادر الدخل ، حتى ان البعض يسميها « الصناعة بلا مداخن » ، فمامدى صحة هذا القول . وهل يمكن للسياحة أن تصبح موردا رئيسيا في دولة من الدول ؟

عادل خليفة ــ بيروت ــ لبنان

ــ للاجابة على سؤالك يكفى ان نذكر لك بعض الارقام والاحصائيات السياحية ، ففى عام ١٩٥٠ كان عدد السياح في العالم كله لا يزيد عن ٢٥ مليون نسمة .

وقد ارتفع هذا الرقم في عام ١٩٦٩ ليصبح ١٥٤ مليون شخص ، وارتفع مرة اخرى ليصبح ١٦٨ مليون سائح في عام ١٩٧٠ .

وتدل الاحصائيات على ان عدد السياح في العالم يزداد سنويا بمعدل ١٠٪ . وقد بلغ مجمــوع الانفاق السياحى العالمى في عام ١٩٧٠ ما يزيد عن ١٧ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار .

وهذه هى احصائية رسمية ماخوذة عن الامم المتحدة عن نصيب الدول من السياح في عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٠ .

	١٩٦٩ عدد السياح	١٩٧٠ عدد السياح
أوربا	١١٦ ٢٦٠ ٠٠٠	١٢٦ ٧٠٠ ٠٠٠
الامريكتين	٢٩ ٣٩٠ ٠٠٠	٣١ ١٥٠ ٠٠٠
اسيا والباسفيك	٤ ١٥٥ ٠٠٠	٥ ٢٩٠ ٠٠٠
الشرق الاوسط	٢ ٣٦٠ ٠٠٠	٢ ٤٨٠ ٠٠٠
افريقيــا	٢ ٠٦٥ ٠٠٠	٢ ٣٦٠ ٠٠٠

ونظرا لتطور السياحة الهائل فانها قد احتلت مكانا خطرا في التجارة الدولية . ففى عام ١٩٧٠ كما ذكرنا بلغ الانفاق السياحى ما يزيد عن ١٧ الف مليون دولار اى بنسبة ٦٪ من حجم التجارة الدولية ككل . وهى نسبة تزيد، على سبيل المثال، عن نسبة دخول تجارة الحديد والصلب في العالم كله والتى بلغت ١٦ر٩٠٠ مليون دولار في نفس العام . وهى تتقارب من مداخيل قطاعات النسيج والملابس التى تبلغ ١٨ر٣٠٠ مليون دولار ، وكذلك صناعة السيارات التى تبلغ ٢١ر٧٠٠ مليــون دولار .

وقد أخذت كثير من الدول تعتمد في حل مشاكل ميزان مدفوعاتها على دخلها من السياحة الخارجية . ومثال ذلك اسبانيا التى يشكل دخلها من السياحة اكثر من ٣٠٪ من حصيلتها من كل صادرتها .

وقد حققت اسبانيا بالذات اكبر دخل سياحى في بلدان أوربا في عام ١٩٧٠ فقد بلغ دخلها في هذا العام ما يزيد عن ٢٠٠٠ مليون دولار ، واذا نظرنا الى ما تقوم اسبانيا باستيراده من الخارج لوجدنا أنها تستورد بضائع بما قيمته ٤ الاف مليون دولار اى ان دخل اسبانيا من السياحة وحدها يفى بنصف قيمة وارداتها من الخارج .

ولعل في الارقام التى ذكرناها ما يجيب علــى سؤالك ، ويوضح اهمية السياحة في العالم الان وخاصة بالنسبة للدول النامية ، مع العلم بان عدد سكان العالم سيصبح في عام ٢٠٠٠ حــوالى ٦٤٠٠ مليون نسمة ، مما سيؤدى ايضا الى زيادة عدد السياح والذى تقدره بعض الاحصائيات بانه سيصل في عام ١٩٨٠ الى حوالى ٤٠٠ مليون سائح .

(م . ط)

التقمص او تناسخ الارواح

● اقرا احيانا في كتب الفرق الدينية وتاريخها كلمة «التقمص» وكلمة «التناسخ» ، للدلالة على عقيدتين دينيتين ، فما معنى كل منهما ، وهل يعترف بهما الاسلام ، ولماذا ؟

مؤنس حسن رمضان/بيروت/لبنان

ـ لسنا نعرف شعبا يضارع شعوب الهند في استيلاء الروح الدينية عليها ، فهي تستغرق حياتها كلها ، وتتسرب فيها الى اعمق سرائرها حتى تملأ كيانها كله ، وكل تصرف في حياتهم افرادا وجماعات ينبعث عن شعور ديني ، وينصطبغ بصبغته ، تستوي في ذلك كل شعوب الهند على اختلاف اجناسها واديانها ونحلها من اقدم عصورها المعروفة حتى اليوم .

واهم الاديان التي انجبتها الهند ثلاثة هي الهندوسية (او الهندوائية) والجينية ، والبوذية ، وكلها تشترك في جملة عقائد وتختلف في اخرى ، ومن عقائدها المشتركة التقمص او التناسخ كما سماها اسلافنا ، فهي ركن من اهم اركانها جميعا ، وهي تعني فيها « انتقال الروح بعد خروجها من الجسد بالموت الى جسد آخر في هذه الدنيا » وربما تنتقل من هذا الى آخر حتى تنال النجاة .

والتقمص ـ لغة ـ لبس المرء قميصه ، والتنسخ لغة « استبدال شيء بغيره » ، وكذلك التناسخ تداول الاشياء بعضها وراء بعض ، فكأن الروح ـ بحسب هذه العقيدة ـ تدخل الجسد الجديد كما يدخل المرء قميصه ، ثم يخلعه ليدخل غيره ، وهكذا . او كأنها تتداول الاجساد واحدا فواحدا حتى النجاة من المادة جميعا ، ومن هنا تسمى هذه العقيدة ايضا « تكرار الولادة » ، لأن الروح حين تخرج من جسدها تدخل جسد جنين فتولد مرة اخرى ، وقد تكون الولادة هكذا اكثر من مرة .

ولعودة الروح في الدنيا الى جسد او اكثر سببان عندهم:

اب ولا اب !!

● زوجي رجل مقتدر ، يشغل منصبا مرموقا ، ويتقاضى مرتبا يكفي لتوفير حياة كريمة لنا ولابنائنا الثلاثة الصغار ، الذين لا يزيد عمر اكبرهم على الرابعة عشرة من عمره .. ولكن زوجي ياسيدي ينفق كل دخله او معظمه على نفسه وعلى ملذاته .. حتى مصاريف المدارس لاولاده يعجز في بعض الاحيان عن دفعها لخلو جيبه من المال الذي ينفقه بغير حساب ، وكم من مرة اضطرت ادارة المدرسة ان تعيد ابناءنا الى البيت لان والدهم لم يسدد المصاريف ، انني في حيرة من أمري لا ادري ماذا افعل ، ولا الى من الجأ فانا فتاة يتيمة الابوين ، وقد فشلت كل المحاولات التي بذلتها للاصلاح من شأن زوجي ووالد ابنائي .

س . ع / المنصوره .

ـ ليس كل من تزوج ياسيدتي وانجب ، اصبح ابا .. ان الابوة تحمل معنى كبيرا ، اكبر من الحياة نفسها .. واذا كانت واجبات الام قد تحددت في انجاب الاطفال وتربيتهم وتنشئتهم تنشئة صالحة ، فقد حددت واجبات الاب في العمل والكسب ، لكي ينفق على زوجته وابنائه

احدهما : انها تخرج من جسدها في أى خرجاتها ــ وهى لم تقطع كل علائقها بهذا العالم المادى ، وثانيهما ان عليها تبعات تجزى عنها تجاه آخرين لم توفها اليهم ، فلا بد اذن من أن تولد من جديد في الدنيا ، حتى تقطع كل علائقها وتوفى كل مسئولياتها بالجزاء على اعمالها ، فاذا فعلت ذلك ظفرت بالحرية أو العتق ، وهو ما يسمى الخلاص او الانطلاق أو النجاة ، وهذا ايضا عقيدة من أهم الاركان الدينية في كل الاديان الهندية ونحلها .

وتكون النجاة في الهندوسية ــ اقدم هذه الاديان الثلاثة ــ بامتزاج الروح باصلها الالهى « براهما Brahma » وهو الاله في هذه الديانة اما الجينية ــ وكان المهاتما غاندى من اتباعها ــ فلا تؤمن باله وهى ترى أن نجاة الروح تتحقق بالتحاقها بعالم نعيم وسرور وسكون سرمدى ليس له نهاية ، ومثلها البوذية ، وهى لا تؤمن باله ، وان اتخذ البوذيون معلمهم بوذا كاله فيما بعد ، فالنجاة فيها تسمى « النرفانا » وهى تعنى وصول الروح الى غاية الصفاء بتطهيرها من كل الشهوات المادية ، كما تعنى القضاء على كل اهوائها وتوقفها عن كل خير وكل شر .

ومن تناقض عقيدة التناسخ أن الروح في كل نسخ لا تذكر اعمالها في نسخ سابق ، فكيف تستشعر الجزاء في حياة على اعمالها في حياةأخرى سابقة ، ثم ما الموجب لحصر الارواح في عدد لا تعدوه ، فيحتاج كل حمل وولادة جديدة الى روح سابقة ؟

والاسلام يابى التناسخ ، ويتخذ للجزاء على اعمال الانسان طريقا آخر اما في الدنيا او الاخرى، ولا يرى عدد الأرواح محصورا كما ترى ذلك أديان الهند ونحلها ، بل يرى أن لكل حيروحهالخاصة.

ويلاحظ ان كتب الفرق الاسلامية ــ والجدل طابعها الغالب ــ تنسب هذه العقيدة الى بعض فرقنا ومنها الفرقة الحائطية (نسبة الى أحمد بن حائط الذى عاش في القرن الثانى الهجرى) ، وكذلك الى القرامطة ، كما تنسبها الى افراد من المسلمين ، وربما امكن ادخال القائلين بالرجعة الدنيوية في اهل هذه العقيدة ، وهى كما قدمنا عقيدة يأباها الاسلام ، وقد اصاب ابن حزم فيما وصفها او وصمها به من انها « دعاوى وخرافات بلا دليل » ، وهى تتنافى ومنطق العقل ، ولكن ليس كل دين يقوم على العقل ومنطقه ، كما يقوم عليهما الاسلام .

(م . خ . ت)

ومن يعول .

تعرف ابا رفيق الحال ، لم يكن له نصيب من التعليم كبير ، رزقه الله بخمسة من البنين والبنات .. وضاقت سبل الرزق في وجهه ، حتى اضطرته ظروف الحياة في نهاية الامر ، ان يعمل سائقا لسيارة تاكسى ..

وظل الاب يشقى ويكدح ويصل نهاره بليله حتى كبر الابناء وتخرجوا وتزوجوا ، واصبح بينهم الطبيب والمهندس والمحامي .. كل هذا والاب المسكين الذى اعتلت صحته ماض في عمله ، لم يتغيب عنه يوما .. كان يجوع لكي يشترى كتابا لاحد ابنائه ، حتى التدخين اقلع عنه لكي يقتصد ثمنه ويوفر به حياة كريمة لابنائه في الجامعة ..

ان زوجك ياسيدتى رجل انانى لا يحب الا نفسه انه ليس باب، فهذه كلمة كبيرة لا يعرف معناها . لا اسكتى عليه ، واذا تطلب الامر ، قاضيه ، وسوف ينصفك القضاء ، لان الحياة مع رجل هذا حاله ، اسوا بكثير من الحياة وحدك مع ابنائك الذين سهرت وتسهرين الليالى من اجل تربيتهم وتعليمهم .. ابحثي لك عن عمل في الوقت نفسه ، اذا كنت فتاة متعلمة ، فهذا يغنيك ايضا عن السؤال ..

ان الاديان السماوية كلها تلزم الزوج بالانفاق على زوجته واولاده . قال تعالى في كتابه الكريم : « اسكنوهن من حيث سكنتم ، من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » .. وفي آية اخرى يقول تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته » .

(م . ن)

طرائف

سائل

● وقف سائل على باب قوم من البخلاء . فقال : فقير مسكين، تصدقوا عليّ فاني جائع . فقالوا : لم نخبز بعد . قال : كفّ سويق . قالوا : ما اشتريناه بعد . قال : فشربة ماء بارد فاني عطشان . فقالوا : ما اتانا السقاء بعد . قال : فيسير من الدهن . قالوا : ومن اين الدهن . فقال : وما قعودكم هنا . قوموا خفافا واسالوا معي .

سيئاتي

● احضر احد الاعراب امام الوالي لمحاكمته على جريمة اتهم بها فلما مثل امام الوالي اخرج الاعرابي كتابا ضمّنه قضيته ، وقدمه الى الوالي وهو يقول : هاكم اقراوا كتابيه ! فقال له الوالي :

راى حصيف

● خلا المنصور يوما مع يزيد بن اسيد وكان معروفا برجاحة فكره وقوة منطقه ، فقال المنصور : يا يزيد ما ترى في قتل ابي مسلم ؟ فقال : ارى ان تقتله، فوالله لا يصفو ملكك ولا تهنأ بعيش مابقي ، فنفر منه المنصور ، ثم قال : قطع الله لسانك ، اتشير عليّ بقتل انصر الناس لنا ، واثقلهم على عدونا ، اما والله لولا حفظي لما سلف منك لضربت عنقك .

قال يزيد : فقمت من مجلسه وقد ضاقت بي الدنيا وتمنيت ان اسوخ في الارض .

فلما قتل المنصور ابا مسلم الخراساني قال لي : يا يزيد اتذكر يوم شاورتك ؟ قلت : نعم . قال : فوالله لقد كان رايا حصيفا لا شك فيه ، ولكن خشيت ان يظهر منك فتفسد مكيدتي .

يخطب من قاع بئر ؟

● قال المتوكل يوما لجلسائه : اتدرون ما الذي نقم المسلمون من عثمان ، قالوا : لا . قال : اشياء : منها انه قام ابو بكر على المنبر دون مقام النبي بمرقاة ، ثم قام عمر دون مقام ابي بكر بمرقاة ، فصعد عثمان ذروة المنبر ، فقال احد جلساء المتوكل : ما احد اعظم منة عليك يا امير المؤمنين من عثمان . قال : وكيف ويلك ؟ قال : لانه صعد ذروة المنبر ، فلو انه كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت انت تخطبنا من بئر جلولاء ، فضحك المتوكل ومن حوله .

عربيـة

فقط

انمـا يقال هذا يوم القيامـة . فقـال الاعرابي : يا امير ، هذا اليوم شر من يوم القيامـة ففي ذلـك اليوم يؤتـي بحسناتي ايضا ، اما انتم فقد جئتـم بسيئاتي فقـط ، وتركتـم حسناتي ، فضحك الوالي وعفا عنه .

الفتحة في آخره

● عين احدهم مدرسا في احـدى المدارس الثانوية فحضر الى المدرسة ، وهو يرتدي بنطالا له فتحة من خلفه، فلمـا دخـل الفصل الدراسي تراهن طالبان ، فقـال الاول : انـه مدرس الفيزياء . وقال الثاني : انه مدرس اللغة الانجليزية ، فاحتكما الى طالب ثالث ، وكان ظريفا فكها ، فقـال لهما : انه مدرس اللغة العربية ، وعلامة ذلك الفتحة الظاهرة في آخره.

ماقرابة بينهما

● دخل رجل من اهل الشام على عبد الملك بن مروان ، فقال : اني تزوجت امراة وزوجت ابني امها ، ولا غني بنا عن رفدك ، فقال عبد الملك : ان اخبرتني ما قرابة ما بين اولادكما اذا ولدتما فلك العطية ، قال الرجل : يا امير المؤمنين هذا حميد بن بحدل قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ! فان اصاب لزمني الحرمان ، وان اخطأ اتسع لي العذر ، فدعا بالبحدلي فساله فقال : يا امير المؤمنين انك ما قدمتنى علـى العلم بالانساب ولكن على الطعن والقتال، والجواب ان احدهما عم الآخر والآخر خاله .

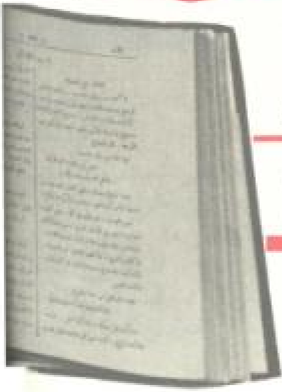
في المشورة

● حكى ابن قتيبة انه قرا في كتاب للهند ان ملكا استشار وزراء له ، فقال احدهم : الملك الحازم يزداد براى الوزراء الحزَمَة كما يزداد البحر بموارده من الانهار ، وينال بالحزم والراى مالا يناله بالقوة والجند ، وللاسرار منازل منهـا ما يدخل الرهط فيه ، ومنها ما يستعان فيه بقـوم ، ومنها ما يستغنى فيـه بواحد ، وفى تحصين السّر ــ الظفـر بالحاجة ، والسلامة من الخلل .

والمستشير ــ وان كان افضل رأيا من المشير ــ فانه يزداد برايه رأيا ، كمـا تزداد النار (بالزيت) ضوءا ، واذا كان الملك محصنا لسره ، بعيدا من ان يعرف ما فى نفسه ، متخيرا للوزراء ، مهيبا فى انفس العامة ، كافيا بحس البلاء ، لا يخافه البرىء ، ولا يامنه المريب ، مقدرا لما يفيد وينفق ــ كان خليقا ببقاء ملكه ، ولا يصلح لسرنا هذا الا لسانان واربع آذان ، ثم خلا به .

الكتاب العربي

عقبات دون تداوله في البلاد العربية واقتراحات بتخطيها



بقلم : الدكتور صليب بطرس

■ « الكتاب سلعة تباع وتشترى ، وتنتقل من يد الى اخرى . ولكنه مع هذا لا ينبغى ان يعامل معاملة السلعة العادية ، فهو متفرد الصفات ومتعددها في آن واحد ، انه يظل شيئا ثمينا برغم زيادة ما يعرض منه » . (١)

الكتاب رسالة وتجارة

واهم ما يستوقف النظر في هذه العبارة قول صاحبها ان الكتاب لا ينبغى ان يعامل معاملة السلعة العادية . فالكتاب ، في الواقع من الامر ، رسالة تحملها تجارة ، واذا كان هذا القول يصدق على الكتاب بصفة عامة ، فانه اكثر انطباقا على الكتاب العربي بصفة خاصة . اما انه رسالة فهو امر اجتمعت عليه كلمة المشتغلين بالكتاب في جميع مراحله ، وتردد صداه في الندوات التى عقدتها الجامعة العربية واليونسكو في اكثر من مناسبة وظهر ذلك في التوصيات التى اتخذت في الحلقات التى عقدتها الجامعة العربية في سنة ١٩٦١ وسنة ١٩٦٩ وعقدتها اليونسكو في سنة ١٩٧٢ لدراسة تيسير تداول الكتاب العربي ونشره . واما انه تجارة فهو امر واضح من الروح التى تسيطر على سلوك بعض حكومات البلاد العربية نحو القيود الاقتصادية التى تفرضها على تداول الكتاب عبر حدود كل منها وهى في الغالب قاسية : قيود على النقد ، وقيود على الاستيراد والتصدير ، وصعاب تعترض نقل الكتاب وشحنه ، واخيرا ــ وليس هذا اقلها اهمية ــ الصعوبات الادارية التى يتعرض لها تصدير الكتاب في بعض البلاد العربية، وما يصاحبها من وقت ضائع ومن تكاليف قد تكون باهظة في كثير من الاحوال ، مثل الدمغة والعمولات والرسوم الاخرى وهذه تتقاضاها الهيئات الحكومية التى تعتبر موافقاتها شرطا لازما للتصدير والاستيراد.

(١) Robert Escarpit, The Book Revolution, Harrap, London, Unesco. 1966, P. 17 .



توصيات لابد من تنفيذها

واذا كان الاجماع قد انعقد على ان الكتاب العربي هو رسول الوحدة العربية الفكرية والوسيلة الفعالة لتحقيقها ، فلم يبق الا ان تأخذ الحكومات العربية الجانب الاقتصادى للمشكلة مأخذ الجد ، وتعمل جاهدة على تيسير تنفيذ التوصيات التى اتخذت في هذا المجال خصوصا وقد انقضى على اغلبها ما يزيد على عشر سنوات ، اثبت الواقع العملى لزومها لتيسير تداول الكتاب العربي عبر الحدود العربية .

معاملة للورق المستورد قاسية

ولنبدأ من البداية كما يقولون . فلم تزل بعض الحكومات العربية تعامل الورق المستخدم في طباعة الكتب معاملة قاسية ، فتخضعه لرسوم جمركية (اصلية وتبعية) غاية في الارتفاع . وتصل هذه الرسوم في كثير من البلاد الى ما يزيد على ثلاثين في المائة من قيمة الورق المستورد . والحكومات بهذه الطريقة تنظر للكتاب نظرتها للسلعة العادية وتعتبره موردا لميزانيتها ، مع ان الواجب يقضي عليها ، ولا ريب ، بعكس ذلك . وبجانب الرسوم الجمركية توجد العراقيل الادارية المكلفة : من ناحية التكاليف النقدية ، ومن ناحية الوقت الضائع قبل ان تتخذ الوزارات والمصالح وهيئات القطاع العام ، وهي عديدة ، قرارها الادارى ، وكما قال بعض اقتصاديي التنمية ان قرارا اداريا تشوبه نسبة من الخطأ يأتي في الوقت المناسب لخير" الف مرة من قرار ادارى صحيح مائة في المائة ولكنه يأتي بعد فوات اللحظة المناسبة . فالخطأ يمكن اصلاحه ولكن الوقت الضائع لا يمكن استرجاعه . (٢) أسوق ذلك لان بعض المصالح الحكومية في بعض البلاد العربية تتخذ من بعض القوانين الخاصة بهذه المسألة ومن الرخصة التى تخولها بعض القوانين الاخرى وسيلة للاثقال على كاهل الكتاب العربي .

مشكلة ورق الجرائد والمجلات دامت ٢٠ عاما

وأفضل ما يضرب لمدى تأثير العراقيل الادارية التى تقيمها بعض الهيئات الرسمية في سبيل الكتاب العربي ، سلوك مصلحة الجمارك المصرية ازاء الرسوم الجمركية (الاصلية والتبعية) على ورق الجرائد وورق المجلات المستورد من الخارج.

(٢) John Kenneth Galbraith, Economic Development in Perspective, Harvard University and Oxford Universty Press, 1963 P. 64 .

فهذه المصلحة قد وقعت ، فيما وقع فيه الرجل غير الاخصائي من لبْس في ان عبارة « ورق الجرائد » تدل على ذلك النوع الذي تطبع عليه الصحف اليومية . وكذلك الحال بالنسبة لعبارة « ورق المجلات » فهي تعني في نظره الورق الذي يستعمل في طباعة المجلات . اي ان ورق الجرائد وورق المجلات ليس له مكونات وعناصر معينة يتميز بها عن غيره من الانواع الاخرى ، بل انه يستمد اسمه فقط من استخداماته في طباعة الجرائد والمجلات ، فاذا لم يستخدم في هذا الغرض ، كاستخدامه في طبع كتاب ، استحقت عليه الرسوم الجمركية المقررة على ورق الطباعة وهي مرتفعة للغاية . ومما يزيد من تأثير ذلك على الكتاب ان هذا النوع من الورق رخيص بطبيعته فلا يحتمل هذه الرسوم الباهظة. وعلى الرغم من وضوح الفكرة فان النقاش في هذا الموضوع ظل دائرا بين مصلحة الجمارك المصرية وبين الهيئات المستهلكة لورق الجرائد وورق المجلات منذ سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٧٠ (٣) الى ان حسمه قرار هيئة التحكيم الصادر في ٢٣ فبراير سنة ١٩٧٠ في النزاع الذي كان قائما بين مصلحة الجمارك وبين احدى دور النشر ، واخذ هذا القرار بالرأي القائل بان الرسوم الجمركية على ورق الجرائد وورق المجلات لا تتأثر باستخداماته . ومع هذا فان مصلحة الجمارك ما زالت ، عن طريق وسائلها الادارية تقيم العراقيل في هذا السبيل .

وتذرع بالصناعة الناشئة افضى الى التشابك والتعقد

ان بعض البلاد العربية المنتجة لبعض اصناف الورق تحظر استيراده من الخارج تذرعا بمبدا الصناعة الناشئة Infant industry . ومع هذا نجد ، في الوقت نفسه ، ان انتاجها لا يكفي للاستهلاك المحلي . وبدلا من ان تستخدم الوسائل الاحصائية الحديثة في التنبؤ بالازمة وتحديد حجمها وموعدها ، وهو امر سهل ميسور ، فان الهيئات المختصة تترك الامر حتى تتشابك المسائل وتتعقد ويصبح حلها في غير الموعد المناسب عديم الجدوى .

وكالورق ادوات الطباعة الاخرى

وما ذكر عن الورق في هذا المضمار ينطبق كذلك على المواد الاخرى اللازمة لاخراج الكتاب مثل الحبر ومواد التجليد وغيرها .

ونظام السماح المؤقت ونظام الدروباك فقدا الكثير من فعاليتهما

وقد هيىء لبعض الحكومات العربية التي تعاني نقصا في العملات الحرة انها حلت مشاكل الكتاب عن طريق نظام السماح المؤقت ونظام الدروباك في الاستيراد . ولكن التعقيدات الادارية المصاحبة لهذين النظامين قد افقدتهما جزءا كبيرا من فاعليتهما واثبت التطبيق العملي انهما قليلا الجدوى في هذا الميدان .

وآلات الطباعة

والواجب يقتضينا ان نذكر في هذا المجال ان بعض الحكومات العربية قد اعفت آلات الطباعة من الرسوم الجمركية الاصلية ، وان البعض الآخر قد فرضت عليها رسوما جمركية هينة ، ولكن في كلتا الحالتين ، ما زالت هذه الآلات تخضع للرسوم الجمركية التبعية مثل رسوم البلدية ورسم الاحصاء ورسم الدعم الاقتصادي والرسوم البحرية ، وهي تكوّن في مجموعها نسبة عالية من قيمة الآلات المستوردة .

وآلات الطباعة المجددة

ولكن هناك اقتراحا يجب ان ينال من العناية ما يستاهله لان في اتباعه تخفيفا عن كاهل الميزانية النقدية في البلاد التي تعاني شحا في العملات الحرة . ان بعض البلاد العربية ما زالت تحظر استيراد الات الطباعة المجددة . مع انها انسب

(٣) اثار الكاتب هذه المشكلة لاول مرة في سنة١٩٤٩ امام مجلس الدولة المصري ولما انقسم المجلس فريقين : واحد يؤيد وجهة نظر المصلحةوالآخر يؤيد وجهة نظر المؤسسات المستهلكة ، اصدرت الحكومة الاداة التشريعية المناسبة لتأييدالفريق الثاني . ومع كل هذا فلم تستسلم مصلحة الجمارك فكانت القضية المشار اليها والقرارالصادر فيها بعد انقضاء ما يقرب من ربع قرن من الزمان (يرجع الى مقال للكاتب عن اقتصادياتورق الجرائد وورق المجلات مجلة مصر المعاصرة ـ العدد ٣٤٧ يناير سنة ١٩٧٢) .

لظروف هذه البلاد من اخر صيحة للالات الجديدة ، اذا ما احسن اختيارها واحسن تجديدها . ان هذا الاسلوب في اختيار الات الطباعة والات الجمع وغيرها من الالات الاخرى التى تستخدم في الانتاج المادى للكتاب ، لهو افضل الاساليب وبخاصة في البلاد التى تتبع مبدا التخطيط في ادارة اقتصادياتها لانه يوفر مقدارا كبيرا من النقد بالاضافة الى انه يساعد على استخدام الات هى اكثر تمشيا مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية لمعظم الاقطار العربية .

تيسير تداول الكتاب العربى بين البلاد العربية

هذا من ناحية استيراد المواد اللازمة للانتاج المادى للكتاب . ولا يختلف الوضع كثيرا من ناحية تيسير تداول الكتاب بين البلاد العربية . فالقيود الاقتصادية التى سبق تعدادها تقف حجر عثرة في سبيل تداول الكتاب بين الاقطار العربية . واذا كانت الظروف السياسية التى مر بها العالم العربي عبر التاريخ قد خلقت منه وحدات منفصلة الا ان واجب هذه الوحدات يقتضيها ان تعمل على ازالة هذه التفرقة المصطنعة في مجال تداول الكتاب العربي حتى تمكنه من ان يحمل رسالته السامية في ربوع الوطن العربي .

نظام الكوبونات

لقد اوصت الحلقة الثانية لدراسة وسائل تيسير تداول الكتاب العربي ونشره التى عقدت في ٢٧ يناير سنة ١٩٦٩ ، تمشيا مع توصية الحلقة الاولى التى عقدت في سبتمبر سنة ١٩٦١ ، ان يستحدث فيما بين البلاد العربية نظام على غرار نظام كوبونات اليونسكو . والآن وقد مضى على تلك التوصية ما يزيد على احد عشر عاما لم يبد في الافق ما يشير الى اتخاذ اية اجراءات في هذا السبيل .

والواقع في الأمر ان التجربة التى مرت بها كوبونات اليونسكو حتى الآن قد اثبتت ان هذا النظام لم يستطع تحقيق الاهداف المرجوة نتيجة للصعاب التى قامت في سبيله . فقد ثبت ان فائدة كوبونات اليونسكو محصورة في نطاق لا نبالغ اذا قلنا انه نطاق فردى . ونعنى ان نظام كوبونات اليونسكو المقترح ان يكون نظام قسائم الثقافة على غراره ، لم يفد منه سوى اشخاص معنويين واشخاص طبيعيين محدودين بذواتهم . وثمة صعوبة اخرى تجعل الافادة من نظام الكوبونات المقترح محدودة ، هى انه قد تقوم صعوبات في سبيل تدبير تمويل المشروع والاستمرار فيه ، فضلا عن الصعاب التى قد تعترض تحديد حصة كل دولة عربية .(٤) ومعنى هذا ان نظام الكوبونات – كما يظهر من تجربة اليونسكو – لم يمتد ليشمل الكتاب في مجاله التجارى . ان التجربة التى مرت بها اليونسكو منذ سنوات ولو انها حققت نجاحا كبيرا على الصعيد الدولى ، فان الكوبونات لم يصل عددها المخصص لكل دولة الى المقدار الذى يسد حاجاتها في المجال الذى انشئت من اجله . واذا كان هناك من هدف للبحث عن وسائل لتيسير تداول الكتاب العربي ونشره ، فانما تكون الفائدة اهم اذا تخطى النظام المقترح مجال الهيئات الحكومية والخاصة والافراد ليشمل بيع الكتاب العربي وشراءه على نطاق كبير بين الاقطار العربية . واعنى بذلك ضرورة البحث عن وسيلة تيسر تداول الكتاب العربي تداولا تجاريا بين الاقطار العربية .

لابد من تغيير النظرة الى الكتاب على انه سلعة عادية

والوسيلة التى اقترح اتباعها في هذا المجال ، بجانب مشروع قسائم الثقافة ، يقتضى نجاحها ان تتخلص الحكومات العربية من نظرتها للكتاب العربي باعتباره سلعة عادية يخضع لما تخضع له السلع الاخرى من قوانين وقواعد . وهذا التحول المنشود يستند الى اختلاف اقتصاديات الكتاب في كثير من نواحيها اختلافا بينا عن اقتصاديات باقى السلع الاخرى . والنظرة الحديثة لاقتصاديات الكتاب قد تغيرت في السنوات الاخيرة تغيرا جوهريا . ان المبادىء القديمة التى كانت تسير عليها اقتصاديات الكتاب ، وما زال البعض يتبعها تحت ضغط الظروف والبيئة التى تعيش في كنفها

(٤) يمكن وضع قاعدة تراعى عوامل في مقدمتهاحجم تجارة الكتب العربية تصديرا واستيرادا في فترة زمنية معينة يتفق عليها ولتكن السنواتالخمسة السابقة على انشاء النظام مع عناصر اخرى تتعلق بانتاج الكتاب وتداوله .

تتلخص في : اسعار عالية ومبيعات اقل ، وارباح محدودة ، وما يترتب على ذلك من بعض الاضرار بالاقتصاد القومي .

ولكن اضمن طريقة لزيادة الربح هي زيادة مبيعات الكتب . وهذا قول اكثر عمقا مما قد يبدو لاول وهلة ، ذلك لانه يرتكز على مبدأ اساسي في ميدان نشر الكتاب ، وهو ان تكلفة النسخة الواحدة تستمر في الانخفاض ، انخفاضا ليس بالقليل ، ولكن بطريقة محسوسة ، بزيادة الكمية . والناشر الناجح هو الذي يدرك هذا المبدأ ويعمل على الاستفادة منه . وهذا هو الذي يحدد الفرق بين صناعة الكتاب الضخمة القوية المنتشرة المربحة وبين تلك التي تتهادى وتتعثر سيرا وراء المبادىء القديمة التي سبقت الاشارة اليها .

الخصومات

وثمة ما تتميز به صناعة الكتاب وتجعل منه سلعة غير عادية وتجب معالجتها تبعا لذلك بطريقة مختلفة هي ارتفاع معدل مجموع الخصومات التي يحصل عليها جميع المشتركين في عملية التوزيع . فموزعو الكتب يحصلون دائما على خصم من الناشر ، كما يحصل تجار الجملة والوسطاء على خصم اضافي . كذلك هناك انواع من المشتركين يحصلون على خصومات متنوعة على بعض اصناف الكتب واحجامها. وبالرغم من ان المشتركين يدفعون القيمة كاملة فان متوسط المبيعات لكبار المشتركين يتسم بخصومات كبيرة . وفي الولايات المتحدة الامريكية يرتفع الخصم حتى يصل الى ٥٥٪ واحيانا يزيد ، ونسبة الخصم على معظم مبيعات الكتب عامة تبلغ ٤٤٪ . اما في اوربا فان نسبة الخصم تميل الى ان تكون اقل بكثير مما هي عليه في اسيا وافريقيا .

لقد قدم بعض ناشري الكتب العامة والقصص ارقاما لاتحاد الناشرين البريطانيين يوضحون بها ان النشر ليس هو العمل المربح كما يظن الكثيرون. وقد جمعت هذه الارقام لتأييد قضية الناشرين الذين يحصلون على نصيب من الدخل الفرعي الناتج عن اعادة استغلال كتبهم الاصلية . وقد اوضحت تلك الارقام ان متوسط الخصم على النسخ المبيعة يبلغ ٣٩٪ وان متوسط الربح يصل الى ٣ر٦٪ وقد ينقص هذا الرقم الى لا شيء عندما تتناقص قيمة المخزون من الكتب .

وسلعة هذه بعض سماتها كيف يقدر لها ان تعيش بل وتنمو اذا ظلت بعض الحكومات العربية تعاملها معاملة السلع العادية من ناحية القيود التي ذكرناها . ان القاعدة الذهبية في سياسة تسويق الكتاب ، بله التوزيع الكبير ، هي العمل على وجوده في مظان استهلاكه لا في الاماكن التي يمكن ان يباع فيها فحسب . ووضع هذه السياسة موضع التنفيذ العملي يقتضي بل يحتم ان تفتح كل دولة من الدول العربية بابها على مصراعيه امام الكتاب العربي لكي يتنقل فيها الى حيث يوجد مشتروه . ولكن القوانين والاجراءات القطرية التي تقيد من حرية التحرك هذه ، تحرم الكتاب العربي من ان ينفذ الى جزء كبير من سوقه الطبيعية. فالى اين يتجه اذن وفي اى سوق يباع ؟

عمليات التهريب

ان القيود النقدية التي تفرضها بعض الحكومات العربية على تصدير الكتاب باعتبار انه سلعة تجارية عادية قد زادت من غيوم الشك التي تخيم دائما على علاقة تجارة الكتاب والهيئات الحكومية المختصة مثل مراقبة النقد دفعت بعض التجار ــ ولا اقول الناشرين ــ الى القيام بما اطلق عليه عمليات التهريب . فطبيعة الاتجار في الكتاب كما رأينا تأبى عليه ان يخضع للقيد الخاص بضرورة استرداد قيمة ما يصدره تجار الكتب في قطر عربي الى الاقطار الاخرى في غضون فترة زمنية تحددها القوانين واللوائح والا توقع عليهم عقوبات مالية وبدنية قاسية . والاداة الادارية التي تراقب السلطات النقدية بواسطتها استرداد قيمة الكتب المصدرة هي على ما يطلق عليه في مصر « استمارة ت.ص » وهي عبارة ترتعد لها فرائص تجار الكتب في مصر وكثيرا ما ادت الى مثول عدد غفير منهم امام القضاء ، وفي بعض الاحايين ، ظلما وعدوانا نتيجة لاهمال الجهات المشتركة في مراقبة عملية التصدير . ان البيع القطعي في مجال الكتب نادر الا في نطاق الكتب المدرسية والجامعية المقررة . اما كتاب الثقافة العامة الذي يعنينا امره فلا يمكن ان يتم بيعه بهذه الطريقة الا في نطاق نسخ محدودة العدد . فاذا اراد تجار الكتب تصدير عدد كبير ، فان الهيئات الحكومية المختلفة تعتبرها كلها مبيعة وتخضع لشرط استرداد قيمتها مما يعرض صاحبها لخسائر مالية وعقوبات جنائية . وفضلا عن ذلك فان الهيئات المنوط بها تنفيذ القيود المفروضة على تصدير الكتاب لا تعترف بنظام البيع على

سبيل الامانة مع انه افضل نظام يمكن ان يتبع فى هذا المجال .

اتفاقية دفع وتجارة مستقلة للكتاب

ان السبيل الذى اراه كفيلا لحل مشكلات تداول الكتاب العربى بين الاقطار العربية هو وضع « اتفاقية دفع وتجارة » مستقلة للكتاب والصحف وغيرها من المطبوعات ، تنظم بمقتضاها عملية تداول الكتاب بين الاقطار العربية ، فيفتح لدى البنك المركزى فى كل دولة حساب مستقل لكل دولة من دول الاتفاقية يطلق عليه اسم خاص ليكن « حصيلةالكتاب » او « حصيلةالمطبوعات ». ونقيد فى هذه الحسابات قيمة المطبوعات التى تصدرها الدولة الى الدول الاخرى وكذلك قيمة المطبوعات التى تستوردها منها . ويجب ان ينص فى الاتفاقية ان قيد القيمة لهذا الحساب يعتبر بمثابة تسديد الاستمارة (ت . ص) وينبغى ان تقضى هذه الاتفاقية بامكان استخدام الرصيد الدائن لدولة من الدول المنضمة اليها فى تسديد الرصيد المدين لدولة اخرى . وبهذه الوسيلة يسود تجارة الكتاب بين الاقطار العربية مبدا التجارة المتعددة الاطراف Multiple trade بدلا من مبدا التجارة الثنائية Bilateral trade وبهذه الوسيلة يحل نظام مشترك للمدفوعات الناشئة عن تجارة الكتاب بين البلاد العربية ، محل نظم التسديدات الثنائية السائدة بينها حاليا وهو نظام ثبت بما لا يدع مجالا لشك ، انه يدعو الى اضطراب التجارة وتخلخلها فى الفترة التى تسود فيها . وما كان الهدف الرئيسي لقيام الهيئات الدولية التى انشئت بعد الحرب العالمية الثانية مثل صندوق النقد الدولى ، واتفاقية « الجات » وغيرهما سوى احلال النظم المشتركة للتجارة والمدفوعات محل النظم الثنائيةالتى تميزت بها فترة ما بين الحربين وساهمت بنصيب وافر فى اندلاع الحرب العالمية الثانية .

عدم الالتزام بسعر واحد

وفكرة اساسية ارى انه ينبغى ان تتضمنها هذه الاتفاقية،هى عدم الالتزام بسعر واحد Unitary exchange rate لتحويل عملات البلاد المشتركة فيها بعضها الى بعض . ولكن ، على العكس من ذلك ، ينبغى ان تبيح هذه الاتفاقية تحديد اسعار تحويل عملات البلاد المنضمة اليها فى حالة التعامل على الكتب والصحف وغيرها من المطبوعات على اساس مبدا سعر الصرف المتعدد (٥) Multiple exchange rate وهو نظام اباح صندوق النقد الدولى ، اتباعه لمعالجة بعض الادواء النقدية التى منيت بها بعض البلاد النامية فى مثل الحالة التى نعالجها فى هذا البحث .

الكتاب داخل السوق الاوروبية المشتركة

واذا كان تبادل الكتب يكاد يتم بحرية تامة داخل السوق الاوربية المشتركة وداخل منطقة التجارة الحرة لبعض بلاد امريكا اللاتينية ، واذا كانت هذه البلاد المتقدمة قد عقدت العزم التخلص مما تبقى من قيود اقتصادية بالنسبة لتبادل الكتاب بينها (٦) ، فان وضع الكتاب فى البلاد العربية ، يحتم عليها ان تجمع كلمتها وان تحزم امرها على معالجة هذه المشاكل بنظرة اشمل واوسع وبصدر اكثر رحابة وبروح اكثر تسامحا .

ومما ييسر انشاء هذه الاتفاقية ان الغالبية العظمى للبلاد العربية تربطها اتفاقيات دفعوتجارة ثنائية والكتب من بين السلع التى تتضمنها هذه الاتفاقيات . ولا يبقى على تحقيق الفكرة التى ننادى بها الا ان نجتزىء من الاتفاقيات الحالية بالكتاب وتضمنه الاتفاقية الجماعية الجديدة على ان تتمشى نصوصها مع ما يتسم به الكتاب على وجه الخصوص والمطبوعات على وجه العموم من صفات ومميزات وما احسب الجامعة العربية بهيئاتها واداراتها المختلفة الا قادرة على الدعوة لهذه الفكرة والعمل على وضعها موضع التنفيذ العملى . ■■

صليب بطرس
المستشار الفنى لمؤسسة
اخبار اليوم

(٥) J.E. Meade, The Balance of Payment Oxford University Press. 1951 PP 268-72 .

(٦) Robert Escarpit, op . cit PP 90-91.

طرائف غريبة



فرويد والاشباح !



● الدكتور سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ ــ ١٩٣٩) العالم النفسانى الكبير ، ومؤسس علم التحليل النفسى، يقول: «انه من الخطأ ان نجعل المريض يشعر دائما بانه على حق، حقيقة ان الانصات لشكوى المريض الذى يعانى من حالة نفسية ، يشعره باهتمام الطبيب المعالج .. ولكن هناك حالات كثيرة تتطلب قدرا من التهوين على المريض والضحك منه فى بعض الاحيان » .

ثم يروى فرويد بعد هذا قصة سيدة جاوزت عامها الخمسين ، جاءته يوما الى عيادته فى لندن ، بعد ان ترك التدريس فى جامعة فيينا ، واتخذ من انجلترا مقرا له ووطنا جديدا ، يقول : « لقد كانت السيدة تشكو من الاشباح الذين يعيثون فى بيتها فسادا ، وينغصون عليها حياتها ، حتى انهم اضطروها فى نهاية الامر الى ترك البيت الذى ورثته عن امها والذهاب الى احد الفنادق ، حيث اقامت مع زوجها .

وقلت اسألها : « هل يشكو زوجك ايضا من هؤلاء الاشباح ؟ » .

قالت : « مشكلتى يا دكتور ، ان زوجى لا يكاد يحس بوجودهم ، فهو يسخر منى فى بعض الاحيان ويتهمنى بالجنون .. ما رأيك انت ، هل ترانى مجنونة حقيقة ؟! » .

قلت : « معاذ الله . ولكن ما رأيك فيما لو ذهبنا ثلاثتنا لمطاردة الاشباح التى تسكن بيتك ؟ لقد عانيت انا نفسى من الاشباح ، ولى سابق خبرة بالتفاهم معهم . من يدرى فلعلهم يقتنعون ويتركون بيتك ليسكنوا بيتا آخر » ، وضحكت .. وكانت مفاجأة عندما وجدتها تضحك هى الاخرى ، وقالت : « ولكن هذه اول مرة اسمع فيها بان الاشباح تترك ، عن طيب

السياسة

« السناتور وليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى، يؤمن بالسياسة ولكنه لا يؤمن كثيرا بالسياسيين .. وهو يقدر الدور الخطير الذى تلعبه الصحافة فى عالم اليوم ، ولكنه لا يحب كل الصحفيين ..

انه يرى ان السياسة علم وخبرة وتجربة .. والصحافة خبر ورأى حر ورسالة .. ولكن ليس كل من اشتغل

خاطر، البيت الذى اختارته سكنا لها !» قلت : « لماذا لا نجرب ! » .
وجربنا .. وذهبت لانزل فى ضيافة هذه السيدة وزوجها ثلاثة ايام .. وفى اليوم الثالث انتهزت فرصة ذهابها الى السوق وعدت الى عيادتى !
وما كدت ادخل مكتبى حتى وجدتها هناك، تجلس فى انتظارى . قالت تسألنى فى لهفة : « ماذا حدث ؟ » قلت : « لقد ذهبوا الى غير رجعة يا سيدتى .. اقتنعوا اخيرا بان الحياة فى بيت لا تدخله الشمس ، يضر بصحتهم وربما قضى عليهم انصحك بان تتركى انت وزوجك هذا البيت وتبحثا لكما عن بيت آخر » .
ولكن السيدة لم تترك بيتها .. لقد تشبثت به بعد ان هجرته الاشباح !!

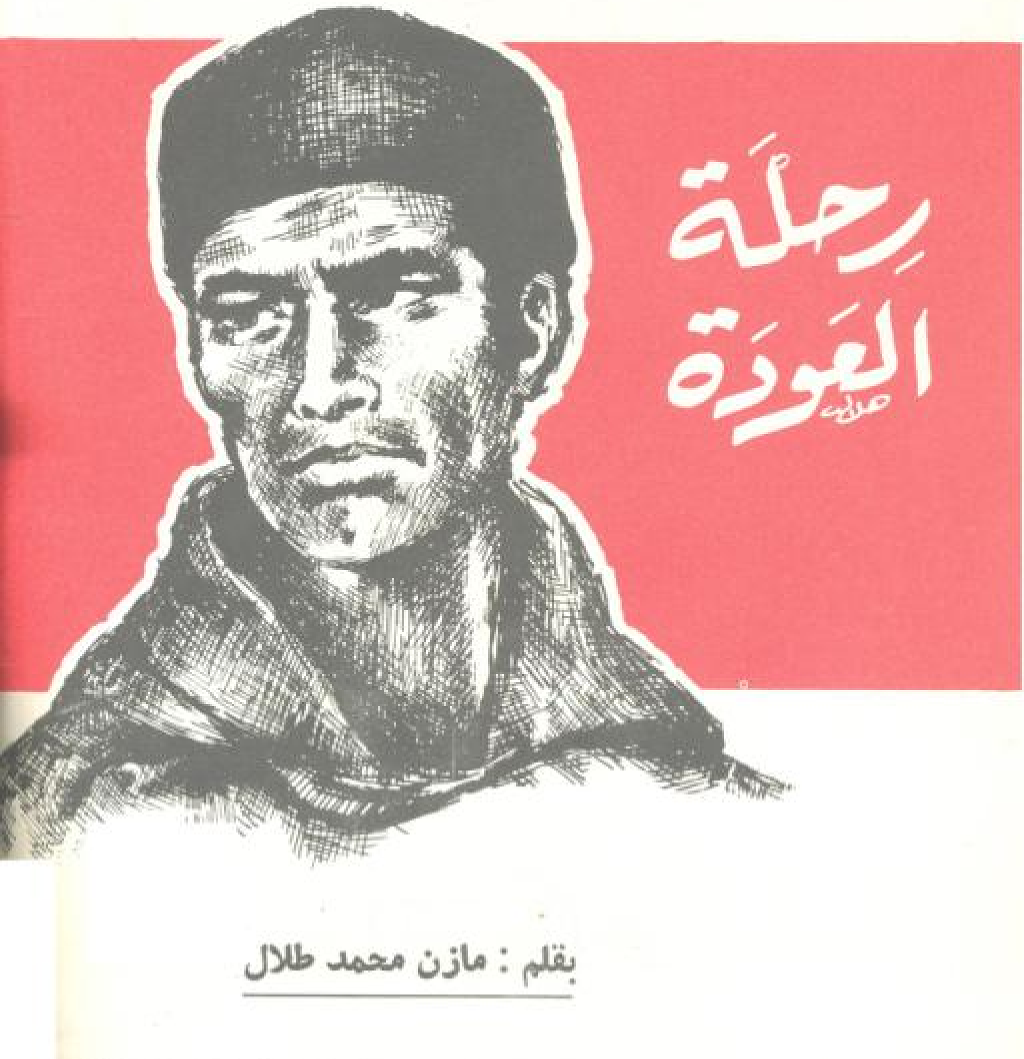
ان كانت المعدة تجوع ، فكذلك يجوع العقل



● بنيامين فرانكلين Bnejamin Franklin (١٧٠٦ ــ ١٧٩٠) ، السياسى والفيلسوف الامريكى الشهير ، الذى اشترك فى وضع الدستور الامريكى بعد الاستقلال ، كتب يوما يصف اقسى مرحلة مر بها فى حياته ، عندما الحقه والده بمطبعة صغيرة فى مدينة بوسطن ، ليتعلم فيها فن الطباعة ، قال : « كنت صبيا صغيرا جائعا ، ولكن جوعى للعلم ، كان اشد من الجوع الذى يعصر معدتى !»
ثم يروى فرانكلين قصة اول لقاء له مع الكتب ، يقول : « كنت يومها فى السادسة عشرة من عمرى ، عندما وقع فى يدى كتاب عن النباتيين .. ورحت التهم صفحاته التهاما ، حتى اذا ما وصلت الى نهايته ، قررت الا اضع فى فمى بعد اليوم لحم حيوان مذبوح !
وخطرت لى فكرة .. اننى اقيم انا واخى فى بيت اسرة ، مقابل مبلغ من المال يتكفل اخى الاكبر بدفعه كله . فذهبت اليه وقلت ، لماذا لا تعطينى نصف ما تدفعه لى مقابل اقامتى هنا .. وانا ادبر عيشى فى مكان آخر .. لقد وفرنا لهم كثيرا منذ ان قاطعت اللحوم ، ولكنهم لا يريدون ان يخفضوا اجر اقامتنا . ووافق اخى !
« وذهبت لكى اعيش فى بيت صديق ، وآكل الارز والبطاطس المسلوق .. وبعد اسبوع واحد اكتشفت اننى استطيع ان اوفر نصف المبلغ الذى يدفعه لى اخى اسبوعيا .. وكانت فرحتى كبرى .. لقد استطعت ان املأ معدتى وان املأ راسى .. وبدات انفق كل سنت ادخرته فى شراء الكتب !! ولاول مرة فى حياتى احسست اننى بدات اشبع ! » .
يقول هـ . ج ولز فى وصفه لبنيامين فرانكلين : « هذا الصبى الفقير الصغير الذى اراد ان يصلح من نفسه ، فاذا به يكبر وينضج ويصلح كل شىء من حوله !»

والصحافة !

بالسياسة سياسيا ، وليس كل من كتب فى الصحف ، صحفيا حرا .
فالمرشح لمنصب سياسى يخاطب الناخبين ، حتى اذا ما بدأ يناشد على حد قوله « كل ناخب مستنير » ، وجدناه يعنى هؤلاء الذين وعدوا باعطائه اصواتهم .
وكذلك المعلق السياسى الذى يخاطب فى مقالاته « كل رجل مفكر » .. انه فى واقع الامر لا يعنى الا نفسه فهو انما يحاول ان يفرض رأيه فرضا على القراء .



رحلة العودة

بقلم : مازن محمد طلال

■ « على » ، فلاح شاب حكم عليه القدر بالبقاء في قريته الصغيرة النائية .

في بيت عجوز مهلهل الاركان ، تكور علىّ في احدى زواياه المظلمة ، وقد افترش وسادة خشنة، واتخذ من ركبتيه وسادة ارخى فوقها راسه الثقيل . كان جسده متيبسا وعيناه غائرتين في راسه ، تلمح في اعماقهما مأساة وخيبة امل .

كان رمضان يجتاز ايامه الاخيرة ، ولم يكن قد بقى على موعد الافطار سوى ساعة . لمح زوجة ابيه وهى تجتاز العتبة الى الخارج ، حاملة في يدها زجاجة مصباح بترول يكسوها السناج . وعادت بعد قليل تبحث عن خرقة تمسح بها تلك الزجاجة بعد ان غسلتها بالماء. بادرها علىّ فجأة :

ـ اين ابى ؟ اجابته ببرود : ـ لا ادرى

وبعد فترة صاح قائلا :

ـ كم بقى من الوقت ! اجابته بنفس البرود : ـ لا ادرى !

هب واقفا وهو يهمهم بكلمات غير مفهومة ، لم



عندما تشقشق الفجر ،انتفض على في مكانه . وعندما نهض ، احس بدوار ، لكنه بعد قليل استطاع ان يحافظ على توازنه. بدل ملابسه بسرعة ، ويبدا يستعد فعلا للسفر .

كان والده ينظر اليه بقنوط دون ان يقول شيئا . كان هناك صراع بين رغبة الاب ومنطق ابنه ، ولو كان هو في مكان ابنه لما اتخذ غير قراره

اقتحم الباب الى الخارج. قادته قدماه نحو مسجد صغير بدون مئذنة يقبع في نهاية زقاق . اختلس النظر من خلال شق عريض في بوابة ذلك المسجد، فشاهده مكتظا بالرجال وهم يرتلون آيات قصيرة يكررونها وايديهم ترتفع نحو السماء تطلب الغيث من الله،عساه يجود عليهم بالمطر،حيث ان الجفاف وعدم سقوط الامطار الى ذلك الوقت « اى الى اول نوفمبر .. بعث فيهم اليأس ، وملأهم بالخوف من كارثة قحط . ان كل ما يتمناه «على» هو ان يستجيب الله لتلك الدعوات فيخلصه مما هو فيه ، وينقذ امله من الخيبة .

ان مشكلة علىّ تتلخص في رغبته بالزواج ، وان تلك الرغبة ملكت عليه. حواسه الى درجة تكاد تفقده صوابه . قبل حوالى عامين ، كان قد وعد ابنة شيخ الجامع بالزواج منها اذا ما كان محصولهم لذلك العام جيداً . وداعبه الامل الى وقت طويل ، لكن امله خاب عندما وصلته انباء تقول بانها زفت الى ابن عمها الذى يعمل في فرنسا . لقد غضب يومها غضبا شديدا وهرب من البيت الى حيث لا يدرى احد ، لكنه عاد اليه بعد حوالى ثلاثة ايام . كانت غيبته تلك موضع تساؤل كل القرية ، حتى والده، لم يستطع ان يفهم الامر على حقيقته الا يوم ان صارحه برغبته .

كان على قد جاوز الحادية والعشرين في ذلك الوقت ، والرجل في قرية مثل تلك القرية يندر ان يجاوز العشرين دون زواج . احس الاب حينها بمسؤوليته ، وبدا يفكر في الامر بجد . ان امكانياته لا تسمح له الا بقوت يومه ، ومسألة

الزواج هذه التي ينادى بها ابنه ، مسألة مهمة وخطرة يجب ان يخطط لها من الآن !

استطاع الاب ان يقنع ابنه بحقيقة واقعه في ذلك الوقت ، ولكنه بعث الامل في ابنه الى العام القادم .

« وجاء العام القادم » وكان هذا قبل عام ، وكان عليّ قد استطاع توفير مبلغ من المال حصل عليه نتيجة قيامه باعمال ثانوية لبعض سكان القرية . اما المحصول ، فقد كان جيدا نسبيا،رغم ان الفيضانات والامطار الغزيرة اهلكت قسما كبيرا منه . ارتدى كسوة العام الجديد ، ومع تلك الكسوة ، انتفض الامل في صدره بدغدغه . كان يجوب القرية كل يوم بطولها وعرضها مختالا، يختلس النظر من خلال نافذة مفتوحة او من خلال باب مفتوح .. الى ان قر قراره اخيرا على امر صارح به اباه . الا ان الخيبة كللت مسعى الاب .

هكذا بقي الامر معلقا الى حين .. الى ان حدث ما قضى على امله نهائيا في ذلك العام . لقد توفي شقيقه الاصغر ، والاخوة في ذلك المجتمع صلة قرابة قوية تلزم الانسان بارتباطات عائلية كثيرة ، اولها الحداد التام .

ابتلع عليّ خيبته للمرة الثانية ، ورضي بالواقع الجديد .

تجدد امله مرة اخرى خريف هذا العام ، وصمم على تحقيق هدفه باى ثمن ، حيث ان بقاءه هكذا بدون زواج امر يثير القال حوله .. خاصة وان جميع اقرانه لهم الآن بيوت وذرية .

كان « البحث عن فتاة » اول خطوة قام بها عليّ في طريق اعتماده على نفسه . لم يجد صعوبة في ذلك لحسن حظه .. اذ سرعان ما لقى تجاوب ابنة صاحب الدكان الوحيدة في القرية . لقد نالت تلك الفتاة اعجابه ، رغم انها لا تتمتع بشيء يوصف من الجمال ، ورغم انها تكبره على الاقل بعامين .

اما الخطوة الثانية فكانت البحث عن عمل آخر بالاضافة الى عمله في ارض ابيه . لحسن حظه ايضا ، تمكن من ان يجد ذلك لدى شيخ كبير .. في حاجة الى من يفلح له ارضه ، كما انه استطاع بعد اخذ ورد مع ذلك الشيخ ان يتفق معه على ثلث الناتج .

منذ ذلك الوقت ، وعليّ يعيش على امله الكبير . لكن ، في الفترة الاخيرة بدأ يحس بالخيبة للمرة الثالثة ، وتكون لديه ما يمكن ان نسميه عقدة تجاه القدر . تغير سلوكه ، وتعكر مزاجه ،واصبح من ذلك النوع العصبي الذى يثور لاتفه الاسباب « لماذا يمتنع المطر عن السقوط هذا العام ؟! .

عاد عليّ الى البيت بعد حوالي نصف ساعة ، وبعد ان تأكد من وجود ابيه في المسجد . كانت زوجة ابيه مشغولة في ترتيب المائدة واعداد طعام الافطار عندما اقتحم البيت عليها . كانت ملامحه لا تزال جامدة ، بحيث ان تلك المرأة لم تجرؤ على تكليفه باى عمل . ما هى الا نصف ساعة اخرى ، حتى اقبل والده بسرواله الفضفاض يتمتم بدعوات كثيرة حفظها عن ظهر قلب لكثرة ما رددها طيلة ذلك الشهر . اقتلع عمامته وخلع سترته ، ثم تربع على عرش المائدة ، معلنا ان وقت الافطار قد حان .

لم تخف ملامح عليّ على والده ذاك المساء . دهش عندما لاحظ ابنه يقوم تاركا المائدة . خاطب زوجته بريبة :

ـ ماذا به ؟ رمقته ببرود وهى تهز كتفيها
ـ لا ادرى !

ما مضت عشر دقائق حتى خطا الابن عتبة البيت الى الداخل . كان الوالد مشغولا بحشو ورقة سجائر بقليل من التبغ . ما ان لمح هذا ابنه حتى صاح به :

ـ ضع القهوة على النار يا عليّ .

كانت الزوجة تمسح بقايا الطعام المتناثرة .

عاد عليّ ليجلس صامتا على مقربة من ابيه ، يجاهد صراعا داخل نفسه . امتدت يده لتناول كوب من القهوة وضع امامه . زلق هذا الكوب فجأة من يده واندلق على ثيابه . تململ ببطء في مكانه ، الا ان والده صاح به :

ـ قم واغسل سروالك .. ماذا دهاك !

رجع الى مكانه ليتناول كوبا آخر من القهوة صب له . تمعن فيه والده جيدا قبل ان يبادره :

ـ هل انت مريض يا عليّ ؟

نظر الى والده بفتور ، وهو يحاول ان يرسم ابتسامة على شفتيه :

ـ لا لا .. كل ما في الامر انى تعب قليلا .

لقد غلبني الصيام هذا اليوم كما اني لم انم جيدا ليلة البارحة .

اطمأن الاب للهجة ابنه ، لكنه انتبه بفضول عندما قال عليّ فجأة :

ـ اريد ان احدثك بشيء يا ابي .

انفعل الاب وهو يقول :

ـ شيء ؟ وتململ مقتربا من ابنه :

ـ وماذا تريد ان تقول :

تردد عليّ قبل ان يجيب ، لكنه اخيرا قال بشجاعة :

ـ سأسافر غدا .

استندت الزوجة بعد ان كانت مستلقية فوق فراش عتيق محشو بالقش :

ـ ستسافر غدا ؟ .. الى اين ؟

لم يعرها انتباها ، لكنه وجد نفسه يجيب والده ، الذي ردد نفس كلمات زوجته :

ـ سأذهب الى الجزائر .. او الى وهران .. وربما الى فرنسا .

حاول الاب ضبط اعصابه لدهشته وهو يقول :

ـ لكن لماذا ؟!

ـ اريد ان ابحث عن عمل هناك .

اطرق الاب قليلا ثم خاطب ابنه :

ـ ولكنك هنا تعمل .. الا يرضيك هذا العمل ؟

اجاب عليّ بضيق :

ـ لا يوجد عمل هذا العام وانت تعرف يا ابي لماذا .. سوف يقتلك الجوع ويقتلنا ان بقيت معكم هنا . لم تنزل قطرة من المطر حتى الآن !

اضطرب الاب وهو يقول :

ـ صحيح هذا .. انه امر الله يا بني .. لا يجوز الاعتراض عليه .

ساد صمت . كان عليّ مطرقا براسه ، ووالده ينظر اليه باشفاق ، قطعت الزوجة حبل الصمت وهي تخاطب زوجها :

ـ اهو جاد في قوله ؟

اجابها بحيرة :

ـ لست ادري ان كان جادا ام لا .. اني لا استطيع ان اصدق .

ارتفع صوت الابن ليقول بحزم :

ـ نعم جاد . سأغادر البلدة فجر الغد .

حملق الاب في ابنه بدهشة . ساد صمت قطعه صوت الاب عندما قال فجاة :

ـ غدا ؟! .. لماذا غدا .. هلا انتظرت الى آخر رمضان ؟ ..

لم يبق سوى عشرة ايام .. ربما .. ربما يفرجها الله خلال ذلك .

واردفت الزوجة :

ـ اجل يا علي .. يجب ان تطيع والدك . ان الحق معه في هذه الحالة .

بقي عليّ مقطبا جبينه ينظر نحو بقعة معينة وقال بلهجة حازمة :

ـ لا استطيع . سيسافر معي بعض شباب القرية .

وساد صمت ، احتار ثلاثتهم فيم يبادر به الواحد الآخر .

نهض الاب فجاة وهو يخاطب ابنه :

ـ هيا يا علي .. هيا لنصلي العشاء معا .

.. وخرجا الى المسجد .

حاول الاب خلال غيبته اقناع ابنه بعدم الذهاب ، الا انه لم يتمكن من ذلك . كان عليّ متصلبا في رايه .

عندما عاد الى البيت ، كانت الزوجة قد اعدت الفراش للنوم وقد دست نفسها تحت غطاء خشن فاغفت قليلا . ما ان اقتحما البيت حتى انسلت من تحت غطائها بخفة وهي تقول :

ـ ها قد عدتما .. لقد تأخرتما كثيرا !

لم تسمع ردا على تعليقها ، لكنها سمعت زوجها يقول بعد قليل بلهجة عصبية :

ـ انه عنيد .. لا يريد ان يغير رايه .

تابع الابن تبديل ملابسه دون ان يقول شيئا . ما هي الا لحظات حتى كان عليّ يتقدم بثبات نحو فراشه ويدس نفسه تحت اللحاف :

ـ لا تنسوا ان توقظوني فجر الغد .

كانت الساعة حوالي العاشرة .

بقي الاب واقفا في مكانه يمج سيجارته بانفعال ، وقد تسمرت عيناه فوق فراش ابنه . اما زوجته ، فقد التزمت الصمت والحياد . سلم الاب اخيرا بالامر ، فخلع عمامته لتكشف عن مفرق غزاه الشيب ، وعن راس بانت تجاعيده ، ثم بدل بقية ملابسه ، ودس نفسه بجانب زوجته التي

كانت قد سبقته الفراش وهو يزفر بعمق :

ــ لا حول ولا قوة الا بالله !

لم يغمض للاب جفن في تلك الليلة ، كما ان عليا امضى وقتا طويلا في صراعه مع اشباح افكاره. كانت صورة القطار وهو يذهب به بعيدا عن قريته من اكثر ما مس احساسه وعواطفه . غدا ساكون في مدينة الجزائر :

لقد سبق لعلي ان زار تلك المدينة . كان ذلك قبل حوالى خمس سنوات عندما ذهب مع قافلة محملة بصناديق التمور ، حيث عمل على تفريغها في احد المخازن الكبيرة . امضى حينها يومين برفقة بعض من آتوا معه. لقد بهرته المدينة لدرجة ان ذكراها بقيت عالقة في نفسه الى امد طويل .

استيقظ كالمذعور على صوت قرقعةصحونداخل البيت فاستند في فراشه ، كانت زوجة والده تعمل على اعداد طعام السحور ، وعلى مقربة منها كان والده يتهجد . هب واقفا عندما عنت بباله فكرة السفر ، وتقدم نحو باب البيت . لمحه ابوه، فقطع تهجده صائحا :

ــ الى اين يا علي ؟

نظرت اليه زوجة ابيه ايضا بدهشة . لكن عليا قال ببرود :

ــ اريد قضاء حاجة .

كان الجو باردا كالعادة في ليل المناطق القريبة من الصحراء . ارتعش بدنه في البداية ، الا انه استطاع بعد فترة ان يتحمل ذلك . كانت هناك رائحة غريبة تعبق في جو القرية .

عندما رجع ، كان يدعك انفه ، وما كاد يدس نفسه في فراشه حتى عطس ، احس بقشعريرة ، فانكمش وطمر نفسه باللحاف . ما هى الا دقائق حتى كان والده يصيح :

ــ قم يا علي .. السحور جاهز .

قام علي مضض ، واثناء الطعام دار حديث . لم يسفر ذلك الحديث عن شيء جديد ، وبقي الابن متمسكا برايه . عندما نهض عن المائدة ، انتابته نوبة عطاس احمر بسببها وجهه ، ودمعت عيناه .

قال الاب لزوجته :

ــ حضري كوبا من التيزان .. لقد اصابه برد .

ثم قال كلمة اخيرة خاطب بها ابنه :

ــ نصيحتي اليك اخيرا الا تذهب غدا . سوف تمرض . انت حر على اى حال .

ولم يقل علي شيئا .

عندما شقشق الفجر ، تململ علي في مكانه . وعندما نهض ، احس بدوار ، لكنه بعد قليل استطاع ان يحافظ على توازنه . بدل ملابسه بسرعة ، وبدأ يستعد فعلا للسفر .

كان والده ينظر اليه بقنوط دون ان يقول شيئا . كان هناك صراع بين رغبة الاب ومنطق ابنه ، ولو كان هو في مكان ابنه لما اتخذ غير قراره . قال الاب فجاة .

ــ هل معك نقود ؟

ــ معي تذكرة القطار ، ومبلغ لا باس به .

استدار علي فجاة نحو والده مادا يده. خفض الاب راسه ثم عانق ابنه . اما زوجة والده ، فقد ابتسم لها وهو يمد يده :

ــ وانت يا خالتي .. الى اللقاء .

تقدمت نحوه وطبعت على جبينه قبلة وهي تقول :

ــ رافقتك السلامة . لا تنس ان تكتب لنا عندما تصل .

خرج علي من البيت حاملا في يده صرة صغيرة وضع بها ضرورياته . اثناء الطريق ، فكر بزيارة اخواته الخمس المتزوجات . الا انه عدل عن فكرته تلك بان الوقت غير ملائم ، وان ليس لذلك اهمية كبيرة ، وتابع سيره الى خارج القرية . ان عليه الآن ان يقطع مسافة تقرب من ثلاثة كيلو مترات حتى يصل الى محطة القطار . اسرع في مشيته . لم تكن الشمس حتى ذلك الوقت قد بزغت . التفت خلفه فجاة عندما سمع صوتا يناديه . توقف ثم امعن النظر . كان والده يهرول نحوه .. ما ان وصل الوالد ، حتى بادره ابنه بدهشة :

ـ ماذا حدث يا ابى ؟

قال الاب وهو يلهث :

ـ لا شيء .. لقد احضرت لك مبلغا من النقود.

ـ لا يهم يا ابى .. ان معى كفايتى .. ثم انا ذاهب لاعمل ..

ـ لا عليك (ودس الاب مبلغا في جيب ابنه) .

رافق الوالد ابنه يكيل له النصائح . ما ان وصلا محطة القطار ، حتى كانت الشمس تطل بقرصها في فضول على تلك الناحية .

كانت قاعة الانتظار خالية تقريبا من المسافرين، وقد ظهر في احدى زواياها بائع التذاكر الذى سيطر عليه الملل لقلة عمله ، فاسند راسه الى الحائط ، وبدا كانه في غفوة .

طال بعلىّ الانتظار ولما يات احد من اصحابه بعد . تقدم نحو بائع التذاكر ونبهه بقوله :

ـ كم بقى لموعد القطار ؟

نظر الرجل الى ساعته وقطب جبينه في دهشة:

من المفروض ان يكون الآن قد مر .. على كل حال انتظروا عشر دقائق .. فمن المفروض ان ياتى .

عاد علىّ ليجلس بجانب والده . ما هى الا دقائق حتى سمع صوت شخص يقبع خلف طاولة صغيرة ويعمل في محطة القطار يصيح بالمنتظرين القلائل من ان القطار سيصل بعد حوالى نصف ساعة .. حيث ان هناك اسبابا اعاقته .

انتهز الابهذه الفرصة ليلحعلى ابنه مرة اخرى بالغاء رحلته .. او بالاحرى تأجيلها الى وقت آخر ، باعثا الامل في ابنه قائلا :

ـ صدقنى يا بنى بان الاحوال ستتحسن خلال هذا الاسبوع .. لقد تغير شكل السماء منـــذ يومين وبدات الغيوم تتكاثر .. واذا كنت لا تصدق فتعال لأريك ذلك .

وجذب الاب ابنه الى خارج المحطة.شاهد علىّ قطعا من الغيم متناثرة في ارجاء السماء ، لكن ذلك المشهد لم يكن كافيا لاقناعه بكلام والده ..

ورغم انه تذكر في تلك الحظة ان ضوء القمر لم يكن يغمر القرية غسق ذلك اليوم .

لم يات حتى تلك اللحظة اى من اصحاب علىّ الثلاثة ، وقد شجع ذلك الاب على التمادى في الحاحه على ابنه بالغاء رحلته . لكن الابن لم يكن يزداد الا عنادا .

سمع صوت قطار يقترب ، فعادا الى داخـل المحطة ، وما هى الا دقائق حتى توقف القطار . كاد علىّ يجتاز حاجز المسافرين ، لكن المراقب منعه قائلا بان ذلك القطاع قادم من الشمال، فعادا الى مقعديهما بملل .

فوجئا بشخص يتقدم نحوهما وهو يطبع على شفتيه ابتسامة عريضة ويحمل بيده حقيبةضخمة ورزمة كبيرة . ما ان ابصره الوالد حتى وقف مرحبا :

ـ اهلا اهلا .. ما هذه المصادفة !

اما علىّ فقد شعر بضيق لمرآه .

لم يكن ذلكالرجل سوى زوج ابنة شيخ الجامع التى طمع فيها يوما ما . اخفى مضضه وابتسم ، ثم احتضن ذلك الرجل . وما هى الا لحظات حتى عرف الاب وابنه شيئا كثيرا من ذلك الرجل ، وكان مما قاله ان امطارا غزيرة سقطت في ضواحى الجزائر ، وان هناك خوفا من كارثة فيضان كالعام الماضى .

ما ان غادر ذلك الرجل المحطة ، حتى بادر الأب ابنه بقوله :

ـ الم اقل لك ذلك ؟ الم اقل لك بان الخير سيأتى بعد الآن ؟ هل سمعت ما قال ؟

طاطا علىّ راسه كانما اسقط في يده . استطرد الاب في كلامه :

ـ هيا نرجع الآن .. ما الفائدة من ذهابك . اقسم يا بنى بان الله قد استجاب لدعواتنا طيلة شهر .. ان الله لا يخيب الرجاء .. دعك من فكرة السفر السخيفة هذه .. هيا هيا .. ان قلبى يحدثنى بان الخير سيكون هذا العام عاما طاما . وقاما .

ما كادا يغادران المحطـة ، حتى تنـاهى الى

مسامعهما صوت قطار قادم. تباطأ علي في مشيته، لكن ما ان احس بالقطار يتوقف ، حتى نازعته الرغبة من جديد لزيارة الجزائر ، فما ملك الا ان صاح بوالده وهو يهرول نحو المحطة :

ـ الى اللقاء يا ابي ..

تبعه ابوه . لكنه عندما وصل الى المحطة ، كان علي قد تسلق القطار والقى بنفسه في احدى عربات الدرجة الاخيرة، جلس علي على احد المقاعد قريبا من النافذة وادار راسه نحو رصيف المحطة. لمح من بعيد والده يقف ذاهلا يتلفت يمنة ويسرة، فما لبث ان اخرج يده ولوح بها لوالده . وعندما شاهده هذا التمع في عينيه غضب ، لكنه لم يفعل شيئا .

وغادر القطار المحطة .

سيطر على علي اثناء رحلته شعور غريب .. شعور امتزج فيه الامل والندم ، والخوف والشجاعة . لقد قام بخطوة جريئة لا يدري ما عواقبها ، لكنه رغم ذلك كان يهدف الى شيء . التفت نحو قريته والقطار يبتعد عنها ، ولم يحول بصره الا عندما تحول كل ما فيها الى شبح . عندها شعر بالوحدة .. ونازعته رغبة في العودة.

احس بثقل في راسه ، فتمدد على المقعد مرخيا يديه فوق جبهته . اغمض عينيه وراح في غفوة . وعندما استيقظ احس بدوار .. وانتابه شعور يشبه الندم . ارتسمت امامه صورة والده الغضبان ساعة الوداع فهز راسه. كان يحتل وحده ذلك القسم من العربة مما زاد شعوره بالوحدة واطلق العنان لخياله باتخاذ ما شاء من صور .

.. ومرت في ذهنه قريته وراى ما فيها .. ووجد نفسه يعرج على بيت هذا ليخرج الى بيت ذاك .. تذكر اصحابه الثلاثة الذين خلفوا ميعادهم فما كان منه الا ان لعنهم ووصفهم بالجبن .. تذكر ابنة صاحب الدكان الوحيدة في القرية فاذكت في نفسه املا .. فخرج الى بيت العجوز الذي كان قد اتفق معه في بداية موسم الشتاء .. وتذكر والده مرة اخرى .. وبيته وارضه تذكر كل شيء ..

استولت تلك الصور على ذهنه تماما .. كان القطار يقترب من المحطة التالية ، وعندما توقف تذكر انه يسير في طريقه الى الجزائر .

صعد مسافرون . دخل عربته ثلاثة منهم ، فما كان منه الا ان استوى في جلسته واخذ يحدق بهم . مضت فترة طويلة دون ان يقول احدهم شيئا . خاطب عجوز شابا كان يجلس بجانبه .

ـ يقولون ان الصيام لا يجوز على المسافرين مسافة طويلة .. هل هذا صحيح ؟

واجاب الشاب .

ـ نعم .. اذا كانت المسافة تزيد على ثمانين كيلو مترا .

ابتسم الشيخ برضي وقال معلقا :

ـ لقد تجادلت مع بعض الشيوخ بالامس ، فقالوا لي ان الصيام جائز لكني قلت لهم بانه لا يجوز . وها انا ذا احضرت زادي معي .

وساد الصمت من جديد ، وظل علي محدقا بهم .. ينقل بصره من واحد لآخر . واخيرا قال هو الآخر ليتاكد من شيء في نفسه :

ـ يقولون ان امطارا غزيرة سقطت في الشمال فهل هذا صحيح ؟

وتصدى الشيخ بحماس :

ـ نعم صحيح .. لقد جاء قبل يومين ابن اخي من وهران .. وهو يقول بان المطر لم ينقطع منذ ثلاثة ايام .. وان الجميع يخاف كارثة كالعام الماضي .

انفعل علي وهز راسه . وبدا فكره يعمل ويحسب . احس بالندم للمرة الثالثة فغمغم وهو يهز راسه . لكنه اخيرا تململ وقد تغيرت ملامح وجهه .

توقف القطار في محطة اخرى ، وعندما كان يغادرها كان علي قد صمم على شيء .

اقتحم مراقب التذاكر عليهم العربة . فتش علي عن تذكرته الى ان عثر عليها في جيبه فناوله اياها . لكن عندما كان المراقب يغادر العربة ، بادره علي فجاة :

ـ هل سيعود هذا القطار غدا ؟

ـ وقبل ان يختفي عن ناظريه كان قد اجاب :

ـ لا .. بعد غد !

مازن محمد طلال ـ الجزائر

مكتبة العربي

(بقية المنشور على صفحة ١٥٣)

معولا لهدم كل آثار العادات والتقاليد العفنة التي خربت النفوس ، كان ثائرا يدوى صوته لايقاظ الذين غابوا بعد اخفاق الثورة العرابية وبعد محاولات المستعمر لاجهاض كل الحركات التحررية التى ارادت تأكيد حرية مصر وتحرير ارادتها .

ان بيرم نظر الى الفن كاداة تغيير وتحرر ، وآمن به كحقيقة اجتماعية تنبع في صدق واخلاص من اعماق الحارة المصرية . ولذلك عاش بيرم وتربع على عرش الشعر الشعبي باعماله الخالدة ..

ان حياة بيرم خليط من العذاب النفسي والجسدى وعبقريته من اعماق الطبقات الدنيا ، ان ازجاله مليئة بالدفءوصدق الاحساس ، ولهذا فانها تتفاعل مع وجدان الانسان كما لو كانت صديق عمر تعودت على مخاطبته منذ سنوات فهو يغني بكلمات لا يضاهيها اى فن رفيع في الادب لمصر ، وللنيل ولبنت البلد ولحي السيالة والانفوشي ، وباب الشعرية ، ولكل الذين مرغ تراب الحارة جباههم في ايام الصبا .

ملحمة ارض الفداء (الجلجلة او فلسطين)

تأليف : الاستاذ عبد الكريم مراد

الناشر : مؤسسة للستار للاعلام ــ الكويت .

● ملحمة شعرية ، تمضي مع منظمة فتح في طريقها ، وتتخذ شعارها « ثورة حتى النصر » ، ابياتها تزيد على ٢٠٠٠ ، من بحر واحد (الكامل) وقافية واحدة (همزة مفتوحة قبلها الف مد) ، والابيات تتسلسل فيها سباعية (٣ لم ٤) على التوالى حتى النهاية) . طبعها فاخر ، كتبت كل صفحاتها بخط اليد ، ثم طبعت على ورق سماوى جيد من القطع الكبير ، وزودت كل صفحة منها بصورة يدوية صغيرة لمجاهد فلسطيني من الشهداء او الاحياء .

تناول فيها الشاعر مأساة فلسطين ، وما لقيه اهلها من بلاء ، وبذلوا من فداء ، وما يبسطه المستقبل لهم من رجاء ، وبداها بعدة سباعيات في معنى الشهادة وقدر الشهيد ، وسير جماعة من شهداء الاسلام الاولين ، وعرض فيها لجهاد الانبياء في نشر الهداية وما قاسوه من محن ، حتى اشرق الحق ، وثبت النصر . وهذا مطلعها ــ وهو مثال لسائرها ــ وعنوانه « نفس الشهيد »

لــو امهلتـــه لعبــُدَ العليـــاءُ
نفس تتيــه علـى السماء سماءُ
تَنفَسُ من السبحان نزّهها الذى
منهـا يَجْلُتى القبـةَ الزرقــاءَ
نفس ، وطاولها النعيم ، فأغدقت
منهـا عليــه الطـولَ والنعمـاءَ

اليمن في صور

المؤلف : عبد الله احمد الثور .

الناشر : المكتبة السلفية ومطبعتها في الروضة ــ القاهرة .

● اليمن اقدم اقاليم الجزيرة العربية حضارة، واكثرها خصبا وعمرانا ، وتمتد حضارتها العريقة في التاريخ الى نحو الفى سنة قبل الميلاد ، وهى ــ بالمعنى الجغرافي القديم ــ تشمل جنوبى الجزيرة العربية كله بين الخليج العربى شرقا والبحر الاحمر غربا .

وقد نشأت فيها قبل الاسلام دول كبار كان لها في التاريخ شان عظيم لم يكشف عنه كله الى اليوم ، لان معظم معالم الحضارة في تلك الدول القديمة لم يزل مهجورا او دفينا ينتظر البعثات الاثرية من العلماء لتنقب عنه ، وتظهره للعالم ، وتكتب التاريخ الصحيح لتلك الحضارات مستندة الى الاثار الباقية ، بدل اعتمادها على ما دونه الاخباريون والقصاصون عندنا من روايات واساطير .

اقدم هذه الدول اليمنية ذوات الحضارة هى الدول المعينية ، فالسبئية ، فالحميرية الاولى فالحميرية الثانية (التبابعة) .

وهذا الكتاب في نحو مائتى صفحة يضم مجموعة من الصور لمعالم اليمن (بالمعنى الجغرافي القديم) بعضها معالم قديمة مما تركته تلك الحضارات التى بدا التنقيب عنها منذ قرن ، وبعضها معالمحديثة، ومن المعالم القديمة تماثيل وزخارف وخرائب مدن وسدود ووديان كانت عامرة ، ونقوش مكتوبة بخطوط اثرية مختلفة . ■■

مسجلات فذة في ميزاتها

تشتهر آكاي في العالم اجمع بصنع آلات تسجيل فائقة الاداء لها ميزات فريدة من نوعها، ونقدم لكم فيما يلي نماذج ثلاثة يتمتع كل منها بميزات مبتكرة وثورية طورتها آكاي.
اولاً . آلة التسجيل بكرة الى بكرة/كاسيت GX-1900 الوحيدة من نوعها في العالم. بالاضافة الى امكانية الاستمتاع بوحدتي التسجيل كاسيت/ بكرة بالمستطاع استعمال آلة التسجيل هذه لاعادة تسجيل المواد المسجلة سابقاً من والى الكاسيت والبكرة المفتوحة . كما تتضمن وحدة التسجيل الكاسيت رأس GX المصنوع من البلورة الواحدة من الفريت والزجاج والذي لا يعلوه الغبار ابداً.
وروعة هذا الطراز الجامع هي في انه يتميز بجميع حسنات مسجلين متكاملين حتى في اضيق الاماكن التي لا يتوفر فيها حيز كاف.



GX-1900



M-11

ثانيا . مسجلنا M-11 الستريو الذي يمتاز بأفضل اداء بالنسبة للتكاليف وبرأس GX العالمي وبنظام رحوي مركزي جديد يؤمن شداً متساوياً للشريط اثناء الاداء الامامي والخلفي . ويتضمن هذا المسجل ايضاً محركاً ابتكرته آكاي متزامن وذا تخلف مغناطيسي وسرعتين ، تلقائي الترجيع مضمون ليعمل مدة طويلة دون اية صيانة خاصة . وفيه مفتاح اوديو وفيديو



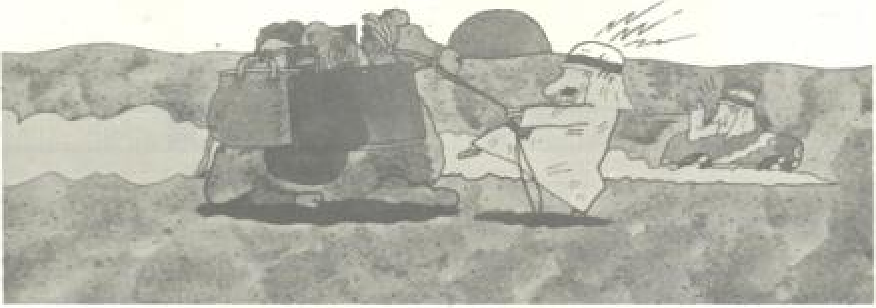
1721 W

لانتقاء الشريط الخفيض الضجيج
ثالثاً ، مسجلنا الستريو 1721 W . متكامل التصميم في حجم صغير يتضمن كافة ميزات الاداء الستريوفوني الممتاز . من هذه الميزات جهاز موازنة تضخيم الصوت للتسجيل المباشر من الكارتريدج ، محرك حثي ذو سرعتين تلقائي الترجيع ، مفتاح لانتقاء الشريط الخفيض الضجيج.
ايا كان طراز مسجل آكاي الذي تختاره ، كن دوما على ثقة انك ستحصل على مسجل فريد في ميزاته، لاننا نصمم مسجلاتنا هكذا.

AKAI ®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

وداعًا أيها الصديق..



كان للجمل فوائد جمّى، إلا أن معظم الناس يعلم أن السيارة أصبحت اليوم أكثر إعتمادًا، وبالتأكيد، أكثر سرعة. أما وإن أصبحت السيارة أكثر إعتمادًا من الجمل، فأيًا من السيارات أكثر اعتمادًا من داتسون !! .
بعض السائقين يظن أننا ننتج السيارات السباقة. صحيح أن داتسون قد فازت بعدة سباقات عالمية، إلا أنك إن ركبت سيارة داتسون 260C الجديدة، فإن قوتها وفخامتها وراحتها ستشعرك بالعظمة.
إن إنتاج السيارات الأفضل والأكثر أمانًا هو ما تصبو إليه شركة نيسان دومًا، لأنها تعطي سلامة الإنسان الأفضلية الأولى. أمان، قوة، جاذبية، عظمة.. تحصل على كل هذا من داتسون.

حيث الدقة أصبحت حتمية

DATSUN

NISSAN MOTOR CO., LTD.



DATSUN 260C


20 CLASS A
CIGARETTES
KENT
WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER
للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ.
كنغ سايز ، دي لوكس ، ١٠٠ مليمتر و كراش بروف

BASF دائماً فى مقدمة التطور

شريط التسجيل من اهم اكتشافات العصر . وهو يدخل اليوم نواحى حياتنا الحديثة .. فلا غنى عنه . نجده فى برامج الاذاعة الموسيقية والاحاديث الصحفية ، ونجده فى التقدم الصناعى لتشغيل المصانع والماكينات الضخمة اوتوماتيكيا . ويستعمل فى تنظيم حركة المرور ، وتامين حركة نزول الطائرات وصعودها فى معظم مطارات العالم . ويستعمل لتوضيح العلوم الحديثة ولتعليم اللغات الاجنبية بسرعة فائقة .. وللتسجيل او لسماع الموسيقى والاحاديث الشائقة .

فى سنة ١٩٣٤ قدمت الـ BASF اول شريط للتسجيل المغناطيسى الى العالم .. ولصفاته الرائعة حمل هذا الشريط اسم هذه الشركة العالمية للصناعات الكيميائية فى المانيا الغربية التى تعتبر المسئولة عن هذا التقدم الفنى حتى اليوم .

فى سنة ١٩٦٥ ظهر اول شريط للكاسيت فى الاسواق العالمية واعتبر يومئذ لعبة فنية صغيرة فى ايدى الهواة ومحبى شريط التسجيل . واليوم يقارن هذا التسجيل او الكاسيت الذى وصل الى درجة رائعة من التسجيل الفنى باحدث الاسطوانات المسجلة . ويمتاز عليها بانه صغير الحجم ، خفيف الوزن ، لا يتاثر بالاتربة والاوساخ .. وهو اسهل استعمالا ، والصوت فيه اوضح ، ويمكن محو ما سجل عليه وتسجيل شيء آخر .

ان النجاح الذى حصلت عليه الـ BASF اليوم بعد اختراع الكاسيت الذى يسمى SM يعتبر من اروع التطورات التكنيكية ، فهو يضمن درجة عالية من نقاء الصوت ، خصوصا الكاسيت C120 ذو الشريط الرفيع الذى يسير ساعتين متواليتين ، وهو خال من التعقيدات واقل تعرضا للتلف .

ومن التطورات المهمة اختراع الشريط المغطى بثانى أوكسيد الكروم وله مستواه العالى فى الجودة ونقاء الصوت الذى يصل الى مستوى الـ HIFI.

ان الـ BASF لا تعرض الكاسيت الحالى للتسجيل فقط ، بل تعرض ايضا الكاسيت المسجل عليه الموسيقى .. وقريبا ستعرض الـ BASF ايضا مجموعة كبيرة من موسيقى الاسطوانات مسجلة على الكاسيت .

لم يكن انتاج الكاسيت وتطويره نهاية المطاف ، بل انتجت هذه الشركة الالمانية مجموعة كبيرة من اجهزة التسجيل للاغراض المختلفة . واصغر مسجل فى هذه المجموعة هو المسجل CC9100 ذو التسجيل الاوتوماتيكى المعروف الذى سهل عملية التسجيل من الميكروفون تسهيلا كبيرا . ومن مزايا هذا الجهاز تشغيله بالكهرباء او بالبطاريات . ورغم صغر حجم هذا الجهاز وسعره المنخفض فان له مزاياه الفنية الكثيرة واستعماله فى نواح كثيرة من الحياة .

المسجل CC9200 له بضعة مزايا اخرى منها الضبط اليدوى او الاوتوماتيكى ، والفتح الاوتوماتيكى لخانة الكاسيت . اما صوت هذا الجهاز فهو على درجة عالية من النقاء .

ان نجم هذه المجموعة هو جهاز راديو – ركوردر CC 9300 الذى يعد جهازا عاليا . الراديو يحتوى على اربع موجات يمكن ضبطها اوتوماتيكيا ، وله مزايا اخرى مثل التسجيل المباشر من الراديو على الكاسيت او التكلم اثناء سير الشريط .

وهكذا تقدم الـ BASF التى تعتبر الام الحقيقية لشريط التسجيل ، برنامجا كاملا لشريط الكاسيت ومجموعة رائعة من اجهزة التسجيل .

BASF

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن بريطانيا والسوق المشتركة

هل باستطاعته ان يوضح لكم ما يمكن لبريطانيا أن تتوقع من حسنات وسيئات؟ أو ما يمكن أن تتوقع أوروبا بأسرها من مكاسب في المدى الطويل؟ أو أن يبين لكم ما سيترتب على ذلك من أثر في أوضاع النقد والاستثمار؟

ان تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه أن يوضح لكم مغزى انضمام بريطانيا في منتصف السبعينات الى البلدان الموقعة على معاهدة روما، او ماذا يتعلق بالسياسة الزراعية المشتركة، بالنسبة الى التجارة العالمية؟ أو هل يستطيع التكهن بردة الفعل في الولايات المتحدة؟ أو في الاتحاد السوفيتي؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة، حتى أن اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث، انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم.

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في أوروبا، او في أي مكان آخر من العالم - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا.

شبكة تشيس منهاتن في أوروبا:

فروع في: اسبانيا، المانيا، ايطاليا، بريطانيا، الدانمارك، سويسرا، فرنسا، اليونان.

مصارف مشاركة: ايرلندا - تشيس اند بنك اوف ايرلند
بلجيكا - بنك دي كوميرس
النمسا - اوستررايخيشه كوميرشيال بنك، أ. جي.
هولندا - نيدرلاندشي كريديت بنك ان. في.

مؤسسة مشاركة: اسبانيا - ليغا فيننسييرا، اس. أ.

ان لك صديقا في
بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي: 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

[illegible]



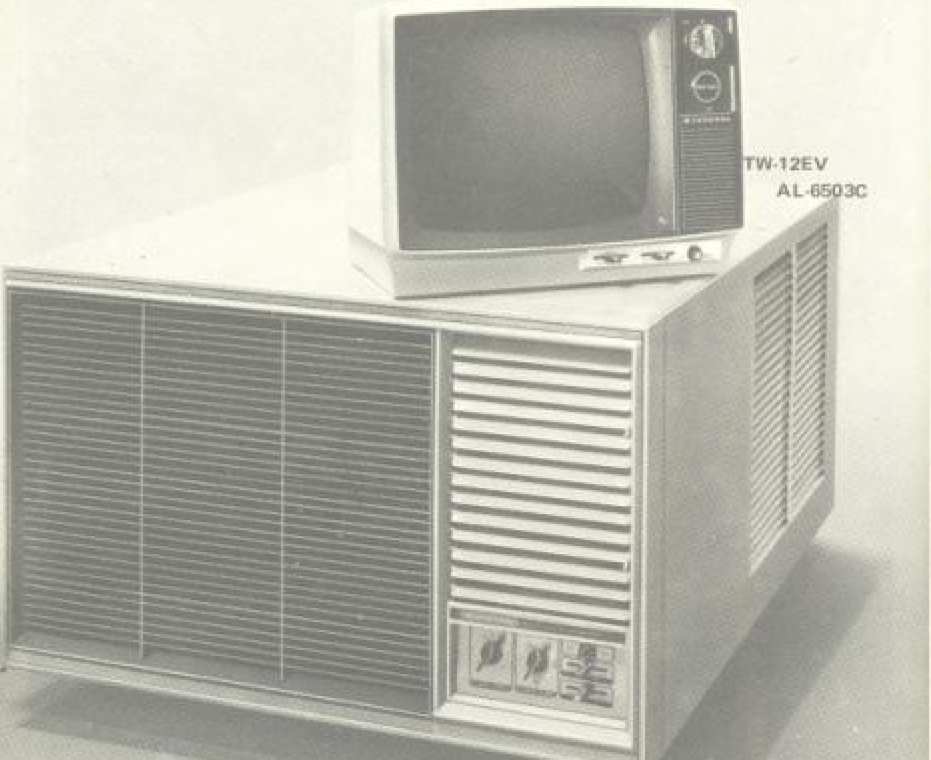
التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV . قياس ١٢ إنشاً يستقبل على تردد عالي (VHF) باللونين الأسود والأبيض ومزود ببدائل ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صورة فورية متوازية واضحة ونقية من أي تشويش . اقتصادي ، (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط) . شاشته مزودة بمصفي خاص لتخفف من عناء العينين . تصميمه رائع ويتماشى مع مفروشات أي غرفة . وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المنزلي (١١٠ - ١٢٠ فولط و ٢١٠ - ٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط) . وبهذا .. تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت .. مع **جنرال** - موديل TW-12EV

• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما سببان فقط من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C ، طاقته BTU-21.500 تكفي لتبريد أكبر غرفة . أما خدمته فهي متفوقة وتدوم لحياة طويلة . ضوابطه صممت في موضع يسهل معه استعمالها ، ومصفيه .. سهل التنظيف . هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها **جنرال** لتزيد من راحة الإنسان .. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيونها موديل TW-12EV .
إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف إلى حياتك نشاطاً نوعياً جديداً ...

جنرال GENERAL

الجمهورية العربية السورية : ص.ب ٩٥١ - دمشق (سوريا) .
الإمارات العربية المتحدة : الشركة الوطنية ... ص.ب ٧٢٣١ - أبوظبي .
الكويت : شركة الاتحاد التجارية ذ.م.م. ص.ب ٢٨ - الكويت .
البحرين : إبراهيم ... ص.ب ٦٧ - المنامة .
الدار البيضاء : سارة الكترونيك - ١١٤ شارع المقاومة .
إيران : شركة ... شارع ... رقم ٦ - طهران .
ليبيا : ... ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس .
قطر : ... ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة .

نوعية جيدة من جنرال تزيدك تسلية وراحة




BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
قف! وانتبه
الساعة المعجزة
BAUME & MERCIER
بوم أي مرسييه
أضخم إنتاج في حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة - رائعة في الجمال - أوتوماتيكية
آلتها المرصعة بثلاثين حجر كريم تعمل لمدة ٥٥ ساعة
بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
MORAD YOUSUF BEHBEHANI
ص. ب ١٤٦٠ كويت - تلفون المعرض ٣٣٧٧٠

أجهزة الخدمة البيتية أصبحت كاملة بفضل فيليبس

في يومنا هذا ، الخدمة البيتية معناها الاعتماد على الآلات والأجهزة الصغيرة التي تقوم بالأعمال البيتية . مثلا . . خلاطات الطعام المعروفة التي تصنعها فيليبس . هذه ، تتراوح بين الخلاطات التي تحمل باليد والتي تؤدي كل غرض في مجال خلط المواد الغذائية ، والخلاطات النموذجية ذات الثلاث سرعات التي تثبت على مساند وتحتوي على وعاء كبير والتي تخبط وتطحن وتمزج بسهولة غريبة . هذه الخلاطات هي نوع واحد من أجهزة الخدمة البيتية التي تنتجها فيليبس لتخفف حمل الأعمال البيتية عن ربة البيت . منها تشكيلة المكاوي الخفيفة الوزن التي حولت الكي إلى عملية سهلة للغاية . ومنها مطاحن القهوة وأجهزة صنع القهوة التي تقدم لك قهوة لذيذة النكهة وعبقة الرائحة . ومنها جهاز تخمير الشاي الذي يخلق العملية بمجرد اضافة ورقة للترشيح . ثم آلات شحذ السكاكين وعصارات البرتقال والخماضات . في مجال الخدمة البيتية ، فيليبس فكرت بكل ما تحتاجه ربة البيت .



PHILIPS

المال

احصل على فائدة مضمونة
بإيداع أموالك لدى
"لومبارد نورث سنترال"
في حساب الادخار

٦٪

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

Lombard North Central
LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو فى ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨٠٠٠٠٠٠ جنيه استرلينى .

سُــوني تقــدّم
المتعــة الستريو المنزليّــة الكامـِلة

في هذا النظام الموسيقي المضموم ، وضعت سوني نسبة من الطاقة والجودة ليست بأقل من مذهلة.

وهذه هي طاقته : إنه منغم FM stereo / FM - AM إنه جهاز ستريو للاستماع الى الكاسيت . وهو يسجل البرامج رأساً من المنغم الى الكاسيت دون أسلاك للتسجيل . وهو مبدل اسطوانات ٤ سرعات أوتوماتيكي / يدوي يتقبل مجموعة مؤلفة من ٥ أسطوانات سوية .

وهذه هي جودته : مكبر الاصوات الستريو الحر من الانحراف المصنوع بكامله من الترانزيستور يعطي مجموع ٣٦ وات من الطاقة الموسيقية.. أي ١٠ وات RMS من الطاقة المتواصلة المضمونة للقناة عندما تكون القناتان عاملتين . وللمنغم حساسية واختيارية ممتازتان، ويضمن له ترانزيستور التأثير الحقلي والمصافي الصلبة استقبالاً واضحاً وثابتاً لل FM . كما ان

الحاكيات النشيطة ذات الوجهتين تمتازان بتجاوب ترددي واسع المجال . مغير الاسطوانات يضم خرطوشة ذات استجابة عالية لالتقاط الاسطوانة بأمانة مرتفعة .

ماذا تريدون اكثر من ذلك ؟ الأناقة ، طبعًا و سوني تقدم لكم ذلك على النطاق الواسع بخزانتها الخشبية الانيقة للوحدة الوسطى والحاكيات . وكما لو لم يكن ذلك كافيًا ، فإن موديل HP - 219 A مزود بمفتاح مراقبة خاص يسمح لكم باضافة فاكك رموز ماتريكسية SQA - 200 مع حاكيين اضافيين لاداء أصيل على ٤ قنوات .

كيف تستطيع سوني أن تقدم مثل هذه الموسيقى الرفيعة من هذه الوحدة المتواضعة ؟ البحث يوجد الفرق .



مركز الستريو HP - 219 A
إنه جهاز استقبال ، وجهاز لتشغيل الكاسيت ، وجهاز للاسطوانات في قطعة واحدة مضمومة ممتازة .

SONY. سوني

ضاعف دخلك

نعم في استطاعتك أن

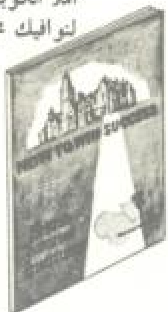
تحصل على مرتب أكبر

إذا أردت الترقي في وظيفتك أو الحصول على وظيفة أفضل فعليك قراءة نشرة برامجنا المختلفة لتختار لدراستك منهجاً من ضمن المناهج الحديثة لضمان عمل مربح
اخطرنا بالمنهج الذي ترغب في دراسته

من المناهج الآتية

إذا كان دخلك صغيراً فمن واجبك ان تعرف كيف يمكننا مساعدتك.
املأ الكوبون ادناه وارسله لنوافيك مجاناً بنشرتنا.

المحاسبة	هندسة البناء
الاعلان	الهندسة المدنية
الصحافة	هندسة الكهرباء
اللغات	هندسة الميكانيك
ادارة المكتب	هندسة السيارات
ادارة الأشخاص	هندسة الراديو
السكرتارية	التلفزيون
العلوم التجارية	النفط



كما اننا نعد الطلبة لشهادة البكالوريا الانجليزية (G.C.E.) علما بان المناهج المبينة اعلاه مكتوبة ومشروحة باللغة الانجليزية. وعلاوة على المناهج الانجليزية المذكورة لدينا اربعة مناهج مكتوبة ومشروحة باللغة العربية للراغبين في الدراسة باللغة المذكورة ممن لا يجيدون الانجليزية. اما المناهج العربية فهي.

هندسة البناء ـ هندسة الكهرباء ـ هندسة الراديو ـ العلوم التجارية

معاهد التعليم البريطانية (قسم ٣٥) بناية جابر الصباح
شارع الكمودور وليون – الحمراء ص. ب. (٦٠٨١) بيروت

الاسم ______________________

العنوان ______________________

____

السن ____________ المادة المختارة ____________

هذا الجهاز بمثابة ٢٠ راديو وساعة واحدة

انه راديو بموجة اف ام ، وراديو بموجة طويلة ، وراديو بتردد عالي (VHF) وراديو بموجة متوسطة ، وراديو مركبي وراديو بـ ١٥ موجة قصيرة .
ومع ذلك فهو راديو هيتاشي واحد كبير نطلق عليه اسم KH-5000
وهو مجهز بكل شيء تحتاج اليه لتحقيق التقاطاً ممتازاً لكل موجة على هذه الموجات : اف ام سي ، اف سي سي / ام سي سي . اف اس اف ، في اف ام ، اف اس اس اس آي بي . ومزود ايضاً بمفتاح الحساسية ومفتاح الاشارات وعداد للضبط ومراقبة قوة البطارية ومفتاح مزدوج لضبط الاصوات الجهيرة والصادحة (باص وتريبل) .
وزيادة على ذلك نزود الجهاز بساعة تمثل اوقات الكرة الارضية في جميع انحاء العالم كما نزود بحوالبات في داخل الجهاز ومقبس للذبذبات الخارجية . وهو يعمل على بطاريات او على بطارية سيارتك او على الطاقة الكهربائية في البيت حيثما كانت في جميع انحاء العالم .
واذا تصورت براديو هيتاشي موديل KH-5000 ذلك الذي تبحث في وضع الجيب كانه انت تصنع عشرين جهاز راديو وساعة في راديو واحد فضلاً عن ان هيتاشي ليست بالشركة العادية .
فنحن نملك اكبر شركة في اليابان ونتناول صناعتنا كل شيء ابتداءً من الترانزستورات الى اسرع قطارات العالم . وانطلاقاً من الفاعلية التي تجعل الانسان الآلي الذي يتحرك " و " يفكر " و " يشعر " بالاضافة الى جميع انواع الادوات المنزلية الالكترونية بما فيها جهاز راديو يضم ٢٠ راديو دفعة واحدة وساعة دقيقة .



HITACHI
هيتاشي

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول فبراير ١٩٧٣

٤١/٢

من الأعمال المختارة

جورج شحادة - ٢

- مهاجر بريسبان
- البنفسج

ترجمة وتقديم : أدونيس


مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

ساعة بالأرقام

دات أعداد كبيرة تتحرك بأطراف الأصابع، مع جرس رنان أو منبه راديو، تدار مرة واحدة فقط كل ٢٤ ساعة. ويزداد إرتفاع الصوت بصورة متواصلة إذا لم تنهض فوراً.

راديو بموجتين

موجة AM وأخرى FM مع ساعة وقف "تهدهدك" للنوم مدة ٣ ساعات، ثم يتوقف الراديو اتوماتيكيا، بعد أن تكون قد استغرقت في نوم هادئ.

مسجل كاسيت

لتخزين الموسيقى المسجلة التي تشتريها، أو للتسجيل الشخصي بواسطة المكبر المثبت في الداخل، مع جهاز توقيت آلي للتسجيل أثناء غيابك أو أثناء النوم.

الموديل
M 5400 F



كل ذلك ضمن صندوق واحد جذاب

SANYO سانيو

Sanyo Electric Trading Co. Ltd

العربي

العدد ١٧٢
محرم ١٣٩٣
مارس
(آذار) ١٩٧٣



جنود الكويت عند خط النار على قناة السويس •

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	[illegible]	العراق	[illegible]	السودان	[illegible]
الخليج العربي	[illegible]	لبنان	[illegible]	ليبيا	[illegible]
السعودية	[illegible]	الأردن	[illegible]	تونس	[illegible]
البحرين	[illegible]	سورية	[illegible]	الجزائر	[illegible]
اليمن	[illegible]	ج.ع.م	[illegible]	المغرب	[illegible]

جامع التواريخ أول كتاب فى التاريخ شامل



● تمثل هذه اللوحة الفنية النبي يونس عليه السلام ، والحوت الذى ابتلعه ، « فالتقمه الحوت وهو مليم » ، (الآية ١٤٢ من سورة الصافات) . ولعل في هذه الصورة التي يرجع تاريخها الى سنة ٧١٤ هـ/١٣١٤ م ، دلالة على ان الفنانين المسلمين كانوا يمارسون الرسم والنحت والتصوير في الوقت الذى حرمه فيه بعض اهل المذاهب .

اما الاصل الذى نقلت عنه هذه الصورة فيوجد ضمن مخطوطة قديمة لكتاب « جامع التواريخ » . وهذا كتاب ذو قيمة كبيرة بالنظر الى شموله واتساع نطاقه . فهو اول كتاب في التاريخ جامع بل موسوعي عرفه المسلمون .

وحسبنا ان نذكر ان رشيد الدين ، وهو الذى الف الكتاب ورفعه الى غازان خان المغولي، استعان في وضع تاريخه الشامل هذا بعدد من العلماء والمؤرخين المختلفي الجنسيات ، وقد جمعهم لهذا الغرض واستدعاهم من مشارق الارض ومغاربها . نذكر من هؤلاء عالمين صينيين ، وراهبا بوذيا من كشمير، واحد علماء المغول المختصين بشؤون القبائل المغولية . وضمت هذه اللجنة الدولية الاستشارية ايضا رحالا" فرنسيا ، وراهبا كاثوليكيا اوفده البابا ، ومؤرخا اوروبيا . وهكذا جاء جامع التواريخ جامعا بالفعل ، فشمل فيما شمل ، تاريخ الامبراطورية الرومانية المقدسة وتاريخ البابوية وغير ذلك .



عزيزي القارئ

لقرائنا مواهب نكتشفها

يتقبل العربي ، منذ اليوم ، من قرائه الذين يمارسون هواية التصوير الفوتوغرافي ما يرسلونه اليه من صور طريفة ، وهو ينشر مايراه مستحقا للنشر ، ويرسل لصاحبه مكافأة رمزية مقدارها ثلاثة دنانير كويتية .

والهدف من ذلك هو تشجيع هذه الهواية الفنية فى نفوس الشباب العربي ، والكشف عما فيهم من كفايات .

والشروط اللازمة هي :

ان الصورة المرسلة يجب ان تكون صورة اصلية واضحة من تصويرك ، مطبوعة على ورق لامع ، حجمها بين ٩ × ١٤ سنتيمترا و ١٣ × ١٨ سنتيمترا ، ومعها تعريف مختصر عن موضوعها ، ولا تنس كتابة اسمك وعنوانك مع كلمة « مواهب القراء » على الغلاف الخارجي .. والصور لاترد لاصحابها سواء نشرت او استبعدت .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABY — No. 172 March 1973 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤١٤٧١٢ ، ٢٧١٤١٤ تلغرافيا «العربي»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

منذ حوالي ٦ سنوات وجنود الكويت يعيشون على جبهة قناة السويس في مواجهة العدو الصهيوني . والى هناك ، حيث ارتوت الارض الطيبة بدماء الشهداء في معارك الشرف والدفاع عن الوطن ، طارت بعثة « العربي » لتقدم للعالم العربي صورة على الطبيعة للقوات الكويتية المرابطة على جبهة قناة السويس ، تلك القوات التي تشارك في معركة المصير . والصورة تمثل احد المواقع الامامية وجنديين كويتيين يمسكان بقاذف صاروخي على اهبة الاستعداد .

(انظر الاستطلاع على صفحة ٥٢)

اقتصاد :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمرأة :

تربية وعلم نفس :

شعر وشعراء :

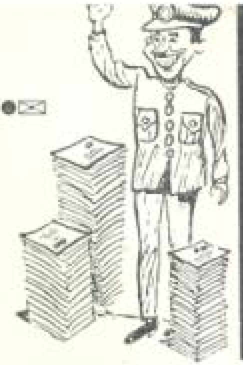
كتب :

قصص :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش. لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش. تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائرى . المغرب ٢ درهم. اليمن ٥ر٢ ريال. ليبيا ١٥٠ درهما. جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بريد القراء ومعرض آرائهم

الشيخ وجيه زيد الكيلاني والفيلبين

● كتب الاستاذ الفاضل حسن الامين في العددالممتاز (رقم ١٧٠) ، مقالا قيما بعنوان « الهجرة العربية الى الشرق الاقصى » ... وقد ذكر فيه كثيرا عن الاسر التي كانت قد هاجرت الى اندونيسيا وسنغافورا ، والفيلبين ، والى بلادالصين ، وعن الجهود التي بذلها افراد تلك الاسر في نشر الاسلام في تلك الديار .. هذا وقدكنت اتوقع لدى حديثه عن انتشار الاسلام في جزائر الفيلبين ان يأتي على ذكر العالم الفاضل الشيخ وجيه زيد الكيلاني ، طيب الله ثراه . وحيث ان الاستاذ الكاتب لم يتعرض لهذا الشيخ الجليل من قريب ولا من بعيد ، فقد شعرت بواجب ـ وانا ابن بلد الشيخ وجيه ـ ان اذكرعنه شيئا ولو بايجاز .

ولد وجيه زيد الكيلاني في مدينة نابلس(فلسطين) سنة (١٣٠١ هـ ـ ١٨٨٣ م) .. وبعد ان درس اللغة العربية دراسة عميقة ، وبعداتقانه اللغتين التركية والفارسية ، ذهب الى استانبول وتنقل في الوظائف المختلفة فيها حتى اوصله جده في الامور الاسلامية الى ان يصبح كاتما لاسرار شيخ الاسلام .. ثم تبحر في العلوم وراح يكتب في الجرائد والمجلات مقالات ضافية في الدين الاسلامي .. وبعد بضع سنوات من اقامته في استانبول عين شيخا للاسلام في الفلبين وذلك وفق طلب حكومة الولايات المتحدة من الحكومة العثمانية .. هذا ، ولان الامريكان كانوا يستعمرون الفيلبين ، وكانت اللغة الانجليزية هي السائدة فيها ، فقد اضطر الشيخ وجيه ان يتعلمها. وبذلك استطاع ان يتفاهم بها مع الغير ، حديثا وخطابة وكتابة . وراح يكد ويعمل في نشر الاسلام . فبنى المساجد والمدارس ، وتنقل من بلد الى بلد ، حتى انتهكت قواه ، فاقعده المرض عن اتمام برنامجه ، فعاد الى تركيا للتداوى .. وبعد ان شفي بعض الشفاء انتدبته الدولة العثمانية للسفر الى الولايات المتحدة في مهمة سياسية .. وبقي هناك مدة يحاضر في الدين الاسلامي في واشنطن وفي غيرها من البلدان ، ثم عاوده المرض فتوفي في مقاطعة فرجينيا عام ١٩١٦ ، رحمه الله. وقد كان خلال المدة التي اقامها في الفيلبين موضع احترام كبير من قبل الاهلين . وكثيرا ما نوهت الصحف الصادرة في مانيلا ، العاصمة ، بجهاده العظيم .. وحتى ان الصحف الامريكية كانت تثني على نشاطه ونبل مقاصده وسمو مبادئه .. » .

لطفي ملحس ـ عمان / الاردن .

تاريخ القبلة الى مكة

● في مقالة صلح الحديبية للاستاذ حسن فتح الباب ، المنشورة في العدد (١٦٦) من مجلتكم جاء ان النبي عليه السلام تحول بالقبلة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام في مكة منذ السنة الاولى للهجرة . والصواب كما جاء في كتب السيرة والحديث ـ ان التحول كان في السنة الثانية للهجرة ، بعد ثمانية عشر ، او سبعة عشر ، او ستة عشر شهرا من الهجرة .

مكي حسين الكبيسي
كبيسة ـ الانبار ـ العراق

العربي : الحق ان تحويل القبلة الى مكة كان في السنة الثانية ، والارجح انه كان بعد ثمانية عشر شهرا منها .

حضارتان عريقتان
يعيش العربي في ظلهما

● وردنا عدد من الرسائل حول حديث شهركانون الاول الماضي ، شهر ديسمبر ١٩٧٢ . ونقتطف فيما يلي ابرز ما ورد في تلك الرسائل من آراء :

تقولون ان الشرق يسير في ركاب الغرب وتحت سيطرته ، في كافة المجالات ، ضاربين الامثال من ماء ووقود وتلفون وتلفاز وسيارة ، وانها كلها نتيجة الحضارة الغربية . ثم ذكرتم الانحراف الجنسي في الغرب ، وحذرتم الشرق من هذا التيار الذى يسير فيه واليه .

وذكرتم ايضا ان كل ما في دور العلم اليوم من ضروب المعرفة غربي الا اللغة والدين ...

وانني مع سيادتكم في كل ما قلتم ، وفي الحل ايضا ، بل وارجو اضافة ان الحل ينحصر في اللغة والدين والنظام .

الدكتور محمد بهجت درويش / الزقازيق .

★★★

قرأت حديثكم عن شهر ديسمبر بكل زهو واعجاب ، بل انني رددت بعض فقراته مثنى وثلاث ورباع . انه الحق بعينه ، فمهما لوينا عنق الحقيقة ، فالحق هو الحق .

فهل نتشدق بالكلمات ونعيش على امجاد الماضي وظلامه .. !

ان انكار الواقع لا يجدى شيئا ، وان البلاغة لا تمكن الشعوب من التقدم ، فهل من نظرة جديدة الى واقعنا ؟؟ !

اطال الله عمركم واكثر من امثالكم ..

الامام الصديق عبد المعطى / السودان .

★★★

تقولون : (واهل الغرب جروا في فضائل العيش اشواطا بعيدة ، تتعلق بحظوظ الناس من الدنيا . ونحن اذ نبدأ بمثلها انما نسير على خطى هم خطوها قبل ان نخطوها . فالتعليم للجميع ، ومجانية التعليم ، وفرص الحياة الواحدة ، ومعاشات العجزة ، ومعاشات الشيخوخة والمرض ، كل هذه سبقونا اليها ، وقعدنا نحن حتى عن دفع الزكاة ، وهي فرض من فروض الاسلام الاولى) .

فاذا لاحظنا هذه العبارات وجدنا فيها الخطأ والبعد عن معرفة الامة الاسلامية وحضارتها والاسس التى قامت عليها من اخلاق وتعليم وعيش سعيد لابناء الامة الاسلامية .

وانني لا استطيع ان اشرح وابين للناس في هذه الصفحات ما هو وجه الصواب والصحة في هذه الامة ولكن ساحاول واتناول بعض جوانبها) .

مرعي العامر / الحسكة — سوريا

دميره ، والدميري

● جاء في العدد ١٥٢ يوليو ١٩٧١ في المقال « حياة الحيوان الكبرى » .

١ — ان دميرة بلدة من اعمال السمنودية والسمنودية الآن هي بعض بلاد محافظة الدقهلية بمصر نسبة الى سمنود .. واقول ان دميرة حاليا هى بلدة من اعمال مركز طلخا بعض مراكز محافظة الدقهلية .

واما سمنود فمركز من مراكز محافظة الغربية ..

٢ — ويفهم من كلام المرحوم علي مبارك ان الدميرى ولد بدميرة ثم انتقل الى القاهرة ولم يولد بالقاهرة .

حامد شكور — طنطا — ج٠م٠ع

العربي : شكرا للاستاذ حامد شكور على تحديد تبعية دميرة وسمنود . اما الدميرى فقد ولد بالقاهرة كما نص على ذلك المؤرخ السخاوى في كتابه الضوء اللامع جـ ١٠ ص ٥٩ حيث قال في ترجمته له : « ولد في اوائل سنة اثنين واربعين وسبعمائة تقريبا كما بخطه بالقاهرة ونشأ بها » .

فهذا نص وليس استنتاجا ، والسخاوى ولد في القرن الذى مات فيه الدميرى ، ونقل من خطه تاريخ مولده ومكانه .

حديث الشهر

الدَّعوةُ الدِّعايَة الإعْلام البُروباجندَة } ألفاظٌ

بقلم رئيس التحرير

● قالوا ان الدعوة تحتاج فى هذا العصر الى معالجة غير ما عولجت به فى العصور الخوالي .

قلنا : وما الدعوة رحمكم الله .

قالوا : انها الدعاية .

قلنا : وما الدعاية ؟

قالوا : انها باللفظ الحديث الأحدث ، الاعلام ، بكسر الهمزة .

قال بعض من حضروا ، فى شيء من الثقة : بل اللفظ الحديث الأحدث، الذى هو الصق الالفاظ بمعانيها ، انما هو البروباجندة .

قلنا : ننظر ان شاء الله .

الدعوة والدعاية

ونظرنا، فاذا الدعوة والدعاية والاعلام والبروباجندة ، الفاظ بدات ، عندما بدات فى التاريخ ، واحدة . وهى الفاظ فى اصولها اللغوية ، والاصطلاحية ، واحدة .

كلها عند اصحابها دعاء الى الخير ، او هكذا هي كانت .

ففي القرآن يقول الله تعالي لرسوله الكريم : **« ادْعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »** .

وكتب الرسول الكريم الى هرقل وغيّر هرقل يقول : **ادعوك بدعاية الاسلام** .

- الدِّعاية عملٌ بين خاصَّة النَّاس قائمٌ دائم
- العرب اتَّخذوا من الشِّعر بوقاً للدِّعاية مُسمِعاً

معانيها في الأصل سواءٌ

- الدِّعايةُ مِهنةٌ أيُّ مِهْنةَ
- الدِّعاية للوطن ، بين أهلِه ، وخارج أهلِه
- الأناشيد القوميَّة والسَّلامات الوطنيَّة
- أُمَمٌ تستمِدّ دِعايتها مِنْ ماضيها
- الدِّعايةُ والدِّين ● الدِّعايةُ والحرْب ● الدِّعايةُ والتعليم

والاسلام هو سبيل الله ، فهو حكمة وموعظة حسنة .

فالدعوة والدعاية والبروباجندة ، هي الفاظ فى الاصل واحدة ، هي كلها تدعو الى الخير ، فيما راى اصحابها انه الخير .

البروباجندة

والبروباجندة ، لفظ جاء ضمن اسم مجلس انشاه البابا كليمنت الثامن عام ١٥٩٧ للدعوة للمسيحية الكاثوليكية ، وذلك بعد انقسام الكنيسة المسيحية الذى وقع فى نفس هذا القرن . وجاء اسم هذا المجلس هكذا Sacra Congregatio de Propaganda Tide اى المجمع المقدس لنشر الايمان فى اهل الكفر .

فالدعوة والدعاية والبروباجندة ، هي الفاظ فى الاصل واحدة ، هي كلها تدعو الى الخير ، فيما راى اصحابها انه الخير .

تغير الزمن ، فتغيرت المعاني

ولكنّ تغير الزمنُ فتغيرت المعاني .

اما « الدعوة » فبقي لها معناها القديم . واما « الدعاية » فنزلت عن مكان الثقة بها الى مكان الريبة ، واصبح من يسمعها يرتاب فى الداعي بها ، وهي فى العرف الاكثر شيوعا دعوة هدفها معلوم محدد معروف ، خيرا كان او شرا ، ولكن مسالك الطريق اليها مسالك مشبوهة عادة . وفى سبيلها يجوز الكذب

كما يجوز الصدق ، والوسيلة عند أصحابها تبرر الغاية .

اما « البروباجندة » ، وكان معناها النشر ، نشر الدعوة المسيحية ، يقوم عليها رئيس الكنيسة الكاثوليكية ، فما كان لها معنى مقصود عند البدء الا الحق ، ذلك الحق الذى تراه الدعوة انه الصدق . ثم جرى الزمان ، فازال عنها ما كان حاطها من تجلة واحترام . واصبح يقولها قائلها عندما يريد اعلان الريبة فيها ، ريبة عارية يدمغ بها الدعوة والداعي .

وكل هذا دليل على ان الالفاظ ، الفاظ اللغة ، تتطور على الأزمان ، كما تتطور الأشياء والأزياء والعادات والناس .

الاعلام

بقي لفظ الاعلام .

وهذا لفظ جديد من ابتداع الجامعة العربية على ما نعلم فى هذه السنوات القليلة الماضية . وانتشر اول ما انتشر فقرأناه لقرابته « الاعلام » ، بفتح الهمزة ، ثم قيل انه بكسر الهمزة .

وطلبناه فى المعاجم فوجدنا « **اعلمه الأمر او بالأمر اطلعه عليه** » . والاعلام ، الذى هو المصدر ، بمعناه هذا الاصطلاحي الجديد ، لم نجد له ذكرا . وتبين بالطبع ان الجامعة العربية جرت على ما جرى عليه العرب عندما يعوزهم لفظ جديد لمعنى جديد سبق اليه اهل الغرب ، أن يجروا فى امره على مثل ما جرى اهل الغرب ، وبذلك وقعوا على لفظ الاعلام . فكان الاعلام واجبا من واجبات الدولة ، وكانت وزارة الاعلام ، وكان وزراؤه .

واللفظ الأجنبي الذى عنه اخذوا انما هو لفظ Information ، ومعناه الاخبار والاعلام .

وفى انجلترا ادارة للدعاية تلطفوا فسموها Central office of Information اى المكتب المركزى للاعلام ، ومن واجباته تجهيز ما تطلبه ادارات الدولة من نشرات . وفى الولايات المتحدة ادارة مثلها سموها Information agency ، اى وكالة الاعلام ، وهي تدير حركة اعلام الدولة فيما وراء البحار . ويتبعها الجهاز الاذاعي العالمي المعروف « بصوت امريكا » ، وهو يذيع بعدة لغات . ويتبعها دور للكتب فى البلاد التي للولايات المتحدة بها تمثيل دبلوماسي تحتوى على مؤلفات كثيرة قيمة تمس من صنوف الثقافة الأمريكية الشيء الكثير .

الدعاية
عمل فى الناس قائم دائم

والدعاية عمل من اعمال البشر قائم دائم . فالناس تلتقي بالناس ، وهم عند التقائهم يتحدث بعضهم الى بعض ، وهم يتحدثون بما يسر او يسوء ، او بما هو ليس من السرور او الاساءة فى شيء . وقد يتحدثون عن الناس فيذمون ، وقد يتحدثون عن الناس فيحمدون ، وينفض اللقاء فيتفرقون ، وعن طريقهم تنتقل الكلمة الطيبة او كلمة السوء ، صدقا كانت او كذبا ، فتسوء سمعة الناس بها او تحمد .

انها الدعاية الجارية القائمة كل يوم بين الخلائق .

والناس ، والأسر ، تحرص على سمعتها . او بلفظ آخر هي تخشى الدعاية السيئة .

والخبر يحمله الداعي الى الناس ، عامدا او غير عامد ، صادقا فيه او كاذبا ، يضر بالأفراد ويضر بالأسر ، وهو بالنساء أضر منه بالرجال .

والخبر الذى يحمله الداعي الى الناس لا يتوقف سامع له ليتساءل ، خبر صحيح هو ام خبر باطل . والخبر يقرأه الانسان فى الصحف لا يتوقف اكثر قارئيه ليتساءلوا : خبر صحيح هو ام خبر باطل . بل هم يروحون يروجونه فى ثقة حتى لتحسب انهم كانوا هناك عند وقوعه .

وان تكن الدعاية الفردية تنال من



الدعاية قائمة دائمة في كل يوم . في المقاهي ، وفي البيوت ، وفي الأسواق . ويتحدث الناس عن الناس ، مدحا وقدحا . وتشيع هذه الكلمات في الناس بدعاية الشر ودعاية الخير على السواء .

الافراد ، اذ تنتقل من لسان لآذان ، فالدعاية فى الصحف اكثر نبلا ، لأنها فى انتشارها اكثر دائرة .

وهذا الصنف من الدعاية احسبه كان منذ كان آدم . منذ كان مجتمع يتحدث فيه رجل الى رجل ،او امراة الى امراة، ذما او قدحا ، او فى غير ذم او قدح .

العرب اتخذوا من الشعر بوقا للدعاية مسمعا جبارا

وقارىء الأدب العربي يدرك ما كان فى العرب ، قبل الصحف ، من دعايات ، قام بها الشعراء ، وانتشرت فى الناس بمقدار ما انتشرت اشعارهم وفى الشعر سجّل العرب اخبارهم ، ورصدوا حروبهم ، ووصفوا أيامهم ، وحمدوا او ندبوا احوالهم ، وبكوا على موتاهم . والمديح والهجاء قاما فى العرب مقام الصحف بنشر الكلمة الطيبة والكلمة التى لا تطيب . وحرص وجهاء الدولة على صداقة الشعراء ، واجتنبوا ما امكن مخاصمتهم ، ودفعوا اليهم بالكثير من المطايا .

ومثل نضربه لما كان لشعر العرب من اثر فى دعاية ، ما وقع بين الأعشى الشاعر القديم الجاهلي ، والمحلق . وقصة ذلك ان المحلق كان رجلا بدويا له كثرة من البنات ، ولم يكن من الغنى ولا من تسامع الناس بحيث يهرع اليه الشبان فيتزوجون بناته . فاشارت عليه زوجته بان يتصدى للأعشى فيستضيفه ويكرمه . ففعل . وذلك بان تعرض له فى الطريق واخذ بزمام ناقته ، وساقه الى خيمته ، وعقر له ناقته . وسمع الشاعر ، وهو ضعيف البصر اعشى ، بلغط من حوله ، فسأله عنه ، فعرف انه لبنات المحلق ، وعرف قصتهم . ولما خرج من عند ضيفه انشد قصيدة له شهيرة ضمنها مدح المحلق ، جاء فيها :

لعَمري لقد لاحتْ عيون كثيرة
الى ضوء نار فى يَفاع تحرّق

تُشَبُّ لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلّقْ



المحلق : الرجل البدوى وقد امسك بزمام الناقة التي عليها الشاعر « الاعشى » يقوده الى حيث سكن هو وبناته .

فذاع اسم المحلق فى العرب ، وجاء شبانهم يطلبون الزواج من بناته حتى لم تبق منهن واحدة بغير زواج .

بروباجندة ! بالشعر .

واي شعر ؟ شعر الشاعر الذى نزلت احدى قصائده الينا من العصر الجاهلي ضمن « القصائد العشر » الشهيرة ، تلك القصيدة التي يبداها بقوله :

ودّعْ هريرة ان الركب مرتحلْ
وهل تطيق وداعا ايها الرجل ؟

الدعاية
تلاحق الناس من بعد موت

والدعاية قد تضر الناس فى حياتهم ، ولكن قد تلاحقهم من بعد حياة. تلاحقهم وهم فى قبورهم اجساد هامدة . ولهذا هم يتحدثون عن طيب الأحدوثة من بعد موت .

والحق ان الذى يموت لا يبالي لنفسه ذما او حمدا ، فكذلك قال المعرى :

ولا يبالي المرء فى لحده
بذمّه شيّع ام حَمْده

ولكن المعرى لم يكن له ولد يخشى عليه سوء الأحدوثة من بعد موت . وتجربتنا تدل على ان دعاية السوء تلاحق الأسرة من بعد موت ربها ، ولا سيما الاناث . ومن اجل هذا ظل الأحياء الى اليوم ، ولا سيما الآباء ، يطلبون حسن الذكر من بعد موت .

الدعاية مهنة
يمتهنها قوم باصولها عارفون

على انه الى جانب هذه الدعاية الطليقة التي يتناولها الناس، فى مسالكهم اليومية من الحياة ، جريا على الطبع الباده ، وبغير درس وبغير امتهان ، توجد تلك الصنوف الاخرى من الدعايات التي هي فن ، وهي درس ، وهي مهنة حياة .

ولقد عرّف اهل العلم الدعاية ، فقالوا : ان الدعاية ، هي ، اصطلاحا ، الكلمة التي تقال ، او الكلمة التي تكتب، أو تنشر ، او تذاع بشتى الطرق ، فتؤثر فى سامعها ، او قارئها ، تأثيرا معينا ، يهدف اليه صاحب الدعاية او الدعوة .

ومن هذا التعريف يتضح انه ليست كل كلمة تكتب او تقال بدعاية . ولا كل نفس قارئة او سامعة بمتأثرة لكل كلمة تكتب أو تقال . بمتأثرة بذلك الأثر الذى يهدف اليه صاحب الدعاية او الدعوة .

ان الدعاية علم ، كالنهر ، تمدّه بالماء روافد من ضروب المعرفة شتى : معرفة تتصل بأنفس الناس ، ما هي ، وكم هي ، وما مزاجها ، وكم سرعتها فى تقبل المعنى والخبر ، وكم هى من التشكك والحذر. وأين هي من العلم ، وأين من الجهل ،

وما صنع التاريخ بها ، وكم ضيع من آمالها ، او كم أحيا .

ان اهدافا تستهدفها الدعايات ناس في مجتمعات ، سريعو الحركة ، متقلبو الاهواء ، لا بد من دراستهم كما تدرس الاهداف قبل ان تطلق اليها السهام .

وانت تستطيع ، بما تقول او تكتب ، ان تصل الى الناس ، عن طريقين، طريق العقل والمنطق ، وطريق الانفعال والعاطفة .

واغلب الظن انك سوف تحتاج الى العقل والعاطفة معا . فالعقل لابد منه ليأذن للكلمة بالدخول . والعاطفة لا بد منها لترحب بكل ما يدخل الى النفس من آثار . والتجارب دلت على انه ، في الدعاية ، ان احتاج الداعي الى مخاطبة العقل دقيقة، احتاج الى مخاطبة العاطفة عشرا . فالعاطفة في سواد الناس هي الاقوى ، وهي الأعمى .

ولا عجب اذن اذا قلنا ان الدعاية مهنة، وانها تخصص، وهي تخصص في الادارات الاعلامية الكبرى متعددة الأقسام . وهي دراسة يظهر من ظاهر ما قلناه حاجتها الى علوم النفس وعلوم المجتمع، واطراف اخرى من شتيت بنود المعرفة كثيرة .

وهي دراسة لا تكفي وحدها . فلابد معها من النزول بها الى ميادين العمل ، وهي متنوعة ، وهي كذلك متخصصة ، ولا يغني عن خبير في ميدان ، قديم الخبرة فيه ، ان يحل محله خبير قديم الخبرة مثله ، ولكن في غير ميدانه .

للدعاية مجالات شتى

ومصداقا لهذا نقول ان الدعاية تعمل بين الناس في مجالات شتى .

فهي تعمل ، امتهانا ، في اعزاز وطن، وفي نشر دين ، وهي تعمل في ترويج سياسة ، وهي تعمل في اشعال حرب ، وتعمل في التحضير لسلم ، وهي تعمل لترويج مذهب او هدم مذهب ، وهي تعمل في تعليم وفي تثقيف ، وهي تعمل في تجارة . والاعلان بكل صنوفه له بيوت اعلامية تخصصت فيه شتى .

ثم انه لا يكاد يوجد في الدولة مرفق من مرافق الحياة الا وفيه نصيب من دعاية . ان الدعاية كالزيت يجرى بين تروس الآلة ، يسهل دورانها .

الدعاية والوطن

والدعاية تكون للوطن ، بين اهله .
والدعاية تكون للوطن ، خارج اهله وفي غيره من الأوطان .

ووطن الانسان حيث ولد ، وحيث نشأ وتعلم صبيا، وترعرع يافعا، وكسب رجلا، وشارك اهله عادة ولسانا وتاريخ أمس ورجاء غد .

والوطن وطن الانسان منا وهو صغير غاية الصغر ، ثم وهو كبير غاية الكبر ، ولعله في الصغر أحنى على المرء وادفأ .

والعرب ، وهم قبائل ، كانوا في حاجة الى دعاية قبلية ، دعاية فيهم تجمع بينهم وتحزم امرهم وتثير حبهم للقبيلة وتجعلهم ايقاظا دائما لرد كل معتد ؛ ودعاية تتسامع بها سائر القبائل، تخذل من عزائمهم ، وتلطف من أطماعهم .

وسموا كل هذا فخرا ، وهو فخر ودعاية معا .

واضرب مثلا بعمرو بن كلثوم، صاحب المعلقة التي أولها :

الا هبّي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا

وفيها يفخر فيقول :

ملأنا البر حتى ضاق عنا
كذاك البحر نملؤه سفينا
اذا بلغ الفطام لنا رضيع
تخر له الجبابر ساجدينا

لنــا الدنيــا ومن أضحى عليهــا
ونبطش حـين نبطـش قادرينــا
ونشرب ان وردنــا المـاء صـفوا
ويشـرب غيرنــا كــدرا وطينــا

وتبدلت احوال الناس على القرون ، وجاء من بعد البداوة الحضر ، وجاءت من بعد المدن الأمصار ، وجاءت من بعد الأمصار الأمم . ثم تكشفت الامبراطوريات الكبيرة واشباهها عن دول صغيرة ، زادتها السنون كبرا ، وزادتها اصالة ، وزادتها احساسا بالوطن الواحد ، والحاجة الى الدفاع عن الوطن الواحد ؛ فنشأت عن ذلك حاجات كثيرة منها الحاجة الى الدعاية للوطن بين اهله ، وللوطن في غير اهله .

اما دعاية الوطن في اهله ، فتجرى في كل مرفق من مرافق حياته ، ولكن تختص بها اكبر اختصاص معاهد التعليم حيث يدرس تاريخ الوطن وآداب الوطن ؛ وفيها تربى العاطفة الوطنية ، وسبيلها الدعاية صادقة غالبا ، وغير صادقة احيانا .

ومن الدعاية للوطن الأعياد التي تقام بذكرى استقلاله ، وما يلقى فيها من خطب ومحاضرات ، وتذا الاستعراضات العسكرية التي يحضرها رئيس الدولة والزعماء من رجالها ، تحيط بهم الهالة من بعد الهالة من الجمهور الذي هو الهدف الأول من التأثير بهذه الدعوة او تلك .

وجاءت الأناشيد القومية والسلامات الوطنية

ودخلت الموسيقى والأغنية ، في العصور الحديثة ، تعمد الدعاية للأوطان ، فكان من ذلك السلام القومي ، وكان النشيد :

« فصان "الله الملك او الملكة" » لانجلترا .

« والمرسييز » لفرنسا .

« والمانيا فوق الجميع » لالمانيا .

ثم « العلم المرصع بالنجوم » للولايات المتحدة

كلها اناشيد تغنيها الجماعات وقوفا . وعلى اشد الأنغام من الموسيقى اثارة ، تملأ الصدور حقدا احيانا ، وتملؤها توثبا احيانا . وتحتر بها القلوب احترارا حتى ليكاد يخرج منها الشرر .

ذلك انها اغان جرت اكثرها شعبية في أول امرها ، وخرجت من الشعب في الشديد من ازماته ، وكثيرا ما سجلت احرج لحظاته من هزيمة او نصر ، ثم صارت بعد ذلك قومية . وجاءتها الموسيقى فدقت عالية لتدق معها القلوب اعلى ما تكون .

ولكل نشيد وطني من هذه ، ولكل سلام قومي ، قصة امتزجت بدماء ، اين منها اناشيدنا ، اناشيد الشرق ، تلك التي وكلنا امرها الى قاعد منا ، يقعد في حجرته ، ليضع لنا لحنا من عنده ، فاترا ، ماجورا . وتدق به بيننا الطبول في الاحتفالات ، فنقوم له في غير كثير من احتفال ، اذ ليس له في العقل معنى ، وليس له في القلب صدى . اما الأغنية التي تصحبه ، فقد علم الناس من امرها ما علموا .

الخلاصة ان هذه الأناشيد وهذه الأغاني ، قامت في الأمم ، كما قامت أعلامها ، تحيي الوطنية في أنفس اصحابها . فهي اداة اي اداة من ادوات الترويج للوطن .

والعجيب انها لم يكن منها ما كان الا في القرن الثامن عشر ، فهي حديثة العهد جدا .

امم تستمد دعايتها من ماضيها

امم الارض اليوم صنفان ، امم حديثة ، لها تاريخ ومنجزات في العلم حديثة ، لا تزال

النشيد الفرنسي



هذا روجيه دى ليل Rougel De Lisle ، صاحب اغنية الثورة الفرنسية المعروفة بالمرسييز La Marseillaise وهو يغنيها .

وقد كان روجيه ضابطا في قسم الهندسة في الجيش الفرنسي . وحضر هذا الضابط مادبة اقامها محافظ مدينة ستراسبورج ،في ابريل عام ١٧٩٢ واستمع الى المحافظ وهو يقول في المادبة ان من المؤسف ان الجند الفرنسيين ليس لهم نشيد .

قال المحافظ فقط هذا وهو متاثر بموقف فرنسا من حرب النمسا واتباعها ، لقد كان جندها على وشك غزو فرنسا ، عن طريق مدينة ستراسبورج ، وذلك لضرب الثورة الفرنسية .

ولما عاد هذا الضابط الشاب الى ماواه تلك الليلة ، رفع كمانه وراح يؤلف النشيد وموسيقاه .

وشاع النشيد في جنود الشمال اولا ، ثم حدث ان زار باريس جند من مارسيليه ، ودخلوها ، وهم ينشدون هذا النشيد،فاسماه الناس نشيد مرسيليه او المرسييز ، ولم يلبث ان عم فرنسا وصار نشيد الثورة . كان نشيد الشعب قبل ان يكون نشيد الدولة .

قال احد الجنرالات : « اعطوني نشيد المرسييز ، ومعه الف جندي ، اضمن لكم النصر » .

ويبدا النشيد بهاتين الشطرتين :

Allons,enfants de le patrie! le jour de gloire est arrivè

هيا ، هيا ، ابناء الوطن ان يوم المجد قد حضر

وعبارته المتكررة :

الى السلاح ، الى السلاح ، اهل الوطن ، اجمعوا الكتائب امشوا اليوم ، وامشوا وامشوا ، حتى ترووا ، اخاديد ارضنا بدماء غير طاهرة .

عبارات تزيدها الموسيقي روعة اى روعة .



استعراضات الجيش نوع من الدعاية للامم في الخارج وفي الداخل على السواء .

قائمة، ولا تزال متزايدة، فهؤلاء يفخرون بما ينجزون ، ويتباهون بين الأمم بما يحرزون. وفي اللقاءات الدولية والمؤتمرات الفنية وغير الفنية ، تحرص هذه الأمم كل الحرص على تمثيلها بخير رجال ، وعلى عرض كل ثمرة من ثمار انتاجها ، في علم او طب او تكنية ، او علم ارض ، او علم فضاء . وللصناعة معارض تتخذ منها هذه الأمم وسائل للدعاية صامتة ناطقة. وفيها يحدث الى جانب الصفقات التجارية الاستشعار بالعزة القومية . وكما في المؤتمرات ، وكما في المعارض ، فكذلك في الرياضة، واحتفالاتها، وراس هذه الاحتفالات الاحتفال الأولمبي الذى ينعقد كل بضعة اعوام . كلها منافسات بين الأمم في الحذق والفن والذكاء والخبرة ، وفيها الدعاية اكبر الدعاية ، وبالدعاية كسب احترام الأمم ، ولهذا الاحترام ثمرات كثيرة كبيرة قد تظهر في مجالات بعيدة كل البعد عن هذه المجالات.

والصنف الثاني من الأمم صنف باديء ، او هو صنف كانت له حضارة سادت ثم بادت ، واذا هو اليوم يقعد على الحصير بعد ان كان يفترش الطنافس الغالية . فهذا الصنف لا يجد ما ينافس به في يومه ، فلا يزال يحفر ليكشف عما يفاخر به في أمسه ، وينسى انها احافير تنطق عن زمان غير هذا الزمان ، وعن صنف من بني البشر كان ثم بان .

والشعر العربي السيار يقول :

ان الفتى من يقول « ها انذا »
ليس الفتى من يقول « كان أبي »

ومثل هذا قاله الرصافي في هذا العصر الحديث يخاطب الفتى العربي :

وما يجدى افتخارك بالأوالي
اذا لم تفتخر فخرا جديدا
فشر العالمين ذوو خمول
اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

فدعني والفخار بمجد قوم
مضى الزمن القديم بهم حميدا

حتى امم افريقيا ، وهي ليس لها اليوم شيء تحتفل به، ولها في الغد لا شك اشياء تحتفل بها واشياء، لم يرض بعض الناس ان يرى وعاءها فارغا اليوم وبالأمس على السواء ، فاصطنعوا لها حضارة زعموها قديمة قدم الدهر ، واسموها حضارة افريقيا السوداء .

هذا ، وحضارة اليونان القديمة ، واليها تنتسب الحضارة الاوروبية الحاضرة ، فكرا ومزاجا ، لم تغن اهل اليونان الحاضرين شيئا ، لا في الدعاية لهم بين اهل وطنهم ، ولا لهم بين سائر الأوطان .

الدعاية والدين

والدين ، اي دين ، يبدأ عادة وهو شيء جديد غير معروف ، فلابد من نشره بين الناس ونشر تعاليمه ، فتلك هي الدعوة او الدعاية . وهي في الاسلام عمل واجب . وهي في المسيحية عمل واجب. وقالوا لا وجوب لها في اليهودية، فهي دين مغلق . وقالوا : هي كذلك في الهندوكية والبوذية وسائر الأديان غير المسيحية . وليكن ذلك كما قالوا .

والدين يحدد صلة الانسان بالله . والله الحق . فلن يدخل الى الدين شيء الا الحق . ولكن من يقارن بين الأديان يوم جاءت ، وبينها اليوم والى اى شيء صارت ، وتدخل في ذلك الأديان التي توصف بالسماوية او الكتابيه ، يرى الفرق الكبير بينها اليوم وما كانته بالأمس . ذلك ان الانسان كان له خيال لا بد ان يفعل طوال القرون ، وكانت له ثورة قلب ما كانت دائما لتقف عند الحدود ، فكان من ذلك البون بين حاضر الأديان وماضيها . والقول قول عام .

واضرب مثلا لذلك بوذا . بوذا ما كان الا رجلا . وسواء صدق دعوة او لم يصدق ، فقد وصف نفسه بالوضاعة واحل نفسه بين الناس المحل الصغير الحقير ، ومع هذا قال لي احد اتباعه ، ان الناس اليوم تهوه .

وقد حكى لي بعض اشياخ المسلمين عن قوم في المسلمين كرام ، اقروا بانهم استحدثوا في احاديث الرسول الكريم احاديث من صنعهم، ليروجوا رأيا بعينه، او سياسة بعينها ، وهم زعموا انهم انما فعلوا ذلك مرضاة لله . بقي ان نعلم كم رضي الله عما صنعوا .

والدعاية في الدين ، كل دين ، دعاية تخرج عن عقل، ودعاية تخرج عن عاطفة. ويصل المعقول منها اهل العقل فيكون الرضى . ويصل المعطوف منها اهل العاطفة فيكون الرضا. ولقد مر بخاطرى يوما رأى خبيث عن الخرافات التي ادخلها الجهال في سائر الأديان فقلت لنفسي : وما ضر ذلك اذا كان في الخرافة احياء امل او طمانينة من بعد خوف . وخيل الي ان بعض الفلاسفة ، حتى من المسلمين، سبقوني في هذا الرأى فيما سبقوا .

والرأى عندي ان الدين ، اى دين ، لا تأتلف واياه الدعاية الا ان تكون حقا . اما التحبيب والتحبب في الدين فتهريج لايستقيم مع عقول تطلب حقيقة الكون الكبرى : حقيقة الله سبحانه .

الدعاية والحرب

ليس اكذب من دعاية في حرب .

ومع هذا ، فالظاهر ان الكذب يفيد اكبر الفائدة في الحرب .

وقيل ان الحرب خدعة . والخدعة

انما هي خداع العدو حتى يحسب ما يرى او ما يسمع حقا وما هو بحق .

والحرب العالمية حربان ، حرب اولى وحرب ثانية . والدعاية ، وهي قديمة قدم الانسان ، ظلت في الحروب فنا يعالج بالمراس ، والخبرة ، لاعلما يدرس . والدعاية عالجتها الدول التي اشتركت في الحرب العالمية الاولى ، علاج فن وممارسة . ولما رأت في ختام هذه الحرب ما كان للدعاية من خطورة انشأت لها المنشآت التي تدرسها بحسبانها علما . ولكن هذه الحرب الاولى انتهت قبل ان يجني الحلفاء ثمرات ما انشأوا . ولكنهم افادوا من هذه الانشاءات في الحرب العالمية الثانية .

ولنضرب ببريطانيا مثلا فيما صنعت بدعاياتها في الحرب العالمية الاولى .

في الحرب العالمية الاولى حدد البريطانيون اهدافهم من الدعاية ، فجعلوها ثلاثة :

اولا : دعاية في داخل الوطن ليقتنع اهله بصدق هذه الحرب ، فبدون قناعتهم لا تكون حرب ، ولا يكون من الجند دفاع مثمر .

ثانيا : الدعاية في الدول المحايدة لاقناعهم بصدق موقفهم من الحق في الحرب ، وفوق ذلك باقناعهم بأن لديهم من الكفاية في الصراع ما يجعلهم آخر الأمرهم الغالبون .

ثالثا : الدعاية لتخذيل المانيا وصواحباتها واقناعهم بانهم لابد منهزمون .

وغزت المانيا الكبيرة ، بلجيكا الصغيرة ، وهي دولة قضت المعاهدات من قديم ان تحتفظ لها الدول بحيادها ، فاتخذت بريطانيا واتخذ حلفاؤها من ذلك موضوعا للدعاية فعالا : « الدول الكبيرة تطغى على الدول الصغيرة » . وهذا بالطبع يثير خوف كل صغار الدول ،

واعان بريطانيا في دعايتها هذه قيصر المانيا نفسه حين قال غير عابىء : «ما المعاهدات الا قصاصات من ورق » .

ثم لم تلبث ان شاعت عن الالمان فظائع اقترفوها في المدنيين من البلجيكيين . منها انهم صلبوا اسرى الحرب . ومنها انهم ربطوا القسس ، وهم رجال الله ، في ألسنة الأجراس في الكنائس ، ثم اخذوا يدقونها ، ومنها انهم جاءوا بالأطفال فقطعوا بحد السيف ايديهم . شائعات لم تلبث ان انتشرت في بريطانيا وفي حلفائها انتشار النار في الهشيم . فكرهوا الالمان ومقتوهم ، او زادوا لهم مقتا . وتنتهي الحرب ، وتنكشف بعض الحقائق ، فاذا هذه اكاذيب بعدت كل البعد عن احداث غير خطيرة ، ربما وقعت من جنود غزاة ، لم تبلغ ابدا هذا المبلغ من القبح . ووقائع ثبت انها وقعت من جنود غزاة من سائر الأمم كانت شرا مما وقع من الالمان اضعافا ، ولم يحتفل بها احد .

ومن هذه الشائعات الباطلة قطع يد الاطفال بالسيف . فهذه الشائعة اعترف رجل صحفي بريطاني ، من بعد حرب ، انه مخترعها .

وضرب الالمان بقنابلهم كتدرائية لوفان Louvain ببلجيكا . وهي كنيسة يعبد فيها الله . فاتخذ البريطانيون منها هدفا للدعاية ، يثيرون بها عاطفة المسيحيين . وضرب الالمان الكنيسة لأن البلجيكيين كانوا يطلعون الى برج اجراسها يستشرفون مواقع الالمان . استخدمت الكنيسة اذن لاغراض حرب ، فضربت بقنابل حرب . ولكن البريطانيين لم يذكروا ذلك . كل ما ذكروا ان الالمان ضربوا معبدا من معابد الله .

ثم اغراق الالمان للسفينة الأمريكية لوزيتانيا Lusitania . كان خسارة كبيرة ضياع هذه السفينة الكبيرة ، وكانت خسارة فيها للارواح اكبر . ولكن عذر

الالمان فى ذلك انها كانت تحمل سلاحا لبريطانيا ، من اجل هذا اغرقتها غواصتهم . ولكن الحلفاء لم يذكروا من امر هذه السفينة الا ما ضاع فيها من ارواح . اثارة ارادوها ، هي الدعاية انجح الدعاية ، واكذبها .

واخطأ الالمان بذلك كل الخطأ . فالذى قاموا به حق يدافع به المرء عن نفسه امام قضاة فى محاكم . اما امام الجماهير الصاخبة فكان عملا جارحا لأحاسيس الرحمة فى الناس ، وكان بسببه ان تحولت امريكا الى الحلفاء بعد ان كانت من ذلك فى ريبة . وبدخولها الحرب آخر الأمر ، قضت ان يكون النصر للحلفاء .

تحول فى دعاية الحرب من الغلو الى الاعتدال

على ان المتحاربين فى الحرب العالمية الثانية تحولوا من المبالغة فى اكاذيب الدعاية الى الاعتدال فى دعاويها ، ذلك انامر الدعاية انكشف للناس،فلم يعودوا يصدقونها . فكان من ذلك ان تبارى رجال الأخبار ، فاقتربوا بالصدق ما امكن . وعرف القارئون للصحف ، والسامعون للاذاعات من امر هذه المصادر ما عرفوا فاقبلوا عليها . وبالطبع نجد ان الأمم ، مع القوة ، اقدر على الصدق ، وهي مع الضعف تتوارى فى الكذب. وهي تكذب على اهلها وغير اهلها سواء بسواء .

الدعاية والتعليم

اذا نحن جئنا الى دور الدراسة نجد الدعاية تعمل فى الاطفال قبل ان يكونوا صبية ، وتعمل فى الصبية قبل ان يكونوا غلمانا، وفى الغلمان قبل ان يكونوا رجالا،



الصحافة والاذاعة بشتى انواعها دعامات الدعاية الحضرية الحاضرة فى الأمم .



يخرجون وفق ما اختطت لهم الخطة الدعائية من امزجة عقلية واهواء عاطفية. والتربية صناعة . وهي تصنيع . تبدأ بالخامة الانسانية فتشكلها كما تهوى . ومصداق ذلك انك ترسل عشرة من اطفال العرب الى الصين ، وعشرة الى اليابان ، وعشرة الى الهند ، وعشرة الى ما تشاء من امم ارض ، وتعود اليهم بعد عشرة وعشرين عاما ، فلا تجد فيهم من اثر العروبة شيئا الا ملامح وجه . فلا اللسان عربي ، ولا الفكر عربي ، ولا العادات عربية ولا التقاليد .

ومن اجل هذا كان هدف الثورات ، تنجح في الامم ، اول الاهداف ، حجرات الدراسة وبرامج التعليم ، لاسيما للصغار . انها الدعاية انجح الدعاية . وتستوي في استهداف ذلك ثورة اليمين وثورة اليسار ، ما دام ان الهدف الاول هو التغيير وهو الترويض من حيث تبدأ الحياة وعند جذورها .

واول العلوم ملاءمة لدعاية ، الدروس التي ننعتها بالأدبية . واسرعها استجابة لدعاية ، علم التاريخ . فصاحب الدعوة يستطيع ان يبدل فيه ، فيثبت ماليس فيه ، ويحذف مما فيه ، وفقا للدعوة التي يريد ، ووفقا للاهواء العاطفية التي يريد ان يزرعها في الطلاب ، اما تحببا وترغيبا ، واما تبغيضا وتكريها .

وحتى في الامم الحاضرة ، التي تدعي الوقوف على الحياد من امر الدعايات ، حميدها والخبيث ، توجد امم لم تستطع الى اليوم ان تجرد كتب الدراسة فيها ، لاسيما كتب التاريخ، من دعاية ، لاسيما دعاية ترمى الى التكريه في الغير .

ولقد كان لمؤسسة اليونسكو دراسة حديثة كشفت عن كثير من المكاره ، وحاولت لها علاجا، وهي لاتزال تحاوله. وهي في كتب الدراسة تحاوله .

ومن تجاربي اني كنت اقرا كتابا فرنسيا ، فلما جاء على ذكر اللغة الالمانية وصفها صاحب الكتاب بانها لغة ثقيلة خشنة لاتليق الا للخيل .

الدعاية والتعليم في غير المدارس

وان يكن التعليم الرسمي ، بين الحوائط الاربعة ، يتخذ وسيلة للدعاية، حميدها والخبيث ، فالتعليم الطلق ، في غير جدران ، وسيلة في نظر الدعاة افعل، واوسع دائرة ، وابعد مدى . نعني بذلك التعليم والتثقيف الذى يأتي الناس عن طريق الصحف والاذاعات . وهو افعل لانه يأتي الناس بمحض ارادتهم بينما التعليم الرسمي انما يأتي التلاميذ غصبا. وهو اوسع دائرة لانه يدخل البيوت والمصانع والاسواق . وهو ابعد مدى واشمل ، لانه ينتظم الصبية والغلمان اليوافع ، وينتظم الشباب والرجال والكهول والاشياخ ، من رجال ونساء .

ومن اجل هذه حرصت حكومات الدول على احتواء هذا التعليم حتى لايضل ، او ان يدخله من السوء ما تظنه هي انه السوء .

ومن اجل هذا احتوته على الأخص الحكومات التي لها في الدعاية اهداف تستهدفها ومذاهب تشيعها وتنشرها .

وباحتواء الحكومات التعليم الرسمي في مدارسها ، والتعليم الطليق في صحفها وعلى الاثير في اجوائها تستطيع ، اذا هي ارادت ، ان تخلق الانسان الذى تريد . ونحن، في هذا العصر الصناعي ، نصنع الخامات المعدنية. وكذلك نحن نستطيع، اذا اردنا ان نصنع الخامة الانسانية، فننتج منها الخراف والاسود ، وننتج الحمائم والصقور ، وننتج مالم يخطر ولايخطر في بال احد .

احمد زكي

نموذجان من:

ثورة الفكر

فى تراثنا ثورات فكرية مكتومة، لابد أن ننفض غبارها عنها، لعلها تفعل فعلها فى الناس

بقلم: الدكتور زكي نجيب محمود

■ ليست ثورة الفكر كثورة السياسة، فيها قعقعة المصفحات وهزيم الطائرات، وهتاف يثير غبار الطريق، وصياح يهز امواج الصوت والصورة فى اجهزة الاذاعة، لكن ثورة الفكر يغلب ان تجيء كقطرات الماء تنصب على الجلمود الاصم فتحسبها واهنة بلا اثر، واذا بالايام تمضى فاذا الجلمود الاصم قد تفتح وارهف السمع ليتلقى الرسالة، والعجب هو ان ثورات الفكر بصوتها الخافت الهادىء، هى التى تحرك النفوس ـ على مدى الزمن القصير او الطويل ـ لتثور بذلك الهتاف والقعقعة والهزيم فى دنيا السياسة والاجتماع.

وفي تراثنا ثورات فكرية مكتومة، نخشى ان يطول بها الصمت فاذا هى كالعدم الذى لم يكن ولا هو كائن او يكون، فما علينا نحن الكاتبين في هذا العصر الا ان ننفض الغبار عن صفحاتها لعلها تفعل في الناس فعلها ... قال شيكسبير ـ في مسرحية « العين بالعين » ـ على لسان أمير أراد أن يَتَخَبَّرَ حال امارته متنكرا، فجاء بمن ينوب عنه أثناء غيبة زعم أنها سفر" الى بلد اخر، وما هو في الحقيقة بسفر، بل تبديل ثوب بثوب ليخالط الناس وكانه احدهم، فيذوق بنفسه حلو الحياة ومرها، فاوصى نائبه ذاك بقوله: « ... الا ان السماء لتفعل بنا ما نفعله نحن بالشموع، فنحن لا نضيء الشموع لذاتها، وكذلك حسناتنا اذا هى لم تنشر ضوءها في الناس

فهي عدم من العدم ، ان النفوس السامية انما اكتسبت سموها من سمو غاياتها ، واذا اقرضت الطبيعة احدنا مثقال ذرة من كنوزها ، فانما تكون في اقراضها ذاك مثل ربة شحيحة ، تعطى ما تعطيه مزهوة بنفسها كما يفعل دائن القروض ، له على المدين أن يشكر له الصنيع وان يدفع له ربح قرضه » ـ ولقد دَسّ لنا الاسبقون في ثنايا ما اورثونا اياه كنوزا ، هي كالشموع التى ذكرها شيكسبير ، اذا لم تكن هادية بضوئها فهى كالعدم، او هى كالقروض اقرضونا اياها ، ويتوقعون منا ان نردّ لهم قرضهم ، مضافا اليه زيادة الربح وعرفان" بالجميل .

واحد في الزحام

لست ادرى كم احس القارىء في حياته العملية ما احسسته في حياتى ، لا اقول مرة ، ولا عشر مرات ولا مائة ، لانها مواقف تعد بالالوف ، تلك التى احسست فيها أن قدرى عند الناس ـ ودع عنك الدولة ـ لم يوزن قط الا بمقدار ما كان لى من سلطان نافذ الكلمة فعال الارادة ، ولما كانت حياتى قد خلت" من كل سلطان ، كنت كلما أردت قضاء' لامر ، أجدنى واحدا في الزحام ، لارى بعينى كيف يكون الويل في بلادنا لمن ليس له نصير من أصحاب الارادة النافذة ؟ فالفرق بعيد بعيد في حياتنا العملية بين انسان وانسان ، وليكتب أولو الامر ما شاءوا في دساتيرهم المعلنة من مساواة بين المواطنين في الحقوق وفي الواجبات .

فالثورة الفكرية هنا هى ان تبدا مع الناس من مرحلة الصفر ، فتصدمهم بما لا يتوقعونه ، قائلا . ان الانسان وصنوف الحيوان سواسية ، حتى اذا ما بهتوا لقولك ، ثم زالت عنهم آثار الدهشة بعد حين ، كان هينا عليك بعدئذ أن تقنعهم بما اردته ، وهو ان اى انسان كاى انسان ، امام الله وفي ساحات القضاء ، وفي الطرقات والمطارات ومكاتب البريد ومخافر الشرطة ومعاهد العلم ودواوين الدولةوامام ضباطالجمارك والضرائب..

نبدأ من الصفر ، كما قال اخوان الصفا

لنبدا ـ اذن ـ من مرحلة الصفر ، فنزعم بأن الانسان وصنوف الحيوان سواسية .. قال ذلك « اخوان الصفا » في رسائلهم ، ترى هل قالوه من اجل ثورة فكرية كالتى نريدها ؟! ولكن كيف قالوه ؟

ففى صفحات طوال من الجزء الثانى من « الرسائل » اجرى « اخوان الصفا » محاكمة بين بنى الانسان وانواع الحيوان ، اذ ترفع هذه الانواع الحيوانية شكاتها الى ولى الامر ، مما تعانيه من عنت الانسان ، رافضة ان يكون للانسان فضل عليها ، من حيث انها ـ هى وهو معا ـ صنعة الله ؟ فيسال ولى الامر بنى الانسان ماذا يقولون دفاعا عن انفسهم ؟ ويجيبون بما يظنونه مؤيدا لموقفهم من آيات القرآن الكريم ، لكن الحيوان سرعان ما يقدم تاويلا لهذه الآيات ، يبين ان الانسان قد جاوز حدود الحق حين فهمها على الوجه الذى فهمها به .

ملك من الجان

واما ولى الامر هنا ، فلا هو انسان ولا حيوان، ليكون محايدا في نظرته وحكمه بين المتخاصمين ، اذ هو ملك من الجان ، يدعى « بيراست الحكيم »، وتبدأ الصورة الادبيةالرائعة التى رسمهاالمؤلفون، بان جعلوا مقر « بيراست الحكيم » جزيرة في وسط البحر الاخضر مما يلى خط الاستواء ، وهى جزيرة طيبة الهواء والتربة ، فيها انهار عذبة وعيون جارية واشجار مختلفة الوانها وثمارها ، وحدث ذات يوم ان طرحت الرياح العاصفة مركبا من سفن البحر الى ساحل تلك الجزيرة،وكان على المركب قوم من التجار والصناع واهل العلم ، فخرجوا منمركبهم الىارض الجزيرة وطافوا بها ، فراوا فيها من ضروب النبات ومن صنوف الحيوان من بهائم وانعام وطيور وسباع ووحوش وهوام وحشرات ، وكان الكل يالف الكل ويانس له ، فاستطاب القوم الجزيرة وما عليها، واتخذوها لهم موطنا ، واخذوا يبنون ويعمرون وينشطون بحياتهم على نحو ما اعتادوا في بلادهم أن يفعلوا ، ولم تاخذهم عندئذ ريبة من انفسهم حين ارادوا استخدام ما شاءوا ان يستخدموه من صنوف الحيوان ، لكن هذا الحيوان الذى لم يالف شيئا كهذا من قبل ، هو الذى افزعته هذه المصيبة التى نكب" بها من حيث لا يدرى ، واراد

التمرد ، ولكن هيهات ان يترك الانسان له زماما بعد ان امسكه بكلتا يديه .

فما هي الا ان جمعت البهائم والانعام زعماءها وخطباءها ، وذهبت الى « براست الحكيم » ـ وكان ملك الجن ـ وشكت اليه ما لقيت من جور بني ادم واعتقادهم فيها بانها عبيد لهم ، فبعث ملك الجن رسولا الى اولئك القوم ودعاهم الى حضرته ، فذهبت منهم طائفة تمثلهم ، قال لهم ملك الجن على لسان ترجمانه : ما الذى جاء بكم الى بلادنا ؟

ـ قال قائل منهم : دعانا ما سمعنا من فضائل الملك وعدله ، وها نحن أولاء بين يديكم لتحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين من صنوف البهائم والانعام .

ـ قال الملك : بينوا ما تريدون .

ـ قال زعيم الانس : نقول ان هذه البهائم والانعام عبيد لنا ، ونحن اربابها ، لكننا نراها اما هاربة عاصية ، واما مطيعة وهي كارهة منكرة لحقوقنا فيها .

ـ قال الملك : وما حجتكم يا معشر الانس فيما زعمتم لانفسكم على الحيوان من سلطان ؟

ـ قال زعيم الانس : لنا على ذلك دلائل شرعية سمعية ، واخرى عقلية منطقية ؟ .. وطفق الانسي يقيم الحجة تلو الحجة ، ويذكر من آيات الله ما يؤيد دعواه ، كقوله تعالى : « والانعام خلقها لكم ، فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون » ، وقوله : « وعليها وعلى الفلك تحملون » ، وقوله : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » .

فتوجه الملك بالسؤال الى جماعة الحيوان قائلا : قد سمعتم يا معشر البهائم والانعام ما قال الانسي من آيات القرآن مستدلا بها على صدق دعواه ، فماذا تقولون في ذلك ؟

وتكلم البغل

فاناب الحيوان عنه البغل ليتكلم بلسانه ، فقال :

ـ ليس في شيء مما قرا هذا الانسي من آيات القرآن دليل على زعمهم بانهم ارباب لنا وباننا عبيد لهم ، انما هي آيات تذكرهم بما انعم الله عليهم به ، قال لهم القرآن الكريم : « سخرناها لكم » كما جاء فيه في آيات متفرقة ان الله سخر لهم الشمس والقمر والسحاب والرياح . افترى ايها الملك انها قد اصبحت بذلك عبيدا للانسان ؟ وان الناس قد اصبحوا اربابها ؟ الا ان الله تعالى خلق كل ما في السموات والارض وجعلها مسخرة بعضها لبعض جلبا للمنفعة ودفعا للخطر .

واستطرد البغل زعيم البهائم ليقول : ايها الملك ! كنا وكان آباؤنا سكان الارض قبل خلق آدم ابي البشر ، قاطنين في ارجائها ، تذهب وتجيء كل طائفة منا في بلاد الله طلبا للعيش ، كل منا مقبل على شانه في مكان يوافق مآربه من برِّية او اجمة او جبل او ساحل او تلال او غياض او رمال ، آمنين في اوطاننا ، معافَيْن في ابداننا ، ومضت على ذلك الدهور والازمان ، حتى جاء بنو ادم وانتشروا في الارض برا وبحرا وسهلا وجبلا ، وضيقوا علينا الاماكن والاوطان ، واخذوا منا من اخذوا اسيرا ، من الغنم والبقر والخيل والبغال والحمير ، وسخروها واستخدموها واتعبوها بالكدّ والعناء في الاعمال الشاقة من الحمل والركوب والشدّ في الدواليب والطواحين ، بالقهر والضرب والهوان والوان العذاب ، فهرب منا من هرب في البراري والقفار فشدّوه بالغلّ والقيد والقنص والذبح والسلخ وشق الاجواف وقطع المفاصل ونتف الريش وجزّ الشعر والوبر ، ثم نار الوقد والطبخ والتشويه وانواع من العذاب لا يبلغ الوصف كنهها .

الملك يسأل

ـ فسأل الملك زعماء الانس (بعد ان حصّن نفسه باعوانه وجنده من قبائل الجن) : ماذا انتم قائلون فيما تحكى هذه البهائم والانعام من جور وعدوان ؟

ـ قال زعيم الانس : ان لنا حججا عقلية تؤيد حقنا على هذه البهائم في ان تكون عبيدا لنا ، نتحكم فيها تحكم الارباب ، من ذلك ما انعم الله به علينا من صورة حسنة ، وهيكل قويم ، وحواس مدركة ، ونفس ذكية ، وعقل راجح .

ـ فسأل الملك زعيم البهائم ماذا يقول في ذلك ؟ فاجاب :

ـ ان الله جل ثناؤه ما خلقهم على تلك الصورة لتدل على انهم ارباب،ولا خلقنا على هذه الصورة لتدل على اننا عبيد ، لكنه تعالى فعل ذلك لعلمه ان تلك البنية اصلح لهم ، وهذه اصلح لنا ، وبيان ذلك ان بنى آدم عراة بلا ريش على ابدانهم، ولا وبر ولا صوف على جلودهم يقيهم الحر والبرد ، ولما كانت ارزاقهم من ثمر الاشجار ، ودثارهم من اوراقها ، وكانت الاشجار منتصبة في جو الهواء ، خلقت قاماتهم منتصبة ليسهل عليهم تناول الثمر والورق منها ، واما نحن ، فلان ارزاقنا من حشيش الارض ، فقد جُعلَت ابداننا منحنية ليسهل علينا تناولها ، واذن فلا احسن ولا اردأ في هذا الاختلاف بيننا وبينهم ، بل هي طبيعة العيش في كلتا الحالتين وما تقتضيه .

ـ فقال ملك الجن لزعيم البهائم : لكن ماذا تقول في قول الله عز وجل : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » ؟

ـ فقال الزعيم : الآية تعنى انه تعالى خلقه في تناسب تام مع ظروفه ، فلم يجعله طويلا دقيقا ولا قصيرا لزيقا ، بل جعله ما بين ذلك ، وكذلك الامر معنا ، فنحن من هذه الناحية سواء .

ـ قال زعيم الانس لزعيم البهائم : من أين لكم اعتدال القامة واستواء البنية وتناسب الصورة وقد نرى الجمل عظيم الجثة طويل الرقبة صغير الاذنين قصير الذنب ، ونرى الفيل عظيم الخلقة طويل النابين واسع الاذنين صغير العينين ؟

الحيوان أدق حاسة وتمييزا

ـ فاجاب زعيم البهائم : ذهب عليك أيها الانسي ـ احسنها ، وخفى عليك احكمها ! اما علمتَ انك لما عِبْتَ المصنوع فقد عِبْتَ الصانع ؟ ...

انه اذا كان ما زعمت لبنى جنسك من حسن الصورة شيئا مرغوبا فيه لتنجذب ذكوركم الى اناثكم واناثكم الى ذكوركم، فلنا كذلك ما ينتج هذا التجاذب من ذكورنا واناثنا، واما ما ذكرت من جودة حواسكم ودقة تمييزكم ، فليس ذلك بما تنفردون به دون الحيوان ، ففي الحيوان ما هو ادق منكم حاسة وتمييزا ؟ فالجمل يرى موضع قدميه في اوعر الطرقات برغم ظلمة الليل ، والجواد يسمع وطء السائر من بعد في سواد الليل ، حتى لقد يوقظ صاحبه من نومه بركضة رجله حذرا عليه من عدو هاجم ، واما الذى ذكرته من رجحان العقول فلسنا نرى لذلك اثرا باشياء ليست من صنعكم ، فالعقلاء انما يفتخرون باشياءَ ، هم صانعوها ..

ولقد طلب البغل من طوائف الحيوان ان تتكلم كل طائفة عن نفسها ، فتكلم الحمار ، والثور ، والكبش ، والجمل ، والخنزير ..

واستشار ملك الجن أعوانه

وهكذا لبث الحوار قائما ومحتدما ، حتى اذا ما فرغ الفريقان من هجوم ودفاع وبذل كل منهما في الأمر جهد طاقته ، استشار ملك الجن اعوانه، فكاد الراى بينهم جميعا يلتقى عند فكرة رأوها عادلة ، وهي ان الحيوان صاحب حق ، وان بنى ادم جائرون بما بين أيديهم من بهائم وانعام ، ولذلك اصدروا نصحهم لصنوف الحيوان الأسيرة ان تهرب كلها من قبضة الانسان دفعة واحدة وفي ليلة واحدة ، وتبعد عن ديار بنى آدم لتتحرر من ظلمهم ، كما فعلت حُمُر الوحش والغزلان والسباع ، لكن شيخ حكماء الجن اسرّ في اذن الرئيس ان ذلك الفرار قد يكون أمرا محالا ، لان الآدميين يقيدون ما في حوزتهم اثناء الليل ، ويغلقون دونه الابواب ، فاقترح احد الاعضاء على الرئيس أن يبعث بقبائل من الجن لتفتح الأبواب المغلقة وتفك القيود عن البهائم وتخبل الحراس حتى تبعد البهائم عن منطقة الخطر وتنجو بحياتها.

هذه خلاصة لما أورده اخوان الصفا في رسائلهم ، ولمن شاء التفصيل المستفيض أن يرجع الى الجزء الثانى من تلك الرسائل .

ما صنوف الحيوان الا طوائف من البشر

ولست أعلم ماذا يطوف برأس القارىء بعد قراءة هذا الحوار ؟ اما انا فقد ابى عليَّ خيالى الا ان اترجم صنوف الحيوان الى طوائف من البشر انفسهم ، حاق بهم الظلم على أيدى قلة من ذويهم آلت اليها قوة وجاه عريض وحكم نافذ فكان لهم ما ارادوا ولم يتركوا لسواهم الأمل في

ارادة ، ولقد استرعى انتباهى اثناء قراءتى للنص الأصلى عبارة رجحت بها ان يكون لهذا الحوار مغـزاه البعيـد في الحيـاة السيـاسية التى احاطت باخوان الصفا في عصرهم ـ وعصرهم هو القرن العاشر الميلادى ـ وذلك ان الكاتب حين اقام خطيبا من الانس ليدافع عن حقوق بنى جنسه، افلتت منه هذه الاشارة الدالة : « فقام الخطيب من الانس من أولاد العباس ورقى المنبر وخطب الخطبة وقال .. » ـ اذن فالأمر هو ما بين الحاكمين من اولاد العباس والمحكومين ممن كانت لهم ظلامة ، وبقى على المؤرخين آن يبينوا لنا الى اى الطوائف من سواد الناس رمز المؤلف ـ أو المؤلفون ـ بالبغل والحمار والثور والجمـل والخنزير ، فلكل منها شكاته الخاصة ، فوق الشكوى العامة ، واذا صدق هذا الفهم لقول اخوان الصفا ، اذن فقد كان ما قالوه نموذجـا جميلا من ثورة الفكر التى نريدها .

نموذج ثان لثورة الفكر

اما النموذج الثانى الذى اخترته لثورة الفكر ، فهو من صنف يختلف عن الاول اختلافا بعيدا ، وقد اخترته من أوروبا في عصر جاء بعد اخوان الصفا باربعة قرون ، واذا كان موضع الثورة الاولى تفاوت الناس في الاقدار ، فموضع الثورة الثانية هو افكار ينسجها الناس باوهامهم ثم لا يلبثون ان يقحموها على الواقع كانها جزء منه ، فتزيغ ابصارهم وتضل خطاهم على طـريق الحياة ، واما قطب هذه الثورة الثانية فهو وليم الأوكامى .

فى أوروبا ابان القرن الرابع عشر

نحن في اوروبا ابان القرن الرابع عشر ، على مبعدة قرن أو قرنين من حركة النهوض التـى استيقظت بها أوروبا ، ثم تبعها في اليقظـة سائر اقطار الارض على فترات متعاقبات ربمـا طالت هنا وقصرت هناك ؟ كان البناء الفكـرى الثقافي كله قد تزعزعت اركانه وخارت قـواه ، انعكاسا لتدهور الحياة بشتى مقوماتها اذ ذاك ، وكانما اذا اراد الله لنظام فاسد أن يزول ،أحاطه بما ينخر في عظامه، فلقد تكاثرت على أوروبا عندئذ عوامل الضعف : رجال الدين لم يعودوا يحافظون على الدين الا في قشوره دون اللباب ، وفي شعائره دون المحتوى ، وما يسمى في التاريخ بحرب مائة العام ، ثم وباء الطاعون الذى يرد ذكره في الكتب باسم « الموت الاسود » ، فماذا يتخلف عن جو كهذا سوى اضطراب القيم وفوضى الاخلاق ، وجدْب الفاعلية العقلية ، ونكسة تصيب الانسان في ثقته بعقله وتقذف به الى دنيا الخرافة ؟

وليم الاوكامى

وفي هذا الجو نشأ وليم الاوكامى William of Occam ـ نسبة الى قرية انجليزية تسمى اوكام ـ ولقد تعلم وليم في كمبردج واكسفورد معا ، وقام بالتدريس في هذه الأخـيرة ، وأى تدريس ؟ كان هنالك كتاب تقليدى صنفه بطرس لمبارد في اوائل القرن الثانى عشر ، يقع في اربعة أجزاء ، وعنوانه « مأثورات » ، ويحتوى على مجموعة مختارة مما قاله آباء الكنيسة الاولون ،

وكان العرف قد جرى في الجامعات الأوروبية ان يبدأ المدرس الناشىء في الجامعة ، بان تدور محاضراته حول مادة هذا الكتاب ، ويكفينا لكى نعلم اهمية هذا الكتاب أن نذكر ما قاله عنه « روجر بيكن » اذ قال : ان الجامعة في باريس تدرس هذا الكتاب اكثر مما تدرس الكتـاب المقدس .

بدأ الأوكامى محاضراته بهذا الكتاب جريا مع العرف ، لكنه لم يلبث ان انحرف ، فيما يلقيه على طلابه ، عن مالوف الطريق انحرافا خطـيرا ، من ذلك انه اخذ يغلف محاضراته بمبادىء المذهب التجريبى ـ وهو مذهب يجعل هذه الدنيا مصدرا للعلم ، ولذلك فهو مثير للفزع عند رجـال اللاهوت الذين لا يرضون بديلا عن الكتاب المقدس مصدرا لكل علم حقيقى جدير بعناية الانسان ؟ وشاع في الأوساط الدينية ما انحرف به الأوكامى عـن الخـط المـالوف ، فاستدعاه البـابا في مقـره عندئذ بمدينـة افنيـون بفرنسـا ،

ليحاكمه على زندقته تلك ، ولكن محاكميه ارجئوا اصدار الحكم عليه ، وسجنوه في دير لطائفة الفرنسسكان بافنيون ، حيث لبث بضع سنين : لكنه هرب آخر الأمر من سجنه ، ولاذ بالامبراطور لويس في بافاريا ـ وكان معاديا للسلطة الدينية القائمة ويسعى الى تبديلها ـ فكان ذلك من الاوكامي بمثابة الخروج على البابا وعصيانه .

المفكر الثائر

وشاءت له الايام ان يخذله الامبراطور ، بمعنى ان هذا الامبراطور قد عاد واستسلم في خشوع ذليل للبابا ليستعيد رضاه . واما المفكر الثائر ـ وليم الأوكامي ـ فقد مضى قدُما في ثورته ، يخرج الرسالة تلو الرسالة ، دفاعا عن « الفرد » وحقه في ان يستقل برايه ، وضرورة أن يصبح « الفرد » ـ لا الجماعة التى تحتويه ـ هو محور الاهتمام ، اليس الفرد مسئولا امام نفسه وامام خالقه وامام الناس عما يفعل ؟ اذن فالحكم على الدولة نفسها انما ينبثق من حصيلة المواقف الخلقية التى يقفها المواطنون افرادا قبل ان يكونوا جماعات .

غير ان هذا وسواه من الافكار التى اذاعها الاوكامي عندئذ في نشراته التى امطر بها القارئين ، انما جاءت كلها تفريعات عن موقف له اساسي في فلسفة المعرفة ، هو الذى اشتهر به في تاريخ الفلسفة ، وهو الذى بقيت منه بقية لها المكانة البارزة في فلسفة بعض معاصرينا اليوم ، ومن هؤلاء برتراند رسل ، وهى ما يسمونه « نصل اوكام » Occams Razor الذى سنتولاه بالشرح فيما بعد .

مناخ فكرى عجيب

جاء الاوكامي في مناخ فكرى عجيب ، فالبابا يامر اسقف باريس ـ مثلا ـ ان يراجع كل ما يدرس في جامعة باريس ، ليستخرج منه ما هو مخالف للدين في رأيه ، فاخرج له الاسقف اكثر من مائتى رسالة علمية يتداولها الدارسون ، وكان بين ما صادره : كل رسالة يرد فيها ـ من قريب او من بعيد ـ ان البدن (اى الحواس من بصر وسمع الخ) يشارك في تحصيل العلم ، ويتدخل في العمليات العقلية باى وجه من الوجوه ، من اين ـ اذن ـ يعرف الانسان ما يعرفه عن العالم الذى حوله ؟ انه يعرفه بادراكاته الباطنية التى تهتدى بالنور الالهى ، فلا شان للانسان بالاشياء نفسها ليعرفها ، بل عليه ان ينتظر الالهام الربانى يلمع بالنور في دخيلة نفسه فيعرفها ، واكثر الناس اعتدالا في ذلك الحين ، هم الذين قالوا : لنقسم المعرفة قسمين ، قسم منها ياتى من تجربة الحواس للاشياء ، وهى معرفة لا قيمة لها ، وقسم آخر ياتى عن طريق الالهام او ما يشبهه ، وهذا هو الجدير باهتمام الانسان .

مبدأ النصل ، أو الموسى

في هذا المناخ الفكرى نشا الاوكامي ، فكانت ثورته التى اردنا عرضها في هذا المقال ، ومحور فكرته الثائرة هو هذا المبدأ الذى اصطنعه واسماه « بالنصل » او « الموسى » الذى اراد ان يجز به كل فكرة يثبت الا ضرورة لافتراضها في تفسيرنا للعالم وظواهره ، ومن ثم نشأت قاعدة « الاقتصاد في الفروض » التى ياخذ بها القائمون بالبحوث العلمية اساسا منهجيا معترفا به ، وكان لها تطبيق خاص عند برتراند رسل كما اسلفنا .

لست ادرى كم يعلم القارىء من نظرية « المثُل » الافلاطونية ، اذ لا بد من الالمام بطرف منها لنفهم موقف الاوكامي و « نصله » ذاك ؟ لان الاوكامي قد ظهر والنظرية الافلاطونية هذه معقود لها السيادة بين رجال الفكر ، وخلاصتها ان افراد النوع الواحد ، كافراد الناس وافراد الشجر وافراد الطير الخ ، انما خلقت على غرار نموذج عقلى سابق على الوجود المادى كله ، اى اننا لو تصورنا ان هذا الوجود المادى كله قد انمحى ، او انه لم يخلق اصلا ، فتلك النماذج العقلية تظل هنالك قائمة كما تقوم الكائنات الروحية كلها ، فاذا اردنا الحكم على شيء ما بالجودة او الرداءة ، نظرنا : الى اى حد يقترب ذلك الشيء من النموذج الازلى الابدى الروحانى

القائم قبل الوجود المادى وخلاله وبعده ، اذا كان لهذا الوجود المادى قبل وبعد .

فها هنا يحتج الاوكامى مستخدما « نصله » البتار ، فكأنه يسأل : اأذا اردت معرفة هذه الشجرة او هذا الطائر، فاخذت في تحليل خصائصه وطريقة تكوينه وما الى ذلك ، حتى لا يبقى من تلك الخصائص والطبائع شيء ، فهل ازداد علما بالشجرة التى احللها او بالطائر الذى افحصه ، اذا انا اضفت زعما يقول ان هنالك فيما وراء السماء نموذج لا مادى للشجرة او للطائر ؟ اذا كانت الاجابة بالنفى ، اذن فلا مناص من « بتر » هذه الزائدة من عملية العلم بالشجرة او بالطائر .

خلاصة الموقف الجديد

والنص الحرفي لمبدأ « النصل » الاوكامى هو : « لمَشيئةٌ للوقت أن نستخدم اسما كثيرة (للتحليل والعلم بشيء معين) اذا كان يكفينا الاسى القليلة » ، « ولا يجوز أن نفترض وجود عدة عناصر (في الكائن الذى نريد الالمام بحقيقته) الا اذا لم يكن لنا بد من افتراض وجودها » .

انظر كيف يتعلم الطفل ما يتعلمه منذ شهوره الاولى ، انه يرى مقعدا ، فنلفظ له نحن بكلمة « كرسي » ونكرر هذه العملية ، فيرتبط الشيء عنده باسمه ، ويكون بذلك قد « عرف » هذا الجزء من عالمه المحيط به ، ولنلحظ هنا جيدا انه ليس هنالك في هذه الحالة الا طرفان : المقعد في دنيا الاشياء ، ولفظ الكرسي في دنيا اللغة ، ومعنى ذلك ان المعرفة كلها ترتد الى الفاظ وطريقة استخدامها وتركيبها لتجيء دالة على دنيا الاشياء واما ما عدا ذلك فليس له عند الاوكامى الا « النصل » او « الموسى » يبتره به بترا ، لانه زوائد لا تزيدنا من العلم بالاشياء ، او قل انه وهم خلقه الانسان لنفسه فاحدث لها الربكة بغير داع ، ومن هذا القبيل نفسه ما كان يفرضه الفلاسفة دائما ، وهو ان لكل شيء « جوهرا » مطويا خلف ظواهره ، وان معرفة اى شيء معرفة صحيحة انما تكون بمعرفة ذلك الجوهر الخبيء ، لا بالوقوف عند الظواهر البادية ، فيجيء النصل الاوكامى ليبتر هذا « الجوهر » اذا وجدنا ان معرفتنا بظواهر الشيء قد اتاحت لنا العلم به .

وخلاصة الموقف الجديد هى ان الحواس وحدها ـ السمع والبصر واللمس وغيرها ـ هى وسيلتنا الوحيدة للعلم بالعالم ، فاذا رايتنا نأخذ بالقبول بعض القضايا العامة المجردة التى قد لا تظهر العلاقة بينها وبين دنيا المحسوسات علاقة مباشرة، فاعلم اننا نستطيع بالتحليل ان نردها خطوة خطوة حتى ترتد الى اصولها بين الاشياء المحسوسة ، والا لحكمنا عليها بالبطلان .

ذلك هو لباب الثورة الفكرية التى اثارها وليم الاوكامى في اواسط القرن الرابع عشر ، فجاءت من البشائر التى آذنت بقيام نهضة عقلية علمية في اوروبا ، هى التى تنعم اليوم بآثارها .

★ ★ ★

العربى المعاصر أصابته سلبية واسترخاء

اما بعد، فلقد اخترتُ للقارىء هذين النموذجين لثورة الفكر عامدا ، فانظر الى العربى المعاصر واسأل : ماذا اصابه من جوانب الضعف حتى صار الى ما صار اليه من سلبية واسترخاء ، برغم ما قد يدعيه لنفسه فيما يقول وما يكتب ، لانك تعرف حقيقة الانسان من سلوكه وطرائق سعيه ، لا مما يخطب به فوق المنابر او ما تجرى به الاقلام في انهر الصحف من مقالات وقصائد ؟ لا اعلم بماذا يجيء جوابك ، لكننى اجيب فاقول : ان علل الضعف كثيرة ، من بينها اثنتان بارزتان ، احداهما ما بين افراد الناس من تفاوت في ممارسة الحقوق والواجبات ، والاخرى مجاوزة الواقع الى ما يخلقه الناس عن ذلك الواقع من اوهام ، فكان من شأن الضعف الاول ان اهدرت كرامة البشر ، وبالتالى غيض في انفسهم معين الابتكار والخلق ، وكان من شأن الضعف الثانى ان اهتزت صورة العالم الطبيعى في اعيننا ، وبالتالى سُدت المصادر الحقيقية التى تنشأ عنها العلوم ، فاستعرنا من تاريخ الفكر الانسانى ثورتين : اولاهما من اخوان الصفا نعالج بها العلة الاولى ، وثانيتهما من وليم الاوكامى نعالج بها العلة الثانية، وقصارى الكاتب ان يكتب ، وليس في وسعه ان تتفتح له الابصار والاسماع والقلوب . ■■

زكى نجيب محمود

نتيجة مسابقة العدد ١٧٠

ألقاب وكنى لمشاهير في التاريخ

■ كانت مسابقة العدد ١٧٠ من العربي تدور حول القاب وكنى لمشاهير من الفلاسفة او الشعراء او الفقهاء او القواد دخلوا التاريخ من بابه الواسع واثروا التراث الانساني بنتاجهم في الميادين المختلفة .

وقد كانت رسائل المسابقة من الكثرة بصورة لم نعهدها في اية مسابقة من مسابقاتنا ، وقد يرجع ذلك الى سهولة الاسئلة ، او ان القارىء العربي بلغ درجة من الوعي بتاريخه العربي وهذا ما يبشر بالخير العميم .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من حالفهم التوفيق بالفوز في المسابقة .

١ ـ الشيخ الرئيس : **ابن سينا**
٢ ـ سيف الله : **خالد بن الوليد**
٣ ـ المعلم الاول : **ارسطو**
٤ ـ ثعلب الصحراء : **روميل**
٥ ـ الاخطل : **غياث التغلبي**
٦ ـ ذو القروح : **امرؤ القيس**
٧ ـ المعلم الثاني : **الفارابي**
٨ ـ رهين المحبسين : **ابو العلاء المعرى**
٩ ـ حجة الاسلام : **الامام الغزالي**
١٠ ـ محرر العبيد : **ابراهام لينكلن**
١١ ـ الخنساء : **تماضر بنت عمرو بن الشريد**
١٢ ـ الامام الاعظم : **ابو حنيفة** .

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **حسن علي بنجر** ـ جدة/السعودية .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **حبيب علي احمد اسماعيل** ـ بنغازي/ليبيا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **ازداد غزوز** ـ فاس/المغرب .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **محمد سيد مبارك القويفي** ـ بنها/مصر .
٢ ـ **نور الدين السعيد** ـ حمص/سوريا .
٣ ـ **احمد عارف الثاني** ـ بيروت/لبنان .
٤ ـ **فؤاد جرجيس منصور** ـ بغداد/العراق .
٥ ـ **سليمان اسماعيل اللهواني** ـ عمان/الاردن .
٦ ـ **عادل عابدين الحاج**/ام درمان/السودان .
٧ ـ **جمال رضوان قاسم ابو نبعة** ـ السالمية/الكويت
٨ ـ **امين طويل** ـ كوالا لامبور/ماليزيا .

ابن النديم

و.. البيبليوجرافيا الحديثة

بقلم
عبد الرحمن معلا

■ لم يعد البحث العلمي في عصرنا الحالي وقفا على العلوم التجريبية ولم يعد مجرد بحث ارتجالي عشوائي تلعب فيه الصدفة الدور الاكبر. لقد أصبحت الذاكرة البشرية عاجزة عن حصر جزء بسيط مما ينتجه العقل البشري واصبحت الاستعانة بوسائل مادية تدعم الذاكرة وتؤمن عدم ضياع المعلومات ضرورة من ضرورات العصر. من هنا جاءت الحاجة الى فهارس متعددة الأساليب تحصر كل ما كتب حول موضوع معين بلغة معينة او بلغات عدة وتشير الى مصدر المعلومات وحجمها ومكان وجودها مما يوفر على الباحث جهدا ووقتا يصرفهما في التحليل والدراسة العميقة.

الفهارس أنواع متعددة

هذه الفهارس ذات أنواع متعددة، فمنها ما تحصر الانتاج الثقافي الوطني في بلد ما، ومنها ما تحصي محتوى مكتبة عريقة او عدة مكتبات هامة، ومنها ما تهتم بعلم دون غيره او بفرع من علم. وقد تطورت في السنين الاخيرة الفهارس الدورية التي تظهر بسرعة وانتظام وتتابع تطور العلوم اولا باول.

لنا في ماضينا عزاء

ولئن كنا نحن العرب مقصرين حاليا في هذا المجال، ولئن كان البحث العلمي باللغة العربية بالغ الصعوبة لما يتطلبه من جهد ووقت، ولئن اهملنا حاليا الفهارس والمعاجم والموسوعات، فان لنا من ماضينا عزاء لحاضرنا يدفعنا للاهتمام من جديد بتطور علوم نحن فيها الاسبقون.

كتاب الفهرست

منذ عشرة قرون خلت الف وراق من بغداد كتاب « الفهرست » معلنا بذلك ظهور علم جديد سيلقى ابتداء من أواخر القرن السادس عشر في أوروبا اهتماما بالغا ويتطور الى أن يصل في يومنا هذا الى عصر الآلة والعقل الالكتروني ممثلا قمة صراع الانسان المعاصر للسيطرة على المعلومات

(صنيعته) التي ما فتئت تتضخم وتتكاثر بشكل مذهل . هذا العلم هو الببليوجرافيا .

الببليوجرافيا

هذه الكلمة منقولة كما هي للغة العربية قد تثير حفيظة البعض خاصة أولئك الذين لا يعرفون مدلولها بشكل دقيق . هناك من ينصح بتعريبها « بعلم المراجع » أو « علم المصادر » ولكن تعريبا كهذا لا يؤدي المقصود كما سنلاحظ مما سيأتي .

استعملت كلمة ببليوجرافيا (الآتية من اليونانية ببليون = كتاب ، وجرافين = كتب أو سجل) لأول مرة بمعنى فهرست الكتب عام ١٦٣٣ في فرنسا عندما ألف جبرييل نوديه Gabriel Naudé امين سر الكاردينال مازارين Mazaren كتابا بعنوان « فهرست الكتب السياسية » Bibliographia Politica وقد دلت الكلمة حتى منتصف القرن الثامن عشر على التبحر في معرفة المخطوطات القديمة ثم اصبحت تدل على معرفة الكتب مخطوطة كانت او مطبوعة . اما دائرة المعارف الاسلامية ، في طبعتها الفرنسية الجديدة ، فتعطي لكلمة ببليو جرافيا التعريف التالي : « لوائح بأسماء كتب مصنفة بشكل منهجي وموضوعة لفائدة من يحتاج لمعرفة ما كتب حول موضوع معين » .

ولعل احدث وادق تعريف هو الذي تقدمه لنا البليو جرافيئة الفرنسية : « هي فرع من علم الكتاب يعتمد على البحث على النصوص المطبوعة او المنسوخة آليا والتنويه عنها ووصفها وتصنيفها بهدف تشكيل ادوات بحث غايتها تسهيل العمل العقلي » . (١)

هذه التعاريف تقودنا الى ملاحظتين :

اولاهما التطور في تحديد مجال الببليوجرافية فبعد ان كان وقفا على المخطوطات أصبح اليوم وقفا على المطبوعات وما شابهها . والملاحظة الثانية هي أن هناك خمس مراحل يمر بها أو بقسم منها العمل الببليوجرافي حسب نوع الفهارس المقترحة. وهذه المراحل هي :

البحث ـ التنويه ـ الوصف ـ التصنيف ـ اعداد الفهارس .

ومن هنا نجد أن في تعريف كلمة ببليوجرافية صعوبة لم تذلل حتى الآن .

من هو ابن النديم (٢)

لا تتوفر معلومات كثيرة عن حياة مؤلف كتاب « الفهرست » . نعرف أنه يسمى محمد ابن اسحق النديم وهذا الاسم يتكرر كثيرا في كتابه . وقد ذكرت دائرة المعارف الاسلامية الاسم الكامل له على الشكل التالي : ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحق الوراق النديم البغدادي . من اسمه هذا نلاحظ انه كان يعمل كوالده وراقا. والوراقة هي انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها .

ولد في بغداد عام ٣٢٥ هـ. وتوفي فيها على الأرجح عام ٣٩٧ هـ . كان عمره يقارب الخمسين عاما عندما باشر تأليف كتابه الفهرست .

من كتابه نفسه نستطيع ان نعرف شيئا عن شخصية ابن النديم . فهو رجل « واسع الاطلاع على كل ما يكتب ، يحب التنظيم جدا ويعرف كيف يقيّم الكتب ويصنفها »(٣). وقد مكنه علمه كوراق وثقافته الواسعة وحسن تفهمه للأمور من ان يكوّن صداقات مع النخبة المثقفة في بغداد . ومن خلال (الفهرست) نعرف انه كان شيعيا ومعتزليا : فهو يمدح الواقدي باعتباره شيعيا ويستعمل كلمتي خاصة وعامة للتفريق بين الشيعة والسنة . ولكنه لا يبدو متعصبا وفي المقالتين الخامسة والتاسعة من كتابه نستطيع أن نلاحظ تسامحه وفهمه للأديان .

عاش ابن النديم في عصر انحطاط الخلافة العباسية ، عصر الانقسامات والاضطرابات والثورات الداخلية . كان القرامطة يزرعون الرعب في شمال العراق وكان اللاجئون يتدفقون على بغداد . وفي هذه المدينة نفسها كانت الاضطرابات قائمة بين سنة وشيعة .

« في هذا الجو المحموم الذي ألف ابن النديم كتابه وهذا الأمر يجب أن يثير اعجابنا » (٤) .

---

١ ـ L. - N. Malclès. La Bibliographie (Que Sais - Je ? 708) P. 13

٢ ـ اعتمدنا في ترجمة ابن النديم على مقال دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الفرنسية .

٣ ـ Gardet Et Anawati : Introduction à la Théologie Musulmane (Paris , 1948) P. 112

٤ ـ Gaston Wiet : Introduction à La Littérature Arabe (Paris, P. 165)

اما على المستوى الفكرى فان عصر ابن النديم هو عصر انتشار رسائل اخوان الصفاء وتأثيرها الفلسفي والثقافي .

كتاب الفهرست

في عام ٣٧٧ هـ/٩٨٧ – ٩٨٨ م ألف ابن النديم كتاب « الفهرست » . وقد تعرض فيه للعلـــوم المعروفة في عصره ولما كتب حول هذه العلوم . ومنذ نهاية القرن الثامن عشر عرف كتاب « الفهرست » في اوروبا عن طريق مخطوطات قادمة من مصـــر او القسطنطينية . وظهرت الطبعة الاولى له عام ١٨٧١ في ليبزج بفضل جهود المستشرق الالمانى جوستاف فلوجل Flugel الذى عمل ٢٥ عاما في تحضيرها . كانت هناك ملزمة ناقصة من المقالة الخاصة تخص كتب المعتزلة وقد وجدت هـذه الملزمة فيما بعد وطبعت في ليبزج ايضا .

يبدأ الكتاب بعد عبارات حمد الله التقليدية بهذه الكلمات : « هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في اصناف العلوم واخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وانسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ اعمارهم واوقات وفاتهم واماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة » .

وفي كتاب للمستشرق الفرنسي جاستون فييت، موجه للقارىء الغربي ، نجد تعليقا على هـذه المقدمة التى يجد فيها المستشرق الفرنسي « اعلانا عن صنف ادبي لم نخترعه نحن اذن ، الا وهو البيليوجرافية »(٥) .

ان الذى يسترعى الانتباه قبل كل شيء في كتاب « الفهرست » هو التنظيم والترابط في تصميم الكتاب . منذ السطور الأولى يقدم لنا المؤلف خطة عمله بشكل واضح ودقيق ومختصر . يتلو ذلك تعداد المقالات واقسامها على شكل « محتوى الكتاب » بتقسيمات متدرجة تنتقل من الكل الى الجزء ومن العام الى الخاص مما يضفى طابعا علميا (بالمعنى الحديث للكلمة) على الكتاب . فالمؤلف يبدأ باللغات والكتابات المعروفة وينتقل بعدها الى الأديان السماوية حسب تاريخ ظهورها : اليهودية ، المسيحية ... بعد ذلك فقط يأتي القرآن والعلوم القرآنية .

الفهرست والببليو جرافية

برغم الزمن الطويل الذى مر منذ ان ظهر كتاب الفهرست لابن النديم ليس من الصعب ان نجد تشابهـا في اسلوب العمل بـين الببليوجرافيـة العربية في القـرن العاشر الميلادى والببليوجرافية الغربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى في قرننا هذا :

١ – ان ما يعطى الكتاب قيمته العلمية الكبرى هو كون المؤلفات مذكورة بشكل ببليوجرافي . أى ان الاهتمام مركز على الكتاب وموضوعه قبل مؤلفه وهذا هو المبدأ الرئيسي الذى يفرق علم الببليو جرافية عن علم الترجمة والسير Biographie فقبل ابن النديم وبعده وفي أيامنا نعثر على لوائح بمؤلفات تذكر في سياق ترجمة حياة مؤلف معروف وهذا ليس من الببليو جرافية بشيء .

بعد أن يقدم ابن النديم لعلم من العلوم بلمحة موجزة يذكر أسماء المؤلفين الذين كتبوا في هذا العلم وبعد ذلك يذكر أسماء الكتب التى ألفوها. وهذه الطريقة مستعملة في احدث الفهـــارس الببليوجرافية المنتشرة في العالم المتقدم .

٢ – تعتمـد الببليوجرافية الحديثـة علـى التقسيم المنهجى للعلوم بحيث تصنف الكتب حسب هذا التقسيم . والتصنيف الاكثر انتشارا في الفهارس الببليوجرافيـة حاليـا هو التصنيف العشرى الذى وضعه الكتبى الامريكى ملفيل ديوى Dewey في النصف الثانى من القرن الماضي . يقسم ابن النديم العلوم المعروفة في عصره الى عشرة اقسام يتعرض لها في المقالات العشرة التى يتألف منها « الفهرست » وهى :

١ – القرآن والعلوم القرآنية (بعد لمحة عن اللغات والأديان السماوية) .
٢ – النحو والصرف .
٣ – التاريخ .
٤ – الشعر .
٥ – الكلام .
٧ – الفلسفة والعلوم القديمة .
٨ – الخرافات والسحر والشعوذة .
٩ – المذاهب والمعتقدات .
١٠ – الكيمياء والصنعة .

٣ – المبدأ العام في الببليوجرافية هو الانتقال

---

٥ – نفس المصدر السابق ص ١٦٥ .

من العام الى الخاص ومن الكل الى الجزء . وفي سبيل ذلك فان التقسيمات واجزاءها Subdivisions تكثر لتمكن من حصر موضوع الكتاب بدقة تحت تقسيم معين .

وابن النديم لا يهمل هذه الناحية . مثال ذلك الفصول التى تتعرض للعلوم القرآنية في المقالة الاولى : فلوائح الكتب مذكورة تحتعناوين مثل : «الكتب المصنفة في تفسير القرآن»،«الكتب المؤلفة في غريب القرآن » ، « الكتب المؤلفة في القراءات » (٦) الخ ..

عندما يؤلف كتاب في موضوعين مختلفين فان المؤلفات تذكر حسب الموضوع ويراعى التذكير بان للمؤلف كتبا اخرى ذكرت في موضوع آخر . هذه الناحية الفنية الدقيقة تسمى الاحالة Renvoi ولا يخلو منها كتاب ابن النديم : فهو يذكر مؤلفا « اسمه محمد بن ابراهيم بن يوسف بن احمد بن يوسف الكاتب ومولده سنة احدى وثمانين ومائتين بالحسينية وكان على الظاهر يتفقه على مذهب الشافعى ويرى راى الشيعة الامامية في الباطن ، وكان فقيها في المذهبين ، وقد ذكرت كتبه على مذهب الشافعى في موضعها ،وله من الكتب على مذهب الشيعة كتاب كشف القناع .. » (٧) الخ .

٥ ـ تهتم البيليوجرافية بوصف المؤلفات فتتعرض لمقاييسها وعدد صفحاتها وتحصي لوحاتها وتذكر ان كانت ملونة ام لا .. ونحن نجد شيئا من هذا الوصف لدى ابن النديم عندما يتعرض لذكر عدد صفحات الكتب . فهو يذكر مثلا ان كتاب الاغانى للاصفهانى يقع في « نحو خمسة الاف ورقة » (٨) .

وعندما يذكر الدواوين فانه يورد بعد اسم كل شاعر عدد صفحات ديوانه وفي هذا معلومات ثمينة عن كمية الانتاج الفكرى الذى قدمه مؤلف او شاعر ما . وعندما يتعرض ابن النديم لذكر النساء الشاعرات مثلا فانه يكتب « علية بنت المهدى عشرون ورقة .. والخنساء مقلة .. » (٩) الخ ..

٦ ـ عندما يحوى كتاب ما عددا من الموضوعات الهامة فان البيليوجرافي يعمد الى تفنيد محتويات الكتاب . نجد مثالا على هذا في كتاب ابن النديم: فهو يقول في صدد الحديث عن ابى الحسن على المصرى « وله من الكتب في الزهد الكتاب الكبير ويحتوى على اربعين كتابا منها : كتاب قيام الليل .. » (١٠) الخ . ونجد نفس الطريقة تقريبا متبعة لدى ذكر المؤلفات الكاملة لكاتب غزير الانتاج كالكندى مثلا .(١١)

٧ ـ اخيرا لا يتعرض ابن النديم للمؤلفين القدامى فقط بل يذكر مؤلفات معاصريه مما يعطى كتابه مزيدا من الشمول . فهو يذكر مثلا مؤلفات المرزبانى الذى ولد سنة ٢٩٧ للهجرة وما زال على قيد الحياة .. (١٢) . وقد اضيف فيما بعد تاريخ وفاته في ٣٧٨ هـ . اى بعد عام من تاليف الفهرست .

« الفهرست » بين الخطة والتنفيذ :

اذا اخذنا بعين الاعتبار الخطة التى يعلن عنها ابن النديم في مقدمة كتابه فان « الفهرست » سجل بيليوجرافي وعلى وجه الدقة Bio - Bibliographie نظرا لاهتمامه بحياة المؤلفين . غير ان واقع الامر يخالف خطة ابن النديم . والكتاب لا يخلو من نواقص وهنات تبعده عن ميدان البيليوجرافية من جهة وتخلق تناقضا بين الهدف والنتيجة من جهة اخرى .

يؤكد ابن النديم عزمه على ذكر كل الكتب المصنفة حتى عام ٣٧٧ هـ ولكننا والقون من انه لم يحقق رغبته تلك ونجد في كتابه اعترافه بذلك. الا أن علينا ان ندرك أن احصاء الكتب في بلاد شاسعة كالدولة الاسلامية آنذاك ودون امتلاك وسائل تساعد على حصرها امر في غاية الصعوبة ، بل هو امر مستحيل . نلاحظ في الواقع ان ابن النديم يكرر عبارة « وله من الكتب » بعد اسم

٦ ـ الفهرست ، طبعة فلوجل ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .
٧ ـ الفهرست ص : ١٩٧ ، طبعة القاهرة ص : ٢٩٢ .
٨ ـ نفس المصدر ، فلوجل ص ١١٥ القاهرة ص : ١٧٣ .
٩ ـ نفس المصدر ، فلوجل ص ١٦٤ القاهرة ص : ٢٣٩
١٠ـ نفس المصدر ، فلوجل ص ١٨٥ ، القاهرة ص : ٢٧٧ .
١١ـ نفس المصدر ، ص ٢٥٥ ، طبعة القاهرة ص ٣٧١ .
١٢ـ نفس المصدر ، ص ١٣٢ ، طبعة القاهرة انظر المقدمة ص ٣ .

المؤلف وهذه العبارة لا تعبر بالتأكيد عن الشمول.

وابن النديم لم يكن دقيقا كل الدقة في توزيعه للكتب على العلوم التي يقسمها في مقدمة كتابه . فهو غالبا ما يذكر بعد اسم مؤلف معين كل كتبه وان كانت متعددة الموضوعات وما مثال « الكاتب » الذي الف على مذهب الشافعية ومذهب الشيعة الذي اوردناه سابقا الا صدفة سعيدة لا تتكرر كثيرا في « الفهرست » .

تعتمد البيبليوجرافية الحديثة على الترتيب المنطقي المتسلسل لموضوع الكتاب ولاسم المؤلف ولعنوان الكتاب مما يساعد الباحث على ايجاد ما يريده دون ادنى صعوبة . فالكتاب يذكر ضمن الموضوع الذي يعالجه بعد ذكر اسم المؤلف حسب الترتيب الأبجدي . واذا كان للمؤلف عدة كتب في موضوع واحد فانها ترتب حسب التسلسل الابجدي للعناوين وهكذا .. بحيث تتشكل شبكة مترابطة منطقيا ينتقل فيها الباحث من الكل الى الجزء بموجب تسلسل متعارف عليه . والمؤسف اننا لا نلاحظ شيئا من هذا القبيل لدى ابن النديم . فهو يذكر أسماء المؤلفين وكتبهم دون اي تسلسل ظاهر وبشيء من الفوضى ادت الى ان يجد ناشر الكتاب المستشرق فلوجل نفسه مضطرا لتنظيم ملاحق تساعد على الاستفادة الكاملة من « الفهرست » .

والمؤلفات البيبليوجرافية تستعمل للاطلاع فقط والبحث السريع والتأكد من معلومات معينة وليست بحال من الأحوال كتبا تقرأ بكاملها مثلها في ذلك مثل المعاجم . اما كتاب « الفهرست » فكتاب ممتع يمكن للقارىء ان يعيش معه ساعات دون ملل لما يحوي من معلومات ثمينة وطرف واخبار . اننا نجد في « الفهرست » بعض صفات دائرة المعارف التي كانت منتشرة في ذلك العصر انتشارا كبيرا . فنحن نلاحظ مثلا ان المقالة التاسعة من كتاب الفهرست تعتبر بحثا قيما في التاريخ الديني وليس فيها شيء من البيليو جرافية . اما الفن الاول من المقالة الأولى فيتعرض بذكاء وايجاز للغات والكتابات المعروفة آنذاك . والفصل المتعلق باكتشاف واستعمال الورق يعطينا معلومات هامة عن تاريخ ظهور الكتاب عند العرب . اما المقالات الأربعة الاخيرة فتكون نواة لما يسمى الآن بالتاريخ الأدبي والاجتماعي . كل هذا يبعد « الفهرست » عن ميدان البيليوجرافية كما نفهمها اليوم .

ان كتاب ابن النديم مثال صارخ للعمل الفني غير المكتمل وكان ينقصه ما يسمى في لغة التاليف في ايامنا « طبعة ثانية مزيدة ومنقحة » . ومما يدعو للاستغراب أن المؤلف قد عاش حوالي عشرين عاما بعد كتابته للفهرست دون أن يقوم باعادة كتابته وبتحسينه .

★★★

لن نختم الحديث عن « الفهرست » بالتوقف عند مظاهره السلبية . فنحن نحكم عليه من خلال مقارنته بمؤلفات حديثة عرفت تطورا مستمرا وتحسينا خلال عدة قرون . وفي المقارنة مغالطة لا تخفى على القارىء .

ولا نخطىء حين نؤكد أن كتاب ابن النديم يبقى من أهم مصادر دراسة الحضارة العربية في صدر الاسلام . وليس هناك من باحث في هذا الميدان لايعتمد بالدرجة الاولى على كتاب الفهرست الذي يعطي « أروع صورة رسمت للحضارة الثقافية باللغة العربية منذ بدء الاسلام » (١٣) . فهو الى جانب افادته في ذكر الكتب القديمة يعطينا فكرة عن المؤلفات المفقودة . مما يساعدنا على تقدير أهمية الخسارة التي ألحقتها الحروب والغزوات والاحتلال بالحضارة العربية . فاذا كنا نعرف للمسعودي كتابه « مروج الذهب » فان ابن النديم يذكر له اربعة كتب اخرى . (١٤) كما يذكر ٢٦ كتابا للواقدي غير « فتوح الشام » (١٥) ، وللاصفهاني ١٥ كتابا غير « الأغاني »(١٦) .

اما المقالة السابعة فتعتبر « المرجع الاول لتاريخ حركة الترجمة عند العرب » (١٧) . اذ يتحدث ابن النديم فيها عن اوائل المترجمين وقيمتهم واعمالهم وكذلك عن أسباب ازدهار حركة ترجمة الكتب الفلسفية في عصر المأمون .

كذلك فان « الفهرست » مرجع هام وثمين فيما يتعلق بتاريخ الدين والتاريخ الأدبي والاجتماعي.

وهو لكل هذه الاسباب يبقى ، رغم القرون الطويلة ، المرجع الأهم في ميدان الدراسات العربية والاسلامية . ■■

عبد الرحمن معلا ـ دمشق

---

١٣ ـ G. Wiet ; Introduction ... P. 165

١٤ـ الفهرست طبعة فلوجل ص ١٥٤ .

١٥ـ نفس المصدر ص ٩٨ .

١٦ـ نفس المصدر ص ١١٥ .

١٧ـ Gardet Et Anawati Introduction P.112

طرائف

العاقل

● قال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذى يعرف خير الشرين . وليس الواصل الذى يصل من يصله ولكنه الذى يصل من قطعه. وليس العاقل الذى يحتال للامر اذا وقع ، ولكنه الذى يحتال للامر الا يقع فيه .

يوم

● قال عمر بن الخطاب لبنى عبس، كم كنتم يوم الهباءة ؟ (الهباءة ارض لغطفان ،ويوم من ايام العرب المشهورة، وكان النصر فيها لعبس على ذبيان) فقالوا : كنا مائة رجل كالذهب ، لم نكثر فنتواكل ، ولم نقل ، فنذل ، فقال :

تطير

● حكى ان كثيرا الشاعر خرج الى مصر يريد عزة ، فلقيه اعرابي من نهد فقال : يا ابا صخر اين تريد ؟ فقال اريد عزة بمصر . قال : فهل رايت فى وجهك شيئا ؟ قال : لا . الا اني رايت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف ريشه فقال له الاعرابي : توافى مصر وقد ماتت عزة ، فانتهره كثير وزجره ، ثم مضى فى طريقه الى ان وافى مصر . والناس ينصرفون عن جنازة عزة . فقال :

فما اعيف النهدى لا در دره ... وازجره للطير لا عز ناصره
رايت غرابا ساقطا فوق بانة ... ينتف اعلى ريشه ويطايره
فاما غراب فاغتراب ووحشة ... وبان فبين من حبيب تعاشره

الاستبداد

● قال ابو عمر : الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء والمشورة محمودة عند جلة العلماء ، ولا اعلم احدا رضي الاستبداد وحمده ، غير رجل واحد مفتون مخادع لمن يطلب عنده لذته ، فيرقب غرته ، او رجل فاتك يحاول حين الغفلة ويرتصد الفرصة ، وكلا الرجلين فاسق مائق ، مثال احدهما قول عمر بن ابي ربيعة :

ليت هندا انجزتنا ما تعد ... وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة ... انما العاجز من لا يستبد

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العنبرى :

اذا هم القى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رايه غير نفسه ... ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

عربية

الهباءة

عمر بن الخطاب : فكيف كنتم تقهرون من ناواكم ولستم باكثر منهم عددا ولا مالا ؟ قالوا : كنا نصبر بعد اللقاء هنيهة . قال : اذن قهرتم من ناواكم . وقيل لعنترة العبسي : كم كنتم يوم الفروق ؟ قال : كنا مائة لم نكثر فنفشل ، ولم نقل فنذل .

الناس

● قال ابو المعتمر السلمى الناس ثلاثة اصناف : اغنياء وفقراء واوساط ، فالفقراء موتى الا من اغناه الله بعز القناعة ، والاغنياء سكارى الا من عصمه الله بتوقع الغيَر ، واكثر الخير مع اكثر الاوساط ، واكثر الشر مع الفقراء والاغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى .

لعاب المنية

● حكى ان ابن ابى حية النميرى كان من اجبن العرب واخوفهم ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان يسميه لعاب المنية . قال جار له اشرف عليه ليلة وقد انتضاه وشمر وهو واقف امام باب غرفة من منزله وهو يقول : ايها المغتر بنا ، المجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به مشهور ضربته ، لا تخاف نبوته ، اخرج بالعفو عنك والا دخلت بالعقوبة عليك ، اني والله ان ادع قيسا تملأ الارض خيلا ورجالا ، يا سبحان الله ما اكثرها واطيبها ، ثم فتح الباب ، فاذا كلب خرج . فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفاني حربا .

ثبات على العقيدة

● اراد المعتصم الخليفة العباسي حمل الامام الاعظم احمد بن حنبل رضي الله عنه على القول بخلق القرآن ، فلم يقل به ، فافتى القاضي ابن ابى دؤاد بقتله ، ولكنه ضرب بين يدى المعتصم بالسياط حتى غشى عليه ، فلم يتحول عن رايه . ثم اطلق المعتصم سراحه ، وندم على ضربه ، وحين ضرف الى بيته ، حمل اليه مال كثير من سروات بغداد واهل الخير فيها ، فرد الامام جميع ذلك ، ولم يقبل منه شيئا ، وهو محتاج الى ايسره والى الاقل من ايسره .

فجعل عمه اسحاق يحسب ما وردق ذلك اليوم فكان خمسين الف دينار . فقال له الامام : يا عم اراك مشغولا بحساب ما لا يفيدك ؟ قال له يا ابن اخي لقد رددت اليوم كذا وكذا الفا ، وانت محتاج الى حبة من دانق ، فقال له الامام : يا عم لو طلبناه لم ياتنا ، وانما اتانا لما تركناه .

في سبيل موسوعة علمية

تاريخ

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ نشأ الانسان فى هذا الكون وليدا ، ولم يكن وهو وليد ذا علم ، لا علم صغير ولا كبير ، ولا قليل ولا كثير . وصدق من شبه عقل الطفل عندئذ بالصفحة البيضاء ، التى لم يمسها قلم بالكتابة وبالرصد ، ومع الرصد التسجيل . ويدرج الطفل فى الحياة فيأخذ يرصد ويكتب ويسجل من علم هذا الوجود الشيء الكثير . من علم الارض آلافا . ومن علم السماء آلافا . او من علم الناس آلافا . ويتعلم الكلام يقوله ، ويتعلم الكلام يسمعه ، ويتعلم من الناس الكثير من الحقائق ، ويتعلم الكثير من الأوهام . وكل هذا عن طريق الحواس التي نعدها دائما فنقول انها خمس .

كل شيء يسهل بعد ذلك على الانسان النامي فهمه ، وكل شيء يسهل عليه حسه ، الا شيئا واحدا يعز فهما ، ويتأبى مسا ، ويفر منه حسا : ذلك الزمن .

ان الزمن لا تراه عين ، ولا تسمعه اذن ، ولا تشمه انف ، ولا يتذوقه لسان ، ولا يستجيب للمس .

لا نحس الزمن ، ومع هذا نعده ، ونقيسه

ومع هذا نتحدث فنقول الزمن . ومع هذا نعد الاشياء ونعد معها الزمن . ونزيد : فنقسم الزمن اجزاء صغيرة دقيقة ، ونضاعفه اضعافا هائلة كبيرة . فكيف نعد ما لا نحس ، ونقسم ما لا نعي ، ونضاعف الزمن اضعافا وهو شيء لا تمسه يد ولا تراه عين ولا تسمعه اذن ، ولا يستجيب لحس .

لعل حسا خفيفا آخر من احاسيسنا ، غير الحواس الخمس ، او الست او

كتبَ الزمانُ أحداثَهُ في الصخرِ أحافيرَ ، فكانت أصدقَ من أحداثٍ خطّها الإنسانُ كلماتٍ في صفحاتٍ

السبع ، قد فاتنا ادراكه ، وهو مع هذا له فى قلبنا موضع ومكان . ودليلي على ذلك اني اغمض عيني ، وتطلب مني ان افتحها بعد دقيقة . وافعل ، وتقول لي مرحى . فانا اذن لا أحس الزمن فقط ، ولكني اقيسه كذلك . وهذا ابلغ من الحس . اما موضع الاحساس ، فالكيان كلـه .

الزمن عامل ، اى عامل ، فى حياة الارض واجرام السماء

والزمن ، عرفنا كنهه او لم نعرف ، عامل فى حياتنا اى عامل . فى حياة الانسان . فى حياة الحيوان . فى حياة النبات . وهو فى جريان الارض واجرام السماء عاملها الأكد والاول ، والآخر والأظهر . ولو ان آمرا أمر الزمان ان يتوقف برهة ، لتوقف فى هذه البرهة كل جريان العيش ، وسكنت النجوم فى مجاريها ، وتهاوت .

ونحن ، معشر بني الناس ، تعودنا فى حياتنا ، حياة هذه الدنيا ، كما لا بد تعود معاشر بني الناس الآخرون فى دنياهم الاخرى ، تعودنا على اطوال من الزمن أقرب الى اعمارنا . ان الناس منا تموت بعد عام من ولادة او بضعة اعوام ، او بضع عشرات ، فاذا خطا الرجل الى السبعين فالثمانين فالتسعين ، أخذنا نكثر له من الدعاء بطول العمر .

اعمارنا ، انصبتنا من زماننا

ونسمي هذه اعمارا ، وما هـي الا انصبتنا من الزمان .

وما من احد الا يريد ان يزيد نصيبه من زمانه ، ويأبى الزمان . ذلـك ان الزمان والمكان متعاونان ، فلو ان الزمان اعطـى انصبته بغير ضابط لازدحم بالأحياء المكان . واذن وجب ان يموت الانسان . ووجب ان يموت الحيوان ، ووجب ان يموت حتى النبات .

وللحيوانات كما للانسان اعمـار . انصبة من الزمان متفاوتة . فالفار ان عاش ٣ سنوات اقصى عمر ، عـاش القط ٢١ عاما ، وعاش الثور ٣٠ عاما ، وعاش الفرس ٦٢ عاما . حتى اذا بلغنا الى السلحفاة العملاقـة Giant Tortoise وجدنا العمر قد يبلغ بها ١٧٧ عاما ، نصيبها من زمانها .

وكلها حق عليها الموت .

وكلها حق عليها ان تتجدد ، لتتصل الحياة .

فالموت لا بد متصل ، ولا بد متصلة كذلك ، بالتجدد ، الحياة .

الزمان ازل وابـد

وعرف الانسان من الزمان الأزل ، وهو اول الزمان او ما امتد اليه اوله .

وعرف الانسان من الزمان الأبد ، وهو آخر الزمان او ما يمتد اليه آخره .

وكان طبيعيا ان يتساءل الانسـان

الى كم امتدت به الحياة ناحية الازل ، وكم سوف تمتد به ناحية الابد .

اما الابد فالغد ، وبيننا وبين الغد ، حجاب كثيف .

واما الازل فالامس ، وبيننا وبين الامس حجاب شفيف .

واستشف منه العلم الحديث الشيء الكثير . وخال الانسان ، وخوّل له العلم ، بالحق والصدق ان يخال فوق ما خال .

كشف العلم الحديث له عن نفسه ، كيف كان ، وكم كان ، بقدر غير قليل .

وكشف له عن سائر الخلائق ، من حيوانات الارض ونباتاتها ، كيف كانت وكم كانت ، في شيء من الثبوت كثير .

وان يكن الانسان كتب تاريخ الانسان في صحائف من ورق ، سبقتها صحائف من رَق ، سبقتها صحائف من طين ، الى مدى رجع في الزمان الى خمسة آلاف عام فما فوق الخمسة الآلاف ...

فان الزمان كتب تاريخ الانسان غير الانسان ، وكتب تاريخ المخلوق الحيّ وغير الحي ، مدًى عاد بنا في الزمان ملايين الاعوام ، ومئات الملايين ، بل واحيانا آلافها .

وكتب الزمان تاريخه في الصخر احافير ، لعلها كانت اصدق انباء من تاريخ خطّه الانسان بمداد على الصفحات مسكوب .

الاحافير

ونقف وقفة نتساءل فيها ما الاحافير ؟

نحن نحفر الارض لنزيل عنها ترابها لاغراض شتى .

والعلماء حفروا الارض ، وحفروها حيث سكن الناس ، وحفروها حيث لم يسكن الناس في جبال ووديان ، وحفروها في اعماق الانهار واعماق البحار ، وخرجوا من كل ذلك على بقايا للحياة القديمة كشفت عن وجوه منها كثيرة .

والشيء الذي يخرجه العلماء من الارض ، وله هذه الدلالة ، نسميه احفورة Fossil ، والجمع احافير . وفي الاحافير قد تجد عظم ساق لحيوان ، او فكا به اسنان ، او طابعا لشكل نبات او حيوان او او ... فكل هذه احافير .

والاحافير التي خلفتها الاحياء الماضية بعد موتها ، ثم اختزنت في بطن الارض بسبب ما وقع في قشرة الارض من ترسب وتفيئر ، هذه الاحافير نوعان ، نوع كان من عظم او صدف او شيء يدوم على الدهر فاحتفظ بهويته في الصخر ، ونوع طري سهل التحلل والفناء ، احتفظ بشكله فقط ريثما تم طبعه في التربة التي دهمته . ومن الشكل المطبوع استدل العلماء عليه .

ونشا عن ذلك علم ، هو علم الاحافير Paleontology ، يربط بين ما يجده علماء الارض منها ، وبين ما عرف علماء علم الاحياء الحية ، من شتى المخلوقات القائمة في تلك الايام القديمة . وكشف العلماء ، علماء الاحافير كذلك ، عن كثير من الاحياء التي كانت ، ثم بادت ، ولم يعد لها اليوم وجود . ومن هذه الزواحف المرعبة ، المعروفة بالدناصير Dinosaurs فليس على الارض منها اليوم زاحف واحد ، دينوصور واحد ، ومع هذا فقد جمع منه العلماء عظاما نصبوها هياكل في المتاحف كاملة .

في اي الصخور توجد الاحافير

الكرة الارضية تتألف من اشياء ثلاثة ، اللب Core وهو بطن الكرة السائل او شبه السائل ، وتأتي فتغطيه من فوقه طبقة تعرف بالعباءة Mantle ، وهي في حالة بين السائل والصلب . ثم تأتي طبقة ثالثة فتغطي العباءة ، وهي صلبة وتعرف بالقشرة الارضية .

ومن القشرة الارضية ، القارات . ومن القشرة الارضية ما تتغطى به اعماق البحار .

والقشرة الارضية تتألف من ثلاثة

انواع من الصخور ، صخور نارية ، اصلها من بطن الأرض ، وكانت منصهرة ثم بردت بسرعات مختلفة فخرجت منها صخور . كان منها صخر البازلت الناعم الصغير البلورات وصخر الجرانيت الكبير الظاهر البلورات .

وثاني الانواع صخور تحولت لما مستها تلك الصخور النارية المتصهرة فغيرت من طبيعتها فكان منها صخور نشأت عن صخور ، كالرخام نشأ عن الحجر الجيرى ، وكالاردواز نشأ عن الطفل .

وثالث الأنواع ، وهو النوع الذى يعنينا هنا ، فهو الصخور المترسبة وترسبت معها بقايا الاحياء على الأغلب في الماء . وترسبت طبقة من بعد طبقة ، وفي الطبقات اختزنت الاحافير . ثم تشاء الاحداث ان ترتفع هذه الطبقات باحافيرها عن الماء ، فينتج عن ذلك جبال فيها احافير من احياء لا تعيش الا في البحار .

واذكر ان العالم العربي الشهير ، البيروني ، لما زار الهند ، وزار بعض جبالها واطلع على بعض ما فيها من احافير ، قال : هذه الجبال لا بد كانت يوما قاعا من قيعان البحار .

والصخور المترسبة هذه ، هي من حيث الحجم ، قلة في قشرة الارض اذا ما قيست بصخورها النارية والمتحولة . ولكنها قلة خطيرة ، فهي الصحائف التي شاء الزمن ان يسجل فيها اطوار الحياة التى كانت ، احافير .

العلماء كيف ارخوا الحياة التي كانت على سطح الارض

بدا العناية بأمر الأحافير رجال فرادى ، لا معاهد في الناس ، ولا هيئات . وكان هذا قبيل دخول القرن التاسع عشر ، ثم تزايد . ووقع اكثر الاهتمام بالبحث في طبقات الارض وجميعها ، اول الأمر ، في انجلترا وفي فرنسا .

وبدا العاملون في صخور انجلترا ، تلك الصخور الواقعة في الجنوب منها ، والممتدة من مقاطعات ويلز الى حيث تقع العاصمة لندن ، بداوا يدركون ان لكل طبقة من طبقات الأرض احافير خاصة بها . وينتقلون من طبقة رفيعة من طبقات الارض الى اخرى رفيعة ، فقد تتكرر انواع الأحافير ، من حيث هي انواع حيوانية أو نباتية . ثم هي تأخذ في التغير في الطبقات التي تلي ، فتظهر انواع اخرى خصيصة بها .

ويشاء الحظ الطيب للعاملين في هذه الصخور ان تكون طبقاتها مائلً بعضها فوق بعض ، من ويلز في اتجاه لندن . كمن وضع رصّة عالية من الكتب فوق مائدة ، بعضها فوق بعض ، ثم امال عمودها الراسي فمالت الكتب حتى مست باحد جوانبها المائدة فاختفت ، ورفعت جانبها المقابل فرآه الناظر . ومثّل اوطأ الكتب اقدمَ الصخور ترسبا في الارض ، بين ويلز ولندن .

ومثل اعلى الكتب احدث هذه الصخور ترسبا في الأرض . وبذلك انكشفت للباحثين حروف من هذه الطبقات ، قديمها والحديث ، وما بينهما ، وهم يحفرون فيها بحثا عن الأحافير ، فيعلمون مواقع احيائها من الزمان .

عرفوا هذه الصخور ، ايها الاقدم ، وايها الأحدث .

واذن عرفوا هذه الاحافير ، ايها الأقدم ، وايها الأحدث .

واذن عرفوا الأحياء ، من حيوان او نبات ، تلك التى تمثلت في هذه الأحافير ، ايها الأقدم ، وايها الأحدث .

والذى وجدوه في انجلترا وجدوه في سائر الأرض

ووجدوا في سائر قشرة الأرض ، اينما كان البحاث من سطح الأرض ،



هذه احفورة من سمكة عاشت فى البحار الايطالية منذ ٥٠ مليون عام .

ما وجدوه فى تلك القشرة الارضية التى وقعت فى الجنوب من انجلترا ، واغرى ميل صخورها ، بعض على بعض ، ببحثها .

ونعنى بذلك انهم وجدوا للطبقات الأرضية الراسبة أحافير خاصة بها . ومن هذه الأحافير عرفوا ان طبقات الأرض ، حيثما كانت من سطحها ، اشباه . واذن فالطبقة هذه ذات الأحافير الخاصة ، هي كأختها ، تلك التي بفرنسا ، التي بها نفس الأحافير ، كتلك التي بشمال امريكا ، والتي بها نفس الأحافير .

وكانت البحوث الجيولوجية امتدت الى المانيا ، وسائر أوروبا ، غربا ، والى امريكا وغيرها .

واذن ، فأزمان هذه الطبقات ، ذات الحفائر الخاصة الواحدة ، ازمان واحدة .

ورتبوا طبقات الأرض وَفقَ ازمانها فالأقدم يليه من فوقه الأقلُ قِدما

ورتب العلماء طبقات الأرض وفقا لأزمانها ، فالأقدم يليه من فوقه الأقل قدما ، فالمتوسط ، فالحديث ، فالأكثر حداثة ، الى يومنا هذا الحاضر .

واتبعوا فى ذلك المنطق الطبيعي ، أن الطبقة الأرضية السفلى لا بد هي أقدم



هذه أحفورة لحيوان من آكلات اللحوم في حجم القط ، يتسلق الأشجار ، اسمه Uintacyon منذ ٥٥ مليون عام ، عاش في غابات ويومنج Wyoming في غرب الولايات المتحدة



طابع في الصخر لورقة من شجرة Palatanus ، من العصر الميوسيني ، وهي تشبه عن قرب ورقة شجرة الجميز Sycamore . اما اللون الذى بها فهو من المعادن التي تسربت الى خلايا الورقة .

احفورة لذبابة وقعت في الكهرمان ، وهو سائل ، وانجمد عليها،وذلك منذ نحو ٣٠ مليون عام مضت.



من تلك التي ترسبت فوقها . وتلك اقدم من التي تليها من فوق ، وهلم جرا . وتكسرت بالطبع الطبقات ، ومنها ما انقلب حتى صار عاليها سافلا ، ولكن من بعد درس اكتشف العلماء تسلسلها الطبيعي ، فوضعوا الطبقات من زمانها حيث وجب ان تقع . وكثيرا ما دلت الحفائر على حداثة الطبقة او قدمها .

وترتيب الطبقات الارضية وفق زمانها شيء غير تقدير هذا الزمان .

وبهذا الترتيب اهتدى العلماء فقط الى الأزمان النسبية لهذه الطبقات ، فهذا قديم ، وهذا احدث .

الأحافير دلت على انواع من حيوان ونبات ، لها نظائر في أحياء الأرض الحاضرة ، في رتب وطوائف

والاحافير دلت على انواع من الحيوانات والنباتات كانت ، استنتج منها العلماء ما كانت وكيف كانت . ولم يجدوا لها دائما وفي كل حالة ذلك الحي ، من نبات او حيوان ، الذى يطابقها في احياء اليوم تماما . ولكنهم امكنهم أن ينسبوها الى الرتبة والفصيلة ، وكثيرا ما وقفوا عند الجنس والنوع فاشتبهوا فيه .

وصعد العلماء مع احافير الطبقات صعودهم سلم الحيوان والنبات

انهم في اقدم الصخور لم يكادوا ان يجدوا احفورة لحي . ثم اخذت الأحافير تظهر كلما ارتفعوا في الزمن من صخر قديم الى صخر اقل قدما . فوقعوا اول الأمر على احافير ابسط الحيوانات اللا فقارية ، ثم احافير اللافقاريات الاكثر تعقدا وتقدما ، وهكذا الى ان وصلوا الى الفقاريات ، ومنها الأسماك والبرمائيات والزواحف والطيور ثم ذوات الأثداء .

اما العظام الانسانية فوجدوها في آخر الزمان .

ومعنى هذا ان الانسان كان آخر خلق الله .

احافير مخلوقات الله ، هذه التي مقابرها الصخر ، كيف حسبوا كم زمنا ظلت في صخورها ؟

اعمار هذه الاحافير ، التي قضتها في هذه الصخور ، هي نفس اعمار الصخور التي دفنت فيها .

فالمسالة تصبح : كيف حسب العلماء اعمار هذه الصخور ؟

قد قام عدد من علماء الجيولوجيا في النصف الثاني من القرن الماضي بتقدير اعمار الصخور بقياس الزمن الذى تستغرقه رواسب اليوم لتتراكم في قيعان البحار ، وعلى هذا الأساس بنوا حساباتهم : كم استغرقت صخور الارض لتبلغ تراكمها الحالي ، متبعين المبدا الذى يقول ، بان طبع المواد والأشياء والظواهر في تصرفها اليوم هو نفس طبعها في الزمان القديم .

وخرج العلماء من ذلك على اعداد من السنين مختلفة جدا ، بعضها كان ٣ ملايين من السنين ، وبعضها كان ١٥٨٤ مليون سنة ، ومتوسط هذين الرقمين يبلغ نحو ١٠٠ مليون سنة .

والعالم الانجليزى الشهير ، اللورد كلفن Kelvin ، حسب عمر الأرض ، بناء على الزمن الذى استغرقته لتبرد من بعد انصهارها ، فوجد انها ، منذ ان بردت بحيث استطاع النبات ان ينبت في تربتها ، الى اليوم ، قد مضى من الزمن ما بين ٢٠ الى ٤٠ مليون عام .

ثم جاء عصر الذرة والاشعاع

ثم جاء عصر الذرة المشعة بدخول القرن العشرين .

وفي هذا القرن عرفنا كيف نستخدم

اشعاع الذرة فى تقدير عمر الصخور ، وخرجنا من ذلك على ارقام اقرب كثيرا الى الصحة من تلك الارقام الاولى للصخور ، بل وللارض كلها . ولقد علمنا من ذلك أن عمر الارض ٤٧٠٠ مليون من السنين .

ولن ندخل فى تفصيل كيف استخدمت الذرّة فى تقدير تلك الازمان ، ونكتفى بأن نقول ان اليورنيوم مثلا بدأ فى الصخر متبلورا ، ومن تلك الساعة اخذ يتحول بالاشعاع فينتج عن ذلك ، آخر الامر ، الرصاص ، ولهذا التحول سرعة معلومة مضبوطة لا يغير منها شيء . واليورنيوم الذى وزنه الذرى ٢٣٨ يتحول نصفه الى رصاص فى ٤٫٥ الف مليون من السنين . ثم يتحول نصفه المتبقى فيصبح ربعا فى ٤٫٥ الف مليون من السنين .. وهلم جرا .

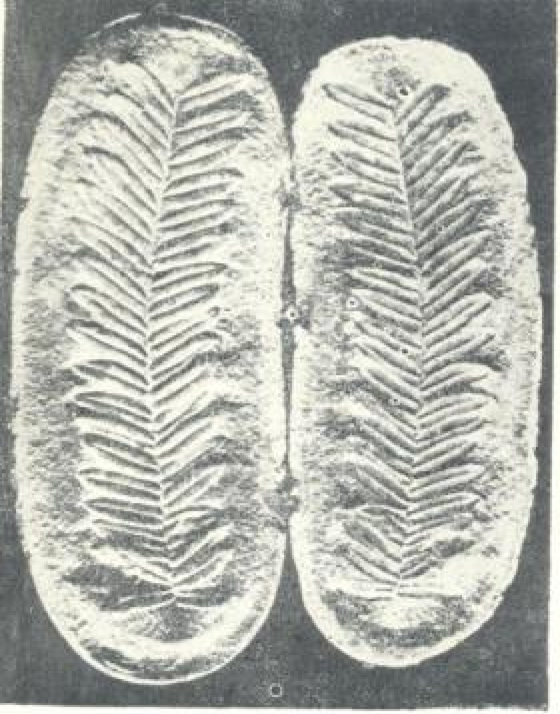
فبتحليل الصخر الذى به اليورنيوم ، لمعرفة كم بقى به من اليورنيوم ، وكم صار به من الرصاص ، امكن حساب الزمن الذى استغرقه هذا التحول . وهذا الزمن هو عمر هذه الصخور .

وكاليورنيوم عناصر اخرى مشعة يمكن استخدامها فى تقدير اعمار الصخور، اذا هي وجدت فيها، منها الثريوم والرويديوم والبوتسيوم .

وعمر الارض

وبهذه الطريقة قدروا عمر اقدم الصخور فكان ٣٣٠٠ مليون عام . والارض لا بد أقدم من هذا .

وعمدوا الى النيازك اى الشهب بحسبانها تمثل المادة التى تالفت منها اجرام النظام الشمسى . واستنتجوا من تطبيق طريقة الاشعاع الذرى هذه ان عمرها حول ٤٧٠٠ مليون عام . وبهذا اقترح العلماء ان الارض تكونت على الاغلب ما بين ٤٥٠٠ مليون الى ٥٠٠٠ مليون عام .



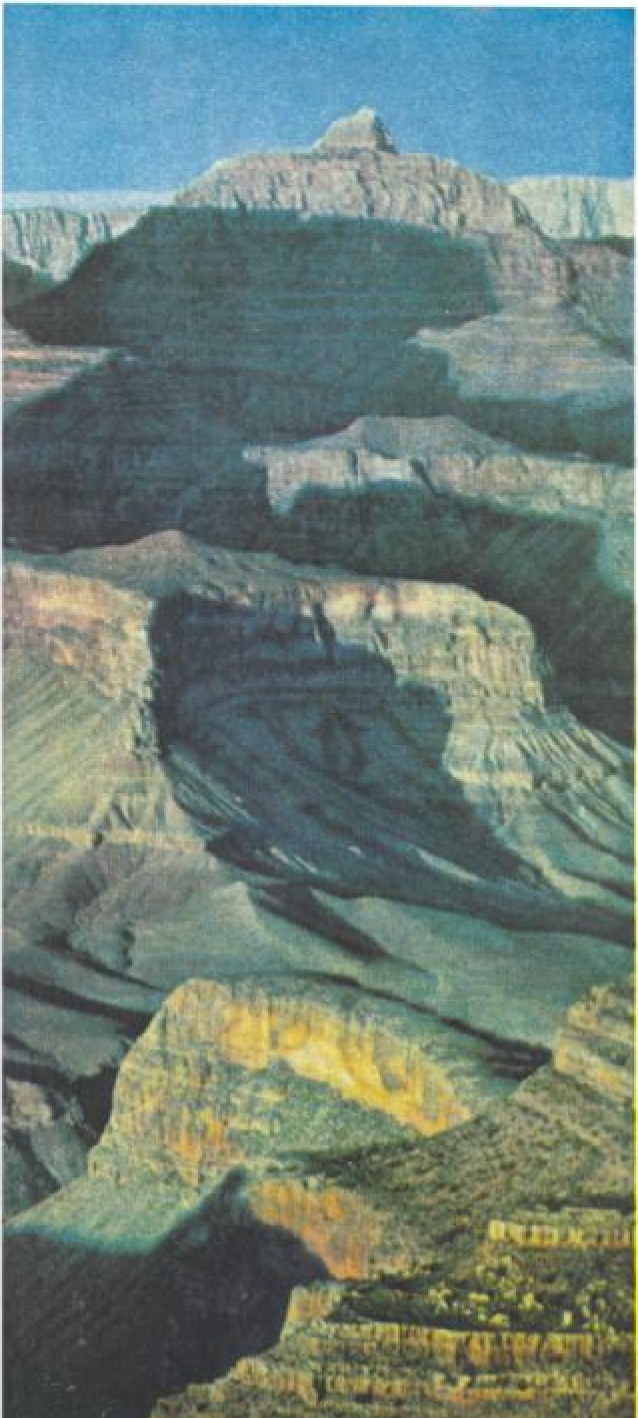
صخرة انفلقت نصفين ، عن طابع اوراق لشجرة عاشت فى العصر الكربونى المتاخر ، وذلك منذ ٣٠٠ مليون عام .

طبقات الارض لها اسماء

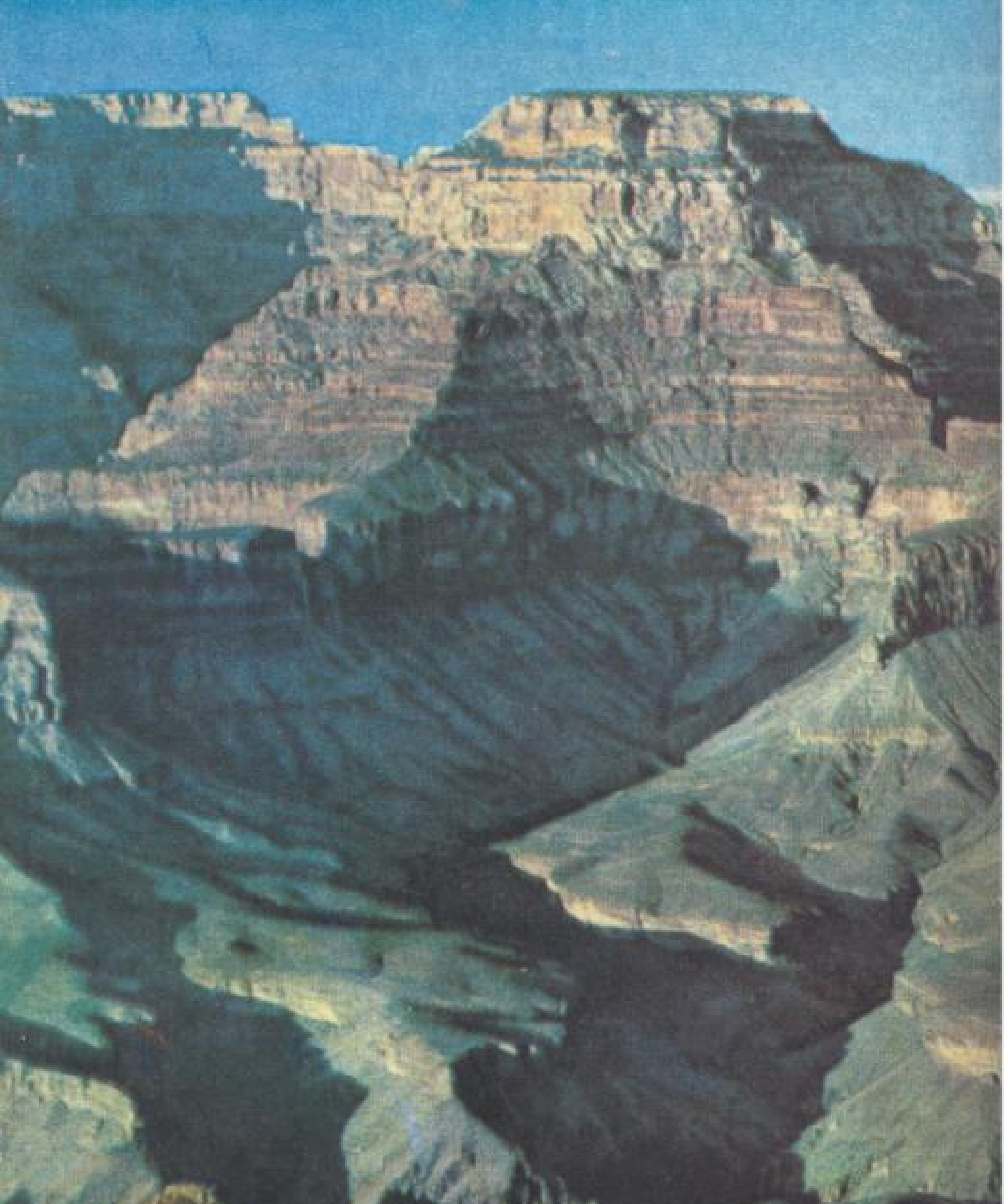
ذكرنا ان صخر الارض المترسب ، الذى احتوى الاحافير ، عبارة عن طبقات حمل بعضها بعضا ، فكل له فى الزمان موضع سابق او موضع لاحق .

وذكرنا كذلك ان كل هذه الطبقات (والطبقة قد تكون مركبة) تحتفظ فى اطوائها بأحافير خاصة بها ، وبها تعرف .

وذكرنا كذلك ان الطبقات السفلى ، وهي اقدم الطبقات ، تحتوى على ابسط الاحياء ، من نبات او حيوان ، ثم يتعقد تركيب النبات او الحيوان ، ويتقدم بناؤه كلما صعدنا فى الطبقات الى اعلى، الى عصرنا هذا الحديث .



هذه صورة من وادى نهر كولورادو الشهير Grand Canyon، وهو واد ضيق عميق في الولايات المتحدة . وهو مثل للنهر كيف ينحر في الصخر الى اعماق في الارض بعيدة . ونجد في قاع الوادي نهر كولورادو لا يزال يجرى ناحرا الصخر ، الا انه وصل الى الصخور القديمة التي جاءت قبل العصر الكمبرى ، اى قبل ٦٠٠ مليون عام . والنهر ينحر بمعدل نحو قدم في كل ٢١٥٠ سنة . وترى الطبقات الصخرية في جوانب الوادى ظاهرة . وهي تمثل العصور الجيولوجية القديمة بعضها فوق بعض ، الاقدم فالاقل قدما .



العصر الكمبرى

او ان شئت فمجموعة الطبقات ، او النظام الصخرى ، المعروف بالكمبرى Cambrian . وكمبريا Cambria هو اللفظ الآخر لبلاد ويلز Wales في بريطانيا .

وقصة هذه الطبقات من الصخور ، وما علاها ، انه في السنوات الاولى من السنوات الثلاثينية من القرن الماضي ، كان من المعروف عند علماء انجلترا ان الطبقات الارضية التي يوجد فيها الفحم الحجرى ، والتى تعرف بحاملة الكربون، بها بعض الاحافير، وان الطبقات الارضية المترسبة التي تحتها بها ايضا بعض الاحافير .

وفي تلك السنوات قام صديقان انجليزيان ، اسم الاول سد جوك Sedgwick ، واسم الثاني مرتشي سن Murchison ، قاما ببحث الصخور التى هى تحت صخور الفحم ، تحت الطبقات المعروفة بحاملة الكربون Caboniferous Strata ، وهي بالطبع الاقدم .

واقتسماها ، اعلى ، واوطأ . او احدث واقدم .

واما الاحدث، وهي التي تلي الصخور الكربونية مباشرة ، فبحثها مرتشي سن ، وسماها السلورية Silurian ، نسبة الى قبيلة بريطانية قديمة كانت تسكن هذه البقاع .

واما الصخور التي تحتها ، وهي الاقدم ، فبحثها سد جوك وسماها الكمبريا Cambrian ، وكمبريا Cambria كما سبق ان ذكرنا هي اسم بلاد ويلز ، وهو الاسم الذى اطلقه الرومان ، على هذه البلاد عند غزوهم بريطانيا .

ارادا لهاتين المجموعتين من الطبقات اسمين ، فكانا هذين .

واذن اصبحت هذه الطبقات القديمة ثلاثا ، تنسبت الى عصورها الجيولوجية فكانت العصر الكربوني ، فالعصور السيلورى ، فالعصر الكمبرى ، واحافيرها تقل كلما نزلنا فى الصخر قدما . ولكل منها احافيرها الخاصة المميزة لها .

ويحدث بعد ذلك ان يعمل الصديقان معا في صخور في مقاطعة ديفنشير البريطانية Devonshire ، ويخرجان معا على انها تاتي في القدم بين العصر الكربوني والعصر السيلورى ، ولها احافيرها الخاصة بها .

ويحدث ان قيصر الروس يطلع على هذه الابحاث فيستدعي العالم (مرتشي سن)الى روسيا ليقوم بابحاث جيولوجية فيها ، وذلك في عام ١٨٣٩ . وفي هذه البعثة يقع العالم البريطاني في مقاطعة بيرم Perm ، في روسيا ، غرب جبال اليورال Ural ، يقع على طبقات من الصخور تقع من حيث الزمن فوق الطبقات الكربونية مباشرة ، فسماها الصخور البرْمية،وسمى عصرها بالعصر البرمي Permian Period .

وطبقات اخرى في بلاد ويلز يختلف الصديقان عليها ، وعلى اين تقع من سائر الطبقات التى كشفا ، ويختصمان ، ويتقاطعان . ويأتي العالم الانجليزى لابورث Lanworth بعد وفاتهما ، وفي عام ١٨٧٩ بالذات ، فيجد ان هذه الطبقات لا تدخل في العصر الكمبرى ، وانما هي نظام صخرى له صفات تؤهله ان يقوم وحده ، وانه يأتى في الزمان بعد العصر الكمبرى مباشرة ، فهو احدث منه،وبالطبع يأتى بعده العصر السيلورى . وسماه الاردوفيشي Ordovician نسبة لقبيلة من الناس بريطانية قديمة .

فهي اذن عصور Periods ستة ، هي الكمبرى وهو الاقدم،والاردوفيشي، والسيلورى ، والديفوني ، والكربوني ،

والبرمي ، يجمعها في الزمن ما سماه العلماء بالدهر القديم للحياة Paleozoric Era ، ومنهم من سماه الدهر الاول Primary . وهو يبدأ من نحو ٦٠٠ مليون عام مضت ، الى نحو مائتي مليون عام مضت ، فهذه العصور الستة استغرقت من الزمان ٤٠٠ مليون عام .

ومن الممتع الخطير في هذه العصور ان الاحافير التي وجدت فيها ، اخذت تدل على نوع الحيوانات والنباتات التي

التي لا جناح لها ، وكذلك اول النباتات ذات البذور .

والعصر الكربوني ، وبدأ من نحو ٣٤٥ مليون عام ، فقد شاع في الارض الجو الدافيء الرطب ، وظهرت غابات عظيمة من الاشجار الرخسية والصنوبرية . وكثرت في هذا العصر الحيوانات البرمائية ، وظهرت اول الزواحف .

واما في العصر البرمي ، وبدأ من نحو ٢٨٠ مليون عام ، ففيه اخذت البرمائيات تضمحل ، والزواحف تتكاثر

الاعلان

يخلق المنافع بالإيحاء

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

■ما زلت اذكر مبادىء كان يرنقها فى آذاننا اساتذتنا فى علم الاقتصاد السياسي لتستقر فى أذهاننا قواعد ابدية لا يؤثر فيها تغير الايام . فانخفاض السعر يزيد الطلب على السلعة ، وارتفاع السعر يخفض الكمية المشتراة .... قاعدة راسخة لا فكاك منها لانها لا تمثل اتجاها ينبع من الانسان ، وانما ينبعث من مؤثرات خارجية لا سلطان للسلوك الانساني عليها .

كان اساتذتنا الاوائل يهتمون بدراسة سلوك الانتاج والنقود والاجور ، كأنها كائنات حية تقرر وتستجيب ، ولا يهتمون بدراسة طبيعة النفس البشرية وظروف الاجتماع والحضارة ، كان الانفاق والادخار والاستثمار عمليات منفصلة عن طبيعة المستهلكين ، وليست انعكاسا لسلوكهم الانساني .

ثم درستُ الاعلان فوجدت ان رفع السعر قد يحيط علامة تجارية معينة من علامات السجائر او الروائح العطرية أو الاقلام أو الساعات بجو من السمو فيزيد الاقبال عليها . ووجدت أن خفض السعر قد يدس في الافهام فكرة ان السلعة شعبية او غير رائجة فيصرف الناس عنها .

لقد كان محور الاهتمام في ادارة الاعمال هو المنتج ومشكلاته ، فلما زاد انتاج السلع على طلبها انتقل الاهتمام الى المستهلك ورغباته ، لان المستهلك اصبح يلعب دورا اكبر في انجاح المشروعات او القضاء عليها . لقد اصبحت مهمة المنتج الاولى هي التعرف على رغبات المستهلك وبحث العوامل

«إن الناس أعداء ما جهلوا، والإعلان يبلي بالتكرار بمقاومتهم للسلعة، كما تُبلي نقطة الماء الحجر الذي تظل تسقط عليه»

التي تؤثر على سلوكه فتوحي اليه باتخاذ قرار الشراء . اصبح نجاح الانتاج والتمويل والشراء والتخزين رهنا بقبول المستهلك ما تحقق له هذه الانشطة من اشباع .

الاتجاهات السلوكية فى الاستهلاك

كان الاتجاه الاقتصادى (Economic approach) ينطلق من فكرة المنفعة وحدها .

فيسير وفقا للفروض الآتية : ــ

ان الشراء يجب ان يحقق للنقد اقصى منفعة ممكنة .

وان المستهلك على علم بالسلع البديلة .

فقرار الشراء يتوقف على مدى التفاعل بين القوة الشرائية للمستهلك وسعر السلعة المعروضة.

ثم جاء المذهب الاقتصادى النفسي (Psychoeconomic) فرفض أن يكون للمستهلك دافع واحد للشراء هو المنفعة ، ووضع بدلا منه مبدأ تعدد الدوافع بل وتعارضها . وبناء على ذلك اصبح البحث الميداني (Market Survey) ضروريا للوقوف على اتجاهات المشترين في المستقبل .

ثم جاء المذهب الاقتصادى الاجتماعي (Socio - economic) فقرر أن البناء الاجتماعي هو الذى يحدد أنماط الاستهلاك . ان قادة المجتمع في كل ميدان هم الذين يغرون المستهلكين بالتقليد فيثيرون تطلعاتهم الى مستوى اعلى من المعيشة ، والى ما يتطلبه هذا المستوى من الاقبال على السلع ذات السمعة الاحسن ، ولذلك يتبني قرار الشراء على التفاعل بين عاملين هما رغبة الفرد في الادخار ، ودرجة تعرضه للافضل من السلع . وهناك يكون للمستوى الثقافي وتمكن العادات اثرهما في نتيجة التفاعل .

أثر الاعلان فى تكوين الاتجاهات

لما كان انتاج السلع لاحقا للطلب عليها كانت تنتج وفقا لرغبات المستهلكين ، فلم تكن هناك حاجة الى اعلان . ولكن الثورة الصناعية جاءت فقلبت هذا الوضع ، وجعلت الانتاج سابقا على الاستهلاك ، ثم زادت من عدد السلع النمطية المنتجة ، فاشتد التنافس بينها في جذب انتباه المستهلكين . ولما تعددت الأصناف والمستويات اصبحت كل سلعة في حاجة الى تسمية نفسها بعلامة تجارية خاصة ، والى تقديم نفسها الى المستهلك بهذا الاسم عن طريق الاعلان .

واتخذ الاعلان طريقه بالصحافة والاذاعة والتلفاز والملصقات وبالبريد ، فاصبح يدخل على الناس مخادعهم حين يقرأون صحف الصباح ، ويزاملهم في الطرقات حين يسيرون الى السوق فيذكرهم بجملة وصورة على الملصقات ، حتى اذا وصلوا الى المتاجر استقبلهم باللافتات عند المداخل وقبل اتخاذ القرار . فاذا عادوا في المساء الى بيوتهم خاطبهم من جديد عن طريق الاذاعة والتلفاز .

والاعلان حين يقدم السلع الاستهلاكية لا يعنى كثيرا بخلق اقتناع ، وانما يعني بخلق انطباع . انه يتجه الى العقل بقدر ما يتجه الى النوازع . ولا يستخدم المنطق بقدر ما يتوسل بالايحاء (Suggestion) . والايحاء يعتمد على ربط السلعة بالجمال والسعادة والأمل وبحب البقاء وحب التملك والأمومة والاستعلاء .... الخ مما يخلق جوا محبوبا يرتبط بالسلعة فيوجد عنها صورة ذهنية تدفع المستهلك الى شرائها .

الفرق بين المنطق والواقع

يعتقد بعض الناس ان النتيجة حين تكون منطقية فانها لابد واقعة . وهم في ذلك واهمون لانهم يفترضون ان الناس منطقيون وهم ليسوا كذلك . انهم عبيد غرائزهم وعاداتهم وبيئاتهم فاستجاباتهم لا تنبعث من عقولهم وحدها ، وانما تنبعث منها ومن هذه العوامل . ان يروا عارضا او اضطرابا في الهضم قد يكون له تاثير خفي في نفس المستهلك ، وقد يكون في حالة من الحزن او الفرح فتمتزج هذه الحالة النفسية برأيه وتكون عنده نزوعا معينا لم يكن يتكون لولاها .

لقد اشار الكاتب يوما على صاحب مصنع للصابون النابلسي ان يجعل اطراف القطع مستديرة بعد أن كانت مدببة حتى لا تؤذى الايدى عند الغسيل فنقصت المبيعات نقصا مفاجئا . وتبين بعد الاستقصاء ان المستهلكين راوا في تدوير الاطراف انتقاصا من حجم الصابون مع انه كان يباع بالوزن .. نتيجة غير منطقية ولكنها وقعت .

وكان في حي قريب من الازهر محل صغير للاحذية يتردد عليه الشيوخ فيتربعون على حشية من القطن ويقيسون المراكيب . وقد بدا للكاتب أن يرفع المستوى فاشار على صاحب المحل ان يضيئه بالنيون ويزوده بكنبة وحامل خشبي يستقبل اقدام المشترين فاذا الشيوخ يفرون من المحل ! وعاد الرجل الى حشيته الاولى ... نتيجة غير منطقية ولكنها وقعت .

ان المنطق من صنع صاحبه . وهو يتوقف على مدى تفكيره وقوة تعبيره . اما الواقع فهو صادق ابدا لانه الحقيقة نفسها . والواقع اذا ترجم في ظروف الشخص واهدافه اصبح منطقيا كذلك .

الاعلان والايحاء

سئل المستهلكون يوما في امريكا عن سبب تفضيلهم معجون أسنان معين فقرر ٦٠٪ منهم انه مطهر . وهو سبب ظاهر البطلان لانهم لا يستطيعون الحكم على مدى تطهيره لأسنانهم . لقد وضع الاعلان في افواههم هذا السبب فرددوه .

ودخل متخصص في الاعلان على مدير عربي فوجده يدخن مع عدد من زملائه سيجارة محلية . وقدم له المدير علبة سجائره فازورّ عنها وقدم له سيجارة من علبته الامريكية ، وكانت نادرة في السوق ، فاطفا المجتمعون سجائرهم التي في ايديهم واقبلوا على السيجارة الجديدة واستمتعوا بها كما لم يستمتعوا بسيجارة اخرى . وقبل أن ينتهوا منها فاجاهم الاستاذ بقوله : « ماريكم في أن السيجارة التي تدخنونها الآن هي نفس السيجارة التي قبلها ؟ » ونظر المدخنون فيما هو مكتوب عليها فوجدوا نفس الاسم ! لقد كان الفرق الوحيد ان السيجارة المحلية قدمت لهم في علبة امريكية ! ومعنى هذا انهم كانوا يدخنون صورة ذهنية انطبعت في نفوسهم بفعل الاعلان .

لقد ذكر الاستاذ/باكارد (Packard) في كتابه المشهور «المغريات الداخلية» (Inner Persuaders) ان الدكتور / ديتشر (Ditcher) صاحب (Color Research Bureau) يقول أن الناس في امريكا يقبلون على شراء السيارات القوية لان قوتها ترتبط في نفوسهم بقوتهم الجسمية بل الجنسية (Almost in a Sexual way) فلما انتشرت السيارة الصغيرة فيما بعد مثل « فيات » و « فولكس فاجن » سئل عن هذه الظاهرة الجديدة فقال ان النساء يستخدمنها ليصبحن مختلفات (To be different) على عكس الرجل ، فانه لا يحب الخروج على المتعارف المالوف فيما يلبس او يركب . يضاف الى هذا ان عقدة الذنب قد بدات تظهر عند الرجال بسبب اتفاقهم على وقود كثير في جر سيارات كبيرة دون مبرر . ومعنى ما يقوله الدكتور « ديتشر » ان استخدام السيارات لا يتوقف على حسن أدائها بقدر ما يتوقف على ما في نفوس مشتريها من انفعالات .

وقد جاء في هذا الكتاب ان محراثا زراعيا لم يحز رواجا في امريكا بينما راج منافسه ، ولم يستطع المهندسون ان يجدوا فرقا يذكر بينهما في الكفاية أو الثمن فاحالوا الامر على الدكتور

« ديتشر » الذى قرر ان السبب يكمن في الاعلان . فان الحملة عن المحراث الفاشل تركز على قوته وتتجاهل مقدرة العامل عليه . على حين يركز المحراث الناجح على مقدرة العامل في الاستفادة من المحراث . وتغيرت سياسة الاعلان فارتفعت المبيعات .

نقطة ماء تبلى الحجر

ان الاعلان يعتمد على التكرار في تكوين الرواسب النفسية . فكل اعلان يذكر بسابقه ، ويخلق التوقع للاحقه . وفي نهاية كل اعلان مضروب مشترك هو الشعار (Slogan) الذى يلخص الرسالة الاعلانية ويجعل من الاعلانات افرادا في اسرة واحدة : لكل منهم خصائصه ولكن بينهم جميعا تشابها .

ان الناس اعداء ما جهلوا . والاعلان يبلي بالتكرار مقاومتهم للسلعة شيئا فشيئا كما تبلى نقطة الماء قطعة الحجر اذا نزلت في نفس المكان باستمرار

والاعلان يتفوق بالابتكار. فالابتكار يجذب الانتباه. وبمقدار الانتباه والاعجاب يكون الاثر. على ان الاعلان لا يصح ان يستأثر باعجاب المستهلكين فيصبح غاية في ذاته . انه وسيلة لبيع السلعة ويجب ان يبقى هكذا والا اصبح لوحة جمالية تمتع ولا تبيع .

ان مرهما لازالة النمش يبرز في اعلاناته صورة امرأة مشوهة الوجه قبل استخدام المرهم ، وصورتها الجميلة بعد استخدامه . وان نوعا من انواع الزبد الصناعي يبين في الاعلان بعملية جمع وضرب مقدار ماينفق في الزبد الطبيعي ، ثم يشطب على العملية الحسابية ويبرز بعملية اخرى عن الزبد الصناعي رقما اقل ، وهكذا يستخدم المعلن انسب العوامل لحفز المستهلك على الشراء في كل حالة بخصوصها .

الاعلان التعليمي

ان كل ما ذكرته فيما تقدم خاص بالسلع الاستهلاكية (Consumer goods) اما السلع الانتاجية (Capital goods) فالممول لا يشتريها الا اذا اقتنع بجدواها ، ان المنفعة هي العنصر الفعال ، فالمشترى ليس مستعدا لشراء آلة للانتاج الا اذا عرف كل شيء عن ثمنها وطريقة تشغيلها واصلاحها ونفقات صيانتها .... الخ . ولذلك ينجح البائع غالبا بالاتصال الشخصي اكثر مما ينجح بالاعلان على الورق والهواء . على أن الاعلان في هذه الحالة لا يتجه اتجاها اغرائيا (Persuassive) وانما يتجه اتجاها تعليميا (Educational) يخاطب العقل . ان الاعلان يبذر البذور ، ثم يأتي البائع فيجني الثمر .

الاعلان فى الدول الراسمالية والاشتراكية

الاعلان في الدول الراسمالية يزيد استهلاك السلع فيمكن المنتج من زيادة انتاجه وتخفيض تكلفة الوحدة . والاعلان هو الذى يغطي معظم مصاريف الصحافة ، ويغطي كل مصاريف الشركات التلفازية في امريكا واليابان ولبنان . ومنذ قريب اقفلت مجلة (لايف) أبوابها لان محطات التلفاز قللت اعلاناتها . ان مخصصات الاعلان يدفعها المعلن ولا يدفعها المستهلك لانها لا ترفع اسعار السلع وانما تخفض منها بسبب ما يزيد من انتاجها .

اما في دول الاقتصاد الموجه فان الاعلان تعريف. انه يطلب مجندين او عاملين ، وقد يتحدث عن نظام اقتصادى جديد او عن انتخابات جديدة ، ولكنه لا يحرض على مزيد من الاستهلاك .

واذن هل الاعلان مفيد ؟

نعم . فاذا كان التحرير في الصحف هو اخبار السياسة والاجتماع فان الاعلان فيها هو اخبار السلع والخدمات . واذا كان الاعلان الاستهلاكي يعتمد في التوجيه على الايحاء فمن منا لا يعمل في مناحي الحياة الاخرى بالايحاء ؟ اننا نفكر في ربع ما نفعله . ونتصاع للايحاء في ثلاثة الارباع الباقية ! ■■

السيد ابو النجا



الكويت عند خط النار

- كيف يعيش جنود الكويت في جبهة قناة السويس
- قصة أول شهيد كويتي استشهد على أرض مصر

■ بالدم .. والرجال .. والمال .. تساهم الكويت في معركة المصير .. معركة الوطن العربي ضد خطر الصهيونية الغاصبة . ومنذ حوالي ٦ سنوات .. وعلى وجه التحديد منذ شهر مايو عام ١٩٦٧ توجد قوات كويتية على خط المواجهة مع العدو في قناة السويس . والى هناك ، حيث ارتوت الارض الطيبة بدماء الشهداء في اشرف المعارك للدفاع عن الارض والوطن ، طارت بعثة « العربي » لتقدم هذا الاستطلاع عن القوات الكويتية المرابطة على جبهة قناة السويس في مواجهة العدو الاسرائيلي ، ولتساهم بنصيبها في الدفاع والذود عن الكيان العربي ، ولكي تؤكد للعالم اجمع وحدة الوطن العربي امام الخطر الصهيوني .

ولنبدأ القصة من اولها ..

معركة سيناء وانسحاب القوات الكويتية

في شهر مايو ١٩٦٧ عندما بدأت نذر الحرب بين اسرائيل والعرب ، بدأ العرب يحشدون قواتهم استعدادا لملاقاة العدو الصهيوني . وبدأت قوات



غابت الشمس في الافق .. بينما ربض الجنود في مواقعهم وعيونهم لا تغفل عن مواقع العدو .. يمسكون اسلحتهم بايديهم استعدادا لمواجهة اى حركة من جانب العدو .

استطلاع بقلم
محمد طنطاوى

تصوير
صلاح آدم

وعندما تشرق الشمس من جديد تجد نفس الجنود في مواقعهم .. ينتظرون حلول قوات اخرى تحل محلهم بعد سهر الليل الطويل في حراسة الارض والوطن .





في احد المواقع المتقدمة جنديان كويتيان يقفان بجانب مدفعهما الرشاش على اهبة الاستعداد لاى تطورات في الموقف . **وفي الصورة الثانية** احد الجنود وهو يجرى اتصالا لاسلكيا مع قيادته من احد المواقع المتقدمة على خط النار .

الجيش المصرى تتحرك الى سيناء . وقررت حكومة الكويت ان تساهم مع دول المواجهة في حربها ضد الصهاينة . وقامت الحكومة الكويتية بارسال جنودها من المغاوير وافراد من لواء اليرموك الى ارض المعركة في سيناء .

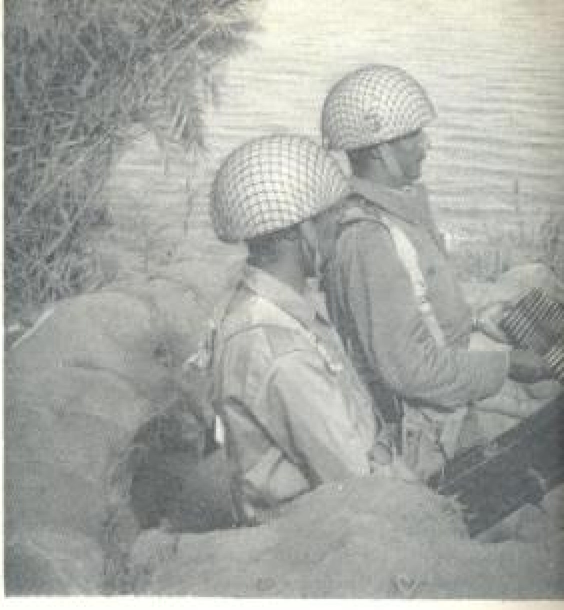
وفي الخامس من شهر يونيو ١٩٦٧ اشتعلت نيران الحرب .. واستطاع العدو الصهيوني عن طريق الغدر والخداع الدولى ، ان يبدأ الضربة الاولى ، بضربة مفاجئة غير منتظرة للسلاح الجوى المصرى وبذلك محى الغطاء الذى يحمي الجيش الارضي من السماء .. وتحدد سير المعركة نتيجة لهذه الضربة .. وصدرت الاوامر بانسحاب القوات العربية من سيناء .. وكانت بعض القوات الكويتية من « مغاوير لواء اليرموك » قد وصلت الى منطقة « الشيخ زويد » في شبه جزيرة سيناء .. واستطاعت هذه القوات ان تنسحب سالمة في ١٨ يوما ، وعادت الى بورسعيد عن طريق بحيرة البردويل ومعها اسلحتها كاملة . لقد تمسك افراد هذه القوة باسلحتهم ولم يتركوها اثناء فترة الانسحاب الصعبة . وبعد ان عادت هذه القوات سالمة الى الضفة الغربية من قناة السويس .. رابطت في المواقع التي حددتها لها القيادة المصرية . وشاركت منذ ذلك الوقت في معركة الصمود وحرب الاستنزاف .. وسقط منها شهداء رووا بدمائهم الطاهرة رمال صحراء مصر .. وبلغ عدد الشهداء الكويتيين ٢١ شهيدا بين جندي وضابط .

في الطريق الى الجبهة

عندما طارت بنا الطائرة من مطار الكويت الدولى ، كان السؤال الذى يراودنا هو كيف يعيش جنود الكويت البواسل على جبهة قناة السويس ؟ وهل سنتمكن من تقديم صورة كاملة عن حياتهم على الجبهة بالرغم من القيود التى قد تفرضها دواعي الامن العسكرى على مثل هذه الموضوعات في وقت الحرب ؟؟

وعندما وصلت الطائرة الى مطار القاهرة الدولي وجدنا آمر القيادة الخلفية للقوات الكويتية في استقبالنا وعرفنا منه ان زيارتنا للجبهة قد تم ترتيبها .. واننا سنعيش مع افراد القوات الكويتية عدة ايام لنستطيع ان نقدم للقارىء العربى في كل مكان من وطننا العربي الكبير ، صورة حية عن هذه القوات التى ترابط في مواقعها لمواجهة العدو الصهيونى لتساهم في الدفاع عن ارض الوطن .

وفي صباح اليوم التالي .. كانت السيارة « العسكرية » التابعة للجيش الكويتي تقطع بنا الطريق من القاهرة الى الجبهة .. وفي الطريق





الخالي تقريبا الا من السيارات العسكرية ، دار الحديث مع مرافقنا آمر الانضباط العسكرى في القيادة الخلفية عن كتيبة لواء اليرموك .. وعن الروح المعنوية المرتفعة لدى رجالها ، وهم يرابطون على اتم استعداد لمواجهة نشوب القتال في اية لحظة .

وبعد مضى فترة من الزمن وصلنا الى مواقع الكتيبة الكويتية التابعة للواء اليرموك والتى ترابط على خط المواجهة مع العدو الصهيوني .

مع آمر الكتيبة

كان اول مكان توجهنا اليه هو مقر القيادة .. وهناك التقينا بآمر الكتيبة . وفي هذا المكتب الذى يعلوه جهاز تليفون لاسلكى من تليفونات الميدان . .وعلقت فوقه صورة امير الكويت .. دار الحديث بين بعثة العربي وآمر الكتيبة الكويتية .. حديث طويل صريح تناول فيه القائد الشاب قصة حضور القوات الكويتية الى ارض مصر للمشاركة في حرب ١٩٦٧ .. وكيف انها ظلت على خط النار منذ مايو ١٩٦٧ حتى اليوم .. وقد بدأ آمر الكتيبة حديثه قائلا :

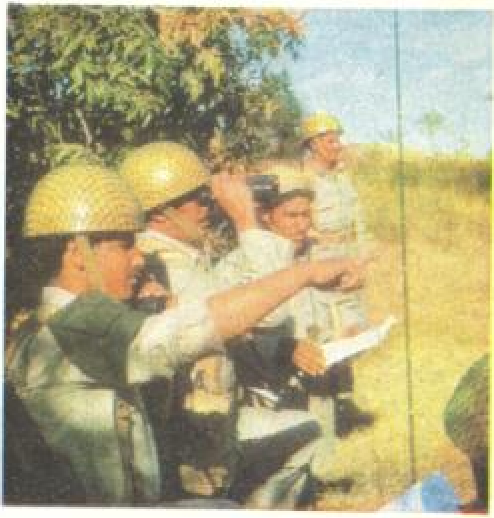
« اننا نشعر هنا في مصر اننا في وطننا .. ونحن فخورون بالدور الذى نقوم به هنا في خط النار .. ان التعاون بيننا وبين الوحدات المصرية تعاون تام تسوده روح الاخوة في العروبة .. ونحن نقوم بواجبنا ونرتبط ارتباطا كليا بالقيادات المصرية . لقد امضينا هنا اكثر من ٥ سنوات .. واشتركنا في حرب سيناء .. وتعرضنا للقصف بالمدفعية والطائرات طوال السنوات الماضية وحتى قرار وقف اطلاق النار في نهاية عام ١٩٧٠ . سقط من بيننا ٢١ شهيدا . سالت دماؤهم الطاهرة على ارض النيل دفاعا عن العروبة . ان الروح المعنوية لجنودنا وضباطنا مرتفعة . وهم في حالة استعداد تام لكل الطوارىء ..ونحن من جانبنا نوفر لجنودنا كل سبل الراحة التى تساعد على رفع روحهم المعنوية .. كما اننا ننتهز فرصة وقف اطلاق النار في ممارسة تدريب الجنود وزيادة كفاءاتهم القتالية » .

كيف يعيش الجنود والضباط ؟!

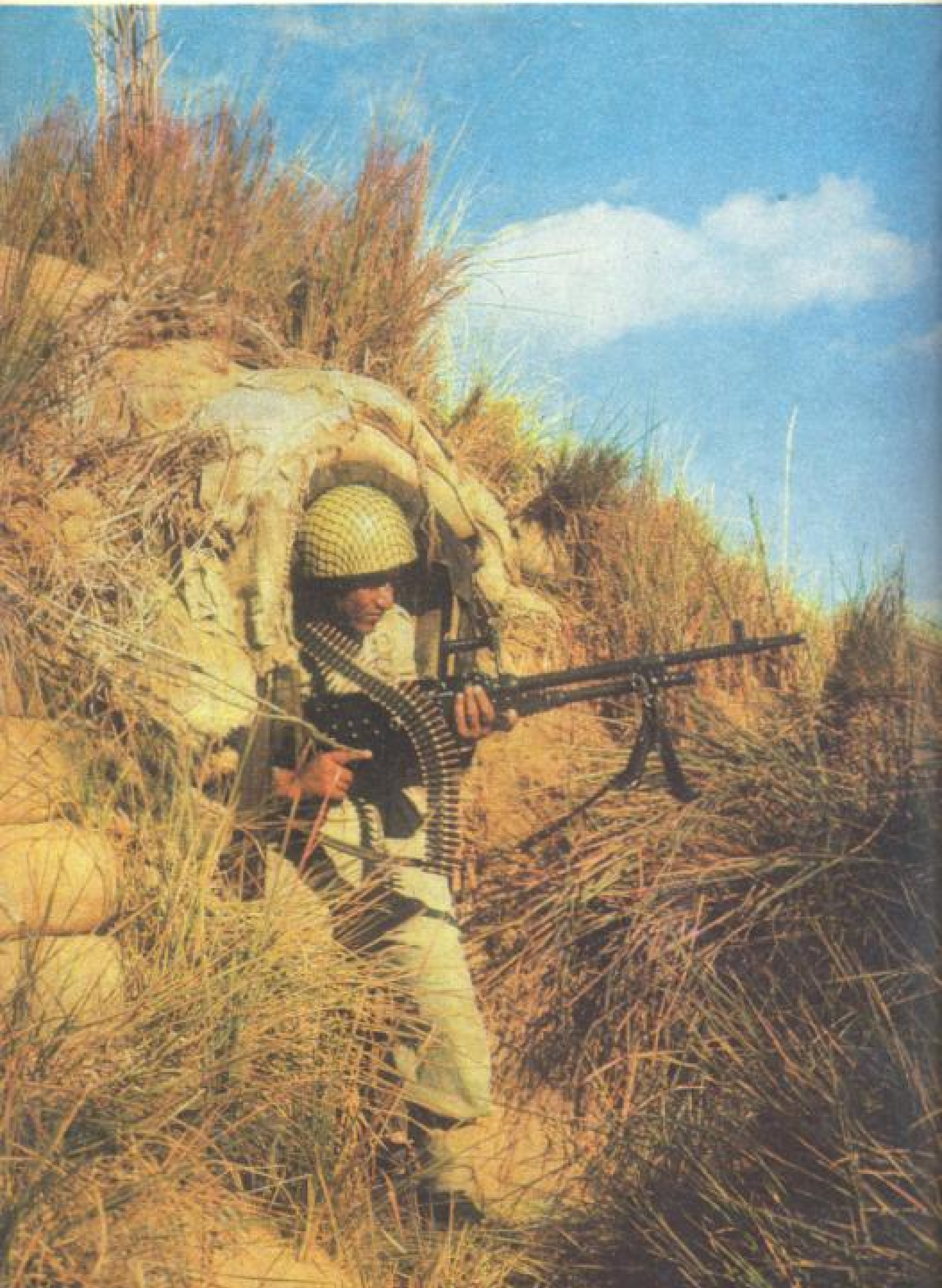
واجاب آمر الكتيبة عن سؤال لنا عن الاحوال المعيشية لجنود وضباط الكتيبة بعيدا عن ارض الكويت قال : « اننا نحاول ان نوفر لجنود الكتيبة وضباطها بعض مظاهر الحياة العادية . وخاصة في اوقات الراحة .. وتوقف العمليات العسكرية .. لقد عهدت القيادة المصرية لنا بمسئولية قطاع كتيبة من قطاعات خط المواجهة .. وهي مسئولية نفخر بتحملها ، فهي



صور اربع لافراد القوات الكويتية على جبهة قناة السويس **الصورة الاولى الى اليمين** تمثل جندي اللاسلكي في احد المواقع المتقدمة يتلقى الاوامر الصادرة من القيادة لفصيله ويدونها حتى يبلغها لآمر الفصيل. **والصورة الثانية**، آمر احد الفصائل وهو يرصد مواقع العدو بالمنظار المقرب. **والصورة الثالثة الى اسفل** طاقم احد المدافع المضادة للدروع وهم على اتم الاستعداد لمواجهة اى هجوم من العدو. **والصورة الرابعة الى اليسار** تمثل احد الجنود الكويتيين وهو يخرج من احد المواقع على الخطوط الامامية شاكيا سلاحه.. ان الجنود هنا في حالة استعداد دائم بالرغم من ان قرار وقف اطلاق النار لايزال سارى المفعول .









الى اليمين : آمر الكتيبة ومعه أحد الضباط في مكتب القيادة . لقد تحدث القائد الشاب عن الروح المعنوية العالية التي يتمتع بها افراد كتيبته .

الى اليسار : طابور التدريب على الاسلحة وفيه يتم تدريب الجنود على مختلف الاسلحة لزيادة قدرتهم القتالية.

تمثل بوضوح دور الكويت في العالم العربي .. ونحن هنا نحاول دائما ان نكون على مستوى هذه المسئولية .. وقواتنا تعيش في مواقعها المشيدة على ضفاف القناة في حالة تأهب مستمر ليلا ونهارا .. فالعدو الذى امامنا عدو غادر ونحن مستعدون للاشتباك في اية لحظة يتفجر فيها الموقف .وسوف ترون بانفسكم المواقع الامامية لقواتنا وستتاح لكم فرصة متابعة الحياة اليومية لهم على خط النار، هذا الخط الذى يسوده الهدوء الآن .. ولكنه هدوء مشوب بالحذر والاستعداد » .

فى الخنادق على ضفة القناة

بعد هذا الحديث السريع مع آمر الكتيبة توجهنا الى الخطوط المتقدمة والتي تقع في مكان ما في الضفة الغربية لقناة السويس في مواجهة العدو الصهيوني . وكان الموقع الاول الذى زرناه يقع في مزرعة بين اشجار المانجو التى تنتشر على طول قناة السويس . بعض الجنود في حالة تأهب امام مدافعهم الرشاشة ..، وجهاز اللاسلكي الذى يصلهم بغرفة العمليات في القيادة مستعد للعمل في اية لحظة .. والبعض الاخرى يجلس في استرخاء امام « دلة » القهوة المرة واناء الشاى الذى تتصاعد منه رائحة الشاى المخلوط بحب الهال (حب هان) .. صورة من صور العادات الكويتية انتقلت من الخليج العربي الى ارض النيل .

واصر الجنود علينا ان نتناول فناجين القهوة العربية المرة .. واستكانات الشاى . وحملونا تحياتهم الى الاهل والاصدقاء في ارض الوطن .. ارض الكويت .

كل شيء هادىء على الجبهة

وقضينا عدة ساعات ننتقل من موقع الى موقع .. مواقع على ضفاف الماء .. واخرى وراءها .. مواقع تحيط بها الاسلحة الخفيفة الرشاشة .. واخرى بها مدفعية ثقيلة .. كل المواقع يسودها الهدوء المشوب بالحذر والتربص .

جنود من الكويت اتوا من بلادهم الى ارض النيل يقفون على اهبة الاستعداد لمواجهة العدو الذى لا يفصله عنهم سوى مسافة قليلة في المنطقة التى يرابطون بها . العزم والهدوء يرتسمان بوضوح على قسماتهم .. ايديهم على مدافعهم .. وبين الحين والآخر يرصدون حركات العدو بالمناظير المكبرة .. وبين الحين والآخر يتم الاتصال بينهم وبين مركز قيادتهم.كل شيء يتم في هدوء ونظام .. الخطر موجود ولا يحس به الا القائمون على حراسة الارض .. انه عملهم الذى اتوا من اجله .. العدو امامهم .. وفي اى دقيقة قد ينفجر الموقف ..



ولذلك فهم مستعدون دائما .. روحهم المعنوية مرتفعة .. الضباط الشبان من آمري الفصائل .. كل واحد منهم في موقعه .. يوجه جنوده وينفذ اوامر القيادة . انه النظام العسكري بكل مافيه من دقة .. الجنود والضباط يرتدون خوذهم .. وملابس القتال .. ذخيرتهم في المدافع والبنادق .. والكل في حالة تربص وانتظار ..

اكل ساخن فى الخنادق

لم نشعر بمرور الوقت ونحن نقوم بجولتنا . ولم ننتبه الا والشمس تميل الى الغروب وترسل اشعتها الحمراء لتنعكس على المياه الزرقاء .

وظهرت احدى سيارات النقل العسكري تحمل الطعام للجنود في مواقعهم .. طعام ساخن مكون من الارز واللحم والبرتقال ، وهو مطبوخ على الطريقة الكويتية . وفي نظام دقيق تم توزيع الطعام

في احد المواقع الامامية بعض الجنود الكويتيين داخل الموقع المحصن امام سلاحهم المستعد للانطلاق في اية لحظة .



وجلس جنود الموقع يتناولون طعامهم بينما قام آمرهم بتذوقه والتفتيش عليه قبل ان يتناولوه .. ان آمر الفصيل مسئول عن كل امور فصيله . وسألنا آمر الكتيبة عن الوجبات التي تقدم للجنود في مواقعهم اثناء تادية عملهم .. قال « اننا نقوم بتوزيع الوجبات الساخنة في حالات توقف العمليات .. اما اثناء العمليات فكل فصيل لديه تموينه من الارزاق الناشفة . وحتى الآن في فترة وقف اطلاق النار فان الجنود يتناولون طعامهم الساخن على فترات ، بعضهم يتناول طعامه في حراسة البعض الاخر .. وهكذا . اننا لانترك شيئا للظروف » .

الليل والجبهة

وغابت الشمس .. وخيم الظلام .. وساد السكون .. وشعرنا برهبة شديدة .. بينما ربض الجنود كل في موقعه وراء سلاحه .. يرقب الضفة الاخرى امامه بعيون اشبه بعيون الصقور .. ولم يعد هناك امامنا ما نفعله سوى ان نعود الى مقر القيادة حيث سنقضي ليلتنا هناك .

مباراة فى تنس الطاولة

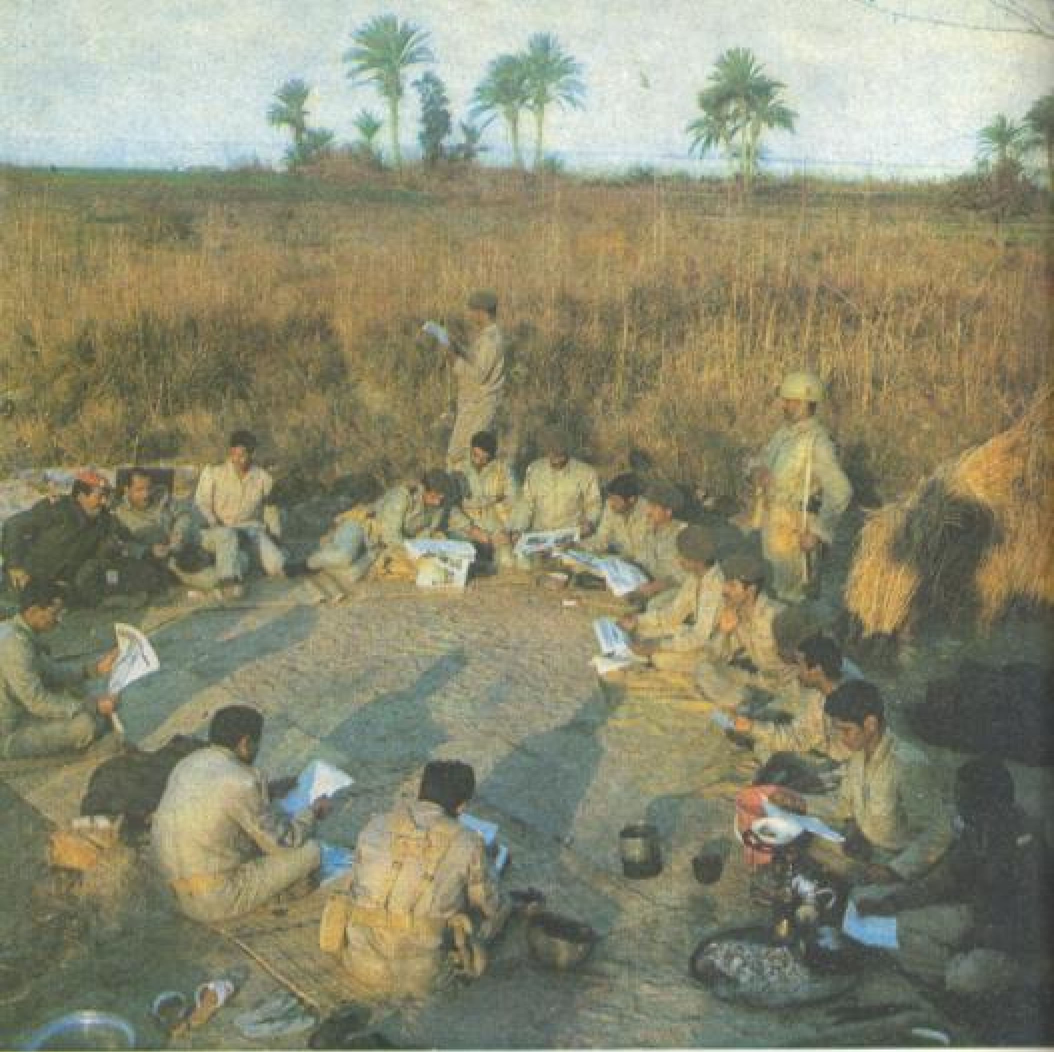
وفي معسكر القيادة .. جلسنا في نادى الضباط .. وجلس معنا بعض ضباط الكتيبة الذين يقضون وقت راحتهم .. ودارت الاحاديث بعيدا عن



الى اليسار: واحدة من سيارات النقل العسكرية تحمل الطعام الساخن الى الجنود في مواقعهم الامامية .. والطعام مكون من اللحم والارز والفاكهة . ويتم توزيع الطعام على الجنود بنظام دقيق وعندما يجلس الجنود لتناول الطعام يبقى واحد منهم وراء سلاحه تحسبا لأي أمر . وعندما ينتهي زملاؤه من تناول الطعام يجيء عليه الدور ليتناول هو ايضا طعامه .



القوات الكويتية على الجبهة في حالة اكتفاء ذاتي . فهناك الترزى الذى يقوم باعداد ملابس الجنود او اصلاحها . **(الصورة الى اليمين)** وهناك ايضا الحلاق الذى يقوم بعمله بين أفراد القوات **(الصورة الى اليسار)** وهناك ايضا الطبيب والمضمد والواعظ الديني وورش الصيانة ، والى جوار هذا كله المخازن التى بها قطع الغيار اللازمة والمعلبات من الارزاق الناشفة والسجاير والشاى والصابون .. ان كل شيء متوفر هنا وكل شيء يخضع لنظام عسكري دقيق .



جلسة عائلية بين الضباط والجنود في موقع احد الفصائل على خط النار . وقد جلس الجنود والضباط على الرمال في جلسة يسودها الاخاء والمساواة يقرأون جرائد الوطن وخطابات الاهل ، لافرق بين ضابط وجندي فالجميع هنا سواء على خط النار . وفروق الرتب العسكرية يغض النظر عنها في كثير من الاحيان على خط القتال .



الشئون العسكرية .. وجاء احد الضباط المصريين الذين يعملون كضباط اتصال بين القوات الكويتية والمصرية . جاء ليقضي وقتا مع زملائه من الضباط الكويتيين .. واقترح البعض ان يلعبوا مباراة في تنس الطاولة .. واشترك الضباط في اللعبة في جو يسوده المرح والاخوة . وانقضى الجزء الاول من الليل . وتوجهنا الى النوم ونحن مطمئنون فحراسنا عيونهم مفتوحة يربضون كالاسود امام العدو الغادر .

صلاة الفجر ومسجد جديد

في الصباح الباكر استيقظنا على صوت آذان الفجر .. صوت رخيم يؤذن الله اكبر .. واغتسلنا وتوضأنا وهرعنا الى مصدر ذلك الصوت الذى يذكر الله ورسوله .. وكانت مفاجأة لقد وجدنا في احد عنابر المعسكر مسجدا جديدا لاتزال رائحة الطلاء الحديث تملاه .. ووجدنا امام الكتيبة وواعظها يؤم صلاة الفجر .. وقد امتلأ المسجد الجديد الذى لم يمض على افتتاحه سوى ايام قليلة بالجنود والضباط .. وبعد الصلاة عرفنا ان هذا المسجد الحديث قد اقيم في المعسكر بواسطة الكتيبة .. وانه تم تحويله من عنبر عادى الى مسجد حديث وبيت من بيوت الله . وتحدثنا الى الواعظ الذى يقوم بعقد دروس دينية للجنود .. ويؤم الصلوات ويخطب صلاة الجمعة .. انه يقوم بتوعية الجنود ويحثهم على الجهاد في سبيل الله ويرشدهم الى دينهم ويجيب على اسئلتهم .

تدريبات عسكرية

بعد الصلاة .. وتناول طعام الافطار . صحبنا امر الكتيبة الرائد جاسم محمد شهاب الى ساحة التدريبات العسكرية .. حيث شاهدنا الضباط وصف الضباط يقومون بتدريب الجنود على الاسلحة المختلفة .. وعلى استعمال الكمامات الواقية من الغازات ، وعلى المدافع الثقيلة .. وعلى الهاون . وقاذفات الصواريخ وغيرها من انواع الاسلحة التى تستخدمها الكتيبة ، وقد استرعى انتباهنا مهارة الجنود وسرعة استيعابهم لما يقوله ضباطهم .

واعظ الكتيبة يلقي درسا دينيا على بعض افراد الكتيبة امام مبني المسجد الجديد وذلك قبل افتتاح المسجد .



اللياقة البدنية والحرب

بعد انتهاء التدريب العسكري على الاسلحة .. شاهدنا تمرينات رياضية يقوم بها الجنود لكي يحتفظوا بلياقتهم البدنية .. وقد قال آمر الكتيبة ان اللياقة البدنية هامة جدا للجندي اثناء القتال .. وانهم لذلك ينتهزون فرصة وقف اطلاق النار في التدريبات العسكرية والرياضية للاحتفاظ بلياقة الجنود لخوض المعركة عندما يبدأ اطلاق النار .



هناك حالة اكتفاء ذاتي في كتيبة القوات الكويتية المرابطة على خط النار - الصورة العليا تمثل احد الاطباء العسكريين وهو يقوم بالكشف على احد الجنود .. **والى اسفل** اتصال باللاسلكي بين آمر القيادة الخلفية والخطوط الامامية للكتيبة - وتقوم القيادة الخلفية بتموين الخطوط الامامية بكل مايلزمها كما توجد بها ايضا ورش الصيانة الثابتة والمتحركة .



جلسة عائلية وخطابات من الوطن

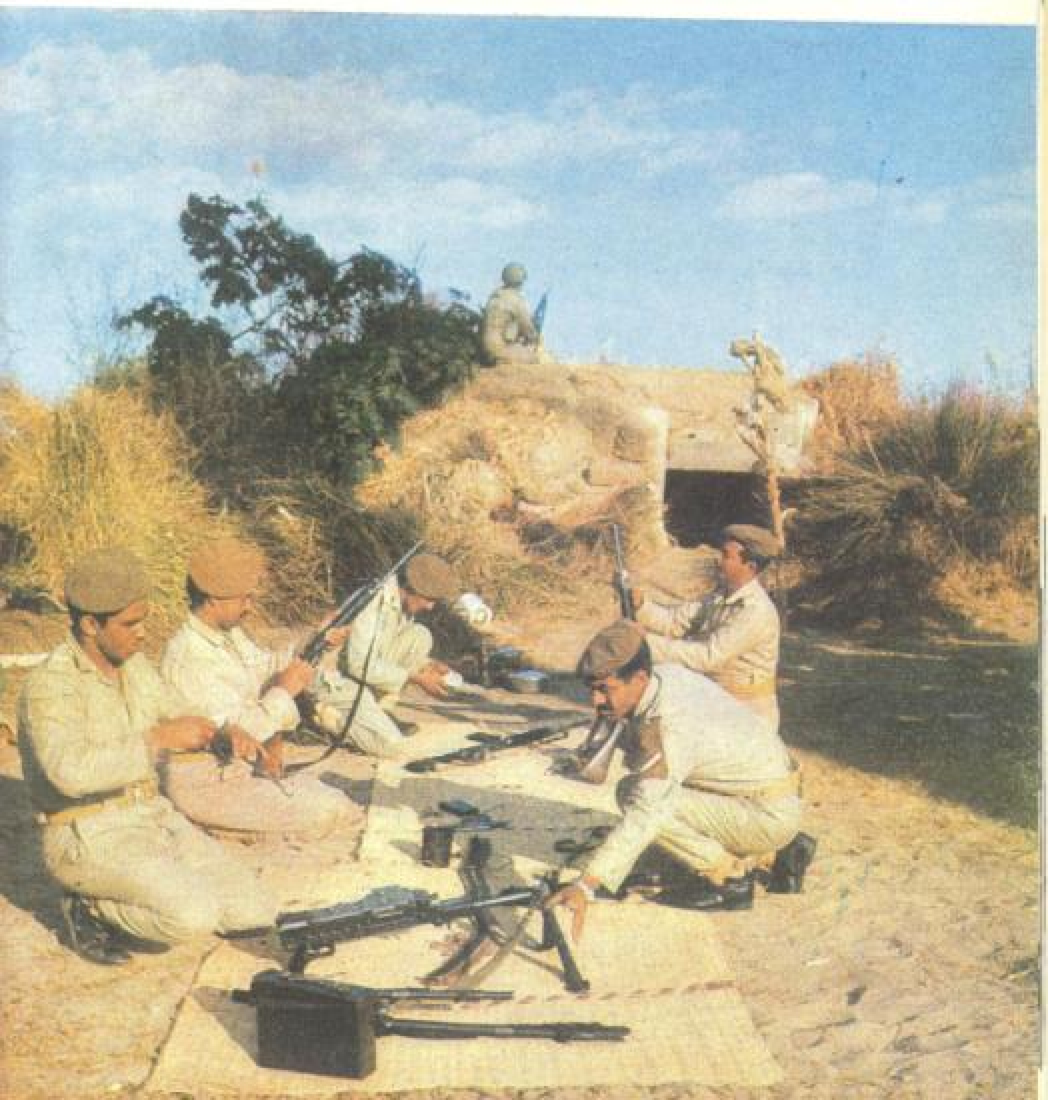
بعد الظهر صحبنا الضباط الى احد الفصائل على خط النار ، وهناك تم توزيع البريد الذى وصل من الكويت على افراد الفصيل . كما تم توزيع الجرائد الكويتية التي وصلت ايضا مع البريد .. وانهمك الجنود في قراءة خطابات الاهل والاصدقاء واخبار الوطن . وجلسنا جميعا جنودا وضباطا على الرمال ودارت اكواب الشاى وفناجين القهوة المرة العربية .. في جلسة يسودها الاخاء والمساواة لا فرق بين ضابط وجندي فالجميع هنا سواء على خط النار .. وفروق الرتب العسكرية يتغض النظر عنها في كثير من الاحيان على خط القتال . فالقائد هنا والد يرعى ابناءه من جنود وضباط .

خروف العيد

وانتهى اليوم الثاني لزيارتنا .. وكان صباح اليوم التالي هو صباح أول أيام عيد الاضحي المبارك ، وحضرنا صلاة العيد .. وحضرنا عملية نحر خراف العيد .. وكان عيداً لاينسى .. فهذا الشباب العربي القادم من على ضفاف الخليج العربي يقف الى جانب اخوة له في العروبة امام عدو غاصب ، يحتفل بالعيد والسلاح على كتفه والمدفع الى جانبه .. ولكن بين اهل واخوة له على ارض من اراضي الوطن العربي الكبير . وهذا هو ما جعل الضباط والجنود لايشعرون بانهم يقضون العيد بعيدا عن وطنهم الكويت .



الى اليمين : اثنان من الجنود يقومان بذبح خروف العيد في اول ايام عيد الاضحى المبارك . **والى اسفل** بعض الجنود يقومون بتنظيف اسلحتهم وهم في موقعهم بينما ربض زميل لهم ليتولى حراستهم وهو يحمل سلاحه . ان الحياة على خط النار تتطلب الكثير من الحذر والحرص .





الى اعلى : واعظ الكتيبة يتفقد المسجد الجديد الذي قامت الكتيبة بانشائه وذلك قبل افتتاح المسجد بساعات قليلة .

الى اسفل : احد الجنود يحمل دلة القهوة العربية ويطوف بها على زملائه في جلسة استرخاء بعد ان انتهت نوبتهم في الحراسة .



قصة اول شهيد كويتي على ارض مصر

بعد ان اتممنا زيارة القوات المرابطة على خط النار .. وشاهدنا كيف ان الكتيبة لديها اكتفاء ذاتي في كل ما يلزمها .. مستشفي ميدان واطباء وصيدلية .. وحتى الحلاق والترزى والكواء كلهم هنا يؤدون الخدمات ويتبعون الكتيبة ، كل مجند في خدمة الوطن وله رتبته العسكرية وعمله المختص به .

سالنا امر الكتيبة ان يروى لنا قصة اول شهيد من شهداء الكويت على ارض مصر .. واثر امر الكتيبة ان يروى لنا احد الضباط القصة فقد كان هذا الضابط هو قائد السرية التي كان ينتمي لها اول شهيد .. وبدا الضابط يروى قصته : في ليلة من لياليٍ اواخر عام ١٩٦٩ ، وكانت آخر ليلة للقوات الكويتية في موقعها بجزيرة الفرسان بالقرب من الاسماعيلية ، وقبل ان ننتقل الى موقع آخر جديد ، كانت الساعة تشير الى الثامنة والدقيقة الاربعين ولم يبق في المواقع القديمة سوى سرية واحدة .. وقام الاسرائيليون بقصف المواقع الكويتية قصفا مركزا .. وكان هناك ثلاثة جنود في احد الخنادق عندما بدا القصف الاسرائيلي .

امر الانضباط العسكرى يقوم بتوجيه جنود الانضباط الى الاعمال التي كلفهم بتنفيذها .



واشتعلت بعض الحرائق في مواقع الخنادق القريبة فطلب وكيل عريف فلاح عبد الله من زميله ان ينتقل من خندقهم ليساعد زملاءه الاخرين في اطفاء الحرائق التي شبت بالقرب منهم . وما ان انطلق الجندى من الخندق حتى اصابت الخندق قنبلة حارقة اصابة مباشرة ، واصيب وكيل العريف فلاح عبد الله بشظايا في الراس والبطن فقتلته في الحال ليصبح اول شهيد من شهداء لواء اليرموك في ارض مصر .. ثم استشهد بعده زميله في الخندق . وعندما عاد الجندى فوجيء باستشهاد زميليه ... بقي ان نعرف ان عدد شهداء القوات الكويتية على قناة السويس قد وصل الى ٢١ شهيدا .

في القاعدة الخلفية بالقاهرة

بعد ان غادرنا خطوط القتال .. عدنا الى القاهرة حيث زرنا بقية افراد القوات الكويتية في معسكرهم الخلفي بمكان ما في ضواحي القاهرة . ويمثل الخط الخلفي خطوط التموين للقوات على الجبهة .. وبه ورشة ميكانيكية .. واجهزة لاسلكي ، ومخازن التموين ، وقطع الغيار ، وسيارات الاسعاف ، ووحدات من الانضباط العسكرى . والخط الخلفي يشرف على الضباط والجنود المجازين من الجبهة والذين يقضون اجازاتهم بالقاهرة .

وانتهى لقاؤنا بابطال الكويت الذين يشاركون في معركة الوطن العربي .. والذين ضحوا بدمائهم في سبيل الارض العربية .. ولا يزالون على اهبة الاستعداد للتضحية والفداء في سبيل معركة العرب جميعا .. معركتنا ضد العدو الغاصب .

فتحية لابناء الكويت البواسل الرابضين على خطوط النار فهم يستحقون التحية من كل عربي . ■■

محمد طنطاوى

مواقف رجال

الخليفة المعتضد

كان ومضة من النور في ظلام دامس

بقلم
عبد الستار أحمد فراج

■ صار الخلفاء العباسيون العوبة في ايدى المماليك الاتراك ، الذين كان بيدهم امر الجيش ، وكثرت المؤامرات لمناصرة احد افراد الاسرة العباسية على آخر منها ، وقد تجلت هذه الظاهرة بعد مقتل الخليفة المتوكل ، وتنافس ابنائه في الوصول الى منصب الخلافة ، ولكل منهم أعوانه ، والطامعون في الظفر بالجاه والمال والسلطان على حسابه ، دون أن يكون للخليفة من الامر شيء يذكر .

باسمه الدنيا ولا شيء له

وأبناء المتوكل : المنتصر ، والمعتز ، والمعتمد ، تولوا الخلافة ، ولم يكن لهم كبير شان في تصريف شئون الخلافة ، فالمنتصر لم يحكم الا خمسة اشهر ثم توفي ، والمعتز حكم ثلاثة اعوام ونصف عام ثم قتل ، أما المعتمد فقد طال حكمه ثلاثة وعشرين عاما ، غير انه بلغ من هوانه وقلة شانه أن قال عن نفسه :

أليس من العجائب أن مثلي
يرى ما قلّ ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شيء في يديه

اما ابن المتوكل الرابع ، واسمه طلحة وكنيته ابو احمد ، ولقبه الموفق ، فهو الذى لم يتول

الخلافة ، غير انه كان الخليفة الفعلي ، صاحب السلطان والامر والنهي في خلافة اخيه المعتمد : وقد نال ذلك عن جدارة واستحقاق ، لقوته وحزمه ، ولشجاعة ابنه احمد ، الذي كان يكنى به .

حقا ان ولاية العهد قد اسندت الى الموفق بعد ابن اخيه ، وكان ذلك الاسناد في عام ٢٦١ من الهجرة ، لكنه توفي سنة ٢٧٨ قبل وفاة اخيه الخليفة المعتمد . فلما توفي اجتمع الامراء ـ من قواد الجيش ـ على اخذ البيعة من بعده لولده احمد ، فبايع له عمه المعتمد بولاية العهد من بعد ابنه ولي عهده ، وخطب له على المنابر ، وجعل له ما كان لابيه الموفق من الولاية والعزل والقطع والوصل .

سيطر على عمه

واحمد بن الموفق طلحة كان من الابطال ، له انتصارات في معارك كثيرة ، اذ كان ابوه الموفق يبعثه لملاقاة الاعداء ، فكان يخوض غمار الحرب بشجاعة حببت فيه الجنود ، فالتفوا حوله اعجابا به وتقديرا له .

فلا غرابة ان يسيطر على عمه الخليفة كسيطرة ابيه من قبل ، بل زادت سطوته الى انه لم تكد تمضي عليه في منصبه عدة شهور ، حتى خلع جعفرا ابن الخليفة من ولاية العهد ، واستقل هو بولاية العهد بعد عمه الخليفة المعتمد ، ولم يلبث عمه بعد ذلك الا اشهرا وانتقل الى رحمة الله ، فصار احمد هو الخليفة ، وصار لقبه المعتضد بالله ، وذلك في شهر رجب سنة ٢٧٩ وظل خليفة مطاعا مرهوب الجانب حوالى عشرة اعوام ، اذ توفي سنة ٢٨٦ هجرية .

شجاع حازم

يقول عنه الرواة : كان شجاعا ، عادلا ، ذا هيبة عظيمة ، مع سطوة وجبروت ، وحزم ورأى ، وذكاء مفرط . وقالوا : قد كان امر الخلافة دائرا ـ اي هالكا ـ فاحياه الله على يديه بعدله وشهامته وجراءته .

وخير دليل على شجاعته انه حطم ثورة الزنج بانتصاراته في الحروب التي وجهه ابوه اليها ، اذ انه في موقعة منها تقدم ورمى احد اكابر امراء صاحب الزنج فاصابه في دماغه فقتله ، فكان لهذا اثره على خصومه المحاربين ، وكان ابوه دائما يرسله قبله لملاقاة الاعداء ، وكثيرا ما تجمعوا عليه فهزمهم ، وقتل اكبر قوادهم ، فكان ذلك اكبر الفتح عند جيوش الخلافة ، واعظم الرزايا عند الزنج .

جراءة وخلق

والى جانب شجاعته في المعارك كانت له شجاعة اخرى نادرة ، قال جحيف السمرقندي الحاجب : كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته ، وقد انقطع عن العسكر ، وليس معه غيري ، اذ خرج علينا اسد ، فقصد قَصْدَنا ـ اي اتجه نحونا ـ فقال لي المعتضد : ياجحيف ، افيك خير اليوم؟ قلت : لا والله . قال : ولا ان تمسك فرسي وانزل انا ؟ فقلت : بلى ، هذا افعله : فنزل عن فرسه ، وغرز اطراف ثيابه في منطقته ، واستل سيفه . ورمى بقرابه اليَّ ، ثم تقدم الى الاسد ، فوثب الاسد عليه ، فضربه بالسيف فاطار يده فاشتغل الاسد بيده ، ثم ضربه ضربة ثانية على هامته ففلقها ، فخر الاسد صريعا ، فدنا منه فمسح سيفه في صوفه ، ثم اقبل اليَّ ، فاغمد سيفه في قرابه ، ثم ركب فرسه فذهبنا الى العسكر .

قال جحيف : وصحبته الى ان مات ، فما سمعته ذكر ذلك لاحد . فما ادري من اي شيء اعجب ؟ من شجاعته ، أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لاحد ، أم من عدم عتبه عليَّ حيث ضننت بنفسي عنه ، والله ما عاتبني في ذلك قط .

سجنه ابوه

ولم يسلم المعتضد في حياة ابيه من غضبه عليه، في دنيا تكثر فيها الدسائس والوشايات ، وعلى الاخص اذا تعارضت الرغبات . فقد امر الخليفة المعتمد ان يتولى احمد المعتضد الشام ، فاراد المسير اليها ، لكن اباه الموفق كلفه التوجه الى امر آخر ، فامتنع ان يسير الا الى الشام التي ولاه اياها عمه المعتمد ، وكان ذلك في شهر شوال

من سنة ٢٧٥ ، فما كان من والده الا أن سجنه في دار الامارة ، لكن المعتضد كان محبوبا لدى امراء الجيش ولدى الشعب . قال المؤرخون : « فثارت الامراء ، واختبطت بغداد ، فركب الموفق الى بغداد وقال للناس : اتظنون انكم على ولدي اشفق مني ؟ فسكن الناس عند ذلك ، ثم افرج عنه » .

كان يتوقع الهلاك

غير أن هذه الواقعة اتاحت لخصوم المعتضد ان يوغروا عليه صدر ابيه ، وأن يسجنه مرة اخرى ، ويفهم مما قصه المعتضد ، وما تكرر في روايات مختلفة انه كان يتوقع الهلاك في كل لحظة ، كما يتبين ان اسماعيل بن بلبل هو الساعي في ذلك والمحرض عليه ، ومن جهته كانت تهب العواصف .

واسماعيل بن بلبل ، وكنيته ابو الصقر ، تولى الوزارة سنة ٢٦٥ والذي كان يولي ويعزل هو الموفق وليس الخليفة . وفي سنة ٢٧٢ قرر الموفق أن يكون اسماعيل بن بلبل مقصورا على الكتابة له دون غيرها من الوظائف ، ويبدو أن ابا الصقر اسماعيل بلغ عند الموفق منزلة جعلته يسمع لقوله حتى في ولده ، ولست أدرى السر في كراهية ابى الصقر لاحمد المعتضد ويبدو مما ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٧٨ أن ابا الصقر كان يريد أن يمكن للخليفة المعتمد وولى عهده ويمحو اثر الموفق الذي اشيع موته ويمحو ابنه المعتضد ليتمكن هو من السيطرة على الخليفة المعتمد الضعيف الشأن . وفي القصة التالية يتبين مقدار ما كان يتوقعه المعتضد من ابى الصقر اسماعيل .

رؤيا صادقة

يقول التنوخي صاحب كتاب الفرج بعد الشدة، حدثني ابى عن ابن حمدون النديم قال : قال لي المعتضد وهو خليفة : لما قدم ابى وهو عليل العلة التي مات فيها ، وانا في حبسه ، ازداد خوفي على نفسي ولم اشك في ان اسماعيل بن بلبل سيحمله على قتلي ، او يحتال بحيلة يسفك دمي بها اذا وجد ابى قد ثقل في علته وأيس منه .

فقمت ليلة وانا من الخوف على امر عظيم ، وقد صليت صلاة كثيرة ، ودعوت الله عز وجل ، ثم نمت ، فرأيت في منامي كأني على شاطىء دجلة ، فرأيت رجلا جالسا على الشط ، وهو يدخل يده في الماء فيقبض ، فتقف دجلة ، ويتزايد الماء الى فوق يده ، ويقف كالطود العظيم ، ثم يخرج يده من الماء فيجرى ، فهالني ما رأيت ، فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له : من أنت يا عبد الله الصالح ؟ قال : انا علي بن ابي طالب ، قلت : يا امير المؤمنين ، ادع لي ، قال : ان هذا الامر صائر اليك ، فاعتضِدْ بالله تبارك وتعالى ، واحفظني في ولدي - اي في نسله العلويين الذين كانوا يؤذون من قِبَل بعض العباسيين - قال المعتضد : فانتبهت وكأني اسمع كلامه ، فوثقت باني اتقلد الخلافة ، وقويت نفسي ، وزال خوفي، فقلت لغلام كان معي من غلماني : اذا اصبحت فامض وابتعْ لي فصاً ، واكتب عليه « احمد المعتضد بالله » واصنعه خاتما واتني به . ففعل ولبسته وقلت : اذا وليت الخلافة جعلت لقبي المعتضد بالله . ثم اخذت اقطع ضيق صدري في الحبس بتصفح احوال الدنيا، وأعمل فكرى في تدبير عمارة الخراب منها ، ووجّه فتح المنغلق منها ، وتعيين العمال للنواحي والامراء للبلدان ، ثم اخذت رقعة وكتبت فيها : « بدر » الحاجب و « عبيد الله بن سليمان » الوزير ، وفلان امير البلد الفلاني ، وفلان عامل البلد الفلاني .. الى ان اتيت على ما في نفسي من ذلك ، ودفعتها الى الغلام وقلت له : احتفظ بها ، فان دمي ودمك مرتهنان بما فيها لو اطلع عليها أحد ونحن هنا ، فحفظها .

وما مضى على الامر الا أيام يسيرة حتى لحقت الموفق ابى غشية ، لم يشك الغلمان في انه مات ، فجاءوا اليّ فاخرجوني ، فصرت الى بيت فيه الموفق ابي ، فلما رأيته علمت انه غير ميت ، فجلست عنده ، واخذت يده اقبلها وأتشرفها ، فافاق ، فلما رآني افعل ذلك اظهر القبول ، وأوما الى الغلمان : احسنتم فيما فعلتم . ثم مات الموفق في ليلته تلك ، ووليت مكانه ، فأمضيت بقايا تلك التدبيرات كلها .

قال راوي الخبر : ولم يتعرض المعتضد في ايامه للعلويين ولا آذاهم .

مماليك يعتدون

كان كثير من المماليك الاتراك ، الذين يشغلون بعض المناصب في جيش الخلافة ، يظلمون الناس ويستبدون بهم ، ويرتكبون من المخالفات ما يحلو لهم ، ولا يخشون من عامة الشعب ، ولا يستطيع احد أن يردعهم أو ينال ما له عندهم من حقوق ، لا سيما ان كانوا من افراد الجند . لكن المعتضد كان لا يسكت عن افعالهم التي كان آباؤه واعمامه الذين تولوا الخلافة قبله ، هم السبب في حدوثها.

تاجر وقائد

وقد حكى أن شيخا من التجار ، كان له عند بعض القواد مال كثير ، طالبه به فوعده ، ثم طالبه فوعده ، ثم جعل يماطله كلما جاء ليطالبه ، واخيرا اخذ يستخف به ويسيء اليه ، حتى يئس من الوصول الى حقه . فكتب التاجر مظلمة، وارسلها الى الوزير عبيد الله بن سليمان ، ولكن الوزير لم يفعل له شيئا ، فقد كان الوزراء في تلك العهود لا سلطان لهم ، وكانوا معرضين للدس والوقيعة ، والى اشد صنوف المصادرة والعذاب لاوهى الاسباب

ولم تطب نفس التاجر بالسكوت على ماله الكثير الذي فيه معاشه ، ولعل غيره من التجار يطالبه باثمان ما باعه له من قبل ، فعزم على أن يرفع مظلمة الى الخليفة المعتضد عن طريق بعض الذين يستطيعون الوصول اليه من العاملين في قصر الخلافة .

امش واسكت

غير أن بعض اخوانه قال له : اني أستطيع ان اجعلك تاخذ مالك من هذا القائد ، دون أن تحتاج الى التظلم الى الخليفة المعتضد ، ودعاه الى ان يقوم معه من فوره ، فقام معه ، وتوجه به الى مسجد في أحد أحياء بغداد ، حيث يجلس رجل شيخ يقرأ القرآن في المسجد . فقص عليه قصة التاجر ، فقام الرجل الشيخ معهما ، فلما مشوا تاخر التاجر ، واشار الى صديقه فاقترب منه ، فقال له : يا اخي انك قد عرّضت هذا الشيخ وعرضت نفسك ، وعرضتني لمكروه عظيم ، لو ان هذا الشيخ وصل الى باب القائد غريمي لصفعوه صفعا شديدا وصفعونا معه ، ان غريمي لم يستجب لحديث فلان وفلان ممن سعوا بيني وبينه في وصول مالي اليّ ، وبلغ من عناد غريمي انه لم يفكر في انني شكوته للوزير ، فكيف يفكر في هذا الشيخ الفقير ؟ فضحك صديقه وقال له : لا عليك ، امش واسكت .

وكان الامر عجبا

ووصلوا الى باب القائد ، فحين رأى الغلمان والحراس الشيخ ، وقفوا له واعظموه ، وحاولوا أن يقبلوا يديه ، فمنعهم من ذلك ، وقالوا له : ما حاجتك أيها الشيخ ، فان صاحبنا راكب في الخارج لم يعد ، فان كان هنا أمر نعمله نحن بادرنا اليه وفعلناه ، والا فادخل واجلس الى ان يجيء .

فلما رأى التاجر هذا الاستقبال قويت نفسه ، وتجدد امله في وصول حقه اليه ، بعد أن كاد يرجع من حيث أتى . ودخل مع الشيخ وصديقه ، وانتظروا حتى جاء القائد ، فلما رأى الشيخ أعظمه اعظاما تاما ، وقال له : لست اخلع ثيابي حتى تامر بامرك الذى قدمت من أجله . فذكر له دين التاجر الذي له عليه . فقال القائد : والله ما عندي الآن الا خمسة الاف درهم ، أرجو أن تساله لكي ياخذها ، وأن ياخذ رهنا بباقي ماله الى مدة شهر .

وخشي التاجر أن تفلت الفرصة ، فبادر بقبول هذا الحل ، فأحضرت الدراهم ، وأحضرت حلي بقيمة الباقي ، لتكون رهنا الى أن يسدد بقية الدين بعد شهر ، فان مضى الشهر ولم يسدد كان التاجر في حل من أن يبيع الحلي ويأخذ من ثمنها بقية ماله .

أخبرني عن السبب

وخرجوا من عند القائد ، والتاجر لايصدق انه حصل على ماله ، وهو في أشد العجب مما رأى فسار مع الشيخ الى أن وصلوا الى المسجد ، حيث كان يجلس ويقرأ . وحينئذ قال التاجر للشيخ : انالله قد ردّ عليّ مالي بسببك، واحب أن تاخذ منه ربعه أو ثلثه ، أو نصفه ، عن رضيً مني وطيب خاطر . ووضع المال بين يديه .

لكن الشيخ قال له : ما اسرع ما كافاتني عن الجميل بالقبيح ؟ انصرف بمالك ، بارك الله لك فيه .

وازداد التاجر عجبا فقال : اما اذ لم تقبل فان لي اليك حاجة ، فقال الشيخ : وما هي حاجتك ؟ قال : احب ان تخبرني عن سبب طاعة هذا القائد لك ، بعد تهاونه باكثر اهل الدولة فقال : انك قد بلغت مرادك بوصولك الى مالك ، فلا تقطعني عن شغلي . فما زال يلح عليه حتى قال لـه :

امراة وسكران

انا رجل اصلى بالناس في هذا المسجد ، واقرا القرآن ، وارتزق من حرفة الخياطة ، وهذا دابي منذ اربعين سنة .

وفي ليلة من الليالي ، صليت بالناس المغرب وخرجت اريد منزلي ، فاجتزت بقائد كان يسكن هذه الدار التي يسكنها الآن غريمك القائد الآخر ، وكان الذى اجتزت به سكران ، واذا بامراة جميلة تمر امامه ، فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره فامتنعت المراة ، ثم استغاثت ، ولم يتقدم احـد يغيثها او يمنعه عنها ، وزاد صياح المراة واستعطفته ان يتركها ، وقالت وهي تستغيث : ان زوجي قد سمح لى بزيارة أهلـى ، ولكنـه حلف عليّ بالطلاق ان لا أبيت الا عنده ، فاتق الله ، ولا ترتكب جريمة الفحشـاء ، وجريمة طلاقي من زوجي . وابى القائد ان يتركها وهو في سكره الشديد لا يبالى .

تقدمت فضربت

قال الشيخ الامام الخيـاط : فجئت الـى القائد ، وتلطفت به ، واستعطفته ان يتركها ، فما كان منه الا ان تناول دبوسا ـ هو نوع من السلاح ـ وضربني فوق راسى ، فشجنى ، ووقعت ، واخذ يجر المراة بالقوة الى داره وهي تصيح ولا من مجيب وادخلها .

وقمت اتحامل على نفسي ، حتى وصلت الى منزلي ، فغسلت الدم وربطت راسي .

اعدت الكرة

وخرجت اصلى العشاء ، فلما فرغت منها قلت لمن حضروا معى صلاة الجماعة : قوموا معى الى عدو الله هذا القائد لننكر عليه ما فعله . ولا نبرح حتى يخرج المراة ، فقاموا معى ، ووصلوا الدار ، وصاحوا على بابه ، واذا بالقائد يخرج علينا في عـدة من غلمانه ، وهاجمونا واخذوا يضربوننا . ورآني على رأسهم فقصدني مندونهم، وضربني ضربا عظيما ، حتى كدت اتلف منه ، ولم يتركني الا بعد ان سـقطت ، فحملني الناس واوصلوني الى منزلي ، واخذوا يعالجونني ، وانا في شبه اغماء ، ثم افقت من شدة ما احس به من الآلام ، ولما يدور في راسى من امر هذه المسكينة التى ستذهب ضحية الطغيان . فخرجت اتحامل على نفسى .

اذنت قبل الاوان

وفكرت في ان هذا القائد لا يكف عن السـكر والشراب وانه لا يعرف الاوقات ، وكان منتصف الليل قد اوشك ، فقلت في نفسى : لو صعدت المنارة واذنت فانه سيظن ان الفجر قد طلع فيترك المراة تخرج ، وحينئذ تنجو على الاقل من الطلاق ان لم تكن نجت من الفحشاء . وصعدت المنارة فاذنت . وجعلت انطلع الى الطريق اراقب خروج المراة .

دنا الفرج

وظللت منتظرا لعلها تخرج ، واذا بالشارع قد امتلا خيلا ورجالا ، ومعهم مشاعل وهم يقولون : من هذا الذى اذن في تلك الساعة ، اين هو : ففزعت في اول الامر وسكت ، ثم ثبتني الله وقلت انه من الخير ان اخاطبهم لعلي أستعين بهم على اخراج المراة ، فصحت من المنارة : انا الذى اذنتُ فصاحوا بى : انزل واجب امير المؤمنين الخليفة المعتضد . حينئذ قلت . دنا الفرج . فنزلت ، فاذا « بدر » حاجب الخليفة ومعه عدة غلمان .

ما حملك على الاذان

واخذني وادخلني على امير المؤمنين المعتضد . فلما رايته هبته وارتعدت وفزعت . فقال : ادن ، فدنوت . فقال لي : ليسكنْ روعك ، وليهدا قلبك . وما زال يلاطفني حتى اطمانت وذهب خوفي

فقال : انت الذي اذنت ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين ، قال : ما حملك على ان اذنت في هذه الساعة وقد بقي من الليل اكثر مما مضى منه فتغر الناس باذانك في غير وقت الاذان ، انك بهذا ستجعل بعض ذوى الحاجات والمسافرين يخرجون في غير ميعادهم ، وتجعل الذين يريدون الصيام يمسكون في وقت اباح الله لهم فيه الافطار . وتجعل العسس ينقطعون عن الطواف والحراسة .

اذهب فاحضرهما

فقلت: فليؤمني امير المؤمنين وانا اقول الصدق. قال : انت آمن . فقصصت عليه القصة . واريته ما بجسمي من الضرب والجراح . واهتاج الخليفة المعتضد واخذته النخوة والغيرة وصاح : يا بدر ، اذهب فاحضر الرجل والمرأة في هذه الساعة . وامر الخليفة بعزلي في موضع آخر . ومضى بدر واحضر القائد والمرأة فسألها المعتضد عما جرى فاخبرته بمثل ما قلته . فقال الخليفة لحاجبه بدر : ابعث بهذه المرأة حالا الى زوجها مع بعض النساء الثقات ، وليدخلنها دارها ، وليكن معهن ثقة من عندنا يشرح لزوجها خبرها ، ويامره بالنيابة عني بالتمسك بها ، والصفح عنها ، والاحسان اليها فانها مكرهة معذورة .

عقاب صارم

قال الشيخ الامام الخياط . ثم استدعاني الخليفة فوقفت ، وجعل يخاطب القائد وانا قائم اسمع فقال له : يا فلان . كم جرايتك وعطاؤك ؟ ـ اى اجرك الذى يجرى عليك في الشهر والسنة ـ وكم عندك من الجوارى والزوجات ؟ وكم عندك من المال ؟ فذكر شيئا كثيرا ، قال الخليفة : اما كان لك في هذا كله ، وفي هذه النعمة العظيمة العريضة ما يكفك عن ارتكاب ما حرمه الله ، وتعدى حدوده ، وعن خرق هيبة السلطان ؟ ثم تجاوزت ذلك كله بالوثوب على من امرك بالمعروف ونهاك عن المنكر ، فضربته واهنته وادميته ؟

والجم القائد ولم يجب بشيء، فقال الخليفة : هاتوا جوالقا ومداق الجص ، وقيدوه بالاغلال ، فقيدوه . وأمر بادخاله في الجوالق ، وامر الفراشين بدقه بمداق الجص ، وانا ارى ذلك ، وهو يصيح ، الى ان انقطع صوته ، وخمدت انفاسه ومات ، فامر به فالقى في نهر دجلة ، وقال لحاجبه بدر : احمل كل ما في داره الى بيت المال .

العلامة بيننا الاذان

ثم قال لي : ياشيخ، اى شيء رايت من اجناس المكروه ، ولو على هذا ـ واوما بيده الى حاجبه « بدر » ـ فالعلامة بيننا أن تؤذن في هذا الوقت ، فاني اسمع صوتك واستدعيك ، وافعل مثل هذا بمن لايقبل منك او يؤذيك .

فدعوت له وانصرفت ، وانتشر الخبر عند الخاصة والعامة ، فما خاطبت منهم احدا بعدها في انصاف احد ، او كفه عن قبيح الا طاوعني ، كما رايت ، خوفا من المعتضد ، والحمد لله ما احتجت ان اؤذن الى الآن ، لانهم يستجيبون الى ما اقول .

حلم محمود

ولئن كانت قسوته في موضعها فان حلمه كان في موضعه ايضا .

قال الوزير عبيد الله بن سليمان : كنت يوما عند المعتضد ، وخادم واقف على راسه يذب عنه بمذبة في يده ، اذ حركها فجاءت في قلنسوة الخليفة ، فسقطت عن رأسه ، فاعظمت انا ذلك جدا ، وخفت من هول ما وقع ، ولم يكترث الخليفة لذلك ، بل اخذ قلنسوته فوضعها على راسه ، ثم قال لبعض الخدم : مُرْ هذا البائس ليذهب لراحته ، فانه قد نعس ، وزيدوا في عدة من يذب بالنوبة .

قال الوزير . فاخذنا في الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه ، فقال : ان هذا البائس لم يتعمد ما وقع منه ، وانما نعس ، وليس العقاب والمعاتبة الا على المتعمد لا على المخطىء والساهي

زواج قطر الندى

كان للمعتضد عدة ابناء ، منهم من بلغ الحلم ، واراد خمارويه بن احمد بن طولون والي مصر ان يكون له بالمعتضد صلة نسب ، فعرض أن تتزوج ابنته « قطر الندى » بولى العهد المكتفى بن

«المعتضد» لكن المعتضد قال له : بل انا اتزوجها، وارسل اليل صداقها، فبالغ خمارويه في تجهيزها، حتى افقرت خزائنه اذ جهزهـا بجهاز لم يعمل مثله ، حتى قيل انه كان لها اكثر من مائة هاون ذهب ــ وهذا من ادوات المطابخ فكيف كان غيره من ادوات القصور ــ انفق في مسيرتها من القطائع ــ منطقة طولون الآن بالقاهرة ــ الى ان وصلت بغداد ما لا يحصى من الاموال ، وكان لزفافهـا يوم مشهود في سنة ٢٨٢ هجرية وعمر المعتضد كان اذ ذاك يدور حول الأربعين ، ومكثت لديه خمسة اعوام ، ثم توفيت سنة ٢٨٧ في ريعان شبابها ، ونضارة عمرها قبل وفاته هو بعامين .

من ذريته الخلفاء

وكما انحصرت الخلافة العباسية في نسل هارون الرشيد عن طريق ابنه البطل المظفر المعتصم الذى استجاب لصيحة من قالت وامعتصماه ، انحصرت الخلافة في نسل البطل المظفر والشهم الحازم العادل المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم وان كان اغلبها من ذريته خلافة بالاسم دون السلطان

حكم المكتفى بن المعتضد ستة اعوام وحكم المقتدر ابن المعتضد خمسة وعشرين عاما وحكم القاهر بن المعتضد حوالى عامين وحكم المستكفى بن المكتفى ابن المعتضد سنة واحدة اما ابناء المقتدر بن المعتضد فقد توارثوا الخلافة حتى سنة ٦٥٦ هجرية اى ما يقرب من اربعة قرون .

اشعار له وفيه

قال يحيى بن على الشاعر يهنىء المعتضد حين استقل بولاية العهد من بعد عمه المعتمد ، وهذا الشعر يدل على مكانته وانمحاء شخصية عمه الخليفة ، لان المعزول عن ولاية العهد هو ابن الخليفة نفسه :

ليهنك عقد أنت فيه المقدم
حباك به رب بفضلك أعلم

ولا زال من والاك فيه مبلغا
مناه ومن عاداك يخزى ويندم

وكان عمود الدين فيه تعوج
فعاد بهذا العهد وهو مقوم

واصبح وجه الملك جذلان ضاحكا
يضىء لنا منه الذى كان يظلم

فدونك شد عقد ما قد حويته
فانك دون الناس فيه المحكم

وحين موته رثاه عبد الله بن المعتز بقصيدة بداها بقوله :

يا دهر ويحك ما ابقيت لى احدا
وانت والد سوء تأكل الولدا

استغفر الله بل ذا كله قدر
رضيت بالله ربا واحدا صمدا

ونختار بعض ابيات متفرقة منها تصور شخصية المعتضد :

اين السرير الذى قد كنت تملؤه
مهابة من رأته عينه ارتعدا

اين الاعادي الالى ذللت صعبهم
اين الليوث التي صيرتها نقدا

النقد نوع من الاغنام .

اين الوثوب الى الاعداء مبتغيا
صلاح ملك بنى العباس اذ فسدا

مازلت تقسر منهم كل قسورة
وتحطم العاتى الجبار معتمدا

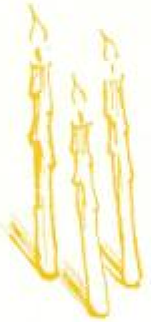
وما ذكر من شعره يدل على فصاحة وشاعرية عظيمة ، قال في جارية له توفيت فوجد عليها ــ وما اظن الا انها في زوجته قطر الندى التي اعجب بعقلها وادبها ونضارتها :

ياحبيبا لم يكن يعدله عندى حبيب
أنت عن عيني بعيد ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في شيء من اللهو نصيب
لك من قلبي على قلبي وان غبت رقيب
وحياتي منك مذغبت حياة لاتطيب
لو تراني كيف لي بعدك عول ونحيب
وفؤادى حشوه من حرق الحزن لهيب
ما ارى نفسي وان طيبتها عنك تطيب

ان للمعتضد اخبارا كثيرة حسانا اقتصرت على بعضها ، وانه لجدير بالتقدير . ■■

عبد الستار فراج

ركن الأسرة والمرأة



شموع .. فات الناس إشعالها

■ كان صبيا لامعا احب الحياة ،ولكنها قست عليه عندما ماتت امه ، وهو بعد مازال صبياق الثالثة عشرة من عمره .. وانكب على دروسه ، فراح يفرغ فيها كل وقته ، حتى لم يعد يجد وقتا للحزن والبكاء على الأم التي ذهبت وتركته ، وهو اكثر ما يكون حاجة اليها والى حنانها ورعايتها ..

ولكن الصبى الصغير ، وكان وحيدابويه ، ما لبث أن ادرك انه اصبح طفلا يتيما .. فهو لم يعد يرى اباه ، الا فيماندر .. لم يعد يشعر ان هناك احدا يهتم به أو يسأل عنه ، رغم المحاولات العديدةالتى كان يقوم بها ، ليلفت اليه نظر والده ، الغائب دائما ، المشغول ابدا ،حتى خادمة البيت العجوز قد اصابها المرض،فاعتكفت فى غرفتها ، فكان يذهب اليها حاملا لها أطباق الطعام التى كثيرا ما كان يعدها بيديه بعد عودته من المدرسة ، ليأكل ، وتأكل هى منها .

وانتهى العام الدراسى .. ونجح الصبى بتفوق، وعاد الى البيت فرحا ليزف لأبيه النبأ السعيد .. ولكن الأب كعادته ، لم يكن هناك ..

ولم يجد الصبى المسكين ، احدا يشاركه فرحته بنجاحه ، غير تلك الصورة الكبيرة المعلقة على الحائط المجللة بالسواد .. صورة امه الراحلة ، فوقف أمام الصورة يحدثها ، ثم ما لبث أن دفن رأسه الصغير فى وسادته وراح يبكى كما لم يبك من قبل فى حياته ..

وفجأة احس بوقع خطوات تقترب منه ، لقد عاد الأب .. وقفز الابن من فراشه ، وراح يطوق عنق ابيه بكلتا ذراعيه ، وهو يضحك ويبكى فى آن واحد .. لقد نسى محنته !

قال : لقد نجحت يا ابى .. نجحت بتفوق .. ليتك كنت هناك لتسمع ما قاله ناظر المدرسة ، وهو يسلمنى شهادتى .. الست فخورا يا ابى !!»

الم ومحنة

وربت الأب على كتف ابنه فى هدوء ، لم امسك بيده الصغيرة ، وقال له : « تعال معى يا بنى ان هناك خبرا سوف يسعدك سماعه ! ؟



وفى غرفة الاستقبال فى البيت الصغير ، وقف الابن مشدوها ، فقد رأى امرأة تجلس على المقعد .. نفس المقعد الذى تعودت أن تجلس عليه أمه ! وما كادت تراه مقبلا ، حتى وقفت ترحب به ، وتمد اليه ذراعيها وتدعوه الى الاقتراب منها !

ونظر الصبى الى والده وفى عينيه نظرة تساؤل، وسارع الأب الى تقديم المرأة الغريبة الى ابنه ، قال : « نعم .. انها زوجتى .. لقد تزوجت يابنى، لكى يصبح لك أم جديدة ! »

واحس الصبى بالدنيا تدور من حوله .. لقد كان يتوقع ان يحدث اى شىء .. الا هذا .. الا ان تدخل البيت امرأة اخرى تحل محل أمه الراحلة ! وأسرع يغادر الغرفة مهرولا الى الخارج .. ولكنه ما لبث أن وقف جامدا فى مكانه لايتحرك .. لقد طافت عيناه بالجدار الصغير الذى كانت تتوسطه صورة أمه ، فاذا بالصورة قد اختفت من مكانها .. كان يريد أن يحدثها ويشكو لها ما صنعه والده به .. ولكنه لم يجد أحدا يبثه شكواه وآله .. وتذكر خادمته العجوز الريفية ، فذهب اليها فى غرفتها والقى براسه المتعب فوق صدرها وراح يبكى ويبكى ما شاء له البكاء .

غريب فى بيته

فى هذا اليوم احس الصبى المسكين ، كما لم يحس من قبل انه قد اصبح غريبا فى هذا البيت .. وان وجوده لم يعد مرغوبا فيه ..

وصدق ظنه .. فقد بدأ والده يزداد ابتعادا عنه .. وبدأت امرأة ابيه تسىء معاملته ،وتحاسبه على كل صغيرة وكبيرة .. ولم يكن الصبى يجد غير الدموع يتنفس بها عن صدره ويبلل بها وسادته. وهو يرى الدنيا من حوله تعبس له وتمعن فى قسوتها عليه فكان يصحو فى منتصف الليل ويناجى امه ، حتى اذا غلبه النعاس ، نام ، وهو يحتضن صورتها الصغيرة التى لم تفارق جيبه لحظة واحدة .. انها الصورة الوحيدة التى استطاع أن ينقذها من يد زوجة ابيه ، التى لم تترك اثرا فى البيت يذكر والده بزوجته الراحلة وأم ابنه !

وتمر الشهور .. ويصاب الصبى المسكين بداء السل ويموت !

وتمر السنون،ويمتلىء البيت بالاطفال السعداء الذين جاءوا ثمرة لهذا الزواج الجديد ..

حياة جديدة قامت فوق حطام حياة دمرتهـا قسوة الانسان ..

الشمس .. والصقيع

يقول عالم النفس الشهير سيدني جورارد في كتابه « النفس الشفافة » « The Transparent Self » « في بدنا وجدنا ، نحن البشر ، ان نوجه الدعوة الى بعضنا البعض ، للحياة او للموت ، للانتصار أو الاستسلام ، او الفشل .. وهي دعوة قوية ، غريبة ، فريدة في نوعها ..

« فالحب والعطف ، هما الشمس التي تشيع الدفء ، وتملأ النفس املا في الحياة ، والتجاهل والاهمال هما الصقيع الذي يحس المرء ببرودته تنخر في عظامه ، وهو متدثر باثقل الثياب .. ونحن وحدنا الذين نستطيع ان ننزل المحن بمن يعيشون حولنا .. ونحن وحدنا الذين نستطيع ان نشجعهم ، وننفث في نفوسهم الامل في الحياة.»

ما الذي يحدث عندما تكون معي ، واكون معك، في اى مكان ، في اى عمل ؟

دعوة للحياة ودعوة للموت

يقول علماء النفس : « ان الذي يحدث بين الناس في حياتهم ، كلما كانت هناك مشاركة في هـذه الحياة ، هو اما ان يكبروا ويزدادوا نموا وثقة بانفسهم ، واما ان يتلاشوا .. وهذا الاحساس في الحالتين انما يجيء نتيجة لموقف الاخرين منهم ، واسلوب معاملتهم لهم .. فانا ادعوك الى الحياة اذا مددت اليك يدي وسرت معك على الطريق ، وانا ادعوك الى الموت ، اذا تخليت عنك وتركتك وحدك تسير متخبطا في دروب الحياة المظلمـة .. وانت بدورك تستطيع أن تصنع بي ما صنعته انا بك ، اذا فتحت لي قلبك ، أو اغلقته وابقيته موصدا ..

يقول جورارد في كتابه : « ان السلوك الفردي لدى بعض الناس تجاه الاخرين ، يمكن ان يكون ذا اثر قوي في دفعهم الى الشعور بعدم جـدوى الحياة .. وهذا الطراز من الناس يتمتع بموهبة غريبة في دفع الغير الى اليأس من الحياة وكل ما تحمله لهم من مفاجئات .. فهم قادرون على ان يقتلوا الاحلام السعيدة وهي ما زالت في مهدها ، وان يصيبوا الامال بالشلل ، حتى لو تحققت .. وان يضعفوا الثقة بالنفس ، حتى لو اصـاب صاحبها النجاح ..

قسوة زوج ومدرس

« من منا لم يصادف اناسا من هذا الطراز في حياته .. أعرف زوجة شابة جاءت اليَّ يوما تشكو حالها مع زوجها .. قالت : « انني احاول ان اكون له زوجة ، ولكنه لا يراني الا بعين الرجـل الذي يبحث عن مصلحته وراحته ومعدته قبل كل شيء .. انني اقضي نصف النهار في المطبخ ، محاولة أن اتعلم كيف اعد له الاطباق الشهية من الطعام .. انا عرف انني لست بطاهية ماهرة ، ولكنني لا أطمع في اكثر من كلمة تشجيع منه .. لقد قضيت الشهور الثمانية التي مرت على زواجي به ، انتظر هذه الكلمة ، ولكنها لم تأت ابدا .. هل تعـرف ماذا يقول لي زوجي كلما جلس الى مائدة الطعام يأكل ما اقدمه له من اطباق جديدة كل يوم : « لن يصادفك التوفيق ابدا .. هذا اردأ مذاق لطعام أكلته في حياتي .. لماذا لا تتخلين عـن محاولاتك .. لماذا لا تذهبين الى امك لكي تعطيك دروسا في الطهي » .

« أعرف مدرسا كان يذكر كل شيء عن تلاميذه وعن انتاجهم ومدى ما يتمتع به كل واحد منهم ، من ذكاء وقدرة على استيعاب الدروس ، ما عدا شيئا واحدا ، هو أن يقول للتلميذ المجيد ، انه اجاد ، وأن يكافئه اذا احسن الاداء .. كان اذا قرأ موضوعا انشائيا جيدا لأحد تلاميذه ، وشاء سوء حظ هذا التلميذ المجتهد ان يقع في خطـأ املائي واحد ، نسي المدرس او تناسى الجهد الذي بذله تلميذه في اعداد وكتابة هذا الموضوع وتعلق بهذا الخطأ ثم راح يعنفه ويوبخه على اهمالـه لقواعد الاملاء ..

شقاء طبيب

التقيت يوما بطبيب حديث التخرج ، وكان يجلس وحيدا في احدى الحدائق العامة ، وقد بدا الحزن والبؤس على وجهه النحيل .. كان شارد الذهن يحدق امامه في لا شيء .. ولم اكن اعرف شيئا عنه حتى هذه اللحظة .. قلت أسأله اذا كان يسمح لي بمشاركته الجلوس على المقعد الذي اختاره لنفسه في ركن بعيد عن الناس ؟ ولكنني لم ألق جوابا .. بل لقد خيل لي انه لم يسمع كلمة واحدة مما قلت .

« وجلست .. وقدمت له نفسي بعد أن بادرته

بالتحية،فهز راسه في هدوء ، دون ان يتفوه بكلمة واحدة ..

« ولم اكن في حاجة لان اشعر انني امام انسان تعس يعاني من ألم دفين في نفسه ، ولكن كيف السبيل الى كشف ما في داخله !

« لقد فشلت محاولاتي المتكررة لجره الى الحديث خلال فترة تزيد على نصف الساعة ، وانا ممسك بكتاب ، انظاهر بالقراءة فيه ، بينما كنت في واقع الامر ارقب كل حركة يقوم بها .. لقد كان يتالم .. واحسست بالاشفاق عليه ، فصممت على مساعدته مهما كلفني الامر ..

« وخطرت لى فكرة ، نفذتها على الفور .. لماذا لا اشعره بانني في حاجة الى مساعدته هو ، لماذا لا اثير اهتمامه بي واشفاقه على .. من يدرى ، فقد افلح بهذه الطريقة في كسب عطفه ، وربما استطعت بعد هذا ان انفذ الى قلبه ..

ونجحت الخطة

« وتظاهرت بالاغماء ، فارخيت راسي وتركت يداى تتدليان ، ومددت ساقي في حركة تمثيلية بارعة ، وحاولت بقدر الامكان ان احبس انفاسي ، وانا اغمض عينا وافتح اخرى ، لارقب رد الفعل عند هذا القريب الجالس الى جوارى ..

« وفجاة وجدته يقفز من جلسته ، ويتجه الى مسرعا ، وقد اخرج سماعته الطبية من جيبه وثبتها من مكان القلب في صدرى ثم ما لبث ان اعادها الى مكانها مرة اخرى ، وقال وهو يربت على وجهى : « انت بخير يا سيدى ، لا تقلق ، ربما تكون قد ارهقت نفسك في العمل .. عد الى بيتك واسترح ! » .

« ونسيت الاغماءة المصطنعة ، ونظرت الى الشاب وقلت له في هدوء : « انت طبيب اذن ؟ »

قال الشاب : « كنت طبيبا حتى صباح هذا اليوم فقط .. لقد استقلت من عملى في المستشفى الذى اعمل به على اثر ماساة مروعة .. لقد ماتت الطفلة التى كنت اشرف على علاجها .. كانت مصابة بارتجاج في المخ على اثر سقوطها تحت عجلات سيارة في عرض الطريق .. وقضيت اسبوعا كاملا بجوار فراشها ، احاول المستحيل لاعيد اليها الحياة ، ولكننى وقفت في النهاية عاجزا .. فقد اسلمت المسكينة الروح بين يدى . كان جميع الاطباء يعرفون ان لا امل في شفائها ولكننى لم افقد الامل .. واخيرا ادركت انهم كانوا على حق ، واننى اخطات عندما رفضت تركها تموت .. كنت مصمما على ان اؤدى واجبى حتى اللحظة الاخيرة . وقد فعلت !

وفجاة توقف الطبيب الشاب عن الحديث وقال يسالنى : « هل تجد في هذا الذى فعلت جريمة يا سيدى ؟ »

قلت : « لقد اديت واجبك كطبيب وانسان ، انك تستحق كل تقدير وتشجيع يا بنى .. انك تستحق وساما » .

قسوة الانسان على اخيه الانسان

قال : « لقد استدعاني مدير المستشفى الى مكتبه ، وقال لى اننى تسببت في تعاسة والدى الطفلة ، بعنادى ، وعدم تسليمى بالامر الواقع .. لقد ظلا متعلقين بامل واه في امكان انقاذ حياة ابنتهما ، ثم خاب املهما فجاة .. وكانت النتيجة اننى تسببت في اصابة ام الطفلة بانهيار عصبى دخلت بسببه المستشفى للعلاج !

« وحاولت ان ادافع عن نفسي .. حاولت ان اشرح لهم وجهة نظرى .. حقيقة ان العلم لا يؤمن بالمعجزات ، ولكننى كنت ارى بريقا من الامل مضيئا اتعلق به اسبوعا كاملا لم يغمض لى فيه جفن ، وانا ساهر بجوار فراش الطفلة ، الى ان خبا الامل اخيرا ..

« لم تشفع لى السنوات الثلاث التى امضيتها في عملى بالمستشفى ، ساهرا على علاج المرضى .. لم يعبا المدير بشهادة رؤسائى الكبار الذين حاولوا اقناعه باننى كنت اؤدى واجبى .. وصمم على فصلى ..

« ورايت ان استقيل ، لانقذ ماء وجهى،واصون كرامتى .. اننى انتظر الان راى جمعية الاطباء » .

وشددت على يده مودعا ..

★ ★ ★

ولكن ماذا عن هؤلاء الناس الذين يمسكون بايدينا ويسيرون معنا على طريق الحياة .. ماذا عن هؤلاء الذين يعطوننا من روحهم ، روحا نستمد منها القوة والشجاعة على مواجهة الحياة ، الذين يملاون نفوسنا وصدورنا بالطاقة والمثابرة والامل ، ويحثوننا على ان نصنع بانفسنا ، ما نريد ان نصنعه بها ! ■■

(م ٥ ن)

الاتّجاه التجريبي العِلمي

بقلم : الدكتور سعيد اسماعيل علي

■ اذا كان لفظ « اختباري » Empirical يدل على المعرفة والمقدرة الناتجتين عن عدد كبير من التجارب المختلفة ، وليس عن فهم للمبادىء التي تقوم عليها هذه التجارب ، وهو المعنى المعروف باسم « طريقة التجربة والخطأ » لاتسامها بشيء من توكيد الصفات العرضية لهذه التجارب ، فان المعنى الذي نقصده هنا هو « التجريبي » Experimental بالمفهوم العلمي الذي يقوم على المقدرة على السيطرة وتدبير الاشياء .

النظرية الاختبارية

والفرق كبير بين المعنيين . فالمعنى الاول ، ينظر الى العقل على اعتبار انه جهاز استقبال ليس غير ذلك ، وكلما كان العقل منفعلا انطبعت عليه الاشياء على حقيقتها اكثر من قبل .

التجريب العلمي

ولما كانت الانطباعات التي تحدثها الاشياء في العقل تسمى غالبا بالاحساسات ، فقد اضحت النظرية الاختبارية Empiricsm نظرية حسية ، بمعنى انها تاخذ المعرفة على انها تقبل الانطباعات الحسية وتداعيها . اما الثاني وهو « التجريب العلمي » ، فهو لا يصنع تقابلا بين العقل والواقع ، ولا يجعل من الخبرة مجرد تلخيص لما عملناه في الماضي على سبيل المصادفة . ان التجريب عملية سيطرة مقصودة على ما تعمله الاشياء بحيث يصبح ما يحدث لنا منها وما نفعله نحن بها على اكثر ما يمكن من الخصب في المعاني المقترحة ، وبحيث يصبح وسيلة لامتحان هذه المقترحات وتبين صحتها . فاذا ما ذهب عن التجريب عمى الاندفاع والعرف ، وصار موجها بهدف ومسيرا بطرق ومقاييس ، فقد غدا حينئذ عقليا حقا . ومن هنا تفقد المعارضة بين المذهبين العقلي والاختباري ما كان لها من سند في الوضع البشري الذي كان يكسبها معناها ويبررها بعض التبرير عندما كان المجتمع ينقسم الى فئة قليلة تزعم في نفسها القدرة على التفكير للناس ، وكثرة ليس لها الا العمل الذي ينزل بهم الى منزلة هي ادنى من تلك التي يكون عليها الذين يفكرون .

الكسب الكبير

والكسب الكبير الذي حصل عليه الانسان نتيجة الوصول الى هذا المعنى من التجريب هو اننا لم نعد نسمي شيئا معرفة الا حيث ينتج عملنا بالفعل تغيرات مادية في الاشياء بما يوافق الفكرة التي تساورنا ويؤيدها ، فان قصرت معتقداتنا عن مثل

ضرورة تاريخية

هذه التغيرات المعينة ، فهي اذا مجرد فرضيات ونظريات واقتراحات وتكهنات نقبلها مؤقتا ونستفيد منها بما تشير به من التجارب التي يجب ان نجربها .

اذن فهو التجريبي العلمي

من اجل هذا كان لا بد وان نقرن اصطلاح « الاتجاه التجريبي » بـ « العلمي » حتى لا يلتبس معناه بالمعنى الذى يوحيه الينا اصطلاح « اختبارى » ، وحتى يتأكد لدى القارىء ان المقصود من الاتجاه التجريبي العلمي ، هو : النظرية التي تقول بأن جميع انواع المعرفة يجب ان تكون مستقاة من الخبرة بشروط خاصة وطرق معينة وهي ما يصطلح على تسميتها بالمنهج العلمي من فرض الفروض التي يعتقد انها تفسر الظاهرة الملاحظة ، ثم القيام بعملية اختبار وتجريب لاثبات صحة هذه الفروض ، او خطئها تمهيدا للخروج بتعميمات تفيدنا في التنبؤ بما يمكن ان تقع وفقه احداث المستقبل .

جهود كثيرة في التاريخ ساعدت على ارساء الاتجاه التجريبي

واذا كان من الضرورى لمن يتصدى الآن للبحث في تاريخ الفكر الا يقتصر على تبيان ما كان للفلاسفة والعلماء من جهود في سبيل ارساء دعائم اتجاه فلسفي او علمي معين ، فمن المهم بالنسبة لنا ان نمد البصر الى ما يكمن وراء هذه الجهود لاستجلاء الظروف والعوامل التي احاطت بالمجتمع البشرى فكانت تربة هيات للفلاسفة والعلماء المناداة باتجاه معين مثل الاتجاه التجريبي الذى نتصدى للكتابة عنه في هذا المجال ، ذلك الاتجاه الذى يكفل الايمان والعمل به ، اقامة التفكير الانساني على اسس من المنهج العلمي الذى يسمه بالدقة اللازمة لكل تفكير سليم ، والذى يؤدى الى سرعة التقدم الانساني بما يتقيد به من مراعاة احكام الواقع وضرورة التجربة ، واذا كان عصرنا الحاضر يتميز بالتقدم المذهل في كافة المجالات بفضل منهج العلم التجريبي ، الا ان هذا الاتجاه يعد نتاج عملية تاريخية طويلة تقلب فيها المجتمع البشرى منتصرا على العديد من القوى المضادة التي ما كانت تبغى الا عرقلة هذا التقدم حتى يظل المجتمع الانساني في جموده وتخلفه وبالتالي تستطيع الفئات المستغلة ان تمارس استغلالها بأى وسيلة حتى ولو كان ذلك على حساب التطور الانساني ورفاهية البشر .

الاتجاه التجريبي صار ضرورة تحكم التاريخ

ولا شك في ان هذه العوامل والظروف التي ساعدت على ظهور الاتجاه التجريبي وتأكيده وتدعيمه ، انما ساعدت في نفس الوقت على ابراز ما له من اهمية ومن ضرورة . ومن هنا نستطيع ان نقول ان الاتجاه التجريبي قد صار ضرورة بحكم التاريخ ، وضرورته انما تمثلت في العديد من العوامل التي يضيق المقام عن الافاضة فيها ، وانما نكتفي هنا بالاشارة الى بعضها فقط ، منها الثورة الجغرافية التي ابعدت شبح المجهول عن العقل البشرى وامدته بجراة دفعته الى ارتياد افاق لم يكن يحلم بها ، وكذلك الثورة الصناعية التي اظهرت للناس مدى ما يؤدى اليه تطبيق المنهج العلمي التجريبي من زيادة رائعة في سرعة التقدم والتطور مما يعود بالرفاهية على المجتمع ، وقبل هذا وذاك الجهود التي قام بها العلماء العرب .

عوامل أدت الى المذهب التجريبي ، قد تكون هي نتائج من تطبيق المذهب زادت الناس به ايمانا

وقبل ان نفصل القول في هذا ، نحب ان نؤكد

انا لا نجزم ـ وبصفة مطلقة ـ ان هذه العوامل والظروف هي التي ادت الى ظهور الاتجاه التجريبي العلمي ، لان كثيرا من هذه العوامل قد يكون هو نفسه نتيجة لتطبيق منهج التجريب ، مثل « الثورة الصناعية » ، فهذه نتيجة لتطبيق المنهج التجريبي، وانما الذى نقصده هنا هو انه ، حتى اذا كانت هذه العوامل نتيجة للتطبيق التجريبي ، فهى سوف تعود الى تاكيده ونشره ، لانها بذلك انما تثبت جدواه وفاعليته ، وفي هذا تشجيع له على الانتشار وتشجيع على تثبيت اركانه واسسه مما يدفع المجتمع الى اعتناقه واتخاذه منهجا للتفكير والحياة . وعلى هذا فنحن لا نقصد بالتحدث هنا عن هذه العوامل والظروف واثرها على ظهور الاتجاه التجريبي العلمي ونشره وذيوعه ، ان نقتفي اثر علة في معلول ، ولكننا نستطيع ـ مع شيء من التجاوز ـ ان نقول ان هذه العوامل والظروف قد ساهمت وساعدت على تاكيد منهج التجريب العلمي بحيث استطاع ان يكتسب ما اكتسبه في العصر الحاضر من شيوع وذيوع حتى اتخذته كثير من الفلسفات المعاصرة منهجا لها ، وحتى اصبح دعامة لا يمكن ان يضمن مجتمع سلامة بنائه التقدمي دون ان يقيمه عليه ، فكان ان اتسم عصرنا بالعلمية والتجريبية . وهذا تفصيل ذلك :

الثورة الجغرافية

ان اهم ما يلفت النظر فيما قام به الرحالة المغامرون من رحلات قاموا فيها بكشوف جغرافية رائعة فتحت مجالات كانت مغلقة امام الانسان ، هو ما ادت اليه من تحرير للعقول من المجهول والتهيب من كل غريب غير مألوف ، واتساع افق التفكير الانساني،وان كانت من الوجهة السياسية قد ساعدت على ظهور الاستعمار . ذلك انه كلما تفتحت ميادين جديدة من الوجهتين الجغرافية والتجارية افسحت امام آفاق العقل البشرى وتفتحت مداركه . وان ما حدث من توسع نتيجة الكشوف الجغرافية كان عاملا اساسيا في انتصار حضارة المدينة وصناعة سكان المدينة وتجارتهم ، مما زاد من حجم النمو التجارى وسرعته . ولولا هذا النمو التجارى على مستوى قومى بل عالمي ، لما وجد الناس بمثل هذه السرعة ان معارفهم ومؤسساتهم القديمة اصبحت غير كافية لدرجة تستدعى اليأس منها . ثم ان ما حدث من تدفق للثروة التي عثر عليها ومن عثور على ذهب الامريكتين ، واكتشاف مواد استهلاكية جديدة وضروب جديدة من المتع المختلفة ، كل ذلك قد ساعد من غير شك على ابعاد الناس عن الاشتغال بالامور الفرضية وصرف انظارهم عنها ، ولفت انظارهم الى العكس من ذلك ، الى الطبيعة للاستمتاع بما فيها وما فيها وما في الحياة من مباهج ومتع .

واذا كانت هذه الكشوف الجغرافية قد تمت على ايدى الاوربيين ، الا انها اتاحت لهم فرصة الاحتكاك الثقافي بحضارات وعقائد وثقافات اخرى مما كان له اثره في اكتساب كثير من الافكار والآراء المستنيرة التي كانت تنقص العقل الاوربى في الوقت الذى كانت فيه كثير من المدن الاسلامية تعد مراكز اشعاع حضارى ، فساعدت هذه الكشوف الاوربيين على ان ينهلوا منها كل ما افتقدوه في حضارتهم من علم . ولا ريب ان هذه الكشوف الجغرافية قد ادت الى ازدياد دقة المعلومات الجغرافية وتقدم علم الجغرافية وفن رسم الخرائط . وتطلبت الحيوانات والمعادن الخاصة بالعالم الجديد تفكيرا ودراسة مما ادى الى تقدم علم النبات والحيوان والتعدين . هذا بالاضافة الى ما ادت اليه تلك الكشوف من تقدم في علم الفلك واتساع دراساته بعد ظهور مجموعات من النجوم لم تكن ترى الا في النصف الجنوبي للكرة الارضية ، ولا شك ان كل هذا قد ادى الى ازدياد الثقة بالعلم وبقدرته على تمكين الانسان من تحقيق حلمه الابدى وهو السيطرة على الطبيعة نهائيا لتسخيرها لخير الانسان .

والخلاصة التي تنتهى بها من كل ما قام خلال الكشوف الجغرافية ، ان تلك الكشوف قد اتاحت للانسان ان يتعود على روح جديدة وعادات جديدة كانت تنقص فكره ومنهجه ساعدته على ممارسة الشجاعة والمخاطرة ، وما قام به المكتشفون من رحلات ، كانت من غير شك اروع الامثلة في كيف تكون الجراة وعلمت الانسان الصبر وطول المثابرة، ولا نظن انهناك ما يمكن ان يعود الانسان على شيء من هذا القبيل مثل هذه الرحلات الطويلة التي لم يكن يوثق بما سيترتب عليها من نتائج . وعلمت الانسان الثقة بقدرته وبامكانياته الهائلة التي لا حد لها والتي يستطيع ـ اذا استغلها ـ ان يسيطر السيطرة المنشودة على الطبيعة . واذا كانت

الكشوف الجغرافية وما ادت اليه من ثورة قد علمت الانسان كل هذا وكثيرا غيره ، فانها بذلك تكون قد امدته بكثير من الادوات التي يمكن عن طريقها وبفضلها ان ينحو منحا تجريبيا علميا ، بل ان الانسان اذا تعـود على المخاطرة في البحث والتنقيب والشجاعة والمثابرة والثقـة بقدرته وبامكانياته ، وبامكان السيطرة على الطبيعـة ، وفـوق هذا وذاك ، اذا امتلك الامكانيات المادية اللازمـة ، فان الاتجاه التجريبي العلمي يصبح ضرورة لا محيص عنها خاصة وان هذه الكشوف نفسها قد كشـفت لهؤلاء الرحالة ، بل للعالم اجمع ، اي نتائج يربحها الانسان عندما يسلك سلوكا علميا تجريبيا . بدل ان يقبع في داره ويروح يتظنن الظنون على ما تكون عليه مجاهل الارض .

الثورة الصناعية

ونعرف هذه الثورة في التاريخ باسم « الانقلاب الصناعي » ، وهو تلك العملية التي تم عن طريقها تغيير اساسي في تنظيم الصناعة وفي ادوات الانتاج وسرعته وحجمه ، وفي طرق التعدين وفي اساليب التمويل والتسويق والتوزيع ، وفي مستوى الاعداد الفني اللازم للعمل في الصناعة . ولا نظن ان المجال هنا يسمح بتعقب كل هذه التغيرات ، ومن ثم فالذي يهمنا هنا هو الوقوف على ما ادت اليه من تغيير اساسي آخر على حياة الناس ونظم معيشتهم الاجتماعية والمادية ، وما كان لهذا كله من اثر على منطق التفكير ومنهج العلم .

ان ما ادت اليه الثورة الصناعية من انقلاب لم يترك جانبا من جوانب الحياة الا ولمسها ، ووفر للانسان الكثير من وسائل الراحة والمتعة والرفاهية ، ان كل هذا لم يكن الا نتيجة لتطبيق منهج العلم التجريبي على الصناعة مما يبين للناس - وبصورة عملية ملموسة - مدى ما يمكن ان يجنوه من ثمار لا حد لها نتيجة لتطبيق منهج العلم التجريبي . ومهما اشتدت الرغبة في جمع المال ، او في الاستمتاع بالسلع والمنتجات الحديثة ، ومهما قويت الهمة العملية ، واشتد بالناس حب المغامرة والاقدام ، فانها وحدها لم تكن لتستطيع ان توجد هذا التحول الاقتصادي الكبير الذي تم في بضعة قرون والاجيال القليلة الاخيرة ، لولا ما حدث من التقدم في علوم الرياضة والفزياء وعلم الحياة ، فمثل هذا التقدم شرط لا بد من توافره اولا لحدوث ذلك الانقلاب الاقتصادي الخطير . ومن هنا نجد ان تلك الدعوة التي نادى بها « فرنسيس بيكون » بان المعرفة قوة ، وان حلمه بسلطان مستمر يعمل على تسخير قوى الطبيعة عن طريق استخدام العلم الطبيعي ، قد تحقق الى حد كبير بفضل ما يموج به عالم اليوم من مخترعات وآلات وابتكارات وعدد .

نتائج رائعة صارت بدورها حوافز لبحوث جديدة

واذا كانت هذه النتائج الرائعة قد اتت بنتيجة تطبيق المنهج التجريبي ، فقد ادت من ناحيـة اخرى الى توفير اكبر الحوافز لحفز الناس على البحث العلمي ما دام ينتج مثـل هذه النتائج المذهلة . كما ان مطالب الانتاج نفسها تدفع الناس دفعا الى ذلك ، اذ لا يمكن ان يستمر الانتاج على صورة معينة ، وانما لا بد ان يسير قدما في سبيل التحسن والتقدم والتطور وفقا لحاجات البشر المتغيرة المتطورة ، وسبيل هذا لا يكون الا بالاتجاه اتجاها تجريبيا علميا متطورا يعمل على التطبيق المستمر للمنهج العلمي لتكييف الظروف القائمة وفقا للحاجات الجديدة. ومن هنا نستطيع ان نفهم لماذا تتجه كثير من الدول الآن الى ان تجعل جزءا كبيرا من الميزانية المخصصة للاعمال الصـناعية للبحث العلمي حتى يمكن ان تعمل على تحسين العملية الانتاجية ، والوصول الى اساليب عمل صناعي جديدة . هذا بالاضافة الى ان مطالب النقل الحديثة من سرعة ودقة وضخامة ضرورية حتى يمكن ان تتناسب مع تطور المنتجات الصناعية، فتفاعل الكشف العلمي اذا مع التطبيق الصناعي تفاعلا قويا شاملا متصلا ، جعـل كلا من العلم والصناعة يؤتي ثماره ، واكره العقل المعاصر على ان يفهم ان خلاصة المعارف العلمية هو تسـخير القوى الطبيعية .

وفي الوصال والمواصلات

ولعل اهم ما ادت اليه الثورة الصناعية كذلك هو ما حدث من انقلاب في مجال « الاتصال » . ولا شك ان هذا الجانب من اهم الجوانب التي تهمنا هنا لانه اوثقها صلة بنمو حركة الفكر وانتشار العلم والتعليم، ذلك لان اختراع السفن والطائرات والقاطرات والسيارات والتلغراف والبرق والمبرة واللاسلكي وغير ذلك من وسائل تكاد تطوى الوقت اللازم لنقل الكلام طيا ، لها اثر لا يستهان به في

سرعة انتشار الجديد من العلم بين سائر المجتمعات ، ولا شك ان هذا الانتشار للعلم ونتائجه فيه ما يؤكد للناس جدوى واهمية المنهج العلمي . واذا كان البعض يقول بان ما ادى اليه الانقلاب الصناعي من ثورة صناعية بدات باختراعات لعمال عاديين لم يكونوا على قدر كبير من العلم والتعليم ، الا ان هذه الاختراعات كان يمكن ان تظل على بساطتها وبدائيتها لو لم يزدها تطبيق منهج العلم التجريبي دقة وفعالية وضخامة وتعقيدا .

الرفاهية اتجاه علمي تجريبي

ولقد ايقن كل مجتمع بناء على هذا ان رفاهيته وتقدمه انما هو امر مشروط بمدى اتجاهه اتجاها علميا ، وهو امر مشروط بمدى اخذه باساليب التصنيع والتكنولوجيا ، وانه لن يتاتى لمجتمع ما يرجوه من تقدم ورفاهية ما لم يرهف وسائل بحثه وتجريبه ويتخذ من العلم اداة تقفز به الى هدفه المنشود . ونظرة بسيطة الى المجتمعات الحاضرة ، نجد ان اساس ما يفرق بين الدول من حيث الضعف والقوة ، التقدم والتخلف ... اساس هذا هو مدى التقدم في مضمار العلم . ومن هنا لا نجد اننا نتجاوز الحق في شيء حين نقول ان الاتجاه التجريبي العلمي قد صار ضرورة تاريخية لا بد وان توضع في الاعتبار .

دور العرب لن ننساه

ان المستقرىء لما اتينا على ذكره فيما سبق من ظروف تاريخية اظهرت ما للاتجاه التجريبي العلمي من ضرورة واهمية ، ومن عوامل ساعدت الى حد كبير على تدعيم هذا الاتجاه وتعميق مجراه ، يلاحظ ان كل هذه الاحداث والظروف والاحوال قد وقعت ـ في غالب الامر ـ على المسرح الاوربي ، او بمعنى آخر ، في اوربا بصفة خاصة ، ومن ثم فان هذا قد يوحي بانه اذا كانت هذه الاحداث والظروف تمثل جذورا تاريخية لاتجاه التجريب العلمي ، فان هذا الاتجاه اوربي الاصل والمنبت . بيد ان هذا ان كان يمثل جزءا كبيرا من الحقيقة ، الا انه لا يمثل الحقيقة كلها ، فما كان للشعوب الغربية ان تشهد ما شهدته لو لم تستند الى اساس متين من التراث العلمي الذى نقله العرب الى اوربا اثناء عصورهم الزاهرة في القرون الوسطى. ففى هذا الوقت كان الاوربيون يتخبطون في ظلمات الاستبداد والقسوة والجهل والخرافة، وكان السواد الاعظم من افراد المجتمعات الاوربية ارقاء ارض يسخرهم السادة الاقطاعيون ، وكان رجال الدين يسيطرون على كلتا الطائفتين. كان هذا يحدث في اوربا بينما كانت البلاد الاسلامية تموج بفيضان من الازدهار العلمي والتقدم الحضاري . وكانت المدن العربية تمثل مراكز اشعاع حضاري في اسبانيا وصقلية ومصر والشام .

ومما يذكر بهذا الصدد انه لما مكنت الظروف الاوربيين من اسبانيا حيث طردوا العرب ، ابقى بعض الحكام المدن العربية والمسلمين بمؤسساتهم ومدارسهم ، وذلك ليعلموا الأسبانيين ما وقفوا عليه من اسباب الحضارة ودرجات العلم ، واسهم « الفنسو العاشر » ملك « قشتالة » في حركة الاقتباس الاوربي لاسباب الحضارة العربية بان قام بحركة واسعة نقل فيها كثيرا من مؤلفات العرب وعلومهم . هذا وقد صرف « جرار اوف كريمونا » (١١١٤ ـ ١١٨٧) سنين كثيرة في طليطلة حيث ترجم عن العربية اثنين وتسعين كتابا ، من بينها « الماجسطى » لبطليموس ، وكتاب « القانون لابن سينا في الطب » . وحدث في صقلية مثلما حدث في اسبانيا حيث اختلطت الحضارة العربية فيها بحضارة أهل البلاد في عهدى « روجر الثانى » و « فردريك الثانى » اللذين كان بلاطهما يعج بالعلماء والجغرافيين والشعراء العرب . وكذلك كان الامر في مصر والشام . ويطول بنا المقام لو حاولنا ان نقتفى اثر العرب في تهيئة الظروف واعداد التربة الملائمة التى ساعدت اوربا على ان تبذر بذور الاتجاه التجريبى العلمى . فاذا كانت ظروف اوربا التاريخيةقد اوضحتاهمية التجريب العلمي وضرورته ، فقد كان للعرب دورهم في مد اوربا ببعض الادوات الثقافية التى ـ مهما بلغت ـ من بساطة ـ كانت بداية لا باس بها انطلق منها الاوربيون الى آفاق العلم المختلفة بمنهجه التجريبى .

وهكذا يعلمنا استقراء التاريخ مدى ضرورة منهج التجريب العلمي ، فها هو في استخدامه والايمان به ، يبلغ بالانسان آفاقا يمكن فيها ان يحقق احلامه وامانيه .

دكتور / سعيد اسماعيل علي
كلية التربية ـ جامعة عين شمس
القاهرة

آذنتنا أيامنا بانقضاء

بقلم : انور العطار

■ ياليالىَّ في الحمى لستُ أنساكِ ، على ما حملت من إقلاق
فكأنّا ما غاب عنا رُؤاها — أو سقانا كأسَ المنية ساق
فارجعي ياطيوفَها آمنات — لا تخالى الرَّدَى سريعَ اللّحاق
لايُطيف السلوُّ بالذاكر المشـ — تاقِ ، والشوق ميسمُ العشاق

★★★

يا دياري التي حَبَبْتُ ويا أنـ — فَسَ ما قد ذَخرتُ من أعلاق
يا أحبّاىَ في ربوعي الغوالى — والمديدِ المديد من آفاق
سدّد الله في الحياة خُطاكم — وكفاكم مزالقَ الإخفاق
ورعاكم ، وزانكم بسجايا — خالداتٍ على الليالى بَواق

★★★

يومنَا المرتجى ! تباركتَ يوماً — أنت في علم ربنا الخلاق
تتلاقى الأحبابُ في أفقكَ الرحـ — ـب ، وتشفى من حُرقة الأشواق
هى في غمرة البقاء شحارير — تغنّت بذكرياتٍ رقاق
قد رَقَتْ في فضاء ربىَ هيْمى — وهْى لمّا تزلْ تحب المراقي

★★★

قد نزعنا ثوبَ الحياة قشيباً — وجرّعنا الردى بكأسٍ دِهاق

العربي : توفى رحمه الله ـ كما علمنا ـ فى ١٩٧٢/٧/٢٣ .وكانما كانت هذه القصيدة،قصيدة وداع.

وأفقنا وللصباح عبوس ... والدجا الوحف قاتم الأعماق
ملت النفس صحوها وكراها ... واصطباحي من همها واغتباقي
فمتى أستريح من عبثها القا ... سي ، وأنجو من سحرها البراق ؟

★★★

يا مغيب الحياة أنسيتني النو ... ر ، وأقصيتني عن الإشراق
ومحوت الوجود إلا رسوما ... أوثقتها يد البلى في وثاق
نطقت بالمبين من محكم القو ... ل ، وأفضت بسرها المغلاق
وجثت لا ترد عنها العوادي ... لا ولا تشتهي الحبال الراقي

★★★

آذنتنا أيامنا بانقضاء ... وانطلقنا من قيدها الخناق
أعتقتنا المنون من أسرها الصعـ ... ـب ، ومما حوت من استرقاق
ما انتفاعي بالبدر تيما إذا كا ... ن هلالي ترب البلى والمحاق؟
رب ليل أمده القلب بالنو ... ر ، وليل مجللك الأطباق

★★★

أنا من بعدكم حنين وسهد ... لست أخشى سهدي ولا إفراقي
بين قلب على الأحبة خفا ... ق ، وطيف على المدى طراق
ذلكم يا شقائق الروح والقلـ ... ـب سبيلي، وتلكم أخلاقي
فإذا غبت فالمعاد وشيك ... لمحب معذب مقلاق

★★★

ودع الصحب يا صريع الرزايا ... ففراق الأحباب غير مطاق
وتأهب فإنما أنت ظل ... راجف من تنقل وانطلاق
والدياجي لا ترهب القاحم الفر ... د ، ولا تستبد بالسباق

كل غصنٍ إلى بِلىً وذبـــولٍ مثـل رسمٍ مهـدّمٍ أخلاق

★★★

كيف يعتاقني الحِمام عـن الأهـــلِ ولا يُرمض الحِمامَ اعتياقي
أنا في قبضة الإله ! . . وكم أخـــمدُ رِقّي وكم أحب وثـاقي
فاذهبي يا حياةُ كلَّ ذهـــابٍ واطرحيني من ليلكِ الغسّـــاق
وخذي ما أمضّني وعنّـــاني في ديار الإفقار والإمـــلاق

★★★

تاقت النفسُ للخلاص من الأســر ، وحنّت إلى المطـاف الواقي
فمتى يا تُرى يتمّ انطـــلاقي؟ ومتى يا تُرى يحين انعتـــاقي ؟
قد كفتنا الحياة همّـــاً وغمّـــاً وشقتنا المنون مما نـــلاقي
نتساق كؤوسنا مترعـــاتٍ ولكم لذّ في الجِنـــان التساقي

★★★

حيرتُ في الموت والحياة ، وأعيــانيَ صحوي ، وطاب لي إغـــراقي
بـــا لسُمٍّ تلـــذّه ، وذعــافٍ يحتسيه اللديــغُ كالـــترياق
لا يحوم الشفاءُ حول مهـــادي والضنى المرُّ آخذٌ بالخنـــاق
فاسترح أيها السقيم المعنّـــى مــن فؤادٍ مــروّعٍ خفّـــاق

★★★

نضبتْ أكؤسُ الهوى ، وامّحى البِشــرُ ، ولاح الفراقُ خلف العنـــاق
وتعرّت خيلُ الصّباءِ من الأنـــسِ ، وأكرمْ بخيلـــه من عتاق
وطويتُ الشباب في وَرَقِ العمـــرِ ، وودعته بدمعٍ مُـــراق
فارقدي يا حياةُ في كهفكِ الحـــانيّ ، وفي مهدكِ الوثـــير البـــاقي

■■

جمادى الاولى ١٣٩٢
حزيران (يونيو) ١٩٧٢

انور العطار

الاسلام وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي

بقلم : الدكتور محمد شوقي الفنجري

■ حق الدولة في التدخل في النشاط الاقتصادي ، سواء لمراقبة هذا النشاط او تنظيمه او مباشرة بعض اوجه هذا النشاط ، هو حق أصيل قرره الاسلام منذ أربعة عشر قرنا . وقد رأينا صورة ذلك في مجالات :

مجالات تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي

١ ـ مراقبة سلامة المعاملات وشرعية النشاط الاقتصادي ، عن طريق المحتسب .

٢ ـ كفالة حد الكفاية لكل فرد ، عن طريق مؤسسة الزكاة .

٣ ـ حفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع (كي لاتكون دُولة بين الاغنياء منكم) ، والعمل على اعادة التوزيع عند افتقاد هذا التوازن كتصرف الرسول في توزيع فيء بني النضير بأن اختص به المهاجرين دون الانصار .

٤ ـ نزع الملكية الخاصة للمنفعة العامة كتوسيع المساجد ، وانفراد الدولة ببعض أوجه النشاط الاقتصادي التي يَعجِزُ الافرادُ القيامَ بها ، والتاميم بقدر ما تقتضيه مصلحةُ المجتمع .

وليس ثمة خلاف بين فقهاء الاسلام عامة ، والباحثين في الاقتصاد الاسلامي خاصة ، حول مبدأ تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي . ولكن يثور الخلاف بينهم حول بيان السند الشرعي لهذا الحق ، وحول مدى هذا التدخل وحدوده .

التدخل في عهد الرسول ، ومن بعده

وقد كان تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي في عهد الرسول محدودا ، وذلك بحكم بساطة الحياة وضعف النشاط الاقتصادي من ناحية ، وانتظام الامور تلقائيا بقوة الوازع الديني من ناحية اخرى . ثم اتسعت دائرة تدخل الدولة سواء في صورة الرقابة او التنظيم ، او في صورة القيام ومباشرة النشاط الاقتصادي ذاته ، وذلك تبعا لتغير الظروف .

التدخل يرتفع الى مرتبة التخطيط اليوم

ويرتفع اليوم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، ليصل الى مرتبة التخطيط الاقتصادي الشامل .

ونوضح ما تقدم فيما يلي :

الفرع الاول : **السند الشرعي لتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، وحدود هذا التدخل ومداه .**

الفرع الثاني : **تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي في العهد الاسلامي الاول .**

الفرع الثالث : **التخطيط الاقتصادي .**



الفرع الاول
السند الشرعى لتدخل الدولة وحدود هذا التدخل ومداه

١ ـ الراى الاول :

يرى البعض كالاستاذ محمد باقر الصدر ، ان الاصل التشريعى لتدخل الدولة في النشاط الاقتصادى هو قوله تعالى « اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول ، واولى الامر منكم ـ النساء ٥٩ » . ويضيف انه لا خلاف بين المسلمين ان اولى الامر هم اصحاب السلطة الشرعية في المجتمع الاسلامى ، وان اختلفوا في تعيينهم وتحديد شروطهم وصفاتهم وان لهذه السلطة حق التدخل لحماية المجتمع وتحقيق التوازن الاسلامى فيه .

اما عن حدود هذا التدخل فيرى انه مقيد بدائرة الشرع المقدسة . فلا يجوز للدولة او ولى الامر ان يبيح الخمر او يحلل الربا او يعطل قانون الارث ، اما بالنسبة للتصرفات والاعمال المباحة في الشريعة فله ان يتدخل فيمنع عنها او يامر بها وفقا للمثل الاسلامى للمجتمع . فاحياء الارض ، واستخراج المعادن ، والتجارة ..الخ من الوان النشاط الاقتصادى ، اعمال مباحة سمحت بها الشريعة سماحا عاما ووضعت لكل عمل نتائجه الشرعية التى تترتب عليه ، فاذا راى ولى الامر ان يمنع عن القيام بشيء من تلك التصرفات او يامر به في حدود صلاحياته ، كان له ذلك دفعا للمبدا الآنف الذكر(١) .

٢ ـ الراى الثانى :

ويرى البعض الاخر كالمرحوم الدكتور محمد عبد الله العربى ، انه بحسب الاسلام المال كله لله تعالى سواء تمثل في سلع « حرة » او سلع « اقتصادية » ، وان الانسان هو خليفة الله في ارضه وهو فيما لديه من مال انما هو حائز لوديعة اودعها الله بين يديه ، وقد امره خالقه بالانتفاع بهذا المال للوفاء بحاجاته واصلاح معاشه ، على ان يتفق هذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه وانه محاسب على ذلك ، لقوله تعالى « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ـ الانعام ١٦٥ » . فاذا اخل الفرد المالك بمسئوليات هذه الخلافة وتلك الوديعة ، حق للدولة ان تتدخل ، كما في حالة صرف ماله على غير مقتضى العقل لقوله تعالى « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما ـ النساء ٥ » . او اذا بقى ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع وكان هذا التعطل دون مبرر وطال امده اكثر من ثلاث سنوات لقول الرسول « ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنوات » ، او قصر في اداء حق الزكاة والمحتاج لقوله تعالى « وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ـ الذاريات ١٩ » .. الخ . ويضيف الدكتور عبد الله العربى ان حق الدولة بالتدخل في فرض الضرائب مستمد من قوله تعالى « وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ـ البقرة ١٩٥ » ، وقوله تعالى « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ـ الحديد ٧ »(٢) .

اما عن حدود تدخل الدولة في النشاط

---

(١) انظر كتابه ، اقتصادنا ، الطبعة الثالثة بيروت١٩٦٩ ، دار الفكر ، ص ٢٦٣ .

(٢) انظر الدكتور محمد عبد الله العربى،الاقتصادالاسلامى والاقتصاد المعاصر ، مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الثالث اكتوبر سنة ١٩٦٦ ، ص ٢١٤ ـ ٢٢٧ .

العربى : ونحن نرى في هذا تحميلا لآيات اللهلا لا تحتمله لغة.وهذه النزعة شاعت حتى صارت اداة للمسخ الذميم والعياذ بالله ممن يشيرون الى الله من المعانى غير ما تحتمل كلماته جل وعلا

الاقتصادى ، فيرى الدكتور العربى ان سنة الاسلام في تنظيم المجتمع في كل جانب من جوانبه قد جرت على البدء بفرض تعاليمه بمقتضى العقيدة عن رغبة واختيار ، فاذا صدع بها الافراد خفت مؤونة الدولة واذا احجموا عن تنفيذها بدا تدخل الدولة . وينتهى الدكتور العربى الى انه لا توجد قاعدة جامدة يتقيد بها ولى الامر (الدولة) في تحديد تدخله لتنفيذ تعاليم الاسلام ، اذ هذا التدخل ينقبض وينبسط تبعا لمستوى السلوك الخلقى السائد في المجتمع ومدى التزامه تلقائيا بتلك التعاليم ، بالاضافة الى الظروف الاستثنائية التي قد تعرض للمجتمع وتهدد كيانه .

٢ ــ رأينا في الموضوع :

ونرى انه من الصعب ان نحدد دليلا شرعيا معينا ، يستند اليه مبدا تدخل الدولة في النشاط الاقتصادى . اذ الحاصل ان هذه الاسانيد الشرعية متعددة ومتغايرة ، تبعا لتعدد وتغاير ما يفرضه الاسلام على الدولة من التزامات ،سواء لمراقبة سلامة النشاط الاقتصادى ، او كفالة حد الكفاية لكل فرد،او تحقيق التوازن الاقتصادى بين افراد المجتمع ، او نزع الملكية الخاصة للمنفعة العامة والتاميم بقدر ما تقتضيه ظروف المجتمع .

اما بخصوص مدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادى ، فهو ايضا من الصعب تحديده . اذ مرده الى ظروف الزمان والمكان بحسب ما تقتضيه المصلحة .

ولا شك ان دائرة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادى سواء في مجال المراقبة او في مجال التنظيم او في مجال القيام بمباشرة ذات النشاط، تضيق كلما كان الافراد يلتزمون تلقائيا الصدق والامانة فيما يباشرون من نشاط اقتصادى ، وطالما توافر لكل فرد حد الكفاية ولم يكن ثمة خلل وتفاوت شديد في توزيع الثروة ، وطالما كان الافراد يقومون بكافة اوجه النشاط الاقتصادى الذى تتطلبه مختلف احتياجات المجتمع . اما حين يضعف الوازع الدينى او الخلقى وينحرف الافراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادى ، لا يبغون سوى الاحتكار او الاستغلال على النحو الذى نشاهده اليوم في بعض مجالات التجارة والصناعة وخدمات التعليم والصحة،او حين يختل التوازن الاقتصادى بين افراد المجتمع وتستأثر اقلية بخيراته ، او يعرض الافراد عن مباشرة بعض اوجه هذا النشاط الذى تستلزمه احتياجات المجتمع كصناعة الاسلحة، او يعجزون عن القيام بها كمد السكك الحديدية والصناعات الثقيلة وتلبية احتياجات التنمية الاقتصادية ، فانه حينئذ تتسع دائرة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادى سواء في مجال المراقبة او في مجال التنظيم او في مجال مباشرة بعض اوجه هذا النشاط .

الفرع الثانى
تدخل الدولة في النشاط الاقتصادى في العهد الاسلامى الاول

١ ــ في عهد الرسول

وفي عهد الرسول لم تكن الحاجة تتطلب التوسع في التدخل وذلك لسببين ،

اولهما : بساطة الحياة وضعف النشاط الاقتصادى ، اذ كان يقوم وقتئذ على الرعى والتجارة المحدودة .

وثانيهما : قوة الوازع الدينى ومراقبة الله في كل تصرف ، وبالتالى سلامة النشاط الاقتصادى وتحقق التكافل الاجتماعى تلقائيا ، مما يغنى عن تدخل الدولة . لقد كان المسلم يلتزم الصدق في معاملته ، ويتنافس في البحث عن كل عاجز محتاج لكفالته ابتغاء وجه الله . وكان اثرياء المسلمين يتسابقون في القيام بالتزامات الدولة ذاتها ، فهذا عثمان بن عفان يقوم بتجهيز جيش العسرة، وهذا عبد الرحمن بن عوف يدفع بكل ثروته لاعتاق الرقيق وسد حاجة كل طالب . ولم تكن المسارعة الى البذل في سبيل الخير من شان المكثرين وحدهم بل ذلك ايضا شان المقلين منهم ، حتى كان منهم من يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة .

٢ ــ في عهد عمر بن الخطاب :

وفي عهد عمر بن الخطاب ، باتساع الدولة الاسلامية وما صاحب ذلك من زيادة الموارد واتساع النشاط الاقتصادى وتنوعه،وجدنا تطبيقات عديدة لعمر بن الخطاب يتوسع بمقتضاها في اعمال حق الدولة في التدخل في النشاط الاقتصادى ، ومن قبيل ذلك :

(ا) منع عمر بيع اللحوم واكلها يومين متتاليين من كل اسبوع وذلك حين قلت اللحوم ولم تعد تكفى جميع الناس في المدينة . وكان ياتى مجزرة الزبير ابن العوام بالبقيع ولم يكن بالمدينة

سواها ، فان رأى من خرج عن هذا المنع ضربه بالدرة وقال له (هلا طويت بطنك يومين) .

(ب) بيع عمر السلع المحتكرة جبرا من محتكريها بثمن المثل ، وتحديده اسعار بعض السلع منعا للتحكم والاضرار بالناس .

واذا كان الرسول عليه السلام رفض التسعير بقوله (ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعّر ، وانى لارجو ان القى الله ولا يطالبنى احد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال) ، فذلك حين يكون ثمن السوق الذى تحدده قوى العرض والطلب عادلا اى غير مجحف بالبائع (عنصر نفقة انتاج السلعة) او المشترى (عنصر منفعة السلعة) اما اذا صار ثمن السوق مجحفا باحد الطرفين ، فانه يصير لزاما على الدولة ان تتدخل لقول الرسول (من دخل في شيء من اسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقا على الله تبارك وتعالى ان يقعده بعظم من النار يوم القيامة) . وعلى ان يراعى دائما في تحديد الاسعار ، الا يلحق ضررا بالمنتج او المستهلك ، والا تحملت الدولة فروق الاسعار . وهو ما عبر عنه الامام ابن قيم الجوزية بقوله (وجماع الامر ان مصلحة الناس اذا لم تتم الا بالتسعير ، سعّر عليهم تسعيرَ عدْل لا وكْس ولا شَطَط) .

(جـ) تحديد عمر اقطاع الارض التى لا مالك لها بقدر تعميرها، بقوله لبلال بن الحارث المزنى (انظر ما قويت عليه منها فامسكه ، وما لم تقو عليه فادفعه الينا نقسمه بين المسلمين) . فلما قال له بلال (لا افعل شيئا اقطعنيه رسول الله) قال له عمر (والله لتفعلن) ، واخذ منه ما عجز عن عمارته واعاد توزيعه على المسلمين .

(د) مصادرة عمر كل زيادة غير معقولة في اموال ولاته، وذلك لمجرد شبهة استفادة الوالى من منصبه في تيسير اموره او مجاملة الرعية للوالى .

(هـ) هذا الى ما هو معروف من نزع عمر الملكية الخاصة للمنفعة العامة ، ورفضه توزيع الاراضى المفتوحة على القائمين واعتبارها ملكية جماعية ، وتقريره الاعانات العائلية ، وترتيبه للوظائف وتدوين الدواوين .

الفرع الثالث : التخطيط الاقتصادى

١ ـ التخطيط مطلب شرعي :

التخطيط ايا كانت صورته وايا كان مداه بحسب اختلاف ظروف الزمان والمكان هو مطلب شرعي . وذلك باعتباره من قبيل اعداد العدة الذى امرنا به بقوله تعالى (واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ـ الانفال ٦٠) ، وهو اذ يرسم خطط المستقبل لفترات متتالية ومراحل متعاقبة ، انما ينفذ ما أثر عن الاسلام (اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا) (٢) .

والتخطيط يقوم على اعتبارات موضوعية قوامها الارقام والاحصائيات . وهو وسيلة عملية لضبط الاهداف وتحديد وسائل تحقيقها في اقل فترة ممكنة وباقل جهد او تكلفة. وحيث يوجد التخطيط، تكون الجدية والايجابية ، والوعى والتقدم. وحيث ينتفى التخطيط ، يكون العبث والسلبية ، والضياع والتخبط. والفرق بين المجتمعات اليوم، هو فرق التخطيط والمتابعة .

فالتخطيط مطلب شرعى اساسى ، وهو من قبيل الامر بالمعروف الذى هو قوام المجتمع الاسلامى بقوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ـ آل عمران ١٠٤) . ومتى قلنا بالتخطيط ، فان مقتضاه تدخل الدولة .

٢ ـ التخطيط الاقتصادى الشامل :

وتزداد اهمية التخطيط وتشتد حاجتنا اليه ، في كافة المجالات ، ولا سيما المجال الاقتصادى . واننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان عصر اليوم هو « عصر التخطيط الاقتصادى » .

ولا يعني التخطيط الاقتصادى الشامل، مصادرة حق الافراد الاصيل في الاسلام بممارسة اوجه النشاط الاقتصادى والقيام بالمشروعات الانتاجية. ذلك لان التخطيط الشامل لا ينفى وجود « القطاع الخاص » ، وانما يستعين به للعمل وفقا للخطة المرسومة لتحقيق اهداف التنمية الاقتصادية ، وهو ما يتطلبه الاسلام . ■■

محمد شوقى الفنجرى

---

(٢) العربى : ليت الكاتب قال ان التخطيط مطلب شرعى لان فيه مصلحة بينة . اما ربط شرعيته بما ذكر من آية كريمة قرآنية ، ومن قول مأثور ـ على بعد ما بينهما من رابطة ، فهو في نظرنا اضعاف للقضية التى يدافع عنها الكاتب . ونحن مع التخطيط للمصلحة ، ولن نجد لكل عمل خطير لا بد ان نقوم به للمصلحة العامة ، ومصلحة المسلمين خاصة ، سندا شرعيا مباشرا دائما .

موسيقى وموسيقيون

■ لم يستطع المؤرخون أن يحددوا تماما كيف انتشرت الموسيقى في العالم ، لأن قصة طلائعها ضائعة بين ثنايا التاريخ القديم ، ومع ذلك اتفقوا على أن أول من استعمل الموسيقى على نطاق واسع هم قدماء المصريين .

واسئلة هذا العدد تتصل بالموسيقى . والمطلوب منك اختيار الاجابات الصحيحة لثمانية اسئلة منها على الاقل :

١ - اسحاق الموصلي (١٥٥ - ٢٣٥ هـ) (٧٧٢ - ٨٥٠ م) كان اعلم رجال زمانه بالغناء القديم واكثرهم اطلاعا عليه .. تولى الدفاع عن الغناء القديم وتجريح الجديد .. الف الكثير من الكتب مثل « النغم والايقاع » و « اغاني مَعْبَد » وغيرها .. ولد في بغداد وتوفي في بغداد ، واصابه العمى قبل موته بسنتين .. ولما مات نعاه الخليفة قائلا : « ذهب صدر عظيم من جمال الملك وزينته وبهائه » .. هذا الموسيقي عاش في العصر :

الأموى - العباسي - الفاطمي

٢ - النوتة الموسيقية تكتب على اسطر متوازية افقية الوضع .. وعدد خطوط كل سطر مكون من :

٤ - ٥ - ٦ خطوط

٣ - اصيب الموسيقار العالمي بتهوفن بعاهة كبيرة في ايامه الاخيرة .. فما هي هذه العاهة :

العمى - الصمم - الشلل

٤ - علي بن نافع أبو الحسن .. عاش في القرن التاسع الميلادي ، وكان نابغة الموسيقى في زمنه ، وكان حسن الصوت ، ترك بغداد لشدة المنافسة بينه وبين استاذه اسحاق الموصلي ، واقام في قرطبة وبها اخترع مضراب العود من قوادم النسر ، واعطى الكثير للموسيقى الاندلسية .. هذا الرجل اشتهر بلقب :

الصنهاجي - زَرْياب - معبد

٥ - كانت عند يزيد بن عبد الملك جارية من احسن النساء وجها ، واكملهن عقلا ، وافضلهن ادبا .. اخذت الغناء عن ابن سُرَيج ، وابن محرز وطبقتهما ، فاشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة الاف دينار ، فغلبت على عقله ، وشغل بها ، ثم ماتت ، فحزن عليها ، ومات بعدها باربعين يوما .. فمن هى :

حبّابة - ليلى الاخيلية - الخيزُران .

٦ - ملحن من كبار الموسيقيين بمصر ولد عام ١٨٩٢ وتوفي عام ١٩٢٣ ، ترك فنه اثرا ظاهرا في تطوير الموسيقى العربية في مصر .. سافر الى سوريا ، ومكث فيها ثلاث سنوات ، درس خلالها الموشحات على ايدى علمائها .. وعاد الى مصر ، واشتهر بتلحين مئات الاغاني للفرق المسرحية .. اشهرها تلحين رواية « العشرة الطيبة » .. كان ، في بداية عمله ، ينسب الحانه الى مغنين من ذوى الشهرة ، ليستميل الناس الى سماعها .. فمن هو هذا الملحن :

عبده الحمولي - سلامة حجازى - سيد درويش





٧ – رباعيات الخيام ترجمها الى العربية كثير من الادباء نظما ونثرا ، ومنهم احمد رامي ترجمها شعرا ، وغنتها ام كلثوم ... فمن لحنتها :

زكريا احمد – السنباطي – القصبجي

٨ – « السمفونية التى لم تتم » ، واحدة من السمفونيات الخالدة التى كتبها الموسيقى العالمي :

شوبرت – ليست – شوبان

٩ – اشتهر بلقب فيلسوف العرب في عصره (٢٦٠ هـ – ٨٧٣ م) وهو من قبيلة عربية يمنية ، نشأ في البصرة ، وانتقل الى بغداد فتعلم ، واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك .. الف وترجم نحو ٣٠٠ كتاب ، من بينها رسالة في الموسيقى ، وقد ترجمت الى اللاتينية لاهميتها ... وَشى به الواشون ، فضرب ، واخذت كتبه ، ثم ردت اليه .. واصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة واكراما كبيرا ، انه :

الفارابي – ابن سينا – الكندي

١٠ – فردى Verdi مؤلف الموسيقى الشهير (١٨١٣ – ١٩٠١) كتب موسيقى العديد من الاوبرات ، أشهرها الترافياتا ، وعايدة ، وريجوليتو وعطيل .. هذا الموسيقي النابغة رفض معهد الموسيقى اعطاءه منحة باعتباره غير موهوب .. ترى اين كان موطن فردى :

النمسا – ايطاليا – المانيا

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مغلف واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧٢ » .

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٣ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ – جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٧٢

بُرج بابِل

أُسطورة أمْ .. حقيقة

بقلم : خليل الهنداوى

■ تعارف الاقدمون على ان عجائب الدنيا سبع، وبرج بابل احد هذه العجائب .

واول ذكر ورد لبرج بابل ما جاء في سفر التكوين :

« وكانت الارض كلها لسانا واحدا ، ولغة واحدة ، وحدث في ارتحالهم شرقا انهم وجدوا بقعة ، في ارض « شيغار » وسكنوا هناك . وقال بعضهم لبعض : « هلم نضع لبنا،ونشويه شيا » فكان لهم اللبن مكان الحجر ، وكان لهم الحمر مكان الطين .

وقالوا : « هلم نبن لانفسنا مدينة و « برجا » راسه بالسماء ، ونصنع لانفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الارض ، فنزل الرب لينظر المدينة، والبرج اللذين كان بنو ادم يبنونهما» وقال الرب :

« هو ذا شعب واحد ، ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون ان يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم ، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض . »

فبددهم الرب ، من هناك ، على وجه كل الارض ، فكفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعى اسمها « بابل » لان الرب ، هناك بلبل لسان كل الارض،ومن هناك، بددهم الرب على وجه كل الارض» .

واما المغزى الذى يرمى اليه هذا القول ، فهو ان الانسان ينبغى له ان يقف عند حده : والا يذهب الغرور الى تحدى القدرة الالهية .

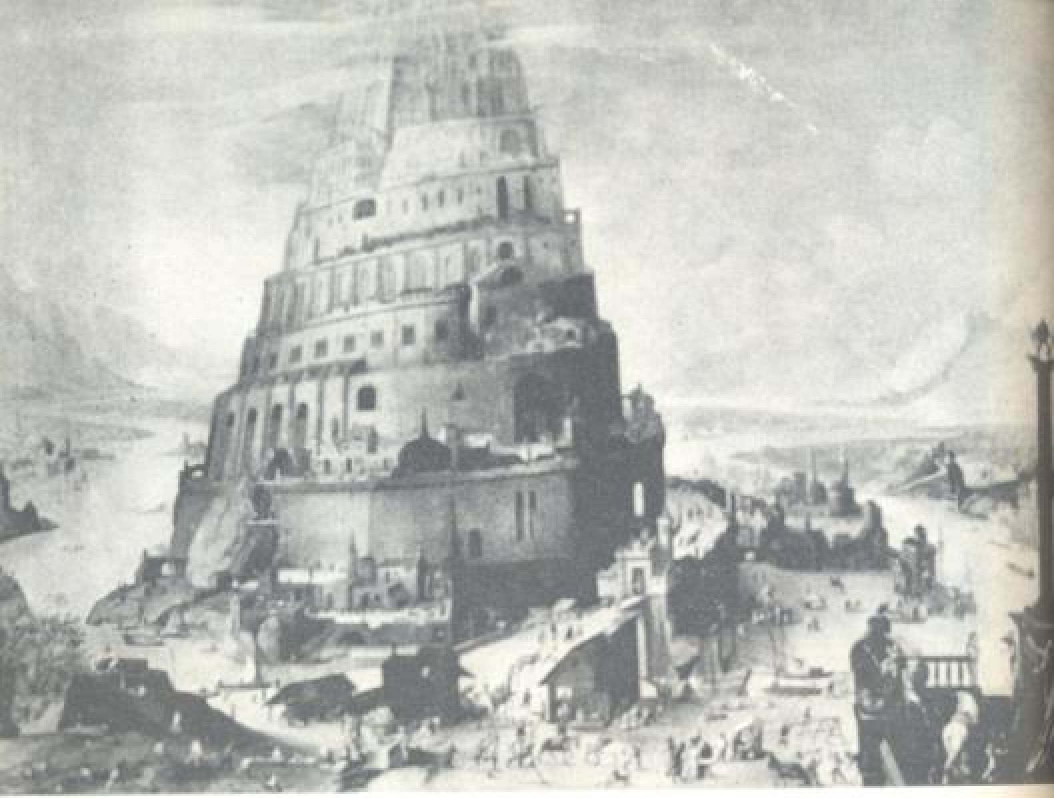
قصة معادة

ولكن ، على مر العصور،نجد ان هذه القصة ـ قصة هذا الانسان البانى الذى تحدى الالــه الخالق ـ لم تلبث ان اعيدت ، وتكررت اعادتها، بحسب نزعة كل عصر من العصور .

ففى العصور الوسطى ، كان المغزى الخلقى السائد هو ان الكبرياء تسبق السقوط ، وفي عصر النهضة الملأى بالحركة ، الواثقة بنفسها : كانت هذه القصة رمزا لتمجيد البطولة، والطموح الانسانى ، وفي عصر غزو الفضاء وانشطار الذرة، كان بامكان هذه القصة ان تعبر عن شك جديد في النتائج العلمية التى توصل اليها الانسان .

كما ان هذه القصة ـ دون سواها من القصص، قد اوحت الى الفنانين بالكثير ، منها ما يمثل برج بابل في اعتلائه ، ومنها ما يمثل البرج ، وقد صار صعيدا جرزا .

وهكذا ظلت هذه القصة موضوعا خصيبا يوحى



هذا هو برج بابل ـ للفنان بروجيل : فيينا

بالابداع والاختراع ، فهل ، يا ترى ، ترمز الى الطموح الانساني الدافق بدون انقطاع ، الذى يهدف الى خلق عمارات عالية ، ما شاء لهـا العلو ، خالدة ما شاء لها الخلود ؟

ام ، يا ترى ، تعطينا الصورة الخفية لالوف العمال الذين وجـدوا انفسهم ، فجـاه ، غير متفاهمين ، ينطقون بلغات متعددة ، والسـن غير موحدة ؟

ومهما كان الامر ، فان قصة برج بابل تعبر عن الخيال الفنى ، وتخلق صورا شتى لذلك البرج ، يتبارى الفنانون في تصويرها، كل بحسب موهبته !

فبعضهم يرى في البرج تجسيدا سابقا لبرج « بيزا » المائل .

وبعضهم يرى فيه نضـدا مرصوفـا بحجارة مصفوفة .

وبعضهم يرى فيه شبه قطعة حلوى تهدى في الاعراس .

وبعضهم ـ وهم قلة ـ يحاولون ان يعرفوا ـ من خلال وصفه ـ حقيقة هذا البرج كما كان .

وصف هيرودوت للبرج

من هذه الرؤى قصة الاسكندر الكبير الـذى اكتشف خرائب هذا البرج ، فاراد استعادة بنائه، وسخر لذلك عشرة الاف عامل . ولكن العمل توقف بعد موت الاسكندر .

وفي سنة ٣٢٢ ق.م ورد علينـا وصف آخر للبرج ، اشتهر بقدمه ، لصاحبه المؤرخ اليونانى الشهير « هيرودوت » . وهو وصف يعود تاريخه الى سنة ٤٦٠ ق.م، حين زار هذا المؤرخ مدينة بابل.

ومما ورد فيه :

« وفي وسط الهيكل ، برج مرصوف بالحجارة، قام عليه : طوله يبلغ ١٩٠ مترا ، وعرضه اكبر من طوله . وعلى هذا البرج يمتد برج آخر ، وفوق هذا البرج برج سـواه ، حتى يصل العدد



صورة ثانية لبرج بابل ــ لراشاري دولن

الى ثمانية ابراج . برجا على برج . وبالامكان الصعود الى هذه الابراج بواسطة درج حلزوني ، يلتف بعضه على بعض .

وفي الاعالي مقاعد يمكن الجلوس عليها طلبا للراحة ، وداخل البرج الرئيسي هيكل كبير ، فيه سرير مزخرف ، ومنضدة من ذهب .

لا احد يدخل هذا المكان الا امراة مواطنة ينتقيها الاله نفسه ، وقد قص علىَّ الكهنة ان الاله ينزل احيانا الى هذا الهيكل ، لكي يلقى هذه المراة .

ولكنني.. لم استطع ابدا ان اصدق هذه المزاعم» . على ان مثل هذا الوصف الحي يمكنه ان يجعلنا نؤمن بان برج بابل . لم يكن اسطورة ، بل كان حقيقة لا يتطرق اليها الشك .

ولكن ، بما ان « بابل » لم تكن ، منذ اكثر من عشرين قرنا الا سرا غامضا ، واسطورة مبهمة فاتنة ، وبعض اكمات منثورة في بلاد ما بين النهرين ، لذلك كله لم يشاهد فيها بعض المؤرخين الا قصة جميلة !

اكتشاف مدينة أور

ومنذ عام ١٨٥٤ م اشار وزير خارجية بريطانيا على قنصله المستر « تايلور » في البصرة ، بان المتحف البريطاني راح يبحث عن خرائب قديمة في جنوبي العراق ، فاخذ « تايلور » يبحث ايضا ، وينقب هنا وهناك ، واذا به يكتشف يوما ، قمة بناء عريض من الآجر الذى صنعته يد الانسان ، وبعض الأساطين من صلصال ، نقش عليها تاريخ ذلك البناء .

ومن هذا المنطلق ، تسنى للبعثة التى اشترك فيها المتحف البريطاني ، وجامعة «بانسلفانيا» الامريكية ، ان تكتشف مدينة « أور » في أرض الكلدان ، مسقط راس ابراهيم الخليل .

ان ذلك كان تاريخا رائعا ، ظل ، طيلة وجوده ، يمد الحضارة العالمية ، شان حضارة مصر القديمة .

لقد بدات هذه الحضارة ، قبل اربعة الاف عام ، عندما هبط شعب غير سامى ، هو الشعب السومرى . من جبال فارس المجدبة ، الى السهول الخصيبة بين دجلة والفرات .

بنى هؤلاء السومريون مدنا ، واخترعوا الكتابة المسمارية ، وابتدعوا العجلة التى يجرها الثيران ، واجروا ماء الفرات في اقنية منتظمة للرى ، واتقنوا فن صياغة الحلى ، وانشاوا ابراجا عالية ، من حجارة من صلصال .

ومن حضاراتهم هذه ، انبثقت الحضارة البابلية وتطورت ، فكان منها مدينة « بابل » فخر الممالك .

كيف كانت بابل ؟!

لقد كانت بابل ، بدون ريب ، مدينة فخمة ، اتساع مداها على ضفاف الفرات ، ورصعت جوانبها بشجر النخيل ، فغدت عاصمة ذلك القطر، بشوارعها الفسيحة ، وعماراتها الشاهقة، وهياكلها العديدة ، وجدرانها الضخمة .

الوف من التجار ، والجنود ، والكهان ، والزراع كانوا يدخلونها من الباب الكبير « باب الالاهة عشتار »وهو باب من الآجر الاصفر ، نقش عليه صور اسود ، وثيران بالخزف الازرق .

وكانت شكة الاسلحة تسطع في الشمس متوهجة، والعجلات تغدو وتروح ، ولها صخب ودوي في مختلف الدروب .

وخلال حقول الحنطة الضاحكة ، ومدارج الاشجار المثمرة ، والجنائن الصغيرة ، كانت المدينة تمتد على مدى ما يصل اليه البصر .

ويشرف عليها ، من الاعلى ، بجلال وروعة ، على ارتفاع مائة متر ، البرج الكبير الذي لبث فيه اليهود الذين اقتادهم « نبوخذ نصر » اسرى وسبايا الى بابل ، زهاء سبعين عاما ، وهم الذين وصفوا كيف كان برج بابل .

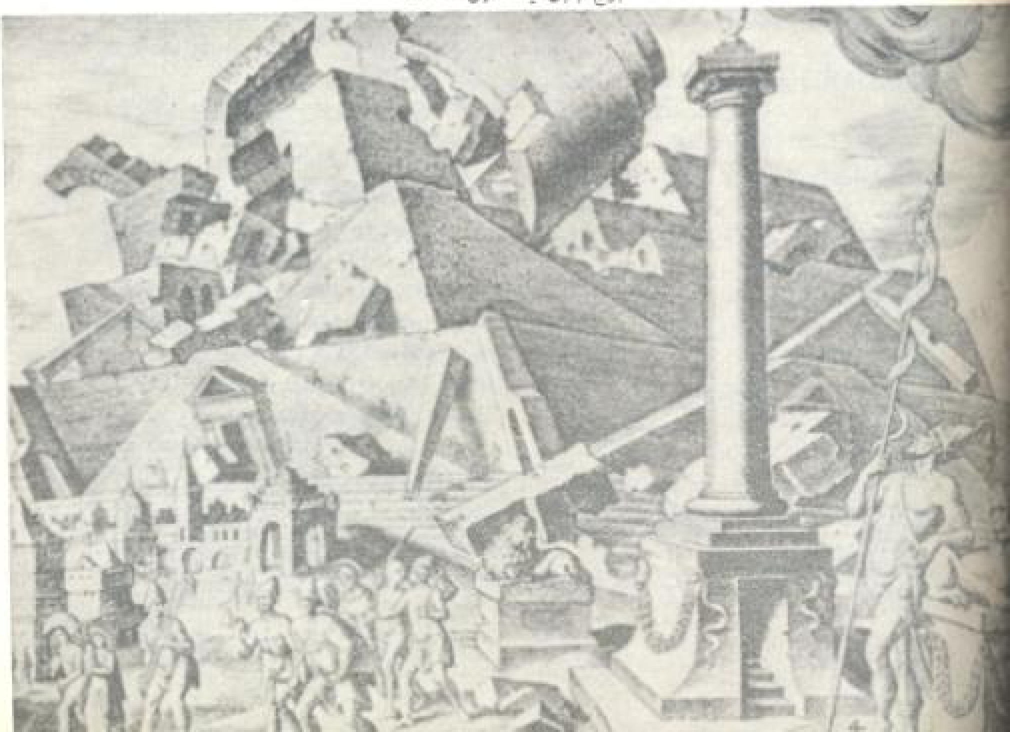
وبنفض التراب عن بقايا بابل ، اكتشف علماء الحفريات بان ، في كل مدينة قديمة ، هامة ، في سهول ما بين النهرين ، تنهض دائما اثار ابنية على شكل برج ، يسمى « زقرة » ذات اطباق عدة كما اكتشفوا صورا لابراج يرقى اليها بدرجات منقورة ، ونصوصا بالخط المسماري ، تسجل اسماء هذه البروج ، واهميتها ، وسعتها .

بيت السماء والأرض هو برج بابل

واخيرا بالقرب من قرية « هيلك » في العراق كشفوا عن اساس برج ضخم ، لا كالابراج السابقة ، وكانت حجارة هذا الاساس من الآجر المشوي ، يبلغ طول احد جوانبه تسعين مترا .

والنصوص المحفورة على خرائبه تسمي هذا البرج : « بيت السماء والارض » وتزعم هذه

برج بابل يستحيل انقاضا



النصوص أن هذا البرج شيد سنة ٦٢٥ ق. م. في عهد الملك « نابو لاصر » .

كل شيء يروى ان هذا البرج لم يكن الا برج بابل ، بحيث انه كان ـ على ضخامته وعظمته ـ لا يضارعه اى برج من الابراج الاخرى !

وهكذا اكد علماء الحفريات ، اكثر من مرة ، بيقين لا لبس فيه ، حقيقة برج بابل ، وصدقوا بها كما وردت في سفر التكوين ، وذهبوا يفسرونها على ضوء النص الوارد .

اذا ، هنالك برج كان قائما ، وهنالك اختلاف في سنة بناء هذا البرج .

ويبدو ـ خلال الوف السنين ـ ـ أن الابراج الصغيرة كانت منتشرة في مدن مابين النهرين . وكل برج يختلف عن الاخر ، شأن الكنائس الاوروبية ، ولكنها ـ بمجموعها ـ متشابهة ببنائها . ولها درجات تقود الى الطوابق العليا ، حيث يرتفع في الاعلى معبد ، او محراب مقدس .

وهي تشبه بفنها الهندسي ما شيده المهندسون القدماء في اهرامات مصر ، على ان الاهرامات كانت قبورا بناها الفراعنة لانفسهم ، لتكون ملجا تصان فيه جثتهم ، يحمل اليها نشوة الانتعاش ، وبرد الراحة بعد الموت .

كذلك، كانت هذه الابراج الصغيرة اماكن عبادة، شيدت ، وزيدت ، وزخرفت جيلا بعد جيل ، وذرية بعد ذرية .

لماذا بنى السومريون الأبراج ؟!

ولكن ... ظل علماء الحفريات يتساءلون :

ـ ماهي حاجتهم الى هذا العمل ، حتى اعطوه هذا الشكل ؟

وبدون شك ، هذا هو الجواب الحق .

ان السومريين قدموا من بلاد جبلية ، وقد مثلوا الهتهم ، في البداية ، على قمم الجبال ، وعكسوا في آثارهم صور حيواناتهم الجبلية .

وعندما استقروا في السهول،لم يبدلوا دياناتهم، وعوضا عن الصخور التي افتقدوها في السهول ، راحوا يبتدعون الآجر المشوى .

وانهم بعيدون عن ان يتحدوا قدرة الاله ـ كما توهم العبرانيون ـ ترى السومريين ومن تلاهم ، كانوا يعبدون الهتهم من عالي تلك الابراج، ويبنون فيها شبه سلالم بين السماء والارض ، بغية ان تنزل الالهة اليهم من عليائها ، وترافقهم في مستقرهم الجديد .

واما من الناحية الثانية التاريخية التي تروى لعنة الله عليهم ، وبلبلة لغاتهم ، فهنالك نظرية تقول ان الاسرى اقتبسوا اسم بابل الذى يعنى « باب الاله » من الكلمة العبرية « بالال » التي تعني التشويش والاختلاف والبلبلة .

كما ان هنالك مذهبا آخر يعود الى ان عديدا من الامم قد هبطت سهول مابين النهرين ، ومما لاريب فيه ان « بابل » قد الجات اليها شعوبا وثنية ، مختلفة ، من الاوائل الذين سكنوا المنطقة ، من عبيد ومن منفيين من اوطانهم ، وليس ببعيد ان يكون فيهم تجار ، وزعماء قبائل مجاورة كانوا ينطقون بلغات مختلفة ولهجات متعددة .

واختلاف اللغات واللهجات فيها كان باعثا على القلق والخوف والفوضى . ولما كان اليهود قد تعودوا ان يبحثوا عن تفسير الهي لكل حادث انساني ، راحوا يفسرون اختلاف لغات هذه الشعوب بانه كان نتيجة حلول اللعنة الالهية على هؤلاء البابليين الذين وضعوا ديانات غريبة . وبنوا ابراجا تناطح السماء بعامل التحدى .

وفي كل حال ، بما استنتجوه ، وبهذا السبب القائم منذ القديم، فان بابل تظل للانسان انذاراله يدعوه الى ان يحطم كبرياءه ، ويلجم طموحه وغروره .

ولكن .. لماذا يكون الطموح البشرى جناية تستحق لعنة الاله عليه ؟

اليس الاله نفسه هو الذى علم الانسان مالم يعلم ؟

حقا ، ان في طموح الانسان تحقيقا لما يريد الاله منه .

ولئن بدات قصة برج بابل اسطورة تمثل تمزق الانسانية على نفسها ، فانها الان حقيقة واقعية تمثل اصرار الانسانية على العودة الى وحدتها ، بعدما حفرت الارض،تحت اقدامها ، على رحبها. لان حياتها في وحدتها ، وفناءها في بقائها اشياعا متفرقة ، واقساما متمزقة .

فهل ، ياترى ، يعيد الدهر قصة بناء برج بابل من جديد ، على اساس محبة الشعوب وتفاهمها وتقاربها ؟

انها امنية الماضي والحاضر والمستقبل .. ■■

خليل الهنداوى

أساليب مستحدثة في علاج

أمراض اللثة والأسنان

- استعمال الكرتيزون في حالات الالتهاب
- لثة اصطناعية من مادة البلاستيك

بقلم : الدكتور عطا كمال الصباغ

■ لا تزال مشكلة تسوس الاسنان تشغل بال كثير من الباحثين وذلك لايجاد وسيلة فعالة للحفاظ على الاسنان ووقايتها من التلف والفقدان بالرغم ان فقدان الاسنان قد يرجع الى اسباب متعددة الا ان فقدانها نتيجة التسوس يتصدر قائمة الاسباب وبالاخص في اواسط العمر وتليها امراض اللثة وبالاخص عند تقدم العمر .

وقد طرحت عدة نظريات وتفسيرات لنشوء التسوس الا ان معظم البحوث العلمية لا تزال تؤيد بان التسوس عبارة عن تآكل وذوبان المواد الكلسية في الاسنان بفعل الحوامض الناتجة عن تخمر المواد السكرية مثل Polysaccharides-Dextran وتتميز هذه السكريات بقوامها اللزج وسهولة التصاقها بسطوح الاسنان ، وبتكون عادة بتأثير انواع معينة من البكتريا التي تعيش في الفم.

ويظهر مما سبق ان هناك ثلاثة عوامل مكملة لنشوء التسوس :

١ ـ وجود المواد السكرية في الفم .
٢ ـ وجود بكتريا معينة في الفم .
٣ ـ البيئة المناسبة .

مما جعل العلماء يفكرون في تفكيك هذه الحلقة او الارتباط وذلك بابطال مفعول Dextran بواسطة انزيمات مضادة وقد اجريت تجارب ناجحة على بعض الحيوانات الا انه لم تطبق هذه الطريقة في الانسان الى الان ، اذ ان الموضوع يحتاج الى دراسة وافية وذلك لايجاد البراهين الكافية في سلامتها في جسم الانسان .

التطعيم والتسوس

التطعيم كما هو معلوم هو عبارة عن ادخال جراثيم ضعيفة او ميتة الى جسم الانسان لتكوين الاجسام المضادة لذلك النوع من الجراثيم ، وقد فكر العلماء بتطبيق العملية او (التطعيم ضد مرض التسوس) وخاصة بعدما اتضح ان من اهم

اسباب التسوس وجود بكتريا معينة في الفم لاكمال الدورة اللازمة لتكوين التسوس .

وتدل معظم البحوث على الحيوانات في امكانية استعمال التطعيم للقضاء على التسوس الا انها لا تزال تحت التجربة والبحث المستمر. ولا يستبعد ان نرى قريبا محاولة للوقاية من التسوس كما هو الحال في التطعيم ضد الامراض المختلفة .

وقاية الاسنان

ان الفكرة الحديثة للمحافظة على الاسنان هي (الوقاية) وقد اثبتت التجارب المختلفة في كثير من البلدان ان اضافة نسبة قليلة (١/مليون) من الفلورين في مياه الشرب تعطي وقاية كافية للاسنان ضد التسوس وقد شوهد ان نسبة التسوس في المناطق التي اضيفت فيها هذه المادة في مياه الشرب قد هبطت كثيرا بالنسبة الى المناطق التي لا تستعمل هذه المادة .

ولا يقتصر استعمال الفلورين في مياه الشرب بل اصبح من الممكن استعمال هذه المادة او مركباتها مثل Na او Stannous Flouride بشكل معاجين او غرغرة او مسوحات وقد طبق قسم من هذه العمليات في مدارس الاطفال كعمل روتيني في الساعات المخصصة لذلك في بعض الدول الاوربية .

الحشوات والمواد المستعملة

ان الغاية الاساسية من حشو السن هي المحافظة على السن والاستفادة منها اطول مدة ممكنة ، حيث يقوم طبيب الاسنان بتنظيف الثغر وتخليصه من الانسجة التالفة ومن ثم تملأ بمواد معدنية او بلاستيكية وغيرها ولا شك ان الحشوة وديمومتها يعتمدان الى درجة كبيرة على نوعية الحشوة وكبر الفجوة او التسوس والتحضير الصحيح للسن من قبل طبيب الاسنان وهذا كثيرا ما يعتمد على اسس هندسية دقيقة وان فشل او نجاح الحشوة هو بلا شك حصيلة هذه العوامل .

ان القصور في جميع الحشوات المستعملة في الوقت الحاضر هو عدم قابلية هذه المواد للالتصاق مع السن اذ ان فجوة مجهرية دقيقة تفصل جميع الحشوات عن الجدار الداخلي للسن قد تؤدي لتكون تسوس ثانوي بمحاذاة الحشوة ويسمى Secndery Caries مما يؤدي الى فتل الحشوة وسقوطها في المدى البعيد . ولهذا فان الفكرة الحديثة متجهة الى :

١ ــ ايجاد مواد حشوية ذات قابلية للالتصاق بالاسنان .

٢ ــ اضافة مواد كيمياوية مثل Na-Flouride في تركيب المواد الحشوية سواء معدنية كانت او بلاستيكية بعد ثبوت قابلية هذه المواد لمقاومة التسوس .

غشاء واق للاسنان

ان طلاء الاسنان بغشاء بلاستيكي اصبح الان وسيلة اخرى لوقاية السن وتخفيض تأثير العوامل المسببة للتسوس ولفترة معينة الا ان المشكلة التي ترافق هذه العملية هي وجوب اعادة طلاء السن في فترات معينة حيث يكلف المريض كثيرا من الوقت والمال .

الكورتيزون والاسنان

الكورتيزون هي المادة المعروفة في مجال الطب والتي كثرت استعمالاتها لمعالجة الالتهابات المختلفة والحساسية وغيرها ادخلت ايضا في مجال طب الاسنان واصبح من الممكن استعمال هذه المادة مع بعض المضادات الحيوية Antibiotics في معالجة التهابات الاسنان .

وقد انتجت شركات عديدة مثل هذه المركبات Pulpemexine, Lederle Co. - Ledermix لشركة Pulpedont وغيرها .

وتدل التجارب ان هذه المواد تلعب دورا مهما في تهدئة الاسنان الملتهبة والتخلص من الالام والاوجاع لمدة طويلة بعدما كانت محكومة عليها بالقلع . وتشير الدلائل ايضا ان هذه المواد تتميز بعدم قابليتها لتكوين مادة العاج Secondery Dentine الا ان بعض البحوث الحديثة ابدت الحصول منها على الغاية المطلوبة بمساعدة مادة Ca (H20) 2 وخاصة في اسنان الاطفال .

امراض اللثة

اسباب امراض اللثة عديدة ، حيث ان قسما منها يعود الى اسباب مرضية عامة كامراض السكر والدم او لاختلاف توازن الهرمونات كالذي يحصل عند الحمل والعادة او لاسباب اخرى كاستعمال بعض الادوية الا ان الاسباب الموضوعية هي الصفة



الميزة لمعظم امراض اللثة .

والاسباب الموضوعية قد تكون مثلا لوجود اسنان ذهبية غير صحيحةاو حشوات غير متقنة او فجوات بين الاسنان او نخر الاسنان وخاصة القريبة من اللثة وغيرها ولكن لا تزال جميع الدلائل تدل ان اهم الاسباب الموضوعية لامراض اللثة هي الاهمال وعدم العناية بنظافة اللثة مما يؤدى الى تراكم فضلات الاكل والتصاق بعض المواد اللزجة على الاسنان ومن ثم تكلسها مما يؤدى الى خدش اللثة بصورة مستمرة مسببا الالتهابات الحادة او المزمنة في اللثة مما يساعد على تكوين مزيد من الترسبات الكلسية وهلم جرا ، وان استمرار هذه الالتهابات قد يؤدى الى ذوبان العظم الساند للاسنان وانحسار اللثة وقد يؤدى الى سقوطها اذا لم تعالج في حينها . اما الطريقة المتبعة في معالجة هذه الحالات فهي ازالة الترسبات الكلسية (القلح) والعناية اللازمة للمحافظة على النظافة ومنع حدوث الترسبات والالتهابات او تقليلها في المستقبل اما الاسنان المصابة بالجيوب اللثوية وذوبان العظم الساند فمن الممكن معالجتها بعمليات مختلفة مثل Gingivectomy ?, Flap operation التي يقوم بها المختصون .

ان المشكلة التي ترافق عادة معظم هذه العمليات هي مشكلة شكل الاسنان ، اذ ان قسما لا باس به من جذر السن يظهر للعيان مما يجعل المريض يتجنب اجراء مثل هذه العمليات الا ان هذه المشكلة اصبح الآن من الممكن معالجتها .

بفضل تطور المواد البلاستيكية المستعملة في طب الاسنان اصبح من الممكن الان عمل لثة اصطناعية من مادة البلاستيك التي تشبه الى حد ما لون اللثة ويستطيع الشخص المعنى ان يلبسها متى ما يشاء كغيرها من الادوات التجميلية الاخرى كالاظافر الاصطناعية والاهداب وغيرها .

والمشكلة الثانية التي كثيرا ما كانت ترافق عمليات اللثة هي حركة الاسنان كنتيجة للذوبان العظم الساند فقد اصبح ايضا بالامكان تثبيت هذه الاسنان بواسطة سواند معدنية دائمية تربط بالاسنان المجاورة القوية او Splints او بواسطة سواند معدنية Chrome-Cobalt / Implant تدخل داخل الاسنان وتثبت في عظم الفك وتدل الاحصاءات على نجاح هذه العلمية بنسبة كبيرة . ■■

عطا كمال الصباغ ـ بغداد



العاملون المُتْعِبُون

سلوك العُمَّال تسهم فيه عوامِل كثيرة يكشفها ويصحّحها الخُبَراء والنَّفسانيُّون

بقلم : الدكتور علي احمد علي

■ يقصد بالعاملين(١) المتعبين :الموظفين والعمال الذين يسلكون فى العمل سلوكا شاذا يؤثر تاثيرا سيئا على انتاجهم وعلى العلاقات فى العمل وعلى حسن سير هذا العمل ، وهناك صور مختلفة للعاملين المتعبين المختلفين فى درجة انفعالهم . فمنهم من يسبب مشكلات كبيرة فى مجال العمل فيضطر معه القادة الاداريون الى التخلص منه باية طريقة ،ومنهم عاملون متعبون بدرجة محدودة بحيث تكون آثارهم السيئة بسيطة فى مجال العمل او فى المنشاة التى يعملون فيها .

حقائق نضعها تحت نظر القادة الاداريين والمشرفين بالنسبة للعاملين المتعبين :

١ ـ السلوك الشاذ عادة ما يصدر دون قصد عن العمال فعادة ما تكون دوافع هذا السلوك لاشعورية ، فالعاملون لا يعون حقيقة السلوك الشاذ الذى يصدر عنهم وكثيرا ما يكون هذا السلوك مفروضا عليهم .

٢ ـ السلوك الشاذ الذى يصدر عن العاملين اسهمت فيه عوامل كثيرة : التربية الاولى والمنزل والمدرسة والخبرات التى مر بها هؤلاء العاملون وغير ذلك من عوامل .

٣ ـ السلوك الشاذ الذى يصدر عن بعض العاملين قد يكون مظهره واحدا ولكن دوافعه واسبابه مختلفة ، فالانطواء مثلا ـ الذى يسود بعض العاملين ويكون له مظهر واحد دوافعه تختلف من فرد لآخر . فقد يكون دافع الانطواء عدم قدرة العامل على التفاعل والانسجام والانتماء الى جماعة العمل ، وقد يرجع هذا الانطواء الى شعور العامل بالنقص وفشله فى علاقاته الاجتماعية مع رؤسائه وغيره من العاملين ، وقد يكون دافع الانطواء الاحتجاج الصامت على اوضاع فى العمل لا يرضى عنها العامل ولا يستطيع عمل اى شيء بشانها .

وفى جميع اشكال السلوك الشاذ ، غير الانطواء قد يكون الظاهر من هذا السلوك الشاذ واحدا بالنسبة لعدد من العاملين ، ولكن اسباب هذا السلوك الشاذ ودوافعه مختلفة . ونضرب مثلا آخر لذلك : التكاسل الذى يبدو على عدد من

---

(١) يقصد بالعاملين كل من يعمل فى سبيل اجر شهرى أو اسبوعى او يومى ، وعلى هذا يدخل تحت كلمة العاملين : الاخصائيون والموظفون المكتبيون بكافة مستوياتهم وانواعهم ، والعمال الصناعيون وغيرهم .

العاملين . فالظاهر من السلوك واحد : عدم الرغبة في بذل الجهد في العمل والبطء الشديد في ادائه وتأجيل عمل اليوم الى الغد ونقص في النشاط والحيوية وغير ذلك من مظاهر تدخل كلها تحت ظاهرة التكاسل ، ولكن دافع التكاسل يختلف من عامل لآخر . فقد يتكاسل بعض العاملين نظرا لعدم وجود اى نوع من الحفز والتشجيع في هذا العمل . وقد يتكاسل عدد من العاملين لان العمل الذى يقومون به لا يشوقهم ولا يثيرهم ولا يناسب قدراتهم وامكانياتهم . وقد يكون التكاسل لاسباب صحية مرضية ، فسوء التغذية وفقر الدم وبعض امراض الكبد وغيرها قد تؤدى الى تكاسل العاملين المصابين بها . وهكذا ، فان ظاهرة التكاسل قد تكون واحدة ولكن دوافع هذا السلوك الشاذ كثيرة متعددة .

وعلى الرئيس والمشرف الناجح ان يدرك الحقيقة السابقة ، فما دامت دوافع السلوك الشاذ مختلفة ومتعددة لذلك فان مواجهة ومعالجة هذا السلوك تكون بأساليب مختلفة ايضا . وهنا نود ان نحذر الرؤساء والمشرفين من خطورة استخدام «الوصفات الطبية » الجاهزة لمعالجة ومواجهة السلوك الشاذ. فكما سبق ان ذكرنا ، قد تكون الظاهرة السلوكية الشاذة واحدة ولكن « الدواء » الموصوف للعلاج يختلف باختلاف الظروف والاحوال . فقد يصلح العقاب مع فرد ولا يصلح مع فرد آخر ، وقد يعدل الترغيب من سلوك بعض العاملين في حين لا يستجيب آخرون لهذا الترغيب وهكذا .

٤ - الاهتمام بالتعرف على دوافع السلوك الشاذ للعاملين يجب ان يكون رائد الادارة الناجحة، بحيث لا يكون الهدف الاول هو تحديد السلوك الشاذ لمعاقبته وردعه ، لان الاسباب العقابية وحدها كثيرا ما تفشل وتقف عاجزة امام المشكلات السلوكية . وقد يرتدع بالعقاب احد العاملين عن سلوك شاذ معين لكى يظهر هذا السلوك على عامل آخر ، ذلك ان كل الاهتمام كان موجها نحو معاقبة السلوك الشاذ وليس نحو التعرف على دوافعه بهدف تعديل هذه الدوافع وبالتالى تعديل السلوك الشاذ نفسه وتغييره .

بعض أنماط العاملين المتعبين

هناك انماط كثيرة من هؤلاء العاملين مما يصعب ذكرها جميعا في هذا الحيز ولكننا نعرض فيما يلى لبعض هذه الانماط :

العامل المعتدى : هذا العامل كثير المشاجرات والاعتداءات . فكثيرا ما يعتدى على زملائه ورؤسائه بالقول وبالفعل وقد تتعدى اعتداءاته حدود ذلك الى الآلات والادوات التى يعمل عليها فيخربها او يفسدها او يكسرها . والعامل المعتدى يعانى قدرا كبيرا من الاحباط والمشكلات في حياته . وكثيرا ما تفشل القسوة والعقاب في وقف هذا السلوك العدوانى والتخلص منه .

العامل الذى لا يتحمل المسئولية : فبعض العاملين لا يقدرون ولا يستطيعون تحمل اى نوع من المسئولية . ويرتبط عدم تحمل المسئولية بشخصية العامل، لذلك يعتبر علماء النفس تحمل المسئولية سمة من سمات الشخصية . والواقع ان عدم تحمل المسئولية كثيرا ما يكون سببه التربية الاولى للعامل . فاغلب الظن ان مثل هذا العامل قد عاش سنواته الاولى في بيئة لم تدربه ولم تشجعه على تحمل اى قدر من المسئولية .

العامل مدّعى العلم ببواطن الامور : قد نجد بين صفوف العاملين افرادا يدعون العلم ببواطن الامور ودائما يحملون الاخبار الى زملائهم وهذه الاخبار عادة ما تتصل بأمور تتصل اتصالا مباشرا بحياة العاملين في العمل . ومثل هذا العامل مدعى العلم ببواطن الامور عادة ما يكون مصدرا خصبا للاشاعات التى تشغل العاملين وتضيع وقتهم وتسبب القلق والاضطرابات بين صفوفهم . وهذا العامل وامثاله عادة ما يزيد عددهم ويتسع نشاطهم في حالة عدم وجود نظام جيد للاتصالات وعدم توصيل المعلومات الكافية للعاملين في المنشأة . والواقع ان وجود نظام اتصال جيد وتوافر المعلومات لدى العاملين في المنشأة في كل وقت يقللان ويحدان من مخاطر ونشاط مثل هذا العامل مدعى العلم ببواطن الامور وناقل وخالق الاشاعات .

العامل الكسول : ومثل هذا العامل لا يستطيع ان يركز او يبذل جهدا في العمل ، وعادة ما نجد هذا العامل بطيئا في حركاته وتصرفاته واستجاباته.

وعادة ما تكون دوافع العمل ضعيفة بالنسبة لهذا العامل بحيث لا يجد العامل في نفسه الرغبة في بذل الجهد .

ويمكن حفز العامل الكسول واثارة نشاطه عن طريق استخدام الحوافز الموجبة والسالبة مع مساعدته على التخلص مع كل ما يسبب هذا الكسل.

العامل المغرور : والعامل المغرور عادة ما يقاوم اى توجيه او ارشاد كما انه يقاوم ايضا اى تعلم

اعتقادا منه بانه اوتي من العلم والخبرة ما لم يؤته احد . والغرور عموما له اسباب كثيرة . فمن اسباب الغرور وصول العامل او الموظف الى مستوى وظيفي مرتفع دون ان يكون ذلك مقترنا بقدرة حقيقية او جهد حقيقي من جانبه ، وقد يكون وصوله الى هذا المستوى بسبب ظروف مؤاتية او بسبب مساعدة بعض الافراد له . والعامل المغرور عادة ما يكون غير محبوب قليل الاصدقاء لان الناس يبغضون في الفرد المغرور والتعالي .

والواقع ان وضع العامل المغرور في مواقف يحس فيها بقلة علمه وخبرته قد يقلل من غروره على ان يكون ذلك تدريجيا . كما ان التوجيه النفسي قد يفيد العامل المغرور في التقليل من غروره ، ويمكن تزويده خلال عملية التوجيه هذه بمعلومات غير مباشرة عن افراد اثروا حياة الانسان بابتكاراتهم واختراعاتهم ولم يكونوا مغرورين بل كانوا في منتهى التواضع ونكران الذات ونذكره بعظة الحكيم لقمان لابنه : « ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » . ونذكره أيضا بقول العالم العظيم اسحق نيوتن عندما سئل عن اختراعاته ونظرياته : « انما انا كطفل العب على شاطىء المحيط كلما وجدت صدفة جميلة أظهرتها للعالم » . فهذا العالم الكبير كان يعتقد ان الحقيقة موجودة في ملكوت الله سبحانه وتعالى والانسان ينحصر كل جهده في اظهار جوانب من هذه الحقيقة .

العامل المنطوي : وهذا العامل ، وقد سبق ان ذكرناه ، عادة ما يلفه نوع من الصمت الشامل ولا يكاد يدخل في اية مناقشة او علاقة اجتماعية مع غيره من العاملين . والعامل المنطوي قد لا يسبب مشكلات للعمل ولكن يعتبر الانطواء مظهرا لعدم الاستقرار والاضطراب النفسي . ويحتاج مثل هذا العامل الى مساعدة نفسية حتى لا يترك وحيدا مع مشكلاته فتسوء حالته وينعكس هذا على العمل في شكل عدم قدرة على التركيز وزيادة في الاخطاء وقلة في الانتاج وكثرة التغيب وعدم الارتباط والانتماء للعمل .

العامل غير المستقر : وهذا العامل لا يستطيع التركيز في عمله . فاذا كان موظفا مكتبيا لا يكاد يستقر به المقام على مكتبه حتى يتركه لزيارة بعض زملائه داخل العمل والتحدث معهم ، ولا يكاد يمسك القلم ويبدأ في كتابة احدى المذكرات المطلوبة منه حتى يصرفه عن ذلك أي مشتت لانتباهه . ومثل هذا الموظف لا يستطيع ان يؤدي عملا جيدا ، وكثيرا ما يدفعه عدم الاستقرار الى محاولة تغيير العمل والتنقل من عمل الى آخر او من ادارة الى اخرى دون سبب وجيه ظاهر .

والموظف غير المستقر عادة ما يسود حياته كلها عدم الاستقرار والقلق ، وتسيطر على هذا الموظف الصراعات النفسية والمنازعات الداخلية . والواقع انه ليس من السهل تعديل سلوك مثل هذا العامل ما لم يتم تغيير الظروف والاحوال المحيطة به الى افضل والى أحسن .

العامل كثير التغيب : تعاني من مثل هذا العامل الكثير من المنشآت في بلادنا . وللغياب اسباب مباشرة تتعلق بالعامل نفسه وقد تختلف من عامل الى آخر ، ويمكن التقليل من هذا الغياب اذا امكن للادارة التعرف على أسباب الغياب وقدمت للعامل النصح والتوجيه والمشورة والمساعدة للتقليل منه ولكن هناك شكلا آخر من الغياب يرجع سببه الى عدم جاذبية العمل بالنسبة للعامل وعدم احساس العامل بقيمة هذا العمل او عدم اتفاقه مع ميوله وقدراته واستعداداته أو يرجع الى عدم احساس العامل بالانتماء لهذا العمل وعدم شعوره بالارتياح عند القيام به .

العامل الغضوب : يسيطر على هذا العامل الغضب باستمرار دون سبب ظاهر وعادة ما يبدو الغضب ظاهرا على وجهه للملاحظ الخارجي ، ومثل هذا العامل الغضوب عادة ما يعاني من اضطرابات نفسية وعدم استقرار في حياته . ويجب ابعاد هذا العامل عن اية وظيفة فيها تعامل مستمر مع الجمهور لانه عادة ما يوجه غضبه ويصبه على جمهور المتعاملين معه دون سبب وجيه ظاهر . والواقع انه من الصعب أن نخلص هذا العامل الغضوب من هذا السلوك الشاذ لان الامر يتعلق في بعض الاحوال باسلوب تربية هذا العامل في طفولته والاسرة التي عاش فيها السنوات الاولى الهامة من حياته وكذلك المشكلات التي تحيط به في ماضيه وحاضره .

العامل العصبي : بازدياد المدنية وتعقد الحياة وتعقد عالم الاعمال وزيادة الاعباء المادية والنفسية الملقاة على عاتق العاملين زاد قلقهم وتوترهم وزادت عصبيتهم . ومن مظاهر العصبية عدم قدرة العامل على الدخول في مناقشة هادئة حول موضوع معين مع غيره من الافراد ، ومن مظاهر العصبية ايضا

الغضب والثورة لاقل سبب من الاسباب . وعادة ما تزيد عصبية العامل مع زيادة ضغط العمل ومع زيادة الاعباء العائلية والخاصة . وقد تؤثر هذه العصبية على الصحة البدنية للعامل فيضطرب هضمه ويصاب بالارق ، وكثيرا ما يصاب بطائفة من الامراض البدنية النفسية التى سبق التعرض لها .

العامل الغيور : والغيرة اذا لم تزد عن حدها لها فائدة كبيرة بالنسبة للعامل وبالنسبة للعمل . فالعامل الغيور عادة ما يكون سلوكه فى العمل حسنا وعادة ما يحرص على اداء عمله بالدقة والجودة المناسبة ويحرص باستمرار على أن يحظى بتقدير واحترام زملائه ورؤسائه ، ويريد دائما أن يتقدم الصفوف ولا يتخلف عنها . ولكن الغيرة لو زادت عن حدها جاءت بنتائج عكسية . فالعامل المصاب بغيرة مرضية يغضبه ويؤلمه أن يكون غيره من العاملين متفوقين عنه فى اى شىء او أن يكون هؤلاء العاملون محل تقدير واهتمام من رئيسه . وعادة ما يبذل كل جهده لتعطيلهم والاساءة اليهم حتى يحتل مكانهم وقد يستخدم فى ذلك اساليب غير مشروعة . ويزداد خطر هذه الغيرة اذا سادت احد العاملين محدود القدرة والامكانيات العقلية ، فهو يريد ان يسبق غيره ويتفوق ويتميز عليهم ولكنه يصطدم بنقص قدراته وامكانياته فيزداد حقدا وكراهية للعاملين الذين يسبقونه ويتفوقون عليه ، وهذا يؤثر تاثيرا سيئا على جو العمل وعلى العلاقات بين العاملين .

العامل المعوّق : وهذا العامل يختلف عن زميله الكسول . فالعامل المعوق لديه النشاط والحيوية التى يمكنه ان يضعها فى العمل ، ولكن هناك دوافع نفسية معينة تمنعه من بذل الجهد . وهذا النمط من السلوك الشاذ اكثر انتشارا بين الموظفين المكتبيين على كافة مستوياتهم ويظهر سلوك الموظف المعوق واضحا عند تعامله مع الجمهور حيث يجد هذا الموظف لذة كبيرة فى تعذيب وتعطيل المواطنين ذوى المصالح والحاجات الذين يضطرهم حظهم السيىء للتعامل معه . وكثيرا ما يحتمى مثل هذا الموظف المعوق بالنصوص الجامدة للوائح وللقوانين يحتمى وراءها حتى يبرر موقفه وحتى لا يبدو تعطيله وتعويقه للعمل واضحا . ويفسر علماء النفس هذا التعويق تفسيرا نفسيا على انه رغبة لا شعورية من جانب الموظف لايذاء الناس والانتقام منهم .

انماط اخرى للسلوك الشاذ

والواقع ان هناك انماطا اخرى كثيرة للسلوك الشاذ بين صفوف العاملين فهناك بالاضافة الى ما تقدم العامل الفهلوى والعامل الانانى والعامل المهمل والعامل المتشكك والعامل الهازل فى الجاد والعامل كثير التبرير والعامل كثير الشكاوى .

والواقع ان دراسة الرؤساء والمشرفين لهذه الانماط تساعدهم على زيادة فهم السلوك الشاذ للعاملين وحسن التعامل معهم. ولكن نعود فنكرر أن دوافع السلوك الشاذ قد تختلف من عامل الى آخر ولهذا يختلف اسلوب الرؤساء والمشرفين فى مواجهة هذا السلوك الشاذ وعلاجه بالنسبة لكل حالة .

ونزيد على ما تقدم فنقول اننا نستطيع ان نقلل من هذه المشكلات السلوكية اذا كانت هناك قيادة ادارية واعية فى المنشاة وكان جو العمل يسمح للعاملين بالتعبير عن انفسهم والشعور بقيمتهم واشباع حاجاتهم الاساسية واذا كان العمل نفسه يتيح للعاملين فرصة التقدم والنجاح واثبات الذات .

الحاجة الى رعاية نفسية متخصصة للعاملين

والواقع ان كبر حجم المشكلات السلوكية للعاملين وتعدد مظاهرها وعمق بعض هذه المشكلات جعل من الضرورى الاستعانة بخبرة الاخصائيين المتخصصة وقت الضرورة ، خاصة وان وقت المديرين اصبح ضيقا وحدود خبراتهم بالمشكلات السلوكية اصبح ايضا قاصرا عن مواجهة هذه المشكلات .

لذلك نقترح ان يكون فى المنشآت الكبيرة عدد من الاخصائيين النفسيين ذوى الكفاءة المرتفعة لاحالة العاملين المتعبين اليهم ، ومحاولة تقديم العون المعنوى والنفسى الى هؤلاء العاملين ومساعدتهم بالنسبة للمشكلات السلوكية التى يعانونها وزيدة بصيرة هؤلاء العاملين ومساعدتهم بالنسبة لهذه المشكلات السلوكية ، على ان تكون مقترحات هؤلاء الاخصائيين وتوصياتهم بشان هذه المشكلات السلوكية موضع اهتمام وتقدير الادارة ، وان يخصص لهؤلاء الاخصائيين النفسيين مكان مناسب به أثاث جيد يمارسون فيه عملهم ، حتى يجد فيه العامل القلق والمضطرب الراحة والهدوء والامن ويستطيع ان يعبر فيه عن نفسه وعن مشكلاته ■■

على احمد على



المزارع اللاارضية

بقلم: الدكتور محمد يوسف الشواربى

استاذ كيمياء الاراضى الزراعية ـ جامعة القاهرة

■ ان موضوع المزارع اللاارضية ، اوبعبارة اخرى انتاج بعض المحاصيل فى مزارع مائية دون ان نلجأ فى ذلك الىاستعمال التربة الزراعية ، يعتبر من المواضيع التى ادت المبالغة فى الدعاية لهالى اعتقاد الناس اعتقادات خيالية فيما يمكن ان يتمخض عنه التطور العلمى .

انه ليس هناك جديد فىاستخدام هذهالطريقة فى نمو النباتات ، وانما الجديد فيها هو محاولة معرفة :

اذا كان من المستطاع تطبيق هـذهالفكرة على اساس تجارى ؟

وهل يمكن ان تنجح في انماء نباتات ذات خواص جيدة وقيمة غذائية عالية بدون اى تربة زراعية ؟

وهل هناك اى فائدة في القيام بمثل هذا العمل؟

وسنتناول فيما يلى الوسائل التى حاولوها ، ونشير الى بعض النتائج التى حصلوا عليها في هذا الشان والى ما يمكن ان يتمخض عنه المستقبل القريب في هذا الموضوع .

دراسات بدات منذ قرن

منذ قرن تقريبا بدىء بانماء النباتات في محاليل غذائية تحت الظروف التجريبية ، ولقد استفادت العلوم الزراعية الحديثة كثيرا من المعلومات التي استقاها العلماء من هذا النوع من الدراسات ، فمفتاح نمو النبات هو الماء ، وقد نشات الحياة

كلها من الماء ، وحيوية جميع البروتوبلازم الحي تتوقف على وجود درجة عالية مع الماء .

القصة قصة ماء

ثم ان قصة الخصوبة في الارض وقصة النباتات النامية ، في مزارع لا ارضية ، هي قصة اعطاء النباتات احتياجاتها من الماء ، فاذا ما امكننا تزويد النباتات بالماء فان النواحي الاخرى لهذه القصة ـ وهي تزويد النباتات بما يلزمها من العناصر الغذائية المختلفة وغيرها من الامور الاخرى ـ يمكن تحقيقها بكل سهولة .

واهم ما يعنى به اولئك العلماء الذين يحاولون انماء المحاصيل في المزارع اللاارضية ، هو التحكم في درجة الرطوبة الحسنى اللازمة للنبات ، حتى يتأكدوا من حصول النبات على الكميات اللازمة له من الماء ، في الوقت الذى يحتاج فيه اليها .

وكالماء الهواء

وهناك امر آخر لايقل اهمية عن الماء ، ويتصل به اتصالا وثيقا ، وهو الهواء فجميع الكائنات الحية تحتاج الى الاكسجين ، وعلى ذلك فانه مالم تحصل جذور النباتات التى هى كائنات حية نشيطة جدا ، على الاكسجين اللازم لها ـ فانها سوف لاتنمو ، اذ ان مهمة نمو النباتات نموا ناجحا تتلخص في تزويده بكميات كافية من الماء والهواء في الوقت نفسه ، وهذا هو الاساس الاول في فلاحة التربة الزراعية . من ذلك نرى ان المهمة الاولى في طرق المزارع اللاارضية هي توفير كميات مناسبة من الماء والهواء والتحكم التام في المورد الغذائي للنبات .

غذاء النبات وعناصره الغذائية

ويجب ان نوضح هنا ان هناك فرقا شاسعا بين العناصر الغذائية وبين غذاء النبات ، فالنباتات تستعمل الاغذية نفسها التى يستعملها الادميون ، فالبروتوبلازم يستعمل الاغذية الرئيسية نفسها التى تتكون اساسا من الكربوادرات والبروتينات والدهون،والفرق الوحيد بين النباتات والحيوانات هو ان النباتات تقوم بصنع غذائها بنفسها واما الحيوانات فانه لابد لها من ان تجد من يصنع لها غذاءها، فالنباتات لاتمتص طعاما او غذاء من التربة الزراعية ، وقد نشأت هذه الفكرة الخاطئة من تساهلنا في استعمال بعض الكلمات وذلك كقولنا مثلا تغذية النبات وذلك عندما نقصد تقديم العناصر الغذائية اللازمة لتغذية النبات ، فنحن لا نقدم غذاء او طعاما للنبات ، كما ان النباتات لاتمتص طعاما او غذاء بواسطة جذورها ، وانما تمتص عناصر غذائية لها اهمية حيوية بالنسبة للنباتات كاهمية الاملاح المعدنية التي لابد لنا من الحصول عليها عن طريق اطعمتنا .

ثم ان هناك امرا آخر ، فجميع الكائنات الحية في حاجة الى الفيتامينات الا ان هناك فرقا بين النباتات والحيوانات ، وهو ان النباتات تقوم بصنع الفيتامينات الخاصة بها ولا تمتص فيتامينات جاهزة من الخارج ، غير ان الغالبية العظمى من الكائنات الحية الحيوانية لابد لها من الحصول على ما يلزمها من الفيتامينات الجاهزة او في صورة معقدة يمكنها ان تقوم بتجهيزها منها .

طرق المزارع اللاارضية

هناك طريقتان اساسيتان يمكن استعمالهما للحصول على مزارع ارضية :

(١) فاول هذه الطرق هو تنمية النباتات في المحلول الغذائي ، وغمس جذورها باستمرار في هذا المحلول .

(٢) واما الطريقة الثانية فهى تنمية النباتات في بعض مواد غير فعالة ينتفع بها فقط لتثبيت جذور النبات ، الا انها لاتلعب دورا ما في تغذيته ثم تعم جذور النباتات الموجودة في هذا الوسط بالمحلول الغذائي من وقت لآخر. على ان هناك عدة تحويرات مختلفة لهاتين الطريقتين الاساسيتين .

اما الطريقة الأولى :

فقد استعملت لأول مرة بواسطة عالم اسمه جيريكي ، وذلك في كاليفورنيا في امريكا ، وكان يستعين باسلاك لربط النباتات بها عند نموها وقد استعملت لأول مرة على نطاق تجارى في امريكا .

واما الطريقة الثانية :

فيوجد فيها عدة تحويرات مختلفة والاساس فيها جميعا تنمية النباتات في مواد غير فعالة كقطع الاحجار او الحصى او الرمل الخشن .

واسهل الطرق الفرعية لهذه الطريقة الثانية هو تنمية النباتات في رمل نظيف ثم غمرها بالماء او بالمحلول المغذي ما بين آونة واخرى ، ومن مزايا هذه الطريقة ان هذه الرمال يمكن وضعها في اى نوع من الاوعية كالصناديق الخشبية او اوعية مصنوعة من الخرسانة كما انها تستعمل كذلك في بعض الابحاث العلمية الخاصة بتغذية النبات .

تحوير الطريقة

وقد حورت هذه الطريقة اخيرا لزراعة النباتات على نطاق تجاري ، ويتلخص هذا التحوير في تنمية النباتات في مخلوط من الرمل والدبال اى السماد ، ومدها بالمواد الكيمائية اللازمة على الحالة الصلبة ، ثم ريها بعد ذلك ، وتعتبر هذه الطريقة حلقة وسطية بين المزارع الارضية واللاارضية ، وبالاختصار فانهم يقومون بتنمية النباتات في اوعية مصنوعة من الخرسانة ، عمقها يتراوح بين ١٥ ، ٢٠ سم ، ثم يوضع المحلول الغذائي في اوعية تخزين منفصلة تحت مستوى الاوعية المصنوعة من الخرسانة والمعدة لزراعة المحاصيل بها ، ثم تغمر هذه الاوعية الخرسانية بالمحلول الغذائي ، وذلك بوساطة طلمبة مركزية طاردة تدار بالقوى الكهربائية ، ولا ينقل الى هذه الاوعية الا النباتات التي اخذت في النمو ، ثم تروى بعد ذلك بهذه الطريقة من آونة لاخرى وذلك الى عمق ٢ سم من السطح ، ثم يترك بعد ذلك المحلول الغذائي ، لكي يتسرب مرة اخرى الى الوعاء الاصلي الذى كان موجودا فيه .

والمبادىء الاساسية لهذه الطريقة هي ان الامدادات اللازمة من الماء للنبات ـ تستمر بحالة ثابتة ، وذلك لان الحصى او الرمال المستعملة في الاوعية الخرسانية تغمر تماما بالمحلول الغذائي على فترات منتظمة ، فيحتفظ الحصى بكمية من الرطوبة تكفي لسد احتياجات النبات حتى موعد القمرة التالية للحصى بالمحلول الغذائي ، وقد يكون ذلك بعد ساعات من عملية الغمر السابقة كما انه يسهل بهذه الطريقة كذلك سد احتياجات النبات من الاكسجين لانه على اثر تسرب المحلول الغذائي الى مقره الاصلي مرة اخرى ، فانه يجذب الهواء النقي الذى يتخلل الحصى والرمال فيتم في نفس الوقت تهوية الجذور ، وكذا التخلص من اى كميات متجمعة من المواد السامة او من ثاني اكسيد الكربون التي ربما تكون قد نشأت عن تعفن الجذور وتحلل النباتات الميتة .

تلك هي اهم مزايا هذه الطريقة على ماعداها من الطرق الاخرى ، وهي تتبع على نطاق واسع في استصلاح الاراضي الرملية في مصر ، وقد امكن اقامة مساحات كبيرة من مزارع الفاكهة على الرمال في انحاء مختلفة من جمهورية مصر وخصوصا في منطقة انشاص بمحافظة الشرقية .

المحلول الغذائي

ان العناصر الاساسية اللازمة لنمو النباتات تبلغ في مجموعها ١٤ عنصرا ولو ان عددها يزداد يوما بعد يوم بتقدم البحث العلمي ، وتقدم علم الكيمياء الدقيقة ، كل هذه العناصر يمكن امداد النبات بها في صورة املاح معدنية بسيطة ، فمن المعتاد استعمال نترات الصودا او كبريتات الأمونيوم كمصدر للأزوت ، ويفضل اولهما في ذلك وتستعمل فوق فوسفات الجير كمصدر للحصول على الفوسفات ، كما تستعمل كبريتات البوتسيوم كمصدر للبوتسيوم ، واما المغنسيوم فيضاف على صورة كبريتات المغنسيوم .

اضف الى ذلك انه لابد من وجود امدادات منتظمة من الحديد ، كما انه لابد من اضافة عدد معين من العناصر النادرة والتي لاتكون موجودة بكمية كافية على صورة شوائب مع العناصر الاخرى . وهذه تضاف عادة بكميات ضئيلة في صورة حامض البوريك ، وكبريتات المنجنيز ، وبعض المواد الاخرى كالموليبدنيوم مثلا . وكل هذه المحاليل من السهل تركيبها ولا يصادف القائم بهذا العمل صعوبات كبيرة .

ومن الضروري ان يراعي الانسان بدقة عدم ارتفاع درجة التركيز الكلية للمحلول الغذائي ارتفاعا كبيرا . ومن الواضح ان الانسان لايبدأ

بمحلول مركز عادة ، ولسوء الحظ فان النباتات لا تأخذ المواد الغذائية دفعة واحدة فالنباتات لا تأخذ مثلا الكبريتات وكذا البوتاسيوم الموجودين في كبريتات البوتاسيوم بالسرعة نفسها ، فالكبريتات تتحرك في المحلول ولا بد والحالة هذه من موازنتها بمادة اخرى ، وهى توازن عادة بالايدروجين ، ولذلك فانه يتكون عندنا حامض كبريتيك في المحلول ، وهذا يؤدى الى جعل المحلول غنيا في الكبريتات ، كما تزداد كذلك درجة حموضته ، وعلى ذلك فاننا نواجه بصعوبتين هما :

(١) ان تفاعل المحلول يتغير باستمرار بسبب تأثر النباتات عليه ، وعدم تساوى السرعة التى يمتص بها شقى الملح المستعمل كمادة غذائية .

(٢) واما الصعوبة الاخرى فهى ان البقايا التى لم تمتص تتراكم في المحلول وترتفع درجة التركيز الكلية . ونظرا لوجود ظاهرة الامتصاص غير المتساوى — اى ان النبات لا يمتص جميع العناصر الموجودة في المحلول بالتساوى — لذلك نرى انه لا بد من ايجاد طريقة للتحكم كيميائيا في المحلول.

مستقبل المزارع اللاارضية

لقد ظهرت دعايات قوية في كاليفورنيا وفي غيرها من الولايات الامريكية بخصوص مقدار المحاصيل التى يمكن الحصول عليها من هذه المزارع، ولقد بلغت المقادير التى يدعونها في هذا الشان فوق ما تسمح به طاقة النبات الانتاجية ، على اننا نسلم بانه لابد من الحصول على محاصيل أعلى في مثل هذه الاحوال ، لان التحكم في الامدادات الغذائية في النبات لا بد ان يؤدى الى انتاج نبات اكثر تجانسا وهذا بدوره يؤدى الى الحصول على محاصيل اكثر تجانسا ، وهذا معناه الحصول على متوسط اعلى من المحاصيل .

وليست الخضراوات هي المحاصيل الوحيدة التي يمكن زراعتها في المزارع اللاارضية ، بل انه يمكن زراعة اى محصول بهذه الطريقة ، فاى نبات يمكن انماؤه في التربة يمكن انماؤه كذلك في الحصى او في الرمال . بيد اننا اذا كنا قادمين على اتباع مثل هذه الطريقة فانه لابد لنا ان نواجه الحقيقة الآتية ، وهي ان هذه الطريقة تتطلب راس مال كبير لايجاد المعدات الاساسية الخاصة بهذه الطريقة ، وعلى ذلك فاننا نرى ان المحاصيل التى تعطى محصولا عاليا بالنسبة لمساحة صغيرة نسبيا هي التى يمكن محاولة زراعتها بهذه الطريقة ، وهذه تشمل تقريبا معظم النباتات التى تزرع في البيوت الزجاجية . ولهذا السبب فانه لامستقبل لهذه الطرق فيما يختص بزراعة المحاصيل العادية الاخرى على نطاق واسع ، فمن الواضح ان مثل هذه المحاصيل لايمكن ان تعطى محصولا كبيرا جدا بالنسبة للمتر المربع بحيث يكفى لسد النفقات الابتدائية الخاصة باقامة المعدات اللازمة لهذه الطريقة .

ويعتقد السير البرت هوارد ان المزارع اللاارضية ليس لها اى مستقبل ، لان النباتات اذا حيل بينها وبين الظروف الطبيعية في الاراضي الخصبة فانه لايمكنها لهذا السبب نفسه ان تكون لها قيمة غذائية عالية .

على انه بتقدم الطيران ، فاننا نجد ان الخطوط الجوية التى يسهل مد مطاراتها بالمؤن والاغذية سوف تجذب اليها عددا اكبر من المسافرين ، وذلك عند تشابه الظروف الاخرى ، وهنا نرى ان المزارع اللاارضية سوف تكون لها مزايا كبيرة في مد المطارات الصحراوية والموجودة في المناطق المنعزلة بما يلزمها من الخضراوات وغيرها من الاغذية الاخرى ، وفيما عدا ذلك فان الاراضى الزراعية العادية سوف تظل المهد الطبيعي الاقتصادى لنمو مختلف المحاصيل الزراعية .

ومما يجب ان نستبشر له — نحن معشر العرب — انه يمكن سد احتياجات بعض بلادنا الصحراوية في العالم العربى بما يلزمها من الخضراوات جميعا ، وكذا بعض المحاصيل الرئيسية ، وكذا الفواكه — عن طريق الاهتمام بانشاء المزارع اللاارضية ، وتوجيه العناية نحو هذا الموضوع الرئيسى من مواضيع علوم الاراضي الذى يبشر بمستقبل كبير في هذا الشان ان شاء الله ،، انظر استطلاع الزراعة بدون تربة العدد رقم ٩٩ فبراير ١٩٦٧ . ■■

محمد يوسف الشوارى

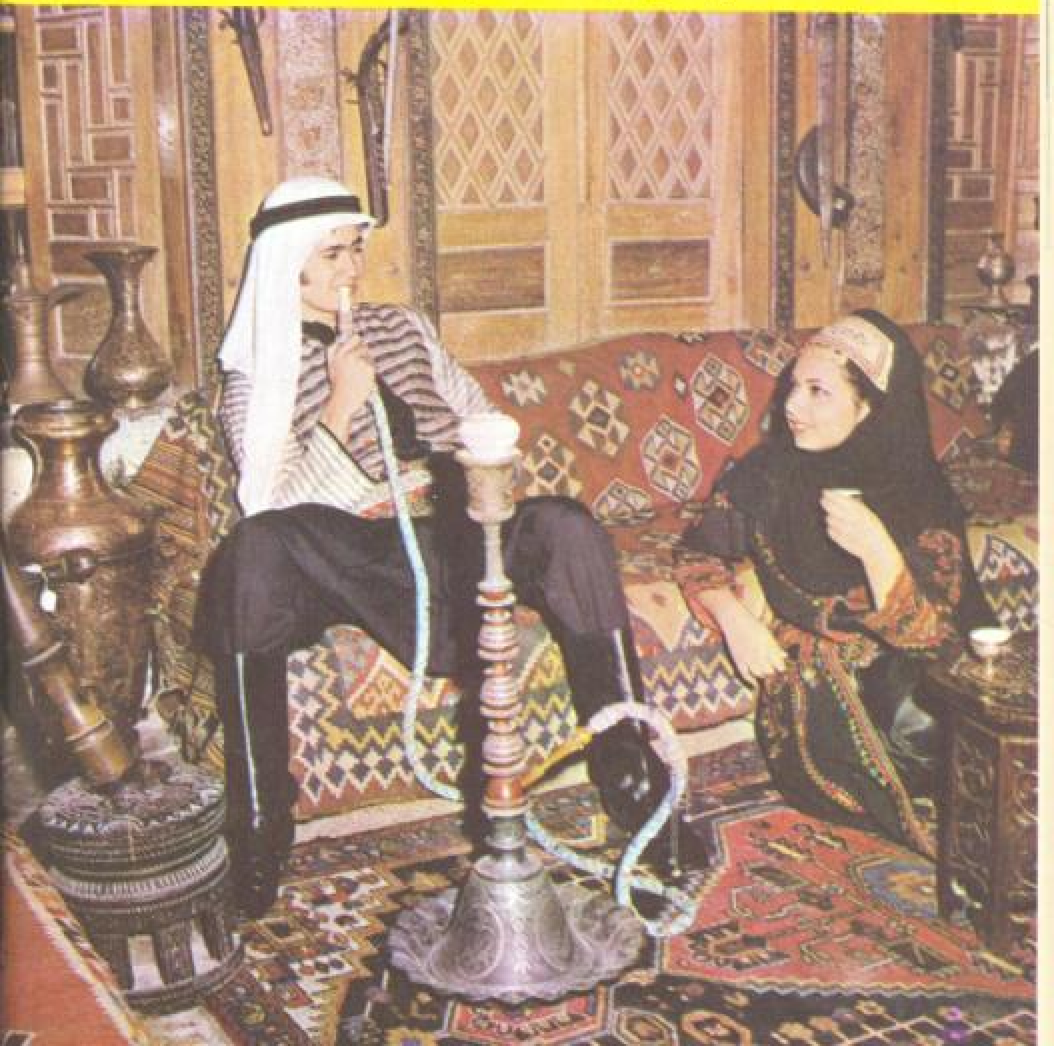
الصّناعات السّوريّة

التقليديّة منها والحديثة

استطلاع : منير نصيف

تصوير : اوسكار مترى

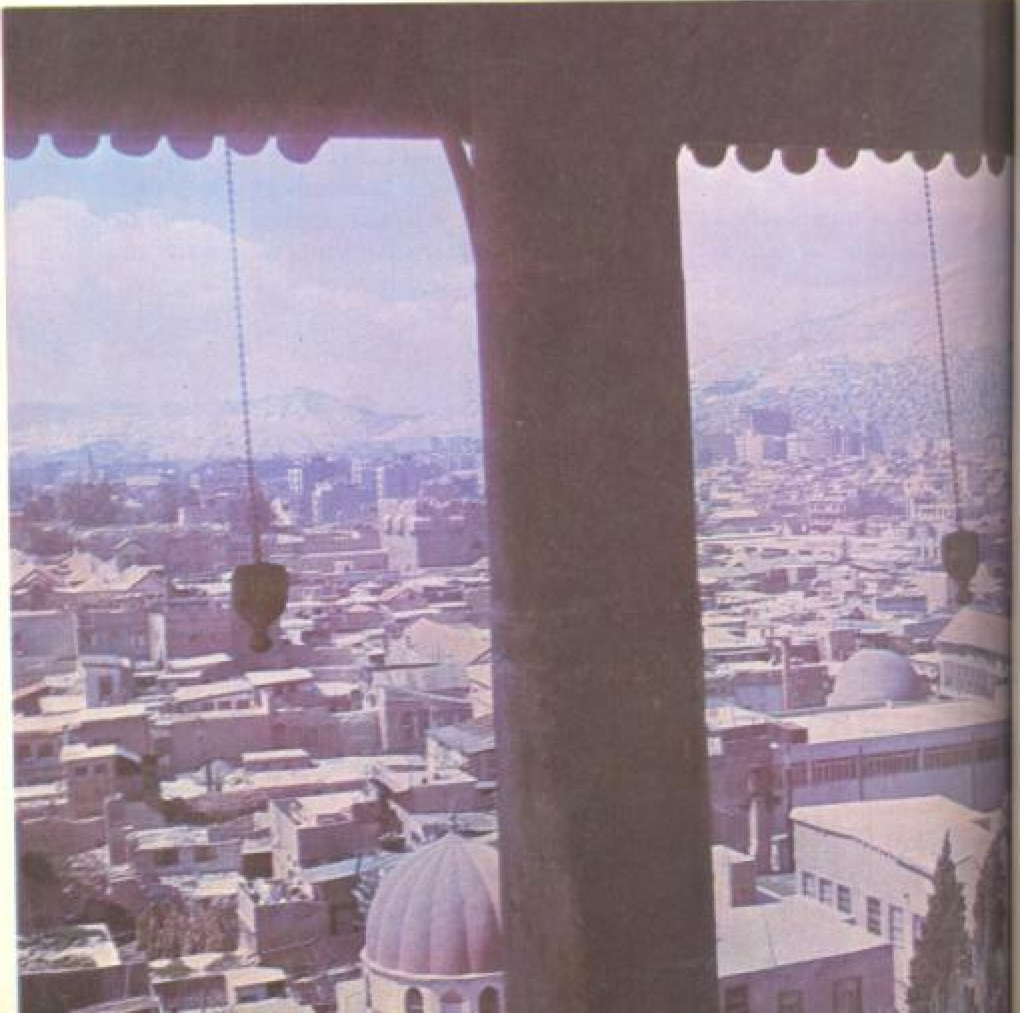
الزجيلة والمدق والاوانى النحاسية ، وشاب وفتاة بالملابس الوطنية .. انها بعض ما ينتجه العامل السورى من صناعات تقليدية توارثها عن آبائه واجداده .





النول اليدوي وصناعة الحرير البروكار الذي اشتهرت به سوريا . وتنتشر هذه الانوال الخشبية القديمة في بيوت عدد كبير من الاهالي الذين اتقنوا هذه الصناعة القديمة .

جانب لمدينة دمشق القديمة، التقطت صورته من مئذنة المسجد الاموي، في هذه المنطقة التاريخية ، وبين منازلها وقصورها الاثرية قامت الصناعات التقليدية منذ القدم .. وفي قلب هذه المدينة القديمة ايضا سينفذ مشروع المدينة السياحية .



■ لقيناه في سوق الحميدية ، اقدم اسواق دمشق عاصمة سوريا واكثرها ازدحاما بالمشترين .. ولم يكن وحده ، فقد كانت ترافقه زوجته واطفالهما الثلاثة .. ولم يكن من العسير ان نكتشف بعد لحظات من لقائنا العابر بهم ، انهم غرباء عن هذا البلد ، وعن هذا المكان الذي اختاروه لزيارتهم في صباح ذلك اليوم من ايام الربيع في العام الذي مضى ..

فقد كانوا يتوقفون عند كل متجر من المتاجر الصغيرة التي تزدحم بها السوق الكبيرة .. وكانوا يتأملون بعيون فاحصة مدققة ، كل شيء تقع عليه ابصارهم .. السقف المرتفع الذى يغطى شارع السوق من فوق رؤوسهم ، الجدران القديمة التي ازدانت كلها بالسلع والملابس المزركشة .. الوجوه التي تمر بهم على الرصيف الضيق الذى يمتد بطول الشارع امام المتاجر على الجانبين ، وقد ازدحم هو الاخر بشتى انواع السلع التي رصت عليه رصا ، حتى ضاق بها وضاقت به ..

ووقفنا نرقبهم ، ولكن وقفتنا لم تطل ، اذ سرعان ما وجدوا ضالتهم المنشودة ، امام احد متاجر بيع العاديات والمنسوجات الحريرية الدمشقية المزخرفة ، وقد ازدحمت واجهة المتجر بعشرات من الاواني النحاسية المحفورة ، والاقمشة والاثواب الحريرية المطرزة بالخيوط الفضية والذهبية ، وعلب الحلوى والتبغ المطعمة بالصدف ، وغيرها كثير مما صنعته تلك الايدى الخبيرة المدربة.

نفس الصورة تتكرر

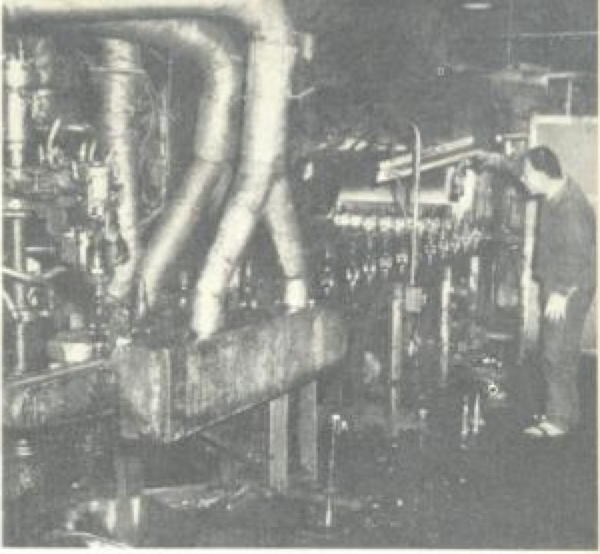
نفس الصورة التي يراها المرء في كل سوق من اسواقنا القديمة في اكثر البلاد العربية ، وان اختلفت في شكلها وتصميمها وطريقة زخرفتها .. تلك الصورة التى تحمل طابع البلد ، ومزاج اهله وانفعالاتهم ، وتحكى في الوقت نفسه فصلا من تاريخها القديم وحضارتها العريقة ..

توقف الزائر الغريب امام المتجر اذن ، ثم اخرج آله التصوير التي يحملها في حقيبته الصغيرة ، وراح يلتقط عدة صور لزوجته واطفاله ، وهم يحملون الاوانى النحاسية ، والعلب الخشبية الصغيرة المطعمة بالصدف ، ثم مالبثوا ان دفعوا ثمن ما حملوا لصاحب المتجر ، ومضوا يكملون جولتهم في سوق الحميدية القديم ..

واقتربنا منه وبادرناه بالتحية ، وقلنا نسأله : « من اى بلد جئتم ، وماذا رأيتم ، وماذا تنوون ان تروا في دمشق ؟ »



صناعة الاواني النحاسية من مختلف الاشكال والاحجام ، من الصناعات التقليدية التي تشتهر بها سوريا وكثير من البلدان العربية .. ولكنها تختلف من حيث نقوشها وزخرفتها من بلد الى آخر .. فهى تعبر عن تاريخ الشعب وحضارته ، وعاداته وتقاليده .. كل هذا يجده المرء في تلك النقوش التي يرسمها ويحفرها هؤلاء العمال المهرة الذين توارثوا هذه المهنة عن اجدادهم عبر الاجيال البعيدة .



● **الصناعة في سورية**

يجري العمل في مصنع الزجاج الحديث في دمشق طوال الاربع والعشرين ساعة ، لسد حاجة البلاد من الاواني الزجاجية والقوارير التي تستخدم في تعبئة المياه الغازية والزيوت ومختلف انواع الشراب ، ويبلغ انتاج المصنع يوميا ٢٢ طنا من المنتجات المختلفة ، وفي الصورة الالة الخاصة بصب الزجاج المصهور وتشكيله .

سحر القديم

واجاب الرجل : انا سائح فرنسي ، جئت مع اسرتي في رحلة ازور فيها بعض البلدان العربية وهذا هو ثاني يوم لنا في العاصمة السورية بعد وصولنا قادمين من باريس .. لقد اعد لنا القائمون على السياحة برنامجا للزيارة ، يشمل معالم النهضة الحديثة والنهضة القديمة في سوريا .. وقد كان من المقرر ان نبدأ بزيارة المصانع السورية الحديثة في دمشق وفي حلب وفي حمص وفي غيرها من المدن السورية الكبرى .. فان الدولة اية دولة ، تفخر بانجازاتها الحديثة ، وتيسر زيارتها لكل زائر قادم اليها ، لكي يقف على مدى ما حققته في مجال الصناعة ، والاستغناء عن العديد من السلع التي كانت تستوردها من الخارج وتدفع ملايين الجنيهات ثمنا لها .

« ولكننا لاندري ، لماذا راينا ان نبدأ بزيارة القديم في سوريا .. لقد شدتنا دمشق القديمة اليها شدا ، فرجوناهم ان يسمحوا لنا بمشاهدة سورية القديمة واثارها التاريخية قبل ان ننتقل لمشاهدة الجديد الحديث قلنا : « نحن نعلم انكم تبنون سدا على نهر الفرات ، وانكم قد قطعتم شوطا لا باس به في مجال الصناعات الحديثة واصبحت مصانعكم تنتج العديد من السلع الاستهلاكية الجيدة ، ولكننا نريد ان نبدأ بالقديم .. واستجاب المسئولون لرغبتنا ، وجئنا ، كما ترون ، الى سوق الحميدية ! »

وتمنينا للسائح واسرته اقامة طيبة ، وانصرفنا .. ولكننا احسسنا ونحن نودعه انه كان يعبر بحديثه هذا ، عما جال بخاطرنا لحظة وصولنا الى دمشق ، لنقدم صورة سريعة للصناعات اليدوية والصناعات الآلية الحديثة فيها ..

حقيقة اننا لسنا بسائحين ، ولكن حتى الزائر العادي لايستطيع ان يقاوم سحر القديم .. هذا الذي قرأ عنه في كتب التاريخ ، ورأى صورته في الكتيبات السياحية ، التي تدعوك لزيارتها .

نشأت في العصر الايوبي

ان تاريخ هذه الصناعات التقليدية القديمة هو تاريخ سوريا القديم نفسه .. فهي قد نشأت في العصر الايوبي ، اى منذ اكثر من الف عام . ويقول السيد عبد المجيد ابو تراب ، عضو مجلس ادارة الجمعية الحرفية التي تاسست لحماية الحرفيين ، وتنمية المواهب والكفاءات الحرفية وتشجيعها ، يقول : « لقد استطاع عدد من الحرفيين السوريين ان يحافظ على هذا الفن ويجدده ويطوره على مر السنين ، منذ عهد الايوبيين حتى اليوم ، فراحوا يتوارثونه ابا عن جد .. وقد تركز تطويرهم له على تباين طرق الزخرفة وتجميلها ، وتعدد انواعها ، فمن لوحات تاريخية الى ايات قرانية الى زخارف ذات اشكال هندسية الى ما يعرف اليوم بالرسوم العربية الدمشقية التي تحمل طابعا خاصا يميزها عن مثيلاتها في الدول العربية الشقيقة كمصر مثلا او المغرب او تونس وغيرها . »



تطور الفن الزخرفي ، واصبح يدخل الان في ديكور المحلات العامة . وفي مقدمة المهتمين بتطوير هذه الفن السيد احمد محفوظ الذى استخدمه في زخرفة مطعم « علي بابا » المعروف في دمشق .. والصورة لجانب من قاعات الطعام التي تقدم الاطباق الشرقية .

النقش على النحاس ، من الصناعات التقليدية القديمة وهي عملية دقيقة يستخدم فيها العمال ادوات بدائية بسيطة ذات رؤوس مدببة ، اما الاخاديد الناجمة عن عملية الحفر فتثبت فيها الخيوط الفضية الرفيعة .



صناعة الاواني الزجاجية بطريق النفخ ، وهي من اقدم واعرق الصناعات التقليدية التي عرفت في كثير من اجزاء وطننا العربي ، وتقول بعض المصادر ان قدماء المصريين ، كانوا اول من عرف هذه الصناعة واتقنها .





الى اليسار : احمد محفوظ في مكتبه بالمشغل الفني للاشغال الشرقية والديكور بدمشق ، تحيط به نماذج للزخرفة على الخشب ، ذلك الفن الذي ورثه عن آبائه.

الى اسفل : تطعيم الاخشاب ، من الصناعات التقليدية المعروفة ، والصورة لبعض العمال وهم يقومون بقطع وتنظيم شرائح العظم واخشـاب الزان والليمون والجوز ، وتشكيلها هندسيا ثم صفها الى جوار بعضها البعض لتعطي الشكل النهائي للقطعة التي يراد صنعها .



اهم الصناعات التقليدية

قلنا : « ما هي اهم الصناعات التقليدية في سوريا ، تلك التي احتفظت بطابعها ، رغم ما طرا عليها من تجديد وتطوير ؟ »

قال : « هنالك الصناعات اليدوية للمعادن ، والاخشاب، والفخار ، والنسيج اليدوي السوري والصناعة اليدوية للزجاج ، ثم صناعة الحلوى السورية » .

وخرجنا لنرى على الطبيعة بعض هذه الصناعات التي اشتهرت بها سوريا في اسواق دمشق القديمة، بعد ان اعدت لنا جمعية الحرفيين برنامجا لهذه الجولة السريعة ..

وفي قصر دحداح ، او القصر العربي القديم الذي شيد في العهد العثماني منذ اكثر من ٣٢٥ عاما ، شاهدنا على الطبيعة الصناعة اليدوية للمعادن .. وصناعة الحرير البروكار ، والاخشاب المطعمة بالصدف .. وفي القصر من الداخل ، التقينا بطائفة من هؤلاء الحرفيين ، اثناء تأديتهم عملهم ، وكانوا يجلسون امام موائد صغيرة ، وقد حملوا ادواتهم الدقيقة وراحوا يعملون بها في دقة واتقان ، في نقش وزخرفة النحاس والفضة والاخشاب » .

لقد تحول القصر التاريخي الآن الى متحف ، يحوي اربع غرف خصصت اثنتان منها لعرض انتاج هؤلاء الحرفيين ، وخصصت ثالثة لصناعة الحرير البروكار ، على النول اليدوي القديم بينما خصصت الغرفة الرابعة للراحة والجلوس على الارض وتناول اقداح القهوة العربية ، اما العمال فقد اختاروا صحن الدار مكانا لعملهم في ضوء الشمس ..

مواطنون من اليهود

قال لنا مرافقنا : « هل تعلمون ان عددا كبيرا من امهر العمال اليدويين في هذه الاسواق القديمة من اليهود .. نعم يهود سوريا الذين توارثوا هذه المهنة عن آبائهم عبر الاجيال البعيدة .. انهم يعيشون بيننا الآن ، كما كانوا يعيشون بين اخوانهم العرب ، منذ القدم ، دون ان يشعروا يوما انهم غرباء في بلادهم .. ان استمرار وجود اليهود بيننا ، حتى بعد قيام دولة اسرائيل في قلب ارضنا العربية ، ينفي التهم التي يحاول



ايرين بسن ، الصحفية الانجليزية التي جاءت الى دمشق ، وكتبت تقريرا عن يهود سوريا وكيف يعيشون كمواطنين صالحين ، واستطاعت بتقريرها ان تفند مزاعم الصهيونيين .

زعماء الصهيونية الصاقها بالعرب على اساس انهم قوم معادون للسامية ، وانهم يسيئون معاملة اليهود المقيمين في الدول العربية ..

« لقد ارادت الصحفية الانجليزية مسز ايرين بسن Irene Bessen مندوبة صحيفة الاوبزرفر البريطانية ان تحقق بنفسها اوضاع اليهود في سوريا ، فجاءت ورات بعينها كل شيء على الطبيعة ، وخرجت من تحقيقها الصحفي بنتيجة هامة : « ان اليهود في سوريا يعاملون معاملة طيبة ، مثلهم في ذلك مثل اى مواطن عربي يعيش في بلاده . انهم مواطنون سوريون ولن يرضوا بغير سوريا وطنا . فسوريا بلادهم التي ولدوا فيها ونشاوا وعاشوا ! » .

ثم زارت مسز بسن اسرائيل بعد سوريا، وهنالك اكتشفت مدى الخطا الكبير الذى ارتكبه اليهود العرب ، الذين اختاروا الهجرة الى هذه الدولة التي قامت على العنصرية والتفرقة في المعاملة بين اليهود العرب واليهود الاوروبيين !

وقد سجلت الصحفية الانجليزية مشاهداتها هذه في مقال طويل نشرته الاوبزرفر البريطانية منذ عامين تقريبا ..

هي وقفة على الطريق اردنا بها ان نقدم دليلا جديدا ، وما اكثر الادلة ، التي تدحض مزاعم المغرضين .

صناعة المعادن وزخرفتها

ونعود الى موضوعنا .. الى صناعة المعادن وزخرفتها ، وهي فن قديم ، كما ذكرنا ، يقوم على اساس تنزيل خيوط الذهب والفضة داخل رسوم واشكال هندسية محفورة على الصواني النحاسية ، او توشية المصابيح وتحف الزينة بالاحجار الكريمة ، او تخريم المصابيح والثريات

المحلاة بالاحجار الكريمة ، تخريما زخرفيا جميلا يحمل الطابع الشرقي ، الذى يميزها عن غيرها في اى بلد آخر ..

صناعة الاخشاب

ثم هناك الصناعة اليدوية للاخشاب ، وهي تعتمد ايضا على التشكيل الهندسي والزخرفة ، وتستخدم في تزيين القصور والمعابد .. وهي تتفرع الى عدة صناعات ، كالموزاييك ، والحفر على الخشب ، والتخريم ، والتطعيم ، والخطوط الخشبية العربية والخراطة الخشبية، «والدهان العجمي » على الخشب الذى يعتمد على تكوين زخارف نافرة بواسطة الجص والغراء ومادة الكثيرة، ثم يطلى بعد هذا بالاصبغة الزاهيةالالوان.

وهذه الصناعة بالذات ، يقبل عليها الاثرياء والامراء من الاقطار العربية الشقيقة وعدد كبير من المهتمين بالزخرف او الديكور الشرقى من الاجانب .

التقينا بالسيد احمد محفوظ احد الذين طوروا هذه الصناعة وهو فنان موهوب ، ينتمي الى اسرة اشتغلت بهذه الحرفة ومارستها ، واشتهرت بها منذ اكثر من مئة عام ، وهو قد ورث الصناعة اليدوية للاخشاب عن اجداده ، هؤلاء الذين يقال انهم اشتركوا في زخرفة المسجد الاموى زمن الوليد بن عبد الملك ، عندما جلب الحرفيين من بلاد العجم والعراق للاشتراك في تجميل جدران المسجد وصحنه وزخرفتهما .

تطوير وتجديد

وفي مكتبه بالشغل الفنى للاشغال الشرقية والديكور في دمشق ، وهو اسم المصنع الذى يملكه ويديره ، جلس احمد محفوظ يروى لنا قصة تطويره لهذا الفن الذى كان مقصورا في الماضي على زخرفة الاسقف والجدران ، ثم اصبح اليوم يستخدم في تجميل وزخرفة اثاثات المنازل من غرف النوم والصالونات وغرف الطعام ، كما فرض فنه الجديد المتطور على الديكورات الحديثة في المنازل والمطاعم الكبرى .

قال محفوظ : « لقد قام المصنع بانتاج ما يزيد على عشرة صالونات عربية « ديوانيات » للكويت ، اذكر منها ديوانية الشيخ جابر العذبي الصباح ، والشيخ جابر العلي ، والسيد ابراهيم الشطي مدير مكتب سمو الامير ، وبدر الخالد النفيسي.. ان مصنعنا اليوم يقوم بتصدير انتاجه الى مختلف انحاء العالم ، والدول العربية بصفة خاصة ، وبعض البلدان الاوروبية .

البيت الدمشقي في نيويورك

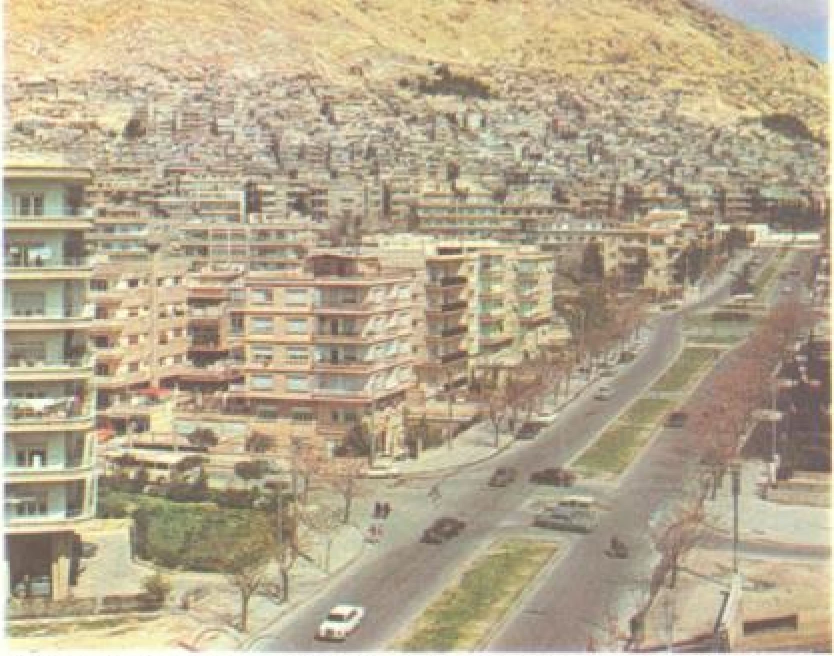
ثم روى لنا محفوظ بعد ذلك قصة البيت العربي القديم الذى كان يملكه ، والذى باعه منذ ثلاثة اعوام لاحد اصحاب الملايين من الامريكيين .. لقد اشترى المليونير الامريكي البيت الاثرى باحجاره وزخارفه واثاثاته ، بمبلغ ٧٠ الف ليرة سورية (حوالي ستة آلاف دينار) ثم سافر محفوظ مع مجموعة من العمال السوريين على نفقة صاحبه الجديد واقاموا البيت في مدينة نيويورك ، واطلق عليه اسم « البيت الدمشقي ».

ومحفوظ شاب في الحادية والثلاثين من عمره ، متزوج وعنده ثلاثة اطفال ، ويحمل الشهادة المتوسطة .. ولكنه استطاع ان يثبت وجوده ، ويفرض فنه الجديد في الداخل والخارج ، خلال سنوات قليلة من العمل المتواصل ، فاشترك في معرض بورصة السياحي الدولي Buorsa ، الذى اقيم في برلين الغربية في اوائل عام ١٩٧٢ ، وفاز باعجاب المشتركين في المعرض والمتفرجين . وهو يروى قصته مع احد سفراء سوريا السابقين في الكويت ، يقول : « لقد استدعاني السفير لمقابلته اثناء وجودي في الكويت عندما كنت أقوم بالاشراف على تركيب احدى الديوانيات التى انتجها مصنعي ، وفوجئت بالسفير يترك مكتبه ويتجه نحوي ويعانقني وهو يقول لي : « لقد صنعت لبلدك اكثر مما صنعته انا كسفير امثل بلادى في هذا البلد العربي الشقيق » .

النسيج اليدوى

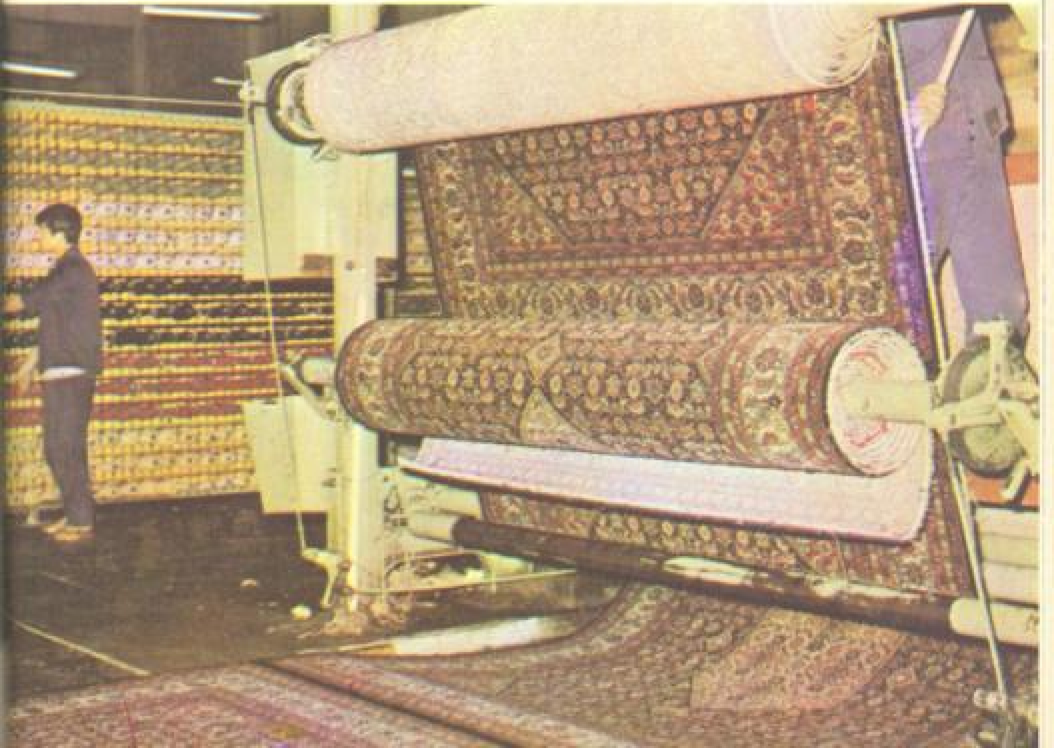
ثم ماذا ؟

ان الصناعات التقليدية في سوريا كثيرة ولا يمكن حصرها في هذه الصفحات القليلة وسوف نكتفي بذكر صناعتين او ثلاث اخرى ، ولعلها تأتى في المرتبة الثانية من حيث الاهمية بعد صناعة المعادن والاخشاب ، واول هذه الصناعات ، صناعة النسيج اليدوى السورى ، تلك التى اشتهرت باسماء وصنوف عديدة لكل منها طابعه ، ومن بينها البروكار الطبيعي ، والداماسكو ، والاغباني .



دمشق الحديثة ، حيث يتوارى القديم امام الجديد الحديث .. وقد ظهر في الصورة شارع عدنان المالكي الذي يصل بين ميدانين ، الاول ميدان الامويين ، والثاني ميدان عدنان المالكي ولكن هل استطاع الحديث حقا أن يحجب القديم ؟ .

صناعة السجاد ، من الصناعات السورية الحديثة ، ويضم المصنع سبعة انوال آلية ، تعمل طوال الاربع وعشرين ساعة ويبلغ انتاجها حوالي ٢٥٠ مترا مربعا يوميا ، ويسد الانتاج حاجة السوق المحلي ويصدر الفائض للخارج .





الغزل ايضا من الصناعات المستحدثة في القطر السوري ، وتقوم مكنات الغزل بانتاج الخيوط القطنية الرفيعة والسميكة ، وخيوط الحرير الاصطناعي والخيوط الصوفية .. واما القطن فيزرع في سوريا ، بينما يستورد الصوف وكذلك خامات الحرير الاصطناعي .



مكنة البرم في مصنع الغزل والنسيج، وهي تقوم بعملية الـ Twisting للخيط المزدوج من فتلتين فاكثر. وهناك مكنات اخرى تقوم بعملية المزاوجة Doubling .

والديما ، والصاية ، وستائر الكشمير ، والعباءات ..

وكلها منسوجات يدوية ، كان لها تاريخها واهميتها الاقتصادية ، وهي وان تقلصت الآن كحرفة يدوية بسبب مزاحمة الآلة لها ، الا ان اهميتها ما زالت باقية بالنسبة للناحية السياحية .

البروكار وفستان الملكة

ولمحة سريعة عن صنف واحد فقط من اصناف هذه المنسوجات وهو « البروكار » تبين لنا مدى اهتمام السائحين به .. ويصنع نسيج البروكار من الخيوط الحريرية الطبيعية الموشاة بالخيوط المذهبة والمفضضة .. وهو يتمتع بشهرة عالمية ، حتى ان الملكة اليزابيث ، ملكة بريطانيا ، قد اختارت ثوب زفافها الابيض من البروكار الدمشقي ، عندما احتفلت بزواجها من الامير فيليب ، وعلى اثر ذلك ، انتشر قماش ثوب الملكة ، وغمر اسواق اوربا واصبح هذا النسيج ذو النقشة الملكية البيضاء المذهبة ، يعرف باسم « بروكار اليزابيث » الامر الذي دفع كل سيدة الى محاولة اقتناء قطعة من القماش الذي صنعت منه « الملكة » فستان زفافها !!

الاواني الزجاجية

ومن بين الصناعات التقليدية ايضا ، صناعة الاواني الزجاجية بطريقة النفخ ، ويرجع تاريخ هذه الصناعة ، الى تاريخ دمشق نفسها ، فهي من اقدم الصناعات الاولية التي عرفت في تاريخ هذا الجزء من الوطن العربي وفي غيره من بلدان عربية اخرى .. ولو ان بعض المصادر الاخرى تقول ان اول من عرف صناعة الاواني الزجاجية هم قدماء المصريين ثم الفينيقيين ، وازدهرت في مدينة البندقية في ايطاليا في العصور الوسطى ..

وتنتشر هذه الصناعة في احياء دمشق القديمة ، وتتفرع عنها صناعة الزجاج المعشق والفسيفساء ، وصناعة التلوين على الزجاج ، ويقبل السائحون على شرائها ، كما يشترون التحف .

صناعة الحلوى

ومن بين الصناعات التي تشتهر بها سوريا صناعة الحلوى .. وفي احد معامل الحلوى الكبرى في دمشق ، وهي كثيرة ومنتشرة في المدينة القديمة، شاهدنا عملية صناعة البقلاوة والكنافة المحشوة بالفستق والبندق ، ومختلف انواع السكاكر الشامية .. وهم يستخدمون في صناعتها الدقيق العربي من القمح الخالص ، والفستق الحلبي ، ويستورد من تركيا وافغانستان ، والسمن العربي، والسكر بطبيعة الحال .

قال لنا صاحب المصنع : « ان انتاجه اليومي يتراوح بين الف والفين..٢٠٠٠ كيلو جرام، يباع معظمها محليا ويصدر الباقي الى لبنان والسعودية والاردن والكويت ودول الخليج العربي ، وخاصة في موسم الصيف . ويقبل السائحون والزائرون على شرائها لاهدائها ..

هذه بعض الصناعات اليدوية التي اشتهرت بها دمشق ، وبعض مدن سوريا الكبرى مثل حلب ، وحمص وحماه وغيرها . والتي يبلغ دخل سوريا منها ما يقرب ١٢٥ مليون ليرة سورية سنويا (اي ما يوازي ١٢٫٥ مليون جنيه استرليني) كما ذكر لنا مرافقنا .

الاهتمام بالسياحة

وقد بدأت الدولة تهتم بتشجيع هذه الصناعات وتنميتها، لما لها من اثر كبير على النهضة السياحية في البلاد ، وهي نهضة شملت كل المرافق في سوريا ، وقد حدثنا السيد فوزي الكيالي وزير الثقافة والارشاد قال : « ان هناك العديد من المشروعات التي بدأت تنفذ بالفعل لبناء مجموعة من الفنادق الحديثة في طول البلاد وعرضها .. ان سوريا بلد سياحي مائة في المائة ، ونحن نستقبل سنويا الالوف من ابناء الدول العربية الشقيقة الذين يأتون لتمضية فصل الصيف على شواطىء سوريا وفوق جبالها ، ولكننا



فوزي الكيالي وزير الثقافة والارشاد : «سوريا مهتمة بالسياحة والسائحين ».

للاسف لم نكن نقوم بواجبنا نحوهم كما يجب ، فالفنادق الموجودة لا تستطيع ان تستوعب تلك الاعداد الكبيرة من السائحين ، واذا وجدت ، فهي دون المستوى المطلوب ، من اجل هذا فقد اولينا عناية خاصة بهذه الناحية ، ونرجو ان تجنى ثمارها في المستقبل القريب » .

مشروع المدينة السياحية القديمة

ونعود الى اهتمام الدولة بالصناعات الحرفية ، او اليدوية ، وقد تمثل هذا الاهتمام في انشاء جمعية الحرفيين ، ثم في مشروع المدينة السياحية القديمة ، وهو مشروع جديد تبناه رئيس وزراء سوريا السابق ، اللواء عبد الرحمن خليفاوي .

واما صاحب هذا المشروع فهو مهندس سوري شاب في الثامنة والعشرين من عمره ، وقد كان مشروعه هذا ، هو موضوع رسالته لنيل شهادة البكالوريوس في هندسة العمارة وتخطيط المدن .

ويتألف مشروعه من قسمين ، الاول منهما يضم مجمعا فنيا ، وهو على مستوى حرف القطر العربي السوري . اما القسم الثاني ، فهو مخصص لسكن الحرفيين واسرهم ، على مستوى محافظة دمشق . ويقضي المشروع باقامة المدينة السياحية في قلب مدينة دمشق القديمة التي تنتشر فيها مراكز الصناعات اليدوية .

قال لنا صاحب المشروع ، المهندس وليد سيروان : « لقد بدات اهتم بالمدينة السياحية منذ ان كنت طالبا بالمدارس الثانوية ، ولم اكن قد جاوزت الخامسة عشرة من عمري ، وكنت عضوا في جمعية اصدقاء الفن . وعندما اكملت تعليمي الثانوى ، والتحقت بكلية الهندسة ، قسم العمارة ، حولت كل جهودي الى دراسة مشاكل المدينة القديمة من ناحية السكن ، فوجدت ان السكان الطبيعيين لهذه المنطقة هم الحرفيون ، الذين توالت عليهم عدة عصور ، وهم ماضون في تادية اعمالهم ، دون ان يجدوا اى تشجيع من الدولة ..

« من هنا بدات افكر في هذا المشروع الجديد ، الذى يهدف الى صيانة هذا التراث الذى يعتبر جزءا اساسيا من تاريخ سوريا القديم ، وعاملا رئيسيا في دعم اقتصاد البلاد وتنشيط الحركة السياحية .. ان تجميع هذه الصناعات في مكان واحد ، سيوفر على السائح جهدا كبيرا وهو يضرب

« ان الاقتصاد السورى سوف يرى في السنوات القليلة المقبلة طفرة كبيرة ، مردها الى ان كثيراً، من الاستثمارات الضخمة لم تعط بعد نتائجها . كسد الفرات والاستثمارات البترولية والخطوط الحديدية وغيرها » .

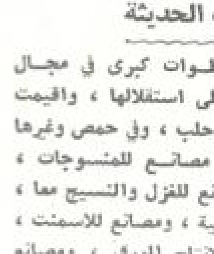
« حاكم البنك المركزى السورى »

في شوارع دمشق القديمة وازقتها حيث تتمركز هذه الصناعات » .

ونترك دمشق القديمة وصناعاتها اليدوية وننتقل الى الجديد الحديث الذى راينا ان نرجيء الحديث عنه ، حتى ننتهى من جولتنا بين اسوار دمشق العتيقة وآثارها ..

الصناعات الحديثة

لقد خطت سوريا خطوات كبرى في مجال التصنيع بعد حصولها على استقلالها ، واقيمت عدة مصانع في دمشق وفي حلب ، وفي حمص وغيرها من المدن السورية .. مصانع للمنسوجات ، ومصانع للسجاد ، ومصانع للغزل والنسيج معا ، ومصانع للاجهزة الالكترونية ، ومصانع للاسمنت ، والاسبست ، ومصانع لانتاج الورق ، ومصانع للثلاجات ، ومصنع كبير للزجاج ، ولعل هذا المصنع الاخير ، هو من اقدم هذه المصانع ، فهو قد انشيء في عام ١٩٤٦ ، اى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وبدأ انتاجه في اوائل عام ١٩٥٠ .. اما اقدم هذه الصناعات اطلاقا ، فهي صناعة الاسمنت التى انشئت في عام ١٩٣١ .

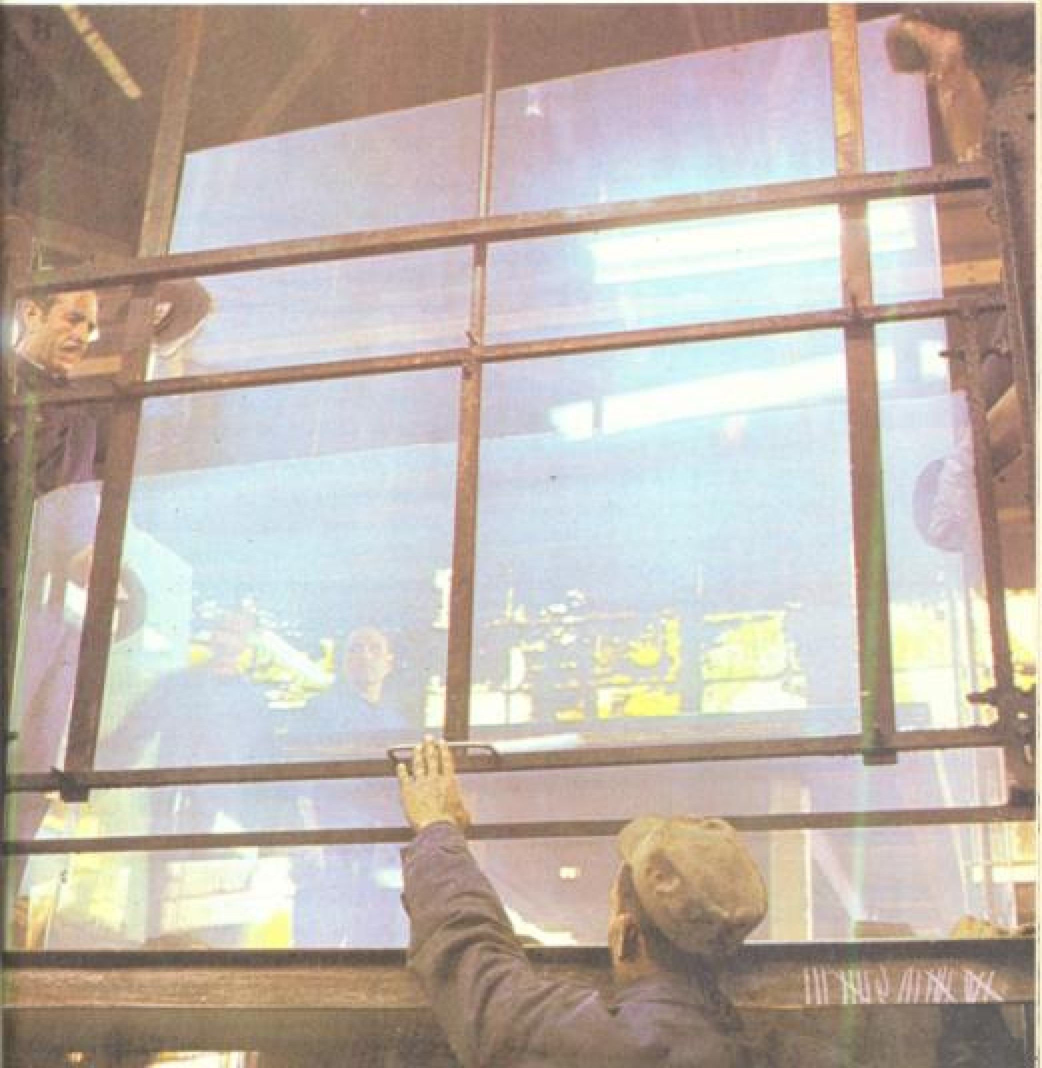


حاكم البنك المركزى السيد نموح الدقاق قال لنا : « ان الاستثمارات الضخمة لم تعط بعد نتائجها »



مكنة طباعة المنسوجات، ويتراوح انتاجها بين ٥٠ و ٦٠ مترا في الدقيقة الواحدة ، طبقا لنوع القماش الذى يراد طبعه ومتانته ، ويظهر بجوار المكنة بعض انواع الاقمشة المطبوعة من انتاجها .

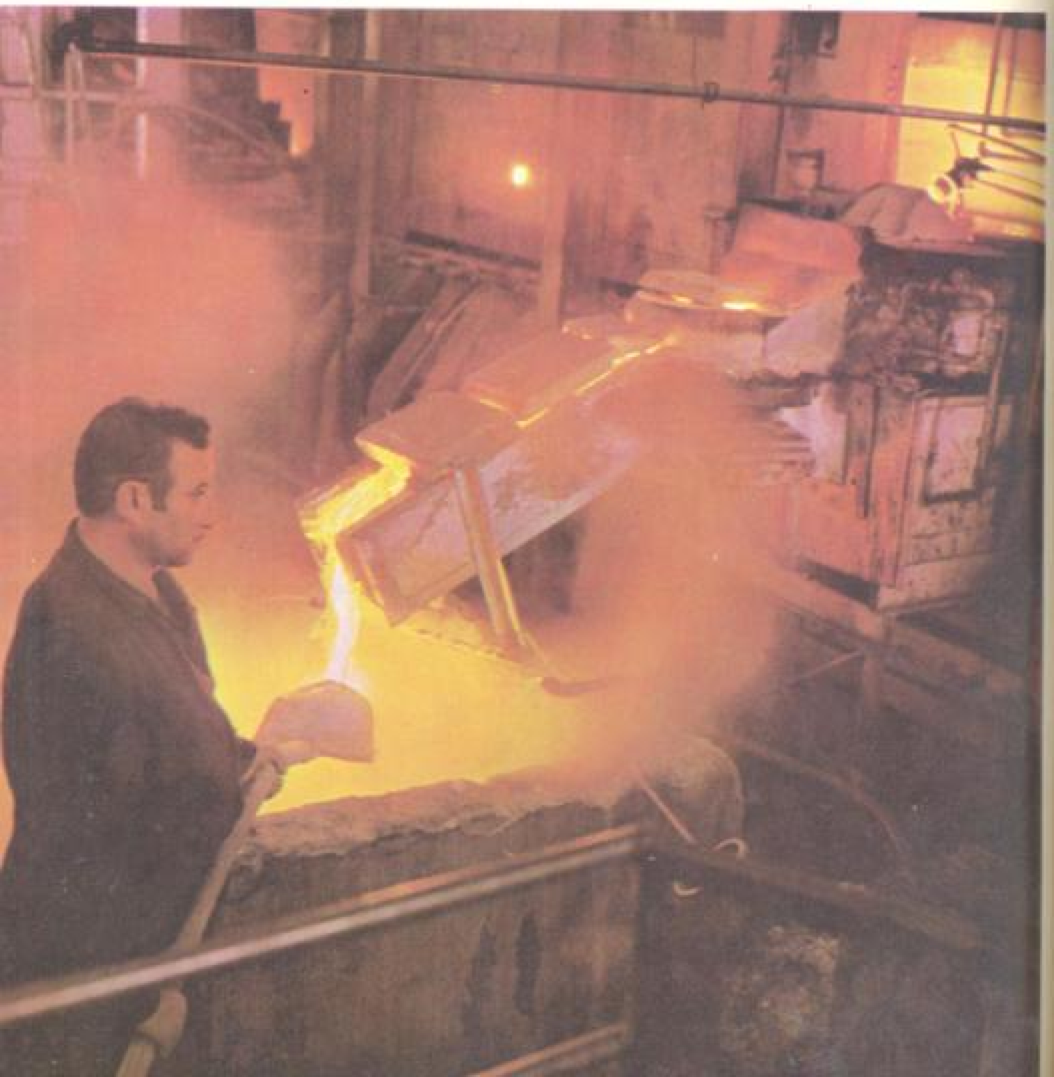
الى اسفل : الواح البلور التي ينتجها مصنع الزجاج الذى بدا انتاجه في اوائل عام ١٩٥٠ ، ويرى اثنان من العمال اثناء قيامهما بقطع الالواح البلورية تمهيدا لشحنها وتصديرها لبعض الدول العربية .





مجموعة من الفنيات المتخرجات في كلية الفنون الجميلة (جامعة دمشق)، اثناء قيامهن بتصميم الرسوم المطلوبة ونقلها على الورق تمهيدا لتصويرها وطبعها ثم حفرها على الاسطوانات الخاصة بطباعة الاقمشة الملونة ، في مصانع الغزل والنسيج .

الفرن الذي يصهر المواد الاوليةالتي تدخل في صناعة الزجاج ، وهي : « الرمل بصورة رئيسية وكربونات الصودا وحجر دولوميت سوري ، وجبس خام وفحم نباتي بنسبة ضئيلة جدا » ، وتصل درجة الحرارة داخل الفرن الى ١٤٠٠ درجة مئوية .





جانب من قسم التصدير ، حيث تعد اثواب الاقمشة وتغلف ، استعدادا لتصديرها لبقية المدن السورية والخارج .

وفيما يلي لمحة سريعة عن بعض هذه الصناعات الحديثة في دمشق .

شركة الصناعات الحديثة :

● وتقوم بانتاج اقمشة بوليستر Polyster للرجال والنساء ، ومن خصائصها انها لا تتجعد ، ولا تحتاج الى كي ، كما تنتج ايضا الملابس الصوفية الفاخرة . وتستورد الشركة المواد الاولية التي تستخدم في انتاج هذه الاقمشة ، البوليستر من المانيا الغربية ، والصوف من انجلترا وفرنسا واستراليا . ويعمل في مصانع الشركة مايزيد على الالف ومائتي عامل وموظف ومهندس ، من بينهم ٧٥ فتاة عاملة . وقد تأسست هذه الشركة في عام ١٩٥٩ براسمال قدره اربعة ملايين و ٨٠٠ الف ليرة ، ارتفع في عام ١٩٦٧ الى ١٣ مليونا ونصف مليون ليرة ، بعد دمج عدة مصانع في شركة واحدة .

الشركة الخماسية للغزل والنسيج :

● وسميت بالشركة الخماسية لان الذين اسسوها كانوا خمسة من كبار رجال الاعمال السوريين . وقد اممت هذه الشركة للمرة الاولى ايام الوحدة بين مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ ، واعيدت لاصحابها بعد الانفصال في ١٩٦١ . ثم اعيد تأميمها في عام ١٩٦٣ ، واصبح اسمها اليوم الشركة التجارية الصناعية المتحدة . وتنتج مصانعها الغزل القطني والمنسوجات القطنية والغزل الحريرى الاصطناعي والمنسوجات الحريرية الاصطناعية ، والسجاد الصوفي . ويسد انتاج الشركة من المنسوجات القطنية والحريرية حاجة السوق المحلى ، ويصدر الفائض الى لبنان والاردن والسعودية والعراق ، كذلك السجاد الذى تنتج مصانع الشركة منه ٢٨٠ الف متر مربع سنويا ، يصدر الى الاتحاد السوفيتي والمجر والعراق . ويعمل في مصانع الشركة اكثر من اربعة الاف عامل وموظف . ويبلغ قيمة الانتاج اليومي حوالي ٢٠٠ الف ليرة سورية . (اى ما يوازى ١٨ الف جنيه استرليني) .

الشركة العربية السورية للصناعات الالكترونية :

● انشئت هذه الشركة في عام ١٩٦٠ ، لتجميع اجهزة التلفاز Assembly Line ، وبدأ انتاجها في عام ١٩٦٥ . وكانت سوريا تستورد هذه الاجهزة جاهزة التركيب من الخارج ، وتتعاون الشركة الآن في انتاجها الجديد مع شركة تلفونكن بالمانيا الغربية ، ويبلغ الانتاج اليومي حوالي مائة جهاز للتلفازى ، يصدر قسم منه الى العراق والاردن . كما بدات مصانع الشركة في عام ١٩٧٠ ، تنتج اجهزة الهواتف والمقاسم والبدالات ، ويتم تصنيع هياكل اجهزة التلفاز والهاتف والاغطية الخلفية وبعض الاجزاء الاخرى محليا . ويعمل في مصانع الشركة حوالي ٣٠٠ مهندس ،

وعامل ، ٦٠٪ منهم من الفنيات المؤهلات .

مصنع الاسمنت (والحرير الصخرى) الاسبست :

● يقع هذا المصنع في منطقة دمر ، التي تبعد عن قلب العاصمة دمشق بحوالي ١٢ كيلو مترا .

وقد انشيء مصنع الاسبست في عام ١٩٦٧ ، بالتعاون مع احدى الشركات الايطالية ، اما الانتاج فقد بدأ في عام ١٩٦٨ ، وتكلف انشاء المصنع وتجهيزه بالمعدات والالات حوالي ٧ مليون ليرة سورية ، اما مصنع الاسمنت فقد انشيء في عام ١٩٣١ ، ويضم ثلاثة افران يبلغ مجموع انتاجها يوميا حوالي ٩٠٠ طن ، وهناك مصنعان آخران لانتاج الاسمنت احدهما في حلب والثاني في حماه . ويبلغ مجموع انتاج المصانع الثلاثة سنويا حوالي مليون طن .

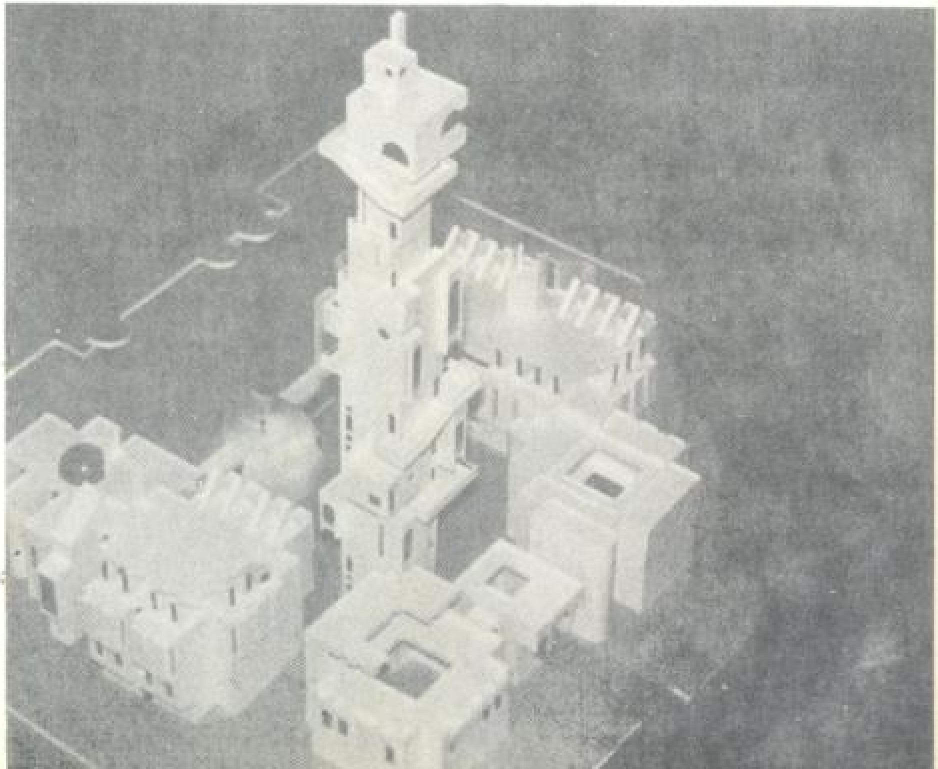
ولكنها لاتكفى حاجة سوريا ، فهي تضطر الى الاستيراد . ولذلك فقد بدأت دراسات لانشاء ثلاثة مصانعاخرى بالتعاون مع المانيا الشرقية، ويعمل في مصنع الاسمنت بدمشق حوالي ٨٠٠ عامل . وقد شيد هذا المصنع في منطقة جبلية تتوافر فيها الاحجار الكلسية ، وكذلك الصلصال أو الطفل Clay ، والرمل والجبس ، وهي متوفرة كلها في جبال منطقة دمر وسهولها .

اما مصنع الاسبست ، فهو يدخل في صناعة الانابيب التي تستخدم في نقل المياه الحلوة والمجارى ، والتمديدات الكهربائية ، ويبلغ انتاجه ١٢ الف طن من الانابيب سنويا .

شركة بردى للصناعات المعدنية :

● انشئت مصانع هذه الشركة في عام ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ ، ويبلغ راسمال الشركة حاليا اكثر

نموذج للمدينة السياحية القديمة المزمع انشاؤها في قلب دمشق القديمة ، وهي تضم مراكز للعمل ، ومساكن للعمال وافراد اسرهم ، والهدف من هذا المشروع الذى اقرته لجنة خاصة بعد دراسته دراسة وافية ، ثم تبنته الدولة ، هو تجميع الصناعات التقليدية في مكان واحد ، وتشجيعا وتنميتها عن طريق تربية جيل جديد من الحرفيين ، ثم تيسير مهمة السائح ، وتنشيط الحركة السياحية .





احدى المهندسات ، وهي تقوم بفحص جودة بعض الاجهزة الهاتفية التي تنتجها الشركة على الجهاز الخاص بذلك ، بينما وقف احد زملائها يرقب نتيجة هذا الفحص .



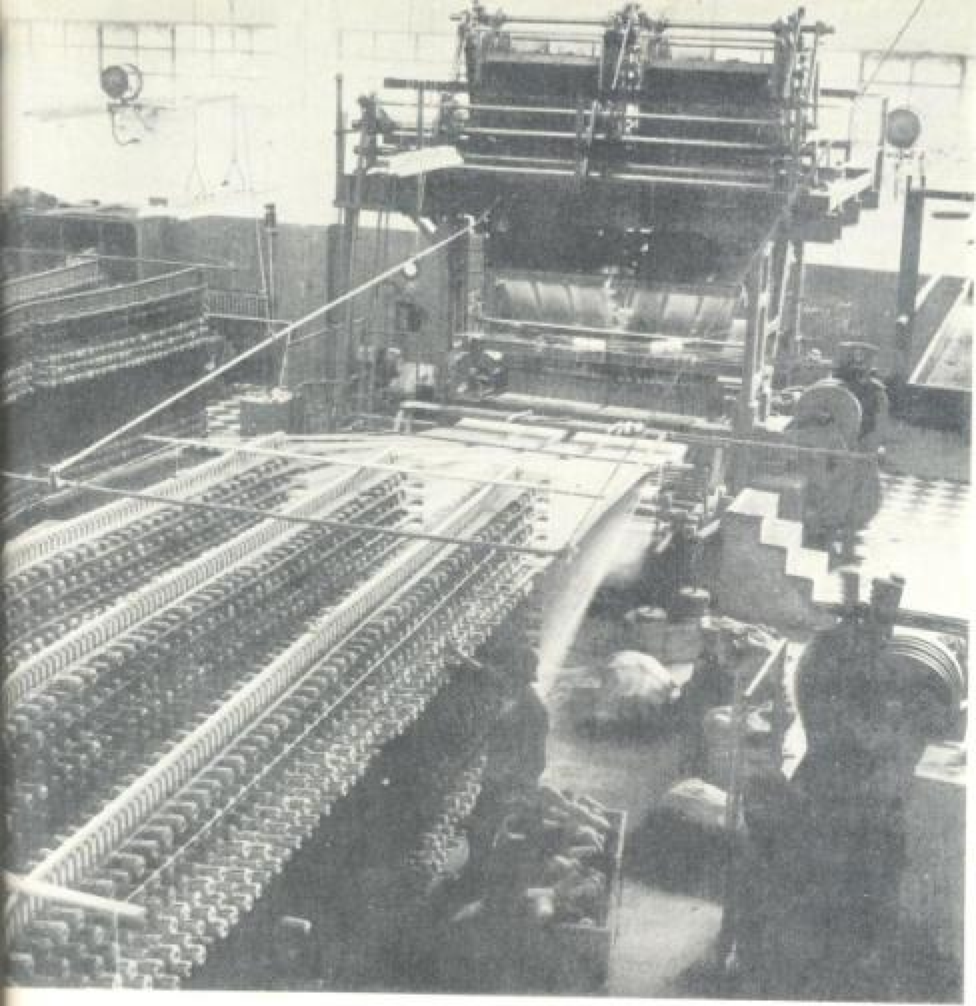
اصبحت المرأة السورية تنافس الرجل في شتى ميادين العمل ، والصورة لمعاونة مدير الشئون الفنية والانتاجية بشركة الصناعات الحديثة مع اثنين من زملائها وهي متخرجة في كلية العلوم شعبة الكيمياء بجامعة دمشق ، واول فتاة سورية تتخصص في الصناعة .



تقوم الشركة العربية السورية للصناعات الالكترونية بتجميع اجهزة التلفاز Assembly ، وقد بدأ انتاج الشركة في عام ١٩٦٥ ، وكانت الاجهزة التلفازية تستورد جاهزة من قبل . كما تقوم مصانع الشركة الى جانب ذلك بانتاج الاجهزة الهاتفية الالية ، ومقاسم الهاتف والبدالات



مصنع الخزف ، التابع لشركة الصناعات الزجاجية والخزفية، وقد بدأ انتاجه في نهاية عام ١٩٦٨ ، وتكلف ستة ملايين ونصف مليون ليرة سورية ، ويبلغ انتاجه اليومي ٢ طن من اطقم المائدة (اطباق وفناجين شاي وقهوة وأوان مختلفة) ويكفي الانتاج الاستهلاك المحلي .



احد الانوال الخاصة بصناعة السجاد ، وفي المصنع سبعة من هذه الانوال ، يبلغ انتاج الواحد منها ٣٦ قدما مربعا في اليوم ، ويباع المتر بما يوازى خمسة جنيهات استرلينية ، ويصدر الانتاج الى روسيا والعراق ونيجيريا ، بعد سد حاجة الاستهلاك المحلي .

من اربعة ملايين ليرة . ولتنتج مصانع الشركة نوعين من الثلاجات التي تستورد محركاتها فقط من المانيا وفرنسا ، أما بقية اجزائها فتصنع محليا ، من المواد الاولية التي تستورد من الخارج وهي تنتج حوالي ٢٠ الف ثلاجة سنويا . كما تقوم المصانع ايضا بانتاج الاسلاك الكهربائية والكابلات « Cables » ، والادوات المنزلية ، والاواني التي تطهو الطعام بضغط البخار ، واجهزة الطهو التي تعمل بالغاز الطبيعي والافران ، والملاعق والشوك والسكاكين ويكفى الانتاج الاستهلاك المحلى ، ويصدر جزء منه لبعض الدول العربية الشقيقة .

حاكم البنك المركزى يتحدث

وقد حدثنا السيد نصوح الدقاق حاكم البنك المركزى السورى عن ملامح اقتصاد سوريا في سنوات ما بعد الحرب ، قال : « لقد عرف

الاقتصاد السوري في السنوات التي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية،تقدما ونموا اديا الى ارتفاع الدخل القومي الى اكثر من الضعف ، وازداد الانتاج في قطاعي الصناعة والزراعة ، كما ازدادت مبادلات القطر التجارية ، ونفذت عدة مشاريع في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وقد اتصف هذا النمو الاقتصادي ، بكونه اقتصادا يقوم على جهود القطاع الخاص ، واقتصر دور الحكومات في ذلك الوقت على تشجيع الافراد على القيام بمشاريع صناعية وزراعية ، وذلك بتقديم القروض ، واصدار التشريعات التي تهدف الى حماية الصناعات الناشئة عن طريق رفع الرسوم الجمركية على السلع المستوردة التي تنتج مصانعنا مثيلاتها ، دون ان تكون هناك خطة اقتصادية شاملة ، ودون أن تقوم الدولة من جانبها بتنفيذ المشروعات الاقتصادية الكبرى التي تحتاج الى رؤوس اموال ضخمة يعجز الافراد عن توفيرها . ونتيجة لهذا ، فقد ظلت هناك ثروات طبيعية هائلة غير مستثمرة من ارض ومياه للري ، وتوليد للقوى الكهربائية ، ومعادن وبترول ، وطاقات بشرية هائلة .

« ولذلك فاننا نجد انه بالرغم من الدور الكبير الذي لعبه القطاع الخاص في نمو الاقتصاد السوري خلال سنوات ما بعد الحرب ، الا انه اتصف بانه اقتصاد يقوم على اساس تنمية غير متوازنة نظرا لعدم وجود خطة واهداف ومراحل واولويات وتنسيق للمشاريع » .

الخطتان الخمسيتان

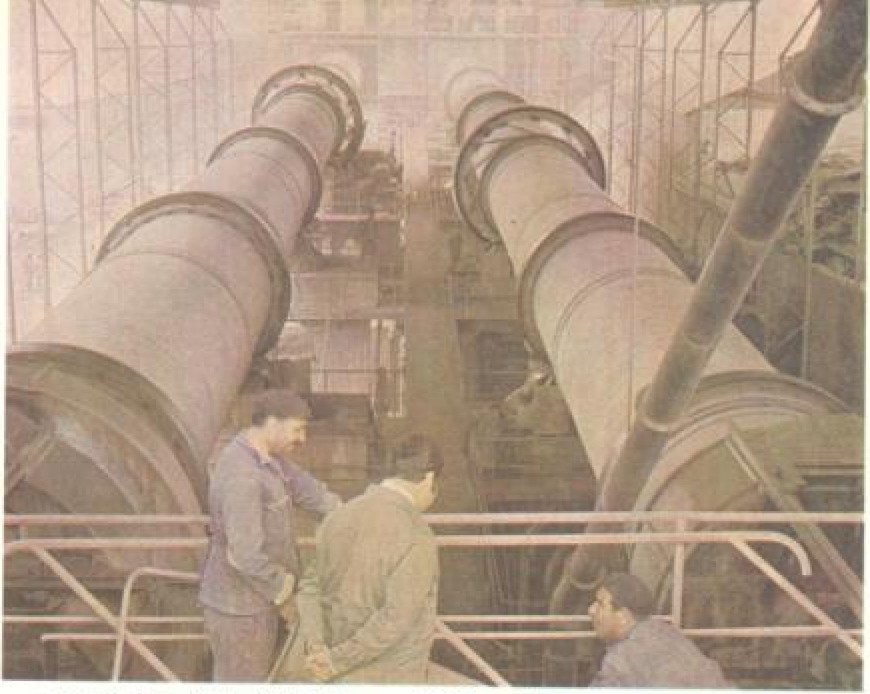
ومضى حاكم البنك المركزي يقول : « لهذا فقد ظل القطاع الزراعي المتخلف هو الغالب على الاقتصاد نظرا لسير حركة التصنيع الوطنية ، والتي لم يكن من الممكن تطويرها وتوسيعها والمضي بها قدما ، دون توجيه ودون وضع خطة مدروسة تدفع بالاقتصاد السوري الى الامام ، وباسرع وقت تسمح به امكانيات القطر وظروفه .

« وبناء عليه ، فقد وضعت الخطتان الخمسيتان للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، الاولى ١٩٦٠ – ١٩٦٥ والثانية ١٩٦٦ – ١٩٧٠ ، بهدف مضاعفة الدخل القومي خلال عشر سنوات ، وبزيادة في المعدل السنوي قدرها ٧ر٢٪ ، اي برفعه من ٢٤٠٠ مليون ليرة سورية في سنة الانطلاق ، الى ٤٨٠٠ مليون ليرة في نهاية السنة العاشرة ، وخصص لتنفيذ الخطة الاولى ٢٧٢٠ مليون ليرة ، بينما بلغت الاستثمارات للخطة الثانية ٤٩٥٥ مليون ليرة .

« وتجدر الاشارة هنا الى ان نمو الاقتصاد السوري سوف يرى في السنوات القليلة المقبلة

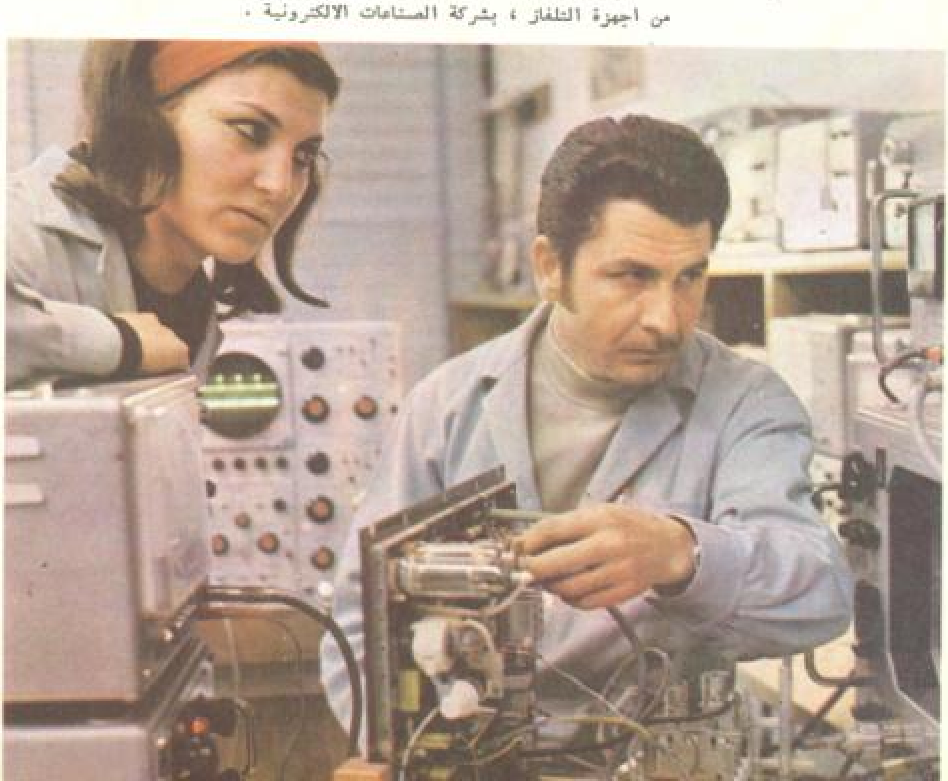


يدخل في صناعة الصيني السوري الذي ينتجه مصنع الخزف التابع لشركة الصناعات الزجاجية والخزفية ، مادة الكاولين والفلسبار Felspar والرمل ، وهي مواد متوفرة في منطقة القريتين التي تدخل ضمن سلسلة الجبال التدمرية والصورة لاحد العمال الفنيين يرسم بريشته الدقيقة خطوطا متناسقة بالالوان الثابتة على احرف الاطباق .



مصنع الاسمنت في دمشق انشيء في عام ١٩٣١ ، وجميع آلات الانتاج الرئيسية في المصنع من المانيا الغربية ، وهو يحوى ثلاثة افران تنتج ٩٠٠ طن من الاسمنت يوميا .

المهندس المسئول عن قسم الجودة ، اثناء قيامه باجراء التجارب الخاصة بفحص جودة الانتاج من اجهزة التلفاز ، بشركة الصناعات الالكترونية .





الانابيب التي ينتجها مصنع الاسمنت والحرير الصخري (الاسبست) لنقل المياه الحلوة والمجاري ، وقد رصت بجوار المصنع ، في منطقة دمر ، ويدخل في صناعة هذه الانابيب الاسمنت والاسبست الذي يستورد من افريقيا وكندا. ، وينتج المصنع ايضا الصفائح المتموجة Corrigated Sheets



الثلاجات التي تنتجها شركة بردى للصناعات المعدنية ، وقد تأسست الشركة عام ١٩٦٠ ، وهي تنتج نوعين من الثلاجات سعة ١٢ قدما وثمانية اقدام ، وتستورد الشركة المكنات من الخارج ، اما الهيكل وبقية اجزاء الثلاجة فتصنع محليا .



احدى خريجات كلية العلوم ، وهي تقوم باختبار خواص الخامات المستخدمة في صناعة الصيني، وكذلك الانتاج من حيث الجودة ومطابقته للمواصفات ، وذلك في المختبر الكيميائي الملحق بالمصنع .

طفرة كبيرة ردها الى ان كثيرا من الاستثمارات الضخمة لم تعط بعد نتائجها نظرا للامد الطويل الذى يحتاجه تنفيذها ، كسد الفرات والخطوط الحديدية ، والاستثمارات البترولية وغيرها .. ولا شك ان دخل هذه الاستثمارات سوف يؤدى الى زيادات جديدة في الدخل القومي السورى ، باعتبار انها الاسس المتينة التي ستدعم الاقتصاد السورى على المدى البعيد .

« وننتقل الان الى تطلعات الخطة الخمسية الثالثة ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ ، وما ستحققه للاقتصاد السورى .. ولقد جاءت الاهداف العامة للخطة الثالثة لتعمل على تعديل بنية الاقتصاد القومى باتجاه اقامة اقتصاد زراعى ـ صناعي متطور يكون اساسا قويا لانطلاقة القطر السورى في تحقيق تنمية ذاتية مستمرة ، وتامين زيادة في صافي الناتج الجغرافي قدرها ٨٫٢٪ سنويا لمضاعفة الدخل القومي خلال فترة اقصاها تسع سنوات ، وبذلك يرتفع الصافي الى ١٤٨٫٣٪ عن مستواه في سنة الاساس .

قرارات اقتصادية هامة

« ومما يبعث على التفاؤل ان بداية تنفيذ الخطة الثالثة ، كانت بداية جيدة نظرا لمصاحبتها صدور قرارات اقتصادية على جانب كبير من الاهمية . هذه القرارات التي ستساعد ولا شك على دفع عجلة الاقتصاد السورى الى الامام بعد ابعاد المعوقات التي عرفها في بعض مراحله . فمنذ الحركة التصحيحية ، صدرت قرارات عدة تؤمن الانفتاح على الداخل بصورة خاصة ، وعلى العالم الخارجي بصورة عامة، بعد انقضاء فترة الانعزال. واهم هذه القرارات هو تجسيد مرسوم تشجيع رؤوس الاموال الخاصة بالمغتربين ورعايا الدول العربية الشقيقة لاستثمارها في مشاريع التنمية الاقتصادية او توظيفها بالمصارف السورية ، بقرارات تساعد على حل مشكلة تمويل مشاريع التنمية التي تعد ولا شك من اهم المشاكل التي تصادفها البلاد النامية ، والتي عانت منها سوريا في السنوات الاخيرة . ■■

منير نصيف



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

لماذا يتبول الطفل فى الفراش ؟

● لي ابنة تبلغ من العمر اربع سنوات وتبول في فراشها ليلا فهل هذا امر طبيعي ؟؟ وماذا علي ان اعمل ؟؟

ـ ان الطفل الطبيعي يستطيع التحكم فى التبول ليلا بعد العام الثالث من عمره وما دامت هذه الطفلة تبلغ الرابعة من عمرها فيعتبر التبول المذكور امرا غير طبيعي ، وهو فى الوقت نفسه فعل لا ارادى ، ويجب مراجعة اخصائي امراض الاطفال لاجراء بعض الفحوصات ، وارشاد الام الى ما يجب عمله . الفحوصات تجرى لمعرفة ما اذا كان هناك مرض عضوى يسبب هذه العادة . مثل التهاب مجرى البول ، والصرع الليلى ، ومرض البول السكرى او مرض النخاع الشوكي . فاذا ثبت عدم وجود اى من هذه الامراض الاربعة كانت الحالة نفسية ، واكثر الحالات النفسية سببها غيرة الطفل من اخت او اخ له اصغر منه سنا ، وخاصة اذا شعر هذا الطفل بان والديه يدللان من هو اصغر منه سنا اكثر منه ، فيحاول ان يلفت نظر والديه الى انه هو ايضا لا يزال صغيرا ، ويستحق مثل معاملتهما لمن هو اصغر منه سنا ، فيبول على نفسه ليلا ، واحيانا نهارا ، ليثبت للوالدين المتحيزين ـ حسب رايه ـ بانه لم يزل صغيرا يبول على نفسه .

فاذا كانت الحالة هذه فان الوالدين هما طبيب ولدهما والعلاج هدايا كثيرة ، واكثر من هدايا الاخ الاصغر ، وثناء عطرا فى كل مناسبة ، والتظاهر بعدم الاهتمام لهذه العادة ، واخطر ما فى الامر هو الشكوى امام الناس ، فان فى ذلك تجريحا نفسيا كبيرا للطفل قد يؤدى الى مضاعفات خطيرة . علما بان الطفل اذا شعر بان والديه مهتمان لما يجرى فانه سيستعمل ذلك سلاحا قويا بيده يهددهما به كلما احتاج لذلك ، فيبول على نفسه نهارا ايضا .

اما فى الحالات النفسية الاخرى التي لايكون سببها الغيرة المذكورة فيمكن مساعدة الطفل : بمنعه من تناول جميع انواع السوائل بعد الساعة السادسة مساء ، ومطالبته زيارة المرحاض قبيل ذهابه للنوم ليلا ، واذا استطاعت الام ان تقدر وقت تبول الطفل على نفسه فيمكنها ان توقظه قبيل ذلك لزيارة المرحاض ، وقد تنجح فى تدريبه على التحكم فى نفسه تدريجيا حتى مطلع الفجر وميعاد استيقاظه صباحا ، فيسارع الى المرحاض قبل ان يبلل ملابسه وفراشه .

اضطراب الغدد الصماء قد يسبب قصر القامة

● **القصر ـ والقزامة ما سببهما ؟ .**

ـ ان قصيري الطول ـ او الاقزام الذين نشاهدهم يرجع القصر لديهم الى اسباب عدة منهـا ما يتعلق بامـراض فى الغدد الصمـاء ، ومنهـا ما يتعلق بامراض فى العظام ـ واخرى تتعلق بامراض الجهاز الهضمي والكلى .

فمن ناحية الغدد الصماء هناك قصر فى الطـول يرجع الى قلة افـراز الغدة الدرقية فى الاطفال مما يسبب وقف نمو اجسامهم ـ ويعرف هذا النوع بوجود اعراض اخرى لقلة افراز مادة الثيروكسين Thyroxine الذى تفرزه هذه الغدة ـ فيلاحظ المريض خشونة جلده ـ وعمق صوته ـ وارتخاء جسمه وقلة نشاطه وخموله العام واحساسه الشديد بالبرودة هذا النوع لو اكتشف عند الطفل مبكرا وعولج العلاج السليم ربما نما الجسم نمـوه الطبيعي شريطة ان يستمر هذا العلاج ما دام هنـاك نقص فى هورمون الثيروكسين .

وكذلك هناك قصر فى الطول نتيجة لنقص فى افراز الغدة النخاميـة ويتبع ذلك نقص فى هرمون النمو ـ وهذا النوع يتميز بأن النمو متوقف فى جميع اجزاء الجسم فنجدهم صغار الرؤوس والايدى والاذرع . ولكـن نشاطهـم طبيعـى ولا يشكون من اى مرض وقواهم العقلية طبيعية .

وفى بعض الحالات ربما أثر ذلك على الاعضـاء التناسلية فتكون غير ناميـة بالنسبة لسنهم **اما قصر الطول الناتج** عن امراض العظام ـ فهو اما ان يكـون قد نتج عن مرض كساح الاطفال المصحوب بنقص فى فيتامين د عند نمو الطفل مع عدم القدرة على امتصاص المواد اللازمة

خروج الطعام من الفم عند الانحناء قد يكون سببه فتق فى الحجاب الحاجز

● **اشعر عند الانحناء الى اسفل بعد تناول الطعام بضغط داخلى على رقبتى ويؤدى هذا الى خروج الطعـام من فمى دون اندفاع . فهل هذا مرض وما هو ؟!**

ان الاحساس بخروج الطعام من الفم بعد تناول الوجبات مع الانحنـاء الـى اسفل ينتج من ان هنـاك انقباضـات شديدة تحدث فى اسفل المرىء وذلـك لاضطرابات تصيب العصب الذى يغذى هذه العضلات . وهذا يصيب صغـار السـن اى من هم فى سن العشرين مثلا ، ويحس المصاب بان الاكل يقف خـلف عظم القص فى الجزء السفلي منه ، وفى مثل هذه الحالة يتغلب المريض على ذلك بان يشرب كميات كبيرة من الماء والسوائل فتضغـط علـى الاكل وتتغلـب علـى هذا الانقباض ، واذا حدث ان انحنى المريض ولم يزل الطعام والشراب يملأ المرىء نجد ان جزءا من هذا الطعام ربما نزل من الفم ، والعلاج فى مثل هـذه الحالة هو اعطاء المهدئات حتى لا تضطرب اعصـاب المرىء واعطاء الادويـة التـى تساعد على ارتخاء عضلات المرىء مثـل مركبات البلادونا و Probanthin أو Antranyl واذا لم تنجح هذه الادوية يعالج المريض بما يسمى بموسعات المرىء وربما قضت على هذه الحالة ، وفى بعض الحـالات يضطر الطبيب لاحالة مريضه الى اجزاء



للنمو ويلاحظ فى هؤلاء تقوس عمودهم الفقري وخروج عظمة القص الى الامام مع اعوجاج فى الساقين ويمكن لهؤلاء ان ينجبوا اطفالا ولو ان ذلك يؤثر على المصابات بهذا المرض اذ لا يمكنهن ان يضعن اطفالهن الوضع الطبيعي وذلك لضيق فى عظام الحوض .

والنوع الذى نشاهده فى السيرك من الاقزام فالراس والصدر والبطن والاعضاء التناسلية كلها طبيعية وكذلك كل هرمونات الجسم طبيعية ، الا ان المرض يكمن فى غضاريف الساقين فلا يمكنها ان تنقسم ولا ينمو الطرف كما يجب فيتوقف نمو هذه الاطراف فيكون القصر فى الذراعين والساقين .

اما قصر **الطول الذى ينتج عن امراض مبكرة فى** الجهاز الهضمي فان ذلك راجع الى عدم قدرة الجسم على امتصاص المواد اللازمة للنمو ، ويشكو هؤلاء دائما من اسهال وخروج كميات كبيرة من البراز ذات لون فاتح ودهنية ولها رائحة كريهة. هؤلاء الاطفال لو اكتشف السبب مبكرا واعطوا العلاج اللازم فى مثل هذه الحالة ربما نموا النمو الطبيعي .

وفى بعض الحالات يكون القصر راجعا الى امراض مبكرة فى الكليتين عند الاطفال فلا ينمو الطفل النمو الطبيعي ويتعرض لمضاعفات امراض الكلى من ارتفاع فى ضغط الدم وغير ذلك . هؤلاء كذلك او وجد السبب لمرض الكلى وكان من الممكن علاجه ربما نموا كذلك وتحسنت حالتهم .

عملية جراحية للتغلب على مثل هذه الحالة ، والحالة هذه تحتاج الى صبر فى العلاج للتغلب عليها .

وربما يكون ما يشكو منه المريض هو ما يسمى بالفتق فى الحجاب الحاجز (Hiatus Hernia) ويحدث عادة فى المرضى ذوى البدانة المفرطة وهو ان تكون الفتحة التى يمر منها المرىء فى الحجاب الحاجز متسعة وعضلاتها لا تنقبض على المرىء وتمنع خروج الاكل بعد نزوله الى المعدة، او ان انحناء المرىء الى المعدة والذى يعمل كصمام امان قد استقام فيسبب ذلك رجوع الاكل من المعدة الى المرىء وفى بعض الحالات يحدث نتوء جزء من المعدة بجوار المرىء وفى معظم هذه الحالات يحدث الم شديد فى اعلى البطن مع الاحساس بحموضة ، يزداد عند الانحناء لالتقاط شيء سقط على الارض ، وكذلك يصحو المريض من نومه فى الليل على هذا الالم لان جزءا من الطعام قد صعد الى المرىء بما يحمل معه من حموضة مسببا التهابا فى اسفل المرىء .

وبمكن معرفة هذين المرضين بواسطة عمل اشعة للمريض بعد بلعه الباريوم، وفى حالة الفتق لا بد وان يبتعد المريض عن المواد المهيجة للمعدة مثل التوابل والمشروبات الروحية والغازية ، وان ياخذ الادوية التى تقلل من حموضة المعدة مع اخذ كوب من الحليب قبل النوم ، وان ينام على وسائد عالية ، كانه جالس حتى لا يندفع الاكل الى المرىء وان يقلل من وزنه اذا كان بدينا ، وبذلك يمكنه ان يتغلب على مثل هذه الحالة ، وفى بعض الحالات التى لا تستجيب للعلاج تجرى عملية جراحية لتضييق الفتحة التى يمر منها المرىء فى الحجاب الحاجز . ■■

الحسن بن الهيثم

٣٥٤ - ٤٣٠هـ
٩٦٥ - ١٠٣٨م

في كتابه المناظر

بقلم . الدكتور عبد الحليم منتصر

■ احد علماء ثلاثة يزدهي بهم تاريخ العلم . وهم ابن سيناء وابن الهيثم والبيروني . بلغت الحضارة العلمية الاسلامية في عهدهم الذروة ، ذلك من منتصف القرن العاشر الي منتصف القرن الحادى عشر الميلادي او منتصف القرن الرابع الى منتصف القرن الخامس الهجرى . وهو كاحد علماء الطبيعة (الفزياء) الاسلاميين . يعتبر الأرفع شانا والاعلى كعبا والارسخ قدما . ولعله في مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور والأحقاب .

جلاه لنا ابدع تجلية ، استاذنا المرحوم مصطفى نظيف ، في كتابه الرائع «الحسن بن الهيثم» الذى نشر منذ نحو ثلاثين عاما ، وقد عرفته اوروبا باسم الهازن ، وهو تحريف لكلمة الحسن ، وهو الحسن بن الهيثم . ولد في منتصف القرن الرابع الهجري (حوالي سنة ٣٥٤ هـ - ٩٦٥م) . وعاش اول امره في البصرة ، ثم انتقل الى القاهرة بدعوة من الحاكم بامر الله ، وفيها عاش اغلب عمره والف معظم كتبه ، وظلت كتبه المرجع الذى يعتمد عليه اهل الصناعة في علم الضوء ، حتى القرن السابع عشر الميلادى ، وكان يسمي علم المناظر .

داب على تحصيل العلوم الفلسفية والطبية والفلكية ، والرياضية ، قرا كتب من تقدمه من العلماء ، قراها قراءة تدبر وتفكر ودراسة ، وعني بتلخيصها وشرحها ، ثم جعل يؤلف فيها ، وبلغت عدة ما الفه في العلوم الفلسفية والطبيعية ثلاثة واربعين كتابا ، وفي العلوم الرياضية والتعليمية خمسة وعشرين ، وفي الهندسة واحدا وعشرين كتابا ، وفي الفلك سبعة عشر ، وفي الحساب ثلاثة كتب . لقد نيفت مصنفاته وكتبه ورسائله على المائتين ، ذاعت بين الناس في عصره ، ضاع كثير منها بل لم يصل الينا علمه ، فقد ذكر انه الف في الهندسة ثمانية وخمسين مصنفا ، لا نجد منها في مكاتب العالم سوى واحد وعشرين ، وفي الطبيعة اربعة وعشرين لا نجد منها الا اثني عشر ، وفي الفلك اربعة وعشرين ، لا نعرف منها سوى سبعة عشر ، وفي الطب كتابين وفي الفلسفة والمنطق وعلم النفس والالهيات والاخلاق واللغة ما يزيد على اربعين مؤلفا .

يقول الاستاذ مصطفى نظيف ، ان ابن الهيثم في اخذه بالاستقراء واعتماده على المشاهدة والاعتبار يكون قد سبق باكون ، وانه ليضعه في مقدمة علماء الطبيعة النظرية ، بما وضع في ظواهر الضوء ، من نظريات في الابصار وقوس قزح ، وانعكاس الضوء وانعطافه ، كما يضعه في المقدمة بين علماء الطبيعة التجريبية ، بما اجرى من تجارب في كيفية امتداد الاضواء الذاتية التي تنبعث من

الاجسام المضيئة بذاتهـا كضوء الشمس وضوء النهار ، والأضواء العرضية ، التي تشرق من سطوح الأجسام الكثيفة التي تستضيء بضوء الأجسام المضيئة بذاتها ، أو التي تستضيء بضوء عرضي ، يشرق من سطح جسم كثيف آخر هو نفسه يستضيء بضوء ذاتي . وقد تناولت تجاربه ضوء القمر ، وضوء الكواكب والضوء المشرق من ضوء ابيض يستضيء بضوء القمر أو ضوء النهار ، واستقصى أحـوال الاضـاءة الشديدة والاضاءة الضعيفة .

كما يضعه في المقدمة بين علماء الطبيعةالتطبيقية بما طبق من تجارب وأوجد من أجهزة .

لم يجملالاستاذ نظيف رايه في ابن الهيثم بقوله « انه عالم اجتمعت فيه صفات العالم بالمعنى الحديث . صفات العالم في علم الطبيعية النظرية والتجريبية والتطبيقية ، من طراز « كلفن » . ويقول ان ابن الهيثم أبطل علم المناظر الذى وضعه اليونان ، وانشا علم الضوء بالمعنى الحديث . وان أثره في هذا العلم لا يقل عن أثر نيوتن في علم الميكانيكا، فان عدّ نيوتن رائدا لعلم الميكانيكا في القرن السابع عشر فان ابن الهيثم رائد علـم الضوء في القرن الحادي عشر .

فابن الهيثم في ميدان علم الطبيعة ، ان لم يكن من طراز المحدثين في الجيل الحاضر ، فانه من غير شك من طراز علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر . وبحوثه المبتكرة في علم الضوء تجعله في مقدمة الاعلام الافذاذ في تاريخ هذا العلم ، وله غير ما اضافه على صفحات هذا العلم من الصفحات المجيدة اثر عام عميق ، جعل علم الضوء يتخذ صفة جديدة ، وينشا نشاة اخرى ، غير نشاته الأولى . وان التاثير الذى احدثه ابن الهيثم في علم الضوء ، يتغلغل الى الأساس الذى يقيم عليه هذا العلم جدير بالتقدير ، ولا يضيرّه أن يقال ان بعض بحوث ابن الهيثم ، قد سبق اليها اوقليدس في احد شطرى قانون الانعكاس وبطليموس في دراسة الانعطاف واخرى في بيان كيفية الاحراق في المرايا المحرقة ، وكذلك كانت اصول علـم الميكانيكـا مبعثرة قبل نيوتن ، فادرك حقائقهـا واضاف اليها ، وربط بينها حتى صارت على يديه وحدة شاملة هي التى قام عليها علم الميكانيكا وكذلك علم الضوء ، فانه حتى الفكرة الأوليـة البسيطة من أن للضوء وجودا في ذاته ، لم تكن من الامور المسلم بها ، وان اوقليدس وبطليموس وغيرهما ممن سبقوا ابن الهيثم كانوا متفقين في ان الابصار هو بخروج شعاع من البصر الى المُبصَر ، فالذى ينعكس بحيث تكون زاوية السقوط مساوية لزاوية الانعكاس هو هذا الشعاع ، والذى ينعطف في الماء مثلا الى جهة العمود هو هذا الشعاع ، فهو الذى يخرج من البَصر ، ويقع على السطح العاكس فينعكس ، أو على سطح الماء فينعطف ، فاذا وقع بعد انعكاسه أو انعطافه على مُبصَر أدرك البصرُ هذا المبصَر بالانعكاس أو الانعطاف .

لقد أعاد ابن الهيثم بحث هذا كله واتجـه وجهة جديدة لم يولها احد من المتقدمين واصلح الأخطاء وأتم النقص وأضاف الجديد ، لقـد أبطل علم المناظر القديم وانشأ علم الضوء بالمعنى الحديث . واذا كانت دائرة المعارف البريطانية تقول انه بعد بطليموس لم يظهر من يجاريه في علم الضوء الا ابن الهيثم ، فبحوثه ودراساته ومقالاته لا تعدّ مجرد زيادة اتسعت بها دائرة المعلومات بل حقيقة بها ان تعد احداثا قلبت اوضاع هذا العلم وعدلت مجراه ولا يكفي فيها نشر ما لم يطبع من مخطوطات بل هي جديرة بعمل، ابعد غورا واشد جهدا من التقدمة لها بمقدمة والتعليق عليها في الهامش ، هي جديرة أن تدرس وتمحص مع شيء غير قليل من التلطف في تفهم معانيها ومقاصدها فبعد الأمد بيننا وبين صاحبها يجعلنا اليوم لا نألف بسهولة بعض اصطلاحاتـه وعباراته بل ولا ماهية ماكان يسود العقول في عصره من الآراء والمذاهب العلمية ، انها جديرة بأن تدرس في جملتها كوحدة ، دراسة يصحبها التحليل والموازنة فهي جميعها نتاج عقل واحد ، توافرت فيه ميزات التفكير العلمي الصحيح ، وهي من خير الأمثلة التي تدل على نضج الفكر وعمق النظر ، ولا يكفي فيها تحرى الأمانة والصدق في مجرد عرضها على ما جاءت عليه في الواقع ، فانما يجب تحرى العدل والانصاف اللذين يقتضيان بالحرص على تعرف ظروفها ومعرفة ملابساتها ، ثم معايرتها بالمعيار الذى يلائمها ، حتى تتبين قيمتها الصحيحة وتحل في المكان الذى هي أهل له في تاريخ نشوء العلم وتطور الفكر . ومن المعلومات التي يتضمنها كتاب ابنالهيثم ما كاد يطويه الدهر في ثنايا النسيان ، ومنها تفصيل ما لا يزال العلم به مجملا او مقتضبا، وهل في هذه الدراسة بعض

الاثر في تعديل الاوضاع التاريخية لبعض الكشوف والبحوث العلمية الخاصة بعلم الضوء ، كما يكون من آثارها بعث ابن الهيثم بعثا جديدا في الكتب التي تؤلف في مدارسنا في هذا العلم وان يستبدل اسمه باسماء امثال روجر باكون ، ومور لكيوس، ودافنشي ودى لابورتا وكبلر وغيرهم في مواضع كثيرة ، الفنا فيها رؤية هذه الاسماء ، كما يجرى اصلاح كثير من الاصطلاحات والعبارات التي نستعملها الآن في علم الضوء فيستبدل بها خير منها ، مما ورد في اقوال ابن الهيثم ويمتاز دقة ورصانة .

ولقد بدا الاستاذ نظيف بدراسة كتاب«فيتلو»في البصريات ، الذى نشر في القرن الثالث عشر ، وقال انه وضعه على اساس كتاب بطليموس القلوذي ، وآخر لعالم عربي ، عرف باسم الهازن، ونشر رزنر سنة ١٥٧٢ ترجمة لاتينية للكتاب بعنوان « الذخيرة في الاوبطيقي » للهازن ، فتبين ان جل ما ورد في كتاب « فيتلو » قد نقل نقلا عن الكتاب العربي ، وقال دلابورتا بعد ذلك « لقد اخطا فيتلو فيما نقله عن الهازن وكان كالقرد المقلد » . وليث هذا الكتاب المنقول عن العربية مرجع اهل اوروبا في علم الضوء خلال القرون الوسطى ، ويضيف مصطفى نظيف : « لقد تبين لى على التحقيق ان جل البحوث والكشوف الضوئية التي تنسب الى علماء اوروبا حتى عصر النهضة قد وردت فيه ، وان كثيرين من علماء اوربا المشهورين في تلك العصور لم يصلوا الى مستوى الآراء والفكر الاساسية التي ذكرها ابن الهيثم . وانه كان للكتاب اثر عميق في توجيه ودراسة علم الضوء الى الوجهة الصحيحة ، ويقول ان مستواه العلمي بوجه عام قد سما سموا رفيعا فوق مستوى كثير من الكتب العلمية التي الفها الغربيون في تلك العصور بما فيها مؤلفات كبلر في الضوء ، وثبت ان كتاب الذخيرة اللاتيني انما هو ترجمة لكتاب المناظر لابن الهيثم .

وعظمة ابن الهيثم لم تشبها قط شائبة من الغموض او يمسها ضعف من الخلق ، بل زادها متانة الخلق وجمال التواضع جلالا وبهاء . فكان فاضل النفس وافر التزهد ، محبا للخير ، وفوق حبه عمل الخير لذاته وفوق زهده عن المال وترف العيش ، متواضعا ، مقدرا السابقين من العلماء حق التقدير، يذكرهم بالفضل والاحسان ، وينصفهم حقوقهم كاملة وهو ان ابتكر فكرة جديدة او تناول بحثا لم يسبقه اليه احد قنع بالاشارة الى ذلك بمثل قوله « ولا نعرف احدا من المتقدمين ولا من المتاخرين بيّن هذا المعنى ولا وجدناه في شيء من الكتب » ويروى عن القفطي « سمعت ان ابن الهيثم كان ينسخ في يده ثلاثة كتب ضمن اشغاله وهي ـ اقليدس والمتوسطات ، والمجسطي ، فيستكملها في مدة السنة فاذا شرع في نسخها جاء من يعطيه فيها مائة وخمسين دينارا مصريا وصار ذلك كالرسم الذى لا يحتاج فيه الى مواكسة ولا معاودة ، فيجعلها مؤونة السنة.»

وكان لدى الحاكم بامر الله ميل الى الحكمة والفلسفة ، وكانت له رغبة في تشجيع العلم والعلماء ، آوى كثيرا من اطباء عصره ، واسس في القاهرة دار الحكمة ، وانشا في المقطم مرصدا جعل فيه ابن يونس المصرى وعندما بلغه قول ابن الهيثم ، لو كنت بمصر لعملت بنيلها عملا يحفظ ماءه ويحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغني انه ينحدر من موقع عال ، وهو في طرف الاقليم المصرى ، فاشتاق الحاكم الى رؤيته ولعله اراد ان يستفيد به فيما قال في امر النيل ، ولعله اراد ايضا ان ياويه اليه ، فارسل اليه مرغبا اياه في الحضور الى مصر ، وخرج الحاكم نفسه لاستقباله خارج مدينة القاهرة ، واكرم وفادته ، وامر باكرام مثواه ، ولما رحل ابن الهيثم على راس بعثة هندسية بادق المعاني الحديثة لهذه العبارة ، وتتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوبي أسوان يدرسه ويعاينه ، الا انه لما لم يجد الأمر متفقا وفكرته الهندسية التي خطرت له ،عاد الى القاهرة وهو في اشد حالات الخجل واعتذر للحاكم .

ولا مراء في أن ابن الهيثم قد سبق باكون في الأخذ بالطريقة العلمية والاخذ باسبابها ، فيقول الاستاذ نظيف ان هذه الطريقة التي تعد من مبتكرات العصر الحديث ، هي الطريقة التي لا تتردد في أن تقول ان ابن الهيثم اتبعها في بحوثه وكشوفه الضوئية . وهذه ناحية من نواحي ابن الهيثم لم يتناول بيانها على ما نعلم احد ، وهي جديرة بالاشارة والتقدير فابن الهيثم اخذ في بحوثه بالاستقراء،واخذ بالقياس ، وعنى بالتّمثيل واخذ بهذه العناصر على المنوال المتبع في البحوث الحديثة ، وهو في ذلك لم يسبق فرانسس باكون

فحسب ، بل سما عليه سموا ، وكان أوسع منه افقا واعمق تفكيرا .

ولقد عرض الاستاذ نظيف في كتابه عن الحسن ابن الهيثم لنظريات الابصار في الفلسفة اليونانية من فيثاغورس الى امبدقليس ، ومن افلاطون الى ارسطو وابيقور ، ثم في العصر الاسكندري من اوقليدس وبطليموس الى هيرون وثاون . كما عرض اراء الاسلاميين المتقدمين على ابن الهيثم من امثال الكندي وقسط بن لوقا والرازي ، ويقول : ليس معروفا الآن ان احدا من الاسلاميين المتقدمين على ابن الهيثم قد اضاف الى علم الضوء شيئا جديدا ذا قيمة ولم يكن معروفا من قبل ، فهم لا شك قد اصلحوا الكتب التي نقلت عن اليونانية ، وشرحوا غوامضها ، وصححوا اغلاط براهينها الهندسية ولكن ظل علم الضوء عند المستوى الذى وصل اليه ، وبقي كذلك حتى تناول ابن الهيثم دراسته ، ثم عرض اراء ابن الهيثم في الضوء وقارنها بالاراء السائدة في عصره ، شرح آراءه في الاضواء الذاتية والعرضية ، والمنعكسة والفجر ، والشفق ، ونقد رأى أصحاب الشعاع والوان الاجسام الكثيفة والاجسام المضيئة بقواتها والتقازيح ، وان انتقال الضوء لا يكون الا في زمان ، معارضا السرعة الآنية التي قال بها ابن سيناء ، وتجاربه لاثبات سرعة الضوء والناحية الميكانيكية من نظرية ابن الهيثم في الانعكاس والانعطاف والهالة وقوس قزح والكسوف والخسوف وما الى ذلك .

وباستعراض آراء أصحاب التعاليم والفلاسفة الاسلاميين ومناقشتها مناقشة موضوعية يثبت في وضوح ان نظرية ابن الهيثم في الضوء جديدة مخالفة لآراء هؤلاء جميعا . فاعظم آثار ابن الهيثم في الضوء انه ابطل نظرية قديمة كانت شائعة ، توارثتها الاجيال من عصر اليونان الى عصره في كيفية حدوث الابصار ،وهي تتلخص في أن الابصار يكون باشعاع او حزمة من الاشعة على حسب التعبير الحديث ، تخرج من البصر الى المُبْصَر وخلاصة رايه ان هذا الشعاع الذى يخرج من البصر اما أن يكون ماديا او على حسب تعبيره جسما او لا ، فان كان جسما ، فنحن اذا نظرنا الى السماء ورأينا الكواكب ، فقد خرج من البصر جسم ملأ ما بين السماء والارض ولم ينقص من البصر شيء ، وهذا كما يقول « محال في غاية الاستحالة وفي غاية الشناعة » وان لم يكن جسما فهو لا يحس هو نفسه بالبصر « لأن الاحساس ليس هو الا للاجسام ذات الحياة » والابصار بالبصر لا به ، فهو انه يؤدى شيئا من المُبْصَر الى البصر « وليس هذا الذي يقال انه يخرج من البصر شيئا محسوسا وانما هو مظنون » وعارض اصحاب الشعاع ومن قال بنظرية الورود ، وكان رايهم غامضا لا يغني شيئا في بيان كيفية ورود صورة المُبْصَر الى البصر ، فكان ابن الهيثم اول من ذهب الى ان للضوء حقيقة ووجودا ذاتيا ، وكان رايه كفيلا بسد اكبر ثغرة في النظرية وازالة اخطر دواعي الخلل فيها .

اما عزوف ابن الهيثم عن الصغائر وزهده في الترف والمال والسلطات ، وانكبابه المنقطع النظير على العمل وقصته مع الامير الذى دفع له اجر تعليمه ، فردها قائلا « خذ اموالك باسرها فانت احوج اليها مني عندما تعود الى ملكك ومسقط راسك ، واعلم انه لا اجرة ولا رشوة ولا هدية في نشر العلم واقامة الخير » . وقوله « يكفيني قوت يوم . فما زاد على ذلك ان امسكته كنت خازنك ، وان انفقه كنت قهرمانك ، فاذا اشتغلت بهذين فمن يشتغل بعلمي وأمري » . وكذلك استحق ابن الهيثم شهادة سارتون مؤرخ العلمفيالعصر الحديث « بان ابن الهيثم أكبر عالم طبيعي مسلم في جميع العصور والازمان » .

ولقد تبحر ابن الهيثم كذلك في العلوم الرياضية والفلكية،وان رسائله في الحساب والجبر وحساب المثلثات والهندسة الاقليدية المستوية والمجسمة لتدل دلالة اكيدة على تضلعه في الرياضيات البحتة وعلو كعبه فيها .

يقول المرحوم الدكتور على مشرفة « ان المطلع على كتاب ابن الهيثم في حل شكوك اقليدس يلمس دقته في التفكير ، وتعمقه في البحث واستقلاله في الحكم ، كما تتضح له صحة مكان الهندسة الاقليدية من العلوم الرياضية فهو في هذا الكتاب رياضي بحت بادق ما يدل عليه الوصف من معنى ، وابلغ ما يصل اليه من حدود .

لقد اقام ابن الهيثم في القاهرة الى أن أدركته الوفاة سنة ٤٣٠ هـ بعد أن عاش ستا وسبعين سنة ، قضاها في شظف من العيش وسعة من العلم . ■■

عبد الحليم منتصر

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الجنرال عيدى أمين بدأ حياته عاملا فى فندق وتدرج فى السلك العسكرى حتى أصبح جنرالا

● ارجو أن تكتبوا لنا عن تاريخ حياةالجنرال عيدى امين رئيس جمهورية اوغندا

محمد سامح محمد كامل ـ الكويت

ـ ان حياة الجنرال عيدى امين ، بالرغم من ان عمره الآن لا يتجاوز ٤٨ عاما،حياة حافلة بالجهاد. فقد ولد عيدى امين فى قرية « كوبوكو » حوالى عام ١٩٢٥ فى قبيلة صغيرة من مسلمى اوغندا تسمى قبيلة « كاكوا » . وعندما ذهب الفتى الصغير عيدى الى العاصمة بدأ العمل كصبى فى احد فنادقها الكبيرة .. وكان دائما يحلم بالجندية ، وساعده جسمه الضخم على تسهيل مهمة التحاقه بالجيش ، الذى كان خاضعا للانجليز فى ذلك الوقت . واستطاع عيدى ان يصبح جاويشا بسرعة ، واشترك فى الحرب العالمية الثانية ، وارسل مع رفاقه الافريقيين للحرب فى بورما . وارسلته ايضا القيادة البريطانية الى كينيا حيث خصصت القوات التى كان معها للمساعدة فى قمع حركة الماوماو . وتدرج عيدى امين فى السلك العسكرى ، وقبل استقلال اوغندا فى عام ١٩٦٢ بعام واحد ، رقى الى سلك الضباط وارسل فى بعثة تعليمية الىاحدى كليات بريطانيا العسكرية. ولكنه استدعى بعد عامواحد ليتولى منصبا هاما فى الجيش الاوغندى . وفى عام ١٩٦٦ اصبح جنرالا وقائدا عاما للجيش بعد ان استطاع قيادة قوات الحكومة واخماد حركة الكاباكا حاكم بوجندا ضد الحكم الجمهورى .

وعيدى امين يمارس عدة العاب رياضية عنيفة منها لعبة كرة القدم المعروفة فى انجلترا بالرجبى، وقد حصل ايضا على بطولة اوغندا فى الملاكمة للوزن الثقيل لمدة عشر سنوات متوالية .

وقد اثار نجاح عيدى امين فى تولى قيادةالجيش



الاوغندى حقد الكثيرين من اعدائه فاتهم فى عام ١٩٦٦ ، بعد ان تولى قيادة الجيش بحوالى ٦ اشهر ، بانه لعب دورا فى ثورة الكونغو وانه حصل على كمية من الذهب من ثوار الكونغو لشراء اسلحة لهم ، وان هذا الذهب قد ذهب الى حسابه الخاص . واثبتت لجنة التحقيق القضائية انه لم يختلس هذا الذهب لنفسه وانه فعلا ساعد ، بما حصل عليه ، زعماء حركة الثورة فى الكونغو .

وفى عام ١٩٦٩ فترت العلاقات بينه وبين الرئيس الاوغندى السابق اوبوتى ، واستمرت العلاقات بين الرجلين تسوء حتى استطاع عيدى امين الاستيلاء على السلطة فى اوغندا بواسطة انقلاب عسكرى فى يناير عام ١٩٧١ .



وقد استطاع عيدى امين بعد توليه رياسة الجمهورية ان يكتسب حب الشعب الاوغندى الذى اطلق عليه اسم « بابا امين » Daddy Amin وقد قام بطرد المستشارين العسكريين الاسرائيليين من الجيش الاوغندى . كما قام ايضا ، اخيرا ، بطرد كل الاسيويين الذين كانوا يعيشون في اوغندا بسبب استيلائهم على المقدرات الاقتصادية للبلاد . وقد اثارت اعماله هذه ثائرة دول العالم الغربي عليه، وهاجمته الصحف والدول الغربية ايضا . ولو ان كل الصحف التى هاجمته لم تستطع ان تنكر انه لا يزال حتى الآن ، وبعد عامين من توليه رياسة الجمهورية في بلاده ، معبود رجل الشارع الاوغندى .

(م . ط)

هجرة اليهود الروس تنذر بقيام اسرائيل الكبرى

قرأت ما كتبتموه من هجرة اليهود الروس الى اسرائيل ولا ندرى لماذا اغفلتم ذكر الرسوم التي تجبيها الحكومة السوفياتية من هؤلاء المهاجرين .

عبد العزيز عمر ـ عمان

ـ الرسوم التي فرضتها الحكومة السوفياتية على هجرة اليهود الروس الى اسرائيل خاصة ، كما هو معروف ، بالمهنيين وحملة الشهادات الجامعية من اولئك اليهود . وتختلف هذه الرسوم باختلاف تلك الشهادات . فهي لاتزيد على(٤٨٠٠) روبل اذا كان الراغب في الهجرة مدرسا حاصلا على دبلوم دار المعلمين ، وتزداد هذه الرسوم حتى تبلغ ...٢١ روبل في حالة حامل شهادة الدكتوراه. (الدولار الواحد = ٩ر. من الروبل) . وهذا يعني ان على المهندسين والاطباء والكتاب والمخرجين والممثلين وامثالهم من اليهود الروس ان يسددوا الرسوم المفروضة عليهم ، اذا هم ارادوا الحصول على سمة الخروج والاذن بالهجرة الى اسرائيل .

ولا يخفى قصد الحكومة السوفياتية من هذه الرسوم . فقد تكاثر عدد اليهود الروس الذين هاجروا الى اسرائيل في المدة الاخيرة ، وتكاثر بينهم حملة الشهادات والمؤهلون . والدول المتقدمة بما فيها روسيا ، تقيم وزنا كبيرا للمثقفين والمهنيين من رعاياها ، وتحسب الف حساب لهجرتهم ، وهي الهجرة الخطيرة التي سموها في السنوات الاخيرة هجرة الادمغة .

لاعجب اذن ان حاول الاتحاد السوفياتي الحد من هذه الهجرة فعمد الى فرض الرسوم التي فرض .

ويقول السوفيات ان هذه الرسوم ليست ضرائب او غرامات . فهي تساوى النفقات التي تكبدتها الحكومة السوفياتية في سبيل تعليم من فرضت عليهم. واستيفاؤها لا يعدو كونه استردادا لدين قديم . فالتعليم في الاتحاد السوفياتي مجاني في كل مراحله . ولا تفكر الدولة باسترداد نفقاته ما دام المنتفعون به يعملون فيها وينتفع بخدماتهم المجتمع السوفياتي . اما اذا اظهر بعض رعاياها ، كما يظهر اليهود الروس ، نكران الجميل واصرّوا على الهجرة الى اسرائيل ، فليس اقل من ان تسترد الحكومة النفقات التي صرفتها على تعليمهم .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو : الى متى تستمر الحكومة السوفياتية في فرض

تلك الرسوم ، وهي تتعرض لضغط شديد ، بقصد الغائها ، من جانب امريكا والصهيونية العالمية .. ؟!

ويذكر في هذا الصدد ان عددا لايستهان به من اعضاء الكونجرس الامريكي ، بزعامة جاكسون وربيكوف ، قد حملوا على تلك الرسوم وهددوا بعدم ابرام الاتفاقيات التجارية الضخمة التي عقدت مؤخرا بين الحكومتين الامريكية والسوفياتية، والتي لا بد من اقرار الكونجرس اياها قبل وضعها موضع التنفيذ . ولعل حكومة الرئيس نكسون تشارك الكونجرس موقفه هذا ، كما تراءى من زيارة المستر هوبرت همفري H. Humphrey الاخيرة لموسكو . فقد بحث نائب الرئيس الامريكي الاسبق موضوع تلك الرسوم مع المستر كوسيجين، وافهمه ان الكونجرس الامريكي جاد في موقفه وينوي فعلا عرقلة الاتفاقات التي ذكرنا ما لم تلغ الحكومة السوفياتية تلك الرسوم. هذا والاتحاد السوفياتي بحاجة ماسة الى تنفيذ تلك الاتفاقيات ، فهي تضمن له الحصول على حاجته من سلع الاستهلاك، ولا سيما القمح وقد مست حاجة الروس اليه بسبب ما اصاب بلادهم من قحط . اضف الى ذلك ان الاتفاقيات المذكورة تكفل لروسيا ايضا المساهمة الامريكية الفعالة في استثمار سيبريا واستغلال ثرواتها البكر الهائلة . هذا الى جانب التخلص من ديون الحرب العالمية الثانية التي ما زالت تطالبها بها الولايات المتحدة الامريكية .

لا غرابة اذن ان اذعن الاتحاد السوفياتي للضغط الامريكي والصهيوني ، في مستقبل غير بعيد ، فالغى تلك الرسوم ، وفتح باب الهجرة لكافة اليهود الروس دون تمييز بين مؤهلين وغير مؤهلين.

وتجدر الاشارة الى ان مجموع اليهود الروس يبلغ ٥ر٣ مليون نسمة او يزيد . وقد تكاثرت طلبات الهجرة التي تقدموا بها الى سلطات السفر الروسية حتى بلغ عددها ، بل عدد ما لم تستطع تلك السلطات النظر فيه، اكثر من ١٢٠,٠٠٠ طلب. وهذا يعني ان عدد المهاجرين من اليهود الروس قد يتضاعف فيبلغ نحو ١٠٠,٠٠٠ او ٢٠٠,٠٠٠ نسمة سنويا اذ ضاعفت الحكومة الروسية من عدد موظفيها العاملين في دوائر الهجرة والسفر والغت الرسوم التي ذكرنا .

ولا يخفى ما تنطوي عليه هجرة اليهود الروس من مخاطر . فان كانت هجرة اليهود الالمان ، ابان الحكم النازي ، قد مهدت لقيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ ، فلعل من شأن هجرة اليهود الروس الحالية ان تضاعف عدد سكان اسرائيل حتى يصبح ٧ ـ ٨ ملايين نسمة فتمهد بذلك لتحقيق حلم اليهود القديم ، وقيام اسرائيل الكبرى قبل سنة ١٩٨٠ .

(ي . ز)

الموشحات الاندلسية

● انني من هواة الاستماع الى الموسيقى والغناء ، وخاصة القديم منها ، وكثيرا ما اسمع صوت المذيع يقول هذه العبارة :« نقضي ربع الساعة القادمة مع الموشحات الاندلسية » ، لم اسمع نوعا من الغناء ،عربي الطابع ، جميل الايقاع ، فما اصل هذه الموشحات ؟ وهل يختلف عن الشعر العربي المعروف ؟

صبيحة ابو الحسن/جنيفا

ـ الموشحات الاندلسية نوع من الشعر العربي استحدثه الاندلسيون وقد بني على اغنية شعبية كانت شائعة وقتذاك باللغة الرومانسية (والرومانسية هي اللاتينية الحديثة ، وهي لهجات محلية انتشرت في انحاء اوربا في القرون الوسطى) .

وقد شرح ابن بسام في كتابه الذخيرة ، معنى الموشحة فقال : « هي اوزان كثر استعمال اهل الاندلس لها في الغزل والنسيب تشق على سماعها مصونات الجيوب ، بل القلوب ، واول من صنع اوزان هذه الموشحات بافقنا واخترع طريقتها فيما بلغني هو محمد بن محمود القبري،

الضرير ، وكان شاعرا من شعراء الامير عبد الله ابن محمد المرواني،وقد اخذ عنه احمد بن عبد ربه صاحب كتاب « العقد الفريد » . وقال : انه كان يصنعها على اشطار الاشعار ، وانه كان ياخذ اللفظ العامي او الاعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين ولا اغصان » ومن اهم الكتب التي درست الموشحات هو كتاب « دار الطراز » لابن سناء الملك .

والمعروف ان الموشحة تنظم اسماطا واغصانا ، ويعرف المقطع الاخير من الموشحة باسم الخَرْجة وهي اساس الصلة الوثيقة التي بين الموشحة والاغنية الشعبية وقد تتضمن مفردات اعجمية باللغة الرومانسية او مفردات عامية شائعة .

وتختلف الموشحة في تركيبها وطريقة صوغها عن القصيدة المعروفة ، فتتعدد فيها القوافي وتسمى الابيات التي تختلف قوافيها بالاغصان ، والتي تتفق بالاسماط او الاقفال .

وقد اعجب اهل الاندلس بالموشحات ، واخذوا بها ، واستظرفوها لسهولة تناولها ، وسرعة حفظها ، وسلاستها ، وتنميق كلامها ، اذ كانت تغنى مع نغمات الموسيقى، كما ان لها طريقة خاصة في التلحين .

وقد ازدهرت صناعة الموشحات في عصر المرابطين فبرز كثير من الوشاحين امثال ابي العباس اعمى تطيلة (او الاعمى التطيلى) ، وابن بقي القيرواني ، والفيلسوف ابن باجه ، ثم ظهرت بدائع الوشاحين في عصر الموحدين ، فظهر ابو بكر بن زُهر الاشبيلي ، وابو بكر بن الصابوني ، وابنُ عربي وعبادة القزاز ، ولسان الدين ابنُ الخطيب ، وابن سناء الملك .

اما لغة الموشحات فانها تعتمد على الوشي والتزيين والسهولة واللين ، واحب الالفاظ وابلغها في النفوس وقعا ، كالفاظ الحب والطبيعة والخمر والطيب والازهار ، وهي كما نراها صالحة للغناء محببةً الى قلوب السامعين والمنشدين على السواء ، دون ان يتحكم بها المنطق او يجهد الفكر في تفسير معانيها العويصة .

ومن اجمل موشحات ابن زهر الاشبيلي قوله :

ايها الساقي اليك المشتكي
كم دعوناك وان لم تسمع
ونديم هِمتُ في غرّته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من غفوته
جذب الزق اليه واتكى
وسقاني اربعا في اربع
ما لعيني عَشيتْ بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبرى
عَميت عيني من طول البكا
وبكى بعضي على بعضي معى

(ص . ى)

التضخم المالى فى بريطانيا أسبابه ، وسبل علاجه

● نشرت الصحف آخيرا ان الحكومةالبريطانية جمدت الاسعار والاجور ، فما معنى كلمة تجميد ، ولماذا اقدمت بريطانياعلى هذا الاجراء ؟ هل لكم ان تشرحوا لنا هذه المعاني الاقتصادية ؟

سالم محمد ـ حلب/سوريا .

ـ تجميد الاسعار والاجور ، معناه عدم السماح برفعها ، وهو اجراء كثيرا ما تلجا اليه الحكومات كخطوة اولى في سبيل علاج ظاهرة التضخم المالي في البلاد .

اما التضخم فيتمثل في ظاهرة ازدياد العملة المتداولة في يد المستهلك ، الامر الذى يدفعه الى الاقبال على الشراء والاستهلاك ، اكثر فاكثر ، وتكون النتيجة ارتفاع اسعار السلع في الاسواق ،

رالف نادر محام امريكي من أصل عربي يدافع عن حقوق المستهلك

● نسمع كثيرا هذه الايام عن شاب امريكي من اصل عربي اسمه رالف نادر وذلك بسبب الضجة التي اثارها هذا الشاب في كتابه الاخير بعنوان « من الذى يحكم الكونجرس » ارجو ان تكتبوا لنا عن هذا الشاب العربي الاصل .

عبد العزيز عبد الله ـ ج٠م٠ع

ـ رالف نادر ، هو ابن احد اللبنانيين المهاجرين الى الولايات المتحدة الامريكية ، وابوه اسمه ندرة نادر ، هاجر من لبنان الى مدينة ويستد بولاية كونكتكت الامريكية في عام ١٩٢٥ ، وقد ولد نادر في عام ١٩٣٤ ، وذلك في الوقت الذى كان والده يمتلك مطعما ومخبزا بالبلدة يدران عليه دخلا ماليا كافيا . ونتيجة لهذا حصل نادر على تعليم كاف واستطاع ان يتخرج من كلية القانون بجامعة هارفارد ، والتي تعتبر من اشهر جامعات امريكا . وبعد تخرجه اتجه الى العمل الحر وتفرغ للعمل على حماية المستهلك الامريكي من استغلال الشركات الكبرى ، واسس ما سماه بمركز دراسات القانون الاستجوابى . وظل نادر شبه مجهول حتى عام ١٩٦٥ عندما نشر كتابه الاول تحت عنوان « لا امان مهما كانت السرعة » « Unsafe at any Speed » والذى بين فيه العيوب الفنية في بعض سيارات شركة جنرال موتورز الامريكية ، ويتهم الشركة بانها تعرض حياة

طبقا لقانون العرض والطلب . فكلما قل المعروض من السلع ، وازداد الاقبال على الشراء ، ارتفعت الاسعار والعكس صحيح .

وقد كان هذا هو ما حدث في بريطانيا ويحدث منذ عام ١٩٦٦ حتى اليوم .. فقد ظلت اسعار السلع في ارتفاع مستمر ، مما ادى الى ازدياد الحاجة الى الحصول على المال لشرائها وبالتالي المطالبة بزيادة الاجور لتغطية نفقات المعيشة الآخذة في الارتفاع .. وقد استجابت الحكومة عدة مرات ورفعت أجور العاملين ، وكانت النتيجة ازدياد الاقبال على شراء السلع ، وارتفاع اسعارها من جديد .. وهكذا .. حلقة مفرغة من ارتفاع في الاسعار الى زيادة في الاجور ، او معدل الدخول الى تضخم في المال في ايدى المواطنين .. وهكذا .

نتيجة لهذا ، اقدمت حكومة المحافظين على اتخاذ قرارها بتجميد الاسعار والاجور ، لمدة ثلاثة اشهر ، على ان يعقب هذا اتخاذ اجراءات اخرى تهدف الى القضاء على التضخم الخطر الذى ظهرت آثاره واضحة على الاقتصاد البريطاني في الربع الاخير من العام الماضي ١٩٧٢ .

ومن بين هذه الاجراءات التي وضعتها حكومة المحافظين في بريطانيا برئاسة ادوارد هيث ، موضع الدراسة ، وضع قوانين ثابتة للاجور وزيادتها بحيث تشكل هذه القوانين سياسة دائمة مشروعة يمكن بواسطتها السيطرة على التصعيد الجنونى للاسعار والاجور وتحقيق نوع من التكافؤ والتوازن الاقتصادى .

على ان هنالك آراء اخرى في بريطانيا تدعو الى



سائقي هذه السيارات للخطر . وقد جندت الشركة عددا كبيرا من المحامين والمخبرين الخصوصيين لملاحقة نادر ومحاولة تشويه سمعته . ولكن هذا الشاب ، الذي لم يكن عمره حينذاك يتجاوز الحادية والثلاثين ، استطاع ان يحصل على حكم قضائي ضد شركة جنرال موتورز ويحصل على تعويض قدره ٢٥) الف دولار نظير محاولات الشركة لاساءة سمعته . وبعد هذه القضية بدا نجم رالف نادر يتالق . وانصب نشاطه على كتابة الكتب ونشر الدراسات التي تحدث دويا شديدا في اوساط المواطنين العاديين الامريكيين . واصبح نادر زعيما لحركات الدفاع عن حقوق المستهلك الامريكي . وخاض سلسلة من المعارك ضد تسلط الاحتكارات والمؤسسات الراسمالية الضخمة ، وضد مراكز النفوذ . وهو يقول ان هدفه من كل هذا هو ان يغير امريكا . ويقول نادر عن هجرة والديه الى امريكا : « لقد جاء والداي من لبنان الى امريكا ليعيشا على ارض العدالة ، ولكنهما شهدا العدالة تغتال هنا » .

واخر كتاب لنادر هو كما ذكرت في سؤالك بعنوان : « من الذي يحكم الكونجرس » وقد وضع هذه الدراسة بمساعدة اكثر من الف متطوع من الشباب المختلف الثقافة . ويفضح نادر في كتابه هذا كيفية تاثير المؤسسات والشركات الكبرى على انتخاب رجال الكونجرس .

(م . ط)

اقتفاء السياسة التي سبق للرئيس الامريكي نيكسون ان اتبعها خلال فترة رئاسته الاولى هذه التي انتهت ، للسيطرة على زيادة الاسعار والاجور في الولايات المتحدة .

فقد شكل نيكسون مجلسا ، اسماه مجلس تكاليف المعيشة ، يضم مجموعة من الوزراء برئاسة وزير الخزانة الامريكي .

وكانت مهمة المجلس تنحصر في الاشراف على هيئتين ، وهما «مجلس الاجور» ويضم هيئة تمثل الموظفين والعمال ، ثم « لجنة الاجور » ، وهي تمثل اعضاء من مختلف قطاعات جماهير المستهلكين .

والى جانب هذا المجلس ، شكل مجلس آخر مهمته الاشراف على الاسعار وعلى مدى تقدم الشركات الكبيرة والصغيرة ، التي يقوم المجلس بمطالبتها بابلاغه بالاسباب التي دعتها الى رفع اسعارها ، كلما حدث اى ارتفاع ملموس في هذه الاسعار عند عرضها في الاسواق .

وقد نجحت خطة نيكسون الى حد كبير في تحقيق اهدافها ، عندما عجزت الشركات عن تبرير اسباب رفع اسعار منتجاتها . .

ان الشهور الثلاثة التى حددتها حكومة المحافظين لتجميد الاسعار قد انتهت فاما ان ينجح هيث في التخفيف من حدة التضخم ، والا فسوف تستمر احزاب المعارضة في الضغط على الحكومة (وخاصة حزب العمال) فتشهد بريطانيا انتخابات عامة في المستقبل القريب . ■■

(م . ن)

طرائف غريبة

نوادر خروشوف فى الكتب

● كان نيكيتا خروشوف الزعيم السوفيتى الاسبق ، رجلا جمع بين كل المتناقضات ، وكان فى السياسة فلاحا سريع البديهة حاضر النكتة ، حتى انهم عندما ابعدوه عن الحكم وعاش فى الظل قبل موته ببضع سنوات .. اسف لابعاده اعداؤه قبل اصدقائه !

وقد كان لخروشوف اقوال غريبة سجلتها الكتب لما حوته من طرافة ..

قال يوما عندما اسقطت مدافع الروس طائرة التجسس الامريكية فوق بلاده اثناء اجتماعه بالرئيس الامريكى الاسبق ايزنهاور : « اريدكم ان تعرفوا انه اذا ضربنى احد على خدى الايسر ، فسوف ارد الضربة باعنف منها على خده الايمن ، وربما اعقبتها بضربات حتى يدق عنقه! »

وعندما سألوه عن الراسمالية والشيوعية ، قال « لا تقلقوا ، فسوف اعيش حتى تصلنا الدعوة لكى نحكم العالم .. ويومها قد نلبى ، ولكن ليس فى امريكا ، فانا احب الشعب الامريكى



.. ولكننى اكره ان اكون مسئولا عما فعله رؤساؤها !

وعندما قالوا له ان هناك الكثيرين الذين يتوقعون ان تتخلى روسيا عن الشيوعية، بعد ان فتحت ابوابها وازاحت عن حدودها الستار الحديدى ، قال : « الذين ينتظرون منا ان نترك الشيوعية ، يجب ان يتعلموا اولا كيف يدربون السمك على الغناء ! » .

وعندما سألوه عن تدخل القوات الروسية لسحق ثورة شعب المجر، قال: « كان من الممكن الا يحدث شىء من هذا الذى حدث ، لو اننا قتلنا اثنين من كتاب المجر فى الوقت المناسب ! » .

قال جون كنيدى الرئيس الامريكى الراحل يوما عندما نقلوا اليه تصريح خروشوف الذى اعلن فيه انه سيدفن الامريكان وهم احياء .. قال : « هل سمعتم قصة الرجل الروسى الذى كان يجرى خارج اسوار الكرملين وهو يهتف « خروشوف مجنون ! » لقد قدم الرجل للمحاكمة ، وصدر ضده حكم بالسجن لمدة ٢٣ سنة .. اما السنوات الثلاث الاولى فكانت عقابا له على اهانة سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى .. واما العشرين سنة الباقية ، فكانت لانه اذاع سرا من اسرار الدولة !! » .



ديجول يسخر من السياسة !

● عاشت فرنسا اسوأ سنى حياتها السياسية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، فقد احصوا عدد الوزارات التى تألفت وسقطت فى الفترة ما بين عام ١٩٤٥ و ١٩٥٨ فوجدوها تربو على الثمانية عشرة وزارة .. الى ان جاء الجنرال الفرنسى الكبير ديجول فى عام ١٩٥٨ ، ليعطى بلاده نوعا من الاستقرار السياسى الذى لم تعهده طوال هذه الاعوام ، ويعيد اليها فى الوقت نفسه هيبتها الضائعة !

ولكن عودة ديجول الى المسرح السياسى بعد هذه الغيبة الطويلة كان لها خصوم عدة ، لم يتوانوا عن مهاجمته ونعته بالدكتاتورية ! ومحاولته القضاء على الحياة الديمقراطية !

ولكن ديجول لم يكن يعبأ كثيرا بما يقال عنه ، غير انه عندما وجد ان الحملة قد تزايدت ، وقف يوما يقول : « اننى رجل لا انتمى لاحد ، ومن اجل هذا فاننى اقف فى صفوف الجماهير .. ترى هل يصدق احد مزاعم هؤلاء الذين يقولون اننى اريد ان اجعل من نفسى دكتاتورا بعد ان بلغت السابعة والستين ؟! » .

ويبدو ان حديث ديجول لم يقنع زعيم حزب العمال البريطانى الاسبق كليمنت اتلى ، فقد كتب يقول : « ان ديجول رجل عسكرى ممتاز شارك فى الدفاع عن بلاده فى الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولكنه لا يصلح للسياسة ! »

وقرأ ديجول ما قاله اتلى عنه فجلس يرد عليه فى رسالة خاصة قال فيها :

« اريدك ان تعرف اننى قد خرجت بنتيجة هامة ، بعد دراسة دقيقة للاوضاع السياسية فى بعض الدول التى تتشدق بالديمقراطية ، هذه النتيجة يا سيدى اللورد هى ان السياسة موضوع جد خطير ولا يمكن بحال من الاحوال ان يترك فى ايدى حفنة من السياسيين المحترفين .. وانت واحد منهم ! » .

بين انسان الغابة وانسان القرن العشرين !

● هنرى فارمان Henry Farman (١٨٧٤ ـ ١٩٥٨) ، احد رواد الطيران فى فرنسا ، ممن قادوا وصمموا وشيدوا الطائرات ، قال فى كتابه La Vie Ce Jour « الحياة اليوم » :

« لم يكن اجدادنا مخلوقات فذة .. كانوا مخلوقات ضعيفة اذا قورنوا بالوحوش الهائلة التى كانت تشاركهم حياتهم فى الغابات .. ولم يكن لديهم مخالب قوية ولا انياب ضخمة ولا اجنحة يطيرون بها ، ولكنهم مع ضعفهم هذا كانوا يتمتعون بقدرة عجيبة على تكييف انفسهم وتكييف حياتهم ، وفقا لظروف العيش القاسية فى تلك الحقبة البعيدة من حياة الانسان على الارض ..

« واليوم ننظر حولنا فماذا نجد .. نجد اننا قد روضنا الطبيعة وطوعناها .. غزونا الارض ومشينا فى الفضاء .. اصبحنا سادة فى هذا الكوكب ، ولكن مع هذا التقدم الهائل الذى حققه الانسان ، ما زال يقف عاجزا ضعيفا ، وكأنه قزم امام عملاق الانسان الاول .. انسان الغابة الذى سبقنا منذ مئات الالوف من السنين .. لقد عجزنا حتى اليوم عن ان نرث عن اجدادنا تلك القدرة العجيبة التى كانوا يتمتعون بها فى تكييف انفسهم وحياتهم .. فقد اصبحنا عبيدا للروتين ، يكفى ان يتغير شىء طفيف فى نظام حياتنا فنضطرب ونفقد القدرة على التفكير والقدرة على الخلق والابتكار ..

« تحية لهؤلاء الاجداد الذين قهروا الوحوش بايديهم ، ثم حفروا الارض باظافرهم ! » .

البحث العلمي

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ عقد في دمشق وفيما بين الثامن والعشرين والحادي والثلاثين من شهر آب (اغسطس) عام ١٩٧١ مؤتمر لتطوير التعليم العالي والجامعي في سورية . وقد شارك فيه – بالاضافة الى اعضاء الهيئات التدريسية في جامعات القطر السوري – زملاء من اقطار عربية اخرى في مقدمتها القطر العربي المصري . وقد كان لي شرف العمل مقررا للجنة البحث العلمي والكفايات العلمية وهجرتها) .

وقد اجتمعت اللجنة اجتماعات تمهيدية عديدة خرجت منها بتقرير ضاف نوقش في اجتماعات المؤتمر واقرت توصياته . وقد رايت ان اطلع القارىء العربي المهتم بامر الجامعات العربية على عمل هذه اللجنة وتوصياتها فعمدت الى تلخيص التقرير وذكر اهم التوصيات التي جاءت فيه املا ان يكون في ذلك فائدة للمعنيين بامر التعليم العالي في البلاد العربية .

من نافلة القول أن البحث العلمي لم يعد ترفا تمارسه بعض الجامعات في البلاد المتقدمة وتحتكره بعض المؤسسات في البلاد الناهضة ولكنه ضرورة تحتاجها البلاد النامية كما تحتاجها البلاد المتقدمة . وفي اعتقادنا انه ما لم تعن بلادنا العربية ومؤسساتها العلمية والصناعية والزراعية والتجارية والاجتماعية بالبحث العلمي وتتوفر عليه فانها لن تجد حلولا صحيحة لمشكلاتها العديدة .

ثم ان الاصالة العلمية والتمرس بالعلوم يقتضيان خوض عباب البحث العلمي ذلك بانه لا يمكن للعلوم ان تكتسب بالاقتباس والنقل فقط . واذا صح اللجوء الى الاقتباس والنقل في بداية النهضة فانه لا يصح حين الاندفاع فيها .

اضف الى ذلك انه قد آن للعرب ان يعودوا فيقدموا مساهماتهم في ميدان العلم وان يدلوا بدلوهم في مضماره فتغتني بهم الحضارة العربية والحضارة الانسانية وتزدهران .

ثم انه لا بد من الاشارة الى ان تحضير الكفايات العلمية والاحتفاظ بها لا يمكن ان يتما الا في جو علمي نير وعن طريق بحوث علمية اصيلة .

هذا ولا ينحصر البحث العلمي في الجامعات وسواها من مؤسسات التعليم العالي وانما يجب ان يتعداها الى الوزارات والادارات والمؤسسات ذات الصلة بالصناعة والزراعة والتجارة وغيرها من مرافق الاقتصاد والاجتماع والتربية والصحة وسواها . ومن هنا كان الواجب في ان يكون البحث العلمي في البلاد عملا تعاونيا تشترك فيه الجامعات وادارات البحث في الوزارات والمؤسسات والشركات وما اليها . وكل ذلك بتوجيه من مركز قومي للبحوث وتحت اشرافه .

عن تقرير مؤتمر تطوير التعليم العالي في سورية

وبديهي انه لا بد للبداية من ان تكون متمهلة ومتعثرة ، كما انه لا بد في اول الامر من توجيه عناية الباحثين الىمشكلات البلاد الراهنةومشكلات المجتمع المحلي الصناعية والزراعية والتجارية ومجالات الخدمات.ولا ننسى الاشارة الى ان خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية تقتضي بحوثا علمية مركزة وكفايات علمية عالية واستقرارا للعلماء واطمئنانا للعاملين .

وللبحث العلمي شروط وظروف لا بد من توفرها اذا اريد له ان يصبح حقيقة واقعة وان ينجح النجاح اللازم . وفيما يلي اهم هذه العوامل :

اولا ــ انشاء مركز قومي للبحوث :

اذا اريد للبحث العلمي انينشط ويزدهر فلا بد من انشاء مركز قومي للبحوث تكون مهمته تنظيم البحث العلمي وتنشيطه وتنسيقه وتوجيهه .

ولا بد في ايجاد مثل هذا المركز من تنظيم عمله بحيث يكون اداة تسهيل وتنشيط لا اداة عرقلة واعاقة.ولذلك كان لا بد من الحرص على تجنيبه اخطار الروتين والبوروقراطية.انه يجب ان يخطط للبحث العلمي وينظمه ويقومه . ولا بد ان تكون فيه فروع واقسام يعنى بعضها بالعلوم الاساسية ويعنىالاخر بالعلوم التطبيقية ويعنى الثالثبالعلوم الاجتماعية . ولا بد من ان يقوم عليه اشخاص ذوو كفايات عالية وتمرس بالبحث العلمي . ولا بد من ان تكون له موازنة تأتى من الوزارات والادارات والجامعات والشركات وسواها من المؤسسات ذات الاهتمام بالبحث العلمي . واخيرا لا بد من ان يكون لهذا المركز استقلال مالي ونظام للانفاق مبسط مما ييسر القيام بالبحوث العلمية .

ثانيا : المال

لا يمكن للبحث العلمي ان يجرى الا اذا توفر المال اللازم له.والمال عنصر اساسي وشرط ضروري للبحث العلمي . وجدير بالملاحظة ان المال الذى ينفق على البحث العلمي الصحيح ليس مالا مهدورا وانما هو استثمار اذا احسن التصرف فيه نما وربا وعاد على البلاد ومؤسساتها اضعافا مضاعفة . هذا ومن الممكن للبحث العلمي ان يبدا بداية متواضعة ثم يتوسع تدريجيا ولذلك فان بداية البحث العلمي لا تتطلب اموالا طائلة . وفيما يلي اشارة الى بعض مصادر التمويل الممكنة :

١ ــ مال ترصده الجامعات فيميزانياتها باسم البحث العلمي وتوزعه على الكليات واقسامها كل حسب حاجته ومشاريعه التي يدلل على فائدتها في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ــ مال ترصده الوزارات والادارات المختلفة في ميزانياتها وتنفقه على البحثالعلمي فيمختبراتها الخاصة او تقدمه للجامعة لبحث مشكلاتها .

٣ ــ مال ترصده الشركات في القطاعين الخاص والعام للبحث في المشكلات ذات العلاقة بعملها وتنفقه في مختبراتها الخاصة او تقدمه للجامعات.

٤ ــ مال تقدمه المؤسسات الوقفية .

٥ ــ تبرعات المواطنين واكتتاباتهم وغير ذلك مما يجب ان يشجع ويحث عليه .

٦ ــ مال تقدمه المنظمات الدولية والهيئات الاجنبية الصديقة .

هذا ويجب ان يعطى المركز القومي للبحوث صلاحيات كافية للتصرف بالمال وفق طرائق مبسطة بعيدة عن الروتين المالي المعقد للدولة ويجب ان يكون للمركز استقلال مالي كما يجب ان يسمح للقائم بالبحث او المشرف عليه بصلاحية الانفاق ، وان يكون هو آمر الصرف على ان يسدد ما يصرفه بوصولات ووثائق قانونية .

ثالثا : النصاب والتفرغ

يلاحظ مما سبق ان البحث العلمي يجب ان يتم في الجامعة وفي غيرها من الوزارات والادارات والشركات ومراكز البحوث .

اما في الجامعة والمعاهد العليا فيجب ان يتالف عمل عضو الهيئة التدريسية من امور ثلاثة هي :

التدريس والتاليف والبحث العلمي . ولا بد في راينا من قيام توازن دقيق بين هذه الاعمال الثلاثة . ان الانصبة المخصصة لاعضاء الهيئة التدريسيةعالية ولا بد من تخفيفها اذا اردنا لعضو الهيئة التدريسية المشاركة في البحث العلمي . وفي راينا ان تفرغ اعضاء الهيئة التدريسيه امر لازم وضروري وذلك لقاء تعويض مناسب ودوام كامل قبل الظهر وبعده . وعندنا ان عضو الهيئة التدريسية يجب ان يدرس مادة اختصاصه فقط مهما كان عدد ساعاتها ومهما كانت مطاليب هذه المادة.

ونحن نرى وجوب السماح بالتفرغ لمن هم في مرتبة اعضاء هيئة التدريس في الوزارات والادارات والسماح لهم بالقيام ببحوثهم في الجامعة او بالتعاون معها واعطائهم نفس الميزات والامتيازات التي تكون لاساتذة الجامعة ممن هم في نفس مستواهم.

رابعا : المختبرات والاجهزة

البحث العلمي مستحيل دون مختبرات مجهزة لكل هذا البحث في مختلف ميادينه. وهذا يقتضي :

١ ـ توفير المال اللازم لابتياع هذه الاجهزة .

٢ ـ تغيير الروتين المالي المتبع في الحصول على هذه الاجهزة ولا سيما طريقة المناقصة .

٣ ـ السماح بطلب اجهزة معينة من مصادر معينة على ان يعاقب كل من قد يسيء الاستعمال.

٤ ـ توفير ورشات لاصلاح الآلات والاجهزة . وتهيئة العناصر الفنية التي تستطيع القيام بهذا العمل وايفادها الى الخارج عند اللزوم .

٥ ـ توفير مكتبة (او مكتبات) للكتالوجات الخاصة بالاجهزة العلمية في كل ميدان .

٦ ـ التنسيق بين الاجهزة العلمية المتشابهة في الجامعات والوزارات والادارات المختلفة بغية الاستفادة منها اكبر استفادة ممكنة .

خامسا : المكتبات

المراجع العلمية من كتب ومجلات ومعاجم وحوليات ودوريات ضرورة اساسية من ضرورات البحث العلمي يستحيل بدونها اجراء البحوث وتقدمها . ولذلك فنحن نقترح :

١ ـ تبسيط الروتين المتبع في الحصول على مثل هذه المراجع .

٢ ـ انشاء مكتبة في كل كلية ، واذا لزم الامر ففي كل قسم وكل وزارة ، بالاضافة الى المكتبة العامة في الجامعة ومكتبة مركز البحوث .

٣ ـ تامين اجهزة كاملة كافية للميكروفلم .

سادسا : نشر البحوث

اذا ما انتهى البحث العلمي تحتم نشره. والنشر اما ان يكون في مطبوعة مستقلة او في مجلة او دورية او حولية . ويجب ان يتم النشر باللغة العربية مع خلاصة وافية بلغة اجنبية حية تعطي فكرة واضحة وكافية عن البحث وطريقته ووسائله ونتائجه . وبديهي ان النشر يجب ان يكون على حساب الهيئة المولة، وهذا يقتضي وجود مؤسسة تابعة لمركز البحوث تعنى بالنشر وتعمل على ايصال المنشورات الى الجامعات والهيئات والاشخاص الذين يرغبون في الحصول على هذه الابحاث . ولا بد لهذه المؤسسة من ان تعمل على اسس علمية وتجارية في آن معا بحيث تؤمن توزيع المنشورات ومبادلتها .

ولا بد من الاشارة ـ في هذا الصدد ـ الى اهمية وجود عدد من المجلات والدوريات والحوليات التي تصدر عن هذه المؤسسة او سواها من الكليات والجامعات والهيئات لنشر هذه البحوث والتعريف بها.

هذا ولا من الاشارة هنا الى وجوب العمل الحثيث على توحيد المصطلحات العلمية والفنية لئلا يضيع القاريء بين المصطلحات المتضاربة التي قد يستعملها الباحثون المختلفون .

كما لابد من الاشارة الى اهمية الترجمة في هذه المرحلة من تكويننا العلمي ووجوب تشجيع الترجمة الجادة الهادفة ودفع مكافآت سخية للمترجمين .

واخيرا لا بد من الاشارة الى وجوب تشجيع انشاء جمعيات علمية في القطر واتحادات علمية عربية تساعد في البحث العلمي . ويتصل بهذا كله اعادة النظر في المجامع العلمية واللغوية ووجوب ضمها اعضاء اختصاصيين في مختلف العلوم بما في ذلك العلوم الانسانية .

سابعا ـ تحضير الباحثين العلميين :

مستقبل البحث العلمي ليس رهينا باعضاء الهيئة التدريسيه الحاليين في الجامعات او بالقائمين بالبحث العلمي في الوزارات والادارات حاليا فقط ولكنه متعلق ايضا بالاجيال القادمة من هؤلاء واولئك . واذا كانت بداية البحث العلمي تقع اليوم على عاتق الجيل القائم بالعمل حاليا ، واذا كان لا بد لهذا الجيل من ان يبدا متمهلا متلمسا طريقه الى البحث المفيد الضروري فان مستقبل البحث العلمي في البلاد امانة في عنق الجيل القادم . ولذلك فنحن ننصح بما يلي :

١ ـ انتقاء الموفدين على اساس من الكفاية العلمية والمقدرة الاختصاصية وعلى اساس من مسابقات تجريها اقسام الجامعة او الجهات الموفدة . هذا ويجب ان لا يوفد طالب ليس حاصلا على تقدير (جيد) فما فوق .

٢ ـ ايفاد الاوائل من الطلاب .

٣ ـ البلد الموفد اليه يجب انتقاؤه على اساس من صلاحيته العلمية بصورة عامة وعلى اساس من مناسبته لسياستنا القومية .

٤ ـ وجوب تمشي سياسة الايفاد مع حاجات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ووجوب ايجاد عمل مناسب لاختصاص كل موفد بعد عودته .

٥ ـ وجوب توجيه الموفدين ومراقبتهم وانتقاء الجامعة المناسبة للاختصاص المطلوب والاشراف الدائم على دراستهم .

٦ ـ وجوب معرفة الموفد بلغة البلد الموفد اليه معرفة كافية لمتابعة دراسته واذا لزم الامر فتعليمه اللغة في القطر قبل ايفاده .

ثامنا ـ الامكنة

يقتضي البحث العلمي امكنة كافية وابنية واسعة ومالا ينفق في هذا السبيل . ثم ان ما اشرنا اليه من وجوب التفرغ والدوام طوال النهار يقتضي وجود مختبرات ومكاتب ومكتبات لهؤلاء الباحثين يستطيعون فيها ان يتفرغوا للعمل وان يجدوا مراجعهم في متناول ايديهم وان يكون تحت تصرفهم من الموظفين (كامناء السر والضاربين على الالة الكاتبة واعضاء الهيئة الفنية) ما يمكنهم من اداء اعمالهم على الوجه المرغوب فيه .

هذا ولا بد من حث مهندسينا والقائمين على امور البناء في بلادنا على ايجاد ابنية معقولة من حيث كلفتها المادية ومناسبتها لشروط العمل .

تاسعا ـ الطلاب

توعية الطلاب ومستوياتهم العلمية ذات اهمية كبرى في البحث العلمي . ان البحث العلمي لا يقوم على اكتاف الباحثين واعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة وحدهم وانما يعاونهم في ذلك الطلاب عامة وطلاب الدراسات العليا خاصة .

ان توزيع الطلاب على الكليات المختلفة بالشكل الذي يتم فيه حاليا يخص بعض الكليات بزبدة الطلاب ويترك لبعض الكليات الاخرى اضعف الطلاب . ومن هنا كانت ضرورة السماح للكليات باقتراح شروط قبول تمكنها من اختيار الصالح من الطلاب .

ان التعليم الجامعي من حيث الاصل حق لكل راغب فيه قادر عليه عقليا . ومن هنا كان وجوب توجيه القسم الاكبر من طلاب التعليم الثانوي نحو التعليم المهني وحصر التعليم العالي بالصفوة المختارة . ثم انه لا بد من اعادة النظر في التعليم الثانوي ورفع مستواه بحيث يهيأ الطالب لدراسته الجامعية تهيئة كافية .

ولا بد بعد ذلك من احداث معاهد متوسطة بمقدار يكفي لامتصاص القسم الاكبر من خريجي التعليم الثانوي وقصر التعليم الجامعي على القلة المتميزة .

عاشرا : الدراسات العليا

تتصل الدراسات العليا بالبحث العلمي وتنشيطه ورفع مستواه اتصالا عضويا . ونحن نعتقد انه قد آن الاوان للبدء في الدراسات العليا في جامعات القطر . واذا كان من الخير ان تبدأ هذه الدراسات العليا بداية متمهلة فانه في الامكان البداية باحداث بعض الدبلومات و شهادة (الماجستير) بل ومن الممكن في بعض الكليات السير نحو (الدكتوراه).

ويجب ان تقتصر هذه الدراسات على حاملي الشهادة الجامعية الاولى المتميزين ممن حازوا على تقدير (جيد) فما فوق وممن يعرفون لغة اجنبية واحدة على الاقل معرفة تكفي لرجوعهم الى المراجع والمصادر فيها . ونحن نرى ترغيب هؤلاء الطلاب عن طريق منحهم مكافآت مالية يقومون لقاءها بالتدريس او ببعض الاعمال العلمية التطبيقية ، وفي هذا كما لا يخفى تخفيف عن اعضاء الهيئة التدريسية . هذا ونحن ننصح ان ينصب الاهتمام في هذه الدراسات العليا على المشكلات المحلية والقضايا ذات الصلة بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وبعد

فهذه كانت اهم النقاط التي وردت في تقرير (لجنة البحث العلمي والكفايات العلمية وهجرتها) ونأمل ان نعرض في مقال لاحق لما جاء في هذا التقرير عن تحضير الكفايات العلمية وهجرتها ان شاء الله . ■■

فاخر عاقل



« لي بو »

شاعر الصين

■ هنالك في بلاد الصين الواسعة، ذات التاريخ القديم الحافل بآلاف القصص ، وعديد الاساطير ولد اوائل القرن الثامن الميلادى الشاعر « لى بو » و (لى) اى البرقوقة ، ولقب ب (تاى — بو) اى النجم الابيض لرؤيا رأتها امه ... وهو شاعر" يسكر بشعره الملايين ، كما كانت تسكره كؤوس الخمر ، واقداح الشراب التى كان يشغف باحتسائها ، ويسعى دائبا للتنقيب عن رضابها . وصفه ناقد صينى فقال : انه قمة تاى الشامخة، المشرفة على مئات الجبال والتلال ، والشمس التى اذا طلعت خبا وميض ملايين من نجوم السماء .

تربيته وأثرها فيه وفى حياته

ولما نما وترعرع اخذ يتلقى علوم بلاده ، ويتزود من ثقافتها الوطنية ، التى الفى منها فى سن العاشرة كتب كنفوشيوس ، التى ضمنها تعاليمه، وآراءه الفلسفية . ومنحته السماء فى هذه السن المبكرة قيثارة الشعر ذات الاوتار الذهبية . ولما بلغ الثانية عشرة من عمره خرج الى الجبال ليعيش حياة الفلاسفة الاحرار بين احضان الطبيعة الرءوم ، ومنحته فى ظلالها ، وتحت سمائها الصحة والقوة . وكان له فى هذه الحياة الجبلية القاسية ان يتعلم الفروسية ، ويتلقى التدريب على القتال بالسيف ليأمن مخاوف الطريق ، وغوائل الرحيل. الا ان الطبيعة التى احتضنته منذ صغره ابت الا ان تجعل منه شاعر الحب والخمر والجمال ، لا رجل الحرب والقتال . فملأ قصائده بمشاهد الحسن ، واقاصيص الوجد ، واحاديث الغرام ، التى تلقى اغلبها من افواه الناس فى مواكبهم الشعبية وندواتهم وسهراتهم . قال يصف حسناء تطل من نافذتها باكية وهى تنتظر عودة محبوبها :

فتحت ، من الشوق المرير صباحا
حسناء ، نافذة ، بدت مصباحا
مالت لتنظر فى هدوء شامل
تغرى العيون وتفتن الارواحا
وغدت تحرك فى الفضاء سواعدا
لدنا تثير الانس والاشباحا
واذا نظرت ترى الدموع تحدرت
فوق الخدود تصور الاتراحا
اما الحبيب فلا تراه بقربها
ولى وخلف للفتاة نواحا

زواج يخيبه الفقر

واراد « لى » بعد طوافه حول الجبال ، ول



بقلم :
الملكة كوثر مصطفى الطهطاوي

السهول والوديان الحياة السعيدة الهانئة ، فتزوج بفتاة حسناء أحبها من كل قلبه ، وتمكن غرامه بها من جنبات نفسه ، وسجل هيامه بها في العديد من قصائده ، التى تعدُّ معرضا بيانيا رائعا لعاطفة الحب ، وأحاسيس الوجد المتدفقة فيها ، غير أن الطبيعة التى منحته الشعر ، وأولته عنان القريض تحت ظلال أشجارها الوارفة، وبالقرب من أزهارها المعطرة ، أبت الا أن تجعل من حياته قصة من قصص الغرام ، وأنشودة من أناشيد الهيام ، فقد غادرت زوجه الحبيبة منزله مصطحبة معها جميع ابنائه ، محتجة بأن مكاسبه كانت ضئيلة ، وأن الحياة معه بين براثن الفقر ، وأنياب الفاقة جحيم لا يطاق . فما كان منه الا أن ذرف دمعات شعرية رقيقة ، ضمنتها قصيدة حزن وأسى ، وأغرودة لهفة وضنى ، لبعد زوجته الحسناء التى أحبها ، وعطرت أنفاسها جنبات نفسه وجعل عنوانها : « لوعة الفراق » ، ولله دره حيث قال :

جُرت بالهجر يا كَعاب علينا
اذ تركت الحبيب نضوا شجينا
كنت أنشودة الحياة على ثغـ
ـرى وحلما من الهناء هنيئا
قد فرشنا به المهاد شقيقا
من رياض الصِّبا يضوع سنيا
آه قد ذبت بعد اذ بنت عنى
وذوى الزهر والصِّبا بات عيا
وبدا من بعادك البيت خلوا
غير مهد نضا الفراشَ خليا
وجفانى النعاس بعدك دوما
ليس يلقى الجفونَ ما دمت حيا
قد مضى البعد بالفؤاد وولّى
بشبابى وشاب قلبى فتيا
غير أن الجَنى الذى خلّفته
قبلاتُ الهوى على شفتيا
قد حبانى من السماء أريجا
عبقريا يردُّ روحى اليّا
اين أنت الغداة يا حلم قلبى
قد سكبت الحياة من مقلتيا
ورَقاتُ الغصون جفّت وطارت
وبكى العشب بالحباب عليا

يهرب الى الخمر فيغرق فيها

وكما تعود الناس منذ القدم أن يفرغوا أنفسهم في حميا الكاس اذا أرادوا أن ينسوا ، افرغ « لي بو » نفسه في كأس الخمر ، لعله يسلو الذكريات الاليمة الحية في أعماق نفسه لزوجته الحبيبة التى فارقته،وتركته لجحيم الهجر،وسعير البعد . بل أخذ يتسلى باحتساء الأباريق ، والارتواء بالأقداح . وكان يضرب في أغوار الأرض طلبا للمزيد من أنواعها ، وكان لا يألو جهدا اذا سمع عن نوع جديد لبنات الحان تقزّل في حلاوته الناس ـ في أن يعدُّ نفسه لرحلة الوصول اليه . وهكذا فعل مع نبيذ (نيوجونج) ، الذى قطع من أجله ثلاثمائة ميل في سفر متواصل . ذكره الشاعر (دوفو) صديق تجواله الذى لازمه مسافرا وقائما فقال :

أما « لي بو » فقدِّمْ له ملء ابريق
يكتبْ لك مائة قصيدة ،
وهو يغفو في حانة
في أحد شوارع مدينة « شانجان »
وحتى اذا ناداه مولاه ،
فانه لا يطأ بقدمه القارب الامبراطورى

بل يقول : معذرة ..
انا ربُّ الخمر ، وصاحب بنت الحان .

وبتحدث الكتاب الذين تناولوا شعره بالدراسة والتحليل عن اجمل خمرياته فيقولون : ان اروعها اربع قصائد جعل عنوان كل منها : « وحيدا ، شربتُ مع القمر » ، وهذه احداها :

قد شربت الخمر فى ظلِّ الزَّهَر
مفردا ليس معى غير القمر
ورفعت الكاس فى الليل الى
شفة ظمأى على همس السحر
فأسال الدمعَ ما أوجعنى
ورددت الكاس من هول الضجر
ودعا قلبى بليلى قمرى
ان يكون الظلُّ خِلى فى السهر
فأتى ظلى جريئا مسرعا
فارغ القلب خليًا قد عبر
ضمّنى ضمَّ حبيب كاذب
لم يذق وجدا ولم يرضَ السكر
ومددت الكاس بالخمر الى
قمر الليل فحيّا واعتذر
آه لا يشرب خمرا ابدا
وهو حلو الوجه بستان النظر
وانقضى عمر ربيع ناضر
سعد القلب به بين الشجر
لست انسى ما شدا القلب به
من قصيد رقَّ ، حلو مبتكر
رقص البدر على انغامه
رقصة الغيد على نجوى الوتر
وافتقدت البدر والظلُّ معا
بعد ان هِمتُ على صوت المطر
ومددت الطرف فى الافق فما
راد طرفى غير واد لنهَر
ماؤه انجم حسن قد بدت
فى سماء الكون منثور الدرر
طالما كنت لكاسى عاشقا
وحميًا الكاس للقلب السَمَر
ظلّى الندمان دوما والسنا
والحميًا غادة تمحو الكدر

الرضا كنز ثمين نادر
لو حفظناه سعدنا بالظفر
وقضينا العمر لا نجنى سوى
لذَّة العيش على رغم القدر

مذهبه فى الدين والحياة

ويعزو بعض النقاد شهرة « لى بو » الى انه كان احد دعاة المذهب « التاوى » ، الذى كان واحدا من المذاهب الدينية الثلاثة فى بلاد الصين. وهذا المذهب لا يشبه البوذية الا بينما تقوم « التاوية » فى اساسها على احتساء كؤوس الخمر ، نرى « البوذية » ترفض الكاس رفضا كاملا . غير ان المذهب التاوى يشبه فى كثير من تعاليمه الصوفية الفارسية ، التى ترى ان الاشراق الالهى ، والالهام ، لا يكونان الا بتاثير كاس الخمر . لذا كانت ارفع تعبيرات مذهب التاوية واعلاها تكمن فى القصائد الغامضة الرمزية للشاعر « لى بو » .

اوصافه لمظاهر الطبيعة فى وطنه

ويبدو « لى بو » بقصائده الرقيقة مصورا رائعا لطبيعة بلاد الصين العظيمة حتى فى قصائد الغزل . انظر اليه متغزلا حيث يقول :

فى غلائلها جلال الغمام السابح
وفى محيّاها سنا الزهرة الناضرة
ايها المليك السماوى الذى لا يكون الا فى العلا
فوق قمة جبل الجواهر
او فى قصر البلور المسحور حين يرتفع القمر فى السماء
على انني اشهدها هنا فى روضة الارض
حيث يهبُّ نسيم الربيع العليل على الاسوار
وتتلالا نقاط الندى الكبيرة ...
لقد هزم حنين الحبِّ الذى لا آخر له
والذى حملته الى القلب اجنحة الربيع

وهو من هذه الناحية يعدُّ تراثا وطنيا خالدا للبلاد التى تنقل فيها وللمروج التى عبر بها فى تجواله واسفاره شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا . وصدق من قال : ولى وسعنا ان نرى من خلال اشعاره ارض بلاده ذات الازهار ، ونشعر ان حضارة المدن قد اخذ عبثها الباهظ يثقلُ على الروح الصينية .

لِمَ اعيش بين الجبال الخضر ؟
انى اضحك من هذا السؤال ولا اجيب عنه . ان روحى ساكنة صافية
انها تسكن سماء اخرى ، وارضا ليست ملكا لاحد
انّ اشجار الخوخ مزدهرة ، والماء ينساب من تحتها

ولقد كان لهذه الطبيعة الرءوم اثر كبير على ذات نفسه ، فقد طبعت شعره حتى في الايام الاخيرة من سنى حياته حين تقدمت به السن ، وابيض شعر راسه بلون الزهر الابيض ، وعطرته بالاريج والعطر ، وملات قلبه بالذكريات الحلوة ، والحنين المتجدد الى الاماكن الجميلة التى قضى بها ايام شبابه ، وسنى صباه . ولشد ما حنّ قلبه – وهو في العاصمة – الى الحياة الطبيعية البسيطة ، التى كان يحياها في مسقط راسه بين اهله وابنائه. ولعلّ خير ما يمثل هذا الحنين هذه القصيدة :

في ارض « وو » اوراق التوت خضراء
تام دود الحرير مرات ثلاثا
وارض « لوه » الشرقية حيث تقيم اسرتى
لا اعرف من يزرع فيها حقولنا
وليس في وسعى أن اعود لاقوم فيها بأعمال الربيع
ومع هذا فانى لا استطيع ان اعمل شيئا ، بل اسير على ضفة النهر
ان ريح الجنوب اذا هبت اطارت روحى المشوقة الى وطنى
وحملتها معها الى حانتنا المعهودة
وهناك ارى شجرة خوخ على الجانب الشرقى من البيت
بأوراقها وأغصانها الكثيفة تموج في الضباب الازرق
انها هى الشجرة التى غرستها قبل ان افارق الدار منذ سنوات ثلاث .
لقد نمت شجرة الخوخ الآن وطالت حتى بلغت سقف الحانة
في اثناء تجوالى الطويل الى غير اوبة .
اى بنيتى الجميلة يا « بنج – يانج » انى أراك واقفة
بجوار شجرة الخوخ ، تنتزعين منها غصنا مزهرا
تقطفين الازهار ، ولكنّى لست معك –
ودموع عينيك تفيض كأنها مجرى ماء
وانت يا ولدى الصغير «بوشين» ، لقد نموتَ حتى بلغت كتفى أختك
وسرت تخرج معها تحت شجرة الخوخ ،
ولكن منذا الذى يربت على ظهرك هناك ؟
انى حين افكر في هذه الامور تخوننى حواسى
ويقطع الالم الشديد في كل يوم نياط قلبى .
وهاندا اقتطع قطعة من الحرير الابيض ، واكتب عليها هذه الرسالة ،
وابعث بها اليك مصحوبة بحبّى ، تجتاز الطريق الطويل الى اعالى النهر

يموت مخمورا

وقضى « لى بو » ايامه الاخيرة وهو في غيبوبة الاشراق حتى كتب له ان يموت غريقا في احد الانهار ، ثملا وهو يحاول ان يعانق صورة القمر ، الذى سيطر نوره على افكاره ، بعد حياة حافلة بالاحداث، مليئة بالعواطف الصادقة، والاحاسيس المثيرة :

عند اقدام مَخدعى فى المساء
سحر القلبَ ساحرُ الأضواء
فتلفّتُ اذ حسبتُ سناه
قطراتٍ جفت من الأنداء
وتساءلت كيف دبّ حثيثا
ذلك الأبيض الحبيب الرواء
ومددت البنان فى لهفة الطفل
لاحظى بطيفه الوضاء
فتراجعت بعد ذاك كئيبا
وذكرت الحِمى الرطيب الهواء
قد وجدت الجليد ساحر ضوء
لا لا البدرُ حسنه فى الفضاء

ضخامة ديوانه
ومكانته الشعرية بين شعراء وطنه

حقا انّ ديوان شعر « لى بو » الكبير ، الذى يبلغ ثلاثين مجلدا من الشعر الرقيق لا يترك مجالا للشك في ان الشاعر « لى بو » كان استاذ شعراء الصين بلا منازع في جميع العصور ، وانه اكبر تراث وطنى لهذه الامة الصينية العظيمة . ■■

الملكة كوثر مصطفى الطهطاوى
الجيزة



خرافات سائدة

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ رغم تغلغل الانسان فى الحضارة ،واخذه بوسائل المدنية، لم تزل الخرافات تجد مكانها فى حياته وتفكيره ، فالكثيرون منا يذكرون كيف ان اخفاق ابولو ١٣ جدد الايمان فى نفوس البعض بان الرحلة الفضائية ما اخفقت الا بسبب شؤم الرقم ، واذا كانت الخرافات لم تزل ذات أثر فى النفوس حتى فى عصر الصواريخ والرحلات الفضائية فمن المستحسن أن نلم بأصول طائفة منها وجذورها لنفهمها على حقيقتها .

لقد نشات الخرافات مع ظهور الانسان الاول ، لخوفه من المجهول ، وحرصه على استطلاع المستقبل ، ومعرفة الحوادث قبل وقوعها ، ليكون متاهبا لها او مفرا لمجراها .

ومن اشهر الخرافات خرافة « لمس الخشب » ، ذلك لان الانسان الاول كان يعتقد بان الجن تختبيء في الاشجار ، وداخل الخشب ، حتى بعد قطعه وصنع مختلف الادوات منه ، فاذا تحدث احدهم عن نعمة من النعم وخاف زوالها ـ سارع الى لمس الخشب ، ليرجو الجن ؟ ان تستمر في الاعانة على دوامها ، كان الجن خدم له تاتمر باوامره .

لمس الحديد

والافضل من ذلك ـ باعتقاد فريق من الناس ـ لمس الحديد ، فالحديد يرعب الجن ، فلا يجرءون على الاساءة الى من لاذ به .

ويبدو ان فكرة الجن مسيطرة على اذهان كثير من البشر ، فمن حسن حظك مثلا ، على رأيهم ، ان تعثر على دبوس ملقى على الارض ، فتلتقطه وتغرزه في مكان خفي من لثبة معطفك ، فاذا اهملت ذلك كان شؤما عليك ، فالدبوس تعويذة من الجن .



حدوة الفرس

ومفعوله السحرى لا يقل عن مفعول « حدوة الفرس » ، وعلى ذكر « حدوة الفرس » فهي رمز الحظ السعيد ، واننا لنجدها مسمرة على ابواب المنازل ، ومصورة في بطاقات التهنئة وكمكة العرس، ومصوغة فيدمالج الحسناوات واساورهن، وقد اختلفت الآراء فيما اذا كان الافضل ان تكون حدوة الفرس فوق باب المنزل وفتحتها الى أعلى ، او الى اسفل ، فالذين عارضوا جعل الفتحة متجهة الى اسفل قالوا : ان ذلك يهدر الحظ ، ويضيع الاثر السحرى للحدوة .

اما انصار الفكرة الاولى فردوا قائلين : ان وضع الحدوة على هذه الصورة يحاكي الوضع الطبيعي للافق ، وبالتالي السماء ذاتها ، ثم ان من يرفع رأسه الى الحدوة المتجهة بفتحتها الى الاسفل يرى اول ما يرى نهايتي الحدوة اللتين تمثلان السحر المضاد للعين الشريرة .

واذا ما عثرت على حدوة فرس وكانت فتحتها متجهة صوبك فلك الحظ كل الحظ ، اما اذا كانت في اتجاه معاكس لك فاعرض عنها ، او ارفعها واقذف بها وراءك من فوق كتفك الايسر .

الرقمان ٣ و ١٣

وفي عالم الارقام يعتبر الرقمان ٣ و ١٣ مشؤومين ، فاياك ان تشعل ثلاث سجارات بعود ثقاب واحد ، وهذه الخرافة حديثة العهد ، لا يعود تاريخها - بطبيعة الحال - الى ابعد من تاريخ ظهور السجائر واكتشاف عود الثقاب ، واكبر الظن انها ظهرت اما في حرب البوير (١٨٩٩ - ١٩٠٢) او الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) فاشعال سجارة واحدة او سجارتين في الخندق في اثناء الليل ، قد لا يساعد العدو على تشخيص موضع الضوء بسرعة ، في حين انه اذا وصل الامر الى السجارة الثالثة ، كان الوقت كافيا لتشخيص الهدف واصابة الشخص الثالث . لذلك نجد كلمة الاعتذار المعروفة حين تكون سجارتك هي الثالثة التى تشعل بعود ثقاب واحد : « امل الا تهتم بان تكون سجارتك الثالثة ! » .

والحق ان الرقم ٣ له خصائص سحرية في نظر البشر منذ اقدم الازمنة ، بل قبل ظهور فكرة التثليث في المسيحية ، وكان فيثاغورس يسميه « الرقم الكامل » ، فهو الرقم الوحيد الذى له بداية ووسط ونهاية (١) ويدور ذكره في عالم الاساطير والخرافات والقصص الشعبية ،

(١) اخذ فيثاغورس الفكرة من قدامى السومريين ،مع نظرية المثلث القائم الزاوية المقترنة باسمه ، وقد اصبح يقينا لدينا اليوم امكان ارجاع اسس الحضارة اليونانية ، التى يتباهى بها الاوربيون ويعتبرونها أساس الحضارة الاوربية الحديثة ،الى الحضارتين السومرية والمصرية القديمة .

فالامنيات التى تمنح في حكايات الجان ثلاث ، وقاطع الاخشاب الفقير له عادة ثلاثة اولاد ، والبطل ينبغي له ان ينجز ثلاثة اعمال جبارة قبل ان يظفر بيد الاميرة التى يحبها ، كل ذلك واضح في العديد من حكايات « الف ليلة وليلة » .

والفوز يتثلث ، والمصائب هي الاخرى تتثلث ، فعندنا في العراق (وربما في البلاد العربية الاخرى كذلك) عندما يصاب الانسان بمصيبتين متتابعتين يقطب جبينه ليقول : « يا ويلي من الثالثة ! » .

وانتقلت فكرة التثليث الى الشعر ، فقال شاعرنا الجواهري :

نهداك والصدر ثالوث اقدسه

لو كان يجمع تثليث وتوحيد

وقد مثل الرقم ٣ دورا خطيرا في الاديان الاخرى ايضا ، فلرب البراهمة ثلاثة رؤوس ، وللقدامى الاغريق ثالوث يتالف من المشترى (جوبيتر) ونبتون وبلوتو ، وهم آلهة السماء ، والبحر وجوف الارض ، على التوالي .

وقد ركز الاغريق فكرة التثليث اكثر من ذلك فجعلوا لبرق جوبيتر ثلاث شعب ، ولحربة نبتون ثلاث اسنان ، ولكلب بلوتو « سيربيرس » ثلاثة رؤوس ، وكان الاغريق يؤمنون بثلاثة مصائر ، اى الحظوظ الثلاثة ، وثلاث لعنات من السماء ، اى المصائب المثلثة التى نؤمن بها اليوم .

اما الرقم ١٣

وتكاد قائمة التثليث هذه لا تجد لها نهاية !

اما الرقم ١٣ فتحشه اشهر من ان يعرف ، وينبغي لك ان تتجنبه جهد استطاعتك ، فمن الخرافات المتعلقة بهذا الرقم انه اذا ما جلس ١٣ شخصا لتناول العشاء معا مات احدهم قبل انقضاء العام .

ويرجع فريق من الباحثين اصول هذه الخرافة الى « العشاء الرباني » او « العشاء الاخير » الذى تناوله الحواريون مع السيد المسيح مساء اليوم الذى سبق محاكمته وصلبه حسب العقيدة المسيحية .

ولكن القصة تذهب بجذورها الى ابعد من قيام المسيحية ، ولو ان هذه منحتها طابعا جديدا ، فالاساطير « النورسية » القديمة ، التى هى اقدم من المسيحية ، تذكر كيف ان بالدور ، قتل ، بعد ان حضر الاله (لوكي) وليمة في مدينة فالهالا ، بدون دعوة ، فتكامل العدد المشؤوم ١٣ .

وقد بلغت سخافة التشاؤم من الرقم ١٣ ان بعض الفنادق ليس فيها غرفة تحمل هذا الرقم ، انما يستعاض عنه بالرقم ١٢ أ ويتجاهل فيقفز الرقم الى ١٤ راسا ، وهناك شوارع ليس فيها بيت بهذا الرقم ، وقد حصلت حالات رفض فيها الطلاب الجلوس على مقعد يحمل الرقم ١٣ في قاعات الامتحان .

ولا يدرج الايطاليون هذا الرقم في تسلسل ارقام بطاقات « اليانصيب » وفي بعض الالعاب الايطالية التي تعتمد على « اوراق اللعب » نجد الورقة الثالثة عشرة تحمل جمجمة وعظمين ، رمزا للموت!

وتحتفظ بعض ربات المنازل والمضيفات في باريس بقائمة اشخاص يعرفون « بالرابع عشرين » (نسبة الى ١٤) وان احدهم مستعد دائما ان يكون الشخص الرابع عشر في حفلة عشاء ، ليحول دون وقوع كارثة .

وحذار ان تتزوج او تبدا مشروعا او رحلة او مزاولة لوظيفة جديدة في اليوم الثالث عشر من الشهر ، ويكره البحارة الاقلاع في مثل هذا اليوم، ويسودهم القلق عندما يقومون برحلتهم الثالثة عشرة .

واذا صادف اليوم الثالث عشر يوم الجمعة (٢) كان ذلك اسوا الرا ، والانكى من ذلك ان يكون في شهر ايار (مايو) فان احدهم ليمكث في بيته في مثل هذا اليوم ، وهو يسال الله الا يصاب بسكتة قلبية او يخر السقف عليه في مامنه .

ولم تخل هذه الخرافات من ردود فعل عند

---

(٢) من تأثير « الجمعة الحزينة » عند المسيحيين .

فريق من العقلاء ، ففي سنة ١٨٨٠ قام ناد في نيويورك باسم« نادي الثلاثة عشر » واخذوا يؤلفون ثلاث حلقات عشاء ، كل حلقة مؤلفة من ثلاثة عشر شخصا ، وكانوا يضعون سلما على مدخل المطعم، ليمر الاعضاء من تحته ، استخفافا بخرافة تحاشي المرور من تحت السلالم ، وعلى المائدة ثلاث عشرة ملاحة ، ويتعمد كل عضو سكب قليل من الملح بعد جلوسه مباشرة ، وهو امر مكروه ، لان الملح يمثل الخلود ، لنقائه وحفظه المواد من الفساد .

وتدرج قائمة الحساب على ورقة بيضاء غليظة بهيئه القبر ، وقد طبع في اعلاها جمجمة وعظمان ، وتقدم الاطعمة في صحاف بشكل نعوش الموتى كما تقدم الخمور المثلجةفي كؤوس تحاكي جماجم البشر .

ان الانسان ليشعر ازاء هذا التحدي الصارخ للخرافات ، كما لو كان المعارضون لها يؤمنون بها في قرارة نفوسهم ، ومع ذلك يتحدونها بعنف!

اول داخل بيتا جديدا

ومن الخرافات الشائعة عند بعض الناس ان اول داخل الى بيت جديد ، يكون اول من يقضي نحبه ، فخير لك ان تطلق قطتك لتكون اول من يدشن المنزل الجديد ، فتكون فداء لك ولاسرتك ، وفي البلاد العربية تذبح شاة على عتبة المنزل قبل تدشينه ، فضلا عن ذبح شاة يصبغ بدمها اساس البيت بعد الفراغ من حفره .

ومن الخرافات ايضا ان من يكسر مرآة يلحقه سوء الطالع ، لسبع سنوات متوالية .

وفي السكاكين

واذا تقاطع سكينان على مائدة فتوقع شجارا ، لان شكلهما يذكر بصلب المسيح ، واذا ما سقط سكين من يدك وانغرز في الارض دل على مجيء زائر (هو في انكلترة ذكر وفي امريكا انثى) ، واذا ما حركت قدح الشاي بسكين ، كان ذلك مدعاة لصراع .

وحد السكين بعد الغروب مجلبة لسوء الحظ ، وقد يؤدي الى اقتحام اللصوص البيت ليلا ، واذا ترك فلاح المدية على المائدة في الليل ، وجد احد حيوانات الحقل ميتا في الصباح .

وينبغي لك الا تتقبل المدية هدية من احد من دون ان تقدم لها ثمنا رمزيا ، ولو فلسا او اي قطعة نقد صغيرة ، والا فان المدية ستقطع حبل صداقتكما ، وتؤدي الى خصومة مع صاحب الهدية .

وقد جاءت هذه الخرافة من كون المدية اعز ممتلكات الانسان القديم ، اذ انه كان بها يدافع عن نفسه ، ويصيد الحيوانات طعاما له ، ويقطع الاغصان ويزيح العقبات ، وتكون تعويذة له من الجان والسحرة .

وخرافة الملح

وقد المعنا الى خرافة « سكب الملح » عند كلامنا عن « نادي الثلاثة عشر » ، ولسائل ان يسأل : وكيف يتدارك المتشائمون امرهم في مثل هذه الحال؟ انهم يأخذون قليلا من الملح المسكوب بين السبابة والابهام ويقذفون به وراءهم من جهة الكتف اليسرى فاذا سقط بالقرب من شخص يجلس الى جنب الرجل المتشائم ، وجب على هذا الثاني ان يفعل الشيء نفسه والا لحقه سوء الطالع ، وفي الولايات المتحدة يزيد على ذلك بان يدخل تحت المائدة ليخرج من الطرف الآخر .

ولكن لماذا اختارت الاساطير الكتف الايسر ؟ والجواب لانها تؤمن بان الارواح الشريرة تكمن في الجهة اليسرى ، والطيبة في اليمنى ، فتدخل ذرات الملح في عيون الارواح الخبيثة وتمنعها من عمل السوء .

ويقال ان خرافة الملح المسكوب جاءت من الرسام الايطالي ليوناردو دافنشي في صورته الخالدة : « العشاء الاخير » ، حيث ظهر يهوذا الاسخريوطي وقد قلب الملاحة التي امامه قضاء وقدرا بضربة غير متعمدة من ذراعه .

ومن هنا جاءت فكرة (الخبز والملح) الرامزة الى العلاقة الوطيدة بين الاصدقاء ، فعندما ينسكب

بينهما الملح تنفصم عرى الصداقة ، وعن هذا عبر الرسام دافنشي في صورته الخالدة ، على ان الخرافة اقدم من هذه الصورة بكثير ، فالملح رمز الصداقة منذ قديم الزمان، لانه لا يفسد، ويحافظ على الاشياء الاخرى من الفساد ، لذلك عد معبرا عن الخلود ، وخلود الصداقة بالذات !

واياك ان تستعير ملحا من جارك ، فاذا فعلت ، فلا تعده اليه ، وخير وسيلة لدفع الشؤم ان يعود جارك فيستعير ملحا منك .

والمظلة تجلب الشؤم احيانا

ويتحاشى بعضهم فتح مظلة داخل المنزل ، اذ يعقب ذلك موت سريع مفاجيء ، في حين ان من يفعل ذلك في الولايات المتحدة لايتزوج ابدا ، واذا ما سقطت من يدك مظلة فلا تلتقطها بنفسك ، واذا ما فتحت مظلة في يوم مشمس جميل خارج منزلك، تجنبت المطر وسرعان ما تتحقق امنيتك !

ومع ان المظلة اختراع سومري قديم ، فانها لم تظهر في اوربا الا في اوائل القرن الثامن عشر ، وقيل انها عرفت في الصين في اوائل القرن الحادي عشر الميلاد ، وفي مصر الفرعونية قبل ذلك .

وقد كانت المظلة رمزا للقوة والسلطان ترفع فوق راس الحاكم لتعبر عن مكانته ، ولم يكن يسمح لغير العظماء برفع المظلات على رؤوسهم، فما كان يجوز لعامي ان يقتني رمز النفوذ الملكي ، وهذا ما دعا الى ظهور خرافات واعتقادات بالخروج على النظام ، فيما يتعلق بالمظلة واقتنائها .

والقفاز له قصة

واذا ما سقط قفازك والتقطته لحقك سوء الحظ ، فانتظر ريثما يلتقطه لك احد المارة ، ويسلمك اياه ، فتظفر بمفاجاة سارة ، ولسنا ندري اذا كانت المفاجاة السارة تنتظر اللاقط ايضا ، ام انه يكون ضحية سوء الطالع !

واذا نسيت قفازك في بيت صديق لك وعدت اليه ، وجب عليك ان تسلم عليه وتجلس اولا ثم تساله عنه ، وتستوي واقفا عندما تلبسه ، والا فلن ترى صديقك ثانية في حياتك .

والحذاء

لاتلبس الحذاء الايسر قبل الايمن (وان نصحك الباعة بذلك ، لانه ادق في معرفة قياس رجلك) وهذه خرافة من ايام قدامى الرومان .

ولا تلبس الخف الايمن في الرجل اليسرى وبالعكس ، فان ذلك نذير شؤم ونحس .

واذا سمعت صوت الديك في بابك، فابشر بقدوم زائرين غير متوقعين .

وفي الزواج

واسعد شهر للزواج هو حزيران (يونيه) ، وهو شهر بخيت في نظر القدماء ، غير ان شهر اذار (مارس) اخذ ينافسه في ايامنا هذه لان من يتزوج قبل نيسان (ابريل) يستطيع ان يطلب تخفيضا في ضريبة الدخل عن زوجته ، وبوسعه اذذاك ان ينقذ نفسه من الضريبة كما لو كان متزوجا لعام كامل .

وزيجات حزيران (يونية) عادة رومانية قديمة ، وقد كانوا يتجنبون الزواج في شهر ايار (مايو) لانه شهر اله الحرب ، وانما كانت تقدم فيه القرابين وتلبس البسة الحداد .

ومن الخرافات الطريفة الشائعة في العراق بصورة خاصة ان تناول اول وجبة طعام تطبخها شابة في مقتبل عمرها يشفي من الصرع .

وايا كان موقفنا من هذه الخرافات ، فانها جزء من حياتنا ، سواء كنا في الشرق او الغرب ، ولا بد من دراستها وتفهمها وعدم تجاهلها ، لاتخاذ موقف سليم ازاءها .

ما دام هناك موت وفناء ، واحداث مفاجئة ، واسرار لم يكتشفها العلم بعد ، فان هناك خرافات ومحاولات غير علمية لاختراق الغيب والتوغل الى المجهول ، تهدئة للبال واشباعا للفضول . ■■

صفاء خلوصي

الجمع

النسبة إليه صحيحة

(ما جاء على كلام العرب ، فهو من كلام العرب)
(ابو عثمان المازني)

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ اذا راجعنا قواعد العربية في كتبها الدراسية المتداولة الآن في المرحلتين الجامعية والعامة ، وتصفحنا قواعد « الصرف » خلالها . لنصل الى باب النسب والمنسوب اليه ، وجدنا ان قواعد « النسب الى الجمع » تتلخص فيما يأتي :

١ ـ ينسب الى لفظ الكلمة الدالة على جماعة اذا اشبهت الواحد ، مثل : قوم ورهط ، فيقال : قومي ، ورهطي .

٢ ـ او كانت الكلمة اسم جنس (جمعي) مثل شجر ، فيقال : شجرى .

٣ ـ او كانت جمع تكسير لا واحد له ، مثل ابابيل (جماعات) واعراب (بدو) فيقال : ابابيلي ، واعرابي .

٤ ـ او كانت جمع تكسير ، ولكنها مستعملة علما ، فمن العرب من يسمى ابنه انمارا ، او كلابا ، او ذئابا او نحوها ، فيقال : انمارى ، وكلابي ، وذئابي .

٥ ـ او كانت جمع تكسير جاريا مجرى العلم ، مثل : انصار (انصار النبي عليه السلام في المدينة ، ويقابلهم المهاجرون) فيقال : انصارى .

٦ ـ اما اذا كانت الكلمة جمع تكسير غير ذلك ، مثل : قبائل وفرائض ، فانه ينسب الى مفردها ، فيقال قبلي ، وفرضي .

ويلاحظ ان الكتب المتداولة في المرحلة الجامعية (وكذلك في المعاهد الدينية في المرحلة العامة) قد الفها المتاخرون متونا وشروحا في الفترة المظلمة : فترة التقليد ، كما يلاحظ ان الكتب المتداولة في المدارس العامة تنقل عن كتب هؤلاء المتاخرين المقلدين ، وتحاول تبسيط ما تنقل وتصفيته من رغوته ، دون نقص للغة ، ولا مراجعة لكتب المجتهدين ولا سيما المتقدمين .

وحين ننظر الى لغتنا العربية وتراثها نجد ان النسبة الى الجمع كانت اوسع نطاقا مما ذكرنا ، وهذا بعض ما وجدناه ، نورده على سبيل التمثيل لا الحصر ، وسيجد القارىء عشرات من اشباه هذه الامثلة اذا توخاها فيما وعته ذاكرته ، وفيما يطالعه قراءة او سماعا من حوله . فالنسب الى الجمع (مطلقا) شائع ، وجريانه على الالسنة سهل ، ولذلك بلغت امثلته مئات :

١ ـ من شعراء العرب في الجاهلية ، عدى بن زيد « العبادى » و « العباد » جماعة من امارة الحيرة العربية ، اعتنقوا المسيحية ، وتسموا العباد تدينا ، وتواضعا فامتازوا بذلك ممن حولهم عربا وعجما ، ولنيين ومجوسا .

٢ ـ ظهرت الحركة « الشعوبية » عقب ان فتح المسلمون بلاد العجم ، و « الشعوبيون » قسمان : اهل التسوية وهم يسوون بين العرب وغيرهم ، وهذا ما قرره الاسلام ، وطائفة تفضل العجم على العرب ، وهؤلاء اعداء للعروبة وللاسلام ، وقد ظهرت كلتا الشعبتين ردا على حركة في ايام

الامويين تفضل العربي على العجمي .

٣ ـ رواة الاخبار عند اسلافنا العرب يسمون « الاخباريين » ، وسموا بعد بذلك « المؤرخين ».

٤ ـ تقول العرب : فلان عصامى ، وهو من يبنى مجده بنفسه ، ويقابله « العظامى » الذى يعتز بشرف اسلافه (وقد صاروا في قبورهم عظاما، والعظام : جمع عظم) .

٥ ـ من عباقرة العرب الخليل «الفراهيدى» .

٦ ـ كان ابو جعفر المنصور الخليفة العباسى ، مؤسس بغداد يلقب « الدوانيقى » والدوانيق كالدوانق : جمع دانق (١).

٧ ـ اصدقائى هؤلاء احسائيون (والاحساء اقليم عربى على شط الخليج العربى ، والاحساء جمع حِسى ، أو حِسِي ، وهو السهل من الارض يستنقع فيه الماء) .

٨ ـ شاع في العصر العباسى ادب الرسائل « الاخوانية » ، ولو قيل اخوية لم يلتبس الامر، ولكنهم آثروا النسبة الى الجمع توسعا .

٩ ـ ١٠ ـ من ادبائنا ابو منصور الثعالبى ، له مؤلفات كثيرة باقية مشهورة متنوعة ، و « الثعالبى » من يشتغل بتجارة الفراء او خياطتها ، ومن مصلحى عصرنا عبد العزيز « الثعالبى » وهو « جزائرى » الاصل ، ولكن اهله هاجروا الى تونس ، وفيها نشا عبد العزيز وتعلم ، وقام بكثير من اصلاحاته ، مع بعده عنها فترات ، و « الثعالبى والجزائرى » ، نسبتان .

١١ ـ من ادباء تونس الاقدمين ابو الحسن « الحُصْرى » ، مؤلف كتاب « زهر الآداب » ، ومن مفكرى عصرنا الاستاذ ساطع « الحصرى » ، وله كتب كثيرة في التربية والقومية العربية (والحُصْر جمع حصير) .

النسب الى جموع تدل على حِرَف

وهناك نِسب" الى الجموع شائعة بين علمائنا (انظر ـ مثلا ـ فهارس كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادى) ومعظم هذه الجموع يدل على حرفة لصناعة الشيء او التجارة به ، ومن ذلك :

١٢ ـ ١٥ ـ الكرابيسي والقراطيسي والانماطي والخيمى (الكرابيس : ثياب القطن ، واحدها كرباس ، والقراطيس الورق ، واحدها قرطاس ، والانماط : البسط النفيسة ، واحدها نمط ، والخيم واحدها خيمة) .

١٦ ـ ٢١ ـ ومثلها الطرابيشي ، والسيوفي (شارع السيوفية) والسوادق (الطريقة الصوفية السوادقية) والقِربى (حى القِربية وقد تعلم الزعيم المصرى مصطفى كامل في مدرسة القربية الابتدائية في القاهرة) والقَوْطي (والقوطية) .

٢٢ ـ ٤٢ ـ ويقال مثل ذلك : المناديلى ، والبرادعى، والجلودى، والجواهرى، والاهوانى، والساعاتى ، والعجلاتى ، والصنادقية (وهى الصناديقية ، ويكثر الكتب القديمة في شارع الصنادقية، بجوار الازهر في القاهرة) والاباريقى، والمساوبكى ، (المساوبك جمع مسواك ، وهو السواك) والتوارجى ، والاكفانى ، والامشاطى ، والخضرى، والتحفى ، والقناديلى، والطنابيرى، والبنادقى ، والصحفى ، والآبراتى ، والموازينى،

٤٣ ـ ٧٨ ـ ومثلها : القواريرى،والابزارى، والقباقيبى ، والخللاتى ، والتمائمى ،والتعاويذى (ومن شعرائنا سبط بن التعاويذى) والجنائنى، والخرائطى ، والقبطانى ، والرماحى ، والمحابرى، والمغازلى ، والدحاخنى ، والمراكبى ، والمراكيبى، والروجى (حى الروجية) والفرارجى ، والمشاعلى (والمشاعلية) والدكاكينى ، والشروطى (موثق العقود) والنحوسى ، والطاقى ، والقواديسي ،والقلانسي ، والزاربقى ،والسنانيرى، والصنانيرى ، والصفافيرى ، والزنانيرى ، والبنوتى ، والنواقيسي، والنجائبى ،والوثائقى، والصنابيرى ، والمكانسي ، والاقفالى .

النسبة الى جموع تدل على جماعات وامكنة

٧٨ ـ ٩٤ ـ وكثير من هذه الجموع تدل على حرف في الاصل ، فتقول مثلا : من العشائر او الاسر المتجبة في بلادنا العربية قديما او حديثا النشاشيبى، والسوافرى،والكواكبى، والقلاليني، والدواليبى، والمحاسنى(؟) في الشام، والظواهرى، والصوالحى، والدواخلى والكفورى، والمراسى ، والسقودى في مصر ، والمعاضيدى والاخشابى والبساسيرى في العراق ، والنجومى في السودان .

٩٥ ـ ١٠٥ ـ ويكثر في بعض الاسر او الطوائف

---

(١) تجمع العرب الرباعي احيانا ـ كما هنا ـ كأنه خماسي، وتعكس ايضا احيانا فتجمع الخماسي، مثل (مفتاح) كأنه رباعى ، فتقول مفاتح .

الانتساب الى اسم جد أعلى ، او اسم شائع بينهم مثل « كامل » فيسمون « الكوامل » او « الكواملة » فالنسبة اليهم « كواملى » وعلى هذا النسق محمد ، ومحامدة و « محامدى » ومحمود ومحاميد و « محاميدى » ومسعود ومساعيد و « مساعيدى » وزقزوق وزقازيق وزقازيقي (الزقازيق مدينة كبيرة في مصر ، وهي عاصمة محافظة الشرقية) وقاسم وقواسم و «القواسمي» ومثل ذلك : الحوانكى، والحوامدى ، والمرازيقي، والمجابرى ، والمطاعنى (الكوامل والمحامدة ، والحوانكة والحوامدية ، والمرازيق ، والمجابرة والمطاعنة بلاد مصرية) . وهذا كله يجرى على القياس العربي الاصيل ، كما قالوا قديما : فرهود وفراهيدوفراهيدى .

١٠٦ – ١١٤ – الاقصرى ، والانبارى (مهما يكن اصلها) ، والسطوحي ، والجيوشى ، والقدورى ، والفراديسى (الفراديسى مكان بجوار دمشق – لعله الغوطة – تنسب اليه باب في سور دمشق قديما ، هو باب الفراديس) والفراديسى (درب الفراديس في البصرة قديما) والبطائحى (البطائح : منطقة الاهوار في جنوبي العراق والبطيحة مسيل الماء) والمدائنى (نسبة الى مدائن كسرى في العراق قبل الاسلام) .

النسب الى جموع فى العلوم والفنون

١١٥) واللغة « السواحلية » تنتشر في شرقي افريقية الوسطى .

– وقد ذكرنا اسم« النجومى » لاسرةفي السودان. ونزيد هنا ان الاولين لم يكونوا يميزون بين علم الهيئة او الفلك Astronomy ، وهو علم صحيح ، والتنجيم Astrology ، وهو معارف خرافية، ويخلطون بين عمل الفلكى ، وعمل المنجم، والمنجمون يزعمون للنجوم احوال سعود ونحوس تؤثر في العالم والبشر ، ويدعون معرفة هذه الاحوال ، ومعرفة الاحكام المترتبة عليها ، وهم يسمون « النجومين » وتسمى تلك الاحوال والاحكام والمعارف « نجومية » .

١١٦) ونقول فلان يشكو من وجع خنازيرى او اوجاع خنازيرية (والخنازير قروح في الرقبة) .

١١٧) وفي الكتب الفلسفية والكلامية من تراثنا يتردد اسم « الطبائعية » ، فنقول مثلا : بدات الفلسفة عند اليونان « طبائعية » حتى جاء سقرط فتحول بها الى الانسان واصلاحه وفلاسفتها « طبائعيون » والمراد بهم اوائل فلاسفة اليونان الذين اهتموا بالبحث في طبائع الموجودات واصل وجودها ، فنسبها بعضهم الى عنصر واحد كالماء او الاثير او العدد ، ونسبها بعضهم لاربعة .

١١٨) ونقول مثلا : تشجينا الالحان«الجنائزية» التي تنتشر في الغرب .

١١٩) ونقول : للمؤذن صوت « ملائكى » ،

١٢٠) ومنذ بضع سنوات صدرت قرارات « كنائسية » (نسبة الى مجموعة الكنائس على اختلاف مذاهبها) للتوفيق بين الطوائف المسيحية.

١٢١) وهناك قوانين وقرارات وتعليمات تصدر لتعمم بين الدول ، فنسميها « دوَلية » International للتفرقة بينها وبين ما يصدر من ذلك عن دولة واحدة ليطبق محليا وهذه «دَوْلية» خاصةبها، وقد تسميها وطنيةاو قومية.

١٢٢ – ١٢٣) ونحن نصف اليوم اى صنف نفيس من عروض التجارة بانه « ذواتي » ، بمعنى انه يليق بالعلية او الاعيان (والذوات جمع ذات) وهذا اوضع وايسر واشيع من النسب للمفرد : « ذاتى » او « ذووى » وكذلك نصف نوعا من العنب صغير الحب خاليا من البذور ، بانه « بناتى » للطف منظره وسهولة تناوله ، وهذا ادق من قولنا « بنتى » او « بنوى » .

١٢٤) نقول : ان ظلم البشر افرادا او جماعات عمل « غير اخلاقي » .

١٢٥ – ١٣٣) والنسبة الى « عابدين » هي « عابديني » وفي القاهرة قصر عابدين ، ومن فقهائنا المتاخرين ابن عابدين ، والنسبة الى عشرين وثلاثين حتى تسعين : هيعشريني وثلاثيني، حتى تسعيني ، ونحن نقول مثلا : احتفل فلان بعيد ميلاده السبعيني .

١٣٤) وكان للنعمان ملك الحيرة في الجاهلية – ابل ذوات سنامين تسمي « العصافير » وهي غير الابل العربية ذوات السنام الواحد ، وينسب اليها جمعا ، فيقال : الابل « العصافيرية » .

١٣٥ – وكان قدماؤنا يسمون الجغرافيا « علم البلدان » واهله هم « البلدانيون » وفي تراثنا كثير من التواليف « البلدانية » .

ومن أسلافنا من جوّز النسب الى الجمع مطلقا، وهذا البحث يؤيد هذا الراى ويحييه. ■■

محمد خليفة التونسي

كتابان مغموران

صدرت

كان لهما رغم ذلك، في ساسة الأمم، أثر أي أثر

قال احدهما : « الارض وعرة ، والبحر بالقياس اليها ، كسهول الارض المستوية » .

وقال : « من حكم البحار حكم الدنيا » .

وقال الآخر : « من حكم شرق اوروبا سيطر على الارض في آسيا وافريقيا » .

بقلم : محمود محمود

■ ان التاريخ يهدينا الى ان كل عمل عظيم لا بد ان يقوم على اساس من فكرة قوى عظيم . فقد جاء الرسل والانبياء ومعهم الكتب المنزلة . وهل من ينكر اثر القرآن الكريم والكتب المقدسة في مسير التاريخ وتشكيل حياة البشر ؟ او اثر « جمهورية افلاطون » في تطوير نظم الحكم ، او اثر ديكارت في تقديس العقل في كل عمل نقوم به ؟

وكتب اخرى كان لها في حياة الناس اثر كبير

وان كتابا مثل كتاب « الامير » لمكيافيلي Mackiavelli رسم سياسة محددة لايطاليا تهدف الى تخليص الوطن من الاعتداء الاجنبي . وقد كان لكتاب « العصيان المدني » لهنرى ثورو الفيلسوف والكاتب الامريكي اثر مباشر في تفكير غاندي واتباع سياسة (المقاومة السلبية) التي نجحت في تحرير الهند من نير الاستعمار البريطاني . كما كان لكتاب « الادراك العام » لتوماس بين اثر "بين" في تحرير امريكا ، ولكتاب « كوخ العم توم » لمؤلفته الكاتبة الامريكية هاريت ستوو في اثناء الحرب الاهلية في امريكا ـ نتائجه في حركة تحرير العبيد.

ثم كيف نهمل كتب الرحلات التي وسعت آفاق الفكر وافسحت في مجال العمل ، مثل كتاب ماركو بولو الذي كشف لاهل الغرب كنوز الشرق، ورسالة كولمبس التي كتبها عام ١٤٩٣ عن رحلته الى امريكا وكان من نتيجتها خروج امريكا الى حيز الوجود المعروف ولها هذا الدور الضخم الذي تلعبه في تاريخ العالم وحضارته ، ورسائل اميريجو فسبوتشي التي نشرها عام ١٥٠٧ وادت الى اطلاق اسم اميريجو (امريكا) على القارة الجديدة ؟

ومن ذا الذى ينكر ان الثورة الفرنسية التى اندلع لهيبها فى اخريات القرن الثامن عشر كانت ثمرة لما كتبه جماعة من كبار الكتاب امثال فولتير وروسو ؟ او كتاب « عالم واحد » تاليف وندل ويلكى الذى نشره عام ١٩٤٣ وبشر فيه بفكرة العالمية فكان ما كتب اساسا من الاسس التى ارتكز عليها انشاء هيئة الامم المتحدة ؟

وليست هذه الا امثلة قليلة جدا من كتب كثيرة جدا أثرت تاثيرا مباشرا او غير مباشر فى سير التاريخ او تطور العلوم ، او العلاقات الاقتصادية ، او سلوك البشر ، او ثقافة الانسان وحضارته بصورة عامة .

خطورة الكتاب عند حكام الامم

الكتب القوية ليست شطحات خيال ، انما هى بواعث اعمال ضخمة عظيمة . يدرك خطر هذه الحقيقة الحاكم المستبد الذى يريد ان يفرض على الناس رايه وحده دون سواه ، فتراه يصادر كل كتاب لا يتفق مع اتجاهاته وارائه ، بل يامر بحرقه وابادته فى كثير من الاحيان . كما تراه يشجع كل كتاب يرى فيه تاييدا لوجهة نظره ، بل قد يؤلف بنفسه كتابا يذيع فيه نظرياته فى الحكم . ولقد كان كتاب « كفاحى » لهتلر انجيلا لكل المانى ، كما ان فلسفة ماوتسى تونج من مقررات الدراسة لكل طالب فى الصين .. رضينا هذه الكتب او لم نرتضها .

والمسئولون فى البلاد الديمقراطية ذاتها كثيرا ما يعملون على نشر كتب بعينها واخفاء غيرها ، ادراكا منهم لاثر الكتاب فى حياة الناس . وقد قدرت الولايات المتحدة اهمية الكتاب فانشات فى اكثر بلدان العالم مكتبات ضخمة ملحقة بسفاراتها فى الخارج، واباحت لابناء البلاد الاجنبية الاستعارة منها حتى ينتشر بذلك الفكر الامريكى بطريقة سهلة مستساغة .

واذا كان تقديس الكلمة المطبوعة من زلات العقل، فاشد منه زللا اهمال قدر الكتاب ، وانكار تاثيره فى نفوس قارئيه .

كتابان ، مغموران كان لهما فى سياسة الامم اثر كبير

واكثر الكتب التى غيرت مجرى التاريخ واثرت فى مسيرته وحوادثه معروفة لعدد كبير من الناس . واريد هنا ان اعرض لكتابين لم ينالا شهرة عريضة كغيرهما من الكتب الخالدة ، ولكنهما وضعا بصمة على حوادث التاريخ لا يمكن ان يمحوها مر السنين . اما احدهما فهو «تاثير القوى البحرية فى مجرى التاريخ » لمؤلفه الفريد ماهان ، واما الآخر فكتاب « المحور الجغرافى للتاريخ » لمؤلفه سير هالفورد ماكندر ، يعارض به كتاب ماهان ويثبت ان القوى البرية اقوى اثرا من القوى البحرية فى توجيه التاريخ وتحديد مجراه .

كتاب تاثير القوى البحرية فى مجرى التاريخ تاليف الفريد ماهان

ذكر ماهان Alfred Mahan (١٨٤٠ – ١٩١٤) فى كتابه هذا ان الدولة التى تملك اضخم قوة بحرية هى الدولة التى تسود العالم ، ولا يمكن لاية دولة من الدول ان تحقق الرفاهية لشعبها والامن لاهلها دون ان يكون لها اسطول بحرى ، فان الدولة التى قد تكون لديها قوة برية كبرى – مهما تكن هذه القوة – ولا تستطيع بلوغ البحر ، لابد ان تتدهور وتنهار ، لان التحكم فى البر امر ليس باليسير نظرا لوعورة الارض بالقياس الى الماء الذى يشبه ان يكون سهلا مستويا . ولذلك فان الامة التى تستطيع السيطرة على هذا السهل المائى بقواها البحرية ، والتى تملك اسطولا تجاريا قويا – تستطيع ان تصل الى اقاصى الارض وتستعمر وتستغل غيرها من الشعوب.

وقد ولد ماهان فى عام ١٨٤٠ وبدأ حياته ضابطا بحريا ، ثم استاذا للتاريخ البحرى وفنون الحرب البحرية فى الكلية الحربية بنيويورك . وهنا وجد مجالا للبحث والتفكير ، ثم جمع محاضراته فى هذا الكتاب الذى نحن بصدده .

وفى هذه المحاضرات يستعرض ماهان تاريخ القوى البحرية العظمى التى ظهرت فى العالم ، واسباب قوتها وتدهورها ، ويحلل العناصر الضرورية التى ينبغى ان تتوافر فى البلد حتى يمكنه ان ينشىء قوة بحرية كبرى ، وقد حصرها فى ستة عوامل : الموقع الجغرافى ، والتكوين الطبيعى – ويتضمن المناخ والثروة الطبيعية – واتساع المساحة ، وعدد السكان ، وصفات الناس ، ومميزات الحكومة .

وبهذه المعايير والمقاييس بين لنا المؤلف لماذا كانت انجلترا ـ حتى تاريخ مؤلفه ـ اقوى بلدان العالم طرا من الوجهة البحرية . والقوة البحرية اوسع في معناها من قوة الاسطول ، فهي لاتشتمل على السفن الحربية وحدها ، ولكنها تضم كذلك السفن التجارية ، والقاعدة الوطنية . فالاسطول الحربي والاسطول التجاري يسند كل منهما الآخر ، وكلاهما ليس الا وسيلة لرفع مستوى المعيشة في الامة والعمل على رفاهية افرادها .

والموقع الجغرافي الملائم هو الذي لا يحتم على الامة ان تدافع عن نفسها برا ، ولا يغريها بتوسيع رقعتها الارضية عن طريق البر ، لأن الدفاع عن الحدود القارية يستنفد قوى الشعب . وهنا يعقد المؤلف مقارنة بين انجلترا من ناحية وفرنسا وهولندة من ناحية اخرى ، ويبين كيف ان هاتين الدولتين قد شغلتا كثيرا في تاريخهما بالدفاع عن البلاد برا ، وكانتا مرغمتين على الاحتفاظ بجيش بري قوي للدفاع عن استقلالهما . وكانت فرنسا ـ بصفة خاصة ـ تستنفد جانبا كبيرا من دخلها في بناء جيش بري قوي واسطول بحري كبير ،فهي متصلة بالقارة اتصالا بريا من ناحية ، ومواجهة للمحيط والبحر الابيض من ناحية اخرى مما شطر اسطولها شقين ، احدهما يرابض في المحيط والآخر في البحر وكذلك كان موقع الولايات المتحدة على محيطين عاملا من عوامل انقسام اسطولها . ولم تكن بريطانيا في مثل هذا الموقف فكانت لها ميزة بحرية كبرى .

وفي العنصر الثاني من عناصر اسباب القوة البحرية ـ وهو « التكوين الطبيعي » ـ يقول المؤلف ان احاطة البحر بالبلاد تدفع الشعب الى الانطلاق خارجها . ومن ثم انطلق الانجليز الى عرض البحر ، كما ان ظروفهم الجوية ـ فوق ذلك ـ لم تكن مشجعة لهم على ملازمة وطنهم الاصلي . وكذلك دفعتهم قلة موارد الرزق في بلادهم الى البحث عن القوت بعيدا عن بلادهم . ولم تكن في هذا الموقف فرنسا او الولايات المتحدة مثلا .

والعنصر الثالث الذي يؤثر في نمو القوى البحرية هو طول السواحل بالنسبة للمساحة الارضية ، وكثرة المرافيء الطبيعية التي تصلح لايواء السفن ، وكذلك كثرة عدد السكان بالنسبة الى طول السواحل .

وبعد ان ينتهي ماهان من مناقشة هذه العوامل الطبيعية الثلاثة ـ الموقع الجغرافي ، والتكوين الطبيعي ، وطول السواحل بالنسبة الى مساحة الارض ـ يتعرض لصفات الشعب وصفات الحكومة التي تدبر اموره . وهنا يؤكد المؤلف اهمية الميول البحرية لدى السكان . ففي الوقت الذي تجد فيه الانجليزي بحارا ماهرا تجد الفرنسي فلاحا يحب العيش بجوار مزرعته . وقد تميز الشعب الانجليزي بحب التجارة ، وطبيعي ان تنمي الميول التجارية حب المغامرات البحرية عند الناس ، والقدرة على استيطان بلاد جديدة املا في التوسع التجاري واكتساب الرزق وتكوين الثروات .

اما الحكومة فان المؤلف يقول فيها : ان الحكومة الصالحة هي التي تعكس ميول الناس ورغباتهم. وقد كان رجال الحكم في بريطانيا دائما يؤمنون ـ كما يؤمن الشعب ـ بضرورة تعزيز القوى البحرية والاساطيل التجارية ، فكانوا يعتنون بالسفن والموانيء وانشاء القواعد البحرية خارج البلاد .

وقد اختار ماهان الفترة التاريخية التي تقع بين عامي ١٦٦٠ و ١٧٨٣ ليحلل العوامل التي كانت تؤثر فيها ، وخلص من تحليله الى ان التاريخ في هذه الفترة لم يكن سوى صراع على السيادة البحرية بين انجلترا وفرنسا واسبانيا وهولندة . وفي كل ما دار من معارك في هذه الفترة كان الحصار البحري ادعى الى الانتصار من اعداد الجيوش البرية القوية .

واشتهر كتاب ماهان هذا بعد صدوره مباشرة في جميع انحاء العالم ، وترجم الى الالمانية واليابانية ، والفرنسية والايطالية والروسية والاسبانية . وكان الكتاب عاملا من اقوى العوامل التي حفزت الى تقوية الاساطيل البحرية،وبخاصة في بريطانيا والمانيا وامريكا . واخذت الدول تتسابق في قواها البحرية مسترشدة بآراء ماهان ومتخذة تعاليمه مأخذ الكتاب المقدس .

ومما يروى عن القيصر ويلهلم الثاني قوله « انني الآن لا اقرأ كتاب الكابتن ماهان وانما التهمه التهاما . وقد اصدرت اوامري بأن تودع نسخة منه فوق سطح كل سفينة .. ان مستقبلنا سينحصر في الماء . »

وكانت حكومة اليابان تقدم الى كل ضابط

بحرى نسخة من هذا الكتاب لدراسته والاحتفاظ به ، ومن اجل هذا تحولت اليابان الى قوة بحرية عظمى .

وبالرغم من ان اثر ماهان لم يكن قويا في بلده ذاته ـ الولايات المتحدة ـ الا انه من الجدير بالذكر ان نشير هنا الى انه هو الذى نبه بلاده الى ضرورة ضم جزيرة هاواى اليها وجعلها قاعدة بحرية لها . وهو الذى افهم القائمين على الامر بان صلة البحر الكاريبى بالولايات المتحدة تشبه صلة البحر الابيض باوروبا ، ولا بد من زيادة الانتفاع بهذا البحر والاسراع في شق طريق بنما . وكان دائما ينادى بان يكون لامريكا اسطول بحرى قوى والا تعتمد ـ كما اعتمدت فرنسا لعهد لويس الرابع عشر ـ على القوة البرية وحدها ، فان ذلك لا يحفظ لها قوتها ونفوذها العالمى .

ولا يسع الباحث في آثار نظريات هذا الرجل الا ان يتساءل : هل حلت القوى الجوية اليوم محل القوى البحرية ؟ لا شك ان القوى البحرية قد لعبت دورا هاما في الحرب العالمية الثانية ، الا ان القوى البحرية كان لا بد ان تسير تحت حماية اسطول جوى قوى ، لان السفن التى لا تحتمى من الجو ـ لا تكون بمأمن من الهجوم عليها .

ولا مناص لنا كذلك من ان نتساءل : هل جعلت القنبلة الذرية القوى البحرية سلاحا عاجزا ؟ وهنا لا بد ان نذكر ان تطوير السلاح البحرى بتعزيزه بغواصات تختفى تحت سطح الماء . وبناء حاملات الطائرات ، قد ابقى على اهمية القوى البحرية حتى في عصر القنبلة الذرية .

ومما يؤثر عن ماهان انه قال : « من يحكم الموج يحكم العالم » .

كتاب
المحور الجغرافى للتاريخ
تاليف سير هالفورد ماكندر

بعد ان نشر ماهان كتابه « تاثير القوى البحرية في مجرى التاريخ » ظهر عاملان جديدان اضعفا من اهمية الكتاب وبعثا الشك في صحة النظرية التى بشر بها . واول هذين العاملين تقدم الطيران بعد التجارب الناجحة الاولى التى قام بها الاخوان رايت في عام ١٩٠٣ ، وثانيهما ذلك البحث الجغرافى الذى نشره في عام ١٩٠٤ هالفورد ماكندر . وهو الرجل الذى عرف فيما بعد باسم « ابى الجغرافيا السياسية » Geopolitics وقد كان لهذا البحث اثره الملموس في علاقات الدول بعد ظهوره .

ويقع البحث في اربع وعشرين صفحة ، قدمه صاحبه الى الجمعية الجغرافية الملكية بلندن ، وحلل فيه العلاقات بين الجغرافيا والسياسة في الماضى والحاضر في جميع ارجاء المعمورة ، واتى بمفاهيم جديدة تاثر بها زعماء السياسة والقادة العسكريون ورجال الاقتصاد والجغرافيون والمؤرخون في كل مكان .

وموجز نظرية ماكندر ـ وهى النظرية التى تاثر بها وندل ويلكى فيما بعد عندما نادى بفكرة « العالم الواحد » ـ ان عصر الكشوف الجغرافية الذى يسميه عصر كولمبس قد انتهى في بداية القرن العشرين بعدما امتد لنحو اربعمائة عام . وبعدئذ تم رسم خريطة العالم ، ووضعت للمساحة الارضية حدودها التى لا يمكن بعدها ان تزيد .

يقول ماكندر : « واخيرا بلغنا القطب الشمالى كما بلغنا القطب الجنوبى ، ولم يعد للرواد مجال ، ولا يمكن بعد هذا ان يكون جزاء المغامر ان يجد ارضا زراعية خصبة ، او سلسلة جبال غنية ، او نهرا يفيض بالخيرات ـ وتم توزيع خريطة العالم على الملكيات السياسية .. انتهى عهد الرحالة ولم يبق الا دور الغزاة والمستعمرين والمبشرين والباحثين عن المعادن وغيرهم من المستغلين . انتهى التقسيم السياسى للعالم الذى لا سبيل الى تعديله الا بالحروب تنشب بين الدول . »

واذن فقد اصبحت رقعة العالم مساحة مغلقة على حد تعبير ماكندر .

« ومن الآن فصاعدا (بعد انقضاء عصر كولمبس) سوف تتعامل الشعوب في نطاق نظام سياسى مغلق ، وان يكن نظاما عالميا ، اى تفجير في القوى الاجتماعية لن يتشتت في فضاء من الارض مجهول ، بل سوف يجد له صدى قويا في اقاصى اركان الكرة الارضية ، وسوف تختفى ـ نتيجة لذلك ـ كل العناصر الضعيفة في التكوين السياسى او الاقتصادى في العالم .. ان ابة هزة ، او كارثة او امر طارىء في اى بقعة من الارض تتردد ما بين القطبين . »

وبهذه الصلة الجديدة لاطراف الكون ينتهي اثر القوى البحرية لتحل محلها القوى البرية مرة اخرى . بل ان ماكندر ليؤكد ان القوى البرية كانت دائما عبر التاريخ اقوى اثرا من القوة البحرية . فلقد كان مركز القوة دائما يقع في تلك المساحة الارضية الشاسعة التي تشمل اوربا واسيا وتسمى « اوراسيا » والتي اطلق عليها ماكندر اسم « المنطقة المحورية لسياسة العالم » .. ومن ثم كان هناك خطر دائم على العالم ، يتمثل في اتحاد المانيا مع روسيا لو امكن ان يتم ذلك .

ويرى ماكندر ان اوروبا واسيا وافريقيا ليست ثلاث قارات بل قارة واحدة يسميها « الجزيرة العالمية » . وهي تشمل ثلثى المساحة الارضية في المعمورة ، ويقطنها سبعة اثمان العالم ،وتحتوى على الجانب الاكبر من موارد الدنيا كلها . ولو اتحدت أجزاء هذه الجزيرة العالمية لاستحال على اى أسطول بحري مهما تكن ضخامته ان يسيطر عليها وبخاصة داخلها . لاتساع مساحته وبعده عن السواحل.ولو تم بينها هذا الاتحاد لاصبحت مقرا ومحورا للقوى العالمية الفعالة ، ولثبت بطلان نظرية ماهان التي يوجزها في قوله « من يحكم الموج يحكم العالم » ولكان من الاصح ان نقول :

« من يحكم شرق أوربا يسيطر على الارض الداخلية

ومن يحكم الارض الداخلية يسيطر على الجزيرة العالمية

ومن يحكم الجزيرة العالمية يسيطر على العالم.»

ولايمان ماكندر بهذه النظرية نادى بعد الحرب العالمية الاولى بضرورة رسم سياسة تستبعد امكان قيام اتحاد بين روسيا والمانيا ، واقترح لذلك اقامة حاجز او دول حاجزة تقع بين بحر البلطيق والبحر الاسود . وتجب المحافظة على استقلال هذه الدول ، وهي ـ كما تصورها ماكندر ـ استونيا وليتوانيا وبولندة وبوهيميا والمجر والصرب ورومانيا وبلغاريا واليونان ، وهذه قائمة لا تختلف كثيرا عن القائمة التي وضعها مؤتمر السلام في باريس . غير ان ماكندر قد اخطأ التقدير في هذا الراى ، لان هذه المنطقة الحاجزة لم تؤد الغرض منها ، فقد حطمت كل من المانيا وروسيا هذا الحاجز ، وان لم يقم بين هاتين الدولتين الكبيرتين اتحاد .

واصر ماكندر على نظريته طوال حياته حتى مات في عام ١٩٤٧ . فلقد حذر من ان يخرج الاتحاد السوفييتي من الحرب العالمية الثانية غازيا لالمانيا مسيطرا عليها ـ ولو حدث هذا لحتم ان تمسي روسيا أكبر قوة برية فوق سطح الارض .

وقد تأثرت النازية اشد التأثر بنظرية ماكندر، وكان الفكر السياسي الالماني ما بين عامي ١٩٢٥ و١٩٤٥ يهدف الى السيطرة على ما اسماه هذا الجغرافي النابه « بالارض الداخلية » التي تقع في قلب « الجزيرة العالمية » .

وكان من تلاميذه هاوسهوفر الجغرافي الالماني ، وهو الذي وضع في قاموس السياسة الالمانية لفظتين سيطرتا على الفكر الالماني في الربع الثاني من القرن العشرين ، وهما Geopolitik (أو الجغرافيا السياسية) و Lebensraum (أو المجال الحيوى) ، وعلى اساسهما كانت المانيا دائمة تعمل على التوسع الاقليمي ، وتحت تأثير استاذه نادى هاوسهوفر بضرورة ابرام تحالف روسي الماني مشيرا الى أن ماكندر انما كان يخشى هذا الاتحاد لانه ياخذ بوجهة النظر البريطانية التي تتعارض مع وجهة النظر الالمانية .

وامن هاوسهوفر بضرورة استيلاء المانيا على « الارض الداخلية » ، وضرورة مد التحالف بين المانيا وروسيا ليشمل الصين واليابان والهند ويقف في وجه الامبراطورية البريطانية . وبمشورته وقعت حكومته على ميثاق الماني سوفيتي سنة ١٩٣٩ وفي هذا الميثاق وضعت بذرة الاتحاد الذي بشر به وان لم يقع بالفعل لوقوف الدول الاوربية له بالمرصاد .

وعن طريق صلة هاوسهوفر برودلف هيس نميت اراؤه الى اسماع هتلر فصاغ بموجبها كتابه « كفاحي » غير أن هتلر اخطأ خطأ عسكريا عندما زحف بجيوشه على روسيا ولم تتم احلامه في السيطرة على «الارض الداخلية» .

وكما شاعت اراء ماكندر في المانيا شاعت كذلك في الاتحاد السوفيتي ، فاتجهت نحو تقرير فكرة « الجزيرة العالمية » بغية السيطرة عليها ، لكي تكفل انتصارها في صراعها مع الولايات المتحدة. ولذلك نراها تهتم بتقوية « الارض الداخلية » فتنمي فيها الزراعة ، وتنشىء فيها الصناعة ،

وتستغل ما في جوفها من معادن ، وتمد السكك الحديدية تربط بين اجزائها المترامية ، حتى وقفت روسيا موقف الند مع الولايات المتحدة الامريكية ، في قوتها الاقتصادية والعسكرية ،ولكن الاتحاد السوفيتي لم يسيطر بعد على « الجزيرة العالمية » ، وبالتالي لم يتح له أن يسيطر على العالم .

وجدير بالذكر ان ماكندر لم يستطع ان يتخيل اتحاد امريكا الشمالية مع امريكا الجنوبية ، مما يجعل منهما معا كتلة واحدة تستطيع أن تقف في وجه « الجزيرة العالمية » التي حصرها في آسيا واوربا وافريقيا .

وكما لم ياخذ ماهان – من قبل – في اعتباره نمو القوى الجوية ، كذلك اسقطها ماكندر من حسابه في نظريته التي يؤكد فيها أن المستقبل في هذه الدنيا لمن يملك اعظم قوة برية .

ولم يدر بخلده ما يتردد اليوم في كل ارجاء العالم من أن المستقبل لمن يسيطر على الجو ، وان من يملك الطائرات يسيطر على القواعد ،ومن يحكم القواعد يسيطر على الجو ، ومن تكون له القوة في الجو يحكم العالم . ■■

محمود محمود

من الكتب التي وصلتنا



مع الانبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم

تاليف : عفيف عبد الفتاح طبارة .

الناشر : دار العلم للملايين – بيروت .

● عنوان هذا الكتاب واف في الدلالة على موضوعه ، وهو سير الانبياء الذين ذكرهم القران الكريم ، وما فيها من عبر .

وقد راعى المؤلف في سيرة كل نبي ان يقصها ملتزما حدودها القرآنية ، وان كان قد استعان ببعض التواريخ الاخرى،واهمها المصادر التقليدية المأثورة ، غير انه تجنب وسعه الاسرائيليات التي تزدحم بها تلك المصادر ، وتتناقلها خلفا عن سلف كأنها حقائق ينبغي التسليم بها كما نسلم بالحقائق القرآنية ، وهذه التصفية من اهم فضائل المؤلف وكتابه .

والمؤلف مسبوق بهذه الخطة ، في هذا الموضوع نفسه ، اذ بدأ بها المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه « قصص الانبياء » الذي ينهج فيه صاحبه نهجا علميا او قريبا منه ، ويكثر فيه من التحقيقات لانه يصفي سير الانبياء من تلك الاسرائيليات ، ويذكر اسباب استبعادها ، فهو اشد ارضاء للمثقفين المصريين .

اما هذا الكتاب « مع الانبياء » فمنهجه سرد المعلومات صافية دون تحقيق ، وتبيان ما فيها من عبر فهو اشد ارضاء للعامة ، وان استفاد منه الخاصة ، ويزيد على سابقه انه يشتمل على سيرة النبي محمد عليه السلام ، ولم يوردها الشيخ النجار في كتابه لانه راها موضوعا مستقلا بنفسه ومصادره ومنهجه في البحث .

والكتاب يستعين على ندرة ببعض التواريخ الحديثة ، ومع ذلك لا نجد فيه ادنى اشارة الى ما كشفت عنه الحفريات في بقاع شتى من منطقة الشرق الاوسط وما حولها ، ولا ادنى اشارة الى ما الف في كشوفها مما يتصل بموضوع الكتاب، ولكن هذا خارج عن منهجه فلا يطالب به .

ذكرى يوسف يعقوب مسكوني

الناشر : وزارة الاعلام – بغداد

● ولد الاستاذ يوسف مسكوني في ١٩٠٣/١٠/١٦ في الموصل بالعراق ، وبدأ تعلمه فيها ، ثم اتم تعلمه في بغداد في دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٢٦ ، وعقب تخرجه اشتغل بالتعليم ، ثم في مجالات اخرى كالصحافة والاذاعة والترجمة وتاليف الكتب وتحقيقها وتوفي ببغداد في ١٩٧١/٤/١١ .

وهذا الكتاب اصدرته لجنة تأبينه بمناسبة ذكرى الاربعين يوما لوفاته، ومحتويات الكتاب من نثر

وشعر ثلاثة اقسام : الاول يضم ما قيل في حفل تابينه في تلك الذكرى ، والثاني رسائل اصدقائه وزملائه في تعزية اسرته ، والثالث اقوال الصحف في نعيه وتقديره .

مقدمة في المنهج

المؤلف : الدكتورة بنت الشاطىء (عائشة عبد الرحمن) .

الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة .

● اشتركت الدكتورة في التدريس بهذا المعهد ست سنوات منقطعة او متواصلة منذ سنة ١٩٦٢، فكانت تلقى محاضراتها على طلاب قسم البحوث والدراسات الادبيــــة واللغوية بالمعهـد ، وكانت محاضراتها ـ كغيرها كل موسم ـ تجمع في كتاب ، فتهيأ لها من ذلك ستة كتب : الشاعرة العربية المعاصرة ، وقيم جديدة للادب العربي : القديم والمعاصر ، وتراثنا : بين ماض وحاضر ، ولغتنا والحياة ، وقراءة جديدة لرسالة الغفران، وآخرها هذا الكتاب « مقدمة في المنهج » .

وموضوعه توضيح مناهج البحث ، او طرق كسب المعرفة في مجالاتها المختلفة ، مع لمحات توضح تاريخ هذه المناهج وانواعها وتطورها في الفكر الانساني ، بدءا من قدماء المصريين والبابليين واليونان حتى العصر الحديث الذي تنوعت فيه مناهج البحث ، فصار لكل علم او كل مجال من مجالات المعرفة منهجه الخاص ، الى جانب المنهج العام المشترك بين هذه المجالات جميعا .

وقد عنيت الدكتورة بابراز جهود اسلافنا ايام النهضة الاسلامية الكبرى في تطوير مناهج البحث وتاصيلها، وفضلهم في هذا المجال على الفكر الغربي في نهضته الحديثة ، كما اشارت الى المراجع التي اودعوها آراءهم ونظرياتهم الحكيمة في هذا المجال، وكلها تكشف عن وعي به واصالة وابتكار فيه .

وللدكتورة في هذا الكتاب اجتهاداتها الخاصة القيمة في مناهج البحث الادبي والتاريخي ، اذ نبهت الى ما رأته من غلو او تقصير فيها عند مقارنتها بالمناهج العلمية او الرياضية، كما نبهت الى جرائر الخلط بين المناهج ، واستخدام بعضها في غير مجاله ، لا سيما عند من فتنتهم قوانين الرياضيين والطبيعيين فحاولوا باسم المنهج العلمي ـ الذي لا منهج في نظرهم غيره ـ تطبيق مناهج الرياضيات والطبيعيات على الادب والتاريخ واللغة وما اليها من «الانسانيات» واخذت على المؤرخين المحدثين ـ لا سيما عندنا ـ تغافلهم عن النصوص الادبية في دراساتهم التاريخية .

النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية

المؤلف : الدكتور صبحي رجب محمصاني ، المحامي .

الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت .

● لمؤلف هذا الكتاب اطلاع واسع عميق على اصول الشريعة الاسلامية واطوارها ومذاهبها المختلفة ، وحركة التشريع الحديث في البلاد الاسلامية لا سيما العربية ، كما انه متمكن من كثير من قوانين الامم الغربية قديما وحديثا ، كالقانون الروماني والفرنسي والانجليزي .

ومن ادل كتبه على فضله في هذا المجال الواسع: كتابه « فلسفة التشريع في الاسلام » و « مقدمة في احياء علوم الشريعة » ، و « المبادىء الشرعية والقانونية » و « الاوضاع التشريعية في الدول العربية » ثم هـذا الكتـاب « النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية » وهو بحث مقارن في المذاهب الاسلامية المختلفة والقوانين الحديثة .

صفحات الكتاب اكثر من ستمائة صفحة ، تنتهي باهم المراجع العربية وهي نحو مائة مرجع ، ثم المراجع الافرنجية انجليزية وفرنسية ، وهي نحو خمسين ، ولم يقتصر المؤلف على ذكر اهم المراجع اجمالا في نهاية كتابه ، بل انه ـ عند كل نقل في اي صفحة ـ يشير الى مرجع النقل بالاسم والصفحة، توثيقا له ، ويلاحظ ان معظم مراجعه من الامهات في موضوعاتها المختلفة .

والكتاب جزآن : اولهما « يبحث في التصرفات الشرعية بوجه عام وفي التصرفات الفعلية والاعمال غير المباحة » ، والثاني « يبحث في نظرية العقد وفي مفاعيل الموجبات وانتقالها وسقوطها » .

وقد كانت همة المؤلف في كتابه هذا هي استخلاص النظرية العامة للشريعة الاسلامية للموجبات والعقود ومقارنتها بالنظرية العامة المماثلة في القوانين المدنية العصرية ، وكان فلاحه في عمله واضحا .

وجملة هذه الدراسة رائدة في موضوعها ، قابلة للاقتداء بمنهجها القويم في سائر الموضوعات الشرعية او الفقهية او الدستورية او القانونية .

الرسالة الخالدة

المؤلف : عبد الرحمن عزام :
الناشر : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة .

● « الرسالة الخالدة » التى جعلها الاستاذ المؤلف عنوانا وموضوعا لكتابه هى رسالة الاسلام المحمدية ، وقد بين في كتابه اسس هذه الرسالة الخالدة « في السياسة والاجتماع والعلاقات بين الدول والشعوب والطبقات والافراد ، وحاجة الحضارة الى سند من القوى الروحية والمعنوية يمسكها ويوجهها للخير العام ، ويحد من حوافز السيطرة والاثرة » . كما بين ان الاسلام صالح لان يكون هذا السند الروحى للحضارة .

وقد عرض وجهة النظر الاسلامية في كل هذه الموضوعات ، ليجعلها دعوة تعاون وتقارب ، لا تنابذ وتفرقة ، وليجد فيها النشء الجديد المتطلع الى المعرفة والهداية ـ مسلما كان او غير مسلم ـ « مادة للتفكير ، وسبيلا الى راى عالمى مستقيم ، بعد هذه الحروب المدمرة التى اثارت اضطرابا لا نظير له ، التبس فيه الحق بالباطل » .

والمؤلف يرى ان العرب الذين شرفهم الله بان جعل منهم آخر رسله ـ قد حملوا امانة القيام برسالته ، فعليهم أن يكونوا القدوة في سعة الصدر والعدل والاخاء وحب السلم .

والكتاب في نحو ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ، يتضمن سبعة فصول : اولها في اصول الدعوة الاسلامية : من ايمان وعمل صالح وشعور بالاخاء بين البشر ، والفصل الثانى في الاصلاح الاجتماعى وموضوعاته التطهير الخلقى للفرد ، التكافل والبر والعدالة والمساواة ، وموضوعات الفصل الثالث الدولة الاسلامية الاولى وعلاقاتها،والحرب المشروعة وآدابها،والسلم الدائمة وحفظ العهود والمواثيق، والفصل الرابع في اسباب الاضطراب العالمى اليوم وموضوعاته الاستعمار ونزاع الطبقات والنزعات العنصرية والوطنية وهزيمة القوى المعنوية وثالوث الفساد (الغدر والكذب والنفاق) في السياسة الدولية ، والفصل الخامس في البحث عن سند روحى للحضارة ، والسادس في اسس الدولة الاسلامية : الامامة والشورى والسيادة ، والفصل الاخير في اسباب انتشار الاسلام سلميا بين الوثنيين والمسيحيين ومنهم الصليبيون ثم الاوروبيون بعامة.

والاستاذ المؤلف يكثر في دعم آرائه بالنصوص القرآنية والنبوية وتاريخ الاسلام وآراء فقهائه ، ويضيف الى ذلك مشاهداته الكثيرة خلال سياحاته الواسعة في البلاد الاسلامية وغيرها ، وله آراء مستقلة ونظرة متفائلة .

نداء الاحرار

المؤلف : اكرم الشقيرى .

● هذا ديوان شعر ، في ١٦٠ صفحة من القطع الصغير ، نظم قصائده ونشره الاستاذ محمد اكرم محمود الشقيرى ، مدرس اللغة العربية بوزارة التربية في الكويت ، واهداه الى امه ذكرى لها .

والشاعر من مواليد عكا سنة ١٩٤١ ، تخرج في قسم اللغة العربية بكلية الاداب في الاسكندرية ، واشتغل بالترجمة وتدريس الانجليزية في المملكة العربية السعودية ، ثم بتدريس اللغة العربية في ليبيا ثم الكويت ، وقد نشر كثيرا من قصائده في المجلات المصرية واللبنانية .

وكل قصائد الديوان من الشعر العمودى ، والغالب عليها الطابع الدينى ، واقلها في الحب والغزل والقوميات ، ولسنا ندرى لماذا جعل عنوان ديوانه « نداء الاحرار » الا ان يكون الحر عنده من ملك امره واستقل بارادته ، بعد أن حرر نفسه من شهواتها المردية ، وهذه الحرية الذاتية الاخلاقية او الصوفية ، فوق كل حرية دستورية او قانونية او عرفية .

والقلق النفسى والفكرى واضح في جملة قصائد الديوان على اختلاف موضوعاتها ، ولكنه قلق من يريد السكينة فلا يجد بغيته ، وهو يبحث عنها في الدين والمجتمع وعند المرأة مع الاحتفاظ لنفسه بفضائلها ، فينجح حينا ويخيب حينا ، ولكنه لا ينقطع عن النظر الى السماء والرجاء فيها .

وقصائد الديوان نحو خمسين، تميل الى القصر، واكثرها في موضوعات دينية كمناجاة الله ، ومدح النبى ، وتحية يوم بدر ، وشهر الصيام ،وبعضها في مناجيات حبية او غزلية،وبعضها قومية كالتنويه بتضحيات الفدائيين،والدعوة الى تحرير فلسطين.

ولغة القصائد في جملتها سليمة ، ولكن الابداع في عباراتها قليل ، والعواطف فيها نابضة ولكنها غير جياشة ، ونرجو للشاعر مزيدا من الاصالة والازدهار . ■■

الاسلحة الذرية
هل تقوم الدول الصغرى بانتاجها ؟

● في الماضي القريب كان الناس ينظرون الى قصص جول فيرن Jules Verne ، وجيمس بوند ، عن العالم المجنون واتباعه الذين استطاعوا انتاج اسلحة مدمرة رهيبة يهددون بها امن العالم وسلامته ، نظرتهم الى القصص الخيالية البعيدة الحدوث . وفي الحقيقة ان نظرة الناس الى هذه القصص بدأت تتغير بمرور الزمن .

والمشكلة الحقيقية الآن ، ليست في وجود عالم مجنون يهدد امن العالم بسلاح رهيب يخترعه ؛ ولكنها تنحصر في تزايد امكانيات الدول الصغرى في انتاج القنابل والاسلحة الذرية لتقوم باستعمالها ضد دول اخرى من جيرانها ، وبذلك يتعرض امن العالم لخطر كبير قد يؤدي الى الدمار الشامل .

١٠ كيلو جرامات بلوتينيوم = قنبلة ذرية !

ان معاهدة حظر انتشار الاسلحة الذرية ، والتي بدأ سريانها في شهر مارس عام ١٩٧٠ ، تهدف الى تحديد ملكية الاسلحة الذرية في الدول الخمس التي تملكها فعلا ، وهي : الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتي ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والصين الشعبية . ولكن هذه المعاهدة تواجه صعوبات كثيرة في تنفيذها ، فبالرغم من ان كثيرا من الدول قد صدقت على هذه المعاهدة او وقعت عليها فان هناك دولا هامة لم توقع عليها حتى الآن . اما الخطر الاكبر فهو يكمن في التقدم العلمي الذي جعل انتاج الاسلحة الذرية يزداد سهولة يوما بعد يوم . ان صنع قنبلة ذرية صغيرة ذات قوة تدميرية تستطيع القضاء على مدينة متوسطة الحجم ، لا يستلزم الآن اكثر من ٥ الى ١٠ كيلوجرامات من مادة البلوتونيوم Plutonium ، وهذه المادة اصبحت في متناول يد الدول النامية والصغرى ، فأي مفاعل ذري للابحاث ، حتى تلك المفاعلات المخصصة للبحوث الذرية في المجالات السلمية ، يستطيع انتاج حوالي ١٠ كيلوجرامات من البلوتونيوم سنويا .

اما مولدات الكهرباء النووية ، والتي تستعمل مادة اليورانيوم لتوليد الطاقة ، فانها تستطيع انتاج من ٢٠٠ الى ٣٠٠ كيلوجرام من البلوتونيوم سنويا . وقد بدأت هذه المفاعلات الذرية في الانتشار في كثير من البلدان كبيرها وصغيرها . وتقدر بعض الاحصائيات ان المفاعلات الذرية في البلدان التي لا تمتلك اسلحة نووية تستطيع ان تنتج حوالي ٢٠ الف كيلوجرام من البلوتونيوم سنويا ، وذلك في نهاية العقد الحالي .

وهناك ايضا مشكلة وقود اليورانيوم

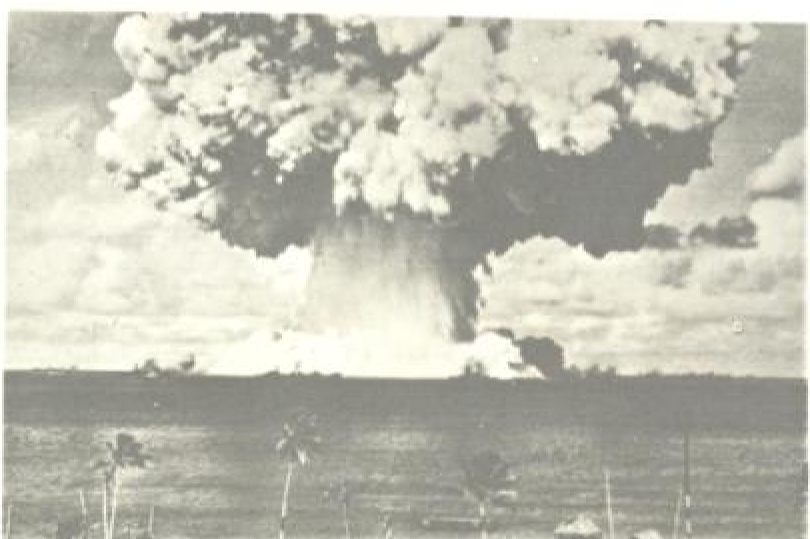
والذى ترتفع فيه نسبة اليورانيوم ٢٣٥ U-235 الى اليورانيوم ٢٣٨ U-238 عن الحد الطبيعي . وانتاج مثل هذا الوقود حاليا يستلزم طرقا تكنية معقدة لا يمكن تواجدها الا فى الدول الصناعية المتقدمة ، ولكن ، وهذا هو المهم هنا ، استطاع العلماء ان يكتشفوا طريقة جديدة سهلة لانتاج هذا الوقود ، واصبح من السهل على الدول الصغيرة التي لا تمتلك اسلحة ذرية ان تبني مصانع لانتاج هذا الوقود المشع والذى يكفي منه ٢٠ كيلوجراما لصنع قنبلة ذرية .

الهند واسرائيل
لم توقعا على معاهدة
حظر انتشار الاسلحة الذرية

وبالرغم من ان ١٠٢ دولة من الدول غير الذرية قد وقعت او صدقت على معاهدة حظر انتشار الاسلحة الذرية فان اكثر من ثلثي هذه الدول لاتزال فى مرحلة من التطور تجعل انتاجها للاسلحة الذرية امرا مستبعدا . ولم يصدق على المعاهدة ، من الدول التي تقف على عتبة انتاج الاسلحة النووية ، سوى كندا والسويد ، بينما قام بالتوقيع على المعاهدة ٤ دول اخرى هي : المانيا الغربية، وايطاليا، واليابان، وسويسرا، ولكنها لم تصدق عليها بعد .

وفى نفس الوقت فان الهند واسرائيل، وهما تقفان ايضا على عتبة انتاج الاسلحة الذرية، لم توقعا بعد على المعاهدة والعالم ينظر اليهما على انهما من اخطر الاماكن التى يمكن ان تؤدى الى انفجار دولى نظرا لتوتر العلاقات بين الهند والباكستان ، وبين الصهاينة والعرب .

وتقول الاحصائيات انه من بين ٤٤



دولة ، من الدول غير الذرية، والتي يوجد بها حوالي ١٩٧ مفاعلا نوويا ، قامت ٢١ دولة فقط بالتصديق على معاهدة حظر انتشار الاسلحة الذرية ، وهذه الدول بها ٥٤ مفاعلا نوويا ، وقامت ١٤ دولة بها ١١٥ مفاعلا ، بالتوقيع على المعاهدة ، ولكنها لم تصدق عليها بعد . وهناك ٩ دول تمتلك ٢٨ مفاعلا لم توقع على المعاهدة . ويقول تقرير عن البلاد التي لم توقع على معاهدة الحظر او تصدق عليها ان الهند لديها الآن حوالي ٩٥ كيلو جراما من مادة البلوتونيوم ، في حين تمتلك اسرائيل ٤٠ كيلو جراما من هذه المادة .

وقد اعلنت هذه المعلومات في اجتماع لرابطة الامم المتحدة الامريكية خصص لدراسة تفاصيل المجهودات التي تقوم بها بعض الجمعيات والهيئات غير الحكومية . في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، للضغط على الحكومتين لكي تعملا على سد أوجه النقص في معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، والتي قد تؤدي الى انتشار هذه الاسلحة خارج نطاق الدول الذرية الخمس .

التعاون بين روسيا وامريكا والصين !

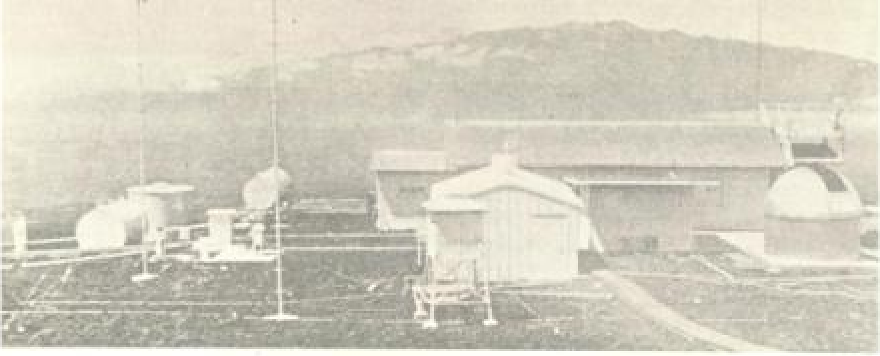
واسفر الاجتماع على ضرورة زيادة التعاون بين الاتحاد السوفيتي وامريكا للحد من انتشار الاسلحة الذرية . وكذلك محاولة الوصول الى حد معين من التفاهم مع الصين الشعبية ، وذلك لان الاتفاق بين الدول الكبرى على الحد من سباق التسلح النووي بينها قد يؤدي الى اقناع الدول الصغرى بعدم اقتناء اسلحة او قنابل ذرية . وقد اشار التقرير الذي نشر عن الاجتماع ان هناك الآن فرصة متاحة لتخفيض مخزون الاسلحة الذرية لدى الدول الكبرى ، وخاصة ان الصين الشعبية قد اصبحت عضوا في مجلس الامن ، مما يجعل الدول الخمس الذرية تكون الاعضاء الدائمين في مجلس الامن . وهذا يجعل من مجلس الامن المكان المناسب لمحادثات دولية جديدة تتناول الحد من سباق التسلح النووي .

الاشراف على المفاعلات الذرية في دول العالم

ويطالب تقرير الرابطة الامريكية بتوسيع دور الوكالة الدولية للطاقة الذرية في الاشراف والتفتيش على المفاعلات الذرية في مختلف دول العالم ، بحيث تكون لديها سلطة منع قيام هذه المفاعلات باستعمال مادة البلوتونيوم في انتاج القنابل النووية . ويتضمن التقرير ايضا اقتراحا بان تمتنع الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفيتي ، عن مساعدة اي دولة من الدول في المجالات الذرية السلمية ، مالم توافق هذه الدولة على منح الوكالة الدولية للطاقة الذرية حق التفتيش على المفاعلات الذرية التي تديرها .

بقي شيء واحد وهو الا يحق لنا جميعا نحن سكان هذا العالم ان نتساءل: هل سياتي اليوم الذي يتحول فيه عالمنا الى اتون متفجر بسبب التقدم العلمي ؟ وهل يتحول هذا التقدم الى نقمة بدلا من ان يكون نعمة ؟

الجواب عن هذا السؤال يتوقف علينا نحن !!



مرصد « ماونالوا » في جزر هاواي .. سيصبح المرصد الرئيسي في سلسلة المراصد التي ستقوم بقياس مكونات الجو لحماية العالم من خطر التلوث .

شبكة مراصد فى أنحاء العالم لتحليل جو الارض !

تمتلىء السماء ، فى اغلب مدن العالم الرئيسية ، بملوثات الجو ، والغازات ، والدخان ، وكلها من صنع الانسان. وقد تحمل الرياح هذه الملوثات مئات الاميال بعيدا عن مصدرها الرئيسي . وليس هناك شك فى ان عملية تلوث الجو لا تقف عند حدود . وقد دلت القياسات ، التي قام بها بعض العلماء ، فى بعض المناطق الريفية وغير الصناعية فى الولايات المتحدة الامريكية ، ان هناك زيادة تتراوح ما بين ٢٠ الى ٣٠٪ فى وزن الجزيئات المحمولة فى الجو وذلك خلال السنوات العشر الماضية . وكذلك فان غاز ثاني اكسيد الكربون يزداد فى الجو سنويا ، على نطاق يشمل العالم كله بمتوسط ٧ر. اجزاء فى المليون . وتبلغ نسبة تركيز ثاني اكسيد الكربون حاليا ٣٢٣ جزء فى المليون . وهذا يعني ان نسبة الزيادة فى هذا الغاز تبلغ ٢٥ر٠٪ سنويا .

ويبدو ان هذه النسبة تزداد تدريجيا . وزيادة ثاني اكسيد الكربون فى الجو قد تؤدى الى ازدياد حرارة العالم نتيجة لان هذا الغاز يجتذب الاشعة تحت الحمراء .

ويقوم مرصد « ماونا لوا » Mauna loa فى هاواي ، وهو تابع لهيئة المحيطات والاجواء الامريكية ، بقياس نسبة غاز ثاني اكسيد الكربون فى الجو بطريقة منتظمة منذ ١٥ عاما حتى الآن . ويقول شارلز كيلنج Charles Keeling من معهد علوم البحار ان حاجة العالم الآن شديدة لتطوير تكنية تؤدى الى دقة قياس مكونات الجو .

ويقوم علماء هيئة المحيطات والاجواء بوضع مشروع بانشاء محطات ارصاد على نطاق الكرة الارضية لتتبع نسبة غازات ثاني اكسيد الكربون ، واول اكسيد الكربون ، والاوزون Ozone ، والغبار الناتج عن الزراعة او ثورة البراكين واى آثار لمواد اخرى فى الجو . وسيصبح مرصد « ماونا لوا » المحطة الرئيسية لهذه الشبكة من المحطات . وستعتبر المعلومات التي تحصل عليها هذه المحطة قياسية بالنسبة للمعلومات التي تتجمع من المحطات الاخرى . وتقع محطة « ماونا لوا » فى بقعة ترتفع عن سطح البحر بحوالي ١١٫٢٠٠ قدم ، وتتميز بوجود طبقة جوية عاكسة تحتها تمنع اى تلوث فى الجو ينتج عن مدينة هيلو Hilo الواقعة بالقرب منها ، من التأثير على المقاييس الجوية بها . وذلك علاوة على ان الريح تهب ، فى هذه المنطقة

عادة من ناحية الغرب . وهذا يعني ان هذا المرصد يبعد حوالي ٣ الى ٤ آلاف ميل عن اى مصدر للتلوث . وقد تقرر انشاء بقية المحطات فى الاسكا وفى القطب الجنوبي وفى احدى جزر غرب المحيط الباسفيكي .

وفى نفس الوقت بدأت الدول الاخرى فى اقامة شبكة من المراصد الجوية المماثلة ، ومن بين هذه الدول الاتحاد السوفييتي ، وكندا ، والسويد ، وبريطانيا ، وتبدي اغلب دول العالم الآن اهتماما كبيرا باختبار مكونات الجو .

ويتوقع العلماء ان يتم تبادل المعلومات بين الدول المهتمة بهذا المشروع، وخاصة أنه كلما ازدادت محطات الرصد فى العالم كان فى الامكان زيادة النجاح فى الحصول على معلومات دقيقة عن اى زيادة فى تلوث الجو بأى غاز من الغازات .

ويقول العلماء ان الجو لديه القدرة على تنقية نفسه . وان الجزيئات الدخيلة عليه يمكن التخلص منها عن طريق الترسيب او التكثيف Precipitation او عن طريق الرياح المنخفضة التي تؤدى الى تخلص الجو من هذه الجزيئات الدخيلة عليه .

ويبقى سؤال واحد ، يبحث العلماء الآن عن اجابة شافية له : « هل يستطيع جو الأرض ان ينقي نفسه بنفس السرعة التي يلوثه بها الانسان . . . ؟ »

والى ان نصل الى الاجابة على هذا السؤال سيظل خطر التلوث قائما يهدد الحياة على الأرض .

الحيوان المنوى الذى ينجح في تلقيح البويضة هل يختلف عن بقية الحيوانات الاخرى

لماذا ينجح حيوان منوى واحد من بين الاربعة ملايين حيوان التي يقوم الرجل بافرازها فى كل عملية جنسية فى تلقيح البويضة ؟ هذا هو السؤال الذى يبحث العلماء عن اجابة شافية له .

ويرى هؤلاء العلماء ان الاجابة عن هذا السؤال قد تكمن فى تركيب الغشاء المحيط بالحيوان المنوى .

ففي خلال السنوات القليلة الماضية تم اكتشاف اختلافات فى توزيع الشحنات الكهربيه على سطح هذا الغشاء المحيط بالحيوان المنوى ، وكذلك فى توزيع المواد المضادة على سطح الغشاء Antigens . وايضا فى روابط الحديد شبه الرغوى Colloidal Iron للغشاء . . كما تم اكتشاف ان هناك تغيرات تحدث للغشاء المحيط بالحيوان المنوى اثناء مرور هذه الحيوانات فى الجهاز الجنسي للمرأة وقبل اختراقها للبويضة .

وفى شهر يوليو الماضى اذيع تقرير طبي من معهد الدراسات البيولوجية فى سان دييجو يقول انه تم اكتشاف تغيرات كيماوية حيوية معينة فى غشاء مصل الحيوان المنوى ، وهي خاصة بتوزيع المواد السكرية على الغشاء .

ويقول نفس التقرير ان توزيع هذه المواد السكرية على الغشاء يختلف من فصيلة حيوانات عنه فى الفصيلة الاخرى .

شقة للإيجار

بقلم : محمد طه عبد الباقي

■ القاهرة في يوليو سنة ١٩٦٧ .. في يوم حار ظهيرته محرقة .. وجوه خانق ، وعلي افندى قد كلت قدماه في شوارع هذه المدينة الهائلة .. فمنذ الصباح وهو يبحث عن معجزة .. عن شقة خالية .. شقة للايجار .. مشكلة المشاكل للسيد على واسرته .. شقة لابنته تحل المشكلة وتعيد لاسرته هدوئها .

والسيد على خجول بطبعه .. كسول بحكم وظيفته الحكومية ورغم ذلك فهو ملزم بايجاد شقة خالية .. فالبنت مهددة بالطلاق وزوجها غفر الله له قد ركب راسه وصمم على ضرورة الزفاف .. وقد مضي على عقد الزواج سنوات ثلاث والزفاف مؤجل لحين الشقة .. والشقة غير موجودة . والاسرة تنام وتستيقظ على سيرة الشقة .. فالبنت تبكي .. والزوج يتوعد .. والام تثور .. وتنصب هذه الثورات على راس السيد على فيخرج للبحث عن شقة في مدينة تكاد تنفجر بسكانها .. وفي جولاته يسمع الكثير من التعليقات



الساخرة .. ويتربص به الكثير من السماسرة .. يستنزفون ماله وينهكون قدميه .

ومنذ اسبوع وعلى افندى في اجازة من عمله .. يدب بقدميه في كل حى في القاهرة :. ويطرق مئات الشوارع والحوارى . راى ما لم يره في حياته .. راى ادميين يقطنون جحورا .. وشاهد عدة اسر في حجرة واحدة .. فحمد ربه لو انه عثر على ثلاث حجرات وصالة فقط . اما اليوم وها هى الشمس في طريقها الى الزوال المؤقت ، وقد هد الجوع قواه .. وقضى الانهاك على كل امل له في جولة اخرى ، فقد لمح فجاة اعلانا لسمسار شقق خالية .. لوحة سحرية .. ترقد بهدوء فوق ثلاجة مرطبات في هذا الحى الهادى .. الدفىء ودبت فيه الحياة .. فانتفضت قدماه المنهوكة .. واقترب من رجل عجوز ترك الزمن على صفحات وجهة سطورا عديدة من الشقاء ورمى له كلمات معدودة حفظها عن ظهر قلب من طول ترديدها .

ـ هل اجد عندك شقة خالية ؟

وفحصه الرجل من قدميه الى قمة راسه بنظرة خبير .. ليحكم بها على مستواه العائلى والمادى .. وجاءه صوت الرجل باردا كبضاعته .

ـ اى خدمة .. كام غرفة ؟

ـ اتنين .. ثلاثة في حدود عشرة جنيه .

وابتسم العجوز ابتسامة .. تمزج بين طيبة متوارثة وخبث مكتسب .

لحضرتك ؟

ـ لا لعروسة .. بنتى .

واتسعت ابتسامة العجوز .. فملات كل وجهة وابتلعت معها عينيه الذابلتين وهو يقول :

ـ تدفع مقدم وتامين ؟

ونظر على افندى في تراب الارض وهو يقول :

ـ انت عارف يا معلم .. ان جهاز البنات ياخد كل حاجة .

وهز العجوز راسه .. هزة العليم بجهاز البنات وقال :

ـ انت ابن حلال .. عندى شقة طلبك من غير تامين ولا مقدم .

وانتفض على افندى مذهولا .. هل تحقق الحلم؟ هل آن الاوان لقدميه ان تقبع مطمئنة في شقته حيث يتناول قهوته ويقضى ساعاته بين اولاده كما كان ؟ وافاق على صوت العجوز :

ـ اصل فيه عمارة جديدة صاحبها طيب وفاضل، فيها شقة واحدة غرفتين وصالة بثمانية جنيهات .

ووجد نفسه يتوسل اليه :

ـ يا سلام يا معلم ، يبقى ربنا رحمنى من العذاب الذى انا فيه . الذى انت تريده انا تحت امرك . وردد العجوز بتواضع مصطنع :

ـ العفو يافندى .. احنا عاوزين نخدم .

وفي كلمات قصيرة .. اتفقا على اتعاب عشرة جنيه . ونادى العجوز على غلام لحراسة الثلاجة .. وانطلق مع الرجل لرؤية الشقة وكتابة العقد. وفي الطريق فهم من العجوز ان صاحب العمارة رجل صالح .. يتقى الله في عقود ايجاره كما انه يشغل دكانه لبيع الاقمشة في اسفل العمارة .. وان الشقة كان يحجزها لابن اخيه العائد من اوربا . ولكن الشاب ابرق بانه تزوج هناك .. ولن يعود قبل سنوات فاخطره الحاج اليوم فقط برغبته في تاجير الشقة . وحمد على افندى ربه وشكر الشاب في اعماقه على زواجه في اوربا .. الذى مهد له الحصول على هذه الشقة . وشاهد على افندى الشقة فحازت اعجابه..ونالت رضاءه كان الظروف كلها مهياة لخدمته . وفي خلال دقائق كانا في مقابلة صاحب العمارة الذى رحب به كانهما اصدقاء من زمن مضى .. ولم يختلفا في شيء .. وقد تمت كتابة العقد في سهولة اعتبرها على افندى حلما .. وليست حقيقة يعيش فيها الآن . وفي غفلة من الحاج دس في يد السمسار ورقة حمراء من فئة العشرة جنيه .. قيمة الاتفاق .. خطفها الرجل بطريقة آلية .. ودسها في جيبه في ثوان .. عملية معتادة .. وانتهى كل شيء واصبحت مغادرة الدكان .. امرا واجبا .. لاعلان الخبر السعيد على الاسرة .. وفجاة .. وجدوا امامهم رجلا يلهث .. فقد جاء مسرعا . وانحنى على الحاج وهمس له ببعض كلمات .. هز الرجل راسه اسفا بعدها وهو يشير الى على افندى ويقول :

ـ آسف .. الاستاذ ـ خلاص اجر الشقة .

وتهالك الرجل اللاهث على اقرب مقعد كمن اصيب بطلق نارى وهو يتجول ببصره بين الحاضرين .. وجسده ينتفض .. كالمصاب بالحمى ثم قال بصوت مخنوق :

ـ يا سلام .. كانت حتفرج .

وساله الحاج بصوت يقطر طيبة :

ـ خير حصل حاجة ؟

ورد الرجل بصوته المخنوق :

ـ ابدا .. اصل احنا من السويس ولما حصل العدوان الاخير اصابت البيت قنبلة .. والحمد لله كنا في المخبا ولكن البيت والعفش وكل حاجة .. راحت .. راحت ..

ثم لمعت في عيناه دموع .. دموع رجل يخجل منها ، فتحجبها كرامته بين الجفون . واشفقت القلوب من حديثه .. فانصتت له الآذان . ولما وجد الجميع في حاجة الى المزيد قال :

ـ وهاجرنا .. ووصلنا امبارح ورحت ادور على مكان ياوينا ولكن كل الطرق مقفلة ولا توجد شقة خالية . وحتى عندما وجدت شقة صباح اليوم طلب مني صاحبها «المتين جنيه مقدم» .. مائتى جنيه من اين ؟ ونحن لا نملك ملابسنا .. كل حاجة راحت .. وعادت دموع الرجل تكمل حكايته .. واتجهت العيون خلسة الى على افندى . ووجد الرجل نفسه يعيش في ماساة هذا الانسان القادم من خط النار .. والذى فقد كل شيء الا كرامته وثيابه . وتصور نفسه وزوجته واولاده وابنته العروس يطوفون شوارع القاهرة .. يبحثون عن ملجا .. فلا يجدون وياتي عليهم ليل طويل مظلم كالقبر .. وفي هذه اللحظة تمزق قلبه ولكنه تذكر ايضا ابنته العروس وفرحتها بالشقة .. وفرحة الاسرة كلها واحتار الرجل .. زفاف ابنته ؟ ام ايواء اسرة فقدت كل شيء ؟ .. معادلة صعبة .. ولكن يده امتدت الى جيبه تخرج العقد وتمزقه وهو يقول لصاحب العمارة :

ـ يا حاج .. ممكن تاجر الشقة للاخ ؟

واندفع الرجل اليه شاكرا .. ونظر الحاج له بامتنان واضح .. وخفق قلب السمسار العجوز .. ورفعت قطة منزوية في ركن الدكان ذيلها .

وقبل ان يغادر المكان كانت هناك يد معروقة تدس في يده ورقة حمراء فئة العشرة جنيه ولما نظر الى صاحبها همس السمسار العجوز :

ـ احنا كمان نعرف الواجب .

وانطلق على افندى يجوب القاهرة من جديد .. بحثا عن شقة خالية في شوارع هذه المدينة الهائلة الحنونة . ■■

محمد طه عبد الباقي

حدائق القبة
القاهرة
جمهورية مصر العربية

لا تصـدقه

● استاجر رجل حمالا ليحمل له قفصا فيه قوارير على ان يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها .

فحمل الحمال القفص ، فلما بلغ ثلث الطريق ، قال : هات الخصلة الأولى ، فقال : من قال لك ان الجوع خير من الشبع فلا تصدقه . فقال : نعم ، فلما بلغ ثلثى الطريق قال : هات الثانية . فقال له : من قال لك ان المشى خير من الركوب ، فلا تصدقه ، فقال : نعم . فلما انتهى الى باب الدار قال : هات الثالثة : قال : من قال لك أنه وجد حمالا أرخص منك فلا تصدقه . فرمى الحمال القفص على الأرض وقال : من قال لك ان في هذا القفص قارورة صحيحة فلا تصدقه .

مِنَ المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول مارس ١٩٧٣

١/٤٢

من الأعمال المختارة

لويجى بيرندللو - ١

- ديانا والمثال
- الحياة عطاء
- لذة الأمانة

ترجمة وتقديم : محمد اسماعيل محمد

مسجلات فذة في ميزاتها

تشتهر آكاي في العالم اجمع بصنع آلات تسجيل فائقة الاداء لها ميزات فريدة من نوعها، ونقدم لكم فيما يلي نماذج ثلاثة يتمتع كل منها بميزات مبتكرة وثورية طورتها آكاي.
اولاً ، آلة التسجيل بكرة الى بكرة/كاسيت GX-1900 الوحيدة من نوعها في العالم . بالاضافة الى امكانية الاستمتاع بوحدتي التسجيل كاسيت/بكرة بالمستطاع استعمال آلة التسجيل هذه لاعادة تسجيل المواد المسجلة سابقاً من والى الكاسيت والبكرة المفتوحة . كما تتضمن وحدة التسجيل الكاسيت رأس GX المصنوع من البلورة الواحدة من الفريت والزجاج والذي لا يعلوه الغبار ابداً.
وروعة هذا الطراز الجامع هي في انه يتميز بجميع حسنات مسجلتين متكاملتين حتى في اضيق الاماكن التي لا يتوفر فيها حيز كاف.



GX-1900



1721 W



M-11

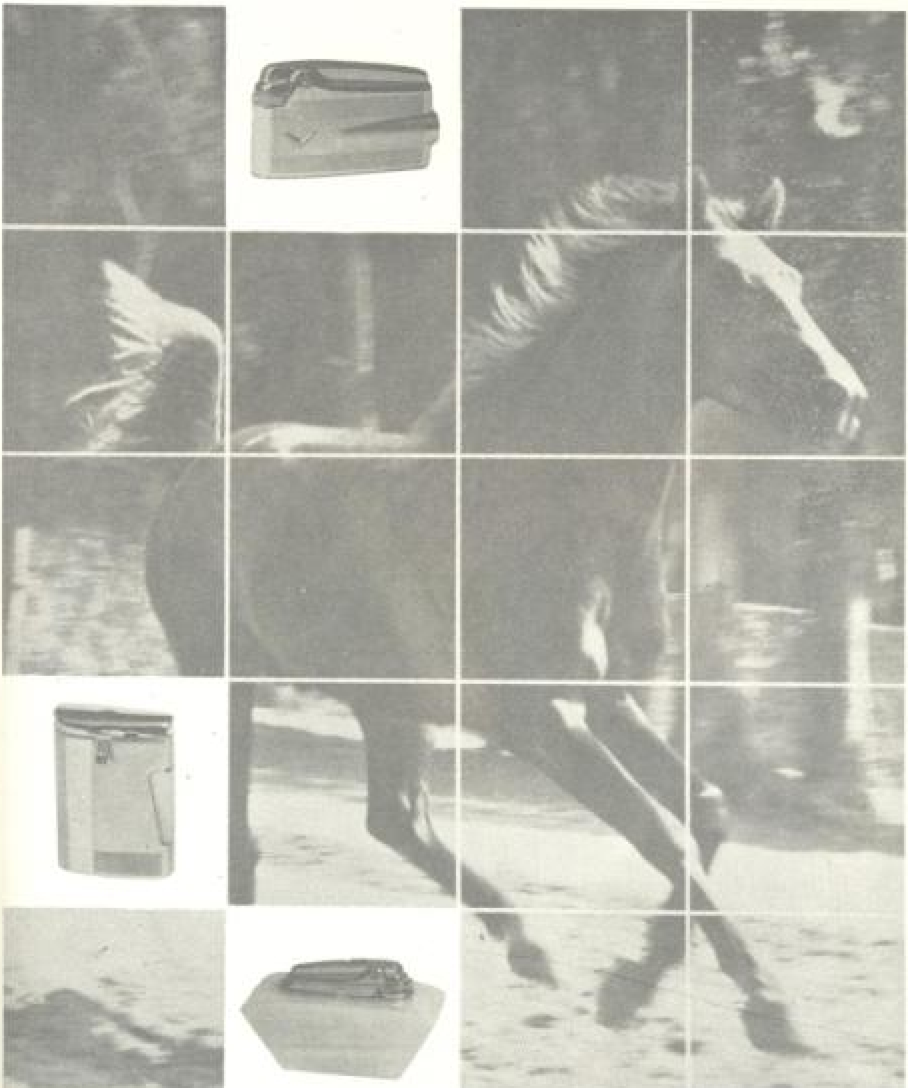
ثانياً ، مسجلنا M-11 الستريو الذي يمتاز بأفضل اداء بالنسبة للتكاليف وبرأس GX العالمي وبنظام رحوي مركزي جديد يؤمن شداً متساوياً للشريط اثناء الاداء الامامي والخلفي . ويتضمن هذا المسجل ايضاً محركاً ابتكرته آكاي متزامن وذا تخلف مغناطيسي وسرعتين ، تلقائي الترتيب مضمون ليعمل مدة طويلة دون اية صيانة خاصة . وفيه مفتاح اوديو وفيديو.

لانتقاء الشريط الخفيض الضجيج
ثالثاً ، مسجلنا الستريو 1721 W . متكامل التصميم في حجم صغير يتضمن كافة ميزات الاداء الستريوفوني الممتاز . من هذه الميزات جهاز موازنة تضخيم الصوت للتسجيل المباشر من الكارتريدج . محرك حثي ذو سرعتين تلقائي الترتيب . مفتاح لانتقاء الشريط الخفيض الضجيج.
ايا كان طراز مسجل آكاي الذي تختاره ، كن دوماً على ثقة انك ستحصل على مسجل فريد في ميزاته، لأننا نصمم مسجلاتنا هكذا.

AKAI ®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

هدية اصيلة



امينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكر اصدقاءك دوماً بأنه يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون الشيقة والامينة لا تخذلك ابداً .



قدم أكثر
من هدية
قدم
رونسون
RONSON

20 CLASS A
CIGARETTES

KENT

WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ .



كنغ سايز ، دي لوكس ١٠٠ مليمتر و كراش پروف

المال

احصل على فائدة مضمونة بإيداع أموالك لدى "لومبارد نورث سنترال" في حساب الادخار

٪٦

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

Lombard North Central

LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو في ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطي على ٣٢٨٠٠٠٠٠٠ جنيه استرليني .

التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV، قياس ١٢ إنشاً يستقبل على تردد عالي (VHF) بالأبيض والأسود والأبيض، ومزود بدارات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صوراً فورية متوازية وضخمة ونقية من أي تشويش. اقتصادي، (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط). شاشته مزودة بمصفي خاص ليخفف من عناء العينين. تصميمه رائع ويتماشى مع مفروشات أي غرفة. وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المنزلي (١١٠ - ١٢٠ فولط و ٢١٠ - ٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط). وبهذا.. تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت.. مع **جنرال** - موديل TW-12EV

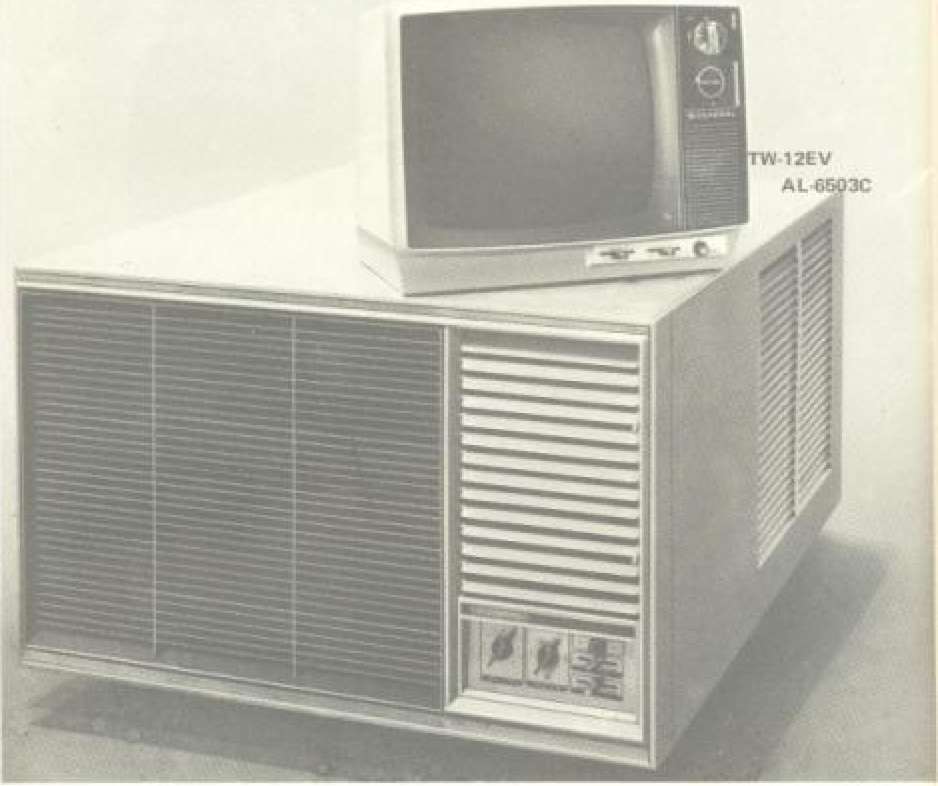
• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما اثنان فقط من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C. طاقته BTU-21.500 تكفي لتبريد أكثر من غرفة. أما خدمته فهي متفوقة وتدوم لحياة طويلة. ضوابطه صممت في موضع يسهل معه استعمالها، ومصفيته.. سهلة التنظيف. هذا الى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها **جنرال** لتزيد من راحة الإنسان.. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكاً مثالياً للتلفزيون موديل TW-12EV.

إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف الى حياتك نشاطاً نوعياً جديداً...

جنرال GENERAL

الجمهورية العربية السورية: [illegible] ص.ب ٩٥٤ - دمشق (سوريا).
الإمارات العربية المتحدة: الشركة الوطنية [illegible] ص.ب ٧٣٦ - أبوظبي.
الكويت: شركة الاتحاد التجارية ذ.م.م، ص.ب ٢٨ - الكويت.
البحرين: إبراهيم [illegible] - ص.ب ٦٧ - المنامة.
الدار البيضاء: شركة الكترونيك - ١١٤ شارع المقاومة.
ايران: شركة [illegible] رقم ٦ - طهران.
ليبيا: [illegible] ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس.
قطر: [illegible] ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة.

نوعية جيدة من جنرال
تزيدك تسلية وراحة




خليط إرينمــور ـ متعة صادقة نضمنها
خليط إرينمور . متعة صادقة من كل الوجوه . بعطره . . . يميزه عن
كل ما عداه . بالنكهة الغنية ، الرائقة ، وإن تكن رطيبة إلى حد الروعة .
السر في ذلك ؟ ثمانية أجيال من الخبرة ، وصفوة منتقاة من أجود التبوغ
تخلط وفقاً لوصفة مري الأصلية . خليط إرينمور . تمتعوا بملء غليون منها .
ونضمن لكم أنكم لن تجدوا خليطاً أمتع ولا أكثر أصالة .
MURRAY'S
ERINMORE
MIXTURE
TRADE MARK
MADE IN NORTHERN IRELAND BY MURRAY SONS & CO. LTD. BELFAST
IMPORTED
FINE TOBACCOS
SINCE 1810

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن الازدهار الاقتصادي في البرازيل

هل باستطاعته ان يكشف لكم عما قد يطرأ على الميزان التجاري البرازيلي من تطورات خلال السنوات القليلة القادمة ؟ او ان يوضح لكم أي قطاعات من العالم سيتأثر بنمو البرازيل السريع ؟ وكيف ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعامل معه ان يشرح لكم كيف ستتأثر البرازيل بالاتجاهات الاقتصادية في الولايات المتحدة واوروبا ؟ او ان يبين لكم الآثار التي سيتركها نمو البرازيل السريع في سياستها الاقتصادية ؟ او ماذا توفر البرازيل من امكانات للاستثمار في المستقبل ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة . حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في المكسيك والامريكتين الوسطى والجنوبية ، او في مكان آخر من العالم ، فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولاً .

شبكة تشيس منهاتن في أمريكا اللاتينية

فروع في : الارجنتين ، باناما ومنطقة القنال ، البرازيل ، بورتوريكو ، جمهورية الدومينيك ، فنزويلا ، المكسيك ، وأكثر من ٤٠ فرعا في جميع انحاء البحر الكاريبي .

مصارف مشاركة : ● الارجنتين ... بنكو ارجنتينو دي كوميرسيو
● البرازيل ... بنكو لاربرازيليرو ، اس . أ
● فنزويلا ... بنكو ميركانتيل اي اغريكولا ، س . أ
● كولومبيا ... بنكو دي كوميرسيو
● هوندوراس ... بنكو اتلانتيدا ، اس . أ
● هوندوراس البريطانية ... اتلانتيك بنك ، ليمتد

مؤسسة مشاركة : كوستاريكا ... تشيس منهاتن الكوستاريكا اس . أ

ان لكم صديقا في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

الفرع في البحرين : المنامة ص.ب ٣٦٨
الفرع في لبنان : بيروت ص.ب ٣٦٨٤
مصرف مشارك في دبي : بنك دبي التجاري المحدود
دبي ، اتحاد الامارات العربية



استيراد



تصدير

مسجلة الكاسيت سوني لرجال الأعمال المشغولين



مسجلة الكاسيت
سوني TC-55

يمكنكم بالفعل ان تسجلوا تعليقاتكم عن أحد الاجتماعات وأنتم تهرولون الى اجتماع آخر... فجهاز "سويغ بالانس" من سوني يضمن سرعة ثابتة للشريط، أكنتم في المكتب أم في السيارة، اذ انه مزوّد بمحرّك ذاتي الضبط يصحّح تلقائيا تفاوتات السرعة فيزيل بذلك التماوجات والانحرافات الصوتية. وفيه أيضا مايكروفون بمكثف الكتريت ضمني يؤمّن حساسية تسجيلية رائعة. وعندما يصل الشريط الى آخره، يتوقف جهاز التسيير عن العمل وتنقطع الطاقة أوتوماتيكيا.

SONY سوني

هيا.. هيا..
فقد حان وقت العمل...



نعم.. فإن اعتماد بيك أب داتسون هو الطريقة الأضمن من أجل تحقيق عمل أنجح. وكما هو الحال في جميع سيارات داتسون فإن البيك أب مصمم تصميماً فريداً بحيث يمكن الاعتماد عليه بشكل خاص. ومن المؤكد أنكم ستحصلون على أرباح أكبر وسهولة فائقة أكثر من أي وقت مضى. مما يعود عليكم طبعاً بمدخول أوفر. وهكذا يمكنكم الاستمتاع بسيارة فريدة في أناقتها وفخامتها: داتسون 260C الجديدة.

عمل أنجح ومدخول أوفر. هذا ما نساهم في تقديمه لكم داتسون. تسهيل سبل الحياة بطرق مختلفة، هو أحد أهداف نيسان لدى صنعها داتسون.

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN



DATSUN PICKUP

ساعات الرايدرز
قوة ، ابتكار من **فافرلوبا** ـ جنيف

تصميمات فافرلوبا تكون عادة متقدمة لسنوات عديدة عن تاريخ صناعتها . والبرهان على ذلك ، يكمن في هذه النماذج الاربعة . غاية في الاناقة ،وبدون تفاصيل وتنميقات غير لازمة ، نماذج ذات خطوط وطرز تدعو للاعجاب .

سي رايدر
خلقت اعجابا شديدا ووصلت مبيعاتها ارقاما قياسية ، انها اوتوماتيكية باليوم والتاريخ (٣٦٫٠٠٠ نبضة في الساعة ـ بل انها اكثر دقة) ، جهاز لتعديل التاريخ بسرعة ونظام ايقاف الثانية ، مقاومة كبيرة للماء (١٥٠ قدم) محمية من الصدمات ، غير مغناطيسية .

ميمو رايدر
تجعل ذاكرتك طليقة من اى قيد ، ميمو رايدر ثابتة على رسغك اكثر من ثبات رباط منديلك . حركتها الاوتوماتيكية مع التاريخ بالاضافة الى استنباط الاشارة الصوتية يجعل هذه الساعة واحدة من الخطوات الرائدة في صناعة الساعات في هذا العصر . الميمو رايدر ضد الصدمات، غير مغناطيسية ، تقاوم الماء الى ٩٠ قدم .

سي رايدر II
تحوى جميع صفات وميزات الاتقان التي تتحلى بها السي رايدر ، وموضوعة في غلاف قوى لمقاومة المؤثرات .

سي رايدر II للسيدات .
اناقتها حقيقية بشكلها المصمم للمرأة العصرية .



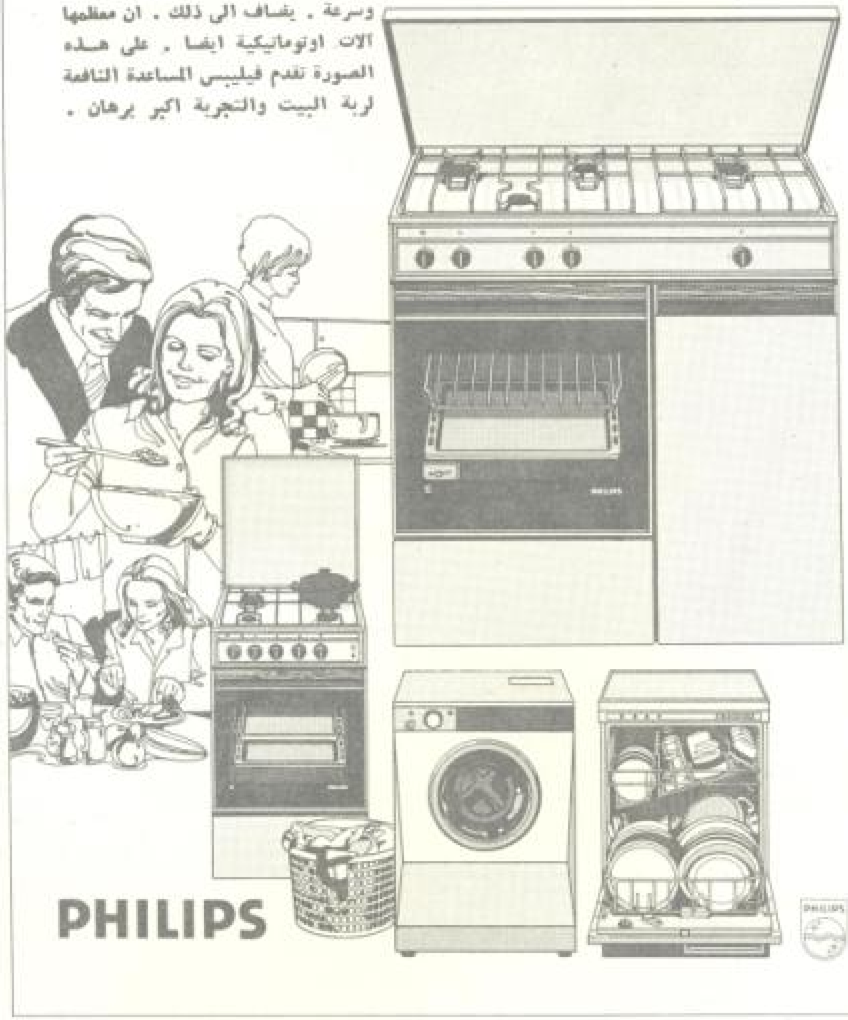
FAVRE-LEUBA
Genève

OFD

من فافر لوبا جنيف : مجموعة من ٢٥٠ طراز .
الوكيل العام في الكويت محمد عبدالله شهاب ص.ب (٢٣٨) .
شارع عبد الله السالم ـ تليفون ٤٢٢٣٢٢ شارع فهد السالم ـ تلفون ٤٣٥٢٤١

فيليبس تبسط عمليات الطبخ وغسل الأقمشة والأطباق

الغذاء الجيد الطبخ .. الاطباق اللامعة .. الملابس النظيفة .. كل هذه ضرورات لاية عائلة تبحث عن السعادة والصحة الجيدة لافرادها . وفي هذه المجالات تقدم فيليبس المساعدات القيمة . على سبيل المثال ، طباخ فيليبس موديل هـ ن (١٤٦١) ، بروؤسه الاربعة وفرنه الواسع وغرفة شي اللحم فيه ، فانه الطباخ النموذجي بدون شك . وعلى سبيل المثال ايضا ، الة غسل الاطباق في المطبخ . هذه الالة ، موديل هـ ن (٣٨٢٥) تحتوي على اثنتي عشرة فتحة للاطباق وعلى متسع كاف لعدد من الحلل والفناجين والكؤوس وغيرها . ضع الصحون والاطباق والفناجين المراد غسلها في داخلها واغلق الباب وادر الزر . هذا كل ما عليك عمله . وعلى سبيل المثال ايضا ، الات غسل الملابس ، كل هذه الالات صنعت لكي تنظف الاقمشة بخفة وسرعة . يضاف الى ذلك . ان معظمها الات اوتوماتيكية ايضا . على هذه الصورة تقدم فيليبس المساعدة النافعة لربة البيت والتجربة اكبر برهان .



PHILIPS

منتوجات شركة ريكت وكولمان التي يجب ان تتوفر في منازلكم

براسو ـ للاوعية النحاسية

« براسو » هو أشهر المنتوجات في العالم لتلميع المعادن . وهو يضفي على الأوعية النحاسية الصفراء أو الحمراء الجديدة أو القديمة على السواء بريقاً طويل العمر. بريقاً يسرك ان تكتشفه .

هاربيك ـ للمراحيض

يلحظ الناس إذا كانت مراحيضكم ليست نظيفة نظافة تامة . فلماذا لا تفخروا بمنازلكم باستعمال « هاربيك » الذي يتألف من تركيبات خاصة تنظّف وتطهر وتصل إلى الاماكن التي لا يمكن ان تصل إليها الفرشاة ، وهو يقضي على الجراثيم بسرعة ويترك الهواء منعشاً نقياً .



بولز هيد بلو للغسيل

استعملوا « بولز هيد بلو » في الشطف الأخير عند الغسيل . وسوف تغدو ملابسكم أنصع بياضاً ، كما ان « بولز هيد بلو » يضيف إلى ملابسكم الملونة بريقاً خاصاً .

هاربيك وبراسو وبولز هيد بلو من منتوجات شركة ريكت وكولمان


PIAGET
The world's
most accurate
grand luxe watch
ساعات
بياجيه
PIAGET
مراد يوسف بهبهاني
2110

شبابك لا يعني فقط عمرك
انه حيويتك
ونشاطك ايضاً



سوبر ويت أون بطعم الفريز والموز هو
مستحضر غذائي جديد غني بالكالوريهات. سوبر ويت أون
يحتوي على عدة فيتامينات ، د ، ب ، ب١٢ ، ب١ ، ب٦ يعطيك ما يلزمك من قوة
وحيوية ونشاط لتتمتع بها أعطتك اياه الحياة. سوبر ويت أون مستحضر
مقو للجسم. في بضعة ايام يجعل منك رجل آخر. النساء يكتسبن شكلاً جذابا بازدياد
وزنهن في الاماكن اللازمة. سوبر ويت أون يباع في كافة الصيدليات

سوبر ويت - اون انتاج د.د.د

publicis

هذا الجهاز بمثابة ٢٠ راديو وساعة واحدة

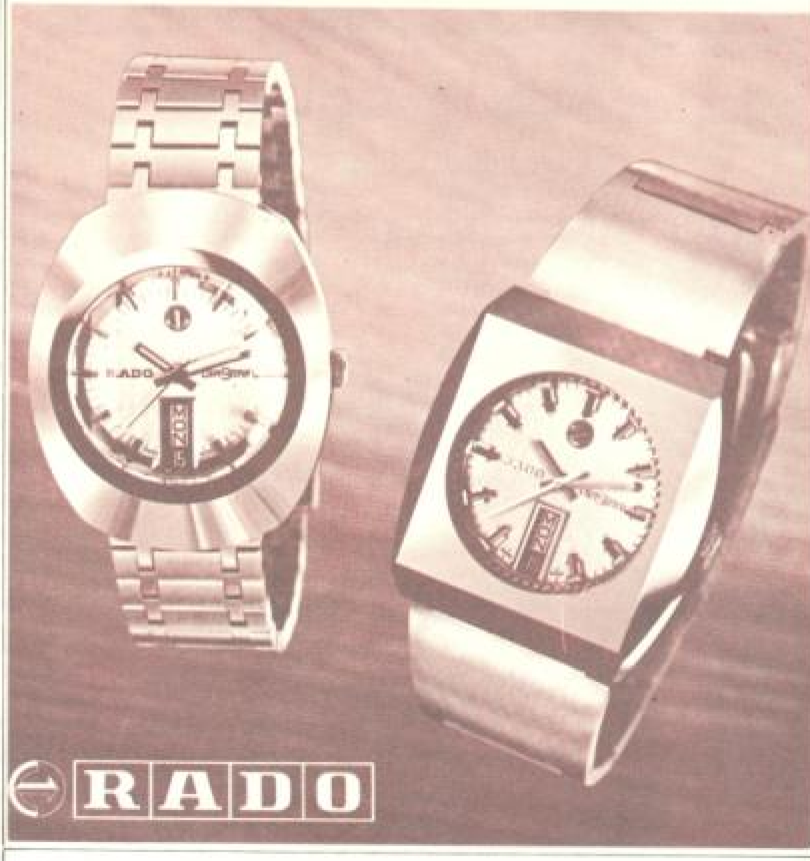
اف ام راديو بموجة اف ام، وراديو بموجة طويلة،
وراديو بتردد عالي (VHF) وراديو بموجة متوسطة،
وراديو جوي وراديو بـ ١٥ موجة قصيرة.
كل ذلك في راديو هيتاشي واحد كبير نطلق
عليه اسم KH-5000
وهو مجهز بكل شيء تحتاج اليه لتحقيق التقاطاً ممتازاً
لكل موجة على هذه الموجات: اي اف سي،
اي جي سي / ام جي سي، اي ان ال، بي اف او،
اي اس اس آي سي. ومزود ايضاً بمفتاح الحساسية
ومفتاح الاتجاهات وعداد للضبط ومراقبة قوة البطارية
ومفتاح مزدوج لضبط الاصوات الجهيرة والصادحة
(باس وتريبل).
وزيادة على ذلك زود الجهاز بساعة تمثل اوقات الكرة
الارضية في جميع انحاء العالم كما زود بهوائيات

في داخل الجهاز ومقبس للهوائيات الخارجية. وهو
يعمل على بطاريات او على بطارية سيارتك او على
الطاقة الكهربائية في البيت حيثما كانت
في جميع انحاء العالم.
واننا فخورون براديو هيتاشي موديل KH-5000
ذلك لانه ليس في وسع احد كان ان يصنع
مثل هذا الجهاز راديو وساعة في راديو واحد فضلاً عن ان
هيتاشي ليست بالشركة العادية.
فنحن ثاني اكبر شركة في اليابان ونتناول صناعتنا
كل شيء ابتداء من الترانزيستور الى اسرع قطارات
العالم. وانطلاقاً من المفاهيم الحديثة الى الانسان
الآلي الذكي «روبوت» و«مفكر» «بشر» بالاضافة الى
جميع انواع الادوات المنزلية الالكترونية بما فيها
جهاز راديو يضم ٢٠ راديو دفعة واحدة وساعة دقيقة.



HITACHI

هيتاشي



رادو

الساعة الوحيدة
في العالم
الغير قابلة
للخدش

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد


مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

وكلاء سانيو لديهم أفضل المنتجات للجميع ... وتلفزيون لك شخصياً



هنالك عشرات المنتجات المفضلة للعائلة، بما في ذلك التلفزيون العائلي. أما أنت شخصيّاً، فباستطاعتك مشاهدة البرامج المفضلة لديك وكذلك الاستمتاع بالأوقات والأماكن التي تريد أن تنفرد فيها، فهنالك التلفزيون الشخصي الذي بإمكانك نقله إلى غرفتك أو إلى أي مكان آخر وفي أثناء رحلاتك الممتعة.
إنه التلفزيون المصنوع خصيصاً لك.





14 T 401

تلفزيون ١٤ بوصة بشاشة مظللة.

صورة واضحة متألقة بدون هوائيات خارجية، شاشته مظللة تمنع التوهج والانعكاسات المزعجة، روافع منزلقة للتحكم. يتوفر في صندوق أبيض أو أصفر أو أحمر

12 T 218

تلفزيون ١٢ بوصة بالبطارية / التيار العادي

يعمل بالتيار العادي في البيت وباستخدام بطارية خاصة في الخارج ويمكن استعماله أيضاً بواسطة موفق (ADAPTER) للسيارة أو للقارب، خفيف الوزن، بالإضافة إلى توفر دائرة "AGC" وشاشته تمنع التوهج.



12 T 220

تلفزيون نقال ١٢ بوصة Solid State

يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية الخاصة. يتوفر اختيارياً بالموفق للسيارة أو للقارب. شاشته تمنع التوهج ومجهزة بدائرة التحكم الآلي في الكسب "AGC". يتوفر في صندوق جذاب باللون الأحمر أو الأسود.

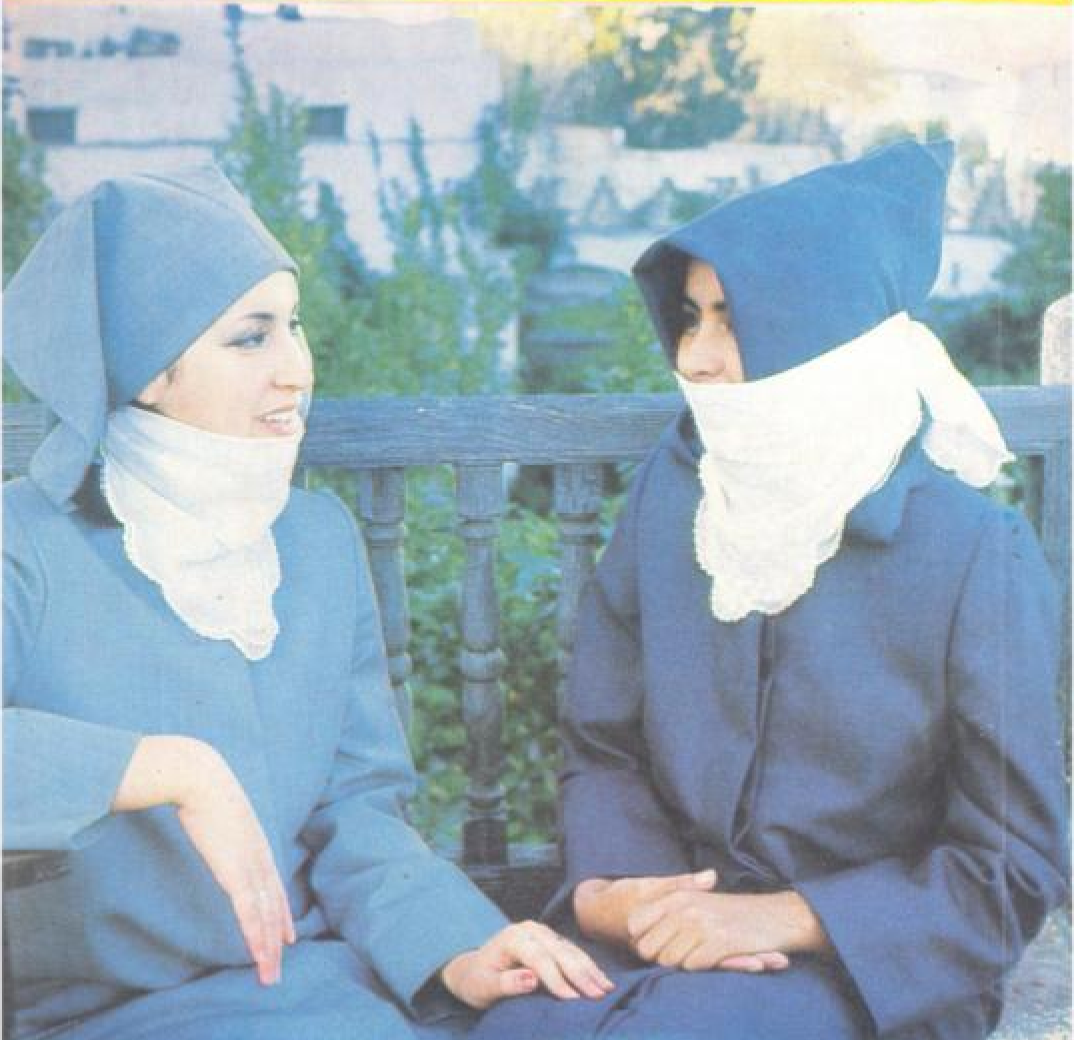
SANYO سانيو

SANYO ELECTRIC TRADING CO. LTD JAPAN

سانيو الكتريك تريدنغ كومباني - اليابان

العربي

العدد ١٧٣
صفر ١٣٩٢
ابريل
(نيسان) ١٩٧٢



تطوان .. قطعة من الاندلس تعيش فى القرن العشرين

جوائز ١٣٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	١ ريال	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	١ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	[illegible] ريال	ج.ع.م.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



حجرة طفلك أيتها الأم

● هكذا ينشئونهم على النظافة والاشراق وتفتح الحياة بالألوان المتسقة، ويتربى فيها الطفل وعنده أن الشمس خير من الظلام .



عزيزى القارىء :

جاء فى المجلة الامريكية تايم Time ان اسرائيل احتلت بضع جزر فى جنوب البحر الاحمر ، خالية من السكان ، لتؤمن مسيرة حاملات الزيت من الشرق ، عبر بوغاز باب المندب ، الى ميناء ايلات .

واهتاج العرب .

وعلى الفور كذبت اسرائيل هذا الخبر .

وارتاح العرب .

ويا للغفلة !

هل يظن احد ان خبراً خطيراً كهذا ، ينشر فى مجلة خطيرة كهذه ، ثم يكذب بسرعة البرق هكذا ، لا يكون له ما وراءه .

الخبر اعطى العالم ان هناك جزرا ثمانية او نحوها فى مدخل البحر الاحمر ، اسرائيل فى حاجة اليها لحمايتها .

والخبر اعطى العالم ان الجزر خالية ، فليس لها صاحب .

واذن فلينتفع بها من شاء .

واذن فاليوم تكذيب، وغدا تحقيق .

وقد سبق ان ضاعت من العرب جزر ذات سكان ، وبنفس الطريقة ، فكيف بجزر ليست ذات سكان .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي — **مجلة عربية مصورة شهرية جامعة**

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 173 Aprel 1973 P. O. B. 718 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● تطوان ، مدينة في شمال المغرب ، يلقبونها بالحمامة البيضاء .. لمنازلها البيضاء ، وللثام الابيض الذى فيها يغطى فم المراة ويعمل على ابراز سواد عينيها !! ويعتقد أهل تطوان ان المراة المتحجبة اكثر جاذبية من المراة السافرة !

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ١٠٨)

اقتصاد :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمراة :

تربية وعلم نفس :

عروبة :

شعر وشعراء :

كتب :

قصص :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم، اليمن ٢ريال، ليبيا ١٥٠ درهما، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.
الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .

بريد القرّاء ومعرض آرائهم



تركان خاتون
بقلم : السيدة سنية قراعة

● جاء في العدد ١٧١ الصفحة ١٢٨ و ١٣٠ قول الكاتبة : الخليفة (المهتدى بالله) وهذا خطأ .. والصواب هو المقتدى بامر الله ، الذى تولى الخلافة من سنة ٤٦٧ ـ ٤٨٧ هجرية . اما المهتدى فقد سبقت خلافته ذلك باكثر من قرنين وكانت من سنة ٢٥٥ ـ ٢٥٦ هجرية .

ع . الصراف/بيروت .

الحظ العاثر في اسرائيل

● سمعت في يوم الاحد ١٨ شباط/١٩٧٣ وفي الساعة العاشرة مساء بتوقيت دمشق ، اذاعة اسرائيل وهى تبث برنامجا : «من ملفات القضاء». وكان الملف الذى قدمته الاذاعة هو نفسه الذى نشرته مجلة العربي في العدد ١٦١ ص ١٧٠ بعنوان « الحظ العاثر » . ولم تذكر الاذاعة انها اقتبست هذه القضية من مجلة العربي .

احمد قريش/حلب/سوريا

بين كسرى والنعمان

● قرات في مجلتنا العربي الزاخرة ، وفي عددبناير الممتاز لهذا العام ١٩٧٣ موضوعا بعنوان مواقف رجال « في يوم ذى قار » بقلم الاستاذعبد الستار احمد فراج ، يذكر فيه ان كسرى ملك الفرس قتل النعمان بن المنذر لقتله عدى بن زيد العبادى . وذلك بعد ان حرّفت ترجمة الكتاب الذى ارسله النعمان الى كسرى يعتذرفيه له عما فعل بعدى ، ويبين الاسباب التى دعته الى قتله .

وقد سبق لي ان قرات كتابا من سلسلة اقراللدكتور على عبد الواحد وافي بعنوان المساواة في الاسلام . يذكر فيه وعلى وجه التحديد في الصفحة١٧ ، ان كسرى قد خطب حرقة بنت النعمان بن المنذر ، فرفض النعمان مصاهرته خضوعا للتقاليدالعربية التى تقضي بان لا يزوج العربي ابنته من اعجمي مهما كان عظيما ومع ان النعمان كان منولاة كسرى والخاضعين لسلطانه ، وان كسرى قد ثارت لذلك ثائرته ، فاستقدم عاهل العرب الىالمدائن ، وتهدده بشتى صنوف العذاب ، فلم يزده ذلك الا محافظة على تقاليد قومه ، فامربطرحه تحت اقدام الفيلة ، وسوّى معالم جسمه بالتراب .

ويتضح مما سبق ان الاقوال قد تضاربت فيهذا الخبر ، فارجو توضيح الصواب ولكم جزيل الشكر .

مربود محمد السنى/بورتسودان

العربي : ان ابن عدى بن زيد حرّف في خطاب النعمان اذ قال : آما في عين فارس ما يكفى كسرى ! فترجمها ابن عدى قصدا بقوله اما في بقر فارس .... ومعلوم ان العين قد تطلق على بقر الوحش .

الفاروق وسيف الله المسلول

● اطلعت على مقال فضيلة الشيخ بدر المتولي عبد الباسط المحترم في مقاله القيم الطيب «اجتهاد كبار الصحابة» صفحة ٢٢ عدد شباط ـ ١٧١ ـ تحت عنوان « موقف كل من ابى بكر وعمر من خالد بن الوليد ـ رضي الله عنهم ـ وقرأت فيهما يلي : اما عمر فكان رجلا صلبا حازما شديد المراس فلا تحتمل الامور شدته وشدة خالد فكان لابد للمعادلة من اختيار رجل لين العريكة ليتوائم مع عمر ، فكان اختيار ابي عبيدة بن الجراح .. »

وقد يكون في هذا الكلام قسوة على عمر .

والذى اعرفه ان لذلك الاجراء اسبابا اخرى اذكر منها :

١ ـ ان سيدنا عمر رضي الله عنه خشي ان يفتن الناس بسيدنا خالد ويظنون ان النصر كان بسببه وليس من عند الله .

٢ ـ ثقة سيدنا عمر بابي عبيدة كانت ثقة كبيرة والسبب هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن ابي عبيدة (بما معناه) انه امين هذه الامة .

٣ ـ يروى عن سيدنا عمر انه عندما قرب اجله قال : لو كان ابو عبيدة حيا لامرته على المسلمين . فاذا كانت هذه هي ثقة سيدنا عمر بن الخطاب بابي عبيدة فكيف لا يوليه قيادة الجيش بدلا من خالد .

المدرس محمد عبد الفتاح الجبان/الكويت

حجة : المدينة اليمنية

● اطلعت على استطلاعكم الخاص بمدينة حجة اليمنية وحزنت لما يقاسيه شعب هذه المنطقة العربي المسلم من متاعب في الحياة ، ثم شعرت بالاسف الشديد حيث ان في بلادنا العربية مناطق كثيرة بهذه الحالة ومع ذلك فانت ترى ان كثيرا من الحكومات العربية تساعد شعوبا اخرى تكاد تكون احسن حالا من شعوب تلك المناطق العربية وانا لا احتج على مساعدة الشعوب الاخرى وانما اقول بان الواجب يقضي بان نبدأ بالقريب قبل القريب لا سيما وان هذا القريب اشد حاجة واكثر استحقاقا .

محمد حميده/ليبيا

لقرائنا مواهب نكتشفها

● نعيد ما سبق أن ذكرناه ، أن العربي يتقبل من قرائه الذين يمارسون هواية التصوير الفوتوغرافي ما يرسلونه اليه من صور طريفة ، وهو ينشر ما يراه مستحقا للنشر ، ويرسل لصاحبه مكافأة رمزية مقدارها ثلاثة دنانير كويتية .

والهدف من ذلك هو تشجيع هذه الهواية الفنية في نفوس الشباب العربي ، والكشف عما فيهم من كفايات .

والشروط اللازمة هي :

ان الصورة المرسلة يجب ان تكون صورة اصلية واضحة من تصويرك ، مطبوعة على ورق لامع ، حجمها بين ٩×١٤ سنتيمترا و ١٣×١٨ سنتيمترا ، ومعها تعريف مختصر عن موضوعها ، ولا تنس كتابة اسمك وعنوانك مع كلمة « مواهب القراء » على الغلاف الخارجي .. والصور لا ترد لاصحابها سواء نشرت او استبعدت .

(البقية على صفحة ١٦٣)

حديث الشهر

«ليس أعداؤنا أنماط الغرب كلها»

مِنْ أَيْنَ ، وَإِلَى أَيْنَ ، يا رِجَال

أَبَدًا

باسم الله اكتب في موضوع سياسي ، ومن كتب في السياسة هذه الايام ، لا سيما في موضوع مصيري ، وجب ان يبداه باسم الله ، وان يطلب فيه العون من الله والسلامة ، على كلتا الحالتين ، خطأ كان ما يكتب او صوابا . فالخطأ ان ازعج ، كان بعض الصواب لجمهور الناس اشدّ ازعاجا . والخطأ كثيرا ما يحلو ، ولبعض كلمات الحق مرارة لا تحلو ولو مزجتها بأرطال من عسل .

كاتب العربي ، والرقباء

على ان الكاتب السياسي يقيه من اعقاب كلمة الحق الصريحة ، في مجلة كهذه ، لا بد من دخولها الى بضع عشرة دولة عربية ، انه لا يستطيع ان يبلغ بها من الصراحة ما يريد ، وهو كلما مدّ البصر رأى على ابواب هذه الدول خفراء ، اسموهم الرقباء ، يأذنون بدخول ما يروق ، ويمنعون ما لا يروق . وتختلف اذواق هؤلاء الرقباء ، فمنهم من يجيز ومنهم من يمنع . وفيما نعهد في تجربتنا بهذه المجلة ، من حيث الاجازة والمنع ، الكثير الذى نحمد . فقلّ ان منع « العربي » من دخول بلد « عربي » بسبب كلمة نشرها او مقالة اجازها ، غير بلد واحدة في الشهر الواحد ، من البضع عشرة من هذه الدول . وهذا

أنماط أجسام ، وأنماط عقول ،
وأنماط عادات ، واحتفظوا على خبث بكل ما تضمنته
النعرة اليهودية الصهيونية
مما لا يتفق مع دين ولا إنسانية
وبذلك انتسبوا ، ورفضنا نحن انتسابا

العرب ؟

بقلم رئيس التحرير

دليل على ان الكثرة الكاثرة من الرقباء ذوو فطانـة ، وعندهم مـن التواضع والسماحة ما اجاز لهم أن يقولوا ان لعل ما رابهم ليس بالباطل ، وان الحق قد تتعدد وجوهه ويظل كل منها مع ذلك حقا ، وان تعدد وجوه الراى على كل حال هو الطريقة المثلى التي لا بد من اتباعهـا حتى يكـون عند العقول مـا تتفحصه ، وتهتدى الى ما تحسبه الكثرة فيهم انه الصواب .

يطلبون فى السياسة آراء أكثر حرافة وعنفا

وعلى الرغم من هذا يصلنا من قرائنا كتب قليلة ترى اننا لا نكتب فى السياسة العربية آراء اكثر حرافة ، واعنف . وصدقوا . فنحن كثيرا ما نكتب بقلم يصر على الورق صريرا ، حتى ليكاد يحترق بالذى ينصب عليه من المعاني ، ثم تمزقه ، لان هذه الاوراق اذا نحن لم نمزقها ، مزقتها ايد اخرى قبل ان تبلغ الى القراء . وعدا هذا ، وآصل من هذا ، ان خطتنا فى هذه المجلة هي ان لا ندخل فى صميم السياسات العربية ، فهي امواج متلاطمـة ، ومتاهـات مترامية ، واعماق ذات ابعاد ، من ركب بحارهـا ضاع بين مذاهـب ، اكثرها الأجوف الذى لا ينتهي الجدل فيه الا الى خصام . وهو جدل غير نافع . لهذا نحن لا نمس السياسة الا عندما

تمس اصول الحياة . وحتى نحن عند ذلك ، لا نمسها الا اذا كان مساً نافعا .

« العربي » مجلة ثقافة أصلا

وغير هذا وذاك ، ف « العربي » من ساعة نشأتها في عام ١٩٥٨ ، اخذت على نفسها ان تكون مجلة ثقافة . فالعرب ، ونعني بهم الشباب خاصة ، هم احوج الى الثقافة بأوسع معانيها ، وابعد اطرافها ، من السياسة . ولمن شاء منهم السياسة وجد الكثير الذي يقرأ في الصحف والمجلات .

وشيء آخر يبعدنا عن الكتابة في السياسة ، ولو محبّبة . ذلك ان السياسة يغلب عليها انها أداة اعلام . ومن الأسف انه جرت عند بعض العرب ، الضالعين في بعض المذاهب ، ان الاعلام يجب ان يدعو الى ما يدعو اليه دون أن يتحرّج أو يتأثم ، وعندهم ايمان بالمثل الذي يقول : انصر اخاك ظالما او مظلوما .

الحقّ أولا

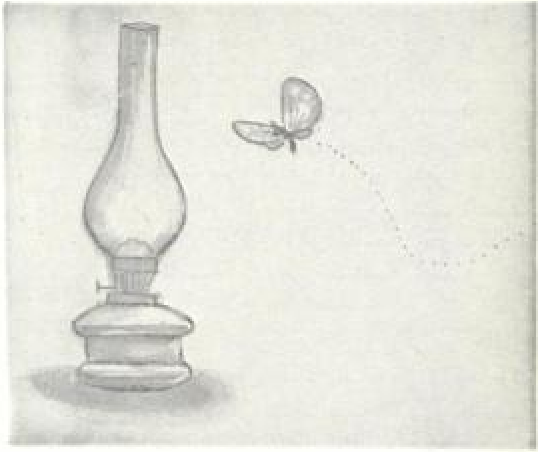
ونحن في « العربي » ندعو لأهلنا العرب ، من ماضين وحاضرين ، واقدمين واحدثين ، بكل طاقة ، ومن كل سبيل . ولكن مع الحق .

الدين عندنا هو الحق . وكذلك كان دين محمد . والحق من أسماء الله . وعندنا ان الناس سواسية ، لأنهم خَلْق الله الواحد مهما تعددت الأجناس واختلفت الأديان واختلفت المشارب . والى هذه الناحية تتجه الفلسفة الانسانية الحاضرة ، حتى لقالوا بحكومة الدنيا الواحدة . ومع هذا فنحن نعتز بعروبتنا ، ماضيها وحاضرها ، جنسا ، ونعتز باسلامنا ، دينا وحضارة . وكل ذلك من تحت مظلة وارفة تظللنا ، هي مظلة الحق ، نفخر بأعمالنا العربية الفاخرة ، ونأسى للاعمال العربية الخاسرة ، وندفع عن حدودنا حتى تكون كلمة الوطن ، التي هي كلمة الله ، التي هي كلمة الحق ، هي العليا .

ان الذين يخلطون بين الوطنية والدعوات الاعلامية الباطلة ، شباب ألف حرارة الخصام في الصحف ، والنزال بالأقلام . وهذا ارخص خصام وارخص نزال . وكل نزال لا يعمده الحق اذ ينزل في النفس منزله الايمان ، نزال لا يحترق به غير صاحبه ، كالفراشة اذ تقترب من شعلة المصباح .



وعندنا ان الناس سواسية لانهم خلق الله الواحد ، مهما تعددت الاجناس ، واختلفت الاديان ، واختلفت المشارب .



نزال لا يعمده الحق ،
نزال لا يحترق به غير صاحبه ،
كالفراشة اذ تقترب من شعلة المصباح

كاتب السياسة دائما فى ريبة مما يكتب

بقي ان نتحدث عن السياسة ووثوق الكاتب بما يكتب فيها .

ان الكاتب السياسي ، حتى الذى يكتب عن ايمان بما يكتب ، يثق طبعا بصحة ما يكتب والا ما كتب . ولكنه اذا تريث ، علم ان ما نسميه الصحة شيء يقع على درجات ، فمنه الصحيح ، ومنه الأصح ، ومنه الأقل صحة ، ومنه القليل الصحة ، ومنه الخطأ .

وليس هذا طعناً فى الكاتب السياسي . ولكنه طعن فى المعطيات التي عند الكاتب السياسي وهو يكتب ، بناء على تلك الأشياء التي يسميها حقائق .

ويدرك هذه المعاني اشد ادراكا من يكتب فى العلم .

ان المعطيات التي عند كاتب العلوم الحديثة ، حين يكتب ، تسمى ايضا حقائق . ولكنها ليست مثل الحقائق التي تكون عند كاتب فى سياسة ، تجوز عليها الصحة ويجوز الخطأ درجات . الا فى ظروف خاصة ، معروفة محدودة .

ان « الحقائق » السياسية ، الكثير منها مزاعم . والكثير منها بناؤها على الاخبار التي تحملها الاسلاك وغير الاسلاك ، وهي تأتي من شتيت الأمم . وكل الأمم ملتزمة اعلاما . وكل الأمم تجيز فى الاعلام الصدق وتجيز الكذب . وفى الدولة الواحدة تذيع الصحف اخبارا وتشيع بين الجماهير الاشاعات . وأطرزة الحكم الحاضرة فى الكثير من الامم تجعل من صحفها وسائل اعلام خاصة فى جماهيرها . وكثيراً ما نسمع فى الشرق وفى الغرب عن خبر ما انه « للاستهلاك المحلي » .

كل هذا يجعل من « الحقائق » السياسية اشياء تحوطها الريبة من كل جانب ، ومع هذا يعتمد عليها الكاتب السياسي المسكين ، لأنه ليس عنده ما يعتمد عليه سواها .

وغير ذلك « حقائق » يعتمد عليها كاتب العلم .

انها حقائق كل سطر منها نتاج خبرة فى مختبر ، أو نتاج ملاحظة لاحظها الكثرة من العلماء ، ورصدوها فى الأوراق

قانونا ثابتا بمقدار ما تثبت القوانين على هذه الأرض .

لهذا كانت الكتابة في العلم ايسر ، وهي للنفس اشرح ، وهي للضمير اروح، لأنها هي والحقيقة يمشيان معا. الحقيقة كما تخالها القدرة الانسانية .

وقفة عند الأحداث

ومع هذا لا بد احيانا من وقفة عند الأحداث ، نحاول ان نفهم ما استطعنا ، ما حال اليوم ، وما حال قد تكون عليه غدا . ويزيد الحاحنا اليوم على الوقوف وقفة عند الاحداث انها كادت تتمخض عن شي جلل .

هناك، في الارض المغتصبة ، اسرائيل، قليلة العدد ، كثيرة العدد ، تتحدى عشرات الملايين ممن حولها من العرب ، وتكاد تصنع بهم كل يوم ما تشاء ، ويردها العرب على الاعقاب ، وفي هذا تبقى القدرة على المبادرة في يدها . ومن وراء اسرائيل اكبر امة في الارض، عددا نافعا ، وعددا ، تموّنها وتحميها . ومع هذه الأمة الكبرى اكثر امم الغرب، قائمة في مناصرة سافرة او غير سافرة لما تناصر فيه امريكا . وامريكا هي بينهم السيدة، وهي القائدة، وهي كاسبة الحرب العالمية الماضية ، وهي صاحبة الفضل الأول في اصلاح ما اصابت به تلك الحرب اوروبا من خراب . وعرف حلفاؤها هؤلاء كل ذلك فتبعوها ، وما زالوا يتبعون . وتهبط قيمة الدولار ما تهبط، وتعلو قيمة المارك الالماني ما تعلو ، ويعلو الفرنك الفرنسي ، ولا يؤثر ذلك في الوضع الحاضر شيئا . لا يزال الاقتصاد الأمريكي باعتراف الجميع اضخم ، ولا يزال العلم الأمريكي باعتراف الجميع



« حقائق » العلم نتاج خبرة في مختبر ، او ملاحظة لاحظها الكثرة من العلماء، لم رصدوها قوانين لا يدخلها الهوى .

اوسع واقدر ، ولا تزال بلادهم هي الأقوى .

وكذلك العجرفة والفطرسة التي تصحب القوة ، والقسوة التي تنسى مع القوة كل معاني الرحمة ، كل هذه نالت الولايات المتحدة منها الحظ الأوفر .

وهذا من سوء حظ العرب ، كما كان من سوء حظ فتنام وحظ الدنيا في ايامها هذه السود .

وبعض هذا كان من بعض ما جناه بعض رؤساء العرب على العرب .

واذكر انه نبا عربيا تحدى الامريكان في ساعة نشوة ، وقال لهم : اذهبوا فاشربوا من البحر ملء افواهكم ، فرد قائلهم ، قال : بل سوف نرغمكم على شرب ماء المجاري ..

دبلوماسية ليست بانجح ما تكون الدبلوماسية ، ولا اسماها . وقد يقولها الفرد للفرد . ولكن لا تقولها الدولة للدولة . وبالتوكيد لا تقولها الدولة الصغيرة للدولة الكبيرة .

ويسمع الدهماء هذا ، وامثالا لهذا ، فتكاد تلتهب اكفهم ، وتكاد تبح حناجرهم طربا لما سمعوا . وهم يدفعون عن هذا ثمنا غاليا اما آجلا واما عاجلا .

فهذا بعض ما جعل بيننا ، وبين امريكا وتوابعها جفوة . ولسنا ننسى ان امريكا هي التي ردت الجيوش البريطانية والفرنسية والاسرائيلية عن القنال ، فيمن رد ، والزمتهم بالخروج الى الحدود التي بداوا منها غزوهم القادر ، وذلك في عام ١٩٥٦ .

وسبب آخر ارى حرجا في ابدائه

وسبب آخر جعل بيننا وبين هؤلاء الاقوام جفوة ، ارى حرجا كثيرا في ابدائه ، لانه يتعلق بالاديان . واصدع به ما دمت لا ابغي بذكره شرا .

ذلك ان اوروبا لا تزال الى اليوم تعلم في مدارسها التاريخ . ومن التاريخ الحروب الصليبية . وهذه لا شك تثير في النشء الاوروبي المسيحي كراهة العرب ، والمسلمين خاصة . ويكبر هذا النشء وفي قلوبهم من هذه الكراهة بقايا يمزجونها دائما باخبار الشرق . ولا عبرة للقول بأن المسيحية ضعفت في اوروبا . ونحن نأسف لضعف دين من اديان اهل الكتاب بين اهله : فالدين عماد ، والدين خير ، والدين محبة . ولكن ضعف العقيدة بين نصف اهل اوروبا ، لا يؤثر في عواطف الرجال عندما يكبرون . فالعقل ، هاديا او ضالا . قد يقول لا ، وتقول العاطفة الدينية والكراهة نعم .

والعجيب في هذا الامر انه يوجد مثل هذه الجفوة بين المسيحيين واليهود . فقد زعم المسيحيون ان اليهود صلبوا عيسى عليه السلام . وكره المسيحيون اليهود لهذا . ومع هذا استيقظ اليهود لهذا الامر وقاموا بدعايتهم في هذه السنوات القريبة الماضية ليثبتوا انهم ما صلبوا عيسى وما كان لهم ان يفعلوا .

هذا ما صنع اليهود دفعا لكراهة وكسبا لمحبة .

وبقي المسلمون على حالهم . وكان الواجب ، ان يقوموا في اوروبا بالدعاية الواسعة ليثبتوا بها ان الحروب الصليبية ما كانت الا حروبا استعمارية ، وان العرب حفظوا مقدسات كل الأديان طوال القرون على اصلح حال .

شيء كهذا ، كان يذهب بالكثير من الكراهة التي في قلوب اهل الغرب ، وللمسلمين منهم خاصة . وسيعجب المسلمون عندما يعلمون ان اكثر مسيحيي اوروبا يعتقدون انهم وثنيون . فهكذا سماهم مسيحيو القرون الوسطى Heathens وتناقلوا هذه التهمة عبر السنين .



اتخذت الحروب الصليبية شكل الحروب الدينية وهي ما كانت في صميمها الا حروبا استعمارية . وفشلت ، وبدأ استعمار اوروبا الصريح للدنيا بعد ذلك بقليل .

وفجوة اخرى بين الغرب والعرب

وفجوة اخرى تفصل ما بين اهل الغرب والعرب من اهل الشرق ، تلك هي انماط الحياة . وليست هي انماط تلبسها الاجسام ، ولكنها انماط تلبسها العقول ، وانماط تلبسها العادات والقيم .

فالفجوة بيننا وبينهم لاشك واسعة ، ويحاول الكثيرون منا ابقاءها على سعتها ، بل ويعملون حتى على زيادتها اتساعا ، لا عن عقل في الكثير من الأحوال (وان صدقوا في البعض) ولكن عن كراهة نشأوا عليها صغارا ، وظلوا يحتلبون ثديها كبارا . وهي شبيهة بكراهة اهل الغرب لأهل الشرق .

اما اليهود ففعلوا غير ذلك .

لقد لبسوا انماط الغرب كلها ، انماط اجسام ، وانماط عقول ، وانماط عادات . واحتفظوا على خبث بكل ما تضمنه المذهب اليهودي الصهيوني مما لا يتفق مع دين ولا انسانية .

وزاد اليهود على ذلك بانهم انتشروا في امم الغرب ، بل وامم الأرض ، ودخلوا في كل مرافق هذه الأمم ، واستولوا على الكثير من مفاتيح الاغلاق فيها . ومنهم من نسي حقائق اوضاعهم هذه في الأمم فتبجح . ومن الناس من يرى في هذا التبجح اول النكبة ، نكبتهم . ولست اراها والله بعيدة .

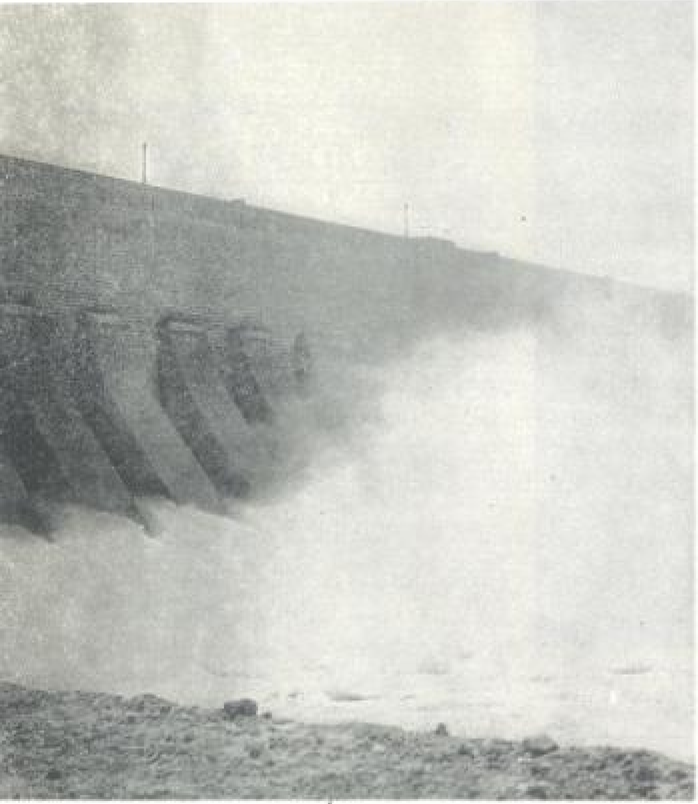
فهذا بعض ما يواجهه العرب في ازمتهم الحاضرة من الدنيا ، ومن الولايات المتحدة خاصة وتوابعها في اوروبا .

واستطيع ان اتحدث في هذا الصدد عن الامبريالية والاستعمار ، قديمه والحديث ، ولكن هذه احاديث معادة استنفدتها الصحف فليس فيها مزيد .

ثم العرب في مواجهة الروس وحلفائهم

ولكنّ للدنيا جانب آخر هو ذلك الجانب الشرقي من اوروبا . وهي الكتلة الاشتراكية الكبيرة ، وتتزعمها روسيا ، زعامة تبلغ احيانا حد الصرامة . ومن نتيجة هذا انهم يتخذون من العرب موقفا واحدا هو موقف الروس . فاذا ابتسمت روسيا ابتسم الاخرون . واذا كشرت روسيا عن ناب كشر الآخرون .

وكان بين روسيا وبين بعض الدوَل العربية صلات ومودة ، ومعونة ظهرت



معونة الروس للعرب ظهرت مجسدة على نيل مصر في صورة سد اسمياه بالعالي .

مجسّدة على نيل مصر في صورة سد" اسميناه بالعالي . واعان الروس اعاناتهم الحربية المعروفة التي انتهت بحرب عام ١٩٦٧ وبالنكبة الكبرى لهذا العام . وفي هذه النكبة ضاع اكثر هذا العون ، جهازا وعتادا . واستأنف الروس عونهم من بعد نكبة ، ولكن على حذر . وازداد الحذر بتقدم السنين . واصبح واضحا ان الروس تعطي القائمين على القتال القدر الذي يدفعون به المعتدي فلا يستطيع ان يعبر . واعطى الأمريكان لاسرائيل كل ما ابتغوا ، والذي به يلقون الاعماق . واعان الروس في الدفاع عن هذه الاعماق بأن اعطوا مصر الصواريخ . وكان لها اثر لا ريب فيه . ولم تجد مصر بعد ذلك ، وهي في غرب القناة ، سبيلا لاتصالها بالعدو ، الا بتركيز الرماية عليه عبر هذا الماء ، في تلك الحرب التي اسموها بحرب الاستنزاف .

واطلقت مصر واطلق العدو ، مع فارق كبير . ضرب العدو فخرّب مدن القنال حتى دكّ مبانيها دكا ، في السويس ، وفي الاسماعيلية ، وفي غيرهما ، وفيما قام حول هذه المدن من مصانع ومرافق . خراب شامل . وتعمير هذا الخراب سوف يتكلف من بعد حرب ، ان كان لها بعد ، مئات الملايين من الاموال ، وقد يستغرق من اعمار الناس الجيل او الاجيال ، واهل هذه البلاد تركوها ، فهم المهاجرون .

ضربت اسرائيل عبر القنال فضربت المساكن والسكان . وضربت مصر عبر القنال فضربت الصحراء والرمال .

علائق بين العرب والروس تهتز

قسمة غير عادلة ، انها القسمة التي اسماها العرب بالقسمة الضيزى ، وهي القسمة الجائرة .

اعطى الامريكان اصحابهم سواعد طويلة تنال البعيد ، وتنال العامر وغير العامر. واعطى الروس اصحابهم سواعد قصيرة لا تنال العامر من اعدائهم .

ومن هنا بدات علائق بين الروس والعرب تهتز .

والسبب في موقف الروس ؟

ان اعطاءهم مصر السواعد الطويلة كان يؤهلهم للنيل من تل ابيب ، وكل بلد احتلتها اسرائيل من فلسطين . واذن تتصاعد الحرب ، واذن لن يقف بها شيء حتى تدخلها الدولتان الكبيرتان . روسيا والولايات ، واذن فهي الحرب العالمية الثالثة .

هكذا قالوا . وهكذا قدروا .

وقد يصدق القول وقد لا يصدق . وفي السياسات علل تبتدع لغير معلولاتها .

سابقة للروس مذكورة

والروس كانوا دائما ، من يوم اتصل بهم العرب ، احرص على ان لا يلتقوا بالولايات المتحدة في ميدان . ولهم في ذلك سابقة معروفة مشهودة :

قامت الثوة في بغداد في عام ١٩٥٨ . ولم يكن يتوقعها احد . وكان عبد الناصر على ما اذكر في يوغسلافيا عند الرئيس تيتو . وما علم بالثورة حتى ركب الطائرة الى موسكو . والتقى بخرشوف. وحاول ان ياخذ منه وعدا بالتدخل لحماية الثورة العراقية العربية اذا تدخلت لافسادها الولايات المتحدة ، ورفض خرشوف ان يَعِد . وكل ما



خرشوف ، وعد بان يسند الثورة العراقية بالقول لا بالفعل ، تجنبا لمواجهة امريكا .

اتفق الرجلان عليه ان ينذر الروس من يتعرض للثورة بالتدخل لحمايتها . وان يكون هذا الانذار بالقول ، على ان لا يكون هناك تدخل بالفعل ابدا . ولم يستطع عبد الناصر ان يكسب اكثر من ذلك .

وترك عبد الناصر موسكو . ولحقت به في الجو اذاعة الانذار الروسي الموعود .

كانت اضعف الايمان .

خروج الروس من مصر

انتهت حرب القنال بوقف اطلاق النار .

ثم طال الامد الذى التزم العرب فيه بوقف النار عند القنال. واخذت القسمة الضيزى يتراءى جورها أوضح وأوضح على الشهور ، ثم على السنين . واخذ الملل يصيب مصر وجندها الكثير . وظهر

على ألسنة الناس تعبير فى اللغة جديد : عهد اللاحرب واللاسلم .

وتراءى للعرب انه عهد مقصود لذاته .

وتراءى للعرب انه عهد يتيح للعدو ان يزيد استيطانا للارض العربية التى يحتلها ويزداد منها تمكنا .

وتراءى للعـرب ، ولدول المواجهـة خاصة ، انه عهد يقف بالتقدم الحضارى العربي فى كل المرافق ، فى علم وثقافة وصناعة وتكنية ، ونشر ، وحرية ، بينا دول الأرض جميعا تسـير مع الزمان قدما .

وتراءى للعرب ان الذى لا يتقدم انما يتخلف . واذن هو تخلف يتراكم .

وبلغ بمصر الضيق ان رات ان تسرح ما كان بأرضها من الفنيين الروس ، وقد كانوا يلغوا آلافا كثيرة .

وبتسريح هـذه الآلاف بـدأ التاريخ يكتب صفحة فى سجله جديدة .

وفرح قوم كثيرون لخروج الروس ، وتمهل آخـرون ينظرون وينتظرون . وكان من الصعب الحكم ، فالرؤية لم تكن واضحة عند الكثيرين . وقام الولاء يؤيد هذه الخطوة .

وتبدلت السياسات العالمية بغتة على نحو ما تتبدل سياسة الاجواء من حيث سحُبها ورياحها والأنواء

وبدا هذا التبدل الباغت بأن طـرق (نكسـن) رئيس الولايات المتحدة ، باب الصين ، وذهب بجلالـة قـدره بـزور (بيكين) .

لم يقع فى احداث التاريخ القريب من التحول مثل هذا الذى وقع فى السنة الماضية . امريكا وهي اقوى دولة عدة ، والصين ، وهي اكثر دول الأرض عددا ، ظلا يمارسان العـداء السنين . هـذه شيوعية، وتلك راسمالية . وهذه صفراء، وتلك بيضاء ، واللون فى القارة الجديدة له خطر غير قليـل . وتنتصر الصين فى شيوعيتها،أو رغم شيوعيتها، والله أعلم، وتنتصر الصين علما فتحصل على قنبلتها، من ذرية ومن ادروجينية . وتنظر امريكا الى الصين ، وما جرى بها ، وما جرى لهـا ، وهي اعدى اعـداء الشيوعية ، فتذهب الى هذا الساحل الصيني الواسـع تطلب احتضان رجال هذه العقيدة فى صداقة حارة . ويحاول (نكسـن) أن ياكل طعام الصين ، بـين الصينيين ، بالعصى ، فيخفق ، ويتضاحك القوم .

وليس معنى هـذا ان (نكسـن) آمـن بالشيوعية ، او ان (ماوتسى تنج) آمن بالراسمالية ، ولكن معنى هذا ان الحياة الدنيوية الحديثة اخذت بمبادىء لم تكن تاخذ بها فى دنيانا القديمة .

وقد اسمع قارئـا يرضى عن هذا ، واسمع آخر لا يرضى .

ولست اسوق هذا ، ليرضى بـه من يرضى ، او يسخط بـه من يسخط . فلست فى هذا الأمر بداعية . وانما انا اصف من احوال الدنيا ما ارى .

وتقارب بين الصين وامريكا شيء لم يكن محسـوبا .

ورد فعله على الروس لم يكن لأحد فيه شك . انه التقارب الذى لا مفر منه بين الروس والأمريكان .

لا حياة للروس،وهم من خصام الصين فيما هم فيه ، ومن تهديد الصين بكثرة ذراريها لسيبيريا مما ذاع امره وشاع ، لا حياة للروس الا بمنافسـة الصين فى مصادقة امريكا ، وفى مسالمتها .

هذه هى السياسـة عند اهل الارض يا قوم . سياسة يصاحبها برود الراس ودقة الحساب والارقام .

وزار (نكسن) موسكو كما زار بيكين .



وليس معنى هذا ان (نكسن) آمن بالشيوعية او ان ماوتسي تنج آمن بالراسمالية

وامضي في روسيا وثيقة اتفاق وصداقة ومحبة كالتي امضاها في الصين .

انقلاب في سياسة الدنيا هائل

واصفه بسياسة الدنيا لأن السياسات الاخرى ما لبثت ان تأثرت به . فالتقارب بين دول الغرب من اوروبا ، ودول شرقها ، ما كان الا نتيجة حتمية لهذا الانقلاب الاكبر .

ودول القارات الاخرى ، غير اوروبا ، انما هي دول ، في سياساتها ، توابع . انها تتبع ، او هي تتأثر الى حد كبير ، بسياسة امريكا ومعها الغرب من اوروبا ، او بسياسة الروس ومعها الشرق من اوروبا ، او بسياسة الصين ، ولها الآن في الدنيا اصدقاء غير قليلين .

موقف الروس من العرب

وموقف الروس من العرب ، حتى بصرف النظر عما وقع من تسريح فنييهم من مصر ، ما كان له ان يظل كما هو ، اي وبه من الود الكفاية التي ترضي ، والقدْر الذي ينفع . ان سياسة الأمم بناؤها اولا مصالح هذه الأمم . وليس في سياسة الأمم ، عامة ، معنى من معاني البطولة التي يحرص على اظهارها في اقاصيصهم كبار القصاصين من الأدباء .

ولا معنى من معاني الشهامة ، الا في حوادث تجمع بين الشهامة والمصلحة ، واذن تطنطن الدول المعنية بأنها ما فعلت ما فعلت الا باسم الحرية ، وباسم الانسانية ، وهي انما فعلت ما فعلت الا باسم المصلحة اولا .

ان معاني الحضارة ، وكل تلك القيم التي تضم مفاهيم العدالة والمساواة والحق والديمقراطية واشباهها، بجدها الانسان بين الأفراد وبين الطبقات في الأمة المتحضرة الواحدة ، اما بين الأمم فليس هناك الا قانون الغاب : آكل ومأكول ، والغلبة للاقوى . ومن شك في هذا فليقرأ ما وقع في فتنام. قصف ضحيته الملايين دام سنين ، وخراب ذهب بالزرع والضرع الى حين طويل .

ونحن نذكر هولاكو ، وما صنع في غزواته ، من تدمير وتخريب ، والغريب انه لم يخطر لاحد ان يقرن بين ما فعل هولاكو القديم ، وما يصنع الهوالكة الاحدثون .

موقف العرب من الدنيا

اما موقف العرب من امريكا فقد سجله رئيسها اول من امس ، بعد زيارة رئيسة وزراء العدو اياه . قال : انه لايزال يعمد اسرائيل عسكريا واقتصاديا .

وموقف العرب من غرب اوروبا ، انجلترا ، وفرنسا ، وايطاليا ، والالمان ؟ انه موقف مشوب بعطف . والسؤال : هل يثبت هذا العطف امام رئيس الشركة ، رئيس الولايات المتحدة ؟

وموقف العرب من روسيا ؟ لقد ارسل العرب الرسل الكثيرين الى موسكو ، وتاتي الاخبار بأن الزيارات صحبها الود والتقدير . فلعلها خبأت خيرا . ومع هذا يجب ان نذكر ان الروس لا يزالون ينتظرون موافقة امريكا على تزويدهم بمئات الملايين من اطنان القمح بعد ان افسد الجو من زراعاتهم ما افسد . والقمح طعام الملايين .

وموقف الصين من العرب ؟ لقد قال شو آن لي ، في لقاء قريب ، عند ذكر العرب ، ان بين القومين شقة من الارض بعيدة .

لم يبق اذن الا العون من الله ، ومن انفسنا .

اما الحرب فيحكمها ان يكون لديك سلاح ، وان تكون ذخيرة ، وان تكون قطع غيار ، وان تكون حاضرة . فان تكن حاضرة حقا فلا سبيل الا الحرب ، ولا شيء غير الحرب، ولا شيء نستعيض به عن حرب في سيناء ، وفي الجولان ، وعبر الاردن .

ولكن الشجاعة تظل شجاعة ما تقدم الرجل الى الميدان وبيده سيف . وليس من الشجاعة ان يتقدم الاعزل . والأعزل عند القدماء كان من ليس معه رمح او سيف . والاعزل عند الاحدثين قد يطلق على صاحب المدفع الذي يرمي بقذيفته عشرات الاميال ، ولكن تعوزه الذخيرة .

وعبد الله بن الزبير ، حاصره الأمويون في مكة ، فخرج اليهم ، وعلى جسمه كفنه ، وفي يده صارمه ، واستشهد . وكان بطلا . ولكني لست ادري كم يجوز على الأمم ما يجوز على الفرد . واميل الى ان انصح بان لا تخرج امة الى الميدان وعلى اجسامها اكفانها .

ان لم تكن حرب مركزة في الميدان ، فلتكن حربا مشتتة في كل ميدان ، وفي كل بلد ، وكل عاصمة ، وكل بيت ، وكل طريق ، وفيما صنع الفدائيون من رجال فلسطين ، ويصنعون ، الكثير الذي يحتذى، بعد شيء من التغيير والتحوير .

وهي حرب ، اذا بدات ، لا يحصى زمانها بالسنين . انها حرب الحياة ، تنشأ مع الحياة ، تنشأ مع الولائد وتتقاصر بها الأعمار .

والنصر آخر الأمر ؟

لا شك لأحد فيه ، ولا لمن هو ؟

وليس كالحروب صانعة رجال .

●●

احمد زكي

مَوْسُوعاتُ الفِقهِ الإسْلاميّ

بقلم : حامد مصطفى

رئيس محكمة التمييز الشرعي السني سابقا ـ بغداد

■ هناك مساع حميدة وجهود تبذل من اجل خدمة الشريعة الاسلامية والتعريف بها على نطاق واسع . وقد بدأت هذه المساعي والجهود منذ زمن قريب وان كانت الفكرة التي تقوم عليها ترجع الى عهد بعيد . والملاحظ ان هذه الجهود تسودها الصبغة الفردية ، او شبه الرسمية ، ينهض بها افراد او لجان من بلاد اسلامية شتى ليس بين اعمالها جامع او رابطة معروفة او منهج متفق عليه . فهناك جهود متفرقة في الباكستان والكويت ودمشق والقاهرة والمملكة العربية السعودية . وكلها تقوم على اسس متقاربة . فمنها ما يرمي الى اعادة كتابة ما يمكن كتابته دون تغيير في منهج الكتابة ، ومنها ما يرمي الى تفكيك كتب الفقه وترتيبها على شكل معاجم وقواميس ، او تفريقها الى اقسام ، منها قسم يوضع بشكل مواد متسلسلة تكتب بعبارة (مضغوطة) . وهناك من يقول باعادة طبع الكتب الفقهية بحسب المذاهب والائمة سواء كانت مذاهب حية او مندثرة . ويمكن ان يقال بعبارة اخرى انها كلها جهود ترمي الى تغيير شكلي واسع يقوم على اعادة الطبع او على تحويل المادة الفقهية الى اشكال المعاجم والقواميس. وقد اطلقوا على تلك الاعمال لفظ (الموسوعة الاسلامية) او (دائرة المعارف الفقهية) .

موسوعة الاستاذ عبد الغفور عطار

فاما التغيير على شكل المعاجم والقواميس فيصفه الاستاذ الفاضل احمد عبد الغفور عطار من فقهاء المملكة العربية السعودية في مشروعه بقوله (فوضعت له منهجا اوفى واكمل من مشروعات اخرى للفقه الاسلامي وجعلته ذا اقسام ثلاثة :

الاول : قسم المعجم .

الثاني : قسم الدراسات .

الثالث : قسم المواد .

وقسم المعجم هذا مثل منهج الكويت والقاهرة في موسوعتيهما الفقهيتين . وهو مرتب على نمط معاجم اللغة التي تتقيد بترتيب حروف الهجاء).

وقد مثل الاستاذ عطار على ذلك بالالفاظ الآتية : اباحة . ارث . ايلاء . بغاة . بلوغ . بهيمة . بيع . جنين . حد . حربي . شركة . شفعة . شهادة . صداق . صرف. طلاق . عارية. نفقة . نكاح . وكالة .

اما قسم الدراسات فقد خصه الاستاذ (بالعقود والبيوع لانهما الموضوعان العظيمان اللذان جدّ فيهما كثير ، ويقع هذا القسم في مجلدين مجموع صفحاتهما حوالي ٦٠٠ صفحة) .

وأما قسم المواد فهو (ايجاز مما في القسم الثاني وبعض ما في القسم الاول وافراغه في جُمل

---

(١) نقلا عن جريدة البلاد الحجازية .

« الرأي أن توضع الشريعة الإسلامية في هيكل مماثل لهيكل القانون المعاصر، وتصنف مثل تصنيفه، لتسوغ عند الدارسين المعاصرين . »

مكثفة مضغوطة مركزة . وجعلناها « مواد » واعطينا كل مادة رقما مسلسلا . ويقع في جزءين : جزء خاص بالعقود وعدد مواده مائة وخمسون ، والآخر خاص بالبيع ومواده عشر ومائة وعدد صفحات الجزءين ٤٤٩) .

(وقسم المعجم يصلح لكل باحث سواء أكان طالب علم أم كان راسخا فيه متعجلا أم متأنيا . واذا تم المشروع فسيكون اكبر قاموس فقهي على الاطلاق وأتمه . وفي النية اختصاره في معجم يشبه « المنجد » . واما قسم الدراسة فخاص بالأساتذة الكبار في القانون والقضاء والمحاماة والجامعات . وأما قسم المواد فللمحاكم والقضاة والمحامين من غير الرسميين ايضاء وللجان التحكيم وادارات فض المنازعات) .

ذلك ما يلخص به الاستاذ العطار مشروعه في خدمة الشريعة الاسلامية .

فأنت ترى من ذلك ان المادة الفقهية تكتب على اشكال ثلاثة : شكل المعجم او القاموس مرة ، وشكل الدراسات مرة ثانية . ثم شكل المواد المسلسلة مرة ثالثة . اى انها هى نفسها : تعاد كتابتها ثلاث مرات .

مشاريع بلاد اخرى

اما مشاريع البلاد الاخرى فقد اوجزها الاستاذ نفسه بقوله :

فمنهج سورية الذى قامت به جامعة دمشق محصور في دائرة ضيقة لاتخرج عن حدودها المحصورة في عمل معجم لكل امام . ويبدىء فيه بفقه الامام ابن حزم في « المحلى » . وقد وقف المشروع .

وموسوعة الفقه المصرية اساس معجمي ، ومنهجها حشد ما في مذاهب الفقه الاسلامي من اقوال وآراء واحكام في الكلمة التي تكون مادة البحث .

هذه - على لسان الاستاذ - هي مناهج الجهود الفردية ، وطريقتها في تجديد الشريعة الغراء ، وبعثها بثوب العصر الحديث .

جهود فرديه

وهنالك الى جانبها جهود فردية اخرى ذكر منها الاستاذ العطار (موسوعة الفقه الاسلامي) للاستاذ الشيخ ابي زهرة ودراسات أخرى قام بها الاستاذ الباكستاني خالد اسحاق .

ما جدوى هذه الجهود

فما هي جدوى هذه الجهود والدراسات التي لاتخرج عن كونها تغييرات شكلية يقوم بها افراد ، وتنحصر فائدتها في اعادة تقسيم مادة الفقه الاسلامي واعادة طبعها بمطابع العصر الحديث .

لا نخدم الشريعة بهذه الاساليب الشكلية

لست اريد هنا الدخول في مناقشة هذه المناهج والمعاجم والمشاريع التي افرغ فيها بعض الاخوان

الفضلاء جهودا مضنية ، وسيفرغون فيها اموالا طائلة اذا اتيح لهم تنفيذها بمساعدة بعض الملوك والحكام المسلمين الذين ابدوا غيرة وحماسة في خدمة الشريعة، والبذل في سبيل اعلائها والتعريف بها بين شرائع العالم القديم والحديث . ولكنني ساحاول باوجز ما استطيع تبيان ان هذه ليست هي السبيل التي تخدم بها الشريعة الغراء ، وان هناك سبلا اجدى واعود على الشريعة بالخدمة والتعريف . يضاف الى ذلك القول بان فقهاء الشريعة الافاضل يجب ان لاينفردوا وحدهم بشرف هذا العمل الجليل الخطير الذى يتطلب القيام به خبرات واختصاصات اخرى غير معرفة المادة الفقهية نفسها . فان ما يجب القيام به ليس اعادة طبع كتاب او تفصيله الى مواد واقسام ليكون على شكل المعاجم والقواميس .

فالشريعة الغراء كنز لمين ورثناه عن اعلام جهابذة بذلوا كل وسعهم في صياغتها وتدوينها . وهي ، مهما بدلنا اشكال الثوب الذى ترتديه ، لن تنتسب الى سواهم ، ولن يشاركهم في فخرها وفضلها غيرهم ، مهما كانت الاتعاب والجهود التي تبذل على الوجه المتقدم ، ومهما كانت النفقات التي توضع في اخراجها بالثوب الذى يقترح الباسها اياه الآن . انها ثروة كتبت لاهل عصرها باسلوب ذلك العصر وصياغته كما كتبت شرائع الامم الاخرى القديمة باساليب عصورها وصياغتها. وكما ان المتعلم منا لايسهل عليه مراجعة ثروتنا الفقهية الموروثة وفهمها فكذلك لايسهل على المتعلم من تلك الامم فهم شرائعه القديمة والاحاطة بها . انني ارى ان الطريقة التي يجب ان نخدم بها الشريعة ليست هي الاساليب الشكلية التي لايمكن ان توصف بانها علم او فقه .

المدخل الوحيد الى خدمة الشريعة

ان المدخل الوحيد الى الطريقة التي نخدم بها الشريعة في رايى يجب ان ينحصر فيما يلى :

اولا : بذل الجهود لمعرفة الاسباب التي تجعل الجيل الاسلامي الحاضر يعزف عن التعرف الى شريعته والاطلاع عليها والانصراف الى دراستها ولو بنفس الاقبال والجهد اللذين يفرغهما في دراسة شرائع البلاد الاخرى . وهي الشرائع والقوانين التي تنسب الى امم غير امته ، وُضعت وشرعت للعمل بها في بلاد وشعوب أخرى .

ثانيا : معرفة الاسباب التي جعلت كثيرا من البلاد الاسلامية تعزف عن الشريعة الاسلامية الى شرائع أوربا والاقتباس منها أو احتضانها كليا او جزئيا ؟ .

فهل كانت تلك الاسباب نابعة من الشريعة نفسها ، اى عجزها عن ايفاء الحاجات والضرورات العملية ، والاستجابة الى ما احدثته التيارات الاجتماعية في كيان الامة الاسلامية وشعوبها ؟ ام انها اسباب تكمن في انفسنا وكياننا نحن الذين ندين بالاسلام وننتسب اليه ؟ وبعبارة أخرى هل يرجع تاخرنا في التشريع والقضاء الى تاخر علمائنا وفقهائنا في خدمة الشريعة واستنباط الاحكام التى تكون بديلا عن الخضوع لما يتعارض معها في ميدان الحياة والتجارة والعمل الجديد اى الاستجابة الى كل جديد مشروع ؟ .

شريعتنا تصلح لكل زمان قول يحتاج الى برهان

اننا لانبرح نسمع الراى القائل ان في الشريعة كل شيء ، وانها تصلح لكل زمان ومكان ، وانها ارقى الشرائع ، اعدَلها وامثلها واشرفها معاملة للانسانية والانسان . ذلك قول مجرَّد صحيح ، ولكن يجب البرهنة عليه بالعمل لا بمجرد الفخر والادعاء . أولاً نحس نحن المسلمين بالخجل والخيبة عند ما نرى بعض الاجانب الباحثين في الشريعة يخرجون لنا دراسات اسلامية يوردونها في معرض المقابلة بين شريعة ظهرت منذ اربعة عشر قرنا والشرائع الحديثة،ثم يخرجون من هذه المقابلات بان شريعتنا تتقدم على تلك بمثل هذا الزمان الطويل ؟ اننا لا نعزو ذلك الى محبة اولئك الباحثين لشريعة الاسلام وتعلقهم بها ، ولكن الى الاسلوب الذى يستخدمونه في الدراسة والبحث، والى الثقافة الواسعة في المعارف الانسانية التى تؤهلهم للوصول الى ما لا يصل اليه من فقد ذلك الاسلوب وتلك الثقافة . اعني الثقافة التى يجمعها الاثر المعروف : الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها .

لا نؤاخذ علماء شريعتنا

والواقع اننا لا نستطيع مؤاخذة علماء الشريعة

المعاصرين وفقهاءها كل هذه المؤاخذة التي قد يغلو فيها بعض الناقدين . فان لهم في ذلك عذرا واسعا . فهم قد هيئوا واعدوا لما وجدوا انفسهم عليه . والمسئولية في هذا الباب الواسع انما هي مسئولية حكومات واجيال ، اعني نمط الحكم والثقافة والتعليم ودرجة الاستقلال . ويوم كانت الدولة العثمانية قد وجدت نفسها الدولة المسئولة عن الاسلام ، وان خليفة المسلمين قد صار تركيا ، فانها لم تكن تملك القدرة على الاصلاح وفهم الشريعة التي هي قانون الاسلام والمسلمين . ولكنها ما ان ملكت تلك القدرة حتى راحت تتلمس من الشريعة ما يسد الفراغ الذي تعانيه . فظهر فيها فقهاء مسلمون وقضاة ومفتون . ثم اقبلوا على الشريعة فاخرجوها في قواعد علمية (٢) تقابل ما لدى الفرنسيين من قانون نابليون ، الموضوع في اول القرن التاسع عشر . ثم تعرضوا لعلاج بعض الازمات الاجتماعية والمدنية ، فعالجوها بالقضاء والفتيا بالقدر الذي يبلغ به مسلم تركي ما يبلغ من فهم اللغة العربية وفقه الشريعة. ولو ان الدولة ظلت متمسكة بروح الاسلام ، وكتب لها ان تبقى قوية عزيزة لما كان من المستبعد ان يجد فقهاء الشريعة – بفضل ما تعلموا من اساليب البحث الغربي – حلولا لجميع المشاكل التي لم نهتد الى الوصول الى حلول لها الآن .انا نعتقد ان نظام الدولة في البلاد الاسلامية لو لم ينقطع عن العمل بالشريعة الاسلامية لما وقعنا في هذه الضائقة التي نعانيها من العجز عن ايجاد حلول للمشاكل الاجتماعية والتجارية والقانونية التي اضطررنا الى الرجوع فيها الى شرائع بلاد اخرى واقتباسها . ولكننا تلمسنا ايسر الطرق واهونها فتهالكنا على الشرائع الاوربية واخذناها كما هي ، او بشيء قليل من التعديل ، ولم نكلف انفسنا بتحري ما يغني عن ذلك من فقه الشريعة الواسع. وها نحن اولاء اليوم نسلك نفس السبيل فنكتفي باعادة طبع كتب الفقهاء التي كتبت باساليب عصورهم ، ونتحمس لذلك ونفخر ، ثم نحسب اننا فعلنا شيئا عظيما .

ان الحال التي انتهى اليها جيل المسلمين الآن من الجهل بالشريعة والانصراف عنها تقابله في الواقع رغبة واقبال في كثير من البلاد الاسلامية على الشرائع الغربية ودراستها ، اما بثوبها الذي ألبسته في الديار الاسلامية التي عملت باكثر ما في القانون الغربي ، واما بالانتقال الى مواطن تلك الشرائع نفسها اي الى الجامعات ومعاهد القانون الغربية .

والحقيقة اننا بازاء ازمة اذا نحن بحثناها فاننا لا نجدها تكمن فيما في مادة القانون الغربي من محاسن ومغريات،ولكن في شكل هذه المادة الذي تعرض به ، والصياغة التي توضع فيها ، والاسلوب الذي تؤلف به وتنشر وتدرس . والشكل دائما هو الذي يبهر الابصار وتتعلق به النفوس .

واذ كان الامر كذلك افليس ممكنا التعرف على هذا الشكل المغري الجذاب ثم اقتباسه او العمل بمثله فيما يتعلق باخراج الشريعة الاسلامية وصياغتها وتدريسها والتاليف فيها وتعريف الجيل الحاضر بها وهو الجيل الذي تكاد الشريعة الاسلامية تفقده ان لم تكن قد فقدته منذ زمان ؟ .

الاسباب التي صرفت الاجيال الاسلامية عن شريعتهم

اننا قبل ان ندخل في البحث عن ذلك ينبغي ان نتعرف على الاسباب والعوامل التاريخية التي صرفت الاجيال الاسلامية الاخيرة عن دراسة الشريعة والاقبال عليها فقها وتشريعا .

ان نهضة الشرق العربي ، كما نعلم ، تعزى فيما تعزى اليه الى الاقبال على حضارة الغرب وثقافته . وقد كانت الابواب التي اقبلنا منها على تلك الحضارة والثقافة شتى . وفي اولها الانتقال الى الغرب مباشرة اي الالتحاق بمعاهده وجامعاته. وفي مقدمة الذين انتقلوا للاغتراف من تلك المعاهد والجامعات شبان مصر والشام . وكانت مقاصد هؤلاء شتى . فمنهم رجال ازهريون ارادوا التعرف على حضارة الغرب وعلومه ، ومنهم رجال تعليم ، وآخرون اتجهوا الى دراسة القانون متأثرين بعوامل سياسية نشأت بعد وضع القانون المدني

---

(٢) هي مجلة الاحكام العدلية التي عمل بها في جميع انحاء الامبراطورية العثمانية ثم في جميع البلاد الاسلامية التي انفصلت منها حتى عهد قريب .

المصري المختلط وانشاء المحاكم المختلطة ، ثم وضع القانون المصري المدني الاهلي ونظام المحاكم الاهلية في اواخر القرن التاسع عشر . لهذا كان الواقع يدعو الى تخريج قضاة او اساتذة مصريين يعملون في المحاكم المختلطة الى جانب القضاة الاجانب ، او في القضاء المصري والجامعة المصرية وفي ميدان المحاماة الواسع . وما كان ـ سوى فرنسا على الاكثر والغالب ـ بلد" يفي باشباع هذه الرغبة وسد تلك الحاجة . وكان من ذلك ان نشأ جيل قانوني متأثر بالمنهج القانوني والقضائي الفرنسي الى مدى واسع بحيث صارت الدراسة القانونية في قمة الدراسات المصرية وعلامة على الاتجاه السياسي والدبلوماسي لكل شاب يقدم على الدراسة القانونية في مصر واوربا وفرنسا بخاصة . حتى لقد قيل ان كل شاب يلتحق بكلية الحقوق فانما هو يخطو الى ميدان السياسة والوزارة والمحاماة التي كانت من انبل المهن في البلاد المصرية شأنها في فرنسا نفسها .

وقد كان هذا التيار القانوني الجارف من القوة بحيث تأثرت به الدراسات القانونية في البلاد العربية الاخرى فانتج فيها مثل ما انتج في مصر . ومن ذلك ان اقتبست كليات الحقوق في بلاد الشام والعراق المنهج نفسه الذي تجري عليه كليات الحقوق في مصر . وهو منهج في اصله وصميمه متأثر بما هو متبع في فرنسا وبلجيكا وسواهما من البلاد التي تتبع المنهج اللاتيني في الدراسات القانونية .

وعلى حين كان طالب القانون يجد الباب واسعا مفتوحا للاستمرار في الدراسة القانونية وتطبيقها عمليا في ميدان القضاء المدني والمحاماة ، ثم فيما يجد من البحوث والمؤلفات والمجلات المكتوبة باللغة الاجنبية او باللغة العربية على نمط التاليف الغربي ، ثم يجده مفتوحا ايضا الى وظائف الحكومة والقضاء التي تضع الدراسة القانونية في مقدمة المؤهلات للعمل الحكومي او التقدم للدراسة على حساب الحكومة في معاهد الغرب وجامعاته ـ فان دارس الشريعة في الازهر وغيره لا يجد من ذلك ما يضمن له استمرار التتبع والعمل بالقدر الذي يتاح لزميله رجل القانون . بل ان ميدان العمل قد يضيق بهذا حتى يجد نفسه قد اضاع او نسي جل ما بذل فيه العمر والزمن الطويل .

هنالك تأخرت دراسة الشريعة ولم تحظ من اقبال الجيل واهتمامه بمثل ما حظيت به دراسة القانون . وبدلا من ان تبذل الجهود لدراسة الازمة واحياء الدراسات الفقهية وبحثها باسلوب متأثر بالاسلوب المتبع في دراسة القانون والتاليف فيه من اجل اجتذاب الطلبة وتيسير فهم الشريعة عليهم واستدراجهم الى الاقبال عليها وفتح باب الدراسة المقارنة التي هي من الاهمية بمكان عظيم ـ فاننا لم نجد من الفقهاء والباحثين عملا ذا شأن يوقفون به الخطر الزاحف والتيار الجارف .

وكل ما ادركناه من ذلك موقف الازهر الذي عالج الحال بطريق آخر . فقد اطلق على الدراسات الازهرية ومناهجها اسم الجامعة وتأثرت مناهج الدراسة فيها بمناهج الجامعات المصرية فادخلت فيها بعض المواد العلمية ونظمت طريقة الدراسة والمحاضرة على النمط المتبع في تلك الجامعات. ولكن ذلك ، وان افاد في اصلاح نظام التعليم والادارة ، فانه لم يرتفع بمتخرجي الجامعة الازهرية الى المكانة التي ينافسون بها متخرجي الجامعات من رجال القانون . ولم يتسع الباب لمستقبل الازهري باكثر مما كان عليه قبل النظام الجديد . ولم تسقط التهمة القائلة بان الشريعة متأخرة في علاج الازمات الانسانية وتقديم منهج لحياة اجتماعية اقتصادية جديدة تختلف كل الاختلاف عن حياة العصور التي سادتها الشريعة ونظمتها ونجحت في تنظيمها اذ ذاك .

على الشريعة الاسلامية

ان على الشريعة الاسلامية واجبا كذلك الواجب الذي قامت به مدارس القانون في عالم الغرب . فقد استجاب رجال القانون في اوربا وامريكا لتحديات العصر وتطورات الحياة وما تنطوي عليه من تعقيدات اجتماعية واقتصادية ، واستطاع فقهاء تلك المدارس ايجاد الحلول لجميع المشاكل التي اعترضت تيار الحياة الجديدة . فكانت هي العامل القوي في دفع الفقه القانوني وتقدمه وغزارة مادته . وذلك ما يذكرنا بالتحديات التي تعرضت لها الشريعة يوم كان الذين يتولون تنفيذها رجالا فقهوا حكمة التشريع واساليب الفهم واستنباط الاحكام . والتاريخ يروي لنا مواقف ابي بكر وعمر من ازمة الخلافة ومشكلة الردة ويوم المجاعة والمؤلفة قلوبهم وفتاوى الامام علي وسائر القضاة المسلمين ومفتيهم الذين لم

يعجزوا عن تحدى التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

استحداث الموسوعات الفقهية لا يرفع عنا المسئولية

اننا نرى ان استحداث موسوعات ومعاجم للفقه الاسلامية بازاء الشرائع العالمية في تقديم ما تعالج الى ما يوجد من الكتب الفقهية الموروثة ، وان هذا العمل لا يرفع المسئولية التي تقع على الشريعة الاسلامية بازاء الشرائع العالمية في تقديم ما تعالج به الازمات الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية القائمة .

الرأى الذى نراه

اننا نرى ان توضع احكام الشريعة في هيكل مماثل لهيكل القانون المعاصر ، ثم تصنف هذه المادة التصنيف نفسه وبجميع تفصيلاته الملائمة وان يتبع بعد ذلك الاسلوب نفسه المتبع في شروح القانون والتعليق على احكامه. وان تسلك السبيل نفسها فيما يتعلق بنظام القضاء والمرافعات واصدار الاحكام ومجاميع الاقضية . ان هذا ليس مجال الاعلان عن الخطة التى يجب ان تتبع في خدمة الشريعة واظهارها الى ميدان العمل والتطبيق وتخفيف الضغط الذى تعانيه من وطأة غزو القانون الغربي وتشريعه .

الدكتور السنهوري رأى أن المصدر الاول للاحكام المدنية فى التشريع الاسلامي

لقد كانت هذه الخطة تساورني منذ قدم الاستاذ الدكتور السنهوري الى العراق سنة ١٩٣٦ فكتب في التشريع المدني الذى يقوم على اساس الاقتباس من الشريعة الاسلامية قدر الامكان ثم بعد عودته سنة ١٩٤٣ لوضع القانون المدني العراقي الكامل . وكان قد وضع القانون المدني المصرى ثم السورى قبل ذلك . (وقد وضع القانون المدني الليبي بعد القانون العراقي) . وقد كان السنهوري رحمه الله مشبعًا بالفكرة التى تحدوه الى اظهار الشريعة الاسلامية واتخاذها المصدر الاول في تشريع الاحكام المدنية في البلاد العربية . وقد كتب ذلك في كتابه نظرية العقد ثم في مقدمة كتابه الوسيط وفي مباحث ومقالات ومؤتمرات دولية سابقة (٣) وقد واتاني الحظ ان اكون سكرتيرا فنيا في اللجنة التى الفت لمعاونة الاستاذ في وضع المشروع وكنت اذ ذاك ادرس بعض مادة الشريعة في كلية الحقوق العراقية . ففطنت الى ان من الممكن اقتباس نظام المشروع الجديد لكتابة ما استطيع كتابته من محاضراتي في الشريعة . وقد اقدمت على ذلك فرتبت الابواب والفصول والفروع وعرضت ما انجزته على استاذنا رحمه الله فاقره ووافق عليه . وعند ذلك عمدت الى مادة الشريعة انقلها من هنا وهناك ووضعت تحت كل عنوان مادته المأخوذة من مجلة الاحكام العدلية وشروحها (٤) (وقد كانت هى القانون المدني العراقي) ومن كتب الفقه الاخرى . واقتبست مصطلحات المشروع نفسها او مايقابلها من مصطلح الفقه مراعاة لتخليد الاصطلاح الاسلامى . وقد كانت مادة هذه المحاضرات مصنفة كما يلي :

١ ــ مقدمة في شرح القواعد التي قدمت بها المجلة نفسها (موقتا) .

٢ ــ قواعد الالتزام في الشريعة على النمط الذى تقوم عليه نظرية الالتزام في المشروع .

٣ ــ عقد البيع باعتباره أول العقود الناقلة للملكية .

٤ عقد الايجار باعتباره اول العقود الواردة على المنافع .

وهكذا تم لي اخراج المحاضرات بعنوان (الالتزامات والعقود في الشريعة الاسلامية) . وذلك هو نمط التشريع والتاليف الذى يقوم عليه القانون الغربي والقوانين المدنية العربية في كل من مصر وسورية والعراق وليبيا . وقد كان هذا الشكل من نظام الكتابة والمحاضرة في الشريعة معينا للطالب على فهم الشريعة بالمنطق والاسلوب نفسه الذى يدرس به القانون سواء كان نظرية الالتزام او الحق الشخصي أو الحق العيني.

عوامل يتحتم اعتبارها

اننا لا نحبذ اضاعة الجهود او تفريقها بشكل

---

(٣) انظر مقالة باللغة الافرنسية في المجموعة التى وضعت لذكرى الاستاذ لامبير والبحث الذى قدمه لمؤتمر القانون الدولى في لاهاي سنة ١٩٣٧ .

(٤) لم تمت المجلة كما قد قيل ، لا روحاً لانها ليست شيئا غير مادة الفقه الحنفي ، ولا شكلاً لأن هذه المادة قد نقلت الى القانون المدني العراقي

فردى كما يفعل الاخوان الفضلاء هنا وهناك . وانما ندعو الى الاجتماع وتداول الامر ولو على نطاق اضيق من الاجماع مخافة الوقوع في مثل ما وقع فيه من اخطاوا في تقدير المهمة واستهونوها (٥)

انه ليس من العيب على الباحثين في خدمة الشريعة ان لايستهينوا بعوامل الزمن والاجتماع وتقدم العلوم والفنون وانغمار الجيل الاسلامي في تيار اجتماعي جديد وفهم جديد واسلوب جديد من اساليب التعلم والتفقه والتفكير . انك لن تستطيع ان تستحدث جامعة فقهية تدرس الشريعة بالمنهاج الذى كانت تتبعه (جامعات) المسلمين في العراق والشام ومصر والمغرب والاندلس . ولن تستطيع تلك الجامعات أو الطريقة من المحاضرة والتدريس والتاليف والتجميع ان تنجح في عالم هو عالمنا الحاضر . ولن تستدرج الى الشريعة شبابا تريد منه ان يفهم كتابا لم يُعِدُّوا له ولم يهيأوا لفهمه . بل انك لوفعلت هذا لزدت في بعد الشباب عن الشريعة ان لم تكن قد حملتهم على الحقد عليها .

لقد كان طلبة العلم في العصور الاسلامية التي كتبت فيها كتب الفقه التي نحتفظ بها اليوم يجمعون كل المؤهلات التي تطلب لدراسة الشريعة في تلك العصور . وهي المؤهلات التي تقابل ما يطلب اليوم من الطلبة الذين يقبلون في جامعات اوربا وامريكا الآن . الا نعلم ان الطالب اذ ذاك كان ماخوذا بالطريقة التي نسميها (الجادة) أى تعلم اللغة العربية بفروعها وبلاغتها .... والمنطق والرياضيات وعلوم الحياة ...... الخ ؟ وهل من فقيه مسلم أو قاض سمي عالما او عارفا وهو لا يجمع في نفسه جميع العلوم السائدة في عصره ؟ افلا يدفعنا هذا الى ان نعد الطلبة لدراسة الشريعة الاعداد الذى كان يأخذ به الاساتذة المسلمون طلبتهم الذين كانوا يتلقون العلم على ايديهم ؟ اننا لو رجعنا الى اى شرح او حاشية من شروح الفقه وحواشيه او الى كتاب واسع في اللغة العربية وآدابها لوجدنا انها زاخرة بالمعلومات الرياضية والفلكية والحياتيةوالتاريخية والجغرافية التى كان يحيط بها المؤلف ويتقنها اذذاك . فكيف نريد من الطالب ان يكون فقيها في الشريعة الآن اوقاضيا في المحاكم وهو لم ياخذ حظا كافيا من مقدمات العلوم والثقافة العامة التي تعتبر بحق مدخلا ضروريا لكل دراسة متخصصة ؟ بل انني ارى ان الشريعة الاسلامية ستكون مفهومة واضحة اذا اقترنت دراستها بدراسة القانون المعاصر في كل معهد معد لدراسة الشريعة .

هذا . ولو ان الاساتذة الافاضل الذين قصروا جهدهم على اعادة طبع كتب الشريعة بالشكل والصياغة التي تقدم ذكرها قد بذلوا هذا الجهد في اعادة طبعها على الشكل الذى ورثناها عليه دون تغيير ايا كان او تبديل ثم اضافوا الى كل كتاب فهارس جامعة من حيث الابحاث والرجال والاحكام على النحو الذى وقع في كثير من كتب الادب والتاريخ التي اعيد طبعها لكانوا قد قدموا بعملهم هذا خدمة جلىوأثرا بارزا خالدا . اذ ان في ذلك حفظا لمصادر الشريعة وسدا للنقص البادى في فقدان نسخ من الكتب او ندرة فيما هو موجود منها ، زيادةً على ما في الطباعة المعاصرة من مزايا لاتقدر بثمن ، ولقدموا الى ذلك خدمة اخرى للباحثين والكاتبين والمدرسين والمتعلمين يستحقون عليها الثناء ومن الله الاجر والثواب .

الشريعة الاسلامية شريعة عامة

ان الشريعة الاسلامية انما هي شريعة عامة (وما أرسلناك الاكافةً للناس) وبهذا الوصف فانها مكلفة بالتعاون مع سائر العناصر البشرية الخيّرة لعلاج المساوىء الاخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ووضع النظام الملائم لحياة انسانية تقوم على اساس التعاون والاخاء والسلام . ولما كان العلماء هم ورثة الانبياء فانهم هم المسئولون اليوم امام الله والعالم والمكلفون بالقيام بالمهمة نفسها التي نهض بها اسلافهم من الانبياء والعلماء . وفي أول مايجب عليهم من ذلك البحث عن الطريقة العملية المجدية التي تيسر للناس معرفة الشريعة ونشرها واجتذاب الجيل الحاضر الى دراستها والاقبال عليها بجد واخلاص. واذا ماجعل الباحثون المخلصون هذا القصد غايتهم وليس الاعمال الكتابية والاشكال وحسب ، فانهم عندئذ يكونون قد نهضوا بما أوجب الله عليهم وآجرهم على ذلك في الدنيا والآخرة . ■■

حامد مصطفى

(٥) انظر في ذلك الاعمال التحضيرية للقانون المصرى ج ۱ ص ٨٥ ــ ٨٩ .

نتيجة مسابقة العدد ١٧١

مَواقِع حَربيَّة مَشهُورَة

■ انحصرت مسابقة العدد ١٧١ من« العربي » في اسئلة حول معارك حربية مشهورة دارت رحاها على وجه هذه البسيطة في آماد مختلفة فبعضها كان في العصر الجاهلي او في العصور الوسطى او في عصرنا الحاضر . اما اجابات القراء فكانت جيدة وان كانت لا تخلو من بعض الاخطاء ، وهذا يرجع الى ان القراء يعتمدون في اجاباتهم على الذاكرة . والذاكرة قد تصيب وقد تخطىء .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة .

١ ـ موقعة العلمين : **الحلفاء**

٢ ـ موقعة ابي قير البحرية : **الاسطول الانجليزى**

٣ ـ معركة ذي قار : **بنو شيبان (قبيلة عربية)**

٤ ـ موقعة ستالينجراد : **الجيش الروسي**

٥ ـ واترلو : **الانجليز وحلفاؤهم**

٦ ـ معركة سيبستبول في القرم : **الانجليز وحلفاؤهم**

٧ ـ نورماندى : **الحلفاء**

٨ ـ معركة بيرل هاربر : **اليابان**

٩ ـ معركة بوت آرثر : **اليابان**

١٠ ـ معركة الجمل : **جيش الامام علي**

١١ ـ اليرموك : **العرب في اوائل الاسلام**

١٢ ـ عين جالوت : **المصريون**

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **الصادق عبد الله ابراهيم** ـ رفاعة/السودان

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **وفيق محمد عواضه** ـ بيروت/لبنان

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **عبد الرضا غلوم حسين** ـ الدوحة/قطر

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **علي محمد اسماعيل**/بنغازى/ليبيا

٢ ـ **ثناء محمد خضر** /طنطا/مصر

٣ ـ **عبد الله عيسى العوضي**/الكويت

٤ ـ **فؤاد دابة**/دمشق/سوريا

٥ ـ **سعيد البرك السكوتي**/المكلا/اليمن الديمقراطي

٦ ـ **فيصل عبد الغني عبد الوهاب**/بغداد/العراق

٧ ـ **فاطمة نهاد ابراهيم**/عمان/الاردن

٨ ـ **يحيى الصالح اليحيى**/الرياض/السعودية

وسترسل الجوائز لاصحابها . ■■

في مهرجان تونس

بقلم : احمد السقاف

إنْ تعاتبنا فما يُجدى العتابُ … ليس بين العين والقلب حجابُ
كم تشوَّقْنا ، ويارُبَّ خَلٍ … يتهاداهُ ذهابٌ وإيابُ
نحن نَحْدُو الركبَ بالحبّ، وكم … من أناسٍ تركوا الركب وغابوا
لم نجدْ في البُعْد بُعْداً ، فالهوى … أبداً يُذْكيه شوقٌ وغيابُ
وتنادينا وجاشتْ أنفُسٌ … للتلاقي ، بعْدَ أن طال ارتقاب
وركبنا المُزْنَ نُزجيها ، ولم … يَبْقَ في الأجواءِ لم يُسْرَجْ سحابُ
وهتفنا حين لاحتْ جنةٌ … هذه تونسُ ، مرحى ، ياصحابُ
قد عرفناها فمن أطيابها … أرَجٌ يفْديهِ مِسْكٌ وملابُ

★★★

يابني تونس، عفواً إن بَدَتْ … كلماتٌ لم يُحالفها الصوابُ
نحن أهلٌ لم يزلْ يجمعُنا … أمَلٌ حيناً ، وأحياناً مصابُ
أنجبتنا أمةٌ واحدةٌ … ينتمي أصلٌ إليها وانتسابُ
ما نسيناكم ، ففى وجداننا … لكمو شيدَتْ بروجٌ وقبابُ
إن شربتم بعضَ وقتٍ علقماً … فشرابُ العُرْبِ في المَشْرِقِ صابُ
مُنْذُ نصفِ القرن عشنا نكبةً … ملؤها بؤسٌ وظُلْمٌ واغتصابُ
فوعودُ الغرب بَرْقٌ خُلَّبٌ … وعهودُ الغرب غِشٌّ وكذابُ
ودُعاةُ السِّلْم في أبراجهم … مثلُ عطشانَ يُسلّيه السَّرابُ
أيُّ سلمٍ والمرابون غدوا … كالسكارى حين يزدادُ الشَّرابُ
حسبوا الدنيا لهم قد ركعتْ … ودنتْ منهم أمانيها العِذابُ
والخيامُ الشُّعْثُ في مأساتها … ما انحنتْ فيها لطغيانٍ رقابُ
تُرْضِعُ الأطفالَ حقداً عاصفاً … ويُطلُّ الثأرُ منها والحسابُ
جهل الطغيان ، فالشعبُ الذى … يَعْلُكُ الآلامَ ـ شعبٌ لا يُهابُ
والضحايا تقتفى آثارَها … أُسُدٌ تمشى إلى الموت غضابُ
تَلْمَعُ الثاراتُ في أحداقهم … مثلما تَلْمَعُ في الليل الحرابُ
هم فلسطينُ ، وهم ضيعاتُها … والسهولُ الخضرُ فيها والهضابُ
وهم الفجر ، وللفجر ـ على … رُغْمِ هذا الليلِ ـ حَسْمٌ وغِلابُ

يابني العُرْب مضتْ ستٌ ، وقد
مات في الشعر سؤالٌ وجـواب

في فمي أفْراحُكُمْ شـبابةٌ
وأساكم في مناجاتي رَبَـابُ

تهزَأُ الدنيا بكم حين تـرى
كيف يُلْهيكم هُتافٌ وخطاب

وحماكم نجسَتْ تـربتَه
واستباحتْهُ الحثالاتُ الكلاب

وطنٌ أنبت أمناً وهـدىً
وارتوى منه يراعٌ وكتـاب

يتداعى المسجدُ الأقصى بـه
ويَعيثُ الهدمُ فيه والخـراب

كلُكُمْ يبكي فلسطينَ ، فهل
يُرْجِعُ الحقَّ بكاءٌ وانتحاب ؟

يرقُدُ الغاصبُ في أعينكـم
ولكم فيكم عِداءٌ واحترابُ

ماعهِدْنا العُرْبَ ترضى ذلـةً
عجبٌ أنْ تقبلوا العار ، عُجابُ

يَلْطُمُ المجدُ عليكم غاضبـاً
ويصدُّ السيفُ عنكم والقِرابُ

★★★

إيـه بِنْزَرْتُ ، انشري أسطورةً
خطّها للخلد شيبٌ وشـبابُ

أرْبجِيُّونَ تفانَوْا في النـدى
والعطاءُ الحقُّ بَذْلٌ واحتسابُ

وثبوا في عزْمةٍ شامخـة
وثباتٍ لم يُزَعزِعْهُ اضطرابُ

فادْلَهَمَّ الأفقُ ، وارتجَّ الضُحى
واستمات الحقدُ ، واحمرَّ الترابُ

وانجلتْ ، وارتدَّ لم يَبْسِمْ لـه
هدَفٌ ، أو يقتربْ منه طِلابُ

صمَّمَ الشعبُ على النصرِ ، فلم
تَثْنِهِ عنه منايا وصعـابُ

ما ارتجى من مجلس الأمن يـداً
يَدُهُ فيها ثوابٌ وعقـابُ

لو درى الباغي لما نازلَـهُ
كيف لا تُدْميهِ آسادٌ وغابُ !؟

★★★

هكذا العُرْبُ ولكن داؤهـا
أنّها اليومَ شعابٌ وشعـابُ

كلما لاحَ لها في سـيرها
قبَسٌ لاحتْ غيومٌ وضبابُ

والمتيهاتُ رُؤىً مجنونـةٌ
زادُها في رحلة الوهم سـرابُ

فانتفضْ ياشعبُ ، واصفعْ حاضراً
حُلْمُهُ المشلولُ صُلْحٌ وانسحابُ

فانتفضْ ، بوركت ، واتركْها لظىً
يتبارى الموتُ فيها والعـذابُ

فلعلَّ الوعيَ يصحو بعدمـا
ضاع منهم في حزيران الصـوابُ

جعلوا الفَنْتُوم بأساً باغيـاً
خابَ مَنْ أعطاهُمُ البأسَ وخابوا

لم تخفْ هانويُ من غاراتهـا
وأبى أنْ يقبلَ الذُلَّ (جياب) ■■

الكويت ـ احمد السقاف



توينبي

مسابقة العربي

كلماتٌ خالِدَة وشخصيَاتٌ عَالمِيَة

■ كلمات وحكم مأثورة .. واعلام من رجال الفكر والأدب العالمي .. هذا هو موضـوع هـذه المسـابقة .. والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة على ثمانية اسئلة على الاقل لتفوز باحدى الجوائز التي يبلـغ مجموع قيمتها مائة دينار كويتي .

١ ــ « لم استعبدتم الناس، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا .. » **كلمة خالدة قالها احد خلفاء الرسول عليه السلام ، كان لا يفرق بين قوى وضعيف ، ولا تأخـذه في الله لومة لائم ، فمن هو هـذا الخليفة ؟ :**

ابو بكر الصديق ــ عمر بن الخطاب ــ علي بن ابي طالب .

٢ ــ «هذا جناه ابي علي، وما جنيت على احد» **بيت من الشعر قاله الشاعر الكبير ابو العلاء المعري الذى عاش في القرن الرابع الهجرى ، اصيب بالعمى طفلا ، ولكن عماه لم يقعده عن طلب العلم والسفر الى بلاد كثيرة وبعيدة في سبيله .. وعندما بلغ الاربعين تقريبا اعتكف في منزله ، ولم يبرحه قرابة اربعين سنة اخرى ، ونتيجة لكل من عماه والتزام بيته ، لقّب نفسه باسم :**

رهين المحبسين ــ اسير المحبسين ــ أمير المحبسين .

٣ ــ **من هو المؤرخ الغربى العالمى المعاصر ، الذى لم يترك فرصة تمر دون ان يناصر فيها الحق ، حتى في اكثر القضايا حساسية ، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية ، التي كتب عنها قائلا : « سوف تزول اسرائيل وستعود فلسطين الى اصحابها مهما امتد الزمان » : فمن هو هذا المؤرخ :**

اشبنجلر ــ ارنولد توينبي ــ برتراند راسل .

٤ ــ « اعرف نفسك ... » **حكمة رددها احد كبار فلاسفة الاغريق ، وكانت محفورة عند مدخل معبد دلفي باليونان ، باعتبارها شعارا يجدر بكل انسان الاخذ به .. وقد تنكرت اثينا لقائـل هذه الحكمة ، وحكمت عليه بالموت ، بالرغم من فضله الكبير عليها ، فمن هو :**

افلاطون ــ ارسطو ــ سقراط .

٥ ــ **كاتب عربي اشتهر بكتاباته الادبية والقصصية في مطلع القرن العشرين ، توفي عام ١٩٢٤ من كتبه : النظرات والعبرات ، ومجدولين ... كان يتجه في كتاباته الى النقد الاجتماعي طلبا للاصلاح .. من هو ؟**

المويلحي ــ المنفلوطي ــ ابراهيم رمزى .

٦ ــ « لا معنى لليأس مع الحياة ، ولا معنى للحياة مع اليأس » **كلمة قالها زعيم عربي ظهر في مصر بعد ان احتلها الانجليز عام ١٨٨٢ فقاوم الاحتلال وناضل في سبيل الحرية والاستقلال ، ولكن الدهر لم يمهله ، فتوفي شابا عام ١٩٠٨ فمن هو :**

سعد زغلول ــ مصطفى كامل ــ محمد فريد .


المنفلوطي


راسل


مصطفى كامل


برنارد شو

٧ ـ زعيم انقذ بلاده اثر هزيمتها في الحرب العالمية الاولى .. واسترد لها حريتها واستقلالها .. ثم راح يحولها من دولة شرقية الى دولة غربية .. فاستعمل الابجدية اللاتينية بدلا من الابجدية العربية .. فمن هو هذا الزعيم :

رضا بهلوى ـ مصطفى كمال ـ محمد علي جناح .

٨ ـ كاتب وشاعر ورسام لبناني ، ولد في لبنان ولكنه عاش بقية حياته مغتربا ، القليل منها في اوروبا والكثير في امريكا ، اثاره النثرية اكثر من اثاره الشعرية .. ومن كتبه : النبي ـ الاجنحة المتكسرة ـ المواكب ـ يسوع ابن الانسان ـ ترجم اغلبها الى كثير من اللغات الحية .. مات عام ١٩٣١ فمن هو :

ايليا ابو ماضي ـ جبران خليل جبران ـ الاب انستاس الكرملي .

٩ ـ « انا افكر .. اذن فانا موجود .. » قالها رائد الفلسفة الحديثة في فرنسا ، وصاحب المذهب الفلسفي المعروف باسم مذهب الشك .. وكان اضافة الى ذلك عالما رياضيا كبيرا .. عاش من عام ١٥٩٦ الى ١٦٥٠ فمن هو :

كنط ـ ديكارت ـ هيوم .

١٠ ـ كاتب غربي تميز بالسخرية في كل كتاباته ، وتحدث عن مغامراته مع عفريته قبل وفاته بسنوات .. كان يطلق لحيته ويقول انه يبدو بها شابا حتى عند بلوغه التسعين ، فمن هو :

اوسكار وايلد ـ هـ . جـ . ويلز ـ برناردشو .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧٣ » .
٤ ـ اخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالثمن شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي : الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة
العدد ١٧٣

ازمة العقل في حياتنا

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

■ نقول في احاديثنا الجارية : ان فلانا « متزن » ، وذلك اذا اردنا مدحه بصفة لعلها ان تكون من اعظم ما يوصف به انسان ، وفيم يكون هذا « التوازن » المحمود ؟ انه يكون بين مقومات متباينة هي قوام الانسان ، قد تتعاون كلها على بلوغ هدف معين ، لكنها كذلك قد تتنازع بحيث تتجه كل منها وجهة غير الوجهة التي تتجه اليها المقومات الاخريات ، ولو اخذنا بالتصنيف الافلاطوني القديم لهذه المقومات ، لقلنا انها صنوف ثلاثة ، كل صنف فيها يتعلق بجزء من البدن على سبيل الحقيقة او على سبيل المجاز ، وتلك هي شهوات البطن ، وعواطف القلب ، وحكمة الراس ، وليس من الخير لاحد ان تطمس منه الشهوة او العاطفة او ان يتقيد منه العقل الذي هو مصدر الحكمة ، وانما الخير كل الخير في ان تبقى هذه العناصر الثلاثة جميعا ، على ان يكون بينها اتساق في طرائق السير واتحاد في الهدف ، ولقد صور افلاطون هذا الاتحاد وذلك الاتساق بصورة مشهورة،وهي آن تصوّر الشهوة والعاطفة جوادين يجران عربة ، ويمسك باللجام سائق هو العقل ، فلو ترك الجوادان لدفعتهما الفطرية لجمحا ، لكن العقل السائق يعرف كيف يضبط منهما خطوات السير نحو الهدف المقصود ، فاذا توافرت لشخص مثل هذه الحالة التي تتساق بها الشهوة والعاطفة مقيدة بشكائم العقل ، قلنا عنه انه بذلك قد اكتسب فضيلة « العدالة » – كما يسميها افلاطون – وصفة « الاتزان » كما نحب نحن ان نسميها لتساير افهام الناس في عصرنا القائم ، وهذا الاتزان (او هذه « العدالة » بالمصطلح الافلاطوني) انما يصف الفرد ، كما يصف الدولة سواء بسواء ، ففي كليهما بطن يشتهي ، وفي كليهما قلب ينفعل بالعاطفة ، وفي كليهما راس يسوس .

ما العدالة عند افلاطون ؟

لقد استهل افلاطون محاورة « الجمهورية » ببحث مستفيض في هذه « العدالة » ما معناها على وجه التحديد ؟ كان لا بد له ان يفعل ذلك ليجعل من هذه الصفة الجوهرية اساسا يقيم عليه الدولة التي اراد ان يقيمها ؟ لكنه تردد لحظة : اى الطرفين يبدا ببحثه ليطبق النتيجة التي ينتهي اليها على الطرف الاخر ؟ أيبدأ بالفرد الانساني فيحلل خصائصه ، ليكون له بذلك

> ”إنها فينا عداوة لكل ما يترتب على العقل من علوم ، ومن منهجية النظر ، ودقة التخطيط والتدبير“

ما يمكن اسقاطه على بناء الدولة ، ام يبدأ بالدولة ليستخلص من تعادل كيانها كيف يجيء الفرد الانسانى المتعادل ؟ ولقد آثر هذا البديل الثانى ، وهاك نص حديثه فى هذا الصدد لطرافته :

« هب انه قد طلب الى شخص قصير النظر ان يقرأ حروفا صغيرة وهو منها على مبعدة ، ثم جاءه من انباه بان هذه الحروف نفسها مكتوبة فى مكان آخر بحجم اكبر ، افلا تكون هذه فرصة نادرة له ، تتيح له ان يبدأ بقراءة الحروف الكبيرة ، ثم ينتقل منها الى الصغيرة ، ليرى ما بينهما من تماثل ان وجد ؟ .. ان « العدالة » التى هى موضوع بحثنا ، اذا كانت تصف الفرد باعتبارها فضيلة له ، فهى كذلك تصف الدولة .. والدولة اكبر من الفرد .. واذن فالايسر هو رؤية العدالة فى صورتها الكبيرة ، ومن ثم فانى اقترح البحث عن طبيعة العدالة كما تتجلى فى الدولة اولا ، لننتقل بعدئذ الى الفرد فنبحث عنها هناك ، وبهذا يجىء انتقالنا من الاكبر الى الاصغر فتسهل المقارنة بين الصورتين .. واذن فلنتخيل دولة تنمو وتتكون امام ابصارنا ، لنرى العدل والظلم اذ هما ينموان فيها » .

هكذا اراد افلاطون ان يفهم حقيقة الفرد فى اكتسابه لفضيلة العدل (او فضيلة « الاتزان » وقد يكون هذا هو المنهج السديد ، عندما تكون المعانى المطروحة للبحث منظورا اليها فى صورة كمالها النظرى ، فعندئذ يمكننا ان نرسم صورة للدولة المثلى فنرى فى جنباتها كيف يكون الفرد الأمثل من افرادها،اما اذا كانت الصور المطروحة للبحث مأخوذة من الواقع الفعلى المحسوس بكل ما يشوبه من نقص وتشويه ، فان المنهج الافلاطونى لا يسعف ، ويكون حتما علينا ان نعكس طريق السير ، فنرى الافراد فى نقصهم ، لنخلص منهم الى تصور الدولة التى تسودهم فى اوجه نقصها الذى يعكس بالضرورة نقص الافراد ، اذ الأمر – كما قيل – هو انه كيفما يكون افراد الناس ، تكون الدولة التى تولى عليهم .

وانى لأزعم هنا بان متوسط الفرد من ابناء الامة العربية فى عصرنا ، يفلت من يديه زمام العقل ، فتجمح عنده الشهوة والعاطفة جموحا يحجب منه رؤية الاهداف واضحة ، ومن ثم فهو يسد امامه سبل الوصول .

عداوة أوساط الناس للعقل

فلننظر – اذن – الى اوساط الناس من حولنا، فماذا نرى ؟ نراهم على عداوة حادة مع العقل ، وبالتالى فهم على عداوة لكل ما يترتب على العقل من علوم ومن منهجية النظر ودقة التخطيط والتدبير ، فاذا انطلقت الصواريخ تغزو الفضاء ويرود اصحابها ارض القمر ، تمنوا من اعماق نفوسهم ان تجىء الانباء بفشل التجربة ، واذا سمعوا عن قلوب او غير قلوب ، تؤخذ من آدمى لتزرع فى آدمى آخر ، أحزنهم ان يتحقق النجاح وافرحهم ان تخفق المحاولة ، وهاك هذين المثلين من خبرتى الخاصة ، لم اقرأ عنهما فى صحيفة او كتاب ، بل شهدتهما بعينى وسمعتهما باذنى :

اقيمت ندوة ثقافية كنت احد اعضائها وكان من المسهمين فيها كذلك عميد لاحدى كليات العلوم عندئذ ، وكان السؤال المطروح هو : ماذا نرى فى هذه الوثبة العلمية الجريئة ، التى هى صعود الانسان الى ارض القمر ؟ فكان مما قاله عميد كلية العلوم باحدى الجامعات العربية انه يعوذ بالله من هذا الشطط الذى قد يؤدى بالكون الى دمار ، ثم تساءل قائلا : أليس يجوز ان يهبط

الصاروخ على القمر بدفعة قوية فاذا القمر ينحرف عن مداره فتكون الطامة على البشر ؟ ..

اما المثل الثاني فهو انه سئل قطب من اقطاب الطب في الامة العربية : ما رايك فيما سمعناه عن زرع القلوب في ابدان غير ابدانها ؟ فاستعاذ الله هو الآخر مـن شر ما يسمع ، مؤكدا انها محاولات مجنونة لن تؤدي الى شيء ، وربما كان هذان العالمان لا يعتقدان في صدق ما قالاه ، وانمـا قصدا به الى ارضـاء السـامعين ، فتكون الطامة اكبر ، لان الدليل عندئذ ينهض ليؤيد ما نزعمه وهو ان مثل هذا القول هو ما يرضي الناس ، لم نكون قد فسرنا بالنفاق نزاهة العلم والعلماء !

اولئك هم علماؤنا فما بالك بابناء السبيل ؟ الا ان مضجع العلم الجاد خشن تحت جلودنا ، ولذلك كان شرطا عليك اذا كتبت للصحف والمجلات او اذعت في الناس حديثا ، ان تكسو الحقائق العلمية التي تنوي عرضها على الناس بحشايا من ريش النعام لئلا تتاذى ابدانهم اللينة ، فعليك ان توهم الناس بانك لم تقصد الى العلم الجاف الكريه ، وانما قصدت الى تسليتهم في اوقات الفراغ ، واذا لم تفعل ذلك فلا سبيل امامك الى صحافة او اذاعة .

الراى السـائد فينا هو ان العلم يعوق مجرى الحياة ، فليست وسيلتك الى النجاح في اى ميدان تشاء : ميدان العمل او ميدان السياسة او غيرهما ، هي ان تدقق وتدقق ، والا لما بلغت من الطريق ادناه ، ان الساعات التي يصرفها الدارس العلمي في مشكلة واحدة من مشكلاته « النظرية » كفيلة ان يقفز بها « العمليون » الى الذرى مالا وجاها وقوة .. اليس لكل شيء معيار يقاس به ؟ والمعيار السـائد بيننا هو : كم يعود هذا العمل المعين على صاحبه من نفوذ وسلطان وثراء ؟ ولما كان الاغلب الا يعود العلم على اصحابه من هذه الاشياء بمحصول وفير ، كان لهؤلاء المنزلة الثانية في مجتمعنا ، وذلك على احسن الفروض .

هل العقل عدو الوجدان

الراى الشائع فينا هو ان العقل بعلومه عدو للوجدان ومشاعره ، ولما كانت الكثرة الكاثرة منا نصيرة الوجـدان ، فسحقا للعقل ومناهجه ونتائجه ، انه اذا كانت المفاضلة بين رأس وقلب، فلا تردد في اختيار القلب ، وهل هى مصادفـة ان تجد منا الف شاعر كلما وجدت عالما واحدا ؟ انه لما كثرت علوم الغرب وامتلأ الدنيا باجهزته ومكناته ، قلنا عنه انه « مادي » لعين ، واما نحن بما نسبح فيه من ملكوت الوجدان فروحانيون اتقياء واصفياء ، كانما العلم من وحي الشياطين ، وكانما اجهزته ومكناته قد رَكّبَتها الابالسة ، وحذار ان تذكر امامهم ان العلم الذي يتجلى في هـذه الآلات هو « عقل » تجسد ، او هو روح ظهـرت فيما ابدعته ليصبح مشهودا بعد ان كان كامنا خافيا ، شان كل خالق وخلقه ، حذار ان تقول شيئا كهذا ، لان الروحانية في حسابهم يستحيل ان تتدلى الى دنس الصفائح المعدنية تنشرها المصانع وتطويها طيارة او سيارة او ما شاءت .. ان اغلب الناس حولنا هم اقرب الى الظن بأن الحقيقة انما ينطق بها البلهاء قبل ان ينطق بها العلماء .

ذكاء العقل اذا توقد ، خشي الناس لعنته ، لأنه نافذ الى الاعماق ، وهم يريدون اخذ الامور « بالبَرَكَة » من اسطحها لا من اعماقها ، ولانه يتشكك قبل ان يستقر على عقيدة وهم يريدونها عقيدة خلصت من شوائب الشك والبحث ، وكثيرا ما تسمعهم ينعتون مثل هـذا الشك المتسائل المتقصّي « خوضا » فيما ينبغي الا يخاض فيه ، اعمال العقل ـ عند الناس ـ مجلبة للشقاء ، لان الحياة ـ عندهم ـ تسلم زمامها الى الذين يقبلونها كما ترد اليهم عن عمى وصمم ، فذو العقل يشقى في النعيم بعقله ، واخو الجهالة في الشقاوة ينعم ، لان الشقاوة والنعيم يقاسان بمعايير البهائم ، اذ هي تنعم او تشقى بمقدار ما يصادفها من كلأ المراعي ، ان كثرة الناس يؤذيها ان يكون الكون سائرا على قانون محكم ، ويسعدها ان يكون هذا القانون العوبة يلهو بها ارباب القلوب الطيبة .

تلك واشباهها هي الخصائص المالوفة في اوساط الناس من حولنا ، وعلى غرار الافراد تستطيع ان تتصور الدولة .

دفعة الغريزة ودفعة العقل .

الفرق بين دفعة الغريزة (ونريد بالغريزة جانبي

الشهوة والعاطفة اللذين اشرنا اليهما في التقسيم الافلاطوني) اقول ان الفرق بين دفعة الغريزة من جهة ، وتخطيط العقل وتبريره من جهة اخرى ، هو اساس الاختلاف بين ما يسمى في الثقافة الغربية بالرومانسية من ناحية والكلاسية من ناحية اخرى، واني لارانا — اعنى الامة العربية في حاضرها — على اساس هذه التفرقة غارقين الى آذاننا في موجة رومانسية بكل ما في ذلك من خير وشر ، لكنى لا ادع هذا القول بغير تحفظ شديد ، فاولا : قد شاعت لهاتين اللفظتين ترجمة عربية فيقال عنهما « الابداع » (للرومانسية) و « الاتباع » (للكلاسية) ، لكننى اذ اصفنا بالرومانسية فليس الجانب الابداعي من معنى الكلمة هو ما اريد ، وانما اردت من معناها جانبا اساسيا آخر هو الصدور عن العاطفة في الاتجاه وفي السلوك ، لا عن العقل ، وثانيا : ان من معنى « الاتباع » احتذاء الناس للاقدمين في الفكر وفي العمل، وليس هذا الجزء من معنى الكلاسية هو ما اردت نفيه بالنسبة الينا ، اذ اننا من ناحية اتباع الاقدمين كلاسيون الى حد بعيد ، ولكنى اردت من الكلاسية جانبا اساسيا اخر ، هو احتذاء الناس بالعقل وما يقتضيه من قواعد وقوانين .

نحن في حاضرنا الثقافي والعملي رومانسيون بمعنى الدفعة الغريزية والنفور من كل ما يحيط بالتفكير العقلي من ضوابط وحدود ، فالرومانسية في جوهرها ضيق بالقواعد والقوانين ، حتى لو كانت هذه القواعد والقوانين قد وضعت لضبط معايير الاخلاق ومعايير الفنون ، فوسيلة الرومانسي في ادراك ما يدركه هي وجدانه لا منطق عقله ، ما ينبض له قلبه هو الحق ، واقذف في جهنم ما قد يمليه عليك منطق العقل اذا جاء مخالفا لما قد مالت اليه العاطفة ، المنظر الريفي متروكا على طبيعته هو عند الرومانسي خير من مدينة تعج بظواهر الحضارة ، وذلك لان الريف هكذا جاء انبثاقة فطرية ، واما المدينة بحضارتها فمن نتاج العقل وعلومه ، ولما كان المنظر الريفي اكثر ملاءمة للشاعر ، وكانت المدينة الصاخبة اكثر ملاءمة للباحث العلمي، كان للشاعر عند الرومانسي اسبقية على رجل العلوم ، وحسب الشاعر قيمة عنده ، انه هو — دون الباحث العلمي — الذي يعبر عن الذات الانسانية وما تختلج به من عاطفة وانفعال ورغبة ، فذلك عند الرومانسي اهم من قوانين الفزياء والكيمياء ، ومرة اخرى اريد ان اتحفظ ببعض القيود على ما اوردته الآن ، فمما قد اوردته انما يصف الرومانسي المخلص ، الذي يصدر عن عقيدة صادقة لا يشوبها الرياء الذي كثيرا ما يباعد بين القول والعمل ، واما الرومانسي العربي فهو قادر على هضم التناقض بين ان يكون شاعرا يتغنى بالطبيعة وهي على فطرتها ، وبين ان يسكن في قلب الصخب الحضاري من المدينة .

وليست هذه اولى المفارقات التي يعيشها راضيا مطمئنا ولا هي آخر المفارقات ، انه لما حدث الانقلاب الصناعي في انجلترا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، واخذ الناس رويدا رويدا يهجرون الريف الى المدن ، استدبارا لعصر سادته زراعة ، واستقبالا لعصر جديد تسوده صناعة ، غضب الشعراء لهذه الظاهرة المحزنة في حياة الانسان ، وراحوا يصورون المصانع والآلات والمدينة بهوائها الخانق ، وكأنهم يصفون شيئا اقامه الشيطان لغواية الانسان، لكن هؤلاء الشعراء — في رومانسيتهم تلك — قد اتسقوا مع انفسهم ورفضوا حياة المدن ، وتشبثوا بالعيش في ريفهم الهادىء الجميل ، وجئنا نحن اليوم — اعنى المثقفين العرب — واردنا لانفسنا حركة رومانسية من ذلك القبيل نفسه ، لنعبر بها عن شيء من الرفض الذي نحسه تجاه الحضارة الغربية الجديدة ، لكننا لم نستطع التوفيق بين القول والعمل — شأننا في سائر جوانب الحياة حتى اصبح ذلك طابعا يميزنا تمييزا واضحا عن عباد الله الآخرين — فاشتدنا سخطا على «مادية» الحضارة الغربية ربما كان اكثرنا انتفاعا بنتاجها ، واعلانا صوتا في الدعوة الى جمال الريف وسكونه ، قد يكون اعمقنا انغماسا في حياة المدينة بكل صخبها وهجها .

حتى الفلاسفة يرون العقل معارضا للعاطفة

وليس هذا التعارض بين العاطفة والعقل مقصورا على اصحاب الفن والادب ، ولا على عامة الناس في حياتهم اليومية ، بل انه ليظهر كذلك على مستوى الفكر الفلسفي ، فترى كلا من الطرفين المتنازعين يكبح جماح الآخر اذا ما طغى وجاوز حدوده ، فقد يوغل الناس ذات عصر في

تحكيم العقل حتى ليذهبوا الى حد عبادته وانكار كل ما عداه ، فعندئذ يظهر الفلاسفة الداعون الى اولوية العاطفة ، كما حدث حين ظهر جان جاك روسو ابان القرن الثامن عشر ليقاوم عُبّاد العقل من اعلام حركة التنوير في فرنسا ؟ وكما حدث ايضا حين ظهر برجسون في عصرنا الحديث هذا ؟ داعيا الى اولوية الوجدان ليصد موجة عارمة طغت على اوروبا خلال القرن الماضي لتحمل الناس على الايمان بالعلم وحده والعقل وحده ، والعكس صحيح كذلك ، فقد يوغل الناس في التنكر للعقل حتى تراهم لا يحتكمون الا لما جاء عن غير مصدره من عاطفة او عرف وتقليد ، فعندئذ ينهض الفلاسفة الداعون الى الحد من هذه الدفعة اللاعقلية بضوابط العقل ومناهجه ، كما حدث حين ظهر ديكارت في فرنسا ، وفرانسس بيكن في انجلترا ، على مشارف التاريخ الحديث ، وكما حدث ايضا عندما ظهر اوجست كونت في اواسط القرن الماضي ليصد تيار الرومانسية الذي اعقب الثورة الفرنسية ، وشمل بامواجه كل ميدان من ميادين الفكر والفن والادب .

طريقة العاطفة في ادراك الحقائق

على أن طريقة العاطفة أو الغريزة في ادراك حقائق الاشياء ، قد تأخذ عند الفلاسفة صورة يسمونها بالمصطلح الفلسفي «حدسا» ، ويقصدون به رؤية الحقيقة رؤية مباشرة كأنما هي تحدث بنور الهي او بلمعة من الوحي ، فاذا « حَدَسَ » الفيلسوف ـ أو أي انسان من عامة الناس ـ حقيقة ما على هذا النحو المباشر ، لم يكن من حقنا مطالبته باقامة برهان على صدق ما يزعمه ، لان اقامة برهان تتضمن اعترافا بوجود فكرة اخرى ذات اسبقية منطقية ، هي التي نستند اليها في اقامة البرهان ، فاذا كان الزعم عن فكرة ما هو ان رائيها قد رآها بلمحة من وجدانه لمحا مباشرا ، كما يحس المتألم الالم ، أو كما يحس النشوان نشوته ، تبعَ ذلك الا تكون الفكرة المرئية موضع شك عند صاحبها بأي وجه من الوجوه ، والا يكون هنالك عنده ما هو اوثق منها يقينا فيرتد اليه يقيم به الدليل على صدقها .

الحدس عند المتصوفة وقدرته على ادراك الحقائق

على مثل هذه الرؤية المباشرة المزعومة ، يعتمد المتصوفة ، حين يزعمون لك أنهم قد « شهدوا » الحق شهودا مباشرا ، فلا ادلة يُستدل بها ولا وسائط بين المرئي والرائي ، وعلى مثل هذا الاساس الصوفي نفسه ـ بدرجات متفاوتة ـ تقوم الكثرة الغالبة من احكامنا ورؤانا ، لا اقول في حياتنا الخاصة وحدها ، بل اضيف اليها شئون حياتنا العامة كذلك ، فكم من قرار نتخذه ، وقد يكون قرارا ذا نتائج بعيدة المدى في حياة الناس . ومع ذلك فاذا سألت الرجل المسئول الذي اصدر القرار : اين المبررات « العقلية » التي كانت بين يديك بمثابة المقدمات ، حتى لم تجد مفرا امامك من اتخاذ قرارك هذا ؟ لما وجدت لسؤالك عنده من جواب ، الا ان يكون موهوبا يرى الحقائق بمثل تلك البصيرة النافذة التي « تشاهد » الحق بحدس مباشر ، وفي هذه الحالة لا يكون تحليل ولا تعليل .

وأي تحليل وأي تعليل تطالب به من ينظر امامه فيقول : اني ارى بقعة صفراء ؟ هكذا تكون الرؤية المباشرة ، لولا ان رؤية اللون هنا قد جاءت الى من أدركه عن طريق حاسة معلومة هي حاسة البصر ، اما رؤية الحقائق عند اولئك الذين يدعون رؤيتها بموهبة حدسية خارقة ، فكثيرا ما تكون ميلا مع دفعة الغريزة او العاطفة ، بل ولماذا لا نسمي الاشياء باسمائها الصحيحة فنقول انها كثيرا ما تكون ميلا مع اندفاعة النزوة والهوى ؟

ودعوى فلاسفة الرؤية الحدسية ـ مثل برجسون ـ ومن يلفقون لفقهم من صغار الناس في صغار الامور ، قائمة على أن الحدس فطرة لا تخطىء ، لانه كالغريزة أو لانه هو نفسه الغريزة الملهمة التي تعرف طريقها المأمون ، ولذلك فكلما اقترب الانسان من حالة الغريزة الفطرية هذه ، عددناه اقرب الى رؤية الحق بصفاء روحه ، كالاطفال او كمن اصابتهم البلاهة والعته ، اما اذا جاء الرأي ممن اكتملت له عوامل النضج ، وقال لنا انه رأيٌ جاء بعد تحليلات واحصاءات وتدقيق وتحقيق ، فهاهنا يغلب أن ننظر اليه

نظرة المرتاب ، لان السماء - في ظننا - لا تفتح ابوابها لامثال هؤلاء الحاسبين .

برجسون يرى أن هناك طريقين لادراك حقائق الاشياء

يقول برجسون : هنالك طريقان مختلفان أعمق اختلاف ، أحدهما عن الآخر في معرفتنا لحقائق الاشياء : اولهما يكتفى بأن يحوم حول الموضوع ناظرا الى ظواهره الخارجية البادية للحواس ، والآخر يقع في لب الموضوع وصميمه ، فلا يقف عند الجانب المنظور من الشيء المراد معرفته ، ولا هو يطمئن - كما يطمئن اصحاب الطريق الاول - الى رموز اللغة يسوق فيها الحقيقة التي رآها ، بل يغوص الى الاعماق مجتازا الظواهر الخارجية ليدرك الجوهر الباطني ادراكا يستعصى بعد ذلك على التعبير بأدوات اللغة او الارقام ، ولهذا كانت المعرفة في الحالة الاولى (وهى المعرفة العلمية) معرفة نسبية لا تبلغ مبلغ اليقين لانها تتعرض للخطأ ، واما في الحالة الثانية (وهي الادراك الصوفي) فهنالك تكون المعرفة مطلقة اليقين .

المتصوفة بين علم القلوب وعلم اللسان

وهذا الضرب من المعرفة اليقينية عن طريق الوجدان - حتى وان انكرها العقل بمنطقه النظرى المجرد - هو ما يصفه المتصوفة من أسلافنا ، اذ يفرقون بين ما يسمونه بعلم القلوب وعلم اللسان ، فالمتصوف بوجدانه اذا ما كشف عن بصيرته الحجاب تبدلت حواسه بأخرى تمكنه من رؤية الغيب ، كالذى يحدث للنائم في رؤياه فما ان يغيب في نعاسه ويتحلل قليلا من أثقال الوجود المادى ، حتى تنفتح له حواس اخرى الى الغيب، فيرى ويسمع ويأكل ويتكلم ويمشى ويبطش ويصل الى اقصى أرجاء الارض - لا تحجبه أبعاد المكان ، عندئذ يحيا في وجود أكمل من الوجود الدنيوى ، وربما اكتسب في ذلك الوجود الخفي قوة الطيران والمشي على الماء والدخول في النار دون ان يحترق ، فاذا كان مثل هذا هو ما يجده الانسان من عامة الناس في نومه ، فهو هو بعينه ما يحققه الصوفي في صحوه ، لان الجانب الشريف من وجوده له غلبة على الجانب الخسيس ، فتراه قادرا في عالم الشهادة على فعل المعجزات (هذا كلام مأخوذ من بعض المتصوفة الاقدمين) .

وخلاصة ما اردت قوله ، هو أن المتصوفة - حديثهم وقديمهم على السواء ، مع اختلافات في العرض لا في الجوهر والاساس - متفقون على أن للانسان قدرة على اكتساب ضرب من المعرفة لا عن طريق العقل ولا عن طريق الحواس ، اذ يحدث - كما يقول برجسون - نوع من التعاطف بين الانسان وما يدركه ، تعاطفا يضع به الانسان نفسه في صميم الشيء المدرك ، ليقع منه على ما هو فريد فيه ، لا يشاركه فيه شيء آخر ، وما دام جانبا فريدا لا يتكرر في شيئين، بل يختص به الموضوعُ المدرَكُ دون سواه ، كان مستحيلا على التعبير اللغوى ، لان اللغة انما تعبر عن الجوانب المشتركة العامة التى يتكرر وقوعها في مختلف الافراد ، ويسوق لنا برجسون مثلا لهذه الحالة الادراكية التي يواجه بها الشخص المدرك صميم ما يدركه ، معرفة الانسان لنفسه ، فهو اذا ما استبطن ذاته أدركها « بحدس » مباشر ادراكا لا يحتمل الشك ولا الخطأ ، وهو في الوقت نفسه ادراك لا يتطلب تحليلا ولا تعليلا .

لماذا راجت فلسفة برجسون في أمتنا العربية

هذا الذى يقوله المتصوفة الاقدمون والمحدثون هو ما يؤمن بصدقه الكثرة الغالبة من أبناء الامة العربية ، لا فرق في ذلك بين امىّ وعالم ، ولا عجب ان وجد برجسون عند المشتغلين منا بالفلسفة ، رواجا وتأييدا ، ويا وَيْل من غشيتْ عيناه عن الحق فاجترأ معترضا ليقول : لكن برجسون هذا لم يجد الا الاداة الشائهة الناقصة - واعني اداة اللغة ورموزها - ليبسط بها رؤيته الفلسفية التي قال عنها - شأن - المتصوفة جميعا - انها رؤية ليست مما تستطيع اللغة ان تحكيه ، وتلك - عندنا نحن الذين غشيت أبصارهم عن

الحق – هي العقبة التي يقع فيها حمار الشيخ ! فالمتصوفة يقولون ، وجميع المؤيدين للرؤية الصوفية يقولون معهم : ان ما تراه من الحق لا يأتينا عن طريق الحواس الظاهرة ، ولا هو مما يصاغ في كلمات ، لانه « حالات » يشعر بها الصوفي من داخل ، كشعوره بحلاوة العسل او بمرارة الحنظل ، والحالات لا توصف بأدوات اللغة ، ومع ذلك تراهم يقولون ذلك لنا في « كلمات » !

قل لمن شئت : ان العقل الذي هو اداة العلوم مأمون الجانب وينبغي الركون الى تدبيره وحسابه كلما هممنا بعمل نؤديه ، تره يشيح بوجهه عنك حتى لو كان من رجال العلوم في أعلى مستوياتهم ، طالما هو خارج معمله ، لان العقل عنده مكانه بين جدران المعمل لا يجاوزها ، ولكن قل له : ان الادراك الصوفي النافذ خلال الحجب والاستار قادر على رؤية الغيب رؤية حق وصدق ، فقلّ ان تجد منه الشك والتكذيب ، فالسائد فينا جميعا أن هذا الضرب من كشف المحجوب هو في مستطاع نفر مكرمين مقربين ، وهؤلاء اذا ما اهتدوا بوجدانهم الى الحق فلن يجد الباطل اليهم سبيلا .

فهل أصاب حقا هؤلاء جميعا في ظنهم بأن مثل هذا الادراك الوجداني المباشر لما هو مغيّب عن البصر وعن العقل صادق دائما ؟ هل الرؤية المباشرة للمستور ، وهي الرؤية التي يدعيها المتصوفة ويدعيها برجسون كما يدعيها كل من اختار هذه الطريقة في النظر الى الامور ، معصومة من الخطأ كما يظنون ؟ لنأخذ المثل نفسه الذي ضربه برجسون للرؤية التي يستحيل عليها الخطأ ، وهو مثَلُ الانسان يستبطن ذاته من داخل فيراها رؤية اليقين ، فهل من الحق ان الانسان في استبطانه هذا لذاته يعرف حقيقة نفسه معرفة تبلغ حد اليقين ؟ أيسهل عليه عندئذ أن يرى كل ما تنطوي عليه تلك النفس من حقد وحسد وخسة وغرور ؟

برتراند رسل بين المنطق والتصوف

لقد تناول برتراند رسل هذا الموضوع بالدراسة في فصل من أهم ما انتجه في بحوثه الفلسفية ، وهو الفصل الذي يسميه « المنطق والتصوف » ، ثم حدث ان اطلق هذا العنوان على كتاب له يضم ذلك الفصل مع فصول اخرى في موضوعات متفرقة ، هناك يقول رسل في سياق حديثه عن الرؤية الحدسية التي تشبث بها برجسون ، ويتشبث بها المتصوفة ، ويؤيدها الرأي العام السائد من حولنا ، يقول : نعم ان الادراك الحدسي يفرض نفسه على صاحبه فرضا يحُول بينه وبين أن يشك لحظة في صوابه وكيف له ان يشك فيما يراه ماثلا امامه ؟ تلك خاصة لا تتوافر للادراك العقلي ، لان ادراك العقل طريقته الاستدلال ، والاستدلال معرض للخطأ ، لكن هذا اليقين الجازم الذي يصاحب الادراك الصوفي عند اصحابه ، هو نفسه الذي قد يحوّل ذلك الادراك الى كوارث ، فلو ان المعرفة الآتية الينا عن طريق الوجدان معصومة من الخطأ ، لكان اليقين الذي نشعر به ازاءها خيرا كل الخير ، لكن تلك المعرفة معرضة للخطأ كما يتعرض العقل للخطأ ، وليس الامر كما يزعمون لها من عصمة .

وها هنا يكون الفرق البعيد بين من يركن الى عقله ومن يركن الى وجدانه : فأولهما يعلم أن احكامه معرضة للخطأ ، ولذلك تراه لا يكف عن مراجعتها ، ثم هو لا يغضبه ان يظهر له في الناس من ينبهه الى مواضع الخطأ في تلك الاحكام ، وأما ثانيهما فلأنه واهم في ظنه بأن ادراكه الوجداني منزّه عن الخطأ ، تراه يتقدم اقدام الواثق ويَصمّ اذنيه عن نقد الناقدين ، وعندئذ قد تدهمه الداهية من حيث لا يحسب حسابها .

اننا نعطي الصدارة لعواطفنا ، في احكامنا وسلوكنا ، ونفاخر الناس بأننا كذلك ، وان عواطفنا تلك لتخطيء ، وكم اضلتنا عن سواء السبيل ، فلو كنا نتعلم من اخطائنا كما تتعلم من اخطائها فئران التجارب العلمية ، لجاز ان يكون لنا اليوم موقف آخر ، لكننا نصر على الركون الى العاطفة اصرار الفراشة على النار الحارقة ، ونترك عقولنا في ازمتها تنتظر لنا البعث الجديد . ■■

زكي نجيب محمود



مشكلات الشباب العربي

بقلم : الدكتور جميل صليبا

اولا ـ خطورة هذا الموضوع :

■ اذا علمنا ان نسبة عدد الشبان الى مجموع السكان في العالم العربي الحاضر تزيد على ٥٠٪ وان هؤلاء الشبان سيصبحون بعد مدة قصيرة من الزمان قوى عاملة في المجتمع ـ ادركنا ما للبحث في مشكلاتهم من خطورة بالغة .

ان الدول العربية التي ظهرت على مسرح التاريخ بعد الحرب العالمية الثانية ليست فتية من حيث حداثة حريتها فحسب ، وانما هي فتية من حيث عدد شبانها ايضا ، فما بالك اذا كان مستقبل الامم ، كما يقول (غوته Goete) تابعا لطاقات عناصرها الفتية ؟ ان الشبان اكثر افراد المجتمع حساسية ، وتخيلا ، وحماسة ، وحركة ونشاطا ، فاذا نظموا صفوفهم ، ووحدوا اهدافهم ، وعرفوا كيف يوفقون بين غاياتهم ووسائلهم ، استطاعوا ان يجنبوا مجتمعهم كثيرا من الاخطار ، ولكنهم اذا تعارضت اتجاهاتهم ، وتناقضت طرقهم ، وانحرفت وسائلهم ـ اضعفوا مجتمعهم ، ومشوا في طريق الحياة مشية القهقرى .

الشباب في مجتمعات كثيرة التغير

لا شك ان للشبان في كل زمان ومكان خصائص متشابهة، فصفاتهم النفسية، ومواقفهم السلوكية، ودوافعهم ، وحوافزهم ، وامزجتهم ـ تنطوي على الكثير من العطاء والكرم والحماسة والمروءة ، كما تنطوي في الوقت نفسه على الكثير من التسرع والتردد ، والقسوة والعنف. ثم ان الشبان الذين يعيشون في مجتمعات كثيرة التغير يواجهون الكثير من المشكلات التي لايواجهها شبان المجتمعات الراكدة . ونحن نعلم ان المجتمعات التي لاتغير شيئا من اوضاعها في عالم كثير التغير ـ لاتستطيع البقاء ، وان خروج هذه المجتمعات من ركودها المزمن رهن باستغلال القوى الحية الكامنة في افرادها . وهذا يصدق على كل مجتمع ، متخلفا كان او متقدما ، لانه اذا صح ان المجتمعات المتقدمة في حاجة الى تثبيت بنائها وتوطيد اوضاعها ، فانه من المؤكد ايضا ان كل مجتمع في حاجة الى التنمية ، وهذه التنمية توجب على الشبان ان يكونوا في الطليعة ، لان سرعة تبدل المعارف العلمية

والقدرات الفنية في هذا العصر تجعل الجيل القديم الراسخ العادات والملكات اقل مرونة في قبول التغيرات الجديدة من الشبان الذين لم تجمد عقولهم بعد ، لذلك اوصى علماء التربية بضرورة تدريب الفتيين القدماء تدريبا مستمرا حتى لايصبحوا بعد مدة من الزمان عاجزين عن مواكبة ركب التقدم .

ومعنى ذلك كله ان تقدم المجتمع متوقف على الشبان المتصفين بالمرونة العقلية ، لا على الشيوخ الذين يصعب عليهم تغيير عاداتهم . فلا غرو اذا كان البحث في منازع الشبان امرا بالغ الخطورة ، لاننا لانستطيع ان ندرك ما سيؤول اليه حال المجتمع في مستقبله القريب او البعيد ، الا اذا احطنا بما يختلج في صدور شبانه من اتجاهات فكرية ، وبما تتصف به نفوسهم من سمات خاصة .

الشباب يحتفظ بالكثير في كهولته

واذا قيل : ان الانسان كثيرا ما يغير آراءه ومواقفه عند انتقاله من الشباب الى الكهولة ، او من الكهولة الى الشيخوخة ، قلنا ان هذا التغير لا يمحو آثار الماضي . اذا صببت رطلا من الخمر في اناء ثم صببت عليه رطلا من الماء ثم اخذت منه رطلا ، وصببت عليه رطلا آخر من الماء ، ثم اخذت منه رطلا ثم فعلت ذلك الف مرة فانك في المرة الاخيرة تحكم بان شيئا من الخمر باق في ذلك الماء . فليس يصح اذا ــ ان نقول ان آراء الانسان تتبدل كلها ، وان ما يعتنقه من الآراء في كهولته او شيخوخته لايتصل بشيء من الآراء التي يعتنقها في شبابه .

ثانيا : التيارات الفكرية المحيطة بالشبان في المجتمع العربي

كان في العالمالعربي بين الحربين العالميتين ثلاثة اتجاهات فكرية اساسية ، وهي اتجاه المحافظين ، واتجاه المجددين ، واتجاه المعتدلين .

فالمحافظون طائفة من انصار القديم يرون ان العالم العربي لم يصب بالانحطاط الا لاعراض ابنائه عن قيمهم الحضارية القديمة التي هيأت لهم في الماضي اسباب التقدم ، وان خير وسيلة لانقاذهم مما حل بهم من الجمود هي الرجوع الى عصرهم الذهبي ، واحياء تراثهم القديم ، والتمسك بالمثل العليا التي اخذ بها السلف الصالح من ايمان قديم ، وعقيدة راسخة ، واخلاق فاضلة ، تضمن لاصحابها سعادة الدنيا وسعادة الآخرة

والمجددون يرون أن البلاد العربية لا تستطيع النهوض من كبوتها الا اذا سلكت طريق الغرب في علمه،وادبه وفنه ، وفلسفته ، وتنظيمهالسياسي، والاجتماعي والاقتصادى ، وأن التقيد بالقوالب الماضية يمنع من مسايرة ركب الحضارة الحديثة ، وان خير وسيلة لاصلاح المجتمع العربى أن يسير سيرة الاوربيين في كل مظهر من مظاهر حياتهم ، وان يكون لهم شريكا في العلم والادب والفن ، دون التفريط في شيء .

والمعتدلون يذهبون الى وجوب بناء الفكر العربى الحديث على اساس مزدوج من الثقافة العربية القديمة ، والثقافة الاوربية الحديثة . ذلك لان في كل حضارة قديمة دعائم تصلح للبناء ، فاذا كشف المرء عنهذه الدعائم وأضاف اليها ما يلائمها من المخترعات الحديثة ، استطاع أن يقيم صرح حياته على اساس ثابت . ويشترط في الجمع بين القديم والحديث ان يغربلا بغربال محكم لا يستبقى من عناصرهما الا المتسق والمتفق ، لانك اذا رقعت القديم برقع متنافرة الالوان لم تحصل الا على خليط مشوش ، وكل حضارة مؤلفة من عناصر متنافرة لا يجمع بينها قاسم مشترك ، فهي حضارة خالية من الانسجام والاصالة .

التيارات الفكرية بعد الحرب العالمية الثانية

هذا وصف سريع للتيارات الفكرية التيانتشرت في العالم العربى بين الحربين العالميتين ، غير ان الاحداث التى طرات على بلادنا بعد الحربالعالمية الثانية غيرت ابعاد هذه التيارات، فجعلت بعضها أقرب الى الاعتدال ، وبعضها أقرب الى التطرف .

من هذه الاحداث حصول البلاد العربية على استقلالها في عالم يموج بحره بالفتن والدسائس ، ويتخذ فيه العلم وسيلة لسيطرة الانسان على الانسان ، لا لسيطرته على الطبيعة . ومنها تزاحم الدول الكبرى على بسط نفوذها الاقتصادى ، والثقافي،والسياسي.ومنها اضطرار الدول العربية الى تضييق الخناق على نفسها في سبيل التسلح دفاعا عن كيانها واستقلالها ضد الاستعمار والصهيونية . ومنها انقسام العالم المعاصر الى

معسكرين كبيرين ، احدهما شرقي يؤمن بالنظام الاشتراكي، والآخر غربي يؤمن بالحرية الاقتصادية، ومنها نمو وسائل الاعلام ، وسرعة انتقال الآراء والمذاهب من بلد الى اخر . ومنها تباين التقدم العلمي والتكنولوجي في مختلف اقسام العالم ، وازدياد الفرق بين الدول المتقدمة ، والدول المتخلفة في المجال الاقتصادي والثقافي . ومنها تفجر السكان الذي جعل عدد الشبان في الدول العربية اعظم من عدد الكهول والشيوخ . ومنها سرعة انتشار التعليم ، وفقدان التوازن بين نموه الكمي ونموه النوعي .

فهذه الاسباب وغيرها اثرت في بنية المجتمع العربي تأثيرا عميقا حتى جعلتها مباينة لما كانت عليه في الماضي .

ومع ان تغير البنى الفوقانية لم يكن اقل من تغير البنى التحتانية ، فان العقائد والمذاهب الجديدة ، وما يصحبها من تغيرات في الاوضاع السياسية والاجتماعية — لم تؤد الى تحرير العقل العربي من رواسب التخلف تحريرا تاما .

والتيارات التي سيطرت على الشبان

اما التيارات الفكرية التي سيطرت على الشبان بعد الحرب العالمية الثانية فتنقسم في نظرنا الى الاتجاه الديني ، والاتجاه القومي ، والاتجاه الاشتراكي .

الاتجاه الديني

هو القول ان المجتمع العربي لاينهض من كبوته الا بالمحافظة على قواعد الدين ، فالعلم المجرد من الاخلاق ، والعقل المجرد من الايمان لايوصلان الى السعادة ، بل يتركان في النفس فراغا يورثها الكثير من الاضطراب والشك والقلق ، ولا سبيل الى اعادة الاطمئنان الى نفوس الشبان الا باحياء علوم الدين ، لذلك انشئت في العالم العربي قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها جمعيات دينية كثيرة ، غرضها التوجيه والارشاد والعناية بتعليم الدين في جميع المدارس . واتسع نطاق هذه الجمعيات الدينية حتى ضمت عددا كبيرا من الشيوخ والشبان ، وكان لاشتراك افرادها في القضايا السياسية اثر بالغ في الجماهير ، حتى وجد بعضهم فيها عاملا على وقف انتشار الشيوعية . فما بالك اذا كانت الدول العربية تراعي تقاليد الدين في كل مناسبة سياسية او اجتماعية، وان معظم افراد الشعب لايجدون لشفائهم مما حل بهم من الامراض الاجتماعية الا علاجا واحدا ، وهو التعلق بالقيم الدينية التي كانت ولم تزل عندهم عاملا من عوامل القوة والسعادة .

الاتجاه القومي

واما الاتجاه القومي الذي ظهر في القرن التاسع عشر فانه لم يزل يشتد في النصف الاول من القرن العشرين ، حتى بلغ غايته في النصف الثاني منه ، ويرجع السبب في نمو هذا الاتجاه الى عدة اسباب : منها تأثير بعض الاحداث التاريخية وانتشار التعليم والاتصال بالغرب ، والكشف عن معالم الحضارة العربية . ولعل اهم هذه الاسباب في نظرنا شعور الشبان بالاخطار المحدقة ببلادهم ، وخوفهم على مصيرهم في عالم مضطرب يعبث بمقدراتهم،ويحول دون تحررهم واستقرارهم فلا غرو اذا طفقوا الى تثبيت شخصيتهم ووحدتهم وحريتهم في وطن عربي متكامل الاجزاء .

ان معظم الدساتير العربية الحديثة تجعل الايمان بالقومية العربية ، وحب الوطن العربي — ركنا من اركانها الاساسية . كما ان معظم قوانين التعليم تجعل الاخلاص للوطن العربي ، والاعتزاز بالتراث القومي ، والعمل على تثبيت مكانة الامة العربية ، وتوكيد حقها في الحرية والأمن والحياة الكريمة — هدفا من اهدافها البارزة .

ومما يدل على قوة هذا التيار القومي انتشاره في نفوس المحافظين والمجددين على السواء : فدعوة المحافظين الى احياء القديم ، ودعوة المجددين الى الاقتباس عن الغرب او الى الثورة على الاوضاع القديمة والواقع الفاسد ، او الى الاصلاح التدريجي والتطور البطيء : كلتاهما مصحوبتان بشعور قومي واضح .

ان الامة العربية في نظرهم وحدة روحية ثقافية، ومؤسسات العرب الروحية متحدة في اصولها العميقة، والقومية العربية ايمان عميق بعبقرية الامة العربية ، وبقدرتها على الاسهام في بناء الحضارة. ان هذا الاتجاه القومي اقوى الاتجاهات التي تختلج في صدور شبابنا ، فالكلام على القومية العربية عندهم لا ينتهي ، انه يحرك عواطفهم ، ويزيد

شعورهم المتوثب حماسة وقوة ، فلا يجوز ان تخلو منه نفس ، ولا ان يتعرى منه انسان ذو وعي، لانه في نظرهم اصل جميع المشاعر الانسانية.

الاتجاه الاشتراكي

واما الاتجاه الاشتراكي فهو اتجاه جديد مقتبس من الغرب ، وله عدة اسباب بعضها عام ، وبعضها خاص .

اما الاسباب العامة فهي انتشار المبادىء الاشتراكية في العالم الحديث بتأثير الكتاب الاشتراكيين من سن سيمون Saint Simon وفوريه Fourier ، وبرودون Proudhon ، الى ماركس Marx ، وانجلز Engels ، وموريس Maurice ، ولينين Lenine ، وغيرهم ، فان الثورة الصناعية التي سخرت العمال للآلة ، وجعلتهم يتحركون معها دون التمتع بثمرات انتاجها ـ جعلت فكرة العدل الاجتماعي المبني على فكرة المساواة محببة الى معظم الناس. حتى ان الدول التي لم تاخذ بالنظام الاشتراكي لم تسلم هي نفسها من التاثر به في تنظيم اقتصادها ، او في توفير الخدمات الاجتماعية لافرادها ، او في منح عمالها حق التمتع بريع ما ينتجونه .

ونشأ عن ذلك كله في العالم احزاب اشتراكية مختلفة منها المتطرف ، ومنها المعتدل ، واستهوت الاشتراكية افئدة الشبان حتى اصبح من المالوف قولهم : ان الشاب الذي لايؤمن بالمبدأ الاشتراكي انسان بلا قلب .

واما الاسباب الخاصة فهي شعور بعض البلاد العربية بان النظام الاشتراكي الذي يجعل الدولة مهيمنة على وسائل الانتاج اكثر النظم ملاءمة لحاجاتها، يضاف الى ذلك ان بعض الدول العربية وجدت في الاتجاه شطر الجمهوريات الشعبية الاشتراكية وسيلة لوقايتها من اخطار الاستعمار الغربي ، فما بالك اذا كانت هذه الدول تبيعها ما تحتاج اليه من السلاح في سبيل الدفاع عن النفس . وتمنحها المساعدات الاقتصادية والفنية بشروط مغرية ، حتى ان العرب الذين زاروا الجمهوريات الشعبية الاشتراكية اعجبوا بما شاهدوه فيها من تقدم علمي وتطور صناعي، وامتد هذا الاعجاب الى نفوس الذين كانوا الى عهد قريب ينكرون الاتصال بالدول الشرقية ، فدعوا الى اتخاذ بعض التدابير الاشتراكية في سبيل بناء مجتمع افضل، تسوده الحرية والعدالة والمساواة، فما من حزب سياسي قديم الا عدل مناهجه في ضوء هذه المبادىء ، وما من تنظيم اجتماعي او اقتصادي جديد الا عني بضمان حقوق العمال ورعاية مصالحهم . وقد اعان على انتشار هذه المبادىء في نفوس الشبان اهتمام الكتاب المتاخرين بالموضوعات الاشتراكية ، فاذا هم ينقلون الى اللغة العربية كثيرا من كتب الاشتراكيين ، او يؤلفون كتبا متفاوتة .

وهكذا انقسم العالم العربي الى نوعين من الدول : دول غيرت بناها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، واخذت بالمبدأ الاشتراكي تطبقه في جميع المجالات ، ودول لم تغير بناها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولكنها اضطرت بتأثير التطور الحديث الى الاخذ ببعض التدابير ذات الصفة الاشتراكية . غير ان الاشتراكية التي انتشرت في النوع الاول من هذه الدول ليست اشتراكية ، دولية ، وانما هي اشتراكية قومية تريد ان تحقق الحرية والعدالة في قطر من الوطن العربي دون ربطه بجذور خارجية . هذا ما يعبرون عنه بقولهم : ان الاشتراكية العربية قومية الجذور ، وطنية الاهداف ، انسانية المنازع ، تجمع بين الوحدة والحرية في وزن واحد من الاتساق .

اتجاهات فكرية اخرى

لا شك ان في ارجاع تياراتنا الفكرية الى الاتجاه الديني ، والاتجاه القومي ، والاتجاه الاشتراكي ـ كثيرا من الايجاز والتبسيط والتيسير ، لان هنالك ـ الى جانب هذه الاتجاهات الثلاثة ـ اتجاهات اخرى لم نتناولها بالبحث كالاتجاه الوجودي ، والاتجاه المادي ، والاتجاه الروحي ، والاتجاه الديمقراطي الذي يقدس الحرية الفردية، والاتجاه الجماعي الذي يدعو الى الالتزام ويطلب من الفرد ان يذوب في الدولة . هذا الى جانب الكثير من الاتجاهات الادبية الحديثة في الشعر والنثر ، والاتجاهات الاخلاقية الداعية الى تحرير الفرد من سلطان القيم القديمة ، او الى انغماسه في الطبيعة المادية ، او ثورته عليها ، ولكن هذه الاتجاهات المختلفة تندرج في نظرنا تحت الاتجاهات العامة التي قدمناها . مثال ذلك ان بين القوميين العرب

وجوديين ومثاليين ، كما ان بين الاشتراكيين منهم ماديين وروحيين . وليس ادل على ذلك من نسبة الاشتراكية في بعض مؤلفاتنا الحديثة الى الدين ، ومن انقسام المجددين من شبابنا الى ديمقراطيين وجماعيين او الى متحررين وملتزمين . ثم ان في التقدميين من يقول بالانقلاب المفاجيء على الاوضاع الفاسدة ، ومن يقول بالتطور التدريجي البطيء ، فلنترك الان تفصيل القول في هذه التيارات ولنفحص عن الاسباب التي ادت الى نشوئها واختلافها .

ثالثا ـ الأسباب المؤدية الى اختلاف هذه التيارات

ان لاختلاف التيارات الفكرية في البلاد العربية اسبابا كثيرة .

اولها : اختلاف طبيعة التعليم الذى ننشره في مدارسنا . والدليل على ذلك ان في عالمنا العربي مدارس توجه اولادنا توجيها تقليديا ، ومدارس توجههم توجيها تقدميا ، وفيه عدد كبير من المعلمين الذين حصلوا علومهم في البلاد الاجنبية ، وحملوا اليه من كل بلد مبادىء ومنازع مختلفة . ومع ان بعض الدول العربية التي توفد طلابها الى الخارج تعقد لهم قبل ايفادهم حلقات وندوات توجيهية ، فان هؤلاء الطلاب سرعان ما ينسون هذه التوجيهات عند انغماسهم في حضارة البلد الذى اوفدوا اليه . يضاف الى ذلك ان مناهج التعليم المطبقة في بعض البلدان العربية لم تفصل على ابعاد ذلك البلد ، لانها كثيرا ما تكون مستوردة من الخارج،غير متفقة مع حاجات الشعب واهدافه وآماله ، فلا غرو اذا اختلفت منازع الشبان واتجاهاتهم الفكرية ، باختلاف طبيعة المناهج المطبقة في مدارسهم .

وثانيها : انقسام الوطن العربي الى دول مختلفة بعضها اشتراكي جماعي ، وبعضها ديمقراطي برلماني . واذ كان للنظام التربوى علاقة وثيقة بالنظام السياسي ، كان لا بد من اختلاف التوجيه باختلاف طبيعة الحكم . مثال ذلك ان الدول الاشتراكية تحاول بناء المجتمع العربي على مبادىء الوحدة والحرية والاشتراكية ، وعلى تحالف قوى الشعب العاملة ، وعلى التلاحم العضوي بين النضال الوحدوي والنضال الاشتراكي ، على حين ان الدول الديمقراطية ـ وان اخذت ببعض هذه المبادىء ـ الا انها تتميز بالدعوة الى الحرية السياسية والاقتصادية ، والى الاخذ بالنظم البرلمانية ، التي تسمح للمواطنين بادارة شؤونهم بانفسهم ، في حرية تامة ، على اساس المصلحة المشتركة ، من اجل بناء مجتمع افضل ، يحقق الفرص المتساوية لجميع الافراد ، في حدود امكاناتهم وقدراتهم . فليس عجيبا اذن ان تختلف منازع الشبان باختلاف انظمة الحكم في بلادهم .

وثالثها : اختلاف شروط الحياة الاقتصادية باختلاف الطبقات الاجتماعية ، فان الفقير المحروم من بُلْغة العيش لا يعتقد من الآراء والمذاهب ما يعتقده المتمول . واذا كان خَرْجُ الفرد على قدر دَخْله كان لا بد من اختلاف نمط حياته باختلاف مكاسبه . نعم ان هنالك متمولين يعتنقون مذاهب العمال الكادحين ، وعمالا محرومين يعتنقون مذاهب المتمولين. ولكن الغالب على جماهير الناس ان تكون مذاهبهم الاجتماعية متناسبةً مع شروط حياتهم المادية ، واذا كان بعضهم يعتنق مذاهب طبقة غير طبقته فمرد ذلك الى اسباب ذاتية ، ويكفي ان تتغير البنى التحتانية في احد المجتمعات حتى تتغير معها بناه الفوقانية . ومادام تغير هذه البنى لم يبلغ غايته بعدُ فان الفرد ازاءها لا بد من ان يختلف باختلاف مركزه .

ورابعها : تأثر الشباب العربي بالدعايات التي تبثها وسائل الاعلام ، فان محطات الاذاعة في اوربة وآسيا وامريكا تبث باللغة العربية افكارا تؤثر في نفوس شبابنا تأثيرا مختلفا ، كما ان الكتب والصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية والاعلانات التجارية تزود الشبان بكثير من المعطيات الفكرية المتعارضة ، واذا كانت افلام رعاة البقر تقوى غريزة الكفاح في نفوس النشء فان الافلام الجنسية تقوى ميلهم الى الاستمتاع بالغرائز . وهكذا ينشأ شبابنا على ما تغذيهم به وسائل الاعلام من الافكار والعواطف ، فمنهم من يصبح مناضلا وطنيا ، ومنهم من يصبح متحررا من كل قيد ، ومنهم من يقف حائرا بين الايمان والفسق ، لا يعرف الطريق الصحيح فيتبعه ، ولا المنهج المستقيم فيطمئن اليه .

وخامسها : ان البلاد العربية تمرّ في الوقت

الحاضر بمرحلة انتقالية ، فيها الكثير من الخلل في التوازن بين نمو القوى المادية ونمو القوى الروحية . ولاشك ان المجتمع اذا بلغ غايته من النمو توازنت فيه جميع هذه القوى ، ولكنه اذا لم يجاوز مراحله الانتقالية ظلت قواه المادية والروحية غير مستقرة على حال . ومن شان فقدان الاستقرار ان يدفع الشبان الى الحيرة والتردد بين المذاهب المختلفة .

لا ضرر من الاختلاف اذا كان بينها قاسم مشترك

ولسنا نريد الان ان نحيط بجميع الاسباب المؤدية الى اختلاف التيارات الفكرية في المجتمع ، ولكننا نريد ان نقول ان اختلاف هذه التيارات امر طبيعي ، لان المجتمع الكامل لا يصب عقول افراده في قالب واحد ، واذا حاول ذلك اصيب بالعقم والجمود . فليس في اختلاف التيارات الفكرية ما يدعو الى الخوف على مستقبل المجتمع ، لان المجتمع الحي هو المجتمع المتحرك الذى تكثر فيه الاراء والاتجاهات ، ويتصف افراده بالقدرة على التجديد والابداع . ولكن اخوف ما نخافه على المجتمع العربي ان تكون اتجاهاته الفكرية مختلفة في غير انسجام ، ومتضاربة في غير توحيد ، وان لا يكون بين عقول افراده حوار صاعد يفضي الى التقائهم في قمة مشتركة ، ذلك لان الامة ـ من حيث هي امة ـ محتاجة الى ان يكون بين افرادها قاسم مشترك واحد ، واذا خلت من هذا القاسم المشترك كانت جسما بلا روح .

رابعا ـ موقف الشبان ازاء تصارع القيم

ان شبابنا يعيشون في عصر سريع التغير : تصارعت فيه القيم ، واختل فيه التوازن بين الوسائل والغايات ، وانتشر فيه الاضطراب السياسي ، والقلق النفسي ، وفقدان الاستقرار الاجتماعي والاقتصادى . فما هو موقف شبابنا ازاء هذا الصراع ؟ وما هي المشكلات المحيطة بهم ؟

ان مشكلات الشباب كثيرة : منها ما هو نفسي، كفقدان التوازن بين نموهم العقلي ونموهم الوجداني والارادي ، ومنها ما هو اجتماعي كفقدان التكيف بينهم وبين شروط حياتهم ، ومنها ما هو اقتصادى كفقدان التكافؤ بين الشهادات التي يحملونها والمكاسب التي يحصلون عليها، ومنها ما هو اخلاقي كفقدان الانسجام بين القيم القديمة المتوارثة والقيم الجديدة المقتبسة من الغرب .

انهم يشعرون بان حياتهم الواقعية بعيدة كل البعد عن تحقيق امالهم ، فيتعلقون بكوكب من الامل لا يلبث ان يغيب حتى يحل محله ظلام دامس . وليست هذه المشكلات خاصة بالشبان العرب وحدهم، وانما هي عامة تشمل معظم شبان العالم.

شعور الشبان بالقلق وجرائر ذلك

ولعل ابرز هذه المشكلات شعور الشبان بالقلق، وشكهم في جدوى اعمالهم ، وميلهم الى التحرر من القهر الاجتماعي ، ومن جميع القيود التي تفرضها عليهم التقاليد . واعتقادهم ان الجيل السابق لم يهيىء لهم اسباب النجاح في هذا العالم المضطرب ، وان الوسيلة الوحيدة لانقاذ انفسهم من الغرق هي الثورة على كل شيء . اى على القيم القديمة ، والطرق السقيمة : في الادارة والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

لقد ظنوا في وقت من الاوقات ان بعض المذاهب السياسية كالديكتاتورية ، والليبرالية ، والديمقراطية ، والاشتراكية ، والشيوعية ، والقومية ، والتكنوقراطية ، والفوضوية ـ ستوفر لهم اسباب السعادة ، فاذا هم يجدون ان هذه المذاهب لم تجلب لهم الا الشقاء . لقد ثاروا خلال السنوات الاخيرة على اوضاعهم السياسية ونظمهم الاجتماعية فلم توصلهم ثورتهم الى شيء . وزاد في تاجج هذه الثورة فقدان التوازن بين المثل العليا المتصورة ، والامكانات الواقعية المتوافرة. فما ظنك اذا كان التخطيط الاقتصادى لم يؤد في كثير من الدول الى تحقيق التوازن بين افراد القوى العاملة وعدد الوظائف المعدة لهم ؟

ان التعطل عن العمل يبعث على الشك والتشاؤم، كما ان ازدياد الوعي ينبه الى ضرورة الاصلاح ، فاذا لم يجد الشبان في اوطانهم ما ينقع غلتهم ، ويشفي علتهم، هاجروا منها الى بلد اخر يلتمسون فيه ما يحقق امالهم . وهكذا يفقد المجتمع احسن عناصره الفتية ، ويصاب بنزيف عقلي يفقده قوته، ويؤخر نموه .

اما الشبان الذين لا يتركون اوطانهم فانهم اذا عاقهم عن بلوغ غاياتهم عائق ، ثاروا عليه ، وعملوا على تحطيمه بالاضراب والمظاهرة ، فما بالك اذا كان ميل بعض الشبان الى المواقف السلبية اشد من ميلهم الى المواقف الايجابية ؟ انهم يحبون المعارضة لذاتها لا لما يلزم عنها من منافع . واذا ازداد الوعي الفردي في المجتمع ولم يزدد معه الوعي الاجتماعي اختل نظام الحياة، وكذلك يكون الامر اذا كان التفجر في عدد السكان او في التقدم العلمي غيرَ مصحوب بتنظيم موافق له في السلوك والاخلاق. ان الشبان يشعرون بانهم سائرون في طريق مظلم، وكل من سار في الظلام كان عرضة للخوف والوهم، والانطواء على النفس .

ثم ان الحركات الفكرية الناشئة عن تأثير بعض الفلسفات الغربية تنتقل بسرعة البرق من بلد الى آخر ، وشبان البلدان المتخلفة مولعون ابدا بالاقتداء بشبان البلدان المتقدمة . ويموج العالم المعاصر بالقلاقل والاضطرابات، ويعدو فيه الاقوياء على الضعفاء لفقدان الوازع الدولي . وما تشعر به الدول الضعيفة من الخوف على مصيرها ينعكس على نفوس شبابها ، فيزيدهم قلقا يضعف قدرتهم على التكيف ، ويحول بينهم وبين التغلب على المشكلات المحيطة بهم .

النزعة الى الهدم

اضف الى ذلك ان شدة حماسة الشبان تدفعهم في بعض الاحيان الى مباشرة العمل دون اعداد العدة له . لو سألتهم : ماذا يريدون من ثورتهم ؟ لما حصلت منهم على جواب شاف . انهم يقولون : ان غرضهم هو الهدم ، فاذا سألتهم عن البناء الذي يريدون اقامته – بعد هدم البناء القديم – قالوا : ان الهادم لا يطالب بتخطيط البناء الجديد الا اذا تم له هدم البناء الفاسد اولا ، فلنبدأ اذن بالهدم ولنترك لغيرنا مشقة البناء، لنفرغ سلة التفاح من كل ما فيها ، خشية ان يبقى فيها تفاح قديم فاسد يفسد كل تفاح جديد يوضع فيها .

ان شعور الشبان بالحرية يدفعهم الى الاستقلال عن والديهم وذوي ارحامهم في المسكن والمآكل والمشرب والملبس ، وفي كل مظهر من مظاهر الحياة المادية والمعنوية ، وهذا الشعور بالحاجة الى التحرر شعور محمود ، الا انه اذا اشتد وبني على غير قاعدة انقلب الى عصاب نفسي يجعل الفتى يريد الاستقلال لذاته بارادة صورية لا بارادة حقيقية .

الخلاصة الجامعة

تلك هي اسباب ثورة الشبان في ايامنا هذه ، وهي – كما ترون – أسباب عامة تصدق على الشبان العرب كما تصدق على غيرهم ، ولكننا اذا قصرنا كلامنا على الشبان العرب دون غيرهم رأينا ان لتصارع القيم عندهم اسبابا خاصة : منها شعورهم بالاخطار المحدقة ببلادهم ، وخوفهم على بلادهم من ان تفقد استقلالها بتأثير الاستعمار والصهيونية، ومنها تخلف المجتمع العربي ، وتحمس شبانه لاخراجه من ركوده المزمن ، ومنها ازدياد التباين بين الجيل الجديد والجيل القديم بتأثير سرعة التطور الناشئة عن التقدم العلمي والصناعي ، ومنها فقدان التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ، وشعور السكان بالقلق على مصيرهم في مجتمع لا يوفر لكل منهم عملا يكسب منه معاشا متناسبا مع كفايته ، ومنها سرعة تفجر السكان في عالم يزيد عدد شبانه على نصف مجموع سكانه ، ومنها حيرة الشبان بين القديم والحديث ، دون اهتدائهم الى قيم عربية جديدة موافقة لنازعهم القومية ، ومنها ان التربية العربية لا تزال حتى الآن مترددة بين الاصالة والاقتباس ، يغلب على من ينشاون عليها الهامُ القلب ، ووحيُ العواطف الذاتية اكثرَ مما يغلب عليهم حاكمُ العقل والتفكيرُ العلمي الموضوعي .

وبديهي ان علاج هذه المشكلات لا يتم الا بعدة تدابير كثيرة : منها التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والتخطيط التربوي ، ومنها دعم الاستقلال السياسي ، واتقاء الاخطار الخارجية ، وتحقيق الاستقرار الداخلي ، والعمل على اصلاح الاوضاع السياسية والادارية ، وتنمية الشعور بالمسؤولية، وجماع ذلك كله تربية الجيل الجديد تربية ابداعية تنمي شخصيات افراده وتقوم اراداتهم ، وتعودهم الشجاعة والثبات ، والصبر ، والاقدام ،والاتزان، والمعاناة وبذل الجهد في نظام يجاوزون به واقعهم ويتغلبون به على مشكلاتهم . ■■

جميل صليبا

نيتشه



بين العبقرية والأمراض النفسية



تولستوي

بقلم : الدكتور فخري الدباغ

■ من المعروف ان اى انتاج ادبي او فني او فلسفي يرتبط بجذور نفسية في شخصية الاديب او الفنان او الفيلسوف . اى ان الفكر والادب والفن يتفاعل مع وجدان وذهنية المنتج قبل ان يصل الى العالم ، ولولا ذلك لاصبح الانسان آلة مجترة لا فضل لها في تطوير وتحسين ، او حذف واضافة ، او ابتكار واختراع . واذا سلمنا بهذه الاوليات الفكرية ادركنا ان الانتاج الفكري والفني لا يمكن عزله وتجريده عن شخصية صاحبه مهما حاولنا اغفالها او تجاهلها . وشخصية المبدع ـ كاية شخصية بشرية ـ تعتمد على كيفية نضجها منذ الطفولة وحتى البلوغ ، وعلى نوعية التجارب والظروف الحياتية التي يمر بها ، وعلى المؤهلات الجسمية والوراثية ايضا . ومن دراسة تاريخ حياة الانسان نستطيع تبرير سر نبوغه في ميدان فكري دون آخر ، ونستطيع تفسير طبيعة انتاجه وهواياته واتجاهاته وفلسفته في الحياة .

وليس سرا على القارىء المتتبع الفطن ان يستنتج ان الادب المتشائم غالبا ما يصدر عن نفسية قانطة يائسة ، وان الشعر الرمزي المغلق ينتج عن نفسية مغلقة تميل الى التعقيد ان لم تكن معقدة بالاصل ، وان المغامرات والبطولات قد تنتج عن تجارب حياتية واستكشافية حقيقية . ولكل سلوك اوجه متعددة وتفاسير مختلفة واسباب متباينة ايضا ، اى قد يكون الرمز متعمدا لحماية النفس من نقمة او سلطة او رياضة استعلاء على الآخرين ، وقد تكون احاديث المغامرة احلاما نفسية خجولة منكمشة تعوض عن شعورها بالعجز . ومهما كانت النتائج ، فان رابطة منطقية تصل بين الشخصية وانتاجها .

واعترافنا الضمني بالعلاقة اللازمة بين نفسية الانسان وانتاجه يترتب عليه اقرارنا بضرورة تقبل الانتاج كما هو مجرد عن السلوك الفردي او الاخلاقي . ولايضاح ذلك يمكننا مناقشة الانتاج بالقياس الى الصفات الشخصية .

بين الاعجاب والازدراء ..

كثيرا ما يصادف ان يتصاعد اعجاب الفرد بانتاج ما الى حدود خيالية ، وترتفع معه شخصية الكاتب او الفنان الى درجات من السمو والتقديس ، وتحاط شخصيته بهالة مفرقة في السمو . ثم يصادف ايضا ان يكتشف ذلك الفرد ثغرة او مثلبة او حدثا ينقص من شخصية ذلك المفكر او الفنان ، فتجعله يرتد الى حالة من خيبة امل وفشل اليم ، وينهار معه الاعجاب السابق وتختلط



فان جوخ

فيلسوف معتوه.. وفنان مريض.. وأديب مضطرب

عليه القيم ويشعر بالاسى وربما بالازدراء تجاهه .

وخيبة الامل هذه تدل على ان العوامل الفردية والاخلاقية اتخذت كادوات تقييم للانتاج ، وان التقييم انتقل من الموضوعية الى العاطفية ـ اى الى الازدواجية والتناقض وذلك لسببين :

الاول : لان الناحية الفردية للفكر اصبحت ميزانا وامتحانا لانتاجه .

والثاني : لان اتخاذ موقف التقييم استنادا الى الشخصية لا بد وان يؤثر في الانتاج ان شئنا ام ابينا . فكيف نوصل اذن الى موقف عادل ؟ . وقبل الاجابة على ذلك(وهي مهمة عسيرة ومسئولية دقيقة تواجه النقاد قبل كل شيء) ، قبل كل ذلك فلنستعرض نماذج من الشخصيات التاريخية وما كشفه علم النفس من اضطراباتها وامراضها التى عانتها :

كيركجارد .. والوجودية

الفيلسوف الدينى الدانمركى كيركجارد Kierkegaard (١٨١٣ ـ ١٨٥٥) ، كان ناقما على الفلسفة التخمينية،كتب عن الوجود والعدم، وعن الايمان والحقيقة والعقل . وكانت افكاره اسسا للوجودية الحديثة والوجودية الدينية الثائرة على مفاهيم البروتستنتية . وهو القائل : « الحقيقة هى الذات .. والحقيقة هى ما يحتمه الفرد » . ولكن المعروف عن كيركجارد انه كان مصابا بتقلبات وجدانية تتراوح بين الاكتئاب الشديد الى المرح الطبيعى ، وهذا ما ينطبق على اعراض المرض المعروف بذهان الكآبة والهوس الدورى Manic-Deprssive Psychosis . ومرض الكآبة يثير في المصاب نظرة نقدية للانسان والوجود وجدوى الحياة ، بل ربما يجعله فيلسوفا احيانا . وكان كيركجارد يطوى في ذاته شعورا بالاثم منذ صباه لان والده كان قد هاجم الدين مرة امامه وكفر في شبابه .

فهل اصول الفكر الوجودى الذى نعرف له وزنه ودعاته كان نتاجا لذهنية مكتئبة وشخصية معقدة متقلبة الطباع . وهل يكفى ذلك للطعن في صحة الفكر الوجودى ؟؟

اوسكار ويلد .. والانحراف

والكاتب القصاص الروائي الانكليزى اوسكار ويلد Oscar Wild (١٨٥٤ ـ ١٩٠٠) ، كان



شكسبير

يقطر نقدا وسخرية على قيود المجتمع . وكان ناقدا للخير والشر (قصة دوريان جراى) ، وداعية للفن والجمال ، ورافعا لشعار « الفن من اجل الفن » . وكان صريحا وثائرا ، وعبر عن تحديه وثورته على المجتمع الانجليزى في اواخر القرن التاسع عشر بملبسه وهيئته الاجتماعية . فراح يرتدي ملابس غريبة الالوان ، مضحكة وشاذة لا يمكن اغفالها بين آلاف الناس . وكانت هيئته وتصرفاته نسائية . وقد اتهم اوسكار وايلد ايضا بالانحراف الجنسي ، وسجن لمدة سنتين لمخالفات اخلاقية ، الا ان كتاباته وتمثيلياته ظلت على قوتها وجاذبيتها واحتفظت بمعجبيها حتى وهو في السجن.

ولم تحدث سيرة اوسكار وايلد مفعولها العكسي لدى المعجبين ..

فان كوخ .. المريض

والرسام الشهير (فان كوخ) Van Gogh (١٨٥٣ ـ ١٨٩٠) ، كان مصابا بمرض عقلي اختلف في تحديده على وجه الدقة علماء نفس معروفون . فالعالم النفساني والفيلسوف (ياسبرز) Jaspers قال انه مصابا بالشيزوفرينيا (الفصام العقلي) ، وايده في ذلك آخرون . الا ان باحثين آخرين استنتجوا من طبيعة واسلوب رسمه انه كان يميل الى التنقيط الكثير Pointallisme والى تكرار الخطوط بصورة تشبه تكرار القصور الحركي في مرض الصرع Storeotypy ، اى ان الشخص يعيد ويكرر نفس الحركة والعملية باستمرار . ودليل اصابة فان كوخ بالصرع هو تلك الرؤى الغريبة الخيالية والمواقف الذهنية الدينية التي تبناها ، والرسائل المفلسفة المبهمة التي كتبها لبعض اصحابه . ولعل تباين التشخيص والجدل الطويل حول طبيعة مرض الفنان كوخ قارب نهايته الآن بعد ان تبين في السنوات الاخيرة ان الصرع يمكن ان ينتهي بالشيزوفرينيا ، وان كلا المرضين يمكن تواجدهما في فان كوخ .

ترى ، هل ان اعجابنا بلوحات الفنان الشهير هو اعجاب بفن صادر عن مخيلة عقل مصاب بالصرع والذهان ؟ ..

نيتشة .. والعته .. والاستعلاء


أوسكار وايلد

والفيلسوف (فريدريك نيتشه) F. Nietzsche (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠) ، الذى تسلم كرسي الاستاذية وهو في الخامسة والعشرين من العمر ، ادخل على الفكر الانساني نغمة الارادة والقوة والسيطرة والعنف . ولا ريب ان فلسفة نيتشة كان لها تأثير كبير على كل ميادين الفكر العالمي ، وتأثيرها اوضح في الفلسفة الوجودية وفي ادب (برنارد شو) Bernard shaw (وابسن) Ibsen . ومنذ بلوغه الخامسة والثلاثين ، بدأ نيتشه يشعر بصداع متكرر ، والام في العينين ، لكنه ظل يشعر بالكفاءة والقوة ويؤكد تمام عافيته . وكانت رائعته (هكذا تكلم زرادشت) Thus spake zarathustra لا تحتوى ظاهريا على ما يدل على اصابته بمرض عقلي ، الا ان لغتها الغريبة ، وظهور (السوبرمان) بين ثناياها ، والدعوة الى الاستعلاء « والعودة السرمدية » Eernal Return كان اشبه بدين جديد (بشّر) به نيتشه باسم « النبى » زرادشت . وقد تبين ان نيتشه كان مصابا بالتهاب الدماغ الزهري (وما يسمى ايضا بالشلل الجنوني العام)(١) . ومن اهم اعراض هذا المرض الشعور بالعافية غير الطبيعية Euphoria ، وبالكبرياء والعزة ، وبعدم الاكتراث ، ثم التدهور التدريجي في الذاكرة ، ثم الجنون والشلل العام . وعندما ظهرت اعراض الجنون على نيتشه ، كان هو يتحدث حينذاك عن كونه « المسيح » ، وراح يوجه الخطابات الى الملوك والامراء . وقضى آخر سني حياته في مستشفى للامراض العقلية ، ثم تكفلت امه واخته برعايته في مكان منعزل بعيد عن الانظار .

ترى ، هل كانت فلسفة القوة التي ارتكزت عليها المانيا النازية نتيجة جرثومة الزهري ؟

دوستوفسكى .. المضطرب

اما الكاتب الروسي الشهير (فيودور دوستوفسكى) F. Dostoevski (١٨٢١ ـ ١٨٨١) ، فقد عانى

(١) General Paralysis of the Insane (GPI)

من حياة مضطربة، وكان معظم حياته معدما ومدينا للغير . وقد انغمس في المقامرة فترة من حياتهوكتب اثناء ذلك رائعته (المقامر) . ويمتاز دوستوفيسكي ببراعته في تصوير افكار وانفعالات النفس البشرية. وكان مصابا بداء الصرع الذي اضطره الى ترك الخدمة العسكرية كضابط في الجيش القيصري . ولازمه الصرع حتى الكبر . وقد اجاد وابدع في وصف الاحاسيس الغريبة للمصاب بالصرع عندما تقترب منه النوبة او عندما يستفيق منها . وصور الاضطراب الوجداني والمشاعر غير الطبيعية للصرع في ثنايا قصة (الابله) The Idiot التي كان بطلها مصابا بالصرع ايضا .

ترى ، هل كان الصرع سببا في الحياة المضطربة الصاخبة للكاتب المقامر ؟ .. وهل اكتسبت روائعه شيئا من التغيرات الذهنية او بصمات العقل المصاب بالصرع ؟

هل تكون الشخصية الغامضة افضل ؟

واذا تناولنا انتاجا عالميا عميق الاثر كانتاج شكسبير مثلا وجدنا ان روائعه لا تكف عن اجتذاب المعجبين ، ولم تخب عبقريتها على مر الزمن . ففيها دراسات لجوانب النفس البشرية من بخل وغيرة وغدر وحقد وكآبة وانتحار وحب طاهر . ان معلوماتنا عن شخصية شكسبير غير وافية ، مما دفع بعض النقاد المتشككين الى اعتباره شخصية مبهمة ، او مُقتَبِسة جامعة غير اصيلة او شخصية متنكرة . وكل ذلك التخبط حول سيرة وقابلية شكسبير جاء من بساطة منشئه وهدوء حياته مما اضفى عليه مسحة من الجلال والاكبار .

ترى ، لو كان شكسبير معقدا او مريضا ، او كانت حياته الشخصية تعج بالشذوذ والفضائح ، فهل نتوقع ان تتبدل نظرة الناس اليه والى انتاجه؟. وهل الرأي العام يميل الى الغموض ويفضل الشخصية المجهولة او المستترة ؟ . اذا ابينا على انفسنا هذه الانفعالية السطحية ، فان مثالا اخر يصلح ان يواجهنا صراحة بالدوافع النفسية في النقد والتقييم ، والمثال هو جبران خليل جبران :

فالكاتب اللبناني المهجري ، الفنان الحالم ، الثائر الرومانسي ، الداعي للفضيلة النظرية .. جبران ، تبين من رسائله الشخصية الى سيدة امريكية كانت العون الروحي والسند المادي له معظم حياته(٢) ، تبين ان جبران كان يعيش حالة من التمزق والتناقض الذاتي يدل على قلق عصابي وشعور بالنقص وعجز في الشخصية ، وانه في كتاباته كان ينافس (دون كيشوت) في مغامراته ومبالغاته واختلاقه للمواقف والازمات الكاذبة مع نفخ وتعظيم للذات : ولا ريب ان تلك الرسائل الخاصة صدعت صروح اعجاب الكثيرين وبددت احلامهم في بطولة جبران المثالية .

الحل العادل ..

يبدو ان المثقف المنصف يميل الى عدم معرفة تفاصيل حياة الكاتب والفنان لئلا يعرف عنه ما يسيئه او يؤلم مشاعره ، فان عرفه فلا يشترط ان يكون حكمه عليه مشوبا بالخيبة او الاستياء الا في حالات خاصة يمكن اجمالها بما يلي :

ان الانتاج الذي يعبر عن حياة ومشاعر و « امراض » صاحبه يختلف عن الانتاج الذي يناقض حياة ومشاعر وسلوك صاحبه . فادب الوعظ والاخلاص والتضحية يجب ان يكون القائل به مخلصا مضحيا حقا . ولا بأس ان يكون ادب المغامرة بقلم اديب مغامر ، ولا ضير ان يكون شعر السخرية بلسان ساخر ثائر .. ولا باس ان تكون فلسفة ما ناتجة عن عقل اجتاحته وجدانيات الكآبة او نفخته موجات الاستعلاء ، لا بأس من كل ذلك ما دام الانتاج ينسجم بصدق مع معاناة الاديب والفنان والفيلسوف . وعندئذ يكون الانتاج « مفهوما » حتى بلغة المرض النفسي او بمعيار التسلسل الحياتي المنطقي ، وهذا هو الصدق الفني والفكري الحقيقي .

اما التناقض او « التمثيل » او استغفال القارىء والجمهور فهو الذي يصبح موضع النقمة والاهمال والخيبة . ولعل في هذا الاستنتاج ما يفسر العوامل النفسية الدفينة في النقد والتقييم ، وهي عوامل ذات طابع اخلاقي ، ولكنها اقرب الى العدل والتجريد ،واقرب الى مبدأ الالتزام والانتماء . اما الالتزام الافضل والانتماء الاجمل فهو عندما يحاول الكاتب ان لا يحشر مسائله الخاصة جدا لاشغال او الهاء او سوء توجيه قرائه او معجبيه او مواطنيه . ■■

فخري الدباغ

(٢) راجع مقالة دكتور محمود السمرة (أضواء جديدة على جبران ـ تأليف توفيق صايغ) العربي، العدد ١٥٧ ، ص ٧٢ ، ١٩٧١ .



مدام كورى وذكريات طفولة مريرة

● مدام كورى Marie Corie ، مكتشفة الراديوم (١٨٦٧ – ١٩٤٣) عرفت الفقر وذاقت مرارة الحرمان فى طفولتها وشبابها ، قبل ان تصبح واحدة من اهل العلم الذين دخلوا التاريخ .. كتبت يوما تصف قسوة الحياة التى عاشتها ، قالت : « كانت اقسى لحظات الالم التى مرت بى يوم اكتشفت ان امى المسكينة مريضة بداء السل .. لقد حدث ذلك عندما انتصف الليل وانا مازلت طفلة اخطو خطواتى الاولى نحو الحياة الجديدة التى كنت استعد لها بدخولى المدرسة ، فقد صحوت من نومى فجاة فى تلك الليلة على صوت سعال حاد .. واقتربت من فراش امى فوجدتها تتململ ، وقد اكتسى وجهها الجميل بقناع من الصفرة الداكنة ووقفت ابكى ، الى ان غلبنى النعاس ، فنمت تحت قدميها ..

« ولا ادرى كيف انقضت الساعات الباقية فى تلك الليلة ، فقد افقت فى الصباح على يد امى وهى تدللنى وتعبث فى شعرى ، وتنادينى : « مارى .. مارى لقد حان موعد ذهابك الى المدرسة يا حبيبتى .. وارتميت بين احضانها محاولة ان اقبلها .. ولكن امى اشاحت بوجهها الاصفر الحزين .. ونظرت الى عينيها فوجدتهما غارقتين فى الدموع !

« فى هذا الصباح جلس ابى ، لاول مرة يشرح لى سر حرمانى من تقبيل امى ، كما يفعل كل الاطفال مع امهاتهم !

« ثم تموت شقيقتى الكبرى ، وتذوى امى المسكينة بعد ان تمكن منها الداء اللعين .. وتظلم الدنيا فى وجهى ، وتضيق الحياة بنا ، انا وابى واخوتى .. واضطر الى ترك دراستى وانسى ولعى بالعلم ، فاعمل مربية للاطفال !

« كنت فى السابعة عشرة ، عندما كنت انفق كل ما اكسب فى شراء الغذاء لابى واخوتى ، وتوفير الكساء لحماية اجسامنا النحيلة من البرد والمرض ، وارسال ما تبقى لشقيقتى « برونيا » التى كانت تدرس الطب فى باريس » .

« لقد استطاعت برونيا اخيرا ان



تحقق احلامي ، فقد دعتني الى باريس لاكمل تعليمي الجامعي .. وفى باريس قدمت لي اختي كيسا مليئا بالنقود .. قالت وهي تودعني عائدة الى بولندا مسقط راسنا ، حيث وهبت حياتها لعلاج مرض السل : « انه مالك يامارى: انها الفرنكات التى كنت ترسلينها الى شهريا لانفق منها على تعليمي .. لقد اقتصدتها لك .. فقد كنت انا بدورى اعمل ، كنت اشرف على تنظيف غرف زملائي فى الكلية ، لانفق على نفسي ! »



بيضة الديك !

● ارسل ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل ، الذى تولى رئاسة الحكومة الانجليزية فى احرج فترة من تاريخ بلاده ابان الحرب العالمية الثانية ، ارسل نسخة من احد مؤلفاته الى صديقه وحليفه فرانكلين روزفلت رئيس الولايات الامريكية الاسبق . وشاء تشرشل ان يقدم كتابه لصديقه بكلمة اهداء ، قال فيها : « ارجو ان تتقبل هذه « البيضة » الجديدة الطازجة من دجاجة مخلصة ! »

وضحك روزفلت ، وهو يقرأ كلمة الاهداء ، ثم نظر الى من حوله ، وقال : « الذى كنت اعرفه عن صديقى تشرشل انه « ديك » ، وديك سمين شرس ، والديك كما نعلم لا يبيض . وسوف اكتب الى سير ونستون فورا واساله عن الظروف التى احاطت بحادث تحوله الى دجاجة ! »

الشباب ومستقبل الامة

● بنديتو كروشي Benedetto Croce (١٨٦٦ — ١٩٥٢)، الفيلسوف والكاتب والناقد الايطالي الكبير الذى وضع كتابه الشهير فلسفة الروح Filosofia Palla Spirito ، وقاوم الفاشية ووصفوه فى سنوات حياته الاخيرة بالرجل العجوز العظيم الذى مضى يحمل شعلة الحرية فى نابولى ، دون ان يجرؤ احد على اطفائها حتى موسوليني نفسه ! كتب يوما يجيب على سؤال وجهه اليه احد المحررين فى صحيفة « لي كريتكو » التى ظل يصدرها ويحررها منذ عام ١٩٠٣ ، فى الفلسفة والادب والتاريخ .. كتب يقول : « على اى اساس نستطيع ان نتنبأ بقدرة الامة ، اية امة على التقدم والرقى والرفاهية ؟

« انه الاهتمام الذى يوجهه الجيل الحاضر ، بالاجيال القادمة ، ثم هو بعد هذه الحرية التى يتمتع بها افراد هذا الجيل الحاضر .. حرية الفكر وحرية العمل من اجل توفير حياة افضل لمن يجيئون بعدهم

« اذكروا دائما اننا اذا وفرنا لاطفال الامة وشبابها الفرصة لتنمية قدراتهم، واذا استطعنا ان نقدم لهم المعرفة الكافية التي تمكنهم من ادراك ما يجرى حولهم بكل ما فيه من حسنات وسيئات ، فقد خلقنا جيلا من الشباب يستطيع ان يقود بلاده نحو مستقبل افضل ..

« ان المجتمع .. اى مجتمع يصاب بالشلل والمرض اذا اهمل ابناءه ، وهو مرض قد يودى بحياة الامة باكملها،مهما كانت حسنات هذا المجتمع والقائمين عليه فى اية مجالات اخرى ..

« ان الشباب هو الحاضر .. وهو المستقبل .. وهو ثروة البلاد التي لا تنضب ابدا »

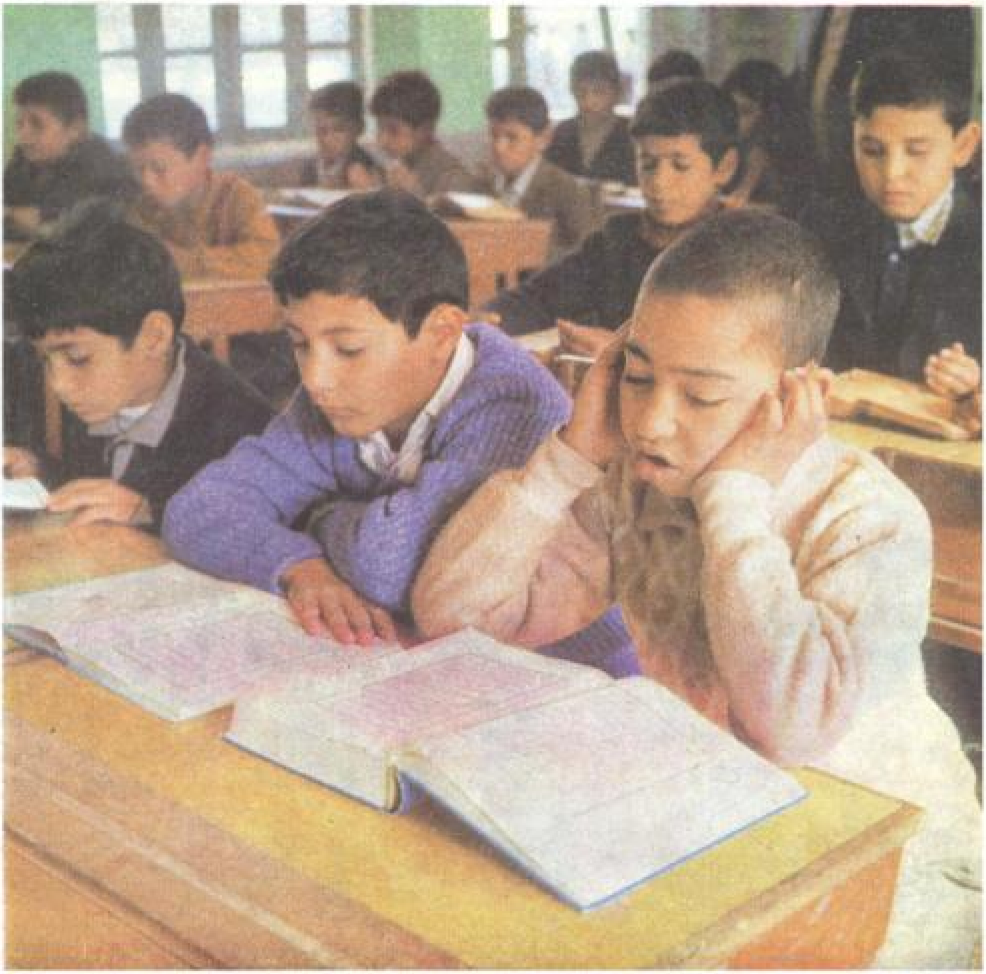
المَدارسُ العَربيَّةُ الأَهْلِيَّةُ

في الكُويْت

استطلاع
محمد خليفة التونسي

تصوير
صلاح آدم

(مصطفى امير ابو القاسم) احد طلاب الصف الاول المتوسط في احدى المدارس (ذات الطابع الاسلامي) وقد وضع يديه على اذنيه ، ومضى يرتل آيات القرآن الكريم في وقار ، على طريقة القراء الكبار ، والى جانبه زميله (نبيه محمود نافع) يصغي معنا اليه ، بعد ان سبقه في التلاوة المجودة مثله.





« اعرف نفسك » عبارة حكيمة كتبها اليونان القدماء على أحد معابدهم في بدء نهضتهم الفلسفية ، ورددها فيلسوفهم العظيم سقراط ، شعارا له «فانزل الفلسفة من السماء الى الارض» موجها اهتمامه بالانسان وصلاح اخلاقه واحواله ، بدل الاهتمام بالفلك والرياضيات في بحث مظاهر الطبيعة .

ولابد لمن يعرف نفسه من ان يعرف جسمه ، فالنفس كمال الجسم . **درسان في الاحياء** : والموضوع جسم الانسان . **في الاعلى** : فصل في المرحلة المتوسطة باحدى مدارس البنات ، وتحته فصل مثله باحدى مدارس البنين .



■ نالت النهضة التعليمية في الكويت شيئاً من اهتمام هذه المجلة خلال سنتها الماضية ، ففي العدد ١٦٢ (مايو/ايار سنة ١٩٧٢) استطلاع « معهد المعلمات » وفي العدد ١٦٨ (نوفمبر/تشرين الثاني) استطلاع « التعليم الديني » ، وكان الاستطلاع الثالث في العدد ١٦٩ (ديسمبر/كانون الاول) ، وموضوعه « تعليم الاجانب » او المدارس الاجنبية من شرقية وغربية .

والمدارس الاجنبية – وعددها ١٨ – قسم من المدارس الاهلية ، واما القسم الثاني المقابل لها فالمدارس العربية الاهلية وعددها ٤٦ (١) ، وتشرف على هذين القسمين « مراقبة التعليم الخاص » في وزارة التربية ، كما انها تشرف على قسمين آخرين : احدهما اهلي ايضا وهو « المعاهد » ، والدراسة فيها غالبا مسائية ، وهي تعلم طلابها بعض المهارات والخبرات اكثر مما تعلمهم المعارف النظرية، فبعضها لتعليم المحاسبة، أو السكرتارية، او الطابعة (الآلة الكاتبة) ، وبعضها تعلم ميكانيكا السيارات او الراديو أو التلفاز ، أو الآلات الالكترونية ، وبعضها لتعليم اللغات الحديثة ، واما القسم الاخير فانه حكومي ، وهو تعليم الكبار في مراكز محو الامية ، وتقوم به الدولة ، كشأنه في معظم البلاد النامية .

مراقبة التعليم الخاص

هذه هي الهيئة الحكومية التي تشرف على هذه الانواع او الاقسام التعليمية الاربعة ، ولاسباب سنبينها هنا ، بدات الهيئة قسما صغيرا من وزارة التربية سنة ١٩٥٩ ، سمي «قسم المدارس الاهلية» للاشراف على كل مؤسسة تعليمية اهلية ، ثم نما هذا القسم مع نمو المؤسسات التابعة له ، وشدة الحاح الحاجة الى ضبط احوالها ، حتى اذا كانت سنة ١٩٦٧ صار القسم مراقبة سميت « مراقبة التعليم الخاص » ومنذئذ اتسعت اعمالها وتنوعت، وستزداد اعباؤها سعة مع تكاثر المؤسسات التابعة لها ، وتنوع نشاطها ، وسعي الهيئة في استكمال مسئولياتها ، حتى يتم اشرافها على كل المؤسسات من شتى الجوانب بدقة واحكام .

ظهور الرقابة الرسمية على التعليم الاهلي عند ظهور الحاجة اليها

من دلائل الوعي الاجتماعي في اي دولة ان تكون عيون شعبها مع عين حكومتها ، وايديهم مع يدها للقيام بالخدمات الاجتماعية اللازمة لتحقيق المصالح العامة ، ولا ضير على احدهما ان يسبقه الآخر في التفطن الى ما ينبغي عمله ، ثم القيام به ، ما دام التالي يستطيع ان يتابع السابق حتى يلحق به ، ويعينه في مسيرته ، حاملا معه اعباءه ، موافقا له في وجهته ، ومهما يكن من عمل شيء بشري فان البشر لا يسعون اليه الا بعد ظهور الحاجة اليه .

ومن مراجعة تاريخ التعليم في الكويت نعرف انه بدا اهليا : في الكتاتيب والمساجد كسائر بلادنا العربية قبل نهضتها الحاضرة ، واقدم مدارس الكويت هي المدرسة المباركية سنة ١٩١١ ، اذ اقامها اعيان التجار بتبرعاتهم ، وسموها باسم اميرهم يومئذ « الشيخ مبارك » ، وتلتها سنة ١٩٢١ المدرسة الاحمدية بتبرعات التجار ايضا ، وسموها باسم اميرهم يومئذ الشيخ احمد الجابر الذي شاركهم فيها متبرعا بمكانها وبمعونة مالية سنوية كبيرة من ماله الخاص استمرت خمس عشرة سنة وكان طابع التعليم فيهما دينيا ، حتى تأسس مجلس المعارف سنة ١٩٣٦ ، وعن طريقه – منذئذ – تولت الحكومة كل شئون التعليم في الدولة وتكفلت بالانفاق عليها ومالت بها الى الاسلوب العصري ، وهذا المجلس هو الذي صار وزارة فيما بعد ، أي وزارة التربية .

ومع ظهور النفط في الكويت بدا يتكاثر الوافدون اليها من البلاد العربية والاجنبية ، وظهرت الحاجة الى تعليم النشء من هؤلاء وهؤلاء ، فاما الوافدون الاجانب فاقاموا لنشئهم مدارسهم الخاصة ، واما الوافدون العرب فكانت مدارس الحكومة مفتوحة امام نشئهم الى ما قبل نحو عشر سنوات ، اذ بدا عددهم يتزايد ، فاضطرت الدولة اخيرا ان تقيد عدد من تقبلهم في مدارسها من هؤلاء النشء ، فصارت تكتفي من جديد بقبول اولاد بعض الهيئات

---

(١) هذا عددها من ناحية اسمائها ، ولبعضها فرع ، ولبعضها دراسة في الصباح ، ودراسة في المساء ، وهي على هذا النحو مدرستان مستقلتان لا واحدة .



معلمةٌ الانسان ما ليس يعلم
وقائلةٌ مالا يبوحُ بـه الفـم

مطلع قصيدة في «الموسيقى» من « ديوان العقاد » . فرقة الموسيقى في احدى مدارس البنـات يعزفـن وينشدن .

الموظفة فيها : وبدات باولاد الهيئة التدريسية ، وهيئة الامن وهيئة الدفاع ، ثم الهيئة الطبية ، كما انها تقبل بعد ذلك اولاد بعض الموظفين الآخرين الذين يؤدون للدولة خدمات ممتـازة ، ومنذئذ صارت الحاجة تتزايد سنة فسنة الى مدارس اهلية عربية لتعليم اولاد الوافدين العرب .

تزايد المدارس العربية الاهلية

مع ان « مجلس المعارف » تاسس سنة ١٩٣٦ ، لم يمد اشرافه على اى من المؤسسات التعليمية الاهلية حتى سنة ١٩٥٩ ، لان هذه المؤسسات ـ من اجنبية وعربية ـ كانت قليلة ضعيفة الاثر ، فلم تكن تستحق الاهتمام . ففي تقرير التربية السنوى ، لسنة ٥٩/٥٨ اشارة الى ثلاث مدارس اجنبية فحسب ، خاصة باولاد الاجانب ، ومعظمهم انجليز وامريكيون وهنود وباكستانيون ، يتممون تعليمهم الثانوى خارج الكويت ، واشارة اخرى الى أن هناك معاهد مسائية اهلية « لتعليم اللغـة الانجليزية والآلة الكاتبة يديرها افراد ، والغرض منها تجارى » ، واغفل التقرير ذكر اى شيء آخر عنها لهوان امرها ، وفي التقرير اشارة قصيرة الى مدرسـة اهلية وحيدة هي المدرسـة الوطنيـة الجعفرية » ، مع بيان ان طلابها يتركونها بعـد المرحلة الاولى ليتحولوا الى مدارس الحكومة .

ومن هنا يظهر السبب او الاسباب في عدم اهتمام الدولة ببسط اشرافها على هذه المؤسـسـات .

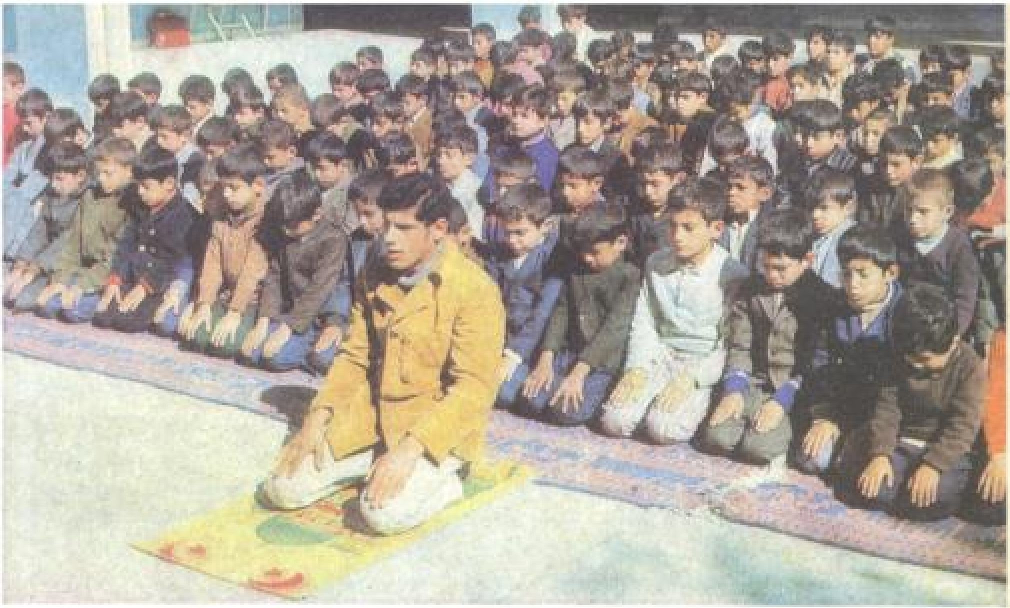
فاذا جئنا بعد ذلك الى تواريخ تاسيس المدارس الاهلية العربية وجدنا انه بعد الجعفرية ، قامت مدرسة اخرى سنة ١٩٥٠ هي «الارشاد الاسلامي» اغفلها التقرير السابق لضعف امرها يومئذ ، وفي ١٩٦٠ تاسست مدرسة ثالثة (الكويت الخاصة) وفي سنة ١٩٦١ مدرستان (فجر الصباح، والجميل) وفي سنة ١٩٦٣ مدرستان (دار الحنان ، والنجاح الوطنية وقد اسست لها فرعا فيما بعد) وفي سنة ١٩٦٤ ثلاث (السلام ، والجيل الجديد ، والامناء) وفي سنة ١٩٦٧ حدث ما يشبه الانفجار اذ تاسست احدى عشرة مدرسة دفعة واحدة (العروبة ، والسعادة، والعرفان ، والجيل الصاعد،والنجاة، والنهضة ، والاهلية ، والمنار ، ووردة الخليج ، والفحيحيل الاهلية ، والامين) كما تاسست سنة ١٩٦٨ ست مدارس(المنهل، والوليد، والراية ، والاستقلال و « فرع » النهضة ، والفحيحيل الوطنية) ، وحدث انفجار اكبر في سنة ١٩٦٩ اذ تاسست اربع عشرة مدرسـة (الاخلاص ، والاسلامية الجعفرية للبنات ، والانصار ، وبيت المقدس ، والنصر الاهلية ، والهلال ، والرائد ، والفاروق ، وام القرى ، والمجاهد ، والاستقامة ، والتفوق ، والوفاء ، وبيت الاطفال) .

ثم بدات الحركة تتراخى بعد شدة ، ففي سنة ١٩٧٠ تأسست مدرسة واحدة (الكرامة) وفي سنة ١٩٧١ مدرستان او ثلاث (الامل والرصافي التي هي مدرستان صباحية ومسائية) وفي هذا العام ٧٣/٧٢ مدرستان (حطين واليعربية) .

واذا اضفنا الى ذلك ان المدارس الاجنبية خلال ذلك زادت من ثلاث الى ١٨ والمعاهد صارت عشرين تبينت لنا الاسباب في بسط الدولة اشرافها على المؤسسات التعليمية الاهلية ، وتاسيسها لهذه الهيئة « قسم المدارس الاهلية » سنة ١٩٥٩ ، ثم التوسع فيه ودعمه حتى صار « مراقبة التعليم الخاص » سنة ١٩٦٧ .

بداية تنظيم التعليم الاهلي

حين بدات هذه المدارس تتكاثر ويظهر نشاطها



« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » . « علموا اولادكم الصلاة لسبع سنين » .
(**في الاعلى**) تلاميذ في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة بمدرسة (ذات طابع ديني) غير المدرسة السابقة — يؤدون الصلاة في خشوع وسكينة

(**تحت**) : نماذج من الفطريات ، نبتت على قطع معطنة من الخبز والبطاطة . والتلميذات في فصل متوسط يرصدنها تحت المجهر ، ويكتبن ملاحظاتهن عليها .





درس في الجغرافية ، موضوع « المملكة العربية السعودية » وقد وقف احد التلاميذ (في المرحلة المتوسطة) يشير الى موقعها على الخريطة، خلال اجابته على اسئلة مدرسه عنها ، وزملاؤه يتابعونه .

« وجعلنا من الماء كل شيء حي » استنبات البذور في الماء والتراب الندى ، وقطع القطن المبللة . والتلميذات (في المرحلة المتوسطة) ، يراقبن آخر ما وصلت اليه البذور من اطوار ، بعد أن رصدتها في أطوارها السابقة ، مستعينات بالمجهر .



اصدرت الدولة لمواجهتها « نظام التعليم الخاص » الذى اقر في ١٩٥٩/١٢/١ ، ونشر في الجريدة الرسمية (العدد ٢٥٤) ، ورصدت لتنفيذه تلك الهيئة التي سمتها « قسم المدارس الاهلية » ، وقد استهدفت من وراء ذلك اقامة حق السيادة الوطنية على هذه المؤسسات ، ورفع كفاءة التعليم فيها لتكون وسيلة تربوية لنشر الثقافة لا مجرد متجر للربح المالي ، كما توخت توحيد وجهتها مع الاهداف القومية والتقاليد المرعية .

وقد اشترط هذا النظام شروطا محكمة ليسمح بقيام اى مؤسسة تعليمية قبل مزاولة نشاطها ، سواء كانت عربية او اجنبية ، ولاحظ في هذه الشروط ان تحقق كل الاهداف المتوخاة من تشريعه .

من هذه الشروط

١ ـ الحصول على اذن الوزارة بفتح اى مدرسة قبل فتحها ، ولا يتم الاذن الا بعد ان تزورها لجنة مختصة من الوزارة ، وتقدم تقريرا يؤيد ملاءمة المبنى لمهمته تعليميا وهندسيا وصحيا .

٢ ـ حسن سيرة صاحبها ، وان يكون ناظرها ومدرسوها من ذوى المؤهلات الملائمة لنوع الدراسة فيها ولمستواها ، والوزارة هي التي تقدر ذلك ، بعد ان تقدم اليها قوائم باسم كل منهم ومؤهله وجنسيته .

٣ ـ ان تكون لغة التعليم فيها هي العربية ، الا المدارس الاجنبية فلكل منها لغتها بعد موافقة الوزارة على ذلك ، ثم تعليم الطلاب العرب فيها قدرا من مناهج المواد القومية (اللغة العربية والدين والتاريخ والجغرافية والتربية الوطنية) مساويا لما يتعلمه زملاؤهم الرسميون في المرحلة نفسها ، سواء كان التعليم عاما او مهنيا ، وتدرس هذه المواد باللغة العربية .

٤ ـ الا يكون في برامج اى مؤسسة او نشاطها ما يمس العقائد الدينية او النظم المرعية او الاتجاهات القومية .

ثم رصدت التربية لتنفيذ هذه المهمة « قسم المدارس الاهلية » وله مفتشوه ، ضمانا لتطبيق هذا النظام ودقة تنفيذه .

خطوة ثانية اقوى واوسع

وفي ١٩٦٦/١١/٧ صدر القرار الوزارى (١٣٤٨٠) ، وتلاه قرار وزارى آخر متمم له لسنة ١٩٦٧ في شأن نظام التعليم غير الحكومي ، تخضع له كل المؤسسات التعليمية غير الحكومية ، فاعتبر التعليم الخاص اهليا اذا اقتصر على تعليم ابناء البلاد العربية ، واجنبيا اذا اقتصر (اساسا) على تعليم ابناء الجاليات غير العربية ، وهذا لا يمنع ان يلتحق بها النشء العرب ، وهذا هو الواقع ، فكثير منهم بين طلاب هذه المدارس ، كما اعتبر النظام هذا التعليم ملحقا بالسفارات اذا اقتصر على تعليم اولاد الدبلوماسيين .

وفي هذا النظام توسيع لسلطة الوزارة على هذه المؤسسات ، وتمكينها من فرض الجزاء اللازم عند وقوع المخالفات ، ومن شروطه ان يكون صاحب المؤسسة كويتيا مقيما سواء كان شخصا طبيعيا من الافراد او اعتباريا كالجمعيات ، وان لا يكون من العاملين في وزارة التربية ، وان يكون حسن السيرة ، ذا قسط من التعليم يناسب مستوى المؤسسة التي يرغب في فتحها ، وذا كفاءة مالية تناسب حجمها ومراحلها الدراسية ، كما جعل الترخيص شخصيا ، يجدد كل سنة ، واشترط في مبناها ان يكون مستقلا مستكملا صحيا وتعليميا ، خاضعا للتفتيش الصحي قبل مباشرة العمل وخلاله ، وان يضم عددا وافيا من الفصول والساحات مع



لا مفر من الدراسة العلمية نظريا وعمليا في عصر العلم والتكنية . تلميذات في المرحلة المتوسطة في احد دروس الفيزياء .

غرف للادارة والنشاط المدرسي والمكتبة ومرسم ومختبر (على وفق المراحل التعليمية) ، وان يستوفي من الاثاث والادوات اللازمة ما يكفل حسن سير الدراسة .

كما الزم النظام عدم قبول أى طالب كويتي في سن الالزام (٦ ــ ١٦ سنة) الا باذن الوزارة وعدم قبول اى طالب من خارج الكويت او داخلها الا ان تعتمد الوزارة شهادة انتقاله ، كما الزمها التقيد بالعطلات الرسمية وحدها ، ولا تعطل في غيرها الا باذن خاص من الوزارة .

كما اشترط في ناظر المدرسة ومدرسيها السيرة الحميدة ومؤهلات وخبرات في التعليم تناسب المرحلة التى يعملون فيها ، مع تفرغهم للعمل ، وموافقة الوزارة على كل منهم ، وان لا يكون ايهم من العاملين في وزارة التربية وعدم الجمع بين البنين والبنات ، الا في مرحلتى الرياض والابتدائى ، دون غيرهما ، والتقيد بمناهج الوزارة ونظم امتحاناتها واستعمال كتبها دون غيرها الا باذن الوزارة .

والزم النظام المدارس الاجنبية بتدريس اللغة العربية للطلاب العرب ، والدين الاسلامى للطلاب المسلمين ، وتدريس تاريخ الكويت وجغرافيتها باللغة التى تدرسها المدرسة .

ولاشك ان هذا النظام كان خطوة اكبر ، لتمكين وزارة التربية من الاشراف الواسع على كل هذه المؤسسات ، ودعم اجهزة الهيئة المشرفة عليها ، وهى الهيئة التى سمتها منذ تلك السنة حتى اليوم « مراقبة التعليم الخاص » واثار هذه الاجهزة واضحة فيما استطلعناه من المدارس الاجنبية اولا ، والمدارس العربية اخيرا ، وفيما رايناه من اقسام هذه الاجهزة ، واختصاصاتها المتنوعة حين زرنا المراقبة نفسها .

المدارس الاهلية
هي الجناح الثاني للمدارس الحكومية

وعند زيارتنا « مراقبة التعليم الخاص » بدانا بزيارة مراقبها الاستاذ عبد العزيز التمار الذى جمعنا في مكتبه برؤساء اجهزة المراقبة ، لنتحادث معه ومعهم بما نريد استيضاحه ، وكان فيما حدثنا به ان المدارس الاهلية هى الجناح الثانى للمدارس الحكومية في التعليم العام ، وانها تشاركها اعباء مهمتها التربوية الجليلة بهمة نشاط . وهذا ما يحسه المراقب المسئول عن هذه المدارس ، وهذا تقديره لتبعاتها وتبعاته هو واعوانه تجاهها ، ونحن نشاركه احساسه بثقل هذه التبعات ، وتقديره لمهمة هذه المدارس الناشئة ذوات العدد الوافر ، ونعرف ان كل ما هو بشرى فانه يتشعب في نشاته ويتشعب، باشد منه بعد ممارسة التجارب المرشدة ، وتحصيل الخبرة البصيرة .

وبعد ان زودنا الاستاذ التمار في مكتبه بما اردنا من معلومات ووثائق انتقلنا الى مكتب مساعده الاستاذ محمد سعود الدخيل رئيس « قسم المدارس العربية الاهلية » لنستوفى ما نريد من معلومات ، ونضع خطة زيارة بعض المدارس ، فقدم لنا ما طلبنا من معلومات ، ثم « تقريرا » من ٧٥ صفحة يعرض فيه شئون التعليم الخاص ويبحث احواله ومشكلاته في الحاضر والغد القريب ، ولم يكن منتظرا ولا ضروريا ان نزور كل المدارس العربية الاهلية واحدة فواحدة ــ وهى ٤٦ او ٤٨ــ فتركنا له اختيار بضع مدارس تمثلها اقرب تمثيل ، من كبرياتها ووسطياتها وصغرياتها ، على اختلاف مراحلها واعمارها ، بعضها للبنين وبعضها للبنات ، فاختار لنا ثمانيا ، ثم اخترنا ثلاثا اخرى ، ثم اصطحبنا معا في استطلاع بعضها ، وشاركنا مندوبه السيد خالد عبد الرزاق في استطلاع البقية ، فزرناها خلال عملها المدرسى ، والتقينا بنظارها وناظراتها،وتجولنا خلالها فصولا ومختبرات ، ومراسم ومكتبات ، وافنية وعيادات، حتى دروس التربية المنزلية للبنات .

وتظهر اعباء التعليم الاهلى حين توازن بينه وبين التعليم الحكومي في المراحل العامة من خلال النمو السكانى في الكويت ، وحسبنا الاشارة الى آخر احصاءين ، احدهما في سنة ١٩٦٥ والثاني في سنة ١٩٧٠ .

السنة	الكويتيون	الوافدون	المجموع
٦٥	٢٢٠٠٥٩	٢٤٧٢٨٠	٤٧٦٣٣٩
٧٠	٣٤٧٣٩٧	٣٩١٢٦٦	٧٣٨٦٦٣

والسكان اليوم اكثر ، ومعظم الوافدين من اهل البلاد العربية ، ولهم صغارهم المحتاجون الى التعليم .

وهذه قائمة بعدد الفصول والتلاميذ (بنين وبنات) في مراحل التعليم العام للسنة الدراسية الماضية ١٩٧٢/٧١ ، وقد اخترنا عدد الفصول لانها ادل على حركة التعليم في قفزاتها الواسعة السريعة :



الفن يتمم الحياة : يبرز خفاياها، ويجسمها ويوسعها ويجملها . نموذجان من رقائق الخشب : اولهما للمسجد الاقصى ، والثاني لمسجد اثري آخر . اشترك في عملهما التلاميذ (في المرحلة المتوسطة) بمساعدة مدرسهم **(الى اليمين)** . الطفولة لعب ومرح وطلاقة، ومن هذا الطريق يتعلم الصغار ، وكذلك يتكلم الكبار (صف في احدى الرياض) **اسفل لليمين**







الرياضة قوة ورشاقة وجمال · وخير النظم ما كفل الحرية لكل فرد من أفراد الفريق ، ونسق بين مختلف حركات نشاطهم معاً ، كما تنسق في الجسم الحي حركات أعضائه ، تلاميذ (في المرحلة المتوسطة) يتدربون في الهواء الطلق ،

الملاحظة والتجربة : كلتاهما تفتح للفكر طريقه ، وتحدد مسيرته ، وتضبط خطاه ، وتجنبه المزالق والعثرات ، فتحفظ له التقدم ، طالبات (في المرحلة الثانوية) داخل المختبر ، خلال تجربة كيميائية .



مرحلة	المدارس الرسمية		الاهلية العربية		الأهلية الاجنبية	
الدراسة	الفصول	التلاميذ	الفصول	التلاميذ	الفصول	التلاميذ
الروضة	٥٠٤	١٢٩٧٠	١٥١	٤٧٨٦	٤٤	١٢٣١
الابتدائية	٢٠٤٠	٦٣٣٥١	٤٧٠	١٤٥٩٤	١٢٠	٣٧٢٩
المتوسطة	١٦٦٧	٤٩٩٠٥	١١٨	٣٣١٦	٨١	١٧٢٠
الثانوية	٦٧٤	١٩١٤٢	٢٠	٤٠٥	٢٥	٤٧٥
المجموع	٤٨٨٥	١٤٥٣٦٨	٧٥٩	٢٣١٠١	٢٧٠	٧١٥٥

اما قائمة هذه السنة في ١٩٧٣/١/١٢ فهي علىالنحو الآتي :

مرحلة	المدارس الرسمية		الاهلية العربية		الأهلية الاجنبية	
الدراسة	الفصول	التلاميذ	الفصول	التلاميذ	الفصول	التلاميذ
الروضة	٥٤٣	١٢٧٨٦	١٥٥	٤٩٥٦	٥٥	١٥٩٩
الابتدائية	٢٢٣٢	٦٩٢٤١	٤٥٥	١٤٥٢٨	١٤٦	٤٥٣٠
المتوسطة	١٧٨٥	٥٢٣٩٩	١٧٦	٥٢٥٠	٨٧	٢٠٨٨
الثانوية	٧٧٣	٢١٢٧٨	٣١	٦٣٢	٢٩	٥٨٨
المجموع	٥٣٥٣	١٥٥٧٠٤	٨١٧	٢٥٣٦٦	٣١٧	٨٨٠٥

ومعظم المدارس الرسميةتختص بمرحلة واحدة، وليست كذلك المدارس الاهلية ، فالاجنبية منها تجمع بين اكثر من مرحلة ، والتعليم فيها مختلط من التلاميذ والتلميذات خلال جميع المراحل ، وربما كان من اعذارهم احيانا في الاختلاط خلال المرحلتين المتوسطة والثانوية – قلة عدد التلاميذ والتلميذات معا في كل صف من كل مدرسة ، واعتيادهم قوميا على الاختلاط ، واما المدارس العربية الاهلية فليس فيها مدرسة تختص بمرحلة واحدة ، الا مدرسة ابتدائية واخرى متوسطة كما سنوضح هنا . وتتنوع الضرورات التى تملى على هذه المدارس ان تجمع بين مرحلتين او اكثر ، وهذا واضح في انها – مع هذا الجمع – قليلة الفصول، وبعضها ذات ٥ او ٦ فصول ، مع جمعها بين المرحلتين الاولين معا ، وان كانت لم تهبط – من حيث وسطها المدرسي – الى حد يبيح ان تسمّى « كتاتيب » في صورة عصرية ، فانها لا شك مدارس ، ولكنها في جهد وضيق واما الاختلاط فيها فلا يُسْمَح به الا في المرحلتين الاولين .

كما ان معظم المدارس الرسمية – على اختلاف مراحل التعليم فيها – تسترعي التفات العابر من قرب ومن بُعْد ، بعلوها وضخامتها ، وتعداد اجنحتها ، واستبحار افنيتها ، وتفردها بهندستها الخاصة اللائقة بمهمتها التعليمية ، ودون ذلك قليلا معظم المدارس الاجنبية ، فاما المدارس العربية الاهلية ففيها مدارس كبرى وافية بكل ما يلزم للدراسة وجوها الخاص ، وفي الطرف المقابل مدارس تهتز من ضعف ، ولكنها تتماسك لتنازع البقاء ، ثم مدارس اخرى بين بين وعلى درجات متفاوتة .

وهذه المدارس تختلف احجامها (فصولا وتلاميذ) كما تختلف مراحل ، وكلها تجمع اكثر من مرحلتين الا مدرسة متوسطة (١٩ فصلا) واخرى ابتدائية (صباحية ومسائية ٢٨ فصلا و ٢٤ فصلا) واتمها ذوات المراحل الاربع

بصفوفها الاربعة عشر ، وهي خمس مدارس تتراوح فصولها بين ٧٧ و ٢٦ فصلا ، ودونها مدارس فيها من الثانوية صف او اثنان او ثلاثة . وهناك مدارس تجمع بين المراحل الثلاث الاولى او الثلاث النهائية كاملة الصفوف ، او تنقصها بعض الصفوف في مرحلتها الاخيرة ، وعدد فصولها يتراوح بين ٢٧ و ١٢ . وبعضهـا يجمع المرحلتين الاوليين او الوسطيين وفصولها بين ٣٥ و ٥ . والتعليم في المرحلتين الاوليين مختلط (تلاميذ وتلميذات) وهيئات التعليم فيه نسائية خالصة، وهن لاسبابهن اولى به، واقدر عليه ، ومدارس هذا النوع ٢٦ منها ١٩ مدرسة تتراوح صفوفها بين ١٠ و ٥ ، ولكن معظمها بين ٧ و ٦ فصول، واكثر مدارس هذا النوع فصولا ، مدرسة واحدة فيها ٣٥ فصلا، والمدارس التي تليها حجما فقلما تبلغ احداها ١٥ فصلا .

وفي المرحلتين الاخيرتين المتوسطة والثانوية ينفصل التلاميذ بمدارسهم المستقلة وكذلك مدارس البنات الا ان تكون معهن فصول مختلطة من احدى المرحلتين الاوليين او كلتيهما ، واكثر مدارس البنات على هـذا النحـو سواء كانت متوسطة فحسب ، او متوسطة وثانوية معا ، ومعظم المدارس المتعددة المراحل ـ ولا سيما مدارس البنات ـ بدات بالمرحلتين الاوليين ثم نمت فصارت متوسطة او ثانوية ايضا .

احجام المدارس ومراحلها وهيئاتها التعليمية

اما المدارس الكبرى (ذوات الفصول الكثيرة) فانها تضارع المدارس الرسمية استعدادا وفخامة، وان كانت دون معظمها سعة وضخامة . ونحن نؤمن ان «التربية قدْحُ عقول ، وحَفْزُ هِمَم» وان اركان العمليات التربوية هي العلاقات الانسانية الودية الحميمة بين المربي وتلاميذه ، وخلالها يتعاون المربون وتلاميذهم بعضهم مع بعض اسرة واحدة في تفتح نشيط ، وطلاقة مسئولة ، وايمان بالحاضر ، وامل في المستقبل . ولا قيمة لما وراء ذلك الا بمقدار ما يعين على انجاز هـذه الاعمال بل هذه العمليات الحيوية .

وعلى وفق هذا المعيار تقدر عمليـة التعليم او التربية ، ويتضح ما يلزم للمدارس من ابنية واثاثات وكتب وادوات ، فكل ما لا بد منه لتحقيق هذه العملية فلا بُدّ من توفره ، وكل ما جاوز ذلك فقد يكون اشبه بالترف او الفضول ، وقد يكون في هذا وفي هذه مشغلة بما لا يفيد عما يفيد ، او مشغلة بالمفيد عما هو اولى واعظم فائدة ، وفيه فوق ذلك زيادة الكلفة على المدرسة دون مسوغ تربوي .

في بعض المدارس ولا سيما الصغيرة رأينا همة ورغبة فيما هو افضل ، ولكن تعوزها القـدرة المالية ، واكثر هذه المدارس بنيت لتكون بيوتا للسكنى، ومهما تبلغ سعة البيت وحجراته ومرافقه فالغاية منه غير الغاية من المدرسة ، وفكرته في التنظيم غير فكرتها ، وبعض هذه المباني على حظ وافر من الوفاء بمهمته المدرسية ، ولكن بعضها يوحي بالضجر ، ويستثير العطف .

وقد حددت الوزارة اجور التعليم في كل مرحلة ٥٠ دينارا للروضة، و٥٥ للابتدائي، و ٦٥ للمتوسط و ٨٥ للثانوي ، كما حددت اجور النقل واثمان الكتب وما اليها ، وهذا من مسئولياتها ، ولكن بعض نظار المدارس يرون ان ايراداتها من اجور

ينشأ الصغار على ما يُعوَّدون ، « والطفل ابو الرَّجُل» كما يقول الشاعر الانجليزي ورد زورث. في مدرسة ابتدائية صباحية وقف الصغار صفوفا، حتى اذا انتظموا على وفق فصولهم تتابعوا لدخولها في انتظام .





تلميذات في (المرحلة المتوسطة) يقفن صفوفا ، متأهبات لدخول الفصول **(الصورة الى أعلى)** .
(تحت) في جو أسري بهيج اجتمع الصغار في فصلهم (في مرحلة الروضة) احتفالا بعيد ميلاد زميلتهم ، وقد جلست على كرسي عال بين ناظرتها ومدرستها ، وهم يعزفون ويغنون ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة .







(اعلى) تلاميذ احد الفصول (في المرحلة المتوسطة) وقد انتهز استاذهم فرصة وقوع مَدْرستهم على ساحل خليجنا العربي ، خرج بهم لالتقاط انواع من صخوره ، ودراستها ، وقد امسك المدرس هنا بيسراه صخرة مرجانية وهو يشرح لهم تكون هذا النوع ، وقيام الجزر المرجانية التي تكثر في الخليج. **(الى اليسار)** تلاميذ (في المرحلة المتوسطة) اجتمعوا في المختبر خلال احد دروس الفيزياء يلاحظون ويجربون .



اذا توفرت المكتبات في أمة نارئة أغنت عن مدارس كثيرة، ومدرسة بلا مكتبة، كطائر ذي جناح واحد، ولا ينهض الطائر بفرد جناح (مكتبة مدرسة ثانوية)

التعليم لا تفي بنفقاتها الا بمشقة ، واذا زاد شيء فهو قليل ، هذا مع التشدد في النفقات ، ويدخل في هذا التشدد ان معظم المدارس توظف اقل عدد من العاملين فيها وتعطيهم رواتب دون رواتب الحكومة ، وتكلف مدرسيها (ومدرساتها) من الحصص فوق ما تكلف الحكومة زملاءهم في المرحلة ذاتها ، وتجمع لهم من التلاميذ في الفصل الواحد اكثر مما تجمع التربية في مثله ، الا في المرحلة الثانوية بالمدارس الكبرى بسبب قلة طلابها وطالباتها ، ولاملها في التوسع بعد ، والامر في ذلك كما قيل « مكره اخوك لا بطل » .

مشكلات وحلول

وفي المدارس الاهلية العربية مشكلات تعرض لها الاستاذ محمد سعود الدخيل في تقريره المشار اليه انفا، واقترح لها حلولا تستحق الالتفات والدراسة، فهو يرى « ان تعيد الدولة النظر في هذه النظم والقرارات (الصادرة قبل) وان يكون هناك قانون للتعليم الخاص ، اسوة بالدول العربية الاخرى التي بها هذا النوع من التعليم » ثم يقول : « اننا — اذا اردنا لهذا التعليم ان يسير في طريق السلامة — يجب ان نقدم له المساعدات المالية، فان الدول العربية الاخرى تقدم المساعدات المالية ، وتقدم المكافات التشجيعية للمدارس الممتازة » و « ان على الدولة ان تعيد النظر في اوضاع المعلم ، حجر الزاوية في العملية التربوية، فان الرواتب الضئيلة التي يتقاضاها المدرسون من اصحاب المدارس — لها انعكاسها على طلاب الصف ، وعلى الوضع التربوي للتلاميذ ، لذلك يجب على الدولة ان تتدخل لوضع حد ادنى لرواتب الهيئات التعليمية في تلك المدارس ، ولا تترك المسألة خاضعة للعرض والطلب » .

وتعلق هنا على مسألة الرواتب هذه فنشير الى اننا اطلعنا اول السنة الدراسية على قرار يعين حدا ادنى للمدرس في كل مرحلة، ثم علمنا ان تنفيذه قد اجّل للسنة الدراسية القادمة (٧٣ — ٧٤).

ويمضي الاستاذ الدخيل في تقريره فيقول : « ان التربية دائمة التغير ، ولذا يجب ان تتعهد الدولة بوضع برامج ودورات لمدرسي هذه المدارس» واشار الى السبب وهو ان بينهم نسبة ٢ر٥١٪ وعددهم ٧٨٤ (في سنة ٧١ — ٧٢) لا يحملون الا الثانوية ، فينبغي « اشراكهم في الدورات التي تقرر لمدرسي الوزارة ، وان تكون هناك حوافز لمن يحضر هذه الدورات » .

كما يرى وضع هذه المدارس في درجات حتى لا يُسْتَوَى بين مدرسة تستَدُّ كل احتياجاتها التربوية ومدرسة لا تستوفيها ، وعلى وفق الكفاية تكون الدرجة .

والوزارة تقدم كتبها المقررة الى المدارس بثمن التكلفة ، ويقترح الاستاذ الدخيل ان تمنح الوزارة المدارس — بالمجان — الكتب المدرسية مساعدة للطلاب ، والوسائل التعليمية ، وتزود مكتباتها بما تزود به مكتبات مدارسها الرسمية .

كما يقترح ان تراقب الوزارة امتحانات النقل في هذه المدارس : كل مدرسة تحت اشراف اقرب المدارس الرسمية المماثلة اليها او اشراف المفتشين الفنيين لاجرائها . ■■

محمد خليفة التونسي

تساعد الوزارة بالكتب والوسائل التعليمية اقدم مدرستين (الوطنية الجعفرية والارشاد الاسلامي) لطابعهما الديني ، وهناك مدرسة ابتدائية ذات قسمين صباحي ومسائي مقصورة على تلاميذ بلد عربي يعلمهم فيها مجانا ويكسوهم مرة في السنة ، وقد علمنا ان صاحبة احدى المدارس — وهي أديبة فاضلة من اسرة سرية كويتية — تقبل كثيرا بالمجان ، وتساعدها سيدات وجمعيات كويتية ، اذ تتبرع كل منهن بدفع نفقات بعض التلاميذ والتلميذات ، وهذا جهد مشكور .

مواقف رجال

أُسُودٌ وَأُسُود

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ البطل الشجاع يشبهونه بالاسد في جراءته واقدامه ، فالاسد ، قوي جريء مقدام . منحوه لقب « ملك الغاب » من جدارة واستحقاق ، فاذا بلغ الانسان ان يقدم على الاسد بقلب غير هياب ، وان يتلقاه بسيفه فيضربه ويرديه ، أو يصاوله في خفة وبراعة ثم يعطف عليه بسلاحه فيصرعه متغلبا عليه ، فذلك مثار الاعجاب والتقدير .

ومع الرقى العقلى وابداعه مازال لبطولة الاجسام ، وحسن المران الفنى ، مقام كبير ، تبذل لهما الاموال ، ويسعى الى رؤية المباريات البطولية كثير من المشاهدين مُعجَبين ، وستظل القوة لها مكانها المرموق المرهوب في كل زمان .

اسماء وامثال

وقد بلغت مكانة الاسد عند العرب ان اكثروا من اسمائه واوصافه ، فهو الليث ، والغضنفر ، والضيغم والقسورة ، والهزبر ، والضبارم والهرِماس ، واسامة ، الى كثير من اسمائه واوصافه ، اورد كثيرا منها ابن سيده في المخصص ج ٨ ص ٥٩ وما بعدها . أما السبع فيشمله هو وغيره من الوحوش. وضربوا الامثال به في الشجاعة فاكثروا ، قالوا : اجرا من قسورة ، واجرا من اسامة ، واجرا من ذى لبدة ، واحمى من انف الاسد ، واشجع من اسامة ، واشد اقداما من الاسد . وامنع من لهاة الليث ..

وما كان هذا شانه فان الذين ينتصرون عليه تستحق مواقفهم الحديث عنها ، خصوصا اذا صحب ذلك شعر" رائع بديع .

جَحدَر بن مالك

كان بارض اليمامة رجل من ربيعة يقال له « جَحدر بنْ مالك العِجْلى » وكان شاعرا فحلا ، قد أمَرّ على اهل « حَجْر » وما يليها ، فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب الى عامله على « اليمامة » يوبخه ويلومه على تغلّب « جحدر » في ولايته ، ويامره بالتفرغ لطلبه والبعث به اليه ان ظفر به . فلما اتى العاملَ كتابُه دَسّ الى جحدر فتية من قومه ، ووعدهم برضا الحجاج على ما بذلوه من القبض على « جحدر » ، فمكثوا لذلك اياما حتى اذا اصابوا منه غرة شدوا عليه فاوثقوه وقدموا به على العامل ، فبعث به الى الحجاج فلما جاوزوا به « حَجْرا » انشا يقول :

لقد ّ ... هاجنى فازددت شوقا
بكاءُ حمامتين تَغَرّدان

تجاوبنا بلحنٍ أعجمي
على غُصْنَيْن من غَرَب وبَان (١)

فقلتُ لصاحبيّ وكنتُ أحزو (٢)
ببعض القول ماذا تحزوان

فقالا: الدار جامعة قريبا
فقلت ، وأنتما متمنّيان

فكان البانُ أن بانت سليمى
وفي الغَرَب اغترابٌ غيرُ دان

فما بين التفرق غير سبع
بقين من المحرّم أو ثمان

فيا أخويّ من كعب بن عمرو
أقلا اللوم إن لم تنفعاني

إذا جاوزتما نخلات « حجر »
وأندية اليمامة فانعياني

إلى قوم إذا سمعوا بقتلي
بكى شبانهم وبكى الغواني

وقولا جحدرٌ أمسى رهينا
يُعالج وقع مصقول يماني

يحاذر صولة الحجاج ظلما
وما الحجاج ظلام لجاني

فإن أهلك فرُبّ فتى سيبكي
عليّ مهذب رخص البنان

ولم أكُ قد قضيت حقوق قومي
ولا حق المهند والسنان

كذا المغرور بالدنيا سيُردى
وتُهلكه المطامع والأماني

اختبار شديد

فلما قدم به على الحجاج قال له : انت جحدر؟ قال : نعم ، اصلح الله الامير ، قال : فما حملك على ما صنعت ؟ قال : جراءة الجنان ، وكلب الزمان ، وجفوة السلطان . قال الحجاج : وما الذي بلغ من امرك فيجرا جنانك ، ويكلب زمانك ، ويجفوك سلطانك ؟ قال : لو بلاني الامير لوجدني من صالح الاعوان ، وبهم الفرسان – أي شجعان الفرسان – واما جراة جناني فاني لم الق فارسا قط الا كنت عليه في نفسي مقتدرا . فقال له الحجاج بن يوسف : انا قاذفون بك في جب ليث ، فان هو قتلك كفانا مؤنتك ، وان انت قتلته خلينا عنك ، واحسنا جائزتك . قال : نعم ، اصلح الله الامير ، قربت المحنة ، واعظمت المنة ، انت اهل ذلك اذا شئت .

ليث وليث

حينئذ امر به فقيد وحبس ، وكتب الى عامله على « كسكر » يامره ان يبعث اليه باسد ضار ، فبعث اليه باسد قد اضر باهل « كسكر » في صندوق يجره ثوران ، فلما قدم به على الحجاج امر به فادخل في جب ، وسد بابه ، وجوعه ثلاثة ايام . ثم اتى بجحدر وأمكن من سيف قاطع ، وجلس الحجاج والناس ينظرون اليهما ، فلما نظر الاسد الى جحدر وقد اقبل ومعه السيف وهو يرسف في قيوده تهيا وتمطى ، فانشد جحدر يقول :

ليثٌ وليثٌ في مكان ضنك (٣)
كلاهما ذو أنف وفتك

وسورة في صولة ومحك (٤)
إن يكشف الله قناع الشك

من ظفري بحاجتي ودركي
فذاك أحرى منزل بترك

فوثب اليه الاسد وثبة شديدة ، فتلقاه جحدر بالسيف ، فضرب هامته ففلقها حتى خالط ذباب

---

(١) الغرب والبان من انواع الشجر .
(٢) احزو : اتكهن .
(٣) ضنك : ضيق
(٤) السورة : الحدة ، والمحك : المنازعة والغضب

السيف لهواته وتخضبت ثيابه من دمه . وعلت اصوات الناس بالتكبير .

ان احببت فاقم

فوثب وهو يقول :

يا «جُمْلُ» إنكِ لو رأيتِ كريهتي
في يوم هَيْجٍ مُسْدِفٍ وعَجَاجِ (٥)

وتَقَدُّمي لِليثِ أرسفُ موثقـــاً
كيما أُكابِدُه على الأحـــراجِ

جَهْمٍ كأنَّ جَبينه لمّا بَـــدا
طَبَقُ الرَّحى مُتَعجّرُ الأثباجِ (٦)

يَسْمو بناظِرتينِ تَحْسَبُ فيهمـا
لمّا أجالَهُما شُعاعَ سِـــراجِ

فكأنّما خِيطَتْ عليـــه عَبـاءَةٌ
بَرْقاءُ أو قِطَعٌ من الدّيبـاجِ (٧)

أقبلْتُ أرْسُفُ في الحديدِ مُكَبَّلاً
للموتِ نفسي عند ذاكَ أُناجي

والناسُ منهمْ شامتٌ وعِصابةٌ
عَبَراتُهُمْ بي في الحُلوقِ شَواجي

قِرْنانِ مُحْتَضَرانِ قَدْ مَخَضَتْهُما
أمُّ المنيّةِ غيرَ ذاتِ نِتـــاجِ

نازَلْتُهُ إنّ النِّزالَ سَجيّـــتي
إنّي لِمَنْ سَلَفي على مِنهـــاجِ

وعَلِمْتُ أنّي لو أبَيْتُ نِزالَه
إنّي من الحجّاجِ لسْتُ بِناجـــي

فَفَلَقْتُ هامَتَـه فَخَرَّ كأنّــــه
أُطُمٌ تَساقطَ مائلُ الأبْـراجِ (٨)

ثم انثنيْتُ وفي ثيابي شاهـــدٌ
ممّـــا جرى من شاخِبِ الأوداجِ

أيقنتَ أنّي ذو حِفاظٍ ماجـــدٌ
من نَسْلِ أملاكٍ ذوي أتْـــواجِ

فقال الحجاج : ياجحدر ، ان أحببت المقام معنا فاقيم ، وان أحببت الانصراف الى بلادك فانصرف .

فقال : بل اختار صحبة الامير والكينونة معه .

ففرض له في شرف العطاء وكان من خواصه .

دادا

كلمة « دادا او داده » تستعمل الآن بمعنى المربية، وهي كلمة ليست عربية الاصل،اذ لم اجدها في اللسان ولا تاج العروس ، لكن استعمالها بهذا المعنى ـ مع ذلك ـ قديم ، فقد وردت في قصة مروية في كتاب ألف منذ أكثر من ثمانمائة عام ، كما ان أحد المحدثين كان اسم جده « دادا » هو ابو العباس احمد بن علي بن دادا ، وقد تكون هذه مهنة جدته فنسبوه اليها .

والذي يعنينا ان الفتيان كانوا يظنون ان من تربى في النعيم والترف ، ويسير داخل محفة ، لا بد ان يكون ضعيفا مؤنثا او مخنثا ، في حين ان اولئك، او بعضهم ، في الزمن القديم ، كانوا يدربون على كل أنواع الفروسية والمهارة فيها .

بعض الطاهرية

قال صاحب كتاب لباب الآداب قال يزيد بن سلمة ، او مسلمة ، الوشاء :

سرنا في رفقة صغيرة ، كانت فيها قبة مستترة ، حولها خدم وعجائز ، فتوهمتها قبة جارية لبعض الطاهرية ـ اى من نسل طاهر بن الحسين القائد المشهور في ايام المامون والمتوفى سنة ٢٠٧ هجرية . قال راوى القصة :

وكان في رفقتنا شاب كثير المزاح ، حلو النادرة،

---

(٥) جمل هو اسم امرأة . ومسدف : مظلم .
(٦) متعجر : سمين . والاثباج جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر .
(٧) برقاء : ذات لونين .
(٨) الاطم : الحصن .

فتَرب مني في المسايرة ، فكان مما جرى بيني وبينه أن سألته عن القبة ، لمن هي من حَـرم الطاهرية ، فقال لي : فيها شاب مؤنث مـن أبنائهم غير متماسك ـ يقصد أن يصفه بأنه رخو ضعيف . فحرصت على ان اراه ـ فكنت ربمـا رأيته يتطلع من فتحات الأغشية ، التى اسدلت على قبته ، ثم رأيته بعد ذلك وقد رفع لـه بعض السجوف .

اسد هائل الخلقة

واتفق أن افتضينا في المسير الى « كرْمَان » فاعترض القافلة أسد في خلقة هائلة ، فتخوف أهل الرفقة منه ، وقيل لهم : انه لا يرجع عن الرفقة الا بافتراس بعضهم ، فاجتمع الذين في الرفقـة وماجوا وارتفع لغطهم . ولما كانوا لا يربط بعضهم بعضا الا المسيرة دون قرابة ، لم يرد احد منهم أن يتقدم مخاطرا بنفسه ـ قال يزيد الوشاء : وكنت قريبا من قبة المؤنث ، فسمعته يقول : يادادا ، ما للناس ؟ قالت ـ وهي مشفقة خائفة عليه : خير ياسيدى . وبرزت لنا عجوز في عنقها سبحة (٩) ، فقالت : يا هؤلاء ، قد وجب حق صحبتنا عليكم ، وان علم هذا الفتى بخبر الاسد مات ـ ذلك ان اشفاقها عليه جعلها تتصور انه سيقع ميتا بمجرد سماعه بذكر الاسد ـ فاسكتوا . فقال لها الشاب الكثير المزاح : نحن في شغل بأنفسنا .

امعان في الفروسية

واعاد المؤنث القول : يادادا ، ماللناس ؟ فصاح الشاب المزّاح : الاسد قد وقف لنا يريد ان يفترس منا واحدا .

فخرج الطاهرى من القبة ، ومعه سيف مشهور ودَرَقة ، ووثب الى الارض ، واجال بصره حتى تامل الاسد ، ثم قصده ولم يأته من جهة وجهه ، فما شك احد منا أن الأسد سيفترسه ، فانفتل الطاهرى انفتالة بارعة . وضرب الأسد في كتفه فارخي قوته ، ثم ضربه اخرى في بطنه فمزق امعاءه ، وهو في مهاجمته للاسد كان يروغ روغانا سريعا لم يتمكن الأسد منه مع هذه السرعة في الروغان ، ثم احْتَزَّ رأس الأسد ، وحمله في درقته ، والناس ينظرون ، ورجع فالقى مافي يده وقال : يادادا ، عَيِيت والله ـ أى تعبت ـ فلـم يبق منا رئيس حتى غمر يديه ورجليـه بالتقبيل .

قال يزيد الوشاء : فقلت له : لماذا راوغته يا سيدى وانت قادر على قتله بالمكافحة ـ اى قتله وجها لوجه ـ قال : أردت أن يَسلم وجهه من ضربتي ، وتكون ضرباتي ضربات من كرّ عليه وهو منهزم ، ـ والحق أن تلك اعظم في الفروسية أن يجعل الأسد كأنه انهزم منه وولي هاربا ـ فكان المزّاح بعد ذلك يقول : اذا كان التخنيث فليكن مثل تخنيث الطاهري . ومازلنا به آمنين حتى دخلنا بغداد .

ممدوح المتنبى

وبدر بن عمار كان نائبا على « طَبرِيّة » وفي يوم خرج بدر ليصيد اسدا ، فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله الى اسد آخر . فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل ، فوثب الى كفل فرسه ، فاعجله عن استلال سيفه ، فضربه بالسَّوط ، ودار به الجيش ، ثم قتل بدر بن عمار الاسد ، فقال المتنبي يذكر ذلك في قصيدة مطلعها :

في الخَدِّ أنْ عزَمَ الخَليطُ رَحيلاَ
مَطَرٌ تَزيد به الخدودُ مُحـولا

يقول فيها مبينا ان هذا الاسد اهلك ناسا كثيرين ، فصارت رؤوسهم تلولا من كثرتها ، الى غير ذلك من اوصافه :

أمُعَفّر الليث الهِزَبـر بسَوْطـه
لِمن ادّخرْتَ الصارم المَصقـولا

---

(٩) يلاحظ أن كلمة السبحة استعملت من قديم ،والدليل على ذلك ذكرها هكذا في القصة كما ننطقها الآن .

وقعَتْ على «الأُرْدُن» منه بليّةٌ
نُضِدَتْ بها هام الرفاق تُلولا

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحيرةَ شارِبًا
وَرَدَ الفراتَ زئيرُه والنيلا (١٠)

مُتخضِّبٌ بدم الفوارس لابِسٌ
في غيلِه من لِبْدَتَيه غيلا

ما قُوبِلتْ عيناه إلا ظُنَّتا
تحتَ الدُّجى نارَ الفريقِ حُلولا

في وَحْدَةِ الرُّهبانِ إلا أنه
لا يعرف التحريمَ والتحليلا

يَطَأُ الثَّرى مُترفِّقًا من تيهِه
فكأنه آسٍ يَجُسّ عليلا

ويردُّ عُفْرتَه إلى يافوخِه
حتى تصير لرأسه إكليلا

وتظنّه — مما يُزمجِر — نفسُه
عنها لشدّة غيظِه مشغولا

قَصُرتْ مخافتُه الخُطا فكأنما
رَكِبَ الكَمِيُّ جَوادَه مشكولا (١١)

ألقى فريستَه وبَربَرَ دونها
وقَرُبْتَ قُرْبًا خالَه تطفيلا

فتشابَه الخُلُقان في إقدامِه
وتخالفا في بَذْلِك المأكولا

أسدٌ يَرى عُضوَيه فيك كِليهما
متنًا أزَلَّ وساعدًا مفتولا

الى ان يقول :

مازال يَجمع نفسَه في زَوْرِه
حتى حسِبتَ العَرْضَ منه طُولا

ويَدُقُّ بالصَّدْرِ الحِجارَ كأنه
يبغي إلى ما في الحَضيض سبيلا

وكأنما غرَّتْه عينٌ فادَّنى
لا يُبصِر الخطبَ الجليلَ جليلا

أنَفُ الكريمِ من الدَّنيّةِ تاركٌ
في عينِه العَدَدَ الكثيرَ قليلا

والعارُ مَضّاضٌ وليس بخائفٍ
من حتفِه مَن خاف مما قيلا

سبقَ التقاءَكَهُ بوثبةِ هاجمٍ
لو لم تُصادِمْه لجازَكَ ميلا

خذلتْه قوّتُه وقد كافحتَه
فاستنصرَ التسليمَ والتجديلا

قبضتْ منيّتُه يديه وعُنْقَه
فكأنما صادفْتَه مغلولا

سَمِعَ ابنُ عمّتِه به وبحالِه
فنجا يُهَرْوِل منكَ أمسِ مَهُولا

وأمَرُّ مما فرَّ منه فِرارُه
وكقتلِه أن لا يموتَ قتيلا

تلَفُ الذي اتّخذَ الجراءةَ خُلّةً
وعظُ الذي اتّخذ الفِرارَ خليلا

---

(١٠) الورد من صفات الاسد للونه الاحمر الضارب الى الصفرة .

(١١) الكمي : الشجاع .

بشر بن عوانة

واجمل نص ادبي ، فيه بلاغة وبراعة ، هو ما الفه بديع الزمان الهمذاني قصة ، على غرار ما ذكرناه ، شجاعة وجراءة قلب ، والذي يعنينا قصيدة على لسان بطله بشر بن عوانة العبدي ، وقد لقيه أسد قطع الطريق ، وتحامت العرب السير فيه ، فسلكه بشر ، يقصد ، الاغارة على « خزاعة » ليحضر مئات النياق مهرا لابنة عمه فاطمة . وكان على فرس مهر ، فما وصل الى نصف الطريق حتى لقيه الأسد،فقمص المهر رافعا يديه معا خوفا ، فنزل عنه ، ثم اخترط سيفه ، واتجه الى الاسد ، وتلقاه فقتله ، وقال في ذلك :

أفاطمُ لو شهدْتِ ببطنِ خبْتٍ
وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بشرا

إذن لرأيتِ ليثاً زارَ ليثاً
هِزَبْرًا أغلباً لاقى هِزَبْرا

تبهْنَسَ إذ تقاعسَ عنه مهري
مُحاذرةً فقلْتُ عُقِرْتَ مهرا

أنِلْ قدميَّ ظَهرَ الأرضِ إنّي
رأيتُ الأرضَ أثبتَ منكَ ظهرا

وقلتُ له وقد أبدى نِصالاً
مُحدّدةً ووجْهاً مُكفهِرّا

يكفكفُ غيلةً إحدى يديهِ
ويبسطُ للوثوبِ على أخرى

يُدِلُّ بمخلبٍ وبحدِّ نابٍ
وباللحظاتِ تحسبهنَّ جمرا

وفي يُمْناي ماضي الحدِّ أبقى
بمضربه قِراعُ الموتِ أثْرا

ألمْ يبلغْكَ ما فعلتْ ظُباهُ
بكاظمةٍ غداةَ لقيتُ عَمْرا

وقلبي مثلُ قلبكَ ليس يخشى
مُضاربةً فكيف يخافُ ذُعْرا

وأنت تروم للأشبالِ قُوتاً
وأطلبُ لابنةِ الأعمامِ مَهْرا

ففيمَ تسومُ مثلي أنْ يُولّي
ويجعلَ في يديكَ النفسَ قسْرا

نصحتُكَ فالتمس ياليثُ غيري
طعاماً إن لحمي كان مُرّا

فلمّا ظنَّ أنَّ الغشَّ نُصحي
وخالفني كأنّي قلتُ هُجْرا

مشى ومشيتُ ،من أسدَيْنِ راما
مَراماً كان إذ طلباهُ وَعْرا

هززْتُ له الحُسامَ فخِلْتُ أنّي
سَلَلْتُ به لدى الظلماءِ فجْرا

وجُدْتُ له بجائشةٍ أرتْهُ
بأنْ كذبتْهُ ما منّتْهُ غدْرا

وأطلقْتُ المهنّدَ من يميني
فقدَّ له من الأضلاعِ عشْرا

فخرَّ مُجدّلاً بدمٍ كأنّي
هدمْتُ به بناءً مُشمخِرّا

وقلْتُ له يعزُّ عليَّ أنّي
قتلْتُ مُناسبي جَلَداً وفخْرا

ولكنْ رُمْتَ شيئاً لم يرُمْهُ
سواكَ فلمْ أطِقْ ياليثُ صبْرا

تُحاوِلُ أن تُعلّمنى فِـــــراراً
لَعَمْرُ أبيكَ قد حاولْتَ نُكْـــراً

فلا تَجْزَعْ فقد لاقَيْتَ حُـــرّاً
يُحاذِرُ أن يُعـابَ فمِتَّ حُـــرّاً

حميم المرء واصله

وهذا المثل « حميم المرء واصلهُ » له قصة هي سبب قوله :

فقد كان « كِلاب بن فارع » في غنم له يرعاها فوقع فيها اسد ضارٍ جعل يَحْطمها ، فانبرى له كِلاب يدافع عنها، فحملَ عليه الاسد فخَبطه بمخالبه خبطة جعلت « كِلابا » على الارض ، وجثم عليه الاسد ليفترسه ، ولكنّ رجلين كانا مارّين في تلك اللحظة ، احدهما اسمه « الخُنابر بن مرة » . وقد يقال له « الخُنْبُر » وكان صديقاً حميماً وقريبا لكلاب ، والرجل الاخر اسمه « حَوْشَب » فاستغاث بهما كلاب ، فاما « الخنابر » فخاف وابتعد وخذله . واما « حوشب » فانه حمل على الاسد وهو يقول :

أعِنْــهُ إذ خذَلَ « الخُنابِــرُ »
وقد علاه مُكْفَهِــرٌّ خـادِرُ

هُرامِسٌ جَهْمٌ له زَماجِــرُ
ونابُهُ حَرْداً عليــه كاشِــرُ

ابرُزْ فإنّى ذُو حُسامٍ حاسِــرُ
إنّي بهــذا إن قتلــتُ ثابِــرُ (١٢)

فاتجه الاسد الى « حوشب » وترك « كلابا » بعد ان كان اصابه بجراح ، لكن « حوشبا » تلقى الاسد بسيفه ، فقطع اضلاعه وكتفيه ، فخر الاسد صريعا ، وقام « كلاب » الى « حوشب » وقال : انت حميمي دون « الخنابر » ، وانطلق « كلاب » بحوشب حتى اتى قومه وهو آخذ بيد « حوشب » يقول : هذا حميمي دون « الخنابر » .

ثم مات « كلاب » بعد ذلك . ويبدو انهم كانوا في الجاهلية يورثون الاصدقاء اذا لم يكن للمرء وارث . وهذا ما حدث بالنسبة الى « كلاب » فان « الخنابر » « وحوشبا » اختصما في تركته ، فقال « حوشب » : انا حميمه ، فلقد خذلتَه انت ونصرته انا وقطعته ووصلته ، وصَمتَّ عنه وأجبته . ثم احتكما الى سيد القبيلة واسمه « الخُنابس بن المُقنع » فقال « الخنابس » لحوشب : اخبرني عما كان من نصرتك اياه . فقال :

أجبْتُ كِلابــاً حين عَرّدَ إلْفُــه
وخلّاه مكبوبــاً على الوجه « خُنْبُر » (١٣)

فلما دَعاني مستغيثــاً أجبْتُــه
عليه عَبُوسٌ مُكْفَهِرٌّ غَضَنْفَــرُ

مَشيتُ إليه مَشْيَ ذي العِزِّ إذ غدا
وأقبلَ مُختالَ الخُطا يتبخْتَــرُ

فلمّا دنا من غرْبِ سيفي حبَوْتُه
بأبيضَ مصقولِ الطّرائقِ يَزْهَرُ

فقطّعَ ما بينَ الضلوعِ وحِضْنِــه
إلى حِضْنِه الثاني صَفيحٌ مُذَكّــر

فخرَّ صريعــاً في التراب مُعفّــراً
وقد زارَ منه الأرضَ أنْفٌ ومِشْفَرُ

فشهد القوم ان « كلابا » قال : ان « حوشبا » حميمي دون « الخنابر » فحكم « الخنابس بن مقنع » لحوشب ، بتركة « كلاب » وقال : « حَميمُ المرء واصِلُه » فصارت هذه الجملة مثلا . ■■

عبد الستار احمد فراج

(١٢) ثابر : غالب .

(١٣) عرد : أحجم وفر .

الانزلاق الغضروفي

بقلم : الدكتور محمود كامل البوز

■ عادني الكثير من الناس يشكون من آلام في الظهر وآلام بالساق ، وكثيرا ما ينسب هؤلاء ذلك الى رفع جسم ثقيل او حمل صندوق او كيس او سرير . ويأتي المريض الى عيادة الطبيب يتهم الصندوق او السرير ويلعن يوما دفعه الى حمل ما لا طاقة له به . والاحظ على مر السنين والايام انه لم يأتني حمال واحد يشكو ظهره ! وحسبت يوما أن ذلك من قبيل المصادفات النادرة أن لا يأتيني حمال يشكو ظهره الذى كلّ وناء بما حمل، فذهبت الى زملائي اسألهم فكانت مشاهداتهم جميعا تتفق مع ماشاهدت . ولله في خلقه شئون، فكأنما خلق الانسان ليشقى ، وكأنما لا يصلح الانسان الا بالشقاء .

فاذا كانت مشاهداتي صحيحة فخير للانسان أن يعمل حمالا حتى لا يشكو ابدا آلام الظهر !

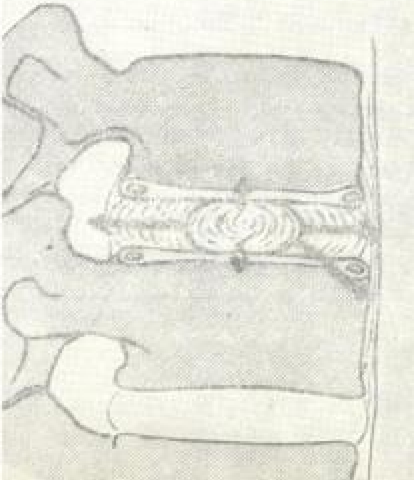
مددت بصرى الى مرضاى من البدو ، فلم اجد بينهم من يشكو الم الظهر ، وان شكا فمردُّ ذلك الى مرض عضال او درن او غير ذلك . وما أشبه البدو بالحمالين تجاه امراض الظهر ! ذلك أن البدوى والحمال قد يكون رقيق الحال نحيل الجسم ولكنه يتمتع بظهر سليم وعضلات قوية ، فكل منهما دائم الحركة لقضاء حاجاته وطبيعة عمله ، فكم يشقى البدوى ليأتي بالماء أو الطعام وكم ينعم ابن الحضر بالضغط على أزرار ، احدها للكهرباء والثاني للماء والثالث للخادم والرابع هاتف الى البقال يوفر عليه عناء الذهاب الى السوق . هكذا أصاب عضلات ابن الحضر خمولٌ ووهن ، واختفى كل ذلك تحت طيات من الدهن في جسمه المترهل الذى يخفيه تحت ثياب انيقة يتفنن الترزى في حبكها لتخفي عيوب القوام وتستر الكرش وتحجب ضمور السيقان وهبوط كتف من الاكتاف . فلا غروَ اذا همَّ صاحبنا ورفع كيسا من السكر او صندوقا من الفاكهة ان يصرخ ظهره الما .

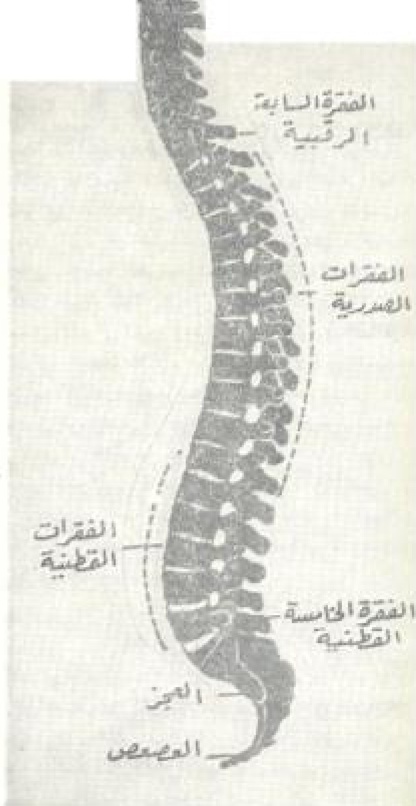
وفي الماضي البعيد لم يعرف الناس الم الظهر بالكثرة التي نشاهدها اليوم ، لان رجال الامس لم يركبوا السيارات بل ركبوا الخيل والبغال والحمير ، ولم يكن في بيتهم ماء او كهرباء بل كانوا يذهبون الى الآبار والانهار يحملون ماء اليوم وماء الغد . واذا ارادوا طعاما ذهبوا الى الغابة او الصحراء فاصطادوا طعامهم .

كانت اجسامهم نحيلة لكثرة حركتهم وقلة غذائهم ، ولكنها كانت اجساما مفتولة قوية لا تنوء ولا تخر تحت كيس من السكر او صندوق من الفاكهة .

في ذلك الزمان عرف الناس آلام الظهر عند النساء . وكانت المرأة الحديثة العهد بالزواج

زيادة الضغط داخل الغضروف تولد الانزلاق

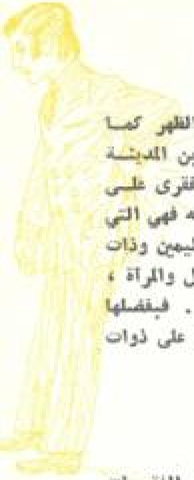




العمود الفقرى

تشكو من الم بالظهر يسرى احيانا في احدى ساقيها سريان الكهرباء ، وكان ألما شديدا تنزعج له الحامل الصغيرة السن ، ولكنها ما تلبث ان تطمئن لابتسامة الثقة في وجه امها وهي تبشرها بزوال هذا الالم العارض بعد الولادة مباشرة وان افضل دواء لها هو الاستلقاء على الظهر اثناء النهار لبضع ساعات . ولم تكن تعلم اى المرأتين ان سبب الالم كان ميل الرحم جانبا وضغطه على اعصاب الطرف الاسفل كله اثناء مرور تلك الاعصاب بالحوض العظمي على جانبي الرحم . لم تعلم المرأتان شيئا عن التشريح ، ولكنهما كانتا تسميان ذلك المرض عرق النسا وبنسبانه الى النساء والحمل والولادة . وما زالت نساء اليوم يتعرضن لنفس آلام نساء الامس .

وقد جد جديد في تطور ذلك المرض واصبح يصيب رجال اليوم اكثر مما يصيب النساء ، ولم يعد عرق النسا مقصورا على النساء كما كان في القرون الماضية فقد ضعفت عضلات الظهر كما ضعفت سائر العضلات لعدم اعتماد ابن المدينة عليها كما اسلفنا . ويعتمد العمود الفقرى على العضلات اعتمادا كاملا في حركته وسكونه فهي التي تحركه الى الامام والى الخلف وذات اليمين وذات الشمال ، وتحدد العضلات قوام الرجل والمرأة ، وتفرق بين الانسان والحيوان بقوتها . فبفضلها يقف الانسان على رجلين ويفخر بذلك على ذوات الاربع .



العمود الفقرى

والعمود الفقرى مجموعة متراصة من الفقرات العظمية ، يفصل بين كل فقرتين منها قرص غضروفي مرن يمنع احتكاكها ويمتص الصدمات ، شانه في ذلك شان الوسادة . ويوجد في وسط القرص نواة غضروفية ، وتغلفه محفظة ليفية قوية ، ويلتحم بقوة في الفقرة التي تعلوه وفي الفقرة اسفل منه وكانما هو امتداد لجسم الفقرة . ويسير الحبل الشوكي خلف هذا العمود العظمي الغضروفي في مسيرته الكبرى من المخ الى الظهر . ويتفرع من الحبل الشوكي اعصاب كثيرة كما تتفرع الاغصان من ساق الشجرة . وتذهب هذه الاعصاب الى اجزاء الجسم والى الاطراف تحمل اوامر المخ وتعليماته . هذه الشجرة العظيمة من الاعصاب جذرها هو المخ وساقها الحبل الشوكي واغصانها هي الاعصاب وتقع خلف الاقراص الغضروفية مباشرة وهي في سلام ما دامت تلك الاقراص تتمتع بمرونتها وقوتها وتماسكها .

الاعراض

اما اذا تغيرت الحال غير الحال ، وطرا تغيير كيميائي على المادة الغضروفية ، وتحللت عناصرها ، وزاد ماؤها وارتفع ضغطها الداخلي فان شكلها قد يتغير وتتبعج من هنا او من هناك فتلامس العصب الذى يجرى بجانبها او الحبل الشوكي الذى يجرى خلفها . وقد يتطور اللمس فيصبح ضغطا يعصر العصب عصرا . هنا يكون الالم في الظهر وفي الفخذ وفي الساق وفي القدم وفي كل جزء يذهب اليه ذلك العصب . وقد يصحب الالم خدر" او تنميل" ، وقد يشعر المريض ببرودة الثلج في ساقه ، او لسعة النار ، او سريان

الكهرباء . وتضطرب مشيته ، وقد يعوج ظهره ، وقد يفقد قدرته على ثني جسمه ، أو الاتيان بحركة تزيد من ضغط الغضروف على العصب ، فيخلد الانسان الى الراحة رغم انفه ، ويجد (كما وجدت الحامل من قبل) ان النوم هو السبيل الى تخفيف المه . ويلاحظ المريض انه يفضل النوم على سرير صلب ليريح عموده الفقرى، فينبذ المراتب الوثيرة والفرش الاسفنجي والسرير الهزاز .

ويبدأ الالم عادة بالظهر ثم يسرى في الطرف السفلي كله او بعضه بعد ذلك ، وقليلا ما يصيب الطرفين السفليين معا أو الواحد تلو الاخر .

وقد يصيب الساق اليسرى مرة ، ومرة أخرى يصيب اليمنى بعد ذلك بشهور او سنوات .

ولعلنا نفهم الان تفسير كل ذلك ، فالغضروف قد يتبعج يسارا فيسبب الالم بالساق اليسرى وقد يتبعج يمينا فيسبب الالم بالساق اليمنى وقد يتبعج الى الخلف في وضع متوسط فيصيب الاثنين معا .

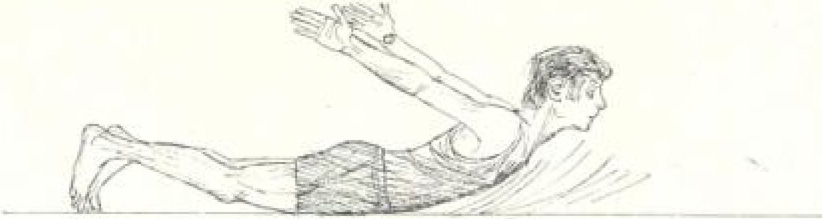
التشخيص

وعلاج هذا المرض يبدأ بالتشخيص ، مثله في ذلك مثل أى مرض آخر . وأعراضه التي أسلفنا شرحها تشابه الى حد كبير أعراض أمراض أخرى تصيب العمود الفقرى ، وتسبب فيه اعوجاجا او اوراما تضغط على الاعصاب كما يضغط عليها الغضروف المنزلق تماما . ومع اننا ندرك انها امراض قليلة الحدوث اذا قورنت بمرضنا هذا ، الا انها من الاهمية بمكان ، نظرا لخطورة بعضها ، وبعضها الاخر يحتاج الى علاج مختلف ، وفيه الشفاء الكامل باذن الله . ومن هذه الامراض التي تشبه في اعراضها أعراض الانزلاق الغضروفي نسوق ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ درن العمود الفقرى ، والاورام الحميدة والخبيثة على السواء، وبعض أمراض الدم ، وداء الملوك . ونهتم نحن ـ معشر الاطباء ـ بفحص المريض واجراء الفحص المخبرى والشعاعي لا لاثبات وجود الانزلاق ولكن للتأكد من عدم وجود مرض عضوى آخر . فالانزلاق الغضروفي لا تظهره الاشعة السينية العادية لان الغضاريف تسمح بمرور هذه الاشعة دون اعتراض . وفي بعض الاحيان يظهر على فيلم الاشعة العادى وجود نتوءات عظمية على جوانب الفقرات الملاصقة للغضروف ، ويبدو الغضروف أصغر من جيرانه ، ويدل ذلك على انزلاق قديم اصاب الفرد من سنوات ، ولا يدل على مرضه الحالي . ويلجأ الطبيب أحيانا الى الاشعة الملونة، فيحقن صبغة ملونة (حول الحبل الشوكي) في السائل الشوكي فتبين وجود أى ورم بارز في القناة الشوكية وتحدد مكانه . هذه الطريقة لا يلجأ اليها الطبيب الا نادرا عندما يحار في تشخيص المرض ، وعندما يقرر ضرورة اجراء عملية جراحية لسبب او لآخر . فالصبغة قد تسبب التصاقات حول الحبل الشوكي وبالتالي قد تسبب آلاما في الظهر. لذلك يتحتم علينا الاقلال في استعمالها ، كما يتحتم علينا سحبها بعد الكشف الشعاعي ، وعدم تركها في القناة الشوكية مدة طويلة .

العلاج

ظن الناس من قديم الزمان أن العلة في الساق فكان الكي بالنار هو العلاج . وظن آخرون أن العلة بالقدم فكانوا يجرحونها ، ومنهم من يجرى عملية بين الاصبع الرابع والخامس بظهر القدم . ومنهم من فطن الى أن الظهر هو بيت الداء وربط ذلك بضعف جنسي لا دخل للانزلاق فيه . فكوى بعضهم الظهر بالنار ولجأ آخرون الى الحجامة . وكم رأينا من محاولات ومحاولات من قوم ادعوا الطب فتخبطوا في الظلام ، وكم من مآس حدثت من النار او الحجامة لمريض يشكو اصلا من درن العظام ، او ورم لا يستعصي على العلاج الطبي الحديث .

وعندما اضاء العلم طريق الاطباء وهدى بصيرتهم بالبحث العلمي الى موطن الداء ـ وضعوا اصابعهم عليه وعرفوا الدواء . ونحن نعالج الانزلاق الغضروفي علاجا ذا مراحل . فنبدأ بالراحة التامة على فراش غير هزاز ، صلب نسبيا ، فنضع لوحا من الخشب تحت الفراش أو نضع الفراش على ارض الغرفة مباشرة ، وننصح المريض بالاستلقاء فوقه ، على ظهره أو على جنبه ، حتى يزول الالم ويستغرق ذلك اسبوعين في معظم الحالات . ويلجأ بعض الاطباء الى شد المريض من ساقيه أو من وسطه (فوق الحوض العظمي) ليزيد المسافة بين الفقرات فيخفف الضغط على العصب ، ولكن



تمرينات الظهر

الحقيقة وراء ذلك هي ضمان وجود المريض على سريره اسبوعين لان الراحة هي افضل السبل واسرعها للشفاء . فالنوم يرفع عن الغضروف وزن الجسم فيهيىء الفرصة للشفاء . ويساعد على الشفاء في تلك الفترة تناول المسكنات الخفيفة كالاسبرين والباراسيتامول . وفي الحالات التي يوجد بها تقلصات شديدة في عضلات الظهر ، نصف دواء آخر مثل الروباكسين او الروباكسيزال او النورجيسيك ، مع علمنا التام انه لا يوجد دواء يغني عن الراحة في السرير . وقد يصادفنا بعض المرضى الذين تمنعهم اسباب مختلفة عن الاخلاد للراحة في السرير ، وقد نلجأ الى الجاكتة الجبس نحيط بها الظهر والجذع كله لتمنع حركة العمود الفقرى عدة اسابيع .

وتبدأ المرحلة الثانية للعلاج بعد زوال حدة الالم ، فنعالج مريضنا بالطب الطبيعي . فنعطيه حرارة على ظهره تنفذ الى عموده الفقرى ، تلك الحرارة العميقة توفرها لنا اجهزة الموجات القصيرة الكهربائية . وفي الوقت نفسه ندلك عضلات الظهر لنعيد لها حيويتها ونشاطها ، ونبدأ بتمرينات طبية رياضية تعيد لعضلات الظهر قوتها شيئا فشيئا ، حتى تقوى الى الحد الكافي للمحافظة على العمود الفقرى وغضاريفه . وننصح مريضنا بعد ذلك بالرياضة في المنزل او النادى بصفة رتيبة ليحافظ على اللياقة البدنية لظهره .

العلاج الجراحي

وفي أحوال نادرة يصبح المرض حادا ولا ينفع فيه دواء او علاج مما اسلفنا ، ويعلم الطبيب بفحصه لمريضه أن عصبا ما يعاني من ضغط شديد يفقد العصب وظيفته ويشل ذلك العصب تماما . هنا صار انبعاج الغضروف شديدا لارتفاع ضغطه الداخلي او انفجرت محفظته وخرجت النواة الى القناة الشوكية فضغطت على الحبل الشوكي او احد اعصابه . ولا سبيل الى علاج مثل هذه الحالات الا بعملية جراحية على العمود الفقرى . فمن الظهر تنفذ الى الغضروف بين الفقرات وتفرغ ما فيه من انبعاج ونواة وتزيل الضغط عن الحبل الشوكي او العصب المجاور للغضروف . وبعد العملية نعود الى علاجنا الاصلي مرة اخرى بالطب الطبيعي ، فنصف الحرارة والتدليك والتمرينات الرياضية الطبية يوما بعد يوم حتى يعود الظهر قويا مرنا يفي بحاجات الانسان في بيته وفي عمله . والعملية الجراحية استهدفت غضروفا واحدا ولكن" بالجسم اقراص" غضروفية كثيرة عددها عدد فقرات العمود الفقرى . فالعملية الجراحية اذا ليست الدواء الناجع من الانزلاق وانما يكمن الدواء الحقيقي في الوقاية من هذا المرض . فالظهر القوى السليم لا يصيبه انزلاق غضروفي كما لم يصب الحمال او البدوى من قبل .

الرياضة اليومية ضرورة

فان كنت من سكان المدن فعليك بالرياضة اليومية كالمشي السريع ، والجرى الخفيف ، والالعاب السويديه والسباحة ، وان كان في استطاعتك الاشتراك في احد النوادى الرياضية فهذا خير لك . والدول تعالج ضعف الاجسام في رعاياها بالتربية البدنية في مدارسها ، وبتشجيع اقامة النوادى لتتغلب على ضعف الجهاز الحركي في الانسان بسبب المدنية . فالمدنية تيسر علينا سبل المعيشة وترفع عن كاهلنا المجهود البدني ، فتضعف عضلاتنا وتقل حمايتها للمفاصل والعمود الفقرى . وكما أن العقل لا يصقله الا القراءة والتفكير فكذلك العمود الفقرى لا يحميه الا قوة العضلات التي تزداد كلما ازداد المجهود الجسماني الذي يبذله الفرد كل يوم . ■■

د. محمود البوز

من الحب حياة

بقلم : منير نصيف

■ اشفق عليه اصدقاؤه، عندما علموا انه قد اصيب بالشلل، وانه لم يعد قادرا على التحرك ، الا اذا جلس على كرسيه ذي العجلات .. ولكن ادوارد شيلدون Edward Sheldon ، الكاتب المسرحي الكبير الذي لمع اسمه في اوائل القرن العشرين ، مضى يعمل ويكتب للمسرح ، دون ان تفارق الابتسامة وجهه النحيل الشاحب لحظة واحدة ..

ولكن القدر لم يرحم الرجل الكسيح ، فقد بدأ شيلدون يفقد نور عينيه ببطء ، الى ان جاء اليوم الذي فقد فيه بصره تماما .. حتى اصبح حطاما لرجل لا يرى ولا يتحرك ..

ولكن شيلدون لم ينته .. فبعد مرور عام كامل على انزوائه وحياته في عزلته ، فوجيء اصدقاؤه بمسرحية جديدة تعرض له على مسارح برودواي في نيويورك .. واسرعوا اليه في بيته ، حيث كان يقيم مع صديقه الذي ظل يلازمه طوال السنوات التي قضاها مقعدا ضريرا في فراشه لا يبرحه .. فاذا بهم يرونه متدثرا بغطاء ثقيل ، وقد جلس صديقه على مقعد قريب من الفراش وراح يكتب ما يمليه عليه .. مسرحية جديدة كان يسجل آخر مشهد من مشاهدها ..

الاحساس بالحياة

وقام الصديق يرحب بالقادمين .. واحس شيلدون بوجودهم على مقربة منه ، لاول مرة منذ عام تقريبا عندما قرر ان يتوارى عن الناس بعد ان اظلمت الدنيا من حوله ..

ودعاهم الى الاقتراب منه ، ففعلوا ، وطلب اليهم ان يعاونوه على الجلوس، فاذعنوا .. وتكلم، قال :

« كنت اتوقع مجيئكم قبل ذلك بكثير .. ما الذي منعكم من الحضور لزيارتي ! »

قالها الكاتب الكبير وقد ارتسمت على وجهه شبح ابتسامة رقيقة تنم عما كان يعتمل في صدره من فرحة بلقاء هؤلاء الاصدقاء !

وسكتوا ، وساد الصمت الغرفة .. لقد كانوا يتوقعون ان يروا اى شيء الا هذا الذي رأوه .. هل يمكن ان يعيش انسان بهذه الروح العالية بعد ان اصيب بالعمى وفقد القدرة على الحركة ؟

وقطع السكون صوت شيلدون ، وهو يحدثهم . لا عن الله وشقائه ، ولكن عنهم هم ، عن حياتهم ، وماذا صنعوا بها خلال الاثنى عشر شهرا التي انقضت قبل هذا اللقاء ..

دفء الحب

وشيئا فشيئا ، بدأ الدفء يشيع في الغرفة التي نام فيها صديقهم المريض ، رغم برودة الجو التي احسوا بها لحظة قدومهم ، في تلك الليلة من ليالي شهر ديسمبر، حيث الثلوج تتساقط فتغطي كل شيء تحتها بهذا الغطاء الابيض ..

ولكن الدفء الذى احسوا به فجأة ، لم يكن مبعثه الاخشاب الموقدة في المدفأة ، وانما كان في كل شيء راوه من حولهم .. في كل كلمة خرجت من شفتي هذا الرجل الكبير الذى جلس يسألهم عن احوالهم واخبارهم واحزانهم وافراحهم .. !

ومنذ تلك الليلة ، اصبح بيت شيلدون ، واصبحت غرفة نومه الصغيرة ، ملجأ لكل صديق



يريد ان يسترشد برايه في مشكلة تواجهه ، او ازمة حلت به .. كانوا يأتون اليه فرادى او في مجموعات .. وكان يحدثهم من فراشه ، ويدعوهم الى الحياة ، ويهون عليهم من مصائبهم .. وكانوا يتركونه مودعين ، وهم اكثر ما يكونون تفاؤلا بالحياة وكل ما تحمله لهم ، حتى في اقسى اللحظات التي تمر بهم !

كان شيلدون يستمع الى حديث اصدقائه ، ويواسيهم في محنهم ، ويفرح معهم في افراحهم مهما كانت صغيرة ، ومهما كانت تافهة .. كان انسانا ممتلئا بالحياة ، وهو الذى قست عليه الحياة فسلبته نعمة البصر ، واعجزته حتى عن الحركة !

الدنيا من حولهم

كتبت صديقة لشيلدون ، هي الكاتبة والمؤلفة الامريكية ان مورو لندبرج Anne Moreow Lind-bergh تصف احاسيسها ، عقب كل زيارة كانت تقوم بها للصديق الاعمى الكسيح : « كنا نترك غرفته ، اكثر انتعاشا ، واكثر املا بالحياة ، كنا نشعر ، كما لو كان هنالك مائة طريق وطريق يمكن ان نسلكها لكى نصل الى ما نصبو ونبتغي ، وان العمر سوف يمتد بنا طويلا لكى نحقق آمالنا .. لقد كانت الدنيا كلها تتفتح لنا من خلال جدران غرفة شيلدون الاربعة .. تلك الغرفة الصغيرة التى استطاع هذا الرجل الكبير ان يملأ كل شيء فيها بالحياة وهو السقيم العليل !! »

يقول سيدنى جورارد : « لقد كان شيلدون واحدا من هؤلاء الناس الذين تلقاهم مرة ، فلا تنساهم ابدا .. كان احد هؤلاء الذين يدعوننا الى الحياة ، الذين نحس ونحن معهم ، اننا قد كبرنا ونمونا وتجددنا .. فهم يعطوننا من نفوسهم ومن قلوبهم طاقة نستمد منها القدرة على المضي في طريق الحياة ، ويشجعوننا على بلوغ اهدافنا ، حتى لو سقطنا وتعثرنا على الطريق ..

الشاعرة المريضة

« لقد كان الشاعر الانجليزى الكبير روبرت براونتج Robert Browning ، احد هؤلاء ، فقد كانت قصته مع الشاعرة اليزابيت باريت ، من اجمل واروع قصص الحب التى سجلتها كتب الادب والتاريخ .. كانت قصته معها ، هي دعوة لهذه الفتاة الشاعرة المسكينة الى الحياة .. لقد ماتت ام اليزابيت بعد ان انجبت لزوجها احد عشر طفلا ، وكانت اليزابيت اكبرهم سنا ..

اما الاب ، الذى احس بالضياع بعد وفاة زوجته وام اطفاله ، فقد نصب من نفسه دكتاتورا طاغية في البيت .. وانعكس هذا على تصرفاته ومسلكه ازاء اطفاله .. فهو لم يكن يسمح لاحد بان يعارضه في اى امر .. وربما كانت اليزابيت باعتبارها اكبر ابنائه ، تلقى معاملة خاصة بعض الشيء من جانب ابيها ، وخاصة عندما نبغت في دراستها وبدات تقرض الشعر وتنشره على الناس .. ولكن عندما اعتلت صحتها ، وامرها الاطباء بملازمة فراشها ، لم يجد الاب ، الا ان يفعل بها ما يفعله مع بقية اخوتها واخواتها .. لقد كان صارما في تنفيذ تعليمات الطبيب ، فلم يكن يسمح لها بترك فراشها مهما كانت الظروف ، حتى بدات الفتاة المسكينة الموهوبة ، تفقد الرغبة في الاستمرار في الحياة .

دعوة الى الحياة

ولكن القدر لم يتركها تستسلم للهزيمة والمرض والموت .. فقد قيض لها رجلا عشق شعرها قبل ان يلقاها .. ولم يكن هذا الرجل الذى ارسلته السماء لانقاذها سوى الشاعر روبرت ، الذى احبها حبا جارفا بلغ حد العبادة ..

وكانت اليزابيت وقتها قد اشرفت على عامها الاربعين ، عندما تقدم روبرت يدعوها للزواج منه .. ومد اليها يده ، فامسكت بها ، وقامت من فراشها .. وطافت معه الدنيا ، وبعد عامين من زواجهما انجبت له طفلا ، وكتبت اروع قصائدها ، طوال السنوات التي تبقت لها من عمرها !

يقول جورارد : « ان المرء يعيش طالما انه يجد لحياته معنى ويجد لها قيمة ، وهو يشعر بقيمة الحياة اكثر واكثر ، عندما يكتشف ان هنالك شيئا يعيش من اجله .. فالانسان لا يموت ، الا اذا احس بان معنى الحياة قد تلاشى وآماله فيها قد خبت .

بين ابن وامه

« ان قوة الحياة وانتصارها على الموت ، من ابرز معاني الدعوة الى الحياة .. عرفت شابا فقد والده فجاة ، وكان الشاب يعيش في المدينة مع

زوجته وطفليه الصغيرين ، عندما بلغه نبأ وفاة ابيه ، فاسرع يستقل اول قطار الى الريف ، حيث تعيش امه الارملة وحدها بعد ان فقدت زوجها وشريك حياتها .. لقد كان له اربعة اشقاء، كلهم تزوجوا ونزحوا الى المدن بحثا عن الرزق ، وكان هو اكبرهم ، فرأى ان واجبه يحتم عليه ان يدعو امه الى المجيء والحياة معه هو وزوجته واطفاله ، بعد ان فقدت عائلها ..

« ووصل الشاب الى قريته ومسقط رأسه ، ودخل البيت الذى ولد ونشأ فيه ، واستقبلته امه بالعناق والقبلات .

« وقضى الابن في بيت امه يومين ، وهو لا يكف عن محاولاته لاقناعها بالسفر معه .. انه لا يستطيع ان يتصور ان تعيش امه وحيدة في هذا البيت الكبير بعد ان ذهب والده .

« ولكن الام رفضت بشدة ان تترك بيتها .. رفضت ان تفترق عن الذكريات التي اصبحت كل ما تبقى لها في هذه الحياة .. قالت لابنها : « قد اكون امرأة .. وقد اكون وحيدة حقا .. ولكنى ارفض ان اعيش عالة على امرأة اخرى ، حتى لو كانت هذه المرأة زوجة ابني ! »

طلاق في مواجهة الانواء

« ولم يجد الابن مفرا من الاذعان لرغبة امه فحزم حقيبته ، وبدأ يستعد للرحيل من حيث جاء ..

« وخرجت الام تودع ابنها .. وقف الاثنان على رصيف محطة السكة الحديد ينتظران قدوم القطار الذى سيقله عائدا الى بيته وزوجته واطفاله ..

« وكان الجو باردا ، والثلوج تغطى المكان من حولهما ..

« ووقف الشاب يودع امه اخيرا .. فقد وصل القطار .. وقبلته ، قبلة سريعة ، ثم وقفت على رصيف المحطة تلوح له بيدها ، عندما بدأ القطار يتحرك به في رحلة العودة ..

« يقول الابن ، وهو يصف هذه اللحظة .. لحظة الوداع ، كانت تقف تحت الثلوج المتساقطة، امرأة نحيلة تتشح بالسواد ، لا يزيد طول قامتها على خمسة اقدام .. قالت وهي تقترب من نافذة القطار وهو يتحرك : « اريدك ان تعلم دائما يا بني انني حتى لو فقدت كل ابنائي ، فلن يثنيني حزني عليهم ، من ان اصنع لنفسي حياة مستقلة بي ، حقيقة قد لا تكون حياة طيبة ، كما كنت اريدها واتمناها ، ولكنها حياة على اية حال !

« قالتها امي ، وهي تقف في كبرياء ، شامخة بانفها الى السماء ، وعلى وجهها ابتسامة جميلة هادئة .. ووقفتها فقط احسست بانني تركت ورائي « عملاقا » يستطيع ان يقف وحده ، ويستطيع ان يواجه وحده ، اعتى انواء الحياة !!

« لم تكن امي تعنى كلمة واحدة مما قالت ، كنت اعرف هذا ، ولكنها كانت تريد ان تراني اذهب امنا مطمئنا عليها ..

وبقيت الصورة حية

« لم تعش امي في وحدتها طويلا ، ولكن الذى عاش في ذاكرتى ، هو صورة هذه الانسانة الصغيرة الكبيرة ، الضعيفة القوية ، وهي تقف تحت الثلوج المتساقطة تلوح لي بيديها مودعة .. لقد ظلت صورة امي في مخيلتي رمزا مجسدا للحياة ذاتها »

يقول جورارد : « اننا نحس بمعنى الحياة ، عندما تمتلىء قلوبنا بالحب .. عندما نشارك الاخرين حياتهم عندما نهتم بهم ونلتزم ازاءهم .. نبنى معهم ونتعذب معهم ، ونفرح لافراحهم ونحزن لاحزانهم.. ثم نشاركهم بعد هذا آمالهم وتطلعاتهم..

« وعندما نهب من وقتنا وحياتنا للاخرين سوف تصبح الحياة اكثر متعة واكثر امتلاء .. فالحياة ، كالحب ، لا يمكن ان نحبسها داخل نفوسنا ، لابد لها من ان تجد منطلقا .. وهي لا تنمو ولا تتجدد الا اذا شاركنا فيها الآخرون ..

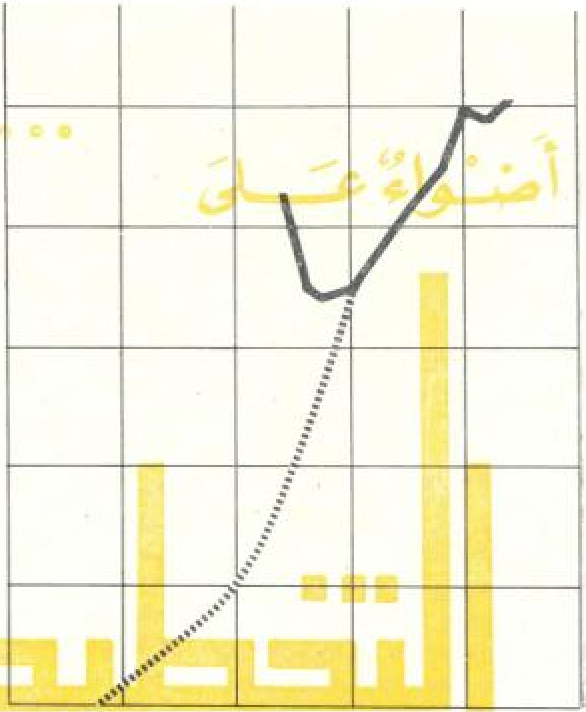
كلهم ابنائي

« عرفت امرأة احبت الاطفال ، ولكن شاء القدر ان يحرمها منهم ، فوهبت حياتها لكل طفل يتيم جاء يطرق باب البيت الصغير الذى شيدته هي وزوجها من اجل اسعادهم ..

« وعندما ماتت هذه المرأة ، احصوا عدد الاطفال الذين حواهم البيت الصغير ، فوجدوهم يزيدون على المائتى طفل .. وعندما قرأوا وصيتها ، وجدوها قد اوصت بكل ما تملك لهؤلاء الاطفال .. قالت وهي تبرر الاسباب التي من اجلها قررت ان تهب لهم كل ثروتها : « لقد علموني معنى الحب.. علموني معنى الحياة .. فقد كانوا كلهم ابنائي ! »

■■

منير نصيف



أضواء على التخطيط الإنمائي في العالم العربي

بقلم : الدكتور محمود صوان

مدير التنمية/المجلس القومي للتخطيط ـ عمان/ الاردن

■ يقوم منطق العصر الحديث كما يظهر جليا في العلاقات الدولية على القوة الاقتصادية والعسكرية للدولة ، وهذه تعتمد بدورها على طبيعة النظام الاقتصادى السائد وحسن استغلال موارد المجتمع . واقتصاديات كل دولة سداها القوى البشرية المدربة ولحمتها المصادر الطبيعية المستغلة ، وقوامها راس المال والمنظمون الاكفياء، ومن توافق هذه العناصر واستغلالها تخلق الطاقات الانتاجية .

والاستقلال السياسي بكل ما ينطوى عليه من عوامل السيادة والحرية ، لا يعني شيئا في عالم اليوم ما لم يسنده بنيان اقتصادى متين قائم على دعائم التخطيط السليم لصونه من العثرات ووقايته من الاخطار والاطماع . ونظرا لندرة الموارد الانتاجية المتوافرة لدولة ما والرغبة الصادقة في تحقيق مستوى عال من المعيشة للسكان في اقصر وقت ممكن ، فان مبدأ التخطيط الانمائي قد اصبح يتمتع بقبول عام في معظم دول العالم .

١ ـ ماهية التخطيط واهميته

التخطيط اداة علمية تعتمدها الدولة لتحقيق اهدافها القومية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية . والتخطيط كما اراه ليس غاية بحد ذاته وانما وسيلة منظمة لتحقيق غايات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية في نطاق موارده المحدودة . والتخطيط كاسلوب علمي يتطلب حصر كافة موارد المجتمع سواء كانت موارد مادية او مالية او بشرية وتحديد طريقة استغلالها لتحقيق الاهداف القومية باقل التكاليف وبادنى قدر من الضياع او التبذير في الموارد المتاحة .

وقد اصبح من الامور المسلم بها اليوم ان عملية التنمية لا يمكن ان تحدث تلقائيا ، بل لا بد من التخطيط لها . ومن هنا تبرز اهمية التخطيط في الاقطار النامية بالذات التي تحاول اللحاق بركب الدول المتقدمة صناعيا .

لذلك نستطيع القول بان التخطيط في الاقطار النامية هو الاداة للاسراع في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لغايات زيادة الكفاية الانتاجية وتحقيق مستوى افضل للمعيشة .

٢ ـ مقومات التخطيط

للتخطيط ثلاثة مرتكزات اساسية يجب توافرها في كل قطر يتبع اسلوب التخطيط كوسيلة لتطوير المجتمع فكريا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ، وهي : ـ

١ ـ وضوح الهدف كضمان حد ادنى لمستوى المعيشة ، او وقاية المواطن من الفاقة والاستغلال والترف ، او زيادة مستوى الانتاج والدخل القومي ، أو تذويب او تضييق الفوارق الطبقية السائدة ، وما شابه ذلك من الاهداف الواضحة .

٢ ـ وجود جهاز مركزي للتخطيط يقوم بوضع خطة اقتصادية واجتماعية او منهاج استثماري مع مراعاة التنسيق بين مكونات الخطة وبلورتها في صورة اطار شامل يهدف الى استخدام الموارد المعطاة لتحقيق اهداف محددة بوسائل معينة . ومن الضروري ايضا ان يقوم جهاز التخطيط بمتابعة تنفيذ الخطة عن طريق خلق اجهزة جديدة وتطوير ما هو قائم منها .

٣ ـ وجود ارادة قومية موقيادة حكيمة مستنيرة تاخذ على عاتقها تطوير المجتمع بطريقة علمية ، فتتجاوب فئات الشعب باسره مع القيادة في اعداد الخطة وتعمل بتبصر لتنفيذها وتسعى جاهدة لانجاحها .

٣ ـ انواع التخطيط

التخطيط بمعنى الربط بين الاهداف والوسائل المتبعة لتحقيق الاهداف ليس ظاهرة حديثة . وبهذا المعنى تكلم عن التخطيط كثير من المفكرين القدامى والمصريين . فمثلا افلاطون وضع مخططا لمجتمعات خيالية يوتوبية ، كما رسم طريقة للوصول اليها وبهذا المفهوم تطرق افلاطون الى التخطيط ، اي رسم الاهداف اولا ثم حاول التاليف بين الوسائل والاهداف .

والتخطيط نوعان : تخطيط مركزي شامل وتخطيط لامركزي ، يختلف كل منهما عن الاخر باختلاف اهدافه .

أ ـ تخطيط مركزي شامل

وتختلف اهداف التخطيط المركزي الشامل حسب اهداف النظام الاقتصادي السائد في كل دولة . ففي الدول الاشتراكية (دول الكتلة الشرقية) ، مثلا ، وهي الدول التي تملك جميع وسائل الانتاج والمواصلات ، يكون التخطيط مركزيا ، اي من قمة الهرم الى قاعدته و شاملا لجميع الانشطة الاقتصادية ومؤسسات الدولة واقاليمها المختلفة . ويتم تحديد مركزي للاهداف الاقتصادية والاجتماعية في ضوء سياسة الدولة لتحقيق اهداف المجتمع الاشتراكي المتمثلة في الحصول على اكبر قدر من الانتاج لغاية اشباع حاجات المجتمع . وبعد وضع الاطار العام للخطة ترسل التعليمات بطريقة التسلسل من القمة الى القاعدة ، ثم ترد المقترحات والآراء من القاعدة الى القمةبالتسلسل اليلجنة التخطيط المركزي لوضع الخطة بالصيغة النهائية .

اما الدول ذات الاقتصاد المختلط او الموجه وهي التيتحرص على تطوير القطاع الخاص في اقتصادها الوطني جنبا الى جنب مع القطاع العام ، فانها تعتمد اسلوبا من التخطيط المركزي الشامل مع تولي الحكومة زمام المبادرة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ومركزية التخطيط في

هذه الدول تتمثل في تحديد الاهداف العامة للخطة بواسطة الحكومة المركزية وقيام جهاز التخطيط المركزى باعداد الخطة بالتعاون مع الوزارات والمؤسسات العامة . وبعد اعداد الخطة يلتزم بتنفيذها القطاع العام ولكنها ليست ملزمة للقطاع الخاص ، بالرغم من اشتراكه في اعدادها في بعض بعض الاقطار ، بل هي مرشدة وموجهة للنشاط الخاص في ضوء السياسة الانمائية العامة للدولة.

ب ـ تخطيط لامركزى

يعتبر التخطيط في ظل النظام الراسمالي الحر تخطيطا جزئيا لا مركزيا ، فهو مقصور على مستوى المؤسسة الخاصة . ويقوم صاحب كل مشروع بالتخطيط لمشروعه دون اى تدخل من الدولة مستهدفا الاستغلال الامثل لعناصر الانتاج للحصول على اعظم الارباح . ولكن الازمة الاقتصادية العالمية التي حدثت في الفترة ما بين ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣ وتأثيرها السيىء على اقتصاديات الدول الراسمالية قد ادت الى ممارسة الحكومات اسلوب التخطيط في عدد غير قليل من هذه الدول . وهكذا اصبح التخطيط في الدول الراسمالية وسيلة لتعديل ما اعوج من نواقص في نظام الاثمان السائد فيها ، وهو النظام الذى يعمل على توزيع عناصر الانتاج بين مختلف الاستعمالات من ناحية ، وتوزيع الناتج القومي الاجمالي بين مختلف العناصر المساهمة في تكوينه من ناحية اخرى . ومن الاهداف الرئيسية للتخطيط في الدول الراسمالية تحقيق حد ادنى من النمو الاقتصادى المستمر ، والقضاء على التقلبات الاقتصادية الدورية القصيرة الاجل التي تؤثر في مستوى الانتاج والاستخدام وتؤدى الى تعطل البشر والآلات معا .

٤ ـ استمرارية التخطيط ومرونته

ان منطق عملية التخطيط هو استباق الاحداث بغية تغييرها او التأثير فيها للحصول على نتائج مرغوبة . وبعبارة اخرى ، فان دور المخطط هو في الواقع ترجمة الاهداف الرئيسية العامة الى ارقام وقيم محددة لجميع المتغيرات الاقتصادية والتأثير في اتجاهاتها ثم رسم كافة التدابير والاجراءات اللازمة لتحقيق تلك الاهداف . والتخطيط عملية مستمرة متواصلة ، فالافق الزمني للخطة يتراوح من سنة واحدة اى الخطة السنوية الى فترة قصيرة الاجل تتراوح من ثلاث الى سبع سنوات ، والى فترة طويلة الاجل تتراوح من خمس عشرة سنة الى خمس وعشرين سنة . وتتمثل استمرارية التخطيط ومرونته حينما توضع الخطة القصيرة او الطويلة الاجل التي تصور الوضع الاقتصادى العام في نهاية الفترة الزمنية المحددة مقارنا مع سنة الاساس ، وما يتطلب ذلك من اعادة النظر في الاطارين العام والخاص للخطة على ضوء الامور المستجدة . ومرونة التخطيط ضرورية اذا ما تغيرت الظروف والافتراضات الاساسية للخطة الموضوعة (مثل فرض ثبات الاسعار او استمرارية تدفق العون الاجنبي وغيرها) ، وتوفر المزيد من التجربة والخبرة المكتسبة وكذلك المعلومات الاحصائية الدقيقة والدراسات الفنية والاقتصادية .

٥ ـ التجارب العربية في التخطيط

اختارت بعض الدول العربية منذ بداية الخمسينات اسلوب التخطيط الجزئي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية كاداة لتدعيم الاستقلال والتخلص من براثن التخلف الذى فرض عليها اجيالا طويلة . ولكن الخطط التي وضعت كانت خططا جزئية او قطاعية ، وبعبارة اخرى لم تكن هذه الخطط سوى مناهج استثمارية عامة لم تتضمن اهدافا اقتصادية واجتماعية قومية محددة ولا نصت على سياسات او اجراءات تكفل تحقيقها، وكانت تنحصر في الانفاق العام للدولة لغاية تنمية قطاعات معينة اساسية مثل الزراعة والرى والنقل والمواصلات كما حدث في كل من مصر وسوريا والعراق والاردن .

وفي اوائل الستينات ، حدث تغير في اسلوب التخطيط في الاقطار العربية من التخطيط الجزئي الى التخطيط المركزى الشامل .

مصر وسوريا

تم انشاء وزارة التخطيط والمجلس الاعلى للتخطيط في مصر في عام ١٩٦٠ ليحلا محل المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومي الذى انشىء في عام ١٩٥٢ ، والمجلس الدائم للخدمات الذى انشىء في عام ١٩٥٣ .

كما انشئت في سوريا اول وزارة مستقلة

للتخطيط في عام ١٩٦٠ (في عهد الوحدة مع مصر) . وتم اعداد خطة عشرية في كل من سوريا ومصر لمضاعفة الدخل القومي للفترة ٦١/١٩٦٠ لغاية ٧٠/١٩٦٩ ، وانبثقت عنها الخطة الخمسية الاولى للفترة ٦١/١٩٦٠ لغاية ٦٥/١٩٦٤ . ومن الاهداف الرئيسية لهذه الخطة زيادة الدخل القومي بنسبة ٤٠٪ في نهاية الخطة اى بمعدل نمو سنوى مقداره ٦ر٩٪ .

وفي مصر ، خصص ٣٤٪ من المنهاج الاستثمارى للخطة الخمسية الاولى لقطاع التعدين والصناعة والكهرباء ، يليه قطاع الزراعة والرى بنسبة ٢٣٪ ، ثم قطاع النقل والمواصلات بنسبة ١٦٪ . اما في سوريا ، فتم تخصيص ٤٠٪ من المنهاج الاستثمارى للخطة الخمسية الاولى لقطاع الزراعة والرى ، و ١٩ر٧٪ لقطاع النقل والمواصلات ، و ١٨ر٧٪ لقطاع الصناعة والكهرباء والتعدين والبترول .

وتلا ذلك اعداد الخطة الخمسية الثانية في مصر للفترة ٦٦/١٩٦٥ لغاية ٧٠/١٩٦٩ . وحينما انتهى اعداد تلك الخطة كانت مظاهر الضغط الاقتصادى الاجنبي على مصر بدات تظهر بشكل واضح وقوى . وقد تطلب ذلك اعادة النظر في برامج الخطة حتى يمكن مواجهة الاعباء الجسام دون فرض تضحيات كبيرة على الشعب المصرى .

وقد تم التركيز في مصر بعد السنتين اللتين اعقبتا نهاية الخطة الخمسية الاولى على خطة الانجاز لمدة ثلاث سنوات (٦٨/١٩٦٧-٧٠/١٩٦٩). وتهدف الى زيادة درجة الاعتماد على النفس بحيث يرتفع الدخل المحلي بنسبة ٣٠٪ في نهايتها بالمقارنة مع سنة ٦٥/١٩٦٤ . وحالما تم اعداد خطة الانجاز وقع العدوان الصهيوني الغاشم . وقد تطلب الظرف الجديد اعداد خطط سنوية ابتداء من ٦٨/١٩٦٧ لمعالجة متطلبات ازالة آثار العدوان بالاضافة الى مشاكل التنمية .

وفي سوريا تم اعداد الخطة الخمسية الثانية (١٩٦٦ – ١٩٧٠) . وهدفت هذه الخطة الى زيادة الدخل القومي بنسبة ٤١ر٥٪ في نهايتها ، اى بمعدل نمو سنوى مقداره ٧ر٢٪ . ونال قطاع الزراعة والرى ٢٨٪ من المنهاج الاستثمارى ، وقطاع المرافق العامة والعمل الشعبي ٢٦٪ ، وقطاع الصناعة والتعدين والطاقة والوقود ١٨ر٥٪ ، وقطاع النقل والمواصلات ١٨٪ .

الاردن

انصب اهتمام مجلس الاعمار الاردني – منذ انشائه في عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٥٧ حين اعيد تنظيمه ليصبح بمثابة هيئة مركزية للتخطيط – نحو تنمية القطاعات الاساسية للاقتصاد الاردني كالزراعة والمياه والتعدين والسياحة والنقل . ومنذ مطلع الستينات تغيرت استراتيجية التخطيط في الاردن من التخطيط الجزئي الى التخطيط الشامل ليتمكن من التغلب على المشاكل والصعوبات التي تواجه المجتمع الاردني ، والتي من اهمها : العجز المزمن في الميزان التجارى والندرة النسبية في الموارد الطبيعية ، وصغر حجم السوق المحلية ، وانخفاض متوسط الدخل الفردى ، والاعتماد على الدعم الاجنبي للخزينة ، بالاضافة الى بلوغ عدد السكان في الاردن ما يزيد على ١ر٧ مليون نسمة ، منهم ٤٥ر٣٪ دون سن الخامسة عشرة ، مع ارتفاع مستوى البطالة الظاهرة والمقنعة .

وقد تمت المحاولة الاولى لوضع تخطيط اقتصادى شامل عام ١٩٦٢ عندما اعد مجلس الاعمار برنامج السنوات الخمس للتنمية الاقتصادية (١٩٦٢ – ١٩٦٥) ثم عدل في مطلع عام ١٩٦٣ بسبب الظروف الطارئة ، وتم اعداد برنامج السنوات السبع للتنمية الاقتصادية ١٩٦٤ – ١٩٧٠ الذى استهدف السير في الاردن بخطى حثيثة لتحقيق الاستقلال الاقتصادى . اما اهداف الخطة السبعية فهي كما يلي مرتبة حسب اهميتها :

١ – تخفيض العجز في الميزان التجارى تخفيضا كبيرا وكذلك تخفيض الاعتماد على المعونة الخارجية للموازنة بقدر المستطاع .

٢ – زيادة متوسط دخل الفرد بالسرعة الممكنة وبشكل يتفق مع الهدف الاول .

٣ – تخفيض مستوى البطالة .

وقد اعطيت الاولوية للمشاريع الانمائية التي تهدف الى زيادة الصادرات او تخفيض المستوردات مما سيؤدى الى زيادة الدخل القومي وتخفيض البطالة . كما اكدت الخطة على ضرورة تحديد الزيادة في الاستهلاك العام والخاص وزيادة الاستثمار وتوجيه رؤوس الاموال نحو المشاريع الانتاجية وتشجيع القطاع الخاص ليشارك في عملية التنمية . وقد استهدف تحقيق معدل نمو سنوى مركب في الانتاج القومي الاجمالي مقداره ٧ر٣٪ ، وان تزيد فرص العمالة بمعدل ٥٪ سنويا . اما نمط

الاستثمار فقد تم وضعه بشكل يحقق التغييرات الهيكلية المراد احداثها في الاقتصاد الوطني ومن ثم تنفيذ منهاج استثماري قدرت تكاليفه بمبلغ ٢٧٥ مليون دينار خلال فترة السنوات السبع ، ينفق القطاع العام ٥٣٪ منها والباقي ومقداره ٤٧٪ ينفقه القطاع الخاص . وقد خصص لقطاع الزراعة والمياه ٢٧٪ من المنهاج الاستثماري للخطة السبعية ، على حين نال قطاع النقل والمواصلات ١٩٫٤٪ ، وقطاع التعدين والصناعة والكهرباء ١٧٫٢٪ ، وقطاع السياحة ٤٫٠٪ .

العراق

يمكن اعتبار جميع الخطط الخمسية التي وضعت في العراق خلال الخمسينات وحتى منتصف الستينات خططا جزئية غير شاملة استهدفت تنمية القطاع الزراعي في الدرجة الاولى . وفي اعقاب ثورة تموز ١٩٥٨ تم انشاء مجلس التخطيط ليحل محل مجلس الاعمار الذى تاسس عام ١٩٥٠ ليقوم بوضع الخطط وتنفيذها ، كما استعيض عن وزارة الاعمار بوزارة التخطيط ، واصبح تنفيذ الخطط على اساس من اللامركزية . اما الخطة الخمسية التي تم اعدادها للفترة ١٩٦٥/٦٦ لغاية ١٩٦٩/٧٠ فهي اول محاولة في العراق في سبيل التخطيط الشامل وهدفت الى نمو الدخل القومي بمعدل ٧٫٥٪ سنويا ، واعطيت الاولوية فيها للقطاع الصناعي الذى خصص له ٢٨٪ من مجموع النفقات ، يليه قطاع الزراعة بنسبة ٢٥٫٢٪ ، وقطاع البناء والاسكان ١٩٫٤٪ ، ثم قطاع النقل والمواصلات ١٦٫٢٪ .

الكويت

تميزت فترة الخمسينات والنصف الاول من الستينات في الكويت بانفاق الدولة على مختلف المشاريع الاساسية المتعلقة بتطوير المجتمع الكويتي واستغلال موارده المادية والبشرية . وقد تم تأسيس مجلس التخطيط في بداية الستينات ليتولى الاشراف على تخطيط عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لرفع مستوى معيشة الشعب الكويتي . واعد مجلس التخطيط اول خطة خمسية شاملة للفترة ١٩٦٧/٦٨ لغاية ١٩٧١/٧٢. وهدفت هذه الخطة الى نمو الدخل القومي بمعدل ٨٪ سنويا ، بالاضافة الى تخفيض الاعتماد النسبي على قطاع النفط ومعالجة مشكلة ندرة القوى العاملة المدربة ، وتنمية الخدمات المالية والتأمينية لخدمة كل من الاقتصاد الكويتي والاقتصاديات العربية .

السعودية

كانت عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في السعودية حتى عام ١٩٦٠ تسير ببطء وبدون توجيه فعال من الحكومة. وقد حاولت الحكومة السعودية زيادة الاعتمادات المالية في ميزانية الدولة للانفاق على المشاريع الانمائية . وان تكلل جهودها الانمائية بانشاء مجلس اعلى للتخطيط في عام ١٩٦٠ . وقد تميز هذا العام بنهاية المتاعب المالية التي ارهقت الاقتصاد السعودى خلال الشطر الثاني من الخمسينات ، وبدعوة البنك الدولي للانشاء والتعمير الى ايفاد بعثة لاستقصاء امكانات التنمية الاقتصادية في المملكة .

وفي عام ١٩٦٣ حلت الهيئة المركزية للتخطيط محل المجلس الاعلى للتخطيط . وقد اصدرت هذه الهيئة منذ ذلك الحين دراستين مؤقتتين عنوانهما « تقرير اقتصادى » و « الخطوط العريضة لخطة التنمية » . وهاتان الدراستان تعتبران وثيقتين قيمتين لما فيهما من تمهيد جزئي للقاعدة التي يمكن ان تبنى عليها خطة انمائية شاملة ، ولكنهما لا تسيران بعملية التخطيط في المملكة العربية السعودية الى ابعد من المرحلة الجنينية .

وفي عام ١٩٦٢ انشأت الحكومة السعودية المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) ، بوصفها مؤسسة مملوكة للدولة ، لتنمية موارد القطر النفطية والمعدنية ، وكذلك لتنمية الصناعة والتجارة المعتمدتين على هذه الموارد .

السودان

بدأ الاهتمام بالتخطيط الانمائي في السودان منذ حصول البلاد على استقلالها ، فانشئت وزارة التخطيط وتم اعداد خطة عشرية للفترة ١٩٦٠/٦١ لغاية ١٩٧٠/٧١ ، وهدفت هذه الخطة الى زيادة الدخل القومي بنسبة ٦٥٪ في نهايتها ، وزيادة دخل الفرد بنسبة ٢٥٪ .

ونال قطاع الزراعة ٢٥٪ (او المرتبة الاولى) من المنهاج الاستثماري ، على حين خصص لقطاع الصناعة ٢٣٪ ، ولقطاع النقل والمواصلات ٢٠٪ .

ليبيا

بدات اول محاولة في ليبيا للتخطيط الانمائي في اوائل الستينات ، حينما تم اعداد الخطة الخمسية الاولى (١٩٦٤ ـ ١٩٦٨) بمنهاج استثماري وقدر بحوالي ١٧٣ مليون جنيه ليبي . ولكن هذه الخطة استحوذ عليها النمو في عائدات النفط ، اذ تم تخصيص مبلغ ١٢٣ مليون جنيه ليبي في عام ٦٩/١٩٦٨ لانفاقه على المشاريع الانمائية .

وفي اذار ١٩٦٩ اعلن عن تفاصيل الخطة الخمسية الثانية للفترة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٤ ، وقدر مجموع استثماراتها بمبلغ ١١٤٩ مليون جنيه ليبي. واعطيت الاولوية فيها لقطاع النقل والمواصلات يليه قطاع الزراعة ، فقطاع الاسكان والتعليم .

وبعد ثورة ايلول ١٩٦٩ ، جمدت الخطة الخمسية الثانية واصبح الانفاق على مشاريع التنمية على اساس سنوي ويقع ضمن الموازنة الانمائية السنوية للدولة .

تونس

تم التركيز في تونس في الخطة الانمائية الاولى (١٩٦٢ ـ ١٩٦٤) على تنمية القطاعات الاساسية والخدمات الاجتماعية . اما الخطة الرباعية الثانية (١٩٦٥ ـ ١٩٦٨) فاستهدفت تجديد الزراعة والتصنيع ، ولكن معدل النمو السنوي في الدخل القومي الذي تحقق خلال الفترة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٨ لم يتجاوز ٤٪ .

وفي الخطة الرباعية الثالثة (١٩٦٩ ـ ١٩٧٢) استهدف تحقيق معدل نمو سنوي اكبر مقداره ٦٪ . اما الاهداف العامة لهذه الخطة فهي تجديد قطاع الزراعة التقليدي ، وزيادة نصيب الفرد من الانتاج الاجمالي المحلي ، وتخفيض مستوي البطالة المقنعة المزمنة ، ثم تحسين الخدمات الاجتماعية .

الجزائر

بدا التخطيط في الجزائر بشكل ايجابي وشامل حينما تم اعداد خطة سبعية في عام ١٩٦٥ لتحل محل خطة كونستانتين (١٩٥٩ ـ ١٩٦٩) هدفت الى تحقيق معدل نمو في الدخل القومي مقداره ٧٪ سنويا ، واعطيت الاولوية فيها لقطاع الصناعة وخاصة (الصناعات الثقيلة كالصلب والنفط والكيماويات) الذي نال ٤٧٪ من المنهاج الاستثماري ، على حين نال قطاع الزراعة حوالي ١٧٪ . ولكن الخطة السباعية استبدلت بخطة رباعية للفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ قدر مجموع استثماراتها بمبلغ (٢٦٤٠٠) مليون دينار جزائري وتهدف هذه الخطة الى تحقيق معدل نمو سنوي في الدخل القومي مقداره ٩٪ . كما اعطيت الاولوية فيها الى قطاع الصناعة الذى خصص له ٤٥٪ من الاستثمارات ، بينما خصص لقطاع الزراعة ١٥٪ منها .

المغرب

بدا التخطيط الانمائي الشامل في المغرب في اوائل الستينات لمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والتى من أهمها : سكان يتزايدون بمعدل سريع ٣٫٥٪ سنويا ، ويعتمد غالبيتهم على الزراعة التقليدية ، وانخفاض متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى ، وعجز مزمن في الميزان التجارى مما يتطلب الاعتماد على القروض والمساعدات الاجنبية ، وارتفاع نسبة البطالة وخاصة بين الشباب في فئات العمر ٢٠ ـ ٣٠ سنة اذ قدرت بحوالى ٤٠٪ .

لذلك تم اعداد خطة خماسية للفترة (١٩٦٠ ـ ١٩٦٤) بهدف عام هو زيادة حصة الاستثمار من الانتاج المحلى من ١١٪ في عام ١٩٦٠ الى ٢٢٪ في عام ١٩٦٥ ، ومن ثم تحقيق معدل نمو في الدخل القومى مقداره ٦٪ سنويا . وقد تبين بأن هذا المعدل المستهدف لم يكن بالامكان تحقيقه . لذلك استهدف في الخطة الثلاثية (١٩٦٥ ـ ١٩٦٧) تحقيق معدل نمو في الدخل القومى اكبر من معدل نمو السكان باعطاء الاولوية الى قطاعات الزراعة والسياحة والتدريب المهنى ، واخيرا الصناعة ، حتى يتيسر نمو الدخل الفردى ويرتفع مستوى المعيشة . اما الخطة الخمسية الحالية (١٩٦٨ ـ ١٩٧٢) فاستهدفت ارتفاع معدل النمو في الدخل القومى ليصبح ٥٪ في عام ١٩٧٢ . كما أعطيت الاولوية في هذه الخطة الى قطاعات الزراعة والصناعات الزراعية ،والثروة المعدنية ،والسياحة، والصحة ، والتعليم وبرامج التدريب الفنى .

٦ ـ مقارنة عامة لاهداف الخطط الانمائية العربية

نوجز فيما يلي مقارنة عامة لاهداف الخطط

الاقتصادية والاجتماعية في اربعة اقطار عربية هي : سوريا والعراق والكويت والاردن ، والتي بدأت فتراتها الزمنية في منتصف الستينات ، وذلك لالقاء بعض الاضواء على تجارب التخطيط فيها :

القطر	فترة الخطة
سوريا	١٩٦٦ ــ ١٩٧٠
العراق	١٩٦٥/٦٦ ــ ١٩٦٩/٧٠
الكويت	١٩٦٧/٦٨ ــ ١٩٧١/٧٢
الاردن	١٩٦٤ ــ ١٩٧٠

ويبين الجدول التالي معدلات النمو السنوية المستهدفة في هذه الاقطار لكل من الانتاج المحلي الاجمالي والاستهلاك والاستثمار :

القطر	الانتاج المحلي الاجمالي	الاستهلاك	الاستثمار
	٪	٪	٪
سوريا	٧ر٢	٦ر٢	١٢ر٦
العراق	٧ر٥	٦ر١	١٥ر٨
الكويت	٨	٦ر٥	٢ر٩
الاردن	٧ر٣	٢ر٨	١٢ر٣

اما مساهمة الاستثمار الاجمالي في الانتاج القومي فهي كما يلي :

القطر	سنة الاساس	نهاية الخطة
سوريا	١٦ر٧	٢١ر٥
العراق	١٥ر٩	٢٢ر٥
الكويت	٢١ر٦	١٦ر٦
الاردن	١٢ر٦	١٨ر٧

يتبين لنا من دراسة الخطط الاربع ان معدل النمو المستهدف للانتاج المحلي الاجمالي في هذه الاقطار يتراوح ما بين ٧ر٢٪ ــ ٨٪ سنويا . كما ان كل قطر يحاول الحد من الاستهلاك وزيادة نصيب الاستثمار من الانتاج القومي الاجمالي ، باستثناء الكويت التي تتمتع بفائض من المدخرات المحلية المهيأة للاستثمار . اما القاسم المشترك الاعظم لهذه الخطط فهو رغبة كل قطر عربي في تنويع اقتصاده الوطني لتقليل الاعتماد على مصدر واحد للعملات الاجنبية ، وتصحيح الاختلال في البنية الاقتصادية . ويبدو هذا الاختلال جليا في اعتماد الاقتصاد العراقي والكويتي على النفط ، والاقتصاد السوري والاردني على الزراعة ، وتصدير بعض السلع الاولية مثل تصدير سوريا للقطن والقمح والشعير ، والاردن للخضراوات والفواكه والفوسفات . لذلك تهدف الخطط الاربع جميعها الى رفع معدل النمو في القطاع الزراعي نظرا الى اهمية التنمية الزراعية في تحقيق النمو المتوازن السريع لقطاعات الاقتصاد الوطني ، فضلا عن ان احتمالات النمو في قطاع الزراعة كبيرة جدا . كما تؤكد الخطط ايضا على دعم سياسة التصنيع في كل قطر . واذا ما علمنا بان مساهمة القطاع الصناعي في الدخل القومي لم تتجاوز نسبة ١٢٪ ، لتبين لنا الجهود المتواضعة المبذولة في الاقطار العربية في حقل التصنيع . ومما تجدر الاشارة اليه بان التأكيد على سياسة التصنيع في هذه الاقطار تتضمنه اهداف محددة من الناحية الكمية لتنمية القطاع الصناعي . فمثلا اقتصرت خطتا العراق والكويت على اهداف عامة مع تركيز على تنمية الصناعات البتروكيماوية وانتاج الاسمدة . اما خطتا سوريا والاردن فاعطيت الاولوية في كل منهما الى تنمية الصناعات التي يمكن احلالها محل المستوردات ، في حين كانت اهداف القطاع الصناعي غير محددة .

وبغض النظر عن الفلسفة الاجتماعية في كل قطر ، فان الخطط الاربع تولي القطاع العام دورا ايجابيا رائدا في تحديد الزراعة والتصنيع . اما الخطة الاردنية فقد اناطت بالقطاع الخاص دور المحرك الاساسي للتنمية الصناعية ، اذ اقتصر دور الحكومة الاردنية على تهيئة المناخ الملائم للاستثمار الخاص وتوفير الحوافز وتقديم المشورة الفنية لاصحاب المشاريع الخاصة .

ومن المآخذ الهامة على هذه الخطط الاربع ان كلا منها تتحدث عن ضيق السوق المحلية والتي تعتبر أضأل من ان تستوعب الانتاج الكبير للمشاريع الصناعية الضخمة وضرورة الاعتماد على اسواق البلاد العربية المجاورة ، ولكن مبدأ التنسيق العملي فيما بينها غير وارد ، مما يؤدى الى ضياع الموارد القومية وعدم تحقيق التصنيع المنشود . وكذلك الحال بالنسبة لاهتمام كل حكومة عربية بتخطيط القوى البشرية ، لكن الجهود الفردية في المضمار قاصرة ايضا عن تحقيق ما هو مستهدف من رفع انتاجية القوة العاملة وزيادة حركتها

وتشخيص العلاج الفعال لمشاكل البطالة الظاهرة والمقنعة ، الامر الذى يتطلب تنسيق تخطيط القوى البشرية في الاقطار العربية كجزء مكمل للخطط الانمائية المنسقة فيما بينها .

ويجدر بنا أن نشير بكلمة موجزة الى مزايا واهمية تنسيق الخطط الانمائية بين الاقطار العربية . ان تنسيق الخطط الانمائية العربية على اساس التكامل الاقتصادي الاقليمي يتطلب تجميع مقومات النمو الاقتصادي العربي في اطار متناسق متكامل . لم العمل على تخطيط وتنفيذ مشروعات انتاجية مشتركة تستغل الموارد القومية المتاحة وتلبي الطلب الفعال المتبادل في ضوء اتساع السوق،مما يتيح تنمية شاملة سريعة للاقتصاديات العربية من جهة ، وازديادا في حجم التبادل التجارى فيما بينها من جهة اخرى .

كما يتطلب تنسيق الخطط بشكل خاص تنسيق اقامة الطاقات الانتاجية الجديدة في كل قطر عربي ، مع الاخذ بعين الاعتبار ليس فقط منع التضارب والتزاحم فيما بينها ، بل ان يكون بناء هذه الطاقات قائما على مبدا التخصص الامثل للانتاج العربي وفقا للامكانيات والموارد النادرة في كل قطر . وبعبارة اخرى ، فان تنسيق الخطط يستوجب وضع خطة انمائية عربية مشتركة لتوزيع وتنمية الموارد البشرية والمادية والمالية في الوطن العربي بحيث يتخصص كل قطر في الطاقات الانتاجية التي يتمتع فيها باكبر ميزة نسبية في الانتاجية بالمقارنة مع الاقطار الاخرى .

٧ ـ عوائق تنفيذ الخطط الانمائية

يتبين من دراسة مختلف المناهج الاستثمارية والخطط الاقتصادية العراقية الموضوعة خلال الفترة ١٩٥١/٥٢ الى ١٩٦٦/٦٧ ان تنفيذها لم يتجاوز نسبة ٥٥٪ ، كما تدل على ذلك نسبة النفقات المالية الفعلية الى النفقات المالية المقررة للمشاريع الانمائية المخططة .

ويرجع السبب الرئيسي في عيوب التنفيذ في العراق الى كثرة التغيرات المحدثة في المناهج والخطط نتيجة التغييرات المتكررة في اجهزة التخطيط والتنفيذ ، مما ادى الى الاخلال باستمرارية التخطيط وتماسك الجهود الانمائية . اضف الى ذلك الافتقار الى ايجاد السياسات الاقتصادية والاجتماعية والمالية والنقدية التي تكفل التنسيق بين المشاريع الوثيقة الترابط وبلوغ مجموعة مترابطة من اهداف المناهج او الخطط .

كما تدل دراسة التقييم للخطة السبعية الاردنية بان الاردن تمكن من تنفيذ ٤٠ نقط من المقترحات الواردة في الخطة . كما تم البدء في تنفيذ ثلثي المشاريع المتضمنة في ال ٦٠٪ المتبقية من المقترحات.

ويعتبر المدوان الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ احد الاسباب الرئيسية لعدم التنفيذ الكلي لمشاريع الخطة السبعية . وهناك اسباب اخرى اهمها ما يلي :

١ ـ عدم تفهم ماهية التخطيط ومفهومه من قبل الوزارات والمؤسسات العامة المختلفة ، مما ادى الى التقاعس في انفاق المخصصات المالية المقررة للمشاريع الانمائية .

٢ ـ عدم توافر البيانات الاحصائية او معرفة تامة للموارد المعطاة وحسن استغلالها .

٣ ـ عدم الكفاءة الادارية سواء لغايات التخطيط او التنفيذ .

٤ ـ الافتقار الى نظام محدد يسترشد به مجلس الاعمار بالتعاون مع الوزارات المعنية في عملية تقييم ومتابعة الخطة وبرامج التنفيذ السنوية ، ومختلف المشاريع الانمائية .

٥ ـ الافتقار الى التعاون مع مجلس الامة في سن التشريعات اللازمة لتحقيق اهداف الخطة السبعية .

وبصورة عامة ، يمكننا القول بأن العدوان الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ كان من العوائق الاساسية التي حالت دون التنفيذ الكامل للخطة السبعية في الاردن وخطة الانجاز الثلاثية في مصر ، وهناك عوائق اساسية اخرى في تنفيذ الخطط الانمائية تواجه الاقطار العربية وغيرها من الاقطار النامية نوجزها كما يلي :

١ ـ نقص في البيانات الاحصائية والدراسات والمسوح الشاملة للموارد القومية .

٢ ـ الافتقار الى الوعي التخطيطي مع اهمال لاعمال التقييم والمتابعة .

٣ ـ ضعف الجهاز الاداري بشكل عام ، وعدم توافر الملاكات المدربة لتخطيط وتنفيذ وادارة المشاريع بشكل خاص . ■■

محمود صوان

عمان ـ الاردن

شاعر البرامكة أشجع السلمي

بقلم : محمد حسين الاعرجي

■ لا تكاد اخبار اشجع التي وردت في المصادر تشجع الباحث على كتابة شيء عنه . فهي لا تعدو كونها نتفا ترد هنا وهناك مكررة ربما ناقضت نفسها في احيان كثيرة . غير ان هذا كله لا يمنع ان احاول التعرض اليه لما له من مكانة في عصره ، فقد عد في الفحول من الشعراء ، يقرن بأبي نواس مرة ، وبصريع الغواني اخرى ، فيختلف فيه المتنبي وابن خالويه ، ويتذاكر شعره البحتري وعلي بن الجهم ، ويختار له ابو تمام في حماسته ويستشهد به الرضي في شواهده على الكافية . فمن هو اشجع السلمي ؟ .

نسبه ونشاته

هو اشجع بن عمرو بن بني سليم بن منصور ابن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان . من ولد الشريد بن مطرود . يكنى ابا الوليد وقيل ابا عمرو . ولد باليمامة – وهذا الراجح – وعاد الى البصرة مع امه بعد وفاة ابيه . ولم يحدد احد من الاقدمين او المحدثين تاريخ ولادته . الا ان هناك ما يعين على تخمينه . فقد ذكر الزجاجي في مجالس العلماء ان مروان ابن ابي حفصة الشاعر المولد سنة ١٠٥ هـ دخل مع عدد من الشعراء ، منهم طريح واشجع على الوليد بن يزيد في اثناء خلافته ١٢٥ هـ – ١٢٦ هـ فكان له حديث مع حماد الراوية . ومعنى هذا ان شاعرنا ولد في اوائل القرن الثاني للهجرة او قبله بقليل .

نشا في البصرة في بيت مغمور – على ما يبدو – حتى ان من كان لا يعرفه يدفع نسبه . وظل على حاله هذه حتى قال الشعر ونجم به ، فتعصبت له قيس ، وصار من شعرائها المعدودين . والشعر يومئذ في ربيعة واليمن – كما يقول البغدادي في الخزانة . واذ يولد شاعر باليمامة فيقضي شطرا من صباه فيها ويشب بالبصرة التي هي يومذاك محج العلماء والادباء فلا بد ان يكون نضجه الادبي مبكرا . وهكذا كان اشجع ، فقد قال الشعر وهو لما يتعد العشرين ، متاثرا فيه ببشار ، اذ كان – كما يقول صاحب الاغاني – ياخذ عنه ويعظمه .

علاقته بالامويين

ما ان انس اشجع في نفسه الشاعرية حتى هجر البصرة يريد دمشق مع جماعة من الشعراء . فاتصل بالخليفة الوليد بن يزيد ومدحه ؛ فكان اول ممدوح له من الامويين وآخرهم . اذ وقف حماد الراوية يومذاك من المتشددين موقف الاستاذ

ياتة … شعره

الذي يهمه ان يظهر بالعلم الجم والرواية الغزيرة. فكان يلتفت الى الخليفة معلقا على اشعارهم بقوله : سرق ذا من كذا ، وذا من كذا ، حتى يأتي على القصيدة كلها . واذا اضفنا الى هذا نقمة الامويين انفسهم على الوليد ادركنا سر عدم اتصاله بهم ثانية .

علاقته بجعفر بن المنصور والمهدى

غير ان هذا لم يجعل اليأس يدب الى نفسه . فقد ظل ينتظر الفرصة التي يتألق نجمه فيها ولم يَخِبْ ظنه ، فقد دالت دولة الامويين ، وقامت الدولة التي تضمن له تحقيق طموحه . فوجدناه يقف امام جعفر بن المنصور ينشده :

اذكـروا حرمـة العواتـك منـا
يا بني هاشم بن عبد منـاف (١)
قـد ولدنـاكم ثـلاثـ ولادا
ت خلطـن الاشـراف بالاشـراف

فلم ينفعه موقفه الممتد هذا . واذ يموت جعفر ، فالخليفة المهدى اكبر منه منزلة ، واجزل عطاء ، فما عليه الا ان يعد نفسه لمديحه ، وهكذا فعل . ولكنه لم يحقق ما يطمح اليه الشاعر الذى يريد ممدوحا يعجب به ويدنيه ويقربه فيعرف به . واذ يملأ الدنيا ابن ابي حفصة واضرابه دعاية للعباسيين فاين يكون اشجع ومائة مثله وهو المغموز بتشيعه لعلي وابنائه (ع) ؟ .

علاقته بالبرامكة

وهكذا يبحث عن ممدوح جديد ويحالفه الحظ في بحثه . فقد وصله ـ على رواية الاغاني ـ انس ابن ابي شيخ بجعفر بن يحيى البرمكي ، فانقطع اليه،واصفاه مدحه، فاعجب به ، واصطفاه وآثره وادناه ، فصار لا يفارقه في حله وترحاله حتى كان يقول :

اصبحت محسـودا علـى موضع
منـك ، ومثلـي بـك محسـود

ولا غرابة في ان يحسد فقد كان جعفر يجرى عليه في كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه . ولم يكتف بهذا ، وانما ولاه عملا ظل يديره حتى رفع اليه اهله رُقَاعاً كثيرةً يتظلمون بها من شاعره ، ويشكونه اليه ، فصرفه عنهم ليرجع اليه يعاتبه :

عـلام وانت تعلـم نصـح جنبـي
واخذى منـك بالسـبب المتـين
وعسـفي كـل مهمـة خـلاء
اليـك بكـل يَعْمَلَـةٍ أَمـون
واحيائـي الدجـى لـك بالقوافي
اقـيم صدورهـن علـى المتـون
تقرب منـك اعدائـي ، وانـأى
ويجلس مجلسـي مـن لا يليـني

ومن طبيعة الموقف ـ وهو على هذه العلاقة بجعفر ـ ان يتصل بابيه يحيى بن خالد ، واخيه الفضل بن يحيى ويمدحهما مرة ، ويعاتبهما اخرى معاتبة المدل الناصح ، وليس بقصيدة وقصيدتين يعرف بشاعر البرامكة ويعد في شعرائهم .

علاقته بالرشيد

كما ان من طبيعة الاشياء ان يقدمه جعفر برغبة منه الى الرشيد تقربا اليه ، او بطلب من الشاعر تلميحا او صراحة بحكم علاقتهما المتينة ، فاتصل به ومدحه حتى صار من المقدمين عنده ـ على حد رواية الاغاني ـ ، فلا تكاد تمر مناسبة دون ان يمدحه . فمن مدائحه قوله :

١ ــ (العربي) يشير بذلك الى القول المنسوب الى النبي « أنا ابن العواتك من سليم » «واشجع سلمى ، أي من بني سليم »

وصلت يداك السيفَ يوم تمطلت
ايدي الرجال وزلت الاقدام
برقت سماؤك في العدوّ وامطرت
هاماً ، لها ظل السيوف غمام
واذا سيوفك صافحت هامَ العدا
طارت لهن عن الرؤوس الهام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد
رَصَدانِ : ضوء الصبح والاظلام
فـذا تنبـه رعتـه ، واذا غفا
سلت عليـه سيوفك الاحلام

وشعر كهذا يضمن له استمرار صلته به ، دون ان ينقطع عن البرامكة ، فقد ظل يتصل بهم حتى نكبوا فرثاهم . ولكن رثاءه لهم يفتقد حرارة الصدق ولوعة الوفاء ، فمما قاله فيهم :

قد سار دهر ببني برمك
فلم يدع فيهم لنا بقيا
كانوا اولي الخير وهم اهله
فارتفع الخير عن الدنيا

وهذا « الخير المرتفع عن الدنيا » هو صلاتهم وعطاياهم له . فهو لا ينظر اليهم من غير هذه الزاوية . وهذه بلية شعرائنا ـ مع الاسف ـ الا قلة .

وعلى اية حال فالسلمي يريد ان يحافظ على علاقته بالرشيد . ورثاؤه للبرامكة وبكاؤه عليهم مما يبعد قلب الخليفة عنه وهو لا يرغب في هذا ، ولئينسبُ اليه ما ينسبُ من عقوق او نكران فهذا مما لا يهمه . الذي يهمه ان يظل قريبا من الرشيد . وقد استطاع ان يحقق هذا فعلا ، فقد ظل معه حتى مات فرثاه ، بما يضمن له استمرار الجوائز والصلات فيقول مخاطبا ابنه الامين :

اقول لساكنٍ قبراً بطوس
سقاك ولا سقى طوسَ الغمامْ
لاظلمَ كلُّ ذي نور ولكن
بوجه محمد كشف الظلام ....
ولولا ملكه اذغبت عنا
لما ساغ الشراب ولا الطعام

فاين الصدق في هذا و « ساغ الشراب والطعام » بهبات الامين .

بعد موت الرشيد

والحق انا لا نعرف بعد هذا شيئا عن اتصاله بالامين حتى ليخال المتتبع لاخبار اشجع انه انقطع عن الشعر ، ان لم يكن قد انقطع عن الحياة ، وهو يسمع مثل قوله بعد وفاة الرشيد :

بقائي على ريب الزمان قليل
اني ـ على عزي به ـ لذليلُ
رايت لداتي قد مضوْا لسبيلهم
وان بقائي بعدهم لقليل

انه الاحساس الصادق بالشيخوخة فقد بدا الرجل ينعى نفسه ، وكانه يودع الحياة ، ويظل هذا الاحساس يلاحقه حتى في غزله ، فلنستمع اليه يخاطب جاريته التي كان يجد بها وجدا شديدا :

اذا غمضت فوقي جفونُ حفيرةٍ
من الارض فابكيني بما كنتُ اصنع
تعزّكِ عني عند ذلك سلوةٌ
وان ليس فيمن وارت الارضُ مَطمع

ان الرجل بدا وكانه موقن بالموت ، فطفق قلقه على حب جاريته له ومصيره . ويظل يضرب على هذه اللمحة النفسية الانسانية . انه يخاف ان تسلوه :

فحينئذ تسلين عني ، وان يكن
بكاء فاقصى ما تبكين اربع

تلك ماساة هذا الذي يستقبل الموت . ولكن مهلا ، يبدو ان المسالة سحابة صيف ، فها هو ذا يقف امام طاهر بن الحسين ينشده :

لقد سرني من ذي اليمينين طاهر
تجاوزهُ بالعفو عن كل غادر (١)

وقصيدته فيه طويلة .

وفاتـه

عند هذا الحد تكاد تنقطع اخباره ، لولا ان الاصبهاني ذكر له في مقاتل الطالبيين قصيدة ، قال عنها انها في رثاء الامام علي بن موسى الرضا (ع) مطلعها :

يا صاحبَ العيس يحدى في ازمتها
اسمع ، واسمع غدا ، يا صاحب العيس

ورغم ان الصولي قد ذكر القصيدة نفسها على انها في رثاء الرشيد الا ان قول الاصبهاني تظلّ له

١ ـ (العربي) كان طاهر يلقب « ذا اليمينين » لانه كان يضرب بالسيف بيسراه كما يضرب بيمينه .

وجاهته اذ عقب عليها بقوله : ان الشاعر قدغير الفاظها لما شاعت ، والاحتكام الى القصيدة لا يضيف دليلا لنا او علينا اذ ان السلمي يخاطب الرشيد بالرضا ايضا في بقية قصائده :

فقل للرضا هارون خير خليفة
فما فاق عاصيه ولا خاب آمله

ومهما يكن من امر فمن غير المعقول ان يقال انه رثى الامام الرضا وهو لم يدرك وفاته . وعلى هذا تكون وفاة الشاعر بعد سنة ٢٠٣ هـ بقليل فقد بلغ من الكبر عتيا .

كلمة في شعره

ليس بين ايدينا ديوان لاشجع لا مخطوط ولا مطبوع . ولم يذكر ابن النديم انه رأى ديوانا له . غير ان شعره لم يفقد جميعا فقد ظل الشعراء الذين جاءوا بعده يتدارسونه . وفي قول للبحتري ما يدل على انه كان يمتلك مجموعة لشعره اذ يقول : « ... فانصرفت الى منزلي فنظرت في شعر اشجع .. » الموشح : ٢٩٥ . وانصرافه لمنزله هو الذي يؤيد ما نذهب اليه . والا فبامكانه ان يراجع شعره – لو كان يحفظه – وهو يذاكر علي بن الجهم . والذي بين ايدينا اليوم من هذا الشعر هو ما حفظه لنا الصولي في كتابه الاوراق فقد جمع فيه جزءا مرتبا على حروف الهجاء هو القسم الاكبر مما حفظته بقية المصادر . وشعر اشجع لم يصلنا كاملا ، وهذا لا يمنع ان نقول انه – فيما وصل الينا – ينصب على الرثاء والمديح اولا ، ويأتي بعدهما غزله التقليدي وعتابه . واذا كان لا بد من شيء يقال عن هذه الاغراض فالمديح والرثاء والعتاب هي اشجع كاذبا مرة وصادقا اخرى ، ودع عنك غزله فهو تقليدي يبتدىء به قصائد المديح .

رثاؤه

واذ ننظر في رثائه نكاد نصنفه صنفين احدهما الرثاء الصادق متمثلا برثائه لاخيه احمد اذ يقول :

لقد افسد الدنيا عليّ فراقه
وكدّر مني كل ما كان صافيا
تخلصت الايامُ – لادرّ درُّها –
حبالَ ابنِ امي احمدٍ من حباليا
وباعد ما قد كان بيني وبينه
من القرب ايامٌ تسوق اللياليا
كان يميني يوم فارقت احمدا
اخي وشقيقي فارقتها شماليا
وما كانت الايام بيني وبينه
ولا قرحُ اللذات الا عواريا

والصدق واضح في هذه القطعة يدل عليه حتى اختيار هذه الياء المطلقة التي فرضتها لواعج نفسه وكأنها آهة يتم بها نشيجه الذي ظهر اجلى ما يكون بتكرار اسم المرثى في بيت بعد آخر .

اما الصنف الآخر فهو رثاؤه لممدوحيه ، وهو كاذب في اغلبه ، ان لم يكن كاذبا في كله ، لولا ان موهبته تغطي كذبه ، وهذا فضل لا يتأتى الا للشاعر المتمكن من شعره . فلنستمع اليه يرثي العباس بن الفضل بن الربيع :

قد كنت ذا جلد في كل نائبة
فبان مني عليك الصبرُ والجلد
لما تسامت بك الآمالُ وابتهجت
بك المروءة ، واعتدت بك العدَد
ولم يكن لفتى في نفسه امل
الا اليك ، به من ارضه يفد
وحين جئت امام السابقين ولم
يبلّلْ عذارَك ميدانٌ ولا امد
وافاك يوم على نكراء مشتمل
لم ينج من مثله عاد ولا لبد
فما تكشف الا عن مولولة
حرى ومكتئب احشاؤه تقد

وليس من السهل – كما ترى – اكتشاف كذب عواطف الشاعر وهي يسمو بها ، رصينُ اللفظ ، متين العبارة متماسك الاسلوب ، حسن التصوير .

مديحه

واذ يقال هذا عن رثائه فقلْ مثله عن مديحه ، فهو كاذب تشفع له الموهبة . فهو مديح تقليدي يبدأ بذكر الاطلال ، ثم الغزل فوصف الناقة التي ركبها الى الممدوح فالمديح . وربما اعتاض بالغزل عن ذكر الاطلال . الا ان هذا الالتزام الحرفي ببناء القصيدة الجاهلية والاموية – وهو قد عاش فترة الشعر الاموي – لم يمنعه ان يشارك ابا نواس دعوته الى نبذ الوقوف على الطلول بقوله :

مالي وللربع والرسوم
هن طريق الى الهموم
للحظ طرف ، وغمز كف
وخمرة من بنان ريم

احســن مــن خيمــة وربــع
تجرحــه الريــح بالنسيم

وهكذا تجد اشجع السلمي صدى لعصره امينا في نقل الصراع بين القديم والجديد ، فلقا لم يستقر على مفهوم فني في بناء قصيدته . وليس هذا غريبا فابو نواس صاحب الدعوة لم يلتزم ما نادى به في كل قصائده . فهل ننتظر هذا من شاعر عده ابن المعتز في ساقة الشعراء مع ابن هرمة وابن ميادة واضرابهم من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية .

وثمة ملاحظة اخرى على مديحه هي الغلو في بعضه . والغلو سمة من سمات عصره . فمن هذا الغلو قوله في ابراهيم بن عثمان صاحب شرطة الرشيد :

منعت مهابتك النفوس حديثها
بالامـر تكرهـه ، وان لم تعلـم

وقوله في جعفر بن يحيى على انه اقل من سابقه غلوا :

تكاد قلوب الناس تخلي صدورهم
اذا علقـت بالمشرفـي أناملـه

عتابـه

اما عتابه فهو عتاب البدوي المعتز بنفسه ، الذى لا يريد لها ذل النابغة الذبياني ولا ضراعة البحتري . فهو يعرف كيف يحترس اذا اشتد ، وكيف ينسل اذا اقتحم ، حتى لتبعده ثقته بنفسه احيانا عن العتاب الى الهجاء . فهو شديد صادق لا يكاد يلين . قال يخاطب البرمكي :

رويدك ، ان عـز الفقـر أدنـى
الى مـن الثـراء مـع الهـوان
ومـاذا تبلـغ الايـام منـي
بريب صروفهـا ومعـي لساني

انه ليستشيط غيظا حين يرى ان الولاية غيرت وُدّ صديقه عامر بن شقيق ، وانه لم يعد يهتم به . فيطلقها صرخة يائس رضي من صديقه بان عرفه ، فلنسمعه يخاطبه :

ابدل اللـه من رجائك باعـا
مـر يأسـا ، واليأس منك كثير
ان للملك حـيرة تبهـر العقـ
ـل ، وظلا كمـا يـدور تدور
لا تقول : « ليتني كنت قد مـ
ـت جميلا » وقد طوتك الامـور

انت في سكـرة الولايـة اعمـى
فـاذا مـا انجلـت فانت بصير
فضحت وذك الولايـة ـ باعـا
مـر ـ مذ يوم قيل : « انت امير »
ان حبل الدنيـا ـ وان طولتـه
لـك واستحكمت قـواه ـ قصير
اركـب الخافقين يـا ابن شقيق
فالـى أشجع بن عمـرو تصير
وعلـى ودك الســلام ، فانـي
بـك مـن بعدهـا عليم خبير

انه اليائس المعتد بنفسه الذى اطال الفراسة والنظر الى امثال ابن شقيق فرآهم ممن شد عينهم المنصب عن كل ما الفوه . وانك لترى هذه الفراسة جلية في قوله :

لا تقولن : « ليتني كنت قـد مـ
ـت جميلا » وقد طوتـك الامـور

فهو يعرف ان عامرا واضرابه ما ان يعزل حتى تنبت شباكه من جديد تبحث عن (زبون) قديم .

وماذا يضر اشجع اذا واجه صاحبه بهذا ما دام موقفنا انه يصير اليه اخيرا .. ؟ ولم لا .. ؟ فحبل الدنيا قصير . وفي هذا ما فيه من الثقة بالنفس،وفي الصرخة ما فيها من جراح . والقصيدة على قصرها وسهولة تراكيبها وبساطة صورها مؤثرة ، واقل ما يقال عنها : انها مما يقال في مثل هذا الموقف .

واخيرا فان شعر السلمي في جملته هو الى الفطرة اقرب منه الى الصنعة ، بل ان الصنعة تكاد تكون معدومة فيه ، فقد استقرت شاعريته في العصر الاموى . ولكنك لا تعدم ان تجده في احيان كثيرة يختار الفاظه فلا تجد عنده اللفظة النابية الثقيلة . وهو على فطرته جيد الشعر ، متين الاسلوب ، سليم التراكيب ، رصين العبارة . اما لغته فانها في اغلبها مشرقة" طيعة" بيده ، يقلبها كيف يشاء . ولك ان تقول عن معانيه انها بقدر ما هي سهلةالمآخذ غزيرة دقيقة يحسن التاتي لها . واذ ننظر الى هذا الشاعر الذى عد في الفحول ، اليوم فاننا لا نجد ما ننعته به الا ان نستعير ما نعتت به الجريدة واليتيمة والدمية شعراءها اذ تقول عن فلان انه مجيد ، فشاعرنا « اشجع السلمي » شاعر مجيد . ■■

بقلم : محمد حسين الأعرجي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

المرأة

فى نظر الكاتبة الفرنسية الشهيرة

سيمون دى بوفوار



بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ اقترن اسمها باسم الفيلسوف الوجودى المعاصر جان بول سارتر Sartre ، وذاع صيتها فى العالم كله كأول فيلسوفة وجودية ، ان لم نقل كأكبر مفكرة ظهرت بين نساء العالم الحاضر قاطبة ! تلك هى سيمون دى بوفوار Simone de Beauvoir التى بلغت هذا العام الرابعة والستين من عمرها ، والتى كان آخر كتاب ظهر لها بعنوان « الشيخوخة » !

وليس بيننا من يجهل دفاع هذه المفكرة الحرة عن قضية الجزائر ، ولكن الكثيرين منا قد لا يعلمون ان سيمون دى بوفوار أكبر مواطنة عالمية استطاعت ان تتبنى معظم قضايا البلاد المجاهدة فى سبيل الحرية . وقد قامت الفيلسوفة الفرنسية الكبيرة بأسفار متعددة : فزارت اليونان وايطاليا والبرتغال والسويد والنمسا ومعظم بلدان اوروبا ، ولكنها امتدت ببصرها ايضا نحو العالم الجديد ، فزارت كلا من الولايات المتحدة الامريكية والمكسيك وجواتيمالا ، ثم عادت فابحرت الى الشرق الاقصى حيث زارت جمهورية الصين الشعبية . ونحن هنا ـ فى مصر ـ ما زلنا نذكر الزيارة التى قامت بها سيمون دى بوفوار لبعض ارجاء الوطن العربى عام ١٩٦٦ ـ بصحبة رفيقها الكبير سارتر ـ وكيف كانت هذه الزيارة سببا فى دفاعها الحار عن القضية العربية ..

طفولة سعيدة ، ولكن ..

وقد نشأت سيمون دى بوفوار فى وسط بورجوازى فرنسى ، اذ كان ابوها محاميا مثقفا ، كما كانت امها سيدة عطوفة شفوقة بابنائها . ولم يكن لسيمون أخوة ذكور ، بل كانت لها أخت واحدة تصغرها سنا ، فكانت هذه الاخت موضع عطفها ومحبتها ورعايتها . ولم تعرف سيمون دى بوفوار فى طفولتها دراما الغيرة او الكراهية او العقد النفسية ، بل كانت البيئة العائلية التى عاشت فى كنفها نموذجا للوفاق والوئام والانسجام. وهى نفسها تذكر لنا فى « ذكريات طفولتها » أن أبويها كانا زوجين متفاهمين ، وانها كانت تبادلهما حبا بحب . فلم يكن فى حياتي ـ منذ نعومة اظفرها ـ اى مظهر للتمرد ، او اية علامة من علامات الكبت النفسى ، وبالتالى فانها لم تكن يوما ضحية لعقدة من العقد التى تستلزم التحليل النفسى ! وهى حين ترجع بذاكرتها الى الوراء ، فانها لا تستطيع ان تتذكر اية صدمة نفسية خلفتها الحرب الكبرى فى طفولتها ، بل كل ما تذكره انها اجتازت ـ مع اهلها ـ هذه المحنة الهائلة دون اية ازمة نفسية !

ولكن من المؤكد ـ مع ذلك ـ ان الوسط العائلى الذى نشأت فيه سيمون دى بوفوار قد نمى لديها حب البحث ، والرغبة فى المعرفة ، والميل الى وضوح البصيرة..أجل ، فقد كان والدها متشككا مرتابا ، ان لم نقل « لا ادريا » ، بينما كانت امها تقية ورعة ، ان لم نقل متمسكة باهداب الدين . ومن هنا فقد ابدت سيمون استعدادا

مبكرا للتفلسف ، في وقت لا يعرف فيه امثالها من الاطفال سوى اللعب واللهو والتسلية ! ولم تقنع سيمون ـ منذ طفولتها المبكرة ـ بانصاف الحقائق وانما كان رائدها دائما هو الاهتمام بمواجهة الواقع. وكان حلمها الاكبر هو فضح الاكاذيب التى طالما عاش عليها الناس ! ولعل هذا هو السبب في انها قد رفضت ـ منذ البداية ـ كل قيادة روحية ، لكى تمضى ـ وحدها ـ في عملية البحث عن الحقيقة بروح المغامر الذى يعرف انه لا بد له من أن يرى بعينى راسه ! (لا بعيون الآخرين) .. وهكذا اتسمت شخصية سيمون دى بوفوار ـ منذ نعومة اظفارها ـ بطابع « الباحثة » التى تتطلع دائما الى التعرف على المجهول ، دون أن تقنع بالكشف عن الحقيقة بين جدران بيتها ، كما كانت تفعل مثيلاتها من الفتيات ! وسنرى فيما يلى الى أى حد نجحت هذه المفكرة الحرة في تحطيم أصنام الحياة البورجوازية ، وكيف اخذت على عاتقها ان تنادى بسقوط آخر معقل من معاقل العبودية النسوية ..

فلسفة ، وأدب ، وصحافة ، وسياسة !

أحبت سيمون دى بوفوار ـ منذ صباها ـ الدراسات الادبية ، فاتجهت نحو جامعة باريس (السوربون) للحصول على الليسانس في الفلسفة ، واستطاعت عام ١٩٢٩ أن تظفر بدرجة الأجرجاسيون . ولم تكن الأديبة الفرنسية تفكر في الزواج والأمومة ـ حتى في هذه الفترة المبكرة من حياتها ـ بل كان كل همها أن تصبح مدرسة تشتغل بتثقيف عقول الفتيات ، وتعمل على تنمية روح الاستقلال والثقة بالنفس فيهن . ولم تلبث بعد حين أن التقت بجان بول سارتر ـ الذى كان يشتغل مثلها بالتدريس ـ فتوطدت بينهما أسباب الصداقة ، واصبحت سيمون منذ ذلك الحين شريكته الروحية التى لا تكاد تفترق عنه ... وقد اشتغلت سيمون دى بوفوار بتدريس الفلسفة في المدارس الثانوية للبنات حوالى ثلاثة عشر عاما ، الى أن اعتزلت هذه المهنة عام ١٩٤٣ للاشتغال بالصحافة ، والسياسة ، والنضال الحر ...

وقد كان أول عمل أدبي أنتجته هذه الأديبة الكبيرة هو رواية « الضيفة » L'invitee التى ظهرت عام ١٩٤٣ ، ثم اتبعتها برواية أخرى عام ١٩٤٤ تحت عنوان « دم الآخرين » Le sang des autres كان لها دوى كبير في الأوساط الأدبية بفرنسا . ولم يكد يمضي على صدور هذه الرواية الأخيرة عام واحد حتى كانت سيمون قد انضمت الى هيئة تحرير مجلة « الأزمنة الحديثة » التى يصدرها سارتر ، فاصبحت منذ ذلك الحين ساعده الأيمن ، وصارت هى المتحدثة الأولى بلسان المدرسة الوجودية الفرنسية . وفي عام ١٩٤٥ ظهرت للكاتبة الفرنسية الكبيرة مجموعة مقالات فلسفية تحت عنوان : «بيروس وسينياس»، ثم اعقبتها بمسرحية مبتكرة أطلقت عليها اسم « الأخوة اللامجدية » وهى مسرحية لقيت نجاحا كبيرا حين مثلت لأول مرة على مسرح الكارفور عام ١٩٤٥ .

وتتابعت بعد ذلك مؤلفات سيمون دى بوفوار : فاخرجت لها المطابع في عدة سنوات ما يزيد عن عشرة مجلدات ، لعل أهمها دفاعها عن الوجودية تحت عنوان : « الوجودية وحكمة الشعوب » (سنة ١٩٤٨) ، ثم كتابها الضخم الذى عالجت فيه قضية المرأة بعنوان : « الجنس الثانى » Le deurxieme Sexe في مجلدين كبيرين ظهرا على التعاقب عام ١٩٤٩ . وقد استطاعت سيمون دى بوفوار ان تظفر بجائزة جونكور عام ١٩٥٤ ، مكافأة لها على روايتها الرائعة المسماة باسم « المثقفين » Les mandarins ، وهى رواية كبرى تجمعت فيها كل اتجاهات سيمون الفكرية : من ميل الى القصص الغرامى ، واهتمام بالقضايا السياسية ، وانشغال بمشكلات الوجود الانسانى ، وتاثر ببعض الذكريات الشخصية القديمة ... الخ .

ولم يغب عن بال سيمون دى بوفوار ـ الكاتبة العالمية الحرة ـ أن تعالج بعض المشكلات السياسية والقضايا العالمية ، فاهتمت بالكتابة عن الصين بعنوان « المسيرة الطويلة » (سنة ١٩٥٧) ، كما كتبت أيضا عن الولايات المتحدة كتابا صغيرا أطلقت عليه اسم : « أمريكا من يوم الى آخر » . وهناك مؤلفات أخرى عديدة لكاتبتنا العبقرية ، لعل أهمها مذكراتها التى ترجمت الى العربية تحت عنوان : « سارتر والحياة وأنا » ، ثم كتابها « مغامرة الانسان » الذى ضمنته دراسة عميقة لأوضاع الوجود البشرى في مغامرة الحياة ، هذا علاوة على كتابها الطريف الذى تناولت فيه بالتحليل شخصية « بريجيت باردو » ، فقدمت لنا اعمق دراسة وجودية لأشهر نجمة سينمائية

فرنسية ! واما مؤلفات سيمون دى بوفوار الاخيرة فقد اصبحت تدور — في معظمها — حول مشكلات الشيخوخة ، والموت !

ضرورة القضاء على أسطورة « الأنثى الخالدة » !

وربما كان الجهد الأكبر الذى قامت به سيمون دى بوفوار في كتابها « الجنس الثانى » قد انحصر في تلك الدعوة التى اخذت على عاتقها المناداة بها من اجل القضاء على خرافة الأنثى الخالدة ! والحق ان كلمة « رجل » — في اللغة الفرنسية Homme — مرادفة لكلمة « انسان » مما جعل الرجال يعتادون النظر الى انفسهم باعتبارهم « مقياسا لكل شيء » ! واما « المرأة » فقد ظلت في نظرهم هى « الموجود الآخر » أو « اللغز الغامض » الذى لا سبيل الى فض اسراره . واذا كانت التوراة قد قالت بان الله خلق ادم أولا ، ثم خلق من ضلعه — بعد ذلك — حواء ، فان الرجل قد ظنّ في نفسه انه هو الذى خلق المرأة ! ولا غرو ، فان الرجال قد خلقوا — بالفعل — أسطورة « الأنثى الخالدة » خلقوها بأوهامهم واحلامهم وآمالهم والامهم ! وسواء أكانت المرأة — في نظر الرجل — سحراً ام سراً ، غانية ام قديسة ، غاوية ام مرشدة ، شيطانا ام ملكا ، قاتلة ام ملهمة ، فانها — في كل هذه الحالات — قد بدت للرجل دائما بصورة « الموجود الآخر » الذى لا سبيل الى فهمه ! وهكذا بقيت المرأة لغزا غامضا تمتزج فيه الحياة بالموت ، وتختلط فيه الطبيعة بالصناعة ، ويتعانق عنده النور والظلام !

بيد ان اسطورة « الأنثى الخالدة » انما هى خرافة اخترعها الرجال ، لكى يسقطوا عليها كل مخاوفهم ، وذنوبهم ، واحلامهم ، وجهالاتهم ، وقلقهم ، امام السرّ الكونى المحيط بهم ! وظن الرجل انه يستطيع بكل بساطة ان يعلق كل ما ينزل بساحته من شقاء عن طريق القول الخالد « فتش عن المرأة » ، ومن هنا فقد صارت « الأنثى الخالدة » مفتاحا يلجأ اليه الرجل في كل مناسبة ، بمجرد ما يعز عليه تفسير سلوك واحدة من بنات ذلك « الجنس الغريب » ! ولكن الرجال قد نسوا — أو تناسوا — انهم هم الذين نسبوا الى المرأة (فيما تقول سيمون دى بوفوار) — تلك « الطبيعة النسوية » التى طالما تحدثوا عنها ! وآية ذلك انه ليس ثمة مخلوق بشرى يولد امرأة ، بل هو يستحيل الى امرأة تحت تأثير بعض الظروف الخاصة ... وليس هناك اى مصير بيولوجى ، او نفسانى ، أو اقتصادى ، يحدّد تلك الصورة التى تتخذها الأنثى البشرية في كنف المجتمع ، وانما تجيء الحضارة في مجموعها فتعمل على تكوين ذلك النتاج العجيب الذى هو وسط بين الذكر والخصى ، الا وهو ما نسميّه باسم الأنثى !

ان الموجود البشرى — في رأى فيلسوفتنا — لا يولد « ذكراً » او « أنثى » ، بل هو يولد اولا وبالذات « انسانا » ومعنى هذا أن ما يحدّد وجود المخلوق البشرى ، ليس هو الذكورة أو الأنوثة ، بل هو درجة الحرية التى سينجح في اكتسابها لنفسه ، ومدى المسئولية التى سيشعر بها نحو ذاته ونحو الآخرين . وما دام الموجود البشرى لا «يوجد» حقا الا بقدر ما « يعمل » ، فان المهمّ بالنسبة الى الانسان — ذكراً كان ام انثى — أن يجعل من نفسه ذاتا واعية حرة مستقلة، وأن يقيم علاقاته مع الآخرين على أساس من التبادل الكامل الصحيح . وأما ما اعتدنا ان نسميه باسم « المرأة » فهو وهم لا حقيقة له ، أو هو — على الاصح — « مخلوق غريب » عمل على ايجاده المجتمع بما أعطاه للأنثى البشرية من تكوين خاص وتربية معينة ، ومواقف اجتماعية محدّدة . وحسبنا أن ننظر الى المراحل التى تجتازها الفتاة منذ الطفولة ، والمراهقة ، حتى الامومة ، وسن اليأس ، لكى نتحقق من ان كلّ مصير المرأة مشروط بالتربية التى تُلقّن في روعها — منذ البداية — أنها أدنى من الرجل !

ولعلّ هذا هو السبب — فيما تقول سيمون دى بوفوار — في أن معنى الانوثة قد اقترن في ذهن المرأة بمعانى الضعف والنقص والسلبية ، خصوصاً وان المجتمع كثيراً ما يلزم الفتاة بالتخلى عن كل نشاط « ايجابى » ، لكى تجعل من نفسها مجرد « موضوع » يُسرّ برؤيته الرجل ، ويرتبط مصيره بحكم الرجل ، ويخضع تماما لسيطرة الرجل ! ... ألسنا نلاحظ ان الفتاة الصغيرة تنشأ على احترام أبيها — بوصفه رب البيت — وترى في الرجال نماذج للقوة والشجاعة والبطولة، وتقرأ من الكتب ما يصوّر لها المرأة بصورة

الضحية او الشهيدة او الخادمة ، وتجد في نصائح امها ما يدعوها الى الخوف من الرجال ، والاحتماء بقوقعة البيت ، والعمل على تربية انوثتها بوصفها مجرد « امراة » ؟ واذن فهل من عجب في ان تكون تربية الفتاة هي المسئولة ـ الى حد كبير ـ عن شعورها بالنقص ؟

المراة موجود بشرى عامل ، لا مجرد كائن منزلي تافه !

لقد اراد الرجل للمراة ان تكون محكومة لا حاكمة ، بدعوى انها ـ بطبيعتها ـ مطلوبة لا طالبة ، معشوقة لا عاشقة ! ثم جاء المجتمع ـ وهو دائماً مجتمع رجال ـ ففرض على المراة ان تتجه نحو العالم الداخلي ، والا تقوم باى نشاط ايجابى ، فكان طبيعيا ان تصبح حياتها مجرد عبء ثقيل ينوء بالسام والتكرار والرتابة والآلية ! والواقع ان حياة المراة سلسلة طويلة من الانتظارات : فهى تنتظر الحب ، وتنتظر الزواج، وتنتظر ولادة الطفل ، وتنتظر من الرجل اسباب حياتها ومبررات بقائها . السنا نرى المراة تحصر معظم نشاطها في السعى من اجل الحصول على زوج ، ثم العمل من بعد على استبقائه ؟ السنا نلاحظ ان كل همها ان تودع زوجها في الصباح ، لكى تقضى نهارها في السام والانتظار ، او في اداء اعمال البيت الشاقة الرتيبة ، دون ان تكون في حياتها جدة ، او تغيير ، او مفاجآت ؟ الا تدلنا التجربة نفسها على ان « الزواج » يقضى على شخصية المراة ، لكى يحيلها الى مجرد كائن منزلي تافه ، عديم القيمة ؟

ان سيمون دى بوفوار تريد للمراة ان تنفض عن نفسها غبار الحياة المنزلية الراكدة ، لكى تنطلق الى العالم الخارجي ، بكل ما فيه من حرية ، ونشاط ، وانتاج مستمر . وهى تقول انه اذا كان مستوى المراة قد بقى ـ حتى اليوم ـ منخفضاً من الناحيتين العقلية والاجتماعية ، فما ذلك الا لان المجتمع قد حصر كل وجودها في دائرة ضيقة لا تكاد تعدو اعمال التدبير المنزلى ، والطهو، والتطريز ، والحياكة والاشراف على الخدم ، والتعامل مع الاطفال ! ولكن ، لقد آن الاوان ـ اليوم ـ لكل امراة ان تفهم انها « انسان » قبل ان تكون « انثى » ، وانها هي ايضاً موجود لا بد له من ان يحيا في العالم الخارجى ! صحيح ان « الزواج » ما يزال هو « المستقبل » الوحيد الذى ينتظر الكثير من الفتيات ، ولكن لا بد من علاج هذا الوضع بمنح النساء حرية اقتصادية ، وفكرية ، تجعلهن على قدم المساواة مع الرجال . ولا شك ان المراة حين تدرك انه لا بد لها من ان تكون على صلة وثيقة بما يدور في المجتمع من حركات فكرية وثقافية ، وحين تتحقق من انه لا بد لها من ان تندمج بالفعل في صميم العالم الخارجى ، فهناك يتزايد لديها الشعور بانها « موجود بشرى » يحيا « في الخارج » ويحدد موقفه من « الآخرين » ، ويفصل في مصيره بمحض حريته .

حقا ان هناك تعارضاً بين رسالة المراة باعتبارها انساناً ، وبين واجبها باعتبارها زوجة واماً ، ولكن هذا التعارض ليس وليد واقعة بيولوجية او تكوين طبيعى ، بل هو وليد تحكم صناعى اريد به للمراة ان تكون كائناً ثانوياً ! ولعل هذا هو السبب في ان معظم النساء ينسحبن من المجتمع ، فلا تعود الواحدة منهن تحيا وجودها الخاص باعتبارها « ذاتاً » ، بل تجعل من نفسها مجرد « موضوع » يستمد كل قيمته من حكم الرجل ! السنا نرى الفتاة تعرض نفسها على الرجل ، وتعمد الى وضع ذاتها تحت انظار الرجل ، وتصطنع في مسلكها شتى اساليب « التمثيل » حتى تجتذب الرجل ؟ اجل ، لقد شاء الرجال ان يجعلوا من « الزواج » التبرير الاجتماعى الوحيد لكل حياة المراة ، ولكن من المؤكد ان نزوع المراة الطبيعى نحو الاستقلال ، والحرية ، والفاعلية ، هو الكفيل حتما بالقضاء على كل تحكم صناعى . السنا نرى اليوم بين النساء مفكرات،ومجاهدات، وصحفيات ، ومحاميات ، واديبات ، وروائيات ، لا مجرد زوجات ، وامهات ، وعانسات ، وعاهرات ؟!

انجاب الاطفال مهمة كل من النساء والرجال معاً !

ومع هذا فان سيمون دى بوفوار ، تسلم بان اكتمال نمو المراة جسميا ونفسيا لا يتحقق الا بالامومة وآية ذلك انه كثيراً ما يكون ظهور «الطفل» بمثابة « التبرير » الاوحد لكل وجود المراة .

ولكن المفكرة الوجودية الكبيرة تابى ان تعتبر « التناسل » أو « انجاب الاطفال » بمثابة المشكلة الكبرى الوحيدة التى يرتبط بها مصير المراة ، لانها ترى انانجاب النسل امر يعنىالرجلكما يعنى المراة ! فالوجود البشرى ــ ذكرا كان ام انثى ــ يعلم ان التناسل فعل ابداعى يعلو به الانسان على نفسه ، ويتجه عن طريقه نحو المستقبل في ثقة وارتقاب ورجاء ! ولا بد لكل من الرجل والمراة من ان يعلم حق العلم ان انجاب النسل التزام خطير ياخذ فيه كل منهما على عاتقه مسئولية ذلك الوجود البشرى الذى سيتولد عنه. ومن هنا فقد يكون من التجنى على المراة ــ في راى سيمون دى بوفوار ــ ان نجعل منها مجرد خادمة للنوع ، لكى ندع للرجل مطلق الحرية في الاستمتاع بوجوده الفردى على حسابها .

بيد أن الفيلسوفة الفرنسية حين تذهب هذا المذهب ، فانها تتناسى في الواقع ان المراة هى التى تحبل ، وتحمل ، وتلد ، وترضع ، وتربى طفلها ... الخ . ولعل هذا هو السبب في ان المراة والطفل يكونان منذ البداية وحدة عضوية ، فضلاً عن أن العمليات البيولوجية التى تتحكم في حاجات كل منهما واحدة . وهذه العلاقة الوثيقة التى تجمع بين الأم والجنين منذ البداية هى الحجر الاساسى في بناء عاطفة الأمومة . واما حب الاب لأبنائه ، فهو عاطفة مكتسبة لا تعبّر عن اى ميل تلقائى مباشر ، بل كثيراً ما تكون مجرد انعكاس لحب الرجل لزوجته . واذن فان احداً لا يستطيع ان يزعم ان علاقة الام بطفلها هى كعلاقة الأب بطفله ، او ان الأمومة هى على قدم المساواة مع الابوة . ولسنا ندرى كيف وقع في ظن سيمون دى بوفوار ان الامومة هى مجرد امكانية واحدة ــ من امكانيات اخرى عديدة ــ يمكن ان يتحقق عن طريقها مصير المراة !

هل جهلت سيمون دى بوفوار تجربة الأمومة على حقيقتها

... الحق ان سيمون دى بوفوار التى انتجت الكثير من الكتب ، لم تنجب ــ مع الاسف ــ طفلاً واحداً . ومن هنا فقد بقيت تجربة الأمومة ــ بالنسبة اليها ــ خبرة مجهولة لادراية لها بها على الاطلاق . وقد تستطيع اية امراة عادية ان تنبىء سيمون دى بوفوار بالكثير من الحقائق المعاشة عن قيمة تلك العاطفة النبيلة التى تستشعرها المراة حين تصبح اماً . واذا كانت الكاتبة الفرنسية قد افاضت في الحديث عن شتى الاضطرابات النفسية التى قد تطرا على المراة خلال فترة الحمل ، فليس من العسير على الكثير من النساء الحوامل ان يصفن لها ! ذلك التوازن النفسى العجيب الذى قد تنعم به المراة ابان الحمل . واما وصف الجنين بانه « سر مزعج » يتلبّس وجوده بوجود المراة ، وكانما هو قطعة لزجة من اللحم تحملها الأم ــ على الرغم منها ــ في احشائها ، فهو وصف بشع ، لا نظن ان اما واحدة ترتاح اليه . وربما كان من حقنا ان نسائل الفيلسوفة الوجودية الكبيرة : اليس من الافضل للمجتمع ، والأسرة ، والمراة نفسها ، ان تنتج لنا المراة ما يعجز الرجل عن انتاجه ، الا وهو الطفل ؟ بل اليس من الخطا الفادح ان نضحى بالطفل على مذبح الحرية الجنسية النسوية ؟

واخيراً ، نحن نوافق سيمون دى بوفوار على كذب اسطورة « الأنثى الخالدة » ، وخطا مزاعم القائلين بـ « سرّ المراة » ، ولكننا ــ مع ذلك ــ لا نستطيع ان ننكر ان للمراة طبيعة او ماهية ، قد تختلف اختلافاً جوهريا عن طبيعة الرجل او ماهيته . وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان كل مشكلة « الجنس الثانى » انما تنحصر ــ على وجه التحديد ــ في معرفة ما هو جوهرى وما هو عرضى في « طبيعة » المراة ، بحيث نصل الى تحديد الخصائص الجوهرية والخصائص العرضية للطبيعة النسوية : ومهما يكن من امر الطابع الانسانى للمراة ــ على نحو ما افاضت في شرحه سيمون دى بوفوار ــ فسيظل المصير البيولوجى يرين على المراة ، بوصفها ذلك « الوجود الجنسى » الذى يحمل « رسالة النوع » . وما دامت الطبيعة نفسها قد اقامت بين الرجل والمراة نوعا من التفرقة ، وفقا لمبدا تقسيم العمل ، فستظل المراة انسانا يحمل عبء النسل ، وستظل رسالة المراة وثيقة الصلة بتجربة الامومة ، ولسنا نظن اننا ننتقص من قدر المراة حين نعلى من شان رسالتها كام ، وحين نعهد اليها باخطر مهمة في الحياة الاجتماعية، الا وهى مهمة انجاب النسل ، والعمل على رعايته، والاهتمام بنشئته وتربيته ... ■■

زكريا ابراهيم

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الزواحف

.. وتأتي بعد الحيوانات البرية المائية ، طائفة في سلم الحيوانات أعلى

بقلم الدكتور أحمد زكي

● في الكلمة السابقة تحدثنا عن طائفة الحيوانات البرمائية ، اي التي تعيش في البر والماء ، واتخذنا مثلا لها الضفدع .

والآن نتحدث عن الطائفة التي تعلوها في سلم الحيوانات ، وهي طائفة الحيوانات الزاحفة ، ومثلها السلاحف والعظايات (او السحالي) والثعابين والتماسيح .

والطائفتان تشتركان مع الفقريات عموما في سائر خلقها وفي العموم من اعضائها ووظائفها ، وقد تمثلت في صورة الضفدع التي سبقت ، تشريحا ووظائف .

ومع هذا يحدث اختلاف كلما صعدنا



سلحفاة



عظاية (سحلية)



ثعبان



تمساح

السلم الحيواني في اعضاء الانواع التي تتألف منها هذه الطوائف . ولن ينسينا هذا الاختلاف الوحدة القائمة بين صنوف الحيوانات جميعها من صغيرها الى كبيرها، ومن تافهها في اغراض الكون الى خطيرها، اعني الوحدة التي تجمع بين الحيوانات في اصول العيش ، كضرورة الطعام ، وضرورة الماء وضرورة الهضم ، وضرورة التحول الكيماوي الذي يجري في الاجسام الحية جميعا فينتج الطاقة للحركة وغير الحركة ، وينتج الهدم في الجسم، وينتج البناء فيه ، وينتهي آخر الامر بالموت الواحد يعم الخلائق اجمعين . وتبلى الخلائق بلىً واحدا .

نستذكر البرمائيات

ونستذكر امر طائفة الحيوانات البرمائية ، فنتذكر اننا قلنا في صفاتها :

ان لها اربع ارجل ، وان جلدها ناعم او ذو تآليل وهو عادة مبتل بالماء، وليس عليه سَفَط (قشور) ظاهر . واقدامها لا مخالب لها . وهي تبدأ حياتها الاولى عادة في الماء وتستنشق الهواء عن طريق الخياشيم ، ثم عن طريق الرئات اذ تصبح تعيش على الارض. وقلب هذه الحيوانات ذو خزانات ثلاث (وكان في السمك الذي سبقها ذا خزانتين) وذلك لزيادة حركتها ولحاجة الحركة للأكسجين . والبرمائيات تضع بيضها في الماء فهي بالسمك اشبه .

ننتقل الى الزاحف

واذ ننتقل الى الحيوانات الزاحفة نتبين فروقا :

ان الحيوانات الزاحفة هي اول الحيوانات الفقرية التي تعيش بدوام على الارض . ولهذا نجد انه دخلت الى اجسامها صفات تأتلف مع هذه الحقيقة، حقيقة انها حيوانات ارضية .

من ذلك التنفس ، فهو لا يكون من خياشيم ، فهذا صفة الماء .

والقلب ، فقلب الحيوان الزاحف به اربع خزانات لا ثلاثا ، زيادة في القوة ، اذينان وبطينان. وفي الزواحف ينفصل بطينا القلب احدهما عن الآخر ، ولكن في اكثر الاحوال لا يكون الانفصال كاملا .

واخطر من ذلك ماطرا على طريقة الاخصاب والانسال . ان السمكة ، وان البرمائيات ، حين تلقي بيضها في الماء ، ويلقي الذكر حيوانه المنوي ، يتحدان ، والجنين الناتج يأخذ وهو في الماء ما يشاء من اكسجين ذائب فيه، وما يشاء من ماء، ويلقي في الماء مايريد ان يطرد عن نفسه من اشياء .

واذ ننتقل بالحيوانات من الاسماك والبرمائيات ، الى الزواحف ، نجد ان التلقيح صار يقع داخل الجسم ، فالجنين الناتج قد افتقد سهولة الحياة في الماء . ولكن منطق الخلق ردّ اليه ما افتقد :





بيئة مائية تقوم مع الجنين مقام بيئة الماء لبيض السمك والبرمائيات . انه السَّلَى Amnion .

انه الغشاء الداخلى الذى يحيط بالجنين مباشرة . ويملأ هذا الغشاء ماء ، وبهذا يتعوّض جنين الزواحف عن الماء الذى تضع فيه بيضها البرمائيات ، وتضع الاسماك . وتعوّضت بمثل ذلك سائر الاجنة ، اجنة الحيوانات الفقرية ، من زواحف ، الى طيور ، الى ثدييات ، الى الانسان . ويستوى فى ذلك الجنين الذى يتكون فى بيضة الدجاج وهى التى تفرخ خارج الدجاجة ، والجنين الذى يبقى فى رحم الانثى من الحيوانات حتى يولد .

والزواحف فى جلودها السَّفَط (القشر) ، وفى اصابعها المخالب ، وغير ذلك البرمائيات التى سبقت .

الزواحف بها رتب اربع شهيرة

الزواحف طائفة Class بها اربع رتب Orders شهيرة لا تزال تمثلها حيوانات حية الى اليوم ، وقد كانت تتضمن قبل ذلك ١٦ رتبة انقرض منها على الزمان الطويل ما انقرض .

اما الرتب الاربع فهي : السلاحف (من ارضية ومائية) ، والعظايا او السحالى ، والثعابين ثم التماسيح ، وهناك رتبة خامسة لا يمثلها غير نوع واحد وهو نادر الوجود اليوم واغفاله اولى وقد انقرض او كاد .

ومن حيث الانواع فالزواحف بها ٦٠٠٠ نوع Species .

ونبدأ بالسلاحف ، فى الكثير من الايجاز .

السلاحف

السلاحف اصناف ثلاثة ، سلاحف تعيش على الارض اليابسة ، وسلاحف تعيش في الماء الحلو وهي تؤكل، وسلاحف تعيش في الماء الملح ماء المحيطات فهي سلحفاة بحرية .
ويسمى رجال العلم الصنف الاول Tortoises ، والثاني Terrapins ، والثالث البحرى Turtles . ويطلقون على الجميع للتسهيل Turtles .

دروع السلاحف

واظهر ما في السلاحف درعها الذى يغطيها ظهرا وبطنا ، وهو يتسع لها لتخفي فيه راسها والعنق الطويل والراس ، وكذلك اطرافها ، فهو درع واق لا شك في هذا ، اعطى السلاحف اعمارا طويلة، وحفظ انواعها على الزمان . ومع هذا فلا يوجد من بين ٧٠٠٠ نوع من السلاحف اليوم غير نحو ٣٠٠ .
ودرع السلاحف هذا يتألف من جزءين، جزء اعلى يغطى الظهر ، وجزء اسفل ، ويتصل الطرفان ويلتحمان عند الجانبين .
وللسلاحف دروع سابغة تغطى اجسامها كل التغطية ، ولاخرى دروع اقل غطاء .
ودرع السلاحف غطاؤه الظاهر يتكون من صفائح بشرية تتشكل اشكالا واحدة في النوع الواحد من السلاحف ، وتحت هذا الغطاء الظاهر صفائح من عظم ملتحم بعضها ببعض .

والسلحفاة التي تسقط على ظهرها تعجز عن القيام والحركة .

راس السلاحف

وللسلاحف راس مدبب، او هو مثلث . والفم تعوزه الاسنان ، ولكنَّ فكاه اطرافهما صلبان كالمنقار وبهما يقضم الحيوان قطعا من الطعام ، سواء من نبات او من لحم .

اطراف السلاحف

واطراف معظم السلاحف قصيرة ، وهي قوية ، ولها خمس اصابع ، مزوّدة بمخالب .

سلاحف البحر

وسلاحف البحر ، درعها سابغ من اعلى ، غير سابغ من اسفل . ولهذه السلاحف زعانف كالاجنحة تسبح بها في الماء ، وبهذا تهرب من اعدائها ومن اخطار الماء ، ولكن تزيد اخطارها عندما تدرج الى الارض لتنعم في الشمس او لتضع بيضها على اليابسة .
والسلحفاة تستطيع البقاء في الماء ، مغمورة اتم الغمر ، الزمن الطويل . وبعض هذه السلاحف بها وسائل لاستخلاص الاكسجين الذائب في الماء تقوم مقام الخياشيم خير قيام . ولكنّ للسلحفاة منخاران في طرف الراس ،



سلحفاة برية

امكن بهما ان تغطس السلحفاة فى الماء كل الغطس ، تاركة هذين المنخارين فوق الماء ، وبهما تتنفس هواء الجو .

السلاحف عيون وذيول

وللسلاحف عيون مكتملة ترى بها ، وللعين الواحدة ثلاثة جفون .

وللسلاحف ذيل قصير ، وقد يطول .

السلاحف حدوثها فى عصور الزمان قديم

والسلاحف تمثل رتبة من اقدم رتب الحيوانات الزاحفة ، وهي قد ظهرت فى حفائر الارض اسبق من ظهور العظايا (السحالى) ، وهي ظهرت اول ما ظهرت فى العصر الجوراسى Jurassic Period ، وقد احتفظت بشكلها القديم ولم تكد تتغير طوال المائتي الف مليون الماضية من السنين .

احمد زكي



سلحفتان بحريتان

طرائف

التوسط في الأشياء

● قال صلى الله عليه وسلم : ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا . ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه ، ثم قال : ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبتة لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى .

وقال علي بن ابى طالب : خير هذه الامة النمط الاوسط يرجع اليهم الغالي ، ويلحق بهم التالي .

دعاء

● سمع اعرابى ابا المكنون النحوى فى حلقته وهو يقول فى دعاء الاستسقاء : اللهم ربنا والهنا ومولانا صل على محمد نبينا ، اللهم ومن اراد بنا سوءا فأحط به كاحاطة القلائد على ترائب الولائد ، ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل

ما معنا احد !

● خرج الخليفة الوليد بن يزيدومعه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فكانا ببعض الطريق يلعبان الشطرنج ، فاستأذن عليهما رجل من ثقيف ، فاذن له . فستر الوليد رقعة الشطرنج بمنديل كان معه ، فلما دخل الرجل سلم وسأل حاجته . فقال له الوليد : اقرأت القرآن ؟ قال : لا يا امير المؤمنين شغلتني عنه امور الحياة ، قال : اتعرف فى الفقه ؟ قال : لست بفقيه . قال : افرويت من الشعر شيئا . قال : لا . قال : اتعرف من ايام العرب شيئاً؟ قال : لا . فكشف عبد الله بن معاوية المنديل عن الشطرنج وقال شاهك يا امير المؤمنين فما معنا احد .

فقير به غفلة

● يحكى ان احد الغفلة مر فى احدى الأسواق ، وكان يحمل عصا فى طرفيها زبيلان (قفة) وكان يئن من ثقلهما ، وكان فى احدهما بر وفى الآخر تراب ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : عدلت البر بهذا التراب ، لانه كان قد امالنى فى احد جانبى ، فاخذ رجل زبيل التراب فقلبه ، وجعل البر نصفين فى الزبيلين ، وقال له : احمل الآن ، فحمله ، فلما رآه خفيفا قال : ما اعقلك من شيخ ، ارحتنا اراحك الله .

عربيـة

الاستسقاء

على هام أصحاب الفيل ، اللهم اسقنا غيثا مغيثا سريعا مجلجلا مسحنفرا هزجا سحا تجاجا طبقا غدقا منثعنجراً . فقال الأعرابى : يا خليفة نوح ، هـذا الطوفان ، ورب الكعبة ، دعنى آوى الى جبل يعصمنى من الماء .

الكلام

● قال احدهم الكلام على اربعة وجوه ، فمنه كلام ترجو منفعته ، وتخشى عاقبته، فالفضل منه السلامة، ومنه كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته . فاقل مالك فى تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك ، ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته وهذا هو الداء العضال . ومن الكلام كلام يجب عليك نشره . وبذلك اسقط ثلاثة ارباع الكلام .

اعجم القلب

● اجتمع أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد ، فقال : عمرو : ان الله وعد وعداً وأوعد ايعاداً وانه منجز وعده ووعيده . فقال له أبو عمر بن العلاء : انت والله اعجم ! لا اقول انك اعجم اللسان ، ولكنك أعجم القلب ، أما تعلم ويحك ان العرب تعد انجاز الوعد مكرُمة، وترْكَ ايقاع الوعيد مكرمة ، ثم انشده :

وانى وان اوعدته أو وعدته لمخلِف ايعادى ومنجز موعدى

مبنية على الكسر

● كان مدرس اللغة العربية يعلم فصله درساً فى النحو ، فسأل احد تلامذته ان يعرب (فى رقبتى) وكان هذا الطالب بليدا مهملا يكره مادة النحو ومدرسها . فقال الطالب : يا استاذ لا أستطيع اعرابها . فقال له المدرس : حاول ، انها سهلة بسيطة ، فقال الطالب : فى حرف جر ، ورقبتك مبنية على الكسر يا استاذ .

سفينة نوح

● ركبت امراة بدينة سيارة المواصلات وجلست قرب احد الركاب، فقال احد الركاب لصديقه مازحاً ومعرضا بتلك المراة البدينة : ما كنت اظن ان سيارة المواصلات صنعت لركوب الفيلة .. فأجابته المراة البدينة على الفور : ان سيارة المواصلات يا هـذا مثل سفينة نوح يدخلها كل الحيوانات من الفيل الى الحمار ..





الحنظور على الراس ، والجناح على الخدود ، والفنيق الغالى على الصدر ، والثوب من الحرير الاحمر . انه الزى التقليدى للعروس الجالسة في البوجة.

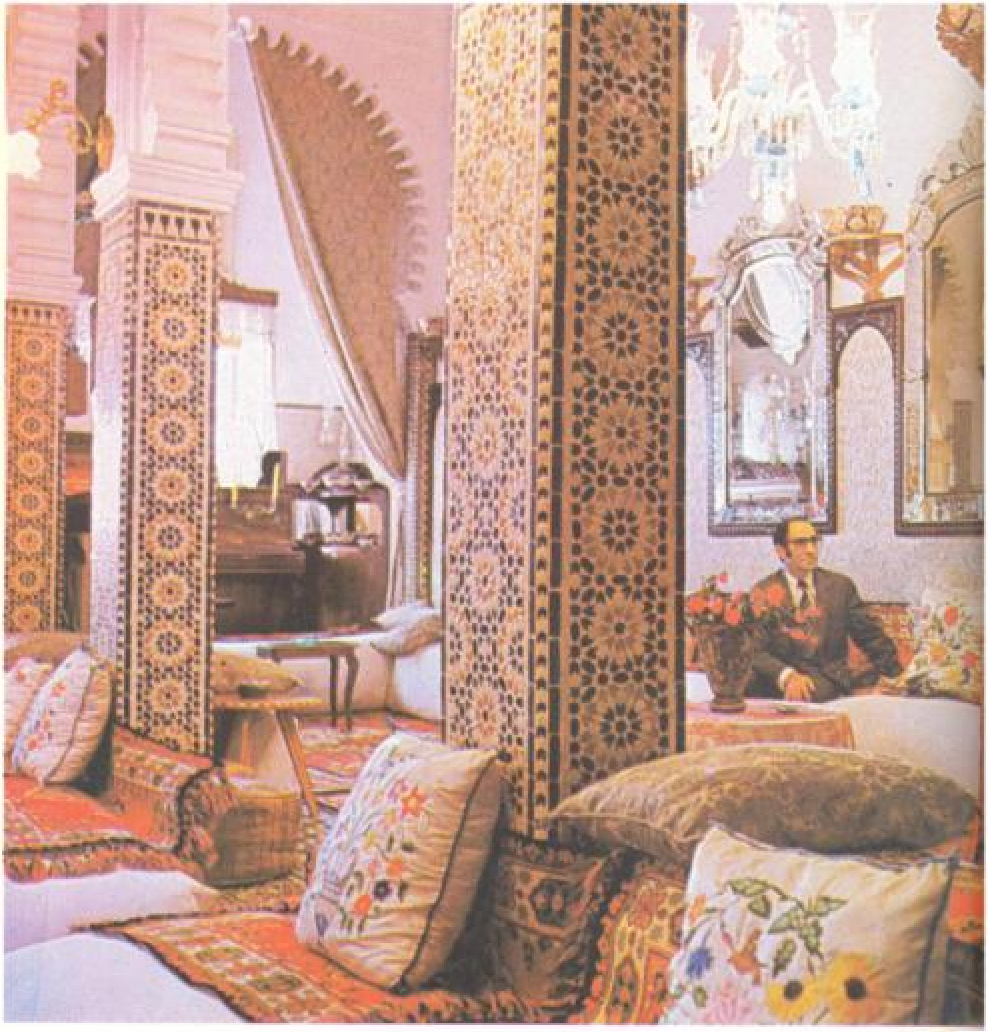


نافورة للمياه في تطوان مطابقة تماما لنافورة غرناطة الشهيرة في قصر جنة العريف .. **والى اليسار :** غرفة الاستقبال في منزل آل صفار .. انها صورة من ماضينا الجميل ، تعيش في حاضرنا العليل !

اعرف وطنك أيها العربي

تِطوان

بِنت غِرناطة ..



الى اليسار : عندما تصوم الطفلة رمضان لاول مرة تحتفل بها اسرتها ، فتلبسها أبهى الحلل.



استطلاع : سليم زبال

تصوير : أوسكار متري

تَعيشُ بَيْنَنا !

■ اهل تطوان يلعبون الشطرنج !

ولاعب الشطرنج انسان صعب المراس ، فهولا يلعبه للتسلية فقط ، وانما يلعبه على الاخص رياضة للذهنه وفكره : هجوم ودفاع ، وخداع ومراوغة ، واناة وصمود ، وتفكير وتدبير ، مع تخطيط وتبصر ..

وهذا التحليل ينطبق على ابن تطوان وكل ما فيها .. فالصراع الثنائي امام رقعة الشطرنج يعكس ثنائية الحياة في المدينة ، التي تنقسم واقعيا الى مدينتين : واحدة عربية اندلسية مغلقة ، واخرى اسبانية حديثة متفتحة، تدور فيهما الحياة على اسلوبين مختلفين .. والتعليم في المدارس ينقسم الى نوعين : اصلي ، وعصري . حتى لغة الاهالي نجد الاسبانية والفرنسية تنافسان العربية في عقر دارها . وتمتد الثنائية الى المراة التطوانية المحافظة بطبيعتها على لثامها وقفطانها الفضفاض ، بينما تسير كريمتها وصديقاتها في طرقات تطوان مرتديات الملابس الخفيفة ، من الميكروجوب الى السروال « الساخن » !

وبعد اعلان وحدة المغرب واستقلاله طرا عامل جديد على تطوان ، تمثل في نزوح عشرات الالوف من ابناء الريف الى تطوان ، مهددين بتغيير اسلوبها في الحياة واصالتها وعراقتها بالضياع ..

شعار مدينة تطوان يدلنا على عمق تفكير أهل المدينة .. فان في الشعار تفاحة ينتج من اجراء عملية الجمع بين حروفها الابجدية ، تاريخ تأسيس تطوان اى عام ٨٨٨ هـ . اما الرمانة فهى ترجمة كلمة غرناطة بالاسبانية وتنطق Granada والحمامة البيضاء ترمز الى التشبيه الذى اطلقه الشاعر على تطوان ، فأسماها الحمامة البيضاء .



باى سبب اهجر ؟

وهذه الاصالة قرانا عنها كثيرا في كتب التاريخ ، ولكن الحنين الى الماضي والتمسك به تعكسهما الموشحات الاندلسية القديمة التي يؤديها الاستاذ التمسماني ، بحماس رائع ينقلنا معه الى ايام الاندلس ولياليها .. اسمعه وهو يردد بصوت خافت رقيق : « بأى سبب اهجر .. والسر البديع يلمع .. » ويتجاوب افراد الجوق مع رئيسهم ، فيكررون قوله باصوات خافتة حنونة : « باى سبب اهجر .. » وتترقرق الدموع في عيون المستمعات ويصاحبن المطربين مهمهمات مرددات : « باى سبب اهجر .. »

وتتصاعد النغمات من الناى والكمان ، وتتسارع الدقات على العود والقانون والدربكة .. وترتفع الاصوات منتشية بالغناء .. ثروة فنية جلبها الاباء من الاندلس ..

كيف أنسى .. ؟



وتركنا الجوق الاندلسي يرسل الحانه الشجية ، وجلسنا نستمع الى الشيخ الجليل المؤرخ التهامي الوزاني يحدثنا حديثا نابعا من قلب عاشق لكل حبة تراب في الاندلس.. تعالوا نستمع اليه سويا وهو يقول :

«كيف يمكن أن أنسى ابن رشد ، وكيف أنسى ابن باجة .. وهل يجوز أن أنسى ابن حزم ؟ لا يجوز هذا ابدا .. انهم فطاحل ازدان بهم فردوسنا الاندلسي المفقود الذى تهفو اليه قلوبنا وافئدتنا مع اشراقة خيوط كل فجر .. »

ويتهدج صوت الشيخ الجليل التهامي الوزاني،



٤٠٠ عضو في نادي الاتحاد بتطوان .. هوايتهم المفضلة هي لعبة الشطرنج ، وليس كرة القدم .. يلعبونها فيما بينهم لاختيار امهر مجموعة منهم ، وتجرى المباريات الدولية بين فريق تطوان للشطرنج وفرق اسبانيا والبرتغال وتونس وقد فاز نادى الاتحاد بـ ٢٧ كأسا في مباريات الشطرنج ..

وتسيل الدموع من عينيه .. انه يعيش احداث الاندلس التي وقعت منذ خمسة قرون بكل ابعادها والامها ، وكانها حدثت بالامس القريب ..

وينتقل الحديث الى علاقة تطوان بالاندلس فيقول : « لما اجبر المسلمون على مغادرة وطنهم الاندلس ، تفرقوا ايادى سبأ في الشرق والمغرب ، وكلهم غليل وبكاء ونحيب ، ما عدا جماعة من جيش المتطوعين قوامها لا يزيد على ٤٠٠ رجل ، يقودهم بطل يمثل الشهامة الاصيلة العربية في عهودها الاولى ، هو القائد على المنظرى ، رحمه الله ورضي عنه .. هذه الجماعة كرهت ان تضم الى هزيمتها روح الانهزام ، فكانت مهزومة غير منهزمة، فجلست هنا على ساحل البحر ، على مقربة من طنجة ، وشيدت مدينة تطوان .. » ❋

بنت غرناطة

والى هذه البقعة تتابع وصول الاندلسيين ، وخاصة اهل غرناطة، جاءوا ومعهم علومهم ومهاراتهم الرفيعة وموسيقاهم الاندلسية ودماثة اخلاقهم التي لا يجاريهم فيها احد .. واعادوا بناء تطوان القديمة

❋ بعد كتابة هذا الاستطلاع جاءت انباء المغرب تعلن وفاة الشيخ الجليل التهامى الوزاني ، رحمه الله .







ما اروع تلك الساعات التي قضيناها ونحن نستمع الى الموشحات الاندلسية يرنمها جوق الرجال من ناحية (**الصورة اليمنى**) وجوق النساء من ناحية اخرى ـ انه الجوق الاندلسي الوحيد في المغرب (**الصورة اليسرى**) .. كانت الموسيقى تصدح بينما الفتيات يؤدين خطوات ايقاعية ، وهن رتديات القفطان ذا الالوان الزاهية المغطى « بالدفين » ، اى الدانتيلا الخفيفة .. ويشتد الايقاع على العود والكمنجة والطبلة والدربكة ، وتتسارع خطوات الفتيات .. ومما يذكر ان الجوق الاندلسي يتالف من ٢٢ عازفا .. ومجموع ساعات الموسيقى الاندلسية الاصيلة التي تم جمعها في تطوان ، بلغ ١٢٢ ساعة ، تنقسم الى ١١ نوبة ، هي : نوبة الصباح والضحى ، ووسط النهار ، والعصر والعشية ، والليل ، والدجا .. ثم نوبة « رمل الماية » في مدح الرسول الكريم ، وتعزف في اى زمان ـ وهذه النوبات تتسع حتى تصل الى ٢٧ نوبة !



المغربة المهجورة منذ تسعين عاما .. غرسوا بها الجنات ، واقاموا بها مصانع الاسلحة ، ولقبوها باسم « بنت غرناطة .. » واستعاضوا بها عن مدينتهم الام ..

ولكن .. هل ترك الاسبانيون هؤلاء النازحين وشانهم .. ؟ لا .. لقد اقسم ملوك الاسبان على مطاردتهم الى كل مكان يلجئون اليه ..

تطوان اليوم

ولن نتابع هنا بالتفصيل وقع حوافر خيول الرومان والقوط والاسبان والعرب .. ولا ثورة الامير عبد الكريم الخطابي الخارقة التي احتلت الشارع الرئيسي في تطوان .. كل هذه الاحداث وغيرها ، تتابعت على مر العصور في تلك المنطقة ولكنا لن نتابعها ، لان استطلاعنا منصب اساسا على تقديم تطوان الحديثة .. التي مازال الماضي حيا يرزق فيها ، تلمسه في ازقتها الضيقة المعتمة، ومنازلها المتلاصقة ، وعاداتها وتقاليدها ، حتى خلنا انفسنا وكان عقارب الساعة قد اعادتنا ستة قرون الى الوراء .. الى ايام غرناطة الحلوة الجميلة المجاهدة ..

الى اسفل : في هذه الغرفة جلس الامير شكيب ارسلان وامين الريحاني وشربا الشاي المخلوط بالنعناع .. انها دار آل بنونة .. كانوا ثمانية أخوة .. سبعة منهم تزوجوا وتركوا المدينة الحديثة وبقي سعد بنونة مع والدته وزوجته واطفاله الثلاثة في هذا المنزل المشيد على الطراز الاندلسي ، الذي يضم عشر غرف .. لاحظ سرير النوم الاثري ذا الاعمدة النحاسية ، في قاعة الاستقبال .. انها من العادات المتوارثة .



الساعات تصبح اياما ..

قد يكون لاهل المشرق بعض العذر في جهلهم بتطوان ، ولكن الذي يخفف من هذا التقصير ، هو ان الغالبية من اهل المغرب نفسه لا يعلمون الكثير عن تطوان ! ففي الرباط عاصمة المغرب قال لنا بعض الافاضل : « لن تمكثوا في تطوان اكثر من بضع ساعات ، فهي مدينة منكمشة لا تحب الغرباء .. »

وطرنا الى تطوان .. وطالت الساعات الى ١٥ يوما ، وكم تمنينا لو امتدت الايام لتشمل بقية العمر !

رعى الله احبابا بتطوان كلما
ذكرتهم اهتاجت شمائل اضلعي

هكذا قال الشاعر ورددناه معه .

لقد فتح لنا اهل تطوان بيوتهم وقلوبهم ، فعشنا معهم الامهم وآمالهم، وقرانا كثيرا من الكتب عنهم وعن تاريخهم.. وخرجنا من كل هذا بانطباع غريب .. انطباع بان تطوان تتالم بهدوء وصمت ، وهي واقفة ترفض الركوع لاحد .. انه الم الاكابر، تعاني منه الامرين .. لقد سلبوا منها شخصيتها ، وهي اليوم تحاول تكييف نفسها للدور الجديد المرسوم لها ..

الدوران حول المحور

لقد استمرت تطوان طوال فترة الاحتلال الاسباني لشمال المغرب (١٩١٣ ـ ١٩٥٦) عاصمة لمنطقة الحماية الاسبانية .. صيتها يملا الاسماع ، وازدهارها يشع على كل مكان .. كان لها حكومة وطنية جعلوا لها رئيسا اعلى اسموه خليفة السلطان، يختاره سلطان المغرب من بين مرشحين تقدمهما اسبانيا .. وكان يطلق على المنطقة الشمالية من المغرب ، اسم المنطقة الخليفية .. والمناطق الاخرى المحتلة من فرنسا ، كانت تسمى : المنطقة السلطانية .. كل منهما مستقلة عن الاخرى تماما ..

ودارت عجلة الزمان ، ورحل الاستعماران ،



احساس روحاني تشعر به وانت تستمع الى هذه البراعم ، وهي ترتل آيات من القرآن الكريم في خشوع ورهبة . لقد تعلمن تلاوة القرآن الكريم من اسطوانات « القرآن المرتل » بصوت الشيخ خليل الحصري ، في مدرسة الفضيلة .. انها مدرسة حرة ، قلّ أن شهدنا مثلها في وطننا العربي .. انشئها رائد النهضة في الشمال المغربي ، الاستاذ المرحوم عبد الخالق الطريس عام ١٩٤٧ .



عندما تبلغ الطفلة السنة السابعة من عمرها يشترى لها والدها ٢ كيلو من خيط الحرير ، يصبغهما لها بمختلف الالوان ، وتذهب الطفلة الى غرفة المعلمة التطوانية ، في مدرسة المهن الفنية ، تجلس هناك لتتعلم مختلف نماذج وأنواع الطرز ، وتظل تترقى . ولكنها لا تأخذ شهادتها الا بعد نجاحها في عمل ٣٠ غرزة مختلفة على قطعة قماش ، تحتفظ بها ، باعتبارها شهادة نجاح دار المعلمة التطوانية

وجاء الاستقلال ، وتطورت البلاد ، وعادت تطوان الى وطنها الام .. عادت لتصبح مدينة عادية مساوية لبقية مدن المغرب ، تدور معها حول محور (الرباط ـ البيضاء) بعد ان كانت تطوان هي المحور الذى تدور حوله مدن الشمال !

بلاد العرب اوطاني !

لقد دفعت تطوان ضريبة وحدة التراب المغربي عن طيبة خاطر .. فمن تطوان انتشر الوعى الوطنى في المغرب كله .. وهى التيقدمت اول وثيقة تطالب بالاستقلال والوحدة .. وروى لنا الاستاذ الطيب بنونة ، قصة بداية الانتفاضة الوطنية الحديثة في تطوان بقوله : « كانت بداية الانفتاح عندما سافرنا في عام ١٩٢٨ في اول بعثة تعليمية الى بلاد المشرق .. وفي اثناء مؤتمر كشفى عربي اقيم في مدينة نابلس تقابلنا مع الشاعر ابراهيم طوقان الذى انشد بهذه المناسبة قصيدة شهيرة عرف بها المشرق لاول مرة اسم تطوان :

بـــلاد العـــرب اوطانـــي
مـــن الشـــام لبغـــدان
ومـــن نجـــد الـــى يمـــن
الـــى مصـــر فتطـــوان

« وتوالت البعثات من ابناء تطوان الى مصر ونابلس ، وزار الامير شكيب ارسلان تطوان ، وكان الشرق يجهل كل شيء عن بلادنا .. فكان الامير شكيب هو وسول المغرب الى المشرق .. »

الى اسفل : سبع بوابات قديمة ما زالت موجودة في بقايا سور تطوان الذى يحيط بالمدينة القديمة، انها كلها بحاجة لترميم وتسليط الاضواء عليها .



فرانكو خرج من تطوان !

ويتابع الطيب بنونة ، الذى كان سفيرا لبلاده فياسبانيا وفي طهران حديثه عناسبانيا قائلا : «من تطوان خرج الجنرال فرانكو ومعه الجنود المغاربة، واسترجع بهم بلاده اسبانيا ، شبرا شبرا .. لقد وعدنا فرانكو بالغاء الحماية الاسبانية ، في حالة انتصاره ، اعترافا منه بجميلنا .. ولكنه سرعان ما تناسى وعده بعد أن ساعدناه في تحقيق حلمه وتسلمه زمام الامور في اسبانيا ..

« وقامت المظاهرات وسالت الدماء ، بعد ان اسسنا الكتلة الوطنية في تطوان ، وهي اول حزب سياسي في المغرب ، ونفونا ـ عبد الخالق الطريس والمهدى بنونة ، وأنا ـ الى طنجة ، ولكننا عدنا الى بلادنا بمساعدة الجامعة العربية ..

« وحدث أن دب الخلاف بين اسبانيا وفرنسا فاستغللنا هذا الظرف ، وبدات اسبانيا تؤازر الثورة المغربية ضد فرنسا ، فكانت تطوان مركز تدريب وتموين وانطلاق ، وملاذ لثوار المغرب .. واستمر هذا الوضع حتى انتصر المغرب ورحلت فرنسا واسبانيا .. »

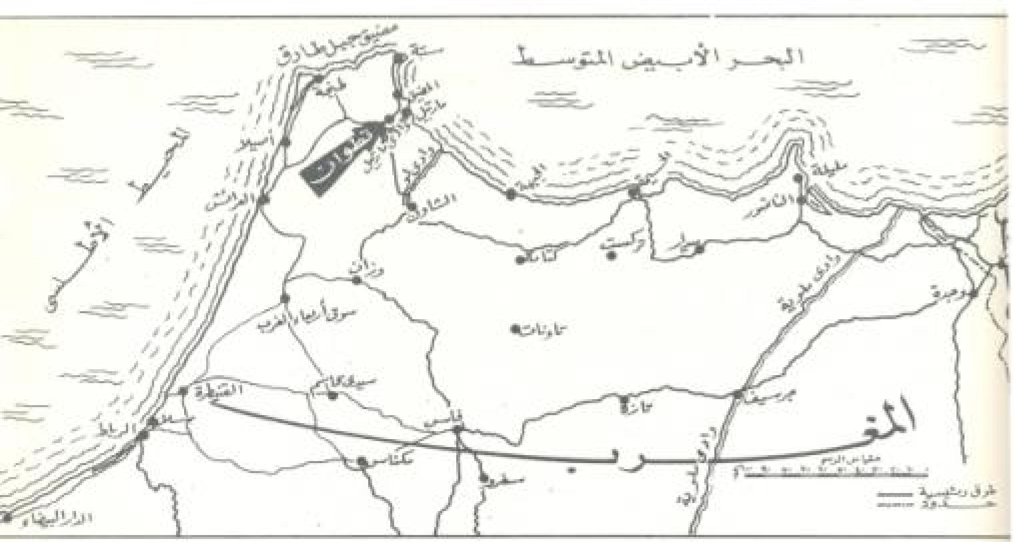
هجرة .. ونزوح

ان المحك لمتانة اى نظام اجتماعي هي في مراقبة ما يحدث له عندما يتعرض لتوتر جذرى ..

وهذا ما يحدث حاليا في تطوان ، فبعد استقلال المغرب ، غادر المدينة ٦٠ الف إسباني و١٠ آلاف يهودى ، وكان هؤلاء الاسبان واليهود يحتكرون تجارة المنطقة احتكارا تاما ، ولا يهمنا هنا انهم نقلوا معهم رؤوس اموالهم ام لم ينقلوها فهذه نقطة ثانوية بالنسبة لافتقاد المنطقة المهارات البشرية .. ونتيجة لهذا الفراغ تبعثر هذا النظام الذى استمر زهاء نصف قرن في تطوان ..

وكما حدث في معظم مدن المغرب ، حدث تحول ديموغرافي في توزيع السكان في تطوان فقد جاءها عشرات الالوف من اهل الريف وفاس ومكناس ومراكش وسوس، ومعهمرؤوس اموالهم المحدودة ، واشتروا متاجر الاسبانواليهود،واسسوا صناعات جديدة..كلهذا كان يحدثوابنتطوان يغطفياحلامه الاندلسية الجميلة ، وعندما استيقظ ، كانت القلب المراكز قد تسللت الى ايدى جيرانه !

وتبدلت الحياة في تطوان،وتحولت بعضاسواقها عنتخصصاتها التقليدية،فشهدنا باثعى المجوهرات



تقع مدينة تطوان في الطرف الشمالي للمغرب على مسافة ١٠ كيلو مترات من شاطىء البحر المتوسط ، و ٦٠ كيلو مترا من طنجة .. قام المهاجرون الاندلسيون باعادة بنائها من عام ١٤٨٢ الى عام ١٥٠٢ وترتبط تطوان مع بقية مدن المغرب بشبكة طرق ، وبها مطار صغير تهبط به الطائرات المحلية .

والصياغ ياخذون اماكن صانعي الاحذية في سوق الطرافين .. وبعد ان كان المغاربة من اهالي تطوان ، لا يملكون من السيارات الا عددا يعد على اصابع اليد ، اصبحت المدينة تكاد تختنق من كثرة السيارات !

وحدة التعليم

ان التاريخ يعيد نفسه في تطوان .. ففي عام ١٤٩٢ عندما شيد الاندلسيون تطوان انضمت اليهم جماعات من جبال الريف وفاس ، ثم جاء بعض اهل تلمسان هربا من الاحتلال الفرنسي ، فتصاهر الجميع ، وتخلقوا باخلاق الاندلسيين ، وانصهروا في مجتمعهم ، حتى لم يعد بوسع احد التفريق بينهم ..

واليوم ماذا حدث لابن تطوان ؟

لقد هجر الاجداد غرناطة بعد ماساتنا في الاندلس ، واليوم يهاجر الاحفاد من تطوان قاصدين العاصمة لتولي المناصب والوظائف الحكومية العالية في المغرب المستقل .

لان الذي لا شك فيه ان التعليم الوطني ، الذي كان معربا ايام الاحتلال الاسباني ، خلق جيلا من المغاربة المؤهلين تاهيلا اسلاميا عربيا عاليا .. جعل باستطاعة تطوان تقديم الكثير من الاساتذة لتعليم اللغة العربية والدين ، في مدارس المغرب .

وعشية استقلال المغرب عام ١٩٥٦ اعلنت وزارة التربية انه لا بد من وحدة تعليمية كاملة بين شمال المغرب وجنوبه .

وكان القرار بمثابة نكسة للتعليم في تطوان ، الذي كان معربا كاملا في المدارس الحرة الخاصة ، وكانت اللغة الاجنبية الاولى هي الاسبانية .. اما القرار الجديد فيقضي بتعليم كافة العلوم بالفرنسية وجعلها اللغة الاجنبية الاولى في البلاد .. واسقط في يد اساتذة تطوان وكانت فترة انتقال صعبة للغاية تعلم خلالها الاطفال اللغة الفرنسية بدلا من الاسبانية ليستطيعوا تكملة علومهم في المدارس المتوسطة والثانوية .

والدخول الى المدارس الثانوية هو العقدة التي تنغص حياة الآباء في تطوان ، لان عدد المقاعد في الثانويات محدود جدا ، ولا يستطيع الوصول اليها الا من كان صغير السن وحاصلا على نسبة مئوية مرتفعة !

كيف يمكن أن تقوم الوحدة ؟

لقد ظلت تطوان بمثابة النافذة التي يطل منها المغرب على المشرق ، البعثات تنطلق منها ، والمحاضرون والاناشيد والقوانين العربية تدخل عن طريقها .. هكذا كانت تطوان ايام الاحتلال .. وفي هذه المرة جلسنا الى مجموعة من شباب الجيل الجديد



حس مرهف ، ومواهب مبدعة ، لمسناها في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة ، التي يلتحق الطلاب بها بعد تخرجهم في الثانوية ، فيقضون فيها ثلاث سنوات ، يؤهلون بعدها للالتحاق بكليات الفنون العالية .. ويعود بعض الطلبة بعد تخرجهم ، فيعملون أساتذة في مدرسة الفنون .. **والى اسفل** نرى الاستاذ الفنان محمد السرغيني مدير مدرسة الفنون يضع اللمسات الاخيرة على احدى لوحاته في مرسمه الخاص

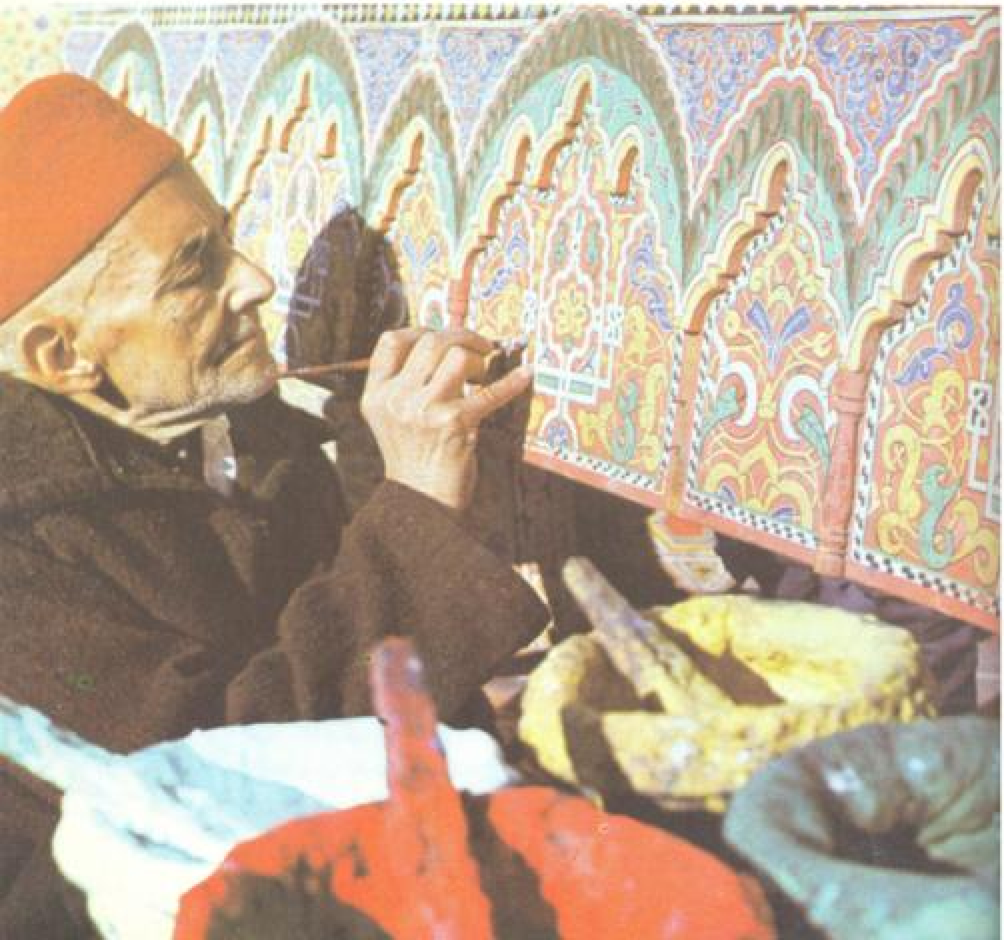






الى اليسار : تتدرب فتيات تطوان على على العزف على الكمان والآلات الموسيقية وغناء الموشحات الاندلسية في مدرسة المهن الفنية .. والجدير بالذكر أن تطوان تضم جوقا اندلسيا نسائيا ، هو الوحيد من نوعه في المغرب .

الى اسفل : ادريس الحمرى .. فنان بالوراثة .. ورث عن والده مهنة زخرفة خشب الارز المغربي ، بالالوان المصنوعة من البودرة والماء والغراء .. ويقوم العم ادريس حاليا بتدريب تلامذة مدرسة المهن على اتقان هذا الفن .





زرنا مكتبة تطوان العامة ، فوجدنا ٦٤ قارئا في قاعتها الرئيسية ، جميعهم يطالعون كتبا ، اما الصحف فكانت على الرفوف لا يكترث لها أحد .. ويقول السيد « مهدى الدليرو » مدير المكتبة العامة : « عندنا ٦٠ الف كتاب ، وفي عام ٧١ بلغ عدد القراء ٢٥ الف قارىء .. وابن تطوان يحترم الكتاب ، لهذا يستعيره دون دفع كفالة مالية »



لم تستطع معظم مصانع تطوان
ظهرت امامها بعد استقلال الم
ابوابها ، ولكن ما زال هناك ال
مصنع الورق الذى تبلغ طاقاته
ولكنه لا ينتج الا ١٠ آلاف طر

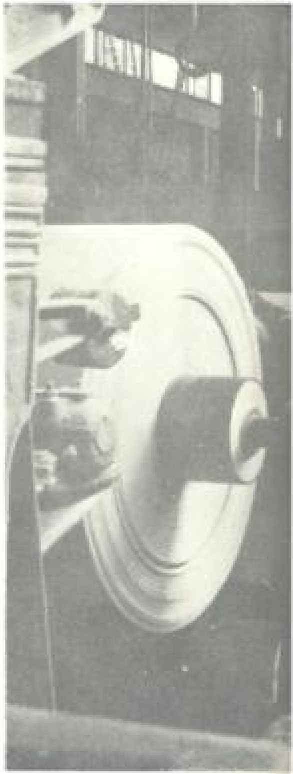
التطواني الذي يتلقى تعليمه في المدارس الثانوية ، نختبره في معلوماته عن المشرق ، فسألناه عدة اسئلة لن ننشر اجاباتها حتى لا نتهم بالتشهير ، لان حال شباب المشرق ليس اكثر حظا بالنسبة لمعلوماتهم عن المغرب .

ترى كيف يمكن ان تقوم بيننا وحدة عربية كاملة وكل منا يجهل الاخر جغرافيا ؟ ان الاجابة على هذا السؤال هي في يد المسئولين عن التربية والتعليم في كل قطر من اقطار وطننا العربي بلا استثناء ..

التعليم الاصلي

والحديث عن التعليم في تطوان يجب ان يكون له نصيب الاسد ، لان ٩٦٪ من ابنائها يتعلمون في مدارسها الاصلية والعصرية .. والتعليم الاصلي لفظ يطلق على المؤسسات العريقة القديمة المختصة بالفقه والشريعة .. انها اربعة روافد للتعليم العالي الاصلي الديني ، وخريج هذه المدارس يمكنه الدخول الى كلية الشريعة بفاس ، او كلية اللغة العربية بمراكش ، او كلية اصول الدين بتطوان ، وكانت الدراسات الدينية تجرى قبل الاستقلال في المساجد ، شانها في ذلك شان الازهر القديم والزيتونة وجامعة القرويين ، فلما حصل المغرب على نعمة الاستقلال ، سارع بتحويل جميع الثكنات العسكرية الى مبان للمدارس الحكومية في اغلب مدن المغرب .. وفي تطوان تم تحويل ثكنة عسكرية اسبانية لتصبح مقرا لثانوية التعليم الاصلي الديني وكلية اصول الدين !





ـصمد امام المنافسة التجارية التي
وحيـده ، فعمدت الى اغلاق
المصانع العاملة ، وفي مقدمتها
٢ الف طن من الورق سنويا ،
بدم وجود سوق محلي كـاف .

ليست هذه ورشة حدادة،بل هي فصل في مدرسة الفنون الجميلة !! انها ثورة الشباب على الرسوم التقليدية الموروثة ، ويقول استاذهم : « لا بد ان نتعلم النحو لتصبح ادباء ، كذلك مع الفن : رسم الطبيعة هو النحو .. اما الادب الرفيع فهو عندما يعطي الفنان لقطعة حديد مهملة ، قوة وحيوية يخرج بها للوجود موهبة كامنة في داخله !! »

القط ينقلب الى اط !!

ويتميز اهـل تطوان بلهجتهم العامية التـى يسمونها لغة تطوان .. وهى مزيج من العربيـة والبربرية،دخلتها كلماتاسبانية وتركية وفرنسية نتيجة للجوار والاحتلال والمصاهرة ..

وكلمة تطوان نفسها لا تعنى شيئا بالعربية ، ولكنها باللهجة البربرية تعنى « افتح عينيك » .. الا ان صاحب كتاب « الاستقصا » يقول انهـا تعنى : « مقلة العين » .. والبعض يقول انها عيون الماء ، وليست عيون الانسان !!

وكما اختلف الناس في معرفة معناها ، كذلك اختلفوا في طريقة كتابتها ، وقد استطاع مؤرخ تطوان الاستاذ محمد داود ، ان يحصر سبعةاشكال مختلفة لكتابتهـا هـى : تِطّوان ، تطّاون ،

تِطّاوين، تيطاوين، تطاوان ، تيطاوان، تيطاون !!

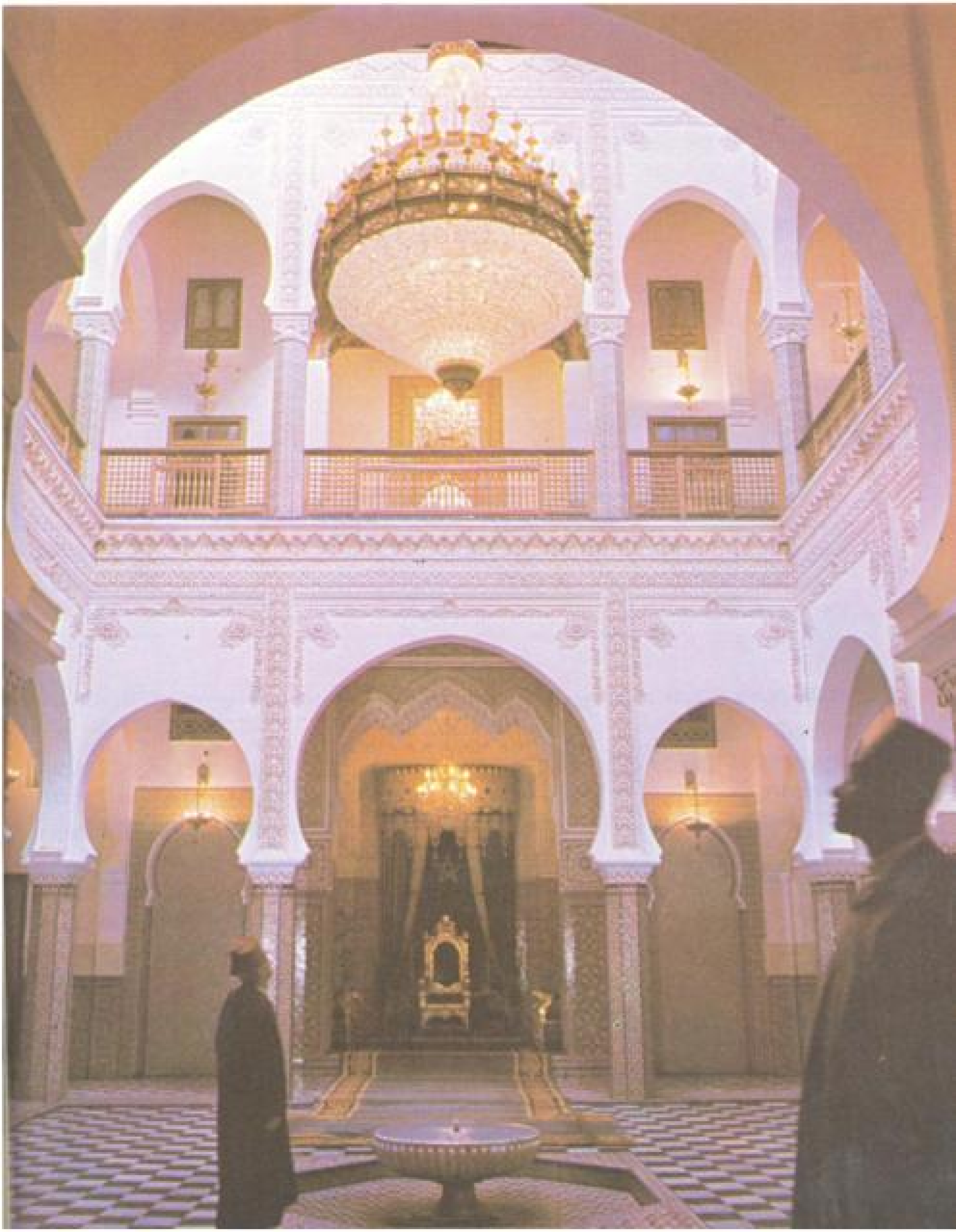
ويتكلم اهالي المدينة بسرعة فائقة في حديثهم العامى ، والسبب ان كلماتهم تتميز بحركةالسكون في مقدمتها ، وكثيرا ما يمتد تاثير النطق الساكن الى الحرفين او الثلاثة الاول في الكلمة .

ويميل اهل تطوان الى تخفيف النطق بالحروف .. القاف تنقلب الى همزة ، اى بدلا من كلمة قط يقولون اط .. ويقلبون الضاد دالا .. والطاء تـاء ..

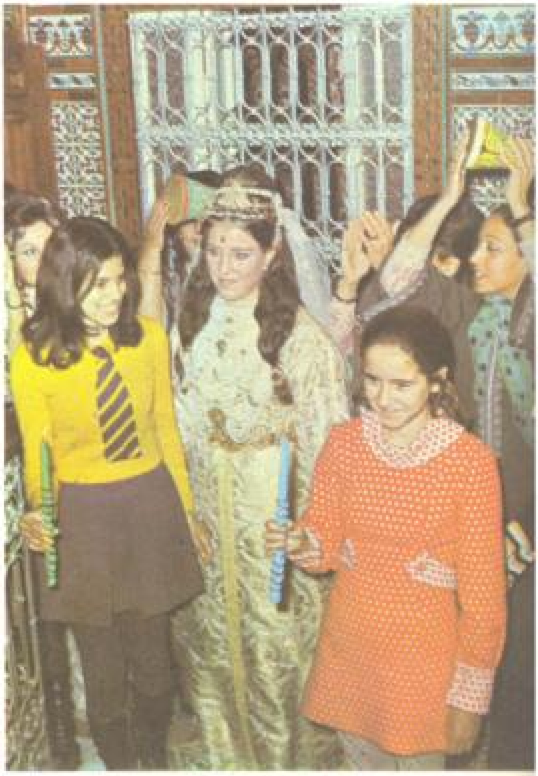
وهذه نماذج من كلماتهم : أتاي" اى الشاي . بنّان اى الموز .. د'اية" اى الجبن .. الزعيم ديالنا اى زعيمنا .. الشيليا اى المقعد ..

وهذه اللهجة العامية كادت تندثر بعد انتشار التعليم والاذاعة والتلفاز .

الى اسفل : دار المخزن أو « القصر الملكي » في تطوان .. آية من آيات الهندسة الاندلسية الحديثة .. انه معرض لصناعة الفسيفساء التطوانية .. ارضه وجدرانه كلها مغطاة بالفسيفساء ، وسقفه مغطى بخشب الارز المزخرف .. وعند المدخل نافورة تطلق مياه « السكندو » المندفعة من العيون التي في الجبال ، عبر شبكة انابيب قديمة .. لقد شيد هذا القصر القائد احمد الذي تولى الحكم بعد مولاى اسماعيل ، ثم تجددت عمارته في اوائل القرن العشرين .. لقد كان القصر مفروشا بفاخر الاثاث، اما اليوم فقد تحول الى متحف مجاني خاو ، يقصده الزوار لمدة لحظات ثم يتركونه « لبرودته » !



تنقسم حفلة الزواج الى حفلتين : واحدة للرجال واخرى للنساء .. وابن تطوان يتزوج من واحدة فقط ، وللفتاة حق اختيار زوجها بموافقة اهلها .. وتبدأ حفلة النساء بموكب تتقدمه حاملات الشموع ، ونساء العائلة يحطن بالعروس ويحملن الدربكة ويزغردن ، بينما الجوق الاندلسي النسائي يصدح بانغامه مرددا : « **اقبلت دولة الرضى .. هذا يوم سعيد .. انا انا شوفو حالتي ..** » وترتدى العروس ابهى زينة : تغطي صدرها بعشرات العقود من اللؤلؤ الطبيعي ، بينما التاج الذهبي المرصع بالاحجار الكريمة يكلل هامتها .. ومن اللطيف ان المرأة بعد زواجها تعيد ارتداء لباس العروس كل يوم جمعة ـ لمدة ٤٢ جمعة ـ تستقبل خلالها الاهل والصديقات .







الشاي الاخضر ، والفقاصة ، والكعك المصنوع من اللوز والسكر ، هي الحلويات التي تقدم للمدعوات الى العرس

(لزيادة التفاصيل يرجى مراجعة كتاب الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال : « لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها ») .

المكنسة تقتل الاطفال !!

واهل تطوان يتشاءمون من يوم الثلاثاء ، تمتنع فيه المراة عن الغسيل ، اما شهر مايو فان محلات بيع المكانس يقف حالها ، لان الذى يشترى مكنسة خلال شهر مايو يموت احد ابنائه !! هكذا يعتقدون . ويطلقون على هذا الشهر : الشطابة ..

وبعكس هذا نجدهم يتفاءلون بيوم الاربعاء ، ويقولون ان الشمس لا يمكن ان تغيب ابدا يوم الاربعاء ! ومن العجيب اننا عشنا يومى اربعاء في تطوان ، كان الجو خلالهما صحوا ، بعكس الثلاثاء والخميس !!

واحدة تكفى !!

وابن تطوان محافظ بطبيعته ، لا يفتح لك قلبه الا اذا اطمأن لك وعرفك .. « والمراة التطوانية كثيرة الكلام لهذا شددنا على فمها اللثام الابيض .. » هذا ما قاله لنا احد رجال تطوان !.

ولكن وداعة المراة وحياءها وخجلها واحترامها ، كل هذا يتبخر وتتحول المراة الى ثورة عارمة على زوجها ، اذا تجاسر ودعا اصدقاءه للاكل في منزله ، دون الحصول على موافقة مسبقة من نصفه الحلو !!

والتطوانى لا يتزوج الا امراة واحدة ـ وهذا كاف جدا ـ !! والطلاق يعتبر عيبا كبيرا .. ومن اللطيف ان معظم حالات الزواج تحدث في ليالي الخميس والسبت من ايام الصيف .. وفي العام الماضي تمت ٤٨ حالة زواج في ليلة صيف واحدة !

وتمنينا لو استطعنا تصوير حفلة زواج اندلسية لنقدمها للقراء ، فشهقت عضوات الاتحاد النسائي بصوت واحد ، وكاننا ارتكبنا اثما بجراتنا على هذا الطلب المخالف للاعراف !!

وفي اليوم التالي وجدنا في الفندق دعوة كريمة منهن لتصوير فرح على الاسلوب الاندلسي القديم .. وكانت اول مرة يدخل فيها رجال الى حفل زواج نسائي ، كما كانت اول مرة يسمح فيها



تسير المراة التطوانية في فترة انتقال ، تحاول ... وعاداتها وتقاليدها الاسلامية ومجتمعها المغلق بتطوان ، اللواتى تقع عليهن مسئولية توجيه ...

بالتقاط صور لعروس تطوانية بكامل زينتها (انظر صفحة ١٢٧) .

ربة بيت اولا واخيرا

وتدافع الآنسة فريدة اللتوه ، رئيسة مكتب الاتحاد النسائي في تطوان عن المراة بقولها : « المراة التطوانية بدأ تعليمها عام ١٩٣٦ ، اى قبل شقيقاتها في جميع انحاء المغرب ، وهى ربة بيت قبل اى شيء آخر ، تفنى ذاتها في سبيل اسعاد اسرتها ، ونظافة ابنها عنوان شرفها .. اما من عجائب الاطباق التى تصنعها في مطبخها فلا يضاهيها فيها احد ، من بشطيلة ومحنشة ، ولحم مطبوخ بالبرقوق او السفرجل او الزعفران ، حتى بالعسل تطبخ اللحم .. »

وبعد ان دعينا لمنازل آل بنونة وآل الصفار وآل سرغيني وآل عمراني ، شعرنا بمدى الاجحاف الذى يحيط باهل تطوان ، نتيجة التشنيعات التى



...أخذ من حضارة الغرب في حدود ما يلائم تفكيرها
... بعض عضوات المكتب المحلي للاتحاد النسائي
... وفتاة تطوانية !

يطلقها اهل المغرب عليهم .. والتي تقول :

« أهل تطوان ينافسون اهل صفاقس في بخلهم .. وهم يطبخون نفس قطعة اللحم اربع مرات للاستفادة منها في طبخات مختلفة !! . »

ويهزأ ابن تطوان من هذا الادعاء ويقول :

« اننا اقتصاديون نرفض التبذير السخيف ، نعيش على قدر مستوى دخلنا .. وعندما ندعو شخصا الى منزلنا لا ندعوه على كسرة خبز وجبن ، وانما ندعوه على مائدة تليق بمكانته ومكانتنا في نفس الوقت .. وعندما نذهب لزيارة الاصدقاء والاهل في الرباط ، ننام في الفندق حتى لا نرهق احدا .. وهكذا نريد الناس أن يعاملونا .. انهم يحسدوننا على كل شيء ، حتى على اسماكنا الشهية من البحر المتوسط ، لان اسماك محيطهم الاطلسي لا تصلح للاكل اساسا .. ولا تنس عامل العرائش .. فنحن لم نكن ابدا مربطا لخيل جيراننا !!! »

تطوان بالارقام



وتسال عامل (محافظ) تطوان السيد عبد اللطيف الخطيب عن اقليم تطوان فيقول : « قد يدهشكم اذا علمتم أن مساحة اقليم تطوان تعادل مساحة جمهورية لبنان ، أى ١٠ آلاف كيلو متر مربع .. وهذه المساحة الكبيرة لا تمثل الا ٢٫٧٪ من مجموع مساحة المملكة المغربية .. ويعيش في اقليم تطوان ٨٠٠ الف نسمة ، اى بمتوسط ٧٩ شخصا في الكيلو متر المربع الواحد .. وفي تطوان نفسها تضاعف عدد سكان المدينة اربع مرات خلال فترة ١٦ عاما من الاستقلال ، فأصبح عددهم ١٤٠ الف نسمة ، منهم ٥٤٪ من الشباب .. ومعدل الحياة كان ٣٦ عاما منذ ٢٠ سنة ، ارتفع حاليا الى ٥٨ عاما بعد توفير الخدمات الصحية والوقائية .. »

« آجورة في الحيط ! »

ويتفاخر اهل تطوان بمثلهم القائل « اجورة في الحيط احسن من ياقوتة في الخيط . » **اى لبنة في حائط عمارة افضل من ياقوتة في عقد .**

ومصداقا لهذا المثل نجد ان « هواية » ابن تطوان هى اقتناء المنازل والعمارات .. وعندما انتهت عملية شرائه لمباني تطوان نفسها ، اتجه صوب طنجة فاشترى اغلب مبانيها ، ثم ولى وجهه صوب الدار البيضاء – منافسته اللدودة – فاشترى اغلب مباني مدينتها القديمة .

ويحاول عامل تطوان ومدير السياحة اقناع ابناء البلد بفوائد المشاريع السياحية القادمة ، ولكن ابن تطوان لا يتحمس كثيرا للمخاطرة فهو يفضل « اجورة في الحيط » ..

وهذا التردد تمتد جذوره الى ايام الاحتلال الاسباني ، الذى لم يقم بمشروعات كبيرة تذكر في المنطقة .. لقد جاء الاسبان الى تطوان وهم افقر من اهل البلد نفسه تقريبا !! جاء الشحاذ الاسباني ،

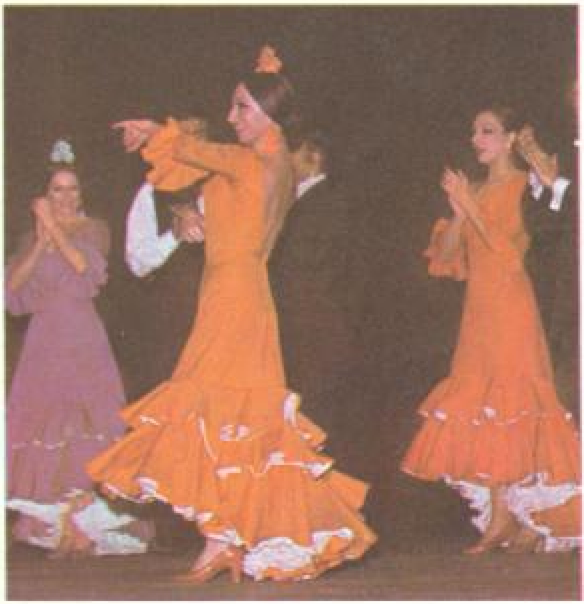


الى اليسار : في الرباط والدار البيضاء ، نجد التأثير الفرنسي واضحا على جميع أوجه الحياة فيهما .. أما تطوان ، فنجد فيها التأثير الاندلسي الاسباني واضحا .. فاللغة الاسبانية ما زالت تحظى باقبال الطلبة على تعلمها . والفرق الراقصة الاسبانية تعبر مضيق جبل طارق الى تطوان لتقدم رقصات الفلامنجو .. وتنتقل العدوى الى تلميذات المدارس فتراهن يتعلمن رقصات الفلامنجو ،منذ نعومة اظافرهن ، باعتبارها رقصة اندلسية .. والتلفزيون الاسباني الذى تلتقط برامجه اجهزة الاستقبال في منازل تطوان ، يشترك في استمرار التأثير الاسباني على المنطقة ..



الى اليمين : ثلاث لوحات انسانية ، تبين مدى الجهد الذى تبذله انيسة اوعار من اجل تعليم الطفل محمد الصلحي ، المحروم من نعمتى الكلام والسمع .. انها « جمعية حنان » التى تقوم برعاية الاطفال المعوقين والمشلولين في تطوان .. وهذه الجمعية تقدم لاطفالها وجبتى الافطار والعشاء فقط ، ولا تقدم لهم الغداء ، لعدم توفر المال الكافي .. انها جمعية تطوعية تحتاج الى اعانة سريعة حتى لا تغلق ابوابها في وجه ٧٠ طفلا مشلولا ومتخلفا ، وأصم وأبكم ..







وماسح الاحذية الاسباني ، وكناس الشارع الاسباني ، والخادمة الاسبانية ، والجندي الاسباني ، والمليونير الاسباني .. من كل الطبقات جاءوا عام ١٩١٣ الى تطوان بعد ان تمت عملية اقتسام « تركة رجل المغرب المريض » بين فرنسا واسبانيا،على ان تغضا الطرف عن احتلال انجلترا لمصر ، والمانيا للكنغو ..

ومن سخريات القدر ان اسبانيا التي تطالب اليوم بجلاء بريطانيا عن جبل طارق ، تتناسى ان قواتها الاسبانية ما زالت تحتل ـ حتى هذه اللحظة ـ ارضا مغربية بدون وجه حق .. تحتل سبتة ومليلية وبعض الجزر المغربية ، والصحراء المغربية !!

٩ بواخر يوميا

وبعد ميناء سبتة المحتل مسافة ٤٠ كيلومترا من تطوان ، وعلى ارصفته الطويلة كانت تقف في صيف العام الماضي تسع بواخر يوميا ، تقل عشرات الالوف من السياح يزورون سبتة ثم يتوجهون بالسيارات الى تطوان وشواطىء تطوان.

« اننا نهدف الى استدراج اكبر نسبة من ملايين السياح الذين يزورون البلدان الاوروبية .. ففي عام ١٩٧٢ بلغ عدد السياح الذين زاروا اسبانيا فقط ٢٥ مليون سائح ، في حين لم يأت الى المغرب غير مليون سائح ! » .

واخذنا السيد طارق الوزاني ، مدير السياحة الجهوي،(اى جهة تطوان) في جولة على الشواطىء المطلة على البحر المتوسط .. ان مستقبل تطوان يكمن هنا على هذا الساحل حيث تتناثر المدن السياحية المتكاملة : رستينجا : كابو نيجرو هوليداى ان ، قبيلة ، نادى البحر المتوسط .. كلها مراكز سياحية من الدرجة الاولى تتيح للسائح الراحة والهدوء ، والشمس والهواء ، وساحل رملي ناعم تغسله مياه لازوردية شفافة .. كل هذا ضمن حلقة من الجبال الخضراء تحيط بالشواطىء.

نواقص بالجملة

لقد تحدد مستقبل تطوان داخل اطار السياحة، ولكن السياحة لا يمكن ان تكون ناجحة اذا اعتمدنا فقط على وجود ٦٢٦٠ سريرا في فنادق اقليم تطوان .. هذا الرقم يبعث على الفخر ما في ذلك من شك .. ولكن السائح في تطوان يمكن ان تجذبه اشياء كثيرة اخرى تنقص المدينة .

فمثلا لماذا لا تعاد مفروشات القصر الملكي الى القصر ، بدلا من ان يظل خاويا باردا ؟ .. والحديث نفسه يتكرر عن متحف تطوان الفارغ بينما الآثار مدينة تمودة التاريخية تقبع تحت الرمال على مسافة اربعة كيلومترات من تطوان ؟ وفنادق مدينة تطوان ومطاعمها ومقاهيها التي لا تعد ولا تحصى ، اغلبها في حاجة الى اصلاح وتجديد.. حتى الاسماك الحمراء التي كانت تملأ حوض ميدان الحسن الثاني سرقها الصبية ، وفرق الموسيقى التي كانت تشنف الآذان في نفس الميدان توقفت انغامها وانقطعت .. وحدائق العشاق المقامة على نمط جنة العريف، غرناطة ـ اصبحت تشكو اهمال البلدية لها !!

كل هذه النواقص الاساسية وغيرها ، لن يكتب

الى اسفل : تطل مدينة تطوان على واد اخضر ما زالت تعيش في المنطقة .. ويأخذ الوادي ـ مَنطقة ـ بَجْداد ـ ميحشش ـ مجاز الشـ تتكون دلتا خصبة تزرع بالخضراوات .. وفي



لهـا الاصـلاح ، لان البلديـة ترفـع التقارير وتخلى مسئوليتها ، واهل تطوان ، وخاصةالتجار منهم ـ واغلبهم تجار ـ لم تعد الرؤية واضحة امامهم ، بعد ان حجبها مدخول السياحة السريع الذى بدا ينهال عليهم ..

حج مبرور

واكثر المشاهد روعة في تطوان القديمة ، هي ماذن مساجدها السبعين .. بعضها رباعي الاضلاع وبعضها مثمن او مسدس الاضلاع .. واضرحة الاولياء والصالحين لا يمكن حصرها ، فعند كل ناصية ضريح او قبة لصاحبهما كرامة ..

ويتفاخر اهل تطوان بالحج الى بيت اللـه الحرام .. وتتحول الاحتفالات عند السفر والعودة الى شبه فرح شامل .. ياتي الجيران والاصدقاء وهم يرددون : « مرحبا بالحاج .. حج مبرور .. ذنب مغفور .. » ويتناول الجميع الحلويات التى تكون الزوجة قد اعدتها للمناسبة .. ويوزع الحاج الهدايا التى احضرها من الاراضي المقدسة ، على الاهل والاصحاب .. ويخرج الصور التذكارية التى التقطت له اثناء الحج ، ويضعها في صدر الصالون داخل اطار من خشب ارز المغرب ..

مدينة الاوائل .. ولكن !

ويعشق اهل تطوان مدينتهم ويحفظون لها سجلات اشبه ما تكون بشهادة الميلاد ، تؤكد للزائر ان اغلب الاعمال الكبيرة في المغرب قد شهدت النور في تطوان .. انها مدينة الاوائل ..

فاول مدرسة ابتدائية حرة تاسست في المغرب كانت في تطوان عام ١٩٢٥ ، واول شركة تعاونية لانتاج الكهرباء ، واول مطبعة ، واول جمعية للطالب المغربي ، واول جريدة وطنية في المغرب باللغة العربية ، كل هذه وعشرات غيرها ، كانت بداية ظهورها في تطوان ، وبعدها انتشرت في المغرب كله ..

ان الانتماء للماضي ، والتمسك بالمثل القائل : «البالى لا تفرط فيه» ، والترنم بان عدد الصحف والمجلات التى كانت تصدر في تطوان ايام الحماية بلغ ٢٧ صحيفة ومجلة ، كل هذا لن يفيد كثيرا ، لان تطوان اليوم تعيش بدون اى جريدة او مجلة محلية!

جمال تطوان

ان تطوان بلد جميل .. ولكن جمالها ليس في مبانيها ، ولا في موقعها فوق سفح درسة ، انما جمالها في دماثة خلق اهلها وعاداتهم وتقاليدهم ..

ان اهل تطوان يقفون اليوم وسط الرياح المتلاطمة ، تهب عليهم من المحيط الأطلسي ومن البحر المتوسط ، ورغم شدة « الرياح » ، تراهم يعملون بكل قواهم لاعادة شخصية مدينتهم ، واصلاح « نظامهم الفسيفسائي» المتصدع ، وصهر مجموعة المتناقضات التى جلبها مائة وعشرة الاف قادم جديد ، في بوتقة مجتمع لا يتعدى افراده ٣٠ الف تطوانى اصيل ..

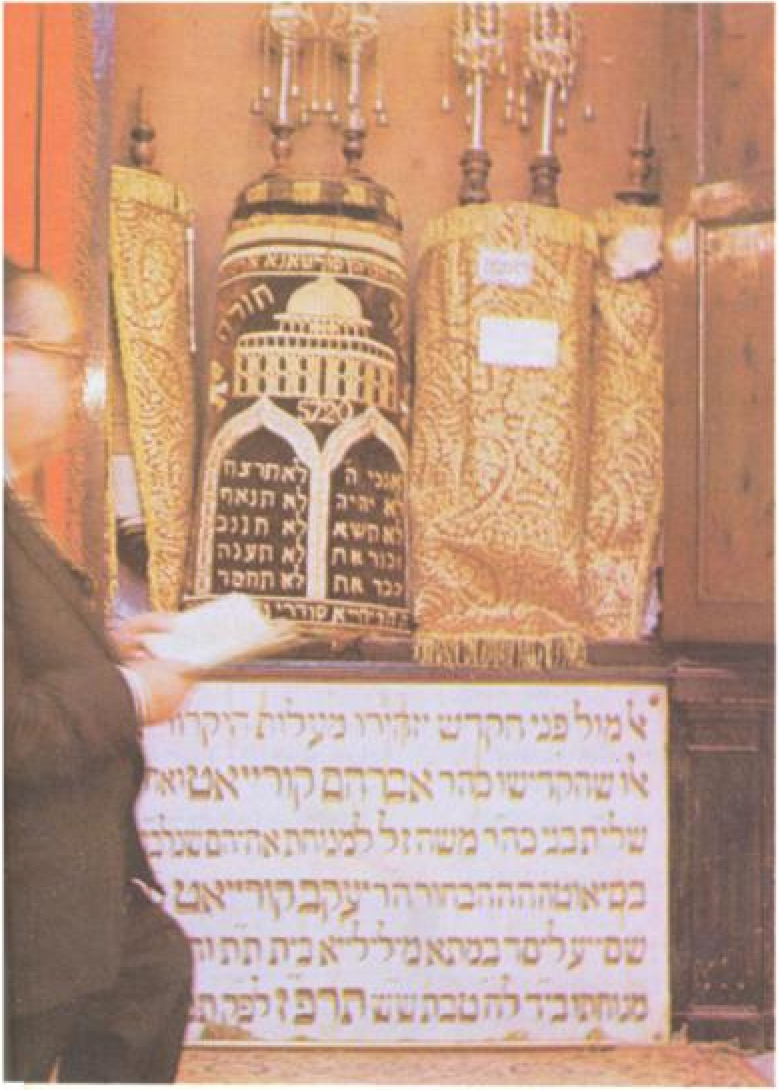
ان تطوان ترفض ان تاخذ من احد ، لانها هي التى تعطى من ذاتها واصالتها الاندلسية العريقة ..

ادعوا لها بالنجاح .. فالعمل امامها كبير .. ■■

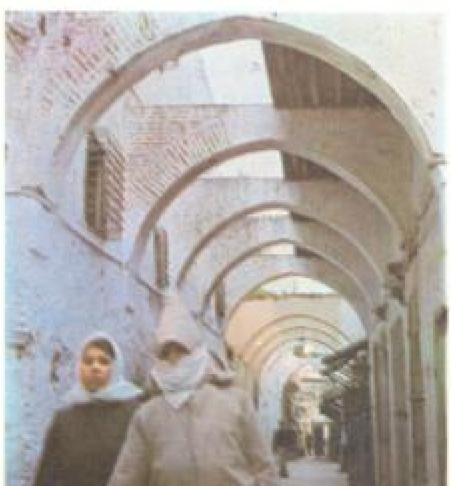
سليم زبال

...ه اسم « وادى مارتيل » ، نسبة الى عائلة اسبانية ...تلفة في مناطق سيره مثل : المطربة ـ مجاز الحجر ...ند مصب الوادى الذى يبلغ طوله عشرة كيلو مترات ، ...ع مصيف مارتيل الذى يقصده الاهالى في الصيف .





« اننا نعيش في وئام تام مع بقية المواطنين دون اى تفرقة » هذا ما قاله لنا الحاخام ابيكاسيس .. واليهود في تطوان لهم ٧ بيعات (كنيس) ومدرسة ثانوية ، ونادٍ كبير خاص بهم .. لقد جاء اليهود الى تطوان بعد أن طردهم الاسبان من اسبانيا عام ١٤٩٢ . فسكنوا « الخديرية » أو حى الملاّح **(الصورة اليمنى)** في المدينة القديمة ، ولكنهم يقيمون حاليا وعددهم نحو ٧٠٠ يهودى ، في المدينة الحديثة ، حيث يمتلكون منازل ومتاجر عديدة .. والصورة العليا داخل بيعة الخليلية ، وهى من اقدم البيعات التطوانية .







طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

احذرى من كي طفلك بالنار !

● **عدت من عملي مساء فاعلمتني زوجتي بان عجوزا عرضت عليها علاجا ناجعا لاسهال ابنى وان هذه العجوز قد قامت بكي ابني بقطعة من الحديد « تسخنها على النار حتى الاحمرار » على بطنه وصدره وظهره فهل في ذلك ضرر ؟**

— ان من اهم وظائف الجلد حماية الاعضاء الداخلية في جسم الانسان من اى مؤثر خارجي . فالجلد يحافظ على درجة حرارة الجسم بوقايته من البرد والحر الشديدين كما انه الدرع الواقي للجسم من دخول الميكروبات الضارة للانسان والموجودة في الهواء الملامس لجلد الانسان .

لقد شاهدنا كثيرا من الاطفال في حالات يرثى لها نتيجة الكي ، لان هذه الاماكن المكوية من الجلد تلتهب وينتشر الالتهاب منها الى داخل الجسم . ففى حالات الكي على اليافوخ الامامي قد ينتج عن ذلك التهاب السحايا والتهاب المخ وهما مرضان خطران جدا في الاطفال . وفي حالات الكي على المفصل لتخفيف الالم فيه قد ينتج عن ذلك التهاب خطير في المفصل نفسه . كما شاهدنا حالات عديدة من حالات ذات الرئة في الرضع من الاطفال نتيجة الكي في اماكن بعيدة عن الرئتين . وقد ينتج التهاب السحايا والمخ والمفاصل بنفس الطريقة وفي هذه الحالات يصل الميكروب الى الرئتين والسحايا والمخ والمفاصل من مكان الكي البعيد عنها عن طريق الدورة الدموية .

ان السبب الرئيسي في اسهال الاطفال عادة هو الميكروب الذى يدخل عن طريق الفم مع الطعام ، فيسبب التهابا وتهيجا في الغشاء المخاطى المبطن للمعدة والامعاء والالتهاب والتهيج هما سبب الاسهال .

ان كي جدار البطن ، وهو الاقرب من الصدر والظهر للامعاء ، لا يقتل ميكروبا واحدا في الامعاء بل ربما ضاعف عدد الميكروب مرات عديدة بعد ان يلتهب مكان الكي ويصبح مصدر تصدير لعدد كبير جدا ولانواع مختلفة من الميكروبات للامعاء وغيرها من اعضاء الجسم الداخلية عن طريق الدورة الدموية .

ان الميكروب داخل جسم الانسان لا يقتله الا علاج يدور مع الدورة الدموية فيقضي على الميكروب في اى مكان من الجسم كان ، ما دام حامل العلاج يستطيع الوصول اليه ، ولا يوجد في الجسم خلية حية لا يصلها الدم . وهذا العلاج كي يصل الى الدورة الدموية يجب ان يبتلع او يعطى حقنة في العضل او حقنة في الوريد فيصل الى الدم رأسا ليقضي على اى ميكروب حتى على الميكروب الوارد من موضع الكي بسبب التهابه او بسبب ولوج الميكروب المنتشر في الهواء من هذا الباب الاصطناعي الذى فتحته عجوزنا في جدار جسم طفلنا بعملية الكي .

الرجال .. ليس عندهم سن الياس !

● هل هناك سن للياس عند الرجال يماثل سن الياس عند النساء .

— نعرف ان هناك سنا يعرف بسن الياس عند المراة .. وهي ان تلاحظ المراة ان الدورة الشهرية تختلف فى ميعادها فتقل فى الكمية وتقل فى حدوثها الى ان تنقطع كلية . ولا يمكن للسيدة ان تنجب بعد ذلك . وتظهر علامات اخرى على السيدة وهي أن تكون مضطربة الاعصاب، قلقة — وآلام فى المفاصل والشعور بحرارة تهب على الجسم من آن الى آخر وهذه الاعراض تستمر فترة ثم تتلاشى بالتدريج .

اما فى حالة الرجل فلا يعرف له سن للياس ، اذ انه يكون نشيطا دائما جنسيا ويبقى يفرز حيواناته المنوية طوال حياته — ويمكنه الانجاب فى سن متقدمة على شرط ان يكون متزوجا بزوجة صغيرة السن فى سن الانجاب .

الاكزيما الدرهمية : اسبابها وعلاجها

● ظهرت فى يدى اكزيما مستديرة الشكل عالجتها، ولكنها عاودتنى ثانية، واخبرنى الطبيب انها تسمى اكزيما نقودية ، فما هى هذه الاكزيما وما سببها

— ان هذا النوع من الاكزيما يسمى بالدرهمية Nummular eczema نظرا لان الاصابة به تحدث على شكل رقع مستديرة او حلقات تشبه العملة المعدنية، ويمكن حدوثها فى اى عمر سواء فى الرجال او النساء ، وتحدث فى اى منطقة من الجلد ، الا انها عادة تصيب ظهر اليدين، وخلف الذراعين ، والسطح الامامى والجانبى للساقين والفخذين . وتبدأ الاصابة على شكل حبيبات وفقاعات صغيرة تتجمع مع بعضها مكونة رقعا مستديرة وقد تكون رقعة واحدة او عدة رقع . وتختلف فى الحجم من ١ سم الى عدة سنتيمترات، ولكنها قد تكبر لمساحة كبيرة تصل الى حجم الكف ، ويوجد على سطح الرقعة بعض الافراز المصفر مع قشور وقد تكون هناك حكة خفيفة او شديدة . وعادة تشفى الرقعة فى وسطها وتمتد فى اطرافها مشابهة فى ذلك بعض انواع الفطريات مما قد يحدث التباسا فى التشخيص . وقد يعود المرض ثانية بعد شفائه وعادة يرجع فى نفس مكان الاصابة السابقة . ومن العوامل المسببة والتى تزيد قابلية حدوث المرض :

١ — التعرض للمواد الملتهبة او المهيجة خاصة بعد استعمال الصابون والحمامات الساخنة الطويلة ، ولذلك نجدها تنتشر فى ربات البيوت ، والغسالات ، وكذلك فى ايدى الجراحين نتيجة استعمال الماء والصابون والمواد الكيماوية فى تطهير ايديهم .

٢ — عادة يرجع المرض ثانية فى الشتاء، ربما بسبب التعرض للبرد واستعمال الملابس الصوفية والملابس الخشنة ، ثم يتحسن مرة اخرى فى الصيف .

٣ — وجود اى بؤرة صديدية فى الجسم مثل التهاب اللوز او الاسنان او الجيوب الانفية .

٤ — التعرض للشحوم والزيوت .

٥ — كثرة استعمال المشروبات الكحولية ، وكذلك عدم استقرار الناحية النفسية .

٦ — ويلاحظ فى كثير من الحالات انه لا يوجد اى سبب او مؤثر واضح، ويظهر المرض تلقائيا .

الاجهاد قد يسبب زيادة ضربات القلب

● اشعر في بعض الاحيان بخفقان في قلبي واشعر بضرباته تزداد. فهل هناك سبب او مرض بالقلب ؟!



ــ ان زيادة ضربات القلب مع الاحساس بها يحدث عند القيام باى مجهود عضلي ــ وهذا يحدث لفترة تعتمد والمجهود الذى قام به الانسان ، ثم يعود القلب الى دقاته الطبيعية العادية بعد الراحة ، ومن المعروف كذلك زيادة الدقات عند الخوف او الاضطرابات النفسية الاخرى .

وفى بعض الحالات عند الاصحاء الذين لم يصابوا بمرض عضوى فى القلب ، قد يعانى هؤلاء من زيادة فى دقات القلب عند الاجهاد والاضطرابات النفسية او كثرة التدخين ، او وجود غازات كثيرة فى البطن تضغط على القلب ، وهذه الدقات الزائدة تكون غير طبيعية ويأتي بعدها فترة وجيزة لا يدق القلب فيها ثم يعود الى دقاته الطبيعية ويحس بها الانسان وكأن شيئا يدفع قلبه وهذه هي ما تعرف باسم (Extrasystoles) وهذه تزول عندما يزول السبب واذا طال امدها اعطي الشخص اقراصا مهدئة او اقراصا تقلل من اضطرابات اعصاب القلب مثل Indèval ولا خوف على القلب منها ما دام لم يصب بمرض عضوى ، ويعود القلب الى حالته الطبيعية بعد الخلاص منها ، وفى الحالات الاخرى والتى يصاب فيها المريض باضطرابات فى الغدة الدرقية ويكثر افرازها فانها تسبب فى بعض الحالات زيادة دقات القلب او ارتباكا فى دقات القلب ، واذا عولج المريض من ذلك رجع القلب الى حالته الطبيعية .

واذا اصيب القلب بمرض مثل روماتيزم القلب ، او انسداد فى شريان تاجي القلب فان دقاته تتغير وفى هذه الحالة تؤثر على القلب وتسبب مضاعفات ، ولا بد من التوصل الى تشخيص المرض ومعرفة السبب وعلاجه والا سبب ذلك هبوطا فى القلب .

العلاج : يجب ملاحظة السبب ان وجد ، وعلاجه ، واعطاء الفيتامينات بكثرة خاصة فيتامين ا ، ب ، ث والتعرض للاشعة البنفسجية .

واحيانا يستفيد المريض من استعمال مضادات الحيويات ويختفى المرض طالما انه يستعمل مضادات الحيويات طويلة الامد ، كما ان الكورتيزون ذو فائدة كبيرة خاصة فى الحالات الشديدة .

وموضعيا يستعمل مرهم كورتيزون مع فيوفورم ، ومرهم قطران ، واذا كان هناك افرازات او التهابات ثانوية يستعمل مكمدات برمنجنات البوتاسيوم ، او نترات الفضة ، كما لوحظ ان استعمال المراهم المضادة للفطريات يفيد فى علاج هذه الاكزيما . ■■

الطلاق في شريعة حمورابي

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي

■ حمورابي هو سادس ملوك الاسرة البابلية الاولى او القديمة . وقد سميت هذه الاسرة الملكية بالاولى او القديمة تمييزا لها عن الاسرة الملكية التي حكمت بابل بعد ذلك بحوالي الف سنة والتي تعرف بالاسرة البابلية الثانية او الحديثة . وقد اسس الاسرة البابلية القديمة الملك المعروف باسم سومو أبوم . واقتصرت سلطة الاوائل من ملوك هذه الاسرة على مدينة بابل . وفيما بعد اخذ ملوكها يمدون من سلطانهم الى المدن المجاورة حتى أتى حمورابي فاخضع ، خلال حكمه الطويل الذي استغرق ثلاثة واربعين عاما ، كل مدن الرافدين لسيطرته . وتقع فترة حكم هذا الملك ، طبقا لاحدث التقديرات ، بين سنتي ١٧٢٨ و ١٦٨٦ قبل الميلاد . وتنتمي هذه الاسرة الملكية الى الأموريين وهم احد الشعوب العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة واستقرت في بعض اقاليم سورية .

هدف حمورابي من اصدار شريعته

وقد اصدر حمورابي تشريعه الشهير في الفترة الاخيرة من حكمه بعد ان دانت لسلطته بلاد الرافدين جميعا . وكان دافعه الى اصداره الرغبة في ترسيخ دعائم الوحدة التي تحققت على يديه ، بتوحيد القواعد القانونية المطبقة في كل البلاد .

غير ان هذا التشريع ، على خلاف ما توهم البعض ، لم يكن تجميعا شاملا لكل القواعد القانونية السارية وقت صدوره . فهنالك كثير من امهات المسائل القانونية لم يرد لها فيه ذكر . واقتصرت نصوصه على وضع هذا الحل او ذاك لهذه المسألة او تلك من المسائل القانونية التي اختلفت احكامها في شرائع المدن المختلفة التي صارت بالوحدة اجزاء في وطن واحد ، او تطوير هذه القاعدة او تلك بما يتمشى والظروف الجديدة ، اجتماعية كانت او اقتصادية او سياسية .

اكتشاف شريعة حمورابي

وقد عثر على تشريع حمورابي ، على نفس الصورة التي صدر بها منذ اكثر من خمسة وثلاثين قرنا من الزمان ، مدونا على شاهد من حجر الديوريت الاسود في قمته رسم بارز يمثل الملك حمورابي وهو يتلقى التفويض باصدار هذا التشريع من الاله شمس اله العدل في عقيدة اهل الرافدين . وقد عثرت عليه البعثة الفرنسية للتنقيب عن الآثار في مدينة سوسه (في الجنوب الغربي من ايران بالقرب من الحدود العراقية) ، وكان ذلك في شتاء عام ١٩٠١ — ١٩٠٢ . ونقلته البعثة الى متحف اللوفر بباريس حيث يثوى الآن .

« سمح حمورابى للزوج ان يطلق زوجته ، ولكن وضع للطلاق قيودا تضمن للمرأة موردا تعيش منه فلا تجد نفسها بين عشية وضحاها وقد تقطعت بها وبابنائها اسباب الحياة »

محتويات الشريعة

ويتكون القانون من ثلاثة اجزاء : مقدمة ، تليها مجموعة من النصوص يبلغ عددها ٢٨٢ نصا ، وتلى النصوص خاتمة . وقد جاء في مقدمة هذا التشريع ان الالهين : انوم (اله السماء وابو الآلهة) وإليل (اله العاصفة) دعوا حمورابى ، الامير التقى الذى يخشى الرب ، ليجعل العدل يشرق على البلد وليهلك الفاسد والشرير حتى لا يطغى القوى على الضعيف . كما جاء في خاتمته انه حتى لا يظلم القوى الضعيف ، وليحقق العدل لليتيم والارملة قد سجل (حمورابى) كلماته على صرحه واقامها في مواجهة تمثاله المسمى « ملك العدل » في بابل .

وتضمن تشريع حمورابى ، بين ما تضمنه ، نصوصا تعالج عددا من المسائل المتعلقة بالاسرة من زواج وطلاق وميراث . وسوف نقصر حديثنا هنا على ما يخص منها الطلاق وقيوده .

شريعة حمورابي تسمح بالطلاق ولكن بشروط

فقانون حمورابى يسمح بانحلال الزواج بالطلاق سواء من قبل الزوج ام من قبل الزوجة . غير أنه ، شأنه في هذا شأن كثير من الشرائع القديمة، لم يكن يسوى بين الرجل والمرأة في استعمال حق الطلاق . فقد كان للزوج ، كقاعدة عامة ، الحق في ان يطلق زوجته دون التقيد بأسباب معينة . اما الزوجة ، فعلى العكس ، لم يكن لها ان تطلق زوجها الا لاسباب محددة . كذلك كان للزوج ، كقاعدة عامة ، الحق في ان يستعمل حقه في الطلاق بمحض مشيئته دون تدخل من جانب السلطة العامة . بينما لم تكن الزوجة تستطيع تطليق زوجها بنفسها وانما كان ينبغى لطلاقها الالتجاء الى القضاء .

غير ان الزوج وان تمتع بالحرية في انهاء الرابطة الزوجية ، فان حريته في هذا الصدد لم تكن مطلقة . فقد كانت هناك قيود معينة تحد من هذه الحرية . وهى قيود ذات طابع مالى في الاعم الاغلب . بعضها مصدره القانون ، والبعض الآخر مرده الى اعتبارات عملية ، والبعض الثالث ينبع من شروط جزائية تضمن عقود الزواج .

على الزوج تعويض مطلقته

فقد نص قانون حمورابى على الزام الزوج الذى يطلق زوجته بان يدفع لها مبلغا من المال يتفاوت مقداره تبعا لما للزوجة من ابناء . فاذا طلق الرجل زوجته التى انجبت له ابناء كان عليه ان يتخلى لها واولادها عن نصف ثروته لكى تربى اولادها . وبعد ان تربيهم تحصل على نصيب مماثل لنصيب وارث في كل ما يكون قد اعطى لها . وفي ذلك تنص المادة ١٣٧ : « اذا عزم رجل على تطليق خادمة معبد قد انجبت له اولادا او كاهنة امدته بابناء ، فسوف يردون اليها بائنتها ويعطونها نصف نصيب في الحقل والبستان والامتعة وتربى ابناءها ، وبعد ان تكون ربت ابناءها ، سوف يعطونها نصيبا مماثلا لوارث واحد في اى شيء يكون قد اعطى لها من اجل ابنائها . » ويهدف هذا النص كما هو واضح الى توفير سبل العيش للزوجة المطلقة واولادها ، لكنه يتضمن في ذات الوقت قيدا غير مباشر على حرية الرجل في تطليق زوجته التى امدته بابناء . كذلك الزم القانون الرجل اذا طلق زوجته التى لم تنجب له ابناء ان يعطيها مبلغا من المال يعادل المبلغ الذى دفعه كصداق لها . ولما كان الصداق في قانون حمورابي امرا اختياريا يجوز للطرفين الاتفاق على دفعه كما يجوز لهما الاستغناء عنه . ولما كان من المتصور بالتالى وجود زواج دون ان يكون هناك

صداق ، فقد نص القانون على مبلغ معين يدفعه الزوج لمطلقته . ويختلف مقدار ما يدفعه الزوج عندئذ تبعا لمكانته الاجتماعية . فاذا كان الرجل من النبلاء التزم بان يعطي زوجته مبلغ مينه (١) من الفضة . والمينة هو احد الاوزان التي جرى التعامل بها في بلاد الرافدين ويعادل حوالي نصف كيلو جرام . واذا كان الرجل من العامة التزم باعطائها ثلث مينة من الفضة . ويقف قانون حمورابي ، في هذا الخصوص ، موقفا اكثر حدبا على المراة ورعاية لها من بعض الشرائع الاخرى كالقانون الاشوري مثلا . فقد نص القانون الاشوري على ان للزوج ، اذا طلق زوجته ، مطلق الحرية في ان يعطيها مبلغا من المال او لا يعطيها شيئا منه . وفي ذلك تقول المادة ٣٧ من اللوحة الاولى من القانون الاشوري : « اذا رغب رجل في ان يطلق زوجته فله اذا شاء ان يعطيها شيئا ، واذا لم يشا فليس بحاجة لان يعطيها شيئا ، سوف تخرج فارغة (اليدين) » .

متى يحرم الطلاق

ولم يقتصر قانون حمورابي على الزام الزوج المطلق التخلي لزوجته عن قدر من المال ، بل لقد حرّم عليه الطلاق في حالة معينة . فقد حرم هذا القانون على الزوج ان يطلق زوجته المريضة والزمه الابقاء عليها في بيته ، والاستمرار في اعالتها طيلة حياتها . غير انه اجاز للزوج في هذه الحالة ان يتخذ زوجة اخرى . ومع ذلك فقد سمح للزوجة المريضة ، ان هي لم ترض الاقامة في بيت زوجها بعد زواجه من اخرى ، بان تنفصل عنه . وفي ذلك تقول المادة ١٤٨ من تشريع حمورابي : « اذا كان رجل قد تزوج زوجة واصابتها الملاريا (و) عوّل على الزواج من امراة اخرى فله ان يتزوج . لن يطلق الزوجة التي اصابتها الملاريا ، سوف تقيم في البيت الذي اقامه وسوف يستمر في اعالتها طالما بقيت على قيد الحياة ». (٢) كما تقول المادة ١٤٩ : « اذا لم توافق تلك المراة على الاقامة في بيت زوجها ، فسوف يرد اليها بائنتها التي جاءت بها من بيت ابيها وعندئذ سوف ترحل » .

للزوجة مهرها عند الطلاق

ومن القيود العملية التي تحد من حرية الرجل في الطلاق التزام الزوج المطلق بان يرد الى زوجته بائنتها . فقد كان من المالوف عند اهل الرافدين ان يقترن الزواج بتكوين بائنة للزوجة (٣) . وكان الاب هو الذي يقرر البائنة لابنته ان كان على قيد الحياة ، والا وقع واجب تقريرها على عاتق اخوتها . وتتخذ البائنة احيانا صورة عدد من الاموال المنقولة فهي قد تضم رقيقا او اكثر ، وقد تضم قدرا يتفاوت مداه من الحلي والثياب والاثاث والحيوانات والمنتجات الزراعية . وتتخذ البائنة احيانا اخرى صورة عقار كحقل او بيت . وقد تضم في نفس الوقت عقارا ومنقولات . وتعتبر البائنة ملكا للزوجة ، غير ان الزوج يكتسب عليها حق انتفاع يدوم ما دام الزواج . فاذا انحل الزواج لسبب او آخر انقضى هذا الحق . وعلى هذا فاذا طلق الرجل زوجته التزم بان يرد اليها بائنتها . وليس من شك في ان التزام الزوج التخلي عن البائنة حين الطلاق من شانه ان يحمله على التروي كثيرا قبل الاقدام عليه حتى لا يفقد ما تنطوي عليه من نفع له .

الشروط الجزائية عند الطلاق

وفضلا عن كل ذلك لم يكن القانون يحول دون

---

(١) العربي : يسمى في العربية « المَنا » ويثنى « المنوان » ويجمع « المنوات » ، ومنه المثل النحوي « السمن منوان بدرهم » للاستشهادعلى حذف ضمير المبتدأ اذا كان خبره جملة اسمية . وفي المعاجم المَنا كيل وميزان يساوي رطلين ومثناه منوان ومنيان وجمعه امناء ، والعامة تسميه (المنّ) .

(٢) لم يعرف بعد المعنى الدقيق للفظ الموجودفي الاصل La'bum . وقد ذهب دريفر وميلز في ترجمتهما لقانون حمورابي الى أن المرض المشاراليه هو الملاريا Ague . واقتصر ميك على ترجمته بالحمى .

(٣) البائنة ما يكون مع العروس من مال وجهازعند زفافها .

تضمين عقود الزواج شروطا جزائية تقضي بالزام الزوج المطلق ان يدفع قدرا من المال الى الزوج الاخر . وقد وصلنا عدد من وثائق الزواج التى تتضمن مثل هذه الشروط . في بعضها يقتصر الشرط الجزائى على الزوج حين يطلق زوجته ، وفي بعضها الاخر يمتد الشرط الى الزوجة حين تطلق زوجها . والغالب ان يتخذ الشرط الجزائى صورة مبلغ من النقود . لكن الامر لم يكن على هذا النحو دائما . فقد كان من الممكن ان يتخذ صورة اخرى . ففى احدى هذه الوثائق يتعهد الزوج بان يدفع الى زوجته ، حال تطليقه اياها ، مبلغ نصف مينه من الفضة وان يتخلى لهـا بالاضافة الى ذلك عن البيت الذى سوف يقيمه . وفي وثيقة اخرى نجد الشرط التالى : « اذا قال الزوج لزوجته انت لست زوجتى (يعنى طلقها) فسوف يفقد البيت والاثاث . » وفي وثيقة ثالثة يرافق الزوج على مغادرة البيت ، خالى اليدين ، اذا طلق يوما زوجته .

من كل ما سبق يتضح ان قانون حمورابي وان كان قد سمح للزوج بان يطلق زوجته بمحض مشيئته فانه لم يترك للرجل الحبل على الغارب ، بل وضع من الاحكام ما من شانه الحد بطريق غير مباشر من حرية الطلاق ، وما من شانه ان يضمن للمراة موردا ماليا تتعيش منه حتى لا تجد نفسها بين عشية وضحاها وقد تقطعت دونها اسباب الحياة . ولقد ذهب ، كما راينا ، الى حد الزام الزوج التخلى عن نصف ثروته الى زوجته التى انجبت له ابنا .

وفي كثير من اجزاء الوطن العربي ارتفعت بالامس وترتفع اليوم اصوات فريق من المواطنين تطالب بتطوير قوانين الاحوال الشخصية بما يبقى للاسرة على تماسكها ، ويحفظ للمراة كرامتها ، ويقى الاولاد شر التمزق والضياع . وجعلوا هدفا من اهدافهم تقييد حرية الرجل في الطلاق . ولـم تلق هذه الاصوات من الفريق الاخـر سـوى الاعتراض والاستنكار . ولقد عرضنا موقف شريعة حمورابى من الطلاق ، وهى في نهاية الامر شريعة عربية ، لعل اولئك وهؤلاء ان يجدوا فيها مادة للتامل والتفكير . ■■

محمود سلام زناتى

استاذ تاريخ القانون ـ جامعة عين شمس

كتاب المعلمين

● حكى الجاحظ قال: مررت على معلم كتّاب فجالسته فوجدته مليح الكلام ففاتحته في القرآن فاذا هو ماهر، وفاتحته في الشعر والنحو فوجدته ماهرا كذلك ، فقلت في نفسي وجب تقطيع دفتر المعلمين (كتاب كتبه الجاحظ) . وكنت بين الحين والحين ازوره واتفقده ، فأتيت في يوم الى زيارته فوجدت الكتّاب مغلقا ، فسألت عنه ، فقالوا لي : قد مات عنده ميت ، فدخلت عليه فقلت عظم الله اجرك ، لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ، فعليك بالصبر . ثم قلت اهذا الذى توفي ولـدك ؟ قال : لا . قلت : فوالدك . قال : لا . قلت : فمن ؟ قال : حبيبتي . فقلت : هذا اول الحمق ، ولا عليك فسوف تجد غيرها فقال : كأني بك قد ظننت اني رايتها . فقلت في نفسي : وهذه ثانية . ثم قلت ، وكيف عشقت من لا رايته ؟ قال : كنت جالسا ، واذا برجل يغني :

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة ... ردى على فؤادى اينمـا كانـا

فقلت : لولا ان ام عمرو هذه ما في الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون بها ، ثم كان بعد ايام فسمعت الرجل يغني ويقول :

اذا ذهب الحمـار بام عمـرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمـار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها ، وقعدت للعزاء منذ ثلاثة ايام .
قال الجاحظ ، فعادت الىّ عزيمتى في تأليف كتاب المعلمين .

أنباء الطب والعلم والاختراع

الادمان الكحولى .. مرض !!

● بدأ الاطباء ينظرون الآن الى الادمان الكحولي على انه مرض او مشكلة صحية تستدعي العلاج ، لا كمشكلة اخلاقية تستدعي العقاب .

ومع هذه النظرة الجديدة ، تظهر الحاجة الى قواعد ثابتة لتشخيص حالات الادمان الكحولي . وفى العام الماضى قام المجلس القومي للادمان الكحولي بتكوين لجنة لدراسة الاعراض التى يتم على هديها تشخيص حالات الادمان . وقد قامت اللجنة بنشر تقريرها مؤخرا ... ويقول هذا التقرير : ان الاعراض النفسية والفسيولوجية يمكن تقسيمها الى اعراض اساسية واخرى فرعية . ومن اهم الاعراض الاساسية ظهور عوارض ظاهرة الانسحاب من المجتمع Withdrawal Syndrome وكذلك عدم تأثير الكحول فى الشخص الذى يدمن عليه ، وحدوث حالات فقدان الذاكرة لكل ما يحدث اثناء حالات السكر ، وايضا الاستمرار فى تناول الكحول بالرغم من التحذيرات الطبية او الاجتماعية .

ومن امثلة الاعراض الفرعية ، والتى تدل على اصابة الشخص بمرض الادمان اصابة المريض بضربات القلب غير المنتظمة ، وكذلك سلوكه اثناء تناول الشراب الكحولي بأن يجرع كاسه مرة واحدة .

ويقول التقرير انه يجب ان يؤخذ فى الاعتبار عند فحص المريض وجود بعض الاعراض الاساسية الى جانب الاعراض الفرعية ، قبل ان يستطيع الطبيب اطلاق لقب « مدمن » على الشخص المطلوب علاجه ، هذا الى جانب الفحوص المعملية وتاريخ المريض الطبي وغير ذلك من المعلومات الضرورية .

٢٦٠٠ مليون جالون مياه تتدفق فى نهر الامازون فى الدقيقة الواحدة

● نهر النيل هو اطول انهار العالم .. ولكن الامازون هو اكثر انهار العالم تدفقا . وقد قام فريق من علماء الهيدرولوجيا الامريكيين والبرازيليين بقياس كميات تدفق المياه فى نهر الامازون مؤخرا ، مستعملين طريقة علمية جديدة لقياس تدفق المياه من قارب متحرك بدلا من الطريقة القديمة التى كانت تتم فى اماكن ثابتة ومعينة . وقد سجل هؤلاء العلماء ان كمية تدفق المياه ، فى اضيق نقطة من نهر الامازون ، تصل الى ٤ آلاف مليون جالون من الماء فى الدقيقة الواحدة .. ونتيجة لهذه القياسات الحديثة ثبت ان متوسط تدفق المياه فى نهر الامازون يصل الى ٢٦٠٠ مليون جالون فى الدقيقة ، وهو يزيد ٤ اضعاف عن نهر الكونجو فى افريقيا ، و ١٠ اضعاف تدفق مياه نهر المسيسبي فى امريكا .

اطفال الكيبوتز فى اسرائيل
معرضون للاصابة بالامراض النفسية

● تقوم ابواق الدعاية الاسرائيلية بترويج اكاذيب كثيرة عن نظام الكيبوتز ونجاحه فى تنشئة جيل جديد يتمتع بالصحة والقوة . ومن بين هذه الاكاذيب ماقاله الطبيب الاسرائيلي « مردخاي كافمان » ، المشرف على عيادة الطفل والاسرة فى تل ابيب ، فى مجال الدفاع عن نظام الكيبوتز ، فقد نشر هذا الطبيب الاسرائيلي مقالا فى المجلة الامريكية للتحليل النفسي American Journal of Ortho-psychiatry ينفي فيها ان يكون ، قد لاحظ طوال العشرين عاما الماضية ، اية تاثيرات نفسانية او اصابات بالعصاب بين اطفال الكيبوتز فى اسرائيل . وهذا النفي الذى ياتي من الطبيب الاسرائيلي تقابله تأكيدات من علماء نفسانيين عالميين تقول ان طريقة التربية فى الكيبوتز والتى تشتمل على تعدد الحاضنات ، وتمييع صورة الام تؤدى الى اضطرابات نفسية، والى عدم مقدرة الاطفال على تكوين علاقات قوية باشخاص آخرين فى مستقبل حياتهم . كما ان بعض علماء النفس تنبأوا ايضا بان تؤدى طرق التربية المتبعة فى الكيبوتز الى تنشئة جيل يعاني من العقد النفسية ، ويصطبغ بصفات شخصية محددة متكررة .

بقي ان نشير هنا الى نفي الطبيب الاسرائيلي ، الذى يحمل فى طياته شبه اعتراف بالتأثير النفسي الذى يتركه نظام الكيبوتز على الاطفال فى اسرائيل .

اطفال الكيبوتز فى اسرائيل .. ان حرمانهم من حنان امهاتهم يسبب لهم امراضا نفسية كثيرة .



السلالات الزراعية
توحيدها يعرض محاصيل الولايات المتحدة للهلاك

● ادت الابحاث الزراعية الحديثة ، وكذلك طرق الزراعة المستجدة الى زيادة الانتاج الزراعى فى امريكا زيادة ضخمة. واكبر مثال على ذلك هو ان انتاج الفدان من الذرة فى امريكا قد ارتفع الى ثلاثة اضعافه فى خلال السنوات الاربعين الماضية . ولكن هناك ثمن غال تدفعه امريكا نتيجة لهذا التقدم الهائل فى الكفاية الانتاجية الزراعية . وهذا الثمن يتلخص فى التماثل او توحيد صنوف الانتاج الزراعى ، وهذا التماثل يزيد من خطر الاصابة بالآفات والاوبئة الزراعية التى يمكن ان تبيد محصول عام كاملا ابادة تامة فى جميع انحاء امريكا .

ويقول تقرير للجنة دراسة تاثير توحيد السلالات على النباتات ، وهى لجنة تابعة للاكاديمية القومية للعلوم فى الولايات المتحدة ، ان آفات الذرة فى عام ١٩٧٠ قد اهلكت ١٥٪ من محصول امريكا كله فى هذا العام ، وان السبب الرئيسى فى هذه الخسارة الضخمة يعود الى توحيد السلالة فى الذرة نتيجة للتهجين المستمر الذى ادى فى النهاية الى الحصول على انواع من الذرة متماثلة تماما ، وكانها توائم من ناحية الجينات الوراثية . وعندما ينشأ مرض من الامراض النباتية الذى يمكن ان يهاجم هذا النوع من الذرة، فانه من الطبيعى ان يكون محصول امريكا كله ، معرضا للاصابة بهذا النوع من المرض .

وفى استعراض لـ ١٤ محصولا رئيسيا من محاصيل الولايات المتحدة الامريكية، اتضح ان اغلب هذه المحاصيل متماثلة من ناحية الجينات الوراثية ، وبذلك تصبح ايضا عرضة للاصابة بالآفات على نطاق واسع . ومن الامثلة التى اوردها



اصيب محصول الذرة فى امريكا بآفة زراعية اهلكت ١٥٪ من انتاج الولايات المتحدة كلها وذلك نتيجة الى توحيد الجينات الوراثية والصورة تمثل الذرة المصابة .

تقرير هذه اللجنة ان ٩٦٪ من محصول البسلة ينحصر فى نوعين فقط من البسلة.

والتماثل فى المحاصيل يأتى نتيجة ضغوط من جهات متعددة . فالمستهلك مثلا يطلب التماثل ، وكذلك الانتاج الرخيص يتطلب التماثل، وكذلك المزارع فانه لكى يحصل على اكبر انتاج من الفدان يلجأ الى الانواع الحديثة المهجنة، ويقوم باستعمال الآلات التى تقوم بزراعة المحصول وجنيه ، ولكى يستخدم الآلات فى الزراعة فانه يحتاج الى بذور متماثلة الحجم . والطماطم، مثلا يجب ان تنضج كلها فى وقت واحد ، لان الماكينات

المستعملة فى جنى المحصول لا يمكن ان تميز بين الثمرة الناضجة والاخرى الخضراء .. وهكذا يستمر الاتجاه نحو التماثل .

وتجرى الآن عدة محاولات لانتاج بذور وسلالات نباتية تحتوى فى داخلها على مقاومة طبيعية ضد الآفات والاوبئة . وقد نجحت هذه المحاولات الى درجة معينة. ولكن هذا لا يعنى زوال خطر نشوء جرثومة معينة، او وصول هذه الجرثومة الى البلاد من الخارج، ولا يستطيع النبات مقاومتها . وقد دلت الدراسات على ان اغلب الاوبئة الكبرى التى فتكت بالمحاصيل خلال القرن الماضى قد نتجت بواسطة آفات وحشرات اتت من خارج البلاد . ومثال ذلك ان محصول العنب الفرنسى قد هلك بعد تعرضه للهجوم من جراثيم اتت من امريكا الشمالية ، وكذلك محصول الكستناء ثم القضاء عليه بواسطة آفات اتت من الشرق ، وغير هذا من الامثلة كثير .

ونتيجة لهذا ، فانه على علماء الزراعة والنبات ان يفترضوا ان وجود آفة زراعية فى اى مكان فى العالم ، يعتبر تهديدا خطيرا لاى محصول رئيسي وخاصة اذا كان هذا المحصول متماثلا من ناحية العوامل الوراثية .

وقد قدمت اللجنة عدة توصيات بشان حماية المحاصيل الزراعية من الهلاك نتيجة للتماثل ، واهم هذه التوصيات :

■ اقامة نظام لحراسة امريكا من الاوبئة الزراعية ، ويتضمن هذا النظام انشاء معامل زراعية فى مختلف بلاد العالم لفحص مختلف المحاصيل مثل القطن والذرة السكرية Sorghum وذلك للتاكد من خلوها من الآفات قبل تصديرها الى الولايات المتحدة . واجراء تجارب فى بعض الاماكن الاستوائية على بعض المحاصيل لمعرفة مدى حساسية المحاصيل الامريكية للاصابة بالآفات المتوطنة فى هذه البلاد .

■ اقامة حجر زراعى لحماية المحاصيل الامريكية من اى عدوى تاتي من الخارج.

■ واخيرا واهم من هذا كله ، هو العودة الى تعدد السلالات ودعوة العلماء الى اجراء تجارب اخرى لانتاج بذور تتمتع بخاصية تعدد العوامل الوراثية وكذلك بالانتاج العالى . مما لا يعرض البلاد الى فقدان محصول كامل فى حالة الاصابة بالآفات .

وبهذه الحلول الثلاثة تامل اللجنة ان تحد من الاضرار الناتجة عن اقبال الزراع على استعمال البذور المهجنة . والتى تعطي محصولا اكبر ، ولكنها ايضا قد تهلك كلها نتيجة للآفات الزراعية .

القياس المترى فى امريكا يحتاج لـ ١٠ سنوات لتطبيقه

● فى عام ١٨٦٦ اقر الكونجرس الامريكى شرعية القياس المترى فى امريكا . ووقتها تنبأ السناتور تشارلز سومنر Charles Sumner ان هذا القانون سيؤدى الى ان يحل القياس المترى مكان القياسات الانجليزية التقليدية .

ولكن فى عام ١٩٧٢ اى بعد اكثر من مائة عام ، اعتمد الكونجرس الامريكى ، بالاغلبية المطلقة ، قانونا لوضع خطة لتغيير النظام القياسي فى امريكا الى النظام المترى ، والذى يسمى الآن بالنظام العالمي . ويتوقع ان يستغرق تنفيذ هذه الخطة ١٠ سنوات من الآن .

ويبدو ان نبوءة السناتور الامريكي سومنر فى عام ١٨٦٦ لن تتحقق الا بعد اكثر من ١٠٠ عام !!

لماذا يهتم الفرد العادى بالعلوم الطبيعية ؟!

● دارت عدة مناقشات بين العلماء حول اهتمام الافراد العاديين بعلوم الفيزياء . وكان اهم سؤال أثير فى هذه المناقشات هو لماذا يهتم الفرد العادي بالعلوم الطبيعية ويحاول تفهمها ؟! والاجابة عن هذا السؤال لها وجهتا نظر مختلفتان تماما ، الاولى من وجهة نظر علماء الطبيعة .. والثانية من وجهة نظر الجمهور . ان الاسباب العادية التى يذكرها علماء الطبيعة عن اهمية العلوم الطبيعية للفرد العادى ، تتلخص عندهم فى ثلاثة اسباب رئيسية .. الاول : ان اهتمام الجماهير بالعلوم الطبيعية يذلل العقبات التى تقف امام الحصول على تبرعات للبحوث العلمية .

والسبب الثاني ان اى شخص مثقف يجب ان يكون على علم بشيء من العلوم الطبيعية .. كما هو على علم بشكسبير او باخ ...

والسبب الثالث : ان المواطن العادى ، فى النظام الديمقراطي ، يجب ان يكون على درجة من المعرفة بالعلوم الطبيعية والعلوم الاخرى لكي يتمكن من ان يكون مواطنا صالحا قادرا على الادلاء بآرائه فى مستقبل بلاده .

اما من وجهة نظر الجمهور . فان الاسباب تختلف .. والسبب الاول لاقبال الجمهور على تفهم العلوم الطبيعية يرجع اساسا الى مجرد حب الاستطلاع .. فمن الممتع احيانا ان يعرف المرء شيئا عن الاسباب التى تجعل الشمس تسطع او تنكسف ، وعن كيفية توليد الكهرباء من مساقط المياه او غير ذلك .

والسبب الثانى هو الهوايات العلمية . فان هناك هواة الفلك ، وكذلك هواة الموسيقى الستيريو ، وهؤلاء يهمهم ان يعلموا شيئا عن كيفية عمل هذه الاجهزة المضخمة للصوت .

والسبب الثالث ، وهو من اهم الاسباب بالنسبة للجمهور ، هو معرفة بعض اسس العلوم الطبيعية للمساعدة فى حل بعض المشاكل التى يقابلها المرء فى حياته اليومية .

وقد اتضح من هذه المناقشات ان فهم الجماهير للعلوم الطبيعية ، وللعلوم عامة امر هام جدا ، وله منافع كثيرة .

وفى النظم الديمقراطية فان معرفة شيء عن العلوم والتقدم العلمي يساعد الفرد العادى على ممارسة حقوقه الديمقراطية فى اتخاذ القرارات التى يراها ملائمة على ضوء معرفته بما حوله من امور علمية وغير علمية . ■■

حبوب منع الحمل تؤدى الى نقص فيتامين ج فى جسم المراة

● بدأ الاطباء والصيادلة وعلماء الكيمياء الحيوية فى الاهتمام بعمليات تفاعل الادوية المختلفة داخل جسم الانسان . ومن بين الابحاث التى اجريت فى هذا المجال بحث قام به كيماويان من جامعة زامبيا هما الدكتوران مشيل وماكسين بريجز Mickael and MaxineBriggs وقد اثبت هذا البحث ان تناول حبوب منع الحمل يؤدى الى نقص فيتامين ج « C » فى النساء اللواتي يتناولن هذه الحبوب .

وقد استخلص العالمان من هذه التجربة ان تناول حبوب منع الحمل يؤدى الى نقص فيتامين ج داخل الجسم ، وان هذا النقص قد يكون هو السبب فى بعض التأثيرات الجانبية لحبوب منع الحمل على من يتعاطونها . وان علاج هذه التأثيرات قد يكون عن طريق تناول كميات اضافية من فيتامين ج « C » .

سجاح المتنبئة

بقلم : سنية قراعة

■ هذا صوت الزهراء البتول فاطمة تستبيق رهبة وجزع : واكرباه لك يا ابت !! فتخشع الدنيا .. وتنكس الاحداث راسها ، ويسودالصمت الجليل عالم الناس ، وصوت النبي النذير سيد الخلق اجمعين يقول في نبرة خفيفةمرتعدة : « لاكرب على ابيك بعد اليوم يا فاطمه .. » !! ثم ...

ثم حلت اللحظه التي كان من المتوقع ان تحل حين يتقرر موعدها .. لحظه فراق الاحبه .. لحظه الوداع الذي لا لقاء بعده الا في جوار مالك الملك الذي يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وعاد الصمت يغمر المدينة واهلها .. وانطلق يزحف على الدنيا باسرها ، فخشع الكون ، واعتورته لحظه سبات ، تجمعت خلالها حشود ملائكة الرحمن فوق الحجرات ..

« بل الرفيق الاعلى .. بل الرفيق الاعلى .. بل الرفيق الاعلى ..

ومرة ثانية ارتفع صوت الزهراء البتول تصيح معوله نادبه .

.. ابتاه . يا ابتاه .. يا ابتاه ..

الى جبريل ننعاه يا ابتاه ..

وعزل الصمت ستوره ، وضاق بالسكينة ، وخرج عليها في همسات ارسلها المسلمون لم تلبث ان تحولت الى ضجيج !!

ما اطيبك حيا
وما اطيبك ميتا

واسرع ابو بكر الصديق الى داخل الحجرات

وقد اسبغ هاديه وصاحب جهاده ورفيقه في الغار جسدا مسجى ومال عليه في اسى وخشوع ، فقبل منه الجبين الوضاح المشرق ، وهو يتمتم حزينا بمنتهى الاسى قلبه الملتاع :

« بابي انت وامي يا رسول الله .. ما اطيبك حيا .. وما اطيبك ميتا .. »

وعلت الضجه في الخارج ، وراح المسلمون يرددون في ذهول لايصدق ما كان يسمع .. ولا يريد ان يركن الى ما كان يقول « لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .. »

وثارت ثائرة عمر بن الخطاب ثم جرد سيفه مهددا كل من يتجاسر على القول بموت محمد بانه سوف يقتله ، لان محمدا لا يمكن ان يموت .

وخرج ابو بكر سريعا ليتدارك الفتنة قبل ان يعظم امرها ، وارتفع صوته الهادىء مرددا قول الله تبارك وتعالى :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات او قتل ، انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين . » .

وران الصمت على الجميع ، وهدأت ثائرة عمر

ابن الخطاب ، ونكس راسه في أسى من عاد الى الحقيقة التي كاد يخرج عليها .

وعاد الهدوء يغمر يثرب الهالعة .. وزحف اليقين الى القلوب التي جعلتها الفجيعة الكبرى تنسى جلال الحزن العظيم لموت الرسول صلى الله عليه وسلم ، لتلتفت الى التبعات الجسام التي وجدتها أمامها .

واتجهت العيون والقلوب الى الصديق ابي بكر .. الى الرجل الرقيق الصوت .. البالغ الحنان .. وقد علا صوته الغاضب ليثبت للمسلمين جميعا ، بل وللعرب قاطبة ، انه من اليقظة والمقدرة بحيث يستطيع أن يسير بالقافلة المجاهدة الى حيث يشاء لها الله ان تصل ...

ورفعت المدينة راسها في يقين من عاوده الهدوء .. وقد راعها ان تعتور بعض احياء المسلمين البعيدة هزة التردد وحب الخروج ـ وقد تصورت تلك الاحياء من العرب ان انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى معناه الحتمي ضياع الاسلام ونهايته ..

ورفعت الفتنة راسها ، وتاقت بعض القبائل الى العودة الى حياة الضلال والفوضى والكفر المبين ، بعد ان قبض رسول اله صلى الله عليه وسلم وخلفه الصديق الشجاع البطل ابو بكر ..

ادعياء النبوة يرفعون رؤوسهم

وكانت اكذوبة النبوة التي جاهر بها كذاب اليمامة مسيلمة ذات يوم ، وفي حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد استنامت فتنتها ، وصغر شان صاحبها ، وتضاءل نفوذه ، وان شيطانه ليعاوده اليوم وقد ظن الجو قد خلا لاكذوبته كي تنطلق ويجاهر بنبوته ويعلن قيام دعوته لتكون له وحده الدنيا ، بعد ان تصور انه قادر على ان يقتسمها ذات يوم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فرماه يومها بالكذب حتى لقد اصبح هذا الاسم صفته ولقبه ... ثم قال له : ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده !!

وفي بني تميم قام مالك بن نويرة سيدهم، واعلن خروجه على الدين الذى تصور انه قد زال بعد موت محمد .. وامتنع عن اداء الزكاة .

وفي الوقت الذى راحت المدينة تستعد فيه لتبعث بجند الله الى ميادين التمرد والفتنة والارتداد ، لتقضي على تلك الاعاصير ، وتروض تلك العواطف الضاربة .. ارتفع صوت سجاح بنت الحارث ، وراحت ترجم بالغيب ، وتنطق بحديث الافتراء والكذب ، وتقول انها هي الاخرى قد تنبات .. واصبحت نبية ذات مقام ...

سجاح ومكانتها في قومها

والمتنبئة « سجاح » هي سجاح بنت الحارث ابن سويد التميمي، وقد عاشت حياتها بين ظهراني خئولتها من بني تغلب ، وكانوا يدينون بالنصرانية .. ويتمسكون بها .. فتابعتهم سجاح على دينهم ، واستطاعت باخلاصها للنصرانية ان تتبحر في علومها وتتفقه ، وأن تكون ذات مكانة عالية مرموقة بين الناس ، لتدينها واستمساكها بلب المسيحية ، حتى لقد حذقت ـ على حد قول البعض ـ اسرارها ، وكان لها بين القوم مكانة مرموقة ، حتى لطالما كانت مقصد الكثيرات والكثيرين ، يفدون اليها يسالونها توضيح ما يختلط عليهم من امور دينهم ودنياهم .

وكانت سجاح هذه بعيدة كل البعد عن معترك التنازع الديني ايا كان هذا التنازع .. اذ حرصت على ان تكون بنجوة من التنازع والصراع .. بعيدة كل البعد عن التشاحن والفتن ، راضية بايمانها .. قريرة العين بدينها .. فلم تطمع يوما ولم يدر بخلدها ان تكون شيئا له قيمته في بني تغلب الذين كانت تعيش بينهم وان كانت تحس انها لتدينها وزهدها وعفتها البرة لديهم ، محبوبة بينهم .. عالية المكانة عندهم ..

والامر الذى لا شك فيه .. انها قبل ان يغلبها الغرور ويداخل الشيطان راسها الاحمق بتصوراته قد سمعت بدعوة الاسلام .. وعرفت الكثير عن اطوار النزاع التي مرتبها دعوةمحمد عليه الصلاة والسلام .. ولكنها لم تتابعها ، وان ظلت تهفو الى سماع الانباء التي كانت تتردد في انحاء الجزيرة عن ذيوعها وانتشارها وتعاظم امرها .

فتنة سجاح لعبة شيطانية

وظلت سجاح في خئولتها من بني تغلب ، بعيدة

عن اهلها وعشيرتها من تميم حتى انتقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى . واذا بها تحدث شيطانها مرة .. ثم تنصت الى حديث ذلك الشيطان مرات ومرات ، وهو يسول لها ان تفاخر هي الاخرى ، وان تستغل مكانتها في تغلب ، وحب الناس لها ، وايمانهم بتدينها ، فتعلن في هدوء ودون جلبة انها قد تنبأت، وانها هي الاخرى قد راح الوحي السماوي يأتيها، فاصبحت من القدرة والتمكن بحيث تستطيع ان تسجع ، وان تتنبأ ، وان تنطق بما كان يوحي اليها ذلكم الشيطان الذى ادعت انه وحي يأتيها من السماء ..

ولما كانت سجاح على جانب كبير من الدهاء والفطنة، فوق مقدرتها على صوغ الحديث في بلاغة محببة الى النفوس،لمشابهة حديثها لسجع الكهان واحاديثهم ، فقد جرؤت وخرجت على شريعة الصمت التي طالما ارادتها لنفسها .. وحطمت جدار التباعد الذى كان يفصلها بعض الشيء عن الناس .. ثم اشاعت الشائعة الماكرة ، وراح شياطينها من بعدها يرددون اكذوبة الكذابة التي ادعت انها اصبحت نبية ، ذات مكانة عظيمة القدر ، جليلة الشان ، رفيعه المقام ..

ووجدت دعوة الكذابة « سجاح » صداها في نفوس العديد من تغلب ، ولعلهم وجدوا في هذه الدعوة ما قد يحقق بعض طموحهم ، ويرفع من مكانة قبيلتهم الى الذرا ، ويجعل لها من المكانة والتعاظم ما قد وصلت اليه قريش ، فكان ان تابعوا سجاح.. وصدقوا ادعاءها التنبؤ ، والتفوا حولها ، يظاهرونها ويؤيدونها ويشجعونها على الخروج بادعائها الكاذب ، من حيزه المحدود الى منطلق اشد سعة ، يعظم فيه امر سجاح .. ويعظم معها شان من ظاهروها من الطامعين ..

رسوخ الاسلام في مهب العواصف

وظلت العاصفة تتسع رقعتها .. وراحت انواؤها الهوج .. وزعازعها العاتية تضطرم وتنطلق معربدة هنا وهناك .

ولقد كانت حماقة كبرى من اولئك العصاة الا يفكروا من حيث يستقيم التفكير مع صوالحهم هم ، فلم يفكر عاقل منهم ان ينظر في عاقبة الخروج ، او يفكر في مغبة العصيان .. ولم يدر بخلدهم يوم خرجوا وارتدوا واتبعوا الكاذب والكذابة والعاصي ان سيوف الله المشرعات سوف تبرق في الافق ، وان خيله سوف تزحف وعليها اجناده الظافرة ، لترغم العصاة على التراجع واحناء الرؤوس لدعوة الحق .

ابدا لم يفكر من التفوا حول كذاب اليمامة مسيلمة .. ولا من اطاعوا عاصي تميم مالك بن نويره .. ولا اعوان الكذابة سجاح بنت الحارث ابن سويد .. حتى كان « خالد بن الوليد » يستعد للمسير بفرسان الله نحو ربوع تميم ليحارب اول من يحارب مالك بن نويرة .. الخارج العاصي .

وظل الكذابون في غيهم سادرين ، لم يحاولوا ان يشغلوا بالغد ، ولا ما سوف يسفر عنه من الاحداث ..

وراحت جموع الكذابة سجاح تتقدم وتتقدم ، وقد التوت الشر وهان في عينها امر الفتنة ، وتصورت ان الدنيا عما قليل ستدين لها بالطاعة ، فراحت تحث المسير ، وتدفع فتنتها الى الامام ، لتضم الراغبين في الكفر ، والساعين الى الضلال ، لينضموا الى صفوفها ، ويجاهدوا من اجل اعلاء باطلها ، حتى اقتربت من ربوع تميم ..

سجاح ومالك بن نويرة

وتلاقى العاصي والكذابة .. تلاقى مالك بن نويرة وسجاح بنت الحارث بن سويد ، وما اسرع ما تفاهما .. بل كيف كان لمثليهما ان يختلفا على امر وكلاهما غارق في الضلالة ، لا يحب شيئا اكثر من حبه في ان ينضم سائر العصاة الى صفوفه ، لتقوى بهم الفتنة ، ويعظم امر التمرد ، وترتفع راية الكذب والكذابين ..

كانت سجاح من الفطنة والذكاء بحيث راسلت مالكا قبل ان تقدم على تميم ، ليعلم بوفودها اليه .. وترى رايه في هذا القدوم .. فاذا كان يحبه ويرضاه .. رحب بها وكان في انتظارها مع قومه .. وان كان يكره ذلك الامر حذرها وراسلها بدوره ليمنعها من التقدم نحو بلاده ، ولكن مالكا سرعان ما حقق ظن سجاح فيه ، فلم يعارض ولم يتكلم ،

بل رحب بقدومها ، فاسرع يستقبلها ويعلن تاييده لحركتها .

ولم يقف تاييد مالك بن نويرة للكذابة تغلب عند هذا الحد .. بل لقد بالغ في هذا التاييد ، فكانت النتيجة ان جعلهـا تعلو على احيـاء بنى تميم ويتعاظم امرها فيهم ..

وكانت سجاح من الفطنة بحيث كرهت ان يقف مالك بن نويرة هذا الموقف دون ان ترد له جميل تاييده لها باعظم مما كان يتصور ، واذا بها تتمادى في دهائها ، فتعلن على رؤوس الاشهاد ، وامام اشراف قومها واهلها من تميم ، انها ليست اكثر من متنبئة ، تنطق باسم دعوة لها خطرها ، وانها لا تسعى الى جاه او سلطان ، وانها ان حققت الجاه والسلطان فعلا ـ مع تطور الحوادث وتبدل الامور ـ فان الامر سيكون ولا شك لتميم ، .. فتميم هم الرجال ، وهم العون ، وهم الغطاريف البهاليل اصحاب المكانة العالية،وهم اجدر الناس جميعا بان يكونوا ملوك الارض وحكامها واصحاب الامر بين الناس اجمعين .

خدعة بارعة عرفت سجاح كيف تسـوقها .. فكانت نتيجتها ان تزايد التفاف تميم حول رايتها، وتضاعف ، فكان ان راسلت بنى مالك بن حنظلة تدعوهم الى التسليم والرضا، والاعتراف بمكانتها، وما وصلت اليه ، وانها نبية صادقة متنبئة لا تخطيء ...

ووصـل رسلها الى القوم من بنى مالك بن حنظلة ، فكره اشرافهم الامر ، وعزّ عليهم ان تجرؤ سجاح على ذلك ، وحاروا ولم يدروا بماذا يجيبونها ، وقد عرفوا انها قد اصبحت في منعة ممن التفوا حولها ، بحيث يصـعب على القوم مجالدتها والوقوف في وجه تقدمها ، فكان ان ترك اولئك الاشراف ديارهم ، وعلى راسهم عطارد بن حاجب ، لاجئين الى بنى العنبر .

ووصلت سجاح الى ديار بنى مالك بن حنظلة فخرج يستقبلها الطامعون الحاقدون .

واتفقت سجاح في النهاية مع حلفائها .. على مهاجمة احياء عديدة من العرب ، راحت في بلاغتها السجعية تهون من شانها ، وتحط من قيمتها ، وتجعلها تبدو وكانها لا شيء على الاطلاق ، واستمع حلفاؤها اليها ، وقد راحت في نبرة الواثقة تقول حالة على مهاجمة الرّباب .

« اعدوا الرّكاب ، واسـتعدوا للنهاب ، ثم اغيروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب .. » .

وظلت تسجع وتتكلم .. وتسوق غوامض الكلم وغريب الالفـاظ ، حتى وقر حديثها في نفوس القوم ، واثر فيهم تاثيرا كان له فعله وتحريضه ، فما اسرع ما استجابوا لها ، وما اسرع ما دارت الرحى على الرباب » .

سجاح تسير الى مسيلمة

ولم تكد سجاح تفرغ من الرباب ، حتى سارت بجموعها وجحافلها تريد ان تصل الى ارض اليمامة،

ولما كانت خطة سجاح قد نجحت الى حد بعيد في خديعة مالك بن نويره ، والتفاهم معه ، وجره الى حماها ، ووقوفه الى جانبها ، ومظاهرته لها ، وتاييده بالمال والرجال والسلاح ـ فانها رات ان تفعل بمسيلمة مثل ما فعلت بمالك بن نويرة ، فلا تكون بهذا قد سيطرت على الخارجين العاصـين فحسب ، بل سيطرت على الاحداث في شـبه الجزيرة ، واصبحت وحدها صاحبة الكلمـة والمكانة ، ومن يرجع اليها قبل غيرها في شـتى الامور،وهذا يحقق لها ولا شك طموحا كانت تبغيه لتصل الى تحقيق احلامها لا في السيادة على تغلب وحدها ، ولا على بنى تميم .. بل على الجزيرة العربية كلها ، حتى تصبح وحدها سيدة الرجال وسيدة الايام ..

ومرة اخرى راح الجمع الزاحف خلف سجاح ينصت الى سجعها المقوت ، وقد ارتفع صوتها تقول محرضة اياهم على المغامرة الكبرى التى كانت تبغيها .

« يا معشر تميم .. اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كل هامة ، واضرموا فيها نارا مُلْتَهِمَة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة ... »

وكلمات الكذابة ولا شك ، كانت تصور مدى احقادها ، وتعكس صورة مشاعرها التـى كان يضطرم بها قلبها القاسيء ، لا الى المجد فحسب ، بل الى التدمير والخراب واثارة الذعر ، والحكم

على الامنين من الناس بان يعيشوا حياة التشرد والبؤس ، بعد ان تحرق ديارهم ، وتنهب خيراتها، ويعلو شان المرأة اللعينة ذات القلب الاسود ، التي نطقت في تحريضها للقتال بما لم يجسر الطغاة على قوله ، وهو الامر بالاحراق !! .

وتحركت الجموع الزاحفة ، التي كانت نفوسها تضطرم بشتى الاهواء .. وراحت سجاح تنظر الى ذلك الخليط المحتشد من الطامعين .

تحركت الجموع الزاحفة لتصل الى اليمامة ، وقد هانت في عيونهم المغامرة ، وصغرت التضحية .. وسمع مسيلمة الكذاب الامر ، وهاله ان تخرج اليه زميلة كذابة على غراره ، تحاول ان تزعزع مكانته ، وتثل عرشـه الذى اقامه على اباطيله واكاذيبه ، وراح يصغى الى عيونه وقد راحوا يصفون له ذلك البحر الزاخر من البشر ممن كانوا يتقدمون بامر سجاح الى حصون اليمامة ..

مسيلمة بين نارين

وضاق مسيلمة الكذاب بالانباء .. وخشى ان تتسع عليه جبهة القتال ، وان يجد نفسـه بين عدوين ، كل منهما خطر مرهوب الجانب شديد الباس .. جند الله وعلى راسهم خالد بن الوليد .. ثم سجاح المتنبئة الكذابة التي جاءت هي الاخرى لتحاول ضربه في قلب حصنه لتقضى عليه ..

وراح مسيلمة يفكر وقد هاله الامر ، فهو يعلم انه على باطل ، وغريمته تلك الطامعة القادمة على باطل اشد من باطله .. فكيف يخدعها ، او باى وسيلة يستطيع ان يجعل راية باطله تعلو على راية باطلها .. وكيف يستطيع ان يردها عنه في سلام ، والوقوف في وجهها معناه الحتمي ولا شك تمزيق قواته ، واضعاف جيشه الذى كان يحكم حشده وتعبئته ليلقى به جيش المسلمين اذا هم اتوه ليقضوا على حركته ، ويبطلوا دعوته .

واسلم الكذاب نفسه الى التفكير الطويل ، واذا به يقرر امرا سرعان ما كان ينقضه .. ثم يسرع الى اصفيائه من الرجال يستشيرهم في الامر ويطلب رايهم ونصيحتهم ..

لقد فكر مسيلمة اول ما فكر في ان يخرج في رجاله واعوانه ليلقوا منافسته في الفـلوات ، ولكنه لم يلبث ان اشفق على نفسه من مغبة ما قد يحدث ، وقد تصور نفسه وجيوشه يخوضون القتال ، وكادت كفتهم ان ترجح ، واذا بجند الله يفاجئونهم ويعملون السيف في رقابهم !! .

وبدا التردد يداخل نفس الكذاب الجرىء .

اذا .. فماذا كان عليه ان يفعل ... واية خطوة يستطيع ان يخطوها ليخرج من محيط التردد والحيرة ، هل يبعث الرسل الى سجاح يطلب مسالمتها !! .

ان الفكرة في نظره كانت ماكرة خبيثة ، ولكنه — ورغم وثوقه من مقدرته على المكر وتفننه في الدهاء — خشى عاقبة اخراج رسله الى سجاح يطلبون المهادنة ، لان هذه الخطوة سـوف تهز مكانته ، لا عند سجاح وحدها ، بل بين من كانوا يطيعونه ويقفون الى جانبه مناصرين مؤيدين !! .

مسيلمة يخادع سجاح ، فيخدعها

واسرع مسيلمة ينفذ خطة بارعة ، قدم لها بان بعث رسله بالهدايا يستقبلون كذابة تغلب قبل ان تفد اليه .. ومع الهدايا كان رجالؤه الرسل اليها يطلب الامان له حين يفد عليها ، ليستقبلها ويصفى حسابه المعلق بينه وبينها ..

وملأ الغرور والخيلاء قلب سـجاح .. ورأت نفسها في مكانها السامق المرتفع الذى تصورت انها وصلت اليه واستقرت فيه ، فكان ان ردت على مسيلمة بانها تعطيه الامان على نفسه ، وانها تنتظر قدومه وقت ما يشاء ومع من يشـاء من رجاله المقربين ..

وضحك مسيلمة طويلا وقد وقر في نفسه انه حقق نصف النجاح المطلوب لخطته ، وانه ليس عليه غير ان يسير نحو اتمام النجاح الكامـل ، فيذهب لفوره كي يستقبل سجاح ، ثم .. ومن وحي المقابلة نفسها ، وما سوف تسفر عنه ، وما قد يدور خلالها من حديث ، يستطيع ان يسير في خطته ، ويصل الى هدفه ، ويخلق الفرصـة السانحة التي تحقق له النصر الذى يرجوه ..

وحلت اللحظة الحاسمة .. واجتمع الكذابان

الاثير"ان ، وجلست سجاح في مكان الكبرياء الذى تصورت انها وصلت اليه ، وظلت صامتة ، وكأنما تريد ان تسمع هي من ضيفها ، لا ان يسمع هو منها ، فقد كان هو الذى طلب اللقاء ، وهو الذى احب ان يجلس في حضرتها معلنا خضوعه .

واستطاعت عينا الداهية الماكر ان تقرا خبيئة نفس سجاح ، فاخفى ابتسامته ، ثم لاذ بالصمت طويلا ، وقد رفع اليها وجهه ، كمن يسألها الاذن له بان يتكلم امامها .. امام المتنبئة العظيمة التي كان يحوطها الجلال الوهمي الا في مخيلة الكذاب الذى احب ان يوقعها في حبائل مكره وشباك خديعته ..

وتكلم كذاب اليمامة مسيلمة .. فلمس الوتر الحساس من نفس سجاح ، اذ بداها بالخضوع ، وحدثها عن الاماني،وشكا اليها الظلم الذى يقاسى من هوله الناس ، وكيف ان قريشا استبدت بالامر ، وهذا سر خروجه عليها ، وثورته على اشرافها الذين لم يكونوا عادلين ، حين احبوا ان يكون لهم وحدهم الجاه والسلطان والكبرياء ، واذا به يقول لها :

« لنا نصف الارض ، وكان لقريش نصفها لو عدلت .. وقد رد الله عليكِ النصف الذى ردت قريش » ..

وبالرغم من ان هذا الملق الظاهرى قد اسعد نفس الكذابة سجاح .. كرهت من مسيلمة ان يتجاسر فيعلن لها تنازله عن نصف الدنيا التي رفضتها قريش ، وفي هذا ما يعنى ان الرجل كان يتمسك بالنصف الذى احتفظ به في يديه ..

واذا بها .. ترفض عرضه : فهو يهب ما لا يملك ، وان عليه اذا اصرّ على ان يهبها ذلك النصف الوهمي ان يواجه فوارسَ سوف تنطلق الى بلاده ، فتدمرها ، وتسلبه العزة والمنعة والجاه ..

كانت سجاح قوية في ردها الذى ما توقعه الداهية الماكر مسيلمة .. حتى لقد كاد يفقد تصوراته ، وتضيع منه سعة حيلته ، واذا به يقف جامدا يفكر ويفكر ، وهو لا يدرى ماذا كان بوسعه ان يقول ، ولا كيف يرد على سجاح تحديها الرهيب له ، ثم اذا به يدور في مكر ودهاء حول النقطة الاولى التي بدا منها .. حول الاكذوبة التي خدع بها الناس .. واذا به يقول لها كلاما افلح في ان يجعلها تتصوره لونا من الوان الوحي الذى كان يدعي انه يهبط عليه .. واذا به يقول :

« سمع الله لمن سمع ، واطمعه بالخير اذ طمع .. ولا زال في كل ما سر نفسه يجتمع .. رآكم ربكم فحياكم .. ومن وحشة خلاكم .. ويوم دينه انجاكم .. فاحياكم علينا من صلوات معشر ابرار .. لا اشقياء ولا فجار يقومون الليل..ويصومون النها ، لربكم الكبار ، رب الغيوم والامطار ...

وفعلت الاكذوبة فعلها .. واستطاعت الكلمات المنمقة الكاذبة ان تحدث في نفس سجاح تاثيرا كبيرا .. واسعدها وملا بالزهو نفسها الشريرة ان يقول مسيلمة فيها هذا القول .. الصادر عن وحي والهام،كما احب لها طموحها ان تتصور .. وراقها الى حد بعيد ان تصدر اليها تحية مباركة من ذلكم المعبود الذى يدين له مسيلمة بالطاعة .. واذا بها تتبسط مع الكذاب الداهية الذى استطاع ان يحول انتباهها اليه وان ينفذ في فطنة وذكاء الى غرضه الذى كان يبغيه ، وهو الاستحواذ الكامل.. لا على سلطان سجاح ونفوذها على قومها .. بل على سجاح نفسها !! .

مسيلمة يتزوج سجاح

وطال الحديث بين الكذابة والكذاب ، واذا بهما في النهاية ، وقد ظهر كل منهما على حقيقته ـ فراح مسيلمة يرى سجاح بعين الرجل ، في الوقت الذى رات فيه سجاح مسيلمة بعين المرأة،وما يكاد يحدثها بامر المشاركة الابدية التي احب ان يعقدها معها عن طريق الزواج بها حتى قبلت الامر بسرعة غير متوقعة ...

وعند هذا الحد من الاشفاق وضعت سجاح نهاية اكاذيبها .. وقد رضيت ان تدخل في عصمة الكذاب ، وبدخولها هذا تنازلت عن مكانتها ، بل عن ادعائها النبوة .. وقد اسعدها ان تدخل بيت الرجل وان تصبح في عداد حريمه .. وراحت تساومه لمن هذا التنازل وذلك الرضا .. وطالبته بان يدفع لها نصف غلات اليمامة . وفوق هذا يدفع لها مقدما نصف ما تغله اليمامة من العام

الذى قد حلّ بعد .. فوافقها على ذلك ، وكان ماكرا في موافقته،ووعدها بانه سيعطيها ما طلبت، وانه ليس عليها الا ان تثق بصدق قوله ، وتعود من حيث اتت ، وتترك من تثق به من رجالها ، ليحمل اليها المال الذى تريد، فوافقته على ذلك ، وبهذا انتهى امر الصراع بين الكذابين .

وعادت سجاح في النهاية الى قومها الذين اقبلوا عليها يسالونها ان توضح لهم ما كان من امر لقائها مع كذاب اليمامة .. فلم تخف عليهم شيئا،وكانت جريئة في اعترافها بانها وجدت في مسيلمة ما لم تجده في غيره .. ومن اجل هذا ارتضته زوجا وشريكا لها في كل مجد وسلطان ..

خالد بن الوليد يبرز فجاة فتترك سجاح ميدان الحرب

وفي الوقت الذى كانت فيه سجاح تقفل مع الجموع عائدة الى ديارها .. كان خالد بن الوليد يسير الى اليمامة على راس فوارس المسلمين وجند الله البواسل .. وقد راعها ان يحدث ذلك .. ووقفت في موقف المترددة التي لم تكن تدرى اى طريق تسلك ، وفي اى وجهة تسير .. هل تكر راجعة لتقف الى جانب مسيلمة ؟ ام تستمر في طريق عودتها الى بلادها مؤثرة السلامة على النضال ..

وكانت سجاح من الذكاء بحيث رات ان البعد عن ميدان الصراع الذى بدا اواره يتعالى ويشتد هو التعقل والحكمة .. فبقيت حيث ارادت لنفسها ان تبقى،وجعلت تتابع انباء المعركة الضارية التي كانت تدور على ارض اليمامة ، والتي لم يستمر بها الأمد طويلا ، اذ تحطمت مقاومة الكذاب ومن معه امام قوة ضربات خالد وفوارس الله الذين كانوا يحاربون تحت رايته.. وقتل مسيلمة، وقتل من قبله مالك بن نويرة .. ولم يبق على قيد الحياة غير سجاح ..

لقد شاء الله ان تعلو كلمته في بلاد العرب والى الابد .. وان يعظم دينه .. وان تتبدد احلام الطامعين والكذابين .. فعادت الجزيرة الى سابق عهدها بالاسلام .. وبقيت سجاح في معتزلها وقد

راحت قصة حياتها تبدو امام عينيها في صورة واقعية ما تصورت ان تدهمها بمثل تلك القسوة ..

واحست سجاح بالاسى يغمرها .. وبالخوف يتملك نفسها..لا لانها جرؤت على الكذب فحسب، وادعت النبوة بعد ذلك .. ولكن لانها لم تستغل ذكاءها هذا في عمل نافع ترضى به الله ، ويرضى عنها الناس .. وراحت تسائل نفسها : كيف هرعت الى ظلة الضلال تحتمي بها دون ان يكون لهذه الظلة وجود .. وكيف تباطات حتى الآن عن الدخول في دين الله القيم مع الآلاف التي امنت به ودخلت فيه ..

سجاح تدخل الاسلام بعد تجارب وعبر

ان سجاح اليوم ، وبعد ان كان من شانها ما كان ، لتحس الندم ، وتستشعر الرغبة في التوبة .. ثم اذا بها تهرع الى ظل من لا ظل الا ظله يوم الدين ، فتساله ان يتوب عليها ، وان يقبلها بين عباده الصالحين ، لان قلبها قد عرف الله واهتدى بنوره .. وامتلا بنورانية الاسلام ، فشهدت انها كانت كاذبة .. وانه لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ..

لقد عرفت سجاح في النهاية طريقها الصحيح الذى كان من الواجب عليها ان تتبعه منذ بداية الامر ، ولقد اهتدت الى هذه الحقيقة يوم عرفت ان الله يغفر الذنوب لمن يشاء ، وانه يسعد بعودة التائبين اليه ، وقد القوا عنهم ثقل اوزارهم ، واعترفوا امام جلاله بالخطايا ، وعاهدوه على الا يعودوا اليها ابدا ..

وعاشت سجاح التميمية ، خلافة ابى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى .. وماتت في ايام معاوية وطويت بموتها صفحة من صفحات حياة امراة تعشقت الجاه والمظهر ، وخدعها الشيطان فصدقت اكاذيبه ، ثم ما لبثت ان تخلصت من شروره واهتدت الى الله ■■

سنية قراعة

كتاب الشهر

أزمة الوحدة العربية

تأليف : الدكتور عبد العزيز الأهواني

عرض : الدكتور محمود السمره

■ لماذا لايتحد العرب ، رغم كل الاخطار التي تتهددهم حتى في وجودهم ؟ هذا السؤال الكبير الذي يطرحه على نفسه الفرد العربي الذي يعي ما فيه العرب اليوم من تنابذ وفرقة واهدار للامكانات . وهذا الكتاب محاولة للرد على هذا السؤال . ولكنه رد يمس الموضوع من بعض جوانبه ، ولهذا فان القارىء التواق الى سماع رد على السؤال الكبير لا يجد فيه ما ينقع غلته ، ويشفي غليله ، وان كان واجدا فيه بكل تاكيد آراء جديرة بان يقف عندها ، ويتامل فيها .

وليس الكتاب بناء متكاملا ، بل هو قضايا متفرقة ، لها علاقة وثيقة او واهية بالموضوع الذي جعله المؤلف عنوانا لكتابه . ومن هذه القضايا التي يتناولها : الوحدة العربية بين المد والجزر ، السلفية الجديدة ، الوحدة العربية والتقدمية ، الوعي القومي والمحنة الفلسطينية ، أهي حضارة واحدة ام حضارة متعددة ؟ سلطان الماضي على الحاضر ، فكرة الصراع التاريخي بين حضارتين ، ازمة البرجوازية المصرية ، ازمة الثقة بالجماهير العربية ، المثقف العربي والاستعمار الجديد .. .. الخ .

وقد صدر هذا الكتاب عن « المؤسسة العربية للدراسات والنشر » ببيروت ، عام ١٩٧٢ .

ونحن في هذا العرض سنقف عند تلك الآراء التي أوردها المؤلف ، والتي هي في صميم أزمة الوحدة العربية . وفي رأيي ان المؤلف قد جاء فيها بوجهات نظر جديدة ، ولم يكن مكررا للكلام المعروف المتداول .

الارض والوحدة .

ومناقشة المؤلف لهذه القضية انما يهدف منها الى الرد على دعاة الاقليمية . وقد بلغ القول بتاثير البيئة الجغرافية او الطبيعية أوجه بعد ظهور نظرية دارون ، ولكن الحماسة لهذه النظرية اخذت تخبو شيئا فشيئا . ومن الحجج التي استخدمها المؤمنون بتاثير البيئة الطبيعية في الانسان ، استشهادهم بتاثيرها في عالم النبات والحيوان ، ولكن ان صدقت فكرة التاقلم بالبيئة والخضوع لها في عالم النبات والحيوان ، فانها لاتصدق على الانسان الا في حدود ضيقة ، لان الانسان منذ ان وجد على الارض كان دوما يحاول السيطرة على البيئة ، واخضاعها لمصلحته .

وفي راى المؤلف ان حكمنا على مدى تاثير البيئة الجغرافية انما يكون من الناحية المتصلة بالثروة والانتاج ، والتي تمثل بدورها ــ على المستوى

الاجتماعي والحضاري لشعب من الشعوب ، في فترة من فترات التاريخ . ومثال ذلك تحوّل البيئة الرعوية الى زراعية ، ثم تحوّل هذه الى تجارية وصناعية . فهذه تحولات خلفت انماطا من الحضارة ، تتابعت زمنا في البيئة الواحدة او تعاصرت في البيئات المختلفة باختلاف اساليب العيش التي ذكرناها .

ويشير المؤلف الى ان حنين الفرد الى مسقط راسه ، وملعب صباه ، وذكريات طفولته وشبابه هو شعورٌ عام لدى كل حي على اختلاف البيئات. ولكن هذا الشعور ان اقتصر على مسقط الراس فهو شعور بُدائي . وهذا الشعور البدائي قابل للتدرج : من الارتباط العاطفي بمسقط الراس ، الى الارتباط العاطفي بمجموع الولايات التي تؤلف ما يسمى « الوطن » ، وهذا التدرج يقابل تدرج الانسان انتماءً : من الاسرة ، الى العشيرة، حتى يصل الى الامة . وتاريخ القوميات شاهد على هذا التدرج ، ولولاه لما كانت هناك قوميات، لاننا لانعرف ان قومية من القوميات ولدت كاملة . ومن هنا كان الشعور برقعة الارض الضيقة ، والتمسكُ بها ، ودعوى تفردها (كما تفعل بعض اجزاء الوطن العربي) مرحلةٌ عارضة في تاريخ القوميات . ولا بد لهذا الشعور من ان يتسع معنى ودلالة ، حتى يشمل الوطن العربي كله ، كلما ازدادت المصالح المشتركة بين اقطار الوطن العربي وضوحا عند الفرد العربي .

التاريخ والوحدة

ان دور التاريخ في القومية والوحدة معروف مشهور ، ولكنا هنا لا نقيم وزنا كبيرا للاحداث التي تعاقبت على السكان في رقعة ما من الارض ، وانما المهم هو ما تتركه هذه الاحداث من آثار معنوية او مادية . والاهم ايضا هو طريقة فهمنا لهذه الاحداث حين ندوّنها ، وتفسيرُنا وتاويلنا لها . ولهذا السبب فان احداث التاريخ تكتسب تفسيرات ومعانيَ تتلاءم واذواق المؤرخين في العصر الذين يفسرون فيه هذا التاريخ . ومن هنا كان التاريخ عنصرا من العناصر الهامة ، يمكن ان تسهم في تكوين القومية وتحقيق الوحدة ، لما للتاريخ من تاثير بالغ في عواطف الناس ، وتكوين وجهات نظرهم . والتاريخ بهذا المعنى درس من دروس التربية الوطنية والقومية له تاثيره الكبير في الاحياء . وهذا الموقف من التاريخ هو ما عناه الفيلسوف الايطالي كروتشة Croce حينما قال : « كل تاريخ فهو تاريخ معاصر » .

وهذا التاكيد على الدور الضخم الذي يمكن ان يقوم به التاريخ في تربية الاجيال المؤمنة بالقومية والوحدة ، يجب الا يفهم منه ان المؤرخ يستطيع ان يتلاعب باحداث التاريخ كما يشاء ، فيزيفها بحسب هواه . وانما المقصود ان تاريخنا حافل بالصفحات المضيئة ، فهذه الجوانب هي التي نركز عليها ، لانها هي التي تعيننا على تحقيق الهدف المنشود .

واذا اخذنا مصر وتاريخها تطبيقا على ما مر ذكره ، فاننا نجد ان الفتح العربي كان اكثر احداث التاريخ عمقا في حياة مصر ، وابعدها اثرا ، ويكفي للدلالة على ذلك ان هذا الفتح غيّر لسانَ مصر الى اللسان العربي ، وهو ما لم يستطع ان يفعله اى فتح من الفتوحات السابقة . والفتح العربي اكسب مصر دينا اصبح دين الكثرة الساحقة من اهلها . وباللغة والدين اصبحت مصر مرتبطة برباط وثيق بالبلاد العربية والاسلامية في الشرق والغرب والجنوب .

ويرى الدكتور الاهواني ان الظروف التاريخية التي سبقت الفتح العربي ، كانت تهيىء مصر لكي تستقبل هي والبلاد المجاورة لها هذا التغييرَ الشامل الذى جاء به هذا الفتح . وهذا في رأيي كلام علمي سليم ، فلا تغيير يحدث الا اذا توفرت الظروف الموجبة للتغيير ، والعوامل المغيرة . وهذا يعني اننا لانستطيع ان نفصل تاريخ مصر قبل الفتح العربى عن تاريخ المنطقة العربية ، وابرز ما في تاريخها ان « المسيحية والهلينية قد ارستا اساسا مشتركا من التفاهم والتقارب استكمل صورته بعد الفتح العربي . واذا ارتددنا الى ما هو ابعد من ذلك تاريخا ، وجدنا قدرا من المعاصرة بين الحضارة المصرية الفرعونية وحضارة ما بين النهرين ، والحضارة السومرية ، في العراق ، والفينيقية في بلاد الشام ... وهي حضارات اقامت مراكز راسخة للحياة المدنية المستقرة ، وتحولت بها المجتمعات في هذه المنطقة الى مجتمعات زراعية وتجارية ، تتبادل السلع والصناعات والتجارب والكشوف ، في ميادين الفلك والتقاويم والكتابة ونظم الحكم وسائر ميادين النشاط الانساني . فتاريخ المنطقة في العصور

القديمة كان تاريخا متوازنا ، وكان متصلا غير متفصل . وهو في العصر الوسيط اكثر تماسكا واتصالا ، ثم تجيء العصور الحديثة بالسيطرة العثمانية أولا ، والاستعمار الاوروبي ثانيا ، فيزيد المنطقة ، التحاما وتداخلا » .

وبالاضافة الى هذا فان من الواضح ان التاريخ الحديث اكثر تأثيرا في النفوس من التاريخ القديم، لان ذكرياته لاتزال اقرب الى النفوس . ومن هنا فان وقوف بعض الاقطار العربية عند الفرعونية او الفينيقية او الاشورية ، والادعاء بان تأثيرها أقوى من التاريخ الذى اعطى هذه الاقطار لغتها ودينها لا يزيد على ان يكون وهما من الاوهام .

واذا كنا هنا نؤكد قيمة الفتح العربي من حيث هو عامل من عوامل الوحدة ، لما ترك في حياة الناس في المنطقة من آثار بعيدة ، فان هذا لايعني ابدا العودة لاقامة وحدة على غرار ما كانت عليه في الماضي ، لان هذه الوحدة المنشودة انما هي وحدة بين بلاد اختلفت ظروفها عما كانت عليه في الماضي، كما أن الغاية التي تريد ان تحققها هذه الوحدة تخالف تلك التي حققتها في الماضي .

الدين والوحدة

ان القومية العربية ترتكز اساسا على اللغة والتاريخ ، مستبعدة الدين من عناصرها . وهي في هذا متفقة مع موقف القوميات الاخرى من الدين ، لانها كلها لاتجعل الدين عنصرا من عناصرها . ولكن المرء لايستطيع ان ينكر انه كان للدين أثر في قيام بعض القوميات ، كقوميات البلقان عند انفصالها عن الدولة العثمانية ، والقومية الاسبانية التي كان الدين عاملا مهما فيها في محاربة العرب واخراجهم من الاندلس .

ونحن لانستطيع ان ننكر ما للدين من سلطان على الشعوب ومشاعرهم ، ولكنه مع هذا ليس عنصرا اساسيا في تكوين القوميات ، لانه لو اعتنق اهل الارض جميعا دينا واحدا ، فان هذا لن يمحو القوميات . وهذا ملاحظ في العالم المسيحي والعالم الاسلامي على السواء ، والسبب في هذا أن البشر في اية منطقة من الارض انما يلتمسون الروابط التي تخصهم وحدهم ، وتجمع بينهم ، وتميزهم من غيرهم من البشر ، من اجل ان يكونوا بينهم وحدة هي لمصلحتهم . والمنطقة العربية الممتدة من المحيط الى الخليج لها طابع مستقل ، هو طابع العروبة القائمة على اللغة والتاريخ ، والمصلحة المشتركة .

ولكن هذا لا يمنع من أن تلتقي قوميات عدة داخل اتحاد واحد ولمصلحة سياسية ، او ان تكون جامعة دينية ، ومثل هذا التقارب لايتعارض مع فكرة القومية ، وقد حدث فعلا في ايامنا هذه : فهناك رابطة عالمية هي هيئة الامم المتحدة ، ورابطة تجمع بين الدول الافريقية واخرى تجمع بين دول غربي اوروبا . وهناك رابطة تحاول ان تجمع بين الدول الاسلامية .

والدين الاسلامي يؤدى دورا كبيرا في القومية العربية ، في رأى المؤلف ، وان لم يكن عنصرا اساسيا من عناصر تكوينها : فهو دين الغالبية العظمى ، وهو ثقافة تقرب بين المواطنين ، وتثير في قلوبهم وضمائرهم مشاعر متقاربة ، وتجعل لهم مواقف من الحياة متماثلة . « انه قربى عاطفية وعقلية تؤلف بينهم ، وتقيم تعاطفا وجدانيا لا يمكن التقليل من شأنه . » واذا كانت الكاثوليكية قد قامت بدور كبير في ايطاليا ، وساهمت في تكوين اذواق الايطاليين ونظرتهم الى الحياة بما في ذلك نظرتهم الى الفنون من ادب ورسم ونحت وموسيقى ، فان الاسلام قد قام بدور مماثل ولكنه ابعد اثرا واكثر فاعلية ، لان التاريخ العربي اقترن بالدين الاسلامي اقترانا اوثق ، واللغة العربية ارتبطت بالاسلام ارتباطا اقوى بكثير من ارتباط الايطالية بالمسيحية . وهذا كله يدلنا على ان الدين الاسلامي له اثره البالغ في الواقع الثقافي القائم في الوطن العربي ، بحيث انه قد اسهم اسهاما كبيرا في تكوين ثقافة متقاربة ، ان لم تكن موحدة ، ومثل هذه الثقافة المتقاربة من العوامل التي تهيىء الاسباب لتحقيق الوحدة .

اللغة والوحدة

وهنا يناقش المؤلف دعاة الاقليمية الذين يهونون من شأن اللغة كعنصر من عناصر القومية ، ويستشهدون بان قوميات شتى قامت جنبا الى جنب في مناطق متحدة اللغة . وهو في الرد على من يقول بهذا الرأى يحيلنا الى كتابات الاستاذ الكبير المرحوم ساطع الحصرى .

وينتقل بعد هذا ، ليرد على الشبهة التي يوردها من يشككون في ان اللغة من عناصر الوحدة

الاساسية وهي قولهم : ان اللغة العربية في هذا الوطن العربي ليست لغة موحدة ، وانما هي لغات عديدة ، خلافا لما يبدو لنا في الظاهر . ورد المؤلف على هذه الشبهة من اجمل المواقف في كتابه . انه يقول ان الدعوى هنا هي ان هذه اللغة العربية نفسها ، التي تستخدم في الكتابة والخطابة الرسمية ، لا يمكن ان تكون موحدة ، لان مدلول اللفظ الواحد فيها يختلف من قطر الى قطر لاختلاف العقليات ، وتفاوت المشاعر التي تكونت داخل كل اقليم : فلفظ « الشرف » مثلا له في ذهن العراقي مدلول يختلف عن مدلوله في ذهن المصري والمغربي والسوداني . وكذلك امثال هذا اللفظ . ثم يتدرج الامر من اللفظ الواحد الى التركيب والجملة ، ثم الى مجموع التراكيب والجمل ، بحيث ينتهي الامر بان لكل اقليم لغة مستقلة ، وان سميت هذه اللغات باسم مشترك هو اللغة العربية . »

ويبدأ المؤلف رده فيسلم بان مدلول اللفظ الواحد يختلف اختلافا يسيرا بين الافراد الذين يكتبونه او ينطقون به.ويذهب الى ابعد من ذلك، فيسلم بان هذا الاختلاف لا يقتصر على الفاظ المعاني المجردة،وانما يتعداه الى المعاني الحسية. ولكن هل سبب هذا الاختلاف وجود الناس في اقليم ما ، ام سببه اختلاف المستويات الثقافية للافراد والجماعات ، سواء وجدوا في اقليم واحد ام اقاليم متعددة ؟

وبعد هذا ياخذ المؤلف في ايراد الادلة التي تثبت ان الاختلاف انما مرداه الى اختلاف المستويات الثقافية : فقد عرف القدماء ، والمحدثون ايضا ، ان اللفظ الواحد يختلف مدلوله بين مدرسة ثقافية واخرى،في المدينة الواحدة والعصر الواحد، كما عرفوا ان مدلول اللفظ يختلف باختلاف العصور الزمنية ، تبعا للتطور الاجتماعي والثقافي،ولاحتكاك الثقافات الاجنبية بالثقافة القومية . وقد لاحظ القدماء ان الفاظ اهل البادية تختلف عن الفاظ اهل الحضر .

وهذا كله يدل على ان اختلاف المعاني بالقياس الى اللفظ الواحد لا يعتمد على الاساس الاقليمي، وانما يعتمد على المستويات الثقافية و الحضارية لدى الكتاب والقراء ، سواء كانوا في اقليم واحد او اقاليم متعددة . وهذا يصدق على الناطقين بالعربية كما يصدق على الناطقين باية لغة .

« ولا احسب ان احدا يزعم ان التخلف الثقافي والاجتماعي قضاء محتوم ، وان المستويات الثقافية ثابتة لا تتغير ، فالحضارة الحديثة اليوم تغزو كل قطر وكل بقعة من بقاع العالم بما في ذلك الوطن العربي . »

والامر الثابت ان اللغة العربية التي تصدر بها الصحف اليومية في اقطار العالم العربي المختلفة، والتي تستخدم في المجلات ، وتطبع بها الكتب ، وتذاع بها الاحاديث ونشرات الاخبار ، تعد من اقوى العوامل التي تدفع العالم العربي نحو التوحد رغم كل الحواجز والحدود . ان هذه اللغة لا يمكن ان تكون من عناصر الاقليمية – كما يقول دعاة الاقليمية – لانها بطبيعتها وسيلة تجميع، لا اداة تفرقة . وكلما تقاربت المستويات الثقافية والحضارية بين الاقطار العربية ، تقاربت ايضا العاميات التي بها يتحدث العرب في اقطارهم ، ذلك لان ارتفاع المستوى الثقافي والقضاء على الامية يؤديان الى حدوث تفاعل مثمر بين اللغة العربية واللهجات العامية .

اللهجات العامية

ان اللهجة العامية هي لغة التعامل اليومي في الاقليم . وكل اللهجات العامية في العالم العربي فيها جانبا ضعف : اولهما انها لهجات متعددة داخل الوطن العربي . وهي ايضا مختلفة بعضها عن بعض حتى داخل القطر الواحد ، ولهذا فانه ليس فيها صفة الشمول التي نجدها في لغة الكتابة . وثانيهما ان العاميات ليست لغات مدونة ، لكي تقوم بدور حيوي ، وهي لا تشتمل على تراث قديم الا في حدود الحفظ الشفوي وهو قليل.ولا تؤدي دور الترجمة عن اللغات الاجنبية، وهو الدور الذي تقوم به اللغة المكتوبة ، وبهذا تغنى هذه اللغة المكتوبة التراث القومي بما تضمه اليه من التراث العالمي .

ونحن نجد هذا التفاعل بين العربية والعامية ، حتى في المسرحيات التي يجري فيها الحوار بالعامية ، فنحن نجد ظل العربية منعكسا على منطق المسرحية واسلوبها ، بل على لغتها ايضا . ثم ان المؤلف نفسه ما كان بمستطيع كتابة مثل هذه المسرحية الا بعد ان تثقف ، وعرف لغة الكتابة ، وقرأ ما دون فيها تاليفا او ترجمة .

ان هذا يحدث حتى في هذا المجال الذى يتوهم بعضهم ان العامية قد انفردت به . وليس هناك من كاتب مسرحي يستطيع ان يكتب مسرحية ناجحة بالعامية ما لم يكن له مورد ثقافي غير العامية .

ونحن نجد ظل العربية منعكسا ايضا على الازجال العامية ، القديمة والحديثة : فأساليب الشعر العربي والفاظه تبسط نفوذها على الازجال ، بحيث لا يفهم بعضها الا في ضوء الشعر العربي .

وفي راى المؤلف ان التفاعل بين العربية والعامية لن يتوقف الا اذا « استولت العامية على كل ميادين الاداء الثقافي شعرا ونثرا ، وتاليفا وترجمة ، في شتى الاغراض وجميع الموضوعات ، وبذلك تتكامل مواردها الثقافية وتستقل بنفسها . وهذا شيء لم يحدث ، بل يحدث ما هو مضاد له . »

وهذا التفاعل بين اللغة العامية ولغة الكتابة موجود في كل اللغات ، وتطور لغة الكتابة من عصر الى عصر مرتبط بهذا التفاعل . ومن هذا يتضح لنا ان القضية بين العربية والعامية ليست قضية تناقض ، بل هي تفاعل مستمر ، اذ لو فرضنا ان قطرا من الاقطار العربية جعل من لهجته العامية لغة كتابة ، وفرضها بقوة القانون ، فان النتيجة ستكون ظهور لهجة عامية بجانبها غير مكتوبة ، لان الكتابة تفرض على اللغة المكتوبة قواعد تلتزم بها ، بينما لا يمكن تقييد العامية المحكية بقواعد ، لانها اللغة التى يتحدث بها الناس على اختلاف مستوياتهم .

ويرى علماء اللغة ان الكتابة في حد ذاتها تحتم قيام لغة عامية ، ولهذا السبب فان المجتمعات البشرية في مرحلة الامية لم تعرف الازدواج اللغوى . «والقضية في حقيقتها هنا انما هي في مدى هذا الازدوج ، اى في مسافة الخلف بين لغة الكتابة ولغة الحديث . فحين تتسع مسافة الخلاف بين اللغتين لظروف تاريخية واجتماعية وثقافية ، يقف او يضعف التفاعل بين اللغتين ، وتصاب الحياة الثقافية بنوع من الشلل ، ويتطلب الامر حينئذ حلا حاسما يرد الامر الى الموقف الطبيعي ، وقد اختلف الحل باختلاف العصور . ولما كانت المشكلة قد حلت قديما في عالم اللغات اللاتينية بموت اللغة القديمة وقيام اللغات الاوروبية الحديثة ، خيل الى بعضنا ان هذا هو الحل الوحيد للمشكلة في عالم اللغة العربية » .

ولكن الفرق كبير بين ما تواجهه العربية من مشاكل ، وما جابهته اللاتينية من مشاكل انتهت بالقضاء عليها . وهذه قضية هامة ينبغى توضيحها .

العربية واللاتينية

كانت العربية ، عند مطلع النهضة الحديثة ، محدودة النطاق بسبب انتشار الامية . وكانت مقصورة على طبقة من اصحاب الثقافة الدينية ، وهي الثقافة التى كانت لها الصدارة قبل النهضة . وكانت هذه الثقافة الدينية تدور حول نفسها وتجتر الماضي ، ولا تكاد تتجاوز الحواشي والشروح . وكان اصحاب هذه الثقافة يتنافسون في المحسنات البديعية والتلاعب اللفظى وتكرار الصيغ الموروثة . ولهذا السبب كان الفرق شاسعا بين هذه العربية واللهجات العامية .

وفي العصر الحديث انفتحت ابواب العالم العربى على اوروبا ، فسافر عدد من ابنائه للدراسة فيها ، واتصلوا بالحضارة الغربية واتقنوا لغات اهلها ، وبدا التلامذة في المدارس العربية يدرسون هذه اللغات الاجنبية . وكبروا واخذوا يكتبون ، ولكن بطريقة مختلفة عن طريقة الذين سبقوهم او عاصروهم ممن لم يتصلوا بهذه الحضارة الغربية . وهنا حدث للعربية عكس ما حدث للاتينية : لم تستطع ان تقف في وجه اللغات الاوروبية ، ولهذا سقطت . اما العربية فقد صمدت للتحدى ، فاذا بها تخلع عنها زخارفها المصطنعة التي كانت تثقلها في بداية عصر النهضة ، واصبحت مرسلة طليقة . وخف التزمت فاذا بها تستوعب الاف الالفاظ المعربة والدخيلة والعامية ، بعد ان اجرت عليها نوعا من الصقل ، وحدث قدر كبير من التساهل في الصيغ والتراكيب والمصطلح النحوي والصرفي ، وشاعت في العربية المكتوبة اساليب جديدة لها اصول في العامية واللغات الاوروبية .

ولم تكتف العربية بهذا . بل اقتحمت ميادين الثقافة الجديدة كلها من علوم وآداب . واخذت تصدر بها آلاف الصحف اليومية ، والمجلات الاسبوعية والشهرية ، والنشرات الدورية ، والكتب المؤلفة والمترجمة . وكتبت بها ملايين الكتب المدرسية . وشاع التعليم . وبهذا ضاقت الشقة بين العربية الجديدة والعامية ، حتى صار

المستمع الامي يفهم ما يسمعه من اذاعة واحاديث بالعربية الفصيحة دون اية مشقة وجهد .

وهكذا اثبتت العربية ان قانون انشعاب اللغة الموحدة الى لغات عديدة تحل محلها (كما حدث في اللاتينية) ليس مطردا . ويمكن مقارنة ما حدث من تطور في اللغة العربية ، بما حدث في اية لغة اوروبية حديثة : فالتطور الذى اصاب الفرنسية والانجليزية ، مثلا ، خلال القرون الاربعة الاخيرة تطور كبير . وما حدث من تطور في اللغة العربية خلال القرن الاخير ، يفوق في رأيي ما حدث في اية لغة اوربية .

★★★

هذه بعض جوانب ازمة الوحدة العربية ، كما عرضها الدكتور الاهواني . وقيمة هذه المناقشات هي انها تحاول ان تضع اجابات لأسئلة يثيرها المشككون في مستقبل الوحدة العربية ، كما انها فيها كثير من الاصالة والجدة . ■■

محمود السمره



ابن سينا

تأليف : البارون كارادوفو/نقله الى العربية : عادل زعيتر / راجعه وقدم له : محمد عبد الغني حسن .

الناشر : دار بيروت/ للطباعة والنشر ــ بيروت/ لبنان .

● يعتبر هذا الكتاب من اولى الدراسات التي ظهرت في الغرب في مجموعة « الفلاسفة العظام » عن فيلسوف الاسلام الكبير ابن سينا ، بل ان هذا الكتاب يكاد يكون بدءا ومفتاحا لكثير من الدراسات والبحوث التي تناولت بالدراسة والبحث النتاج الفكرى للفيلسوف المسلم ابن سينا من قبل علماء الغرب امثال ميلسون وكوهلر ومانشون وشوفان اوبريبه وهورتن وغيرهم .

فهذا الكتاب ليس وقفا على مذهب ابن سينا وحده وانما يتناول بيانا للحركة الفلسفية الفكرية التي ظهرت في الشرق بين الهجرة ووفاة ابن سينا ، والتي بدا فيها مذهب هذا الفيلسوف كأعلى ذروة ، الى جانب عرض للمذاهب الكلامية والفرق السياسية والمتصوفة ، اما علم الكلام فقد عرض تحت شكل ما بعد الطبيعة كما الم بالسياسة مع الايجاز في فقره ، اذ رسم النطاق التاريخي الذى تحرك فيه ، كما تناول السياسة في مواضع متفرقة ، فقد اعتبر السياسة علما منفصلا ، مع انها تعد قسما من الفلسفة عند اليونان .

وقد اعتنى المؤلف في كتابه هذا عناية كبيرا بدراسة علم المنطق الذى كان يشغل مكانا واسعا في فلسفة ذلك الزمن ثم الطبيعيات وعلم النفس وما بعد الطبيعة . لان هذه العلوم مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا .

هذه الفصول الثلاثة وما سبقها من مقدمة في المنطق وما تلاها من فصل عن التصوف هي جوهر المذهب الناشيء عن حركة الفكر التي يتألف منها موضوع هذا الكتاب .

الشيخ طاهر الجزائرى رائد النهضة العلمية في بلاد الشام واعلام من خريجى مدرسته

المؤلف : الدكتور عدنان الخطيب .

الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية ــ القاهرة .

● هذا الكتاب يضم محاضرات القاها الدكتور في هذا الموضوع على طلاب قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية بالمعهد ، ويلخص المؤلف موضوعه ومنهجه اذ يقدم له قائلا : انا لا أترجم في هذه المحاضرات لرائد من رواد النهضة العربية الحديثة فحسب ، ولطائفة من اعلام مدرسته يمثل كل منهم ــ في حياته وآثاره العلمية ــ منهجا خاصا في دروب هذه النهضة اهتدى الى معالمه من

استاذه ، بل انا اصور ، مع هذا او ذاك ، واقعا مرت به اكثر الاقطار من بلادنا العزيزة ، وكانت تعصف بها خلاله عوامل خفية اورثتنا بعض ما نحن فيه اليوم من فرقة واختلاف رای ، وانتهت بنا الى حال لا تسر الا الذين يكرهون العرب والاسلام » .

وقد انصف المؤلف كتابه في هذا الوصف : فقد استوعب في اجمال واضح هادیء عامة الاحوال القاسية التي كانت عليها البلاد العربية ـ لا سيما الشام ـ تحت السيطرة العثمانية في القرن التاسع عشر حتى سقوطها في اوائل القرن العشرين ، وهي البيئة والفترة التي سبقت وواكبت حياة الشيخ طاهر الجزائری ، ويضم الكتاب ترجمة واضحة له ، كما يوضح جهوده في اصلاح التعليم بالشام ، ويتوسع قليلا في الترجمة لاربعة من اعلام مدرسته هم ابرزهم واشدهم تاثرا بـه ، ونشر ٢ على هداه ، وهؤلاء هم المؤرخ محمد كرد علي والداعية محب الدين الخطيب، والعالم الفقيه محمد سعيد الباني ، والجندی الشهيد سليم الجزائری (ابن اخی الشيخ طاهر) فبيّن فضل كل منهم في مجاله الاصلاحی الذی اختص به دون زملائه الثلاثة ، وتاثره بشيخه فيه ـ كما يحوی الكتاب نبذا٢ من رسائل الشيخ الخاصة ، ونبذا من مذكراته ، وثبتا بمؤلفاته ، وكلها تتمم ترجمته .

المعجم القانونی
انجليزی ـ عربي

تاليف : حارث سليمان الفاروقي ـ

الناشر : مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ـ بيروت / لبنان .

● قاموس يبسط ويعرف مفردات المصطلحات الفنية القانونية ، وقد ازدادت الحاجة اليه بعد انكماش اللغة الفرنسية من حيث صدارتها للغات الحية وحلول اللغة الانجليزية محلها في ميادين السياسة والاقتصاد والمعاملات الدولية ، فهذا القاموس يفسر مصطلحات القوانين ويعرفها، ويمثل لها، ثم انه ينفذ بعناية الى صميم الفقه الانجليزی والامريكي القديم والحديث .

اعتمد المؤلف على المعاجم والمراجع التشريعية الكبرى في القانون الانجليزي مثل قاموس كو ردتونز وسويتس وبراونز والمعاجم الامريكية مثل بلاكس واندرستز وابوتس والمعاجم العامة ، فقام بتفسير المصطلحات القانونية وتعريفها على وفق هذه المعاجم : اذ شرح العبارات بمـا يقابلها من المصطلحات العربية القانونية في الفقه المعتمد في تشريعات الدول العربية ، كما جمع هذا القاموس جمهرة وافيـة من مصطلحات الطب الشرعي والتجارة والبترول والتامين والدبلوماسية والبترول والطيران المدني . كما اشار الى جمهرة من مصطلحـات الشريعـة الاسلامية في مواضعها . ويلاحظ ان المعاجم الانجليزية والامريكيةقد ادرجت عددا غير قليل من مفردات الفقه الاسلامي مثل حق وطلاق وشفعة وغيرها على حاله ، وبلفته العربية في حروف لاتينية ، ثم فسرتها باللغة الانجليزية رغم توافر ما يقابلها باللغة المذكورة .

الحنين والغربة
في الشعر العربى الحديث

تاليف : الدكتور ماهر حسن فهمي

الناشر : معهد البحوث في الدراسات العربية/ الجامعة العربية .

● محاضرات القيت على طلاب قسم البحوث والدراسات الادبيـة واللغوية في هـذا المعهد ، وعنوان الكتاب يدل على موضوعه ، وهو ـ فيما نعلم ـ اول كتاب كامل يختص بدراسة هـذا الموضوع القيم ، فهو دراسة رائدة ، وهو يضم مدخلا ، وثلاثة ابواب ، وفي كل باب ثلاثة فصول .

اما موضوع المدخل الطويل (٣٠ صفحه) فهو جذور الاغتراب في الشعر العربي القديم منذ العصر الجاهلى الى ماقبل عصر النهضة الحديثة . ومن اسباب الشعور بالاغتراب هنا ترك الشاعر وطنه او اهله مختارا او مضطرا (حين تخلعه قبيلته) او فراق احبائه ، او شعوره بالهوان في قومه (عنترة) ، وقد استشهد المؤلف لهذه الانواع بكثير من الشعر العربي القديم .

اما الباب الاول فعنوانه « الاستبداد والغربة » اما لتشرد (الفصل الاول) او هجرة (الثانى) او تشريد شامل كما شرد اهل فلسطين عنها . (الثالث) .

اما الباب الثاني فعنوانه « الغربة المعنوية » ،

وهي اما روحية (الفصل الاول) او فكرية (الثاني) او جدلية (الثالث) ، ويقصد المؤلف بالجدلية انتقال الشاعر من بيئة الى اخرى تخالفها ، كانتقاله من القرية الى المدينة .

اما الباب الثالث فعنوانه « ظواهر شكلية وموضوعية » ومن هذه الظواهر في شعر الغربة : الاسطورة (الفصل الاول) والصور والالوان (الثاني) والاتجاهات الجديدة (الثالث) وهذه الاتجاهات اربعة هي العنصرية والطيف والحب والموت .

ومن هنا يبدو ان التقسيم غير حاسم بين معظم اجزاء الكتاب ، لم ان الدراسة اعتمدت على المسح الواسع للمصادر والاكثار من الشواهد دون تعمق نواحي الموضوع واستيفائها ، وحسبنا ان صفحات الكتاب ٢٤٠ ، ومراجعه اكثر من مائة ، وقد كتبت فيه بعض الابيات الشعرية العمودية كانها نثر ، واما شواهده فبعضها من الشعر العمودي ، وبعضها مما يسمى « الشعر الحر » .

الفاضل ، في صفة الادب الكامل

المؤلف : ابو الطيب الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) .

تحقيق : الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني (١٩٠٣ — ١٩٧١ م) .

تقديم : الاستاذ شاكر علي التكريتي .

● مؤلف هذا الكتاب او الكتيب نحوي مؤدب ، وكتابه مجموعة من النصوص والطرائف الادبية ، مقسمه ابوابا شتى : ولكل باب موضوعه وعنوانه الخاص به ، مهد له مؤلفه بكلمة في صفة البلاغة وبيان فضلها ، ثم تابع ابوابه ، ومنها باب فيمن ادركه الحَصَرُ في خطبته فأحسن التخلص ، وباب في بلاغات الوفود ، وباب في احتجاج الأسارى حتى نالوا العفو ، وباب في حسن الاعتذار .

حققه الاستاذ المسكوني ، وكتب له مقدمة عرف فيها بالمؤلف وكتابه ، وعمله هو في التحقيق ، واهداه الى قرينته ، ثم توفي قبل ان ينشرَ عمله ، فتولى ذلك الاستاذ التكريتي ، اذ اشرف على طبعه وتصحيحه ، وقد اسهمت وزارة الاعلام العراقية في نشره .

ولمحتويات الكتاب خمسة فهارس : للموضوعات ، والاعلام ، والاماكن ، والمصادر ، والأشعار .

ارمينية في التاريخ العربي

تاليف : اديب السيد

يوضح الكتاب الدور الذى لعبته ارمينيا بموقعها الاستراتيجي المتاخم لحدود الدولة العربية حيث كانت ارمينيا احد خطوط المواجهة بين الممتلكات العربية والممتلكات الروسية . فلقد كانت الدولة التي تنجح في وضع ارمينية تحت نفوذها العسكرى تستطيع ان تهدد مناطق عدوها المتاخمة ، وبالفعل كان انضمام ارمينيا الى الدولة العربية قد ساعد العرب على اقامة خط دفاعي فاصل بينها وبين الدولة البيزنطية ، تتوفر فيه جميع امكانيات الدفاع والمقاومة ، بالاضافة الى منح الحاميات العربية المرابطة فرص التوغل في اراضي العدو ، وشل قدرة جيشه الهجومية وجعله في حالة دفاع مستمر .

ولذلك فان الدولة العربية الاسلامية قد انتهجت بالنسبة الى ارمينيا سياسة خاصة تختلف عن السياسة التي اتبعتها في الاقاليم الاخرى ، فارمينيا هي الاقليم الوحيد الذى اعترف فيه الفاتح العربي بسيادة الشعب سيادة مطلقة وبتحرره من جميع القيود التي قد تحمل طابع الاحتلال المطلق والتبعية ، فكان الانسان الارمني يختار الحكم الذى يرتاح اليه ويتصرف بحياته وبمستقبله على النحو الذى يريده .

كما ان الحكم العربي لم يحاول في عهد من عهوده استعمال القوة في فرض مذهب ديني معين على الشعب الارمني (وكذلك كان شأنه في كل ما فتح من البلاد) ، بل انه لم يحاول ان يتدخل في الخلافات والمنازعات التي كثيرا ما كانت تثار بين مختلف الطوائف المسيحية في البلاد معتبرين ذلك من شئون الشعب الخاصة وليس للعرب حق التدخل فيها .

ولم تكن ارمينيا التي كانت تعيش في ظل الحكم العربي بعيدة كل البعد عن مجرى تقلبات السياسة العامة في عاصمة الدولة الكبرى ، كما ان هذا الاقليم استطاع ان يقوم باكثر من دور في تحديد معالم الحكم في البلاد كما انه رافق اهم القضايا الرئيسية التي واجهتها الدولة العربية في شتى مراحلها التاريخية ، بل ان ارض ارمينيا نفسها لم تسلم من الاشتراك في الصراع الدامي العنيف الذى رسم ملامح الزمن وكان له الاثر الحاسم في تاريخ منطقة الشرق العربي باسرها . ■■

قصة قصيرة

دواء لا يجلب العافية !!

بقلم : محمد سليم رشدان

■ تلفت الصبي الصغير الى اخته ، وقال لها وهو يدني راسه منها :

« ان ابي سوف يعود من دمشق .. سوف يعود بعد اسبوع واحد .. عدّي على اصابعك سبعة ايام وابتدئي من اليوم ، ثم يعود ابي .. سوف يعود - هذه المرة - ومعه امنا الجديدة .. هكذا قالت خالتي (ام كريم) .. قالت هذا وهي تمسح راسي ، وفي وجهها كثير من الحزن .. انها كانت تريد ان تبكي ، ولكنها اخفت وجهها عني ، ونظرت الى الطريق ، ولم يكن هناك شيء تنظر اليه .. انك تسمعين يا (سهام) .. مالك تصدين عني ؟ هل انت غاضبة ؟ .. هل انت حزينة مثل خالتي (ام كريم) لأن والدي سوف يحضر امنا الجديدة معه ؟ .. » .

لم تجب سهام ..

ولكن الصبي رفع راسه اليها مرة ثانية ، وامسك بها من ثوبها ، وشدها اليه وهو يقول لها بالحاح ساذج بريء :

« لماذا لم تأت ماما ؟ انكم تقولون لي اذا نمت : سوف تأتي ماما في الصباح ، ولكني عندما استيقظ في الصباح لا اجدها .. اين ماما يا (سهام)؟ اريد ان اذهب اليها .. هيا خذيني الى ماما .. خذيني الآن .. » .

ويمضي الطفل يبحث تحت السرير ..

لقد كان يبحث عن حذائه ليحضره الى اخته ، كي تساعده على ان يحتذيه . وتنظر الفتاة الى اخيها الصغير وهي تمسح دموعها ، وتقول بصوت خافت يوشك ان يكون همسا :

« مسكين هذا الصغير ، انه لا يعي شيئا مما حوله ، وهذا خير له ، فهو اعجز من ان يتحمل الواقع المرير ، وما فيه من غصة والم .. » .

لقد كان البيت الصغير يخيم عليه بؤس قاتل وعبوس لا تلوح فيه بارقة من بهجة ، وكان ينتشر في جوانبه ضباب من الصمت ، لا تبدده حتى هذه الاصوات ، التي كانت تنبعث من الصغار الثلاثة بين حين وآخر ، لانها لا تلبث ان تخفت ، ثم تتلاشى جاهدة كليلة كانهم لا يحسون بها ، ولا تصل الى نفوسهم الكئيبة ..

اما والدهم الذي يتحدثون عن عودته ..

فان غيبته عن البيت لم تكن اول غيبة ، منذ اختطف الموت زوجته ، انه يفر منه الى حيث لا يدري . ثم يعود بعد ان تلهبه الحسرة ، يعود ليتفقد مكانها فيرد الى نفسه بعضا من سكينتها وهدوئها ، ولكنه لا تكاد تحتويه حجرتها ويستقر هنالك على مقعدها الوثير ، حتى يستعرض القصة من بدايتها ..



يستعرض مأساته من فصلها الاول ، وكان فصلا لا ينم على نهايته ، لأنه كان في مطلعه ملهاة ضاحكة ، تمتليء بأطياف من السعادة ، وتتراقص فيها ظلال البهجة والحبور ، ثم لا يدرى بعد ذلك اية عصا سحرية مسته ، حتى استحال الى مأساة دامية ، كل ما فيها غصة .. وحزن والم .. !!

كان يفر من حاضره الى ماضيه فيذكر :

انه رآها في تلك الأمسية التي لم تبتعد كثيرا خلف الايام ، وهي تعبر امامه الى جانب احدى زميلاتها ، اثناء عودتها من المدرسة ، فتمضي رشيقة مرحة ، وتضحك من اعماق فؤادها سعيدة هانئة لدعابات زميلتها ، فيتردد في أذنيه صدى ضحكاتها كأنه لحن شجي . وسار في اعقابها بضع خطوات ، وهو مأخوذ بسحر ما يرى ، ثم لم

وجاء القدر على غير ماتوقعه الاثنان فقد دخل عليها الحجرة في صباح غير بعيد بعد ذلك فاذا هي قد اسلمت الروح ! وعلى ثغرها ابتسامة كل ما فيها حب،وايمان" وتسليم !! ..

تلبثا ان استوقفتا سيارة حملتهما الى حيث لا يدري . وتعمد ان ينتظرها بعد يومه ذاك في نفس الميعاد ، ليراها في مثل تلك النظرة العابرة ، الا ان تحجزه عن ذلك دروسه في الجامعة ، التي كانت تشغله احيانا الى ما بعد ساعة انصرافها .

وفي مطلع سنته الاخيرة ، كان يقف مع احد زملائه الطلاب عند باب المكتبة ، فاذا هي بعينها فتاة احلامه وعروس امانيه ، تقبل عليها متابطة بعض الكتب بكلتا يديها ، وقد اشرق وجهها بابتسامة جميلة ، فكاد لا يصدق عينيه ، وظن انها مقبلة عليه ، فتحفز ليبادرها بالتحية ، لولا ان سبقه الى ذلك زميله ، فهش لها وهو يقول :

« اهلا (سلمى) .. هذا زميلي (سامي) وهذه اختي .. » ودهش (سامي) للمفاجاة ولكنه لم ينس ان يمد يده اليها ليصافحها مسلما ..

وازدادت صلته توثقا باخيها ، فهو ما يفتا يزوره في منزله ، وكثيرا ما كان يلمحها في دخوله او خروجه ، وكثيرا ما كانت تدخل عليهما بشرابها البارد المنعش ، وابتساماتها العذبة المشرقة . وزاده ذلك تعلقا بها ، واصرارا على ان تكون له وحده .

وجاءت نهاية العام ..

وتخرج (سامي) من الجامعة يحمل شهادتها ، التى اعتمدها لتكون سلاحه في دروب الحياة . وذهب الى بيتها ليفاتح اخاها في امر طالما اجله واخفاه ، انتظارا منه لهذا اليوم ، فاذا هو يلقاها خارجة من المنزل ، فتفاجأ برؤيته ، وتعلو وجنتيها حمرة الخجل ، فهي لم تحدثه على انفراد حتى يومها ذاك . وتقف مضطربة مترددة تمد يدها اليه تهنئه بنجاحه . فشكر لها تهنئتها ، وقال بصوت خافت :

« اسمعي يا (سلمى) .. انني ماض في طلب يدك ، فان كنت توافقين على ذلك فاصمتي وان كنت ترفضين فقولي : (لا) .. فهي كلمة لا يخجل من قولها احد ، ما دام السكوت عنها سيكلفه ما لا يريد .. » .

وصمتت (سلمى) وطاطات براسها الى الارض ، وهي توشك ان تذوب خجلا ، حين ادركت اي معنى يحتويه ذلك الصمت .. !! !

وتركها (سامي) تمضي في طريقها ..

واسرع من بعد ـ وهو يطير فرحا ـ الى اخيها يفاتحه بذلك ، ويرجوه ان يكون وسيط خير عند ابيه ، وتم له بعد ذلك ما اراد ، واصبح خطيب (سلمى) ، يتردد على منزلها ، يرسمان معا خطة المستقبل . ومرت به انذاك امتع فترة في حياته ، كل ساعة منها تعادل عمره الذى طواه كله .. واستقر في عمله الجديد ، وانصرف الى بناء عش الزوجية متمهلا ، لا يخطو خطوة الا ومعه (سلمى) ترسم له وتخطط ، فينفذ كل ما ترسمه وتخططه . واعدا لذلك منهاجا ، كانت تشملهما نشوة من الغبطة العارمة ، كلما انجزا واحدة من فقراته ، حتى اذا ما اجتاز ذلك الطريق اختطفها من الجامعة ، وطار بها الى ربوع لبنان ، يقضيان فيه شهر العسل ..

وعاد (سامي) بعد ذلك بعروسه الى دمشق ليجد امامه عرضا مغريا للعمل في الاردن ، وشجعته (سامي) بالغربة في ذلك البلد . وانتقلا الى عمان ، واستقرا في بيت جميل ، يطلان من شرفته العالية على الجبال الاهلة بالسكان ، وعلى الاحياء الجميلة المنحدرة في السفوح ، فيذكرهما ذلك بحي المهاجرين في دمشق ، وكيف تنبسط من تحته المدينة ليلا سابحة في بحر من النور . وكانت (سلمى) تطمئن الى هذا التشبيه اذا ما اطلت من الشرفة كل مساء ، فتحلق بخيالها الى دمشق ، وما فيها من ذكرياتها الحبيبة مع رفيقات الطفولة والصبا ..

وانجبا في عمان ابنتهما (سهام) ، وفرحا بها فرحا لا يوصف ، ثم تلاها ابنهما (بشر) ، وكانت (سهام) قد جاوزت الثالثة من عمرها . فشاركتهما الغبطة باخيها الطفل ، واعتبرته لعبتها المفضلة ، لقد كانت تخاف عليه ان يقع من سريره ، فتحوطه بكامل عنايتها ، وتهرع اليه اذا بكي تهدهده

وتهزه ، وتابى الا ان تتولى هي اطعامه من زجاجة الحليب ، بعض الوجبات الاضافية التي كانت تقدم اليه مرة كل يوم ..

واكمل (بشر) السنة الثانية من عمره حين سقطت صريعة المرض ، وظن (سامي) انه مرض عابر سرعان ما تشفى منه ، ولكنه طال واخذ يتزايد رغم العلاج المتواصل ، وضاعف البلاء انها كانت في بداية حمل جديد . وبدا الجسم القوي الفتي يتهاوى امام جهد المرض وجهد الحمل ، ولم تضع الطفل الجديد الا وهي حطام انسانة ، تكاد لا تمت بسبب الى تلك الصبية الجميلة .

ونظرت الى طفلها الجديد الذي رات فيه صورة ابيها بعينيه الحازمتين، وجبينه الواسع فابتسمت له وهي تهتف : « ولدي (اسعد) .. ». واسرعت القابلة تدون على بطاقة في يدها : « اسم المولود : (اسعد) .. اسم الوالد : (سامي) .. » .

وجاء زوجها .. فغام وجهه ، ونفث قلبه اسى لما وصلت اليه زوجته من هزال ، وابتسم في وجهها ابتسامة لا تصل الى اعماق نفسه ، وامسك يدها برفق يقول لها : « الحمد لله على سلامتك . ومبروك .. طفلنا .. » . فقالت المرضة : « انه (اسعد) .. اسم الطفل (اسعد) .. » . وهي تخشى ان يقترح اسماً جديداً فيفسد عليها جهدها في ما انجزته من عمل . فتساءل : « من سماه (اسعد) .. ؟ » . فضغطت (سلمى) على يده ، وقالت وهي تبتسم في وجهه « انا التي اعطيته اسم ابي .. انه صورة عنه .. الا ترى ذلك يا (سامي) ..!! » .

وتشاءم (سامي) من هذا (السعد) الزائف الذى البسوه للطفل ، وما يحيط به لا يبشر بذلك .. وخشي ان تصدق عليه سخرية (المعري) حين قال :

سميت نجلك (مسعودا) فخالفه
ريبُ الزمانِ .. فامسى غيرَ مسعودِ !!

وكان (اسعد) قويَّ العود ، استنزف من عافية امه ما جعله يخرج الى الحياة اثقل من اخويه جرماً ، واوفر منهما صحة وعافية عند



وبكت (سهام) وهي تضمه اليها وتربت على ظهره ، ثم قالت وهي تكفكف دمعه : « ماما لم تكن لتضربك من أجل ذلك .. كلا يا (اسعد) ، ولكن هذه ليست ماما .. انها امراة اخرى .. » !!

ميلادهما . فكان لا يكفيه ما يناله من حليب امه ، فتضطر الى امدادة بالحليب المصنوع . وتزايد نحول (سلمي) بعد ذلك واشتد هزالها ، الا انها كانت تتحامل على نفسها ، فتغادر الفراش لتشعر وزجها واطفالها بزوال المرض عنها . ولكن هذا (التعافي) المتكلف كثيراً ما كان يقصر مداه فيغلبها المرض على امرها ، وتعود ـ راغبة ـ الى ملازمة الفراش .

ولم يدخر زوجها وسعاً في سبيل ان يستاصل علتها ، لذا كان يجلب اليها امهر الاطباء ، ويبذل في علاجها غاية ما تصل اليه يده .. وكانا خلال ذلك يعيشان على الأمل الكاذب، والوعود البراقة، التي كانا يتلقيانها مع كل دواء جديد . وكثيراً ما يخرجها في الليالي الدافئة الى شرفة المنزل ،

ويجلسان هناك يستعيدان ذكرياتهما الحبيبة في ربوع دمشق ولبنان ، وفي هضاب عجلون بين الغابات الظليلة ، وعند مشارف (بيت جالا) و (رام الله) ، وعند قمة (جبل الزيتون) ، في (القدس) ، يتمتعان بمنظر الشمس الغاربة ، وهي تنعكس على صفحة (البحر الميت) في هوة (الغور) السحيقة ، وتلمع على القباب داخل سور (بيت المقدس) ، وهي تشمخ متعالية على ما يحوطها من بنيان ، في مسجد (الصخرة) ، والمسجد (الاقصى) ، وكنيسة (القيامة) ..

يستعيدان ذلك كله وهو يمسك يدها المعروقة، فاذا ما احسّ في جسدها الكليل رعشة من برد الليل ، عاد بها الى الداخل ، فما يفتأ يناجيها فيه ، حتى تستغرق في نومٍ هادىء ، وعند ذلك يضفي عليها الغطاء ويمضي الى فراشه .

وكثيراً ما كانت (سلمى) تقول له : « لا اريد ان يطول عذابك يا (سامي) ، واني لاتمنى ان يعجل الله لي احدى اثنتين ، اما الموت واما العافية ، فلقد حملتك فوق ما تستطيع ، وان اقسى ما يخيفني من الموت هو ما يصير اليه اطفالنا ، وخاصة صغيرنا الغالي (اسعد) الذي ما زال في اول مدارج الحياة ، ولم ينل حظه وافياً من عطف الأمومة وحنانها .. » .

ويرد عليها (سامي) يبعد عنها هذه الافكار المفزعة : « لا تقولي ذلك يا (سلمى) انك تسيرين الى العافية بخطواتٍ حثيثة ، وسوف يتم شفاؤك في القريب العاجل .. » .

وكان هذا القريب العاجل على غير ما توقعه الاثنان ، فقد دخل عليها الحجرة في صباح غير بعيد بعد ذلك ، فاذا هي قد اسلمت الروح ، وعلى ثغرها ابتسامة ، كل ما فيها حب .. وايمان" .. وتسليم !! ..

ذلك ما كان يستعرضه (سامي) بمخيلته ، اذا ما جلس على مقعدها الوثير في حجرتها، ووقعت عينه على صورتها الجميلة ، التي كانت ما تزال تعلو سريرها ، حيث كانت تنام ، وحيث ابصرها ذات صباح جثة هامدة لا حراك فيها . فاذا ما وصل الى هذا المدى من ذكرياته ، اسودت الدنيا في عينيه ، ولم يعد يحتمل البقاء في المنزل ، فيهيم على وجهه ولا يرجع الا وقد ارهقه التعب وآذاه الليل ببرده ، فينام ليله مؤرّقاً مسهّداً ، كأنه يرقد على فراش من الشوك ، او مهادٍ من الجمر .

وكثيراً ما كان يعهد باطفاله الى جارتهم ابنة عمها ، ويفر من البيت الى دمشق ، يغيب فيها اياماً ثم يعود ، وهو يظن انه قد نسي فجيعته ، فلا يكاد يدخل البيت حتى تتجدد في نفسه ، وتعاوده ذكرياته المريرة ..

ونصحه بعض خلصائه ان يتزوج اخرى براً بزوجته ، التي كانت تخاف على اطفالها ان يذوقوا مرارة اليتم ، فتعوّضهم هذه الاخرى عن حنان الام ، وتسد الفراغ الذى احدثته من حولهم بوفاتها ، كما تكون له الدواء الناجع ، الذى يجلب له الشفاء والسلوان مما يعانيه من قلقٍ واضطراب . واستجاب لهذه النصيحة، وعاد الى البيت بعد اسبوع كما قالت (ام كريم) ، ومعه ماما (ليلى) احدى قريبات (سلمى) وصديقة صباها ، والتي كثيراً ما زارتهم في (عمان) مع امها التي تمتّ الى ام (سلمى) بالقرابة .

واستقبل الصغار امهم الجديدة بكثيرٍ من التوجس والحذر ، وكانوا يسجلون عليها كل شاردةٍ وواردة ، وياخذون عليها كل عمل تعمله اذا كان مخالفاً لما تعودوه من امهم الراحلة . وفي ذات صباح جاء الصغير (اسعد) باكياً الى اخته (سهام) ، وهو يقول لها : « ماما (ليلى) ضربتني على يدي ، لانني دخلت حجرة نومها وامسكت بيدي ثوبها الجديد .. » .

وبكت (سهام) وهي تضمه اليها وتربت على ظهره ، ثم قالت وهي تكفكف دمعة : « ان ماما لم تكن لتضربك من اجل ذلك .. كلا يا (اسعد)، ولكن هذه ليست ماما .. انها امرأة اخرى .. » !! ■■

محمد سليم رشدان

عمان ـ الأردن :



(بقية) بريد القراء وردود المحرر

الهجرة العربية الى الشرق الاقصى

العدد ١٧٠ يناير ١٩٧٣

● ... اقدم الى الاستاذ حسن الامين شكرى على هذا البحث القيم. فهو ذو فائدة للقراء عامة وابناء حضرموت منهم خاصة .. وارجو من مجلتكم ان توجه نداء خاصا الى تجار حضرموت تهيب بهم ان يسعوا الى جمع تراثهم والى طبعه » .

سالم احمد العمودى ــ الرياض

● اوجه الشكر للاستاذ الكاتب على اجتهاده وحسن مقصده ، واود ان الفت نظر الاستاذ الامين وقراء مجلة العربى الى بعض الاسر الحضرمية التى اغفل ذكرها المقال والتى كان لها ولا يزال فضل كبير في نشر الدعوة الاسلامية في تلك المنطقة .

اسرة آل العطاس : وهم الذين ينتسبون الى جدهم الاكبر السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس، المتوفى بحريضة حضرموت سنة ١٠٧٢ هـ الف واثنين وسبعين هجرية . ومنهم السيد عبد الله ابن علوى العطاس الذى نشر الاسلام في البرمة والهند وغيرهما ، وقد اسلم على يده الكثير وشيد مسجدا بحريضة في حضرموت ، هو اية في الفن الاسلامى (توفى سنة ١٣٣٤ هـ) . ومنهم كذلك السيد سالم بن احمد العطاس الذى تولى الافتاء بجهور من الملايو ، لمدة خمسة وثلاثين عاما ، وله فتاوى كثيرة مدونة ، وقد توفى سنة ١٣١٣ هـ . ومنهم ايضا السيد عبد القادر بن محسن العطاس وقد تولى الافتاء بجهور ايضا لمدة ثلاثين عاما وتوفى سنة ١٣٤١ هـ . ومنهم السيد عبد الله ابن عبد الرحمن العطاس الذى تولى القضاء بسنغافورا لمدة عشرة اعوام وتوفى سنة ١٣٥٥ هـ باندونيسيا .

واذكر من تلك الاسر ايضا آل جمل الليل ، ملوك اقليم فرليس ، ومنهم السلطان الحالى في مليزيا ، علوى جمل الليل ، وكذلك آل حبشي ، ومنهم السيد محمد بن عيدروس الحبشي المتوفى بسربابة سنة ١٣٤٤ هـ .

واذكر ايضا آل الشيخ ابى بكر بن سالم الذين منهم محمد بن احمد المحضار ومنهم ملوك وقضاة في جزائر القمر في افريقيا .

اما آل الكاف فلهم اياد بيضاء سواء في بناء المساجد والمدارس او في نقل التراث والفن الشرقى الى حضرموت . وقد صكت لهم عملة تحمل اسمهم وكانت سارية المفعول بحضرموت آنذاك .

احمد على بن سالم العطاس ــ سنغافورة

حقائق عشر عن تخلف الشرق

حديث الشهر في العدد ١٧٠ شهر كانون الثانى (يناير) ١٩٧٣

● عطفا على اقتراح سيادتكم بشأن الزواج المبكر ، انا ادرس الطب في جامعة الازهر بالسنة الثالثة . والذى اراه انه ليس هنالك اكبر بؤسا من الشباب في وضعهم الحالى ، حيث يسيطر الجنس على قسط كبير من تفكيرهم ، ويستحوذ ايضا على قسط كبير من وقتهم . وكل منهم يسعى لحل مشكلته بوسيلة او اخرى ولا يعود عليهم غير الضرر . فمنهم من تمتلكه العادة السرية الخبيثة ،

وما يترتب عليها من ارهاق نفسي وخيم ، ومنهم من يسعى وراء المتعة المحرمة ، بكل ما فيها من قاذورات يقبلها جميعا ، بل ويدفع ثمنها غاليا ، خاصة وانه يعرف انه لن ينال مثل هذه المتعة بالحلال الا بعد الثلاثين من عمره في ظروف مجتمعنا الحالية . ناهيك عن الفراغ العاطفي الذى يعيشه اكثر الشباب ، وهذا لا يحله حرام ولا حلال الا بالزواج .

ربما يترتب على الزواج المبكر مشاكل كثيرة ، لكنها بالتأكيد اخف الف الف مرة من مشاكل الوضع الحالي . فكيف يعقل ان يقضي الانسان فترة الزهور من عمره وهو يتحرق شوقا الى حق من حقوقه ؟ وكيف نقبل ان يضيع هذا القسط الكبير من وقت الشباب ومن تفكيرهم هكذا في الاوهام ؟ بينما يمكن ان تعود قدرات الانسان وطاقاته وهو في عنفوان قوته بما هو اجدى وانفع .

واقتراح سيادتكم رائع رائع ، ويجدر بالآباء ان ينظروا اليه على انه حل لمشكلة اجتماعية كبرى وهو قد يبدو غريبا لكنه ليس اكثر غرابة من اشياء كثيرة تعودنا عليها الان وما كان يخطر على بال احد اننا سنقبلها عموما فمن غير ذلك فاننا نكون قد ابحنا الزنا ولكن من خلف الظهور . والزواج ان هو الا ايجاب وقبول ولكن بفعل ايدينا وضعنا حوله القفيد وقيدا حتى اصبحنا نفر منه ونعرض انفسنا للحرام .

القاهرة ـ طالب في كلية طب الازهر

هدية ((العربى))
خريطة العالم العربى

● اهدت مجلة « العربى » في عيدها الرابع عشر ـ اول ١٩٧٢ ـ قراءها خارطة الوطن العربى ملونة ، وهى احدث خارطة صدرت لوطنتا الكبير . وقد جملت في اعلاها وادناها باعلام الدول العربية العشرين .

وتضمنت الخارطة ثلاثة جداول: اولها بايرادات الحكومات العربية من تصدير النفط عامى ٧٠ و ١٩٧١ وقد جاء في هذا الجدول ان المجموع الكلى من الايرادات لسنة ١٩٧٠ بلغ ٤٧٤١ مليون دولار ، وبلغ عام ١٩٧١ ـ ٧٢٠٥ ـ مليون دولار . هذا عدا مدفوعات مرور النفط بالانابيب التى بلغت عام ٧٠ (٦٧) مليون دولار ، و ٢ر١٠٤ مليون دولار عام ١٩٧٢ .

اما الجدول الثانى فقد تضمن مقدار استيراد بعض دول العالم من النفط العربى عام ١٩٧٠ وتضمن الجدول الثالث عدد السكان لكل دولة عربية والناتج القومى لكل دولة في عامى ١٩٧١/١٩٧٠ .

وضعت الخارطة امامي ، وامعنت النظر فيها مثنى وثلاث ورباع فلم توح لي غير الحزن والاسى ، لم افرح بهذه الدول العشرين المتعددة الاسماء ، ولا بعدد سكانها ١١٢ مليون نسمة ولا بمساحة اراضيها البالغة نحو مليار كيلو متر مربع ، ولا باعلامها المتنوعة الاشكال والالوان .

نعم لم افرح بكل ذلك . بل حزنت اشد الحزن لاننا عشرون دولة ذات عشرين علما وعشرين نظام حكم . فما من امة على وجه الارض مثل امتنا صارت عشرين جزءا يسمى كل جزء منها دولة وان كان بعض اجزائها لا يزيد عدد سكانه على مائة الف نسمة .

قلنا اسى ومازلنا نقول : ان الاستعمار هو الذى جزء الوطن العربى ، وصحيح ان التجزاة وقعت في عهود الاستعمار ، ولكن هذا الاستعمار حمل عصاه ورحل ، فمن الذى كرس التجزئة من بعده ؟ وكيف صارت التجزئة في عهود الاستقلال هى الاصل ؟ وكيف اضحت « الوحدة » مجرد امل ، نردده ونتادى به ولا نعمل له ؟ وكيف .. وكيف .. ؟

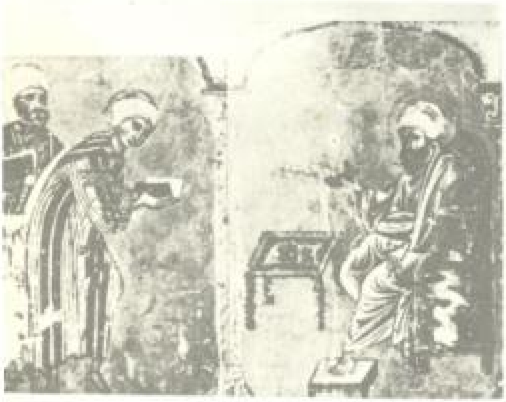
راقية خاتون ـ اعظمية ـ بغداد

مقامات الحريري
والرسام العراقي
يحيى بن محمود الواسطى

● في العددين ١٦١ ، ١٦٢ (ابريل ومايو ١٩٧٢) من مجلة العربي القراء ، نشرتم في الصفحة الثانية صورتين من صور « مقامات الحريرى » بين موضوعات الباب الذى استحدثتموه في المجلة لتقديم الوان من الفنون الاسلامية .

غير ان المجلة لم تذكر اسم المصور الذى ابدع الصورتين . ونشير هنا الى ان هذا المصور هو يحيى بن محمود الواسطي ، الفنان العراقي ، من اهل القرن السابع الهجرى (١٣ الميلادى) وهو صاحب ثماني لوحة اخرى في المخطوطة نفسها التي خطها بقلمه لمقامات الحريرى وزخرفها ، وقد صور في هذه اللوحات مواقف عديدة من المقامات وهذه المخطوطة محفوظة بالمكتبة الاهلية بباريس ، برقم (٥٨٤٧) .

وفي الصفحة الثانية من العدد ١٦٢ صورة من صور الواسطي في مقامات الحريرى ، وقد وردت مقاله في العدد نفسه بعنوان مقامات الحريرى (ص ١٥٠ ـ ١٥٢) وفي هذه المقالة صورة في الصفحة ١٥١ ، اشرتم الى انها « من صور مقامات الحريرى صدرت بها مجلة اليونسكو Coureir ، عددها الصادر في يناير الماضي



بمناسبة « سنة الكتاب». ويمكن ان نضيف الماضي ما ذكرتم نقلا عن مجلة اليونسكو ، ان هذه الصور انما هي جزء من تكوين يشغل صفحتين متقابلتين ، يوضح مجلسا تعليميا من مجالس (طوب قابوسراى) باستامبول ، برقم ٢١٢٧ . والمخطوطة العربية مترجمة عن De Materia Meidca ، واصلها اليوناني محفوظ بالمكتبة الاهلية في « فينا » برقم (طب يوناني) ، وربما كان مصدر هذا المجلس هو عبد الله بن الفضل ، وهو معاصر للواسطي ، ولكل منهما اسلوبه في التصوير فلايلتبس عند الخبراء باسلوب الاخر .

عبد المجيد وافي/القاهرة

العربي : تشير بهذه المناسبة الى الجهود التي بذلها بعض اساتذة الجامعة الامريكية في بيروت ، في هذا الصدد . فقد تردد الدكتور ايش والدكتورالغول على جمهورية اليمن العربية وعلى عاصمتها صنعاء ، وذلك فيما بين سنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ،وبقصد الاطلاع على ما تضمه مكتباتها من مخطوطات قيّمة . وقد عثروا ، فيما عثروا عليه ، على مخطوطة لمقامات الحريرى ، يعود تاريخها الى سنة ١٧٠٩ م . ولم تكن هذه المخطوطة معروفة من قبل ، بحيث اصبح مجموع المخطوطات لهذه المقامات ١٣ مخطوطة ، موزعة هنا وهناك .

وتقع المخطوطة (الجديدة) في ٢٣٥ صفحة ،وقد كتبها وزينها بالرسوم الملونة رجلان : اولهما محمد بن احمد عيش والثاني ابنه ، احمد بن محمد عيش ، وقد اكمل العمل الذي بدأه ابوه .

اما المصدر الذى اعتمدنا عليه في هذا الشأن فهو مجلة الكلية التى تصدرها جامعة بيروت الامريكية . فقد نشرت في عددها الصادر في ربيع عام ١٩٧٢ مقالا لطيفا من المخطوطة التي ذكرنا وزينت مقالها هذا بعدد من رسوم المخطوطة .



أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

الامام علي
كيف مات
وأين دفن

● كيف كانت وفاة الامام علي كرم الله وجهه ؟ واين دفن ؟ فاننا نشكو من الجهل بذلك .

المهندس تيسير ابو العافية/لندن

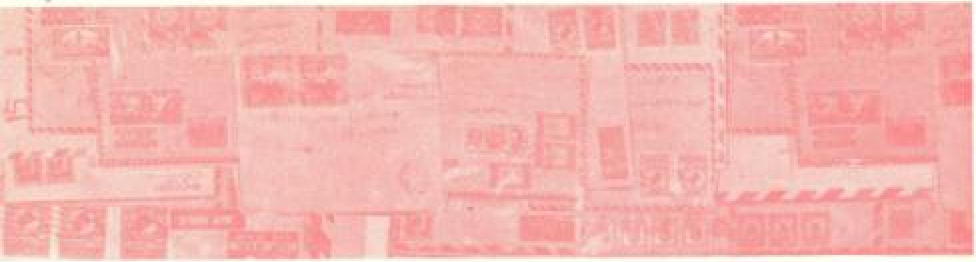
– في موقعة صفين بين العراق والشام سنة ٣٧ هـ كاد جيش الامام علي يغلب جيش معاوية ، فخرج عمرو بن العاص بحيلة المصاحف يرفعها جيش معاوية تحكيما للقرآن، فابى الامام الا مواصلة القتال لاعتقاده ان رفع المصاحف حيلة ، ولكن طائفة من زعماء جيشه ابوا عليه المضي في القتال وهددوه بتسليمه الى معاوية اذا رفض ما طلبوه ، فقبل التحكيم مكرها ، القاء الفتنة في جيشه بين الداعين الى القتال والداعين الى وقفه ، ولم يحقق التحكيم شيئا من اقرار امور المسلمين في نصابها ، وابتلى الامام – بعد هذه الخيبة – بجماعة كبيرة من جيشه تخرج عليه ، فاضطر – بعد خيبة المفاوضات معهم – الى قتالهم في موقعة النهر او النهروان ، فقتل منهم كثير ، لما هم عليه من صلابة وعناد .

وفي سنة ٤٠هـ ائتمر ثلاثة – من طائفة الخوارج هذه – بقتل الرؤساء الثلاثة في ليلة واحدة (١٧ من رمضان) اتفقوا عليها : عبد الرحمن بن ملجم لقتل الامام ، والبرك بن عبد الله لقتل معاوية ، وعمرو بن بكر لقتل عمرو بن العاص ، ثم مضى كل واحد الى وجهه .

اما معاوية وعمرو بن العاص فافلتا من الاغتيال، وقتل صاحباهما اللذان ارادا قتلهما ، واما الامام فقد ترصد له ابن ملجم مع خارجيين آخرين (وردان ، وشبيب) خلال خروجه لصلاة الغداة ، وعند باب المسجد ضربه شبيب ، فاخطاه وضربه ابن ملجم على قرنه فاصابه ، وهرب الخارجيان ، وتبعهما ابن ملجم ، ولكن قبض عليه بعد ان اصاب كثيرا من مطارديه ، وقدم الامام ابن اخته للصلاة بالناس ، ثم جيء اليه بقاتله فعاتبه على جريمته مع احسانه السابق اليه ، ثم قال الامام لابنه الحسن وبقية اهله الحاضرين : « ان هلكت فاقتلوه ، وان بقيت رايت فيه رايي ، يا بني عبد المطلب ، لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون : قتل امير المؤمنين . الا لا يقتلن الا قاتلي . انظر يا حسن ، ان انا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثلن بالرجل ، فاني سمعت رسول الله يقول : « اياكم والمثلة ، ولو بالكلب العقور » .

وعاش الامام اياما اوصى خلالها ابناءه بالتقوى، كما اوصى بعضهم ببعض ، فلما مات تولى غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، ثم جيء بابن ملجم فقتل وحده على نحو ما اوصى الامام ، ضربة بضربة دون تمثيل .

اما دفنه فقد ذكرته مصادر كثيرة وكلها تجمع على انه دفن سرا خشية ان يستبيح اعداؤه الالداء نبش قبره فينبشوه ، فقد حمله ابناه الحسن والحسين وآخران من صفوته ودفنوه ليلا في جبانة الغرى الرملية في ظهر الكوفة ،



ويفهم من هذه المصادر ان قبره ظل مجهولا الا عند اولاده ، ولا شك انهم كانوا يتوارثون معرفته خلفا عن سلف كما يتوارثون – في اشد الحرص سائر آثاره، حتى لايضيعوا موضع القبر،وكانوا يترددون علىزيارته سرا للصلاة والدعاء عنده،وربما صحبهم افراد من اخلص اصفيائهم المؤمنين بحقهم ، المامونين على ادق اسرارهم ، وكانوا يعرفون موضع القبر ، كما روى عن الامام جعفر الصادق الذى زار القبر مرات ، لا سيما حين زار الحيرة ايام ابي العباس السفاح اول ملوك بني العباس ، وكان موضع القبر في الغريّ من ظهر الكوفة ، خلف ربوة النجف ، مع التيامن قليلا حتى يبلغ الزائر ذكوات بيضا ظاهرة هناك ، والقبر بينها ظاهر ، وهذا خبر تاوكد الاخبار التاريخية المؤيدة بالقرائن

ولا تناقض بين القولين : ان مدفنه الكوفة او فيها ، وان مدفنه هو القبر القائم الان في النجف ، فالكوفة اليوم قرية صغيرة في رقعة ضيقة غربي شاطيء الفرات ، واما الكوفة القديمة ايام الامام فكان عمرانها يمتد وراء ذلك بعيدا ، حتى تقارب « الغريّ » او « النجف » ، وهو ما كان يدعى « ظَهْر الكوفة » وكانت قريبة منه او متصلة به ، وكتب التاريخ القديم والآثار الباقية شهيدة على ذلك .

وحين كان يزوره الامام الصادق في عهد السفاح (١٣٢ – ١٣٦ هـ) لم تكن هناك الا الارض ، ولكنه كان يعرف موضع القبر فيها ظاهرا بين الذكوات الظاهرة ، واستمر قبر الامام خفيا هناك حتى اعلن امره في عهد هارون الرشيد(١٧٠ – ١٩٣ هـ) اذ اراد ايام حكمه تكريم القبر ، ببناء قبة عليه ، فلما كشف عن القبر لبنائه وجد مبنيا ، وعليه تربة وجص ، فبنى الرشيد عليه قبة ، وطرح على راسها جرة خضراء .

وقد زاد العمران في النجف حول القبر بعد كشفه ، وتوالت عليه وعلى النجف عصور رخاء وعصور شدة ، ولكن ضريحه الآن والمسجد من حوله آية من آيات الفن المعماري ضخامة وفخامة، اما مكانته ومكانة النجف العلمية في التاريخ بسببه فليست من موضوعنا ، ولكننا نقول انها عظيمة لا سيما منذ جاءها الفقيه الكبير ابو جعفر الطوسي (المتوفي سنة ٤٦٠ هـ) واسس فيها مدرسته ، ومنذئذ ازدهرت بها الدراسات الدينية حتى الان ، صارت المرجع الاكبر لطائفته .

(م . خ . ت)

سياسة أمريكا تغيّرت ، وما تغيّرت

● تم الاتفاق أخيرا على انهاء الحرب الفيتنامية ، تلك الحرب التي ظلت تدور سجالا اعواما طويلة بين فيتنام الجنوبية وحليفتها الكبرى امريكا من ناحية وبين فيتنام الشمالية وحليفتيها الصين وروسيا من ناحية اخرى .. فهل هذا يدعو الى التفاؤل حقا بامر سلام دائم يعم العالم لاسيما في الخصومة القائمة بيننا نحن العرب وبين اسرائيل في الشرق الاوسط .

عبد الوهاب محمود – بغداد

– ان التطورات الاخيرة في آسيا ، تتطلب بالفعل القاء نظرة عامة على السياسة الامريكية في هذه المنطقة من العالم . ولعل هذا هو السبب الذى حدا بالكثيرين الى البحث والتنقيب عن المعاني الواضحة والخفية لهذه التطورات والقصد من ورائها ..

وقد صدر كتاب جديد في امريكا بعنوان « السر المفضوح » « Open secret » ، تناول فيه كاتبه بالبحث نظرية « نيكسون – كيسنجر » في آسيا. وقال مؤلف الكتاب : « ان من الخطا ان نعتقد بان الولايات المتحدة تعتزم الانسحاب الكامل من آسيا ، فالذى يحدث حاليا هو اعادة تركيب

Reconstruction للسياسة الامريكية القائمة بالفعل .. حقيقة لقد طرا تغيير على سياسة امريكا في آسيا .. ولكنه تغيير سطحي وليس جذريا ..

لقد اعلن نيكسون عن « نظريته » في يوليو عام ١٩٦٩ ، وهي تتمثل في الانسحاب الجزئي للوجود العسكري في آسيا في القريب ، وهذا الانسحاب لا يشمل فيتنام الجنوبية وحدها بل يشمل ايضا دولا اخرى مثل كوريا الجنوبية واليابان وتايلاند وشبه جزيرة اوكيناوا والفلبين .

كما اكد الرئيس الامريكي في نظريته على سياسة الاعتماد على النفس بين دول آسيا .. اى ان الآسيويين هم الذين يجب ان يشكلوا مستقبل آسيا بانفسهم ، لا بمساعدة غيرهم ، على حد تعبيره . على ان يصاحب هذا تدعيم لنظم الحكم القائمة والموالية للولايات المتحدة حتى يمكنها ان تتحمل عبء القضاء على الانقلابات المعادية بدلا من اعتمادها على امريكا .. اما هذا التدعيم الذى اشار اليه نيكسون ، فهو يتم بمعونة امريكا المادية وقواتها البحرية والجوية ، وفي النهاية القوة القرية الضاربة اذا تطلب الامر .

ويقول مؤلف الكتاب : من هذه النظرية ، نستنتج ان الولايات المتحدة الامريكية تستهدف في واقع الامر الابقاء على دور رئيسي لها في آسيا ، ولكن بتكاليف اقل سواء في الاموال او الارواح الامريكية ، بعد ان فقدت الآلاف من خيرة رجالها في تلك الحرب الضروس في فيتنام التي دامت لاكثر من عشرين عاما .

فواقع الامر ، انه رغم التغييرات المحسوسة التي طرات على السياسة الامريكية في آسيا في الآونة الاخيرة ، تلك التي بدات باعتراف الولايات المتحدة بالصين ، اعترافا قانونيا De Jury Recognition في العام المنصرم ، الا ان موقف امريكا من استراتيجيتها القديمة القائمة على اساس دور « البوليس العام » سوف تستمر لسنوات بعيدة مقبلة .

وبالرغم مما يظهر من بوادر الصداقة والتفاهم من جانب امريكا تجاه الصين ، فان سياسة « احتواء » الصين ، ستظل تمثل الاطار الاساسي للاستراتيجية العسكرية الامريكية في آسيا ..

واخيرا فقد اكدت الولايات المتحدة من جديد على لسان رئيسها ، التزامها بمعاداة الشيوعية وتاييدها المطلق « للثورة المضادة » .

اما الانسحاب العسكرى الامريكي من آسيا فهو يتم بصورة محدودة ويشمل القوات البرية وحدها والذى يحدث حاليا في واقع الامر هو كما ذكرنا عملية تدعيم للالتزامات العسكرية بنفقات اقل ، واعادة توزيع القوات الامريكية على القواعد الامريكية المتقدمة التي تشكل حزاما يحيط بالقارة الاسيوية باكملها !

اما فيما يختص بالشرق الاوسط فيمكن ان يستفاد من نفس هذه السياسة ، ولو شئنا تطبيقها على تلك الخصومة القائمة بين العرب واسرائيل لقلنا ان اسرائيل هي النظام الموالى الصديق الذى يطلبه نيكسون وهو يقوم بتنفيذ سياسته هذه بان يدفع اليها بالمال والعتاد ، دون ان يشاركها في الحرب، لتفعل له ما يشاء وتكون « مصطبة » يهبط عليها بقواته عند الحاجة .

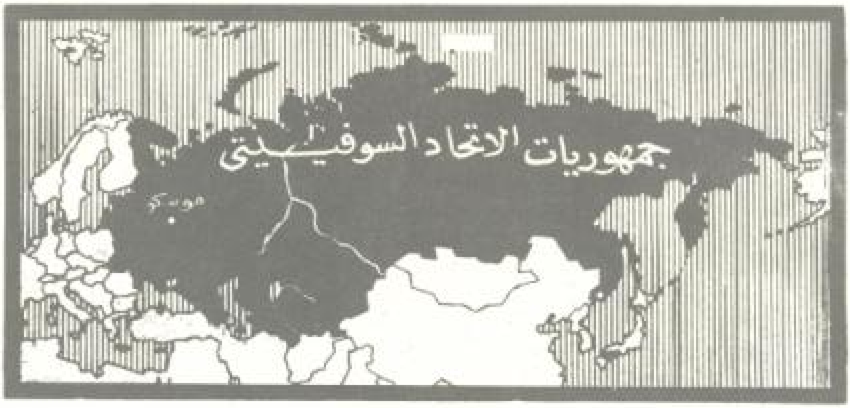
(م . ن)

الاتحاد السوفيتي يتكون من ١٥ جمهورية اتحادية

● ارجو ان تفيدونا عن عدد ولايات الاتحاد السوفيتي وعاصمة كل ولاية ومساحتها وتعداد سكانها . وهل تتمتع الولايات السوفيتية بالحكم الذاتي ؟

مسعود رافت محمد مسعود
المنصورة/ج.م.ع

ـ قبل ان نجيب على سؤالك نحب اولا ان نوضح ان الاتحاد السوفيتي لا يضم ولايات States ، ولكنه يضم جمهوريات Republics ، وستقتصر اجابتنا هنا على عدد الجمهوريات الاتحادية ، مع العلم ان بعض هذه الجمهوريات تتالف من عدد من الجمهوريات الاصغر ، فاقاليم اخرى تتمتع بالحكم الذاتي داخل الجمهورية الاتحادية . ومصدرنا في كل هذا انما هي المصادر الروسية الرسمية . ويتكون الاتحاد السوفيتي من ١٥ جمهورية اتحادية . ولكل جمهورية من جمهوريات



الاتحاد السوفيتي علمها الخاص ، ونشيدها الوطني . ولكل منها دستورها الخاص الذى يتفق مع طبيعة ارضها وسكانها واحوالها الاقتصادية ، كما ان لكل جمهورية ايضا التشريعات القضائية الخاصة بها . ولكل منها ايضا الحق في اقامة علاقات دبلوماسية مباشرة مع اى دولة اجنبية ، ولها الحق في تكوين فرق مسلحة خاصة بها .

ويعتبر مجلس السوفيت الاعلى في كل جمهورية هو السلطة العليا بها . ويتم تمثيل كل جمهورية من الجمهوريات بـ ٣٢ عضوا في مجلس القوميات السوفيتية الاعلى . وهي جميعا خاضعة لمجلس السوفيت الاعلى ، وهو اعلى سلطة اتحادية وفيه تتمثل المبادىء الشيوعية المعروفة والجمهوريات جميعا ملتزمة بها .

ويبين الجدول الاتي اسماء جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمس عشرة وتعداد سكانها ومساحتها واسم عاصمتها :

الجمهورية	العاصمة	تعداد السكان	المساحة بالكيلومتر المربع
روسيا	موسكو	١٣٠ ٠٧٩ ٠٠٠	١٧ ٠٧٥ ٠٠٠
اوكرانيا	كييف	٤٧ ١٢٧ ٠٠٠	٦٠١ ٠٠٠
كازاخستان	الما آتا	١٢ ٤٨٩ ٠٠٠	٢ ٧١٥ ١٠٠
روسيا البيضاء	منسك	٩ ٠٠٢ ٠٠٠	٢٠٧ ٦٠٠
اوزبكستان	طشقند	١١ ٩٦٠ ٠٠٠	٤٤٩ ٦٠٠
جورجيا	تبليس	٤ ٦٨٦ ٠٠٠	٩٦ ٧٠٠
اذربيجان	باكو	٥ ١١٧ ٠٠٠	٨٦ ٦٠٠
لتوانيا	فلينيوس	٣ ١٢٩ ٠٠٠	٦٥ ٢٠٠
لاتفيا	ريجا	٢ ٣٦٤ ٠٠٠	٦٣ ٧٠٠
مولدافيا	كيشنيف	٣ ٥٦٩ ٠٠٠	٣٣ ٧٠٠
قرغيزيا	فروتز	٢ ٩٣٣ ٠٠٠	١٩٨٥٠٠
تادجيكستان	دوشانب	٢ ٩٠٠ ٠٠٠	١٤٣ ١٠٠
ارمنيا	بريفيان	٢ ٤٩٢ ٠٠٠	٢٩ ٨٠٠
تركمنستان	اشكاباد	٢ ١٥٩ ٠٠٠	٤٨٨ ١٠٠
استونيا	تاللين	١ ٣٥٦ ٠٠٠	٤٥ ١٠٠

(م . ط)

سدود تحمي أمة من الغرق

● كثيرا ما نسمع عن صراع الهولنديين القديم مع البحر ، ومن السدود الهائلة التي اقاموها على الشواطىء ، وحموا بها اراضيهم المنخفضة من الغرق . ولكننا لانعرف اية تفاصيل تذكر عن هذه السدود ولا عن ذلك الصراع ونرجو لو امكن ان تحدثونا منهما في باب انت تسأل ونحن نجيب .

الرائد عبد الباقي علي شعراوي ـ اسوان

ـ تقع هولنده ، كما هو معروف ، في شمال غرب اوربا ، على بحر الشمال الشهير بصخبه وطغيان امواجه . واسم الدولة الرسمي هو البلاد الواطئة Netherlands ، لا هولنده . فهذا الاسم الاخير انما هو اسم مقاطعة صغيرة من المقاطعات الاحدى عشرة التي تتكون منها الدولة . ولكنه شاع منذ القدم وطغى على الاسم الرسمي ، والملائم او المطابق لواقع البلاد . ذلك ان جزءا لا يستهان به من الاراضي الهولندية منخفض بالنسبة الى سطح البحر . وتقدر مساحة هذا الجزء بربع مساحة هولنده (وتبلغ مساحتها نحو ١٤٠٠٠ ميل مربع) . اما انخفاضه تحت سطح البحر فيتراوح بين ٣ ـ ٥ امتار . والاخطر من ذلك هو ان عدد سكان هذه الاجزاء المنخفضة يبلغ اكثر من نصف عدد سكان البلاد (وهو يبلغ اجمالا نحو ١٣ مليون نسمة) .

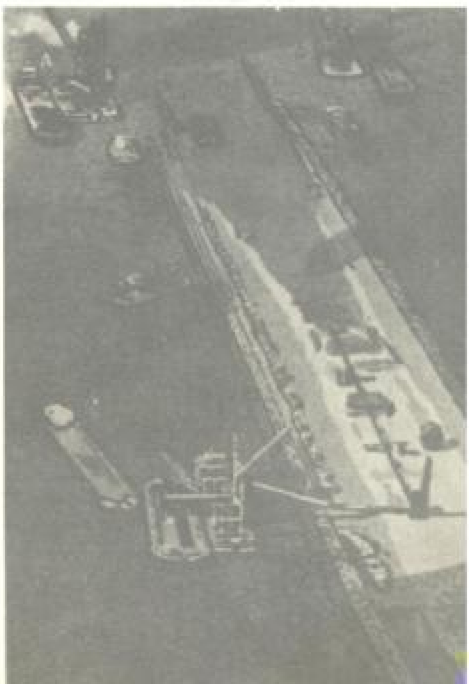
ولو فكر المرء بهذا الانخفاض لاستغرب بقاء هولنده على وجه البسيطة حتى الان ، وعجب لعدم فيضان البحر عليها وغرقها منذ زمن بعيد . فذلك هو المصير المحتوم لبلاد واطئة كهولنده . الا ان الهولنديين ابوا ذلك المصير ، ورفضوا الاستسلام لمياه البحر ، بل دخلوا في صراع مرير طويل معه ، وراحوا يقاومون مده وجزره ، ويصدون امواجه منذ ايام الرومان .

والظاهر ان الرومان، وهم الذين احتلوا هولنده سنة ٥٧ ق م ، هم الذين علموا الهولنديين فن بناء السدود . وقد وجد اهل البلاد المنخفضة في هذه السدود ضالتهم المنشودة فراحوا يقيمونها على الشواطىء وحيثما اوجسوا خيفة من مخاطر البحر . الا ان تلك السدود القديمة لم تبلغ من المتانة والارتفاع ما ضمن للهولنديين كبح جماح البحر .. فكثيرا ما دمرتها الامواج او طغت عليها فاغرقت الاراضي الواطئة التي بنيت تلك السدود لحمايتها .

وهكذا عمد الهولنديون الى اقامة المراوح الهوائية لتحريك المضخات وامتصاص مياه البحر التي تكون قد تسربت وذلك بقصد طردها وانقاذ اراضيهم من شرها . وقد انتشرت تلك المراوح الهوائية في هولنده حتى اصبحت رمزا من الرموز التي تعرف بها تلك البلاد .

الا ان تلك السدود الاولى لم تعد ترضي

السد الكبير والاعمال الانشائية الواسعة قائمة على قدم وساق فيه . ولعل في هذه الصورة دليلا على المصاعب الكبيرة التي تغلب عليها الهولنديون قبل أن يستكملوا انشاء هذا السد.





خريطة تبين السد الرئيسي الكبير الذى اقامه الهولنديون في عرض البحر ، كما تبين سائر السدود والمساحات المنتزعة من البحر . ويذكر ان الناموس ظهر بكميات هائلة في منطقة السد لدى اكتمال العمل فيه وتسبب انتشاره بمشاكل ومضايقات كثيرة . وتبين للجنة العلماء التي كلفت بدراسة الامر أن بوابات السد الكبيرة التي تفتح لدخول السفن لم تكن تفتح اثناء الليل . ففتحوها وسمحوا بذلك بدخول ثعابين البحر ، عبر السد بكميات كبيرة . ولم تلبث هذه الثعابين التى تنام اثناء النهار ان اقبلت على أكل بيض الناموس ، فاختفى هذا اختفاء تاما .

الهولنديين في القرن العشرين . فقد احرزوا من التقدم ، واصابوا من الغنى ، وبلغوا من الطموح ، ما جعلهم يتطلعون الى قهر البحر والانتصار عليه وعدم الاكتفاء بمجرد الصمود في وجهه . وهكذا انصرف الهولنديون ، بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ، الى تنفيذ مشروع لهم ضخم خطير ، رائده تغيير طبيعة البلاد نفسها ، واعادة تكوينها بما يتفق ومصالح اهلها . وظفر هذا المشروع الذى تم تنفيذه او كاد ، باعجاب الجميع . ولاغرابة في ذلك وقد اعتبره الكثيرون بحق المشروع الاول من نوعه في التاريخ .

ومشروع هولنده الكبير ذو شقين ، استهدف في اولهما انشاء سدٍّ هائل ، لا على الشواطىء ، وانما في عرض البحر ، حيث الامواج والتيارات وحيث المد والجزر والمياه العميقة .

اما القصد من بناء هذا السدِّ الكبير ، المجهز ببوابات ضخمة ، تفتح وتغلق حسب الحاجة ، فهو الفصل بين بحر الشمال وخليجه الجنوبي الضخم الذى يسميه الهولنديون بحر الجنوب Zuider Zee . وقد اكتمل بناء هذا السد ، وطوله ١٨ ١/٢ ميل سنة ١٩٣٢ . وباكتمال العمل فيه ، ويسميه الهولنديون Afsluitdijk ، اصبح بحر الجنوب الذى ذكرنا بحيرة داخلية تعرف باسم : بحيرة ايسل Ijssel Meer ..

اما الشق الثاني من مشروع هولنده الخطر فقد استهدف تحويل البحيرة التي ذكرنا الى ارض يابسة ، بل الى مزارع وحدائق . وستبلغ مساحة هذه الاراضي نحو ٢ر٥ مليون دونم (الدونم = ١٠٠٠ متر مربع) . وقد تم العمل في ثلاثة منها ، ولعلها هي مصدر الكثير من الورود وزهور القرنفل وغيرها مما تصدر هولنده الى شتى انحاء العالم ..

والعمل يجرى على قدم وساق في المساحة الرابعة التي سيتم انشاؤها قبل سنة ١٩٨٠ .

ولعل الطف ما نختم به هذه الكلمة الحكمة التي نقشها الهولنديون على سدِّهم الكبير ، والتي تفسر لنا كيف تمكنوا من السيطرة على بحر الشمال . تلك الحكمة هي :

« الامة الحية انما هي الامة التي تعمل وتبني لمستقبلها » .

(ى . ز)

البحث عن دلالة.. الكلمات بين المعاجم والموسوعات

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ اذا ما اردت ان تستخرج لفظة « منطق » من احد المعاجم فانك تبحث عنها في باب النون ، اذا كان المعجم الذى بين يديك ينهج اسلوب «اساس البلاغة» تأليف محمود بن عمر الزمخشري (المولود سنة ٤٦٧ هـ والمتوفي سنة ٥٣٨ هـ) من حيث مراعاة اول الكلمة الاصلية ، ولفظة « بلاغة » تطلب في باب الباء ، و « عبد » تطلب في باب العين ، و « موقف » تطلب في باب الواو ، وقد جرى على هذا النسق كل المعاجم في الازمنة المتأخرة .

اما اذا كان المعجم الذى بين يديك يجرى على طريقة لسان العرب تأليف محمد بن مكرم بن علي ابن احمد الانصارى المعروف بابن منظور (المولود سنة ٦٣٠ هـ والمتوفى سنة ٧١١ هـ) فطريقته مراعاة آخر الكلمة ، فاذا اردت ان تبحث عن كلمة « نبغ » فانك تجدها في باب الغين ، و «عبد» تجدها في باب الدال ، و « علم » في باب « الميم » و « عمل » في باب اللام .

واذا سألت عن اى الطريقتين افضل فذلك امر لا أستطيع ان اعطى فيه حكما ، بالرغم من ان مؤلفي المعاجم في العصور الحديثة قد اتبعوا طريقة الزمخشرى كما ذكرت ، فلكل من الاسلوبين حسناته ، وقد بحث بعض علماء اللغة ومؤرخوها في مخترعي الطريقتين ، واتفقوا جميعا على ان كل منهما قديم ، يمتد عمره الى عدة قرون .

والطريقتان في البحث عن مفردات اللغة تدرّسان في اول مراحل الثانوية ، كي يستطيع الطالب ان يعرف كيف يهتدي الى البحث عن اى لفظة يود معرفة معانيها في كل من الطريقتين المذكورتين ، والمراد من شرح هاتين الطريقتين ان يتعلم الطالب كيفية تصريف الكلمات .

وهناك طريقة ثالثة سلكها بعض مؤلفي المعاجم في هذه الآونة الاخيرة ، وهي اتباع اول الكلمة ، بغض النظر عن مراعاة حروفها الاصلية ، فلفظة مفتاح ومنطق ومعرفة ومنبر تبحث في حرف الميم، ولفظة استلحاق واستخراج واستفتاح تبحث في حرف الألف ، وهذه طريقة خاطئة فيما اعتقد ، لانها تضعف معرفة الناشئة بكيفية تصريف الكلمات ، فاننا نعرف جميعا ان الالف والسين والتاء زائدة في لفظة « استحسان » ، وكذلك

الحال في « استخراج » و « استلحاق » ، والطريقة الصحيحة ان نجعل لفظة « استخراج » في باب « الخاء » فهي متصرفة من « خرج » ، « واستلحاق » في « باب اللام » لانها متصرفة من « لحق » ، اما لفظتا « المنطق » « والمعرفة » فانهما مصدران ميميان اصل الاولى « نطق » ، والثانية « عرف » ، وهذه امور يعرفها المبتدئون في قواعد التصريف .

ومن عجب ان المشرفين على الموسوعة الفقهية المعروفة بـ « موسوعة جمال عبد الناصر » ، اتبعوا الطريقة الخاطئة ، ونعنى بها جعل الحروف الزائدة بمثابة حروف اصلية للكلمة ، علما بان المشرفين على هذه الموسوعة من فحول الفقهاء الذين لا يفوتهم - بطبيعة الحال - ادراك ضرر هذه الطريقة على ناشئتنا ، من حيث اضعافها لمعرفة تصريف الافعال ، حتى اني اكاد اعتقد ان جيلَ المستقبل سيصعب عليه البحث عن مفردات اللغة العربية في المعاجم التي قد راعت الترتيب الصحيح للمفردات ، اذا شاعت هذه الطريقة الخاطئة .

فنحن نعلم ان علم « التصريف » يعني التغيير الذى يتناول صيغة الكلمة وبنيتها لاظهار مافي حروفها من اصالة ، او زيادة ، أو حذف ، او صحة ، او اعلال او ابدال بالوجوه المتنوعة ، او غير ذلك من التغيير الذى لا يتصل باختلاف المعاني ، وهذه الطريقة الخاطئة التي تجعل الحروف الزائدة كالحروف الاصلية لاتراعى عناصر هذا التصريف الذى اصطلح عليه جمهرة علماء العربية .

ولست اشك مطلقا ان تعليم استخراج الالفاظ من المعاجم درس يلقى على التلاميذ في كل مدارس وطننا العربي ، اذ انهم - بدون معرفة هذه الطريقة - لا يمكن ان يعرفوا ما تعنيه لفظة التصريف ، بل لايعرفون كيفية الاشتقاق ، ولم اعجبْ من اتباع بعض مؤلفي المعاجم الحديثة للطريقة الخاطئة ، لان اهتمامهم بالمحافظة على قواعد اللغة ، وغرسها في النفوس - ليس كما ينبغي ، وانما عجبت اشد العجب ، بل تألمت اشد الالم من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية لانه اتبع هذه الطريقة الضارة الخاطئة ، فالمعروف ان الفقهاء يدرسون اللغة العربية دراسة دقيقة عميقة ، تجعلهم يحافظون على قواعد اللغة العربية كاشد ما تكون المحافظة ، حتى انهم ليسخطون اشد السخط على اى فرد يخالف قواعد اللغة ، سواء كانت هذه المخالفة في شعر او في نثر . وقد تصورت انهم سيوضحون اسباب اختيارهم لتلك البدعة التي تسمى طريقة مستحدثة ، في المقدمة التي وضعوها للموسوعة ، ولكنني لم اجد شيئا من ذلك ، وانا آمل صادقا ان يعود المشرفون على هذه الموسوعة الى الطريقة الصحيحة فيما يصدرون من اجزاء لهذه الموسوعة القيمة ، لتكون نافعة من جميع الوجوه ، بل آن يعيدوا النظر في المفردات التي اتبعوا فيها الحروف الزائدة حتى لكانها حروف اصلية ، ولو ادى ذلك الى الغاء بعض الأجزاء ، واعادة طبعها من جديد ، لان الحفاظ على قواعد اللغة من الامور الهامة ، وهو امر لايخفى على مثل اولئك الاعلام . ■■

عبد الرزاق البصير

العربي :

هذا رأى سابق قديم ، الخطأ فيه - كما نراه نحن - هو الخلط بين وظيفة المعاجم اللغوية ووظيفة الموسوعات العلمية ، فالاولى تربط بين المشتقات من الفعل الثلاثي العربي في ايجاز ، واما الثانية فكلمات هي اصطلاحات لمعان كثيرة ، يصلح كل منها - في الموسوعات - عنوان موضوعات في العلم والمعرفة ، وهي تترك الصلات اللغوية للمعاجم .

وفي الموسوعات اسماء ، فاذا طبقنا عليها الاقتراح المذكور كنا كمن يقترح ، لدفتر التلفون ، أن يوضع سعد ، ومسعود ، وسعاد ، ومسعد ، ومساعيد ، واسعد ، وسعدية .. الخ تحت لفظ (س ع د) ، وهذا تشار ظاهر .

ابن العوّام

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ هو أبو بكر بن محمد بن العوام الاشبيلي اشتهر بكتاب كبير فى الفلاحة عنوانه « كتاب الفلاحة » لا نكاد نعرف شيئا عن حياته ، الا أنه كان يعيش حوالى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى ، وأن اصله من اشبيلية ، وقد ذكره ابن خلدون ، دون أن يعرف له هذا المصنف ، الذى كان يعتبره موجزا لكتاب « الفلاحة النبطية » لابن وحشية ، ولم يذكره « حاجي خليفة » . ولا ابن خلكان .

وكان « كازيرى » في فهرسه ، أول من نبه الاذهان الى المخطوط الكامل لهذا الكتاب المحفوظ بمكتبة الاسكوريال . وقد نشر بانكويرى هذا الكتاب مع ترجمة اسبانية سنة ١٨٠٣ . وينقسم الكتاب الى أربعة وثلاثين فصلا ، تبحث الفصول الثلاثون الاولى في الفلاحة ، بينما تبحث الاربعة الأخيرة في تربية الماشية . وقد أعطى « ماير » خلاصة لهذا الكتاب . Geschichte der Botanik ونشر كليمان ميوليه ترجمة فرنسية لهذا الكتاب ١٨٦٤ ونقد «دوزى» ثم « هنكاده » كلا من المترجم والناشر .

وقد قدم ابن العوام لكتابه بمقدمة طويلة رائعة ضمنها بعض الأحاديث الشريفة مثل « اطلبوا الرزق في خبايا الارض » وقوله « من غرس غرسا أو زرع زرعا . فأكل منه انسان أو طائر أو سبع كان له صدقة » وقوله « من غرس غرسا فأثمر ، اعطاه الله من الاجر بقدر ما يخرج من الثمر » كما أورد بعض الأقوال المأثورة مثل قول قيس بن عاصم لبنيه « عليكم باصلاح المال ، فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم » ومن ذلك أن يتفقد صاحب الضيعة ضيعته بنفسه ، ولا يغيب عنها ، ولا سيما في وقت عملها وفلاحتها . ومن الأمثال في هذا تقول الضيعة لصاحبها « ارنى ظلك أعمر » .

وقد سمى ابن العوام المراجع والمصادر التى استقى منها ، ورمز لمؤلفيها بحروف ، لا يفتأ يذكرها ، كلما اراد ، فهذا القرناطي (غ) ، وجالينوس (جـ) وقسطوس (ق) ، وارسطو (طط) ، وطامترى (ط) وهكذا يقول انه لم يثبت الا ما جربه مرارا فصح ، ويقول أحيانا انه لم يقطع بأن هذا يصح في بلادنا ، لبعد بلادهم عنا ، كما أنه حدد المقاييس وعرف المصطلحات كالطمر ، والكمع ، والنبش .

وقسم الكتاب الى جزأين ، يقع الأول في ستة عشر بابا ، كما يقع الثانى في ثمانية عشر بابا . وخص الجزء الأول في معرفة نوع الاراضي ، وأنواع

في كتابه «الفلاحة»

الأسمدة ، وانواع المياه ، والبساتين ، واتخاذ الاشجار والثمار ، ثم في تطعيم الاشجار ، وتسمية الأشجار المعتاد زراعتها ، ويقول في اغلب بلاد الاندلس، الجبلي والريفي والسهلي ، نحو خمسين نوعا . ويتكلم في الباب الثامن عن تركيب الاشجار بعضها في بعض اوقاته وكيفية اختيار الاقلام ثم تقليم الاشجار التي توافقها . ثم يذكر تزبيل الارض والاشجار المغروسة وغير المغروسة وما يوافق كل نوع من الزبول ، وعلاج الارض المالحة ، وكيفية التسميد ، ثم صفة العمل في سقي الاشجار والخضر بالمياه ، وما يحتمل السقي الكثير ، ويصف عملية تذكير الاشجار ، ويتحدث عن الاشجار المتحابة والمتنافرة ، ويفرد بابا خاصا لعلاج الاشجار من الداء والامراض ، وكذا علاج البقول والخضر . ويتحدث في باب آخر ، عما سماه مُلَحا مستطرفة تعمل في بعض الاشجار والخضر ، وتغيير لون الورد ، وتدبير في الورد حتى يورد والتفاح حتى يثمر في غير ايامه . ويشرح كيفية العمل في اختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة والتخليل وغيره مما يمكن ان يسمى الصناعات الزراعية .

ويتحدث في الباب السابع عشر عن كيفية عمل القليب ووقته ومنفعته واصلاح الارض بعد كلالها وما يريح الارض ويصلحها من الحبوب والقطاني واختيار البذور ، واختيار ما يصلح لكل نوع من الحبوب من انواع الارض، ومعرفة اوقات الزراعة، وصفة العمل في زراعة الرز والذرة والدخن ، والجلبان ، واللوبيا سقيا وبعلا ، ثم زراعة القطاني سقيا وبعلا ، وكذا الكتان والعنب والقطن وبصل الزعفران والفوة ثم اتخاذ المباقل واختيار ارضها ، وذكر ما يصلح ان ينقل ، ويخصص ابوابا متتابعة لزراعة البقول ذوات الاصول مثل السلجم والجزر والفجل ثم القثاء والبطيخ والدلاع والباذنجان والحنظل ثم البذور المستعملة في الادوية كالكمون والكزبرة والكراوية .. مما يمكن أن نسميها النباتات الطبية. ويخصص فصلا للرياحين وثانيا لانواع النبات التي تتخذ منه الجنان وثالثا لاختيار البيادر والمدارس حيث تجمع المحاصيل وتدرس. وخص الباب الثلاثين لاختيار مواضع البنيان ووقت قطع الخشب ومعاصر الزيت .

اما الابواب الباقية من الكتاب فقد خصصها ابن العوام لما نسميه تغذية وتربية الحيوان وكذا امراض الحيوان ، فتحدث عن كيفية اختيار الجيد ، ومدة الحمل ، وما يصلح من العلف . وعلاج بعض ادوائها ثم التسمين والعلف ، ورياضة الامهار ثم علاج بعض علل الدواب ، مما يمكن ان يسمى بيطرة . وتحدث في فصل خاص عن اقتناء الحيوان الطائر في البيوت مثل الحمام والاوز والدجاج ونحل العسل ، ثم اقتناء الكلاب للصيد والزرع .

وكذلك نرى ان الكتاب على بعد عهده يعالج كل العلوم الزراعية تقريبا في اسلوب سهل جذاب ، لا تمل قراءته اذ اتسم بالامانة في العرض والاستشهاد ثم يتبع ذلك بقوله : لي : وذلك حين يعرض رأيه هو . وفيما عدا ذلك فانه ينسب الاقوال الى قائليها من ابن حجاج الى يونيوس او قسطوس ... الخ .

يقول ابن العوام اول مراتب علم الفلاحة ، معرفة الارض ، والسواد دليل الحرارة كذلك الحمرة ، الا أن حرّ الحمرة اقل من السودة ، ثم يتلوه الصفرة ، ان انت مارست الطين بيديك فاصبته شبيها بالشمع يلصق شديدا فاعلم انها ارض غير موافقة للبقول ولعله يقصد الارض

الطينية الناعمة ، ويقول هذا قول يونيوس ويقول ان بعضهم يستدل على طيب الارض ودناءتها باعشاب نبتها ، لا تكاد تخطىء الاستدلال بها ويمثل بنباتات لا تنبت الا في الارض الجيدة ، واخرى تنبت في الارض الدنيئة ، والبعض ينبت في كليهما. وهذا ما يسمى في العلم الحديث ان النباتات كواشف للبيئة ، وهي كما يقول ابن العوام لا تخطىء ابدا .

يقول : واجود الارض البنفسجية ثم شديدة الغبرة ، فيها تخلخل وطعم ترابها عذب ، لعله يريد ان يقول انها مسامية خالية من الاملاح . وانه ليجرى التجارب ، وان كانت بدائية الا انها تدل على اعتماده على المنهج التجريبي . فهو يطلب اليك ان تاخذ قدرا معينا من التربة ، وترجه بالماء الحار ، وتتذوق الماء وتتبين رائحته ويطلب ان تلاحظ ما ينبت بها من نبات برى ، ان كان قميئا او قويا . ويقول ان البعض يكتفون في امتحان الارض بالنظر الى ما ينبت فيها ولو بحشيشة واحدة مثل السوس والعوسج والشوك والعليق فياخذون من اغصانها واوراقها المتوسطة، فيدقونه ويقيسون طعمه الى طعم مثله مما ينبت في ارض سليمة من الآفات . فيستدلون بالخلاف والوفاق. وهذه دراسة مقارنة لها قيمتها العلمية.
وعلى اسس علمية يقول ابن العوام : وهناك الارض المالحة ،والنزه ، والندقة ، والرخوة ، والدسمة المفرطة في ذلك والقابضة والحامضة الحارة . والمفرطة التخلخل ، ، والمفرطة الاستحصاف والمفرطة التكرز ، وما اظن علم الاراضي الحديث يزيد على هذه الانواع ، وانما ابتكر المقاييس والتعاريف المختلفة . ثم يذكر ما يصلح لكل منها من نبات . وكيفية معالجة كل نوع من هذه الاراضي . ويقول الارض المالحة ، وهي انواع منها ما يشوب طعمها مع الملوحة حموضة ومنها ما يشوبه معها مرارة ، ومنها ما يشوبه معها قبض ، ويضيف وللملوحة علاج عام وعلاج خاص وان تزرع في هذه الارض حب الازادرخت واللوز المر والآس وشجر الغار ، لقطت هذه الاشياء المرارة كلها حتى تصلح صلاحا تاما ، ويتم صلاحها بتكرير التزبيل الحصوف المرافق . ويقول اهرب كل الهرب من الارض المالحة والرمل المالح ، يقول من صفات الارض التخلخل والرخاوة والتلزز والتكثير . ويذكر تجربة لمعرفة نوع الارض ويقول يحفر ثلاث حفر عمق نصف ذراع ويجمع التراب في آنية من الخزف بعناية شديدة ثم ياخذ من ارض متخلخلة غير مكتزة ويوضع في الحفاير فان بقى شيء كانت مكتزة ، يقول والارض المتخلخلة تصلح للغرس . والصلبة المكتزة لا تصلح ، وشديدة التلزز من طبعها تحبس الماء فلا تمص كثيرا ، ولا تجذبه الى باطنها ويقول ويصلح في الجبلية منها على حال مع كثرة العمارة ، شجر الزيتون والخروب والبلوط والشاه بلوط والقيراه والكمثرى والاجاص والقراصيا ثم يقارن بين انواع الاسمدة البلدية ويقول هذا راى يونيوس اما قسطوس فرتبها الازبال والاتبان والارمدة ، اما مفردة او مركبة ويخصص فصلا لكيفية استعمال الازبال في الشجر والخضر ويقول وهذه مع منفعتها للنبات فانها تنفع الارضين التى فيها النبات والتى لانبات فيها ولا شجر وذلك انه ان طرحت في ارض رديئة اصلحتها ، وان كانت الارض صالحة زادتها صلاحا في طيبها وقوتها ، وكذلك هو فعلها في النبات والشجر . التقوية والصلاح ودفع العوارض الردية عنها .

ويتحدث عن انواع المياه المستعملة في سقى الاشجار والخضر ، فيقول هناك الماء الصلب ، والماء المر والماء المالح الزعاق . والماء القابض العفن، والماء الذى غلب عليه طعم بعض المعادن .

يقول ويستدل على قرب الماء بانواع النبات وبلون وجه ارض وطعمه وريحه . وانه ليوصي بتجربة الشمعة لمعرفة ما اذا كان في البئر بخار مؤذ ، وطريقة اخراج هذا البخار ، وهى طريقة مؤكدة صحيحة وانه ليوصي في غرس البساتين ، بالا يكون غرس الاشجار غرسا مختلطا ، لكن يغرس كل واحد منها قريبا من جنسه ، لئلا يغلب القوى منها الضعيف ، فيعدم ذلك الضعيف منها وينبغي ان تكون الفرَج التى بين الغروس على قدر طبع الارض وقوتها ، ويضيف واجود جميع الغروس التى تحوّل وخير غرس الشجر ،ما يكون من غصون وان الغروس التى من البذور في الجملة اضعف من جميع الغروس ولا تغرس الاشجار التى تعظم مع الاشجار التى لا تعظم ، ولا التى تتعرى من

اوراقها مع التى لا تتعرى منها وكذلك ما يأتى منها فائدة في وقت واحد ، يغرس معا في جهة واحدة ، مثل التفاح والاجاص والكمثرى والشمش لتخف المؤونة في حرازتها . وبعد ان يذكر ما يصلح غرس من نوى أو بذر يذكر اجماع حذاق الفلاحين على الا تقر هذه الاشياء في مواضعها ، بل تنقل ، وذلك مثل الجوز واللوز وشاه بلوط والخوخ والاجاص والنخل والصنوبر والسرو والقيراء والقار والصنوبر والمشمش والفستق ، فاذا حال عليها الحولان ، حولت كلها الى مكان اخر .

يقول : وما ينبغى ان يغرس من فروع ، تنتزع من الشجر ، التفاح ، والقراصيا ، والآس ، والزعرور ثم يضيف ومن الناس من يعمد الى زرع هذه الاشجار فيميلها ويطمرها في التراب ، حتى يصير لها أصول ثم ينقلها ، وهو بذلك يصف من تسميه « الترقيد » . يقول والاشياء التى تغرس في أوتاد : التوت ، والاترج ، والسفرجل ، والزيتون ، والطرفا ، والجور ، وهذه هي ايضا ان نقلت فغرست تكون أجود . وأما شجرة التين وان كانت من الاشجار اللاثبة (المعمرة) فلتحريف عودها وخوره ، رأوا غرسه من القضبان الرقاق . ويتابع وصفه لطرائق التكاثر الخضرى في الاشجار المختلفة ، فيقول تقلع القضبان من الترميدانات (المشاتل) بطينها ، وتطمر ثلاثة ارباعها ، ويبقى الربع بارزا ، وينبغى ان تكون الترميدانات في ارض لم تفلح ، جافة وان تكون الشمس مشرقة عليها ، وتصل اليها الرياح الجارية ، وينبغى ان تقلب هذه الارض قلبا مستقصى لتزع اصول الحشائش ، ويحفر حول الفروس مرة كل شهر ، وان تكون الآلات صغارا جدا ، لئلا يضر ذلك الحفر بالفرس ، وتلقط الفروع التى تنبت في الفروس ، وهى غضة قبل ان تخشن وينبغى ان تكون الارض التى تحول اليها الفروس من موضع تربتها مقارنة في الصفة للارضين التى ابتدىء زراعتها فيها ، ولا تحول من ارض جيدة الى ارض رديئة .

ويقول في اوقات الغرس ، انها تختلف على قدر اختلاف البلدان والامم ، أو الربيع والخريف ويضيف واذا أردت أن تأخذ الغرس من اى نوع شئت كان ، قطعا ، أو خلعا ، أو ملخا ، أو وتدا ، او غرسا باصله ، فلا تأخذ الا ما يلى الشمس ، فهى تحرّه وتدبغه ، وكلما احرّتْه الشمس فهو اجود ولا تأخذ غرسا ابدا من ناحية الشمال ، وما جاوز الشمال فانه قليل قليل الحمل ، قليل التعلق وينبغى ان تأخذ الاغصان من أعلى الشجرة . ويضيف قول سيداغوس « ينبغى الا تنقل ما كان من الملاخ والقضبان والنوى والاوتاد منشؤه على السقى والرطوبة الدائمة الا الى مثل ما كان عليه ، فينبغى ان ينقل السقى الى السقى ، والبعل الى البعل . وانه ليقارن بين أقوال يونيوس وديمقراطيس ، وينهاريس وقسطوس ، وابن حجاج والحاج الغرناطى وغيرهم ، ثم يقول وتختار للغراسة من الاشجار آثرها حملا واطيبها طعما ، فان المؤونة والنفقة في غراسة الجيد اولى وانه ليذكر ما اثر في ذلك فيضيف : قالوا تغرس الاشجار في زيادة القمر ، فانها تطول وتغلظ وتفرط في ذلك ويكثر حملها اذا غرست في ذلك الوقت . وبالضد من ذلك فيما يغرس او يزرع في نقصانه وانه ليؤيد آراءه احيانا بقوله « قال ابن حجاج رحمه الله هذا اجماع من حذاق اصحاب الفلاحة على كراهة غدران الناس وكراهة الافراط في الزبل لشجر الزيتون ، فبعد ان يذكر آراء سلفه يقول : لى : جرّبت ذلك فصح . كما يورد بعض الاحاديث النبوية او بعض الوصفات البلدية ، أو الملح الطريفة ، ويقول لم اذهب الا الى التأنيس للقارىء باتفاق المتقدمين على الاشياء التى قصصتها ، وليعلم ان هذا اجماع من حذاقهم ليعمل به ويعقد عليه . ولو انى اوردت قول احدهم دون اصحابه لم آمن ان يظن انه قد شذ عن نظرائه ، فاوردت اقوالهم بحسب ما لقيتها ليكون الأمر أوكد عنده والزم له . وفضلا عن ذلك فانه حين يتحدث مثلا عن غراسة الخوخ والمشمش والنارنج والجوز والدردار وقصب السكر الخ يلزم في كل حالة باختيار الارض ، وطريقة الغرس ، وموعده ، وطريقة السقى والتعهد ، مما لا يبقى معه زيادة لمستزيد :

وعلى هذا النحو يمضى ابن العوام في عرض كتابه الرائع « الفلاحة » . ■■

عبد الحليم منتصر

قصة حياة قرية في غانا

« أنا والإلهة السمكة »

تاليف : آتوميد بوي
ترجمة : سليم الاسيوطي

■ قبضت على لوحى الاردوازى ، وهرولت مسرعا في انفعال ميمما شطر المنزل . كان لدىّ الكثير الذى يمكن أن اقصه على امى عن احداث يومى الاول في المدرسة . واذ كنت اتجه في آخر منعطف ، وانا اقترب من كوخنا ، عثرت بجماعة من الناس في حلقة ، وقد شاع بينهم كثير من الاضطراب . وتملكتنى حب الاستطلاع ، فشققت لى طريقا بينهم حتى ارى ما كان يجرى هناك . كان اول ما رايت من خلال تلك الثغرة سمكة كبيرة جدا : ومن الحق انها كانت اكبر سمكة رايتها في حياتى . وبعد ان اشبعت فضولى ، نظرت الى الصبى المحظوظ الذى اصطادها . كانت تشيع على وجهه ابتسامة عريضة لا تفارقه ، والجميع من حوله يصافحونه . نظرت اليه نظرة حسد وغيرة . وعقدت العزم على ان اصيد سمكة ــ اذا ما أتيحت لى فرصة الحصول على قصبة صيد ــ تجعل من سمكته قزما بجانبها .

ولقد واتتنى هذه الفرصة بعد عامين ، حينما بلغت الثامنة من عمرى ، ولكنى اسفت حينئذ لأن الفرصة واتتنى . حدث ذلك في يوم خميس من شهر نوفمبر ، حين بلغ حصاد جوز الهند ذروته . كان ابى في أوج سعادته ، واخبر امى انه مبذر مسرف، فاغتنمت" الفرصة وطلبت منه وضع حوض جديد للاستحمام في كوخنا ، لانها كانت ترى ان من العار على رجل مهذب ان يتردد مع اسرته على حمام عام . فنهرها ابى بسبب اقتراحها هــذا السخيف ، واوضح لها انه في حاجة الى شيء آخر ، الى ما يزيل عنه اكدار العام كله ومتاعبه .

كان من يسمع أبى يتحدث يظن انه عنى بحديثه اننا سنذهب معه في اجازة . ولكن عبارة « الذهاب في اجازة » غريبة ، ان لم تكن زائدة في لغتنا لما ننعم به من اشعة الشمس الوافرة في ذلك الجانب الغربى في افريقية . وعلى الرغم من ذلك فان ابى اوضح فكرته : لقد اراد اقامة حفل يزيل عنه اكدار العام كله ومتاعبه .

بدت هذه الفكرة موضع شك باديء ذى بدء ، اذ كان من غير المعقول ابدا اقامة حفل دون سبب مقبول في قرية « ناكوانتا » ، فصار لزاما عليه



اذن أن يختلق مناسبة تبرر مثل هذا الحفـل . ولحسن الحظ ـ او لسوئه ـ وقع الاختيار عليّ لاكون كبش الفداء. اوفد ابي ابن اخيه« كريميث» ـ وهو وارثه الشرعي (طبقا للتقاليد) ـ الى جميع اصدقائه واقربائه يدعوهم الى حفل عيد ميلاد ابنه الوحيد ، الذي بلغ الثامنة من عمره . لم يترك احدا الا دعاه ، حتى عمي الثائر «كويكو» الذي يقيم في المدينة تلقى الدعوة ايضا الى هذا الحفل ، وكان من المقرر ان يقام في يوم السبت التالي . واني لفخور ، على كل حال ، بأن اقول ان حفل عيد ميلادي المزعوم كان الاول من نوعه انذاك في القرية ، على الرغم من اني ولدت في شهر اكتوبر ، لا شهر نوفمبر .

ولكي يضفي ابي على هذه المناسبة جوا طبيعيا بعيدا عن الافتعال والتصنع ، اشترى لي قميصا متقن الحياكة ، هدية عيد الميلاد . اما والدتي ، التي ظلت على الدوام تندب حظها لاني ولدت صبيا ولم اولد انثى ، فقد اظهرت عدم رضاها بوسيلة عملية جدا : اشترت لي دمية (عروسة) وفي يوم السبت الموعود ـ وكنت في الحجرة التي اتقاسمها مع ابن عمي ، « كريميث » ـ سمعت صوت سيارة عمي « كويكو » البالغة من العمر سبع سنوات ، وهي تقترب من بعيد . لقد كان باستطاعتي دائما ان اميز سيارته وهي على بعد ميل منا ، اذ كان ضجيجها يرتفع كلما اقتربت من المنزل . واخيرا وصلت السيارة ، وتوقفت امام كوخنا . وبصرت بابي قادما ليلقى الضيف ويرحب به . انسللت عائدا الى الداخل في هدوء لارتدي ثيابي كما قيل لي .

وسرعان ماتناهت الى سمعي ، من البهو الجلبة والضوضاء فعرفت ان وفود الاضياف قد جاءت تترى الى حفل عيد ميلادي .

كنت ، آنذاك ، ابدو في احسن بزة . فقد ارتديت قميصي المتقن الصنع .وكان هذا ما اكدته لي المرآة ، وهذا اضعف الايمان . وسرت ، في عظمة وجلال ، الى البهو الحاشد بالوافدين ، وانا آمل ـ في جراة وتهور ـ ان استرعي الابصار. ولكن احدا لم يشعر قط بوجودي . فقد شخصت الابصار كلها الى صفيحة واسعة قدرها اربعة جالونات ، ملئت بشراب (الجين) ، الشراب الكحولي المركز ، في المنزل ، ووضعت في وسط البهو . فلم يكن مني الا ان جلست القرفصاء في مكان بعيد عن الانظار .

سمعت عمي « كويكو » يصب قدرا من الشراب، تكريما للآلهة ، وداعيا اياها ان تجنبهم كل كارثة في بطن الغيب قد تحل بهم في اثناء حفل الشراب . ثم اطلق المدعوون لانفسهم العنان يجرعون كؤوسهم . وبعد انقضاء قرابة نصف الساعة وقع بصر العم « كويكو » عليّ وانا قابع بعيدا ، فلوّح لي بيده ، ثم بدأ يغني «عيد ميلاد سعيد» . بالانجليزية في فتور . ولم يكن احد من الحاضرين ، خلا ابي ، يعرف لسوء الحظ كلمة انجليزية واحدة . ولما كان واضحا ان ابي لم يكن معتدل المزاج في ذلك الوقت فقد اصبح عمي المغني الوحيد بين الجميع ، ثم لم يعد يحفل بالاستمرار في الغناء فتوقف عنه . وبعدئذ جذب ابي وانتحى به جانبا . ورايته يأتي بايماءات واشارات بيديه ، فعرفت ان حدثا ما سيقع حالا ، كالمعتاد. ارهفت سمعي حتى لاتفوتني كلمة واحدة مما سيقوله لابي . ردد عمي قوله : « ...... ياللك من عنيد ، « يابنسو » ! انك لم تخلق لتكون فلاحا ، وانت تعرف ذلك . ان لدى عملا ناجحا في المدينة ، ومن الطبيعي انه لايضايقني ، ان تشاركني فيه ، فمهما كانت الحال فالدم لايصير ماء كما تعلم » .

اجاب ابي ثائرا :« لقد ازعجتني طيلة السنوات الثلاث الماضية لكي اسهم في مؤسستك المزعومة . وكنت ابى دائما هذا العرض ، ومازلت عند رأيي من هذا الاباء » .

وفجر صوت ابي الحازم غضب عمي ، فقال : « انك فأر اجمة ، ناكر للجميل . لقد بعثت بك الى الكلية بعد موت ابينا . ثم زودتك بالمال لتبدأ مزرعتك العفنة » .

وفي تلك اللحظة جاءت امي ووفرت على ابي مزيدا من المذلة والمهانة . ولكن عمي « كويكو » لم



يتحول عن سلوكه ، وقال ساخرا عبر الحجرة وهو سادر في صياحه وصراخه : « فلاح عظيم » . وكانت هذه السورة من الغضب عادة مالوفة معروفة من عمي « كويكو » حينما يكون ثملا . وعلى هذه الوتيرة اخذ الحفل سيره لايعوقه عائق .

وبدات افكر في هدايا عيد ميلادي وتركت ابي لمصيره يلقاه . فهناك القميص الذى اهداه ابي الى ، وقد ارتديته لهذه المناسبة . والدمية (العروسة) التى قدمتها لى امي ، وكنت اعرف تماما ما يمكن ان اصنع بها : سوف احرقها وادفن رمادها . كنت اتوقع ان تشترى لى امى ..... شيئا مثيرا غير « العروسة » . جلست مكتئبا في ذلك الركن البعيد وانحيت في عزلتى على امي باللائمة . كنت اريد ان اهرب الى مكان ما ، ابكي فيه ما شاء لى البكاء ، لولا ان ابي اخبرني في حزم وعزم ، الا ابرح الحجرة حتى ينصرف جميع ضيوفي من آخرهم . ضيوفي ! وزادت سخرية القدر من نبضات قلبي : عبست حينما سمعت صوت العم « كويكو » وقد بلغ ذروته وطغى على ماعداه من الاصوات . وحينئذ تذكرت انى كنت قد رايته يحمل حزمة مربوطة في اناقة وعناية وهو يغادر سيارته .

فكرت قائلا : « اين ياترى يمكن ان تكون تلك الحزمة الآن ؟ اوه . انه لخير لى ان انساها او اتناساها ، فهو يفضل شراء (الجن) الذي يدمنه على ماعداه . طردت هذا الخاطر عن راسي ، وعكفت على احصاء عدد الحاضرين ، وما ان وصلت الى العدد « خمسة » حتى عاودتني فكرة محاولة معرفة ماحوته تلك الحزمة . توقفت عن العد ، ورحت ازحف في غير تطفل اوفضول تجاه الطرف الآخر من الحجرة ، وفجاة ، اصطدمت بخوان ابي المهجور ذى الارجل الثلاث وعليه الحزمة . وانتصبت مرتعشا لآخذها من فوقه ، ولكن بدلا من ان افعل هذا اصطدم راسي بجسم ما ، تبينت فيما بعد انه قارورة عمي « كويكو » لقد وقف شامخا امامي وقد اراق الخمر على صدر قميصه ، وراح يسب ويلعن وهو ممسك برقبة ثوبي .

قال مزمجرا : « لقد كان ذلك شرا مستطيرا منك ايها الولد ! ان ذلك ليذكرني ، فلدى هدية جميلة لك . ولكنك لن تنالها حتى تتذوق قليلا من خمر عمك الجيدة المعتقة » .

ملا عمي كاسهودفعها الى شفتي، فتلفت حوالى، اختلس النظرات ثم رشفت بعضها على عجل .

قال : « احسنت . والآن هيا بنا نفك رباط الحزمة » .

كانت حزمة غير مالوفة . فهي تميل الى الطول قليلا ، ولكن عرضها قليل ايضا . لقد منيت بخيبة الامل سلفا ولاريب . وفكرت في اشمئزاز : « اى نوع من الحزم يمكن ان تكون هذه الحزمة ؟ واخيرا فك عمي رباطها . ولدهشتي وفرحتي معا رايت بداخلها قصبة الصيد . فانتزعتها منه سريعا وانطلقت لفورى الى حجرة نومي ، وما ان احتوتني الحجرة حتى اوصدت بابها وتنفست الصعداء ، وشعرت بالارتياح وقلت : « واخيرا ، حصلت على ماظللت اتوق اليه واشتهيه عامين كاملين . وعاد بي الخيال الى ماقبل عامين . فرأيت السمكة واضحة امامي وصاحبها يبتسم ابتسامته العريضة التي تكشف عن اسنانه شاعرا انه بلغ ذروة الدنيا . وتصورت نفسي في مكانه .

هززت راسي بقوة لابعد عنى احلام يقظتي . ثم اخرجت القصبة من جعبتها وقلبتها بين يدى برهة ثم وضعتها بجانب فراشي الذى لذت به بعد قليل . فسوف اذهب الى الصيد في غد واني لعارف اية سمكة ساصيد . واعترتني هزة سرت في كل اوصالي حينما فكرت في السمكة . كانت تسمى « آوبوزوم » ، الالهة السمكة ، الساكنة في « اونكاسا » ، الجدول الصامت . وهي اضخم سمكة فيه .

وفي القرية يقوم دليل حى ـ في شخص « آجيا كواجو » ـ على سورة غضب الالهة اذا ما اثار احد غضبها . لقد تجرا آجيا وشرب من الجدول الصامت فلقي جزاء وفاقا لما اثم . اوراما دائمة تقع على راسه .

وفجاة سمعت سيارة عمي « كويكو » تصدر ضوضاء كثيرة وقد همت بالسير . وبدا البيت هادئا هدوءا عجيبا بعد ذلك . وعجبت له وللوقت

الذى سيستبدل فيه بسيارته سيارة اخرى جديدة ، ولكن ابي قال حيذاك ان عمى قد افلس اوكاد ، وهذا هو السبب الذى دفعه الى الالحاح عليه لكي ينضم الى مؤسسته في المدينة . وبعد تغيب اليوم البعيد سكون الليل الساجي . وهنا غالبني النوم ورأيت فيما يرى النائم اني اصطدت الالهة السمكة وأكلتها .

وفي صباح اليوم التالي ، وكان يوم الاحد ، استيقظت في الساعة السابعة تقريبا ، وكان الكوخ قد خلا من ساكنيه . فقد ذهب والداى الى المزرعة . فازدردت لقمة مسرعا . وذهبت للبحث عن « اجيا كواجو » ، ووجدته كعادته جالسا تحت شجرة الدوم الضخمة بجوار حديقة المدرسة في صحبة ثلاثة من قالة السوء ومروجي الشائعات ، الذين ندر أن قاموا بعمل ما غير التسكع هنا وهناك يتناقلون الاحاديث عن القرويين طوال اليوم . حييتهم فدعوني الى الجلوس معهم .

انطلقوا يثرثرون دون توقف لمدة نصف ساعة كاملة عن الدنيا بما رحبت ، ثم اخذت دائرة احاديثهم تضيق وتصغر رويدا رويدا حتى اقتصرت على الافراد من قريتنا . سعلت بصوت مرتفع ليذكروا اني على مقربة منهم اذا ما سولت لهم نفوسهم ان يذكروا ابى بسوء في حديثهم . وحملهم سعالى هذا على الكف عن لغوهم ، واتاحت لي فترة توقفهم عن هذا اللغو الفرصة لاخبر « اجيا كواجو » عما كان يجول براسي . وعند ذكر الالهة السمكة ارتسمت على محيا صاحبي ابتسامة رقيقة ، فقد كان يهوى الحديث عن مغامراته ، على الرغم من الشائعات التي كانت تردد بان الكدم كان ينزل براسه في ظروف مختلفة ومناسبات متعددة .

قال مولولا : «اوه ، يابني، لقد لمست اصابعك وترا حساسا في حياتي » . وتحرك الكدم الذى على جبهته متمردا ، وبدا كانه سيسقط بعيدا عنه في اية لحظة . سمعت صوتا يناديني ، فعرفت ان والدى قد عادا الى البيت . ولقد سمعت ، على اية حال ، تلك القصة مرات كثيرة ، حتى انى كنت اعيها حينذاك عن ظهر قلب . وهو لا يرى باسا في ان يعيد روايتها بحذافيرها على مسامعي مرة ثانية . فالتمست لنفسي الاعذار لمانالني من اخفاق . وانطلقت اعدو صوب المنزل .

كدت اعدل عن رايى في صيد الالهة السمكة . ولكنى تساءلت حينذاك : اين عساها تكون تلك الشعلات التي ساصيد بها اضخم سمكة حتىأصبح بطلا ؟ وزيادة على ذلك ، لم يكن هنالك اى مجرى ماء ، بقرب القرية . وكان « الجدول الصامت » الامل الوحيد الذى بقي لي ، فاسرعت حاملا قصبة الصيد ، وتسللت خارجا من المنزل .

واخيرا وصلت الىالجدول، ووضعت شصا على القصبة ، وبدون تمهل او تريث القيت به في الماء. فابصرت اسماكا كثيرة صغيرة تتراقص حول الشص، ولكن بغيتى ، الالهة السمكة ، لم تظهر في الماء .

تذكرت انى لم اضع طعما على الشص ، وهممت بجذب القصبة من الماء ، فاطلت السمكة المنشودة براسها فجاة ، وكانها تتحداني فابتلعت الشص، وشددت أنا القصبة بكل ما أوتيت من قوة واقتدار حتى اخرجتها الى الشاطيء ، وبعث هدوؤها على سطح الارض الثقة في نفسى ، واستشعرت عملي البطولي ، ومددت يدى لالمسها . ولكن رحماك يا الهى ، سوف أذكر دائما تلك الرعشة الرهيبة التي سرت في جسدى . فالقيت بالقصبة من يدى وازمعت الهرب . ولكن ياللهول ! ان خطبا جللا قد حدث فيمكان ما . مادت الارض تحت قدمي، ودارت بي ، ولم تتوقف عنالدوران. وكان آخر ما اذكره ، انى سقطت في هوة مظلمة هائلة .

وحينما افقت من غيبوبتى ، كنت ارقد في حجرة نوم ابي يحيط بي اهل القرية جميعا كما بدا لى . فرصت نفسي لارى ما اذا كنت على قيد الحياة ام لا . واستسلمت للنوم مرة ثانية . كان واضحا ان اهل القرية قد عرفوا الكارثة التى حلت بى . فقد علمت في اليوم التالى ان الالهة السمكة قد ماتت ، وتبعا لذلك قرر أهل القرية بالاجماع ابعادنا ، والدى وانا ، عن القرية الى الابد . فحزمنا متاعنا وامرنا ، وعشنا مع العم « كوبكو » في المدينة . نمت المؤسسة وازدهرت وتقدمت بفضل ما قدمه ابى من عون الى عمى . وهما يعزوان حتىذلك اليومنجاحهما الى . ■■

ترجمة : سليم الاسيوطي

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول ابريل ١٩٧٣

٤٣

• ستيفن «د»

• منفيون

تأليف : جيمس جويس
ترجمة وتقديم : د . أمين العيوطي
مراجعة : د . محمد اسماعيل موافي

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

راس المال والاحتياطي : ٢٢ر٨٨٤ر٤٨٣/- د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٢ :

٢٥٦ر٥٣٧ر٤٠٥/- د.ك

المكتب الرئيسي : ص.ب. ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً)

مجموعة "٧٠" من سوني
جيل جديد
من أجهزة الستريو

مجموعة "٧٠" من سوني تقدم لكم الصوت الستريو الهاي - فيدلتي في مجموعة من الأجهزة المتكاملة المضمومة الحجم والمتلائمة تماما مع بعضها.

لكن القصة لا تنتهي عند هذا الحد.

فالآن، تتوفر أجهزة الأداء الستريو بسعر يرضيكم للغاية.

يمكنكم شراء سلسلة سوني "٧٠" بالمفرق أو كمجموعة ستريو كاملة تضم، مثلاً، "دك" الكاسيت الستريو TC – 121 المتلائم معها تماما.

شاهدوا هذا الجيل الجديد من أجهزة الستريو لدى موزعي سوني المعتمدين ... وتأكدوا لدى استماعكم اليها، كيف ان البحث يوجد الفرق.

سوني SONY®



وسيلتان سائغتان للتخفيف والتلطيف من آلام الامساك



إذا كنتم تعانون من الامساك فلا شك في انكم تعرفون تماماً انه يسبب لكم مضايقات شديدة فضلاً عن كونه غير صحي . ولذلك يجدر بكم مقاومته باتباع الوسيلة السائغة واتخاذ « بروكلاكس » أو « بونومينت » . وبروكلاكس هو عبارة عن شكولاته مسهلة لذيذة . . . وبونومينت هو المضيغة (اللادن) المسهل اللذيذ المنعش امضغوا « بروكلاكس » أو « بونومينت » قبل النوم . وسوف تحصلوا على راحة تامة عند الاستيقاظ في الصباح . وفي الواقع يخفف « بروكلاكس » أو « بونومينت » الآلام أثناء الليل . وعلى الرغم من انهما لطيفان إلا انهما شديدا الفعالية والتأثير .

بروكلاكس وبونومينت من منتوجات شركة ريكيت وكولمان

هيا.. هيا..
فقد حان وقت العمل...



نعم .. فإننا نعتقد بأن داتسون هو الطريقة الأمثل من أجل تحقيق عمل أنجح. وكما هو الحال في جميع سيارات داتسون فإن البيك أب مصمم تصميماً فريداً بحيث يمكن الاعتماد عليه بشكل خاص. ومن المؤكد أنكم ستحصلون على أرباح أكبر وسهولة فائقة أكثر من أي وقت مضى. مما يعود عليكم طبعاً بمدخول أوفر.
وهكذا يمكنكم الاستمتاع بسيارة فريدة في أناقتها وفخامتها: داتسون 260C الجديدة.

عمل أنجح ومتعة أوفر. هذا ما نساهم في تقديمه لكم داتسون. تسهيل سبل الحياة بطرق مختلفة، هو أحد أهداف نيسان لدى صنعها داتسون.

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN



DATSUN PICKUP

عندما تدخل الفائدة في الحساب..

لومبارد نورث سنترال يقدم تشكيلة واسعة من الحسابات

٧½٪

حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للودائع

تربح نقودك بنسبة ٧½٪ سنويًا مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر. يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة.

٨½٪

ودائع ذات دخل شهري

الحد الأدنى للودائع ٢٠٠٠ جنيه

الودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه او ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها ٥ سنوات، تربح فائدة ثابتة بنسبة ٨½٪ في السنة تدفع شهريًا دون حسم أي ضريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد بانتظام. يمكن ايداع مبالغ لمدد ثابتة أقصر، وتعطى المعلومات عن النسب الثابتة للفائدة لدى الطلب.

٨½٪

ودائع زمنية

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها ٥ سنوات تربح فائدة ثابتة بنسبة ٨½٪ في السنة تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. تعطى المعلومات عن النسب الثابتة للفائدة لدى الطلب، بشأن المبالغ المودعة لمدد ثابتة أقصر.

لومبارد نورث سنترال ليمتد هو من أعضاء مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها مع الاحتياطي على ٣٨٣ مليون جنيه استرليني. فتح الحساب هو في غاية البساطة. اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع للحصول على تفاصيل هذه الحسابات ونسخة من كتيب الودائع رقم 182A

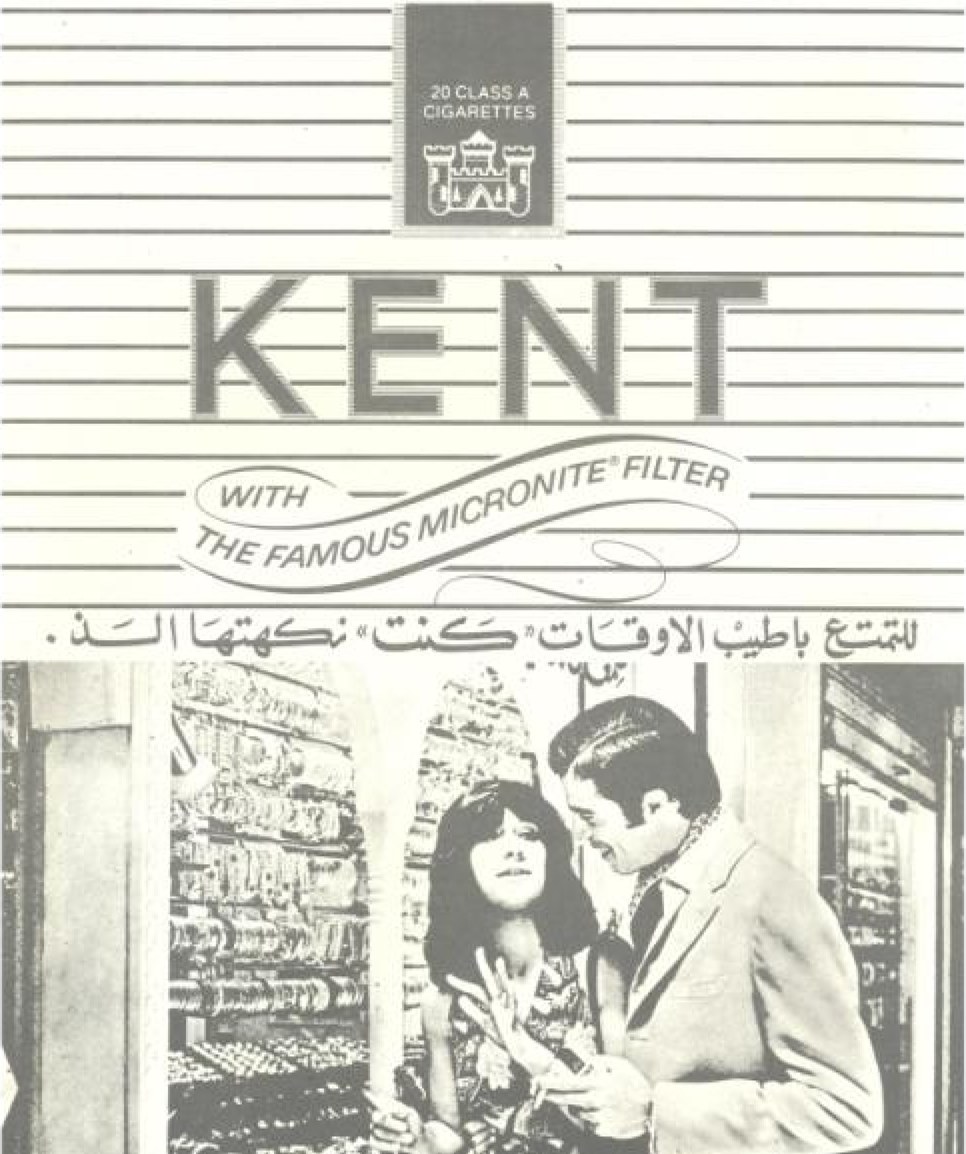
Lombard North Central

Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4111
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111

Branches throughout Great Britain – Depositors throughout the World


موسيقى فيليبس تستهدف كل أفراد العائلة
لاعبات الكاسيت البسيطة ومسجلات الكاسيت المتعددة الجوانب . اجهزة الكاسيت الساحرة ، من انتاج فيليبس ، صنعت لكي تقنع اصحاب الاذان والعيون الناقدة . منها الأنواع المتنقلة ، والانماط التي توضع على الطاولة . ومنها ما يستمد طاقته الكهربائية من البطارية أو من التيار العادي . منها المونو ومنها الستيريو . ومنها أيضاً ذلك الجهاز الذي يلعب الموسيقى باستمرار ودون انقطاع . هذا المسجل ستيريو وميزته الكبرى انه يصل كاسيتات الاشرطة واحداً بالآخر . ثم انه يباع مع مكبرين للصوت من أجل الحصول على نائج ستيريو كامل .
كاسيتات الأشرطة ، الفارغة أو المعبأة ، ذات ثلاثة أنماط . سي – ٦٠ ، سي – ٩٠ ، سي – ١٢٠ (الأرقام تشير إلى الدقائق) . كل واحد منها يتمتع بامتياز النوع . وهذا طبيعي ، ففيليبس هي مخترعة أجهزة الكاسيت المصغرة ، وهي السابقة في مجال أجهزة التسجيل .
PHILIPS


20 CLASS A
CIGARETTES
KENT
WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER
للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ.
كنغ سايز، دي لوكس ١٠٠ مليمتر وكراش پروف


قف وانتبه !
BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
الساعة المعجزة
بوم اي مرسييه
اعظم انتاج في
حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة - رائعة في الجمال - اوتوماتيكية
آليا المرصعة بثلاثين حجر كريم تعمل لمدة ٥٥ ساعة بدون تحريك .
الوكيل العام : مراد يوسف بهبهاني ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون :
احمد بهبهاني واخوانه
السالمية - تلفون : ٦١٨٢٢٤

التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV ، قياس ١٢ إنش، يستقبل على تردد عالي (VHF) باللونين الأسود والأبيض ومزود بدائرة ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صورة فورية متوازنة وضوحاً ونقية من أي تشويش. اقتصادي، (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط). شاشته مزودة بمصفي خاص ليخفف من عناء العينين. تصميمه رائع ويتماشى مع مفروشات أي غرفة. وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المنزلي (١١٠-١٢٠ فولط و ٢١٠-٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط). وبهذا.. تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت.. مع **جنرال** - موديل TW-12EV

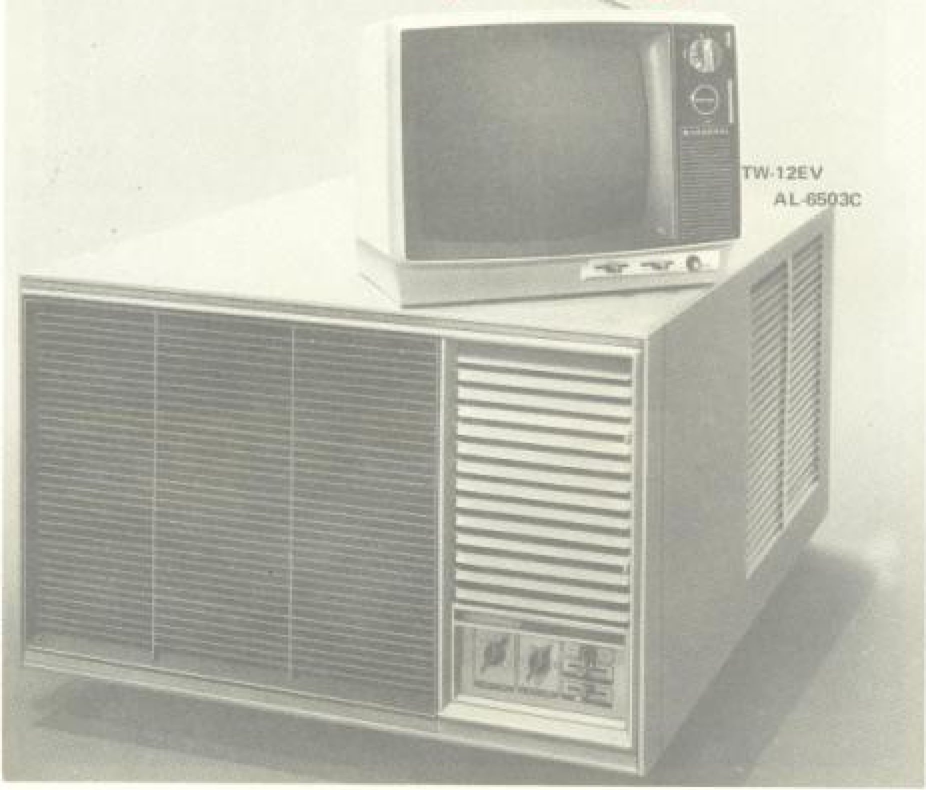
• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما سببان فقط من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C . طاقته BTU 21.500 تكفي لتبريد أكثر من غرفة. أما خدمته فهي متفوقة وتدوم لحياة طويلة. ضوابطه صممت في موضع يسهل معه استعمالها، ومصفيته.. سهلة التنظيف. هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها **جنرال** لتزيد من راحة الإنسان.. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيوننا موديل TW-12EV .

إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف إلى حياتك نشاطاً نوعياً جديداً...

جنرال GENERAL

الجمهورية العربية السورية: [illegible] وشركاه. ص.ب ٩٥٤، دمشق.
الخليج العربي: ناكو - ص.ب ٦٧٤ - أبو ظبي.
الخليج العربي: شركة الاتحاد التجارية. ص.ب ٢٨ - الكويت.
البحرين: إبراهيم [illegible] وأولاده - ص.ب ٦٧٠، المنامة.
المغرب: [illegible]، ١١٤ شارع القادسية - الدار البيضاء.
ايران: شركة [illegible] محدودة - شارع نادري [illegible] رقم ٦ طهران.
ليبيا: الحر عبد الجواد - ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس الغرب.
قطر: مخازن المشيرب - ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة.
لبنان: [illegible] للتجارة - بيروت.
الأردن: عبده نقاوا - عمان.
دبي: ناصر بن عبد الله ومحمد - شركة [illegible] التجارة ص.ب ٢٠٨٠.

نوعية جيدة من جنرال تزيدك تسلية وراحة




رويال S6 يهبك الشباب والحيوية والقدرة.
ان متاعب الحياة اليومية والسهر الطويل
والارهاق قد تخل بعمل جسدك،
رويال S6 مستحضر من نباتات طبيعية
وفيتامينات وينشط حيويتك وينظم وظائف
الجسد ويجدد خلاياه وغدده.
يزودك رويال S6 بالقدرة ويزيد في
لذة العيش ويعيد الى المرء ثقته بنفسه.
يحتوي رويال S6 على عناصر أساسية هي:
GINSING - GELEE ROYAL - YOHAMBEHE
ويطلق على GINSING اسم
(ربيع الحياة في اقطار الشرق الاقصى)،
ولذا فهو ليس منشطاً وقتياً
بل تستمر فعاليته مدة طويلة
ولا ينتج عن استعماله أية آثار جانبية.
يباع في اكثر من اربعين بلداً في العالم.
رويال S6 من منتجات رويفارم -
دسلدورف - المانيا الغربية.
الوكيل الوحيد للشرق الاوسط وآسيا وافريقيا:
A.C.C. ص.ب ١٧٦ - الكويت - تلفون ٤٣٢٢٥٥
ROYAL
S6
YOHIMBEHE • GINSENG
• GELÉE ROYAL •
• VITAMINKOMPLEX •
الشركة العربية للتجارة
تلفون ٤٢٤٩٢٤ ، ٤٣٢٠٤٥
دندن اخوان وشركاهم
ROYAL S6

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن طاقة اندونيسيا لبلوغ مرتبة احدى أغنى البلدان في آسيا

هل باستطاعته ان يخبركم عما يحويه باطن الارض الاندونيسية من كميات كبرى من خامات الحديد والنحاس والمنغنيز والنيكل تنتظر من يستثمرها ؟ أو أن يوضح لكم كيف يمكن لهذه الموارد المعدنية أن تسهم في التنمية الصناعية ؟ أو كيف يمكن لاحتياطي النفط الاندونيسي أن يؤثر في الاستثمارات العالمية ؟ أو عن آثار الثورة الزراعية .

ان بنك تشيس منهاتن بمكنته ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يشرح لكم كيف يمكن لاندونيسيا أن تتأثر بالتكامل الصناعي والتجاري في نطاق اقليمي ؟ أو ان يخبركم عن تكامل الاسواق المالية ؟ أو ان يتكهن بالنتائج المترتبة في المنافسة اليابانية ؟

ان بنك تشيس منهاتن بمكنته ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية في المنطقة ، حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالباً ما يستبقون هذه الاحداث ، انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويعينونكم في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها.

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلات الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا كنتم تقومون بنشاط تجاري يشمل بلدان متعددة في الشرق الاقصى - او في مكان آخر - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولاً .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادي

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافورة ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن . ب . أ . غروب ليمتد .

نيوزيلندة - تشيس - ن . ب . أ . نيوزيلند غروب ليمتد

ان لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المركز الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

[illegible]





رادو

الساعة الوحيدة في العالم الغير قابلة للخدش

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

كلاء سانيو لديهم
ضل المنتجات للجميع
.. وتلفزيون لك شخصيّاً"



نالك عشرات المنتجات المفضلة
عائلة ، بما في ذلك التلفزيون العائلي
بأنت شخصيتا ، فباستطاعتك
شاهدة البرامج المفضلة لديك وكذلك
لاستمتاع بالأوقات والأماكن التي
تريد أن تنفرد فيها . فهنالك
لتلفزيون الشخصي الذي بإمكانك
مله إلى غرفتك أو إلى أي
كان آخر وفي أثناء
حلاتك الممتعة .
نه التلفزيون المصنوع
نصيصاً لك .



14 T 401

تلفزيون ١٤ بوصة بشاشة مظللة .

صورة واضحة متألقة بدون هوائيات خارجية ، شاشته
مظللة تمنع التوهج والانعكاسات المزعجة . روافع منزلقة للتحكم .
يتوفر في صندوق أبيض أو أصفر أو أحمر .



12 T 218

تلفزيون ١٢ بوصة بالبطارية / التيار العادي

يعمل بالتيار العادي في البيت وباستخدام بطارية خاصة
في الخارج ويمكن استعماله ايضا بواسطة موفق (ADAPTER)
للسيارة أو للقارب ، خفيف الوزن ، بالاضافة إلى
توفر دائرة "AGC" وشاشته تمنع التوهج



12 T 220

تلفزيون نقال ١٢ بوصة Solid State

يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية الخاصة . يتوفر اختياريا
بالموفق للسيارة أو للقارب . شاشته تمنع التوهج ومجهزة
بدائرة التحكم الآلي في الكسب "AGC" . يتوفر في
صندوق جذاب باللون الأحمر أو الأسود .

SANYO **سانيو**

SANYO ELECTRIC TRADING CO., LTD. JAPAN

سانيو الكتريك تريدنغ كومباني . اليابان

العربي

العدد ١٧٤
ربيع الأول ١٣٩٢
مايو
(أيار) ١٩٧٢



فتاة من ليبيا ، والشجرة زيتونة

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢,٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



● لوحة شهيرة للفنان الفرنسي المعروف ، يوجين دلاكروا (١٧٩٨ – ١٨٦٥) ، وقد سماها «الحرية تقود الجماهير» تخليدا لذكرى الثورة الفرنسية الثانية ، ثورة يوليو عام ١٨٣٠ . ومما يذكر عن هذه الثورة الفريدة ان الكتاب والفنانين وقادة الرأي والمثقفين احتلوا مكانا بارزا بين الذين قاموا بها . وقد استهدفت استرداد المكاسب الضائعة ، مكاسب الثورة الاولى ، ثورة سنة ١٧٨٩ . وتوجد هذه اللوحة حاليا في متحف اللوفر .

عزيزى القارئ

ماساة بيروت ليست ككل المآسي .

استهدفت بها اسرائيل رؤوس المقاومة الفلسطينية ، ونفذت اليهم ، وهم فى دورهم نائمون مطمئنون .

واتضح ان هذا الاطمئنان كان زيفا .

ان اسرائيل تريد ان يفهم العرب ، لا سيما قادتهم ، ان كل زعيم منهم اصبح فى غير مامن من غائلتهم ، مهما بعدت الدار ، وشط المزار .

ولا نحسب ان زعيما سيرعبه ان يموت هكذا غدرا .

ومع هذا ، فلابد من ان نتساءل :

تبعة هذه المأساة على من تقع ؟

وتكرار هذه المأساة كيف يمنع ؟

ان اسرائيل بهذا تريد ادخال الرعب الى رجال الصحف العربية خاصة فلا يتحدثون ، والى الكتاب العرب ، فلا يكتبون ، والى القادة ، فيسيطر عليهم الخوف ، فيستسلمون .

ولكن ، هيهات هيهات .

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 171 May 1973 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● هذه الفتاة الليبية ترتدي الزي التقليدي لسكان الصحاري الليبية . ان هناك الآن مشروعات كثيرة لتعمير الصحاري الليبية الواسعة وتحويل رمالها القاحلة الى أرض خضراء خصبة ومن بين هذه المشروعات مشروع اصلاح اراضي واحة الكفرة التي تقع في أعماق الصحراء الليبية ، وتعتبر ملتقى طرق القوافل بين تشاد وليبيا . (انظر الاستطلاع ص ١١٦).

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠م٠ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائري ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢ر٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء ومعرض آرائهم

المسلمون فى بلغــاريا

● وردنا عن مسلمي بلغاريا خطاب نقتطف منه ما يلي : ـ

« نحن المسلمين البلغار ، نتقدم بالشكر لكل من عمل لنشر قضيتنا للراى العام سواء كان بالاذاعة ام بالصحف. وقد كان لذلك اثر عميق في نفوسنا، ونود ان نوضح حقائق اخرى عن تلك القضية . بعد ان شعر المسئولون البلغار بنشر القضية خارج القطر اذاع راديو صوفيا بيانا باللغة العربية قال فيه : ان المسلمين في بلغاريا يتمتعون بكل حرية ومساواة مع الآخرين ، ولا شك ان هذا الرد غير صحيح وبعيد كل البعد عن الحقيقة .

وفي شهر يوليو واغسطس في مدينة بلاقويغقراد طلب من جميع المعلمين المسلمين ان يغيروا اسماءهم الاسلامية او ان يطردوا من اعمالهم وان لا يسمح لهم بممارسة اى عمل في اى جهاز من اجهزة الدولة الرسمية ورفض ١٦٥ معلما مسلما ان يغيروا اسماءهم ، ولذلك طردوا من وظائفهم ومنعوا حق العمل في بلغاريا موطنهم ومسقط راسهم .

وفي يوم ١٠ مايو ١٩٧٢ تحرك حوالي ٥٠٠٠ مسلم من منطقة بازرجيل ومنطقة بلاقويغقراد وسمولنقراو في مظاهــرة احتجاج متجهين الـى صوفيا العاصمة وكان ذلك في جوف الليل ، لكي لا يعلم بهم البوليس وقد ضم الموكب من تراوحت اعمارهم بين ١٥ ـ ٧٥ عاما . وتم ذلك في ظروف قاسية وسط الامطار الغزيرة والأوحال . وعلى بعد اميال قليلة من صوفيا وبالتحديد في محطة اسكار علمت السلطات وارسلت لهم قوة ضخمةمن الجيش والبوليس وحاصروهم بالدبابات والعربات المصفحة ونقلوهم الى مدينة بيلو ووضعوا في السجون وهم فيها الى الان .

اننا نناشد اخواننا المسلمين والعرب ان يمدوا لنا يد العون وان لايكتفوا بالاحتجاج فحسب . اننا نطالب وقف هذه الحملة الموجهة ضدنا دون ذنب ارتكبناه ، ونطلب من الدول العربية التي تربطها علاقات طيبة ببلغاريا ان تتدخل في الامر ، وكذلك المجلس الاسلامي ، ومؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، ونرجو ان يرفع هذا الامر للامم المتحدة ولجنة حقوق الانسان اذ اننا لانستطيع الاتصال بها ونسال الله ان يشد من ازرنا وان يثبتنا على الهدى .

الحريري وابو تمام في

● لقد تخصصت في دراستي هنا في المانيا في الشاعر الالماني ف . روكرت F. Rückert وهو الذى ترجم بعض ذخائر الادب العربي والفارسي الى الالمانية . ونذكر من تلك الذخائر مقامات الحريرى وشعر ابي تمام .. وقد ترجمها الى لغته شعرا ، وأبدع في ترجمتها ابداعا يدعو الى الدهشة والاعجاب . وظننت أن قراء « العربي » قد يهمهم الاطلاع على سيرة هذا الشاعر الالماني وآثاره ، فما رأيكم ؟

احمد الزبيرى

حديث الشهر

عدد يناير الممتاز ١٩٧٣

● بعد التحية ـ اسمحوا لي ان ابدى اعجابي بمقالكم وانتهز هذه الفرصة لاقول ان الثقل والابهام اللذين كان يشعر بهما العربي في تعبير الف الف في الحساب قد زال باستعمال كلمة « مليون » . وتعودناها بحيث ان التعبير العددى الاصيل « الف الف » اصبح غير مألوف لنا ، بل غير مفهوم لدى عامة المثقفين . ولكننا اذا تخطينا معكم مقاييسنا للكرة الارضية ومجموعتنا الشمسية الى المجرات الاخرى لقياس مسافاتها فان لفظ « مليون » يصبح ثقيلا ومبهما كالف الف .

ومن المفيد في هذا المجال ان الفت نظركم الى انه لو اقتبس العرب الكلمات الهندية للوحدات العددية العليا كما اقتبسوا قديما الارقام الهندية ـ وعن طريقهم اقتبسها الغرب ـ لزال هذا الثقل والغموض . ولست ادرى مامنعهم ومنع الغرب من استخدام هذه التعبيرات ، وهي اسهل استعمالا واوضح فكرا .

فالوحدات العددية ، ١٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠٠ مشتركة في الحساب الهندى والعربي والأوربى .

وبعدها بدل ان يقال مائة الف (اى الف مائة مرة) يقال في الحساب الهندي :

لاكه = ١٠٠,٠٠٠ . وبعدها الوحدات العددية الاتية على التوالي :

كرود = ١٠,٠٠٠,٠٠٠ (وهو عشرة ملايين) او مائة لاكه .

ارب = ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (وهو بليون) او مائة كرور ، وهكذا دواليك .

كهرب = ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

بدم = ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

ستكه = ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

واظنكم تلاحظون معي ان هذه الوحدات مبنية على التفكير الرياضي المنطقي المتناسق ، ونواتها عدد ١٠٠ وعلى هذا فيكون عدد ٦ مليون مليون (٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ميل لمسافة السنة الضوئية المذكور في مقالكم ٦٠ كهرب ميل بكل بساطة .

ونتساءل لماذا لم يقتبس العرب فيما اقتبسوه، في العصر العباسي ، من حساب الهند ، وارقامها، وصفرها على الاصح ، هذه الكلمات للتعبير عن الوحدات العددية الكبرى ، ثم اضطروا في العصر الحديث الى استعارة كلمة مليون من الغرب ، وهي لا تفي بحاجة في قياس مسافات النجوم والمجرات . فلعل الحاجات العملية في ذلك العصر لم تتطلب ذلك ، او التمسك باصالة اللغة حال دونه .

وهذا النظام العددى لايزال مستعملا في الهند والباكستان ، واظنه في سيلان ايضا في ميزانياتها. وقلما تبلغ اكثر من بضعة ارب ، او كهرب على الاكثر .

ارجو ان تتكرموا بنشر هذه الرسالة لفائدة قرائكم الكرام . والسلام عليكم ورحمة الله .

المخلص : د . سيد رضوان على
قسم التاريخ ، كلية الاداب/الجامعة الليبية
بنغازى ـ ليبيا .

في اللغة الالمانيــة

العربي : نرحب بما يردنا من مقالات وخاصة اذا تناولت من المواضيع ما كان جديدا على قراء العربي ، مفيدا لهم .

ولا ريب في ان للقارىء الكريم انصارا كثيرين فيما يقوله عن الشاعر الالماني ف . روكرت ، وقد شهد له بالابداع في الترجمة كثيرون ممن اطلعوا على آثاره .

(العدد ١٧١ الصفحة ١٢٨)

العربي الصغير

آراء وملاحظات

● هنالك ملاحظات هامة تتعلق « بالعربي الصغير » رجاء الانتباه اليها ، واعطائها لحظات من وقتكم الثمين ، وهي :

❋ السن او مستوى العمر الذى يكتب له « العربي الصغير » غير معروف ، وكلمة صغير غير محققه تماما في مقالاته وقصصه. ورايي ان مستوى الملحق يقابل ما بعد المرحلة الابتدائية ، مع العلم ان الطفل في المرحلة الابتدائية ـ وخاصة في الصفين الخامس والسادس ـ في اشد الحاجة الى المطالعة وحبها .. وتوجيه المعلم لها .. (وخاصة في البلاد التي تمتد فيها المرحلة الابتدائية الى الصف السادس) .

❋ عدم الاهتمام بالتاريخ العربي والاسلامي ، وبطولات وامجاد ابطال امتنا وحضارتنا الاسلامية وان ذكر شيء من هذا فقليل جدا .. وتاريخنا مليء والحمد لله بالابطال.

وانا عندما اقول هذا لست متعصبا ابدا ، ولا اقول باغلاق نوافذ الثقافة من كل الجهات الا نوافذ الثقافة الاسلامية ، لا ابدا .. وانما الطفل في هذه المرحلة ، يجب ان يعرف تاريخه قبل تاريخ اى امة اخرى ، ويجب ان يعرف خالدا وسعدا وابا عبيدة قبل نابليون وغيره ..

❋ القصة لها اثرها الهام في التربية على شرط ان لا تكون خرافية ، او منبثقة من تصورات غير صحيحة ، كالقسمة والنصيب مثلا (العدد ١٥٦) التي هي بعيدة عن عقيدة القضاء والقدر .

❋ الاناشيد الجميلة محببة للاطفال ، ومع ذلك تخلو المجلة من اى انشودة .. وهذا ما لمسته في خدمتي في التعليم سنين عديدة .. فالانشودة تزيد من حماس الطفل وتجدد نشاطه بشكل عجيب .. كانشودة :

(ربنا اياك ندعو ربنا آتنا النصر الذى وعدتنا) للاديب الكبير مصطفي صادق الرافعي رحمه الله تعالى .

فهمي نجار ـ دير الزور ـ سوريا

العربي : كان العمر موضع نقاش دائماً ، وسبب ذلك ان اللغة العربية لا تأذن للطالب الصغير بسرعة التحفز للقراءة ، على عكس الطالب في الغرب . فالطالب العربي الذي يستطيع القراءة في سهولة لا تقل سنه من ١٠/٩ سنوات . وإذن يحدث تفاوت بين مرتبة القدرة على القراءة ومرتبة المواضيع التي تقدم الى الطالب . وهنا يحدث التناقض . ومع هذا حرصنا على أن يشمل العربي الصغير مواضيع تألف وسن الطالب ٧ سنوات ومنها القصص التي اسماها خرافية . ثم هنالك مواضيع اعلى مستوى ويصح أن يكون منها المواضيع التاريخية التي تثير ثائرة العربي لدى قراءتها . ومثل هذه أيضا الاناشيد .

العرب وكشف امريكا

بقلم : سمير عطا

العدد ١٦٩ صفحة ١٦٤

● شاقني الموضوع وتذكرت ما كنت قرأته عنه، واورده فيما يلي (منقولا من صفحة ١٤ من كتاب « مغامرات لغوية » للدكتور عبد الحق فاضل) :

«واسترعى نظرى في مجلة «اللسان العربي» التى (يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط، التابع لجامعة الدول العربية ، العدد الثاني : يناير (كانون الثاني) ١٦٥ ص ٣٥) ، تصوير بالزنكوغراف لوثيقة تاريخية هي نقش على رخامه وجدت في البرازيل ، مكتوبة باللغة القرطاجية ـ عام ١٢٥ ق‌م ـ يصف اصحابها محنة وقعوا فيها من اسر ومرض وهلاك . وتتالف الاكتوبة من ثمانية اسطر ، هذا السطر الاول منها :

« هنا احنا بني كنعان قريم حفرة حصل . اوش حر حصل هك » .

وترجمته بعربيتنا وكتابتنا :

« هنا نحن بني كنعان من قرايم حملنا الحفارة . اليس حراما ان نحصل هكذا ؟ » .

هذا ما كتبه الدكتور عبد الحق فاضل . ولم اطلع على مجلة « اللسان العربي » التي نشرت فيها هذه الرخامة (العظيمة) . واني لمتقد ان ما جاء في هذه الرخامة قاطع لجهيزة كل خطيب ، ومسكت للمعاندين .

المحامي صالح الشالجي/بغداد



البحث عن مواهب للقراء فنية

● ارسلت اليكم صورا فتوغرافية استجابةلدعوتكم المسماة : البحث عن المواهب بين القراء . ولكني لم اسمع عن خبر بما ارسلت .

ولم اقرا في العربي شيئا عما ارسل الاخرون .فهل من سبب لذلك ، ام ضاقت صفحات العربي عن الفن .

العربي : لم تضق صفحات العربي عن الفن ومعنى هذا ان الذى اتانا من القراء لم يكن فنا وقد حرصنا كل الحرص على تشجيع ما فيه نصف فن وربع فن فلم نوفق . والظاهر ان الفنون من الحضارات المتقدمة ، ومن مظاهرها الارق . والظاهر ان العرب باحوالهم الحاضرة ومحنهم المتتالية شغلهم الزمان بجوانب العيش الاخشن وهذا امر طبيعي . ومع هذا فنحن دائما مستعدون لنشر كل ما فيه فن في هذا الشهر او في الشهر القادم او اى شهر يأتي . واملنا دائما حي ويجب ان يكون حيا على الدوام و «العربي» ترحب ويجب ان يظل ذراعاها مبسوطتين وسعهما لاستقبال كل جديد رقيق ناعم ان شاء الله .

ولا يمنع هذا من ان ننشر مع هذه الكلمة هذه الصورة التى جاءتنا من « كامل الطائي ـ بلدية الكويت » .. ولعل فيها سمة من سمات الفن التى عنيناها .

تركان خاتون

بقلم : السيدة سنية قراعة

العدد ١٧١ الصفحة ١٢٨

● اطلعت على المقال فوجدت ان السيدة الكاتبة قد فاتها كثير من الحقائق التاريخية ، وانجرفت بقلمها الى القول بامور خاطئة لاتتفق ومصادر التاريخ . واغلب الظن ان هذه الاخطاء ناتجة عن اعتماد السيدة سنية قراعة على ذاكرتها وخيالها ، دون الرجوع الى المصادر ، كما يتحتم على كتاب السير ، وبخاصة سير الذين اوغل عهدهم في القدم . واني اكرر مرة اخرى ان نشر المقالات والسير من قبل مجلة العربي التي لها وزنها العلمي والتي تعتبر من المصادر الموثوق بها ، معتمدة في ذلك على شهرة الكتاب دون جودة المقالات ، انما هو امر لانغتفره لها ، نحن قراءها الدائمين ، الذين جعلنا من هذه المجلة ومما تنشره امورا مسلما بصحتها .. ولنعد الان الى ما قالته السيدة سنية قراعة في سيرة تركان خاتون » .

ويمضي الكاتب ، وهو الاستاذ عبد الستار ابراهيم الامين من الناصرية ، فيورد ستة اعتراضات ويحدد المراجع التاريخية التي تؤيده في هذه الاعتراضات . وقد عمد في ذلك الى الاسهاب والتفصيل مما لا يتسع له هذا الباب .

ونظرا لضيق المجال ، فاننا نكتفي هنا بذكر اعتراضين اثنين من الاعتراضات الستة للاستاذ عبد الستار .

الاعتراض الثاني : السلطان ملكشاه لم يمت فجأة عند جولته مع زوجته تركان خاتون بل دُبر مقتله من قبل الخليفة المقتدي بالله العباسي على يد تاج الملك وزير السلطان نفسه ، ليتخلص منه، ويحتفظ بكرامة رتبته كخليفة للمسلمين ، لان السلطان ملكشاه كان قد امر المقتدي ان يترك بغداد ويذهب الى اى مكان يشاء سواها .

ويذكر ابو المحاسن ان ملكشاه توجه في شهر رمضان سنة ٤٨٥ هجرية من اصبهان الى بغداد بنية غير مرضية بحق الخليفة المقتدي بالله العباسي وعزم على تغييره . وكان مع السلطان وزيره نظام الملك الذى قتل في الطريق الى بغداد.

وعند وصول السلطان (ملكشاه) الى بغداد في الثامن عشر من شهر رمضان للسنة المذكورة بعث للخليفة فور وصوله يقول : لا بد ان تترك لي بغداد وتذهب الى اى بلد تشاء .. فرجاه الخليفة المقتدي ان يمهله شهراً . فلم يقبل ، وقال له : « ولا ساعة»،فانزعج الخليفة وارسل الى تاج الملك الذى خلف نظام الملك بالوزارة ليساله ان يؤخر مغادرته عشرة ايام . وبعد مناقشة بين السلطان ووزيره وافق السلطان على ذلك ثم انشغل السلطان بنفسه ، من مرض حصل له ومات منه بعد ايام . ويشك ان السلطان مات مسموما بتآمر الخليفة ووزير السلطان تاج الملك نفسه ، وعليه فان السلطان مات في بغداد ولم يمت في الطريق ولم تحمل جثته دون اعلان موته ، كما جاء بمقال السيدة الكاتبة .

الاعتراض الخامس : الخليفة العباسي المهتدي بالله قتل في سنة ٢٥٦ هجرية بينما السلطان ملكشاه تولى الحكم في الدولة السلجوقية في سنة ٤٦٥ هجرية وعليه كما بينا بالفقرة الاولى ان احداث السيرة موضوع البحث حصلت في ايام الخليفتين القائم وحفيده المقتدي بالله العباسيين. وهذا يعني ان ملكشاه لم يتزوج ابنة المهتدي وقد قتل قبل قرن ونصف من ايام ملكشاه ، كما لم يتزوج اية امراة من بيت الخلافة العباسية . والحقيقة هي ان الخليفة المقتدي بالله العباسي هو الذى تزوج اولا اخت السلطان ملكشاه ثم بعد وفاتها تزوج ابنة السلطان .

وحدة العرب الاقتصادية

● اقرا واسمع عن السوق الاوربية المشتركة ، وانا لست من الاقتصاديين ، ولكني افكر في واقعنا العربي فاقول لماذا لا تنشا سوق عربية مشتركة ... ويقودني تفكيري الى ما يلي :

١ ـ ان تنشا مؤسسة مالية عربية تساهم فيها الحكومات العربية ، كل قدر طاقتها .

٢ ـ ان تقوم هذه المؤسسة بتاسيس بنك عربي يصدر عملة عربية مدعومة بالذهب وتساهم فيه الدول العربية بما يتناسب وغنى كل دولة .

٣ ـ ان تحل هذه العملة محل العملات العربية المحلية لكل دولة ، وان تنتقل العملة بين البلاد العربية كانتقال عملة الدولة الواحدة ضمن حدودها .

٤ ـ ان تؤمن حرية انتقال الايدى العاملة والكفاءات العلمية والخبرات بين البلاد العربية على اسس اقتصادية تقرها الوفرة والحاجة بما يؤدى تلقائيا الى الفائدة المتبادلة لاقصى حد ممكن والى منع تسربالكفاءات الى خارجالوطن العربي.

يوسف بن تاشفين

بقلم : عبد الله كنون

العدد ١٧٠ الصفحة ١٣١

● ارسل الينا الدكتور عبد الجليل عبد الرضا الراشد من بغداد تعقيبا على مقال يوسف بن تاشفين للاستاذ عبدالله كنون، ولما كانهذا التعقيب مطولا يهم اصحابالشان اكثر مما يهمقراء العربي، فقد عرضناه على كاتب المقال ، الاستاذ عبد الله كنون ، فوافانا برده المفصل عليه ، وارسلنا هذا الرد الىالدكتور عبدالجليل لمتابعة الامور بالمراسلة ان هو رغب في ذلك . ولو نشرنا التعقيب والرد لضاقت بهما صفحات هذا الباب كلها . لذلك اكتفينا بنشر المقتطفات التالية :

يقول الدكتور عبد الجليل في تعقيبه : « يوسف ابن تاشفين لم يكن يعرف اللغة العربية لانه عاش اغلب عمره في بيئة بربرية بعيدة عن اللغة العربية، وهذا باتفاق جميع المؤرخين القدامى . ولابد

اساس وحدتهم السياسية

٥ ـ ان يسمح بانتقال المنتجات العربية ، زراعية وصناعية ، وغيرها بين البلاد العربية دون قيود جمركية ، او بحد ادنى من القيود لفترة محددة .

٦ ـ ان تتفق الحكومات العربية بصدد توحيد التعرفة الجمركية على البضائع المستوردة من الدول الاجنبية ، وذلك بقصد حماية المنتجات العربية .

٧ ـ ان تقوم المؤسسة المالية المقترحة ، منفردة او بالاشتراك مع رؤوس اموال القطاع الخاص بوضع مخطط للبلاد العربية يؤمن التكامل الاقتصادي ، ويعمل على سد حاجة البلاد العربية بمنتجات عربية .

انى اعتقد ان التوحيد الاقتصادي هو الدعامة الرئيسية لكل تعاون عربي مثمر وهو الطريق الى الاستقرار الاجتماعي والازدهار الاقتصادي في البلاد العربية لكل فرد وعائلة ولكل دولة عربية غنية او فقيرة الان وفي المستقبل .

سالم قاسم عبد الرحمن / الموصل

هذا الامر عيبا في حياة هذا القائد العظيم الذي كان يعتمد على بعض الكتاب العرب من امثال عبد الرحمن بن اسباط ، ومن بعده ابي بكر بن القصيرة » .

ويرد الاستاذ / عبد الله كنون فيقول : «نفى المعقب أن يكون يوسف يعرف العربية، فرد ذلك ما كان انصار ملوك الطوائف وفلول الروائية يشيعونه عنه ويعيبونه فيه . ونحن وان كنا مع المعقب في ان هذا ليس عيبا ، فقد غفل حضرته عما صدرنا بـه مقالنا من كلام عن نشأة يوسف ابن تاشفين وتخرجه من مدرسة عبد الله بن ياسين، مما يرجح انه لم يكن اجنبيا عن العربية ... ويظن كثير من اخواننا في المشرق من العالم العربي ان البربر ، مثل غيرهم من العجم ، لايلمون بالعربية ولا يعرفها منهم الا خاصة الخاصة . والامر بالعكس . فمعظم القبائل البربرية تتكلم العربية ، وكثير منها لاتعرف البربرية اصلا مثل قبائل (جبالة) بشمال المغرب » .

الامام علي والصلاة بالناس

العدد ١٧٢ الصفحة ١٦٦

● ذكرتم ان الامام عليا ، عليه السلام . قدم ابن اخته للصلاة بالناس حين ضربه ابن ملجم بالسيف ، وهذا غير صحيح ومردود . لان الامام امر ابنه الاكبر وخليفته من بعده ـ الامام حسن ابن علي ـ ان يصلي في الناس . وليس ابن اخته واعتقد بانه لو نظرتم الى التاريخ لوجدتم بان هذا الخبر متفق عليه وقد ورد في صحيح مسلم والبخاري وكتب الشيعة . وكما اعتقد فان هذا الخطأ جاء سهوا . والرجوع الى الصواب فضيلة. وعليه اطلب تصحيح الخطأ في العدد القادم . وشكرا واقبلوا تحياتي .

سيد عابد الموسوي/الكويت

(العربي) : كان اعتمادنا في هذا الخبر على عدة مراجع ، نشير من بينها الى تاريخ ابن الاثير، اذ يقول في اخبار سنة ٤٠ هـ ، وهي سنة قتل الامام علي كرم الله وجهه « ولما ضرب ابن ملجم عليا قال « لايفوتنكم الرجل » فشد عليه الناس فاخذوه ، وتأخر علي ، وقدم ابن اخته جعدة بن هبيرة ـ وهو ابن اخته ام هانىء يصلي بالناس الغداة »

ويقول الطبري في اخبار سنة ٤٠ هـ بعد ذكر مقتل الامام : « وتأخر علي ، ورفع في ظهره جعدة ابن هبيرة بن ابي وهب ، فصلى بالناس الغداة ».

وفي كتاب « أعيان الشيعة » للاستاذ السيد محسن الامين الحسيني العاملي ـ وهو كتاب من اكبر المراجع في تاريخ الشيعة ، اذ يبلغ ٥٦ جزءا ، منها ثلاثة خاصة بترجمة الامام علي ـ بذكر القسم الثالث ، الجزء ٣ ص ٦٣ مقتل الامام ، ثم ينقل ما ذكره ابن الاثير من تقديم جعدة ابن هبيرة (ابن اخت الامام) ثم لا ينفي الخبر، ولامكان لهذا الخبر في صحيح البخاري وصحيح مسلم .

وقد اتصلنا هاتفيا بالسيد الموسوي ، واطلعناه على هذه الاجابة ، فعرفنا انه انما كان يقصد الامامة الدينية ، ونحن ما ذكرنا الا ان ابن اخت الامام هو الذي أمّ الناس في تلك الصلاة وحدها ، ولا علاقة لهذا بالامامة العظمى . وسرنا ان اقتنع السيد الموسوي بذلك شاكرا ومشكورا .

حَدِيثُ الشَّهرِ

عَقَادةُ العُقدِ

بقلم رئيس التحرير

■ من البديهيات ان يقول الناظر فى امر العرب ، فى هذه الأيام الحاضرة ، بل فى هذه السنوات الحاضرة ، وحتى منذ بدات فيهم الصيحة بالنهضة العربية الشاملة ، من البديهيات ان يقول الناظر ان العرب ، هم اليوم فى امر دنياهم ، فى موضع من الضعف بين الأمم قلّ ان كان لهم فى السنين الماضية ، وفى القرون .

فى السنين الماضية ، وفى القرون ، كانت هناك دول عربية نعم ، ولكن ندر اجتماعها تحت راية واحدة ، بدات كتلة واحدة كاكبر ما تكون الكتل ، ثم تصاغرت الكتل ، وتفرقت الدول ، والتفرق ضعف ، انتهى على ما وجب ان ينتهى آخر الدهر بالاستعمار ، حتى لم يكد يوجد بلد عربى شرقى الا استعمره بلد غربى أوروبى .

ثم مرّت على الأمم المستعمِرة ، والامم المستعمَرة ، احداث ، كان لا بد فيها من ان يتدخل التاريخ على عادته ، فيطور من علاقات ما بين هذه الأمم ، وكان مما طوّره ، رفع نير الاستعمار عن البلاد العربية ، فاستقل البلد الواحد منها بعد البلد حتى عمّ التحرر او كاد .

ولو اننا صوّرنا هذا التطور لقلنا انه تطور اشبه برعشة ، وهى تتألف من حركتين متضادتين ، حركة باغتة الى انقباض ، تلحقها حركة باغتة الى تمدّد وانبساط .

وهكذا كان التطور التاريخى الذى حدث فى هذا القرن العشرين .



● بعض الخراب الذى اصابت به الحرب العالمية الثانية ربوع اوروبا ، فكان سببا فى تبدل السياسات الاستعمارية بحسبانها سببا لكل هذه المصائب .

الاستعمار يزداد قوة بعد الحرب العالمية الأولى

انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ ، وخرج منها الحلفاء ، حلفاء الغرب من أوروبا ، وهم أكثر طمعا ، وأشد نهما ، وأحرص على استعمار مما كانوا قبل الحرب . وخططوا فيما خططوا قسمة الشرق العربى بينهم ، أو على

الاصح ، بين فرنسا وانجلترا ، وراحت الدولتان تحكمان انصبتهما من هذه القسمة بحسبانها ارث الزمان الحلال الذى لا يختصم فيه اثنان ، فلفرنسا المغرب العربى عامة ، ولانجلترا وفرنسا المشرق العربى عامة .

تراخى الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، وانتهت عام ١٩٤٥ ، من حيث قسمة الامم ووراثتها ، الى تعطيل هذا النحو من الاستعباد . وارتفع الاستعمار عن الدول العربية شيئا فشيئا ، ليس فقط بسبب ما قام فى امم الشرق العربى من حركات تجاهد فى سبيل التحرر ، بل كذلك بسبب ما قام فى امم الغرب ذاتها،فى الامم المستعمرة من تحول فى المزاج الفكرى بسبب الذى عانوه فى هذه الحرب الثانية من مآس ، فما كانت هذه الحرب ، الا حربا بين قوى متنافسة على استعمار الارض واغتصاب خيراتها . فرأوا فى آخر الدهر ان التهادن خير .

المنافسة فى الاستعمار تتفكك

ولقد ساعد على تفكيك هذه المنافسة الاستعمارية من بعد حرب ، انقسام الدنيا الى مشرق يؤمن بالاشتراكية المتطرفة،والى مغرب يؤمن بالراسمالية . وتنافس الشرق والغرب ، لا فى كسب استعمار ، ولكن فى مناداة بالتحرر من الاستعمار . فقد كانت هناك عشرات من دول الأرض وعشرات ، تلك التى لم تتبع شرقا ولا غربا ، تصغى وتستمع الى دعاية شرقية واخرى غربية ، كلاهما تريد ان تكسب هذه الامم غير المنحازة الى جانبها .

موقف امريكا

وفى كل هذا وقفت امريكا ، واعنى بها الولايات ، فى الحرب العالمية الأولى ، وعقب الحرب العالمية الثانية مباشرة ، موقفا محمودا غالبا ، بداه فى مؤتمر الصلح للحرب العالمية الأولى رئيس الولايات المتحدة الاستاذ الجامعى ، ودرو ولسن Woodrow wilson ، وتابعه من بعده ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، الرئيس روزفلت ، ولعله كان من سوء حظ الدنيا انه مات قبل انتهاء هذه الحرب .

ثم تبدل الحال فى امريكا .

وتبدل حالها خاصة تجاه العرب .

● رئيس الولايات المتحدة ولسن ، وكان استاذ جامعة ، وجاء الى مؤتمر السلم الذى اختتمت به الحرب العالمية الأولى بمعان للحرية ، وحرية الامم خاصة ، لم يرض عنها الحلفاء، ولا سيما انجلترا وفرنسا ، فهزموه . وعاد الى بلاده مقهورا يائسا . ولم يلبث ان جاءه الأجل سريعا فمات .



عقادة العقد

ارتفع الاستعمار عن ظهور العرب . وخرج المستعمرون من بلادهم ، ولكنهم كثيرا ما تركوا وراءهم فى هذه البلاد آثارا لا تنسى ، على صورة عقد لا تحل أو لا تكاد .

ومن صاحبات هذه العقد بريطانيا خاصة .

انها عقادة العقد ، فهى ما تبقى زمانا فى بلد ، وتخرج منه ، الا بعد ان تكون قد عقدت فيه عقدة يصعب على اهل البلاد حلها من بعد خروجها .

عقدة فى فلسطين

واكبر هذه العقد واسواها عقدة فلسطين ، فبريطانيا صاحبتها . انها وضعت هذه البذرة الخبيثة فى ذلك التراب الطاهر ، وظلت ترعاها ، حتى اذا احست انها اصبحت قادرة على القيام وحدها ، غادرت البلاد . تملصت وما تملصت . والناس لها ذنوب . ولكن للأمم ذنوب اكبر . وليس فى ذنوب الأمم اكبر من هذا الذنب الذى جنته بريطانيا اثناء حكمها فلسطين . عقدة عقدتها فكأنما هى عقدة ربطتها فى رقبة الزمان خانقة .

وعقدة فى جنوب السودان

وعقدة ثانية لبريطانيا عقدتها قبل ان تترك جنوب السودان .

مشكلة السودان الكبرى اليوم هى موضع اهل الجنوب منه . هم ايضا . **على ما هم فيه، وما عليه، من تعاسة، وما فى السودان من حرج ، كل ذلك من خلق بريطانيا .**



● « عقدة فلسطين ، عقدة عقدتها بريطانيا اثناء حكمها فلسطين ، فكأنما هي عقدة ربطتها في رقبة الزمان خانقة» .

فصلت بريطانيا، حين حكمت السودان، بين شمال السودان وجنوبه ، وعملت على انشاء دولتين مختلفتين ، مختلفتين لغة ، ومختلفتين دينا ، ومختلفتين مزاجا . واذنت للمبشرين فى دخول الجنوب واستيطانه ليصنعوا بشرا فى جنوب هذه الارض يختلف عن شماله . ثم لما جاء الزمان الذى وجب أن تخرج بريطانيا فيه من السودان ، خرجت وقد اطمأنت الى ما فعلت . وتركت للاحداث ان تجرى بعد ذلك مجراها اللعين .

واهل الشمال ، شمال السودان ، اقوام لهم حق الحياة . واهل الجنوب ، جنوب السودان، اقوام لهم حق الحياة. فتأتى النعرات الأجنبية، وحتى العصبيات الدينية ، تفرق بين اخوان فى الارض الواحدة رجاء كسب زعموا انهم كاسبوه فى الآخرة ، وما عرفنا الآخرة تثيب من سبب الفرقة وسبب الشقاء وزاد فى

تعاسة احد من بنى الناس ، كانوا ما كانوا ، وكان ما كان لونهم ، وكان لسانهم ، وكانت عقائدهم .

وكعقدة فلسطين والسودان ، عقدة فى ايران

وعقدة ثالثة عقدتها انجلترا ، فى موضع بين العراق وايران ، يعرفه الكثيرون . والعراق وايران ، دولتان متجاورتان وجب بحكم الجوار وحده ان يكون بينهما سلام . ولكن وجب ان يكون بينهما ، بحكم التاريخ ، وما نسج التاريخ بينهما من انسجة شتى ، ان تكون بينهما فوق السلام محبة واخاء ، والسير فى سبيل لله واحدة ، الى حيث ينتهى بهم ، الدهر منتهاه ، هو منتهى الأمم جميعا .

الكف الواحدة ، لا تعقد العقدة وحدها

ونذكر انجلترا ، ونذكر انها عقدت هذه العقد . ولكن العقدة لا تعقدها الكف الواحدة . انهما كفان ، كف المستعمر القوى الغازى ، وكف بل اكف من اهل البلاد . انى لا ابرىء بلدا ينزل به الشر ، استعمارا كان أو غير استعمار ، ابدا . انهما جرمان متكافئان ، جرم غاصب ، وجرم مغصوب . ونذم الزمان لتوفر على أهل البلاد المذمة . ونذم التخلف ، والتخلف نفسه انما هو جرم جناه الأجداد على الآباء ، ويجنيه اليوم الآباء على الأبناء .

حرية الفكر
فى سلام وفى حرب

ان موقف العرب اليوم ، من الدنيا ، ليس بخير موقف . واكثر الناس حيارى لا تدرى ما تصنع . وتستطلع راى اهل الذكر ، فلا تكاد تجد عندهم ذكرا . وانت تحاول أن تقدر هذا الحال القائم ، كم فيه من خير ، وكم فيه من شر ، فلا تجد من يعلم . والعلم كله بالطبع عند الحكومات .

ومن الحكومات من يعرف حقا ، ويعرف الكثير ، ومن الحكومات من لا يكاد يعرف أكثر مما تتناوله الصحف من وصف حال .

ومن الحكومات التى تعرف ،حكومات تحجب المعرفة عن الناس ، عن شعوبها، خشية ازعاج هذه الشعوب . ولسبب آخر : ان الأمور اذا تعقدت،وان الاجواء اذا انبهمت ، واذا المشكلات اشكلت ، فلن يستطيع اولو الأمر التوصـــل الى تحليلها والوصول بالبلاد الى بر السلامة الا باعمال الفكر فى حجرات ساكنة هادئة بعيدة عن ضوضاء السواد من الناس .

وهنا تثار مسألة حرية الفكر ،والزعم بقيام بعض الحكومات دونها .

ومن عجب ان لا يثار فى نفس الوقت حق الحكومات فى الأزمات فى الحد من الحريات . فان يكن الأصل هو اطلاق حرية الفكر ، والزمان يجرى جريانه العادى فى هدوء من صباحه ومسائه ، فالحرية ، حرية الكلمة ، قد تتغير والزمان رياح وامطار وبرق ورعـد ، وصواعق توشك ان تهبط من السماء على ارض ، فتبيد الزرع والنسل .

ان حرية الفكر فى سلام ، غير حرية الفكر والحرب على الأبواب .

القــول الفصــــل

والقول الفصل فى هذه الأمور انه ليس فيها قول فصل . ولكل حال ملابساتها .

ومع هذا يبقى المبدا الذى لا شك فيه قائما ، وهو ان الشعب له الحق فى ان يعلم كل الأمور عن بلده ، من كبيرها وصغيرها ، والسلم قائمة . وكتّـاب الشعب لهم كل حرية الكتابة ومناقشـة كل فكرة تنطلق فى جو بلادهم ، فى حدود القانون . ثم ان للشعوب آدابا اذا خرج عنها الكاتب ، ومسالك مستقيمة اذا اعوجّ فيها سيرا، وجب تقويم اعوجاجه، بالحوار ان نفع . وما أسرع ما ينفض الجمهور عن الخبائث .

اما والحرب قائمة ، فحرية القول ، وحرية النقاش ، لا بد ان تتأثر بكل موضوع يثار ويتصل بالحرب ، من قريب او بعيد . ولكن لا بد من ان نطلق النقاش،ونطلق حرية الكلمة فيما لا يتصل بحـــرب ، والا خيم الظــلام ، وفى الليالى اذا اتصل اظلامها ستر لكثير من صنوف الاجرام ، من سرقة اعراض ، وسرقة اموال ، وضياع امن ، واهدار ارواح .

فى السلم الحريات تطلق فى حدود رعاية الشعوب ، ووعيها ويقظتها أولا ، ومن بعدها القانون .

اما فى الحرب فالمسألة حلها فى امرين: ان تجود الحكومات باقصى ما تجود من حريات لا سيما فيما لا يمس الحـرب وجهودها فى سبيل دفع غائلة الأعـداء ، وان يتوخى الكتّاب أقصى ما يكون لديهم من حذر ، مع احسـاس عميق بالتبعة ، فلا يتخذ الكاتب منهم موضوعا ظـاهره متصل بحرية فى القول معترف بها ، ولكن بباطنه هدف آخر،كاثارة الجمهور لحاجة خاصة فى نفسـه .

مــع الحـرية
لا بد من تبعـــة

وسواء كنا فى حرب ، او كنا فى سلم، فلا بد ان يكون مع الحـرية احسـاس بالتبعة .

ليس لاحد باسم الحرية ان يدعو الى الاجرام ، او يدعو الى الفوضى ، واذا هو سئل فى ذلك يقول ، دعونى ، فأنا حرّ . انه حرّ فى نفسـه ، يفعل بها وهو



● « ان الانسان حر في نفسه، يفعل بها وهو في حجرة ذات حوائط اربع ما يشاء ، اما اذا هو خرج الى الناس ، فقد اختلفت بالنسبة له معاني الحريات ومعاني الحقوق » .



في حجرة ذات حوائط اربع ما يشاء ، اما اذا هو خرج الى الناس، الى المجتمع، فقد اختلفت بالنسبة له معاني الحريات ومعاني الحقوق .

ونقول اختلفت ، ولا نقول امتنعت ، فالمجتمع شيء مشاع ، هو ملك للجميع .

ووجه الاختلاف الواحد، عندما يخرج من حرية الحجرة الى حرية الطريق ، هو ان الحرية عندئذ يجب ان يصحبها شيء ، هو التبعة . فالدعوة الى الاجرام لا تبعة فيها . والدعوة الى الفوضى لا تبعة فيها .

واني لاقرا اليوم في صحف بعض الدول العربية ، الموسوم النشر فيها بالحرية ، اقرا اقوالا كثيرة لا تبعة فيها .

فكاتب يكتب باسم الحرية عن جهل .

وكاتب يكتب باسم الحرية عن حقد.

وكاتب يكتب باسم الحرية عن عنصرية غير خافية ، واخرى عارية .

وكاتب يكتب باسم الحرية عن اقليمية جارفة .

وكاتب يكتب باسم الحرية واكاد استشف فى اسطره روائح صهيونية ، ويمنعنى من الجزم ان حروف المقال حروف عربية .

وكاتب يكتب باسم الحرية ، وهو انما يهدف الى خنق الحرية .

★★★

● **اما والحرب قائمة ، والحرب حرب مصير ، فالتبعة تسبق الحرية وتعلو .**



وكثيرا ما قرات مقالا ، فاذا بى اردد فى ختام قراءته قول : مدام رولان Madame Roland عندما مرت بتمثال الحرية بباريس، وقد ساقها رجال الثورة الفرنسية الى الساحة التى قطعوا فيها راسها بالسكين :

« ايتها الحرية ، كم باسمك تقترف الآثام » .

والى جانب ما اقرا من مقالات مريبة، اقرا اخرى واعية تحمل التبعة بالذى فيها من ثقل .

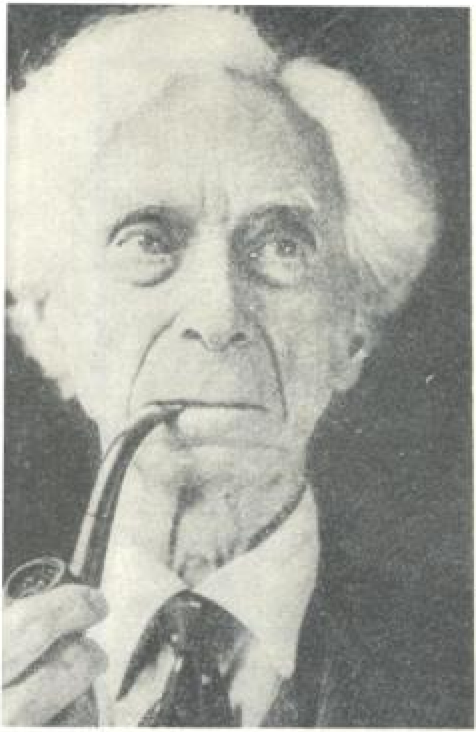
وكل هذا نقبله والسلم قائمة ، كما نقبل الحياة خيرا وشرا . وكما نقبل العيش طهارة وتجنسا . وكما نقبل الطعام غذاء طيبا وقمامة .

فى السلم نقبل الحرية ما ساء منها وما سر ، تحت رعاية الشعب ، وفى حماية القانون السخى الكريم .

اما والحرب قائمة ، والحرب حرب



● **« وكاتب يكتب فى الصحف العربية ، باسم الحرية ، واكاد استشف فى اسطره روائح صهيونية ، لولا ان حروف المقال حروف عربية » .**



مصير ، فالتبعة تسبق الحرية وتعلو .

ونحن فى ذلك انما نفعل ما فعلته الأمم الديمقراطية من قبلنا .

ان فيلسوف العصر الفيلسوف البريطاني برتراند راسل Bertrand Russell ادخلته بريطانيا في السجن ، بسبب موقفه والبلاد فى حالة حرب . ولا احسبه الا انه رضي موقفه من الحكومة ، كما رضي موقف الحكومة منه . انه رجل حكيم ، يرى لنفسه ، ويرى لغيره .

● برتراند رسل ، الفيلسوف البريطاني الكبير ، ادخلته بريطانيا في السجن بسبب موقفه والبلاد في حالة حرب .

أكبر السعادة

انتفاء الآلام ، لا متعة الأجسام

ابيقور ، والابيقورية

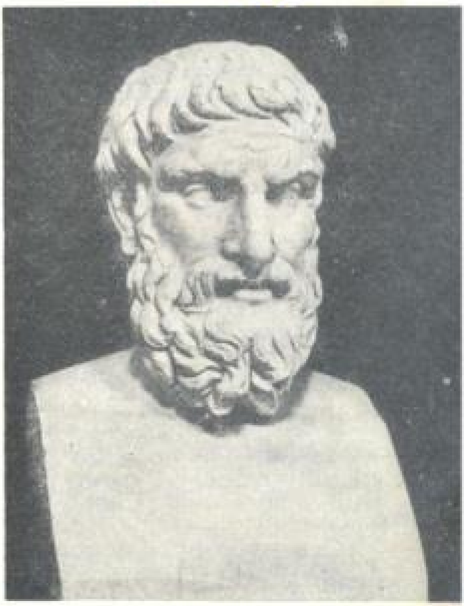
لا يا سائلي ، لم يكن الفيلسوف القديم ، ابيقورس Epicurus ، منغمسا فى الملذات الحسية ، وليست الأبيقورية بالمذهب الداعي لاغتنام الملذات بحسبانها الخير الأسمى .

ان الوصف الذى وصفت به الرجل هو الوصف الشائع عنه اليوم ، بل ،

هو الذى كان شائعا عنه منذ نحو الفين من الأعوام . ذلك ان الكتاب الأغارقة الذين جاءوا بعده ، وصفوه فوصموه ، امّا جهلا بتعاليمه التي علّمها تلاميذه ، وامّا سوءَ فهم منهم لها ، او راق لهم التحريفَ فجرّوا فيه داعين الى اللذائذ والاغراق فيها ، باسم كان له بين الاغريق صدى واسع .

وحتى اليوم ، اذا وصف رجل رجلا من الناس بأنه ابيقورى ، لا سيما بلغة الغرب ، ظن السامعون ان الرجل الموصوف انسان تهمّ جشع اكثر ما يعنى به معدته . وتحوّل هذا الوصف فصار ايضا صفة للرجل الذى يتأنق فى اختيار طعامه وشرابه، الرجل الذّواقة ، الخبير بالطعوم جميعا . وباكتساب هذه الخبرة

● ابيقور ، فيلسوف الاغريق الشهير .



ابعدوه عن عنصر الجشع ، وهو عنصر عند الناس ذميم .

اما ابيقور فما جاز له ان يدعو الى ملء المعدة ، وهو الرجل الممعود الذى كانت تأتيه الآلام من مستودع الطعام هذا . وقد غلب على طعامه ان يكون الخبز والماء ، وقد اشتهى يوما ، فكتب يقول ان اشهى ساعة عنده ساعة طعام ، من خبز ، تضاف اليه قطعة من جبن مُعتّقة تدخل الى النفس السرور .

ابيقور يتحدث عن اللذة

نعم تحدث ابيقور عن اللذائذ والمتع ، وقال انها ، فى الحياة الطيبة المباركة خير اولا ، وخير آخرا . وقال انه يعجز عن فهم الخير يأتي الناس اذا هم افتقدوا لذة اللسان ، ولذة العين ، ولذة الاذن ، ولذة الحب . وهو ارتأى ان اللذائذ جميعا تبدأ من المعدة .

وابيقور يقسّم اللذائذ الى نوعين ، لذة فيها الحركة ، ولذة فيها السكون . فالاكل لذة ذات حركة، والشعور بالشبع فى هدوء من بعد طعام لذة ذات سكون . وعنده ان اللذة ذات السكون خير من اللذة ذات الحركة . واللذائذ الصامتة عنده خير من اللذائذ الصارخة ، لان الصارخة تثير الألم ، او ان الانسان يمارسها دفعا للالام .

وعند ابيقور ان الحياة لذة والم . والرأى المسيطر على فلسفته ان دفع الالم خير من اجتلاب اللذة ، وعنده ان انتفاء الآلام من حياة الانسان هي السعادة فى اسمى مراقيها .

والفضيلة عنده معناها الحصافة والحذر فى الانسان عندما يطلب متع الحياة . فالمعدة ، وهي من مصادر اللذة الكبرى، يسيء اليها النَّهَم؛ لان النهم

يجلب التخمة ، والتخمة تجلب الألم . وانتفاء الالم خير من حيازة المتعة .

كذلك فى الحياة متع تتصل بطلب الثراء وطلب مقاعد التشريف والوجاهة، وهى كلها متع كواذب ، لأن القلق يصحبها ، ويصحبها الترقب والخشية ، ويصحبها الشجن ، واضطراب النفس ، والسعادة لا تكون الا مع الطمأنينة والعيش الهادىء .

والفلسفة عنده طريقة ، القصد منها هدى الناس الى الحياة الطيبة . والفلسفة عنده فى غير حاجة الى المنطق، ولا الى العلوم الرياضية على ما وصف افلاطون . الفلسفة عنده ليست الا آراء بادهة صادرة عن عقل سليم .

وابيقور ، وفقا لهذا ، دعا تلاميذه الى العزوف عن المناصب العامة ، لأنهم بتقلدها واكتساب ما تعطيه من نفوذ ، يزيدون بذلك حسادهم ، ويزيدون أعداءهم . وهم حتى اذا افلتوا من اصابة الأعداء اياهم ، لم يفلتوا من حياة كثيرة الجزع ، كثيرة الخوف . وعنده ان الرجل الحكيم هو الذى يمضي فى حياته دون ان يحس به احد ، فلا يكون له اعداء .

وابيقور كان يرى فى الحب الجنسي متعة من اكبر المتع الانسانية ، وهي من حيث النوع اشد المتع حركة ،واذن فهي مرفوضة عنده. قال : انه ما وجد انسانا ناله من هذا الحب خير، والرجل المبخوت هو الذى ينجو منه ، فلا يصيبه الضرر . ومع هذا كان فيلسوفنا هذا يحب الأطفال . الأطفال الذين ينجبهم غيره من الرجال .

حياته

ابيقور كان مواطنا اغريقيا اثينيا ، ولد عام ٣٤٢ قبل الميلاد، ومات عام ٢٧٠ قبل الميلاد. وهو لم ينشأ اول ما نشأ فى اثينا، وانما فى ساموس ، وهي جزيرة اغريقية قريبة من شاطىء آسيا الصغرى . ومن ساموس ذهب الى اثينا ، وسنه ١٨ عاما ، فى نحو العام الذى مات فيه الاسكندر الاكبر ، اى نحو عام ٣٢٣ . وهناك درس ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى آسيا الصغرى . وفى عام ٣٠٦ قبل الميلاد كان قد استقر فى اثينا . وكان له منزل فيها ، وكانت حديقة . وفى هذه الحديقة درّس والتقى بمريديه الى ان وافته منيته .

خاطرة ليست بالجديدة ، ولكن ...

ان الخاطرة بأن الحياة تتألف من لذائذ وآلام ليست بالخاطرة الجديدة ، فالناس من قبل ابيقور، ومن بعد ابيقور، لا شك تعلموا ، ولو بالخبرة ، ان الحياة الم ولذة . ولعل الجديد فيما جاء به ابيقور هو ان المتعة ، اسمى المتعة ، هي خلو الانسان من الآلام . ولعلها هي الأخرى خاطرة مرّت بالف راس من رؤوس الناس والف ، قبل ابيقور ، ومن بعده ، ولكنها ظلت عارية حتى كساها ابيقور لفظا ، فتجسدت ، كما وجب ان تتجسد الأشباح لتصبح حقائق تدركها احاسيس الناس .

واذا نحن زدنا على ذلك ، ان المتعة ايجاب ، وان انتفاء الالم سلب ، وان الانسان هنا يفضل السلب على الايجاب؛ كان ذلك زيادة فى افصاح ، وزادت حكمة ابيقور كمالا واكتمالا .

خاطرة بسيطة عاشت فى بطون الكتب التي تتحدث عن الفلسفة والفلاسفة . القرون الطويلة .

●●

احمد زكى

بجلب التخمة ، والتخمة تجلب الالم . وانتفاء الالم خير من حيازة المتعة .

كذلك فى الحياة متع تتصل بطلب الثراء وطلب مقاعد التشريف والوجاهة، وهي كلها متع كواذب ، لان القلق يصحبها ، ويصحبها الترقب والخشية ، ويصحبها الشجن ، واضطراب النفس ، والسعادة لا تكون الا مع الطمأنينة والعيش الهادىء .

والفلسفة عنده طريقة ، القصد منها هدى الناس الى الحياة الطيبة . والفلسفة عنده فى غير حاجة الى المنطق، ولا الى العلوم الرياضية على ما وصف افلاطون . الفلسفة عنده ليست الا آراء بادهة صادرة عن عقل سليم .

وابيقور ، وفقا لهذا ، دعا تلاميذه الى العزوف عن المناصب العامة ، لانهم بتقلدها واكتساب ما تعطيه من نفوذ ، يزيدون بذلك حسادهم ، ويزيدون اعداءهم . وهم حتى اذا افلتوا من اصابة الاعداء اياهم ، لم يفلتوا من حياة كثيرة الجزع ، كثيرة الخوف . وعنده ان الرجل الحكيم هو الذى يمضي فى حياته دون ان يحس به احد ، فلا يكون له اعداء .

وابيقور كان يرى فى الحب الجنسي متعة من اكبر المتع الانسانية ، وهي من حيث النوع اشد المتع حركة ،واذن فهي مرفوضة عنده. قال : انه ما وجد انسانا ناله من هذا الحب خير،والرجل المبخوت هو الذى ينجو منه ، فلا يصيبه الضرر . ومع هذا كان فيلسوفنا هذا يحب الاطفال . الاطفال الذين ينجبهم غيره من الرجال .

حياته

ابيقور كان مواطنا اغريقيا اثينيا ، وُلد عام ٣٤٢ قبل الميلاد،ومات عام ٢٧٠ قبل الميلاد. وهو لم ينشأ اول ما نشأ فى اثينا، وانما فى ساموس ، وهي جزيرة اغريقية قريبة من شاطىء آسيا الصغرى . ومن ساموس ذهب الى اثينا ، وسنه ١٨ عاما ، فى نحو العام الذى مات فيه الاسكندر الاكبر ، اى نحو عام ٣٢٣ . وهناك درس ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى آسيا الصغرى . وفى عام ٣٠٦ قبل الميلاد كان قد استقر فى اثينا . وكان له منزل فيها ، وكانت حديقة . وفى هذه الحديقة درّس والتقى بمريديه الى ان وافته منيته .

خاطرة ليست بالجديدة ، ولكن ...

ان الخاطرة بأن الحياة تتألف من لذائذ وآلام ليست بالخاطرة الجديدة ، فالناس من قبل ابيقور،ومن بعد ابيقور، لا شك تعلموا ، ولو بالخبرة ، ان الحياة الم ولذة . ولعل الجديد فيما جاء به ابيقور هو ان المتعة ، اسمى المتعة ، هي خلو الانسان من الآلام . ولعلها هي الاخرى خاطرة مرّت بألف رأس من رؤوس الناس والف ، قبل ابيقور ، ومن بعده ، ولكنها ظلت عارية حتى كساها ابيقور لفظا ، فتجسدت ، كما وجب ان تتجسد الاشباح لتصبح حقائق تدركها احاسيس الناس .

واذا نحن زدنا على ذلك ، ان المتعة ايجاب ، وان انتفاء الالم سلب ، وان الانسان هنا يفضل السلب على الايجاب، كان ذلك زيادة فى افصاح ، وزادت حكمة ابيقور كمالا واكتمالا .

خاطرة بسيطة عاشت فى بطون الكتب التي تتحدث عن الفلسفة والفلاسفة . القرون الطويلة .

●●

احمد زكى

خلق الجاهلية أو أدب الإسلام

بقلم : الشيـخ احمـد حسن الباقورى

شر ما تصـاب بـه الشعوب ، ان يتحرى بها القائمون على ثقافتها مرضاة العوام ، بكل ما يسخط الحق ، ويمسخ التاريخ .

يكتب الكاتبون كتبا ومقالات، ويتحدث الواعظون فى مجالس وندوات ، وفى حيث تبلغ الاذاعات بمواعظهم واحاديثهم غاية مداها ، فلا يكون لأولئك وهؤلاء حديث احب اليهم ولا ارضى لعواطف الغوغاء وامكن فى قلوب العوام ، من ان يخلعوا على الأمة العربية فى جاهليتها كل مايضع من احساب العرب ويغض من اقدارهم ويرمى بهم فى مطارح الرذيلة ، وكأن الاسلام قد خلق الذين ايدوا رسول الله خلقا جديدا ، لم يكونوا قبله شيئا يذكر بفضل او ينسب الى كرم .

وان الصدور لتضيق بمكالة اولئك السادة ـ كاتبين ومتحدثين ـ فيما يجرى على غير طريقهم ، وخاصة أهل النظر منهم وذوى الفضل بينهم .

ان العرب في جاهليتهم ـ شأنهم شأن سائر الامم ـ لهم فضائل ولهم رذائل ، مع فرق ينبغى ملاحظته لمن ينشد الانصاف ، وهو أن رذائلهم ناشئة في الامم الاغلب عن فضائل تطرفت . فوأد البنات مثلا رذيلة مقيتة ، تطرف بهم اليها شدة الاعتزاز بسلامة العرق ونقاوة النسب . وكذلك التبذير رذيلة ، حملهم عليها ايثار الذكر الحسن والاستطالة على الناس ، فهو فضيلة تطرفت حتى استحالت الى رذيلة . وفرق واضح بين الرذائل النواشىء عن فضائل ، وبين الرذائل الاصيلة في هذا الباب .

بهذه النفوس الطامحة الى المجادة في غير قصد ولا اعتدال ، آثر القوم حفظ انسابهم وتخليد مآثرهم، وقيدوا لانفسهم بالاشعار مناقبهم ، ورأوا للشرف حقا لم يره غيرهم ، فبلغوا الغاية من التعالى على من عداهم ، حتى سموا الولد من أم غير عربية وأب عربى هجينا ، والولد من أم عربية وأب غير عربى مقرفا ، وأما الولد من أبوين عربيين فسموه صريحا ، ولم يجعلوا لغيره من الحقوق ما جعلوه له .

كذلك مضوا ينظرون الى انفسهم بالاضافة الى من عداهم نظرة استعلاء واستكبار ، بحق أو بغير حـق .

والناظر في لغتهم قادرة على تصوير ادق خوالج النفوس واخفاها ، وفي أشعارهم وأسمارهم خالدة بها تصرفاتهم ، لا مندوحة له عن أن ينقاد بقوة البرهان الى الايمان البصير بأن أولئك القوم لم يكونوا قط في جاهليتهم على ما يزعم القصاص من الانحطاط في الفكر والخلق والسلوك .

وهذا المعنى يتجلى لرائديه في أمرين ، معقول ومنقول : ـ

فاما المعقول فهو اختيار الله تعالى هذه الأمة من بين سائر الأمم ذوات الحضارات العريقة ليبعث فيها الى الناس كافة خاتم رسله وانبيائه داعيا

> ثم نهض رسول الله ، قابضا على يد ابى بكر وهو يقول : يا ابا بكر ، اى اخلاق فى الجاهلية هذه ؟! ما اشرفها .

الى رفع خسيسة الانسان ، والى الاخوة العالمية في نطاق العبودية لله رب العالمين « الله اعلم حيث يجعل رسالته » .

اما المنقول فانه من الكثرة في شعر العرب ونثرهم بحيث تضيق عنه الصحائف الكثيرة . وحسبنا من ذلك « حلف الفضول » الذى قام قبل البعثة المحمدية بعشرين سنة . وهو – على مايذكر الامام السهيلى – اكرم واشرف حلف تسامع به الناس . وكان أول من تكلم بهذا الحلف ودعا اليه « الزبير بن عبد المطلب » ، استجابة لنداء ملهوف مستغيث من ظالم ، وذلك ان رجلا من « زبيد » في اليمن قدم مكة ببضاعة اشتراها منه « العاصي بن وائل » ثم حبس حقه عنه ، فاستعدى الزبيدى عليه : عبد الدار وجمحا ومخزوما وسهما فابوا ان يعينوه على العاصي من حيث كان ذا قدر وشرف بمكة .

فلما راى الزبيدى الشر ، اوفى على جبل « ابي قبيس » وقريش في انديتها حول الكعبة ، ثم صاح يطلب الانتصاف من ظالمه في شعر يذكره اهل السير . فخف اليه « الزبير بن عبد المطلب » وهو يقول : ما ينبغى الاعراض عن مثل هذا . ثم اجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا في ذى القعدة قياما على ان يكونوا يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه .

لهذا سمت قريش ذلك الحلف «حلف الفضول» قائلين : لقد دخل هؤلاء في فضل من الامر . ثم مشوا الى العاصي فانتزعوا منه بضاعة الزبيدى فدفعوها اليه .

وفي هذا الحلف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ، ولو دعيت اليه في الاسلام لاجبت .. تحالفوا ان ترد الفضول على اهلها ، وأن لا يَعَزَّ (يغلب) ظالم مظلوما » .

افلست ترى هنا شرفا عربيا جاهليا يتمثل اصدق تمثل في معاونة مظلوم على قهر ظالم ؟ ثم الست ترى – مع هذا – ان تناول العرب في جاهليتهم بما يرضي الغوغاء من خلع اوصاف السوء عليهم هو امر يجافي الحق وينافي الانصاف ؟

وامر آخر لا يمكن تجاهله في هذا المقام وقد شرَّف به رسول الله صلى الله عليه وسلم الخُلُقَ العربي الجاهلي واثنى عليه ثناء جميلا . فذلك حيث روى الشيخ « ابو بكر البيهقى » في « دلائل النبوة » بسنده عن ابن عباس قال : حدثني علي بن ابي طالب من فيه قال : لما امر الله تعالى رسوله ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج ومعه ابو بكر حتى اذا راى ابو بكر مجلسا عليه المهابة والوقار ، تقدم وكان رجلا مقدما في كل خير ، وكان رجلا نسابة ، فسلم قائلا : ممن القوم . قالوا : من شيبان بن ثعلبة . فالتفت الى رسول الله فقال : هؤلاء غرر الناس . وفيهم مفروق بن عمرو وهانىء بن قبيصة والمثنى ابن حارثة ، فمل بنا اليهم يارسول الله . وكان مفروق قد غلب القوم جمالا ولسانا ، وكان ادنى القوم مجلسا . فقال ابو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال مفروق : نزيد على الف ، ولن تغلب الف من قلة . قال أبو بكر : فكيف المنعة فيكم ، قال مفروق : علينا الجهد ، ولكل قوم جَد ، قال ابو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم . قال مفروق : انا لاشد ماتكون غضبا حين نلقى ، وانا لاشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وانا لنؤثر الجياد على الاولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يديلنا مرة ويديل علينا أخرى . ولعلك اخو قريش .

قال أبو بكر : قد بلغكم انه رسول الله ، الا هو ذا .

قال مفروق : بلغنا انه يذكر ذلك . الامَ تدعو يا اخا قريش ؟

فتقدم رسول الله فجلس ، وقام أبو بكر يظلله بثوبه . فقال صلوات الله عليه : ادعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن تؤووني وتنصروني ، فان قريشا ظاهرت على

امر الله وكذّبت رسوله واستفتت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد .

قال مفروق : والامَ تدعونا يا اخا قريش ؟ فتلا عليهم الرسول من سورة الانعام : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ... الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ » .

فقال مفروق : دعوت والله يا اخا قريش الى مكارم الاخلاق . ولقد أفك قوم كذّبوك وظاهروا عليك ـ وكأنه احب ان يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة ـ فقال : وهذا هانيء شيخنا وصاحب ديننا .

فقال هانيء : قد سمعت مقالتك يا اخا قريش، واني ارى ان تركنا ديننا واتباعنا على دينك بمجلس جلسته الينا ان ذلك زلل في الراي ، وقلة نظر في العاقبة . وانما تكون الزلة مع العجلة. ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ، ولكن نرجع ونرجع ، وتنظر وننظر ـ وكأنه احب ان يشركه المثنى بن حارثة ـ فقال : وهذا المثنى صاحب حربنا . فقال المثنى : قد سمعت مقالتك يا اخا قريش . والجواب جواب هانيء . ونحن قد نزلنا بين انهار كسرى ومياه العرب . وبيننا وبين كسرى عهد الا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا . والامر الذي تدعو اليه مما تكرهه الملوك . فان احببت ان نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب ، فعلنا .

فقال رسول الله : ما اسأتم في الرد اذ افصحتم بالصدق ، ولكن دين الله لا ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه .

ثم نهض رسول الله قابضا على يد ابي بكر وهو يقول : « يا ابا بكر اية اخلاق في الجاهلية هذه . ما اشرفها . بها يدفع الله عز وجل باس بعضهم من بعض ، وبها يتحاجزون فيما بينهم » .

وربما يسوغ لنا ان نرد الشرف الذي اسبغه رسول الله على هؤلاء في جاهليتهم الى عدة امور : احترامهم معنى التخصص ، وايثارهم التروي ، ورعايتهم العهود .

واذ قد اسبغ النبي صلى الله عليه وسلم على العرب في جاهليتهم هذا الشرف والثنى عليهم ذلك الثناء ، فليس عجيبا ان يأثر الثقات عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب قولته الجليلة : اني لاعلم متى تهلك العرب ، اذا جاوزوا الجاهلية فلم يأخذوا باخلاقها ، وادركوا الاسلام فلم يقِفْهم الورع .

فانت ترى ـ حفظك الله ـ في هذه الكلمات المبينة انه رضي الله عنه لم يوازن بين خلق الجاهلية وادب الاسلام ، ولكن وازن بين خلق الجاهلية وورع الاسلام .

كان عرب الجاهلية خاصة ابناء اسماعيل يؤمنون بالله حقيقة ثابتة منزهة عن كل نقص ، وذاتا واعية متصفة بكل كمال . وكانت سبيلهم الى هذا الايمان دعوة أبيهم ابراهيم ، الى جانب الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله .

ولم تكن الحواس هي السبيل الى الايمان بالوجود الحق الذي لا اول له ولا آخر لانه سبحانه فوق الحواس . وليس في قدرة زاعم الزعم بان الحواس هي السبيل القادرة بالقدرة على تحصيل الايمان بموجود لاشك في وجوده ، فهذه الجاذبية التي يقوم بها كون الله العظيم لا سبيل اليها لحاسة ، مع ان وجودها في نفسها كوجودها في اذهان العلماء لا ترقى اليه الشكوك .

وانما اتخذ العرب في جاهليتهم الاصنام والأوثان معبودات لهم ، ليتقربوا بها الى الله زلفى ، وكان جلاله سبحانه في انفسهم خيل اليهم ان عبادتهم اياه بغير واسطة ، جراءة لا تليق بالمخلوق بين يدي الخالق العظيم .

وكما كان ذلك الجيل من الناس يؤمن بالله تعالى على هذه الصورة المتعالية ، كانوا يحرصون في سلوكهم في اغلب الاحيان على اعرق الطرفين في مكارم الاخلاق ، بالغا ما بلغ الحرج بهم والمشقة عليهم .

فاذا خلف من بعدهم خلف انتحلوا العروبة جنسا او لغة لم تنكروا للحق ، فانكروا الخالق، وتحللوا من الفضائل ، واستخفوا بقيمة اللغة ، فانهم آفاقيون لا تجمعهم الى العروبة آصرة ولا يربطهم بها تاريخ .

ان من الظلم للحقيقة ان نتجهم لتاريخ الامة العربية الجاهلي كله في موازنات سطحية نترضى بها الغوغاء ونستهوي الدهماء ، فان قضاء رسول الله وخيار اصحابه باسباغ الشرف عليهم خليق بان يردنا في عرفان قدرهم الى قصد السبيل . والله ولي المؤمنين .

احمد حسن الباقوري



الصوتُ المغرِّد

بقلم : فاضل خلف

صوتُك أم أغرودة البلبل — هذا الذي ينساب كالجدول ؟
يُغازِل السُّمّارَ في أنسِهم — ويَبعث البهجةَ في المَحفِل
يداعب الروحَ ، فيسمو بها — نحو السِّماكِ الشاهق الأعزَل
يُهَدْهِد النفس ، كأم رعت — طفلاً لها في عامه الأول
يُشَنِّفُ السمعَ بأنغامه — وفيضِه الدافقِ والمَنهَل
ويَغمُر القلب – إذا أظلمت — آفاقُه – بالرائق السَّلسَل

* * *

مُلهِمةَ الأشعار ، جوبي الفضا — بصوتك الصادح كالبلبل
وتنقّلي شدْوَك من منزل — وردّدي الشدْوَ إلى منزل
وغرّدي في الأفق مزهوةً — وزغردي ، بالله لا تبخل
فأنت فينا ، اليوم ، أغرودةٌ — فيها شفاءُ الخافق المُثقَل
فعانِقي الأرواحَ في دفقة — من دفقات الهاطل المُرسَل
فيك المُنى ، والنفسُ في لهفة — يا ربةَ الإفصاح والمِقوَل

فاضل خلف
الكويت

محمد عوض محمد

صور من حياته

٤ ابريل ١٨٩٥ - ٩ يناير ١٩٧٢

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

مدير جامعة الكويت

كنا نحس انه اكثر من واحد .. كثيرون فى واحد . هكذا كنا نتحدث قبل ان نلقاه فى محاضرات قسم الجغرافيا ، بكلية الآداب بجامعة القاهرة .. الجامعة المصرية وقتئذ .

الوقت : اكتوبر ١٩٣٧ . وهذه هى المحاضرة الأولى للدكتور عوض . المادة جغرافية اجناس . الطلبة : السنة الثانية قسم الجغرافيا والتاريخ . القاعة (٨) بالقسم . كراسى ومناضد خشنة . المكان يضيق بمن فيه . باب الى جوار السبورة ندخل منه مسرعين . باب آخر فى مؤخرة القاعة نتواصى دون تعارف سابق ، بأن نستخدمه بعد دخول الدكتور عوض ..

لماذا عوض بالذات لا نستخدم الباب الى جواره بعد دخوله ؟ ..

ويدخل عملاقا ، بمنظاره السميك ، وقامته الفارهة ، وانحناءة قليلة فى مشيته ، مذكراته فى يده قريبة من قلبه ، كأنه ينحني عليها او يضمها اليه ، أليست جزءا منه ؟ يضمها امامه على المنصة العالية . واقف لا يجلس . هكذا ظل طول حياته واقفا عابدا فى محراب العلم . ويبدأ فى عرض موضوعه .

نقاط تتفرع منها نقاط تفتح على ثقافات متنوعة . ربط بين العربية والفارسية والسريانية والتركية . ربط بين الجغرافيا والتاريخ والأدب والدين . استشهاد بمراجع وباحثين انجليز وفرنسيين والمان . تفسير جغرافى لبيت من الشعر . فكاهة ذكية تقلل من جفاف المادة دون ان تمس وقار المحاضرة .

ونحس به طائرا بجناحين قويين يحلق بهما فى هدوء وثقة واستمرار الى آفاق رحبة ، انت وهو



بها سعيد . هذا القريب البعيد .. ما اطول رحلاته .. وأطول رحلاتنا معه .

وتخرج من المحاضرة . بين أيديك نقاط ،وتوجيه الى مراجع ، وشعور بان افاق العلم رحبة .. رحبة ، دون أن تحس هوانك او ضعفك : فهذه يد قوية حانية تاخذ بيدك البادئة على الطريق .

ونسارع الى المكتبة ، ونبدا في تقسيم الموضوعات فيما بيننا ، كاننا خلية نحل تعمل في تعاون وتنافس .

ويمر يوم ويوم ونلتقى معه لقاء وعرا .. انها ساعة المناقشة حين ينفرد بنا ، نحن ابناء قسم الجغرافيا . ساعة يتحسس قوانا وشخصياتنا .

اسم يختاره . خريطة لاى جزء في العالم يطلبها . تعليق على الرسم . دراسة حول الخريطة المختارة . وتتنوع الاسئلة حول الموضوع المختار مع ارشاد الى ايسر الوسائل في رسم الخرائط .. كانه يدرس لنا طرق التدريس الى جانب تدريس المادة .

ويلقانا بعد هذا في مكتبه فردا فردا ، ينظر في مذكراتنا ويسالنا عن ظروفنا العائلية : أين تسكن؟ كيف تعيش ؟ مع من ؟ ما مشكلاتك ؟ في هذه الجلسة كان حديثه من افق الأبوة . يفتح لنا باب قلبه ندخله اذا ما اردنا العون او المشورة . ويسجل ملاحظاته في مذكراته على كل فرد منا .

واحسسنا اننا نرتبط معه باكثر من رباط . وحافظ بعضنا على هذا الود بعد التخرج من القسم .. اولئك الذين كانوا قريبين منه بالعمل وعرفان الجميل .

ومع مرور الأيام والاعوام تزداد الصلة بيننا وبينه قوة .. وتتسع الدائرة من روابطنا كافراد الى روابطنا كاسر .. الزوجات اخوات ، الابناء والبنات يتابعون المودة ..

هكذا كان أمرنا معه حتى يوم الرحيل . وظلت القلوب والعقول بعده ، وفاء لمن عاش وغرس في نفوسنا الوفاء .

* * *

ويحدد مرجعا من تاليفه « سكان هذا الكوكب » ويحصى اسماءنا حتى ناخذ الكتاب ـ رغم رخصه ـ بخصم ٥٠٪ من ثمن الغلاف : لماذا؟

ـ ان اجرى عن التاليف يدخل في مرتبى . طلبه العلم لا ينبغي أن يكونوا مجالا لاستغلال استاذ .. والاستاذ الذى يرتضى هذا لنفسه ، ليس جديرا بشرف الاستاذية . ذلك لانه اذا باع كتابه بثمن مرتفع ، فكانه اخذ اجره مرتين ..

هذا الذى يحرص على قروشنا الضئيلة ، هو الذى وقف في شموخ عندما حدث عدوان على استقلال الجامعة في مطالع الثلاثينات . وصدر قرار الوزير المسئول عندئذ بابعاد صفوة من أساتذة الجامعة من بينهم محمد عوض محمد .

ومن قبل هذا نعلم انه امضى سنوات في المنفى في اثناء الحرب العالمية الاولى ، لم تضع عبثا .. تعلم فيها الألمانية ، وفتح المنفى له نافذة على ثقافة رحبة .. انه يتعلم من المنفى ، ومن الابعاد عن الجامعة ، ولا تزيده الضغوط الا صلابة .. هذا الذى يحرص علينا ، ويقلب عقولنا بين يديه تقليب الصيرفى القدير ..

وتتكرر القصة معنا في السنة الرابعة عندما نشترى كتاب « نهر النيل » ، بخصم ٥٠٪ . عوَض كما هو . لا يتغير . المبادىء عنده كقواعد الهندسة . المثلث ١٨٠ درجة لا تزيد ولا تنقص .

لا مجال في هذه للمساومة ولا مجال للمساومة عنده فيما يعتقد انه الحق .

وظلت كتبه طول حياته رخيصة الثمن ، رغم الجهد الاصيل الذى يبذله فيها ، وما حصلت عليه من جوائز تشجيعية وتقديرية .

الكتاب سلعة تباع وتشترى ، ولكنه ـ عنده ـ سلعة ميسرة لطالب العلم كاوسع ما يكون التيسير، وكاقرب ما يكون المنال .

وتتقدم به السن ، ونحن نعلم حساسية البصر عنده ، فنعرض متطوعين ان نقوم بمراجعة تجارب المطبعة في كتبه الجديدة او حين يعيد طبعها .. هكذا عشنا اكثر من مرة مع كتبه « نهر النيل » في طبعاته الست « السودان الشمالي » ، « من حديث الشرق والغرب » ، « ملكات الجمال » ، .. ولرى تسجيلا لهذا التعاون في مقدمة كتبه عندما ترى النور لاول مرة .

★ ★ ★

هنا في مكتبة قسم الجغرافيا بعض كتبه : نهر النيل . سكان هذا الكوكب .. ولكنا نعلمه متعدد المواهب . بعض كتبه مكانها المكتبة العامة : منحديث الشرق والغرب. ترجمة فاوست للشاعر جيته Gaete . وهذه مقالاته في الرسالة ، وقصائد تعكس اماله .. نقرؤها ونحفظ منها ابياتا ..

الا من لنفسي ـ والأماني عزيزة ـ
بأرض خلت من ظالم ولئيم
وصومعة شيدت على راس ربوة
مهب رياح زعزع ونسيم
ومن خلفها ينبوع ماء مسلسل
كدر على صدر الصخور نظيم

الى ان يقول فيها :

فان زارني فيها الردى متخشعا
فأهلا به من زائر ومقيم

نعم .. يحق لك ان تطلب ارضا ليس فيها الظلم واللؤم .. فلكم قاسيت منهما . انت الذى تعتمد ـ اكثر ما تعتمد ـ على الموهبة والجهد . لكنك الجغرافي ، حتى في شعرك . فيه ذلك مثلك : راس ربوة ، مهب رياح ، صدر الصخور .. وانت تقابل بالبسمة حتى الموت زائرا ومقيما ..

هذه الموهبة المتعددة النواحي فتحت له ابواب المؤتمرات الدولية ، ووصلت به الى رئاسة المجلس التنفيذي لليونسكو ، واعطته مكانة كشخصية انسانية عالية : في دفاعه عن الانسان . في محاربة الرق . وتقاريره عن ذلك الى الامم المتحدة .. وهو ـ مع هذا كله ـ الجغرافي الدقيق الحس ، الصافي الاسلوب ، الموسيقى العبارة ، وبها ظلت كتاباته اثرا علميا وادبيا في الوقت نفسه .. قمما شامخة في صعيد الانتاج الجغرافي العربي .

★ ★ ★

عند دخولك بيته تجد الكتب ابرز ملامح الصورة واهم اجزائها : في المدخل . في حجرة الاستقبال . في الممرات . في حجرته الخاصة المطلة على النيل . النهر الذى صاحبه عوض في رحلة الحياة .

كنت اراها في تنسيق البيت ، كالحفر والرسم على جدران المعابد المصرية القديمة : تسجيلا وحياة وليستمجرد زينة .. وفي حجرة الاستقبال صورة زيتية له رسمها الفنان صلاح طاهر تمثله جغرافيا ، منظاره على عينيه ، ومنظار مكبر معلق في رقبته ونظرته الى الافق البعيد ، ومن ورائه لمحات من مصر : الصحراء والخضرة .

وتجلس اليه فاذا دار حوار حول موضوع كانتيده قريبة من المرجع .. كان المرجعيستجيب ليده في طواعية صديقة ..

كنا نناقش يوما موضوعا عن الروابط الحضارية بين مصر وغربي افريقية فقال :

ـ هو عندك في صبح الأعشى للقلقشندي .

والمرجع الى جوارنا في حجرة الاستقبال .

ودارت يدى بين عدد من الاجزاء ، فقال :

ـ ضع يدك على الجزء المحدد . فهارس المراجع الرئيسية ومحتويات الاجزاء ينبغى ان تكون في ذهنك . واخرجت الجزء فكان المطلوب ، وراجعنا فيه المادة .

وظل جانبمن كتبه في معهد الدراسات الافريقية .. واذكر ـ عندما كنت أعد رسالة الدكتوراه ـ ان قال لي :

ـ هذا مكان مفتاح مكتبتي الخاصة ، وامامك المراجع . لك ان تستفيد منها كما تحب فقط: ضع ورقة صغيرة مكان المرجع الذى تعمل فيه حتى أعرف انه عندك ، فلا أبحث عنه في مكان آخر .

وكان فيه تواضع العالم ورقته :

يكون جالسا الى مكتبه في البيت او المعهد ، بعد بعض ابحاثه في مناشطه المتنوعة ، ويتوقف ليتأكد من تخريج نص حديث شريف ، او تحديد لاشتقاق لغوى ، أو اقتباس . فيتحدث تليفونيا مع من يأنس اليهم من تلاميذه واصدقائه ، « لتخريج الحديث او تحديد الاشتقاق ، ويحدد الوقت الذى ينتظر فيه الرد ، عشر دقائق ربع ساعة او اكثر . ونتحدث اليه بعد تخريج ما يطلب ، مع تحديد دقيق للمرجع : طبعته . عام الطبع . أرقام الصفحات والأجزاء . مكان الطبع . اسم المحقق . اية معلومات اخرى يرى اضافتها .

وكثيرا ما كنا نلتقى في لجنة المصطلحات الجغرافية بالمجمع اللغوى وهو مقررها . هناك كان يتجلى حسه اللغوى المرهف ، وسعة افقه الرحبة ، واحساسه بالفروق الدقيقة بين المصطلحات ، مختارا ومرجحا بين الاستخدامات واقربها الى الموسيقية والقبول توطئة لشيوع استخدامها .

كان حريصا على هذه الجلسات ، وكنا حريصين على حضورها ، وظلت اللقاء الاسبوعى الثابت ، الذى نسعد فيه بصحبته . مسكنه قريب من المجمع ومن الجامعة ومعهد البحوث والدراسات الافريقية . وبين هذه المعالم كان يطوف حتى الرحيل .

وتعودنا أن نحمل اليه انتاجنا العلمى : مقالات وكتبا ، وكان حفيا بها ، يقرؤها ويعلق عليها ويستدرك .

وتعودنا أن نعرض عليه مشروعاتنا الفكرية ، وخطط ابحاثنا ، فيطيل التأمل فيها ، ويرشدنا الى التى هى اقوم .

كان بانتاجه الخصب ، الأكبر دائما . والذين ينمون الى جواره كانوا يحسون الموهبة والجهد عنده .. وما اكرم أن تجتمع الموهبة والجهد . وظلت العلاقة بهذا قائمة بيننا .. علاقة مدرسة فكرية برائدها .. علاقة الاستمرار والوفاء والانتاج .

★ ★ ★

بعد الرحيل ضمنا مع أسرته الكريمة لقاء في معسكر النادى الاهلى بمرسى مطروح في صيف ١٩٧٢ .

كنت أصحب أسرتى في المعسكر . وكنا نلتقى على مائدة الطعام ، واوقات غير قليلة من نهارنا وليلنا .

كان هذا المعسكر اثيرا عنده .. شاهد نشأته في عام ١٩٥٠ ، والسنوات الاولى من تأسيسه ، عندما كانت مرسى مطروح مكانا لا يأوى اليه الا الصيادون وبعض الاعراب وموظفى الحكومة ، وقليل ما هم وقتئذ .

كانوا يحيون حياة رياضية خشنة ويتبعون مواعيد دقيقة لواجبات اجتماعية وثقافية . كانوا اسرة كبيرة متعاونة متحابة ، بينهم جميعا ما بين افراد الاسرة من محبة واحترام وحرمة .

ظل عوض على وفائه لهذا المعسكر لم يتخلف عنه .. الا عندما تخلف المعسكر عن موعده عام ١٩٦٧ . في هذا العام نزل في فندق في مرسى مطروح كنت انزل فيه . وكانت تجمعنا ساعات لقاء طويلة في الحديث او المشي الطويل على الشاطئ ..

كان قد تخطى السبعين ، ولكن ظل على انتظامه في مواعيده : استيقاظ في الصباح الباكر . رياضة صباحية . سباحة . كل هذا قبل الافطار . فترات قراءة . غذاء واستراحة . ثم سباحة ومشى . وشاى العصر ، واستراحة وعشاء خفيف ..

ونستطيع ان نقول فيه ما قيل في الفيلسوف الالمانى « عمانويل كانت » من قبل : ان تضبط ساعتك على تحركاته .

بعد تناول الغداء كنا نجلس في شرفة الفندق وتسعى طفلتاى الصغيرتان اليه . أصغرهن كانت في الثالثة وقتئذ . كان يحملها وتجوس يداها في شعر رأسه وتتحسس وجهه ومنظاره ، ويتحادثان بقاموس لغوى صغير محدود الكلمات رحب العاطفة ..

هل كانت الصغيرة في سعيها من ركبتيه الى صدره الى كتفه تحس انها تتسلق جبلا شامخا من العلم والمحبة والعاطفة ؟ .

مر هذا العام وعدت في صيف ٧٢ الى مرسى مطروح وضمتنا المعسكر ، في زيارتى الاولى له مقيما .. ولكن بعد رحيله ..

كان عوض محور الحديث في اكثر من لقاء ..

وذكرت لاسرته يوم خرجنا معه في رحلة صحراوية في أواخر عام ١٩٥٢ . كنا ثلاثة هو والصديق الاستاذ الدكتور الصياد ، وحدد هو خط السير . ركبنا قطار حلوان . وبدانا مسيرتنا في التاسعة صباحا وتتبعنا وادي حوف موغلين في الصحراء . ملاحظات من وقت الى آخر كان يبديها حول بعض الظاهرات الطبيعية . تذاكر أبيات من الشعر ترتبط بها ، أو بمناسبات تطرأ في أثناء السير . وتناولنا طعاما خفيفا .. وعندما ادرك الفاصل المائي بين وادي حوف ووادي دجلة توقف للراحة في منطقة مرتفعة وعرة .. وتذكر أيام كان يقوم بهذه الرحلات في مطلع الثلاثينات ، وهو مبعد عن الجامعة ، مع أصدقاء منهم استاذنا المرحوم أحمد أمين .. وكيف جلسوا عند هذه الصخور قائلين ضاحكين ساخرين من الضغط السياسي وقتئذ :

ـ هنا نستطيع أن نتكلم بحرية ! ! ..

وتابعنا السيرة ووصلنا الى استراحة كلية الآداب في المعادي في الخامسة بعد الظهر .

ذكرت هذا لاسرته ونحن جلوس في مرسى مطروح ، واخبرتني « ابنته » عن رحلاته في أوربا وعن المسافات الطويلة التي مشوها معه في الجبال والثلوج ، حتى بدت رحلاتنا الصحراوية معه نزهة متواضعة .

هكذا كان حب الطبيعة يملأ قلبه .. يحبها صحراء وجبالا .. نهرا وجفافا .. نسيما وعاصفة .. رملا وجليدا .. ويحاول أن يغرس هذا الحب في قلوب من حوله .. اسرته وتلاميذه .

هكذا كانت الجغرافيا عنده : الدنيا كتابها المفتوح ومرجعها الاكبر سطورها خطوات على أرض الواقع . ومن هنا كانت بعض مصادر مقدرته الفذة على تصوير الحقيقة العلمية ، فتبدو نابضة بالحياة قادرة على البقاء ..

سألته مرة :

ـ كيف تكتب ؟ ومتى تكتب ؟ أريد أن أرى بعض مسودات مقالات وفصول كتبك لأرى مسار الفكرة من ذهنك حتى تستقر على صحيفة ..

كان من عادته أن يكتب مسوداته بالحبر الاسود الفاحم لتكون أيسر عليه في الرؤية وضغط القلم والمراجعة ..

قال : الصباح الباكر عندي أفضل أوقات الكتابة . الليل للقراءة والاعداد الفكري . عندما انام تنضج الفكرة في ذهني .. تصميم المقال او الفصل او الكتاب ينبغي أن يكون واضحا .. ولكن ما يحدث في الذهن من تنظيم الافكار واستقراء النتائج ، ثم تدفق ذلك وصياغته ، أمر لا استطيع القول بتفسيره .. حينما اكتب تتتابع الأفكار ، فأسجلها كما جاءت .. هذا وقت الخلق الفني عندي .. ثم أعود بعد هذا الى ما كتبت للمراجعة والسبك الأخير . وأنت حين تكتب في هذا الصباح الباكر تكون طاقتك في اكتمالها ، وتستمد حصيلتك من كل المخزون الفكري عندك ، وما يتولد من تفاعله .. ثم ابتسم قائلا :

ـ هناك جانب كبير من الجهد لا شك .. ولكن الخلق الفني لا يخضع تماما لهذه المقاييس .. في صباح يوم من شتاء ١٩٧١ كنت في طريقي من المنزل الى وزارة الاوقاف .. وكانت السيارة تعبر كوبرى الجلاء متجهة الى المدينة . ولمحت الدكتور عوض ، على الرصيف الجنوبي للكوبري .

كان متجها الى الجيزة في رياضته اليومية مرتديا معطفه . حول رقبته كوفية .. نسيم الصباح يدفع شعره ..

كان عائدا نحو الجيزة .. حيث المنزل والجامعة ومعهد البحوث والدراسات الافريقية والمجمع اللغوى . حيث الاسرة ، وحيث يسكن عدد غير قليل من تلاميذه ومريديه .

واختزنت ذاكرتي هذه الصورة . ولم اكن اعلم انها آخر مرة التقي فيها الدكتور عوض .

كان يسير وحيدا على النيل ، يحاذيه ويعبره ، ويسكن الى جواره ، ويؤلف فيه ، ويتتبعه من منابعه الى مصبه . ومن اعماق تاريخه الى حاضره ..

ومنه لنا ، ما للنيل من التدفق الخصب والعطاء .

وكما يعيش النهر في جريانه المستمر ، يعيش محمد عوض محمد ، بعد أن وصل الى المصب ، يعيش جديدا في أجيال تحفظ عهده ، وابناء يحفظون اسمه ، وعلم ترك عليه طابعه .. رحمه الله .. ■■

عبد العزيز كامل

في هموم العروبة ومشاكلها

لمحة عن مؤتمر الأدباء بتونس وعمّا حدث فيه

بقلم : احمد السقاف

■ لقد عودت القراء ان اكتب لهم شيئا بعد العودة من كل مؤتمر او مهرجان من المؤتمرات الادبية والمهرجانات الشعرية ، وفي هذه المرة ارى أن الكتابة ليست واجبة فحسب وانما هي ضرورية ايضا ، ذلك أن مؤتمر الادباء التاسع ومهرجان الشعر الحادى عشر اللذين اقيما في تونس من اليوم الثامن عشر من مارس الماضي حتى الخامس والعشرين منه قد حدث فيهما ما يستوجب مصارحة الجماهير العربية في كل مكان لتكون هذه الجماهير لا سيما المثقفة الواعية منها على علم ودراية بالموضوع ، ولا آتي بجديد حين أقول ان هنالك امورا آثارها اتحاد الكتاب اللبنانيين عقب عودته من تونس في بعض صحف بيروت ولم ينس أن يخص وفد رابطة الادباء في الكويت بنصيب من التجريح والتهجم ما كان أغناه عنه ! . وكم كنت اود أن لا يشير الى وفد رابطة الادباء في الكويت او الى اى وفد آخر ما دامت الحملة عامة لم تستثن وفدا من الوفود ،وما دام الاقتراح الذى تقدم به الوفد اللبناني قد قوبل بالمعارضة التامة من الجميع .

والاقتراح الذي رفضته الوفود لم ترفضه الا لانها رأته اقتراحا استفزازيا مثيرا لم يقصد به حرية الاديب في مصر بقدر ما قصد به التشهير والتجريح، ولو كان الغرض من الاقتراح حرية الاديب فعلا لاتصل الدكتور سهيل ادريس بكافة رؤساء الوفود وتدارس معهم الاقتراح ، لا أن يفاجيء به الجميع في حفل الافتتاح . على أن المحزن في الأمر حقا ما جاء في بيان اتحاد كتاب لبنان المنشور بجريدة « النهار » بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٨ من مخالفات للواقع ، والا فكيف يفسر القارىء الكريم نعت وفد رابطة الأدباء في الكويت بالرسمية ، واتحاد الكتاب اللبنانيين يعلم أن الوفد غير حكومي ولا علاقة للسلطة الرسمية برابطة الأدباء أو بوفودها المشاركة في المؤتمرات كما أن الوفد لم يتخذ اى موقف عدائي من وفد لبنان ، كما جاء في البيان ، والوفد فوق ذلك كله لا يعرف اسماء اكثرية المشاركين في وفد لبنان فكيف يتقرب منهم أو يبتعد عنهم ويناصبهم العداء ؟!.

ان الوفد اللبناني المؤلف من ستة اعضاء هم احمد ابو سعد وفؤاد الخشن والدكتور ميشيل سليمان والدكتور ميشيل عاصي والاستاذ انطوان ملتقى ، والدكتور سهيل ادريس كان على علم بأن

توجيه الاتهام لمصر بذلك الشكل الفاجيء سيقابل بالرفض من كافة الوفود ، لذلك لم يوافق هذا الوفد تحت تأثير رئيسه سهيل ادريس على توصية المؤتمر بتكوين وفد بمعرفة الأمانة العامة لاتحاد الكتاب العرب يزور جميع الاقطار العربية لدراسة اوضاع الأدباء والكتاب والمفكرين وما يلاقون من متاعب ومشاق اثناء قيامهم بواجبهم نحو الجماهير العربيةويقدم تقريرا الىالأمانةالعامة لاتحاد الكتاب العرب حول هذا الموضوع.واذا كانت الوفود وفود عمالةللانظمة القائمةفيالبلاد العربيةكما جاءفيالبيان المنشور بجريدة النهار فلماذا بقي الدكتور سهيل ادريس سنوات وسنوات مشاركا متحمسا ينشر في مجلته الشيء الكثير مما يقوله المشاركون في هذه المؤتمرات !! واذا كانت جميع الوفود رسمية واذا كانت محاطة برجال المخابرات' كما جاء في البيان المنشور بجريدة النهار فلماذا يتعب الدكتور سهيل ادريس نفسه ويتعب زملاءه لحضور مؤتمرات يعقدها رسميون ويحيط بها رجال المخابرات من كل مكان ؟! .

لقد قيل ان بين بعض دور النشر في لبنان وبين دور النشر في القاهرة معركة قائمة منذ سنوات سببها نشر بعض الكتب المصرية دون علم المؤلف والناشر . وقيل ان المجلة التي يصدرها الدكتور سهيل ادريس ممنوعة في مصر ، كما قيل ايضا ان اتحاد الكتاب اللبنانيين يسيطر عليه جماعة مجلة حوار !!! فما ذنب الوفود المشاركة في مؤتمر تونس حين ترفض الدخول في معارك جانبية لا علاقة لها بحرية الأديب !

لقد كنت اقول وما زلت اقول ان يوسع الفئات العربية الواعية ان تتعايش ان اتبعت الاسلوب الديمقراطي وتخلت عن التعصب ، وحين طرح الدكتور سهيل ادريس موضوع لويس عوض وجماعته من الكتاب في مصر بشكل مثير في جلسة افتتاح مؤتمر الادباء لم يصفق له الا نفر قليل من المتفرجين ، لأن الواعين للقضية يعرفون ان اضطهاد الادباء موجود – معالأسف – في اكثر البلاد العربية على درجات تتفاوت بتفاوت ما وصل اليه كل قطر عربي من تطور في حياته العلمية والحضارية ، فاذا كان الوفد الكويتي لم يصفق لرئيس الوفد اللبناني كما جاء في البيان المذكور فيجب الا يسجله احد في صفحة عملاء الانظمة والرسميين . لقد قال الرسول الكريم : « احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون عدوك يوما ما وابغض عدوك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما » . ولقد كان كاتب هذه السطور حبيبا الى قلب رئيس وفد لبنان في يوم من الأيام !!! ومع ذلك فقد كنت من العاملين على ايجاد مخرج للأزمة التي فجرها ، وكان همي وهم العاملين معي في تهدئة الموقف انقاذ المؤتمر من التصدع وازالة التأثر الذي بدا واضحا على وجوه اعضاء الوفد المصري الذي هدد بالانسحاب من المؤتمر ، وحين طرح اقتراح الدكتور سهيل ادريس للتصويت لم يوافق عليه احد من رؤساء الوفود ، وحين طرح التعديل الذي تبنته الكويت والعراق وسورية وفلسطين وليبيا وافق عليه جميع رؤساء الوفود عدا رئيس وفد لبنان . وكان جزاء وفد رابطة الادباء في الكويت على هذا الموقف الايجابي المتزن تهجما لامبرر له من اتحاد كتاب لبنان .

ولست ادريما الفائدة التييرجوها اتحاد كتاب لبنان من الدعوة الى تجمع خاص وهو يستطيع ان يستمر فيالمشاركةفيمسيرة الاتحاد العامللادباءالعرب ويصلح بالنية الطيبة الصافية ما في هذه المسيرة من اخطاء ، فهل وجد المعارضون لارتباط اتحاد الكتاب اللبنانيين بالاتحاد العام للادباء العرب الحجة والفرصة في رفض اقتراح وفدهم فضغطوا على الاخرين لينسحبوا من الاتحاد العام للادباء العرب ؟ وكان بعد ذلك ما طفح به اللسان من التهجم والتجريح لكافة الوفود ! وبرغم علمي بالاتجاهات التي تسود اتحاد الكتاب اللبنانيين الا أن املي كبير في أن تتغلب العناصر المعنية بالعروبة فيه على هذه الازمة المفتعلة ، فالامة العربية تحتاج اليوم الى جهود جماعية في كل ميدان من ميادين كفاحها الشاق الطويل ، واذا كان سقوط الاقتراح الذى تقدم به وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين الى المؤتمر يكفي للخروج من الاتحاد ، فان في هذا التصرف نموذجا غريبا لمفهومالحريةوالديمقراطية والعدالة.

واراني بعد هذا قد تجاوزت القدر الذيرسمته في ذهني للحديث عن هذه الأزمة فليكن الحديث الآن عن حصيلة المؤتمر الأدبية والقومية .

لقد كانت الحصيلة الادبية دون المستوى المطلوب ، فالبحوث لم تكتب بجدية صادقة ولم تناقش المناقشة اللازمة ، فطابع الارتجال في اعدادها واضح والسرعة في تلخيصها ومناقشتها كانت اكثر وضوحا ، والشعر كان اسوا حظا من

البحوث لاسيما الشعر المنثور فقد تغيب الطلابـه وحضر اناس لم يوفق اكثرهم ، ويكفي أن تعرف أيها القارىء الكريم ان واحدا من هؤلاء وقف اكثر من نصف ساعة يتلو عبارات مثيرة للضحك جاء في مقطع منها : ـ

« أمي افعى ... اختي افعى ... عمتي افعى ... خالتي افعى ... جدتي افعى .. انـا ... انا ... انا حنش » !! .

ولم يحظ هذا النمط من الشعر المنثور بهزيمة كمـا حظى في مهرجـان تونس ، ولعـل قطعتين منه كانتا تستحقان الاستماع وكان لي راى في هذا النمط من الشعر قلته في مناقشة بحث لـلاديب احمد ابو سعد بقاعة بورصة الشغل حيث دارت المناقشات العامة بعـد ان انتهى الشاعر الاديب الاستاذ صالح جودت من تعليقه على ما جاء حول الشعر الحديث في البحث المذكور ، ورأيي ان الجيد من هذا الشعر سيفرض نفسه على القراء سواء أكانت التسمية له شعرا حديثا او شعرا حرا كما يريد ذلك أربابه او كانت التسمية شعرا منثورا كما يسميه الاخرون ولقد قلت ان الانفلات من الوزن والقافية ليس تجديدا وانما هو هروب من المعاناة وأي عمل فني رفيع يمكن أن يتم دون مشقة او معاناة ؟ ان القطع الموسيقية لا تعرف ولا تحيـا ولا تستمر الا اذا قيدتها النوتة الموسيقية ، فهل النوتة الموسيقية وهي قيد كقيد الوزن والقافية في الشعر تعتبر عيبا ام انها ضرورية لكل عمل موسيقي جاد مع اعترافي بان قيد الوزن والقافية يخلق مع النتاج اما قيد النوتة الموسيقية فيوضع بعد النتاج .

اما الشعر المقفى الموزون فقد ارتفعت اعلامه ، كما هي الحال في كل مهرجان . ولولا خوفي الاطالة لتحدثت عن القصائد التي تركت اثرا جميـلا في النفوس ، ولعل هذه القصائد قد نشرت فاطلـع عليها المهتمون بالشـعر ، وتعرفوا على المجلين والمصلين والعاثرين ولن تستطيع النعرة الاقليمية ان ترفع شان شاعر سقط او تنال من مكانة شاعر ارتفع فالنـاس يرفضـون التحزب والتعصـب ويميزون الشعر من الهذيان .

والحصيلـة القـوميـة بعـد ذلـك كانـت ممتازة ، فلقد تسنى لكافة الوفود الاطلاع على قطر عربي تجهله أشهد الجهل ، ففي تونس شـعب يلتهب حماسا وعروبة وصفاء ، لم يستطع الاستعمار الفرنسي أن ينفذ الى اعماقه ، وهناك أرض أظنها قد سقطت من جنات الخلد فاستقرت على هـذا الكوكب لتكون تونس الخضراء الرائعة .

وفي تونس ادباء وشعراء يقراون لادباء المشرق ويحفظون لشعرائه اكثر ممـا يقـرا المشرقيـون ويحفظون ، ولعل من أبرز هؤلاء الأديب الراويـة الحبيب شيبوب فلا يذكر شاعر مشرقي الا وانبرى يتلو على الحاضرين الكثير من قصائده حتى ولو كانت هذه القصائد قد نشرت منذ ثلاثين او اربعين سنة ، انه نسيج وحده في تتبع النتاج الادبي للشعراء والادباء في البلاد العربية .

ومما يملأ النفس سرورا وبهجة أن عروبة اولئك القوم قائمة على الايمان العميق بخصائص الامـة العربية ، وبمقوماتها المؤثرة ، فالاعتزاز باللغـة العربية والافتخار بالدين الاسـلامي والمشاركـة الوجدانية الصادقة في هموم الشعب العربي آمالا كانت او آلاما ، والارادة المؤمنة بتغيير هذا الواقع الكئيب الى واقع عربي مشرق جميل ملؤه العدالة الاجتماعية والحرية والكرامة ـ كل ذلك يتجلى في احاديث ابناء تونس حين يتحدثون في العروبـة والقومية .

ولست متشائما مما يحدث في بعض المؤتمرات فما ذلك الا مظهر من مظاهر الواقع الذى نعيشه وقد يأتي يوم يرفض فيه خصوم القومية العربية هذا التعايش ، وعلى الفئات القومية المخلصـة لوطنها وامتها المعتزة بدينها وتراثها ان لا تستبعد ذلك ، فلقد قلت في تعليق على مؤتمر دمشق في العام المنصرم ان على القوميين العرب أن يتحلوا بالصبر في هذه المحنة التي تجتازها الامة العربية وان عليهم ان يجعلوا من المعركة المصيرية قاسما مشتركا ما دامت العناصر اليسـارية المخـربة والعناصر اليمينية الشرسة لا تعترض طريق المعركة.

هذه لمحة سريعة عن مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر في تونس ، ولي عودة ان شاء الله اقدم فيهـا بعض الآراء حـول مسـتقبل المؤتمـرات والمهرجانات القادمة والله من وراء القصد وهـو يهدى السبيل . ■■

الكويت ـ أحمد السقاف

الأمين العام لرابطة الادباء في الكويت
ورئيس وفد الرابطة الى مؤتمر تونس

في سبيل موسوعة علمية

الطائرة
كيف ترتفع في السماء

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ اصبحت الطائرات اليوم ، مالوفة في حياتنا ، الفة السيارات . الطائرات للتنقل في السماء عبر الهواء ، والسيارات للتنقل في الأرض ، فوق سطحها .

والطائرات والسيارات كلتاهما من نتاج المدنية الحاضرة . من نتاج هذه التكنية الحاضرة .

ورجل اليوم رجلان ، رجل يركب السيارة ويركب الطائرة ، وما عليه ان يعرف كيف تسير سيارة او تسير طائرة ورجل في عقله تشوُّف ، يمتد دائما نحو المجهول ، يريد ان يتعرف به . وفي التعرف الى السيارة والى الطيارة مران لعقله ، وفي التعرف يجد اللذة التي تفرد بها وحده الانسان العاقل .

وانت واجد هذا التطلع الى التعرف ، ومدّ الرقبة ليدخل بها صاحبها راسه في كل مجهول ، هما من بعض طبيعة الحيوان ، وهو في مراقي سلّم الحياة العليا . فكذا القط يشتاق ليتعرف ، وقد يقلب الاناء بالذي فيه وهو يحاول ان يتعرف على ما فيه . وكذا الكلب . وكذا القرد . وحتى الطير ينقر الخبيء بمنقاره لعل لنقره صدى ينبيء عما فيه .

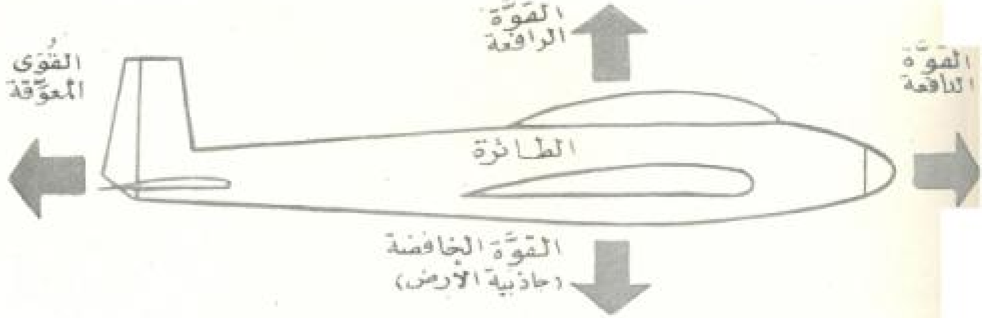
والانسان ، راس الخلائق ، اخ الفكر الذي لا يهدأ حتى يكشف عن كل ما تراه عينه او تسمعه اذنه او تشمه انفه .

والسيارة تعز على الرجل من سائر الناس فهما ، الا ان يتعلم .

والطيارة تعز على الرجل من سائر الناس فهما الا ان يتفهم .

والسيارة والطيارة لم تخلقا في الطبيعة خلقا ، كما خلق المطر ، وخلق الشجر ، وخلقت الزهور . انهما من ابداع الناس ، ناس مثلنا ، لهم مثل عقولنا ، ولهم افهام مثل أفهامنا ، وتراكمت على السنين مقادير من انتجة هذه الافهام حتى صار السهل منها تلاً ، ثم صار التل جبلا ، وبالعلم المتراكم ، والتكنية المتراكمة ، استطاع الانسان ابداع السيارة وابداع الطيارة . وابدعهما بعد ان بَعُد بهما عن العقل البسيط حتى أعجمتا على افهام البسطاء من خلق الله .

واذن كان لا بد للرجل البسيط ، ليصل الى تعقد وصلت اليه صناعة السيارات والطيارات ، من مواصلة الدرس في المدارس ، وفي ضروب معاهد التعليم . وهي دراسة ليست بالقصيرة .



صورة توضح القوى الاربع التي تعمل في الطائرة عندما تطير .

فهي تطول السنين . وهي دراسة ليست بالسهلة فهي قد تشق على الكثيرين . ولكنها ثمن لا بد من دفعه ليعيش الانسان في عصر هذه الحضارة الحاضرة، والتكنية الحاضرة ، ويعيش عيشة من يرى بعيونها ويسمع بآذانها . واعلم ان الانسان قد يركب السيارة ويركب الطيارة وهو اصم اعمى ، ويحس بها متعة جسم ، ولكنه يشقى بها بانسداد مجاري الفهم ، منها اليه ، واليه منها . ففوق متعة الجسم ، في هذا العصر ، متعة الفهم ، وامتداده ، من المادة وحركتها ، الى ما لبسها من قوى الطبع الذي انبهم على فهم الانسان ، والى ما ركبها من عوامل خفية مصيرية تحمل الانسان الى حيث ما تريده هي، وتتركه يظل يحسب انه صاحب مصيره ، وانه راكب افراسه يوجهها حيثما يشاء .

والآن الى الطيارة ، واجيب سائلي : كيف ترتفع الطائرة عن الأرض .

القوى التي تعمل في الطائرة

القوى التي تعمل في الطائرة ، وهي تطير ، اربع :

ثقل الطائرة ، وتنشأ من جاذبية الارض ، وتعمل الى اسفل .

القوة الرافعة Lift ، وتعمل ضد جاذبية الأرض ، فترفع الطائرة في الجو، وتعمل من اسفل الى أعلى .

القوة الدافعة Thrust وتدفع الطائرة الى امام .

القوة او القوى العائقة Drag ، وهي التي تعوق حركة الطائرة الى امام عند اقتحامها الهواء شقا وهي تتحرك ، وغير ذلك .

وكلمتنا الحاضرة اكثر اتصالا بالقوة الرافعة للطائرة في الهواء .

قوتان لرفع الطائرة

وهما لا تعملان الا والطائرة جارية على الارض اولا ، وبسرعة . وفي هذه الحالة يصطدم الجناحان بالهواء .

وينتج عن هذا الاصطدام : قوة رافعة بسبب عمل الريح في الجناحين مباشرة .

وقوة رافعة بسبب اختلاف ضغط الهواءين ، الهواء الذي فوق الجناح ، والهواء الذي تحته .

ونشرح هذا فيما يلي :

القوة الرافعة
حين يعمل الهواء فى الجناحين مباشرة

اما الهواء ، فهو الهواء المتحرك بالنسبة للطائرة الجارية بسرعة على الارض . فهو ريح ذات قـوة . وهي ريـح تضرب الجناحين من اسفل ، اى تضرب سطحيهما الاسفلين ، لأن سطحى الجناحين ليسا افقيين تمامـا ، وانما يميل طرفاهمـا الأماميان الى اعلى حيث تأتـى الريح ، فالريح اذ تضرب الجناحين المائلين مـن اسفل ، يعمل جزء من قوة الضرب هذه على رفعهما .

واذن فرفع الطائرة هنا يتوقف على ميل الجناح على المستوى الافقى ، والطائرة تدرج سريعة على الارض .

وكلما زاد الميل زادت قوة الدفع الى اعلى .

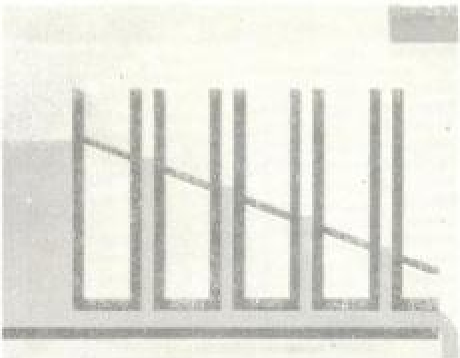
وتسمى زاوية الميل هذه بزاوية الهجوم Angle of Attack وكـان الطائرة بتحركها على الارض بسرعة تضرب الهواء بجناحيها فيضربهما الهواء فيرفعهما .

وكذلك والطـائرة عالية فى الهـواء ، يستطيع الطيار ان ينتفع بقوة الرفع هذه بخـلق « زاوية هجـوم » بين سـطحى الجناحين ، والهواء الذى تشقانه ، وذلك بتعديل جسم الطائرة كله بالنسبة للهواء (بواسطة اجهزة الذيل ، التى منها الدفة او السكان ، ولن نتعرض لها الآن) . وبتعديل جسم الطائرة من الهواء تتعدل سطوح الاجنحة طبعا ، لانها هى وجسم الطائرة كيان واحد .

القوة الرافعة
حين يزيد ضغط الهواء اسفل الجناح على ضغطه فوق الجناح ، فترتفع الطـائرة

وهذه القوة هى الاخفى .

لانها تحدث نتيجة لقاعدة علمية تعرف



ماء يجرى من وعاء فى انبوبـة افقيـة ، وقـد وضعنا فوق الانبوبة الافقية انابيب مفتوحة تسجل ضغط الماء الجارى . ان الماء عند خروجه مـن الوعاء لا يجرى بسرعة واحدة . ان سرعته تزيد كلما ابتعد عن الاناء . وظهر اثر ذلك فى الضغط فهو يقل وفقا لقاعدة برنولى التي وفقا لها ترتفع الطائرات فى الهواء . هنا الماء ، وهناك الهواء . وكلاهما مائع .

بقاعدة برنولي Daniel Bernouli وهو رجل سويسري فزيائي رياضي ، ولد عام ١٧٠٠ ومات عام ١٧٨٢ ، وكتب كتابه الشهير Hydrodynami ، اي علم قوى الموائع . وقاعدته هـذه التي اشتهرت باسمه تختص بالقوى التى تعمـل فى مائع مـا (سائل او غاز) بين هـذا المائع والشيء الذي يتحرك فيه .

والقاعدة تقضي بان السـائل او الغاز ، عندما يتحرك بسرعة ، يقل الضغط الذي يحدثه . فاذا زاد سرعة ، ازداد الضغط قلة .

والطائرة عندما تتحرك بواسطة محركها الى امام ، يشق جناحاها الهواء . فالهواء ينقسم عند شقها اياه قسمين ، قسما يجري فوق الجناح ، وقسما يجري من تحته .

واذا ، فنحن لو شكلنا الجناح ، بحيث

انحنى سطحه الاعلى ، نشأ عن ذلك ان الهواء الجاري فوق هذا السطح يجري بسرعة اكبر ، من سرعة يجري بها الهواء الجاري تحت هذا السطح .

واذن ، تبعا لقاعدة برنولي ، يكون ضغط الهواء باعلى الجناح اقل من ضغط الهواء اسفله .

والفرق بين الضغطين لا شك يرفع الجناح ، بل الجناحين ، بل الطائرة ، فهو قوة رافعة .

نسبة القوتين

وقد قدروا نصيب هذه القوة الأخيرة الرافعة ، الناشئة عن تشكيل الجناح تشكلا معينا ، في رفع الطائرة ، وقدّروا القوة التي سبق أن ذكرنا (وهي تنشأ من ضرب الهواء لجناحي الطائرة من اسفل) فوجدوا ان القوة هذه الاخيرة نصيبها الثلث فقط من رفع الطائرة ، بينا القوة السابقة الناشئة عن اختلاف ضغطي الهواء نصيبها الثلثان .

اسطح الطائرة تستخدم في توجيهها

واول مثل على ذلك ما سبق ذكره : تلك هي الأسطح الاربعة لجناحي الطائرة ، وهي تجرى في الهواء . وقد فسرنا كيف تعمل هذه الأسطح على رفع الطائرة عن الارض .

ولكنْ في الطائرة اسطح اخرى يحرّكها الطيار ، وهو يشق بها الهواء شقاً ، فتعدّل من اوضاع طائرته ، بحيث يستطيع زيادة الارتفاع بها ، او يستطيع



صورة تمثل مقطعا عرضيا في جناح الطائرة وهي تشق الهواء ، في تحركها السريع فيه ، من اليمين الى اليسار . اما الهواء فيسير ضاربا الجناح من اليسار الى اليمين . وشكل الجناح ، وهو منحن من فوق ، يجعل الهواء يمر من فوقه بسرعة اكبر من سرعة يمر بها من تحته . ووفقا لقاعدة برنولي ، يكون ضغط الهواء اسفل الجناح اعلى من ضغطه فوقه .. فالفرق يرفع الجناح ، فيرفع الطائرة ، ونلاحظ ان الجناح طرفه الامامي سميك ، اما الخلفي فدقيق .

ولكن ميل الجناح بالنسبة لاتجاه الهواء يجعل من قوة الهواء المندفع قوة رافعة ايضا . ولكن القوة الناشئة من اختلاف الضغطين هي الاقوى .

ان ينزل بها ، او يستطيع ان يدور بها . وهلم جرا .

وذلك مثل ما تصنع دفة السفينة ، او سكانها ، في توجيه السفينة في الماء.

وهذه الأسطح تؤلف مجموعتين :

- مجموعة أسطح الذيل .
- واسطح هي امتداد لأسطح الطائرة .

الاسطح الموجهة في ذيل الطائرة

وتتالف من لوح راسي مثبت في جسم الطائرة ، وهو يعمل على احتفاظ الطائرة في الوضع الذي هي فيه ، واستقرارها عليه ، فلا تخرج عنه يمينا او يسارا . وقد اسميناه بلوح الاستقرار الراسي Vertical Stablizor.

ولهذا اللوح امتداد راسي يتصل به بمفاصل ، يتحرك عليها يمينا ويسارا ، فهذا الامتداد هو الدفة او السكان Rudder ، وهذه الدفة اذا حركها الطيار يمينا ، وهو جالس في موضع القيادة من الطائرة ، ضغط عليها الهواء وهي تقتحمه ، فادار جسم الطائرة من خلف الى اليسار .

ويحدث العكس اذا هو حركها يسارا، فعندها يميل جسم الطيارة من خلف الى اليمين . ونقول يمين الطائرة ويسارها ونعني بهما والناظر ينظر الى الطائرة من فوقها وهو متجه معها .

وكما يوجد في جهاز الذيل لوح راسي مثبت في جسم الطائرة يعين على استقرارها راسيا في الجو، فكذلك يوجد في جهاز الذيل لوح افقي يعمل على استقرار الطائرة افقيا . ويتصل بهذا اللوح(بل هما لوحان أيمن وايسر) لوحان افقيان يتصلان به بواسطة مفاصل . والطيار قادر على تحريكهما وهو جالس في موضع القيادة من الطيارة .

وهو اذا رفع هذين اللوحين ، ضغط عليهما الهواء الجاري الذي تقتحمه الطائرة ، وهي تطير فينتج عن ذلك انخفاض ذيل الطائرة كله ، واذن فارتفاع انف الطائرة . واذن تكون الطائرة في الوضع الذي يرتفع بها في الجو . ومن اجل هذا سموا هاتين الصفحتين وامثالهما بالاسطح الرافعة Elevators .

وغني عن البيان ان الطيار اذا هو هبط بهذين اللوحين ، بدل ان يرتفع بهما ، اذن لارتفع ذيل الطائرة وهبط انفها ، واذن فهي في وضع يهيئها للهبوط.

الاسطح الموجهة المتصلة بالاجنحة

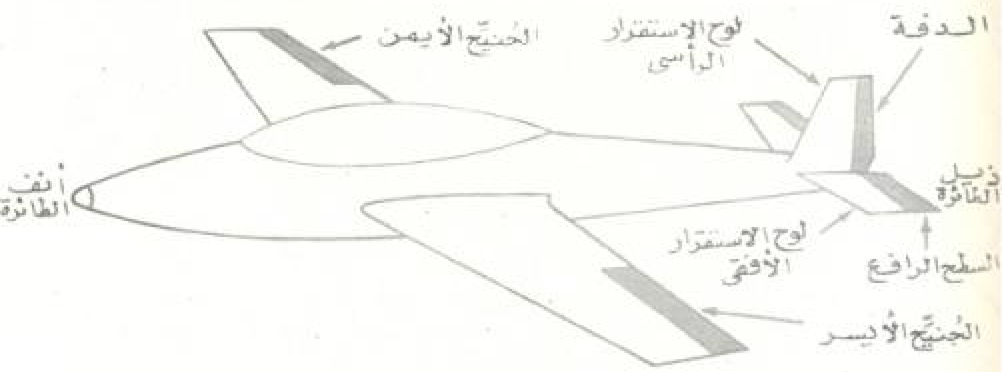
واخطرها ما يعرف بالجنيحات . والجنيح تصغير جناح Ailerons .

وهما لوحان ، يمين ويسار ، متصل



ضع ورقة رقيقة بين صفحات كتاب، وامسك الكتاب بيدك ، بعد ان تكون حنيت الورقة فوق الكتاب . ثم ابدا فانفخ فوق الورقة ، تجد انها ترتفع ناحية هواء يخرج من فمك ، فهي تقترب منه بدلا من ان تبتعد عنه .

والتفسير : ان الورقة ، فوقها هواء هو هواء فمك ، وتحتها هواء هو هواء الحجرة ، وهواء فمك سرعته اكبر . فوفقا لقاعدة برنولي يكون ضغطه اقل. وضغط الهواء تحت الورقة اكثر ، فهو يضغطها فترتفع .



رسم للطائرة تظهر فيه اسطحها التي توجهها في سبيلها وهي طائرة في الهواء .

احدهما بالطرف الخلفي للجناح الايمن بمفاصل، ومتصل الاخر بالطرف الخلفي للجناح الايسر .

فاذا الطيار هبط بالجنيح الايمن مثلا للطائرة ، فقد زاد قوة الرفع للطائرة ، ولكن في احد جناحيها فقط ، هو الجناح الايمن ، فارتفع . والجناح ينخفض اذا ارتفعنا بالجنيح .

والطيار اذا اراد ان يدور بطائرته، حرك عصا القيادة وهو في مكانه من مقدم الطائرة، فهبط بالجنيح الايمن ، بينما هو ارتفع بالجنيح الايسر ،واذن تدور الطائرة لاختلاف وضع الجناحين، وتدور بأنفها من يمين الطيار الى يساره . ولو هو حرك عصا القيادة في الاتجاه المضاد ، اذن لدارت الطائرة من يسار الطيار الى يمينه .

وهو في دورانه هذا يستخدم الدفة ايضا .

ولا يفوتنا ان نذكر

ولا يفوتنا ان نذكر ان محرك الطائرة يحتاج الى وقود ، هو البنزين . فهذا يختزن في صفائح تودع في جوف اجنحة الطائرات .

ولا ننسى كذلك

ولا ننسى أن الانسان ليس من الحيوانات الطائرة ، وبينه وبين الطيور رتب من الحيوانات كثيرة وأجناس كثيرة وانواع . وهو لم يخلق ذا جناح ، وهو ما عرف الريش قط ، وهو قد خلق ظاهرا ؛ ليكون حبيسا بسطح هذه الارض . ولكن الله أودع في رأسه العقل، وفي قلبه الطموح، وفي طبعه حب التقليد: من اجل ذلك هو راح يقلد الطير . وبلغ بحنكته وعقله وحيلته من الطيران ما بلغ، فهل بلغ منه مثل ما بلغ الطير ؟ الا هيهات. انه بلغ ما بلغ بناء على علم كسبه وتكنية خاصها . والطير بلغ ما بلغ ولا معرفة له بعلم أو تكنية . وهو لا يدري كيف يطير. انه يبسط جناحيه فتعمل الآلات التي أودعها الله في كيانه ، وتعمل متناسقة ، فيطير ، وهي آلات من لحم وعظم ودم ، حلت بها الغريزة فعملت بعقل غير عقلها، وفهم غير فهمها . ان الغريزة هي ذلك العقل الرباني الذي يودعه الخلاق في الأجسام الحية التي خلت من عقل وخلت من فهم ، لتقوم مقام العقل ومقام الفهم . ولو الى حين .

●●

احمد زكي

مواقف رجال

الشَّعْبِيّ
عامِرُ بنُ شَراحِيل

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ عامر بن شرَاحيل من اهل اليمن الذين استقروا في الكوفة بعد ان انشئت في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، واللقب الغالب على عامر بن شراحيل هو « الشَّعْبِي » نسبة الى قبيلة او جَبَل باليمن .

وقد تفرق كثير من هؤلاء الشَّعْبِيين في انحاء مختلفة ، فخصص كل فرع منهم بنسبة ،فالذى يكون من الفرع الذى اقام بالكوفة يقال له« الشَّعْبِي» والذين يكونون من الفرع الذى ذهب الى مصر وما تلاها من بلاد غربا قيل لهم « الأشعوب » ومن كان من الفرع الذى رحل الى الشام قيل لـــه « شَعْبَانِي » .

اما من بقى في بلاده اليمن فيقال لهم « آل ذى شَعْبَين » .

والشعبى عامر بن شراحيل وُلد بالكوفة سنة تسع عشرة او سنة عشرين من الهجرة ، وكانت ولادته في ايام خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب، وامه فارسية من « جَلُولاء » من أولئك اللاتى مُلِكْن في الفتوح الاسلامية . وموقعة جلولاء كانت على الأشهر في اواخر العام السادس عشر الهجرى، وفيها انتصر المسلمون على المجوس انتصـــارا ساحقا ، وظفروا من الغنائم بالشيء الكثير الذى بلغ الملايين .

اطلقوا بالفعال لساننا

فلما ورد خمس الغنائم الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب مُرْسلا مع زياد ابن ابيه ، ليبشر بالفتوح ساله عمر عن كيفية الوقعة ، فذكرها له ، وكان زياد فصيحا ، فاعجب ايراده لها عمر، واحب ان يسمع المسلمون منه ذلك ، فقال له : اتستطيع ان تخطب الناس بما اخبرتنى به ؟ قال: نعم يا امير المؤمنين ، انه ليس احد على وجه الارض أهْيَب عندى منك « وقد استطعت ان اخاطبك بما سمعت » فكيف لا اقوى على هذا مع غيرك ؟ ولما خطب زياد في الناس يخبرهم بوصف الفتوح ، وما فعله المجاهدون الفاتحون ، بعبارة عظيمة ، بليغة ، قال عمر : ان هذا لهو الخطيب المِصْقَع ــ يعنى الفصيح ــ فقال زياد :

ان جندنا اطلقوا بالفعال لساننا .

زُوحم في الرحم

ولقد حملت الفتاة الفارسية بابنها عامر بن



شراحيل الشعبي، ثم ولدته ضئيلا نحيفا، ذلك انه شاركه في بطنها اخ له توام . وقيل له : مالنا نراك ضئيلا ؟ فقال : زُوحِمت في الرحم .

الصحابي والتابعي

وجده ابو ابيه يقال له « عبد ذى كبار » كان قيلا من اقيال اليمن ، اى سيدا من سادتها ، ولا يذكر والده شراحيل في الصحابة ، والغالب في امره انه عاصر عهد النبوة ، لكنه لم يكن اسلم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم اولم يلقه ، والمرء لا يعد صحابيا الا اذا كان لقى النبى مؤمنا به ومات على الاسلام .

وكان الشعبى من التابعين ولقب « تابعى » يطلق على من ادرك اصحاب رسول الله ، وقد ادرك منهم الشعبى من قاربوا خمسمائة ، وعنهم روى اخبارا واحاديث .

منزلة وعطاء

ويقول ابن شهاب الزهرى متحدثا عن علماء زمانه : العلماء اربعة : ابن المسيب بالمدينة، والشعبى بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة، ومكحول بالشام .

وظاهر من اخبار الشعبى وصلاته بالخلفاء ، وتوليه امورا جليلة ، انه كان يجمع الى العلم الذكاء وحسن الحديث ، وبلغ ان يكون عطاؤه ــ الذى يشبه المرتبات الآن ــ في مصاف كبار الرجال . وتلك طرفة تروى عنه ، توضح ما اسلفنا من منزلة وذكاء .

قيل ان الحجاج بن يوسف الثقفى قال له يوما : كم عطاءك في السنة ــ هكذا مخطئا في نصبه عطاءك ــ فقال الشعبى : ألفين ــ قالها الشعبى ايضا خطأ . ولحظ الحجاج بسليقته الفصيحة ما وقع من لحن في الاعراب فقال : ويْحك ، كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان . قال : كيف لحنت اولا ؟ قال الشعبى : لحن الامير فلحنت ، فلما اعرب اعربت ، وما امكن ان يلحن الامير وأعرب انا . فاستحسن الحجاج منه ذلك واجازه .

به يشبه العلماء

وقد اجتمعت في الشعبى خصال وصفات جعلته رفيع القدر لدى الحاكمين والمحكومين ، حتى ليشبه به الرجال الذين بلغوا من العلم والفضل مبلغا عظيما ، يذكر الجاحظ في البيان والتبيين ان عبد الله بن شبرمة بن طفيل كان عالما قاضيا ، وكان راوية شاعرا ، وكان خطيبا ناسبا ، وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبى .

استاذه في الخطابة

اما الخطابة فان الشعبى يذكر عن نفسه انه كان يتعلم الخطب من صعصعة بن صوحان ، ذلك الذى كان يعتبر من الخطباء المشهورين والفصحاء المعدودين، وكذلك اخوه زيد بن صوحان.

واخوهما سيحان بن صوحان وصعصعة استاذ الشعبى الذى تعلم منه الخطب ، نذكر من فصاحته وحضور بديهته ما روى في لباب الآداب عنه ، انه قدم مع وفد العراق على معاوية . فلما دخلوا عليه قال معاوية : مرحبا بكم يا اهل العراق ، قدمتم ارض الله المقدسة ، منها المنتشر ، واليها المحشر ، قدمتم على خير امير ، يبر كبيركم ،

ويرحم صغيركم ، ولو ان الناس كلهم وَلَدَ ابي سفيان لكانوا حلماء عقلاء .

وتطلعت الانظار الى صعصعة بن صوحان ـ والذى كان مع الامام عليّ في وقعة صفين ضد معاوية ـ فقام صعصعة وحمد الله عز وجل وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : اما قولك انا قدمنا الارض المقدسة ، فلعمري ما الارض تقدّس الناسَ ، ولا يقدّس الناسَ الا اعمالهم. واما قولك ان منها المنشر ، واليها المحشر ، فلعمرى ما ينفع قربها كافرا ، ولا يضر بعدها مؤمنا، واما قولك لو ان الناس كلهم ولد ابي سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد وَلَدَهم من هو خير من ابي سفيان ، وهو آدم صلى الله عليه ، فمنهم الحليم والسفيه ، والجاهل والعالم .

وتقبل معاوية ذلك في غير غضب ولا انتقام ، ذلك انه ساس الناس بالحلم والدهاء ، وتركهم يقولون ما شاءوا ، منفسين عما في صدورهم ، ويتبع نفورهم بالبذل والسخاء ، فيهدىء من ثائرتهم ، ويجتذب نافرهم ، ليوطد سلطانه عليهم .

اعلم بالغزوات مني

واما فقه الشعبي وتبحّره بالرواية فانه باجماع الرواة كان غزير العلم ، جليل القدر ، ادرك خمسمائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخذ منهم شيئا كبيرا ، حتى ان عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما مرّ بالشعبي يوما وهو يحدث الناس بغزوات الرسول ، فقال ابن عمر : لقد شهدتُ القوم « الذين غزوا » وان الشعبي لاعلم بالغزوات مني .

درس في القضاء

وهذا درس تعلمه من شريح القاضي ، يقول الشعبي : شهدت شريحا وقد جاءته امـرأة تخاصم رجلا ، واذا بها تسبل اجفانها وترسل الدموع من عينيها ، فقلت لشريح : يا ابا امية، ما اظن هذه البائسة الا مظلومة . فقال لي : ياشعبي ان اخوة يوسف جاءوا اباهم عشـاء يبكون .

هذا واخوة يوسف كانوا القوا اخاهم يوسف في غيابة الجب ، وجاءوا على قميصه بدم كذب ، ثم ذهبوا الى ابيهم وبكوا وقالوا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب .

وكان هذا درسا للشعبي، ان لا يؤخذ بالمظهر، فقد تكون الحقيقة بخلاف ما يبدو للعيان .

ومبادىء في القضاء

ومما حفظه الشعبي خاصا بالقضاء ، ورواه الجاحظ في كتابه البيان ، عن الشعبي ، ما كتب به عمر بن الخطاب الى معاوية : اما بعد ، فاني كتبت اليك بكتاب في القضاء ، لم آلك ونفسي فيه خيرا ، الزمْ خمس خصال يسلم لك دينك، وتاخذ فيه بافضل حظك : اذا تقدم اليـك خصمان فعليك بالبيّنة العادلة او اليمين القاطعة، وادْنِ الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه ، وتعهّد الغريب ، فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى اهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به . وآسِ بين الناس في لحظك ، وطرْفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لـم تستبين لك فصْلُ القضاء .

رفع الطرف اليها

ولا يخلو من يتصدى لامور الناس ، وخاصة في القضاء من ان يرضى عنه قوم ، ويغضب آخرون ، وحينئذ تجرى السنتهم بما يسيء .

دخل رجل على الشعبي في مجلس القضاء ، ومعه امراته ، وهي من اجمل النساء . وقد جاءا الى الشعبي يختصمان،ويريدان ان يقضي بينهما. وبدات المراة تدلي بحجتها ، وقدمت البينة على ذلك،وبقي على زوجها ان يرد البينة ، وان يذكر ما عنده مما يكون له او عليه . ومن الضرورى ان يستوفي القاضي حجة الخصمين وبينتهما . فقال الشعبي لزوج المراة : هل عندك من دافع لحجة زوجتك وبينتها ؟ ويبدو ان الزوج لم يكن له ما يدفع به . فلجا الى تجريح الشعبي بقول لا شك اعدّه من قبل اذ قال :

فتنَ الشعبيَّ لـمـا   رفعَ الطرْفَ اليها
فتنتـــــه بدلال   وبخطّي حاجبيهـا

قال بِلتجِلواز : قَرِّبْها واَحْضِر شاهِدِيها (١)
فمضي جَـــورا على الخصــــم ولم يَتَأَسَّ عليها
كيف لو ابصرَ منهـــــا نَحْرَها او ساعِدَيها
لَصَبَا حتى تــــراه ساجدا بين يَدَيهـــا

وما اسرع ان انتشرت الابيات ، وحفظها الناس لخفتها وظرافتها ، وبلغت امير المؤمنين عبد الملك ابن مروان .

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان فلما نظر اليّ تبسم وقال :

فَتَنَ الشعبيَّ لمّـــا رَفَعَ الطَرْفَ اليها

ثم قال : ما فعلتَ بقائل هذه الابيات ؟ قلت : اوجعته ضربا يا امير المؤمنين بما انتهك من حرمتي في مجلس الحكومة ، وبما افترى عليّ . قــال : احسنت .

الحديث اشهى الي

هذا وعبد الملك بن مروان من الذين يحسنون الاصغاء لطريف الاحاديث ، ويعجبون بالعلماء ، لانه كان عالما قبل ان يكون اميرا للمؤمنين ، وكان من المعجبين بالشعبيّ اشدّ الاعجاب ، يقــول الشعبي : ربما حَدَّثت امير المؤمنين عبد الملك ابن مروان ،وقد هيّئا اللقمة لياكلها ، فيمسكها في يده مُقْبِلا عليّ ، فاقول : كُلْها يا امــير المؤمنين ، فان الحديث من ورائها ، فيقول : الحديث اَشهى اليّ منها .

وتبين منزلة الشعبي عند عبد الملك بن مروان . وقيمة الشعبي نفسه من القصة التالية .

حسبني عليك

قال الشعبي : انفذني عبد الملك بن مروان الى ملك الروم . فلما وصلت اليه جعل لايسالني من شيء الا اجبته . وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده . غير انه ابقاني لديه اياما كثيرة ، حتى رجوت ان يسرع بالاذن لي في السفر . فلما وافق واردت الانصراف قال لي . امن اهل بيت الملكة انت ؟ فقلت : لا ، ولكنى رجل من العرب من جملتهم . فهمس ملك الروم بشيء الى احد عماله ، فتقدم ودفع اليّ كتابا وقال لي : اذا ادَّيْتَ الرسائل الى صاحبك ـ يعني عبد الملك ابن مروان ـ فاوصل اليه هذه الرقعة .

وخرج الشعبي ووصل الى دمشق ، ودخل على عبد الملك بن مروان ، وادّى اليه الرسائل التى كلفه اياها ملك الروم . ولكنه اُنْسِيَ الكتاب الذى دُفِعَ اليه . فلما صار قريبا من الباب يريد الخروج تذكر الكتاب ، فرجع فاوصله الى عبد الملك ، ففضه وقراه ثم التفت الى الشعبي وقال له : اقال لك ملك الروم شيئا قبل ان يدفع اليك هذا الكتاب ؟ قال الشعبي : نعم ، قال لي : امن اهل بيت الملكة انت ؟ قلت: لا، ولكني من العرب من جملتهم .

واتجه الشعبي خارجا ، من عند عبد الملك ، فلما بلغ الباب ادركه احد الحرس ، واخبره ان امير المؤمنين يريده . فعاد ومَثَلَ بين يديه ، فقال عبد الملك للشعبي : اتدرى ما في هـــذا الكتاب؟ قال : لا . قال : اقراه . فقراه الشعبي، واذا فيه « عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملّكوا غيره » فقال الشعبي : يا امير المؤمنين ، والله لو علمت ما فيها لما حملتها ، وملك الروم ما قال هذا القول الا لانه لم يرك . قال عبد الملك: افتدرى لِمَ كتبها ؟ قلت : لا . قال : حسدني عليك ، واراد ان يغريني بقتلك .

وشاع هذا الخبر ، ووصل الى ملك الروم فقال : ما اردت الا ما قال .

فليس عجيبا ان يكون الشعبي احد المعلمين لاولاد عبد الملك بن مروان . فان الحاكمين كانوا يختارون خير الناس علما وذكاء ، ومعرفة باحوال السابقين وينزلون اولئك المعلمين منزلة كريمة تليق بما آتاهم الله من فضله

من الحكم

ان ارسال الحكمة على السن الحيوانات ، لقصد العظة ، ولتقويم الحاكمين ومن يحيطون

(١) الجلواز : الشرطي .

بهم ، معروف من قديم الزمان ، وفي كثير من الامم ، ومعروف للناس ان ذلك موجود في الاداب الغربية والشرقية ، من ذلك « كليلة ودمنة » و « خرافات ايسوب » . والذى يعنينا ان العرب ايضا كانت لهم في ذلك مساهمة ، فقد ارسلوا حكما على لسان الضب ، وعلى لسان الثعلب ، وعلى لسان القطا ، وغير ذلك مما يعثر عليه القارىء في الاداب العربية ، الى جانب ما نقلوه عن غيرهم من الدول المجاورة .

وهذه قصة حكاها الشعبى على سبيل الموعظة، لا ندرى اهو الذى انشاها ، او انه رواها عن آخرين ، لكنه على كل حال عمل بها فصان نفسه عند الخلفاء ، واراد من جلسائه ان يصونوه .

قال الشعبى : مرض الأسد فعاده السباع ما عدا الثعلب ، فقال الذئب : أيها الملك ، مرضْتَ فعادك السباع الا الثعلب،قال الأسد : اذا حضر الثعلب فاعلمني ، فبلغ هذا الحديثُ الثعلبَ ، فجاء . فقال له الأسد : يا ابا الحُصَين ، مرضْتُ فعادنى السباع كلهم ولم تعدنى أنت . قال الثعلب : بلغني مرض الملك ، فكنت اسعى في طلب دواء له . قال الأسد : فاى شيء وجدت؟ قال الثعلب : قالوا لى ان في ساق الذئب خرزة ينبغى ان تخرج ، وبها يكون دواؤك . فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب فمزق جلدها ولحمها. فانسلّ الثعلب ، وخرج فقعد على الطريق ، فمرّ به الذئب يعرج والدم يسيل . فقال له الثعلب : يا صاحب الخفِّ الأحمر ، اذا قعدت عند سلطان فانظر ما يَخرُج من راسك .

فكاهـة

وكل من كثر اطلاعه ، وصار له بالناس احتكاك ولقاء ، يغلب ان تحكى عنه بعض الطرائف ، والشعبيّ لا يخلو من ذلك .

فقد دخل رجل على الشعبى في داره ، فوجده قاعدا مع امراة ، وفي سذاجة ، او في غفلة وبلاهة قال الرجل : ايكما الشعبى ؟ فلم يكن من الشعبى الا ان غلب عليه المزاح فاشار الى المراة وقال : هذه .

والناس الذين دابهم الفكاهة يستفيدون من طرائف سابقيهم ، فمما يروى في عدة كتب عن « جحا » العربى ان ابا مسلم الخراسانى لما ورد الكوفة قال لمن حوله : ايكم يعرف جحا فيدعوه الى ؟ فقال « يَقْطين » : انا . ودعا جحا للقاء ابى مسلم ، فلما دخل جحا لم يكن في المجلس غير ابى مسلم ويقطين ، فقال جحا : يا يقطين ، ايكما ابو مسلم ؟

ومرّ الشعبى بناس من الموالى يتذاكرون النحو فقال : لئن اصلحتموه انكم لاول من أفسده .

ومن طرائفه.بينا هو جالس في مجلسه واصحابه يناظرونه في الفقه ، اذا شيخ يقترّبه قد اقبل عليه بعد ان اطال جلوسه ، فقال له : انى اجد في قفاى حِكّة أفترى لى ان احتجم ؟ قال الشعبى : الحمد لله الذى حوّلنا من الفقه الى الحجامة

خلال حسنة

ومن الخلال التى كان الشعبى يتحلى بها الحلم، ويُحكى ان رجلا مَرّ على الشعبى،فلم يدع قبيحا الا رماه به ، فقال له الشعبى : ان كنتَ كاذبا فغفر الله لك ، وان كنتَ صادقا فغفر الله لى .

فليس غريبا انه كان كثيرا ما يتمثل بقول مِسكين الدارمى :

ليست الأحلامُ في حال الرِّضا
انما الأحلام في حال الغضبْ

وكان يدعو الى الأناة والتبصر في عواقب الأمور. قال لابن هبيرة : عليك بالتؤدة ، فانك على ايقاع ما لم توقع أقدرُ منك على رَدِّ ما قد اوقعت .

طبيعة وفهم

والكرم لا شك كان من صفات الشعبى ، فهو يقول : ما افلح بخيل قط ، اما سمعتم قول الله تعالى(ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون). ■■

عبد الستار احمد فراج

صفحة في اللغة

اسم الآلة

وقصته في العربية

« العرب اصحاب اللغة الاصلاءيتسامحون فيتوسعون ، وواضعو قواعدها يتشددون فيضيقون »

١) اذا تتبعنا الاسماء التي تدل على الآلات في لغتنا العربية وجدناها من اوزان مختلفة تبلغ عشرات ومن امثلتها : قلم ، ابرة ، حقنة ، قدوم ، سكين ، غربال ، مغزل ، مفتاح ، مكنسة ، ساطور ، طاحونة ، نطاق ....

٢) واذا رجعنا الى كتب القواعد التي تدرس في كلياتنا ومدارسنا اليوم نجدها تفهمنا ان اسم الآلة يصاغ من الثلاثي المتعدى المبنى للمعلوم، وان اوزانه ثلاثة ، هي :

ا ـ مِفْعَل ، مثل : مبرد (فعله : برد)

ب ـ مِفْعَال ، مثل : منشار (وفعله : نشر)

جـ ـ مِفْعَلَة ، مثل : ملعقة (وفعله : لعق)

٣) وقد نظر مجمع اللغة العربية بالقاهرة موضوع اسم الآلة ، فقرر في سنة ١٩٥٤ ، ان هذه الاوزان الثلاثة قياسية ، واضاف وزنا رابعا يقاس عليه ايضا ، هو .

د ـ فَعَّالَة ، مثل : قداحة ، فتاحة ، خرامة، سيارة ، دراجة ، غسالة ، حصالة ، ثلاجة .

وفي سنة ١٩٦٣ اضاف الاوزان الثلاثة الاتية ، وقرر قياسيتها ايضا ، وهي :

هـ ـ فِعَال ، مثل : سِدَاد ، رباط ، حزام ، لحاف ، ستار ، قماط ..

و ـ فاعلة ، مثل : ساقية ، قاطرة ، كاسحة، ناسفة ، رافعة ، كابحة ، حاسبة .

ز ـ فاعول ، مثل : ناقور ، خازوق ، ناقوس ، هاوون ..

واستيحاء مما قرره المجمع تقدم ما ياتي من الاوزان ، فاذا كثرت امثلته امكن ان تتقرر قياسيته :

فَعَّال ، مثل : جرّار ، سخان، كباس ، براد.
فاعولة ، مثل : ناعورة ، نافورة ، طاحونة .

(م . خ . ت)

الكبل CABIE

جرت صحف هذه الايام على استخدام اللفظ العربي « كيبل » للفظ الافرنجي Cable بمعنى السلك المعدني السميك الذى يصل بين شبكةهاتف وشبكة غيرها ، وقد خيل لي ان اللفظ اصله عربي ، وهو « الكبل » فماذا ترون في ذلك ؟

بثينة جمال الدين/الكويت

(**العربي**) نرى ان Cable معناه الحبل ، والكبل في العربية الحبل ، فترجمة الكلمة الانجليزية بالكبل هي الترجمة الصحيحة ، واذن فلا حاجة الى البحث من الاصول اللغوية هل هي واحدة ام مختلفة .

فتن في عهد كبار الصحابة

بقلم : الشيخ
بدر المتولي عبد الباسط

■ ليس بين عهد كبار الصحابة وصغارهم ، ولا بين عهد التابعين ولا من تبعهم ـ فواصل زمنية ، تجعل كل عهد منفصلا عما قبله وما بعده ، بل ان كل عهدٍ متصلٌ بما قبله بجذور لا ينبغي اغفالها ، فعهدُ صغار الصحابة وكبار التابعين الذى نحن بصدده ـ متأثر الى حد كبير بعوامل وقعت في عهد الصحابة ، منها ما هو سياسي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ما هو ثقافي ، وهذا كان له ابلغ الاثر في التفكير الدينى، سواء منه ما يتصل بالعقيدة، او ما يتصل بالاجتهادات الفقهية .

وحتى يكون القارىء على بينة من الاجتهادات الفقهية في هذا العهد ـ لا بد من عرض سريع يبين لنا صورة المجتمع الاسلامى في عهد صغار الصحابة وكبار التابعين ، بالقدر الذى يتصل بالعقيدة ، او ما يتصل بالاجتهادات الفقهية .

وحتى يكون القارىء على بينة من الاجتهادات الفقهية في هذا العهد ـ لا بد من عرض سريع يبين لنا صورة المجتمع الاسلامي في عهد صغار الصحابة وكبار التابعين ، بالقدر الذى يتصل ببحثنا من غير دخول في التفصيلات التاريخية .

ومن اهم ما اثر على المجتمع الاسلامى في هذا العهدِ ـ الفتن ، التى وقعت في عهد كبار الصحابة والتى جنى صغارهم ثمارها المرة .

الفتنة واثرها في التشريع

ما جاءت السنة العاشرة من الهجرة الا وجزيرة العرب موحدةٌ تحت راية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وفي مرض الرسول الذى مات فيه ظهر شيء ما من بوادر الخلاف ، وذلك ان العباس عم رسول الله توقع موت الرسول في مرضه هذا ، بعلامات عرفها فيمن مات قبل ذلك من بني هاشم ، فذهب الى ابن اخيه علي بن ابي طالب ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ يحذره ويطلب اليه ان يبادر الى الرسول ليطلب اليه ان يكتب كتابا يوصي فيه بالامر الى واحد من آل بيته ، فيرفض علي : ويقول لعمه : « لو طلبناها ثم منعها منا فلن ننال هذا الامر ابد الدهر » . وما لبث النبي ان انتقل الى الرفيق الاعلى ولم يوص بالخلافة لاحد، بنص قطعي، او شبه قطعي .

وبموته نجمت فِتَنٌ لم تلبث ان انطفات ، وعادت للمسلمين وحدتهم .

الفتنة الاولى
اختلاف المهاجرين والانصار على منصب الخلافة .

نجمت هذه الفتنة في ثقيفة بني ساعدة عقيب وفاة الرسول ، فالانصار يرون انهم اصحاب الدار ، وانهم اهل الشوكة ، وبهم انتصر الاسلام، فكانوا يرون انهم احقُّ بالخلافة من المهاجرين ، والمهاجرون يرون انهم اول الناس اسلاما واقرب الى الرسول رَحِماً ، وان العرب لا تدين بالولاء الا لقرشي .

وذهب قوم الى القول بتنصيب خليفة من المهاجرين وآخر من الانصار ، وانطفات هذه الفتنة بمبايعة ابى بكر من المهاجرين والانصار عن طواعية واختيار .

واذا كان سعد بن عبادة سيد الانصار ـ يومئذ ـ امتنع عن مبايعة ابى بكر ، فانه لم يحاول انْ يشق عصا المسلمين بالرغم من اختلافه مع جمهورهم .

ويرجع الفضلُ في انطفاء هذه الفتنة بهدء

جنى صغار الصحابة ثمارها المرة

السرعة الماحلة ـ مع توفر اسباب تاججها ـ الى قوة ايمان القوم ، وايثارهم مصلحة الدين على العصبية الهوجاء .

الفتنة الثانية
اعتزال علي وبعض اهل بيته وقلة من الصحابة
عن الدخول في بيعة ابي بكر اول الامر

يرجع سبب اعتزال علي رضى الله عنه ومن معه عن البيعة ـ اولا ـ الى انهم كانوا يرون عليا اولى بالخلافة من غيره ، لقرابته من رسول الله ، وصهره منه ، وقدم صحبته له ، وحسن بلائه في نصرة الاسلام ، ولكن هذا الاعتزال لم يلبث الا قليلا ، حتى دخل علي واهل بيته ومن معه فيما دخل فيه الناس وكان ـ رضى الله عنه ـ محل ثقة الخلفاء قبله ، ومن سادة اهل الشورى والراى ، لم يعرف عنه ـ في فترة اعتزاله او بيعته ـ انه شق عصا الطاعة ، او كاد للخليفة القائم بالامر ، لا عن جبن او خوف او تقية ، فقد كان شجاعا لا يخشى في الله لومة لائم .

ان بعض المؤرخين يرد مبدا التشيع الى هذه الفترة الاولى من عهد كبار الصحابة ، واني ارى انه ان كان المراد بالتشيع مجرد الاقتناع بان عليا اولى بالامر من غيره لصفات ترجحه عليهم مع جواز تولي غيره بالخلافة من غير لعن او سب او افراط في التعصب فالامر كما قالوا ، على ان الذين كانوا على هذا الراى مع على كانوا قلة قليلة لا يبلغون عدد اصابع اليدين مهما اسرفنا في التعصب ، نذكر منهم سلمان الفارسي وجابر ابن عبد الله الانصارى وحذيفة بن اليمان ، ومع هذا فان هؤلاء ـ جميعا ـ اخلصوا للخلفاء قبل على ، وحاربوا تحت رايتهم ، وتولوا لهم اعمالا ، فيكف نعلل هذا ؟ اللهم الا انهم كانوا مخلصين لهؤلاء الخلفاء وان كان حبهم لعلى اكثر ، واعوذ بالله ان اتهم احدا من هؤلاء بالجبن او النفاق او ايثار للدنيا على الاخرة ، فقد عرفنا هؤلاء ـ جميعا ـ رجالا بكل ما تحمله كلمة الرجولة ، شجعانا بكل ما تحملة كلمة الشجاعة ، مؤثرين الاخرة على الدنيا بكل ما تحملة كلمه الايثار .

الفتنة الثالثة
التي انتهت بقتل عثمان

تولى عثمان الخلافة بعد عمر ـ رضى الله عنهما ـ فكان ـ هناك ـ فرق شاسع بين عهدين : عهد عزم وحزم ، كبحت فيه اهواء ذوى الاهواء ، وحوسب فيه الولاة على الفتيل والقطمير، وبين عهد تغلبت فيه الرحمة على الحزم، واللين على الشدة ، واطلقت فيه الحريات ، فجمح من جمح، واسترسل في غوايته من استرسل فانطلق دعاة السوء يكبرون الصغير ، ويعظمون الحقير ويذيعون الشائعات ، ويثيرون الحزازات ، واستغلوا استسلام عثمان بعض الاستسلام الى بطانة السوء من اهل بيته ، وذلك في اواخر حياته ، وقد علت به السن ، واستغلوا ـ كذلك ـ رعونة بعض الشباب ممن يعرفون الاسلام تعصبا ولا يزنون الرجال باعمالهم كلتها ، بل يتتبعون الهفوات ، ويتسقطون الاخطاء ، فالبوا الجموع على عثمان ، وانتهزوا موسم الحج عام ٣٥ من الهجرة فيهجمون على الرجل في بيته وهو يتلو كتاب الله فيقتلونه ، لم يرحموا شيخوخته ، ولم يكرموا صهره من رسول الله في ابنتيه رقية وام كلثوم ، ولم يقدروا ما قدم الى الاسلام من اياد بيضاء في حياة الرسول وبعد وفاته ، فقد جهز بعض الجيوش من ماله وبذل الاموال الطائلة في تخفيف الضائقات عن المسلمين في سنى العسرة .

ولم يقدر هؤلاء الناقمون ما ارتكبوا من جرم ، فقد فتحوا باب فتنة لايقفل الى يوم القيامة .

وكان اليهود الذين تظاهروا بالاسلام وراء هذه

الفتنة العمياء ، فقد تحدث المؤرخون عن عبد الله ابن سبأ ، وكيف أجج جذوتها ، وأشعل نارها ، وهكذا نرى أصابع هؤلاء القوم وراء كل فتنة في العالم تمتد آثارها أجيالاً وأجيالاً .

الفتنة الرابعة وهي الفتنة الكبرى

وكان لها أبلغ الأثر في تشعب المسلمين الى فرق وأحزاب يضرب بعضهم أعناق بعض ، كما لها أكبر الأثر في اختلاف الآراء سواء ما يتصل منها بالعقيدة ، أو بالمسائل الفرعية العملية ألا وهي الفتنة التي وقعت في عهد علي رضي الله عنه .

فلم تنته الفتنة السابقة بقتل عثمان بل ان هؤلاء القتلة بادروا فبايعوا عليا ، وجعلوه أمام الأمر الواقع ، مما جعل أصابع الاتهام تشير اليه بأنه تمالأ معهم على قتل عثمان ، والله يعلم أنه بريء من دمه براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، كيف وقد أرسل ابنيه الحسن والحسين لحراسة عثمان والدفاع عنه ؟! ولكن القدر سبقه اليه ، وفي وقت الفتن يصعب تحديد المسئول عن الجريمة ، وما كان لعلي – وهو من هو – أن يترك الناس فوضى ، وأن يدع الفتنة يستشري شرها أكثر مما استشرت ، وكان لزاماً عليه أن يقبل البيعة في هذا الظرف الحرج مهما فوق اليه من سهام التهمة ، فان الرجل العظيم لايبالي أن يتحمل المسئولية في الوقت العصيب ، ضاربا الصفح عن تقول القائلين ، أو اتهام المغرضين .

وقد كان من عرفوا بعد ذلك بالخوارج يعتبرون من أشد أنصار علي .

وحينما رفع أنصار معاوية المصاحف على الرماح في موقعة صفين – بعد أن أوشك النصر أن يتم لجيش علي ، يطلبون التحكيم ، وبالرغم من تحذيره من أن هذه خدعة ، أجبر هؤلاء الشباب المتعصبون عليا على قبول التحكيم ، ولما أراد أن يختار عبد الله بن عباس ، ليكون ممثلاً له ، أبى عليه هؤلاء الشباب أن يختاره ، لأنه – في زعمهم – شاب حدث ، واختير أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – وقد كان ما كان مما هو معلوم في التاريخ . وتبلبلت الخواطر ، ودب الخلاف في جيش علي ، وخرج عليه هؤلاء الشباب المتعصبون بحجة قبوله لحكم الحكمين ، وأعلنوا شعارهم : « لاحكم الا لله » ، واعتزلوا جيشه ، ثم استحلوا قتاله ، وكان ما كان بينه وبينهم من معارك دامية ، أهرقت فيها دماء زكية ، وأشهر هذه المعارك معركة النهروان ، ولم يكن علي يعاملهم معاملة الكفار ، فلم يجهز على جريحهم ، ولم يأمر جيشه باتباع المنهزم منهم ، ولم يسترق نساءهم وذراريهم ، ولم يجعل أموالهم غنيمة لجيشه ، لأنه كان يرى أنهم متأولون وان أخطأوا التأويل .

وكان هذا القتال سببا لضعف مركز علي ، وقوة مركز معاوية الذي كان يقود جيشا لا يعرف الا الطاعة لقائده ، لطول عهده بولاية الشام ، وحسن سياسته معهم ، مما جعلهم يبذلون أرواحهم في سبيله ، لأنهم قارنوا بينه وبين من عرفوا من ولاة الروم فكان – يقينا – أرحم منهم ، وأقرب الى قلوبهم من ولاة الروم المتغطرسين .

ثم كان ما كان من مؤامرة الخوارج على اغتيال كل من علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، وتنفيذ المؤامرة في علي ، وفشلها بالنسبة لكل من معاوية وعمرو بن العاص ، وانتهى عهد كبار الصحابة بموت علي ، وقد انقسم المسلمون الى فرق ثلاث .

الفرقة الاولى : جمهور الامة :

وهم الذين يرون وجوب الطاعة لولي الأمر ، حفظا لوحدة الامة ، كما يرون التغاضي عن بعض ما يكون في ولي الأمر من هنات لاتقدح في سلامة دينه ، ويرون طاعة ولي الأمر واجبة مالم يأمر بمعصية ، فانه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا يرون الخروج عليه الا أن يرتكب كفرا بواحا ، كما يرون وجوب نصحه بالتي هي أحسن .

الفرقة الثانية : أنصار علي وأهل بيته وهم الذين عرفوا بالشيعة :

وهم يرون أن الخلافة حق لعلي وآل بيته ، وهؤلاء قد انقسموا الى فرق شتى – حتى في هذا العهد – فمنهم الغلاة جدا ، الذين غالوا في حب علي ، فقالوا بالحلول أو ما هو قريب من الحلول ، وهؤلاء ابتلي بهم علي في حياته ، وكان له معهم موقف حازم ، اذ تتبعهم بالقتل والاحراق ، براءة منهم ، لمقالتهم المنكرة ، ومن أنصار علي من لم يبلغوا هذا الحد من الكفر ، وان كانت لهم آراء تفردوا بها عن جمهور الامة ، لايخرجون بها من حظيرة الاسلام ، سواء ما يتصل

بهذه الآراء من الناحية الاعتقادية او العملية ، وسنشير الى بعض هذه الاراء ، مع بيان وجهة نظرهم ونظر مخالفيهم .

الفرقة الثالثة : الخوارج :

وهم طائفة متعصبة متشددة" ، كان اكثرهم من الاعراب ، اخذوا بظواهر بعض النصوص ، واعتبروا كل ما جاء بعد عهد الشيخين (ابي بكر وعمر) والسنين الست الاولى من عهد عثمان ـ قبل ان تنجم الفتنة ـ بدعا مرفوضة" ، وكانوا يرون وجوب الخروج على كل امام لايرى رأيهم ، وقد تشعبوا بعد قتل علي الى شعب شتى : منهم المغالون جدا ، الذين يرون ان مرتكب اىّ ذنب يكون كافرا ، كما كانوا يرون لعنّ عثمانّ وعلي ومن اشترك في الفتنة من امثال معاوية وعمرو بن العاص وعائشة وطلحة والزبير ـ رضي الله عنهم جميعا ـ وكانوا اصحاب بأس وشدة على جماعة المسلمين . على ان منهم فرقا قريبة الى الاعتدال .

وكان لهذا الانقسام اثره في حركة التفكير الاسلامي ، لا سيما في المسائل الاجتهادية ، وكان لهذا الانقسام السياسي اثرّه الواضح في العصر التالي لعصر كبار الصحابة ، وان كانت بذور هذه الطوائف نشأت في اواخر عهدهم ، وقد تأثر كلّ قوم برأيهم السياسي ، وظهر هذا الاثرّ في الآراء الفقهية .

ضعف مبدأ الشوري في هذا العهد

ان الشورى التي كانت سائدة في عهد الراشدين اهمل امرها ، لا سيما في المسائل التي تتصل بسياسة الدولة العليا ، الا ان العلماء ـ يومئذ ـ كان يرجع بعضهم الى بعض ، وينزل بعضهم على راى بعض ، ويناظر بعضهم بعضا فيما يعرض لهم من قضايا ونوازل ، فلم يكن هناك سبيل « الى تحقق اجماع ، بالمعنى الصحيح للاجماع ، لانتشار العلماء في شتي الدولة الاسلامية .. ولانعدام مبدأ الشورى أو ضعفه ، ولسطوة الحاكمين وشدة بأسهم ، ولاختلاف الاراء من الناحية السياسية ، واعجاب كلّ ذى راي برأيه ، ومع هذا كان العهد مليئا بالمجتهدين الذين اعلنوا اراءهم في هيابين .

ولعلنا نستطيع ان نعطي صورة عن الحركة الفكرية الدينية في هذا العهد بعد ان بينا الصورة العامة لهذا المجتمع الاسلامي من الناحية السياسية والله ولي التوفيق . ■■

بدر المتولي عبد الباسط

أعلم بقريش من قريش

● قيل ان معاوية بن ابي سفيان ـ لما قدم المدينة ـ بعث الى الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن صفوان بن امية ، بهدايا من ملابس وطيب وصلات من المال ، ثم قال لرسله : « ليحفظ كل رجل منكم مايرى ويسمع من الرد » .

فلما خرج الرسل من عنده ، قال لمن حضر : « ان شئتم انبأتكم بما يكون من القول » ، قالوا : « اخبرنا يا امير المؤمنين » . قال : اما الحسنّ فلعله ينيل نساءه شيئا من الطيب ، ويهب ما بقي من حضره ، ولا ينتظر غائبا . واما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع ابيه بصفين ، فان بقي شيء نحر به الجزر ، وسقى به اللبن . واما عبد الله بن جعفر فيقول : ياغلام اقض به ديني ، فان بقي شيء ادخره لنفسه ومنّ به عياله . واما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبح ، فلا يلتفت اليه ، ثم يعاوده الرسول ، فيقول لبعض رجاله خذوا من رسول معاوية مابعث به ، جزاه الله خيرا . اما عبد الله بن صفوان فيقول : « قليل من كثير ، وما كل رجل من قريش وصل اليه هكذا ، ردوا عليه فان ردها قبلناها » .

فرجع رسله من عندهم بنحو مما قال معاوية . قال معاوية : انا ابن هند ، أعلم بقريش من قريش .

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

العظايا أو السحالي

بقلم الدكتور أحمد زكي

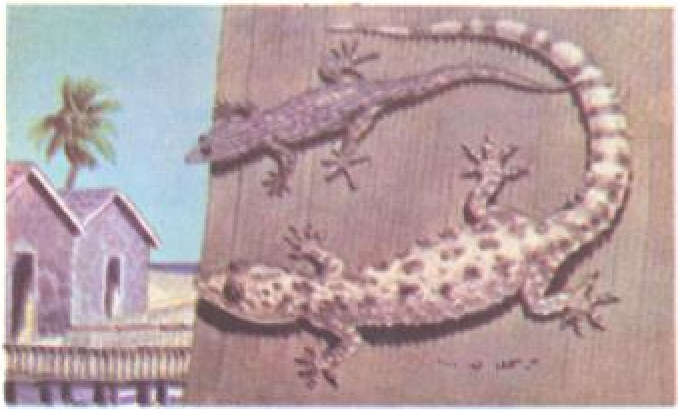
■ فى الكلمة الماضية تحدثنا عن طائفةالحيوانات الزواحف ، وهي من الفقريات تأتى طوائفها ، وجئنا على عموم صفاتها. ثم قسمنا هذه الطائفة الى رتب اربع هى رتبة السلاحف ، ورتبة العظايا اوالسحالى ، ورتبة الثعابين ثم التماسيح ثم جئنا على وصف رتبة السلاحف .

والآن نأتي الى وصف رتبة العظايا اوالسحالي ، والمفرد العظاءة او السحلية.

صفات العظايا

العظايا حيوانات قديمة فى الدهر ،وعظامها وجدت احافير فى الصخر الذى وجدت فيه عظام العظايا الضخام التىانقرضت قديما ، تلك التي نسميها بالعظايا المرعبة او الدناصير Dinosaurs .

والعظايا توجد عادة فى البقاع الدافئةمن الأرض ، ولو أن قليلا من انواعها



العظايا المسماة سام أبرص ، وتعرف كذلك بابى بريص Geckos ، ولعل منها جاء ، لفظ « برص » على السنة العامة ، مكان سحلية او عظاءة ، لان هذا هو النوع من العظايا الذى يعرفونه . وهذه العظايا تعرف بعيونها الكبيرة ، وبجلدها الذى كاد ان يشف ، وقد غطاه سفط كالخرز . وهي تعيش حول المنازل وعلى الشجر ، وطعامها صغار الحشرات.

يوجد فى شمال الارض ، حتى فى كندا وما جاورها .

ويوجد من انواع العظايا اكثر من ٢٥٠٠ نوع .

والعظايا المثلى، لها الجسم الطويل، ولها الارجل الاربع القصار ، ولكل رجل خمس اصابع ، وهي تعينها على الجرى على الارض وعلى تسلق الحوائط والشجر .

والعظايا سريعة الجرى ، وقدروا سرعة اسرعها فكانت ١٥ ميلا فى الساعة. ومن انواعها ما يستطيع العوم فى الماء . ومنها ما يجرى فى الصحراء تحت سطح الرمل ، وكأنما هو يعوم تحت سطح ماء .

وقليل من انواع العظايا شبيه بالثعابين فى مظهره ، فهي لها الجسم الطويل ، واختفت فيها الأرجل ، كما فى الثعابين ، ولكنها ، عدا هذا ، تشبه سائر العظايا فى كل شيء آخر .

وللعظايا جلد ذو سفط ، وهو سفط صغير على الظهر . ويجرى هذا السفط عريضا على بطن العظاءة من اسفل فى عدة صفوف ، مخالفا فى ذلك الثعابين ؛ فخطوط السفط فى اسفلها تجرى صفا واحدا .

والراس مغطى من اعلى بسفط كبير يحميها . وفى الراس عينان ، وفيه منخران .

والعظايا لعيونها جفون متحركة ، وفتحة للاذن فى جانب الراس .

وللعظايا ذيل متهيىء فى الازمات لان ينفصل عن الجسم وتنجو بذلك العظاءة. والذيل يعود فينمو ولكن أقصر مما كان.

واكثر العظايا تبيض ، وفى قليل من انواعها يتم البيض اكتمال خلق وهو فى

جسم العظاءة الأنثى ، واذا خرج منها فالخروج ولادة .

والعظاءة تعيش على الحشرات ، والصغير من الحيوانات ، وهي تبلعها بلعا ؛ فان كانت كبيرة وجب مضغها . وقليل من انواع العظايا يعيش على النبات .

وتتعرف السحلبة على ضحيتها من حركتها ، فاذا احستها انطلقت اليها بسرعة السهم فالتقمتها .

وقفة لابد منها

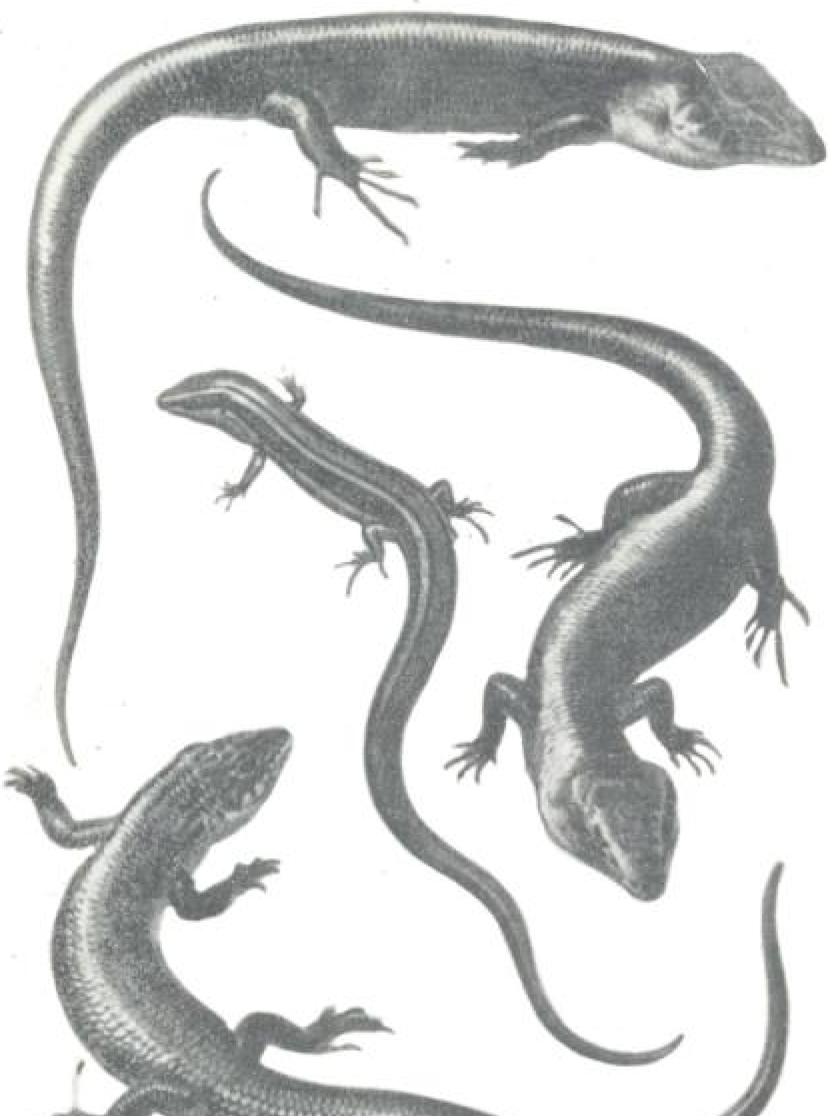
نقف هنا وقفة نؤكد فيها معنى الوحدة فى كل ما نصف ، خشية ان ينساها القارىء فى زحمة ما نورد من خلائق .

ان العظايا اشتركت فى صفات الخلق مع سائر الرتب الاربع التي احتوتها طائفة الزواحف ، فبين هذه الرتب جميعا صفات من صفات الخلق واحدة

مجموعة من العظايا المعروفة بالسقنقور Skink ، وهي عادة صغيرة الحجم ، فطول جسمها نحو ٥ بوصات ، وطول ذيلها نحو ٦ بوصات ، والسقنقور الذى فى ظاهر جسمها مفرطح ناعم ، وله بريق كأنه الحرير . وارجلها صغيرة ، ومنها ما كادت ارجلها ان تختفى فتكاد تشبه الثعبان وهي من الزواحف ولكن لا ارجل لها .



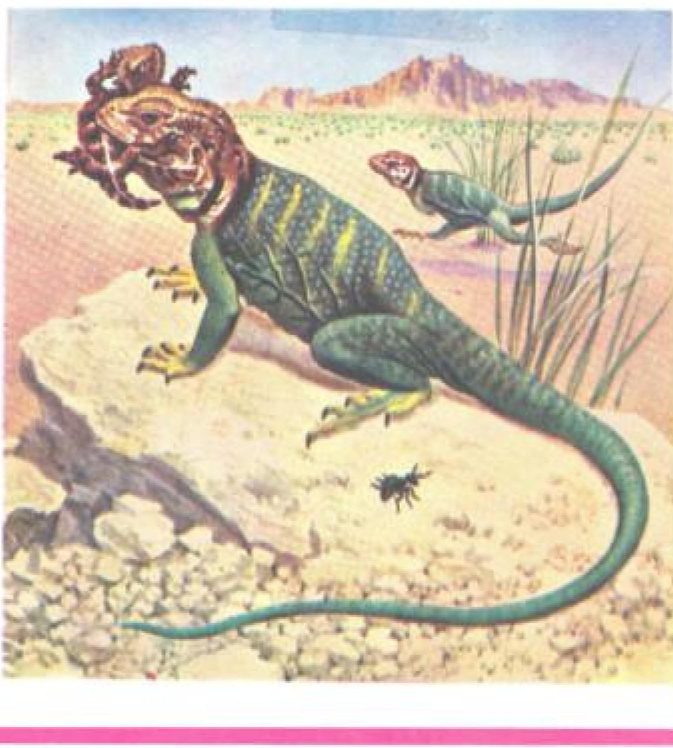
وهذه عظاءة من ذات القرون وشكلها غريب نوعا ما ، وهي توجد فى الغرب من الولايات المتحدة وفى المكسيك .

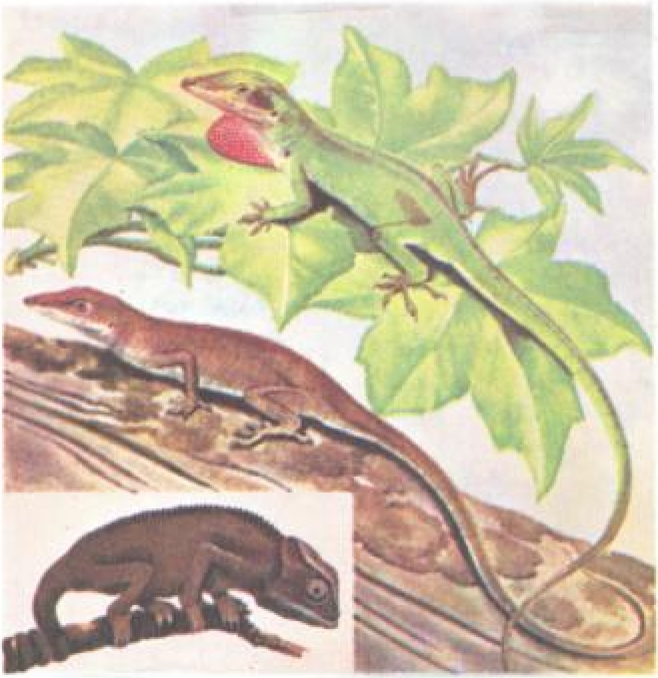


DD

العظاءة ذات الياقة
Collared Lizard
وتميزها ياقة سوداء حول عنقها ، وكذا ذيلها المتطاول، وراسها الكبير ، وذكورها اكثر الوانا من اناثها وابهج. وهي كثيرة الوجود في المناطق الصخرية ، وتعيش على الحشرات وعلى صغار العظايا .

الحرباء الأمريكية
American chameleon
وهي تغيّر لونها بحيث يشابه لون ما تقوم عليه، من ورق شجر او افرع لها (الصورتان العلويتان). اما الثالثة فصورة الحرباء الحقة، وهي من عظايا الدنيا القديمة .





هى صفات الطائفة . ولكن بين هذه الرتب صفات مختلفة جعلت منها رتبا . والرتبة اتحدت افرادها فى صفات . وهى مع احتفاظها بصفات الرتبة ، قد اختلفت فيما بينها ، فنشأت من ذلك الأجناس والأنواع .

فالرتبة تجمع الصفات الواحدة التى بينها وبين سائر الرتب التى تتألف منها الطائفة، مع وجود الاختلاف فى الصفات التى جعلت منها رتبا مختلفة. ثم تنقسم الرتبة الى اجناس وانواع ، تجمع بينها صفات الرتبة الواحدة ، ولكن تخالف بينها صفات مختلفة طارئة .

انها وحدة فى الصفات تعم الخلائق ، ثم هى تنقسم ، لأنه تطرأ مع الوحدة اختلافات فى الصفات تنشأ عنها طوائف، ثم رتب ، ثم اجناس ، وانواع جديدة .

وهذا الخلاف الطارىء على الوحدة والذى ينتج الطوائف والرتب والاجناس والانواع ، اختلاف يسير بالخلائق الى اعلى، الى الجسم الأتم تكوينا ، والأخص والأرقى وظيفة ، ذلك الذى ينتهى ، آخر المطاف ، فيما نعرف بالحيوان الأرقى والأمثل ، ذلك : الانسان . ●●

احمد زكى

طرائف

سائل فكه

● قيل ان سائلا اتى رجلا من اغنياء خراسان وساله شيئا ، فسمعه يقول لخادمه ، يا مبارك ، قل لقنبر يقول لجوهر يقول لياقوت يقول لهذا السائل يفتح الله عليك. فرفع السائل يده وقال : يا رب ، قل لجبرائيل يقول لاسرافيل يقول لميكائيل يقول لعزرائيل يقبض روح هذا البخيل ..

كلام

● ذكر ابن قتيبة قال : ان اربعة من الملوك اجتمعوا ، فقالوا كلمة واحدة كانها رمية بسهم . قال ملك فارس : اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها . وقال : ملك الهند : قد ندمت على

سلفة

● ارسل عمر بن الخطاب الى عبد الرحمن بن عوف يستلفه اربعمائة درهم . فقال عبد الرحمن : اتستلفني، وعندك بيت مال المسلمين ، الا تأخذ منه وترده . فقال عمر : انى اتخوف ان يصيبني قدري فتقول انت واصحابك : اتركوا هذا لامير المؤمنين حتى يؤخذ من ميراثي يوم القيامة ، ولكني اتسلفها منك لما اعلم من شحك ، فاذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثي .

ثلاثة وثلاثة

● قال الاصمعي : ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى يعرفوا : رجل رايته راكبا، او سمعته يعرب كلامه ، او شممت منه رائحة طيبة .

وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا : رجل شممت منه رائحة نبيذ في محفل ، او سمعته يتكلم في مصر عربي بالفارسية ، او رايته على ظهر الطريق ينازع في القدَر .

اماني

● اجتمع عبد الله بن عمر وعروة ابن الزبير ، ومصعب بن الزبير ، وعبد الملك بن مروان ، فقال لهم مصعب : تمنوا . فقالوا : ابدا انت . فقال : ولاية العراق ، وان اتزوج سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فنال ذلك ، واصدق كل واحدة خمسمائة الف درهم ، وجهزها بمثلها ، وتمنى عروة بن الزبير ان يكون فقيها وان يحمل عنه الحديث ، فنال ذلك ، وتمنى عبد الملك بن مروان الخلافة فنالها ، وتمنى عبد الله بن عمر الجنة .

عربية

الملوك

ما قلت ولم اندم على ما لم اقل . وقال ملك الروم : انا على رد ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت. وقال ملك الصين: ما حاجتي الى ان اتكلم بكلمة ان وقعت على ضرتني وان لم تقع عليّ لم تنفعني .

هل تصدق

● قال معاوية : اشد الناس حكيم ابن جبلة ، كان مع علي بن ابي طالب فقطعت ساقه ، فضمها اليه ، حتى مر به الذي قطعها فرماه بها فالقاه عن دابته ، ثم مال عليه فقتله واتكا عليه .

افهمتك كما افهمتني

● دخل ابو علقمة على اعين الطبيب فقال له : امتع الله بك ، اني اكلت من لحوم هذه الجوازل « فراخ الحمام » فطسئت طسأة « اتخمت » فاصابني وجع ما بين الوابلة الى دأية العنق « اجزاء من الجسم » فلم يزل يربو ويثمو حتى خالط الخلب والشراسيف « اجزاء من جسم الانسان » فهل عندك دواء ؟ فقال اعين : نعم خذ خربقا وشلفقا وشبرما « انواع من الحشائش » ، فزهزقه وزقزقه واغسله بماء بعير ، واشربه . فقال ابو علقمة : لم افهم عنك فقال اعين افهمتك كما افهمتني .

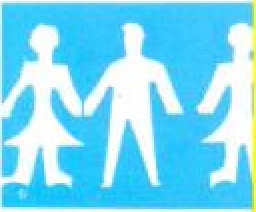
مفاخرة

● قال رجل لرجل : ابوك الذي جهل قدره وتعدى طوره فشق عصا الطاعة وفرّق الجماعة ، لا جرم ، لقد هزم ثم اسر ثم قتل ثم صلب . فقال الآخر : دعني من ذكر هزيمة ابي ومن قتله ومن صلبه ، ابوك ما حدث نفسه بشيء من هذا قط . وفي ذلك يقول الشاعر :

وعش ملكا او مت كريما وان تمت ... وسيفك مشهور بكفك تعذر

يتنقصه

● قيل ان ابنا لعامر بن عبد الله بن الزبير كان جالسا في مجلس والده فجاء ذكر الخليفة علي بن ابي طالب . فاخذ الولد يتنقصه . فقال له ابوه : مهلا يا بني لا تتنقصه فان بني مروان ما زالوا يشتمونه على اعواد المنابر ستين سنة فلم يزده الله الا رفعة وسموا ، وان الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا ، وان الدنيا لم تبن شيئا الا عادت على ما بنته فهدمته .



العلاقاتُ العامّة

تَطبعُ الناسَ انطباعاتٍ تتراكم، فتحجبُ عنهم واقعَ الأشياء



بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

■ قد يبدو هذا العنوان غريبا لاول وهلة ولكنه صحيح .

ان العلاقات العامة ، علاقات مابين الناس والناس ، تدس اليوم في اعماقنا انطباعات لا نعرف ماتاها ولكننا نسلم بصحتها . حتى لاصبحت هي الاصل والعلوم السلوكية هي التطبيق .

ان العلاقات العامة بين المعلم والتلميذ تربية Education ، وهي بين المنتج والمستهلك اعلان Advertising ، وهي بين البائع والمشترى اسلوب من اساليب البيع Salesmanship ، وهي بين الحاكم والشعب سياسة Politics ، وهي بين السفير والدولة التي يعمل فيها دبلوماسية Diplomacy ، وهي بين الطبيب النفساني ومرضاه علم نفس Psycholgy ، وهي بين الناس جميعا آداب Etiquette .

ولكن كليات التجارة في الجامعات درجت على ان تحصر الكلام عن العلاقات العامة Public Relations في ادارة الاعمال Business administration مع تطبيقها في مجالين فسيحين .

اولهما — علاقة الادارة بالعاملين في المنشاة ، صناعية كانت او تجارية او غير ذلك .
ثانيهما — علاقة الادارة بالعملاء .

وفي هذين المجالين نحصر كلامنا في هذا المقال .

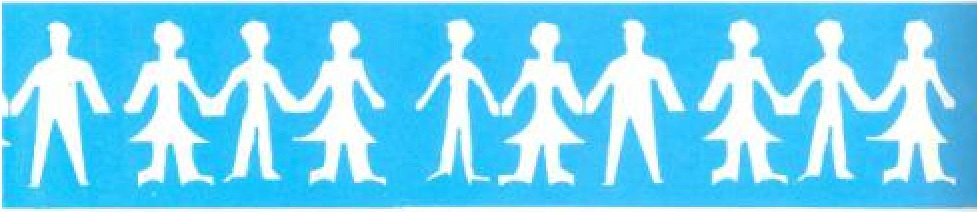
١ — علاقة الادارة بالعاملين

كان من أثر التضخم في حجم المشروعات بعد الثورة الصناعية والمكننة ان استقلت الادارة بنفسها عن رأس المال وحلت النظم الادارية والحسابية والمالية محل الملاحظة الشخصية . واقتضت التجمعات الكبيرة للعاملين ايجاد تفاهم بينهم اساسه الرضى عن حالهم وعن معاملة المشرفين لهم ، فهم كمن يعزفون على الات مختلفة ، ولكنهم لكى يرسلوا انغاما متناسقة ، لابد ان يعملوا على نوتة واحدة ، ولو سار كل منهم على هواه لاصبحت موسيقاهم نشازا .

وبتعبير اوربى هم يتحركون في حلبة للرقص . وعلى كل منهم ان يتحرك مع الموسيقى — وهي تمثل السياسة العامة — وان يرعى الاصول فلا يدوس على اقدام الراقصين والراقصات في الحلبة .

ولتحقيق هذا التفاهم لابد أن يفهم كل عامل سياسة المنشاة التي يعمل فيها . ومن حقه ان يعرف بالتحديد الهدف الذى من اجله يقوم بالعمل الذى يكلف به . ولكى ندرك اهمية هذه المعرفة نسوق مثلا يتكرر في كل يوم : فلو سار احدنا ليبلغ غاية محددة كقنطرة او متحف أو حديقة فان هذه الغاية تشده فيجد في سيره حتى يصل اليها . اما اذا خرج على غير هدى ليمارس رياضة المشى فان الملل يدركه بعد قليل ويشعر بالتعب .

ولا بد ان يقتنع العاملون بان جهودهم مقدرة فان في نفوسهم مركبا اسمه « أنا Ego » ، وعلى المدير ان يحسب حسابه ليعد كل منهم نفسه مسئولا عن المنشاة . وتحقيقا لذلك لا يصح ان يحتكر المدير فضل النجاح لنفسه ، وانما يُرجع منه قسطا كبيرا لمعاونيه .



وحبذا لو اقتنع العاملون بان المدير يهتم شخصياً بمصالحهم ومشاكلهم ليقوم التعاطف (Sympathy) بينه وبينهم . ومن ذلك ان يعود مريضهم ويتعزى عن مصابهم ويهنئهم في المناسبات السعيدة . وقد لا يكون هذا الاهتمام مقصوراً على اشخاص العاملين بل يتعداهم الى بيوتهم فيسعى المدير – كلما وسعه ذلك – الى مساعدة العامل على تهيئة مكان لابنته الصغيرة في المدرسة، ويقرضه اذا احتاج في محنة ...

واخيراً لابد من احساس العاملين بانهم يشاركون في اتخاذ القرارات ، فاذا عقدت لجنة لبحث موضوع فان رئيسها يكون آخر المتكلمين . انه يدير الجلسة والحوار فيبدأ باصغر الاعضاء مركزاً ، ثم بمن يكبره وهكذا . حتى اذا انتهى الجميع من ابداء آرائهم راح يلخصها ليبرهن على انه استوعبها ، ثم يبدى ما يعن له من تعقيبات على كل موضوع بما لا يخل باحترام من تناوله ، وينتزع القرار بما دار في الجلسة ثم يشكر الحاضرين قبل ان يعلن فضها .

واني اعتقد ان الذين يضحون بمصلحتهم الشخصية في سبيل المصلحة العامة قلة من الناس، فاكبر ما نطلبه منهم هو التوفيق بين المصلحتين . ومن هنا تنشأ الحاجة الى الحوافز الايجابية والحوافز السلبية – اى الى الثواب والعقاب – لتغليب نوازع الخير على نوازع الشر . وعلى المدير ان يربط الحوافز بارقام الانتاج حتى لا تثير الحقد في نفوس من يحرم منها وحتى تجيء عادلة فلا تصدر عن مجرد راى شخصي .

ومما يتصل بالحوافز القضاء على اسباب الشكوى . فقد ثبت من الاستقصاء ان ارتفاع الاجر ليس هو السبب الاول في استقرار العاملين وولائهم ، وانما هو ما يحصلون عليه في اعمالهم

محرراً في صحيفة قاهرية كبيرة عرضت عليه صحيفة من مكانة بين الناس Prestige . انى اذكر اخرى منذ ثلاثين سنة ان يعمل فيها بضعفي مرتبه فرفض العرض وفضل البقاء في مكانه .

الحزم غير الضعف

يخطىء كثير من المديرين حين يظنون ان مهمتهم « الضبط والربط » فهم يعملون على ان يعرفوا بالشدة ليهابهم العاملون . وفاتهم ان الضعف يصدر عن ثورة الأعصاب لا عن صوت العقل . وهو يولد الخوف ولا ينشىء الاحترام . ان المدير الحازم لا يقول للعامل « انت مهمل » وانما يحكم على عمله بان فيه اهمالا . والمدير الحازم يستدعى العاملون الى رئيسه طلبا بسلفة بحجة ان والدته فيما يريد . والمدير الحازم هو الذى يضطر الى فصل عامل ، ومع ذلك يتمنى له التوفيق في مستقبل حياته وهو يودعه . لقد قدم يوماً احد العاملين الى رئيسه طلبا بسلفة بحجة ان والدته قد توفيت ، وكان الرئيس يعرف انها توفيت مرة قبل ذلك : فكتب على الطلب « لك عزائى مرة ثانية » واعاده اليه وهكذا يعرف الرئيس الحازم هدفه فينطلق اليه . اما الرئيس الضعيف فهو ينفس عن اعصابه ولا يفكر بعقله .

المبالغة في العلاقات العامة

يقرر علماء الادارة ان الكفاية بدون علاقات عامة قد تصبح شراً مستطيراً اذا انحرفت عن خدمة المنشاة الى مهاجمة المديرين . ولكن المبالغة في العلاقات العامة قد تحيل المنشاة من مؤسسة انتاجية الى مؤسسة علاجية لعمالها . لقد ثبت ان الروح المعنوية المنخفضة بين العاملين تخفض الانتاج ، ولكن ثبت ايضاً ان الانتاج قد ينخفض

رغم ارتفاع الروح المعنوية ، اذا كانت الالات قديمة والمواد الاولية سيئة . فالحق وسط بين هذين الباطلين . واذا كان من واجب المنشاة ان تعنى بالعاملين فيها ، فان من واجبهم ان يتفانوا في خدمتها .

المعلومات والتعليمات

لقد اصبحت اللامركزية ضرورة ادارية بعد تضخم المشروعات ، واصبح الترابط بين اجزاء المشروع اكثر ضرورة . ومن هنا ظهرت اهمية المعلومات والتعليمات . فالحصول على المعلومات الضرورية للعمل حق لكل عامل ، وله ان يستقيها من جميع الاقسام . اما التعليمات فليس من حق احد ان يعطيها في كل قسم الا رئيسه .

والاقتراحات كالمعلومات حق لكل عامل . ولا يصح ان يضار عامل اذا جاء اقتراحه ساذجا او منقوصا . اما اذا جاء نافعا فمن الخير ان يتبع بمكافأة مناسبة . ان مديرا كان يوما يستشير مهندس الدار في فرش ارض الحاسب الالكتروني بالمطاط فوافق المهندس على ذلك ، ولكن عامل النظافة كان موجودا فعلق قائلا : وماذا نفعل بالباب وهو « سيكوريت » قحتى محكما ليمنع تسرب الهواء المكيف ، وتعلية الارض تمنع فتحه واقفاله ؟ هكذا تنبه العامل لما لم يتنبه له المهندس لان الموضوع ادخل في مهنته .

ولو شجعت الادارة عمالها على ان يقترحوا لجادتها آراء بناءة ممن يمارسون الاعمال ولا يسمعون عنها .

٢ ــ علاقة الادارة بالعملاء

تحرص المنشات على ان تبقى صورتها بين عملائها محببة الى نفوسهم بعيدة عن شبهة الاستغلال . ومن ذلك ما فعلته مؤسسة فورد الامريكية حين انشأت Ford Foundation للاعمال الخيرية ، وما فعلته مؤسسة روكفلر ، ومن المنشات ما يمنح الجوائز والكؤوس في لعب الكرة ويقيم المستشفيات والمعاهد العلمية العامة.

ومنها مثل « ارامكو » ما يصدر صحيفة جيدة الطبع والاخراج تشرح للشعب السعودي ما تؤديه له من خدمات .

وتتضح وظيفة العلاقات العامة من تعريف دائرة المعارف البريطانية بانها « مظاهر النشاط المتصلة بتفسير وتحسين العلاقات القائمة بين منظمة او فرد وبين الجمهور » ، كما تتضح من تعريف دائرة المعارف الامريكية بانها الفن الذى يقوم على التحصيل والتاثير والتعبير ، بشخص او فكرة او جماعة ، من اجل ان يعترف بانها تقوم لخدمة مصالح الجمهور وانها تستفيد من وراء ذلك . فالعلاقات العامة كما تراها الدائرتان هي علاقات الجمهور . والاتصال الناجح به يقتضي توافر العناصر الآتية :

١ ــ دراسة خصائص الجمهور الذى يراد الاتصال به .

٢ ــ تحديد نوع الانطباع الذى يراد نقله الى نفوسهم

٣ ــ اختيار الوسيلة التي يتم بها الاتصال .

٤ ــ اختيار المسئولين الذين يقومون بالاتصال .

والى القارىء كلمة عن كل عنصر من هذه العناصر :

خصائص الجمهور

بيئة الجمهور لها تاثير كبير على انفعالاته ، فالجو الحار يدعو الى سرعة الغضب ، والجو البارد يدعو الى الاتزان . وقديما قالوا ان الانجليزي كمنزله : دافيء من الداخل وبارد من الخارج .

والقبلية تدعو الى التعاون كما في القرى . والطائفية تدعو الى التنابذ ما لم تنظمها العلاقات العامة كما في لبنان ، والمدنية تدعو للتباعد فلا يحيى الجار جاره مهما طال الجوار كما في كندا . والسلالة تخلق في كل جمهور استعدادا خاصا . فالجنس الآرى معروف بالاستعلاء ، والسكسوني بالمواظبة والاعتماد على النفس ، والزنجي بالتواكل ، والعربي بالقدَرية .

والمستوى الحضارى المرتفع يتميز بالموضوعية وتقارب العقليات . وهو غير المستوى التكنيّ .

ولعلنا نذكر في هذا المقام كلمة برناردشو عن الامريكان « انهم قفزوا من عصر البربرية الى عصر التكنية دون ان يمروا بعصر الحضارة » .

والمذهب السياسي له صلة بالعلاقات العامة ، فالاشتراكية من شأنها ان تذيب الفروق بين الطبقات فتوجد التقارب بينهم ، على حين يبقي الاقطاع على الفروق بين الطبقات .

ونوع الانتاج يؤثر على العقلية فالبلاد الزراعية تتميز بالبطء على حين تتميز البلاد الصناعية بالدقة والروح العلمية .

ومستوى المعيشة مهم ايضا ، فلا اثر للعلاقات العامة في فقير لا يجد قوت يومه . وخير من التودد الى مشاعره اعطاؤه رغيف عيش .

ونوع الحكم يؤثر في نوع العلاقات العامة ، فمن شان الحكم الديكتاتوري ان يدعو للانصياع والالتزام بينما يدعو الحكم الديمقراطي الى التحرر الفكري .

والعاملون في المنشآت الاجنبية يلاحظون مثل هذه الظروف حين يمثلون منشآتهم في العالم العربي ، فهم ياكلون بايديهم اذا وجدوا في استخدام الشوكة والسكين استعلاء . وهم يعرفون ان الدعوة اذا لم تكن الى غداء او عشاء فهي في مصر والكويت الى شاي ، وهي في لبنان الى كوكتيل . ويعرفون ان تقبيل ايدي السيدات اذا كان مستحبا في باريس فهو كارثة في العالم العربي .

ان كل مندوب يجمع المعلومات عن جمهوره ثم يخرج عما تعوّد ليتعامل معه في حدود بيئته .

الانطباع المطلوب

الانطباع المطلوب في العلاقات العامة ينصب على نشاط المنشأة كله لا على سلعة من سلعها . ان المقصود منه ليس البيع المباشر وانما هو خلق صورة لا شعورية في صالح المنشآت تعمل في صمت ولكنها تصبح في النهاية بمثابة المدفعية الثقيلة اذا شبهنا مندوبي البيع بالمشاة وقد تصب صورتها في شعار هتاف Slogan فتقول شركة للطيران عن نفسها انها « اكثر شركات الطيران خبرة في العالم » ، وتقول شركة لمشروب خفيف « تحبها تحبك » ، وتقول مدرسة عن نفسها انها « تربي العقل والجسم والخلق » .

ان من شركات السجائر والاقلام والساعات ما يكتفي بتقديم نفسه في الاعلانات في جو من النجاح او النزهة الخلوية الممتعة او الالعاب الرياضية دون ان يتحدث عن مزاياها . مزايا الشركة .

ومن الشركات ما يقدم في التلفاز او السينما برنامجا غنائيا او راقصا ثم يكتفي بذكر اسمه كمقدم للبرنامج ليربطه بالمتعة التي تلقاها المشاهدون منه .

وسيلة الاتصال

ولا بد ان تكون الوسيلة الاعلانية مناسبة للمنشأة وللجمهور ، فشركات نشر الكتب تناسبها الصحافة ، وشركات التمثيل والملاهي تناسبها السينما . وجمهور الريف تناسبه الاذاعة . والاميون في المدن يناسبهم التلفاز . والاطباء والمهندسون تناسبهم الخطابات بالبريد . ان الملاءمة بين الوسيلة من جهة والشركة والجمهور من جهة اخرى امر واجب الملاحظة .

المسئولون عن التنفيذ

هؤلاء هم رجال العلاقات العامة وهم يتميزون ببشاشة الوجه وحسن الخلق وحب الاختلاط وسعة الثقافة . انهم رسل المنشأة فلا بد ان يكونوا عنوانا طيبا لها . والشركات الكبيرة تحجز لمندوبيها اماكن في افخم الفنادق حين يتجولون لترفع سمعتهم وتحمل الناس على احترامهم فتنطبع في نفوسهم صورة كريمة Image عن منشآتهم .

ارايت اذن ان الناس لايحكمون على الاشياء بحسب حقائقها ، وانما يحكمون عليها بحسب ما يصلهم عن هذه الحقائق ؟ ارايت ان الانسان لا يسير بعقله في هذه الدنيا بقدر ما يسير بنوازعه وانطباعاته ؟ ■■

السيد أبو النجا



ميثاق للشباب العربي

بقلم
الدكتور جميل صليبا

■ اذا كان لكل جيل من الاجيال مسؤوليات تخصه ، فان اختلاف افراد الجيل الواحد بعضهم عن بعض يفرض عليهم مسؤوليات مشتركة يمكن جمعها في ميثاق واحد ، يمكننا ان نطلق عليه اسم « ميثاق الشباب » .

مزايا الشباب

اذا ذكر الشباب ذكر معه الامل ، والاعتزاز بالنفس ، والاقدام ، والايثار والبطولة . فسن الشباب سن المبالغة في كل شيء ، لا بل هي سن الحماسة ، والطموح ، والتفاؤل . ولكن بعض شبابنا قلبوا ايمانهم الى شك ، وتفاؤلهم الى تشاؤم ، واطمئنانهم الى قلق ، واملهم الى يأس . تمر بهم الايام كما تمر الاحلام ، حاجاتهم قليلة ، ونفوسهم ضيقة ، يحبون اللذات الرخيصة والنجاح السهل ، ويفضلون اللهو على الجد ، والراحة على المشقة .

نعم ان الانسان لو استطاع ان يقلب اتجاه الزمان ويرجع من الشيخوخة الى الكهولة ، ومن الكهولة الى الشباب لعرف كيف يستمتع بالحياة ، وكيف يحدد مسؤولياته في كل مرحلة من مراحل العمر ، الا ان الشيخ لا يصبح شابا كما ان الشاب لايعرف قيمة الزمان ، ولا يحرص على شبابه حرص الشيخ على حياته ، تلك هي ماساة الحياة . الطفل لا يدرك مستقبله ، والشيخ لا يخرج من ماضيه ، والشاب لا يعرف حاضره ، ولا سبيل الى التغلب على هذه الماساة الا اذا شعر كل جيل بما يخصه من المسؤوليات ، وعرف كيف يوفق بينها وبين حاجاته واستعداداته .

الشباب مسئولياته

ولسنا نريد الان ان نفصل القول في هذه المسؤوليات ، ولكننا نريد ان نقول ان اهمها في نظرنا حفظ صحة الجسد ، وتثقيف العقل ،

(العربي) للكاتب مقالة عنوانها « مشكلات الشباب العربي » في العدد السابق .



وتقوية الارادة ، وتنمية القدرة على بذل الجهد ، والاتصاف بالصبر والثبات والايمان والرجاء . ان الشاب لايبلغ غايته الا اذا تعود العفة ، والحكمة ، والشجاعة ، والعدالة ، والصدق ، والنظام . والاقدام ، والاخلاص ، والمروءة .وليس يغني الشاب عن الاتصاف بهذه الفضائل ان يكون قوى الذكاء ، شديد الحماسة لانه لا فائدة من الحماسة الشديدة اذا كانت سريعة الزوال ، ولانفع في الذكاء الحاد اذا كان غير مصحوب بارادة قوية واعية تدفع صاحبها الى العمل في نظام ، ان المرء يبلغ بالنظام مالا يبلغه بالذكاء والحماسة، لان النظام يوفر عليه كثيرا من الجهد ، وكثيرا من الوقت ، ويهيىء له اسباب النجاح الدائم .

ان الحياة ليست بجميلة الا اذا كانت كاملة . واعني بالحياة الكاملة تلك التي تشتمل على جميع الفضائل في انسجام تام . وجماع ذلك كله ادراك الخير والعمل به ، وتفضيل الجد على اللهو ، والجهد على الكسل ، واعداد العدة لمستقبل افضل .

لا شك ان بعض شبابنا يعرفون ما يريدون ، ويبذلون كل جهد في سبيل تحقيق ما يتصورون ، لاتزيدهم العقبات التي يلاقونها في طريقهم الا اصرارا على بلوغ اهدافهم . واكثر ما يظهر هذا الاصرار في القضايا القومية ، فهي واضحة في نفوس شبابنا ، مستولية على مشاعرهم، يدافعون عنها بارواحهم . ولكن حماسة معظم الشبان تشبه لهيب الشوك ، لا يلبث ان يحتدم حتى يزول بسرعة ، نفوسهم قلقة ، وصفوفهم متفرقة ،فليت شعري،ما دهاهم حتى امسوا كثيري التفرق والحيرة والتردد ؟ . اهي الهزات العنيفة التي حلت ببلادهم خلال السنوات الاخيرة ؟ ، ام هي سرعة تغير شروط الحياة ، واضطراب العالم باسره بعد الحرب العالمية الثانية ؟ .

قد يكون لهذه الاسباب اثر بالغ في اضطراب الشباب من الناحيتين الفكرية والوجدانية ، وقد تكون هنالك اسباب اخرى غير هذه ، ولكن هذه الاسباب ـ مهما تكن قوية ـ لاتسوغ ساعة واحدة من ساعات التشاؤم ، ولا دقيقة واحدة من دقائق القلق والشك .

ان الشباب رمز النشاط والقوة ، من خصائصه الايمان بالمستقبل ، والسمو الى المثل العليا ، والتحرر من التواني والكسل ، والتطلع الى حياة يعمها العدل ، وتتغلب فيها القوى الروحية على المادية . ولا سبيل الى الاتصاف بهذه الصفات الا اذا اخذ كل شاب على نفسه عهدا يحفظه ويرعاه ، كالعهد الذى ياخذه الشبان على انفسهم في اول كل ثورة وبداية كل بعثة او رسالة ، وفجر كل نهضة ، ونحن نسمي هذا العهد بميثاق البطولة ، فاذا حفظه الشاب وجد فيها النعمة والسعادة والقوة والمجد لامته .

اول واجبات الشباب

فاول امر يجب ان يتعهده الشاب هو صيانة شبابه من العبث ، ووقايته من المرض ، وحفظه من الفساد الخلقي ، والضلال الفكرى ، . ان ايام الشباب اقدس ايام الحياة وانمتها . ومن اضاع ربيع حياته في اللهو ، لم يجن في خريفها الا المرارة والياس ، ومن شب على الفوضى والتردد عاش

دهره قلقا . فليأخذ كل شاب على نفسه عهدا صادقا يصون به شبابه من العبث والمرض والفساد الخلقي والضلال الفكري .

وواجب ثان

وثاني امر يجب ان يتعهده الشاب هو التفاؤل بالخير . ان الاصلاح الاجتماعي يوجب الاعتقاد ان الحياة جديرة بالاهتمام ، وان الخير منها اكثر من الشر ، وان للحياة الانسانية مثلا اعلى يجب التطلع اليه ، وان كل من فقد هذا التطلع كان شبيها بالحيوان ، فليقل كل شاب في نفسه : ان الوجود خير من العدم ، وان الحياة افضل من الموت ، وان التفاؤل بالخير يوصل الى الخير ، وان التشاؤم مرض اجتماعي يجب استئصال شأفته من نفوس جميع الناس .

وواجب ثالث

وثالث عهد يجب على الشاب ان يأخذه على نفسه هو الاخلاص للحقيقة . ان الحقيقة يجب ان تذاع بين الناس ، ومن الخطأ الاعتقاد انه يمكن سترها ، وانه يجوز للعارف بها ان لايبلغها الا الى اهلها ، بل الناس جميعا جديرون بالاطلاع على الحقيقة وان كانت مضادة لمصالحهم . فلو كانت لنا جميع الحقائق ، ولم يكن لنا حق نشرها، لفضلنا الجهل على العلم ، والضلال على الحق . ان الحقيقة اسمى من المنفعة ، لابل هي اولى بالمحبة من كل شيء ، ويشترط في نشرها اتباع طريق الحب والتسامح، لا طريق القهر والتعصب، ذلك لان مواقف الناس مختلفة ، فاذا ادرك بعضهم الحقيقة وتعصب لها تعصبا اعمى لم يظفر من الحقيقة بشيء ، ولكنه متى سلك طريق التسامح وفضل الحوار الرصين على التعسف والتسلط ؛ وجماع ذلك كله ان يعلم المرء ان الحقيقة ليست ملكا لاحد ، وان من حق كل انسان ان يطلع عليها ويعمل على نشرها .

وواجب رابع

ورابع عهد يجب على الشاب ان يأخذه على نفسه هو الايمان بالعقل والعلم . ان الوطن العربي محتاج الى عقول مبدعة تسهم في تقدم العلم ، وتعمل على تطوير الفنون والصناعات وان خلوّ هذا الوطن في ايامنا من العلماء المبدعين لا يرجع الى نقص في استعدادات ابنائه ، او عجز في طبائعهم ، بل يرجع الى اسباب تربوية واجتماعية طارئة . ولو توافرت لعلمائنا بعضُ الشروط التي توافرت لغيرهم من علماء الامم الاخرى لما قل ابداعهم ، ولا اجدبت عقولهم ، فليعمل كل شاب من شبابنا على اتقان علم من العلوم او فن من الفنون ، وليعن بتنمية روح الاختراع في عقله . ان خير وسيلة لاخراج البلاد العربية من تخلفها هي الاختصاص العلمي،والابداع الفني والصناعي.

وواجب خامس

وخامس عهد يجب على الشاب ، ان يأخذه على نفسه هو الشعور بالمسؤولية ، والتقيد بالنظام ، والثبات في العمل . ان تيار الحماسة لايبلغ غايته الا اذا انحصر في قنوات ضيقة تقوى اندفاعه، كبخار الماء لا يحرك الآلة الا اذا كان محصورا في انابيب مِرْجَل مغلق ، واى فائدة ترجى من شاب لا يتقيد بنظام ، ولا يشعر بمسؤولية ، ولا يثبت على امر ؟ ان القليل منَ الجهد المنظم يغني عن الكثير من الحماسة المبددة ، كما ان القليل من الفطانة المركزة خير من الكثير من الذكاء المشتت . ومتى غلبت الفوضى على الامم واضاع كل فرد من افرادها شعوره بمسؤولياته ، ضعفت قواعدها وانحلت عراها ، وظفر بها عدوها ، فلينتخب كل شاب لنفسه هدفا ، وليأخذ بجميع الوسائل المؤدية اليه ، وليقل في نفسه ان الاضطلاع بالمسؤولية ، والتقيد بالنظام ، والثبات في العمل ـ شروط ضرورية لكل تقدم ، ان العقبات التي سيصادفها في طريقه لاتورثه الا قوة ونشاطا .

وواجب سادس

وسادس عهد يجب على الشاب ان يأخذه على نفسه هو بناء علاقاته بالناس على مبادىء الاخلاق الفاضلة ، والقيام بما يفرضه عليه القانون من الواجبات المدنية والسياسية ، وجماع ذلك كله ايثار الخير ، والتعاون مع اهله ، على احقاق الحق ، واقامة العدل . ان روح التعاون ضرورية للانسان في كل وقت ، واثرها في ايام السلم اقوى من اثرها في ايام الحرب . فليقل كل شاب في نفسه : ان المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة، وان الخروج من التخلف رَهْنٌ بقيام كل فرد

بواجباته ، وبتعاونه مع ابناء وطنه على تحسين شروط الحياة .

وواجب سابع

وسابع عهد يجب على الشاب العربي ان يأخذه على نفسه هو الاخلاص للوطن ، والايمان بالعروبة، ونعني بالعروبة كيانا اجتماعيا متجددا ، يقوم على وحدة اللغة والفكر ، ووحدة التاريخ والمصالح ، ووحدة المشاعر والمنازع . ان العروبة التي ندعو اليها فكرة تقدمية مؤلفة من الحب والابداع ، والعدل ، والنظام ، والخير ، والانتاج ، من مقوماتها حب الوطن العربي ، والايمان بوحدته ، والعمل على تقدم الروح الانسانية في كل بقعة من بقاع العالم ، فليست عروبتنا – اذن – عقيدة قومية ضيقة ، ولاعصبية سلبية مبنية على الانانية والبغضاء ، وانما هي عقيدة انسانية تجمع بين المثل الاعلى والواقع في انسجام تام . فليقل كل شاب في نفسه : ان العروبة كيان اجتماعي متكامل، يضم الى محاسن القديم، ما جد من الحضارات، ويضيف الى الاعتزاز بالماضي ، عناية بالغة بالحاضر ، وتطلعا الى مستقبل مشرق ، فيه من عناصر الحضارة اروعها ، ومن العلوم والصنائع اكملها وارسخها .

خاتمة

هذه بعض المبادىء التي ندعو شبابنا الى الاخذ بها ، وفيها كما ترون فضل" وجود" ، وكرم وعدل، وايمان وعلم، وخير ومحبة ،ونظام وسلام ، وحرية وابداع . وهي توجب على شبابنا ان يحرروا انفسهم من القلق والتشاؤم ، وان يصونوا انفسهم من العبث ، وان يثقفوا عقولهم ،ويقووا ارادتهم ، ويهذبوا اذواقهم ، ويحبوا النظام والثبات والصدق والتعاون حتى يصبحوا كتلة واحدة . وليس في اختلاف منازعهم واتجاهاتهم ما يبعث على الخوف،لان هذا الاختلاف كما قلنا انفا ناشىء عن طبائع الاشياء ، وهو لا يحول دون تقدمهم في نظام ، اذا جمعت بينهم اهداف مؤتلفة ، وغايات متماسكة ، ومعنى ذلك انه ينبغي لجميع هذه الاتجاهات الفكرية ان تتصل بمبدأ واحد ، وان تنتهي صعودا الى قمة واحدة . فليس يضر العالم العربي ان يكون فيه شبان محافظون ، او شبان مجددون ، او شبان اشتراكيون ، او شبان وجوديون ، وانما يضره ان لاتلتقي هذه الاتجاهات في مبدأ واحد . لا شك ان خير الاتجاهات ما نبع من عقولنا ، وعبر عن اصالتنا ، ووافق طبائعنا ، وجاءت اصوله العميقة ملائمة لحاجتنا وميولنا ، ولكن هذه الشروط – كما بينا – لاتوجب صب عقول الشبان جميعا في قالب واحد ، اننا نفرق هنا بين الوحدة البسيطة والوحدة المركبة ، فاذا كانت الوحدة بسيطة ادت الى صبغ الاشياء المختلفة بصبغة واحدة ، واذا كانت مركبة جمعت بين الكثرة والوحدة في وزن واحد من الانسجام ، ان الوحدة ليست بجميلة الا اذا كانت متنوعة الالوان ، والجمال – كما يقول افلاطون – لا يقوم على الوحدة البسيطة المؤلفة من عنصر واحد ، ولا على الكثرة المبددة المشتملة على عناصر متضادة ومتنافرة ، بل يقوم على انسجام هذه العناصر واتساق الوانها .

الوسيلة الى الغاية المرجوة

وسبيل الوصول الى هذه الغاية تعويد شبابنا التفكير الموضوعي ، والتسامح الفكري ، وضبط النفس والبعد عن التقليد والتعصب ، وتقبل الحقيقة وان كانت مخالفة لمصالحهم . فان احترام اراء الاخرين ادل على الوعي السليم ، من الوقوف ازاء كل رأي موقفا سلبيا . وان الاختلاف الطبيعي بين الجيل الجديد والجيل القديم لا يمنع التقاء الجيلين في صعيد واحد ، لان الحقيقة وان اختلفت باختلاف الزمان والمكان فان اختلافها عرضي لاجوهري ، ولولا ذلك لما توصلت البشرية الى حقائق كلية موضوعية مشتركة بين جميع الناس .

لقد آن لشبابنا ان يشربوا من المنهل الروي الصافي الذي شرب منه قادة الفكر في كل زمان ومكان ، وان يسيروا في طريق الحرية والحق والابداع حتى يبلغوا المؤمل منهم ، فليقل كل شاب في نفسه ان الحياة مثل ، وعمل ، فهي مثل من جهة ماهي خبرة" واقتباس ، وهي امل من جهة ماهي تطلع" الى مستقبل افضل ، وهي عمل من جهة ماهي اصلاح" للحاضر . فاذا استطاع الشبان ان يحققوا ذلك كله بعزم وصبر امكنهم ان يقولوا في ثقة واطمئنان : ان المستقبل لنا . ■■

جميل صليبا



التلوث

اعتقدناه إشكالاً بعيداً عنّا فإذا بِهِ قائم في عُقْرِ دارِنا!

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري





حتى لاتتلوث الاسماك وتموت ، وحتى لا تتلف مياه النفايات الآسنة البيئة الانسانية .. تقوم في الكويت حاليا دراسات واسعة ، بالتعاون مع الامم المتحدة ، من اجل مكافحة التلوث وتجنب اخطاره .



■ التلوث ..

مشكل لم نكن نتخيل انه سوف ينضم الى قائمة مشاكلنا العربية العديدة .. كنا نعتقد انه مشكل لا يخصنا .. فهو مشكل الدول الصناعية العريقة المتقدمة علينا تكنيا وفنيا بنحو قرن ونصف قرن من الزمان !!

وانطلاقا من هذا المعتقد الخاطيء لم نلق بالا او نتخذ اى اجراءات حاسمة لمكافحة التلوث ..

ولكن اهمالنا للمشكل لا يعتبر حلا لـــه .. فالمواطن العربى انسان عادى مساو لبقية البشر ، ياكل ويشرب ويتنفس هو الآخر بمعدل ٢٢ الف مرة في اليوم ، ويتسلل الى رئتيه نحو ١٥ الف لتر من الهواء يوميا .. فاذا كان الهواء ملوثا ، والماء ملوثا ، سقط واختنق ، تماما كما حدث للآلاف من اهل لندن في عام ١٩٥٢ الذين سقطوا نتيجة لتلوث الهواء الشديد ..

اختناق

ومثلما حدث في لندن حدث في الكويت على نطاق اضيق .. ففي شهرى اغسطس وسبتمبر من عام ١٩٦٦ كانت سيارات الاسعاف تعمل باستمرار في نقل مئات المصابين من قريتي الشعيبة والفحيحيل ، الـى المستشفيات والمستوصفات لعلاجهم مـن الاصابات الحادة ، والاعراض التي ظهرت عليهم ، نتيجة تلوث الهواء بغاز ثانى اكسيد الكبريت المتخلف مـن معامل تكرير البترول وصناعـة الكيماويات البترولية في منطقة الشعيبة الصناعية ..

النشادر يقتل الاسماك

وحادث آخر رهيب شهدته الكويت ، عندما استيقظ اهل قرية الشعيبة في صباح يوم ١٧ اغسطس ١٩٧٠ واتجهوا كعادتهم الى البحر ، ولم يصدقوا اعينهم ، فقد شهدوا سطح الماء مغطى بملايين الاسماك الصغيرة الميتة .. وجاء الخبراء وحللوا ماء البحر ، فوجدوه ملوثا بما مقداره ٥٥ جزءا في المليون من النشادر ، بدلا من المعدل المسموح به وهو عشرة اجزاء في المليون .. ونتيجة لهذه الكمية الزائدة من النشادر ، التي انتقلت من مصانع منطقة الشعيبة الصناعية الى مياه البحر ، ماتت ملايين الاسماك ..

الاشجار تموت واقفة

والحادث الثالث الذى تأثرت به الكويت ، هو انتشار مرض الحساسية بشكل وبائي بين السكان في موسمي الربيع والخريف من كل عام .. واستعانت وزارة الصحة الكويتية بمنظمة الصحة العالمية التي لبت النداء ، فارسلت خبراءها ليدرسوا اسباب هـذه الحساسـية .. وبعـد دراسـة مستفيضة ، تبين ان سبب انتشار هذه الحساسية يعود الى عدة عوامل ، اهمها حبوب التلقيح التي تحملها عدة انواع من الاشجار ، وخاصة اشجار السَّلَم" ، والباركسونيا ، والكالستيمون والكافور .. ففي مواسم التلقيح تتساقط حبيبات الزهور على الارض ، بمعدل يصل الى ٦٩٥٠٠ حبيبة على السنتيمتر المربع في اليوم الواحد . وتاتي الرياح فتدفع الحبيبات الى الانسان الذى يستنشقها فتسبب له الحساسية ..

وتمثل حبيبات شجرة السَّلَم" Prospis حوالي ٥٥٪ من مجموع الحبيبات الملوثة للهواء في الكويت .. واشجار السلم هذه لها قدرة عجيبة على مقاومة الجفاف ، وقد انفقت حكومة الكويت مئات الالوف من الدنانير لزراعتها على اوسع نطاق في الشوارع والحدائق ..

واليوم وبعد اتضاح مضارها بدات ادارة الزراعة في قصها من طرقات الكويت ، واستبدالها بانواع اخرى من الاشجار التي لا تزهر في الربيع ..

مسح شامل

ونتيجة لهذه الحوادث الثلاث : تلوث جو الشعيبة ، وموت الاسماك ، وامراض الحساسية .. اتفقت حكومة الكويت مع منظمة الصحة العالمية وهيئة العمل الدولية ، للقيام بدراسة على جميع مشاكل البيئة الانسانية والتلوث في الكويت .. ورصدت الحكومة مبلغ ربع مليون دولار لهذا العملية ، التي بدات في اول اغسطس ١٩٧١ لمدة عامين .. وتستهدف اعداد تقييم شامل كامل مفصل ، لمشاكل تلوث الهواء والماء واخطارهما الحاليـة والمستقبلة على الكويت ، مـع تحديد الوسائل الفعالة لمكافحة هذا التلوث ، واقتراح القوانين والتشريعات اللازم استصدارها .

الجانب الضار من حضارتنا

ونتيجة لعشرات التقارير والعمل الدائب في اخذ عينات الهواء والماء ، وفحصها في المعامل ومراكز مراقبة التلوث ، تولد في الكويت وعى حكومى وشعبى متفتح على الجانب الضار الذى



٣٠ الف شجرة «سَلَم» اقتلعت من شوارع وحدائق الكويت ، لمنع انتشار امراض الحساسية الناتجة من تطاير حبيبات لقاح زهورها في ايام الربيع والخريف .. وقد اوقف زرع اشجار السلم في الكويت منذ عام ١٩٦٠ ومع ذلك ما زال هناك نحو ٦٠ الف شجرة من هذا النوع ، يجرى تقطيع غصونها قبل ان تزهر منعا لتلوث الهواء بحبيباتها

يصاحب عملية التقدم الحضارى والصناعى الذى نعيشه الكويت .

وادركت الحكومة ان الحد من مشاكل البيئة والتلوث لن يكون له الاثر الكبير على الكويت ، الا اذا شاركت بقية دول الخليج العربى في هذه الابحاث ، لان تيارات مياه الخليج ، والعواصف الرملية لا تعترف بالحدود السياسية .. ومن هنا جاءت دعوة الكويت الى حكومات دول الخليج العربي لعقد مؤتمر يعمل على اعداد الخطط اللازمة للمحافظة على البيئة الانسانية في المنطقة .

وعلى الصعيد الشعبى اقيمت المحاضرات والندوات في الاحمدى ، والجمعية الطبية ، والجامعة ، وتقدم مجموعة من المواطنين بطلب الى وزارة الشئون الاجتماعية لانشاء اول جمعية في المنطقة للمحافظة على البيئة الانسانية .

وكان من الضرورى أن يتدخل مجلس التخطيط ليقوم بمهمة التنسيق بين الجهود المبذولة من مختلف الجهات والهيئات والشركات ..

رمال وقطران !

والبحر هو المصب التقليدى لكل بقايا ومخلفات اهل الكويت ، لهذا اصبحت مشكلة تلوث مياه البحر ، هي المشكلة الاولى في البلاد .

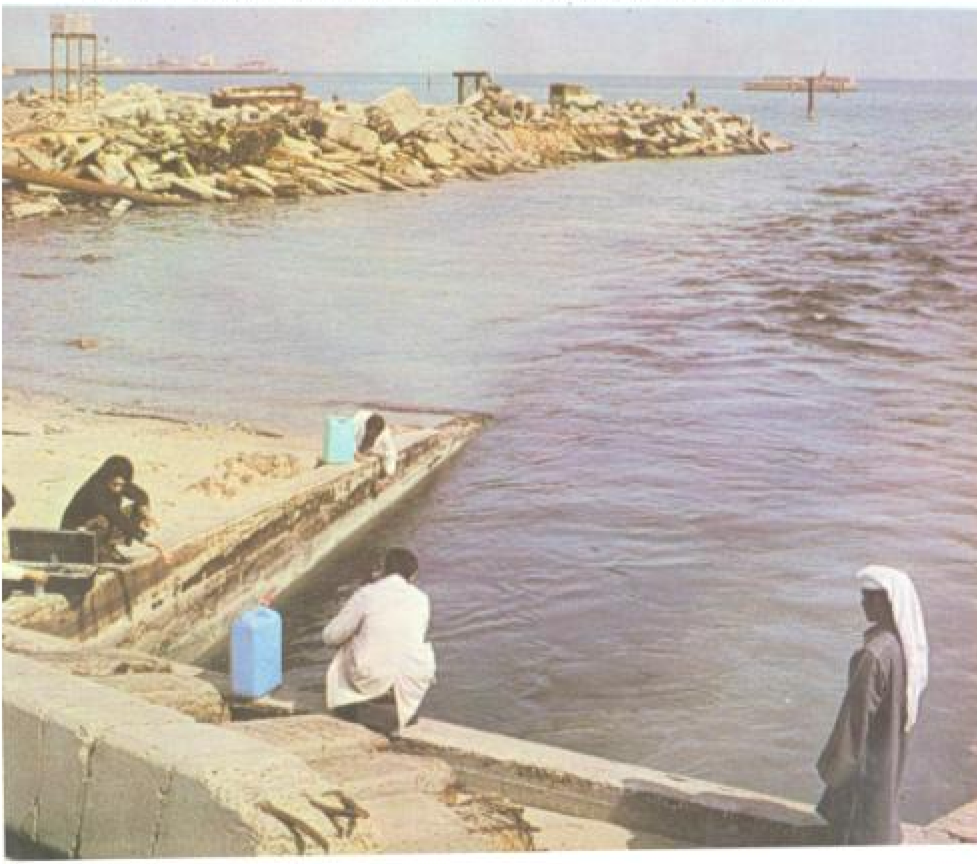
والمعروف ان الكويت بلد تجارى ، غني بحقول النفط ، وهذا النفط يتم تصديره من خمسة موانىء نفطية كبيرة متناثرة على شواطىء الكويت.



اجتماعات متواصلة تعقد في الكويت ، بين خبراء الامم المتحدة والمسئولين في الوزارات والهيئات ، للتوصل الى افضل الطرق لسن التشريعات والقوانين الخاصة بحماية البيئة .

الى اليسار : الدخان يتصاعد عاليا من المحارق الارضية للغاز الطبيعي الفائض عن حاجة الكويت .. وهذا الدخان الكثيف يؤدى الى حدوث « **العجاج الترابي** » وانتشار التلوث بالغازات والدخان ، في بقاع شاسعة حوله .

الى اسفل : ينتج عن الصناعات النفطية والكيماويات البترولية ، مخلفات مائية هائلة تحوى العديد من المواد الضارة بمصادر المياه والاحياء المائية ، لما تحويه من نفط ، ونشادر، وتلوث حرارى ، ومواد كيماوية اخرى . والصورة لاحد مخارج المخلفات المائية في منطقة الشعيبة الصناعية .. لاحظ الفرق في لون المخلفات المائية الخارجة ، ولون البحر الطبيعي.








« تقوم الدول المتقدمة بتحويل مياه مجاريها الى مياه للشرب ، ولكن هذه الفكرة لا يمكن ابدا ا
المجارى من معان غير مستحبة في النفوس .. » هذا ما قاله لنا المهندس عادل حسين العيسى رئيس
« ومن اجل هذا نقوم بتحويل مياه المجارى الى سماد طبيعي ، والى مياه نظيفة بدرجة ٩٥٪ ليس
التفرقة بينها وبين المياه العادية .. ونحن نرسل حاليا كمية من هذه المياه الى مشاريع الر
تلقيه في البحر » **والصورة اليمنى** توضح اول حوض للسماد الطبيعي اثناء تجفيفه . **اما الصورة اليسر**
الى محطات التعبئة ، لنقلها بالسيارات الى المزار

وقفت عليها في العام الماضي نحو الفي ناقلة نفط ، حملت باكثر من الف ومائة مليون برميل من النفط ..

وهذه الحركة الهائلة في نقل النفط وتسويقه ، جعلت من المستحيل تطبيق حرفية قانون منع تلوث المياه بالزيت في الكويت ، مما جعل شواطيء الكويت الجنوبية الرملية الجميلة ، مرقدا لبقع الزيت وبقايا النفط والقطران المتسرب من ناقلات نفط تأبى تفريغ حمولتها من «ماء التوازن الملوث» خارج المياه الاقليمية الكويتية .

٣ طن من النشادر تلقى في البحر !

وتلوث مياه البحر لا يقتصر على ناقلات النفط ، فعندما ارتفعت الاصوات في الكويت تطالب بايجاد مصادر اخرى للدخل غير النفط ، اتجهت البلاد ناحية التصنيع ، فقامت المصانع الكبيرة في مختلف الارجاء ، كان اكبرها هو التجمع الصناعي في منطقة الشعيبة الصناعية ، المقام على ارض مساحتها تسعة ملايين متر مربع .

ومصانع منطقة الشعيبة الصناعية تعتمد على النفط والغاز في انتاجها لمختلف انواع النفط المكرر والسماد الكيماوى ، والماء المقطر ، والكهرباء ، والاسمنت وغيرها .

وهذه المصانع الكبيرة تستعمل يوميا ٨٠ مليون جالون من الماء لتبريد معداتها والاتها .. وبعد أن تؤدى هذه المياه مهمتها تعود ثانية الى البحر ، حاملة معها نحو ثلاثة اطنان من النشادر وغيرها من المواد الملوثة يوميا .. وهذه النسبة العالية من النشادر هي التي قتلت ملايين الاسماك ، وجعلت بعض الانواع الاخرى يهرب من المنطقة تماما .. وامتد تأثير هذه المياه الملوثة بالنشادر الى محطتى تقطير المياه بالشعيبة مما استوجب

الذى يراه اهل الشعبية فى صباح الايام الرطبة على هيئة سحابة بيضاء تغطى منطقة الشعبية .

المشاريع تسبق القوانين !

ان الشركات العاملة في منطقة الشعيبة الصناعية، تملك كلها مصانع حديثة مجهزة بمعدات لمنع التلوث ، وهي على بيئة تامة بالاساليب الواجب اتباعها لمكافحة التلوث ، ولكنها رغم هذا لا تكترث كثيرا لتعليمات مركز مراقبة تلوث الهواء والماء في الشعيبة ، لعدم وجود قانون صريح يلزمها ويمنعها من القاء موادها الملوثة ، سواء في البحر او في الجو.

انها ظاهرة تكررت في الكويت ، حيث يسبق نشاط الاهالي ، القوانين والتشريعات ، التي تاتي متاخرة عن المشاريع ..

بعض مشاكل زيادة السكان

لقد كان عدد سكان الكويت عندما صدر العدد الاول من العربي — في نهاية عام ١٩٥٨ — نحو ٢٧٠ الف نسمة ، واليوم وصل عدد السكان الى نحو ٨٧٠ الف نسمة ، اى ان عدد السكان تضاعف مرة كل ثماني سنوات . وهذا خلق للبلاد مشاكل عديدة متنوعة .. فقد ارتفع استهلاك الماء من نحو الفي مليون جالون الى ١٥ الف مليون جالون سنويا. وبعد ان كانت مجاري المنازل لا تتعدى حفرة صغيرة مجاورة للمنزل ، اصبحت الكويت تضم شبكة مجار حديثة طول خطوطها ٣٥٠ كيلو مترا ..

وتجدر الاشارة الى ان مياه مجاري الكويت ظلت تلقى في مياه جون الكويت بمعدل ٤ مليون جالون في الساعة ، حتى كانت بداية عام ١٩٧٣ عندما بدات الشبكة الحديثة للمجاري تعمل بطاقة جزئية قدرها سبعة ملايين جالون في اليوم الواحد، بدلا من ٤٢ مليون جالون .. ان رجال المحطة ينتظرون ربط محطة المجاري الرئيسية بكل اجزاء الكويت ، ليعملوا بكامل قدرتهم ، ولكن هذا لن يتم الا في عام ١٩٧٨ بعد توصيل كل الاجزاء ببعضها .

ضاقت الصفحات

من الغريب اننا كنا نعتقد ان الحديث عن تلوث الماء والهواء في الكويت سيكون قصيرا ، ولكننا نجد ان الصفحات قد ضاقت عن استيعاب مظاهر



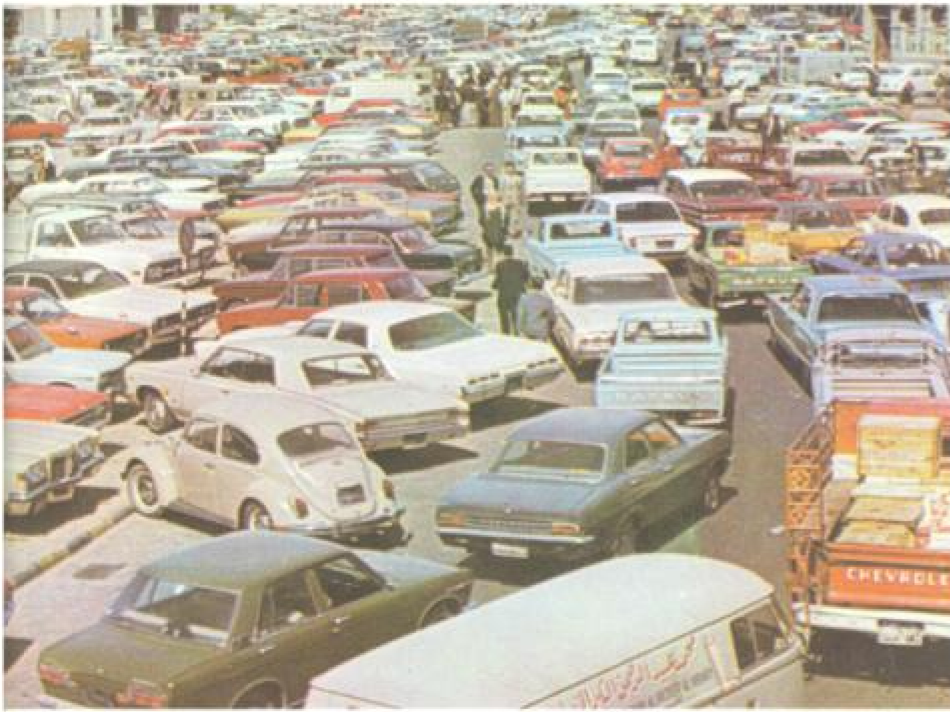
تطرحها للنقاش في وطننا العربي لما تحمله كلمة
شعبة المجارى الصحية بوزارة الاشغال الكويتية .. ،
فيها اثر للبكتريا ، او اى رائحة كريهة بحيث يصعب
بالعارضية والصليبية .. والذى يزيد عن الحاجة
فتمثل المياه المستخلصة من المجارى ، لتسير في قنوات
والاحراج ..

زيادة استعمال مادة الكلورين لمعادلة النشادر الوجود في ماء البحر .. وكثيرا ما اعيد الماء المقطر الى البحر ثانية ، لعدم مطابقته للمواصفات المطلوبة .

الغازات تتفاعل فى الجو

لقد اصبحت منطقة الشعيبة الصناعية اكثر مناطق الكويت تلوثا ، لهذا عمدت الحكومة الى تهجير سكان قرية الشعيبة ، التى شاء سوء حظها ان تقع بين مصفاة وميناء البترول في الاحمدي، من ناحية ، وبين منطقة الشعيبة الصناعية وميناء عبد الله من ناحية اخرى ..

لقد تقرر نقل سكان قرية الشعيبة الى مناطق اخرى امنة بعيدا عن تلك المنطقة ، التي تتفاعل في سمائها مختلف الغازات المتصاعدة من المداخن فتعطى غازا ثالثا ضارا هو سلفيد النشادر ،

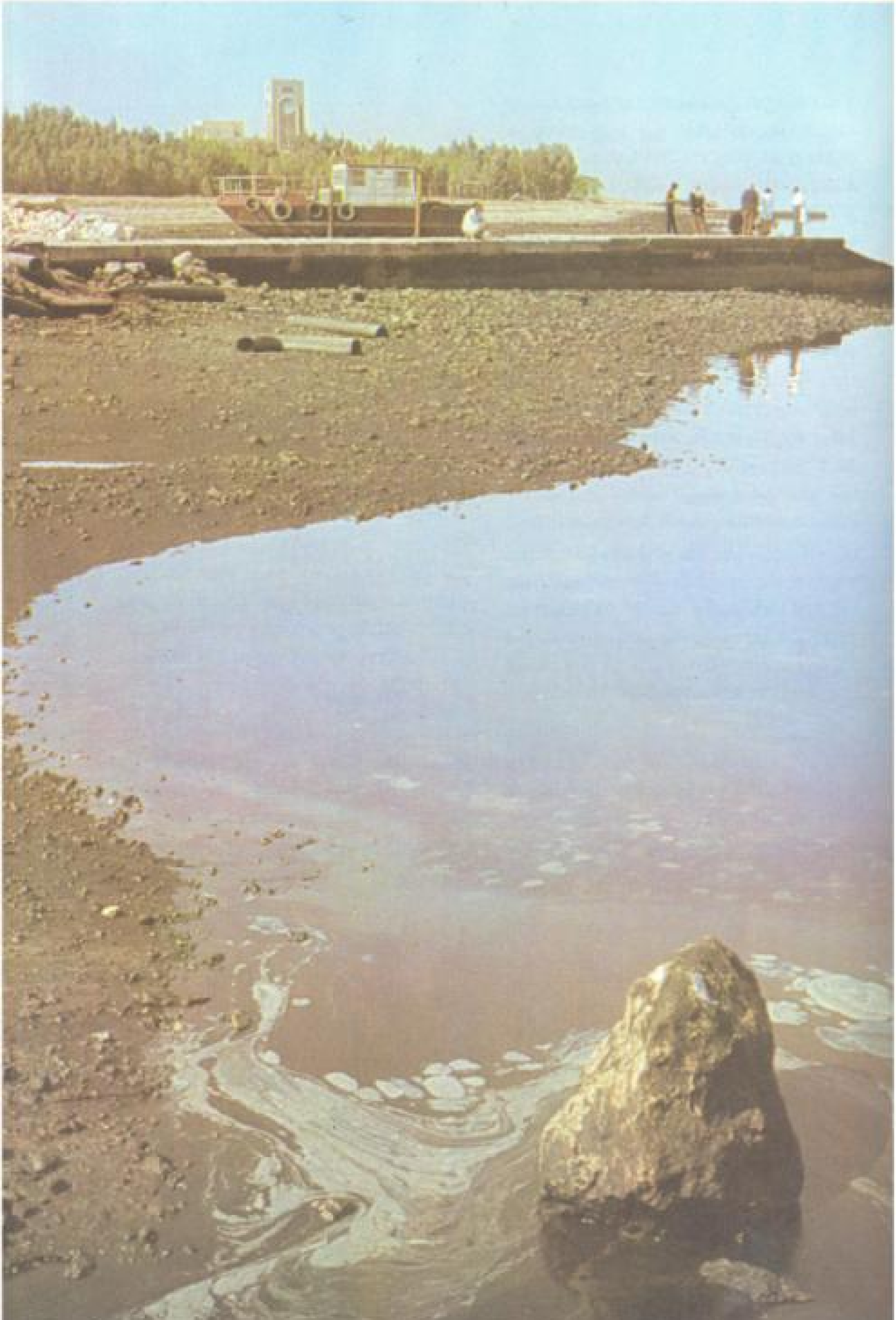


صورة تعكس نتيجة الزيادة الهائلة في استخدام السيارات في الكويت ، التي وصل عددها الى ٢٠٠ الف مركبة ، أن كلا من هذه السيارات يقذف الى الهواء بالغاز العادم وبه كثير من المواد التي تلوث الهواء .

الى اليسار : هذه هي نتيجة صرف المخلفات المائية من منطقة الشويخ الصناعية الى جون الكويت .. لقد تحول الشاطىء الرملي الاصفر الى لون اسود ، نتيجة لتراكم مخلفات زيوت التشحيم وغسيل السيارات واصلاحها .. هذا بخلاف المواد الكيماوية الضارة التي تحويها هذه المخلفات .. ان هذا المنظر ، في حد ذاته ، يستدعي التفكير في اقامة محطة لمعالجة الفضلات المائية المتخلفة من المناشط الصناعية ، التي يتزايد عددها في كل انحاء الكويت .

الى اسفل : بهذا الجهاز البالغ الدقة ، يتم قياس مقدار الغازات الضارة التي توجد في الهواء أو السوائل .. التى تجلب من مختلف الكويت داخل انابيب خاصة مغلقة .





التلوث الاخرى ، الناتجة عن انطلاق ٢٠٠ الف سيارة في شوارع الكويت .. وعن وجود مئات الاصطبلات والمزارع لتربية الحيوان وسط المناطق السكنية .. وعن محارق القمامة وغيرها من صور التلوث .

لقد اختصرنا حديثنا عن هذه النقاط مكتفين بما نشرناه من شروح تحت الصور ، لنتيح مجالا لحديث صريح مع مدير مشروع البيئة الانسانية وخبير الامم المتحدة في هذا الموضوع ..

الدولار الواحد يوفر ١٦ دولارا !

قلنا للدكتور محمود سامي عبدالسلام : «سمعنا من يقول ان الدول الكبرى ابتدعت اسطورة التلوث الصناعي لتعيق الدول النامية ، بما فيها الدول العربية ، عن انطلاقتها نحو التصنيع وبناءانفسها، فما رأيكم ؟ »

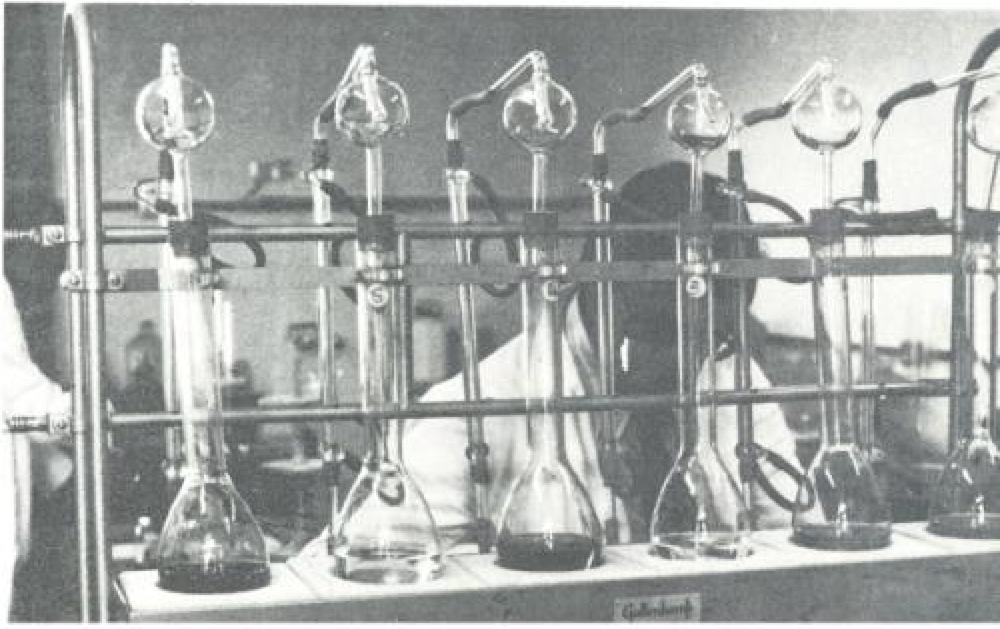
ـ هذا الكلام ـ للاسف ـ قيل في كثير من المؤتمرات الدولية التي عقدت لدراسة المشاكل البيئية .. وكان آخرها مؤتمر البيئة الانسانية الذى عقد في استوكهلم في يونية ١٩٧٢ .

« وكان هذا الكلام مثار تندر بين الاعضاء ، لان الجمعية العامة للامم المتحدة هي التى ناشدت في عام ١٩٦٩ جميع دول العالم للاهتمام بالبيئة الانسانية ومشاكلها الكثيرة ، والتي اهمها التلوث .. بل لقد طلبت الجمعية العامة من الدول الاعضاء اعتبار هذه المشاكل اولى مشاكل السبعينات في هذا القرن الذى نعيشه .. ولم تهتم الامم المتحدة بهذه المشاكل الا بعد ان ثبت ان المحيط الجيوى للكرة الارضية اصبح يتأثر عاما بعد عام بالملوثات والمواد الضارة ، كما ان النواحي البيئية الاخرى اخذت تتدهور ، مما قد يؤدى الى فساد وعدم ملاءمة البيئة للانسان الذى يعيش فيها .

« اما عن الدول الصناعية الكبرى فكان دورها فعالا في هذا المجال، وذلك بالنصح والارشاد ووضع خبراتها تحت تصرف الدول النامية ، حتى لا تقع هذه الدول في الاخطاء التي وقعت هي نفسها فيها عندما بدأت برامجها للتصنيع والتحضر ..

« اكثر من ذلك ، ان هذه الدول الكبرى ايمانا منها باخطار التلوث والعوامل البيئية الاخرى ، على الانسان ، في اى بقعة من بقاع الكرة الارضية، قد رصدت من ميزانياتها اكثر من مائة مليون دولار للمساهمة في حل مشاكل الدول النامية في هذه المجالات.. فاين هو هذا الادعاء على الدول الكبرى ؟!

في المختبر الكيماوى مركز مراقبة تلوث الهواء والماء في الشعيبة حيث يقدر مقدار النشادر الموجودة في الماء عند مخارج مياه التبريد التي تلقى في البحر .. وقد وصلت كمية النشادر في بعض الاحيان الى ١٧٠ جزءا في المليون ، بينما المسموح به لا يتعدى ١٠ اجزاء في المليون فقط !



« اما بالنسبة للدول النامية ومنها الدول العربية ، فهي في الواقع احوج الدول الى الاهتمام بالبيئة والتلوث ، ذلك أن امكانياتها المادية والبشرية محدودة ويجب الحفاظ عليها واستثمارها في الطريق الصحيح ، اعني بذلك أن التلوث والمشاكل البيئية الاخرى تنعكس انعكاسا كاملا على برامج التنمية ، اذ تؤدي هذه المشاكل الى خسارات اقتصادية وبشرية فادحة .. فاذا ارادت الدول النامية ان تتقدم في برامجها للتنمية والتصنيع والتحضر ، فيجب عليها ان تهتم اولا وقبل كل شيء ، بالبيئة المعيشية والمهنية فيها ، لا سيما وأن اغلب ـ ان لم تكن جميع هذه الدول ـ فيها الكثير من المشاكل البيئية والتلوث الناتجة عن تخلفها منذ زمن بعيد عن العالم المتحضر .

« وقد ثبت في امريكا أن كل دولار ينفق في مكافحة تلوث البيئة يمنع اضرارا اقتصادية قيمتها ١٦ دولارا ، لذلك فان الولايات المتحدة تنفق سنويا ٢٤٥٠ مليون دولار لمكافحة التلوث ، ومع ذلك فانها ما تزال تخسر عشرة ملايين دولار سنويا بسبب هذه المشاكل !! »

ماذا تريد اكثر من هذا ؟

قلنا : « وماذا عن التلوث في الكويت وهل تعتقد انه وصل الى درجة الخطر ؟ »

قال : « ماذا تريد اكثر من موت ملايين الاسماك بسبب تلوث ماء البحر .. وماذا تريد اكثر من تهجير سكان قرية الشعيبة باكملهم بسبب تلوث جو قريتهم .. وماذا تريد اكثر من تحول شاطىء الشويخ الجميل الى شاطىء اسود بسبب فضلات المناطق الصناعية .. وماذا تريد اكثر من تحول منطقة حرق نفايات البلدية الى مزرعة يتوالد فيها ملايين الذباب يوميا .. وماذا تريد اكثر من انتشار الروائح الكريهة في بعض مناطق الكويت .. الا يوضح كل هذا مدى الخطورة التي وصل اليها التلوث في الكويت ؟ »

الكويت ليس بلدا مفتوحا !

قلنا : « ولكن الكويت بلد صحراوي مفتوح .. »

فاجابنا مقاطعا : « كيف حكمتم على ان الكويت بلد مفتوح ؟ .. حقيقة ان السماء صافية والشمس ساطعة في معظم ايام السنة ، ولكن



جهاز خاص لقياس نسبة تركيز غازات اكسيدات النتروجين ، وعلى الاخص ثاني اكسيد النتروجين ، في هواء منطقة الشعيبة الصناعية .

ذلك يساعد على تكوين ما يسمى بالانعكاس الحراري في الليل .. وهذا يؤدي بدوره الى فقدان الحركة الراسية للهواء الجوي .. وهذه الحركة هي التي تساعد على تخفيف درجة التلوث لذلك نجد عند حدوث الانعكاس الحراري ، ان الملوثات اصبحت تتراكم في الطبقة السطحية من الهواء ..

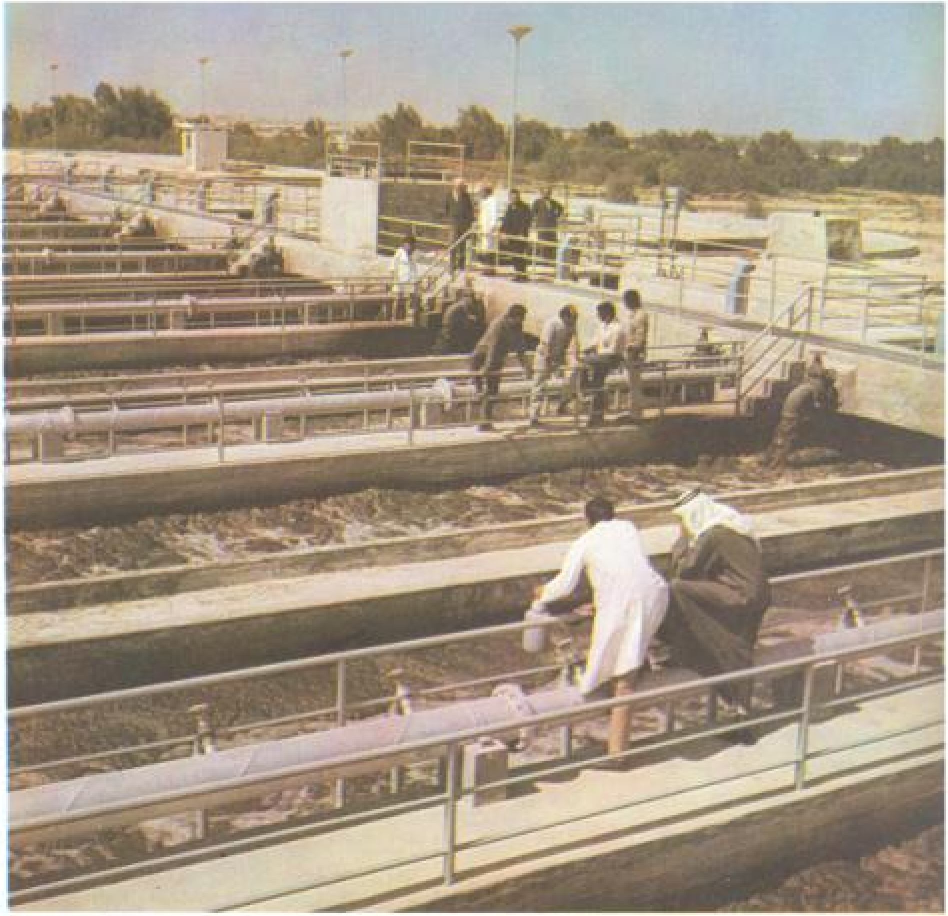
وقد وجد من الدراسات أن هذه الظاهرة الخطرة (ظاهرة الانعكاس الحراري) قد حدثت في ٨٣٪ من ليالي عام ١٩٦٩ وفي ٨٧٪ من ليالي عام ١٩٧٠ في الكويت .

« كما تعمل هذه الظاهرة عادة على تكوين الضباب المائي ، اذا ما وصلت نسبة الرطوبة في الهواء الى ١٠٠٪ ولكن الضباب المائي نادر الحدوث في الكويت لعدم وجود الرطوبة الكافية .. الا ان الانعكاس الحراري الذي يتكون فوق الكويت يعمل من ناحية اخرى على تكوين « العجاج الترابي » والرمال العالقة بالجو ، مما يسبب نقصان الرؤية الى اقل من ٧ كيلومترات ..

« وتشير الدراسات التي قمنا بها ، الى ان عدد الايام التي نقصت فيها الرؤية عن ٢

يجمع عمال البلدية من مدينة الكويت وضواحيها ٢٣٢ الف طن من القمامة المحتوية على الفضلات الصلبة سنويا ، أى بمتوسط ١٠ ارطال ونصف رطل تجمع من الشخص الواحد يوميا .. وهذه المواد غير متجانسة ومعقدة التركيب ، يتم التخلص منها في ثلاث محارق ، تحرق أحداها ١٥٠٠٠ طن شهريا ، والثانية ٤٠٠٠ طن شهريا والثالثة حوالى ٣٠٠ طن شهريا .. وتجرى عملية حرق النفايات لانقاص حجمها الى نحو ٢٥٪ قبل دفعها بالجرارات الى حفر في الارض ، ثم تغطيتها بالاتربة .. وبالرغم من لافتات البلدية التى تحذر من الاقتراب من هذه المحارق لوجود مواد سامة خارجة منها ، الا انه يبدو أن الاغنام لا تجيد القراءة ولا تكترث كثيرا لتعليمات البلدية ..





في بداية هذا العام بدأت عملية تشغيل شبكة المجارى الحديثة في الكويت .. وتقوم محطة المجارى الرئيسية حاليا بمعالجة ٧ ملايين جالون يوميا من مياه المجارى وتحويلها الى سماد جاف ، ومياه صالحة للزراعة .. بعد اجراء الفحوصات عليها في المختبر (الصورة السفلى) .. أن حكومة الكويت باقامتها شبكة المجارى الحديثة ، انما تعمل على الحفاظ على البيئة من الناحية الصحية ، ومنع التلوث .





يقوم هذا الجهاز بعملية فحص دقيق لقوة السمع عند الانسان ، وعلى ضوء النتيجة يتبين مدى تأثير ضوضاء المصانع على سمع العاملين فيها.

كيلو مترات ، لم يزد عن عشرة ايام فقط في عام ١٩٥٦ بينما ارتفع الى ١٠٨ ايام في عام ١٩٦٧ .

« وفي مدة العام ـ الممتد من مايو ١٩٧٠ الى مايو ١٩٧١ ـ ظهر الضباب المائي في ١٢ يوما ، والعجاج الترابي في ٨٥ يوما ، وتواجدت الرمال العالقة بالهواء في حوالي ٧٠ يوما ..

« ان كثرة حدوث ظاهرة الانعكاس الحراري ، قد تتسبب مستقبلا ، في خلق درجات خطرة من التلوث اذا لم تتخذ الاجراءات الكفيلة بالحد من انتشار الملوثات في الهواء ، وخاصة التي هي من مصادر غير طبيعية » .

الضوضاء مشكل رئيسي

قلنا : رايناكم تجرون التجارب على آلات لقياس الضوضاء .. فما علاقة ذلك بالتلوث ؟ »

قال : « البيئة النظيفة » يجب ان تكون خالية من جميع الملوثات الطبيعية والكيماوية والبيولوجية والضوضاء هي احدى الملوثات الطبيعية، لما تسببه من اضرار نفسية وصحية كثيرة ، وخاصة على الانسان والحيوان .

« والضوضاء نعتبرها من المشاكل الرئيسية في حياة سكان الكويت لانها تصل في بعض الاحيان الى حد الاضرار بمستوى السمع ، والاصابة بالصرع ، وما الى ذلك من المشاكل الصحية ، والاضطرابات العصبية .. وتعتبر اجهزة تكييف الهواء الموجودة في كل مبنى بالكويت ، مصدرا ثابتا ومستمرا للضوضاء خلال الاربع والعشرين ساعة .. تتعرض له ربات البيوت والمسنون والاطفال والمرضى على حد سواء ، لفترة لاتقل عن ستة شهور متصلة من كل عام .. وقد تبين لنا ان شدة الضوضاء الناتجة عن كل وحدة من وحدات التكييف تتراوح بين ٧٠ و ٨٠ ديسبل ، وهي وحدة قياس الصوت .. في حين ان المستوى المسموح بالتعرض له من الضوضاء هو ٥٥ ديسبل.

«ومن مصادر الضوضاء ايضا، وجود مطار الكويت الدولي على مسافة ثلاثة كيلو مترات فقط من بعض الضواحي السكنية لمدينة الكويت .. ومن الدراسات الاولية التي اجريت ، تبين ان متوسط اجمالي شدة التعرض في اليوم ، لسكان المناطق القريبة من المطار ، يتراوح بين ١٤٣٫٧ وبين ١٦٣ وحدة تاثيرية .. وهي ضوضاء عالية جدا ، لا بد ان تكون لها اضرار صحية ، الى جانب ازعاج واقلاق راحة اهالي هذه المناطق السكنية .

« اما عن مرور السيارات وكثرة استخدام اصحابها لآلات التنبيه في المناطق السكنية فتعتبر من اهم مصادر الازعاج واقلاق راحة السكان .. وبقياس شدة الضوضاء في احد شوارع الكويت الرئيسية ، تبين لنا انها تصل الى اعلى من ٩٠ ديسبل في ساعات الازدحام .. وهي درجة عالية مرتفعة للغاية ..

اما الضوضاء داخل المصانع ، ومقدار ما يتعرض له العمال اثناء عملهم فهذا موضوع آخر ، له مشاكل واخطار كثيرة في بعض مصانع الكويت .. ولا تزال الدراسة جارية فيه .

هل نحفر قبورا لاولادنا ؟

وتركنا خبير الامم المتحدة ، وعشرات الافكار تراودنا : اذا كانت دول العالم المتقدم عرفت مدى الخسائر الفادحة التي تصيب الوطن من جراء مشكل التلوث الخطر ، فلماذا نترك نفس المشكل يمر على وطننا العربي دون معالجته في التخطيط السليم لمشاريعنا الحديثة القادمة ؟ انه يتوجب علينا ان نبني لاولادنا بلادا نظيفة صحية لا ان نحفر لهم قبورا ، بتركنا اخطار البيئة والتلوث دون اي علاج او اهتمام ..

سليم زبال



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

علاج صغر الثدى بالهرمونات

● **انا اشكو من صغر حجم ثديي بشكل لا يتناسب مع طولي وجسمي فما هو العلاج ؟**

ـ نمو الثديين عند المراة يعتمد على هرمونات ثلاثة : الاستروجين ، هرمون النمو من الغدة النخامية ، وهرمون الكورتزون الذى يخرج من الغدة الكظرية (فوق الكلية) وعلى قدر افراز هذه الهرمونات يكون النمو واذا قل افراز احدهما او اكثر من واحد منها تسبب ذلك فى عدم نمو الثديين، على انه يلاحظ فى بعض الحالات عدم نقص الهرمونات مع صغر حجم الثديين وذلك ما يعرف بالتركيب الأساسي (Constitutional) والملاحظ فى مثل هذه الحالات ان الثديين يكبران لحجمهما الطبيعي بعد الزواج عندما تكون جميع الهرمونات نشيطة وقد تحسنت نفسية البنت بعد الزواج ويزداد الحجم اكثر عند الحمل وعند الرضاعة .

فى حالات عدم نمو الثديين ووجود نقص فى الهرمونات فانه كعلاج تعطى الهرمونات فى مثل هذه الحالة على ان يكون هرمون النمو الذى يخرج من الغدة النخامية اولها ويلاحظ مدى النمو ـ ولكن هذا العلاج يكلف مبالغ طائلة ، واعطاء هرمون الاستروجين او الكورتزون يساعد على نمو الثديين ولكن فى الوقت نفسه عندما ترتفع نسبتهما فى الدم يقل افرازهما من منابعهما الطبيعية اى من المبيض والغدة فوق الكلية ، لذا عندما يتوقف العلاج ربما يقل الحجم مرة اخرى او تظهر اعراض لبعض افراز هرمونات اخرى فى الثديين، لذا كان من الواجب ان يقلل العلاج تدريجيا ويعطى هرمون منشط للغدة النخامية والغدة فوق الكلية .

والافضل فى علاج صغر الثديين هو ان يترك ذلك الى ما بعد الزواج لأنه كما اسلفت تكون الهرمونات قد نشطت اكثر خصوصا بعد زوال الاضطرابات النفسية التي تسيطر على البنت قبل الزواج وتاثيرها عليها اذا زادت الهرمونات المختلفة فى الجسم .



التهاب الشفة ينتشر بين الصغار والكبار

● الاحظ ان شفتي دائما جافتان وتتشققان وقد تنزفان احيانا وقد عالجتهما كثيرا الا انهما لا تتجاوبان بسرعة مع العلاج ، فما سبب ذلك ، وهل من علاج حاسم ؟

ـ ان التهاب الشفة Cheilitis ينتشر كثيرا بين الصغار والكبار خاصة في النساء ذوات الميول العصبية سريعات التأثر ، حيث عادة يزمن فيهن المرض ، وقد تصاب الشفة بهذا الالتهاب المزمن وتصبح مغطاة بقشور جافة ذات قابلية للسقوط تاركة خلفها سطحا ناعما املس ، رقيقا محمرا حيث تتكون عليه قشور اخرى ، وقد تتشقق الشفة مع الاحساس بحرقان وبعض الالم والنزيف ، وعادة تصاب الشفة السفلى اكثر من العليا . وينتج هذا الالتهاب من استعمال بعض انواع احمر الشفاه التي تحتوي على مواد ملتهبة او مثيرة للانسجة . او انها تكون كعامل يزيد الحساسية الضوئية فيحدث الالتهاب عند التعرض للشمس بعد استعمال احمر الشفاه . كما ان هناك مواد اخرى كثيرة قد تؤدي الى التهاب الشفة في بعض الاشخاص مثل معجون الاسنان ، مضمضمة الفم بمواد مطهرة او حبوب المص المطهرة ، او تكون نتيجة زيادة الحساسية لعصير البرتقال ، او الطماطم او القهوة او المنتول ، وبعض المواد الاخرى في السجائر ، او حساسية نتيجة صبغات الاظافر وملامستها للشفاه .

وقد يكون الالتهاب ناتجا عن بعض العادات الخارجية مثل عادة لعق الشفة او عضها اثناء التفكير او الانهماك في عمل آخر .

وكثير من الحالات يكون ناتجا عن نقص فيتامين ب ٢ Riboflavine الا انها تكون مصحوبة باعراض اخرى لنقص الفيتامين مثل وجود حكة هبرية في الوجه ، وقشور مثل الردة على الانف والاذن ، والتهابات في العين ويكون لون اللسان احمر ملتهبا .



كما ان التهاب الشفة قد يكون عرضا ثانويا لمرض جلدي آخر مثل الهبرية الجلدية او التهاب اللثة المتقيح او نتيجة فطريات مثل المونيليا ، او يكون ناتجا عن التهاب الغدد المخاطية الذي يؤدي الى تضخم الشفاه وكثرة افراز المخاط ويؤدي هذا الى تلاصق الشفتين .

العلاج : يجب معرفة السبب وعلاجه والانتباه للماكولات ومنع المشروبات التي تؤثر على الشفة والاقلاع عن التدخين اذا كانت السجاير هي السبب . وموضعيا يمكن استعمال مرهم كورتيزون على الشفة او ٢٠ ٪ محلول خلات الالومينيوم في اكوافور
20% Aluminium acetate in aquaphor

وفي حالة وجود تشققات يمكن استعمال مس نترات الفضة او اشعة اكس .

عمرها اسبوع وتفرز الحليب من ثديها !

● ابنتي تبلغ من العمر اسبوعا ويخرج الحليب من ثديها ، فهل هذا طبيعي وما سببه ؟ وما علاجه ؟

ـ الجنين في رحم امه يكون محصورا داخل جدار الرحم ، مغمورا بالسائل الذي يقيه من تاثير انقباضات هذا الرحم . فهو بذلك محروم من استنشاق الهواء الطبيعي ، ولا نستطيع الوصول اليه لنغذيه كما نغذيه بعد ولادته . وتنوب ام الجنين عن الطبيعة وعنا ، فتعطيه الغذاء جاهزا للتمثيل الغذائي ، وهذا الغذاء وذاك الاوكسجين الضروريان للجنين ينقلان اليه بواسطة دم الام وعن طريق المشيمة Placenta ودورة الجنين الدموية .

ومع الغذاء والاكسجين ترسل الام بواسطة الدم ايضا الهرمونات ، وفيها هرمونات المشيمة ومبايض الام ، وتدعى ايستروجين Estrogens وهذه تسبب تضخما مؤقتا في الثديين لدى الجنين ، وتضخما في الاعضاء التناسلية الخارجية ، وافرازات في المهبل ، واحيانا نزيفا دمويا من الرحم لدى الانثى حديثة الولادة ، كما تسبب تضخما في البروستاتة Prostate لدى الذكر .

ويزداد احتمال حصول هذه الظواهر اذا اعطيت الام هذه الهرمونات Estrogens اثناء الحمل كعلاج ، وفي هذه الحالة تكون فترة تضخم الاعضاء المذكورة اطول .

وفي حالات الاناث من حديثات الولادة يحصل احيانا افراز الحليب من الثدي ويسمى هذا الحليب « حليب الساحرة » Witch's Milk ويسبب ذلك هرمون آخر اسمه برولاكتين Prolactin وتفرزه الغدة النخامية Pituitary Gland في في جسم الام .

العلاج :

لا شيء ، وسينقطع الحليب ويزول تضخم الثدي بعد اسبوعين تقريبا ، اما اذا اعتمدت الام على نفسها وقامت خطأ بتعصير الثدي لتصغير حجمه واخراج ما به من حليب ، فقد تسبب تشققا في جلد الثدي وقد يلتهب هذا التشقق واذا استمرت في التعصير سينتشر الالتهاب الى مساحة اكبر في الثدي ، لان مقدرة الطفلة حديثة الولادة على حصر الالتهاب صغيرة جدا ، بسبب النقص في المناعة ، والرقة في الجلد ، واللين في العضلات . والالتهاب حول الحلمة قد يشوه هذه الحلمة مما يسبب مشاكل لهذه الوليدة عندما تصبح اما ، ويصعب على وليدها الامتصاص من ثديها لأن حلمته مشوهة ، كما قد يسبب هذا الالتهاب نقصا في افراز الحليب مستقبلا بسبب النقص في خلايا الحليب . واذا لم يعالج الالتهاب الموضعي حالا فقد يسبب تسمما ميكروبيا في الدم Septicaemia كما يسبب بعض مضاعفاته واهمها التهاب السحايا وذات الرئة Pneumonia of the Newborn كل ذلك لأن الام اعتمدت على نفسها او على نصيحة جارة لها في علاج ظاهرة طبيعية لاتمت للامراض بصلة .

التراث الفلسفي

أترانا ما نزال - اليوم - بحاجة إليه ؟

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ حينما تعلو صيحات التجديد ، فكثيرا ما يقع في ظننا ان نستخف بالتقليد ! وحين يكون « التقليد » تراثا قديما قد انحدر الينا منذ آلاف السنين (اعنى من قبل الميلاد) ، فقد يدعونا قدمه الى الشك في قيمته والا فماذا عسى ان يكون في وضع رجل مثل افلاطون ان يقوله لانسان الربع الاخير من القرن العشرين ؟ او ماذا يستطيع مفكر مثل ابن سينا ان يقدمه للانسان المعاصر في ازمته الحضارية الراهنة ؟

... انه ليس ايسر علينا - بطبيعة الحال - من ان نتنكر للماضي ، بحجة انه قد اصبح قيدا يغل حركتنا في الحاضر ، او بدعوى انه عائق قد يحول دون انطلاقنا نحو المستقبل ! ولكن من المؤكد ان في الزمان من « الاتصال » ما يجعل من التاريخ البشرى ضربا من « الاستمرار الحي » الذى لا موضع فيه لفجوات او هوات . ومن هنا فان « الماضي » نفسه « حاضر » في تاريخنا المعاصر - بوجه ما من الوجوه كما ان التراث القديم لا بد من ان يبدو لابناء كل عصر بمثابة حصيلة حضارية قائمة ، لا بد لهم من ان يحددوا موقفهم منها .

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا الان هو : هل نحن - ابناء هذا العصر - ما نزال بحاجة الى تراثنا الفلسفي ؟ أم ان هذا التراث - خصوصا في عصر العلم - قد اصبح تراثا عتيقا عقيما لم تعد لنا به ادنى حاجة ؟

والحق اننا قد اصبحنا نحيا في عصر التكنية والعقول الالكترونية والمعامل الذرية ، فليس من الغرابة في شيء ان نميل الى الاستهانة بتاملات الفلاسفة واوهامهم الميتافيزيقية ومدنهم الفاضلة ! وكثيرا ما يعجب رجل العلم حين يرانا ما نزال ندرس نظرية افلاطون في المثل ، او مذهب ارسطو في المحرك اللامتحرك ، او اراء اهل المدينة الفاضلة للفارابي ، او قصة حي بن يقظان لابن طفيل ، او مدينة الله للقديس اوغسطين ، او غير ذلك من آراء الفلاسفة ونظرياتهم ! وربما كان السر في انصراف الكثير من اهل العلوم عن قراءة كتب الفلاسفة انهم يجدون فيها « احلاما واهية قد قضى عليها تقدم العلم » ، او « مزاعم وهمية قد اطاح بها ظهور المنهج التجريبي» او مجرد « رؤى شخصية ، هي ادخل في باب الفن منها في باب العلم » ..

ولا شك انرجل العلم - اليوم - لم يعد يجد لديه متسعا من الوقت للاستمتاع بامثال هذه «الخيالات الفنية» التي طالما طافت بعقول الفلاسفة الاقدمين، حين لم يكن للانسان نصيب من علم او معرفة !

.. التراث الفلسفي سجل لثورات الانسان الفكرية ..

بيد اننا كثيرا ما ننسى - او نتناسى - أن الفلسفة لم تكن في يوم ما من الايام حليفة الخرافة او الاسطورة ، بل لقد كانت « الفلسفة » - عند اليونان الاقدمين - هي « العلم » نفسه ! وقد كان فلاسفة من امثال ارسطو، والقديس توما الاكويني، وابن خلدون ، وغيرهم ، دعاة تجربة ، واصحاب روح علمية ، ثم جاء في العصر الحديث فلاسفة من امثال بيكون ، وجون ستيوارت مل ، واوجست

كونت وغيرهم ، فكانوا انصارا للمنهج التجريبي ودعاة للمعقولية العلمية . وحينما راح البعض ينادي بان الفلسفة مجرد تامل عقلي عقيم ، بينما العلم دراسة عملية تطبيقية ، قام من بين الفلاسفة من يرد عليه ، ليبين له ان كلا من العلم والفلسفة هما في اصلهما نظر عقلي يَقْتَصِدُ من ورائه المعرفة للمعرفة . فليس الغرض من العلم مجرد « القدرة » على التحكم في الطبيعة فحسب ، بل ان من شان العلم ايضا ان يكشف عن الحقيقة ، وان يزيد من كرامة العقل البشرى .

وذهب آخرون الى ان ثمة خصائص مشتركة تجمع بين كل من الروح الفلسفية والروح العلمية : فان كلا من الفيلسوف والعالم يتسم بالشجاعة الفكرية ، والنزاهة العقلية ، والامانة العلمية ، ومحبة الحقيقة ، فضلا عن روح المخاطرة ، والميل الى التواضع ، والاتصاف بالتسامح الفكرى .. ولكن الفيلسوف ايضا هو الباحث الذى لا يقنع باى حل نهائى ، والروح الفلسفية انما هي تلك « الروح التساؤلية » التي ترفض ان تقبع في داخل اية معرفة مطلقة ، واثقة دائما من انه لا يمكن ان تكون « الفلسفة » هي الشيء الوحيد الذى يعرف نهاية ، في عالم لا ينتهي فيه اى شيء على الاطلاق !

ونحن – اليوم – حين نعود الى التراث الفلسفي ، فاننا لا نرتد اليه حتى نلتمس فيه بعض المعارف الجاهزة ، بل نحن ننعطف عليه ، لكى نقرا فيه جهد الانسان المتناهي حين حاول (وما يزال يحاول) ان يفهم الحقيقة اللامتناهية !

ونحن نتعلم الشيء الكثير من هذا الاحتكاك بالجهد الفلسفي : فاننا نرى فيه نموذجا للحديث العقلي الواضح الصريح ، كما اننا نجد فيه الدليل الحي لثورة الانسان المفكر العاقل على الكذب والتضليل والكتمان وسوء الطوية ! والواقع ان الفيلسوف – في كل زمان ومكان – لم يكن يستبقي لنفسه الشكوك ، من اجل ان يعلن على الناس الحلول اليقينية (على نحو ما يفعل الراشدون – مثلا – في تعاملهم مع الاطفال ، حينما يخفون عنهم بعض الحقائق) ، بل انه كان ياخذ على عاتقه دائما ان يواجه الناس بالحقيقة ، ولو كانت نسبية ، او متعارضة ، او ملتبسة ! واذن فاننا نكسب الكثير حين نعود الى تراث الفلاسفة الاقدمين : لاننا نتعلم منهم كيف ينبغي لنا ان نحرص على اجتناب الوقوع في شراك المشكلات الزائفة ، والمسائل الموضوعة وضعا سيئا ، بدلا من ان نسارع الى اعلان بعض النتائج القاطعة ، والحلول النهائية والاراء الحاسمة ! وما كان الفلاسفة – خلال تاريخ الانسانية – سوى اصحاب ثورات فكرية ، تحددت معالم فلسفاتهم برفضها لليقين السائد ، واستنكارها للبداهة الساذجة ، وتمردها على آسْر الحقائق اليسيرة السهلة !

ولابد لاهل الثورات الحديثة (ونحن منهم) ان يعودوا الى تاريخ ثورات اجدادهم ، حتى يلتمسوا فيها دروسا فكرية حية ، يعرفون من خلالها كيف تكون « الثورة » على حقيقتها ، وكيف يكون « التحول الفكرى » بمعناه الصحيح ..

العودة الى التراث الفلسفي

تاكيد لقيمة الانسان

والواقع ان الثورة الفلسفية – في اصلها – تعبير عن ضرورة التفرقة بين مستوى « الموضوع » ومستوى « الوجود » ، وتاكيد لحقيقة اخلاقية هامة ، الا وهي ان «الذات البشرية» ليست مجرد « شيء » تربطه بالطبيعة بعض الروابط السببية . صحيح ان البعض قد اصبح يتوهم أن « العلم » الحديث لم يعد عاجزا عن حل مشكلة الانسان ، بل هو قد اماط اللثام عن كل اسرار الوجود البشرى ، ولكن كل من يظن انه لم يعد ثمة مبرر لقيام « فلسفة » تنافس « العلم » في هذا المضمار ، انما يسقط من حسابه عامل « القيمة » الذى تشدد عليه « الفلسفة » في دراستها للانسان . وآية ذلك ان « العلم » يحيل الوجود البشرى الى سلسلة من « الوقائع » الخاصة التي لا تنطوى على اية « دلالة » او « قيمة » في حين ان « الفلسفة » لا ترى في الانسان مجرد « واقعة » او مجرد « موضوع » ، بل هي ترى فيه قطاعا خاصا لا تتكفل بتفسيره قوانين الاشياء .

وحينما نقرر – اليوم – ان الانسان المعاصر في حاجة الى الافادة من التراث الفلسفي القديم ، فاننا نؤكد ضرورة النظر الى الانسان على انه شيء اكثر من مجرد ظاهرة طبيعية تخضع لقانون العِلِّية ، ويتكفل بتفسيرها المنهج التجريبي (وحده) .

ولاشك ان كل من يطرح الفلسفة بصفة عامة ، والميتافيزيقا بصفة خاصة ، انما يرد الانسان الى

مستوى واحد من مستويات الواقع : الا وهو (في القالب) مستوى الموضوعية . ولكننا لو رجعنا الى تجربتنا الخاصة ، لتحققنا من ان لدينا خبرات كثيرة لا يمكن ارجاعها الى هذا البعد الموضوعي البحت ، كخبرة الحب او خبرة الحرية (مثلا) .

واما اذا قيل ان مثل هذا الموقف الفلسفي (او الميتافيزيقي) قد اصبح في خبر كان ، فربما كان في وسعنا ان نرد على هذا الاعتراض بان نقول ان الموقف الميتافيزيقي ـ على حقيقته ـ موقف انساني يتخذه المرء بالضرورة حينما يفهم أن العلم صنعه (هو) ، وان علاقته بالوجود هي من نوع آخر غير كل ما تفترضه المعرفة الموضوعية . وليس تاريخ الفلسفة بمثابة مدرسة تتعلم فيها دروس الشك او اليأس او الثقة العمياء في تقدم مطرد ، وانما هو مدرسة تتعلم فيها ـ على العكس من ذلك ـ درسا هاما في « اليقين » : اذ ينكشف امام عيوننا خلود الانسان ، فنبحث من خلال نزاع المذاهب وصراع الافكار عن ذلك «الحاضر الابدي» الذي يكمن من وراء ماضي البشرية .

ومعنى هذا ان خلود التراث الفلسفي لا ينكشف الا على صورة تجربة انسانية متجددة ، يكررها الفلاسفة دائما ، دون ان يكون في وسع احدهم ان يأتي بالكلمة النهائية في هذا المضمار !

فليس في تاريخ الفلسفة اي تقدم مطرد ، بل هناك ابدية مستمرة لنداء الوجود الذي يهيب بكل فيلسوف ان يبدأ من جديد ! ولابد لكل فيلسوف من ان يعود الى «الوجود» ، او بالاحرى ان يعود الى « الذات » .

وما تكشف عنه الميتافيزيقا ، سواء اكان ذلك عند افلاطون ام عند ديكارت ام عند كانط ، انما هو دائما « الانسان » . فالانسان هو الكلمة النهائية لكل فلسفة ، والعودة الى التراث الفلسفي انما هي رجوع الى « الانسان » الذي ما يزال يتساءل عن سر وجوده ، ومعنى حياته ، وحقيقة مصيره ... الخ .

نحن ورثة التراث الفلسفي للانسانية جمعاء ..

وهنا قد يقول قائل : اننا ـ في الشرق العربي ـ ورثة حضارة روحية اتسمت بطابع ديني ، فلا موضع للحديث ـ بالنسبة لنا ـ عن تراث فلسفي، يكون له طابع عقلي خالص . وردنا على هذا الاعتراض ان حضارتنا المصرية القديمة نفسها ـ وان اتسمت بطابع روحي ديني ـ الا انها لم تكن تخلو من تفكير عقلي ، ونظر فلسفي. ولاشك ان الاساطير المصرية القديمة نفسها انما كانت تشبع حاجات اجدادنا الى الفهم ، وميلهم الى المعرفة . هذا الى ان الفلسفة الاوروبية ـ في نشأتها ، وخلال مراحل تطورها ـ قد وقعت تحت تأثير الكثير من التقاليد الشرقية ، سواء اكانت دينية ام صوفية، ام غيبية ام اشراقية ام غير ذلك . ولا ترانا في حاجة الى القول بان اجدادنا العرب قد نقلوا عن التراث الفلسفي اليوناني ، كما انهم قد قدموا الكثير من الاضافات الهامة الى تراث الانسانية الفلسفي ، فكانوا هم حملة شعلة الفكر في ظلام العصور الوسطى .

والحق انه ليس في استطاعة احد ان يرجع نشأة الفلسفة الى جنس بعينه ، او الى حقبة تاريخية بعينها ، بل لابد لنا من ان نقرر انه ليس لتاريخ الفلسفة نقطة انطلاق معروفة، لان التفكير الفلسفي لم يكن ـ في يوم ما من الايام ـ وقفا على قوم دون قوم ، او على شعب دون شعب! ولو اننا اطلقنا لفظ « الفلسفة » على اية حكمة بشرية ، او على اية صورة يكونها الانسان لنفسه عن العالم، او على اي وعي بشري يحصله الانسان عن الواقع، لكان في وسعنا ان نقول ان التفكير الفلسفي حق انساني ، لا شأن له بخطوط الطول والعرض ، ولا علاقة له بمسائل الجنس ، والدين ، واللون.. الخ .

... نحن اذن ورثة التراث الفلسفي للانسانية جمعاء ، فلا بد لنا من ان نعمل على تمثل هذا التراث وهضمه ، حتى يصبح ملكا لنا .. وما كان الطابع الانساني العام لهذا التراث بحائل لنا دون فهمه ، وتعقله وتعمقه : فان الحكمة العربية قد اقامت الدليل ـ في كل زمان ومكان ـ على قدرتها الفكرية الهائلة، وتعاطفها الروحي الكبير... وحين تعلو صيحات البعض معلنة انه لا حاجة بنا نحن العرب الى تراث اليونان ، وحكمة الرومان وتصوف الهنود ، وعلم المدرسيين ، وانسانية عصر النهضة .... فلا بد لنا من الرد على امثال هذه المزاعم بان نقول ان هذا كله تراثنا ، ونحن ورثته كغيرنا من الشعوب سواء بسواء !

والواقع ان التراث الفلسفي ــ بوصفه حصيلة ثقافية انسانية ــ يتسم اكثر من كل ما عداه من مظاهر الحضارة البشرية ، بطابع « الكلية » او « العمومية » .

ونحن حين نقبل على دراسة هذا التراث ، فاننا لا نتخلى عن عروبتنا ، ولا نتنازل عن عقيدتنا الدينية ، بل نحن نقطف من ثمار المعرفة البشرية، واثقين من ان شجرة العلم الانساني اخصب وارحب من ان تكون وقفا على جنس دون جنس ، او على شعب دون شعب ! وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان كل من تؤرق نفسه الدهشة ، ويتحرق قلبه الى المعرفة ، لابد من ان يكون وريثا شرعيا لهذا التراث الفلسفي !

والتراث الفلسفي ايضا

يعلن انتصار « الكلمة » على « القوة » !

لقد كان الانسان البدائي يحيا في ظل الارهاب ، والعنف ، والعسف ، والخوف ، وشتى مظاهر الجزع من القوة ، ثم كان ان فطن الحيوان الناطق الى ضرورة احلال « الكلمة » محل « القوة » ، فظهر « العهد الفلسفي » بمنطقه الجديد : الا وهو منطق الحوار ، والجدل ، والتفاهم ، والتعايش السلمي .. الخ . ونحن ــ اليوم ــ حين نعود الى التراث الفلسفي ، فانما نعود الى ذلك الفجر الجديد (او القديم) الذي طلع على الانسانية حين آلى الموجود العاقل على نفسه ان يُحِلّ « منطق الكلمة » مَحَلّ « منطق القوة » . وليس من شك في ان الانسان المعاصر كثيرا ما ينسى ــ او يتناسى ــ هذا « التصميم الفلسفي » ، لكي يرتد من جديد ، ــ في بعض الاحيان ــ الى « عهد الارهاب » او الى « منطق القوة » ، ولكن من المؤكد ان التراث الفلسفي هو الذي يجيء فيذكرنا بانه لابد لنا من ان نراهن ــ مع افلاطون ــ لصالح « الكلمة » ، ضد « القوة » .

صحيح انه قد لا يكون في وسع الانسانية ان تقضي نهائيا على هذا الاستقطاب الجاد القائم بين « القوة » و « الكلمة » ، ولكن من الواضح ان صوت الفلسفة هو دائما صوت الحكمة ، والتعقل ، والجدل المنطقي . فلابد للفيلسوف من ان يكون اول الداعين الى السلام ، والتفاهم ، والتعايش السلمي . وماذا عسى ان يكون الدرس الاكبر الذي نتعلمه من تراث الانسانية الفلسفي، ان لم يكن هو هذا الايمان الضمني العميق بانه حيثما يشرع البشر في الحوار ، فلابد من ان يجدوا لهم مخرجا من المآزق التي تقودهم اليها حياة العنف ، والخوف !

وما كان الانسان « حيوانا ناطقا » (بالمعنى المزدوج لهذه الكلمة) ، الا لانه الحيوان الوحيد الذي يعرف كيف يتكلم ، ويتناقش ، ويتجادل ، ويتحاجج ، ويتصارع بالكلمات !

وحسبنا ان نعود الى محاورات افلاطون لكي نلتقي في شخص سقراط بالنموذج الاسمى لذلك « الانسان المتكلم » الذي يعرف كيف يتخذ من « الكلمة » سلاحا للاقناع ، وكيف يصطنع من منهج « الحوار » اداة لبلوغ مستوى الكلية (او العمومية) .

والحق اننا حين نقرا ــ اليوم ــ محاورات افلاطون الفلسفية ، فاننا لا نجد فيها مجرد مناقشات عقيمة اجراها افلاطون على لسان استاذه سقراط وجماعة تلاميذه (او جماعة محاوريه من السوفسطائيين) بل نحن نجد فيها سلاسل مترابطة متصلة من الاستدلالات العقلية المنظمة . وكان افلاطون قد شاء ان يبين لنا كيف تستطيع « الكلمة » ــ وهي الميزة الكبرى للبشر ــ ان تقود اصحابها الى « الكلّي » الذي تتوحد كلمتهم عنده !

وربما كان من بعض افضال التراث الفلسفي على البشر انه يذكرهم ــ بين الحين والاخر ــ بان « الكلمة » ايضا تستطيع ان تكون سلاحا للاقناع، وان « الحوار » ايضا قد يكون صورة من صور « المواجهة » ... حقا ان صوت « الكلمة » كثيرا ما يخفت تحت تاثير قعقعة « السلاح » ، ولكن من المحال ان تكون الكلمة الاخيرة ــ في دراما البشر ــ هي للعنف ، والقوة ، والحرب ، بل لا بد للمتصارعين انفسهم من ان يُفيقوا من غفلتهم ، لكي يدركوا ان غايتهم القصوى هي العدالة ، والحق ، والسلام !

افلا ترى معي ــ يا قارئي ــ اننا بحاجة ماسة الى تراثنا الفلسفي ، لانه الاعلان المتجدد عن امكان انتصار « الكلمة » على « القوة » ؟ ■■

زكريا ابراهيم

مسابقة العربي

١٠ أسئلة و١٠٠ دينار جوائز

■ مسابقة هذا العدد تتكون من ١٠ أسئلة .. والمطلوب منك الاجابة اجابة صحيحة على ٨ اسئلة لكي تفوز باحدى جوائز المسابقة . وتسهيلا على القارىء ذكرنا امام بعض الاسئلة ٣ اجابات احداها صحيحة وعليه أن يختارها .

وهذه هي الاسئلة :

١ – ما هو البلد العربي الذي يقع في افريقيا وتوجد فيه عاصمتان رسميتان .. (ليبيا – المغرب – السودان) .

٢ – يوجد في العالم العربي حاليا مصنع واحد لانتاج الالمنيوم من مادة البكسيت . هذا المصنع يوجد في : (مصر – البحرين – سوريا) .

٣ – الحديد هو احد ثلاثة معادن تنجذب الى المواد الممغنطة .. والمعدنان الاخران هما : (النحاس – الكوبلت – الالمنيوم – النيكل) .

٤ – من المعروف ان الارض اكبر حجما من القمر .. وهي تكبر القمر : ٦ اضعاف ، ٤ اضعاف ١٠ اضعاف .

٥ – المغرب نالت استقلالها من فرنسا في عام : (١٩٦٠ – ١٩٤٨ – ١٩٥٦) .

٦ – في اي بقاع الارض يمكن للانسان ان يرى الشمس في نحو منتصف الليل ؟

٧ – في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية تم اغتيال ٤ رؤساء جمهورية . اذكر اسمى اثنين من هؤلاء الرؤساء الذين اغتيلوا .

٨ – بيير كوري ، وماري كوري اشتهرا معا في العالم باكتشافهما مادة الراديوم المشعة .. فما هو العام الذي اكتشفا فيه هذه المادة : (١٨٨٨ – ١٨٩٨ – ١٩١٠) .

٩ – ما هي المدينة التي تقع في اعلى سطح الكرة الارضية ؟ (لاباز (بوليفيا) – اديس ابابا (الحبشة) – المكسيك (المكسيك) .

١٠ – كم عدد المرات التي يتنفس فيها الشاب البالغ العادي ، في الدقيقة الواحدة ، وتحت الظروف العادية ؟ (١٤ الى ١٨ مرة ، ١٠ الى ١٢ مرة ، ٢٠ الى ٣٠ مرة) .

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مغلف واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧٤ » .

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٣

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

علم الاقتصاد بين النظرية والتطبيق

بقلم : الدكتور عزت غوراني

■ يتعرض علم الاقتصاد في الوقت الحاضر الى حملة من النقد اللاذع من قبل عدد متزايد من الاقتصاديين . ويتركز معظم هذا النقد في نقطتين اساسيتين ، تتعلقان في مدى التوافق ما بين النظرية الاقتصادية وبين السياسات الاقتصادية المتبعة في مختلف الاقطار وخاصة الاقطار الغربية والصناعية منها ، وفيما اذا كانت النظرية الاقتصادية بشكلها الحالي هي نظرية كاملة وعامة يجدر الحفاظ عليها كما هي او انها قامت وتقوم على اساس تبرير ما هو واقع ، وانها في اغلب الاحيان لاتمت اليه بصلة مباشرة ، وان الاعتماد عليها في حل مشكلات الحاضر والمستقبل قد يؤدي كما أدى في السابق الى أخطاء في السياسة الاقتصادية ولذا فيجب تعديلها .

الوقت حان لتعديل نظريات علم الاقتصاد

ويرى النقاد ان الوقت قد حان لكي يبدأ علم الاقتصاد في تعديل نظرياته التي تم وضع معظمها ، كما يقولون ، في ابراج عاجية لكي يتمكن هذا العلم من الاسهام في معالجة جميع المشكلات الاقتصادية اسهاماً فعالاً وفي ايجاد حلول صحيحة لهذه المشكلات . ويبين هؤلاء النقاد ان التعديل ضروري بالنظر لعلاقة الموضوع المباشرة بحياة الأمم والافراد وبالنظر الى أن الحكومات تعتمد على الاقتصاديين اعتماداً متزايداً في جميع الأمور المتعلقة بالتنمية والتطور والمال والتجارة . ثم يثبتون ان علم الاقتصاد لم يصادف ـ خاصة في السنوات الاخيرة ـ نجاحاً كبيراً في حل مشكلات التنمية في الاقطار الصناعية او في حل مشكلات التطور في اقطار العالم الثالث .

المشاكل الاقتصادية تتزايد

فالاقطار الصناعية تواجه عدداً متزايداً من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ترجع في اساسها الى عدد من العوامل اهمها اقتصادي . فهنالك مثلاً مشكلة التضخم المالي وما ينتج عنها من تضاؤل في القدرة الشرائية ، خاصة لذوي الدخل الثابت كالمتقاعدين مثلاً . وهنالك المشكلات الناتجة عن ازدياد عدد العاطلين عن العمل . وما يواكب ذلك من تدهور في مستويات المعيشة ومن تأزم في حالة عدم الرضى وفي هذا مافيه من اخطار سياسية واجتماعية وثقافية . وكذلك المشكلات

الناتجة عن ازمة البيئة . فقد تطورت تكنولوجيا الصناعة دون ان تولي البيئة اي اهتمام . وتقوم الاقطار الصناعية بانتاج كميات كبيرة من الفضلات الصناعية التي تلوث البيئة وتشكل خطرا يهدد حياة الانسان والنبات والحيوان . ومنها ايضا مشكلة الفقر وعدم مقدرة المجتمعات الثرية على توزيع الدخل توزيعا عادلا يكفل ازالة معالمه واثارة الشعور العام بالعزة والكرامة .

ومشاكل في الاقطار الاقل تطورا

وتواجه الاقطار الاقل تطورا عددا لا يستهان به من المشكلات رغم ما بذل ويبذل من جهد في سبيل تطوير تجمعاتها . فانتاجية القطاع الزراعي في معظمها مازال منخفضة . والفقر والجهل والمرض وسوء المأوى ما تزال مظاهر عامة فيها . يضاف الى ذلك سوء احوال المواصلات فيها وتدهور شروط تجارتها واعتماد معظمها على تصدير المواد الاولية .

علم الاقتصاد انطوي على الكثير من التبسيط

هناك شبه اجماع بين الفئة الناقدة ان علم الاقتصاد قد تخلى عن كونه علما في الاقتصاد السياسي وحصر نفسه ضمن اطار نظري ضيق ينطوي على الكثير من التبسيط في فروضه ويعتمد في حله للمشكلات على عرضها ، ضمن معادلات رياضية جعلته يبدو اكثر اناقة وعلمية بينما ابعدته عن الواقع . والنقد هنا ينحصر في نقطة هامة وهي ان التبسيط في الفروض ومحاولة ايجاد حل رياضي للمشكلات التي تواجه المجتمع يتطلبان اهمال اثر بعض العوامل الهامة اما بسبب كثرتها او بسبب عدم التمكن من تقديرها تقديرا كميا . ولكي تتبين للقارئ اهمية هذه الصعوبة ناخذ مثلا بسيطا ونتساءل : ما هو اثر زيادة مستوى الاجور بمعدل عشرة في المئة على مستوى الاستهلاك . وقبل ان نتمكن من الاجابة علينا ان نجيب على عدد كبير من الاسئلة الايضاحية التي قد يؤثر كل منها على النتيجة . فعلينا ان نتساءل مثلا عما اذا كان مستوى الاسعار قد ارتفع وكم كانت نسبة ذلك ، وفيما اذا كانت نسبة الزيادة في الاجور واحدة لجميع متسلمي هذه الاجور ، وفيما اذا كانت الزيادة تعني ان الاستهلاك سيرتفع ايضا بحكم الضرورة وعما اذا كانت هذه الزيادة المتوقعة واحدة لاصحاب الدخل الكبير واصحاب الدخل المنخفض وهكذا . يبدو واضحا انه ليست هناك اجابة واحدة وعامة على السؤال الاصلي المتعلق باثر زيادة الدخل زيادة معينة على مستوى الاستهلاك . فالنتيجة تتاثر بكيفية الاجابة على كل من الاسئلة الايضاحية الاخرى . وتغير الاجابة على سؤال واحد منها يغير النتيجة بصورة معينة . اما تغير الاجابة على ثلاثة او اربعة اسئلة منها في وقت واحد فانه يغير النتيجة بشكل يصعب تحديدها في اغلب الاحيان . ولذا فان الاسلوب التحليلي في الاقتصاد يعمد الى معالجة مشكلة ما على اساس الافتراض ان عاملا واحدا من عواملها يتغير بينما تبقى العوامل الاخرى ثابتة . وهذا تبسيط للواقع سببه الصعوبة في تحليل مشكلة ذات عوامل متعددة ومتغيرة . ومعروف ان هذه صعوبة تواجهها جميع العلوم الاجتماعية حيث يصعب اجراء التجارب في جو « مقنن » كما هو الحال في العلوم الاخرى .

النظرية الاقتصادية التي يريد النقاد تعديلها

نتساءل الآن عن نوعية النظرية الاقتصادية المتبعة في معظم اقطار العالم الغربي والتي ينادي النقاد بتعديلها .

ان الاسلوب المرعي في علم الاقتصاد هو دمج للنظرية الاقتصادية وللسياسة الاقتصادية اللتين سيطرتا على تفكير الاقتصاديين خلال ربع القرن الاخير ضمن اطار فكري واحد يشار اليه عادة بعبارة Post - Keynesian Synthesis وهو يتكون من ثلاثة اركان . الاول هو نظرية كينز (Keynes) للتشغيل العام وما تبعها من نظريات اخرى كنظرية التنمية (Growth) وهذا الركن يعرف بـ Macroeconomics والثاني هو نظرية مارشال (Marshall) واتباعه فيما يتعلق بنظرية الاسعار والنفقات على نطاق المنشاة والفرد . وهذا الركن يعرف بـ Microeconomics والثالث هو مسؤولية السلطة في تحديد وتنفيذ سياسات اقتصادية ومالية معينة ، الهدف منها تامين حالة من التشغيل الكامل واشاعة حالة من الظروف المواتية لكي يتم النمو الاقتصادي بمعدلات

مقبولة ، وما زال ساميلسون (Samuelson) مؤلف الكتاب المعروف في الاقتصاد (Econmics) هـو الرائد الاول لهذا الاسلوب . وقد تلقى معظم الاقتصاديين خلال ربع القرن الاخير مبادىء علم الاقتصاد بدراسة كتاب ساميلسون او غيره من الكتب المماثلة .

فروض مستمدة من آراء آدم سمث

وتقوم النظرية الحديثة والاسلوب الاقتصادي الحديث على فروض مستمدة في الاصل من آراء آدم سميث (Smith) التي عبر عنها في كتابه ثروة الامم . ويمكن تلخيص هذه الاراء كما يلي : ان النظام الاقتصادي الفردي يشيع حالة من الرفاه العام . فالمستهلك ينفق دخله بشكل يؤمن له اكبر قدر من الرضى . وانفاقه هذا يحدد للمنتج نوعية السلع التي يجب ان ينتجها . وتجاوب المنتج مع المستهلك يؤمن له اكبر قدر من الربح . اما دخل المستهلك فانه يتقرر على اساس قيمة انتاجيته .

يبدو واضحا ان النجاح هنا يعتمد على توفر حالة من المنافسة الكاملة . اي عدم تمكن اية فئة من السيطرة على الاسواق . ومن ناحية عملية فان تدخلت السلطة عن طريق تشريعاتها وقوانينها وحافظت على استمرار حالة المنافسة فان النظام سيعمل بشكل فعال ويؤدي الى اشاعة حالة من الرفاه العام في المجتمع . ويتبع عن هذا ان النمو الاقتصادي يؤمن استمرار ارتفاع مستويات المعيشة بينما تؤمن سياسة التشغيل العامة اتساع نطاق العدالة الاجتماعية وازالة جميع اسباب الفقر . ولهذا السبب فقد احتلت نظرية التنميةمركزاً رئيسياً في الاسلوب الاقتصادي الحديث ، ورأى فيها عدد كبير من الاقتصاديين سبيلاً اكيداً لحل جميع المشكلات الاقتصادية والاجتماعية . فالنمو بمعدلات كافية يؤمن وجود مصادر جديدة لتمويل الاصلاحات الداخلية اللازمة ويزيد الدخل وينهي حالة الفقر ويحل مشكلات المدن والبيئة والبطالة كما يؤمن وجود مصادر كافية لمساعدة الاقطار الاقل تطوراً .

التوافق بين النظرية الاقتصادية والسياسة الاقتصادية

هذا مجمل لما يعرف الآن بالتوافق ما بين النظرية الاقتصادية والسياسة الاقتصادية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فالسلطة مسؤولة عن تامين حالة التشغيل الكامل وهي تفعل ذلك عن طريق تحديدها لكمية ونوعية نفقات القطاع العام وسيطرتها على نظام الضرائب وعن طريق سياستها المالية . بينما يتمتع القطاع الخاص في حريته لتحقيق اهداف الافراد ولاقامة نموذج من الانتاج يتوافق مع رغبات المستهلك ويؤمن معدلات مرتفعة للنمو ويحقق النجاح للنظام بأكمله.

فكرة الاختيار في مكان الصدارة

وتحتل فكرة الاختيار (Choice) مكان الصدارة في الاسلوب الاقتصادي الحديث.والاختيار ضروري لحل المشكلة الاقتصادية . والمشكلة تتسبب عن الكمية، كما انها تصلح في الوقت نفسه لاستعمالات متعددة ، لانتاج سلع متنوعة الفرض منها اشباع حاجات واذواق انسانية هي نفسها في حالة تغير مستمر . والاختيار لا يتعلق بنوعيه وبكمية السلع المنتجة فحسب بل يتعداها الى كيفية الانتاج والتوزيع . وكون المصادر محدودة الكمية يعني ان ما يمكن انتاجه من سلع هو محدود الكمية ايضاً . وهذا هو ما يعرف بالندرة الاقتصادية (Economic Scareitys) . وهذا التعبير يعني ان معظم ما تجود به الطبيعة لا يصلح بشكله « الخام » لقضاء حاجات الانسان ، ولذا فيجب تحضيره بشكل يجعله صالحاً للاستعمال . وعلى هذا فيمكن تقسيم السلع الى نوعين : سلع حرة (Free) وهي السلع التي تجود بها الطبيعة والتي تصلح للاستعمال الانساني بشكلها الخام كالهواء مثلاً ، وسلع اقتصادية وهي السلع التي لا تجود بها الطبيعة بشكل يصلح للاستعمال ولذا فهي تتطلب بذل جهد خاص من اجل تحضيرها كالخبز مثلاً . ولما كانت كمية الحنطة محدودة اصبحت الكمية الممكن انتاجها من الخبز محدودة ايضاً . ويتبع هذا انه اذا أردنا انتاج سلعة أخرى تتطلب استعمال الحنطة وجب علينا انقاص كمية ما ننتجه من الخبز .

وهذا هو المقصود بالندرة الاقتصادية . وغير ذلك ان تكون المصادر متوفرة بكميات لاحد لها ، وعندئذ يمكن انتاج كميات لاحد لها من السلع . واذن لما برزت المشكلة الاقتصادية فالمشكلة اذن تتعلق بنوعية وكمية وكيفية الانتاج . والاختيار ضروري لحل المشكلة .

عوامل الانتاج الرئيسية ثلاثة

ولقد عرّف علم الاقتصاد بانه يُعنى بالمشكلة الاقتصادية وبكيفية حلها . فالحكمة المرعية تقول ان عوامل الانتاج الرئيسية هي ثلاثة : الارض والعمل وراس المال . وعملية الاختيار تجمع بين هذه العوامل بنسب معينة للحصول على انتاج معين من اجل الحصول على الربح . ويعتبر النقاد هذا تبسيطا خطرا للعملية الانتاجية لانه لا يدخل في تقدير نتائجها عنصرا رئيسيا آخر وهو التقدم التكنيّ الذي لا يغيّر هذه النسب فحسب بل ويجعل العملية نفسها اكثر تعقيدا مما تفرضه النظرية .

الندرة الاقتصادية حقيقة اساسية

وتعتبر الندرة الاقتصاديةحقيقة اساسية تواجه جميع المجتمعات مهما تباينت آسس تنظيمها الاقتصادي . اما معالجة المشكلة المترتبة عليها فتتوقف على نوعية النظام الاقتصادي . فتتم المعالجة اما بقيام السلطة العامة المركزية بتوجيه النشاط الاقتصادي حسب تخطيط مُعين كما هو الحالفي النظام الاشتراكي او بالاعتماد على السوق وعلى جهاز الاسعار فيه كما هو الحال في النظام الراسمالي او عن طريق جهاز آخر يجمع ما بين خصائص النظامين .

فالسوق ونظام الاسعار فيها اذن هما الموجه الرئيسي للنشاط الاقتصادي في النظام الفردي . وجهاز الاسعار الذي يعمل ضمن نطاق حالتي العرض والطلب هو الذي يحل المشكلة الاقتصادية شريطة ان تسود الاسواق حالة كاملة من المنافسة بحيث يستطيع كل من المستهلك والمنتج تحقيق اكبر قدر من الكفاية والربح .

وهكذا فان كل فئة من الفئات المشتركة في النشاط الاقتصادي ، بغض النظر عما اذا كانت هذه الفئة تمثل المستهلك او المنتج ، تلعب دورا هاما في السوق،اما كفئة مستهلكة او كفئة منتجة. والتوافق فيما بينهما ـ أي بين احوال الطلب والعرض ـ يحدد الاسعار في السوق . فاذا زاد مقدار الطلب على العرض ارتفعت الاسعار والعكس ايضا صحيح وهذا يتم ضمن حالة من المنافسة الكاملة .

تحديد الاسعار جزء من عملية اخرى

اما تحديد الاسعار فهو جزء لا يتجزأ من عملية اخرى تقوم بها الاسواق وهي تحديد كيفية وكمية استعمال المصادر المنتجة . فالمستهلك يختار ما بين سلعة واخرى والاختيار يتاثر بالسعر وهذا يحدد نوع السلع المرغوبة اكثر من غيرها ويوجه المنتج الى التجاوب مع المستهلك فتتعدل بذلك الكميات المستعملة من المصادر . والمنتج يختار ما بين استعمال مصدر منتج او غيره على اساس اسعار هذه المصادر . اما هدف المستهلك فهو الحصول على اكبر قدر من الكفاية عن طريق انفاق دخله . وهدف المنتج هو الحصول على اكبر قدر من الربح عن طريق استعماله للمصادر المنتجة . اما افتراض وجود حالة من التنافس الكاملة في هذه الاسواق فانه يؤكد حتمية التوافق ما بين مستوى الاسعار والكميات المنتجة والمستهلكة . وهذا التوافق يُقيم بصورة اوتوماتيكية حالة من التوازن عندما يحصل كل من المنتج والمستهلك على أقصى حد ممكن من المنفعة . اما التوازن فيتسبب عن تفاعل قوتين رئيسيتين في السوق وهما : تفضيل المستهلك والاختيار الناتج عنه ، ونفقات الانتاج التي تؤثر على اختيار المنتج للمصادر الانتاجية . واذا ما اختل التوازن لعبت هذه القوى دورها في استعادته .

شرطان اساسيان لتعريف حالة التوازن

وهناك شرطان اساسيان لتعريف حالة التوازن وهما : اولاً ان يتوافق الانتاج مع طلب المستهلك بحيث يحصل هذا المستهلك على اكبر قدر من الكفاية . ويعني هذا الشرط بالتحديد انه اذا استبدل المستهلك وحدة من سلعة « ا » بوحدة من سلعة « ب » فان مجموع الكفاية الحاصلة سينخفض. وثانيا ان يكون دخل العوامل الانتاجية هو اكبر قدر يمكن الحصول عليه . ويعني هذا الشرط بالتحديد ان العامل الانتاجي لايستطيع زيادة دخله باستبدال عمله بعمل آخر .

هذه نوعية التبسيط التي يشير اليها النقاد

هذه هي نوعية التبسيط في الفروض التي

يشير اليها نقاد الاسلوب الاقتصادي الحديث . فهم يُبيّنون ان جميع هذه النتائج هيحتمية الوقوع حقاً ضمن نطاق فروض خاصة من اهمها ان تسود الاسواق حالة من المنافسة الكاملة . ثم يتساءلون عن النتائج فيما لو لم تكن هناك حالة منافسة كما هو الحال في الواقع . أي اذا اسيطرت على السوق فئة دون أخرى . ويبيّنون ايضاً ان اختيار المستهلك هو اكثر تعقيداً مما تفرضه النظرية . فهناك عوامل الدخل والسعر والذوق والدعاية وغير ذلك مما يؤثر على اختيار السلع . وقد يكون تغيُّر ذوق المستهلك هو اكبر العوامل اثراً فكيف يمكن الافتراض انه يبقى ثابتاً وكيف يمكن تقديره تقديراً كمياً . وبالنسبة للمنتج فهناك عوامل اخرى وهامة تؤثر على عملية الانتاج منها التغيرات التكنولوجية ، وسياسة السلطة فيما يتعلق بتشجيع صناعات معينة أو عدم تشجيعها وسيطرة فئة من المحتكرين على السوق وما الى ذلك من عوامل . فالتقدم التكني مثلاً يدخل على العملية الانتاجية عناصر انسانية وغير انسانية تجعل من الصعب وصف هذه العملية بانها مجرد ربح للعناصر الانتاجية الاساسية بنسب معينة فهناك العنصر الانساني مثلاً يلعب دوراً جذرياً في العملية لا من حيث مقدرته على الاستنباط العلمي واشتراكه في عملية الانتاج بل ومن حيث معيشته وآماله وسعادته . هذا العنصر كما يؤكد النقاد لايمكن تبسيطه ولا يمكن تحديد اتجاهاته وما يجول بخاطره تحديداً كمياً ولا يمكن افتراض بقائه ثابتاً لكي يسهل تحليل مشكلة ما . فالعنصر الانساني هو عادة في صلب اية مشكلة اقتصادية وهو جزء لا يتجزأ منها وحل المشكلة لا يعدو كونه حلاً للمشكلة الانسانية باكملها .

اسس النقد الموجه الى الاسلوب الاقتصادي الحديث

ان النقد الموجه الى الاسلوب الاقتصادي الحديث يقوم على ثلاثة اسس عامة .

الأول انه يفترض وجود النظام الرأسمالي وانه يعتمد على الفكرة القائلة ان قوى العرض والطلب تعمل بقوة يد خفية ـ على حد قول آدم سميث ـ من اجل استعمال المصادر احسن استعمال وتوزيع الدخل اعدل توزيع .

والثاني انه يشوه الحقيقة بفرضه قيام حالة من التوافق بين جميع الاطراف المشتركين في النشاط الاقتصادي والثالث انه يبسط الواقع لكي يتمكن من القيام بعملية تحليل منطقية قد لاتمت نتائجها الى هذا الواقع بصلة مباشرة .

وينادي معظم النقاد بوجوب تخلي علم الاقتصاد عن كونه مجرد اسلوب للتحليل الحيادي المنطقي يهدف نحو رفع مستوى الكفاية الانتاجية وزيادة مقدارها ضمن نطاق فروض معينة دون ان يرتبط ذلك باهداف اجتماعية معروفة .وينادون بوجوب تحولهالى علم في الاقتصاد السياسي فيركز اهتمامه في تحليل المشكلات والعلاقات الاجتماعيةودراستها، ثم يُبيّنون انه لن يستطيع ذلك الا اذا تعاون مع غيره من العلوم الاجتماعية في تحديد اهداف اجتماعية معيّنة ترمي في مجموعها الى رفع المستويات المعيشية والاجتماعية والثقافية ثم العمل معها من اجل تحقيق هذه الاهداف .

ومع ان الفئة الناقدة تشكل اقلية عددية بين الاقتصاديين الا ان صوتها اخذ يجد تجاوباً له في الاوساط العلمية . فنحن نجد البرفسور جالبرث (١) (Galbraith) يقول في المقدمة التي كتبها لوقائع المؤتمر السنوي للجمعية الاقتصادية الاميركية الذي عقد في مدينة نيو اورليانس في شهر كانون الاول سنة ١٩٧١ « .... ولقد اتبعتُ طريقة سهلة لاختيار المواضيع التي أُدرجت في برنامج المؤتمر اذ كنتُ اتساءل اولاً عما اذا كان اي موضوع مُقترح يعالج احدى المعضلات الهامة التي تواجهنا في الوقت الحاضر ... » . ثم يقول في نفس تلك المقدمة « ولقد تعرضنا (علم الاقتصاد) في الآونة الاخيرة الى الكثير من النقد .... اما التهمة الرئيسية التي توجه الى الاقتصاديين فهي انهم اخفقوا في مواجهة عيوب البنيان الاقتصادي والاجتماعي وانهم تمسكوا باهداف نظرية تمكنت في بعض الاحيان من اخفاء معالم هذه العيوب .. » ■■

عزت غوراني
كلية عبدان للتكنولوجيا

---

(١) جالبرث الاقتصادي الامريكي المعروف وهو من ابرز الناقدين كما انه رئيس الجمعية الاقتصادية لهذه السنة .

طرائف غريبة



اجاثا كريستي ، والكتب

● اجاثا كريستي Agatha Christie ، المؤلفة الانجليزية القصصية المشهورة لم تكن تحب القراءة والاطلاع وهي طفلة ، رغم ما كان يبذله والدها المحامي من جهد ومال لتنمية رغبة القراءة عند ابنائه ، فقد كان يدفع جنيها للابن او الابنة التي تقرأ كتابا من الكتب التي امتلات بها مكتبته في البيت ، بشرط ان يناقشهم اولا فيما قرأوا ويسمع ملخصا لما حواه الكتاب الذي قرأوه !

وكانت اخت اجاثا الصغرى وتدعى « كاتي » ، تفوز دائما بالمكافأة التي رصدها والدها ، بينما لم تفكر « اجاثا ماري كلاريسا » ، وهذا اسمها قبل الزواج ، في الفوز يوما بهذه المكافأة التي كانت تعتبر ثروة منذ اكثر من ستين عاما !

وفي احد الايام ، جلس الوالد يسأل ابنته : « لماذا لا تحبين القراءة يا ابنتي ، الا ترين هذه المجموعة الكبيرة من الفساتين الجديدة التي اشترتها اختك بالجنيهات التي تفوز بها ؟ »



وقالت الابنة : « انني احب ان احتفظ بآرائي يا والدي ، فلا ادعها تتأثر بما يكتبه غيري ، لان ذلك يغير من شخصيتي ، تماما كما تغيرها الفساتين الجديدة . »

وتركت اجاثا المدرسة ، وذهبت لتتعلم الموسيقى قبل ان تتزوج الكولونيل ارشيبولد كريستي في عام ١٩١٤ ، الذي لم تلبث ان انفصلت عنه بالطلاق بعد زواج دام ١٤ عاما . وتزوجت للمرة الثانية من عالم الاثار ماكس مالوان ، الذي اصطحبها في رحلاته الى الشرق الاوسط . وهناك كتبت اجاثا اول قصصها البوليسية . وعندما عادت الى لندن حولت بيتها كله الى مكتبة تضم اكثر من ثلاثة آلاف كتاب ، ولتصبح واحدة من اشهر مؤلفي القصص البوليسية في العالم .. كتبت تصف شعورها ، عندما بدأت تبحث عن المعرفة في بطون الكتب التي كان يدفعها اليها والدها دفعا ، كتبت تقول : « الفرق بيني وبين « كاتي » شقيقتي انني لا انفق « المكافآت » التي اكسبها ثمنا لمؤلفاتي في شراء الفساتين ، وانما اشترى بها كتبا جديدة .. كنت اتمنى ان يعيش ابي ليرى ابنته التي كرهت القراءة في طفولتها ! »



الفنان الاصم
كان يسمع باصابعه !

كانت اصابعه تتحرك على مفاتيح البيان فى رفق .. اما هو فقد كان يحلق فى عالم آخر غير العالم الذى جمع تلك الالوف من المستمعين الذين امتلات بهم قاعة الموسيقى الكبرى فى فينا ، لتحية هذا العبقرى الكبير !

وانتهى العازف من عزف مقطوعته .. وساد القاعة صمت ، ولكن سرعان ما انطلقت الاكف تصفق تصفيقا مدويا لا ينقطع .. وقفز الرجال من مقاعدهم وضربوا الارض باقدامهم واشتدالحماس بالسيدات حتى اكثرهن اناقة ووقارا .. فرحن يتدافعن وسط المقاعد ، وكل واحدة منهن تحاول ان تصل الى الفنان القابع على مقعده ، وقد اسند راسه المتعب الى راحته ومال بها الى الامام ، وكان شيئا من هذا الذى يحدث حوله لا يعنيه فى قليل او كثير .

واشتد الضجيج وعلا الصياح ، ولكن الرجل بقى فى مكانه لا يتحرك .

وآخيرا استطاعت احدى السيدات ان تصل اليه ، واقتربت منه ، فاحس بوجودها الى جواره ، وقام من مقعده ، ونظر من حوله ، فراى هذا الذى ارادت له ان يراه ..

وفى هدوء راح عازف البيان الكبير ينحنى امام الجمهور .. وهو يرد لهم التحية وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مليئة بالحزن والالم !

لم يكن هذاالفنان الكبير سوى لودفيج فان بتهوفن شكسبير الموسيقى ، الذى اصيب بالصمم ، وعزف اروع مقطوعاته وهو لا يسمع ما يعزف !

العلم .. والعلماء

كتب اسحق نيوتن Issac Newton (١٦٤٢ ــ ١٧٢٧) ، العالم الانجليزى الكبير ومكتشف قانون الجاذبية ، كتب يقول: «ان العلماء وحدهم الذين يصنعون العلماء .. لقد استطاع احدهم ان يغير مجرى حياتى .. انه عمى الذى كان عضوا فى كلية ترنتى بكامبردج والذى لولاه لعشت فلاحا ومت فى الارض التى وضعتنى فيها امى لكى اعاونها فى زراعتها بعد ان مات والدى وانقطع مصدر رزقنا الوحيد .»

ثم يروى نيوتن بعد هذا كيف اخرجته امه من المدرسة بمدينة وولز سوربت بانجلترا بعد وفاةوالده بشهر واحد رغم تفوقه فى العلوم والرياضيات .. يقول :

« لقد كنت فى الرابعة عشرة من عمرى ، عندما حملت الفاس ورحت اضرب بها فى الارض .. ثم تمر الشهور حتى يحين موعد الحصاد ، فاعود الى الحقل لاجمع المحصول ، لنبيعه وناكل بثمنه !

« ولكن عملى فى الارض لم يكن يشغل كل وقتى ، فكنت اتحين الفرص التى اخلو فيها الى نفسى واعود الى كتبى فى العلوم ، اقرا واقرا فيها حتى يغلبنى النعاس فانام !

« وفى احد الايام فاجانى عمى فى الحقل ، وانا اقرا فى كتابى ، وما كدت اراه ، حتى استبد بى الفزع ، فاسرعت اخفى الكتاب ! وكم كانت دهشتى عندما امسك بيدى ، وقال : « لن تعود الى هذه الارض مرة اخرى يا بنى .. اتبعنى وسوف اجعل منك عالما مثلى !

« وتبعته .. واكملت دراستى الثانوية ، ثم حصلت على البكالوريوس فى العلوم من جامعة كامبردج ، وعملت استاذا بها لمدة اثنين وثلاثين عاما ،ادرس العلم ، واخلق اجيالا جديدةمن العلماء .. تماما كما فعل عمى بى ! »



أمراض شائعة

الشَّلَلُ النِّصْفِيّ

يجبُ أن لا يقف حجر عثرة أمام شفاء صاحبه

بقلم : الدكتور محمد محمــد ابو شوك

■ رايته في لنـــدن ، وفي أحد مستشفياتها العريقة ، وهو في الثلاثينات من عمره واخذ يندفع بين اسرة المرضى ، يشرح بافاضـــة هذا المرض وذاك ، وكله نشاط وحيوية ، ولم يعقه الشلل النصفي الايسر الذى كان يعاني منه عن كل هذه الأمور ، بل على العكس من ذلك كان يحاول ان يخفي كل هذا وكانه لا يعاني من اى مرض .

وزرت كوبنهاجن عاصمة الدانمرك في الخمسينات وتوجهت الى أحد مستشفياتها الذى يعالج فيه ذوو العاهات التي خلفها وباء الانفلونزا الكاسح في عام ١٩٥٢ وما ترك في شبابها من انواع مختلفة من شلل ، ولفت نظرى احد الشبان اذ كانت قد شـلت اطرافه الاربعة ، ولم يثنه ذلك عن أن يمسك بين اسنانه فرشاة ليرسم بها لوحات فنية في غاية الدقة والجمال ، وشاب آخر كان ممسكا بقلمه بين اصـابع قدم وحيدة ، بقيت دون ان تتأثر بالمرض ، وأخذ يكتب ويرسم ، فاكبرت فيه هذه الروح والعزيمة القوية .

وهذا فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة ابان الحرب العالمية الثانية كان يعاني من شلل في نصفه الاسـفل ، وينتقل على كرسي من مكان الى مكان ، ومع ذلك قاد الحلفاء من نصر الى نصر ولم يمنعه عجزه من اداء عمله في احلك الأوقات .

هذه الأمثلة احببت أن اعرضها امام اعين من مسهم ضر الشـــلل ، لكي لا يتسرب اليأس الى نفوسهم ، وليعلموا أن من يكون مريضا بالشلل لا يقل كثيرا عن صاحبه السـليم ، اذا مـا تحلى بعزيمة قوية ، وارادة جبارة ، ونفس تواقة الى التغلب على الصعاب .

انواع الشلل

والشلل النصفي انواع ـ فهو اما أن يكون شللا نصفيا أيمن أو أيسر ، أو شللا نصفيا اسفل يؤثر على النصف الاسفل من الجسم ، ولكل نوع خصائصه واسبابه واعراضه ، على أن الشلل النصفي الايمن يختلف عن الايسر ، في أنه ـ في كثير من الاحيان ـ يكون مصحوبا بفقدان للنطق ، وصعوبة في الكلام في بادىء الأمر اذ أن مركز الكلام الموجود في الجهة اليسرى من المخ يتأثر بالسبب الذى سبب الشلل ، وهذا يشاهد بنوع خاص عند الذين يستعملون ايديهم اليمنى في الكتابة ، لذا نرى أن تمريض مريض الشـــلل الايمن يكون صعبا في بادىء الامر ، اذ أن فقدان النطـق والتعبير يؤثر على نفسية المريض ، وعلى من حوله من ذويـه ، ويحس كل واحد منهـم أن الامل في الشفاء ضعيف ، فتزداد الحالة تعقيدا ، ويكون التقدم في حالة المريض بطيئا .

اسباب الشلل النصفي الأيمن او الأيسر

اولا : لعل اهم سبب يؤدى الى الشلل النصفي هو اصابة الشرايين التي تغذى المخ بانسداد او نزف مما يحول دون وصـــول الدم اللازم لحياة الاعصاب المكونة للمخ فتتوقف عن العمل ويحدث الشلل . ومن العوامل المساعدة على اصـابة



الشرايين ارتفاع ضغط الدم ومرض تصلب الشرايين ومرض البول السكرى ، لذا كان من الاهمية بمكان ان تعالج مثل هذه الامراض حتى لا تحدث مثل هذه المضاعفات ، ولقد وجد من الاحصائيات المختلفة ان نسبة الشلل تهبط الى درجة كبيرة لو ان مثل هذه الامراض عولجت فى وقت مبكر .

ثانيا : واذا اصيب صغار السن بشلل نصفى فامل ذلك يرجع الى مرض القلب ويكون فى معظم الاحيان روماتزم القلب مما يسبب تهتكا او ضيقا فى صمامات القلب نتج عنه تمدد فى الاذن الايسر مع ذبذبات فيه تساعد على حدوث تجلطات دموية سرعان ما تذهب الى البطين الايسر ومنه الى الابهر الذى يحملها بدوره الى المخ فتسبب انسدادا فى شرايينه يؤدى الى شلل نصفى .

ومن هنا كان علاج روماتزم القلب واجبا سواء كان دوائيا او جراحيا عندما تصاب صماماته ليتفادى المريض بذلك شللا يؤثر على حياته .

ثالثا : الاصابات التي تصيب الجمجمة وما تسببه من نزف يتجمع تحت العظم والسحايا ضاغطا على المخ ويسبب شللا ، ويلاحظ هذا فى الاطفال والكبار على السواء وذلك لضعف جدران هذه الاوعية مما يجعلها تنفجر اثر اصابة بسيطة ، وكثيرا ما نشاهد ذلك اذا اصيب الشخص بضربة بسيطة على الراس او كسر فى العظام او اصطدام الراس بجسم صلب لا يسبب جرحا فىفروة الراس ولكن يسبب نزيفا داخل الجمجمة ويجب ملاحظة ذلك بدقة واعطاء الطبيب فكرة ، لو كانت هناك اصابة ، اذ ان هذا النوع يستجيب للعلاج الجراحي وتتحسن حالة الشلل بسرعة .

رابعا : وهناك اسباب عدة اخرى تكون نسبة ضئيلة فى حدوث الشلل مثل ورم المخ والتهابات المخ وخراج المخ والتهاب السحايا . وعلاج مثل هذه الحالات فى الوقت المناسب قبل ان تزداد وطأة الشلل ربما حسن حالة المريض الى درجة كبيرة ، او ترك وراءه اثرا ضعيفا لا يؤثر على نفسية او حياة المريض .

خامسا : للشلل النصفي السفلي الذى يصيب الطرفين السفليين اسباب عدة اخرى : فهو فى بعض الحالات يكون حادا مثل كسر فى العمود الفقرى ، او نزف بداخله ، او التهاب حاد يصيب النخاع الشوكى وكل هذه الاسباب نادرة الحدوث، وتسبب ضعفا شديدا فى الطرفين السفليين ، مما يجعل المصاب لا يقوى على السير ، ويفقد قدرته على التحرك . وهناك اسباب تصيب النخاع الشوكي ، ولكن ذلك يكون بطيئا وتدريجيا ، مما يسبب ضعفا فى طرف ، يليه ضعف فى الطرف الاخر ، وياخذ ذلك شهورا ، وفى بعض الحالات سنوات ويظهر ذلك جليا فى اصابة المريض بدرن فى العمود الفقرى ، او التهاب مزمن بالاعصاب او العضلات او اورام تصيب النخاع الشوكي او نتوءات من الغضاريف تضغط على النخاع الشوكى وفى النهاية يفقد اعصاب الحساسة للطرفين السفليين فى معظم الحالات ، ولا يقوى على تحريكهما ، ويكون ذلك مصحوبا باضطراب فى التبول والتبرز .

علاج الحالة

ويتلخص علاج مثل هذه الحالات فى علاج الحالات فى الاسابيع الاولى من المرض ، والعلاج بعد هذه الاسابيع ، وعلاج المضاعفات اذا حدثت . والعلاج فى بدء الاصابة يحتاج الى صبر واناة مع المحاولة الجادة فى تخفيف وطأة الحدث على المريض وتشجيعه ولرفع معنوياته وضرب الامثلة له على ان هذا كثيرا ما يحدث وسرعان ما يشفى كباقي الامراض – واذا حدث وترك اثرا فان ذلك سوف لا يكون حائلا والحياة الطبيعية، والسهر على راحة

المريض سواء في اطعامه او في فراشه والعناية باعضائه التي اصيبت بالشلل .

الفراش

يجب ان يكون الفراش نظيفا مستويا يغير من ان الى آخر وعندما يتلوث بالبول او البراز فان ذلك يساعد على حدوث تقرحات بالجلد . ويساعد على عدم تقرح الجلد ان يقلب المريض في فراشه كل ساعتين ويدلك جلده بماء الكولونيا ثم توضع عليه البودرة لتنظيفه ، ويحال دون وصول البول او البراز الى الجلد بشتى الوسائل وتنظيف المريض والعناية بمخرجيه العناية الفائقة والحيلولة دون حدوث امساك او وقف التبول وتمدد المثانة ويستشار في ذلك الطبيب للتغلب على هاتين العقبتين بشتى الوسائل من عمل حقن شرجية ووضع قسطرة للتبول .

والغذاء اذا لم يكن المريض في غيبوبة يكون على هيئة اطعمة سائلة او شبه سائلة سهلة البلع والهضم واذا كان هناك صعوبة في البلع او شبه غيبوبة كان الغذاء بواسطة انبوبة تمر من الانف الى المعدة اسهل الطرق واحسنها لمريض الشلل الى ان تتحسن حالته ويستعيد قدرته على البلع . وتمر في الانبوبة السوائل كاللبن والعصير .

والاعتناء بالجزء المصاب من الجسم مع تحريكه من ان الى آخر ووضعه في الوضع المناسب للجسم ، والذراع يكون بعيدا عن الجذع مستندا الى وسادة تحت الابط وتوضع الساق السفلى في وضع مستقيم على ان يكون القدم في وضع عمودي ، ويستحث المريض على ان يحرك الاطراف المشلولة تدريجيا مستعينا بكل وسيلة لان هذا يبعد احتمال ضمور العضلات من قلة الاستعمال .

واذا ما بدأت الحركة تدب في العضو المصاب ظهرت بوادر ما يسمى بالتيبس Spasticity وهذه اخطر مرحلة في الشلل اذ انه اذا ترك المريض وما يرتاح اليه في وضعه للعضو المشلول فان تقلصا شديدا يحدث في عضلاته مما يشوه العضو ويجعله عاجزا عن القيام بوظيفته ، لذا كان من الواجب وضع الطرف المصاب في وضع مناسب حتى اذا تيبس كثيرا لا يشوه ولا يستفاد منه . ففي الطرف العلوي يكون الابط بعيدا عن الجذع وتفصله وسادة . والمرفق يكون في وضع بحيث تكون اليد قريبة من الفم وذلك ليستفيد المصاب من يده اثناء الطعام او ان يقوم بأي عمل يدوي . ولا يسمح لليد والاصابع ان تكون منكمشة بل تكون منبسطة ولنضمن ذلك توضع كرة في اليد ليقبض عليها ويحرك اصابعه ـ يقبضها ويبسطها ضاغطا على الكرة وبذلك نتحاشى تشوه اليد وانقباض الاصابع وصعوبة فتح اليد مما يجعل استعمالها في المستقبل مستحيلا . وفي حالة الطرف السفلي يكون في وضع المنبسط عند الركبة ويكون القدم عموديا على الساق بحيث لا يرتخي القدم او تقبض الساق عند الركبة فتكون الصعوبة عند بسطها اذا ما تيبس وتسبب له آلاما شديدة ويفضل ان يبقيها دائما منقبضة وبذلك لا يمكن الوقوف والسير ويصبح ملازما لفراشه قعيدا في بيته عالة على نفسه وعائلته والمجتمع الذي يعيش فيه . ومما يزيد الطين بلة انه عندما يكون طريح الفراش فان ذلك يساعد على حدوث تقرحات يكون من الصعب اندمالها فتتعمق وتلتهب وتتقيح وتسبب رائحة كريهة للمريض مما يزيد في النفور منه علاوة على ما يعانيه اهل المريض من كونه عالة عليهم فتراهم يذهبون به من طبيب الى آخر ومن مستشفى الى مستشفى حتى يجدوا له مأوى يأويه لاطول فترة من الوقت ، وانى له ان يجد من يقبل ذلك ، من هنا ايضا كان الواجب ان لا تسبب ولا يسبب المريض هذه المضاعفات عند اهماله في فترة التيبس التي تعتري الطرف المشلول .

وماذا بعد فترة التيبس

في هذه الفترة الحرجة يجب ان يستحث المريض على الحركة والسير ، على ان يساعده شخص اثناء السير في بادىء الامر ، ثم يتكىء على عصا ، وفي النهاية يعتمد على نفسه ، وسوف يجد ذلك صعبا في بادىء الامر ويحتاج الى بذل مجهود ، ولكنه سرعان ما يتغلب على العقبات التي تصادفه ، واذا ما تحلى بالصبر امكنه ان يستعيد ـ الى حد كبير ـ قوى الطرف المصاب ، وبالتالي يستعيد قدرته على العمل ، وما الادوية المقوية التي تعطى للمريض في مثل هذه الحالة الا ثانوية ، لتشجعه على ان يستعيد قوة العضو المصاب بشتى السبل ، والعلاجات الاخرى تتركز في علاج العوامل التي ادت الى حدوث الشلل : كارتفاع ضغط الدم ، ومرض البول السكري ، وزيادة نسبة الدهنيات والكولسترول في الدم ، فكلها تحتاج الى علاج ناجع ، واذا تركت او اهملت فان السبب الذي ادى الى الشلل يظل قائما ، ومن

هنا خطورة النكسة ، وتأثر الاطراف السليمة بالشلل . ومن هذه العلاجات تمرينات الاطراف المصابة،والسير،ومحاولة التغلب على ضعف العضو المصاب بالتدليك والتمرينات المختلفة علىالعضلات التي تاثرت،حتى تستعيد قوتها وقدرتها علىالعمل.

والعلاج يحتاج الى وقت والى صبر طويل وعزيمة قوية ، مع الأخذ بكل الاسباب النفسية التي تحيط بالمريض وتشجيعه وبثروح الأمل فيه.

ولقد فتحت جراحة التجميل آفاقا جديدة في التغلب على ما يخلفه التيبس في العضلات من تشوهات في هذه الاطراف ، ومحاولة اجراء مختلف العمليات لارجاعها الى اعضاء يمكن للمريض ان يستفيد منها ، وتصبح قادرة على العمل .

وتأثر النطق والكلام في بعض حالات الشلل امكن التغلب عليه بالتمرينات المختلفة ، وهو يحتاج الى وقت طويل ، ويجب أن لا ييأس المريض او اهله من انه سيتغلب على ذلك في يوم من الايام .

الشلل النصفي الأسفل

له اسباب عدة منها الانزلاق الغضروفي ، أو كسر في العمود الفقرى ، او التهاب بالنخاع الشوكي ، او تورم فيه ، وغيرها من امراض عدة تصيب اما العمود الفقرى في فقراته العنقية ، أو الظهر ، أو الفقرات العليا القطنية عندما يصاب النخاع الشوكي،او الاعصابالطرفيةالتيتذهبالىالساقين.

وتتأثر الساقان فلا يقوى المصاب على السير ، او الوقوف ، ويفقد الحساسية فيهما ، وربما حدث ضمور في العضلات ، وتتأثر المثانة فيحتبس البول فيها ، ويحتاج المريض الى قسطرة من آن لآخر ، او تثبت به قسطرة ، وكذلك يجد صعوبة في اخراج البراز ، مما يجعله عرضة للامساك الشديد، ربما احتاجالىحقنة شرجية منآنلآخر . .

والتقرحات في الجلد تحدث في كثير من الاحيان وذلك لفقدان الجلد حساسيته ولضعف الدورة الدموية فيه ، ولعدم الحركة والضغط على الفقرات لفترات طويلة كل ذلك يجعل هذه الفقرات مزمنة وتتعفن وكثيرا ما يصيبها الالتهاب فتتقيح ، وهذا يزيد من ضعف الساقين، وتقلصات العضلات ، وانثناء الساقين ، مع حدوث ألم شديد بهما ، وزيادة الاضطرابات في اعصابه .

واذا ترك صاحب الشلل النصفي الأسفل دون علاج ، فانه يحلو له ان يبقي ساقيه في حالة انثناء عند الركبتين ومفصل الفخذين ، واذا حدث تيبس في العضلات فان ذلك يسبب تيبسا شديدا في مفاصل الركبة والفخذ ، مما يجعل الأمر صعبا على المريض والطبيب في ان يجعل الساقين مستويين ، وفي هذه الحالة يفقد المريض قدرته على الوقوف او السير ، ويصبح قعيد الفراش لا حول له ولا قوة ، مع ما يعانيه من الآم عند محاولته ان يمد ساقه .

العلاج

علاج السبب :

وعلاج السبب في اسرع وقت ممكن من الاهمية بمكان اذا كان ذلك ممكنا ، حتى لا يضيع الوقت ، وتموت الاعصاب ، وتضمر العضلات ، وذلك كما هي الحال في حالات الحوادث ، وتكسر العمود الفقرى ، او انزلاق غضروفي او الأورام ، وغير ذلك من الامراض الممكن علاجها .

العناية بالمريض :

والعناية بمريض الشلل النصفي الأسفل من اهم الواجبات التي يجب اتباعها ، فاذا اهمل المريض في البداية كان لذلك أوخم العواقب كما اسلفت ، لذا تكون هذه العناية من اول يوم يصاب فيه المريض وتتلخص في عدة نقاط : ـ

أولا : الغذاء يجب ان يكون كافيا من حيث الكم والنوعية ، كافيا لان يعوض ما يفقده المريض من بروتينات خصوصا اذا كان مصابا بتقرحات في الجلد فيكون الغذاء غنيا بهذه البروتينات التي تتوفر في اللحوم واللبن ومشتقاته ، ويكون في الوقت نفسه غنيا بالفيتامينات التي تتوفر في الخضراوات والفواكه الطازجة ، وتعطى المواد الغنية بالحديد اذا كان المريض يعاني من فقر بالدم (آنيميا) ويتوفر ذلك في اللحوم والكبد والعدس والبازلاء والخضراوات الطازجة ، واذا كان لا يكفي تعطى الفيتامينات والحديد على هيئة اقراص .

ثانيا : العناية بالجلد ـ والواجب ان يحافظ عليه خوف حدوث التقرحات وذلك بتدليك الجلد بالكحول او الكولونيا وتغطيته بالبودرة كذلك تغيير وضع المريض من مكان الى مكان كل ساعتين ، حتى لا ندع للضغط على الفقرات القطنية مجالا لاحداث التقرحات ويستعان في هذا المجال باستعمال (المراتب) المصنوعة من الاسفنج وعجلات

مملوءة بالهواء وقد استحدثت حشايا متحركة وذلك لتساعد على عدم استمرار الضغط على جزء واحد مما يؤدي الى تقرحات الجلد . هذا ويجب ان يعتني بفراش السرير بحيث يكون جافا بعيدا عن الاوساخ ومستويا .

ثالثا : علاج التقرحات واذا حدثت التقرحات رغم كل الوقاية منها او اهمل في علاج المريض فيجب ان يعتني بتنظيفها وتطهيرها خوف حدوث التقيح بها ، مع اعطائه مضادات حيوية اذا لزم الامر وتغيير وضع المريض كل ساعتين ولقد وجد ان دهان البيانثين Bepanthen يساعد على التئام هذه التقرحات . والتئام هذه التقرحات يساعد على عدم تقيحها مع عدم حدوث التقلصات المؤلمة التي يعاني منها مريض الشلل النصفي الأسفل .

رابعا ـ العناية بالمثانة فاحتباس البول مع تمدد المثانة والتهابها ثم انتقال هذا الالتهاب الى مجرى البول والكلى كله يحدث مع الشلل النصفي الأسفل ، لذا كان من الواجب ان لا تترك المثانة تتمدد وتتغلب على ذلك بوضع قسطرة ثابتة لفترة مع الاحتراس الشديد بعدم تلوثها وبعدها كل البعد عن الميكروبات ، ثم غلقها وفتحها من آن الى آخر الى ان تستعيد المثانة حركتها وحينئذ نزيلها ونترك المريض يتبول من تلقاء نفسه .

واذا وجد في وقت من الاوقات ان هناك التهابا بالبول وجب ان نعطي المضادات الحيوية للتغلب على هذا الالتهاب وذلك في اسرع وقت وتكرار هذه العملية من آن الى آخر بعد زرع البول . وفي بعض الحالات ربما اضطر المعالج الى ادخال القسطرة مرة اخرى اذا وجد ان المثانة لم تستعد بعد قدرتها على تفريغ ما بها وتكرر هذه العملية الى ان يتمكن المريض من افراغ المثانة دون الحاجة الى وضع قسطرة .

خامسا : العناية بعملية التبرز وهذه العملية تتأثر بالشلل ، وكثيرا ما يعاني المريض من امساك شديد ، وهذا اذا ترك لفترة طويلة فتمددت الامعاء ، وتعرضت لتهتك الغشاء المخاطي بها ، علاوة على صعوبة اخراج البراز ، حتى ولو بالحقن الشرجية . لذا كان من الواجب اذا لم يتبرز المريض كل ٢٤ ساعة ان تعمل له حقنة شرجية ، الى ان يعتاد على التبرز كل يوم وتساعده على ذلك باعطائه بعض الملينات (لا المسهلات) مثل الاجارول او البارافين او الكانورمال وغيرها ، ويجب ان نلاحظ دائما عدم تلوث الفراش بالبراز ، والا كان سببا في حدوث التقرحات الجلدية .

سادسا : العلاج الطبيعي ويرمي هذا العلاج الى تقوية العضلات ، ومحاولة اجلاس المريض ، وذلك بالتدليك والتمرينات ، الى ان يتمكن المريض من الجلوس او السير ولو ببطء مع مساعدة عصا يتوكأ عليها ، وفي بعض الحالات لا يتمكن المريض ان يقوم بذلك ، فنعوده على استعمال الكرسي ، وكيف يقبل هذا الوضع ، ويتقبله الناس في الشوارع ، ودور الملاهي ، وفي السيارات وغير ذلك من وسائل النقل المختلفة ، حتى يحس المريض بانه عضو في المجتمع يجد ويجهد ويقدم له ما يمكن من اعمال يدوية وفكرية وثقافية وفي المقابل لا يضن عليه هذا المجتمع بان يقدم له كل التسهيلات التي تكفل له العيش بجوار افراد المجتمع الاصحاء .

سابعا : العلاج النفسي وهو هام جدا فيجب على كل من له صلة بالمريض سواء في ذلك الطبيب او أهل المريض أن يفهموه حقيقة الأمر وانه ما زال هناك الفرص الكثيرة امامه لكي يعيش كفرد عزيز في المجتمع فتهيأ له الاعمال التي يرغبها يدوية أو فكرية . وكل ما يمكن ان يظهر مواهبه فيه وترتب الالعاب المناسبة والرحلات وغير ذلك من وسائل الترفيه حتى لا يحس المريض بانه منفصل عن هذا المجتمع الذي يعيش فيه . وفي بعض الحالات يمكن للمصاب بالشلل النصفي الأسفل أن يمارس حياته الجنسية لو هيئت له العلاجات والوسائل اللازمة مع توضيح ذلك للتي ستقبله زوجا لها ، ولقد عشت في انجلترا مع عائلة كان عائلها يعاني من الشلل النصفي الأسفل ، وعلمت من زوجته كيف تساعده ، وانجبت منه ثلاثة اولاد ولم أر الياس يرتسم على وجهه رغم ما كانت تقوم به تجاهه من توصيله بكرسيه الى السيارة التي كان يقودها ويذهب بها الى مكتبه . ولقد اكبرت الزوج والزوجة لما يتحليان به من نبل وصبر وتحمل المشاق والعزيمة القوية .

هذه لمحات احببت ان اضعها امام القارىء ليستفيد منها المريض فلا ييأس لمرضه . وليحس بها أهل المريض فلا يتركوه للضياع والاهمال ، وكما قلت في أول المقال لا يأس مع الحياة وكم من شدة صنعت ابطالا ويا له من بطل ، ذلك الذي لم تصرعه النوائب والاحداث والامراض وفي مقدمتها الشلل النصفي .

محمد محمد ابو شوك

رشيد الدين الهمذاني وكتابه: جامع التواريخ

« لما اسلم المغول كان اول من فكر منهم في وضع تاريخ لهم ، هو غازان محمود ، سلطان المغول (١٢٩٥ ـ ١٣٠٤) ، اذ عهد بهذه المهمة الى الطبيب رشيد الدين »

بقلم : حسن الامين

■ الغزو المغولي الاول الذي حمل وزره جنكيز ، ثم الغزو الثاني الذي باء باثمه هولاكو لم تؤرخهما المصادر العربية تاريخا مفصلا بعرض دقائقهما ويوضح وقائعهما بحيث تكون الصورة امامنا جلية ترينا ما جرى رؤية بينة شاملة .

المغول في كتب التاريخ

وكل ما اشتملت عليه المصادر العربية حديث اجمالي متقطع ، وتدوين عامٌ موزع على وقائع السنين . ولم يكن من همّ اكثر من كتبوا عن ذلك ان يضعوا تاريخا محصورا بالغزو وحده ، بل كان هم معظمهم منصرفا الى التدوين العام لما يجرى خلال كل سنة ، ومنه بطبيعة الحال تقدم المغول الى البلاد الاسلامية .

وممن عُنيَ من مؤرخي العرب بتاريخ المغول ـ ابن كثير في البداية والنهاية ، وابو الفداء في تاريخه ، ومؤلف الحوادث الجامعة ، والسبكي في طبقاته ، وابن خلدون في تاريخه ، وابن حجر في الدرر الكامنة ، والعيني في عقد الجمان ، والسخاوي في الضوء اللامع . هذا مضافا الى ما ورد في الكامل لابن الاثير وما اورده ابن الفرات في تاريخه . وفي هذا يمكن ان نعتبر كتاب الدكتور جعفر خصباك افضل ما الف في هذا الموضوع .

اما في غير اللغة العربية فمن اشهر تواريخ المغول باللغة الفارسية كتاب (جهان كشاي) لعطا ملك الجويني و (تاريخ وصاف) لعبد الله ابن فضل الله الشيرازي المعروف بوصاف الحضرة ، و (تقويم الوقائع التركية) لصاحب كشف الظنون . وفي اللغة التركية عدة كتب وضعت بالتركية راسا او ترجمت اليها مثل

كتاب (شجرة الترك) لامير خيوة و (كلشن خلفا) وكتاب (ترك تاريخي) وكتاب التاريخ العام لسائر بطون التتر والمغول والترك ، منقول من الفرنسية الى التركية .

والمغول سواء في عهد جنكيز او حفيده هولاكو لم يكونوا حَمَلَة حضارة ولا رسل عقيدة ، كما لم يكونوا ذوى ثقافة ، ولا اهل علم مما يمكن ان يحملهم على ان يدونوا التاريخ بانفسهم لانفسهم ، او ان يعدوا من رجالهم من ينصرف الى غير القتل والضرب والتخريب والسلب .

المغول بعد دخولهم الاسلام

ولكنهم بعد ذلك اسلموا ثم بداوا يتشبعون بروح الحضارة الاسلامية ويروضون من جماحهم ويهذبون من عتوهم ، ثم بوغل الفكر الاسلامي فيهم فيلتفتون الى غير الطغيان والجبروت ، ويتاملون شؤون الحياة تامل ذى الفكر الذى اخذ يستنير بنور المدينة وضياء العلم .

انهم وقد احتوتهم الذهنية الاسلامية وصهرتهم اوساطها ، بداوا يعنون بتاريخهم ، والتطلع الى ماضيهم وحاضرهم ، وتسجيل ما يمكن ان يعتبروه من مآتيهم ومآثرهم .

واذا كان ماضيهم زاخرا بسفك الدماء حافلا بالترويع ، قائما على الغدر وتحليل كل محرم . فان ذهنيتهم ، بل ربما كان لنا ان نقول : ان ذهنية الناس كل الناس يومذاك وما بعد يومذاك ، كانت ترى في الغلبة وقهر الشعوب افخم امجادها بصرف النظر عما يرافق هذه الغلبة من اهوال وفجائع .

وهكذا فان مجرد تصورهم ما احرزه جنكيز من انتصارات ، وما حققه هولاكو من فتوح ، كان في نظرهم شيئا خطيرا يستحق ان يتمدحوا به ويسجلوه في صحفهم ، دليلا على بطولتهم ، واشارة الى قوتهم وشجاعتهم .

وكان اول من فكر منهم في وضع تاريخ لهم هو غازان الذى عهد بهذه المهمة الى الطبيب فضل الله رشيد الدين الهمذاني .

رشيد الدين وصلته بالمغول

وتعود الصلة بين رشيد الدين والمغول الى اليوم الذى حقق فيه هولاكو انتصاراته الحاسمة في زحفه الطويل فكان مما خضع لـه قلعة « الموت » حصن الاسماعيليين الحصين فاستسلم حاكمها ركن الدين خورشاه ، واستسلم معه – فيمن استسلم – ثلاثة من نزلاء القلعة : هم نصير الدين الطوسي ورئيس الدولة وموفق الدولة الهمذاني . فقتل هولاكو الجميع واستثنى من القتل هؤلاء الثلاثة لا رحمة بهم ، بل لحاجة اليهم لان الاول كان فيلسوفا كبيرا وفلكيا مشهورا والثاني والثالث كانا طبيبين معروفين . وكان هولاكو بحاجة لهذا النوع من الرجال ، فالزم الثلاثة صحبته وامرهم بمرافقته والسير في ركابه .

والطبيب موفق الدولة هو جد الطبيب فضل الله رشيد الدين الهمذاني .

ولسنا ندرى الى اى مدى استمرت صلة الجد بالمغول ، ولا نوع الصلة التى كانت بعد ذلك للاب بهم ولكننا نعلم ان رشيد الدين كان من الاعوان المقربين الى غازان السلطان المغولي المسلم وخلصائه الاثيرين .

على ان ما يرويه رشيد الدين نفسه قد يدلنا على ان صلة الاسرة بالمغول ظلت مستمرة ، وانها تعمقت بعد اسلامهم ، فرشيد الدين يقول عن نفسه : « على هذا النحو كنت استغل اوقات فراغي ، وذلك لاني الحقت بقصر السلاطين منذ شبابي الغض » .

ولا بد ان الذى الحقه بالقصر هو ارتباط ابيه بذلك القصر بعد ارتباط جده . ويبدو لنا ان ذلك الارتباط كان في تسلسله ارتباط اسرة عرفت بالطبابة ومهارتها بها وانه – كما كان الجد طبيب القصر المغولي – كان الاب ثم كان الحفيد .

سيرة رشيد الدين

ولد رشيد الدين في مدينة همذان سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) على الارجح . اذ انه يحدثنا انه كان في سنة ٧٠٥ في حدود الستين من حياته . وقبل غازان كان على صلة باباقا خان وخلفائه ، مكرما عندهم مَعْتنيا به في بلاطهم . ولكننا لا نعلم انه تولى منصبا كبيرا قبل غازان الذى ولي الملك سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥) م .

ونحن نعلم ان اول من اسلم من ملوك المغول

هو (تكودار) بن هولاكو الذى ولي الملك بعد اخيه (اباقا خان) وتسمى باحمد . وكان اباقا خان قد عهد بالملك الى ابنه (ارغون) . ولكن ال الجوبني ومن والاهم من الامراء والقواد لم يَدّعوا ارغون يتولى المُلك ، ونادوا بتكودار ملكا سنة ٦٨٠. ولم يطل الامر اكثر من ثلاث سنين ، فقد استطاع ارغون التغلب على عمه الامير (احمد تكودار) وقتله وتولى الملك بعده . وفي عهد ارغون انتعشت الوثنية من جديد ، كما اشتد نفوذ اليهود . وبعد ارغون تولى ابنه غازان الذى كان اول ملك مغولي يؤدى الصلاة في المساجد الجوامع، فيحذو حذوه الامراء والكبراء وجمهرة الشعب المغولي . وكانت صلة رشيد الدين بغازان في اول امرها صلة علمية بحتة . وكان السلطان يغتنم فرصة لقائه برشيد الدين ، ليذاكره في مبادىء الاسلام وتفسير القرآن ، ويستوضحه ما خفي عليه من شؤون الدين ، وليجول معه في امور العلم والفكر .

ثم ولاه المنصب الاول في الدولة ، فجعله وزيرا له ، بعد مقتل الوزير السابق صدر الدين الزنجاني ، الذى اودى به سعيه برشيد الدين عند غازان ومحاولة الايقاع به لديه ، فادى ذلك الى مقتله واحلال رشيد الدين محله عام ٦٩٧ (١٢٩٧) م ، واشرك معه في الوزارة سعد الدين الساوجي .

ثم مات غازان وتولى الحكم بعده اخوه (الجايتو خدابنده) فحفظ للوزيرين منصبيهما وظلت لرشيد الدين نفس المنزلة التى كانت له عند غازان .

وكما حيكت له الدسائس لدى غازان اخذت الدسائس تحاك له ولزميله سعد الدين لدى (خدابندة) فنجا منها رشيد الدين مرارا في حين انها ادت الى مقتل زميله سعد الدين ، واحلال « على شاه » محله ، فاخذ هذا يدس على رشيد الدين دون ان ينجح في دسائسه . ومات الجايتو خدابندة حين كان رشيد الدين على مكانته. وتولى بعد الجايتو ولده ابو سعيد والتنافر بين الوزيرين على اشده ، ودسائس على شاه لدى ابى سعيد تتوالى ، حتى نجح في حمل السلطان على اقصائه عن الوزارة سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧) م. على ان مساعى اصدقائه اعادته من جديد الى الوزارة بعد ان تردد واحجم ، ولكن هذه العودة كانت السبب في وصوله الى نهاية المحنة . اذ اتهمه زميله على شاه بانه سمم السلطان الجايتو وبعد مناقشات طويلة اقتنع ابو سعيد بان رشيد الدين ان لم يسمم اباه فهو على الاقل وصف له دواء كان السبب في موته . وبالرغم من ان التهمة كانت واهية فقد سيطرت على ابى سعيد فامر بان يقتل رشيد الدين وان يقتل معه ولده اليافع ابراهيم الذى لم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره بدعوى انه هو الذى ناول الدواء بنفسه للسلطان ، فقتل ولده امام عينيه ثم قتل هو سنة ٧١٨ (١٣١٩) م وقد بلغ الثالثة والسبعين من عمره .

ولم يلبث بعد ذلك ابو سعيد ان ادرك انه كان مخطئا فيما اجراه على رشيد الدين وولده، وشاء ان يكفر عما فعل فاستدعى غياث الدين ـ احد اولاد رشيد الدين ـ وعهد اليه بالمنصب الذى كان يشغله ابوه في الوزارة .

ضاحية الربع الرشيدى

انشا رشيد الدين في تبريز ضاحية اطلق عليها اسم الربع الرشيدى وعنى بها عناية فائقة . على ان اكثر ما يهمنا من تلك الضاحية انه انشا فيها مكتبة حافلة جمع فيها من صنوف الكتب ما قل ان يجتمع مثيله في مكتبة ، وكانت تحتوى ما لا يقل عن خمسين الف مجلد .

ولما نكب وقتل كان من افجع آثار النكبة احراق تلك المكتبة بكل ما فيها . ولدينا الكثير من الكتب التى لم يصلنا الا اسمها وكانت كلها فيما تحويه مكتبة الربع الرشيدى وذهبت كلها طعمة للنار . ويكفى ان نذكر منها مؤلفات ابن الفوطى وحدها.

المثقف المسلم والعالم العالمي

راينا تلخيصا لحياة رشيد الدين السياسية ، وهى حياة مهما يكن ما اوتى فيها من كفاءة وتفوق في حسن تصريف الامور ، ومهما يكن ما كتب له من النجاح في ميادينها ، فهى على كل حال حياة كحياة كل السياسيين المتفوقين منهم وغير المتفوقين، لا يلبث اسمهم ان يضيع في طيات الزمن ويختفى

في اغوار الدهر . ولو كانت هذه الحياة هي كل ما كان لرشيد الدين لما وجد من يشغل نفسه بها ويلفت قراءه اليها .

ولكن لرشيد الدين حياة اخرى هي التي اهتمنا في هذا البحث ، وهي التي عنت قبلنا غيرنا من الكاتبين : هي حياة العالم المفكر المؤرخ ، وهي حياة اكسبت رشيد الدين الخلود ، وجعلته من احياء الذكر على طول الدهر .

يقول المستشرق الفرنسي (كاترمير) في مقدمته التي كتبها لكتاب جامع التواريخ : « اذا غضضنا النظر عن الطب الذي اقبل رشيد الدين على تعلمه منذ زمن مبكر ، وعن شتى فروع المعرفة الاخرى التي ترتبط بهذا العلم برباط مباشر ، وجدنا انه ايضا لم يهمل دراسة الزراعة والهندسة والميتافيزيقا واللاهوت . وكان يحيط احاطة تامة بكثير من اللغات وهي : الفارسية والعربية والمغولية والتركية والعبرية وربما الصينية » .

ويقول عنه ايضا : « كان متولعا بالمعرفة اشد الولع فاستطاع رغم كل هذه المشاغل والموانع ان يجد لنفسه الوسيلة لمعالجة الآداب والعلوم والاحاطة بالدين الاسلامي الى اعمق حد » .

والواقع ان رشيد الدين كان يمثل المسلم المثقف ، الرفيع الثقافة كما كان يمثل العالم العالي ، باوسع ما تعنيه هذه الكلمات من معنى. ولو لم تشغله السياسة ، ولو لم يغره الحكم لكان له من الشأن فوق ما كان . اذ انه لم يعط الجانب الثقافي الا بعض العطاء ، ومع ذلك كان له فيه مثل الذي رأينا .

ويبدو مما ذكره الفقيه الكبير الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة الحلي في بعض كتبه ، انمجالس رشيد الدين في عهد وزارته كانت مجالس علمية ومباحث اسلامية ، تعرض فيها شتى البحوث وتطرح مختلف الاسئلة ، لا سيما المتعلق منها بالاسلام وشؤونه .

وقد ذكر العلامة الحلي انه حضر تلك المجالس في عهد السلطان « الجايتو خدابندة » واستمع الى سؤالين اسلاميين طرحا على رشيد الدين وانه اجاب عنهما . ولشدة اعجاب العلامة الحلي بجواب رشيد الدين ـ قام بتدوين السؤالين والجوابين . يقول العلامة الحلي في بعض ما كتب: « وحضرت في بعض الليالي للاستفادة من نتائج قريحته فسئل في تلك الليلة سؤالين مشكلين فاجاد في الجواب عنهما » .. الى آخر ما قال ..

واذا كان لرشيد الدين من الكتب مثل (التوضيحات) و (مفتاح التفاسير) و (الرسالة السلطانية) و (الاحياء او الآثار) و (لطائف الحقائق) و (بيان الحقائق) ، فلا شك ان قمة اعماله التاليفية هي ما كتبه في التاريخ في كتابه (جامع التواريخ) .

قصة جامع التواريخ

يعود الفضل اولا في تاليف هذا الكتاب الى السلطان غازان الذي شاء ان يكون للمغول تاريخ مكتوب . وكان لا بد للرجوع في تسجيل هذا التاريخ الى مصادر معروفة واحداث مكتوبة تكون المادة الاولى للمؤرخ الذي يأخذ على نفسه القيام بهذا العبء .

وكان سلاطين المغول يحتفظون في خزائنهم بوثائق مكتوبة بلغتهم فيها تدوين لكثير من وقائعهم ، كما كان كثير من الاسر المغولية العريقة يحتفظ بمثل هذه الوثائق . وكان كل ذلك يحتاج الى من ينظمه وينسقه ويستخلص منه الحقائق ، ويخرج منه اصولا لتاريخ يمكن ان يدون .

واهتم غازان بهذا ونضجت الفكرة في ذهنه فعمل على تحقيقها ، ولم يكن في بلاطه من يمكن ان يعهد اليه بانجاز تاريخ المغول وتدوينه افضل من رشيد الدين . فاودع لديه كل ما كان تحت يده من وثائق وعهد اليه باستطلاع ما يمكنه استطلاعه من المدونات الاخرى او الروايات غير المعروفة .

فقام رشيد الدين بالمهمة على افضل وجوهها وعكف على انجازها بقدر ما تسمح له به ظروف اضطلاعه بشؤون الادارة والحكم .

ولما اوشك الكتاب على التمام كان غازان قد توفي (٧٠٣ ـ ١٣٠٣) وورث عرشه اخوه (الجايتو خدابندة) فلم يكن اقل اهتماما من اخيه بانجاز هذا التاريخ ، بل زاد عليه بان طلب الى رشيد الدين ان يشير الى الشعوب التي اتصل بها

المغول ، ويعرض لتاريخها وان يضيف الى ذلك دراسة شاملة لكل الشعوب .

ولم تأت سنة ٧١٠ (١٣١٠) حتى كان الكتاب قد انتهى مكتوبا باللغة العربية واللغة الفارسية باسم (جامع التواريخ) واودع مكتبة المسجد الذي كان رشيد الدين قد بناه في مدينة تبريز .

منهج كتاب جامع التواريخ

ويصف كاترمير الكتاب قائلا : « الواقع ان تاريخ رشيد الدين قد اعتمد في تاليفه على فحص الوثائق الوطنية الصحيحة المحفوظة في سجلات الامبراطورية والمذكرات التي في حوزة الاسر الكبيرة وقام بتاليفه رجل صادق حي الضمير ، وبذلك يكون قد توفرت له كل مقومات الصدق » .

وينقل كاترمير عن المخطوطة العربية وصفا لنهج رشيد الدين وطريقته في التدوين بقلم رشيد الدين نفسه : « استطيع ان اشهد لنفسي باني لم ادخر اى احتياط او جهد في تحرى الحقيقة والامتناع عن كتابة كل ما هو زائف او مشكوك فيه . وقد اقتبست دون اى تغيير ما انطوت عليه اصدق الوثائق الخاصة بكل شعب ، والروايات التي حازت احسن التقدير والمعلومات التي استقيتها من اعلم الرجال في كل قطر . وفتشت كتب المؤرخين ورجال الانساب . وحققت هجاء اسم كل امة وكل قبيلة » .

فهل كان رشيد الدين عند هذا الوصف الذي ذكره لنفسه ؟ وهل استطاع ان يكون متجردا وهو يكتب تاريخ المغول بامر من ملك المغول وتحت سمعه وبصره اراد به الملك تمجيد قومه ورفع شانهم ؟

الواقع اننا نستطيع ان نعد ميزة التجرد اولى الميزات التي اتصف بها رشيد الدين في تاريخه ، وان نوقن بانه سعى وراء الحقيقة سعيا مخلصا شجاعا ، ولم يراع جانب المغول ، وهو يتحدث عما في تاريخهم من فظائع ، وكان كما قال عنه كاترمير : « اذا كان يبدو في كتابه مسلما صادق الاسلام ، فانا نراه من جهة اخرى يتجنب الاطراء غير المجدي ويتمسك دائما بنزاهة في الراي تستحق كل اجلال ، ولا سيما اذا كانت من مؤرخ » .

ويقول ايضا : « يذكر دون مواربة ولكن دون مبالغة ايضا ضروب القسوة الشنيعة التي ارتكبها هذا الشعب (المغولي) وتخريب اعظم المدن واكثرها ازدهارا ، وتذبيح السكان العديدين دون قلق او ندم ، كما يصور بهدوء وتحفظ ضروب التجديف التي قاموا بها في مساجد بخارى وغيرها من المدن ، حيث مزقوا المصاحف والقوا بها ارضا وصنعوا من اغلفتها الثمينة مذاود لخيلهم » .

تاريخ هولاكو

عندما نراجع كتاب تاريخ هولاكو ونتجاوز ما فيه من ذكر المذابح والاهوال التي رافقت هولاكو ومشت معه في كل خطوة خطاها مما نص عليه رشيد الدين نصا واضحا ، وعندما نقف عند محاولة المغول غزو مصر ، وتصميم الملك سيف الدين قطز على المقاومة والقتال وما انتهى اليه الامر بعد ذلك من المقاومة والظفر .

عندئذ ـ نرى ان هذا القسم قد حوى من الحقائق واوضح من الخوافي ما لم يكن ممكنا الوصول اليه في غير هذا الكتاب . لقد ابرز لنا مثلا مقدمات معركة عين جالوت والاحداث التي ادت الى تلك المعركة ابرازا لا نجد له مثيلا في غيره . وحين نريد الاعتزاز بما جرى لا نجد امامنا ما يمدنا بمثل ما امدنا به رشيد الدين في كتابه .

وعندما يصف المؤتمر العسكري الذي عقده وتراسه الملك المظفر سيف الدين قطز ، فانه يذكر كل الكلمات والجمل التي وصفت هولاكو بما هو فيه والتي صورته سفاكا غادرا لا يرعى الا ولا ذمة ، ولا يحفظ عهدا ولا امانا .

انه يذكر مثلا عن لسان ناصر الدين القيمري من كبار اعضاء المؤتمر قوله عن هولاكو : « لا يتورع عن اجتزاز الرؤوس . وهو لا يفي بعهده وميثاقه » .

ويذكر عن لسان سيف الدين قطز قوله واصفا ما جرى في البلاد التي مر بها هولاكو : « ان كافة بلاد ديار بكر وربيعة والشام ممتلئة بالمناحات والفجائع ، واضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يبابا ـ وقضى على جميع ما فيها من حرث ونسل » .

حقائق اخرى

من الحقائق التي عرفناها في كتاب (جامع

التواريخ) حقائق مذهلة حقا . فلم يكن يدور في خلدنا ان بعض المسلمين كانوا من بين المحرضين للمغول على غزو المسلمين . وان قاضي القضاة شمس الدين القزويني كان هو المحرض ، والمصر على التحريض والثابت عليه . فان هذا القاضي او قاضي القضاة هذا كان لا يحتمل وجود الاسماعيليين في قلاعهم المنيعة التي ارتدت عنها جحافل جنكيز ، فكان لا يفتأ يتوسل الى منكوخان بمختلف الوسائل المثيرة ليحمله على توجيه هولاكو لمباشرة الغزو والتقدم الى القلاع الاسماعيلية .

ومما ذكره (جامع التواريخ) من الحقائق قضية المؤامرة التي كان يعدها مجاهد الدين الدوادار الصغير في بغداد لخلع الخليفة المستعصم وتولية خليفة آخر مكانه من العباسيين ، وتسرب انباء هذه المؤامرة الى مؤيد الدين بن العلقمي وتحذيره المستعصم منها مما اوغر صدر الدوادار على ابن العلقمي وحمله على تعطيل كل ما كان يشير به ودس الدسائس عليه واشاعة كل ما يسيء الى سمعته ويشوه سيرته . وفي جامع التواريخ ما يفند ما اشاعه الدوادار عن ابن العلقمي ، وشوه به سيرته . ويثبت ان عكس ذلك هو الصحيح .

تدابير ابن العلقمي

ويعرض لنا رشيد الدين التدابير المحكمة التي كان يعدها ابن العلقمي لدفع عادية المغول وكيف كان يفسدها الدوادار ، كما يحدثنا عما يشبه المؤتمر الذي عقده من يسميهم امراء بغداد وعظماؤها في منزل ابن العلقمي الذين كان منهم سليمان شاه والذي اضطر الى حضوره ـ على ما يبدو ـ الدوادار نفسه وكيف حمل الحاضرون على ضعف الخليفة مستشعرين الخطر الداهم . وكيف قام ابن العلقمي بعد ذلك باعداد الجند وعرضهم وكيف كان نقص المال يحول دون اكمال الاعداد وكيف ان الخليفة رفض مدّ الجند بالمال مما افسد خطط الوزير .

ثم يشير رشيد الدين الى حقيقة اتهام ابن العلقمي قائلا :

« ولما كان الدوادار ـ في تلك الفترة ـ خصما للوزير فان اتباعه من سفلة المدينة واوباشها كانوا يذيعون بين الناس ان الوزير متفق مع هولاكوخان » .

كما يشير الى ان سليمان شاه ـ حين احضر بين يدي هولاكو واستجوبه هولاكو متسائلا كيف لم يشر على الخليفة بما فيه الرأي ، ـ اجابه سليمان شاه بأن الخليفة لم يستمع لنصح الناصحين .

حقائق وحقائق

ومما يثير النفس اسى ان المستعصم الذي رفض ان يجود بالمال لاعداد الجيش وتنظيمه كما اراد ابن العلقمي ، يضطر بعد ان دخل المغول بغداد لان يكشف لهولاكو عن حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر ، فحفروا الارض حتى وجدوه وكان مليئا بالذهب الأحمر وكله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال ، كما يروي رشيد الدين .

ثم يقول : وقصارى القول ان كل ما كان الخلفاء قد جمعوه خلال خمسة قرون وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل .

بعد فوات الاوان

وبعد فوات الاوان يدرك المستعصم ان ما قد اشار به ابن العلقمي كان هو الصواب وانه لو عمل بآرائه لما وصل الحال الى ما وصل اليه .

ولما استدعاه هولاكو عاد يستشير ابن العلقمي قائلا له : ما حيلتنا ؟ .. فقال ابن العلقمي : « لحيتنا طويلة » . وكان مراده من ذلك ـ كما نص رشيد الدين ـ : (انه عندما فكر اول الامر في ان ترسل احمال وفيرة لدفع هذا البلاء ، قال الدوادار : « لحية الوزير طويلة » وحال دون الاخذ بهذا الرأي واستمع الخليفة لكلامه واهمل تدبير الوزير) .

ولا شك ان الامر الآن قد خرج عن كل تدبير ورأي ولم يبق الا الاستسلام لقضاء الله .

ومن صراحة رشيد الدين استعماله كلمة الشهادة لمن يقتله المغول كما قال عن تاج الدين بن صلايا الاربلي : « .. وعند محاكمته ثبت جرمه واستشهد » .

كذلك يشير الى ما بلغ اليه الملوك من الهلع

الذي حملهم على الاستخذاء استخذاء مزريا : فهو مثلا يحدثنا عن السلطان عز الدين صاحب الروم ، انه عندما فتحت بغداد امر بصنع حذاء ملكي في غاية الجودة ونقشت صورته على نعل ذلك الحذاء ثم قدمه لهولاكو اثناء معاتبته اياه ، وعندما وقع نظر هولاكو على تلك الصورة قبل عز الدين الارض وقال : (ان املي هو ان يشرف الملك راس هذا العبد بوضع قدمه المباركة عليها) .

مجلدات الكتاب

يشتمل كتاب جامع التواريخ على اربعة مجلدات : الاول : يتعلق بتاريخ المغول المشتمل على تاريخ القبائل التركية المغولية واجداد جنكيز ، ثم جنكيز نفسه ومن بعده خلفاؤه حتى غازان . والثاني : يتعلق بتاريخ الفرس قبل الاسلام ، ثم التاريخ الاسلامي الى سقوط بغداد ، ثم الامم التي اتصل بها المغول في فتوحاتهم ، والثالث : يشتمل على ابعد عصور التاريخ حتى اخر خلفاء بني العباس . والرابع : يشتمل على تفصيل حدود الاقاليم السبعة وولايات ممالك العالم .

على ان كاترمير يقول : لدينا الجزء الاول من كتاب رشيد الدين وهو الجزء الخاص بتاريخ المغول . وانه الكتاب الوحيد الذي نستطيع العثور فيه على اصدق المعلومات عن حياة جنكيز خان وخلفائه وعن عهودهم .

ثم يتساءل كاترمير : هل الاجزاء الثلاثة الاخرى قد ضاعت دون امل في العثور عليها ؟ وكان في نية كاترمير تحقيق اكثر مايمكنه تحقيقه من المجلد الاول ولكنه لم يستطع الا تحقيق القسم الخاص بهولاكو ونشره بالفرنسية مع مقدمة نفيسة طويلة سنة ١٨٣٦ .

ويقول الدكتور يحيى الخشاب : انحديث كاترمير عن (جامع التواريخ) قديم ، وقد جد الكثير عنه سواء من ناحية اكتشاف اجزاء منه لم يكن قد عثر عليها ايام كاترمير او من ناحية النشر .

ومن امثلة ذلك الطبعة التي صدرت سنة ١٨٥٨ وهي قسم من الجزء الاول متعلق باجداد جنكيز وتاريخ جنكيز نفسه . وكان اخراج اخر جزء من هذا البحث سنة ١٨٨٨ باللغة الفارسية مع الترجمة الروسية وقد اخرج هذه الاجزاء المستشرق الروسي (برزين) .

كما صدر بعد ذلك ابتداء من اوائل هذا القرن اكثر من قسم من المجلد الاول كهذا الذي نشره المستشرق الفرنسي (بلوشيه) سنة ١٩١١ والذي نشر في ايران سنة ١٩٣٧ والذي نشره المستشرق التشيكسلوفاكي (كارل) سنة ١٩٤٠ وكذلك سنة ١٩٤١ .

وهكذا يمكن القول ان المجلد الاول من جامع التواريخ قد نشر كله . كما نشر كارل يان سنة ١٩٥١ القسم المتعلق بالفرنج من المجلد الثاني .

في اللغة العربية

كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام اول من دعا في العرب لنشر (جامع التواريخ) وترجمته والقى عام ١٩٤٧ محاضرة في الجمعية الجغرافية عن رشيد الدين ، وتحدث فيها عن كتابه وضرورة القيام بنشر القسم العربي منه وترجمة بقية الاجزاء الى اللغة العربية .

ثم مضت عهود وعهود فكان ان قررت ادارة الثقافة والارشاد القومي في مصر ان تقوم بنشر هذا التاريخ . ولكننا لانعلم انه صدر في اللغة العربية غير قسم من المجلد الاول وهو (تاريخ هولاكو) . نقله الى اللغة العربية كل من محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد ، وراجعه وقدم له الدكتور يحيى الخشاب . وطبع سنة ١٩٦٠ .

كما نشرت مع هذا القسم الترجمة الطويلة النفيسة التي كتبها المستشرق الفرنسي كاترمير والتي ترجمها محمد القصاص .

ووعد الدكتور يحيى الخشاب في آخر مقدمته بنشر ماينجز من الكتاب اولا باول . ولا نعلم بعد هل تحقق شيء من هذا الوعد ام لا .

■■

بيروت ـ حسن الامين



نحو ثورة تربوية

من التسيير الذاتي للمجتمع إلى التسيير الذاتي للمدرسة

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ المدرسة اليوم ، بل منذ نيف وعقد من السنين ، تمثل أمام محاكمة قاسية . المدعون عليها كثر كادعيائها من قبل . تكاد تغدو كبش المحرقة في مجتمع انساني قلق يضيق بمشكلاته ويسائل عن مصيره .

من رفض النظام الاجتماعي الى رفض النظام المدرسي :

وكلنا يعلم ان الدعوة لبناء مستقبل انساني جديد تأخذ لدى العديد من المفكرين شكل الدعوة الى رفض النظام الانساني القائم جملة وتفصيلا ، وتعلن افلاس المذاهب الاجتماعية المختلفة التي تتصدى لعلاج مشكلة حياة الانسان على الارض ، والتي لم تؤد ، في رأي أولئك المفكرين ، الا الى مزيد من اضطهاد الانسان للانسان والى قدر اكبر من الكبت والزجر لميوله وقيمه الانسانية الحقة . انها ، عندهم صيَّرته اكثر علماً واقدر فنا ولكنها لم تصيِّره اكثر سعادة .

نحو مجتمع مدرسة :

مثل هذه الادانة الشاملة الكاملة للنظام الانساني التي نتقرأها في كتابات امثال « ماركوز » ووراء كثير من حركات الشبيبة وحركات الرفض في العالم ، نجدها في عالم التربية ، لدى المهتمين بالمدرسة والنظام المدرسي . فكثيرهم لا يكتفي بتفنيد بعض نقائص المدرسة والنظام المدرسي ، بل يقف منهما موقف الرفض والانكار ، ولعله يحمل المدرسة في النهاية أوزار افلاس النظام الاجتماعي الانساني . أو لم يذهب أمثال الكاتب الاميركي « ايليش Illich » الى حد الدعوة الى « مجتمع بلا مدرسة » ؟ أو لم يشكك المشككون في الاطار الذي تساق فيه التربية لا في محتوى ذلك الاطار ؟ أو لم يسائلوا : من قال ان هذا الشكل من اعداد الانسان للحياة ، شكل المدرسة ذات الجدران والصفوف وذات المناهج المحددة والسنوات المقننة والشهادات الموقعة ، هو الشكل الامثل لتكوين الانسان لمجتمع اليوم والغداة ؟ من قال ان هذا الاطار الذي عرفته الانسانية منذ

● صارت المدرسة في النظام البيروقراطي هدفاً لذاتها

● التسيير الذاتي في المدرسة لا يعني رفض الإطار العام للتربية

الاف السنين ولم نبدل فيه شيئا ، اطار منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟

مأساة المدرسة :

والحديث عن قصة الثورة على المدرسة في السنوات الاخيرة حديث يطول . قد تختلف حوله الاراء وتتباين الانظار وتفترق الحلول . ولكنها تلتقي على حد ادنى من الثورة على المدرسة : كلها ترى في المدرسة الحالية التي ورثها الانسان من عهود تاريخية سابقة ، جهازاً عاجزاً عن تقديم مايحتاج اليه مجتمعنا من اعداد للشخصية الانسانية في شتى جوانبها . بل تكاد كلها ترى أن مثل هذه المدرسة الحالية لا تعدو أن تكون عملاً منظماً يستهدف خنق قابليات الانسان بدلاً من خلقها ، ويؤدي الى افقار قوى الابداع اللازمة للمجتمع بدلاً من تغذيتها واغنائها ، ويقود الى امتصاص امكانات العطاء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لدى الافراد بدلاً من الهابها في سبيل تنمية المجتمع وارتائه .

انهم جميعهم يقفون امام قرني الاحراج كما يقول المناطقة : لاشيء سوى التربية ، من حيث الأصل والمبدأ ، يستطيع أن يكون منطلق التنمية ومنطلق التغيير في أي مجتمع انساني ، غير أن التربية كما نعرفها عاجزة عن القيام بهذه المهمة ، بل هي تقوم بنقيضها . ولولا وسائل الثقافة والاعداد والتكوين الخارجة عن اطار المدرسة ، اذن لوجدنا المجتمعات الانسانية ـ المتقدم منها والمتخلف ـ في بؤس فكري واقتصادي واجتماعي ما بعده بؤس .

انهم يقفون بمرارة امام واقع أليم : المدارس تستقبل يوماً بعد يوم أعداداً أكبر من الطلاب ، وتستهلك مقادير ضخمة متزايدة من الاموال ، وتمتص جماهير واسعة من المعلمين تنتزعهم من القوى العاملة في ميادين النشاط الأخرى ، وتملأ الدنيا وتشغل الناس ، ثم لا تؤتي بعد ذلك سوى ثمرات جافة ولا تدفع الى سوق الحياة سوى أفراد استنزفت لديهم قوى العطاء والابداع ـ بمناهجها ووسائلها العقيمة ـ وافرغت نفوسهم من بواعث الحماسة للمعرفة والتوق الى النشاط الثقافي والاجتماعي باشكاله المختلفة .

من المأساة الى الحل : التربية المؤسسية :

من هذه الحقيقة المرة تنطلق بعض العقول التربوية المبدعة لتبحث عن المخرج وتجد الطريق الى تربية جديدة . وقد نحتاج الى الأسفار الضخمة ان نحن اردنا ان نقص سيرة هذه المحاولات الدائبة من أجل توليد « ثورة تربوية » قمينة بمطالب انسان اليوم بل مطالب انسان القرن الحادي والعشرين . وما نقصد اليه في هذه الكلمة الموجزة هو أن نتحدث عن واحد من هذه الحلول ، لعله ما يزال مجهولاً لدى كثير من المربين . ونعني به الحل الذي يطلق عليه اسم « التربية المؤسسية Institutiona aducation » . والاشارة في هذه الصفة الجديدة التي تضاف الى التربية تنصرف الى طراز من التربية يجعل من المدرسة « مؤسسة اجتماعية » تنمو فيها العلاقات الاجتماعية بين أفرادها ، طلاباً ومعلمين ، وتتفتح من خلالها امكانات الافراد ونشاطاتهم الفكرية والعملية عن طريق انغماسهم في تربة العواطف والمواقف الاجتماعية المتبادلة . وعن طريق حياتهم حياة اجتماعية طبيعية خصبة ، يختارون فيها نشاطاتهم وأعمالهم بأنفسهم .

على أن هذه « التربية المؤسسية » أشكال ومذاهب . حسبنا منا شكل من أحدث اشكالها نما في السنوات الأخيرة في فرنسا ، وكانت ولادته في شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٦٥ ، على يد مربين سموا انفسهم بالمربين «المؤسسيين» على رأسهم امثال المربي « لوبرو Michel Lobrot » والمربي « لاباساد G. Lapassade » .

والتربية المؤسسية لدى هؤلاء تلبس لبوساً جديداً مختلفاً عما عرفته في الولايات المتحدة قبل قليل من السنوات، ومبايناً للاتجاه (المؤسسي ايضاً) الذي ساد في فرنسا نفسها مؤخراً والذي ينتسب الى مدرسة المربي الفرنسي « فرينيه Freins » ، صاحب المطبعة المدرسية ، والمبشر بالتربية القائمة على النشاط الحر ، كالانشاء الحر والتعبير الحر .

التسيير الذاتي في المدرسة :

ومن هنا يحاول هؤلاء المربون ان يطلقوا على مذهبهم الخاص اسم مذهب « التسيير الذاتي في المدرسة L'autogestionà L'école » ، وهم بذلك يذكروننا بمذهب « التسيير الذاتي » . كنظام اجتماعي وسياسي بل يربطون بين مذهبهم التربوي هذا ومذهب التسيير الاجتماعي ذاك . التسيير الذاتي كنظام اجتماعي وسياسي ولد كما نعلم في بعض النظم الاشتراكية ، وكان رد فعل على مرض البورقراطية الذي تعرضت له هذه النظم والذي يكمن فيه مقتلها . لقد ظهر للمرة الاولى ـ كما نعلم ـ لدى بعض اتباع « تروتسكي » ـ وان انكره هذا الاخير ـ كما ظهر خاصة في التجربة اليوغوسلافية ووطئا له امثال المفكر والسياسي اليوغوسلافي « ديجيلاس «M. Diyila» في كتابه عن « الطبقة الجديدة الحاكمة » وامثال « لوكاتش Lukacs » في كتابه عن « التاريخ والوعي الطبقي » . ثم اخذ هذا المبدأ بالذيوع والانتشار في الكثير من التجارب الاشتراكية ، وتبنته الجزائر مؤخراً في اصلاحها الزراعي وفي تنظيم اقتصادها .

كذلك كانت ولادة مبدأ « التسيير الذاتي في التربية » رد فعل على ما سماه اصحابه بالبورقراطية التربوية ، وعلى ما تحمله هذه البورقراطية من امراض قاتلة نسبوا اليها كل مانرى ونعرف من تردي النظام التربوي في العالم .

النظم التربوية القائمة نظم بورقراطية :

النظام التربوي في شتى بلدان العالم قوامه في نظر هؤلاء المربين بورقراطية قاسية خانقة . هو نظام تفرضه قبضة من المسؤولين عن التربية في البلد، تفرض مناهجه وطرائقه وامتحاناته وشهاداته وتصبها جميعها في اقنية جامدة ، وتراقب بعد ذلك سيره عن طريق اجهزتها الادارية وخلاياها التفتيشية ، لتحول دون اي انحراف عن الاطار المرسوم والنهج المفروض . ويخضع المعلمون لهذا النظام الذي تفرضه البورقراطية التربوية في البلد ، ويعيشون في قلبه مكبلي الايدي يسيطر عليهم الخوف والرهبة وتقودهم رغبة واحدة ، هي الرغبة في انفاذ ما يطلب اليهم باي شكل من الاشكال مهما تكن قناعاتهم حوله . انهم مضطرون الى السير في طريق مرسوم ، رسمته المناهج والتعليمات والامتحانات ، والا كان الفشل وكان العقاب .

هذه السلطة البورقراطية التي تفرض عليهم سلوكهم وتحبسه في حذاء صيني ، يفرضونها بدورهم على الطلاب . فلا يجد هؤلاء أمامهم سوى الطاعة والخضوع لمطالب لايعرفون دوماً مبرراتها ومناهج لا يفقهون دوماً غاياتها ومهمات واعمال لا يؤمنون غالباً بجدواها .

ويؤيد بورقراطية الادارة التربوية وبورقراطية المعلمين الصادرة عنها موقف اباء الطلاب انفسهم وموقف المجتمع بالتالي . فالآباء يحرصون على ان تخضع المدرسة ويخضع المعلمون وابناؤهم الطلاب لما فرضته السلطة التربوية التي تمسك بزمام مستقبل هؤلاء الابناء ، ويحرصون في قلق وخوف على ان يُقَدِّ ابناؤهم كما يريد لهم النظام التربوي المفروض ، وان يصاغوا على غراره لتتهيا لهم جوازات المرور الى سوق العمل .

آفات البورقراطية في التربية

اما حصاد هذا كله فهو غير الثقافة الحقة وغير التربية السليمة : طلاب يدخلون المدرسة ولديهم بواعث المعرفة والدهشة امام الكون والرغبة في معرفة اسراره ، فتروضهم المدرسة على ان يعرفوا دون بواعث حقة وعلى ان يتعلموا دون شوق ذاتي ، حتى تطفيء في نفوسهم في النهاية مشكلة الشوق الى المعرفة التي لا تكون بدونها معرفة . حتى اذا رزّنا ما افاده الطلاب بعد رحلة الدراسة الطويلة ، وما اجتمع عندهم من ادوات المعرفة ومن المعرفة نفسها ومن المهارات العلمية والفنية ، لم نعثر الا على قليل القليل، والتمسنا لانفسنا عذراً في ذلك باللجوء الى القول السائر : الثقافة هي القليل الذي يبقى من المعرفة بعد نسيان الكثير .

ويدلل أصحاب هذا المبدأ التربوي الجديد على اقوالهم هذه ، بدراسات قاموا بها على خريجي المدارس الثانوية وخريجي الجامعات بعد تخرجهم من المدرسة توا من اجل سبر حصيلتهم من المعرفة والمهارة والتقنية . وينتهون الى نتيجة مرة وهي أن هذه الحصيلة هزيلة ، وان القليل منها هو من نتاج ما تعلمه الطلاب من خارج المدرسة ، عن طريق المدرسة الموازية (وسائل الاعلام الجماعية والتجربة الشخصية وسوى ذلك) .

ومصدر الداء كله ان الطلاب لايتعلمون في المدرسة انطلاقاً من بواعث المعرفة الذاتية عندهم ، وان المدرسة لاتغني هذه البواعث بل تقتلها ، وان المعلمين لا يعلمون انطلاقاً من حاجات الطلاب وتساؤلاتهم ومشكلاتهم العلمية التي يطرحونها ، بل يعلمون تمشياً مع منهاج قسم على شاكلة معينة وامتحانات فرضت على نحو معين . الداء كله ان الطلاب والمعلمين على السواء ليسوا أحراراً في « تسيير » نشاطهم الثقافي . والبورقراطية التربوية هي التي تملي وتأمر ، وتخفض وترفع ، وتعطي وتمنع .

نظام بورقراطي لا معقب لاوامره وخططه يسوق المعلمين سوق الأغنام ، خلال شعاب ودروب تربوية يرسمها من عل ، لا من واقع حياة الطلاب وبواعث سلوكهم ، ولا من واقع حاجات المجتمع ومطالب الاعداد له . ومعلمون كثيراً ما يكونون « زبانية » ، حفظة للنظام التربوي رغما عنهم ، يسوقون الطلاب سوقاً ، ويحاولون اطعامهم على غير جوع ، ويصدرون عليهم أحكاما لا استئناف لها ولا تمييز .

المدرسة في النظام البورقراطي غاية في ذاتها

حتى اذا ماتساءل المرء عن غاية هذا كله ، كان الجواب عنده : المدرسة على نحو ماصيغت وقدّت غاية في ذاتها ، والنظام التربوي كما وُضع غايته النظام التربوي . وفي قلب ذلك تضيع امكانات تفتيح الافراد وتكوين شخصياتهم والاستجابة لمواهبهم ، وتضيع امكانات التجاوب مع مطالب سوق العمل الحقيقية . ولا يخلد في النهاية سوى المدرسة لأنها المدرسة ، وسوى النظام التربوي لانه النظام التربوي .

كيف نجعل قيادة التربيةفي ايدي الطلاب أنفسهم ؟

الحل اذن — في عرف هؤلاء المربين — ان ننطلق من « القواعد » كما يقال في السياسة ، اي من الطلاب والمعلمين أنفسهم ، وان نجعل مسيرة النظام التربوي في ايديهم ، كما تجعل بعض النظم « تسيير » المؤسساتالاقتصادية في ايدي المنتجين . الحل ان نجعل الطلاب والمعلمين معاً يقودون تجربتهم التعليمية في اطار جو اجتماعي طليق ، في اطار العمل ضمن زمرة اجتماعية حرة في اختيار نشاطاتها وتنظيم اعمالها وتقسيم اوقاتها وتحديد الصلات فيما بينها . الحل ان تكون المدرسة « مؤسسة » اجتماعية تتمتع بحرية التسيير الذاتي وان يكون الصف « مؤسسة » تنبع نشاطاتها التعليمية وخبراتها الثقافية مما تختاره لنفسها .

واذا كانت تجارب « التسيير الذاتي » في الاقتصاد تستهدف اولاً وقبل كل شيء زيادة الانتاج عن طريق الحرية التي تمنح للمنتجين في تنظيم عملهم ، فتجارب « التسيير الذاتي في التربية » تستهدف أيضاً زيادة النتاج الثقافي للطلاب والمعلمين عن طريق منحهمحرية تنظيم عملهم الثقافي بانفسهم . ونحن اولاً واخراً في عصر لابد ان يكون شعاره زيادة الانتاج في شتى مجالاته ، ولابد ان ان يكون ديدنه تنمية احتياطي القابليات لدى أمة من الأمم الى اقصى مدى ممكن من اجل استخدامها استخداماً امثل في سبيل بناء المجتمع.

التربية الذاتية هي التربية

ويضرب أصحاب هذه التجربة امثلة تشهد على سلامة نظرتهم ، يسقونها من ميدان التربية نفسها :

فالدراسات العلمية حول التعلم ، تبين ان خير ما يتعلمه الانسان وخير ما يبقى من عمله ، هو الذي يكتسبه نتيجة دوافع وبواعث داخلية ، هو ما يقوم به من تلقاء نفسه باحثا منقبا . والدراسات الذائعة حول العباقرة وكبار الرجال تبين أنهم في الغالب ممن عملوا في اتجاه دوافعهم الذاتية ومواهبهم الشخصية ولو كان ذلك على حساب عملهم المدرسي بل ضده . ودراسات علم

النفس الاجتماعي في السنوات الأخيرة تبين ان خير بيئة مثقفة للانسان هي البيئة «غير المتسلطة» بل « غير الموجهة » ، هي البيئة التي تفسح له مجال اكتساب الخبرة بسعيه الشخصي ، بل هي ـ في عرف بعض هذه الدراسات ـ البيئة « الرخوة » و « المفككة » التي لا يواجه فيها نمو الطفل والشاب سلطان" خارج عن رغباته وارادانه، والتي يستطيع ضمنها ان يتحمل مسؤولية تكوين نفسه بنفسه . التربية تشهد والتجارب تشهد وعلم النفس يشهد على صحة القول العربي القديم : من لم يعلّم نفسه لم يعلمه معلم .

التسيير الذاتي في التربية وديناميات الجماعة

ويذهب اصحاب مبدأ « التسيير الذاتي » في التربية هؤلاء الى ابعد من هذا في التدليل على صحة انظارهم ، فيربطون بين مبدئهم وبين ما شاع وذاع في السنوات الأخيرة لدى علماء النفس الاجتماعي ، ولا سيما اولئك الذين عنوا بما عرف باسم « ديناميات الجماعات Groups dynamics » لقد ساد اللجوء الى ديناميات الجماعات هذه في السنوات الاخيرة لأغراض عديدة ، بعضها من اجل العلاج النفساني وبعضها من اجل تكوين جماعات متماسكة ، وبعضها من اجل تكوين شخصية الفرد تكويناً عاطفياً واجتماعياً سليماً عن طريق تفاعله تفاعلاً حراً مع زمرة اجتماعية معينة . وظهرت كما تعلم تلك الأساليب التي تعنى بما عرف باسم « زمرة التكوين Training group » او « زمرة التشخيص Diagnosis group » ، وهي أساليب لا مجال الى الاسهاب فيها هنا ، قوامها تكوين الأفراد عن طريق دمجهم في حياة زمرة اجتماعية معينة وتدريبهم على الحوار الاجتماعي والتفاعل والتعاطف الاجتماعي وسواه من العلائق الاجتماعية التي لا تكمل شخصية الفرد بدونها ولا يتم تكوينه تكويناً سليماً الا حين ينغمر في جوها ومناخها . ومنطق ذلك ان البيئة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والحياة الاجتماعية هي اولاً واخيراً سبيل تكوين الشخصية السليمة والطبع المتزن والثقافة المنتجة والمواقف والاتجاهات الصحيحة .

هذه الوسائل المعتمدة على ديناميات الجماعة التي شاع استخدامها في السنوات الأخيرة ، ينطلق منها اصحاب نظرية « التسيير الذاتي » بعد تصحيحها ونقدها ، محاولين نقلها الى ميدان المدرسة . فبدلاً من تكوين الأفراد عن طريق « زمر التكوين » الصنعية ، يرى هؤلاء أن من الممكن تكوينهم عن طريق زمرة تكوين طبيعية ، هي الصف أو المدرسة . وهكذا يغدو الصف زمرة او « مؤسسة » اجتماعية يتفاعل افرادها فيما بينهم تفاعلاً اجتماعياً حراً ، وينظمون عملهم فيها بانفسهم ، ويزول دور المعلم التقليدي ، دور الموجه الوحيد لنشاط الصف ، ويصبح دوره مساعدة الطلاب وارشادهم حين يطلبون ذلك .

وبذلك يطرح الطلاب التساؤلات التي تثور في اذهانهم حرة طليقة ، وينطلقون من بواعثهم العقيقية ودوافعهم المعرفية الطبيعية ، وينمونها شيئاً بعد شيء ، وينمون معها حظهم من المعرفة والخبرة والمهارة .

علينا بروح التجربة الجديدة لابحرفيتها

هذه لمحة خاطفة عن هذه التجربة الجديدة الداعية الى اصلاح النظام التربوي عن طريق قلبه من نظام بورقراطي خانق تقييم ، الى نظام يعتمد « التسيير الذاتي » منهجاً واسلوباً ، لما فيه من طاقة وتوالد مصدرها انطلاقه من النشاط الذاتي والعمل الذاتي في اطار جماعة من الافراد يكونون الصف . ولقد كان عسيراً علينا في هذه المجالة ان نتحدث عن شتى جوانب هذه التجربة ومبرراتها ، تمثل هذا الأمر يستنفد الصفحات الطوال ومن العسير علينا كذلك في هذا المجال ان ننقد هذه التجربة مبينين مزاياها ونقائصها . ولعل لنا الى ذلك عوداً . وجل ما اردناه ان نطلق من خلال عرض بعض افكار اصحاب هذه التجربة روحاً جديدة ، لعلها تكون منطلقاً لاعادة النظر في نظمنا التربوية القائمة في البلاد العربية . ولا تعنينا حرفية هذه التجربة ، او حرفية اى تجربة ، قدر ما تعنينا روحها وما وراءها من كشوف تربوية جديدة . والكشف الهام الجديد وراء هذه التجربة هو ما ينبغي أن تجنح اليه كل تربية خصيب معطاءة من تحرير للنظام التربوى من الأطر الجامدة والاقنية المبيتة والمناهج المحددة ، وما ينبغي ان تفسحه

من روح المبادأة والابتكار لدى المعلمين والطلاب على حد سواء .

التسيير الذاتي في المدرسة لايعني رفض الاطار العام للتربية

ولا يعني هذا الا يكون هنالك نظام مدرسي شامل ، والا تكون هنالك مناهج وخطط وتوجيهات ، بل يعني أن يقتصر هذا كله على اطر عامة وخطوط عريضة وأهداف اساسية ، وان تترك للمدرسة بعد ذلك وللمعلم وللطلاب حرية اختيار طريقهم الخاص للوصول الى تلك الأطر العامة والأهداف الاساسية . وأهم ما في هذا الاتجاه انه يخرج النظام المدرسي من روح « الطفحة » القائلة ومن فرض الثقافة من علٍ ، ويحيل المدرسة والصف الى خلية اجتماعية ديمقراطية ، لها حق الاختيار وحرية التصرف . اهم ما فيها اولاً واخرا انها تحقق الشرط الأول للتربية ، الشرط الذي لا تكون بدونه تربية ، وهو أن يتعلم المرء بقواه الذاتية وقدراته وبواعثه. فهو بذلك يصبح قادرا على التعلم دوما الى الأبد ، يصبح انسانا « قابلاً لأن يتعلم لا انساناً متعلما » على حد قول روسو . فليس هنالك قط ، لا سيما في عصرنا ، علم" مرة والى الأبد ، والعلم يعني في النهاية امتلاك القدرة على التعلم دوما وابدا ، والتوق الى المزيد من المعرفة والخبرة والمهارة . مثل هذا التطلع الى مزيد من المعرفة والخبرة تطفئه التربية التقليدية حين تزعم انها قادرة على صب المعرفة في اذهان الناشئة كما يصب الماء في صنبور . انها حين تهمل الانطلاق من بواعث المعرفة عندهم ، تقتل المعرفة لأنها تقتل بواعثها ومحركاتها .

الانطلاق من بواعث الطلاب سبيل التسيير الذاتي

والانطلاق من بواعث المعرفة لدى الطلاب لايتم حتى عن طريق مبادىء التربية التي دعيت حيناً بالتربية الحديثة (تربية « كلاباريد » و « فريير » بل وحتى « ديوي ») ، فهذه التربية ـ على شأنها ـ مبدؤها أن تنطلق من بواعث واهتمامات تعتقد انها قائمة ، او تحاول أن تثيرها هي اثارة مصطنعة غالبا ، غير انها لا تنطلق من البواعث والدوافع والاهتمامات التي تنشأ من خلال تعهد الطلاب أنفسهم وتفكيرهم الذاتي في شؤونهم وتوليدهم المتكاثر النامي لحاجات جديدة ومطالب جديدة .

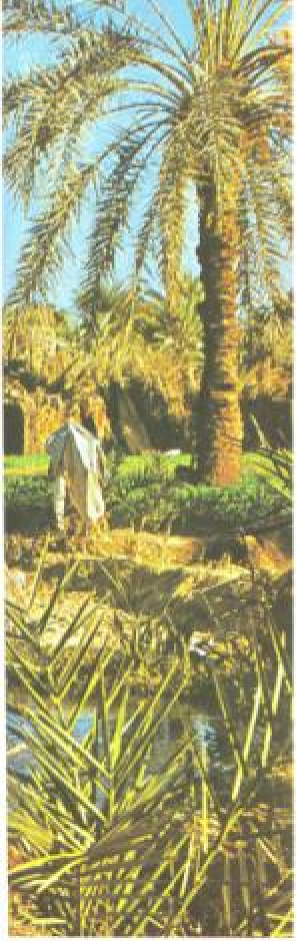
ان العمل الجماعي الذاتي الذي تبشر به التجربة التي تحدثنا عنها والقائلة بالتسيير الذاتي في التربية ، هو موطن الابداع فيها ، وهو القوة القادرة على ان تطلق فعلاً طاقات الطلاب وابداعهم وتوقد عندهم توليدا متصاعدا بواعث واهتمامات متجددة نامية . انها تؤمن بالعمل الذاتي في اطار جماعة متعاونة متفاعلة متحاورة ، انطلاقا من التجارب الكثيرة التي اثبتت في اكثر من مجال ان العمل الذي توجهه جماعة معينة بملء حريتها وارادتها هو العمل الخصيب المنتج . يصدق هذا في مجال التربية كما يصدق في مجال الاقتصاد او في مجال السياسة .

نحو « اللاتوجيه » في التربية

افيحق لنا في خاتمة المطاف أن نخالف المألوف فننادي باللاتوجيه في المدرسة بدلاً من التوجيه ، بالمدرسة غير الموجهة بدلا من المدرسة الموجهة ؟ ، الجواب بالايجاب اذا عنينا ان التوجيه الحق ثاوٍ في النهاية في « اللاتوجيه » واذا اردنا الوصول الى الغاية الاصيلة لأي توجيه تربوي ، نعني تحريك قوى الابداع والتساؤل وتحريض القدرة الذاتية على الاكتساب والعطاء والمعرفة . ولا شك اننا ننتظر الكثير ونتوقع ما يفجأ ويبهر ، ان نحن افسحنا المجال عميقاً لحياة الطلاب الذاتية ونشاطهم الذاتي ، واطلقنا ذلك المارد الكبير ، مارد الطاقة الانسانية التي نحبسها عادة في قماقم معدة سلفا ونضعها في علب محفوظة ونحول بينها وبين ان تكون ماهي ، اي ان تعطي كامل ما تستطيع منحه .

ومرة أخرى ، لايعني هذا ان نترك المدارس بلا قيادة وأن ندعها تنمو على اي شكل ، بل يعني ان نفسح المجال في قلب النظام التربوي وفي اطار اهدافه الأساسية لمثل هذه المبادرات الجماعية الذاتية . ومن يدري لعلنا بعد ذلك نجد السبيل الى نظام تربوي جديد كله ، ونشق الطريق نحو ثورة تربوية جديدة بمستقبل أبناء القرن الحادي والعشرين . ■■

عبد الله عبد الدائم



اعرف وطنك أيها العربي

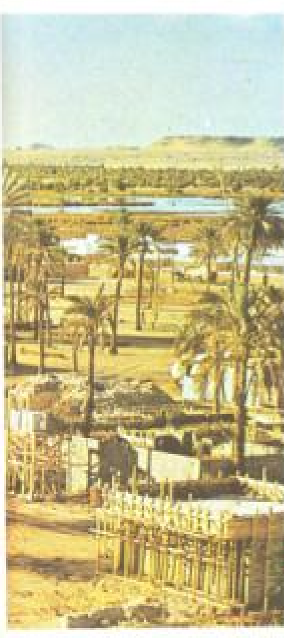
واحة الكُفْرَة

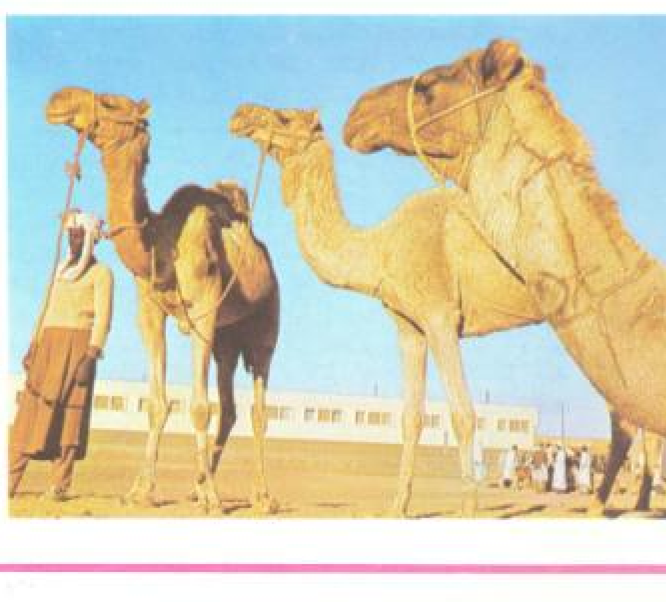
- مشروع لتحويل نصف مليون فدان من الصحراء الليبية الى ارض خضراء .
- المشروع يتكلف ١٣١ مليون دينار ويحقق دخلاً قدره ١٦٢ مليون خلال ٤٠ عاماً .

استطلاع بقلم :
محمد طنطاوى

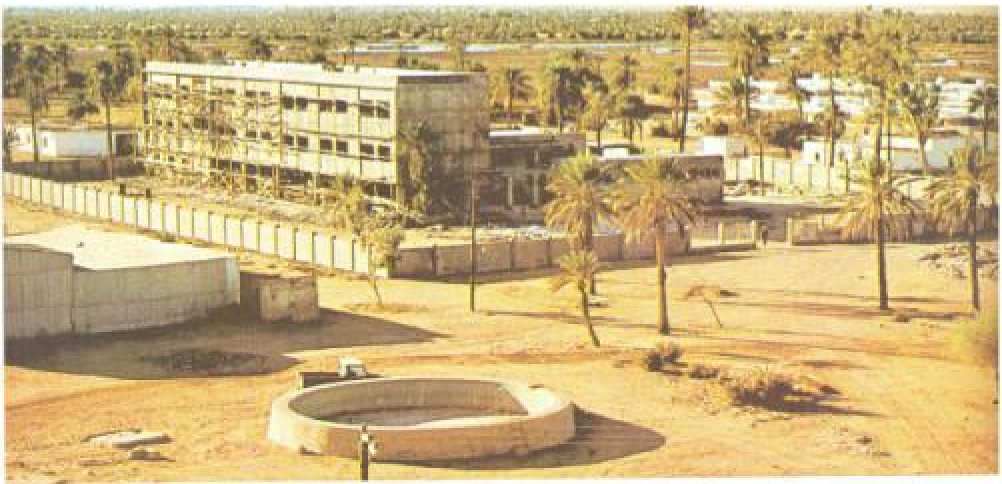
تصوير :
عبد الناصر شقرة

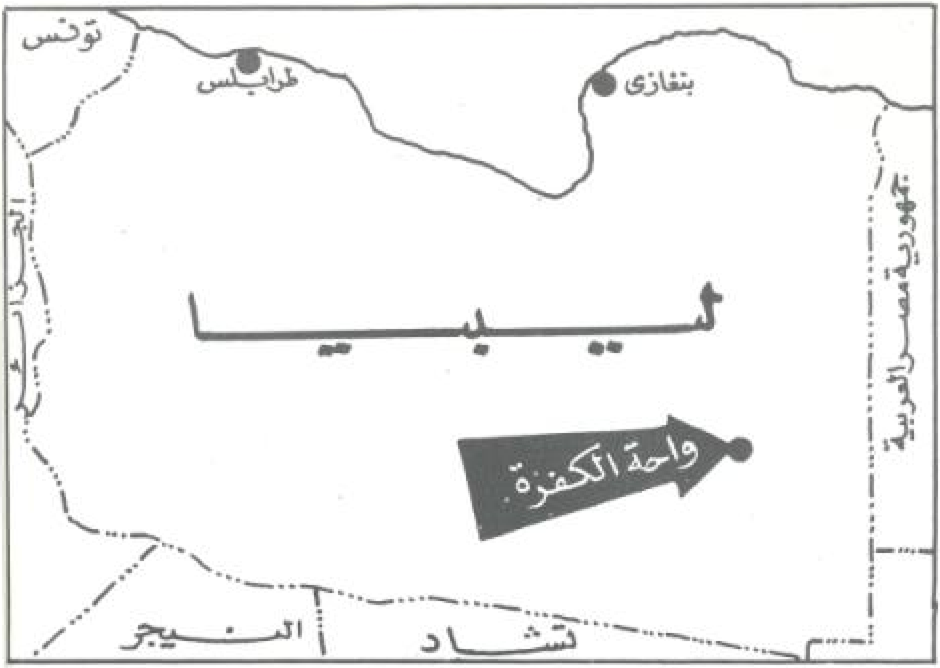
٣ ــ صور من واحة الكفرة .. **الاولى الى اعلى اليسار** بئر للمياه في مزرعة من مزارع الاهالي في واحدة من قرى الواحة ، **والى اسفل** بعض جمال القوافل بعد وصولها الى الواحة ، **والى اسفل اليسار** بعض المنشآت الحديثة التي تقوم الحكومة الليبية بانشائها في البلدة ومن بينها مدرسة ومستشفى .











خريطة تبين موقع واحة الكفرة بالنسبة لمدن بنغازي وطرابلس الغرب.

■ اغلب البلاد العربية بها صحاري واسعة . والصحراء بطبيعة الحال ارض قاحلة ليس فيها ماء ولا زرع .. ولكن هل من الممكن ان تتحول الصحراء الجدباء الى ارض خصبة معطاء ؟!

والجواب على هذا السؤال قد يكون بالايجاب اذا تم اكتشاف مصادر للمياه في باطن هذه الاراضي . وتحت رمالها الصفراء الناعمة . والماء هو عصب الحياة .. وهو الشريان الذي يحول الارض الميتة الى ارض خصبة تنبض بالحياة .. وقد دلت التجارب العديدة التي تمت في بعض البلدان العربية . وغيرها من بلاد العالم . ان بالامكان تحويل الصحراء الى جنان خضر طالما توفرت لها المياه الحلوة .

ولم تشذ ليبيا عن القاعدة ، ولم تتخلف عن الدخول الى هذا الميدان ، ميدان تعمير الصحارى . خاصة ان اغلب اراضي ليبيا صحراء .. فمساحة الجمهورية العربية الليبية تبلغ ٦٧٩٫٣٥٨ ميلا مربعا من بينها اكثر من ٨٠٪ صحاري .

وفي ليبيا الآن مشروعات عديدة لتحويل رمال الصحراء الى ارض خضراء ، ولعل من اهم هذه المشروعات ، لا من حيث الضخامة ، ولكن من حيث الجهد والطرق الحديثة المتبعة في استصلاح الاراضي الصحراوية ، هو مشروع تحويل نصف مليون فدان من اراضي واحة الكفرة الى ارض زراعية .

البحث عن البترول يؤدى الى اكتشاف المياه

وتبدا قصة مشروع استصلاح اراضي الكفرة في اوائل الستينات من هذا القرن .. اثناء عمليات البحث عن البترول التي كانت تقوم بها شركة اوكسيدنتال في هذه المنطقة ، تم العثور على مياه جوفية



منظر عام للمباني الجديدة في واحة الكفرة .. ويظهر في مقدمة الصورة مبنى المطافىء ومبنى الجمارك وتختص الجمارك بتفتيش القوافل القادمة الى الكفرة من تشاد او الواحات في جمهورية مصر

بكميات صالحة للاستغلال . وبالدراسات التي قامت بها الشركة ثبت ان كميات هذه المياه تكفى لاستصلاح العديد من الاراضى الصحراوية في المنطقة. وتم تقدير كميات المياه بانها تكفي لري نصف مليون فدان لمدة ٢٠٠ عام على الاقل . هذا اذا كان مصدر هذه المياه المخزونة في باطن الارض غير متجدد . اما اذا كان مصدرها من الامطار فان معنى هذا ان المخزون من المياه سيكفى اكثر من التقدير المذكور .

بداية المشروع

ومضى اكثر من عامين على اكتشاف بحيرة المياه الجوفية في المنطقة قبل ان تقوم شركة اوكسيدنتال ، طبقا للاتفاقيات البترولية المعقودة بينها وبين الحكومة الليبية في ذلك الوقت ، والتي تنص على ان تقوم الشركة بانفاق نسبة معينة من ارباحها في مشروعات انتاجية داخل ليبيا ، بتنفيذ هذا النص لعمل نواة لمشروع استصلاح بعض الاراضى في هذه الواحة ..

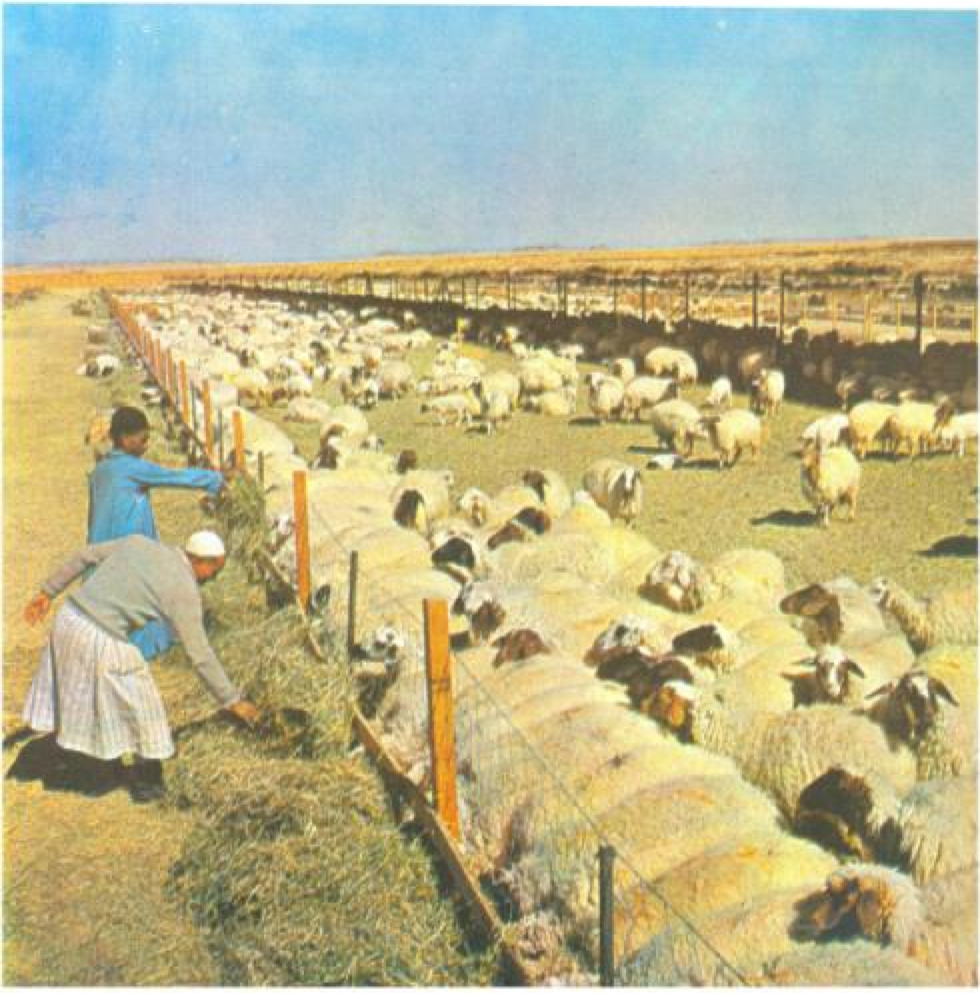
وبدأ العمل اولا في حفر الابار .. ثم تحليل التربة لمعرفة كيمياء الارض هناك ، والزراعات التي تجود محاصيلها في مثل هذه التربة . وتم فعلا البدء في زراعة الارض بالبرسيم كخطوة اولى، ولم يزد المزروع في بداية الامر عن الف فدان ، وتم وضع مشروع يجعل من هذه الارض المستصلحة مزرعة نموذجية ، تتم فيها الزراعة بالالات الميكانيكية .

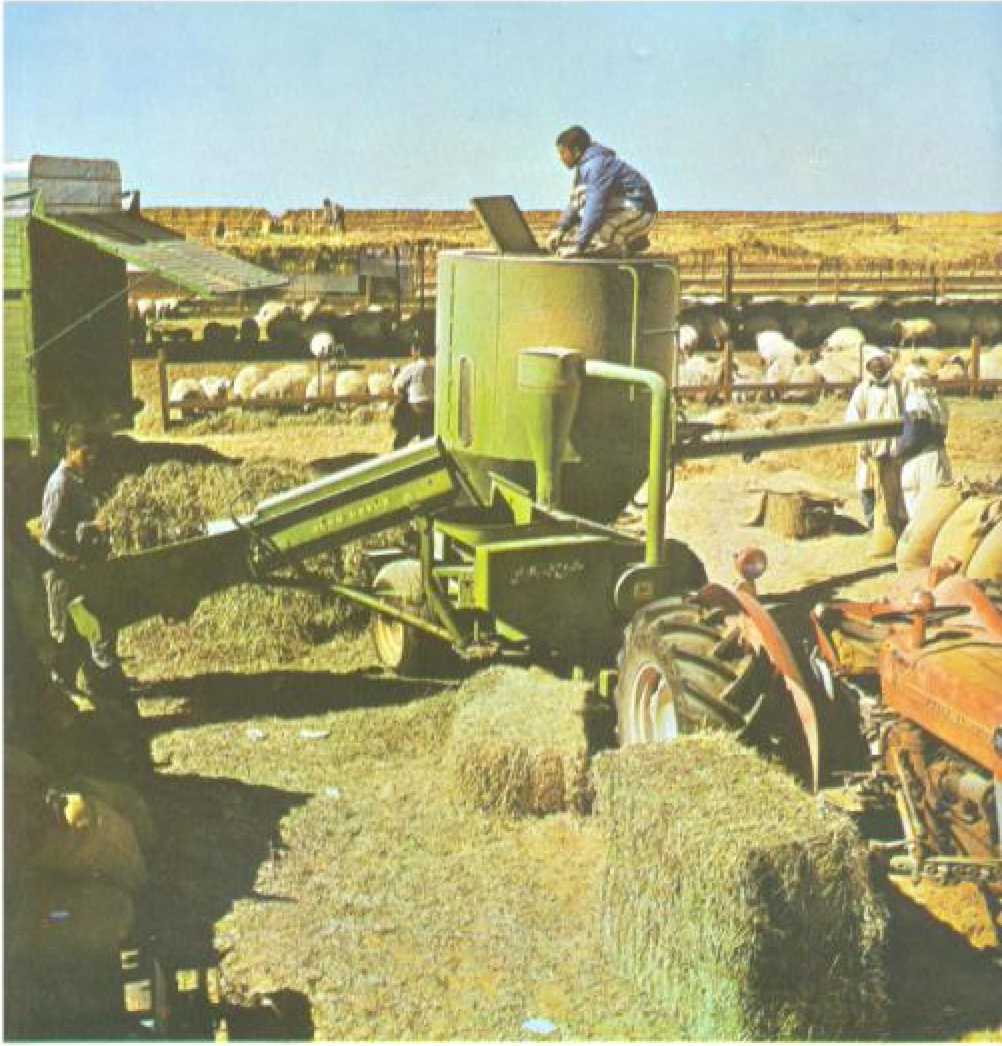
شركة رأسمالها ٧ ملايين دينار

وظل العمل يسير في مشروع استصلاح اراضي واحة الكفرة .

وتم استصلاح حوالي الفى فدان ، وانشاء حظائر لتربية الاغنام ، وحفر حوالي ٥٠ بئرا . وبدات الالات الزراعية الحديثة تعمل في استصلاح الصحراء .. كما تم التعاقد ايضا على احدث وسائل الرى بواسطة الرش تستطيع ان تقوم برى ١٥٠ فدانا في اليوم ، دون الحاجة الى اكثر من عامل واحد . وفي بداية عام ١٩٧١ ، وذلك بعد ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ بأقل من عام







الثروة الحيوانية تلاقي اهتماما كبيرا من المشرفين على مشروع استصلاح الاراضي بالكفرة . وقد تمت اقامة حظائر نموذجية لتربية الاغنام ، ونجحت هذه التجربة ، واصبح في الحظائر الان ١٥ الف راس غنم . ويتم توفير العلف الخاص بهذه الاغنام بواسطة مصنع صغير لضغط البرسيم الناتج من الاراضي المستصلحة . وقد ثبت ان هذا العلف بالذات يحتوى على عناصر غذائية كبيرة تؤدى الى زيادة وزن الخراف وتسمينها ، وفي الصورة **الى اعلى اليمين** نموذج لاحد خراف المزرعة ويزن اكثر من ١٠٠ كيلو جرام . **والى اليمين** منظر عام لحظائر الاغنام بينما يقوم بعض عمال الحظائر بتوزيع العلف على الاغنام . **والى أعلى** صورة تمثل مصنع العلف اثناء عملية ضغط البرسيم . ان هذا المصنع يقوم بانتاج ١٢ الف بالة برسيم شهريا . ويتوقع المسئولون عن المشروع ان يتضاعف عدد الاغنام الى نصف مليون راس خلال السنوات العشر القادمة .

ونصف ، صدر قانون بتحويل مشروع استصلاح اراضي واحة الكفرة الى شركة براسمال قدره ٧ ملايين دينار تقسم الى ١٤٠ الف سهم تملكها كلها الحكومة الليبية .

ونص القانون على ان لاتسرى بالنسبة لاموال الشركة وموظفيها ونظام العمل بها القواعد والاجراءات المعمول بها في الحكومة . ولمجلس ادارة الشركة ان يضع ما يراه لازما ومناسبا من هذه القواعد .

وتعفى الشركة في السنوات العشر الأولى من جميع الضرائب والرسوم .

في الطريق الى الكفرة

هذه المعلومات كلها عن مشروع الكفرة كانت مدار الحديث بين بعثة العربي والمهندس الزراعي الليبي محمد كارة مدير المشروع .

وما ان انتهى المهندس الشاب من حديثه حتى فاجانا قائلا : « ما رايكم في زيارة المشروع ؟ وذلك لكي تروا بانفسكم ما تم حتى الآن من العمل ، ثم احدثكم بعد ذلك عن المستقبل وعن الخطة القادمة والتي ستنفذ على مراحل قد تصل الى ٤٠ عاما .. » .

وتحمسنا للفكرة ، بالرغم من ان الكفرة تبعد عن طرابلس باكثر من خمس ساعات طيران !! والطائرة التي ستقلنا ستقلع في الفجر لتعود بنا في مساء نفس اليوم الى طرابلس الغرب !!

صحراء .. وآمال

في فجر اليوم التالي التقينا جميعا في مطار طرابلس الدولي ، مجموعة من العاملين في مشروع الكفرة ، كانوا يقضون اجازاتهم الشهرية في طرابلس في طريق عودتهم الى الواحة .. وكذلك مدير المشروع ، جاء ليزور موقع العمل ويشاهد بنفسه ما تم من الخطة الموضوعة .

ومع خيوط الضوء الاولى حلقت الطائرة الصغيرة ذات المحركين في السماء .. واستمرت الرحلة ٥ ساعات ونصف الساعة تقريبا ، امضيناها في حديث عن الصحراء وحاجة البلاد العربية كلها الى استزراعها

الطرق في واحة الكفرة .. هي عبارة عن دروب وسط الرمال .. ولاتسير فيها سوى سيارات الجيب .. وتحيط بالواحة اعداد كبيرة من اشجار النخيل .





بعض الالات الحديثة المستعملة في الزراعة في مشروع اصلاح اراضي واحة الكفرة ان المزرعة كلها تزرع بطريقة الميكنة الكاملة .

.. وخاصة ان الشعوب العربية تستورد الكثير من المحاصيل الزراعية ومنها القمح والذرة لتغطية استهلاكها . وكان الحديث عن الصحراء والامل في تحويلها الى جنان خضراء ، يدور مع فريق من الخبراء الزراعيين . البعض اتى من مصر ، ومن مديرية التحرير بالذات ، والبعض الاخر اتى من فلسطين ليجلب معه خبرته في زراعة اشجار الموالح .. ولم نشعر بالساعات الخمس التى مرت .. واعلن قائد الطائرة اننا قد وصلنا الى واحة الكفرة .. وهبطت الطائرة في مطار رملي صغير . ونزلنا من الطائرة بسرعة .. فامامنا بالضبط ٦ ساعات نقوم فيها بجولة في انحاء المشروع ، ثم نعود مرة اخرى الى الطائرة التى ستقلنا في رحلة العودة الى طرابلس .

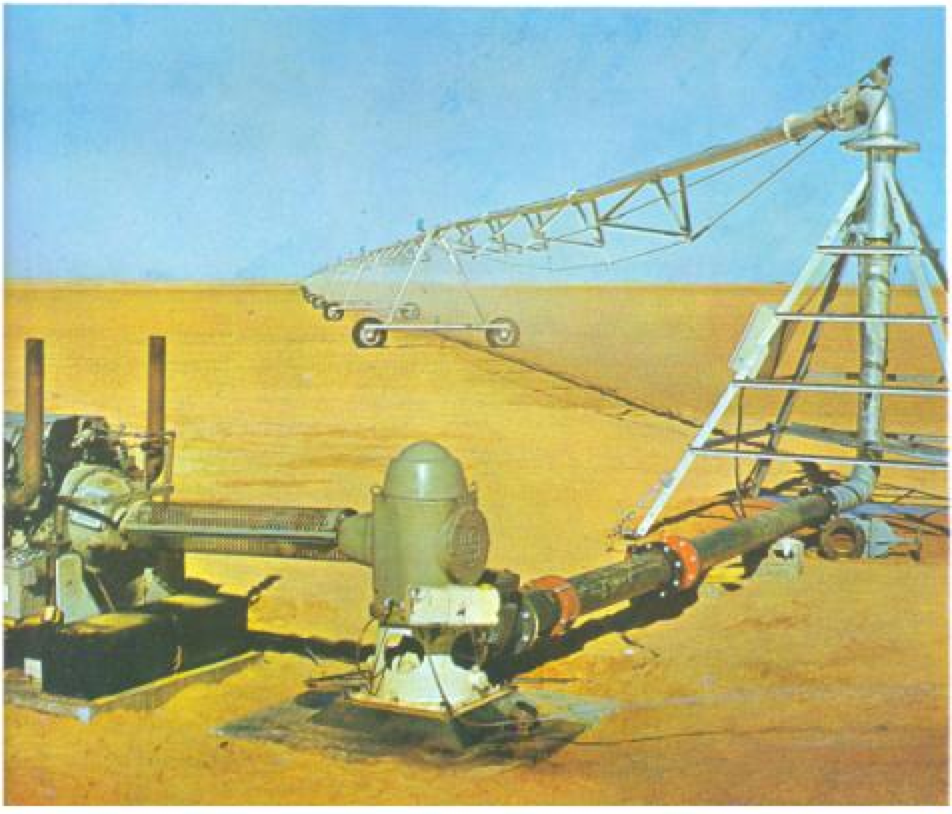
الرى بالرش

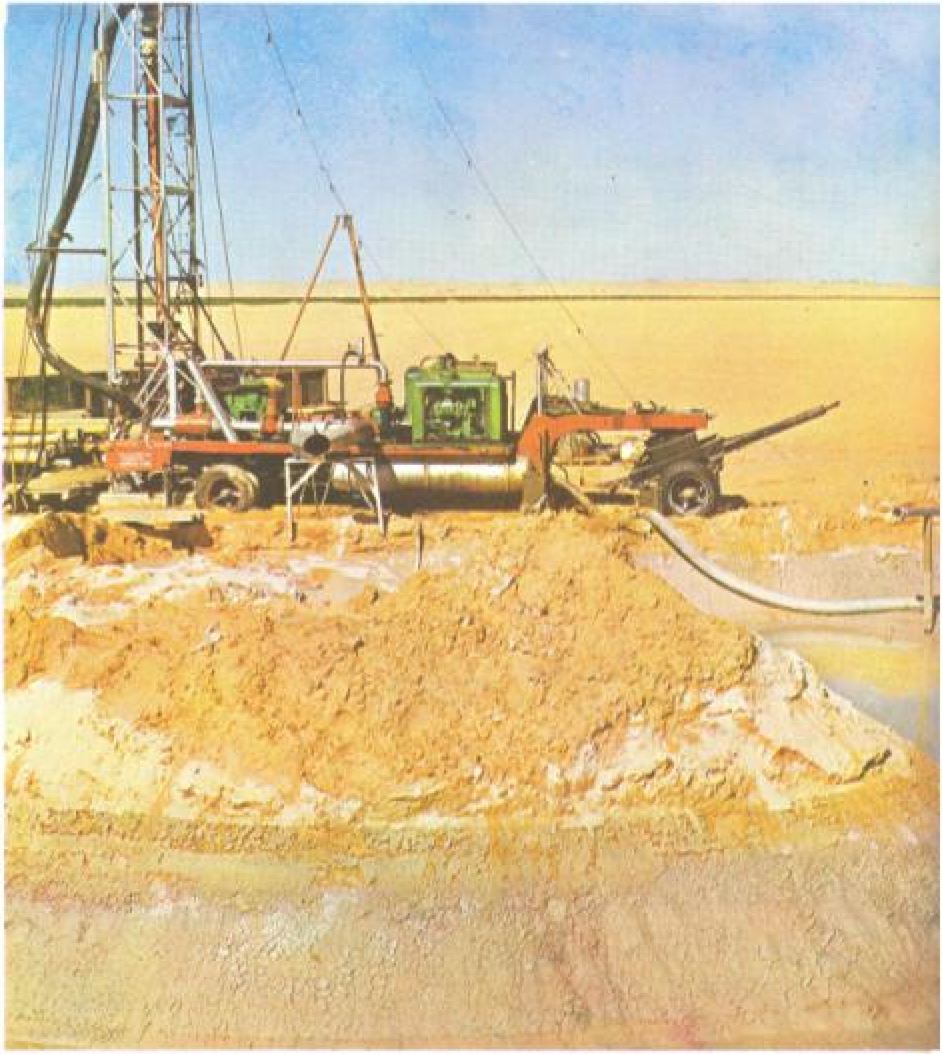
كانت الساعة الحادية عشرة صباحا عندما بدانا جولتنا في المزرعة الحديثة التى كانت قبل سنوات قليلة ارضا جدباء . ورافقنا في جولتنا الزراعي عبد القادر سالم الدرناوى مسئول المزرعة . كل شيء هنا تتم عمله بالالات الميكانيكية . الرى يتم بطريقة الرش ، وهي طريقة ثبتت جدواها وخاصة في الاراضي الصحراوية المستصلحة . وفي المزرعة شاهدنا طريقة جديدة للرش تتم بواسطة انابيب تركب على عجلات ويتم تسييرها بواسطة موتور صغير تضبط سرعته طبقا للمحصول المطلوب ريه وكمية المياه اللازمة له ، وهذه الطريقة توفر الوقت والعمل ،فليس هناك حاجة الى فك الانابيب وتوصيلها مرة اخرى ، كل المطلوب هو نقل هذا الجهاز من قطعة ارض الى قطعة اخرى . ويستطيع هذا الجهاز ان يروى ١٥٠ فدانا في ٢٤ ساعة .

الالات كلها من انتاج شركة واحدة

ولاحظنا اثناء مرورنا ان كل الالات الزراعية التي تعمل في المشروع تحمل علامة تجارية واحدة ، مما







الماء هو الاساس في بعث الحياة الى الاراضي الصحراوية الجدباء ، وقد اقيم مشروع استصلاح اراضي الكفرة على أساس توفر المياه الجوفية في باطن الارض ، ولاستغلال المياه احسن استغلال تم استيراد احدث آلات للري بطريق الرش وهي آلات اوتوماتيكية ذات مواسير مركبة على عجلات وتسير على شكل دائرة مركزها مضخة المياه الموصلة للبئر . وتسير هذه المواسير ، التي ترش الماء بانتظام وبكميات محددة ، بسرعة يتم ضبطها اوتوماتيكيا وتتم عملية ري ١٥٠ فدانا في ٢٤ ساعة .. وتمثل الصورتان **الى اليمين** واحدة من آلات الري بالرش اثناء عملية ري قطعة من الاراضي المستصلحة . **والى اعلى** عملية حفر بئر مياه جديدة وقد تم حتى الان حفر ٥٠ بئرا . ويجرى العمل في حفر ٥٠ بئرا اخرى جديدة .

يدل على انها من انتاج شركة واحده ، وعندما سألنا مرافقنا عن هذه الظاهرة انطلق يقول ، وكأنه كان في انتظار هذا السؤال منا : « في الحقيقه ، لقد استفدنا هنا من تجارب جرت في بلاد عربية كثيرة في مجال ميكنة الزراعة . وكان اهم درس استفدناه ، هو ان توحد الالات التي نستعملها وان نستورد لها قطع الغيار اللازمة ، ونقيم ورشة متخصصة لاصلاحها . وبذلك نوفر اموالنا ووقتنا . وفي نفس الوقت تكفينا ورشة واحدة لصيانة كل الالات بعكس ما اذا كانت هذه الالات من شركات مختلفة » .

شعير وبرسيم وموالح وزيتون

وانطلقت بنا السيارة الجيب من قطعة ارض الى اخرى . هذه الفدادين المائة مزروعة برسيما ، وتلك مزروعة شعيرا ، وهنا مشتل للموالح والزيتون ، فالخطة تتضمن زراعة حدائق من الزيتون والموالح بعد ان اثبت الخبراء صلاحية الارض والجو لنمو هذه الاشجار . وهذه الارض التي تعمل الجرارات على تسويتها ستتحول في العام القادم الى ارض خضراء . وهذه الحفارات التي تقوم بالحفر ، لاتقوم بالحفر بحثا عن البترول ولكنها تقوم بحفر ابار جديده للمياه .. لقد تم حتى الان حفر حوالي ١٠٠ بئر منها ٥٠ تستغل فعلا في ري الاراضي المزروعه .

وقد بلغت مساحة الاراضي المزرعة ، حتى نهاية عام ١٩٧٢ ما يقرب من « ٢٥ » الف فدان وينتظر ان تصل المساحة المزروعة في نهاية الخمس سنوات القادمة الى ١٥٠ الف فدان .

مشروع تربية الاغنام

وقد اقامت شركة استصلاح اراضي واحة الكفرة مشروعا كبيرا لتربية الاغنام . انشأت حظائر نموذجية وفي هذه الحظائر يوجد اكثر من ١٥ الف رأس من الاغنام . وينتظر ان يصل عدد رؤوس الاغنام في هذه المزرعة الى ١/٢ مليون خلال السنوات العشر القادمة . وملحق بحظائر الاغنام مصنع صغير لصنع العلف من البرسيم الناتج عن الاراضي المستصلحة . ويقوم هذا المصنع الصغير بانتاج ١٢ الف بالة من البرسيم المضغوط شهريا ويبلغ وزن البالة الواحده حوالى ٦٠ كيلو جراما .

ويقول المشرف على مشروع تربية الاغنام في الكفرة ان الخطة الموضوعة لهذا المشروع قد قامت اساسا على دراسة احتياجات البلاد للاغنام واستهلاكها المتزايد للحومها . والغريب ان ليبيا كانت في الماضي تقوم بتصدير الاغنام للبلاد المجاورة ولكنها حاليا اصبحت تستورد الاغنام لسد حاجتها .

ومن المتوقع ان يقوم التوسع في مشروع تربية الاغنام في الكفرة بسد جزء كبير من حاجة البلاد للاغنام . وهناك عدد من الاطباء البيطريين يقومون بالاشراف على الاغنام وتطعيمها ضد الامراض التى قد تصيبها .

مشاتل للموالح والزيتون والفواكه

في نهاية الجولة السريعة ، قمنا بزيارة المشاتل التى تعتبر نواة تشجير الاراضي المستصلحة . انها تضم الوف الشتلات من الموالح المختلفة والزيتون . وستكون هذه المشاتل هي المصدر الرئيسي في زراعة الارض الجديدة بالموالح والزيتون .

كيف يعيش العاملون في المشروع ؟!

بعد ان قمنا بالمرور على المشروعات الزراعية ،

اثنان من اقليم تيبستي .. ان الكثيرين من سكان واحة الكفرة قد اتوا الى الواحة من منطقة جبال تيبستي .



وعلى الآبار التي يتم حفرها ، لمواجهة الزيادة في الارض المستصلحة . توجهنا الى مقر المركز الرئيسي لمهندسي وعمال المشروع . وكم كانت دهشتنا شديدة .. ان هذا المقر اشبه بمعسكر سياحي يضم مقطورات نظمت على هيئة مربع واقيمت في وسطها حديقة خضراء يانعة .. وضعت في وسطها سارية تحمل العلم الليبي .

واجنحة المربع تضم المكاتب من ناحية والى جوارها الحمامات والمطعم ومطابخه ثم أجنحة النوم .. وكل هذه المقطورات مكيفة الهواء .

وعندما تساءلنا عن الحكمة في عدم انشاء مبان ثابتة بالرغم من مضى اكثر من ٥ سنوات على بداية المشروع..تطوع المهندس محمد كارة مدير المشروع بالاجابة « اننا لا نريد ان نزيد تكاليف استصلاح الارض ، بتحميلها نفقات اقامة مبان ثابتة .. اما في المستقبل وعندما نبدأ في الحصول على مكاسب مالية من انتاج الارض المستصلحة فاننا قد نفكر في انشاء مبان ثابتة لاقامة العاملين في المشروع . ان هذه المقطورات التي ترونها فيها كل وسائل الراحة ، وهي مكيفة الهواء ، ومكتملة لكل ما يلزم الحياة في هذه الصحراء .. »

اجازات شهرية

والعاملون في المشروع من المهندسين والعمال يتم منحهم اجازات شهرية دورية ، ويكون لهم الحق في قضاء اجازاتهم في طرابلس او في بنغازي . ووسيلة الاتصال الوحيدة بينهم وبين عاصمتي ليبيا هي الطائرة التي تاتي اسبوعيا على الاقل مرة واحدة تحمل الطعام والمؤن والادوات والعاملين الذين انهوا اجازاتهم . وتعود الى العاصمة بعدد من الموظفين الذين سيقضون اجازاتهم . وعلى الرغم من ان هذه الاجازات حق لكل موظف ، فقد رأينا عددا من الموظفين لم يطلبوا الاستفادة من هذا الحق ، ولم يغادروا موقع عملهم في الصحراء منذ اكثر من ٦ شهور قضوها في عمل متواصل .

١٣١ مليون دينار يتم انفاقها في ٤٠ عاما

وفي حديث مع المهندس « كارة » مدير الشركة



الابار التي تعمل بواسطة المراوح الهوائية تنتشر في المزارع الصغيرة في واحة الكفرة .. وهي تكفي لزراعة مساحات بسيطة من الارض . وقد بدأ الاهالي الان في استعمال ماكينات الري الحديثة وذلك للتوسع في زراعة الارض .

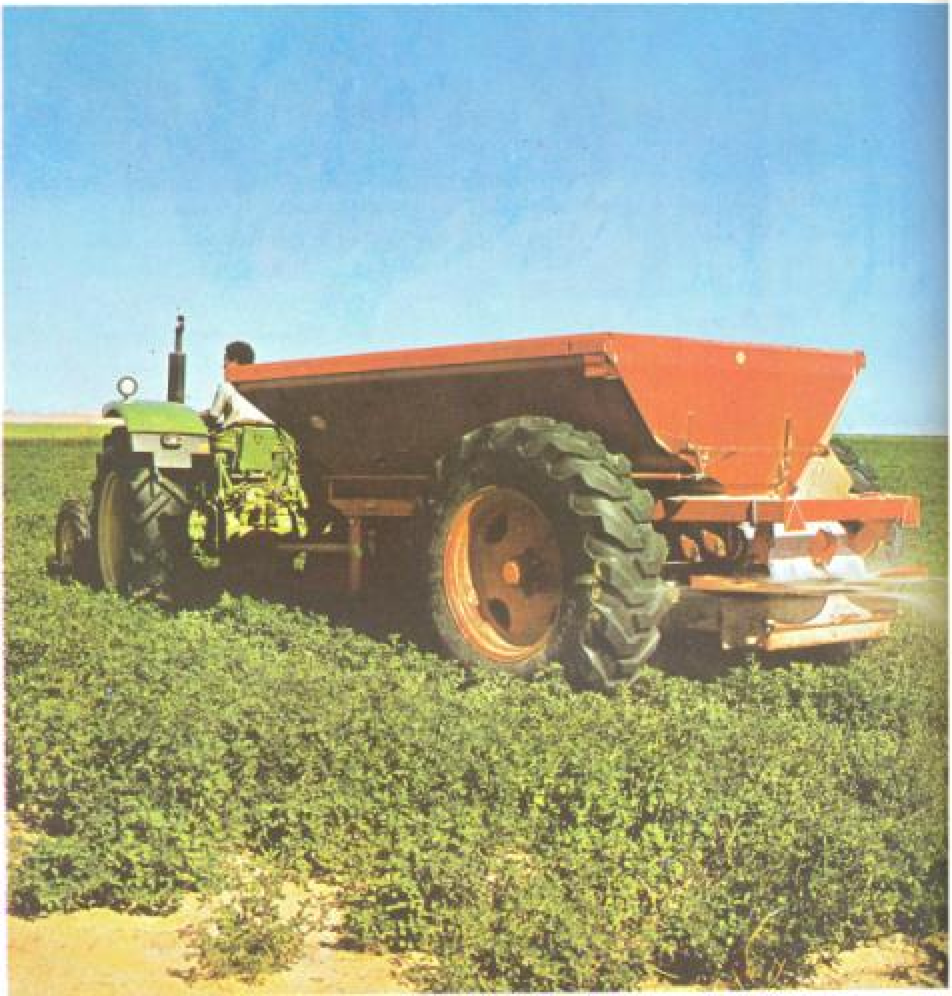
• • •

عن اقتصاديات المشروع وجدنا أن الدراسات الاقتصادية التي قامت بها احدى الشركات العالمية المتخصصة في هذا المجال تقول : « ان هذا المشروع سيتكلف على مدى ٤٠ عاما ١٣١ر١٦٠ر٠٠٠ دينار اما عائداته فستبلغ ١٦٢ر٤٩٠ر٠٠٠ دينار في نفس الفترة . اى ان اقتصاديات المشروع ناجحة تماما . وتحقق ربحا في هذه الفترة الزمنية قدره ٣١ر٣٣٠ر٠٠٠ دينار . وهذا » بلغة الارقام ، يعني ربحا سنويا يقدر باكثر من ثلاثة ارباع المليون دينار سنويا .

تتم زراعة الاراضي المستصلحة في الكفرة بواسطة الماكينات الآلية فهي تعتمد على الميكنة الزراعية وذلك طبقا لاحدث الدراسات التي قامت بها هيئات زراعية عالمية . والصور الثلاث تمثل بعض هذه الآلات الحديثة والملاحظ ان كلها من انتاج شركة واحدة ، وذلك لتسهيل عمليات الصيانة والتشغيل . والصورة الى اليسار تمثل واحدة من الآلات التى تقوم بجمع المحصول وربطه في الحقل . والى اسفل آلة حصاد والى اسفل اليسار آلة تقوم بتسميد الارض اوتوماتيكيا ، وكذلك يمكن استعمالها في عمليات رش المبيدات الكيماوية .




DEERE
218





السوق الرئيسي في واحة الكفرة وهو المكان الذي يتجمع فيه سكان القرى المتفرقة في الواحة للبيع والشراء .

زيارة خاطفة للواحة

ما ان انتهينا من زيارة مرافق مشروع استصلاح اراضى الكفرة حتى رأينا ان نقوم بزيارة سريعة « للكفرة » نفسها .. او الواحة كما يطلق عليها العاملون في المشروع . والكفرة تبعد عن مقر المشروع بحوالي ١٢ كيلو مترا . والطريق عبارة عن دروب صحراوية يحيط بها النخيل من كل ناحية ووصلنا الى البلدة .. سكانها خليط من اقليم جبال تبتسي ذوو البشرة السوداء ، ومن العرب البدو الذين استوطنوا هذه الواحة منذ قديم الزمان .

وتعتبر واحة الكفرة مركزا رئيسيا للقوافل القادمة من تشاد الى ليبيا ومن واحات جمهورية مصر العربية الى ليبيا وبالعكس ايضا . والكفرة لها تاريخ قديم في حياة ليبيا السياسية فقد كانت مركزا رئيسيا من مراكز الحركة السنوسية، وكانت معقلا من معاقلهم في مقاومة الاستعمار الايطالى . وفي الكفرة يوجد مدفن الامام المهدى السنوسي .

وقد بدأت الحكومة الليبية في الاهتمام بالقرى التي تضمها واحة الكفرة فانشأت مدارس حديثة ، ومركزا صحيا ، وذلك الى جوار مباني الجمارك والحدود التي تختص بتفتيش القوافل القادمة الى الكفرة والخارجة منها . وتوجد بجوار المدينة بحيرة كبيرة من المياه العذبة ، وهى محاطة من جميع نواحيها باشجار النخيل والزيتون . وتنتشر في القرى المحيطة بالكفرة المزارع الصغيرة التي تعتمد في ريها على استخراج مياه الابار بواسطة المراوح الهوائية .

رحلة العودة

عندما دقت الساعة الخامسة مساء .. اسرعنا الى سيارة الجيب واتخذنا طريقنا الى المطار الصغير الخاص بمشروع استصلاح الاراضي ووصلنا الى الطائرة وهى تستعد للتحليق ... وعندما جلسنا على مقاعدنا شعرنا لاول مرة بالتعب منذ ان وطئت اقدامنا أرض الواحة .. لقد امضينا ٦ ساعات من الحركة والانتقال ولم نشعر بمدى التعب الذى حل بنا الا بعد ان استرخينا على مقاعد الطائرة .

ودوى صوت محركى الطائرة « الفوكر » .. وهو صوت يكاد يصم الآذان . وحلقنا في الجو .. ونظر الينا احد المهندسين الزراعيين الليبين قائلا: ما رأيكم في مشروعنا ؟!

ولم نتردد ولو لحظة لكى نجيبه بكلمة واحدة « رائع » .

وكانت هذه الكلمة هى الكلمة المعبرة الوحيدة التي خطرت على بالنا ونحن نسرح بعين الخيال الى المستقبل القريب .. عندما تتحول هذه القطعة من الصحراء الى ارض خضراء .. وتتحول معها ايضا حياة الناس هنا من البداوة الى الحضر .. امل باسم براق .. امل رائع !! ■■

محمد طنطاوى



صورة من مخطوطة « مقامات الحريري » المحفوظة بالمكتبة الاهلية في باريس، وهي من اعمال الواسطي، وضع فيها كل قدرته التعبيرية والحركية للحيوان والانسان والتفاصيل المعمارية حتى الدجاج فوق سطح الدار .

الواسطي المصوّر المزخرف الخطّاط

بقلم : عبد المجيد وافي

■ اسم الواسطي قد ينبي عن اصله ، فهو مصور عراقي كان من الجراة حيث صرح باسمه كمصور في نهاية المخطوطة التي صورها ، في عصر تجمعت فيه فتاوى الفقهاء لتحقر المصورين واعمالهم .

واسمه كاملا ، يحيى بن محمود بن يحيى بن الحسين الواسطي ، وقد خط بقلمه الذى كتب مخطوطة باريس، انه انتهى من تصويرها بعد كتابتها الى كتابة المقامات وتزويقها ـ زخرفة حواشيها ـ في رمضان من سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٧م) وبين هذا التاريخ وبين وفاة الحريرى ، مائة عام ونيف .

واذا كان الباحث عن تاريخ الواسطي قد لا يجد ما يصف صباه ، وما يحدد تاريخ ميلاده ، فان فنه يعطينا الكثير من شخصيته الفنية ، واسلوبه الخاص في الكتابة، والزخرفة، والتصوير، والتلوين ، كما يربطه بالمدارس الفنية المعاصرة ، وخاصة مدرسة واسط .

ولقد صورت « مقامات الحريرى » مرات عديدة، في عصر مقارب لعصر الواسطي ، كما صورت بعد ذلك بقرن وقرنين وثلاثة من الزمان ، وذلك في العراق وسورية ومصر، وتحتفظ المكتبات العالمية ـ في لندن وباريس وفينا ولننجراد ـ بهذه المخطوطات المصورة ، وبعضها مؤرخ ، والبعض الآخر قد فقدت منه صفحات التاريخ .

لكن صور الواسطي كانت سببا في شهرة مخطوطة المكتبة الاهلية في باريس ، والفضل في ذلك يرجع الى فن الواسطي .

ولقد اشتهرت مدرسة واسط بين مدارس التصوير العراقي ، باستعمال القلم بدلا من الفرشاة ، في تحديد اشكال واجزاء الصور ، وكان مدادهم الذى استعملوه في هذه الخطوط المحددة ، مزيجا من الياف خشب الكافور المحترق حتى درجة التفحم ، مخلوطة ـ بعد دقها ـ بزيت الخردل .

رسم التكوينات

وقد ابرزت صور الواسطي قدرته على رسم « تكوينات » بسيطة احيانا ، وصور قد ازدحمت بالاشخاص والحيوان والمباني احيانا اخرى ، وهو في هذا كله فريد في بابه، من حيث توزيع المجاميع، والتعبير عن البيئة والازياء ، واظهار التفاصيل المعمارية المعاصرة .

تصوير الحركة

كما ان قدرته على تصوير حركة الحيوان ، واعطائها اللمسة التعبيرية ، مضاهية بذلك انفعال الانسان وتعبيرة ، ولاتخطئه نسبة الاحجام بين الانسان والحيوان ، كما لايخطئه الفهم التشريحي لعنصر الحركة في الحيوان والانسان ، مما افتقدته صور اخرى للمقامات ، صورها غيره من المصورين

بل ان الملاحظ لصور الواسطي لمواقف المقامات المختلفة يلمس انه اختار مواضع ومواقف يكاد يكون تصويرها من اصعب الاعمال ، وهو مع ذلك قد اكسبها خاصة الاحساس بالصور والضجيج والحركة ، من مجرد صورة صامتة قد خطت على الورق .

الوانه

اما الوانه فلم تتأثر بطبيعته مزخرفا او خطاطا، بقدر ما تأثرت بشخصيته مصورا ، فكانت واقعية موزعة على صفحة الرسوم في تعبير متجانس ، لم تدخل فيها الالوان الفاقعة او الصارخة ، وحتى اللون الذهبى الذى اكثر المصورون العرب من استعماله في مصوراتهم،لم يستعمله يحيىالواسطى من حيث هو عامل من عوامل اظهار مجالاتالعظمة في الصور والرسوم ، بقدر ما استخدمه لونا معبرا عن الادوات المعدنية ، او التى طُعّمت ، او لُبِّسَت" بالمعادن او الثياب ذات الوشى المطرزة .

ولم تَرقَ رسومه للشجر والنبات الى مستوى اجادته لرسم الحيوان والانسان ، اذ انه يتحول عندئذ الى مزخرف ، قد حور وجرد في شكل النبات ، وادار تفريعاته وتوريقاته وازهاره ادارة الزخرف العربى عامة .

وعندما كان توزيع الموضوع يقتضيه وضع اشعار ، في باب او نافذة ، او بيان نوعيةالمكان، لم تكن تشكيلات الزخارف اللازمة تعوزه ، سواء اكانت زخارف توريقية « نباتية » او زخارف هندسية ، يوزعها في اقتدار ، ويتصرّف الوانها في ابداع .

توزيع الاشكال والاشخاص

والواسطى في رسومه تناول الموضوعاتالداخلية والخارجية ، في قدرة وتمكن واضحين ، فيالتكوين « توزيع الاشكال في الصورة » والتعبير دون اغفال للتفاصيل ، ودون ان يكرر توزيعاته ، او كما يقول النقاد يكرر نفسه في تكويناته او اوضاع اشخاصه وحيواناته ، الامر الذى اخذه النقاد الفنيون على غيره من مصورى المخطوطات والكتب العربية ، حيث كانوا يلتزمون توزيعات معينة للاشخاص ، وحركات معينة كحلول محفوظة للتشكيلات الفنية لا يتعدونها .

التصوير العربي بعامة

وتصويرات الواسطى لمخطوطة المقامات ، ليست الا فرعا من فروع التصوير العربى ، الذى بدا ياخذ مكانه بين فنون الحضارة الاسلامية العربية، منذ نهاية القرن الهجرى الاول واستمر الى نهاية القرن الثانى عشر ، اى من بداية القرن الثامن الميلادى الى القرن التاسع عشر .

ماذا صور العرب ؟

حيث صور المصورون على الجدران في القصور



لوحة من مخطوطة المقامات المحفوظة في « مكتبة بودليان » باكسفورد ، أسلوب آخر من أساليب التصوير من العصر المملوكي في مصر / القرن الثامن الهجري (١٤م) . ونص الكلام أعلاها « وليدَهُ ووَديدَهُ ، فبدد زمامَ الناقة ، وجاص ، وأفلتَ وله حُصاص » فقال :»

والعمائر ، بالالوان الزيتية والمائية ، او باستعمال فصوص الفسيفساء ومسطحات الخزف ، وصوروا على الاطباق والاواني والمزاهر والقناني الخزفية وبلاطات الخزف باللون الواحد والالوان المتعددة ، قبل الطلاء اللامع ـ تحت الطلاء ـ او بعده ، وصوروا على الجلد والورق والخشب ، وحفروا الصور والرسوم على المعادن والخشب والعاج .

وقد بدأت كل هذه الانواع والفروع من حيث انتهت فنون الحضارات المعاصرة لنشأة الفن الاسلامي العربي ، ثم اخذت تستقل باساليبها وادواتها وتعبيراتها .

مواطن التصوير العربي

وعرفت فنون التصوير العربي في العراق وسوريا وفلسطين ومصر والاندلس ، وكانت لها مجموعات ذات تقاليد خاصة ، انتقلت من قطر الى قطر ، بانتقال الفنانين انفسهم ، او تبعا لاهتمامات الحكام ، والقائمين على الامور .

ومن ذلك التنوع عرفت مدارس التصوير في العصر الاموي والعباسي ثم في العصر الفاطمي بمصر ، وقد امتدت تأثيراته واساليبه الى (باليرمو) في صقلية ، حيث ما زال اروع امثلة التصوير الفاطمي ماثلا في سقوف كنيسة القصر الملكي حتى الآن .

ثم التصوير المغربي والاندلسي العربي ، وعرفت هذه المدارس بمواطنها في العراق : واسط ، وبغداد والموصل ، وفي سورية : دمشق ، وفي فلسطين ، القدس ، وبادية الاردن ، وفي مصر : القاهرة ، وفي الاندلس : قرطبة ، واشبيلية وغرناطة .

وعبّرت كل مدرسة بتقاليدها المتطورة ، قرون العصور الاسلامية التي ذكرناها متتابعة ، ثم عاصرتها ـ بعد سقوط الخلافة في بغداد ـ مدارسُ التصوير الاسلامي : الفارسي ، ثم الهندي ، ثم التركي .

البعد الثالث في التصوير العربي

واذا كان نقاد الفنون قد عابوا على بعض مدارس التصوير العربي اهمال قواعد الرسم المنظوري « البعد الثالث » Perspe tive ، او العمق في مصوراتهم ، فان هذا العيب المزعوم لم يكن عاما في كل مدارس التصوير العربي او مراحله .

وحسبنا ان نذكر ان الوزير الفاطمي «اليازوردي» قد جمع بين اثنين من عباقرة التصوير العربي

في عصره، وهما : القصير (المصور المصري) وابن عزيز (المصور العراقي) وتنافس المصوران في التعبير عن العمق ، فصور احدهما راقصة تدخل في باب ، والآخر راقصة تخرج من احدى الحنايا، واستعمل احدهما الالوان ، والقصر الآخر على اللونين الابيض والاسود . كان هذا في القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) عندما كان التصوير في اوربا ما زال يحبو ، ولم يبلغ اوجه الا في القرن الخامس عشر – عصر النهضة – بعد ان تكاملت روافد الثقافة العربية ، للنهضة الاوربية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، كان اهمال البعد الثالث في صور بعض المدارس العربية ، تعبيرا مقصودا ، دالا على نوع من التجريد الفني، حيث كان البعد الثالث اسلوبا من اساليب التجسيم المادي ، خفف الفنان العربي استعماله حينا ، واغفله حينا آخر ، لتظل اعماله الفنية بعيدة عن الثقل ، وقد فتن بهذا اللون من التجريد فنانو المدرسة التأثرية الحديثة ، والتعبيرية المعاصرة ، وبداوا في جمع نماذج التصوير العربي الاسلامي ، ومحاولة احتذاء اساليبه .

بل ان هناك في العصر الحاضر من غالى في البحث عن عناصر معينة في الفنون الاسلامية ، من فناني الغرب ، ومن ذلك مدارس اللعب بالضوء Op'Art وهم في ذلك يستمدون اصولهم من خلال الضوء النافذ من شبابيك الخرط الخشبية : المشربيات العربية ، ونماذج تكوينات الكتابة الكوفية المربعة ، التي انتشرت اصلا في عمائر الاسلام بآسيا الوسطى، ثم انتقلت منها الى الشرق الاوسط.

والغريب العجيب ان اسماء لامعة في الفنون التشكيلية المعاصرة في العالم العربي ، لهثت جريا وراء هذه الاساليب الغربية المستحدثة ،والمقتبسة اصلا من التراث العربي ، مع ان فنون تراثهم بين ايديهم ، عرف غيرهم قيمتها فنا وعمقا وتجريدا ، وتابعوا هم غيرهم في هذا تقليدا بلا وعي .



صورة لنبات الكرْم ، من التصوير العلمي في مخطوطة ديسقوريدس ، وهي من الاعمال التي ربما تنسب الى المصور «ابن الفضل» من اوائل القرن السابع الهجري (١٣م) . ونص الكلام املاءاً « الطبع ، والأول قوته ومنفعته كالكرْم البستاني » .

بين فنين عربيين معاصرين

واعود الى فننا العربي واساليبه فاقول : حسبنا ان نقارن بين عملين فنيين معاصرين من اعمال الفنانين العرب ، صور المقامات التى صورها يحيى ابن محمود الواسطى، وصور المخطوطة المترجمة عن محاضرات « ديسقوريدس » والتى يظن انها من عمل المصور : عبد الله بن الفضل وهو معاصر للواسطى كما سبق ان ذكرت ذلك .

فلكل من هذين المصورين شخصيته المتميزة فى التعبير عن البعد الثالث فى صوره ، فابن الفضل يعتمد على الظل والضوء وزاوية سقوطه ، ورسم المكعبات والابعاد رسما منظوريا تيعبر عن العمق او ذلك البعد الثالث .

على حين لم يتخذ الواسطى من وسيلة للتعبير عن ذلك غير اختفاء الاجسام الخلفية وراء اجزاء من الاجسام الامامية ، ودون ارهاق للفكر والنظر والتعقيد فى التكوينات يدرك الناظر فى الصورة اعماقها وابعادها ، وان لم يحدد ذلك ضوء" او ظل .

وبينما قيدت الظلال والاضواء من قدرة ابن الفضل على تعديد الشخوص فى تكويناته ، وحرية الحركة والتعبير، وارتباط الابعاد والظلال والاضواء بوضع الاثاث فى لوحاته ـ انطلق الواسطى فى حرية الحركة والتعبير ، والافراد والادوات . دون ان يشغل نفسه باسقاط الظلال والاضواء ، واكتفى بتباين الالوان لفصل عناصر تكويناته وصوره : كلٌ عن الآخر ، واستعمال الخط المحدد حول الاشكال، فلم يفقد الناظر الاحساس بالبعد الثالث او العمق .

خاصة اخرى قد امتازت بها مصورات الواسطى من غيره بين المصورين العرب ممن سبقه او خلفه ، وهى عدم وقوعه فى ضرورة التكرار والتتابع الرتيب ، عندما تتكرر معه ـ بمقتضى سياق النص ـ مجموعة متشابهة من المواقف ، وتعدد الاشخاص والحيوان كالخيل والابل ، فانه كان يصور كل موضوع ، مع مقابرة تامة فى حركات وتعبيرات شخصيا - انسانية وحيوانية، فى فهم واضح لميكانيكية الحركات العضلية والتعبيرية ، مع استعمال العنصر اللونى كوسيلة ثانية لنفى الرتابة والتكرار .

تعابير رمزية عند مصورى العرب

ولقد كانت للمصورين العرب لوازم فى بعض موضوعاتهم، اعتبرها النقاد اسيرة تقليد المصورين بعضهم لبعض ، مثل الكوب فى يد الجالسين متربعين ، واشخاص طائرة كالملائكة تحمل وشاحا حول راس الامير الجالس ، تعبيرا عن سمو مكانة ماسك الكوب ، او من يحيط به حملة الوشاح ، واذا كانت هذه اللوازم قد انتشرت فترة فى المدارس المقاربة كالمدرسة البغدادية او الموصلية او السورية ، واحيانا المملوكية فى مصر ، فان كثيرا من هؤلاء المصورين العرب قد تخلصوا من تلك اللوازم من حيث هى تعبير رمزى ، واتجهوا الى التعبير المباشر الموضوعى، متابعين لعناصر السياق، مركزين على التعبير الحركى لاشخاص النص ، واكثر الكتب تحقيقا لهذا التطور هى مصورات المقامات فى مخطوطاتها التى عددناها سالفا .

عمل المصورين العرب فى المخطوطات

ولم يكن عمل المصورين فى المخطوطات ، مرتبطا بالتعبير او التسجيل القصصي وحده ، بل صور الفنانون العرب كتب النبات وخواص العقاقير ، وكتب البيطرة ، والطب وغيرها ، فقد ذكر ابن ابى اصيبعة فى كتابه « عيون الانباء » ج ٢ ص ٢١٩ ان رشيد الدين بن الصورى كان يستصحب معه الرسام الى مواطن النبات فيصوره عن الطبيعة فى احواله الثلاثة : بدئه ، وازدهاره ، ويبسه .

وقد ضمت مخطوطة « ديسقوريدس » التى سلفت الاشارة اليها صور الدراسات عن الكرم والعدس ، وهى مما يظن انها لعبد الله بن الفضل الفنان العراقى فى اوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) .

ولقد عرفتنا بعض صور المخطوطات بملامح البيئة، ظهر ذلك فى اعمال الواسطى فى صور المقامات كما راينا ذلك فى مخطوطة «بياض ورياض» ـ المخطوطة المغربية ـ والمحفوظة بمكتبة الفاتيكان تحت رقم ٣٦٨ ، فقد راينا الفتى « بياضا » يلبس البرنس المغربى الاندلسي مع العمامة ، بينما لبست الفتيات ومن بينهن رياض الملابس العربية مع تاثيرات اوربية ، وذلك هو ما عرف عن ازياء اهل الاندلس

فى ايام بنى نصر وايام الطوائف ، اذ بينما كان الاوربيون يقتبسون ثقافاتهم من العرب فى الاندلس، كان العرب يحاولون تقليد الغربيين فى عاداتهم وثيابهم ، كما اضاف الفنان العربى طرز العمارة الاندلسية بوضوح فى خلفيات صوره ، وذلك لان المخطوطة مغربية التدوين والتصوير ـ او اندلسية ـ مع ان مسرح القصة الاصلية هو شمالى العراق .

الفن العربي فى الخزف والسجاد

وحملت بعض اطباق الخزف المصورة ، ملامح الحياة الرياضية الشعبية : لعبة العصا ـ التحطيب ـ المصرية ، والمصارعة ، وهما من نماذج التصوير البعيدة عن التاثيرات الخارجية ، ولهذين الطبقين شهرة عالية بين المشتغلين بالفنون الاسلامية فى العالم اجمع .

ولعل ما ذكره الاستاذ الزعبلاوى (فى العدد ١٦٢) عن اهتمام الفنان الهولندى « رمبراندت » بالمصورات العربية، ليس هو المثال الفريد لانجذاب فنان من فنانى عصر النهضة ، فقد عرف ذلك ايضا عن « البرت دورير » الفنان الالمانى ، كما ان المراجع العلمية للنابغة الايطالى «ليوناردو دافنشي» فى بحوثه الهندسية وغيرها عربية اندلسية ، اما ولع الفنان الهولندى « هانز هولبين » Hans Holbein بالسجاد العربى ، والاقمشة المطرزة التى ملات خلفيات صوره ، وخاصة صوره للملك الانجليزى « هنرى الثامن »Henry VIII ، الذى اشتهر ايضا بحبه للاقمشة العربية التى كانت تجلب اليه من « البندقية » ميناء التجارة الشرقية فى ايطاليا .

وقد يكون كل ذلك اهتماما لطرافة الرؤية فى مجتمع غربى فى تلك القرون الوسطى ، لكن اندفاع الفنان التاثيرى التعبيرى « ماتيس » الى محاولة اهمال البعد الثالث ، والاغراق فى التعبير اللونى ، واستعمال الخط المحدد للاشكال ، انما هو اندفاع كامل لاسلوب التعبير الفنى العربى .

اما محاولات الفنان الفرنسي المعاصر .. « بول كلين» والفنان الامريكي «موندريان» ثم «كاندنسكي» فى تقليد الكتابات العربية اسلوبا من اساليب التجريد المعاصر ، فقد اسلفت ذكره ، وذكرت افتتان النقلة منا بتقليدهم ايضا .

راى الفقهاء فى حرمة التصوير فى الاسلام

ومما اشتهر بين المشتغلين بالفنون وشاع بين غيرهم ، ان الاسلام قد حرم التصوير والصور ، صناعة واقتناء ، وصار ذلك سببا فيما يزعم عن تاخر الفنون التصويرية بين العرب والمسلمين .

ولعل سبب هذه الشهرة ما ورد فى الحديث الشريف، من توعد للمصورين، بالعذاب يوم القيامة.

وما ورد من ان النبى صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله ، قد امر بتجنب استار كانت فيها الصور ، عن مكان الصدارة فى بيت النبوة .

وقد وقف الائمة والفقهاء من ذلك مواقف متعددة، منهم من حرمها تحريما قاطعا ، ومنهم من اباح بعضا وحرم بعضا .

فابن شهاب الزهرى ـ تابعى ـ قال بالتحريم، ونقله عنه من الشافعية الامام النووى شارح صحيح مسلم ، وهو من اهل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وايده فى التحريم ، واكد ان ذلك راى الجمهور وقال النووى : ان هناك من يجيز ذلك ، ولكنه راى خاطىء .

وكره بعض المالكية الصور المجسمة ، ولم يروا شيئا فى اباحة الصور المرسومة «المرقومة» استنادا الى ما جاء فى بعض الحديث « الا رقما فى ثوب » .

ويرى طائفة من المفسرين ان ذلك التحريم ، انما هو على ما كان من صناعة الصور «التماثيل» لتعبد من دون الله تعالى .

منهم « ابو على الفارسى » ، القارىء ـ من علماء القراءات القرآنية ـ وهو ايضا النحوى المفسر ، صاحب كتاب الحجة ومنهم مكى ابن أبى طالب ، وابن النحاس المصرى ، وكلهم من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، اى قبل النووى شارح مسلم بنحو قرنين .

وابو على عراقى ، ومكى اندلسى مغربى ، وابن

النحاس المرادى مصرى ونص عبارة أبى على الفارسي ، ينم عن عدم اقتناعه بالاعتراض على اقتناء الصورة او صناعتها ، وقد كان تعرض لذلك في مناقشة الاية الكريمة « ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة » .

هل مجرد اتخاذ صورة العجل مصنوعا من حلى القوم هو سبب التوعد بغضب الله تعالى وذلتهم ، أم العلة أنهم اتخذوا صورة العجل الها .

يقول أبو على « ومن صاغ عجلا او نَجَرَه او عمله بضرب من الاعمال لم يستحق الغضب من الله عز وجل والوعيد من المسلمين ، واذا كان ذلك علم انه على ما وصفنا من ارادة المفعول الثانى المحذوف (ـ يقصد أن يكون تقديرالاية الكريمة ـ ان الذين اتخذوا العجل « الها » سينالهم .. »)

ثم يقول معترضا على نفسه بما ورد من حديث عذاب المصورين يوم القيامة : « فان قال قائل قد جاء في الحديث (يعذب المصورون يوم القيامة) وفي بعض الروايات (ويقال لهم يوم القيامة احيوا ما خلقتم) قيل : يعذب المصورون يكون على من صور الله تصوير الاجسام ، واما الزيادة فمن روايات الاحاد التى لا توجب العلم، فلا يقدح ذلك في الاجماع على ما ذكرنا » .

هذا نص كلام ابى على في كتابه « الحجة » المخطوط المصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٢ ص ٢٥٦ ج ١ .

اما القران الكريم فلم يرد فيه نص صريح في حق الصور ، ولكن وردت آيات كريمة في عبادة الأصنام والاوثان ، واتخاذ الانصاب لتذبح عندها القرابين للاوثان من دون الله تعالى .

فمن ذلك قوله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الاوثان، واجتنبوا قول الزور » الاية ٣٠ من سورة الحج .

وقوله « انما تعبدون من دون الله اوثانا ، وتخلقون افكا » الاية ١٧ من سورة العنكبوت ، وفي هذه الاية بيان كذبهم وما هم فيه من باطل ، يخلقون الوثن ـ أى يصنعونه بأيديهم ـ ثم يعبدونه من دون الله افكا وبهتانا .

وقوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب ، وان تستقسموا بالازلام ، ذلكم فسق .. »

الاية ـ ٣ ـ من سورة المائدة .

وقوله « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » الاية ٩٠ من نفس السورة .

وقد فصل الامام القرطبى ـ في تفسيره ـ الرأى في هذا الموضوع ، موردا آراء من يجيز وآراء من يمنع ، وحجة كل في الجزء الرابع من تفسيره الجامع ص ٢٧٢ طبع دار الكتب المصرية .

وللامام محمد عبده ـ رحمه الله تعالى ـ افتاء في حل التصوير ، قوى الحجة لا يخلو من سخرية لاذعة ذكره الامام رشيد رضا ـ رحمه الله ـ بنصه في كتابه تاريخ الامام ص ٩٨ ج ـ ١ ـ (١)

بقى أن نقول ان الفضل في بحوث عربية خالصة ، عن هذه الفنون ، يرجع الى المغفور لهما الدكتور زكى محمد حسن ، والاستاذ حسن عبد الوهاب ، تغمدهما الله برحمته ، ثم الأستاذ احمد فكرى بارك الله له في جهده ، ومد في عمره .

فقد انصفوا الفنان العربى المسلم في مصر وسورية والعراق وغيرها وناقش الدكتور احمد فكرى غلاة المتعصبين فيما كتبوه عن العمارة الاسلامية ، وفنونها المكملة ، كما كانت كشوف الاستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله ، مدعمة لارائه في تفنيدادعاءات الباحثين . ■■

عبد المجيد وافي

---

(١) يمكن الرجوع الى دراسة مفصلة لكاتبهذا البحث في العدد ـ ٥١ ، ٥٢ ـ رجب (٢٨ ديسمبر ٦٢) مجلة « رسالة الاسلام » التى تصدرعن « دار التقريب » بالقاهرة ، وكذلك في مجلة « الاذاعة والتلفزيون » المصرية ، الاعداد ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ سبتمبر ١٩٧١ .

ركن الأسرة والمرأة

عصبة متآخية اجتمعت لتذهب بصفو العيش لأكثر الناس

بقلم : منير نصيف

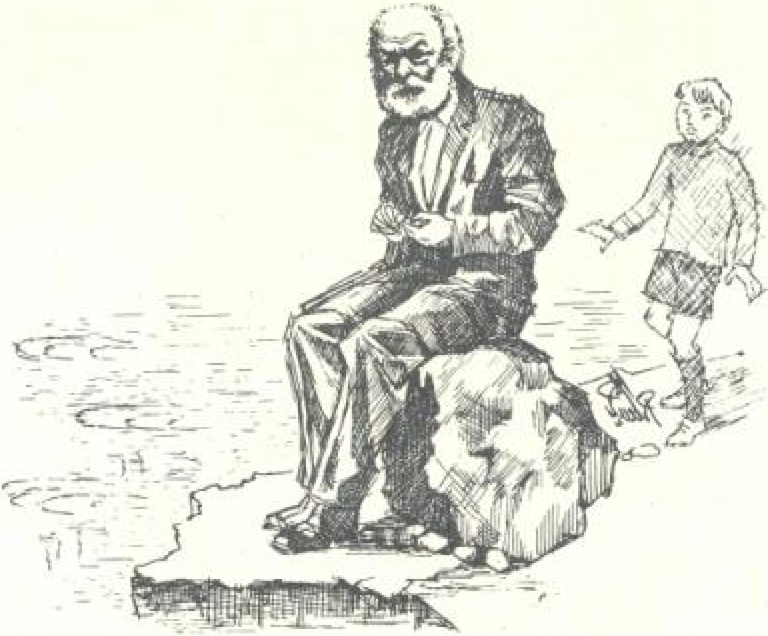
■ الخوف واليأس والقلق ، الد اعداء الانسان .. هكذا يقول نورمان فنسنت بيل ، في كتابه « الحياة بلا خوف » ! ثم يتساءل : « ولكن هل استطاع الانسان ان يتحدى هذا الشعور الذي يسيطر علينا ويستبد بنا ، كلما اصبنا بنكسة ونحن نمضي في طريق الحياة ، او تعثرت خطواتنا اثناء سيرنا فوق الارض المستوية ، او التي كنا نظن انها قد استوت امامنا حتى تظهر تلك الصخرة اللعينة ، صغيرة كانت ام كبيرة فنصطدم بها ونسقط على الارض ؟

« البعض منا ، يقفز واقفا وينفض التراب عن ملابسه ، ويغتسل ، ثم يمضي في حال سبيله ، محاولا ان يبلغ هدفه .. والبعض الآخر قد لا يجد القدرة على الوقوف على قدميه مرة اخرى ، فينظر حوله مستنجدا مستغيثا ، بعد ان آلمته السقطة المفاجئة .. ولكنه لا يلبث ان يفيق وهو يجد الايدي تمتد اليه وتعاونه وتبقى بجانبه حتى يستعيد قوته ، ليتابع رحلته ..

الاستسلام لليأس

« ولكن كثيرون هم هؤلاء ، الذين يبقون في مكانهم ، حيث وقعوا ، وقد استسلموا ، لليأس ، فلا تلبث الدنيا ان تظلم من حولهم ، وتتحول حياتهم الى ليل طويل لا ينتهي ! هؤلاء الذين يتصورون ان آلامهم ومشاكلهم الخاصة قد اصبحت مركزا لهذا الكون الفسيح الذين يعيشون فيه » .

« وبهذا العبء الذي تنوء بحمله الجبال ، يزحفون ، ويجرون اقدامهم جرا ، حتى اذا ما وصلوا الى عيادة الطبيب جلسوا متهالكين يحدثونه عن آلامهم ، وراء الابواب الموصدة : « لم تعد لي رغبة في الحياة يا سيدي .. اريد ان اضع حدا لآلامي ، ولكن لا ادري كيف السبيل .. انني اجلس على حافة هاوية سحيقة ، متمنيا لو ان يدا امتدت الي فدفعتني في رفق وانهت ما تبقى لي من ايام زهدت في عيشها ! »



الشفقة على النفس

يقول الدكتور هنري ولز ، احد كبار علماء النفس الانجليز ان ثلث الحالات التي تمر عليه في عيادته ، يشكو اصحابها من اليأس من الحياة ، ومن الآثار القاتلة التي تصاحب هذا الشعور .. ان الخوف والقلق من اسوأ واخطر المشاعر التي تولد في ظلام ذلك الاحساس الذي يشعر به المريض باليأس اولا ثم بالشفقة على نفسه ، من الحياة التي يعيشها ، وما يمكن ان تحمله له من متاعب وآلام لن يستطيع ، كما يصور له خياله المريض ، ان يخلص نفسه منها ابدا ! »

ماذا يجب ان نصنع عندما نسقط او تتعثر اقدامنا ونحن نمضي في طريق الحياة . كيف استطاع غيرنا ان يقف على قدميه ويكمل رحلته في عالمه كثيرا بهذه الصخرة التي اصطدمت بها قدمه فجأة على الطريق دون ان يتنبه الى وجودها، وهو اكثر ما يكون حماسا لاتمام رحلته وبلوغ هدفه.

مع فكتور هوجو

منذ قرن من الزمان ، او يزيد ، كان فكتور هوجو شاعر فرنسا الكبير واديبها وفيلسوفها ، يقضي جانبا من سنوات عمره في المنفى بجزيرة جيرنسي (Guernse) ، بعد ان ابعدته بلاده الحبيبة، واتهموه بالانشقاق على الحكم والدعوة الى « الحرية » التي خنقوها .. واشتدت وطأة المرض على هوجو العجوز ، وعظم ألمه ، ولكنه مضى يغرق نفسه في القراءة ، وسجل اعظم اعماله في منفاه ووحدته ..

شاهدوه يوما وهو جالس فوق صخرة تشرف على مياه البحر مباشرة ، وقد امسك بكلتا يديه مجموعة من الحصى وقطع الحجارة المختلفة الاحجام والاشكال .. وقد راح يلقي بها الواحدة بعد الاخرى في المياه الصاخبة التي كانت امواجها تتلاطم وتصطدم بالشاطىء الصخري من تحته ..

التخلص من الالم

ولم يغب هذا المنظر عن نظر بعض الاطفال الذين تعودوا ان يقصدوا نفس هذه البقعة الهادئة التي اختارها هوجو ليخلو فيها الى نفسه ، فاقترب منه احدهم ، وكان صبيا في الحادية عشرة من عمره،

وقال يسأله : « اريد ان اعرف يا سيد هوجو ، لماذا تأتي الى هذا المكان ، ولماذا تلقى بهذه الاحجار الصغيرة في الماء ؟ »

ونظر الكاتب الكبير الى محدثه الصغير ، ثم قال متسائلا وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة : « احجار .. اية احجار تلك التي تتحدث عنها يا بني .. انها ليست احجار ، كما تبدو في ظاهرها ، انها الامي ومتاعبي .. وانا احاول ان اغرقها في مياه البحر ، لكي اخلص نفسي مما انا فيه ! »

ـ وهل نجحت ؟

ـ نعم نجحت، وسوف اعود قريبا الى فرنسا .. الى بلدي الحبيب ، بعد ان تعود اليها حريتها !

قصة رمزية تعكس مشاعر رجل قوي ، رفض ان يستسلم للالم الذي احتواه في وحدته ومنفاه .. وهي قصة من الماضي ، ولكن ما اعظم الدرس الذي يمكن ان نستخلصه منها لانفسنا في عالم اليوم المليء بالمتاعب والالام والاحزان !

قصة امرأة عظيمة

يقول فنسنت بيل : « اعرف امرأة كانت تعيش في قرية صغيرة في اسكتلنده ، مع زوجها واطفالها الاربعة الصغار ، وفي احد الايام جاء اهل القرية يطرقون باب بيتها الصغير ، وفتحت الزوجة الشابة ، التي لم تكن بعد قد بلغت عامها السادس والعشرين ، فتحت الباب ، وما كادت تفعل ، حتى سقطت على الارض مغشيا عليها ، لقد كانوا يحملون اليها جثة زوجها ووالد اطفالها الذي قتل في حادث سيارة !

وانقضت فترة الحداد ، وافاقت الزوجة من الصدمة التي حلت بها ، ونظرت حولها ، فلم تجد شيئا .. لقد فقدت عائلها ومصدر رزقها الوحيد ، بعد ان ذهب الزوج ..

وبدأت تجمع شتات نفسها ، لابد لها أن تعيش ولابد لها من ان تساعد هؤلاء الاطفال الصغار الذين تركهم والدهم ورحل ، فخرجت الى الحقل ، الى الارض التي كان يفلحها الزوج ويزرعها بيديه .. وبدأت تعمل .. كانت البداية صعبة شاقة ، كانت تعود الى بيتها بعد ان تغيب الشمس ، متهالكة متعبة ، ولكنها لا تكاد تلتقي بصغارها الذين قضوا نهارهم في انتظار عودتها ، وترى تلك الابتسامات الحلوة التي تملأ وجوههم ، وهم يلتفون حولها ، حتى تقفز من رقدتها ، وتسرع الى المطبخ لتعد لهم وجبة الطعام الوحيدة التي يملأون بها معدهم الجائعة !

بلا احزان

وتمر السنون ، والام ماضية في عملها الذي اعطته كل حياتها ، وتسخو الارض على الام واطفالها بالخير ، فتدخلهم المدرسة ، ثم ينهون مرحلة الدراسة الثانوية .. وتقف الام لتودع الابناء وهم يستعدون للسفر الى المدينة لاتمام تعليمهم الجامعي ..

ويتخرجون في الجامعة ، ويعودون الى القرية التي تركوا فيها امهم العجوز .. لقد اصبحوا رجالا ، واصبحوا يشغلون مناصب هامة في الحياة العامة .. وتحتفل القرية كلها بالابناء الذين جاءوا يحتفلون بزواجهم من بنات القرية ..

كيف نجحت هذه الام العظيمة في ان تقهر احزانها .. قالت ، وهي تجلس على المقعد الكبير الذي طالما جلست عليه لتستريح بعد عودتها من عملها في الحقل ، وجلس عليه من قبلها الزوج المسكين الذي تركها ورحل ، وهي اكثر ما تكون حاجة اليه ، قالت : « لم اكن يوما واحدة من هؤلاء النساء اللواتي يقضين عمرهن في الحزن والبكاء على شيء مضى وانقضى. حقيقة، كنت اتألم وانا ارى نفسي ، اقف وحدي ، ولكنني كنت دائما استمد قوتي من روح زوجي ، كنت افعل كل ما اراد ان يفعله هو ، لو انه بقي معنا ، كنت استمد قوتي من حبي للحياة من اجل ابنائنا !

« ان هذه الام العظيمة قد جاوزت اليوم عامها الثمانين .. وما زالت تعيش في بيتها وقريتها مع روح زوجها ذلك الرجل الذي لم تغب صورته عن مخيلتها لحظة واحدة ، طوال هذه الاعوام التي قضتها في كفاح من اجل الحياة ! »

الاشفاق على النفس والانانية

يقول الدكتور هنري ولز ان اليأس والاشفاق على النفس ، هما في واقع الامر من ابرز علامات الانانية ، فالذي يشفق على نفسه ، يفقد الشعور بالشفقة على غيره .. ثم يروي الدكتور ولز قصة

ذلك الطبيب الشاب الذى استدعى يوما للكشف على سيدة مريضة ، في احدى القرى التي تنتشر فيها مناجم الفحم بانجلترا ..

« وذهب الطبيب ، وجلس يتحدث الى مريضته في هدوء ، ليعرف منها شكواها ، فقالت ان زوجها يعمل مديرا لاحد المصانع ، وانها ام لطفلين صغيرين ، وقد بدأت تحس بالام شديدة في معدتها منذ بضعة شهور خلت ، ولكنها لم تهتم كثيرا بها ، فقد كان الالم يشتد بها ، ثم لا يلبث ان يزول ، فتنسى بزواله مرضها ، فقد كان عملها في البيت وانهماكها في اعداد الطعام لزوجها يشغل وقتها وينسيها المها في كثير من الاحيان ..

« ولكنها بدأت تحس بالالام تشتد في الآونة الاخيرة ، وقد فشلت كل المحاولات التي كانت تبذلها في التخفيف من حدة المها ، فلم تعد الاقراص المسكنة التي كان يقدمها لها زوجها تفلح في القضاء على الالم الذى يمزق احشاءها ..

« وبدأ الطبيب يكشف على السيدة المريضة ، فاذا به يكتشف ورما غير عادى في الناحية اليمنى من البطن ، ونصح الزوج بنقلها فورا الى المستشفى ، لاجراء التحاليل اللازمة لها ..

آلام الغير

وفي المستشفى ، تكشفت لاول مرة حقيقة العلة التي تشكو منها الزوجة المسكينة ، انها مصابة بسرطان في الكبد .. ولم يجد الطبيب المعالج مفرا من ان يبلغ زوجها بما اكتشف من امر زوجته وام طفليه .. وقال الطبيب وهو يشد على يد الزوج مواسيا :

« لن تعيش زوجتك طويلا يا سيدى .. فقد انتشر الورم اللعين في الكبد كله ! »

« ثم ينقل الطبيب بعد هذا رد الفعل الذى احدثه النبأ المفجع على الزوج ، يقول : « لقد حدقني بنظرة تحمل كل معاني الرعب والفزع .. ولكنني لم اشعر من خلالها باى حزن او الم على المصير الذى ينتظر زوجته المسكينة .. وعندما بدأ يتحدث ادركت على الفور صدق هذا الشعور ، فقد امسك بذراعي وضغط عليها بشدة ، وقال في كلمات واضحة تكشف عما يعتمل في نفسه من انفعالات في هذه اللحظة : « يا الهي ، وماذا عساني فاعل بعد ان تذهب هي . من الذى سيعتني بالاطفال . من الذى سيرعى شئون البيت بعد رحيلها » .

ان الزوج لم يفكر في زوجته كانسانة ، وزوجة سيؤلمه فراقها ، ولكنه كان يفكر في نفسه ، وفي المسئولية التي ستقع على عاتقه . كان يفكر في هذه المرأة كمربية لاطفاله ومديرة لشئون البيت ، فقد كان يشفق على نفسه التي امتلأت بالانانية »

بذور المشاكل

يقول فنسنت بيل : « ان هذا الشعور الذى يصيب المرء بالقلق تجاه المستقبل ، والخوف من الحياة نفسها ، ليس مقصورا على الفقراء أو الفاشلين او المعوزين وحدهم ، بل هو كثيرا ما يصيب بعض الاغنياء والقادرين ، وحتى الذين حققوا ما كانوا يصبون اليه من نجاح في حياتهم العملية ..

التقيت يوما بكاتبة ومؤلفة قصصية معروفة تملك قصرا في احدى ضواحي لندن ، وكانت تتمتع بصحة طيبة ، وبقدر وافر من الجمال ، وهي بعد هذا زوجة سعيدة لرجل اعمال ناجح ، وام لثلاثة اطفال .. وكان لقاؤنا على مائدة الغداء .. وجلست السيدة تحدثني ، وكانت مفاجأة عندما لم اجد في حديثها كله من بدايته حتى نهايته كلمة واحدة عن هذه الحياة الحلوة التي تنعم بها ..

لقد مضت تشكو من كل شيء .. من المطبعة التي تؤخر طباعة مؤلفاتها .. ومن السيارة التي تتعطل بها كثيرا في عرض الطريق ، ومن الطباخ الذى لا يجيد طهي الطعام .. ومن الابناء الذين لا يوفرون لها الهدوء الذى تحتاج اليه للكتابة ، واخيرا من الزوج الذى لا يقرأ كتبها !

قالت وهي تنهي حديثها : « لقد زهدت هذه الحياة ، ووددت لو انني استطعت ان اهرب منها »

قلت : « وانا اتمنى ان اعيش حياتك يا سيدتي .. ليس لديك مشكلة كما تتصورين ، ولكن المشكلة تكمن في داخلك انت .. انت التي حولت نفسك الى مزرعة تنثرين فيها هذه البذور الصغيرة ، وتغذينها ، فاذا بها تنمو وتكبر وتتحول الى شجيرات ذات جذور وفروع كثيرة .. اقتلعي هذه الاشجار من صدرك ، وسيفارقك الضيق والقلق واليأس .. ذلك الذى جعلك تزهدين في الحياة .. » ■■

منير نصيف

الدكتور محمد مندور

قمة شامخة في النقد الأدبي



ملامح من أدبه ونقده

بقلم : رشيد خشانة

■ يعتبر الدكتور محمد مندور قمة شامخة فى النقد المعاصر ، وهو احد الموجهين الكبار الذين ارسوا النقد العربي على اسس سليمة مركزة . وقد كانت لهذا الرجل مواقف عظيمة فى استجلاء مظاهر الجمال فى ادبنا العربي ، كموقفه من الشعر المهجرى ، ومن نجيب محفوظ ، ومن المسرح المعاصر .. ومن هنا جاء الدافع الى هذا الحديث المتواضع عن بعض جوانب هذه الشخصية المتعددة المواهب ، المتسعة النشاط ، ولعل اقل ما يمكن ان نقدمه لروح هذا الاديب الكبير ، هو كلمة موجزة عن بعض آرائه ومواقفه . وقد توفى رحمه الله فى ١٩ مايو عام ١٩٦٥ .

الأدب ونقد الحياة

اتخذ محمد مندور فى الادب مبدأ عاما هو « نقد الحياة » ، اى ان الادب يسعى دوما للنفاذ الى جوهر الحياة الانسانية ، والتغلغل فى واقع المجتمع ، فالادب يجمع اذن بين الانسان ومجتمعه اذ « من البديهي ان عبارة نقد الحياة تشمل نقد حياة الاديب الخاصة ، وحياة غيره من الافراد ، كما تشمل حياة المجتمع ، بل حياة الانسانية كلها. وبذلك يتسع هنا مجال الادب فيشمل الأدب الذاتي والادب الموضوعى على السواء (١) » .

ولكن هذا الادب الذى يمتد ليشمل الحياة الانسانية ، لا بد له – لكي يكسب هذا الطابع – من تجاوز التجارب الذاتية الى تجارب اخرى يتمثلها الاديب ، وينفعل معها ، ويعبر عنها ، لذلك اكد الدكتور مندور : ان التجربة البشرية التي يتطلبها الادب الانساني الرفيع لاتقتصر على التجربة الشخصية للاديب وانما تشمل :

١ – التجربة الشخصية ٢ – التجربة التاريخية ٣ – التجارب الاسطورية ٤ – التجربة الاجتماعية ٥ – التجارب الخيالية (٢) . .

وقد حدد مجالات هذه التجارب ورسم مناهج صياغتها . والحديث عن التجربة الذاتية والتجربة

---

١ – من كتابه (الادب ومذاهبه) – الطبعة الثانية – الصفحة ١٨ .

٢ – المرجع السابق ص ١٠ – ١٥ .

الانسانية يجرنا حتما الى الحديث عن مشكلة خطيرة في الادب ، الا هي مشكلة الصدق في الاثر الادبي .

فقد ذهب بعض الادباء الى فرض التجربة الشخصية على الاديب ، واوجبوا عليه عدم تجاوزها ، لان الصدور عن غير هذه التجربة يعد في نظرهم افتعالا في الشعور ، وتكلفا في الاداء .

والواقع ان الادب لن يجني من هذا التشديد الا القطيعة بين الاديب والناس ، وبالتالي انعكاف كل شخص على نفسه ، وايغاله في الفردية . وينتهي الادب بذلك ــ وقد انتهى عند بعضهم فعلا ــ الى نرجسية مريضة وانانية مسرفة . وقد نفى الدكتور مندور ان تكون معايير الصدق والكذب « مرادفة للتجربة الشخصية او انعدامها، وذلك لان الادب لا يمكن ان يقتصر على التعبير عن التجارب الشخصية » .

« كما ان الاديب ذا الخيال الخصب الخلاق ، او ذا الملاحظة الدقيقة النافذة يستطيع ان يخلق بخياله تجارب بشرية ، قد تكون اعمق صدقا واكثر غنى من واقع الحياة . كما يستطيع بقوة ملاحظته ان يصوغ تجارب للغير يستمدها من محيطه الانساني، ومع ذلك لاتقل صدقا ولا مشاكلة لواقع الانسانية العام عن تجاربه الخاصة . وذلك لما هو معلوم من ان الخيال والملاحظة يستطيعان ان يلتقطا ملامح الحياة وخصائصها ، وان يؤلفا بينها على نحو يكاد يكون خلقا للحياة ، واشد مشاكلة لها من التجارب الشخصية (٣) » واهم ما يستوقفنا في هذا الرأي تمسك صاحبه بالمحيط البشري والتزامه بالواقع الانساني من جهة ، وحرصه على جمال الصياغة الفنية وسمو الصورة الادبية من جهة اخرى . فمعنى الصدق والكذب انما هو ــ في النهاية ــ كما يوضح الدكتور مندور ــ « ضعف او قوة في الخيال وشدة ارتباط او تراخ بين الخيال والمشاعر بحيث ينجح الاديب او يفشل في تصور التجربة البشرية وتجسيمها .. فاذا استطاع الخيال ان يجسم التجربة وان يتصورها في وضوح احداثها ، وكانت مشاعره من القوة والتحفز بحيث تستجيب لخياله ــ احسسنا في ادبه بما نسميه الصدق احساسا لا يقل قوة عما يمكن ان يثير فينا تفسُّ الشاعر او الاديب فيما لو تحدث عن تجربة واقعية (٤)» .

فصاحبنا اذن يلح الحاحا شديدا على مشاكلة التجربة « لواقع الحياة » ، فيشترط في الخلق والصياغة ان تكون التجارب دائما مطابقة لملامح الحياة ، ومشاكلة لخصائص الواقع ، وبالتالي يشترط انتكون التجربة ــ كما عبر عنها ــ « تجربة واقعية » . فما هو نوع هذ الواقعية وماهي خصائصها ؟؟

واقعيتان : انسانية واشتراكية

مرت الواقعية عند الدكتور محمد مندور بمرحلتين خطيرتين :

١) المرحلة الاولى : هي « الواقعية الانسانية » التي تحدد فشل الاديب او نجاحه في مدى « تصوره للتجربة البشرية وتجسيمها » . وطبيعي ان تتخذ هذه الواقعيةُ الانسانَ مجالا لها ، والمجتمع اطارا لصورها . ويكفي ان نقرأ هذه الفقرة القصيرة من كتاب مندور « الادب ومذاهبه » لنعرف فهمه لهذه الواقعية اذ يقول : « كنت افهم من دراساتي من الآداب الغربية ان الواقعية في الادب معناها الكشف عن الواقع الحقيقي لنفوس الافراد وحياة المجتمع ، وهو واقع كان كتابُ هذا المذهب يؤمنون بانه واقع « شرير » ، فالانسان في جوهره حيوان مفترس شرير ، وما الخير الا طلاء نحيل لا يكاد يمسه صراعُ الحياة حتى يتحسر ، ليكشف عن واقع الانسان الشرير . كنت افهم هذا المعنى من لفظة الواقعية واجد لها امثلة مخيفة في قصص ومسرحيات الواقعية من الادباء من امثال بلزاك في مجموعة قصصه التي اطلق عليها اسم « الكوميديا البشرية » ، على سبيل السخرية لانها في حقيقتها ماساة الانسانية، وامثال هنرى بك صاحب مسرحية « الغربان » التي تصور جشع المرابين ، ثم من امثال توماس هاردي في قصته المخيفة « تس سليلة دربر فيلد»، كان هذا ما افهمه من معنى الواقعية في الادب » .

ولكن مفكرا تد طموح محمد مندور ونشاطه

(٣) نفس المصدر الصفحة التاسعة .

(٤) المصدر السابق صفحة ١٥ .

وتفتحه ، لايمكن له ان يتحجر عند هذا الفهم الضيق لواقع المجتمع ، وان يرتضي هذا التشويه للحياة الانسانية . كما ان طبيعته المتفائلة المشرقة لم تكن تتفق مع هذه النزعة السلبية وهذه الروح المتشائمة ، لذلك لم يلبث ان ترك هذه الواقعية التي تتستر وراء الانسانية ، الى واقعية ايجابية.

٢ : المرحلة الثانية : هي «الواقعية الاشتراكية» اذ ان محمد مندور الاديب الديناميكي كان ــ كما يصرح بنفسه ــ « يقرا من حين الى حين تفسيرات جديدة لمعنى الواقعية تاتينا من العالم الاشتراكي، وكانت هذه التفسيرات تزعم انها لاتملي على الواقع شيئا ، ولا تزور في حقيقته ، بل تدعي انها هي الاخرى انما تكشف هذا الواقع » . غير ان هذه التفسيرات لم تكن لتستوقف مندور لحريتها ونزاهتها ازاء الواقع فحسب ، بل كذلك ــ وبصفة خاصة ــ لانها « ترى في الواقعية تفاؤلا وايجابية وعدم ياس من الخير عند الفرد وفي المجتمع » . وقد اخذ الدكتور مندور بالواقعية الاشتراكية بعد زيارته للعالم الاشتراكي التي مكنته من التعرف عن قرب على نظرية الواقعية بهذا المعنى الجديد الذى لمسه عند الكتاب السوفياتيين . ولعل احتكاكه بالكتاب الروس ــ في اثناء زيارته ــ قد اثر عليه تاثيرا مباشرا ، فقد تقابل في موسكو مع سيمونوف الذى يصفه مندور « بالكاتب الكبير الذى يحتل مكان الصدارة بين كتاب الاتحاد السوفياتي » . وتحادث الرجلان عن مشاكل الادب ــ وبخاصة عن المناقشات الحامية التي دارت بين سيمونوف وايليا اهرنبورج ــ وسمع الدكتور مندور من سيمونوف قوله : « ان ما نسميه واقعا ليس الا الصورة الذهنية التي لدينا عن الحياة ،فاى شيء لايتخذ وجوده الا من الصورة الذهنية التي لدينا عن الحياة ، ولما كانت الصورة ملكنا فنحن نستطيع ان نلونها باللون الذى نريده والذى نرى فيه مصلحة لانفسنا ولمجتمعنا ... ثم انه لا يلزم ــ لكي يوصف الادب بالصدق ــ ان يقص ما حدث فعلا ، بل يكفيه ان يقص ما يمكن حدوثه . وبذلك يصبح ادبا معقولا مشاكلا للحياة وبالتالي صادقا » (٥) .

وقد استخلص الدكتور مندور من الواقعية الاشتراكية اهم مقوماتها وجلا ابرز خصائصها وصور ادق جوانبها ، وانتهى في تحليله لعينة من الادب الروسي (٦) ومقارنتها بالواقعية الغربية ــ الى أن « روحها تختلف اختلافا بينا عن روح الواقعية الغربية فهذا الشريد (بطل القصة) رغم جوعه وشقائه لم يفقد معنى الخير من نفسه ، ولم تقلب مرارة الحياة عناصر الخير في نفسه » .

وهذا اللقاء بالكتاب الروس جعل مندور ينكب على دراسة ادبهم بمجرد عودته الى مصر ، ويتفرغ لتحليله ومقارنته بالنظريات التي سمعها منهم ، «فتراه يبسط ما استخلصه من اقصوصة الشريد لسيمونوف : من هذه الاقصوصة الصغيرة استطعت ان ادرك ادراكا محسوسا تلك النظريات التي حدثني عنها الاستاذ سيمونوف في موسكو عندما قال : ان ادبهم ادب هادف الى تغليب عامل الخير والثقة بالانسان وقدرته ، وان واقعيتهم وان كانت تتخذ مضمونها من حياة عامة الشعب ومشاكله ، الا ان روحها روح متفائلة تؤمن بايجابية الانسان وقدرته على ان ياتي بالخير ، وان يضحي في سبيله بكل شيء في غير ياس ولا تشاؤم ولا مرارة مسرفة » . والدكتور مندور اذن يقول مع الاشتراكيين بضرورة توجية الادب الى استئصال عوامل الشر وتغليب عناصر الخير التي تمثل انسانية المجتمع وقدسية الكائن البشرى ، ولكن بالانطلاق من الواقع دائما .

فدور الادب في النهاية لايقف عند حد التمييز بين عناصر الحياة المختلفة ، بل يتجاوز ذلك الى التصفية فالدفع ، والتطوير ، عن طريق النمو الذاتي الذى يجعل الادب يتقدم بنفسه وبالمجتمع وبالانسانية جميعا ، وبذلك يلتقي مفهوم الانسانية الايجابي وبمفهوم الاشتراكية وينتهيان الى غاية واحدة . ومن ثم « يتسع المجال لادب الكفاح والتوجيهونشر الوعي والتمهيد للحركاتالاصلاحية الكبرى بل للثورات العارمة .. ولكنه لايعاشرها ولا ينمو اثناء اندلاع لهيبها ، اذ يكون قد ادى مهمته ، ولم تعد امامه حياة مستقرة اعيد تكوينها نهائيا على اسس جديدة ، بحيث يستطيع الادب ان يعود الى نقدها ، وتمييز خطوطها او تقويمها ، ليدفع الى تطورها من جديد على نحو يساير ركب

(٥) الادب ومذاهبه صفحة ٩٣ .

(٦) أقصوصة الشريد لسيمونوف .

الانسانية العام التي لا يني عن الحركة — أن لم نقل عن التقدم المطرد » .

الشعر المهموس

انفرد الدكتور محمد مندور باصطلاح اطلقه على الشعر المهجرى، وجعله اساسا في نقده للشعر العربي المعاصر — الا وهو اصطلاح الهمس . ولم يقصر ذلك على الشعر فحسب ، بل طالب به في النثر كذلك . والهمس دعوة الى الصدق في الشعور والدقة في التعبير، وترك الطنطنة والخطابة، والصدور عن الانفعال الحقيقي لا رواية المحفوظ وترديد التعابير المحنطة. كل ذلك لاجتناب التحجر، وتلافي الجمود ، وبالتالي تكييف الادب مع الحياة المتطورة ، ومسايرته للنمو السريع في حياة الانسانية ، لكي لايبقى الادب في واد ، والحياة في واد آخر . فالدعوة اذن تجديدية ، هي بمثابة امتداد لمبدأ الدكتور مندور من الادب الهادف : الادب الذى ينقد الحياة لغاية الدفع الى التطور .

والواقع ان ادب المهجر يدفعنا الى التأمل في الحياة ، والتعرف على دقائقها ، دون اللجوء الى الحماس الملتهب ، والعاطفة العنيفة ، بل ولا الى الوعظ والارشاد ، فهذا الادب هو — كما يعرفه الدكتور محمد مندور « — ادب حياة ، والحياة شيء اليف : شيء قريب مني ومنكم ، نلقاها فنتعرف اليها للحظتك ، ونسمع الى سرها فتصدقه ، لان قلبك قد احس في غموض بذلك السر ، وجاء الشاعر يهمس اليك فيبصرك بمكانه . لهذا نهتز مشاعرك » . فطبيعي اذن ان يشغف مندور — الداعي الى ادب الحياة — بالشعر والنثر المهجريين على السواء . ولنستمع اليه وهو يصف لنا تاثير المهجريين في نفسه فيقول : « عندما استمع لهؤلاء الشعراء لا افكر في الادب ، انهم يضعونني امام الحياة ويشيرون في همس عميق » (٧) .

والهمس — الى كل ذلك — مذهب في الفن ، وفي الادب بالدرجة الاولى، ويعتقد مندور ان طريق الهمس هو « الطريق الوحيد الذى لم يكن بد للادب العربي الحديث من انتهاجه ، لكي يفلت من الصنعة الى الصدق ، ولكي يرتد الى الحياة » (٨) .

وقد يذهب البعض الى ان الهمس دقة مفرطة ، وحساسية شديدة ، تؤديان الى ضعف في البناء الفني ، وتداع في الاسلوب الشعرى ، وعلى هؤلاء يرد الدكتور مندور قائلا : الهمس في الشعر ليس معناه الضعف ، فالشاعر القوى هو الذى يهمس ، فتحس صوته خارجا من اعماق نفسه في نغمات حارة . ولكنه غير الخطابة التي تغلب على شعرنا فتفسده ، اذ تبعد به عن النفس ، عن الصدق،عن الدنو من القلوب،الهمس ليس معناه الارتجال ، فيتغنى الطبع في غير جهد ولا احكام صناعة ،وانما هو احساس بتاثير عناصر اللغة واستخدام تلك العناصر في تحريك النفوس ، وشفائها مما تجد ، وهذا في الغالب لايكون من الشاعر عن وعي بما يفعل .. الهمس ليس معناه قصر الادب او الشعر على المشاعر الشخصية ، فالاديب الانساني يحدثك عن اى شيء يهمس به ، فيثير فؤادك ، ولو كان موضوع حديثه ملابسات لاتمت اليك بسبب » (٩) .

وبهذه النظرة الجديدة لفت الدكتور مندور الانظار الى قيمة أدب المهجر الجمالية ، وكان بذلك من اسبق النقاد الى اكتشاف شعراء المهجر اكتشافا فنيا دقيقا ، فبدات الحياة الادبية في مناقشة أدبهم على نطاق واسع (١٠) ، بل لم يقف عند التعريف بادب المهجر وحده ، وانما عرف بكل ادب يصدر عن واقع الحياة وبكل شعر « يهمس » . ومن ثم كان تعلقه بهؤلاء الشعراء الذين يتصلون بشعر المهجر بصلات روحية وفنية متينة ، من امثال ابراهيم ناجي والشابي واحمد زكي ابو شادى وغيرهم .

مندور والشابي

وجد الدكتور مندور في شعر الشابي عدة

---

(٧) (في الميزان الجديد) للدكتور محمدمندور ص ٦٤ ، الطبعة الثانية نهضة مصر .

(٨) المصدر السابق ص ٦٩ .

(٩) نفس المصدر ص ٥٠ .

(١٠) ادباء معاصرون للاستاذ رجاء النقاش ص ١١٥ .

خصائص تتفق مع الصورة التي كان يشترطها من الشعر المحلق ، ولعل ابرز ميزة شغلت مندور في شعر الشابي هي روحه المتحدية : « هذه الروح العالية المتفائلة المتجددة العزم ... التي تجعل من ابي القاسم الشابي احد شعراء الحياة الذين لا يعرفون اليأس،ولا تفتوعضدهم الايام والليالي، ولو اننا ذكرنا ان هذا الشاعر العظيم كان يشكو في ميعة الصبا ذات الصدر ، وينتظر بين يوم وآخر قضاءه المحتوم ، لما استطعنا الا ان نحني نفوسنا اكبارا لتلك الروح القوية التي لم تكن تغالب المجهول وحده ، وانما كانت تغالب الفناء نفسه ، وهذه هي الخاصية التي يتميز بها ــ فيما نرى ــ هذا الشاعر الكبير » . واذا اضفنا الى الروح العالية ، الشاعرية الفذة التي مكنت الشابي من التعبير عن هذه الروح تعبيرا فنيا جميلا ــ ادركنا ما يريده الدكتور ، عندما يقول عن شاعرية الشابي انها « قد غلبتني على نفسي وسحرت روحي » . وها هو مندور يدافع عن تجديد الشابي ، واصالة فنه ، وشاعرية روحه ، فيقول : « والذى لاشك فيه ان هذا البناء الموسيقي لم يستمده من أحد في الشرق او في الغرب ، وانما اهتدى اليه بفطرته السليمة وصدقه نحو نفسه ومجاراة موجها المتلاحق » .

غير ان العلاقة الروحية بين الرجلين علاقة خاصة بعيدة الجذور ، اذ هما يشتركان في الروح الثائرة والصراع العنيف مع المرض الدائم : ظلا يقاتلانه في تحد وتصميم حتى آخر رمق في حياة كل منهما ، ولذلك لا نستغرب ان يكون مندور ــ قبل وفاته بيومين « يردد امام بعض تلاميذه ، وهو يرفع قبضته في الهواء بيت ابي القاسم الشابي :

ساعيش رغم الداء والاعداء
كالنسر فوق القمة الشماء (١١)

مفهوم الشعر

كان الدكتور مندور يعارض كل التعريفات الجاهزة والمفاهيم المقررة للشعر ، الا اننا نستطيع ان نستخلص من نقده للشعر العربي المعاصر بعض الخصائص التي يشترطها ، لكي يكون الشعر شعرا ، فهو يقول : « اننا لا نستطيع ان ننكر ضرورة الموسيقى لكل شعر ، والا اصبح نثرا بالبداهة ، كما ان هناك شعرا يستمد معظم جماله من موسيقاه بل تعتبر فيه الموسيقي اداة للتعبير تفوق في اهميتها اللفظ والصورة ، لا في الشعر الرمزى فحسب ، بل في الشعر الوجداني» (١٢). هذا من الجانب الفنى البحت في الشعر . فالموسيقي دعامة هامة ــ ان لم تقل اولى في الشعر . ولكن ما هو نصيب المضمون في التقييم الكلى للشعر والشاعر ؟ الخلق الشعرى يقوم على ناحيتين متلازمتين : المعنى والصياغة ، وقد عرفنا راى مندور في الشكل فما هو تعريفه للمضمون ؟ وما هي مجالات الشاعر في رأيه ؟

يذهب الدكتور مندور الى« ان الشعر في جوهره غناء يشدو بمشاعر النفس ، سواء أكانت تلك المشاعر فردية ، او اجتماعية ام فلسفية ، انعكست في نفس الشاعر وتلونت بلونها » . ولما كان الشعر يعتمد على عنصرى الصياغة والمعنى وجب التوفيق بين العنصرين ، وهذا لا يتسنى لكل الشعراء وبذلك يكون « الشاعر العظيم هو الذى يوفق في فنه الى المعادلة بين نسب العاطفة والفكر والخيال والاسلوب والوزن بحيث يحصل بينها التجاوب الموسيقى الذى ينسجم في القصيد انسجام النور والعطر والماء والهواء في الزهرة الجميلة اليانعة » (١٣) .

فالشاعر اذن ــ في راى مندور ــ حرٌ في اختيار المضمون ــ اجتماعيا كان او فلسفيا او ذاتيا ــ طالما كان متناغما مع الموسيقى الشعرية ، وما لم يَطْغَ على الايقاع الموسيقى .

الشعر الحر

اجتاحت الادب العربى المعاصر موجة جديدة من الشعر ، تدعو الى الثورة على البناء التقليدى للقصيدة العربية ، وتتبنى مضامين جديدة في الشعر ومناهج جديدةفي الصياغة . وكان من الطبيعى ان يقف المحافظون من الادباء في وجه هذه الحركة،

(١١) ادباء معاصرون ص ١٣٢ .
(١٢ ، ١٣) ــ قضايا جديدة في ادبنا الحديث للدكتور محمد مندور ص ١٠٨ و١٠٩ ــ دار الآداب بيروت ١٩٥٨ .

ويعارضونها معارضة شديدة ، فنشأت عن ذلك معارك أدبية حامية بين الفريقين ما زالت مستمرة الى اليوم . ولم يكن الدكتور مندور من الادباء الذين ينعزلون عن هذه المجادلات ويتركون النقاش في مواضيع وقضايا تفيد أدبنا ايما افادة ، لذلك كان سباقا الى بسط رأيه وتحديد موقفه . فما هو الموقف الذى وقفه مندور ازاء الحركةالجديدة؟

لعل الخصائص التى رأينا الدكتور مندور يحدد بها مفهومه للشعر – تلقى ضوءا على جانب من موقفه في هذه القضية : فهو حريص على الانسجام الفنى والتجاوب الموسيقى .

ويشترط في الشعر « الموسيقى التى بدونها لا يجوز ان يسمى شعرا » ، ولكنه ينبه الى « ان موسيقى الشعر ليست هدهدة للقارىء بل هىاحيانا كثيرة اداة للتعبير عما يعجز اللفظ احيانا عن استخراجه من باطن النفس كما ان النغم الموسيقى قد يصبح تعبيرا في ذاته »(١٤) ومن ثم نراه يحذر الشعراء الذين يتركون الشعر الذى يعتمد وحدة البيت في الموسيقى الى الشعر الذى يعتمد وحدة التفعيلة – يحذرهم من مغبة هذا الاتجاه اذ هو «الاتجاه اكثر مشقة من الاتجاه الاول، وذلك لانه يتطلب من الشاعر اذنا بالغة الارهاف ، وقدرة فذة على اخضاع اللغة للموسيقى ، بحيث يكون كل سطر تفعيلة او اكثر ، ويطرد الوزن من سطر الى سطر »(١٥) فصاحبنا يؤيد الحركة في جانبها الايجابى ، ولكنه لا يتردد في معارضة الدخلاء والمتطفلين الذين يستهترون بقدسية الفن، ويعبثون بجمال الشعر ، متسترين بدعاوى « التجديد »و« الثورة » و « التعصير » وغيرها، ومتى جاء التجديد من المواهب القاصرة التىتتطاول على عظمة الفن ، لتهدم قيَمَهُ ، وتشوهرونقه؟

وقد رد الدكتور مندور على هؤلاء الدخلاء والمتطفلين بقوله : « ان بعض ما يكتبه الشبان في هذه الايام بطريقة التقطيع الجديدة قد يكون مهشم الموسيقى او فاقدها اطلاقا ، وقد يكون غثا لا قيمة له كشعر او نثر ، كما لا انكر ان بعض الغرور والاستهتار والتساهل في قداسة الفن وعسره ، ربما يكون قد تطرق الى نفوس بعض الشبان الذين يجب ان يردوا الى رشدهم ، وان يحملوا على ضرورة احترام محراب الفن المقدس وعدم التهجم عليه » (١٦) أما الجادون والموهوبون فلم يتردد الرجل في تشجيعهم ومؤازرتهم ، بدليل كتابته لمقدمة ديوان « عبير الارض » لفوزى العنتيل(١٧) .

ولعل هذا العرض الموجز جدا لاراء الدكتور مندور يبين لنا جانبا من شخصيته ويصور بعض مواقفه الادبية الكثيرة التى ترد وحدها – دون الافتقار الى مدافع – على كل من آراء القدح في اصالة ادبه ، كقول الدكتور محمد النويهى : « انظر في كتابه » في الميزان الجديد تجده في اكثر من نصفه ليس ناقدا للادب ، بل هو ناقد لنقاد الادب ، اعنى انه لا يقف هو امام الادب ليفهمه ولينقل الينا فهمه ، بل يقف امام آراء الاخرين لينقدها . وهذا مهما اجاد فيه لن يجعله ناقدا مبتكرا حقا ، ناقدا خالقا ، والاستثناء العظيم على هذا هو بابه في نقد ادب المهجر (١٨) وبقطع النظر عن انتاج الدكتور مندور الكلي – نجد في هذا الكتاب « في الميزان الجديد » فقط دراسة عن « بجماليون » بين الحكيم وبرنارد شو ، واخرى عن قصة بشر فارس « سوء تفاهم » وثالثة عن « ارواح واشباح » لعلي محمود طه ورابعة عن قصة « نداء المجهول » لمحمود تيمور ، وخامسة عن قصة الدكتور طه حسين « دعاء الكروان » .. – فضلا عن « الاستثناء العظيم » : دراسته للادب المهجرى شعرا ونثرا . وانصح الدكتور النويهي بقراءة شيء من انتاج الدكتور محمد مندور في الادب ككتابه « قضايا جديدة في ادبنا الحديث » و « الشعر المصرى بعد شوقي » و « محاضرات عن خليل مطران » و «مسرحيات شوقي» و «النماذج انسانية» و « فن الشعر » و « مسرحيات عزيز اباظة » و « المسرح » وغيرها من الكتب التىيفترض أن تكون جزءا من «ثقافة الناقد الادبى ! » و « ولا مندوحة لكل مثقف عربي بصفة عامة من الالمام بها او بجزء منها على الاقل » . ■■

رشيد خشانة

القيروان / تونس .

---

١٤ – نفس المصدر الصفة الموالية .

(١٥) قضايا جديدة ١١٠

(١٦) المصدر السابق ص ١١٠

(١٧) المصدر السابق ص ٩٠

(١٨) « ثقافة الناقد الادبي » للدكتور محمدالنويهي الطبعة الثانية بيروت ١٩٦٩ صفحة ٢٩٤ .



أنت تسأل .. ونحن نجيب

.. حتى تتبينوا ..

● انني اعاني الما نفسيا شديدا ، لا اعرف كيف السبيل الى الخلاص منه .. اما مصدر هذا الالم فهو تلك الرغبة التي استبدت بي في الاسابيع الاخيرة للتخلص من زوجتي بالطلاق .. وتسألونني لماذا اريد ان اطلقها فأقول انه عذاب الضمير .. ! لقد تزوجتها منذ عامين ، وكانت هي في التاسعة عشرة من عمرها ، وكنت اكبرها بسبع سنوات تقريبا . وفي ليلة العرس ، اكتشفت ان زوجتي ليست بكرا .. وكانت صدمة لي ، ولكنني اثرت ان اخفي الحقيقة لسببين ، اولهما ، انني اشفقت عليها وعلى نفسي من الفضيحة وثانيهما ، انني احبها ، ولا اريد ان افقدها .. وعشنا كما يعيش اي زوجين ، الى ان انجبت لي طفلا جميلا هو اليوم في الشهر الرابع عشر من عمره . انني في حيرة من امري ، ماذا افعل ؟

س . ك

عمان/الاردن .

ـ هذه الرغبة الملحة التي استبدت بك فجأة للتخلص من زوجتك تثير الحيرة فعلا .. لماذا الآن ياسيدي ، وقد قضيت مع زوجتك عامين كاملين تعاشرها خلالهما معاشرة الازواج ، ما الذي دفعك الى التفكير في تطليقها بعد هذه المدة الطويلة وبعد ان انجبت لك طفلاً ؟ هل انت شيئا اخر يمسك ويشرفك ؟ انك لم تذكر شيئا من هذا في رسالتك . فما الذي اعاد الى راسك ذكرى ليلة ، شئت انت نفسك ان تسدل عليها ستارا من النسيان ؟

ثم ننتقل الى نقطة اخرى ، لعلها غابت عن بالك وانت توجه الى زوجتك هذه التهمة الخطرة.

هل تأكدت من الاسباب التي افقدتها بكارتها .. انها دعوى ان لم تتأكد منها مئة بالمئة ، فقد ارتكبت خطأ كبيراً في حقها وفي حق نفسك كزوج ووالد لهذا الطفل البريء ..

ويقول الاطباء الاخصائيون ان غشاء البكارة ياسيدي على انواع مختلفة ، فهناك الغشاء الذي يشبه الكسوف الكامل ، وهناك الغشاء الذي يشبه الكسوف النسبي ، وهناك الغشاء الذي يبقى بعد الزواج ، فتحمل المرأة وهي ما زالت بكرا وهو ما يسمى بالبكارة الهلالية .

ثم ان فقد البكارة لو انه كان وقع فعلا ليس دليلا على السقوط او الزلل . فقد تكون الفتاة المسكينة قد وقعت فريسة لوحش ادمي في طفولتها .. روى لنا رجل فاضل قصة خادم اعتدى على ابنة مخدومه وفض بكارتها وهي طفلة لم تتجاوز بعد عامها السادس او السابع ، ووقف الاب يبكي في مركز الشرطة ، وهو يروي مأساته ويقول : « الذي يؤلمني ويمزق قلبي ، ان هذا الوحش لم ينتظر الثمرة حتى تنضج » .

دعك من الماضي يا سيدي .. انظر الى زوجتك وأم طفلك الآن .. انظر الى حياتها معك .. هل انت سعيد معها .. هل هي امينة على شرفك ، هل هي ام صالحة وزوجة وفية ؟ اذا كانت كذلك، فانس ما مضى ، وعش في حاضرك ، فالعبرة باليوم والغد ، لا بالذي حدث او تخيلته حدث ، وأنت لا تدري من امره شيئا .

(م . ن)



احتياطي النفط .. وانتاجه في الوطن العربي

● قرأنا في خريطة الوطن العربي التي نشرتموها مع العدد الممتاز ، الكثير عن البترول العربي ، وقد بحثت عن مقدار الاحتياطي النفطي في البلاد العربية ، وكم هو مقدار انتاجها منه فلم اجده ، فأرجو التكرم بإيراد معلومات من هذا القبيل لتكمل الصورة النفطية عند القارىء العربي .

احمد فارس/الكويت

ـ لا توجد احصائيات تحدد تماما كمية النفط الموجودة في باطن الارض ، ولكن الارقام التقديرية لكميات هذا النفط المخزون ، تبين ان مجموع الاحتياطي العربي هو نحو ٣٦١ الف مليون برميل (الطن يساوي ٨٩٨ر٦ برميل) .

اما الانتاج اليومي للبلاد العربية فيبلغ اكثر من ٢٠ مليون برميل .

والاحصائية التالية توضح لنا كمية الاحتياطي النفطي كما هو في ٧٣/١/١ والانتاج اليومي لكل قطر عربي خلال عام ١٩٧١ .

اسم البلد	احتياطي النفط (مقدر بآلاف البراميل)	الانتاج اليومي للنفط (مقدر بآلاف البراميل)
السعودية	١٣٨ر٠٠٠ر٠٠٠	٤٧٧١
الكويت	٦٤ر٩٠٠ر٠٠٠	٣١٩٨
العراق	٢٩ر٠٠٠ر٠٠٠	١٧٠٥
ابو ظبي	٢٠ر٧٦٨ر٠٠٠	٩٣٤
دبي	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	١٢٥
قطر	٧ر٠٠٠ر٠٠٠	٤٣٠
البحرين	٣٧٥ر٠٠٠	٧٥
سلطنة عُمان	٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٨٦
سوريا	٧ر٢٥٠ر٠٠٠	١٢٤
مصر	٥ر٢٠٠ر٠٠٠	٣٠٦
ليبيا	٣٠ر٤٠٠ر٠٠٠	٢٧٥٨
الجزائر	٤٧ر٠٠٠ر٠٠٠	٧٨٠
تونس	١ر٠٠٠ر٠٠٠	٨٩
المغرب	١ر٠٠٠	—
المجموع	٣٦١ر٦٣٣ر٠٠٠ برميل	٢٠ر١٤٩ر٠٠٠

(س . ز)



الأفيــون
توقف زراعته تركيا

● نسمع كثيرا من تهريب المخدرات كالافيون والمورفين والهروين ونعرف ان اكثر الدول تحرم تعاطي هذه المخدرات وتكافح تجارتها .. الا اننا لانكاد نعرف شيئا يذكر عنها غير ذلك. فكيف تزرع، ان كانت تزرع واى الشعوب اكثر ادمانا عليها وما هو المدى الذى يلغوه في محاربتها . نرجو ان تحدثونا من هذه الامور في باب انت تسأل ونحن نجيب..

هلال احمد ـ الاردن

لعلك تحسب المخدرات الثلاثة التي ذكرت مواد مختلفة او مستقلة الواحدة منها عن الاخرى . والحقيقة هي ان الهروين من المورفين ، وان هذا المورفين مستخرج من الأفيون . فالافيون اذن هو خامة هذه المخدرات الاولية وهو نبات يزرع كسائر النباتات .

ولهذه المواد خاصة مشتركة هي التخدير . وقد احسن استغلال هذه الخاصة فكان استعمالها الطبي في تسكين الام المرضى والجرحى . ويصدق هذا بخاصة على المورفين الذى يستخدم في شتى المستشفيات والمصحات .

على ان خاصة التخدير التي ذكرنا طالما اسيء استغلالها فكانت العادة الخطرة ، عادة الادمان على المخدرات . ولا يخفى ان هذا الادمان الذى تحاربه اكثر الدول هو الذى جعل للمخدرات الثلاثة سوقا سوداء رائجة وتجارة غير شرعية رابحة . ومن هنا كان الاقبال على زراعة الافيون زراعة واسعة .

ويزرع الافيون مرة في السنة، في اوائل الصيف، ويجمع محصوله بعد نحو عام ، في فصل الصيف التالي . وهو يزرع بذورا ، لا فسائل ، كما قد يظن البعض . فشجيرة الافيون (Poppy) انما تنبت من البذور لتحمل ما يعرف بجوزة الافيون Opium Capsule . وما الافيون الا عصارة هذه الجوزة . انه المادة الصمغية البيضاء Latex التي يستخرجونها من الجوزة . ويكون ذلك بتجريح جوزات الافيون بسكين حادة عند المساء.

وتفرز هذه الجوزات عصارتها تدريجا اثناء الليل ، حتى اذا كان الصباح ، عمد المزارعون الى كشط تلك العصارة ، بعد ان تكون قد تصلبت قليلا وراحوا يجمعون محصولهم السنوى من الافيون .

وهكذا فان زراعة الافيون تتطلب جهودا شاقة وخبرة ودراية . هذا ومحصول الافيون لا يتناسب وتلك الجهود. فمحصول ٢٠٠٠٠ شجيرة من شجيراته لايكاد يبلغ بمجموعه ١٥ كيلوجراما .

لاعجب اذن ان انتشرت زراعة الافيون حيث اليد العاملة رخيصة . فهي تكثر في الهند والاتحاد السوفياتي وتركيا ، وقد بلغ محصول الافيون فيها سنة ١٩٧١ (٨٦٨) طنا و (٢١٧) طنا و (١١٧) طنا على التوالي .

وتعتبر تركيا موطن الافيون الاصلي ، وقد احتلت في الماضي مكانا بارزا بين الدول التي تزرعه . وحسبنا ان نشير الى ان احدى المدن التركية تسمى افيون ، او ان شئت الاسم الكامل ، قلعة الافيون السوداء Afyon Karahisatim . بيد ان هذه التسمية لم تعد صحيحة ، او لائقة ، وقد حصدت المدينة اخر محصول لها من الافيون في الصيف الماضي حينما اصبحت زراعة هذا المخدر محرمة بقانون لا في منطقة مدينة افيون فقط ولكن في تركيا كلها بلا استثناء .

والغريب ان لهذا القانون صلة وثيقة بالولايات المتحدة الامريكية . فقد انتشر الادمان على المخدرات في امريكا في المدة الاخيرة بحيث عمدت

حكومة واشنطن الى شن حملة ، بل حرب واسعة على المخدرات في العالم .

وتمكنت الحكومة الامريكية من اقناع تركيا باصدار القانون الذى ذكرنا ، وقدمت لها مقابل ذلك مليون دولار تقبضها حكومة انقره سنويا بقصد الاتفاق على اعمال مكافحة المخدرات . وقدمت امريكا بالمقابل ايضا ١٤ مليون دولار توزع على مزارعي الافيون الاتراك ، تعويضاً لهم على التحول عن زراعة المخدر الى زراعة البنجر . وقد عم الاستياء هؤلاء المزارعين الذين لم يعرف عنهم اطلاقا الادمان على الافيون الذى طالما زرعوه واتقنوا زراعته . وهم يتساءلون ببساطة : ماذنبنا نحن ان كان الاولاد في امريكا بحاجة الى مزيد من التربية الحازمة .

وتجدر الاشارة الى ان امريكا لم تحاول ايقاف زراعة الافيون في بلاد اخرى غير تركيا ولم تستطع حتى الان القضاء على مراكز صناعة الافيون والهروين في فرنسا وغيرها ، ولا على العصابات التي تقوم بتهريب هذه المخدرات كعصابة المافيا .

وتجدر الاشارة كذلك الى ان مجموع ما ضبط من المخدرات في العالم بلغ سنة ١٩٦٩ (٦٢٤) طنا . اما الافيون فلم تزد الكمية المضبوطة منه في السنة المذكورة على ٤٠ طنا وهي كمية قليلة بل تافهة اذا ذكرنا ان مجموع محصول الافيون في السنة نفسها قد بلغ ١٢١٩ طنا .

(ي . ز)

فيثاغورس : فلسفته ونظريته الهندسية

● في الهندسة نظرية منسوبة الى فيثاغورس، هي «في المثلث القائم الزاوية يكون المربع المنشأ على الوتر مساويا في المساحة لمجموع المربعين المنشأين على ضلعيه الآخرين » فمن فيثاغورس، وهل هو اول من عرف هذه النظرية لتنسب اليه؟

محمد مكاوى
معصرة سمالوط ــ مصر



ــ فيثاغورس (٥٧٢ ــ ٤٩٧ ق.م) من اكبر عباقرة اليونان القدماء في الرياضة والفلسفة قبل سقراط وافلاطون وارسطو بنحو قرنين ، وكان الى جانب ذلك مصلحا دينيا واخلاقيا وسياسيا . ولد ونشأ وتعلم في جزيرة ساموس Samos ، اليونانية جنوبى بحر ايجة ، ثم رحل الى مصر ثم رحل أو اسر الى بلاد ما بين النهرين وربما الهند ، فاطلع على جوانب من ثقافتها ، ثم استقر في ميناء كروتونا Crotona (جنوبي ايطاليا) التى كانت زاهرة يومئذ بثقافتها وحضارتها ، وكانت فيها مدرسة طبية شهيرة ، وهناك اشتهر بسعة معارفه وعلو اخلاقه ، وحلاوة لسانه ، وسحر شخصيته ، حتى قيل ان مجلس الشيوخ هناك دعاه الى وعظ الشعب ، فاذاعت عظاته البليغة شهرته ، واقبل المعجبون به من شتى المدن في ايطاليا الجنوبية وصقلية .

وقد انشا هناك جمعية دينية سرية نسبت اليه،

وصارت مدرسة فلسفية فيما بعد ، وكان اعضاؤها من الرجال والنساء ، كلهم يصدعون بامره ، ويعيشون على وفق تعاليمه وحكمته في نظام دقيق مع اخوة صادقة ، ولم يكن لاحد منهم مال خاص به ، بل كانوا شركاء فيما يملكون ، فكانت تسيطر على معيشتهم العفة والبساطة والتقشف ، وكانوا يرون ان الروح سجينة الجسد ، فمن الواجب تخليصها من ارجاسه واثامه، بالتسامي لا بالانتحار لان الانسان ملك الآلهة ، وطريقتهم في التسامي هي اطالة التفكير في المسائل الفلسفية ، لتصفية الروح وانعاش العقل .

وفضل فيثاغورس او الفيثاغوريين في الفلسفة انهم اول من نقلوها من التفكير في الحس والمادة الذي كان سائدا قبلهم وفي ايامهم عند فلاسفة « اليونان » الطبيعيين فجعلها الفيثاغوريون في التفكير المجرد الذي لايقوم على حس ولا مادة ، قالوا ان « الكون عدد ونغم » والعدد اساس الاشياء ، ولم يفرقوا بين الكم المنفصل والكم المتصل ، أو وحدة العدد في الحساب ووحدة النقطة في الهندسة ، فاعتبروهما شيئا واحدا ، كما خلطوا بين الجسم الطبيعي والجسم الرياضي. ومع اسهامهم في تقدم الرياضيات والفلسفة اسهموا في الفلك والموسيقى والطب والادب .

ويروى ان فيثاغورس هو واضع كلمة«فيلسوف» لانهم حين سموه حكيما قال : « الحكمة خصلة الهية » ، انما انا فيلسوف « اى » محب للحكمة، وهي الترجمة الحرفية لكلمة « فيلسوف » فهو واضع كلمة الفلسفة . وقد اختلطت آراء هذه المدرسة برأى امامها العظيم فيثاغورس، فلا تمييز على اليقين بين آرائه وآرائها .

ويلاحظ ان علم الهندسة نشأ من علم المساحة فكان اولا مثله : اوصافا عملية وقواعد تقريبية ، وكلاهما نشأ في مصر لحاجة المصرى القديم الى مسح ارضه عقب كل فيضان سنوى ، وكان مما عرفهالمصريون هذه النظرية التيتنسبلفيثاغورس، ولكن عرفوها يقينا في حالة واحدة هي ان تكون اضلاع المثلث القائم الزاوية ثلاث وحدات قياسية واربعا وخمسا على التوالي ، لان (٣٢ + ٤٢=٥٢) اى (٩ + ١٦ = ٢٥) ، فلا دليل على علمهم او جهلهم بها . وكذلك عرف الهنود هذه النظرية يقينا في حالة واحدة ايضا غير حالتها عند المصريين ، وحالتهم هي ان تكون اضلاع المثلث القائم الزاوية خمس وحدات قياسية واثنتى عشرة وثلاثة عشــرة (٢٥ + ٢١٢ = ٢١٣) اى (٢٥ + ١٤٤ = ١٦٩ ، واذا ضوعفت كل ارقام الوحدات في اى حالة من الحالتين السابقتين بنسبة واحدة كانت كالوحدات ايضا ، كما اذا كان الاضلاع ٦ ، ٨ ، ١٠ عند المصريين ، او كانت ١٠ ، ٢٤ ، ٢٦ عند الهنود . فاما النظرية مجردة عامة فلا دليل على ان المصريين والهنود القدماء ، كانوا بها عالمين او جاهلين، فاما فيثاغورث ومدرسته فكانوا بها عالمين .

(م ٠ ح ٠ ث)

اول مجلة في الكويت والخليج

● تشهد الكويت اليوم نهضة صحفية مباركة ، واول شاهد عليها هذه الصحف والمجلات الشهرية منها والاسبوعية واليومية ، وهنا اسأل ، مــا اول صحيفة كويتية صدرت في الكويت ، ومن هو صاحبها وماذا عن اتجاهها وطابعها ؟

عبد الله جواد
الكويت/المنصورية

ـ تعتبر مجلة « الكويت » التي اصدرها المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد سنة ١٩٢٨ اولى المجلات التي صدرت في الكويت ، بل اولى المجلات التي ظهرت في منطقة الخليج ، وقد نالت هذه المجلة شهرة واسعة بين ابناء هذه المنطقة، اذ كانت منطلقا للتعبير عن الراى ومنبرا للادب ، ومجالا

لتربية مواهب الشباب المتادب ، وقد شارك في الكتابة في هذه المجلة عدد غير قليل من فحول الكتاب امثال الامير شكيب ارسلان والشيخ رشيد رضا ومحمود شكرى الالوسي ، وعبد القادر المغربي والشيخ عبد العزيز الثعالبي .

واستمرت هذه المجلة في الصدور في الكويت مدة سنتين ، وكانت تطبع في مطبعة الشورى بمصر ، وتصل الى قرائها في الوقت المناسب ، في الوقت الذى كانت فيه سبل المواصلات عسيرة صعبة .

ثم سافر الشيخ عبد العزيز الرشيد الى اندونيسيا ، وما كاد ان يستقر به المقام هناك حتى اصدر مجلة باسم (الكويت والعراقي) وكان ذلك في سنة ١٩٢٥ م وشارك في اصدار هذه المجلة السائح العراقي المعروف يونس بحرى ، وكانت تطبع في سرابايا واستمرت هذه المجلة في الصدور طوال عام ١٩٢٥ م ، اما طابع المجلتين فهو طابع ديني ثقافي ادبي اسلامي .

وقد راودت فكرة احياء هذه المجلة ابنه الاستاذ يعقوب الرشيد ، فاخذ يتحين الفرص لاصدارها حتى استطاع في عام ١٩٥٠ اخراجها ، فسماها باسم مجلة (الكويت) ، وهو الاسم الذى اختاره والده لمجلته الاولى ، وكانت تصدر في نحو اربع وثلاثين صفحة ، لكنها لم تعمر طويلا لاسباب اقتصادية . وكان يرأس تحريرها احد رجالات الكويت البارزين ، وهو الاستاذ عبد الله علي الصانع ، اما الاستاذ يعقوب الرشيد فكان مديرها المسئول ، وقد شارك في تحريرها ادباء وكتاب كويتيون ، وغير كويتين اما طابعها ، فكان ثقافيا ادبيا بحتا .

والاستاذ عبد العزيز الرشيد من ابرز رجالات الكويت ولد سنة ١٣٠١ هـ وتلقى علومه الابتدائية فيها ، وكان محبا للسفر والترحال فقد سافر الى المدينة المنورة ، واخذ العلم عن احد كبار علمائها ويسمى ابن عزوز ، ثم توجه الى الاحساء ثم الآستانة ، وهناك التقى بالشيخين محمد رشيد رضا وعبد القادر المغربي . ثم سافر الى مصر واقام بها بضع سنين طلبا للعلم في الأزهر الشريف ، فتعرف على ادبائها ومفكريها وتأثر بمناهج الاصلاح التي وضع خطوطها العريضة جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ، وقد منحته ظروف اقامته في مصر للدراسة فرصة الاطلاع على كيفية اصدار المجلات واخراجها ، فشحذت همته الى هذا النوع من الصنعة .

ثم سافر الى اندونيسيا ، وهناك قام بحركة ناجحةفدعا الى الاخذ بالصحيحمن الامور الدينية، ونبذ ما يؤخر المسلمين ، فحارب هناك البهائية التي استشرى خطرها ، فحاضر وناظر واسس مدرسة لتعليم الناس الاسلام واطلاعهم على حقيقته الجوهرية وتعليمهم اللغة العربية لغة القرآن .

وللشيخ عبد العزيز الرشيد عدة كتب ومخطوطات قيمة ومن اهم هذه الكتب كتاب تاريخ الكويت الذى يعتبر المرجع الاول والأصيل لتاريخ الكويت منذ نشأتها حتى الفترة الاولى من تاريخ سمو الامير الراحل الشيخ احمد الجابر الصباح حاكم الكويت الاسبق ، كما يصور الحياة الماضية، وكيف كان اهل الكويت يكافحون ليتغلبوا على طبيعة الحياة الشاقة في الكويت فهم يركبون البحر بسفنهمالشراعية حاملين التجارة اليالهند وشرقي افريقيا ، ويغوصون في البحر بحثا عن اللؤلؤ مستهينين بما يلاقون من صعاب وشدائد .

كما ان له بعض الآثار الاخرى وهي تحذير المسلمين ومحاولات اصلاحية والدلائل البينات في حكم تعليم اللغات ، وله بالاضافة الى ذلك بعض المخطوطات الاخرى ، ومن اهمها تحقيق الطلب في رد تحفة العرب ، والنصائح الكافية فيمن يتولى معاوية والهيئة والاسلام . ■■

(ص . ى)



يا حبيبي ما نحنُ إلاّ هشيمُ

بقلم : الدكتورة عاتكة الخزرجي

■ أنت أحلى من الجمال..من الحب   من النور في جَبين الصبـــــاح
أنت أنْدَى من النسيم . . من العطـــر تناهى من مُتْرفات الأقاحى
أنت أصفى من ليلة الوصل بل أصـــبِ لقلـبي من كل رَوْحٍ وراح
أنت صحوى إمّا غَفَوْتُ، وهيهاتَ ، ونورى إما انطفا مصباحى
ما الذي كان منك أو كان منّـي   يا حبيبي – فليَبْلَـغَ ما شاء لاحٍ..
أنا أهواكَ يا حبيبي لقــد عيِّـــت حروفي ، ولمْ تَصِفْ ألْواحى
أنت فوقَ الشبيه ،فوقَ رفيع الــوصفِ، فوق البيان والإفصـــاح
أنت أعجزت ربّةَ الشعر يا معـــجز الحسن في لحاظ المِـلاح
آيةٌ أنت ، من لدُنْـهُ ، تــراءت   في ظلال «المشكاة» و«المصباح»!(*)
أترانا كنا . فعدنا جميعـــــا   من جديدٍ ، لألفة الأرواح . . .؟ !
مرَّنا قد وعتهُ «مآدُبَةُ الحُبِّ»   قديمــا على شِفاهٍ فِصــاح(١)
وأزاحتْ عــن السرائــر أستــارا ، فشفّتْ عن سِحْرِهِن المُباح

---

* العربي : الشاعرة ذات نزعة صوفية واضحة في كثير من شعرها ، ولعلها تشير في هذا البيت الى اية في القرآن الكريم « الله نور السموات والارض،مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة،زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ..... » (سورة النور – ٣٥)

(١) مادبة افلاطون الشهيرة التى ادير فيها حوار ممتع حول ماهية الحب .



يا حبيبي ما نحن إلا هشيـ ـم سوف يُذرى على جناح الرياح!
صاحِ ، هذا الأديمُ آباؤكَ الصيـ ـدُ فرفقا رفقا بهم يا صاح ..
ياحبيبي ، يمضي الزمانُ وتمضي وهوانا لم يمنحه قط ماحِ
سوف نبقى رغم البلى ، ياحبيبي فالبقاءُ البقاءُ للأرواح ..

★★★

عسعسَ الليلُ يا حبيبي فهدْهِدْ ه على الحبِّ والصفا والسماح
إسقني ، إسقني ، فقد تظمأ الرو حُ ، ويُضني الخَواءُ في الأقداح
والقِني بالكرى . فللهِ لُقْيا هي سرُّ الوصال للأرواح
ولْيُطِلِ الصباحُ عن وردِ خديْـ ـك ، يحيي وَرْدَ الخدود الصباح

★★★

يا حبيبي ، تنفّس الصبح والأ كوان تعنو للخالق الفتاح
سبّحَ الكونُ كله بارىءَ الكو نِ ، وحيّتْ مآذنٌ بالفلاح
وترى القومَ في المحاريب صرعى من خشوع ، وليس في القوم صاح
شربُوا ، وانتشوا ، وما ثَمَّ خَمْر يا لسُكْرٍ قدْ كان من غير راح!
عشقُوا الحسن ، لا جناحَ عليهم ما على الروح إن سمَتْ من جُناح..!

★★★

ياحبيبي ، تعال نمْضِ بعيدا نترقَّبُ السحبَ فوق متْنِ الرياح
أنا لولاك ـ يا حبيبي ـ لما كنـ ـت سوى طائرٍ مهيضِ الجناح..!
أنا لولاك ، يا حبيبي ، لآدتْـ ـني همومي ، واستنزفتني جراحي..!
أنت مني معناي : معنى وجودي أنت روحي ، وأنت رَوْحي وراحي! ■■

كلية الآداب/جامعة بغداد عاتكة الخزرجي

القُبْلَة الأُولى.. والأخيرة

بقلم : خليل الهنداوي

■ حسون فتى من فتيان القرية الاشداء ، بسيط القلب ، صاحب مروءة مندفعة ، يكثر النكت في مجامع الشباب ، يتحدى الفتيان منهم في لعبة « ليّ اليد » وهو ، على رغم شدته ، كان يتحمل كل نكتة منهم عليه ، كما يتجملون منه كل نكتة عليهم .

مات ابوه في الحرب العالمية الاولى ، وهو لا يثق بموته الا لانه لم يعد مع من عادوا .

كانت تكاليف الحياة تسوقه الى العمل في اى مجال كان ، فهو مرة يرعى قطيع القرية ، ومرة يظهر ناطورا على كروم القرية ، ومرة يشاهد على الطرق ، مع كثير من المحتاجين ، يشق ، او يعبّد ، او يصلح او يكسر الحجارة .

وكل مرة يسألونه عن حاله ، كان يجيب :

ــ ساترها المولى ! الحمد لله !

كانت الهجرة تنادى فتيان القرية ، ممن لهم اقرباء رحلوا الى المهجر منذ زمن بعيد او قريب ، ومن لهم اهل في تلك المهاجر البعيدة .

كل يوم ، مهاجر جديد ، يصل بدلا عنه رسالة جديدة ، كانهم عملة نقدية تستبدل بعملة ورقية .

كان الطريق من القرية الى البحر طريقا وعرا ، يتصاعد في الجبل حتى يبلغ القمة ، ثم ينحدر شيئا فشيئا ، بين الصخور العارية مرة ، وبين الغابات الكاسية مرة .

لم يكن هنالك سيارات ولا عجلات ، وكان السفر في قوافل على دواب ، تنقل المسافرين الى المدينة ، كما تنقل المهاجرين الى ما وراء البحار .

على هذا الطريق المتعرج الذى يتوسط قمتين منفرجتين شاهقتين ، كانت تتسلل بينهما في الصيف خيوط الشمس الصفراء ، وفي الشتاء تنقض بينهما رياح عاصفة ، تولول بين الاودية ، والقّ الثلج يسطع دائما في الاعالى !

كان يسأل حسون :

ــ ماذا وراء هذا الجبل الابيض ؟

فيقولون له :

ــ انه البحر .

ــ البحر ؟ كان يردد ذلك ، ولكنه لا يعرف هذا البحر ، ولا يستطيع خياله الضيق ان يتصور البحر. وكل ما يعرفه عن البحر انه مفرق الشمل ، ومبعد الناس عن الناس .

ولكن ذات يوم تغير حسون ، وتبدلت ملامح وجهه ، وصار انسانا آخر .

لماذا تبدل وجه حسون ؟ لماذا لم تعد ضحكته ترن كما كانت ؟ هل هو يحب ؟ ولكن من ذا يحب ؟

انه رأى سميحة مرة على عين الماء ، وهفا فجأة قلبه اليها .

ولكن سميحة فتاة جميلة من اروع ما ابدعت القرية جمالا ، منظورة في القرية يرنو اليها من هم احسن حالا ، وانضر شبابا من حسون ، ولا يجدون عندها جوابا .

كم راح ينتظرها على العين ، وهى تملا جرتها ! ولا يجرؤ ان يحدثها ، ولا ان يلقى عليها التحية ، الا بعينيه الرانيتين اليها .

كم كان يتبعها في الكروم ، وحيث تطا قدماها ، ولكن من بعيد ، من بعيد جدا . كانه لا يرى فيها الا سرابا .

ولا بد ان هذا كله لم يات بمجرد المصادفة .

ان حبه صامت ، واصدق الحب ما كان صامتا .

لقد شعر فتيان القرية وفتياتها بتغير حسون ، واختلاف تصرفاته ، وادركوا انه واقع في حب سميحة . ولكن سميحة وحدها لا تدرى من هذه الشائعة الا انها دعابة .

ولكن الالسنة في القرية اصبحت تجرؤ على السؤال . وهي تجيب مطرقة ، دهشة :

ـ حسون ؟ ومن هو حسون ؟ لا ادري من امره شيئا .

وذات يوم ، سمع حسون بالنبأ المفجع الذي زلزل كيانه :

« سميحة خطبت الى شاب غني مهاجر من شباب القرية » .

وكثيرا ما تتكرر هذه العادة في القرية .

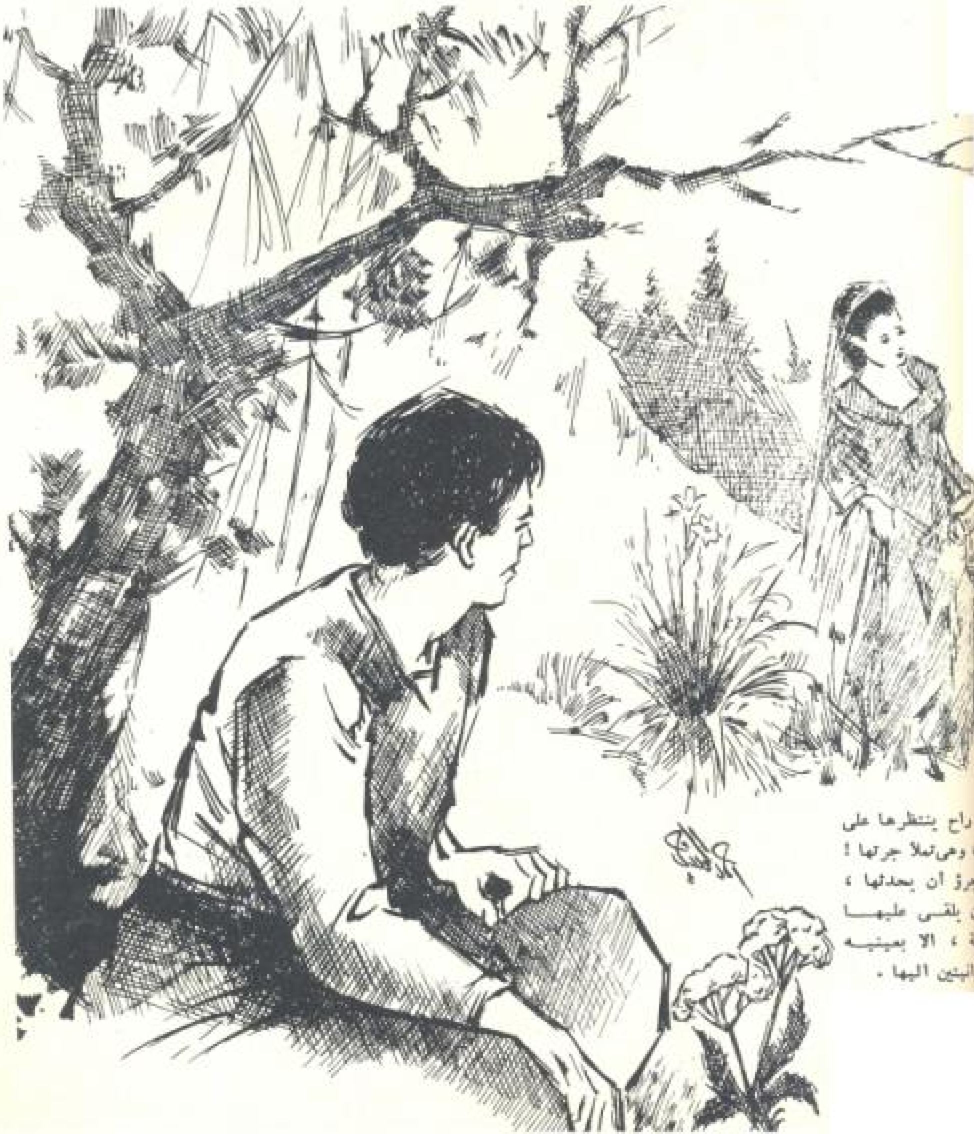
« وقد ارسل اليها هذا المهاجر تذكرة السفر ، واهلها الآن يهيئونها للسفر .

لقد كان النبأ صاعقا .

ـ هل يفاتحها بحبه ؟ لعلها تعدل عن السفر ! ولكن ، بماذا يستطيع ان يجتذب قلبها ؟ وباية حياة يستطيع ان يغريها ؟

انه خلق حقيرا في القرية ، بيته كوخ رث ، وعمله لا يسمح له بحياة راضية ، وانى لمثله ان ان يستمتع بحياة فتاة جميلة مثل سميحة ؟

لو كان بيده مال لاعطى ، لو كان له مستقبل مامون لساوم عليه ، ولكنه لا يملك شيئا الا هذا



… راح ينتظرها على
… ، وهي تملأ جرتها !
… يجرؤ أن يحدثها ،
… ان يلقي عليها
… ية ، الا بعينيه
… والهتين اليها .

القلب الصغير الذى يعذبه .

وازفت ساعة الوداع ، وكان حسون مع من ذهبوا يودعون ، كان الناس يهنئون ، ويقصفون ، ويغنون ، ويمرحون ، وحسون وحده قابع في زاوية،ينظر الى ما حوله نظرات هر ضائع غريب.

حاول بعضهم ان يداعبه :

ـ مالك يا حسون ؟ هل يزعجك سفر سميحة ؟

ـ لا .. لا يزعجنى شيئا . مثلها مثل غيرها . كان الله معها !

وفي لحظة ما،وقعت انظار سميحة على حسون، الفتى المولع بها ، وقد شعرت بان قلبها يعطف عليه لاول مرة . والعطف اول منعطف للحب . وتساءلت ما بينها وبين نفسها :

ـ ولكن .. لماذا لم يَبُح بحبه لها قبل الآن ؟

ثم اخذ الناس يصافحون الفتاة المسافرة غدا ، وهى تصافحهم . وتصنع الابتسام ، حتى اذا وصلت الى حسون رنت اليه بكآبة ، وخشعت امام وجهه المعبر لاول مرة ، ومد هو يده المرتجفة ليصافحها ، فهى لا تستطيع الوصول الى يدها ، ولكنها مالت اليه ـ على غير شعور منها ـ وقبلته على مشهد من الناس الذين ذهلوا لهذه البادرة .

ـ انها تحبه ، وهو يحبها ..

ولكنه حب بدا في هذا المساء ، ليذوب عند الفجر ، شان قطرات الندى التى تتبخر عند الشروق . ارتعش حسون لهذه القبلة التى كانت اول قبلة يذوقها من شفتي امراة ، حتى قبلات امه التى كان نسيها ، لبعد العهد بالطفولة .

كيف قضى حسون هذه الليلة ؟ ولكن ، انى له ان يذوق طعم النوم ! وحياته قد توهجت في هذه الليلة .

في الصباح ، كانت القافلة تمشي ، وفيها دابة تحمل سميحة ، واتخذت بين الصخور طريقها المتعرج صُعُداً نحو الجبل ، الى اعلى القمة التى تشرف على القرية .. القمة التى يمتد وراءها البحر .

كان حسون على صخرة ، وحده يتامل القافلة، ولاول مرة ذرفت عيناه الدموع .

ـ ابن الصخور ، لاول مرة ، يبكي . لقد مات ابوه ولم يبك ، واغمضت امه عينيها، بين ذراعيه، ولم يذرف دمعة .

وما زال شاخصا كذلك ، يتتبع آثار القافلة بعينيه ، حتى اخذت تتوارى في المسالك البعيدة شيئا فشيئا ، وهي تقترب من القمة .

ـ وما هذه القمة التى نرقى اليها ؟ ولماذا كتب علينا ان ننحدر منها ؟ وما هو هذا المرتقى ؟ والى اين المنحدر ؟ الى البحر ؟ اليس كذلك يا سميحة؟

ومرت ايام ... والناس لا يشاهدون حسونا الا قابعا على تلك الصخرة ، وهو يتامل في القمة ، والطريق الذى يذهب اليها ، كان القافلة لا تزال تمشي ، ولم تصل .

خطر له ذات يوم ، ان يكتشف هذه القمة ، وما وراءها .

كانت ايام الخريف بدات تنحسر ، واقبل الشتاء برياحه الهوجاء وعواطفه المترنحة .

ـ ولكن ، ماذا يخيفنى منها ؟ الكل يسلكونها ويعرفون ان الطريق اليها يصل بهم الى عالم آخر .

حمل نفسه ، ومشى وحده على الطريق . وحين ادركه المساء، كانت عاصفة ثلجية تلعب على مدارج القمة .. الثلج ينهمر بغزارة ، بحيث لم يجد صعوبة في ان يكسوَ كل شيء بملحفة بيضاء ناصعة .

حتى الطرق محاها ، والقرى حجبها عن العيون.

حسون وحده كان يمشي ، وسط ركام من الثلج ، يريد البحر .

وعند المساء ، تفقد حسونا اهل قريته واهله .

ـ انه ذهب ولم يعد !

فتشوا عنه على الصخرة المعروفة ، فلم يجدوا له اثرا . ومرت ايام دون ان يعثروا له على اثر !

فكروا في كل شيء الا في رحلته التى اختارها لنفسه .

وذات يوم بينما كان احد الحاطبين يطوف في الغابة، عثر على كومة من ثياب منفوشة ، اقترب منها ، فوجد جثة مدفونة تحت الثلج الذى كان بدا يذوب . كشف عن الوجه المتصلب الازرق :

ـ انه وجه حسون ، حسون الذى اراد ان يكتشف ما وراء القمة التى حجبت محبوبته عنه الى الابد ، ولكنه لم يستطع الوصول الى البحر.

وظل اهل القرية زمنا طويلا ، يرون ، كلما ادلهمت العاصفة وانبسطت على آثرها ، ملحفة بيضاء تغمر حدود الجبال ، ورؤوس القمم ، طيفا يتحرك كظل لا يلبث ان يختفى .

ـ هل هو خيال حسون الذى يذهب ويعود ، ثم يذهب الى بعيد .. بعيد جدا ؟ ■■

خليل الهنداوى



تَأْتِي صِناعَةُ مَوَاد .. البناء

بقلم : الدكتور محمد يوسف بكر

■ تعتبر صناعة مواد البناء من أقدم الصناعات التي عرفها الانسان . فمنذ العصر الحجري الحديث ، عرف الانسان الاول مادة الطينة ، واستعملها في بناء المنازل من الغاب والبوص .

ومنذ ما يقرب من ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد كانت صناعة طوب المباني الطينية من اهم الصناعات ولها شان كبير . واخذت هذه الصناعة تنمو وتزداد حتى أخذ الرومان صناعة الطوب من الاغريق . ومن الرومان انتقلت هذه الصناعة الى اوروبا ثم نقلها الاوروبيون الى امريكا . ثم جاء العصر الاسلامي حيث انتشر استعمال الاجر" (الطوب الاحمر) ، وازدهرت الصناعة الى يومنا هذا . وتطورت الصناعة والانواع والأشكال والاحجام والمواصفات. واصبحت صناعة الطوب ـ لاستعماله في المباني في القرن الماضي واوائل هذا القرن ـ تعتمد على اسس علمية وتكنولوجية ، وذلك حين استخدمت الالات الميكانيكية الحديثة في العمليات الصناعية ، مثل النقل والخلط والتشكيل والتجفيف ثم الحريق .

ورغم أن الجير استعمل مادة" من مواد البناء من قرون عديدة مضت ، نجد المعلومات عن خواصه وصناعته عرفت حديثا . اذ أن الجير صنع وامكن معرفته في حضارات الرومان والاغريق والمصريين . واول من كتب عن الجير كان من الرومان ويدعى ماركوبولوس ، وهو مهندس مشهور (٢٧ق.م. ـ ١٤م) ، فقد كتب عن استعمال الجير في المونات وفي المباني .

ومن أوائل الذين استعملوا البياض من الجبس المصريون القدماء ، تشهد بذلك الاهرامات التي بنوها . كما استخدموا الجبس في عمل الأوعية والاواني والتماثيل وما شاكلها. ولقد كون المصريون القدماء مونة مكونة من مخلوط الرمل مع الجبس المحروق بيد أن الاغريق استعملوا واستبدلوا الجير بدلا من الجبس في الأيام الاولى ولكن مما يذكر ان المونة انتشرت وتقدمت في عهد الرومان .

والرومان أول من عرَّف" أنه ـ حين يخلط ويطحن" رماد" بعض الصخور البركانية مع الجير والرمل ـ تنتج مونة ذات قوة كبيرة عن المونة السابقة ـ هذه المونة تقاوم تاثير املاح الماء .

وفي اواخر القرن الماضي ظهرت صناعة الاسمنت مادة" اساسية من مواد البناء . وتعتبر الآن صناعة الاسمنت والجير والجبس من الصناعات ذات الاهمية الكبرى التي تلعب دورا كبيرا في تقدم الامم .

وعُرِف الزجاج" منذ عصور ما قبل التاريخ ، وتقدمت صناعته حيث أدخلت في روما والقسطنطينية والبندقية ، وقد انتقلت هذه الصناعة الى البلاد الاوروبية ، وفي القرن العشرين حدثت ثورتان في صناعة الزجاج : الأولى التحول الميكانيكي السريع بكامل طاقته في العمليات الصناعية مثل الخلط والصهر والتشكيل والتبريد، والثانية معرفتنا لخواص الزجاج الكيميائية والطبيعية والميكانيكية والحرارية . .

والرخام ثالث عنصر في تكاليف المباني بعد الحديد والاسمنت ، الا انه له مواصفات خاصة عند استعماله في الخرسانة .

وتعتبر مواد البناء من الخشب والحديد والبياض

والبلاط والبويات والورنيشات والدهانات من أهم مواد البناء المستخدمة حديثا والتي لها أكبر الاثر في سرعة الانجاز في مشروعات الانشاء والتعمير.

ويمكن ترتيب عناصر التكلفة في المباني كما يأتي :

حديد ـ اسمنت ـ ركام ـ خشب ـ طوب ـ زجاج ـ زيوت ـ بويات ـ ثم الجير والجبس . ويختلف هذا الترتيب حسب نوع المباني من عمارة سكنية ، الى مدرسة ، الى وحدة مجمعة ، ومن بلد الى آخر ـ ويعتبر الطوب هو المادة الرئيسية من ناحية الكمية والاسمنت يلي الحديد في قيمة التكاليف للمواد الداخلة في عمليات الانشاء .

ان صناعة مواد البناء السابقة وغيرها من أهم الصناعات ، لأنها أساس صناعة البناء ، وتعتمد كل منها على الأخرى ، ويشترك في هاتين الصناعتين عدد كبير من العمال .

والحقيقة أن صناعة مواد البناء تسهم في تنفيذ المشروعات العمرانية لجميع قطاعات التنمية وخاصة في الدول النامية ـ ففي قطاع الاسكان والتشييد تمدنا بالاسمنت والطوب والجير والجبس والزجاج والادوات الصحية وغيرها ، وفي مجال الاصلاح الزراعي ، تمدنا بالاسمنت والمواسير بمختلف انواعها وبالجير والجبس وغيرها ، وفي مجال الكهرباء توفر لنا ما يلزمنا من الاعمدة الخرسانية والعوازل الكهربائية وغيرها .

وتقوم صناعة مواد البناء على استغلال الخامات المحلية وصناعة منتجات منها ، وعلى الخامات المستوردة من الخارج وصناعة منتجات منها .

وان المشكلة الاساسية لمواد البناء هي ايجاد الصالح منها ، الذي يقاوم امتحان الزمن ، والذي يعمر طويلا ويتحمل وقتا كبيرا ، وخامات هذه المواد غير محدودة ، وتوجد في القشرة الارضية ، واغلبها يمكن الحصول عليه بأثمان رخيصة .

ومواد البناء كثيرة ومتعددة وتشمل هذه المواد ما يلي : مواد خاما طبيعية تستعمل كما هي ، ومواد اصطناعية أي تصنع ـ مواد تستعمل كما هي او خلطات من مواد مختلفة ـ منتجات معدنية واخرى غير معدنية ـ منتجات عضوية واخرى غير عضوية ـ مواد اساسية ومواد اضافية . ويمكن تقسيم مواد البناء الرئيسية الى القطاعات الآتية حيث يضم كل قطاع مجموعة من المواد او المنتجات نذكر منها ما يلي :

اولا ـ قطاع المواد العامة الأساسية :

ويضم هذا القطاع ما يلي :

١ ـ الاسمنت وانواعه المختلفة

٢ ـ الاجيار

٣ ـ الجبس .

ثانيا ـ قطاع مواد البناء من الاحجار والرمال والركام :

ويضم هذا القطاع ما يلي :

١ ـ الاحجار : ويضم هذا القسم الاحجار الجيرية والرملية واحجار الجرانيت والبازلت واحجار الزينة (الرخام) والاردواز .

٢ ـ الركام : ويضم هذا القسم الركام الطبيعي والصناعي ، ويضم الركام الصغير (رمل طبيعي ورمل الكسارة) والركام الكبير (زلط وحصى طبيعي او احجار مكسرة) والركام الخليط . ومن امثلة الركام الطبيعي الرمل والزلط وكسر الاحجار وكسر الجرانيت والبازلت ومن امثلة الركام الصناعي كسر الطوب الاحمر .

ثالثا ـ قطاع الطوب وانواعه المختلفة والبلوكات والمون :

ويضم هذا القطاع ما يلي :

١ ـ الطوب المصنوع من الطين بانواعه المختلفة والطوب الاسمنتي والطوب الاسفلتي والطوب الرملي الجيري والطوب المخرم او الخفيف والطوب الحراري .

٢ ـ البلوكات : ويضم هذا القسم البلوكات الخرسانية والبلوكات من الجبس وبلوكات من الاحجار وبلوكات من الزجاج .

خلطات معينة : وتضم الخرسانة الاسمنتية والمرغه ـ خرسانة اللدائن وكذلك المون من الجير والاسمنت والجبس .

رابعا ـ قطاع المعادن والأعمال المعدنية :

ويضم المعادن من الحديد والصلب والالومنيوم والرصاص والقصدير والزنك ومنتجاتها وسبائكها.

خامسا ـ قطاع مواد البناء من القراميد والبلاط والمواسير :

ويضم هذا القطاع ما يلي :

١ ـ القراميد : ويضم قراميد صناعية للاسطح والارضيات والحوائط والواجهة ـ وكذلك قراميد من الاحجار الطبيعية .

٢ ـ البلاط : ويضم هذا القسم البلاط الصناعي من السيراميك وبلاطا من الخرسانة المجهزة والبلاط القيشاني وبلاط الموزايكو ـ وبلاطا من الزجاج ـ وبلاطا اسمنتيا وأسفلتيا وكذلك البلاط من الاحجار الطبيعية (مثل الرخام والبازلت) .

٣ ـ المواسير والبرابخ : ويضم هذا القسم مجموعة من المواسير المعدنية من الزهر والحديد والنحاس والرصاص واخرى فخارية وخزفية وثالثة خرسانية ورابعة من البلاستيك وخامسة من الاسمنت والاسبستوس وسادسة من الزجاج .

سادسا ـ قطاع الزجاج والمنتجات الزجاجية :

ويضم هذا القطاع الزجاج المسطح العادى الشفاف والمنقوش للنوافذ ، والزجاج المقوى والزجاج الزخرفي والزجاج العادى للمصابيح الكهربية .

سابعا ـ قطاع اللدائن (البلاستيك) :

ثامنا ـ قطاع الأخشاب :

ويضم الاخشاب الطبيعية والصناعية مثل الخشب الحبيبي والخشب المضغوط والفورميكا ومنتجاتها ولوازمها .

تاسعا ـ قطاع المواد المستعملة في الدهانات :

وتضم هذه المجموعة البويات والزيوت والورنيشات واللدائن ومنتجاتها والمواد الملونة والغراء ، وذلك لطلاء الاخشاب والحديد والصلب والمعادن غير الحديدية والبياض والطوب والخرسانة .

عاشرا ـ قطاع الادوات والمواد الأخرى غير السابقة :

١ ـ مواد عازلة للحرارة والصوت والرطوبة والكهرباء ومنتجاتها ومواد عازلة للماء والغازات والسوائل .

٢ ـ مواد التثبيت واللحام وتضم القصدير واسياخ اللحام والغراء واللدائن .

٣ ـ مواد تغطية الارضيات والاسقف .

٤ ـ الوحدات جاهزة التصنيع من الخرسانة والخشب والطين المحروق والزجاج والمعادن والبلاستيك .

٥ ـ ادوات وتركيبات صحية وتصنع من الفخار والصيني والمعادن والبلاستيك .

٦ ـ ادوات تركيب الانارة والتهوية والتدفئة وتبييف الهواء .

٧ ـ ادوات الانشاءات بالموقع .

ان مواد البناء يجب تدعيمها وتطويرها وذلك لزيادة معدل الانتاج وسرعة الانتهاء والتجهيز للمشروعات الانشائية وكذلك خفض التكلفة وهذا لا يأتي الا بالاعتماد على البحث العلمي والتكنولوجي ولناخذ مثلا لذلك صناعة طوب المباني اذ يعتبر طوب المباني هو المكون الرئيسي في حجم المباني حيث يتطلب تحسين مواصفاته والنهوض بها وذلك لغرض تخفيض التكلفة في المباني لو أخذنا بالاساليب الآتية :

١ ـ بناء وحدات من الطوب المفرغ واستعماله كبديل للطوب الاحمر العادى ، مع تخفيف الوزن وعزل للصوت والحرارة والرطوبة ، مع توفير كمية من مواد التسليح والحمل على الاساس وتوفير الوقت وبالتالي زيادة الانتاج .

٢ ـ يمكن انتاج وحدات بناء جاهزة كبيرة لاستعمالها للحوائط والاسقف ، وذلك توفيرا للوقت اللازم مع خفض التكاليف البناء وتوفير المونة المستخدمة .

٣ ـ التوسع في مشروعات المساكن السابقة الصنع والتجهيز .

٤ ـ استخدام الطرق الآلية في الصناعة وبذلك نوفر في عدد العمال والاجور والوقت .

٥ ـ يمكن استخدام المواد الموجودة في الموقع فيستخدم الطوب الرملي الجيري في مناطق صحراوية قريبة من محاجر الخامات المستعملة بدلا من الطوب الاحمر وذلك لتوفير الوقت والتكاليف .

٦ ـ وضع افضل المواصفات والتصميمات وتنظيم طرق البناء وتطوير شروط التنفيذ .

٧ ـ التوسع في مراكز التدريب المهني للعاملين في قطاع التشييد والبناء . ■■

محمد يوسف بكر

استاذ تكنولوجية الكيمياء غير العضوية
كلية الهندسة . جامعة الاسكندرية

أنباء الطب والعلم والاختراع

فلسفة طبية جديدة تحت شعار « الموت بنبل وكرامة »

● ان المقدرة الطبية على اطالة الحياة تحمل في طياتها ايضا المقدرة على اطالة النزع الاخير وعملية الوفاة . ان ممارسة الطبيب لمهارته وتطبيقه للتقدم العلمي والطبي قد يؤدي الى اطالة عذاب المريض الميئوس من شفائه .

هذه المشكلة كانت محل نقاش في لجنة برلمانية خاصة لمناقشة مشاكل العمر في الكونجرس الامريكي . ومن بين الاقوال المثيرة التي استمعت اليها هذه اللجنة اقوال آرثر مورجان A. Morgan المدير السابق لكلية أنتيوك بولاية اوهايو . وقد بكى مورجان وهو يقص على اعضاء اللجنة كيف ان الممرضات كن يقمن بفتح فم زوجته بالقوة لاعطائها الدواء بينما كانت في النزع الاخير . وقد كانت قصة مورجان واحدة من القصص المحزنة التي استمعت اليها اللجنة على مدى ثلاثة ايام اثناء مناقشتها مشكلة الموت بكرامة ونبل .

وقد أصر عدد من الشهود الذين ادلوا باقوالهم امام اللجنة ان الموت كالحياة تماما ، يجب ان يتم بكرامة تامة .

وقد قال الدكتور هنري بتشر H. Beecher من كلية الطب بجامعة هارفارد: « انه من الواضح تماما ان هناك وقتا يجيء على المريض يصبح فيه استمرار العلاج غير العادي امرا غير مرغوب فيه ، ولا فائدة منه للمريض الميئوس من حالته » .

ويقول الدكتور والتر ساكت Walter Sackett ، وهو طبيب باطني وعضو منتخب في مجلس ولاية « فلوريدا » . ان معنى الوفاة بكرامة ونبل هو ان نسمح للشخص ان يموت موتا طبيعيا . دون أن نعرضه لكل الاختراعات البطولية التي اكتشفها الطب الحديث . ثم يستطرد هذا الطبيب قائلا : « ان قتل المريض الميئوس منه من باب الرحمة . لا دخل له في هذا الاعتقاد . لأن معنى فلسفة قتل المريض من باب الرحمة Euthanasia تعني استخدام طرق ايجابية لانهاء حياته . وهذا ليس مقصودا هنا تحت شعار الموت بكرامة » .

وقد تقدم الدكتور « ساكت » بمشروع قانون للمجلس التشريعي في فلوريدا يجعل ترك المريض يموت بهدوء وسلام امرا قانونيا . ويقول « ساكت » ان

٧٥٪ من اطباء امريكا يمارسون هذا فعلا . ويتركون الحالات الميئوس منها دون اجراء عمليات تعذيب طبي لا لزوم لها . وقد تقدم اشخاص آخرون بمشروعات قوانين مماثلة لمجالس ولايات ويسكونسين ، واوتاه ، وهاواى ، ومونتانا . وينص مشروع « ساكت » على ان للمريض الحق في ان يكتب وصية يطلب فيها السماح له بالموت دون التعرض للعلاجات الحديثة التي قد تطيل عذابه تحت ظروف معينة (اصابته بمرض معين مثلا) ... وفي حالة عدم وجود مثل هذه الوصية يمكن لأحد اقرباء المريض ان يوصي الطبيب بعدم استعمال الوسائل الطبية الحديثة على المريض لاطالة عمره طالما ان حالته ميئوس منها . وينص المشروع ايضا على انه في حالة عدم وجود اقرباء للمريض ، فانه يمكن لثلاثة اطباء في اى مستشفى معترف به ، ان يجتمعوا ويقرروا ما يرونه في صالح المريض .

ويلقى مشروع « ساكت » معارضة شديدة ويصفه احد معارضيه بانه ، اى هذا المشروع ، قد يتسبب في تحويل حادثة قد تكون قاتلة ، الى حادثة قاتلة ١٠٠٪ .

ويعتبر الكثيرون ان تعبير « الموت بكرامة او نبل » هو تعبير مبهم وغامض ، وان المناقشات الفلسفية والانسانية التي تستغل في تأييد السماح لأى شخص بان يموت بكرامة هي في الحقيقة مشاكل طبية لا فلسفية ، وهي تتعلق بمسئولية الطبيب ، وحقه في اتخاذ القرارات التي يراها هو نتيجة لحالة المريض الذى يعالجه . وقد صرح السناتور فرانك تشيرش F. Cherrch عضو مجلس الشيوخ الامريكي عن ولاية ايداهو ، ورئيس لجنة بحث مشكلة « الموت بكرامة ونبل » انه من غير المحتمل ان تتمخض اعمال هذه اللجنة عن خروج تشريع او تقنين لمسالة « الموت بكرامة في المستقبل القريب » ، لأن هذه المسالة شائكة ولا يمكن اتخاذ قرار فيها قبل ان تقطع طريقا طويلا من الدراسة والتفكير .

ويبدو من هذه المناقشات ان التقدم العلمي قد بدأ يسبب مشاكل عامة في الولايات المتحدة ، قد تستدعي قريبا ادخال تعديلات كثيرة في القوانين العامة في هذه البلاد .

الأجهزة الطبية الحديثة قد تنقذ حياة المريض ، ولكنها ايضا قد تطيل في عذابه اذا كان الشفاء ميئوسا منه .



السحالى المرعبة او الدناصير
لماذا انقرضت ؟

● هذا مثل يعطى للقارىء فكرة عن العلم والعلماء كيف يغوصون فى القديم الاقدم من الزمان غوصا ، يكشفون فيه عما كان فيه من احياء ، ثم ما كان يخبئه القدر لهذه الحيوانات من حياة تطول وتقصر، ومن موت يجيء بطيئا او فجاة.

المثل الذى نذكره هو عن السحالى المرعبة او الدناصير .. وحيوان الديناصور .. من هذه الحيوانات التي عاشت على ارضنا فى عصور ما قبل التاريخ لم يرها احد فى عصورنا الحاضرة، ولذلك كان على علماء البليونتولجي او علم الحياة القديمة Paleontologists ، ان يستنتجوا شكل هذه الحيوانات وكيف كانت تعيش عن طريق الهياكل التي وجدت فى الحفريات ، وكذلك عن طريق تصور البيئة التي كانت تعيش فيها . ان تجميع المعلومات عن حياة الديناصور والعصور التى عاش فيها قد يتيح للعلماء فرصة معرفة سبب الانقراض المفاجىء لحيوان الديناصور منذ ٦٥ مليون سنة .

وقد نشرت اخيرا نظريتان عن الديناصور ، الاولى تتعلق بالجهاز الحرارى فى هذه الحيوانات ، والثانية تتعلق بعملية التكاثر لديها .

وهاتان النظريتان قد تكشفان الستار عن اسباب انقراض الديناصور .

ان التشابه التشريحي بين الديناصور والطيور او الحيوانات الثديية قد ادى الى اعتقاد بعض العلماء انه بالرغم من كون الديناصور من الزواحف الا انه ربما كان من الحيوانات ذوات الدم الحار ، فى حين ان الزواحف فى عصرنا هذا من ذوات الدم البارد .

وقد قام العالم روبرت بيكر Robert Bakker ، وهو يعمل فى جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الامريكية ، بجمع عدة دلائل تشريحية وبيئية تثبت أنه من المحتمل ان يكون الديناصور حيوانا من ذوى الدم الحار .

يقول « بيكر » ان كمية الطاقة التي يستهلكها الحيوان فى حركته تزداد كلما ازدادت سرعة هذه الحركة ، وحيث ان كمية الطاقة التي يستهلكها الحيوان من ذوى الدم البارد اقل من تلك الكمية التى يستهلكها الحيوان من ذوى الدم الحار ، فان سرعة حيوانات الدم البارد تقل عن سرعة الحيوانات ذوات الدم الحار، حتى لو تساويا فى الوزن والحجم .

وقد قدر « بيكر » ان الديناصور الكبير الذى يبلغ وزنه ١٠ اطنان لا يستطيع ان يقطع سوى ٨ر٥ كيلومترات فى الساعة، اذا كان ينتمي الى حيوانات الدم البارد. فى حين ان حصان السباق الجيد يستطيع ان يقطع مسافة تصل الى حوالي ٦٠ كيلومترا فى الساعة . وتدل الحفريات على ان الديناصور كان من الحيوانات النشيطة .

وهناك ظواهر تدل على ان بعض انواع الديناصورات والمسمى علميا هيبسلوفودونت Hypsilophodont يستطيع ان يجرى بسرعة تتراوح ما بين ٥٠ و ٨٠ كيلومترا فى الساعة .

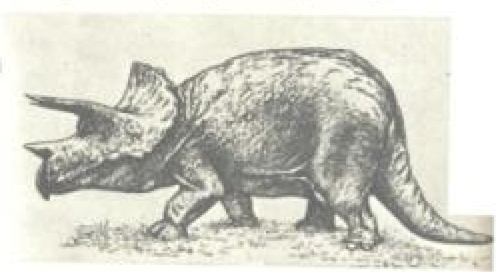
اما الدليل الآخر الذى يسوقه العلماء لتاكيد نظريتهم عن ان الديناصور من الحيوانات ذات الدم الحار فهو يعتمد على حجم الديناصور . ان اصغر نوع من الديناصورات لا يقل وزنه عن ٥٠ كيلو جرام عندما يكون حيا .

وفى حين ان مقدرة الحيوان فى توليد الحرارة تعتمد على حجم جسمه ، فان فقدان الحرارة يتم عن طريق السطح الخارجي لجسمه . وعندما يكبر جسم

الحيوان فان حجم جسمه يزيد بسرعة عن سطح هذا الجسم . ولهذا تفقد الحيوانات ذوات الدم الحار الصغيرة جزءا من حرارتها عن طريق الجلد ، اكثر مما تفقده الحيوانات الاكبر حجما ، ولذلك فهي تحتاج الى طبقة عازلة على جلدها كالشعر او الريش لكي تمنع فقدان الحرارة الزائدة عن حاجة الحيوان .

ان الحيوانات ذوات الدم الحار الكبيرة ، والتي تعيش في المناطق الحارة ، كالفيل مثلا ، تستطيع ان تحتفظ بدرجة حرارة ثابتة لاجسامها بدون حاجة لعازل على جلودها . وقد اثبتت الحفريات ان جلود الديناصور لم تكن مغطاة بالشعر او الفراء . ومن هذه الحقائق والشواهد يحاول العلماء اثبات ان الديناصور حيوان ذو دم حار .

ولما كانت الحيوانات ذوام الدم الحار تاكل اكثر من مثيلاتها في الحجم من ذوات الدم البارد . فان نسبة الحيوانات المفترسة للحيوانات التي تفترس تعتمد على ما اذا كان الحيوان المفترس من ذوى الدم البارد او من ذوى الدم الحار ، وذلك للمحافظة على التوازن في الحياة الحيوانية . وعندما يكون الحيوان المفترس من ذوى الدم البارد فان نسبته تصل الى ٢٥٪ من مجموع الحيوانات التي تعيش في هذا المكان . اما اذا كان من ذوى الدم الحار فان نسبة الحيوان المفترس لا تزيد عن ٤ر٥٪ من مجموع الحيوانات في هذه المنطقة . ويقول «بيكر» ان الحفريات في كندا قد اثبتت ان نسبة الديناصورات في ثلاثة مواقع لم تزد عن ٢ الى ٣ر٣٪ مما يدل ايضا على ان



الديناصور من الحيوانات ذوات الدم الحار .

ويختتم « بيكر » تقريره بان كون الديناصور حيوان من حيوانات الدم الحار ، وكبر حجمه ، وعرى جلده قد يفسر لنا ظاهرة انقراض هذا الحيوان . فمنذ ٦٥ مليون سنة حدث انخفاض كبير مفاجيء في درجات الحرارة . . وحيث انه لا توجد حماية لجلود الديناصور ، ولكبر حجمه بحيث لا يستطيع ان يخبيء نفسه تحت الارض ، فان هذه الحيوانات فقدت الكثير من حرارة اجسامها ، بسبب موجة البرد المفاجئة مما اهلكها كلها وادى الى انقراضها من على ظهر الارض .

وفي نفس الوقت ظهر دليل آخر جديد من الحفريات التي اجريت في جنوب فرنسا . وهذا الدليل يبين ان حيوان الديناصور في هذه المنطقة قد تعرض لتغيرات في عملية التكاثر قد تكون هي السبب في انقراضه .

فقد عثر فريق من علماء جامعة بون على اجزاء من بيض الديناصور في اربع طبقات متتالية من الصخور في منطقة بروفنس Provence ، وكان سمك قشر البيض في اقدم الصخور يصل الى اكثر من ملليمترين في حين ان هذا السمك اخذ يقل بعد ذلك حتى اصبح رقيقا جدا في طبقات الصخور الأحدث ، وقد جعل هذا بيض الديناصور قابلا للتهشم بسهولة . ويعتقد هؤلاء العلماء ان قشور بيض الديناصور قد اصبحت هشة الى درجة لا تتحمل معها مساعدة نمو الجنين داخل البيضة .

ويقول العلماء ان انخفاض سمك قشر بيض الديناصور قد يكون بسبب تغيرات هرمونية في هذه الحيوانات . وقد ثبت مؤخرا ان مسحوق ال د . د . ت ، يسبب تغيرات مماثلة في بيض بعض الطيور .

. . . بقي ان نقول ان امام هاتين

النظريتين حول اسباب انقراض حيوان الديناصور ابحاثا عديدة قبل ان تصبحا حقيقية علمية ثابتة .

وهنا نتساءل هل ينقرض الانسان يوما ما كما انقرض الديناصور ؟ وبأى الاسباب .. وعلى اى الاسس سوف ينقرض ؟

ولنذكر ان الانسان ما هو الا حيوان من الحيوانات من خلق الله .

اعصار واحد يتسبب فى قتل ١١٨ شخصا وخسارة ٣ آلاف مليون دولار ...

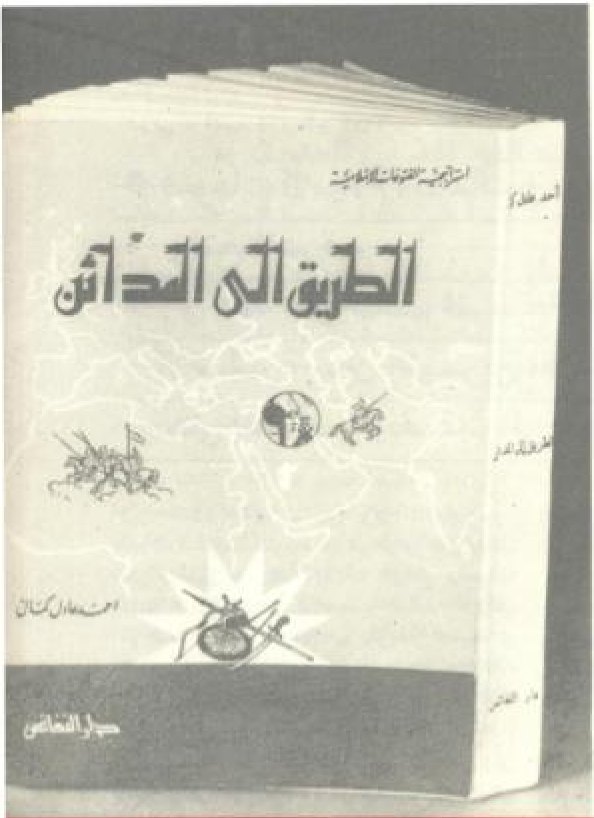
● تتعرض الولايات المتحدة الامريكية ، بين الحين والآخر ، لاعاصير وعواصف شديدة تسبب الكثير من الدمار ، وتؤدى الى قتل وتشريد الكثيرين . وذلك علاوة على الخسائر المادية الفادحة التى تنتج عن هذه الاعاصير والفيضانات والعواصف .

وقد تبين من تقرير اذيع مؤخرا ان الاعصار المسمى اجنس Agnes قد تسبب فى قتل ١١٨ شخصا ، واتلاف ممتلكات ومبان واراض تقدر قيمتها باكثر من ٣ آلاف مليون دولار . وقد دفع هذا الاعصار بكمية مياه تقدر بـ ٢٥٫٥ ميل مكعب على الشواطىء الشرقية لامريكا اى حوالى ربع حجم مياه بحيرة ايرى (وهى احدى بحيرات الولايات المتحدة) .

وقد اذيع فى تقرير اذاعته ادارة المحيطات والجو القومية ان الدرس المؤسف الذى استفادته امريكا من اعصار « اجنس » هو ان برنامج التنبؤ بالاحوال الجوية وحماية البلاد من الفيضانات والاعاصير يحتاج الى اعادة نظر فى مدى نجاحه . وخاصة ان الدراسات قد اثبتت ان هناك تقصيرا شديدا فى انذار الناس بخطر الفيضانات ، وايصال هذه الانذارات فى وقت يسمح لهم بانقاذ ممتلكاتهم ، واللجوء الى اماكن آمنة .

وقد تبين من التحقيقات التى اجريت حول جسامة الخسائر الناتجة عن الاعصار « اجنس » ان هناك تقصيرا شديدا فى ايصال التحذيرات الى الناس ، فمثلا تلقى سكان بعض المناطق المنكوبة تحذيرات من الفيضان فى الوقت الذى كانت المياه قد غمرت اراضيهم . وقد تبين ايضا ان حكومات الولايات مقصرة تماما فى اقامة نظام يحمى اراضيها من العواصف والفيضانات ، فبالرغم من وجود اعتمادات مالية فدرالية لمثل هذه المشروعات ، فان الولايات المتعددة لم تستخدم هذه الاعتمادات ، او استخدمت جزءا لا يذكر منها فى اقامة مشروعات تنبيه وانذار ، وكلها مشروعات غير فعالة .

وقد قامت هيئة الخدمات الجوية القومية بتطوير وسائل التنبؤ الجوى ، وقد بدات هذه الهيئة مشروع تركيب آلات انذار اوتوماتيكية ضد الفيضان على شواطىء امريكا الشرقية . وهذه الاجهزة هى عبارة عن جهاز عائم مغلق اشبه بالكرة العائمة داخل سيفون الحمام . وهذا الجهاز العائم يطلق تيارا كهربيا عند وصول مستوى المياه الى حد معين . وتذهب هذه الاشارة الكهربية الى جهاز انذار مركب فى مبنى البوليس او مركز الاطفاء . ويامل رجال مراقبة الجو فى امريكا ان يتم تركيب ٧ اجهزة من هذا النوع خلال العامين القادمين على شواطىء امريكا المعرضة للفيضانات ، وذلك فى محاولة للحد من عدد ضحايا مثل هذه الاعاصير والفيضانات . اذ ان الانذار بحدوث هذه الاعاصير عندما يتم فى وقت مبكر ، يمكن السلطات من انقاذ الكثير من الارواح والمعدات . ■■



كتاب الشهر

الطَّريقُ إلَى... المَدائِن*

تاليف : احمد عادل كمال

عرض : محمد خليفة التونسي

■ عنيت امتنا بتسجيل احداث ماضيها كاشد ما تعنى الامم العريقة الحريصة على تراثها بحفظه، ونحن من اشد الامم التفاتا الى الماضي والزهو به ، كداب الامم العريقة التي نشات قبائل ،وطال بها عهد القبلية ، ومن هنا كان غنى مكتبتنا التاريخية بل تراؤها الى حد قليل النظير بين الامم ، مع ما ضاع من كنوز هذه المكتبة خلال ماضينا الطويل ، ولا سيما خلال النكبات ، ونحن مع هذا الثراء لم نشرع في كتابة تاريخنا على وجه محكم الا منذ قرابة خمسين سنة ، بعد مرور فترة طويلة من نهضتنا الحاضرة ، نشرنا خلالها كثيرا من ذخائر تراثنا ، وتعلمنا فيها مناهج البحث ، وشعرنا بحاجتنا الى معرفة ماضينا لنقيم حاضرنا على اسسه ، بدلا من ان ننقطع عنه فنتيه بين الامم ، ولا نعرف اى طريق نسلك ، واى عناصر الثقافة الحاضرة ناخذ وايها نترك وان استفدنا بكل ما لدى الحضارة الحديثة من كشوف واختراعات ، وحاولنا ان نسهم فيها بكل ما نستطيع .

ومكتبتنا التاريخية على ثرائها وضخامتها تغلب عليها طريقة الجمع والتقرير ، وتقل نزعة الدراسة والتعليل لانستثني منها كتابا حتى التاريخ الضخم

(*) نشرته دار النفائس ـ بيروت/لبنان

● فتوحات الاسلام : بدأت فى عهد ابى بكر بحروب الردة ، وفتح الحيرة .

● وفى عهد عمر تم فتح القادسية ، ثم المدائن عاصمة الاكاسرة بين النهرين ، فانتشرت الجيوش فى بلادهم حتى احتوتها ونفذت الى ما وراءها .

لابن خلدون الذى لم يكن يرى التاريخ مجرد احداث متشابهة تتكرر ، بل هو ظواهر « في باطنها نظر وتحقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها دقيق » . هكذا قال في مقدمته العظيمة ، ولكن لم ينتفع بما ورد فيها من نظرياته العميقة في « العمران » حين كتب تاريخه ، بل كان كتابه كغيره من هذه الكتب التي هي اشبه ان تكون مواد اولية لكتابة التاريخ ، من ان تكون تاريخا .

ومن هنا كانت غبطتنا بكل كتاب يكتب على وفق النهج التاريخي الحديث، في التحقيق والاستيعاب والتحليل والتعليل .

الفردية لابد منها فى التاريخ

وهذا الكتاب الذى بين ايدينا « الطريق الى المدائن » مثل قيم للاخذ بهذا المنهج وبيان فضله على المنهج القديم ، الذى كان ينزع ــ عند كتابة اى موضوع ــ الى جمع اخباره ، دون نظام يكشف عن فحواها ، ويربطها باسبابها ، فيظهر خصائص موضوعها ، ويحدد فرديته ، سواء أكان الموضوع حدثا او شخصا او جماعة او مذهبا ، وفردية كل موضوع هي لبابه او جوهره الذاتي الخاص ، والعمل الاعظم للمؤرخ هو اظهار هذه الفرديات ، اذ ليس في الطبيعة ولا في الحياة ولا في التاريخ شيء واحد يتكرر ولو مرتين ، وليس يستحق لقب مورخ من لا يعرف ويعرّف فردية موضوعه ، ولو كتب في تاريخ العالم عشرات الاسفار ، وجمع اصح الاخبار ، ولايعدو ان يكون اخباريا .

وهذا الكتاب يبلغ خمسمائة صفحة ، ويتناول مرحلة قصيرة من الفتوحات الاسلامية، اذ خرجت لاول امرها من الجزيرة العربية ــ حيث نشا الاسلام فالتف اهلها برايته ــ واندفع الفتح شرقا الى بلاد الفرس وعاصمتهم المدائن . والمؤلف صريح في تسمية كتابه « الطريق الى المدائن » فالكتاب مع كبر حجمه انما يصف لنا المرحلة الاولى من الطريق، ويقف بنا قبيل موقعة القادسية ،وهذه المرحلة الاولى ولا شك قصيرة ولكنها معقدة عسيرة ، فهي متعددة المسالك مزدحمة بالمعارك ، مضطربة الاخبار ، كثيرة الاسرار ، مما اضطر المؤلف الى طول بحث وتدقيق ، ليصفها في صورة متسقة حية على وفق الفن العسكرى الحديث حتى كأنها من وقائع اليوم ، ولم يكل صبره ، ولا غام بصره ، ولا فتر نشاطه طوال هذه المرحلة القصيرة المضنية ، ولكن بيننا وبين المدائن مرحلة اخرى، هي موقعة القادسية ومقدماتها ونتائجها ، ولا بد لها من كتاب آخر على هذه المنهج ، وقد وعدنا المؤلف به .

رسالة الاسلام في توجيه التاريخ الانساني

ان انتصار المسلمين في معركة القادسية ايام عمر هو الذى مكن لهم من الوثوب على المدائن عاصمة آخر الملوك الساسانيين ثم اتاح لهم الانسياح في بلاد الفرس حتى احتووا اطرافها جميعا ، وذلك عقب قتل ملكها الاخير يزدجرد الثالث ، في عهد عثمان سنة ٣١ ، ثم نفذوا الى ما وراءها في آسيا شرقا وشمالا وجنوبا ، كما نفذوا خلال ذلك وبعده غربا في آسيا وافريقية واوربا ، ليهدموا بين الامم كل الفواصل الجغرافية والعرقية والطبقية واللسانية واللونية والدينية والمعاشية، وسائر الفواصل الثقافية والحضارية ، ليكون الناس جميعا في نعمة الله اخوانا ، فان ربهم واحد ، واصلهم واحد ، ودارهم واحدة ، ومعيشتهم واحدة ، وحرمتهم واحدة ، وحياتهم

● عالج الكتاب هذه الفتوحات بالفن الحربي الحديث .

● فتوحات الاسلام ، الى جانب انها حربية ، كانت فتوحات ثقافية ، ليكون الناس جميعا في نعمة الله اخوة ، سواسية ، احرارا ، فلا فروق ولا حواجز ، بل امة واحدة تدين بالطاعة لرب واحد هو الله ، وان اختلفت طرقهم اليه .

واحدة ، ونهايتهم واحدة ، وهذه هي فتوحات الاسلام او مبادئ رسالته الانسانية ، كما بلغها محمد عن ربه ، وقد نمت اصولها الثقافية في حياته قبل ان يخرج عربي واحد من جزيرته ليبشر بها الاخرين .

ومن هنا نعرف ان فتوحات الاسلام كانت مقدمة فتوحات المسلمين ولولا الاولى ورسوخها في قلوب رجال اهل قوة وبصيرة وامانة وفداء توحدوا بها ومن اجلها ، وتعاونوا على انفاذها — لما تم للمسلمين ايسر فتح ، بل لو تم لهم ملك الارض ما بقي من اثارهم الثقافية والحضارية شيء ، بل لما قام لهم من هذه الاثار شيء ينفعهم وينفع معهم الناس جميعا ، ولما تذكروا هم ، ولاذكر لهم احد" اليوم ما كان لهم من فضل ، فلا جدوى ولا زهو باعظم الفتوحات الحربية ما لم تحمل معها رسالة انسانية تنفع المغلوبين كما تنفع الغالبين ، او تكون هي بينهما نعمة مشتركة ، اما غير ذلك من الفتوح فجدير ان لايذكر الا مقترنا باستنكاره ، والاشمئزاز والخجل منه ، ومن امثلتها حروب التتار التي كانت اشبه بالاعاصير ، او الزلازل والبراكين ، او الاوبئة والطواعين ، ونحوها من الجوائح الكبار . فمثل هذه الفتوح لم فلا تعقب الا ما تعقبه تلك الجوائح من فساد وبوار ، فهي عقاب محض عقيم ، لا شفقة فيه ، ولا نفع منه .

اقسام الكتاب

بعد مقدمة الناشر يأتي الكتاب ، وقد جعله مؤلفه خمسة عشر بابا تنتظمها ثلاثة اجزاء : فالجزء الاول خمسة ابواب ، والثاني يبدأ بالباب السادس وينتهي بالثاني عشر ، والجزء الثالث لبقية الابواب ، وقد ذيل الباب الاخير بتراجم قصيرة لاثنى عشر قائدا ممن شاركوا في الفتوح التي تعرض لها في كتابه ، ثم اورد مراجعه وقد احصاها اربعين ومائة بالعربية : من مؤلف بها او مترجم اليها ، وستة مراجع بالانجليزية ، ثم فهرس الخرائط والاشكال ، وهي خمس وثلاثون خريطة وخمسة اشكال توضيحية ، ثم فهرسان للاعلام احدهما للعرب ، والاخر للعجم ، ثم فهرس البلدان والاماكن ، وختمه بفهرس الموضوعات .

الجزء الاول مدخل لا بد منه

اما الجزء الاول بابوابه الخمسة فمدخل لا بد منه لموضوع الكتاب ، فالباب الاول مقدمة توضح الحاجة الى دراسة المعارك القديمة للاستفادة منها في المعارك الحديثة ، ويضرب المؤلف عدة امثلة لذلك توضح ما يمكن ان نسميه الجغرافية الحربية او العسكرية ، اى تحكم مكان المعركة في سيرها ، وفائدة مراعاته وضرر جهل شيء منه ، وامثلة المؤلف تقرن بين معارك قديمة واخرى حديثة جرت في مكان واحد ، وفاز فيها حديثا — كما فاز قديما — من استوعب مكان المعركة وخطط لسيرها على وفق تضاريسه ، وكان القائد اللاحق على معرفة بخطط زميله السابق .

كما وضح المؤلف ما نال الحروب الاسلامية من حيف ، اذ لم تحلل" او تدرس" من وجهة الفن العسكري استراتيجيا وتكتيكيا ، لمعرفة مسيرتها ، والاسباب الانسانية للنصر او الهزيمة فيها ، اذ مهما يكن لامورنا واحوالنا من اسباب غيبية ، فان الانسان هو مناطها ، فهو وما يملكه ، مرجعها القريب الذى يمكن ضبط حدوده ، وان كان لها مراجع ابعد وابعد لا تخضع لتقدير الدارس ، فلا عليه اذا تمسك بما يعرفه ، ولم يخض فيما

يجهله من الاسباب والحظوظ . وقد استشعر المؤلف الوجيعة من اجل هذا الاهمال ، فثارت حفيظته ، وجمع عزيمته على دراسة الحروب الاسلامية عسكريا ، وعكف على دراسة مراجعها بالتفصيل ، واستعان بكل ما يوضحها له من كتب في الجغرافيا القديمة وخرائطها وتراجم غزاتها المشتركين فيها ، وما كتب عن احوال الامم المفتوحة ورجالها يومئذ قديما وحديثا ، كما استعان بكتب الفلك والتقويمات لتحديد التواريخ ، وبكتب الفن العسكري الحديثة ، ولم يفته ان يطلع ـ مستفيدا ـ على اعمال كتابنا المعاصرين في هذا المجال .

ونحن مع المؤلف في شعوره بهذه الوجيعة من جراء اهمالنا دراسة تاريخنا الحربي بطريقة عصرية ، وعزاؤنا او رزيتنا اننا لم نشرع الا منذ خمسين سنة في كتابة اي ناحية من نواحي تاريخنا على منهج حديث يجعلها اقرب الى مالوفنا ، لتغرى كبارنا وشبابنا بقراءتها كما يقبلون على تواريخ الامم الاخرى المكتوبة باساليب واضحة تجذب الكبار والصغار ، لانها مؤلفة على وفق مستويات مختلفة ، وموضحة بالخرائط والصور الشائقة . ولعل من دواعي العجب ، والشفقة الساخرة او السخرية المشفقة ان تتاخر كتابة تاريخنا العربي الحربي ، مع ان التاريخ بدا عندنا بالغزوات ، فقد كانت السيرة النبوية اول ما عنى اسلافنا ـ لاسبابهم ـ بتدوينه ، وكان اهم ما عنوا به في السيرة مغازي النبي ، وكذلك في تاريخ الخلفاء الراشدين ثم الملوك الامويين والعباسيين ، ولذلك سموا التاريخ في البدء «علم المغازي» ، وكاننا ليس في تاريخنا غير الحروب ، ولم يكن الوجه السياسي في تاريخنا هو الغالب ـ كما يظن ـ بل كانت احداثه معالم الطريق للتاريخ الحربي في مراحله من حاكم الى حاكم ، ولا عناية بغير هذين الوجهين الا قليلا ، وذلك ما يواجهنا عند قراءة مراجعها القديمة المؤلفة في تاريخنا العام ، وابرز ما فيها هو « المغازي » او « الفتوح » وكثير منها يدرج في عنوانه احدى هاتين الكلمتين ، كانما ليس التاريخ الا مغازي وفتوحا ، او حروبا متتابعة ، ولهذا المعنى ظله المقبول او غير المقبول .

وقد وضع المؤلف في هذا الباب منهجه ، وامتحن المراجع ، وقدم من بينها تاريخ الطبري وفسر بعض مغلقاته وان لم يستسلم بكل مافيه ، او يهمل الاستفادة بكل مرجع آخر ، قديم او حديث ، ومراجعه كثيرة كما اسلفنا ، كما وَضَّحَ كلَّ موقعة بما استطاع من الخرائط ، ووضح ادوات الحرب بالرسم ، فكثرت في كتابه الخرائط والاشكال ، مما يسهل على القارىء ان يفهم مسيرة كل معركة بعد ان يتصورها ، اذ لا فهم لشيء دون تصوره ، ومما يعين على حسن التصور دقة التصوير والعرض ، وكان المؤلف موفقا في تطبيق هذا المنهج الطريف .

وفي الباب الثاني رسم المؤلف صورة جغرافية سكانية للجزيرة العربية عند ظهور الاسلام ، او عند الشروع في هذه الفتوحات ، ووضح مواقع القبائل ، ونظام القبيلة ، وطرق القوافل التجارية خلالها ، واسباب معيشتها وبعض عاداتها وحيواناتها ، وطرق تعبئتها في معاركها ، واسلوبها خلال القتال من كر وفر ، واستعانتها بالخنادق حذرا من البيات او الهجوم الليلي ، وما كانت تجرى عليه معارك الاسلام الاولى متاثرة بالاساليب العربية السابقة ، وما جد في الاسلام من قتال الصفوف ، وحفر الخندق حول المدينة .

وموضوع الباب الثالث عدة الحرب ، واهمها الخيل ، والفروق بين الفرسان والمشاة في القتال ، ووفرة الخيول عند العرب وقلتها عند الاخرين ، واعتزاز العربي بها ، ومزية الخيول العربية على سواها ، وقدرتها في القتال ، ومواضع استعمالها دون الابل في القتال ، واستخدام الابل في السير ، وانواع الفروسية والتدرب عليها ، وما يلزم لها من سروج ولجُم ورُكُب . وفي الباب توضيح لما عرفه العرب يومئذ من ادوات القتال بانواعها : كالسيف والرمح والقوس والسهم والدرع ، وكيف كانوا يدربون عليها ، وطرق استعمالها وهم مشاة او فرسان ، وايها كانوا يصنعون وايها يستوردون ، ومصانعها عندهم ، ومواردها من غيرهم ، وكيف كانت تصنع واجزاء كل اداة منها ، كما تكلم على المجانيق والدبابات والرايات والاعلام عندهم وعند الفرس ، وركوبهم البحر في السفن ومن عرف منهم الملاحة فيه .

وموضوع الباب الرابع الدولة الساسانية في فارس : اصلها واواخر ملوكها الذين عاصروا ظهور الاسلام ، وطبقات المجتمع الفارسي : من الملوك

والاشراف ورجال الدين والعسكريين والكتاب والدهاقين (رؤساء القرى) وعامة الشعب ، كما تكلم على النظام الحربي عند الفرس ، ودياناتهم المجوسية ، واحوالهم واضطراب الملك فيهم قبيل الفتح الاسلامي ، وما تركته فيهم الحروب بينهم وبين الروم،ووضح حالة العراق يومئذ وجغرافيته في الجنوب واختلاف حدوده المائية قديما عما هي عليه الان .

وموضوع الباب الخامس المقاييس : او وحدات القياس : كاليوم والبريد والفرسخ والمرحلة والميل والغلوة والذراع والقدم، واستعمالها في المسافات، ومقدارها بالكيلو متر الان ، وبيان المساحات ، والمكاييل ، والموازين والنقود ، ونظام النقد عند العرب : نشانه وتطوره ومنه الدينار والدرهم ، وقيمة كل منها بعملة اليوم ، وختم الباب بالتقويم قمريا هجريا ، وشمسيا ميلاديا ، وقارن بينهما للاستفادة من ذلك في تعيين الفصول وطبيعة المناخ ومواعيد المحاصيل والفيضانات، ثم تواريخ الوقائع في تلك الفتوحات .

ومن هنا يتبين لنا ان الجزء الاول مدخل للكتاب بل للموضوع كله للاستفادة منه في القراءة والكتابة.

الجزء الثاني

واما الجزء الثاني (وابوابه من السادس حتى الثاني عشر) فيبدا بتلخيص حروب الردة وعمل خالد فيها ، ثم دخوله العراق الجنوبي واخر عهده به حين انتقل الى الشام ليقود المسلمين في موقعة اليرموك وينتصر فيها .

وموضوع الباب السادس هو الحروب التي سميت حروب الردة ، وفي هذه التسمية كثير من التجوز أو الخطا ، ولكنها اشتهرت حتى لا أمل في تغييرها، ولكن لا بد ان نعرف ان الذين رفضوا الولاء لحكم المدينة (وابي بكر فيها بعد النبي عليه السلام) لم يرتدوا كلهم عن الاسلام ، بل ان بعضهم ارتد عنه وبعضهم بقي عليه ولكنه ابي الخضوع لحكومتها طمعا في الاستقلال القديم قبل الاسلام ، اعتقادا منهم أن طاعتهم للنبي ايام حكمه في المدينة ولاء" لشخصه ، وليست ولاء" لكل قائم بالحكم في المدينة بعده ، وفي ذلك يقول احد شعراء هذا الفريق المتمسك بالانفصال والاستقلال :

رضينا رسول الله ، اذ كان بيننا
فيا لعباد الله ما لابي بكر

ايورثها بكرا — اذا ما مات — بعده
فتلك — لعمر الله — قاصمة الظهر

وكان راى فريق كبير من الصحابة — وعلى راسه عمر — ترك هؤلاء ينفصلون ما داموا متمسكين بالاسلام ، ولكن راى ابو بكر التسوية بين الفريقين : المرتد (ومظهر ارتداده ترك الصلاة) والمسلم الانفصالي (ومظهر انفصاله عدم اداء الزكاة الى المدينة) وصارح المسلمين يومئذ بانه لايفرق بين تارك الصلاة وتارك الزكاة (اى الممتنع عن ارسالها الى المدينة، ولكنها تجمع وتقسم داخليا) كما قال : « والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليها » .

وعنوان الباب الاول « مدخل الى الفتوح : مع الردة » وفيه تلخيص لحركة الثائرين من هذين الفريقين على حكم المدينة اول خلافة ابى بكر ، وخطط هذا الخليفة العبقرى العظيم لاعادة الوحدة السياسية والدينية الى ما كانت عليه ايام النبي، وما ارسله للقبائل الثائرة من رسائل على ايدى رسله يدعوها الى الطاعة ، ويحذرها عواقب



حروب الردة

العصيان ، ويؤذنها بالحرب اذا اصرت على العناد، ثم تعبئته احد عشر جيشا وزعها على البقاع الثائرة ، وجعل على راس كل جيش قائدا حدد له مسيرته ومهمته مستقلا او مع غيره ، وما كان من القضاء على هذه الثورة الرجعية ، ونصيب كل جيش فيها ، مع تحليل لكل موقعة يبين اسباب ما كان فيها من نجاح او فشل او خيبة ، ثم بيان اثار هذه الحرب الداخلية بين العرب على مجرى امور الجزيرة كلها بعد ذلك داخلها وخارجها على السواء .

والباب السابع تعريف تمهيدي بخالد بن الوليد : تربيته وكفايته الحربية ومكانته هو واسرته بين بطون قريش ، وهجوم خالد ـ وهو مع قريش في موقعة احد ـ ضد المسلمين بقيادة النبي ، مما فوت على المسلمين المحافظة على النصر الذى احرزوه اول المعركة، وانتهاء المعركة بالمتاركة دون انتصار فريق ولا هزيمة آخر ، وعجز خالد وهو في صفوف الاحزاب امام خندق المدينة ـ عن نكاية المسلمين من داخلها ، ثم قصة اسلامه وانسحابه البارع بالجيش الاسلامي سالما في موقعة مؤتة ، ضد الروم في الشام ، وان كانت جيوش الروم يومئذ امام جيشه اضعافا مضاعفة ، ومشاركة خالد تحت قيادة النبي في فتح مكة على رأس احد الجيوش الاربعة التي دخلتها ، وارسال النبي له داعيا للاسلام في القبائل وهادما لبعض الاصنام فيها. ثم نبذة في المثنى واسلامه ، ومكانته في قومه من بني شيبان ثم في قبيلته الكبرى : ربيعة التي ينتسبون اليها ، وكانت ديارها بين الجزيرة والعراق الى البحرين على شواطيء الخليج ، يسكنون الخيام لا الدور ، وما كان من انتصار بني شيبان على الفرس في موقعة ذى قار قبل انتشار الاسلام ، وعلاقتهم الودية الحذرة بالفرس بعد ذلك ، ومعروف ان اعظم قائدين ظهرا بين العرب في معاركهم مع الفرس قبل القادسية هما خالد والمثنى ، بل هما جديران بان يعدا بين قادة العالم اللامعين .

وموضوع الباب الثامن « اكتساح العراق الجنوبي » ، وقد بدا المثنى ذلك قائدا لقومه ، يغير بهم على تلك الحواشي ، فلما انتهت حروب الردة ارسل يستنجد ابا بكر ، وهوّن عليه امر الفرس لو ساعده بمدد ، وفي هذا الباب تفصيل لخطة ـ ابي بكر في الهجوم على العراق بدءا بالحيرة ، واطباق جيشين عليها كالكماشة : احدهما بقيادة خالد من الجنوب ، والثاني بقيادة عياض بن غنم من الشمال ، وفشل عياض واحتباسه عند دومة الجندل بعيدا عن الحيرة ، مع نجاح خالد في عدة معارك حتى قارب الحيرة ، مع شرح هذه المعارك وتحليلها في ايجاز ، ولكنه يكفي لتوضيح خفاياها والاسباب الحربية لنصر المسلمين فيها وهزيمة الفرس .

وموضوع الفصل التاسع فتح الحيرة ، ويبدأ بتمهيد في نشأة هذه المملكة العربية على حدود العراق ، ثم يوضح مسيرة خالد بجيشه اليها حتى تمكن من دخولها صلحا، وكانت الحيرة اولى العواصم الاقليمية التي يحكمها الفرس ، تسقط في ايدى المسلمين ، وكان لفتحها اثاره في دعم الفتح الاسلامي لفارس ، اذ كانت نقطة امامية لازمة ليزحف منها المسلمون على ما وراءها في طريق شاق طويل حتى يبلغوا المدائن ، وفي هذا الفصل بيان مصالحات خالد مع الدهاقين (حكام القرى) في اقليم الحيرة ، وتنظيم الجباية والحماية ، ورسائل خالد الى حكام الفرس في الاقاليم القريبة ، يدعوهم الى الاسلام ، او الاذن له بالعبور الى غيرهم ، ويتهددهم بانه سيعبر طوعا اوكرها « على ايدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

وفي الباب العاشر توضيح لما قام به خالد من اتمام مهمة عياض الذى عجز عن فتح دومة الجندل بعيدا عن الحيرة في الشمال، فاحتبس امامها دون ان يصل الى الحيرة من شمالها كما رسم له ابو بكر ، فلما طال الامر على عياض استنجد

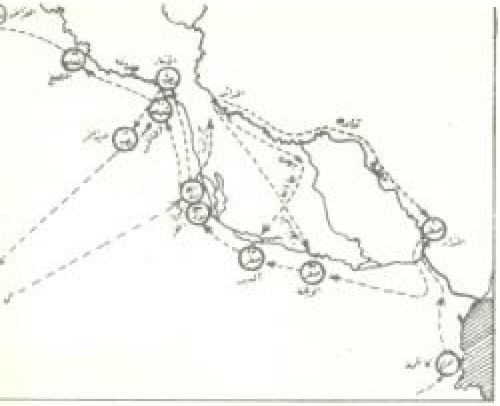


فتح الحيرة

بخالد فخف خالد اليه ببعض جيشه وترك البقية تحت قيادة خليفته الجبار القعقاع بن عمرو التميمي ، ومضى خالد مارا بكربلاء ، ثم الانبار حيث انتصر عندها في معركة ضد الفرس ، ثم عين التمر وفتحها ، حتى اتصل بصاحبه عياض في دومة الجندل ، فتعاونا على فتحها ، ثم رجعا معا الى الحيرة . وفي الباب ايضا توضيح لعدة معارك اخرى ، توالت بعد ذلك ، بعضها بقيادة ابطال من اعوان خالد، وبعضها ــ وهو اهمها ــ ما كان بقيادته ، واشدها « الفراض » اذ كانت تحركات خالد قد امتدت شمالا حتى جاوزت حدود الفرس الى حدود الروم في الجزيرة ، وفي الفراض جمع خالد كثيرا من قواته كي يلتقي لاول مرة بجيش فارسي رومي عربي ، اجتمع له في الجزيرة وهي تقع بين الفرات ودجلة في شمالي العراق ، وكان خالد وجيشه مقابلهم على الفرات في طرف بادية السماوة ، وخيروا خالدا ان يعبروا اليه او يعبر اليهم ، فاختار عبورهم اليه ، فلما عبروا تمايز الفرس من الروم من العرب ، والتحموا جميعا معه ، ولكن خالدا انتصر عليهم وقتل منهم في المعركة والمطاردة بعدها مائة الف في رواية جميع المؤرخين .

والمؤلف هنا يبرز لنا تجديدات خالد الاستراتيجية والتكتيكية ــ ومنها الهجمات الليلية ــ وعظمة فنه الحربي ، مع بيان فضل الاخرين من قواده ، ويصف هذه المعارك الكثيرة التي تعاقبت سريعة ، وخلال ذلك ــ بصورة اظهر ــ يبدو المؤلف اشبه بالمعلم الكفء، المتمكن من موضوعه، الحريص على ان يستوعب تلاميذه كل درسه ، فهو يلاحقهم بخريطة بعد خريطة لكل تحركات كتائب خالد في افتراق بعضها عنه لخوض معارك جانبية ، ثم اجتماعها عليه لخوض معركة أهم ، هكذا مرة بعد مرة كانهم في مباراة سباق او سياحة ، تتبدل خلالها المواقع والحركات ، ولكنها لاتغيم عن بصيرة القارىء لان المؤلف يدفع اليه ــ لدى اى تغير لها ــ خريطة جديدة واضحة .

اما الباب الحادى عشر فيذكر ذهاب خالد سرا للحج مع افراد من رجاله ، دون ان يعلم احد" من جيشه الا اكبر قواده ، ودون علم ابي بكر الذى حج عامئذ كذلك ولكن خالدا لم يقابله، وقطع خالد ــ في رحلة حجه ــ الطريق من الفراض الى مكة (اكثر من ١٦٠٠ كم) في اسبوعين ،



مواقع حربية بين العرب والفرس في عهد ابي بكر وعمر .

فلما وصل جنوده في الفراض الى قاعدته في الحيرة جنوبا ، وافاها معهم خالد" ورفقته في الحج محلقين ، وقد لامه ابو بكر على هذا الخطا ، ولكنه عرف له- فضله فطلب منه ان يترك نصف قواته في العراق تحت قيادة المثنى ، وينتقل بنصفها الاخر الى الشام ، لمساعدة الجيوش الاسلامية الاربعة هناك ، بعد ان توغلت جميعها في الشام ، ولكنها عجزت عن فتحها ، وفي هذا الباب بيان لرحلة خالد وجيشه من الحيرة في العراق حتى انتهى الى بصرى في الشام ، ليقود المسلمين وينتصر بهم على الروم في موقعة اليرموك. والمؤلف هنا يصف طريق خالد من الحيرة الى بصرى ، وعبوره بادية السماوة ، الفاصلة بين العراق والشام ، وهو عبور مشهور في التاريخ لم يسبق الى مثله ، وكان ولم يزل مثلا في الجراة والمجازفة ، كما ان المؤلف هنا يناقش طرق الرحلة كما افترضها سابقوه ، ويرجح طريقا منها ، ويؤيد رايه بادلة كثيرة جغرافية وتاريخية وحسابية وفلكية ، ويستعين في ذلك بما افتاه به جماعة دائرة المعارف البريطانية، والقائمون على مرصد حلوانه ليعيننوا له مواقع بعض الكواكب يومئذ كما ذكرها المؤرخون القدماء .

اما موضوع الباب الثاني عشر فظاهر من عنوانه «هذه الحملة: تحليل ونقد» وهو اطول ابواب الكتاب واجمعها ، وفيه يحلل حملة خالد وينقدها على وفق الفن العسكرى الحديث ، ليكشف عن عبقرية خالد العسكرية ، وتضلعه من الفن العسكرى ، واقتداره على استخدام اساليبه المختلفة بحسب المواقع كاعظم قادة العالم ، وهذا

الباب جامع لمزايا خالد القيادية ، ومزايا قواده وكتائبه الاسلامية في الحرب ، كما انه جامع لمواهب المؤلف ، وتمكنه من موضوعه ، وهو شهادة وافيه على كفايته للكتابة في هذه الموضوعات، لو ثابر على منهجه في البحث ، واستخدم فيها ما استخدم هنا من مواهبه . ولا ملاحظة لنا عليه الا تعرضه لرحلة خالد الى الشام ، واعماله هناك وعزل عمر له عن القيادة ، واسباب عزله ، وبقائه مجاهدا حتى موته على فراشه في حمص ، ودفنه فيها ، وقد عالج المؤلف هذه الزاوية في عشر صفحات هنا ، والثنتي عشرة في الفصل السابق ، وهذه الزاوية ليست في « الطريق الى المدائن » بل خارجها ، ولا شك ان عذر المؤلف رغبته في بيان مزيد من عظمة خالد ، وحرصه على اتمام قصة حياته ، وهذا شفيع مقبول .

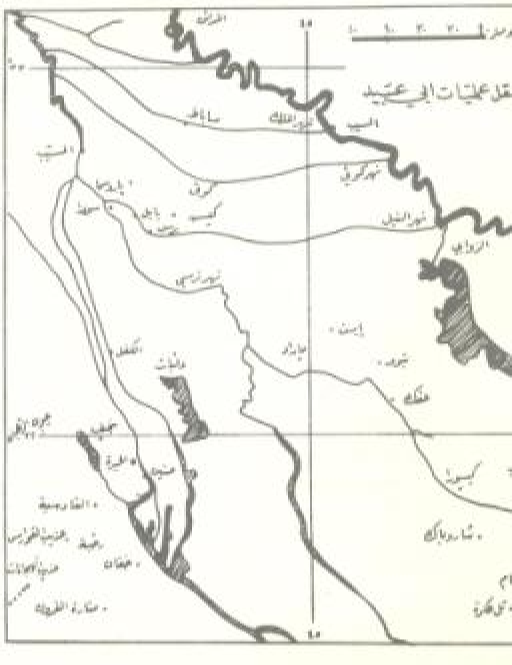
الجزء الثالث

وهذا الجزء يشمل الابواب الثلاثة الاخيرة .

فالباب الثالث عشر منها يوضح حملة ابي عبيد الثقفي التي وجهها عمر اول خلافته ، نجدةً للمثنى وجيشه وما جرى قبلها من معارك بين المثنى والفرس ، منذ رحل خالد ، واحس الفرس برحيله ، وقد انتصر المثنى عليهم في كل لقاء ، اذ لم يكن دون خالد بكثير في عبقريته الحربية ، وكان الين جانبا منه ، وان لم يقل عنه حزما وعزما ونشاطا . كما يوضح الباب وصولَ حملة ابي عبيد الى الحيرة ، وتوليه القيادة العامة ، وانتصاره في معارك كثيرة ، حتى كانت موقعة الجسر على الفرات وفيها التقى ، بجيش فارسي ضخم ، مؤيد بالفيلة ، يقوده بهمن جاذويه ، فخير بهمن ابا عبيد في ان يعبر احد الجيشين الفرات ، فاختار ابو عبيد عبور المسلمين ، مخالفا بذلك وصية عمر له أن يحذر مكر الفرس ، ويأخذ بمشورة اعوانه ، وكانوا قد اشاروا عليه ان يترك للفرس العبور ، فخالفهم وعبر ، وقبل ان يتم جيشه العبور حملوا عليه فحطموا معظم جيشه ، ولم تغنه قوة ايمانه وشجاعته وبأسه وحبه لجنوده ، عما ضيع من الحزم بسوء رأيه ، حين عبر الجسر مخدوعا ، وان كان قد ثبت حتى استشهد ، كما استشهد كلُّ من اوصى باستخلافهم بعده : اخوه وابناؤه الابطال ، حتى تولى القيادة المثنى العبقري ، فاستطاع ببراعته وشجاعته وبأسه ان ينسحب بفلول الجيش بعد ان كاد يقضى عليها قتلا او غرقا في الفرات ، وكادت هذه الهزيمة تضيع كل فتوحات العراق ، اذ جرأت الفرس واثارت فيهم الحمية لاستعادة كل ما فقدوه من بلاد ، لولا ان جمع المثنى كل ما استطاع ان يستنفر من القبائل حوله ، ويقودها جامعا شتات حوله وطوله، ليشغل الفرس بانفسهم على الحدود في بلادهم ، قبل ان يفيقوا من نشوة النصر ، فيبدل سرورهم نكداً ورعبا .

والفصلان الاخيران الرابع عشر والخامس عشر يوضحان هـذه الاعمال البارعة الموفقة بقيادة المثنى ، اذ هاجم الفرس في مواقع شتى مقبلا مدبرا ، وطاردهم حيثما اجتمعوا وانتصر عليهم في كل معركة ، واعماله هنا وكثير من اعمال خالد قبله في هذا الميدان تذكرنا بحركات القائد الالماني العبقري « روميل » ضد الحلفاء في شمالي افريقية ولا سيما صحراء مصر الغربية ابان الحرب العالمية الثانية ، وقد استحقَّ من اجلها لقبه « ثعلب الصحراء » ، وفي الفصل الاخير تحليل ونقد بارع لهذه الاعمال على النحو الذى كتبه المؤلف في الفصل الثاني عشر ، وقد اشرنا اليه عند كلامنا على هذا الباب .

من جزيرة العرب الى الحيرة فالقادسية فالمدائن



وختام هذا الفصل، وختام الكتاب كله،«ملحق» بتراجم اثنى عشر قائدا ليس فيهم خالد ولا المثنى ، وتراجمهم كالمقالات القصار تكشف ملامح من شخصياتهم ولمعا من حيواتهم ، ولكنها لاتوضح فردية كل منهم ، وما كان لها ولا مطمع منها في توضيح هذه الفردية . ومحاولة المؤلف في علاج هذا الموضوع رائدة ، لاشك في ريادتها ، وان سبقه اليه بعض المعاصرين «فكتبوا في الموضوع على نهج عصرى : منهم ثلاثة نوه بهم المؤلف في مقدمته: هم الفريق طه الهاشمي ، واللواء محمود شيت خطاب ، والعميد محمد فرج (١) ولم ينوه المؤلف بكاتب آخر هو الاستاذ عباس محمود العقاد صاحب كتاب « عبقرية خالد » وليس جهده في توضيح شخصية خالد ، ولا دراسته لحروبه عسكريا باقل من جهد احد هؤلاء ، ولا اثره في كتاب « الطريق الى المدائن » باقل من جهد الاخرين ، كما تكشف لنا جملة ابواب الجزء الثاني وهو اطول اجزاء الكتاب .

اما بعد ، فلسنا نعرف صاحب الكتاب ، ولم نسمع باسمه او نعاشره الا من خلال كتابه هذا ، حين قرأناه منذ اسابيع ، ولكنا نقول ان كتابه « مخدوم » كما يقول المؤلفون ، فان كان اول كتاب له ، فهو يدل على جهاد طويل في البحث ، بصبر به ، وعلى انه بدأ وهو تام الرشد ، والا فهو دليل واضح على تمام رشده ، كيفما يكن حظه من التاليف ومحاولاته ، وقد وقف بنا في كتابه هذا على مشارف القادسية ، ونحن في انتظار كتابه التالي فيها ، ماضيا على هذا الاسلوب في التحقيق والعرض والتحليل حتى نجتاز معه القادسية ونتمم رحلتنا معه في « الطريق الى المدائن » .

والله في عون المرء ما دام المرء في عون نفسه وعون الاخرين . ■■

محمد خليفة التونسي

---

(١) للفريق الهاشمي في الموضوع « خالد بن الوليد » وللواء خطاب فيه « الرسول القائد » و « الفاروق القائد » و « قادة الفتح العربى للعراق وفارس » زيادة على كتبه في قادة فتوح الشام ومصر والمغرب ، وللسيد فرج « سيف الله خالد » و « المثنى بن حارثة الشيباني » .



رواد الشعر العربي الحديث

تاليف : يوسف نور عوض

الناشر : مكتبة الامل/السالمية/الكويت

رسالة نال بها المؤلف شهادة الماجستير في الادب العربي، يدرس فيها حركة الشعر العربي الحديث بعد الحرب العالمية الثانية ، وتشمل دراسة لثمانية من رواد هذه المدرسة التي يطلق عليها بعض النقاد مدرسة الشعر الحر او مدرسة الشعر المنطلق .

اما الرواد الذين قام الكتاب بدراستهم فهم نازك الملائكة ، بدر شاكر السياب ، عبد الوهاب البياتي ، صلاح عبد الصبور ، احمد عبد المعطي حجازى ، خليل حاوى ، محمد مفتاح ، محمد الفيتورى ، صلاح احمد ابراهيم ، واخيرا نزار قباني .

واما الكتاب فينقسم قسمين ، القسم الأول منه يقع في خمسة فصول وعناوينها كالآتي ، البحث عن المصطلح الجديد ، الحركة الجديدة ، منابعها، اهدافها، الثورة على الشكل والموسيقى التقليدية. الشعر الحديث والنقاد. والقسم الثاني دراسة لنتاج هؤلاء الشعراء الذين ذكرهم سابقا .

حقوق الانسان والقانون الجنائي

تاليف : حسين جميل
الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية/ القاهرة

دراسة قانونية وافية تتناول حقوق الانسان والقانون الجنائي ويراد منها تدعيم حقوق الانسان في بلادنا العربية ، وذلك من دراسة هذه الحقوق في علاقتها بالقانون الجنائي وتبيان ما يجب ان يكون عليه هذا القانون بحيث لا تعتدي نصوصه واحكامه على حقوق الانسان ، وكذلك مايجب ان تتضمنه من مبادىء واحكام تحمي بها هذه الحقوق ثم الدور الذي يمكن ان تضطلع به المحاكم الجنائية في هذه الحماية .

وتبدو اهمية القانون الجنائي بالنسبة لحقوق الانسان في ان معظم القيود التي ترد على حقوق الافراد وحرياتهم ترد في القانون الجنائي ، وهذه القيود هي التي تحدد في الواقع مضمون الحرية .

لذلك كانت معرفة هذه القيود وتحليلها اجدى في التعرف على حقيقة الحريات التي يتمتع بها مواطنو بلد من البلاد من حيث مضمونها وحدودها كما انها الزم للباحث من الرجوع الى دستور ذلك البلد وما سطر فيه من نصوص بشأن الحريات طالما ان هذه الحريات عرضة لأن يحد منها او تشل عن طريق القانون الجنائي ، ومادامت العبرة في آخر الامر الى حكم هذه القيود ، وما يترتب عليها من آثار في التطبيق .

وقد قسم المؤلف موضوع حقوق الانسان والقانون الجنائي في هذا الكتاب ثلاثة اقسام ، القسم الاول : يدرس مبادىء في انظمة الحكم لضمان خضوع السلطة لمطالب حقوق الانسان ، اما القسم الثاني : فيدرس الضمانات التي يجب توفيرها للشخص غير المتهم بارتكاب جريمته ، والقسم الثالث : يوضح حقوق الشخص المتهم بارتكاب جريمة وضماناتها .

مؤيد الدين بن العلقمي

تاليف محمد الشيخ حسن الساعدي
الناشر مطبعة النعمان /النجف الاشرف / العراق

ترجمة لحياة آخر وزير لآخر خليفة عباسي ومحاولة لابراز معالم تلك الشخصية التي وصلت الى الوزارة في فترة تعتبر من ادق فترات التاريخ الاسلامي ثم محاولة للكشف عن الصفحة التي ختمت بها حياة الدولة العباسية فقضي بها على الكثير من آثار الحضارة الاسلامية على أيدي التتار . ولكن هل كان لهذه النكبة مقدمات ام انها كانت مفاجأة ، واخيرا من المسئول الاول عن هذه النكبة ؟ وهنا يأتي دور المؤرخين ، فيذهب البعض الى توجيه اصبع الاتهام الى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي الذي راسل التتار وكاتبهم ومهد لهم للايقاع بخصومه السياسيين والمعاندين بدافع الحقد والثأر ، ويذهب البعض الآخر الى نزاهته من هذه الوصمة ويدللون على ان النكبة كانت وشيكة الوقوع لامور خطيرة سبق ان ارتكبت من قبل المسئولين قبل مجيء ابن العلقمي الى الحكم وبعد مجيئه .

اما المؤلف فيقف ازاء هذا الاتهام بروح من الحيطة والتجرد متخذا من موضوعية البحث سبيلا للكشف عن حقيقة ابن العلقمي وما رافقها من احداث .

وقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة فصول كشف في الفصل الاول فيه عن شخصية ابن العلقمي ، وذلك من خلال التعرف على العوامل البيئية والوراثية التي اثرت على تكون شخصيته ، اما الفصل الثاني فتناول فيه تاريخ ابن العلقمي في هذه الفترة ودوره فيها ، اما الفصل الثالث فيدرس النصوص والاتهامات التي وجهت له للتعرف على صحة هذا او بطلان ذلك .

اغاني ربيع

تاليف/عبد المحسن محمد الرشيد
الناشر : دار الكتاب اللبناني/بيروت/لبنان

● مجموعة قصائد شعرية تمتاز بوضوح الفكرة وقوة التصوير وبراعة التعبير مع خلو من التعقيد، وصراحة في ابداء الرأي ، حتى ولو كان في هذا الرأي ما يسيئه او يضر بمصالحه ، اما قصائد هذه المجموعة فانها لشاعر غنائي قوي الاسلوب ، جميل الايقاع ، رائع النغم ، وقد نشر الكثير من قصائده في المجلات والجرائد التي تصدر في الكويت وبعض البلاد العربية فهو ليس من اولئك الشعراء الذين يحسبون الشعر تحللا وانطلاقا من غير هدى ومن غير قاعدة او من اولئك الذين لا يهمهم من الشعر الا الكلمات والجمل المحشوة غموضا والمنثورة هنا وهناك دون قاعدة تنظمها او قافية ووزن يميزانها عن النثر . ■■

قصة من ايرلندة

القنّاص

للكاتب الأيرلندي : ليام أوفلاهيرتي

ترجمة : نادر يعقوب الأطرش

ليام اوفلاهيرتي Liam O'Flaherty

كاتب روائي وقصصي ايرلندي ولد عام ١٨٩٦ . تعلم في الجامعة في دبلن ، والتحق بالجيش الايرلندي ، وجرح في الحرب العالمية الاولى . واثناء فترة استجمامه اصبح رحالة يجوب انحاء العالم ، وفي سنة ١٩٢٥ نشر روايته الشهيرة « المخبر » The Informer ، ويعيش معظم وقته في الولايات المتحدة الا انه يقوم بزيارات منتظمة لوطنه ايرلندا .

■ اخذ نور الغسق في الافول في ذلك اليوم من ايام حزيران الطويلة ، وبدأ الليل يرخي سدوله السوداء حول مدينة « دبلن » ، الا من نور خافت يرسله القمر من خلال سحب مبعثرة .. ويلقيه شاحبا ـ وكأنه من فجر يقترب ـ فوق الشوارع ومياه ليفي السوداء .

وزأرت المدافع حول المنطقة المحاصرة . وهنا وهناك في المدينة كان صوت الرشاشات والبنادق يمزق صمت الليل ، مثل الكلاب التي تنبح في المزارع المقفرة .. فقد كان الجمهوريون والاحرار يشتبكون في حرب اهلية !

وفوق احد السطوح عند جسر اوكونيل ، كان قناص جمهوري يرقد ينتظر ، وبجانبه بندقيته ، وفوق كتفيه يتدلى منظار ميدان .

كان وجهه اشبه ما يكون بوجه طالب .. نحيف ومتقشف ! .. الا انه كان لعينيه ذلك الوميض البارد لانسان متعصب . وكانت عيناه عميقتين مفكرتين .. عيني رجل اعتاد على النظر الى الموت !

كان يأكل شطيرة بنهم .. فلم يكن قد اكل شيئا منذ الصباح ، ولذا كان مندفعا في التهامها . وما ان انتهى منها ، حتى اخذ قارورة من الوسكي من جيبه ، وعب منها جرعة قصيرة ، ثم اعاد القارورة الى جيبه . وصمت لحظة وهو يفكر : هل يغامر بالتدخين .. وفيه ما فيه من خطر ؟ فالوميض معرض للرؤية في الظلام .. وهناك اعداء يرقبون ؟!

ومع ذلك فقد قرر ان يقوم بالمغامرة .

وضع لفافة بين شفتيه ، واشعل عود ثقاب ، ثم سحب الدخان بسرعة واطفأ العود . وفي الحال اصطدمت رصاصة بجدار السطح . فاخذ القناص نفسا آخر ثم اطفأ اللفافة . وزحف بعيدا عن الجدار . ثم رفع رأسه بحذر ، ونظر من فوق الجدار ، فلمح وميضا .. وازت رصاصة فوق رأسه فانبطح في الحال . وحسب رؤيته للوميض جاءت الطلقة من الجانب الآخر للشارع .

وتدحرج فوق السطح الى ان وصل الى مدخنة تقبع في الخلف ، واخذ ببطء يرفع نفسه خلفها الى ان اصبحت عيناه في مستوى اعلى جدار السطح . لم يكن هناك شيء يرى الا المعالم الخارجية المعتمة لأعلى البيت المقابل .. ومن خلفه السماء . وكان عدوه مختبئا لا يظهر منه شيء .

وفي تلك اللحظة ، جاءت سيارة مصفحة عبر الجسر ، وتقدمت ببطء ، اعلى الشارع . وتوقفت

عند الجانب المقابل للشارع على بعد خمسين ياردة الى الامام . وتمكن القناص من سماع صوت المحرك اللاهث البليد ، فازدادت ضربات قلبه : اذ كانت السيارة معادية ، واراد ان يطلق النار ، ولكنه ادرك انه لا جدوى من ذلك ، لان رصاصاته لن تخرق الفولاذ الذى يصفح ذلك الوحش الرمادى !

وبعد ذلك ، قدمت من منعطف شارع جانبي امراة عجوز يغطى راسها شال" رث" ، وشرعت تتحدث الى الرجل القابل في برج السيارة . كانت تشير الى السطح حيث يكمن القناص . لقد كانت مخبرة .

وفتح برج المصفحة ، وبرز منه راس وكتفان لرجل يتطلع باتجاه القناص . فرفع الاخير بندقيته واطلق النار ، فسقط الراس بعنف على جدار البرج ، بينما اندفعت المراة مهرولة باتجاه الشارع الجانبي . واطلق القناص النار ثانية ، فترنحت المراة وسقطت في الخندق بعد ان اطلقت صرخة حادة !

وفجاة، دوت طلقة من السطح المقابل، فسقطت بندقية القناص ــ وهو يشتم ــ وفرقعت لدى اصطدامها بالسطح . وظن القناص ان الصوت الناتج سيوقظ الموتى . وتريث ليلتقط البندقية، ولكنه لم يقو على رفعها فقد كان ساعده ضعيفا على الحركة ، فغمغم : لقد اصبت .

وانبطح على السطح ، وزحف الى الخلف نحو الجدار . وجس بيده اليسرى ساعده الايمن المصاب .. كان الدم ينزف من خلال كوع ردائه.. ولم يكن هناك اى الم .. وانما مجرد احساس مخدر .. وكان الذراع قد بترت !!

وبسرعة اخرج سكينه من جيبه ، وفتحه على حافة الجدار وشق الكم . كان هناك ثقب صغير احدثه دخول الرصاصة .. ولم يكن هناك اى ثقب في الجانب الاخر .. اى ان الرصاصة استقرت في العظم ، ولابد انها قد احدثت به كسرا ! .. ثنى الساعد اسفل الجرح فانثنى الى الخلف بسهولة .. فصر على اسنانه ليتغلب على الالم .

تناول حقيبة الميدان وشقها بسكينه ، ثم كسر عنق زجاجة اليود ، وجعل السائل اللاذع يقطر في الجرح .. فاجتاحت جسده موجة من الالم . ثم غطى الجرح بالقطن ، ولفه بالضمادات ، وربط اطرافها باسنانه .. ثم استند الى جدار السطح، واغلق عينيه وهو يجاهد ليتغلب على الالم !

كان كل شيء في الشارع ساكنا ، فقد انسحبت السيارة المصفحة بسرعة الى ما فوق الجسر ، بينما كان راس رجل الرشاش يتدلى بلا حياة فوق البرج .. وجثة المراة لا تزال ترقد ساكنة في الخندق .

ورقد القناص مدة طويلة وهو يعالج ذراعه الجريحة ، ويخطط للهرب ، اذ يجب الا يطلع الصباح عليه وهو لا يزال جريحا على السطح . ولكن كيف السبيل الى ذلك والعدو على السطح الاخر يرقب تحركه ؟ لابد اذن من قتل ذلك العدو، ولكنه لا يستطيع استعمال بندقيته . ليس امامه الا ان يستعمل المسدس .

وفكر في خطة .

نزع قبعته عن راسه ، ووضعها فوق فوهة بندقيته ، ثم دفع البندقية ببطء الى أعلى فوق الجدار ، حتى اصبحت القبعة مرئية من الجانب المقابل . وفي الحال دوت طلقة نارية ، واخترقت رصاصة" القبعة ، فامال القناص البندقية الى الامام ، حتى انزلقت القبعة الى اسفل .. الى الشارع. ثم امسك البندقية من وسطها، وطوح بها بيده اليسرى فوق السطح وتركها معلقة بلا حراك. وبعد لحظات قليلة ، ترك البندقية تسقط الى الشارع ، ثم هبط الى السطح وهو يجر" يده .

زحف بسرعة الى اليسار ، واخذ يتطلع من زاوية السطح . لقد نجحت حيلته ، فها هو ذا الاخر ــ وقد راى القبعة والبندقية تسقطان ــ قد ظن بانه قد صرع غريمه ، فهو يقف الان امام المدخنة ينظر عبر الشارع ، وقد بدت بوضوح معالم" راسه السوداء مقابل السماء الغربية . فابتسم القناص ، ورفع مسدسه فوق حافة جدار السطح .

كانت المسافة حوالي خمسين ياردة ــ وهي بالتاكيد طلقة صعبة في الضوء المعتم ، بالاضافة الى كون ذراعه تؤلمه الا انه تماسك واتخذ وضع تصويب ثابت ، وارتجفت يده وهو يتحرق شوقا للاطلاق ، فضغط على شفاهه ، واخذ نفسا عميقا .. ثم اطلق النار . وكاد صوت الطلقة ان يصم سمعه ، واهتزت ذراعه مع الارتداد .

وعندما انقشع الدخان ، وتطلع الى الجهة المقابلة .. اطلق صيحة فرح ! فقد اصيب غريمه .. كان يترنح فوق جدار السطح وهو في نزع الموت . كان يناضل ليثبت قدميه ، ولكنه كان



يسقط بالتدريج الى الامام ، وكأنه في حلم . فسقطت البندقية من يده ، واصطدمت بجدار السطح ، وسقطت فوق حانوت الحلاق الذى يقع تحته ، ثم قرقعت فوق ارض الرصيف .

وحدث بعد ذلك انانهار جسد الرجل المحتضر، وسقط الى الامام ، وانقلب الجسد اثناء سقوطه ثم اصطدم بالارض بصوت بليد كئيب .. ثم رقد ساكنا .

نظر القناص الى سقوط غريمه .. وارتعد . لقد ماتت في نفسه فجأة شهوة القتال ، وغدا فريسة لتأنيب الضمير ، فتفصدت حبات العرق على جبينه .

ونظرا لضعفه الناشىء عن جرحه ، وعن صيامه وترقبه على السطح ، طيلة يوم صيف طويل ، فقد ثار لدى رؤية الكومة المشوهة لغريمه الميت . فاصطكت اسنانه وشرع يغمغم .. يلعن الحرب .. ويلعن نفسه !

نظر الى المسدس الذى يمسك به وما زال الدخان يتصاعد منه ، وقذف به الى السطح عند موطىء قدميه . فانطلق المسدس وازت الرصاصة بالقرب من راسه ، فأعادته الصدمة ثانية الى حواسه ، فثبتت اعصابه ، وانقشعت من عقله سحابة الخوف .. فضحك .

اخرج قارورة الوسكي من جيبه ، وافرغها في جوفه دفعة واحدة . وتولاه ــ تحت تأثير الشراب ــ شعور بالطيش ، فقرر ان يترك السطح حالا ، وان يبحث عن قائد فرقته ليبلغه بالامر . كان كل ما حوله ساكنا ، ولم يكن ثمة خطر من اجتياز الشوارع ، فالتقط مسدسه ، ووضعه في جيبه ، ثم زحف الى اسفل البيت .. على هدى ضوء السماء ..

وعندما وصل القناص الى الدرب المحاذى لمستوى الشارع ، شعر بحب استطلاع مفاجىء لمعرفة هوية غريمه الذى صرعه . لقد قرر انه رام ماهر كائنا من كان . وتساءل عما اذا كان يعرفه .. ربما كان في نفس فرقته قبل حدوث الانشقاق في الجيش ! وقرر ان يغامر بالتوجه نحوه ، لالقاء نظرة عليه . فتطلع حول المنعطف فى شارع اوكونيل . وبينما كان هنالك قصف شديد في الجزء العلوى من الشارع .. كان كل شيء هنا .. هادئا .

اندفع القناص عبر الشارع . فمزق سيل من الرصاص التهمر الارض حوله ، ولكنه هرب . ورمى بنفسه ارضا الى جانب الجثة ! جثة غريمه !

وتوقف الرشاش ..

ثم استدار القناص فوق راس الجسد الميت .. ونظر في وجهه .. فاذا هو وجه .. اخيه !!! ■■

نادر يعقوب الاطرش

سالونيك

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

راس المال والاحتياطي : ٢٢ر٨٨٤ر٤٨٣/- د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٢ :
٢٥٦ر٥٢٧ر٤٠٥/- د.ك

المكتب الرئيسي: ص.ب. ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً)


PIAGET
بياجيت
الساعة الثمينة
الانيقة التي لا
مثيل لها
الوكيل العام
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون
احمد يوسف بهبهاني
السالمية/تلفون: ٦١٨٢٢٤
2169

احصـل على الصـورة كـاملـة بواسـطة تلفزيـون فيليبس

دع الصورة على شاشة التلفزيون تتحكم بقرارك عندما تعتزم شراء جهاز تلفزيون. فصورة التلفزيون الجيدة النوع، هي الصورة الناصعة الحادة التي تمكنك من رؤية كل التفاصيل. ثم انها الصورة الثابتة تماما التي لا تتعب عينيك. كل هذا تحققه لك وبأفضل شكل، شاشة تلفزيون فيليبس. الا ان فيليبس تقدم لك الكثير غير هذا. تقدم لك التصميم الجذاب الرائع. ألق نظرة لتتأكد من ذلك على جهاز × ٢٤ ت ٦٨٤ بهيكله الخشبي الفاخر وبابه الجرار الذي يغطي الشاشة في حالات عدم استعمال الجهاز. ثم تقدم لك الصيانة السريعة الناجزة المتميزة بخبرة فنية وشبكة عالية لا تضاهى. كل هذه الخصائص جعلت من صورة تلفزيون فيليبس الصورة الكاملة.



عندما تدخل الفائدة في الحساب..

لومبارد نورث سنترال يقدم تشكيلة واسعة من الحسابات

٧½٪

حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للودائع

تربح نقودك بنسبة ٧½٪ سنوياً مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر. يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة

٨½٪

ودائع ذات دخل شهري

الحد الأدنى للودائع ٢٠٠٠ جنيه

الودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه او ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها ٥ سنوات، تربح فائدة ثابتة بنسبة ٨½٪ في السنة تدفع شهرياً دون حسم أي ضريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد بانتظام. يمكن ايداع مبالغ لمدد ثابتة أقصر، وتعطى المعلومات عن النسب الثابتة للفائدة لدى الطلب.

٨½٪

ودائع زمنية

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها ٥ سنوات تربح فائدة ثابتة بنسبة ٨½٪ في السنة تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. تعطى المعلومات عن النسب الثابتة للفائدة لدى الطلب بشأن المبالغ المودعة لمدد ثابتة أقصر.

لومبارد نورث سنترال ليمتد هو من أعضاء مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها مع الاحتياطي على ٣٨٣ مليون جنيه استرليني. فتح الحساب هو في غاية البساطة. أكتب اليوم الى مدير حسابات الودائع للحصول على تفاصيل هذه الحسابات ونسخة من كتيب الودائع رقم 182A

Lombard North Central

Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4111
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111

Branches throughout Great Britain – Depositors throughout the World


رويال S6 يهبك الشباب والحيوية والقدرة.
ان متاعب الحياة اليومية والسهر الطويل
والارهاق قد تخل بعمل جسدك،
رويال S6 مستحضر من نباتات طبيعية
وفيتامينات وينشط حيويتك وينظم وظائف
الجسد ويجدد خلاياه وغدده.
يزودك رويال S6 بالقدرة ويزيد في
لذة العيش ويعيد الى المرء ثقته بنفسه.
يحتوي رويال S6 على عناصر أساسية هي:
GINSING-GELEE ROYAL-YOHAMBEHE
ويطلق على GINSING اسم
(ربيع الحياة في اقطار الشرق الاقصى)،
ولذا فهو ليس منشطاً وقتياً
بل تستمر فعاليته مدة طويلة
ولا ينتج عن استعماله أية آثار جانبية.
يباع في اكثر من اربعين بلداً في العالم.
رويال S6 من منتجات رويفارم -
دسلدورف - المانيا الغربية.
الوكيل الوحيد للشرق الاوسط وآسيا وافريقيا:
A.C.C ص.ب ١٧٦ - الكويت - تلفون ٤٣٣٢٥٥
ROYAL
S6
YOHIMBEHE • GINSENG
• GELÉE ROYAL •
• VITAMINKOMPLEX •
الشركة العربية للتجارة
تلفون ٤٣٢٠٤٥، ٤٣٩٩٢٤
تطلب من جميع الصيدليات ومخازن الادوية بالكويت
الموزعون في سوريا ولبنان
دندن اخوان وشركاهم
بيروت ص.ب ٤٤٨٦
الموزعون في الكويت
مذخر ادوية بغداد
شارع عبدالله السالم - تلفون ٤٣٦٣٢٢

صوت الكاسيت الرائع يبلغ الذروة

بفضل رأس "جي. إكس" وجهاز "دولبي" وجهاز تخفيض التشوه الأوتوماتيكي



"دولبي" هي العلامة التجارية لشركة مختبرات دولبي

إن جهاز تخفيض التشوه الأوتوماتيكي، هو جهاز فريد في نوعه يعمل لتنويع خصائص معادل التسجيل وضبط مستوى الدخل المرتفع للإشارات العالية التردد ضمن نقطة تشبع الشريط. وعلى ذلك يمكنكم استعادة الأصوات المسجلة خالية من كل تشوه. أما أهم مميزات رأس "جي. إكس" المصنوع من الزجاج وفريت الكريستال، فهو مقاومته العالية من الغبار وتأمينه إعادة رائعة مدى الحياة. أما نظام التسجيل المعروف باسم "فوكاسد فيلد" أي المجال المركز في صورة، فمن شأنه أن يخفض الخسارة في التردد العالي إلى أدنى حد ممكن وأن يكفل استعادة الصوت المسجل بكل صفاء ووضوح على أوسع نطاقات من الترددات. أما جهاز "دولبي" العجيب لتخفيض الضوضاء، فإنه يعمل للحد من أزيز الشريط وضجيج الضجات إلى درجة لم يسمع بها من قبل، مع تحسين شامل في نسبة الإشارة إلى الضوضاء، فبفضل هذا الجهاز يمكنكم الاستماع إلى النغمات التوافقية التي فاتتكم حتى الآن. أما المسجلات الاستريوفونية بالكاسيت من نوع "دك" التي تجتمع فيها كل هذه الميزات المهمة فاثنان: جهاز GXC-65D وجهاز GXD-46D وكلاهما مزود بمفتاح انتقاء للأشرطة المصنوعة من ثاني أكسيد الكروم ومحرك تزامني تخلفي بدوار خارجي وزر للتوقف المؤقت مع قفل وموقف أوتوماتيكي. وفضلاً عن ذلك يمتاز المسجل GXC-65D بجهاز "إنفرتوماتيك" أي المعاكس الأوتوماتيكي لحركة الكاسيت، بينما يمتاز المسجل GXC-46D بمقاييس الكاسيت لمستوى الصوت الزائد وبضوابط مستقلة للتحكم في حجم الصوت عند تسجيله والاستماع إليه بعد التسجيل. ولدينا المسجلات الاستريوفونية GXC-65 وGXC-46 التي تعمل بشريط الكاسيت. كما يوجد لدينا جهاز مكبر الصوت الرائع SW-35 ذو التيار المتدفق الذي اشتهر بدقته وأمانته في استعادة الصوت المسجل. ونحن نعتقد أن هذه الابتكارات قد وضعت حداً للخرافة القائلة بأن صوت الكاسيت لا يمكن أن يضاهي صوت البكرة المفتوحة. فإن لم تزل في شك من ذلك استمع إلى الصوت الرائع الذي يسمعه كاسيت من إنتاجنا.

أوديو وفيديو

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

20 CLASS A
CIGARETTES

KENT

WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ.



كنغ سايز ، دي لوكس ..١٠٠ مليمتر و كراش پروف

هيا.. هيا..
فقد حان وقت العمل...



نعم.. فالاعتماد بالطبع على داتسون هو الطريقة الأضمن من أجل تحقيق عمل أنجح. وكما هو الحال في جميع سيارات داتسون فإن البيك أب مصمم تصميماً قوياً بحيث يمكن الاعتماد عليه بشكل خاص. ومن المؤكد أنكم ستحصلون على أرباح أكبر وسهولة فائقة الدرجة أي وقت مضى. مما يعود عليكم طبعاً بمدخول أوفر. وهكذا يمكنكم الاستمتاع بسيارة فريدة في أناقتها وتمامها: داتسون 260C الجديدة.

عمل أنجح ومدخول أوفر. هذا ما نساهم في تقديمه لكم داتسون. تسهيل سبل الحياة بطرق مختلفة. هو أحد الأهداف التي نبتغيها لدى صنعها داتسون.

NISSAN MOTOR CO., LTD

DATSUN



DATSUN PICKUP

هذا الجهاز بمثابة ٢٠ راديو وساعة واحدة

انه راديو بموجة اف ام، وراديو بموجة طويلة، وراديو بتردد عالي (VHF) وراديو بموجة متوسطة، وراديو جوي وراديو بـ ١٥ موجة قصيرة.
كل ذلك في راديو هيتاشي واحد كبير نطلق عليه اسم KH-5000
وهو مجهز بكل شيء تحتاج اليه لتحقيق التقاط ممتاز لكل موجة على هذه الموجات: اي اف سي، اي جي سي / ام جي سي، اي ان ال، بي اف او، اي اس اس آر. ومزود ايضاً بمفتاح الحساسية ومفتاح الاشارات وعداد للضبط ومراقبة قوة البطارية ومفتاح مزدوج لضبط الاصوات الجهيرة والصادحة (باص وتريبل).
زيادة على ذلك زود الجهاز بساعة تمثل اوقات الكرة الارضية في جميع انحاء العالم كما زود بهوائيات في داخل الجهاز ومقبس للهوائيات الخارجية، وهو يعمل على بطاريات او على بطارية سيارتك او على الطاقة الكهربائية في البيت حيثما كانت في جميع انحاء العالم.
وانا لنفخر بان راديو هيتاشي موديل KH-5000 ذلك لانه ليس في وسع احد كائناً من كان ان يصنع عشرين جهاز راديو وساعة في راديو واحد فضلاً عن ان هيتاشي ليست بالشركة العادية.
فنحن ثاني اكبر شركة في اليابان، وتتناول صناعتنا كل شيء ابتداءً من الترانزيستور الى اسرع قطارات العالم. وانطلاقاً من [illegible] التريخة الى الانسان الآلي الذي "يتكلم" و"يفكر" و"يشعر" بالاضافة الى جميع انواع الادوات المنزلية والالكترونية بما فيها جهاز راديو يضم ٢٠ راديو مجتمعة واحدة وساعة دقيقة.



HITACHI
هيتاشي

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن التوسّع الصّناعي في هونغ كونغ ؟

هل باستطاعته ان يوضح لكم كيف يتأثر التوسع الصناعي بسوق اليد العاملة ؟ أو أن يشرح لكم حاجة هونغ كونغ الى التحول من مركز تخزين تجاري الى مركز صناعي يصدر السلع الالكترونية والبلاستيكية والاجهزة البصرية ؟ أو أن يبين لكم كيف يتأثر الميزان التجاري والانماء الاقتصادي المحلي ووضع المدفوعات الخارجية بهذا التحول ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يوضح لكم كيف تحمل النزعة الاقليمية بلدان المنطقة الواحدة على التعاون فيما بينها ؟ أو كيف يمكن بواسطتها توسيع منطقة السوق الفعلية ؟ أو كيف يمكن للاسواق المالية ان تتكامل ؟ أو كيف يمكن لشركتكم أن تتأثر بهذه الامور ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية في المنطقة ، حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الاقصى ، او في اي مكان آخر ، فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافورة ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن . ب . أ . عروب ليمتد .

نيوزيلنده - تشيس - ن . ب . أ . نيوزيلند عروب ليمتد

ان لك صديقا في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

الفرع في البحرين : المنامة ص ب ٣٦٨
الفرع في لبنان : بيروت ص ب ٣٦٨٤
مصرف مشارك في دبي : بنك دبي التجاري المحدود
دبي ، اتحاد الامارات العربية



ساعات الرايدرز
قوة ، ابتكار من فافرلوبا ـ جنيف

تصميمات فافرلوبا تكون عادة متقدمة لسنوات عديدة عن تاريخ صناعتها . والبرهان على ذلك ، يكمن في هذه النماذج الاربعة . غاية في الاناقة ، وبدون تفاصيل وتنميقات غير لازمة ، نماذج ذات خطوط وطرز تدعو للاعجاب .

سي رايدر

خلقت اعجابا شديدا ووصلت مبيعاتها ارقاما قياسية ، انها اوتوماتيكية باليوم والتاريخ (٣٦٫٠٠٠ نبضة في الساعة ـ بل انها اكثر دقة) ، جهاز لتعديل التاريخ بسرعة ونظام ايقاف الثانية ، مقاومة كبيرة للماء (١٥٠ قدم) محمية من الصدمات ، غير مغناطيسية .

ميمو رايدر

تجعل ذاكرتك طليقة من اى قيد ، ميمو رايدر ثابتة على رسغك اكثر من ثبات رباط منديلك . حركتها الاوتوماتيكية مع التاريخ بالاضافة الى استنباط الاشارة الصوتية يجعل هذه الساعة واحدة من الخطوات الرائدة في صناعة الساعات في هذا العصر . الميمو رايدر ضد الصدمات، غير مغناطيسية ، تقاوم الماء الى ٩٠ قدم .



سي رايدر II

تحوى جميع صفات وميزات الاتقان التي تتحلى بها السي رايدر ، وموضوعة في غلاف قوى لمقاومة المؤثرات .

سي رايدر II للسيدات .

اناقتها حقيقية بشكلها المصمم للمراة العصرية .

FAVRE-LEUBA
Genève

OFD

من فافر لوبا جنيف : مجموعة من ٢٥٠ طراز .
الوكيل العام في الكويت محمد عبدالله شهاب ص.ب (٢٣٨) .
شارع عبد الله السالم ـ تليفون ٢٢٢٢٢،٤ شارع فهد السالم ـ تلفون ٤٢٥٢٤١،

سوني
هي
الأفضل





سوني تتقدّم
ديلاتها النقّالة المفضّلة

ة موديلات مختلفة - ونفس الأصوات الرخيمة!

ة من سوني! ثلاثة اجهزة راديو/ مسجلات
ت عظيمة تقدّم لكم ما كنتم تريدونه دائما
تان الشجيّة في قطع صغيرة نقّالة!
، CF-150 الخفيف الوزن يضم جهاز راديو FM/AM
CF-320 القوي يضم جهاز راديو FM/AM مع
AFC مقاوم للانحراف الصوتي. وموديل CF-410
يضا الموجات القصيرة بالاضافة الى موجات FM
طة.
ذه الموديلات تضم مايكروفوناً بمكثف الكتريت وجهاز
او - ماتيك» الأوتوماتيكي لتعديل مستوى التسجيل -
تبقى الأصوات المسجلة واضحة للغاية.
تضم ايضاً مضخّم سوني الدقيق، والحاكي الكتي،
والضوابط الصوتية. وذلك كي يكون اللحن الذي تستمعون
اليه رائعاً وممتعاً دائماً. ونظراً لامكانيات التشغيل بالتيار المتناوب
او المتواصل المتوفرة في هذه الموديلات، فانكم تستطيعون استعمالها
تقريباً في كل مكان.
ان موزعي سوني مستعدون لعرض مجموعة «سوني» الكاملة
من اجهزة الراديو/ المسجلات الكاسيت عليكم.
شاهدوا سوني، واستمعوا الى سوني أولاً.
شاهدوا واسمعوا اليوم الى أجهزة سوني النقّالة والمفضلة
وستوافقون معنا بأن سوني هي الأفضل.

Research Makes the Difference

SONY® سوني

شبابك لايعني فقط عمرك
انه حيويتك
ونشاطك ايضاً





سوبر ويت أون بطعم الفريز والموز
هو مستحضر غذائي جديد غني
بالكالوريهات.
سوبر ويت أون يحتوي على عدة
فيتامينات د، ب ١٢، ب ١ و ب ٦ يعطيك
ما يلزمك من قوة وحيوية ونشاط
لتتمتع بما أعطتك إياه الحياة.
سوبر ويت اون مستحضر مقو للجسم
في بضعة أيام يجعل منك رجل آخر.
النساء يكتسبن شكلاً جذاباً
بازدياد وزنهن في الأماكن اللازمة.

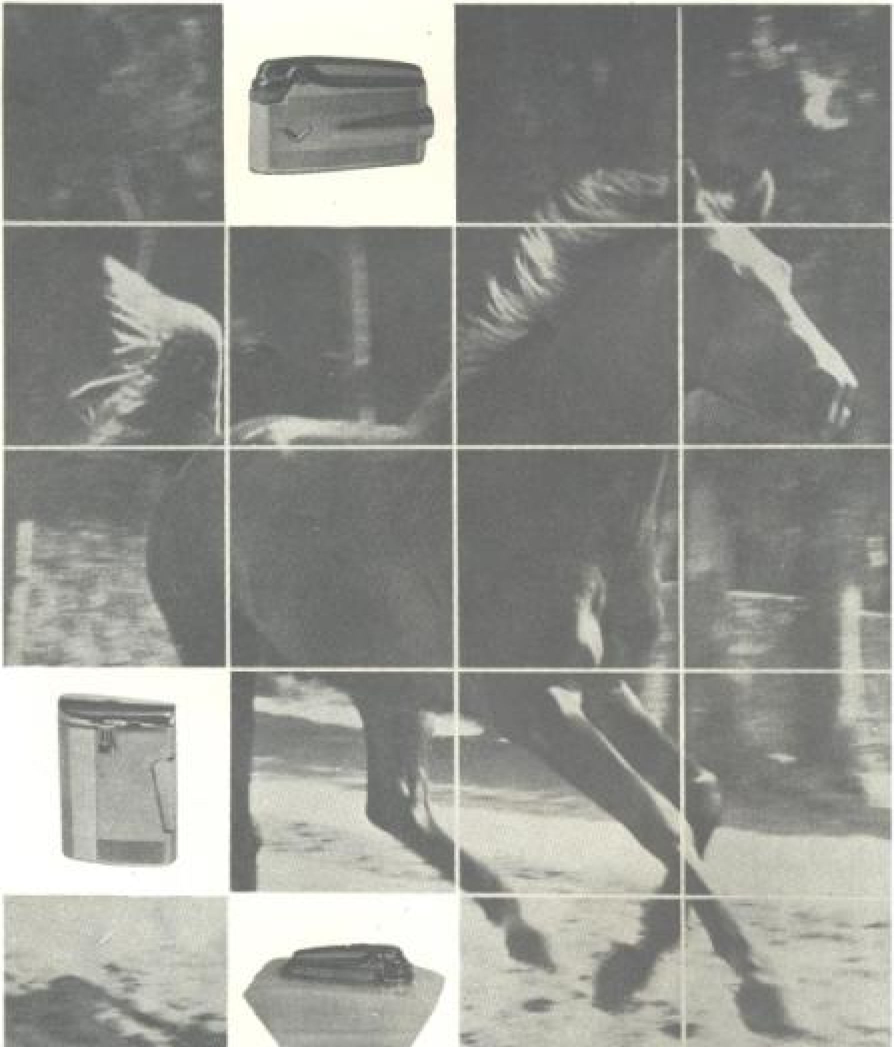
سوبر ويت اون يباع في كافة الصيدليات

سوبر ويت - اون

انتاج د.د.د

Publirizk

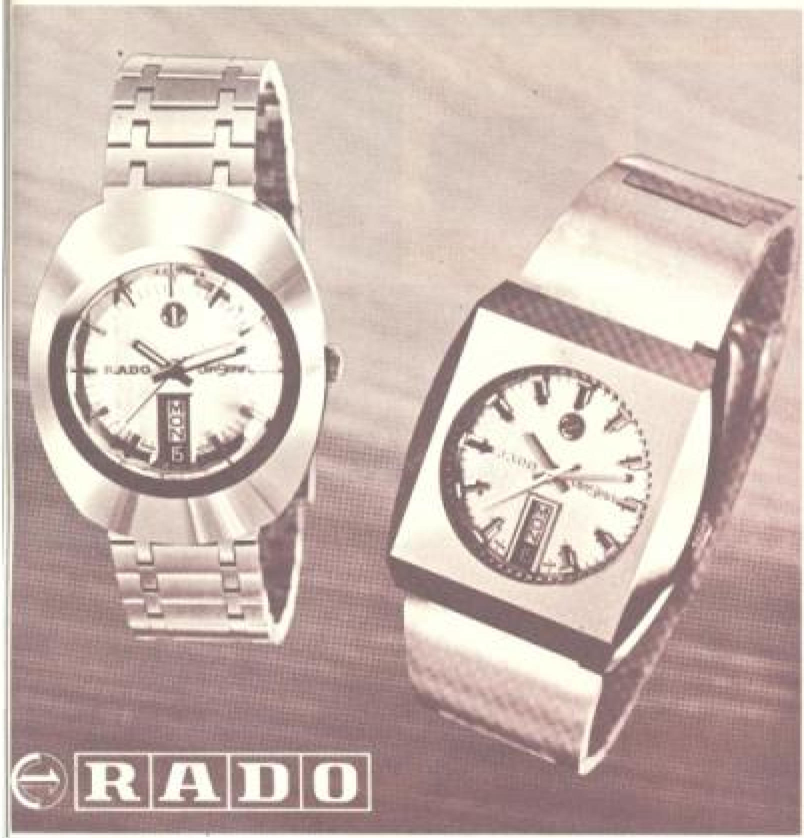
هدية اصيلة



امينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات
الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكر اصدقاءك دوماً بأنه
يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون
"الأنيقة والامينة" لا تخذلك ابداً .



قدّم أكثر
من هدية
قدّم
رونسون
RONSON



رادو

الساعة الوحيدة في العالم الغير قابلة للخدش

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

وكلاء سانيو لديهم أفضل المنتجات للجميع ... وتلفزيون لك شخصياً



هناك عشرات المنتجات المفضلة للعائلة ، بما في ذلك التلفزيون العائلي. أما أنت شخصياً ، فباستطاعتك مشاهدة البرامج المفضلة لديك وكذلك الاستمتاع بالأوقات والأماكن التي تريد أن تنفرد فيها ، فهنالك التلفزيون الشخصي الذي بإمكانك نقله إلى غرفتك أو إلى أي مكان آخر وفي أثناء رحلاتك الممتعة. إنه التلفزيون المصنوع خصيصاً لك.



14 T 401

تلفزيون ١٤ بوصة بشاشة مظللة.

صورة واضحة متألقة بدون هوائيات خارجية ، شاشته مظللة تمنع التوهج والانعكاسات المزعجة. روافع منزلقة للتحكم. يتوفر في صندوق أبيض أو أصفر أو أحمر.



12 T 218

تلفزيون ١٢ بوصة بالبطارية / التيار العادي

يعمل بالتيار العادي في البيت وباستخدام بطارية خاصة في الخارج ويمكن استعماله أيضاً بواسطة موفق (ADAPTER) للسيارة أو للقارب ، خفيف الوزن ، بالاضافة إلى توفر دائرة "AGC" وشاشته تمنع التوهج.



12 T 220

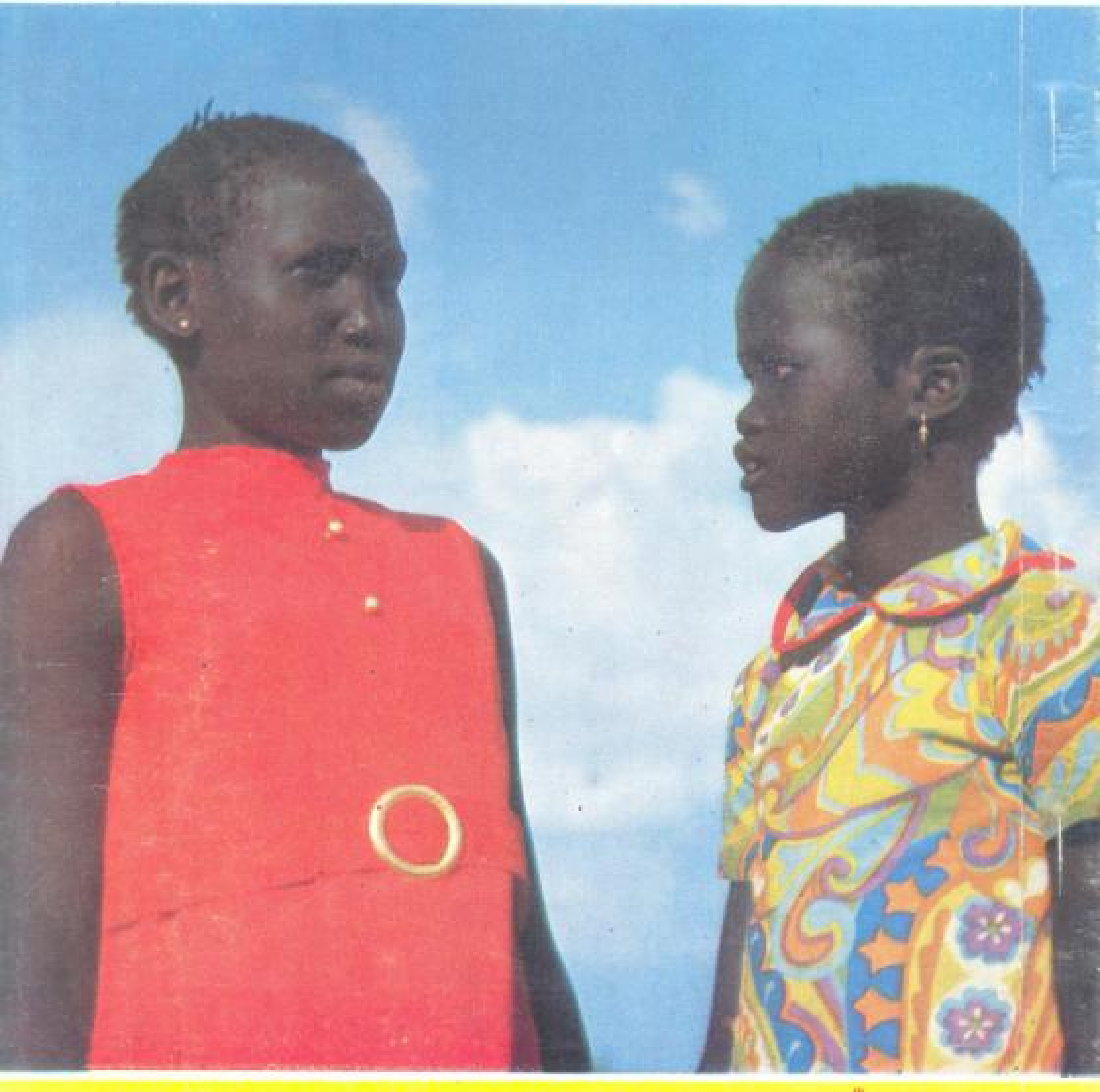
تلفزيون نقال ١٢ بوصة Solid State

يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية الخاصة. يتوفر اختيارياً بالموفق للسيارة أو للقارب. شاشته تمنع التوهج ومجهزة بدائرة التحكم الآلي في الكسب "AGC". يتوفر في صندوق جذاب باللون الاحمر أو الأسود.

SANYO سانيو

العربي

العدد ١٧٥
ربيع الثاني ١٣٩٣
يونيو
(حزيران) ١٩٧٣



فتاتان ، من جنوب السودان ، .. بعد عودة السلام .

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٥ر١ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



الكانسات

● لوحة تمثل الارض الطيبة وبعض ما يصنعه بها أبناؤها الطيبون . واللوحة المحفوظة في متحف اللوفر تعرف باسم الكانسات The Gleazers وهي للرسام الفرنسي المعروف جان فرنسوا ميلي Jean Francois Millet (١٨١٤ - ١٨٧٥) . وقد عرف هذا الفنان بواقعيته وزعامته لمدرسة باربيزون Barbizon الواقعية . واشتهر بحبه للريف حتى انه قضى الطرف الاخير من حياته في الريف وبين اهله .

عزيزي القارئ

لا يزال وزير خارجية الولايات المتحدة يصر على صلح ذى فترات ، فترته الاولى فتح قناة السويس وتراجع القوات الاسرائيلية عنها بضعة أميال . واذا قلنا وزير خارجية الولايات فقد قلنا وزير خارجية اسرائيل ، فاننا لم نعهد في التاريخ اندماجا مثل هذا الاندماج العجيب .

ومعنى هذا أن الاثنين اتفقا على فتح القناة ارضاء للدول الاوروبية ، ثم على العرب وعلى تحرير الأرض الباقية العفاء .

ان ارضاء الدول الأوروبية يُبقى العرب وحدهم فى الميدان ، وهم وحدهم الخاسرون ، وهم وحدهم الصامدون .

انها فترة واحدة ماكرة خاسرة ، سوف تَجُبُّ ما بعدها من فترات .

عرف العرب ذلك .

وأكّد العرب ذلك .

وانما نذكره توكيدا وذكرى .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة .. وادب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

فلسفة واجتماع :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 175 June 1973 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»
الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● عاد السلام الى جنوب السودان بعد سبعة عشر عاما من الحرب الاهلية المريرة التي استنزفت دماء ابناء البلد الواحد واستنزفت قواهم وارزاقهم .. وفي الصورة فتاتان جنوبيتان في ثيابهما الزاهية ، تقفان امام عدسة المصور في هدوء .. لقد اطمانت النفوس بعد ان انزاح كابوس الحرب التي مزقت السودان الشقيق (اقرا الاستطلاع ص ٧٦) .

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمراة :

عـــروبة :

شعر .. وشعراء :

كتـــب :

قصص وقضاء :

متنوعـات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائري ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة بالدونج ـ ص.ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



بريد القراء ومعرض آرائهم

برج بابل

بقلم خليل الهنداوي

(العدد ١٧٢ ص ٢٩)

● اطلعت على هذا المقال فشعرت بالمتعة وبعدم الارتياح . اما المتعة فللمعلومات اللطيفة التي تضمنها المقال عن برج بابل ، وللاهتمام الذي كنت وما زلت اوليه هذا البرج الذي جمع بين الحقيقة والخيال ، واعتبره الكثيرون في عداد عجائب الدنيا. واما عدم الارتياح فلشعوري بانني اطلعت على تلك المعلومات ، بل على المقال الذي تضمنها بالذات . ورحت افكر واراجع ما احتفظت به من صحف ومجلات ، واذا بي اعثر على ضالتي . فقد وجدت المقال الذي قرات فيه تلك المعلومات ، وهو مقال باللغة الانجليزية بعنوان « برج بابل » . اما كاتب المقال فهو البروفسور فريدريك راجت F. Ragette استاذ الهندسة المعمارية المساعد في الجامعة الامريكية في بيروت ، وقد نشرته له مجلة اليونسكو المعروفة المسماة Courier ، في عددها الصادر في اغسطس/سبتمبر ١٩٧٠ (صفحة ٣٢ — ٣٩)

على انني لم البث ان اكتشفت شيئا اخر . فقد ترجم كاتبكم الاستاذ الهنداوي مقال البروفسور راجت وارسله اليكم وكانه من وضعه ، فنشرتموه له وكانه بقلمه . وهو لا يعدو كونه مقالا منتحلا ، ترجمه الاستاذ خليل الهنداوي ترجمة حرفية دون ان يشير الى المقال الاصلي الذي عربه ، ولا الى كاتبه ، لا من قريب ولا من بعيد .

وجدير بالذكر ان الترجمة كانت موفقة ، رغم كونها حرفية ، وان الصور التي رافقت مقال الاستاذ الهنداوي لم تكن هي ذاتها الصور التي نشرتها مجلة الكورير مع مقال البروفسور راجت .

يوسف الزين — بيروت

العربي : قارنا بين مقال البروفسور فريدريك راجت عن برج بابل المنشور في مجلة الكورير وبين مقال الاستاذ خليل الهنداوى فوجدنا ان الاخير هو ترجمة المقال الاول حرفا بحرف . وعجبنا لذلك . فالاستاذ الهنداوى ليس بالرجل الجديد الغريب على قراء العربية . وليس امامنا تفسير لذلك الا ان يكون الاستاذ الهنداوى فاته ان يذكر لنا ان المقال مترجم وان يذكر لنا اصله .

النجوم ورؤيتها نهارا

● قرات في بعض المجلات ان رجال الفضاء تمكنوا من رؤية النجوم نهارا وكنت قد قرات في كتابكم « مع الله في السماء » غير ذلك . فما هو الصحيح ؟

علي البدوى عبد الغني/الزقازيق

العربي : اليوم الاثنين ، والساعة العاشرة صباحا ... فنحن الان في النهار، ومن كثرة انتشار ضوء الشمس حولنا ، لا نرى النجوم ، ولكن اذا صعدنا في هذه الساعة الى السماء ، فنصل الى طبقات فوق الهواء لا يتشتت فيها نور الشمس ، فهي ظلام ... وعندئذ تتجلى لنا نجوم السماء ، تلك التي كان كسفها ضوء الشمس الشديد ونحن على الارض .

القراءتان صحيحتان

(العدد ١٧١ الصفحة ٧)

● نشرتم في باب بريد القراء سؤالا عن قراءة قوله تعالى : (قل لو كان معه آلهة « كمايقولون » اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) ، الآية ٤٢ من سورة الاسراء . وكان السائل – وهو من بلاد المغرب العربي – يقول : انه يجد في المصحف الذي عنده هذه الآية مكتوبة بالتاء هكذا « كماتقولون ».

واجابت المجلة بتخطئة السائل وطلبت اليه معاودة النظر في المصحف ليتأكد من صحة ما ورد في المجلة وخطأ ما يدعيه .

ولما كان الموضوع يتعلق بكلام رب العالمين ، احببتُ ان احيط علم سيادتكم انه كما كانت المجلة غير مخطئة في كتابة الآية، فكذلك كان السائل غير مخطىء فيما ذكره من وجود الآية مكتوبة في مصحفه بالتاء . والخطأ حقيقة هنا كان يأتي لو ان احدهما او كليهما ادعى تصويب ما هو عليه فقط دون غيره ، كما وانه كان على المجلة ان تراجع هذا الموضوع في كتب القراءات قبل ان تجيب ولو انها فعلت لعرفت : –

ان هذه الآية مما اختلف فيها القراء ، فقد قرأها بعضهم بالياء على الغيبة ، وبعضهم بالتاء على الخطاب . فمن قرأها بالياء : ابن كثير ، وحفص ، وابن محيص ، والشنبوذي .

وممن قرأها بالتاء : باقي القراء ، ومنهم نافع « الذي اشتهر بالرواية عنه » ورش – وهذا الراوي هو الذي اشتهرت روايته بالمغرب الشقيق.

ومن هنا نعلم ان المصحف المغربي منقوط في هذه الآية – وهو صواب – وفقا لرواية « ورش » عن « نافع » .

عبد الحي حسين الفرماوي
مدرس التفسير المساعد – كلية أصول الدين
جامعة الازهر

الصعود الى القمر احقيقة هو أم خيال ؟

● قرات بمزيد من التأثر افتتاحيتكم لعدد كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ . فالامة العربية ، ذات المجد التالد والحضارة العريقة ، تمر اليوم باحرج المآزق في تاريخها الطويل الحافل بالبطولات . فان كانت اسرائيل ومن ورائها طغمة الصهاينة ، تهدد كيان الامة العربية من الخارج ، فان ثمة فئتين من ابناء هذه الامة تهددان كيانها من الداخل .

اما الفئة الاولى فتجدها في جموع الشباب المنحل ، المستهتر الذي لا هم له سوى التقليد الاعمى لما يسمع عن وجوده في الغرب ...

واما الفئة الثانية فتجدها فيمن ينكرون العلم ويتنكرون للعقل . زعموا انهم من الفقهاء ورجال الدين الأصلاء ، فاندسوا في صفوفهم ، وراحوا يتكلمون بلسانهم ، حتى التبس على الناس امرهم، وانطلى على العامة زيفهم .

اعرف رجلا من هذه الطائفة الضالة جلست اليه يوما نتحدث في امور الاكتشافات الحديثة والاختراعات، فجاء ذكر القمر ، وهبوط الامريكان على سطحه ، فهب ممتعضا محتدا ، وراح يقول :

« كذب وافتراء وادعاء .. الا تعلم يا بني ان القمر ان هو الا نور ساطع في السماء ؟ انك تراه يكبر تدريجا ثم هو الى الصفر يعود... والسبب؟؟ ما هو السبب ؟؟ هو ان القمر – ابان اختفائه – يكون بين ثنايا السماء محتجبا ، ثم تأتي الملائكة فتجره بالسلاسل الفولاذية من السماء لتخرجه بالتدريج ، حتى اذا خرج كله ، اذا هو الى مكمنه يؤوب ، وهكذا دواليك .. »

املي مصطفى – مطات/المغرب الاقصى

العربي : هذا المثل الذي ضربه الاستاذ الكاتب انما هو من القلة . اما اكثر الفقهاء فهم لاشك يؤمنون بصعود الانسان الى القمر . واما أنّ بعض الفقهاء الاخرين يمارسون الفقه على اسلوب لا يكاد يقره الدين ، ولا يرضاه صالح المسلمين ، فهذا ايضا صحيح . وصحيح ايضا أنمن الفقهاء العلماء الفضلاء الاذكياء الخيرون .

(البقية ص ١٧٧)

حديث الشهر

مَنْطِقُ الحِوَار

بقلم رئيس التحرير

■ التقى رجلان ، زيد وعمرو .

وتصافحا ، ودعا زيد عمراً الى الجلوس معه فقبل .

والظاهر انه كانت بينهما بقية من مناقشة سالفة ، فما جلسا حتى بدآها. وبدأت هادئة ، كلٌ يدلى بحجته . ثم ما لبث ان رفع احدهما صوته بحجته ، فرفع الثانى صوته بحجته وزاده رفعا . واحترّ الجو بينهما وسخن الهواء ، واذا باحدهما يصفع الآخر . واذا بالمصفوع يصبح صافعا . وتبادلا اللكمات حتى كفّ أعجزُهما ساعدا فكفّ الآخر ، وافترقا ، غالبا ومغلوبا .

انهما بدآ بالحجـة ، كما يراها كل منهما . وفى الحجة منطق يراه صاحبه، أو لعله لا يراه وانما يدّعيه . فلما لم يفلح الحوار ، واخفق بينهما المنطق ، صادقا أو مكذوبا ، لم يبق شىء يحسم النزاع بينهما الا الكف تهوى بثقلها على الصدغ .

والعادة أن الكف تهوى على صدغ الضعيف .

وهذه الصورة ، من طباع الناس الأولى ، لا تزال موجودة بيننا الى اليوم، حتى فى ظل القوانين ، ومع وجود المحاكم والشرطة وهما حماة الحقوق والحرية .

كما بين الأفراد ، فكذلك بين الجماعات

وكما بين الأفراد من نزاع لا تحسمه

وَمنطِقُ القُوَّة

فى آخر الأمر غير القوة ، فكذلك بين الجماعات وبين الأمم أسباب من النزاع كثيرة ، يجرى فيها الحوار فيَخفق ، ويُستخدم فيها المنطق فلا يُجدى ، ثم لا يبقى ما ينهى النزاع بينهما أو بينهم غير القوة ، غير الحرب .

فالقوة ، والحرب، يأتيان فى خصومات الأفراد ، وخصومات الأمم ، بعد المنطق . فالقوة والحرب يكمّلان المنطق ، فى سنن هذا الكون . وكثيرا ما تكون القوة وتكون الحرب أقوى حجة من المنطق . ولا

اخفق الحوار بينهما ، فلم يبق شيء يحسم النزاع الا الكف تهوى بثقلها على الصدغ



يحتقرن أحد القوة ، فهى بعض سنن هذا الكون . ان المنطق اذا لم يحل مشاكل الناس ، فلا بد من شيء يحله . ولهذا دخلت القوة نظاما من نظم الحياة .

ولا يستعظمن أحد منى هذا القول ، فيقول محتجا : كيف أصنع من القوة ، وهى شر ، ومن الحرب ، وهى شر ، نظاما ، من نظم الحياة فى هذا الكون . وجوابى العاجل هو ان الشر هو بعض نظام الكون ، كما الخير بعض نظامه . كما النور والظلمة بعض نظمه . وكما الصدق والكذب ، وكما الأمانة والغدر. على ان القوة لا تهبط فى التقدير الى ما يهبط اليه الشر كله ، والى ما يهبط اليه الكذب ويهبط الغدر . فما القوة الا وسيلة ، وهى تكون وسيلة للخير كما تكون وسيلة للشر . وهى على كل حال فوق الضعف وفوق المذلة مكانا . والله موسوم بالقوة للخير ، وبالجبروت.

بين الذئب والحمل

اذكر قصة قرأناها صغارا :
ذئب وحَمَل التقيا عند ماء جار .

ورأى الذئب أن يترفق بالحمل فيبدأه بالمنطق .

قال الذئب للحمل: قد عكرت الماء على.

قال الحمل : كيف اعكره عليك ، وانت فى اعلى المجرى ، وانا فى ادناه .

قال الذئب : ان اباك كان قد سبّنى .

قال الحمل : نحن الحملان لا نعرف لنا آباء ، فكيف عرفت أبى .

قال الذئب : انك ولد كذاب مشاكس.

ولم يلبث الذئب أن انقض على الحمل وافترسه .

المنطق أولا
فان قصّر ، أكملته القوة

انه المنطق أولا ، فلما لم ينفع ، أكملته

بدأ الذئب حواره مع الحمل ، فلما لم يفلح الحوار ،، انقض عليه وافترسه



القوة . والقوة منطق أفعل . وسمى الانسان هذه القوة التى تاتى بعد المنطق، منطق القوة ، سخرية بها . ولم تؤثر هذه التسمية الساخرة فى القوة ، فهى قد ظلت الوسيلة الفعالة التى تحسم الخصومات فى عالم الانسان ، وكذلك فى العالم الثانى ، عالم الحيوان .

على انه ، فى العالم الثانى ، عالم الحيوان ، لا يستخدم عادة غير منطق واحد ، هو منطق القوة . يقع بصر الاسد فى البرية على غزال فيتبعه . ويحس الغزال بالخطر الداهم فيطلق لرجليه العنان . ويطلق الاسد ، ويلحق به . انها قوة الساق . ثم هو يجزره جزرا ، بدون سلام او كلام او عتاب . اختصر الاسد المنطق اختصارا ، واكتفى بمنطق القوة .

ونحن نرى هذا ، ونسمع هذا ، فلا نغضب . ولا نصف ما جرى بين الاسد والغزال بانه جور ، وانه ظلم او حتى انه اعتداء .

ويجرى مثل هذا ، او شبيه بهذا فى عالم الانسان، فننكره ، وننسى ان الانسان بعض الحيوان . واكثر الناس انكارا له الضعفاء من بنى البشر، وهم اكثر الناس ترديدا لمعانى الانسانية، وهم انما رددوها ليخففوا فيها من غائلات القوة .

اما اهل القوة فينا ، نحن بنى البشر، فلا ينكرون على ذئب ان ياكل ارنبا . وهم لا ينكرون لذئب انسان ياكل ارنبا انسانا . عندهم ان هذا لا يزال ، ويجب ان يبقى ، سنّة الحياة . وعندهم ان الأرض ليست للقبيل الضعيف ، وانما هى للقبيل القوى ، وانه على الضعفاء العفاء .

هكذا ارتأى هتلر الالمانى . وهكذا ارتأى موسولينى ، الهتلر الايطالى . وهكذا ارتأى ويرتئى الهتالرة من أماركة وفرنسيين وبريطانيين وغيرهم . وقد يعيش منا من يعيش ليرى فى الشرق هتالرة .

منذ عامين

منذ عامين التقيت فى لندن برجل من رجال العرب ، قال لى انه جاء فى لندن بمناسبة ان الحكومة البريطانية كشفت الغطاء عن سجلاتها الدبلوماسية التى مضى عليها خمسون عاما، وقال انه يبحث عن وضع غير قانونى لوجه من وجوه اغتصاب الصهيونيين فلسطين .

وتركت صاحبى ورجوت له التوفيق .

وما تركته حتى وجدت صارخا فى صميم ضميرى يصيح بالرجل : **ما اضلك سبيلا !**

انه لا يزال يبحث فى منطق الحوار . انه يبحث فى الوضع القانونى لوجه من وجوه الاعتداء . انه يبحث فى هذا المنطق للدفاع . انه يبحث عن منطق الكلام غير النافع . ولم ارد ان اساله فاين منطق القوة .

وخلت عندئذ انى اكون اكثر ابتهاجا اذا انا رايت ولو رجلا واحدا يسن سكينا فى بيته ليحمى بها داره . ان مثل هذا الرجل يكون سالكا الطريق الصحيح ولو البطىء المتناهى البطء ، البادىء المتناهى البدائية ، ولكنه يقع فى تقدير اعلى من رجل يريد ان يبحث عن قرار صدر ليتخذ منه حجة يدلى بها فى محكمة قضاتها اعرف بمنطق القوة منهم بمنطق ارسطو وسائر المناطقة والمتكلمين .

نعم منطق القوة ، تلك التى كانت .



راح يفتش عن حقيقة يدلي بها في محكمة قضاتها اعرف بمنطق القوة منهم بمنطق ارسطو

وما زالت ، وسوف تبقى نظاما ثابتا من نظم الحياة فى هذا الكون .

وفى الدولة الواحدة
لولا الشرطة
لهلك الناس

ونحـن نذكر القـوة ، ونذكر الحرب الذى هو وليد القوة ، كلما ذكرنا الدول وما بينها من علاقات . ولكن الافـراد فى الدولة الواحدة ، هم اما اصدقاء ، او اعداء ، او لا يعرف بعضهم بعضا . وهم جميعا بحكم الحياة متنافسـون فيها ، كل يريد ان يجمع من اسبابها اكبر ما تستطيع ان تضم يداه . والمنافسة خصومة . والخصومة ان بدات هادئة فهى لا تنتهى الا الى قوة ، وصدام ، وعراك . . وحرب .

فما الذى يمنع الناس أن تسـيل دماؤها كل يوم ، او ان تكسر انوفها او تشوه وجوهها ، او تحطم عظامها ، او تبقر بطونها ؟

انها القوة التى اقامت خيامها بينهم ، وشدت اطنابها حيثما شدوا طنب بيوتهم . انها قوة الشرطة قائمة نهارا ، وساهرة ليلا ، تمنع كل من تحدثه نفسه بقوته ، فيعتز بها ، فيكون وراء ذلك اعتداء .

وقالوا ان الرجل المدنى فى الامم المتحضرة المستقرة الحضارة قد تعود على الرخاء والعدل ، وتدرب على السلام فما يكون من احد على احد اعتداء . ولو غابت الشرطة . وقالوا ان الامم المتخلفة المضطربة فاتتها على الفقر معانى العدالة والسلام ، فهى دائما فى حاجة الى كبح القوى حتى لا تكون بلاء على الضعفاء الفقراء .

قالوا هذا ، واشباها من هذا . ثم تاتى الأحداث تدلل على نقيض ما زعموا .

فقد حدث أن أضرب رجال الشرطة يوما عن العمل ، فى البلد الكبير المتمدن ، وتركوا الشوارع خالية الا من الناس ، فما أسرع ما اقتحم المقتحمون أبواب المخازن على شتى أنواعها ، وانتهبوا ما فيها من كل ثمين غال . والعجيب أنهم فعلوا ذلك فى بطء لأنهم أمنوا وقع المطارق فوق رؤوسهم، ونفاذ الرصاص فى ظهورهم . وهذا الذى حدث فى انجلترا فى الماضى حدث مثله فى هذا العام فى ارلندة ، حتى حيث النزاع نزاع دينى منبعه الدين ، والدين لا يحلل النهب فى غيبة الحراس .

وحتى مع وجود الشرطة ، كثيرا ما تسيطر القوة فى الأمم حيث ما وجدت لها جوا تتنفس فيه وتعيش وتترعرع .

واقاموا فوق الشرطة ، المحاكم لتحمى الضعيف المستباح ، وتمنع عنه القوىّ المستبيح ، ومع هذا كثيرا ما نجد القوة فى الأمة الواحدة تحتل مكانا فوق الشرطة وفوق المحاكم .

الضعيف المتخاذل يعين القوىّ على استئساده والقوة على استعمالها

ولقد علمت فى الناس ، ومن التاريخ ، أن الضعيف الذى يستسلم للقوة بمجرد ظهورها هو وبال على الضعف والضعفاء .

لهذا كان فى طبيعة الناس وطبيعة



واقاموا الشرطة ، قوة خير ، تمنع قوة الشر ، اذا اطلت برأسها والسلام قائم

تم

الحيوان حظ من الدفاع ، الا ان يصيبه الخوف فيتجمد ويتبلّه .

ولقد علمت من تجـــارب النـاس ، واحداث التاريخ ، أن فى تجمع الضعفاء قوة ، وهى قوة تهابها وتخشاها قوى اكبر منها .

ومن حكايات الحيوانات ان الذئاب تهاجم القطيع من المواشى ، وهى فئة من الذئاب لا ذئب واحد . وهى من ذلـك تبغى زيادة فى قوة . وقطيع المواشى هو فى تجمعه قوة تخشاها الذئاب مجتمعة . لهذا هى تتبع القطيع حتى تتخلف منه ماشية تكون هى هدف الصراع .

الواحد اذن ماكول،ولا تؤكل الجماعة، ولكن قلّ من البشر من يفهم هذا . واذا فهمه فهو لا يعيه . واذا وعاه قام حب الحياة الكاذب ، او قام ما فيه من رخاء ، يزين له ان لعله غير ملاق فى طريقه ذئبا، وان الذئاب انما كانت لغـيره من بنى الانسان .

القـــوة
اذا انهزمت مرّة
خار عزمها وانهد كيانها

فى هذا الامر قرات رايا وجيها للمؤرخ الانجليزى الكبير توينبى Toynbee .

انه يقول : **ان المانيا دخلت الحـرب العالمية الاولى ، ولم تنهزم فيها هزيمـة محققة كبرى . ودخلت الحرب العالمية الثانية،وخرجت منها بهزيمة اىهزيمة. حرب اصابتها بالخراب الذى لم تصب بمثله من قبلّ امة ، واصابت اهلهـا بفجائع لم يعرفها بنو الناس فيمنسبق. ومن اجل هاتين الهزيمتين صار مـن الصعب عليها ان تفكر فى الحرب . انها**



المؤرخ الشهير توينبى

تفكر فى القوة ، وترجو ان تعود . اما الحـــرب فهى اليوم ابغض ما تكون فى نفس الالمانى .

وكذلك اليابان . ان اليابان ،كالالمان، كانت امة منتصرة . ولكن جاءتها الحرب اخيرا فعلمتها كيف يكون اذاها . وكفى بالقنبلتين الذريتين فجيعة لها ، وبعدا بها عن ارزاء حرب تمارسها مرة اخرى .

وفرغت المانيا ، وفرغت اليابان ،فرغ كلاهما من بعد حرب ، فاتجها الى بناء السلم ، فبلغا فى الانتاج ، والانتـــاج الصناعى خاصة ، سرعة متسارعة لـم تقاربهما فيه امة من الامم .

وفرنسا لم تكن الحرب العالمية الاولى بحرب كان لها فيها انتصار حاسم ، ولا كان لها هذا الانتصار فى الحرب العالمية الثانية . ولقيت فى الحربين الأمرّين .

وخرجت منهما تعاف الحرب وتعاف اسمها .

وكفرنسا انجلترا .

وكانجلترا ايطاليا . وكان لها شبه ما أصاب المانيا من الدمار .

والروس، وصل الخراب اليهم ووصل الدمار ، فى الحرب العالمية الثانية ، الى مشارف جبال اليورال او كاد ، الى استالين جراد . وهم طلبوا القوة من بعد حرب ، ونافسوا الأمريكان حتى كادوا ان ينفسوهم. وقعقعوا للحرب وما ارادوا حربا ابدا .

ويرى المؤرخ الكبير ، ان فى الخمس والعشرين ومائة من امم الأرض ، لاتروج سوق الحرب الا عند دولتين ، هما الولايات المتحدة واسرائيل .

والسبب عنده ان الولايات المتحدة لم تكد تخذل فى حرب قط . وعدّد لها نحوا من عشرة حروب ، فى القرنين الماضيين منذ نالت استقلالها ، انتصرت فيها جميعا. وحرب واحدة أو حربين خرجت منها او منهما ، بنصر غير مؤكد ، ولكنه على كل حال لم يكن خذلانا صريحا .

ثم ان حروبا خاضتها الولايات المتحدة لم يتمرس بها اهلها فى عقر الديار الا قليلا ، فأكثرها واحدثها حروب وقعت بعيدة . والدمار الذى وقع فى اوروبا ، والدمار الذى وقع فى فتنام ، وهو دمار لم يعرفه العالم فى حروبه الماضية قط ، لم يعرفه سكان الولايات المتحدة الا خبرا تاتى به الأسلاك واللاسلكيات من وراء البحار .

فالولايات المتحدة معها القوة ، ومعها ما هو اخطر من القوة : ذلك الاعتزاز بسلسلة من الانتصارات متصلة، لايزيدها اتصالا الا حرب جديدة ونصر جديد ، فى اى بقعة كانت من العالم .

وكالولايات المتحدة اسرائيل . انتصرت فى حروبها عدة مرات متصلة ، لا بقوة مطلقة كبيرة فيها، ولكن بقوة دون الكبيرة فى اعدائها . ونحن نقول العشرة اكثر من الثلاثة ، والأربعة والخمسة ، واقوى ، ولكن كذلك المائة والالف اكثر من الثلاثة والأربعة والخمسة واقوى . ولم تكن اسرائيل بالمائة ولا الألف ، ولكن افادها ان خصومها كانوا دون العشرة قوة .

واول انتصار لاسرائيل كان على بريطانيا ذاتها لا على العرب . وخرجت بريطانيا مخذولة او متخاذلة . والرأى عندى انها خرجت مخذولة ومتخاذلة معا .

وانتصرت اسرائيل بعد ذلك ، بالعون يأتيها احيانا من اصدقائها واحبائها ، واحيانا بالعون يأتيها من ضعف اعدائها وتخاذلهم .

واعتزت اسرائيل،بنصر راته متصلا، لا يرويه فى تلافيف نفسيتها الحاضرة الا حرب جديدة ونصر جديد .

فالولايات المتحدة واسرائيل ، هما فى راى المؤرخ الكبير ، اخطر دولتين على السلام على سطح الارض .

العرب
بين منطق الحوار ، ومنطق القوة

ونعود الى منطق الحوار ومنطق القوة فنقول ان الظاهر مما نقرأ فى الصحف ونسمع من اقوال الزعماء ، ولا شيء عندنا من مصادر الاخبار غير هذه وهؤلاء، ان العرب فرغوا من منطق الحوار او كادوا ، وانه عن قريب يبدأ منطق القوة، ومع منطق القوة الحرب .

والحرب وجبت ، لا اليوم ، ولكن



هذا ما صنعته القنبلة الذرية بهورشيما ، فعلمت اليابان ان الحرب لعبة خاسرة

بالأمس ، وقبل الأمس ، وفى الامس البعيد . فالصفعة التى يصفعها انسان لا يجيب عنها بصفعة مثلها أو احسن منها بعد ايام او اسابيع ، فكيف بالسنين ؟ وكان مـــع الصفعة اراض احتلوها ، وآلاف مؤلفة او غير مؤلفة من اهلنا ذلوها ، واماكن لها فى قلوبنا محبـــة وقدسية اقتحموها واستباحوها . وهم اخذوا فى الارض المحتلة يمكنون لانفسهم ، ويخططون ، تخطيط من لا يعتزم ابدا رحيلا . ففترة الحوار الذى كان ، كانت كذلك ، وكانت أصلا ، فترة استعداد لجولة فى الحرب جديدة .

وهو استعداد بدأ من الصفر أو كاد ،

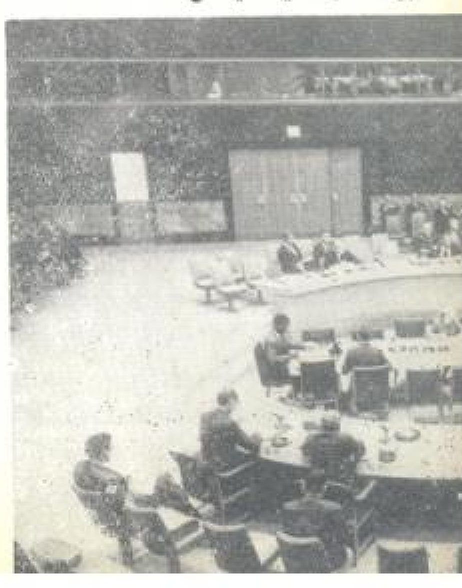
مجلس الامن ، جرى بـه ،





مضت حربان عالميتان ، اولى وثانية ، اشتركت في كليهما الولايات المتحدة ، ونجت مدنها من الخراب لبعدها عن ميادين الحرب . لهذا لم يدرك بعد شعبها ما الحرب وما دمار تجره الحرب على البلاد

ويجرى ، حوار كثير ، غير نافع



لهذا طال زمانه ، فقد مضى على النكبة اليوم ستة أعوام طوال .

ستة أعوام كسب فيها رجالهم اليوم على خط النار عتادَ حرب ، وكسبوا مِرانَ حرب ، وكلفهم هذا الاستعداد الشيء الكثير،من جهد رجال ونفقةاموال. وكلفهم فواتَ فُرَص يعطيها الزمان للامم والسلم قائمة ، من خطوات في شتى مرافق العيش تسيرها الأجيال مع الدهر قدُما .

وان لم يكن كل العرب احتملوا في فترة الاستعداد مثل ما احتمل الواقفون

على خط النار ، من نفقة وجهد ، وان لم تفتنهم فرصُ التقدُّم التى يعطيها الزمان على السلم ، فانه مما يثلج الفؤاد ان ما اقتصده سائر العرب فى هذه الفترة انما هو كسب للعرب اجمعين . انهما كسبان ، كسب مبذول ، وكسب مدخور ، وانهما لكسب عربى واحد ، وانما تدخلت الأوضاع الجغرافية فجعلت منهما كسبين ، ان حمدنا احدهما حمداً عاجلا ، فسوف نحمد الآخر غداً حمداً آجلا .

اقول ان فترة منطق الحوار ، كانت للحوار ، وللاستعداد معا .

وقال الزعماء : ان الاستعداد قد اكتمل .

واذن وجب ان نؤمن بأن الاستعداد قد اكتمل .

ومعنى هذا عندنا انه اكتمل بحيث يؤدى الى النصر ، او ما هو فى حكم النصر ، فالنصر من الغيوب التى لا يعلمها الا الله . هو يؤدى الى النصر فى حكم الخبراء العارفين الصادقين .

ومعنى هذا عندنا ايضا ان الزعماء ، فى حكمهم باستكمال عدتهم ، لم يتأثروا باقوال يردّدها بعض الصحف والصحافيين ، اولئك الذين يريدون ان يدفعوا بنا الى الحرب دفعا . وتسأل عنهم فلا تعلم ان عندهم علما بحرب او فنون قتال . فهم يدعون الى ما يدعون اليه عن جهل . وتسأل عما قد يكسبون من دعوة عن جهل ، فيقال ، يكسبون الظهور بالغيرة والوطنية الطافحة والعروبة المتاججة عند السواد من الناس . وتسأل هل اذا قامت حرب حمل هؤلاء السلاح ، فيأتيك الجواب ، بأن حملة الاقلام اعز على العرب واغلى من ان يستهلكوا فى حرب استهلاكَ سائر الرجال . وآخرون من الكتاب العرب رأوا امة عربية تتحمل اخطر التبعات فهى لذلك تتأنى لتثق ، فرموها بالجبن تصريحا او تلميحا ، وكل هذا يأتى من وراء الحدود ، فتخال ان هناك من يحرك هذه الأقلام ، ويريد ان يستعجل العرب بقصد ان تقع الهزيمة . واستمعت مرّة الى فحيح قلم من هذه الأقلام ، يقطر منه السم كراهة ، فوجدتنى من غير وعى



فترة الحوار، كانت كذلك



لم اجد قلوبا اكره للعرب ، من قلوب بعض كتاب العرب



ـترة استعداد لحرب

اقول: لم اجد قلوبا اكره للعرب من بعض قلوب العرب . قلت هذا ثم رجعت الى نفسي فاستغفرت الله .

أعود فاقول : ان الزعماء اذا قالوا اكملنا الاستعداد ، وانه قد وجبت الحرب ، وجب أن نؤمن بانهم اتخذوا القرار الذى اتخذوا ، فى حجرة هادئة ، بعيدة عن الصخب ، صامتة ، بها كثير من الموازين ، وانهم ، والحكمة سائدة ، قاموا الى هذه الموازين يزنون . فلديهم مما يحتاج الى الوزن والموازنة الشيء الكثير .

ولا يكون منا بعد ذلك الا ضم الصفوف حتى لا يكون فيها منفذ لخائن ، أو لجاهل ، أو لموتور صاخب ، أو حتى لصائح بالرأى المخالف عاقل ، فالحرب لا تتحمل الخلاف اعلانا ، وانما هو يصل الى اولى الامر نصيحة .

وعندئذ نقول للزعماء ، الذين سلكوا السبيل الى السلام ، ودقوا الأبواب جميعا فلم ينفتح لهم منها باب ، فلم يجدوا لديهم الا الحرب ، حينئذ نقول لهم : فليكن ما يكون ، وسيروا على بركة الله . ●●

احمد زكى

تأويل القرآن والحديث

عند حجة الإسلام

الغزالى

بقلم : سعيد زايد

■ بالرغم من ان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، الا انه لم يكن فى الاستطاعة ان يفهمه كل عربى جملة وتفصيلا بمجرد سماعه . وهذا امر طبيعى ، فان تفاوت الرقى العقلى من شخص الى آخر ظاهرة اصيلة من ظواهر المجتمعات البشرية . ولقد ادى الاختلاف فى فهم آيات الكتاب واختلاف الاقوال بصدد الاحاديث الشريفة ، الى نشوء البذرة الاولى فى ميدان الجدل ، وتاويل احكام الدين . ولكن هذا النوع من التاويل الذى نشأ فى صدر الاسلام لم يتعد الاختلاف فى السنن والفروع ومسائل الاحكام .

ولقد فتح المعتزلة باب التاويل على مصراعيه فاوّلوا الدليل النقلى اذا لم يتفق مع ما انتهوا اليه من بحثهم العقلى ، واستشهدوا به اذا كان يتفق مع النتيجة العقلية التى خلصوا اليها ، بل انكروا الدليل النقلى (فى مجال الاحاديث النبوية) اذا لم يجدوا وسيلة الا ذلك « فهم امام النقل يسلمون ما يوافق منها البرهان العقلى ، ويؤولون ما يخالفه . فالعقل هو الحكم بين الآيات المتشابهات ، وهو الحكم على الحديث ليقرر عدم صحته ان لم يوافق العقل ويحتمل التاويل »(١) .

(١) احمد امين ، ضحى الاسلام ، جـ ٣ ص ٦٩ ، ، القاهرة ١٩٣٦ .

منهج التاويل بين المعتزلة والاشعرية

ويختلف منهج التاويل عند المعتزلة عن منهجه عند الاشعرية ، فقد اباح الاخيرون لانفسهم تاويل ما ورد في النقل متعلقا بصفات الله تعالى ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهره . ويؤيد هذا ما ذكره الامام الغزالى في كتابه « قواعد العقائد » ، حين قال : « وذهبت طائفة الى الاقتصاد ، وفتحوا باب التاويل بصفات الله سبحانه ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهره ، ومنعوا التاويل فيه ، وهم الاشعرية »[2] .

وقد اصطنع فلاسفة الاسلام جميعا منهج التاويل ، ووضع الامام الغزالى قانونا فيه .

ان الامام يجيب على سؤال وُجّه اليه بشان تاويل بعض الآيات الكريمة ، وما يدعو الى ذلك من اختلاف اهل الظاهر عن اهل الباطن ، بان العقائد من اعمال القلوب ، وان التعبد ياتى بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بالتوصل « الى ان تنكشف لنا حقائقها ، فان ذلك (اى هذا التوصل) لم يكلف به كافة الخلق »[3] .

فالتاويل عند الغزالى يجب ان يؤخذ بحذر ، ولا يلج بابه الا الراسخون في العلم حتى لا يركبوا الشطط وينحرفوا عن جادة الصواب .

رأى الغزالى فى التاويل

ويبين حجة الاسلام رايه في التاويل بشكل اوضح في « قانون التاويل »[4] ، وهو كتاب يضع فيه قانونا يحكم التاويل ويظهر مدى الحاجة اليه ويذكر الذين يجوز لهم سلوك هذا المنهج ومن لا يجوز لهم ذلك . وقد وضع الغزالى قانونه المذكور بمناسبة سؤال وُجّه اليه عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان يجرى من احدكم مجرى الدم » ، وهل يعد ذلك ممازجة كامتزاج الماء بالماء ، ام هو مثل الاحاطة بالعود ؟ فيجيب حجة الاسلام على ذلك قائلا : « بين المعقول والمنقول تصادم من اول النظر وظاهر الفكر ، والخائضون فيه تحزبوا الى مفرط بتجريد النظر الى المعقول ، والى متوسط طمع في الجمع والتلفيق ، والمتوسطون انقسموا الى من جعل المعقول اصلا والمنقول تابعا ، فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه ، والى من جعل المنقول اصلا والمعقول تابعا ، فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه ، والى من جعل كل واحد اصلا ويسعى في التاليف والتوفيق بينهما ، فهم اذن خمس فرق »[5] .

ويرى الغزالى ان الفرقة الخامسة هى الفرقة المحقة ، لانها تنهج منهجا قويما ، وان كانت – على حد تعبيره – ترتقى مرتقى صعبا ، فان منهجها ان كان يسيرا في بعض الامور ، الا انه شاق وعسير في الاكثر . ثم يقول : « نعم ، من طالت ممارسته للعلوم ، وكثر خوضه فيها يقدر على التلفيق بين المعقول والمنقول في الاكثر بتاويلات قريبة ، ويبقى لا محالة موضعان : موضع يضطر فيه الى تاويلات بعيدة تنبو الافهام عنها ، وموضع آخر لا يتبين له فيه وجه التاويل اصلا فيكون

---

(٢) قواعد العقائد للغزالى ، تحقيق وتقديم سعيدزايد ص ٥٤ القاهرة سنة ١٩٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢ وما بعدها .

(٤) قانون التأويل للغزالى ، تحقيق محمد زاهدالكوثرى ، نشر عزت العطار الحسينى – القاهرة سنة ١٩٤٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٦ .

ذلك مشكلا عليه من جنس الحروف المذكورة في اول السور اذا لم يصح فيه معنى بالنقل . ومن ظن انه سلم من هذين الامرين فهو اما لقصوره في المعقول وتباعده عن معرفة المحالات النظرية ، فيرى ما لا يعرف استحالته ممكنا ، واما لقصوره عن مطالعة الاخبار ليجتمع له من مفرداتها ما يكثر مباينتها للمعقول »(٦) .

الغزالي يوصي في التأويل بثلاثة أمور

ثم يوصي الغزالي بثلاثة امور :

١ ـ ان لا يطمع الانسان في الاطلاع على جميع ذلك ، وان يتلو دائما قول الله تعالى : « وما اوتيتم من العلم الا قليلا »(٧) . فان هذه الامور ـ في رأى الغزالي ـ مستترة على اكابر العلماء ، فضلا عن المتوسطين . ومن يدعى الاطلاع على مراد النبى صلى الله عليه وسلم في جميع ذلك ، فدعواه لقصور عقله ، لا لوفوره .

٢ ـ ان لا يكذب برهان العقل اصلا ، فان العقل لا يكذب ، ولو كذب العقل فلعله كذب في اثبات الشرع ، اذ به عرفنا الشرع . فكيف يعرف صدق الشاهد بتزكية المزكى الكاذب ؟ والشرع شاهد بالتفاصيل ، والعقل مزكى الشرع .

وفي هذا الامر ، يرى الغزالي انه اذا لم يكن بد من تصديق العقل لم يكن للانسان ان يتمارى في نفى الجهة عن الله ، ونفى الصورة ، واذا قيل « ان الاعمال توزن » ، علم ان الاعمال عرض لا يوزن ، فلا بد من تاويل . واذا سمع « ان الموت يؤتى به في صورة كبش املح فيذبح » ، علم انه مؤول ، لان الموت عرض لا يؤتى به ، اذ الاتيان انتقال ولا يجوز على العرض . ولا يكون له صورة كصورة كبش املح ، اذ الاعراض لا تنقلب اجساما . ولا يذبح الموت ، اذ الذبح فصل الرقبة عن البدن ، وليس للموت رقبة ولا بدن . فلا بد اذن من التاويل .

٣ ـ ان يكف عن تعيين التاويل عند تعارض الاحتمالات ، فان الحكم على مراد الله سبحانه ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم بالظن والتخمين خطر . فان مراد المتكلم انما يعرف اذا اظهر مراده ، فاذا لم يظهره من اين يعلم المراد ؟ فذلك لا يتأتى الا بحصر جميع وجوه الاحتمالات وابطال الجميع الا واحدا يتعين بالبرهان .

ولكن وجوه الاحتمالات في كلام العرب وطرق التوسع فيها كثيرة ، فمتى ينحصر ذلك ؟ فالتوقف في التاويل اسلم .

هذا هو قانون التاويل عند الغزالي ، وتلك وصاياه التى يوصي بها كل من يلج باب التاويل . ومنه يتبين ان الغزالي يحترم برهان العقل ويصف العقل بالصدق دائما ، ولكنه يوصي بالكف عن التاويل عند تعارض الاحتمالات ، لكثرة ذلك في كلام العرب ، والتخمين والظن ـ في رايه ـ جهل ، واذا كان قد رخص به « لضرورة العبادات والاعمال والتعبدات التى تدرك بالاجتهاد » فانه لم يرخص به بالنسبة للعلوم المجردة والاعتقادات ، واكثر ما قيل في التاويلات ظنون وتخمينات ، والعاقل ، كما يقول الغزالي : « بين ان يحكم بالظن ، وبين ان يقول : أعلم ان ظاهره غير مراد ، اذ فيه تكذيب للعقل ، واما عين المراد فلا ادرى ولا حاجة الى ان ادرى »(٨) .

سعيد زايد

(٦) المرجع السابق ص ١٠ .
(٧) الآية ٨٥ من سورة الاسراء .
(٨) قانون التأويل ص ١٢

"اعرف نفسك" .. قالها سقراط

■ قامت مسابقة العدد ١٧٣ من « العربي » على اسئلة حول كلمات خالدة واسئلة مختلفة عن بعض العظماء من الشرق والغرب ، ونظرا لسهولة هذه الاسئلة فقد وصلنا عدد كبير من اجابات القراء ، وكانت كلها صحيحة .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة :

١ ـ (لم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) ، قالها الخليفة عمر بن الخطاب.

٢ ـ (هذا جناه ابى على وما جنيت على احد)، قالها ابو العلاء المعرى الذى لقب برهين المحبسين .

٣ ـ (سوف تزول اسرائيل وستعود فلسطين الى اصحابها) ، قالها المؤرخ الغربى المعاصر ارنولد توينبى .

٤ ـ (اعرف نفسك) ، حكمة رددها سقراط .

٥ ـ الكاتب العربى الذى اشتهر بكتاباته الأدبية والقصصية ومن اشهرها النظرات والعبرات ومجدولين هو المنفلوطى .

٦ ـ (لا معنى لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس) ، قالها الزعيم المصرى مصطفى كامل .

٧ ـ الزعيم الذى انقذ بلاده اثر هزيمتها في الحرب الكونية الأولى وعمل اصلاحات في بلاده هو مصطفى كمال اتاتورك .

٨ ـ الكاتب والشاعر والرسام اللبنانى الذى عاش مغتربا في اوروبا وامريكا وله كتاب « الاجنحة المتكسرة » وكتاب « النبى » هو جبران خليل جبران .

٩ ـ (أنا أفكر اذن انا موجود) ، قالها رائد الفلسفة الحديثة رينيه ديكارت .

١٠ ـ الكاتب الغربى الذى تميز بالسخرية في كتاباته وكان يطلق لحيته هو « برنارد شو ».

الفائزون في المسابقة

أما الذين حالفهم الحظ بالفوز في القرعة بين الاجابات الصحيحة فهم :

ـ **الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠** دينار فاز بها : **عبد العزيز عبد الصمد حسين**/القادسية/الكويت.

ـ **الجائزة الثانية وقيمتها** ٢٠ دينارا فاز بها : **خالد ياسين عبد الله القطرى** / تعز / اليمن

ـ **الجائزة الثالثة وقيمتها** ١٠ دنانير فاز بها : **محمد خالد محمود يوسف**/ الزرقاء / الاردن .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **عمر ابراهيم فهد** / حلب / سوريا

٢ ـ **سعد محمد محمد عمر** / انشاص الرمل / مصر

٣ ـ **محمود موسى محمد** / بغداد / العراق

٤ ـ **صالح عبد الله ظالف الغامدى** / جدة / السعودية

٥ ـ **جعفر محمد مكى عمران** / التوبدرات / البحرين

٦ ـ **سعيد عبيد فنزل** /المكلا /اليمن الديمقراطى

٧ ـ **على محسن على آل عبد الله** / سلطنة عمان

٨ ـ **احمد سليمان المصرى** / ابو ظبى / دولة الامارات العربية المتحدة

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

أَخلاقُ النَّصر وَأَخْلاقُ الهَزيمَة

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ قرات الخبر التالي عند الطبرى : « وفي سنة ١١٥ هـ (٧٣٣م) غزا معاوية بن هشام الصائفة ، ومعه اهل الشام والجزيرة وعبد الله البطال . فلما التقى المسلمون والروم ـ وكان على الجماعة عبد الله البطال ـ برز غلام من الروم فقال : انا الغلام البريدى مولى ام البنين من بنى امية ! (١)

فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله ورجع يجر رمحه . .

ثم عاد وقال : من يبارزني انا الغلام البريدى مولى ام البنين من بنى امية ! فخرج اليه رجل من المسلمين فقتل ، ثم برز اليه رابعة وخامسة ، وهو في كلها ينكّى ويظفر ويقتل . .

فقال البطال : هذا ابن الفاجرة يقتل اصحابنا ونحن ننظر اليه !

فقال احد اصحابه : انا ابرز اليه ، فقال البطال : لا ، بل انا ابرز . . .

فقال : بل انت امير هذه الجماعة ، ان اصبت ضاع الناس . . .

قال : لا ! لعمرى ايها الناس ان اصبت فاميركم عثمان .

وخرج اليه ، فطعنه البريدى ، فالتقى الطعنة في الترس ، فضربه البطال على رأسه ، فقدّ رأسه ويده وكتفه حتى بلغ السيف الى عنق فرسه . وصاح البطال : خذها وانت الغلام البريدى مولى ام المؤمنين وانا البطّال . . .

والتفت الى الناس وقال : معاشر المسلمين ! حملة واحدة وهو الظفر ، فحمل الناس حملة رجل واحد ، فانهزم الروم ووقع المسلمون فيهم ، فاكثروا القتل والسبى واستباحوا عسكرهم ، وغنموا اموالهم . »

خبر حافل بالمعاني .

---

(١) عبد الله البطال اى البطل من اعظم محاربي العرب في وقائعهم مع الروم ايام بني امية ، وقد تحولت اعماله الى اسطورة بلغت اوجها في ايام الاتراك فنشأت الملحمة التركية « سيد بطال غازي » لاحظ ان المحارب الرومي الذى يتحدى المسلمين هنا يفخر بانه عربي الاصل وانه كان من جند ام البنين من بني امية ، والمراد بها أم الوليد بن عبد الملك بن مروان واخوته .

• عندما تهب رياح النصر تجد الناس بدلوا غير الناس

• من الخوف والتردد والتخـاذل ينتقلون الى البسالة والعزم والاقدام

• ومن التفرق الى الاتحاد، ومن الضعف الى القوة

• ومن اليأس الى الامل ..

• انها لمسة النصر وروح الظفر واشراقة النفوس

فقد كان العرب اذ ذاك (١١٥ هـ/٧٣٣م) في اوج قوتهم وعنفوان نهضتهم .

كانت جيوشهم الفاتحة تضرب في الارض شرقا وغربا .

ايام النصر واخلاق النصر

تلك كانت ايام فتوح بني امية العظيمة التي بدأت بحملة عقبة الكبرى (٦٢ – ٦٣ هـ = ٦٨٢ – ٦٨٣م) ايام يزيد بن معاوية ...

وايام الحجاج ، ذلك الفحل الضخم الذى ملأ الدنيا باخباره وفتوحه منذ ولايته العراق سنة ٧٥ هـ/٦٩٤ م .

ومهما كان الرأى في الحجاج فلا شك في انـه كان نموذجا فريدا في ذاته لرجل الدولة العربي في حزمه وعزمه وجرأته وحدة ذهنه وفصاحته ، ولا زالت الفصاحة من الخصال الاصيلة التي تميز بها العرب في ايام عزهم وسعودهم .

وتلك كانت ايام المهلب بن ابي صفرة ، ذلك الازدى الذى نستطيع اتخاذه مثلا للعربي في ايام سيادته وانتصاره .

لقد ولاه الحجاج الفتوح في المشرق سنة ٨٠/٦٩٩ ، فمدّ الحدود الى ضفاف سيحون ، وفتح مرو واتخذها عاصمة ، وبدأ المعركة الكبرى لتحطيم مقاومة الترك بعد ان قضى العرب على مقاومة الايرانيين ايام عمر بن الخطاب .

وأيام غيّر العرب وجه الارض والتاريخ

والعرب هم اصحاب الفضل في ازالة الحواجز التي كانت تفصل بين العرب والايرانيين ، وبين الايرانيين والترك . وبين الترك والصينيين ، فاصبحت هذه الشعوب كلها شعبا واحدا مسلما يستعرب رويدا رويدا .

وهذا الذى قام به العرب ناحية الشرق يعتبر عملا فاصلا في تاريخ البشرية ، فقد كانت تلك الاجناس تعيش منفصلة بعضها عن بعض كأنهـا تعيش في كواكب مختلفة متباعدة .

والعربي هو الذى هدم هذه الحواجز ، ومد حدود العالم المعروف اذ ذاك ، حتى شملت ولاية سنكيانج في شرقي الصين وعاصمتها كاشغر ..

واصحاب الفضل في هدم الحاجز التركى هم المهالبة : المهلب بن ابي صفرة واولاده يزيد وحبيب والمغيرة ، رجال كان الواحد منهم بالف رجل عزة وشهامة وبسالة ..

وعقبة بن نافع الذى ذكرناه قام بعمل لايقل

عما قام به الاسكندر المقدوني فقد هدم حاجز البربر بغزوته الكبرى التي اشرنا اليها ، ووصل ساحل المحيط الاطلسي ، اخر حدود الدنيا في الغرب انذاك ..

وفي ناحية الغرب ايضا تسلم الراية في العصر نفسه ـ ابتداء من سنة ٧١١/٩٢ ـ موسى بن نصير وصاحبه ومولاه طارق بن زياد ، فهدما الحواجز بين افريقية واوروبا ، وهو حدث تاريخي ضخم اخر .

وقد كان القدماء يزعمون ان الاسكندر الاكبر هو الذي فصل اوروبا عن افريقية فشق مضيق جبل طارق ..

اسطورة بلا شك ، ولكنها اسطورة ذات مغزى .

فجاء طارق وموسى واجتازا الزقاق ، واصبح شبه جزيرة ايبريا جزءا من دولة الاسلام وعاصمتها دمشق . لم تعد هناك قارة منفصلة تسمى اوروبا .

ومضيق جبل طارق اصبح مجرد « زقاق » او مجرى مائي صغير داخل الامبراطوية ...

وموسى بن نصير هـذا وصل الى السفوح الجنوبية لجبال البرت المعروفة بالبرانس ، وهناك ركز رمح العروبة وعلمها ...

وبعد انصـراف مـوسى عن الاندلـس بخمس سنوات تولى امرها فاتح عظيم آخر هو السمح ابن مالك الخولاني (١٠٠ ـ ١٠٢ هـ/٧١٨ ـ ٧٢٠) فاتخذ عاصمته اربونه ، فاربون اليوم في جنوب فرنسا ، اى انه عبر البرانس وسار فاتحا في فرنسا حتى بلغ نهر اللوار في وسط فرنسا ، وسار مجاهدا بجيشه حتى استشهد قرب تولوز .

وهذا حد جغرافي هائل آخر ازاله العرب في ذلك العصر المجيد .

وهذا الحد الفاصل هو جبال البرت المعروفة بالبرانس .

كانوا يقولون ان افريقية تبدا عند البرانس ..

فازال العرب هذا الفاصل ايضا ، واصبحت تلك الجبال الضخمة مجرد علم جغرافي داخل الامبراطورية .

اشياء لا تصدق ولكنها حقائق

ومن الذى قام بذلك كله ؟

حفنة ، او قل بضع حفنات من الرجال ..

كم تظن عدد العرب الذين فتحوا العراق وازالوا دولة ساسان ؟ ستة وثلاثون الف رجل من الجند المدون في الديوان . قل .....) مع المطوعين ، اى المجاهدين حسبة" لله دون رزق او عطاء ..

وكم كان الذين حطموا دولة الروم وفتحوا الشام الى جبال طوروس ؟

لايزيدون على اربعين الفا ..

وكم الذين فتحوا مصر ؟

عشرون الفا اولا وآخرا .

والاندلس ؟ كم الذين فتحوها من عترة العرب ؟

لا يزيدون على اثنى عشر الفا ، هم طالعة موسى ابن نصير ، اضف اليهم اثنى عشر الفا من البربر يقودهم طارق ... المجموع اربعة عشرون الفا ..

حقائق لاتصدق ! ولكنها حقائق .

الايمان : مبعث القوة ومصدر الظفر

وما الذى نفث فيهم هذه القوة كلها ؟

الايمان !

ايمان شامل عميق بان الله قد منحهم منحة كبرى هي الاسلام ، وشرفهم برسالة عظمى : هي ادخال الناس في الاسلام .

وعلى طول التاريخ نجد النصر معقـودا بلواء الرجل المؤمن .

فالرجل المؤمن لا يشك في نفسه ابدا حتى لو اصابته الهزائم : شيء في اعماق نفسه يقول : انت على حق فالنصر في النهاية لك ...

عندما استشهد عقبة بن نافع تحت اسوار تهودة (جنوبي مدينة الجزائر الحالية) اقبل رجل ، واراد ان يحمله لينجو به . كانت فيه بقية من حياة وكان دمه ينزف فقال عقبة للرجل : دعني وانج بنفسك ..

ـ وانت ؟

ـ انا نجوت والحمد لله . لقد صرعت الكفر في هذه البلاد . هات ركوة الماء التي معك وانج بنفسك .. ونزع الرجل ركوته ، ومد يده بها الى عقبة . كان دخل في غيبوبة الموت ، ثم فتح عينه فراى يد الرجل ممدودة بالركوة فقال .

ـ خذها معك ... انني اشرب الآن من انهار الجنة !

واقرأ هذه الحكاية يرويها صاحب « العيون والحدائق »

« ... فاقام يزيد بن المهلب يحاصر المرزبان سبعة اشهر لا يقدر على شيء . فبينما هم كذلك اذ خرج رجل من عسكر يزيد بن المهلب الى الصيد ، فارسل وعلا في جبل فاتبعه ، فلم يزل يتبعه حتى اشرف على عسكر العدو ، فرجع يريد اصحابه ، وخاف الا يهتدى الى الطريق اذا رجع ، فجعل يخرق (٢) قباءه وعمامته ويعقدها على الشجر علامات ، حتى انتهى الى يزيد واخبره بذلك . فجرد له يزيد الرجال وركبوا الطريق ، فلم يشعر بهم العدو حتى ركبوا اكتافهم بالسيوف وكبروا ، واقبل يزيد من « الباب » لا راد له ، واحتوى على الاموال والدنانير التي لا تحصى كثرة ... وبنى يزيد مدينة جرجان ، ولم تكن يومئذ مدينة ، انما كانت جبالا ، وكتب يزيد بالفتح الى سليمان (بن عبد الملك) وعظم ذلك وقال : ان الله تعالى قد فتح لامير المؤمنين جرجان وطبرستان ما اعيا سابور ذا الاكتاف وكسرى قباذ وكسرى بن هرمز ، واعيا عمر وعثمان ومن بعدهما من خلفاء الله تعالى ...

فانظر الى ذلك العزم الذى لا يكل ...

فالقائد الكبير يزيد بن المهلب يصر على ان يقتحم « الباب » .. اى المدخل الى الجبال الهائلة التي تقع جنوبى بحر قزوين ، لينفذ الى جبال القوقاز من ناحية (جرجان) ويصل الى بحر قزوين ، ويستولى على الاقليم الفسيح جنوبه (طبرستان).

والجندى العربي البسيط يشارك القائد هذا التصميم ...

لقد عثر على معسكر العدو بين الجبال مصادفة، كان يتبع وعلا يصطاده ...

وعندما اكتشف المعسكر عاد ادراجه مسرعا ليكشف الامر ليزيد ..

وخاف ان يضل الطريق فجعل يقطع ثيابه ويربط القطع علامات على الطريق ..

ايمان عجيب جمع بين القائد والجندى .

ويزيد بن المهلب يفخر بنصره حتى يزعم ان هذه الفتوح فاقت فتوح عمر ..

نوع من الغرور جميل . انه يريد ان يتفوق حتى على سيد الفاتحين من امة العرب ..

وتلك كلها اخلاق النصر ...

فان النصر اذا اقبل صاحبته اخلاق كريمة : الجد والبسالة والامانة والطموح والكرم والاستهانة بالموت ورفع الهمة والتصدى لعظائم الامور والاستهانة بالنكبات والهزائم ..

روى ابن الاثير ان رجلا من بكر احتمل متاع بيت وجده خاليا عندما استولى المسلمون على طوانه (في اسية الصغرى) . وعندما هبط الليل ضرب الجنود معسكرهم وجعل كل منهم يحصى ما غنم . ووقفت امرأة على رأس البكرى وقالت له : سلبتنا كل ما نملك ، هذا كان متاع عيالى ، فقال الرجل : ما علمت انى اخذت متاع امرأة . هذا مغنمى كله فخذى منه ماتريدين ، واخذت المرأة مالها ، فابى البكرى الا ان يحمله الى دارها كما حمله منها . وعرض عليها الاسلام في الطريق فابت ، فواصل سيره حتى اوصلها الى دارها ، واعطاها دنانير كانت معه وعاد ...

واخذ الروم رجلا من العرب اثناء حصار مسلمة ابن عبد الملك ، للقسطنطينية فقالوا له : اعربي انت أم من نبط العرب (٣) فقال : بل عربى من مدلج (٤) ولله الحمد فامروا به ليقتل ، فقال له حارسه : لو قلت انك من نبط العرب لنجوت من القتل ! فقال : لعنك الله، تسومنى في شرفي، والله لا كذبت ابدا ! قال : ولو قتلوك ؟ فقال :

---

(٢) يقطعهـا قطعـا .

(٣) نبط العرب كانوا جماعات من عرب جنوبي الشام دخلوا في خدمة الدولة الرومانية ثم البيزنطية (الروم) وكانوا معدودين في انصار الروم

(٤) قبيلـة يمنيـة .

ولو قطعوني . فقال الرومي : اذن اطلقك فمثلك لا يقتل ، قال العربي « لا تمن عليّ » ، انا اشترى منك نفسي بمالي ، فاكتب لك صكا » . فكتب له صكا بمائتي دينار ، فلما عاد الرجل الى حمص باع نصف بيت كان له ، وارسل المال للرومي .

اخلاق رجل منتصر ..

وحينما قلبنا الصفحات في اخبار ذلك العصر نجد العرب يتصفون باخلاق النصر ، فهم لايبالون بالموت ، وهم لايبخلون بالمال ويعتزون بالعروبة والاسلام ، ويتحملون الاهوال دون ان يستسلموا. حاصر مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية في ظروف قاسية على المسلمين . فقد كان الشتاء قاسيا جدا ، وهبط ثلج كثير ، وعدم الجيش الاقوات « حتى ان الرجل كان يخاف ان يخرج من عسكره وحده ، واكل المسلمون الدواب والجلود واصول الشجر والعروق والورق ، هذا وسليمان بن عبد الملك مقيم بدابق لا يقدر ان يمدهم بشيء من الازواد لكثرة البرد والثلوج ..» وعندما حل الصيف واتضح الطريق ارسل سليمان الى مسلمة بالازواد ، وطلب اليه القفول فابى مسلمة وقال :

اقيم عليّ اياما ، فاني قد اشرفت على فتحها ! فقال رسول الخليفة : لا والله ولا ساعة ! واضطر مسلمة الى العودة .

اخلاق ناس يؤمنون بالنصر !

وهبت ريح النصر

ولمؤرخي العرب تعبير جميل يعبر تعبيرا بليغا عما نريد بقولنا . « اخلاق النصر » وهو قولهم « وهبت ريح النصر » .

اي سادت الجو روح النصر فاشرابت النفوس الى الظفر وفاضت حمية وحماسا ونخوة .

يقولون مثلا : « واقتتل الناس طول النهار حتى اذا صلوا العصر صاح رجل من المسلمين : والله ما نصلي المغرب الا وقد ظفرنا بهم ! فهبت رياح النصر وكر المسلمون كرة رجل واحد فتزعزع الاعداء ... » .

ورياح النصر تهب بعد النصر الاول مهما كان صغيرا ..

هنا يتبدل الناس غير الناس ، وتمتلىء القلوب حماسا وقوة فلا يقف امامهم شيء ..

فقد هبت رياح النصر على المسلمين الاولين بعد معركة بدر ...

وهبت رياح النصر على العرب بعد نصرهم الاول على الفرس في كاظمة ...

وبعد نصر «فِحْل» في الشام هبت رياح النصر فاندفع المسلمون يفعلون الاعاجيب في حرب الروم، وانت تعرف ما فعلوه في اليرموك واجنادين ..

في اجنادين كان عكرمة بن ابي جهل يرمي بنفسه في كل مقتلة ، ويخرج سالما وهو يقول : عجبا ما يصيب مني هؤلاء شيئا ! فيقول له احدهم : احمد الله ! فيقول : والله لاحمدنه ساعة اموت في سبيله ، فلقد طالما اذيت رسول الله ، والان اريد ان اموت في سبيل الله ، وقاتل حتى قتل .

وهبت رياح النصر علينا بعد ان خاض نور الدين محمود معاركه الاولى مع الصليبيين ، وخرج منتصرا ، فقال : « الان اتاكم نصر الله فلا تردوه بالتراخي والخوف وافتراق الكلمة ، هو النصر والله ، هبت عليكم ريحه فلا تصرفوها ! ... »

احاط نفر من فرسان الفرنج بمقاتل من المسلمين ايام نور الدين فادار النظر فيهم وقال : ويحكم ! لو كنتم حائطا من اهل النجدة لهدمتكم بسيفي هذا وانقض عليهم ، فعقروا (٥) فرسه ، فقال : وبدون فرس ينصرني الله عليكم ! وكر عليهم فما زال يضرب حتى قتل اربعة منهم وفر الباقون.

وريح النصر هي ما يعبر عنه اليوم بروح النصر، الايمان بالنصر ..

والرجل المؤمن بالنصر لا يغلب ابدا . قد تصيبه الهزائم والنكسات ، ولكنه آخر الامر لا بد ان ينتصر . في حروب المسلمين في جنوب فرنسا استشهد الحر بن يوسف الثقفي في اول محاولة للاستيلاء على مدينة « بوردو » ثم جاء عنبسة بن سحيم ، فشق فرنسا من جنوب

---

(٥) عقر الفرس اي جرحه جرحا بليغا اقعده من الحركة او قتله .

لشمال ، وغزا بلاد حوض الرون ، ولم يتوقف الا عند صانس Sens ، على ٧٠ كيلو مترا جنوبي باريس . ومع ذلك فقد استشهد عنبسة ايضا في طريق العودة ..

ولم يمنع ذلك عبد الرحمن الغافقي من معاودة الكرة ، وهنا تجمع غرب اوروبا كله لايقاف المد العربي الذي لا يقلب . وعند بلاط الشهداء بين تور بواتييه استشهد عبد الرحمن الغافقي وجانب كبير من المجاهدين معه في رمضان ١١٤ (سبتمبر ٧٣٢) .

لم يغلبهم العدو ، ولكن غلبتهم ظروف طبيعية لم يكونوا ينتظرونها ، فقد دارت المعركة في وسط الغابات الكثيفة ، والعرب الى ذلك الحين تعودوا الحرب في الفضاء المكشوف . بين الغابات لم يستطيعوا استعمال خيولهم . وكان الوقت خريفا ، وسقط مطر ثقيل ، والعرب لم يتعودوا الحرب في المطر . واشتد البرد ولم يكن على الرجال الا اقل الثياب .

وبعد بلاط الشهداء لم يتوقف زحف العرب . ظلوا يحكمون جنوب فرنسا اربعين سنة بعد ذلك، كانت عاصمتهم في « تربونة » شمالي جبال البرانس . وهم لم يرتدوا عن غالة (فرنسا) لانهم انهزموا ، وانما لان الحروب اهلكت معظم قواهم الغازية في اوروبا . « استلحمتهم الحروب واكلتهم الاقطار المتباعدة » كما يقول ابن خلدون..

ارادة النصر تحقق الأعاجيب

ولا بد لرياح النصر من الهام ...

الالهام يجيء في صورة مبدأ عظيم او مثل اعلى رفيع ، يرفع رايته رجل ملهم قادر على اقتحام الصعاب واطلاق رياح الظفر ..

في نهضة الاسلام الاولى ، كان المبدأ والمثل الأعلى يتمثلان في الاسلام ، وكان الملهم محمدا صلوات الله عليه ...

كان النبي وكان القائد وكان الاسوة الحسنة...

في اصعب الظروف ، في احلك الساعات كان يقف ثابتا كالصخرة لا يزعزها شيء في الوجود .

في بدر ، وفي احد ، وفي الخندق ، وفي حنين ، وغيرها كان مجرد وقوفه بين الرجال يخلق منهم ابطالا ...

وفي فتوح الاسلام الاولى لدينا هذه الكوكبة من الرجال الذين الهمهم محمد وجعل كلا منهم مصدر الهام وريح نصر وظفر .

لا اضرب لك امثلة ، لانني لا اشك في ان الامثلة الرائعة تطفر في ذهنك وانت تقرأ هذا الكلام ..

رجال كالرواسي الشامخات ينطبق عليهم قول ابي تمام في رثاء محمد بن حميد النبهاني ..

« فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها: من تحت اخمصك الحشر »

اجل ، من تحت اقدامهم يمر النصر ...

قيل لعياض بن غَنْم وهو يفتح بلاد الجزيرة شمالي العراق : قد بادت الطليعة ! قال كلنا طليعة ، والله لو باد هذا الجيش لوجدوا انفسهم امام جيش آخر ، يا صاح ، ان اولنا في المدينة وآخرنا في حلق الروم .. وقيل لصلاح الدين : « عما قريب يركب الفرنج البحر ويعودون الى بلادهم » . قال : « وددت لو ركبت امواج هذا البحر وغزوتهم في بلادهم » . وقيل لمحمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية : « كل الروم والفرنج سيسيرون اليك الآن لاسترجاع مدينتهم ! قال : « فليعجلوا حتى نفرغ منهم في ساعة .. » .

وقيل لنابليون قبل ان يهاجم جسر لودي Lodi في حملته الايطالية وهو بعد شاب : « انهم اضعافنا مرات كثيرة ، وقائدهم مُسِنّ مجرب ، خاض الف معركة » ، قال : « لو كنا مائة فقط فنحن اكثر منهم ، وقائدهم اهلكته مئات المعارك الماضية ، وانا اليوم ابدا الف معركة تحت راية النصر » .

وبعد المعركة قيل له : كيف كسبت المعركة بهذه السرعة ؟ قال : لانني اردت ان انتصر ، النصر ارادة ...

تلك هي روح النصر ورياح الظفر ...

وللهزيمة ايضا اخلاق

وبخلاف ذلك نجد اخلاق الهزيمة ..

حين يفقد الرجال ارادة النصر تهب عليهم رياح الخوف والتفكك والخلاف ، ويصبح همهم الوحيد هو النجاة بجلدهم .

ونقطة البداية هنا هي انعدام الرجال المؤمنين بالنصر ، انعدام الملهمين ..

في فتوح المسلمين الاولى في الاندلس كان خمسون رجلا يستولون على مدينة كبيرة ..

كانوا يقفون امام الاسوار الشاهقة فلا ترهبهم، ويندفع بعضهم يتسلق السور تحت وابل من سهام العدو ... ويسقط منهم من يسقط ، ولكن في النهاية تصل الى اعلى السور حفنة" منهم فيكبرون ، ويتلاحق بهم الباقون فيقتحمون المدينة اقتحاما ...

حصل هذا عشرات المرات ..

وعكس هذا حدث عندما فقدوا ارادة النصر ابتداء من عصر الطوائف في القرن الحادى عشر الميلادى .

اصبحوا هم الذين يتحصنون وراء الاسوار ..

وسقطت من الاندلس مدن كبرى دون ان يدافع عنها احد ..

واين كان الرجال ؟

كانوا هناك ، ولكن ارادة الموت ادبرت عنهم واصبحوا يطلبون السلامة باى سبيل ..

وكان ملوك الطوائف اسوا قادة لاخطر معركة...

في اشخاصهم تمثل اخلاق الهزيمة : الخوف والبخل والنذالة والانصراف الى اللذات والحرص على الحياة وفقدان العصب ...

في عصر المعتصم العباسي عندما استغاثت امراة مسلمة هبت جيوش الاسلام كلها لنجدة المراة الواحدة التى استغاثت .

وفي عصر الطوائف في الاندلس كان البلد الضخم يستغيث ويقتحمه الاعداء ويذبحون الالوف من اهله والمعتمد بن عباد يلعب الشطرنج مع وزيره ابن عمار .

وفي النصف الثاني من القرن السادس الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وقواعد الاندلس الكبرى تسقط في يد العدو واحدة بعد اخرى ، والعدو مصر" على تصفية خط الوادى الكبير ، وعليه تقع اشبيلية وقرطبة وجيان ومرسية كان ادباء شرق الاندلس مشغولين بحادث خطير ، وهو ان واحدا منهم طلب اليهم اجازة شطر بيت هو : « باحدى هذه الخيمات جاره .. » فانبروا يتساجلون ويتبارون في هذا العمل الجليل حتى بلغ عدد المشتركين منهم في تلك المسابقة التافهة سبعة شعراء قالوا قصائد تبدأ بالشطر المطلوب ، فقال ابو عبد الله الحناط :

باحدى هذه الخيمات جاره
ترى هجرى وتعذيبى تجاره
وكم ناديت يا هذى ارحمينا
فلسنا بالحديد ولا الحجارة (٦)

اجل ، ليسوا حديدا ولا حجارة ، وانما طين وزفت وقطران ...

رخاوة وضعف ، وفسولة وتفاهة

وهذه من اخلاق الهزيمة

الدنيا تحترق وهم في هذا العبث ..

اخلاق هزيمة واهل هزيمة .

★ ★ ★

نريد ان ننتصر ؟

اذن فلنتخلق باخلاق النصر : الجد والعزيمة والتضحيةوالاعتزاز بالنفس والصدق والصراحة . ولنتذكر ...

انامم الدنيا القائدة كلها تتصف بهذه الاخلاق.

حقا ان التزام هذه الاخلاق عسير ..

ولكن لكل شيء ثمنا .. وهذا هو ثمن النصر والعزة والكرامة .

وفي الحياة على هذه الارض وهي صراع دائم ، لا مساومة ...

خذ النصر واخلاقه ..

او اقنع بالهزيمة واخلاقها ..

واذكر قول ابى تمام :

« واثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت أخمصك الحشر! »

وقوله :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تنال الا على جسر من التعب

■■

حسين مؤنس

---

(٦) اقرا تفاصيل هذه المسابقة التافهة في كتاب « الذيل والتكملة » لابي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي
بتحقيق د . احسان عباس ، السفر الخامس ، قسم ١ ص ٨٠ وما بعدها .

أُغْنِيَة لِبِلادِي ..

■ سمعتها تنادي في موكب الجهاد .
لبيك يابلادي
يدي على الزناد
سمعتها تنادي في موكب الجهاد .

★★★

ياغضبة الثوار يا صيحة الأحرار .
تدعو لغسل العار
وتلهب العزيمه في أمتي العظيمه .
وترفض الهزيمه
وترهب الأعادي
لبيك يابلادي
سمعتها تنادي ... ... الخ

★★★

مشاعل السلام في بلد السلام .
أ لبلد الحرام
ياثورتي تقدمي تقدمي .. ودمدمي .
روحي فداء ودمي
لرد كل عادي
سمعتها تنادي ... ... الخ .

★★★

سيرى على الجراح وثباً إلى الكفاح .
بالعلم والسلاح
داعية مدعوه لتأخذي بالقوه .
ما أخذوا بالقوه
وكلنا ينادي
لبيك يابلادي
سمعتها تنادي ... ... الخ . ■■

القاهرة ـ **فيصل طاهر ابو فاشا**



أَبُو الكَلَام أَزَاد

«مُحْيِي الدِّين أَحـمَد»

١٨٨٨ - ١٩٥٨م

بقـلم
الدكتور عبد المنعم النمر

■ يقول عنه شبلي النعماني احد زعماء الفكر فى الهند : **« ان عقل ازاد وذهنه اعجوبة من أعاجيب الزمن ، ولابد ان تعرض هذه الاعجوبة فى معرض من المعارض العلمية »** .

ويقول عنه غاندى : **« حصل لي الشرف ان أعمل مع مولانا ازاد فى الميدان الوطني منذ عام ١٩٢٠ م ، وهو لا يدانيه احد فى التبحر فى العلوم الاسلامية ، كما انه متمكن من اللغة العربية ، ووطنيته متينة صادقة كايمانه بالاسلام »** .

ويقول عنه « نهرو » وهو يؤبنه سنة ١٩٥٨ م : **منذ ثلاثين عاما قابلت مولانا ازاد وجها لوجه لأول مرة فى حياتي ، وكنت قبل ذلك أسمع عنه ، وعن اهتمامه بالقضايا الوطنية بكل مافيه من عزم وثبات ، وكنت اتابع مقالاته أيام الحرب العالمية الأولى قبل ذلك اللقاء بزمن ، وكنت لذلك توافا لمقابلته ، وكان من زعماء الحزب الوطني ، ولم اكن حينذاك عضوا من اعضائه ، حتى يتاح لي لقاؤه والتعرف عليه »** .

واختلف معه « غاندى » فى وجهة نظر سياسية اثناء الحرب العالمية الثانية ، واتخذ بشأنه قرارا فى صباح يوم هز الحزب والهند كلها .. فما جاء مساء ذلك اليوم حتى اجتمع اعضاء الحزب ، وافتتح غاندى الاجتماع بهذه العبارة « هاكم المذنب يعود تائبا لمولانا » وعدات اعصاب الحزب والشعب .

وقال عنه المفكر والوزير الدكتور همايون كبير ، أقرب الناس اليه خلال حياته : « كنت اظن ان مولانا ازاد عالم من علماء الدين كما ظن كثيرون

صاحب الإمامتين : إمامة في الدين وإمامة في السياسة

ثار على التقاليد البالية ، والخرافات ، والأوضاع العفنة ، والاستعمار

غيرى ، لا يعرف من السياسة وحل المشاكل على النهج الحديث الا قليلا ولكنني دهشت حين عرفت أن معالجته لكثير من القضايا السياسية ـ كانت معالجة علمية دقيقة ، تفوق معالجة كثيرين من الساسة الذين تلقوا علوما حديثة » .

نحن ـ اذن ـ امام شخصية فذة ونادرة ، كانوا يلقبونه في الهند بصاحب الامامتين : الامامة في الدين ، والامامة في السياسة ، فقد تخرج في المدارس الدينية العربية في الهند ١٩٠٤ وصار عالما من علماء الاسلام ، ومن دعاته المصلحين ، وصوتا مجلجلا من أصوات الوطنية والتحرير ، فلم تأت الاربعينات حتى كان صاحب الفضيلة هو الذى يتولى المفاوضات باسم الهند ، مع ممثلى انجلترا وعلى رأسهم الداهية الانجليزى « سير ستافورد كريبس » لتحقيق الاستقلال حتى تم سنة ١٩٤٧م.

نحن ـ اذن ـ امام شخصية اضافت للعالم الاسلامي رصيدا ضخما وثمينا ، من ارصدة رجاله الصالحين والمجاهدين في سبيل دينهم وبلادهم .

مع ذلك فانه مما يدعو للاسف حقا ألاّ يجد هذا الزعيم المسلم المجاهد حظه من المعرفة والتقدير لدى قراء العربية ، كما وجد ذلك غيره من زعماء الساسة في الهند في السنوات الاخيرة .. وربما كان هذا هو السبب الذى دفعني لتقديمه لقراء العربية انصافا له ، ولدور المسلمين في حركة تحرير الهند ..

ان بعض المثقفين عندنا قد يعرفون هذا الاسم « ابو الكلام ازاد » ولكن يندر فيهم جدا من يعرف دوره العظيم في الهند واندر منهم من يعرف أنه الذى قاد حركة الاصلاح الديني والتحرير الوطني في الهند ، وانه يمت الى العرب بأقوى سبب ونسب ، وانه عربي المولد ، عربي الأم .

عربي المولد والام

فقد ولد في مكة ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٨٨ م ، حيث كان والده « مولانا خير الدين » قد جاء اليها في شبابه مهاجرا من الهند ، رافضا أن يقيم فيها بعد ما تسلط عليها المستعمر ، وقضى على وجود الحكم الاسلامي ، وعلى آخر امبراطور مسلم لها سنة ١٨٥٧ م . واقام الوالد في الحجاز منذ ذلك الحين ، وتزوج بنت أحد كبار علماء المدينة ، واشتغل بالعلم والتاليف والتصوف والاصلاح الاجتماعي ، حتى منحه السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية الوسام المجيدى ، تقديرا لخدماته .

ولكنه خضع اخيرا لرغبة اصدقائه ومريديه في الهند ، فرجع اليها سنة ١٨٩٠ م حاملا معه اسرته واقام في « كلكتا » حين كان ابنه « محيى الدين أحمد » ـ وهكذا كان اسمه ـ طفلا في الثالثة من عمره . لكن القدر حرم الطفل من أمه العربية التي توفيت سنة ١٨٩٢ م وهو في الخامسة من عمره .

ومن الطبيعي وقد نطق الطفل ودرج في جو عربي بين أبيه وامه ان ينطق بالعربية ، ولكن هذا القدر الذى عرفه من العربية طفلا يمكن أن يزول في وسط يتحدث بلغة اوروبية ولا سيما بعد ان توفيت والدته ، ما لم يتعهد بالتنمية ..

وقد عني والده بتربيته التربية التى يحبها ، والتي تتفق مع وضعه ومشربه كعالم صوفي محافظ ، رفض من أول الأمر أن يقيم في جو يسيطر عليه

الاستعمار بحكمه وثقافته ومدارسه ، فاحضر لولده في البيت ـ مبالغة في المحافظة والعناية ـ نخبة طيبة اختارها هو من المدرسين ، ليقوموا معه بتحفيظه القرآن ، وتعليمه المنهج الديني العربي الذي كانت تدرسه المدارس الاسلامية العربية في الهند ، حتى تخرج عالما سنة ١٩٠٤ م وهو في السادسة عشرة من عمره ، على غير عادة امثاله . وكان المنتظر ان يكون كامثاله من العلماء الذين يتخرجون في هذه المدارس ، ويعصبون غالبا في التدريس بها ، او في الامامة والخطابة بالمساجد .. ولكن العالم الشاب لم يقف ، عند هذا الافق الذي وصل اليه ، ولم يقتنع به ، بل تطلعت نفسه الى ارتياد آفاق جديدة أوسع ، فاقبل على الكتب التي تعالج علوما لم يعرفها من قبل : كالفلسفة ، والتاريخ القديم والحديث ، والاجتماع والعلوم .. فاحس ضآلة ما تعلمه من قبل ، بجانب هذا البحر الزاخر من المعرفة التي وقف على شاطئها او كما يقول « ادركت انه ليس لأحد أن يصبح عالما بمعناه الحقيقي في العالم الحاضر الا اذا درس الفلسفة والعلوم والآداب الحديثة » .

وقد دفعه هذا الاحساس الى المزيد من الاطلاع والمعرفة بهذا الأفق الجديد عليه ، ورأى ان الحاجة ماسة الى تعلم الانجليزية ، فانكب على تعلمها حتى عرفها ، واخذ يقرأ بها ، وتجمع له بذلك معرفة العربية والفارسية والانجليزية ، فوق لغته الاصلية : الاوردية ، التي صار اديبها وخطيبها المجدد الممتاز الذى لم يسبقه فيها سابق ، ولم يلحقه لاحق ..

تصيبه محنة الشك

وكانت نتيجة قراءاته واطلاعاته أن يجد شيئا من التناقض او الاختلاف بين ما تعلمه على يد اساتذته ووالده وما الفه في الجو المحافظ الذى تربى فيه ، وبين ما اطلع عليه من آفاق جديدة . فلم تركن نفسه الشابة الثائرة الى الاستسلام لتقاليد البيئة ، بل صمم على أن يشق له طريقا خاصا يهديه اليه عقله .. لا سيما وهو يرى حوله كثيرا من الجدل بين اهل الأديان بل بين المسلمين انفسهم ، وكل يدعي أن رأيه هو الصواب ، وغيره على خطأ او ضلال فمن من هؤلاء على صواب حقا ، ومن منهم على خطأ او ضلال ؟ .

سؤال كثيرا ما اخذ الشاب يردده في نفسه ، ويقلق باله .

وهنا وجدنا الشاب « محيي الدين احمد » قد بدأ يدخل مرحلة الشك التي اصابت كثيرا من المفكرين والمصلحين في مبدأ امرهم ، الشك في كل ما عرفه ودرسه من قبل ، بل وفيما قرأه جديدا ، وتكتوى نفسه بنار هذا الشك ، ويذوق مرارة الباحث عن الحقيقة التي أصر على الوصول اليها بنفسه .

فهل يستطيع ان يصل وهو واقع تحت تأثير البيئة التى تربى فيها ؟ او تحت تأثير الاعجاب بالافق الجديد الذى اطلع عليه ؟ .

لا بد له ـ اذن ـ من أن ينفض عن نفسه التأثر بهذا او ذاك ، ويبدأ البحث من جديد ، بحرية تامة ، حتى يصل الى الحقيقة بطريقته وعقليته الخاصة ..

هكذا حدث الشاب نفسه ، وبدأ طريقه .

لقب آزاد

وامعانا منه في سلوك هذا الطريق الذى اختاره، نجده لا يحتفظ به خطة بينه وبين نفسه ، بل يعلنه ويتخذ له لقبا جديدا يرمز به اليه ، وهو لقب « ازاد » ومعناه : الحر ، او كما يقول هو في مذكراته « فصممت على أن ارسم لنفسي طريقا خاصا ، وكان هذا سببا في أن اتخذت لنفسي في هذه الفترة لقب « أزاد » أى الحر ، رمزا الى انني لم اعد مقيدا بالمعتقدات الموروثة في نظرتي للامور » .

ولم تكن حالة الابن هذه لترضي الوالد المحافظ الصوفي، فحدثت بينهما الجفوة المرتقبة ، واكتوى الابن الشاب بهذه القطيعة ، ولكنه رضي بها ، وبما يعانيه من عذاب البحث عن الحقيقة ، وثبت على طريقه واصر عليه وكان ذلك أمرا غريبا لشاب في مثل سنه . شاب لم يصل الى العشرين من عمره ، فقد عطف والده ، واضطلع بعبء

البحث عن الحقيقة ، وربما لا يستطيع امثاله ان يزاولوا هذه التجربة ، ويتحملوا متاعبها ، ولكن ازاد كان شابا موهوبا وعنيدا ايضا منذ صغره . كانت موهبته دائما أكبر من سنه بمراحل . وكانت هذه ميزته طول حياته ، وكان « عقله وذهنه اعجوبة من اعاجيب الزمن » كما يقول شبلي النعماني .

دعته جمعية « حماية الاسلام » في لاهور مرة ليحاضر فيها بعد ما قرأ الناس له وأعجبوا به ، وسافر من شرق الهند اليها ، قاطعا ما يزيد على الف ميل ، وحينما وصل ــ رأى المستقبلون شابا صغيرا في سن العشرين ، فنظر بعضهم الى بعض ، وهم يتساءلون، لأن «ازاد» ارسل ابنه بدلا عنه .. وكانت دهشتهم بالغة حين عرفوا أن الشاب هو « ازاد » نفسه ، وكانت أبلغ حين استمعوا اليه في محاضرته « الاساس العقلي للدين » .

وحين انتخبه « حزب المؤتمر الوطني » رئيسا ــ وهو اكبر حزب في البلاد ــ كانت سنه اربعا وثلاثين سنة ، وكان اصغر رئيس لهذا الحزب في تاريخه ..

وقد ساعدته موهبته هذه على أن يخرج من مرحلة الشك بسلام ، ويعود الى مرفئه الاول « مرفأ الاسلام » ولكن بعقلية جديدة ، ونظرة للحياة وللدين اوسع واعمق ، وايمان اشد وأثبت .. وبهذه الاسلحة التي تزود بها في هذه المرحلة ، او بهذا الزاد الذي اكتسبه منها ، أخذ يرسل اشعته الهادية القوية من مرفئه الذي رسا عليه يرشد به السائرين ، ويهدي الضالين .

ابو الكلام :

واذا كنا قد وقفنا على سبب تلقيبه بلقب « ازاد » فان تكنيته بابي الكلام لم تحظ بتوضيح قاطع ، حتى اضطررت للرجوع الى معاصريه في الهند ، لعل عندهم خبرا ، فلم أجد الا اقوالا متعددة ظنية . والغالب الظن عندي وعندهم أيضا ، انه كنى نفسه هذه الكنية اشارة الى بلاغته وتدفقه في الخطابة والكتابة ، وامتلاكه لناصية القول والكلام باسلوب انحنى امامه جميع الخطباء والكتاب والشعراء باللغة الاوردية في الهند .

وايا ما كان السبب فقد اشتهر باسم « ابو الكلام ازاد » واختفى من السنة الناس وحتى من الكتابات الرسمية الاسم الاول « محيي الدين احمد » ، وكان طابعه المميز له طول حياته ــ ولا سيما في فترة الشباب ــ هو عشقه لحرية الوطن والفكر ، فثار على التقاليد البالية ، وعلى الخرافات والاوضاع المتعفنة،وثار على المستعمرين .. حتى رأيناه يبذل جهودا مضنية ليقبله الثوار الهندوس عضوا في جماعتهم الثورية السرية وهو في هذه الفترة ، أعني ما قبل العشرين من عمره .. كما اصبح من مميزاته القدرة الفائقة على الكلام خطابة، وكتابة ، وابتداعه اساليب جديدة في اللغة الاوردية ، وامتلاكه لناصية البيان فيها .. فكان اسمه الجديد « ابو الكلام ازاد » اسما ينطبق تماما على مسمّى .

ازاد والمدرسة الافغانية العبدية

ثم تطلعت نفسه الى آفاق اوسع ، لعله يكتسب مزيدا او جديدا من الخبرة والثقافة ، وهو لا يزال في سن العشرين فارتحل سنة ١٩٠٨ الى البلاد الاسلامية العربية وغير العربية ، فزار العراق ومصر ، والشام ، وتركيا ، واتصل برجال الاصلاح وبالثوار الوطنيين فيها ، ووقف على ما يسود كل بلد من تيارات ، وما تموج به من احداث وحركات ثورية واصلاحية . وشدته مصر اليها باحداث اليقظة الدينية والوطنية فيها .. تلك اليقظة التي اوجدها الافغاني ومحمد عبده ومصطفى كامل .. واحتضنها وتابع طريقها تلاميذهم وخلفاؤهم من بعدهم .

ولقد جاء ازاد الى مصر بعد وفاة الامام عبده بثلاث سنوات ، وفي السنة التي توفي فيها مصطفى كامل ، وشاهد ، عن قرب ، حركة الغليان الوطني التي كانت تسودها عقب وفاة الزعيم الوطني ، واختيار محمد فريد خلفا له ، فاتصل برجال هذه المدرسة ، كما عقد صلات وثيقة مع حامل لواء المدرسة العبدية ، محمد رشيد رضا ، ووجد للدعوة التي يحمل لواءها ، صداها الكبير

في نفسه ، كعالم من علماء الدين المتحررين .
ولا شك انه اطلع على مجلة « المنار » وتأثر بما يكتب فيها من تفسير على نسق حديث للامام محمد عبده والسيد رشيد رضا ، وبالطريقة التي كانت تعالج بها القضايا الدينية والاجتماعية ، وقد ظلت صلته بالسيد رشيد بعد عودته للهند زمنا طويلا ، كما تفصح عنه الرسائل المتبادلة بينهما ، في الشئون الاسلامية العامة ، وقد عثرنا على بعض هذه الرسائل صادرة من ابي الكلام ازاد باللغة العربية ، وبتواريخ متباعدة ، ومكتوب على بعضها بخط السيد رشيد « أجبت عليها في الحال » وكان من الطبيعي ان يتصل ازاد وهو في مصر بالازهر ويتعرف على مناهجه وعلمائه ، ولكن الشاب المتفتح لم يجذبه الازهر اليه في ذلك الوقت بمناهجه القديمة ، فعزف عنه ، وقصر صلاته على السيد رشيد .. ومن مصر سافر لاوربا ، ولكنه اضطر للرجوع من فرنسا ـ حين بلغه خبر مرض والده ـ دون ان يزور لندن .

يقول ازاد في مذكراته

« غادرت كلكتا سنة ١٩٠٨م ، وعندما وصلت الى العراق اجتمعت مع بعض الثوار الايرانيين ، على نحو ما اتصلت في مصر ، باتباع « مصطفى كامل » والى جانب ذلك تيسر لي لقاء جماعة من الشبان الاتراك الذين اسسوا في القاهرة مركزا ، ويصدرون منها جريدة اسبوعية ، واثر قدومي الى تركيا صادفت بعض زعماء الحركة التركية الجديدة (١) ، وواظبت على المراسلة معهم الى عدة سنوات بعد رجوعي للهند ، وكانت نتيجة هذه الاتصالات بالثوار الاتراك والعرب ان زدت تمسكا بمعتقداتي السياسية »

ولم تكن هذه المعتقدات السياسية الا كراهيته للمستعمرين ، واعتقاده بضرورة الثورة عليهم ، بل عمله لذلك حين انضم للجمعيات الثورية السرية ، وسعيه الدائب لحمل جمهرة المسلمين على الثقة بالهندوس والاتحاد معهم لطرد الانجليز . او كما يقول هو « اقتنعت اكثر من اى قبل بان مسيحيى الهند يجب عليهم التعاون في تحقيق حرية البلاد السياسية ، ولا بد من خطوات في هذا السبيل مخافة أن تستغلهم الحكومة البريطانية »

لكن كيف يحقق ما يريد ؟

هل يستمر على العمل لذلك من داخل الجمعيات السرية الهندوسية ؟

او انه استفاد طريقة جديدة من هذه الرحلة ، تحقق له هدفه ، بجانب زيادة اقتناعه بضرورة الثورة على الانجليز ؟

يقول هو في مذكراته : « ورايت من واجبي الضروري انشاء حركة جديدة بين المسلمين الهنود ، فزدت حماسا ، وقر عزمي على الاعتناء بالاعمال السياسية بعد عودتي للهند » .

لكن كيف يقوم بحركته الجديدة ؟

يجيب عن ذلك ايضا فيقول : « وبعد رجوعي للهند فكرت بعض الوقت فيما يكون منهاجي للعمل في المستقبل ، وانتهيت الى ضرورة تربية الرأى العام ، وتحقيقا لهذه الغاية لم يكن بد من اصدار مجلة » .

هنا نجد التحول الظاهر في خطته ، لا في هدفه ، متأثرا بما رآه في مصر من الاعتماد على الصحافة ، والعناية بتربية الرأى العام . ولا شك أن تأثره بمدرسة الافغاني ومحمد عبده كان اكثر . فهو عالم من علماء المسلمين ، مقتنع تماما بان الاسلام يرفض العبودية والضعف ، وهذه المدرسة تعتمد في دعوتها التحررية والاصلاحية على السلام كذلك . وقد اتخذت لنفسها طرقا شتى للوصول لهدفها ، كان منها مجلة « المنار » (٢) ، التي انشأها السيد

---

(١) حركة جمعية الاتحاد والترقي كانت تطالب السلطان عبد الحميد باصلاحات دستورية ، حتى خضع لها ، واصدر هذه الاصلاحات سنة ١٩٠٨ م ولكنه مع ذلك عزل ١٩٠٩ م .

(٢) وصدر العدد الاول منها في ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ ـ ١٧ مارس سنة ١٨٩٨م في ثماني صفحات .

رشيد رضا بتوجيه ومعاونه الامام محمد عبده «النشر الاصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية» .

وكان منها قبل ذلك « مجلة العروة الوثقى » (٣) التي انشاها واصدرها جمال الدين الافغاني وتلميذه الامام محمد عبده في باريس ، وكان لها دويها وصداها في العالم الاسلامي ، ووقعها الخطير على نفوس المستعمرين . فتربية الراى العام — اذن — اهم وابعد اثرا من الجماعات السرية في تحقيق الحرية ..

وهذه هي خطة ازاد الجديدة التي عاد بها من رحلته ..

الدين والسياسة :

لكن يلاحظ أن « ازاد » ركز على المعتقدات السياسية ، والاعتناء بالاعمال السياسية ..

ولم يذكر في كلامه معتقدات ولا اعمالا دينية ، كما لم يذكر في مذكراته اتصاله برشيد رضا ، مع انه اتصل به ، وتبادل معه الرسائل المتعددة بعد عودته للهند !!

فماذا يا ترى يريد بالاعمال السياسية ؟

هل يريد السياسة بالمعنى العام المتداول فيما بيننا ، وهي التي قام بينها وبين الدين حاجز في نظر الاغلبية منا ؟

لا شك انه يقصد بالاعمال السياسية الجهاد لتحرير وطنه ، واثارة المسلمين ، وحفزهم من اجل العمل لهذه الغاية .

ومما لا شك فيه كذلك اننا اذا قلنا عن هذه الغاية انها سياسية بلغة العصر الحديث ، فانها اولا وقبل كل شيء تعتبر في نظر الاسلام والمسلمين الفاهمين لدينهم غاية دينية يفرض الدين على كل مسلم أن يسعى اليها ، ويضحي حتى بروحه من اجلها ، وينال بذلك درجة الشهداء .

وهكذا كان ينظر ازاد ، ومن اجله بدا العمل .

ولعل هذه هي الطريقة التي سار عليها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وتلاميذهما ومن بعدهما لايقاظ المسلمين ودعوتهم الى التحرير .. والارتكاز في ذلك على « الدين » .

مجلة الهلال :

ولقد اصدر العدد الاول من الهلال من كلكتا في ١٢ يونيو ١٩١٢م سنة ١٣٣٠هـ « انيقة الطباعة قوية الدعوة ليست على غرار ما يصدر من الصحف الاوردية المحرومة من مميزات الطباعة الحديثة » وكانت تصدر اسبوعية . واشترى لها مطبعة حديثة .

واعلن عن هدفه (٤) من اصدارها : « لاهدف للهلال الا ان يدعو المسلمين الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله في كل الاعمال والمعتقدات » .

ورأيناه يقول امام المحكمة الانجليزية التي كانت تحاكمه سنة ١٩٢٢ بتهمة اثارة الشعب ضد الحكومة : « واني اصرح هنا بان الهلال لم تكن الا دعوة للحرية او الموت ، وان ما يفعله الهاتما غاندى الان من بث الروح الدينية في النفوس ، كانت « الهلال » قد فرغت منه سنة ١٩١٤ » .

فالهلال — اذن — دعوة للتمسك بكتاب الله وسنة رسوله .

الهلال : لم تكن الا دعوة للحرية او الموت .. وكانت مهمتها : بث الروح الدينية في النفوس .. والهلال : انشاها ازاد « للاعتناء بالاعمال السياسية .. »

اهداف واعمال ، قد تكون في ظاهرها غير متلاقية ، لا سيما عند الذين يحصرون الدين في محاريب المساجد والعبادات، والاحوال الشخصية .. ولكنها واحدة عند الذين يفهمون الاسلام فهما سليما. فالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وقوة الروح الدينية في المسلمين يستلزمان حتما ان

---

(٣) وذلك سنة ١٣٠١هـ — ١٨٨٤ — ١٨٨٥م واضطرت للتوقف بعد صدور بضعة اعداد منها .

(٤) في عدد سبتمبر سنة ١٩١٢ م .

يجاهد المسلمون من اجل حريتهم حتى ينالوها او يستشهدوا في سبيلها ..

وعلة ما اصاب المسلمين من ضعف وهوان ، هي انفصالهم في فهمهم وروحهم وحياتهم عن الاسلام الصحيح . وعلاجهم هو في عودة الفهم والروح الدينية اليهم ، والعمل بما يقتضيه هذا الفهم ، وهذه الروح .

وهذا هو فهم ازاد للدين ، وهذه هي رسالته ورسالة مجلته « الهلال » .

وهي رسالة صعبة ومزدوجة : تقتضي قبل كل شيء الفهم الصحيح للدين ورسالته الشاملة في الحياة .

وتقتضي الهاب الروح الدينية في النفوس ، وربط ذلك بواجب المسلمين في تحرير بلادهم وانهاضها .. وتلك هي مهمة المصلحين والمجددين في كل زمان ..

الاصالـة

فاحياء الروح الدينية لشعب من الشعوب ، معناه : احياء روح الاصالة فيه ، حمله على اكتشاف ذاته ، وتعلقه باصوله وجذوره ، ضد كل تيار وافد ، يمسخ هذه الذات ، ويقطع هذه الجذور ، ويحول فكره وقلبه عنها الى شيء اجنبي عنه ، وعن اصالته .

وطالما كان الانسان مشدودا الى اصله وارضه ، الى عقيدته وتراثه ، الى اساسه الضارب في اعماق نفسه ، واعماق الزمن كذلك ، فانه يظل راسيا كالجبال ، له قاعدة يبني عليها ، ويدافع عنها ، ويقتبس من ادوات التقدم والحضارة ما يمكن ان يقوم ويرتفع ، ويتفرع على ارضها ، ويضيف اليها قوة فوق قوتها .

وعلى هذه الاصالة او هذه القاعدة ، تلتقي دائما دعوات قادة الشعوب والمصلحين فيها ، لا سيما في وقت الشدة والازمات، ليحافظ الشعب على اصله ، على ارضه ، وطنه ، تراثه ، امجاده ضد كل غزو خارجي : مادي او فكري .

فالروح والعقيدة الدينية ايا كان شكلها ، تكون حينئذ بمثابة نقطة انطلاق ، وبمقدار قوتها في النفوس تكون قوة الانطلاق ، حتى يكون احيانا شبيها باعصار ، لا في تدميره وتخريبه ، ولكن في سرعة انطلاقه ، مما جعل احد الكتاب الغربيين يشبه انطلاق المسلمين الاول لنشر دعوتهم وانتشارهم شرق الجزيرة وغربها حتى الاطلسي ، يشبه ذلك بالاعصار، وذلك لان القاعدة عند المسلمين وهي الايمان كانت في اوج قوتها حينذاك .

ولهذا وجدنا الافغاني يستنجد في دعوته ويلوذ بالعقيدة الاسلامية،وتحريكها وتقويتها في النفوس، وسار على طريقته تلامذته ، وانتشرت فكرته وطريقته غربا وشرقا بين المسلمين ، وايقظتهم . ورأينا « ازاد » في الهند يتبع هذه الطريقة لهذه الغاية ايضا .

بل رأينا غاندى نفسه يلوذ بهذه القاعدة ، عندما اخذ يدعو اخوانه الهندوس للتحرر،وتلتقي دعوتا الزعيمين الهنديين: المسلم والهندوسي عند هذا الاصل ، حتى وجدنا ازاد يقول امام المحكمة التي كانت تحاكمه سنة ١٩٢٢ : « ان ما يفعله الآن انما غاندى الآن من بث الروح الدينية في النفوس كانت الهلال قد فرغت منه في سنة ١٩١٤ م » وغاندى لم يبدأ دعوته الا متأخرا عن ازاد ببضع سنين .. ثم يقول بعد ذلك :

« ومن المصادفات العجيبة ان المسلمين والهندوس ما قاموا بالحركة الجديدة القومية الا بعد ان حلت فيهم الروحانية الدينية محل المدنية الغربية المادية » . وترى غاندى نفسه يقرر هذا في عدة مناسبات واقوال ، فيقول في كتابه « حضارتنا وحضارتهم » (٥) يقصد الغربيين : « انى مقتنع بان الذى سحق الهند ليس الانجليز وانما الحضارة الحديثة (٦) ، وهى (اى الهند) لن تحت ثقل

---

(٥) ص ٦٨ تعريب نجده هاجر ، وسعيد الغز الطبعة الاولى في بيروت سنة ١٩٥٩ .

(٦) لا يقصد سلطة الانجليز ، ولكن ما جلبوه من حضارة حديثة طغت على الحضارة والروح الاصيلة في الهنـد .

هذا الوحش المخيف . واذا كان هناك ما آسف له ، فهو كون الهند ابتعدت من الدين ، وتردت في الكفر والالحاد ، وانا لا اقصد هنا الديانة الهندوسية ، او الاسلامية ، او غيرهما بالذات ، بل التي تجمع بين هذه كلها . اننا ندير ظهرنا لله » .

ويقول في مناسبة اخرى (٧) : « ان تربية الروح تستهدف تكوين الخلق السليم ، وتساعد صاحبها على تحقيق ذاتيته ، وزيادة معرفته بالله ، ولذلك كنت مؤمنا بأن التربية الروحية لا بد منها للشباب ، وان كل تعليم تعوزه الثقافة الروحية لا جدوى منه بل هو تعليم قد يكون محفوفا بكثير من المخاطر » .

وتمشيا مع هذه الحقيقة ، او بناء وتاسيسا عليها ، وجدنا ازاد يقول : « لاهدف للهلال الا التمسك بكتاب الله وسنة رسوله في المعتقدات والاعمال » .

والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، يرفض كل فكرة اجنبية تعارضهما ، ويرفض كل خطة عمل لايقرانها ، كما يرفض كل سيطرة اجنبية تفرض سلطتها وثقافتها ، ويرفض استبداد اى حاكم مسلم يبتعد في حكمه عنهما ، ويحقق للمسلم في نهاية الامر واوله : ان يكون عبدا لله وحده ، سيد نفسه ، لاسلطان عليه الا سلطان الله الذى يظلل الجميع : الحاكم والمحكوم ..

ولهذا وجدنا ازاد يصرخ في المسلمين يستنهض هممهم ، ويحيى فيهم روح الحرية باسم الاسلام فيقول : « ان العبودية سواء أكانت للاجانب ، او المستبدين من الامة نفسها ، لاتجتمع مع الاسلام في قلب واحد» **وحين جاءته رسالة من احد القراء، يعترض عليه فيها ، بانه يخلط في دعوته بين الدين والسياسة، كما اعترض كثير من امثال هذا القارىء على الافغاني ومحمد عبده وكل من سار على طريقتهم في الاصلاح من طريق الدين ردَّ عليه ازاد فقال :**

ــ انك لمعترض والقول ان علينا ان نفرق بين الدين والسياسة ، لكننا اذا فرقنا بينهما فماذا يبقى لنا ؟ اننا لم نتعلم السياسة الا بالدين . فالدين هو الذى خلقها ، فكيف نفرق بينه وبينها ؟ ونحن نعتقد ان كل فكرة ماخوذة من غير القرآن كفر صريح ، والسياسة ماهي الا فكرة، ومع الاسف فانك لم تعرف الاسلام في عظمته .

لم يلهب نفوس المسلمين بشعلة الدين ، ليرفضوا كل فكر دخيل ، وكل سيطرة اجنبية ، وليكونوا هم القادة المتبوعين فيقول : « انه ليس هناك ما هو ادعى للخزى والمهانة ، من ان يحنى المسلمون رءوسهم امام افكار غيرهم السياسية ، ان الاسلام لا يسمح لهم ان يكونوا ذيلا لغيرهم في افكارهم ، بل عليهم ان يدعوا غيرهم الى مشاركتهم واتباعهم، ولو انهم خفضوا رءوسهم لله تعالى وحده لخفض العالم رأسه امامهم . ان الاسلام قد وضَّح لهم طريقهم الخاص ، فلماذا يستعيرون من غيرهم الطرق ؟ واذا كان الله رفع رءوسهم فلا ينبغي لهم ان يخفضوها امام غيرهم » .

كلام عظيم ، قاله ازاد لاخوانه المسلمين في الهند منذ اكثر من نصف قرن ، يقرر حقيقة عظيمة خالدة ، ونحن نجد انفسنا الآن في اشد الحاجة الى تدبر هذا الكلام ، والعودة الى هذه الحقيقة .. التي يبرزها ازاد دائما لقومه « ان الذى يدعى الاسلام لم يتبع شيئا غير القرآن في عقائده واعماله ، فليس من الاسلام في شيء ، بل هو ممن يشك في صفات القرآن ، مع الشرك في صفات الله » . ■■

عبد المنعم النمر

مدير البعثات والثقافة الاسلامية

---

(٧) ص ١٧٤ من كتابه « في سبيل الحق » ترجمة سامي عاشور . وهو يتحدث في هذا الكتاب عن تجربته وهو شاب في جنوب افريقيا .

● وصدر العدد الاول منها في ٢٢ شوال ١٣٠٥هـ ــ ١٧ مارس سنة ١٨٩٨ م في ثماني صفحات.

● وذلك سنة ١٣٠١ هـ ــ ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥ م واضطرت للتوقف بعد صدور بضعة اعداد منها .

● حركة جمعية الاتحاد والترقي كانت تطالب السلطات عبد الحميد باصلاحات دستورية ، حتى

الإنسان بين «حلم الحياة» و«حياة الحلم»

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ الانسان حيوان حالم (١) ! انه يحلم في طفولته ، ويحلم في شبابه ، ويحلم حتى في شيخوخته ! وهو يحلم بالمستقبل ، ويحلم بما هو افضل ، ويحلم بالأبدية ، ويحلم بالفردوس السعيد ! وهو قد يجد نفسه بين جدران سجن ضيق لا يذكره الا بمعاني الموت والفناء ، ولكنه مع ذلك يظل يحلم بالحياة وبالبقاء .. انه موجود فان يحيا في الزمان ، ولكنه لا يملك سوى ان يحلم بالخلود ! اجل ، فما كان في وسع الانسان يوما أن يحلم بالموت ، والا لكان قد قضى على « الحلم » منذ امد بعيد !

صحيح ان الوجود البشرى لا يحيا الا في عالم الوعي والشعور ، ولكنه لا يستطيع في الوقت نفسه أن يستغنى عن الحلم والخيال . ومنذ شرع الانسان يُعمل عقله في تفهم الحياة ، لم يستطع موجود بشرى واحد ان يغلق دائرة الحياة على نفسها ، لكى يقول لاخوة له في الانسانية : « لا ترتقبوا شيئا ، ولا تعملوا من أجل أى شيء »! لقد ظل الناس يتطلعون الى المستقبل ، حالمين دائما بما هو افضل ، واثقين – او آملين – ان يحمل لهم « الغد » ما ضنّ به عليهم كلٌّ من « اليوم » و « الامس » . وهكذا استمر الخيال البشرى يحلم،ويامل،ويرجو ، وينتظر ، ويرتقب..!

وراح دعاة التشاؤم يصرخون في وجه اولئك الحالمين قائلين : « انكم تاملون المحال ، وترجون اللامعقول ، وتتعلقون بسراب وهمى ، وترتقبون ما لن يكون » ! ولكن هؤلاء المتشائمين انفسهم لم يلبثوا ان انضموا الى ركب الحالمين بالحياة ، لانهم لم يستطيعوا ان يواصلوا احلام الموت ! ومن هنا فقد ظلوا يتخيلون،ويتوهمون ،ويتطلعون، ويتنباون ، ويحلمون ! وبين صفوف هؤلاء الحالمين بالحياة ، لمعت اسماء مشاهير الفلاسفة : افلاطون بجمهوريته الخالدة ، والقديس أوغسطين بمدينته الفريدة « مدينة الله » ، والفارابى بتحفته الهائلة « اراء اهل المدينة الفاضلة » ، وكمبانيلا برائعته المشهورة « مدينة الشمس » ، وبيكون بعمله الممتاز « اطلانطيد الجديدة » .. الخ. الخ. ثم جاء ماركس في العصور الحديثة ، وكانما هو

(١) لسنا نعنى بالحلم هنا الرؤى اللاشعورية التى يراها الانسان في المنام ، بل نعنى به كل نشاط تخيلى يمارسه الانسان حين يعمد الى تجاوز الواقع ، أو انكاره ، أو تعديله ، أو الخروج عليه ... الخ .

قد اراد ان يضع حداً للاحلام الطوباوية التى تصوّرها اهل تلك « المدن الفاضلة » ، ولكنه لم يستطع هو نفسه ان يتخلص من كل « نزعة نيتشيه » ، فكان من ذلك ان صوّر لنا عهداً سعيداً مقبلا ، تمّحى فيه الفوارق بين الطبقات ، ويتصالح فيه الانسان مع الطبيعة ومع اخيه الانسان ، وتتلاقى في ظله مملكة الحرية مع مملكة الضرورة . هكذا هو خال .

ثم ظهر اخيرا – في ايامنا هذه – ماركيوز Marcuse ليعلن امكان قيام حضارة انسانية جديدة ، تخلو تماما من كل أثر من آثار القمع او الكبت او الاحباط ، ويتم في نطاقها توافق اللعب مع العمل ، ويتحقق في ظلها تطابق الحرية مع السعادة ... وهكذا تنبأ ماركيوز بحضارة حرة ينبعث فيها أورفيوس حيّا من جديد ، بعد ان يكون قد تم سحق بروميثيوس ! وما كان لماركيوز أن يحلم بهذه الأسطورة ، لولا ايمانه الخفى بامكان احلال الحب ، والفرحة ، والغناء ، محل القوة ، والجهد الشاق ، والعنف الأسود البغيض ! ويعجب المرء كيف راق لفيلسوف مثل ماركيوز – وهو المفكر الاجتماعى العميق – أن يهيب بالأسطورة ، ويلتجىء – في خاتمة المطاف – الى الشعر ، ولكنه سرعان ما يدرك السرّ في ذلك حين يرى ماركيوز ينشد مع رلكه Rilke : « انما الغناء هو الوجود » ، و « ما الشعر الا ّ « نَفَس » لعالم محطّم ، بلا قلب ولا روح » !

اجل ، لا بد للانسان من أن يحلم ، وأن يحلم بالحياة !

... ولكن ، هل تكون الفلسفة الان قد افلست ، لانها اصبحت تصطنع الرمز والاسطورة ، بدلا من المنطق والبرهان العقلى ؟ هل يكون الفيلسوف قد تحول الى مجرد شاعر ، لانه اصبح ينطق بلغة الخيال والحلم ، بدلا من النطق بلغة التجربة والعقل ؟ هذا ما يجيب عليه ماركيوز بالنفى : لانه يرى أن « المخيّلة » وظيفة اساسية من وظائف العقل البشرى ، وأن « الحلم » شرط ضرورى من شروط بقاء الحياة الانسانية .. لقد ظلت البشرية – حتى الآن – تخضع الحساسية للعقل ، وتعطى الصدارة للمنطق على المخيلة ، ولكن آن لها الاوان – اليوم – لان تحرر الحساسية من سطوة القوة الناطقة ، وأن تطلق المخيلة من عقالها ، لكى تنطلق في اجواء الحرية ، دون أن تظل مكبّلة باى قيد من قيود المنطق ! وما دام منطق الاشباع يتعارض تعارضا حاسما مع منطق القمع ، فلا بد لحضارة المستقبل – فيما يقول ماركيوز – من ان تنتصر للحساسية ضد العقل ، ولمملكة الحرية ضد مملكة الضرورة ، ولمبدأ اللذة ضد مبدأ الواقع !!

... ان ماركيوز حين يدعو – اليوم – الى حضارة متحررة لا تقوم على القمع المبالغ فيه ، ولا تستند الى سيادة مبدأ الواقع على مبدأ اللذة ، فانه يقدم لنا – في الحقيقة – دفاعا حارا عن الحياة ، باسم الحرية والسعادة ، آملا أن يجىء المستقبل للموجود البشرى بحياة أكثر انطلاقا واعمق سعادة . فنحن هنا بازاء فلسفة جديدة من « فلسفات الحياة » (في امتداد مذهب هيجل ، وبرجسون وغيرهما) ولكنها في الوقت نفسه فلسفة مفكر نتيشى واسع الخيال ، يدرك أنه لا يمكن للانسان أن يحلم بالموت ، لانه عندئذ انما يقتل الحلم نفسه !

وهنا قد يقول قائل : « ولكن ، فيم كل هذا الخوف من قتل الحلم ؟ أليس من مصلحة البشرية ان تحيا على الحقائق ، بدلا من أن تحيا على الاوهام ؟ أليس الأجدر بالانسان أن يعيش في عالم الوعى والشعور ، بدلا من أن يعيش في عالم الغيب والاحلام ؟ » . وردنا على هذا الاعتراض ان ثمة فارقا كبيرا بين أن يحلم الانسان بالحياة ، وان يحلم بالموت ! فالانسان الذى يحلم بالحياة انسان واسع الخيال ، بعيد النظر ، يستشرف المستقبل ، ويتطلع الى ما هو افضل . واما الانسان الذى يحلم بالموت ، فهو انسان قد كتب لنفسه الانتحار ، وقضى في الوقت ذاته على كل منفذ للبشرية نحو المستقبل ! انه انسان قد قتل « الحلم » نفسه : و « الحلم » هو الافق النائى الذى تمتد اليه ابصارنا حين تدرك جدب الحاضر ، وعقم اللحظة الراهنة ، مع شعورها في الوقت نفسه بخصوبة المستقبل ، وثراء اللحظة المقبلة !

فنحن حينما نحكم بالاعدام على الاحلام ، انما نحكم – في الوقت نفسه – بالفناء على البشرية ! وآية ذلك أن الحلم تصوّر لامكانيات ضخمة ما تزال راقدة في طوايا المجهول ، وايمان بقيم

هائلة ما يزال سرها مطويا في غياهب المستقبل ! والاحياء ـ وحدهم ـ هم الذين يحلمون ، فان الموت رقاد بلا احلام ! أجل ، الاحياء ـ وحدهم ـ هم الذين يحلمون ! لانهم يهربون باخيلتهم الى عوالم برّاقة من الامل والرجاء والحرية والسعادة!

انهم يحلمون لانهم لا يرون « الواقع » في ضوء ما هو كائن فحسب ، بل هم يرونه في ضوء ما ينبغي ان يكون ايضا ، انهم يعرفون ان «الواقع» حافل بالكثير من الامكانيات ، وانه ينطوي في صميمه على نقيضه (او نقائضه) ، فهم يأبون ان يسلّموا بما فيه من عناصر وضعية متحققة ، واثقين من ان ما فيه من عناصر سلبية غير متحققة ، سيكون هو الكفيل بدفعه الى تجاوز ذاته ، والعلوّ على نفسه ! انهم يؤمنون بان « الواقع شيء اكثر من مجرد « واقع » !

هل يكون « الفعل » هو الشقيق الاصغر « للحلم »

بيد اننا ما نكاد نتحدث عن « الواقع » ، حتى نجد انفسنا بازاء اعتراض قويّ يثيره اولئك الذين اعتادوا فصل « الواقع » عن « الوهم » ، واقامة حد فاصل بين « دنيا الحقيقة » و «دنيا الحلم » . ونحن نعرف كيف دأب الناس على اعتبار « دنيا العمل » هي « دنيا الواقع » ، بينما وحّدوا بين « دنيا اللعب »و« دنيا الحلم». ولعلّ هذا هو السبب في انّ « الفن » قد بدا للكثيرين اقرب ما يكون الى « الحلم » : لان العمل الفني صورة من صور التلاعب بالاخيلة ، والاستسلام لتهاويل الاحلام ! وليس من شك في ان « العمل الفني » ـ باعتباره ضربا من الكشف الجمالي ـ وثيق الصلة بالنشاط التخيلي ، مع ما يقترن به من احلام شعورية أو لا شعورية ، ولكنّ التوحيد بين « الفن » و « الحلم » قد اوقع في ظن الكثيرين ان الفنانين ـ وحدهم ـ هم الذين يحلمون ، او ان الحالمين ـ بالضرورة ـ هم فنانون !

والحق انه وان تكن الصلة وثيقة بين «الشعر» و « الحلم » (مثلا) ، الا ان الكثير من الشعراء (وعلى رأسهم بول فاليرى Valery) قد رفضوا اقامة تطابق مطلق بين «الشعر» و«الحلم» لانهم اعطوا الصدارة للوعي او الشعور ، على اللاوعي او اللاشعور ، فضلا عن انهم قد ابدوا توجّسا كبيرا من كل ما يخرج عن دائرة الممارسة الحرة للتفكير الواضح المتمايز . واما نحن ، فاننا نرى الصلة وثيقة ـ في معظم الحالات ـ بين دائرة الوعي ودائرة اللاوعي ، او بين عالم الواقع وعالم الحلم ، ومن ثم فاننا لا نرى مانعا من ان نقول بوجود علاقة حميمة بين « الذات السطحية » و «الذات العميقة » . والانسان الذى لا يحلم ـ ان وُجِدَ اصلا مثل هذا الانسان ـ انما هو ذلك الذى يقطع وشائجه بعالم الطفولة ، ويقيم ضربا من القطيعة بينه وبين اعاجيب الغريزة ومعجزات القوى الكونية . واما ذلك الذى يدرك ما في عالم الاحلام من اسرار ، فهو الفنانُ المستبصر الذى يفتح لنفسه كنوز الذكريات الفردية والجماعية ، لكي يعيد اقامة العلاقات بينه وبين عالم الخلائق قاطبة ! !

وقد يبدو لنا « الحلم » ـ احيانا ـ صورةً من صور « الترف » ، أو مظهرا من مظاهر « الاغراق » (في الخيال) ، ولكن من المؤكد ان « الحلم » كثيرا ما يكون هو الشقيق الاكبر لـ« فعل » . وآية ذلك ان الفنان الذي يحلم او يتخيل ، لا يظل غارقا في احلامه ، او لا يبقى مسترسلا في خيالاته ، بل هو سرعان ما يمسك بقلمه او ريشته ، لكي يُخرج الى عالم النور هذا الذى راود خياله أو تراءى له في حلمه. وهنا يجيء « التنفيذ » فيكون بمثابة التعبير عن ارتباط الحلم بالواقع ، خصوصا وان الفن ـ كما قال مالرو Malraux ـ ليس احلاما ، بل نقيضا لاحلام ! فليس في وسع «الحلم» الجمالي ان يبقى مجرد خيال وهمي ، بل هو لا بد من ان يلتمس طريقه عبر الواقع لكي يستحيل الى حقيقة فنية . وليست « الحقيقة الفنية » سوى ذلك « الحلم » الجمالي الذى اكتمل نموُّه ، ودبت فيه حرارة الحياة ، فلم يكن له بُدٌّ من ان يكتسى لحما وعظما ، لكي يصبح « واقعة عينية » تحيا بين مبدعات البشر ! وهنا يكون حلم الفنان حلما بالحياة : لانه ابعد ما يكون عن الحلم المجرد الأجوف الذى لا يكاد يعدو دائرة التسكع الذهني العاطل !

فليس المثل الاعلى للفنان هو الغاء الوعي لحساب الحلم ، بل هو اقامة « مؤتلف » يجمع بين الوعي واللاوعي ، او بين حالة اليقظة وحالة

الحلم . وليس من شك في أن هذا «الإئتلاف» الجمالي لا يمكن ان يتحقق الا اذا نجح الفنان في تجسيد « الحلم » ، بحيث يصبح هو نفسه « كائنا » حيًا او شبه حي .

ولم يجانب فيني Vigny الصواب حين قال انه « اذا كانت أحلام الضعفاء مجرد اجترار عقيم، فان أحلام الاقوياء خيالات خصبة هي بمثابة تأملات، تخدم كلاً من الوعي والذكاء » ! وكما أن احلام الفنانين هي دائما أحلام خصبة تلتمس التحقق، وتنشد التجسد ، فان أحلام البشر العاديين – بشرط ان يعرفوا كيف يضعونها في سياقها السيكولوجي الحقيقي – كثيرا ما ترقى الى مستوى « الأفكار الفعالة » التي تجد سبيلها الى التحقق ، ليفرط ما فيها من قوة ، وفاعلية ، وحيوية . افلا يحق لنا اذن أن نقول انه حين يكون الحلم « حلما بالحياة » فانه غالبا ما يستحيل الى « فعل » في صميم الواقع ؟

هل يكون « الحلم » مجرد تعبير عن « مسلك هروبي » لا – واقعي ؟

بيد ان الملاحظ – في بعض الاحيان – ان الحلم قد يكون شكلا من اشكال السلوك الهروبي ، وكان من شأن الانسان حين يلتقي بالفشل وجها لوجه ، ان يلوذ بعالم الخيال ، من أجل التهرب من عالم الواقع ! وكثيرا ما تكون العزلة ، والنرجسية ، والانطواء على الذات (وما الى ذلك من صور « الهروب » évasion) استجابات سهلة يصطنعها الرجل الفاشل من أجل مواجهة المواقف العسيرة التي يجد نفسه بإزائها . وهنا يكون التهرب من العالم مجرد « استجابة » يراد من ورائها التهرب من « العائق » . وسواء التجأ الانسان الى أحلام اليقظة أم الى تهاويل الخيال، أم الى هذاء المرض النفسي ، فانه – في كل تلك الحالات – انما يقوم بسلوك تعويضي يهدف من ورائه الى تحويل « الفشل الواقعي » الى «نجاح وهمي» ! ولما كان « الواقع » – بطبيعته – هو ما يقاوم « الذات » ، وما يضع العراقيل في وجهها ، فليس بدعا أن نجد اصحاب السلوك الهروبي يلوذون بالحلم او الخيال ، من اجل التخلص من الشعور بالواقع ، والتحرر – بالتالي – من مقاومة « العائق » . وعلى حين ان « الشعور بالواقع » كثيرا ما يقترن بـ « خبرة الفشل » ، نجد أن الانسان الحالم يرفض«الواقع»، وينكر الفشل ، لانه لا يملك سوى الاحتماء بشرنقة الوهم ، والارتماء في احضان الخيال !

ولكن ألا تظهرنا التجربة السيكولوجية نفسها، على أن الانسان قد يعمد احيانا الى محاولة الانتصار على الفشل في دنيا الخيال ، قبل ان يشرع بالفعل في الانتصار عليه (اي على الفشل) في دنيا الواقع ؟ بل ألم يقل بعض الفلاسفة انه قد يكون من مصلحة الانسان احيانا أن يلوذ بمسلك الهروب ، لكي يجد في عالم اللهو واللعب ، والانطلاق خبرة نفسية ضرورية تحقق له ما يصبو اليه من سكينة ، وهدوء ، وصفاء ؟ واذن أفليس من حق الانسان – ان لم نقل من واجبه – في بعض الأحيان ، خصوصا حين يصطدم ببعض العوائق الصعبة ، ان يلوذ بمسالك الهروب لقد نسب بعض الفلاسفة – وفي مقدمتهم بشلار Bashelard – الى « وظيفة اللاواقعية » le fanction de l'irréel (التي يتمتع بها الفنانون ، والشعراء ، وكبار أهل الخيال) دورا هاما في حياتنا النفسية ، لدرجة انهم وضعوها جنبا الى جنب مع « وظيفة الواقعية » (التي طالما أبرز اهميتها رجالات علم النفس وأهل الطب العقلي) . صحيح أن الاحتماء باللاواقع قد يكون صورة من صور العجز عن تحقيق «التكيف» مع البيئة الاجتماعية ، ولكن الشخصية البشرية ليست بالضرورة مجرد « مركز تكيف » ، بل هي قد تكون أيضا « عملية اعادة توجيه للعالم الموضوعي » ، وكأنما هي قوة تاريخية تتحدى الواقع ، او كأنما هي جهد ابداعي من أجل الصراع مع البيئة . ولهذا فقد ذهب بعض الباحثين الى أن ثمة عملية ديالكتيكية (او جدلية) تجمع بين « التكيف » من جهة ، و « التجاوز » (او « العلو ») من جهة اخرى .

ولو أننا تصورنا الانسان على انه « الموجود الحالم » الذي يملك من القدرة الابداعية ما يستطيع معه (على حد تعبير بشلار) « أن يوقظ الينابيع النائمة » ، لكان في وسعنا أن نقول انه لا بد « للوظيفة اللاواقعية » من أن تجيء فتقيم ضربا من التوازن مع « الوظيفة الواقعية » ، حتى يتحقق للخيال انطلاقه ، ويكتمل للوجود امتلاؤه

... ولا غرو ، فان « الوظيفة اللاواقعية » هي التي تحرّر الانسان من الماضي ، وتفصله عن الواقع ، وكانما هي تلقى ستارا من « العدم » على الموقف الحاضر ، او كانما هي تولد ضربا من القلق (او الحيرة) في نفس الموجود انتالم الفارق في آلياته العادية ! وهكذا يجيء « الحلم » فيكون بمثابة انفتاح لافق الممكنات ، وتحرّر من ربقة الفشل ، وانعتاق من اسْر الواقع !

ولكن ، ليس بالحلم وحده يحيا الانسان !

... هنا قد تعلو صيحة المعترضين ـ مرة اخرى ـ ، وكانني بهم يقولون : « هل نحيا بالحلم ؟! او على الاصح:هل نعيش على الاحلام؟!». ومرة اخرى نقول : « كلا ، فاننا بذلك نقتل الحياة » ! ... ان الاحلام وحدها غذاء لا يُغذّي صاحبه ! انها قوت لا يسمن ولا يغني من جوع !. ولم يقل احدٌ ـ يوما ـ بأن يكون « الحلم » هو الزاد « الوحيد » للانسان : فلو عاش الموجود البشري على الاحلام وحدها ، لأصبح الجنسُ باكمله ـ منذ امد طويل ـ أثرا بعد عين ! صحيحٌ ان هنالك أحلاما تصنع المعجزات ـ كاحلام العلماء الذين توصلوا الى ارتياد الفضاء ، وتفتيت الذرة، وتصميم العقل الالكتروني ... الخ ... الخ ـ ولكن هنالك ايضا احلاما لا تضَع في الفم سوى طعم الرماد ! وقد عاش الشرق العربي (امدا طويلا من الزمن) على اوهام الماضي المجيد ، واحلام المستقبل السعيد ،دون أن يفطن الى أنه بذلك يقتل حياة مجتمعه الحاضر ، لانه لا يحيا عندئذ الا على الأمل الحالم الواهم ! والمجتمعات ـ كالافراد ـ انّ عاشت على الاخاييل الجميلة والتهاويل البراقة وحدها ، لا تلبث أن تصاب بخيبة أمل كبرى ، حين تتحقق من بُعْد الشقة بين واقعها المقفر الاليم ، ومثلها الأعلى الواسع العريض ! انها عندئذ تموت بداء وبيل : داء الحلم!

... ولقد قلنا ـ في موضع آخر انه ليس اخطر على الانسان البالغ من أن يستمر في تحديد مجرى سلوكه،وفقا لبعض احلام الطفولة الساذجة: فان الرجل الذي يحيا على مثل هذه الاوهام الجميلة المريضة لن يلبث أن يقع ضحية للياس، حين تجيء التجربة فتهوى به من علوّ سمائه المثالية الى ارض الواقع العمليّ . وهنا يجيء الياس فيكون بمثابة احساس اليم بأن «الحياة » لا تستحق ان تعاش ، وان « الواقع » خِلْوٌ تماما من كل « قيمة » !

والحق انّ الانسان الذي يحيا بالحلم وحده ،او على الحلم وحده ، انما هو « طفل » لا تعلمه التجارب، او « جاهل » لا يعتبر بدروس الواقع . وان الحياة لتضم الحقيقة والحلم ، وتستوعب الواقع والمثل الاعلى ، ولكننا نقتل « الحياة » حين نركن الى « الحلم » وحده ، أو حين نهيب بالمثل الاعلى فقط . وليس ما يمنعنا احيانا من ان نستلهم احلام الطفولة ، ولكن على شرط الاّ نخضع لاوهامها . فلنترك الان لمخيلتنا العنان ، ولنحلق في اجواء المستقبل ما شاءت لنا احلامنا، ولكن لنتذكر دائما ان للخيال ضوابط من الواقع، وان للاحلام منافع في الحاضر ! لنتذكر انه لا بد « للحلم » من ان يكون دائما في خدمة «الحياة»!.. انهم يقولون:« انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان»، ولكن من المؤكد ايضا انه « ليس بالحلم وحده يحيا الانسان » وفارق كبير بين ان يحيا الانسان بالحلم ، وأن يحلم الانسان بالحياة ! انه في الحالة الاولى يقتل في نفسه «الحياة» واما في الحالة الثانية فانه ينشد لنفسه المزيد من أسباب الحياة ، وحُبّ الحياة ! وهل هنالك « حلم » اعظم من أن يحلم الانسان بحياة حافلة ، مليئة ، خصبة ، عامرة بالقيم ؟!

* * *

وبعد ، الم يكن اونومانو Unamuno على حقّ حين قال : ـ

... « هل نحلم بالموت ؟ ... ولكنّ ، السنا بذلك نقتل الحلم ؟ » ...

... « هل نحيا بالحلم ؟ ... ولكنّ ، السنا بذلك نقتل الحياة ؟ » ... ؟!

زكريا ابراهيم

(٢)اونامونو (١٨٦٤ ـ١٩٣٦) : شاعر وفيلسوف اسباني ، تأثر بكيركجارد ، ونحا منحى وجوديا مسيحيا ، خصوصا في كتابه « الشعور المأساوي بالحياة » .



بقلم : ألفة الادلبي

■ أسرتني نظراتها المنكسرة الحزينة ، كانت تلاحقني اينما كنت ، حاولت أن أتحرر منها ، أن أتناساها فلم أفلح . كنت أراها تحدق الي باصرار فتشيع في نفسي الضيق والحزن .

لم وقعت تحت تأثير هذه النظرات الحزينة بالذات ؟؟ ألانى تخيلتها تجسد فجيعة بلادى ؟ أم لأن قصة صاحبتها مست صميم قلبي وتركت في نفسي أثراً لا ينسى ؟

كنا اربع نسوة انتدبتنا الجمعية التى ننتمى اليها لنحمل ما تبرع به أعضاؤها من طعام ولباس ونوزعه على لاجئين فلسطينيين حلوا منذ يومين في احد جوامع دمشق وكان ذلك عام ١٩٤٨ .

كان بعضنا حين يقوم بمثل هذا الجهد الضئيل يوهم نفسه انه يسهم بقضية الوطن فيشعر بشيء من الارتياح ، وكان بعضنا يود ان يقرض الله قرضاً حسناً على ان يستوفيه في دنياه . فيجهر بالقول دون خجل : من يدرى ؟ قد نصبح يوما لاجئين فلا نعدم حينئذ من يواسينا في محنتنا . كانت هى عملية حسابية قلما تخطيء .

في باحة الجامع الذي قصدناه قعد رجال ووقف آخرون . كان يخيم عليهم صمت رهيب . بعضهم كان ينفث الدخان بعصبية ، وبعضهم كان شارد الذهن ، حيران ، يحدق في لا شيء ، في عيونهم جميعاً دهشة بلهاء كأنهم ــ بعد ــ لم يستوعبوا ابعاد الفاجعة التى باغتتهم . في داخل الجامع تجمع نساء وأطفال كان يسمع لهم لغط مكبوت كدوي النحل .

قادتنا المشرفة على الملجا الى زاوية نصبت حولها ستارة فجعلت منها شبه غرفة . قالت :

هنا امراة مسكينة بحاجة قصوى الى العطف والمواساة . وصلتنا اول امس عند منتصف الليل مع فوج كبير من اللاجئين . تصوروا داهمها المخاض وهى في (الاوتوبيس) في منتصف الطريق فعانت المسكينة مشقة كبرى . لكن الله سبحانه رؤوف بعباده لم يأذن للجنين بالخروج حتى وصلت الام الى هنا . قالتها وعيناها تشعان ايماناً لايزعزعه شيء، ثم اردفت : لقد اتصلت بجميع المستشفيات كانت كلها مليئة بالجرحى فلم اجد لها مكاناً فاضطررنا ان ننصب لها هذه الستارة لنفصلها عن بقية الناس . ثم همست بصوت خفيض : يقولون ان زوجها استشهد اثناء النضال ، وان

اهلها ما يزالون محاصرين في بلدهم. انها مصرة على الصمت كان الفاجعة التى اصابتها قد افقدتها النطق ، ومهما نحاول ان نستدرجها الى الكلام لا نفلح .

وتزيح الستارة فتبدو صبية جالسة على حشية رقيقة ، وقد القت ذراعيها متصالبتين على حجرها فوق الغطاء الذي يستر جسدها وقد مالت بجزعها قليلاً الى الامام فبدت كتمثال حي للحزن ، كانت ترتدي ثيابا سودا ، وعلى رأسها ايضا غطاء اسود ، عيناها سوداوان كبيرتان جداً تحف بهما اهداب طويلة ، ووجهها مثلث الشكل غريب التكوين من الوجوه التى لا تنسى ابداً .

حين رأيتها ارتج علي فلم اجد كلمة واحدة اواسيها بها . روعتني مرأى الدموع تندى العينين ثم تنكفيء الى الداخل دون ان تسيل ، النظرات المعبرة التى تنزف قهرا وذلاً ويأسـا وعجزاً ، الشفتان المطبقتان بحزم على صمت ابلغ من اى كلام . الى جانبها كان وليدها ملفوفا بخرق وقد غرق في سبات عميق .

اقتربت منها احدانا وسألتها بصوت خفيض : اتريدين يا اختي شيئاً ؟

رفعت رأسها بكبرياء مشيرة بالنفي .

كان سـؤالا سخيفا . اى شيء تريده امرأة قد فقدت بغتة كل شيء . الوطـن ، الزوج ، الاهل ، البيت ، المال ، و ... و ...

جاءت عجوز تحمل بيد مرتجفة كاسا مليئة باللبن قدمتها الى الصبية فاشاحت هذه بوجهها عنها . قالت العجوز متددة :

حرام عليك يا بنتي ، انت نفساء ومنذ اول البارحة لم تذوقي شيئاً ، احسبيها دواء ، اشربيها من اجل ابنك هذا المسكين ، والا فلن يدر لبنك ابدا .

نظرت الى وليدها نظرة حنان ، وجرضت بريقها ثم تناولت الكاس من العجوز وكرعت ما فيها مرة واحدة كانها تكرع دواء كريها .

وضعنا بعض هدايانا امامها على الحشية ثم خرجنا من عندها حيارى نشعر بفتالة ما قدمنا لها . ثم رحنا نكمل جولتنا .

في صبيحة ذلك اليوم ذاته وجدتني مسـوقة الى تلك المرأة المنكوبة التى لم تفارقني نظراتها المنكسرة الحزينة . فحملت اليها ماخيل الى انه ينفعها ووليدها ، وقد صممت على ان اظل الى جانبها قدر استطاعتي عسى ان اخفف عنها بعض التخفيف .

انبأتني المشرفة على الملجأ ان رجلاً وامرأة جاءا قبل ساعات فاخذاها ووليدها وكان يبدو انهما من اقربائها او معارفها . ولما سألتها عن عنوانها اجابتني ساخرة :

كل يوم يدخل الى هنا افواج ويخرج افواج اتريدينا ان ناخذ عناوينهم ايضا ؟ الايكفينا ما نعمل من الصباح الى المساء ؟ ، ولكن هات ما معك قد نحتاج اليه لأن لدينا ايضا نساء حبالى . دفعت لها ما أحمل وخرجت وانا اشعر بالخيبة .

النظرات المنكسرة الحزينة التى تجسد فجيعة بلادي ظلت تلاحقني ، وكانها كانت تختار ساعات البهجة والمرح فتظهر امامي فجاة تحدق بذلتها وقهرها وحزنها ويأسها فسرعان ما تغتال الفرحة من قلبي وتمحو البسمة من على شفتي .

لكن الزمن وهو القادر على تغيير كل شيء حتى محو الحزن من قلوب الثكالى استطاع ان يحررني من النظرات المنكسرة الحزينة التي كانت تشيع الحزن والضيق في . فجاء يوم نسيتها فيه .

لم يخطر على بالي ابدا ان الايام ستجمعني بها مرة اخرى وكان ذلك بعد نحو عشر سنوات يوم داهم السيل مخيم اللاجئين القائم على احد مداخل دمشق بعد عاصفة هوجاء اطاحت ببعض الخيام ومزقت بعضها. حملنا الثياب والبطانيات للمنكوبين وكان هذا جل ما نستطيع ان تقدمه جمعية خيرية كجمعيتنا .

ان من لم ير المخيم في ذلك الصباح الرمادي البارد لا يستطيع ان يدرك عمق مأساة هزيمتنا مهما جسدها الرسامون في لوحاتهم او تفنن في وصفها الشعراء والقصاصون .

كان كل شيء في المخيم غارقا في الوحل ، الوحل على خدود الاطفال ، الوحل على شوارب الرجال ، على اهداب النساء لان سكان المخيم جميعهم كانوا يعملون في جرف الوحل من داخل الخيام ومن حولها .

وعلى الرغم من الارهاق الشديد الذى قاسوه طوال ليلتهم الليلاء كان عسيرا عليهم ان يناموا قبل ان يعيدوا المخيم الى ما كان عليه قبل العاصفة . كان بعضهم ينشر متاعه في الشمس الباهتة لتجف ، وكان بعضهم يعيد نصب الخيام المقاومة ، رايات الذل ، ووصمات العار على جبين الانسانية .

امام احدى الخيام رايتها واقفة تستجدى الدفء من الشمس الباهتة هي نفسها ذات النظرات المنكسرة الحزينة ، فلن يخطئها نظري ابدا ، كانت تحيط بذراعها صبيا يبدو في العاشرة من عمره وكأنها تقبض على كنز ، او على شعاع أمل تخشى ان يفر منها ، كان الصبي يشبهها شبها غريبا العينان السوداوان الكبيرتان جدا ، والوجه المثلث القريب التكوين . هرعت اليها كمن وجد ضالته واخذت بيدها وقلت لها :

ــ لقد سبق ان تلاقينا منذ زمن بعيد .

فتفرست في وجهي مستغربة وقد بدا لي انها لم تعرفنى . قلت وانا اشير الى الصبي :

ــ اليس هو ابنك الذي ولدته في الجامع ؟

قالت : انه هو ، ولكن من أين عرفت ذلك ؟

ولما هممت بالكلام رأيت الصبي يسحب يده من امه ممتقع الوجه ويهرع الى داخل الخيمة كأنه لا يريد ان يسمع تلك الحكاية المؤلمة التى طالما سمعها ، حكاية مجيئه الى هذه الدنيا ، لأنها على ما يبدو كانت تجرح كرامته ، فآثرت ان اغير الحديث غير المرغوب فيه فسألت المرأة كيف امضت تلك الليلة العصيبة فاجابت باختصار :

ــ الحمد لله لقد صمدت خيمتنا امام الرياح العاتية ، لكن المطر والسيل بللا امتعتنا .

واشارت بيدها الى امتعتها المنشورة على الكراسي امام باب الخيمة ، والى ثيابها المنشورة على الحبال في الشمس الباهتة ، ولم تزد على ذلك كلمة واحدة .

عجيب امر هذه المرأة ، انها لا تشبه غيرها من المنكوبين ، فهي لا تشكو ، ولا تتذمر ، ولا تحب ان تروى قصة مأساتها للناس كي تستجر عطفهم ، دائما تلوذ بكبرياء الصمت . كان كل ما فيها يبكي ، قسمات وجهها ، حركات يديها ، ثيابها ، امتعتها ، وقفتها امام الخيمة ، لكن دموعها تأبي ان تسيل . اعطينا المرأة خير ما نحمل فتمتمت بكلمات شكر تكاد لا تبين ، وكأنها قد غضبت نفسها على النطق بها .

خرجت من المخيم وما ادرى متى سنلتقى . وقد عادت تأسرني صورة جديدة للمرأة الثابتة وولدها ذي النظرات المتحدية .

وتمر الايام والسنون وتتوالى هزائمنا ومآسينا ، ويفعل الزمن افاعيله فيسدل النسيان على كثير من الصور .

★ ★ ★

وانا احتضن صورهم ، ملتاعة ، معتزة ، الفدائيين الخمسة الذين استشهدوا مجهولي الهوية في سبيل قضيتنا ، لم يسعوا وراء الشهرة وهم المغمورون ، لم يغرهم حب المال وهم المحرومون ، لم يثنهم عن عزمهم حب الحياة وهم في عز الشباب ، لم يربكهم الخوف وهم بضعة افراد بين ملايين .

كنت أتملى وجوههم الجامدة ، تدهشني ابتسامة الرضا عن النفس ، المطبوعة على وجوه الموتى ، الابتسامة التي تفتقدها تحت العرب من المحيط الى الخليج .

تسمرت نظراتي على وجه خيل الى انني اعرفه . تفرست فيه ... فاذا هو واسع العينين ، مثلث الشكل ، ذو تكوين نادر ، لا يمكن ان ينسى .

يا ذات النظرات المنكسرة الحزينة ، اتراه هو ؟؟ ... وليدك الذى ارضعته لبن النقمة وانت تعيشين المأساة ، كم مرة رويت له كيف داهمك المخاض في (الاوتوبيس) ؟ وكيف ولدته في الجامع تحت الستارة البالية ؟ وكيف استشهد أبوه وهو يناضل ؟ وكيف حوصر اهله ، واغتيل وطنه ؟ .. حكيت له ، وحكيت .... حتى لم يعد يحتمل تلك الحكاية المرة التى صنعت منه فدائيا .

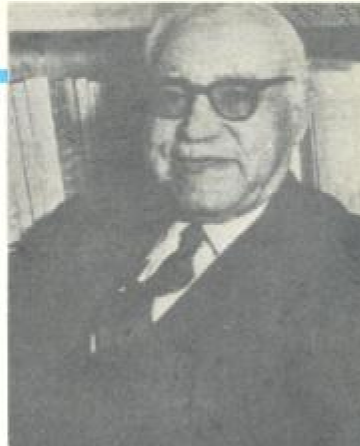
انه قسمات وجهك النادرة ، الا ان ذل الانكسار في عينيك الحزينتين انقلب الى كبرياء التحدي في عينيه الجامدتين ! ...... ■■

دمشق ــ الفة الادلبي

مجلة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



مهداة إلى روح صاحب الرسالة الأستاذ أحمد حسن الزيات

بقلم : الغزالى حرب

■ انصافا للحقيقة والتاريخ كتبت هذا المقال وفاء لمجلة « الرسالة » الخالدة بما قدمته للعروبة والاسلام ، وللعلم والادب والفن من اياد وافضال يفني الزمن ولا تفنى !!

متى وكيف صدرت مجلة الرسالة ثم سارت ونمت وازدهرت اخذة طريقها الى الافاق ؟؟

في مصر بدا عام ١٩٣٢ وقد احتجبت مجلة « السياسة الاسبوعية » التى اصدرها الاحرار الدستوريون ، ومجلة « البلاغ الاسبوعى » التى انشاها الوفديون ليواجهوا بها « السياسة الاسبوعية » .. وفي هذا العام التاريخي طويت صحيفة احمد شوقى وحافظ ابراهيم ، وتضاعفت احزان الادب والادباء في هذا الجو الموحش الكئيب ، طوال هذا العام الذى نسميه « عام الحزن » ، ونودعه لنستقبل العدد الاول من مجلة الرسالة يوم الاحد ١٨ رمضان ١٣٥١ – ١٥ يناير ١٩٣٣ ، وفي مفتتح هذا العدد الاغر ، وتحت عنوان « الرسالة » ، كتب المرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب هذه المجلة ورئيس تحريرها يقول – فيما يقول – :

« واخيرا تغلّب العزم على التردد الخوّار ، فصدرت « الرسالة » .. !!! وما سلّط على نفوسنا هذا التردد ، الا تَذَرّ تشاع ، وامثال تُرْوى ، وكلها تصور الصحافة الادبية في مصر سبيلا ضلّت صواها ، وكثرت صرعاها ، فلم يوف احد منها على الغاية ، والعلة ان السياسة طغت على الفن الرفيع ، والازمة مكنت للادب الرخيص . والامة من خداع الباطل ، في لبس من الأمر ، لاتميّز ما تاخذ مما تدع ، فلما تناصرت على هذه الوساوس حجج العقل ، ونوازع الواجب وعدات الأمل ، أصبحت الأسباب التى كانت تدفع الى النكول ، بواعث على الاقدام ، وحوافز للعمل لأن غاية « الرسالة » أن نقاوم طغيان السياسة بصقل الطبع ، وبَهْرج الادب بتثقيف الذوق ، وحيرة الامة بتوضيح الطريق ... » .

الى آخر هذه الافتتاحية البليغة الرصينة . وقد اشار فيها على وجازتها الى ما ياتي :

١ – حال الصحافة الادبية ، وقت ظهور العدد الاول من « الرسالة » .

● حملت رسالة العرب أكثر من عشرين عاماً، ثمّ احتجبت، واحتجب صاحبها، واحتجب كتّابها، وبقيت أصداؤها حيّة في قلوب الكثير من كهول هذا الزمان

٢ ـ الأهداف التي وضعتها « الرسالة » نصب عينيها ، وهي مجلة لها رسالتها السامية الموصولة بأسباب السماء ....

٣ ـ مبدأ « الرسالة » ومنهجها السوي في أداء رسالتها ، وهو « ربط القديم بالحديث ، ووصل الشرق بالغرب » مع المواءمة بين العلم والدين ، والتوفيق بين الفرد والجماعة .

٤ ـ استعداد الناهضين بالرسالة ، للتضحية في سبيل رسالتهم بكل مرتخص وغال ، مستعذبين العذاب مستسهلين الصعاب ، شأن أصحاب الرسالات ...

٥ ـ ثقة « الرسالة » بنفسها وبأصدقائها من الأدباء والشعراء الموهوبين في مصر والشرق العربي ولا سيما «الأدباء والكتاب الدائمون» الذين أشارت اليهم الرسالة في العدد الخامس والستين من السنة الثانية ، وهم الأعلام الذين يشار اليهم بالبنان، وفي الصدارة منهم الأستاذ العلامة الأديب الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة « العربي » الغرّاء .

٦ ـ تقديم الرسالة نفسها الى قرائها ، قائلة في ختام هذه الافتتاحية مانصه :

« فالى أبناء النيل وبَرَدَى والرافِدَيْن ، نتقدم بهذه « الرسالة » راجين أن تضطلع بحظها من الجد المشترك في تقوية النهضة الفكرية وتوثيق الروابط الأدبية ، وتوحيد الثقافة العربية وهي على خير ما يكون المخلص من شدة الثقة بالمستقبل ، وقوة الرجاء في الله ... »

في كل اسبوع بدل اسبوعين

وظلت الرسالة معظم عامها الأول ، تصدر مرة كل اسبوعين ، لا كل اسبوع ، وفي عددها العشرين المؤرخ بأول نوفمبر ١٩٣٣ نشرت الاعلان التالي :

« الرسالة تصدر اسبوعية ، ابتداء من يوم السبت ٢ ديسمبر ١٩٣٣ وسيزاد على أبوابها المعروفة أبواب أخرى كالتساليات ، والأخبار الأدبية والعلمية والسينما والمسرح وستعنى بالقصص ـ ، والاقتصاد والاجتماع والسياسة العالمية .. خطوة جديدة وأكيدة ... » .

وأعادت نشر هذا الاعلان في العدد الحادي والعشرين ١٥ نوفمبر ١٩٣٣ .

وفي العدد الثاني والعشرين يوم الاثنين ١٦ شعبان ١٣٥٢ هـ ـ ٤ ـ ١٢ ـ ١٩٣٣ ظهر الاعلان التالي :

« ابتداء من هذا العدد ، تصدر الرسالة يوم الاثنين من كل اسبوع .... » .

وابتداء بالعدد السادس والستين من السنة الثانية يوم الاثنين ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٥٢ هـ ـ

٨/١٠/١٩٣٤ انشأت الرسالة بابا جديدا وهو « باب البريد الادبى » .

وفي مفتتح العدد الاول من العام الثالث يوم الاثنين ٢ شوال ١٣٥٣ هـ ٧/١/١٩٣٥ بشرنا الاستاذ الزيات ببابين جديدين ابتداء من هذا العدد وهما :

باب « من روائع الشرق والغرب » ، وباب « من هنا وهناك » .

العدد الألفى

وفي العدد ٩٩٢ كتب الاستاذ محمد الارناؤوط تحت عنوان « اقتراح ودعوة » يقول ـ فيما يقول ـ :

« انى اقترح على راعى هذا المجلة العظيم الاستاذ الزيات ان يخرج من العدد الالفى عددا ممتازا وانى ادعو ادباء العروبة ان يتبادروا للمشاركة في هذه المأثرة الادبية النادرة ، تحية للرسالة بمناسبة عددها الالفى .. » .

وفي العدد الالفي الصادر اول سبتمبر ١٩٥٢ كتب الاستاذ الزيات في مفتتحه وتحت عنوان « بلغنا العدد الالف » يقول : « نعم بلغنا العدد الالف .. !! ومعنى ذلك انقضاء الف اسبوع من عمر الرسالة الباقية ، او عشرين عاما من عمر صاحبها الفانى . وان عشرين عاما يقضيها الكاتب المتامل في هذا المرصد الادبى والاجتماعى يصوب مناظره الى كل سماء ، وينصب مخابيره في كل ارض ، لتكشف له عن ظواهر في الآفاق ، وعن بواطن في الانفس ، ماكان ليراها لابعينه ولا بقلبه ، لو انه جلس مجلس المشاهد المتفرج في مسرح الحياة » .

« قضيت ثلث عمرى الاعلى والاغلى ، دائبا دءوب القمرين اعمل ليل نهار في عالم عبقرى الاحلام والرؤى ، يزخر بالعقول النيرة ، والنفوس الخيرة ، والاخيلة الخصبة ، اناجيهم بالروح ، واخاطبهم بالقلم ، واقابلهم في البريد ، واجعل لهم من صفحات الرسالة أجواء يسبحون في اطيافها مع الملائكة ، ورياضا يهيمون على زهورها مع الفراش ، وحقولا يعسلون من رحيقها مع النحل ، حتى اجتمع لهم من افانين الحق والخير والجمال ، عشرون مجلدا ضخما ، هي تاريخ نهضة ، وثورة امة ، وتراث جيل » .

الاشادة بالعروبة والاسلام

ان مجلدا واحدا من مجلدات « الرسالة » في اعوامها العشرين ، ليعتبر لسان صدق ، وسجل مجد للعروبة والاسلام ، وماعرفنا قبل « الرسالة » مجلة ادبية او اسلامية ، لها ماللرسالة من رصيد الاشادة بالعروبة والاسلام . والدفاع عنهما ما استطاعت الى الدفاع سبيلا ، ومن اراد لذلك تفصيلا ، او عليه دليلا ، فليمد يده الى اى مجلد من مجلدات الرسالة ، واى عدد من اعداد الرسالة ، التى هي منا على طرف الثمام وحبل الذراع ، وهانحن اولاء نلقيها نظرات سريعة على رؤوس بعض موضوعات الرسالة ، دون ماقصد عامد ، او تدبير سابق ، او استقصاء تام . ولكن عفوا و « توفيق اقدار لاقدار » ـ على حد تعبير النابغة الذبيانى .

وحسبنا من المعالم الرئيسية لخدمات الرسالة العربية الاسلامية ما يأتي على سبيل التمثيل لا الحصر :

اشادة «الرسالة» بالروحانية والدين

اشادتها بالروحانية والدين بعامة ، بمثل المقالات العشرة المسلسلة ، للاستاذ عمر حليق تحت عنوان « الدين والسلوك الانسانى » وهي بحوث تقدمية رائدة ، تراها في المجلد التاسع عشر ، كما ترى مقال الاستاذ الزيات « ليس بعد الدين وازع » في مطلع العدد ٨٨١ » ، ومقال الاستاذ محمود الشرقاوى في العدد ٨٤٤ ، «الدين والسياسة الوطنية » ، ومقال «الروحانيات » لعباس خضر في العدد ٩٠٠ ، ومقال « القيم الروحية بين العلم والمادة » للاستاذ واصف البارودى في المجلد السابع عشر ...

الرسالة والقرآن الكريم

اشادتها بالقرآن الكريم ، والحديث المحمدى الشريف بمثل مقال احمد بدوى « من بلاغة القرآن » ـ في المجلد التاسع عشر ومقالاته «التشبيه في القرآن » في المجلد الثامن عشر ،

ومقال « احرف القرآن » لعبد الستار احمد فراج في المجلد السابع عشر ، وبمثل المقالات التسعة المسلسلة الاصلاحية المستنيرة التي تراها في المجلد التاسع عشر للاستاذ محمود أبو رية ..

الرسالة والاسلام فقها وروحا

اشادتها بالفقه الاسلامي ، ودفع شبهة تأثره بالفقه الروماني عنه في الاعداد : ٩٧ — ٩٩ — ١٠٧ — ١٠٨ — ١١٤ لاعلام الفقه والقانون في مصر والبلاد العربية مثل الاستاذ صالح العلوى الذى اثبت ان الفقه الروماني هو المتأثر بالفقه الاسلامي ولا عكس... والاستاذ الشيخ عبد القادر المغربى عضو المجمع اللغوى ، والاستاذ محمد حسن البرازى الاستاذ بمعهد الحقوق في الجامعة السورية ....

اشادتها باركان الاسلام وآثارها فيموازنة هادفة بين ماضي المسلمين وحاضرهم ولا سيما « الحج والزكاة » اللذان هما الركنان الاجتماعيان وفيهما قال الاستاذ الزيات في افتتاحية العدد ٩١«الحج والزكاة »هما الركنان الاجتماعيان من اركان الدين يقوم عليهما الامر بين الفرد والفرد وبين الفرد والجماعة كما يقوم على الثلاثة الاخر الامر بين المرء وربه ، وبين المرء ونفسه .. » .

ثم اشادتها بروح الاسلام المثلى ، وتعاليمه السامية ، ومبادئه الخالدة ، ومفاخره التاريخية في مختلف العصور ... مع الموازنة الموضوعية الجادة بين ماضينا وحاضرنا للعظة والعبرة فالدكتور محمد عوض محمد حدثنا في العدد الثامن عن « روح الاسلام » والدكتور طه حسين حدثنا عن شهداء الاسلام في العدد الثاني والاربعين ، كما حدثنا فيه الدكتور عبد الوهاب عزام عن « المسلمون امس واليوم » قائلا في صراحة لها مرارة الدواء ، وآلام مبضع الجراح : « ... فلئن لم يكن المسلمون سادة العالم ، فقد كانوا سادة في العالم ... !!! » .

وتاريخ الاسلام وتاريخ رجاله

وما اروع المقالات الاسلامية التاريخية الآتية :

١ — « التاريخ الاسلامي » لعلى الطنطاوى في العدد ٨٢ .

٢ — « ابو ذر الغفارى » لعبد الحميد العبادى في العدد الثاني من السنة الاولى .. وفيه ايضا « البيرونى » لقدرى طوقان .

٣ — وابن خلدون لمحمد عبد الله عنان والليث ابن سعد لعلي الطنطاوى في العدد ٨٧ .

٤ — والامام الاوزاعي وامام اهل الشام في العدد ٨٩ ونرى في المجلد السابع عشر ترجمات لعبد الله ابن مسعود الصحابى الجليل والفدائية الاولى في الاسلام ام عمارة المازنية والمجدد الاسلامى الرائد ابن حزم الاندلسي ..

كما نرى في المجلد الثامن عشر : الامام الغزالي والسيدة نفيسة واسامة بن منقذ ، وابراهيم بن ادهم وابن تيمية بطل العلماء والمجددين وابن عساكر وابا بكر الرازى،وشاعر باكستانومؤسسها الاول محمد اقبال .

وفيالمجلد التاسععشر نرى : ابا دجانة الصحابي الجليل وام عمارة المازنية ، والامام الغزالي « وقتيبة بن مسلم الباهلى » والى خراسان ، وقاهر الشركوالكفر في ايران والافغانوالتركستان، ومرغم ملوك الصين على التسليم والاذعان ، في الدولة الاموية ، والمهلب بن ابى صفرة سيد الأزد ، وبطل العراق في العهد الأموى ..

والفارابي وعمر بن الفارض والبرعى وابا الثناء الالوسى وقانصوه الغورى (بفتح الغَيْن) وعبد القادر الحسيني الشهيد الفلسطيني العظيم كما نرى « غزوة بدر الكبرى » و « فتح القسطنطينية » .

وفي المجلد العشرين نرى : الحسن البصرى والامام الغزالى ورسالته — وشخصية الامام الشافعي وعمر بن عبد العزيز ونساء عرفن في زمن الرسول عليه السلام والسيد محمد كريم و ... و .... و — وهذا قليل من كثير ..

الرسالة ومرونة الاسلام وسماحته وتطوره

اشادتها بمرونة الاسلام وسماحته ومسايرته

للتطور والتجديد وصلاحيته لكل زمان ومكان ، بمثل ما كتبه امين الخولي في العدد الثاني عن « التجديد في الدين » وما كتبه محمود الشرقاوي عن « التطور وروح الدين » في العدد التاسع والثلاثين من السنة الثانية .. وما كتبه عباس خضر في المجلد التاسع عشر تحت عنوان « الاسلام نظام عالمي » .. والمقالات الثلاثة المسلسلة التي نراها للاستاذ محمد سعيد احمد بك في المجلد الثامن عشر تحت عنوان « الاجتهاد في التشريع الاسلامي » ومقال « طبيعة الالتزام في القانون المدني والفقه الاسلامي » للاستاذ نور الدين رضا الواعظ ، العالم القانوني والفقيه العراقي العظيم ، وهو من اجل البحوث في الفقه المقارن وفي العدد ٨٠٩ نرى للزيات « الاسلام دين القوة » وللبيب السعيد مقال « من شئون الموظفين في النظم الاسلامية » .

كما نرى في العدد ٢٦١ « المكانة العالمية في الاسلام » للاستاذ محمد فريد وجدي بك و « الخدمة الاجتماعية في الاسلام للاستاذ لبيب السعيد ... ونستمع الى الزيات العظيم يقول من افتتاحية هذا العدد الاسلامي الجامع الرائع .

فيما يقول : « ... بدأ الاسلام بخديجة وعلي وابي بكر وزيد ... ثم وقف في آخر الغرب عقبة ابن نافع على شاطىء الاطلسي قائلا وقد خوض جواده في الماء ـ : « اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل اعلاء كلمتك . اللهم اشهد » واتجه به الى آخر الشرق قتيبة الباهلي الذي اوغل في بلاد الصين فخورا بان عزيمته الجبارة لا يفلها الا الله وحده !! » .

وفي العدد ٩١٣ نرى للاستاذ الزيات مقال « كيف أعلن محمد حقوق الانسان ؟ » قبل أن تعلنها ـ الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ في سبع عشرة مادة جعلوها ديباجة الدستور ١٧٩١ . وترى مقال « الاسلام دين الفطرة » للاستاذ محمد احمد الغمراوي ، ومقال « شئون المساكن وتخطيط البلدان في الاسلام » للاستاذ لبيب السعيد .

فضل المدنية العربية على اوروبا

اشادتها اكثر من مرة ، بافضال المدنية العربية والحضارة الاسلامية على اوروبا ونهضتها ، وبا اروع تلك المحاضرات الجامعة التي القاهما الدكتور فيليب حِتّي استاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة في جامعة سان باولو باللغة الانجليزية ... فترجمتها ونشرتها « الرسالة » كاملة غير منقوصة في الاعداد : ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ تحت عنوان « فضل المدنية العربية على المدنية الغربية » وفي اعداد السنة الاولى ، نشرت الرسالة للاستاذ الزيات مقالات مسلسلة رائعة تحت عنوان « اثر الثقافة العربية في العلم والعالم ... » كما نشرت مقالات « حلقات الادب في الفسطاط » للاستاذ محمد عبد الله عنان ومقال « فتح العرب لمصر » لعبد الحميد العبادي .

الاحتفال بالشهور العربية والاعياد الاسلامية

دعوتها الحارة الى الاحتفال بالشهور العربية الاسلامية ولا سيما شهر رمضان ، والأعياد والذكريات الاسلامية ولا سيما يوم الجمعة ، ويوم مولد الرسول ، ويوم الهجرة وايام المواقع التاريخية الفاصلة في تاريخ العرب والمسلمين « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » :

أ ـ فدافعت الرسالة عن شهر رمضان دفاعا مجيدا في العدد الخامس والعشرين ، وهو العدد الاخير من العام الاول ..

ب ـ ودافعت عن يوم الجمعة دفاعا حارا بمقال الزيات « يوم الجمعة » في مفتتح العدد الرابع والاربعين وفيه يقول الزيات : « ولقد كان فيما سلف من مؤاتاة الدهر ، شأن يومنا في الأيام ، كشأن قومنا في الاقوام ... ثم غيرنا فغير الله .. فاذا بالتابع يأخذ المهلة على المتبوع ، واذا يوم الجمعة يصبح طرفا في ذيل الاسبوع ، فلا تخشع له اسواق العالم كيوم السبت ، ولا تسكن فيه حركة الدنيا كيوم الأحد ، ولا يبقى له من الدعاية عند اهله الا اغلاق دور الحكومة في وجهه » .

حـ ـ واحتفلت كل عام بذكرى المولد المحمدى الكريم احتفالا خاصا مشهورا ، واسفت لطريقة الاحتفال التقليدية التافهة بالمولد كما في افتتاحية العدد ١٣ ـ ، وكما في العدد ١٠١ تحت عنوان « ذكرى المولد » للزيات وكذلك العدد ١٥ حيث يقول الزيات في ختام مقاله الرائع : « اليس من خذلان الله ، لنشئنا الجدد ، ان يلوكوا جاهدين اسماء فلان وعلان ، ميجّنْ رأى رأيا ، او انشا قصيدة او الف كتابا ، ثم يتركوا عامدين اسم « محمد » الذى جمع العرب من شتات ، وايقظ العالم من سبات ، واقام للسماء دنيا في الارض ، واسس للارض دنيا في السماء ؟ !!

د ـ واسفت لعدم الاحتفال بعيد الهجرة كما ينبغى قائلة في افتتاحية العدد الثامن من السنة الاولى ما نصه بقلم الزيات « لقد اصبحنا وما نملك لذكرى الهجرة الا مظهرا وضيع الشان قاصر الدلالة : عطلة رسمية في الحكومة ، وحفلة كلامية في جمعية الشبان ، اما المظهر الشعبى الذى يغمر الشعور بالبهجة ، ويعمر القلوب بالعزة ، فكان نفوسنا لم تتهيأ له بعد !! رحماك اللهم .. !!! فاين الشرق من الغرب ؟ واين المحرم من يناير ؟ .. »

وقد اجاب الاستاذ الزيات عن هذين السؤالين في اكثر من مقال ، كما اجاب عنهما كثير من كتاب الرسالةوشعرائها الغيورين على العروبة والاسلام، وحسبنا ان نرجع هنا الى مقال الزيات « العام الهجرى ١٣٥٤ » في مستهل العدد الثالث والتسعين ...

ومقال محمد زيتون « الهجرة الكبرى في سبيل الاسلام » في المجلد التاسع عشر ..

ومقال صوت الهجرة للسيدة وداد سكاكيني في المجلد العشرين .

الرسالة والازهر

دعوتها الى اصلاح الازهر الشريف باكثر من للاثين مقالة وكلمة تراها في مجلدات الرسالة ، ولا سيما المقالات الآتية : ـ

أ ـ الازهر بين الماضى والحاضر للزيات في العدد ٨٦ .

ب ـ الازهر بين الجامعية والمدرسية لمحمد طه الحاجرى في العدد ١٠٨ .

حـ ـ تاريخ الازهر في المجلد السابع عشر .

د ـ ردوا على الازهر كرامته .

هـ ـ حيرة الجيل الجديد في الازهر .

و ـ الازهر بين القديم والجديد .

ز ـ الازهر في طوره الجديد .

ح ـ تسع مقالات وكلمات متفرقة حول اصلاح الازهر الشريف في المجلد التاسع عشر .

ط ـ الازهر الآن يعيش برئة واحدة في المجلد العشرين .

وما هذه المقالات الملحة في الدعوة الى اصلاح الازهر الشريف ، الا مظهر اسلامى للرسالة التى امن صاحبها ورئيس تحريرها بانه لا صلاح للاسلام الا باصلاح الازهر ولا حياة للمسلمين الا بحياة الازهر اكبر الجامعات الاسلامية في العصر الحديث ...

الرسالة والوحدة الادبية

ـ اشادتها بضرورة الوحدة الادبية بين البلاد العربية اكثر من مرة وحسبنا هنا مقال « الوحدة الادبية بين مصر والسودان » في العدد السابع والثمانين وفي مطلعه يقول كاتبه الاستاذ التيجاني يوسف بشير :

« لن يكون مثل الادب يصوغ الامم على اسلوب واحد ويصنع منها عقلية واحدة ، ويقيم اساس وحدتها على الروح ، وبناء مجتمعها على العاطفة ودعامة الفتها على الجمال ، وقاعدة اخائها على الصدق ، وصرح كيانها على يقظة الشعور فلا تتزلزل ولا تضطرب .. !!

هذا غيض من فيض افضال « الرسالة » القرّاء وقد سجلنا ما تيسر لنا منها انصافا للحقيقة والتاريخ مرددين مع الشاعر العربي المنصف : ان الذى جعل الحقيقة علقما .

لم يخل من أهل الحقيقة جيلا .. !!! ■■

الغزالي حرب

طرائف

السعيد

● حكى الاصمعي قال : سال زياد ابن ابيه اصحابه : « اى الناس انعم عيشا ؟ » فقالوا : « معاوية » فقال : « فاين ما يلقى من الناس ؟ » قالوا : « فانت ايها الامير » . قال : « فاين ما القى من الثغور والخراج ؟ » قالوا : « فمن ؟ » قال : « شاب له سداد من العيش ، وامراة قد رضيها ورضيته ، لايعرفنا ولا نعرفه ، فان عرفنا وعرفناه افسدنا عليه دينه ودنياه » .

لا تعتزل

● قيل ان احدهم جاء الى وهب ابن منبه فقال : « ان الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه من شقاق وفتنة ، وقد حدثت نفسي الا اخالطهم ، واعيش بنفسي لنفسي ، فما تقول ؟ » فقال له

لا يشغل عن قول الحق

● حكى ان عبد الملك بن مروان احضر له برجل من الخوارج ، فاراد قتله ، فدخل على عبد الملك ابن له صغير وهو يبكي ، فقال الخارجي ، « دعه يا عبد الملك ، فان البكاء ارحب لشدقيه ، واصح لدماغه ، واذهب لصوته ، واحرى الا تابى عليه عينه اذا حفزته طاعة الله فاستدعى عبرتها » . فأعجب عبد الملك بقوله ، وقال له متعجبا : « اما يشغلك ما انت فيه ياهذا ! » قال : « ما ينبغي ان يشغل المؤمن عن قول الحق شيء » . فامر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله.

محاورة بليغة

● خطب الحجاج فشكا سوء طاعة اهل العراق ، فقال جامع المحاربي : « اما انهم لو احبوك لاطاعوك : فدع مايباعدهم منك الى مايقربهم اليك ، والتمس العافية فيمن دونك تعطها ممن فوقك » . فقال الحجاج : « والله مالهم عندى الا السيف » فقال : « ايها الامير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار » . قال الحجاج : « الخيار يومئذ لله » . قال : « اجل ، ولكنك لا تدرى لمن يجعله الله » . فقال الحجاج : « والله لقد هممت ان اخلع لسانك ، فاضرب به وجهك » . فقال : « ياحجاج ، ان صدقناك اغضبناك ، وان كذبناك اغضبنا الله ، وغضب الامير اهون علينا من غضب الله » .

عربية

الناس

وهب بن منبه : « لاتفعل هذا ، فانه لابد للناس منك ، ولا بد لك منهم ، لهم اليك حوائج لاتستغني عنها ، ولـك اليهم حوائج ، ولكن كن فيهم أصم سميعا ، واعمى بصيرا ، وسكوتا نطوقا » .

انت فقير

● حكى ان رجلا قال لابراهيم بن ادهم الصوفي : ياابا اسحاق ، احب ان تقبل مني هـذه الجبة هدية . قال ابراهيم : « ان كنت غنيا قبلتها منك ، وان كنت فقيرا لم اقبلها» . قال الرجل : « فاني غني » . قال ابراهيم : « كم عندك ؟ » قال : « ألفان » . قال : « فيسرك ان تكون اربعة آلاف ؟ » قال : « نعم » . قال : « انت فقير : لا اقبلها ؟ » .

تلطف وحسن تعريض

● ذكر الأصمعي قال : ترك عقيل ابن أبي طالب أخاه الامام عليا وذهب الى معاوية بن ابى سفيان بعد جفوة بينهما، فقال معاوية : يا أهل الشام ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه ؟ فقال عقيل : يا أهل الشام ان أخى خير لنفسه وشرٌ لى ، وان معاوية شر لنفسه وخير لى. وفي يوم من الأيام قال معاوية: يا أهل الشام ان عم هذا (يعنى عقيلا) أبو لهب ، فقال عقيل : يا أهل الشام ان عمة هذا (يعنى معاوية) حمالة الحطب، وكانت أم جميل امراة ابى لهب وهى بنت حرب .

سخرية

● كان الفرزدق صديقا لخالد بن صفوان ، وكثيرا ما كان يمازحه ويجتمع به فى مجلسه ، وحدث ان الفرزدق اراد ان يخطب النوار زوجة له ، فدعا خالد ابن صفوان وبعض اصدقائه للذهاب معه لخطبة النوار . فوقف الفرزدق طويلا امام مرآة كانت معلقة وسط المجلس ، واخذ يعدل من عمامته ، ويسرح لحيته، فقال له خالد بن صفوان يا أبا فراس ما أنت بالذى « فلما رأينه اكبرنه وقطّعن ايديهن » . فقال له الفرزدق : ولا انت يا ابا صفوان بالذى قالت فيه الفتاة لأبيها : «يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوى الأمين » .

مواقف رجال

المُثنّى بن حارثة

أول قائد مسلم هاجم الفرس أبلى بلاءً لم يبله أحد

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ في سنة تسع او سنة عشر من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قدم وفد من بني شيبان ، من بكر بن وائل ، على النبي عليه السلام ، وفيهم المثنى بن حارثة ، واسلموا ، ثم عادوا الى بلادهم في اطراف العراق ، ومن هناك كان المثنى يغير على منطقة السواد التابعة لبلاد فارس . وبلغ خبره ابا بكر الصديق الذى صار خليفة رسول الله ، فقال هو ، او قال عمر بن الخطاب : من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ، فقال له قيس بن عاصم المِنْقَرِيُّ : اما انه غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب، ولا قليل العَدَد ، ولا ذليل الغارة ، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني .

أمّر نفسه

وتطلعت نفس المثنى الى الجهاد والفتوح ، فقدم على الخليفة ابي بكر ، رضى الله ، ثم قال له : ياخليفة رسول الله ، ابعثني على قومي فان فيهم اسلاما ، اقاتل بهم اهل فارس، واكفيك اهل ناحيتي من العدو . ففعل ذلك ابو بكر فرجع المثنى الى العراق ، وكان ذلك سنة احدى عشرة من الهجرة ، فظل حولا كاملا يغير بقومه ويقاتل اهل فارس في نواحي السواد .

ولما كان المثنى هو الذى طلب أن يوليه الخليفة الامرة على قومه ، سماه عمر « المؤَمّر نفسه » .

على أن المثنى لم يكن منقوصا ولا ضعيفا ، والشريعة تبيح للانسان أن يسأل توليته عملا من الاعمال اذا احس من نفسه القدرة على تحمل اعبائه بكفاية واخلاص ، وحقا كان المثنى كذلك فقد وُصِف بانه « كان شهما شجاعا ، ميمون النقيبة، حسن الرأى » .

أمِدّني بجيوش

وبعد حول من جهاد المثنى ارسل اخاه « مسعود بن حارثة » الى الخليفة ابى بكر الصديق ، يسأله أن يُمِدّه بجنود ، ليواصل جهاده وقال في رسالته اليه: ان امددتني وسمعتْ بذلك العرب اسرعوا اليَّ ، واذلَّ الله المشركين ، مع أني اخبرك ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الاعاجم تخافنا وتتقينا .

وكان خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، قد انتهى من حروبه مع المرتدين ، فارسل ابو بكر اليه أن يسير الى العراق ، كما كتب ايضا الى عياض بن غنم ، رضى الله عنه ، أن يتجه بجيوشه الى العراق . وطلب ابو بكر من خالد بن الوليد وعياض بن غنم أن يستعينا بمن قاتل أهل الردة ، وأن لا يكون معهم احد ممن كانوا ارتدّوا .



ذلك ان ابا بكر كان لا يستعين في حربه بأحد من أهل الردة حتى مات .

اما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد استعان بهم ، لكنه لم يجعل أحدا منهم أميرا الا على النفر القليل ، وكان يقدم في الامارة صحابة رسول الله ، ان وجد منهم من يجزىء عنه في حربه فان لم يجد منهم من يجزىء جعل الأمير واحدا من التابعين باحسان . اما الأبطال الفرسان من أمثال عمرو بن معد يكرب ، وطليحة الأسدى ممن كانوا ارتدوا ثم عادوا مسلمين ، فكانوا يستعان بهم في الجهاد ، على ان لايكونوا قادة للجيوش .

وحين ارسل أبو بكر الى خالد يامره بالتوجه الى العراق ، كتب أيضا الى المثنى بن حارثة يقول له : اني وليت خالد بن الوليد ، فكن معه .

فلما جاءت رسالة أبي بكر الى المثنى توجه الى خالد ، وانضم اليه بمن معه من بني بكر بن وائل . وكانت لخالد في العراق وقائع وفتوح وانتصارات شارك فيها المثنى بن حارثة مشاركة فعالة .

توجه خالد للشام

في سنة ثلاث عشرة ارسل أبو بكر جنودا الى الشام ، فتجمعت الروم وحشدت لهم ، فارسلوا الى أبي بكر يطلبون منه أن يمدهم بمن استطاع من جنود . وكان التجمع بالقرب من اليرموك .

فكتب أبو بكر الى خالد بن الوليد بالعراق يامره أن يسير الى الشام ، وأن ياخذ نصف الناس ، ويستخلف على النصف الثاني المثنى بن حارثة الشيباني .

وتوجه خالد كما امره الخليفة ، وبقي المثنى في « الحيرة » يرتب من بقي معه ، ويبعث من ياتي له باخبار الفرس الذين كانوا منقسمين على انفسهم ، بسبب من يولونه الملك ، ثم اتفق الفرس على أن يكون ملكهم « شهربراز بن أردشير » فلما ولوه ، وكان ذلك بعد مسيرة خالد بن الوليد الى الشام ، جمع « شهربراز » جنودا عددهم عشرة الاف ، وولى عليهم قائدا اسمه « هرمز جاذويه » ووصلت الاخبار الى المثنى بقدوم هذا الجيش لمحاربته ، فجمع جيوشه هو أيضا ، وخرج من الحيرة لملاقاة أعدائه ، ومعه من قواده اخواه المعنى بن حارثة ، ومسعود بن حارثة » .

خطاب ورده

وانتظر المثنى جيوش الفرس عند « بابل » واقبل « هرمز » بالافه ، ومعه فيل ضخم ، ومعه

كتاب من ملكهم « شهربراز » موجه الى المثنى بن حارثة ، وفيه يبدى استهانته بجنود الاسلام ، اذ يزعم انه لم يبعث اليهم الا رعاع الناس ، فهو يقول : « من شهربراز الى المثنى ، اني قد بعثت اليك جنداً من وَخْش (١) أهل فارس ، انما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك الا بهم ».

فاجابه المثنى بكتاب يقول له فيه « من المثنى الى شهربراز ، انما انت احد رجلين اما باغٍ ، فذلك شرٌ لك وخير لنا . واما كاذب ، فاعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك ، واما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم انما اضطررتم اليهم ، فالحمد لله الذى ردَّ كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير » .

وكان لجواب المثنى وقع سيىء عند الفرس ، فقد جزعوا منه ، وقالوا لملكهم : جرأت علينا عدوّنا بالذى كتبت به اليهم ، فاذا كاتبتَ احدا فاستشر .

نصر من الله

وتلاقى الجيشان ببابل ، واقتتلوا اقتتالا شديدا ، واستطاع جيش المثنى ان يثّبت للفرس، لكن الفيل الذى يصحب جيش المشركين كان يفرق صفوف المسلمين ، والخيل تنفر منه ولاتثبت امامه. فتقدم المثنى بن حارثة هو وبعض المسلمين، واحاطوا بالفيل ، وتناولوه بسيوفهم ورماحهم فقتلوه ، وحينئذ اندفع فرسان المسلمين يضربون المشركين ويقتلونهم ، حتى انهزموا وولوا الادبار ، واتبعهم المسلمون ضربا وهم في هربهم ، الى أن وصلوا مدائن كسرى ، وكان الشاعر « عَبْدَةُ بن الطبيب » قد شهد وقعة بابل ، فقال يذكر حليلته خَوْلَة ، ويشير الى الموقعة :

هل حَبْلُ «خَوْلَةَ» بعدالبَيْنِ مَوصولُ
أم أنت عنها بَعيدُ الدارِ مَشْغولُ

وللأحبَة أيّـــامٌ تَذَكّرُهـــا
وللنّوى قبل يوم البَيْن تأويل (٢)
حَلّتْ «خُوَيْلَةُ» في حَيٍّ عَهِدْتَهم
دُونَ المدائن فيها الدِّيكُ والفِيلُ
يُقارعون رُؤُوسَ العُجْمِ ضاحيةً
منهم فوارس لاعُزْلٌ ولا مِيلُ (٣)

ذكر ذلك الطبرى في تاريخه ، اما شارح المفضليات فانه يذكر انها قيلت في وقعة عقب القادسية. والفرزدق الشاعر الاموى، وهو يعدد بيوتات بكر بن وائل ، مادحا عبد الله بن الاعلى الشيباني ، يذكر المثنى وقتله الفيل اذ يقول :

وبيتُ المُثَنَّى قاتلِ الفيلِ عَنْوَةً
ببابلَ إذ في فارسٍ مُلْكُ بابلِ

وشاء الله ان يحمى جنود المسلمين من كثرة الفرس على عجل ، لان الجنود مع المثنى لايكفون لو استمرت حاله على ما هي عليه ، في بلاد واسعة الارجاء كثيرة التعداد .

فقد مات ملك الفرس « شهربراز » في وقت هزيمة قائده « هُرمز جاذويه » فانشغل اهل فارس مدة في امر من يتولى الملك .

وولّوا ابنة لكسرى ثم خلعوها ، وولوا سابور ابن شهربراز وانتهى امره الى ان قتل .

توجه الى ابى بكر

هذا والمثنى بن حارثة ينتظر ان يصله مدد من الخليفة ابى بكر ، في حين ان جيوش ابى بكر شغلت بموقعة اليرموك ، وليس لديه من يبعثه اليه ، فلما طال عليه الامر ، اناب عنه احد قواده على الجيش ، وتوجه هو بنفسه الى المدينة ،

---

(١) الوخش رذالة الناس وصغارهم .

(٢) تذكرها : تتذكرها . والنوى : البعد . والبين الفراق . وتأويل : علامة .

(٣) العزل جمع الاعزل ، وهو من لا سلاح معه . والميل جمع الاميل وهو السيّىء الركوب .

ليخبر ابا بكر خليفة رسول الله خبر الفرس ، ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين الذين عادوا للاسلام . وحين قدوم المثنى الى المدينة كان ابو بكر رضى الله عنه مريضا مرض الموت ، فاخبره المثنى بما جاء من أجله .

ودعا أبو بكر سيدنا عمر بن الخطاب وقال له :

انى لارجو ان اموت في يومى هذا ، فاذا متّ فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلكم مصيبة عن امر دينكم ، ووصية ربكم ، فقد رايتني حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعته، ورسول الله لم يُصَب الخَلق بمثله .

يريد بذلك انه كان له موقفان ، احدهما خطبته التي يقول فيها « من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت . ثم تلا قول الله تعالى « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

والموقف الآخر تنفيذه لوصية الرسول ، بانفاذ جيش اسامة بن زيد الى الشام . ولم يشغله موت الرسول عن تنفيذ وصيته .

احجام عن الذهاب لفارس

ومات ابو بكر الصديق بين المغرب والعشاء ، ليلة الثلاثاء ، في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، ودفن من ليلته في لحد ، الى جنب لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اول عمل قام به عمر بن الخطاب ان ندب الناس للخروج الى الجهاد مع المثنى بن حارثة الشيباني الى أهل فارس . وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضى الله عنه . ثم اصبح فبايعه الناس بيعة الخلافة التى كان أبو بكر قد عهد اليه بها بعده .

وكانت للفرس لدى أكثر العرب هيبة ، لمّا كانوا يعرفونه عنهم من قوة وكثرة، وعُدّة وسلاح، لهذا حين دعاهم عمر للتوجه اليهم لم يتقدم احد، وعاد فندب الناس الى فارس. وتتابع الناس على البيعة، ولم يتقدم احد للذهاب الى فارس ، وفرغوا من مبايعة عمر في ثلاث ليال، كل يوم يندبهم فلا ينتدب احد الى فارس . يقول ابن جرير الطبرى في تاريخه « وكان وَجْه فارسَ من أكره الوجوه اليهم واثقلها عليهم، لشدّة سلطانهم، وشوكتهم، وعزّهم ، وقهرهم الأمم » .

وتقدم أبو عبيد الثقفى

فلما كان في اليوم الرابع عاد فندب الناس ، وتكلم المثنى بن حارثة فقال ، يا ايها النـــاس ، لا يَعظُمَنّ عليكم هذا الوجه ــ وهو قتال الفرس ــ فانا قد تَبَحْبَحْنا ريفَ فارس ــ اى تمكنا منه وتوسطناه ــ وغلبناهم على خَيْرِ شقّى السّواد ، وشاطرناهم ، ونِلنا منهم ، واجترا مَنْ قبلنا عليهم ــ اى من هم معنا وحولنا ــ ولها ان شاء الله ما بعدها .

وتكلم عمر بن الخطاب فكان مما قال : سيروا في الارض التى وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فانه قال « ليظهره على الدين كله » والله مظهر دينه ، ومعز ناصره ، ومُوَلّى اهله مواريث الأمم ، اين عباد الله الصالحون . »

فتقدم ابو عبيد بن مسعود الثقفى ، فكان اول منتدب ، ثم تلاه « سعد بن عبيد الانصارى » ، و « سَليط بن قيس » وكان سليط من الذين شهدوا غزوة بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . حينئذ تتابع الناس للخروج الى محاربة الفرس .

لو سبقتماه لوليتكما

ولما اجتمع الناس للذهاب الى الحرب ، قيل لعمر بن الخطاب : أمّر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين أو الأنصار . فقال عمر : لا والله لا افعل ، ان الله انما رفعكم بسَبْقكم وسرعتكم الى العَدوّ ، فاذا جبنتم وكرهتم اللقاء فاولى بالرياسة منكم من سَبَق الى الدّفع ، واجاب الى الدعاء ، والله لا اؤمّر عليهم الا اوّلهم انتدابا . أى أولهم تقدما واجابة .

وكان ابو عبيد الثقفى أولهم ، وبعده سعد

ابن عبيد وسَليط بن قيس . وقال عمر لسعد وسليط : اما انكما لو سبقتماه لوليتكما ، ولادركتما بها الى مالكتما من القدَمة ـ اى التقدم وفضل السبق بالاسلام ـ

تولية رستم قائدا للفرس

ثم جعل ابا عبيد الثقفى اميرا لمن سيخرج من عنده . وعلى من يحاربون في بلاد الفرس ، ممن كانوا تحت راية المثنى، بما فيهم المثنى نفسه.

وعمر وهو يولى ابا عبيد الثقفى ، لم يتركه دون ان يوصيه بقوله : اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشركهم في الامر ، وانه لم يمنعنى ان اؤمر سَليطا الا سرعته الى الحرب . وفي التسرع ، الى الحرب ضياع الا عن بَيّان ، والله لولا سُرعته لأمّرته ، ولكن الحرب لا يُصلحها الا الرجل المكيث ، الذى يعرف الفرصة والكف .

فكان بعث ابى عبيد اول جيش سَيّره عمر للقتال .

ثم ان عمر بن الخطاب امر المثنى بن حارثة ان يسرع في عودته ، حتى يقدم عليه ابو عبيد بن مسعود الثقفى ، فوصل المثنى ، الى الحيرة بعد عشرة ايام ، ولحقه ابو عبيد بمن معه من الجنود بعد شهر .

وكانت بوران بنت كسرى قد تغلبت على الملك في فارس ، وجعلت « رستم بن الفرخزاد » القائد العام للجيش فارسل رستم الى حكام السواد ـ ويقال لهم الدهاقين ـ يطلب منهم ان يثوروا بالمسلمين ، وبعث في كل منطقة رجلا يدعو الناس الى الثورة ، وبعث جيوشا لمحاربة المثنى ، وبلغ المثنى ذلك ، فجمع جنوده ،واخذ حذره ، وخرج بهم حتى اتى « خفّان » ليكون امنا فيها من ان يهاجم من خلفه ، واقام حتى قدم عليه ابو عبيد الثقفى .

وسبق من جنود الفرس الى محاربة المسلمين احد قادتهم ويسمى « جابان » فكانت موقعة بقيادة ابى عبيد الذى جعل المثنى بن حارثة قائدا على الفرسان ، ودارت معركة تسمى معركة « النمارق » وفيها انتصر المسلمون . ثم تتابعت الانتصارات ، وكانت لابى عبيد مواقف لسنا الآن بصددها ،، فهى تستحق مقالا وحدها .

المثنى يحمى المنهزمين

ثم حدثت معركة يقال لها « وقعة القرقس » كما يقال لها « موقعة الجسر » وموقعة « قسّ الناطف » وفيها استشهد ابو عبيد الثقفى ، وهى معركة كاد المسلمون ينتصرون فيها ، لولا استشهاد ابى عبيد ، واستشهاد من قرّر ان يكونوا قادة بعده بالترتيب اذا قتل ، وكان المثنى بن حارثة اخر مَن سمّاه للقيادة .

والذى يعنينا من هذه المعركة هنا موقف المثنى بن حارثة ، الذى كان سببا في انقاذ بقية المسلمين من الهلاك ، بعد ان وَلّوا منهزمين، اذ وقف هو وجماعة من الفرسان عند الجسر الذى قُطع ، واخذوا يحمون رجالهم حتى تمّ توصيل الجسر ، ونادى المثنى : يا ايها الناس ، انا دونكم ، على هينتكم ـ اى متمهلين ـ ولا تدهشوا فانا لن نترك مكاننا حتى نراكم قد صرتم من الجانب الآخر . ولا تغرقوا انفسكم . وظل المثنى وفرسانه معه يحمون المنهزمين حتى اجتازوا وتراجع المثنى فعبر وهو مجروح بطعنة رمح قطعت بعض حلق درعه ، فغاصت الحلق في لحمه ، وكان آخر من استشهد عند الجسر سَليط بن قيس الصحابى الانصارى .

حماهم الله بانقسام الفرس

ووجد المثنى نفسه في قلة ، اذ ان كثيرين ممن فروا لم يعودوا اليه ، يقول ابن جرير الطبرى في احدى رواياته : هلك يومئذ اربعة آلاف قتيل وغريق ، وهرب الفان ، وبقى ثلاثة الاف » .

وعزم القائد « بَهْمَن جاذويه » على ان يجتاز الفرات بجنوده ، ليقضى على بقية المسلمين ، بمن معه من عدد كثير ، وما ياتيه من امداد ، لكن مشيئة الله ابت الا ان ينجو المسلمون ، ليتلقوا ما وعدهم الله من النصر والفتوح ، ذلك ان الاخبار قد وصلت الى « بهمن » ان الناس بالمدائن

قد ثاروا برستم ، ونقضوا الذى بينه وبينهم ، فصاروا فرقتين ، حينئذ تراجع « بهمن » بجنوده متوجها الى المدائن .

موقعة البويب

وصل خبر الهزيمة الى عمر بن الخطاب . فاخذ يوجه امدادا الى المثنى من كل جانب ، واخذ المثنى يرسل الى كل من حوله ، حتى صار معه جمع كبير . وكان الوفاق قد تم بين اهل فارس . وسمعوا بمن تجمع مع المثنى ، فحشدوا له جيوشا كثيرة ، وجعلوا عليها قائدا يسمى « مهـــران الهَمَذَانى » ، واتجه المثنى لمقابلته ، في مكان سميت المعركة فيه معركة « البُوَيْب » وكان بين الجيشين نهر الفرات .

وبعث قائد الفرس الى المثنى : اما ان تعبروا الينا واما أن نعبر اليكم . فكان الراى ان يتركوا الفرس ليعبروا اليهم . وعبروا وعَبّئوا انفسهم في صفوف ثلاثة ، مع كل صف فيل . وعَبّأ المثنى جيشه، وكان من قواده أخواه « المُعَنّى ومسعود » وهنا انقل بعض ما جاء في تاريخ الطبرى عن المثنى في هذه المعركة يقول :

« ولما خرج المثنى طاف في صفوفه يعهد اليهم عهده ، وهو على فرسه « الشموس » ، وكان لا يركبه الا لقتال .. فوقف على الرايات راية راية ، يحضضهم ، ويأمرهم بأمره ، ويَهُزّهم باحسن ما فيهم ، تحضيضا لهم ، ولكلهم يقول : انى لارجو الا تؤتى العرب اليوم من قِبَلِكم ، والله ما يَسرنى اليوم لنفسي شيء الا وهو يسرنى لعامتكم . فيجيبونه بمثل ذلك . وانصفهم المثنى في القول والفعل ، وخلط الناس في المكـــروه والمحبوب ، فلم يستطع احد منهم ان يَعيب له قولا ولا عملا . ثم قال : انى مكبر ثلاثا ، فتهيئوا، ثم احملوا في الرابعة .. »

فوز ساحق وهزيمة ماحقة

واخيرا دارت المعركة طاحنة شرسة ، وثبت المسلمون ثباتا عظيما ، وهجم المثنى بجماعة حوله على قَلْب الفُرْس ، فافنوا كثيرا منهم ، وكذلك فعل قوّاده في جنبى جيوش المشركين ، وجعلوا يردونهم على ادبارهم ، واسفرت المعركة عن فوز ساحق للمثنى وجنوده ، وعــن هزيمة ماحقـة لجيوش فارس . ومقتل قائدهم « مهـــران » وتفرقوا في كلّ صَوْب ، والمسلمون يتعقبونهم فقتل من الفرس الاف ، وغرق الاف ، وسمى هذا اليوم ايضا . « يوم الاعشار » لانه احْصِى مائة رجل من المسلمين قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة ، هذا عدا من قتل تسعة فاقل . وظل المسلمون الى الليل وهم يتبعون الفارّين ، ثم اليوم التالى له الى الليل .

ونالوا من الغنائم ما لا يُحصَى كثرة ، وصارت هذه المعركة معركة « البويب » سابقةً كبرى لما تلاها من فتوح وانتصارات ، وقد حدثت في سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، في شهر رمضان ، وكان قد امر المثنى جنوده بالافطار ليقووا على الحرب والقتال . وممن استشهد فيها اخوه مسعود بن حارثة وبعض صحابة رسول الله .

وظل المثنى يُغير بجيوشه على ما حوله ،ويبعث جنودا ليغيروا ويفتحوا بلادا ، اما حَربا واما صلحا ، الى ان توفى رضوان الله عليه في اوائل سنة اربع وعشرة ، قبل حروب القادسية التى تولاها سعد بن ابى وقاص .

حقا ان المثنى بن حارثة يستحق أن يقول عنه ابن عبد البر في الاستيعاب « ابتلى في حــروب العراق بلاءً لم يبلغه أحد » .

وينقل ابن حجر في الاصابة بيتين له عن كتاب المرزبانى نذكرهما بعد تصحيح فيهما وهما :

سَأَلُوا البَقِيَّةَ والرِّماحُ تَنوشُهُمْ
شَرِقَى الأَسِنَّةِ والنُّحورِ من الدَّمِ

فتَرَكْتُ في نَقْعِ العَجَاجَةِ منهمُ
جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ ■■

عبد الستار احمد فراج

صفحة في اللغة

أَلفاظٌ مَشْهُورَةٌ يُقِرُّها المجمعِيُّون

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ تجرى على السنتنا واقلامنا اليوم كلمات وتراكيب كثيرة ، تواجه بالشك او الانكار عند كثير من المشتغلين بيننا باللغة ، لانهم لا يجدون لها سندا من معاجم اللغة ولا من كتب القواعد التي بين ايديهم ، ولا يعرفون لها مسوغا ، ولا يكلفون انفسهم البحث عنه ، كانما وسعت هذه الكتب كلَّ ما يصح في اللغة وكل ما هو صالح لان يستساغ على وجه من الوجوه التي يقبلها ذوق اللغة ونظامها المرن ولو مجازا ، ومن هنا يتلقوْن هذه الالفاظ بالمطاردة الليّنة او العنيفة .

ونقدم هنا طائفة من هذه الالفاظ التي كانت تطارد اولا ، ثم اقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد مطالعات ومحاضرات ومناظرات كثيرة عميقة ، ونشير الى طريقة تخريج المجمع لهذه الالفاظ للاطمئنان اليها ، والقياس عليها .

١ ـ استهدفتُ الشيءَ : جعلته هدفا

لم يرد الفعل « استهدف » متعديا في كتب اللغة ، بل ورد فيها لازما بمعنى انتصب وارتفع، ومن معاني الهدف فيها الغَرَض الذى يُرْمَى ، ولكن شاع بيننا استعمال « استهدف » متعديا ، فيقال مثلا « استهدف الطالب النجاح » و « استهدف التاجر الربح » . وقد اقر المجمع هذا الاستعمال ، وخرّجه بان السين والتاء تكونان للجَعْل والاتخاذ ، مثل «يستهدف المرء منفعته»، اى يجعلها ويتخذها هدفا او غرضا يقصده .

٢ ـ مِنْطَقَة ومَنْطِقة لمعنى المكان او الدائرة

تقول اليوم « هذه مَنطِقة عسكرية » او « مَنطِقة غابات » او « المَنطِقة المعتدلة » او « منطقة الشم او الذوق في الراس » ونعني بالمنطقة مكانا او مساحة محدودة من الارض او غيرها ، يشملها حكم واحد ، وكانت كلمة « مَنطِقة » ترفض ، لانها لم ترد هكذا ، ولا بهذا المعنى ، في المراجع ، ولم يعرَف لها وجه لغوىّ يسوغها ، وانما وردت في المراجع كلمة « مِنطَقة » بمعنى الحزام ، او النِّطاق الذى يشده الانسان في وسطه ، وهذا هو المعنى نفسه في اليونانية لاصل الكلمة الافرنجية Zone ، المستعملة عند الافرنج بمعنى المكان المحدود، وهكذا ترجمها مترجمونا في اول النهضة الحديثة، فصارت كلمة « مِنطَقة » تدل على الحزام اصلا ، وعلى المكان مجازا .

ثم اقر المجمع اللغوى « مَنطِقة » للمكان ، فقد جاء في اللغة لفظ « نطَقه » بمعنى ألبسه

المِنطقة ، وجاء « تمنطق » اى شد وسَطه بالمِنطقة ، والثلاثي من هذا هو « نطق » ولو لم يستخدم . واذن يجوز ان يصاغ منه اسم مكان على صيغة « مَنطِقة » (مثل مَنزِلة) ومعنى هذا جواز الصيغتين للمكان « مِنطَقة » . و « مَنطِقة » .

٣ متحَف ومتحَف

ورد في لغتنا الفعل « اتحف » ، فنقول « اتحفه صديقه بكتاب » بمعنى اعطاه اياه ، او عرضه عليه ، الطافا له واطرافا . فصحيح اذن ــ والفعل رباعي ــ أن يقال « مُتحَف » ــ بحكم الوزن ــ للدلالة على مكان التحف مستودَعا او معرضا لكي يراها الناس فيه .

وقد اقر المجمع استعمال مَتحَف ايضا ، لان الفعل الرباعي يدل على الاصل الثلاثي المهمل الذى لم تذكره مراجعنا ، ويمكن ان يؤخذ هذا من « تحفة » وهي واردة في المعاجم ، تحَف ، يَتحُف « من باب » نصر ، ينصر « فيؤخذ من مصدره » اسم مكان هو « مَتحَف » . وبذلك يكون صحيحا استعمالنا للكلمتين «مُتحَف» و «مَتحَف» للدلالة على المكان الذى تودع فيه التحف ، أو تعرض، ونزيد نحن هنا ان هذا يجيز استعمالهما في متجر التحف ايضا .

٤ ــ التبرير بمعنى التسويغ

نقول « هذا عمل لا مبرر له » او « الغضب لا يبرر الاعتداء » او « برر الطبيب سرعته في اجراء العملية بالخوف على حياة المريض » . وهكذا نستعمل « التبرير » في معنى التسويغ ، وقد شاع استعمال « التبرير » اكثر من « التسويغ » وفي كل ما يشتق منهما ، ومن ذلك الكلمة المشهورة « الغاية تبرر الوسيلة » ، وهي تتضمن مبدأ غير اخلاقي .

وكان شيوخنا يرفضون كلمة« التبرير » الشائعة التي لم ترد في المراجع ، ويؤثرون كلمة التسويغ ، لورودها فيها ، وان كانت كاسدة او اقل شهرة .

ولكن راى المجمع انه ورد في اللغة « برّحجّه » بمعنى « قَبِل » وتضعيف الفعل يدل على الكثرة والمبالغة ، فيقال « برّره » بمعنى « سوّغه » « فالتبرير بمعنى التسويغ » .

٥ ــ استعمال « سواء » مع « أم ومع « أو » بالهمزة وبدونها

يقال « سواء عليّ اقرات كتابا ام جالست حكيما » ، كما يقال « سواء عليّ قرات كتابا او جالست حكيما » . وهذا هو الوجه الافصح في استعمال « سواء » اى اذا ذكرنا بعدها الهمزة ذكرنا « ام » واذا حذفنا الهمزة ذكرنا « او » ولم يكن شيوخنا المعاصرون يرضَون وجها اخر غير هذا الوجه الأفصح .

وقد اقر المجمع ــ وفاقا لما قرره جمهور النحاة ــ جواز استعمال « ام » وكذلك « او » مع الهمزة ، او بدونها بعد سواء .

٦ ــ استعمال « مفاعل » بقلب الياء والواو همزة

في جمع منارة ، نقول « مناور » كما نقول : مفازة ، ومفاوز ، ومغارة ومغاور . وفي جمع مكيدة نقول « مكايد » كما نقول : مصيدة ومصايد ، ومعابة ومعايب .

ولكن سمع في اللغة ما يلي : مصيبة وجمعها مصايب ومصائب ، ومعيشة وجمعها معايش ومعائش .

ولهذا راى المجمع تسوية المعاملة بين الجميع فاجاز الصيغتين ، فنجمع منارة على مناور ، ومنائر ، ونجمع مغارة فنقول : مغاور ومغائر ، وفي مكيدة نقول : مكايد ومكائد ، وفي مصيدة نقول : مصايد ومصائد .

مع ...
الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الثعابين

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ انها الرتبة الثالثة من الطائفة المعروفة بالزواحف .

والرتبة الاولى احتوت على السلاحف، من سلحفاة ارض او سلحفاة ماء .

والرتبة الثانية احتوت على العظايا اى السحالي ومنها ابو بريص، او البرص في العامّ من كلام الناس .

والرتبة الثالثة تحتوى على الثعابين ، بشتى أجناسها وانواعها .

والرتبة الرابعة ، تحتوى على التماسيح .

ومن العلماء من يجمع بين العظايا والثعابين في رتبة واحدة .

الثعابين اكثر الزواحف زحفا

شاع في منزل الجار ان لصا دخل الدار ، فسأل صاحب الدار ابنه : هل رايته ؟ قال نعم ، رايته يدخل من الباب الخلفي . وسأل صاحب الدار ابنه : هل كان يمشي على اطراف اصابعه ؟ قال الابن : انه كان يمشي على يديه ورجليه، فيزحف ، ويكاد يمس الارض ببطنه .

فمن هذا الوصف وامثاله اشتق العلماء معنى الحيوانات الزاحفة او الزواحف Reptiles . ومنه يدرك الانسان ان اقرب صفة في هذه الحيوانات تؤهلها لهذا الاسم ، ان لها أرجلا قصارا . وهذه الارجل كلما قصرت اقترب بطن الحيوان من ارض قمسها، فكانت الحركة زحفا على البطن .

والثعابين افتقدت الارجل فهي اصدق الزواحف زحفا .

ومع هذا ففي بعض الثعابين ما بقيت فيها بقايا من أرجل كانت ثم زالت . ومن العظايا عظايا فقدت الارجل واخرى كادت .

احشاء الثعابين

ان الثعابين تشترك مع سائر الزواحف فيما تضمه احشاؤها من اجهزة واعضاء، بل هي ايضا تشترك مع الحيوانات الفقارية جميعا فيما تضمه احشاؤها من اجهزة . ان هذا وجه من وجوه الوحدة التي نحن في سبيل تقريرها ،

وكما قلنا دائما : انها وحدة مع اختلاف ، وانه اختلاف تنجت عنه رتب

الحيوانات واجناسها وانواعها . وقد اختلفت الثعابين عن السلاحف والعظايا والتماسيح التي اجتمعت وإياها في طائفة من الحيوانات واحدة . اختلفت بان لها جسما كالحبل طويلا ، وله عرض قليل . وهو حجم وشكل في الاجسام الحية عامة غريب .

والاحشاء ، من رئة ، الى قلب ، الى دورة دم ، الى جهاز هضم ، الى كبد ، الى جهاز بولي ، الى جهاز انسال ، الى جهاز اعصاب ، كل هذه لابد ان تحشر في هذا الحيز الطويل الضيق حشرا .

وهي جميعا تجد لنفسها فيه مكانا ، ولكن ليس دائما كالمكان العادي المألوف من حيث الموضع ، وليس دائما بالشكل المألوف عند الحيوانات التي تهيىء لاحشائها مكانا اكثر اتساعا وارحب .

الجهاز الهضمي للثعابين

فالجهاز الهضمي في الثعبان يتسم بالطول بسبب طول جسم الثعبان ، فهو في غير حاجة الى التلافيف التي كانت تصحب الامعاء مثلا في المألوف من الحيوانات . فهذه التلافيف كان المقصود منها زيادة طول الجهاز الهضمي حيث المسافة التي يقطعها الطعام ، من ساعة دخوله في الجسم ، وهضمه وامتصاصه ، ثم خروجه ، مسافة قصيرة لولا وجود هذه التلافيف ، وجسم الثعبان طويل فلم يكن ثمة حاجة بالجهاز الهاضم الى اللف والدوران .

الجهاز التنفسي

ويظهر ضيق المكان في جسم الثعبان من ان اكثر الثعابين لها رئة واحدة فعالة ، هي اليمنى .

والثعابين لها رئتان ، فيها الرئة اليسرى قليلة النمو . والرئة تمتد عادة على طول جسم الثعبان ، وتصل الى منتصفه .

والكليتان

وهما كذلك اثنتان ، يمنى ويسرى ، واليمنى تتقدم ، واليسرى تتأخر .

والخصيتان والمبيضان

وكذلك الخصيتان في الذكر ، والمبيضان في الانثى ، وكلاهما يطول ، والعضو الايمن منهما اكبر من الايسر عادة .

والكبد

والكبد تطول بطول الجسم ، وشقها الايمن اكثر نموا من شقها الايسر . والحويصلة الصفراوية ، وهي عادة توجد مع الكبد ، تفارق الكبد في جسم الثعبان الى موضع يأتي وراء الكبد .

المثانة

والمثانة ، وفيها يتجمع البول ، قد اختفت من جسم الثعبان اختفاء . المكان ضيق ، فكان لابد من الاستغناء عن شيء .

والقلب والدورة الدموية

كلاهما لايختلف كثيرا عما في سائر الزواحف ، ولكن تطول الاوعية الدموية بحيث تروى الاعضاء قريبها من القلب والبعيد .

الهيكل العظمي للثعابين

لايمكن ان يتحدث الانسان عن الهيكل العظمي للثعابين الا بعد ان يذكر طعامها ويذكر انها تعيش على ما تصيده من الحيوانات الاخرى فهي من آكلة اللحوم ، وانها اذا صادت فأرا أو ضفدعة التقمت راس الضحية اولا ، ثم تأخذ تبلعها كاملة كما هي ، فتجوز بها الفم والحلق الى سائر مسيرة الجهاز الهضمي . والفريسة التي تصيدها الثعابين غالبا ما تكون أكبر مما تتسع له حلوقها ، وأكبر كثيرا ، حتى لقد قيل ان الثعابين هي اكبر الحيوانات الفقارية وجبة طعام .

من اجل هذا دخلت تعديلات كثيرة على ما نسميه بالهيكل العظمي ، في الرأس ، وفي سلسلة الظهر الى آخر الذيل .

اما الرأس ، فالجمجمة تألفت من عدة عظمات لم تلتحم كلها في كتلة صلبة واحدة ، وانما انفصل بعضها عن بعض ، في حين ربطت بينها اربطة . وكذا الفك الاسفل يتباعد نصفاه عند الحاجة . واختصارا ادخل الى تركيب الرأس ما يأذن باتساع الفم والحلق بالقدر الذي يأذن بالصيد الكبير الذي يصيده الثعبان ان ينفذ الى جوفه .

وكذا الاسنان تميل الى الخلف لتستقر في جسم الضحية استقرارا يجعل افلاتها متعذرا . وتنشب الاسنان اليمنى لفكي الثعبان في الضحية ، وتثبت فيها ، بينما الاسنان اليسرى للفكين تجران الضحية الى الداخل جرا . ثم هما يثبتان ويتحرك الجانبان الايمنان ليجرا باسنانهما الضحية الى الداخل . وهكذا دواليك . ويساعد على ذلك لعاب الثعبان . ومن الثعابين ما بلعابها مادة تعمل كالسم ، فهي تخدر جسم الضحية .

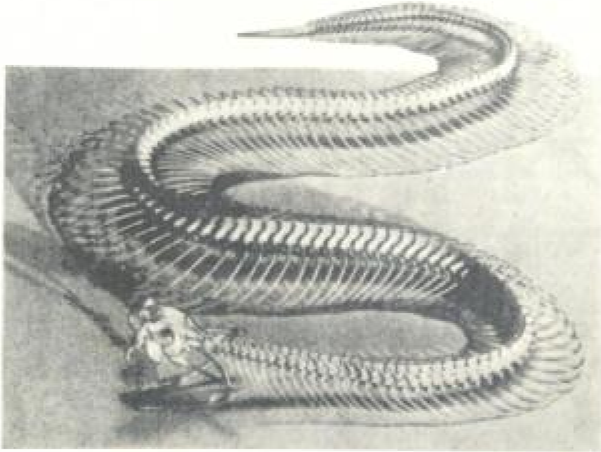
اما فقرات الظهر فكثيرة في الثعابين ، يتراوح عددها ما بين نحو ١٨٠ الى نحو ٤٠٠ فقرة ، وهذا العدد يعطي الثعابين مرونة في الظهر وتكيفا في الحركة يحتاج اليها الثعبان وهو انما يتحرك على الارض زحفا فيتلوى بطوله يمينا ويسارا ، ووضعه افقي ، او هو يصعد عن الارض بظهره ثم يزحف الى الامام بصدره . والثعابين تتلفف وتتحوى .

وحركة الثعابين تحتاج الى جانب مرونة في الظهر متانة . لهذا نجد ان الفقرات ترتبط احداها بالاخرى بروابط خاصة متينة .

جلود الثعابين

وجلود الثعابين تتألف كما في سائر الفقاريات من ثلاث طبقات ، الطبقة الداخلة وتعرف بالأدمة Dermis ، وهي طرية وسميكة وتتألف من الياف Fibres وفيها الخلايا التي تصبغ الثعابين بالوانها . وتأتي فوقها البشرة Epidermis ، وهي الطبقة الثانية . وهي التي تصنع الطبقة الرقيقة الخارجية من الجلد ، الطبقة الثالثة ، وهي طبقة قرنية متينة بالرغم من رقتها ، وهي تتركب من المادة المعروفة بالقرنين او الكراتين Keratin ، وهي مادة الاظافر والشعر في الحيوانات الثديية .

ويخرج من جلد الثعبان سفط كسفط الاسماك ، يتركب بعضه بعضا ، ويتجه طرفه الحر الى الخلف ، وهذا السفط



الهيكل العظمي للثعبان وفيه من الفقرات عدد كثير يختلف من نوع الى نوع .

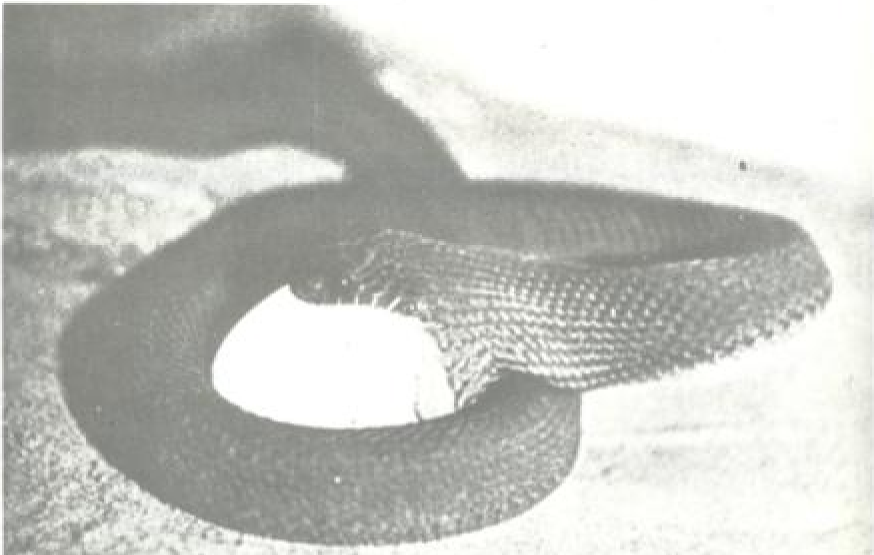
يعطى جلد الثعبان الملاسة الكافية التي بها يزحف على الارض الخشنة ، وكذلك هو يعين الثعبان عندما يسير قدما ، فاطراف السفط الحرة عندئذ تستند على التربة الجامدة فتمنع الحركة الى الوراء .

وهذا السفط من صنع البشرة . وكذلك كان الشعر والاظافر في الثدييات .

انسلاخ الثعابين من جلودها

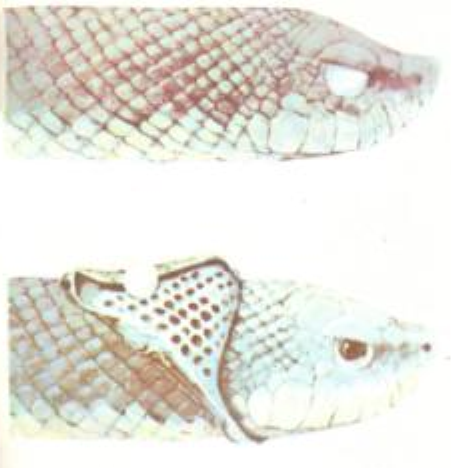
والثعابين تنسلخ من جلودها حينا بعد حين واكثرها ينسلخ ٣ أو ٤ مرات في العام . ومن اسباب ذلك أن الجلد تستهلك بسبب الزحف على سطح الارض . وعندما يحين اوان انسلاخ الجلد يعتزل الثعبان حتى يكون في مأمن . ويظهر بين البشرة والأدمة سائل زلق يعين الثعبان في خلع ثيابه القديمه ليلبس الجديد .

والثعبان يبدأ بخلع القديم من عند مقدم الفم ، فالراس ، فالجسم . وهذا الثوب المخلوع انما هو البشرة القديمة ، وتحل محلها بشرة جديدة .





فتح هذا الثعبان فمه وسعه ليبلع البيضة ، وهو من بعد ابتلاعها وكسرها ، والاحتواء على ما بها ، يطرد القشر ، قشر البيضة ، من جوفه (الصورتان)

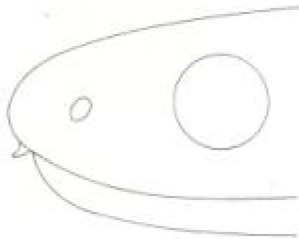


صورة للثعبان وقد بدا يخلع جلده القديم ليكشف عن جلد له حديث . وقبل الخلع يظهر بين الادمة والبشرة سائل يعطي الثعبان لونا كلون اللبن، ولهذا نرى عينيه قبل انخلاع الجلد بيضاء اللون .



ثعبانة اثناء بيضها البيض .





الثعبان وقد فقس البيضة
بسن الفقس وبدأ يخرج من
القشرة .

ثعبان من الثعابين العاصرة ، هو الثعبان الملك
King Snaake وقد اقتنص ثعبانا طعاما له .



ولا يؤثر هذا في اللون الذي يكون للثعبان ، فاصباغ هذه الالوان مقرها الادمة وهي لم تنخلع .

سرعة الثعابين

انها لاشك سريعة الحركة كما تتراءى بالارض ، ولكن الثعبان ما اسرع ما يفقد سرعته هذه ، وذلك بسبب حاجته الى الاكسجين في التنفس . فالحركة طاقة ، وهي في الثعبان كما في الانسان ، تنقص وتزيد وفقا لمقدار الاكسجين الذي يتنفسه الانسان والحيوان من الهواء .

عيون الثعابين

وللثعبان عينان كما للانسان ، ولكن مع اختلاف . وهما تختلفان حتى عن عيون العظايا ، ولعل هذا كان لاسباب تاريخية تتعلق بعادة في حفر الارض كانت لها قديما ثم تحولت عنها .

فعين الثعبان ليس لها جفون العظايا، فهي دائما مفتوحة . ولكن يغطيها غطاء شفاف دائم يحميها . وعدسة الابصار في عين الثعبان عدسة جامدة ، لايختلف شكلها ، تبعجا وانبساطا ، مع قرب الشيء الذي تقصد اليه بالرؤية او بعده . وعين الثعبان تعالج هذا بتقريب العدسة من مقدمة العين او تأخيرها لتتضح الصورة المرئية ، اي لتتمركز على شبكية العين واضحة . وهذا مثل واضح من كيف تصيب صناعة الخلق ازمة ، ثم هي تخرج منها باحلال وضع مكان آخر بدون خروج عن قواعد الخلق عامة . فالعين ، لكي ترى الشيء واضحا ، في قربه وبعده ، تعدل من عدستها ، وهي من نسيج طري ، فتتبعج او تنبسط لتمركز الصورة على الشبكية . اما وقد صار للثعبان ، بحكم التاريخ ، عدسة لاتتبعج ولاتنبسط ، فاذا لاسبيل الا تزويد العدسة هذه الجامدة بعضلات تحركها ، فتقربها من الشيء المرئي او تبعدها ، فتنال بذلك نفس الهدف الذي كانت هدفت اليه بتبعج العدسة او انبساطها .

والوضعان كلاهما لايخرج عن قوانين الضوء المعروفة في علم الفزياء .

والثعابين قصار النظر ، ولعلها تبصر صيدها بسبب تحركه ، فاذا سكن الصيد فلم يتحرك فربما فات الثعبان ان يصيده . انها سنة الخلق لاتعطى الغالب كل قوة ليُفني المغلوب . انها قوة ودفاع . ومع القوة عجز ، وفي عجز الاقوياء ابقاء على الضعفاء .

السمع عند الثعابين

ان الاذن على ما نعهد من امر الآذان تتالف من اذن خارجة ، يفصلها عن الاذن المتوسطة طبلة تعرف بطبلة الاذن . ويأتي بعد الاذن المتوسطة الاذن الداخلة. وهذه الاذن تحس الاصوات التي تأتيها عبر الهواء .

والظاهر ان تاريخ الثعابين القديم ، والمفروض انها كانت حافرة ارض ، ذهب عنها بحاسة السمع التي كانت تحس بها الاصوات وهي تأتي عبر الهواء . وهي اليوم لاتجد لها طبلة اذن ، ولا اذنا متوسطة ، فالثعابين لاتسمع الاصوات تأتي مباشرة عبر الهواء .

ولكن بقيت بالثعابين الاذن الداخلة فهي تحس الهزات والاضطرابات تأتيها من الارض عبر عظام الراس .

والاذن الداخلة تحفظ على الانسان اتزانه . وكذلك هي تفعل في الثعابين .

الشم والمذاق عند الثعابين

للثعابين انوف كبيرة ، ويظهر ان لها حاسة شم طيبة .

وللثعبان لسان ذو شعبتين ، وله في سقف الحلق فجوتان بهما بطانة من نسيج شبيه بالنسيج الحساس الذي يبطن

جدار الانف من الداخل . وتعرف الفجوتان بما لهما من نسيج حساس بعضو جاكبسن Jacobson .

واللسان بشعبتيه ، وهذا العضو الحساس الذى بسقف الحلق ، يعملان معا . فاللسان لا يفتأ يتحسس الارض والهواء ويحمل منهما اجساما دقاقا ، يحملها داخل الفم الى العضو الحساس فيقوم هذا العضو بحسها مذاقا وشما . ومن هذا الحس يعلم الثعبان الشيء الكثير مما حوله ، فلعلها فريسة نافقة بظل يتعقبها ، او لعلها ثعبانة انثى فهو ماض وراءها يطلبها .

واللسان نفسه لامذاق فيه .

الحس باللمس

والحس باللمس منتشر فى سطح جسم الثعبان رغم تغطيه بالسفط ، كانتشار الحس باللمس فى جلد الانسان .

وكذلك توجد فى جلد الثعبان اطراف حساسة تحس الحرارة .

الثعابين ونومة الشتاء

ان الثعابين من الحيوانات ذوات الدم البارد .

هكذا تقول . وانما الذى نعنيه بذلك انه ليس بها جهاز او اجهزة تعمل على ابقاء حرارة اجسامها عند نطاق معروف ، تتقلب درجة الحرارة فيه ، ولكن فى اعتدال كثير ، كما فى الانسان ، وفى الحيوانات ذات الاثداء وفى الطيور .

والثعابين تموت اذا برد الجو فوق ما يجب فانجمدت بذلك انسجتها ، او اذا احتر الجو فوق ما يجب كأن زادت درجة حرارته عن ٤٠ مئوية .

والثعابين بالطبع تهرب من كلتا الحالتين بالاتجاه الى الموضع المناسب ، لتهرب من حر ، او من صقيع برد . وهي كثيرا ما تستدفىء فى الشمس .

والثعابين فى الاقطار الباردة تلتجىء فى الشتاء الى مراقد فى بطن الارض تقضى فيها الحياة نائمة Hibernate ، وهي فى هذا النوم تهبط طاقات الحياة فيها الى ادنى حد لا يصل بها الى التلف . ويذهب الشتاء فتصحو .

التناسل فى الثعابين

الثعابين ذكر وانثى ، ولكل جهازه .

ويجتمع الذكر بالانثى للانسال .

والانثى تفرز مادة ذات رائحة يتعرف عليها الذكر فيطلب الانثى عن طريقها . ثم هو يتحبب اليها بطرق معروفة حتى يتهيأ لهما اللقاء .

وقد يتعارك الذكران حتى يفوز احدهما بالسبق فيهرب الاخر .

والانثى تبيض من بعد تلقيح ، وهي

راس الثعبان

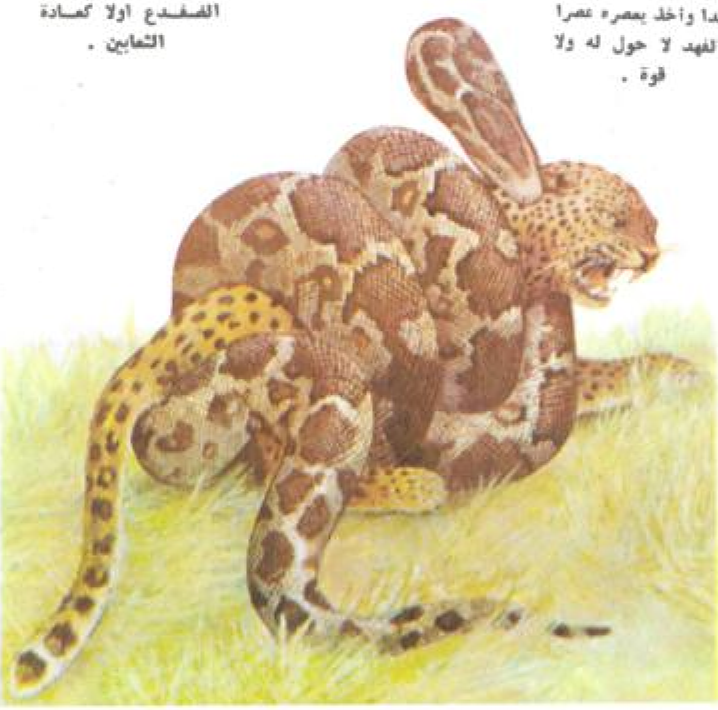


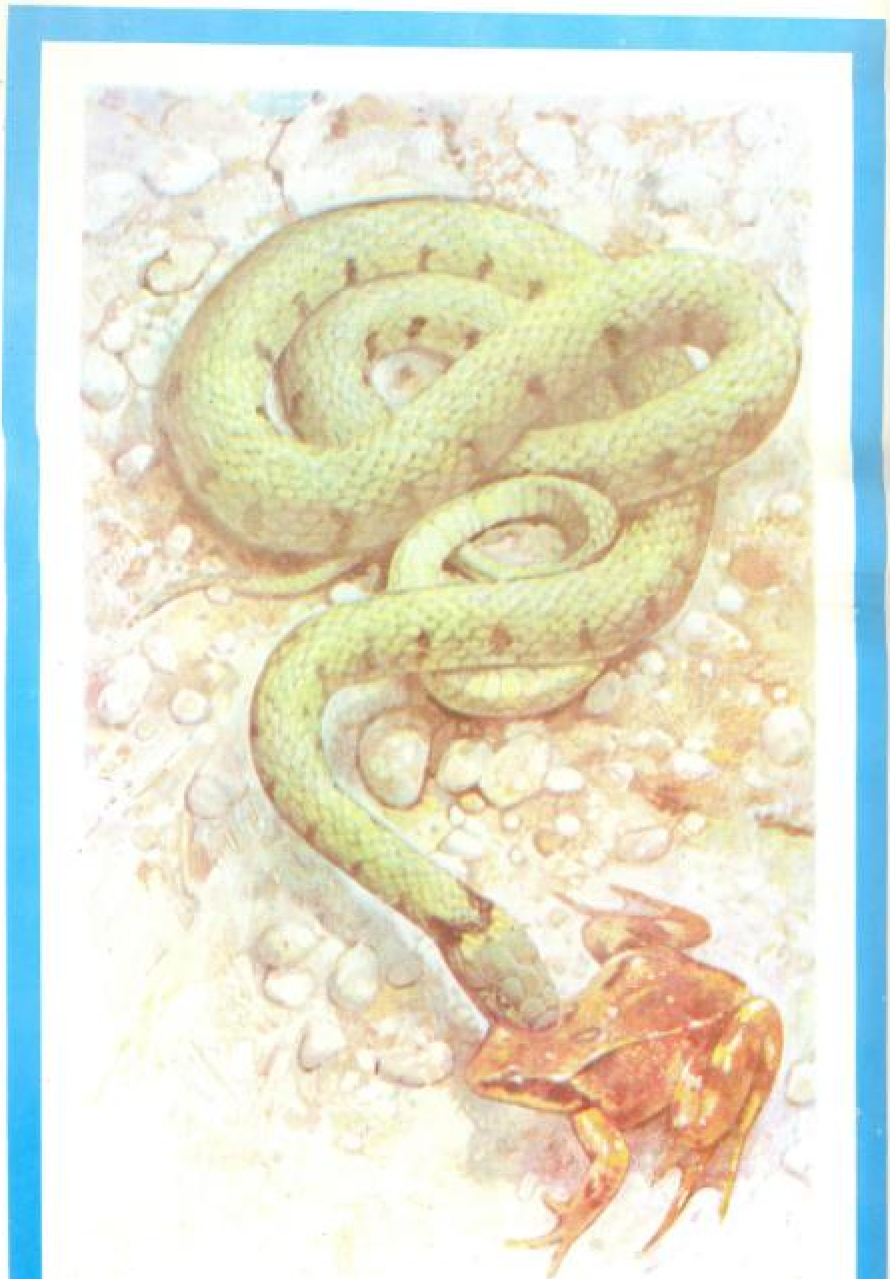


ثعبان زاهي الالوان يعرف بالحلقة
التي في رقبته Ring-Necked Snake .

ثعبان وقد التقص
ضفدعا وهو يلتقم رأس
الضفدع اولا كعادة
الثعابين .

ثعبان عاصر ، هو
بيثون هندى ، اصطاد
فهدا واخذ يعصره عصرا
والفهد لا حول له ولا
قوة .







ثعبان (كبرا)

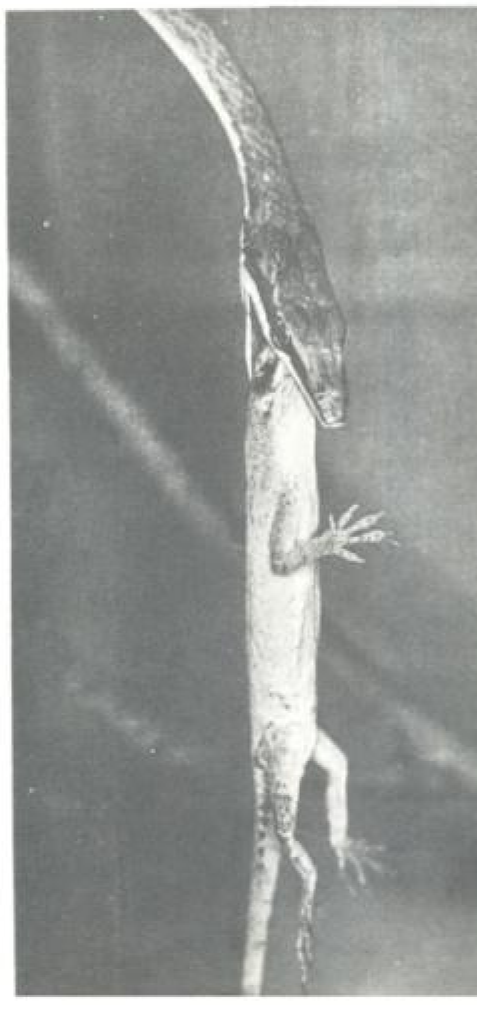
عادة تلقي بيضها الكثير (من عشر الى عشرات) في الموضع المناسب ، من حيث الدفء والامن ، ولاشيء غير ذلك . وينفقس البيض بعد استتمام الخلق ، ويخرج الثعبان من البيضة متاهلا للعيش وحده .

والثعبان يتخلق في داخل البيضة ، وله من صفار البيضة الكبير الطعام الوفير ، وقبيل خروجه من البيضة تظهر لـه في فمه سن تعرف بسن الفقس Egg Tooth ، يستخدمها في كسر قشرة البيضة ليخرج منها ، ويخرج معه من سائر البيض أخوة له عدة، يتلو بعضها بعضا . والثعبان يفقد سن الفقس من بعد فقس .

ومن الثعابين ما يخرج اولادها من جسمها ولائد ، فيفهم الناظر من ذلك انها تلد ولاتبيض . والواقع انها باضت كسائر الثعابين الانثيات، ولكنها احتفظت ببيضها داخل جسمها ، داخل قناة البيض ، حتى يكتمل الجنين خلقا ، وهو اثناء ذلك يتغذى مخ صفار البيض وما حملته البيضة من طعام ، فهو لايشرك امه الثعبانة طعامها . وعند اكتمال خلق يخرج الثعبان الجديد الى الهواء ، والى سطح الارض فكأنه مولود ، وما ولدته الأم بالمعنى المعروف ، ولكنها احتفظت بالبيضة حتى تنشق داخل جسمها .

اعمار الثعابين

من الصعب معرفة كم تعيش الثعابين من السنين في اوطانها في البراري، ولكنهم قدروا مما عرفوه من شئون الثعابين في العيش الحر ، وكذلك وهي في الاسر في حدائق الحيوانات ، ان الثعابين الكبيرة



ثعبان من الثعابين المعروفة بثعابين الكرم Vine Snakes وقد اقتنص سحلية وهو يلتقم راسها اولا ، ثم ياخذ بجرها في جوفه في هدوء وعلى مهل .



هذا نوع من الثعابين يعرف بالثعبان الملك King Snake وهو ممسك بفأر من الفئران . ان غذاءه من الفئران وسائر القرضة من الحيوانات ، وكذلك من الثعابين ومنها الثعبـــان المعروف بالثعبان ذى الجلجل .Rattlesnake

تنتظر لها اعمـار تطول الى ان تبلغ العشرين عاما ، وان الثعابين الصغرى تنتظر لها اعمار تطول الى ما بين العشرة اعوام والخمسة عشر .

انواع الثعابين

عد العلماء الى اليوم من انواع الثعابين Species آلافا .

ولكن لا بد من دراسات اخرى للتأكد من ان كل هذه الانواع تمثل انواعا يفترق بعضها عن بعض حقا. وعندما يأخذ العلماء يقسمون هذه الانواع الى فصائل يختلفون أيضا .

واخشى ما يخشاه الانسان من الثعبان سمه . وما سمه الا ريق تحول . .

ومن الثعابين ثعابين تعرف بالعاصرة Constrictors وهي اكبرها ، وهي تلتف على ضحيتها التفافا ، وتعصرها عصرا ، وهي بذلك تحبس عنها الانفاس فتختنق فتموت . ومن امثلة الثعابين الكبيرة العاصرة البيثون Python او الاصلة ويبلغ طولها ٣٠ قدما . ومنها الاناكندة Anaconda وقد يبلغ طولها قريبا من طول الاصلة ، ثم البواء Boa ، ويبلغ طولها نحو العشرين قدما .

والثعبان الكبير يصيد الصيد الكبير ، والاصلة جاز ان يكون من صيدها الجدى والغزال ، اكبر شيء .

والثعابين السامة انواع كثيرة ، منها الكبره Cobra والثعبـان ذو الجلجل Rattler ، والويبر Viper ، وهي ثعابين اصغر حجما من العاصرات .

وكثير من الثعابين غير سام . ●●

اعرف وطنك أيها العربي

جنوب السودان



احد العائدين مع افراد اسرته ، امام كوخهم الصغير .. صورة تتكرر في كل مكان تذهب اليه في جنوب السودان بعد عودة السلام الى الارض الطيبة .

بعد عامٍ من عودة السلام

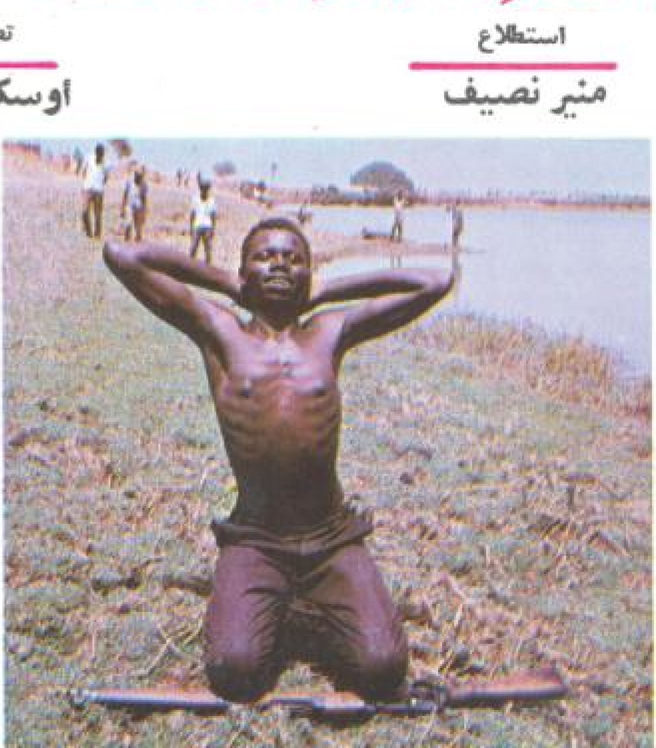
ماذا يجري على الأرض التي ارتوت بالدم والدموع ؟

استطلاع

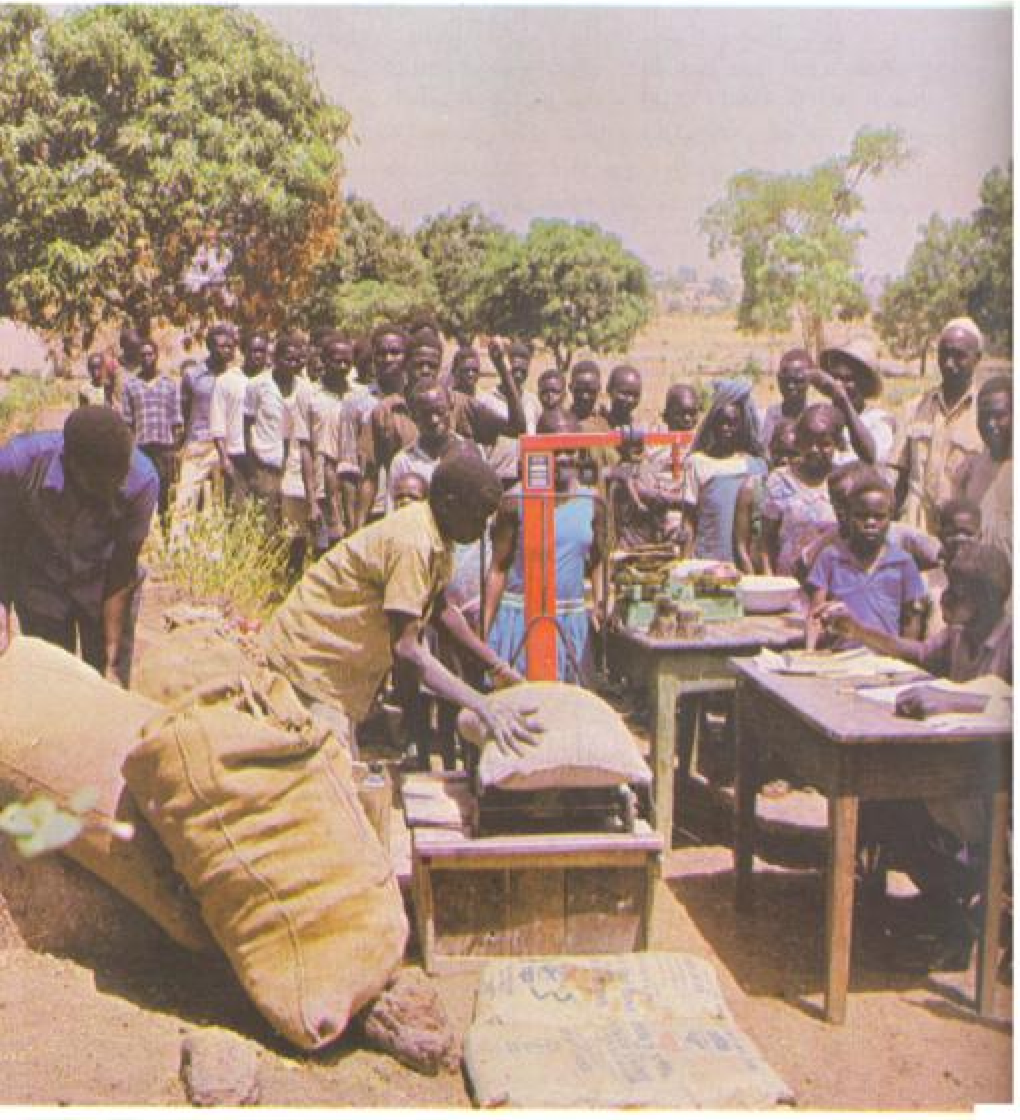
منير نصيف

تصوير :

أوسكار مترى



القى رجال الانيانيا السلاح بعد قتال طويل دام لاكثر من سبعة عشر عاما .. وخرجوا من مخابئهم في الاحراش والغابات ، ليبدأوا حياة جديدة ويبحثوا لانفسهم عن مكان تحت الشمس .



ومع عودة السلام الى الجنوب ،، برزت المشاكل .. ماذا تفعل الحكومة الاتحادية من أجل تلك الالوف من الاسر العائدة .. وكان لا بد أن توفر لهم السكن الملائم والغذاء الكافي لهم ولابنائهم .. وبدأت عمليات التوطين والغوث .. والصورة لمركز من مراكز توزيع المواد الغذائية في الجنوب ، وقد وقف الجنوبيون العائدون في طوابير طويلة ينتظرون دورهم للحصول على نصيبهم منها .. وتتم عملية توزيع الغذاء مرة كل شهر وفقا لقرارات الامم المتحدة .

■ « الانيانيا » ، اسم طالما اثار الرعب في النفوس .. انه الاسم الذى اختاره المقاتلون في جنوب السودان واطلقوه على انفسهم ، خلال حربهم ضد القوات النظامية من اجل الانفصال عن اخوانهم في الشمال. ونسال عن معنى كلمة « انيانيا » فيقولون لنا : انها تعنى « الثعبان الاسود السام » بلغة قبيلة الدنكا .. لقد انقضت سنوات طويلة ، والثعابين السوداء تعمل في الظلام؛ تقتل وتقتل . دون ان تظهر في الافق بادرة توحي باحتمال توقف هذه الحرب التي سقط فيها نصف مليون قتيل .

ولكن الارض الطيبة التي ارتوت بدماء هؤلاء الابرياء من شمال البلاد وجنوبها ، رفضت ان تتحول الى مقبرة هائلة تبتلع كل يوم المزيد من الاجساد التي مزقها الرصاص والالم . واستجابت السماء لدعاء الارض.. وعاد السلام اليها اخيراً.. ولاول مرة منذ سبعة عشر عاما من الحرب التي ظلت تدور بين ابناء البلد الواحد .. احس السودانيون بزوال هذا الشبح المخيف الذى ظل يخيم فوق ارضهم .. شبح تلك الحرب المريرة ، وما جرته عليهم من ويلات ..

لقد استنزفت الحرب دماءهم .. واستنزفت الحرب قواهم واستنزفت الحرب اخيرا كل مورد من موارد رزقهم .

ما بعد السلام ..

وانتهت الحرب الان ، وتنفس السودانيون الصعداء .. وخرج الشعب كله في شمال السودان وجنوبه ، يحتفل بذكرى مرور عام على اتفاق الوحدة او اتفاق السلام ..

وكنا هناك.. وكانت مهمة بعثة مجلة «العربي» تنحصر في نقل صورة واضحة بقدر الامكان عن الحالة في جنوب السودان ، في عواصم المديريات الجنوبية الثلاث ، وعن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في هذا الجزء من البلد العربي الشقيق الذى ظل مسرحا لتلك المؤامرة التي تضافر الاستعمار على تنفيذها منذ اول هذا القرن ، حتى اذا جاء الاستفتاء على الاستقلال عام ١٩٥٦ نشط الخلاف ، فظهر في صورة معارضة الجنوب للاتحاد مع الشمال والانفصال عنه ، واقامة دولة مستقلة تضم مديريات بحر الغزال ، واعالي النيل ، والاستوائية .

لقد كتب المؤرخ الانجليزى الشهير ارنولد توينبي يصف تلك المؤامرة قال : « ان السودان هو الساحة التي يجرى فوق ارضها اختبار حاسم .. ترى هل سيتمكن ابناء افريقيا المنحدرون من اصول عربية ، من التعايش والتعاون مع اخوانهم ابناء افريقيا المنحدرين من اصول سوداء ؟ ان قوى الغرب تريد ان تقسم افريقيا الى مناطق شمال الصحراء ، ومناطق جنوب الصحراء .. انها تريد ان تقسمهم الى عرب وزنوج .. وهي تبذل في هذا السبيل جهودا خارقة . »

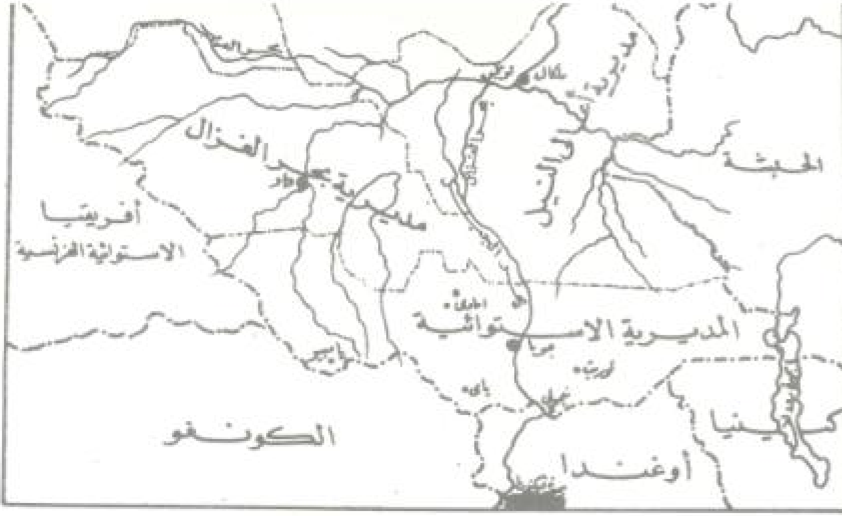
عيد الوحدة الوطنية

ولكن المؤامرة فشلت ، واستطاع ابناء السودان انفسهم حل المشكلة التي لم تكن سوى نموذج للتخطيط الاستعمارى البريطاني الذى نجح في خلق مثيلاتها من المشاكل المستعصية في اكثر الدول التى اقام فيها ثم اضطر الى الجلاء عنها ، مخلفا وراءه الصعوبات والعقبات المزمنة .

ففي اليوم الثالث من شهر مارس عام ١٩٧٢ ،

عندما يصل العائدون الى ديارهم، يقدم صندوق الاغاثة لكل رب اسرة ، مبلغا من المال لاعادة بناء مسكن له ولاسرته ، وفي الصورة مجموعة من العائدين من اهالي الجنوب ، وهم يتعاونون على بناء مساكنهم الجديدة من فروع الاشجار والخوص.





خريطة تبين مديريات جنوب السودان الثلاث .

وقعت اتفاقية السلام في اديس ابابا ، تلك التي نصت على ان يمارس الاقليم الجنوبي حكما ذاتيا في اطار السودان الموحد ، او السودان الام . واصبح يوم توقيع الاتفاق هو عيد الوحدة الوطنية.

انتهت الحرب اذن ، وبدأت المشاكل التي كان لا بد ان تترتب على عودة السلام الى الارض التي ارتوت بالدماء والدموع طوال هذه الاعوام ..

وكانت المشكلة الاولى هي مشكلة توطين العائدين او اللاجئين .. وهي من اكبر التحديات التي واجهت وما تزال تواجه العالم في التاريخ الحديث ..

قضية اللاجئين

وقد عرف العالم قضية اللاجئين ، تلك التي برزت في اعقاب الحرب العالمية الثانية في مناطق مختلفة من العالم ، وبقيت بلا حل في بعض هذه المناطق حتى اليوم .

اما في السودان ، فان الاحداث الدامية التي وقعت في السنوات السابقة للاتفاق قد اوجدت من مشكلات ، ما هو معروف الان بمشكلة العائدين .. وقد كان لزاما على الحكومة المركزية في السودان بعد ان توصل طرفا النزاع الى ما توصلوا اليه من وفاق ، ان تولي هذه المشكلة كل عنايتها ، فقد كان توطين العائدين واستيعابهم في المجتمعات التي كانوا هجروها جزءا من اتفاقية السلام نفسها.

وبناء عليه تم تكوين لجنتي الاغاثة والتوطين ، وكان لا بد لمواجهة ما سيترتب على هذا العبء الكبير من نفقات مالية واحتياجات عينية ، ان تشترك الامم المتحدة في تنفيذ هذا الالتزام ، وان يتم انشاء صندوق التوطين لتنظيم عملية تلقي وصرف المعونات التي تساهم بها الدول والهيئات والمنظمات في هذا العمل الانساني .

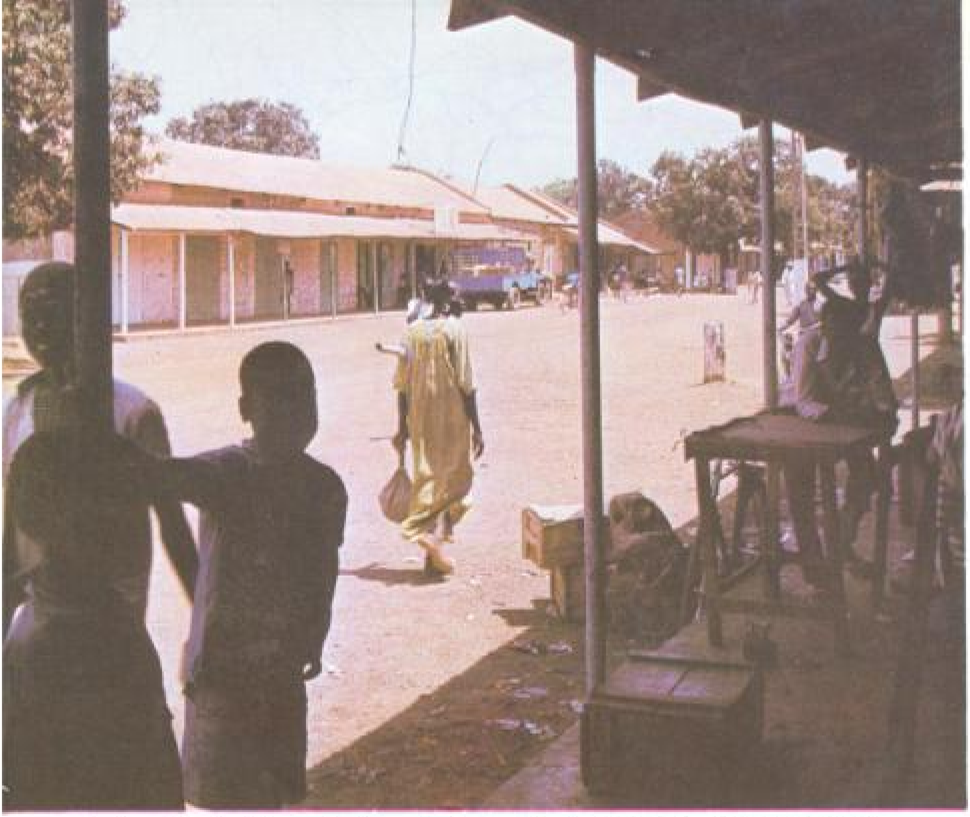
العائدون

وقصدنا للقاء الرجل الاول المسئول عن عملية التوطين واستيعاب العائدين ، السيد بيتر جات كوت Peter Jatkuoth ، المدير العام للصندوق الخاص بصرف معونات الاغاثة .

واستقبلنا الرجل في بيته ، عشية بدء رحلتنا الى الجنوب .. فقد كنا نريد ان نعرف شيئا عن ابعاد المشكلة وحجمها ..

وجلس الرجل ، وهو ابن الجنوب ، يحدثنا عن المهمة الضخمة الملقاة على عاتقه ، قال :

« لم تكد تتحدد الاهداف والاختصاصات ، حتى شرعنا في اجراء عملية مسح للوقوف على حجم المشكلة الحقيقي .. وقد تبين من المسح الاولي ان هجرة اللاجئين كانت تسير في اتجاهين .. احدهما داخلي ، اي داخل الغابات والاحراش ، او بالقرب من القرى البعيدة في المناطق الآمنة ،

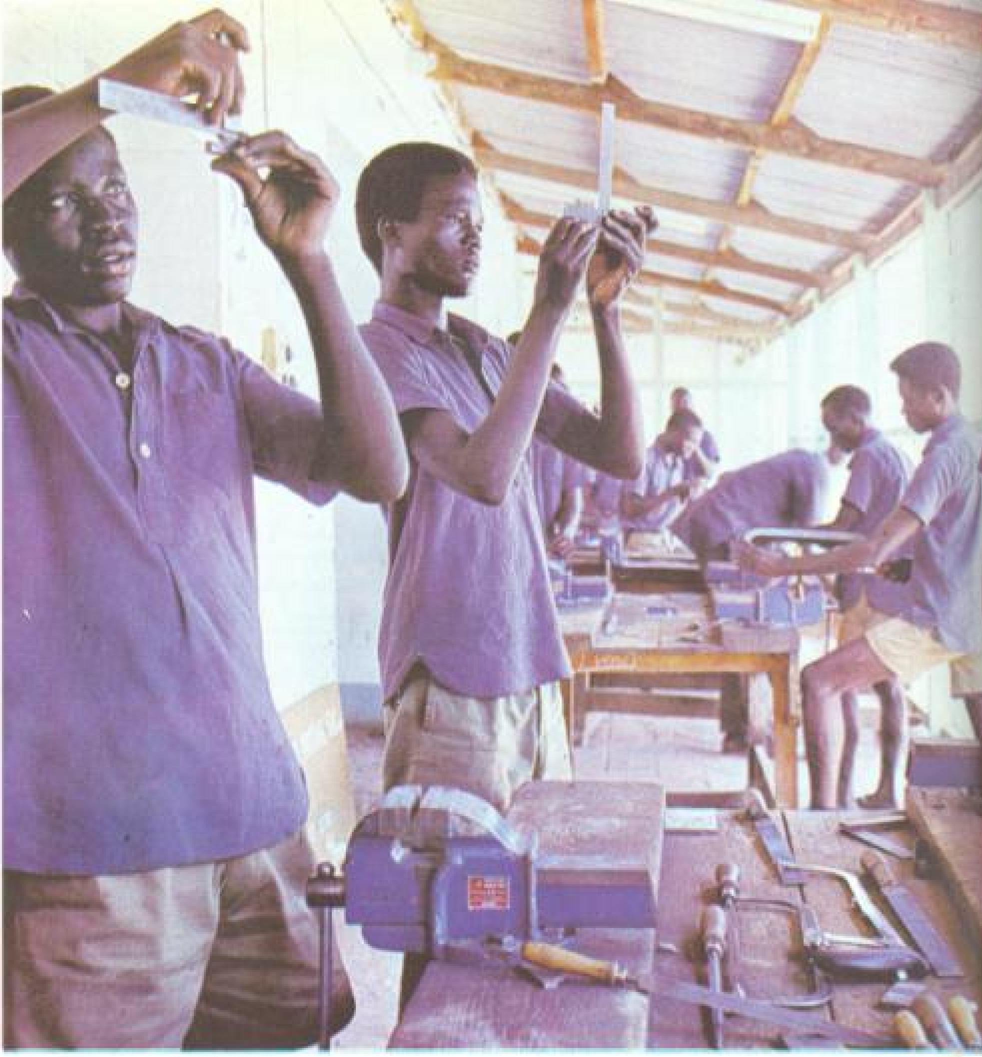


أحد الشوارع الرئيسية في مدينة واو عاصمة مديرية بحر الغزال .. لقد عاد الهدوء اليها .. وبدأت الحياة تدب فيها من جديد .

صورتان تمثلان عملية استيعاب رجال الانيانيا من قوات الشعب المسلحة ، ورجال الشرطة .. الاولى (الى اليمين) لعدد من قواد الانيانيا مع العميد أركان حرب تاج السر المقبول قائد حامية بحر الغزال.. والثانية (الى اليسار) لمجموعة من الشباب العائدين الذين أصبحوا اليوم مسئولين عن الامن في الجنوب ، وقد وقف أمامهم العريف المسئول عن تدريبهم .







في معهد مايو الصناعي يتعلم الطلبة العائدون الحرف التي تؤهلهم للعمل في مجالات الصناعة المختلفة كالخراطة والبرادة وصيانة محركات السيارات والجرارات ، حتى المباني البسيطة يتدربون على تصميمها وبنائها .





العودة من الاحراش .. عشرات السيارات تقل رجال الانيانيا الذين تركوا مخابئهم في الغابات وعادوا الى حياتهم الطبيعية مرة اخرى ، بعد اعلان اتفاقية الوحدة والسلام ..



الاكواخ الصغيرة التي يعيش ملكال .. لقد اعيد تشييد

اما الاتجاه الاخر فقد كان للخارج ، الى الدول الافريقيـة المجاورة .. الى جمهوريـة افريقيا الوسطىواثيوبيا واوغنده وزائيروكينيا وتانزانيا.

« وقد دلت الاحصائيات على ان عدد اللاجئين لا يقل بحال من الاحوال عن ثلث سكان الجنوب ، بل ربما كان يزيد عن الثلث قليلا .. فالتقديرات شبه الرسمية تقول ان تعداد سكان المديريات او المحافظات الجنوبية الثلاث ، يبلغ رقما يتراوح بين خمسة ملايين وستة ملايين نسمة ..

« اما الذين لجاوا الى الغابات والاحـراش والاماكن النائية في ارض الجنوب الواسـعة ، فقد قدر عددهم بحوالي مليوني لاجيء .. وقد فروا هربا مـن قراهـم وبيوتهم امام ضغط القوات النظامية .. وقد عاد الان هؤلاء جميعا الى حيث كانوا يعيشون بين اسرهم وعائلاتهم ، بعد توقيع اتفاقية السلام والوحدة في اديس ابابا ، تلك التي جمعت شمل هذا الشعب تحت راية الولاء للوطن الام .

« اما الذين تركوا بلادهم بالفعل ولجاوا الى الدول المجاورة ، فلم يزد عددهم على المائتي الف من الرجال والنسـاء والاطفال وقد عاد معظمهم الى مدنهم وقراهم التي هجروها ، وينتظر ان تتم عودة البقية الباقية الى ارض الوطن قبل نهاية هذا الشهر .

التوطين بعد الهجرة

قلنا نسال السيد جات كوت ، الذى تخرج في جامعة الخرطوم وحصل على درجة الماجستير في العلوم الاقتصادية من جامعة غانا : « كيف بدات عملية توطين العائدين ، وما هي التدابير التي اتخذت لتوفير احتياجاتهم من سكن وغذاء وكساء؟ »

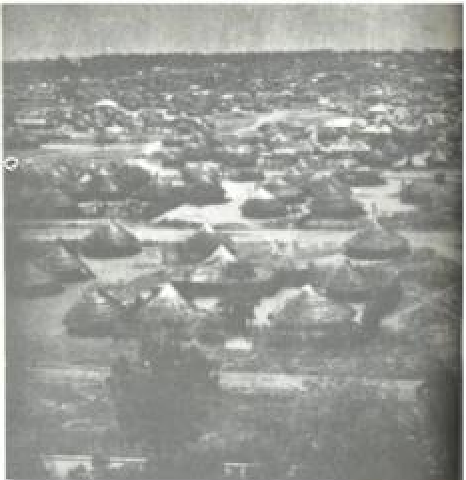
فاجاب الرجل : « لقد بدات اعادة المواطنين الى ديارهمبانشاء مراكز اسـتقبال على طول الحدود بين السـودان والدول الافريقية المجاورة ..

وظلت هذه المراكز تستقبل العائدين يوميا ، وتقوم بتسجيل اسمائهم لحصر عدد افراد كل اسرة من الاسر ، ثم يقوم الاطباء بفحصهم واجراء الكشف الطبي عليهم ، وعزل المرضى منهم .. ولم يكن يسمح للعائدين بترك مراكز الاستقبال التي زودت باماكن مؤقتة لايوائهم ، قبل مرور سبعة ايام على الاقل للتاكد من عدم اصابتهم باية امراض ، تكون اعراضها لم تظهر بعد ، ثم ينقلون بعد ذلك ، كل الى بلده ومسقط راسه .

« وعندما يصلون الى ديارهم توزع عليهم المواد الغذائيةوالملابس والاوعية المنزلية والالات الزراعية للمزارعين منهم .. ثم يقدم الصندوق بعد ذلك مبلغا من المال لكل رب اسرة ، لاعادة بناء مسكن له ولاسرته وتاثيثه باثاث بسيط » .

قلنا : «الىمتىتستمر عمليات الاغاثة للعائدين؟ »

وقال السيد بيتر جات كوت : « ان عمليات



اهالي الجنوب .. منظر عام لاحدى القرى في مديرية
ين هذه الاكواخ بعد عودة السلام وعودة المهاجرين

الغوث لايمكن ان تستمر بطبيعة الحال لاجل غير مسمى ، ان مجلس التوطين الذي اقيم في جوبا ، عاصمة المديرية الاستوائية ، والذي يشرف اشرافا مباشرا على توطين العائدين ، قد حدد فترة تقديم المساعدات للعائدين المزارعين ، بالمدة التي تحتاج اليها الارض التي يفلحها المزارع ، حتى تجود بخيرها .. هنا تتوقف عملية الغوث بعد ان يجنى الفلاح ثمرة كده وتعبه ..

« اما بالنسبة للحرفيين ، فقد صدر قانون باعادة كل صاحب حرفة الى عمله ، واحتساب مدة غيابه خارج البلاد ، اجازة بدون مرتب ، بقي هؤلاء الذين اكتسبوا خبرة خاصة في اعمال معينة ، خلال سنوات تغيبهم عن ارض الوطن ، وقد استفادت بهم الحكومة المركزية والحكومة المحلية في الجنوب .

« ان المشكلة التي تواجه القائمين على عملية التوطين الآن ، هي مشكلة الطلبة العائدين ، او الذين كان من المقرر ان يعودوا . فقد انتظم هؤلاء بالفعل في الجامعات والمدارس الثانوية والابتدائية في الدول المجاورة التي لجأ اليها ذووهم . وقد اتضح بعد دراسة وافية لموقفهم ان المناهج الدراسية في بعض الجامعات والمدارس التي يتلقون فيها العلم الآن خارج السودان ، تختلف عنها في جامعات الخرطوم ومدارس السودان في الشمال والجنوب . لذا فقد رئي ترك هؤلاء الطلبة حيث هم يدرسون الآن ، لحين الانتهاء من دراستهم ، على ان يعودوا الى السودان بعد التخرج . على انه رجع من هؤلاء العديد من الطلبة السودانيين واستطاعوا ان يلحقوا بزملائهم في الكليات والمعاهد المختلفة نظرا لوجود تشابه بين مناهج التعليم في البلاد التي كانوا لجأوا اليها ، وفي جامعات السودان ومدارسها .

وقلنا نسأل السيد بيتر جات كوت ، المدير العام لصندوق معونات الاغاثة ، او وزير مالية الصندوق ، قلنا : « هل كانت المساعدات التي تلقاها الصندوق كافية ، لتمويل عمليات التوطين والغوث والاستيعاب ؟ » .

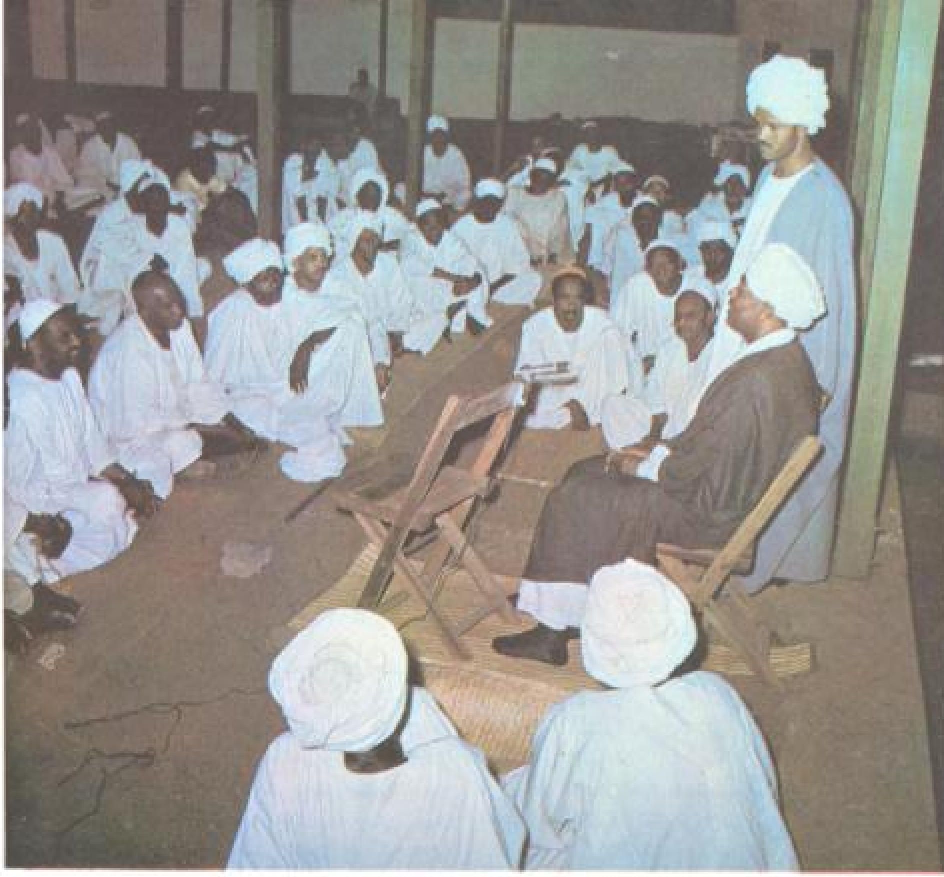
متطلبات الاغاثة

فقال الرجل : « ان متطلبات التوطين ، وما بعد التوطين كثيرة ومتشعبة ، فهناك الحاجة الى بناء المدارس والمستشفيات ، وغيرها من المرافق الحيوية الهامة ، ثم هناك ايضا النواحي السكنية والادارية ، وتوفير وسائل النقل ، وهذه المشكلة الاخيرة من اهم واخطر المشاكل التي تواجه برامج التنمية في السودان .

« ومن ناحية اخرى نجد ان عملية التوطين ، قد ابرزت الكثير من المشاكل التي ينبغي معالجتها ،

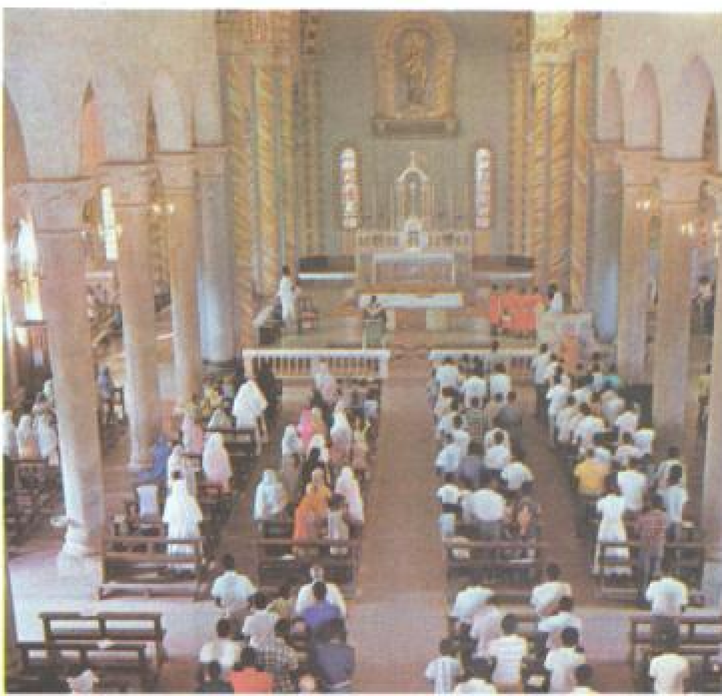
بيتر جات كوت المدير العام للصندوق الخاص بمعرف معونات الاغاثة للعائدين مع زوجته وطفليه في بيتهم بالخرطوم .. قال لنا : « ان مشكلة توطين العائدين في الجنوب واستيعابهم في المجتمعات التي كانوا قد هجروها ، هي اول المشاكل التي تلقى منا كل رعاية واهتمام في هذه المرحلة .. اننا في حاجة الى مبلغ يتراوح بين ستة ملايين وثمانية ملايين جنيه سنويا لاستكمال عمليات الاغاثة » .

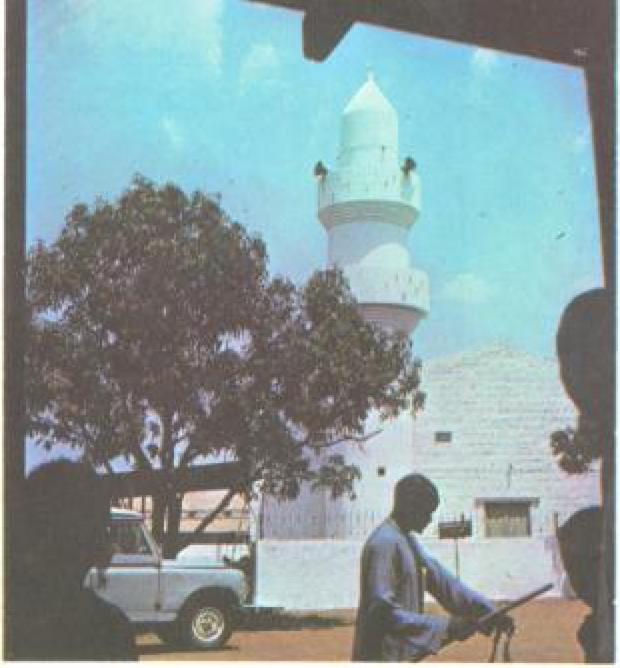




الصلاة في الكنيسة يوم الاحد .. وهناك كنائس للمسيحيين البروتستانت واخرى للكاثوليك .. ولكن اغلبية سكان الجنوب من الوثنيين الذين ينتشرون في المديريات الثلاث ..

اطفال الجنوب، جيل المستقبل، يحفظون القرآن الكريم ، وينصتون لمعلمهم الشيخ مبارك محمد احمد ، وهو يتلو عليهم بعض آياته الكريمة ، ويرددونها وراءه في خشوع .





احد المشايخ اثناء اجتماعه بمجموعة من الشماليين، وابناء الجنوب العائدين ، وهو يعظهم ويرشدهم .. **وهذه الاجتماعات** تتكرر كل يوم في مساجد مدينتي واو وملكال ، وفي واو ثلاثة مساجد ، ومثلها في ملكال .

المسجد الكبير في واو ، وهو اكبر مساجد المدينة ، وقد ظهرت امامه احدى اشجار المانجو التي تنمو بكثرة في جميع انحاء الجنوب ..



ومن بينها ذلك الاتجاه الخطير بين العائدين الى تفضيل العمل الحكومي على كل ما عداه من اعمال اخرى ، وخاصة الزراعة .

عمق التضامن بين الشعوب

« اما فيما يتعلق بالمساعدات ، فقد كشفت عملية التوطين والاغاثة عن عمق التضامن بين شعوب العالم وحكوماتها في هذه المشكلة الانسانية .. لقد تلقى الصندوق الكثير من المساعدات من الدول العربية الشقيقة ، فقدمت دولة اتحاد الامارات اكثر من مليون جنيه استرليني ، وقدمت الكويت ٢٤٢ الف جنيه استرليني ، وقدمت السعودية ٢٣١ الف جنيه استرليني، كما تبرع ابناء الجالية المصرية ببناء قرية في الجنوب .

« وفي الاجتماع الاخير لمنظمة الوحدة الافريقية الذي عقد في المغرب في شهر مايو من العام الماضي ، اتخذ المؤتمر قرارا بان تساهم الدول الاعضاء بتقديم المعونات المادية والعينية للصندوق. وقدمت سكرتيرية المؤتمر بالفعل ..٣٠ الف دولار ، كذلك بعض الدول الافريقية التي قدمت بعض المعونات من تلقاء نفسها ، حتى قبل صدور القرار ، كما ساهمت الولايات المتحدة الامريكية بمبلغ ١٩ مليون دولار عن طريق وكالة غوث اللاجئين ، وكذلك المنظمات الخيرية الخاصة في كثير من دول العالم ، فقد قدمت معونات عينية بلغت قيمتها سبعة ملايين دولار .

« ومن دول اوربا الغربية ، قدمت انجلترا مبلغ ..٢٠ الف جنيه استرليني ، وايطاليا ١٢ مليون ليرة ، وارسلت جمهورية المانيا الاتحادية كميات من القمح بلغت في مجموعها ١٢٠٠ الف طن » .

اخيرا عاد الى اسرته بعد ان كان قد اعلنها حربا على اخوانه وابناء بلده .. واجتمعت الاسرة كلها لترحب بالعائد الذي جاء مع عودة السلام الى الارض التي مزقها القتال .



مزيدا من المساعدات

ترى هل كانت هذه المساعدات كافية ؟

ويجيب بيتر جات كوت : « اذا علمتم ان الصندوق في حاجة الى مبلغ يتراوح بين ستة ملايين وثمانية ملايين جنيه سنويا ، ولمدة ثلاث سنوات على الاقل ، فسوف تدركون اننا مازلنا في حاجة الى المزيد من المساعدات لاستكمال عمليات الاغاثة ، واعادة بناء الجنوب بعد هذا القتال المرير الطويل الذي كاد يقضي على كل اثر للحياة فيه » .

وهنا كان السيد بيتر قد وصل الى نهاية حديثه معنا ، وحديثنا معه ، فودعناه شاكرين ، فقد كنا على موعد في صباح اليوم التالي ، مع الطائرة التي ستقلنا في رحلتنا الى مسرح تلك الاحداث الذي عاد اليه السلام اخيرا .. الى جنوب السودان .. الى مدينة واو ثم ملكال وجوبا ، عواصم المديريات الثلاث .

لقاء مع الارض الطيبة

وقضينا بضعة ايام بين واو وملكال .. لقد اقلتنا اليهما الطائرة التي تسير في رحلات منتظمة الى المديريات الثلاث كل اسبوع .. ومن الطائرة وهي تحلق بنا في الجو ، كان لقاؤنا الاول بالجنوب .. لقد كانت الارض تمتد من تحتنا في مساحات شاسعة يشقها نهر النيل بمياهه الحلوة وروافده العديدة التي انبسطت تحتنا فبدت على هذا البعد الشاهق ، خطوطا رفيعة تغفو تحت وهج الشمس الساخنة المشرقة .. ارض بكر لم تمسسها يد ، ولم يصل اليها انسان ..

ان النيل وروافده يشكلان الوسيلة الرئيسية للمواصلات في الجنوب، اما الطرق البرية فقد امتدت بين عواصم الجنوب واطرافه لتصبح عاملا مساعدا لوسائل النقل الاصيلة عبر مياه الانهار .. ولعل بعض الخطوط الحديدية التي اقيمت اخيرا قد ساهمت الى حد ما في ربط الشمال بالجنوب . ولو انها غير فعالة في نقل الخضر والفواكه وغيرها من المواد الغذائية ، بسبب سيرها البطيء وعدم انتظامها . الامر الذي جعل الكثيرين يفضلون وسائل النقل البرى عليها .. ولقد كان عدم توفر وسائل المواصلات الجيدة ، وانعدام اساليب



• تحسين وسائل النقل والمواصلات في السودان كله بصفة عامة ، وفي الاقليم الجنوبي بصفة خاصة ، من أهم المشاكل التي تعنى بها الدولة اليوم .. لقد قال لنا الدكتور لورانس وول وزير التخطيط :
• نحن في حاجة الى المئات من سيارات النقل الضخمة لتنفيذ مشروعات التنمية في السودان .. اما الطرق ، فهي ليست بمشكلة لان الارض عندنا مسطحة .. اننا لا نشيد الطرق ، فالسيارات تشق لنفسها الطرق فوق الارض المسطحة ..

التسويق المناسبة من بين الاسباب الاساسية التي ادت الى تاخر ظهور الاقتصاد النقدى في الجنوب لامد طويل نتيجة للمسافات الشاسعة التي تفصل المديريات الثلاث عن مراكز التسويق .

الحياة في الجنوب

كيف يعيش اهالي الجنوب اليوم ؟

ولقد كان هذا هو السؤال الذى الح علينا منذ الوهلة الاولى بعد ان حطت بنا الطائرة في هذه الارض البعيدة الشاسعة ..

والحياة في العاصمة ، اى عاصمة لايمكن ان تعطى الباحث صورة حقيقية لانماط الحياة في بقية اجزاء الاقليم الذى قامت في قلبه هذه العاصمة .. ولكنها هنا في الجنوب ، كانت تعكس صورة واضحة للحالة هنا في الاقليم كله .. بعض المباني ذات الطابق الواحد المشيدة بالطوب والاسمنت تشغلها الادارات والمصالح الحكومية ، والمدارس والمحال التجارية الصغيرة وتفصل بينها شوارع ممهدة ولكن غير مرصوفة، وهي كلها مضاءة بالكهرباء، والمياه الحلوة جارية فيها ، ومن حولها، وعلى امتداد البصر في تلك الاطراف المقفرة ، انتشرت الاكواخ الصغيرة وكلها على نمط واحد .. في هذه الاكواخ يعيش سكان الجنوب ، وبين هذه الاكواخ وفي قلب العاصمة : تسير قوافل الماشية ، الابقار والاغنام والماعز .. ثروة السودان التي اشتهر بها منذ قرون طويلة ..

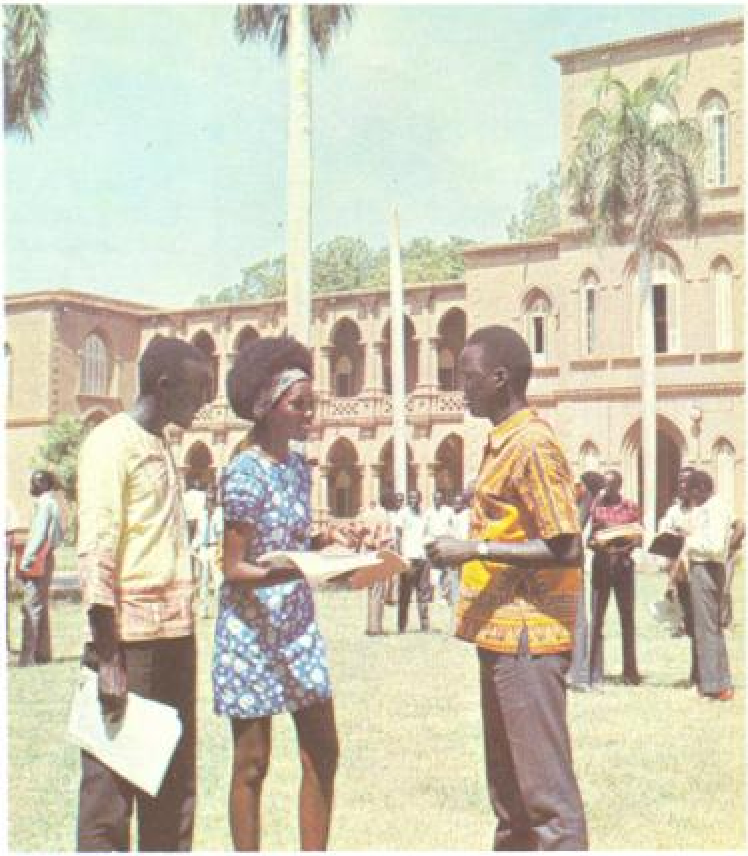
ثم ، تاتي بعد هذا منطقة الغابات والاحراش ، تلك التي لجا اليها الرجال المقاتلون « الانيانيا » ، واحتموا وراء اشجارها ، وراحوا يشنون من قلبها هجماتهم على القوات النظامية ، طوال سنى الحرب الاهلية التي هدت قواهم واستنزفت رزقهم ودماءهم ..

لغات واجناس متباينة

وفي المدن ترى الناس في ملابسهم .. وهي ليست متشابهة، ولكنها تتباين ، تباين الاجناس واللهجات التي يتحدثونها في الجنوب .. والجلابية هي الزى الوطنى للرجل ولكنها تارة بيضاء ، وتارة اخرى زرقاء .. اما المراة .. فامرها عجيب حقا .. هي في كوخها الصغير ، عارية ، او نصف عارية .. وهي في الحديقة تضع جسمها داخل ما نقلته اليها الصور والمجلات الغربية من موضات حديثة .. واحدثها اطلاقا بطبيعة الحال « الميني جيب » .. او الفستان القصير الذى يرتفع عن الركبتين كثيرا .. اما الثوب السوداني المعروف في الشمال فنادرا ما ترى امراة قد لفت جسمها به .. وان وجدتها ، فصاحبته شمالية مسلمة او جنوبية مسلمة ايضا وهن قلة ، لان نسبة المسلمين بين سكان الجنوب لاتزيد على ١٥٪ . اما بقية السكان فبعضهم من المسيحيين البروتستانت والكاثوليك الذين تاثروا بالبعثات التبشيرية المسيحية التي انتشرت في بلادهم ردحا طويلا من الزمن والاغلبية من الوثنيين الذين لم يعرفوا بعد طريقهم الى الله ..

ماذا يصنع اهل الجنوب ، وعلام يعتمدون في عيشهم ورزقهم ؟

ان الظروف الطبيعية والجغرافية في الجنوب ، تلك المنطقة الشاسعة التي تبلغ مساحتها ربع مساحة السودان كله اى حوالي ٢٥٠ الف ميل مربع ، التي تقع جنوبي خط ١٠° ، وتمتد جنوبا الى شمال بحيرة البرت في اوغندا .. هذه الظروف الطبيعية قد ادت الى ايجاد انماط متعددة لحياة السكان ، فنحن نجد من ناحية اولئك الذين يعيشون على تربية الحيوانات ، ونجد من ناحية



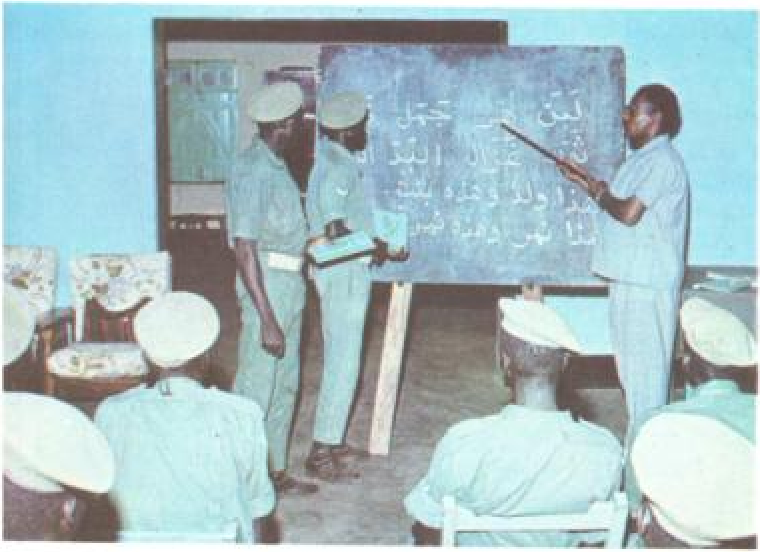
استوعبت جامعة الخرطوم حوالي مائتي طالب وطالبة من ابناء الاقليم الجنوبي الذين يتلقون العلم في كلياتها المختلفة .. وفي الصورة مجموعة منهم امام مبنى مكتبة الجامعة ..



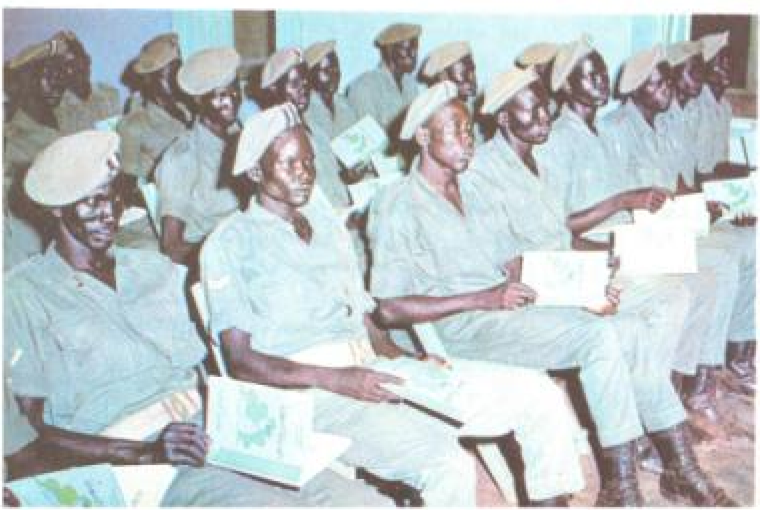
طالبات مدرسة واو الثانوية العامة للبنات وقد وقفن يستذكرن دروسهن في حديقة المدرسة ، وهن يرتدين الزي المدرسي الجديد، الذي يتألف من فستان من القماش البرتقالي اللون وطرحة تغطي الراس .



حصة لغة عربية لطالبات مدرسة واو الثانوية .. لقد أصبحت كل المواد تدرس باللغة العربية ابتداء من العام الدراسي الحالي، وكانت من قبل تدرس بالانجليزية ..



محو أمية قوات الأنيانيا الذين أصبحوا اليوم جنوداً في الجيش النظامي بالجنوب، أو بقوات الشعب المسلحة، من أهم الأهداف التي عني المسئولون بتحقيقها .. وفي الصورة الجنود يتلقون الدروس في اللغة العربية ..



ان مراكز محو الأمية تنتشر اليوم في كل مدن الإقليم وقراه، ويحرص جنود الجيش ورجال الشرطة من العاملين على حضور حصص اللغة العربية .

اخرى اولئك الذين يعيشون على الزراعة ، ولكنهم قلة ، فالسوداني في الجنوب ليس مزارعا بطبعه . والمشكلة الاولى التي تواجه القائمين على التخطيط الاقتصادي والاجتماعي في السودان اليوم ، هي كيف يغرسون في ابناء السودان في الجنوب صفات الفلاح ، وفي مقدمتها الصبر والجلد .. وسوف نعود الى الزراعة في مكان آخر من هذا الاستطلاع ..

بقيت فئة اخرى من ابناء الجنوب الذين يعتمدون في عيشهم على صيد الاسماك من النيل وروافده واقتناص الحيوان في الغابات وجمع الفاكهة البرية والنبات البري ، والمانجو والاناناس بصفة خاصة ، فهي تنمو بكثرة في الجنوب وتعطي محصولا وافرا غير مستغل الاستغلال الكامل ، ويشكل هذا النشاط ناحية تكميلية للاقتصاد في الجنوب باسره .

٥٧٢ قبيلة وعشيرة

من هم سكان الجنوب ؟

يقول محمد عمر بشير في كتابه « جنوب السودان » : « ان الجنوب يختلف عن الشمال في انه لا تسود بين قاطنيه حضارة متجانسة ، ومن الاحصاء الذي اجري في عام ١٩٥٦ وهو آخر احصاء في عام الاستقلال ، اتضح ان هناك من العشائر والقبائل ما يزيد عددها على ٥٧٢ قبيلة ، اكبرها قبيلة الدنكا التي تضم ما يزيد على المليون ويليها قبيلة النوير ، وهم مقاتلون اشداء ، ومنهم خرج معظم رجال « الانيانيا » .

ثم هناك بعد ذلك العديد من القبائل والعشائر الاخرى ، كما قدمنا ، التي قد لا يزيد عدد افراد الواحدة منها على بضع عشرات في بعض الاحيان .

« على انه قد ظهر من الاحصاء ايضا ان ٣٩٪ من سكان الجنوب قد ذكروا عند سؤالهم انهم ينحدرون من اصل عربي ، وقد تبين كذلك ان من يتكلمون العربية بمقدار ما ، يتجاوزون ٥٠٪ ، اما الباقون فيستخدمون لغات ردها الخبراء الى اللغات النيلية ، والنيلية الحامية ، والفورادية والافريقية . الا ان النيليين هم الاغلبية ، وهم يتألفون من الدنكا والنوير والشلوك ، وينتشرون في مديريتي بحر الغزال واعالي النيل .. ولكن عندما يحدث ويلتقي عدد من ابناء القبائل والعشائر المختلفة وجدناهم وقد اتخذوا من العربية لغة للتخاطب والتفاهم فيما بينهم ، رغم تباين لغاتهم ولهجاتهم .

التوعية الدينية

وفي مدينة واو عاصمة مديرية بحر الغزال ، لمسنا جانبا من الجهد الذي تبذله الحكومة الاتحادية لنشر التوعية الدينية بين العائدين والمواطنين الجنوبيين ، ولتبصيرهم بامور الدين ونظم الحياة الاجتماعية ، وبث روح التعامل بين الناس ..

ويقوم بهذه المهمة ثلاثة من رجال الدعوة التابعين لوزارة الشئون الدينية والاوقاف في الخرطوم ، وهم يعملون تحت اشراف مدير المكتب الاقليمي للوزارة في واو الشيخ بابكر علي الدغورابي .. ان مهمة هذا المكتب لا تقتصر على الاشراف على الشئون الاسلامية وحدها ، بل وعلى الشئون المسيحية ايضا .. فهناك صلات طيبة تربط بين عنصري الامة ، وما اكثر الاجتماعات واللقاءات التي تعقد بين رجال الدين المسلمين والمسيحيين من اجل تحقيق هدف الدعوة الاساسي .. انه هدف الاسلام ورسالته ، وعندهم : « انه لا مكان للوثنية .. فاما اسلام واما مسيحية » .

ومهمة رجال الدعوة مرة اخرى لا تنحصر في الحلقات الدراسية التي تعقد في المساجد وحدها ، وانما هي تمتد الى الاندية والمدارس وغيرها .. فمناهج التعليم ايضا كان لابد ان يشملها التغيير

السيد صموئيل لوباي (في الصف الاول الى اليسار) اثناء المحاضرة في كلية الحقوق بجامعة الخرطوم .. ان السيد لوباي هو وزير الحكم المحلي في الحكومة المركزية وهو من ابناء الاقليم الجنوبي وقد فوجيء بتعيينه وزيرا قبل ان يكمل دراسته الجامعية ، فرئي ان يمنح اجازة حتى يحصل على الليسانس هذا العام .





امراة جنوبية مع طفلها ، امام كوخهما الصغير الذي شيده رب الاسرة ، ثم ذهب ليفلح الأرض التي سيرزق منها هو واسرته بعد ان عادت الحياة الى الارض المهجورة .



الفلاح في ارضه بالجنوب ، انه ما زال حتى اليوم يستخدم الآلات الزراعية البدائية التي استخدمها اجداده من قديم الزمان .. والصورة لمجموعة من العائدين يفلحون الارض الطيبة .

والتبديل من اجل تاكيد عروبة الجنوب ..

التدريس بالعربية

حدثنا مدير مدرسة واو الثانوية العامة للبنات قال : « لقد كانت المناهج الدراسية حتى عام ١٩٦٩ تدرس كلها باللغة الانجليزية ، الجغرافيا والتاريخ والكيمياء والطبيعة والحساب ، كلها بالانجليزية .. وكان الطلبة والطالبات يدرسون العربية ، كما لو كانت لغة غريبة عليهم .. اما اليوم ، فقد اصبحت كل المواد تدرس بالعربية ، مع الاحتفاظ بتدريس اللغة الانجليزية، علىاساس انها اللغة الاجنبية التي يتحدثها الكثيرون من اهل الجنوب .. وهكذا اصبح تعريب المناهج الدراسية في المدارس والمعاهد هو اهم اهداف التعليم بعد توقيع اتفاقية الوحدة والسلام .

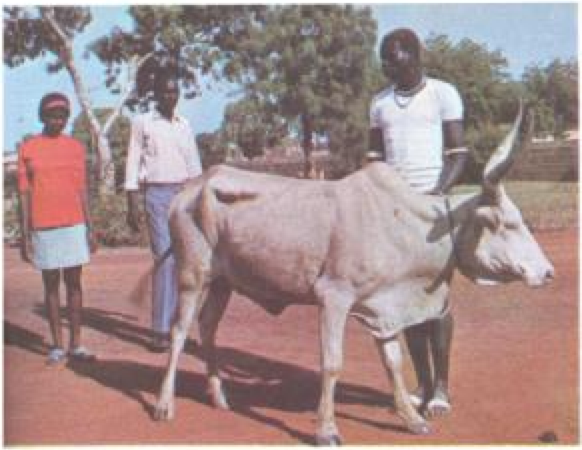
حتى في المعهد الصناعي الذى افتتحه الرئيس جعفر النميرى رئيس جمهورية السودان في مدينة واو وجدنا المناهج العملية تدرس بالعربية .. ولهذا المعهد قصة بدات على اثر قيام حكومة الثورة في السودان برئاسة النميرى ، فقد حدث ان قام الرئيس السوداني بزيارة الى المديريات الجنوبية الثلاث في شهر اغسطس من عام ١٩٦٩ ، وهناك التقى بعدد من الطلبة الجنوبيين العائدين الذين كانوا قد قرروا العودة الى ديارهم حتى قبل توقيع الاتفاقية ..

معهد مايو الصناعي

ووجد الرئيس النميرى ان الفترة التي قضاها هؤلاء الطلبة بعيدا عن الدراسة النظرية خلال سنى الحرب الاهلية قد اضعفت مناستعدادهم لاستكمال دراستهم واللحاق بزملائهم في المدارس النظامية التي تركوها وكان لابد ان يفعل الرئيس شيئا لاستيعاب هذه الكفايات المعطلة ، وكان ان قرر انشاء هذا المعهد الذى سمى بمعهد مايو الصناعي تيمنا بتاريخ قيام الثورة يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ ..

وقد اصبح اليوم يضم اكثر من مائتي طالب يدرسون مختلف انواع الحرف التي تؤهلهم للعمل في مجالات الصناعة المختلفة كالحدادة والنجارة والبناء والميكانيكا وهندسة السيارات .. ويقضي الطالب في هذا المعهد ثلاث سنوات يمارس الحرفة التي اختارها ، قبل ان يصبح عاملا حرفيا .. والتعليم في المعهد بالمجان ، حتى السكن والطعام توفرهما الدولة لابنائها بدون مقابل ..

بداية على الطريق .. وهي بداية طيبة تستحق كل تشجيع من كل عربي اينما كان وحيثما وجد . وما احوج الجنوب الى المزيد من المدارس والمعاهد العربية ، لا في العواصم والمدن فحسب ، بل وفي كل قرية من قراه البعيدة المنتشرة فوق هذه الارض الطيبة التي تحتاج اليوم الى عشراتالالوف



وجوه وأزياء وتقاليد من جنوب السودان .. **الى أعلى** شابان يرتديان الملابس الافرنجية وفتاة « بالميني جوب » .. اما الثور الذي يتوسط الصورة ، فهو بعض المهر الذي يدفعه العريس لعروسه ويتألف عادة من الابقار التي تربى بكثرة في الجنوب .. **والى اسفل** ، شاب جنوبي يضع في فمه غليونا ، وقد زين عنقه بعقد من الخرز الملون أو « السكسك » كما يسمونه ، وارتدى جلابية مخططة .. بينما وقفت فتاتان في الصورة الاخرى ، احداهما « بالميني جوب » والايشارب الذي يغطي الرأس ، والاخرى بالثوب السوداني الذي يلف الجسم ، وتلبسه المرأة المسلمة في شمال السودان .







في قلب الأسواق بعواصم الجنوب ، ينتشر الخياطون الذين يعتنون بصفة خاصة بأزياء المرأة .. فالمرأة في الجنوب تعشق الملابس الملونة والأزياء الحديثة التي تراها في الصحف والمجلات العربية ، وفي الصورة امرأة بالثوب السوداني ، أمام مجموعة من الأقمشة الملونة ، وقفت تتخير منها فساتين جديدة لبناتها .

من الايدى العاملة .. الايدى التي تفلح الارض وتزرعها وترويها بمياه النيل العذبة الحلوة .. والايدى التى تدير الالة وتصونها وتصلحها ، بعد ان ظلت ادوات الزراعة البدائية التى عرفت منذ مئات السنين هي كل ما عرفه الفلاح ، ان وجد ، فى ارض الجنوب التي تفيض بالخير الوفير ..

البناء بعد الهدم

لقد القت الايدى بالسلاح ، لتمسك بمعول البناء .. واقبل رجال « الانيانيا » الذين عاشوا فىقلب الغابة يحتمون بين اشجارها الضخمة وسط الظلام .. اقبلوا على الحياة بنفوس هدها التعب ولكنها امتلات في الوقت نفسه بالامل فىالمستقبل . ليبحثوا لانفسهم عن مكان تحت الشمس الدافئة المشرقة .. ولعل اروع مثل على هذا التحول من الحرب الى السلام . هو ان الرجال الذين كانوا يقاتلون قوات الشعب النظامية المسلحة ، قد اصبحوا هم انفسهم الآن مسئولين عن اقرار الامن والسلام فى ربوع الجنوب ..

قال لنا العميد اركان حرب تاج السر المقبول قائد حامية بحر الغزال : « لقد كانت هذهالمديرية اول المناطق فى الجنوب التي بدات فيها عملية استيعاب قوات الانيانيا .. فقد انضم الى قوات الشعب المسلحة ما يزيد على الالفين من المقاتلين من ضباط وضباط صف وجنود ، كما انضم الى قواتالشرطة حوالي ١٢٠٠.. ضابط صف وجندى.. وتم تخريج اول دفعة من قوات الانيانيا فى الجيش يوم ٢٩ يناير هذا العام ، فى حفل كبير شهدة الرئيس النميرى ، وقدم فيه رجال الانيانيا لرئيس الجمهورية وثيقة العهد والميثاق .. وثيقة العمل من اجل خير السودان ووحدته ورفاهيته .

محو الامية

ان التدريب على حمل السلاح ليس شيئا رئيسيا فى برامج تدريس الانيانيا واعدادهم للمسئولية الجديدة .. فقد حملوا السلاح طويلا ودربوا على استخدامه فى حربهم الطويلة .. ان اهم ما تحويه برامج دراستهم اليوم هو التعليم .. تعليم اللغة العربية فى مدارس محو الامية التي اقيمت داخل معسكراتهم .. ان كل رجل من رجال الانيانيا يجب ان يتعلم اليوم قراءة العربيـة وكتابتها .. وقد انتشرت مراكز محو الامية فى الجنوب كله ..



السيد ابل الير ، نائبرئيس جمهورية السودان ، ورئيس المجلس التنفيذى العالى ، للاقليم الجنوبى .

وعدنا الى الخرطوم بعد جولتنا السريعة فى واو وملكال لنستانف منها رحلتنا الى جوبا عاصمة المديرية الاستوائية . وفى نفس ليلة وصولنا الى العاصمة الام التقينا بالرجل الاول المسئول عن التخطيط فى السودان كله الدكتور لورانس وول وزير التخطيط.. وكان لقاؤنا به فىمنزله المتواضع فى الخرطوم ، فى الساعة الثامنة مساء .. واستقبلنا الوزير مرحبا .. قلنا : « علمنا انكم مسافرون الى جوبا غدا ونحن كذلك مسافرون اليها غدا .. فلعلنا نلتقي فى الطائرة ! »

قال : « ستكون فرصة تستكمل خلالها حديثنا اذا وجدتم ان هناك نقاطا تريدون لها مزيدا من الايضاح ! »

وجلس الوزير يحدثنا .. انه يتحدث الانجليزية بطلاقة ، وكذلك الفرنسية ، فهو قد تخرج فى جامعات سويسرا وفرنسا .. انه من ابناء الجنوب ومن العائدين .. ولكن قصة تركه لبلاده وعودته اليها ، تختلف كثيرا عن قصص ابناء الجنوب الذين تركوا بلادهم من اجل القتال وحده .. لقد غادر السودان فى عام ١٩٦٠ ، وفى راسه صورة واضحة لما اعتزم ان يفعله ، انه لن يحمل سلاح القتال ولكنه سيحمل سلاحا آخر ، اقوى وامضى من البندقية والمدفع .. سيحمل سلاح العلم .. سيتعلم، حتى يكون اكثر قدرة واعمق فهما وادراكا لقضية بلاده .. ومضى يكمل علومه حتى حصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد .. من جامعة بوردو بفرنسا ، ثم عاد ، وكان واحدا من زعماء الجنوب الذين وقعوا اتفاقية السلام فى اديس ابابا .

اقتصاد متكامل

قلنا : « هل تحدثنا عن الاسس التى سيقوم عليها التخطيط فى السودان . وكيف ستخططون لاقتصاد البلاد فى المستقبل القريب والبعيد ؟ »

قال الوزير : « ان اول اهدافنا هو الجمع بين اقتصاد الشمال والجنوب ، بحيث يصبح اقتصاد كل اقليم منهما مكملا لاقتصاد الاقليم الاخر .. ان بعض الاخوة في الجنوب يقولون بانه لا سبيل لتحقيق الوحدة الحقيقية بين الشمال والجنوب الا عن طريق ازالة ما يوجد حاليا من هوةاقتصادية سحيقة بين الاقليمين ، فهم يرون ان الجنوب متخلف عن الاقليم الشمالي اقتصاديا واجتماعيا، تخلفا كبيرا .

« وانا ارد على هذا الراى ، بان اقول ، انه اذا كان المقصود بازالة هذه الهوة التي يتحدثون عنها ان يبلغ الاقليم الجنوبي مستوى الاقليم الشمالي ، فهذا يعني ان نجمد الاوضاع في الشمال حتى يلحق به الجنوب . وهو امر غير معقول ، والا كانت الدول المتقدمة قد اوقفت تقدمها وتطورها ، حتى يزول مابينها وبين الدول النامية من حواجز ، وتستطيع هذه الاخيرة ان تلحق بها ..

« ولكن المعقول ان نعطي الاقليم الجنوبي كل ما يحتاج اليه من مساعدات ، توفر له فرص التقدم الاقتصادي والاجتماعي .. تماما كما يجب ان تفعل الدول المتقدمة مع الدول النامية عن طريق مدها بالخبرة والمال . »

بلد زراعي بلا زراعة

وقال الدكتور لورانس : « ان اهم ما نعتني به في المرحلة القريبة القادمة بعد اقرار السلام هو الزراعة .. فالسودان بلد زراعي بلا زراعة .. ان الزراعة هي كل ما يشغل بال الحكومة الآن .. يكفي ان تعلموا ان هنالك ما يزيد على الخمسين مليون فدان صالحة للزراعة في السودان كله ، في الوقت الذى لا تزيد فيه مساحة الارض المستثمرة على مليونين فقط من الافدنة ، الجزء الاكبر منها في ارض الجزيرة الواقعة بين النيلين الابيض والازرق والباقى في مناطق متناثرة فى الشمال .

« ان مشروع ارض الجزيرة يعتبر نموذجا للسياسة الزراعية التي سوف تسير عليها الحكومة الاتحادية في السودان مستقبلا .. فالحكومة في الجزيرة الآن تملك جزءا من الارض المزروعة ، بينما يملك الاهالى الجزء الاكبر منها .. ولكنهم يزرعونها وفقا لمخطط زراعى معين يفى باحتياجات البلاد ولا يجوز لاحد من ملاك هذه الارض ان يبيعها لغيره، او ان يزرعها طبقا لغير السياسة الموضوعة.

« وهذا هو بالضبط ما تنوى الحكومة تنفيذه في الاراضي الصالحة للزراعة في الجنوب والشمال على السواء ، وفي كل المناطق التى تشكل الزراعة فيها انتاجا رئيسيا ..

الثروة الحيوانية

ومضى الدكتور لورانس يقول : « والحديث عن الزراعة ، لا بد وان يجرنا الى الحديث عن الثروة الحيوانية التي يشتهر بها السودان .. وهذه ايضا لا بد ان نعتني بها ونعمل على تنميتها .. ولكن هنالك عدة عقبات تعترضنا لكن نضاعف من حجم تصدير اللحوم . فنحن في حاجة الى سلخانات ، ونحن في حاجة الى ثلاجات لنقل اللحوم ، ونحن في حاجة اخيرا الى تحسين وسائل النقل والمواصلات .. وهذه كلها تكاد تكون معدومة الآن » .

دعوة الى الدول الغنية

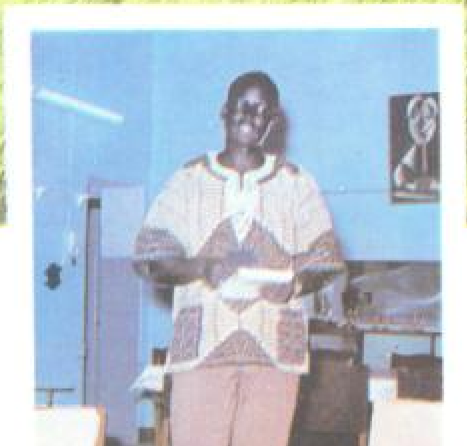
واختتم الدكتور لورانس حديثه معنا بقوله :

« نحن لا نريد ان نتجه الى الصناعة الثقيلة في هذه المرحلة الحالية ، فالزراعة وتنمية الثروة الحيوانية ومضاعفة امكانيات تصديرها هي شغلنا الشاغل ، وانه ليسرني ان اوجه الدعوة الى جميع الدول الغنية ، للمجيء الى السودان واستثمار اموالها في المشروعات الوطنية والاقليمية ، بحيث

مجموعة من الاطفال اليتامى في احد الملاجىء التي انشأتها الدولة لايوائهم وتعليمهم في الجنوب.. انها احدى مآسي الحرب الطويلة المريرة التي راح ضحيتها الالوف من ابناء السودان .

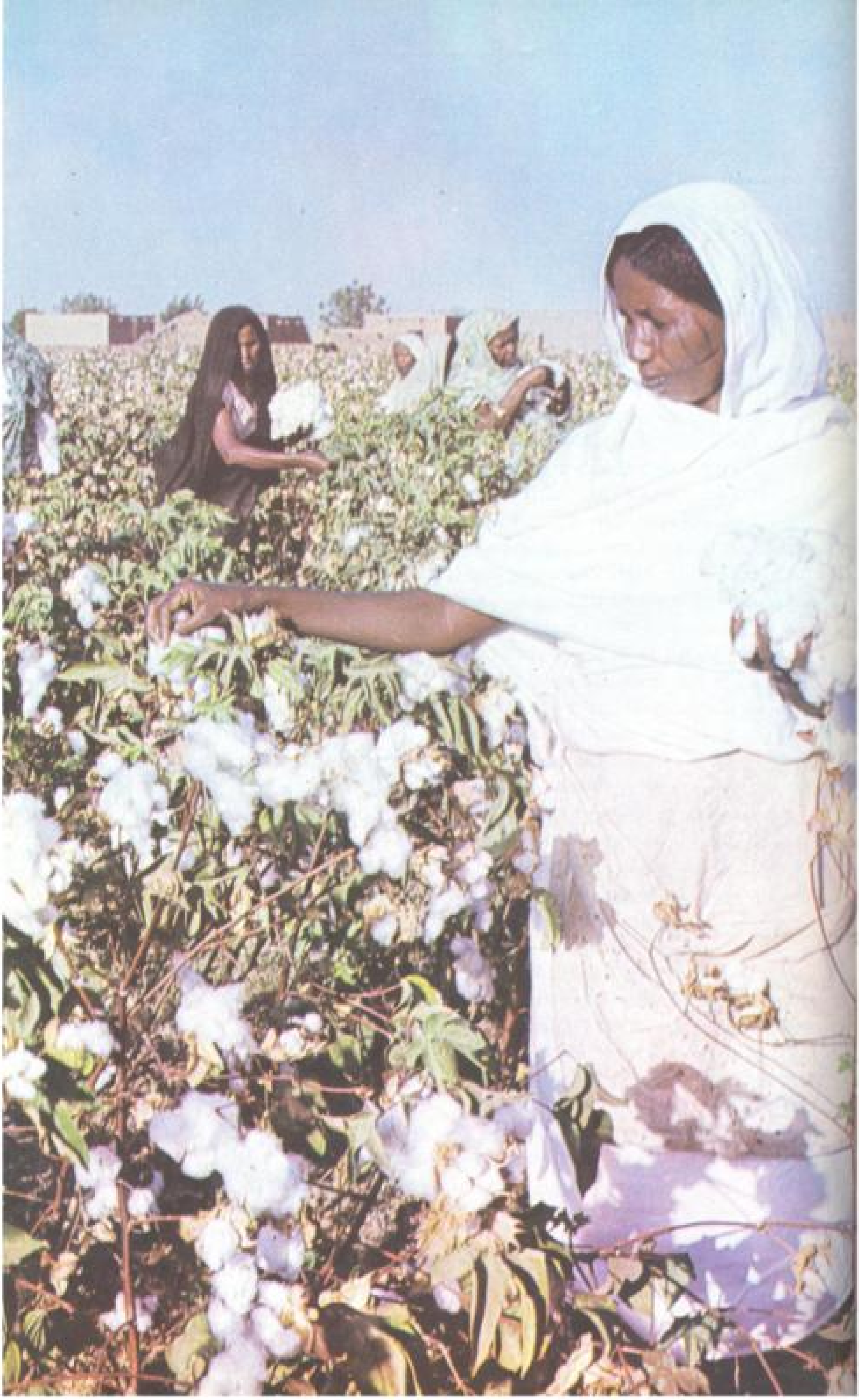






الدكتور لورانس وول وزير التخطيط **(الى اليمين)** قال لنا : ان يحدث في ارض الجزيرة سيكون نموذجا لما سيتبع في التخطيط الزراعي في السودان كله .. وقصدنا الى الجزيرة ، لنقدم هذه الصور الثلاث لمزارع القمح **(فوق)** ، وحقول القطن الذي أصبح مصدرا من مصادر الثروة القومية في السودان ثم للارض التي دخلتها الآله، فاستصلحتها وقد وقف المهندس الزراعي محمد المبارك حسن ، يفحص تربة الارض الطيبة مع بعض معاونيه من المزارعين..







تكثر الابقار في الجنوب ، وهي تشكل ثروة حيوانية هائلة ، وقد قدر عدد الابقار في الاقليم الجنوبي وحده بأكثر من ستة ملايين بقرة .. وهم لا يشربون لبنها ويأكلون لحمها فحسب ، بل انهم يقدمونها مهرا للعروس في الزواج ، ومهر الفتاة عند افراد قبيلة الدنكا يتراوح بين خمسين ومائة وخمسين بقرة ..

تقدم الحكومة الضمانات الكفيلة بحماية رؤوس الاموال المستثمرة » . وهي دعوة موجهة أيضا الى رؤوس الاموال الخاصة .

وتركنا الوزير وفي الصباح قصدنا الى ارض الجزيرة او ارض المشروع الرائد الذي يعتبر نموذجا للسياسة الزراعية التي سوف تسير عليها الحكومة المركزية في السودان كله .. نقضي فيه نهار ذلك اليوم قبل سفرنا الى جوبا .

في ارض الجزيرة

ماذا يحدث هناك ؟ ومتى بدأت الزراعة في هذه المنطقة وكيف استطاع القائمون على المشروع ان يسهموا في خلق جيل زراعي ؟

قال لنا المهندس الزراعي محمد المبارك حسن ، مدير القسم الاوسط بمشروع الجزيرة ، الذي تطوع مشكورا بمرافقتنا في جولة سريعة بين مزارع القطن والقمح والذرة والفول السوداني والخضراوات .. قال : « لقد بدأ المشروع في عام ١٩١١ بزراعة القطن في منطقة طيبة » بالقرب من مدينة واد مدني عاصمة محافظة الجزيرة .. التي تبعد عن الخرطوم بحوالي ١٨٠ كيلومترا ولم تكن مساحة الارض المتزرعة في بداية المشروع تزيد على ٧٠٠ فدان ونجحت التجربة واصبحت مساحة الارض التي تزرع قطنا اليوم تزيد على ٦٠٠ ألف فدان ، وأصبح القطن يشكل مصدرا اساسيا من مصادر الثروة القومية في السودان . لقد بلغ المحصول هذا العام اكثر من ثلاثة ملايين قنطار .. وما حدث للقطن ، حدث لبقية المحصولات الاخرى على فترات متفاوتة، حتى اصبحت مساحة رقعة الارض المتزرعة في الجزيرة تزيد اليوم على مليون وربع مليون فدان » .

ومضى المهندس المسئول يقول : « ان الفضل في هذا النجاح يرجع الى المزايا الضخمة التي وفرتها الدولة للفلاح من اجل خلق جيل زراعي بين الاهالي .. فالعائد من زراعة القطن مثلا يقسم بين الشركاء الثلاثة .. والشركاء هنا هم الفلاحون الذين يحصلون على ٤٨٪ من ثمن القطن ، والحكومة ، وتحصل على ٥٠٪ واخيرا ادارة مشروع الجزيرة ونصيبها لا يتجاوز ٢٪ .

هذا بالنسبة للقطن فقط ، باعتباره احد الاعمدة التي يرتكز عليها الاقتصاد السوداني .. اما بقية المحصولات كالذرة والفول السوداني والقمح والخضراوات والعلف وغيرها فكلها ملك للفلاح ، وهو المستفيد الوحيد من العائد لهذه المحصولات .

« ان الدولة تقدم بالمجان للفلاح في الجزيرة ، البذر والتقاوي والمخصبات ، ومياه الري ، وكل ما يحتاج اليه ، حتى السلالات الجديدة من الحيوانات نبيعها له مقابل ثمن رمزي لا يذكر .. وهي كما ترون افضل مزايا يتمتع بها اي فلاح في اي بلد في العالم .

فالسودان بلد زراعي مائة في المائة حيث تتوفر فيه الارض ومياه النيل العذبة ، وبالرغم من هذا فان هناك مساحات هائلة من الاراضي التي لم تستصلح ولم تمتد اليها يد حتى اليوم » .

العودة الى الخرطوم

وعدنا الى الخرطوم مرة اخرى .. وحزمنا حقائبنا استعدادا للسفر الى جوبا عاصمة المديرية الاستوائية ، وآخر مرحلة في زيارتنا للجنوب .. وكانت جوبا قد تحولت الى مهرجان كبير اشترك فيه ابناء السودان كله ، شماله وجنوبه للاعراب عن فرحتهم بعيد السلام وعيد الوحدة .. ولكننا لم نسافر ، ولم نستطع ان نسجل فرحة الشعب بعيده ، ولم نستطع ان نستكمل الصورة ، فقد حالت دون ذلك الحوائل، بسبب احداث عمت اخبارها العالم .. ان اليوم كان يوم ٢ مارس سنة ١٩٧٣ . ■■

منير نصيف



طبيب الأسرة

يجيب عليها نخبة من الاطباء

عدم ظهور شعر اللحية في الشاب ، قد يصاحبه ضمور في الخصية

● انا شاب في الثامنة عشرة من عمرى ولكن حتى الآن لم ينبت الشعر في لحيتي او شاربي ، فهل هناك اسباب لذلك . وماذا افعل حتى تنمو لحيتي ؟

ــ من الصفات الثانوية المميزة للجنس ان كان ذكرا ام انثى هو نمو الشعر بغزارة فى الرجل على اجزاء معينة فى الجسم ، هذا الشعر ينمو مع البلوغ فى الابطين وعلى الوجه (اللحية والشارب) وعلى الصدر وعلى البطن وفوق العانة ، ويعتمد نمو الشعر فى كلا الجنسين فى هذه المواضع على هرمون الذكورة تستستيرون (Testisterone) .. ولقلة هذا الهرمون فى الانثى كان نمو هذا الشعر او ظهوره بقلة فى هذه المواضع عند الانثى ، فى حين وجد بالملاحظة ان شعر الراس يسقط بكثرة عندما تزداد كمية التستستيرون ، وينمو بغزارة ويكون لامعا واملس عندما يكون هذا الهرمون قليلا ، كما هو الحال عند الانثى او الخصيان فيقل لذلك الهرمون المذكور. من هنا يتضح انه لا بد من التأكد من ان هرمونات الجسم فى حالة طبيعية وكذلك الاعضاء التناسلية ، عندما يتأخر ظهور الشعر او عدم نموه عند البالغين ، فان وجد ان هناك نقصا فى هذا الهرمون، او مرضا الم بالخصيتين فضمرتا ، كان من الواجب اعطاء الهرمون ليعوض الجسم عما فقده لانه لو اعطى الهرمون والجسم لا يحتاج اليه زاد عن الحد واثر على الغدة الأم (الغدة النخامية) ، وسبب بالتالي نقصا فى افرازها الطبيعي لهذا الهرمون وغيره من الهرمونات ، واذا استمر ذلك لوقت طويل ضعفت الغدة واصبحت لا تقوى على امداد الجسم بالهرمونات اللازمة ، وبالتالي لا بد من اعطاء هذه الهرمونات الى ما لا نهاية ، لذا كان التحذير من اعطاء الهرمونات عندما ما يكون الجسم ليس فى حاجة اليها .

واذا وجد عند الاشخاص الذين لا ينمو شعر لحيتهم مثلا ضمور فى الخصية وباقى المميزات الجنسية موجودة كنمو الشعر فى المواضع الاخرى ، والصوت الاجش وغيرها من مميزات الرجولة ــ فان ذلك يكون راجعا لعوامل وراثية فى الجسم . وفى هذه الحالة لا يحتاج الشخص الى اى علاج ، وربما اعتدلت الهرمونات بعد الزواج وصار كل شىء على حالته الطبيعية .

السير أثناء النوم له علاج ناجح

● انا اعاني من مرض السير اثناء النوم . فهل هناك علاج لذلك ؟

ـ النوم عملية فسيولوجية لازمة للجسم ـ وتختلف المدة التي يقضيها الانسان في النوم من فرد الى فرد وكذلك تختلف بالنسبة للسن ، فالمولود ينام معظم الليل والنهار ، وكلما تقدمت به السن قل نومه ، ويحتاج البالغ الى حوالي ثماني ساعات للنوم تقريبا .

وهناك نظريات عدة وضعت لتفسير فسيولوجية وطبيعة النوم ـ ولكنها تتقابل كلها عند نقطة هامة وهو ان هناك اعصابا تغذي مركز النوم والاستيقاظ الذي يقع في منطقة المخ تسمى Hypo thalamus (تحت السرير البصري) ، والاضطرابات التي تحدث في هذه المنطقة اثناء النوم ، او النوم لفترات قصيرة تسبب اما زيادة مدة النوم او الاستيقاظ اثناء النوم ، او النوم لفترات قصيرة اثناء تناول الطعام مثلا ، او اثناء قيادة السيارة ، كلها اضطرابات تصيب مركز النوم والاستيقاظ Sleepingw aking Centre.

والاستيقاظ اثناء النوم مرض ، وتحدث هذه الحالة عادة في صغار السن ـ فبعد النوم يقوم المريض من فراشه ويمشي في غرفته وربما اشعل نور الغرفة او يقوم باعمال يتعودها وتكون العينان مفتوحتين ويتحاشى المصاب الاصطدام بالاشياء التي يعرفها ـ ولكنه ربما استيقظ وانتبه برؤية اشياء لم يتعودها ، واذا تحدث اليه انسان لم يجب ، ولكن اذا قيل له عد الى سريرك مثلا عاد اليه ، وفي بعض الحالات يعاد المريض الى سريره وفي الصباح لا يتذكر المريض ما حدث منه اثناء الليل .

وفي بعض الحالات يصحب هذا القيام من النوم التكلم بصوت عال ، وفي بعض الحالات تكون مصحوبة بالام مزعجة (Night Terrors) وفي حالات اخرى تكون هذه الحالة مصحوبة بنوبات صرعية يفقد المريض فيها وعيه ، وتعتريه نوبات تشنجات عصبية ، هذه الحالة ربما استمرت بعض الوقت ولكنها تتحسن تدريجيا ، ويحتاج المريض للعلاج باقراص البربتيوريت Barbituate ويأخذ اذا كان صغير السن حوالي عشر سنوات مثلا ١/٢ قمحة (٣٠ ملجم) من اللومينال في الصباح ، ١/٢ قمحة في المساء على ان تزاد هذه الكمية اذا لم يستجب المريض للعلاج ـ ويستحسن ان يعمل له تخطيط مخ للتاكد من تشخيص المرض مع عمل اشعة على الراس ولا بد ان يبقى المريض كما قلت تحت ملاحظة الطبيب لزيادة كمية الدواء او الاقلال منه عند التحسن حتى يشفى المريض .



حرقة البول لها أسباب عديدة

● ما هى اسباب وعلاج حرقــان البول واصفراره الزائد .

ــ قــد يتسبب هــذا الحرقان عــن الانسداد فى مجرى البول كضيق فى الحالب او قناة مجرى البول ، او الالتهابات التى تصيب الاعضاء القريبة من المثانة كالبروستاتا والقولون وعنق الرحم والمبيض وغيرها ، فيذهب الميكروب الى المثانة فيلتهب جدارها ويتقلص ويصحب ذلك آلام وحرقــة فى البول مع ازدياد فى عدد مرات التبــول وتكون كمية البول فى كل مرة قليلة بل ربما لا تتعدى نقاطا بسيطة وبزرع مثل هذا البول نجد الميكروبات المسببة . وباعطاء المريض العلاج بالمضادات الحيوية الخاصة يمكن التغلب على الحرقــة والالتهاب كما يجب ان يعالج الانسداد اذا كان موجوداً والا عاد الالتهاب بعد تحسن الحالة ، وشرب السوائل بكميات كبيرة يساعد على التغلب على حرقةالبول مع اعطاء الادوية التى تغيرمن تفاعل البول كسترات البوتاسيوم وغيرها .

والحرقةفى البول لها اسباب عدة منها وجود كميات من املاح الاكسلات او املاح حامض البوليك والتي يتسبب عنها تهيج فى الفشاء المخاطي للحالب والمثانة مما يتسبب عنه الحرقة ، بل وفى بعض الاحيان المغص الكلوى . والملاحظ فى هذه الحالات خلو البول من الميكروبات مع وجود عدد كبير من الكرات الدموية الحمراء والعلاج فى مثل هذه الحالــة هو الاكثار من الســوائل وتقليل كميه الاطعمة التي تحتوى على هذه الاملاح مثل الطماطم والسبانخ والفراولة . وفى حالة الاكسلات واللحوم بانواعها المختلفة، وفى حالات املاح حامض البوليك، وتكون حرقة البول عندما يصاب المريض بالتهاب بواسطة الميكروبات التي تصيب الجهاز البولى . ويكثر ذلك فى الحوامل وفى مرض البول السكرى .

الضغط على أعصاب اليدين يسبب خدر الاصابع

● انا سيدة فى الخامسة والعشرين حامل فى شهرى السابع . واشكو من خدر مصحوب بالم فى اطراف اصابعى فما السبب والعلاج ؟

ــ من الاسباب التي يشعر المريض معها بخدر فى اطــراف الاصابع باليدين حتى الرسغين وفى بعض الاحيان ينتشر الالم الـى الكوعين وفى بعضها ينتشـر الى الكتفين ، الضغـط على اعصــاب اليدين اثناء مــرورها تحت الاربطة الموجــودة امــام الرســغين وهــومــا يسمى (Coopal Tunel Syndrome) وذلك لضيق هذا الممر الذى تمر فيه هذه الاعصاب عند هؤلاء الناس وتزداد حدة الالم عند الحمل فى الســيدات ، وذلك لاحتراق الماء داخل الجسم ولتورم الاغشية حول العصب الذى يمر مــن تحت هذه الاربطـة . ويحس المصاب بخــدر وتنمــل فى الابهام والاصبعين المجاورين للابهــام ، ويزداد الالم عند القيــام بعمل يدوى كالغســيل مثــلا ، ويزداد عند النوم ، وربما يستيقظ المريض من نومه ويحاول ان يضع ذراعه فى الوضع المريح . وبدفع اليد الى الوراء يزداد الالم .

وتتحسن هذه الحالة بوضع جبيرة حول اليدين والرسغين فى الوضع المريح اثناء النوم ، مع اعطاء مدرات للبول والامتناع عن اكل الملح بكثرة ، والملاحظ ان كل هذه الاعراض تزول بعد الوضع لتعود فى الحمل الذى يليه . واذا لــم تختف الاعراض واستمرت بعد الوضع او زادت كانت العمليــة هي الســبيل الوحيد ، وهي ان تقطع الاحزمةالضاغطة على العصب حتى يزداد اتساع الممر الذى يمر فيه العصب .

■■



بيرل بك

صاحبة كتاب الأرض الطيبة

■ في الامس القريب جاءت الاخبار بوفاة الكاتبة الامريكية الصينية العالمية الكبيرة « بيرل بك » وذلك بعد بلوغها عامها الثمانين . وقد وقفنا عند هذا طويلا . وما اثارته صحف العالم من ذكريات هذه المرأة الغريبة . التي عاشت من حياتها فوق الاربعين عاما ، بجلد اصفر ، وعاشتها جميعها بقلم اصفر .

بيرل بك
صاحبة كتاب « الارض الطيبة »

« .. وهكذا نشأت في عالم مزدوج . عالم والدى الامريكيين الصغير . وعالمي الصيني الكبير . ولم يكن هناك اى رابط بينهما . فعندما اكون في عالم الصين اصبح صينية اتكلم اللغة الصينية وآكل واتصرف كالصينيين أقاسمهم افكارهم وشعورهم .. وعندما اكون في العالم الامريكي الصغير اغلق الباب دون عالمي الكبير .. » !!

بهذه الكلمات وصفت الكاتبة الامريكية بيرل بك Pearl Buck ، نشأتها في الصين مع والديها في مدينة « تشنكيانج » حيث كان والدها يعمل مبشرا هناك . وقد ولدت بيرل في ٢٦ يونيو عام ١٨٩٢ في بلدة هلسبورو Hillsboro ، في ولاية فرجينيا الغربية ، وسميت بيرل كومفرت سيدنستريكر Sydenstriker . ولم تقض بيرل سوى ثلاثة شهور من عمرها في مسقط رأسها انتقلت بعدها الى الصين حيث قضت طفولتها وشبابها . ثم عادت الى امريكا للالتحاق بالجامعة حيث حصلت على ليسانس الاداب من كلية راندولف ماكون للبنات عام ١٩١٤ . وعملت بيرل مدرسة للفلسفة في نفس الكلية لمدة سنة واحدة عادت بعدها الى الصين لاصابة امها بالمرض . وفي عام ١٩١٧ تزوجت من شاب امريكى متخصص في الزراعة ، وكان مبعوثا في الصين ، اسمه « جون لوسنج بك » ، وعادت بعد ذلك الى الصين .

وقد اثمر زواجهما بنتا واحدة ولكنها كانت مصابة بالقصور العقلى .. وعاشت عمرها بعد ذلك في احدى المؤسسات المخصصة للاطفال المعوقين .

وفي عام ١٩٢٥ عملت بيرل كمحاضرة في الادب الانجليزى بجامعة نانكنج .

وفي عام ١٩٢٦ عادت بيرل بك الى الولايات المتحدة حيث حصلت على درجة الماجستير من جامعة كورنل .

وفاة والدتها .. وبداية الشهرة

وعادت بعد ذلك الى الصين .

وفي عام ١٩٢٧ توفيت والدتها بعد مرض طويل ، وتصف بيرل وفاة امها قائلة : .. « ولو انها كانت متيقظة لاجبرت نفسي ان اذهب وألقى آخر نظرة لها واسمع كلماتها الاخيرة .. ولكنها



بيرل بك .. وسط اطفال كوريا .. لقد قضت عمرها تعمل من اجل ايجاد مأوى للاطفال الذين لا عائل لهم

كانت في حالة غيبوبة ... ووقفت انطلع من النافذة الى الارض المنبسطة امامي وعيناى مغرورقتان بالدموع . وكانت لحظات طويلة مؤلمة . وتمنيت ان اذهب اليها ولكن لم استطع .. »

وقد كان لوفاة والدتها اثر كبير على حياتها فبعدها مباشرة بدات الكتابة فعلا. وتقول بيرل عن هذا الامر :

« وعندما عدت الى مدينة نانكن والى بيتي الجديد هناك ، كنت في مسيس الحاجة لابقاء والدتي حية وهكذا بدات اكتب عنها ، قلت لنفسي ان ذلك من اجل اطفالي فيجب ان تكون لديهم صورة عنها ماداموا اصغر من ان يتذكروا صورتها ايام كانت حية .. ولم ادر ان هذه الصورة التي صنعتها بعناية من ذاكرتي ستكون اول كتاب لي ، تتلوه كتب ، ولم افكر فيها ككتاب الا بعد سنوات .. فعندما انتهيت من كتابتها وضعتها في صندوق واغلقته وحفظته بعناية بعيدا عن متناول الايدى » .

وبقي كتابها عن امها بلا نشر حتى عام ١٩٣٦ عندما احتاجت لبعض المال وفكرت في والدتها وكيف كانت ستساعدها لو انها بقيت على قيد الحياة . وهنا خطرت لها فكرة نشر الكتاب الذى كتبته عنها .. وهكذا وفي عام ١٩٣٦ ظهر كتابها « المنفى » « The Exile » ، وكان سابع كتاب ينشر لها ، وان كان في الحقيقة اول كتاب كتبته .

الارض الطيبة وبداية الشهرة

« والارض الطيبة » « The good Earth » ، هي اشهر قصص بيرل بك. وهي تقترن دائما باسم « بك » لدرجة ان الكثيرين يعتقدون انها قد نالت جائزة نوبل للآداب عن هذه القصة ، والحقيقة انها نالت الجائزة عن هذه الرواية وغيرها من الروايات الاخرى التي كانت قد كتبتها حتى فوزها بالجائزة عام ١٩٣٨ ، وقد قامت بيرل بنشر « الارض الطيبة » في عام ١٩٣١ .

وتقول الكاتبة عن قصة تاليف روايتها هذه في مقدمة لطبعة مختصرة للارض الطيبة صدرت في عام ١٩٤٩ : « منذ عشرين عاما او حوالي ذلك ، وفي صباح يوم من ايام شهر فبراير في مدينة نانكنج ، عاصمة الصين في ذلك الوقت ، صعدت درجات السلم الى الحجرة العليا وبدات اؤلف كتابا . ولم يكن هناك شيء مرسوم او مخطط امامي ، لا الوقت ولا المكان ، ولا الكتاب ... وعندما جلست للكتابة . جلست في سهولة ويسر ، ممتلئة باحاسيس عميقة ، احاسيس لاتمنحها الروح الا لحياة دارت بعمق وادراك بين شعوب عدة . وبدا لي لاول مرة في حياتي انه من المحتم ان تتجه افكارى الى الشعب ، الى

الذين يعيشون على الارض ، فاستعرضت ذكرياتي منذ الطفولة الى البلوغ فبدت امامي صور هؤلاء الناس التي غطت صور الاخرين لبساطة اصحابها وطيبتهم وطبيعتهم الخيرة . ورأيت « وانج لانج » « واولان » واطفالهما وبيتهم الريفي وكفاحهم ليعيشوا ويتمتعوا بالحياة ... كانوا هم الذين يتركون ارضهم ومنازلهم ويهيمون في الارض القاحلة بحثا عن الطعام الى ان يعودوا الى ارضهم دائما .. »

وفي عام ١٩٣٢ فازت « الارض الطيبة » بجائزة بوليتزر كأحسن قصة .

وفي نوفمبر ١٩٣٥ فازت الرواية بميدالية دين هولز الذهبية التي تمنح كل خمس سنوات كاعتراف وتقدير من الاكاديمية الامريكية للفنون والآداب لاحسن قصة امريكية تنشر خلال خمس سنوات .

وقد تجاوز توزيع الارض الطيبةفي امريكا وحدها المليون نسخة . وتمت ترجمتها الى مايزيد عن عشرين لغة .

العودة الى الوطن

في عام ١٩٣٤ ساءت حالة ابنتها المريضة والموجودة في احد المستشفيات بالولايات المتحدة . وقررت « بيرل بك » ان تعود الى امريكا وخاصة ان الخلاف بينها وبين زوجها بشأن ابنتهما وغير ذلك من الامور قد اصبح مستحكما .

وعادت بيرل الى امريكا نهائيا بعد ان قامت بجولةفي الهند الصينية وسيام والهند واندونسيا. ولكنها لم تكن يائسة لفشلها في الزواج بعد سبعة عشر عاما .. وفي هذا تقول « صحيح ان نصف عمري قد انقضى ولكن النصف الأحسن والاطول لايزال باقيا لي ، حيث ان النصف الاول ضاع منه جزء كبير في الطفولة . وانا الان شخص ناضج معافى مليء بالحيوية مدرك لكل منظر وصوت وتجربة جديدة . ولاسبب لدى لأقلق على نفسي فقد كنت دائما قادرة على عمل ما اريد ان اعمله وهذا يعني التحرر من النفس . اى التحرر من خوف الفشل ، والتحرر من الغرور ايضا » .

بيرل بك والطلاق

وفي عام ١٩٣٥ حصلت بيرل بك على الطلاق من زوجها الاول ، ولكنها ظلت بعد ذلك تكتب تحت اسم « بك » وذلك بالرغم من زواجها من ريتشارد والش « R. Walsh » الناشر الذى يقوم بنشر كتبها .

وقد كتبت « بك » عن رأيها في الطلاق تقول : « .. لقد تغيرت الان النظرة الى الطلاق واتجه علم النفس الحديث الى ادراك انه من المحال ان نصر على ان يبقى اثنان معا جسمانيا في حين اصبح من المستحيل وجود اى ترابط عقلي او عاطفي بينهما . والواقع انه لايوجد قانون يستطيع ان يجبر المخلوق التعس ان يبقى في هذا السجن الذى هو اشد فظاعة من القضبان الحديدية والابواب المغلقة . وآمل ان لاتكون انانية مني الان ان اقول ، بعد التفكير الطويل ، اني اعتقد ان طلاقا واحدا يجب ان يكون مقبولا اجتماعيا واخلاقيا كاعتراف بخطأ ، ربما كان خطأ شباب ، ولكن الطلاق الثاني يجب ان يكون اكثر صعوبة ، اما الطلاق الثالث فيجب ان يؤخذ كدليل على فقدان الجدية وبرهان على ان ذلك الفرد يجب الا يتزوج مطلقا ما دام قد ظهر واضحا انه أو هي، غير قادر على أن يسعد في الزواج .. ونحن ندرك ان الحب لايمكن أن يفرض ، وفي المرأة الحساسة، الذكية ذات القلب الحالم ، لاينفصل الجسد عن العقل والقلب ، فالثلاثة شيء واحد » .

الحب للطفل كاشعة الشمس لازم لنمو الروح والعقل والجسد

وقد اشتهرت « بيرل بك » بحبها للاطفال . فخصصت الكثير من وقتها في ادارة مؤسسات للتبني . وظلت على نشاطها هذا بالرغم من تدهور صحتها في الايام الاخيرة . وكان آخر عمل قامت به من هذا النوع هو افتتاحها مؤسسة للتبني في سيول عاصمة كوريا الجنوبية في عام ١٩٦٨ .. وبالرغم من ان بيرل لم ترزق سوى ابنة واحدة الا انها قامت بتبني ٩ اطفال . تقول بيرل ان البيت الذى لا اطفال فيه لايمكن ان يكون بيتا .

وهي تؤمن من اعماقها ان كل المخلوقات تستحق طفولة سعيدة لان هذا حق من حقوقها ، ولانه ضرورة للنضج الطبيعي . والاحساس الاول ، في رأى « بك » ، للسعادة هو الحب . وهي ترى ان الحب هو كاشعة الشمس فاذا لم توجد شمس توقفت الروح وبدأ العقل والجسم في التوقف عن النمو . والحب الحقيقي مفروض ان يمنحه الوالدان للاطفال .

التفرقة العنصرية شر كبير

لقد قاست الكاتبة الامريكية من التفرقة العنصرية في طفولتها . فقد كانت تسمع وهي طفلة صغيرة ، الاطفال الصينيين الذين لايعرفونها وهم يدعونها « الشيطان الاجنبي » لانها شقراء وهم صفر البشرة . كما كانوا يطلقون على عينيها الزرقاوين « عيون الحيوان المفترس » وكان هذا يجرح شعورها لان معناه ان الصينيين يعتبرون جنسها شريرا .

وتعرضت في كثير من الاحيان لهجوم من الصينيين في الشوارع اثناء الثورة ، لا لشيء سوى انها اجنبية . وقد احست « بيرل بك » بقلبها ينفطر عندما عادت من الصين الى امريكا واختلطت بالزنوج وعلمت منهم مدى ما يتعرضون له من معاملة سيئة من جانب البيض .. لقد كانت تعلم ان الرجل الابيض لايزال يكون اقلية في العالم ، لان اغلبية شعوب العالم غير بيضاء وفي هذا تقول « بك » : « .. لا ادري ماذا فعلت او ماذا قلت ، ولكني وجدت نفسي وسط مجموعة من البيض وغير البيض تجمعوا حولي غرباء عني بالرغم من انهم امريكيون مثلي ، وافرغت امامهم كل ما في قلبي . ولا ادري ماذا قلت ولكني حاولت ان اقول لهم اننا نحن الامريكيين مالم ننفذ شعارنا عن الحرية ومالم نزاول مبادىء المساواة الانسانية العظيمة التي قامت عليها امتنا ، فانه سياتي علينا يوم سيكون علينا فيه ان نقاسي ونتحمل وزر خطايا الرجل الابيض في كل مكان من العالم . وسيكون علينا ان نتحمل عقوبة آسيا للرجل الابيض . ولذا علينا ان نثبت لآسيا اختلافنا عن هؤلاء البيض ونبين لهم باعمالنا تجاه مواطنينا من الزنوج اننا جميعا سواء . واننا جميعا في امريكا مواطنون لامة عظيمة واعضاء لجسم واحد .. »

وظلت « بك » طول حياتها تدعو بحماسة للمساواة بين البيض والملونين . لا في امريكا وحدها ولكن في العالم اجمع . وقد تعرضت بسبب ذلك لحرب النقاد عليها .

دنيواتي العديدة

وفي عام ١٩٥٤ اصدرت « بيرل بك » كتابها « دنيواتي العديدة » ، «My several worlds» وهو سيرة ذاتية كاملة لحياتها الشخصية . وتصف الكاتبة في هذا الكتاب البلدان التي قضت فيها سنوات عديدة من حياتها باسلوب ممتع ، واكبر جزء من الكتاب عن الصين والحياة فيها . كما تعرضت فيه الى الحديث عن بقية الشعوب التي زارتها مثل الهند واليابان وكوريا وفتنام .

وتذكر « بيرل » في كتابها الكثير عن طفولتها .. وتحلل شعورها عندما كانت تقرا كتب التاريخ فتجد اختلافا كبيرا بين ما يكتبه المؤرخون البريطانيون مثلا ، وما يكتبه المؤرخون الصينيون .. وتقول عن هذا الشعور الذى انتابها .. « .. ونتيجة لهذا عرفت مبكرا انه ليس هناك حقيقة . مطلقة في شئون البشر ، بل هناك حقيقة كما يراها الناس فقط » .

وتتذكر بيرل استاذها الصيني الذى علمها اللغة الصينية ، وكان اسمه « كنج « Kung » ومن اتباع كونفوشيوس . تقول عنه .. « وكان اهم درس علمني اياه انه اذا كان الانسان سعيدا فانه لايجبان يشمخ براسه فوق رؤوس الاخرين ، ان من يرفع راسه فوق رؤوس الآخرين سيطاح به ، عاجلا او آجلا » .

واخيرا جاءت النهاية

واخيرا وفي شهر مارس من هذا العام ماتت « بيرل بك » عن عمر يناهز الواحدة والثمانين .. ماتت الاديبة الكبيرة .. والانسانة صاحبة النفس الرقيقة التي نذرت حياتها لقضية الانسانية ممثلة في اطفالها الذين تبنتهم ، وفي مؤسسات التبني التي ساعدت في انشائها، وفي دور الضيافة للعناية بالمحرومين من الامومة واولئك الذين حرمهم القدر من قدراتهم العقلية الطبيعية .. لقد اصاب القدر ابنتها الوحيدة بالقصور العقلي ، ولكنها تغلبت على احزانها وبذلت كل ما تستطيع من اجل الاطفال المعوقين الاخرين.. وكانهم كلهم ابناؤها .

ماتت « بيرل بك » اول اديبة امريكية تنال جائزة نوبل .. وتركت وراءها ٦٦ كتابا كان آخرها كتاب بعنوان « الصين اليوم والامس China yesterday and today » وتركت ايضا ذكريات حميدة لن تموت ابدا ..

(م . ط)

أنباء الطب والعلم والاختراع

جامعات امريكا تعاني من ازمة مالية حادة ٥١ بليـون دولار نفقـات التعليم الجامـعي في عام ١٩٨٠

● التعليـم الجامعـي في الولايـات المتحدة الامريكية يمر بازمة مالية حادة . وهناك تنبؤات تقول ان تكاليف التعليم الجامعي في امريكا سترتفع الى ٥١ بليون دولار في عام ١٩٨٠ . وذلك بناء على ان الزيادة المنتظرة في عـدد طلبة الجامعات ستصل الى ٥٠٪ من عدد الطلبة الجامعيين الان ، بالاضافـة الى ان تكاليف الطالب الواحد تزيد بنسبة ٣ر٤٪ سنويا .

وقد بدأ علماء التربية في امريكا دراسة هذه المشكلة المالية الجديدة التي تواجه جامعاتهم . ومن بين اللجان التي الفت لدراسة الموضوع قامت لجنـة كارنيجي للدراسات العليا في جامعة بركلي بتقديم تقرير مفصل عن الحلول التي يجب على الجامعات في امريكا الاخذ بها لمواجهة هذه الازمة .

ويقول التقرير ان المسـاعـدات قـد تتكفل بسد ٦٠٪ من مصاريف التعليم الجامعي ويبقى ٤٠٪ من هـذا العبء المالي، وهذا النقص لن يمكن للمصروفات الجامعية التي يدفعها الطلبة ان تغطيه . . ولذلك فالواجب الان هو ضغط تكاليف الجامعـات باتخـاذ خطـوات ايجابيـة وفعـالة .

ولخص التقرير الخطوات التي يجب اتخاذها في النقط الاتية :

* يجب على الجامعات تخفيض عدد سنوات الدراسة فيها . فهناك الكثير من البرامج التي يمكن الاسراع في تدريسها ويمكن تحقيق ذلك بالتخلص من الطلبة الذين يلتحقون بالجامعات لمجرد ارضاء عائلاتهم ، ودون رغبة حقيقية من جانبهم لتلقي العلم . وبتخفيض عدد سنوات الدراسة يمكن توفير ١٠٪ من تكاليف الجامعات .

* وتقترح اللجنة التوقف عن خلق مجالات جديدة لشهادات الدكتوراه في فروع غير موجودة حاليا ، الا في حالات استثنائية، وايضا تركيز تحضير شهادات الدكتوراه في معاهد عليا محدودة . ويمكن ايضا دمج عدة جامعات في بعضها ، او خلق نوع من التعاون بين هذه الجامعات .

* على الجامعات الابقاء على حجمها الحالي من حيث سعتها الطلابية ، مع العمل على توسيع التعليم الجامعي عن طريق جامعات الهواء (١) .

* في الامكان تغيير نسب الاساتذة الى عـدد الطلبة دون المسـاس بنوعية التدريس . وكذلك اعادة النظر في عدد

---

(١) انظر العربي العدد ١٥٥ بتاريخ اكتوبر ١٩٧١ .



الجامعات في أمريكا بدات تعاني من ازمة مالية حادة بسبب زيادة عدد الطلبة

ساعات التدريس التي يقوم بها اساتذة الجامعات ، وخصوصا ان هناك بعض الجامعات التي تتطلب من مدرسيها ١٨ ساعة محاضرات فى الاسبوع ، فى حين ان البعض الاخر يتطلب ٦ ساعات محاضرات فى الاسبوع .

❋ وتحذر اللجنة من التوفير فى مصروفات المكتبات وشراء الكتب والنشرات العلمية ، او التوفير فى المساعدات التي تقدم للطلبة غير القادرين على سداد المصروفات الجامعية ويكون سجلهم الجامعي مشرفا .

❋ وتقول اللجنة فى نهاية تقريرها ان الجامعات الان تمر بازمة يمكنها الخروج منها باتخاذ اجراءات حاسمة سريعة تستطيع ان توفر بها ٢٠٪ من مصروفاتها . وان على الجامعات ان تبدأ العمل الآن دون انتظار لتدخل اية جهة من الجهات .

الهجرة من الريف الى المدن اسبابها .. ونتائجها ..

● منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية هاجر اكثر من الف مليون شخص من الريف الى المدن او من بلد الى بلد آخر فى العالم كله ، ولكن النسبة الكبرى بين المهاجرين تتمثل فى هؤلاء الاشخاص الذين يتركون الريف ليعيشوا بصفة مستمرة فى المدن الكبرى . ويتنبأ تقرير نشرته هيئة النمو السكاني ومستقبل امريكا مؤخرا ، ان ٨٥٪ من سكان امريكا فى عام ٢٠٠٠ سيكونون من سكان المدن الكبرى .

ومع نمو حركة التصنيع فى بلاد العالم المختلفة فان ظاهرة الهجرة من الريف الى المدن ستتكرر وستستمر .

ودراسة نتائج ظاهرة الهجرة الى المدن تتطلب ابحاثا مستفيضة تشمل احوال الناس قبل وبعد الهجرة . وقد اصبحت مثل هذه الدراسات صعبة جدا فى الولايات المتحدة الامريكية بسبب سرعة تنقل السكان بين الولايات الامريكية ، ففى عام ١٩٦٧ مثلا قام ١٠٨ مليون امريكى بـ ٣٦٠ مليون رحلة قطعوا فيها ٣١٢ بليون ميل .

وفى نفس هذا العام قام ٣٦٫٦ مليون امريكى بتغيير اماكن اقامتهم الدائمة .

وقد وجد الدارسون حالة فريدة فى مقاطعة مونتنجرو Mont: egro بيوغوسلافيا تجعل دراسة احوال الناس قبل وبعد الهجرة الى المدينة ممكنة . وقد بدات قصة الهجرة من الريف الى المدينة هناك

في بداية عام ١٩٦٤ عندما تحولت مدينة بيرينا ، والتي كانت في الماضي مجرد بلدة صغيرة ، الى مدينة صناعية كبيرة وتغير اسمها الى ايفان جراد Ivan Grad .

وقامت الحكومة بنقل عدد كبير من الفلاحين من قراهم المحيطة بالمدينةللعمل في مصنع الورق ، ومصانع لب الخشب ، ومصنع الجلود ، ومنجم الفحم ، وكلها تم انشاؤها وافتتاحها في ذلك الوقت . وبلغ عدد الفلاحين الذين انتقلوا من حياة الرعي والفلاحة الى حياة العمل في المصانع حوالي ٢٠٠٠ عامل . وانتقلوا من الحياة في الاكواخ والجبال الى الحياة في مبان حديثة عالية ، واصبحوا يعتمدون على شراء حاجياتهم من الاسواق المركزية بدلا من ان يوفروهاهم لانفسهم بانتاجها . واصبحت الهجرة الى « ايفان جراد » موضوع دراسة اشرف عليها معهد الصحة العامة اليوغسلافي ، ومركز الاحصاء الصحي الامريكي ، ووزارة الصحة الامريكية . واصبحت هذه الدراسة مشروعا من مشروعات البرنامج البيولوجي الدولي والذي يهتم بدراسة احوال المهاجرين وتكيفهم بالبيئة الاجتماعية الجديدة التي ينتقلون اليها . ومن اهداف هذا البرنامج ايجاد الاجابات الشافية على الاسئلة الاتية :

- ما هي اوجه الاختلاف بين المهاجرين وغير المهاجرين في موطنهم الاصلي ؟ وغير المهاجرين في البلد الذي هاجروا اليه ؟ وبينهم وبين غير المهاجرين في الاماكن المختلفة للهجرة ؟ واوجه الخلاف بينهم وبين المهاجرين القدامى .

- ما هو تاثير الهجرة على البنيان السكاني في كل من مصدر الهجرة والبلد الذي يستقبل المهاجرين ؟ وما هو تاثيرها الاجتماعي والنفساني في كل من مصدر الهجرة والبلد المهاجر اليها ؟

- ما هو تاثير الهجرة على الحالة النفسية للمهاجر .. وعلى الحالة النفسية لابناء المهاجر ؟

- ما هي التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي لها تاثير كبير على حجم الهجرة ، وعلى اختيار المهاجرين ، وعلى اختيار المواقع المهجر منها واليها ؟

- ما هي العوامل الرئيسية في عملية استيعاب المهاجرين في مهجرهم ؟

- ما هي اهم الصعوبات التي تعترض عملية استيعاب المهاجرين ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة قد تتيح الفرصة لفهم كيفية تاقلم او عدم تاقلم الانسان المهاجر في بيئة غريبة مزعجة كالاحياء الفقيرة المزدحمة .. وهي ايضا تساهم في البحث عن العدالة الاجتماعية

بعثة جامعية في استراليا

- عثرت بعثة جامعية استرالية على آثار اقدام لحيوان فقاري منقرض ، وذلك في جنوب شرق استراليا . ويعتقد العلماء ان هذه الآثار تعتبر اقدم آثار لحيوان فقاري يتم العثور عليها على الارض حتى الآن . ويقدر علماء جامعة موناش Monash في ملبورن باستراليا ، وهم الذين عثروا على هذه الآثار : ان الاحافير Fossils النباتية والجيولوجية التي تم العثور عليها في موقع هذه الآثار تدل على ان عمر هذه الآثار يرجع الى

تعثر على آثار أقدام لحيوان فقارى عمره ٣٥٠ مليون سنة

العصور الديفونية Devonian اى الى اكثر من ٣٥٠ مليون سنة .

وقد صرح البروفسور جيمس وارن James Warren استاذ علم الحيوان فى جامعة موناش ، ان آثار الاقدام التى عثر عليها تشبه الى حد كبير الاحافير التى تم العثور عليها فى « جرينلند » قبل الحرب العالمية الثانية والتى قيل انها لحيوان منقرض يسمى ايكثيوستيجا Ichthyostega . وهو حيوان يعيش فى المياه الحلوة ويبلغ طوله حوالى ٣ اقدام ، وله خياشيم ، وراس مفلطح ، وذيل طويل رفيع ، وحوالى ٤ او خمس اصابع فى كل قدم من اقدامه الاربعة .

ويقول البروفسور « وارن » ان الادلة التى تربط بين الآثار التى عثر عليها فى استراليا وبين حيوان جرينلند قوية الى درجة تدعو الى التفكير فى ان استراليا كانت مرتبطة بالكتلة الارضية الشمالية فى العصر الديفوني او ما قبله .

وهكذا تكشف الاحافير عن اشياء مذهلة عن تاريخ العالم يوما بعد يوم . اشياء يعجز الخيال عن تصورها .

والمساعدة فى الحرب على الفقر والاضطهاد .

ان البحث الذى يجرى فى يوغوسلافيا سيتيح الاجابة على بعض هذه الاسئلة وقد قام الباحثون باجراء بحوثهم على فريق تجريبى يتكون من ١٩٦٣ من العمال الذين أتوا مباشرة من مناطق ريفية ومقارنته بفريق آخر يتكون من ١٦٨٧ من الفلاحين الذين لم يتركوا موطنهم الاصلي .

وقد تم اختيار اعضاء الفريق التجريبي من النواحي النفسية ، والجسمانية العقلية، كما قام الباحثون باجراء مقابلات معهم فى منازلهم واستغرقت كل مقابلة حوالي الساعتين . وتم الحديث فى هذه المقابلات عن طفولة العامل المهاجر واحواله العائلية ، واسئلة اخرى توضح موقفه من حياة الريف والمدينة ، ومدى تفاؤله أو تشاؤمه ، ودخله ، وغير هذا من الاشياء التي لها اهمية من الناحية الديموجرافية والاجتماعية والاقتصادية .

كما تم ايضا اجراء فحوص طبية دقيقة لكل مهاجر شملت الفحوص بالاشعة وتحليل الدم . واجرى علماء النفس اختبارات ذكاء لكل مهاجر علاوة على فحص نفساني كامل .

وبعد ذلك تم اجراء الفحوصات على الفريق الثاني من الفلاحين الذين لم يغادروا موطنهم . وقد اجريت هذه الاسئلة والفحوص على الفريقين لاول مرة فى عام ١٩٦٦ ، ثم اعيدت نفس هذه الفحوص ، على نفس هؤلاء الاشخاص فى عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ على فريق العمال . وفى عام ١٩٧١ تم اختبار الفريقين من العمال والفلاحين مرة اخرى .

وقد دلت النتائج الاساسية لهذه الدراسة، والتي تعتبر من ادق الدراسات التي اجريت فى هذه المجال ، ان هناك نسبة عالية من الاذكياء ، والاصحاء والمتفائلين بين الذين هاجروا وعملوا فى المصانع . كما ان نسبة الاضطراب النفسي او العقلي بين هؤلاء اقل من النسبة بين الفلاحين الذين لم يهاجروا . وقد ظهر ايضا ان المهاجرين يتميزون

البحث العلمي
وما تفرض الحكومات عليه من سرية لمدة معلومة

تدور فى امريكا الان معركة حامية بين مؤسسات البحث العلمي والسياسى والاجتماعى وبين الحكومة حول قانون سرية الوثائق الحكومية والمعمول به حاليا فى الولايات المتحدة الامريكية .

وينص القانون الحالي على فرض سرية مطلقة على الوثائق المتعلقة بالشئون العسكرية والدبلوماسية لمدة ٢٥ عاما . وبالرغم من وجود هذا القانون فقد حدث خلال العامين الماضيين ان قام عدد من البحاث بنشر وثائق وزارة الدفاع السرية المتعلقة بحرب فيتنام ، وغير هذا من الوثائق المفروض سريتها ، مما عرض الناشرين للمحاكمة بتهمة الخيانة .

وقد قامت مؤسسة للبحوث فى نيويورك تسمى « مؤسسة القرن العشرين » بنشر تقرير عن مشاكل البحث العلمي فى الشئون العسكرية والدبلوماسية وما يتعرض له الباحثون من متاعب بسبب هذا القانون . وقد تضمن هذا التقرير ان ابقاء هذه الوثائق سرية لمدة ٢٥ عاما يؤدى الى بلبلة افكار الناس بالنسبة لسياسة امريكا العسكرية والخارجية ، بينما لا يؤدى سوى منفعة قليلة لمسائل الامن القومي . ويطالب التقرير بانشاء هيئة مستقلة تعين بواسطة رئيس الجمهورية وتتبعه مباشرة ، تتولى مراجعة نظام سرية الوثائق . وتقوم هذه اللجنة برفع السرية عن الوثائق التي ترى ان اهميتها لا تمس الامن القومي فى خلال عامين . اما الوثائق الحساسة فلا تزيد مدة سريتها عن ١٢ عاما الا فى حالات نادرة جدا .

ويقول التقرير : ان فتح ارشيف الحكومة امام الباحثين قد يؤدى الى اعادة تقييم السياسة الامريكية فى المستقبل والاستفادة من الاخطاء فى الماضي .

بالطول ، والسلامة الجسمانية ، وضغط الدم المنخفض وضربات القلب المنتظمة .

ويقول المشرفون على هذا البحث انه اصبح من الممكن الان بعد هذا البحث ، التنبؤ بشخص المهاجر والى اين سيهاجر ولماذا .

ان المهاجر ، نتيجة لهذا البحث ، يكون شابا عمره يتراوح بين ٢١ و ٢٦ سنة ، يتمتع بالصحة ، ولديه قسط من التعليم . وهؤلاء عادة يتركون الريف الى المدينة جريا وراء عمل احسن وليعيشوا فى مجتمع فيه الكثير من المتعلمين ، ولكى يهربوا من التسلط العائلى فى قراهم .

وعادة ما تتحسن احوال المهاجرين بعد هجرتهم الى المدينة .

وقد اعطت الدراسات التى اجريت فى الولايات المتحدة ايضا ، نفس النتائج . ويعتقد الباحثون ان هذا ينطبق على كافة انحاء العالم . ويتم الان اجراء بحوث مماثلة عن الهجرة من الريف الى المدن فى كل من السويد واسكتلندا والمجر وجنوب افريقيا وتايلاند . ■■

التاريخ

بين الذاتية والموضوعية

بقلم : علي أدهم

■ كان القرن التاسع عشر من أحفل القرون التى سلفت بكبار المؤرخين ، ومن أزهى العصور التي عرفها العالم فى كتابة التاريخ ، وعرض احداثه ، ووقائعه ، وقد كثر فيه المؤرخون على اختلاف طبقاتهم ، وتعدد مذاهبهم ، وتباين اساليبهم ، ويكفى أن نذكر فى انجلترا امثال كارلايل Carlyle وماكولى Macaulay وفرويد Freud ، وفى فرنسا امثال ميشليه Michelet وتين Taine ورينان Renan ، وفى المانيا امثال فون رانكه Ranke ومومسن Momsen وتريتشكه ، وفي ايطاليا امثال فيلارى Villari وأمارى Amari وفى الولايات المتحدة الامريكية امثال موتلى وباركمان Parkman وبرسكوت وبانكروفت Bancraft ، وقد مكن ذلك المؤرخ البريطانى القدير جوش من ان يخصص كتابا ضخما للتاريخ والمؤرخين فى القرن المنصرم .

اسباب العناية بالبحوث التاريخية

وترجع العناية البالغة والاهتمام الشديد بالبحوث التاريخية التى شملت أكثر انحاء العالم المتحضر الى اسباب عدة لا يتسع المقام لتفصيلها ، فى طليعتها الاهتمام المتزايد بالتاريخ ومشكلاته الذى بدأ منذ عصر النهضة ونشوب الحروب التى تبعت حركة الاصلاح الدينى والصراع بين المذهب البروتستانتى والمذهب الكاثوليكى ، والنزاع الطبقى والسياسى الذى أسفر عن الثورة الفرنسية ، وحروب نابليون التى تبعتها ، وكان لها أثرها فى ايقاظ الروح القومية ، وحاجة النزعة القومية الى استجاشة الشعور الوطنى والرغبة فى استعادة ذكرى الأمجاد الماضية ومظاهر العظمة السالفة لتقوية الثقة بالنفس واستنهاض العزائم ، والتنويه بمآثر الآباء والاجداد للدلالة على عراقة الأصل وتآثل المجد ، وكان لظهور مذهب النشوء والارتقاء تأثيره الملحوظ فى تقوية تلك النزعة التاريخية وامدادها بافكار مستحدثة .

واستدعى الاقبال المتزايد على البحوث التاريخية

التوسع في بحث طرائق كتابة التاريخ ، وتحقيق احداثه ، وتفهم نصوصه ووثائقه وسجلاته ،وظهور فلسفات جديدة للتاريخ ، بعضها يفسره من الوجهة المثالية الدينية ، وبعضها يفسره من الناحية التجريبية المادية ، وبعضها يشيد بمآثر الابطال ويعزو اليهم الفضل في تقدم البشرية ، وبعضها الآخر ينسب التقدم الى عوامل اجتماعية متعددة.

ولم يقف الكثيرون من مفكرى القرن الراهن من اساليب مؤرخى القرن التاسع عشر وفلاسفة التاريخ الذين ظهروا فيه موقف المستسلم الخاشع، أو المعجب الموافق ، بل حاولوا وزنها وتقديرها ، ونقدها وتمحيصها .

التاريخ بين المدح والقدح

وقبل القرن التاسع عشر لم يكن هناك تدريب خاص محكم الأصول للذين يتصدون لكتابة التاريخ وتناول مشكلاته وخوض عبابه ، وكانت كتابة التاريخ تتوقف في اغلب الاحيان على حسن ادراك المؤرخ الخاص ، واستقامته الشخصية ، وقدرته على التخلص من النزعات المذهبية والميول الضيقة المتعصبة ، والاحكام السابقة الخاطئة ، وكان التاريخ كثيرا ما يتخذ وسيلة للمدح أو القدح والاعلاء والخفض ، والاعجاب الشديد مثل العداء المسرف قد يضل الفكر ، ويغرى المؤرخ بقبول الروايات المتهمة ، والاخبار المستضعفة ، او بأن يفسرها تفسيرا يلائم هواه ، ويرضى تعصبه ، ويخدم قضيته ، وكان المؤرخون في بعض الأوقات يحاولون انكار الاخطاء التى ارتكبها الرجال الذين يتصدون للدفاع عنهم ، وتسويغ مذاهبهم ، والاشادة بذكرهم لكى يظهروا في صفحات التاريخ لامعين مشرقين ، ابرياء من العيوب والنقائص ، او يبالغون في التشويه والزراية وسوق الاتهامات واختلاق الأباطيل شفاء لضغينة أو ارضاء لاتجاه معين او نزعة خاصة .

المدرسة العلمية في كتابة التاريخ

وقد ظهرت في القرن التاسع عشر المدرسة العلمية في كتابة التاريخ ، وكانت تحاول جعل التاريخ علما دقيقا له اصول ثابتة وقواعد مرعية.

وقد رأت أنه على المؤرخ أن يكون مثل العالم حينما يقوم بتجربة ، أو يباشر بحثا علميا ، فان عليه يلتزم صفة التجرد من الغرض ويتحرى الموضوعية التامة ، وذهبت الى أن المؤرخ عليه أن يكون محايدا بين الاحزاب المتنافرة ، والاهداف المتضاربة والمعتقدات والمذاهب المختلفة ، فلا يمدح ولا يجبذ ، ولا يحابى ولا يتعصب ، ولا يمدح ولا يتحامل او يذم،ويسمو فوق الحب والكراهية، ولا يتأثر بمؤثرات الوطن او الطبقة او البيئة المحلية .

وعمل المؤرخ في نظر المدرسة العلمية هو جمع الحقائق المحصة عن الماضى بعد الرجوع الى الوثائق الصحيحة ، والاعتماد على الروايات الصادقة ، وعرض هذه الحقائق بطريقة تماثل حدوثها كما وقعت ، وفي رأى أصحاب هذا المذهب ان الرجوع الى المستندات والوثائق بعد التحرى والموازنة والقياس قمين بأن يمكن الانسان من اعادة تصوير الماضى كما حدث اذا استطاع المؤرخ ان يقف موقف الحياد ، ولم يستجب لاهوائه الخاصة ، وميوله المتوارثة ، وأفكاره السابقة ، وسيكون عمل المؤرخ تبعا لذلك مقصورا على جمع الحقائق التاريخية وتنسيقها تنسيقا منطقيا ، وسردها سردا متماسكا ، دون أن يعلق عليها أو يستنبط منها النتائج ويستخرج العظات والعبر، ويعد المؤرخ متجاوزا لحدوده ، ناقضا لعهده ، اذا خالف هذا المنهج ، اى أن على المؤرخ ان يكون آلة مفكرة تصور الأحداث تصويرا مجردا من العاطفة غفلا من اى أثر لشخصيته وميوله .

صعوبة التحرر التام في كتابة التاريخ

وعلم النفس الحديث بعد البحوث التى قام بها العلامة النفسى الكبير فرويد Freud واضرابه من علماء النفس المحدثين يشككنا في قدرتنا على التجرد التام ، ويظهر لنا أنه وهم من الأوهام التى تساور عقل الانسان ، ولا يستطيع احد من الناس أن يباشر عملا دون أن يكون له سابق اهتمام به ، وحرص على النجاح في انجازه ، وحالة التجرد من العاطفة والغرض تقعد بعزيمة الانسان عن الاقدام على أى عمل من الأعمال ، سواء عظم شأنه أو هان .

وكل موقف تاريخى هو بطبيعة الحال وحسب

جوهره شيء فذ لا نظير له ولا مثال ، ولا يمكن أن يتكرر حدوثه في كليته الشاملة ، وتفاصيله الكاملة، وشتى ملابساته ، والحادثة التاريخية تستمد فرديتها وخصوصيتها من علاقاتها المختلفة بكل مظهر من مظاهر الموقف التاريخي الأخرى ، وهي تشير الى سلسلة من الحوادث والظروف والمناسبات ولدت وانتهت حياتها في ساعة ميلادها أو بعد حدوثها مباشرة بوقت محدود ، ونحن حينما نقول اننا عرفنا حقيقة تاريخية فان معنى ذلك اننا حصلنا على بعض معلومات تسمح لنا بأن نتصور ونفسر احد العناصر او بعض العناصر التي وجدت في موقف تاريخي قد أصبح في ذمة الماضي البعيد او القريب ، ونحن بذلك نفهم من الحقيقة التاريخية ما يوجهنا اليه تفكيرنا الخاص،وطريقتنا في تناولها ، والبحث وجمع الحقائق والمعلومات في التاريخ هما المرحلة الاولى ، ولكن تفسير هذه الحقائق وتنسيقها وتكوين صورة الماضي منها هو المرحلة الهامة التالية،والحقائق التاريخية لاينجلي معناها ولا تظهر أهميتها الا في ضوء هذا التفسير، والوصول الى الحق التاريخي المطلق المؤكد وَهْم من الاوهام وأسطورة من الأساطير التي ينزع الى تحقيقها الانسان ، واقصى ما نؤمله ونطمع في نيله هو أن يكون ما نعرض من التاريخ ثمرة البحث الدقيق الوافي ، والقدرة على التنسيق المعقول والأداء الصالح المناسب ، وان يكون المؤرخ متحريا للامانة التاريخية قادرا على كبح جماح عواطفه واخضاع مشاعره لعقله الناقد ، وأن تكون أحكامه في ضوء الحرص على الكشف عن الحقائق في حدود استطاعته وامكانياته ، وأما أن يكون المؤرخ موضوعيا خالصا فهذا ما لا سبيل اليه ، ومعناه أن يكون المؤرخ جافا لا لون له ولا ذوق ولا شخصية .

للمؤرخ مهمتان : تحري الحقيقة وتقريرها

والمؤرخ الحق يشغله شيئان ، تحري الحقيقة جهد طاقته ، والعمل على الوصول اليها بمختلف الطرق وشتى المناهج،ثم تقرير هذا الحق وتوضيحه في نزاهة واخلاص ، ولو كانت الحقيقة ثابتة كاملة في السجلات والأسانيد والوثائق والمصادر والمراجع لهان الامر ، ولأمكن الاقتراب الشديد من معرفة ما حدث على وجه كثير من التحقيق ولأمكننا الى حد بعيد سلامته من الزيف والغش والرغبة في التضليل ، ولكن هذا لسوء الحظ نادر الوقوع ، لان الطبيعة الانسانية فيها ميل خاص الى التزيد والمبالغة والتهويل ، والنزوع الى الكذب ، والاسترسال مع الخيال والاوهام ، وفي التاريخ النغمات الناشزة التي قد لا نفطن لادراكها سوى أن المؤرخ الذي أطال بحث عصر من العصور وتتبع بادبه وثقافته ووقف على أحواله المادية والروحية وتياراته السياسية واجال فكره في جنباته ومختلف نواحيه ، واطال النظر في وثائقه وآثاره قد يصل الى معرفة لهذا العصر لها نصيب كبير من الصحة ، والفرق بين المؤرخ وجامع الوثائق والأسانيد والتحف والآثار أن المؤرخ الحق قد هضم مواد عصره ، وامتزجت معرفته بنفسه وكيانه حتى صار يستطيع أن يعرف كنه العصر وروحه وطبيعته ، وما كان يحتمل وقوعه في ذلك العصر ويلائم جوه الثقافي ومستواه الفكري ، واتجاهاته الاجتماعية والسياسية ، وقد تساعده على تحقيق ذلك الى جانب غزارة معرفته ، وسعة اطلاعه ، البداهة الموفقة ، والبصيرة النافذة مما قد لا يتيسر لصاحب النظرة العجلى والفحص السطحي السريع الذي قد يمر بالأحداث ذات الدلالة الهامة مر الكرام دون أن يقدر مكانتها ، ومدى تأثيرها في مجرى التاريخ .

وعملية استخراج الحق التاريخي تشبه من بعض الوجوه استنطاق الشهود في المحكمة ، على أن هناك فرقا هاما له أثره وقيمته . فان المحكمة ترى الشهود ماثلين امامها ويستطيع القضاة مناقشتهم مناقشة دقيقة وافية محرجة لتكشف حقيقتهم ، وتتبين ما في اقوالهم من تناقض أو اتساق ، وضعف او قوة ، واتفاق مع الواقع او مجانبة له ، ولكن المؤرخ عليه أن يناقش شهودا من الموتى المغيبين في ظلمات الماضي السحيق أو الماضي القريب ، وطريقة استجوابهم بطبيعة الحال غير متكاملة ، وفي بعض الاحيان تكون الشهادة باطلة من أساسها أو مزيفة مصطنعة نتيجة للميل الى التلفيق والاختلاق ، وطالما ضلل المؤرخين وحيرهم وورطهم في الأخطاء وجعلهم يتعلقون بالاوهام ويبنون على الرمال تزوير الوثائق وتسجيل الأباطيل، والكذب والمبالغة وتشويه الوقائع والتزيد فيها او بترها وانتقاصها من العقبات الصعبة التي

يلقى المؤرخون عناء وعنتا في التغلب عليها والافلات من حبائلها .

خطر الأوهام على المؤرخ

وقد يزداد خطر الأوهام والأخطاء التى تعرض للمؤرخين حينما يجيء بعدهم مؤرخون آخرون ويثقون بهم ، ويعتمدون عليهم ، وينقلون عنهم ، ويرونهم مرجعا لا يأتيه الباطل ، ولا يتسرب اليه الخطا ، وفي هذه الحالة يكتسب الخطأ والباطل نوعا من القداسة يجعل التشكيك فيه أو رفضه جميعا وعدم التعويل عليه ، من اشق الأمور ، واكثرها احتياجا الى النظر النافذ والبحث المستوعب ، مع الاقدام والشجاعة الأدبية ، لأن المؤرخ قد يتعرض للوم والتقريع أو الاضطهاد والمؤاخذة الشديدة حينما يكشف اكذوبة مقررة أو يعمد الى تجريح رواية ضعيفة متواترة .

والذين يكتبون التاريخ الماضي وعيونهم متجهة الى الحاضر ومشكلاته وافكاره ووجهات نظره وقيمه الأخلاقية والثقافية قد يجدون في الماضي صورة الحاضر لا الاحوال الواقعية الحقيقية الخاصة به والتي نشأ منها الحاضر بعد أن مر بادوار من التطور ، وما يراه عصرنا خيرا وصلاحا ربما كان المتقدمون ينظرون اليه من وجهة نظرهم وظروفهم الخاصة فيرونه شرا ووبالا ، وكثيرا ما ينسب المؤرخون الى اهل العصور السالفة مشاعر وافكارا ووجهات نظر لو عرفوها لانكروها وعجبوا منها ، ويجدر بنا أن لا ننسب الى المتقدمين وجهات نظرنا ، وننحلهم مشاعرنا وأهواءنا ، وقد ناخذ عليهم أحداثا كانت مقبولة في عصرهم ومتمشية مع عاداتهم وتقاليدهم ، واحسب انه من واجبات المؤرخ أن يحاول النظر الى الماضي بعين أهله ، ويقيسهم بمقاييس عصرهم ، فان لكل عصر قيمه وموازينه ، ولا بد من التزام الحيطة والتثبت ودقة الوزن والتقدير لفهم الماضي على الوجه الصحيح وبالأسلوب المستقيم .

ومن الأوهام التى تساور العقول وتعرض لبعض الباحثين في التاريخ القول بان الخيال يفسد التاريخ ويحيله الى نوع من الخلق الروائي والدراما التمثيلية مما يجعل كتابة التاريخ موضع الشك ومظنة الاتهام ، والخيال في زعم أصحاب هذا الراى يطلق للمؤرخ العنان ويجعله يصور الحوادث كما يشتهى خياله وتتطلبه أحلامه وتصوراته ، وليس أدخل في الخطأ من هذا الراى ، ولا أنأى عن الصواب ، والفهم الصادق لوظيفة الخيال في التاريخ وحسن بلائه في الكتابة التاريخية .

التاريخ تفسير للحقائق ، وليس سردا وتسجيلا لها

والمؤرخ لا يكتفى بسرد الحقائق والوقائع وتسجيلها ، وانما يحاول من خلال ذلك تفسيرها وجلاء مبهمها ، بل هو مفسر وموضح قبل ان يكون مسجلا لاننا لو كنا نكتفى بالتسجيل لقنعنا واكتفينا بما يقدمه لنا كاتب الحوليات ، ولكى يفسر الانسان ما يصدر عن الطبيعة الانسانية من الاعمال والاقوال ويفهمها فهما له نصيب وافر من الحقيقة ويقترب من الاحاطة بخفاياها وغوامض اسرارها لا تكفى سعة المعرفة ومداومة الاطلاع وكثرة الاعتماد على الوثائق والمستندات واستشارة الاضابير والجزازات ، بل لا بد من العطف الشامل والمشاركة الوجدانية ، وهما يستلزمان سعة الخيال ، والقدرة على تمثل الاحوال والملابسات وادراك الدوافع الخفية ، والنيات المبيتة ، أو النزوات الطارئة ، والخواطر العابرة .

المؤرخ يعرض الأخيار والأشرار

والمؤرخ بطبيعة عمله ومجالات بحثه يتناول حياة الملك المتوج وبلاطه ورجال حاشيته ، والصعلوك المتسول وما يعاني من خصاصة وحرمان ، ويعرض لحياة القديس الزاهد في لذات الحياة التقى النقى،وحياة السادر الماجن الخارج على العرف والآداب والمستخف بكل شيء ، ويصف الشجاع المقدام والجبان الرعديد ، ويعرض لوصف المخاطرات الجريئة والمغامرات العجيبة ،والدسائس والمؤامرات ، ويغشى قصور الأمراء السادة وأكواخ الفقراء والمعوزين ، وينتقل بين الاشراف الأمناء واللصوص والفتاك ، ويعتلى القمم العالية ،ويهبط الى الأودية السحيقة ، ومن اشتباك الخير والشر وامتزاج الفضيلة بالرذيلة واختلاط الكمال بالنقص وتلاق العيوب والحسنات يتكون التاريخ وتتم

احداثه السارة ، وخطوبه الفاجعة ، ومواقفه الرائعة ، واحداثه الدامية .

حاجة المؤرخ الى الخيال والشعور

وليس الخيال فى التاريخ هو القدرة على الاختراع والابتكار لان هناك فرقا بين خيال المؤرخ المحقق والروائى أو الكاتب الفنان الخلاق ، واهمية خيال المؤرخ هى فى قدرته على استحضار صور الاحداث وتمثل اطيافها ، ونحن البشر نستمد المعرفة من ناحيتين ، ناحية الادراك الحسى وناحية التصور العقلى ، والمعرفة الحسية تدرك الحادثة المعينة فى عالم الواقع وتتأثر بها ، ومن شأن هذا التأثر اثارة الخيال ، فيتمثل الانسان الشخص المعين او الحادثة الخاصة ، ويتفاوت البشر فى القدرة على وضوح هذا التمثل وصدقه وقوته ، وقد نجمع الرأى الى الرأى ، ونضيف الفكرة الى الفكرة لنفهم شخصية مثل شخصية نابليون أو عمر بن الخطاب وغيرهما من صناع التاريخ الذين تركوا عليه سماتهم وطابعهم ، ولكننا لا نستطيع أن نقترب من فهم الشخصية فهما واضحا مؤثرا الا عن طريق الاحساس والخيال ، والخيال هو الذى يحرك فى نفوسنا الاحاسيس التى تثيرها هذه الشخصية التى يرسمها لنا ويطالعنا بها المؤرخ الذى يحسن تصور الماضى ويستحضره معتمدا على بحوثه المستقصية وخياله الناشط الوثاب .

وقد امتاز كبار المؤرخين من القدامى والمحدثين وفى مختلف الأمم والبيئات بموهبة الخيال النفاذ الذى مكنهم من تفهم الماضى واستعادة صوره الى جانب مواهبهم الأخرى وقدرتهم على احتمال عناء البحث والتنقيب ، واذا لم يكن المؤرخ مرهف الاحساس رحيب الافق قوى الخيال جاءت كتابته للتاريخ فاترة شاحبة يسير الانسان منها فى ضباب متكاثف ، وفوضى مستحكمة ، وحتى هؤلاء المؤرخون الذين حاولوا أن يضفوا على التاريخ الصفة العلمية ويجعلوه علما خالصا كسائر العلوم يظهرون لنا برغم ذلك اثر مجهود الخيال فى طريقة اختيار المواد التى يعرضونها علينا ، والمؤرخ الصادق ينشد الحق ، ولكن الخيال والاستعانة والاعتماد عليه من العناصر الهامة فى قدرته على النهوض بأعباء عمله .

ضرورة الحياد فى كتابة التاريخ

وقد اختلفت اراء المؤرخين فى ضرورة مراعاة الحياد التاريخى ، وتفاوتت قدرتهم فى الاستجابة لمطالب الحيدة المطلوبة ، وقد كان المؤرخ الرومانى القديم تاسيتوس يفخر بانه لا يستفزه غضب ، ولا يستميله التحزب ، ولكن المؤرخ الالمانى مومسن يخالف ذلك الرأى ويقول « الذين عاشوا فى احداث تاريخية كالتى عشت فيها يبدأ يستبين لهم لهم أن التاريخ لا يكتب ولا يصنع بدون الحب او الكراهية » .

ومؤرخ الثورة الفرنسية « مادلان » الذى وصف النقاد كتابه بانه من الكتب القليلة التاريخية الممتازة من ناحية تحرى الحياد ولزوم الموضوعية يقول رغم ذلك « لقد حاولت أن اكون منصفا ولن يستطيع احد أن يكون منصفا الانصاف كله . وفى الوقت الذى اقدم فيه هذا المؤلف للقراء لا أستطيع أن اقول فى امانة واخلاص من الذى حابيته ومن الذى تحاملت عليه، وقد طرأت على فكرى تغيرات كثيرة وانا اتابع دراسة الموضوع، والغضب والاشفاق والاعجاب فى بعض الاحيان جزء من الانصاف ، واحسبنى قد انصفت الجميع حتى بعض هؤلاء الافراد الذين ظهر لى بعد البحث والتحليل انهم مجرمون عن عمد أو عن غير عمد ، وقد وجدت من السهل أن استرد حريتى فى الملاحظة واصدار الحكم ، ولم اشعر بأن لى من السلطة — حتى فى عقلى — ما يجعلنى أصدر حكما على حادثة شديدة التعقيد مثل الثورة ، وما زلت اجد حتى اليوم صعوبة اشد فى تكوين حكم شديد الايجاز — فالقضايا والأسباب والوقائع والنتائج كما تبدو لى لا تزال موضع اختلاف » .

وقد مثل فى القرن التاسع عشر المؤرخان فون رانكه Von Ranke وتريتشكه الخلاف بين النزعة الموضوعية والنزعة الذاتية فى كتابة التاريخ ، وكان فون رانكه يقول عن نفسه «انه مرآة تتراءى فيها الأحداث كما وقعت» وفى رسالة بعث بها الى شقيقه هينريك يقول

« ليست فكرتي الاساسية هي قبول هذا المذهب او المذهب الآخر او المذهب الوسيط بينهما ، وانما فكرتي الاساسية هي معرفة الحقائق والسيطرة عليها واظهارها ، والتعليم الصادق لا يكون الا بمعرفة الحوادث » .

وبعد مرور اربعين عاما على قوله كتب في رسالة اخرى يقول « لقد وجد المؤرخ لكي يفهم معنى العصر من العصور في نفسه ولنفسه ، ولاجل ان يجعله مفهوما من غيره ، وعلى المؤرخ ان يطيل النظر في موضوعه نفسه ، ولا يحول نظره عنه ، والنظام المقدس للاشياء يتخلل كل شيء ، وهو نظام لا يمكن اظهاره بدقة ، ولكنه مع ذلك مما يُشعَر به ، والافراد الخطرون لهم مكانهم في هذا النظام المقدس الذي يتفق تمام الاتفاق مع توالي العصور ، والمنهج التاريخي الذي يبحث عن الصادق والحق يمس مسا مباشرا أسمى مسائل النوع الانساني » .

ونعلم من حياة رانكه انه مال الى الدراسات التاريخية بعد اطلاعه على رواية «كونتن ديروارد» للروائي الكبير السير ولتر سكوت Sir Walter Scott فقد كشف اختلافا في تصوير السير ولتر لشخصية لويس الحادي عشر وشارل الجريء ، ورأى ان التزام الصدق والدقة في التصوير اجمل واكثر اثارة للاهتمام والتشويق من الانطلاق مع الخيال ، ومحاولة تجميل الصورة ، وعقد العزم على ممارسة الكتابة التاريخية متحريا تصوير الوقائع كما حدثت دون ان يعمد الى الاختراع والاضافة ، واخذ على المؤرخين محاولتهم اصدار الاحكام على الماضي لافادة الحاضر ولينتفع بتجاربه المستقبل ، وصرح بانه في تناوله للتاريخ لا يطمع في الارتفاع الى هذه الذروة ، وان غاية المؤرخ هي الاقتصار على اظهار ما حدث ، وكان يصور شخصيات العصور التي أرخ لها تصويرا يتسم بالاعتدال وتحاشي المبالغة ، ويقاوم ميوله الخاصة ، واحكامه على قلتها وندرتها لها وزنها وقيمتها ، وحينما عرض لوفاة البابا الاسكندر السادس زعيم اسرة بورجيا المعروفة بجرائمها المستفظعة اكتفى بان يقول « لقد وُضع حد للجريمة الانسانية ، ولقد مات وصار موضع استنكار القرون التالية » ، ولم يكن باعث رانكه على ملازمة الحياد التام ، ومجافاة اصدار الاحكام ، فتور في العاطفة ، أو جمود في الاحساس ، وانما كان مصدر تلك الروح الدينية العميقة التي كانت مستولية على نفسه ، وهو كان يرى اننا نحن البشر ليس من حقنا اصدار احكام على الحركة التاريخية لانها من تدبير العناية الالهية ، وغاية ما يستطيعه المؤرخ هو ان يبذل جهده في تحري الحقائق ويصدق في تصوير الوقائع والاحداث ، وكان كثيرا ما يردد ان منطق الاحداث وتطور سير التاريخ يفتن لبه ، ويهفو بقلبه ، وفي تاريخه لحياة فردريك الاكبر ملك بروسيا لم يبد أي عداء للنمسا ، وتحاشى الحديث عن استيلائه على سيلزيا من الناحية الشرعية قائلا « لحسن الحظ هذه المسألة ليست من اختصاص المؤرخ » ولم يظهر أي تحيز لفردريك كما جرت العادة بين المؤرخين الالمان قبله ، وقد حمل ذلك كارلايل على ان يقول عنه في احدى رسائله « لو كنت بروسيا أو حتى المانيا لاعلنت احتجاجي على كتابه عن فردريك الاكبر » وحينما كتب تاريخ فرنسا كتبه من وجهة النظر الاوروبية ، واعرض عن طريقة المؤرخين الالمان في التحامل على الفرنسيين حينما يتصدون الخوض في تاريخ فرنسا ، ولذلك رحب الفرنسيون بظهور هذا الكتاب ، واعلنوا ارتياحهم له ، ويقول عنه العلامة جوش في كتابه عن مؤرخي القرن التاسع عشر « انه اعظم مؤرخي العصور الحديثة بما لا يترك سبيلا للمقارنة » وانه « لم يقترب احد من المؤرخ المثالي كما اقترب » .

الموضوعية في كتابة التاريخ

وقد التزم الطريقة الموضوعية في كتابة التاريخ كثير من كبار المؤرخين المحدثين ، وآثروا ان ينكر المؤرخ نفسه كل الانكار ، ويمسك عن التعبير عن وجهة نظره الخاصة ، ويروى عن المؤرخ الفرنسي فيستل دي كولانج انه قال لجماعة من المتحمسين له عند القاء احدى محاضراته « لا تمتدحوني ، فلست المتحدث ، وانما التاريخ هو الذي يتحدث من فمي » .

وقد ذهب فريق آخر من مشاهير المؤرخين مذهبا آخر وانكروا قدرة المؤرخ على الموضوعية ، فالمؤرخ الهولندى بوسميكر Bussemaker يرى أن مجرد اختيار المؤرخ للحقائق التاريخية هو نوع من اصدار الحكم على أهميتها ، والمؤرخ هالفن Halphen يقول ان تحزب المؤرخ الواضح له مزيته لانه يجعلنا على حذر من الحدود التى تقف عندها افكاره ، والمؤرخ البريطانى تريفليان Trevelyan يرى أن النزعة الى حد ما لا مفر منها وانها فى بعض الأوقات تعين المؤرخ على أن يعطف على الذين عاشوا فى الزمن الماضى حينما يكون عمله وصف افعالهم ، والمؤرخ بوير Bauer يرى أن فكرة الموضوعية تنطوى على عيب كبير ، اذ لا يمكن تحقيق هدفها ، وعلى المؤرخ أن يعمل على تجنب التعصب وكذلك الموضوعية التى لا لون لها ، ويرى المؤرخ الهولندى رينييه Renier ان المؤرخ لا يستطيع ان يتحرر تحررا تاما من الدافع الانسانى الى اصدار الأحكام ، ولا يستطيع كذلك فى كل المناسبات أن يقاوم اغراء المشاركة فى الاعمال التى يروى احداثها .

وكان من معاصرى رانكه فى المانيا القرن التاسع عشر المؤرخ الالمانى القدير تريتشكه ، وكان يتناول التاريخ من وجهة نظر مخالفة كل المخالفة لوجهة نظر رانكه ، فقد كان شديد التعصب للنزعة البروسية ، وكان يكتب التاريخ من وجهة النظر الالمانية . ويعلن ذلك ولا يخفيه بل يدعو اليه ، ويحمل على مخالفيه ، ويتهمهم بضعف الشعور القومى ، وبرغما اشتهر به تريتشكه من التعصب والتحامل فان كتابه الشهير « تاريخ المانيا فى القرن التاسع عشر » يعد من الكتب المأثورة ، وقد أعلن تريتشكه رأيه فى التاريخ وهو فى الثلاثين من عمره ، وضمنه رسالة بعث بها الى والده يقول فيها « لا اطمع فى أن اشتهر بين خصومى باننى ممن يلتزمون الحياد فى كتابة التاريخ ، فان هذا من المستحيل ، والمؤرخ فى الأوقات غير المستقرة لا يسمى محايدا الا بعد أن يموت ، والموضوعية الهزيلة السقيمة التى لا تعلن الجانب الذى ينحاز اليه المؤرخ هى نقيض المعنى الصادق المستفاد من التاريخ ، وكل المؤرخين العظماء قد كشفوا لنا بصراحة عن اتجاهم ، فان توكوديدس اثينى الاتجاه ، وتاسيتوس ارستقراطية النزعة ، وعلى المؤرخ ان يعرض مادته بالدقة أقصى ما يستطيع الكمال ، ولكن المؤلف مثل القارىء له الحرية التامة فى اصدار الاحكام . وقد فعلت ذلك وقمت به على قدر ما تسمح به معرفتى » .

بين الذاتية والموضوعية فى كتابة التاريخ

وإذا كان رانكه اكثر المؤرخين موضوعية فان تريتشكه اشدهم ذاتية ، وقد كتب مرة يقول « ان القلب القوى الذى يشعر بان مسرات وطنه واحزانه هى مسراته واحزانه هو وحده الذى يستطيع ان يكون صادقا فى سرده التاريخى »وكان يكتب التاريخ لا ليسجل الأحداث وانما ليلقن الدروس ، ويقدم العظات ويقوى فى امته الشعور القومى والنزعة الوطنية ، وقد جعله ذلك يحمل حملات شعواء على النمسا وفرنسا وروسيا واليهود وكل من ناصب المانيا العداء ، وكان يمتدح الحرب ويحض الالمان على خوض غمارها ، واشعال نيرانها، ويعلن أن اختفاء الحرب يحول الارض الى معبد كبير للانانية .

وإذا وازنا بين النزعة الموضوعية فى كتابة التاريخ والنزعة الذاتية نجد أن النزعة الموضوعية ــ رغم ما فى طريقها من الصعاب ــ اقرب الى المنهج العلمى . والكتابة التاريخية التى تغلب النزعة القومية والميل الى التعصب والمحاباة ، اوالتحامل والمجافاة ــ تسمم الجو الدولى وتقيم العقبات فى سبيل التفاهم بين الدول ، وتسهم فى اشعال العداوة بين الامم ــ مما يساعد على نشوب الحرب، وهى شديدة الخطر فى العصر الذرى الحاضر . ■■

على أدهم

هدف عِقابُ المُجْرِمين

بقلم : الدكتور عدنان الدورى

■ لعل بوسع المرء احيانا أن يضيف الى منجزات هذا العصر ـ الى جانب تلك المنجزات العلمية والتكنية المتعددة ـ بروز ظاهرة الجريمة، كمشكلة خطيرة ، باتت تهدد سلامة الفرد في كل مكان ، وبين كل ساعة واخرى . ولعل من حق الافراد ان يطلبوا حمايتهم اليوم من الجريمة ، كما لو كانوا يطلبون حمايتهم من بعض الاوبئة الفتاكة التى تهدد سلامتهم .

المواطن لا يعنيه الا السلامة

ويبدو ان المواطن العادى لم يعد يهمه متابعة حوار العلماء وجدلهم النظرى حول طبيعة السلوك الاجرامى وعلة الجريمة . لقد قدم لنا العلماء مجموعة كبيرة من العوامل والاسباب والمتغيرات التى تشكل الاطار التفسيرى لسبب الجريمة والجنوح . غير ان كل ما يهم المواطن ويعنيه هو أن يعود الى اهله وعياله سالما آمنا ، دون أن يعتدى عليه أحد ودون ان ينتهك حرمة بيته أحد . وهو لا يملك ازاء ذلك غير أن يضع نفسه وعياله وماله تحت حرمة ما يعرف «بالسلطة» او من يمثلها في مهمة المحافظة على النظام وتنفيذ القانون .

ربما يتضاعف طلب الفرد مزيدا من الحماية بين وقت وآخر ، وذلك كلما شعر بدنو خطر الجريمة منه او كلما افزعته انباء جريمة مروعة وقعت احداثها غير بعيد عن بيته وعياله . انه لا شك الشعور الطبيعى بالخوف وعدم الطمانينة ، وهو الذى يبعث دوما على طلب الامن والحماية .

واذا كان مَعين الجريمة غزيرا لا يجف ، ولا ينضب ، فان خطر الجريمة يظل ماثلا امام اعيننا، يعيش بيننا ، وعلى مقربة من بيوتنا ومن عيالنا . وهذا ما يهدد امننا ، ويعبث باستقرارنا النفسى وطمانينتنا ، وهكذا يظل رجال السلطة يلبون نداء الواجب فيقدمون كل ما بوسعهم لتحقيق أسباب الامن والحماية .

الوقاية فى الطب

ويقولون في الطب الوقائى ان الوقاية من المرض خير من علاجه ومداواته . وعسى ان نجد في مثل

بين الوقاية والعلاج

هذا القول بعض ما يبرر الاخذ به في ميدان مكافحة الجريمة .

والحقيقة أن أهل الطب لم ينفكوا يرددون هذه الحقيقة ، وذلك في اطار فهمهم العلمي لمفهوم الوقاية من المرض ، وكيفية تحقيق اسباب هذه الوقاية . انهم يقصدون بالوقاية القضاء على اسباب تكوين المرض قبل الاصابة به . فهم لذلك يطعمون الانسان ضد الأوبئة السارية ضمانا لمنع الاصابة بها، وهم يكافحون تكاثر البعوض والحشرات التى تنقل عدوى المرض ، منعا لانتشار الجراثيم. وهم يطالبون الأفراد باتخاذ المزيد من العناية الصحية ، والتزام نظام سليم في الطعام والشراب والنوم والتهوية والعمل، أو غير ذلك من الاحتياطات الوقائية التى تكفل للجسم الانسانى مناعة طبيعية تدفع عنه خطر المرض . تلك هى بعض الوقاية التى يدعو لها انصار الطب الوقائى في مجال الصحة العمومية .

الوقاية في ميدان الجريمة

اما الوقاية من الجنوح أو الجريمة فذلك امر اخر . وغالبا ما يخلط البعض بين مفهوم الوقاية في معناها الطبى ، وبين معناها في ميدان السلوك الانسانى بوجه عام ، وفي ميدان السلوك الاجرامى بوجه خاص . ولعل مثل هذا الخلط هو حجر الزاوية في مشكلة الوقاية من الجريمة . اذ هو في الحقيقة يعكس مختلف الاتجاهات المتعارضة ، والوسائل المتعددة التى تتخذ بشأن معاملة المجرمين والجانحين في الوقت الحاضر .

ولنبدأ اولا بايضاح المقصود من مفهوم الوقاية من الجريمة . الوقاية هنا تعنى منع تكوين السلوك الاجرامى او وقف تطوره ، وذلك بالقضاء على اسباب نشوئه وتكوينه . وهى هنا لا تكاد تختلف في ظاهرها عن الوقاية من المرض في مجال الطب الوقائى . وهذا يتطلب العلم بالسبب حيث لا مجال للوقاية قبل معرفة السبب . فهل لدينا اليوم مثل هذا العلم بسبب الجنوح او الجريمة ؟

بعض ما يردد العلماء في تفسير الجريمة

ربما لا يختلف الرأى كثيرا بين العلماء حول اهمية بعض الحقائق الاحصائية المتحصلة نتيجة البحوث والدراسات العلمية المتعددة ، التى تشير الى وجود علاقة ما بين بعض الظروف والمواقف ، وبين نشوء السلوك الاجرامى أو تطوره او زيادة حجمه او كثلته .

من هذه الحقائق ما يشيع من ان غالبية المجرمين البالغين اليوم كانوا بالامس القريب أحداثا جانحين . وانهم كانوا أحداثا يعانون من اضطرابات معينة في عقولهم أو في أجسادهم أو في شخصياتهم. وأن نسبة كبيرة منهم كانوا ضحية تفكك كبير في شخصياتهم ، وذلك نتيجة لصراعات نفسية حادة بصورة متكررة . وان نسبة كبيرة من الاحداث الجانحين يعيشون في بيوت متصدعة لم يجدوا بين جدرانها الرعاية المناسبة ، بل القسوة في المعاملة والحرمان والاحباط الشديدين . وان نسبة كبيرة من هؤلاء فشلوا في مواصلة تعليمهم المدرسى، حيث حرموا من فرصة حصولهم على حرفة مفيدة او عمل شريف . وأن نسبة كبيرة منهم عاشوا في بيئات محلية جانحة Delinquency Areas تميزت بأسباب عدم التنظيم الاجتماعى ، أو بضعف بيّن في وظيفة المؤسسات الاجتماعية التقليدية ، او عجزها التام عن القيام بدورها المطلوب لتحقيق الضبط الاجتماعى Social Control .

الجمهور لا يطلب التفسير ولكن يطلب الحماية

هذا قليل من كثير مما يردده علماء الاجرام في

مجال طبيعة السلوك الاجرامي او علة الجريمة . وازاء مثل هذه الحقائق الاحصائية يقف المواطن دون مبالاة . فهو يصدقها جملة وتفصيلاً . ولكن الذي يهمه من امرها هو الامن والحماية فحسب.

ان الوقاية التي يطلبها هي التي تنبعث من حاجته الشديدة الى حماية فورية تقيهشر الجريمة وتبعد عنه اخطارها . ولكن ما نوع الوقاية التي يطلبها الجمهور او بالاحرى ما هي مطالبه ؟؟؟

الجمهور يطلب الحماية المطلقة للمحافظة على النفس والمال،ولذلك يطلب تنفيذ القانون العقابي، وتطبيقه على جميع المجرمين تطبيقا صارما لاهوادة فيه . كما يطلب القبض على كل مجرم وتقديمه للعدالة لينال العقاب . ويطلب استخدام الشدة والقسوة في العقاب . ويطلب استخدام الحد الادنى من الرحمة والرأفة ، وبعبارة اخرى يطلب عدم التفريط ، باستخدام تلك التطبيقــات الاصلاحية الحديثة التي تتخذ الآن بشأن معاملة المذنبين والجانحين كنظام الاختبار القضائي Bro-bation ونظام الافراج الشرطي Parol ، ونظام تعليق الحكم Suspended Sentence أو ايقاف التنفيذ ، أو غير ذلك من الاجراءات الحديثــة التي قد تتيح للجاني فرصة النجاة من العقاب .

ويطلب الجمهــور الحــد الاقصى من الحماية الفعلية . يطلب مضاعفة كفاءة أجهزة الشرطة ، وزيادة متطلبات الحراسة ، واضاءة الشوارع المظلمة ، ومراقبة الحدائق والمتنزهات العامة ليلا ونهارا ، وهو يطلب عدم التوسع في اجازة حمل السلاح والحد من بيعه وتداوله .

هذا ما يفهمه المواطن من الوقاية ، وهذا ما يريده ويطلبه .

الفرق بين الوقاية والعلاج

وقبل ان توضح مفهوم الوقاية من الجريمــة من زاوية علم الاجرام نرى ان نميز بين الوقاية من الجريمة وبين علاجها او مكافحتها . فالوقايــة Prevention تعني منع قيام اسباب تكوينها ، اي منع الجريمة قبل وقوعها فعلا . اما المكافحة Control ، فهو ما تتخذه السلطة لمعالجة الموقف بعد وقوع الجريمة .

والواقع ان هناك خيطا رفيعا يفصــل بين المفهومين حتى بين علماء الجريمة . فقد يكــون الهدف واحدا لكل من الوقاية والمكافحة . وقد تعني المكافحة شيئا من الوقاية بصورة غير مباشرة، لا سيما انها تعاقب الجاني وتمنعه عن ارتكاب جريمة في المستقبل .

ومع ذلك فالوقاية لا تعنيحمايةالجمهور وحده. بل ان مفهوم الوقاية يظهر في المفاهيم العلمية التي تتضمن معاني كثيرة وأبعادا متعددة . ولنحاول ان نوضح بعض ابعاد الوقاية من الجريمة من زاوية علم الاجرام ومفاهيمه .

هناك ثلاثة انواع من الوقاية من الجريمة

الاولى وقاية عقابية Punitive Prevention والثانية وقاية ميكانيكية:Mechanics والثالثة وقاية اصلاحية Correctional .

١ ــ الوقاية العقابية

والوقاية العقابية هي النمط الشائع من انواع الوقاية التي تلجا اليها غالبية اقطار العالم . فهي التي تقوم على فكرة مقاومة الجريمة بالتهـديد بعقاب الجاني . وهذا معناه ان المجرم يمتنع عن ارتكاب الجريمة حين يعلم ان عقابا ينتظره اذا هو اقدم على ارتكابها .

وفكرة التهديد بالعقاب هي الاساس التقليدي الذي يقوم عليه النظام القضائي الجنائي أو فلسفة القانون الجنائي بوجه عام . فالقانون العقابي Penal Code ، يضع عقابا معينا لكل نوع من أنواع السلوك الاجرامي ، وبالتالي يهدف الى منع ارتكاب الجريمة عن طريق الردع، والتهديد بالعقاب .

ومع هذا فان بعض فقهاء القانون الجنائي يميزون بين نوعين من هذه الوقاية العقابية . الاولى وقاية عقابية خاصة ، والاخرى عامة . يريدون بالوقاية الخاصة منع مجرم معين منالعودة الى ارتكاب جريمة اخرى في المستقبل .فالعقاب بهذا المعنى هو تلقين المجرم درسا لا ينساه .

وبلغة علم النفس فان الايلام الذي يلحــق المجرم من جراء العقاب بصاحب الفعل الــذي ادى الى العقاب ، وهو مشروط بوقوعه ، اذ كلما

شرع الشخص بارتكاب الفعل الاجرامي تحرك شعوره بالايلام المتوقع ، وبالتالي يكف او يمتنع عن السلوك الاجرامي .

وهذا يفيد معنى الوقاية او منع الجريمة .

اما الوقاية العامة فهي لا تقف عند حدود منع مجرم معين بالذات وانما تتعداه الى كل من تسول له نفسه ارتكاب الجريمة . هذا ويرى أحد انصارها وهو الفقيه الالماني فويرباخ Feuerbach ان العقاب هنا لا يهدف الى منع عود مجرم الى جريمته ، بل منع جميع أفراد المجتمع من ارتكاب الجريمة ، سواء من ارتكب منهم جريمة ومن لم يرتكب .

ونظرة فاحصة لمفهوم الوقاية في معنييها الخاص والعام نجد أن كليهما لا يشكل الوقاية في معناها الدقيق ، وذلك لانها تقوم على العقاب ، وان العقاب اجراء يقع بعد وقوع الجريمة لا قبل وقوعها . ومع ذلك فقد يكون للوقاية العامة هدف وقائي رادع الى حد ما . ولكنه هدف نسبي غير واضح . فنحن لا نجد بين ايدينا اية دراسة علمية مقبولة تستطيع أن تفسر لنا العلاقة السببية التي تقوم بين العقاب كاجراء رادع ، والاحجام عن ارتكاب الجريمة بسبب هذا العقاب ذاته . فالمعروف أن العقوبة قديمة قدم الجريمة ذاتها . ولم تكن القسوة في العقاب يوما من الايام رادعا كافيا للقضاء على الجريمة او حتى الحد من طغيانها وزيادة حجمها .

الوقاية الميكانيكية

اما الوقاية الميكانيكية فهي تقوم على وضع العقبات المادية لمنع ارتكاب الجريمة من الناحية الفعلية . فهي تحاول أن تجعل ارتكاب الجريمة من الصعوبة بمكان أو من الاستحالة بمكان . ومثل ذلك وجود رجل الشرطة في مكان معين يمنع الافراد من الاقدام على ارتكاب ما يخالف القانون . ومثل ذلك اغلاق المتاجر والبيوت باقفال محكمة الصنع يمنع السارق من سرقتها ، أو يجعل ذلك صعبا عليه ، ومثل ذلك وضع أجهزة خاصة لانذار المسؤولين عند السرقة ، أو الكسر ، او الاغتصاب أو سواه . ان مثل هذه الاجراءات لا تقف عند حدود مجرم معين بالذات بل تمنع الجريمة فعليا حيث تجعل ارتكابها مستحيل التنفيذ . ومثل هذه الوقاية لا تعمل على منع قيام البواعث الاجرامية أو منع تكوينها وتطورها . انها منع مادي للفعل الاجرامي .

الوقاية الاصلاحية

اما النوع الثالث من الوقاية فهي التي تعرف بالوقاية الاصلاحية . وهذه تعتمد على اطار علمي معين وتستلزم شيئا من التخطيط . ومؤداها ان الجريمة ليست الا سلوكا انسانيا لا يختلف في ماهيته وطبيعته عن اي سلوك انساني آخر . وهو سلوك ينشأ عن تفاعل مجموعة كبيرة من العوامل والمواقف والاسباب . ولذلك فان الوقاية هنا هي العمل على اجتثاث جذور هذه العوامل والاسباب في منابعها ، وذلك قبل ان يتهيا لها النمو او التكامل أو الظهور بمظهر سلوك اجرامي فعلي . وهي عوامل يتصل بعضها بالمحيط ، أو بالبيئة الاجتماعية ، او الثقافية ، أو بشخص المجرم واستعداداته المختلفة . ومثل هذه الوقاية هي مشكلة علم الاجرام المعاصر . انها المرآة التي تعكس بصدق معرفتنا العلمية بطبيعة الجريمة والمرحلة التي وصلنا اليها في فك رموز الطبيعة البشرية .

الوقاية الاصلاحية ، وما كان منها

ماذا يراد بهذه الوقاية الاصلاحية وما حقيقة جدواها في القضاء على الجريمة ؟؟

لنبدأ أولا بعرض عاجل للحقول الأساسية التي لا تتصل بالجريمة أو بالجنوح بصورة مباشرة، هذه الحقول لا تتعدى الميادين الرئيسية الثلاثة التالية .

اول هذه الميادين هو السياسة الاصلاحية العامة التي لا تتصل بالجريمة أو بالجنوح بصورة مباشرة، وانما بالسياسات الاقتصادية والتربوية والسياسية والاسكانية والخدمات العامة والاستخدام وغيرها من المجالات الحيوية التي تدخل في اطار التخطيط القومي الشامل . انها سياسات عامة ذات اهداف عامة طويلة الأجل . فالخدمة العسكرية الالزامية ومشروعات مكافحة الأمية والتعليم الالزامي وغيرها .

ـ ذات اهداف اصلاحية ، قد لا تكون للجريمة صلة مباشرة بها ، ولكنها تعمل في الاطار العام للتنمية الاجتماعية الشاملة . وهم يدرجون مثل

هذه الاجراءات في ميدان الوقاية العامة من الجريمة .

والميدان الثاني هو ميدان البحث العلمي المجرد، وذلك في مجال التكهن بالسلوك الاجرامي قبل وقوعه . وقد خاض الكثير من علماء الجريمة ميدان التكهن هذا ، وازدحمت كتب علم الاجرام بجداول ومقاييس للتنبؤ بالسلوك الاجرامي قبل وقوعه . وقد يستخدم بعضها اليوم في مجال آخر هو مجال اختيار المرشحين للافراج الشرطي في بعض السجون الحديثة . وهذه جميعها نظريات وفرضيات وتكهنات مجردة، تحتاج الى ما يدعمها، ويأخذ بيدها الى حقيقة الواقع الملموس .

اما الميدان الاخير فهو العمل في المناطق الاجرامية الموبوءة التي تعرف بمناطق الجنوح Delinquency Areas ، وهي مناطق يعرفها رجل الشرطة ويتعامل مع سكانها ليلا ونهارا . وغالبا ما يرتبط مفهوم هذه المناطق بمفهوم شائع آخر هو المناطق الخربة Slum Areas . وهذه مناطق موبوءة بجرائم الجريمة والرذيلة ان جاز لنا التعبير .ومثل هذه المناطق هدف عناية الجهات المختصة في اكثر الاقطار الصناعية المتقدمة التي تعاني هجرة هائلة من الأرياف الى المدن الكبرى .

موقفنا اليوم

وبعد هذا العرض العاجل لميادين الوقاية من الجريمة ، ومفاهيمها المتعددة – بقي علينا ان نجد مكاننا اليوم بين كل هذا الكلام عن الوقاية من الجريمة وعلاجها . وبعبارة اخرى ما هي المرحلة او المراحل التي قطعناها اليوم في سبيل تهيئة وقاية مجدية او علاج صحيح للجريمة ؟؟

ولنبدأ بالوقاية اولا ثم العلاج ثانيا ؟؟

في الوقاية الميكانيكية

الوقاية الميكانيكية محدودة بظروف الدولة المالية وطاقاتها البشرية . فالدولة لا تستطيع ان تلبي مطالب الجمهور في تيسير الحماية التامة لكل بيت ولكل مواطن وفي كل ساعة ودقيقة . ان اتساع المدن اليوم ، وتضاعف عدد السكان ، وشيوع الهجرة الكبيرة من الريف الى المدينة يكاد يشل قدرة أجهزة الشرطة على تيسير مثل هذه الحماية المطلقة في غالبية اقطار العالم اليوم . هذا الى ان الدولة لا تستطيع العمل بمفردها في هذا الميدان . ان المؤتمر الدولي الرابع لمكافحة الجريمة ومعاملة المذنبين الذي انعقد باليابان في صيف ١٩٧٠ افرد جزءا كبيرا لمناقشة اهم موضوع حيوي يتصل بالوقاية ، وهو مشاركة الجمهور واسهامه الفعلي في عملية الوقاية ذاتها . انالدولة لا تستطيع حماية من لا يأبه لحماية نفسه وماله. فالوقاية هدفها حماية الفرد ، وعلى هذا الفرد ان يسهم في حماية نفسه ، وذلك بتعاونه مع السلطات المختصة في هذا الشأن .

في الوقاية العقابية

اما الوقاية العقابية فان جمود القوانين العقابية بوجه عام لم يعد يساير تطور الجريمة واساليب ارتكابها . لقد قدمت مدنية هذا القرن جرائم جديدة غريبة لم يفكر فيها فقهاء القانون الجنائي الذين صاغوا لنا قواعده . هذا الى ان الاتجاه الانساني المعاصر يميل الى تخفيف قسوة العقاب، او لا انسانيته ، وتحوير أهداف العقوبة بحيث تناسب المجرم كانسان دون جريمته . ويظهر أن غالبية دول العالم اليوم الغت عقوبة الاعدام من قوانينها العقابية، ووضعت مصلحة المجرم وحماية حقوقه فوق كل اعتبار قانوني آخر . ولذلك فان الوقاية المانعة في ضمن القانون العقابي الرادع لم تعد رادعة بالشكل الذي صوره لها انصار فلسفة العقاب .

في الوقاية الاصلاحية

وبقيت الوقاية الاصلاحية . وهي بيت القصيد كما يقولون . انها الميدان الذي يشيع فيه التناقض ، واختلاف الرأي ، وتعدد الاجراءات والتطبيقات . وسواء انصبت هذه الوقاية على الاصلاح العام ، أو على مناطق جنوح معينة ، فان مردود هذه الوقاية يضيع في غمرة تعدد الأهداف ، وتباين الامكانات، واختلاف الفلسفات، وتعدد الوسائل والاجراءات . وقد يرجع ذلك في أساسه الى اختلاف أنظمة الحكم والادارة ، وأساليب العمل ، من بلد لآخر .

ولكن تكاد تجمع غالبية الاقطار على نقطة واحدة للبداية ، وهي البدء بجنوح الأحداث ، لانه الحجر الأساسي في بناء الوقاية من الجريمة .

ولذلك فقد باشرت بعض الأقطار بالانفاق السخي على مشاريع وقائية متعددة ، تتصل بالاحداث والشباب ، لاستثمار أوقات فراغهم ، وتحويل اهتماماتهم نحو قنوات مثمرة بناءة . ولا شك ان بعض هذه الاقطار قد احرزت بعض النجاح النسبي في هذه الميادين ، في حين لم تزل أقطار كثيرة بعيدة عنه .

علاج الجريمة

كان هذا الكلام كله في الوقاية من الجريمة وهي التي تسبق ارتكابها . أما العلاج فهو الذي يلحق ارتكابها . فما هو العلاج الذي نقدمه للمجرمين؟؟

الواقع ان بعض المؤسسات الاصلاحية الحديثة أوشكت ان تكون اقرب الى المستشفيات ، منها الى السجون . فقد تعددت وسائل العلاج ، وتضافرت علوم مختلفة على تحقيق اسباب هذا العلاج .

صحيح ان المجرم اليوم لم يعد يعيش في كهوف مظلمة رطبة، كما عاش مجرم الأمس في أكثر سجون العالم . وصحيح أن هناك عناية واضحة بصحة السجين وبمأكله وملبسه حتى أوشكت بعض الكماليات المألوفة أن تكون ضروريات في بعض المؤسسات التجريبية المعاصرة . ومع كل هذا فهو الاستثناء الذي لا يمكن القياس عليه . ان احصائيات منظمة الدفاع الاجتماعي التابعة لهيئة الامم المتحدة تؤكد ان غالبية اقطار العالم لا تطبق قواعد الحد الادنى لمعاملة المذنبين والجانحين . بل ان بعض السجون لا تعلم عن هذه القواعد شيئا . انها قواعد قررتها المؤتمرات الدولية بشأن كيفية معاملة المذنبين ، وطلبت الى الدول المعنية محاولة الأخذ بتطبيقها في اقطارها . ولعل ذلك يرجع الى اختلاف الاقطار في مستويات الاجهزة العاملة في حقل الدفاع الاجتماعي من جهة ، والى تباينها في ادراك طبيعة السلوك الاجرامي ومدى استيعابها لفكرة المعاملة والعلاج بدل القصاص والردع والايلام والعقاب .

ان الكثير من سجون العالم لا تزال تهدف الى حجز السجين فترة عقوبته ، دون أن تعبأ باتخاذ اي اجراء لاصلاحه او علاجه . يقول بعض مديري السجون أن مهمتهم المحافظة على السجين ، ومنع هروبه ، ومنع عصيانه او اضرابه ، وليس اكثر من ذلك . اما العلم والنظريات والفرضيات التي يتحدث عنها أصحابها فلا تعنيهم بشيء . ان السجن حارس" مهمته الحفظ والحراسة ، وأن معيار نجاحه الاداري يتوقف على نسبة الهروب والعصيان والشغب ، وهذا كل شيء .

تعددت الاهداف ، وتقسمت الجهود

أما الفرضيات والنظريات التي قدمها ولم يزل يقدمها علماء الجريمة فهي الوجه المشرق الذي يبعث على الأمل والتفاؤل . لقد عانى علم الطب كثيرا في تحقيق أبسط نظرياته وفرضياته حتى وصل الى مسماه بعد مئات من السنين ، وكذلك شأن علم الاجرام وعلوم الانسان وعلوم السلوك بوجه عام . انها علوم تعمل في ميدان معقد شاق لا يكتب النصر فيه بسهولة . انها تسير على الطريق الصحيح الذي يوصل الى الحقيقة وهو المنهج العلمي الصحيح .

وكم مرة يخطر لي أن أشبه حالة سجون اليوم فيما يتعلق بمعاملة السجناء بمن يتدرب على التصويب في ميدان التدريب العسكري . انهم يضعون أمامه هدفا غير بعيد يطلبون منه اصابته. وغالبا ما يفلح في اصابة الهدف ، ولو بعد عدة محاولات طائشة .

ان علم الطب وعلوم الطبيعة وضعت امامها هدفا واحدا يصوب الجميع نحوه . وقد بلغت دقة التصويب في بعض هذه العلوم أنها استطاعت أن ترسل مركبات فضائية الى القمر والزهرة والمريخ، بتوجيه من الأرض ، وبدقة العلم ومنجزاته . انها القوانين العلمية التي تقوم على معرفة السبب.

اما نحن في علم الجريمة فليس أمامنا هدف واحد ، بل أهداف متعددة كثيرة . وكل باحث وعالم يصوب نحو هدف ينشده ، ويعتقد انه الهدف الصحيح . وهكذا نجدنا في السجون والاصلاحيات . كل مؤسسة تصوب نحو هدف دون غيره . وقد تصوب بعضها الى أكثر من هدف . وهكذا ضاع التصويب الدقيق وتعددت الاطلاقات، وتباعدت بعض الأهداف واقتربت الأخرى . والى ان يأتي الوقت الذي تتضح فيه الرؤية العلمية نحو هدف واحد مشترك فاننا سنظل نعيش فترة تجريب طويل يتناول أهدافا غير محدودة ، وعسى أن لا يسير بنا الزمن طويلا ، لكيلا نفقد القدرة على التركيز نحو هدف واحد . ■■

عدنان الدوري

دكتوراه علم الاجرام
من جامعة ماريلند

مسابقة العربي

في بلاد المشرق العربي

■ مسابقة هذا العدد جغرافية بحتة... وكلها أسئلة تتناول معالم من مشرق الوطن العربي .

والمطلوب منك الاجابة على ١٢ سؤالا على الاقل ، من مجموع أسئلة المسابقة ... وتسهيلا للقراء نشرنا الى جانب الاسئلة ، خريطة تظهر بالارقام مواقع الاماكن التي تدور حولها الاسئلة .

وهذه هي الاسئلة :

١ ـ نهر يتكون من التقاء نهرين ، ويصب في الخليج العربي ، ما اسم هذا النهر ؟

٢ ـ جزيرة صغيرة كانت مركزا لاستراحة الحجاج ، تقع على مسافة ثلاثة كيلومترات من بلدة الصليف اليمنية ، ما اسم هذه الجزيرة ؟

٣ ـ واحة خضراء يانعة ، تقع وسط الصحراء ، تزحف عليها رمال الربع الخالي وتهددها بالفناء ، فما اسم هذه الواحة ؟

٤ ـ جزيرة عربية تقع في مياه احد المضائق البحرية الخطرة ، ما اسم هذه الجزيرة ، وما اسم المضيق ؟

٥ ـ خليج متسع ، يقع شرق الخليج العربي ، عند التقائه بمياه المحيط الهندي .. ما اسم هذا الخليج ؟

٦ ـ مجموعة من الجزر العربية ، تقبلتها الملكة فيكتوريا هدية بمناسبة عيد زواجها ، ثم عادت الى عروبتها ، ما اسم هذه المجموعة من الجزر ؟

٧ ـ مدينة مزدهرة كانت عاصمة لاحدى السلطنات الجنوبية ايام الاستعمار ، ثم اصبحت اليوم في عداد مدن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ... ما اسم هذه المدينة ، وما اسم السلطنة التي كانت هي عاصمتها ؟

٨ ـ نهر صغير يمر وسط سهل البقاع ، بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية ، ما اسم هذا النهر ؟

٩ ـ جزيرة سورية .. سكنها الفينيقيون قديما ، تبعد ثلاثة اميال غرب طرطوس على الساحل السوري .. ما اسم هذه الجزيرة ؟

١٠ ـ مدينة اشتهرت بالغزوة العظيمة التي قام بها النبي (ص) في شمال الجزيرة العربية ، وهي تقع على طريق الحج بين سوريا والمدينة المنورة ، فما اسم هذه المدينة ؟

١١ ـ مدينة شيدها الانباط ، بل نقشوها في صخور الجبال الوردية اللون التي ضمت مملكتهم القديمة ، وهي اليوم مدينة سياحية شهيرة ، ما اسمها ؟

١٢ ـ مدينة تقع في شمال العراق ، متوسطة الحجم الا انها تحتل مكانا بارزا في صناعة البترول في العراق .

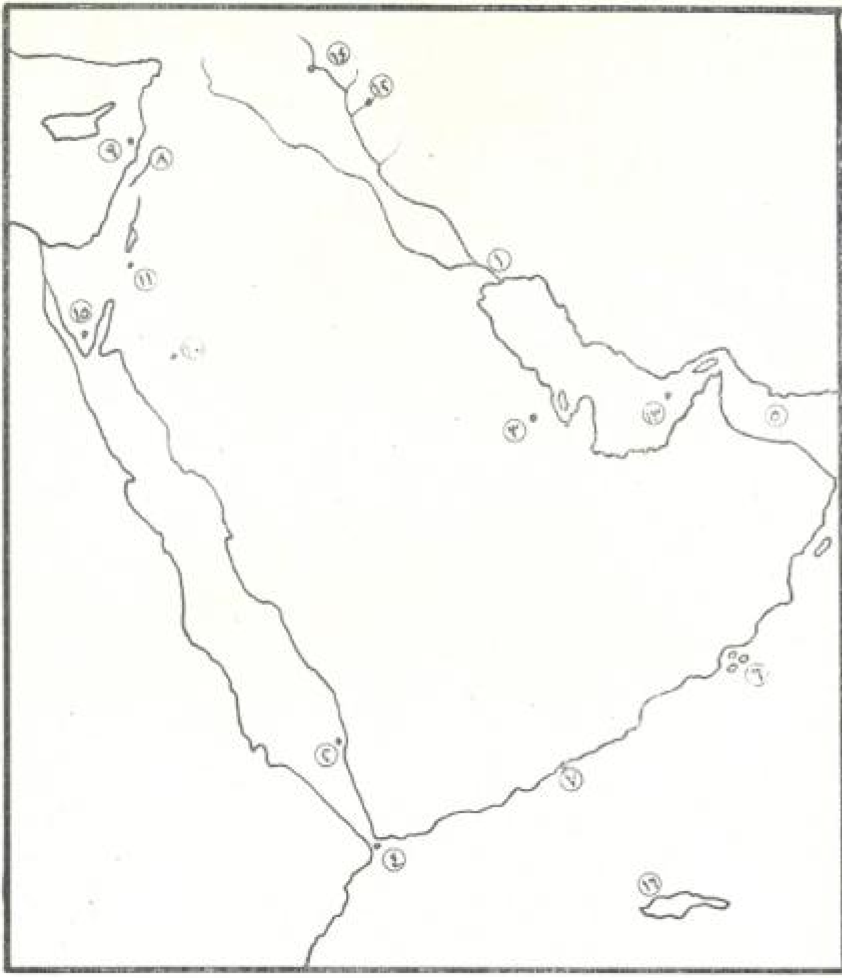
فما اسم هذه المدينة ؟

١٣ ـ جزيرة عربية تقاسمتها دولتان ، احداهما عربية ، اكتشف النفط مؤخرا في شواطئها ، فما اسمها ؟

١٤ ـ مدينة على نهر دجلة ، بجوارها اطلال مدينة نينوى التاريخية ، اشتهر باسمها موسيقار عربي قديم ، فما اسم هذه المدينة ؟

١٥ ـ دير قديم شهير ، يقع في قلب شبه جزيرة سيناء ، ما اسم هذا الدير ؟

١٦ ـ جزيرة عربية ، تقع على مسافة ٥٩٠ ميلا جنوب عدن ، ما زالت تعيش في القرون الوسطى ، فما اسمها ؟



شروط المسابقـة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامـل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧٥ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٢

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ..١ دينار كويتي على الوجه الآتي : الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منهاه دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقراع . ■■

كوبون مسابقة العـدد ١٧٥

ركن الأسرة والمرأة

إذا «المرءُ» يوماً أرادَ الحياةَ فلا بُدَّ أنْ يَستجيبَ القدر

■ اليأس من الحياة ، شعور ينتاب المرء عندما تحل به المحن ، وتواجهه المصاعب ، وهو « اول اعراض الموت » ، كما يقول ولز H.G.Wells ، كاتب الانجليز الكبير .. انه مرض اذا اصابنا وتمكن منا ، قتل نفوسنا ، وقتل فينا الرغبة فى الحياة ..

ومع هذا، فنحن وحدنا الذين نستطيع ان نشفى قلوبنا من هذا المرض رغم حدته .. ولعله المرض الوحيد الذى لا نحتاج فيه الى طبيب يخلصنا منه ، ففي ايدينا وحدنا ، وفى مكامن نفوسنا ، الخلاص من الالم الذى يحتوينا ، كلما تعرضنا لمصائب الحياة ومشاكلها ..

يقول علماء النفس الذين كثيرا ما نلجا اليهم ليساعدونا بحديثهم الهادىء فى التغلب على المشاكل والصعاب .. يقول هؤلاء : « ان كل مشكلة تصادفنا فى حياتنا ، تحمل بين طياتها بذور الحل الذى نبحث عنه .. ولكن قد يحدث ان تكون هذه البذور احيانا صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة ، او قد تكون قليلة متناثرة هنا وهناك ..

ونحن فى الحالتين اذن ، لا بد لنا من ان نضع على اعيننا منظارا مكبرا يساعدنا على رؤيتها ، وان يكون لدينا الصبر الذى سوف نحتاج اليه حتما ، ونحن نحاول ان نجمع تلك البذور المتفرقة ، لكي نعيد زرعها فى الارض من جديد ، ثم ننتظر بعد هذا ثمرة ما زرعناه بايدينا !

فالحياة اذن لا تنتهي عند اول مشكلة يصادفها المرء وهو ماض فى دروبها .. ولو كان الامر كذلك لخلت الارض من كل ما فيها وما عليها من حياة .. وهل هناك اعظم من الشجرة .. انظروا اليها فى الخريف ، وقد عصفت بها الريح ، فجفت اوراقها وتساقطت ، واصبحت عارية ، الا من اغصانها الجافة الملتوية .. ثم تعالوا بنا نزورها فى الربيع ، لقد اكتسى كل فرع من فروعها اليابسة بلون الخضرة .. لون الحياة .. واذا كان هذا هو حال النبات ، فكيف يكون حال الانسان اذن فى مواجهة العواصف والانواء ! »

الرغبة فى التغيير

يقول الدكتور نورمان فنسنت بيل فى كتابه « ابق حيا ، كل حياتك » : « ان كل انسان يستطيع ان يتغير ، وان يبدا حياته من جديد ، مهما كانت قسوة الحياة عليه ، بشرط ان تكون لديه الرغبة فى هذا التغيير ، وبشرط ان يبذل كل ما فى وسعه ليضع قدمه على بداية طريق الحياة الجديد ، الذى اختاره لنفسه فليس هناك شيء يقتل النفس ويشل حركتها ، اقوى واعظم من الاستسلام للقدر ، واليأس من الحياة ذاتها ! »

ثم يروى الدكتور بيل قصة امراة ، فقدت كل شيء .. فقدت الزوج بعد حياة زوجية قصيرة لم تثمر ، وفقدت الوالدين ، ونظرت من حولها فلم تجد احدا يمكن ان تلجا اليه ، حتى تصورت فى لحظة من لحظات اليأس التي تستبد بنا نحن الضعفاء من البشر ان الحياة قد انتهت بالنسبة لها !



قصة من واقع الحياة

ماذا فعلت هذه المرأة ، وماذا كان مصيرها ، انها قصة قديمة ، وقعت حوادثها في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولكنها قصة كل يوم ، فما اعظم الدرس الذى يمكن ان تستخلصه منها .

ونترك الدكتور بيل يروى القصة على لسان صاحبتها ، كما روتها له .. قالت : « لم اجد سببا واحدا يدعونى الى الاستمرار في الحياة ، فقد كانت صدمة قاسية عندما وجدت نفسى اقف وحدى .. امراة ضعيفة فقيرة لم تنل من التعليم الا القدر اليسير ، بلا عائل ، ولا ولد ، ولا مال انفق منه على عيشي ، وعلى حياتى التي خلت من كل شيء الا الذكريات ..

« لم تعجبني نظرات الاشفاق التي كنت اراها في عيون اهل القرية الصغيرة باحدى ولايات امريكا ، تلك التي عشت فيها طفولتي في بيت والدى ، ثم سنى شبابي القصيرة مع زوجى الذى تركني ورحل .. فقررت ان انتقل الى قرية اخرى .. الى مكان بعيد لا يعرفني فيه احد ، ولا اعرف فيه احدا ..

عزلة وانطواء

« وقضيت بضعة اسابيع انفق فيها على نفسى مما تبقى لي من مال يسير ، تركه لي والدى قبل ان يرحل .. الى انشاء القدر ان يبتسم لى اخيرا فالتحقت بوظيفة صغيرة في احدى الوكالات السياحية .. لم يكن اجرى منها سخيا ، ولكنني رضيت به ، واوصدت باب غرفتى الصغيرة التى استاجرتها لتكون سكنا لى ، وانطويت على نفسى ، ورحت اغرق احزانى في القراءة .. كنت اقرا كل كتاب وكل مجلة ، وكل صحيفة تقع عليها يدى ، وتسمح لى ميزانيتى الضئيلة بشرائها ..

« وفي احد الايام ، وقع بصرى على اعلان صغير نشرته احدى الصحف على صفحتها الاولى ، وكان الاعلان يتحدث عن مشروع جديد ، فريد في نوعه ، اسموه مشروع التبنى بالمراسلة » ان اى شخص يحب الاطفال ويعطف عليهم ، يستطيع ان يتبنى طفلا من الوف الاطفال اليتامى الذين خلفتهم الحرب وسط الخراب والدمار الذى حل باوروبا . يكفى ان يدفع مبلغ عشرة دولارات شهريا يرسلها للطفل الذى يختاره من بين مجموعات الاطفال التى كانت الصحيفة تنشر صورهم تباعا ، فيصبح صاحب الدولارات العشرة ، ابا روحيا لهذا الطفل اليتيم !

طفلة .. وطفلة

« وقلت لنفسي : الست انت نفسك طفلة يتيمة كبيرة ! وفرى مالك ، فانت في حاجة الى كل سنت منه ! » ولكن سرعان ما استسخفت هذا الذى جال بخاطرى للوهلة الاولى بعد قراءة الاعلان ، فقد كنت احب الاطفال واشفق عليهم ، ولطالما تمنيت ان يكون لى طفل بعد زواجى ، يؤنس وحدتى ويملا فراغ حياتى .

« وارسلت المبلغ .. لقد اخترت طفلة في العاشرة من عمرها تدعى ليندا ، المانية الجنسية تعيش في ملجا صغير بجوار مدينة هامبورج .. وجاءنى الرد على رسالتى التى اودعتها المبلغ ، وكان ردا طويلا يحوى تاريخ حياة هذه الطفلة

المسكينة ، وصورة فوتغرافية لها ، وبكيت وانا انطلع الى وجه ليندا الشاحب .. كانت تبدو اصغر من سنها ، نحيفة ضئيلة ، تحمل فوق كتفيها راسا صغيرا ، ابرز ما فيه هاتان العينان السوداوان الواسعتان اللتان ذبلتا تحت وطاة الهما الكبير .

صورة ليندا

ولاول مرة في حياتي في وحدتي ، احسست بالخجل وانا اتامل صورة هذه الطفلة المسكينة .. حقيقة لقد رايت صورتها قبل ذلك في الصحيفة ولكنها لم تكن واضحة كل الوضوح ، وهي الان امامي، انني استطيع ان اتخيلها في وحدتها وآلامها .. هذه الطفلة الصغيرة المسكينة التي حرمها القدر من والديها في تلك السن المبكرة ، وانا التي كنت اظن ان الحياة لم تقس على انسان ، كما قست علي ..

«واسرعت الى حافظة نقودي، اعد ما تبقى لي فيها ، واتجهت الى السوق ، وفي ذهني صورة لما اعتزمت ان افعله .. لابد ان اصنع شيئا من اجل ليندا .. لابد ان اعيد الى هذا الوجه الحزين ، الابتسامة التي اتمنى ان اراها على وجوه كل الاطفال الصغار .. واشتريت لها فستانا جميلا ، وارسلته بالبريد المستعجل .

اصبحت اما

« وانقضت بضعة اسابيع ، قبل ان اتلقى اول رسالة كتبتها لي « ابنتي ليندا » . وكانت الرسالة بالالمانية وبخط يدها الصغيرة ، ومعها ترجمة حرفية بالانجليزية .. وقد بداتها بالكلمة التي طالما تقت لسماعها .. قالت : «امي العزيزة» اشكرك على الفستان الجميل .. لقد ارتديته يوم الاحد الماضي، عندما ذهبنا جميعا ـ انا واخوتي ـ اطفال الملجا لقضاء اليوم في حديقة هامبورج . اريد ان ارى امي الجديدة .. هل لك ان ترسلي لي صورتك في رسالتك القادمة ؟

« وكفكفت دموعي .. انني لا اعرف هذه الطفلة ، ولم اقابلها يوما في حياتي .. ولكنني احسست في هذه اللحظة انني قد اصبحت « اما » حقيقة ، وانه قد اصبح لي طفلة .. من يدري ، فقد استطيع يوما ان ادعوها للاقامة معي !

وخرجت من غرفتي ، واتجهت الى اقرب مصور ، فقد تذكرت انني لم احتفظ بصورة واحدة من صوري القديمة مع زوجي . لقد مزقتها كلها اثناء محاولاتي لدفن الماضي ، وبدء حياة جديدة ..

الاحساس بالحياة

« وفيما كنت اهرول مسرعة الى استوديو التصوير ، استوقفتني مراة في الطريق ، وجدت نفسي اقف امامها فجاة .. ولاول مرة منذ عامين تقريبا ، رحت انطلع الى هذا الوجه .. الى وجهي في المراة .. وهالني ما رايت .. فقد كانت ملابسي غير مرتبة ، وشعري غير مصفف ووجهي شاحبا بلا مساحيق ولا رتوش !

« واشفقت على ليندا المسكينة ، عندما تفاجا بهذه الصورة .. انها لاشك سوف تصدم .. فهي سعيدة بامها الجديدة ، ولكنها ستكون اكثر سعادة قطعا اذا وجدت ان امها امراة جميلة ..

« وعدت الى حجرتي ، وارتديت فستانا جديدا ثم جلست الى مراتي الصغيرة ، وحاولت بقدر الامكان ان اصلح من مظهري ومن طريقة تصفيف شعري ، ثم اتجهت مرة اخرى الى استوديو التصوير ..

« وعندما جلست على المقعد الصغير الذي طلب الي المصور ان اجلس عليه ، وبدا يستعد لالتقاط صورتي ، احسست بسعادة تغمر قلبي ، فابتسمت .. وكانت اول ابتسامة منذ سنوات طوال .

الابتسامة التي ايقظتني

« ولاول مرة ، منذ عامين ، شعرت بانني قد اصبحت امراة مرة اخرى !

« لم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي استيقظت فيها بعد ان عرفت ليندا .. فقد ايقظتني صورتها الجديدة التي ارسلتها لي ردا على خطابي الذي حمل لها صورتي .. كانت ليندا تلبس احد الفساتين الجديدة التي ارسلتها لها ، وعلى وجهها ابتسامة مشرقة ، لقد بدت طفلة سعيدة كبقية الاطفال .. واحسست بسعادة تغمرني فقد نجحت في ان اعيد الابتسامة الى هذا الوجه الحزين الشاحب ..

« ولم اقنع بهذه الكلمات القصيرة التي اكتبها الى ليندا في خطاباتي فيترجمونها لها الى الالمانية احسست انني اريد ان احدثها حديثا طويلا عن نفسي وعن حياتي ، وكيف اعيش ، وماذا اصنع، فقررت ان اتعلم الالمانية .. كنت انتهي من عملي في المساء ، فاذهب الى معهد لتعليم اللغات ، حتى استطعت في اقل من تسعة اشهر ان اكتب الالمانية واتحدثها ..

« وعلم رئيسي بامر اللغة الجديدة التي تعلمتها، فامر بترقيتي ، وارتفع مرتبي .. لقد حصلت على ثلاثين دولارا زيادة دفعة واحدة ..

« كنت اعرف ماذا ساصنع بهذه الدولارات حتى قبل ان اقبضها .. لقد اعادت الي ليندا الصغيرة الامل في الحياة مرة اخرى ، فقلت لنفسي : « لماذا لايكون لدى ثلاثة او اربعة من الاطفال ؟! ».

ابني الثاني

« وتبنيت طفلا فرنسيا اسمه بيير وعدت الى المعهد مرة اخرى ، لاتعلم الفرنسية في هذه المرة . ومن جديد ارتفع مرتبي ، بسبب بيير ، ومن اجل اسعاده .. لقد احسست من خلال رسائله الي انه يريد ان يعرف كل شيء عني ، وعن بلادى ، فدرست التاريخ ، ومع تاريخ امريكا ، كان لابد ان ادرس ايضا تاريخ اوربا ، والحرب الثانية ، والاسباب التي ادت الى نشوبها .. كنت اريد ان اجعل بيير يشعر بانه قد اصبح ابنا لامراة مثقفة .. فاذا بمدير الوكالة التي اعمل فيها يستدعيني لمقابلته في مكتبي ، ليبلغني أن مرتبي قد ارتفع مرة اخرى ، وانه قرر تعييني رئيسة القسم الاوروبي للسياحة .

ثلاثة ابناء جدد

« وتقاسمت حظى السعيد هذه المرة مع ثلاثة اطفال دفعة واحدة ، طفلان من ايطاليا هما ماركو ولويجي وطفلة يونانية جميلة تدعى هيلين .

« وجاء اليوم أخيرا ، الذى قررت فيه ان ازور ابنائي الخمسة ، وكانت مهمة سهلة ، بفضل تذاكر السفر المخفضة التي تقدمها وكالة السياحة لموظفيها .. وقررت ان ابدا بزيارة المانيا لارى ليندا « ابنتي البكر » وكان لقاء حارا في المطار .. كنت سعيدة بها ، وكانت سعيدة « بامها » .

« وتكرر اللقاء الحار مع بقية ابنائي في باريس، ثم في روما واخيرا في اثينا ..

حب جديد

« وفي روما التقيت بشاب ايطالي – يعمل مديرا لاحد الفنادق ، يدعى ماريو ، وكان ماريو قد قرأ قصتي كاملة مع اطفالي الخمسة في الصحف ، فجاء يرجوني ان اقبل هديته المتواضعة .. ولم تكن الهدية سوى سيارته الخاصة التي وضعها تحت تصرفي طوال مدة اقامتي في روما ..

«الى ان سافرت الىاثينا أخيرا، وهناك فوجئت بالسيارة وصاحبها في انتظارى ، وما كدت افتح باب السيارة حتى تدفقت الهدايا التي اشتراها من ماله الخاص لاطفالي الخمسة .. قال وهو يقدمها لي : « انهم ايضا ابنائي ، هل تقبلينني زوجا لك .. انني لن اجد في الدنيا قلبا كبيرا رحيما مثل هذا القلب الذى اتسع لخمسة اطفال دفعة واحدة » .

قلت : « لا .. انني مدينة لهؤلاء الاطفال بما انا عليه اليوم .. لقد اعادوا الي الامل في الحياة، اعطوني حبهم ، فاحسست بقيمتي في لحظة كنت قد فقدت فيها كل معنى للحياة .. لقد جعلوني اشعر بالمسئولية ، تجاههم وتجاه نفسي لاول مرة منذ ان فقدت زوجي ووالدىّ واصبحت اعيش وحدى بين أربعة جدران مظلمة فيهذا العالم الواسع، لقد استمتعتمعهم بتذوق طعم السعادة، وجعلونيافخر بما حققت من نجاح.. لقد شاركتهم حياتي واقتسمت معهم انتصاراتي فاعطوني اعظم شيء ، اعطوني حبهم ، فاعطيتهم حبي وحناني .. انني اعيش لهم ومن اجلهم .

قال : « لم تجيبيني على سؤالي »

قلت : « اكره ان اعود وحدى واتركهم هنا ورائي .. اريد بيتا يجمعني بهم ، واحس وسطهم بانني قد أصبحت اما حقيقية لهؤلاء الاطفال الذين ملأوا حياتي » .

قال : « وانا اتمنى ان اشاركهم جميعا ، انت واطفالك الخمسة ، هذه الحياة » .

وتزوجنا .. ماريو وانا ، وجاء اطفالنا الخمسة ليبداوا معنا حياة جديدة مليئة بالحب والسعادة والامل .

■■

م . ن

طرائف غريبة



بين فيلسوف انجليزي ورئيس الحكومة

● المؤرخ والفيلسوف البريطاني برتراند راسل، كثيرا ما كان يقف مدافعا عن حقوق العمال، وافراد الطبقة الكادحة في بريطانيا في بداية الحركة العمالية، عندما لم تكن هناك قوانين تحميهم من سيطرة اصحاب العمل واستغلالهم، وخاصة عندما كان يرى المئات منهم يدفنون احياء في مناجم الفحم، دون أن تفكر حكومات المحافظين المتعاقبة في تعويض اسرهم التعويض المناسب عن فقد عائلهم.

وكان موقف راسل يثير ثائرة زعماء حزب المحافظين الذين كانوا يرقبون نمو الحركة العمالية قبل الحرب العالمية الاولى بقلق زائد.. الى ان جاءه يوما رسول يحمل اليه رسالة من رئيس الحكومة يرجوه فيها الحضور للقائه في مكتبه.

وذهب برتراند راسل الى مكتب رئيس الوزراء وكان شابا وقتها في الثلاثين من عمره، فدعاه رئيس حكومة المحافظين في ذلك الوقت الى الجلوس، فرفض، وقال: ان راسي يتوقف عن التفكير يا سيدى عندما اجلس على هذه المقاعد الوثيرة التى يمتلىء بها مكتبك، ثم اني اشم من الهواء رائحة مشكلة تريد ان تحدثني في امرها! لذا افضل أن ابقى واقفا لكي استطيع ان افكر وان ارد على اسئلتك!

قل رئيس الوزراء: اريد ان اعرف سر حماسك في الدفاع عن العمال والمطالبة بحل مشاكلهم؟ ترى هل هي ميولك السياسة وحدها أم ان هناك عوامل اخرى تدفعك الى ذلك؟»

فقال راسل في هدوء: «انني لا انتمي لحزب معين ياسيدى، وانما انتمى الى الانسانية جمعاء ثم انني افاضل دائما بين الاعمال التي يؤديها الانسان لخدمة البشرية ونفعها.. قل لي انت: «ماذا يحدث لو تغيبت يوما او حتى اسبوعا عن مكتبك؟ فقال رئيس الحكومة: «سينوب احد الوزراء الكبار عني في تصريف شئون الدولة!»



وعاد راسل يسأل : « وماذا يحدث لو اضرب عمال المناجم عن العمل ؟ »

ولم ينتظر راسل جوابا من رئيس الحكومة ، فقد اجاب هو على السؤال الذى طرحه، قائلا على الفور : «سيموت الالوف من ابناء هذا البلد تحت وطأة البرد الشديد ، عندما تخبو النيران فى مدافئهم ، وربما كنت انت نفسك ، احد ضحايا الانفلونزا التي ستجتاح بريطانيا بسبب اختفاء الفحم من الأسواق ! » .

وقام رئيس الحكومة من مقعده ، ومد يده مصافحا راسل ومودعا .. قال وهو يشد على يده : « ارجوك ان تتولى انت بنفسك كتابة تقرير يحوى كل ما تراه مناسبا من اجراءات لتوفير حياة كريمة لهؤلاء العمال واسرهم ! »

ولم يكن رئيس الوزراء هذا سوى هربرت هنرى اسكويث(١٨٥٢ ــ ١٩٢٨) زعيم حزب الاحرار الذى تحالف مع حزب المحافظين لفترة ، ولكنه ما لبث ان تمرد على هذا التحالف ، بعد ان وضعت الحرب الاولى اوزارها وترك الوزارة مكرسا ما تبقى له من حياة لخدمة قضايا العمال فى بريطانيا .

عندما تحكم المرأة



● فى كل عام تحتفل قرية مونوكليسيا « Monoklissia » ، وهي قرية صغيرة من قرى اليونان بذكرى يوم قديم مضى عليه اكثر من الف عام ، وهو يوم « تحرير المرأة » او يوم « حكم المرأة » ويسمونه باليونانية Gynaecokratia ، وفى هذا اليوم يبقى الرجال فى البيت ، يعنون بالاطفال ، ويغسلون الارض ويطهون الطعام ، وويل للرجل الذى يضبط وهو تارك بيته ويرى فى خارجه متجولا فهو يتعرض لاقسى انواع العقاب ، اذ سرعان ما تتجمع النساء اللواتي تمتلىء بهن شوارع القرية وازقتها ويسلطون عليه خراطيم المياه التي تتدفق باردة كالثلج فى عز الشتاء !

اما النساء فتراهن قد تجمعن فى المقاهى والحانات ، وقد جلسن يحتسين اقداح القهوة والجعة ، وقد رحن يتناقشن فى افضل الحلول لمشاكل الساعة ومشاكل العالم التي تهدد بالانفجار !

فاذا انتهى النهار وبدات الشمس توشك على الغروب ، عادت النساء الى بيوتهن ، وعادت الحياة مرة اخرى الى طبيعتها، وتحرر الرجل من «حكم المرأة» فعاد بدوره رجلا من جديد ، وانتهى اليوم !

ولكن لوحظ فى السنوات الاخيرة ان عدد النساء اللواتي يشتركن فى الاحتفال بهذه الذكرى فى تناقص مستمر .. وتساءلت المسئولات : « ماذا حدث ؟ »

ووقفت احدى الزوجات تقول فى هدوء : « افضل الا احتفل بذكرى يوم لا يدوم ، على ان اعود الى بيتي بعد الغروب ، لاجد كل شيء قد قلب راسا على عقب .. انني اقضى اسبوعا على الاقل بعد كل احتفال لاصلح ما افسده زوجي فى غيابي ! »

وبدات نساء القرية فى التفكير فى تخفيض فترة الاحتفال باحياء هذه الذكرى لمدة ساعة واحدة ، للتقليل من الخسائر بقدر الامكان !



استطلاع الكويت

الفُحَيْحِيل

واحِدة مِن أقدم مُدن الكويْت

بدأها في الصَّحراءِ ماءٌ ونخيل

مدينةٌ جمعتْ بينَ الصِّناعة .. والنّفط

استطلاع بقلم
محمد طنطاوي

تصوير
صلاح آدم

بعض المباني الحديثة ، والفيلات الأنيقة في مدينة الفحيحيل ، تلك المدينة التي تضم حوالي ٨٠ الف ساكن وتنمو بسرعة .





في الماضي كانت الفحيحيل تضم مزارع عديدة .. ولكن العمران زحف على الرقعة الخضراء .. ولم يبق من المزارع سوى القليل الذي تحيط به المباني من كل مكان .



على شاطيء الخليج يهرع الناس لتمضية العطلة على البلاج الرملي الجميل وهناك الآن مشروعات جديدة لاقامة بلاجات في الفحيحيل .

■ الى الجنوب من مدينة الكويت .. وعلى شاطىء الخليج العربي تقع مدينة الفحيحيل .. وهي مدينة قديمة يعود تاريخها الى اكثر من ١٥٠ عاما .. وقد نشأت هذه المدينة ، والتي تعتبر ثاني اكبر مدينة في الكويت من حيث تعداد السكان (٨٠ الف نسمة) بسبب وجود آبار المياه الحلوة بها .. فمنذ حوالي ١٥٠ سنة جاءت الى هذه المنطقة ، والتي كان يوجد بها آبار وعيون للمياه الحلوة ، ويحيط بها النخيل ، عائلتان عربيتان هما عائلتا الدبوس والعجيل . واقامت العائلتان في هذه المنطقة ، واطلقوا عليها اسم الفحيحيل اشتقاقا من اسم « الفحّال » وهو اسم يطلق على ذكر النخل (وهذا يطابق ما جاء في معاجم اللغة العربية) .

وبدأ العمران يدخل الى هذه المنطقة . وكانت القبائل تجيء اليها لتشرب من مياه آبارها الحلوة .. وترعى اغنامها هناك . واقامت عائلة الدبوس سور الفحيحيل القديم ، بعد عام حرب الجهراء ، وذلك لحماية مدينتهم الصغيرة من غزوات القبائل . وكذلك لحماية الساحل الجنوبي للكويت من خطر الغزوات القبلية في ذلك الوقت .

وتطورت الكويت .. وظهر النفط .. واقيم رصيفان لشحن النفط في الفحيحيل .. وبدأت المدينة في النمو .. وهدم السور ولم يبق منه اي اثر .

وبعد الاستقلال ازدادت حركة النمو في الفحيحيل . وبعد ان كانت المزارع الخضراء تنتشر وسط بيوت هذه المدينة الساحلية ، تقلصت الرقعة الخضراء بها ، وبدأت البنايات الحديثة تحتل اماكن المزارع والنخيل .. ولم يبق من هذه المزارع الا القليل النادر .

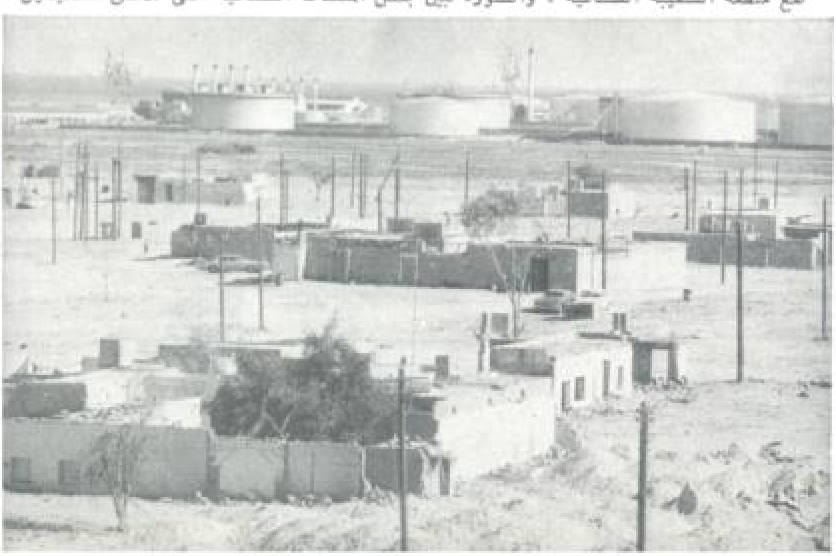
في الطريق الى الفحيحيل

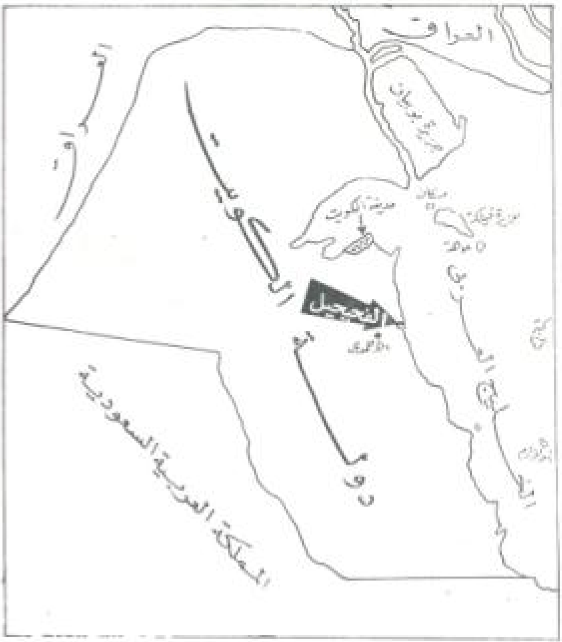
والفحيحيل تقع على بعد نحو ٣٥ كيلو مترا جنوب مدينة الكويت .. والطريق اليها طريق واسع معبد تقطعه السيارة في مدة لا تزيد عن ٣٠ دقيقة .. وعلى طول الطريق القريب من ساحل الخليج تنتشر القصور والمباني الحديثة على الساحل اللازوردي للخليج .. وتعد هذه المنطقة من اجمل مناطق الكويت الساحلية . ويمضي فيها الكثيرون عطلاتهم الاسبوعية بعيدا عن المدينة ..

مدينة صناعية

والفحيحيل تابعة اداريا لمحافظة الاحمدي ، وهي تعتبر في الواقع الميناء الرئيسي لمدينة الاحمدي . ويقطن فيها الكثيرون من العاملين في شركات النفط والشركات الصناعية الاخرى .. وتوجد الى جوار الفحيحيل مباشرة منطقة الشعيبة الصناعية ،

تعتبر مدينة الفحيحيل مدينة صناعية ، ومدينة بترولية ، بحكم موقعها .. والى جوار الفحيحيل تقع منطقة الشعيبة الصناعية . والصورة تبين بعض المنشآت الصناعية التي تلاصق الفحيحيل .





خريطة تبين موقع مدينة الفحيحيل والتى تقع على بعد نحو ٣٥ كيلومترا جنوب مدينة الكويت وامام مدينة الاحمدي على شاطىء الخليج .

اذ انها تقع بين الرصيف الجنوبي لميناء الاحمدى وميناء عبد الله جنوبى قرية الشعيبة ، وفي هذه المنطقة توجد معامل مصفاة البترول التابعة لشركة البترول الوطنية ، والتي تم انشاؤها في عام ١٩٦٧ وقد وصل انتاجها في تكرير خام البترول الىحوالي ١٠٠ الف برميل يوميا . وقد تم تصنيع ٢٣٫٦٨٥٫٧٨٦ برميل نفط خام في هذه المصفاة في عام ١٩٧٠ . وتبلغمساحة منطقة الشعيبةالصناعية حوالي ٨٫٣ مليون متر مربع . كما ان لها ميناء خاصا بها وقد تمتصدير ١٧٩٫٣٨١ طنا منمنتجات هذه المنطقة عن طريق هذا الميناء الى الخارج في عام ١٩٧٠ وحده .

وتضم منطقة الشعيبة عدة مصانع اهمها مصانع شركة الاسمدة الكيماوية ، ومصنع الاسمنت الذى يقوم بانتاج ٣٠٠ الف طن سنويا ، وكذلك مصنع تجميد الاسماك التابع للشركة الوطنية لصيد الاسماك . ومصانع انتاج النيتروجين وتعبئة الامونيا السائلة . ومن الجدير بالذكر ان الكويت تعتبر اكبر دولة منتجة للنشادر وسماد اليوريا في الشرق الاوسط ، اذ يبلغ انتاجها اليومي من النشادر ٢١٦٠ طن مترى ومن سماد اليوريا ١٩٥٠ طن مترى .

شركة ناقلات النفط الكويتية

وفي قلب مدينة الفحيحيل ، والى جوار المحكمة الجزئية ، ومخفر الشرطة ، يوجد مبنى فرع الوكالة البحرية التابع لشركة ناقلات النفط الكويتية ، وهو يقوم باداء الخدمات التي تحتاجها الناقلات والبواخر القادمة الى الكويت . والدائرة الهندسية الملحقة بهذا الفرع بتقديم معظمالخدمات الفنية التي تحتاج اليها الناقلات وعلى الاخص الخدمات الالكترونية . والشركة تمتلك حتى الآن ٦ ناقلات تبلغ حمولتها ٨٠٠ الف طن ، وهي في انتظار تسلم ناقلة جديدة عملاقة تبلغ حمولتها الساكنة ٣٢٤٫٠٠٠ طن وذلك في آخر هذا العام .

١٣ مدرسة للبنين والبنات

وفي مدينة الفحيحيل ١٣ مدرسة حكومية للبنين



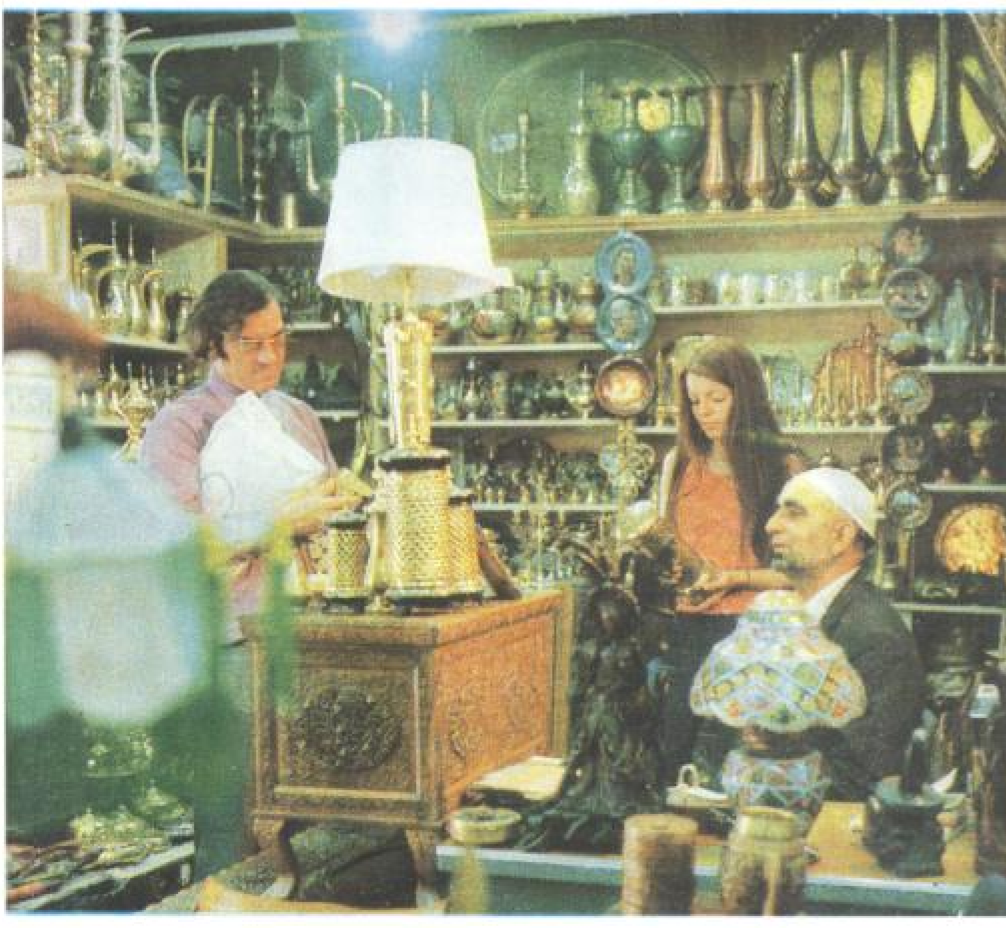


الى اعلى وأسفل : يقضي عدد كبير من سكان الكويت عطلاتهم في حديقة الفحيحيل العامة ، والتى تعتبر من أجمل حدائق دولة الكويت ، وتتميز بموقعها على شاطىء الخليج ، **وفي الصورة العليا الى اليمين** عائلة تقضي يومها في الحديقة .. رب العائلة يقوم بشواء اللحم .. بينما طفله يلعب .. والزوجة تجهز أدوات الطعام .. **والى اليسار** الاطفال يلهون بالالعاب في الحديقة .. **والى اسفل** منظر عام للحديقة وهى ممتلئة بروادها من الشباب والاطفال .

الى اليسار : صورتان تمثلان بعض اسواق الفحيحيل ، **الصورة العليا** لسوق الأسماك الذى يقع على الشاطىء مباشرة ويجيء اليه الصيادون بصيدهم طازجا .. ويزدحم السوق في ايام العطلات والجمع في الصباح .. وكل يوم بعد الظهر .. **والى اسفل** واحد من المحلات التى تبيع التحف الشرقية ويقبل على هذه المحلات سكان مدينة الاحمدى وبحارة السفن التى ترسو في موانىء البترول بجانب الفحيحيل .







والبنات تشمل جميع مراحل التعليم : الروضة والابتدائي والمتوسط والثانوى ، وذلك علاوة على بعض المدارس الخاصة . ويبلغ عدد طالبات المدرسة الثانوية للبنات هناك ٧٥٠ طالبة .. كما يبلغ عدد طلبة المدرسة الثانوية للبنين حوالي ٩٠٠ طالب.. والمدارس الحكومية كلها مبنية على احدث طراز.. ومزودة بكل الوسائل التعليمية الحديثة كمثيلاتها تماما في مدينة الكويت .

وسائل الترفيه

وفي الفحيحيل عدة وسائل للترفيه اهمها داران للسينما والنادي الرياضي . وقد انشيء نادى الفحيحيل منذ مدة طويلة تحت اسم نادى نهضة الفحيحيل ، ثم اعيد افتتاحه في عام ١٩٦٤ تحت اسم نادى الفحيحيل الرياضي ، وهو يضم ملاعب لكرة القدم ، والسلة، والكرة الطائرة ، والتنس، وصالة للبلياردو . وهناك مشروع لانشاء حمام سباحة جديد لا يزال تحت الدراسة وان كان من المزمع البدء في انشائه خلال العام القادم . وهناك ايضا الحديقة العامة التي تقع على شاطيء الخليج، وهي مزودة بالعاب للاطفال وملاعب للشباب، واليها يذهب اهل الفحيحيل بل ومدينة الكويت لقضاء اوقات الفراغ مع اطفالهم .

مجمع الفحيحيل الجديد يتكلف ٣٤٠ الف دينار

ويجرى الآن الانتهاء من بناء مجمع حكومي جديد لمدينة الفحيحيل يضم مكاتب البلدية ، والمختاربة، والمخفر ، ومكتبة عامة، ووحدة الشئون الاجتماعية والعمل ، والبريد ، وبرجا للمياه ، ومسجدا ، وسوقا مركزيا لجمعية الفحيحيل التعاونية ، ووحدة صحية ، وسينتهي بناء هذا المجمع ، الذى يتكلف ٣٤٠ الف دينار ، خلال هذا العام . وهو مبني على احدث طراز بحيث تكون كل هيئات الخدمات في الفحيحيل في مكان واحد تسهيلا على المواطنين في قضاء امورهم .

سوق الاسماك والخضر

وتشتهر مدينة الفحيحيل بسوق السمك .. فموقعها على الخليج ووفرة مناطق الصيد القريبة منها ، جعلا الناس يترددون عليها لشراء الاسماك الطازجة .. وقد اقيم سوق كبير للاسماك على الشاطيء مباشرة .. حيث تجيء مراكب الصيادين. والى جوار هذا السوق انشيء سوق آخر لبيع الخضراوات والدواجن الحية ، وكذلك الخراف . ويتردد على هذا السوق الكثيرون من سكان مدينة الكويت نفسها لشراء الاسماك الطازجة .

تزدحم الفحيحيل بسكانها .. والصورة تمثل ازدحام السيارات على محطة البنزين . وهي تعبر عن ازدحام المدينة .





الشارع التجارى الرئيسي في مدينة الفحيحيل . وهو يضم فروعا لأغلب المحلات التجارية الكبرى التى تعمل في مدينة الكويت .



مدرسة الفحيحيل الثانوية للبنات وهى تضم أكثر من ٧٥٠ طالبة .

نهضة عمرانية ومشروعات جديدة

وتشهد مدينة الفحيحيل نهضة عمرانية كبيرة هذه الايام .. فمنذ عامين فقط سمحت السلطات الحكومية ببناء مجمعات سكنية ذات ستة طوابق في الفحيحيل . وبدأت هذه العمارات في الارتفاع، بعد ان كانت المبانى مقصورة على طابقين او ثلاثة فقط. وانشئت مجمعات سكنية حديثة كلها بتكييف الهواء المركزى . كما اخذ العمران يمتد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا حتى بدأت الارض الفضاء في المدينة تتحول تدريجيا الى احياء سكنية جديدة . ومع هذه النهضة العمرانية بدأت مشروعات جديدة تظهر الى الوجود .. فهناك ناد بحرى جديد يتم العمل فيه الآن .. وكذلك تم انشاء شواطىء للاستحمام .. وتقوم الهيئات المختصة في المدينة بدراسة مشروع انشاء مستشفى كبير يتسع لـ ٥٠٠ سرير وذلك لان المجمع الصحي الموجود حاليا في البلدة لا يكفى حاجة السكان الذين يتزايدون يوما بعد يوم . وينتظر البدء في مشروع انشاء هذا المستشفى في عام ١٩٧٤ .

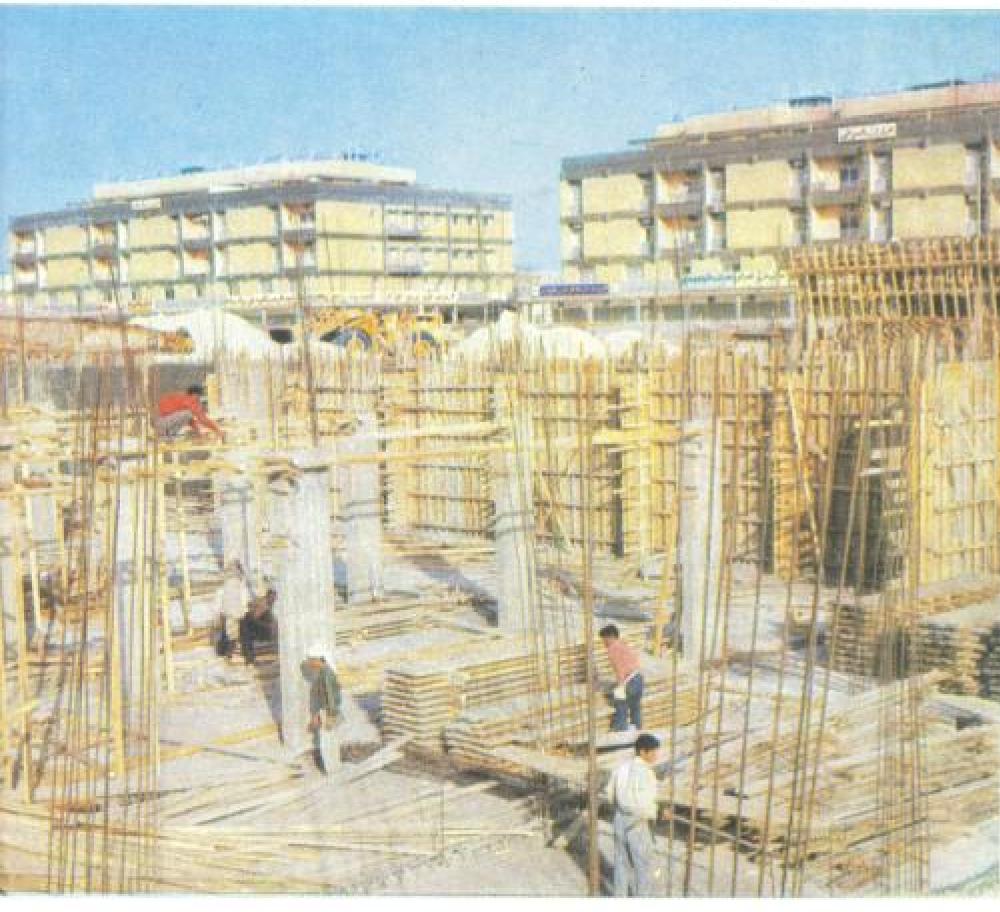
السوق التجارى والحركة التجارية

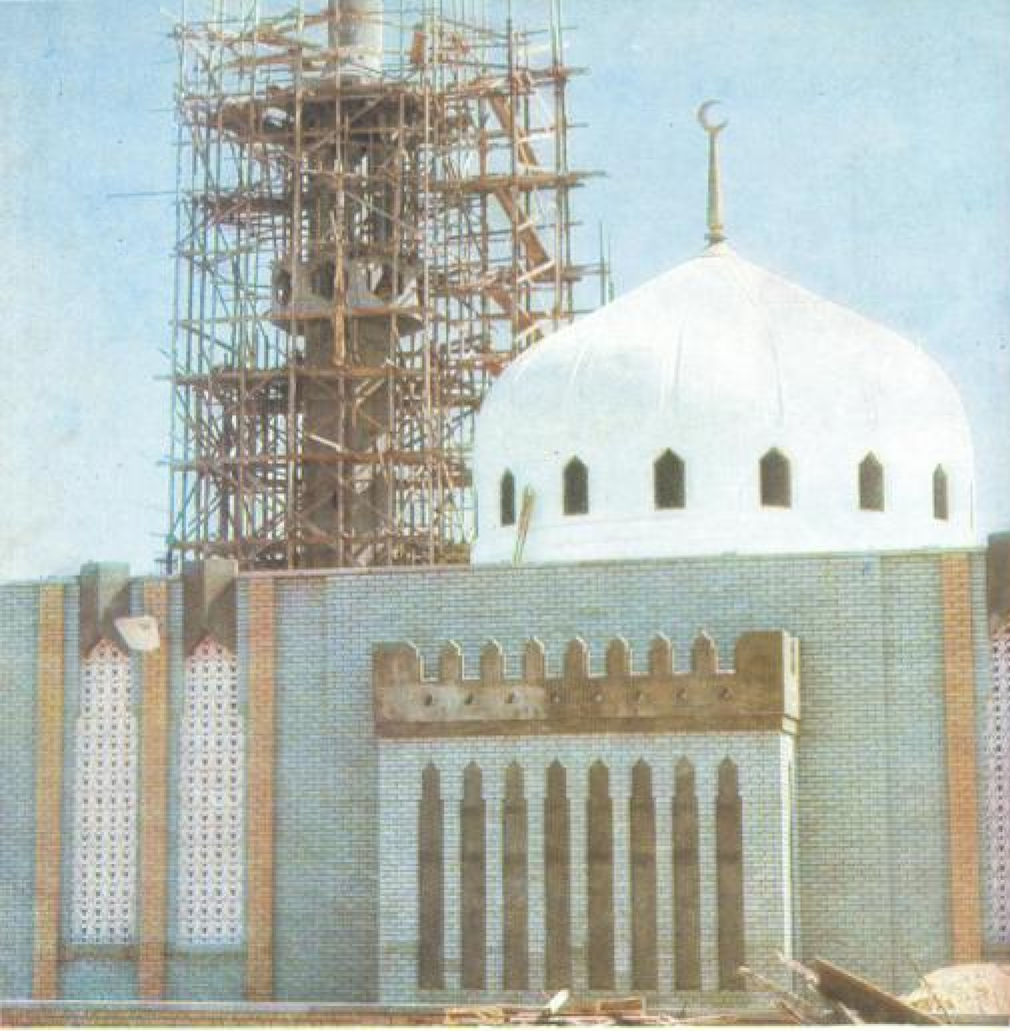
وقد كانت الفحيحيل سوقا تجاريا مزدهرا ، وذلك بسبب ميناء الاحمدى الذى يقع في المدينة.. وتردد بحارة السفن وناقلات البترول على المدينة، كان يخلق انتعاشا كبيرا فيها . ولكن صدر قرار ، اخيرا ، يمنع نزول البحارة الى الاسواق وذلك لاسباب الحجر الصحي . وقد ادى هذا القرار الى حرمان الكثير من المحلات التجارية والمتخصصة في بيع التحف الشرقية من هؤلاء البحارة .. وقد



مباني مجمع الفحيحيل الحكومي الجديد وقد تكلف ٢٤٠ الف دينار ، وهو مبني على أحدث طراز ويضم مكاتب البلدية ، والمخفر ، ومكتبة عامة ، ووحدة الشئون الاجتماعية والعمل ، والبريد ، وبرجا للمياه ، ومسجدا ، وسوقا مركزيا ، ووحدة صحية

تشهد مدينة الفحيحيل نهضة عمرانية كبيرة بعد أن سمحت السلطات الحكومية ببناء مجمعات سكنية ذات ستة طوابق .. وتسير حركة البناء الآن سيرا سريعا وهذا المنظر يتكرر في أغلب أحياء الفحيحيل .







مبنى الجامع الجديد بالفحيحيل .. انه مبنى على احدث طراز سيضم مكتبة اسلامية وهو يشرف على شاطيء الخليج العربي .

محطة توزيع المياه بالفحيحيل . ويظهر خلفها مبنى مدرسة الفحيحيل الثانوية . وفي الفحيحيل ١٢ مدرسة للبنين والبنات تمثل مختلف المستويات .



منظر عام لبعض مباني المدينة .. وتظهر في الصورة بعض مباني المدارس الحديثة ..

سمعنا شكوى من اصحاب هذه المحلات بسبب هذا القرار .. ولكن ليس معنى هذا ان النشاط التجاري لهذه المحلات متوقف ، فهناك سكان مدينة الاحمدي من موظفي شركات النفط ، وخاصة الاجانب الذين يقبلون على شراء التحف الشرقية.. ولكل المحلات التجارية الكبرى في مدينة الكويت فروع ومحلات في مدينة الفحيحيل .. وكل شيء موجود في هذه المدينة التي تنمو بسرعة .

حديث عن المشاكل والمشروعات

وفي حديث سريع مع مختار الفحيحيل السيد تركي الدبوس، ذكر المختار ان المدينة تنمو بسرعة، ولذلك فان المشروعات الخاصة بالخدمات يجب ان تسير جنبا الى جنب مع هذا التطور السكاني.
وركز المختار في حديثة على ضرورة مشروع انشاء المستشفى الجديد ، اذ ان الضغط الحالي على المجمع الصحي ، وعدم وجود اسرة به يؤديان الى انتقال المرضى الى مدينة الكويت حيث توجد المستشفيات .

ومدينة الفحيحيل الآن تضم عددا كبيرا من العمال في المشروعات الجديدة التي يتم انشاؤها سواء في الشعيبة او في المدينة نفسها ، ولذلك يمكن اعتبارها مدينة عمالية .. وهذا يتطلب نشاطا من اجهزة وزارة الشئون الاجتماعية والعمل . وقد تم انشاء الكثير من مساكن ذوي الدخل المحدود في المدينة ووزعت على اصحابها .. ولكن الحاجة لا تزال مستمرة الى مثل هذه المساكن . وهناك ايضا مشكلة تلوث البيئة وذلك لوقوع منطقة الشعيبة الصناعية بالقرب من الاحياء السكنية في المدينة.. ويقول مختار الفحيحيل.. ان الدراسات تجرى الآن لتطبيق المواصفات العالمية لحماية البيئة من التلوث في كل المصانع التي تنشأ بالقرب من المدينة ، وان الكثير من هذه المصانع يطبق هذه المواصفات بدقة وذلك لحماية سكان الفحيحيل من خطر التلوث .

وبعد هذه صورة سريعة لواحدة من مدن دولة الكويت .. تلك المدن الحديثة التي بدأت في النمو والازدهار في الستينات من هذا القرن ■■

محمد طنطاوي

تركي الدبوس مختار المدينة ورئيس ناديها الرياضي يصافح احد الفائزين في سباق اختراق الضاحية ويسلمه جائزته التي فاز بها .





إلى .. «أنا»

■ إلى « أنا » حفيدتي ۝ إلى « أنا » صغيرتي
تلك التي إن وزنت ۝ وازنتها بمهجتي
تلك التي أحبها ۝ كما أحب مقلتي
رقيقة ، ولم أجد ۝ كمثل هذي الرقة
تبتسم لي في حلمي ۝ – إن نمت – أو في يقظتي
وأجتلي طلعتها ۝ في حيث كانت وجهتي
وصوتها في مسمعي ۝ يرن أي رنة
إن رقصت رقصت ، لا ۝ أحفل بالتزمت
ونور عينيها ضيا ۝ ء ، ضاء في كهولتي
صغيرتي ، تكلمي ۝ صغيرتي ، لا تسكتي
أوحشت جدك العجو ۝ ز ، فمضى في وحشة
وعاش هائم الفؤا ۝ د ، مستطار الفكرة
ينام ، علّه يرى ۝ طيفك عند الرقدة
ويشهد النجم ، ففيـ ۝ ـه منك سر اللمحة
وكل خفق قلبه : ۝ بنيتي ... ، بنيتي

***

الى « أنا » حبيبتي ۝ الى « أنا » صغيرتي
تلك التي تقول : ۝ « جدو » في رقيق النبرة
إن تهبيني قبلة ۝ من شفة وردية
أو من جبين ساطع ۝ بالنور ، فخم الطلعة
أو من يد ، أدقها الـ ۝ ـله بحسن الصنعة
شفيت بعض لهفتي ۝ إلى « أنا » .. حبيبتي ■■

القاهرة – ج.م.ع

العوضي الوكيل

أنت تسأل .. ونحن نجيب

أهل الأديان فى العالم

● وقع نظري في احدى المجلات على احصائية دينية مقارنة . وقد بلغ عدد بوذيي العالم في هذه الاحصائية نحو ١٠٥ ملايين وبلغ عدد الكاثوليكيين ٣٥٠ ـ ٤٠٠ مليون نسمة . اما مجموع المسلمين فبلغ ٢٥٠ ـ ٣٠٠ مليون نسمة وأنا أشك في هذا العدد الأخير وقد قدرته اذاعة صوت العرب بما يزيد على ٧٠٠ مليون نسمة .. فما رأيكم !!

محمد احمد محمد عبد القادر ـ الطابية ـ الاسكندرية

ـ لا يخفى ان الهيئات الدينية لا تحتفظ بسجلات تحصر أتباع دينها ، ولا تجرى تعدادا دوريا لهم على نحو ما تفعل الحكومات بالنسبة الى رعاياها . من هنا كانت الاحصاءات الدينية قليلة ، بل كانت في واقع الحال تقديرات اكثر منها احصاءات . ومن هنا أيضا اختلفت تلك التقديرات وتفاوتت باختلاف الجهات التي تقدرها.

ويطيب لنا أن نوافيك فيما يلي باحصائية دينية مقارنة، توفر لها من الشمول ما لم يتوفر لغيرها. أضف الى ذلك أنها من اعداد ذوى الاختصاص في هيئة تحرير الانسايكلوبيديا البريطانية ، وأنها ظهرت في ملحق هذه الموسوعة لعام ١٩٧٢ ، وهو الملحق الذى لم يمض على صدوره سوى شهور قليلة .

	امريكا الشمالية (والوسطى)	أمريكا الجنوبية	أوربا بما فيها الاتحاد السوفيتي	آسـيا
المسيحيون اجمالا	٢٢٤٨٨٠ ٠٠٠	١٦٨ ٢٥٨ ٠٠٠	٤٠٧ ٧١٧ ٧٠٠	٧٦ ٤٦٨ ٠٠٠
الكاثوليك	١٢٨ ٧٠٥ ٠٠٠	١٦٤ ٥٢٧ ٠٠٠	١٩٠ ٤٨٨ ٠٠٠	٤٦ ١٠٦ ٠٠٠
الروم الارثوذكس	٣ ٩٠٠ ٠٠٠	٥٠ ٠٠٠	٩٢ ٩٢٧ ٥٠٠	١ ٩٢٠ ٠٠٠
البروتستانت	٩٢ ٢٧٥ ٠٠٠	٣٦٨٠ ٠٠٠	١٢٤ ٣٠٢ ٢٠٠	٢٨ ٤٤٢ ٠٠٠
اليهود	٦١٦٠ ٠٠٠	٧٨٤ ٠٠٠	٤ ٣٩٠ ٥٠٠	٢٧٦٦ ٠٠٠
المسلمون	١٦٨ ٠٠٠	٤٠٠ ٠٠٠	٢٤ ٣٤٧ ٢٠٠	٣٣١ ١١٤ ٥٠٠
اتباع زرادشت	—	—	—	١٢٥ ٠٠٠
اتباع الشنتو	٣٠ ٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠	—	٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠
الطاويون	١٥ ٠٠٠	١٨ ٠٠٠	—	٥١ ٢٥٠ ٠٠٠
الكونفوشيون	٩٥ ٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠	٥٠ ٠٠٠	٣٠٤ ٣٠٠ ٠٠٠
البوذيون	٢٠٠ ٠٠٠	١٦٠ ٠٠٠	١٨ ٠٠٠	٣٠١ ٠٥٨ ٠٠٠
الهندوس	٥٥ ٠٠٠	٧٠٠ ٠٠٠	١٨٠ ٠٠٠	٤٦٩ ٩٨٨ ٥٠٠
مجموع الاديان	٢٣١ ٦٠٣ ٠٠٠	١٧٠ ٥٢٠ ٠٠٠	٤٣٦ ٧٠٣ ٤٠٠	١ ٥٩٧ ٠٧٠ ٠٠٠
مجمل عدد السكان	٣١٤ ٠٠٠ ٠٠٠	١٨٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٧٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٩٨٨ ٠٠٠ ٠٠٠

(تعداد هيئة الامم)



ومن طريف ما يلاحظ في هذه الاحصائية ان مجموع الوثنيين في العالم (٥٠٠ر٢٠٨ر١٨٩ر١) يكاد يساوى مجموع اتباع الاديان السماوية الثلاث (١٠٠ر١٩٢ر٤٧١ر١) .

اما مجموع عدد المسلمين في هذه الاحصائية (٧٠٠ر٣٣٨ر٤٧١) فيبدو لنا اقل من الواقع ، وقد بلغ مجموعهم ٦١٦ر٢٣٦ر٩٤٢ وفق التقديرات المفصلة التى اجريناها لهم قبل خمس سنوات..! (راجع خريطة العالم الاسلامى التى وزعها العربى هدية مع عدده الممتاز في يناير ١٩٦٨) .

ونتنهز هذه الفرصة لنعرب عن املنا وامل الكثيرين في ان تجرى الجهات الاسلامية المختصة ، احصاء بعدد المسلمين يتوفر له من الشمول والدقة ما يجعله الاحصاء المتمد في هذا الصدد .

(ى. ز)

ريقيا	استراليا	العالم
١٠٠ ٦٩٢ ٦٠٠	٧ ٣٤٧ ١٠٠	٩٨٥ ٣٦٣ ٤٠٠
٣٥ ١٧٨ ٠٠٠	١ ٧٩٧ ١٠٠	٥٦٦ ٧٧١ ٦٠٠
٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٨٠ ٠٠٠	١٢٣ ٨٧٧ ٥٠٠
٤٠ ٥١٤ ٦٠٠	٥ ٥٠٠ ٠٠٠	٢٩٤ ٧١٤ ٣٠٠
٣١٠ ٠٠٠	٨٠ ٠٠٠	١٤ ٤٩٠ ٠٠٠
١١٤ ٧٨٤ ٠٠٠	٥٢٥ ٠٠٠	٤٧١ ٣٣٨ ٧٠٠
–	–	١٢٥ ٠٠٠
–	–	٦٠ ١٣٠ ٠٠٠
–	–	٥١ ٢٨٣ ٠٠٠
–	٥٠ ٠٠٠	٣٠٤ ٥٩٥ ٠٠٠
–	–	٣٠١ ٤٣٦ ٠٠٠
١ ٠٦٠ ٠٠٠	٣٧٥ ٠٠٠	٤٧٢ ٣٥٨ ٥٠٠
٢١٦ ٨٤٦ ٦٠٠	٨ ٣٧٧ ١٠٠	٢ ٩٦١ ١٢٠ ١٠٠
٣٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠	١٨ ٩٠٠ ٠٠٠	٣ ٥٥٢ ٠٠٠ ٠٠٠

خطاب مفتوح يحمل صيحة انثى !

● امضينا اعواما طويلة نكافح من اجل المساواة ، ومن اجل منح المراة الفرص التي تستحقها ، لكي نثبت للرجل قدرتنا على تحصيل العلم ، والعمل من اجل العيش والرزق في شتى مجالات الحياة .. وتصورنا في فترة او في اخرى ، اننا قد نجحنا ، وان جهودنا قد اثمرت ، وخاصة بعد ان تحقق الاستقلال لبلادنا ، وانزاح كابوس المستعمر عن ارضنا ، منذ ربع قرن من الزمان او يزيد .

وتخرجت في الجامعة ، في كلية العلوم شعبة الكيمياء ، وحملت شهادتي « البكالوريوس » ، التي سجلت فيها تفوقا على زملائي من الجنسين ، وخرجت اواجه العالم الفسيح من حولى بثقة واطمئنان للمستقبل الذى ينتظرنى ، وكان هدفى الاول هو البحث عن عمل ، لكى استطيع ان اساعد اسرتي التي تتالف من والدى المريض واخوتى الثلاثة ، وكلهم اصغر مني سنا ، فقد فقدنا امنا منذ عامين ، على اثر اصابتها بمرض عضال .

كان هدفي اذن البحث عن وظيفة ، على ان اكمل تعليمي ، بعد ان اشعر انني قد اديت جانبا من رسالتي نحو هذه الاسرة ، التي اصبحت بلا عائل على اثر اشتداد المرض بوالدى .

وكانت فرحتي كبرى عندما اعلنت احدى الشركات عن حاجتها الى ثلاثة كيمائيين للعمل في مختبراتها واسرعت اقدم طلبي الى الشركة ، التي حددت للمتقدمين موعدا لاجراء اختبار ، يتم على ضوء نتائجه اختيار الاصلح لهذه الوظائف الثلاث .

واجتزت الاختبار بنجاح ، حتى ان احد المراقبين الذين اشرفوا على الامتحان ، شد على يدى مهنئا وقال : « يسعدني ان تكوني زميلة لنا في هذا المصنع الكبير » !

شو ـ ان ـ لاى
اليد اليمنى لماوتسى تونج زعيم الصين
تلقى تعليمه العالي في اليابان

● تقرأ كثيرا عن أن شو ـ ان ـ لاى رئيس وزراء الصين الشعبية يلقب برجل كل الفصول لانه بقي في منصبه ومركزه السياسي المرموق خلال كل التقلبات التي صاحبت الثورة الثقافية في الصين . فهل لكم أن تذكروا لنا نبذة عن تاريخ حياة هذا الرجل الذى فتح أبواب الصين على العالم مؤخرا .

الدكتور توفيق غنيم/الزرقاء/الاردن

ـ يبلغ شو ـ ان ـ لاى Chou En-Lai ، من العمر ٧٥ عاما . وبالرغم من ذلك فان عمره الحقيقي لايظهر على وجهه او هيئته فهو لايزال يتمتع بالنشاط والحيوية . وقد ولد شو في عام ١٨٩٨ في بلدة شاوتشنج Shaoshing ، في عائلة من المثقفين . وبعد ان تلقى تعليمه العادى في الصين ارسله والده الى اليابان حيث اكمل تعليمه العالي . وما ان عاد الى الصين حتى اشترك في الحركات الطلابية التي قامت ضد اليابان في عام ١٩١٩ واعتقل وارسل الى السجن حيث قضى ٦ شهور . وسافر شو بعدها الى باريس حيث اشترك في تاسيس القيادة الاوربية للحزب الشيوعي الصيني .

وفي عام ١٩٢٤ عاد مرة اخرى الى الصين حيث انتخب عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني .. وقد صاحب شو ان لاى زعيمه ماوتسى تونج في المسيرة الكبرى التي قطع فيها الشيوعيون طول البلاد واستمرت من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٣٥ هربا من قوات الجيش الصيني التي كانت تطاردهم .

وعدت الى البيت فرحة بما حققت .. ورحت انتظر .. وطال الانتظار ، وأخيرا جاءتني رسالة من مدير الشركة يعتذر فيها عن قبولي لشغل احدى الوظائف الشاغرة ، لانني رسبت في الاختبار !

وكانت مفاجاة لي ، ولكنني لم استسلم .. لقد ايقنت ان في الامر شيئا .. كيف يتفق اعتذار المدير مع ما اكده لي المراقب من نجاح وهو يهنئني بالفوز في المسابقة .. ؟

وكان ان سعيت الى لقاء المراقب ، الذى لم يتردد في ان يكشف لي سر رفض طلبي ، رغم نجاحي في المسابقة ، قال : « ان هناك رجلا كبيرا مسئولا في الشركة يا انستي ، هذا الرجل هو الذى رفض تعيينك ، لا لسبب ، الا لانك انثى ! »

وانقضت بضعة اشهر ، قبل ان تعلن نفس الشركة عن حاجتها الى كيمائي لشغل احدى الوظائف التي خلت باستقالة احد الموظفين .. وخطرت لي فكرة نفذتها على الفور .. لقد ارسلت طلبا وقعته بامضاء احد زملائي الشبان واستدعيت لاجراء الاختبار ، وكنت الفتاة الوحيدة بين اكثر من ثلاثين شابا ..

وفي اقل من اسبوع جاءني خطاب موجه الى الشاب الذى استعرت اسمه وبامضاء المسئول الكبير الذى كان رفض تعييني لانني فتاة ، وكان الخطاب يهنئني على اختيارى لشغل الوظيفه الشاغرة .

وحانت الفرصة التي كنت انتظرها لانتقم .. لقد نجحت الخطة .. وذهبت للقاء الرجل الكبير لاتسلم وظيفتي الجديدة ..

وما كاد يلقاني حتى استبدت الحيرة به ، ثم نظر الى في دهشة وقال : « يبدو أن في الامر خطأ يا انستي .. ان الذى اخطرناه بقبوله لهذه الوظيفه رجل وليس امرأة ! »

قلت : « انا هو هذا الرجل ياسيدى وقد استعرت اسمه لافوز بالوظيفة ، لقد نجحت في الاختبار الاول ولكنك رفضت تعييني لانني

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية واثناء احتلال اليابان للصين كان شو يعمل في دعم الحزب الشيوعي الصيني وفي حركات المقاومة ضد اليابانيين .

وعندما استطاع الشيوعيون الاستيلاء على الحكم في الصين في عام ١٩٤٩ تولى شو ان لاى رياسة الوزارة ووزارة الخارجية . وقد صمد شو ان لاى لكل التقلبات السياسية التي صاحبت حكم الشيوعيين منذ عام ١٩٤٩ حتى الان . وعلى الرغم من اختفاء عدد كبير من السياسيين فقد بقي هو على المسرح السياسي منذ عام ١٩٤٩ حتى الان . وقد حقق اخيرا في عام ١٩٧١ انتصارا سياسيا كبيرا لسياسة الاعتدال التي كان يتبناها دائما ، وحقق التقارب بين الصين والولايات المتحدة الامريكية اثناء زيارة نكسون المشهورة . كما استطاع ان يحصل للصين الشعبية على عضوية هيئة الامم المتحدة وان يجعلها تحتل مقعدها الرئيسي في مجلس الامن كواحدة من الدول الخمس الكبرى .

(م . ط)

امراة ، ونجحت في الاختبار الثاني ، وفزت بالوظيفة بعد ان اوهمتك بأنني رجل .. ولدى من الادلة ما يثبت صدق ما اقول .. اما ان تصدر امرك بتعييني فورا .. او ارفع الامر للقضاء ؟ » .

واسقط في يد الرجل .. وتم تعييني وذهبت الى مكتبي لأودى عملي الجديد الذى فزت به عن جدارة واستحقاق ! وكنت اول امراة تعمل في هذه الشركة التي اراد صاحبنا ، ان يحولها الى حصن للرجال منيع .

س ، ح

العربي :

لدينا اسم هذه الانسة وعنوانها واسم الشركة ، والبلد الذى ما زال يقسم بين رجاله امثال هذه العقول التي تعيش في « عصر الحريم » ولكننا آثرنا الا نذكر الاسماء حتى لايمتد مقص الرقيب الى هذه الصفحة فينتزعها .

(م . ن)

التاريخ بالحروف نظما او حساب الجمل

● كنت اقرأ قصيدة للشيخ عبد الله الشبراوى ، من رجال الازهر ، في رثاء صديق له ازهرى ايضا ، هو الشيخ احمد الدلنجاوى فاسترعى نظرى بيت الختام فيها ، وهذا نصه وما كتب تحته من ارقام .

فقلت لمن اراد الشعر : اقصر

فقد أرخت : مات الشعر بعده

٤٤١   ٦٠١   ٨١

ومجموع هذا الارقام ١١٢٣ ، وهو يشير الى السنة الهجرية التي توفي فيها الدلنجاوى ، فما طريقة هذا الحساب ، ومتى ظهر عندنا هذا النوع من التاريخ الشعرى ، وما اسباب ظهوره ، وما قيمته ؟

رجاء سيد كامل ـ سوهاج ـ ج ٠ م ٠ ع

ـ حروف لغتنا العربية ٢٨ ، او هي ٢٩ حرفا ، اذا اعتبرنا الهمزة حرفا ، والالف حرفا آخر ، وترتيبها الهجائي (التعليمي) المتداول بيننا الآن (أ ، ب ، ت ، ث ، ...)

وهناك ترتيب آخر للحروف هو الترتيب الابجدى (أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ) والهمزة والالف هنا بمثابة حرف واحد ، فالابجدية ٢٨ حرفا .

وقبل ان يستعمل اسلافنا الارقام الهندية (١ ، ٢ ، ٣ ...) في الحساب ، استعملوا الحروف فرمزوا بحرف الى كل عدد مفرد ، او مضاف ، فيما بين واحد والف ، على وفق الترتيب السابق ، هكذا :

أ ب ج د . هـ و ز . ح ط ي .
١ ٢ ٣ ٤ . ٥ ٦ ٧ . ٨ ٩ ١٠ .
ك ل م ن . س ع ف ص .
٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ . ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ .
ق ر ش ت .
١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ .
ث خ ذ . ض ظ غ
٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠ . ٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠

تيتو .. ابن الفلاح الذى تولى رئاسة جمهوري

● في حديث لنا عن زعماء العالم تردد اسم المارشال تيتو .. وقال أحدنا ان تيتو تولى رياسة جمهورية يوغسلافيا بعد انتهاء الحرب العالمية مباشرة في عام ١٩٤٥ فهل هذا حقيقي ؟ وهل لكم ان تذكروا لنا بعض المعلومات عن حياة هذا الزعيم اليوغوسلافي الصديق للعرب ؟

فارس سلطي قاقيش/الزرقاء/الاردن

— قبل ان نجيب على الجزء الاول من سؤالك سنذكر لك بعض المعلومات الموجزة عن تاريخ حياة المارشال جوزيب بروز تيتو Josip Broz Tito الذى يعتبر الان واحدا من اكبر الساسة في العالم.

وقد ولد جوزيب بروز لابوين فقيرين في ٢٥ مايو عام ١٨٩٢ في بلدة صغيرة تسمى كيمروفيك Kumrovec بالقرب من زغرب عاصمة اقليم كرواتيا وكانت جزءا من الامبراطورية النمساوية الهنغارية في ذلك الحين . وكان جوزيف بروز هو الابن السابع لابيه الفلاح « فرانجو بروز » . وعمل تيتو في الصناعات المعدنية عند اول شبابه. وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى جند وارسل للقتال على الجبهة الروسية . وفي مارس عام ١٩١٥ جرح تيتو واسرته القوات الروسية . وفي عام ١٩١٧ وعندما قامت الثورة الشيوعية ، انضم تيتو للجيش الاحمر وتزوج من فتاة روسية ولكنه طلقها في عام ١٩٢٥ .

وعاد تيتو الى يوغوسلافيا في عام ١٩٢٠ ، وكانت قد حصلت على استقلالها ، وانضم هناك للحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، والقي القبض عليه في عام ١٩٢٨ وحكم عليه بالسجن ٥ سنوات بتهمة القيام بنشاط هدام . وعندما خرج من السجن ذهب تيتو الى موسكو حيث عمل هناك مستشارا لشئون البلقان .

وفي عام ١٩٣٦ تم ايفاد تيتو الى زغرب وباريس لتنظيم حملة تطوع دولية للاشتراك في الحرب الاسبانية . وفي عام ١٩٣٧ اصبح سكرتيرا عاما للحزب الشيوعي اليوغوسلافي . واثناء الحرب العالمية، وبعد ان اجتاحت قوات المحور يوغوسلافيا، بدا تيتو ينظم حرب العصابات ضد القوات الالمانية والايطالية . وعاش تيتو مع قواته في الجبال .

وكاد ان يقع في اسر الالمان ولكنه استطاع الهرب الى جزيرة فيس « Vis » في عام ١٩٤٤ ومنها

وما زلنا نستعمل هذه الحروف كالارقام حسابيا خلال كتابة موضوعاتنا ، حين نريد ان نفرع موضوعا ، فنجعله نقطا او اقساما او اجزاء ، فنرقمها (ا ، ب ، ج ..) بدل (١ ، ٢ ، ٣ ، ..) او بدل (اولا ، وثانيا ، وثالثا ...) .

وكان قدماؤنا يعملون على تسهيل حفظ التواريخ فيستعملون فيها الحروف، ثم يجعلون من الحروف كلمات مفيدة يسهل حفظها ، وقد تاتي الكلمات نثرا او نظما ، وقد تكون هنالك غاية من ذلك فوق سهولة الحفظ كالترويج لفكرة او شخص ، من ذلك ان احد المرشحين في دائرة انتخابية — لاحد المجالس البرلمانية — جمع اسمه على هذا النحو ، فوجد مجموعه يساوى مجموع « مرشحٌ الله » وكادت تنطلي حيلته مع غيرها على العامة في الدائرة، لولا ان تصدى له احد خصومه بمثل حيلته ، فاعلن ان مجموع اسمه يساوى مجموع « مرشحٌ

يهان » فكان لها مع غيرها اثرها في تحول الناس عنه وفشله .

واما نظم هذه الكلمات لتكون تاريخ احد الاحداث : كولادة ، او وفاة ، او زواج او بدء بناء او تمامه ، ونحو ذلك فلسنا نعرف انه جاء في المنظومات العربية قبل الفترة المظلمة بعد عصر النهضة ايام العباسيين ، وقبل عصر النهضة الحديثة ، وان كان استعمال النظم لتسهيل حفظ المعرفة بعامة قد بدا في اوائل العصر العباسي ، حين نظم ابان بن عبد الحميد اللاحقى كتاب « كليلة ودمنة » من ترجمة ابن المقفع ، ليسهل على تلاميذه من اولاد البرامكة حِفظَ وقائع الكتاب ، ومثله ما جرى بعد ذلك في نظم علوم مختلفة كالنحو والصرف والفقه والتوحيد والتجويد والمنطق ، وكل هذه المنظومات يدخلها بعضهم في الشعر ، وليست منه في شيء غير النظم،

لاده منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن

نقلته قوات الحلفاء الى ايطاليا للاجتماع بقائد الحلفاء في البحر المتوسط ومع تشرشل رئيس وزراء بريطانيا . وقد قابل تيتو لاول مرة ستالين في زيارة سرية الى موسكو قام بها في ذلك الحين . وبعد تحرير يوغوسلافيا عاد المارشال تيتو الى بلاده واصبح رئيسا لوزرائها في مارس ١٩٤٥ . وبعد انتهاء الحرب مباشرة تدهورت العلاقات بين تيتو والغرب بسبب محاولته الاستيلاء على تريستا . وفي نفس الوقت بدات علاقاته مع الاتحاد السوفيتي ايضا يشوبها القلق بسبب عدم مساعدة الروس لحركته في بدايتها ضد الالمان ، وكذلك ايضا بسبب ما اسماه تيتو بالشيوعية اليوغوسلافية واستقلالها عن موسكو ، ومقاومتها محاولات السوفيت استغلال الاقتصاد اليوغوسلافي .

وقد انفجرت الازمة بين تيتو وموسكو في عام ١٩٤٨ عندما هاجمه ستالين ، وقد صاحب الضغط السوفيتي على تيتو تقارب بين الزعيم اليوغوسلافي والدول الغربية . وتبنى سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابي بين الشرق والغرب بغض النظر عن مبادئه الشيوعية ، وقد اصبح تيتو رئيسا لجمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الشعبية لاول مرة في ١٤ يناير ١٩٥٣ ومنذ ذلك اليوم وهو يتولى هذا المنصب . وقد اعيد انتخابه للمرة السادسة في ٢٩ يوليو من عام ١٩٧١ وذلك لمدة ٥ سنوات اخرى . وقد اعلن تيتو وقتها ان هذه هي آخر مرة سيتولى فيها منصب رياسة الجمهورية ، كما رفض مبدا انتخابه رئيسا للجمهورية مدى الحياة .

وتيتو يقوم الان باعداد يوغوسلافيا لما سيجيء بعده وخاصة ان هناك خطر الانفصال بين جمهورياتها الاتحادية وهي البوسنة والهرسك Bosnia and Hercegovina ، ومونتنجرو Montenegro ، وكرواتيا Croatia ، ومقدونيا Maccdonia ، وسلوفنيا Slovenia ، والصرب Serbia وهناك حركات قومية داخل هذه الجمهوريات علاوة على ان هناك عدة لغات هي الصربوكرواتية والسلوفنية Slovenian ، والمقدونية .

ومن ناحية الاديان فان اتباع الكنيسة الارثوذكسية تصل نسبتهم الى ٤١٫٤٪ من عدد السكان ، اما الكاثوليك فيمثلون ٣١٫٨٪ ، والمسلمون ١٢٫٣٪ ، حسب احصائيات ١٩٥٣ وهي آخر احصائية للاديان اجريت في يوغوسلافيا .

(م . ط)

وفي نسبتها الى الشعر ابتذال له ، فالشعر وحي السماء الى قلب الانسان ليتغنى بخوالج قلبه ، وحكمة عقله ، وصور خياله ، في ابلغ تعبير ، والشاعرية هبة ربانية عظيمة ينبغي ان تصان للتعبير عن هذه الخواطر السماوية ، ولا تبتذل في نظم المعارف والتواريخ ، ولاعذر لنا ولا لاسلافنا ان نسمي هذا النظم شعرا ، وان استفاد من الشعر قواعده في الوزن والقافية ، لان النظم ايسر حفظا من النثر ، وهذا امر فطرى ، وحكمته في الخلق عميقة .

ويلاحظ ان الجملة التي تحدد التاريخ تاتي دائما بيت الختام ، ويسمى « بيت التاريخ » ، وتكون الجملة مسبوقة بكلمة « ارخ » وما هو من مادتها ، تنبيها للقارىء ، وان التاريخ هجرى غالبا .

ومن ابرع من نظم هذه التواريخ في القرن الماضي ، السيد علي الدرويش المصرى (ت ١٢٧٠ هـ) ، ومن ذلك تاريخه لسنة غارة الجراد على مصر ، وغارة الطاعون البقرى معا ، وهي سنة ١٢٥٩ .

ارخته :

وصل الجراد لمصر في عام البقر

١٣٦ ، ٢٣٩ ، ٣٦٠ ، ٩٠ ، ١١١ ، ٣٣٣

ثم جاء نظيره في ذلك الشيخ او الملا عثمان الموصلي (العراقي) فان له منظومة في رثاء راعيه وصديقه عبدالجليل العمري ، الشطر الاول في كل بيت منها تاريخ هجرى ، والشطر الثاني ميلادى .

وتلاحظ هذه التواريخ الهجرية المنظومة مكتوبة على جدران كثير من الابنية الكبرى القديمة كالمساجد والزوايا والسبل (لسقي الماء) وبيوت الاعيان .

(م . خ . ت)

أمراض شائعة

إخفاق الكليتين في وظيفتهما .. أو التسمم بالبولينا

بقلم : الدكتور سالم نجم

■ الكليتان اهم أجزاء الجهاز الافرازى البولى وهما من الاعضاء الحيوية كالقلب والرئتين ولديهما احتياطي ضخم بحيث يستطيع الانسان ان يعيش بنصف كليةفقط حياة طبيعية كما أن لديهما القدرة على مقاومة الامراض . ولكن اذا تمكن المرض منهما فان النتيجة تكون خطرة وتنتهى بالتسمم البولينى.

ويطلق اسم ـ تسمم البولينا Uraemia على الحالات المرضية التى تنتج عن الفشل الوظيفى للكليتين ، والأصح ان تسمى هذه الحالات بفشل الكلى او اخفاق الكلى .

وبالرغم من ان مادة البولينا Urea ليست مادة سامة في ذاتها الا أن وجودها في الدم بنسبة تزيد على ٤٠ مجم في المائة يدل على ان هناك علة ومرضا، اما في الكليتين معا ، او في احداهما ، او خارجهما وان هـذه العلة اثرت عليهما تاثيرا مرضيا غير مباشر ، ادى الى تعطيل وظيفى فيهما . وقد يكون هـذا القصور الوظيفى قصورا جزئيا او قصورا شاملا . ان ارتفاع نسبة مادة البولينا في الدم تشير بصورة قاطعة الى حدوث تغيرات كيماوية متعددة في الـدورة الدموية التي تؤثر بدورهـا تاثيرا ضارا على معظم اجهزة الجسم المختلفة بحيث يفهم الطبيب اعراضها وعلاماتها . وهي بذلك تدل على ان الجهاز الافرازى للكليتين قد اصابه خلل يتحتم على الطبيب معالجته ، خوفا من تاصل المرض فيهما ، او امتداده ليشمل اجهزة حيوية اخـرى ، مثل الاوعية الدموية والقلب والجهاز العصبى بشقيه الطرفى والمركزى .

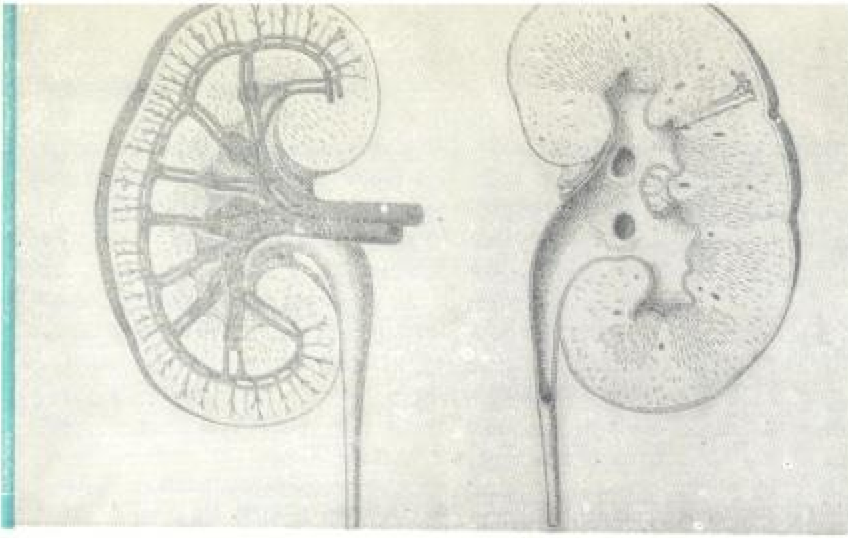
مما تقدم ذكره نرى ان ظاهرة ارتفاع معدل البولينا في الدم هي في الحقيقة تعبير اكيد لمرض خطير يصيب الجهاز البولى في الانسان .

وانطلاقا من هذا المفهوم ، ولكى يتمكن القارىء من متابعة البحث سـوف نطلق لفظ البولينية حينما نقصد الاخفاق الوظيفى للكليتين .

الصفة التشريحية واهم الوظائف الافرازية للكليتين

وقبل ان نستطرد فيوصف تلك الحالة المرضيةـ تسمم البولينا ـ يجدر بنا ان نـذكر باختصار الصفة التشريحية واهم الوظائف الحيوية التى يقوم بها الجهاز البولى في الانسان ، ونلخصها فيما يلى : ـ

١) الصفة التشريحية للكليتين : يوجد في الانسان السوى كليتان ، كل منهما في حجم قبضة اليد ، تشبه في الشكل حبة الفاصولياء وتزن في متوسطها حوالى ١٥٠ جم ، وهما مثبتتان في الجدار البطنى



الكليتان وتدخل اليهما الشرايين وتخرج منهما الاوردة والحالب

الخلفى على جانبى الفقرات القطنية من العمود الفقرى .

وتحتوى الكلية الواحدة على حوالى مليون وحدة افرازية (نفرون Nephron) كل منها تتكون من كرة ضئيلة من الشعيرات الدموية تنتهى بقناة طويلة متعرجة ومتعددة الوظائف بحيث يختص كل جزء من هذه القناة الدقيقة بافراز او امتصاص مادة او اكثر من الاملاح والاحماض والسكريات والزلاليات كما هو موضح فى الرسم ، ثم يتجمع عدد من هذه القنيات ، ليكون قناة اكبر تحمل البول بمكوناته المعروفة من ماء وبولينا واملاح واحماض ومعادن بنسب ثابتة ، طبقا لحاجة الانسان، رغم ما يعتريه من تغيرات فى محيط بيئته. ثم يتجه البول فى الحالبين الى المثانة الى ان تمتلىء وحينئذ يشعر الانسان بحاجته الى التخلص من مخزون بوله . ويتفاوت حجم البول بين لتر و لترين يوميا. ومقدار الدم الذى يصل الى الكلية فى الدقيقة الواحدة يبلغ ١٢٠٠ سم٣ بما يعادل ربع الدفع القلبى من الدم كما يبلغ ضغط الدم داخل الشعيرات الدموية فى الكلية الى ٧٠مم . تلك الكمية الكبيرة من الدم مع هذا الارتفاع فى الضغط داخل الوحدات الافرازية ـ يمكنها من تقطير الدم وتنقيته من الشوائب والفضلات الضارة بصحة الانسان ، ويتخلص منها بافرازها فى البول .

ب) وظائف الكليتين : ان وظائف الجهاز البولى معقدة للغاية ، ولا يزال الكثير منها غامضا ومغلقا على الافهام ، ولكن باختصار شديد نذكر اصولا عامة من المؤكد ان الجهاز البولى يقوم بادائها .

١) تنظيم كمية الماء والاملاح فى الجسم بحيث يحتفظ الجسم بما يحتاجه من سوائل ومعادن ويتخلص من الزيادات الفائضة عن حاجته وهو بذلك يستطيع مواجهة تقلبات البيئة فى حالات الصحة والمرض .

٢) التوازن بين العناصر القلوية والاحماض فى الدم بحيث يظل تفاعل الدم متعادلا ، مع ميله بعض الشيء الى الجانب القلوى P H.7.4 ، وذلك التفاعل حيوى وضرورى لاستمرار الحياة ، اذ تعمل اجهزة الجسم فى ظل هذا المستوى من القلوية.

٣) الاحتفاظ بالمواد الغذائية الحيوية للجسم. مثل السكريات والزلاليات والمعادن والاحماض ، وهى التى تمد الانسان بالطاقة ومقومات الصحة الجيدة .

٤) افراز المواد السامة : والعقاقير والفضلات الضارة بالجسم وتنقية الدم من جميع الشوائب.

٥) وظائف هرمونية : حيث تسهم الكليتان فى افراز هرمونات خاصة تحافظ على ثبات معدل ضغط الدم لدى الانسان وتمنع ارتفاعه .

انواع تسمم البولينا

ونعود مرة اخرى الى دراسة موضوعنا ـ تسمم البولينا ـ فنجده ينقسم الى ثلاثة انواع .

١) البولينية الكلوية Renal uraemia وهى تلك الانواع الناتجة عن اصابة الكليتين باضرار نسيجية مثل التهابات الكلى الحادة والمزمنة .

٢) البولينية قبل الكليتين Prerenal Uraemia

وهي تلك التي تنتج عن امراض بعيدة عن الكليتين، ومثال ذلك حالة قصور وهبوط الدورة الدموية.

٣) البولينية بعد الكليتين Postrenal Uraemia وهو الحاد Acute Circulatory Failure . التسمم المتسبب عن انسداد في مجرى المسالك البولية بعد الكليتين ، وهو يعوق جريان البول وتصريفه الى خارج الجسم بصورة طبيعية .

وفي جميع الانواع السابقة الذكر يحدث التسمم في احدى صورتين : ـ

الاولى : التسمم البولي الحاد

Acute Uraemia

الثانية : التسمم البولي المزمن

Chronic uraemia

وسنتناول بشيء من التفصيل امراض كل نوع على حدة .

١) تسمم البولينا الكلوى

RENAL URAEMIA

واحيانا ينتج هذا النوع من التسمم بعد اصابة الانسان بالتهاب الكليتين الحاد او المزمن ، اذ يظهر في صورة ارتفاع في ضغط الدم ، او ظهور الزلال في البول ، ويشكو المريض من زيادة الادرار البولي ، والعطش ، والضعف العام ، وقلة النشاط، وربما يشكو كذلك من القيء او الاسهال، وهذه الاعراض تشبه تلك التي تحدث في مرض البول السكرى ، وفي حالات اخرى ربما يصاب المريض بصداع حاد ، وضعف في قوة الابصار ، وفقر الدم ، مما يؤدى به الى ضيق في التنفس ، وارتجاف العضلات ، ونوبات اغماء . ومع امتداد الزمن تتدهور القوة الوظيفية للكليتين ، وتتراكم الفضلات السامة في الجسم ، وترتفع نسبة مادة البولينا Urea في الدم ويتلون الجلد باللون الاصفر البني . وقد يؤثر ارتفاع ضغط الدم على القلب والدورة الدموية ، وينتهي الامر بهبوط في القلب. ونادرا ما يتورم الجسم ولكنه في معظم الاحيان يفقد كمية كبيرة من السوائل والاملاح. وفي الحالات الخطرة الميئوس منها يحدث النزيف في اى موضع في الجسم ونلاحظه تحت الجلد اورعاف من الانف او نزيف من اللثة او من المعدة او الامعاء .

وهنالك علامات مرضية ، واخرى شعاعية ـ بجانب الفحوصات المختبرية ـ يستعين بها الطبيب لمعرفة المرحلة المرضية وخطورتها ومن ثم اختيار الاسلوب المناسب للعلاج .

وهنالك قائمة من امراض الكليتين قد تؤدى في النهاية الى التسمم البوليني ونذكر منها : ـ

ارتفاع ضغط الدم غير معروف السبب ، التهاب الكليتين المتقيح ، تضخم الكليتين المائي ، تكيس الكليتين الخلقي وضمورهما ثم امراض شرايين الكلية ، وداء البول السكرى .

علاج التسمم الكلوى : لابد وان يعالج المريض المصاب بتسمم البولينا في المستشفي تحت اشراف طبي وتمريضي دقيقين ، حيث تحدد نوعية وكمية الطعام والسوائل والاملاح . ويعالج من فقر الدم، ومن الاصابة بالجراثيم ، كما تعالج مضاعفات التسمم اينما وجدت ، سواء كان ذلك في الجهاز الدورى او القلب او الجهاز العصبى المركزى او المسالك التنفسية والرئتين .

الطـرق الحديثة لعلاج قصور الكليتين والجديد في هـذا المجال ينحصـر في طريقتين :

١) Haemodialysis طريقة تنقية الدم من الشـوائب والمواد السامة وتعطى نتائج محدودة النجاح ولكنها على درب التحسين والتطور وتتعلق الانظار وتبنى الآمال على هذا النوع من العلاج في المستقبل .

٢) زرع الكلية Renal Transplantation : ان ازالة الكلية المصابة من المريض او كليتيه معا واستبدالهما بزرع كلية سليمة من متطوع او من انسان فارق الحياة حديثا ـ لهو الامل الحقيقى في الوقت الحاضر في علاج الحالات المتقدمة لتسمم البولينا واخفاق الكليتين ، وافضل كلية تؤخذ من سليم الى مريض هي كلية الاخ التوام لاخيه المريض، اذ اثبتت الدراسات ان المريض بعد زرع الكلية فيه يتمتع بحياة سوية لعدة سنين وهذا لا يعني ان زرع الكلية من متطوع او من جثة لا فائدة منه ولكنه يعنى في هذه الحالة ان هناك بعض الصعوبات والعقبات التى لا يفتأ العلمـاء يعملون في دأب لتذليلها ، والسيطرة عليها . وزرع الكلية هو الامل الذى يراود آلاف المرضى المصابين بتسمم البولينا في العالـم الذى يمنحهـم حياة صحية سعيدة .

٢) التسمم البوليني القبل الكلوى

PRERENAL URAEMIA

من اهم اسباب هذا النوع من التسمم ان يفقد

الجسم جزءا كبيرا من سوائله ، ويترتب على ذلك هبوط في الدورة الدموية ، وانخفاض في ضغط الدم . والسبب في ذلك ان الكلية لا تؤدي وظيفتها بصورة طبيعية حينما ياتيها ٢٥٪ من حجم الدم مدفوعا من القلب تحت ضغط عال لا يقل عن ٧٠مم من الزئبق . فاذا ما نقصت كمية الدم او انخفض ضغطه تأثرت القوة الافرازية والوظيفية للكليتين ، بحيث ينقص حجم البول ، او ينعدم تماما ، ويتبع ذلك الحالة المرضية للتسمم المذكور . ويحدث هذا في الاحوال التالية : ـ

١) النزيف الدموي ايا كان موضعه وبكمية كبيرة في وقت قصير نسبيا .

٢) الحروق الشديدة والكسور حيث يفقد المحروق كمية كبيرة من البلازما (السائل الدموي اللاخلوي) داخل الانسجة او خلال الحروق .

٣) فقدان جزء كبير من الماء والاملاح في حالات القيء والاسهال وحالات داء البول السكري والعرق الشديد كما يحدث في حالات ضربة الشمس في المناطق الصحراوية الحارة .

٤) حالات نادرة كما نراها عقب بعض العمليات الجراحية والتخدير العام او التسمم الجرثومي او هبوط القلب .

وتعالج هذه الحالات بمنع اسباب حدوثها وتعويض الجسم ما فقده من سوائل واملاح بنقل الدم او باعطاء محاليل السكر والملح وهذا النوع سريع الاستجابة للعلاج ونسبة الشفاء فيه عالية ولا يترك آثارا مرضية على الجهاز البولي .

٢) التسمم البوليني البعد الكلوي
POSTRENAL URAEMIA

من الحالات النادرة التي يحدث فيها هذا النوع من التسمم تلك التي يكون انسداد المجاري البولية من الجهتين كما نلاحظه في حالات تضخم غدة البروستاتا لدى الرجال في السن المتقدمة من العمر او عندما ينسد الحالبان نتيجة حصوات في الجهاز البولي أو انسداد مجرى البول بواسطة جلطة دموية او صديد او اورام . كما ان ضيق الحالبين من اثر تليف مرضي بهما او من اي سبب آخر يؤدي كذلك في النهاية الى هبوط الكليتين .

ان النتيجة الطبيعية للانسداد المزمن هو تمدد في الحالبين وركود في البول مما يمهد الطريق لتلوث المجاري البولية ويعقبه التهاب الكليتين المتقيح وتضخمهما وبالتالي الفشل الوظيفي لهما واخيرا التسمم البوليني ومضاعفاته .

وعلاج هذه الحالة يكون بازالة الانسداد حيثما وجد والتخلص من اثاره وخاصة في الاطوار الاولى للمرض قبل ان تنتهك الانسجة الكلوية وتفقد قوتها الافرازية .

الوقاية من تسمم البولينا : ان الطب الحديث بمفهومه العصري يرتكز على الوقاية وحماية الانسان من المرض وتحصينه ضد الآفات قبل حدوثها . ومن ثم فان مراعاة القواعد الصحية العامة هي الضمان الاكيد ضد الامراض بصفة عامة وهذا المرض بصفة خاصة . فاذا ما شعر الانسان باضطرابات بولية كان يتغير لون البول الى احمر او يتعكر لونه او يختلط البول بدم او صديد او يقل حجمه او يكثر المريض من التردد على دورة المياه للتبول ليلا ونهارا فيجب عليه ان يراجع الطبيب المختص لاجراء الفحص والتحاليل المناسبة للقضاء على المرض عند بدايته . كما تجب الاستشارة الطبية المنتظمة في حالة ارتفاع ضغط الدم او في حالة اصابته بمرض مزمن كداء البول السكري او البلهارسيا البولية او اي مرض يتعلق بالكليتين او بالجهاز البولي .

كما ان كبار السن من الرجال يجب فحصهم لاستبعاد تضخم غدة البروستاتا لضمان جريان البول دون احتباس او دون ركوده في المثانة لمدة طويلة مما يمهد الطريق للالتهابات الجرثومية . وبالنسبة للاطفال فان التهاب اللوزتين وتقيحهما من المقدمات المرضية للالتهاب الكلوي .

واود بان اشدد على مستوى النظافة والطهارة وغسل اعضاء الاخراج غسلا جيدا لكي يمنع تلوث المجاري البولية وخاصة لدى النساء وعلى الاخص الحوامل منهن . اما بالنسبة الى سكان المناطق الحارة فانه من المستحسن ان يتناول الانسان كميات كبيرة من الماء والاملاح في فصل الصيف ليعوض ما يفقده من العرق الغزير الذي تسببه حرارة الطقس .

ان الانسان الذي يتبع التعليمات الصحية الآنفة الذكر ويتخير طعامه وشرابه ويصون نفسه من العدوى والجراثيم ويبادر الى استشارة الطبيب عند ابتداء مرضه ، كما يستمع الى نصحه لهو الانسان الجدير بكل خير ، ولا نشك مطلقا في ان هذا المواطن الواعي يكون ابعد عن التردي في هوة المرض كما يكون اصح بدنا وانفع لوطنه وامته .

سالم نجم ■■

من التراث العربي في إيران

كتاب "الخواص" لجابر بن حيان الكوفي

بقلم : السيد صالح الشهرستاني

نسخة نادرة الوجود نفيسة الموضوع من كتاب (الخواص) لمؤلفه الحكيم الكيماوي الاشهر جابر بن حيان الكوفي المعروف بالصوفي .

ولقد عثرت على هذه النسخة بالمصادفة قبل ايام في مكتبة (ملى ملك) اثناء تحرياتي عن بعض الكتب النادرة فيها .

ان هذه النسخة من (الخواص) المسجلة في سجل الكتب الخطية بتلك المكتبة برقم (٣٢١٧) هي من القطع المتوسط بطول ٥ر٢٠ سنتيمترا وعرض ١٣ر١٥ سنتيمترا وبخط النسخ وذات ١٩٥ ورقة اى ٣٩٠ صفحة وتاريخ كتابتها سنة ٩٩٤ هجرية اما كاتبها فغير معلوم .

وكتابة النسخة مؤلفة من خطين متباينين ، فالخط الاصلي هو المكتوب بتاريخ ٩٩٤ هـ ولكن القسم الاول من الكتاب اى ٤٢ صفحة منه مكتوب بخط احدث من الخط الاصلي . ويبلغ عدد سطور الصفحة في القسم الاول ٢٢ سطرا ، اما عددها في القسم الاصلي فهو ١٧ سطرا .

صفة الكتاب

والكتاب يحوى (٧١) مقالا في علوم الكيمياء القديمة . وقد جاء في الصفحة الاولى منه ما نصه :

(كتاب الخواص ـ تاريخ الاستنساخ سنة ٩٩٤ لابي عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي في الاكسير وغيره) .

وفي الصفحة الثانية جاء ما يلي :

والخواص الكبير في علم الاكسير ٧١ مقالة .

قال الشيخ جابر بن حيان الصوفي : الحمد لله كما هو اهله ومستحقه الكريم الجود ـ الى ان يقول ـ انا اوعدناك (كذا) ان نذكر في جملة كتبنا شيئا مفردا في علم الخواص .. الخ

ويختتم الكتاب بالعبارة التالية :

(وكان الفراغ من هذه النسخة في يوم الاحد المبارك سابع عشر جمادى الاخرى سنة ٩٩٤ اللهم اغفر لمالكها ولكاتبها ولمن كان سببا لاستكتابها ولجميع المسلمين آمين والحمد لله رب العالمين آمين) .

جابر هو الذى الف (الخواص)

هذا وقد اتفقت الموسوعات الباحثة عن الكتب وكذا اسفار السير والرجال على ان جابر بن حيان هو الذى الف كتاب (الخواص) واعتنى بتصنيفه ولكن بعض المتاخرين من الباحثين ابدى ترددا في تاليف هذا الكتاب من قبل جابر بن حيان نظرا لندرة وجود نسخه ولعدم اطلاعه عليه .

ويظهر مما جاء في الصفحة (١١١) من المجلد (١٥) من موسوعة (اعيان الشيعة) لمؤلفها الفقيد السيد محسن الامين العاملى ان نسخة خطية من هذا الكتاب موجودة في المتحف البريطاني بلندن .

العثور على نسخة نادرة منه

وكان هذه النسخة هي الاولى التي كان قد عثر عليها في ذلك الكتاب . والنسخة الثانية هي التي انا الان بصدد البحث عنها ، والتي كانت مطمورة ضمن عشرات الالوف من الكتب المخطوطة والمطبوعة في مكتبة ملك منذ (٤٢) سنة دون ان يعرف عنها احد شيئا . وكان مالكها وواقفها الحاج حسين ملك قد دون بخطه وباللغة الفارسية على الصفحة الاخيرة منها انه ابتاعها في ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٧ وادخلها في مكتبته .

وممن اشار الى كتاب (الخواص) هذا العلامة المعاصر الشيخ محسن اقا بزرك الطهراني في المجلد (٧) من مصنفه (الذريعة الى تصانيف الشيعة) المطبوع في النجف . ففي الصفحة (٢٦٩) من هذا المجلد قال .

(كتاب الخواص لابي موسى جابر بن حيان الصوفي الكيماوي المتوفي سنة (٢٠٠) وقد ذكره ابن النديم في الصفحة (٥٠١) من كتابه) .

وفي الصفحة (٢٧١) من المجلد نفسه قال الطهراني ايضا :

(خواص الاكسير لجابر بن حيان الكيماوي نقل المقالة التاسعة منه في ــ مجربات القاضي عبد الجبار .. الخ) .

اما مكتبة (ملى ملك) وهي من امهات المكتبات العامرة في طهران فتحتوى على اكثر من ثلاثين الف مجلد من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، منها حوالي سبعة الاف مجلد مخطوط ، ويرتقى تاريخ بعض نسخها الى اكثر من الف وعشرين سنة ، والباقي مطبوع . وقد قام بشراء هذه الكتب وجمعها وتنظيم هذه المكتبة القيمة الثرى الايراني المعروف الحاج حسين ملك التجار بمرور الايام ومنذ اكثر من (٦٥) عاما ، وقد وقفها مع جميع ضياعه واملاكه على مشهد الامام علي بن موسى الرضا (ع) بخراسان ضاما اياها الى مكتبة هذا المشهد المقدس .

وتعتبر هذه المكتبة من كبريات مكتبات العاصمة الايرانية التي يزورها يوميا العشرات من المطالعين والباحثين والمحققين للتزود والاستفادة مما تحويه من نفائس الكتب والاسفار .

تاريخ حياة جابر

وبهذه المناسبة اوجز تاليا تاريخ حياة المؤلف :

فهو الكيمياوي والرياضي والحكيم المعروف بابي عبد الله او ابي موسى (١) جابر بن حيان بن عبد الله الطرسوسى الكوفي الشهير بالصوفي . وقد ذكر المؤرخون انه ولد في خراسان . وسبب ذلك ان حيان والد جابر وهو من عشيرة الازد ، كان عطارا في مدينة الكوفة يبيع انواع الاعشاب والنباتات الطبية . وفي خلال رحلة قام بها الى خراسان لشراء بعض الاعشاب الطبية ولد له جابر فيها ، وان حاكم خراسان قتل والده حيان وقدر لجابر اليتيم من ارسله من خراسان الى عشيرته

١) ذكره ابن النديم بابي عبد الله والازدى بابي موسى .

الازد في الكوفه . اما سنة ولادته فقد اختلفت الروايات فيها واشهرها القول بانه ولد سنة ١٢٠ هـ .

وبعد ان استقر جابر في الكوفة وشب عن الطوق اخذ يتردد على الحلقات العلمية فيها متلقيا العلم ممن كان يتوسم فيه الافادة وقد القى بكليته على العلم وتلقيه من اى مصدر كان .

وفي اثناء ذلك اتصل بالامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين ابن الامام الحسين الشهيد بن الامام على بن ابي طالب (ع) وتلقى من لدن الامام الصادق العلم واصبح من ملازمي حوزته ومن اصحابه وتلامذته المقربين اليه (٢) .

وكان جابر بن حيان مشاركا في علوم وفنون كثيرة ، فانه كان رياضيا وفيلسوفا وكيماويا وعالما بالنجوم رصديا وطبيبا ، مكثرا من التاليف والتصانيف ، زاهدا واعظا ، وقد الف في اكثر العلوم المتداولة على عصره ، كما الف في علم الفيزنجات والعزائم والكيمياء والطب والعلوم الطبيعية والات الحرب والعلم المعروف بعلم الباطن والجفر وغيرها .

بين جابر والبرامكة والرشيد

بقى جابر بن حيان مقيما في الكوفة كما اصبح معروفا فيها بصناعة الكيمياء وبعض العلوم الخفية . واتصل اثناء ذلك بالبرامكة حيث نقلوه الى بغداد واوصلوه الى بلاط الخليفة هارون الرشيد الذى اعزه واكرمه في اول الامر ثم اصابه رشاش نكبة البرامكة مما اضطره الى العودة الى الكوفة والاختباء فيها مدة ، ثم هربه منها الى مكان لم يفصح عنه احد من المؤرخين (٣) ولكنى بحثته باسهاب في رسالتي (جابر بن حيان الكوفي ومدفنه) المخطوطة .

---

(٢) قال ابن خلكان في ترجمة الامام الصادق (انه له كلام في صناعة الكيمياء والزجر والفال، وكان تلميذه ابو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد الف كتابا يشتمل على الفة ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي ٥٠٠ رسالة .. الخ .

وقد اكد هذا الامر اليافعي في (مرآة الجنان) كما اشار اليه ابن النديم وغيرهم من الباحثين القدامى والمعاصرين كالسيد محسن العاملي واسماعيل مظهر والدكتور محمد يحيى الهاشمي والشيخ محسن اقا بزرك الطهراني وآخرين غيرهم .

(٣) قال ابن النديم في فهرسته ما نصه : (زعموا ان جابرا كان يتنقل في البلدان لايستقر به بلد خوفا من السلطان على نفسه . وقيل انه كان في جملة البرامكة ومنقطعا اليهم وملتحقا بجعفر بن يحيى . وحدثني بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة ـ صنعة الكيمياء ـ ان جابرا كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب . وقال لي هذا الرجل ان جابرا كان اكثر مقامه بالكوفة ، وبها يدبر الاكسير لصحة هوائها ..) الخ .

وذكر الجلدكي في كتابه (نهاية المطلب) ما نصه : (ان جابر بن حيان خلص من الموت مرارا عديدة كما انه قاسى كثيرا من انتهاك الجهلاء لحرمته ومكانته ، وانهم كانوا يحسدونه على علمه وفضله وانه اضطر الى الافضاء ببعض اسرار الصناعة ـ اى صناعة الكيمياء ـ الى هارون الرشيد والى يحيى البرمكي وابنيه الفضل وجعفر ، وان ذلك هو السبب في غناهم وثروتهم ! ولما ساورت الرشيد شكوك في البرامكة وعرف ان غرضهم نقل الخلافة الى العلويين مستعينين على ذلك بمالهم وجاههم ، وقتلهم من آخرهم ، اضطر جابر بن حيان ان يهرب الى الكوفة خوفا على حياته حيث ظل مختبئا الى ايام المأمون فظهر بعد احتجابه ..) الخ . وقد اكد هذا الامر باسهاب الدكتور احمد فؤاد الاهواني في بحثه عن جابر الذى نشره في بعض المجلات العربية .

وفاة جابر وقبره

اما سنة وفاته فقد اختلفت الرويات فيها وقد حددت بين سنوات ١٦٠ و ٢٠٠ هـ واعتقد ان اصحها هي سنة ١٩٠هـ التي هي قول غالبية مترجمي جابر . وهو اعتقاد الدكتور الاهواني ايضا . اما الحاج خليفة صاحب (كشف الظنون) فيحددها بسنة ١٨٠ . وما يؤكد كون جابر قد توفي سنة ١٩٠هـ وجوده حيا في سنة ١٨٨ التي نكب فيها البرامكة واصابه رشاش من هذه النكبة كما مر . والظاهر انه بعد هذه النكبة عاد سرا من بغداد الى الكوفة ولم يمكث فيها طويلا وبارحها ، اما خلال السنة نفسها ، او في سنة ١٨٩هـ .

اما مكان قبره فلم يفصح عنه المؤرخون القدامى ولكن الصحف الايرانية تناقلت قبل سنة خبرا مفاده انه اثناء اجراء اعمال تسطيح طريق جديد بين قصبتي (سيكان) و (حميرة) الواقعتين على امتداد نهر (حميرة) في محافظة لرستان اى (بشت كون) بمعنى خلف الجبل المحاذية للحدود العراقية . في اثناء ذلك عثر العمال على بناء قديم دلت الكتابات المنحوتة على الصخرة القائمة على حفرة من الارض انه (مدفن جابر بن حيان الكوفي الصوفي الطرسوسي) .

يقع هذا البناء على بعد (٢٤) كيلو مترا من قرية (بدره) (٤) الايرانية المعروفة بين سكان تلك المحافظة بـ (بدر آباد) . والبناء مقام على تل تتكون تربته من مادة الجبس وهو مربع الشكل طول كل ضلع منه اربعة امتار ومكون من غرفة ارضية داكنة الظلام وينخفض سطح هذه الغرفة عن سطح ارض التل بمعدل اربعة سلالم كما يتعذر الولوج الى تلك الغرفة الا من طريق السلالم الاربع . وتسكن حوالي هذا البناء (٢٠) اسرة من عشائر بشتكوه يتعيش افرادها على كتابة الادعية والاوراد ومعالجة مرضى القرى المجاورة لها بطريقة توزيع الادعية والاوراد عليهم او بتوصيف العقاقير والنباتات الطبية لهم تبعا لاسلوب الطب القديم . وتعرف بقعة هذا القبر لدى عشائر تلك المحافظة ببقعة (جابر الانصارى) (٥) خطأ .

ولو صح وجود قبر جابر بن حيان في تلك المنطقة النائية في محافظة (لرستان) الواقعة شرقي الحدود العراقية ، نعم لو صح ذلك ، لامكن عندئذ القول بان جابرا بعد ان اصبح مطاردا من قبل هارون الرشيد ترك الكوفة ولجا الى اقرب جبال من بغداد واقعة في ايران . فلجا اليها ومات ودفن فيها غريبا . وذلك بعد ان ترك الكوفة ومصنعه الكيمياوى وداره وجميع ما يملكه فيها متجها نحو الشرق ومجتازا نهرى الفرات ودجلة .

اما مؤلفات جابر بن حيان فقد عدها بعض المؤرخين فكانت (٣٩٠٠) مصنف بين كتاب ورسالة ومقال وبحث في مختلف المواضيع ! وقد ذكرت موسوعة (اعيان الشيعة) الآن (٣٦٠) كتابا ورسالة منها (٦) .

وفي مكتبة على ملك جملة من مصنفات ورسائل جابر بن حيان المخطوطة قد يفسح العمر والوقت المجال للاطلاع عليها وتزويد قراء (العربي) الزاهرة بمباحث عنها ان شاء الله تعالى . ■■

السيد صالح الشهرستاني

طهران

---

(٤) وهي غير مدينة (بدرة) العراقية الواقعة في لواء الكوت قرب الحدود الايرانية .

(٥) هو جابر بن عبد الله الانصارى السلمي الخزرجي من اصحاب رسول الله (ص) وقد توفي سنة ٧٨ بالمدينة ودفن فيها .

(٦) قال ابن النديم (له ـ اى لجابر ـ فهرست كبير يحتوى على جميع ما الفه من الصنعة وغيرها . وله فهرست صغير يحتوى على ما الف في الصنعة فقط . ونحن نذكر جملا في كتبه رأيناها وشاهدها الثقات فذكروها لنا ...) الخ .

قصة

دعيني أحِبّ يا أمي !

بقلم : فاضل السباعي

■ انا شاب مرح ، تطفح جوانحي بالنشاط وال ... ماطفة ! ولكن امى لا تريد ان تقر لى بذلك مثقال ذرة . ولعلنى لا اعدو الحقيقة اذا زعمت انها امراة « مسيطرة » ، على الرغم من توقد ذكائها وحدة نظرها .. وانما تمارس « سيطرتها » على ، انا وحيدها الذى قدر له ان ياتى الى الدنيا بعد اربع بنات تخطفتهن يد الموت ، واحدة بعد الاخرى ، فى اعوام طفولتهن الاولى .

ولكن .. مالى لا ابدا القصة من اولها ؟!

كنت ، فى ذلك المساء ، ارقب زملائى وهم يتحلقون حول « الأستاذ » ، ويناقشونه الرأى فى لهجة هى مزيج من الرجاء والشكوى والالم الكظيم . وصوتها هى ، صوتها الرقيق الذى اسرنى وما استطعت فكاكا من أسره ، يخاطب الأستاذ فى عتاب :

ـ الواقع اننا لم نكن نحسب ان اسئلة الامتحان ستاتى على هذه الشاكلة ، يا أستاذ !!

ولله درى من ماكو ! فبقدر ما كان صوتها العاتب ينم عن المرارة والخيبة والألم ، كنت ـ وانا ارقب عن كثب ـ اطرب لسماعى هذا الصوت الملائكى الذى احسه لحنا علويا تعزفه آلهة الحب على قيثارة قلبى !

صباح ذلك اليوم ، كنت قد أنهيت لامى ان من رشحتها ـ فى الليلة السابقة ـ خطيبة لى .. لا تروقنى ! كنت فى موقفى ذاك سلبيا . والآن اجدنى وقد افتقدت فى نفسى الباعث على ان انضم الى زملائى فأشاركهم حديثهم العاصف :

فشتان ما بينى وبينهم ! بحسبى انى أصغى ، فى وقفتى الطلقة هذه ، فما أسمع الا صوتها ، وانظر فلا ارى الا السمراء ذات العينين الخضراوين ، وهى تشرئب بقامتها الفارعة حينا ، ثم تلوح بقبضتها فى عصبية (انها حلوة ، حتى وهى مستوفزة الاعصاب) . وما همنى شيئا انى وقفت ـ فى آخر « مادة » من مواد الامتحان ـ فى « المطب » ذاته الذى وقعوا فيه . واما أن يتعين على أن أعيد امتحان المادة فى « الدورة الثانية » فلعل هذا ما يحقق لى متعة وسرورا ، ما دامت « نجلاء » قد سقطت ـ كما يبدو ـ فى الشرك معى !!



... واحست بيدها
ترتعش في يدي .
جسمها يرتعد . حررت
يدها بلطف من يدي .
لتتناول منديلها ...

والحق ، كان قد ملكني ـ حتى ذلك اليوم ـ شعورٌ مكين بان سعادة العمر كله باتت رهينة ان يُظِلّني واياها سقفُ بيت واحد . ولكني (واعترف ، فمن خصالي : الصراحة !) ضَعُفْتُ دائما في مصارحتها بهذه الرغبة ، قدر ضعفي امام امي التي تابى عليَّ حقي في أن اختار الفتاة التي تروقني . ذلك ان امي ـ التي توفرت على رعايتي صغيرا مذ فارقنا ابي الى دار البقاء ـ حريصةٌ ان تختار لي شريكة عمري بالطريقة عينها التي وُفِّقَتْ فيها جدَّتي ـ ذات يوم بعيد ـ الى اختيارها امي زوجةً صالحة لابي !

كنتُ في طاعتي لامي (تلك الطاعة التي تكشفت لي ، عن ضعف وخَوَر) ، اقول لها في توسّل :

ـ امي ! دعيني احبُّ ، يا امي !

فتردد بلهجة لا تخلو من سخرية :

ـ تحبُّ ، يا ولدي !

ـ دعيني اختارُ واحدة من زميلات الجامعة ، ووفّري على نفسك عناء السؤال والبحث والتقصّي!

فتروح تخاطبني ، كما تفعل أم مع صغيرها :

ـ يا للفتى المسكين ! وهل تستطيع ان تنفذ الى سرائرهنَّ ؟! اسكتْ ، والنبي ، اسكت . دع هذه المهمّة لي ، يا « يوسف » فانا اَعْرَفُ ببنات جنسي : المليحة منهنَّ من الرديئة ! (وتزيد في غلوائها) لن اخطب لك ، وعيني ، الا اجمل فتاة في البلد ، تليق بك . اطمئن .

وما كان كلامها هذا ليمنحني اطمئنانا : فلماذا احظى ، انا باجمل فتاة في العاصمة ، ولست بالشاب الوسيم الفتّان (على الرغم من ان اسمي يذكّر باجمل الانبياء صورة !) ، لا ولا انا بالرجل الموسر ، او ذي الجاه ، او النادر الخصال ؟!.. وكم قد وجّهت لامي كلماتي الحارة التي ذهبت ادراج الرياح : « امي ! انا حقا ، ابنك الأوحد الغالي ، ولكني لا اعدو ان اكون ، آخر الامر ، شابا مثل غيري من الشبان ، على الاقل في نظر الفتيات ! » .

كان ما بيني وبين امي مختلفا جدا . فهي ـ مثلا ـ تحرص علىأن تزوّجني فتاة بيضاء شقراء (انها لتقول لي في ذلك : « أريد لك نَسْلاً رائق اللون !! ») ، على حين اجدني شغوفا بالفتاة اما كانتحِنْطِيّة اللون أو سمراء! الا اني قد افلحت ـ بالرغم من هذا الاختلاف البيِّن في الاذواق ـ في أن اعقد بيني وبين امي « اتفاقا وديا » ، كان دليلا على مقدرتي فيالاقناع وباعثا لاعتزازي بنفسي ، من مقتضاه الاّ يلتزم « أحدُ الطرفين » ـ انا وهي ـ الطرفَ الآخر « بقبول » فتاة لا تروق له ! فحققت بذلك كسبا عظيما : فلئن كنت قد اضطررت الى أن أذعن لامي في تجريدها اياي من « حقّ الاختيار » ، لقد انتزعت منها حقي في أن «ارفض» من تختارها هي لي حين لا أراها تناسبني .. وقد وجدتهنّ ـ حتى يومي ذاك ـ غير مناسبات لي قط !

واعترف باني ملكت الجراة ، في بعض الاحيان، فطرحت على امي اسم هذه الفتاة ممن عرفت او اسم تلك . ولكن النتيجة ما كانت الا صفرا ! وهكذا قدِّر لنا ـ انا وامي ـ ان نقع في «اشكال» من نوع ما : فانا استعمل « حق الرفض » بصدد من تسمّيهنّ امي لي ، وهي تفوقني تطرُّفا في استعمال هذا الحق كلما ذكرتُ لها اسم فتاة جامعية .. فاية حلقة مُفْرَغَة رحنا ندور فيها !!

على ان نجلاء كانت اكثرهنَّ استهواء لي :كانت رقيقة ، وطيبة ، وذكية مجداة . وقد لمَحتُ لها باستلطافي اياها ، فلقيت منها أذنا صاغية ، وكم اصغيت لها وهيتحدثني عنهمومها الشخصية واحوالها الاسرية ! واما حين حدثتني عما انتهت اليه حال اختها الصغرى التي تزوجت بالامس القريب ، ثم لم تلبث ان طُلِّقت من زوجها الفظ القاسي ، فقد حزَّ ذلك في نفسي ، قدر ما حزَّ في نفسها وفي نفوس افراد أسرتها .. اقول : بثثتها شيئا مما عندي ، الا أنني عجزت ، حتى الساعة عن مفاتحتها بحبي .

ولكن ، اتراني احبتها حقا ؟

وما الحب ؟ لم يُتَيَّض لي ان اتعرّف اليه ، ان اذوقه ! اجل ، سرت واياهنّ في ارجاء الجامعة رافقتهنَّ خارجها ، رقَّ ما بيني وبينهنَّ من حديث ، حتى لقد اخذت ، في بعض المرات ، أيديهنَّ بين يديَّ .. ولكني ما اعتقدت قطُّ اني احسست الحب ! ولو كنت شعرت به ، أكنتُ استسلم مرةً لامي ، فادعها تستعمل حق الرفض بصدد فتاة اختارها قلبي ؟

★ ★ ★

تودي على « الاستاذ» فالهاتف يطلبه . فانسلَّ من بينهم حامدا ـ لا ريب ـ لصاحب المكالمة الهاتفية أن انتشله من صخب جدال لا ينتهي الى

شيء ، بقدر ما حمدت له ـ انا ـ ان خلّى لي سبيل فتاتي !

لست ادري كيف اعبّر عن حقيقة مشاعري . وما ادركه اني بدوت ، الآن ، امام نفسي ، كما لو ان عزمي قد صحّ على ان .. فقد كان اليوم الاخير من ايام امتحان السنة النهائية ، وربما ضنّت عليّ مقبلات الايام بالظرف الموالي للبوح والمصارحة .

قلت احاسنها القول ، فيما انا اسير واياها في بهو الكلية :

ـ هوّني عليك ، يا نجلاء ! لا تحزني ، لاتغضبي!

فكأنني بهذا نكأت جرحها . قالت تسائلني بصوت لم اجده رقيقا :

ـ وكيف ، بالله ، لا أحزن ولا اغضب ؟!

هتفت في سري : يا لحظّي ! ما ابعد ما بين انفعالاتي وانفعالاتها !

تابعتُ :

ـ ما اشك في ان رحمة استاذنا ، وهو رجل طيب على كل حال ، ستدركنا يوم تصحيح الاوراق ، فيسخو علينا بدرجات تمكننا من بلوغ شاطىء النجاح ! هيه : اضحكي ، يا نجلاء ، ابتسمي ، هيّا غرّدي بصوتك الرقيق !

بدا اني امددتها بامل اشرق له محيّاها . ولكن سرعان ما غاضت بسمتها ، والتفتت اليّ متسائلة

ـ طيّب ، واذا لم تدركنا رحمته ، سقطنا في رياح الامتحان كالعصافير ، وتوجّب علينا ان نعود ، في فصل الصيف الحارّ الذي بدات طلائعه ، الى كتابنا نستعدّ للدورة الثانية !

وبهدوء متكلف اعلنت ، وانا ابتسم :

ـ وما في ذلك ؟!

فاذا هي تلوى عليّ

ـ لله كم انت خليّ البال ، يا يوسف ! « وما في ذلك » !! الم يتسوّك من الاستاذ انه قسّم الاسئلة الى مجموعتين ، تتالف الاولى من اسئلة صغيرة هي « تعريفات » مغيّبة بين اسطر الكتاب تغييبا ؟!

« اجب بما لا يزيد عن ثلاثة اسطر عن كل من الاسئلة الثمانية التالية .. » ! قلنا : لا باس ، حقيقٌ بالطالب الدارس ان يجيب ولكن ما بال السؤال الآخر ، وله ستون درجة ، بجيء غير واضح ؟ لقد حسبت نفسي ، للوهلة الاولى ، غبية قد فهمت السؤال فهما خاطئا فانحرفت عن الاجابة الصحيحة ! ولكني اكتشفت ان جميع الطلاب والطالبات قد فهموا على نحو ما فهمت . معنى هذا ان الخطا كامن في نص السؤال ، في صياغته ، وليس في فهمنا له !

كنت ـ يا لغباوتي ! ـ ارنو اليها ، ونحن نمشي الهوينا على رصيف الشارع العريض ، ملتذا برؤيتها متحمسة الى حد الثورة ! تمنّيت ـ وقد اسهمت في اثارتها ـ لو اخفف ما بها من توتر وانفعال ، لو الثم جبينها ، لو امرّ بشفتيّ على عينيها اللتين تضجّان ـ هما الاخريان ـ ثورة وتتقدان خضرة ناضرة .. اهو الحب ، هذا الذي احسّه يمور في كياني ؟ هل اطرح اسمها ، الليلة على امي ؟ هل تقبلها امي ؟ ام انه حق الرفض ايضا ، وانا في الحلقة المفرغة سنظل ندور ؟!

وعدت امتّع سمعي باسر صوتها :

ـ .. وما كنا لنتعب ، لولا ان الاستاذ الدكتور انتقد في محاضراته على الدوام اسلوب الامتحانات السائد في بلادنا .

كنت ، وهي الى يميني ، امسك كتابي بيدي اليسرى . وكانت تحمل بيمناها كتابها وحقيبة يدها .. فلمستُ ، عفوا ، كفّي كفّها ، فاستشعرتُ لذلك احساسا جميلا !

ـ .. وهو كثيرا ما اعلن ان الاجابة الناجحة في الامتحانات التحريرية ، لا تدلّ بالضرورة على ذكاء صاحبها . وان علينا ان نبذل جهدا في تطوير اساليب اختبار ذكاء ابنائنا . فكيف يسوغ له ان يطرح علينا هذا النمط من الاسئلة الذي يُعيي ويعجز ولا يختبر ذكاء ؟!

وجدتني ، ههنا ، مضطرا لان اقاطعها :

ـ رويدك ، يا نجلاء . ان الدنيا اجمل من ذلك ، يا عزيزتي !

فامسكت عن الكلام .

بدا ان صوتي جاء الطف مما توقعتُ رفيقتي ، وارقّ مما يستدعيه الموقف الذي ما انفكّت تنفخ في رماده او في ناره ! واغتنمت فرصة سكوتها واصغائها ، فتابعت :

ـ انظري الى هذا الشارع الوسيع بما يضطرب فيه من حركة وضجيج وحياة ، والى الغادين والرائحين فيه ، من الجنسين ، والسعادة تشرق في محياهم ، والى « قاسيون » الاشمّ ، وقد

اخذت المصابيح ، مع حلول المساء ، تتلألأ داخل البيوت ، تلك المستلقية على صدره .. ذلك كله ، الا يخفف عنك شيئا مما تحملين من همـوم الامتحان واعبائه ، يا عزيزتي ؟

يا لفرحتي ! اسرتها . اسرتها كلماتي الشاعرية! رايتها تقيّب ناظريها في وجهي ، وترتعش ابتسامة" على شفتيها ، ابتسامة عذبة ، خجلى ، وتقول :

ـ آسفة ! وانما صرفتني عن ذلك خشية" من ان اعيد امتحان هذه المادة !

وَدِدْتُ ، في اعتذارها الحيي ، لو التقف كفها الصغيرة ، انامِلها الرقيقة ، فاطويها في يدي ، اعانقها باصابعي ، اضمها في خافقي .. لعلني استطيع ان انقل اليها عدوى مشاعري واحاسيسي الملتهبة .

كانت تستغرقني هذه الامنية الحلوة ، لحظة زعق ، على حين غرة ، بوق" سيارة خرجت من المنعطف فجاة ، فاوشكت أن تقتلنا ، ونحن في ناصية المفترق .. ارتفعت يدي اليمنى بحركة عفوية ، وارتفعت يسراها فتماسكت اليدان ، تشابكتا ، تعانقتا ، وقد مسهما الخوف ، خوف" كلٍ منا على صاحبه !

تمتمت للسائق العجلان ، الذي رشقنا بنظرة وقد احسستني مبهور الأنفاس :

ـ عفوا !

فهتف الظريف : عاشقان !

وانطلق يسابق الريح .

شكرت له ، في أعماقي ، خروجه المباغت من المنعطف ، وبوقه الذي آثار الذعر ، وفراسته الصادقة ، المتحققة في جانبي على الاقل ! ولم تساورني أيما رغبة في ان ادع كفها الهاجعة في كفي ، وقد تدفقت في حناياي نشوة عظمى !

وجدتني اعترف :

ـ ان شعوري ، الآن ، هو في قمته الذهبية ، يا نجلاء !

ـ .. .. ..

ـ انا لم اشعر بمثل هذه اللحظة النفسية ، طوال عمري !

كانت ، في صمتها ، قد منحتني فرصة ان احس" باني امتلك العالم .

سالتها :

ـ هل لي ان اعرف حقيقة شعورك ، يا نجلاء ؟ وانا ادرك مدى ما في سؤالي من غرابة !

قالت ، ونظرها نحو الجبل : لا ادرى ما اقول (ثم رنت اليّ) ولكن ماذا يفيد هذا القول ؟

ـ بودّي لو اعرف .

ارسلت تنهيدة ثم قالت: اني خائفة ، يايوسف!

ـ ولكني سعيد ، يا نجلاء . انا سعيد حتى اعماقي . في نفسي لو ... تشاركينني سعادتي . لسوف اعمل في اعقاب تخرّجي ، وتعملين .نتعاون في .. بناء شيء صغير .. يسمّونه ..

احسست يدها ترتعش في يدي .جسمها يرتعد. حرّرت يدها بلطف من يدي ، لتتناول منديلها .

قالت ، من خلال عبراتها : ان بيتنا .. ما يزال يعيش ماساة اختي الصغرى ! اصبحنا نخاف الرجال .. نرهبهم !

ودارت في خاطري حكاية الوردة الناضرة التي جرّحتها اليد الرعناء ، ثم ما لبثت ان طلّقت" .

ـ ولكني ، انا ، اضمر لك ودًّا اكيدا ، يانجلاء (وعدت اخذ يدها بحنان) اكنّ لك عاطفة صبرت عليها دهرا طويلا . ان الاستثناء من القاعدة لا يلغي سنّة الكون . واما القسوة التي بدرت من صهرك الذي كان ، واما فظاظته ، فقد كانتا موضع استنكاري كما تعلمين . ان الناس درجات" متفاوتة ، في المزاج ، والسلوك ، والسيطرة ..

هدات نجلاء ، وكفكفت دمعاتها .

ولكن قلقا ـ اذ وصلت هذا الحد من الحديث ـ طفى عليّ . واذ بلغت باب بيتي ، كان الرّوع قد شبّ في ارجاء نفسي : امي ! امي ! وحقّ الرفض ، والحلقة المفرغة !!

★★★

قلت لامي بجسارة : قد وجدت الفتاة التي اريدها ، يا امي !

فسالتني ، وفي عينيها ـ كما ارى ـ العزم على اعلان الرفض : ومن هي ؟

فاقفت" بصوت واضح النبرة جريء : هي زميلة لي في الكليـة . عرفتها من زمن ، فاستلطفتها . درست اوضاعها ، وتاكدت من حسن سيرتها . اهلها طيّبون ، لا اشكّ في انهم ينالون رضاك . انها فتاة رصينة ، ولطيفة ، وجميلة . ولكن جمالها ليس احسن ما في البلد ، كما تريدين لي . وماذا يفيدني ، يا امي ، ان تكون زوجتي على جمال خارق ، اذا لم تشدّني اليها عاطفة ؟

تحيّنت الفرص ، حتى فاتحتها الليلة . كان يجب عليّ أن أعلمك قبل الآن . ولكني فضلت ان أتأكد ، اولا ، من حقيقة شعورها نحوى . والحق ، انى ملت اليها ، وأيقنت ، اخيرا ، انها تميل اليّ ..

كانت امى — التى لم تنطق بغير سؤالها ذلك المؤلف من كلمتين اثنتين — تحجه النظر اليّ بعينين ثابتتين ثاقبتين ، وانا اهدر بطلاقة : طلاقة زادتنى احساسا برجولتى ، الا أنها الجمت لسان امى ، وجعلت وجهها يكفهرّ شيئا فشيئا ..

غادرت أمي الصالة ، دون أن تنبس ببنت شفة . رأيتها تدور فى أرجاء البيت ، تلوب ، كما لو أنها اضاعت شيئا فهى الآن تبحث عنه ! لم ما لبثت حتى دخلت غرفتها ، وتركتنى نحيرتى وذهولى !

صحوت الى نفسى : لقد وُفّقتُ ، حقا ، فى القاء خطبتى ! ولكن ، ما بال امى !

خيّل اليّ انها اوصدت دونهـــا الباب .. فساورنى خوف عليها .

دنوت من الباب . اصخت سمعى : يا لـلـه ! انها تكلم نفسها !!

سمحت لنفسي بان استرق النظر من ثقب الباب: لمحتها تخاطب صورة أبى الراحل ! الها لتناجيه ، فتقول بصوت دامع : ابنك أحب ! يريد ان يأخذ فتاة من الجامعة ، لا أعرف شيئا عنها ! ابنك خرج على ارادتى ، انا التى افنيت زهرة عمرى فى تربيته ، واحجمت عن الزواج من أجله ! ابنك احب ! وقع فى الحبّ !

فنفذت مناجاتها الى اعماق قلبى !

انسحبت الى غرفتى ، وقد امتلأت نفسى كآبه وغما ، واشفاقا لا حدّ له . وددت لو اعود اليها ، فاطرق باب غرفتها ، واصرخ بملء صوتى وحبى وحنانى : « غفرانك امى ! قد اخطأت ! لا تحزنى لن احملك على أن تخطبى لى الفتاة التى أحببت! اعدك بان أدعها وشأنها ، ولا افكر بالزواج الا بمن تختارين ! » ..

وهنا ، احســـت بمشاعرى نحو صـــاحبتى تنبعث فى صدرى اقوى مما كانت ! انها الفتاة الوحيدة التى شعرت نحوها بالحب الصادق ، الجارف .

وارتميت على سريرى ، خائر القوى ، مضطرب التفكير !

وما هى الا هنيهة حتى سمعت صرير الباب : لقد خرجت أمي من غرفتها . فنهضت ، واصلحت من شأنى ، واتجهت الى حيث هى ، وقد نازعتنى الرغبة فى العودة الى حرم طاعتها !

ولكنى — يا للعجب ! — وجدتها متماســـكة ، ثابتة الجنان ! وكأن عينا لها لم تدمع ، الساعة ، وراء الباب ! لا ولم يناج لسانها صورة أبى ، تلك المناجاة التى زعزعت ارادتى ، واوهت عزيمتى، وكادت تحملنى على الاستسلام !

نادتنى بصوت هادىء : يوسف ، ابنى !

— اسرعت اجيبها : نعم ، يا امى !

قالت تسالنى : أنت .. أعنى .. (واضطرب صوتها) فتاتك هذه .. أنت .. تحبُها ؟!

ملكتنى الحيرة بماذا أجيب ، وانا انظر عن كثب الى تغضنات جبينها ، والى محياها وقد عادت تظلله سحابة الالم العميق ! فاعتصر الحزن قلبى ، ولم يكن منى الا ان اطرقت صامتا .

اعادت سؤالها : انت احببتها ، يا يوسف . اليس كذلك ؟

— .. .. ..

— هيّا اعترف لى ، يا ولدى . فانا امك !

كان صوتها ، الآن ، يطفح حنانا .

اجبت ، والدمعة توشك أن تطفر من مقلتى : اجل ، يا اماه .

فرفعت زنديها ، تطوّق بهما عنقى ، وتبكى : مبروك ، يا بنىّ !

فانهلتُ عليها ، فى غمرة دهشتى ، لثما وتقبيلا . لقد ادركتْ امى ، بثاقب نظرها ، التى أحببته، اننى بصدق احببت ، فكفّت عن معارضتى . لقد تغلّب عقلها النيّر على دافق عاطفتها .. فما أروعك ، يا أمى ! ما أعظم ذكاءك !

★ ★ ★

انعقدت الخطبه بينى وبين نجلاء ، فى مساء يوم كنا قد تلقينا — فى صباحه — خبر رسوبنا معا فى .. تلك « المادة » !

ويوم اديّنا الامتحان فى الدورة الثانية ، خرجنا من الكلية يدا بيد ، دون ان تكون نجلاء فى انفعالها الغاضب الصاخب ذاك ، او أن يعترينى — أنا — انفعالُ المتقدّم على مصارحة من نوع ما ! ■■

فاضل السباعى

دمشق

من غرائب القضـــايا

ضَحيَّةُ فَتَاةٍ مُراهِقَة

بقلم : حسن الجداوي

■ كان « لوني جنكنز » يعمل سائق ترام بمدينة دترويت بولاية متشيجان . وكانت له زوجة « اديث » وابنة وحيدة « هيلين » في العاشرة من عمرها . وكانت حياته تدور كلها حول اسعادهما . ولم يكن هناك ما يشغل باله او يقلق نومه الا رغبته في تخفيف العبء على زوجته التى تعمل برغم ضعف صحتها وابنته التى كثيرا ما تترك بمفردها في المنزل . ولانه كان يعمل بالتناوب كان اذا جاء دوره للوجود بالمنزل يعد لابنتـــه غذاء ساخنا والا تركها بمفردها ـ في تلك السن المبكرة ـ تدبر امر طعامها .

وارهق العمل بالخارج والعناية بالمنزل الزوجة العليلة فاخذا يبحثان عن حل لمشكلتهما . وجاءهما الحل المثالى « الموفق » من حيث لا يدريان . فقد تزوجت جارة لهما ، لها ابنة في السادسة عشرة من العمر اسمها « بتى » ، من زوجها الاول . ولكن الخلاف دب بين الابنة وزوج امها فصارت الفتاة تهجر مدرستها . ولم تنجح الام في التوفيق بينهما . وعرضت الام امر ابنتها على محكمة الاحداث فهددها القاضي بارسالها الى الاصلاحية ان لم تصلح من تصرفها . وعندها اقترح جنكنز وزوجته على جارتهما ان تقيم « بتى » بمنزلهما : رفيقة لابنتهما ومساعدة للزوجةالمتعبة في الاعمال المنزلية .

ووافقت « بتى » وامها على هذا الحل الموفق السعيد وعرض الامر على قاضى الاحداث فاقره . وانتقلت « بتى » الى منزل الزوجين جنكنز .

ولكى يمنحا الفتاة فرصة لتبدا حياة جديدة في مدرسة جديدة فكر الزوجان تفكيرا سليما فاستاجرا شقة في حى جديد ونقلا « بتى » الى مدرسة جديدة واصبحوا بين جيران جدد وتلميذات جديدات .

ولكن جنكنز كان في ذلك الوقت في التاسعة والعشرين من عمره و« بتى »تطرق ابواب السادسة عشرة . وكان وجود فتاة مراهقة اخذت انوثتها تتفتح مع شاب في هذا السن زوجته مريضة وبين جيران جدد لا يعرفون شيئا عن علاقة الزوجين موضع قيل وقال خاصة حين ظهر ان « بتى » تنظر الى جنكنز نظرات اعجاب لا تخفى على نظرات محبى الثرثرة . فبدان يتحدثن عن السكان الجدد بالسنة حداد وزادت الاشاعات حين قامت مناقشةٌ بين الزوجين سمع صوتها في خارج الشقة فافترض الجيران ان الخناقة بسبب الفتاة .

وبعد فترة قصيرة عادت ربية ـ اعنى « بتى » . لعادتها القديمة ، فبدات تهرب من المدرسة ولا تعبا بنصائح الزوجة التى تكفلت بها ، فامرتها مسز جنكنز بان تترك المنزل ورفعت الامر الىقاضى الاحداث الذى امر بوضع « بتى » بولاية الراعى الصالح وهى مؤسسة كالاصلاحية لمدة ثلاثة عشر شهرا ونبه عليها بان تبتعد عن منزل ال جنكنز .

* * *

حدث فى اواخر شهر سبتمبر ان حاولت مسز جنكنز ان تنتحر . فقد شم الجيران رائحة غاز تنبعث من المنزل فاخطروا مراقب العمارة وكسروا باب الشقة ووجدوا مسز جنكنز فاقدة الوعى فى ارض المطبخ ومفاتيح الغاز مفتوحة ، وعلى طاولة كلمة تدل على انها قررت الانتحار . فلما استردت وعيها طلبت من الجيران ان لا يبلغوا زوجها بما حدث ، ولكن مراقب العمارة وجد من واجبه ـ ودفعا ـ لمسئوليته ـ احاطة الزوج علما بما حدث.

* * *

وبعد اقل من ثلاثة اسابيع ذهب جنكنز الى نقطة البوليس وابلغهم ان زوجته اطلقت النار على نفسها ، وانه اختصارا للوقت اسرع يستنجد بطبيب يسكن بجواره . وجاء به الى المنزل فورا ووجد الطبيب جرحا بالصدر من رصاصة مطلقة من كثب ، ونقل الزوجة الى المستشفى ولكنها فارقت الحياة فى الطريق .

ولما ساله البوليس عن كيفية الانتحار قال انه كان يرتدى ملابسه بغرفة النوم عندما سمع صوت العيار النارى ـ ولان ذلك اليوم كان يوم قبض المرتب اعتزم ان يذهب الى العمل مبكرا بعض الشىء ـ فلما سمع العيار اسرع الى غرفة الاستقبال فوجد زوجته ملقاة على الارض تحوط راسها بركة من الدماء . وكانت راقدة على ظهرها بطولها ، والمسدس على صدرها وانه حين دخل انزلقت يدها من المسدس وبقى المسدس فى مكانه فوق صدرها .

* * *

وكان اول من وصل الى المنزل ضابط فى بزته الرسمية فوجد على طاولة بجوار الحائط بغرفة الاستقبال ورقة صغيرة مسطرة منزوعة من كراسة مدرسية مكتوبا عليها بالقلم الرصاص « دادى وبيبى وداعا . لم اعد اطيق الاستمرار . كونى فتاة طيبة وكن ابا بارا .. ماما » .

وقال جنكنز ان بيبى هو اسم الدلع لابنتهما . وان المسدس مسدسه لانه يقود احيانا سيارة صرف المهايا اشتراه ليحمى نفسه فى حالة حدوث سطو . وانه افتقد المسدس فى مكانه فلم يجده وابلغ الامر للمشرف على العمارة ولكنه لم يتحدث فى ذلك مع زوجته بسبب محاولتها السابقة الانتحار وحتى لا يعكر صفوها .

وان وجود زوجته بالمنزل فى ذلك اليوم كان لان احد رؤساء العمل وجدها فى حالة اعياء اثناء العمل فاقترح عليها ان تاخذ اسبوع اجازة بمرتب.

واحتار البوليس فى وصف الزوج للحالة التى وجد عليها امراته بعد اطلاقها النار . فقد حققوا عددا كبيرا من حوادث الانتحار باطلاق عيار من مسدس الا انهم لا يذكرون حادثا واحدا سقط فيه المنتحر على ظهره بل جميعهم يسقطون على وجههم . وزاد من حيرتهم ما جمعوه من اشاعات من السنة الجيران عن احتمال وجود علاقة حب بين الزوج و « بتى » وقال الجار الذى كان سمع اصوات المناقشة بين الزوجين انه سمع الزوجة تصرخ « لن افعل . لن افعل » .

ولما سئل جنكنز تفسير ذلك قال ان المشاجرة كانت خلافا عاديا بين زوجين سرعان ما زال اثرها. وانه كان يطالب زوجته فى الحاح ـ اشفاقا على صحتها ـ بان تترك العمل ولكنها رفضت .



واعترف ان « بتى » كانت ـ على حد تعبيره ـ قد انمت في خيالها « افتتانا جنونيا » به . ولكنه اكد ان شيئا ما لم يحدث بينهما وانه كان ينظر اليها كأب او اخ اكبر وانـه لم يحب احدا غير زوجته .

وسئل ان كان قد راى « بتى » بعد تركها المنزل فقال انه راها مرة واحدة . فقد ارسلت له خطابا تقول له انها في بلدة ابكورس . ولانها بعملها هذا ـ اى تركها منزل الراعى الصالح ـ قد خالفت حكم القاضى وعرضت نفسها للحبس . ذهب اليها لينصحها بالعودة الى ديترويت والاعتذار للمحكمة . وقال انها قالت له انها حفرت على فخذها الحرفين الاولين من اسمه بموسى حلاقة فهزا بها . وانها طلبت منه مساعدة لتذهب الى انديانا حيث لها اقارب فرفض .

وقد عثر على « بتى » بعد ذلك في انديانا وهي الان محتجزة .

* * *

ونظرا لمحاولةالانتحار السابقة قرر محلفو اثبات الوفاة ان مسز جنكنز هي التى قتلت نفسها .

واخذ جنكنز ابنته وذهبا ليقيما او بالاصح ليزورا بعض اقاربهما في وسكونسن . ولكن البوليس برغم قرار المحلفين لم يتوقف عن البحث في القضية . عرضوا على مشرف العمارة الورقة التى اعلنت فيها مسز جنكنز انها تودع زوجها وابنتها وطلبوا منه التعرف على الخط فقال انه وان كان يشبهخط المتوفاة الا ان به بعض الاختلاف . فازداد رجال المباحث شكا . وبدت القضية لهم واضحة وضوح الشمس : زوج في كمال صحته . وفتاة تطفح انوثة . وزوجة مريضة . وحب متبادل بين الزوج والفتاة .. ومشاجرة الزوجين التى سمع احد الجيران الزوجة تصرخ « لن افعل » لقد كان الزوج اذا يطلب من زوجته الطلاق وهى ترفض وقررت ان تتخلص من الفتاة بطردها وتسليمها الى السلطات . وخلصوا من ذلك الى ان الزوج قتل الزوجة وصور الحادثة على انه انتحار .

* * *

وقوى عندهم صحة استنتاجهم فصمموا على فك مغلق القضية . ذهبوا الى « بتى » في المعتقل وعرضوا عليها الورقة فكانت اجابتها لاول وهلة انها ليست بخط الزوجة او لا تشبهه تماما . وبدا محقق البوليس يرى بصيصا من الامل في تحقيق نظريتهم فاخذوها لنقطة البوليس لزيادة استجوابها والتضييق عليها . وتحت الضغط بدا لسانها ينطلق . قالت مجاراة لمستجوبها انها هي التى كتبت تلك الورقة . وانه خلال الشتاء السابق عندما كانت تقيم عند ال جنكنز طلب منها الزوج ان تتمرن على تقليد خط الزوجة وجعلها تكتب عددا من الاوراق عدة مرات وكان يملى عليها جملة « وداعا دادى وبيبى » وقال لها انه قد يحتاجها في يوم من الايام .

وروت الفتاة المراهقة حكاية علاقات وقصة حب مشتعل ، ووصفت ما يجرى بينهما كلما انفردا في المنزل ، وقالت انه قال لها عدة مرات انه يعتزم التخلص من زوجته ليتزوجها هي . واضافت انه لم يذكر موضوع مقابلته لها في ابكورس على حقيقته . قالت انه صحيح نصحها بالعودة الى ديترويت احتراما لامر المحكمة ولكنه اضاف انها بعد انتهاء المدة المحددة لبقائها عند الرجل الصالح ـ اى في الاصلاحية ـ يكون هو قد اصبح حرا ليتزوجها ...

* * *

كان جنكنز لا يزال في وسكنسون ، وذهب رجال المباحث لتلك الولايات متوقعين انه لن يقبل العودة معهم لديترويت لمتابعة التحقيق اذ انه قد اصبح من اختصاص ولاية اخرى ولا يمكن استجوابه او محاكمته الا باجراءات قضائية معقدة . فكانت دهشتهم كبيرة اذ انه ليس فقط لم يرفض العودة بل تطوع بها من تلقاء نفسه . وكان يهزا بالرواية التى نسجها خيال « بتى » مصرا على انه لم يعدها ابدا بانه سيتزوجها ولا املى عليها شيئا مما تدعى من عبارات انتحار وبقى مصرا على انكاره برغم استجوابات البوليس المتعددة مؤكدا انه كان يحب زوجته وانه قال لبيتى « ان تصورها انها تحبه جنون مراهقة وسخف » .

* * *

وبمجرد وصوله الى ديترويت صدر امر بالقبض عليه وتقديمه للمحاكمة بتهمة قتل زوجته . وفي اثناء المحاكمة ركز ممثل الاتهام في مرافعته بشدة على استحالة ان تكون مسز جنكنز قد وقفت على ظهرها لو انها هي التى اطلقت النار على نفسها . وقدم شاهد اثبات «بتى» التى كررت اقوالها عن لقاءاتها الغرامية مع جنكنز كلما انفردا بالمنزل . وايد الاتهام اقوالها بان قدم جداول من المدرسة ومن

محل شغل جنكنز تدل على تطابق بين وردية جنكنز وفرص تغيب بتى من المدرسة مما جعل اتهامات بتى قابلة التصديق .

وشهد ـ جنكنز ـ بعد حلف اليمين ـ في صالح نفسه وانكر كل ما جاء في اقوال بتى . وكان المحامي الذى تولى الدفاع عنه الين كنت ـ وهو نائب عمومى سابق . وقال ان اتهام بتى لموكله اتهام مراهقة من رجل ازدراها وسخف شعورها نحوه ووصفها بانها فتاة متشردة ضالة لايثق باقوالها ، لا تزال في سن التصور والخيال والكذب المتعمد او غير المتعمد .

وتداول المحلفون يومين كاملين وانتهوا الى تقرير ان جنكنز مذنب وحكم عليه لارتكابه جناية قتل من الدرجة الاولى بالسجن مدى الحياة .

★ ★ ★

ولكن محامى جنكنز كان قد اقتنع ببراءته فالى على نفسه ان يطرق جميع الوسائل لانقاذه فاخذ يستجوب كل من يلقاه من رجال المباحث ليثبت امكان وقوع المنتحر باطلاق مسدس على ظهره وافتنى لذلك مسدسا وبدا يجرى تجارب فيضع المسدس على صدغه ثم يترك نفسه ليسقط ويتبين كيفية سقوطه . وبعد اربعة اشهر من المحاولة تاكد من صدق اقوال موكله . فذهب الى غرفة هنرى بيل مساعد النائب العام وناقش معه قضية جنكنز ليوقفه ليثبت له عمليا صحة اقوال جنكنز . فسحب مسدسه من جيبه ووضعه موجها الى صدغه . وهب بيل واقفا وصرخ في وجه المحامي محذرا . وكانه يقول له (السلاح يطول) ولكن كنت هدا من روعه واكد له انه اخلى المسدس من الطلقات ثم وضع فوهة المسدس مرة ثانية على صدغه وقال له انظر هكذا فعلت وضغط على الزناد فدوت فرقعة هزت زجاج الغرفة وسقط « كنت » على الارض جثة هامدة .. لقد نسى كنت الرصاصة التى كانت في خزانة الانطلاق ..

ورفضت شركة التامين دفع مبلغ الـ ٤٥٠٠٠ دولار قيمة التامين بقولها انه اما ان يكون قد تعمد الانتحار او انه اهمل اهمالا جسيما يحرمه من استحقاق التامين . ولكن بعد نزاع استمر سنتين قضى لارملته بمبلغ التامين كاملا .

★ ★ ★

وبعد موت المحامى كنت المفجع فقد جنكنز الشخص الوحيد الذى اعتقد في براءته وتحمس له . وبدات السنون تمر على جنكنز وهو بين جدران السجن وكاد ييأس .

★ ★ ★

ثم تقدم لنجدته نصير جديد : ابنته هيلين التى كانت في العاشرة عند موت امها فقد درست اوراق القضية التى حكم فيها على ابيها ولم تصدق ان اباها وقع في غرام « بتى » فقد راته يوبخها . كما انها تذكر وقائع تثبت اخلاص ابيها لأمها وحبه لها . فبدات بحثها من حيث بدا المحامى كنت لتنفى القول بان المنتحرين باطلاق الرصاص على انفسهم يقعون دائما على وجوههم . الا ان هذه الفتاة الذكية عالجت الامر من زاوية اخرى . اخذت تستشير خبراء القذائف فاكدوا لها وجود قضايا كثيرة سقط فيها المنتحرون على ظهورهم .

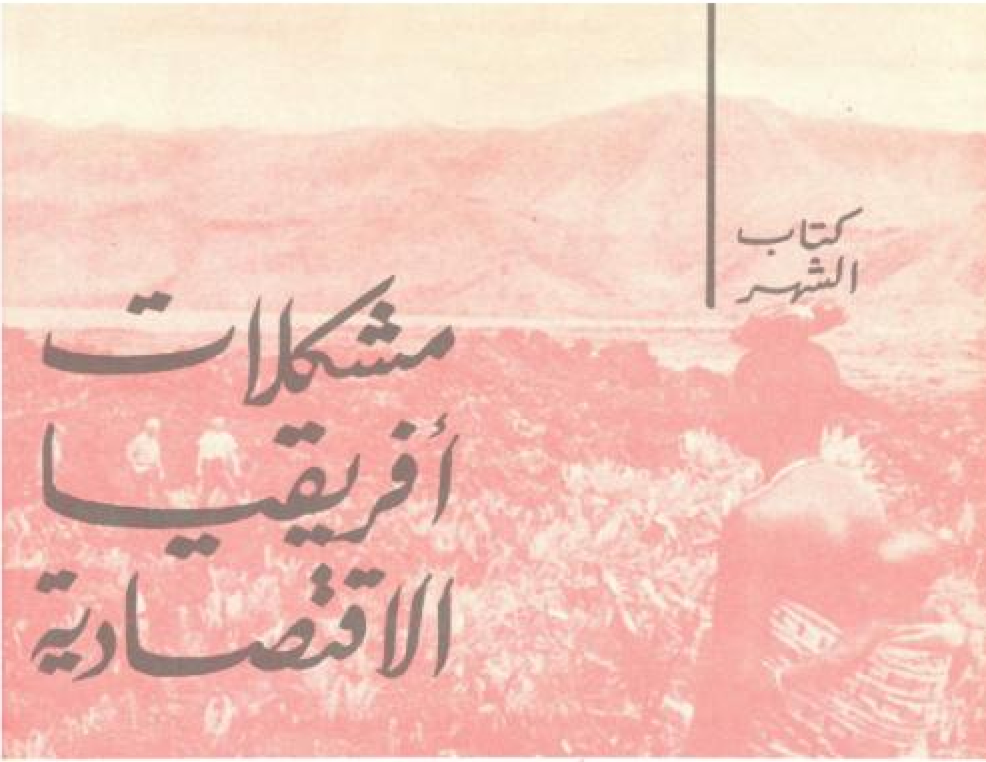
وقدمت هيلين هذه المعلومات الى النائب العام فاولى الموضوع اهتماما خاصا وبدا تحقيقا جديدا في القضية . وفي ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠ اى بعد تسع سنوات من دخول جنكنز السجن دعى الى محاكمة جديدة فريدة في نوعها تقدم فيها شاهد واحد هي هيلين ابنته . وقدم المدعى العام اقرارات مسجلة ـ بعد حلف اليمين من خبراء القذائف تثبت خطا ما ركز الاتهام عليه طلبه ادانة جنكنز من استحالة وقوع المنتحر على ظهره . كما قدم عن طريق هيلين خطابا وصلها من ادجار هوفر مدير المباحث الفدرالية يؤكد فيه ان خبراء الخطوط بالمكتب فحصوا عينات من خط « بتى » والزوجة وتاكدوا ان الزوجة هى التى كتبت الورقة وليست « بتي » . وان الفروق البسيطة الطفيفة وليدة حالتها النفسية وقت الكتابة .

ثم جاء الدليل الاخير القاطع اذ اعترفت « بتى » نفسها ان روايتها كلها كانت من مخيلتها لان كرامتها(كذا) اهينت حين هزا جنكنز واستهتر بحبها الذى صارحته به فلما اطلعها رجال المباحث على الورقة وابلغوها اقوال الجيران نبتت لديها فكرة الانتقام واخترعت حكاية لتتطابق مع الشائعات ورغبات البوليس . واكد النائب العام ان التحقيق الاخير الذى اجراه مكتبه اثبت كذب اقوال «بتى» وان مسز جنكنز هى التى قتلت نفسها .

وخرج جنكنز يتابط ذراع ابنته بعد ان امضى في السجن تسع سنوات لجريمة لا وجود لها ضحية قصة غرام لم يحدث الا في مخيلة مراهقة مريضة . ■■

القاهرة ـ حسن الجداوى

كتاب الشهر



مشكلات أفريقيا الاقتصادية

تاليف : ف. ريباكوف ول. الكسندو فسكايا

تعريب : امين الشريف

عرض : عبد المنعم ابو السعد

■ يقع هذا الكتاب في فصلين ، الاول بعنوان اثار الاستعمار ، ويعتبر المدخل لدراسة مشكلات افريقيا الاقتصادية ، حيث يستعرض الوضع الاقتصادي الاستعماري وتبعية التجارة الخارجية والسيطرة الاجنبية على الاقتصاد،ثم يتناول اخيرا الاقتصاد الطبيعي والسوق المحلي الضيق .

اما الفصل الثاني فيقع تحت عنوان « مهام التنمية الاقتصادية ووسائلها » وهو يعرض لكيفية حل مشكلات التخلف التى تعاني منها القارة الافريقية ، فيتناول بالبحث وسائل تنمية الزراعة وتنويعها ، والمهام الاساسية للتصنيع ، ودر القطاع العام والتخطيط الاقتصادى والتمويل والمعونة الاجنبية ، واخيرا الوحدة من اجل الاستقلال الاقتصادى .

آثار الاستعمار

في غفلة من الزمان هجم القراصنة الاوربيون على افريقيا ، وانتزعوا من اهلها ، ارضهم واموالهم وخيراتهم ، وتحكموا في مصائرهم ، واخمدوا كل صوت ينادى بالحرية ، واستخدموا اقسى ما يتخيله العقل من الوحشية والظلم والاستبداد ، حتى لقد كانت تسمى بالقارة المظلمة لانها بقيت مجهولة على مصور الكرة الارضية ، يسكنها اهلها فيما عرف في اطرافها ، ويحيط بها سواد الظلام والخفاء . وفي بعض الاحيان كانت تسمى بالقارة المتنحية كانها تركت ركب الانسانية يسير في تاريخه الطويل ولبثت في مكانها كما كانت في مجاهل ذلك التاريخ .



ما أشبهها بمشكلات كانت في العرب، وأخرى كائنة.

وقد ترك الاستعمار آثارا بالغة السوء في ميدان الاقتصاد وما زالت الدول الافريقية تعاني من ذلك حتى الآن ، فما يزال اقتصاد معظم الدول الافريقية اقتصادا تابعا لاقتصاد الدول الاستعمارية ، ومما لا شك فيه ان هذه التبعية الاقتصادية تؤثر في سيادة الدول الافريقية وحريتها السياسية .

ولذلك لم يعد أمام الدول الافريقية الا ان تجاهد لتحرير اقتصادها او بمعنى آخر ان تجاهد في سبيل استقلالها الاقتصادي ، كما جاهدت في سبيل الحصول على استقلالها السياسي .

ومن الآثار الواضحة انخفاض الدخل بافريقيا بما يؤدي اليه من فقر السكان وسوء التغذية وقلة المساكن والمدارس والمستشفيات وانتشار الامراض،

ومن النتائج المباشرة لانخفاض الدخل نقص الموظفين الوطنيين الاكفاء ، وقلة الامكانيات المتاحة لتكوين رؤوس الاموال اللازمة للاستثمارات الجديدة بالاضافة الى تأخر وسائل النقل ، وصناعة توليد القوة الكهربائية . اي بصفة عامة عدم استغلال الموارد البشرية والطبيعية للقارة ، وتأخر الصناعة وانتشار العمل اليدوي غير المنتج على نطاق واسع.

وللوصول الى التقدم الاقتصادي يتطلب ذلك ازالة الاسباب التي ادت الى جعل افريقيا ، منطقة اقتصادية متأخرة رغم قيام الدول الافريقية المستقلة ولم يكن ذلك سوى الخطوة الاولى في سبيل تحقيق التقدم الاقتصادي ، لانه رغم استقلال كثير من الدول الافريقية استقلالا سياسيا الا انها مازالت تحت سيطرة الاقتصاد الاستعماري. فلقد عمد الاستعمار حين اضطر للجلاء عن بعض المستعمرات ان يقيدها بعلاقات وروابط لتدور في فلك الاقتصاد الاستعماري .

الوضع الاقتصادي الاستعماري

سبق واوضحنا ان الاستعمار ربط اقتصاد الدول الافريقية بالمصالح الاقتصادية له واستغلالها كمصدر للمواد الخام وجعلها سوقا رائجة لتسويق منتجاته الصناعية ومحاربة اي افكار تنادي بالتصنيع للمحافظة على مصالحه الاحتكارية في تلك البلاد .

ولقد لجأ الاستعمار الى وسائل متعددة لادخال افريقيا في دائرة النظام الراسمالي منها :

١) عمد الاستعمار الى تشجيع اقبال الافريقيين على السلع الاستهلاكية الجديدة وحال دون نمو الانتاج الوطني في حين اغرق الاسواق بالسلع المستوردة لمنافسة الانتاج الوطني المتخلف ، كما عمدت السلطات الاستعمارية الى وسائل القهر والاكراه (كالضرائب) لارغام الاهالي على زراعة الحاصلات المعدة للتصدير ليتسنى لهم دفع الضرائب المفروضة عليهم .

٢) استغلال الشركات الاجنبية واحتكارها لاستخراج المعادن المعدة للتصدير واستخدام رؤوس الاموال الاجنبية في استغلال المناجم الفنية فقط واستطاعت ان تحقق من وراء ذلك ارباحا هائلة ويرجع ذلك لرخص الاجور .

٣) انتجت مزارع المستوطنين البيض معظم نبات السيسال وعود القرح (البيرثروم) بالاضافة الى كميات لاباس بها من البن والموز والموالح والزيتون وزيت النخيل ، فلعبت هذه المزارع دورا هاما في اقتصاد عدد من البلاد مثل « كينيا ـ روديسيا الجنوبية ـ تنجانيقا ـ الصومال ـ تونس ـ الجزائر .... الخ » .

نتيجة لذلك اصبحت القارة الافريقية مصدرا عالميا هاما للمواد الخام فهي تمد الاسواق العالمية بحاجتها من المواد الخام .

ورغم ان دور افريقيا كمصدر عالمي للمواد الخام يعتبر دورا هاما فان دورها في الانتاج الصناعي العالمي لايتناسب مع هذه الاهمية ولذلك تضطر الى استيراد معظم السلع الصناعية لسد حاجتها فاصبحت سوقا هامة لتصريف المنتجات الاوروبية .

ومن المعروف ان الزراعة في افريقيا تعتبر الصناعة الاساسية والرئيسية حيث يشتغل بها مابين ٧٠٪ ، ٨٠٪ من مجموع السكان ، ومع ذلك فان معدل نموها كان ضئيلا في عهد الاستعمار الا انه تحسن قليلا عن طريق المحاصيل الصناعية .

اما الصناعة في افريقيا فهي متخلفة ، اذ يبلغ اجمالي قيمة الانتاج الصناعي السنوي في جميع الدول الافريقية (باستثناء جنوب افريقيا) ما يقرب من ٣٫٠٠٠ مليون دولار وهي اقل من قيمة الانتاج الصناعي في السويد وحدها . هذا وتشكل الصناعة في المتوسط ١٤٪ من الدخل القومي في البلاد الافريقية مجتمعة .

اذا ما اجرينا مقارنة بين نسبة الصناعة الاستخراجية في افريقيا وفي البلاد المتقدمة نجد ان افريقيا تتفوق على هذه الدول ، حيث تبلغ نسبة الصناعة الاستخراجية بها ٣٣٪ بينما تبلغ ١٠٪ في البلاد المتقدمة . هذا وتبلغ الصناعة الاستخراجية ذروة نموها في جنوب افريقيا (التي تنتج وحدها ٤٠٪ من اجمالي انتاج المعادن في افريقيا) وزامبيا وروديسيا الجنوبية والكونغو ليوبولدفيل ـ وتبلغ نسبة ما تنتجه جنوب افريقيا وحدها من المواد الخام حوالي ٤٠٪ من اجمالي انتاج هذه الصناعة ، ومن ذلك يتضح تخلف هذه الصناعة في افريقيا .

ولقد ظهر بعض التطور في تصنيع المواد الخام تصنيعا اوليا لامكان التصدير مثل تنقية الخامات وقطع الاخشاب وحلج القطن في بعض البلاد الخاضعة لحكم الاستعمار حيث انه يشجع قيام مثل هذه الصناعات التي تخدم مصالحه في جعل مستعمراته مصدرا للمواد الخام .

ويلاحظ في السنوات القلائل الماضية ارتفاع ملحوظ في صناعات النسيج والاغذية وفي انتاج مواد البناء ، ولا توجد صناعات ثقيلة الا في شمال القارة وجنوبها بصفة خاصة .

وقد ادى تاخر الصناعة الى عدم قيام صلات اقتصادية وثيقة بين مناطق الريف ومناطق المدن ، فقد اصبحت المدن الافريقية مراكز لتموين المدن الصناعية في غرب اوروبا بالمواد الخام ولم تنشا السكك الحديدية الا لهذا الغرض مما ادى الى ضعف التجارة الداخلية .

تبعية التجارة الخارجية

يعتمد اقتصاد البلاد الافريقية اعتماد كبيرا على التجارة الخارجية حيث تصدر هذه البلاد معظم انتاجها المحلي من ناحية وتستورد معظم السلع الصناعية من الخارج من ناحية اخرى ، وتصل نسبة الصادرات بها الى ٢٣٪ في حين ان نسبة وارداتها ما يقرب من ٢٠٪ من اجمالي الناتج القومي ، وهذا يوضح مدى اعتماد البلاد الافريقية على الاسواق الخارجية .

ومما تجدر ملاحظته اعتماد معظم البلاد الافريقية على تصدير سلعة او سلعتين على الاكثر ومن امثلة ذلك (البن) الذي يكون ٦٠٪ من صادرات ساحل العاج والكاكاو ٦٠٪ من صادرات غانا والبن ٥٦٪ من صادرات الحبشة و القطن ٥٤٪ من صادرات السودان والنحاس ٨٠٪ من صادرات زامبيا . وهذا الوضع اي التخصص في انتاج سلعة معينة له خطورته اذ اصبح اقتصاد معظم الدول الافريقية معتمدا على القيمة السوقية للسلع التصديرية الاساسية ، فاذا حدث مثلا انخفاض او ارتفاع للقيمة السوقية لسلعة معينة تنتجها دولة ما فان ذلك يؤثر على الحالة الاقتصادية في ذلك البلد سواء بالارتفاع او بالانخفاض .

واذا كان هذا التخصص في غير صالح البلاد الافريقية فانه يعود بفائدة كبيرة على الاجانب فكلما ازداد تخصص التجارة في انتاج المواد الخام ازدادت ارباح التجار الاجانب .

ومن هنا كان التخصص في انتاج محصول او

محصولين للتصدير هو آفة الاقتصاد ـ الافريقى . والتجارة الخارجية لافريقيا تقوم على التبادل غير المتكافيء حيث تضطر البلاد الافريقية لزيادة صادراتها من المواد الخام لشراء قدر مماثل من السلع الصناعية الاجنبية من ناحية كما وان انخفاض اسعار المواد الخام المصدرة لا يقابله انخفاض في اسعار السلع الصناعية المستوردة فالذى يحدث هو العكس تماما وهو ارتفاع اسعار السلع الصناعية المستوردة .

وعلى ذلك فان تصدير افريقيا للمواد الخام اللازمه للصناعات الاستعمارية وكذلك قيام التبادل التجارى غير المتكافيء هو السبب وراء تاخرها الاقتصادى .

السيطرة الاجنبية على الاقتصاد

تحت هذا العنوان يناقش الكتاب مشكلة السيطرة الاجنبية على الاقتصاد في افريقيا ولا سيما الاحتكارات الاجنبية التى تسيطر على تجارة المواد الخام وجزء كبير من الانتاج .

ويبدوا لنا ذلك واضحا عندما نعلم ان الشركات الاجنبية هي المولة والمديرة للصناعات التعدينية. اما في الصناعة الاستخراجية فلا تزال المراكز الادارية والفنية حكرا على الاجانب ومن ثم فان الافريقيين لا يشغلون الا الاعمال الثانوية التى لاتتطلب مهارة .

تؤثر سيطرة راس المال الاجنبي تاثيرا سلبيا على تنمية الاقتصاد الافريقى فعندما يشارك راس المال الاجنبي في الانتاج فهو ينظم الانتاج في افريقيا وبالتالى يؤدى الى تطور القوى الانتاجيـة في القارة ، ولكن بما يحقق مصالحه الخاصة ولا يخدم الاقتصاد القومى الافريقى ويمكن التوصل لهذه النتيجة من تخلف الصناعة واعتماد الاقتصاد علىمحصول واحد بالاضافة الى أن أصحاب رؤوس الاموال الاجنبية لا يفضلون اعادة استثمار الارباح الضخمة التى يحققونها بل انهم يصدرون لاوطانهم جزءا كبيرا منها .

لا شك ان هذا الوضع وهو خروج الارباح من بلد من البلدان يعتبر استنزافا منظما للدخل القومى في البلد الذى يتم فيه الاستثمار .

ولا شك ان البلاد الافريقية في حاجة ماسة لرؤوس الاموال لاستخدامها في عمليات التنمية الاقتصادية ، لكن هذا الاستنزاف لايسمح بتجميع راس المال فيها وتكوين راس مالها الوطنى .

لذلك لا يمكن للبلاد الافريقية ولا سيما في الظروف الحاضرة الاستغناء عن راس المال الاجنبى رغم الآثار الضارة التى يسببها لاقتصادها القومى. ويرجع السبب في ذلك لنقص الموارد المحلية وقلة الخبرة علاوة على انه من غير الممكن ان يتم احلال المؤسسات الوطنية محل الشركات الاجنبية في وقت قصير .

ولكى تحقق التنمية الاقتصادية الفائدة المرجوة فيجب الاتظل الشركات الاجنبية هي صاحبة اليد الطولى في مجال الاقتصاد وان تعمل الدول الافريقية جاهدة على تحرير الاقتصاد من الاحتكار الاجنبى .

الاقتصاد الطبيعي والسوق المحلى الضيق

في هذا الجزء يناقش الكتاب احد عوامل تخلف اقتصاديات افريقيا فيبين كيف يعمد الاستعمار الى تشجيع زراعة المحاصيل التصديرية وفي نفس الوقت يتجاهل تماما المحاصيل التقليدية بل قام بمنح اجود الاراضى للاجانب لزراعة المحاصيل التصديرية .

ومن الملاحظ ان نسبة انتاج الفلاح الافريقي تعتبر ادنى نسبة في العالم نظرا لانه ما زال يستخدم الوسائل والآلات الزراعية البدائية جدا كالمحراث الخشبى والفاس . وكذلك الامر بالنسبة للانتاج الحيوانى ، فترى نسبة انتاج المواشى والاغنام ضئيلة نتيجة ضعف السلالات وكثرة ما ينفق منها فضلا عن قلة المياه في اماكن الرعى . واعتماد الفلاح الافريقى على وسائل الزراعة البدائية لا يتيح له تكوين ما يسمى بالانتاج الفائض مما يؤدى الى الحد من التبادل التجارى في القرى وعلى ذلك فلا يزال الاقتصاد الطبيعى او شبه الطبيعى سائدا حتى اليوم اذ ان الفلاح لاينتج الا ما يكفى حاجته فقط .

اما السبب في ضيق السوق المحلى فيرجع ذلك الى عدم التعامل النقدى في التبادل السلعى. ونظرا لشيوع الانتاج السلعى في المدن والقرى ـ وقد ازداد التعامل النقدى في تبادل السلع واتسع بالتالى نطاق السوق الداخلى في الدول الافريقية.

مهام التنمية الاقتصادية ووسائلها

في هذا الفصل يستعرض الكتاب مهام التنمية الاقتصادية ووسائل تحقيقها فيبين تزايد اهتمام معظم الدول الافريقية بالتنمية الاقتصادية منذ تحررها السياسي الا ان هذه التنمية تسير بخطى بطيئة .

ولا يمكن حل هذه المشكلة الا بزيادة الطاقة الانتاجية للعمال وزيادة استثمارات رأس المال الى جانب الاهتمام بالاصلاحات الاجتماعية .

ولا شك ان من اهم العوامل التي تؤثر في التنمية الاقتصادية :

١ ـ تنمية الزراعة وتنويعها

ان الزراعة هي المجال الرئيسي للانتاج المادي الذي يساهم باكبر نصيب في الدخل القومي ، ويتوقف نمو النواحي الاخرى من الاقتصاد على تطوير الزراعة ومقدرتها على مواجهة حاجات السكان المختلفة .

وقد سبق أن اوضحنا ان الانتاج الزراعي في عهد الاستعمار كان مقصورا على زراعة المحاصيل التصديرية . ولاقامة اقتصاد وطني مستقل ينبغي تحقيق الآتي : ـ

أ ـ زيادة انتاج المواد الغذائية لمواجهة حاجة السكان .

ب ـ مضاعفة انتاج المحاصيل الصناعية المطلوبة للتصنيع القومي .

جـ ـ التوسع في الانتاج الزراعي من أجل التصدير حيث لايزال تصدير المواد الخام الزراعية هو الوسيلة الاساسية للحصول على السلع الصناعية .

د ـ تنويع الحاصلات الزراعية لمد السوق المحلي بما يحتاجه وانتاج محاصيل جديدة يمكن تسويقها خارجيا .

٢ ـ المهام الاساسية التصنيع

تدل الاحصائيات على ان نصيب الصناعة في تكوين الدخل القومي الذي يعد دليلا على التنمية الصناعية يصل الى ٨٠٪ في البلاد المتقدمة والى ١٤٪ فقط في المتوسط في الدول الافريقية .

هناك فرق بين التنمية الصناعية والتصنيع ، فالتصنيع اوسع معنى ، فمثلا تنمية الصناعة الاستخراجية بدون عمليات التصنيع التالية لاتعد تصنيعا بما تحمله هذه الكلمة من معنى .

ان التصنيع وحده هو الذي يستطيع تغيير طبيعة الاقتصاد القومي ورفع الكفاية الانتاجية للعاملين ومستوى المعيشة وتحرير البلاد الافريقية من التبعية الاقتصادية .

لمحة تاريخية عن ظروف التصنيع الافريقي

كان بامكان افريقيا ان تستفيد من خبرات وتجارب الدول الصناعية التي سبقتها لولا ان ظروف التصنيع في افريقيا كانت تختلف عن ظروف التصنيع في اوروبا الغربية والاتحاد السوفيتي ذلك أن الدول المذكورة عند بدء التصنيع كانت تتبوأ مقام السيادة في العالم بينما بدأت الدول الافريقية هذا الطريق دون تنمية اقتصادية ، فكانت تستورد المعدات وادوات الانتاج من الخارج وتضطر لزيادة الصادرات من المواد الخام لسداد قيمة هذه الواردات ـ ومن بين اسباب تأخر التنمية الاقتصادية في افريقيا ندرة رأس المال في حين كان معدل التنمية الصناعية في بريطانيا وفرنسا كبيرا لوجود رأس المال تنهبها خيرات المستعمرات بما فيها المستعمرات الافريقية .

خصائص التنمية الصناعية في افريقيا

ان اي مشروع صناعي ينبغي ان يأتي بربح وان يستوعب الحد الاقصى من العمالة وان يكون قريبا من مصادر المواد الخام والاسواق ، وان يعمل هذا المشروع على انهاض الاقتصاد القومي باعتباره جزءا لا يتجزأ منه .

وفي افريقيا نجد ان التصنيع لم يجاوز المرحلة الاولى وهي مرحلة التصنيع الاولي للمواد الخام الزراعية وصناعة السلع الاستهلاكية لسد حاجة الاستهلاك المحلي ، ولم تقم صناعات ثقيلة حتى الآن ـ باستثناء جمهورية مصر العربية حيث تقوم صناعات الحديد والصلب .

ان افريقيا تملك وحدها ما يزيد على ٢٠٪ من مجموع موارد القوة المائية في العالم وهذا يتيح لها توليد القوة الكهربية الرخيصة اللازمة لادارة الآلات ، فانهارها الجبارة ذات الشلالات ، نهر الزمبيزي ، والكونغو ، والنيجر والنيل والفولتا

والاورانج ، من اهم مصادر توليد القوة الكهربية التى تعتبر من العوامل الهامة فى مجال التصنيع .

ومن المشكلات التى تواجه التنمية الصناعية فى افريقيا العجز المزمن فى ميزان التجارة وميزان المدفوعات نتيجة السياسة الاستعمارية حيث تعتمد الدول الافريقية اكثر ما تعتمد على استيراد السلع الصناعية ، ولكى يمكن التغلب على هذه المشكلات ينبغى ان تقلل الدول الافريقية من وارداتها وانتاج السلع المحلية ، فان انتاج السلع المحلية بقصد الاستغناء عن السلع المستوردة يحقق للدول الافريقية مزايا اهمها :

١ ـ يقلل من اعتمادها على مصادر التموين الاجنبى .

٢ ـ زيادة العمالة فى مجال الانتاج .

٣ ـ توسيع نطاق السوق المحلى لتصريف المنتجات الزراعية المحلية .

وقد انتهجت الدول الافريقية هذا السبيل منذ عهد قريب ولكن المشكلة مازالت موجودة لدى معظم الدول الافريقية نتيجة انفاقها جزءا كبيرا من ايراد صادراتها على شراء سلع استهلاكية من الخارج يمكن صنعها محليا .

ولكن انتاج الدول الافريقية للسلع الاستهلاكية فقط بهدف الاستغناء عن استيرادها من الخارج لا يحل لها مشكلة الاستقلال الاقتصادى ويجعلها متخلفة عن الدول المتقدمة ، فلابد ان تقوم فيها ـ اى فى الدول الافريقية ـ صناعات ثقيلة تمكنها من تغيير اوضاعها الاقتصادية فتتحول الى بلاد صناعية زراعية وبلاد صناعية .

٢ ـ القطاع العام والتخطيط الاقتصادى

فى ظل القطاع العام تمتلك الدولة وسائل الانتاج ويعتبر القطاع العام اداة هامة فى يد الدولة للاسراع بالتنمية الاقتصادية والحيلولة دون سيطرة رأس المال الاجنبى على الاقتصاد .

ومن بين الاسباب التى تدعو الى ضرورة قيام القطاع العام رغبة الدول الافريقية فى تخطيط اقتصادها ـ وقد دلت التجربة على انه لا يمكن تحقيق اى فائدة من التخطيط الا اذا كانت وسائل الانتاج ونظام التوزيع فى يد الدولة .

وقد شرح « سيكوتورى » الحاجة الى التخطيط الاقتصادى بقوله « التخطيط امر لاغنى عنه لاننا من الناحية الاقتصادية فى حالة تعبئة قومية وبلدنا ليس متخلفا فى التنمية بل هو بلد غير نام .. التخطيط ضرورى لا لذاته بل لانه مطلب من مطالب تطورنا الاجتماعى الذى يساير منهجنا السياسى » .

ولا شك ان ضعف راس المال القومى فى افريقيا من العوامل التى فرضت ضرورة التخطيط الاقتصادى .

ويزداد نمو القطاع العام فى افريقيا بوسيلتين :ـ

١ ـ تاميم المشروعات الخاصة (ولا سيما الاجنبية) .

٢ ـ ازدياد الاستثمارات الحكومية فى الاقتصاد القومى .

وفى جمهورية مصر العربية كانت الخطوة الاولى على طريق انشاء القطاع العام فى يولية ١٩٥٦ بصدور قرار تاميم شركة قناة السويس ، ثم تلى ذلك تاميم البنوك الاجنبية والشركات التجارية وشركات التامين وكان من نتيجة ذلك ان قام القطاع العام بدور كبير فى تمويل عدد من الصناعات وتصدير منتجاتها الى الخارج .

ثم كانت الخطوة الثانية فى عام ١٩٦١ بصدور القوانين الاشتراكية ، فتم تاميم كافة البنوك وشركات التامين بالاضافة الى ٤٤ شركة صناعية وغير صناعية وساهمت الدولة بنسبة لاتقل عن ٥٠٪ فى ٨٣ شركة مساهمة خاصة وبذلك اصبحت الدولة تملك الان ما يقرب من ٩٠٪ من الصناعات الكبيرة .

وفى غانا يقوم القطاع العام بدور هام فى اقتصادها حيث تشرف الدولة اشرافا كاملا على السكك الحديدية ، كما تشرف على ٧٥٪ من جميع الصادرات ، و ٦٠٪ من اعمال الانشاء والبناء ، و٥٠٪ من صناعة تعدين الذهب وتوليد القوة الكهربية والائتمان التجارى ، وما بين ١٥٪ و ٢٠٪ من الصناعة و ١٥٪ من جميع الواردات (١) . ويتسع نطاق القطاع العام فى غانا عن طريق الاستثمارات الحكومية فى النواحى الاقتصادية الجديدة فى مجال الصناعة والتجارة .

وفى مالى ازداد القطاع العام نموا باستيلاء الحكومة على المؤسسة الكبيرة التى تسمى « الوفيس دى نيجر » وتاميم النقل النهرى ومحطات القوة

---

(١) انظر غانا عرض اقتصادى لسنة ١٩٦٢ ، اكرا ١٩٦٣ .

الكهربية والسكك الحديدية وانشاء شركة حكومية للتصدير والاستيراد وتأسيس (بنك التنمية القومية) و (بنك مالي للتسليف والايداع) .

كما تملك الدولة ايضا شركة للنقل البرى وشركة خطوط مالي الجوية وعدة شركات صناعية ولا يكاد القطاع العام في معظم الدول الافريقية يقوم بدور يذكر فما زال الانتاج معظمه في ايدى الافراد .

٤ ـ التمويل والمعونة الاجنبية

خرج الاستعمار من البلاد الافريقية دون ان يترك في يد الافراد اى قدر كبير من راس المال الوطني ولذلك تواجه معظم الدول الافريقية مشكلة اجتذاب راس المال الاجنبي . فلكي تحقق الدول الافريقية استقلالها الاقتصادي وجب عليها مضاعفة معدلات التنمية وهذا يتطلب تجميع راس المال بنسبة عالية جدا .

وبالاضافة الى ذلك هناك اسباب اخرى تدعو الى ضرورة المعونة المالية والفنية والاقتصادية بالنسبة للدول الافريقية منها انه يجب على الدول الافريقية الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة واستخدام احدث الالات والمعدات ـ ولما كانت المصانع والمعدات الحديثة لايمكن الحصول عليها الا من الخارج نجد ان مشكلة نقص راس المال تتحول من نقص في راس المال المطلوب تجميعه الى نقص العملة الاجنبية اللازمة لسداد ثمن المصانع الجديدة .

ومن الاسباب التي تدعو ايضا الى ضرورة المعونة الفنية والمالية حاجة الدول الافريقية الى تدريب مواطنيها من الاخصائيين على الاستفادة من مزايا المخترعات الحديثة .

لا شك ان الاستثمارات الاجنبية رغم انها تعمل على تشجيع التنمية الاقتصادية الا انها تجلب كثيرا من العواقب الوخيمة حيث تؤدى الى زيادة اعتماد الدول الافريقية على الاستعمار مما يهدد بالخطر استقلالها الاقتصادي .

هذا ولا تستطيع الدول الافريقية في الوقت الحاضر الاستغناء عن الاستثمارات الاجنبية تماما ولذلك تنص قوانينها على ضمانات للمستثمرين الاجانب تشجيعا لهم ومن ناحية اخرى تتخذ بعض الدول من الاجراءات ما يكفل احكام الرقابة على راس المال الاجنبي والحد من نشاطه .

٥ ـ الوحدة من اجل الاستقلال الاقتصادي

عمد الاستعمار حين استولى على القارة الى تفتيتها سياسيا واقتصاديا ، وطالما ظلت هذه الدول مقسمة فلن تستطيع القضاء على التخلف الاقتصادي .

وقد ادركت الدول الافريقية قيمة الوحدة الاقتصادية ، ففي عام ١٩٦٣ تأسست منظمة الوحدة الافريقية لتعزيز اواصر التعاون والتضامن بين شعوب القارة والدفاع عنها .

ولاشك ان التبادل التجاري بين الدول الافريقية يعزز موقفها في السوق العالمي ، ويقلل من اعتمادها على الدول الاستعمارية ، ويمكنها من الحصول على شروط افضل للتبادل التجاري مع الدول الغربية المتقدمة ـ وبالجهود المشتركة تستطيع افريقيا ان تؤسس صناعات وطنية باستخدام مواردها المادية والبشرية . وفي اغسطس ١٩٦٣ تم توقيع اتفاق يضم ٢٢ دولة افريقية لانشاء بنك التنمية الافريقي الذى بدأ عمله في ١٠ سبتمبر ١٩٦٤ ثم بلغ عدد الدول المشتركة فيه ٢٥ دولة افريقية مستقلة . ويبلغ راس مال البنك ٢٠٠ مليون دولار وهو حصيلة اكتتابات الاعضاء التي يتراوح حدها الادنى والاقصى بين مليون دولار و ٣٠ مليون دولار .

والهدف من انشاء هذا البنك هو تعزيز التقدم الاقتصادي والاجتماعي في افريقيا عن طريق تمويل المشروعات الاقتصادية التي تساهم فيها دول متعددة والتي تهدف الى تنمية اقتصادها وتوثيق الروابط الاقتصادية بينها .

ويختتم الكتاب هذا الموضوع فيقول ان الوحدة الافريقية وسيلة هامة للتنمية الاقتصادية وفي نفس الوقت انجع وسيلة لحماية المصالح الوطنية من عدوان الاستعمار القديم والجديد الذى يحاول عرقلة الوحدة الافريقية ويشكك في امكان قيام سوق افريقية مشتركة .

على ان فكرة الوحدة الافريقية القائمة على مقاومة الاستعمار تلقى كل يوم تأييدا جديدا ونجاحها على الرغم من العقبات الكثيرة في طريقها يدل على انها ليست فكرة مبتدعة ، بل ضرورة ملحة لاحياء القارة الافريقية . ■■

عبد المنعم أبو السعد
كلية التجارة ـ جامعة الاسكندرية



من الكتب التي وصلتنا

الجواهري شاعر العربية

تاليف : عبد الكريم الدجيلي

الناشر : مطبعة الآداب /النجف الاشرف/العراق

● كتاب يتناول بالدراسة والبحث شعر الاستاذ محمد مهدي الجواهري وما يدور حول شعره ، وهو يصدر في اجزاء متوالية ، وهذه الدراسة تسجل كل شاردة وواردة من حياة الجواهري الأدبية وغير الادبية ، ولم شعره جميعا المطبوع منه وغير المطبوع متتبعا حياته منذ نشأته ، والادوار التي مر بها منذ اول قصيدة طلع بها على المجتمع الادبي بحيث تكون هذه الدراسة المصدر الوحيد لكل من يكتب عن الجواهري ، وقد قسم المؤلف حياة الشاعر الى عدة مراحل وجعل لكل عشر سنوات مرحلة ، كما الزم المؤلف نفسه ان يسجل القصيدة كاملة ان لم تكن مطبوعة او مطبوعة لمرة واحدة في جريدة او مجلة للحيطة من ضياعها ، فيشرحها ويبين السبب الذي من اجله نظمها ، كما يبين التغير الذي طرا عليها عند تكرار طبعها من جانبه ، فيثبتها كما نظمها اولا ثم يسجل ما طرا عليها من تغير .

والجواهري في صميمه لا يرغب أن يسجل شعره الذي هو في بداية مرحلته الأدبية الا القليل ، كما انه يتغافل عن بعض القصائد القديمة والحديثة منها فلا يذكرها في احاديثه، ولا ينشرها في دواوينه المتعددة ، مدعيا بانها نظمت في مجال سياسي معين ، وقد يكون له بعض العذر في هذا ، ولكن الشاعر والرسام يعكس تناقض المجتمع الذي يصوره ، بجميع مراحله ، فهذا الديوان يمثل الحقبة التي عاشها بكل تناقضاتها ، فعكس الواقع العربي في مجتمعنا المتناقض المضطرب ، ولذا نرى في نتاجه الفكري هذا التناقض حتما .

نشأة الحركة العربية الحديثة

تاليف : محمد عزة دروزه

الناشر : المكتبة العصرية / بيروت ــ لبنان .

● يقول المؤلف عن هذا الكتاب بانه ليس تاريخا ولا مذكرات صرفة ، ففيه شيء من ذلك كله ولذلك سماه بهذا الاسم ، فقد حرص المؤلف في ان يكون عرضه لموضوعه سلسلة تامة الحلقات تناولت اهداف الفكرة العربية وعناصرها واطوارها وما رافقها من حركات ومظاهر متنوعة في مختلف الاقطار العربية ، ثم ما لاقته من مناورات نضالية في اثناء الحرب العالمية الاولى وما بعدها .

ولم يقصد بالكتاب ان يسد فراغا تاريخيا ما زال الواجب القومي يدعو الى سده في صدد تاريخ الحركات القومية والنضالية التي قامت في مختلف البلاد العربية في سبيل فكرة القومية العربية واهدافها ، وان كان قد الم بشيء من ذلك لتكون السلسلة تامة شاملة بقدر ما يمكن .

اما هدف الكتاب فهو تقديم خدمة نافعة للفكرة التي قضى المؤلف في العمل لها اربعين عاما ، وان يكون الكتاب مفيدا من مختلف النواحي ، كما يجب ان يكون فيه العبرة للناشئين العرب لتكمل ما نقص ، وتسد ما بقي ، وتصل بالفكرة الى اهدافها المنشودة .

اما هذه الطبعة الجديدة من الكتاب فهي موسعة ومنقحة ، تطرق فيها المؤلف لامور عاش حقيقتها وشهد احداثها بل ساهم فيها ، كما عرف بعض مؤثراتها وتاثيراتها ، وبذلك كبر الكتاب فكانت الحاجة الى تقسيمه قسمين : تناول في القسم الاول حقيقة الحركة العربية وانبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية الى اوائل الحرب العالمية الاولى، اما القسم الثاني فتناول حقيقة هذه الحرب الى آخر العهد الفيصلي في سوريا .

جامع الاصول فى احاديث الرسول

تاليف : ابن الاثير الجزرى

المحقق : عبد القادر الارناؤوط

الناشر : مكتبة الحلوانى/مطبعة الملاح/مكتبة دار البيان .

● لما كانت السنة النبوية هى الأصل الثانى من اصول الاحكام الشرعية التى اجمع المسلمون على اعتبارها اصلا قائما بذاته ، فهى والقرآن الكريم متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر ، فالقرآن كلى هذه الشريعة ، والرسول مبين بسنته لجزئياتها ، فما ورد فى القرآن من آيات مجملة او مطلقة او عامة ، فان السنة النبوية القولية منها او الفعلية تقوم ببيانها ، فتقيد مطلقها او تخصص عامها وتفسر مجملها وبذلك صارت الاحاديث النبوية ذات اثر كبير فى اظهار المراد من الكتاب ، وفى ازالة ما قد يقع فى فهمه من خلاف او شبه .

وقد انعم الله على الاسلام بأن قيض له نخبة ممتازة ، ندبت نفسها لخدمة السنة النبوية ، ولم شتاتها فالتقطوها من افواه سامعيها وجمعوها من صدور حامليها وطووا الفيافى والقفار لحفظها ، بل بذلوا فى ذلك اموالهم وافنوا اعمارهم ، وكان من اثر ذلك تدوين المؤلفات الضخمة العديدة التى ضمت تراث نبينا عليه السلام .

وهذا الكتاب هو احد تلك المؤلفات العظيمة ، فقد عمد المؤلف الى الاحاديث التى وعتها الاصول الستة المعتمدة عند الفقهاء والمحدثين وهى الموطأ والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى التى حوت معظم ما صح عن النبى ، فجمعها وادمجها فى مؤلف واحد يقع فى سبعة اجزاء بعد ان رتبها وهذبها وذلل صعابها وافتتح الكتاب بمقدمة فصل فيها الطريقة التى اتبعها فى تصنيف الكتاب وذكر جل قواعد مصطلح الحديث التى تمس الحاجة الى معرفتها وختمها بتراجم الائمة الستة الذين جمع كتبهم فى هذا الكتاب الضخم .

اما خطة المؤلف فى الكتاب فهى حذف الأسانيد فلم يثبت الا اسم الصحابى الذى روى الحديث عن النبى ان كان خبرا او اسم من يرويه عن الصحابى ان كان اثرا ، وقد اعتمد فى النقل من كتابى البخارى ومسلم على الجمع بين الصحيحين للامام ابى عبد الله الحميدى ،وذكر انه احسن فى ذكر طرقه واستقصى فى ايراد رواياته وان اليه المنتهى فى جمع هذين الكتابين ، اما باقى الكتب الاربعة فقد نقلها من الاصول التى قرأها وسمعها كما اعتمد على نسخ اخرى غير مسموعة له ، كما عدل عن الطريقة التى اتبعها اصحاب الاصول الستة فى الترتيب والتبويب لان كل واحد منهم قد ذكر احاديث فى ابواب من كتابه ذكرها فى غير ذلك من الابواب فعمد الى هذه الاحاديث فاعتبرها وتتبعها واستخرج معانيها وبنى الابواب على المعانى التى دلت عليها الاحاديث ثم رتبها على حروف المعجم .

الخليج العربى في ماضيه وحاضره

تاليف : الدكتور خالد العزى المحامى

الناشر : مطبعة الجاحظ ـ بغداد/العراق .

● دراسة وافية عن الخليج العربى وامارانه ، وتنقسم الى قسمين كبيرين ، يبحث القسم الاول شؤون الخليج العربى بصورة عامة ويقع فى اربعة فصول فالفصل الاول وصف جغرافى للخليج العربى وتاريخه ، والفصل الثانى يدرس المحاولات الاستعمارية التى تعاقبت على الخليج من الاستعمار البرتغالى حتى الوجود البريطانى اما الفصل الثالث فيدرس الاحوال الاجتماعية فى الخليج فيتحدث عن مجتمع الخليج وصيد الاسماك وصيد اللؤلؤ وصناعة السفن والاعراس والافراح ثم الفنون الشعبية فى هذه المنطقة . والفصل الرابع من هذا القسم يتناول الاحوال العمالية والنفط ثم موقف الجامعة العربية من النفط العربى .

اما القسم الثانى من الكتاب فقد بحث فيه المؤلف شؤون دول الخليج العربى وامارانه عدا ما يتعلق بدولتى الكويت وعمان ، ففى هذا القسم يورد المؤلف معلومات واحصاءات دقيقة ومسهبة عن دولة البحرين ودولة قطر ثم دولة الامارات العربية التى تكونت من الامارات الآتية : ابوظبى ودبى والشارقة وعجمان وام القيوين ورأس الخيمة والفجيرة . ■■



جائزة نوبل تشمل الاقتصاد ولا تشمل التاريخ والفلسفة

(العدد ١٧٠ صفحة ١٤٧)

● عطفا على ما ذكرتم من ان المواضيع التى تمنح فيها جائزة نوبل تشمل الاقتصاد ولا تشمل التاريخ والفلسفة ، يطيب لى ان اوافيكم ببعض ما يورده المرحوم الاستاذ العقاد حول هذا الموضوع فى كتاب « شاعر اندلسي وجائزة عالمية » (الصفحة ٢٠) ، اذ يقول : « وتفاهمت اللجان فى مبدأ الامر على معانى بعض العبارات المطلقة التى وردت فى الوصية (وصية الفرد نوبل) ، فاتفق الأعضاء على أن كلمة الآداب تشمل فنون الكتابة التاريخية والفلسفية ولا تقتصر على فنون المنظوم والمنثور التى جرى العرف فى الغرب على تسميتها بالكلام الجميل » .

وتابع الأستاذ العقاد كلامه فقال : « يودع رأس المال باشراف منفذى الوصية فى ودائع مضمونة ، ويكون منه مبلغ تنفق ارباحه سنويا على صورة جوائز توزع على الذين قاموا فى السنة السابقة بانفع الخدمات الانسانية . وتقسم هذه الارباح على خمس حصص متساوية توزع كما يأتى :

حصة للشخص الذى قام بأهم كشف واختراع فى مباحث العلم الطبيعى ـ الفيزيقية ـ وحصة للشخص الذى قام باهم كشف او تحسين مباحث الكيمياء ، وحصة للشخص الذى قام باهم كشف فى عالم التشريح او الطب ، وحصة للشخص الذى انتج فى الآداب انتاجا هاما ذا وجهة مثالية، وحصة للشخص الذى قام باكبر وافضل عمل لتحقيق الاخاء بين الامم ، ولالغاء او نقص عدد الجيوش القائمة ، ولدعوة المؤتمرات العاملة للسلم أو نجاحها » (الصفحة ٢٧ من الكتاب نفسه) .

وهكذا يتبين أن الاقتصاد ليس من المواضيع التى تمنح فيها جائزة نوبل وان التاريخ والفلسفة هما فى عداد تلك المواضيع وذلك خلافا لما ذكرتم .

عبد المنعم الخاقانى ـ النجف

العربى : لم يكن الاقتصاد ، أو « العلوم الاقتصادية » بين المواضيع التى شملتها جوائز نوبل فى السابق . وقد اضيف الاقتصاد الى هذه المواضيع مؤخرا وفى سنة ١٩٦٨ على وجه التحديد. وهكذا اصبحت مواضيع جائزة نوبل ستة بعد أن كانت خمسة منذ المباشرة فى منحها سنة ١٩٠١ .

وجدير بالذكر أن هذه الاضافة انما تمت استجابة لطلب البنك السويدى Rikshank الذى تعهد بتأمين المكافأة النقدية الخاصة بجائزة نوبل للاقتصاد ، وذلك طبعا دون سواها من المكافآت التى كانت وما زالت تدفع للحائزين على جائزة نوبل فى المواضيع الخمسة الاخرى .

وجدير بالذكر أيضا ان هذه المكافآت الست جميعا لا تدفع من مخصصات أو أموال مجمدة فى البنوك ، وانما من ريع الاستثمارات التى وظفت فيها تلك الاموال التى أوصى بها الفرد نوبل فى نهاية القرن الماضى (١٨٣٣ ـ ١٨٩٦) وتلك التى جاد بها مؤخرا البنك السويدى الذى ذكرنا .

اما التاريخ والفلسفة فليسا بين المواضيع التى تشملها جائزة نوبل والا كان عدد هذه المواضيع ثمانية لا ستة . هذا اذا نظرنا الى هذين الموضوعين من حيث هما موضوعان قائمان بذاتهما لهما كيان مستقل، لا مجرد موضوعين فرعيين من فروع الآداب.

تطوان بنت غرناطة

● استمتعنا بقراءة استطلاعكم الذى ذكرنا بأمجاد العرب الاندلسية الغابرة . واسترعى انتباهنا ما ذكرتموه عن وجود مآذن بعضها مسدس الاضلاع وبعضها مثمن .. فى تطوان . نرجو ان تعطونا فكرة اوضح عن هذه المآذن ولعل الصور هى خير ما يعتمد عليه فى هذا الصدد .

العربى : لدينا صور عديدة لهذه المآذن ولكن المجال لا يتسع لغير الصورة التى تراها مع هذا الكلام .





القرآن الكريم وكيف كتبوه فى الزمن القديم

● كنت اراجع بعض كتب المستشرقين واذا بى اعثر على صورة لاحدى صفحات مخطوطة قديمة قيمة من مخطوطات القرآن الكريم . وهذه المخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني وهي مكتوبة بالخط الكوفي دون نقط أو شكل . لعلكم ترغبون في نشر هذه الصورة واطلاع قرائكم عليها ..

سليم وافي – بيروت

المسلمون فى المانيا

● وردنا من الجماعة الاسلامية في المانيا ما يلي:

تقوم الجماعة الاسلامية بالمانيا – شعبة برلين – برعاية حوالى مائة الف من المسلمين ببرلين الغربية وحدها ، وفدوا عليها من جهات مختلفة من العالم الاسلامى الواسع الارجاء. وهم اما طلبة او عاملون، ومنهم من جاء وبرفقته زوجته واولاده ومنهم من تزوج من المانيا وانجب – ولذلك فان عدد الاطفال المسلمين يبلغ في المانيا اليوم حوالي عشرين الفا. ويبلغ عدد الذين ينتمون الى المدارس الحكومية حوالى ستة الاف طفل ، يمتنعون عن حضور حصص الدين المسيحي، ولم يكن هناك من الجمعيات الاسلامية من يقوم بهذا العمل ، ولذلك تأسست الجماعة الاسلامية – المانيا – شعبة برلين ، وهى تقوم الان بالاتصال بالجماعات الاسلامية ، والجهات الرسمية الالمانية ، لتنظيم تعيين وارسال مدرسي الدين الاسلامى للمدارس . ولما كان التعليم الدينى من شئون الكنائس والهيئات الدينية فان من اللازم علينا ان نقوم بتعيين المدرسين ودفع مرتباتهم – وللاسف الشديد ليست عند الجماعة الاسلامية الامكانيات المادية التى تمكنها من القيام بهذا الفرض .

لقد قامت الجماعة الاسلامية بما تستطيعه ، ففى برلين الان ثلاث مدارس لتعليم اطفال الاتراك اللغة العربية والقرآن الكريم وتضم هذه المدارس ما يقرب من مائتى طفل ، كما ان هناك مدرسة اخرى تضم عشرين طفلا من مائتى طفل عربى الجنسية ولكنهم لا يستطيعون ان يتكلموا العربية. هؤلاء تتراوح اعمارهم ما بين الخامسة والسادسة عشرة .

والمتبع الآن هو ان يقوم المدرسون بالتدريس بعد الانتهاء من أعمالهم التى يرتزقون منها وذلك لعدم استطاعتنا دفع مرتبات لمدرسين متفرغين . ونتيجة هذه الحقيقة هى عدم تمكننا من استيعاب كل الاطفال المسلمين . ولقد دعانا هذا الى محاولة الحصول على حقنا المعطى لنا في الدستور الالمانى والذى يخول للجماعات الدينية حق ارسال مدرسيها (حاخامات او قساوسة أو ائمة) لتعليم الدين للاطفال وطلبة المدارس .

ونحن نكتب هذه السطور راجين منكم الكرم بامدادنا بما ييسر الله به من مال أو مطبوعات ، لكى نستطيع مواصلة العمل الذى بدأناه والذى هو واجب يفرضه علينا ديننا . اننا نرى اطفالا من ابناء المسلمين لا يتكلمون لغتهم ، لأنه ليس عند الوالدين من الوقت ما يكفى للتحدث مع أولادهم ، كما ان هناك من الاطفال والشباب من تعلم من التقاليد السائدة في المجتمع الالمانى ما يكفى لجعل الاسلام غريبا عنهم كلية ، بعد أن اصبحوا لايعلمون عن الاسلام حتى اسمه .

ان هذه السطور لصيحة !

واننا لندعو الله العلى القدير الا تضيع هباء ، وان تجد عند المسلمين قلوبا واعية . ان اى مساعدة ولو قليلة ، ستساهم ان شاء الله في توسيع المكان اللازم لتجميع الاطفال ، والشباب والكبار للدرس والصلاة ، وفي تأسيس المدرسة ، وتكوين المكتبة الاسلامية . ■■

Islam Gemeinde - Almanya .
1 Berlin 35, Kopenicker Str. 174.
Postscheck - Konto, West Berlin.

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

رأس المال والاحتياطي : ٢٢ر٨٨٤ر٤٨٣/- د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٢ :

٣٥٦ر٥٢٧ر٤٠٥/- د.ك

المكتب الرئيسي : ص.ب. ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً)

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يونية ١٩٧٣

٣/٤٥

من الأعمال المختارة

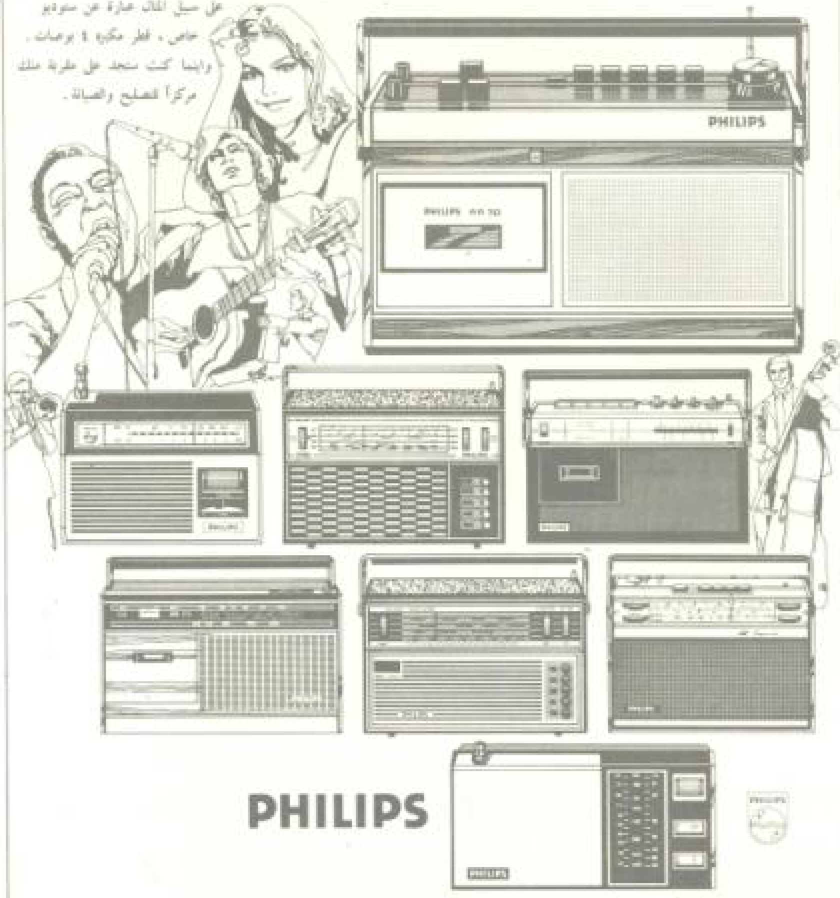
سوفوكل ـ ٣

• أنتيجونة • أجاكس • فيلوكتيت

ترجمة وتقديم : د. علي حافظ

دع فيليبس تجلب لك موسيقى العالم كله

الجو تملؤه بالموسيقى. الموسيقى المنبعثة من كل الأقطار تتصارع على موجات الأثير وعلى كل مديات البث. اترك لراديو فيليبس المتنقل مهمة جلب هذه الموسيقى إلى بيتك أو إلى مكتبك أو أمكنة تنزهك. إن ترنزستورات فيليبس المتنقلة متوفرة بأنماط وأنواع كثيرة. بعض هذه الراديوات يعمل على البطارية وبعضها الآخر على الكهرباء. وكلها من أكبرها إلى أصغرها تقدم لك الصوت بغاية الوضوح والصفاء. ثلاثة من هذه التشكيلة الكبيرة لها ميزات خاصة إذ كونها تحتوي على نظام الكاسيت الذي اخترعته فيليبس. على هذا الأساس فان راديو فيليبس المتنقل الذي تملكه، لا يجلب لك الموسيقى فقط، ولكنه أيضاً يمكنك من تسجيلها على كاسيتات أو سماع كاسيتات معبأة بالموسيقى مسبقاً. إن موديل رر ٧٠٥ على سبيل المثال عبارة عن ستوديو خاص، قطر مكبره ٤ بوصات. وأينما كنت ستجد على مقربة منك مركزاً للتصليح والصيانة.

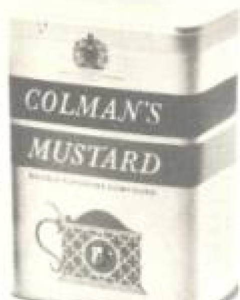


يجب ان يتوفر في كل منزل ...

سافورا ـ ذو النكهة اللذيذة الفاتحة للشهية



سافورا هي أفضل المواد التي يمكن اضافتها إلى السلطة واللحوم والسمك والجبن وهي تزيد من لذة طعمها ... وهي المادة ذات النكهة اللذيذة الفاتحة للشهية التي يحبها جميع أفراد العائلة . احفظوها دائماً في المطبخ .



خردل (مستردة) كولمان للاضافة إلى الطعام

وخردل (مستّردة) كولمان هو أشهر أنواع الخردل الانكليزية وهو يضفي نكهة لذيذة على اللحوم والسمك والجبن . كما يمكنكم اضافته إلى الصلصة العادية أو صلصة السلطة .

ستيرادنت لتنظيف وانعاش الأسنان الصناعية

تحتاج الأسنان الصناعية إلى منظف خاص مثل (ستيرادنت) الذي يتوفر في شكل أقراص أو مسحوق (بودرة) . وهو ذو رغوة لطيفة المفعول ... مفعول ينظف الأسنان الصناعية بفعالية عظيمة وأمن تام . وهو يزيل التلوثات الخفيفة في فترة تقل عن ١٠ دقائق . يجب أن تحتفظوا به في غرف الحمام واستعماله بصفة مستمرة .

ديتول ـ المطهر المثالي للمنازل

استعملوه للجروح وتكشطات الجلد وكمطهر منزلي بسيط . وهو متعدد الاستعمالات ويوصي باستعماله الأطباء في جميع انحاء العالم بفضل مفعول وقوة تطهيره . احتفظوا به في غرف الحمام .



خردل (مستّردة) كولمان ، سافورا ، ديتول ، وستيرادنت من منتوجات شركة ريكت وكولمان

اروني
ولكن بهيتاشي



تكييف الهواء شيئ ممتاز جميل ، ولكن ليس حين تكون العملية مضجّة . ان ماتحتاج اليه هو مكيف هواء هيتاشي . مكيف متميز بالهدوء التام . انا أحب مكيفات هواء هيتاشي لانها هادئة . ولأنها جميلة . ولأن بامكانك ايضًا ان تركبها وتبقى محتفظًا بقوة تستنفدها في لهوك ومرحك .

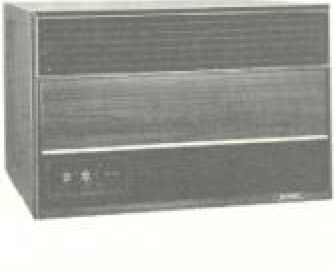
وما هو الهواء البارد اذا لم ترافقه مياه باردة ؟ ان ما تحتاج اليه هو براد الماء هيتاشي . انا أحب هذه البرادات . لانها معدة على اسس صحية . ولأن بامكاني ان اعدل برودة الماء كما اريد .

رجاء حقق لي هذا الجميل . اذهب الى بائع اجهزة هيتاشي اليوم .

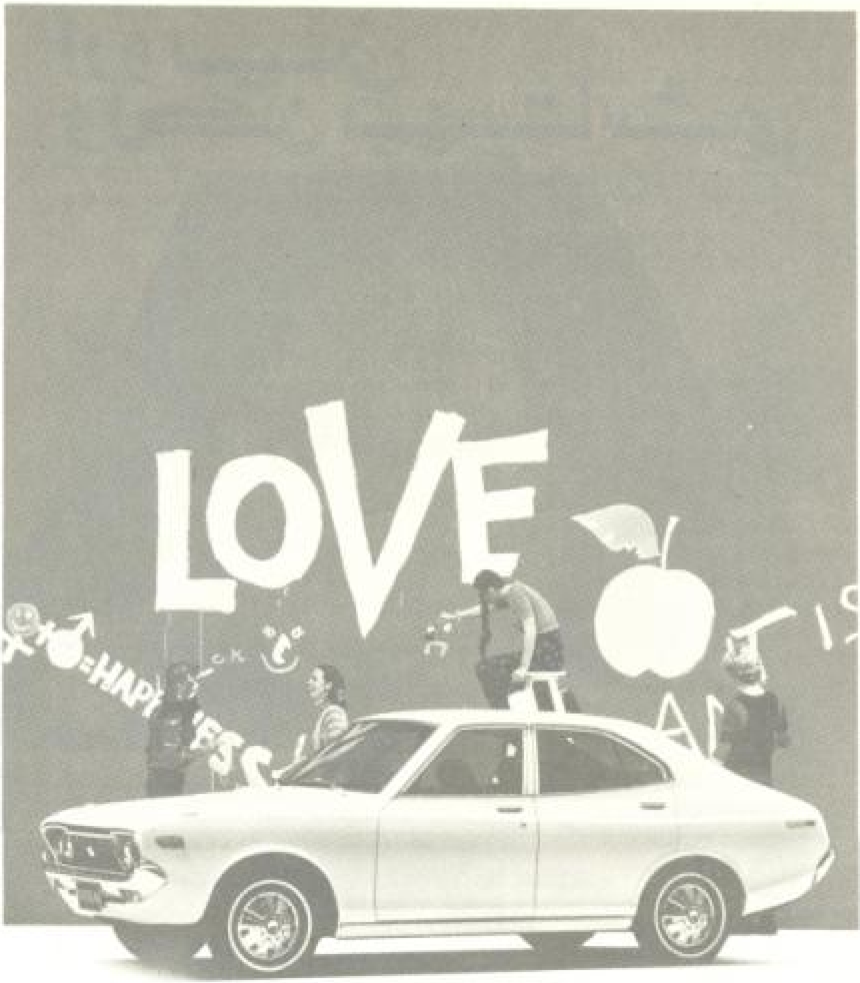
براد ماء
RW-1502



مكيف هواء
RA-184C
16,000 BTU



HITACHI
هيتاشي



داتسون ... هيَ التجديد الدائم

الجميع ينتظرون المشاركة بإحتفال وصول داتسون الجديدة 140J/160J . إنها السيارة التي يقتنيها كل من يعشق حياة الرفاهية والجمال ... إنها الأكثر إثارة من باقة سيارات داتسون.
بُنيت لتسير على طرقات اليوم ، وصممت لتتماشى مع خيال الغد . إن داتسون 140J/160J جذابة ومحببة للجميع .. لك ولأصدقائك .. لهذا ، فقد أسميناها "الصديقة داتسون" . ثم أن ميزاتها الكثيرة تجعلك سعيداً مع أفراد عائلتك ..
فقد زودت بمحرك OHC بقدرة ١٤٠٠ - ١٦٠٠ سي سي وبنظام خاص يجعل نظام الاحتراق أكثر فعالية محافظاً ما على نقاوة الجو . مقاعدها مجوفة محشوة بالإسفنج.

منها موديلان: "سبور" بأربع سرعات مع مغيّر أرضي للسرعة ، و"عادي" بمقعد خلفي وثلاث سرعات مع مغيّر السرعة على المقود ، ومساحة داخلية أكبر .
أي الموديلين تختار يعطيك أفضل ما توصلت إليه داتسون في حقل التكنولوجيا . فرش مريح وجميل وأداء لا يضاهى .. أي كل ما تتوقع من أي داتسون جديدة .

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN

عندما تدخل الفائدة في الحساب..

لومبارد نورث سنترال يقدم تشكيلة واسعة من الحسابات

٨½٪

حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للودائع

تربح نقودك بنسبة ٨½٪ سنوياً مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر. يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة

٨¾٪

ودائع ذات دخل شهري

الحد الأدنى للودائع ٢٠٠٠ جنيه

الودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه أو ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة، تربح فائدة بنسبة ثابتة قدرها ٨¾٪ في السنة تدفع شهرياً دون حسم أي ضريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد منتظم. يمكن ايداع مبالغ لمدد أطول، وتعطى تفاصيل الفائدة الثابتة لدى الطلب.

٩٪

ودائع زمنية

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة تربح فائدة بنسبة ٩٪ سنوياً تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. وهناك فوائد بنسب جذابة أخرى لمدد ثابتة طولها ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات.

لومبارد نورث سنترال ليمتد هو من أعضاء مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها مع الاحتياطي على ٣٨٣ مليون جنيه استرليني. فتح الحساب هو في غاية البساطة. اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع للحصول على تفاصيل هذه الحسابات ونسخة من كتيب الودائع رقم 182A

Lombard
North Central
Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4111
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111
Branches throughout Great Britain – Depositors throughout the World

20 CLASS A
CIGARETTES

KENT

WITH THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ.



كنغ سايز ، دي لوكس ، ١٠٠ مليمتر و كراش پروف

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن بريطانيا والسوق المشتركة

هل باستطاعته ان يوضح لكم ما يمكن لبريطانيا أن تتوقع من حسنات وسيئات؟ أو ما يمكن أن تتوقع أوروبا بأسرها من مكاسب في المدى الطويل؟ أو أن يبين لكم ما سيترتب على ذلك من أثر فوري في أوضاع الدولار والاسترليني؟

ان تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه أن يوضح لكم مغزى انضمام بريطانيا في منتصف السبعينات الى البلدان الموقعة على معاهدة روما، او ماذا يعني القبول بالسياسة الزراعية المشتركة، بالنسبة الى التجارة العالمية؟ او هل يستطيع التكهن بردة الفعل في الولايات المتحدة؟ او في الاتحاد السوفييتي؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة. حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث. انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويعدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم.

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في أوروبا - او في أي مكان آخر من العالم - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن أولا.

شبكة تشيس منهاتن في أوروبا:

فروع في: اسبانيا، المانيا، ايطاليا، بريطانيا، دنمارك، سويسرا، فرنسا، اليونان.

مصارف مشاركة: ايرلندا - تشيس اند بنك اوف ايرلند
بلجيكا - بنك دي كوميرس
النمسا - اوستررايخيشه كوميرسيال بنك، أ. جي.
هولندا - نيدرلندشي كريديت بنك ان. في.

مؤسسة مشاركة: اسبانيا - ليغا فينانسييرا، اس. أ.

ان لك صديقا في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي: 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

الفرع في البحرين: المنامة، ص.ب ٣٦٨
الفرع في لبنان: بيروت، ص.ب ٣٦٨٤
[illegible]
[illegible]



التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV . قياس ١٢ إنشاً يستقبل على تردد عالي (VHF) بالأبيض والأسود والأبيض ومزود بدارات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صورة فورية متوازنة واضحة ونقية من أي تشويش اعتراضي. (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط). شاشته مزودة بمصفي خاص ليخفف من عناء العينين. تصميمه رائع ويتماشى مع مفروشات أي غرفة. وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المنزلي (١١٠ - ١٢٠ فولط و ٢١٠ - ٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط). وبهذا.. تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت.. مع **جنرال** - موديل TW-12EV

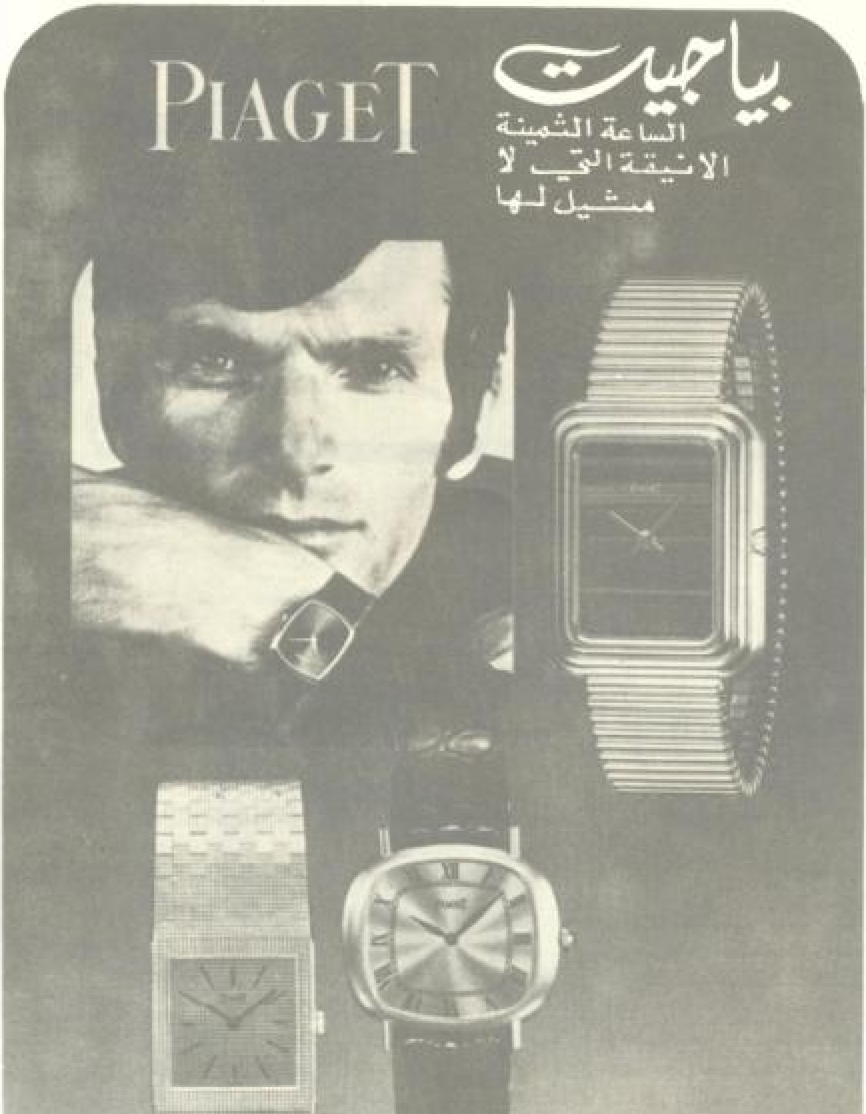
• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما سببان فقط من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C . طاقته BTU-21.500 تكفي لتبريد أكثر من غرفة. أما لمسته فهي متفوقة وتدوم حياة طويلة. ضوابط صممت في موضع يسهل معه استعمالها، ومصفية.. سهلة التنظيف. هذا الى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها **جنرال** لتزيد من راحة الإنسان.. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيونها موديل TW-12EV .
إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف الى حياتك نشاطاً نوعياً جديداً...

GENERAL جنـــــرال

الجمهورية العربية السورية : [illegible] - ص.ب ٩٥٤ - دمشق.
الخليج العربي : [illegible] - ص.ب ٦٧٤ - أبو ظبي.
الخليج العربي : شركة الاتحاد التجارية - ص.ب ٢٨ - الكويت.
البحرين : ابراهيم [illegible] - ص.ب ٦٧٠ - المنامة.
المغرب : [illegible] - ١١٤ شارع المقاومة - الدار البيضاء.
ايران : شركة [illegible] - [illegible].
ليبيا : [illegible] - ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس الغرب.
قطر : [illegible] - ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة.
لبنان : [illegible] للتجارة - بئر حسن.
الأردن : [illegible] - عمان.
دبي : [illegible] - ص.ب ٢٠٨.

نوعية جيدة من جنرال تزيدك تسلية وراحة





PIAGET
بياجيت
الساعة الثمينة
الانيقة التي لا
مثيل لها
الوكيل العام
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون
احمد يوسف بهبهاني
المالية . ت: ٦١٨٣٢٤

سوني
هي
الأفضل

سوني تقدّم
موديلاتها النقّالة المفضّلة

ثلاثة موديلات مختلفة - ونفس الأصوات الرخيمة!

جديدة من سوني! ثلاثة أجهزة راديو/ مسجلات كاسيت عظيمة تقدم لكم ماكنتم تريدونه دائمًا من الألحان الشجية في قطع صغيرة نقالة!

موديل CF-150 الخفيف الوزن يضم جهاز راديو FM/AM موديل CF-320 القوي يضم جهاز راديو FM/AM مع التقاط AFC مقاوم للانحراف الصوتي. وموديل CF-410 يلتقط ايضًا الموجات القصيرة بالاضافة الى موجات FM والمتوسطة.

جميع هذه الموديلات تضم مايكروفونا بمكثف الكتريت وجهاز "سوني - أو - ماتيك" الأوتوماتيكي لتعديل مستوى التسجيل - وذلك كي تبقى الأصوات المسجلة واضحة للغاية. وجميعها تضم أيضًا مضخم سوني الدقيق، والحاكي الكبير، والضوابط الصوتية - وذلك كي يكون اللحن الذي تستمعون اليه رائعًا وممتعًا دائمًا.

ونظرًا لامكانيات التشغيل بالتيار المتناوب او المتواصل المتوفرة في هذه الموديلات، فإنكم تستطيعون استعمالها تقريبًا في كل مكان.

ان موزعي سوني مستعدون لعرض مجموعة "سوني" الكاملة من اجهزة الراديو/ المسجلات الكاسيت عليكم.

شاهدوا سوني، واستمعوا الى سوني أولًا.

شاهدوا واستمعوا اليوم الى اجهزة سوني النقالة والمفضلة وستوافقون معنا بان سوني هي الأفضل.

سوني

Research Makes the Difference

SONY





CF-320
FM-AM جهاز راديو
مسجلة كاسيت



CF-150
FM- AM جهاز راديو
مسجلة كاسيت



CF-410
FM-MW-SW جهاز راديو
مسجلة كاسيت

شبابك لايعني فقط عمرك
انه حيويتك
ونشاطك ايضاً



سوبر ويت أون بطعم الفريز والموز هو
مستحضر غذائي جديد غني بالكالوريهات. سوبر ويت أون
يحتوي على عدة فيتامينات د، ب ١٢، ب ١ و ب ٦ يعطيك ما يلزمك من قوة
وحيوية ونشاط لتتمتع بما أعطتك اياه الحياة. سوبر ويت أون مستحضر
مقو للجسم. في بضعة أيام يجعل منك رجل آخر. النساء يكتسبن شكلا جذابا بازدياد
وزنهن في الاماكن اللازمة. سوبر ويت أون يباع في كافة الصيدليات

سوبر ويت-اون انتاج د.د.د

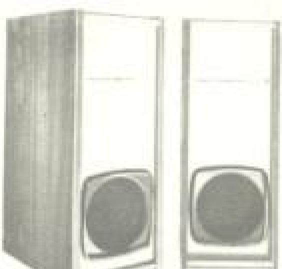
أجزاء "آكاي" الأستريوفونية مصممة لتحقيق الجودة وتعدد الاستعمال والدقة في نقل الأصوات



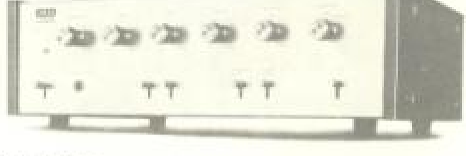
GXC-46D



AP-004



SW-35



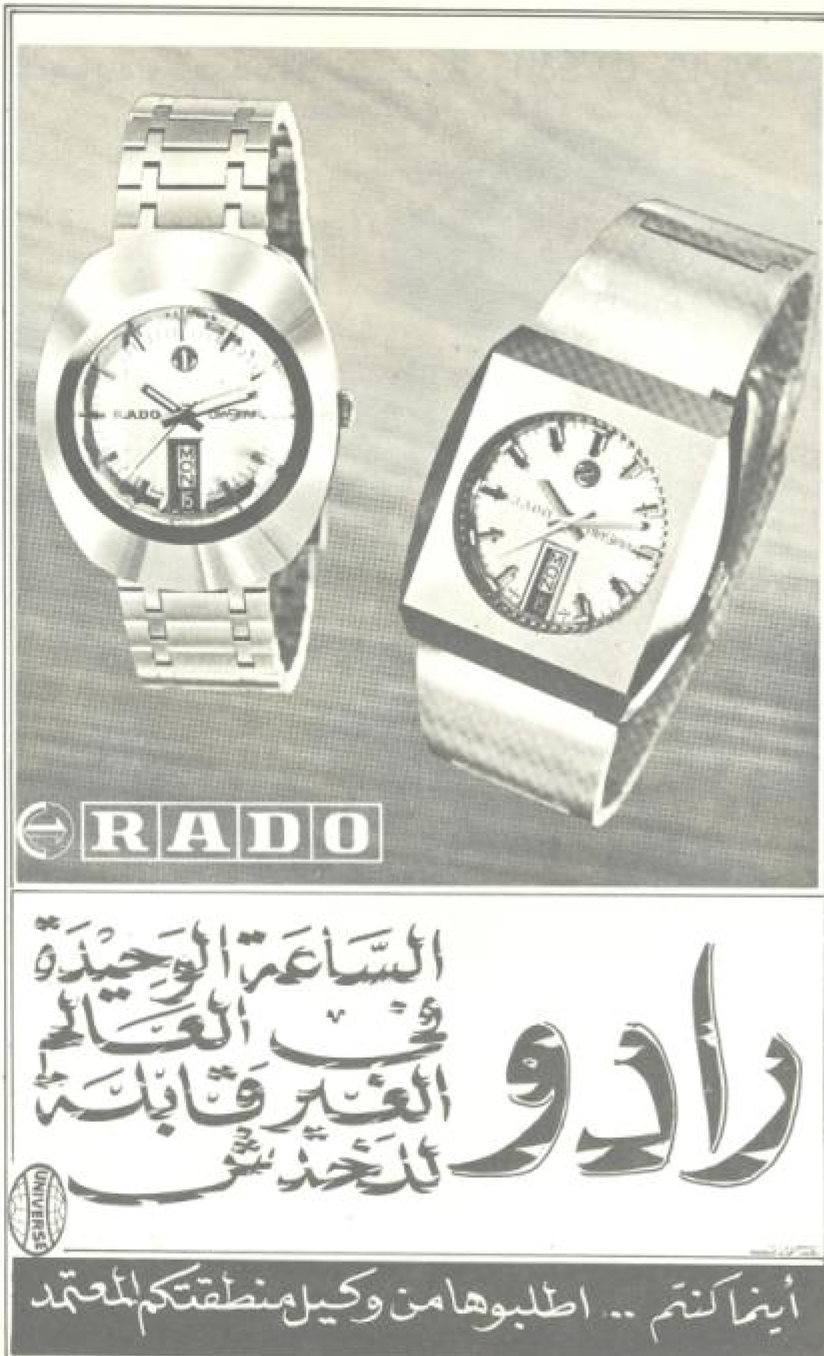
AA-5200

لامجال اطلاقاً للخطأ اذا كان الجهاز من صنع "آكاي"... فمن أجود أنواع المسجلات الاستريوفونية "دك" بالكاسيت الى المضخمات المتقدمة الرئيسية بالترانزستور الى الاجهزة الدقيقة المكبرة للصوت من الطراز المعروف بالتيار المتدفق الى أفضل انواع اقراص الاسطوانات الدوارة.

Audio & Video

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan



RADO
رادو
الساعة الوحيدة
في العالم
الغير قابلة
للخدش
UNIVERSE
أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

وكلاء سانيو لديهم أفضل المنتجات للجميع ... وتلفزيون لك شخصياً"



هناك عشرات المنتجات المفضلة للعائلة، بما في ذلك التلفزيون العائلي. أما أنت شخصياً، فباستطاعتك مشاهدة البرامج المفضلة لديك وكذلك الاستمتاع بالأوقات والأماكن التي تريد أن تنفرد فيها، فهنالك التلفزيون الشخصي الذي بإمكانك نقله إلى غرفتك أو إلى أي مكان آخر وفي أثناء رحلاتك الممتعة.
إنه التلفزيون المصنوع خصيصاً لك.



14 T 401

تلفزيون ١٤ بوصة بشاشة مظللة.

صورة واضحة متألقة بدون هوائيات خارجية، شاشته مظللة تمنع التوهج والانعكاسات المزعجة. روافع منزلقة للتحكم يتوفر في صندوق أبيض أو أصفر أو أحمر



12 T 218

تلفزيون ١٢ بوصة بالبطارية/التيار العادي

يعمل بالتيار العادي في البيت وباستخدام بطارية خاصة في الخارج ويمكن استعماله أيضاً بواسطة موفق (ADAPTER) للسيارة أو للقارب، خفيف الوزن، بالإضافة إلى توفر دائرة "AGC" وشاشته تمنع التوهج.



12 T 220

تلفزيون نقال ١٢ بوصة Solid State

يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية الخاصة. يتوفر اختيارياً بالموفق للسيارة أو للقارب. شاشته تمنع التوهج ومجهزة بدائرة التحكم الآلي في الكسب "AGC". يتوفر في صندوق جذاب باللون الأحمر أو الأسود.

SANYO سانيو

العربي

العدد ١٧٦
جمادى الثانية ١٣٩٣
يوليو
(تموز) ١٩٧٣



الحرس الوطني الكويتي الساعد الأيمن للجيش

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	١ ريال	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	١ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	١٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	١٫٢ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من سلسلة لوحات
الفنانين العرب .

الصيادون

لوحة زيتية للفنان المصري حسني محمد البناني

عزيزي القارئ

● دعنى أوجه الحديث اليوم الى كتاب «العربى» الاكرمين الذين يرسلون الينا من انتاج عقولهم واقلامهم كل نافع معجب جميل .

فقد شكا لنا بعض هؤلاء الأخوة الكرام أن مقالاتهم ، المقبولة للنشر ، تبقى طويلا فى « العربي » دون نشر . وقد تبقى الأشهر . وهذا صحيح . ولهذا وجب لهذا الحال المزعج للكتاب و ل « العربي » من تعليل .

أما العلة ، فان « العربى » مقسم الى أبواب تبلغ العشرين أو قد تزيد ، وهو يحاول ان يضع فى كل باب من هذه الأبواب مقالا واحدا على الأقل فى الشهر الواحد ولا يزيد .

ثم تتتابع على « العربى » مقالات الكتاب التى تتصل بشتى الابواب فناخذ منها مقالا أو ربما مقالين ، لكل باب ، والباقى يرجأ الى الشهر التالي فالتالي .

وقد بلغ عدد المقالات المكتوبة فى « تاريخ الأشخاص » مثلا ثلاثين مقالا ، فلا بد أن تتخلف هذه المقالات . ان نصفها يملأ اعداد « العربي » فى السنة كلها . ولا نستطيع أن نضع مقالا فى التاريخ مثلا مكان مقال فى باب الفلسفة او باب القصة ، وقد وجب ان يكون لكل باب من هذه مقال من نوعه ، والا فهو الافتئات والاعتداء من باب على باب .

ومن الكتاب الكرام من يرسل الينا المقالة أو الرسالة ويحسب أنها ستظهر بظهور العدد بعد اسبوعين . فى حين ان العدد من « العربي » يكتمل اعداده قبل ظهوره فى السوق بشهرين .

فرجاؤنا المعذرة .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 177 Augst. 1973 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● ان الالوف من أبناء الكويت يتدفقون باستمرار على مراكز التطوع للخدمة العسكرية في صفوف الحرس الوطني ، والصورة لاحدى كواكب المدرعات الخفيفة التابعة للحرس الوطني في عرض عسكري . ان الحرس الوطني الكويتي هو الساعد الايمن للجيش الصامد . (انظر الاستطلاع ص ١١٦) .

سياسة واقتصاد :

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

شعر وشعراء

كتب

قصص وقضاء

فنون

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠م٠ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائري ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة بالدونج ـ ص٠ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



بريد القرّاء ومعرض آرائهم

بين سقراط وزوجته

● في العدد ١٤٨ مارس ١٩٧١ ، وبالتحديد في باب « طرائف عربية » ، جاء ما يلي : ـ

« الفيلسوف اليوناني الشهير سقراط ، يروون عنه أنه كان رجلا تعسا في حياته الخاصة . فقد كانت له زوجة ثرثارة دائمة الشكوى ، تستخدم لسانها بنفس الطريقة التي يستخدم بها سائق العربة كرباجه الطويل في الهاب ظهور جياده ! وكان الفيلسوف الكبير يحاول دائما أن يتفاداها ويهرب من شرها ، فيصحو في ساعة مبكرة في الصباح ، قبل أن تشرق الشمس ، ثم يسرع بتناول طعام الافطار الذي يتألف عادة من قطع الخبز الجاف المغموس في النبيذ ، ثم يرتدي ملابسه ويسرع بالخروج من البيت ثم لا يعود اليه قبل حلول المساء » ، الى آخر المقال ..

على اننا لو عدنا الى العدد ١١٤ (مايو ١٩٦٨) والى مقال عن سقراط نشرتموه للاستاذ علي ادهم فيه ، ذلك المقال الذي شدني شدا بأسلوبه السلس الممتع ، وهو يتضمن ما يلي : ـ

« وقد تزوج من زانثيب ، وقد عرفت بسلاطة اللسان ، وكانت تعيب عليه اهماله لشئون اسرته ، وكان هو نفسه يعترف بعدالة شكواها ، ويتقبل نقدها بصدر رحب ويثني على كرم أخلاقها ، وحسن اضطلاعها بشئون المنزل وتعهد أطفالها .

انني ارى اختلافا واضحا فيما نشرتم عن سلوك سقراط تجاه زوجته ، فمرة يهرب منها وتارة يتقبل حديثها في اعتراف وعدالة .. فارجو اعطائي واعطاء القراء الافاضل فكرة صحيحة حول هذا الموضوع .

عبد الباقي عبد القادر سليمان
السودان ـ ص.ب.. ٦٣

العربي : اشتهرت زوجة سقراط زانتيب Xanthippe بسلاطة لسانها وسوء معاملتها لزوجها الفيلسوف ، وفق ما ذكره العربي في باب «طرائف عربية » .

الا أن بعض الكتاب القدامى يؤكدون ، خلافا لتلك الشهرة ، أن سقراط الحكيم طالما امتدح زوجته ، وقدّر طيب معدنها ، وكريم خصالها وفق ما جاء في مقال الاستاذ علي أدهم . واشهر أولئك الكتاب الكاتب اليوناني القديم ، زينوفون Xenophon وقد تحدث عن ذلك في كتابه المعروف « المذكرات » .

وجدير بالذكر أن زينوفون هذا (٤٣٠ـ٣٥٥ق.م) تتلمذ على سقراط وأصبح بالتالي من عشاق الفلسفة ، وكان من الذين لا يهتمون بها قبل ذلك . وقد كتب زينوفون عدة كتب منها «المذكرات» Memorabalia التي كان سقراط محورها كما كان محور غيرها .

الى مصر

● ورد في العدد ١٧٣ من العربي خلال الحديث عن تطوان ، انه اثناء انعقاد مؤتمر كشفي عربي أقيم في مدينة نابلس سنة ١٩٢٨ أنشد الشاعر ابراهيم طوقان قصيدة شهيرة عرف بها الشرق لاول مرة اسم تطوان :

بلاد العرب أوطاني   من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن   الى مصر فتطوان

وانصاف الحقيقة والتاريخ يحملنا على القول : ان صاحب هذه القصيدة ليس الشاعر ابراهيم طوقان ، واذا كان قد أنشدها فانه انما فعل ذلك مستشهدا بها ، لا مدعيا لها ، لأن لابراهيم طوقان

الكفايات العلمية

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

العدد ١٧٠ الصفحة ٣٢

● تحدث الدكتور عاقل عن أهمية ومقدرة العلماء العرب واتجاههم في مختلف المهن في الولايات المتحدة ، كما ذكر أن ما تقدمه الدول العربية لأمريكا من علمائها المهاجرين يبلغ ٦٪ وذلك وفق احصاء عام عن هجرة العلماء الى امريكا من الدول العربية بين ١٩٦٢ – ١٩٦٧ . وقال ايضا ان معظم او كل الطلبة العرب الذين يتلقون تعليمهم العالي في الولايات المتحدة : لا يعودون الى بلادهم .

وهذه نقطة هامة لم يقف عندها الدكتور عاقل ولم يبين قيمة هؤلاء الطلبة العرب .

ان هذه الفئة التى حصلت ، او فى سبيلها الى الحصول ، على شهادات عالية في مختلف الفروع العلمية ولها مراكز حساسة الآن في اطار المجتمع الامريكى ، تنتج اكثر بكثير ، بل اضعاف ما تنتجه فئة العلماء المهاجرين من البلاد العربية الى امريكا . ولذلك اسباب عديدة اذكر منها .. :

١ – ان النظم والأساليب التعليمية المطبقة في امريكا سليمة وتضمن المستوى الرفيع في الدراسة .

٢ – وجود الأساتذة الاكفياء المتازين الذين لايشعرون بفوارق تباعد بينهم وبين طلابهم والذين لا يترفعون عليهم بل يعاملونهم معاملة الاخوة أو الأصدقاء الأوفياء . ولو انت دخلت احدى قاعات الجامعة ، اية جامعة في امريكا ، لالتبس عليك الأمر ، ولم تعرف الاستاذ من تلميذه . وهذا بالطبع على نقيض ما هم عليه الأساتذة العرب وبخاصة أساتذة الجامعات .

٣ – الحرية التى يتمتع بها الطالب في امريكا بحيث يختار الموضوع الذى يرغب في دراسته .

٤ – فرص العمل المتوفرة لخريجي الجامعات في امريكا وهى فرص كثيرة ومداخيلها مجزية .

٥ – المساعدات السخية التى تقدمها الحكومة هنا والجامعات والشركات .

فيا حبذا لو حذت الحكومات والجامعات في وطننا العربى الكبير حذو الدول المتقدمة فعملت على الغاء الطريقة التقليدية في التعليم وسعت الى تعديل المناهج وتغيير اسلوب الامتحانات وحرصت على عدم حصر عنايتها بالاقلية دون الاكثرية من الطلاب وأتاحت الفرص للقادرين على التعليم والراغبين في التعليم .

منير غنام

..طوان

من الشاعرية الأصيلة ما كان يمنعه من ان يدعى شعر غيره لنفسه . وقد اشتبه الامر على الراوى ، فحسب ان ما استشهد به طوقان انما هو له في حين انه ليس له .

والقصيدة هى للمناضل العربى الكبير المرحوم فخرى البارودى الذى كان من اصبر واشجع واكرم من قاتلوا الانتداب الفرنسي في بلاد الشام . وكان الى جانب ذلك شاعرا أديبا ، وقف معظم أدبه على الكفاح العربى . وقصيدته هذه كانت احدى الصيحات المتعالية في دمشق الشام ، هتافا بحرية العرب ودعوة الى وحدتهم . وكان صوت الزعيم فخرى البارودى في ذلك الحين من أرفع الأصوات وأخلصها في الدعوة العربية .

وليت في الدمشقيين من ينبرى لتسجيل سيرة هذا الزعيم العربى ، لا سيما من بين من شهدوا تلك الاحداث وعاشوها .

والقصيدة المذكورة كانت نشيدا عربيا يردده الشباب والطلاب .

بيروت   حسن الامين

(البقية على صفحة ١٦٨)

حديث الشهر

الحضارة الحاضرة

بقلم رئيس التحرير

■ سألني سائل اى العصرين تفضل ،عصر الماعز والبقرة والخيل والسيف ، ام عصر السيارة والطيارة والمدفع الرشاش ؟

سؤال اراد به سائله ان يسأل ، اى العصرين افضل ، عصر التكنية الحاضر، ام عصر ما قبل التكنية ذلك الغابر .وهو دخل الى السؤال من غير مدخله المألوف .

والحق ، انا نحن العرب الحاضرين ،فى حيث نشأنا ، لم ننشأ فى عصر هو قبل العصر التكني صرفا ، ولا فى عصر هو فى صميم التكنية . وبدأنا فى الطريق ولم نصل بعد .

ومع هذا يستطيع المرء ، بحكم الخبرة المكتسبة ، وبحكم قوة الخيال المصورة ، يستطيع ان يصل الى شيء هو اقرب الى الصواب .

ورجعت لنفسي فاذا بها تميل الى بساطة الحياة الأولى .

ولكن اى حياة تلك التى تصفها بالبسيطة .

الحياة غذاء ، والحياة كساء ، والحياة حركة وانتقال . ونظرت فى الحياة التى زعمتها بسيطة فوجدتها فى عمل الحقل تنتج الحب والخيط ، وتقوم بتربية الضان للحم ، والثيران للطاقة التي تكمل طاقة الانسان ، ومنها ادارة المياه فى سواقيها. ولكني ما لبثت ان وجدت الحب فى حاجة الى طحن ، والخيط فى حاجة الى غزل والى نسج . وبدأت تدخل الآلة

زَيْتٌ وَفَحْمٌ

فكم للزَّيتِ ، وكم للفَحْمِ ، وكم لِسائِر مَصادِرِ الطَّاقة مِنْ أَعمار

اذا اردت ان تعلم كم مستوى معيشة قوم فاسأل كم يخص الفرد منهم من استهلاك طاقة .

• • •

الغلاء الحاضر ليس من عمل الساسة ، ولكن من عمل الطبيعة وسيزداد على السنين والقرون .

• • •

لا يأكل الكفاية من اهل الارض الا ربع او ثلث سكانها ، ويأكل الآخرون ولكن دون الكفاية .

فى هذه الحياة التى زعمتها بسيطة . وجعلت الآلة فى أول الأمر تدور بقوة من عضل ، هو عضل الحيوان .

ونجحت آخر الأمر فى اصطناع حياة بسيطة ، يصف الناس بساطتها بأنها أقرب الى الطبيعة . هي حياة كان يحياها القدماء فينا .

وصورة رسموها لأبى العلاء المعرى ، وهو فى حجرة من داره ، يجلس على الحصير ، والى جانبه الزير ، وفوق الزير الكوب ، ثم سائر الحاجات التي انتثرت فى الحجرة فلم تستطع أن تحدث فيها زحاما .

هذه الصورة، حببت لى حياة بسيطة كالتى كان يحياها . أو تلك التى خلت أنه كان يحياها .

وهي حياة جسم ، تكتمل بحياة الروح يستمدها المرء من كتاب .

وذكرت هذا الازدواج ، ازدواج

الجسم والروح فخلت أننا ، في الحياة البسيطة ، على الطبيعة ، يكون زاد الأرواح أكثر من زاد الاجسام . وتراءى لي أن الجسم كلما كثر زاده ، قلّ زاد الروح ، وان الجسم كلما قل زاده ، زادت الروح زادا .

وزادُ الروح فهم . وزادُ الروح علم . ولكنه علم قليل ، وفهم قصير . والتكنية تكثّر العلم القليل . والتكنية تطيل الفهم القصير . فرجحتْ التكنيّة عندي علما ورجح العصر التكنيُ فهما .

ونظرت ، فوجدت العلم كله في الكتاب ، والتكنيّة كلها في الكتاب ، والكتاب من ورق مصنوع ، وسطره من حرف مطبوع ، فالكتاب كله تكنيّة ، والعلم تكنيّة ، فأين منها المهرب .

التكنيّة لها عمر كما لسائر الأشياء اعمار

ولقد علمنا ان لكل شيء عمرا ، فوجب ان يكون للتكنيّة عمر .

وعمر التكنية على مستوى الفرد عشرات من سنين .

وعمر التكنية على مستوى الأمة مئات وألوف من سنين .

وعمر التكنية من العالم يطول حتى تنفد مصادر الطاقة في الكون ، وقد بدات تنذر بنفاد .

ان اليوم حديث الزيت .

وغدا حديث الفحم الخبيء في الأرض .

وبعد غد حديث الذرة .

انها مصادر الطاقات التي حلّت محل الطاقة التي نستمدها من ثور ، أو طاقة نستمدها من حصان أو بعير ، فكان من ذلك التكنية التي غمر بها الكونُ اليوم .

التكنية تكون ، أو لا تكون ؟

وكلما نظرت تراءى لي انه من العبث الحديث في العيش ، مع تكنية تكون او لا تكنية .

وهل كان ابدا في ذلك للانسان خيار؟ ان الانسان يجرى من سبيل الحياة ، على السنين ، وعلى القرون ، في طرائق يحسب انه صانعها ، وانه موجهها ، وهو انما يولد في جيل سبقته اجيال فوجبان يتبع . ان الأقدار تجرى على الأفراد كما تجرى على الامم ، يخالون أن في الامر اختيارا ، وما في الحياة الا دفع الجديد ليسير فيما سار فيه القديم ، وذلك من حيث موارد العيش الاولى ومصادره . والتكنيّة ، والأساليب الصناعية ، انما جاءت الناس كما يجيء

صور رسمها القدماء من بني الناس على الصخر منذ ... ٢٠ من السنين .
انها صنوف الخيل التي استمدوا منها الطاقة في ايامهم .



المطر والزلازل لا يسبقها حساب ولا تقدير ولا تدبير . أنها جبلة الانسان تتفتح على الزمان كما تتفتح البراعم ، وهى لا تدرى على اى شيء تتفتح ،وهى تتفتح لغايةلا يعرفها الا صاحب السياسة الكبرى فى هذا الكون .

التكنية
طاقة

ان التكنية سبقها العلم الحديث ، فهى تطبيق لنتائجه .

وما كانت لتكون تكنية لو لم تتغير مصادر الطاقة . كان مصدر الطاقة الانسانية سواعد الانسان . ثم هوعزّزها بطاقة يستمدها من سائر المستأنس من الحيوان .

ولو ان الانسان اعتمد على الحيوان وحده ، ما امتدت التكنية ابدا الى ما امتدت اليه ، ولا اتسعت مثل هذا الاتساع .

مصادر التكنية

اشهرها اليوم الزيت وما يصحبه من الغاز الذى اسموه بالغاز الطبيعى .

وكالزيت الفحم واضراب له .

وبعد الفحم الذرة فى انفلاقها واندماجها .

ولا ننسى الماء الجارى والساقط ،ولا الريح اذ تهب .

وكل هذه تعرف بالطاقات بل بمصادرها .

والطاقات هى كل شيء يحدث عملا ، أول ان شئت ((فشغلا)) .

التكنية
وحاجة الانسان الأولى
من طعام وكساء

اول شيء تتسم به القرون الحديثة كثرة سكان الأرض، فقد أخذوا يتزايدون، منذ الثورة الصناعية ، او ان شئت فالثورة التكنية ، أو ان شئت فالثورة التى استخدمت فيها طاقة الأرض أول



واستخدم الانسان الفيلة فى رفع الثقيل من الاحمال ، وما زال يفعل .

استخدام ، ونعنى بها الفحم . أخذوا يتزايدون زيادة لم تعرَف لأهل الأرض من قبل .

وسكان الارض اليوم يبلغون حول الثلاثة آلاف مليون نسمة فى تقدير ، وغير ذلك فى تقديرات اخرى .

وقال بعض الحاسبين انهم يتضاعفون كل خمسين عاما .

وينسب هذا التكاثر فيما ينسب الى الطعام وتزايده .

وينسب تزايد الطعام الى التكنيَة ، التى دخلت الى الأرض فحرثتها بالآلة والى الزرع فعمدته بالسماد يصطنع اصطناعا ، وتصنعه الآلة ، وتصنعه التكنيَة .

وذهب الحاسبون الى ان سكان الأرض، اذا هم ظلوا يتزايدون بالنسبة الحاضرة فهم لا بد بالغون بعد ١٤٠٠ عام من الكثرة ، بل من الزحام ، بحيث لا يجد الفرد منهم متسعا الا بالقدر الذى يقف فيه .

وبالطبع لن تصل الكثرة الى هذا

الحد ، فسوف يحد منها ما تستطيع الأرض وتستطيع التكنية أن تنتج من طعام .

والمعروف انه اليوم ، حتى مع معونة العلم الزراعى والتكنية المكتنية ، لا يكفى الطعام كل اهل الأرض .

ان الذين ياكلون مقدارا من طعام الأرض كافيا من سكان الأرض لا يبلغون الا نحو ربع هؤلاء السكان او ثلثهم .

والسبب فى هذه الكفاية من الطعام ؟ هو مقدار الطاقة التى خصت الفرد من هذه الأقوام .

ونضرب مثلا بالولايات المتحدة .

ان بها نحو ٧ فى المائة من سكان الأرض ، ولكن بها من الطاقة المستهلكة نحو نصف طاقة سكان الأرض .

ونعلم ان مستوى المعيشة فى الولايات هو اليوم اعلى المستويات .

ونعبر عن هذا بلغة العلم ، فنقول ، وذلك لأن حصة الفرد فى الولايات من الطاقات هى اكبر حصة .

وان اردت ان تدرى ما مستويات المعيشة فى سائر الدول ، فقد كفاك ان تسأل كم تستهلك هذه الدول من طاقة ، وكم يخص منها الفرد .

وتدخل اوروبا الغربية فى الدول ذات المستويات المعيشية العالية .

وتدخل استراليا ونيوزيلندة .

وتظل المستويات الخفيضة فى اكثر افريقية وآسيا .

ونستثنى اليابان .

ومساحة الأرض

الطاقة تزيد عدد السكان ، ونقصها يحد منه .

ولكن كذلك مساحة الأرض الصالحة للزرع .

ان سطح الأرض يتراءى شيئا واسعا عريضا . وقد احصى الاحصائيون مجمل هذا السطح فكان نحوا من خمسين مليون ميل مربع .

ولكن لا يستزرع من هذه المساحة



امرأة تغزل الصوف ، كل آلتها عجلة تديرها بقدمها . اين من هذا مغازل اليوم .

الآن غير نحو ٥ فى المائة منها ، وذلك لأن سائرها مما يصعب استزراعه . فنحو ثلث المساحة الباقية صحارى ، ونحو الخمس ارض فى المناطق القطبية حيث البرودة لا تأذن بزرع ان ينبت .

ومع هذا ففي الامكان زيادة المساحة المزروعة بوسيلة او اخرى . وبعض الصحارى القريبة من الأنهار قد تروى .

ان الوسيلة الوحيدة لتكثير الطعام لأهل الأرض ، انما تكون باستخدام طرق الزراعة الحديثة ، الطرق العلمية التكنية ، مكان الطرق القديمة .

ان هذا الأمر خطير لكل سكان الأرض ، وقد اتصلت مناطق الأرض جميعا فاختفى البعد بينها . ان الناس تشكو الآن فى اكثر بلاد الدنيا ، من غلاء اللحم ، وغلاء الطعام عامة . والذى يعنيه هذا ان الأسواق ليس فيها كفاية من طعام . والذى يعنيه هذا أن كثيرا من اهل البلاد الزراعية ، التى اسميناها بالنامية ، لا

يزالون متخلفين فى انتاج الطعام . وهم لن يتقدموا فى انتاجه الا بالتكنيــــــة الحاضرة .

كيف تتوزع مصادر الطاقة على حاجات الانسان

يرى العارفون ان نحوا من ٦ فى المائة من الطاقة التى تستهلك فى العالم تأتى من الفحم . واذا قلنا الفحم هنا فانما نعنى فحم الأرض ، الفحم الحجرى .

وان نحوا من ٣٠ فى المائة من الطاقة التى تستهلك فى العالم تأتى من الزيت، واذا قلنا الزيت عنينا الزيت الحجـرى البترول . Petroleum

ثم خمســـة فى المـائة تأتى من المياه السافطة او الجارية .

ويأتى اقل من ذلك من الغاز الطبيعى، ذلك الغاز الذى ينتسب الى البترول ويصطحبه عادة .

وقد كان الفحم الحجرى اول المصادر، ثم جاء الزيت فزاد استخـــراجه من الأرض ثم زاد .

كذلك المياه الساقطة ، والمياه الجارية زاد تسخيرهما فى هـــذا القرن الحاضر تسخيرا كبيرا .

كم من الطاقة للمنزل ، وكم للمصنع ، وكم للطريق

لاعطاء فكرة عامة عابرة تقول ، ان البلد المتقدم ، كالولايات مثلا ، ذكــر الذاكرون ان ثلث الطاقة المستهلكة فيه تستهلك للتدفئة ، فى منازل او غـــير منازل ، والثلث الثانى للمصنع والصانع، والثلث الثالث للمواصلات فى طرقـــات حديدية او غير طرقات .

الزيت كم بقى من عمره فى طبقات الأرض

اختلف الحاسبون فى تقـدير هـــذا العمر ، فكأنهم المنجمون .

قال أحدهم ان الزيت باق فى طبقات الأرض ، مع الاستهلاك القائم اليوم ، مائة عام . ومـــع الزيت يختفى الغاز الطبيعى .

وقال آخـر انه اخـذا برأى سـائر الحاسبين ، سيحس الناس بنقص الزيت فى آخر هذا القرن الحاضر . وهم سوف يحسونه عن طريق اثمانه التى تأخذ ترتفع وتتضاعف .

ويأتى الحرج كل الحرج فى الربـع الأول من القرن الحادى والعشرين .

واول الدول التى ستجف آبار الزيت فيها انما هى الولايات المتحدة ، وذلـك لكثرة ما تستهلكه من الزيت. ان الولايات المتحدة تستهلك من الزيت ٣ آلاف مليون برميل فى العام الواحد . ويقدر المقدرون أن بأرض الولايات من مخزون الزيت نحوا من ٣٥ الف مليون برميل . والولايات تستورد الآن نحو ١٥ فى المائة من حاجاتها .

وينتقد صاحب هذا التقدير ، وهو امريكى ، اهل الولايات فى سوء تبذيرهم مصادر القوة ، مصادر الطاقة ، ومنهـا تبذير الســواد باقتناء السيارات الكبيرة التى تستهلك من البنزين الشىء الكثير . ويدعو اهله الى الاقتداء بأهل أوروبا ، باقتناء السيارات الصغيرة .

الفحــم كم بقى من عمره فى طبقات الأرض

اختلف المقدرون عمر الفحم ، زمنا طويلا يبقى المخزون منه فى الأرض ، أو زمنا قصيرا ، اختلافا كبيرا . ولعل هذا كان بسبب صعوبة تقدير ما تحتويه طبقات الأرض منه .

وقد ذكر أحد هذه المصادر انه يبقى، على الاستعمال الحالى ، بضع مئات من السنين اخرى .

الفحم والزيت بعض احافير الأرض

وكل محفور عنه فى الأرض فهو أحفور، والجمع احافير .

والفرق بين الاثنين ان الفحم صلب ، واما الزيت فــــائل . وبنــاء على هذا

فالفرق بين استخدامهما فرق كبير .

فبناءً على الزيت صممت السيارات ذات المحركات ذات الاحتراق الداخلي. فاذا نضب الزيت فلا بد من وقود سائل آخر يحل محله. عندئذ يستعاض بالفحم لتحويله الى وقود سائل كما فعل الالمان فى الحرب العالمية الاولى . انهم جمعوا بين سحيق الفحم ، وفيه عنصر الكربون، وبين الادروجين ، وهو غاز . فلما اتحدا تكوّن منهما كربونات متهدرجة Hydrocarbons هى هى مكونات البترول السائل او اشباه لها .

فهذه وسيلة نرجع اليها اذا فرغ الزيت ، وتوقفت السيارات ، واشباه لها من المحركات تدور بالزيت .

مصدر آخر من مصادر الزيت

غير أن هناك مصدرا آخر للزيت ، يستخرج من نوع من رواسب فى طبقات الارض شبيهة بالصلصال ، تعرف باسم شيل Shale ، ومن هذه الطبقات ما اختلط فى الأزمان العتيقة بموادعضوية او على الأصح نباتية، تحولت على الزمان. وتسمى هذه الطبقات بالشيل الزيتى Shale Oil ، ومنها يستخرج الزيت بالتسخين فى غيبة الهواء . فاذا خرج من الطن الواحد من الشيل ١٥ جالونا من الزيت فما فوق ذلك ، كان حقيقا بالاستغلال الاقتصادى .

وهذا الزيت اذا قطّر اعطى ما بين ١٦ الى ٣٠ فى المائة من النفثا Naphtha السريعة الطيران ، وما بين ١٥ الى ٢٤ فى المائة من القطارة الخفيفة ، وما بين ٢٨ الى ٣٦ من قطارة الزيت الثقيلة ، ويتخلف من التقطير نحو ٣٧ فى المائة من الرواسب .

وهذه القطارات تتالف من كربونات متهدرجة Hydrocarbons فهى من قبيل كقبيل بترول الأرض .

وزدنا هذا الزيت تفصيلا لما له من خطورة عندما تنضب آبار البترول الحاضرة .

فخامته منتشرة انتشارا كبيرا فى دول اوروبا ، فى اسكتلندة ، وانجلترا ، والسويد ، وفرنسا ، واسبانيا وتشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا ، والمانيا، وروسيا ، وجنوب افريقيا وغير هذه من بلاد .

والولايات المتحدة بها من رصيد هذا الزيت نحو ٥٠٠ الف مليون برميل .

ولقد قامت ادارة المناجم بالولايات المتحدة فى عام ١٩٤٤ ، باجراء تجارب على استخلاص هذا الزيت تحسبا لما تاتى به الايام .

الفحم
اغلى من أن يكون مصدر طاقة

واذا استدعى الأمر تحويل الفحم الى زيت ، للحريق ، نكون قد خسرنا من الفحم الشيء الكثير .

فالفحم ، واعنى بالطبع الحجرى منه، ليس كربونا صرفا ، وانما هو كربون

منجم للفحم . وفيه تظهر طبقات الفحم . ونرى احد العمال يقيم جذعا من الخشب ليعمد به سطح المنجم





سيارة اداروها بالفحم والبخار الناشيء عنه ، كما تدار القاطرة على السكك الحديدية . وعلى مثل هذا قد يحل الفحم محل الزيت عند الاقتضاء.

داخل فى تركيب مواد تظهر عند تقطيره بمعزل عن الهواء . ويخرج من هذا التقطير غازات تتكثف ، منها المائى وبه النشادر ، ومنها القارى*، وهو كالقار . عدا غاز لا يتكثف ، ومحتواه الادروجين واول اكسيد الكربون ، فهذا هو غاز الاستصباح الذى ينتفع به الناس فى منازلهم وقودا ، وهو اشبه من حيث الاستخدام فقط بالغاز الطبيعى ، الغاز الخارج مع البترول فى بلاد الزيت ، وبه يستدفىء الناس فى منازلهم ، وبه تدار مطابخهم .

ونقف عند الطبقة القارية الناشئة من تقطير الفحم .

فهذه يخرج منها البنزين . Benzene وهو بنزين آخر غير بنزين الأرض . ومنه تخرج مركبات عضوية، تعرف بالمركبات العطرية ، تلك التى كانت ولا تزال اساسا لعدة صناعات قوية ثرية نافعة للانسان غاية النفع .

ومن هذه الصناعات الأصباغ . ومنها العقاقير الطبية . ومنها الألياف الصناعية . ومنها اللدائن .

ان الناس ، اذ تحرق الفحم الحجرى لتنتفع بحرارته فقط ، انما تزاول عملا اقتصاديا فيه خسران عظيم .

وانه بفناء الزيت ، وفناء الفحم ، تفنى من حاجات المدنية أشياء هى بعض اصولها التى عليها تقوم .

الماء
الجارى او الساقط
مصدرا للطاقة

اذا ذكرنا مواد الطاقة فى الأرض ذكرنا الكهرباء الناتجة عن الماء الجارى كماء النيل ، او الماء الساقط كمياه شلالات نياجرا الواقعة بين كندا والولايات المتحدة .

ان مقدار الطاقة التى تستمد من هذه المياه تؤلف نحو ٥ فى المائة فقط من الطاقة المستهلكة فى الولايات .

والكهرباء المستمدة من الولايات تعد من أطرف أنواع الطاقات ، لأنه لا فحم بها ولا دخان ، فهى لا تؤذى البيئة التى هى فيها .

ولكن مما يؤخذ عليها ان المياه الساقطة او الجارية لا تنقل من محلها ، بينا الزيت ينقل ، والفحم ينقل الى حيث تكون الحاجة الى الطاقة ومع هذا فالكهرباء الناتجة تمتد بمقدار ما تمتد



الطاقة التى تستمدها الولايات المتحدة من مياهها الساقطة من شلالاتها ، والماء الجارى في انهارها ، تقدر بنحو ٥ في المائة مما تستهلك من طاقة .

اسلاكها ، وهى تمتد الى مسافات غير قليلة . فالأسلاك التى تحمل ضغطا عاليا من الكهرباء قد تحمل الكهرباء نحو ٦٠٠ ميل .

والى اليوم لم يستغل الانسان كل المياه الجارية بقوة الأنهار لينتفع بطاقتها ، باقامة السدود عليها ، وهو أن فعل فستتضاعف الطاقة المستمدة من الماء كثيرا . ولا بد هنا أن نذكر أن سدودا تقام على الأنهار لها هدف آخر غير هدف الكهرباء ، ذلك اختزان الماء وراء هذه السدود لرى الأراضى ، فزيادة الطعام والكساء لأهل الأرض .

طاقة من جزر البحر ومده

ثم هناك عند مصاب الأنهار جزر البحر ومده ، فهذان يتضمنان دفعا للماء مرتين . والدفع قوة . وهى طاقة بداوا فى استغلالها . وكانت فرنسا أول البادئين .

وبقدر اهل الراى فى هذا الأمر ان طاقة الماء تتزايد بذلك اضعافا ولكنها لا تبلغ النصف من حاجة الانسان .

مصادر للطاقة اخرى

بقيت للطاقة مصادر أخرى غير التى ذكرنا ، مصدر الرياح التى تفتا تهب ، والذرة اذ تنشطر ، والذرة اذ تندمج مع اخواتها . ثم الطاقة الشمسية ام الطاقات جميعا .

والانسان لم يكد يعرف من هذه الطاقات جميعا ، منذ بضع قرون ، الا طاقة الشمس ، بها عاش المعيشة التى لعلها كانت ، مع نشاطها ، ارخى صنوف العيش سلاما ، واهنأ وأهدأ .

ولعل لنا فى هذه الطاقات الأخيرة كلمة تكتب . ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٧٤

«لاباز» أعلى مدينة على سطح الأرض

■ كانت مسابقة العدد ١٧٤ من «العربي» تشتمل على معلومات عامة في مجالات شتى من المعرفة ، وقد كانت اسئلة المسابقة صعبة بعض الشيء . لذلك فان عدد المشتركين في المسابقة نقص عن مثيلاتها من المسابقات بل ندر من استطاع ان يجيب على اسئلة المسابقة جميعها .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة، ثم اسماء من فازوا بالمسابقة .

١ ـ **البلد العربي الذي يقع في افريقيا وتوجد فيه عاصمتان رسميتان هو** ليبيا .

٢ ـ **المصنع الذي ينتج الالمنيوم من مادة البكسيت يوجد في** البحرين .

٣ ـ **المعدنان اللذان ينجذبان الى المواد الممغنطة اضافة الى الحديد هما** الكوبلت والنيكل .

٤ ـ **الأرض اكبر حجما من القمر** بستة اضعاف .

٥ ـ **المغرب نالت استقلالها من فرنسا عام** ١٩٥٦ .

٦ ـ **يستطيع الانسان ان يرى الشمس عند منتصف الليل في البلاد** الواقعة شمالي الدائرة القطبية .

٧ ـ **الاثنان من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية اللذان تم اغتيالهما هما** : ابراهام لنكولن وجون كنيدي .

٨ ـ **بير كوري وماري كوري اكتشفا مادة الراديوم المشعة عام** ١٨٩٨ .

٩ ـ **المدينة التي تقع في اعلى سطح الكرة الارضية هي مدينة** لاباز **في بوليفيا .**

١٠ ـ **متوسط عدد المرات التي يتنفس فيها الشاب البالغ العادي وتحت الظروف العادية هي** ١٤ ـ ١٨ مرة .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :محمود فتحي غالب محمود/القاهرة/مصر .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :لويس فرنسيس/قضاء الحمدانية/العراق .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :حسين صالح ابو رمح/هوبا/المانيا الغربية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥دنانير فاز بها :

١ ـ **يوسف الرقام** ولاية قفصة/تونس

٢ ـ **عبد الكريم فرحان**/الاحمدي/الكويت

٣ ـ **سفيان محمد ابو طالب**/جدة/السعودية

٤ ـ **صالح عبد الله محمد الصوفي**/المنصورة/اليمن الديمقراطي

٥ ـ **عبد الله حسن بامدهان**/دمشق/سوريا

٦ ـ **عبد الحميد محمد عبد القادر**/ام درمان/السودان

٧ ـ **عبد القادر عبد الله ابو شقرة**/اربد/الاردن

٨ ـ **سلوى عيسى بهو**/صور/لبنان

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■

"بلى، ولكن ليطمئن قلبي"

بقلم : الشيخ احمد حسن الباقورى

■ بهذه الكلمات ــ ماضية مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ــ أجاب ابراهيم على سؤال رب العزة في حوار سجلته الآية الشريفة من سورة البقرة : « واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى . قال أو لم تؤمن . قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ اربعة من الطير ، فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا . واعلم ان الله عزيز حكيم » .

فهذا كتاب الله ــ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ــ يخلد هذا الحوار بين الله جل ثناؤه وبين ابراهيم عليه السلام ، مبينا ان الله قد اعطى ابراهيم سؤله آية حسية بصرية على احياء الموتى ، ينضم بها علم الضرورة الى علم الاستدلال ، من حيث كان تظاهر الادلة أسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ، ثم من حيث كان العلم النظرى أو علم الاستدلال يجوز معه التشكيك ، بخلاف العلم الضرورى الحسى البصرى فانه لا يجوز معه ذلك ، فالمقصود من طمأنينة القلب في سؤال ابى الانبياء عليه السلام انما هو محاولة الظفر بالعلم اليقيني الذى لا مجال فيه للتشكيك ، على ما يقرر ذلك الفقهاء بكتاب الله الكريم .

بهذا المقدار من المعرفة ، يسوغ للمسلم ان يستشهد العلماء المعملين على صحة القضايا الخبرية النظرية كلما أمتهدت الى ذلك طريق ، دون ان يكون في ذلك ما ينال من قدسية القرآن أو يغض من قدر الاحاديث النبوية بالغة مابلغت الثقة برواتها .

ومن هنا لا يكون عاقلا غير معقول من يستشهد التجربة الذكية في الامهات العربيات المنجبات على مبلغ الصواب في الحديث الذى أخرجه أبو داود : « لا تقتلوا اولادكم سرا ، فان الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه » .

فهذا الحديث ــ على ماترى ــ يقرر في وضوح ان الغيل الذى هو ارضاع المرأة ولدها وهي حامل او في الطريق الى الحمل ، ربما يهيج بهذا الرضيع حين يبلغ مبلغ الرجال فيكون سببا في القضاء عليه . وقد شهد بهذا المعنى كثير من الأمهات العربيات المنجبات ، وسجل شهادتهن هذه في شعر عربى اصيل ابو كبير الهذلى من شعراء الحماسة في وصفه لفتى مقدام ، لا يبالى حين يريد امرا ، وقع على الموت او وقع الموت عليه ، وهو « تابط شر » ، فذلك حيث يقول ابو كبير الهذلى :

ومبرأ من كل غبر حيضة
وفساد مرضعة وداء مغيل

فقد وصفه في هذا البيت باوصاف ثلاثة ، حمّل امه به نقية من الحيض قليله وكثيره ، مع

كونها سليمة لم تورثه داء لا يفارقه ، ثم لم ترضعه وهي حامل او في طريقها الى الحمل .

والذين يستشهدون التجربةالصحيحة او العلوم العملية على صواب المعنى في حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا ينبغى أن يعتبروا مجانبين للصواب ، من حيث كان مقصودهم من ذلك مشابها لمقصود ابى الانبياء ابراهيم عليه السلام في محاولة ضم الدليل القائم على المشاهدة المحسوسة في صواب الحديث الى الدليل القائم على صحة السند وتوثيق الرواة .

ونبادر الى القول بان مسلما ـ بالغا ما بلغت جراءته على الحق ـ لا يدور في وهمه أن ينسب الخطا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما ينسبه حيثما وجد الى رواة الأحاديث الذين يتسرعون في الرواية فينقصون ، او يتاولون فيزيدون.وبعض هؤلاء الرواة نقص وبعضهم زاد ، كما يعرف ذلك علماء الحديث .

ونضرب لذلك مثلا بروايتين لحديث رواه الرواة، وقد نقص الراوى في احداهما كلمة اختل بها المعنى حتى غضب لذلك اشد الغضب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، حيث يروى الامام ابن قتيبة في كتابه « تاويل مختلف الحديث » أن احد الرواة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « لا تاتى سنة مائة وعلى الارض نفس منفوسة ».

ولا ريب في أن الحديث على هذه الصورة غير معقول ، اذ كان معناه قيام الساعة على رأس المائة لأن الناس عند ذلك ميتون . ومن اجل ذلك غضب امير المؤمنين كرم الله وجهه أشد الغضب حين انتهى اليه هذا الحدث بهذه الرواية على هذه الصورة،فدعا بالراوى وراح يسأله ،والراوى يصر على أنه سمع ذلك من رسول الله . ولم يكن بد من أن يقول له كرم الله وجهه كلمة قارصة، ثم صحح له الحديث قائلا : انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تاتى سنة مائة وعلى الارض منكم نفس منفوسة » .

والفرق بين الروايتين ، أن راوى الحديث رواه ناقصا كلمة « منكم » فجاءت روايته غير مقبولة ولا معقولة،لا بالاضافة الى الحقيقة ، ولا بالاضافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومثل ثان نضربه ، حديث رواه مسلم عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « من اقتنى كلبا الا كلب صيد أو كلب ماشية نقص من اجره قيراطان » .

وفي رواية اخرى عن ابى هريرة انه قال : « من اقتنى كلبا الا كلب صيد او ماشية أو زرع نقص من اجره قيراطان » . فلما ذكر لعبد الله بن عمر رواية ابى هريرة بزيادة كلب الزرع قال رضي الله عنه : « يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع » .

فهذان الحديثان لا تجوز نسبتهما الى رسول الله لخطا الرواة بالنقص او بالزيادة .

اذن فنحن حين نستشهد تجربة الأمهات العربيات المنجبات ، أو علماء المعامل الثقات ، على صواب معنى حديث الفيل ، لا يدعونا الى هذا الاستشهاد الا احتمال خطا في رواية الحديث، كهذا الخطا الذى سقناه في هذين الحديثين : حديث قيام الساعة ، وحديث كلب الزرع .

على أن هاهنا حديثا اخر ترويه الكتب الصحيحة وهو يخالف حديث النبى عن الفيل وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد هممت أن انهى عن الفيل حتى ذكر لى أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرهم شيئا » .

وليس من شك في أن بين الحديث الذى ينهى عن الفيل وبين هذا الحديث اختلافا يتقاضى حقه من الجمع بينهما جمعا ينفى تناقض ما يروى عن رسول الله من حديث . وقد رجعت الى الشيخ العالم المحدث التيجانى ، فانبانى أن حديث الفيل اخرجه ابو داود ، وأن حديث الهم بالنهى عن الفيل اخرجه مسلم ، وأن الامام النووى حاول الجمع بين الحديثين جمعا غير مقنع ، ولعل هذا هو الذى جعلنى الجا الى استشهاد التجربة الذكية في الأمومة العربية ، أو العلم المعملى من العلماء الثقات .

والله من وراء القصد، والمعصوم من عصم الله.

■■

احمد حسن الباقورى



نظامُ المُحَلَّفين

نظامٌ أوربيّ عاش زماناً ، ثم أخذ في الاحتضار

بقلم : محسن عبد الحافظ

نائب رئيس ادارة الفتوى والتشريع ـ الكويت

■ كان شاب يحاكم بتهمة القتل العمد ، امام احدى محاكم الولايات المتحدة الامريكية ، والتهمة عقوبتها الاعدام ، وقد سبقتها كما هو مألوف هناك في القضايا الهامة دعاية كبيرة في الصحف والاذاعة والتلفاز ، وبعد سماع الشهود والمرافعات اختلى المحلفون الاثنا عشر للمداولة ، ليقرروا اذا كان المتهم مذنبا او غير مذنب ، حتى يصدر القاضي بعد ذلك حكمه على مقتضى هذا القرار .

كان كل محلف من هؤلاء على عجلة من امره ، كل يريد أن يفرغ من هذه المهمة بأقصى سرعة ، فهذا عمله بنتظره ، وهذا على موعد مع فتاته ، وهذا لديه صفقة قد تفوته اذا تأخر ، فسارع كل منهم الى ابداء رأيه بأنه يرى أن المتهم « مذنب » ، حتى بلغ عددهم احد عشر . وبقي لاصدار القرار موافقة المحلف الأخير ـ والقرار لا يصدر في مثل هذه الحالة وطبقا لقانون تلك الولاية الا بالاجماع ـ هذا المحلف الفرد عندما سئل عن رايه قال « لا ادري » فثارت ثائرة الباقين ، واخذ كل منهم يحاول اقناعه بأن الأدلة دامغة وأنه لا مجال للشك في أن ذلك الفتى المتهم هو الذي ارتكب تلك الجريمة النكراء ، وعلت الأصوات ، واخذ المحلف الوحيد يبسط وجهة نظره في انه غير مقتنع بالادانة ، واستمر يشرح ويشرح وسط مقاطعة الآخرين المتكررة ، فانضم اليه آخر . فلما رأى الآخرون أن لا سبيل الى اجماع على الادانة انضموا اليه واحدا اثر واحد ، فما دام الاجماع على الادانة غير ممكن فليكن اجماع على البراءة حتى يفرغوا من هذه المهمة .

هذا هو موضوع فلم سينمائي عرض منذ سنوات ، وهو جزء من حملة واسعة ضد نظام المحلفين لا في الولايات المتحدة فحسب بل في كل بلد اخذ بهذا النظام بوجه او بآخر .

فما هو نظام المحلفين هذا الذي تجرى عليه المحاكمات الجنائية ـ واحيانا المدنية في بعض البلاد ؟ .

كلمة محلف

كلمة محلف (Jury) مشتقة من الحَلِف باليمين ، ذلك أن المحلفين يقسمون اليمين على أن يؤدوا مهمتهم بالأمانة والنزاهة والحيدة التامة .

نظام المحلفين متى وكيف بدأ

وقد ارتبط هذا النظام بالبلاد الانجليزية حتى



اعتقد البعض انه نشأ في هذه البلاد ومنه أخذ عنها ، ويقولون ان اصله وارد في المادة ٣٩ من الماجنا كارتا Magna carta وثيقة الحقوق البريطانية العظمى الصادرة في عام ١٢١٥م، تلك التى تنص بانه لا يجوز حبس شخص حر، او ادانته الا بحكم قانونى يصدر من Lawful judgment of his peers على ان كثيرا من المؤرخين – حتى من الانجليز أنفسهم – ينكرون أن يكون هذا النص هو أصل النظام ، ويقولون انه لم يقصد به اصلا الى هذا المعنى ، بل قصد به محاكمة احد الأتباع في النظام الاقطاعي امام محكمة سيده . ومن ثم اختلف المؤرخون في تاريخ نظام المحلفين متى بدأ ، فقيل ان اصله يرجع الى سنة ٨٢٩ حين أمر الامبراطور لويس المتعبد Louis le pieux حاكم فرنسا والمانيا وامبراطور الغرب وخليفة شرلمان ، حين امر بان حقوق الملكية لا تثبت الا باقرار من جيران موثوق بهم بعد ان يحلفوا اليمين . ثم انتقل النظام بعد تطوره الى انجلترا نقلا عن النورمنديين ابان حكمهم ، ومنذ القرن الثانى عشر امتد ليشمل اكتشاف الجرائم والمجرمين الى جانب المسائل المدنية .

كيف كان يقضى المحلفون أحكامهم

ولسنا نرى داعيا للدخول في هذه المناقشات التاريخية وانما نكتفي بالقول بأن المحلفين كانوا اصلا أشخاصا يقضون بما يعلمون ، اى انهم يصدرون حكمهم على اساس ما يعلمونه من وقائع بعد حلف اليمين ، وكانت هيئة المحلفين تتكون عادة من اثنى عشر محلفا . ويجب أن يصدروا حكمهم بالاجماع ، فاذا لم يتم الاجماع أضيف عليهم آخرون واحدا اثر واحد حتى يبلغ عدد المتفقين على قرار اثنى عشر ، وهذا اصل هيئة المحلفين الكبرى (Grand Jury) .

نظام المحلفين حلَّ محل نظام التحقيق بالامتحان الخطر

وقد حل هذا النظام محل نظام التحقيق بالامتحان الخطر (Ordeal) الذى كان سائدا في القرون الوسطى ، وهو نظام كان يقضى بتعريض المدعي او المتهم لاختبار جسمانى محفوف بالخطر كغمس اليد في ماء مغلى ، أو الامساك بحديدة محماة ، أو المشى حافيا معصوب العينين بين شفرات محراث محماة الى درجة الاحمرار – وتعتبر نتيجة هذا الاختبار القاسي بمثابة حكم الهى بالبراءة أو الادانة . وقد الغى هذا النظام في انجلترا سنة ١٢١٥ وحل محله نظام المحلفين .

كانت ٣ هيئات للمحلفين

وكانت هناك في انجلترا ثلاث هيئات للمحلفين :

هيئة المحلفين الكبرى (Grand Jury) وهي التى تتولى التحقيق وتقرر تقديم المتهم للمحاكمة اولا تفعل .

وهيئة المحلفين الخاصة (Special Jury) وكانت تتولى قضايا معينة وتتألف من محلفين أكثر خطرا في السلم الاجتماعى .

وهيئة المحلفين الصغرى (Petty Jury) وهي التى تتولى المحاكمة .

وقد ألغيت الأولى سنة ١٩٣٣ ، والغيت الثانية سنة ١٩٤٩ (فيما عدا بعض القضايا التجارية) . ولم تبق الا هيئة المحلفين الصغرى او العادية وقد الغيت هذه التسمية سنة ١٩٤٩ فاصبحت تسمى « هيئة المحلفين » .

تعديلات في نظام المحلفين

وقد ادخل كثير من التعديلات على نظام المحلفين

بقية علاج مساوئه فاصبح لا يشترط في القرار الاجماع بالضرورة .

في انجلترة واسكتلندة

فاذا كان عدد المحلفين اثني عشر اكتفى بأن يصدر القرار بموافقة عشرة في انجلترا اما في اسكتلندا حيث تتكون هيئة المحلفين من خمسة عشر عضوا فيكفي لصدور القرار ان يوافق عليه ثمانية .

وقد اصبح مستقرا في العمل عدم الالتجاء الى المحلفين في القضايا التي تثير العواطف كالاعتداء والضرب والحبس بغير حق والقذف .

وفي الولايات المتحدة

اما في الولايات المتحدة فان نظام المحلفين قد انتقل اليها مع المهاجرين من انجلترا ولكنه اخذ طابعا مستقلا يتلاءم مع مشاعر هؤلاء المهاجرين ومعتقداتهم وأحوالهم الجديدة .فانهم وان احتفظوا بهذا النظام الانجليزي الذي أحضروه معهم الا أن نظرتهم اليه اختلفت ، فلم يأخذوا به كنظام محاكمة سليم ، بل كمظهر للحرية السياسية التي كانوا يفتقدونها في بلدهم الام . ومن ثم كان هدف المحلفين أساسا هو مقاومة الحكومة الاستعمارية في بدء الثورة الامريكية ، وعرقلة التشريعات غير المرضى عنها شعبيا اثناء ديمقراطية جيفرسون Jefferson . فقد كان الامريكيون يعتبرون مقاومة القوانين اكثر اهمية من تطبيقها . فقد كانت امريكا ملجا لكل من هو مدين او في مازق او خارج على القانون يرجو أن يبدأ حياة جديدة حيث لا يتعقبه أحد .

وقد بالغوا في توسعة سلطات المحلفين على حساب سلطات القضاة ، ويمكن فهم ذلك في هذا المجتمع الجديد الذي يتكون من اناس تركوا اوطانهم هروبا من المحاكمات السياسية والدينية التي قام فيها القضاة بدور بارز ، فجاء هؤلاء المهاجرون معهم بذكريات اليمة لما لاقوه من اضطهاد وظلم على يد مثل هؤلاء القضاة ، كما ان تصرفات بعض القضاة الاتحاديين في نهاية القرن الثامن عشر سببت كراهية عميقة نحو المحاكمة بواسطة قضاة، استمر أثرها في النظام القضائي الامريكي ، حيث لا يسمح للقضاة بالصلاحيات اللازمة التي لا يمكن بغيرها اقامة العدل في المجتمع المعاصر .

فبعض الولايات تجعل المحلفين قضاة للقانون الى جانب كونهم قضاة للواقع ، وكثير منها تسلب القضاة سلطة تحديد العقوبة في الجرائم الخطيرة وتجعل تحديد نوع العقوبة ومدتها للمحلفين .

في الدول الاوروبية

اما في الدول الأوروبية فقد أخذ بنظام المحلفين نتيجة لحركة التحرر التي اشعلتها الثورة الفرنسية ، فقد خيل للفرنسيين في ذلك الوقت ان هذا النظام باجراءاته العلنية الشفوية هو المثل الاعلى الذي يقلب نظام المحاكمات السرية القديم ، ومن ثم فرضته الجمعية السياسية بقانون ٦ ـ ٢٩ سبتمبر سنة ١٧٩١ ، وعند مناقشة هذا النظام اثناء اعداد الاجراءات الجنائية في سنة ١٨٠٨ ، كان اكبر المدافعين عنه هو القنصل الأول نابليون نفسه ، ذلك لأنه أدرك أن هذا النظام سيكون سلاحا هاما في يديه ضد الارستقراطية القديمة .

وقد انتشر هذا النظام في المناطق الخاضعة لحكم نابليون ، كما أخذ به في البلاد اللاتينية التي سارت على نهج قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي، كما انتشر في الولايات الالمانية فيما عدا قليلا منها ، رغم ما لقيه من معارضة قوية ، كما أخذ به في اسبانيا حتى ألغي سنة ١٨٧٩ ، واعيد اليها في سنة ١٨٨٨ ، وادخل في روسيا القيصرية سنة ١٨٦٤ . وقررته مجموعة قانون الاجراءات الجنائية في المانيا الصادرة سنة ١٨٧٧ في جميع أرجاء الامبراطورية . كذلك سارت عليه معظم الولايات السويسرية . على انه وجد معارضة قوية في الدول الاسكندنافية ، ولكن النرويج اخذت به سنة ١٨٨٧ ، ولكن دولا أوروبية رفضته رفضا تاما وأهمها هولندا .

تعديلات في النظام كثيرة

وقد ادخل على هذا النظام تعديلات كثيرة لتلافي عيوبه ، كما أصبح من المسلمات عدم الاخذ به في القضايا المدنية ، اما في القضايا الجنائية فهو نظام استثنائي لا يؤخذ به الا في الجرائم الكبرى . والنظام السائد هو قصره على الجنايات باستعمال هذا الاصطلاح استعمالا فنيا في دول

القارة الأوروبية حيث تقسم الجرائم الى جنايات وجنح ومخالفات . كما استبعد الاجماع فصار القرار يصدر بالأغلبية العادية كما في فرنسا ، او باغلبية الثلثين كما في المانيا . على ان العدد بقي على وجه العموم اثنى عشر يختارون بالقرعة من قائمة تعدها الحكومة ويمكن الاعتراض عليهم او على بعضهم لأسباب وباجراءات حددتها القوانين المختلفة . كما لا تاخذ كثير من البلاد الأوروبية بنظام قرار « مذنب او غير مذنب » بل يجب على المحلفين الاجابة على مجموعة من الأسئلة التي تصاغ بدقة بحيث تكون الاجابة على كل منها اما « نعم » او « لا » .

نظام في دور الاحتضار

هذا نظام زال في بعض البلاد وضاق نطاقه في بلاد اخرى وهو على كل حال في دور الاحتضار في كل مكان .

صحيح ان له بعض المؤيدين خصوصا في انجلترا ، حيث يتمسكون بالتقاليد المتوارثة ولا يوافقون على تغييرها الا بصعوبة كبيرة وعلى مدى طويل من الزمن ، ولكن حجج هؤلاء المؤيدين لا تصمد امام حجج المعارضين .

هناك قضاة يقولون انهم يجدون راحة في اشتراك المحلفين معهم في المحاكمة توزع بينهم تبعة الحكم ، خصوصا عند ما تكون العقوبة قاسية ، وهي حجة غير مقبولة اساسها ان الخطأ اذا وقع من جماعة فانه لا يزعج ضمير احد افرادها ما تقع فيه هذه الجماعة من خطأ ، اذ توزع تبعته توزيعا يجعل نصيب الفرد من ذنبه اصغر من ان يضطرب له ضميره .

وبعض المحامين يؤيدون ايضا هذا النظام ويقولون انهم اذا ما خيروا بين قاض يحكم وحده ، وقاض يحكم معه محلفون لاختاروا الأخير ، ولا شك ان سبب هذا التفضيل واضح ، فالمحلف أيسر اقتناعا باساليب المحامين من القاضي الخبير . وقد كشف عن زيف هذه الحجة احد المحامين الانجليز عند ما قال انه اذا كان مركز موكله في القضية قويا فانه يفضل ان يحكم في قضيته قاض ، اما اذا كان مركزه ضعيفا فانه يفضل ان تنظر قضيته امام محلفين !!

اما حجج المعارضين هذا النظام فواضحة القوة ، ولا شك ان سير نظام المحلفين نحو الزوال شيئا فشيئا يؤكد قوة هذه الحجج ، فعلى الرغم من التعديلات التي ادخلت على هذا النظام على مر السنين لمعالجة ما يشوبه من عيوب تسبب اليها عجزه ، فانه لا يزال عاجزا عن الثبات ، بل يمكن القول بانه بائد لا محالة في زمن قصير .

هذا النظام زال تقريبا

وقد زال هذا النظام تقريبا في القضايا المدنية ، كما أصبح معتادا عدم الالتجاء اليه في انجلترا الا في قضايا معينة كالاعتداء والضرب والاتهام بسوء قصد والحبس بغير حق والقذف ، اما في الولايات المتحدة فانه أصبح من الشائع النزول عن الحق في المحاكمة بواسطة المحلفين ، وفي بعض الولايات لا يلجأ الى المحلفين الا اذا طلب ذلك صراحة ، وفي بعضها الآخر يُحَدّ من حق الخصوم في طلب المحاكمة امام محلفين بالزامهم بجزء من النفقات ، كما ان الالتجاء الى التحكيم التجاري والتوسع في ذلك يرجع الى حد كبير الى عدم الثقة بالمحلفين ومحاولة التخلص منهم ، وكذلك توسيع اختصاص بعض المحاكم الجنائية التي لا تأخذ بنظام المحلفين اصلا جعل نظام العمل به يضيق شيئا فشيئا .

كفاية المحلفين في ريبة

واهم ما يؤخذ على نظام المحلفين ان اختيار الاثنى عشر محلفا انما يتم بطريق عشوائية ، فهو يتم اما بالقرعة ، أو بالاختيار الشخصي للموظف المختص ، واحيانا بالحروف الأبجدية ، واحيانا بمجرد وضع القلم على القائمة المرة بعد الأخرى حتى ينتقى العدد اللازم . ومع ملاحظة اعفاء فئات من الأشخاص ذوي الكفاية في العمل كمحلفين ، كالمحامين والأطباء والقضاة ورجال الدين يمكن أن نقول ان هيئة المحلفين تتكون من اثنى عشر شخصا من « متوسطي الجهل » كما وصفهم هربرت سبنسر .

فليس هناك اي ضمان لكفاية المحلفين المختارين على هذا الوجه ، فقد يكونون جهلاء او يكون قيادهم سهلا او فهمهم بطيئا او متحيزين او ذوي امزجة شاذة ، وقد يكونون اشخاصا طيبين حاذقين في مهمتهم يحسنون القيام بما اعتادوا عليه من اعمال ولكن من النادر أن يتصفوا بالصفات اللازمة للقيام بعمل عقلي في الدرجة الاولى كالقضاء ، فهم ليسوا

متعودين على الاصغاء المستمر ، وكثير منهم لا يستطيعون ادراك ما يدور حولهم لقلة معلوماتهم اللغوية وضيق مجال تفكيرهم ، وقد يكون المحلف نفسه ذا ميول اجرامية أو متأثرا بافكار معينة نحو العقوبات الجنائية كالحبس والاعدام .

المحلف لا خبرة له في وزن الأدلة

والامر المؤكد انه ليس للمحلف اية خبرة في وزن الادلة وترجيح بعضها على البعض الآخر ، ويزيد من ذلك ما يصيبه من ارتباك بسبب الاوضاع الغريبة عنه التي يصادفها في المحكمة واللغة التي لم يتعود استعمالها ، فمن النادر أن تجد محلفا سبق له أن عمل كمحلف سابق ، ولا شك ان اي عمل يستلزم لمن يقوم به رصيدا في الخبرة السابقة، فكيف نتنزل عن هذا الشرط في نظام قضائي توضع فيه حياة الناس واعراضهم وحرياتهم واموالهم في كفة الميزان ؟ .

تأثر المحلف بوسائل البث الاعلامي

يضاف الى ذلك انتشار وسائل البث الاعلامي من صحف واذاعة وتلفاز ، تنشر اخبار الجرائم، وتدخل في تفاصيلها وعلى الاخص الجرائم الكبرى، ووسائل الاعلام تنشر وجهة نظر محرريها او موجهيها ، والمحلف يقرأ ويسمع ويرى ، قبل ان يكون محلفا ، ولا شك انه كأي فرد يكون رأيا مسبقا ، ليس في امكانه أن يتخلص منه عند ما يختار بعد ذلك محلفا في نفس هذه القضية . وحتى اذا أكد للمحكمة انه لم يكون رأيا فانه لا يمكن الوثوق بكلمته ، ولذلك يلجأ كثير من المتهمين الى طلب نقل القضية من دائرة المحكمة التي وقعت فيها الجريمة الى دائرة محكمة اخرى بعيدة يعتقد أن ساكنيها اقل اهتماما بالجريمة ، وقد حدث في قضية سرقة بريد بوسطن في سنة ١٩٦٢ أن امر القاضي بنقل المحاكمة الى سان فرانسيسكو اي من اقصى شرق الولايات المتحدة الى اقصى غربها (ولكن احد المتهمين ابدى انه لا يستطيع دفع نفقات نقل الشهود والمحامين) .

كل هذه الأسباب تؤدي الى التأثير في حكم المحلف فقد يقرر ادانة المتهم دون أن يدري أنه اسس ذلك على ما سبق ان وصل الى علمه عن طريق وسائل الاعلام لا على اساس ما قدم من ادلة في المحكمة ، وقد يتحيز ضد المتهم لمجرد استنكاره لشناعة الجرم دون أن يفكر في أن هناك فرقا بين استنكاره للجريمة ونسبتها الى هذا المتهم بالذات ، كما قد يكون في مظهر المتهم او تصرفاته اثناء المحاكمة ما يجعل المحلف ينفر منه فيميل الى التقاط الادلة التي تدينه غاضا الطرف عما هو في صالحه . وعلى العكس قد ينحاز الى المتهم نظرا لانه يبدو من مظهره انه مظلوم او لأنه شخص محترم ، بل ان رأي المحلف في محامي المتهم او ممثل الاتهام قد ينتقل الى الحكم نفسه .

كثرة عدد المحلفين ليس فيها الضمان الكافي

وكثرة عدد المحلفين ليس ضمانة كافية ففي كل هيئة هناك اشخاص قادرون على قيادة الآخرين نحو هدف معين ، وقد تمت دراسة هذا عمليا وثبتت هذه الحقيقة ففي شيكاجو تبين أن ثلاثة محلفين من الاثني عشر هم الذين وجهوا المداولة التي انتهت الى الوصول الى نتيجة معينة انضم اليها الباقون .

والمحلفون المتمرنون قد يكونوا خطرين بسبب مرانهم

قلنا ان عدم خبرة المحلفين وتأثرهم بمظاهر خارجة عن القضية وعدم حنكتهم في تمييز الغث من السمين من الادلة هو العيب الاكبر في نظام المحلفين على أنه يمكن القول من ناحية اخرى ان وجود محلفين متمرنين على هذا العمل لا يقل خطورة عن عدم خبرتهم اذ سرعان ما يتملك هؤلاء الغرور ويكونون اميل الى الادانة لانهم يظنون انهم قد اكتشفوا الحيل التي يلجأ اليها الدفاع، فيتصرفون على اساس أن كل دفاع انما هو حيلة، وقد اجريت تجربة في ذلك في انجلترا ، فبعد قضية او قضيتين يميل المحلفون الى افتراض أن كل شخص يتهم امامهم مجرم عتيد .

تأثر المحلفين بظروف تحيطهم

والمحلف يتأثر بما يحيطه من ظروف ، ويخضع لما يتعرض له من ضغوط ، فقد لاحظ رجال القانون الفرنسيون أن المحلفين عندهم يسارعون

الى التبرئة في الجرائم الجنسية بينما يميلون الى القسوة في القضايا المتعلقة بالملكية . وفي ايطاليا اعطى فيرى (Ferri) وجاروفالو (Garofalo) بيانات لا تكاد تصدق عن تصرفات المحلفين في ايطاليا ، فقرارات البراءة سريعة اذا كانت التهمة هي اختلاس اموال الدولة، وفي المناطق التي تسيطر عليها عصابات المافيا والكامورا يرتعد المحلفون فزعا من سيطرة هذه العصابات فيسيرون وفق هواها .

عمل المحلف تكليف ثقيل عليه

والى جانب هذه العوامل التى تؤثر في المحلف يجب الا ننسى ان العمل كمحلف هو تكليف ، والقيام به يؤدى الى ان يعطله عن اعماله المعاشية ولا يعوضه الا اقل القليل عما يصيبه من خسارة . ولذلك فان المحلف سرعان ما يصيبه الملل فيميل الى الادانة متحيزا او التبرئة عن جهل او الانضمام الى اى قرار يؤدى الى سرعة الفصل في القضية، فالمهم هو أن ينتهى هذا التكليف الثقيل ، وكما قال احد الكتاب « ان اخر ما يفكر فيه المحلف هو الوصول الى قرار صحيح مبنى على ما قدم من ادلة » .

وتزداد الخطورة عندما يتعدد المتهمون ،فالمحلفون لا يستطيعون التمييز بين الادلة المتعلقة بمتهم وتلك المتعلقة بمتهم آخر ، اذ ليست لديه القدرة على المتابعة والتمييز والاستقصاء ، ونذكر على سبيل المثال ان المحلفين في انجلترا ادانوا متهما بين عدة متهمين ورأت محكمة الاستئناف في سنة ١٩٦١ ان الرجل اغرق في خضم من الادلة المختلفة التى لا صلة له بها لا بطريق مباشرة ولا بطريق غير مباشر ، واخذ بجريرة لم يشترك فيها بأية طريقة .

نظام المحلفين ليس سندا للحريات كما زعموا

اما القول بان نظام المحلفين هو طريقة لتدريب المحلفين سياسيا واشراكهم في الحكم وهو اساس هذا النظام اصلا ، فانه قول لا سند له ، فقد عمل بنظام المحلفين في ظل نظم سياسية مختلفة دكتاتورية وديموقراطية ، ملكية وجمهورية ، راسمالية وشيوعية ، وأيده الطغاة المستبدون لانهم رأوه صالحا للوصول الى اغراضهم .

فنظام المحلفين ليس سندا للحريات كما يقولون، بل انه في ظل كثير من النظم في الوقت الحاضر أداة طيعة للاستبداد والقهر السياسى .

قلنا ان نظام المحلفين نظام في دور الاحتضار وهو الى زوال حتمى ، وقد حاولت بعض الدول أن تحوره الى ما يسمى القضاء الشعبى (Èchevinage) وليس هذا النظام حديثا كما يبدو لأول وهلة بل هو نظام قديم باد من زمن بعيد ويراد بعثه من جديد .

ويقوم نظام القضاء الشعبي على أن يتولى القضاء رجال عاديون اما بمفردهم أو مندمجين مع قضاة ، أى أن هيئة المحكمة تتكون من قضاة دائمين وقضاة شعبيين ويشترك الجميع في المداولة واصدار الحكم ، وقد اخذ بهذا النظام في المانيا سنة ١٩٢٤ وفي ايطاليا الفاشيستية سنة ١٩٣١ وكذلك ادخل في روسيا السوفيتية حيث تتكون المحكمة من قاضي واحد واثنين من القضاة الشعبيين ويصدر الحكم بالأغلبية .

وكان هذا النظام مطبقا تطبيقا محدودا في مصر باسم « محاكم الاخطاط » والغى سنة ١٩٣٠ نتيجة لفحص أعمال هذه المحاكم واثبات ذلك في تقرير يحتوى وقائع مذهلة للتصرفات والأخطاء التي ارتكبتها هذه المحاكم ، احيانا عن عمد واحيانا عن جهل .

وقد عمل كاتب هذه السطور في ظل نظام مماثل عندما كان رئيسا لمحكمة استئناف طرابلس الغرب اذ كانت محكمة الجنايات تتكون من ثلاثة مستشارين واثنين من القضاة الشعبيين .

وعيب هذا النظام انه احد أمرين ، اما أن يكون القضاة الشعبيون أغلبية في المحكمة أو يكونوا اقلية فيها ، فاذا كانوا اقلية فلا تأثير لهم على الاطلاق ، اما اذا كانوا اغلبية فالغالب أن ينقادوا لرأى القضاة الدائمين مسلمين بانهم أكثر كفاية ومرانا ، وبذلك لا يكون لهم تأثير يذكر ويكون وجودهم في الحالتين عبثا ، ولكن الأمر يكون خطرا على العدالة والحرية اذا كان هناك تأثيرات معينة على هؤلاء القضاة الشعبيين الذين يكونون الاغلبية ، خصوصا التأثيرات السياسية أو العقائدية . ■■

محسن عبد الحافظ

صفحة في اللغة

تعابير يقرّها المجمعيّون

■ عرضنا في العدد الماضي ١٧٥ بضعة تعبيرات لم يكن يقرّ استعمالها كثير ، وجاء المجمع اللغوى في القاهرة فدرسها واقرها ، وهذه بضعة تعبيرات اخرى نعرضها هنا ، لمعرفة اساليب تخريجها ، وترويج استعمالها ، والقياس عليها ، وتعود الجراة والاستقلال في البحث والاجتهاد .

١ ـ ضبط « حدُث » في تعبير « ما قدُم وما حدُث »

ظاهرة الاتباع معروفة في اللغة العربية ، مثل « حسَن بَسَن » و « حيّاكَ الله وبيّاك » و « شيطان ليْطان » ، وهي كذلك معروفة متكررة في لهجاتنا الدارجة .

ومن العبارات الفصيحة في العربية ان يقال « جمعت من نسخ الكتاب ما قدُم وما حدُث » .

وقد اشار اللغويون الى ان « حدُث » لا تُضَم الا في هذا الموضع (على سبيل الاتباع او الازدواج) فلا يستعمل الفعل « حدُث » وحده للدلالة على الحداثة ، بمعنى ابتداء الشيء وجِدّته وطراوته .

ولم يقل اللغويون ان هناك بابين للفعل «حدث» احدهما من الحدوث، وبابه «نصَر ينصُر»، وثانيهما من الحداثة، وبابه « كرُم يكرُم»، بل اثبتوا ان باب الفعل هو « نصَر ينصُر » سواء كان مصدره الحدوث او الحداثة ثم اجاز المجمع استعمال « حدُث » مستقلا ، باعتبار تحويل الفعل الى « فعُل » لافادة المدح او الذم او المبالغة مع اشرابه معنى التعجب ، لالحاقه بالغرائز أو السجايا اللازمة لصاحبها ، واعطائه معنى الثبات، كما يقال « علُم الرجل » اى صار العِلْمُ ملازما له ، كانه سَجِيّةٌ فيه ، وقد اجاز النحاةُ في كل فعل صالح للتعجب منه أن يصاغ على فعُل ـ بضم العين ـ بالاصالة او التحويل ، اذا اريد التعجب منه مدحا او ذما او مبالغة . فنحن نقول : ما افهمه ، او ما افقهه ، او ما اثقفه ، ولذلك يجوز أن نقول : فهُم فلان ، او فقُه ، او ثقُف ، بمعنى صار الفهم او الفقه او الثقافة من ملكاته .

٢ ـ في تعبير « لمابه »

تقول « تركته لمابه » او « اتركك لما بك » بمعنى في حال كرب واعياء شديد ، ويرى المجمع ان هذا التعبير سليم واضح الدلالة ، ويمكن اثباته في المعجم دون تخريج خاص .

٣ ـ في استعمال كلمة الواسطة

معنى « الواسطة » الشيء الوسط ، فنقول « واسطة العقد » اى الحبّةُ الوسطى فيه ، وكان

شيوخنا يرفضون ان نقول مثلا « فتحتُ الباب بواسطة المفتاح » » او « سارسل اليك الكتاب بواسطة فلان » لان « الواسطة » لم تات بمعنى الوسيلة ، وكانوا يجيزون استعمال كلمة الوساطة، فيقال « فتحتُ القفل بوساطة المفتاح » اي بتوسطه بيني وبين القفل ، ثم اقر المجمع استعمال كلمة الواسطة بمعنى الوسيلة ، واستانس في ذلك باستعمال بعض النحاة لها بهذا المعنى .

٤ ــ تقدم الى فلان بكذا اى قدمه اليه ، أو طلبه أو التمسه

كانوا يقولون مثلا « تقدم السلطان الى وزيره او كاتبه او واليه او احد رعاياه بكذا » بمعنى امره به ، والامر الحقيقي لا يكون الا على سبيل الاستعلاء ، اى من اعلى الى ادنى الزاما وتكليفا ، وكان شيوخنا لا يجيزون هذا الاستعمال الا بمعنى الامر الحقيقي . واذن لم يكن جائزا عندهم ان يقال : « تقدم فلان الى زميله او الى رئيسه بكذا » لان هذا امر ، والامر لا يصدر من شخص الى من يساويه او الى من هو اعلى منه .

ولكن اجاز المجمع استعمال هذه العبارة بمعنى « قدمه اليه ، او طلبه ، او التمسه » ، وحجة المجمع ان « تقدم اليه » بمعنى دنا منه او اقترب، وانه استعمل قبل ذلك بين المتساويين ومن الادنى الى الاعلى ، فالاستعمال صحيح في كل الحالات ، ولكن اذا كان المتقدم اعلى كان معنى العبارة هو الامر (الحقيقى) .

ونحن نفرق بين صيغ ثلاث، صيغة الامر الحقيقى (وهو من اعلى الى ادنى) ، والدعاء (وهو من ادنى الى اعلى) ، والالتماس (وهو من مساو الى مساويه) . واساس التفرقة هنا هو النظر الى منزلة المتكلم من المخاطب ، فيجوز أن نقول : « تقدم وزير التربية الى زميله وزير الداخلية بالتشدد في حراسة المدارس ، وتقدم اليه وزير الداخلية بحل مشكلات الطلاب ، كي يتجنبوا الاضراب » . كما يجوز ان نقول : « تقدم الفراش الى مدير الادارة برفع راتبه » .

وعلماء البلاغة ــ حين نظروا في الامر وصيغه في علم المعاني ــ اشاروا الى هذه الصيغ « الامرية »، وانها قد تكون بمعنى الامر الحقيقي ، كقوله تعالى « اقيموا الصلاة » ، وقد يخرج الامر فيها الى معان اخرى مجازية ، مثل الدعاء . كقولنا « ربنا اغفر لنا ذنوبنا » ، او الالتماس ، كقولى لزميلى « اعرنى كتابك » ، او للتمنى حين نامر الاشياء التي لا تسمع ولا تعقل كقول المعرى « فياموت زر ، ان الحياة ذميمة » ، او قولنا «اقصفى يا رعود» ، او « اسكن يا بحر » ، او « سيرى يا سفينة » . فكل هذه الاستعمالات تتوقف على النظر في مكانة الامر من المامور ، او المتكلم من المخاطب .

٥ ــ استعمال « التقييم » بمعنى بيان القيمة

معروف في علم الصرف ان الواو ــ اذا وقعت ساكنة بعد حرف مكسور ــ قلبت ياء ، لتناسبَ الكسرة التى قبلها ، وهذه قاعدة صرفية مطردة .

فاذا صغنا من « وزْن » و « وقت » و «وعْد» اسماء على وزن مِفْعال ، نقول : ميزان، وميقات، وميعاد (ولا نقول : مِوْزان، ومِوْعاد، ومِوْقات) .

ونقول : قام ، يقوم ، قوما ، ودام يدوم دوما، وعاد يعود عودا ، ثم ــ تبعا للقاعدة الصرفية السابقة ــ نقول : قيمة ، ديمة (وهى المطر يدوم طويلا) ، وعيدا ، ونجمعها على : قيم ، وديَم ، واعياد .

والمطرد في الاشتقاق من هذه الالفاظ ونحوها الرجوع الى اصل الحرف في الفعل الثلاثي ، فاذا اشتققنا من «قيمة» نقول : قوّمت الشيء تقويما، باعادة الياء واوا كالاصل ، وكذلك نقول « دوّمت السماء » بمعنى انزلت مطرا دام طويلا » .

ولكن لوحظ ان العرب اهملوا النظر احيانا الى اصل حرف العلة هذا ونظروا الى حالته الراهنة في بعض الاستعمالات ، فقالوا « ديّمت السماء » اخذا من « ديمة » كما قالوا « دومت السماء ، مع انه لا التباس هنا يقضى بالتفرقة بين « دوم » و « ديّم » . وقالوا : « عيّد الناس » اذا شهدوا العيد ، ولم يقولوا « عوّد الناس » دفعا لتوهم انها من العادة لا من العيد .

وعلى ذلك جوّز المجمع ان يقال : « قيّم الشيء تقييما بمعنى حدد قيمته ، للتفرقة بينه وبين قوّم الشيء بمعنى عدّله » وقد جاء التعاقب بين الواو والياء المشددتين تخفيفا ، وذلك في امثلة كثيرة من كلام العرب يستانس بها في قبول ذلك . واذن يجوز ان نقول « قيمت الشيء » ، بل يجوز عندنا ان يقال « قيمت فلانا » .

(م٠خ٠ت)

زحف القارات فوق سطح الأرض

بقلم : محمد العيسى الذكير

■ ان اول من وضع الخطوط الرئيسية لنظرية زحف القارات Theory of Continental Drift هو العالم الالماني الفرد فيجنر Alfred Wegener (١٨٨٠ ـ ١٩٣٥) الذي كان عالم أرصاد جوية ، ثم كرس جهوده ما بين ١٩١٢ ـ ١٩٣٠م لدراسة الجيولوجيا .

واشكال شواطىء القارات المتقابلة هي التي اوحت اليه بفكرة زحف القارات . فمثلاً الشاطىء الغربي لافريقيا والشاطىء الشرقي لامريكا الجنوبية يبدوان وكانهما يكمل كل منهما الآخر ، اى كان القارتين كانتا متلاصقتين ثم انفصلتا .

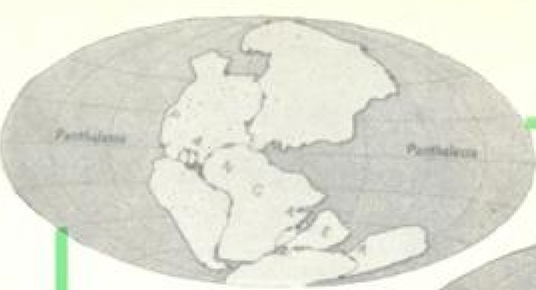
في عام ١٩١٢م نشر الفرد فيجنر نظريته التي تقول بان جميع قارات الأرض كانت متلاحمة ، وتمثل قارة كبرى اسماها Pangaea التي تعني « كل الأرض » . وخلال العصور الجيولوجية الماضية تصدعت تلك القارة الكبرى الى القارات المعروفة حاليا ، ولقد بدأ زحف القارات في اواخر ازمنة الحياة الوسطى Mesozoic اى منذ حوالي مئة وثلاثين مليون سنة . تلك كانت نظريته ولكن لم يوضح بجلاء لماذا وكيف تزحف القارات .

وفي شتاء ١٩٣٠م مات صاحب النظرية بين ثلوج جرينلاند ، ومن بعده اصبحت النظرية شبه منسية . والاكثر من ذلك ، انها عندما كانت تذكر في بعض الأوساط العلمية كانت تبدو وكانها نادرة مضحكة .

في اواخر الخمسينات وخلال الستينات بعثت النظرية من جديد وذلك لتقدم التكنية في البحوث العلمية ، وخصوصا في الدراسات التي اجريت في علم المحيطات Oceamography . ودأب علماء الأرض والمحيطات ، واخيرا لحق بهم بعض علماء الفضاء في البحث وراء صحة تلك النظرية . ولقد توصل الباحثون الى بعض الأدلة التي تؤيد صحتها ، نذكر منها :

شكل حافات القارات

ان شكل الجانب الغربي لافريقيا والجانب



الرسم « ب »
القارة الكبرى التى تجمع القارات



الرسم « أ »



الجانب الغربي لافريقيا والجانب الشرقي لأمريكا اللاتينية يكمل كل منهما الآخر

الشرقى لأمريكا اللاتينية يكمل كل منهما الآخر وخصوصا على عمق الفى متر (٢٠٠٠) تحت سطح البحر كما فى الرسم (أ) . أما القارة الكبرى التى تجمع القارات فتصورها الباحثون ، بعد دراساتهم ، كما فى الرسم (ب) ، الذى يمثل صورة تقريبية لوضع القارات .

التشابه فى التكوينات الجيولوجية

يوجد فى الهند طبقات أرضية تعرف باسم النظام الجندوانى Gondwana System وعمر هذه الطبقات يتراوح ما بين أواخر أزمنة الحياة القديمة Paleozoic والعصر الطباشيرى Cretaceous ويوجد طبقات مشابهة لها فى طبيعتها وعمرها فى كل من جزيرة ملاجاسى وجنوب افريقيا وجزر الفالكلاند Falkland Islands التى تقع غرب مضيق ماجلان ، وكذلك فى امريكا الجنوبية واستراليا والقطب الجنوبى .

والتشابه وجد أيضا فى بعض التكوينات الجيولوجية الموجودة فى غرب وشرق امريكا الشمالية .

كذلك التشابه واضح فى التكوين الجيولوجى الموجود على الجانبين المتقابلين فى كل من استراليا وقارة القطب الجنوبى .

اوجه الشبه هذه تعنى أن تلك الطبقات او التكوينات لها علاقة من حيث الأصل والمنشا ، وأنها تعرضت تقريبا لنفس الظروف الفيزيائية والكيميائية عند تكوينها . فلو لم تكن تلك المناطق متقاربة نسبيا من حيث المكان والزمان عند تكوينها لما كان ذلك التشابه . فمثلا لو لم تكن شبه القارة الهندية ملاصقة لافريقيا لما كان ذلك التشابه الواضح فى تلك الطبقات الموجودة عليهما . وقس على ذلك بقية المناطق .

التشابه فى الحفريات

الحفريات تعتبر مستندات يستند اليها علماء الارض فى معرفة عمر الصخور ، وفى المقارنات

والعلاقات بين طبقات الارض المتباعدة والتي فصلت عن بعضها بعضا اما لتصدع او لان نهرا او بحرا اخترق تلك الطبقات . وقد لوحظ ان الحفرية النباتية المسماة علميا Glossopteris وجدت في كل من الارجنتين وجنوب افريقيا والهند وغرب استراليا والقطب الجنوبي . وهذا مما يدل على ان تلك المناطق كانت متقاربة خلال الاحقاب الجيولوجية الماضية .

زحف جزيرة العرب

من الحقائق المؤكدة جيولوجيا هي ان جزيرة العرب انفصلت عن قارة افريقيا خلال العصر الثلاثي Tertiary ، ونتج عن ذلك تكوين البحر الاحمر ، الذي يعتبر ، من النظرة الجيولوجية ، بداية لمولد محيط . والبرهان الجلي على ان الجزيرة العربية وافريقيا كانتا جزءا واحدا موجود في التشابه الكبير بين التكوينات الجيولوجية للدرع العربي Arabian Shield الموجود شرق البحر الاحمر ، والتكوينات الجيولوجية للدرع النوبي Nubian Shield الموجود غرب البحر الاحمر . اما بالنسبة لاتجاه زحف الجزيرة العربية فهو الى الشمال الشرقي .

وتشير الدراسات الاخيرة ان جبال زاجروس ، التي توازي الخليج العربي من ناحية ايران والتي تمتد في اتجاه الشمال الغربي ، تكونت نتيجة الضغط الناشيء عن زحف جزيرة العرب ضد الجانب الاخر من القارة الاسيوية .

زحف شبه القارة الهندية

يدلل بعض الباحثين على زحف شبه القارة الهندية بتكوين جبال الهيمالايا . فشبه القارة الهندية انفصلت عن شرق افريقيا مع جزيرة ملاجاسي آخذين اتجاه الجنوب الشرقي ، ثم عن ملاجاسي في الاتجاه الشمال الشرقي . وعندما التحمت شبه القارة الهندية بقارة آسيا اخذت تضغط عليها في اتجاه الشمال الشرقي ، مما ادى الى تكوين جبال الهيمالايا وذلك خلال العصر الثلاثي .

تعليل الزحف

السؤال الذي يخطر الآن : ما سبب الزحف ؟ يمكن تفسير ذلك بانه يوجد في باطن الارض عدة خلايا حرارية ، يمكن تشبيه حركتها بحركة تيارات الحمل الصاعدة والهابطة . هذه الحركة توضحها التجربة البسيطة التالية : عندما نضع زجاجة فيها ماء وقليل من نشارة الخشب على نار هادئة، نلاحظ ان جزيئات النشارة ترتفع بشكل عمودي من مركز قاع الزجاجة الى سطح الماء . وقبل ان تصل السطح تاخذ بعض الجزيئات اتجاهات منحنية ثم تهبط الى قاع الزجاجة بطريق يوازي الجوانب الداخلية للزجاجة ، ثم ترتفع مرة اخرى وهكذا .

هذا نموذج مصغر ومبسط لحركة الخلايا الحرارية الموجودة في باطن الارض ، الا ان المواد التي تتكون منها تلك الخلايا عبارة عن حمم ذات حرارة عالية ، اما الطاقة الحرارية التي تغذي تلك الخلايا فانها مستمدة من باطن الارض . فحركة الخلايا الحرارية عندما ترتفع من باطن الارض وتصل الى اسفل القشرة الارضية تسحب معها جزءا من القشرة في اتجاهها الافقي . وهكذا فان عددا من الخلايا الحرارية الموجودة في باطن الارض ادت الى فصل وزحف القارات بعضها من بعض وذلك على مر ملايين السنين .

كلمة اخيرة

لقد اوردنا بعض الادلة التي تؤيد صحة النظرية وبالرغم من وجود ادلة اخرى الا ان هناك بعض الحقائق الجيولوجية التي لم تستطع النظرية ايجاد تعليلات لها . ولهذا فالبحوث والدراسات جارية ، البعض يؤيد والبعض يعارض . وعلى اى حال ، هذه سنة العلم في طريقه الى الكشف عن الحقيقة . ■■

محمد العيسى الذكير
جدة ـ السعودية



الآسيويون في أفريقية

« لهم بين الأفريقيين مشاكل حضارية واقتصادية ، وأنهم هاجروا إلى القارة الأفريقية في حماية ما كان فيها من استعمار »

بقلم : الدكتور فؤاد محمد الصفار

■ أثار طرد أوغنده للاسيويين ردود فعل واسعة النطاق بين الرأى العام العالمي ، ونشرت الصحف العربية والعالمية صورا لهؤلاء الاسيويين المطرودين رجالا ونساء وأطفالا ، وليس هدفنا هنا معالجة هذا العمل تاييدا او انكارا ، بقدر ما هو محاولة لالقاء الضوء على هذه المشكلة التي انفجرت في أوغندا ، والتي يخشى أن تنفجر في دول شرق افريقية الأخرى مثل – كينيا وتنزانيا – في المستقبل القريب .

ماذا يقصد بالاسيويين ؟

الاسيويون هم سكان القارة الاسيوية ، هذه بديهة لا تحتاج الى مزيد من النقاش ، ولكن من اى جنسية هم ؟ ان قارة آسيا تضم بين جنبيها أكثر من نصف سكان العالم ، ينقسمون الى قوميات وشعوب مختلفة ، وتنتشر بينهم اديان متباينة ، ويختلفون فيما بينهم في عناصرهم السلالية وفي اشكالهم وألوانهم ، ويتحدثون لغات عديدة ، او بمعنى آخر ان الاسيويين لا تجمع أكثرهم صفة واحدة – سوى أنهم قد أتوا من قارة آسيا – اكبر قارات العالم مساحة واكثرها سكانا .

غير أن لفظ الاسيويين في افريقية له مدلول عنصرى خاص ، فقد أصبح من الأمور التقليدية في القارة الافريقية – التي نكبت بعض اجزائها بالاستعمار الاوروبي الاستيطاني – التفرقة بين عناصر السكان الذين يعيشون هناك على اساس

عنصري وحضاري ، لا على أساس قومي او وطني ـ انسجاما مع سياسة التفرقة العنصرية التي مارستها الدول الاوروبية هناك . .

فالاوربيون هم العناصر البيضاء التي هاجرت من القارة الاوربية ، او من المناطق التي تسودها الحضارة الاوربية ، وهي العناصر التي كانت ـ ولم تزل في بعض المناطق ـ تحتكر السلطة والنفوذ السياسي والاقتصادي ، وتحتل قمة الهرم الاجتماعي ، لها كل الحقوق ، وجميع العناصر الاخرى في خدمتها .

اما سكان البلاد الاصليون فهم العناصر الافريقية او الوطنيون ، ويقصد بهم العناصر السوداء التي ـ وان كانت صاحبة الارض والوطن ـ ليس لها حقوق في اراضيها ، الا في خدمة الاوربيين في المزارع والمناجم والمصانع والخدمات المنزلية ، او العمل في الوظائف الدنيا التي يانف الرجل الابيض من العمل فيها . اما الآسيويون فهم العناصر المهاجرة من آسية ـ وخاصة من شبه القارة الهندية ـ الذين نقلوا ـ او هاجروا ـ الى هذه المناطق للعمل في الزراعات التي تحتاج الى نوع من المهارة كزراعة القطن وقصب السكر ، او كعمال لديهم بعض المهارات التي كانت تنقص العناصر الافريقية ، وهم في جميع الاحوال يقبلون الاجور الشديدة الانخفاض .

فهذا التقسيم اذن مرتبط بالتفرقة العنصرية التي مارستها الدول الاوربية في مستعمراتها الافريقية ، والتي لم تزل تمارس بصورة بشعة في جنوب افريقية وروديسية ، والمستعمرات البرتغالية في انجولا وموزمبيق ، ولذلك لم يكن عجبا أن يمارس الافريقيون بعد استقلالهم نوعا من التفرقة ضد العناصر غير الافريقية ـ وخاصة العناصر الآسيوية التي لم يكن لها من النفوذ والقوة والحماية ما كان للعناصر الأوربية .

العرب في شرق افريقيا

بدات علاقة العرب بشرقي افريقية منذ القرن الثامن الميلادي عندما هاجر التجار العرب من سواحل جنوبي شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي الى سواحل شرقي افريقية ، واحتكروا ـ قبل اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح ـ تجارة كل من شرقي آسية وشرقي الافريقية ، وتمكن العرب من حكم جزيرة زنجبار (حاليا جزءا من تنزانيا) ، كما تمكنوا من بسط نفوذهم على سواحل كينيا وتنجانيقا . ونجح العرب في نشر الدين الاسلامي في بعض المناطق الافريقية ، واختلطت اللغة العربية بلغات قبائل « البانتو » الافريقية في بعض المناطق الساحلية (اللغة السواحلية) ، كما امتزج العرب بالافريقيين عن طريق التزاوج ، ولم يمارسوا عليهم نوعا من التفرقة العنصرية ، متادبين في ذلك بآداب الاسلام ـ الذى يحرم مثل هذه التفرقة العنصرية ، ولا يعطي لعربي فضلا على غير عربي الا بالتقوى .

ولم يتوغل العرب كثيرا نحو الداخل ، بل استقروا على السواحل ، واقاموا لهم بعض الموانيء والمراكز التجارية الساحلية ، منها مدينة دار السلام في تنجانيقا التي كانت اهم ميناء على ساحل شرقي افريقية قبل وصول الاستعمار الاوربي . اما المناطق البعيدة عن الساحل فلم يصلها العرب ـ مما سبب لسكان هذه المناطق العزلة والتخلف الاجتماعي . ولا يكون العرب مشكلة في المناطق الافريقية ، اذ اصبحوا جزءا من المجتمع الافريقي ، ولم يعودوا مجتمعا منفصلا يثير الاحقاد لدى الشعوب الافريقية .

الهنود والباكستانيون

ويطلق لفظ الآسيويين في واقع الأمر على الهنود والباكستانيين الذين بدأ وصولهم بعد وصول الاستعمار الأوربي ، وزاد عددهم زيادة كبيرة في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ـ نتيجة لرغبة العناصر الأوربية المستوطنة في الحصول على عمال اكثر مهارة من العمال الافريقيين ، واقل اجرا من العمال الأوربيين ، يقبلون العمل في احط الاعمال واشقها ، ولا ينالون سوى القليل . وقد سبّب التوسع في زراعة قصب السكر والقطن والفول السوداني ، ومد السكك الحديدية وتشغيلها ، وزيادة النشاط التعديني والصناعي في جنوبي افريقيا وشرقيها ـ زيادة الرغبة في استيراد عمال من شبه القارة الهندية ، فوصل عدد كبير منهم في هجرات متتابعة ، ولولا القوانين التي صدرت بعد ذلك للحد من الهجرة الهندية لزاد عددهم كثيرا عما هو موجود في الوقت الحاضر . ويزيد عدد الهنود والباكستانيين في

جنوبي افريقية وشرقيها في الوقت الحاضر على مليون نفس ، ٦٠٪ منهم في جنوبي افريقية ، والبقية في شرقي افريقية ، ووصل عددهم في عام ١٩٦٩ الى حوالى ١٢٧ الفا في كينيا ، ٨٦ الفا في تنزانيا ، ٨٨ الفا في اوغنده ، وهناك اعداد ضئيلة اخرى في سائر الدول الافريقية ، ولكن يلاحظ زيادة عددهم نسبيا في المستعمرات البريطانية السابقة .

السياسة البريطانية وأزمة الهنود

اذا كانت اوغنده قد فجرت ازمة الهنود هذا العام ، فقد وضعت السياسة البريطانية في مستعمراتها الافريقية حجر الأساس في هذه الأزمة. ولا نعني بذلك أن بريطانيا هي السبب في جر هؤلاء الهنود من بلادهم الى هذه المناطق فحسب ، بل نعني كذلك أن بريطانيا هي التي وضعت اسس التفرقة العنصرية ضد الهنود في افريقية ، وهي التي شوهت الهنود امام العناصر الافريقية .

فمن ناحية التفرقة العنصرية لم يكن للهنود حقوق تعادل حقوق العناصر الاوربية ، بل على العكس حرم على الهنود امتلاك الأراضي الزراعية في المناطق التي كانت مخصصة للعناصر الأوربية ، كما حرم عليهم العمل في الوظائف والحرف التي كانت مقصورة على البيض ، واختلاط الهنود بالمجتمع الأوربي محرم في جنوب افريقية وروديسيا حتى الآن ، والتزاوج مع الاوربيين جريمة يعاقب عليها قانون جنوب افريقية،والحاجز اللوني كان يطبق على الهنود بصورة اشد قسوة من تطبيقه على الافريقيين في شرق افريقيا ، كما لم يكن للهنود في اغلب الدول الافريقية نفوذ سياسي او اداري .

ومن الطريف أن المهاتما غاندي ــ الذي هاجر الى جنوب افريقية في شبابه قد طبقت عليه التفرقة العنصرية ، فمنع من ركوب الدرجة الاولى في السكك الحديدية ، كما منع من ركوب العربات المخصصة للبيض ، وحرم عليه النزول في احد فنادق مدينة « جوهانسبرج » المخصصة للبيض ، وطرد من محكمة مدينة « دربان » ، وقبض عليه في مدينة « بريتوريا » لوجوده خارج مسكنه بعد الساعة التاسعة مساء، دون تصريح رسمي . وقد كافح غاندي من أجل هنود جنوب افريقية ــ ما يزيد على عشرين عاما كفاحا مريرا ، وعندما فشل في تحقيق مطالب الهنود المتواضعة بدأ في مقاومته السلبية ، او سياسة عدم التعاون كما كان يسميها وهي السياسة التي طبقها في الهند بعد رجوعه من جنوب افريقية عام ١٩١٣ .

ولقد شوه البريطانيون وجهالهنود امامالشعوب الافريقية ، فقد كانوا يستغلونهم للتجسس على الافريقيين ، ولضرب حركات العمال الافريقيين ، واستغلوهم في حرب البوير ضد كل من العناصر الافريقية والهولندية (البوير) ، وربطوهم بالاستعمار البريطاني ربطا وثيقا ، واضطر الهنود الى تمثيل هذا الدور البغيض الى قلوب الافريقيين تنفيذا لاوامر السلطة المسيطرة على وطنهم الأصلي وعلى المهجر الذى التجاوا اليه ، وتجنس بعض ذوى النفوذ والثراء في شرق افريقيا بالجنسية البريطانية ، ظنا منهم انها اضمن وابقى ، ولذلك كان كفاح الافريقيين ضد النفوذ البريطاني يعنى في الوقت نفسه الكفاح ضد الهنود ، اعوان ذلك النفوذ .

وليت السلطات البريطانية حمت الهنود ، او ابرزت جهودهم الاقتصادية ثمنا لاخلاصهم في خدمة الادارة البريطانية في افريقية ، بل على العكس زادت من تشويه سمعتهم امام الشعوب الافريقية ، فكانت اعلى الأصوات انتقادا للهجرة الهندية الى افريقيا تاتى من بريطانيا ، اليس اعضاء مجلس العموم البريطاني هم الذين وصفوا الهنود في شرقي افريقيا في عام ١٩١٩ ــ عندما قدم اقتراح لوزير المستعمرات البريطاني لوقف الهجرة الهندية الى كينيا بانهم « على مستوى حضارى واخلاقي منخفض ، وأن سياسة الاستغلال والربح تسيطر عليهم ــ دون أن تبدو عليهم أى رغبة في تطوير البلاد الاقتصادى ، او أن تكون لديهم عاطفة نحو كينيا ... » .

فاذا كان الافريقيون بعد استقلالهم قد مارسوا ضد الهنود سياسة التفرقة ، فقد تعلموها من بريطانيا ، واذا كانوا قد الصقوا بالهنود تهمة الاستغلال وعدم الولاء والوفاء ، فقد سبقتهم بريطانيا بالصاق التهم نفسها بالهنود .

مجتمع هندى قائم بذاته

ويعيش اغلب الهنود في افريقيا في المدن ،

وتتميز بعض المدن خاصة بكثرة الهنود ، فنصف هنود جنوب افريقيا يعيشون في مدينة واحدة هي مدينة «دربان» يبلغ الهنود حوالي ٤٠٪ من سكانها، كما تصل نسبتهم الى ٣٠٪ من عدد سكان مدينة دار السلام ، ويتوزعون بنسب مختلفة على المدن التجارية والصناعية الهامة في كل من جنوبي افريقية وشرقيها .

ويعمل أغلب الهنود بالتجارة وببعض الحرف الصغيرة ، ففي جنوب افريقية يعمل حوالي ٢٣٪ من الهنود بالزراعة في مزارع يمتلكها الاوربيون ، و ١٥٪ منهم بالتجارة ، و ٩٪ بالخدمات والبقية في المناجم والمصانع . وهنود شرقي افريقيا اكثر ثراء واهمية اقتصادية ، فهم يمتلكون الكثير من المؤسسات التجارية ، كما كان عدد كبير منهم يعمل بالوظائف الكتابية والخدمات ، ويكاد الهنود يحتكرون العمل في سكك حديد شرقي افريقية ، ويمتلك الهنود في شرق افريقية اغلب محالج القطن ومصانع السكر ، كما أن أغلب القوى العاملة في هاتين الصناعتين من العمال الهنود .

وعلى الرغم من أن مستوى دخل الهنود في افريقية بوجه عام اقل كثيرا من مستوى دخل العناصر الاوربية هناك ، فانه أعلى كثيرا من مستوى دخل الشعوب الافريقية . ويمكن اعتبارهم طبقة وسطى تفصل بين الاقلية الاوربية الشديدة الثراء ، والاغلبية الافريقية الشديدة الفقر . ومن شان هذه الطبقة أن تكون مكروهة من الاوربيين بسبب زيادة عددهم وزيادة نفوذهم الاقتصادى وتطلعاتهم الطبقية ، وبسبب قدرتهم على منافسة الاوربيين في كثير من الاعمال ، ومكروهة من الافريقيين الذين لم يروا في الهنود فارقا جوهريا يميزهم من الاغلبية الافريقية ، ويجعلهم يحتكرون كثيرا من المهن وخاصة التجارة الخارجية والداخلية ، ويمتلكون كثيرا من المصانع ، وينعمون بحياة اجتماعية لا يبلغها الافريقيون ، الى جانب ما يوصم عادة به الاقليات الوافدة من جشع واستغلال وتعال ومحاباة لابناء جلدتهم .

والواقع أن الهنود في افريقية ـ الذين ربطوا انفسهم بعجلة الاستعمار البريطاني اثناء سطوته ـ لم يحاولوا حتى الآن أن يربطوا انفسهم بالمجتمعات التي يعيشون بينها ، فلم يتزاوجوا مع الافريقيين ولم يزوجوهم ، ولم يختلطوا بالافريقيين ولم يسمحوا لهم بالاختلاط بهم ، بل كونوا مجتمعات هندية صغيرة متعزلة ، منطوية على نفسها ، لها مدارسها وتقاليدها ولغتها الخاصة ، ومن العجب ان أغلب الهنود لم يحاولوا تعلم لغات الشعوب التي يعيشون بينها ويتعاملون معها ، وهناك احصائية طريفة عن هنود جنوبي افريقية تظهر أن ٨٤٫٧٪ من الهنود هناك لا يعرفون أيا من اللغتين الرسميتين في جنوب افريقيا وهما اللغة الانجليزية وما يعرف باللغة الافريقية ، وأن ١٣٫٥٪ منهم يعرفون اللغة الانجليزية وحدها ، وأن ١٫٥٪ منهم يعرفون اللغة الافريقية وحدها ، وهناك فقط ٠٫٣٪ من الهنود يعرفون اللغتين اما لغات القبائل الافريقية ولهجاتها فلم يهتم الهنود اطلاقا بمعرفتها، وهل تعلم أغلب الهنود المهاجرين الى مناطق الخليج العربي اللغة العربية ؟ .

وماذا في أوغنده ؟

واذا تركنا العموميات جانبا واتجهنا الى شيء من التفصيل لتحليل بعض العوامل المسببة لأزمة الهنود في افريقية ، واخذنا نموذجا لذلك أوغندة التي اثارت هذه الأزمة على نطاق عالمي ، وجدنا ان أوغنده تعتبر أصغر دول شرقي افريقية مساحة (٩١٫١٣٤ ميلا مربعا) ومن اكثرها سكانا (٩٫٥ مليون) وازدحاما (اكثر من ١٠٠ نسمة للميل المربع في كل أوغنده ، او ما يزيد عن ١٣٠ نسمة للميل المربع ـ اذا اخرجنا مناطق البحيرات والمستنقعات) ، كما أنها من اكثر الدول الافريقية فقرا (متوسط دخل الفرد أقل من ١٠٠ دولار في العام) ، ولم تكن أوغنده تعاني من كثرة العناصر الأوربية ـ كما هو حال كينيا المجاورة ، ولكنها كانت ولم تزل تعاني من كثرة الهنود الذين وصل عددهم الى حوالي ٨٨ الفا في عام ١٩٦٩ .

وقد بدأ وصول التجار الأوربيين الى أوغنده في عام ١٨٨٨ وسيطرت بريطانيا على اقليم بوجنده عام ١٨٩٣ ، وامتدت الحماية البريطانية الى جميع المناطق التي تكون في الوقت الحاضر دولة أوغنده في عام ١٨٩٦ ، واستمرت السيطرة البريطانية حتى استقلت أوغنده بعد صراع مرير في التاسع من اكتوبر من عام ١٩٦٢ ـ بعد سبعين سنة من

الاحتلال البريطاني ، وتحولت الى جمهورية في ٨ سبتمبر عام ١٩٦٧ ، وعزل ملتون أوبوتي وحل محله في السلطة الجنرال عيدي امين في ٢٥ يناير من عام ١٩٧١ .

وقد بدأت الهجرة الهندية الى اوغنده في اعقاب الاستعمار البريطاني ، غير أن عدد الهنود قد زاد كثيرا منذ عام ١٩٢١ ، فقفز عددهم من خمسة آلاف شخص في ذلك العام الى ٣٤ الفا في عام ١٩٤٨ ، ووصل عددهم في عام ١٩٦٩ الى ٨٨ الفا ، ويقيم ٦٠٪ من هنود اوغنده في تلك البلاد باقامة دائمة ، ويحمل حوالي ٢٣ الفا منهم الجنسية الأوغندية ، ويحمل اغلب الباقي الجنسية البريطانية ، وقليل منهم يحملون الجنسية الهندية أو الباكستانية أو الافريقية الاخرى . ويعيش اغلب الهنود في المدن وخاصة في مدينة « كمبالا » العاصمة ـ حيث يكون الهنود نسبة لا تقل عن ٤٥٪ من سكانها .

وقد اثارت هذه الزيادة السريعة للهنود انتباه الأوربيين الذين لم يكن يزيد عددهم على ٢٥٠٠ في عام ١٩٤٨ ، ولا يزيد عددهم في الوقت الحاضر على ١١ الفا . كما اثار مركزهم الممتاز وكثرة عددهم انتباه الأوغنديين ، وأدى ذلك الى تحديد هجرة الهنود منذ ايام الحكم البريطاني ، ولولا ذلك لزاد عددهم زيادة كبيرة .

وكان الهنود حتى عهد قريب يسيطرون على تجارة اوغنده ، ويقدر أن حوالي ٩٠٪ من تجارة البلاد كانت في يد التجار الهنود ، كما كان كثير منهم يعملون بالزراعة ، وكانت الجالية الهندية تمتلك ما يزيد على ١٥٠ الف فدان يزرع اغلبها بالقطن وقصب السكر . وكان لنجاح زراعة القطن ما شجع على مزيد من الهجرة الهندية ، وكان ٦٠٪ من القطن الاوغندي يصدر الى الهند ، ويقوم الهنود بتصدير اغلب الكميات المصدرة . ويمتلك الهنود اكبر عدد من محالج القطن في البلاد ، وقد قدر انه في عام ١٩٤٨ مثلا كان في أوغنده ١٩٥ محلجا ـ منها ١٢ محلجا يمتلكها الأوربيون ، ٥ محالج يمتلكها الافريقيون ، والباقي ـ ١٧٨ محلجا يمتلكها الهنود . وكان امتلاك الهنود لاغلب محالج القطن في البلاد مثار احتكاك بين الهنود والافريقيين ، ومجال الشكوى من جانب العناصر الاوغندية . وقد حاولت الادارة البريطانية معالجة الأمر بانقاص عدد محالج القطن التي يمتلكها الهنود ، وزيادة مشاركة الجمعيات التعاونية الافريقية في هذه الصناعة عن طريق شراء بعض المحالج الهندية ، ولكن ذلك لم يتم بسبب معارضة الهنود ، ونشأ صراع طويل بين الافريقيين والهنود على هذه الصناعة الحيوية ـ الى جانب الصراعات الاخرى العنصرية والاجتماعية والقومية والاقتصادية . وتركت بريطانيا اوغنده والهنود يسيطرون على هذه الصناعة ، والأوغنديون يتحينون الفرص لتصفية حساباتهم القديمة مع العناصر الهندية . ولسنا في حاجة هنا الى تكرار طبيعة المجتمع الهندي الانعزالي الذي لم يختلط بالعناصر الاوغندية ، والذي ارتبط ارتباطا تاما بالادارة البريطانية ـ حتى ان الاغلبية العظمى منهم قد فضلت التجنس بالجنسية البريطانية على التجنس بجنسية البلاد التي يعيشون فيها وينعمون بخيراتها .

وماذا بعد ؟

ولقد كان من المتوقع ـ وأحوال الهنود في افريقية كما أشرنا ـ أن تحاول الدول الافريقية الحديثة الاستقلال ـ التقليل بقدر الامكان من النفوذ الاقتصادي الهندي ، بعد أن تضاءل النفوذ السياسي البريطاني ، وأن تعيد المجتمعات الهندية في افريقيا الى الحجم الذي تعده معقولا ، وأن تعطي للمجتمعات الافريقية ما حرمت منه طوال سنوات الاستعمار السابقة ، وأن تصفي حساباتها القديمة مع العناصر التي استغلتها والتي سببت لها القهر والهوان . واذا كانت اوغنده هي أول دولة افريقية تقوم بذلك ، فلن تكون آخرها . صحيح أن الهنود قد قدموا الكثير من التطور الاقتصادي للدول الافريقية التي عاشوا فيها ، ولكنهم اخفقوا في تقديم بعض اللمسات الانسانية التي كانت الشعوب الافريقية في أمس الحاجة اليها ، وهي تتخبط في ظلام الاستعمار الدامس .

■■

فؤاد محمد الصقار

أستاذ الجغرافيا بجامعة القاهرة
والمعار بجامعة الكويت

الإسلام والملكية

بنوعيها الخاصة والعامة

بقلم : الدكتور محمد شوقي الفنجري

■ جاء الاسلام فاقر الملكية الخاصة (الفردية) وحماها ، معلنا أن (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله) ، وانه (من قتل دون ماله فهو شهيد) ، وذلك باعتبار هذا المال ثمرة العمل والمجهود الانسانى . ولعل من ابرز صور هذه الحماية قطع يد السارق ، وتنظيم الميراث سواء في صورة اموال استهلاك أو اموال انتاج .

ولكنه الى جانب ذلك،لم يطلق الملكية الخاصة، بل وضع عليها قيودا عديدة للمصلحة العامة احالتها الى مجرد وظيفة اجتماعية ، ولعل ابرز هذه القيود :

● عدم احترام الملكية الخاصة الا بعد ضمان حد الكفاية لكل فرد .

● عدم السماح بالملكية الخاصة في بعض المجالات، كارض الحمى ، والأراضي المفتوحة ، والمعادن في باطن الارض .

● ان يكون اكتساب الملكية الخاصة مشروعا بعيدا عن الربا او الاحتكار أو أى ضرب من ضروب الاستغلال .

● ان تؤدى الملكية الخاصة كافة التزاماتها واخصها التزام الزكاة ، والتزام الضرائب والانفاق في سبيل الله .

بل لقد قيد الاسلام الملكية الخاصة حتى في استعمالها ، مما قد لا نجد له مثيلا في كافة النظم الاقتصادية الوضعية،راسمالية كانت أو اشتراكية. ومن قبيل ذلك ان المسلم ليس حرا في استعمال ماله كيفما شاء ، فهو لا يستطيع ان يكتنز ماله او يحبسه عن الانتاج ، كما لا يستطيع أن يصرفه على غير مقتضى العقل ، ، والا عد سفيها وجاز الحجر عليه .

كذلك جاء الاسلام فاقر الملكية العامة (الجماعية) سواء في صورة ملكية الدولة للاراضي التى لا مالك لها (الموات) او في صورة ملكية الدولة للمعادن في باطن الارض ، أو في صورة المرافق الاساسية

كالمياه والكهرباء او القوت الضروري كالملح وما يقاس عليه . بل لقد استحدث الاسلام صورا جديدة من الملكية العامة لم تكن معروفة من قبل ، ومن قبيل ذلك المساجد ، ونزع الملكية الخاصة من اجل توسيعها ، والوقف الخيرى ، وارض الحمى .

الا ان الملكية العامة بدورها ، شان الملكية الخاصة ، ليست مطلقة بحيث لا يستطيع الشارع الاسلامى ان يوسع او ان يضيق في نطاق الملكية العامة حسبما شاء ، وانما مرد ذلك المصلحة العامة (١) .

وعليه نرى ان الدولة تلتزم بالقيام بكل نشاط اقتصادى يعجز عنه الافراد كالصناعات الثقيلة ومد السكك الحديدية ، او يعرضون عنه : كاستصلاح الاراضي البور واستغلال الصحراء ، او يقصرون فيه او ينحرفون به : كاستغلال المدارس او المستشفيات الخاصة .

وخلاصة ما تقدم ان الاسلام اقر منذ اربعة عشر قرنا الملكية المزدوجة الخاصة والعامة في وقت واحد ، وتميز موقفه في هذا الخصوص بأمرين اساسيين :

اولاهما : ان الملكية الخاصة ، والملكية العامة، كلتاهما اصل وليست استثناء .

ثانيهما : ان الملكية الخاصة والملكية العامة ، كلتاهما غير مطلقة بل هى مقيدة بالمصلحة العامة وتلك المصلحة التى اعتبرها الاسلام حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق .

ونوضح ما تقدم في فرعين مستقلين :

الفرع الاول : في الملكية الخاصة (الفردية) .

الفرع الثانى : في الملكية العامة (الجماعية) .

الفرع الاول : الملكية الخاصة

١ ــ اقرار الملكية الخاصة وحمايتها :

اقر الاسلام الملكية الخاصة باعتبارها ثمرة العمل والمجهود الانسانى وكان من ابرز صور هذه الحماية :

اولا : قطع يد السارق : بقوله تعالى :

« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ــ المائدة / ٣٨ » . وتشدد الاسلام في تنفيذ حد السرقة اذ روى ان اسامة بن زيد ــ وكان من احب الناس الى الرسول ــ جاء يشفع في فاطمة بنت الاسود المخزومية ، وكان قد وجب عليها حد السرقة ، فانكر عليه الرسول ذلك وانتهره قائلا : « اتشفع في حد من حدود الله ». ثم قام فخطب في الناس بقوله « انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق القوى تركوه ، واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وجدير بالذكر ان الشارع الاسلامى وان كان قد تشدد في حد السرقة قطعا لدابر هذه الجريمة، فقد تشدد ايضا في شروط تطبيقها ، وانه يوقف حد السرقة في حالات المجاعة او الازمات العامة التى لا يتوافر فيها حد الكفاية للمواطن .

ثانيا : اجازة الميراث وفقا لنظام معين : يكفل توزيع التركة توزيعا عادلا على عدد كبير من اقارب المتوفى ويحول دون تجمعها في يد فرد معين . كما انه لا يجيز الوصية الا في حدود الثلث ، ولا تجوز لوارث الا باذن الورثة . ويتشدد الاسلام في قواعد الميراث ، فيعقبها بقوله تعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ، يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ــ النساء ١٣ــ١٤).

وفي هذا يتميز الاسلام عن كثير من النظم التى تجعل الميراث لأكبر الابناء، او تحرم بعض الاقارب، او تدع المالك حرا في ان يوصي بتركته لمن يشاء .

٢ ــ قيود الملكية الخاصة :

اوضحنا ان الملكية الخاصة في الاسلام ليست مطلقة ، بل هى مقيدة ، وانها في حقيقتها وظيفة اجتماعية . ولقد اشرنا الى اهم هذه القيود ، ولسنا هنا بصدد شرحها .

ولكن يهمنا هنا ان نزيل لبسا ينشأ بالنسبة لأحد هذه القيود . ذلك ان الاسلام ــ اذ كفل

(١) وهو ما يعبر عنه الفقهاء بقولهم (ان الامام مخير فيها ، تخيير مصلحة لا تخيير شهوة) .

الانتفاع بالملكية الخاصة ـ أوجب عليها التزامين اساسيين ، هما التزام الزكاة والتزام الضرائب والانفاق في سبيل الله . وهذان الالتزامان كل منهما مستقل عن الاخر ، ولا يغني احدهما عن الاخر ، وذلك لسببين اساسيين :

اولاهما : قوله تعالى « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ البقرة/٨٣) وقوله تعالى (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ـ البقرة /١٩٥) ، وسبيل الله هو سبيل المجتمع وهو المصلحة العامة .

وقد روى أن الرسول قال (ان في المال حقا سوى الزكاة) ثم تلا قوله تعالى « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المـــال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة ـ البقرة/١٧٧ » وهذا الفصل في الآية الكريمة بالصلاة بين الانفاق والزكاة دليل على الاختلاف بين الانفاق والزكاة ، كما ان النص على كل من الانفاق والزكاة على حدة في آية واحدة قاطع بان كليهما يختلف عن الآخر وانهما فريضتان مختلفتان .

ثانيهما : ان حصيلة الزكاة مخصصة لفئات معينة تجمعها صفة الحاجة ، سواء كانت هذه الحاجة بسبب الفقر (الفقراء والمساكين) ، أو بسبب الرق (وفي الرقاب) أو بسبب ظروف طارئة (كالغارمين وابن السبيل) فلا يجـــوز الانفاق من حصيلتها على الجهاز الادارى للدولة او تمويل الانفاق العام الحكومي منها ، وانما ينفق على ذلك من موارد الدولة الاخرى حينئذ كالجزية واجرة الخراج التى تمثل حصة الدولة في عائد الاراضي الخراجية المملوكة ملكية عامة (جماعية) .

وفي فجر الاسلام كانت الدولة الاسلامية تحصل ـ الى جانب فريضة الزكاة ـ ضرائب اخرى ، كضريبة عشور التجارة . وهذه ضريبة جمركية يؤديها المسلم والذمى على السواء عن الداخل والخارج من السلع والبضائع ، وقد سميت كذلك باعتبار تحديدها قبل الاسلام بمقدار العشر (المكس) ، وانه في عهد عمر بن الخطاب نظمت هذه الضريبة الجمركية سواء من حيث نصابها او قدرها او كيفية تحصيلها ...

الفرع الثاني : الملكية العامة

١ ـ اصطلاح الملكية العامة (او الملكية الجماعية)

يراد باصطلاح الملكية العامة Propriété Publique تخصيص المال للمنفعة العامة ، وذلك في مقابلة الملكية الخاصة Propriété Privée التى ينفرد بالانتفاع بهـا فرد معين على وجــه التخصيص والتعيين ، ويعبر عنها ايضا باصطلاح الملكيـة الجماعية Propriété Collective في مقابلة اصطلاح الملكية الفردية Propriété Individuelle .

ويشمل اصطلاح الملكيـة العامـة او الملكيـة الجماعية ، على النحو المتقدم عدة صور ، ومن قبيل ذلك :

ـ ملكية الدولة او القطاع العام .

ـ ملكية الجماعة كما هو الشان في يوغوسلافيا فملكية المصنع او المزرعة للعاملين فيها هو بهذه الصفة لا بصفتهم الشخصية .

ـ ملكية المجتمع وهي الملكية الشائعة كالشوارع والانهار والمعابد والكنائس والمساجد التى يتمتع افراد المجتمع بحق متساو في استخدامها والانتفاع بهـا .

ـ الملكية التعاونية .

٢ ـ الاسلام يقر صورا قائمة للملكية العامة :

اقر الاسلام صورا للملكية العامة كانت معروفة من قبل ، اهمها :

اولا ـ ملكية الارض التى لا مالك لها ، والمعادن في باطن الارض فهى شرعا في الرأى الراجح مـلك للدولة او الجماعة . فلا يجوز للافراد ان يمتلكوها نظرا لاهميتها ، وعدم التوافق بين الجهد المبذول فيها والناتج الذى يحصل منها .

ولاشك ان للدولة ان تقطع هذه الاراضي او تلك المعادن ، اقطاع تمليك او اقطاع تأجير حسب الاحوال ، وفقا لما تضعه من شروط .

ثانيا ـ ملكيـة المرافق الاساسية كالميـاه او الكهرباء ، وضروريات الحياة كالاقوات فانها تكون ملكية عامة استنادا الى قول الرسول (الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلا والنار) وفي حديث آخر (الملح وما يقاس عليه) .

فهذا النص يعني في نظر بعض الباحثين (٢) ان كل ما كان ضروريا لحياة الناس مجتمعة ، لا يصح ان يكون محلا لملكية خاصة ، بل تستقل به الدولة او الجماعة .

٣ ـ الاسلام يستحدث صورا جديدة للملكية العامة :

بل لقد استحدث الاسلام صورا جديدة من الملكية العامة ، لم تكن معروفة من قبل ، ومن قبيل ذلك :

اولا ـ المساجد فهي اموال عامة ، ويجوز نزع الملكية من أجل توسيعها . فحينما ضاق المسجد الحرام امر عمر بن الخطاب بشراء ما حوله من دور ، فرضي بعض وأبى بعض ، فاخذها عمر بن الخطاب جبرا من اصحابها ووضع قيمتها بخزانة الكعبة ليأخذها اصحاب الدور ، وقال لهم (انما نزلتم على الكعبة وهذا فناؤها ، ولم تنزل الكعبة عليكم) .

وجدير بالذكر ان المساجد في الاسلام ليست كالكنائس مجرد اماكن لاقامة الشعائر الدينية ، ولكنها اساسا مصدر للتوعية والتوجيه والمشاركة الشعبية في بناء المجتمع . فيروى ان الرسول قصد ذات مرة المسجد فوجد في ناحية قوما يذكرون الله ، وفي ناحية أخرى مجلس علم ، فقال هذا خير وهذا خير ولكنني بعثت معلما ، واختار مجلس العلم . بل لقد كان مصير الامة الاسلامية يقرر في المسجد ، وفيه تتمثل فكرة المشاركة الشعبية في الحكم ، وتصدر عنه أخطر القرارات السياسية .

ثانيا : أرض الحمى فقد حمى الرسول ارض النقيع لرعي خيل المسلمين (والنقيع موضع معروف بقرب المدينة) كما حمى عمر بن الخطاب اراضي الربذة والشرف (وهما موضعان بين مكة والمدينة) .

والحمى هو أن يحمي الامام جزءا من الارض الموات المباحة لمصلحة المسلمين دون أن تختص بفرد معين منهم . وهذه الحماية لا تعدو أن تكون اقرارا للملكية الجماعية وانشاء لها في الاسلام ، اذ تصير الارض ملكا لجماعة المسلمين في سبيل منفعة عامة لهم .

ويلتبس الامر لدى بعض الكتاب حين يصورون الحمى بأنه نوع من التأميم ، ذلك ان الحمى ليس انتزاعا للحق من اصحابه بغير رضاهم وانما هو منع الافراد من احياء الارض المباحة ، ونقل ملكيتها الى الجماعة ، فارض الحمى لم تكن مملوكة لاحد ملكية خاصة ، وانما هي اصلا ملكية عامة في صورة ملكية الدولة ، وقد ظلت كذلك ملكية عامة ، وانما في صورة أخرى هي ملكية الجماعة .

ثالثا : الوقف الخيري فقد اصاب عمر بن الخطاب ارضا جيدة بخيبر ، وجاء الى رسول الله قائلا (اصبت أرضا بخيبر لم اصب مالاقط انفس عندي منها ، فما تأمرني ؟) فقال له الرسول « ان شئت حبست اصلها (أي العين) وتصدقت بها (أي المنفعة) » فاشهد عمر على حبسها ، لا تباع ، ولا توهب ، ولا تورث ، ومنفعتها صدقة مؤبدة للسائل والمحروم ، وعلى منواله صار المسلمون يوقفون اموالهم لمصلحة المساجد والمدارس والمستشفيات ونحوها من وجوه البر والخير .

فالوقف هو اخراج المال من ملك صاحبه باختياره ، الى ملك الله تعالى ، أي ملك الجماعة . وهو لا يكون الا خيريا أي للمنفعة العامة بداية ونهاية . اما الوقف الاهلي فالذي يكون لمصلحة من يختاره المالك ، وتنتقل منفعة الوقف الى ذرية الموقوف عليهم ، حتى اذا انتهى العقب يكون لجهة بر لا تنقطع ، فهو على الرأي الراجح مخالف لتعاليم الاسلام ، اذ ينطوي على تحايل واخلال بقواعد الميراث ، فضلا عن أنه يؤدي الى تجميد الثروة ، وحبسها عن التداول الطبيعي ، وانه بمرور الزمن يتعدد المستحقون في الوقف الواحد ، وبالتالي يقل نصيب كل منهم فيهمل لعدم امكان التصرف فيه ، بحيث يصبح مثل هذا الوقف عاملا معوقا للاقتصاد القومي . وقد اصاب الشارع المصري حين عمد الى ابطال الوقف الاهلي بالقانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ .

٤ ـ الملكية العامة في العهد الاسلامي الاول :

ولا شك أن طبيعة المرحلة التاريخية التي ظهر فيها الاسلام ، وما لازمها من ضعف النشاط الاقتصادي ، فضلا عن قوة الوازع الديني ومراعاة

---

(٢) انظر على سبيل المثال :

ـ فضيلة الاستاذ الشيخ علي الخفيف ، الملكية الفردية وتحديدها في الاسلام كتاب المؤتمر الاول لمجمع البحوث الاسلامية مارس سنة ١٩٦٤ ، ص ١١٢ .

ـ والدكتور علي عبد الواحد وافي ، التكامل الاقتصادي في الاسلام ، كتاب المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية مارس سنة ١٩٧١ ، ص ١٤١ .

المصلحة العامة تلقائيا ، لم تكن تتطلب التوسع في مبدأ الملكية العامة (٣) . على انه منذ قيام دولة الاسلام في اواخر ايام الرسول ، ثم اتساعها في عهد الخليفة ابي بكر ومن بعده عمر بن الخطاب ، وما صاحب ذلك من زيادة في موارد الدولة واتساع النشاط الاقتصادي وظهور مشاكل اقتصادية جديدة ـ وجدنا تطبيقات عديدة لا سيما في عهد عمر بتوسع بمقتضاها في اعمال مبدا الملكية العامة.

ومن قبيل ذلك الاراضي المفتوحة ، فانه بفتح الشام والعراق ، ثار الجدل لاول مرة حول ملكية هذه الاراضي ، وطالب المحاربون بقسمتها عليهم ، بدعوى انها تاخذ حكم الغنائم . وحكم الغنائم معروف ، وهو تقسيمها بين المحاربين بعد اعطاء الخمس لبيت المال ، استنادا الى قوله تعالى « واعلموا اذا غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » الانفال ٤١ . ورأى عمر بن الخطاب ان ذلك سيؤدى الى استئثار اقلية بثروة كبيرة ، مما يؤدى الى اختلال التوازن الاقتصادي بين افراد المجتمع . فجمع عمر بن الخطاب اهل الحل والعقد بما فيهم الصحابة ، واوضح لهم وجهة نظره بان حكم الغنائم هو في الاموال المنقولة بخلاف الامر في الاراضي المفتوحة ، فهي اموال عقارية لا ينفرد بها المحاربون ، بل هي ليست ملك الامة الاسلامية في جيلها الحاضر ، بل في اجيالها المستقبلة ايضا ، وبالتالي فانه لا يجوز توزيعها على احد . وقد كانت نتيجة هذا النقاش ان اجمع الراى بان تكون هذه الاراضي باعتبارها اموالا عقارية لا تاخذ حكم الغنائم ، بل تكون ملكية جماعية للمجتمع الاسلامي كله ، وما بقاؤها في ايدى واضعي اليد الا من قبيل الانتفاع في نظير خراج .

الخلاصة :

ان الاسلام ، منذ اربعة عشر قرنا ، قرر الملكية المزدوجة الخاصة والعامة في وقت واحد ، وكلتاهما اصل" وليست استثناء وكلتاهما ليست مطلقة، بل هي مقيدة بالمصلحة، بحسب ظروف الزمان والمكان.

وهنا يتميز الاقتصاد الاسلامي ، من الاقتصاد الراسمالي ، والاقتصاد الاشتراكي :

ففي الاقتصاد الراسمالي : الاصل هو الملكية الخاصة ، والاستثناء هو الملكية العامة ، اذا اقتضت الظروف تاميم نشاط معين للملكية الخاصة. فالملكية الخاصة هنا مقدسة ، او هي الباعث على النشاط الاقتصادي ، وجوهر الحياة .

وفي الاقتصاد الاشتراكي : الاصل هو الملكية العامة ، والاستثناء هو الملكية الخاصة لبعض وسائل الانتاج ، يعترف بها النظام بحكم ضرورة اجتماعية . فالملكية الخاصة هنا غير مصونة ، اذ هي في نظره سبب كل المشكلات الاجتماعية .

اما الاقتصاد الاسلامي : فهو يعترف بنوعي الملكية ، وبصورة مختلفة ، فالملكية الخاصة مقيدة بعدة قيود تحيلها الى مجرد وظيفة اجتماعية ، والملكية العامة مقيدة كذلك بقدر ما تطلبه حاجة المجتمع ، وهذا الامر يضيق او يتسع بحسب ظروف كل مجتمع .

وعليه فقد تتوسع احدى الدول الاسلامية في الملكية العامة، فلا يحيلها ذلك الى دولةاشتراكية، او تضيق من دائرة الملكية العامة ، فلا يحيلها ذلك الى دولة راسمالية ، طالما كانت ظروفها تقتضي هذا التوسع او التضييق . ■■

د . محمد شوقي الفنجرى

المستشار بمجلس الدولة ، والاستاذ المنتدب بجامعة الازهر ـ القاهرة

---

(٣) انظر فضيلة الاستاذ الشيخ علي الخفيف ، المرجع السابق ، الملكية الفردية وتحديدها في الاسلام ، ص ١٢٥ حيث يذكر انه في عهد الرسول « كانت الثروة العامة للمسلمين ضيقة الحدود ، قليلة المقدار في جملتها بالنسبة الى ثراء غيرها من الامم الاخرى المعاصرة لها ، وكانت اهم مصادرها ضعيفة هزيلة .. وكان توزيع الثروة بينهم لضآلتها قريبا الى ان يكون متعادلا ، اذ كانت موارد رزقهم لا تعدو في الغالب ان تكون عطاء من غنائم او من زكاة تقسم بينهم وقد كانوا فيه متساوين ... ولم يعرف منهم بالثراء الواسع الا عدد قليل منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وهم الذين اكبوا على التجارة والعمل فيها ، ومع هذا فقد كانت استجابتهم لدواعي البذل والانفاق في سبيل الله على اختلاف وجوهه استجابة سريعة قوية كريمة وكانوا يسارعون الى الخروج عن جزء عظيم من اموالهم ثلثها او نصفها بل قد يبذلونها جميعا وذلك على حسب الحاجة ومقتضى الداعية وليس انفاقهم في هذه الوجوه بالامر المجهول .. من هذا يرى انه لم يكن في عهد الرسول من داعية من مصلحة او ضرورة تدعو الى النظر في دفعها بتحديد الملكية في مقدارها » .



دراسة الطفل

« كل طفل له مجموعات من صفات وكفايات هي لـه وحده. وقد تتفق اختبارات الذكاء والقياس في الاطفال ، ومع هذا يظلون مختلفين في الكفايات والمواهب » .

بقلم
الدكتور فاخر عاقل

■ لا نستطيع ان نقول عن طفل ـ اى طفل ـ انه مجموعة سمات وصفات واهتمامات ومُثل عليا . والاصح ان نقول عن كل طفل انه عضوية Organism وحيدة من نوعها وغير قابلة للانقسام ، ولذلك فلا بد من دراستها وقدرها بصورة منفصلة عن سواها . ولقد كتب احد علماء النفس المختصين بالشخصية ودراستها يقول في معرض الحديث عن الحاجة الى الدراسة الفردية : « الطريقة الوحيدة للتنبؤ عن النتائج من الاسباب هي دراسة الحياة التي تعمل فيها الاسباب وليس مئات الحيوات الاخرى » .

ولذلك فان هذا المقال سيعنى بابراز الحاجة الى دراسة الطفل الفرد ، ويشير الى بعض مصادر المعلومات التي تتاح للمعلم وغيره من المهتمين

بالطفل والى الطرائق والوسائل التي يستعملها المعلمون وعلماء النفس ويفيدون منها في دراسة الطفل .

الحاجة الى دراسة الطفل

تتجلى الحاجة الى دراسة الطفل بصورة خاصة في الحالات التي يصدر فيها المعلم احكاما عن الطفل ويتخذ اجراءات بحقه دون ان يستكمل معلوماته عنه . وفيما يلي حالتان تشيران الى ما نقصد .

ففي الحالة الاولى كان المعلم يعطي اختبارا محدد الوقت ، وقد اخبر الطلاب ان عليهم جميعا ان يبدؤوا حين يقول لهم (ابدا) . وحين اعطى اشارة البدء لاحظ ان الطلاب جميعهم قد بدؤوا باستثناء طالب واحد تأخر بضع ثوان . وقد اوقف المعلم الاختبار ، ثم اعاده مرة ثانية قائلا (ابدا) ولكن الطالب نفسه تأخر مرة ثانية في البدء مما اثار غضب المعلم ودفعه الى صفع الطالب . لكن فحصا طبيا أجري لهذا الطالب فيما بعد اظهر انه نتيجة لمرض كان قد اصيب به ، يسمى بردود الافعال المؤخرة ، ومعنى ذلك ان الطالب عاجز عن الاستجابة حالا بالنسبة لكلمة (ابدا) مهما حاول وبذل من جهد .

اما الحالة الثانية فقد كانت حالة طالبة اتهمت بالسرقة من علب الطعام التي تحضرها رفيقاتها معهن . وقد دلت البحوث التي اجريت على ان كمية كبيرة من الشطائر والفواكه كانت مخبأة في مخبأ في قبو المدرسة وان التي خبأتها هي هذه الطالبة . وقد غضبت المعلمة غضبا شديدا وطردت الفتاة من المدرسة . ولما عرضت الطالبة على عيادة نفسية دلت الدراسة على ان الفتاة فقيرة وتعاني من سوء التغذية ، وان طعامها لم يكن يزيد على شرائح الخبز وبعض الملحات وان الفتيات الاخريات كن يسخرن منها ، وان هذا كان يدفعها الى اخفاء طعامهن ، ولما سئلت عن السبب الذى حدا بها الى عدم اكل الشطائر والفواكه التي اخذتها من علب رفيقاتها قالت : « اني لن اكل طعامهن ، ان هذا سرقة » .

كل طفل وحيد من حيث نوعه

بالرغم من اشياء مشتركة كثيرة توجد بين الناس فان ثمة ما يؤكد ان كل انسان وحيد من حيث نوعه . ان الاطفال الذين لهم حاصل الذكاء (نسبة الذكاء) نفسه قد يكونون مختلفين اختلافا كبيرا في سماتهم الاخرى كما يكونون مختلفين اختلافا اساسيا في توزع قدراتهم وقابلياتهم . ومثال ذلك ان طفلين قد يكون لهما حاصل ذكاء قدره ١٢٠ (بحسب اختبار ستانفورد – بينه) ومع ذلك فان واحدا منهما قد يكون قارئا ممتازا في حين ان الاخر لا يقرأ اطلاقا . وقد يكون لواحد من هذين الطفلين قدرة موسيقية ممتازة في حين ان الاخر لا يتمتع باية قابلية موسيقية . اضف الى ذلك انه بالنسبة لاختبار الذكاء نفسه فقد يحصل احد الطفلين على درجة عالية بالنسبة للجزء الخاص بالذاكرة في حين ان الاخر يسجل درجات عالية بالنسبة لحل المشكلات . وحتى التوامان المتماثلان قد يكون لكل منهما شخصية مختلفة عن شخصية توامه ، وحين يربى التوامان المتماثلان مفترقين فان طبعهما وشخصيتهما يختلفان اختلافا كبيرا .

للاطفال مشكلات فردية

احسن طريقة للجواب على السؤال : لماذا يتصرف هذا الطفل على هذا النحو ؟ هي دراسة هذا الطفل المعين – يقول احد علماء النفس – « ان الطفل المعضل هو طفل له مشكلة لم تحل .» ان مثل هذا الطفل ومثل تلك المشكلة امران وحيدان من نوعهما . وفيما يلي حالة لحدث عاني مشكلة وامكن بدراسة حالته الخاصة ان تساعده على حل مشكلته حلا مرضيا .

لقد كان للصبي الذى كان له من العمر سبعة عشر عاما عمر عقلي قدره ١٤٫٣ ، وحاصل ذكاء قدره ٨٩. وقد كانت نتائج اختباراته في المفردات وفهم ما يقرأ والمحاكمة الرياضية واللغة والمجموع غير مرضية تماما . وقد دلت مقابلات هذا الصبي المكثفة على انه يملك قدرة على الرسم عالية ، وعلى انه يريد ان يدرس تصميم ازياء النساء ، وانه كان يتردد في اعلان ذلك . وبتشجيع من المعلم بدأ يضع تصميمات ورسوما . وقد اقترح المعلم ان يتصل هذا الطالب بمعلمة الخياطة وان يتحدث اليها عن تصميم الازياء ، ولكنه وجد انه لا يستطيع فهم ما تقول . وقد عاد الى معلم اللغة الانكليزية (لغته القومية) شاعرا بالاحباط . وحينئذ اقترح ان يقرأ هذا الطالب عن تفصيل الثياب وتصميمها وان يضع قائمة بالكلمات التي لايفهمها. وقد فعل ذلك وثابر على رسم التصميمات



كثيرا ما يكشف الاطفال ، بصورة لا شعورية ودون قصد منهم ، عن حاجاتهم واحباطاتهم من خلال امور كالرسم والتصوير والقصص واللعب وسواها .

وقد قدم عددا من التصميمات – خلال بضعة اشهر – شهدت لها معلمة الخياطة انها خير من التصميمات التجارية التي كانت تبتاعها . ان هذا الطالب لم يكسب الثقة بنفسه فحسب ، وقام بانجازات في ميدان يحبه فقط ، بل انه قرا خلال فصل مدرسي واحد ألفي صفحة وهو امر لم يكن احد يتصوره .

ان اهم قيمة لدراسة الطفل الفرد هي ان مثل هذه الدراسة قد تظهر اسباب المشكلات السلوكية التي تبدي عن الطفل وتجعل منه شخصا معضلا . واذا لم يتعرف المعلم على مثل هذه الاسباب فانه لا يستطيع ان ينطلق الى العمل العلاجي انطلاقا صحيحا .

المزالق التي يجب ان نتجنبها في دراسة الطفل

العدو الاول لدراسة الطفل الجيدة هو نسبة الطفل الى انموذج معين على اساس من معلومات محدودة . وخلافا للمعلومات الدقيقة التي تحصل عليها من الدراسات الفردية فان التعميمات التي نطلقها في ملاحظات كالتالية : « كل الاطفال الاذكياء هم على هذه الشاكلة » تعميمات خاطئة وخطرة . ان مثل هذه التصنيفات تزيح جانبا الفروق الفردية وتعامل الاطفال جميعا وكأنهم متطابقون . ان الكثيرين من المعلمين لديهم احكام جاهزة عن انواع ونماذج من الاطفال يطلقونها ويتمسكون بها ويعتبرونها حقائق ثابتة . وان الاحكام التي يطلقونها على الاطفال (الاغنياء) ، او (الفقراء) او (الاذكياء) او (الاغبياء) او (القصار) او (الطوال) او (الجميلين) او (القبيحين) او غير ذلك احكام مسبقة لا تستند في معظم الاحيان الى حقائق ثابتة ولا تنطبق على كل الاطفال ولذلك فهي احكام خطيرة وخاطئة ويجب تجنبها وعدم اللجوء اليها .

النماذج الذكائية

ثمة مصطلحات تتردد على افواه المعلمين من مثل (غبي) و (متوسط) و (لامع) ، وهي مصطلحات مبنية على مقاييس اعتباطية من مثل حاصل الذكاء . ان من واجب المعلم ان يعرف ان خطيئة ترتكب في اختبارات الذكاء قد تنقل الطفل من صف الى صف او من مستوى الى آخر . كما

ان من واجبه ان يذكر ان ثمة فروقا كبيرة بين الافراد ، وان نسبة الطفل الى انموذج معين على اساس من حاصل ذكائه قد يكون على صفة ضعيفة بقدراته وقابلياته في ميدان آخر . وهناك مصدر آخر للخطأ وهو انه في اختبارات الذكاء قد يُعطى "وزن" وقيمة" زائدان لبعض مظاهر التصرف والسلوك او لبعض العلامات المفردة . ان طريقة تجنب هذا النوع من دمغ الطفل هو الحذر من التعميم بناء على معلومات مفردة او ناقصة وذلك باستعمال وسائل موضوعية للتقويم والاعتراف بمحدودية وسائل الروز (اى الاختبارات) والقياس وقصورها وتجنب دمغ الطفل بالقصور الكامل لانه يفتقد واحدة او اكثر من القدرات والكفاءات .

ويجب ان يلاحظ المعلم ان تصنيف الاطفال في فئات قد يكون لازما من اجل تجميعهم في صفوف خاصة ، ومثال ذلك ان الاطفال الذين تقل حاصلات ذكائهم عن ٧٥ او ٨٠ وتزيد عن ٥٠ قد يصنفون بانهم ليسوا قادرين على الدرس ولكنهم قادرون على التدرب . ولكن حتى في هذا المستوى المنخفض من الذكاء فان التصنيف اعتباطي الى حد ما وانه ليس الامر الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولقد دلت دراسات اجراها بعض العلماء على ان الخبرات قبل المدرسية تكسب ٧٠٪ من الاطفال من ١٠ ـ ٢٠ نقطة في حاصل الذكاء. ولعل القارىء قد استخلص من احاديثنا عن الذكاء وروزه (واختباره) ان المعلم الحديث لا يؤمن كثيرا بثبات حاصل الذكاء وانه يعتقد ان الذكاء ذو طبيعة ديناميكية اكثر منه ذا طبيعة ساكنة .

النماذج الوراثية

« انه لن يصبح شيئا مذكورا ابدا . انظر الى ابيه : ان هذا الشبل من ذاك الاسد » .

ان قولا كهذا يظهر التفكير الخاطىء والموقف الضال اللذين يجب ان يتجنبهما المعلم الرشيد . ان نسبة الصفات السيئة الى الوراثة قد تكون طريقة ناجحة في التخلص من المشكلات ولكنها طريقة خاطئة ولا تؤدي الى حلها اطلاقا .

النماذج الربطية

ان هذا النوع من التصنيف يتجلى في تعميمات الاطفال والجهلة حين يقولون مثلا : « ان شخصا ذا شاربين غشني ، ولذلك فكل شخص ذى شاربين غشاش » . وبالرغم من اعتقادنا بانه ما من معلم عاقل يقوم بمثل هذا التعميم فان اغلب الظن ان هذا النوع من الدمغ هو المسؤول عن تعميمات يقوم بها المعلمون وتكون كالتالي : « الاطفال القذرون يكونون مهملين في المدرسة » . او «الصبيان المهاجمون يكونون مغرمين بالفتيات». او « الاطفال الذين يستمنون يكونون غير متزنين عقليا ، او (يكونون نحافا واغبياء) » .

النماذج الطبقية

ما من احد ينكر وجود صلة بين الطبقة الاجتماعية والسلوك . ولكن الحكم على السلوك على اساس من الطبقة الاجتماعية وحدها امر خاطىء وذلك على اعتبار وجود اختلاف كبير بين ابناء كل طبقة ـ ايا كانت هذه الطبقة . ولا شك في اننا نرتكب ظلما فادحا اذا حكمنا على طفل بطبقته الاجتماعية فقط . والمعلم الذى كثيرا ما ينتسب الى الطبقة الوسطى كثيرا ما يرتكب اخطاء فادحة بالحكم على الطفل بحسب طبقته ثم مفهوم الطبقات اليوم تعرّضَ لمفاهيم جديدة وجديرة بالنظر فيها .

النماذج العِرْقية والدينية والقومية

ان المعلم كثيرا ما يحكم على الطفل حكماً معينا بسبب من عرقه او دينه او قوميته وهو امر كثيرا ما يكون خاطئا. اننا لا ننكر قيمة الدين او القومية في تكوين الانسان ولكننا ننكر ان تتخذ هذه الامور سببا وحيدا للحكم على الناس سواء أكان هذا الحكم طيبا او سيئا .

من هم الاطفال الواجبة دراستهم ؟

كل طفل يجب ان يكون موضع دراسة خاصة . بيد ان دقة الدراسة والامعان فيها يجب ان يتوقفا على المعايير التالية :

١ ـ مدى امكان تأثير السلوك الحاضر للطفل في نموه المقبل .

٢ ـ مقدار المساعدة التي قد يحتاجها الطفل في حله لمشكلاته .

٣ ـ مهارة المعلم في معالجة مثل هذه المشكلات .

٤ ـ مدى تدخل السلوك المعضل للطفل في عمل المعلم والصف .

ثم ان اختيار الاطفال للدراسة قد يتأثر بالطبقة الاجتماعية للطفل كأن يميل المعلم الى اعتبار ابناء الطبقات الفقيرة (او الغنية) وحدهم جديرون بالدراسة ، وواضح ان هذا المعيار الطبقي لا طائل تحته ولا يمكن الاعتماد عليه . وثمة عامل آخر (رقم ١ اعلاه) الا وهو جدية المشكلة السلوكية ، يهتم به المعلمون كثيرا وهو اهتمام مشروع ومع ذلك فان الكثيرين من المعلمين قد يعجزون عن تحديد الاهم والاخطر من مشكلات السلوك . ولذلك فهم يعتمدون على العامل رقم ٤ اعلاه مع انه اقل العوامل خطرا واهمية .

مصادر المعلومات

من اين يحصل المعلمون على معلوماتهم عن الطفل ؟ ان الجواب عن هذا السؤال مشكلة هامة صعبة ، ذلك بان الطفل قد يتصرف تصرفات مختلفة جدا في الاوضاع المتباينة ، اضف الى ذلك ان ثمة امكنة وطرائق للحصول على المعلومات عن الطفل لا يهتم بها الاهتمام الكافي في دراسته .

وهكذا فالطفل قد يكون هجوميا معتديا في اللعب ومنضبطا ، بل ومكبوتا ، في غرفة الصف او في البيت . والطفل الوديع حين يكون جالسا على ركبتي امه قد يغتنم فرصة غيابها ليقرص ذراع اخيه او اخته الاصغر منه . ولذلك كان من الواجب في جمع المعلومات عن الطفل اللجوء الى الامكنة والمناسبات والاوضاع المختلفة ، وسنحاول فيما يلي اظهار كيفية تقديم البيت والمجتمع والمدرسة وسواهما للمعلومات الكافية عن الطفل بغية دراسته .

الوالدان والظروف البيتية

ان من واجب المعلم الذي يبغي النجاح في عمله ان يزور بيوت الاطفال الذين يعلمهم حيث يتعرف على هذه البيوت ومشكلاتها ويتمكن بذلك من معالجة مشكلات تلاميذه .

والسؤال الهام في هذا الصدد هو : ما الذي يجب ان نبحث عنه في البيت ؟ وما هي المعلومات التي يجب ان نستقيها من الوالدين ؟ وبديهي انه بالرغم من ان في امكان الوالدين ان يمدانا بمعلومات كثيرة عن الطفل فان مجرد التعرف على الوالدين غير كاف . ففي زيارة المعلم لبيت تلميذه وفي مقابلته لابويه وفي زيارة الوالدين للمدرسة يجب ان يبحث المعلم عن امور كالتالية :

١ ــ ردود الافعال العاطفية للابوين تجاه الولد.
٢ ــ تفهم الابوين للطفل ومشكلاته .
٣ ــ مُثل الاباء وقيمهم وآمالهم بالنسبة للطفل .
٤ ــ ضبط الابوين للطفل وتوجيهه وطرائقهما في ذلك .
٥ ــ موقف الابوين من المدرسة والمعلم والتعلم.

ان التعامل الناجح للمعلم مع الابوين يقوم على المبادىء نفسها التي تتصل بتشويق الطالب وتفهمه وفهم احواله ومشكلاته وصفاته الخاصة . ثم ان النقد اللاذع والسخرية والقسوة امور تنفر الوالدين وتمنعهما من التعاون مع المعلم ومده بالمعلومات اللازمة عن الطفل .

المجتمع

يبدو للوهلة الاولى ان من السهل على المعلم الحصول على معلومات عن بيئة الطفل ومجتمعه ما دام عائشا فيهما . ولكن الامر ــ في الحقيقة ــ ليس بهذا القدر من السهولة ، ذلك بان المعلم ينتمي الى طبقة معينة ــ هي الطبقة المتوسطة ــ وبين طلابه من ينتمي الى طبقة اعلى من طبقته او ادنى منها او ، على الاقل، الى طبقة مختلفة عنها . وحتى في المدن الصغرى حيث تكون الطبقات اكثر تقاربا وحيث يعرف الناس بعضهم بعضا اكثر من سكان المدن الكبرى فان المعلم بحاجة لان يتعرف تعرفا دقيقا على بيئة تلميذه ، وقيمها ومُثلها وطرائقها في الحياة ومفاهيمها المختلفة .

وفي دراسة المعلم للجماعة التي يعيش تلميذه بينها عليه ان يسأل اسئلة كالتالية :

١ ــ كيف تشعر الجماعة بذاتها ؟ وهل تعتبر نفسها مكونة من طبقات ؟
٢ ــ ما هي تأثيرات الجماعة في احداثها ؟ وكيف تتم هذه التأثيرات ؟
٣ ــ من هم قادة الجماعة ؟ وكيف يشعرون ويتصرفون ازاء جماعتهم ؟
٤ ــ ما علاقة المدرسة بالمجتمع والجماعة ؟ وما هو موقف المواطنين من المدرسة ؟
٥ ــ ما هو شعور التلميذ ازاء جماعته وجيرته ؟

الملاحظات

ان الملاحظة المباشرة للطفل في ظروفه المختلفة تعطي معلومات ثمينة عنه لا تعطيها اية طريقة

اخرى او اى مصدر اخر . اما اذا كانت الملاحظة متحيزة او ناقصة فانها تكون شديدة الضرر وقد تقود المعلم الى اجراءات فادحة الاذى . ان معلمَيْن مختلفين قد ينظران الى نفس السلوك يصدر عن نفس الطفل فيفسرانه تفسيرا مختلفا جدا يفهمانه بطريقتين متباينتين .

ان دقة الملاحظة وتجددها وموضوعيتها امور هامة تقرر العمل الذى سيقوم به المعلم فيما بعد. وفيما يلي نصائح تجعل الملاحظة دقيقة وصحيحة يجب على المعلم اتباعها :

١ ـ يجب ان تكون الملاحظات مخططة . ويجب ان تشمل هذه الملاحظات تصرفات الطفل في مختلف الاعمال ومختلف الاوقات ومختلف المجالات ويجب ان تدوم وقتا كافيا .

٢ ـ يجب ان يعقب التفسير جمع المعلومات . ان التفسيرات المتسرعة المتحيزة قد تدفع المعلم الى جمع الحقائق التي تناسب هذه التفسيرات وبذلك يكون المعلم قد ضل واضل .

٣ ـ يجب الاحتفاظ بسجل مكتوب يتلو ملاحظة الطالب ويسجل فيه المعلم ملاحظاته ويجب في هذا السجل ان يبتعد المعلم ما امكن عن التفسيرات المستعجلة .

٤ ـ يجب ان يتعلم المعلم وضع نفسه موضع الطفل وان يحاول تفهم دوافعه وحوافزه وافكاره ومواقفه .

٥ ـ على المعلم ان يبحث عن اعراض المصاعب والمشكلات التي تواجه الطالب وعن علاقاته بغيره من الناس وعما يميزه عن سواه .

المقابلات

المقابلة هي نوع من الملاحظة . وفي المقابلة يحاول المعلم ان يلاحظ سلوك الطفل (وهو سلوك لفظي في معظمه) في علاقة مباشرة تتم وجها لوجه. وبعض المقابلات تتخذ شكلا علاجيا ولكن معظمها غايته جمع المعلومات لمساعدة الطفل على ان يساعد نفسه . والمعلم بطبيعة الحال ليس طبيبا نفسانيا ولكن له من امكان التأثير على التلميذ ما يساعده على مد يد العون اليه في جو اقل رهبة من جو عيادة الطبيب النفساني .

وقد دلت التجارب على ان صحة المعلومات التي يدلي بها التلميذ الى معلمه وفائدتها تتوقف الى حد بعيد على العلاقة الطيبة التي تكون بين المعلم والتلميذ . وبديهي ان المقابلة تخدم غايات تتراوح بين مساعدة الطالب على حل مشكلاته في دروسه من مثل الحساب او القراءة وبين مشكلاته النفسية التي تعبر عن سوء تكيفه مع محيطه واضطراب شخصيته .

هذا ومن المفيد ان نلاحظ ان مقابلة المعلم للطالب ليست امتحانا له ولا تحكما فيه وانما هي امتداد للعملية التعلمية ـ التعليمية القائمة بينهما في غرفة الصف . ومن هنا كانت مقابلة التلميذ لمعلمه اسهل عليه او على الاقل يجب ان تكون اسهل عليه من مقابلته للموجه النفساني الذي يقابله لاول مرة . والمعلم الذى يكون على علاقة طيبة بتلاميذه يسهل عليه ان يقابل طلابه وان يوجههم اكثر من المعلم الذى يكون على علاقة سيئة معهم .

ثم ان افتتاح المقابلة امر على جانب كبير من الاهمية ذلك بان بداية المقابلة قد تقود الى مقاومة التلميذ لمعلمه او الى تعاونه معه ومصارحته بمشكلاته ومتاعبه ، وفيما يلي امثلة على كيفية افتتاح المقابلة بصورة سيئة او بصورة حسنة :

افتتاح سيىء

١ ـ اظنك تعرف يا مازن لماذا دعوتك لمقابلتي .
٢ ـ شد ربطة عنقك جيدا .
٣ ـ هل نسيت قوانين المدرسة يا فتى ؟

افتتاح حسن

١ ـ استرح على هذا الكرسي يا بني .
٢ ـ مرحبا يا هيثم . كيف حالك ؟
٣ ـ تعال عاوني في نقل هذا الكرسي .
٤ ـ مرحبا بك . اني مسرور لرؤيتك يا علي . اجلس هنا .

ان من واجب المعلم ان يتجنب دفع التلميذ الى الدفاع عن نفسه في بداية المقابلة لان ذلك سيحول بينه وبين الحصول على المعلومات التي يرغب فيها . واذا كان غرض المقابلة مناقشة سلوك سيىء قام به الطفل فان من واجب المعلم عدم الاشارة الى ذلك مباشرة . كما ان من واجب المعلم عدم الالحاح اذا ما لاحظ اضطرابا عاطفيا عند الطفل .

اما بخصوص الحصول على المعلومات فالنصيحة الاهم هي ان واجب المعلم الاول ان يصغي وان يحسن الاستماع . انه لا يحصل الا على القليل من المعلومات عن طريق الكلام ولكنه يحصل على

الكثير منها اذا احسن الاصغاء الى كل ما يقوله الطفل . ومن واجب المعلم ان لا يسارع الى محاولة الاستقصاء وسبر غور الطفل . ان خلق جو دافيء متسامح وفيه ثقة متبادلة يساعد اكثر من اي شيء آخر على تدفق المعلومات . وعلى العكس فان اضمن طريقة لخلق المقاومة عند الطفل هي سؤاله سؤالا لا يستطيع الجواب عنه او يخشى الجواب عليه . ان القول للطفل ؟ « كيف تجاسرت على نقل ذلك ؟ » او « كيف اقدمت على هذا الامر الفظيع » كفيل باخافة الطفل والجائه الى رد فعل دفاعي ، وبذلك يتعلم الهروب من مشكلاته بدلا من مجابهتها .

الحصول على المعلومات من الفاعليات المبدعة

كثيرا ما يكشف الاطفال ، بصورة لاشعورية ودون قصد منهم ، عن حاجاتهم واحباطاتهم من خلال امور كالرسم والتصوير والقصص واللعب وسواها . والواقع ان الاطفال الصغار غير قادرين على التعبير الكلامي او استعمال المجردات ولذلك فهم يلجاون الى الوسائل التي ذكرنا . وتلك كانت حالة طفل في الثانية عشرة من عمره ، وكان طفلا متخلفا موجودا في صف خاص بامثاله من المتخلفين . وقد كان واحدا من اربعة اخوة صبيان عائلتهم من الطبقة المتوسطة الدنيا . وقد شعرت الام بخيبة امل حين ولد طفلها هذا لانها كانت ترغب في بنت ، وقد كانت تعبر عن هذه الرغبة بالباسه ثياب البنات . وقد ابقت له شعره طويلا كشعر البنات والبسته ثياب البنت مدة سنين طويلة وبقيت كذلك حتى وقع الحادث الذي سنصفه . ولما قيس حاصل ذكاء الطفل وجد انه ٧٥ ، ولما قيس انجازه (اكتسابه) وجد انه ادنى من مستوى الصف الابتدائي الثالث . وفيما يلي وصف للطفل الذي كان يدعى (كارل) كتبته معلمة الصف الخاص الذي وضع فيه :

« حين قدم الينا كارل لاول مرة كان مزعجا وحتى الآن كثيرا ما ينتكس الى سلوكه السيىء . انه ضخم بالنسبة لعمره . ان طوله ٦١ بوصة ووزنه ١٠٢ رطل مصري . وقد حاول ان يسترعي الانتباه اليه بالحبو على ارض الغرفة والعواء والتضاحك وغير ذلك من اشكال السلوك غير الناضج . لقد كان يدفع رفاقه ويرميهم على الارض كما كان مخربا غير منتبه ، يتكر فشله ويعاند ويتظارف ويستثير ويتهانف ، كما كان عصبيا غير مستقر ويتفجر غضبه انفجارات عديدة . »

ولقد رسم صورة — هي واحدة من عدة صور رسمها — اظهر فيها مشنقة علق عليها واحد من رفاقه ووقف آخر ينظر الى عملية الشنق وكتب اسم رفيقيه على الصورتين . وكان الرفيق المشنوق من النوع الضعيف والرفيق الآخر من النوع القوي كما رسم نفسه خارج المشنقة وكتب اسمه فوقها . وكانت صوره كلها تعبر عن نفس الفكرة : فكرة القتل والشنق والرمي بالرصاص وسواها وكان يمثل فيها رفاقه الصغار ولا سيما النوع المخنث منهم . وفي كل هذه الصور كان يرسم نفسه مقترنا بالاطفال الاقوياء في الصف .

ولو كان كارل هذا قادرا على التعبير الكلامي عن مشكلته فقد كان من الممكن ان يقول شيئا كالتالي :

« انني اكره ان اعامل كفتاة . وكان من الواجب ان اكره امي لانها فعلت معي هذا الامر . ولكني اعرف ان الامهات يجب ان يحببن . واقل ما استطيع فعله الآن هو ان ابرهن على اني لست فتاة باي معنى من المعاني ولست كرفيقي جيري المخنث بل انا كرفيقي (بل) و (جون) وكلنا فتيان اشداء » .

ويبدو واضحا ان كارل كان ينفس عن توتره النفسي ويحارب دور الفتاة الذي اضفته عليه امه . وبالنسبة اليه كان جيري (وهو الطفل الذي وضعه في حبل المشنقة) يمثل الانوثة التي حاولت امه ان تضفيها عليه .

وهكذا يتضح انه في الفاعليات المبدعة للاطفال يجب على المعلم ان يبحث عن الآليات من مثل الاصغاء والفاعليات التعويضية واحلام اليقظة . وبهذه الطريقة يستطيع المعلم ان يستشف حاجات الطفل الحقيقية التي تنبع من اعماقه المضطربة عاطفيا .

والافادة من مصادر المعلومات التي ذكرناها سابقا تتم باللجوء الى وسائل وطرائق منها الاختبارات والمقاييس والاستخبارات والسجلات التي تقدم للمعلم المعلومات التي يحتاجها في عمله مع الاطفال . ■■

فاخر عاقل

ترانيمُ في محرابِ الرُّوح!

بقلم : عبد الرءوف يوسف

■ يا روحُ ... ياسرّاً تحجّــــب في رموز الكبريـــاء ؟ !
ياشعلــة النورِ المقـــدس في متاهـاتِ الفضـــاء
ياروْعةَ الحرْفِ الــذي رفع التّرابَ إلى السمـــاء
ياجدولَ النورِ المُمَـــوْسَق في ضمير الأنبيـــاء
طوفي بأجنحـة البقـــاء ، ومزّقي شبَحَ الفنـــاء
ثوري على جَمَدِ الطبيــعة واصهري شَمَعَ الوفــاء
بالوّحَةَ النـور المعـذّب عند رَسّـام القضـــاء
الظلُّ .. والأصبـاغ .. والألــوان .. من طين ومـاء ؟ !!

★★★

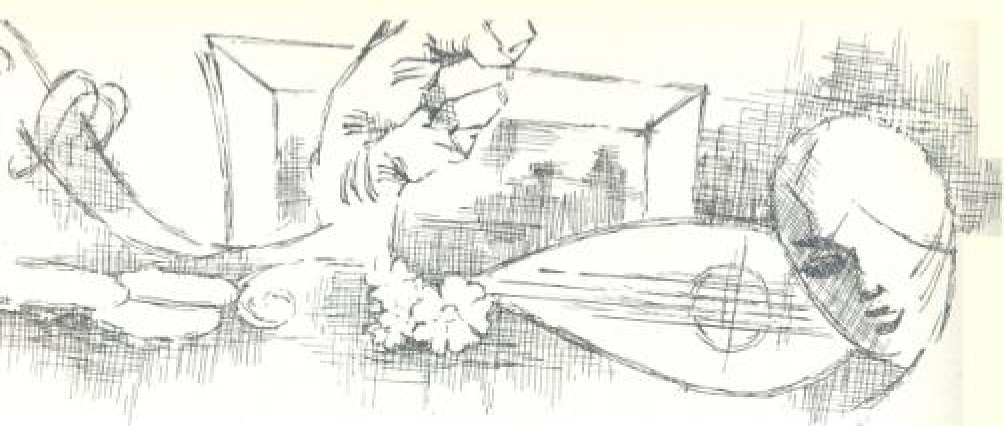
ياروح .. يا أمـلاً يغــرّدُ في صـدور الكائنـــات
يا قبلـة الصبحِ الــورّف على الزهـور المائســات
يا رقّـةَ الوردِ الــودِيع على ضفاف الساقيـــات
يا باقـةَ النغمِ الخضـيبِ على شفـاه الفاتنـــات
يشدو بهـا الوهْانُ تـــذكاراً لتلـك الأمْنيـــات

★★★

ياروح ... ياقيثـــارةً أوتارهـا الكون الكبير ؟ !
نـام الوجود بصـــدرها وعلى ملاحنهـا يســـير
تَسْـرى بِأبعـاد المكــان على تَرانـيم العصـــور
خُطُواتُها أزليـــــة خفَقَت بأعباء الدهــــور
أبـداً تظلُّ تفلسـف الــأشواق في كـلِّ الأمـــور

★★★

في الحب .. في الأحـلام .. في الأمل المضمَّخ .. بالعبيرْ
في السـحرِ ، في عين الصغــيرة ، وهي ترفل في الحـرير
في نظْرة الشيخ الرقــور ، وبَسْمة الطفـل الغَرير



في كـــلِّ شيء ، أيِّ شيـ ء ، في العظيم .. وفي الحقير

ضجت بألحان الضيا ء ، فأشرق الصبح المنير

لتظلَّ تُعلِنُ في كيا نَ الكون ، أن الحق نور

★★★

يا روحُ .. يا حريةَ الأ إنسان .. يا محرابَ حبي

ياصورةً لله في قلبي .. وفي ذات المُحِب

يا دمعةً مجنونةَ التَّـ سكابِ في أعماق هُدْبي

ياروعةَ المعنى الجميـ لِ لغنْوَة عاشت بلبي

يا قصةَ الأضِ التي قد أرْوِيَتْ بدماء شعبي

وخرجتَ منها والأسى ما زال خِنْجَرُه بجنبي

يَروى فجيعةَ أمسيَ الـ مُلْقَى على تابوت ذنبي

يَروى ، فتختلج الجفو ن بأدمُعٍ يقظى بهدب

يَرْوى فتجتاح الأكـ ـفُ ضراعةٌ تقتات قلبي

وأنا .. وآلافُ الضحا يا التائهين بكل صَوْب

★★★

وجريتُ سباقَ الخوا طر مُمْعِنا في كل شبر

أطوى مسافاتِ الموا ن ورحلةُ الأحرارِ تغرى

وطرقتُ : ياروح افتحى باباً تسمَّر فيه عُمْرى

ما عدْتُ مغلولَ اليد ن أساقُ من بحر .. لبحر

نطق الذى في داخلـ ي ياروح لى وكشفت سرى ■■

عبد الرءوف يوسف

مدينة البعوث الاسلامية ـ القاهرة

طرائف غريبة



الله والفضـــاء

● دون ايسل Don Eisele ، احد رواد الفضاء الامريكيين الذى اشترك مع زميلين له فى رحلة ابولو الاولى ، تلك التي استقلوا فيها سفينة راحت تدور حول الارض فى الفضاء لمدة ١١ يوما فى عام ١٩٦٨ ، كتب يصف مشاعره واحاسيسه وهو جالس فى مقعده، يتطلع الى هذا الكون الواسع من حوله :

« راعنى منظر الارض من تحتنا .. كانت كرة هائلة ، ولكن بلا حياة . اليس غريبا ان تختفى الحياة امامنا من على هذا الكوكب الذى نعيش فوق سطحه ، لقد احسست بقيمة الانسان وعظمته ، فهو الذى نقلنا من الحياة الى الفراغ .. ولكن اى فراغ هذا الذى اتحدث عنه ؟ حقيقة كنا نحس اننا نسبح بسفينتنا بهذه السرعة الهائلة حول الارض ، فى فراغ لانهائي .. ولكن لا اعرف كيف تملكنا هذا الشعور الغريب .. الشعور باننا لسنا وحدنا هنا بالرغم من اتساع الفراغ من حولنا .. كنا طوال لحظات لقائنا بتلك الاشعة الذهبية القادمة من الشمس التي بدت قريبة منا ، اننا قد اقتربنا من الله .. لقد رأينا الله ، فى كل شيء من حولنا .. فى النجوم التي تسبح معنا فى فلكها القريب البعيد .. فى النيازك التي كانت تمر بنا .. فى القمر المظلم الذى لم يفارقنا وجهه خلال رحلتنا الطويلة .. اخيرا فى الارض التى اشتقنا للعودة اليها والى اطفالنا ، وزوجاتنا واصدقائنا .. الى الحياة التي اختفت عن ناظرنا وسط هذا الفراغ الهائل .. »



دموع هتلـــر !

● اودلف هتلر دكتاتور المانيا الراحل كان يحمل فى صدره قلبا قدّ من صخر .. هكذا قال تشرشل السياسي البريطاني الذى قاد بلاده الى النصر فى الحرب العالمية الثانية .. ولكن هتلر كان له راى آخر عن نفسه . لقد كتب فى مذكراته يقول : لقد كانت دموعي طيّعة ، بكيت كثيرا ، ولكنني كنت احرص دائما على ان ابكي وحدى بعيدا عن عيون رجال الرايخ الثالث .. كنت اذهب الى حجرة مكتبي واوصد الباب . وعندما اتاكد انه لم



تعد هناك عين واحدة ترقبني ، انفجر باكيا ، كما يبكى الاطفال .. وما اكثر اللحظات التي ادمت قلبي واسالت دموعى .. لقد بكيت عندما اندحرت قوات النازى امام ابواب ستالنجراد ، وبكيت عندما تراجعت جيوشي امام قوات الحلفاء فى نورماندى ، وبكيت اخيرا عندما مات روميل ، بعد ان احس بالهزيمة التي احاقت برجاله .

« ولكنني احسست بنهايتي عندما علمت ان المانيا قد استسلمت وانتهت .. وهو احساس لم ينتبني طول حياتي ، الا مرة واحدة وذلك عندما ماتت امي !

قال هتلر بعد هذا فى مذكراته : « ان الحروب لاتدمر الشعوب ، وانما الذى يقضى على الامم حقيقة هو فقدانها القدرة والصبر على الاستمرار فى المقاومة .. المقاومة من اجل الحياة . »

الاسود والابيض

● الدكتور رالف بانش الدبلوماسى الزنجي مساعد السكرتير العام للامم المتحدة ، الذى مات فى العام الماضي . اثر مرض لم يمهله طويلا ، كان فخورا بلون جلده الاسمر ، ولم يكن يجد غضاضة من تذكير البيض دائما بانه وان كان هو شخصيا يستنكر كل تصرف قائم على التفرقة العنصرية بين البيض والسود ، الا انه كان بطبيعة الحال يعطف على كل من يحمل لون جلده الاسود ، بسبب ما يواجهونه من اضطهاد فى كثير من الدول وفى مقدمتها بعض الولايات الامريكية ، تلك التي ينتمي هو نفسه الى احداها .

ولكن حدث يوما ان ذهب بانش محاضرا فى احدى كليات العلوم الانسانية بجامعة اريزونا ، وكان الطلبة قد علموا مسبقا بموعد وصوله فاستعدوا للقائه .

ودخل بانش قاعة المحاضرات ، واذا به يفاجأ بان اكثر من ثلث عدد الطلبة الذين جاءوا للاستماع اليه من السود الذين ينتمون الى بعض الدول الافريقية والدول الاسيوية وجزر الهند الغربية .

وقدم عميد الكلية ضيفه رالف بانش الى طلبته الذين جاوز عددهم الالف طالب ، ثم قال : « وربما اراد اخواننا السود ان يوجهوا تحية خاصة لمستر بانش ؟

وكانت مفاجأة عندما اعتلى طالب ابيض المنضدة المعدة لجلوس الاستاذ الزائر الدكتور بانش وقال : « اننا نقف جميعا تحية للرجل الذى قدم وما زال يقدم دليلا جديدا على اخوة الانسان لاخيه الانسان ، مهما كان لون جلده ! لقد علمنا كيف نكون اخوة للسود ! »

واغرورقت عينا الدكتور المحاضر بالدموع ، عندما وجد كل الطلبة فى قاعة المحاضرات الكبيرة يقفون تحية له واكبارا ، وقد دوت القاعة بتصفيق حاد لا ينتهى.

■■



صِراعٌ .. بين البُرتغاليِّين وعَرب عُمان في الخليج العَربيِّ والمحيط الهِنديّ

بقلم : الدكتور جمال زكريا قاسم

استاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة عين شمس

■ بعد نجاح البرتغاليين في الوصول الى الهند بداية الاستعمار الاوربى لشعوب الشرق في العصر الحديث . وقد وصل البرتغاليون الى بحار الشرق في أعقاب حركة الاستكشافات البحرية الكبرى التى استهلها الامير هنرى الملاح وما تبعها من عمليات استكشافية على سواحل غرب القارة الافريقية تمكن من خلالها بارتلميو دياز من الوصول الى اقصى الطرف الجنوبى للقارة الافريقية عند منطقة الراس ، ونظرا للعواصف الشديدة التى تعرض لها والتى لم تمكنه من اجتيازها فقد أسماها براس العواصف Cape of Tembest . ولكن ملك البرتغال رأى تسميتها براس الرجاء الصالح Cape of Good Hope تفاؤلا بامكان عبورها ، ونجحت بعثة فاسكو دى جاما Vasco de Gama في السنوات الاخيرة من القرن الخامس عشر في اجتياز المنطقة والوصول الى الساحل الشرقى لافريقية ، ومن ثم اتخذت البعثة طريقها الى الهند معتمدة في ذلك على بعض الادلاء من العرب المسلمين .

ملاح عربى يساعد الاعداء بحسن نية

وبرز من أولئك الملاح العربى الشهير شهاب الدين أحمد بن ماجد الذى كان واحدا من أمهر رجال الأسفار البحرية في بداية عصر الاستكشافات البحرية . ويعتقد أنه نشأ على شواطىء الخليج العربى وتدرب فيها على فنون الملاحة حتى أتقنها وبرع فيها ووضع عددا من المؤلفات والقياسات الهامة منها كتابه الشهير « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » و « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » . وثمة ما يؤكد انه هو الذى قاد بنفسه بعثة الملاح البرتغالى فاسكو دى جاما من الساحل الشرقى لافريقية حتى الساحل الغربى للهند أو على وجه التحديد من ماليندة الى كاليكوت (كلكتا Calcutta) . ومن الطريف أن الحكومة البرتغالية اعترفت أخيرا بفضل هذا الملاح العربى فاقامت له نصبا تذكاريا في مدينة ماليندة في شرقى افريقيا !

بدء السيادة البرتغالية في الشرق

ما كاد البرتغاليون يصلون الى تحقيق هدفهم في الوصول الى الهند حتى وضحت سياستهم الاحتكارية العنيفة وما اصطبغت به من أساليب قاسية وتعصب دينى بالغ ضد المسلمين بما تضمنه ذلك من اشعال حروب عنيفة وحرق السفن واغراقها وتعذيب بحارتها ممن تسول لهم أنفسهم خرق سياسة الاحتكار التى فرضوها على تعاملهم مع الهند وتحويل تجارة الشرق الى الطريق البحرى المباشر « طريق راس الرجاء الصالح » .

وكانت النتيجة السريعة لهذا الانقلاب التجارى ثورة في تجارة أوربا ومجدا عظيما للبرتغال حتى



افونسو دى البوكيرك

اصبح ملوكها يطلقون على انفسهم « سادة الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس » ، وسرعان ما صدق البابا على هذا اللقب . ولكن النتائج التى ترتبت على اكتشاف ذلك الطريق البحرى بالنسبة للشعوب الاسلامية كان لها تأثيرها الخطير في التدهور الاقتصادى الذى حدث في اعقاب ذلك التحول ، وانعكس هذا التدهور على منطقة الخليج العربى التى كانت تعيش عصرا ذهبيا تجاريا طيلة ازدهار الملاحة الاسلامية في المحيط الهندى منذ القرن السابع حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى اذ كان الخليج العربى من الطرق البحرية الهامة التى كانت تصل بها تجارة الشرق الى اوربا .

المسلمون يحارب بعضهم بعضا فيتيحون لاعدائهم النصر والسيادة

بدا البرتغاليون سيادتهم على بحار الشرق بالتصدى للقوى الاسلامية في معركة ديو البحرية الشهيرة (١٥٠٩م) . والواقع ان هذه المعركة نقلت السيطرة الاسلامية والعربية على تجارة المحيط الهندى الى ايدى البرتغاليين الذين لم يكتفوا بذلك بل اتجهوا في الوقت نفسه الى السيطرة على سواحل الخليج والبحر الاحمر لخنق اقتصاديات العالم العربى والاسلامى التى كانت تعتمد في الدرجة الاولى على هذه الطرق تمهيدا للسيطرة عليه ، وهو امل كان يراود البرتغاليين في هذه الفترة انتقاما من المسلمين الذين احتلوا اراضيهم . والأساليب العنيفة التى اتبعها البرتغاليون في سيطرتهم على بحار الشرق اعادت الى الاذهان ذكرى الحروب الصليبية . واستفاد البرتغاليون من الصراع الذى كان قائما في ذلك الوقت بين اكبر قوتين اسلاميتين ــ وهما الدولة العثمانية والدولة الصفوية في ايران ــ وقد شغلتا عن الخطر البرتغالى بمنازعاتهما وصراعاتهما المذهبية والسياسية . وليس من شك في ان ضعف التماسك الاسلامى كان له اثر كبير في اتاحة الفرصة للبرتغاليين للتقارب مع الدولة الصفوية،وبفضل هذا التقارب او التحالف نجح الاسطول البرتغالى في السيطرة على كثير من القواعد البحرية على سواحل الخليج العربى .

البرتغاليون يحاولون السيطرة على الخليج العربى

وبرز من القادة البرتغاليين في المراحل الأولى من الاستعمار البرتغالى فرانسيسكو دى الميدا وافونسو دى البوكيرك Offonso de Albuquerque الذى تم تعيينه في عام ١٥٠٦ حاكما للمستعمرات البرتغالية في الشرق ونائبا لملك البرتغال في الهند. وكان اهتمامه منصبا على احتلال قواعد بحرية غربى الهند لتامين الامبراطورية البرتغالية ولذلك شهدت سواحل الخليج العربى جانبا كبيرا من عملياته العسكرية التى تميزت بالقسوة وأبشع انواع التعذيب . وقد بدا عملياته هذه بالسيطرة على شبه جزيرة هرمز الواقعة عند مدخل الخليج اذ اعتبرها البرتغاليون مفتاحا للسيطرة على الهند وان من يمتلكها يمتلك كنوز العالم ، ومن هرمز واصل عملياته للسيطرة على الساحل العمانى فوصل الى قلهات واحتل كلا من قريات وخورفكان ومسقط وصحار .

فى الشرق يضعف البرتغاليون ، فيظهر الانجليز والهولنديون

وقد استمرت السيطرة البرتغالية على القواعد

البحرية التى اقاموها في الخليج نحو قرن ونصف قرن وفي خلال ذلك تعرضت الامبراطورية البرتغالية لعوامل كثيرة من الضعف كان من اهمها قصور البرتغال ـ وهي دولة صغيرة محدودة الامكانات من ناحية المساحة والسكان ـ من الاحتفاظ بسيطرة احتكارية على منطقة واسعة كالمحيط الهندي يضاف الى ذلك ان البرتغال نفسها لم تلبث أن أضحت مجرد مقاطعة من المقاطعات الاسبانية نحو ستين عاما (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠) أهملت في خلالهـــا الامبراطورية البرتغالية في الشرق وتركز الاهتمام على المستعمرات الاسبانية في العالم الجديد ، كما ظهرت في خلال هذه الفترة قوى أوربية جديدة على مسرح التجارة الشرقية تربصت بالبرتغاليين وطمعت في وراثتهم وكان من أبرز هذه القـــوى انجلترا التى تألق نجمها البحرى بفضل الانتصار الذى احرزه اسطولها على الأرمادا Armada الاسبانية في عام ١٥٨٨ ونجاح نفر من تجارها في تاسيس شركة الهند الشرقية البريطانية في عـــام ١٦٠٠ . كما تعرض البرتغاليون ايضا لمنافسة الهولنديين الذين اسرعوا ـ بعد تخلصهم من الحكم الاسبانى في عام ١٥٨٨ ـ الى توجيه نشاطهم صوب تجارة الشرق وأسسوا من أجل ذلـــك شركة الهند الشرقية الهولندية . وجعلوا مـــن بتافيا ـ في جزر الهند الشرقية ـ مركزا لها .

المصادر الاوربية تخفي الحقيقة

واذا كانت هذه هي اهم الأسباب التى تركز عليها الكثير من المصادر الاوربية في تفســـيرها لعوامل انهيار الامبراطورية البرتغالية في الشرق فان ما يلاحظ ان هذه المصادر اهملت عاملا هاما كان له في اعتقادنا اثر كبير في اقصاء البرتغاليين عن الكثير من قواعدهم وحسر نفوذهم من منطقة الخليج العربي وهذا العامل هو الدور الهام الذى قام به يعاربة عمان في الاطاحة بالنفوذ البرتغالي من الخليج العربي والمحيط الهندي . وهـــذا الدور ما يزال يحتاج من المؤرخين العرب الى مزيد من البحث عنه واجلاء الكثير من معالمه خاصة لما قصدته معظم هذه المصادر ـ التى كتبت غالبيتها بوجهة نظر استعمارية ـ من تشويه الحقائق والتقليل من اهمية المواجهة العربية بل الصاق الكثير من التهم بها والتأكيد على وصفها بانها مقاومة غير مشروعة وانها ليست الا اسلوبا من اساليب السلب والقرصنة وتصوير القوى الاستعمارية الغـــازية بانها رافعة رايات أمن وسلام . وليس من شك في ان اليعاربة قد استفادوا فائدة كبيرة من التصدع الذى طرا على الامبراطورية البرتغالية نتيجـــة للاسباب التى ذكرناها . ففي عام ١٦٢٢ نجـــح الانجليز ـ بفضل صداقتهم للشاه عباس الاول ـ في اسقاط قلعة البرتغاليين في هرمز ومن الثابت مساعدة عرب الخليج للفرس والانجليز في اسقاط تلك القاعدة البرتغالية الهامة . وكان سقوط تلك القلعة الحصينة ايذانا ببداية مرحلة جـــديدة من مراحل التدهور الذى وصلت اليه الامبراطورية البرتغالية في منطقة الخليج العربي اذ لم يبـــق للبرتغاليين الا عدة مراكز بحرية متناثرة علـــى الساحل العماني باستثناء قاعدة مسقط وهى القاعدة الهامة الوحيدة التى بقيت لهم في منطقة الخليج العربي ولذلك كان من الطبيعى أن يركز البرتغاليون اهتمامهم عليها بعد سقوط معقلهـــم الحصين في جزيرة هرمز . على أن البرتغاليين وان تشبثوا بالبقاء في مسقط قرابة ثلاثين عاما ، بعد فقدانهم هرمز فانهم مـــع ذلك لم يستطيعوا استرجاع مكانتهم الاولى .

عودة الصراع حـــول الخليج بين العرب والبرتغاليين

وكانت النتيجة التى ترتبت على انهيار النفوذ البرتغالي في الخليج هو عودة القوى العـــربية للتجمع من جديد ، اذ بادرت عمان باعـــلان استقلالها عن مملكة هرمز التى كانت تابعـــة للبرتغاليين ، واخذ الملاحون العـــرب يثبتون وجودهم بصورة متزايدة مع انحسار النفـــوذ البرتغالي وانفسح المجال امامهم لاستعادة قدر كبير مما كانوا قد فقدوه من نشاط تجارى. وفي ذلك الوقت نمت القوة العمانية البحرية وغدت واحدة من اهم القوى التى اسهمت في الاجهاز على امبراطورية البرتغاليين وتصفية نفوذهم ، لا في الخليج العربي فحسب بل في بحار الشرق بعامة . وقد بلغ نشاط اليعاربة البحرى درجة كبيرة من الخطورة مما حدا بالاوربيين الى وصف عرب عمان بالقسوة والشراسة متجاهلين ما ارتكبه البرتغاليون في بحار الشرق من اعمال شاذة غير انسانية .

امامة عمـــان تنتصر علـــى البـــرتغاليين وتطردهم من الخليج العربي

استطاع ناصر بن مرشد من اسرة اليعاربة

الوصول سنة ١٦٢٤ الى امامة عمان على المذهب الاباضي . وهو المذهب الذى ينتمى اليه معظم سكان عمان لا سيما المقاطعات الداخلية . وقد وضعه نجاحه في الوصول الى الحكم موضع التحدي ضد البرتغاليين الذين نظروا الى شعبيته باستياء بالغ . وقد بدأ صراعه ضد البرتغاليين بتحرير صحار في عام ١٦٤٣ ونجح في القضاء على الحامية البرتغالية الموجودة بها ، ثم تبع ذلك في عام ١٦٤٨ بحصاره للقاعدة البرتغالية الحصينة في مسقط وارغم العمانيون البرتغاليين على طلب الصلح والرضوخ لشروطهم التى قيدت سلطتهم تقييدا شديدا . ويستنتج من شروط الصلح مدى القوة التى وصل اليها العمانيون فقد اصروا على ان يهدم البرتغاليون القلاع العسكرية في كل من مطرح وصور وسمد وقريات وتسويتها بالارض ! وأن تمر السفن العمانية الى البحر دون تفتيش وأن تكون التجارة حرة طليقة في الخليج العربي والمحيط الهندى لمختلف الاجناس وأن يكف البرتغاليون عن الاتيان بأية حركات عدوانية ضد عرب الخليج ، وأن يدفعوا جزية سنوية نظير ابقاء قاعدتهم في مسقط .

وعلى الرغم من أن البرتغاليين قبلوا هذه الشروط الا أن ملك البرتغال حينما علم بها اصدر اوامره باعلان الحرب على العرب معتبرا تلك الشروط اهانة شخصية له فتشب القتال مرة اخرى مركزا على القاعدة البرتغالية في مسقط وهرب القائد البرتغالي تاركا اسطوله الضخم تحت رحمة الهجمات العربية القوية التى انهالت عليه من كل جانب وذلك قبل ان تصل النجدات البرتغالية من « جوا » Goa وهى القاعدة الام التى كان يرتكز عليها الاستعمار البرتغالي في الهند.

لا بد من قوة بحرية عربية

وقدر خلفاء ناصر بن مرشد طبيعة الحرب بينهم وبين البرتغاليين وهى حرب بحرية في الدرجة الأولى ومن ثم كان توجيه عنايتهم الفائقة الى انعاش البحرية العمانية . وبرز في هذه الفترة سلطان بن سيف ١٦٤٩ ــ ١٦٦٨ الذى خلف ناصر ابن مرشد وتمكن من انتزاع مطرح والقضاء على القاعدة البرتغالية في مسقط قضاء مبرما (١٦٥١م) . وهكذا تم طرد البرتغاليين من القاعدة الأخيرة التى كانت لهم في الخليج فقد أرغموا على التسليم الكامل لحصونهم التى لا تقهر ــ كما كانوا يسمونها ــ بعد احتلال دام مائة واربعة واربعين عاما وذلك بفضل استجابة القبائل العربية لدعوة الامام الى الجهاد الديني . واعيد بناء استحكامات مسقط لتكون قاعدة للعمانيين .

ولقد كان للعدوان البرتغالي وما صحبه من تحطيم الاقتصاد الوطني وانتزاع المراكز والاسواق اثره البالغ في نفوس اليعاربة الذين قويت آمالهم وانعش انتصارهم الرغبة في مواصلة حرب بحرية هجومية ضد البرتغاليين اذ كانت عملية اجلائهم عن مسقط احدى الأعمال البطولية التى صاحبت نمو القوة العمانية الذاتية وهى قوة استطاعت ان تحقق مركزا تجاريا وملاحيا عظيما اذ اصبح اليعاربة من القوة بحيث انهم لم يكتفوا ــ بعد استعادتهم مسقط ــ بطرد البرتغاليين من البلاد بل اخذوا في العمل على توسيع نفوذهم السياسى والاقتصادى الى ما وراء البحار وعلى تعقب البرتغاليين في قواعدهم الاخرى في سواحل الهند وسواحل شرق افريقية . ففى عام ١٦٥٥ قاموا بالهجوم على ديو وكانهم بذلك يردون الصفعة للبرتغاليين كما امتدت عملياتهم البحرية الى ساحل كجرات .

انتصار العمانيين على الحلف البرتغالي الفارسي

وظهرت قمة التفوق البحرى لليعاربة في عهد سيف بن سلطان (١٦٧٠ ــ ١٧١١) الذى استطاع بفضل بنائه لاسطول قوى أن يحقق الوحدة لمعظم سواحل الخليج . وكان من نتيجة محاولة البرتغاليين مساعدة الفرس لضرب القوة البحرية العربية في مسقط ان قام اليعاربة بزعامة امامهم سيف بن سلطان في عام ١٦٩٤ بشن غارة بحرية على ميناء كنج واستطاعوا الحاق خسائر فادحة به ، كما نجحوا في تحطيم الوكالات البرتغالية الموجودة في مانجالور وبارسالور على مقربة من بومباى . وحفظت لنا بعض المصادر المحلية عدة مراسلات تبودلت بين الامام سيف والبرتغاليين وهى تتضمن الكثير من انواع التحدى العنيف .

العمانيون يبسطون حمايتهم الى سواحل أفريقية الشرقية

كما امتدت عمليات التحرير العربية الى سواحل شرق افريقية حينما استنجد العرب المقيمون فيها بالقوة البحرية الصاعدة في عمان وأرسلوا من أجل

ذلك وفودا يطلبون مساعدة اليعاربة لهم في تحرير شواطئهم اقتداء بما حققوه من نجاح في تحرير سواحل الخليج . واستجاب العمانيون لاخوانهم اذ معظم العرب المقيمين في شرق افريقية كانوا اساسا من عرب الخليج والجزيرة العربية وظهر ان المراكز الاستيطانية التى اقامها العرب على الساحل الشرقى من افريقية بين راس جردفون شمالا وخليج دلجادو جنوبا ـ كانت تنظر الى عمان باعتبارها الدولة الأم . وحول نهاية القرن السابع عشر الميلادى كان نجاح اليعاربة واضحا في تخليص ساحل افريقية الشرقى من النفوذ البرتغالي اذ يحدد عام ١٦٩٨ تلك الملحمة العنيفة والرائعة في آن واحد ، التى تمكن فيها اليعاربة من اسقاط قلعة المسيح في ممبسة وكانت واحدة من أهم المعاقل التى بناها البرتغاليون في بحار الشرق . ففى عام ١٦٩٦ أرسل اليعاربة أسطولا ضخما ضم ما يزيد على ثلاثة الاف مقاتل فاحتلوا ممبسة بعد أن حاصروها لفترة طويلة بلغت ثلاثة وثلاثين شهرا هلك في اثنائها البرتغاليون مرضا وجوعا .

وكانت موزمبيق هي القاعدة الوحيدة التى قاومت اسطول اليعاربة بل كان من المتوقع ان ينجح العمانيون في السيطرة عليها وبالفعل وصل اسطول اليعاربة على مقربة منها ولكنه لم ينجح في الاستيلاء عليها لما عمد اليه البرتغاليون من تفجير لغم كبير كما تؤكد ذلك احدى الروايات المحلية . وقد حفظ لنا المؤرخ العمانى حميد الدين السالمى في كتابه « تحفة الاعيان بسيرة آل عمان » شيئا من اعمال سيف بن سلطان وجهاده ضد البرتغاليين.

البحرية العمانية تبسط نفوذ عمان بين الهند وافريقية الشرقية

وهكذا اخذت البحرية العمانية في التالق من جديد كما ان اليعاربة بعد نجاحهم في طرد البرتغاليين من الخليج العربي وسواحل شرق افريقيا وتعقبهم في سواحل الهند ـ اصبحوا قوة بحرية لا يستهان بها واصبح اسطولهم الملاحى يعاود السيادة العربية على بحار الشرق . وتؤكد تقارير الرحالة المعاصرين لتلك الفترة أن الأسطول العمانى اصبح في الواقع اضخم قوة بحرية محلية في المحيط الهندى . وكان مما ساعد على ازدهار القوة البحرية نجاح ائمة عمان في ضمان الأخشاب اللازمة لبناء سفنهم بعقد اتفاقيات مع بعض حكام المقاطعات الهندية كما اخذوا يتخلون تدريجيا عن السفن التقليدية واستخدموا سفنا كبيرة الحجم على الطراز الأوربى وما أن بدأ القرن الثامن عشر حتى كان اليعاربة يحكمون دولة يمتد نفوذها الى مشارف وادى الاندس في الشرق كما كان نفوذها الاقتصادى يمتد وراء شواطىء الخليج الى داخل ايران والعراق والجزيرة العربية أما الجبهة الغربية فقد وصل نفوذهم فيها الى سواحل شرقى افريقية وتعداها الى البحيرات الوسطى في داخل القارة الافريقية وعلى الرغم من ظهور دول اوربية كثيرة حلت محل البرتغاليين في بحار الشرق فان هذه الدول كانت مشغولة في خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في توطيد نفوذها في شبه القارة الهندية مما هيأ لعمان الفرصة للمناورات السياسية والطموح في انشاء امبراطورية لها . ولعل ذلك مما وضعها أخيرا موضع التحدى امام الدول الاستعمارية التى استفادت من القوة البحرية العمانية في التخلص من منافسة البرتغاليين لكنها سرعان ما أدركت الأخطار التى يمكن ان تهددها من جراء وجود العمانيين فبدأت في توجيه ضرباتها المتتالية اليهم كما انها لاضعاف نفوذهم اقامت فيما بينها محالفات بحرية لتوحيد جهودها على الرغم مما كان يقوم بينهما من منافسات .

نفوذ عمان يضعفه التفكك الداخلى وتزيده المؤامرات الخارجية ضعفا

ولكن العامل الهام الذى كان له أثره في تقويض القوة العمانية هو التفكك الداخلى الذى أخذت تعانى منه اسرة اليعاربة مما هيأ الفرصة للقوى الخارجية كي تقوضها ولما كان اليعاربة قد فشلوا في تسوية ما نشب من خلافات بين القيم الدينية التى كانوا يمثلونها باعتبارهم ائمة على المذهب الاباضى وبين متطلبات مجتمع تجارى وسياسى علمانى فقد انهار حكمهم وتهيأت الظروف لأسرة جديدة وهى أسرة بو سعيد ـ التى لاتزال تحكم في عمان حتى وقتنا الحاضر ـ أن تعيد المحاولة لاسترجاع وحدة البلاد السياسية وما ضاع من نفوذها ولكن هذه الاسرة الجديدة لم تلبث ان اصطدمت أيضا بالاستعمار البريطانى الذى أخذ يقوى نفوذه في المنطقة منذ السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر الميلادى . ■■

جمال زكريا قاسم



العِلاجُ بالإِبَر

دَجَلٌ هُوَ أَمْ حَقيقَة؟
وَمَا الأَمراضُ الَّتِي تُعالَجُ بالإِبَر

بقلم : احمد عبد الله ابو سعيد

■ يدور اليوم نقاش طويل وحوار كثير حول موضوع « العلاج بوخز الابر » Akupunktura. لا لشيء سوى أن العلاج الابرى به اشياء لم يتمكن العلماء بعد من تفسيرها او معرفة سرها .. ومن هنا يبدأ مجرى الشك والتشكك .

والحق اننا نحن ما زلنا لا نعرف عنه غير القليل، بعض الناس ـ مثلا ـ لم يسمع به اطلاقا ، وبعض الناس لا يعرف عنه الا انه طريقة" صينية للعلاج بالابر ، والبعض يؤمن به بحسبانه شعوذة طبية، والبعض الاخر يقف منه بين الايمان به والكفر ولسان حاله يقول « ربما يكون علاجا ناجحا » .

مدى انتشار العلاج الابرى فى العالم

يوجد هذا العلاج في الصين واليابان وكوريا ، ويوجد أيضا في فرنسا والمانيا والاتحاد السوفياتي وفي بلدان أوربية أخرى .. وهناك « الرابطة الدولية للعلاج الابرى « Interna. Associ. For the Acupuneture» ومقرها باريس ،وقد تأسست في عام ١٩٤٥ . واصل كلمة Akupunkrura مشتقة من كلمة Acus اللاتينية ومعناها ابرة ، ثم كلمة Pungere ومعناها وخز ـ لدغ . اما التعبير الصينى لها فهو « تشن تشين » Chen-chin وتعنى الابرة والدفء .

وقد بدىء باستعمال هذه الطريقة في العلاج قبل خمسة الاف عام في الصين ، اما في الغرب فلم تظهر الا في القرن السابع عشر في فرنسا .

ويُعتَقد اليوم ان هناك اكثر من عشرة الاف مُعالج بالابر Akupunkturist في اوربا وامريكا فقط ، ولقد اجرى جيش التحرير الشعبي في الصين وحدها اكثر من ...ر٤٠٠ عملية جراحية كان التخدير فيها يتم بالابر .. وتتراوح اعمار المرضى بين ٧٠ و ٨٠ عاما اما نسبة النجاح فكانت حوالى ٩٠٪ .. والابرة المستعملة في التخدير طولها ٥ سم واسمك قليلا من شعر الانسان ..

يقول العلماء عن هذه الطريقة

يقول البروفسور فادم فوجراليك Prof. Dr. Vadim Vogralik الاستاذ بكلية الطب ـ بمدينة جوركى Gorki في الاتحاد السوفياتي « ليست هذه هى المرة الاولى التى يسبق فيها العمل التجريبى ـ في الطب ـ الفكر النظرى ، فالاطباء يعرفون اين يغرسون الابر للتخدير ولكن لا يعرفون لماذا يجب ان تغرَس في هذا المكان بالذات ؟ وهم يتبعون في ذلك اطلسا مرسوما في القرون الوسطى » ..

في سنة ١٠٢٧ عمل الطبيب الصينى فان فى « Van Vey » شاخِصَيْن بشريين من البرونز وبهما ٦٠٠ فتحة ، ثم زادها الدكتور هو تى بن Hu Te-Pin الى ٦٩٣ منها ١٠٠ نقطة رئيسية والبقية مساعدة .. اما عن تاثير هذه الابر وانتقال هذا التاثير فيقول العالم الكورى كيم بون هان Kim Bom Han « ان هناك تحت الجلد مراكز خاصة ، نقاط وخطوط غير مرئية ، تشكل معا جهاز System يُسَمَّى جهاز كيون راك « Kyon - Rak Sistem » ـ وفي رأيه ـ ان هذا الجهاز يشكل (بجانب الجهاز العصبى والدم والليمفا) الجهاز الرابع وهو المسئول عن نقل « تاثير » وخز الابرة من اماكن معينة الى الاعضاء الداخلية » .

ويؤيد العالم السوفياتى G. Novinski جورج نوفيسكى وجود هذه المراكز الخاصة (والتى تختلف عما حولها) ولكن يُشَكِّك في امكان ارتباطها جميعا في جهاز خاص . لكن اذا لم يكن هناك اتصال Communication بين الأماكن الخاصة بالوخز وبين الاعضاء الداخلية فكيف ينتقل التاثير باللدغ اذن ؟ معظم العلماء السوفيات يعتقدون ان التاثير ينتقل في الطريق الطبيعى ـ اى بواسطة الاعصاب ـ لكن ذلك لا يحل اللغز كله ، وتبقى بعض الجوانب الكبيرة غامضة . مثلا ، لماذا عند علاج بعض الامراض تغرَس الابرة في مكان معين ؟ ولماذا عند علاج مرض آخر تغرس في مكان آخر وهكذا؟ ما الفرق بين لدغ الابرة والتدليك العادى؟ ثم ما الفرق بين لدغ الابرة والصدمة الكهربائية ؟

هذه اسئلة لم يجب عليها العلماء بعد ..

اما العالم اليابانى البروفسور ماسايوشي هيودو من مدينة اوساكا Prof. Dr. Masa yo shi Hyodo - Osaka فيقول :

يتَمَيَّز الطب الشرقى عن الطب الغربى ناحيتان الاولى : ـ علاجية : ـ وتتلخص باستعمال المواد الطبيعية ومعظمها على شكل سوائل . الثانية :ـ الوخز الابرى Akupunktura فجسم الانسان ـ حسب رأيه ـ ينقسم كما تنقسم الكرة الارضية الى دوائر زوال Meridians تمر في مناطق معينة في الجسم ومنتظمة عددها ١٢ اساسية ، ٨ فرعية . وكل دائرة زوالية Meridian لها اسمها ومنطقتها الخاصة بها ، مثل دائرة الزوال المعدى ـ ودائرة الزوال الكلوى ، والمعوى ، والكبدى وهلم جرا .. وعلى كل خط زوال توجد نقاط خاصة باللدغ وثابتة العدد ، فمثلا خط الزوال الرئوى عليه ١١ نقطة و الكلوى ١٢ نقطة وهكذا !!

وتاثير الضرب او الوخز بالابرة على احد نقاط هذه الخطوط الزوالية ينتقل بشكل تلقائى الى الاعضاء الداخلية التى يشملها هذا الخط ..

الامراض التى يمكن علاجها بالوخز الابرى AKUPUNKTURA

هذه الطريقة ـ كاى طريقة علاجية اخرى ـ تُستَعمَل في علاج امراض القلب والاوعية الدموية ، والمعدة والامعاء والاعضاء التنفسية وحتى الامراض الجلدية ، وكذلك امراض الجهاز العصبى والارق التى يصعب علاجها بالطرق التقليدية .



والآن لنستمع الى المرضى ماذا يقولون عن هذا التخدير الابرى

يقول العامل الصينى الذى استئصلت مرارته الصفراء ـ لاو تانج ـ « لقد شعرت بالوجع الخفيف اول الأمر ثم بالخدر ، ثم شعرت ان شيئا مثل راس قلم الحبر يخدش بطنى من اعلى الى اسفل دون ان اشعر بالالم » .

وخلال العملية التى استغرقت ٣ ساعات كان المريض هادئا ومرتاحا ، وظل ضغط دمه وتنفسه ونبضه فى الحدود الطبيعية .. ولقد أجاب على اسئلة الاطباء واستمع الى نصائحهم وتوصياتهم ، وتعاون معهم بشكل يستحيل توفره عند التخدير بالوسائل التقليدية !!

ان ميزة التخدير بالابر تكمن فى عدم خطورته على الاطلاق ، وامكانية التحكم فيه واتقانه ، وكونه اقتصاديا وفعالا .. ومناسبا للمناطق النائية والفقيرة .. وهو فى ذات الوقت يفتح مجالات واسعة جديدة فى الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية والتشريح .

ان العلاج بالابر الذى كان حقيقة من حقائق العلم القديم بعث من جديد بعد ٥٠ قرنا من النسيان ، ليشق طريقه ببطء ـ ولكن بنجاح ـ الى رحاب حضارة القرن العشرين وما بعدها .. ليصبح ـ أيضا ـ احدى حقائقها الثابتة .

وهكذا نرى ـ كما يقول العالم الالمانى ارليخ شتيفاتر Erlich Stifather « ان الطب الحجرى يسير جنبا الى جنب مع الطب الذرى » . ■■

احمد عبد الله ابو سعيد
نيش ـ يوغوسلافيا

أكسل منته

AXEL MUNTHE

الأديب .. والإنساني، الفنان .. والعالمي..

بقلم : الدكتور فخري الدباغ

■ اتفق نقاد وكتاب عصره من امثال (كيبلنج) R. Kipling وبرنارد شو ، وبول بورجيه P. Bourget ، والسويدي (رايد برج) V. Rydberg على ان (اكسل منته) Axel Munthe يمتلك موهبة ادبية هائلة تحتم عليه ان يهجر الطبابة ويتفرغ للكتابة . ومع ذلك ، فان قصة واحدة من بين انتاج ادبي كبير كان لها الفضل الاكبر في ذيوع صيته كاديب متمكن ، هي قصة سان ميشيل Story of San Michele . ولعل السبب يكمن في ما قدمته هذه القصة من دفء وعاطفة وظرافة وفلسفة ممزوجة بسخرية .

وقد انتجت شركة (افلام جلوريا) Gloria Film/CCC فلما ملونا عن حياة (منته) بعنوان (الطبيب من سان ميشيل) ابرزت فيه دوره الخالد في مكافحة وباء الكوليرا في مدينة نابولي عام ١٨٨٣ م .

اما صديقه برنارد شو ، فقد دعاه « الفنان .. الانساني .. حامي الطيور » . فمن هو اكسل منته ؟

حياته الشخصية

ولد اكسل منته في (اوسكار شامن) Oskarshamn المدينة السويدية الصغيرة ، عام ١٨٥٧ م . وكان والده صيدلانيا . وانتقل الى العاصمة ستكهلم لاكمال دراسته الجامعية في جامعة (اوبسالا) Upsala . واصيب بنزيف رئوي اثناء ذلك كاد ان يودي بحياته . وقطع فيه الاطباء الرجاء ، الا انهم نصحوه بالسفر الى جنوب اوربا لعله يستفيد من دفء المناخ . ورحل بالفعل الى ايطاليا عام ١٨٧٦ . وكانت زيارته للجزيرة الساحرة (كابري) Capri لبضعة ايام ذات تاثير خالد في تحويل مجرى حياته ومصيره ، لانه قرر ان يسكن الجزيرة في المستقبل . ومنذ عام ١٩١٠ قضى معظم حياته هناك بعد ان اشترى له قطعة من الجزيرة كانت فيها خرائب كنيسة سان ميشيل . وقد ساعد الجو الدافيء على استرجاع صحته ، فدرس الطب في فرنسا في جامعة (مونبيلييه) Montpellier ، وتخرج في كلية طب باريس وكان عمره آنذاك ٢٣ سنة . وفي

منته .. الطبيب

كان منته يفخر بدراسته في مونبيلييه ثم باريس حيث يزخر الجو العلمي بفطاحل وعلماء مشاهير مثل (باستور) Pasteur ، والعالم الفسلجي (براون سيكار) Brown - Sequard ، وطبيب الامراض العصبية (لاسيج) Lasege . وكانت جامعة باريس في فترة حزن على موت جراح الاعصاب الشهير (بروكا) Broca . وكان استاذه في الامراض العقلية والعصبية آنئذ البروفسور (شاركو) Charcot استاذ (سيجموند فرويد) . وقد اصبح استاذ الامراض النسائية البروفسور (كورتي) M. A. Courty ذا اثر بالغ في حياة منته ، لانه عندما التقى به كان على وشك الافلاس وبين براثن المرض ، الا ان الحظ حالف الطالب السويدي اللامع ، فانتبه اليه كورتي وتعهد بان يشرف عليه وعلى اكمال دراسته الطبية ولم يخيب الطالب ظن اساتذته فيه ، اذ اصبح طبيبا شهيرا بارعا .

وكانت رسالة الدكتوراه التي قدمها بنجاح فائق تدور حول موضوع (الوقاية من نزيف بعد الولادة) عام ١٨٨٠ . وقد اهدى رسالته الى البروفسور (ماثيوز دنكان) M. Duncan رئيس شعبة الامراض النسائية في مستشفى (القديس بارثولوميو) St. Bartholmew's Hospital في لندن، حيث خدم ومنته هناك لفترة من الزمن. ومن الطريف ان احد الاطباء الفرنسيين (هنري نوئيل) قدم اطروحته للدكتوراه عام ١٩٥٠ عن (حياة ورسالة الدكتور اكسل منته في الطب) . وفي الاطروحة تلك اجمال لأعمال منته العلمية ، نذكر منها مثلا : « بعد نظره في الدعوة الى استعمال نقل الدم في علاج حالات معينة .. »، وهي فكرة لم تكن مقبولة آنذاك .

وقد كان منته طبيبا وعالما ، واصبحت استنتاجاته موضع التقدير والعناية . واصبح طبيبا ممارسا ناجحا ، وطبيبا خاصا للملكة فكتوريا في السويد منذ عام ١٩٣١ ، واحتفظ بالمنصب لحين مماته . وكان يمارس علاج الامراض النسائية والامراض العامة ، الا انه احب وتفرغ تقريبا الى الامراض النفسية.وكان زبائنه يلاحقونه في كل مكان : في باريس وروما والسويد وقرب كابري ونابولي . وكان يعالج الحالات المستعصية



اكسل منته وعمره ٧٥ سنة

اثناء ذلك كانت حالته المالية سيئة للغاية فاضطر الى اعطاء دروس باللغة السويدية لتحصيل دراهم عيشه .

وفي عام ١٨٨٠ تزوج من امراة سويدية هي (اولتيما هورنبرج) حتى عام ١٨٨٨ حيث افترقا. ثم تزوج من امراة انكليزية شابة هي (هيلدا ميلور) ، وانجبت له ولدين . وكانت الأم وولداها يعيشون في لندن الى عام ١٩٦٢ .

ثم ترك جزيرة (كابري) لآخر مرة عام ١٩٤٣ ليرجع الى السويد ، عندما كانت الحرب العالمية الثانية تدور رحاها في قلب ايطاليا . وفي السويد حل ضيفا على العائلة المالكة السويدية في قصرها في ستكهلم ، الى ان وافاه الأجل عام ١٩٤٩ .



منظر من فلم (الطبيب من سان ميشيل) يمثل وباء الكلوليرا في نابولي . قام بدور البطولة (الى اليمين) فيشر O.W. Fischer من أفلام جلوريا وهو دور اكسل منته .

او المعقدة ، فقد اعتاد العلامة (كرافت ـ ابنج) Kraft - Ebing أن يرسل له مرضاه من النمسا ، واعتاد الطبيب والجراح الامريكي الشهير (واير ميشيل) W. Mitchel أن يرسل له اثرياء الامريكيين من فيلادلفيا .

منته .. الاديب

لم تكن شهرة منته في الكتابة باقل من تفوقه في الطبابة . وقد استهل حياته الادبية عام ١٨٨٥ باسم مستعار هو (بوك) Puck . ففي عام ١٨٨٣ اجتاحت الكوليرا منطقة نابولي في ايطاليا ، وكان عدد الضحايا يبلغ المئات في اليوم الواحد . وكان منته وسط المصابين يعالجهم ويخفف عن الامهم . ولم تغب عن مخيلته المناظر الاليمة لوباء الكوليرا في المدينة البائسة ، ولكي يجمع التبرعات والاعانات بدأ يكتب ويراسل الصحف السويدية ، واصدر كتيبا مخططا عن (وباء الكوليرا في نابولي) . واتضح له ولغيره ان كتاباته ذات طابع واسلوب ادبي جذاب ، وهكذا ازدهرت حياته الادبية . وقد اعاد تصوير مأساة الكوليرا بدقة في كتاباته الاخرى .

وعندما كان في باريس لاول مرة ، عاش سنوات حافلة ودسمة من الجو الادبي والفني والعلمي في عاصمة الفكر والادب والجمال ، وارتشف من كل الينابيع الفكرية . وفي تلك الايام سادت كتابات (فير لين) Verlaine المحتشمة ذات الحياء والعفة ، بينما آل الادب الطبيعي لاميل زولا Zola ، وجي دى موباسان Maupassant وفلوبير Flaubert الى الخفوت ، وكذلك ادب اناتول فرانس المعروف بحدته القلشرية . وفي الاوبرا ساد انتاج (واجنر) Wagner .

وعندما انضم الى القوات المحاربة الانجليزية في الحرب العالمية الاولى ، دوّن ذكرياته وتجاربه في كتاب (الصليب الاحمر والصليب الفولاذى ـ بقلم طبيب من فرنسا) The Red Cross & Iron Cross by a Doctor from France ، وصدر الكتاب عام ١٩١٦ .

ولما بدا يشكو من عينيه ويخبو نظره رويدا رويدا ، انتهى من رائعته (قصة سان ميشيل) عام ١٩٢٩ ، واصبحت من اروج الكتب في العالم. فبالاضافة الى تصويرها الدقيق العامر بالحياة فقد كانت مليئة بالنماذج البشرية الواقعية ، وجميلة في طراوتها ، وجذابة باسلوبها الاصيل المطعم بالسخرية اللاذعة والوجدان والفلسفة . وقد ترجمت القصة الى اربعين لغة اجنبية ومنها ثماني طبعات بطريقة (بريل) للعميان ..

اما اعماله الادبية الاخرى فهي :

(من نابولي ..) ـ بالسويدية Fram Napoli عام ١٨٨٥ ، (رسائل من مدينة بائسة) Letters from a Mourning City عام ١٨٨٧ ، (ذكريات .. واهواء) Memories and Vagaries عام ١٨٩٨ ،و(رسائل..وخطط) ـ بالسويدية ـ Bref Och Skizzer عام ١٩٠٩ .

رجل المجتمع ، والمحسن العالمي

كانت احاديثه وخطاباته تدل على مهارة في اجتذاب انتباه الناس واسر افئدتهم ، اذ كان محدثا بارعا وسليا . ويفتقده اصدقاؤه والمجتمع

الذي يتعرف عليه . الا انه لم يسمح لنفسه ان تكون جلساته الاجتماعية على حساب سعيه العلمي والادبي .

وكان يندفع بحماس فائق وتضحية مجردة في الازمات العامة والنكبات. فقد سارع الى الاسعاف تلقائيا عندما ثار زلزال في جزيرة (اشيا) قرب نابولي عام ١٨٨١ ، وبادر الى الاسهام في مكافحة وباء (التيفوس) ايضا في ايطاليا واستحق وسام التقدير من الحكومة الايطالية . ودوره البارز في مكافحة وباء الكوليرا في نابولي بين الاف المصابين خلده كانسان لا يهاب الموت . وقد تجسم دوره في الفلم السينمائي الذي تدور حوادثه في تلك الحقبة .

وكان مواطنا للعالم ، ولم يرتبط بجنسية او عصبية . تنقل بين السويد وايطاليا وفرنسا وانكلترة — . احب الناس والطبيعة والطيور والحيوانات ، ودعا الى الرفق بالحيوان ، وجاهد بحماس . وفي عيد ميلاده السابع والسبعين الموافق لعام ١٩٣٤ تكلم صديقه برنارد شو وقال : « .. واذا اتحد العالم لحماية الطيور بفضل منته — اشهر من احب الطيور — ، فان ذلك يعد خطوة جبارة نحو امل البشرية في حماية الانسان . وانني اتمنى ان يتوج منته حياته بتاسيس جمعية لحماية البشر الذي يتعرض اليوم من كل جانب الى خطط منظمة وحشية نحو دماره .. » .

والحق ان منته دافع عن الانسان وضد الدمار والشقاء ، ووقف بجانب الناس المعذبين دائما . وعلى الرغم من انه كان الطبيب الاثير لدى اغنياء الناس وعلى الخصوص ثريات باريس لوسامته ولباقته واجادته عدة لغات اجنبية ... ، لكنه احب الفقراء وعالجهم مجانا في ابسط احياء روما وباريس . وقد عرف ايضا كصديق وطبيب الفنانين المعدمين .

منته .. الفنان

احب الفن وعشق الجمال ، وعندما قرر العيش في كابري اشترى قطعة منها كما سبق ان ذكرنا وهي خرائب كنيسة (سان ميشيل) المهدمة ومن حواليها بساتين الكروم الجميلة . وقد ابتاعها بعد ١٤ عاما من زيارته الاولى لها وعمره ٢١ سنة. وقد صمم على اعادة بنائها لتغدو بعدئذ قطعة فنية شهيرة . اما (فيلا سان ميشيل) التي شيدها مسكنا له ، وامامها نصب سان ميشيل الرائع ، فقد كانت اعجوبة يؤمها ملايين المواطنين والسياح ليمتعوا اعينهم بالتحف الفنية والتناسق والجمال في اقسامها واجزائها .

وفي عام ١٩٥٩ ، عقد المؤتمر العالمي الثالث لمناقشة تدرن الجهاز البولي في فيلا سان ميشيل بالذات . وقد خلد منته هذه البقعة في تلك الجزيرة في كثير من كتاباته ورسائله الادبية . وعندما الح عليه مرة سفير السويد في ايطاليا ان يسكن المدينة العريقة (روما) اختار ان يسكن في نفس الدار التي عاش فيها التلميذ — الطبيب ، الشاعر الانكليزي (جون كيتس) J. Reats في عام ١٨٢١ في الشارع المعروف باسم اسبانيا Piazza di spagna.

نهاية المطاف ..

عندما خيم الظلام على عينيه المريضتين ، انتابه ياس غريب لم يتلاءم مع شجاعته وكفاحه ضد الاوبئة والنكبات . وابى اجراء اية عملية جراحية على عينيه ، الا ان البروفسور فوكت Vogt اقنعه باجرائها في زوريخ ، فاستعاد جزءا يسيرا من نظره .

ولما بدا الظلام مرة اخرى يسدل ستائره على عينيه فتح منته فيلا سان ميشيل للعالم اجمع لتكون ذكرى للطب والادب والفن والجمال والانسانية . ورجع منته الى السويد عام ١٩٤٣ تاركا وراءه سان ميشيل وجزيرته الحبيبة ، وليحل ضيفا على العائلة المالكة السويدية في القصر الملكي في ستكهلم . وهناك قضى السنوات الست الاخيرة من حياته .

واذا كان قد بدأ الفصل الاول من قصة سان ميشيل بترانيم الربيع وعواطف الشباب ، فان الخريف الذي يحل كل عام في مقره الاخير بحث الطيور على الرحيل باتجاه الجنوب .. ويثير في منته الحنين والتحرق شوقا الى الهجرة مع طيوره المحبوبة الى جزيرة كابري ، ولكنه مات عام ١٩٤٩ م . ■■

فخري الدباغ

العقل نوع من الإدمان يسيء كما تسيء الخمور والعقاقير

بقلم : الدكتور وليم الخولي عبيد

الطبيب النفساني

■ لم اكن بحاجة لان اسال عن علة مرضه فقد بدا نحيلا ضاويا ووضح من معالمه انه مدمن على الأفيون من زمن بعيد .. سألني : ألا استطيع أن اجد في طبك خلاصا من ذلك العقار اللعين الذي سلمته نفسي ولا استطيع من عبوديته عتقا ، فان امتنعت عنه يوما عانيت من الآلام ما لا طاقة لي باحتماله فاعود اليه مرغما ذليلا ؟ انه الادمان يا سيدي الطبيب .

أسباب السعادة والشقاء

وفي يوم كنت مستغرقا في البحث عن أسباب السعادة وعلل الشقاء في حياة الناس ، وجالت بخاطري عوامل متباينة ، بعضها مغرق في اللذة المادية ، وبعضها مغرق في التصوف ، وبعضها يقوم على أسس نفسية أو مفاهيم فلسفية ، ثم مر بذهني عامل « العقل » وهل هو أداة للسعادة ام الشقاء ، وحيرت في أمر ذلك العقل الذي ينفرد به الانسان دون سائر أنواع الحيوان ، لانه يسعدنا ويشقينا ، وكدت انتهي الى أن عقلنا هو علة تعاسة الناس !

ان الطبيعة في مسيرتها وتطورها المستمر فرضت علينا العقل فرضا ، به نكشف الكثير من أسرارها فنتعاون معها حينا ونعدل من مسارها احيانا ، لعلنا نتعجل التطور ، ونساعد على بلوغ مرتبة السعادة والسمو التي تنتظر البشرية بعد الاف السنين .. اما الآن فنحن ــ بالعقل ــ نشقى لنشيد ذلك البناء الجميل الذي سينعم بسكناه انسان المستقبل البعيد .

الحيوان لا يهتم بالمستقبل فهو سعيد

انظر الى الحيوان تجده بلا هم ، يسعد باشباع مباشر لمتطلبات غرائزه ، لا يحمل هم مستقبل ولا يراجع في نفسه اتعاب ماضيه . ان اصيب اصابة بالغة صرخ لحظة ثم عاد الى هدوئه ، ولا يشكو آلامه ولا يستعرض بلواه ، فلا تمر فترة طويلة الا وقد تم له الشفاء . والظاهرة نفسها نلاحظها في الحالات الشديدة من المرض العقلي ، فالمخبول قد يصاب بمرض خطير وهو لا يقدر ما أصيب به ، وهو لا يبالي ولا يكاد يتألم فيتم شفاؤه بسرعة زائدة .

اما « العاقل » فيكاد يكون في هم متصل : فهو يفكر فيما كان ، وفيما هو كائن ، وفيما يمكن ان يكون . وهو يجتر في ذهنه الام الماضي واتعابه فتؤرقه ، وقد يكون في حاضره في محنة تحطمه ، او يكون في نعمة يخشى زوالها ، فهو لا يكتفي بالام الحاضر بل يحمل هم ما يخبئه له مستقبله ، ولا سيما لانه يسهم في تحديد مستقبله الى حد ، او لانه دائما في مفترق الطرق ، وعليه في كل لحظة ان يختار طريق مستقبله ــ كما يقول الوجوديون ــ وهو اختيار مشحون بالقلق الشديد خوفا من اساءة الاختيار .

عقل المرء علة الكثير من الأمراض

واذا أصيب « العاقل »بمرض أعمل فكره لدرجة تضاعف احساسه بالالم ، وتؤخر شفاءه . بل ان عقل المرء علة للكثير من الأمراض ، وقد يؤدي الى موته قبل الأوان . ان عمر المرء يقاس ــ في

نظر الطب ـ بحالة شرايينه ، وشيخـوخة الشرايين المبكرة تنشأ عما يدور فى نفس المرء من هموم وصراعات . وليس الهم بالشيء الدخيل على الانسان ولكنه من صميم نسيج وجودنا . وان كان الاهتمام والهم من خصائص الانسان ، فكلما زاد الفرد انسانية وترقيا زاد اهتمامه وكثرت همومه ، وبالتالى زادت امراضه واتعابه .

ثمرات العقل اكتشافات واختراعات ، فكم هى زادت فى سعادة الناس

لعلك تحتج بان ثمار العقل من اكتشافات واختراعات فى شتى الميادين قد اغرقتنا بوسائل الاسعاد . لقد كنا ـ حتى القرن الماضى ـ نرى وباء كالكوليرا يجتاح الملايين فننسبه الى سوء مزاج الهواء ولا نستطيع لقضائه ردا ، اما الآن فكثير من الاوبئة والامراض اوشك أن يقتصر ذكره على كتب التاريخ . والسفر من بلد لآخر فى سفينة او على ظهر دابة كان الى عهد قريب يستغرق من الزمان شهورا ، اما الآن فلا نحتاج الا الى لحظات نقضيها فى طائرة مريحة . والماء الذى كان يحمله « السقاء » من البركة أو الترعة الملوثة الى الزير ، استبدلنا به الآن حنفيات الماء النظيف البارد والساخن والمثلج . وما كنا ندرى بما يدور قريبا منا من حودث الا بعد زمن طويل ، اما الآن فانك تجلس أما التليفزيون لترى وتسمع ما يدور فى أبعد بقاع الارض أو على سطح القمر .

ان الذين اطالوا أعمار الناس بالطب الحديث ، هم الذين قصروا أعمارهم بالأسلحة ووسائل الدمار

ولكن .. هل نحن اسعد حالا ممن سبقونا منذ الوف السنين . ان الذين اخترعوا وسائل الراحة واطالة العمر هم الذين اخترعوا الأسلحة النووية وغيرها من وسائل الدمار . والذين استفادوا من السفر السريع ومن استخدام الآلة عموما هم الذين أصيبوا بداء السرعة والتوتر وفقدوا القدرة على الصبر والاحتمال . لقد كان تصلب الشرايين من اعراض الشيخوخة المتأخرة فاصبح الآن شائعا بين الشباب . وان زادت وسائل السعادة فى العصر الحديث فقد تضاعفت عوامل التعاسة أكثر مما توفرت وسائل الاسعاد ، ولذلك اصيب الناس بالتذمر والهم والقلق ، حتى اتخذ القلق صورة وبائية عالمية ، كل ذلك من ثمار العقل . فلما اخفق القلق فى معالجة الامور بدأت موجة جديدة من اللامبالاة ، واتخذ البعض وسائل سلبية فاشلة يائسة ، وانتشرت حركات كالهيبز وكثر ادمان المخدرات ، وبعبارة أخرى بدأ بعض الناس يلغون عقولهم لعلهم يستريحون .

وان كان الأمر على هذه الصورة فما بالنا لا نزال نرى الفلاسفة يلهثون جريا وراء مشاكل الحقيقة والبحث فى المعرفة والوجود ، وما بال العلماء يصلون الليل بالنهار فى بحوث لا تنتهى ، بل لم تكفهم الدنيا على سعتها فتبختروا على سطح القمر ، ولعلهم طائرون عما قريب الى الكواكب الأخرى .. هل تعرف السبب ؟ لان الانسان مدمن ، لا خمرا ولا افيونا فحسب ، ولكنه « مدمن عقل » .. مهما اشقاه العقل واضناه ، كمريض الافيون الذى بدأت به كلمتى ، الذى لعن اليوم الذى عرف فيه ذلك العقار اللعين ، ولكنه لا يستطيع الاقلاع عنه لانه اصبح مدمنا ..

الانسان مدمن خمر ، ومدمن أفيون ، ومدمن عقل

لقد عشق العقلاء المعرفة ، لا فى فروع تخصصهم فحسب بل عشقوا مختلف العلوم والفلسفات ، حتى حرموا أنفسهم من المتع المادية ، وحرموا ذويهم من كثير من أوقاتهم ، ومهما تقدمت بهم السن فانهم ما زالوا على تلهفهم يقرأون بنهم ، ويتمنون لو عادوا شبابا ويتمنون لو زادت ساعات أيامهم عن اربع وعشرين ساعة ليتسنى لهم المزيد من القراءة والعلم والاكتشاف والاختراع .

ومع ذلك ، فكثيرا ما يسخر الفيلسوف او العالم من نفسه فى لحظات تامل بل لحظات شك ، ويقول اليس متخلف العقل أسعد منى واهدأ بالا .. اليست الفلاحة البسيطة التى لا تكاد تفكر أو تبالى ، بل تأكل لقمتها البسيطة بقناعة ثم سرعان ما تنام نوما هادئا دون حاجة الى استخدام العقاقير المهدئة ، اليست اسعد منى وأقرب الى واقع الحياة . ماذا افادنى العقل والعلم والاطلاع والتدقيق الا الهم والتعب . ان العقل يسوق اصحابه للجرى وراء سراب متعب ، وراء المجهول . ■■

دكتور وليم الخولى

مسابقة العربي

في أواسط الوطن العربي

■ مسابقة هذا العدد هي تكملة لمسابقة العدد الأسبق التي كانت عن المشرق العربي ، أما اليوم فنحن في أواسط الوطن العربي، في مصر والسودان وليبيا .. والمطلوب منك معرفة أسماء الأماكن المبينة بالأرقام على الخريطة ، ولمساعدتك في معرفتها وضعنا لك الأسئلة التالية .. وحتى تفوز باحدى الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار، يجب عليك العثور على الاجابات الصحيحة لـ ١٢ سؤالا على الأقل .

١ ـ ميناء قديم ، أغلقته أعشاب المرجان فهجره أهله وهجرته السفن ، فأقيم بدلا منه ميناء بورسودان ، فما اسم الميناء القديم ؟

٢ ـ واحات أقيم بجوارها مشروع زراعي كبير ، في واد عرف باسم الوادي الأخضر لأنه أحال الصحراء الى جنة خضراء .. ما اسم هذه الواحات ؟

٣ ـ هذه المدينة اشتهرت بأنها مركز الصمغ العربي ، ما اسمها ؟

٤ ـ هذا الميناء اشتهر في الحرب العالمية الثانية، وفيه حوصرت القوات البريطانية من قبل قوات المحور فترة طويلة .. ما اسم هذا الميناء ؟

٥ ـ بجوار هذه البلدة حقق الجنرال مونتجمري انتصارا عظيما على قوات المحور ، كان بمثابة بداية النهاية للقوات الالمانية الايطالية في الحرب العالمية الثانية ، ما اسم هذه البلدة ؟

٦ ـ هذه المدينة هي عاصمة المديرية الاستوائية في جنوب السودان ، ما اسمها ؟

٧ ـ عندما يترك النيل أوغندا ، ويدخل السودان ، يطلق عليه اسم خاص به ، فما هو هذا الاسم ؟

٨ ـ واحتان متقابلتان ، واحدة تقع في الاراضي المصرية، والثانية في الاراضي الليبية ، ما اسماهما؟

٩ ـ منخفض كبير في الصحراء ، يوجد مشروع لتحويل مياه البحر المتوسط اليه ، واستغلالها في توليد الكهرباء ، ما اسم هذا المنخفض ؟

١٠ ـ ثلاث بحيرات ، تعتبر جزءا مكملا لقنال السويس ، ما اسم هذه البحيرات ؟

١١ ـ أغلب أهالي هذه المنطقة التي تكثر فيها المياه هم من الرجال الملثمين ، أي الذين ما زالوا يضعون اللثام على وجوههم ، وتسفر نساؤهم .. ما اسم هذه المنطقة ؟

١٢ ـ هذه بحيرة ، تقع على ساحل البحر المتوسط بين مصبي النيل ، ما اسمها ؟

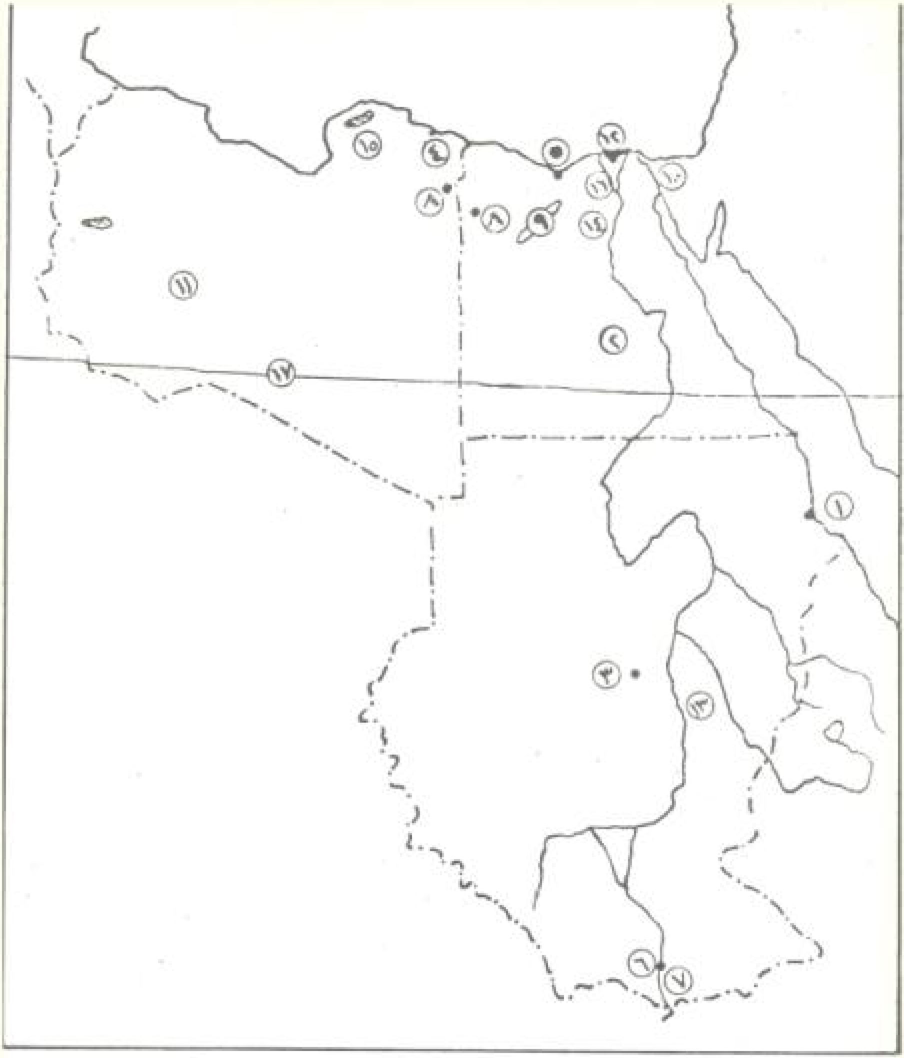
١٣ ـ بين النيل الأبيض والنيل الازرق تقع أرض طيبة واسعة تزرع فيها مختلف انواع المزروعات بنجاح ، وخاصة القطن .. ما الاسم الذي يطلق على هذه الأرض ؟

١٤ ـ بحيرة اشتهرت باسم بحيرة قارون تقوم على مقربة منها مدينة عامرة ، ما اسمها ؟

١٥ ـ جبل يقع في محاذاة شاطىء البحر المتوسط ، خطط له الدكتاتور الايطالي موسوليني ليستوعب مليون مزارع ايطالي يقيمون فيه ، ويزرعونه ، ولكن مشروعه لم ينفذ بسبب هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية .. ما اسم هذا الجبل ؟

١٦ ـ من عند القناطر الخيرية ينقسم النيل الى فرعين ، ما اسم كل منهما ؟

١٧ ـ ما اسم هذا المدار الذي يمر قرب الحدود الليبية الجنوبية ؟ .



شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت، مسابقة العدد ١٧٦ »
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٣ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة
العدد ١٧٦

مَعَ ... اللّه فى الأرض

وَحْدَةُ اللّهِ تَتَراءَى فى وَحْدَةِ خَلْقِهِ
وقُدرَةُ اللّهِ تَتَراءَى فى بَديعِ صُنْعِهِ

التَّمَاسِيح

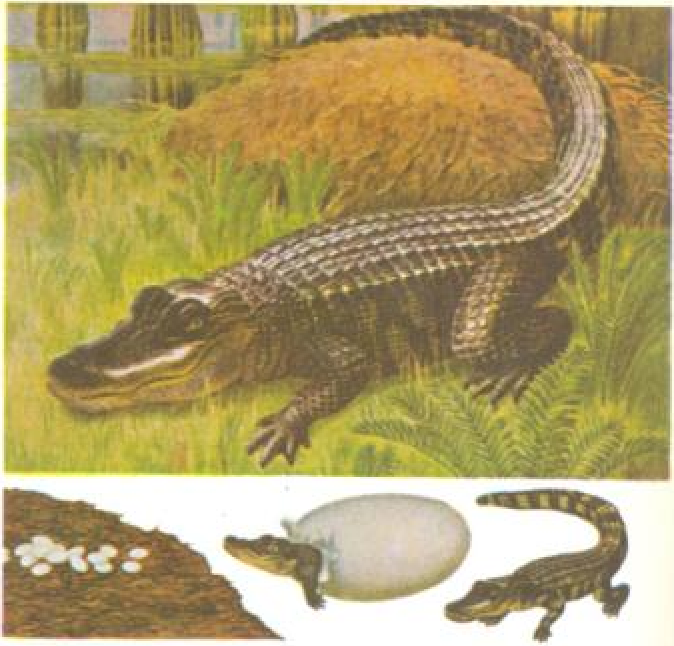
بَعْضُ الزَّوَاحِف

مِنْ عجائبِها، أنَّها تُمْسِكُ بِضَحِيَّتِها مِنْ فَوقِ الأرض، وتَجُرُّهَا إلى الماءِ لِتُغرِقَها، فتموت. ثم تأكُلُها. فَمَنْ عَلَّمَها أنَّ الماءَ مَقْبَرةٌ للأحْيَاء؟!

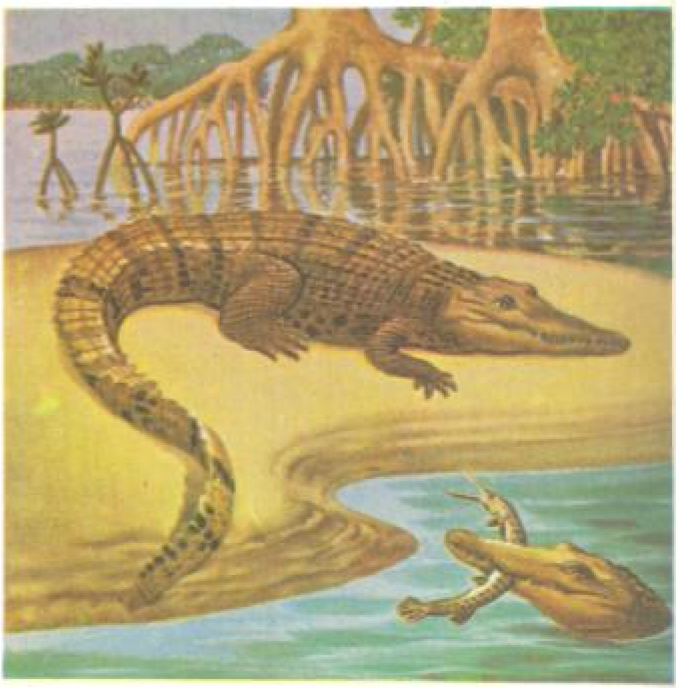
بقلم الدكتور أحمد زكى

■ التماسيح رتبة من طائفة الزواحف، وللتذكرة نقول ان من رتب الزواحف السلاحف والعظايا والثعابين.

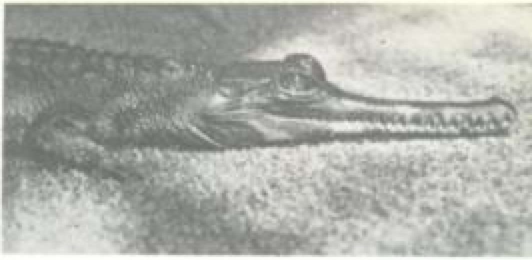
وبين التماسيح والسلاحف والعظايا والثعابين صفات مشتركة هي صفات الزواحف نعود فنذكرها للتذكرة أيضا: ومن هذه الصفات، هيكل لها عظمي داخلي، ووقاء خارجي هو بشرة قرنية على صورة قشور او صحائف، ثم ارجل تنفق والسير على الارض اليابسة وهي مزودة بأصابع ذات مخالب. ولا تمر الزواحف بطور اليرقة المائية عند الخلق. ثم ان بيض الزواحف به السلى، وهو الغشاء الداخلي الذى يحيط بالجنين مباشرة وقد سبق ان شرحنا وظيفته في الحديث الاول عن الزواحف. ومن هذه الصفات المشتركة ان الزواحف تضع بيضها على الارض لا في الماء، ولبيضها قشرة جامدة او متجلدة.



التمساح الاليجاتور Alligator ، ومعه البيض الذي باضه، ثم صورة بيضة ، وقد انفقست عن ولد التمساح . ثم ولد التمساح الصغير ، ونلاحظ هنا فم التمساح العريض .



التمساح النيلي Crocodile ونلاحظ فمه المسحوب كالمثلث الطويل الرأس .



التمساح الهندى جفيال Gavial ، ويسكن عند نهر الاندلس والجنج .

ونحن نذكر ما نذكر ، تكرارا واعادة، لنذكر من قد ينسى اننا مع وحدة الخلق دائما ، ومع وحدته فى الصفات ، سائرون. ان الخلق يسير على انماط اسسها واحدة، وخطوطها واحدة ، وان اختلفت مظاهر واشكالا .

وهى وحدة مع اختلاف ، هو الذى صنع من الطائفة عدة رتب .

والتماسيح رتبة من طائفة الزواحف قديمة ، كان اول وجودها فى التاريخ ، بدليل احافير الارض ، منذ ١٧٥ مليون عام من الزمان .

ورتبة التماسيح كانت يوما ما تحتوى على عدد كبير من الأنواع Species ، ولكن انقرض منها الكثير ولم يبق منها الآن غير نحو من ٢٥ نوعا .

واشهر صنوف التماسيح اليوم ثلاثة: التمساح المعروف بالتمساح النيلى ، والتمساح الأمريكى المعروف باسم اليجاتور Alligator ، ثم الهندى المعروف باسم جفيال Gavial .

التماسيح متشابهة

والتماسيح متشابهة الى حد كبير رغم اختلاف انواعها . مثال ذلك ان جسمها ثقيل وملفوف ، وراسها مثلث الشكل ، وارجلها قصار . ولها ذيل قوى عظيم مفرطح بعض الشىء، وجلدها كثيف ذو صفائح ، وبه الواح مفرطحة تحت البطن ، واخرى روافد فى الظهر .

واكبر اختلاف تتميز به هذه الأنواع والأجناس يتصل بشكل الراس ،وشكل الفم المتطاول خاصة . فمن افواهها الطويل العريض ومثله فم التمساح الامريكى الاليجاتور، ومنها الطويل الذى ينتهى بتدرج الى اكتناز، ومثلها التمساح النيلى ، ومنها الذى يبدا مكتنزا قليل العرض ويطول كانما هو المقراض وهو من حديد، ومثله التمساح الهندى المعروف باسم جفيال .

وتختلف التماسيح فيما فى افواهها من اسنان ، وهى على العموم اسنان كثيرة تبلغ فى الفك الواحد فى التمساح الهندى اكثر من ٣٢ سنا ، وهى دون ذلك فى الصنفين الآخرين . كذلك هى تختلف فى مقدار تلاقى الأسنان العليا بالاسنان السفلى عند انطباق الفكين .

اطوال التماسيح

كثيرا ما نسمع ان من التماسيح ما يبلغ طوله ٣٠ قدما . ويتشكك العلماء فى هذا الطول ، والراجح عندهم انه لم يتحقق طول لتمساح اكثر من ٢٣ قدما اى بين ٧ و ٨ امتار . وعندهم ان هذا الطول من الأطوال النادرة، واكثر الأطوال يقع بين ١٢ و١٥ قدما ، وهذه للتماسيح التى تعيش فى الماء المالح كالتمساح الهندى . اما التمساح النيلى فكثيرا ما يزيد على ١٠ اقدام .

مواطن التماسيح

اكثر التماسيح يعيش فى المناطق الاستوائية والتى هى دون الاستوائية ، اذا استثنينا التمساح الاليجاتور والتمساح الصينى الاليجاتور ايضا .

وكل التماسيح التى تعيش معنا اليوم بر مائية ، اى تعيش فى البر والماء معا . فهى تعيش الى جانب الأرض اليابسة كذلك فى البحيرات وعند شواطئها وفى المستنقعات وفى الانهار . والذى يعيش منها فى الماء المالح اليوم هو نوع من التماسيح فى الهند الشرقية وفيما حولها من المناطق .

التماسيح تسبح فى الماء

والتماسيح تمخر الماء مخرا ، فلا

يكاد يرى الانسان منها شيئا ويبقى مع ذلك عيناها ومنخراها فوق الماء . وهي على هذا الوضع تفاجىء فريستها .

والسؤال كيف تتنفس وهي على هذه الحال ؟ والجواب ان مناخير التماسيح ، وهي في طرف الفم الاقصى ، تظل فوق الماء ، وهي بذلك تأذن بدخول هواء التنفس الى الرئة . ولا يدخل الماء الى جوف التمساح عن طريق الفم لأن منافذ الماء اليه تنسد بانسداد صمام بداخل الفم ، لا يأذن للماء ان يمر .

ويسبح التمساح بقوة ذيله المفرطح ، وقد ضم رجليه الى جسمه حتى لا تعوقا تقدم الجسم في الماء .

التماسيح كيف تصيد فرائسها

ان التماسيح كثيرا ما تطفو في الماء ، على النحو الذي سبق ان وصفنا . ويغمر الماء جسمها كله الا العينين والمنخارين ، ويظل يرقب ، حتى اذا ظهرت له ضحية على الساحل ، ظل يقترب منها ، ثم يقترب ، في هوادة وفي سكون شديد ، حتى اذا كان منها على نحو بضعة أمتار ، خرج من الماء اليها مسرعا وضربها ضربة قوية من ذيله فاذهلها عن نفسها ، ثم هو يضرب فيها فكه ويجرها الى الماء حتى تغرق فيه وتموت . ليت شعري من علمه ذلك ؟ من علمه الفرق وعلمه ان التنفس لايكون تحت الماء ، وان الماء مقبرة ؟

واذا كانت الضحية كبيرة اخذ التمساح يمزقها قبل التهامها وذلك بالدوران بها في الماء . ثم هو يلتهمها قطعة قطعة .

غذاء التماسيح

اكثر التماسيح يعيش على السمك ، وسلاحف البحر والطيور ، وكذلك ما يتهيأ له من الحيوانات ذات الثدي، كبيرة للتماسيح الكبيرة ، صغيرة للصغيرة .

التناسل عند التماسيح

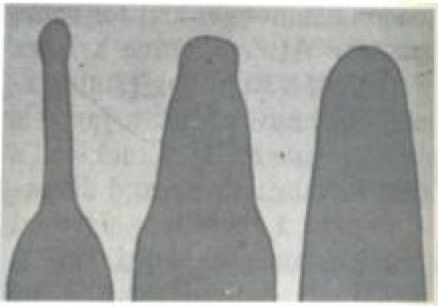
ان انثى التمساح تضع ما بين ٣٠ الى ٦٠ بيضة في المرة الواحدة ، في حجم بيضة الدجاج الاوروبية الكبيرة . وهي تحفر لبيضها هذا حفرة على الساحل على مقربة من الماء ، ثم تغطي البيض بالتراب أو الطين ، أو بالحشيش ، ايها تجد ، وعندئذ يقوم الدفء الواصل اليها من الشمس ، او الناشىء من اختمار النبات الذي تغطت به ، بتنشئة الجنين داخل البيض . وعند استعداد الأفراخ للخروج تسمع الأم لها صوتا يأتي من داخل القشرة، فتسرع الى الغطاء فترفعه عن البيض وعندئذ تستخدم الأفراخ سنا تعرف بسن الفقس ، توجد فوق فمها من أعلى وفي طرفه ، تستخدمها في كسر القشرة وتخرج منها . وتقوم الأم عندئذ بقيادة افراخها الى الماء ، وفي الماء تقوم الأفرا . وحدها بواجبات حياتها .

ويبلغ طول الفرخ عند الخروج من البيضة نحوا من ٢٠ سنتيمترا .

اعمار التماسيح

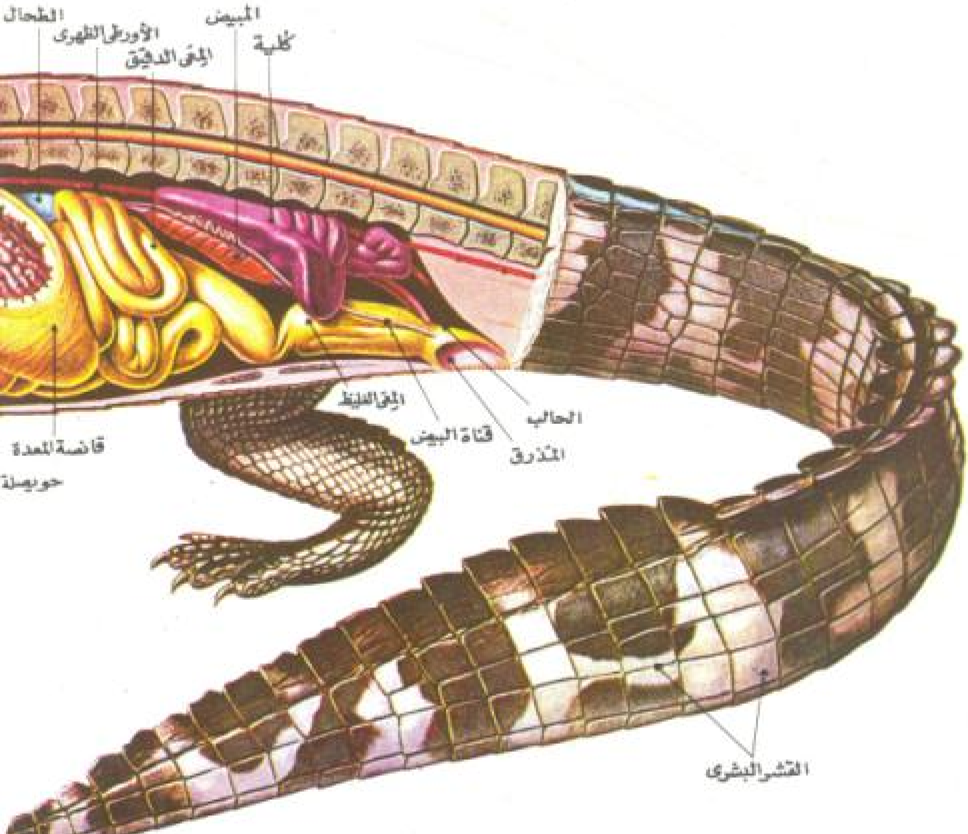
ان متوسط اعمارها يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ عاما . وقيل بل هو فوق ذلك ، ولكن لم تتيسر الأدلة المقنعة بهذه الأعمار الطويلة .

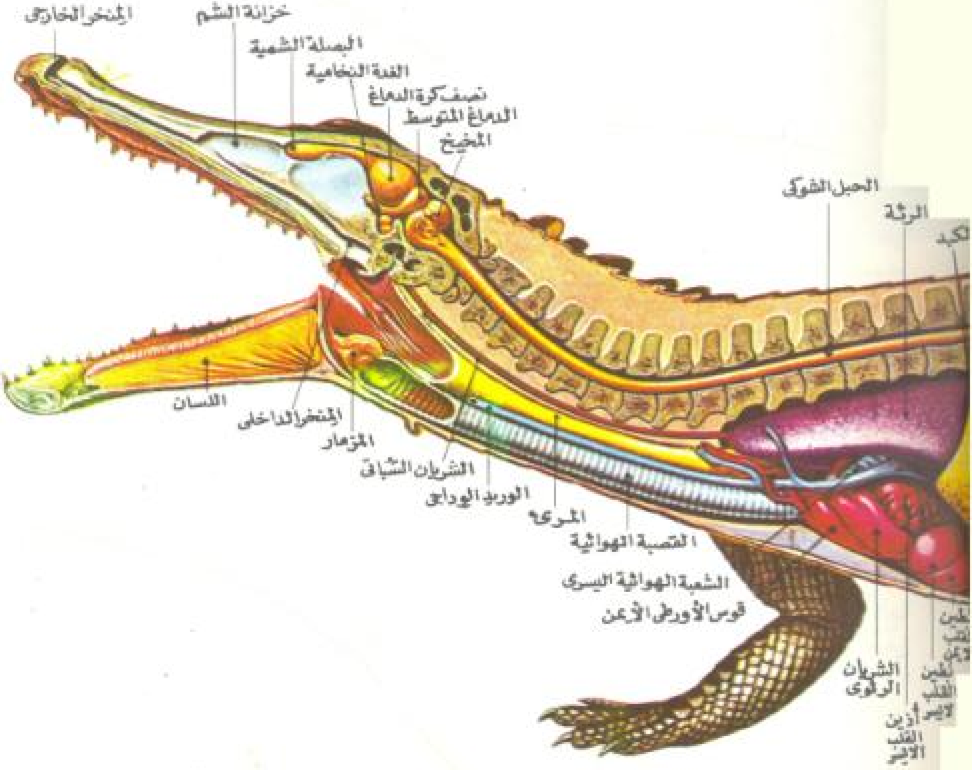
منظر لرأس التماسيح الثلاثة اذ يرى من أعلى . والذي الى اليمين للتمساح الأليجاتور ، ثم للتمساح النيلي ، ثم للتمساح الهندي .



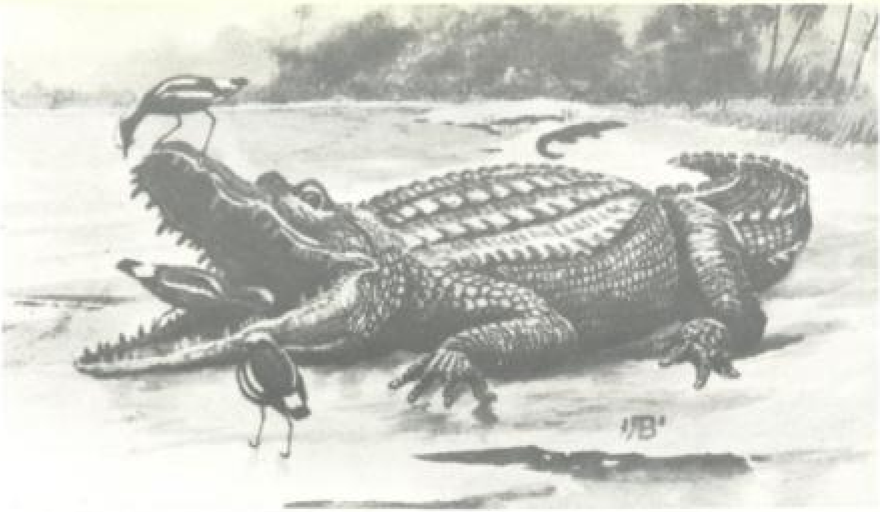
تَشْرِيحُ التِّمْسَاح

يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَكْمَلُ الزَّوَاحِفِ خَلْقًا





التمساح مثل " طيب للزواحف ، فهو من الحيوانات ذوات الفقار ، ومن ذوات الأرجل القصار التى تقترب ببطنه من الأرض ، وهو من ذوات الدم البارد ، وأنثاه تبيض البيض الذى ينفقس من بعد ذلك ، وللتمساح جلد الزواحف . ولكنه يتميز عنها فقلبه ذو خزائن اربع ، وهو لذلك احسن اداء من كثير من قلوب الزواحف التى لقلوبها خزائن ثلاث ، او حتى اربع ولكن غير متفاصلة . وجهاز التنفس فى التمساح احسن ، ومخه اكثر تقدما من سائر ما للزواحف . والتمساح يشترك وسائر الزاحف فى أن له جهاز هضم حسن الأداء الا ان التمساح لا مثانة له فهو يلقى ببوله كما يلقى ببرازه فى تلك الخزانة المعروفة بالمذرق ، ومن المذرق تخرج هذه الفضلات الى الخارج عن طريق الاست . والرسم المرفق يوضح اعضاء التمساح واحشاءه ومواضعها من جسمه .



هذه صورة التمساح ، وقد حطّ عليه نوع من الطير يعرف بطير التمساح Ziczac ، وهذا الطير يلتقط ما بفم التمساح من دود واحياء طفيلية اخذت تضايقه . وهى للطير طعام . والتقاطها للتمساح راحة . لهذا فتح التمساح فمه للطير طوعا . فلم يلتهمه طعاما .

نوع من التعاون على المنافع المتبادلة عز وجوده في الكون .

من التماسيح ما يخشاه الانسان

من التماسيح ما يخافه الانسان ، فيهرب منه . وتمساح النيل اشتهر بأنه « آكل بنى آدم » . ومن « اكلة بنى آدم » كذلك صنوف من التماسيح تعيش فى المستنقعات الساحلية بجنوب الهند وكذلك بالملايا .

جلود التماسيح

هى من أثمن الجلود . والانسان يصطاد التماسيح ليحظى بجلودها . وقد أدى ذلك الى نقص قارب انقراض بعضها من بعض مواطنها .

وفى أوروبا يربون التماسيح فى مزارع مائية رغبة فى جلودها .

وبالتماسيح غدد تعرف بغدد المسك Musk gland ينتفع بها الانسان .

التماسيح بين الزواحف

بدأنا الحديث عن التماسيح بذكر ما بينها وبين رتب الزواحف الأخرى من صفات واحدة ، دليل وحدة الخلق التى بينها . وذكرنا فيما سبق هنا الشيء الكثير الذى يزيد هذه الوحدة اتضاحا ، والقليل الذى يختلف معها ويجعل من التمساح شيئا آخر غير العظاءة والسلحفاة .

بقى ان نؤكد اعضاء الجسم واحشاءه .

وقد نشرنا مع هذه الكلمة صورة رائعة مفصلة عما فى داخل جسم التمساح من اعضاء . والناظر فيها يرى كم اقتربت ، باحشاء التماسيح ، من احشاء الانسان .

ومما يذكر عن قلوب التماسيح انها اقرب القلوب من قلب الانسان . ذلك لأن قلب التمساح يتألف من اذينتين ، يمينى ويسارى ، ومن بطينين يمينى ويسارى .

والبطينان منفصل احدهما عن الآخر انفصالا تاما . فهو قلب مكتمل . وغير ذلك قلوب سائر الزواحف .

فالتماسيح ، هى من حيث الخلق ، اكمل الزواحف ، من هذه الناحية ، خلقا .

●●

احمد زكى



الحافظ عثمان الموصلي

الموسيقار العربي المشهور

١٨٥٤ – ١٩٢٣م

بقلم : جمال الدين الآلوسي

■ بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاة نابغة عصره الشيخ عثمان الموصلي المولوي رئيس القراء والموسيقار العربي العراقي اقامت وزارة الاعلام العراقية مهرجانا حافلا وقدمت فرقة الوشحات لوحات غنائية من تلحينه وشعره كما احيت الفرقة الشعبية ذكرا مولويا باللباس التقليدي الذي كان يتزيا به أصحاب الطريقة المولوية ، وقدمت الفرقة الموصلية اغاني من تلحينه وختمت الحفلة « بمولود » من نظمه وتلحينه وموشحاته.

ان في احياء ذكرى الموهوبين والعباقرة من أعلام امتنا ونشر سيرتهم عبرة وقدوة وحافزا بصل حاضرنا بماضينا والله سبحانه آدبنا بقوله : « ولا تنسوا الفضل بينكم » واحسب أمره يسري على الاموات ولا ينحصر الامر في الاحياء .

ان الشيخ عثمان الموصلي نابغة تجمعت فيه عدة مواهب فقلما اجتمع بعضها في أمثاله ، فقد يملك احدالعميان مثله الحافظة القوية ، شأن اكثر من فقدوا جارحة من هذه الجوارح . البصر او السمع ، وقد يملك أحدهم الذكاء ، وقد ينبغ بعضهم في علم من العلوم او فن من الفنون كالشعر او الموسيقى أو اللغة ، ولكن قلما تتعدد الملكات في أحدهم كما تعددت عند الحافظ عثمان الموصلي، ذكاء خارق وحافظة لاقطة تسجل كل ما يصل اليها عن طريق السمع او اللمس فلا تخرم منه شيئا ، وفهم فوق مستوى الافهام ومدارك متفتحة تعي وتفلسف الاشياء وقد منحه الله لسانا ذربا وصوتا متفما فيه بحة" مستعذبة تأسر لب سامعيه ، ذا طبقة موسيقية تتجاوب مع فن المقامات صعدا وانحدارا . وزاده الله بسطة في العلم والجسم .

مولده

ولد عثمان الموصلي في الموصل في بيت مغمور وذلك سنة ١٨٥٤ م وكان والده يتعيش على سقاية الماء للبيوت ويرجع الى آل الطحان من

عشيرة الدليم ، وتوفي والده وهو في السادسة من عمره ، واصيب الطفل بالجدري فافقده نظره ، وان كانت هناك رواية اخرى في اسباب عماه ، كان يرويها عنه عبد اللطيف ثنيان رحمه الله .

يتم وفقر" وحدهما يكفيان للضياع ، فاضاف القدر اليهما العمى وهو ادوى الادواء واوجعها ، ولكن الله هيأ للصبي الضرير رجلا سريا من سَراة الاسر الموصلية كانت دار اليتيم بجواره ذلك هو محمود بك العمري رئيس آل العمري ، والاسر العربية كان لها سَمْت" خاص،اذ عرفت بالشهامة والنجدة والتمسك بمفاهيم الاسلام واعــراف العروبة ، ومن هذه الاعراف رعاية الجار والعطف على اليتيم والبائس الفقير والتنفيس عن المكروب والملهوف .

راى محمود العمري اليتيم الضرير فضمه الى اولاده وشمله برعايته ، وادخله الكتاب واوصى به من يحفظه القرآن الكريم ليكون له عونا على الحياة ، سمع العمري الصبي يداور دروسه مرتلا ما حفظه بصوته العذب فاسترعاه صوته وجلب انتباهه فقد كان الصبي يملك صوتا جميلا ، فاذا لقن الالحان وعُلّم قواعد التجويد فسيكون لــه وسيلة للعيش وقد يصبح من ابرز المقرئين ومن اعلام الغناء ، والموصل كانت تشتهر بالقراء على السبع فدفع الرجل المحسن بالصبي الى من علّمه التجويد والالحان (فن المقامات) واختلف الى حلقات الدروس واخذ العربية عن علماء الحدباء ولم يمض زمن على دراسته حتى بزّ اقرانه وحفظ القرآن وجوده ونبغ في المقامات ولمع اسمه بين قراء المولود .

هجرته الى بغداد

ناهز السابعة عشرة من عمره وهو برعايةالعمري فلما توفي راعيه وجد فراغا ووحشة فرر علــى اثرها ان يقصد بغداد وكان يسمع عنها الكثير انها حاضرة العراق وابوابها مفتحة لكل موهوب ، يقصدها الوافدون من انحاء شتى وكل يجد فيها آرابه ومبتغاه وشجعه على الرحلة وجود احمد عزت باشا العمري وهو الابن الاكبر للمحسن الذي كفله ورباه ، فسافر الى دار السلام وحلّ ضيفا على العمري الذي كان يراس تحرير جريدة الزوراء الجريدة الرسمية والناطقة بلسان الولاية والتي انشاها مدحتباشا المصلح المشهور سنة ١٨٦٩ .

وكان احمد عزت هذا شاعرا اديبا مؤلفا له مكانة مرموقة بين رجال الحكم ومنزلة رفيعة لدى رجالات بغداد ، يغشى منزله الادباء والوجهاء والعلماء والتجار فكان ذلك سببا مباشرا لتعرف ملا عثمان على نخبة كبيرة من الفضلاء والشعراء سمع منهم وسمعوا له فاعجبوا بمحفوظه ومنظومه وسحرهم بفنه وقراءته وادهشهم بأدبه وحضور بديهته . وأدب المجالس يوم ذاك ، الشــعر والرواية والطرفة والنادرة والحكاية ، وللحافظ عثمان النصيب الاوفر من هذه الفنون ، يقــول الشعر ارتجالا ويروي النكتة ويتذوقها ويحســن فن الحديث ويحفظ من الحديث والقصــــائد والموشحات ما يملأ نفوس السمار اعجابا ، وسرعان ما لمع اسمه وتهافت الناس على سماع قــراءته وشغفوا باغانيه ، فتنافس أهل بغداد في دعوته لاحياء حفلات المولد الشريف في بيوتهم ، واصبح غناؤه من ضرورات الحفلات . وكان يحضرها كبار رجال بغداد وكان المسجد الذي يقرأ فيه ملا عثمان ــ يوم الجمعة ــ يغص بالمصلين وكان من عادته ان ينتقل بقراءته من جامع لآخر ، حتى ذاع صيته في جانبي بغداد (الكرخ والرصافة) وغدا حديث المجالس والمحافل .

وكانت حفلات المولد وما يتخللها من الموشحات والمقامات والمواويل هي المتنفس الوحيد للجمهور العراقي ، كانت تقام بمناسبات الافراح والاتراح والدعوة اليها مباحة من غير بطاقة دعوة ، فاذا ما سمع هواة المقام ان عثمان الموصلي سيحيي حفلة مولد في الكرخ او الرصافة ، تراهم يهرعون اليها من كل صوب وافق وقد تستمر الحفلة حتى مطلع الفجر .

وخلال اقامته في بغداد التقى بالمغنين المشهورين

واخذ عنهم بعض المقامات اخذ عن مغن مشهور يلقب بـ «شلتاغ» واخذ عن استاذه الحاج عبدالله الكركوكي ـ نسبة الى كركوك ـ ودرس الحديث والاصول على الشيخ داود والشيخ الهندي بهاء الحق ، واخذ العربية عن العلامة محمود شكري الالوسي .

وحسن حاله ودرت عليه اخلاف الرزق فشد الرحال الى بيت الله الحرام فحج واعتمر ، وقفل مع القوافل الى الموصل وفي زيارته لها قرأ على شيخه المقرىء محمد بن الحاج حسن الموصلي القراءات السبع واخذ عنه الاجازة بقراءتها واقرائها .

رحلته الى الآستانة : او القسطنطينية او استانبول

عاصمة الخلافة العثمانية ومنتجع ذوي الكفاءات ومهوى افئدة العلماء والادباء ينتجعها طلاب الحرية ويقصدها ارباب الوظائف والمناصب ، ويفد اليها كل عبقري وفنان ، كل" يحدوه امل" وتحفزه لبانة، وفي العاصمة استانبول جالية عربية من مصر وسوريا وتونس والعراق والحجاز وفيها صديقه عزت باشا العمري الذي نقل اليها وشغل فيها وظيفة مرموقة ، فاحتضنت هذه الجالية ملا عثمان وتنافست في دعواته واقامة الحفلات له ، فذاع اسمه واشتهرت قراءته للقرآن الكريم وللمولد وحظي بمنزلة اثيرة لدى الشيخ ابي الهدى الصيادي شيخ السلطان عبد الحميد واعجب به وفتح له منزله يدخله متى شاء وكان يحضر حفلات الذكر التي كانت تقام ليلة الجمعة وكان يحدو الذاكرين وينشد كل جمعة قصيدة من شعره وتلحينه .

ملا عثمان في يلدز

عرف الشيخ الصيادي الخليفة عبد الحميد بمواهب الحافظ عثمان فاذن له السلطان بالمثول بين يديه واسمعه فانصت له خاشعا واذن له ان يقرأ في يلدز لحرمه ـ نساء السلطان ـ ووقت له يوما معينا يحضر فيه الى القصر ويقرأ عشرا من القرآن واطلع السلطان على مواهبه وقدراته في الحديث واطلاعه على فنون كثيرة فانتدبه بمهام سياسية الى مصر وليبيا والحجاز داعية لعبد الحميد .

رحلته الى مصر

رحل الى مصر والتقى بعلمائها وقرائها وموسيقييها وملحنيها وحضر مجالس الغناء وسمع لشيوخ القراء وقصد طنطا فقرأ على الشيخ يوسف عجور القراءات العشر وعمر الشيخ يناهز المائة والثلاثين قرأ عليه من البقرة الى نهاية سورة النساء فاجازه بالقراءة والاقراء ، ورحل اليها ثانية سنة ١٨٩٥ وأقام في القاهرة واجتمع بأصدقائه ومحبيه واخذ عنه الحمولي والخلعي الموشحات وبعض المقامات وعاش في مصر خمس سنوات واصدر مجلة المعارف ولقي التكريم من اسرها ومن شيوخ العلم والطرق ومن الرجال البارزين الذين حظي الحافظ عثمان بعطفه وبصداقته شيخ الاسلام محمد العباسي المهدي ويوم توفي رثاه الموصلي بقصائد وارخ وفاته بالقصيدة النونية .

مراحم ربي قابلته فارخت :
ففي نجبه المهدي بعلم وايمان

ورثاه بقصيدة جعل ابياتها البالغة خمسة عشر بيتا الشطر الاول جعله تاريخا لسنة وفاته بالميلادية ١٨٩٧ والشطر الثاني للسنة الهجرية ١٣١٥ ومطلعها

نعم سَعْدُ المهدي بجنات رضوان
وسَيْرٌ في الاحشا توقد نيران

والحافظ عثمان ابرع واسرع من نظم التاريخ الحرفي ـ التاريخ الابجدي ، وفي مصر اشرف على طبع ديوان عبد الباقي العمري وقدمه بمقدمة ضافية عن الاسرة العمرية وفاء لافضال رجالها عليه .

العودة الى القسطنطينية

رجع الى استانبول ولازم تدريس الموسيقى في كبريات مدارسها وعهد اليه بالوعظ وتدريس القرآن في احد مساجدها المشهورة ، وسلك في هذا الدور على الشيخ ابى الهدى اخذ عنه الطريقة الرفاعية ثم سافر الى قونية واخذ المولوية عن شيخها ولبس زيها وبرع في الآلات الموسيقية كالقانون والطبلة والعود والمولوية تبيح استعمال هذه الآلات .

وفي مقامه في دار الخلافة طبع كتاب الاجوبة العراقية على الاسئلة الايرانية للمفسر الكبير ابى الثناء الآلوسي ، ونشر خواتم الحكم للشيخ على دده ونشر بعض الدواوين ومجموعات من شعره ، وفتح له مكتبة لبيع الكتب مع شريك له.

الشيخ عثمان الموصلي كان من مقربي عبدالحميد كما ذكرنا قبلا فلما قامت ثورة الجيش في تموز ١٩٠٨ اختفى عن الانظار وبقى زهاء الشهرين لا يعرف عنه احد شيئا ولا سمع عن ذكره أحد وظهر فجاة حين هدات سورة الثائرين فقرأ عشرا من القرآن فخشع لقراءته المصلون وارتج الجامع الكبير مسجد السلطان أحمد بالبكاء وشرع يلقى خطبة بالتركية استهلها بقوله تعالى « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » ايد بخطبته الثورة وشرح شعارها «حريت ـ عدالت ـ مساوات» وشرح اهداف الثائرين وابان عن آمال الشعب وامانيه وانتظار الاقطار العربية للاصلاح الذى تضمنه منهاج الثورة ، وبذلك نجا من مضايقات الاتحاديين .

عثمان الموصلي والشيخ سيد درويش

كان ملا عثمان يعيش في الشام فالتقى به سيد درويش وكان يعمل مع فرقة أمين عطا الله واعجب الفتى الموهوب باغاني ملا عثمان فلازمه واخذ عنه اغانيه وموشحاته ثم عاد سيد درويش فالتقى به في حلب ولازمه مرقاتية ونقل عنه الكثير من الحانه والتى كانت سببا في شهرة سيد درويش حين عاد بها الى مصر وادخل الملا عثمان الى مصر مقام الحجازكار والنهاوند وفروعهما وبعض الاغانى التركية وممن تاثر بملا عثمان زكريا احمد عن طريق استاذه الشيخ على محمود وكان تلميذ الموصلى وعنه أخذ الموشحات وحفظ عنه الالحان الشرقية.

وممن أخذ عن الموصلى الشيخ احمد ابو خليل القبانى الذى اشتهر بتمثيلياته وموشحاته وفي تركيا اخذ عنه الموسيقار المشهور سامى بلتوتعلمت عليه المغنية التركية (نصيب) وكان الاتراك يتغنون على طريقته « موصلو حافظ عثمان طرزنده » اى على نمط او غناء ملا عثمان الموصلى .

وادخل مقام الديوان . من التركية ، الى المقامات الشرقية ووضع اكثر من خمسين لحنا وموشحا للمقامات ، وما زال الكثير منها يغنى به المغنون في بغداد والكويت والموصل والقاهرة والشام وسجلت له (شركة الاسطوانات ـ الفونوغراف) مقامات وتواشيح ما يزال بين عشاق المقام من يحتفظ ببعضها .

ومن اغانيه المشهورة :

للعاشـــق في الهوى دلائـــل
لا يســـمع من كلام عـــاذل

يا مـن رحـلوا وخلفـــوني
ابكـي اسـفا علـى المنـازل .

ومن اغانيه المشهورة الموشح الذى لحنه وهو من نظم عبد الباقى العمرى واشغال المولــود وموشحاته يرددها قراء المولد بعد كل مقام .

وشغف رحمه الله بالتخميس والتشطير وله مدائح لآل البيت لا تخلو من الجودة ، ومؤلفاته اكثرها يتناول الفكر الصوفى والمنظومات الصوفية، ومن كتبه « الابكار الحسان في مدح سيد الاكوان » وله كتاب «سعادة الدارين» و «المراثي الموصلية».

وصفه

كان ضخم الجثة كبير الجمجمة جاحظ العينين، تقلب على اجفانه الحمرة ، كبير البطن ، قوى

البنية ، ربع القامة ، اسمر اللون بحمرة داكنة مدور الوجه ، على وجهه ندبات لا تظهر للعيان من اثر الجدري. جهير الصوت، يلبس الفراجه ويتزيا بزي المولوية ثم في ايامه الاخيرة لبس العمامة – الكشيدة – لباس تجار بغداد والموصل .

ومن ذكائه انه اذا لمس صديقا عرفه لتوه ولو كان ذلك الصديق قد غاب عنه سنوات طويلة ، وكان من اللمس يعرف لون الشخص وبشرته ومن مشي المرأة يعرف جمالها ، وكان يجيد لعب الشطرنج ، والداما ويضرب على اكثر الالات الموسيقية ، ويرتجل الشعر شاهدته في دار والدي في تكريت عند رجوعي الى بغداد سنة ١٩١٤ يرتشف كاسا من البيبون – البابونج – ويملي قصيدة مطلعها :

ذقت الصفا بحمى علاء الدين
فرع الشريعة بضعة الميمون

عطرا حللت رباطه اذ زرته
لانال أجرا ليس بالمغبون

ومنها :

يا سادتي عثمانكم في صدره
سقم" تعرض صوته بشجون

عودته الى العراق

بعد ان طوّف عثمان الموصلي في البلاد العربية والتركية رجع الى الموصل سنة ١٩١٣) ميلادية فمكث فيها اشهر الصيف والشتاء وقضى فيها لباناته وجدد العهد باصدقائه واحيا فيها حفلات القران والمولد ما يزال المغنون من اهلها يذكرونها ويؤدون مقاماته وموشحاته .

وفي نيسان سنة ١٩١٤ م وصل بغداد فملا مجالسها بهجة وحبورا حتى اصبح غناؤه وقراءاته من ضرورياتها واحبه اهل الفن وحظي باعجاب البغداديين على اختلاف طبقاتهم وكان سخي النفس لا يرد فقيرا او غنيا يرغب بقراءته يشاركهم في افراحهم واتراحهم ونذورهم والمولود يقام عادة في هذه الاغراض الثلاثة .

وفي رمضان ١٣٣٨ شارك في احياء المواليد التي كانت تقام في الجوامع الكبرى من بغداد وكانت هذه الحفلات الجماهيرية الشرارة الاولى لاشعال نار الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وكان دوره دور الخطيب والشاعر يحمس الناس ويبث في نفوسهم الوعي القومي ويثير حماستهم للمطالبة بانهاء الاحتلال وانجاز الاستقلال وكان لا يقل اثره عن اثر الشعراء والخطباء الذين نشروا الوعي الوطني امثال الدكتور مهدي البصير وعبد الرحمن البنا ورشيد الهاشمي واخواه محمد وعبد الرزاق .

شغل رئاسة مشيخة القراء واختلف اليه طلاب القراءات ياخذون عنه القراءات السبع وتخرج عليه عدد من المقرئين .

وفي اليوم الثالث عشر من جمادي الاخرة من عام ١٣٤١ هـ ويصادف اليوم الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٢٣ انطفات تلك الشعلة المتوقدة بعد أن خدم القرآن الكريم والسيرة النبوية زهاء نصف قرن وادخل على المقام العراقي الحانا تركية وموشحات لا عهد له بها من قبل ورثاه الشعراء وكتبت عنه الفصول الطوال ، واقدم سيرة له كتبها صديقه والآخذ بيده سواء في بغداد او في استانبول الشاعر المبدع والكاتب البليغ احمد عزت باشا العمري في كتابه « العقود الجوهرية » .

وترجم له العلامة الأديب محمد بهجت الاثري في مجلة لغة العرب وهو ممن قرأ عليه التجويد على السبع كما ترجم له محمد صديق الجليلي في كتابه القيم التراث الموسيقي في الموصل وكتب عنه الشيخ جلال الحنفي في كتابه (المغنون البغداديون) واوسع كتاب اشتمل على اخبار عثمان الموصلي هو كتاب الدكتور عادل البكري في الستينات ، وصدر كراس صغير للاستاذ محمود المبطة تناول فيه مجمل حياة الموصلي والرجال الذين اخذ عنهم واخذوا عنه في بغداد وكتب عنه محمد كامل الخلعي عن صلته بالحمولي . ■■

جمال الدين الآلوسي
الاعظمية





ارضهم كلها من الملح .. انهم يحفرون وينزلون الى الاعماق فلا يجدون الا الملح الصخرى .. لقد بدأ عهد جديد لهذا الملح الصخرى النقى ، من أجل استغلاله على أكمل وجه .

اعرف وطنك ايها العربي

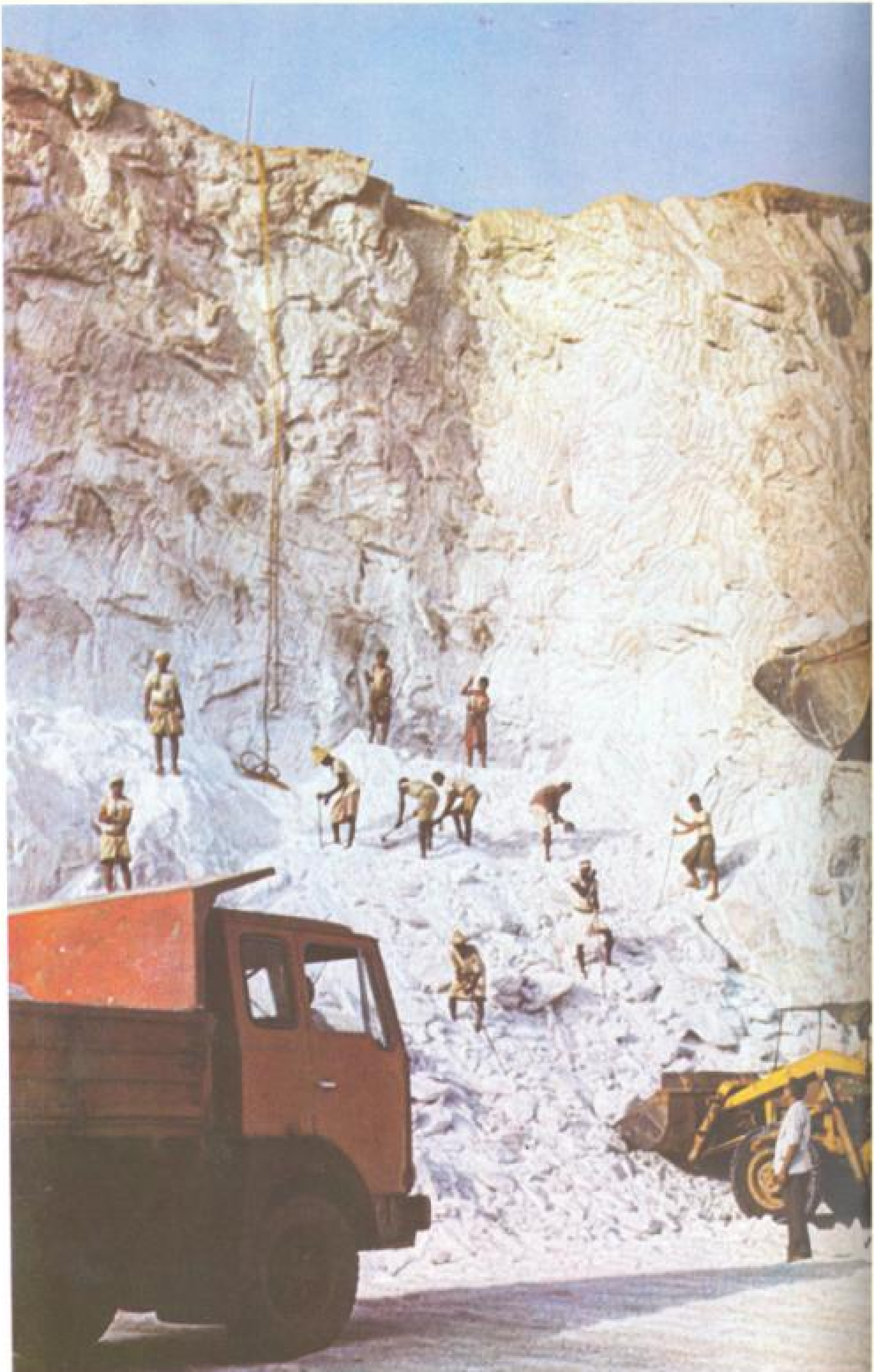
الصليف

مدينة تعيش فوق جبل من الملح

هل يخفي الملح نفطاً غزيراً بين طبقاته ؟

استطلاع : سليم زبال

تصوير : اوسكار مترى



■ رايناهم يأكلون ارضهم !!

ان الناس عادة تأكل من خيرات ارضها ، ولكن هذه الارض ليست ككل ارض . انها هي نفسها طعام .. انها من الملح ..

يأكلون الملح الصخري الشفاف الذي يعيشون فوقه .. ويبنون عليه منازلهم ، ويمشون فوق صخوره ..

فارضهم فريدة في نوعها ، قوامها ليس التراب ، وانما الملح .. ولا شيء غير الملح !! .. لا اثر للماء أو للزرع فيها .. وانما حياة جافة قاسية غريبة ..

وبلغت ماساتهم قمتها ، عندما جاءتهم شركات النفط للتنقيب في المنطقة ، وبدلا من ان تعثر على النفط عثرت على طبقات من الملح ممتدة الى عمق سبعة الاف قدم تحت سطح الارض .. ولم يروا فائدة من متابعة الحفر ، وانما اكتفوا بالقول بان هذا الملح ممكن أن يكون ممتدا الى عمق اربعة اميال تحت سطح الارض !

هذا المنجم الهائل من الملح الصخري ، يقع في اقصى منطقة وعرة نائية عن قلب وطننا العربي .. انها منطقة الصليف المطلة على مياه البحر الاحمر في الجمهورية العربية اليمنية ..

وعد رسمي ..

وبدأنا رحلتنا من ميناء الحديدة .. السيارة الصحراوية (اللاندروفر) تنطلق بنا في طريق طويل .. مياه البحر الاحمر على يسارنا ، ورمال صحراء تهامة على يميننا .. اننا نتجه شمالا الى الزيدية ، لان السير بمحاذاة البحر ليس ممكنا الا وقت الجزر . ولا يوجد اى اثر لطريق معبد يوصل الى الصليف .. ولكن هذا الوضع لن يستمر طويلا ، فقد تعهدت المملكة العربية السعودية رسميا لجمهورية اليمن بشق طريق معبد يربط بين مينائي الحديدة وجيزان .. انه الطريق الذى ينتظره ابن اليمن منذ فترة طويلة ، فهو بمثابة الباب البرى الذى سيربط اليمن بالوطن العربي وبقية العالم عبر المملكة العربية السعودية .

تذكروا اسم ((الزيدية)) !

ووصلنا الى بلدة كبيرة عامرة بالسكان ، اغلبهم يعيش داخل ((العشيش)) المصنوع من سعف النخيل .. انها الزيدية ، المدينة التي ينقصها كل شيء .. ينقصها الماء العذب ، والكهرباء والمدارس والمستشفى والابار الارتوازية ..

الا ان رائحة النفط التي بدأت تتصاعد من تحت ارض الزيدية ... جعلت من المؤكد ان مستقبلها افضل بكثير من ماضيها وحاضرها !

تشريفات الصليف ..

وانطلقنا غربا .. فصادفتنا سبخة هائلة .. مستنقع من ماء مالح وطين .. ان منطقة الصليف تعلن عن نفسها ابتداء من هنا .. انه عنق الزجاجة الخطر الذى يجب أن تعبره كل سيارة متجهة الى الصليف .. ولم نستطع نجدة السيارات الضخمة الغارقة في السبخة ، واكتفينا بوعد أن نرسل لها النجدة من الصليف ..

وسارت سيارتنا برفق حتى وصلنا الصليف ، وكان الليل قد بدا يرخي سدوله ، فرحنا في سبات عميق ، محاولين نسيان صعوبة الطريق ..

واستيقظنا على صوت طرقات كأنها انفجارات .. انهم المهندسون الكنديون ، يقومون باول عملية مسح جيولوجي فوق ارض الصليف .. لقد حفروا ٣٢ ثقبا ، عمق كل منها نحو ١٠٠ متر ، في منطقة محدودة جدا من ارض الصليف ، لحصر كميات الملح الممكن استخراجها من هذه المنطقة المحدودة . وتحديد نوعيتها .

لقد اراد الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ان يعرف باسلوب علمي امكانيات وثروات منطقة الصليف ، قبل أن يبدأ في تنفيذ اى مشروع للنهوض بها .. فكلف هؤلاء الخبراء الكنديين بعمل مسح شامل للمنطقة .

٢٢٥ مليون طن !

وقدم الكنديون تقريرهم ، واهم ما جاء فيه قولهم : « الملح متوافر بكميات هائلة تحت سطح المنطقة التى أجرى عليها المسح الجيولوجي ، ومساحتها ٦٨٠ ألف متر مربع ، وسمك طبقات



خريطة تفصيلية لمنطقة الصليف وجزيرة قمران .. وتبدوان على هيئة نتوء خارج من أرض اليمن ، لاحظ أماكن آبار النفط التي تم حفرها .. وتبعد الصليف نحو ١٠٠ كيلومتر شمال ميناء الحديدة ... وممر قمران عمق مياهه ٢٠ مترا ، مما يسمح بمرور السفن حمولة ١٥٠ الف طن بسهولة ، من شماله وجنوبه .. والخريطة الصغيرة توضح موقع الصليف للبلدان المجاورة .

هذا الملح هي ١٠٠ متر على أقل تقدير .. واذا تم استخراجه بطريقة المنجم المفتوح ، اي الاخذ مباشرة من السطح الى عمق ٣٠ مترا فقط ، فان الكميات التي يتوقع استخراجها بهذه الطريقة سوف تزيد على ٧٠ مليون طن.وبالامكان استخراج كميات هائلة أخرى ، تصل الى ٢٥٠ مليون طن ، اذا دعت الحاجة ، وذلك بطريقة فتح الدهاليز والممرات في أعماق الارض الى عمق ١٠٠ متر .. »

وبتابع الخبراء الكنديون تقريرهم بقولهم :

« الملح المستخرج من الصليف نقي جدا ، معدل متوسط نسبة كلوريد الصوديوم فيه ، وهو ملح الطعام النقي ، هي ٩٨٫٢٪ وليس هنالك ما يشير الى وجود أملاح بوتاسيوم ولا مغنسيوم ، بنسبة تذكر فيه .. »

الضوء الاخضر ..

وبناء على ما جاء في هذا التقرير ، اعطيت اشارة الضوء الاخضر من مدير الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، للبدء فورا في تنفيذ مشروع متكامل ، تكفل الصندوق الكويتي بانجازه في الصليف ..

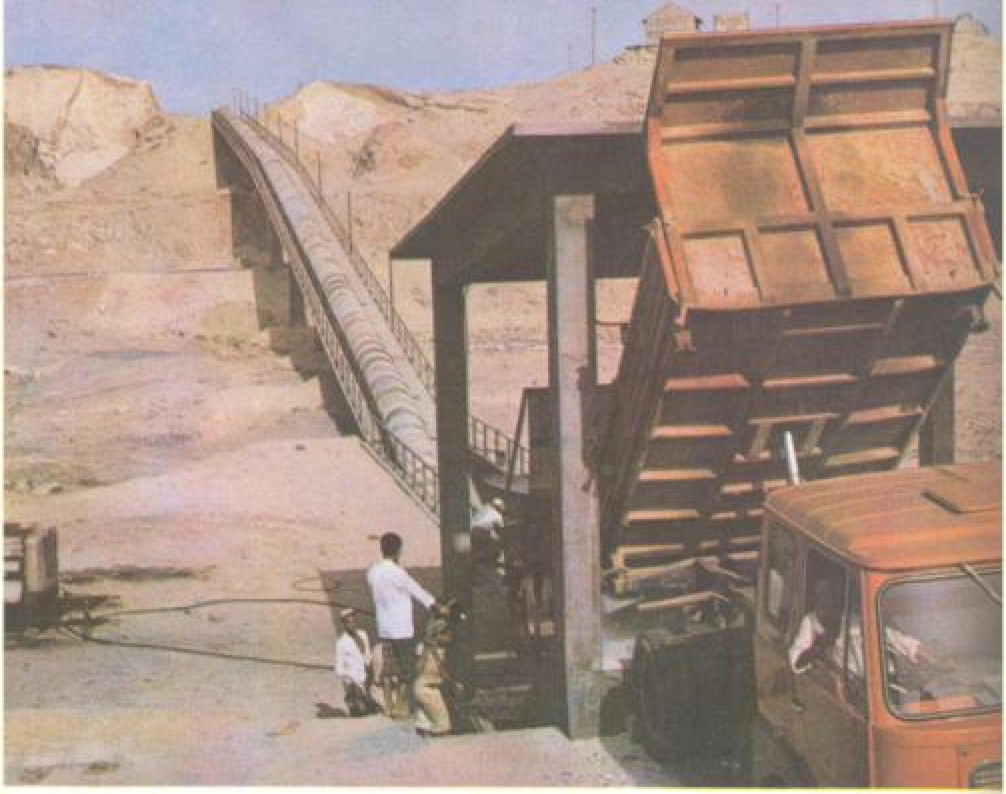
ويشتمل المشروع على اقامة العديد من المنشآت منها رصيف كبير يمتد الى مسافة ٢٠٠ متر داخل البحر ، وكسارة لكتل الملح ، وأحزمة آلية عرضها

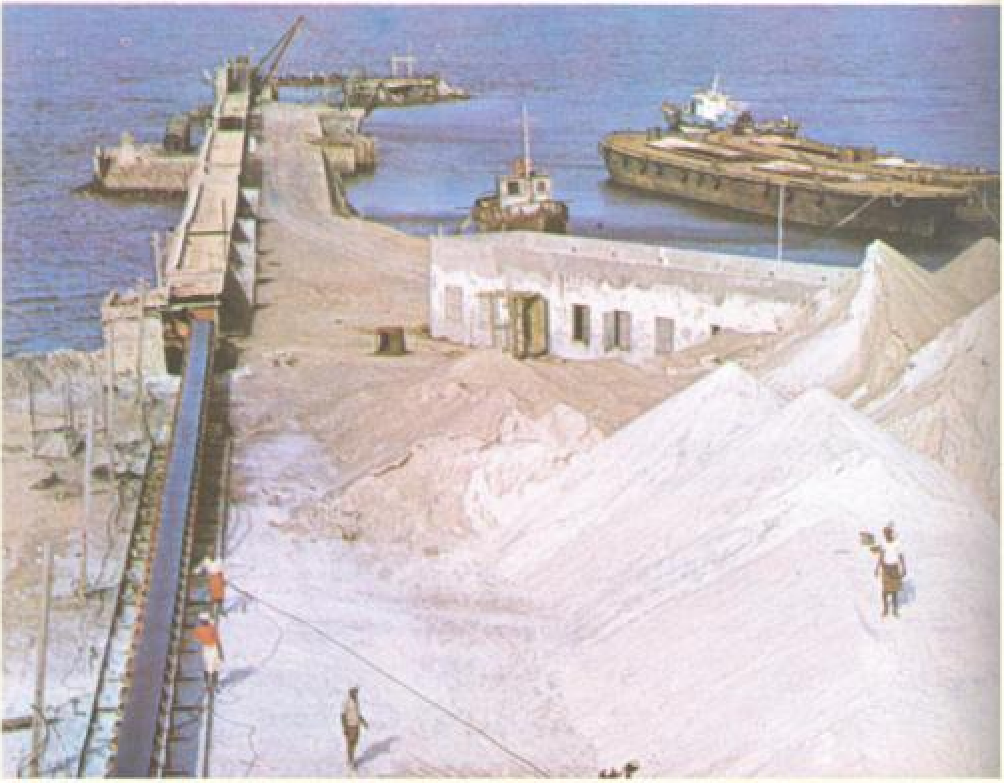


الى اليسار : الصليف منطقة فقيرة ليس فيها صناعة او تجارة أو زراعة .. انما ملح فقط .. لهذا وجدنا شركة الملح اليمنية بمثابة الام في المنطقة .. الام التي اسقط في يدها ، لان امكاناتها لم تعد تتناسب مع مطالب التطور الجديدة .. لقد استعانت برومانيا لاقامة منشآت للمناجم وحزام ناقل ، طوله ١٧٠ مترا ينقل الملح من المنجم الى الميناء ، ولكن هذا الحزام لم يستطع انقاذ عملية التصدير ، فالميناء لم تجر عليه اية اصلاحات .. لهذا توقف الحزام عن الدوران ، وتوقفت الحركة في الميناء .. انتظارا لاستكمال المشروع الجديد .



الى اليمين : جاء الجيولوجيون الكنديون بمعداتهم الى الصليف ، وبدأوا عملية مسح شامل للمنطقة استمرت اربعة شهور ، حفروا خلالها ٣٢ ثقبا ، مجموع أعماقها ٢١٢٩ قدما .. وبلغ متوسط عمق كل ثقب ٩٥ مترا ، الا أن احدها وصل عمقه الى ١٨٥ مترا ، ومع ذلك فان قاع جميع هذه الثقوب كان من الملح ، ولم يصل الحفر ابدا الى نهاية التكوين الملحي .. ان مساحة الارض التي اجرى المسح عليها بلغت ٦٨٠ متر مربع وجد فيها نحو ٢٥٠ مليون طن من الملح .. وكانت عينات الملح الصخري (الصورة السفلى) ترسل الى كندا لتحليلها ، وقد ثبت أن نسبة نقاوتها تصل الى نحو ٩٩٪





الملح الابيض الصخرى يتطاير في الهواء اثر تفجير الديناميت ، في الجبل .. وبعدها تنقل كتل الملح ا
خشن ، يحمله حزام آلى ناقل الى رصيف الميناء .. هكذا كانت تتم العملية بطريقة نصف آلية ،

١٢٢ سنتيمترا تنقل الملح من المنجم الى الميناء ، ومستودع ضخم لحفظ الملح ، وغيرها الكثير من المنشات التكميلية .. انه مشروع متكامل تبلغ تكلفته ستة ملايين دولار ، سيغير وجه المنطقة الحزينة الهادئة ويجعلها عامرة صاخبة .'

ممنوع اكل الملح !

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا ، هو :
« ألم يحاول اليمنيون استغلال تلك الثروة الكبيرة من قبل ؟! »

والجواب : نعم حاولوا ولكن جميعها كانت محاولات على مستوى صغير،لا على مستوى قومى.

لقد احتلت تركيا ارض اليمن على ثلاث فترات متباعدة ، كانت اولاها عام ١٥٢٨ واستمرت ٣٠ عاما ، والمرة الثانية بدات عام ١٥٦٩ واستمرت ٦٧ عاما ، والاحتلال الثالث بدا عام ١٨٤٩ واستمر نحو نصف قرن .

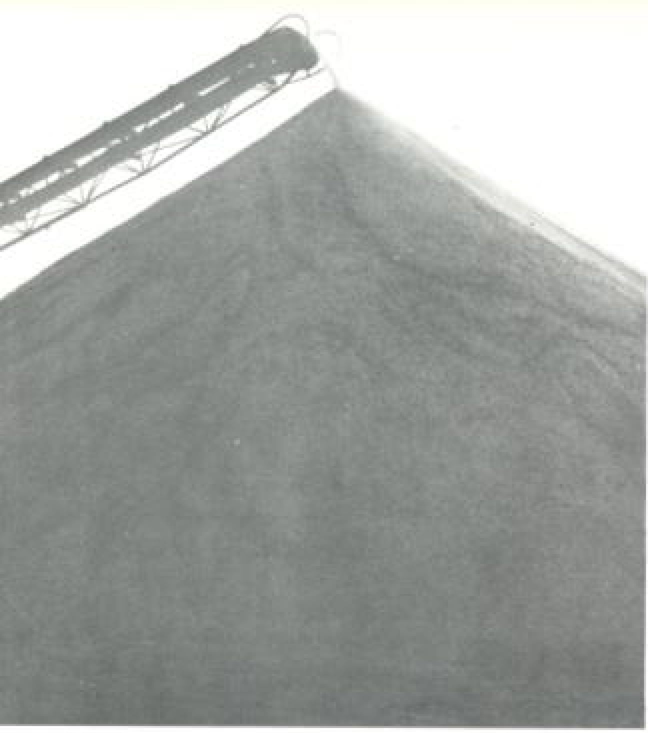
وكان الأتراك على بيّنة بمناجم الصليف وملحه، فكانوا يستخرجونه بكميات كبيرة ، ويبيعونه داخل اليمن وخارجها ، وحتى يمنعوا اهل الصليف من المتاجرة وبيع ثروتهم ، حرموا عليهم حتى وضع الملح في طعامهم ، حتى لا يكون اكل الملح ذريعة للتجارة فيه !

ومن الغريب اننا عندما تناولنا الطعام في الصليف وجدناه ماسخا .. لقد تعود اهل الصليف على اكل طعامهم بدون ملح الى اليوم بينما الملح تحت اقدامهم يعيشون فوقه !

ويعتقد الأهالى ان الشيطان يُولى والعين تذهب اذا فرقعت قطعة الملح الملقاة على الجمرة.. كما يعتقدون بأن قطعة الملح البلورية تشفى من الاختناق في الاكل ..

الاسطول يقصف الصليف

وقبل نهاية الحرب العالمية الأولى وضع الاتراك والالمان الخطط للسيطرة على مدخل البحر الأحمر، وتنبهت بريطانيا للخطر، فارسلت اسطولها البحرى لقصف موانىء اليمن .. وكان نصيب الصليف وابلا من النيران الحامية ، دمرت اغلب منشات





الى الكسارة ، فيقوم العمال بتكسيرها الى احجام متوسطة ، قبل أن تطحنها الآلات وتحولها الى ملح
نتظر ان يتبدل كل هذا مع المشروع الجديد الذى بدا العمل فيه ، وسينتهى في أواخر عام ١٩٧٢ .

استخراج الملح ، واوقفت المشروع التركى لبناء ميناء جديد في المنطقة ..

ورحل الاتراك عن اليمن .. ونسي الناس ملح الصليف ، فتراكم الصدا على الآلات ولم تعد تصلح للعمل ، حتى كانت أوائل خمسينيات هذا القرن ، عندما اعطى امام اليمن لآل الوجيه امتيازا باستغلال ملح الصليف لقاء مبلغ من المال ...

وعندما راى الامام نجاح آل الوجيه في مشروعهم جلب معدات حديثة من المانيا ، وسكة حديد ضيقة محلية ، كانت تنقل الف طن من الملح يوميا ، من المنجم الى الميناء .

وانسحب الالمان من المشروع ، فتدهور العمل وتوقف تقريبا ، ولكنه عاد في عام ١٩٦٤ عندما تقدمت المؤسسة المصرية للتعدين وشاركت في اقامة الشركة اليمنية لصناعة الملح ، بنسبة ٤٩٪ من مجموع رأس المال ، البالغ ٤٠٠ الف جنيه استرليني .

اليابان المستورد الوحيد

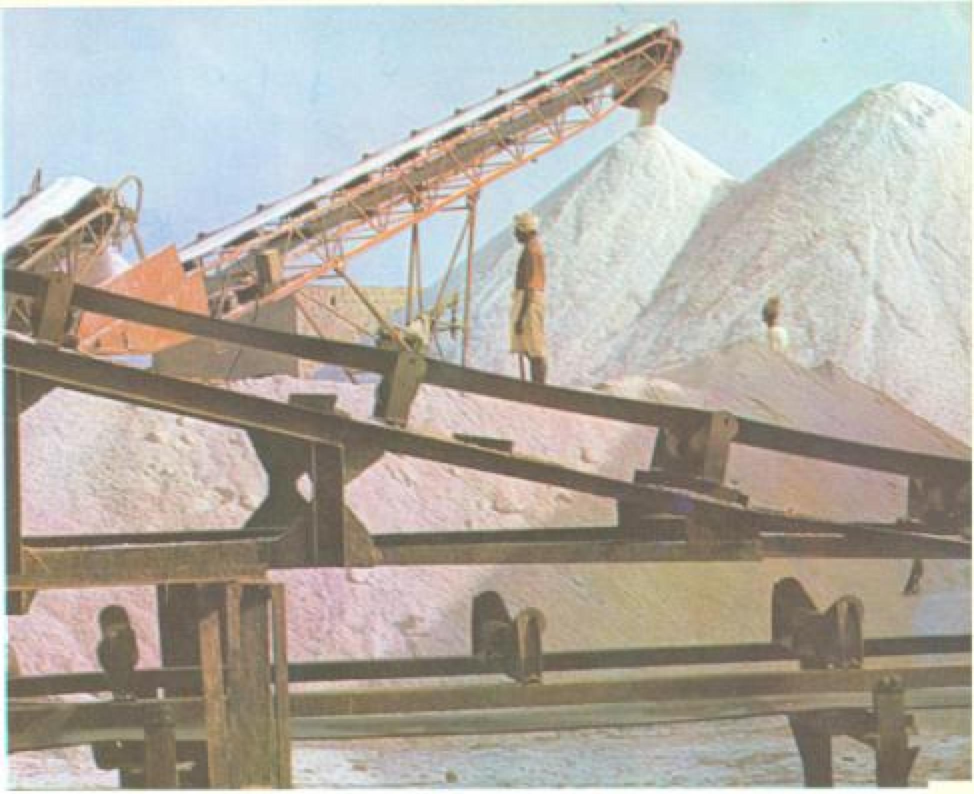
وفي عام ١٩٦٨ اشترت الحكومة اليمنية جميع اسهم رأس مال الشركة ، فاصبحت شركة الملح يمنية كاملة ، اتفقت مع مؤسسة رومانية على اقامة منشآت نصف آلية في الصليف ، يمكنها انتاج ٦٠ الف طن سنويا ..

وقامت شركة الملح اليمنية بتسديد اغلب قيمة الآلات الرومانية رغم متاعبها المالية ، اذ ان المستورد الوحيد لملح اليمن كان اليابان ، ونتيجة للاعتماد على مستورد واحد ، وجدت شركة الصليف نفسها تحت رحمة مزاج المستورد اليابانى ، فبينما نراه يستورد ١٢٠ الف طن في عام ١٩٦٦ نجده يتوقف عن الاستيراد بتاتا في عامى ٦٧ و ٦٨ ثم يعاود الاستيراد في عام ٦٩ ليتخفض استيراده الى ٢٣ الف طن في عام ١٩٧٠ .

وفي منتصف عام ١٩٧٢ جاءت سفينة يابانية يتيمة الى الصليف حملت ثمانية آلاف وخمسمائة طن من الملح ، ورحلت بها الى اليابان ، ولم ترجع ابدا ، ولم يعد احد يشترى ملح الصليف ..

اسباب توقف اليابان

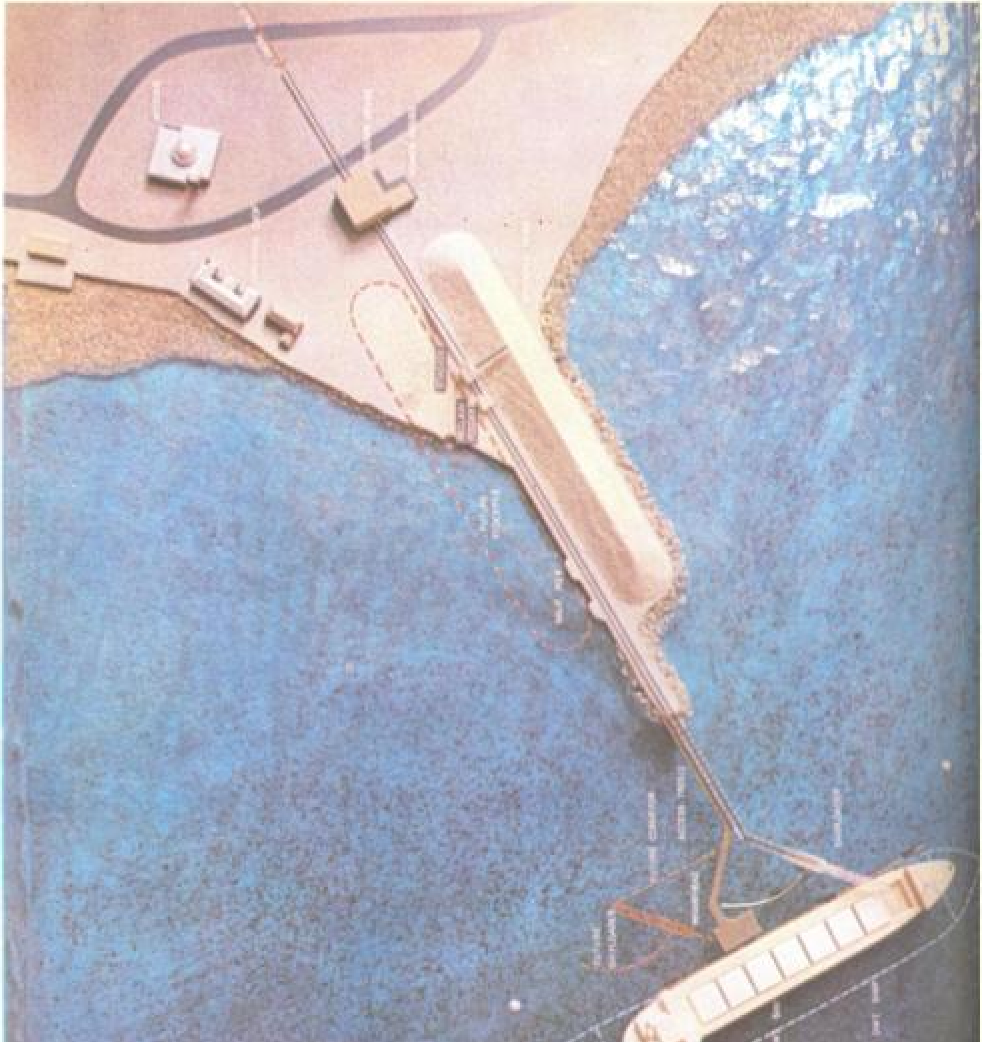
واليابان لم تتوقف عن استيراد ملح الصليف

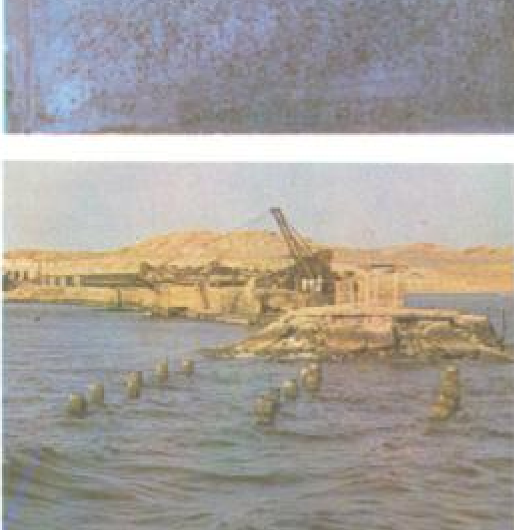


في منتصف شهر يوليو ١٩٧٢ نقلت سفينة ملح يابانية ثمانية آلاف طن من ملح الصليف .. وبعد هذا ساد الهدوء على المنطقة ، وتكدس الملح على هيئة تلال فوق رصيف الميناء .

الى اسفل : السيد عبد اللطيف الحمد مدير الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، يشرح تفاصيل مشروع الصليف لوزير مالية الكويت السيد عبد الرحمن العتيقي ، ولاعضاء الوفد اليمني الذي قدم في شهر اغسطس عام ١٩٧٢ لتوقيع اتفاقية العقد ، وكان مكونا من السيد محمد احمد الجنيد وزير الدولة للتنمية ، والسيد عبد الكريم الايرياني رئيس مجلس التخطيط ، والمرحوم السيد حسين العيني ، والسيد محمد شكري السكرتير الاول في سفارة اليمن في الكويت .







صورتان توضحان قصة الحلم الذي بدأ يتحول الى حقيقة .. الصورة اليسرى تمثل ميـنــاء الصليف كما هو اليوم .. ميناء موجود تتخلله اوتاد مهملة ، زرعها الاتراك قبل الحرب العالمية الأولى .. والصورة العليا توضح بالرسم المجسم مشروع صندوق التنمية الكويتي المتكامل ، الذي سيتكلف ستة ملايين دوولار ، وينتهي العمل فيه في عام ١٩٧٤ . وبعده يصبح بالامكان تصدير مليون طن من الملح سنويا

بسبب نوعيته ، بل توقفت بسبب عدة عوامل من بينها ، متاعب الشحن في الصليف ، وعدم وجود ميناء ترسو عنده ناقلات الملح الكبيرة ..

ان اليابان ما زالت تعتبر أكبر مستورد لمادة الملح في العالم ، تستورد ملايين الاطنان من المكسيك واستراليا والصين ، داخل ناقلات ملح عملاقة حمولة ١٦٠ الف طن .. اما من الصليف فكانت ترسل ناقلات ملح يابانية حمولة ١٠ الاف طن فقط ، تقف على مسافة ..) متر من الشاطيء ، تأتيها الصنادل الصغيرة تباعا حاملة براميل الملح تفرغها الواحدة بعد الاخرى في مستودعات الناقلة ، وتظل الصنادل تروح وتجيء لمدة أسبوع كامل حتى تعبيء الناقلة الصغيرة..وهذا التاخير كان يسبب خسائر كبيرة لاصحاب السفينة ، بالاضافة الى طول المسافة بين اليابان والصليف ، والتي تصل الى ١٣ الف كيلو متر بحري تقريبا ..

الف طن في الساعة

وهكذا نجد ان مشكل الصليف الاول هو عدم وجود ميناء كبير في مياهه .. ومشروع الصندوق الكويتي يعالج هذا النقص ، اذ سيكون للصليف في نهاية عام ١٩٧٤ ميناء جديد باستطاعته استقبال ناقلات ملح حمولة ٥٠ الف طن ، سوف ترسو على الرصيف ، بينما الحزام الآلي الطويل يحمل الملح مباشرة من المنجم ويفرغه في مستودعات الناقلات بسرعة فائقة تصل الى الف طن في الساعة الواحدة ، يمكن زيادتها الى ٢٠٠٠ طن في الساعة ، بعد اضافة معدات جديدة .. كما سيكون بالامكان في المستقبل رسو سفن حمولة ١٥٠ الف طن على الرصيف .

ماذا نصنع بالملح

ـ « ترى ماذا يمكن أن يفعله بلد صغير متخلف مثل اليمن ، بهذه الكمية الهائلة من الملح ؟ »

سؤال طرحناه على مدير مصنع الملح في الكويت الدكتور محمود مرضيه ، بعد أن أجرى عملية تحليل على بعض النماذج من ملح الصليف قدمناها له ، قال : « هذا الملح يمكن استغلاله في اي صناعة دون حاجة الى ادنى تنقية ، فهو من النوع الممتاز في نقاوته ، اذ يشتمل على ٩٩٫٣٤٪ من الصوديوم كلوريد .. ولا اثر فيه لمادة المغنسيوم الموجودة في الملح المستخرج من مياه البحر ، وهذا عامل له اهميته الكبرى في التصنيع ، وكل ما يحتاجه ملح الصليف هو تنظيمه وطحنه الى أحجام

الى أسفل : فوق صخور الملح يقيم سكان الصليف عششهم ومنازلهم .. وتنذرهم شركة الملح اليمنية بأن أراضيهم معدة « للتصدير » ، وانهم سيجدون انفسهم بدون مأوى في المستقبل ، ويتقبل الاهالي واعدين بالجلاء عن الملح عندما يجيء دور تصديره .





« الحمد لله ، كل شيء عندنا متوفر الا الماء .. نريد ماء .. ماء » هكذا قال لنا أهل الصليف الذين لم تعد تهمهم مظاهر الحرمان الكبير الذي يعيشونه .. ان كل شيء يهون ويحتمل الا نقص الماء .. وهؤلاء بعض الاهالي يقفون عند فوهة الآبار العميقة يستخرجون الماء المالح منها .. لقد وعدهم صندوق التنمية الكويتي بمد انابيب الماء العذب الى القرية قبل نهاية عام ١٩٧٣ ..

محددة ، لاستعماله مباشرة في مختلف أنواع الصناعات .. وحبذا لو اتخذت الاستعدادات لتصدير كميات صغيرة نسبيا تتراوح بين ٥٠٠ والف طن لاستعمالها ملحا للطعام .

« ان البلاد العربية كلها بحاجة الى هذا الملح، وهي تخطو بسرعة نحو التصنيع .. لان الملح والصناعة متلازمان ، وهذا تبينه لنا الاحصائيات الدولية ، التي تشير الى انمعدل احتياج الفرد من الملح في البلاد الصناعية يصل الى ٢٠٠ كيلوجرام سنويا، وهذا المعدل ينخفض الى سبعة كيلوجرامات في الدول المتخلفة ..

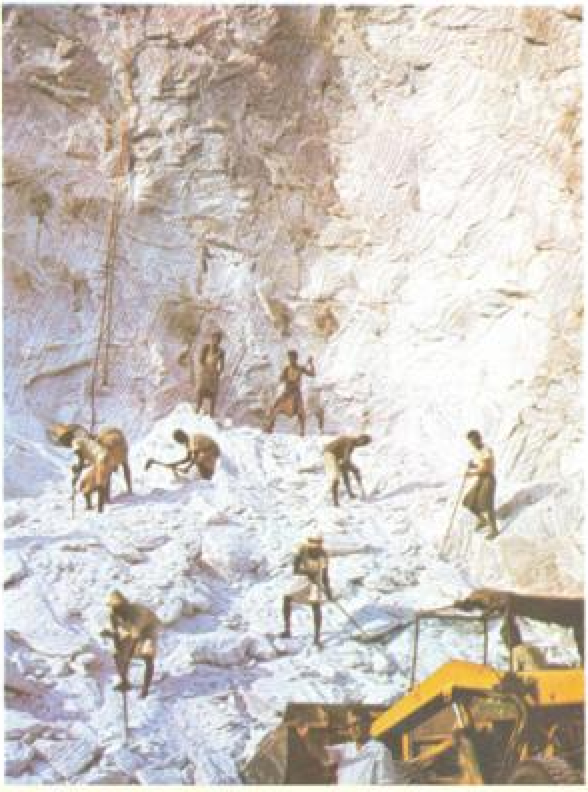
« انهم لا يأكلون هذه الكمية الكبيرة من الملح ، ولكنهم يصنعونه .. يستخرجون منه عشرات المستحضرات الكيماوية من كلور ، وصودا كاوية، وكربونات الصوديوم وغيرها، ويستعملونه في عمليات تعليب الخضراوات ، وصناعة الصابون ، وتثبيت ألوان الاصباغ ، ومئات الصناعات الأخرى ، العضوية أو الكيماوية منها .. حتى رصف الطرقات أضيف الملح الصخري في البلدان المتقدمة الى الاسفلت لتغطية الطرق التي تهطل عليها الثلوج ، منعا للتزلج .. »

هربت الاسماك !

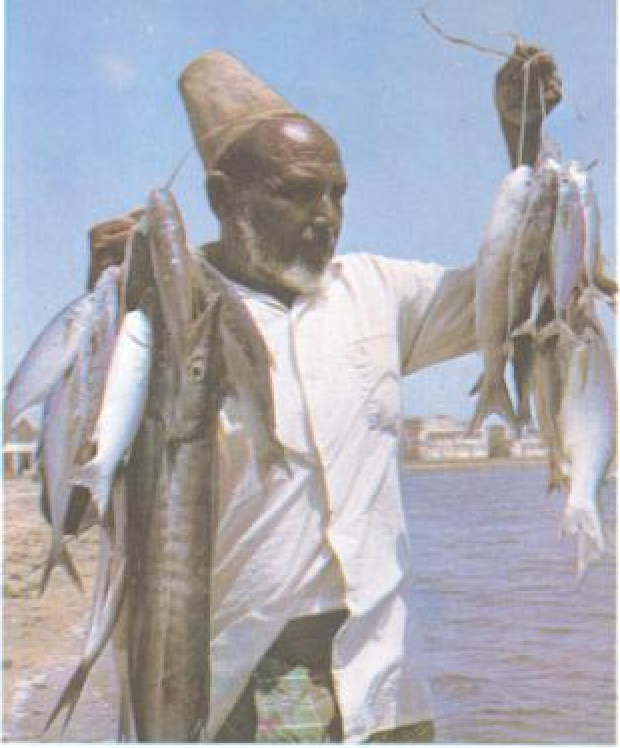
وعملية تصنيع الملح غير ممكنة حاليا في بلدمثل اليمن ، تنقصه الطاقة المحركة ، وراس المال ، واليد العاملة المؤهلة .. وأهل الصليف ما زالوا يعيشون على الفطرة تقريبا في بلدة « القرية » على مسافة ٣ كيلومترات من ميناء الصليف .. عددهم ٣٥٠٠ نسمة ، كان ٥٧٤ منهم يعملون في استخراج الملح،يمسكون الصبرة الحديدة بيدهم، يرفعون بها كتل الملح الابيض الضخمة التي تجمعت أثر تفجير الديناميت في الجبل ..



يعتمد سكان جزيرة قمران في غذائهم وضرورات حياتهم ، على الصليف ... حتى مرضاهم ينقلونهم من الجزيرة في قوارب صغيرة الى الصليف ومنها الى الحديدة ، لقد كانت جزيرة قمران غنية بآبارها العذبة التي جف معظمها ، والباقي أصبحت مياهه شديدة الملوحة .. ان أهل قمران ينتظرون – هم الآخرون – مشروع جر المياه الى الصليف ، لسد حاجاتهم من الماء .



الى اليمن : بعد تفجير الديناميت في جبل الملح ، يتسلق العمال الصخور الكبيرة ، ممسكين بأيديهم « العتلة » الحديدية يدفعون بها الكتل البيضاء الصافية الى جوار السيارات لنقلها الى الكسارة . هكذا كانوا يستخرجون الملح ، أما اليوم فقد توقف العمل تماماً .



الى اليسار : توقف الغوص في البحر بحثا عن اللؤلؤ منذ عام ١٩٥٢ واليوم يخرج الصياد بمفرده في مركبه «الهوري الصغير» ، يصطاد بالسنارة بعض الأسماك التي ما زالت في المنطقة .. ونرى هنا الشيخ ابكر، شيخ الصليف، ممسكا ببعض أنواع السمك التي يصطادها الأهالي .

الى اسفل : حول أشجار الدوم البرية يتجمع الأهالي في الأمسيات ، يقتلون الوقت في أحاديث مكررة .. وعندما تغرب الشمس يتوجهون الى منازلهم للنوم ، فالكهرباء لم تعرفها القرية بعد .. ولكن هذا الفراغ الكبير الذي يعيشون فيه بدأ يتحول الى عمل صاخب ، بعد أن بدأ العمل في مشروع صندوق التنمية الكويتي .



وعندما توقفت الآلات عن العمل . توقف معها دولاب الحياة في القرية ، وعاد الأهالي الى ركوب « الهوري » ينطلقون به في خليج قمران ،يصطادون الأسماك القليلة الباقية ، بعد أن هربت أسراب الأسماك من المنطقة خوفا من شباك السفن الكبيرة التي جاءت الى مياه الصليف لصيد ثروتها السمكية ..

وعند الأصيل يخرج أهل القرية من منازلهم يجلسون تحت أشجار الدوم البرية يفترشون الأرض ويثرثرون فيما لا طائل تحته ! فراغ كبير يعيشون فيه ..

ويعتمد بعض سكان الصليف على التجارة مع سكان جزيرة قمران القريبة (٣١/٢ كيلومتر) ينقلون الركاب ويحملون مختلف ضرورات الحياة، وخاصة القات ، الى تلك الجزيرة التي هي في الواقع جزء من نتوء الصليف (انظر الخريطة).

وكان أهل الصليف يخرجون ابتداء من أول ابريل ، لمدة أربعة أشهر الى عرض البحر يغوصون في مياهه بحثا عن اللؤلؤ الكبير ، ومعهم أهل اللحية وجيزان وجزر فراسان .. ولكن الغوص توقف نهائيا ، ولم يعد أحد يخرج بحثا عن اللؤلؤ .. ومن الطريف أنه عندما حاول الجيولوجيون الكنديون أخيرا فحص قاع البحر لمعرفة قوة تحمله ، انزلوا أنبوبا الى عمق ٢٥ مترا ، فغطس الأهالي الى الأعماق وربطوا الأنبوب في مكانه دون استعمال أي الآلات .

مدرسة هذا العام ومستوصف في العام القادم

ويتعلم أبناء الصليف في غرفة واحدة يتكدسون فيها .. وعلاجهم الطبي يتم في غرفة مجاورة ، يشرف عليه مضمد ، يعالج كل المرضى ، يخلع لهم أسنانهم ، ويصف لهم الدواء ، حتى عمليات الولادة يقوم باجرائها ، فكأنما هو طبيب !!

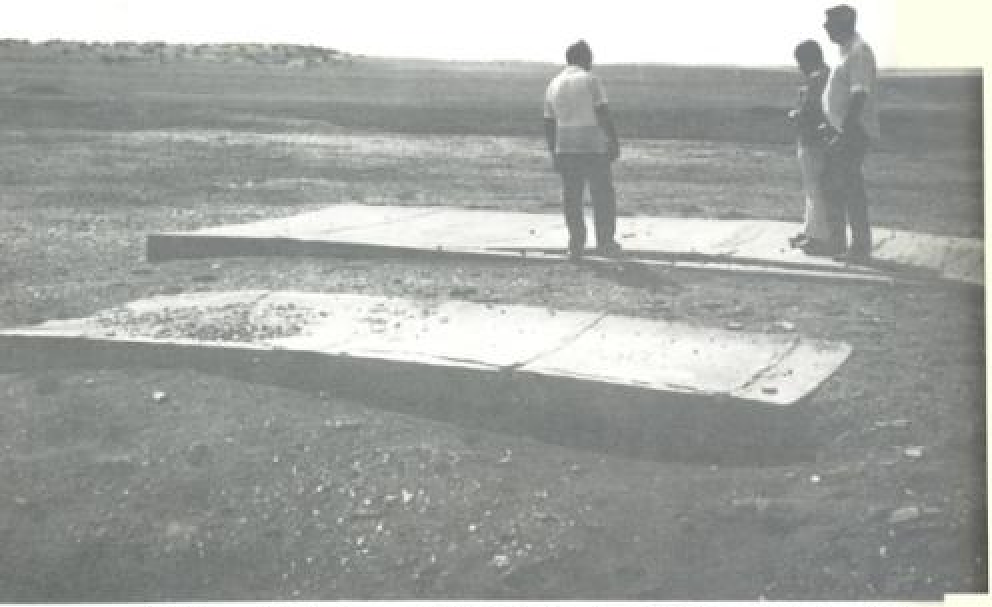
ونقلنا هذه الصورة التي رأيناها الى الأستاذ أحمد السقاف السفير في وزارة الخارجية الكويتية والعضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي . وما كدنا ننتهي من وصف ما شاهدناه حتى وعدنا بأن تقيم الهيئة في الصليف ، مدرسة ابتدائية حديثة في هذا العام ١٩٧٣ ومستوصفا حديثا في العام القادم ..

قبل عام ١٩٧٤

وأكثر مشاكل الصليف ازعاجا هي انعدام

الى أسفل : بالقرب من رصيف الصليف، أقامت شركة ديليمان الألمانية للنفط ، عشرة منازل حديثة لسكنى موظفيها ، ولكنها اضطرت لترك المنطقة دون أن تحفر بئرا ، أو تسكن في تلك المنازل ، التي أصبحت اليوم مقرا لمكاتب لشركة الملح اليمنية ولسكنى موظفيها ، ولضيافة زوار المنطقة .





٦٠٠ كيس من الاسمنت وضعت فوق بئر نفط ميكوم ٢ لسده .. ان احتمالات وجود النفط بين طبقات الملح في الصليف كبيرة جدا .. ولا تقوم حاليا أي شركة نفط بالحفر او التنقيب ، والذين يتقدمون لأخذ الامتياز ليسوا جديين ، ان كل همهم الحصول على الامتياز لاعادة بيعه بأسعار مضاعفة .. هكذا فعلت كل شركات النفط التي مرت من هنا ، مخلفة وراءها كتلا من الاسمنت وسط الصحراء تحمل أكثر من علامة استفهام وتعجب !!

المياه في القرية ، فتراهم يقطعون مسافة ٢٥ كيلومترا ليحملوا ما يشربونه من مياه الآبار العذبة الموجودة عند مدخل نتوء الصليف ... وبعضهم يفضل اختصار المسافة ، فيشرب مياها غير عذبة يستخرجها بالدلو من الآبار السطحية القريبة ..

وعندما زار مدير صندوق التنمية الكويتي منطقة الصليف ، التف حوله الاهالي يطلبون منه ايصال الماء اليهم ، فوعدهم بمد الانابيب من الابار الحلوة حتى القرية . وقد بدأ فعلا في اعداد اللازم ليكون هذا المشروع منتهيا قبل بداية عام ١٩٧٤ .

الصليف .. وتكساس !

وفي منزل الشيخ على شيخ منطقة الصليف ، جلسنا نحتسي الشاي ونتأمل بقايا أنياب سمك القرش وأبو منشار المزدانة بها الغرفة .. وامتد بنا الحديث الى آمال الاهالي ، فقال لنا الشيخ بكر:
« الازدهار في طريقه الينا .. فالمشاريع كثيرة .. بناء الميناء .. والمصنع .. ومد أنابيب المياه .. والاستيراد والتصدير .. كل هذا سينعكس خيره علينا في القريب العاجل .. »

واستطرد هامسا : « ولا تنس الجبس والنفط .. انهما موجودان تحت أقدامنا !! » .

ونظرنا الى الارض ، بينما الخبير الجيولوجي الكندي يحدثنا قائلا : « لقد اكتشفنا فعلا حقلا كبيرا لمادة الجبسوم (الجبس) طوله ١٥٠٠ متر وعرضه ٥٠٠ متر ، وسمكه نحو ١٠٠ قدم تقريبا .. يكمن فوق قمة جبل داخلي من الملح ..

وتابع الخبير الجيولوجي حديثه قائلا :
« الجبسوم والملح قد يخفيان تحتهما نفطا لا ممدنا .. هكذا ثبت لنا في مختلف أنحاء العالم ، ففي ولايتي تكساس ولويزيانا استخرج من بين طبقات الملح أكثر من خمسة آلاف مليون برميل من النفط ، ونفس الوضع ظهر في رومانيا ، اذ تتخلل طبقات الملح مصائد وفجوات مناسبة لتجمع النفط .. وليس مستبعدا وجود النفط بين طبقات ملح صليف .! »

سدوا آبار النفط

والواقع أن عمليات التنقيب عن النفط في

الجمهورية العربية اليمنية يمكن أن تسمى : « مأساة اليمن مع شركات النفط .. »

ولنبدأ القصة من أولها ، من عام ١٩٢٧ عندما تقدمت شركة نفط امريكية بطلب امتياز للتنقيب عن النفط في اليمن وكان رد الامام الرفض التام .. وبعد ١٧ عاما نجحت شركة ديليمان الالمانية في الحصول على امتياز من الامام أحمد للتنقيب عن النفط في منطقة الصليف .. وسارعت الشركة باقامة مبان حديثة على شاطىء الصليف ، وبجلب معدات الحفر .. ولكنها لم تحفر ابدا فقد عارضت الهيئة الشرعية ، أو المجلس الامامي هـــذه الاتفاقية ، فرحلت الشركة الالمانية تاركة مبانيها التي ما زالت تستعمل الى اليوم ..

وفي عام ١٩٦٠ حصل الامريكي جون ميكوم على حق التنقيب من الامام احمد ، ولم يضيع ميكوم وقته بل شرع فورا في حفر ثلاثة آبار .. واحدة على مسافة ٣٢ كيلومترا من الصليف عند بحر جابر حفرها الى عمق ١٢٠٠ متر فعثر على النفط فيها ، حسب ما اكده لنا بعض الذين كانوا يعملون فيه .. ثم حفر بئرين في مدار الصليف الى عمق ١٢ الف قدم لم يعثر فيهما الا على الملح ، ولم يتوصل ابدا الى طين او رمل في قاعهما .. وانما ملح فقط ..

وظل جون ميكوم يعمل بنشاط زائد ، وكانت طائرته الخاصة لا تتوقف عن الطيران بين الصليف واسمرة ونيويورك ، لقد كان النفط على الأبواب ، هكذا كان اعتقاد جميع العاملين مع ميكوم .

وعندما بلغت أخبار هذا النجاح مسامع الامام احمد امر بوضع الحراسة على الآبار ومنع الشركة من استخراج النفط ، فصبوا في بئر الزيدية ٦٠٠ كيس من الاسمنت ليغلقوه تماما .. وجاءوا بلحامي الاكسجين واغلقوا فوهة البئر رقم واحد. ولكن هذه المشاكل لم توقف ميكوم ، الذي واصل التنقيب والحفر ، وبينما كان يحفر بئرا في منطقة البيضاء على مسافة ٨ كيلومترات شمال الحديدة اندلعت ثورة اليمن في عام ١٩٦٢ وحاولت«الثورة» عدم عرقلة اعمال ميكوم ، فلم تعارضه في شيء .. ومع ذلك شاهده الجمهور يرحل بعد شهرين من الثورة مع كل خبراء شركته ..

رائع .. مذهل .. ولكن .. ؟

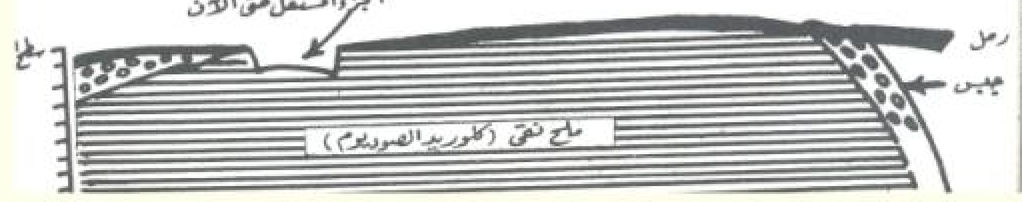
ومضت ستة اعوام جاءت بعدها شركة سوناطراك الى اليمن ، تحمل خرائط ميكوم التي اشترتها منه .. وبدأت الشركة اعمالها بعمليات مســح سيزميكية ، مستعينة باجهزة الكترونية لتسجيل الذبذبات الارضية بعد التفجيرات الجوفية ولم يعرف احد ابدا نتائج هذا المسح .. واجتمعنا الى بعض كبار العاملين في الشركة وتحدثنا اليهم مطولا فاخبرونا بانه عندما كان الخبراء يمسحون منطقتي الزيدية والصــــليف يصرخون بين الفينـــة والأخرى مكررين كلمتي Fantastique..Formidable « رائع .. مذهل » فقد كانت الاجهزة الالكترونية تعطي نتائج ايجابية طيبة جدا ، عن احتمال وجود النفط في هاتين المنطقتين .

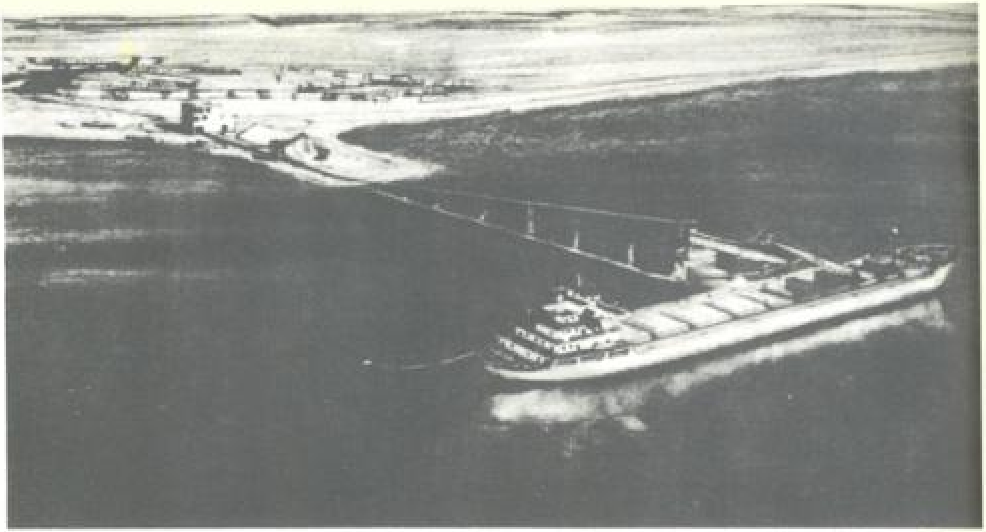
واستمرت عملية المسح سنة كاملة شملت الجبل والسهل ، من الحدود السعودية حتى منطقة الزيدية والصليف ..

وفجأة هدأ كل شيء،وسافر خبراء السوناطراك في شهر اغسطس ١٩٧١ في اجازة قصيرة على أمل العودة سريعا الى اليمن .. وطالت غيبتهم ولم يعد منهم احد ، وبدأوا يطلبون من حكومة اليمن ان تدفع مبالغ مالية لتغطية مصاريفهم في اليمن ، ورفض دولة محسن العيني ، رئيس وزراء اليمن ـ في ذاك الوقت ـ مطالبهم ، واصر على تنفيذ العقد .. وانتهت المحادثات بفسخ العقد .. ولم يعد أحد يبحث عن نفط اليمن ..

واليوم أصبحت لدى سوناطراك خرائطهـــا وخرائط ميكوم ، كلها معروضة للبيع .. ترى من

الى اسفل : رسم يوضح مقطعا في أرض الصليف .. ان احتياطي الملح الذي تم تحديد كمياته يبلغ ٢٥٠ مليون طن .. وهذا يعني انه اذا تم تصدير مليون طن سنويا من ملح الصليف ، فانه يلزم ٢٥٠ عاما لاستنفاد كميات الملح في الصليف !! والسهم الذي فوق الرسم يبين لنا مدى ضآلة كمية الملح التي تم استخراجها .. لاحظ النسبة الى مجموع الاحتياطي الذي رمزنا له بخطوط افقية .





رسم يبين ماذا سيكون عليه ميناء الصليف بعد انتهاء مشروع الصندوق الكويتي . ففي نهاية عام ١٩٧٤ سيصبح بامكان الميناء استقبال ناقلات ملح حمولة ٥٠ الف طن في البداية ، تزداد الى ١٥٠ الف طن ، يتم تحميلها بسرعة ٢٠٠٠ طن من الملح في الساعة .. وقد فازت شركة كندية بتنفيذ هذا المشروع من بين ٣٠ شركة عالمية تمثل عشر دول اوروبية وامريكية اشتركت في المناقصة .. ومن المؤسف انه لا كندا ولا الشركات الكندية المنفذة للمشروع قدمت اى مساعدة لليمن .. بل بالعكس ربحت مئات الالوف من طريق اليمن !!

هو سعيد الحظ الذى سيشتريها ، ليضع خاتمة سعيدة لهذا المسلسل التعس !؟

ميناء المستقبل

والصليف لن يكون ميناء ملح فقط، بل اصبحت الاصابع تشير اليه بوصفه ميناء اليمن الاول .. فبحيرة الصليف الواسعة يمكنها استيعاب ١٠٠ سفينة مرة واحدة .. وميناء الصليف ميناء طبيعى هادىء ممتاز ، عمق مياهه ٢٦ مترا مما يسمح للسفن حمولة ١٥٠ الف طن من الرسو فيه بسهولة .

ومن ميناء الصليف تمتد قناتان طبيعيتان عمق كل منهما ٢٠ مترا ، واحدة تتجه الى المدخل الشمالى للبحيرة عند راس جزيرة قمران ... والأخرى تمتد الى المدخل الجنوبى للبحيرة .. وهذا العمق في المياه يعطى مجالا واسعا لسير السفن حمولة ١٥٠ الف طن والتى يمتد غاطسها الى ١٧ مترا عندما تكون فارغة ، و١٨ مترا وهى بكامل حمولتها ..

ولا يوجد خطر من تراكم الرمال في القناتين ، فالتيارات البحرية تجرف الرمال اولا باول، بعكس ميناء الحديدة الذى عمق مياهه ٢٢ قدما فقط ، والذى تتراكم عند مدخله الرمال مما يتطلب صيانة دائمة باهظة التكاليف ..

ونتيجة لهذه العوامل ، وبعد ان ظهرت الامكانات الطبيعية الدائمة لميناء الصليف ، بدا المسئولون يخططون ليصبح الصليف ميناء اليمن الرئيسي الاول .. وفي الحال ادخلت اضافات وتعديلات على رصيف شحن الملح في المشروع الكويتى ، بحيث يصبح بالامكان استعماله في نفس الوقت ، رصيفا لاستقبال السفن التجارية وانزال بضائعها وخاصة الوقود الذى فاق استهلاك اليمن منه ٥٥٠ الف طن سنويا تستورد كلها من الخارج .

ميزات رائعة

ان مناجم الملح في الصليف تبعد الف متر فقط* عن الباخرة الواقفة في الميناء .. وهذه ميزة رائعة قل ان تجد مثلها في العالم ، فمناجم الملح في رومانيا مثلا تبعد ٢٠٠ كيلومتر عن موانىء التصدير .

ويتميز منجم الصليف بانه منجم مفتوح يؤخذ منه الملح من على السطح مباشرة ، انه منجم مكشوف ، فالأمطار تكاد تكون معدومة في الصليف ومنذ سنتين لم تهطل قطرة مطر واحدة على المنطقة، بعكس المناجم في دول العالم ، يحفرون الانفاق داخل طبقات الملح لحمايته من هطول الأمطار والثلج ..

ميزات رائعة ينفرد بها موقع منجم ملح الصليف ..

« ملحنا سيلقى اقبالا »



وفي شرفة قاعة الاستراحة المقامة في أحد المنازل التي تركتها شركة النفط الالمانية ، جلسنا نفكر فيما يلزم للخروج بالصليف من عزلتها ، وكان معنا حسين العيني مدير الشركة اليمنية لصناعة الملح ،الذى كان يتحدث من قلب عاشق لكل حبة ملح في الصليف قال : « أهم عامل في رواج الملح بالأسواق الدولية هو معدل سرعة الشحن ... وامكاناتنا الحالية لم تعد تمكننا من منافسة الشحن الدولي .. لهذا التجأنا الى الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، كي يساعدنا في حل مشكلتنا ، ولم يخيب الأخوة رجاءنا ، فأولوا الصليف عناية خاصة ، وقدموا لنا قرضا طويل الاجل مقداره نحو ستة ملايين دولار ، بفائدة ٢٪ نسددها على مدى ٢٠ سنة ، بعد أن يبدأ المشروع في العمل وجلب الايراد ..

« ولم يكتف الأخوة بهذا ، بل قدموا لنا مساعدة على شكل منحة ، مقدارها ربع مليون دولار لتغطية مصاريف عملية المسح الجيولوجي للمنطقة ..

« ان ملحنا سيلقى اقبالا من أسواق العالم بعد انتهاء مشروع الصندوق الكويتي .. لان تحميل ناقلات من حمولة ٥٠ ألف طن بسرعة فائقة ، سيمكننا من المنافسة في الأسواق الدولية !! »

اريد من الاخوة العرب

فقلنا له : « ما الذي تطلبه من الدول العربية ؟! »

ولم يفكر الرجل طويلا ، بل قال ببساطة : « عندي ٢٥٠ مليون طن من الملح الصخري اريد المساعدة على تصديرها .. اريد وكلاء عرب ، أو شركة عربية كبرى ، تتولى توزيع وبيع ملح الصليف ، وفتح أسواق جديدة له .. اريدهم أن يساعدوني في شق طريق يربط الصليف بالحديدة جنوبا وبجيزان شمالا .. اريدهم أن يساعدوني في اقامة محطة لتقطير ماء البحر .. اريدهم أن يساعدوني في العثور على شركة نفط تعمل باخلاص وتجرد ، لاستخراج النفط من مكامنه ..

« ان اليابان كانت تضغط علينا لتخفيض سعر ملحنا ، فكانت تشترى الطن منا بسعر ٣٫٧٨ دولار .. لقد اعتمدنا على اليابان لتكون المستورد الوحيد لملحنا ، وقد آن الاوان أن تفتح الاسواق العالمية ، والعربية بالذات ، أبوابها أمام ملحنا ذى الميزات الرائعة .. ان عملية تجفيف مياه البحر واستخراج الملح منها يكلف أقطارنا العربية من ٥ الى ٧ دولارات للطن ، وعملية تكثيف مياه البحر في المكثفات لاستخراج الملح ، كما يحدث في الكويت والمملكة العربية السعودية ، تكلف ٣٠ دولارا للطن الواحد .. فأين هذه الاسعار من أسعار ملحنا .. ؟! »

هل نفذنا الوصية ؟ ٠

ويتوقف حسين العيني عن الحديث قليلا ليفاجئنا بسؤال : « هل تعرفون أن الصليف منطقة سياحية من الدرجة الاولى ؟ . وان بها شاطئا بحريا جميلا لا مثيل له في العالم ؟ تعالوا نذهب سويا لنسبح هناك .. »

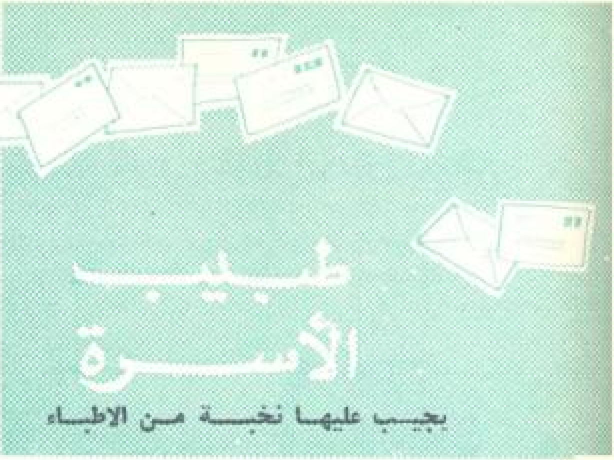
وانطلق بنا المركب في البحر .. يرافقنا في الجو طائر « الأجام » الابيض ، وفي مياه البحر كانت تتتابع امامنا داخل المياه قطع مستديرة بيضاء يطلقون عليها كلمة « الحَمَار » .. انها الاسماك المعروفة بالهلالية وهى ليست بأسماك ، فليس لها فقار في الظهر .. وبعد نصف ساعة وصلنا الى لسان حارافة ، الذى أصبح الناس يطلقون عليه اسم عرفه تخفيفا لنطقه .. لسان رملي طويل رفيع يقسم البحر الى بحرين .. المياه حوله شفافة كالمرآة ، والرمال صفراء ناعمة ملساء .. وقضينا ساعة نستحم في مياه لسان عرفة .. انطلقنا بعدها الى المركب الذى أعادنا الى الصليف .. ومنها انطلقنا الى الحديدة ، لتستقل الطائرة ونعود الى الكويت ..

وفي الكويت جاءتنا الاخبار معلنة غرق « حسين العيني » في المنطقة التى أحبها وكافح من أجلها .. وتذكرنا قوله لنا: «لا يمكن أن تتركوا الصليف هكذا .. يجب أن تنشروا عنها شيئا في «العربي» ليعرفها كل مواطن عربي فيساعدها .. »

املنا أن نكون نفذنا الوصية . ■■

سليم زبال





حرقان البول

قد يكون سببه التهاب المسالك البولية

● اشعر بالام شديدةفي جنبي الايسرواسفل البطن مع حرقة اثناء التبول مصحوبة بتغيرفي لون البول . وتعاودني هذه الحالة كل ثلاثة او اربعة اشهر . هذا مع العلم باني شاب في مقتبل العمر لا اتجاوز العشرين ربيعا ؟

— ان ما يشكو منه السائل يشير الى مرض فى الجهاز البولى . ان الم الجنب الايسر الذى يمتد حتى يصل الى الخصية او الى عضو التذكير ، وكذلك الألم الذى يشعر به فى أسفل البطن فوق العانة انما هو من أعراض التهاب المسالك البولية . اى المثانة والكليتين . وخاصة أن هذه الاعراض تتكرر بين فترة واخرى .

ومن علامات التهاب المثانة والكلى ان يشعر المريض بالم حارق فى المثانة وفى مجرى البول مع الم حرقى وقت التبول ، ويذهب المريض الى بيت الخلاء ليبول كل نصف ساعة أو لمدة تزيد او تنقص وبكميات قليلة . وقد يكون لون البول معكرا او به مواد عالقة بيضاء أو قد يكون مختلطا بالدم . ويستمر على هذا الحال لعدة ايام أو أسابيع . وربما تعودها المريض لعدة اشهر .

واذا تركت هذه الحالة فان المرض يتأصل ويشمل الكليتين وقد ينتهى الحال باصابة الكليتين بمرض لا يلتئم ، ويفقد الجهاز الافرازى قدرته على تنقية الدم وتخليصه من الفضلات الضارة والسموم ويتطور الحال الى تسمم البولينا ، التى تهدد حياة الانسان بالخطر .

ولذلك فانى أنصح بأن تعرض نفسك على طبيب أخصائى ليجرى لك ما تحتاج من فحوص مختبرية ، وخاصة مزرعة للبول ، ومعرفة الجرثومة المرضية او اذا ما كنت مصابا بحصوات المثانة او الكلى او بتورم الكلى أو مصابا بمرض البلهارسيا او بمرض خلقى فى المجارى البولية . اذا ما اكتشفت العلة الخلفية لتكرار تلوث البول ، وجب ازالتها وبالتالى تتخلص من هذا المرض . لذا فان المزرعة البولية تحدد نوع الجرثومة ونوع المضاد الحيوى للقضاء عليها نهائيا . وقد يحتاج الأمر الى اجراء المزيد من الفحوصات الشعاعية الملونة او الى اجراء فحص كلوى بالنظائر المشعة لتحديد مكان وحجم المرض وبمعنى آخر ، فلا بد من اجراء التشخيص الصحيح ليسهل العلاج الناجع .

حبة بغداد.. سببه طفيل ينقل بواسطة البعوض

● اصبت بقرحة في وجهي منذ شهرين ما زلت اتعالج منها وعلمت انها تسمى « حبة بغداد » ، فما هذه الحبة ومتى ستشفى وهل ستترك اثرا مكانها ؟

ـ ان حبة بغداد Oriental sore عبارة عن مرض جلدي سببه طفيل من الأوليات يسمى Leishmania tropica وسمي كذلك نظرا لانتشاره في بغداد بالعراق ، الا انه ينتشر كذلك في حلب بسوريا (حبة حلب) ، وعامة يوجد المرض مستوطنا في حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال افريقيا وآسيا والهند .

وتبدأ الاصابة نتيجة لدغة بعوضة من نوع معين Phlebotomus وبعد فترة حضانة تختلف من بضعة أسابيع الى عدة شهور تظهر حبة محمرة موضع اللدغة مغطاة بقشور دقيقة ، وهذه الحبة اذا كانت واحدة فقط ، فانها تكبر الى بضعة سنتيمترات ، بينما اذا كانت الحبيبات اكثر من واحدة فان الحبة الام عادة تكبر وحدها بينما تظل الحبيبات الاخرى صغيرة نسبيا ، وقد يصل عدد الحبيبات الى ١٠٠ واحيانا اكثر . واذا تركت الحبة وشأنها فانها تكبر تدريجيا وتسمك القشور التي تغطيها وقد يتقرح وسطها ثم تشفى تدريجيا في خلال سنة أو اقل واحيانا اكثر حسب نوعها تاركة ندبة سطحية .

وهناك ٣ انواع من الاصابة :

١ ـ تظهر حبة محمرة بعد فترة حضانة قصيرة حوالي شهرين عند موضع لدغة البعوضة وبعد اسبوعين تتقرح الحبة في الوسط ويكبر حجمها ويستمر ذلك لمدة شهرين او ثلاثة حيث يصل حجم الاصابة من ٣ ـ ٦ سم واحيانا تتكون حولها بعض الحبيبات الاخرى الصغيرة ، ثم تشفى تدريجيا خلال ٢ ـ ٦ شهور تاركة مكانها ندبة .

٢ ـ تظهر الحبة بعد فترة حضانة تزيد على شهرين ، وتكون الحبة بنية



اللون تمتد لتصبح ١ ـ ٢ سم فقط في خلال ستة شهور ثم يظهر التقرح في الوسط ، وقد تظهر حولها بعض الحبيبات الصغيرة ، وبعد ٨ ـ ١٢ شهرا تهبط الاصابة تدريجيا تاركة ندبة .

٣ ـ تظهر حبيبات بنية محمرة أو مصفرة تتجمع مؤدية الى رقعة كبيرة تشبه في شكلها نوعا من مرض سل الجلد ويكون عادة أسوأ في الصيف عنه في الشتاء وقد تتقرح وتأخذ عدة سنوات لتشفى قد تطول الى عشر او حتى عشرين عاما .

وعموما تظهر حبة بغداد على الأجزاء المعرضة من الجسم خاصة الوجه والاذن وتصيب الرجال والنساء ، وكذلك الأطفال وعادة الاصابة تعطي مناعة دائمة . وفي العلاج يجب القضاء على البعوض الناقل للمرض باستعمال المبيدات وغيرها ، وهناك أنواع كثيرة من العلاج مثل حبوب كيناكرين او ميباكرين بالفم ، وكذلك كمحلول ٥ ـ ١٠٪ للحقن موضعيا في الحبة . Pentostan بالعضل او الوريد وكذلك موضعيا Tartar emetic بالوريد . وحاليا يفضل استعمال الكورتيزون بالحقن موضعيا في الحبة ، كما انه يمكن العلاج بالأشعة .

الرياضة العنيفة تمنع الاصابة بالذبحة الصدرية

● هل يسمح للمرضى المصابين بالذبحة الصدرية ان يمارسوا الرياضة والعمل الشاق ؟ وما هي العلاقة بين الرياضة ونسبة الاصابة بامراض الشرايين ؟

ـ في المقالة الافتتاحية لمجلة اللانست الطبية البريطانية بعددها الصادر في ١٧ فبراير /٧٣ اورد الاستاذ موريس وزملاؤه نتيجة ابحاثهم حول العلاقة بين امراض شرايين القلب ـ الذبحة الصدرية والجلطة القلبية ـ وبين ممارسة انواع الرياضة العنيفة . ولقد تبنى مجلس البحث الطبي البريطاني والجهات المسئولة في لندن هذه الدراسة وقاموا بالاشراف عليها .

لقد قامت هذه المجموعة من المتخصصين بدراسة سجلات ١٦٨٨٢ رجلا من رجال الاعمال والمديرين من لندن ممن تتراوح اعمارهم بين ٤٠ ـ ٦٤ عاما حيث سجلوا نشاطهم الرياضي في عطلة نهاية الاسبوع



ـ الجمعة والسبت . ومن خلال استفتاء مطبوع لمدة ثلاثة اعوام (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) وبتحليل النتائج ثبت أن الجهد المبذول يساوي استنفاد الطاقة بما يعادل ٧ر٥ سعرا حراريا في الدقيقة الواحدة . وهذا الجهد يوازي ذاك المطلوب للعمل في الصناعات الثقيلة . تلك الطاقة بذلت خلال مزاولة السباحة والتدريب الرياضي العنيف واعمال زراعة الحدائق « حفر وتسوية التربة » .

ولقد اجريت مقارنة بين مجموعة من الرجال الذين اصيبوا بالذبحة الصدرية وبين مجموعة اخرى متماثلة لم يسبق لهم ان عانوا من امراض قلبية . وكانت النتيجة مدهشة اذ ثبت أن تعرض الرجال الذين يمارسون الاعمال البدنية العنيفة تقل اصابتهم بامراض القلب الى الثلث ، وكلما زاد العنف في الرياضة هبطة نسبة الاصابة .

اما اولئك الذين يمارسون رياضة ضعيفة او مجرد القيام بالاعمال المكتبية اليومية ، فلم تتوفر لهم هذه الميزة ، وتلك الحصانة ، ويتساوون في الاصابة القلبية مع الذين يتمتعون براحة تامة .

ولقد استنتج العلماء من تلك الدراسة ان الرياضة العنيفة توفر للقلب وشرايينه تدريبا وحصانة ضد النوبات القلبية القاتلة ، وكذلك ضد تعدد وتكرار الاصابة القلبية لدى اولئك الذين اصيبوا بها مرة قبل مزاولة الاعمال البدنية الشاقة . هذا ، ولقد استبعدت العوامل والمؤثرات الاخرى التي تمهد الطريق للذبحة الصدرية كالتدخين مثلا . ■■

أبو الطيّب الرُّنْدى

صاحب المرثيّة الأندلسيّة الشهيرة

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ من بين كتاب الأندلس وشعرائها الاعلام كاتب شاعر ، برع في النظم والنثر معا ، وترك لنا طائفة كبيرة من نظمه ، وعدة مؤلفات متنوعة من نثره . ومع ذلك فانه لم يشتهر ، على كر العصور ، الا بقصيدة واحدة من قصائده ، نظمها في رثاء الأندلس .

هذا الكاتب الشاعر هو أبو البقاء أو أبو الطيب صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن ابى القاسم ابن علي بن شريف النفزى الرندى ، صاحب مرثية الأندلس الشهيرة التى مطلعها :

لكل شـيء اذا ما تـم نقصـــــان
فلا يغر بطيب العيش انســـــان

والتي خلدت اسمه الى يومنا ، والتى مازالت تحتفظ حتى اليوم برنينها المحزن ، بعد ان مضت على نظمها عدة قرون .

حيــاته

ولد ابو الطيب بمدينة رُنْدة بالاندلس سنه ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) ونشا بها ، وروى عن ابيه ، وعن ابن الفخار الشريشى ، وابن قطرال ، وابن الحسين بن زُرْقُون ، وابى ابن الجد الفهرى وغيرهـم ، درس الحديث والفقـه واللغــة ، وبرع في النظم والنثر ، ووصــفه ابـو جعفـر ابن الزبير في صلة الصلة فقال « شاعر مجيد في المدح والغزل وغير ذلك . وعنده مشاركة في الحساب والفرائض . ونظم في ذلك . وله تواليف ادبية ، وقصائد زهدية وجزء على حديث جبريل عليه السلام ، وغير ذلك مما روى عنه . وكان في الجملة معدودا في اهل الخير وذوى الفضل والدين . تكرر لقائي اياه ، وقد اقام بمالقة اشهرا ، ايام القرائى ، وكان لايفارق مجالس القرائي ، وانشدنى كثيرا من شعره » . ووصفه القاضى ابن عبد الملك المراكشى في « الذيل والتكملة » بقوله « كان خاتمة ادباء الاندلس ، بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره ، فقيها حافظا فرَضيا ، متفننا في معارف شتى ، نبيل المقاصد ، متواضعا ، مقتصدا في احواله ، وله مقامات بديعة في اغراض شتى وكلامه نظما ونثرا مدون » .

عصره عصر اضطراب

وقد عاش ابو الطيب في عصر ، اضطربت فيه اوضاع الاندلس الكبرى ، عصر انهيار سلطات الموحدين ، ونهوض الزعامات الاندلسية المحلية ،

في بعض قطاعات الاندلس الشرقية الوسطى ، تحاول تحرير الوطن الاندلسي من نير الموحدين والنصارى معا . فقام المتوكل بن هود في قطاع مرسية وما اليها ، وابو جميل زيان في قطاع بلنسية ، وقام محمد بن يوسف بن الاحمر في المنطقة الوسطى ، منطقة جيان وما اليها ، ثم انحدر بعد معارك نشبت بينه وبين منافسه ابن هود الى المنطقة الجنوبية ، منطقة غرناطة ، واستطاع ان يوطد فيها سلطانه ، وان ينشىء مملكة غرناطة الصغيرة الفتية ، فيما بين الوادي الكبير والبحر .

كان ذلك في النصف الاول من القرن السابع الهجري ، وكان ابو الطيب يعيش في الجنوب ، في رندة حيث كان يشغل منصب القضاء في بلده حسبما يبدو من ديباجة كتابه (الوافي في نظم القوافي) حيث وصف بالفقيه القاضي واحيانا في مالقة ، يشهد تلك الحوادث والخطوب التي نزلت بالوطن الاندلسي ، والتي اودت بمعظم قواعده الكبرى ، التي استولى عليها النصارى تباعا ، في نحو ربع قرن فقط ، من سنة ٦٢٥ هـ الى سنة ٦٤٦ هـ سقطت خلاله قرطبة وبلنسية ومرسية ودانية وشاطبة وجيان واشبيلية وغيرها وغيرها ، ولم يبق بيد المسلمين من الاندلس الكبرى ، سوى مملكة غرناطة الصغيرة ، تحتوي على بضعة القواعد الاندلسية الباقية ، مثل رندة ووادي اشى ، وبسطة والحامة والمرية ومالقة والجزيرة الخضراء .

غرناطة الصغيرة

وكان من الطبيعي ان تتطلع الانظار الى تلك الدولة الجديدة ، التي قامت تجمع حولها اشلاء الاندلس الكبرى ، واضحت غرناطة عاصمة المملكة الجديدة ، كعبة القصاد مثلما كانت قرطبة واشبيلية وبلنسية ، وغيرها من القواعد الكبرى الذاهبة ، واخذ العلماء والكتاب والشعراء ، يترددون على بلاطها يلتمسون العون والرعاية . وكان من اولئك الزعدة الوافدين على بلاط سادة الاندلس الجدد ، بني نصر او بني الاحمر ، ابو الطيب صالح بن شريف الرندي . ويقول لنا ابن الخطيب في ترجمته لابي الطيب ما يأتي : وكان كثير الوفادة على غرناطة والتردد اليها يسترفد ملوكها ، وينشد امراءها » . ولقي ابو الطيب بغيته في رعاية الغالب بالله محمد بن يوسف خميس النصري المعروف بابن الاحمر ، مؤسس مملكة غرناطة ، وكان امرا مستنيرا بعشق الشعر والادب ، ويسبغ رعايته على الكتاب والادباء . وكان ابو الطيب شاعره الاثير لديه ، يطرب لشعره ، وقد نظم في مدحه عددا من غرر قصائده . ويقول لنا ابن الخطيب ان السلطان هو الذي كلفه بنظم قصيدته التي اولها :

اواصلتي يوما وهاجرتي ألفا
وصالك ما أحلى وهجرك ما أجفى
ومن عجب للطيف ان جاء واهتدى
نعاد عليلا عاد كالطيف ام احفى
فياسائرا لولا التخيل ماسرى
وياشاهداً لولا التعلل ما اغفى
بعيني شكوى للغرام وتيهه
الى ان تثنى عطفه فانثنى عطفا
فعانقته شوقا وقبلته هوى
ولا قبلة تكفي ولا لوعة تطفا

وانه اوعز اليه الا يخرج من بعض البساتين التي اوفده اليها حتى يكملها ، وذلك في معارضه محمد بن هانيء الالبيرى. ثم يورد لنا ابن الخطيب من شعره الذي يصفه بانه « كثير ، سهل الماخذ ، عذب اللفظ ، رائق المعنى » عددا من القصائد فمن ذلك قصيدة نظمها في مدح السلطان يقول فيها :

سرى والحب امر لا يرام
وقد اغرى به الشوق الغرام
واغفى اهلها الا وشاة
اذا نام الحوادث لاتنام
وما اخفاه بين القوم الا
ضناه وربما نفع السقام
فنال بها على قدر مناه
وبين القبض والبسط القوام
واشهى الوصل ماكان اختلاسا
وخير الحب مافيه احتشام

ومن قوله في الغزل والتصوف :

سلم على الحي بذات العرار
وحي من أجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم
فما على العشاق في الذل عار

العربي : كان لقب « القاضي » يطلق على كثير من كبار العلماء وان لم يتولوا وظيفة القضاء .

ولا تقصر في اغتنام المنى
فما ليالي الأنس الا قصار
وانما العيش لمن رامه
نفس تداري وكؤوس تدار

ولابي الطيب في الشعر نزعات غريبة قلما خطرت لغيره ، وله اوصاف منوعة في اشياء متباينة ، مثل العقل والنهر ، والورد ، والسيف ، والقوس ، والقلم ، والسكين ، والمقص والدواة وغيرها . وقد اورد لنا ابن الخطيب في ترجمته نماذج من شعره في هذه الاشياء وغيرها .

على ان هذا الجانب البهيج من شعر ابي الطيب ، يقابله من الناحية الاخرى ذلك الجانب المؤسي الذي ترسمه لنا قصيدته في رثاء الاندلس.

ففي اي وقت وظروف نظمت هذه القصيدة ؟ لقد رايت ان أبا الطيب كان شاعر ابن الاحمر ، الاثير لديه ، وقد كان الى جانبه يشهد تلك المحن ، حين توالت على الوطن الاندلسي ، الذي استحال الى اشلاء ممزقة في الفترة نفسها التي كانت تتوطد فيها قواعد المملكة الاسلامية الجديدة مملكة غرناطة وكان ابن الاحمر مؤسس المملكة الجديدة ، يعمل لحماية ملكه من عادية القشتاليين ، بمصانعتهم ، ومحاولة مهادنتهم ، ولم يكن ذلك دون ثمن ، بل كان الثمن فادحا مؤلما . ذلك ان ابن الاحمر اضطر في سبيل تامين مملكته ، ان يعقد مع ملك قشتالة صلحا ، يتنازل له فيه عن عدد كبير من البلاد والحصون المسورة ، منها شريش والمدينة والقلعة وغيرها . وقيل ان ما اعطاه ابن الاحمر يومئذ من البلاد والحصون المسورة للنصارى بلغ اكثر من مائة موضع ، ومعظمها في غرب الاندلس . وكان ذلك في سنة ٦٦٥ هـ ، او سنة ٦٦٢ هـ وفق رواية اخرى ، وهنا يقول لنا صاحب الذخيرة السنية ، وهو صاحب هذه الرواية ، ان هذه المناسبة بالذات هي التي نظم فيها ابو الطيب الرندي قصيدته يرثى فيها بلاد الاندلس . ويستنصر باهل العدوة من بني مرين وغيرهم .

اجل كل ما هنالك ، يدل على ان هذه الظروف المحزنة هي التي اوحت الى ابي الطيب ان ينظم مرثيته الشهيرة ، بيد ان الشاعر لم يقصر رثاءه على تلك الخسائر الاقليمية التي بذلها بن الاحمر لاعدائه ولكنه رجع بنظمه الى ما قبل ذلك ولكنه رجع بنظمه الى ما قبل ذلك بنحو ثلاثين عاما ، الى تلك الفترة المروعة ، التي سقطت فيها قواعد الاندلس الكبرى : بلنسية ، مرسية ، شاطبة ، قرطبة ، جيان اشبيلية ، فكان بكاء هذه القواعد المجيدة هو عماد قصيدته ، التي تهز اوتار القلوب .

يبدأ ابو الطيب قصيدته بقوله :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول
من سره زمان ساءته ازمان
وهذه الدار لاتبقى على احد
ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابقة
اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو
كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن
واين منهم اكاليل وتيجان ؟
واين ما شاده شداد في ارم ؟
واين ما ساسه في الفرس ساسان؟
واين ما حازه قارون من ذهب ؟
واين عاد وشداد وقحطان ؟
اتى على الكل امر لا مرد له
حتى قضوا ، فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على (دارا) وقاتله
وأم كسرى فما آواه ايوان

ثم يقول : بعد ان يستعرض سحق الدهر ، لاعاظم اقيال العصر الغابر ، مثل شداد وساسان وقارون ، وعاد وقحطان وكسرى :

فجائع الدهر انواع منوعة
وللزمان مسرات واحزان
وللحوادث سلوان يسهلها
وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة امر لاعزاء له
هوى له احد وانهد ثهلان
فاسال بلنسيه ماشأن مرسية
واين شاطبة ام اين جيان
واين قرطبة دار العلوم ، فكم
من عالم قد سما فيها له شان
واين حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كنّ أركان البلاد فما
عسى البقاء اذا لم تبق اركان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الالف هيمان

وفي هذه الابيات المتقدمة يصور لنا ابو الطيب محنة الاندلس ، ويبكى قواعدها التى سقطت قبل انشاده بفترة قصيرة ، ثم يقول مناديا اولئك السعداء الاعزّاء باوطانهم .

ياغافلا ، وله فى الدهر موعظة
ان كنت فى سِنَةٍ ، فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه
ابعد حمص تغرُّ المرءَ أوطان ؟
تلك المصيبة انست ما تقدمها
وما لها من طوال الدهر نسيان
يا راكبين عتاقَ الخيل ضامرةً
كأنها فى مجال السبق عقبان
وحاملين سيوفَ الهند مرهفةً
كأنها فى ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر فى دعة
لهم باوطانهم عز وسلطان
اعندكم نبأ من اهل اندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
اسرى وقتلى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم
وانتم ياعباد الله اخوان
الا نفوس ابيّات « لها همم » ؟
اما على الخير انصار واعوان ؟
يا منْ لذلة قوم ، بعد عزهم
احال حالهم جورٌ وطغيان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
ان كان فى القلب اسلام وايمان !

وتقع القصيدة كلها في اثنين واربعين بيتا . وقد نقلها الينا المقرّى في كتابيه نفح الطيب وازهار الرياض . ومن الغريب ان ابن الخطيب وقد اورد في ترجمة ابى الطيب الرندى طائفة مختارة من شعره ، ومنها ثلاث قصائد من مطولاته ، لم يشر بكلمة واحدة الى مرثيته الاندلسية ، بالرغم من انها تعتبر قطعاً من غرر قصائده ، وهو امر يدعو الى الدهشة والتساؤل . فاما ان الناسخ لمخطوط كتاب الاحاطة ــ وكل ما انتهى الينا من نسخه يوسم « بالمختصر » ومنها نسخة الاسكوريال التي نعتمد عليها في هذا المقال ــ قد اغفل ايراد القصيدة اختصارا أو ظنا منه بان شهرتها تغنى عن ايرادها . واما انّ ابن الخطيب قد اغفل ايرادها اعتقادا منه ، وهو من اولياء بنى نصر ملوك غرناطة ، وربيب نعمتهم ، بان وجود هذه القصيدة في مؤلفه قد يسيء الى ذكريات ابن الاحمر الكبير ، الذى وقعت في عصره محنة الاندلس ، ثم نظمت القصيدة كذلك في عصره ، بقلم شاعره الاثير . وعلى اى حال فقد نقل المقرى القصيدة الينا من مصدر لم يذكره،واكتفى بان يقول لنا انه نقلها من « خط من يوثق به » .

لقد رفعت مرثية الاندلس شهرة ابى الطيب الرندى الى السماكين ، ومازالت حتى اليوم تحتفظ بجدتها ورنينها المحزن . ومازالت تبكى الشباب في سائر انحاء العالم العربي والاسلامى ، وتسبغ على قصة الاندلس لونها المتشجى . بيد ان ذلك يجب الا ينسينا ان لابى الطيب غير مرثية الاندلس ، كثيرا من غرر القصائد التي لاتقل في روعتها عن مرثية الاندلس . وقد اشرنا فيما تقدم الى بعض هذه القصائد . وهذا الى ماتركه لنا ابو الطيب من مؤلفات عديدة ، منها تصنيف في الفرايض ، وآخر في العروض . ومنها كتاب في صناعة الشعر سماه « الكافى في علم القوافى » . وله ايضا كتاب كبير سماه « روض الانس ونزهة النفس » كتبه برسم حاميه ومولاه . الغالب بالله السلطان محمد بن الاحمر الكبير .

وتوفى ابو الطيب الرندى في سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥م) وقد جاوز الثمانين ، واوصى ان يكتب على قبره هذان البيتان .

خليليَّ بالودّ الذى بيننا اجعلا
اذا متُّ قبرى عرضة للترحم
عسى مسلمٌ يدنو فيدعو برحمة
فانى محتاج لدعوة مسلم (1)

■■

محمد عبد الله عنان

---

(١) اعتمدنا في هذا البحث بالاخص على ترجمة ابن الخطيب لابى الطيب الرندى في كتاب «الاحاطة في اخبار غرناطة » (مخطوط الاسكوريال ــ ١٦٧٣ دير نبور لوحات (212 - 207) وعلى كتابنا : نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، الطبعة الثالثة (ص ٤٩ ــ ٥١) و (٥٦ــ٥٧) .

الرتابة

لماذا نملها، ونهرب منها !

■ هل صحيح اننا نهرب من الحياة ، ولماذا نحاول الهرب ؟ ما هى الاسباب المباشرة . التى تدفع الكثيرين منا في وقت أو في آخر ، في مرحلة أو في أخرى من مراحل حياتنا ، الى الشعور بالزهد في الحياة وما تحمله لنا ؟

يقول ايمرسون في وصفه للحياة : « **انهامجموعة من المفاجآتالمتباينة لا تربطها ببعض أية رابطة .. ولكن هذه المفاجآت نفسها هى التى تجعل للحياة تلك اللذة التى نجدها فيها ، فلو اننا عرفنا ماذا سيحدث لنا بعد ساعة وبعد يوم وبعدسنة، لما وجدنا في الحياة متعة !** »

اننا نسير في طريقها منذ طلوع الشمس حتى مغيبها ، وما بعد المغيب .. في النهار وفي الليل ، البعض منا يمضى ليله في هدوء يبحث عن العلم والمعرفة في الكتب ، والبعض يرى في الصحف والمجلات صورة للحياة التى لن يرضى بسواها .. والبعض يقضى ليله نائما يحلم ، أو ساهرا في تلك الصور التى تزحم رأسه وتشغل فكره وتؤرق يومه ، وهو عاجز عن أن يجد لها الحلول ، فقد تضخمت مشاكله حتى صارت أكبر منه .! كل هؤلاء أحياء ، ولكن ما أبعد الفرق بين حياة وحياة ..

(بين المراة والرجل)

وتقول الدكتورة ماريون هيليارد Marion Hilliard في كتابها « نظرة الى الحب والحياة » :

« **لا شىء يدفع المرء الى الهرب من الحياة ، اقوى من الشعور بعدم جدوى الحياة ، وهو شعور ينتاب المراة اكثر مما ينتاب الرجل .. فصور الحياة امام الرجل في تغير مستمر .. انها تتغير في عمله ، وفي كتبه وفي قراءاته ، حتى في طريقه الى مكتبه في الصباح ، وفي عودته منه .. بينما نجدها عند المراة ، هى هى ، لا تتغير ، ولا تتلون. انها نفس الصورة الواحدة التى اعتادت ان تراها فتمتلىء بها عيناها مع شروق الشمس حتى مغيبها .. صورة بيتها الصغير ، ووجوه اطفالها ، ومشاكل البيت والخدم ، ثم التفكير في الاطباق الجديدة تتفنن في اعدادها لهؤلاء الذين ترعاهم كل يوم .. فهو « الروتين » اذن ، او هى رتابة الحياة التى تحياها ، وخاصة اذا كانت امراة غير عاملة .. هذا هو العامل الاساسى الذى يدفع المراة في كثير من الاحيان الى الزهد في الحياة والهرب منها .** !

(الخروج من القفص)

« **ولكن الى اين ؟ ان هذا الشعور الذى يمتلك المراة لا يعنى انها لا تحب زوجها ، او انها تكره**



اطفالها ، او انها ليست سعيدة في بيتها .. ولكن معناه ، انها تريد أن تخرج من هذا « القفص » الذى تجد نفسها فيه ، حبيسة وسط جدرانه ، على أن تعود اليه مرة اخرى ، فهى لا تريد ان تهجره ، ولكنها تريد فقط ان تقتل « الروتين » وهى لا تستطيع ان تفعل ذلك الا اذا وجدت الفرصة لكى تصنع بحياتها ما تريد ان تصنعه بها ، بعيدا عن تلك القيود والواجبات التى تفرضها عليهـا حياتها في بيتها بين زوجها واطفالها ..

« وليس معنى هذا انها تريد ان تفترق عنهم ، فهم قد أصبحوا جزءا من حياتها ، بل هم حياتها كلها ، ولكن معناه ، ان تذهب بهم ومعهم بعيدا لفترة تشعر معها بانطلاقة ، تعود بعـدها الـى بيتها ، اكثر ما تكون شوقاً اليه وحنيناً لكل مـا تحمله لها هذه العودة من قيود وواجبات، تصورت يوما انها لن تستطيع منها فكاكا » .

(قصة امرأة عظيمة)

ثم تقول الدكتورة ماربون : « مثل هذه المرأة على حق فيما شعرت أو تشعر به ، وهى بلا شك في حاجة الى تغيير في اسلوب عيشها وحياتها مـن حين لآخر .. ولكنها نسيت شيئا هاما .. نسيت ما يمكن أن يصنعه الحب في هذه الحياة التى ملتها وزهدت فيها . حبها لزوجها وحب زوجها لها .. حبها لابنائها ، وحب ابنائها لها .. فالحب قـوة يمكن ان تنسى أية امرأة في العالم كـل متاعب الحياة ، ما دامت تشعر انها امرأة سعيدة ، وما دامت تحب هؤلاء الذين يحبونها ويتعلقون بها .. وما دامت تحمل في رأسها وقلبها ذكريات لذيذة جميلة ما زالت تعيش معها .. »

ثم روت مؤلفة الكتاب بعد هـذا قصة امرأة عليبة ، انقضى على زواجها اكثر من نصف قرن من الزمان .. لقد ذهبت اليهـا لتهنئها بعيـد زواجها الماسى ، وطرقت الباب ، وفتحته الخادمة، وسألتها عن سيدة البيت ، فقالت لها : « انها في غرفة نومها يا سيدتى !! »

وتقول الدكتورة ماربون : « وظننت انه ربمـا اصابتها وعكة ، فلزمت فراشها بعد أن تقدم بها العمر فهى الآن قد جاوزت الثمانين ورحت اصعد الدرج عدوا حتى وصلت الى باب الغرفة .. وكان الباب مفتوحا .. اما هى ، فقد كانت تجلس هناك وراء النافذة الصغيرة التى تطل على حديقة البيت، وقد ركزت كل اهتمامها في قطعة قماش صغيرة ، كانت تشغـل نفسها بتطريزهـا .. وبين الحين والحين ، ترفع عينيها وتنظر الى الحديقة من تحتها ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة جميلة عذبة ، تحمل كل معانى الحب .. ثم لا تلبث أن تعود من جديد الى قطعة القماش التى امسكت بها بين يديها ، وراحت تعمل فيها بابرتها ، وترسم فيها بخيوطها الملونة ..

(في المحراب)

« كانت رائعة في جلستها وفي تسريحة شعرها وقد جلله الشيب ، وفي نظراتها وفي طريقة تحريك اصابعها .. لقد بدت امامى في تلك اللحظة ،اجمل امرأة لقيتها في حياتى .

« واقتربت منها ، وهى لا تكاد تحس بقدومى ،

فقد ثقل سمعها ، ووضعت يدي برفق على كتفها ، ثم انحنيت لاقبلها ، فاحتوتني بين ذراعيها الرقيقتين .. قلت .. « اين زوجك وشريك عمرك ؟ »

فاتجهت بعينيها الى الحديقة ، وقالت : **« هناك .. انه يرعى شجيراتنا الصغيرة ، هذه هي هوايتنا الآن ، وهذا هو شغلنا الشاغل ، بعد ان تقدم بنا العمر يا ابنتي .. لقد قضى زوجي حياته كلها يرعاني ويرعى بيته وابناءه .. فلما انتهت مهمته ، وفرغ من اداء رسالته ، اتجه الى الارض يرعاها .. لقد كبر ابناؤنا وتزوجوا ، وبالامس فقط كنا نحتفل بزواج آخر احفادنا الصغار .. »**

هذه الغرفة .. غرفة النوم التي قضت فيها هذه المرأة ، أيام شبابها، ولحظات عمرها السعيدة مع الرجل الذي شاركها حياتها الطويلة المليئة .. هذه الغرفة التي ذاقت فيها حلو الحياة ومرها ، قد اصبحت اليوم محرابا تجد بين جنباته السلوى، انها المكان الوحيد في هذا البيت الفسيح ، الذي تشعر فيه بالراحة ، وتخلد اليه ، كلما احست بوطأة الشيخوخة ، وثقل السنين التي تحملها فوق كاهلها .. فهي منبع الذكريات الحلوة التي تبقى حية دائما ابدا مهما تقدمت بها السنون !

(الحب الكبير ..)

وتقول الدكتورة ماريون : **« ان كل امرأة تستطيع ان تحول غرفة نومها إلى محراب تتعبد فيه ، اذا ادركت المعنى الكبير للحياة .. اذا عرفت أن الحب اعظم قوة تستمد منها القدرة على الاستمرار في الحياة والصمود لما تحمله لها كل يوم من متاعب ومشاكل ، قد تدفعها الى الشعور بالملل والزهد ومحاولة الهرب من الحياة نفسها ..**

« والحب الذي اعنيه ليس الجنس وحده ، ولكنه الحب بمعناه الواسع الكبير .. وهو معنى يتحتم على الرجل وامرأته أن يدركا ابعاده ، ويتفهما متطلباته .. فالحديث الحلو ، والمشاعر الفياضة بالعطف والحنان والمشاركة في مواجهة المتاعب وحل المشاكل.. كل هذه عوامل هامة لا بد من توافرها ، اذا اراد الزوجان ان ينعما بحياة زوجية سعيدة ..

« وهذا كله يتطلب قدرا كبيرا من المعرفة ، والبحث ، والصبر والجلد .. وربما كان الافتقار لهذه الصفات هو السبب المباشر في فشل الكثير من الازواج الشبان في تحقيق ما كانا يصبوان اليه من سعادة بعد زواجهما . »

ولكن هل كان هذا الشعور بالهرب من الحياة مقصورا على المرأة وحدها ، دون الرجل .؟ يقول علماء النفس :

« ان الرجل ايضا يمل الحياة ، ومبعث هذا الملل لا يختلف كثيرا في اسبابه عن الدوافع التي تجعل المرأة تفكر بدورها في الهرب من الحياة .. انه الروتين ، او الرتابة ، رغم ما يجده في عمله خارج البيت ، من تنويع وتغيير في الصور التي يراها ، والتي تمر به كل يوم ! .. فالروتين هو الروتين ..»

(لماذا نهرب ؟)

« ولكن لماذا نمل الروتين .. لماذا نهرب من رتابة الحياة .. ثم ما هو لون هذا التغيير الذي تريده لحياتنا ونسعى اليه .. اننا قد نجده في عطلة قصيرة نقضيها بعيدا عن جو العمل ،وقد نجده بين صفحات كتاب جديد ينقلنا الى عالم آخر مليء بالعلم والمعرفة ، وقد نجده في نزهة على شاطىء البحر في عطلة نهاية الاسبوع .. أو في أى شيء أو من أى عمل آخر لا يمت الى عملنا اليومي الذي اعتدناه بصلة .. المهم أن يكون هناك تغيير .. وأن يحدث هذا التغيير كلما شعرنا بالملل من رتابة الحياة التي نحياها ..

« ولكن اليس الروتين بعد هذا هو الابداع ؟ هذا ما يراه العلماء فهم يؤكدون انه لولا الروتين لما استطاع توماس اديسون مثلا أن يصنع ما صنع من ثورة في العلم .. لقد ظل هذا الرجل ولمدة تزيد على نصف قرن من الزمان يصحو من نومه في الصباح ويذهب الى معمله ويقف امام اجهزته ومعداته ، ويقوم باجراء تجاربه دون أن يتطرق الملل الى نفسه لحظة واحدة .. حتى موعد الغداء

كثيرا ما كان ينساه ، فتذهب اليه زوجته حاملة طعامه ، وهو قلما قاربه !

(الروتين والنجاح)

« ولولا الروتين ، لما استطاع سير الكسندر فليمنج ان يكتشف البنسلين .. لقد ظل هذا العالم الكبير الذى انقذ الملايين من الجرحى في الحرب العالمية الثانية من موت محقق .. ظل يعيش بين الجراثيم والبكتريا اعواما طويلة كان يذهب الى معمله ، ويغرق نفسه في بحوثه وتجاربه حتى نجح في ان يقدم لنا هذا المصل المضاد للحيويات :

« ولولا الروتين ، لما استطاع كبار رجال الادب والفكر أن يقدموا لنا روائع انتاجهم وفكرهم .. لقد قضى شكسبير عملاق الادب الانجليزى ، يكتب ويكتب لكى يقدم لنا كنوزه الادبية التى ما زالت تعيش بيننا حتى اليوم بعد انقضاء قرون طويلة على رحيله من هذا العالم .

« كان يصحو من نومه في ساعة مبكرة ايضا من الصباح ، ويجلس الى مكتبه ، يفكر في ابطال رواياته ويعيش حياتهم ويسجل بقلمه تلك الروائع الادبية ، غير عابيء بما يحدث من حوله ، حتى اذا نال منه التعب ، وضع ريشته ، وارخى راسه فوق ذراعيه ونام حيث هو فوق مقعده الكبير على مكتبه !

« حدث يوما أن شب حريق كبير في مستودع للغاز قريب من غرفة مكتبه ، وامتلات الغرفة بالدخان المتصاعد والمتشبع بغاز ثانى اكسيد الكربون ، ولولا يقظة خادمه ، لمات شكسبير مختنقا قبل ان يجد خاتمة روايته الشهيرة هاملت، التى كان يبحث لها عن خاتمة في تلك الليلة ! »

(وجاء النصر)

« ولولا الروتين لما استطاع كبار القادة والسياسيين ان يحققوا المجد ، ويذوقوا حلاوة النصر .. لقد كان بسمارك القائد والسياسى البروسى الشهير ، يخرج كل ليلة في ساعةمعينة، ويتفقد قواته منذ عام ١٨٦٦ حتى عام ١٨٧١ .. وكان يجلس بينهم ويستمع الى متاعبهم وآلامهم ويعمل بنفسه على تذليل كل العقبات التى تقف في سبيل تقدمهم واستمرارهم في القتال .. كان يصحو من نومه في الفجر ويشرف بنفسه على كل الترتيبات والاجراءات الخاصة بتنظيم جيشه ، ولا ياوى الى فراشه قبل ان ينتصف الليل ،ولولا ثباته وجلده ، لما استطاع ان ينزل الهزيمة بالنمسا ، وأن يذل فرنسا ، ويقف ندا عنيدا امام وليام الثانى ، ملك بروسيا وامبراطور المانيا .. »

(نظرتنا الى الحياة)

يقول الدكتور نورمان فنسنت بيل : « ليس الروتين نفسه هو الذى يثير في نفوسنا الملل ، ويدفعنا الى الشعور بالزهد في الحياة ، ومحاولة الهرب منها .. وانما نظرتنا الى الحياة نفسها ، والى دورنا فيها .. اننا نستطيع اذا شئنا ان نرى من كل يوم جديد من حياتنا ، شيئا جديدا ، تماما كما لو كنا ننظر الى لوحة جديدة ، او نقرا كتابا جديدا ، او نستمع الى قصيدة جديدة مليئة بالمعانى الجميلة .. ان الدفء الذى يملأ قلوبنا ، والحب الذى يسيطر على مشاعرنا ، والحماس الذى نستقبل به يومنا الجديد مع مطلع الشمس في الصباح ، هذه العوامل مجتمعة ، هى الوقود الذى يدفعنا ويحرك فينا الرغبة في الاستمرار في الحياة التى الفناها واعتدنا عليها !

« ثم لماذا نذهب بعيدا .. تعالوا معى نلق نظرة الى هذا الكون الفسيح من حولنا .. أليس كل شيء فيه يسير وفق نظام دقيق رتيب لا يتغير ولا يتلون .. ثم تعالوا بنا بعد هذا لنتوقف قليلا ونتساءل : « كيف يكون حالنا وكيف تكون احاسيسنا ، لو أن الخريف جاء في موسم الربيع، والشتاء في الصيف ؟ سوف نجفل ، وتستبد بنا الحيرة ، ويضطرب نظام حياتنا ، ولكن لن نلبث بعد فترة أن نتعود هذا التغيير الذى طرا على فصول السنة وتتابعها ..

« وهكذا الحياة نفسها .. كل شيء فيها جديد يكون غريبا ، ثم لا نلبث أن نعتاد عليه ، ومع العادة يتولد الشعور بالروتين ، والملل من رتابة الحياة ، ذلك الذى نحاول احيانا الهرب منه ، وهو جزء من حياتنا .. بل هو حياتنا نفسها !! »

■■

م ٠ ن



تعريف بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي

بقلم : الدكتور ممدوح حقي

ما هو المكتب الدائم ؟!

■ المثقفون في البلاد العربية على فريقين :

١ ـ فريق يرى أن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب العلوم الحديثة لأنها ـ على حدّ ما يزعمون ـ لغة قديمة عاشت مع التاريخ والفلسفة والأدب والشعر . ولأن مصطلحات الميكانيك والتقنيات والالكترون والكيمياء والفيزياء وما شاكلها ، هي من مبتكرات العصر الحديث . والعرب الأقدمون لا يعرفون عنها شيئا ، وأن محاولة تعريبها ضرب من المماحكة والتعصب الوطني والتغرير .

٢ ـ وفريق يرى أن العجز ليس في اللغة نفسها بل في أبناء اللغة ، فهي قادرة على التطور والتشكل والاقتباس والتعريب ، بما وهبته من قدرة على التصريف والنحت والاشتقاق .. ومزايا أخرى سواها حرمت منها بعض اللغات المعاصرة التي لاحقت التطور العلمي وسارت في ركابه . بل



الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
الامين العام للمكتب الدائم للتعريب

ان هناك لغات كانت ميتة فاحياها ابناؤها بعملهم الدائب وكدهم المتلاحق حتى استطاعوا تدريس العلوم الحديثة في جامعاتهم بلغاتهم هذه امثال : الكورية والفيتنامية والعبرية .. الخ . وان اللغة العربية التي استطاعت امتصاص الثقافات اليونانية والهندية والفارسية ، وصياغتها صياغة عربية سيطرت بها على لغات العالم باسره ابان القرون الوسطى ، لن تعجز عن ملاحقة التطور الحديث لو خدمها ابناؤها حق خدمتها .

والمكتب الدائم لتنسيق التعريب ، من هذا الفريق الثاني لاعتقاده بان فكرة عجز اللغة فكرة كسولة او شعوبية مهما كانت مبرراتها . واذا كان العرب يعتقدون بانهم اصحاب حق في الحياة ، وان لهم مكانتهم تحت الشمس ، فان الكرامة تدعوهم الا يقفوا من التقدم الحضاري موقفا سلبيا ياخذون ولا يعطون، ويتناولون غذاءهم الفكري مصنوعا بغير ايديهم ، وما دامت الدنيا قد أصبحت ضيقة صغيرة الحجم قريبة المدى مختزلة الزمان والمسافة والسرعة والتدارك ، وما دامت الحياة اخذا وعطاء ، فان اى اختراع او ابتكار او اكتشاف لا يخدم قوما دون قوم ، ولا يقف محدودا على شعب دون شعب ، فالسيارة والطيارة والهاتف والتلفاز والرادار والبنسلين مثلا هي من حظ الانسانية جميعا ، هي لكل شعب ولكل قوم ، وهي بجماعها مظاهر الثقافة المعاصرة .

وما دامت اللغة العربية قد اصبحت لغة خاصة في المجتمعات والهيئات الدولية ، فان ربحها هذا ما زال ربحا سياسيا احرزته بفضل جهود الدول العربية مجتمعة ، اذا نحن لم نؤيده بعمل علمي رصين نبرهن به على سمو هذه اللغة وقدرتها على متابعة التطور الحضري ، ربما اضعناه واضعنا مركزنا هذا الذي ما حصلنا عليه الا بشق الانفس ، في اول عاصفة سياسية هوجاء تهب من معسكر الخصوم وما اكثرهم !!

لكن ما هو نوع العمل العلمي المتوجب علينا عرضه وتقديمه ؟! هذا ما يفسره المكتب الدائم لتنسيق التعريب تفسيرا علميا بما قدمه من انتاج ، وما يقدمه كل يوم سائرا في طريقه بتؤدة وهدوء، خطوة خطوة بغير دعاية ولا ضجيج، تطبيقا للمثل العربي المشهور «رويدا رويدا تصل بعيدا» .

تاريخ المكتب

تاسس المكتب عام ١٩٦١ بعد مؤتمر عقدته الجامعة العربية في الرباط بدعوة من جلالة الملك المرحوم محمد الخامس ، وكان ملكا عربيا مسلما محبا لقومه ودينه ، محبوبا اشد الحب من شعبه ومن سائر الشعوب العربية لجهاده في سبيل استقلال بلاده ووقوفه الى جانب العرب والمسلمين في اى قطر من اقطار العالم يؤيدهم سياسيا ودبلوماسيا وماليا .

لاحظ هذا الملك الطيب ان فرنسا التي استعمرت بلاده قرابة نصف قرن ، رحلت عنها عسكريا وسياسيا ، غير انها تشبثت بمواقعها الاستراتيجية لم تتزحزح عنها خطوة . فاوراق المعاملات الحكومية والمراسلات التجارية وعلاقات المصارف

والصافق .. حتى التعليم الابتدائي والثانوى كلها باللغة الفرنسية . بل ان الشعب نفسه يتحدث ويتعامل ويبيع ويشترى بهذه اللغة .!!

وراى هذا الملك المخلص بان الاستقلال الذى حصل عليه استقلال مبتور يبعده عن اخوانه العرب المسلمين ، وان الصلة الوحيدة التى تربطه بهم هى لغة القران الكريم اولا واخيرا ، وان تاريخ العروبة والاسلام تاريخ موحد متشابه في مشارق الارض ومغاربها ، وانه مسئول عن اعادة هــذه الصلة امام ربته وضميره ، وان السياســة الحكيمة تقضي عليه بتجديد هذه الروابط انقاذا لشعبه من براثن الاستعمار اللغوى وتحريرا لفكره وثقافته من اغلال التبعية ، وتقوية لمركزه وتدعيما لاستقلاله . ولهذا لجا الى جامعة الدول العربية يستعين بها ، فامدته بهذا المؤتمر العروبى الذى عقد في الرباط (ابريل عام ١٩٦١) ، وانتج مكتبا للتعريب تؤيده جميع الدول العربية ، واطلق عليه منذ ذلك الحين اسم : « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربى » . واخذت الدول العربية على عاتقها تمويله ، غير ان اكثرها لم يدفع الا دون الخمس مما تعهد به ، وعانى المكتب منذ تالف ما تعانيه اى مؤسسة عامة لم تؤيد تأييدا عمليا ، ولم تدعم بالمال والرجال .

واستنقذته جامعة الدول العربية عام ١٩٦٨ ، فالحقته بامانتها العامة وخصته بميزانية سنوية كانت ــ على ضآلتها ــ دعامة له وسندا . وحين تاسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٠ ، الحق بها المكتب كما الحقت سائر الهيئات والمؤسسات الثقافية العربية التى كانت تابعة للامانة العامة من قبل واصبحت ميزانيته جزءا منها ، والعاملون فيه موظفين تابعين لانظمتها المالية والادارية كمعهد البحوث والدراسات العربية والمنظمة العربية لمحو الامية .. الخ .

ويتالف المكتب الآن من مدير عام يقف الى جانبه مديران مساعدان احدهما اداري وثانيهما فنى . الأول للشئون الادارية والمالية والموظفين والمراسلات والمكتبة والطباعة والخزن والتوزيع . ويتبــع الثانى خبراء المكتب وعليهم الاشراف على اصدار المجلة وتصنيف المعاجم العلمية والحضارية واعداد مؤتمرات التعريب والمسابقات بين العلماء في تحقيق مخطوط لغوى او معجمى .. الخ .

كيف يعد المكتب معاجمه ؟!!

لا شك ان للعلوم الحديثة مصطلحات حديثة جاءت معها ولم يكن للعرب بها معرفة ، ولا شك ان التطور الحديث يقذف في ساحة المعرفة كل يوم بعلوم جديدة تحمل معها مصطلحاتها فكيف نلاحقها؟

نعود الى تشكيل القسم الفنى في المكتب لنرى انه مؤلف من فرعين :

ا ــ خبراء قارين في المكتب .

ب ــ خبراء مراسلين .

والخبراء القارون في المكتب على درجتين :

درجة (ا) ــ ولا يقبل الخبير في هذه الدرجة الا ممن احرز درجة جامعية عليا واشتهر في عالم الفكر العربى بمؤلفات او بحوث علمية قيمــة واحرز احترام رجال الفكر واتقن الى جانب تخصصه باللغة العربية وتعمقه فيها لغتين آخريين احداهما لغة اوروبية على الاقل .

درجة (ب) ــ ولا يقبل الخبير في هذه الدرجة ما لم يحصل على درجة جامعية لا تقل عن الاجازة (ليسانس او بكالوريوس) واتقن الى جانب اللغة العربية لغة اجنبية واحدة على الاقل .

واما الخبراء المراسلون فغريقان :

ا ــ خبراء مراسلون عرب تنتدبهم حكوماتهم او يتفق المكتب معهم على عمل معين ، وهم على الأغلب من اساتذة الجامعات او اعضاء في مجالس العلوم العليا او المجامع اللغوية .

ب ــ خبراء مراسلون اجانب وهم في الغالب من المستشرقين المعروفين في مختلف الدول الاوروبية والأمريكية واكثرهم متخصص في علم أو فن معين .

ويراس الخبراء جميعا المدير المساعد الفنى ويطلق عليه لقب « كبير الخبراء » .

نعود الآن الى كيفية تصنيف المعاجم او تاليفها او تجميعها .. او ما شئت ان تعطيها من صفات . وياتى ذلك من عدد من الطرق .

١ ــ اما ان تقترح دولة من الدول العربية على المكتب تاليف معجم رات حاجتها اليه .

٢ ـ أو تعدّ هي نفسها مشروع معجم ما وتقدمه الى المكتب لمراجعته وتصحيحه .

٣ ـ أو ترسل اليه جامعة الدول العربية (او المنظمة العربية الآن) مشروع معجم أعدته هيئة أو مؤسسة علمية او فرد من العلماء او الاساتذ لتدقيقه وتنقيحه .

٤ ـ أو تطلب منه هيئة علمية اجنبية تعريب معجم في علم او فن معين .

٥ ـ او يجد المكتب حاجة ماسة الى معجم في علم او في فن من الفنون فيعده خبراؤه وعلماؤه القادرون منهم والمراسلون .

وحين يصل مشروع المعجم ـ اى معجم ـ الى القسم الفنى في المكتب يعرضه الخبراء المختصون على آخر ما وصل اليه مثيله من المعاجم في اللغات الاجنبية ليستكمل ما فيه من نقص ويضيف عليه لغة اخرى ليصبح ثلاثى اللغات (وجميع معاجمنا ثلاثية اللغات : انكليزى ـ افرنسي ـ عربى) ثم يطبعه طبعة مبدئية ويوزعه على العلماء المتخصصين فيحصل منهم على نقد وتصحيح . ويراجعه من جديد ويعده اعدادا اخيرا ويوزعه مرة اخرى على انه مشروع معجم وينتظر حتى يناقشه مؤتمر التعريب . فما اقره هذا المؤتمر اعتبر نهائيا وما رفضه اعتبر قابلا للدرس مرة أخرى .

والمكتب الدائم يتعاون مع المجامع اللغوية تعاونا وثيقا جداويستنداليها ويؤيدها تقريبا للمشاحنات اللغوية وتقريبا للتفاهم العلمى ومعاونة للدارسين وتكريما لجهود العلماء اللغويين على اخلاصهم ومتاعبهم في خدمة اللغة واختصارا للزمن ومتابعة لما يستجد من مصطلحات في مختلف الفنون والعلوم .

ان الحياة اليوم تتسارع تسارعا عجيبا يدركه حتى رجل الشارع العادي فكيف بالعلماء ؟! احصت احدى لجان اليونسكو ما يستجد من مصطلحات في مختلف فروع المعرفة ، فاذا هى خمسون مصطلحا في اليوم . فكيف نلاحقها وندركها اذا لم نتسارع معها ؟! واذا لم نكن متآخين متعاونين مخلصين في متابعتها ؟!

وطريقة المكتب في مشروعات معاجمه أن يتحرى تحريا دقيقا وان ينسب كل تعريب او ترجمة الى صاحبه فردا من العلماء كان أو هيئة علمية او جامعة او مجتمعا او دولة . فاذا لم يجد للمصطلح مقابلا عند احد هؤلاء ، لجأ الى خبرائه المتخصصين فدرس المصطلح واعاده الى أصله اللاتينى او اليونانى ان كان له أصل ، او فصّله تفصيلا دقيقا ان لم يكن له أصل حتى يدرك كنهه على حقيقته . ويرجع الى معاجم اللغة العربية لعله يجد له مشابها ، فان لم يجد وضع له تسمية على مسئوليته منطبقة عليه بقدر الامكان . والأمر في النهاية معروض على مؤتمر التعريب وقوله هو القول الفصل .

ان اللغة العربية ومصطلحاتها لا تفرض فرضا بقانون ، انما الاستعمال يحييها والاهمال يميتها . فكم من مصطلح مات اذ لم يجد سندا من استعمال،وكم من مصطلح عاش بالاستعمال والتعامل . والمصطلح الدقيق الهيّن اللين على النطق والكتابة هو الاقرب الى الحياة من المصطلح الثقيل المتعب . وسبيل المكتب في اختيار مصطلحاته سبيل واضح جدا . هو الترجمة الدقيقة والنحت والاشتقاق ثم التعريب . والعلماء يعرفون ذلك كله معرفة واضحة فلا حاجة الى تبيانها بالتفصيل .

هل أدى المكتب واجبه كاملا ؟!

لنرجع الى التساؤل الذى وضعناه في مقدمة المقال : « ما هو العمل الذى علينا نحن العرب القيام به لتمكين مكسبنا السياسي الذى أحرزته لغتنا في هيئة الامم وتعزيزه بمكسب علمى نثبت به وجودنا ؟! »

قلنا ان المكتب الدائم اجاب على هذا التساؤل اجابة علمية لا تقولا ولا ادعاء ، وذلك بوضعه هذه المعاجم العلمية . فحين يدعى الخصوم بأن لغتنا عاجزة وان عليها أن تستكين لتستعطى وانها غير قابلة للتداول .. يجيبهم المكتب بلا كلام ولا ضجيج : هاكم آخر ما وصل اليه الفكر العلمى ، وهذه مصطلحاتكم التى تستصعبونها . انظروا انها تنطق بالعربية ، بها تؤلف الكتب العربية

للجامعات،وبها تنشر البحوث والمقالات على القراء. ولا يجيب الاجابة العاطفية التى عرضها شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله على لسان اللغة العربية ، مع كل ما فيها من نبل وشهامة فقال :

وسعت كتاب الله لفظا وحكمة
وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

ولا يجيب الاجابة السلبية التى يتمطق بها المتفيقهون الذين يعيشون مع أحلام الماضي السعيد القائلون : « كنا وكانت لغتنا في القرون الوسطى سيدة لغات العالم ووسيلة الثقافة الوحيدة في العالم المعروف اذ ذاك .. » ان دعوى « كنا وكانت لغتنا .. » وحدها لا تكفي . والرجوع الى الوراء في كل مناسبة والتفاخر به ، من عمل الكسالى . الدنيا تتقدم وتجرى وتتراكض ،ومن وقف في مكانه اهملته القافلة ومشت . الحياة لا ترحم الكسول النوءام ، ولا تحترم الا المجاهد المقدام . فهل ادى المكتب واجبه كاملا في هذا المضمار ؟!

اعتقد انه ما زال في اول الطريق مع كل ما قام به من اعمال جسام . لقد ادى ما استطاع بالرغم مما يعانيه من مثبطات ومن نقص في المال ومن قلة في الرجال .

نشر مجلة اللسان العربي وما زال ينشرها دورية سنوية ويوزعها على المتخصصين والعلماء بالمجان ويجمع اراءهم وبحوثهم فمن قرا المجلة مشي مع حركة التعريب واللغويات والمعجميات بوضوح ، ونشر الى جانب المجلة عشرات من معجمات المعاني ومخطوطات نادرة ، واعد معاجم في العلوم بثلاث لغات لتعرض على مؤتمرات التعريب منها : الفيزياء . الكيمياء . الرياضيات .النبات. الجيولوجيا . الحيوان . العظام . الدمويات . الأشجار الحراجية . الحشرات النباتية .. وتحت يده الآن بعض اخر منها : معجم الاقتصاد والقانون . معجم الاقتصاد الصرف . معجم البريد .. الخ .

والمكتب يجيب على كل سؤال في التعريب برسائل خاصة عدا عما ينشر . ويتقبل النقد والتصحيح بصدر رحب مهما كان قاسيا لاعتقاده بانه خادم للغة القرآن الكريم ، وعلى الخادم ان يكون مخلصا وفيا لمخدومه . اللغة ليست ملكا لنا وحدنا ، ولا ملك هيئة مهما بلغ شانها ، انها ملك الاجيال التى سبقتنا وقدمتها لنا متطورة متكاملة . وملك للاجيال القادمة . وجيلنا هذا مؤتمن عليها ، فعلينا ان نسلمهم الأمانة نقية صافية متطورة متكاملة ، لغة علم وادب وفلسفة وتاريخ وفنون وتقنيات . لغة عاشت مع عصرها المتطور ، لغة ثقافة خالدة في كل فرع من فروع المعرفة . فهل خدمناها حقا ؟!

ان المكتب الدائم ليؤمن بانه من أصغر خدم هذه اللغة ، وانه لم يؤد الا جزءا ضئيلا مما يتوجب عليه ، وانه على استعداد للتعاون مع كل خادم مخلص مثله . ويتمنى لو كان يملك من المال ما يسدّ به حاجته المتطورة ، لاستعان باكبر عدد ممكن من خبراء اللغة وعلمائها ووفاهم أجورهم كما ينبغي . ان كلمة الشكر وحدها ــ على ما فيها من جمال وصفاء ومحبة وتقدير ــ لا تكفي وحدها ان لم تدعم بشكر مادى يساعد على عراك الحياة.

وبعد ؟! ماذا ؟!

يوجه بعض السادة النقد للمكتب فيقولون : انه يفرض نفسه على الأمة العربية فرضا ،ويعطل اعمال المجامع اللغوية ، ويزيد البلبلة فيما يعرّب .. الخ .

والجواب على هذا هيّن جدا : ان المكتب الدائم لا يتخذ لنفسه صفة الآمر بل صفة الخادم. ولا يفرض نفسه على الامة بل يقدّم لها الخدمات ويقف منتظرا اوامرها بما تسفر عنه مؤتمرات التعريب التى يشترك فيها علماء ولغويون يمثلون الامة العربية كلها . ولا يعطل اعمال المجامع بل يتعاون معها ويعدّ لها الاف المصطلحات والمشكلات، ويعد لها حلولا ويطلب درسها . وراى المجامع فيها ، راى يحترمه المكتب ويقرءه . والمكتب لا يعرّب بل يشارك في اعمال التعريب بالتنسيق

والتبويب . واذا كان من حق الأساتذة والمدرسين والصحفيين حتى صغار الكتاب أن يترجموا ويعرّبوا ولا رقيب عليهم ، فكيف تمنع هذا الحق عن المكتب الدائم وفيه اساتذة كبار وعلماء لغويون ومتخصصون ؟! ومع كل هذا ، فان المكتب نفسه يمنع نفسه عن التعريب . انه لا يعرّب بل ينسق ما عرّبه الآخرون وحسب .

لقد خلقت فوضى التعريب والترجمة في مختلف البلاد العربية لهجات علمية متباينة . ويخشى اذا تمادى المترجمون في خطتهم هذه أن تتمكن هذه اللهجات العلمية وتتشبث بوجودها كما تمكنت اللهجات العامية المسيطرة الآن في مختلف الاقطار العربية ، ويصبح من الصعب التلاحم بينهما والتلاؤم . فقد يأتي يوم يستصعب فيه مدرس الجيولوجيا في المغرب – مثلا – فهم كتاب في الجيولوجيا وضعه مؤلف سوري أو مصري ، كما يستصعب الجزائري مثلا لهجة العراقي في حديثه العادي . وقل مثل ذلك في سائر العلوم .

ان همّ المكتب وهدفه الاول السعي الى توحيد المصطلح العلمي العربي لتوضع على أساسه كتب علمية موحّدة تفهم وتدرس في جميع البلاد على نسق واحد ويفهمها الطلاب والمدرسون في جميع الأقطار العربية بلا تفاوت ومتى بنيت هذه الوحدة الفكرية العلمية ، أصبح التفاهم بين العرب على الوحدة الاقتصادية والسياسية والعسكرية أمرا هينا .

هذا هو الهدف الاول ، ولا بدّ أن ينتهي الى الهدف الثاني وهو وضع معجم شامل للغة يحل محل هذه المعاجم الناقصة او يكملها . وهو عمل اجيال متعاقبة لا عمل جيل واحد . ان المتخصصين في اللغة يعرفون ان معاجمنا كلها ناقصة حتى الكبير منها كلسان العرب وتاج العروس والقاموس المحيط . نعم ان بعضها يكمل البعض الآخر ، ولكن يبقى بعد ذلك كله عدد ضخم من الفاظ اللغة لم يدخلها جميعا ولم يسجل . وهذا ما دعا انستاس الكرملي الى جمع ما تناثر منها في بطون الكتب وتقييده في معجم « المساعد » الذى صدر الجزء الاول منه في بغداد منذ شهر ، لكنه مع ذلك ناقص يحتاج الى جهد علماء آخرين يكملونه . ولقد جمع « لين Lane » في معجمه « مدّ القاموس » ما تفرق في مختلف المعاجم ولم يسجله الفيروزآبادي . وهو عمل جيد من كلا الرجلين ، ولكنه عمل مقصور على الكلمات التي سبقت عصرنا هذا ، واما ما تدفق سيولا من مصطلحات علمية وفلسفية وحقوقية واقتصادية وأدبية وتقنية وميكانيكة والكترونية .. في العصر الحديث ، فكيف السبيل الى جمعه وغربلته وتنسيقه من بين هذه اللهجات العلمية المتفاوتة على أقلام المدرسين والتراجمة والصحفيين في مختلف البلاد العربية . هل تستطيع المجامع اللغوية وحدها أن تلاحقها ؟! هل يستطيع المكتب الدائم وحده أن يتابعها ؟! من يستطيع ذلك ومن صاحب الحق في العمل ؟! ومتى تبتدىء بوضع المعجم الحديث ومتى تنتهي ؟!

ان لنا في الأمم الحيّة لأمثالا وفيرة يصح أن نقتدي بها . فقد بدىء بتجميع اللغة الفرنسية مع ايام نابليون . واللغة الانكليزية مع العهد الفيكتوري ، والاسبانية مع شارل واليزابيث ، والايطالية مع عصر النهضة . ومثلها الروسية والالمانية . وما تزال كلها لم تتم ولا أتحدث عن اللجنة التي كلفها كمال أتاتورك تصفية اللغة وما تزال تعمل حتى اليوم ، فعهدها قريب لم يتجاوز نصف قرن . فهل نيأس نحن اذا عابنا عجزنا عن وضع معجم في بضع سنين ؟! وحينما اقول ان تصنيف معجم شامل للغة هو من عمل أجيال متعاقبة لا أكون مبالغا ، وما المكتب الدائم الا جهة اختصاص واحدة في هذا البناء الضخم ، وما تعاونه مع المتخصصين والمجامع اللغوية والعلماء ومؤتمرات التعريب وسواها ، الا تخطيط مبدئي بضع الصوى على طريق المسيرة الكبرى . مسيرة اللغة في درب الحضارة الصاعد أبدا ، ان شاء الله .

■■

ممدوح حقي
كبير الخبراء بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب





رئيس الحرس الوطني يحدد مع أبنائه ضباط الحرس الوطني ، مواقع توزيع كتائب الحرس الاحتياطي ، على خريطة لدولة الكويت .

استطلاع الكويت

الحرس الوطني الكويتي

الساعد الأيمن للقوات المسلحة

استطلاع بقلم :

منير نصيف

تصوير :

عبد الناصر شقره



التحية العسكرية تؤديها سرية من رجال الحرس
الوطني العامل في ميدان التدريب العسكري .

يجري على المتطوع للخدمة العسكرية في الحرس
الوطني فحص طبي شامل للتأكد من سلامته
ولياقته ، وفي الصورة احد اطباء العيون يفحص
نظر احد المتطوعين،أثناء الفحوص الطبية اللازمة.



المتطوعون من ابناء الكويت يسجلون اسماءهم في
مكتب الضابط المسئول عن شئون المتطوعين
للخدمة في الحرس الوطني .. منظر يتكرر عشرات
المرات يوميا .



■ « لقد اثبتت الحروب الحديثة أن الدفاع عن ارض الوطن ، والقتال من أجل التحرير ، لم يعودا دفاعا او قتالا في جبهات الحرب فحسب ، بل اصبحا يشملان كل شبر من أرض الدولة التي تحارب للمحافظة على استقلالها وكيانها .. فلم يعد القتال اذن مقصورا على الجيوش النظامية ، بل اصبح فرضا ، واصبح واجبا مقدسا على كل مواطن قادر على حمل السلاح من ابناء الشعب كله .. واننا لنجد في الحرب العالمية الثانية نموذجا حيا لمعارك خاضتها الشعوب فغيرت وجه التاريخ وقلبت ميزان الحروب ..

« في فرنسا مثلا ظلت قوات المقاومة الشعبية تفتك بقوات الاستعمار النازي .. وفي روسيا كانت معركة « ستالنجراد » ، التي غيرت مجرى الحرب بين قوات هتلر والروس ... لقد خاضها الشعب الروسي بالسلاح الابيض من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع .. وفي انجلترا لعبت قوات الدفاع المدني البريطاني ، وهي قوات مشابهة للحرس الوطني من حيث الفكرة والتنظيم ، دورا حيويا في الدفاع عن الجزر البريطانية ايام تعرضها لاعنف الغارات الجوية والغزو البحري النازي .»

كل مواطن حارس لبلده

بهذه الكلمات استهل الشيخ سالم العلي السالم الصباح ، رئيس الحرس الوطني الكويتي ، حديثه معنا عندما استقبلنا في مكتبه مرحبا ، بعد أن نقلوا اليه رغبتنا في اعداد استطلاع مصور عن هؤلاء الرجال الذين يحمون ظهر الجيش ، ويضحون بأرواحهم للذود عن كل شبر من أرض هذا الوطن ، والمحافظة على كل حفنة من ترابه .

ومضى رئيس الحرس الوطني يكمل حديثه قال : « من هذا المنطلق ، كان حرسنا الوطني ، في تشكيله واعداده وليد حكمة وتجربة .. ولما كانت الفكرة والهدف يتطلبان تدريب أكبر عدد ممكن من افراد الشعب ، فقد قسم الحرس الى مجموعتين .. المجموعة الاولى تضم الحرس العامل ، والمجموعة الثانية تشمل الحرس الاحتياطي الذي يدخله كل الذين تم تدريبهم وثبتت لياقتهم وقدرتهم وكفاءتهم ، ولم يتمكنوا من الالتحاق بالحرس العامل لاي سبب من الاسباب ويدخله كذلك الذين يسرحون من الحرس العامل ، او

يمر رجال الحرس الوطني بتدريبات عنيفة للقتال المتلاحم (او ما يسمى القتال بالسلاح الابيض) و
خاصة بها داخل المعسكر . اما الصورة الاولى (الى اليمين) فهي لعدد من رجال الحرس الوطني الا
والصورة الرابعة والخامسة ، للتدريب على استعمال السلاح الابيض . اما الصورة الاخيرة ، فتح







احيلوا منه الى التقاعد ، ولكنهم شاءوا ان يمضوا في تادية واجبهم المقدس . »

وقال رئيس الحرس الوطني : « اننا نامل ان ياتي اليوم الذي يصبح فيه كل مواطن في الكويت حارسا لبلده ووطنه .. وهذا اليوم ليس ببعيد. »

وتركنا الرئيس مودعين شاكرين ..

تاريخ انشـاء الحرس الوطني

وفي مكتب مدير العلاقات العامة السيد خالد ناصر الصالح جلسنا نستمع الى قصة انشاء الحرس الوطني في الكويت من بدايتها .

قال مدير العلاقات : « لقد تم انشاء الحرس الوطني بناء على المرسوم الاميري رقم ٢ لعام ١٩٦٧ ، والذي يقضي بانشاء هيئة مستقلة عن القوات المسلحة وهيئات الامن العام ، تسـمى بالحرس الوطني ، تكون تابعة مباشرةلمجلس الدفاع الأعلى الذي يراسه ولي العهـد ورئيس مجلس الوزراء ، ويكون الالتحاق بها بطريق التطـوع من بين المواطنين .

« وفي يوم ٦ يونيو من نفس العـام صـدر



أول مجموعة من أبناء الكويت يتقدمون للتطوع في الحرس الوطني ، على أثر صدور المرسوم الاميري الخاص بانشاء الحرس الوطني في عام ١٩٦٧ .

★ ★ ★

...ذه التدريبات ، تمكين الفرد من الدفاع عن نفسـهوالسيطرة على عدوه . وتجرى هذه التدريبات في ميادين ... تدريبهم على الخطوة العسكرية . والصورتان الثانيةوالثالثة للتدريب على كيفية الطعن بالحراب (الشكى) ...ب على عدو مهاجم بسلاحه الابيض لنزعه منـه والسيطرة عليـه .









رجال احدى المدرعات الخفيفة، اثناء التفتيش اليومي على الآلية ورجالها .



مجموعة من رجال الحرس العامل امام مهاجعهم داخل المعسكر ، اثناء فترة الراحة .

قائد المعسكر يفتش على مجموعة من المدرعات الخفيفة .. ان هذا التفتيش يتم يوميا للتأكد من مدى فعالية الآليات واستعداد رجالها .





احد ضباط الصف بالمعسكر يشرف على تدريب مجموعة من رجال الحرس العامل على استخدام الرشاشات الخفيفة بالميدان المخصص للتدريب على استخدام الاسلحة المختلفة .



احدى السيارات المسلحة مع كامل رجالها في حالة تأهب اثناء التدريبات على الواجبات المكلفة بها .



احد رجال الحرس الاحتياطى يتدرب على حمل السلاح ، بعد اجتيازه المرحلة الاولى في التدريب على الخطوة العسكرية .



آمر احدى المدرعات يقوم بتمرير المعلومات أولا بأول عن تحركات القوة المعادية في احدى المناورات التى تجرى بين الحين والحين .

مرسوم اميرى بتعيين الشيخ سالم العلي السالم الصباح رئيسا للحرس الوطني .

« وقد روعي في تشكيل الحرس الوطني الكويتى ان يكون منسجما مع الواجبات التى قد تسند اليه ، ويتضمن التشكيل الهيئات الرئيسـية الآتية :

ـ الرئيس .

ـ مدير الهيئة العسكرية . وهو مسئول عن جميع الوحدات العسكرية العاملة ، وعن اعـداد وتدريب وتنظيم الحرس الوطني، العامل والاحتياطي معا يعاونه في ذلك هيئة من الضباط ، وضباط الصف .

ـ مدير الهيئة الادارية ، وتنحصر مسئولياته في تزويد الوحدات العامة بكافة المتطلبات الادارية على اختلافها ، بما في ذلك التسليح والتجهيز حسب متطلبات وحاجة الهيئة العسكرية ، بعد ان يقرها رئيس الحرس الوطني .

الحرس العامل والحرس الاحتياطى

قلنا نسأل مدير العلاقات العامة برئاسة الحرس الوطني : « لقد حدثنا الرئيس عن تقسيم الحرس الوطني الى فئتين ، أو مجموعتين ، الأولى عاملة والثانية تضم الحرس الاحتياطى ، فهل لكم ان تزيدونا ايضاحا لواجبات ومهام كل من هذين المجموعتين وشروط الالتحاق بهما ؟ »

قال : « ان الشروط التى يجب توافرها في المتطوع للعمل في الحرس العامل أن يكون أولا كويتي الجنسية وتستمر مدة التطوع سبع سنوات، قابلة للتجديد .. والمتطوع في الحرس العامل يتقاضى راتبا شهريا يتراوح بين تسعين دينـارا

للاعزب و١٢٠ دينارا للمتزوج الذى تم برزقه باطفال ، وكلما زاد عدد ابنائه ، ارتفع راتبه تبعا لهذه الزيادة ، وجميع رجال الحرس العامل يرتدون الزى العسكرى ، وتطبق عليهم انظمة القوات المسلحة ، فهم جنود تحت السلاح ،ينامون فى المهاجع ويتناولون وجباتهم داخل المعسكر الخاص ويستمر هذا النظام طوال مدة السنوات السبع.

اما الحرس الاحتياطى ، فيتألف من كل الذين يتمون تدريبهم العسكرى بنجاح ، وتثبت لياقتهم وقدرتهم وكفاءتهم اثناء هذا التدريب ، ويتكون هؤلاء من الموظفين والطلبة الذين تحول وظائفهم ودراساتهم فى المدارس الثانوية او الجامعة دون التفرغ تفرغا كاملا للحياة العسكرية التى يقتضيها نظام الحرس الوطنى العامل .

كذلك يضم الحرس الاحتياطى اعدادا كبيرة من الرجال الذين عملوا فى وقت من الاوقات فى الحرس العامل ، وقضوا بين صفوفه سنوات طويلة يؤدون واجبهم ، ثم تقرر تسريحهم منه ، او احالتهم الى التقاعد .. هؤلاء ايضا ينتسبون للحرس الاحتياطى لانهم يؤمنون بأن مهمتهم لم تنته بانتهاء مدة التطوع .. انهم حرس ، والحارس لا ينام .

والشروط التى يجب أن تتوافر فى كل متطوع للخدمة فى الحرس الاحتياطى أن يكون كويتى الجنسية ، والا يقل عمره عن ١٨ سنة ، وان يكون بطبيعة الحال لائقا صحيا للخدمة العسكرية ، محمود السيرة والسلوك والا يكون قد سبق الحكم عليه بعقوبة نتيجة لجريمة مخلــة بالشرف او الامانة .

فى معسكرات الحرس الوطنى

وفى مكان ما فى قلب الصحراء المترامية حــول مدينة الكويت ، كان لنا لقاء بهؤلاء الرجال الذين يحملون اليوم امانة حراسة الوطن .. بالضباط



احد المدربين يشرف على رجل من رجال الحرس العامل خلال التدرب على استعمال الرشــاش لاصابة الهدف .

وبرجال الحرس الوطنى العامل ، ووقفنا نرقبهم وهم يتدربون فى الساحات الفسيحة التى تحيط بثكناتهم او مهاجعهم ، تلك التى خصصت وحدات منها لنوم الضباط واخرى لنوم رجال الحرس .

ان يوم العمل يبدأ فى الساعة السادسة صباحا، عندما يستيقظ الرجال من نومهم ، وتدب الحياة فى المعسكر كله ...

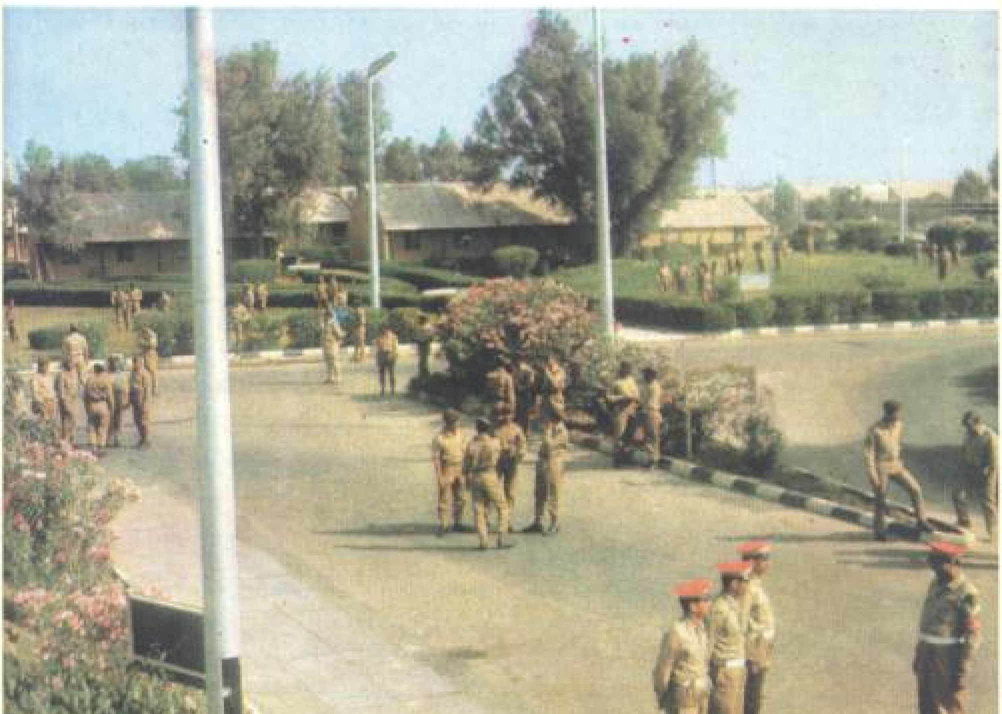
يقول مدير الهيئة العسكرية بالوكالة فى معسكر الحرس الوطنى : « ان كفاءة الجندى فى الحرس العامل ، تقاس بمدى كفاءته فى التدريب ، وعلى هذا الاساس تبنى نتائج النجاح فى الواجب الذى يحتمل ان يسند اليه ، ولذا فان سياسة التدريب فى الحرس الوطنى العامل قد وضعت على اساس الالمام بكل شيء الى جانب تخصص كل رجل من رجال الحرس فى مضمار عمله ، ومن اجل هــذا فاننا نراعى فى التدريب ، الاهتمام بان يتقن كل



احدى سرايا رجال الحرس الوطني العامل في طريقهم الى خارج المعسكر لقضاء اجازتهم ، وهي اجازة دورية ، تمنح للحرس العامل بالتناوب .

★★★

منظر عام لجانب من معسكر الحرس الوطني ، وقد ظهر في الصورة بعض رجال الحرس العامل اثناء فترة الراحة وكذلك ظهر في الصورة بعض تكتلات المعسكر والمكاتب الادارية .





فريق من ضباط الحرس الوطني العامل يقضون وقت راحتهم في لعب البلياردو بالنادي المخصص للضباط داخل الوحدة .

★★★

احدى كواكب المدرعات الخفيفة في عرض عسكري ، تمر أمام منصة بعض كبار الشخصيات الذين يحلون ضيوفا على الكويت .



فرد من افراد الحرس العامل واجبات الآخر ، وان يكون التدريب مبنيا على الواقعية والبعد عن الروتين ، فالجندى لا يكون جنديا مثاليا الا اذا زادت معرفته وزاد ادراكه للواقع ، ووضع نصب عينيه المصلحة العامة وابتعد عن روح الاتكالية ، وخط لنفسه طريقا صحيحا مبنيا على حب الوطن، وتفهم الواجب والشعور بضخامة المسئولية الملقاة على عاتقه . »

ان رجال الحرس العامل ، تطبق عليهم الأوامر العسكرية المماثلة لنظام الجيش .

فئتان من الحرس الاحتياطى

وانتقل مدير الهيئة العسكرية بالوكالة الى الحديث عن رجال الحرس الاحتياطى قال :

ان رجال الحرس الاحتياطى يتألفون من فئتين، والفئة الأولى هى فئة المتطوعين ، وهؤلاء يتدربون ساعتين يوميا في الصباح أو بعد الظهر حسب رغبتهم وظروف عملهم ومدة التدريب شهر ونصف وبتركز تدريبهم على استخدام مختلف اسلحة المشاة واجادة الرماية ، وهم يقومون بالواجبات التى تسند اليهم عند الحاجة . .

اما الفئة الثانية فتضم المسرحين من الحرس الوطنى العامل، اى الذين أتموا الدورات التدريبية ثم استقالوا لظروف خاصة او احيلوا الى التقاعد.

وعند انتهاء مدة التدريب ، وقبل التخرج ، يسجل كل منهم بسجل المنطقة التى يقطنها ويعيش فيها ، والهدف من ذلك كما قال لنا رئيس الحرس الوطنى الشيخ سالم العلى : « ان الجندى الذى ولد ونشا في منطقة معينة ، اقدر من غيره على الدفاع عن هذه المنطقة ، وعن بيته وأسرته وجيرانه لانه يعرف كل شيء عنها ، وكل شبر فيها ومن اجل هذا نحرص دائما على أن نسجل امام اسم كل متخرج من المتطوعين بعد انتهاء مدة تدريبه ومنحه الشهادة الرسمية بانهاء مدة التدريب ، المنطقة التابع لها ، حيث يقع مسكنه ومن هؤلاء الرجال يتم تشكيل الكتائب والسرايا والفصائل .



حراسة مبنى الاذاعة الكويتية من اهم واجبات الحرس الوطنى .. وفي الصورة احد ضباط الصف يفتش احدى السيارات الداخلة الى مبنى الاذاعة بعد التأكد من هوية صاحبها

اثنان من ضباط الحرس الوطنى في مهجعيهما يرتديان الملابس العسكرية ، استعدادا لبدء يوم جديد حافل بالعمل والواجب .





احد ضباط الحرس يقوم بالتفتيش على مهاجع رجال سريته والتأكد من سلامة هندامهم قبل خروجهم في الطابور الصباحي بالمعسكر .

تدريب الضباط

وهناك ايضا تدريبات للضباط ، خصص لها يوم في كل شهر ، يدرسون فيه واجباتهم كآمرار فصائل وسرايا ، وكذلك واجباتهم كضباط اركان .. ويكون تدريب الضباط في البداية على مستوى التفهم والمعرفة لواجباتهم ومسئولياتهم ، ثم تبدا المرحلة الثانية بالتطبيق والمناقشة على الطاولة الرملية التى تمثل مواقع القتال ، يلي ذلك مباشرة التدريبات على الطبيعة .

الرعاية الطبية

وقد حرص المسئولون على بذل كل جهد من اجل توفير مستوى الرعاية الطبية لافراد الحرس الوطني ، وبناء عليه فقد تم انشاء عيادة طبية داخل المعسكر بالتعاون مع وزارة الصحة العامة ، وقسم الشئون الصحية بوزارة الداخلية ، وزودت العيادة باحدث الأجهزة والآلات،التى يشرف عليها اطباء متخصصون ، وممرضون اكفاء ، وتتولى العيادة الطبية علاج رجال الحرس وتوفير العناية اللازمة لكل من يحتاج اليها .

كما يقوم قسم الشئون الصحية باجراء عمليات التطعيم الدورية لجميع العاملين في المعسكر ، الى جانب الفحوص الطبية الشاملة بين حين واخر . كذلك يولي المسئولون اهتماما خاصا بالرياضة البدنية ، وقد انشئت عدة فرق لكرة القدم ، وكرة السلة ، والكرة الطائرة ، وغيرها من انواع الرياضة الأخرى .

واجبات الحرس الوطني

ثم ماذا ؟

لقد حددت واجبات الحرس الوطني في ثلاث نقاط وهي : معاونة الجيش وهيئات الأمن العام كلما طلب اليه هذا العون ، والاسهام في اغراض الدفاع الوطني بالتعاون مع الهيئات التى تشكل لهذا الغرض ، واخيرا القيام باية مهمة اخرى تعهد اليه بناء على قرار من مجلس الدفاع الأعلى . ولكن هذه الواجبات والمسئوليات ليست في الواقع سوى خطوط عريضة للتبعات الضخمة الملقاة على عاتق هؤلاء الرجال الذين يعملون في صمت داخل حدود بلادهم ..

فالواقع أن كل رجل من رجال الحرس الوطني، سواء كان منتسبا للحرس العامل ، ام للحرس الاحتياطي يتدرب على العديد من العمليات التى لا بد له من أن يتعلمها خلال مراحل تدريبه المختلفة، حتى يتمكن من تطبيقها كلما دعت الحاجة اليها .

وفي مقدمة هذه العمليات ، التطويق والتفتيش وسبل التعاون مع رجال الأمن ، والتعرف على هويات الموظفين، اثناء حراسة المؤسسات الحكومية. ثم حراسة المنشآت والمؤسسات نفسها ، والتعاون مع فرق الطوارىء ، وكيفية استدعاء فرق المطافي وتوفير الحماية اللازمة لهم أثناء تأدية واجبهم ، وحراسة الطرق والقوافل والجسور .

الاقبال على التطوع

هذه لمحة سريعة عن الحرس الوطني في الكويت



رجال الحرس الوطني يؤدون واجبهم .. احد الرجال يتولى حراسة المبنى
المركزي الحديث للمواصلات السلكية واللاسلكية في قلب مدينة الكويت

رجال الحرس الوطني يقومون بحراسة محطة تقطير المياه في الكويت .





رحمى الله ، بعمل رجال الحرس الوطنى
يضحون بأرواحهم في سبيل الله والوطن .. وفي
الصورة مجموعة منهم ينتظرون اذان الظهر لتادية
فريضة الصلاة بالمسجد المقام داخل المعسكر .

احد رجال الحرس يقوم بحراسة احدى
خزائن الدولة .. انه جانب من الجوانب
المتعددة لواجبات الحرس الوطني .





علم الكويت يرفرف عاليا
فوق رؤوس رجال الانضباط
في مدخل المعسكر .



امر سيارات « الجيب » المسلحة التابعة للحرس الوطني يتلقون الاوامر من قائد المجموعة قبل البد
بواجبهم اليومي .

تولي قيادة الحرس الوطني اهتماما كبيرا بالتربية الرياضية لتحقيق افضل مستوى من اللياقة البدنية لافرادها . وقد تألفت عدة فرق رياضية في كرة السلة ، وكرة القدم والكرة الطائرة .. واستطاعت هذه الفرق ان تحقق الفوز في الدوري العام للجيش الكويتي ، واحتفظت بعدة كؤوس لسنوات متتالية .. وفي الصورة فريق السلة أثناء التدريب .



عن الرجال الذين وهبوا انفسهم لخدمة الوطن الغال
.. لقد احتفلت رئاسة الحرس الوطني منذ أربع
سنوات تقريبا بتخريج أول دفعة من الحرس العام
والاحتياطي .. وبعدها تم تخريج العديد م
المتطوعين من رجال الحرس الذين اتموا دوراته
التدريبية ووزعت عليهم شهادات التخرج ، وت
قيدهم في سجلات الحرس الوطني ، كحماة لأرضه
وبلادهم ووطنهم .

واليوم .. وبالرغم من انقضاء بضع سنوات
قليلة على انشاء الحرس الوطني في الكويت ، فقد
تحول هذا المعسكر .. معسكر الحرس الوطن
الى مصنع للرجال الذين يأتون اليه كل يوم
وقد امتلأت نفوسهم بالحماس ، طالبين التطوع .
انهم جميعا يريدون ان يصبحوا جنودا قادرين عل
حمل السلاح ، والذود عن وطنهم حتى آخر
قطرة في دمائهم . ■

منير نصيف

تحديات العصر

في أمور خمسة :

- التصنيع • السكان
- التغذية • الموارد
- التلوث

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ انها خمس مشكلات ، تواجه انسان العصر الحديث ، تلك هي السكان ، والانتاج الزراعي ، والموارد الطبيعية المحدودة ، والانتاج الصناعي ، والتلوث. انها تهدد مستقبل البشرية، ما لم تتضافر الجهود على حلها ، ومع ذلك فان نسبة ضئيلة من سكان الكوكب هم الذين يعنون بدراستها ، انهم العلماء المتخصصون ، الذين يدرسون على المدى القريب والبعيد ، ويضعون التخطيط السليم لموارد هذا الكوكب ، لصالح قطانه ، انهم يستغلون المعارف السابقة ، للتكهن بمستقبل البشرية على سطح الأرض، انها الطريقة العلمية الصحيحة، التي لا بديل لها ، اذا اردنا النجاح والفلاح .

هذا التسارع في التصنيع .

هذا التزايد المطرد في السكان .

سوء التغذية الذي يزداد انتشارا .

هذا الاستنزاف للموارد الطبيعية التي لاتتجدد.

هذه البيئة المتدهورة نتيجة للتلوث وعدم الحماية .

انها مشكلات متداخلة بعضها في بعض ، ومرتبط بعضها ببعض ، علينا أن ندرس أسبابها ونتائجها ونخطط لها على مدى السنين بله القرون ، وعلينا أن نستغل اقصى ما وصل اليه العلم من مستحدثات.

التزايد السكاني

وانه ليبدو واضحا انه اذا استمر التزايد

السكاني ، واستنزاف المواردوالتصنيع ، وانتاج الغذاء والتلوث ، اذا استمر كل ذلك على نحو ما نرى الآن ، فان النمو سيقف حتما في نحو قرن من الزمان على الاكثر . بل ومن المحتمل جدا أن يحدث تقلص فجائي لا يمكن التحكم فيه ، فعلينا أن نعمل على ايجاد توازن مستقر بين البيئة والنمو ، وكلما سارعنا في اتخاذ الخطوات السليمة نحو هذا الهدف ، كان احتمال النجاح اقرب . انها عمليات متداخلة كما قدمنا ، فهل النمو السكاني يشجع على التصنيع ، او ان التصنيع يشجع على النمو السكاني ، وهل احدهما بمفرده مسئول عن التلوث او انهما معا مسئولان عنه ، وهل زيادة الانتاج للاغذية يؤدي الى زيادة السكان ، وماذا عسى أن تكون النتيجة اذا كان نمو واحد من هذه العوامل اسرع او ابطأ من العوامل الاخرى .

في سنة ١٦٥٠ كان عدد السكان ٥ر. بليون نسمة وكانت سرعة النمو ٣ر.٪ فتضاعف في ٢٥٠ سنة .

وفي سنة ١٩٧٠ كان عدد السكان ٦ر٣ بليون نسمة وكانت سرعة النمو ١ر٢٪ فتضاعف في ٣٣ سنة . وعلى ذلك ، فليس النمو وحده هو ما يسمى بالاسي ، ولكن معدله كذلك ، وعلى ذلك فانه نمو فوق اسي كما يقولون ، وذلك مع مراعاة أن مستوى الخصب بين البشر ، عادي وثابت .

واذا فرضنا انه بالاضافة الى الاولاد ، فان كل سيدة ستلد فتاتين ، وان كلا من الاخريين ستلد فتاتين اخريين ، فان عدد السكان سيتضاعف في كل جيل .

لقد كان متوسط العمر في سنة ١٩٥٠ ، ٣٠ سنة ، ومع التقدم ارتفع المتوسط في العالم الى ٥٣ سنة ، واذا استمر معدل النمو السكاني على هذا النحو فسيتضاعف سكان الارض اربع مرات في ستين سنة والملاحظ بصفة عامة ان الأغنياء يزدادون غنى ، والفقراء يزدادون اطفالا . كما يلاحظ كذلك ان اعلى معدل لزيادة النسل في الهند وباكستان حيث يكون ٦ر٢٪ ، اما في البرازيل فالنسبة ٣٪ . ويحسب الحاسبون ان متوسط دخل الفرد في سنة ٢٠٠٠ سيرتفع في روسيا الى ٦٣٠٠ دولار في السنة وسيصل في امريكا الى ١١٠٠٠ دولار ، اما في اليابان فيبلغ ٢٣٢٠٠ دولار في السنة . أما في الدول النامية أو المتخلفة فانه لا يجاوز ٥٠ أو ١٠٠ او ١٥٠ دولار في السنة .

وكذلك تزداد الهوة اتساعا ..

ماذا يحتاج سكان العالم في سنة ٢٠٠٠ من غذاء وخامات . ووقود حفري « فحم وبترول » او نووي في دورة بيئية سليمة . ماذا يحتاج من ارض تستصلح وماء عذب للري والشرب ، ومعادن تصنع وغابات ومحيطات تستغل . ما هي العوامل الاجتماعية من حرب او سلام او استقرار اجتماعي ، تعليم او بطالة او تقدم تكنولوجي .

موارد الغذاء لا تكفي

ان الغذاء والموارد والبيئة الصحية ضرورية ، ولكنها لا تكفي للنمو ، ففي زامبيا ٢٦٠ من كل الف طفل يموتون في العام الاول من حياتهم ، وفي الهند وباكستان ١٤٠ من كل الف ، وفي كولومبيا ٨٢ ، وكثيرون يموتون قبل الالتحاق بالمدرسة ، وآخرون في سني الدراسة الاولى ، وتعزى اسباب الوفاة اغلب الامر الى سوء التغذية والنيمونيا ، والدوسنطاريا .

وتدل الاحصائيات على ان ٦٠٪ من سكان الدول النامية ، لا يحصلون على حاجتهم من غذاء ، وهم يكونون ٣٠٪ من سكان العالم . والارض هي المصدر الرئيسي لانتاج الغذاء عن طريق زراعة المحاصيل ، ويوجد على سطح الارض نحو ٨٦ر٧ بليون فدان صالحة للزراعة ، لا يزيد المستغل منها حاليا ، وهو بالطبع الأصلح ، عن النصف ، اما النصف الاخر فيحتاج الى رؤوس اموال ضخمة للاستصلاح والري والصرف والتسميد قبل أن يعطي غلة ما . ويتراوح ما يتكلفه الهكتار من اصلاح ما بين ٢٥٠ ـ ٥ر٢٧٥ دولار . ويقول تقرير هيئة الاغذية والزراعة ، أن اصلاح الارض لم يعد مجزيا ، لولا ضرورة الحاجة الى غذاء ، وان من الخير ان نعمل على زيادة الغلة من ارض صالحة فعلا ، وذلك بتحسين السلالات وعلاج الآفات وما اشبه ، واذا قلنا ان نصيب الفرد من الارض في المتوسط هو ٤ر. هكتار ، او على المستوى الامريكي فيجب أن يكون نصيب الفرد ٩ر. هكتار ، مما يحتاج الفرد نحو ٠٨ر. هكتار للطرق والمباني وخطوط القوى وغير ذلك يبدو ان المجتمع لن يفاجأ بالازمة ،

فنحن نعلم من الآن ان الارض التى تلزم اكثر كثيرا من المساحة المتاحة ، وسيتضح بوادر الازمة قبل موعدها بزمن طويل ، وان اسعار الاطعمة سترتفع كثيرا ، حتى لا يستطيع الكثيرون الحصول على الغذاء الكافي ، وآخرون سيقللون مضطرين من الغذاء كما وكيفا وما هي تلك الاعراض تتبدى في كثير من الجهات ، وربما يعزى سبب الوفاة لنحو ١٠ ـ ٢٠ مليونا من الانفس سنويا الى سوء التغذية . ومع الجهود المضنية ،والنفقات الباهظة التى تنفق لاصلاح مزيد من الارض . وزراعة مزيد من المحاصيل ، فان الزيادة في السكان تلتهم كل ذلك الانتاج في بساطة ، وبذلك تتوالى الازمات واحدة بعد الاخرى .

ان زيادة ٣٤٪ في انتاج الغذاء فيما بين ١٩٥١ـ ١٩٦٦ اقتضت زيادة في الالات الزراعية بنحو ٦٣٪ وفي المخصبات الازوتية ١٤٦٪ وفي المبيدات الحشرية ٣٠٠٪ . وان زيادة ٣٤٪ اخرى تقتضي نفقات اكثر وبنسب اعلى .

كم عدد الذين يمكن ان تغذيهم هذه الارض ؟ ليس الجواب سهلا ولا ميسورا ، فليس بالطعام وحده يحيا الانسان ، ثم ان السكان المتزايدين يلتهمون كل ما تنتجه الارض ، وهذا يحدده ما يمكن ان يستصلح من ارض قاحلة الآن . وما يمكن ان ييسر من ماء عذب ، يروى هذه الارض ، ويفيض عن احتياجات الحياة وقد يستطيع العلم ان يفيد في هذا المجال ، بما يخلق من طعام ، او ما يعذب من ماء البحر ، وكل من هذين يحتاج الى نفقة من مصانع ومواد لتخليق الطعام ، ومن معدات وطاقة لاعذاب الماء الملح ، واستزراع البحر واستغلاله وزيادة الحاجة الى مخصبات ومبيدات لانتاج مزيد من الغذاء يحتاج الى نفقات ورؤوس اموال ضخمة .

الوقود والمعادن في تناقص

وهناك صعوبة موارد الوقود او المعادن ،وكلاهما لا يتجدد ، انما يستنفد الى غير رجعة ، وينفذ الى غير عودة . فكان العامل المحدد هو هذه الموارد غير المتجددة . فضلا عن زيادة اسعارها كلما قل وجودها فيبدو مثلا ان الموجود من البلاتين والذهب والزنك والرصاص لا يكفي لهذه الاحتياجات ، كما ان الفضة والصفيح واليورانيوم ليست كافية في الوقت الحاضر ، حتى باسعارها المرتفعة ، وفي مدى خمسين عاما ، قد لا تتوافر مثل هذه المعادن وغيرها حتى باسعار مرتفعة لسبب بسيط هو انها استنفدت تماما .

وليس من الحكمة أن نعتمد على توقعات قد لا توجد اصلا ، وكل ذلك حتى على اعتبار ان معدل الاستنزاف كما هو في الوقت الحاضر . علما بان بعض الموارد تستنزف بسرعة اكبر من سرعة تزايد السكان . وخير مثال لذلك خام الكروم الذى يتزايد استنزافه بسرعة مذهلة وما اظن ان المعادن الاخرى تفضله كثيرا في هذا المجال فان موارده المعروفة تقدر بنحو ٧٣٥ مليون طن سنويا يستغل منها سنويا نحو ١و٨٥ مليون طن مترى ، ولو قد كان استنزافه بنفس المعدل الجارى الآن لكفى لمدة ٤٢٠ سنة ، اما وان معدل استنزافه يتزايد بمقدار ٢ر٦٪ سنويا فان موارده تنفد فيما لا يزيد على ٩٥ سنة . ولو تصورنا أن موارده التى تكتشف ستزيد بمعدل ٥٪ فان ذلك يطيل امده الى ١٥٤ سنة . وكذلك الحال بالنسبة لخام الالومينيوم ، فانه يكفى ٣١ سنة ، وبفرض زيادة المكتشف ٥٪ فانه يكفى ٥٥ سنة والنحاس ٣٦ سنة بالمعدل الحالى ، فانه يكفى ٢١ سنة ، تزيد الى ٤٨ سنة بفرض زيادة المكتشف ٥٪ وذلك بصرف النظر عن تفاوت الخامات ، وتفاوت طرق الاستغلال ونفقاته واسعاره ، علما بان هذه الموارد محدودة ولا بد ان تنتهي يوما ما . ويسبق ذلك بطبيعة الحال ارتفاع فاحش في الاسعار . فلقد تضاعف سعر الزئبق ٥٠٠٪ في العشرين سنة الاخيرة كما تضاعف سعر الرصاص ٣٠٠٪ في الثلاثين سنة الاخيرة . وينبغي ان ناخذ في الاعتبار الضغوط السياسية بين الدول المتقدمة والدول النامية والدول المنتجة والدول المستهلكة .

التلوث

ولنا ان نتساءل الآن ، هل يوجد على سطح الارض من الموارد ما يكفى سبعة بلايين شخص سنة ٢٠٠٠ لمعيشة ذات مستوى معقول . واذا قدرنا العادم من هذه الموارد جميعا ، ومن فضلات الصناعة والتغذية والوقود وما اليها ، فتلك مشكلة اخرى ـ هي التلوث الذى لم نكد ننتبه اليه الا اخيرا ، ولم نكد نقيس منه الا انواعا

قليلة . وليست لدينا صورة أكيدة عن مدى تزايده ، كما ان كثيرا من الملوثات تنتشر على سطح الارض ، وتظهر آثارها الضارة على مسافات بعيدة من اماكن تولدها . والواقع ان كل ملوث قيس بالنسبة للزمن . وجد انه يزيد اسيًا مع الزمن . وصحيح أن الملوثات تتفاوت في زيادتها ولكنها جميعا تزداد بسرعة تفوق سرعة تزايد السكان ، صحيح أن بعضها يزداد طرديا مع زيادة السكان او مع النشاط الزراعي ، وبعضها يطرد مع زيادة التنمية الصناعية والتكنولوجيا الحديثة ، والواقع ان كليهما يطرد مع زيادة السكان وزيادة التنمية الصناعية .

ولنبدأ بدراسة العلاقة بين الملوثات وزيادة استعمال الطاقة . والتنمية الاقتصادية ما هي في الواقع الا زيادة في استغلال الطاقة ، لزيادة الانتاج وزيادة كفاءة العمل . وفي الحق ان من أهم الدلائل على الثروة ، نصيب الفرد من الطاقة المستغلة ، وان متوسط معدل الزيادة يصل الى ٣ر١٪ في السنة لتكون الزيادة الكلية باعتبار زيادة السكان ٤ر٣ ٪ في السنة وان ٩٧٪ من مصادر الطاقة في الوقت الحاضر ، انما تأتي من الوقود الحفري (الفحم ، البترول والغاز الطبيعي) ، فعندما تحرق ، تطلق ثاني اكسيد الكربون في الجو مما يقدر بنحو ٢٠ بليون طن من هذا الغاز سنويا ، وانه ليتزايد بمعدل ٢ر٤٪ سنويا وقد ظهرت نصف هذه الكمية فعلا في الجو أما النصف الآخر فقد امتصته مياه المحيطات .

فاذا استطاع الانسان يوما أن يستبدل بالوقود الحفري ، الوقود النووي ، فستقل هذه الزيادة في ثاني اكسيد الكربون ، وانا لنأمل ان يكون ذلك قبل ان يترك هذا الغاز الملوث آثاره الضارة على البشرية .

وهناك آثار جانبية أخرى لاستغلال الطاقة ، لا تتصل بمصدر الوقود ، فانه طبقا لقوانين الديناميكا الحرارية فان كل الطاقة التي يستغلها الانسان ، تتحول الى حرارة ، فاذا كان مصدر الطاقة لا علاقة له باشعة الشمس الساقطة (مثل الوقود الحفري أو النووي) فان هذه الحرارة ستدفئ الجو . اما مباشرة أو بطريق غير مباشر خلال الاشعاع ، من الماء المستعمل لاغراض التبريد ، فالحرارة المفقودة او التلوث الحراري في مجاري المياه ، يحدث اختلالا في الحياة المائية ، كما ان الحرارة المشعة في الجو حول المدن ، تكون جزرا حرارية حول المدن ، تحدث اضطرابا جويا ، وقد يكون للتلوث الحراري آثار مناخية خطيرة .

اما الطاقة النووية فستنتج تلوثات أخرى ، انها الفضلات المشعة ، الا أن الطاقة النووية المستقلة حتى الآن لا تمثل الا نسبة ضئيلة ، وقد حسب أن ١ر٦ بليون كيلوات تنتج ٤٣٠٨٠٠ كوري ، بها من التريتون المشع (عمر النصف من بضع ساعات الى ٢ر٩ سنة حسب النظير المشع) و٢ر٩١٠ر١٠ كوري من التريتيوم (عمر النصف ٥ر١٢ سنة) كل ذلك ينساب مع الماء ويزداد هذا المعدل مع زيادة المفاعلات ، ومع ذلك فما ثاني اكسيد الكربون والطاقة الحرارية والفضلات المشعة ، الا ثلاثة من كثير من الملوثات ، التي تتزايد تزايدا اسيًا وقد حدثت كوارث بالنسبة للمياه السمكية في بعض البحيرات ولانها نتيجة التلوث الحراري او الكيماوي وقد وصل المحتوى الاكسجيني الى الصفر ، مما استحالت معه حياة الاسماك والأحياء المائية الاخرى .

وكذلك الفلزات السامة من زئبق ورصاص التي ترمى في المجاري المائية وفي الجو ، من السيارات والافران والعمليات الصناعية والمبيدات ، ما أثر هذا كله على الأحياء . كيف تستقيم اسباب حياة سكان الارض مع تزايد هذه الملوثات ، وعدم التخلص منها ومن آثارها بطريقة أو أخرى . ما أثر هذا كله على التوازن البيئي والطبيعي . يكفي ان تذكر في هذا المجال المبيد الحشري د.د.ت ويمكن تطبيقه على الزئبق والرصاص والكادميوم وغيره من المبيدات والفضلات المشعة .

ومن المعلوم ان د.د.ت ، انما هو مبيد كيماوي عضوي يطلق في الجو بواقع ٠٠٠ر١٠٠ طن سنويا ، بعد رشه فانه ينطلق في الجو الى مسافات بعيدة قبل ان يترسب ثانية على الارض او الماء وفي ماء المحيط، تمتصه ثانية النباتات المائية الطافية ، وتأكلها الأسماك ثم يأكل الانسان الاسماك ، وقد يتركز بعضه في جسم الانسان وقد حسبت كل هذه الاحتمالات بالحاسب الالكتروني منذ ١٩٤٠ حتى ١٩٧٠ ، وقدر ان استعماله سيتناقص فيما بين ١٩٧٠ حتى يصل الى الصفر في سنة ٢٠٠٠ ، ومع ذلك

من المنتظر الا يتعدى اثر هذا التناقص الا في ١٩٩٥، وعلى ذلك فان اى تحكم في الملوث يحتاج الى وقت طويل قبل ان تظهر آثار هذا التحكم ولذلك كان من الاهمية بمكان دراسة هذه الآثار مسبقا .

واذا عرفنا ان الدول المتقدمة وحدها هى المجلية في هذا الميدان ، وان الدول المتخلفة ما تزال بعيدة عن مثل هذه الدراسات ، وانه حتى جزيرة جرينلاند ، وهى بعيدة عن مصادر التلوث الجوى بالرصاص فان كمية الرصاص المترسبة في ثلوج الجزيرة قد زادت ٣٠٠٪ منذ ١٩٤٠ .

اما د.د.ت فقد تجمع في دهون جسم الانسان في كل جزء من اجزاء الكرة الارضية من اسكيمو الاسكا الى سكان المدن في نيودلهى . ومن الصعب تقدير الحد الاقصى للتلوث . فاذا قدرنا ان السبعة بلايين شخص سكان الكرة الارضية في سنة ٢٠٠٠،سيكون متوسط دخلهم مثل الامريكيين في الوقت الحاضر ، فان التلوث سيكون عشرة اضعاف ما هو عليه في الوقت الحاضر .

الى اى حد يستطيع الانسان بتحسين المصانع وقاية البيئة . وحماية نفسه لقد قدر في الولايات المتحدة وحدها . انها تحتاج الى انفاق ١٫٥ بليون دولار حتى سنة ١٩٧٥ (٢ ٪ منها في الصناعة) لتنظيف جزئى للهواء والماء والبيئة الامريكية ، وكل تاجيل في هذه الحماية في سبيل الاسراع بزيادة الانتاج انما يكون على حساب تدهور البيئة، وبالتالى على حساب رفاهية الانسان وسعادته .

المشكلات مجتمعة

وكذلك هى مشكلات الغذاء والموارد الطبيعية غير المتجددة والحماية من التلوث ، انها العوامل الاساسية لامن المجتمع الانسانى ، وان هذا النمو الهائل في التصنيع واستنفاد الموارد الطبيعية لما يعجل بالوصول الى القمة التى يحدث عندها الانفجار ، وطبيعى ان هذه العوامل لا تؤثر مستقلة بعضها البعض فتزايد السكان يحتاج الى مزيد من الغذاء،وانتاج الغذاء يحتاج الى مزيد من راس المال المستغل،وزيادة راس المال المستغل تحتاج الى مزيد من الموارد ، وازدياد التصنيع واستغلال الموارد يزيد في التلوث ، ويؤثر التلوث على السكان والغذاء .

وفضلا عن ذلك فان كلا من هذه العوامل له مع الزمن تاثير مضاد . فان معدل الزيادة في انتاج الغذاء في السبعينات سيكون له اثره على حجم السكان في الثمانينات وهذا يقتضي زيادة المعدل في انتاج الغذاء لمدة طويلة بعد ذلك ، وبالمثل فان معدل استنفاد الموارد في السنوات القليلة المقبلة سيؤثر على كمية الموارد المتبقية وكلاهما يؤثر على مستقبل الموارد والطلب عليها .

لا مراء في ان مثل هذه الدراسات لها قيمتها التى لا تجحد ، انها بمثابة ناقوس الخطر يقرع لذى الحجى ، انها علامات على الطريق ، خاصة وقد شارك فيها علماء السكان ، والبيئة والتغذية والزراعة والاقتصاد واخذت في الاعتبار سيرة الانسانية طيلة القرون الاربعة الخالية ، وخاصة من ١٩٠٠ – ٢٠٠٠ ثم تكهن للقرن التالى من ٢٠٠٠ – ٢١٠٠ ومع ذلك فانها تكهنات ليس حتما ان تكون واقعة حقيقية بنسبة ١٠٠٪ فالعوامل متداخلة لحد كبير – وكلما زادت الثروة زاد الاستهلاك .

وانه مع استبعاد الطواعين والاوبئة والزلازل والحروب المدمرة ، فان السكان والنمو الصناعى سيقفان عند حد في القرن التالى وذلك بسبب ازمة الموارد . وذلك مع افتراض انه في ١٩٧٠ كان لدينا من الموارد ما يكفى ٢٥٠ سنة بمعدل الاستهلاك الحالى . الا ان تزايد السكان والتلوث سيقلص هذه المدة الى قرن واحد ، ويزداد عدد الوفيات نظرا للتلوث .

ومع ذلك فهناك تفاؤل تشجع عليه الثروة الخضراء، واحتمال النجاح في اعذاب المياه الملحة ، بتكلفة مجزية ، فتزيد في الارض الخضراء ،واستغلال الثروة المائية في البحار والمحيطات وتحديد النسل وانه لنجاح ما بعده نجاح أن يظل الانسان يعيش على سطح الارض حتى الآن . وذلك بفضل العلم والتكنولوجيا خلال الثلاثة القرون الحالية . وما اشك في أنه سينجح في التغلب على هذه المشكلات لقرون أخرى بفضل العقل والعلم وعلى الله قصد السبيل . ■■

عبد الحليم منتصر

مناجاة .. للمصطفى عليه السلام

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

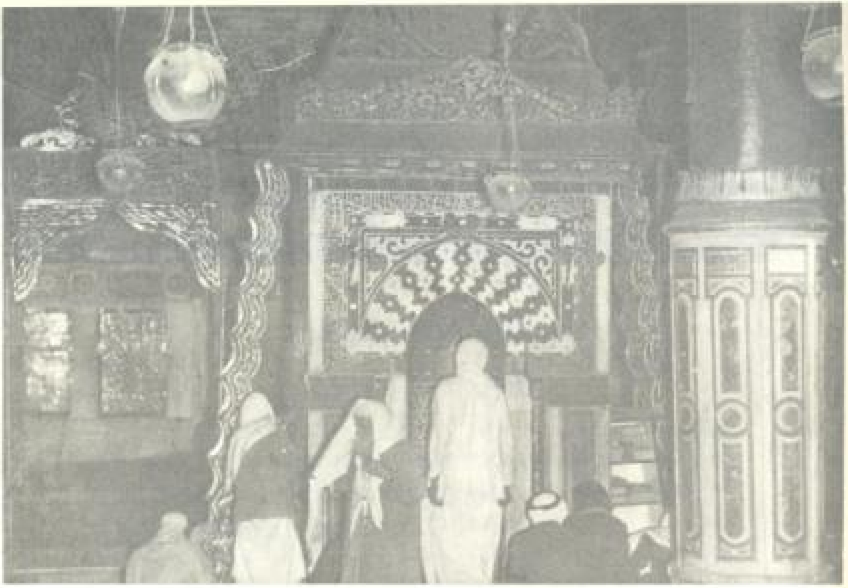
■ ذكرتُكَ في ليلة المولدِ — وناري في القلب لم تخمُدِ
ذكرتكَ يا أشرف المرسلين — ويا خير هاد لمن يهتدي
ذكرتكَ والقدس فيه اليهود — يَعيثون بالنار في المسجد
ذكرتك والهام فوق التراب — وقد كانت الهام في الفرقد
ذكرتك والوطن اليعربي — تَعيث به نزوة المعتدي
ذكرتك بانيَ أركانه — ولو لم يضيعْك لم يُهدَدِ
ذكرتك والقوم في فتنة — كما لم تظن ، ولم تعْهد
ذكرتك في أمة لم تَصُن — ك فوا خجلتا منكَ يا سيدي !

★★★

ضلال ، وما كان فينا الضلال — ومن يهجرِ الرُشد لا يَرشُد
هوان إذا ما استكان الأسود — فيا أمةَ الثعلب استأسدي
وخُضنا المعارك ما بيننا — وجاء العدوُ فلم نصمُد
ونرجو العدالة من ظالم — ونلتمس العونَ من مُلحِد
ونسلك غيرَ سبيل الإله — ونحلُم بالنصر صبحَ الغد

★★★

أيرضيكَ يا سيدي رائحٌ — يدوس الكرامة أو مغتدِي



ويدخل بيروتنا مرّتين ... ويخرج والباب لم يوصد
وفي كل آنٍ له صفعةٌ ... على صُدْغنا الكالح الأبرد
يمدّ لنا يده بالأذى ... ونحن شُلِلْنا فلم تمْدُدُ
ويقتلُ . لكننا لا نجيب ... بغير الجنازةِ والمشْهد

★★★

نبيّ الإله . وأنت الأمين ... وأنت المثال لمن يقتدي
لقد قُلْت : «يا أمتي جاهدي» ... وما قلتَ : «يا أمتي عربدي»
وإن فرقتْنا هَنَاتُ النفوس ... أهبّ بنا : أمتي وحّدي
وإن شبّت الحربَ نيرانها ... فسودي الحياةَ أو استشهدي
جنانُ الخلود بظل السيوف ... فمن يستظل بها يخلُد

★★★

إلهي ، اهدنا واهد أقوامنا ... وأيقظ عبادَك من مرقد
وجدِّد لنا يوم كنا يدا ... وكانت يدُ الله فوق اليد
دعونا بأحمد أن تستجيب ... فحقق . . وصلّ على أحمد ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

يشكو القصور ويريد ان يتزوج

● انني طالب بالمعهد الثانوي لم اكمل تعليمي بعد ، كما ترون ، ولكن والدي رجل ميسور الحال ، وهو يريدمني ان أتزوج ، فهو يرى في الزواج المبكر صيانة للشباب ، وحافزا له على اتمام تعليمه الجامعي .. ولكن مشكلتي يا سيدي انني لا استطيع الزواج .. وهو سر احتفظ به لنفسي ، ولا اجرؤ على ان ابوح به لأحد ، حتى والدي نفسه .. انني اشعر بالخوف عندما اقترب من النساء ، وقد كانت لي تجارب معهن ، خرجت منها خجلا من نفسي .. ماذا اصنع .؟ انني في حيرة فأنا اريد ان احقق رغبة والدي ، ولكنني اخشى النتائج التي سوف تترتب على هذا الزواج .. لقد استشرت احد اصدقائي ، ولعله الوحيد الذي يعرف عني هذا القصور ، وكانت مفاجأة عندما وجدته ينصحني بالمضي في الزواج ، ويقول لي : « ان الجنس ليس كل شيء .. وقد يزول عنك هذا العارض الطارىء بعد ان تتوطد علاقتك بزوجتك!»

هل لكم ان ترشدوني الى حل لمشكلتي؟

ب. أ. ـ تونس

ـ لا تستمع لنصيحة صديقك ، فهي تنطوي على مخاطرة .. وليس هذا ـ في رأينا ـ هو الحل لمشكلتك .. فقد يزول عنك هذا العارض ، وقد لا يزول .. وهنا تكون الطامة الكبرى .. فليس صحيحا هذا الذي يراه صديقك من ان الجنس ليس كل شيء .. فالجنس هو اهم متطلبات الزواج .. فالرجل يتزوج ، والفتاة تتزوج ، من اجل توفير التربة الصالحة والبذور التي ستزرع في هذه التربة ، حتى تثمر ، فيتكاتف الاثنان على رعاية هذه الثمرة والسهر عليها حتى تكبر وتنضج .. فهذا هو سر الحياة ، والوسيلة الوحيدة لاستمرارها ..

انك مريض يا بني ، ومرضك نفسي وليس عضويا في الغالب ، وليس هناك من سبيل للخلاص منه سوى ان تعرض نفسك على احد الأطباء النفسانيين .. اشرح له حالتك ، وسوف تجد عنده الدواء لهذه « العقدة » التي تعاني منها ..

ثم ننصحك بعد هذا بان تفاتح اباك في الأمر .. ان والدك رجل عاقل على ما يبدو ، فهو يريد منك ان تبحث لنفسك عن زوجة في هذه السن المبكرة لكي تصون نفسك ، وتصون صحتك ، وتتفرغ لدراستك ، وهو رأي يؤمن به كبار رجال العلم والتربية ، طالما ان والدي احد الزوجين او كليهما قادر على الانفاق على الزوجين الصغيرين ، حتى يحين الوقت الذي يستطيعان فيه الوقوف على قدميهما وحدهما ..

ليس هناك ما يجعلك تخجل من نفسك ، فلا داعي اذن من اخفاء هذه الحقيقة ، ونؤكد لك انك ستعود شابا طبيعيا بعد ان تلقى العلاج الشافي لحالتك .. وقد لا تعلم ان العوامل النفسية ، كما يؤكد العلماء ، من اهم اسباب الضعف والقصور الجنسي عند عدد كبير من الشباب اليوم . نتمنى لك الشفاء باذن الله ، ثم التوفيق فيما انت مقدم عليه .

(م. ن)



الختان ومكانته في الأديان الكتابية

● بعض الشعوب تعنى بالختان ،وبعضها تهمله ، ومنهم أهل كتاب كاليهود والمسيحيين ، ومنهم مسلمون،فهل يختلف الختان أهمية في اليهودية عما هو في المسيحية والاسلام ، وماأسبابه ؟

سالم عبد الرزاق ـ الموصل ـ العراق

ـ عرف الختان لدى كثير من الشعوب القديمة البدائية والمتحضرة، ولا نستطيع الاحاطة باسبابه عندها شعبا شعبا، وان كنا نرجح ان هذه الاسباب لم تكن عندها بمعزل عن اديانها ، اذ يندر ان نجد عملا من اعمالها منقطع الصلة بعقائدها الدينية ، وان لم يكن لنظيره عندنا الان ايُّ صلةٍ بعقائدنا الحاضرة ، كالاعمال الزراعية والصناعية . ومن اقدم الشعوب التي عرفته سكان مصر ايام الفراعنة، وربما قبلهم ، وكذلك عرفته كثير من الشعوب التي نسميها اليوم « سامية » ومنها العبرانيون الذين ينتسب اليهم اليهود ، ولاشك ان اليهود ـ كما روت التوراة ـ قد اخذوا الختان ايام بداوتهم ورحلاتهم الرعوية عن الشعوب السامية التي نزلوا بينها في الشام .

واخبار الختان تتكرر في اقدم أسفار اليهود التى تسمى « العهد القديم » واولها اسفار التوراة الخمسة ومن ذلك ما رواه سفر التكوين ـ اول اسفار التوراة ـ ان ابراهيم،بعد مجيئه فلسطين، اختتن وهو ابن تسع وتسعين سنة ، اذ ظهر له الرب ، وامره ان يغيّر اسمه الاول « ابرام » ليتسمى دائما « ابراهيم » واعطاه عهده بالختان، وامره ان يختتن هو واتباعه سواء كانوا من اهله او عبيده الفرباء ، فيختتن كل ذكر وهو ابن ثمانية ايام ، واما الأغلف الذى لا يختن فانه يقتل لانه نكث عهد الله . ومن هنا سر مغالاة اليهود بالختان ، واعتباره في شريعتهم من صميم الدين. ولما جاء المسيح اتجه بدعوته أولا الى اليهود ـ وكلهم يختتنون ـ فلم تناقش مسالة الختان ، ثم نوقشت بعد ان اتجهت الدعوة الى الامم او الاممين (غير اليهود) وفيهم من لا يختتنون كاليونان ومن وراءهم في اوربا وغيرها ، فقد قبلت كنيسة أورشليم المتنصرين الجدد منهم على ما هم عليه ، ولكن المتنصرين من طائفة الفريسيين اليهودية اوجبوا الختان على الأمميين الجدد ، واعتبروه من صميم الناموس أو الدين الموسوى. فاجتمع الرؤساء ، وبعد مناقشات أشار الرسول بطرس الىأن المسيحية موجهةالىاليهود والأمميين، وانه لا فرق بين الطائفتين ، وانه لا داعي لتحميل الاممين الختان وغيرهما لم يستطع الآباء القدماء في اليهودية أن يحتملوه وهكذا تتكرر الفتاوى في أسفار العهد الجديد ، ومن هنا ترك الختان حرا في المسيحية الا من ياخذ به تقليدا لجيرانه من أهل دين آخر يختتنون ، أو يرفضه كراهة لتقليد من ليسوا على دينه .

وكان الختان معروفا بين العرب في جزيرتهم قبل ان تعرفه اليهودية ، ولم يهمله غير بعض المتنصرين منهم ، وحافظ عليه الوثنيون ، فلما جاء الاسلام اقره لهم كما اقرهم على كثير من عاداتهم التى لا تخل بصميم رسالته ، اذ جعل همه اصلاح الأرواح والضمائر والعقول والمعايش ، فبقى الختان مرعيا بين العرب حتى الآن .

ولا نعرف في أخبار انتشار الاسلام اول امره بين الأعاجم ما يدل على تشديد المسلمين في الختان

معهم ، والاخبار نادرة في العصر العباسي مما يدل على الالتفات اليه ، واما العرب فتدل اخبارهم واهاجي شعرائهم على تخوفهم من الاتهام بالقَزْله لانها عندهم عار . وليس في القرآن الكريم اشارة للختان . وكتب الحديث تذكر الختان مع غيره من التقاليد العربية التي اقرها الاسلام ومنها ما هو اقل اهمية : كتقليم الاظافر واحفاء الشارب واعفاء اللحية ، والسواك للاسنان ، مما هو من مطالب النظافة وحسن السمت بين سادة العرب . واما كتب الفقه فلا توسع مكانا للختان بين العبادات ، وان كان الشافعية وبعض العلماء يرونه واجبا ، ويراه المالكية ومعظم العلماء سنة ، ومهما يكن حكمه في الاسلام فكل المسلمين في قارات العالم يلتزمون به .

(م . خ . ت)

النقط والتشكيل في لغتنا الحاضرة

● من المعروف ان لغتنا العربية كانت في البداية غير منقوطة ولا مشكولة ، ولكن بعد ان اتسعت الرقعة الاسلامية ودخل الاسلام أناس مختلفو المشارب ، متباينو النحل كانت الحاجة ماسة الى نقط القرآن وتشكيله ، فمن هم هؤلاء العلماء الذين عملوا في هذا الميدان ؟ وماذا عن نتاجهم ؟

الاسكندرية ـ عبد الله حبيب بدر

العربي : لما اتسعت رقعة الاسلام ودخل الناس في دين الله افواجا من امم مختلفة بالسنة متباينة حرص ولاة امور المسلمين على صيانة القرآن من اللحن والخطأ ، وهبت الدولة تريد ان تعمل شيئا من اجل توحيد الصفوف وصيانة كتاب الله من الضياع ، وكانت الخطوة الاولى في سبيل ذلك هي التي توجت بجمع القرآن في عهد ابي بكر باشارة من عمر بن الخطاب ، ثم خطت خطوتها الثانية بتوحيد نصه في عهد عثمان بن عفان ، واختار لذلك جماعة من الصحابة من حفظة القرآن ، وتم على ايديهم ما اراد فنسخ القرآن بلغة قريش ، لانه انما نزل بلسانهم ، وبعث عثمان بنسخ من هذا القرآن الى الامصار الاسلامية ، وامر ان تحرق المصاحف الاخرى .

ولما لم تكن هاتان الخطوتان كافيتين لصيانة القرآن وحفظه ، فقد عمل زياد بن ابيه على اعرابه وندب لذلك ابا الاسود الدؤلي فوضع اول نقط يحرر حركات اواخر الكلمات في القرآن الكريم ، وقد اتخذ لذلك كاتبا فطنا حاذقا من بني قيس ، وقال له : « اذا رايتني قد فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوقه على اعلاه ، وان ضممت شفتي فانقط بين يدي الحرف ، وان كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف . فان اتبعت شيئا من ذلك غنة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين ، وابتدأ ابو الاسود المصحف حتى اتى على آخره ، على حين كان الكاتب يضع النقط بصبغ يخالف لونه لون المداد الذي كتبت به حروف الآيات . »

ثم جاء الحجاج بن يوسف الثقفي فعمل على اعجامه وندب لذلك نصر بن عاصم ، وكان احد تلامذة ابي الاسود الدؤلي فقام بنقط المصحف نقطا يهدف الى غير ما كان يهدف اليه نقط ابي الاسود فنقط ابي الاسود كان يهدف الى تمييز الحروف المتشابهة في الصورة او الرسم بعضها من بعض كتمييز الباء من التاء والثاء وكتمييز الجيم من الحاء ومن الخاء وهكذا .

وختمت هذه الاعمال بوضع علامات خاصة للفتحة والضمة والكسرة لتمييز علامات الاعراب من علامات الاعجام وقد قام بهذا العمل الجليل الخليل بن احمد الفراهيدي ، وقد جعل علامة الفتحة الفا صغيرة ، توضع فوق الحرف وعلامة الضمة واوا صغيرة توضع فوق الحرف . اما علامة الكسرة فكانت ياء صغيرة توضع تحت الحرف ، لان الخليل كان يرى ان الفتحة من الالف ، وان الكسرة من الياء والضمة من الواو .

ومن الجدير بالذكر أن ننوه هنا بان هذا العمل على حفظ القرآن كان من عمل الدولة ولكن لم يقم بتلك الاعمال رجال الدولة انفسهم بل ندبوا لهذه الأعمال العلماء المتخصصين ، لانها من اعمالهم وفي نطاق تخصصهم ، فهم الذين حفظوا القرآن عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين جمعوه وكتبوه ، وهم الذين وحدوا نصه واعربوه واعجموه .

(ص. ى)

كوبرنيكس .. الرجل الفلكى الذى احل الشمس مكان الارض مركزا تدور عليه سائر الكواكب

● قرأت مؤخرا خبرا قصيرا مؤداه ان العالم سيحتفل هذا العام بالذكرى الخمسمائة على مولد العالم الفلكي كوبرنيكس .. وقد اثار هذا الخبر في نفسي حب معرفة شيء عن هذا الفلكي الذى يحتفل العالم بذكرى مولده بعد مرور خمسمائة سنة .. فهل لكم أن تكتبوا لنا نبذة قصيرة عن حياته ؟

أحمد غنيم ـ الكويت

ـ نيكولاوس كوبرنيكس Nicolaus Copernicus عالم فلكي بولندي ولد في عام ١٤٧٣ م في بلدة تورن Torun ، حيث كان والده يعمل في التجارة. في الثامنة عشرة من عمره التحق بجامعة كراكاو Cracow وهناك تاثر باستاذ الرياضيات ، وكان من المتحمسين للنظام البطليموسي الذى وضعه بطليموس عالم الفلك والجغرافية الذى سطع اسمه في الاسكندرية (١٢٧ ـ ١٥١ م) وقال فيه ان الارض هى مركز الكون الثابت ، وان الشمس والقمر والكواكب السيارة كلها تدور حول الارض. وقد اثارت دروس استاذه في الرياضيات اهتمام كوبرنيكس وجعلته يقبل على دراسة الرياضيات والفلك . وفي عام ١٤٩٧ عاد الى بلده حيث كان خاله قد عين اسقفا لابرشية ارملاند Ermeland ، وقد قام خاله باعداده لكى يتولى منصبا كنسيا في بلدة فراونبرج Fraunberg ، ولذلك ارسله للدراسة في ايطاليا . ودرس كوبرنيكس هناك اللغة الاغريقية ، وتتلمذ على يد الفلكى الايطالى المشهور دومنيكو نوفارا Domenico Novara وبدا كوبرنيكس يقوم برصد النجوم وتتبع حركتها في السماء . ثم تولى منصبه الكنسي في فراونبرج ، ولكنه غادرها في اجازة دراسية الى ايطاليا مرة اخرى ، حيث قام بدراسة القانون والطب في جامعة بادوا Padua ، وفي شهر مايو عام



١٥.٣ حصل على شهادة الدكتوراه في القانون الكنسي ، وعاد الى بولندا حيث عمل مستشارا لخاله الاسقف .

وعاد كوبرنيكس الى منصبه كممثل للكاتدرائية في فراونبرج بعد وفاة خاله .. ومارس نشاطه في الطب واشتهر كطبيب وراع للكنيسة الى جانب ان صيته في الفلك بدا يعم اوربا كلها . لقد كان كوبرنيكس يقوم بتسجيل مشاهداته الفلكية وسجل ٢٧ من هذه المشاهدات التى استمرت من عام ١٤٧٩ حتى عام ١٥٢٩ . وفي خلال هذه الفترة ونتيجة لمشاهداته الفلكية كان ايمانه يزداد بخطا

النظام البطليموسي .. وفي عام ١٥٤٣ قام بنشر نظريته الجديدة التي تقول ان الارض والكواكب السيارة هي التي تدور حول الشمس .. وان الشمس هي مركز الكون الثابت ، وقد نشرت هذه النظرية على نطاق واسع وهو على فراش الموت . وفي الحقيقة فان آراءه هذه كانت معروفة لعدد كبير من تلاميذه منذ عام ١٥٣٠ ولكنه كان يرفض نشرها خوفا من معارضيه المتحمسين للنظـــــام البطليموسي .

وقد أدى نشر نظرية كوبرنيكس الى انقلاب في عالم الفلك .. وقد تضمن كتابه والذى اسماه DeRovolutionibus -Orbiun Coelestium ستة أجزاء .. تناول الجـــزء الاول كروية الأرض وحركتها ، وناقش الجزء الثاني عمليات الكسوف وتناول الجزء الثالث الشمس وحركتها الظاهرة ، وخصص الجزء الرابع للقمر ، بينما تنـــاول الجزءان الخامس والسادس بقية الكواكب .

(م. ط)

سد الفرات التركى

● قرات من جسر كبير اقامته تركيا فوق مضيق البوسفور . نرجو ان تحدثونا عن هذا الجسر في باب التساؤل ونحن نجيب وتذكروا لنا طوله وتكاليفه وكيفية تصميمه .. ترى هل من جسور او مشاريع هندسية أخرى قامت او تقوم بانشائها تركيا ؟!

نايف بشر ــ بونتوفيجو ــ فنزويلا

ــ يقع الجسر الكبير الذى تذكر في اسطمبول ، فوق مضيق البسفور ، ويصل بين شطرى المدينة التاريخية بل قل بين القارتين آسيا وأوربا . وسيبلغ طول هذا الجسر ، لدى الانتهاء من انشائه خلال هذا الصيف نحو ٣٥٢٤ قدما . وهو اطول جسور العالم جميعا ، اذا استثنينا جســـور الولايات المتحدة الامريكية . اذ أن بين هـــــذه الجسور الأخيرة ثلاثة تفوق جسر البسفور طولا .

ولا يخفى ان انشاء هذا الجسر الباهظ التكاليف (٣٦ مليون دولار) سيعود على تركيا عـــامة واسطمبول بصفة خاصة بفوائد عظيمة . وحسبنا ان نذكر ان مضيق البسفور كان خلوا من الجسور حتى الآن وان انتقال الناس والعربات والدواب بين شطرى اسطمبول عبر ذلك المضيق الحيوى كان يجرى بواسطة العبارات البحرية . وهـــذا يعني ان الجسر الجديد ، الذى سيشتمل على اربعة شوارع معبدة ، سيخفف كثيرا من شدة الازدحام في حركة المرور مما اشتهرت به تلـــك المنطقة في المدة الأخيرة . ولعلك تلاحظ في الصورة المرفقة ان جسر البسفور هو من فئة الجســـور الفولاذية المعلقة Steel Suspension .

هذا ، ولا نعرف شيئا عن جسور جـديدة او مشاريع هندسية في تركيا باستثناء بعض المعلومات عن سد الفرات التركى .

لقد بدا العمل في سد كبان Keban هذا ســنة ١٩٦٦ واكتمل ســـنة ١٩٧١ . وهــو ســد عـال جدا يبلغ من الارتفــاع ٦٧٠ قدما ، اى حوالى ضعف ارتفاع سد اســوان العالى (٣٦٤ قدما) واكثر من ثلاثة اضعاف سد الفرات في سوريا (١٩٧ قدما) . لا عجب اذن ان اعتبر سد كبان ثالث سدود العالم ارتفاعا ، علما بأن اولها هو سد نورك السوفياتي (١٠١٧ قدما) وثانيها هو سد دانيل جونسون الكندى (٧٠٣قدم).

ويقع سد كبان على نهر الفرات ، غير بعيد عن منابعه ، وعند التقاء رافديه الرئيسيين ، حيث تتسع الأراضي المزروعة في منطقة يغلب عليها الطابع الجبلي . اما البحيرة الصناعية التي تكونت نتيجة لتجمع مياه هذا السد فتبلغ من الطول ٧٠ ميلا ومن الاستيعاب أو القـدرة على الرى ١١ . ٥٠٠٠٠٠٠ر٢٥ فدان/ قدم . هذا قليل نسبيا . ذلك ان سد الفرات التركى انما يستهدف توليد الكهرباء اولا والرى الزراعي في المرتبة الثانية . ويقدر انتاجه من الطاقة الكهربائية بنحو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٢٤ كيلواط ، تستغل اكثرها في ادارة المصانع بل



المجمعات الصناعية التى أنشأتها تركيا في مناطق قريبة .

والظاهر أن سد كبان هذا ليس السد الوحيد الذى انشأته تركيا على نهر الفرات. فالعمل قائم على ما يبدو في سدين آخرين يسمى أحدهما بسد كاركايا Karakaya ويعرف الآخر بسد كارابابا Karababa .

(ى. ز)

عـــدد التلاميذ في ١١ بلدا عربيا

● هـل يمكنكـم أن تنشروا لنا احصائية حديثة عن عدد تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية في مختلف البلاد العربية ؟

عبد العزيز احمد ـ عدن

ـ ان الاحصائيات المتوفرة لدينا لا تشمل كل البلاد العربية . وتبين الاحصائية المنشورة مع هذا الكلام عدد تلاميذ المرحلتين الابتدائيـــة والمتوسطة معا ، والثانويـة في احـد عشر بلـدا عربيا ، وهى توضح ايضا عدد المدارس وعـــدد المدرسين للطلبة . وهذه الاحصائية من احدث الاحصائيات الرسمية عن التعليم في العالم واوردتها الموسوعة البريطانية في كتابها السنوى لعام ١٩٧٢ .

واذا حاولنا أن نترجم لغة الارقام الى كلمات لوجدنا ان نسبة المدرسين لعدد الطلبة في اغلب البلاد العربية هى مدرس واحد لاكثر من ٣٥ طالبا في المرحلة الابتدائية ، وقد تصل في بعض البلاد الى مدرس واحد لكل ٤٠ طالبا . في حين ان متوسط النسبة في البلاد المتقدمة هى مدرس واحد لكل ٣٠ طالب على الاكثر .

اما في المرحلة الثانوية فان حوالى ٢٥ طالبا يقابلهم مدرس واحد في البلاد العربية في حين ان المتوسط في البلاد المتقدمة هو ١٥ طالبا لكل مدرس واحد .

وطبعا يمكن لكل قارىء أن يحاول ترجمة الارقام الاخرى ويقارنها بعضها ببعض ، ويستطيع من ذلك أن يخرج الكثير من المعلومات التى يضيق المقام هنا عن ذكرها .

(م. ط)

البلد	المرحلة الابتدائية			المرحلة الثانوية		
	الطلبة	المدرسون	المدارس	الطلبة	المدرسون	المدارس
الجزائر	١ ٧٢٩ ٠٣٣	٤٤ ٧٩٧	٥ ٥٥٩	١٥٥ ٦٠٨	٦ ٥٤٠	٣٨٤
مصر	٣ ٧٤٠ ٥٩٥	٩٦ ٦٩٣	٨ ٤١٨	١ ١٤٦ ٤٧٤	٤١ ٠٣٨	١ ٧٠٥
السعودية	٤٠٦ ٣٩٩	١٧ ٠٤٨	١ ٨٥٩	٦٧ ٨١٧	٤ ٣٣٢	٣٨٧
العراق	١ ٠١٥ ٩٤٢	٧٣ ٣١٦	٥ ١٧٢	٣٠٢ ٦١١	١٠ ١١٤	٨٦٣
الاردن	٢٧٧ ٦١٩	٧ ١٥٠	٨٦٥	٩٤ ٦٥٤	٤ ٠٩٢	٥٩٧
الكويت	١١٥ ٦٨٣	٦ ٣٣٧	٢٣٥	١٢ ٧٧٣	١ ٢١٥	٢٢
لبنان	٥٢٨ ٤٨٨	٢٩ ١٢٤	١ ٨٨١	١٣٠ ٢١٠	٢ ٤٧٩	٩١١
البحرين	٣٨ ١١١	١ ٥٦١	١٠٦	١٢ ٦٥٧	٧٤٥	٣
قطر	١٥ ٠٦٨	٧٦٧	٨٥	٣ ٤٤٨	٢٣٠	٥
السودان	٦١٠ ٧٩٨	١٢ ٩٨٦	٣ ٣٥٢	١٩٠ ٧٤٩	٩ ٠٢٠	١ ٢١٠
اليمن الجنوبي	١٢٥ ٥٢٣	٤ ٣٤٤	٨٦٦	١٧ ٠٦١	١ ٤٦٩	٨٢

طرائف

لولا الأوليان

● قال رجل لمعاوية بن ابى سفيان: « اقطعنى البحرين . » قال : «انى لا اصل الى ذلك . » قال : « فاستعملنى على البصرة . » قال : « ما اريد عزل عاملها وهو حميد السيرة محبوب » قال : « تامر لى بالفين من الدراهم .» قال : « ذلك لك . » فقال له بعض الحضور : ويحك ارضيت بعد الأولين بهذا ، قال:اسكتوا لولا الأوليان ما أعطيت هذه .

الرجال

● قال الأصمعى : اخبرنا شيخ من بنى العنبر قال : كان يقال:النساء ثلاث، فهينة لينة خفيفة مسلمة تعين اهلها على العيش ولا تعين العيش على اهلها ، واخرى وعاء للولد ، واخرى غل قمل يضعه الله فى عنق من يشاء ويفكه

كاد وعجبت

● قيل ان ابنة الخس اتت سوق عكاظ فاتاها رجل يمتحن عقلها، ويمتحن جوابها ، فقال لها : «انى اريد ان اسالك» قالت : « هات » . قال: « كاد »فقالت: « المتنعل يكون راكبا » . قال : «كاد..» قالت : « الفقر يكون كفرا » قال : « كاد .. » قالت : « العروس يكون ملكا » . قال : « كاد .. » قالت : « النعامة تكون طائرا» . اقال: «كاد ..» قالت : « السرار يكون سحرا » .

ثم قالت للرجل : « اسالك ؟ » قال : « هاتي » .قالت : « عجبت ... » قال : « للسباخ لاينبت كلؤها ، ولا يجف ثراها» قالت :« عجبت ... » قال : « للحجارة لا يكبر صغيرها ، ولايهرم كبيرها » .

بر الوالدين

● قال المأمون : لم أر احدا ابر من الفضل بن يحيى بأبيه ، فقد بلغ من بره به ان يحيى كان لا يتوضا الا بماء ساخن وهما فى السجن، وحدث أن منعه السجان من ادخال الحطب فى ليلة باردة ، فقام الفضل – حين اخذ يحيى فى النوم – الى اناء من نحاس كان يسخن فيه الماء فملأه، ثم ادناه من ضوء المصباح ، ولم يزل قائما وهو فى يده حتى اصبح يحيى ، فتوضأ منه .

عربيـة

والنساء

عمن يشاء . والرجال ثلاثة : فهين لين عفيف مسلم يصدر الامور مصادرها ، ويوردها مواردها ، وآخر ينتهي الى رأى ذى اللب والمقدرة ، فيأخذ بأمره ، وينتهي الى قوله ، وآخر حائر بائر لا يأتمر لرشده ، ولا يطيع مرشدا .

اضحكني وابكاني

● قال ابو الدرداء : اضحكني ثلاث وابكاني ثلاث : اضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدرى اراض الله عنه ام ساخط عليه . وابكاني فراق الاحبة محمد وحزبه وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الله يوم تبدو السرائر ، ثم لا ادرى الى الجنة او الى النار اسير .

الجمل .. الجمل

● ادخل اعرابي على كسرى ليتعجب من جفائه وجهله فقال له : « اى شيء اطيب لحما ؟ » قال : « الجمل . » قال : « فاى شيء ابعد صوتا؟ » قال : «الجمل . » قال : « فاى شيء انهض بالحمل الثقيل ؟ » قال : « الجمل . » قال كسرى : « كيف يكون لحم الجمل اطيب من البط والدجاج والفراخ والجداء ؟ » قال : « يطبخ لحم الجمل بماء وملح ، ويطبخ ما ذكرت بماء وملح حتى يعرف فضل ما بين الطعمين . » قال : « كيف يكون الجمل ابعد صوتا ونحن نسمع الصوت من الكراكى من كذا وكذا ميلا ؟ » قال الاعرابي : « ضع الكركى فى مكان الجمل وضع الجمل فى مكان الكركى ، حتى تعرف ايهما ابعد صوتا ، قال كسرى : « كيف تزعم ان الجمل احمل للحمل الثقيل ، والفيل يحمل كذا وكذا رطلا ؟ » فقال : «ليبرك الفيل ، ويبرك الجمل ، وليحمل على الفيل حمل الجمل فان نهض به فهو احمل للاثقال . »

الا تتزوجين ؟

● قيل لابنة الخس وكانت معروفة بفصاحتها ورجاحة عقلها: «الا تتزوجين؟!» فقالت : « بلى ، لا اريده اخا فلان الامير ، ولا ابن فلان الموسر ، ولا الظريف المتظرف ، ولا السمين الالحم ، ولكن اريده كسوبا اذا غدا ، ضحوكا اذا اتى » ، ثم قالت : « لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح ، فانهن يحببن ما تحبون . »

كتاب الشهر



الوادى المقدس

■ هذه رسالة رشيقة في نحو مئتى صفحة من القطع الصغير ، او هى من كتب الجيب ، تضم سلاسل متلاحمة منتظمة من خواطر اصلاحية ، املاها على كاتبها ما في قلبه من حب الخير للانسانية ، ليطبّب القلق والشقاء اللذين يعذبان الناس اليوم ، اذ العالمُ حولهم يعجُّ بالقلاقل والفتن من كل جانب ، فلا سبيل لامرىء الى النجاة مهما حاول الفرار .

فكرة اصلاحية متكاملة

من حب الخير العام الذى نبع من قلب الكاتب او فاض عليه ، تولدت عدة خواطر ، فمضى يتأملها ويتثبت منها ، ويفرزها ويمتحنها ، فيقر بعضها وينفى بعضا ، حتى انتظمت له من بينها فكرة اصلاحية متكاملة ، يراها كفيلة ان تهيىء السلام في قلب الانسان حيث « الوادى المقدس » ، سواءٌ سلامه مع نفسه ، او مع غيره ، وفي ذلك عصمةٌ له من عذاب قلقه ، وتهوينٌ عليه من شقائه . والكاتب هنا يقدم خواطره الاصلاحية مميزا بينها ، مناقشا اياها ، معتمدا في اثبات ما يقره ودحض ما ينفيه منها على حجج وشواهد قريبة يسيرة ، نفسية وعقلية وعلمية ، دون نزوع الى اى جدل طويل او قصير ، فشواهده كافية لتوضيح خواطره والاقتناع باجتهاده واخلاصه فيها .

اصلاح يبدأ بقلب الانسان

وهذا الاصلاح يبدأ بقلب الانسان ، فيحاول تطبيبه بالتطهر ، كى يجعل منه او يجعل فيه « الوادى المقدس » . والكاتب في فكرته يرى أن

تأليف : الدكتور محمد كامل حسين

عرض : محمد خليفة التونسي

طرق التطهر متنوعة ، والقلوب اصناف مختلفة ، ولكل قلب او صنف من القلوب طريقا في التطهر تناسب جبلته ، فهو اولى ان يسرع للاستجابة اليها والسير فيها على وفق شاكلته ، ولا بد له خلال مسيرته فيها من الجهاد واليقظة دائما ، والا انحرف عن طريقه ، واخطأ غايته .

اصلاح لا يتخذ سبيل الوعظ والنصيحة

وهذه الفكرة الاصلاحية تتجه الى كل انسان بما هو به انسان ، ذاتا مستقلة او عضوا في الجماعة البشرية ، او عضوا في الوجود كله ، وتصنف الناس بحسب قلوبهم ، وتحاول تطبيبهم وفاقا لهذا التصنيف ، ولا تتخذ سبيل الوعظ او النصيحة ، لتثير حماسة الانسان او تستثيره للطاعة ، او تعلمه شيئا جديدا كان يجهله ، ولكنها تحاول ان ترد اليه ثقته بنفسه ، وتفتح له باب الامل في وجوده ، وتقيمه حيث ينبغي أن يقوم معتمدا على مواهبه ، وتوجهه حيث ينبغي له ان ينظر ويتأمل ، وتزيل داخله وخارجه الحجب التي تحول بينه وبين الرؤية الواضحة لنفسه او لما حوله ، ثم تتركه ليرى على قدر بصيرته ، ويعمل على قدر همته ، وبذلك يعالج اموره بنفسه ، ويخفف من اسباب الشقاء عنده وعند سواه .

وكذلك لا تضع الرسالة منهجا او مناهج مجملة او مفصلة،مرتبة المراحل منتظمة الخطوات، بحيث تؤدى كل منها الى ما وراءها حتى النهاية ، ولكنها تفتش عن ينبوع الهداية والعزم في فطرة الانسان : كل انسان على حدة ، ليعتمد على نفسه فيما يراه ويدبره ، ويسعد به نفسه وغيره ، وهو حر الارادة والفكر والضمير .

انها فكرة اصلاحية ، ورؤيا صوفية

واولى ان ننظر الى هذه الفترة الاصلاحية على انها « رؤيا صوفية » عاشت في نفس صاحبها ، او عاش هو خلالها معايشة حية بين النور والظلام، او بين اليقظة والمنام . وهكذا تكون « الرؤى » الصوفية او الاصلاحية ، حيث لا حدود حاسمة بين الرؤيا والواقع ، فالواقع كله رؤيا ،والرؤيا كلها واقع ، ولولا فضيلة القدرة على الجمع بين الامرين عند المتصوفة او المصلحين — ولا سيما كبارهم — لما خطر في بال أحد منهم ان يغير من امور الناس او الحياة شيئا . وقد تتناقض الرؤيا والواقع عند الصغار من الدهماء والعامة الذين تستغرقهم مظاهر الواقع ، او المخبولين التائهين في الاوهام ، ولكن الرؤيا والواقع في نفوس الكبار ينسجمان ويتلاحمان ويتعاونان ، فيزداد كل منهما نموا وسعة وقوة ، والرؤاة او الحالمون لا يفارقون الواقع حين يتخيلون او يحلمون ، بل ينظرون الى شيئين معا كلاهما واقع : أحدهما واقع بالفعل وثانيهما واقع بالقوة ، والاول هو الواقع كما هو والثانى هو قابلية هذا الواقع للتغيير او التغيير، وهذه القابلية واقع ، وليست وهما ولا مجرد خيال . فنحن حين ننظر الى الطفل في مهده نراه كاى حيوان في جهله بالقراءة والكتابة ، وفي عجزه عن التفكير،بل نراه اشد عجزا من سائر الحيوانات في طفولتها ، غير اننا نستطيع افتراض هذه القابلية للقراءة والكتابة والتفكير عند الطفل ، ولا نستطيع افتراضها في الحيوان الذى يشبهه او يقل عنه جهلا وعجزا .

هناك قوى واستعدادات كامنة في نفوس الناس، ولكنها مهملة او شبه معطلة ، وهذه هي القابليات يعمى عنها غير المصلحين ، او هم لا يطمئنون اليها على الاقل ، اما المصلحون فيلتفتون اليها ويرجون الخير منها ، ويقدرون مستقبلها لو دب فيها النشاط كاملا ، وا حسن توجيهها نحو الصلاح ، وعلى وفق ذلك كله تبدو لهم الرؤى واضحة ، دون أن يجاوزوا الواقع الى الوهم .

وما كان للكاتب هنا ان يعبر عن رؤياه كما عبر كثير من محبى الاصلاح البشرى قبله عن رؤاهم بطريقة رمزية ، على نحو ما نرى في كثير من

الاسفار الدينية والفلسفية والصوفية والادبية عند الاقدمين في الشرق والغرب ، لأن عصرنا علمي لا يحتمل هذه الرموز أو يستسيغها من معاصر ، ولان الكاتب طبيب عالم ، وله حظه من الموهبة الفنية والقدرة على الكتابة الادبية ، فاولى به ان يتبع اسلوب التقرير او البحث فيما يريد ان يعبر عنه ، وكذلك فعل ، وان لم تخل رسالته من تعبيرات رمزية ولكنها قليلة ، ثم هي واضحة الدلالة . فنحن مع « درويش » ولكنه عالم ، فلا خشية من شطح أو ابهام .

وانها لرسالة رشيقة

وكان بدء حديثنا وصف هذه الرسالة بانها رشيقة ، فالرشاقة من سماتها الواضحة ، لا في حجمها فحسب ، بل في اختيار موضوعها ،وطريقة تناوله وعرضه ، وتسلسل افكاره ، واتساق عباراته ، حتى لتمضي حركته الى غايته ، وأثره في نفس قارئه بهدوء وخفة ودقة كما يمضي السنان الى هدفه ، ليعلق به ، أو ينفذ فيه دون أن يهتكه او يرّجه ، فلا صخب ولا تزيد ولا انحراف في الوجهة من المنطلق حتى الغاية .

والموضوع ـ وان كان مكتوبا ـ شبيه بالحديث الشخصي في طلاقته وتخففه ، مع اصالته وعمقه ، بل هو حديث ادخل في النجوى ، يهمس به اليك صديق حكيم ، تمرس بالحياة ، واطلع على كثير من دخائلها وتقلباتها ، وتجارب الآخرين فيها ، ومعارفهم عنها ، واستقر ضميره وفكره وارادته على وجهة فيها ، يراها صالحة ، مصلحة ، فهو يناجيك بمجمل هذه الفكرة التي هي حصيلة ما جرب وعرف وفكر ، لا تدفعه الى ذلك الا الصداقة الحميمة في رغبة الخير لك ، والاشفاق عليك من البلبلة والشقاء ، وهو يرى الفتن تحيط بك وتتخلل معيشتك ومعاملاتك ، مهما تحاول أن تسد عليها المنافذ أو تقطع دونها الأسباب .

رسالة تتركك وشانك تقبل أو ترفض

وهو اذ يعرض عليك وجهته لا يلح عليك في قبولها ، بل يتركك وشانك فيما تقبل وما ترفض ، بل انت وشانك في ان تسمع او تعرض ، ثم هو لا يدعي احتكار الفهم أو الحكم ، وغاية ما يتوخاه منك أن تتحرك مع السائرين ، وتشارك الباحثين والعاملين ، ولك أن تختار الطريق التي تناسبك ، وتعتمد على نفسك في امرك ، لانك مزود بوسائلك الخاصة في النظر والعمل ، والتفاهم مع غيرك من اخوانك في الانسانية ، وان كانت لهم طرق غير طريقك ، ومقاييس غير مقياسك ، لانهم خلقوا على غير ما خلقت ، وربوا على غير ما ربيت ، وعرفوا غير ما تعرف ، فاعرف اعذارهم فيما يخالفونك فيه كما تغتبط بما يوافقونك عليه ، فلا تحملك الخلافات على الخصام ، بل عاشهم في وئام ، ليستقر في قلبك وقلوبهم السلام .

رسالة هي مناجاة لك وحدك

ان هذه الرسالة خاصة بك ، أو هي شخصية اليك ، وان كانت عامة ، وانها لمناجاة لك وحدك في خلوة فكرية هادئة ، وان كانت الدنيا حولك او حولكما تمجّ بالزحام ، وتلجّ بالخصام ، واولى ان تستوعب هذه النجوى من اولها حتى نهايتها ، وفاقا لما رتبها صديقك ، فصلا فصلا، بل فقرة فقرة،وما اراك بعد هذا الوصف والاعذار منتظرا ان الخصها لك ، فقد يكون في ذلك اساءة لثلاثتنا ، ومثل هذه الرسالة لا تطيب مع التلخيص واذا كان لي هنا من كلمة تمليها تجاربي عليّ فهي تجنب الخلاصات في كل بحث ، والتنزه عن الوسطاء والوساطات في كل معرفة ، وقد اصاب استاذنا العقاد اذ قال :

« ليست خلاصة كل شيء غنية
عنه ، وان كانت خلاصة ماهر
فالعطر ـ وهو خلاصة الازهار ـ لا
يغني العيونَ عن الربيع الزاهر »

فلاشيء يؤذي العقل ، ويعطل الفهم ، ويغري المرء بالتقليد الالي ، والتمادي في الكسل والغرور كاعتماده على الخلاصات ، وخير للمرء ان يرى بعينيه ، ويسمع باذنيه،ويحكم عن تجربة وخبرة، بدلا من الاعتماد في المعرفة على سواه .

واذا كان لا بد من كلمة عن الرسالة ـ بعد أن وصفناها جهدنا قبل ـ فهو وصف لبنائها ،والالمام بجملة من افكارها الاصلية ، وهي تتركز في الفصل الاول الذي جعل الكاتب عنوانه «الوادي المقدس» فهو من بنية الرسالة بمثابة الجذور من الشجرة، ثم نقدم بضعة قطوف منها ، وبعض هوامش للمقابلة او الموازنة ، وتعليقات ايضاحية ، وكفى بهذا

تقديما ، ثم انت والكاتب وجها لوجه ، وشما لاذن ، ولو انك الناطق والسامع معا .

فصول الرسالة

وهي سبعة فصول مطرودة في نسق ، وقد اتخذ لها كاتبها هذه العناوين الغامضة الواضحة : ١ ـ الوادى المقدس ٢ ـ التطهر ٣ ـ التطهر عن طريق الدين ٤ ـ الهدى والضلال ٥ ـ الحقائق الابدية ٦ ـ الحرمان ٧ ـ الشباب .

والافكار فيها متلاحمة وفق ترتيبها فصولا وفقرات ، فاولى لها ان تقرأ طرداً من البدء حتى الختام .

الوادى المقدس

يبدا الكاتب حديثه بتعريف معنى الوادى المقدس الذى جعله عنوان كتابه وعنوان الفصل الاول فيه ، فيقول : « الوادى المقدس هو البقعة من الارض ، وهو القطعة من الزمن ، وهو الحالة النفسية التى تسمو فيها فوق طبيعتك وطبيعة الاشياء . فوق حدود العقل . هو حيث يكون ايمانك بما تؤمن به ايمانا قويا خالصا لا يشوبه شك ، ولا يعتريه ضعف . هو حيث يملك عليك هذا الايمان عقلك كله وارادتك كلها . هو حيث تقف خاشعا في غير رهبة ، خاضعا طواعية للمثل التى ترضاها لنفسك ، وان لم يشهد عملك رقيب . ولا يحملك على مشقة ذلك الا الايمان وحده . لا ترجو على ما تعمل جزاء ولا تخشى عقابا . هو حيث يحتوى قلبك حب عميق خال من كل غل او حقد ، لا يعتريك فيه قلق او ندم ، ولا يصيبك فيه خيبة او يأس . وهو حيث تهتدى الى الحكمة والتفكير المستقيم . حيث تطلع على حقيقة من حقائق الكون ناصعة واضحة . وحيث تستقيم لك جادة الحق ، فلا تتردى في ظلام الجهل او ضلال الخطا . وهو حيث امالك كلها خير ، واحلامك كلها جميلة ، لا يقع الشر منك ولا يقع عليك . حيث تكون الطبيعة وجسمك وعقلك ونفسك متوافقة توافقا موسيقيا تكمل به السعادة الانسانية . وهو حيث تسمع صوت ضميرك صريحا واضحا امرا بالخير في غير لبس ، هاديا الى الخير في غير تردد كانه صوت الله . الوادى المقدس مملكة السماء . الجنة . امور ثابتة في النفس الانسانية ، اصولها الايمان والخير والحكمة ، ومبادئها الدين والحب والعلم » .

ثم يمضي الكاتب فيصف الطريق الى الوادى المقدس ونتائج بلوغه وشعور المرء داخله ، ونظره الى نفسه والى غيره حين يتهيأ له الاستقرار فيه ، والفروق بين المقاييس داخل الوادى وخارجه ، ولزوم الايمان بما في الطبيعة البشرية من استقامة وفضيلة ، رغم ما يتولاه البشر من تصرفات سيئة او شريرة ، ولزوم التطهر لبلوغ الوادى المقدس ، وهذا التطهر معنى وعمل « هو معنى في النفس يتمثل اعمالا ، وهو ما تحمله الاعمال من مغزى تتاثر به النفس ، وهو يتحقق بالاعمال الطيبة في صدق ، او ما يمكن ان تسميه النية الصادقة(١) وبذلك تطيب الحياة » . والصدق هو ان تتسق الحياة وقوانين النفس البشرية ، وقانون النفس البشرية الذى تفسد كل حياة لا تقوم عليه هو التطهر . واذا لم يكن قوام حياتك الطهر فلن يقوم عوجها ما تكون قد حققت من اعمال طيبة . »

وفي هذا الفصل بيان اركان الحياة الطيبة : الايمان والحب والخير ، ومعنى كل ركن منها ، وعلاقته بغيره ، والفرق بين الاعمال الاخلاقية عند الانسان والاعمال النافعة عند غيره من الاحياء . ومن النظرات الجريئة النافذة هنا اشارة الكاتب الى ان الخطيئة ليست نوعية ، وانما تقاس باثرها السيىء في نفس صاحبها ، وان دوافع البشر الى الفضيلة متنوعة ، فالدافع اليها عند فرد غير الدافع اليها عند غيره ، وان « التطهر طبيعى في النفس البشرية ، اصله استقطاب فطرى فيها ، وغايته الوادى المقدس ، وان ذلك ليس بعيدا عن القوانين الكونية » ثم يمضي الكاتب ـ مستعينا بعلمه ، او بقدرته ونزعته ومعرفته العلمية ـ فيشرح معنى التطهر ، قياسا على هذه القوانين ، لاننا نعرف بقينا عنها اكثر مما نعرف عن التطهر . ان الغموض عنده في علاقات الناس بعضهم مع بعض لهو اصل من اصول الشر بينهم ، فلا بد من وضوحها ، والشر كله من عمل الانسان ،

(١) من اشد الاحاديث النبوية تواترا قول النبي عليه السلام : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى » .

وهو قادر على تجنبه ، فلا بد من اسناد كل سوء الى مرتكبه . ويبدأ التطهر من تحقيق المرء سلامه مع نفسه ، ولا بد له بعد ذلك من السلام مع كل الجماعات التي ينتسب اليها في مختلف المناسبات ، فان اعوزه السلم الاجتماعي لجأ الى سلامه النفسي ، ويعينه على تحقيق السلام الاجتماعي ايمانه ان المتطهرين اخوة على اختلاف مللهم ونحلهم ومذاهبهم في التفكير ووسائلهم في بلوغ التطهر ، لانهم ينتهون جميعا الى غاية واحدة هي « الوادي المقدس » فيجدون انفسهم في صعيد واحد .

وعوامل التطهر او مداخله هي الايمان والحب والحكمة ، ولكل امرىء او صنف من البشر سبيله منها ، ومن الخطأ تحديد مدخل واحد للناس تأباه طباعهم ، ما دام هناك مدخل آخر يوافقها ، فالناس يتطهرون : كل على وفق طبعه : بالايمان او الحب او الحكمة . وليس الخير شيئا محددا وكل ما عداه شر ، بل الخير ما ترضاه نفسك رضا تاما (١) حين لا يؤثر فيها عامل خارجي من اي نوع يكون ، والشر ما نعمله ثم نلتمس عذرا عنه ، فنقول : « هذا عمل لم اكن لاعمله لولا كذا وكذا(٢) »

وطرق الخير متنوعة : اكبرها واسهلها فهما على الكثرة الغالبة هو الدين ، وقوامه الايمان بالغيب ، ويلاحظ ان تفضيل الخير على الشر غيبي ايضا ، فهو من معدن الايمان ، ومن هنا يتفق معه . ومن طرق الخير ايضا الحب والجمال ، لانك تحب الناس حبا مباشرا او تحب الخير لجماله ، وتأبى الشر لقبحه « تأبى ان تؤذي احدا ، لا لشيء الا لانه انسان مثلك ، وان هذا العدوان اشبه بعمل الدواب منه بعمل الانسان المرهف الحس » ومن طرق الخير صواب الرأي والتفكير المستقيم وهذه اضيق الطرق واصعبها ، وهي طريقة بعض المفكرين المحدثين ، وهم قلة وان تكن ممتازة ، وما يطهرها لا يصلح لاكثر الناس ، ولم يهتد به الا الاقلون . اما العلم ـ وهو القوة التي تحدث في حياة الناس اكبر الاثر في عصرنا هذا ـ فلم يهتد به احد بعد ، ولم يتطهر به انسان ، ولكني لا اشك اننا سنجد بعد امد قد يطول او يقصر منفذا الى الخير عن طريق العلم ، وليس ذلك مستحيلا . وهو من آمال الانسانية ، علينا ان نسعى لتحقيقه . ذلك ان العلم دائم النمو . وهو بطبيعته مما يستطيع الناس ان يجمعوا عليه . كل ذلك يجعله قوة لا يمكن اغفالها ، قوة اذا استخدمت في السعي الى الخير فنجاحها مكفول . وهذا النجاح حين تبلغه سيكون نجاحا عالميا . »

الخلاف بين اهل الاديان اختلاف في التركيب السيكولوجي للناس

وهذه نظرة من انفذ نظرات الكاتب ، ومن ذلك قوله : « تختلف مظاهر التدين باختلاف موقفنا من القوة العليا التي يهتدي بها من يؤمنون بالغيب ، تختلف باختلاف موقفنا من الله . وموقفنا من الله لا يكون الا خوفا او حبا او املا ، وفي نفس كل متدين شيء من هذه الامور الثلاثة ، ولكن تغلب احدى هذه العواطف على غيرها في النفس الواحدة ، ويتوقف ذلك على مزاجها الخاص بها » .

« فاذا كنت ممن يدفعهم الى الخير خوفهم من الله ، وخشيتهم من عدله حين يبطش بالظالمين والخاطئين ، وان كنت ممن يمنعهم من الشر ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، وان عدله لا يخطىء المذنبين ـ اذا كنت من هؤلاء فانت موسوي مهما يكن الدين الذي تدين به . وان كنت تشعر في قرارة نفسك ان الذي يدعوك الى الخير حبك للناس الذين يحبهم الله ، وان كنت ترى ان تجنب الناس شرك لان الله يحبهم كما يحبك ، وان كنت تفقد الله حين تؤذي احبابه وهم الناس جميعا ، فانت عيسوي مهما يكن الدين الذي تدين به . واذا كان الذي يدفعك الى الخير املك في الله والرغبة في الجزاء الاوفى والنعيم المقيم ، وان كنت تشتاق الى القرب من الله قربا يكفل لك النعيم السرمدي والسعادة الخالدة ـ فانت اسلامي مهما يكن الدين الذي تدين به .

« هذا التقسيم اقرب الى فهم الواقع من تقسيم الناس الى يهود ومسيحيين ومسلمين » .

وتقسيم الكاتب هنا يدل على رؤية اوضح اجمالا ، وان كان يمكن ان تسمى هذه الاقسام

(١) من اقوال النبي « استفت قلبك وان افتوك » .

(٢) من اقوال النبي « اياك وما يعتذر منه » .

« اساليب التعبد » واختلافها تبعا لاختـــلاف الامزجة الفردية التى هى اوكد واعمق فى نفس كل انسان من اى دين يدين به او عبادة يتعبد بها .

فكل عبادة او كل دين من حيث هو نظام معين ذو عقائد وشعائر خاصة محددة انما هو نظام واحد يشترك فيه كل المتدينين او المتعبدين ، ولكنه حين يمازج النفوس البشرية يصطبغ فى كل نفس بصبغتها الخاصة ، ولذلك يسهل احصاء الاديان من حيث هى نظم نظرية ، وليست كذلك عند التطبيق ، فالاديان عمليا تحسب بقدر عدد المتدينين ، ثم ان الفوارق التى اشار اليها المؤلف فى التمييز بين الاديان الثلاثة . الموسوية والعيسوية والاسلام قد لا تكون بهذا الحسم الذى اقامه بينها ، ولعل المؤلف لو رجع بنفسه مباشرة الى المراجع الاولى لهذه الاديان ، ونظر الى روح كل منها لعدل من رايه ولو قليلا ، فليس يفوت مثله ان يدرك ان نصيب الاسلام من محبة الله ليس اقل من نصيب المسيحية ، وذلك ما يوضحه القرآن الكـــريم واحاديث النبى وسيرته . ربما كان الامر هنا فى اساليب العبادة امر فئات متمايزة ، ومن النظرات السديدة هنا نظرة الامام على ، فالعبادة عن خوف عبادة عبيـــد ، والعبادة عن طمع عبادة تجار ، والعبادة عن حب عبادة أحرار . ولو كانت الرسالة بحثا شاملا لكان فيها موضع لبيان تاثر كل ديانة بشخصية رسولها ، لانه الوسيط فيها بين الناس ومصدرها الاعلى من الوجود الابدى .

ويحسن بنا اذا قلنا الاسلوب أن نشير الى كلمة الناقد الفرنسي « بوفون » وكلمته « الاسلوب هو الرجل » وقد قصد بذلك «الاديب فى ميدان الادب» ونحن هنا نعمم به كل انسان فى أى ميدان ، حتى التدين والعبادة والملبس والمشى وكل تصرفات الانسان ، فشخصية الانسان تتضح فى كل ما يصدر عنه من اقوال واعمال وما يبطنه من نيات وهموم .

خرافة « الرجل الأعلى »

ويتصدى الكاتب بالا نفتر بحديث بعض المفكرين الكبار عن الرجل الاعلى « الذى يرغم الناس على الخضوع لارادته الغالبة ، ولو كانت شرا مطلقا ، والذى كل حياته تعبير عن شدة الاسر وقوة البطش ، يتقلب على الخير والشر جميعا فى سبيل تحقيق اغراضه . فلا تقف امامه قوة ، ولا يردعه ضمير ، ولا يكبح طغيانه معنى من الانسانية البحتة . صفات هى جماع الفضائل الحيوية ، تحقق من النجاح والعظمة الشىء الكثير ، وتبهر الناس ، وتعجب عشاق البطولة لبقية فيهم من اثر الطفولة . ولكن الرجل الاعلى ــ كما صـــــوره لنا بعض الفلاسفة ــ لا يزيده المجد الا ظما ، كشارب الماء الملح لا يرويه ، بل يزيد عطشا ، وليس فى صفاته شىء مما يرفع الانسان عن الحيوان ، حياته خالية ابدا من التطهر لا يعنيه منه شىء ، وقد يرضيه اعجاب الذين يستظلون بظله ، ولكنه فى قرارة نفسه دائم القلق ، بعيد كل البعد عن الرضى الذى تصبو اليه النفس بفطرتها ، وكلما امتد به النجاح زاد قلقا واضطرابا . »

والمؤلف فيما يلمح به هنا الى « بعض المفكرين الكبار » « وبعض الفلاسفة » وحديثه بـ « الرجل الأعلى » انما يقصد اول ما يقصد الفيلســوف الالمانى فريدريك نيتشه ، وبطلــه الموهمى الذى سماه السوبرمان Superman او الرجل الأعلى كما سماه الكاتب هنا واحسن وصفه ، ولا شك أن نيتشه المسكين ــ حين كان يحلم هذا الحلم المرعب ــ لم يكن يملك قواه العقلية ولا سكينته النفسية ، وليس بطله الا حيوانا قويت بعض غرائزه الحيوانية على حساب بعض ، وليس له ادنى سمة من الادب او المدنية ، ولا ادنى نصيب من البطولة ، لانه لا معنى للبطولة الا الايثــــار والبذل والفداء .

ثم ما الداعى الى ان نقرن بين البطولة والتسلط على الاخرين ، مع ان الاقتران الحقيقى انما يكون بين البطولة والتسلط على النفس ، وليس ادل على البطولة من اقترانها بهذا السلطان ، وهذه هى البطولة التى يعشقها ويكبرها كل الناس ، وان كان لا يقدرها حق قدرها الا القليل ، وقد يكون المرء فى قمة البطولة وليس له سلطة على فرد واحد . اما البطولة التى يعجب بها الافراد من اثر الطفولة فيهم فهى تقليد زائف للبطولة الحقيقية ، وعكس لمعناها الذى هو التسلط على النفس مع البذل والفداء ، وتحويله الى تسلط المرء على الاخرين ، وتسخيرهم لخدمته كانهم عبيد أو حيوانات او اشياء . والبطولة الحقيقية قيمة انسانية ، واما تقليدها فهو وجاهة اجتماعية لا ينخدع بها الا الاغرار ، الذين لا يعرفون القيم بل يعرفون الاشخاص ، وقد صدق الامام على اذ

قال : « اعرف الحق تعرف اهله » ، وقوله « انما يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال » .

كل هذه الثمرات الغالية قطوف من الرسالة ، لم نتجاوز فيها الفصل الاول وهو خمس وعشرون صفحة وليس هو اطول فصول الرسالة ، وان كان ينطوي على الاسس العامة لافكارها جميعا .

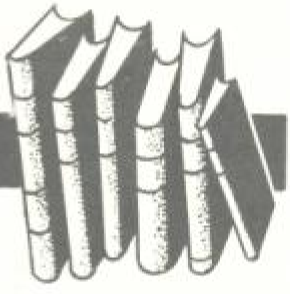
واذا كان من كلمة نختم بها هذه المقالة فهي العبرة او ناحية الطرافة بين الرسالة وكاتبها ، فكاتبها الدكتور محمد حسين طبيب عظام شهير ، بل هو اليوم اب لأطباء العظام المعاصرين ولكنه متعدد الهموم الثقافية ، ثم هو أكثر من ذلك يشارك بالبحث والكتابة في مجالات ثقافية متنوعة كالادب واللغة والتاريخ والنقد والفلسفة والتصوف والعلم ، وله فيها بحوثه او كتبه ، فهو صاحب رواية « قرية ظالمة » و « متنوعات » في جزئين ، و « التفسير البيولوجي للتاريخ » ، وله في الفلسفة « وحدة المعرفة » وآخر ما وصلنا من كتبه مجموعة دراسات قرآنية عنوانها «الذكر الحكيم» ومن بحوثه الادبية «ادب النقائض وحقيقة امر الفرزدق » و « اسلوب ابي العلاء المعري ودلالته » . ومن بحوثه اللغوية « القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية » و « اللغة والعلوم » و«أصول علوم اللغة» و«معنى الظلم في القرآن» وكل هذه البحوث وغيرها القاها في مجمع اللغة العربية في القاهرة لانه أحد اعضائه منذ سنة ١٩٥٢ كما انه عضو في هيئات علمية عدة : كالمعهد العلمي المصري، ومجمع الجراحة بباريس ، والجمعية البريطانية ، كما انه زميل في كلية الجراحين الملكية في لندن .

وكتاباته تنبيء عن اطلاع واسع في هذه المجالات المختلفة ، وعن نزعة أصيلة قوية الى طلب المعرفة، وعشق لها ، ورغبة في الاصلاح عن طريقها ، كما تبدي قدرة على الابتكار في امانة وشجاعة .

فهل يعي ذلك من يريدون أن يباعدوا بين مجالات المعرفة على تنوعها ، بدعوى ان عصرنا عصر تخصص ، كأن التخصص يستلزم ان يغلق الانسان عقله وقلبه وحواسه عن كل مجالات المعرفة ما عدا مجال تخصصه أو فرعه وحده ، وكأن الانسان لا يفيده في تخصصه — واسعا كان او ضيقا — أن يشارك فيما عداه ، وكأن التخصص تخصص علم او فرعه بانسان وليس اختصاص انسان بعلم او فرعه ، وهل يعي ذلك الادباء الذين لا يشاركون في العلم ، أو العلماء الذين لا يشاركون في الادب ؟ ان التخصص هنا تخصص مواهب وملكات ، وليس تخصصا بمجال من المعرفة دون مجال آخر . ■■

محمد خليفة التونسي

من الكتب التي وصلتنا



الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة

تأليف : الدكتورة مليحة رحمة الله

الناشر : مطبعة الزهراء — بغداد — العراق .

● ان دراسة الحالة الاجتماعية بكل وجوهها لاية بيئة او مجتمع يمكن ان تعكس مدى نهضة هذه البيئة او هذا المجتمع ، ومركزه في وقته بين المجتمعات والبيئات الاخرى ، لذلك كانت دراسة الحالة الاجتماعية للبيئات المختلفة لها الاهمية الكبيرة لاعطاء صورة حقيقية واضحة عن مركز وقيمة المجتمعات والبيئات التي يراد دراسة تاريخها .

وهذا الكتاب دراسة وافية للحياة الاجتماعية في العراق في الفترة التاريخية بين القرنين الثالث والرابع للهجرة وهذه الفترة من احفل واخطر الفترات التاريخية التي مر بها العراق أيام بني العباس من حيث احداثها وآثارها .

ويلاحظ المرء ان المصادر التاريخية التي تتحدث عن تلك الفترة وما لحقها وسبقها قد جاءت شحيحة في ذكر الوقائع والمخاطر التي تعكس الحالة الاجتماعية السائدة آنذاك في العراق وذلك لانها

انجوت الى جعل الجانب السياسي وحده وما يرافقه من وقائع وحروب واحداث هو مادة حديثها وكتابتها الرئيسية عن تلك الفترات ، ومع ذلك فان المؤلفة استطاعت ان تعتمد على مصادر اخرى من المعرفة غير الكتب التاريخية .

والكتاب ينقسم الى اربعة ابواب تحدث الباب الاول عن عناصر السكان في العراق واثرها في الحياة الاجتماعية بما فيها من عناصر جنسية وطوائف دينية واخرى مهنية ، اما الباب الثاني فدرس مظاهر البذخ والترف عند الخلفاء وكبار رجال الدولة ، واثر هذه المظاهر في كيان المجتمع العراقي السائد انذاك ، والباب الثالث اختص بالبحث عن الموسيقى والغناء وعن المجالس الاجتماعية القصصية والوعظية منها وما الى ذلك من الترف الفكري ، اما الباب الرابع والاخير فخصص للحديث عن مظاهر الحياة العامة في المدن العراقية مثل العادات والاخلاق والاعياد والمواسم وما اليها من مظاهر الحياة المتنوعة .

الطب النفسي المعاصر

تاليف : الدكتور احمد عكاشة

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة

● كتاب يدرس تطور الطب النفسي في السنوات الاخيرة ، وتقدمه بخطوات واسعة ، وانتقاله من مرحلة النظريات والفلسفات الى دور الحقائق العلمية وظواهره الاكلينيكية ، وكيف اصبح هذا العلم احد فروع الطب المتقدمة ، اذ اصبح مبنيا على اسس فسيولوجية كيميائية ، كما وضح الكتاب ان المظاهر الغيبية لها قاعدتها في مراكز المخ المتعددة سواء مراكز انتقال او التفكير ، واصبحت قشرة المخ مجالا لعدة اختبارات ، وبذلك تمكن الطب النفسي من تغيير الانفعالات المرحلية المختلفة كيمائيا وكهربائيا وجراحيا . لقد نادى فرويد منذ مائة سنة بالتحليل النفسي ، وبذلك اسدى خدمات جليلة للطب النفسي ، ووضع اساسا قويا لتفسير الامراض النفسية العقلية بعد ان كانت في متاهات لا نهائية ، كما بحث فرويد عن القواعد الفسيوكيمائية لهذه الامراض .

ولقد لاحظ المؤلف اثناء دراسته للطب اهتمام الناس بالنظريات الغربية ، ومحاولة تطبيقها دون اي تعديل وخاصة في مجال الطب النفسي ، نظرا لان الطب النفسي له تاثر بالبيئة والحضارة المحلية ، لذلك حاول المؤلف ايجاد نشاة للطب النفسي المصري نابعة من طبيعة الثقافة والبيئة المصرية ، فاستعان بكل النظريات العالمية في اسباب وعلاج هذه الامراض ، كما قام بمحاولة لعمل بعض الدراسات المقارنة بين مرضى العصاب والذهان المصريين واخوانهم العرب والافريقيين ، وكذلك مع مرضى الحضارات الغربية ، كما وضع المؤلف المصطلحات النفسية باللغة الانجليزية امام المرادفات العربية حتى يسهل على الدارس الرجوع للمراجع الاجنبية اللازمة .

فهارس المخصص لابن سيده

تاليف : عبد السلام هارون

الناشر : مكتبة الامل ـ السالمية ـ الكويت

● لا شك ان الفهارس الحديثة لكتب التراث العربي اصبحت من الضروريات للباحث ، ولقد صار نشر كتب التراث مجردة من هذه الفهارس ، امرا لا يستسيغه هذا العصر . وهذا فهرس لكتاب من اهم كتب تراثنا العربي الخالد وهو كتاب المخصص لابي الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الاندلسي المعروف بابن سيده ، والمتوفى سنة ٤٥٨ وهو بلا شك اكبر معاجم المعاني في اللغة العربية لم يؤلف قبله ولا بعده معجم يفوقه في الاستيعاب والتنسيق وغزارة المادة .

وقد طبع المخصص مرتين احداهما في دار الطباعة الاميرية بالقاهرة ١٣٢١هـ بعناية اللغوى الكبير محمد محمود التركزى الشنقيطي ، ومعاونة الشيخ عبد الغني محمود ، ومراجعة الشيخ محمد عبده للملازم الاولى من الكتاب ، وهي نشرة دقيقة امينة وان كان يعوزها جودة التنسيق والعناية بالتعليق ، كما ان الطبعة الثانية مطابقة للطبعة الاولى وصدرت سنة ١٣٨٦هـ وهاتان الطبعتان قد خلتا من الفهارس الحديثة ، فكان الانتفاع بهاتين النسختين ضيقا ومحدودا .

وكان الاستاذ عبد السلام محمد هارون قد صنع لنفسه منذ اثنتين وعشرين سنة فهرسا لشواهد المخصص ارجازه واشعاره ويقول: انه انتفع به ، فاثر ان يسهم في تكملة هاتين الطبعتين بنشر هذا الفهرس الذى صنعه لارجاز المخصص واشعاره ايمانا منه بان هذا الفهرس اهم الفهارس لمثل هذا الكتاب . ■■

حكاية رجل نصاب ..

قصة بقلم :

محمود تيمور

■ انا «الحاج مهنى العشرى» ... حاج بالاسم، فقدمى لم يكن لها شرف الوصول الى الأرض المطهرة .

اعترف بانى رجل كريه : اقترفت الوانا من المنكرات ... فانا غشاش ... لص ... مشاغب ... لا ذمة لى ولا ضمير ، يحلو لى أن اثير المشكلات . لاخوض غمارها ، ولا ابالى ان اخرج منها مضروبا او جريحا ... وفتىء عن القول ان السجن آوانى غير مرة .

اما مهنتى في الظاهر ، فهى السمسرة في قاعات المزايدة ، ولكن مهنتى الاصيلة في الحقيقة هى النصب والتزوير ، وهى المهنة التى تجلت فيها براعتى ، تلقيت اصولها عن شيخ محتال له سمت وقور ، على صدره تتدلق لحية سوداء مهيبة ، صناعته تحرير التمائم والاحجبة وتفسير الاحلام والكشف عن طوالع الناس ، وهو استاذ في تزوير الوثائق، وكان يؤم داره خلق كثير ... رجل سيىء الخلق ، بغيض العشرة ، سلاحه الذى يجيد استعماله في خصوماته « بلطة » ضخمة متينة ، كانها قارب من قوارب عهد الطوفان ، ما أسرع ان يهوى بها على يناوئه .

نشات لقيطا ، لا اعرف لى ابا ولا اما ولا اهلا، ولبثت منذ دعيت صعلوكا شريدا لا يقرء لى مقام، وقد لزمتنى الصعلكة ، فاصبحت لى بها الفة، ولم استبدل بها غيرها فيما استقبلت من مراحل حياتى.

ربحت الكثير ، غير اننى كذلك انفقت الكثير... احببت الحياة بما فيها من مباهج ومسرات،واقبلت عليها اعب منها عب العطاش ، لا أتحرج من شيء ، وحرصت على ان اعيش ليومى ، لا اتوقع لى غدا. وكانت حياتى بالغة الاضطراب ، فلا مسكن لى اقر فيه ، ولا مواعيد منظمة اصيب فيها مطعمى ، وكثيرا ما دعانى أصحابى لامضى في دورهم بقية ليلى ...

دوامة دارت بى ، ولم تفتأ تدور .

وبغتة قذفت بى الدوامة دفعة واحدة ، بعيدا عن نطاقها ، فاذا انا اجد نفسى زوجا لامراة عزباء على قدر من الملاحة ، وما ادرى كيف تمت هذه الزوجية على وجه التحقيق : اهى احدى مغامراتى الهوجاء التى اقوم بها في اندفاع دون روية ؟ هل قمت باجراء الخطبة ومراسم الزواج وانا مخمور ؟ أكنت غارقا في نوبة تبلد وذهول عندما عقدت هذه الصفقة ؟ لا علم لى ... كل ما اعلمه انى الفيت نفسى فجاة في شقة صغيرة ذات اثاث متواضع ، اقاسم فيها زوجتى عيشة راضية .

واكبر الظن ان زوجتى هى التى اصطادتنى ، بل هى التى تحيلت لاصطيادى حتى بلغت ما تريد، فالفضل في هذه الزوجية لها وحدها دونى ، وانا موقن أنها وثقت بحبى اياها ، ورات انى انميز برجولة كاملة ، فعلى الرغم من نقائصي وعيوبى تجلى لها في شخصي خصال الشهامة والنجدة ، وعرفت انى لا استطيع ان ارد طلبا لمن يقصدنى لانصره وقد لاذت بى زوجتى لاحميها ممن كانوا يحومون حولها ، يرغبون في انتهابها ، فهى على شيء من اليسر ، لها بيت صغير تؤجره ، وبعض ريع يأتيها من الريف في الفينة بعد الفينة ، فاولتنى ثقتها بدافع من حبها لى ... فكنت عند حسن ظنها ، ولم اخيب رجاءها ، وحرصت على ان اكون لثقتها اهلا .

ومما حداها على اختيارى زوجا أنها آنست منى حبا شديدا للاطفال ، وتعلقا دائما بهم . ولعل



ويوما ، بعد عودتى الى البيت من تاية الزايدة ، استقبلتنى زوجتى عند الباب ، متهللة الوجه ، ومالت على أذنى تهمس ، فأجبتها بعد همسها فى ابتهاج .

هذا الحب هو أضعف نقطة فى شخصيتى ، فانى كنت أذوب رقة وشفقة بهذه المخلوقات الصغيرة البريئة ، أهدى اليها الحلوى والألطاف ، كلما اتاحت لى المناسبات ان افعل ، واداعبها متساقا معها ، كأنى اماثلها تفكيرا وسنا ونشاطا ، ويبدو لى أن عاطفتى للطفولة مبعثها ما ذقته فى طفولتى من شقاء وتشريد ، فكأنما أتعوض مما فاتنى فى تلك السن من عبث ومراح . واحسب ان زوجتى ادركت بثاقب فكرها أن أصلح الازواج هم أولئك الذين يحبون الاطفال .

وسارت بنا الايام ...

واحسست بالحياة المستقرة المنظمة تحوطنى : مسكن مريح ، وملبس نظيف ، ومطعم شهى ، ومؤانسة وملاطفة ممن كنت أدعوها زوجتى ... والفت هذه الحياة بعد حياة قلقة صاخبة ، كنت فيها أشبه شىء بحصان جموح أطلقوه فى مضمار سباق بعيد الاطراف ، فجريت فيه شوطا بعد شوط ، واخيرا وجدتنى أتهاوى مبهور الأنفاس ، تخذلنى ساقاى .

تخلصت من حياة الصعلكة والتشرد ، وتخففت من بعض خصالى السيئة ، الا أن خصلة واحدة اعترف بأنى لم استطع منها الفكاك ، تلك هى خصلة التصب والتزوير لقد كانت الصق بى مما اتوهم ، كأنما هى قرادة الكلب ، تمتص دمى ، ولا تبرح جسدى .

على أنى أجهر بأن التحول الوحيد الذى احسسته ظاهرا هو انى بدأت استشعر الخجل وتأنيب الضمير ، ولم يكن لى بذلك عهد من قبل ، وكان ذلك يوم كذبت على زوجتى ، فاختلقت لها قصة ابرر بها موقفى من حادث غير مشرف وقع لى . ولاحظت على الفور أن زوجتى لم تقتنع ، وبان من ملامحها أنها تتحسر لما عرفت من شأنى ، فانقبض صدرها أيما انقباض ، وحاولت بشتى الوسائل ان امحو من نفسها ذلك الأثر السيىء ، حتى بدا لى أنها استجابت لى ، وصفحت عنى ، وكان ذلك كله دون مصارحة بالكلام ..

والحق أن زوجتى قد استطاعت برقة عاطفتها وسماحة خلقها أن تجتذب قلبى اليها ، فأحببتها

حبا خالصا ، واصبحت اتوخى راحتها ماوسعني ، وكيف لا افعل ، وهي التي تفنى في خدمتي ، وتسعى في توفير السعادة لي . ولاقل في غير مواربة ان اكبر ميزة فيها ربطتني بها هي انها كانت ماهرة في طهي الطعام ، تجيد صنع الوانه اجادة ملحوظة ، وانا رجل ذواقة ، اشتهي الطعام الأنيق ، بل اتوله به اشد التوله ، فلم اعد استسيغ ان اطعم خارج البيت ، بل لقد كنت اتعجل العودة في مواعيد الطعام ، لاحظى بوجباته الشهية .. وعرفت زوجتي ذلك مني ، فازدادت افتنانا في الطهي ، وبالغت في حسن الاختيار ، حتى وجدتني كانما انا مقيد الى مائدة الطعام بسلاسل من ذهب .

ويوما ، بعد عودتي الى البيت من قاعة المزايدة ، استقبلتني زوجتي عند الباب ، متهللة الوجه ، ومالت على اذني تهمس ، فاجبتها بعد همسها في اهتياج :

ـ اواثقة أنت بذلك يا حبيبتي ؟

ـ كل الثقة يا حبيبي !

فاهويت على وجهها الصبيح ، اقبل جوانبه من هنا وهنا ، ثم جعلت ادور في الردهة راقصا ... وعدت اليها احسس جسدها في دعة وملاطفة ، مترفقا غاية الرفق ، وهممت :

ـ اياك ان تجهدي نفسك في خدمة البيت... يجب أن تستريحي .. تمددي على السرير طول الوقت ... سأدعو بخادمة تتولى شئون البيت.. لقد أصبح لدينا « وديعة » علينا أن نعرف لها حقها ، ونرعاها احسن رعاية .

فابتسمت قائلة :

ـ وطهي الطعام يا « حاج مهنى » ؟ أتسمح لغيري ان يقوم به لك ؟

فصمت هنيهة ، وانا احك راسي باصبعي ، ثم هتفت :

ـ كله ، الا الاكل ، يا قمر ! ستجلسين أمام الموقد على كرسي ، والخادمة بجوارك تهيىء لك ما تطلبين .

ـ لن اشعر بشيء يتعبك .. كن مطمئنا ...

فانسرحت افكر برهة ، ثم واصلت قولي :

ـ يجب ان ننتخب لولدنا الحبيب اسما يليق به من الآن ...

ـ فان كان المولود بنتا ؟

فعقدت ما بين حاجبي ، وقلت :

ـ « الحاج مهنى » لا ينجب الا الذكور !

ـ ربنا يسمع منك .

واخذنا نستعرض الأسماء .

وشغلت بامر الطفل ، افكر فيه : ماذا اسميه؟ وكيف انشئه ؟ واي طريق في التعليم اختاره له ؟ واحسست بانى انتفخ ، وانضخم ... كان للابوة تاثير كبير في كياني ، فثقلت خطاي ، واتزنت حركاتي واشاراتي ، وعلت سحنتي هيبة محببة ، واقتصدت في كلامي ... ولحظ رفاقي ما عراني من تحول ، فتساءلوا : ما الخبر ؟ وما ان علموا اني انتظر الحادث السعيد ، حتى كبروا وهللوا مهنئين ، ولكن بعض الخبثاء واجهني بقوله هازئا :

ـ ارايت البلد يموزها النصابون واللصوص والمزوّرون ، فاردت أن تقدم لهم هدية من ذريتك؟

وغلا دمي ، ورفعت يدي في وجه الرجل اريد ان الكمه ، ولكن وجه الطفل تخايل لي، فاحسست بيدي تخذلني ، واذا انا اهمهم :

ـ الله يسامحك ويغفر لك أذيتك .

وعدت الى بيتي ناكس الراس ، اجر خطاي .

انا لص ، ونصاب ، ومزور ... هذا حق ... ولكن ما ذنب ولدي ليكون لصا نصابا مزورا يقتدي بابيه ؟ اانجبته ليتابع سيرتي ، او على الاقل ليحمل وصمة عاري ؟

واعتكفت في البيت اياما متمارضا ، والهم يناوشني .

ولاحظت زوجتي ما اعانيه ، فاقبلت تسائلني : ماذا يشغل بالي ؟ فصارحتها بخبيئة نفسي ، وان الناس يصفونني بالنصب والاحتيال والتزوير ، فكيف اراءى بذلك لعيني ولدي ؟ او كيف اخفي ذلك عنه ؟

ـ ومن الذي الصق بك هذه التهم ؟

ـ الناس كلهم يقولون ذلك .

ـ ولكنني لا أصدقهم يا « حاج مهنى » ... واحلف لك انك في عيني رجل ولا كالرجال .

فاقبلت عليها مهتاجا اردد :

ـ الم تشككي في ذمتي ؟

ـ وهل تحسب اني أقبل التزوج برجل خرب الذمة ؟ وان أئتمنه على مالي ؟

ـ اذن ... انا في رايك طاهر نظيف المعاملة ؟

ـ طبعا ... هذا يقيني !

ـ وكلام الناس عني ؟

ـ وما شأنك بالناس ؟ انهم مطبوعون على التقولات وطول اللسان .

ـ ربما كان للناس بعض العذر فيما يقولون !

ـ وهل خلا انسان من عيوب ؟ الانسان معرض في حياته للحلو والمر .

ـ قد يكون المر اكثر من الحلو ... في حياتي ...

ـ لا تشغل بالك ... ولتكن ابن يومك ... لتحسن استقبال ضيفنا العزيز

ـ ربنا يوفقنا ... ربنا غفور رحيم !

بالله ...

شد ما كان وقع كلامها في نفسي طيبا محببا ... لقد احسست اني دخلت حماما مسحورا اغتسلت فيه وتطهرت ، فزال عن نفسي ما علق بها من ادران ... وبارحت الحمام خفيف الوزن ، ناشط العزم ، اشع براءة وطهرا ...

منذ تلك اللحظة تغيرت حالي تغيرا جذريا ، فاقتصرت في عملي على السمسرة امارسها في امانة وشرف وصدق معاملة ... ووجهت عنايتي الى استثمار مال زوجتي استثمارا مشروعا يدر الحلال الخالص ، وتركت صحبة من كنت اسايرهم في الطرق الملتوية للكسب والابتزاز ، وقضيت اطول وقتي في البيت هانىء البال .

وبعد اشهر تجلت امارات الحمل على زوجتي واضحة ، فاشتدت عنايتي بها ، واحضرت لها خادمة تعينها في شئون البيت ، وكثيرا ما جالستها ابادلها الراى في تنشئة ابننا المرموق ، وكنت اردد امامها :

ـ لن أتهاون في تعليم ابني وتهذيبه ...سترين كيف أنتخب له مدرسته ، وأتعهده بخيرة المعلمين، ليحصل على أعلى الدرجات ... لن أقصر في ارساله الى « بلاد بره » ليتم تعليمه هنالك ، ويعود الينا يحسن الرطن بالافرنجية ، ويصل الى عليا المناصب ... سيكون ابننا عظيما ... فخرا لوالديه ولبلده ...

وتم الوضع ، وهلت طلعة الطفل ، وكان ذكرا كما توقعت .. وغمرتني الفرحة ، فاخذته بين يدي ادور به في الحجرة مرات ومرات .. وقالت لي زوجتي :

ـ انه كبير الشبه بك ... كأنه أنت ...تنطق ملامحه بأنه صورة منك ...

فشعرت بوخزة في قلبي ، وابتلعت ريقي ، ورفعت يدي اشير باصبعي السبابة اشارة النفي البات ، وقلت :

ـ لا ... لا ... لا يشبهني البتة ... ولا اريد ان يكون لي شبيها ... انه قطعة منك أنت ... وسيكون مثلك خلقا واستقامة ...

فنظرت الي نظرة لها معناها ... وتناولت يدي بين يديها تلاطفها ، ثم همهمت :

ـ بل يكون كأبيه ... مكتمل الرجولة ... شهما ... صاحب همة ومروءة .

فضممتها الى صدري ، والطفل فيما بيننا يعلو بصراخه وعويله ... وبعد اسبوع من الولادة ، اجرينا للوليد جراحة الختان ، طوعا لمشورة الطبيب ... وفي هذه المناسبة مع « السبوع » اقمنا حفلا بهيجا اكثر ضيوفه الأطفال ، وبالغنا في الحفاوة بهم نوزع عليهم الحلوى واللعب واقداح الشراب ...

وخرجت بابني « هانيء » في مركبة خيل ، مزينة بالرياحين والشرائط الحمر ... وكنت احوط الولد بذراعي ، وهو مشرق في حلته السماوية المزركشة ، تغطي رأسه طاقية مقصبة ، ويتقدم المركبة جوقة موسيقية صغيرة تشدو بالانغام اللطاف ، وحول المركبة يتجمع خلق كثير من عابري الطريق يرافقوننا في مسيرتنا وهم يصفقون ويهتفون .

وهكذا طويت في غياهب الماضي ذكرياتي السود ، وبدات اخط في سجل حياتي صفحة جديدة ، كلها امل ونور وصفاء ! ■■

محمود تيمور

مُحَمَّد سَعِيد العَبَّاسِيّ

شَاعِرُ البَدْوِ والحَضَر

بقلم : محمد عبد المطلب صالح

■ لقد ولد شاعرنا بالنيل الابيض في ٢٣ رمضان ١٢٩٨ هجرية في بيت ورع وعبادة وجده الاكبر هو احمد الطيب العباسى منشىء الطريقة السمانية بمصر والسودان ومن هنا يتضح لنا ان بداية حياته وتعليمه المبكر يرجعان الى الخلاوى التى كانت تنشأ عادة لحفظ القران في كثير من بقاع السودان في الوقت الذى كان الاستعمار لا يهتم بالتعليم في البلاد وكان جل علماء هذه الخلاوى ممن نالوا شهادات في الازهر الشريف وكانت للسودانيين ولا زالت مكانة كبيرة في جامعتنا الاسلامية الاولى في العالم ورواق السنارية لخير دليل على ذلك ... وقد نهل شاعرنا من معين هذه الخلاوى علوم النحو والتجويد وحفظ القرآن في سن مبكرة ولكنه لم يستمر في الدراسات الدينية والادبية بل التحق بالكلية الحربية العسكرية بمصر عام ١٨٩٩ م بعد دخول الجيش الانجليزى السودان على انقاض الثورة المهدية الرائدة واراد بذلك ان يسلك طريق الجهاد عن الوطن بحد السيف وليس بالعلم واللسان معا وهما اضعف الايمان . ولكنه ترك الكلية مكرها بعد سنتين حينما وجد طرق الترقي امامه مقفولة حيث ان نظام الترقي للسودانيين في صفوف الجيش بالاقدمية وليس بالتفوق العلمي كنظام الطلبة المصريين وفي هذا يقول :

ومرامي إحدى اثنتين فإمَّا
عيش حر أولا فموتة حر

اتجاهه الى الشعر وتعلقه بمصر

ولكنه استفاد من المدرسة الحربية الكثير من فنون الشعر والادب وذلك بفضل احد اساتذة الكلية الذين اولوه عناية خاصة حينما لاحظ تفوقه في الادب وحفظه القرآن والمامه بالنحو وهنا يقول الشاعر عن استاذه الشيخ عثمان زناتي : كان رحمة الله عليه ينشرح صدره الي وربما رأى وتوسم ان اراضي قد تبنت ما يغرس فيها وتؤتي اكلها ، فلا تمر عليّ ساعة اتذكر ايام الصبا الا وتذكرت الاستاذ الزناتي .

واذا تحدثنا عن تاريخ محمد سعيد العباسي فسوف نحتاج الى الكثير من الوقت ومساحةالورق لان حياته مليئة بالنفحات العطرة ولكن دعنا نتحدث عن شاعرنا من خلال معاركه الشعرية لان اكثر شعره قيل في عهد السيطرة الاجنبية على البلاد وشعر العباسي يمثل القديم والحديث ، القديم في تعابيره البدوية،والحديث في احساساته وعراقته وعروبته . والشاعر كان قلبه متعلقا بمصر وكلما ذكر ايام الشباب ذكر مصر وفضل مصر عليه وعلى السودانيين وهو يقول في قصيدة « ذكريات » وهي قصيدة مطولة :

يا حبذا واد نزلت ، وحبذا
إبداعُ من ذَرَأَ الوجودَ ومن برا

مصرٌ وما مصرُ سوى الشمس التي
بهــرت بثاقب نورها كلّ الورى
ولقد سعيت لها . وكنت كأنمـا
أسـعى لطيبـة أو إلى أمّ القوى
وبقيت مأخوذاً وقيّد ناظـرى
هذا الجمـالُ تلفتـا وتحيـرا
فارقتهـا والشعرُ في لون الدجى
واليوم عـدت به صـباحا مسفرا

وعندما دخل الحكم الثنائي الانجليزى المصرى تحت التاج المصرى السودانى كان المصريون خير عون للسودانيين وما زالوا ، وصار بعض السودانيين يقولون انه لا فرق بين الانجليز والمصريين وانهم اى المصريين يريدون جعل السودان مستعمرة فقط تاخذ خيراته وتستعبدهم وطبعا هؤلاء كانوا قلة لا تذكر فى ذلك الوقت وهنا يقول الشاعر عنهم وعن فريتهم ويستنفر الناس من امثال هؤلاء :

كـذب الذى ظن الظنون فزفّها
للناس عن مصر حديثا يفترى
والناس فيك اثنان : شخص قدرأى
حسنا فهام به . وآخـر لا يرى
والسر عند الله جـل جلالـه
سوى بـه الأعمى ، وسوى المبصرا

المصريون يبادلونه الود والتقدير

وكما أحب شاعرنا مصر وابناء مصر كان اخوانه المصريون يبادلونه هذا الحب ويقول الاستاذ محمد فريد ابو حديد عند تقديمه لديوان الشاعر (ديوان العباسى) وهذا اسم ديوانه الذى يضم جل شعره . « فالسيد العباسى اذا صدح فى شعره احسست فى موسيقاه اصداء اناشيد الشريف الرضى اذ تتردد فى شعره حرارة السراة السادة الذين يحسون مسؤوليتهم فى المجتمع وتجمع معها نغمة اخرى من كرامة السادة الذين يحسون الى قصر اليد عما يريدون » ويقول الاستاذ فريد ايضا « اننى لاذكر ساعة كنت فيها مع الشاعر الكبير المبدع الاستاذ عباس محمود العقاد فجرى ذكر السيد العباسى وشعره فانطلق الاستاذ العقاد يثنى عليه فى شعره وعقب على ذلك بثناء على فضائله ونبل نفسه » .

دعوته الى التعليم

ان سعى شاعرنا بحثا عن التعليم وما لاقاه من صعوبات جعله يهتم بالتعليم فى السودان فصار يدعو الناس الى تعليم النشء ومحاربة الجهل اينما حل ويناشد المواطنين القادرين لانشاء المدارس والمعاهد لافشاء نور العلم ودحر ظلام الجهل الذى يخيم على البلاد وهو يقول فى هذا :

العلمُ ياقوم ينبوعُ السعادة كـم
هدى ، وكم فكّ أغلالا وأطواقا
فعلّمـوا النشء علما يستبينُ به
سُبْل الحياة . وقبل العلم أخلاقا
أقسمتُ لو كان لى مالٌ لكنت به
للصالحات وفعـل الخير سباقا —
ولا رضيت لكم بالغيث منهمـرا
منّى . ولا النيل دفّاعا ودفـاقا
إن الشعوبَ بنور العلم مؤتـلفا
سارت ، وتحت لواء العلم خفاقا
وطوّفوا ببقاع الجو فامـتلكوا
عصيّها . وبقاع البحر أعمـاقا
وكل بحـر أحالوا موجه سـفنا
لم تشك أينا ولا وخدا وإعناقـا
في الشرق و الغرب تلقاهم وقدبسطوا
ظـل الحضارة نقّابين طرّاقـا
فلو درى القوم بالسودان أين هم
من الشعوب قضوا حزنا وإشفاقا

فان كان شاعرنا لم يستطع بناء مدرسة او معهد وذلك كما يظهر خلال شعره نسبة لضيق ذات اليد فقد كرمه ابناؤه من بعده وقاموا بتأسيس مدارس العباس تيمنا بذكراه ومجهوداته من اجل التعليم وهي مجموعة من المدارس تستقبل كل عام افواجا من طلاب العلم والمعرفة .

اتجاهاته الوطنية والقومية

وكان شاعرنا كثير التشبث بماضي العرب وكان يمتعض من حياة المدن واضوائها ، ويهرب للبادية يطوف البوادي والوديان على ناقته ، كما كان يفعل اجدادنا وفطاحل شعرائنا ، فكان مولعا بدار الكبابيش ، يجوب بين سهولها ، ووديانها ، وكثبانها الرملية التي تزداد جمالا ومتعة ، للحس في زمن الخريف . والكبابيش قبيلة من قبائل السودان العريقة اولو كرم وشهامة ويقول عن رئيس هذه القبيلة شيخ العرب جميعا واكرمهم وهو الشيخ علي التوم حامل لقب السير من قبل الانجليز « كان ساهرا على راحة قبيلته فيذلل صعاب قومه بماله واهله وجاهه » ويقول شاعرنا في رثاء صديقه :

قفْ بمثْوَى السماح قبر عليٌّ
زين أهل الندى وزينِ النَّدِيِّ
جدَثٌ ضمَّنوه حلوَ السَّجايا
ومحَيًّا كبارق الوسميّ
حفل من يعشق البقاءُ وماذا
في حياة يشقى بها كل حي
ياكريم الجوار لقيت بشرى
جنة الخلد في جوار النبي

من شدة حب شاعرنا لوطنه كان يمتعض مما كانت تفعله الاحزاب بعد الاستقلال جريا وراء المكاسب والحزبية ضاربين بالوطن ومستقبله عرض الحائط فقد خيبت امال الامة التى كانت ترجى الكثير من الحكومات الوطنية بما يعوضها عما كانت فيها من حياة الذل والمهانة فى عهود الاستعمار وهنا يقول منبها الاحزاب الى خطورة الهاوية التي تسير بالبلاد اليها :

جهلٌ وفقرٌ ، وأحزابٌ تعيث به
هدت قوَى الصبر إرعادا وإبْراقا
إن التحزب سُمٌّ . فاجعلوا أبدا
ياقوم منكم لهذا السم ترياقا
لا تعجزوا أن تكونوا للهدى قَبَساً
فكلكم قد زكا غرسا وأعراقا
كنا تَعُدكم أسيافها . فماذا
بكم وقد صرتم طبلا وأبواقا
فحاذروا كل مَشّاءٍ بتفرقة
يمسي ويصبح كالغربان نعّاقا
ومارِقا شقيت هذي البلاد به
أخافه أن يعيد الناس مُرّاقا

لم يكن الشاعر محليا محضا فى دفاعه عن حق الانسان فى الوجود حرا طليقا ، فى نبذه للاستعمار وشراسته ، بل تعداه الى وطننا العربي الواسع حيث كانت غالبية الدول تتعرض لغزوات الغزاة الطغاة من تجار الحروب فى اوروبا . وفى قصيدته الطرابلسية يتحدث عن غزو الايطاليين لشقيقتنا ليبيا وتنكيل الايطاليين بالليبيين بالبطش والارهاب ، وهنا يشيد شاعرنا ببسالة الليبيين الفائقة رغم التفوق الكبير الذى يتمتع به العدو فى عالم الحروب والتدمير :

ألا يابَنِي الإسلام . هذا حماكُمُ
وهذاك نورُ الحق في ضوئه فاسْرُوا
ولا تدعوا في العود لينا بفاخر
كثير الرزايا في سبيل العلا نزر
أبيح حماكم . واستهين حريمكم
وأقْوتْ ديارُ الحق ، واستُبْدل البشرُ
ولا بد إن لم تجعلوا السيف حاكما
تفور بكم في كل آونةٍ قِدْرُ

بروم بـني روما طرابُلساً ، وقد
غزوها بجيش ضاق ذرعاً به القفرْ
على غير ما ذنب جنيـتمْ ، وإنمـا
نفوسٌ لهم أضحى سجيتَها الغدرُ
أثاروا وغى دارت رحـاها عليهم
وراموا بها فخـرا ، ففاتهم الفخر
أعدوا لها من عـدة كل مـا
يضيق به التعداد والبر والبحـر
وقد جهلوا نصر الإله لدينـه
وما علموا أن الهـلال هو البدر
وفرسان حرب لا ترى الموت حاجزا
ولم يثنها عن عزمها أنكم كثـر
يهيمون شوقا للطعام كأنهـم
عطاش المهارى[1] قد أضرَّ بها العشر[2]
يذوقون طعم الموت حلواً وسائغـا
على قدر ما يبدو لكم طعمه المـر

لم يقول وهو يسخر من اهل الغرب وكيف سخروا العلم والتكنية لفناء الانسان ولاستغلال الانسان لاخيه الانسان بدلا من تسخيره لاسعاد البشرية : —

عجيب لأبناء الفرنجة . كم عتوا
وكم ضيَّعوا فضلَ الثقافة والعقل
أتوا من طريق العلم كلٍ تلبـدة
وجاروا ،فكان العلم شراً من الجهل

اشادته بالبطولات

وان العباسي شاعر مرهف الحس وفنان يتغنى بالبطولات وكان يعتز بالابطال عبر التاريخ ولا سيما وان تاريخ السودان عامر بالبطولات وبالابطال الذين اثروا الوطن ببطولاتهم الفائقة منذ الاف السنين وحينما زار سنار تلك المدينة التاريخية العظيمة عاصمة دولة الفونج والتي عاصرت ملوك الفونج العظام هاجت اشجان الشاعر وهو يقف بين اطلال قصر بادى ابو شلوخ احد ملوك الفونج وذكر ينشد : —

زرتُ سنارَ . والجوانحُ أسـرَى
زفراتٍ هدت قُوَى الصبر هدّاً
إن محـا الدهـر حسنَها فلقد كـا
نت مَـراداً للمُعتـفين وخُلـدا
كم لهـا في الرقاب منا ديـون
وعزيزٌ علـيَّ ألاَّ تـؤدى
وجميـلٌ لأهلها عنـد أهـلي
ويد بالصنائع الغـرْ تَنْـدَى
فافعلِ الخير ما استطعتَ تجـده
سببا جاعلا من الحـر عبـدا
لهـفَ نفس . فقدتِ يا قبلة الخـ
ـير كهولا حَمَوا حماكَ ومُرْدا
كنت مثْوى للأكرمين . ومـيدا
نا رخيـا لخيلهـم ومُـنَدّى
قف تأمـل هذى العجائب . وانظر
شامخا يسحـرُ العيونَ اسـتجدا
وأجِلْ ناظريك فيما اصطفى العلـ
ـم لأحباره . وما قدّ أمـدا

ان الشاعر العباسي لم يقف عند هذا الوصف الناصع البياض عن اجداده وصانعي تاريخ بلاده بل يدعـو دائمـا جيله أن يحذو حذو اجداده في

(١) المهارى : — الابل المهرية .
(٢) العشر : — ورود الابل الماء في اليوم العاشر أو التاسع .

ادارة دفة الامور بيقظة ووطنية متاججة حيث يقول : ـ

يــا سراة البــلاد يــا قادة الرأ
ي فــؤادى مما بكم ليس يهــدى
أنتمو عترة الــكرام الأولى شـا
دوا بأيامهم ذرى المجــد شــيدا

فراره من المدينة الى البادية

ان الشاعر العباسي كان يحس بملل يدب في عروقه من حياة المدن واضوائها الخانقة ويهرب الى حياة البداوة وحياة البساطة وجمال الطبيعة وكانه يتمثل بقول الشاعر ابى العلاء المعرى حينما يقول في اسمى معانى الجمال : ـ

والحسن يظــهر في شيئين رونقُه
بيتٌ من الشِعر أو بيتٌ من الشَّعَرِ

وهو الذى كان مولعا بحياة البداوة والبحث عن الوديان والواحات على ظهر ناقته لانه يجد في هذا جمال الشعر وراحة البال ، وحسن المعشر ، وكرم الكرام ، وهو يقول عن وادى (مليط) الذى يقع في محافظة دارفور احدى محافظات الســودان التسع : ـ

حيّاكَ مَلّيطُ صوب الماطل الغادى
وجاد واديك ذا الجنات مــن واد
فكم جلوتِ لنا من منظــرٍ عجب
يُشجي الخليَّ ويُروى غُلَّةَ الصادى
أنسيتنى بَرَحَ الامــى ،وما أخذت
مــنا المطايا بإيجاف وإيخــاد
كثبانك العُفر ما أبهى مناظرَهــا
أنسٌ لذى وحشة. رزق لمرتاد
فباسقُ النخل ملءُ الطرف ،يلثم من
ذيل السحاب بلا كــد وإجهــاد
كأنه، ورمــالٌ حوله ارتفعــت،
اعلام جيش بنَها فوق أطــواد
وأعين الماء تجرى من جداولهـــا
صوارماً عرضوها دون إغمـــاد
والورقُ تهتف والأظلالُ وارفــة
والريح تدفــعُ مياداً لميـــاد
لو استطعتُ لأهديتُ الخلــودَ لها
لو كان شيء على الدنيــا لإخــلاد
أنتَ المطيرة[1] في ظل وفي شجــر
فقدتِ أصوات رهبان وعبــاد
أعيذ حسنَك بالرحمن مبدعِــــه
يا غرة العين من أعيان حســاد

وهكذا ينتقل الشاعر من واد لواد يتغنى بجمال هذه الوديان وها هو يصفح متوها بجمال وادٍ آخر ، وما اكثر الوديان التى شد اليها الرحال.

خاتمة المطاف

ان الحديث عن الشاعر محمد سعيد العباسي محبوب كجمال شعره وخلقه النبيــل ، وكان شعره يزداد حلاوة عندما يشدوه بصوته : يصدح بقصائده وخاصة الصوفية منها ، وهو شاعر ذو نزعة صوفية ولا يسعنى الا ان اقف مضطرا عند هذا النزر اليسير من حياة وشعر العباسي ، تاركا القراء يتاملون جمال شعره من خلال هذه اللقطات السريعة ، فمن اراد المزيد فعليه بالتجوال في حديقته الشعرية (ديوان العباسى) وقد رحل شاعرنا الى الرفيق الأعلى في عام ١٩٦٣ تاركا خلفه ذخيرة حية من النماذج الشعرية الناضجة لتنير الطريق لشبابنا المتوثب المتحفز لتحرير ارضه من رجس الصهاينة والله ولي التوفيق .

■■

محمد عبد المطلب صالح
هندسة جبيت ـ السودان

(١) المطيرة ـ جزيرة ببغداد وبها قصر كان لامير المؤمنين عبد الله بن المعتز .

مواقف رجال

سعد بن أبي وقاص

في القادسية

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ كان لانتصار المسلمين بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني على الفرس بقيادة « مهران » في معركة « البويب » وقع عظيم الاثر في نفوس الفرس غضبا وسوءا ، واشعرهم ذلك بما هم عليه من ضعف ، على رغم الكثرة في الانفس ، والوفرة في العتاد ، واتصال الامداد ، والاستقرار في البلاد .

ذلك ان بلادهم كان فيها التنافس على السلطان . وليس لهم ملك من آل كسرى يخضعون له ويدينون بالطاعة والولاء ، وحينما كان المسلمون يطرقون ابوابهم فاتحين مقتحمين كان يتنازع الرياسة قائدان احدهما اسمه « رستم » وهو اكبر القواد شأنا واعظمهم مكانة ، والاخر اسمه « الفيرزان » .

بحث عن ملك

فلما حلت بالفرس الهزيمة الشديدة في معركة « البويب » اجتمع اهل الرأى منهم واحضروا القائدين الكبيرين وقالوا لهما : لئن ل تقوما بالحرب كما ينبغي لنقتلنكما ونشتفي بكما .

واذ كان ينقصهم ملك من نسل كسرى بعثوا في كل مكان ليتعرفوا اين يوجد احد من نسله من الذكور لان الملك « شيرين » كان قد جمع آل كسرى في القصر الابيض وامر بقتل كل ذكرانهم ، الا ان واحدة منهن كانت امرأة شهريار بن كسرى ، كان لها طفل صغير ، فارسلته في الخفاء الى اخواله فتربى بينهم وكان اسمه « يزدجرد » .

وظل اهل الرأى من الفرس يتقصون الاخبار حتى عرفوا بوجود « يزدجرد » وكان قد بلغ احدى وعشرين سنة ،فاحضروه وجعلوه ملكا عليهم ،وكانت تحكمهم قبل ذلك امرأة اسمها « بوران » تحت وصاية « رستم » وتسامعت بلاد الفرس بالملك ، فقويت عزائمهم ، واستفحل امرهم ، وبعثوا الى كل الاقاليم يأمرونهم بعدم اطاعة العرب المسلمين الذين فتحوا بلادهم ، او صالحوهم وعقدوا بينهم مواثيق .

وبدءوا يثورون ،ثم يستعدون للهجوم ،وحشدوا عشرات الآلاف من الرجال حتى قيل انهم تجاوزا مائة الف مقاتل .

اخبار مزعجة

وجاء الى عمر بن الخطاب الخبر باجتماع الفرس على مَلِكٍ من آل كسرى . كما تواترت الاخبار بان الذين كانوا عاهدوا المسلمين بالولاء من حكام فارس قد نقضوا عهودهم ونبذوا مواثيقهم ، وآذوا من اسلم منهم ، وطردوا الذين ولاهم الفاتحون من قبل .

وكان اول عمل اتخذه عمر بن الخطاب ان ارسل الى جيشه ان يتراجع ويخرج من اواسط البلاد التي يكثر فيه الفارسيون ، وان يقيموا على اطراف البلاد ، بحيث تكون بلاد العرب خلفهم ، وان تكون كل قبيلة تنظر الى الاخرى بحيث اذا حدث امر لقبيلة لا يخفى امرها على جيرانها .

على ان الاحوال قد زادت سوءا بعد اتحاد الفرس ، وعظم امرهم . وحينئذ عزم عمر بن الخطاب ان يخرج بنفسه لمحاربة الفرس على رأس من اجتمع له من المقاتلين . وفعلا خرج بالجيش من المدينة مقر الخلافة وسار حتى نزل على ماء

يقال له « صِرار » فعسكر فيه ، ثم عقد مجلسا لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه من الذهاب بنفسه للحرب . ووافق المجتمعون على هذا الراى. لان هذا جهاد في سبيل الله ، وهم معه مضحون بانفسهم مثله . لكن عبد الرحمن بن عوف قال له : اني اخشى ان كسرتَ ان يضعف المسلمون في سائر اقطار الارض . واني ارى ان تبعث رجلا وترجع انت الى المدينة . فوافق الناس وعمر على هذا الراى واستصوبوه .

اختيار قائد

فقال عمر : فمن ترى ان نبعث الى العراق ؟ فقال عبد الرحمن : قد وجدته ، قال : ومن هو ؟ قال : الاسد في براثنه ، سعد بن ابي وقاص . فابوه اسمه مالك وكنيته ابو وقاص (وقص عنقه اى كسرها) .

وعمر بن الخطاب يعرف ما لسعد من شجاعة وايمان ، لهذا استجاد قول عبد الرحمن بن عوف، وارسل الى سعد وجعله اميرا على الجيش الذى يحارب الفرس في العراق .

وصية الخليفة عمر لقائده سعد

لكن عمر لايترك ولاته بدون وصاية ، ولايجعلهم يتكلون على سابق اعمالهم ، فتلك افة القادة اذا لم يداوموا على الفعل المجيد الذى رفع قدرهم واعز مكانتهم . قال عمر بن الخطاب لسعد بن ابي وقاص وهو يوصيه :

« ياسعد ، لايغرنك من الله ان قيل خال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصاحبه ، فان الله لا يمحو السيىء بالسيىء،ولكن يمحو السيىء بالحسن ، وان الله ليس بينه وبين احد نسب الا بطاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة . فانظر الامر الذى رايت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ منذ بُعث الى ان فارقنا عليه فالزمه ، فانه الامر ، هذه عظتي اياك ، ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين » .

ثم وصاه وصية اخرى حينما فارقه : يامره فيها بالصبر وخشية الله ويطلب اليه ان يتحبب الى الناس ويختمها بقوله : « ان الله اذا احب عبدا حببه الى الناس ، واذا ابغض عبدا بغضه اليهم ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس » .

صلته بالرسول

ولكي نبين صلة القرابة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سعد بن ابي وقاص نقول ان ابا سعد ، وهو مالك المشهور بابي وقاص ، كان ابن عم السيدة امنة ام الرسول .

شيء عنه

اسلم سعد بن ابي وقاص ولم يكن آمَنَ من الناس الا قليل ، لايبلغون اصابع اليدين عدا . وكانت سنه اذ ذاك حوالي سبعة عشر عاما ، وكان مشركو قريش يرون في الاسلام حدثا خطيرا ، وجريمة لاتغتفر ، لانه في عقيدتهم الضالة مروقٌ عن دين الاباء والاجداد .

محنة الام

وجد سعد محنته الكبرى في امه التي كانت شديدة التمسك باوثانها ، اذ ارادت ان ترده عن ايمانه بموقف هو غاية في الاحراج ، فامتنعت امه عن الطعام والشراب اياما ، لتكرهه على السماع لها ، والعودة الى ضلالها ، وهي تصر على انها لن تاكل ولن تشرب حتى تموت او يعود عن الاسلام ، لكن سعداً في ايمانه بالله الواحد الاحد لم يخضع لهذا الاعنات فقال لها : والله لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء ، ان شئت فكلي ، وان شئت فلا تاكلي . وقيل انه بهذه المناسبة نزَلَ قول الله تعالى في كتابه العزيز (وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) سورة العنكبوت الآية ٨ .

دعا له الرسول وفداه بابويه

غزا سعد مع رسول الله من غزوة بدر وما بعدها ، وكان بارعا في الرمي بالسهام . وفي غزوة احد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارم سعدُ فداك ابي وامي ».وكان سعد ببركة دعاء الرسول له مجاب الدعوة ، ذلك ان الرسول قال له وقد عاده في مرض « اللهم اصحْ قلبه وجسمه ، واكشفْ سقمه ، واجبْ دعوته » . وفي رواية اخرى « اللهم سدد سهمه واجب دعوته وحببه الى عباد‌ك » .

ولهذا كان كثير من الصحابة يتقون غضبه مخافة ان يدعو عليهم .

لا ينوى شرا لاحد

ولو كانت كل النفوس مثل نفس سعد بن ابي وقاص لعاش الناس في حب ووئام ومودة واخاء . يذكر ان عبـــد الله بن عمرو بن العـاص كان من المبالغين في التعبد من كثرة صلاة وصيام . وفي يوم كان الناس حول رسول الله فقال الرسول : « يطلع الان عليكم رجل من اهل الجنة » ، فاذا بالذى طلع هو سعد بن ابي وقاص . وفي اليوم الثاني والناس حول الرسول قال : « يطلع الان عليكم رجل من اهل الجنة » . وتطلع الناس واذا الذى يطلع عليهم هو سعد بن ابي وقاص .وحدث ذلك ايضا في اليوم الثالث ، فاحب عبـد الله ابن عمرو بن العاص ، ان يعرف الافعال التى يقوم بها سعد مما دعا الرسول ان يجعله مبشرا بالجنة ثلاث مرات في ايام ثلاثة متواليات . فقام خلف سعد وتبعه وقال له : اني غاضبت ابي ، فاقسمت ان لا ادخل عليه المنزل ثلاث ليال ، فارجو ان تؤويني اليك حتى تنقضى الليالي الثلاث ، وبهذا تنحل اليمين التي اقسمتها . وبات عبد الله عند سعد ليلحظ ما يفعل ، فوجده صلى الصلوات المفروضه وسننها ، ثم اضطجع فنام ، وانـه اذا استيقظ من نومه ذكر الله وكبره حتى اذا طلع الفجر قام فتطهر وتوضا ثم صلى الصبح وسنته . ويفطر ولا يصوم ، فالايام هي غير ايام رمضان . وظل عبد الله بن عمرو بن العاص الليالي الثلاث وايامهن لايرى من سعد بن ابي وقاص غير ذلك . ولايسمعه ينطق الا بكلمة طيبة . قال عبد اللـه ابن عمرو : وكدت احتقر عمله ، فقلت له : انه لم يكن بيني وبين ابي غضب ولا هجر ، ولكنى سمعت رسول الله قال ثلاث مرات في ثلاثة مجالس « يطلع عليكم رجل من اهل الجنة » فطلعت انت اولئك المرات الثلاث ، فاردت ان آوى اليك ، حتى انظر ما عملك ، فاقتدى بك ، لانال ما نلت . فلم ارك تعمل كثير عمل . ما الذى بلـغ بـك ما قاله رسول الله ؟ فقال سعد بن ابي وقاص : « ماهو الا الذى رأيت » . فولى عبد الله بن عمرو منصرفا فناداه سعد وقال له : « ان عملى ماهو الا الذى رأيت ، غير اني لا اجد في نفسى سوءا لاحد من المسلمين ، ولا انوى له شرا ، ولا اقوله » . فقال عبد الله : « هذه هي التي بلغت بك هذه المنزلة وهي التي لا اطيق ان اعملها » .

ذلك ان صفاء النفس من الحسد والغيرة والبغضاء امر نادر ، لا يناله الا اولو عزم شديد ، ورضا بما قسم الله .

مسيرة الجيش

وتجهز سعد ، وسار بجنوده الى العراق ، ليلقى هناك الجنود التي انتصرت في معركة البويب بقيادة المثنى بن حارثة ، وهو في شوق الى رؤية المثنى ، كما كان المثنى في شوق الى لقاء سعد ، لكن قضاء الله حال دون ان يجتمعا ، اذ ان المثنى انتقض عليه بعض جراحه التي اصابته في جهاده فتوفي رحمه الله ورضى عنه بما قدم من افضل الاعمال . وكان قد استخلف على جنده « بشير بن الخصاصية » حتى يقدم سعد بن ابي وقاص ، وكانت للمثنى زوجة اسمها سلمى ، قدمت مع المعنى اخي المثنى الى جيوش سعد ، فتزوجها سعد بعد ان كانت عدتها قد انقضت . وكان ما اجتمع لسعد من الجنود ممن سافر معه ، وممن كان مع الفاتحين السابقين ، وما امده به عمر بن الخطاب بعد سفره ، ما يقرب من ثلاثين الف مقاتل . كما امره عمر ان ينظم الجيش بحيث يكون على كل قبيلة امير ، وعلى كل عشرة رجال عريف ، وان يكون لقاؤه بكل من يبعثه اليه بالقادسية .

نصح ودعاء

والقادسية كانت تعد في الجاهلية باب فارس ، وقال له عمر فيما ارسل اليه ان لا يهوله كثرة عددهم وعدتهم وطلب اليه ان يكتب اليه بجميع احوالهم وتفاصيلها ، وكيف ينزلون واين يكون منهم عدوهم ، ثم يقول : واجعلني بكتبك الي كاني انظر اليكم . واجعلني من امركم على الجلية (اى على بينة ووضوح) .

ولقد كانت ثقة عمر بن الخطاب في نصر الله عظيمة ، وكان تلهفه الى سماع افعال جنوده قويا ، ذلك انه بعد ان جاءه من سعد خطاب يصف له موقعه هو وجنوده كتب اليه عمر يقول: «قد جاءني كتابك وفهمته ، فاذا لقيت عدوك ، ومنحك الله ادبارهم – اى هزمهم الله فولوا مدبرين – فانـه قد القى في روعي انكم ستهزمونهم – فلا تشكن في ذلك ، فاذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن (هي عاصمة الفرس) » .

ولم يفتر عمر عن الدعاء لسعد خاصة وللمسلمين عامة .

ولقى سعد في طريقه بعض جيوش فارس فهزمها وغنم ما معها .

في القادسية اصيب بالقروح

ثم سار حتى نزل القادسية وبث سراياه . وحدثت مطاولة وانتظار ورسل ومخاطبات قبل ان تقع المعركة وكلها ذات مواقف خالدة .

واصيب سعد بقروح في فخذيه واليتيه وظهره . وكانت فيه بعض الجراح بحيث لا يستطيع ان يركب جواده ، لهذا جعل يشرف من فوق القصر وهو متكىء على صدره فوق وسادة لعدم استطاعته الجلوس او الوقوف وهو ينظر الى الجيش ، وكانت بجواره زوجته سلمى التي كانت من قبل زوجة المثنى بن حارثة .

هذا والقتال في اشده وبعض الناس لا يعلمون ما اصاب سعدا من قروح ، وبعضهم ظن به الجبن مع انه كان بطلا في كل المعارك التي شهدها مع الرسول ، وهو الان القائد العام الذى ينبغي ان يدير المعركة باوامره وتوجيهاته ، حتى لقد قال رجل من بَجيلة يهزأ بالقائد سعد :

نقاتل حتى أنزل الله نصـــره
وسـعد بباب القادسية مُعْصِم
فأبْنـا وقد آمت نسـاء كثيرة
ونسـوة سعد ليس فيهن أيِّم

ويذكر ان سعدا دعا على قائل هذين البيتين فقال : اللهم اكفِنا يده ولسانه .

وسعد كان مجاب الدعوة فاذا بسهم يصيب هذا الشاعر وهو واقف بين الصفين فاصابه في فمه ولسانه فخرس ويبست يداه ولم يتكلم حتى مات .

ولم يرض سعد ان يترك بعض المتقولين ليروجوا حوله الشبهات ، فخرج الى بعض القادة ، وكشف عن جسده واراهم ما بجسده من البلاء .

فزع زوجة

وكانت زوجه سلمى بجواره في القصر ولم تكن الحياة الزوجية بينهما ذات امد بعيد ، وكان لاشك هواها لزوجها الاول المثنى بن حارثة الذى مات وما تزال تذكره . والشاعر ابو تمام يقول :

نقل فؤادك حيث شئتَ من الهوى
ما الحـب الا للحبيـب الاول
كم منزل في الأرض يألفـه الفتى
وحنينـه أبدا لأول منـزل

وكان القصر الذى يشرف منه على المعركة قد ترك بابه مفتوحا فلو ان الجنود فرلوا لكان سعد اول من يقتله الفرس، اواول من ياسرونه. وحدث ان بعض فرسان المسلمين تراجعوا منهزمين فصاحت سلمى : وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم. فغاظ ذلك سعدا فلطمها، وفوجئت وخاصة انه كان معه في القصر زوجته السابقة ام اولاده ، فزاد عنادها وقالت له : اغيرة وجبنا ؟ مع انها تعلم ما فيه من قروح . فقال لها : اذا لم تعذريني انت فمن يعذرني من الناس .

ابو محجن الثقفي

وابو محجن الثقفي رجل مولع بالشراب اقاموا عليه الحد مرات فلم يمتنع ، فامر به سعد بن ابي وقاص ان يقيد ويودع في القصر الذى فيه سعد . وابو محجن فارس شجاع لا يريد ان تفوته المعركة فقال :

كفى حزنا ان تردِيَ الخيل بالقنا
واُترَكَ مشدوداً عليّ وثاقيـا
اذا قمت عنّاني الحديدُ، وغُلِّقت
مصاريعُ من دوني ، تصمّ المناديا

ثم سأل « زبراء » امراة سعد بن ابي وقاص وام اولاده ان تطلقه وتعيره فرس سعد ، وحلف لها انه يرجع آخر النهار فيضع رجليه في القيد ، فاطلقته ، وركب فرس سعد ، وخرج فقاتل قتالا شديدا ، وجعل سعد ينظر الى فرسه ويشك في انها هي ، والى الفارس ويشك في انه ابو محجن ويعجبه ما يفعل من قتال وجهاد . ولكنه يعود فيذكر ان فرسه في القصر وان ابا محجن مقيد موثق . وظل الى آخر النهار . ورجع ابو محجن فوضع رجليه في القيد . ونزل سعد فوجد فرسه مبتلا بالعرق فقال : ما هذا ؟ فحكت له ام ولده قصة ابي محجن فرضى عنه واطلقه .

ويقال ان سلمى هى التى اطلقته .

ايام القادسية

كانت وقعة القادسية ـ كما يقول المؤرخون ـ وقعة عظيمة لم يكن بالعراق اعجب منها .

وقيل بدئها صلى سعد بالناس الظهر ، ثم خطب فوعظهم وحثهم على الجهاد ، وتلا قول الله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » . وقرا القراء آيات الجهاد . ثم كبّر سعد اربع تكبيرات على ان

يحملوا على اعدائهم بعد التكبيرة الرابعة ؛ فلما كبرها اندفع المسلمون الى المشركين فاقتتلوا قتالا شديدا الى ان اقبل الليل ، فتحاجزوا وقد قتل من الفريقين ناس كثيرون . ثم اصبحوا وعادوا الى مواقفهم فاقتتلوا طوال النهار وظلوا في قتال في الليل ، وتوالى القتال في اليوم الثالث بطوله الى الليل وما زال الاشتباك في الليل بين الفريقين. فلما اصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالا شديدا وكانت الافيال مع جيوش الفرس تفعل فعلها في خيول المسلمين ، فتجعلها تجفل وتنفر وتتراجع ،وقاسى المسلمون من ذلك امرا بليغا لكنهم صبروا . وتقدم الى الافيال بعض الفرسان المستبسلين مثل عمرو بن معدى كرب الزبيدى وطليحة الاسدى ، وضرار بن الخطاب ، وجرير بن عبد الله البجلي ، والقعقاع ابن عمرو ـ وخالد بن عرفطة وامثالهم واشباههم من الفرسان ، فاخذوا يتقدمون الى الفيلة ويضربونها في اعينها بالرماح ، حتى صاحت وولت مدبرة تحطم من الفرس اكثر مما حطمت من المسلمين . وتقدم المجاهدون منتهزين الفرصة ، بائعين نفوسهم في سبيل الله ، فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم ، ويسمى يوم القادسية ، وكان في شهر المحرم سنة اربع عشرة . وهبت رياح قلعت الخيام رأى « رستم » ما يحل بجنوده من الدمار فبادر فركب بغلته وهرب ، فادركه المسلمون وقتلوه وقتلوا « الجالينوس » مقدم الطلائع ، وحلت الهزيمة ماحقة ساحقة بعبدة النار ، وظل المسلمون يتبعونهم ضربا وقتلا حتى بلغوا عاصمتهم المدائن ، واحتموا بها بعد ان تركوا وراءهم عشرات الالاف من قتلى وجرحى، وما لا يحصى كثرة من الاموال والامتعة والحلى والدواب والسلاح .

كتاب البشرى

وكتب سعد بن ابي وقاص الى امير المؤمنين عمر يخبره بالفتح وبعث بالكتاب مع سعد بن عميلة الفزارى وهذا نصه :

« اما بعد ، فان الله نصرنا على اهل فارس ، بعد قتال طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبوه . ونقله عنهم الى المسلمين ، واتبعهم المسلمون على الانهار وصفوف الآجام ، وفي الفجاج . واصيب من المسلمين سعد ابن عبيد القارى وفلان وفلان .. ورجال من المسلمين لا يعلمهم الا الله ، فانه بهم عالم ، كانوا يدوون بالقرآن اذا جن عليهم الليل كدوى النحل ، وهم آساد في النهار لا تشبههم الاسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى الا بفضل الشهادة اذ لم تكتب لهم » .

وفي كتاب سعد هذا تقدير لمن قاتلوا فانتصروا وعاشوا ، كتمجيد من قاتلوا وابلوا بلاء حسنا ورزقوا الشهادة مستبشرين بما وعدهم الله في جنات النعيم .

الخليفة خلف ناقة يمشي

وكان تشوق عمر بن الخطاب الى اخبار المعركة يدفعه الى ان يخرج كل يوم من المدينة الى طريق العراق ينتظر من يأتيه بخبر ، فبينما هو ذات يوم من الايام ، اذا هو براكب يلوح من بعد ، فاستقبله عمر فاستخبره . فقال الراكب وهو سعد بن عميلة الفزارى ، وكان لايعرف عمر : « فتح الله على المسلمين بالقادسية ، وغنموا غنائم كثيرة » . وجعل يحدثه وهو راكب ، وعمر ماش تحت راحلته ، فلما اقتربا من المدينة جعل الناس يحيون عمر بالامارة ، فعرف الفزارى انه امير المؤمنين عمر فقال : يرحمك الله يا امير المؤمنين ، هلا اعلمتني انك الخليفة ؟ فقال له عمر : لا حرج عليك يا اخي.

ختام حياة

وسعد بن ابي وقاص آخر العشرة المبشرين بالجنة وفاة ، وقيل ايضا انه كان آخر المهاجرين موتا ، توفي وقد جاوز الثمانين عاما . وكان موته على الاشهر في سنة خمس وخمسين من الهجرة .

ولما حضرته الوفاة دعا بثوب له قديم وقال : كفنوني في هذا فاني لقيت فيه المشركين يوم غزوة بدر ، وانما خبأته لهذا اليوم .

وكان قد ابتعد عن الناس ، فسكن في بيت له بمكان يسمى العقيق خارج المدينة المنورة . فحمل الى المدينة على اعناق الرجال ، فصلى عليه مروان بن الحكم والي المدينة من جهة معاوية الخليفة اذ ذاك ، وصلى بصلاته امهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودفن في موضع اسمه « البقيع » . ولم يكن بقى منهن الا عائشة وام سلمة ، وجويرية ان كانت ماتت سنة ٥٦ هجرية وميمونة الهلالية ان صح موتها بعده . ■■

عبد الستار احمد فراج ●



الخوارزمي مبتكر علم الجبر لا اللوغارتمات

(العدد ١٧٠ الصفحة ١٤٧)

● جاء في مسابقة العربي العدد ١٦٨ يناير ١٩٧٣ بأن الخوارزمي الف كتاب اللوغارتمات . غير اننا بالرجوع الى كتاب « الدولة الاسلامية تاريخها وحضارتها » تاليف « عبد الحميد العبادي وعمر مصطفى زيادة وابراهيم أحمد العدوى » وجدنا ان الخوارزمي الف كتاب الجبر وليس اللوغارتمات كما جاء في حل المسابقة .

فقد جاء في الكتاب اعلاه وفي صفحة ٥٦ منه بان اعظم المسلمين في تاريخ الرياضيات هو محمد ابن موسى الخوارزمي « ٧٨٠ ـ ٨٥٠ » مؤلف اقدم كتاب في الحساب واقدم كتاب في الجبر وعرف بكتاب « الجبر والمقابلة » الذي حمل اسمه العربي وهو « الجبر » وارسل الى الجامعات الاوروبية بعد ترجمته الى اللاتينية بالاضافة الى ان هناك من تأثروا بالخوارزمي في علم الجبر امثال الخيام .

عبد الله حسن محمد
الخرطوم / السودان

العربي : نسبت الينا ما لم نذكر ، فنحن لم نقل بان الخوارزمي الف كتاب اللوغارتمات بل قلنا « حتى انهم اشتقوا اسم احد هذه العلوم من اسمه .. » والعلم المقصود هو طبعا علم اللوغارتمات ، كما ذكرنا في نتيجة المسابقة الموما اليها

والحقيقة هي أن اللوغارتمات ليست من صنع الخوارزمي ، من حيث هي علم ، ولا هي مشتقة من كنيته ، من حيث هي اسم . فاللفظ لوغارتمات Logarithm مركب من لفظين يونانيين هما Logos وتفيد هنا النسبة او العدّ و Arithmos وتعني العدد او الرقم .

وتجدر الاشارة هنا الى لفظ "الغورثم : Algorithm او Algorism الذي انتشر في اوربا في القرن الثاني عشر فما بعد . فهذا هو اللفظ الذي اشتقوه من اسم الخوارزمي وذلك للدلالة لا على علم اللوغارتمات وانما على العدّ والحساب بالطريقة والاعداد الهندية . ونذكر هنا ان اوربا كانت قبل ذلك تعدّ وتحسب بالعدّاد Abacus وتستعمل الارقام الرومانية I,II,III .

ولو ذكرنا خطورة الطريقة والارقام الهندية بالنسبة الى نهضة اوربا العلمية الحديثة لادركنا فضل الخوارزمي على تلك النهضة .

اما كتب الخوارزمي فنذكر منها « رسالة الحساب » ، وفيها شرح للطريقة والاعداد الهندية التي ذكرنا ، وكتاب صورة الارض (الجغرافية) ، والجداول الفلكية (الزيج) . هذا الى جانب كتابه الشهير في الجبر « المختصر في حساب الجبر والمقابلة » ، ويعتبر بلا منازع حجر الاساس في علم الجبر .

فالخوارزمي اذن هو منشيء علم الجبر ، وهو اول من استعمل هذا اللفظ العربي (الجبر) للدلالة على هذا العلم . وعنه أخذ الغرب كلا العلم واللفظ Algebra.

وليس هنا مجال الاشادة بفضل الخوارزمي ، وحسبنا ان نذكر أن جورج سارتون G. Sarton مؤرخ العلم المعروف ، سمى النصف الاول من القرن التاسع الميلادي باسم « عصر الخوارزمي » وذلك ، كما يقول سارتون « باعتبار محمد بن موسى الخوارزمي (٧٨٠ ـ ٨٥٠) » اكبر رياضيي عصره وواحدا من اكبر رياضيي جميع العصور على الاطلاق ... »

الامام علي ووفاته

العدد ١٧٣ الصفحة ١٦٦

● قرأنا ما ذكرتم تحت هذا العنوان ويطيب لنا ان نضيف فيما يلي معلومات اخرى استقيناها من كتاب « على من المهد الى اللحد » بقلم السيد محمد كاظم القزويني .

كان ابن ملجم على اتفاق مع الخوارج . ثم انه كان يحب امراة تدعى قطام قتل ابوها واخوها وزوجها في معركة النهروان . فطلبت من ابن ملجم ان يقتل الامام عليه السلام على شرط ان تتزوجه وتمنحه ثلاثة الاف دينار وعبدا وقينة (جارية) وينسب اليه هذه الأبيات :

فلم ار مهرا ساقه ذو سماحة
كمهر قطام من فصيح واعجم
ثلاثة الاف وعبد وقينة
وضرب على بالحسام المصمم

وجاء ابن ملجم ومعه رجلان شبيب بن بحرة ووردان بن مجالد وذلك في ليلة (١٩ من رمضان) الى مسجد الكوفة وبات المجرم يفكر وينتظر مجيء الامام للصلاة . وعند دخول الامام المسجد صعد عليه السلام المئذنة واذن ثم نزل واخذ يتفقد النائمين ويصيح الصلاة يرحمك الله . ثم يتلو (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) حتى وصل الى ابن ملجم وهو نائم على وجهه وسيفه تحت ثيابه فقال له الامام : يا هذا قم من نومك هذا فانها نومة يمقتها الله . وهي نومة شيطان ونومة اهل النار . ثم على يمينك فانها نومة العلماء او على يسارك فانها نومة الحكماء او على ظهرك فانها نومة الأنبياء . لقد كان علي (ع) يرشد الاخيار والاشرار وحتى قاتله . كالشمس نورها يدخل كل بيت . ثم قال له : لقد هممت على شيء تكاد السموات ان يتفطرن منه . وتنشق الارض وتخر الجبال هدا . وانا ادرى ما تحت ثيابك . ثم تركه واتجه الى المحراب . وبدأ يؤدي فريضة صلاة الصبح فيطيل بالركوع والسجود . فقام اللعين مسرعا ووقف بازاء الاسطوانة التيكانالامام يصلي عليها . فصلى الامام الركعة الاولى وسجد السجدة الاولى ورفع راسه فتقدم المجرم وهز السيف ثم ضربه على راسه الشريف فاصابته الضربة مكان الضربة التي ضربه عمر بن عبد ود العامري في يوم الخندق . فصاح الامام بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله . ثم صاح قتلني ابن ملجم بن اليهودية . لقد اخبر الامام عن قاتله حتى لا يشتبه الناس بغيره .

عبد الرضا فرهود
النجف الاشرف ـ العراق

ديكارت
كانه له في الشك أسلاف

● اشرتم في المسابقة الى كلمة (انا افكر .. اذن انا موجود) وقد قالها ديكارت رائد الفلسفة الحديثة في فرنسا وصاحب مذهب الشك المعروف باسمه . على ان ابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣هـ ، قد سبق ديكارت الذي عاش في النصف الاول من القرن السابع عشر الى القول بهذه الفكرة ، حين قال (الا ترىانك اذا قلت : عدمتنيفمعناها علمتني غير موجود ومحال ان تعلم شيئا وانت غير موجود ـ لانك اذا علمت كنتموجودا وصحته علىالاستعارة) (شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشري ص ٨٨ ج ٧ ط المنيرية) .. وتنسب هذه الفكرة ايضا الى فيلسوف اوربي آخر عاش في القرون الوسطى ، اي قبل ديكارت باكثر من اثنى عشر قرنا . انه القديس اوغسطينوس ، وقد ولد عام ٣٥٢ ميلادية في شمال افريقية . والمعروف ان هذا المفكر اخذ بمذهب الشك وانه اثبت وجود الله وقدرة العقل على تحصيل المعرفة التي مصدرها الله ، وبين الكيفية التي خلق الله بها العالم .. »

اكرم محمد مالك كمونه/البصرة .

أنباء الطب والعلم والاختراع

تجربة جديدة فى عالم السجون

هل تتحول السجون الى معاهد للاصلاح ؟!

● منذ اكثر من ٧٥ عاما وصف اوسكار وايلد Oscar Wilde حياته فى السجن بأنها تماثل الحياة فى الجحيم . ومنذ ذلك الحين ، يبدو ان الحياة لم تتغير داخل السجون عما كانت عليه ايام « اوسكار وايلد » . وقد بدأ بعض علماء الاجتماع ينادون باجراء اصلاحات وتعديلات على السجون . وفى اواخر شهر يوليو الماضى اصدر مجلس امناء المجلس القومى للجريمة والانحراف الامريكى ثلاثة اقتراحات محددة للعمل على تطوير نظام السجون .

وينص الاقتراح الأول على ان تكون اجور المساجين عن اعمالهم داخل السجون عادلة ومساوية على الاقل للحد الأدنى لأجر نفس العمل خارج اسوار السجن .

اما الاقتراح الثانى فهو يطالب المكتب الفيدرالى للسجون بتخصيص المبالغ المعتمدة لانشاء سجون جديدة ، وتقدر بحوالى ٢بليون دولار،لتوسيع مشروعات العلاج الاجتماعى . وتتلخص هذه المشروعات فى معيشة مجموعة صغيرة من السجناء فى منزل واحد يتلقون فيه علاجا نفسيا جماعيا ، او علاجا معينا يتناسب مع الاسباب التى ادخلتهم الى السجن . ويستحسن الحاقهم بأعمال خارج هذا المنزل او التحاقهم بالمدارس الخاصة بالمجتمع الذى يعيشون فيه تحت رقابة علماء الاجتماع والأطباء النفسانيين .

والفكرة الرئيسية فى هذا العلاج الاجتماعى هو انه لا يمكن اعادة تأهيل الشخص المنحرف اذا عزلناه عن المجتمع وراء اسوار السجون .

ويقول تقرير المجلس القومى للجريمة والانحراف،ان العلاج الاجتماعى ، ونظام العفو ، وايقاف التنفيذ قد يؤدى الى انقاص عدد السجناء،وبذلك يتم القضاء على الحاجة الى انشاء سجون جديدة . ويدلل التقرير على فعالية مثل هذه البرامج بما تم فى ولاية كاليفورنيا التى طبقت هذه البرامج فاستطاعت ان تخفض عدد المسجونين من ٢٨ الفا الى ٢١ الفا .

وقد اوصت اللجنة الخاصة بالجريمة ، وهى لجنة تكونت فى البيت الأبيض الامريكى،بان لا يوضع فى السجون سوى المجرمين الخطرين فقط . وفى احصائية اخيرة تبين ان اقل من ١٥٪ من عدد المسجونين فى الولايات المتحدة هم الذين يتطلبون وضعهم تحت رقابة مشددة .
اما الاقتراح الثالث فهو يتناول الغاء



النساء والرجال جنبا الى جنب في سجن « فورت ورث »
الذى يعتبر أول سجن من نوعه في الولايات المتحدة الامريكية .

المكتب الفيدرالي للسجون، وانشاء وكالة فيدرالية للاصلاح بدلا منه، تقوم بتقديم المساعدات الفنية ، ووضع البرامج والبحوث الاجتماعية للولايات الامريكية والحكومات المحلية .

ويقول روى جيرارد Roy Gerard من مكتب السجون الفيدرالى ، ان المكتب يقوم الآن باجراء تجربة جديدة فى بلدة فورت ورث Fort Worth بولاية تكساس. وتتلخص هذه التجربة فى سجن جديد تبلغ مساحته ٣٠٠ فدان ، وبه ٢٠ مبنى وعدد من الأطباء النفسانيين والاخصائيين الاجتماعيين ، وقد تم تحويل هذا المبنى الى ما يسمى « بمعهد فورت ورث الفيدرالى للاصلاح الاجتماعى » وقد بدأ العمل فيه فى شهر نوفمبر ١٩٧١ . ويضم مسجونين من الجنسين .

وقد تم وضع خمسة برامج تأهيلية داخل هذا المعهد الاصلاحي ، من بينها برامج لمدمنى الهيروين والكحول والمخدرات الأخرى . وهناك وحدة علاجية لعلاج الأمراض النفسية التى نتجت عن حياة السجن الطويلة . ووحدة للنساء . ويشارك النساء الرجال فى كل الاعمال داخل السجن ، والى جانب هذه البرامج التأهيلية تعطى ادارة السجن الفرص للمسجونين فى الخروج للدراسة او التدريب الاجتماعى .

ويبلغ عدد العاملين فى هذا المعهد الاصلاحى ٢٣٥ شخصا ، يشرفون على ٢٧٥ سجينا من الرجال و ١٠٠ مسجونة من النساء . ومعظم المساجين من بين الفئات التى لم تشتهر بالعنف أو الميل للهرب .

وتبدو مباني السجن خالية من اية مظاهر للسجون التقليدية . فليس هناك اسوار ،او حرس على المداخل ، ولا يحمل الموظفون اى سلاح داخل السجن . ويقوم الرجال والنساء من المسجونين بحضور الدراسات النفسية والتأهيلية الى جانب بعضهم . ولهم ساعة فراغ مختلطة اثناء النهار ، كما يسمح لهم ايضا بقضاء بعض الوقت كمجموعة بعد تناول وجبة المساء .

ويقول تشارلز كامبل Charles Capbell مدير هذا السجن ، انه قد تكون هناك بعض الاتصالات الجنسية بين الرجال والنساء ، ولكن اغلب المساجين يبدون رغبة شديدة في التعاون مع ادارة السجن وتنفيذ التعليمات بدقة ، واهتمامهم الرئيسي ينحصر في التمتع بالمميزات الممنوحة لهم ، والخروج من السجن .

وبما ان هذا السجن ، هو الاول من نوعه في الولايات المتحدة الأمريكية ،الذى يجمع بين النساء والرجال، فان الدراسات دلت على ان هناك فوائد كثيرة من هذا الجمع ، ومن بين هذه الفوائد الاقلال من حالات الشذوذ الجنسى وخاصة بين الرجال .

ويطالب علماء الاجتماع الأمريكيون الآن بتعميم هذه التجربة في الولايات الأمريكية الاخرى . ويدللون على نجاحها بان عدد الذين افرج عنهم من سجن « فورت ورث » منذ شهر نوفمبر ١٩٧١ بلغ ٣٠٠ سجين،ولم يعد ولا واحد منهم حتى الآن الى السجون مرة اخرى .

الاشعة السينية فى الفضاء

● منذ اكثر من ١٠ سنوات تم اكتشاف اول جرم سماوى ، خلاف الشمس ، يقوم باصدار الاشعة السينية .. والآن وبعد مرور هذه السنوات العشر ، تمكن العلماء من تحديد ١٢٠ مصدرا سماويا للأشعة السينية ، ودراسة مواقعها وبعض التفاصيل المتعلقة بها . لقد حصل العلماء على هذه المعلومات عن طريق ١٠٠ رحلة للصواريخ والبالونات ، ومن رحلة رئيسية لأحد الاقمار الصناعية الذى بقى في الفضاء لمدة تزيد عن عام .

وقد ثبت وجود الاشعة السينية من مصادر داخل وخارج المجرة . وبعض المصادر صغيرة ، وبعضها الآخر كبير الحجم ويمتد الى مسافات كبيرة في السماء .

وقد بدأت عمليات اكتشاف الاشعة السينية في ١٨ يونيو عام ١٩٦٢ عندما سجل العلماء هذه الاشعة قادمة من اتجاه برج العقرب ، ومن النجم اسكوربيوس بالذات Scorpius عن طريق صاروخ تجارب اطلق في ذلك الحين . وبدأت التجارب في ذلك الميدان .. وفى عام ١٩٦٩ تم اكتشاف مصادر اخرى للأشعة السينية تقع في وسط المجرة تقريبا . وتم اكتشاف وجود اشعة سينية ذات طاقة منخفضة تسبح في السماء . وفى ديسمبر عام ١٩٧٠ تم اطلاق قمر اصطناعى مجهز خصيصا لاكتشاف مواقع الأشعة السينية وقد اطلق عليه اسم « اوهورو » Uhuru (كلمة باللغة السواحلية معناها الحرية) من جزيرة سان ماركوس على الشاطىء امام كينيا . وقد استطاع القمر الاصطناعى « اوهورو » تحديد ١١٦ مصدرا سماويا جديدا للأشعة السينية .

وبهذا بدأ عهد جديد في دراسة الفضاء الخارجى والأشعة السينية .

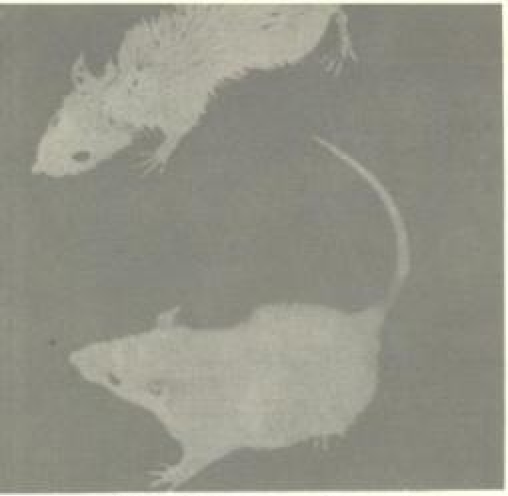
اكتشاف ٤ عناصر كيميائية جديدة لازمة للحياة

■ حتى وقت قريب كان العلماء يعتقدون ان هناك ٢٠ عنصرا كيميائيا طبيعيا هى التى تلعب دورا هاما فى تركيب المواد الحية . ولكن التقدم العلمى أثبت مؤخرا ان هناك عناصر اخرى تلعب دورا اساسيا فى تركيب المواد الحية . وهذه المواد هى الفلورين Flurine والسليكون Silicon والقصدير Tin والفاناديوم Vanadium .

ويبقى الآن السؤال الذى يتردد على السنة العلماء وهو : كم من التسعين عنصرا كيماويا التى توجد طبيعيا تعتبر ضرورية للحياة ؟

وفى الحقيقة فانه بعد حوالى قرن من البحوث المستفيضة فان الاجابة الاكيدة على هذا السؤال لم يكن من المستطاع الوصول اليها . فمنذ عام واحد فقط كانت الاجابة التى حصل العلماء عليها هى ان هناك ٢٠ عنصرا كيماويا طبيعيا لازمة للحياة . ومنذ ذلك الحين حتى الآن تم اكتشاف ٤ عناصر جديدة تلزم لنمو الحيوانات الصغيرة . وهذه المواد هى كما ذكرنا الفلورين والسليكون والفاناديوم . وهناك احتمال ان يضاف اليها ايضا النيكل الذى لا تزال الابحاث تجرى لتقييم ضرورته للخلية الحية . وفى نفس الوقت فان العلماء ، لا يعلمون فى كثير من الاحوال الدور الفعلى الذى تقوم به هذه المواد داخل الخلية الحية .

وهذا النقص فى المعلومات قد يكون خطرا فى وقت يزداد فيه تلوث الجو المحيط بنا بالمواد الكيماوية الصناعية بالاضافة الى اكتشاف تشكيلات كيماوية جديدة لبعض المعادن . وهذا يؤدى بنا الى الاقتناع بجهلنا بكثير من الحقائق الاساسية المتعلقة بتأثير البيئة الكيماوى على العمليات البيولوجية .



صورة تمثل تجربة اجريت على الفئران . الفار الاول تمت تغذيته لمدة ٢٠ يوما بغذاء نزع منه الفلورين والقصدير والفاناديوم ، ووضع فى جهاز عازل ليمنع وصول اى من هذه المواد عن طريق الجو . بينما الفار الثانى تمت تغذيته بنفس الغذاء ، ولكن تحت الجو العادى .

ان هناك عنصرين هما الايدروجين والاكسجين يكونان ٨٨ر٥٪ من ذرات الجسم الانسانى .. وتبلغ نسبة الايدروجين ٦٣٪ بينما تصل نسبة الاكسجين الى ٢٥ر٥٪ وتصل نسبة الكربون فى ذرات جسم الانسان الى ٩ر٥٪ والنيتروجين الى ١ر٤٪ . اما العناصر العشرون الباقية ، والتى يعتقد العلماء ضرورتها بالنسبة لحياة الحيوانات الثديية فهى تكون اقل من ٠ر٧٪ من ذرات اجسام هذه الحيوانات .

وقد لاحظ العلماء ان اغلب العناصر المعروفة بضرورتها للحياة الحيوانية تتميز بانها ذات ارقام ذرية صغيرة (اقل من ٣٤) ما عدا ثلاثة عناصر هى موليبدنوم Molybdenium ورقمه الذرى ٤٢ ، والقصدير ورقمه الذرى ٥٠ والأيودين ورقمه الذرى ٥٣ . اما العناصر الأربعة التى تكون الجزء الأكبر من الخلايا الحية ، والاكسجين ، والنيتروجين ، فأرقامها الذرية هى على التوالى ١-٦-٧-٨ .

والعناصر السبعة التى تلى هذه

العناصر الأربعة من حيث نسبة تواجدها فى الخلايا الحية ، كلها لها أرقام ذرية اقل من ٢١ . وهى حسب نسبة تواجدها الكلسيوم ورقمه الذرى ٢٠ ، الفسفور ١٥ ، البوتاسيوم ١٩ الكبريت ١٦ ، الصوديوم ١١ ، الماجنيزيوم ١٢ والكلورين ١٧ .

اما العناصر العشرة الأخرى ، والمعروف وجودها فى الحيوان والنبات ، فهى بنسب ضئيلة جدا ، وارقامها الذرية تتراوح ما بين ٢٣ ، و٣٤ باستثناء الفلورين ورقمه الذرى ٩ ، والسليكون ورقمه الذرى ١٤ .

ويبين الجدول الآتى العناصر اللازمة للحياة الحيوانية واهمية كل عنصر بالنسبة للحياة :

العنصر	رقمه الذرى	دوره الفعال
الايدروجين	١	لازم للماء والمركبات العضوية
الكربون	٥	لازم للمركبات العضوية
النتروجين	٧	لازم لكثير من المركبات العضوية
الاكسجين	٨	لازم للماء والمركبات العضوية
الفلورين	٩	عامل نمو فى الفئران ، ويحتمل دخوله فى تكوين الاسنان والعظام
الصوديوم	١١	ايون موجب الشحنة Cation خارج الخلية
الماجنزيوم	١٢	لازم لنشاط كثير من الانزيمات
السليكون	١٤	وجد حديثا ضرورته فى الدجاج
الفسفور	١٥	ضرورى فى عمليات التحويل فى الكيمياء الجوية وفى نقل الطاقة
الكبريت	١٦	لازم للبروتينات والمركبات الحيوية الاخرى
الكلورين	١٧	ايون خلوى سالب الشحنة
البوتاسيوم	١٩	ايون خلوى موجب الشحنة
الكالسيوم	٢٠	مكون رئيسى للعظام ، ولازم لبعض الانزيمات
الفاناديوم	٢٣	لازم لبعض الحيوانات البحرية والفئران
الكروميوم	٢٤	لازم لرتب الحيوانات العليا . وله علاقة بتاثير الانسولين
المنجنيز	٢٥	لازم لنشاط عدد من الانزيمات
الحديد	٢٦	ضرورى للهيموجلوبين وبعض الانزيمات
الكوبلت	٢٧	لازم لعدد من الانزيمات
النحاس	٢٩	لازم لعدد من الانزيمات وعمليات التاكسد
الزنك	٣١	لازم لعدد من الانزيمات
سيلينيوم	٣٤	لازم لعمل الكبد
موليبدنوم	٤٢	ضرورى لعدد من الانزيمات
القصدير	٥٠	ضرورى للفئران ، ولا يزال تاثيره غير معروف
الايودين	٥٣	مكون ضرورى لهرمونات الغدة الدرقية



قصة
قصيرة

وَجْهٌ فى الزِّحَامِ

■ القاهرة في يوليو . جو خانق وشمس ملتهبة . واسفلت عنيد بعيد اشعتها نارا . وانا احث الخطى في شارع التحرير . باقى دقائق على ميعاد الانصراف . يجب ان اكون في المصلحة في تمام الثانية . لاوقع في كشف الانصراف . فقد خرجت في العاشرة لانجاز بعض اعمالى الخاصة . ولن يطمئن قلبى حتى اعود فاوقع في الكشف . كشف الانصراف . رحم الله عوض افندى . كان يقول دائما . « موظف الحكومة حضور وانصراف » .

الشارع مزدحم . وجوه متلاصقة ومتقابلة . المارة كثيرون . فتيات وسادة . سيدات وصماليك . صبية وباعة . وجوه تصطدم بها عيناك لحظات . وقد يحييك بعض معارفك . فترد التحية وانت مشغول بافكارك . قلب القاهرة في منتصف النهار . مسرح عجيب . كل ممثليه متفرجون . فوضى الازياء تبهر انظارك . ميني جيب بجوار ملاءة لف . جلباب في حديث مع بدلة انيقة . وابتسمت من ملاءة سوداء كانت ترتديها نساؤنا من عصر المماليك . وميني جيب من عصر الفضاء و « ديور » مصمم الازياء . وانت في الشارع لابد أن يسرح خاطرك كل دقيقة في موضوع ولكن رغم ذلك فان خطوتي تسرع . باقى دقيقتين ويرفع الكشف . ومعنى

هذا جزاء . انذار على احسن الظروف . وفجاة رايتها امامى . حلوة الملامح . مصرية التقاطيع . سمراء البشرة. اجمل ما فيها عيناها العسليتان. هذا الوجه اعرفه . واقتربت منى . وعندما تقابلت العيون . هزت راسها بتحية لطيفة . ثم تجاوزتنى ومضت في طريقها . قطاران تقابلا ولـم يتوقف احدهما . من هى ؟

هذا الوجه بلا شك اعرفه . وجه تحمله الملايين من نسائنا . ولكنّ عيناها . تلك العيون العسلية عشت معها . اين ؟ . لست ادرى . كم فتاة رايتها في حياتى عسلية العينين ؟ . سلوى بنت الجيران. لا يمكن . سلوى لو راتنى لن تهز راسها بتحية . لقد مضى على فراقنا عشرة اعوام . نعم . سلوى كانت سمراء البشرة عسلية العينين . ولكننـا افترقنا بماساة . لذلك لا يمكن ان تهز راسها حتى ولو لمجرد الذكرى . من اذا ؟ .

فوقية زميلة الكلية . لا . وجه فوقية اعرفه جيدا . ما زال عالقا بعينى . خال اسود جميل يرقد على خد فوقية لم اجده في هذه الفتاة . لم اندم في حياتى على فتاة غيرها . كانت زميلـة ممتازة . وصديقة مخلصة . اه لو عثرت عليها الان . لخطفتها الى اقرب ماذون . حتى تستريح امى من تحية كل صباح « امتى افرح بك يا ابنى ؟ » . كانت امى تحب فوقية . ولكن الزمن كعادته فرق بيننا .

رفعت راسى فجاة كانتى انفض عنها ذكريات اليمة . فوجدت نفسى امام المصلحة . بعد جهد وسيجارة لعم شلبى وقعت في كشف الانصراف . عدت للطريق .

وتركت لخيالى حريته . العيون العسلية في حياتى كثيرة فانا من عشاقها . من تكون يا ترى ؟. فوزية رفيقة القطار في رحلة لى .من عامين التقينا في احد دواوين الدرجة الثانية بمفردنا . وفرض الحديث نفسه علينا. غرباء في رحلة تدوم ساعات. واعجبتنى ثقافتها . وجذبتنى عيناها العسليتان . وتواعدنا على لقاء. ولكن لظروق بالقاهرة لم اتمكن من لقائها . دائما حظى اسود . وظلت" شهورا عديدة رفيقة خيالى. هل تكون هذه الفتاة فوزية؟. لو كانت لوقفت تبادلنى الحديث . فهى فتاة اجتماعية لن تخجل مع مثلى من حديث الطريق . ولكن لا . انها اطول قليلا من هذه الفتاة .

وتشتت خيالى يبحث عن فتاتى بين صفحات الماضى البعيد . هل هى صديقتى الصغيرة الحبيبة نوال ؟ . اه يا عمر هل تعود للوراء . وانا طفل في العاشرة . وفتاتى صبية في السابعة . حلوة . حلوة . صديقتى المفضلة في العاب الاطفال . كان الاهل والاصدقاء يناودنها بالعروسة . ويلقبوننى بالعريس . اطفال في مدرسة مشتركة واحدة . نتقاسم طعامنا . ورفيقتى في الذهاب والاياب . فهل هى نوال ؟ . محتمل. نفس العيون العسلية. والوجه الباسم . ما اجملك يا ايام الطفولة . يوم ان وجدتها مع صبى اشقر من ابناء الجيران ودبت غيرة الطفل في صدرى . كانها لعبتى في يد غيرى . وتشاجرنا ودام خصامنا اياما . حتى جمعنا الاهل وتصالحنا . يومها نظرت لي عاتبة . نفس العيون العسلية . ثم ضحكت . وضحكت بعدها . وضحك الجميع . وقال ابى رحمه الله « العيال بيحبو بعض بجد » . لحظتها انفلتت هاربة من الغرفة وحمرة الخجل تلون خديها .

وفرق الزمن بيننا . فهل هى نوال ؟ .

ولمحت عربة الاوتوبيس تغادر المحطة فاسرعت الحق بها . ويل للراكب من اوتوبيس القاهرة في يوليو . وبين امواج العرق ولهيب الانفاس .نسيت العيون العسلية . يكفى معاناتى في محاولة التنفس وسط الكتل الادمية . المتراصة داخل الاوتوبيس. ووصلت .

واثناء تناول الغداء . فتحت حوارا مع والدتى. وحكيتُ لها القصة . ثم سالتها هل تذكر فتاة بهذه الاوصاف . بشرة سمراء وعيون عسلية . متوسطة الطول ذات وجه باسم . ضحكت والدتى



وقالت « ممرضتك الحسناء التى عالجتك في المستشفى منذ شهور » . تبا لذاكرتى . اصبحت اضعف من نسيج العنكبوت . وداريت خجلى فدفنت وجهى في الصحن الموجود امامى . ولكن والدتى غفر الله لها . لم ترحمنى بل عاودت الحديث . « والله كانت بنت حلوة ومؤدبة » . وصمتت قليلا ثم عادت تكرر سؤالها الخالد «امتى افرح بيك يا ابنى ؟ » . كانها تود بذكائها ان تربط بين جملتيها .

اكملت غدائي واختليت بنفسى . وبين حلقات دخان سيجارتى، سرح خاطرى في ممرضتى الحسناء آمال . كانت نعم الاخت الحنونة . الفاظها رقيقة، بسمتها دافئة . حديثها ممتع رشيق . قال لى ذات يوم صديق جاء لزيارتى، «هذه الفتاة تحبك». ضحكت يومها ولم اعلق على حديثه اهمية . كانت الامى تمزق احشائي . وظللت في المستشفى نحو شهر . كانت معظم وقتها بجوارى . مستمعة لافكارى . معجبة بارائي . شغوفة بكل كلمة في حديثى . وخرجت من المستشفى . وتناسيت كعادتى . ان ازورها لاشكرها . بل نسيتها تماما . ولكن لماذا تغاضيت عن حبها ؟ . رغم انها من عائلة طيبة الاصل . واحترام الجميع لها كان واضحا . وبدا دبيب حنون اعرفه جيدا يتسلل الى قلبى . بداية حب جديد ووجدت نفسى في اليوم التالى . اسعى الى لقائها في المستشفى . وتذرعت بحجة وجودى لزيارة قريب لى. فاتيت لزيارتها وشكرها. لمعت عيناها العسليتان حينما راتنى. وتحول وجهها الى بسمة كبيرة. وخيل لى انها في ردائها الابيض. اجمل مما رايتها امس . بل نهيا لى انها زادت جمالا واشراقا . واثناء حديثى معها . لمحت اصابعها خلية من خاتم زواج فارتاح قلبى . ولم اكذب خبرا . وبعد ايام تمت خطوبتنا . انا وممرضتى الحسناء ذات العيون العسلية. وبقطعتين ذهبيتين. اصبحنا في نظر المجتمع « مشروع زواج » . وفي الشرفة انفردت بها بعيدا عن اضواء حفلة الخطبة. جلسنا نتسامر ونتذوق الحب المشروع لاول مرة . ودار حديث وذكرت لها قصة لقائنا في شارع التحرير . وتحيتها لى . وكيف كانت هذه الثوانى الخاطفة هى سبب ارتباطنا . وكم كانت دهشتى كبيرة . حينما ذكرت لى . انها لم تكن في شارع التحرير في هذا اليوم . وانها لم ترانى الا عند حضورى لها في المستشفى . ثم ضحكت بود وهى تقول لى « لقد اخطات . لعلك تقصد فتاة غيرى» . ضحكت كالابله . وسرح خاطرى اذا من يا ترى ؟. صاحبة الوجه اللى حيرنى . هل كانت نوال ؟ . ام فوقية ؟ . او سلوى ؟ . ولم ينقذنى من حيرتى سوى وجه آخر حنون . له نفس العيون العسلية. والبشرة السمراء . صاحبته تقول لى — سرحان في ايه ؟ . خليك معى .

وقد كان . واصبحت معها . ومنذ ذلك الحين . لم تعد الوجوه النسائية . تسبب لى اى مشكلة .

■■

ترجمها بتصرف :

محمد طه عبد الباقى

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يولية ١٩٧٣

٤٦/٢

من الأعمال المختارة

جان جيرودو - ٢

سدوم وعمورة - مجنون شايو

ترجمة: خليل شرف الدين

مراجعة: د. محمد م. القصاص

أموالك تتنمو مع نمو البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

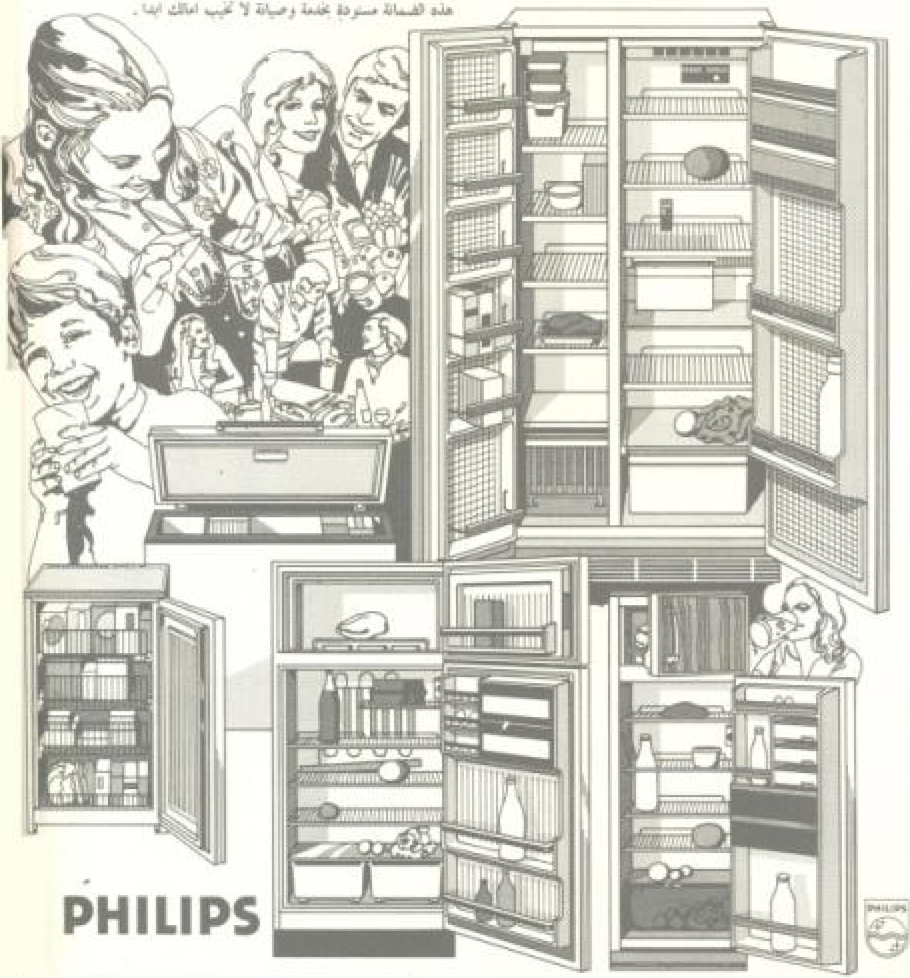
راس المال والاحتياطي : ٢٢ر٨٨٤ر٤٨٣/- د.ك

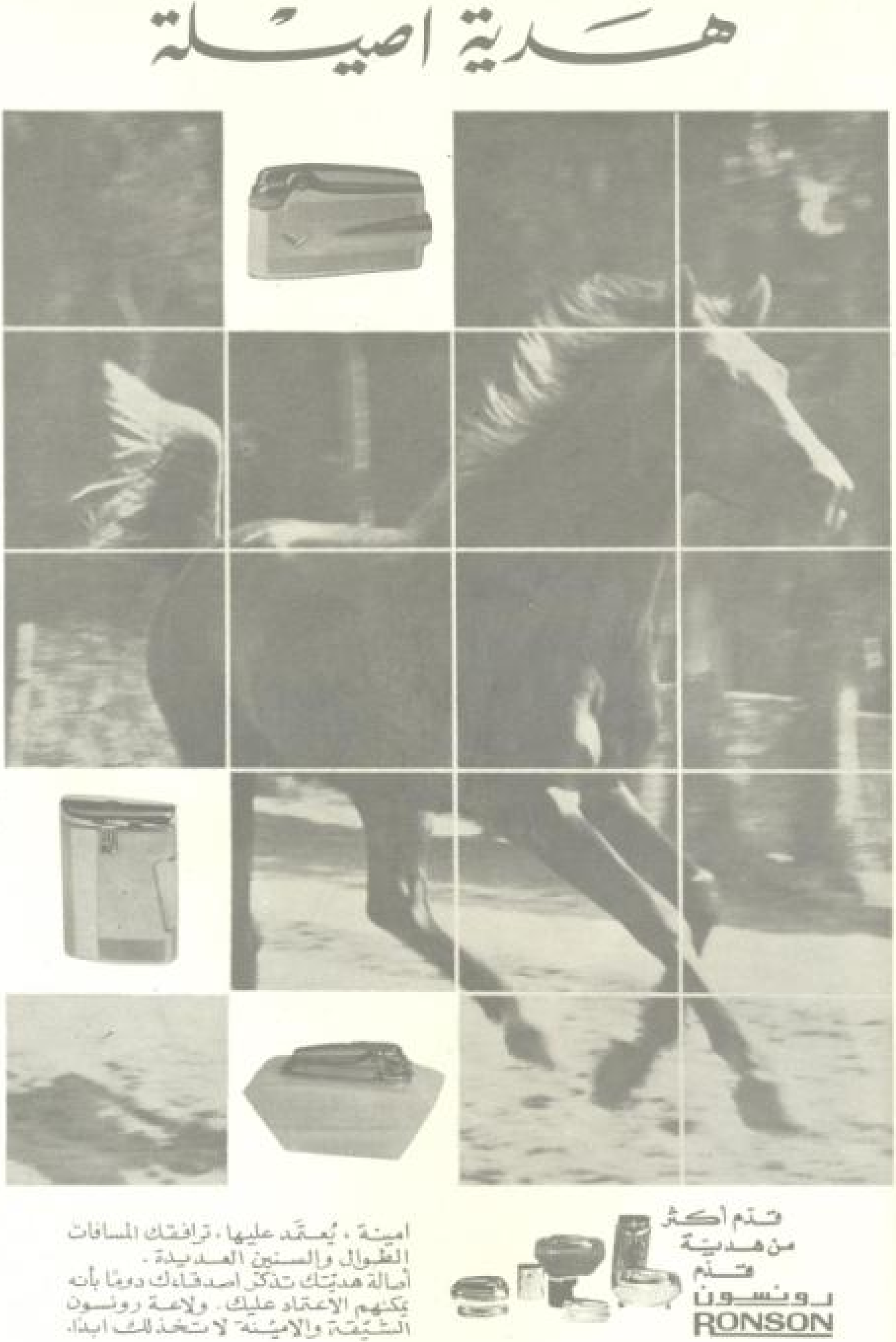
مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٢ :
٢٥٦ر٥٣٧ر٤٠٥/- د.ك

المكتب الرئيسي : ص.ب ٩٥ تلفون { ٤٢٢٠١١ (١٥ خطا)
٤٢٢١٦٥ (٥ خطوط)

بــرادات فيليبس لـن تخيب امــالك

شركة فيليبس تدرك ان البرادات والثلاجات يجب ان تكون ضمن الأجهزة البيتية التي يعتمد عليها طيلة الوقت ، ولذلك فان الشركة تصنع هذه الاجهزة صناعة خاصة تجعلها تؤدي مهامها على اكمل وجه حتى في اشد الايام حرارة . ان اية عائلة لا يمكنها الا الاعتزاز بموديل هـ د ن ٢١٥٣ ذي البابين الذي تبلغ مساحة الجسم فيه ٢٩٥ لترا ، ومساحة قسم التجميد ٩٥ لترا . وكل ثلاجات فيليبس تملك نظاما لمنع تجمد الماء فيها وواحدة منها ملبسة من الخارج بقشر خشب ممتاز لتماشي مفروشات بعض المطابخ او غرف الطعام . واذا كنت تبحث عن ثلاجة للتجميد ، الافضل ان تختار الموديل العمودي المعتدل الحجم او الثلاجة الاكبر حجما التي تملك غرفا عريضا للتجميد . وتذكر . . كل ثلاجات فيليبس مصحوبة بضمانة ، واكثر من ذلك ان هذه الضمانة مسنودة بخدمة وصيانة لا تخيب امالك ابدا .





هدية أصيلة
أمينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات
الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكر أصدقاءك دوماً بأنه
يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون
الشيقة والأمينة لا تخذلك أبداً.
قدم أكثر
من هدية
قدم
رونسون
RONSON

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن الازدهار الاقتصادي في البرازيل

هل باستطاعته ان يكشف لكم بما قد يطرأ على الميزان التجاري البرازيلي من تطورات خلال السنوات القليلة القادمة ؟ أو ان يوضح لكم أي مكان من العالم سيتأثر بنمو البرازيل السريع ؟ وكيف ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعامل معه ان يشرح لكم كيف ستتأثر البرازيل بالاتجاهات الاقتصادية في الولايات المتحدة واوروبا ؟ او ان يبين لكم الاثر الذي سيتركه نمو البرازيل السريع في بلدانها الاقتصادي ؟ أو ماذا توفر البرازيل من امكانات للاستثمار في المستقبل ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة - حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها .

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في المكسيك والامريكيتين الوسطى والجنوبية - أو أية مكان آخر من العالم - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن أولا .

شبكة تشيس منهاتن في أمريكا اللاتينية

فروع في : الارجنتين ، باناما ومنطقة القنال ، البرازيل ، بورتوريكو ، جمهورية الدومينيك ، فنزويلا ، المكسيك ، وأكثر من ١٠ فروع في جميع أنحاء البحر الكاريبي .

مصارف مشاركة :
• الارجنتين - بنكو ارخنتينو دي كوميرسيو
• البرازيل - بنكو لاربرازيلييرو ، اس . ا
• فنزويلا - بنكو ميركانتيل اي اجريكولا ، سي . ا .
• كولومبيا - بنكو دل كوميرسيو
• هوندوراس - بنكو اتلانتيدا ، اس . ا
• هوندوراس البريطانية - اتلانتيك بنك ، ليمتد

مؤسسة مشاركة : كوستاريكا - تشيس منهاتن ، كوستاريكا ، اس . ا

ان للبنك صديقا في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المركز الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

الفرع في البحرين : المنامة ص.ب ٣٦٨
الفرع في لبنان : بيروت ص.ب ٣٦٨٤
مصرف مشارك في دبي : بنك دبي التجاري المحدود
دبي ، اتحاد الامارات العربية



تصدير



استيراد

التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV، قياس ١٢ إنشًا يستقبل على تردد عالي (VHF) باللونين الأسود والأبيض ومزود بدارات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صورًا ثورية متوازنة واضحة ونقية من أي تشويش. اقتصادي (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط). شاشته مزودة بمصفي خاص ليخفف من عناء العينين. تصميمه رائع ويتماشى مع مفروشات أي غرفة. وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المنزلي (١١٠-١٢٠ فولط و ٢١٠-٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط). وبهذا، تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت.. مع **جنرال** - موديل TW-12EV

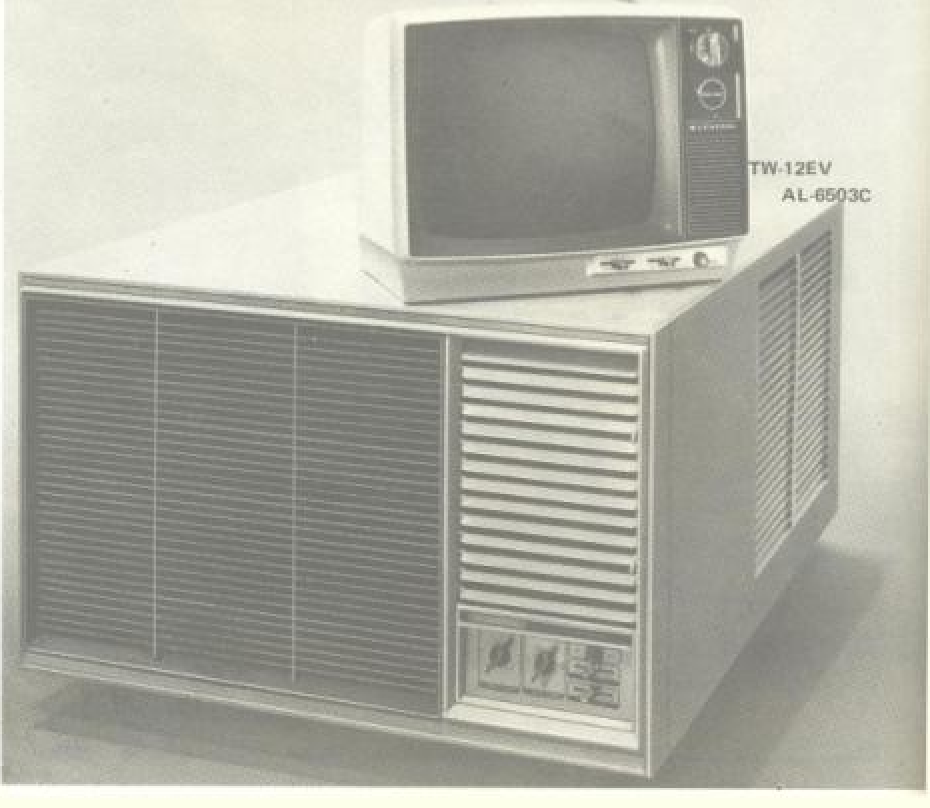
• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما شيئان فقط من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C. طاقته BTU-21,500 تكفي لتبريد أكبر غرفة. أما خدمته فهي متفوقة وتدوم لحياة طويلة. ضوابطه صممت في موضع يسهل معه استعمالها، ومصفيته.. سهلة التنظيف هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها **جنرال** لتزيد من راحة الإنسان.. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكًا مثاليًا لتلفزيونها موديل TW-12EV.

إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف إلى حياتك نشاطًا نوعيًا جديدًا...

جنرال GENERAL

الجمهورية العربية السورية: محمد ديب زركلي، ص.ب ٩٥٤، دمشق.
الخليج العربي: نانكو، ص.ب ٦٧٤، أبو ظبي.
الخليج العربي: شركة الاتحاد التجارية، ص.ب ٢٨، الكويت.
البحرين: إبراهيم خليل قدوره، ص.ب ٦٧٠، المنامة.
المغرب: سارة الكترونيك، ١١٤ شارع القادسية، الدار البيضاء.
إيران: شركة باستا المحدودة، شارع نادر شاه باساج فرنقاي رقم ٦ طهران.
ليبيا: ناصر عبد الجواد، ص.ب ٢٩٩٤، طرابلس الغرب.
قطر: مخازن الشرقي، ص.ب ١٦٢، الدوحة.
لبنان: مؤسسة الطناشي للتجارة، بيروت.
الأردن: عبده نقاوا، عمان.
دبي: ناصر بن عبد الله ومحمد، شركة صديق للتجارة، ص.ب ٢٠٨٠.

نوعية جيدة من جنرال تزيدك تسلية وراحة



ساعات الرايدرز
قوة ، ابتكار من فافرلوبا ـ جنيف

تصميمات فافرلوبا تكون عادة متقدمة لسنوات عديدة عن تاريخ صناعتها . والبرهان على ذلك ، يكمن في هذه النماذج الاربعة . غاية في الاناقة ،وبدون تفاصيل وتنميقات غير لازمة ، نماذج ذات خطوط وطرز تدعو للاعجاب .

سي رايدر

خلقت اعجابا شديدا ووصلت مبيعاتها ارقاما قياسية ، انها اوتوماتيكية باليوم والتاريخ (٣٦٫٠٠٠ نبضة في الساعة ـ بل انها اكثر دقة) ، جهاز لتعديل التاريخ بسرعة ونظام ايقاف الثانية ، مقاومة كبيرة للماء (١٥٠ قدم) محمية من الصدمات ، غير مغناطيسية .

ميمو رايدر

تجعل ذاكرتك طليقة من اى قيد ، ميمو رايدر ثابتة على رسغك اكثر من ثبات رباط منديلك . حركتها الاوتوماتيكية مع التاريخ بالاضافة الى استنباط الاشارة الصوتية يجعل هذه الساعة واحدة من الخطوات الرائدة في صناعة الساعات في هذا العصر . الميمو رايدر ضد الصدمات، غير مغناطيسية ، تقاوم الماء الى ٩٠ قدم .



سي رايدر II

تحوى جميع صفات وميزات الاتقان التي تتحلى بها السي رايدر ، وموضوعة في غلاف قوى لمقاومة المؤثرات .

سي رايدر II للسيدات .

اناقتها حقيقية بشكلها المصمم للمرأة العصرية .

من فافر لوبا جنيف : مجموعة من ٢٥٠ طراز .
الوكيل العام فى الكويت محمد عبدالله شهاب ص.ب (٢٣٨) .
شارع عبد الله السالم ـ تليفون ٢٢٣٢٢٤ شارع فهد السالم ـ تلفون ٤٣٥٢٤١

عندما تدخل الفائدة في الحساب..

لومبارد نورث سنترال يقدم تشكيلة واسعة من الحسابات

٨½٪

حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للودائع

تربح نقودك بنسبة ٨½٪ سنوياً مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر. يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة

٨¾٪

ودائع ذات دخل شهري

الحد الأدنى للودائع ٢٠٠٠ جنيه

الودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه أو ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة، تربح فائدة بنسبة ثابتة قدرها ٨¾٪ في السنة تدفع شهرياً دون حسم أي ضريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد منتظم. يمكن ايداع مبالغ لمدد أطول، وتعطى تفاصيل الفائدة الثابتة لدى الطلب.

٩٪

ودائع زمنية

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة تربح فائدة بنسبة ٩٪ سنوياً تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. وهناك فوائد بنسب جذابة أخرى لمدد ثابتة طولها ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات.

لومبارد نورث سنترال يعتبر هو من أعضاء مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها مع الاحتياطي على ٣٨٣ مليون جنيه استرليني. فتح الحساب هو في غاية البساطة. اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع للحصول على تفاصيل هذه الحسابات ونسخة من كتيب الودائع رقم 182A

Lombard
North Central
Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4111
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111
Branches throughout Great Britain – Depositors throughout the World

20 CLASS A
CIGARETTES

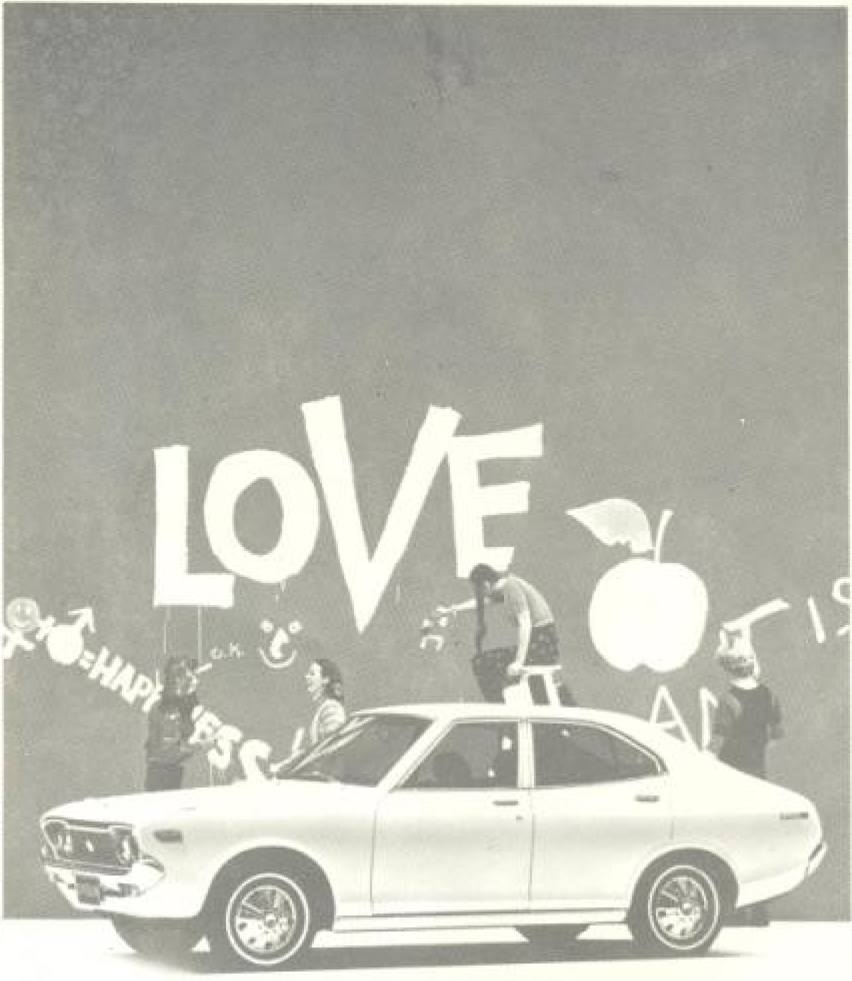
KENT

WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ .



كنغ سايز ، دي لوكس ١٠٠ مليمتر وكراش پروف



داتسون ... هيَ التجديد الدائم

الجميع سعداء بوصول داتسون الجديدة 140J/160J .. لأنها السيارة التي يقتنيها كل من يعشق حياة الرفاهية والجمال ... إنها الأكثر إثارة من باقة سيارات داتسون.
بنيت لتسير على طرقات اليوم، وصممت لتتماشى مع خيال الغد. إن داتسون 140J/160J جذابة ومحببة للجميع .. لك ولأصدقائك .. لهذا، فقد أسميناها "الصديقة داتسون". ثم أن ميزاتها الكثيرة تجعلك سعيداً مع أفراد عائلتك ..
فقد زودت بمحرك OHC بقدرة ١٤٠٠ - ١٦٠٠ سي سي وبنظام خاص يجعل نظام الاحتراق أكثر فعالية محافظاً بها على نقاوة الجو. مقاعدها مجوفة محشوة بالإسفنج

منها موديلان: سوبر بأربع سرعات مع مغير أرضي للسرعة، وعادي بمقعد خلفي وبثلاث سرعات مع مغير السرعة على المقود ومساحة داخلية أكبر. أي الموديلين تختار يعطيك أفضل ما توصلت إليه داتسون في حقل التكنولوجيا. فرش مريح وجميل، وأداء لا يضاهى .. أي كل ما تتوقع من أي داتسون جديدة.

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN

منتوجات شركة ريكت وكولمان التي يجب ان تتوفر في منازلكم

براسو ـ للاوعية النحاسية

« براسو » هو أشهر المنتوجات في العالم لتلميع المعادن. وهو يضفي على الأوعية النحاسية الصفراء أو الحمراء الجديدة أو القديمة على السواء بريقاً طويل العمر. بريقاً يسرك ان تكتشفه.

هاربيك ـ للمراحيض

يلحظ الناس إذا كانت مراحيضكم ليست نظيفة نظافة تامة. فلماذا لا تفخروا بمنازلكم باستعمال « هاربيك » الذي يتألف من تركيبات خاصة تنظّف وتطهر وتصل إلى الاماكن التي لا يمكن ان تصل إليها الفرشاة، وهو يقضي على الجراثيم بسرعة ويترك الهواء منعشاً نقياً.



بولز هيد بلو للغسيل

استعملوا « بولز هيد بلو » في الشطف الأخير عند الغسيل. وسوف تغدو ملابسكم أنصع بياضاً، كما ان « بولز هيد بلو » يضيف إلى ملابسكم الملونة بريقاً خاصاً.

هاربيك وبراسو وبولز هيد بلو من منتوجات شركة ريكت وكولمان



بوم اي مرسييه
الساعة المعجزة
أعظم نتاج في حقل الساعات
BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
غاية في الدقة
رائعة في الجمال
أوتوماتيكية
آلتها المرصعة بثلاثين
حجر كريم تعمل لمدة
٥٥ ساعة بدون تحريك
الوكيل العام
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون
أحمد بهبهاني واخوانه
السالمية ت/ ١١٨٢٢٤

سوني
هي
الأفضل

سوني تقدّم
موديلاتها النقّالة المفضّلة

ثلاثة موديلات مختلفة - ونفس الأصوات الرخيمة!

جديدة من سوني! ثلاثة أجهزة راديو/ مسجلات كاسيت عظيمة تقدم لكم ما كنتم تريدونه دائما من الألحان الشجية في قطع صغيرة نقالة!

موديل CF-150 الخفيف الوزن يضم جهاز راديو FM/AM موديل CF-320 القوي يضم جهاز راديو FM/AM مع التقاط AFC مقاوم للانحراف الصوتي. وموديل CF-410 يلتقط ايضا الموجات القصيرة بالاضافة الى موجات FM والمتوسطة.

جميع هذه الموديلات تضم مايكروفونا بمكثف الكتريت وجهاز "سوني - أو - ماتيك" الأوتوماتيكي لتعديل مستوى التسجيل - وذلك كي تبقى الأصوات المسجلة واضحة للغاية.

وجميعها تضم أيضا مضخم سوني الدقيق، والحاكي الكبير، والضوابط الصوتية - وذلك كي يكون اللحن الذي تسمعون اليه رائعا وممتعا دائما.

ونظرا لامكانيات التشغيل بالتيار المتناوب او المتواصل المتوفرة في هذه الموديلات، فإنكم تستطيعون استعمالها تقريبا في كل مكان.

ان موزعي سوني مستعدون لعرض مجموعة "سوني" الكاملة من اجهزة الراديو/ المسجلات الكاسيت عليكم.

شاهدوا سوني، واستمعوا الى سوني أولا.

شاهدوا واستمعوا اليوم الى اجهزة سوني النقالة والمفضلة وستوافقون معنا بان سوني هي الأفضل.

سوني
Research Makes the Difference
SONY®


SONY SOUNDS BETTER
CF-320
FM-AM جهاز راديو
مسجلة كاسيت
CF-150
FM- AM جهاز راديو
مسجلة كاسيت
CF-410
FM-MW-SW جهاز راديو
مسجلة كاسيت

شبابك لا يعني فقط عمرك
انه حيويتك
ونشاطك ايضاً



سوبر ويت أون بطعم الفريز والموز هو
مستحضر غذائي جديد غني بالكالوريهات. سوبر ويت أون
يحتوي على عدة فيتامينات، د ، ب١٢ ، ب١ و ب٦ يعطيك ما يلزمك من قوة
وحيوية ونشاط لتتمتع بما أعطتك اياه الحياة. سوبر ويت أون مستحضر
مقو للجسم. في بضعة ايام يجعل منك رجل آخر. النساء يكتسبن شكلاً جذاباً بازدياد
وزنهن في الاماكن اللازمة. سوبر ويت أون يباع في كافة الصيدليات

سوبر ويت-اون انتاج د.د.د

أجزاء "آكاي" الأستريوفونية مصمّمة لتحقيق الجوَدة وتعدّد الأستعمال والدّقة في نقل الأصوات

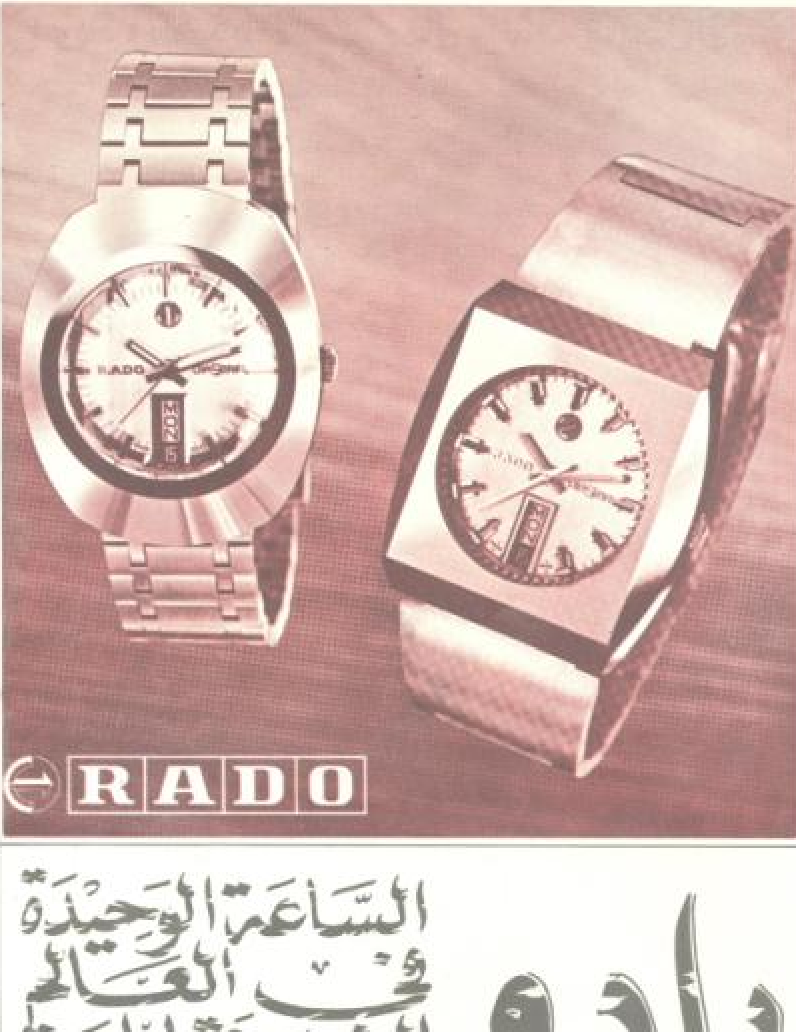


لا مجال اطلاقاً للخطأ" اذا كان الجهاز من صنع "آكاي"... فمن أجود أنواع المسجلات الاستريوفونية "دلك" بالكاسيت الى المضخمات المتقدمة الرئيسية بالترانزستور الى الاجهزة الدقيقة المكبرة للصوت من الطراز المعروف بالتيار المتدفق الى افضل انواع اقراص الاسطوانات الدوارة.

Audio & Video

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan



رادو

الساعة الوحيدة
في العالم
الغير قابلة
للخدش

UNIVERSE

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد

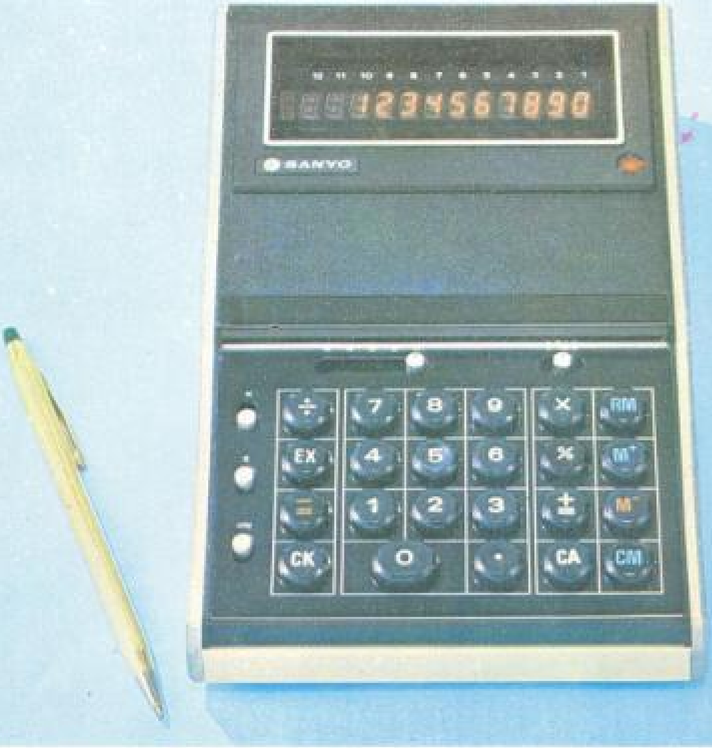
أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر



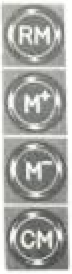
مارلبورو
رمز الجودة

A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

علامات مميزة
أضيفت على إنتاجنا الجديد
لتضاعف أرباحك



(ICC-3101)



جهاز (ICC-3101) يحتوي على مؤشر خاص ليحل بلمسة واحدة مشاكل النسبة المئوية، وباستطاعتك بواسطة محول آخر معالجة الكسور وجبرها «الكسور الأقل من النصف تحذف، الكسور الأكثر من النصف تساوي واحد»، وبذلك تحصل على نتائج خالية من المشاكل الحسابية
إنه خفيف الوزن ونقال ولكنه جهاز



ذو ذاكرة مستقلة، إذ أنك تستطيع أن تضيف أو تطرح من الأرقام المخزونة في الذاكرة.
١٢ خانة ظاهرة على عداد الجهاز، لكن الأرقام تصل أحياناً إلى ٢٤.
إنه يعمل بالبطاريات التي يعاد شحنها أو على التيار الكهربائي.
إختصروا الوقت في عملياتكم الحسابية ووفروه لجني أرباح أكثر مع سانيو

SANYO سانيو

AAA/K-5/73

العربي

العدد ١٧٧
رجب ١٣٩٣
اغسطس
(آب) ١٩٧٣



واحة خضراء فى المملكة العربية السعودية : انها القصيم

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢ر٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



من سلسلة لوحات
الفنانين العرب

المقهى

لوحة زيتية

للرسام مساعد

الفهد من الكويت

عزيزي القارئ

●● درجنا في الحديث الشهري لمجلة « العربي » أن نطرق مواضيع شتى . منها مواضيع سياسية تتصـــل بالحـــال الاجمالي للأمة العربية دون التركيز على قطر دون قطر . ومع هذا صادفنا كثيرا مما لا نود ، وذلك بسبب اختلاف العرب في مشاربهم الأساسية ، حتى تلك التي تتصل بالوجود العربي وبالمصير العربي .

ولهذا سيرى القارىء في الأعداد القادمة أننا سننقل من طرق هذه المواضيع السياسية للدخول في مواضيع أخرى نافعة للعالم العربي في اجتماع ، او في خلق ، او في حضارة ، أو في علم ، أو في اي باب من أبواب المعرفة جميعا . والحق يقال ان كان العرب قد تخلفوا في مشاربهم السياسية . فقد تخلفوا اضعاف ذلك في حاجاتهم المعرفية والحضارية ، فالى هذا الجانب الأضعف سنحاول بقدر استطاعتنا التوجه الى الجمهور .

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اســلاميات :

لغــة وآداب :

اســتطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

فلســـــفة :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 177 Augest 1973 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● القصيم منطقة واسعة تقع في قلب المملكة العربية السعودية وتعتبر من اهم مناطق نجد .وقد تحولت القصيم الى واحة كبيرة خضراء ، بفضل المياه التي تتدفق من الابار فيها . وقد بلغ قيمة ما صدرته هذه المنطقة من محاصيل زراعية الى دول الخليج العربي في العام الماضي ما يزيد على ١٠٠ مليون ريال سعودى (حوالي ٨ مليون دينار كويتي) . (انظر الاستطلاع ص ٧٦)

سياسة واقتصاد

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

شعر وشعراء :

كتـــب :

قصص وقضاء :

متنوعـــات :

ثمن العدد : **بالكويت** ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج٠م٠ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائرى . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ــ ساحة باندونغ ــ ص٠ب ٦٨٣ ــ الدار البيضاء ــ المغرب .



بريد القرّاء ومعرض آرائهم

المحلَّق أم المحلِّق !

● سرني ان اسمع جزءا من مقال سيادتكم لشهر مارس ٧٣ « الدعوة ـ الدعاية ـ البروبا جندة » ـ من اذاعة القاهرة يوم ١٩٧٣/٢/٢٤ من برنامج « لغتنا الجميلة » ، الذى يقدمه الاستاذ فاروق شوشه . وكان هناك تناقض حيث انه في صفحة ١١ ذكر اسم المحلق غير ان الاستاذ فاروق نطقه المحلق فايهما اصح ؟ !!

وفي صفحة ١٢ من نفس العدد هذا البيت من الشعر :

ملأنا البر حتى ضاق عنا
كذاك البحر نملؤه سفينا

وقد ذكره الاستاذ فاروق هكذا :

ملأنا البر حتى ضاق عنا
بصدر البحر نملؤه سفينا

فايهما الصواب ؟؟ !!

مهندس عبد المنعم محمود خليفه
المعهد العالي الفني بالقاهرة

العربي : نشكر الكاتب ونفيده بأننا رجعنا الى ديوان الاعشى ، فوجدنا أن البيت الذى جاء في مقال رئيس التحرير هو الاصح .

أما فيما يختص بالمحلق فالصحيح ايضا ما جاء به رئيس التحرير اى باللام المشددة المفتوحة . وقد جاء في كتب الانسان انه سمي بالمحلق لان فرسة عضته في خده فتركت اثرا مستديرا كالحلقة .

والمحلق (بكسر اللام) خطأ وقع فيه « لسان العرب » بسبب انه نقله عن الصحاح . وقد جاء بالتكملة للصاغاني « والصواب في اسم هذا الرجل الذى مدحه الاعشى فتح اللام على ما قال ابو عبيدة ... » .

الدين حضارة والدين عقيدة

● كنت من هواة قراءة مجلتكم العربي ومحبيها، حتى في المهجر . ولكن الآن لا استطيع ان اتصفح محتوياتها والسبب في ذلك انها اصبحت مجلة دينية (اسلامية) في مواضيعها وصورها خاصة الغلاف بل ليست مجلة تثقيفية ومسلية .

نرجو ان تعيدوا الينا مجلتنا التي تعودنا على قراءتها .

ترى ، هل انا على خطأ أم صواب ! ؟

ج . ن
هاملتون ـ كندا

العربي : المقالات التي نشرها العربي وينشرها وان تكن في مواضيع اسلامية فهي مواضيع حضارية، فهي ليست في العبادات مثلا ولكن في الاخلاق وفي المجتمع . ونحن نعلم ان الذى يتحدث في المجتمع، واكثره مسلمون ، لا يمكن ان يتجنب الحديث في قواعد المجتمع كما سنها الاسلام .

ما رأيكم .. !
وما رأى الشاعرة

● تحية عربية طيبة ــ وبعد ، فقد استمتعت بمجلتي المفضلة « العربي » ، وشعر الدكتورة عاتكة الخزرجي في الذروة من الامتاع ، ولا سيما قصيدتها « يا حبيبي ما نحن الا هشيم » المنشورة في الصفحة (١٥٤) من العدد (١٧٤) لشهر ربيع الاول (أيار) . الا انني لاحظت في البيت الثامن اختلالا بالوزن :

انت اعجزت ربة الشعر يا معـــ ـــجز الحســن في لحـاظ المـلاح

وكأني به لا يستقيم الا باضافة سبب خفيف الى اول عجز البيت يمكن تداركه على النحو التالي :

انت اعجزت ربة الشعر ، يا من ـــ اعجز الحسن في لحاظ المـلاح

ولعل خطأ مطبعيا حل بالبيت تأمل تصحيحه في اول عدد قادم ولادارة مجلتي الاثيرة اسمى آيات التقدير .

ندى عز الدين العطار
دمشق ــ السفارة الكويتية

اتجاهات مختلفة
ولكنها تلتقى في مبدأ واحد

● اطلعت على المقال المنشور في العدد ١٧٤ من مجلة العربى الغراء وكان بقلم جميل صليبا وعلى ص ٦٤ وبعنوان ميثاق للشباب العربى واعجبت به اعجابا صحيحا وذلك لاهتمامي ــ كاحد الشباب العرب ــ بمشاكل ومستقبل الشاب العربي وعلى مستوى تفكيرى الذى يقف احتراما لمقال الدكتور الفاضل . لكن النقطة التى لفتت انتباهي هى خاتمة المقال التى يقول فيها الدكتور « فليس يضر العالم العربى أن يكون فيه شبان محافظون او شبان مجددون او شبان اشتراكيون أو شبان وجوديون وانما يضره أن لا تلتقى هذه الاتجاهات في مبدا واحد » .

واذا تفضل على الدكتور بالسماح لأبدى ملاحظتي فانني اقول :

لا شك في أن كل فكر يقوم على فلسفة خاصة به ، منذ بدايته الى نهايته ومعتنق هذا الفكر او ذاك له سلوك وطريقة تفكير في الحياة ونظرة الى الامور تحدد على ضوء ذلك الفكر ووفقا لتعاليمه . وحتى رايه في الكون والحياة وفي السياسة والاقتصاد والقضايا القومية والوطنية .. أى أن الفكر الاشتراكى مثلا يختلف في نشأته وفي خطوطه العريضة عن الفكر الراسمالى او الوجودى والدينى ، ومعتنق ذلك الفكر ينعكس هذه الامور في سلوكه فالشاب يصبح ترجمة حية لعقيدته ، اذا صح التعبير . لكن اين تكمن وحدة الشباب العربى ؟ أفلا يضر هذا بالوطن العربى ؟ انه يبقى الامور بدون حل اذا لم يفقدها ...

وتقبلوا رايى هذا مع وافر الشكر لكم والاعتذار للدكتور .

مهدى نصيف الزيادى
محافظة المثنى ــ العراق

سرني ما قرات بخصوص ميثاق الشباب العربى للدكتور جميل صليبا :

ولدى بعض الكلام بخصوص عبارة وردت في الخاتمة راجيا من استاذنا الفاضل تقبلها برحابة صدر مع خالص تقديرى .. يقول الدكتور جميل: « فليس يضر العالم العربى أن يكون فيه شبان محافظون، أو شبان مجددون أو شبان إشتراكيون، أو شبان وجوديون .. وانما يضره أن لا تلتقى هذه الانجاهات في مبدا واحد .. الخ » .

استاذى الكريم : لم تتشبث بتلك المسميات ونحن امة لها من مقومات البقاء ما يمكنها من تجنب مثل هذه الاتجاهات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع .. انها مسميات تفت في عضد المجتمع ولدينا صور ناطقة عما نعانيه من هذه الشعارات التى كادت ان تقوض بنيان المجتمع العربى ..

محمد احمد سعود ــ الكويت

العربي : ان الدكتور جميل صليبا لم يفته هذا الاختلاف ومضاره وقد اتبع رأيه بقوله : « .. وانما يضره الا تلتقى هذه الاتجاهات في مبدا واحد . » ولا ننسى أن الاختلاف في الآراء هو الاصل ولكن يوحد بينها الرأى الغالب ، رأى الكثرة .

البقية على صفحة « ١٧٨ »

توحد المذاهب والمشارب والعادات في الأمة الواحدة يسهل مسيرة الحياة فيها

بقلم رئيس التحرير

■ رأيت طاحونة تطحن حجرا ، يغذونها من أعلى بقطع الحجر الصغيرة ، وبالقطع الكبيرة ، وبالقطع التى تقع بين الصغيرة والكبيرة ، فهى ذات أحجام متفاوتة . وتدور رحى الطاحونة على الأحجار جميعا فتخرج كلها من فتحة فى أحد جوانبها ، أحجارا متساوية لا تكاد تفرق بين حجر وآخر .

انه الطحن للتسوية .

ومررت بكواء يدور بمكواه الساخنة على ملابس بيضاء مفسولة ، لا تنبسط اذا هو فرشها وهى باردة على مائدة الكى لكثرة تجعدها . فاذا بها بعد مرور المكواة عليها كصفحة الورق استواء .

انه الكى للتسوية .

من الطحن والكى الى عالمنا الانسانى

ولقد نذكر أن من اللغات الاوروبية من يستخدم هذين اللفظين ، الطحن والكى ، يعنى بهما التسوية بين الافراد التى تتالف منهم الامم والمجتمعات .

وانتقلت من الطحن والكى الى عالمنا الانسانى ، فوجدت شعوب الأرض القديمة مختلطة أفرادا على اختلاف كبير ، أشبه شىء باختلاف حجر الطاحون ، أو هى شبيهة بالملبس المغسول قبل أن يذهب الكواء وتذهب المكواة بالذى فيه من صعود فى سطحه وهبوط .

وبحثت عن العامل الذى جرى بالناس

■ بالتكنية صار اليوم للشعوب المتقدمة من مُتَع الحياة، أكثر مما كان لملوك الأرض والأمراء.

■ العصر التكنى عمل فى صمت على توحيد الأمة أسرع مما عملت الخطابات الصاخبة والشعارات.

فى هذه التسوية ، عن الطاحون الذى كسر الحجر الكبير من البشر فقارب بينه وبين الحجر الصغير ، أو الكوّاء الذى ذهب بفروق المستويات بين الناس ، وعرفت فى سهولة أنه عصر التكنية الذى نحن فيه ، عصر الحضارة الحاضرة بالذى فيها من صناعات ومصانع ، فى الذى استجدته هذه الحضارة من معار تتصل بحياة البشر وعلاقة ما بين الانسان واخيه الانسان .

التكنية الحديثة

جاءت للناس عامة من متع الحياة بمثل ما كان للملوك والأمراء

ولقد يقرأ الرجل الحاضر منا عن الملوك القدامى ، وما كانوا يتنعمون به من عيش ، وعن الموائد التى كانت تقام ، وما كان يعقبها من حفلات للسمر صاخبة ساهرة . ويقرأ ما يقرأ فلا يهتز له كثيرا . لأن العصر الحديث ، والتكنية الحديثة ، والصناعات الحديثة ، جاءت للناس عامة بمثل ما كان للملوك والأمراء ، وبخير مما كان للملوك والأمراء ، من النعم الكثيرة .

ففى الطعام ، عندنا اليوم ، بفضل الصناعة ، ما هو اطعم منه . وفى الشراب عندنا اليوم ، عند مشتهيه ، ما هو أشهى منه . كان القدماء ، وحتى الملوك لا يعرفون غير خمير الأعناب خمرا . واليوم يوجد من المسكرات ، عند من لا يبالى

شرها ولا حرمتها،عشرات منها . ومظاهر اللهو جميعا ، من حلال او حرام ، تلك التى كانت مقصورة على امراء تلك المهود وملوكها ، وكانوا قلة فى شعوبها ، حتى هذه المظاهر والوسائل ، بخيرها وشرها، اصبحت اليوم فى متناول الانسان ، فى



التكنية الحديثة ، ومعها الثراء الحديث جاءت لأهل هذا العصر من النعم ، بمثل ما كان قديما للملوك والأمراء .

متناول جيبه ، اذا رضيت بها مشيئته ، واستباحتها ذمته .

حتى فى حاجات الحياة البسيطة ، تجد رجل اليوم ، بالتكنية ، امتع . وأريد أن أضرب مثلا ، فأجد الأمثال تتلاحق . وأذكر منها الثلج ، ذلك الذى كان الملوك يستوردونه خاصة من رؤوس الجبال حيث يرقد ، صار رجل اليوم يحظى به عند بابه ببضعة فلوس .

والطعام الجارى بين الناس قد توحد، بين امير وبواب امير . ان اكل الأمير اللحم اكل البواب اللحم . وان أكل الأمير الدجاج اكل البواب الدجاج . والدجاج يؤتى به من اقطار العالم البعيدة بأثمان زهيدة ، لأنه صار « يصنع » صناعة فى مرابيه بالآلاف عشرات . المسالة مسالة كم فى جيب الرجل من مال، وكم يكتسب من أجر .

والأجور ــ وأنا دائما انظر فى هذا الصدد فى الأمم التى ازدهرت فيها التكنية واتسعت حتى شملت ــ هذه الأجور فى أمم التكنية المكتملة ، تقاربت ، وأجر البواب هناك ليس بالأجر القليل .

اقول نال عامة الناس ، فى أيامنا هذه، من حاجات الحياة، اشياء كانت مقصورة على القلة من الأثرياء،وذلك عندما جاءت الصناعة الحديثة فاشاعتها ، وباشاعتها ارخصتها .

انتاج الجملة ، ارخص الغالى

وهى ارخصتها لصفة لزمت هذه الصناعة،بل الصناعات التكنية الحاضرة، منذ بدأت .

كان الصانع القديم يصنع الشىء الواحد فيقضى فى تمامه يوما او يومين ، او اسبوعا او أكثر . وكلما طال الزمن غلا



انتاج الجملة ارخص الاشياء

الثمن . فلما جاءت المصانع صارت تصنع الالف من الشيء الواحد في اليوم الواحد. انه انتاج الجملة الذي ما كان يمكن بغير آلة .

وتهافت الناس على انتاج الجملة لرخصه، وتهافتت الجماهير على اختلافها على الاشياء الواحدة فتوحدت اهدافا واذواقا .

وانتاج الجملة هذا هو الذي عصف بتفرد الملوك والقدماء ، والاثرياء من الامراء وغير الامراء ، عصف بتفردهم بحيازة الاشياء الجميلة النادرة ومتع الحياة الغالية .

والتكنية جاءت بما لم يكن بالحسبان

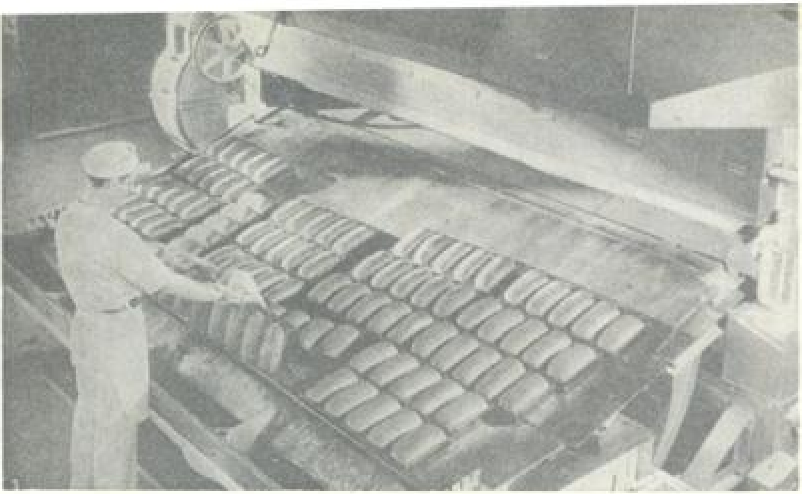
والتكنية جاءت للناس ، في هذه العصور الحاضرة ، بما لم يكن موجودا في العصور الغابرة . في كل مرفق من مرافق الحياة يوجد الجديد . في بيتك اذ تبنيه . في بيتك اذ تزينه . وفي بيتك اذ تؤثثه. وجاءت لك التكنية بالسيارة. وجاءت بالقاطرة . وجاءت بالطائرة . وجاءت بيتك بالتلفون ، والتلفاز . وجاءت بالكتب . وجاءت بالمدارس بناء ، وبالمدارس كتبا . وبالعلوم التي تدرس اليوم في الجامعات والمدارس ولم يكن منها في الامس شيء او كان القليل من ذلك . اني ان ظللت اعد ما وقف بي العد ابدا .

ولكن لا بأس ان ازيد فاذكر الطب والمرض . عقاقير مئات عند اختلال معدة او قلب . والنظارات عند افتقاد بصر . لقد عانى من افتقادها ملوك قدماء لما قصر بهم النظر . ان المدسات من ابتداع العصر التكني الحديث .

وصحب التكنية عوامل التوحيد كثيرة

واعود الى معنى التوحيد بين الناس .

التوحيد له اسباب عدة، ولكن التوحيد الذي ذكرته الآن انما هو التوحيد الذي



جاءت به التكنية الحديثة . ومع التكنية الآلة من صغيرة متواضعة وكبيرة هائلة، ومن وراء الآلة الطاقة تدفعها ، تدفع عجلاتها دفعا .

ولكن هناك أسباب أخرى للتوحيد ، أثر التكنية فيها وأثر الآلة موجود ، ولكنه غير مباشر ، أو هو غير ذي وجود .

المدن
نشأتها من عوامل التوحيد

ومن عوامل التوحيد نشأة المدن ، لا سيما الكبيرة . انه اختلاط الجماهير بالجماهير ، واتصالهم في غدوهم ورواحهم ، وفي عملهم وفراغهم ، كل هذا يدعو الى المشاكلة في كل ما شاكل فيه الانسان . وهو يشاكل بالرأى في مأكل ، ويشاكل في ملبس ، ويشاكل في رأى يتصل بأسرة ، أو رأى يتصل بشرطة أو بادارة ، وبدين أو بسياسة . انها الأحاديث التى تأتى عفوا فتقارب بين المتحدثين . وسموا الانسان حيوانا اجتماعيا ، وهو ما اجتمع الا للمشاركة في تحسين حال ، وتوحيد عيش ومآل .

والمواصلات
من عوامل التوحيد

وبين المدن والمدن قضى العصر الصناعى بكثرة انتقال . وأجهزة المواصلات في العاصمة ، أو بين مدينة ومدينة ، أو بين قطر وقطر ، هي دائما مزدحمة بالناس . في سيارة أو قاطرة أو طائرة أو سفينة . والناس لها ألسنة تتكلم ، ولها آذان تصغى ، والناس يمتعها الحديث . وفي الأحاديث توحيد لا شك فيه ، يبدأ تقاربا ، وبالتكرار بين الناس يتبلور ويتوحد . ومن هنا قالوا بالرأى العام وأنه شيء موجود .

والناس حتى اذا لم تتكلم، ترى وتسمع . والناس ترى في مواصلاتها من مظاهر الحياة الشيء الكثير ، وهى مظاهر للناس من الناس . وهى تحب ما ترى ، أو تكره ما ترى ، فيغريها الحب بالتقليد ، ويغريها الكره بالترك والعزوف .

ولم يكن في الأزمنة الغابرة شيء من المواصلات يشابه أو يقارب مواصلات اليوم ، وانتقال الناس ، بهذه الملايين كل يوم ، وبهذه السرعة ، شيء جديد . والسبب ، وهو سبب واحد نذكره من أسباب عدة ، أن أجهزة المواصلات التى تنقل الناس ، هذه الحاضرة السريعة لم يكن لها في الأزمنة الغابرة وجود .

فعالم اليوم ، بهذه المواصلات ، غير عالم الأمس قريبه والبعيد .



الخبز خرج من البيوت الى مصانعه . فالناس تأكل فى الامم المتقدمة خبزا واحدا وحد بينهم ذوقا . وهكذا فعل كل ما يستصنع جملة للسواد من الناس .

والمواصلات ازدحمت بالشعب، فخلطت بين صغيرهم وكبيرهم. وتحدثوا فى القطار وغير القطار فبادل بعضهم بعضا أفكارا ومشاعر .

والتجارة اتسعت فوحدت بين الامم

والمواصلات بين الشعوب زادت سهولة وسائلها . ان السفرة التى كان يستغرق قطعها اياما او اشهرا ، تتم اليوم فى ساعات . وانت اليوم تذهب من لبنان الى لندن فى نحو ٥ ساعات . ومن لندن الى نيويورك فى ساعات اكثر قليلا . ومن نيويورك الى سان فرانسيسكو فالى اليابان ، فالى الشرق العربى مرة أخرى فى ساعات تكاد تجارى فيها الشمس سرعة .

وسهولة هذا السفر خلط بين الامم اكثر مما خلط أى زمان سبق ومكان .

والرجال والنساء تنتقل من شعوب الى شعوب للسياحة . ولكن هذا ينسينا، وينسى السائح منا خاصة ، أن هذه المواصلات مملوءة بالتجار ورجال الأعمال، وهى من انجح اسباب المزج بين الشعوب .

والمزج بين شعب وشعب قد يكون تجارة .

والمزج بين شعب وشعب قد يكون علما .

والمزج بين شعب وشعب قد يكون فكرا .

ومن آثار هذا المزج أنك الآن قد ترى فى بعض الصحارى البعيدة كل البعد عن مناطق العمار بيوتا دخلتها أحدث أطرزة الأثاث الالمانى ، أو بنيت على الطراز الانجليزى او الفرنسى .

حتى الأمزجة تنتقل .

وينتقل العلم .

وينتقل الفكر .

وخشيت بعض أمم الشرق مآسى قد تحل بها من هذا المزج ، فأخذت لهذا الحال عدته .

والتعليم وقد صار اجباريا عمل عمل التوحيد

ان تعليم الأطفال والصبية ، والمواطنين عامة لم يكن ضرورة احستها القرون السابقة . ولكنه اصبح ضرورة بمجىء العصر التكنى الحديث . فالآلة البخارية او الكهربائية لا يمكن ان يقوم على أدارتها شاب كان من كان . انها تحتاج الى فهم والى علم ، والى قراءة وكتابة والى حساب . والتعليم نفسه من حيث أنه



والطائرة بين شعب وشعب ، مزجت بين الشعوب ، ومحت الابعاد الجغرافية بينهم .

وليس شيء أفعل في توحيد المواطنين من مدرسة .

حق طبيعي لكل انسان حي ، جاءت به الأفكار الجديدة التي صاحبت التكنية ، والدراسات الاجتماعية، وكذلك الحاجات السياسية .

ولهذا نرى التعليم لم يبلغ صفة التعمم ، فالاجبار ، الا في أواخر القرن الماضي ، وأوائل القرن الحاضر ، القرن العشرين . وهو بدأ في الأمم الصناعية المتقدمة ، وعنها أخذ المتخلفون .

وليس شيء أفعل في توحيد المواطنين من مدرسة . وتبعت المدارس الحكومات، فهي التي تهيىء لها البناء، وتهيىء العتاد، وتهيىء المدرسين والمدرسات . وتهيىء فوق ذلك البرامج . فهي تشكل دروس الطلاب تشكيلا واحدا ، وتملأ قلوبهم بالعواطف والنزعات بالكيل الواحد . وتأتي الصبية الى المدارس من بيوت مختلفة المطالب والنوازع والعادات والدرجات . وفي المدرسة الواحدة يصاغ الطلبة ، بقدر ما يصاغ بنو الناس ، في القالب الواحد . وتخرج الأشكال ، ان لم تكن واحدة تماما ، فهي متقاربة . توحيد لم يتم ، ولكن المدرسة جرت شوطا ذا بال في توحيده . ويمضي الجيل ، ويأتي من بعد الجيل جيل ، يكون خريجوه من المدارس أكثر توحدا في الآراء ، وفي أساليب الفهم ، وفي الاستجابة لمطالب البيئة ، وهي مطالب شتى ذات ألوان .

ولقد عانى الشرق ، ولا سيما العربي، من توحيد مواطنيه زمانا ، لاختلاف المدارس طبيعة ، واختلافها منهجا ، واختلافها مزاجا . وكثير ما تبع اختلاف المنهج اختلاف ازياء . وتجمع بين الزيين فتجمع بذلك بين راسين مختلفين . قد يكون حشو كل منهما حسن ، وحشو كل منها صائب . كل يصلح وحده ، كما الماء يصلح وحده ، وكما الزيت يصلح وحده،ولكن عند المزج يابيان ان يمتزجا.

ولست ممن يضع زيا فوق زي ، او زيا دون زي ، او منهجا من هذه المناهج فوق منهج . كل له فوائده ، وكل له في مناشط البلاد موضعه ، ولكن ضياع الوحدة والتوحيد يضره . والاختلاف له ظلال لا تؤدي في مسيرة الحياة ، في الأمة الواحدة ، الا الى ضلال .

على اني ارى ان التوحيد في التعليم، على الأقل للصبية ، أصبح غاية .

وعند الكبر يحين التخصص،ووجب



عندئذ ان يكون افتراق . وافتراق فى الحرف ، وافتراق فى المهن ، ولكن على قسط كبير مشترك من القواعد والعادات التى يرضاها الجميع للسير بالحياة الدنيا فى طريق الالفة والمحبة والسلام .

ومن وسائل التوحيد
الى جانب المدارس النظامية
توجد المواصلات الفكرية

للكاتب المويلحى كتاب أسماه **«عيسى ابن هشام»** ، زعم فيه أن عيسى هذا كان عاش فى قرن أو قرون مضت ، ثم هو احياه ، وقد اختلفت المدن . ثم اخذ يدور به على الدنيا الجديدة التى كان مات دون ان يلحق بها ليطلع عليها . وبهر بالطبع عيسى بن هشام ما راى .

وهذا كتاب كان شائعا فى ايامنا ونحن صغار ، واحسبه لا يزال يعرفه الى اليوم طلاب المدارس .

وهذا الكتاب اوحى الىّ باننا نحن الذين نشأنا مع اشياء هذه المدنية الحاضرة، قد الفناها فلا نرى فيها اليوم شيئا عجبا .

ولكن يرى العجب كل العجب «عيسى ابن هشام » أو «أعياس» من أبناء هشام» نبعثهم من قبورهم اليوم ، بعد رقاد فيها طال السنين ، ثم ندور بهم على اشياء هذه المدنية الحاضرة ، انهم عندئذ سوف ياخذهم العجب اكثر ما اخذ « عيسى ابن هشام » ذلك الذى كان أحياه كاتبنا الظريف من قبره .

واعنى هنا خاصة تلك البدائع الجديدة التى جاءت بها العصور الجديدة تنافس بها المدارس والجامعات فى تعليم الناس وترفيههم .

ولا اذكر الكتاب والمطبعة التى ابتدعته، فهذا ابداع قديم .

ولكنى اذكر الاذاعة، مسموعة والاذاعة مرئية ، واذكر السنما ، فكل هذه من ابداع عصرنا هذا الحديث .

وكلها للتثقيف اساسا ، ثم للترفيه. ومع هذا فما الترفيه ؟ انه كثيرا ما يكون تثقيفا . تثقيف فن ، تثقيف حسّ ، تثقيف خيال . وهل كانت الموسيقى الا ثقافة مدخلها الآذان .

واسميناها المواصلات الفكرية ، وهى مواصلات ثقافية . ولكنها تثقف فيما لا تثقف فيه المدارس والجامعات .

وبدات هذه المواصلات ، لا سيما فى بلاد الشرق، أول الأمر ضعيفة ، واجهزتها بين الناس قليلة . ومضى القرن الحاضر فى جريانه ، فزادت المواصلات مدى ، وزادت أجهزتها كثرة ، حتى لقل أن تجد بيتا ذا مقدرة الا فيه جهاز .

وتكوكب على أجهزة التلفاز خاصة صبية الأسر .

فان أنت طلبت شيئا هو من أفعل الأشياء فى توحيد الأمة فكرا وعاطفة ،

ومزاجا ، بعد المدارس ، لم تجد كالتلفاز موحدا .

من اجل هذا كان خطر التلفاز عظيما، وتبعته من كبرى التبعات . فالتوحيد فيه قد يكون توحيدا فى اصلاح ، او توحيدا فى افساد . ومن الخطأ البين فى بعض الاذاعات أن يترك الحبل على غاربه .

ولخطورة الاذاعة والتلفاز فى التثقيف، وفى الترفيه المثقف ، تحملت تبعته الحكومات ، فى الكثرة الكاثرة من الدول .

ولا ننسى أن نذكر ، ولو فى صوت خفيض ، أن الأجهزة التكنية لهذه المواصلات الثقافية ، انما كانت من ادق وابدع ، وانفع ما كشفت عنه البحوث العلمية .

والاعلانات تعمل فى توحيد الجماهير

الاعلانات الناجحة تجذب الناس اليها . فان كانت بضائع راجت . وان كانت مسارح راجت .

وأكثر الناس يريد الشيء ولا يجد اليه هاديا . وقد يريد الشيء المبهم الذى لم تتحد له صورة فى ذهنه . فيأتى الاعلان الذى يهديه، ويحدد الصورة التى انبهمت منه فى خياله .

فالاعلان الصادق خدمة اجتماعية لا شك فيها .

وهى خدمة وحدوية الى جانب ذلك.

وهى خدمة اقتصادية . فتكوكب الناس بالاعلان على شيء بالكثرة الواجبة، يؤدى بالصانع الى صناعة هذا الشيء بالجملة الواجبة . وفى هذا ارخاص الثمن .

ولقد سمعت رجلا يقول ان فى كل هذا الذى أذكر اضاعة لفردية الفرد .

وهذا حق .

ولكن هكذا طبيعة الأشياء ، وهكذا طبيعة هذا العصر التكنى الصناعى . انه عصر ينتج بالجملة ، وهى رغبة السواد من الناس . ومن الأفراد من يكون له رغبة فوق رغبة السواد ، ولعلها أفضل من رغبة السواد ، ولعلها أمتع لحاجة فردية توجد عند الفرد المتميز ، ولكن لا توجد عند عامة الناس . فهذه الحاجة لا يكون للتكنية الشائعة غاية فيها . انها

ولن تجد شيئا افضل فى توحيد الأمة ، فكرا وعاطفة ومزاجا ، من اذاعة مرئية ، من تلفاز .





والاعلان الصادق خدمة اجتماعية ، ولكنه خدمة وحدوية كذلك

تصنع في غير جملة . وثمنها لا يكون ثمن جملة . انها أشبه بالتحف التي تكون بيوتها المتاحف . لها الثمن الغالي والبيت الرفيع .

التوحيد لا يمنع الفروق

ونحن نطلب التوحيد في الأمة الواحدة، وبين الأمم ما امكن ، ليسود السلام وتسود المحبة . ونعلم انه لن يتم لها الكمال النظري المفهوم من منطوقها اللفظي . ولعل الطبيعة تابى الوحدة مع اختلاف الانسال والانساب والبيئة والزمان .

والوحدة الكاملة قد تنفع الجيش المحارب في انضباطه ، ولكن المجتمع الذي ينضبط انضباط الجيش لا شك هالك .

ان الوحدة التي نقصدها هي الوحدة في الأمزجة التي تقبل أصول الحياة او ترفضها ، والوحدة التي تفهم ضرورات العيش ، وان من ضروراته النزول عن الفروق في سبيل الوحدة التي بها يتصل السير في الحياة .

على أن الفروق صنوف .

ففروق متناقضة متعارضة يجب بعضها بعضا ، فهذه لا يستقيم معها عيش .

وفروق متقاربة ، هي ظلال من ألوان واحدة ، لا يضير أحد ضيرا ذا بال ان يتحرك بينها .

ولا ننسى أن الاختلاف من طبع العقول، والأحاديث ما حلت الا بين العقول المختلفة .

ولا ننسى أن الاختلاف من طبع القلوب . وتعددت أهواء القلوب فكان لكل من مباهج الحياة نصيب .

احمد زكي

رائد الاقتصاد : **ابن خلدون**

ابن خلدون

بقلم :
الدكتور محمد على نشأت

■ تناولت ابحاث علماء الغرب الجانب الاجتماعى والتاريخى فى مقدمة ابن خلدون ، واعتبروه مؤسسا لعلم الاجتماع ولعلم التاريخ ، ولم يظفر الجانب الاقتصادى من مؤلفه بما كان يستحقه من اهتمام * .

كان ابن خلدون سباقا فى ميدان علم الاقتصاد .

ابن خلدون صاحب المحاولة الاولى لتاسيس علم الاقتصاد

والواقع ان ابن خلدون كان صاحب المحاولة الجدية الاولى لتاسيس علم الاقتصاد ، وأن كثيرا من ارائه يعد حتى اليوم تحفة رائعة فى التفكير الاقتصادى السليم . ولا يقتصر الامر على انه لم يُسبَق الى ملاحظة ظواهر اقتصادية معيّنة ، بل ان قرونا وقرونا مضت من غير ان يبلغ الاقتصاديون اللاحقون مستوى تفكيره (فمثلا نراه فى نظرية الانتاج يبدى اراءه فى تنظيم الحياة الاقتصادية ، وانها مبنية على تقسيم العمل والتضامن ، وان الانتاج يسير من البسيط الى المركب ، ومن الضرورى الى الكمالى ، مسترشدا بالطلب والاثمان) .

وقد اهتم بالعمل من بين عناصر الانتاج ، وبيّن ما فى الفلاحة من صفة فطرية ، بخلاف الصنائع فهذه ملازمة للحضارة . وقد اعتبر ابن خلدون ان الخدمات منتجة ، فهو بذلك الانتاج فهما أصح من فهم ادم سميث الذى قصر الصفة الانتاجية على تلك الخدمات التى تترك وراءها انتاجا ماديا ملموسا . (ودرس ابن خلدون ظاهرة التخصص فى الصنائع ، مبينا اثر المواهب الشخصية فى التخصيص الفردى ، وأثر عنصر الطلب فى التخصص الاقليمى) .

وفى نظرية القيمة ادرك ابن خلدون العوامل المؤثرة فى القيمة من منفعة ونفقة انتاج باوسع معانيها . (وفى نظرية الاثمان ادرك ابن خلدون قانون العرض والطلب وتكوين الاسعار تبعا له . وقد اعترض ابن خلدون على النظم غير الطبيعية للاسعار : مثل فرض السلع فرضا ، ونظام الاحتكار ، وبيّن خضوع نظام الاجور للعرض والطلب) ونوه بثبات قيمة الذهب والفضة ، وانهما يتخذان لذلك اداة للمبادلة ، واداة للادخار ، كما شرح صلة كمية النقود وتوزيعها بحالة العمران ورواج المعاملات

(ولقد بين ابن خلدون اثر العوامل المعنوية عموما فى العمران وخاصة اثر الحرية والعدالة فى الرخاء ، وأوضح اهمية ضرورة احترام شخصية الفرد ورعاية الحافز الشخصى ، كما حمل على الظلم والارهاق المالى) .

ومن اهم ما تناوله فى مؤلفه الكلام عن الترف واقتصادياته . وموضوع الترف من موضوعات الساعة التى يبحثها الاقتصاديون : ما اثر الترف على الانتاج ؟ ما اثره على الاستهلاك ؟ ما اثره على مالية الدولة ؟ وقد بيّن اثر تاصل الترف فى المجتمع وما يؤدى اليه فى النهاية من اختلال بالانتاج والاستهلاك ، وما يدفع اليه من الاتجاه الى الطرق غير الطبيعية فى المعاش . وبيّن كيف يصيب الترف الدولة فى موضعين فاصلين ، وهما : المال والعصبية ، وكيف انه عامل انحلال للعصبية وعامل تضخم فى النفقات ، وانه فى النهاية عامل حاسم فى القضاء

---

* انظر رسالة الفكر الاقتصادى فى مقدمة ابن خلدون ، للكاتب ، وترجمتها الى الانجليزية (جمعية الاقتصاد والتشريع فى مصر ، عام ١٩٤٥م) .

على قوة الدولة والحياة الاقتصادية فيها ، بعد ان كان في اولها عامل قوة لها .

وله آراء واضحة في ضرورة توفر بيئة صالحة ، لكي يبلغ العمران احسنه من حيث الوسط السياسي والامن والنظام .

وابن خلدون استاذ المدرسة التاريخية التى تقول ان التاريخ يسير فى سياق معلوم

ولقد كان بحق استاذ المدرسة التاريخية الحديثة ـ ومن قبل هيجل Hegel ومن قبل ماركس Marx ، ثم قبل فيكو Vico . كان اول من اظهر ان التاريخ يسير في سياق معلوم ، وفي شكل حلقات ، وان من اهم العوامل في ذلك التطور العامل الاقتصادى ـ فهو استاذ مدرسة تفسير التاريخ تفسيرا اقتصاديا . ولقد حلل سياق التاريخ ، ووضح كيف تسير المجتمعات من البداوة الى العمران ، الى استحكام العمران او الحضارة ، ومن النمو الى الوقوف ، ثم الى التراجع أو الهرم . وابد ابن خلدون اثر العامل الاقتصادى في ذلك كله . فالترف بدلالته الاقتصادية خاصة عامل انحلال حاسم في تطور المجتمعات (ولكن ابن خلدون لا يفرد العامل الاقتصادى بتفسير التاريخ ، فهناك العامل السياسي ، والعامل الطبيعي ، والعامل الديني .)

وكان يرى أن الانسان يدفع ثمنا للترف ، هو خضوعه للقهر وفقدانه لحرية البداوة ـ فاما حرية مع خشونة البداوة ، واما اسر مع نعومة الترف ، وكان يرى كما يرى باريتو Pareto « أن التنظيم الاجتماعى يبدأ مع رخاء ، ولكنه ينتهي الى انحلال وانتقاض » فاستفحال الحضارة مؤذن بانقراضها .

وليس معنى هذا ان ابن خلدون لم يكن له امل في اصلاح حال الامة ، فهو يرى أن بعد الهرم تجددا في شباب العمر ، وأن بعد انتقاض الحضارة الاولى حضارة مستأنفة ، وأن بعد انهزام الدولة قيام دولة جديدة قوية . وكان ابن خلدون ، يهيب بقومه : ان بعد العسر يسرا ، بعد ملاحظته لسبعة قرون من التمدن الاسلامي ، يهيب بقومه أن بعد العسر يسرا ، وانه اذا كان قد لحق الامة الهرم فما ذلك الا سنة الطبيعة ، وان بعد الهرم تجددا في القوى فلا معنى للقنوط ولا اليأس ، وقد الف مقدمته في زمن « كانما نادى لسان الكون في العالم بالخمول وبالانقباض » فالعمران العربي في الاندلس كان يتراجع تحت ضغط الاسبان ، لذلك رأينا ابن خلدون يسهب في بيان اسباب الانحلال ، واسباب الازدهار ، لعل الامة العربية تدرك ما هي عليه من الانحلال والضعف ، وتتعاون على ما فيه استئناف نشاطها واسترداد قوتها ، وان اول ما يجب ان تفهمه هو ان هرمها ليس هرما دائما ، فما من هرم في الامم يدوم ، انما هو هرم « حتمي جلبه استفحال الحضارة ، وانه لابد من زواله ، وتتجدد الدولة وتتجدد الحضارة ، بعد فترة من الخمول هي فترة استجمام ، وتنصل من ادران الترف ، وتسوية للمظالم ، وتقدير لما اعوج من الامر .

لم يقل ابن خلدون بان لابد أن نلقى بالحضارة جانبا ، ونعود الى البداوة ، وانما اشار ضمنا الى وجوب احاطة سير الحضارة بالعلاج السياسي ، والعلاج الاخلاقي . فالعلاج السياسي يشمل العدالة والرفق المالي والامن ، والعلاج الاخلاقي يرمي الى وضع حاجات الانسان على اساس سليم أي صقل الطلب او تهذيب الاختيار والاستهلاك .

فالاصلاح السياسي والاصلاح الاخلاقي يجب أن يصحبا الاصلاح الاقتصادى ، وهذا ما يبدو أنه المغزى الاخير لكتابة ابن خلدون .

والعمران البشرى يتهدده عاملان ، الاول دواعي الترف وما يؤدي اليه من اختلال مالى ، والاخر هو الفوضى السياسية وما يلازمها من ارهاق مالى ، وهو في الحكم .

اما حيث يتحقق للعمران العدل السياسي والتقويم الاخلاقي فاننا نكون وقتئذ امام مجتمع فاضل اذا القيت فيه حبة الخير انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء .

الدكتور محمد على نشات

خبير الامم المتحدة ـ جنيف

الثقافة

ماذا تعني؟

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ كلمات « الثقافة » ، و « المثقفين » ، و « التثقيف الذاتي » ، (وما الى ذلك) كلمات شائعة على كل لسان جارية على كل قلم . وقد يكون من الحديث المعاد أن نقول ان الباحثين قد دأبوا على التفرقة بين « الحضارة » و «الثقافة» ، حتى لقد أصبحت كلمة « الثقافة » علَماً على الجانب الروحي من جوانب النشاط البشرى ، وكأنما هي مجرد تعبير عن « الأفكار والمعايير التي تأخذ بها جماعة من الناس ، في حقبة من الحقب التاريخية . » وقد تكون « الثقافة » ـ بالفعل ـ مظهراً من مظاهر تسامي الانسان فوق « مستوى الغريزة » ، ونجاحه في بلوغ « مستوى القيم » ، ولكن من المؤكد أن أي مظهر «حضاري» يتسم به انسان اليوم (بما في ذلك الصناعة والتكنية ، والتقدم المادي الصرف) انما هو ـ بوجه من الوجوه ـ تعبير عن انتصار « الانسان » على « الطبيعة » ، وسيادة « مملكة الحرية » على « مملكة الضرورة . » فليست « الحضارة » ـ مثلها في ذلك كمثل « الثقافة » ـ مجرد ترَف كمالي ، أو حادث سعيد تلبَّس بتاريخ البشرية ، بل هي ظاهرة انسانية أصيلة ، تعبّر عن خروج الموجود البشرى من حالة « البربرية » البدائية ، وانتقاله الى مرحلة « الحرية » التي أصبح معها وجوده « صنيعة ذاته » ! ومن هنا فقد ذهب بعض الباحثين الى أن « الحضارة » ـ بمعناها الواسع ـ جزء لا يتجزأ من صميم وجود الانسان، بحيث انه لم يَعُد في وسعنا اليوم أن نتعرّف « الانسان » ، دون أن ندخل في حسابنا مفهوم « الحضارة » ، باعتبارها السمة الأساسية المميّزة للنشاط البشرى بصفة عامة ..

هل تكون « الثقافة » مجرد نمط من أنماط التفكير والسلوك ؟

ولو أننا تصورنا « الثقافة » ـ كما يقول بعض علماء الاجتماع ـ على أنها مجموع الأفكار والمعايير التي تجمع بين طائفة من الناس في وحدة اجتماعية متماسكة ، لكان في وسعنا أن نقول ان هناك من « الثقافات » قدر ما هنالك من « جماعات بشرية » . ولا شك أن عِلْماً يدرس «العادات»، لا بد من أن يهتم في الوقت نفسه بدراسة «الأنماط الثقافية » ، فليس بدعاً أن نرى علماء الانثروبولوجيا يهتمون بالخوض في البحث المقارن للثقافات ، والوقوف على الأنماط المختلفة للثقافة، ودراسة ظاهرة « التغيّر الثقافي » ، ومعرفة مدى قدرة الشعوب على اعتناق ثقافة غيرهم من أبناء السلالات الأخرى .. وليس في وسع أحد ـ اليوم ـ أن ينكر جدوى أمثال هذه الدراسات ، خصوصا وأنها تكشف عن استقلال مفهوم « الثقافة » عن مفهوم « السلالة » Race (أو الشكل الجسماني)، ولكننا لا نريد في هذه المجالة القصيرة تناول

« مشكلة الثقافة » ، بوصفها مشكلة اجتماعية او انثروبولوچية ، بل نحن نهدف من وراء هذا البحث الى الكشف عن دلالة « الثقافة » باعتبارها تعبيرا عن نمط معين من التفكير والسلوك ، ألا وهو نمط الانسان المتعلم المتحضر ..

لا تعارض بين « التخصص » و « الثقافة » ...

بيد اننا ما نكاد نربط « الثقافة » و «التعلم»، حتى نلمح على وجه القارىء اعتراضا شديدا على مثل هذا الخلط (الذى طالما حذرنا منه الباحثون) بين مستوى واسع هو مستوى « الثقافة » من جهة ، ومستوى ضيق هو مستوى « التخصص» من جهة اخرى. وواضح أن هذا الاعتراض يستند الى تفرقة ضمنية بين «الانسان المتعلم» أو «المتخصص» من ناحية ، و « الانسان المثقف » أو « صاحب المعرفة الواسعة » من ناحية اخرى . ونحن نبادر فنرد على هذا الاعتراض بأن نقول انه قد يكون من خطل الرأى الحكم على الرجل المتخصص بأنه - بالضرورة - انسان غير مثقف ، وكأن من طبيعة « التخصص » أن يتعارض بالضرورة مع «الثقافة» او « التثقف » ! والحق أن « التخصص » الحقيقى لا يتم الا فوق « خلفية » من « المعارف العامة » او « الثقافة الكلية » ، بحيث انه قلما يلتقى المرء برجل « متخصص » حقا ، دون أن يجد لديه قسطا من « الثقافة العامة » التى يرتكز اليها تخصصه . ولئن يكن ثمة فارق كبير بين «الرجل المثقف » و « الرجل ذى الدماغ المتضخم بالمعلومات » ، الا أن « الرجل المثقف » لا يمكن ايضا أن يكون هو « صاحب الدماغ الفارغ » ! وحينما كان مونتنى Montaigne فى عصر النهضة - يفرق بين « حشو الذهن بالمعلومات » من جهة ، و« تكوين العقلية السليمة » من جهة اخرى ، فانه لم يكن يدعو الى الحد من التخصص ، بقدر ما كان يدعو الى الحد من اللجوء الى «الذاكرة» فى عملية « التعليم » أو « التثقيف » .

والحق اننا ما زلنا فى حاجة الى تفهم الدرس الذى قدمه لنا فلاسفة عصر النهضة ، حينما راحوا يؤكدون لنا ان « الثقافة » الحقة لا تنحصر فى شحن الذاكرة بالمعارف والمعلومات ، بل هى تنحصر - اولا وبالذات - فى تزويد النشء برجاحة الحكم. ولعل هذا هو السر فى ذلك التعارض الذى اقامه مفكرون من امثال مونتنى وشارون Charron بين « الحكمة » : La sagesse من جهة ، و « المعرفة الواسعة » L'érudition من جهة اخرى . ولكننا نخطىء خطأ جسيما لو تصورنا هذا التعارض على انه وضع « للحكمة » فى مقابل « العلم » . فان الخصم الحقيقى للحكمة ليس هو«العلم » (بنزعته العقلية ، ومنهجه الرياضى)، بل هو « التعليم الاجوف » الذى يقتصر على حشو الذهن بالمعلومات ، وتزويد الذاكرة بشتى صنوف المعارف ، دون الحرص على تربية ملكة الحكم ، أو تنمية وظيفة النطق (أو العقل) Raison . وقد يكون من بعض افضال ديكارت على الفكر البشرى انه قد نجح - الى حد كبير - فى رفع التعارض الذى اقامه مفكر عصر النهضة بين « الحكمة » و « العلم » ، أو بين « العقل » و « الذاكرة » فاظهر الناس على أن الثقافة الحقة لا يمكن أن تكون مرادفا للمعرفة أو سعة الاطلاع، بل هى لا بد من أن تجمع بين « العلم » و « ورجاحة الحكم » ، أو بين « العقلية المنهجية» و « روح الحكمة » . ومن هنا فقد يكون فى وسعنا أن نقول ان « التخصص La spécialisation» مفهوما على حقيقته) لا يمثل بالضرورة الخصم الاكبر لل « ثقافة » ، وانما الذى يتعارض حقا مع « الثقافة » هو ذلك « التعليم الاجوف » الذى يقتصر على حشو الذهن بالمعلومات ، دون تزويده بالقدرة على الحكم ..

هل « الثقافة » هي ما يتبقى لدينا بعد أن نكون قد نسينا كل شيء

... صحيح انه قد يكون للتخصص عيوبه - خصوصا حين يستحيل الرجل المتخصص الى انسان ضيق الافق لا يكاد يمتد ببصره الى ما وراء دائرة تخصصه - ولكن للتخصص مع ذلك اهمية كبرى فى المجتمعات الحديثة لأنه يسمح لطوائف مختلفة من الباحثين بالتعمق فى مجالات محددة من المعرفة ، فيتيح لهم الفرصة للنفاذ الى اغوار بعض الحقائق ، بدلا من الاقتصار على الوقوف عند الظاهر . وليس اخطر على «الثقافة» - فى رأينا - من « رجل العموميات » Généralité: فان مثل هذا الرجل الذى يستطيع أن يتحدث عن كل شيء ، دون أن يعرف أى شيء على الاطلاق، انما هو فى الحقيقة انسان سطحى لا يعلم شيئا عن أى شيء !

وأما اذا قيل اننا نحن انفسنا قد عرفنا

« الفيلسوف » (في بعض ما كتبناه) بأنه « الرجل المتخصص » ، كان ردنا على هذا الاعتراض اننا لم نوحد مطلقا بين « الفيلسوف » و « رجل العموميات » : لأننا أعرف الناس بما يستلزمه التفلسف من تخصص . وآية ذلك ان « الفيلسوف » ـ في رأينا ـ انسان سالك يحاول الوصول الى « الكلي » من وراء « الجزئي » ، ويسعى جاهدا في سبيل اكتشاف « الجوهر » (أو المَخْبَر) من وراء «المظهر» أو « العرَض » فليس الفيلسوف هو « رجل العموميات » الذي يستطيع ان يقول أي شيء عن كل شيء ، بل الفيلسوف هو «رجل الحكمة» الذي لا يريد مطلقا ان يقول اكثر مما يعرف ! وليس التخصص الفلسفي سوى تلك السمة المنهجية التي لا بد من توافرها لدى كل متخصص حين يأخذ على عاتقه أن يكتشف احدى الحقائق الكلية (في مجال تخصصه) بدلا من الاقتصار على ترديد بعض « العموميات . » ومعنى هذا أن « التخصص » شرط لكل «ثقافة» : نظرا لأن « التخصص » وحده هو الذي يتيح لنا الفرصة للتعمق في « المعرفة » ، بدلا من الوقوف عند « المعارف السطحية » . .

بيد أن البعض قد يعود الى الاعتراض ـ مرة أخرى ـ فيقول : « ان الثقافة الحقة هي ما يتبقى لدينا بعد أن نكون قد نسينا كل شيء ! » . وربما كان المقصود بهذه العبارة أن «الثقافة هي المنهج». ولكنّ هل يمكن أن يقوم « منهج » دون «المضمون» او « ثقافة » دون «موضوع» ؟ . . ان البعض ليظن أن في الامكان قيام « منهج شامل » (أو كلي) ، يكون صحيحا في ذاته ، بغض النظر عن الموضوع الذي ينطبّق عليه ، ولكن تاريخ العلم قد أظهرنا على أنه لا وجود لمنهج بدون مذهب ، كما أنه لا وجود لثقافة بدون بحرية ، أو لحكمة بغير مضمون . فليس في تاريخ الفكر البشري مفتاح واحد يفتح جميع الابواب المغلقة ، بل ان تقدم العلم رهنٌ باكتشاف ادوات جديدة للبحث (سواء أكانت اجهزة أم مناهج) . وما دام من الضروري ربط الثقافة بالحياة ، فستظل الحكمة وثيقة الصلة بالتجربة ، وسيظل العلم اداة فعالة لاكتشاف الجديد من مناهج البحث . ومعنى هذا ان ثمة صلة مباشرة بين « الثقافة » من جهة ، وبين كل ما يكتشفه الانسان ، ويخترعه ، ويحصله ، ويحققه ، من جهة أخرى .

هل يكون « الرجل المثقف » هو « الانسان المتكامل » ؟

. . . انالكثيرين ـ ونحن منهم ـ يجزعون لتزايد « التخصص » في المجتمعات التكنولوجية الحديثة، ولكن من المؤكد أن الجزع من « التخصص » انما يخفي وراءه اقتناعا ضمنيا بضرورة ربط «الجزء» بـ « الكل » ، وتوثيق الصلة بين « الفرع » و « الاصل » . فليس « التخصص » في حدّ ذاته كارثة ، بل الكارثة هي انعدام التواصل احيانا بين أصحاب « التخصصات » المختلفة . ولعلّ هذا ما عبّرنا عنه في موضع آخر حين كتبنا نقول : « انه ليس من المستحيل على انسان القرن العشرين أن ينمي حواسه ، ويرهف عواطفه ، ويرقى قدراته العقلية ، ويربي في نفسه الملكات اليدوية والعملية . . . ولكن على شرط أن يعمل اولا وقبل كل شيء على ازالة الحواجز التي ما زالت تفصل مناحي المعرفة البشرية ، وتحول دون تحقق التفاهم بين أصحاب التخصصات المختلفة . . . » . وهنا يجيء مفهوم « الثقافة » لكي يقوم بدور « المؤلف » Synthèse الذي يحقق « التكامل » بين سائر قدرات الانسان في منظومة كلية شاملة تجمع بين شتى أنشطة الوجود البشري ، بما فيها الذاكرة ، والعقل ، والعاطفة، والمخيلة ، والارادة ، والنشاط اليدوي . . . الخ . ولا غرو ، فقد كان « الانسان المثقف » ـ في كل زمان ومكان ـ هو ذلك « الانسان المتكامل » الذي بلغ من النضج النفسي حدًا أصبح يستطيع معه أن يجمع في ذاته بين رهافة الحواس ، ورجاحة الحكم ، ودقة التفكير ، وعمق التخصص، وسعة الافق ، وحدة العاطفة ، وقوة الارادة . . . الخ .

وهنا قد يقال ان مثل هذا التكامل المزعوم حلم طوباوي Utopiqu لا صحيح فيه الاّ انه غير صحيح ، ولكن من الثابت ـ مع ذلك ـ ان « الثقافة الحقة » هي هذا « الكل » الذي يطوي تحته تفكير الانسان وسلوكه ، نظره وعمله، تأمله وانتاجه ، علمه وحكمته . فليست «الثقافة» جهدا جزئيا يشمل جانبا واحدا من جوانب نشاط الانسان ، بل هي حصيلة كلية تضمّ شتى جوانب النشاط البشري في اطار شامل موحّد . وهذا هو السبب في أن « الانسان المثقف » هو باستمرار ذلك الوجود المتكامل الذي يعرف كيف يحقق

التفاعل – في صميم ذاته – بين علمه وادبه ودينه واخلاقه وشتى مظاهر نشاطه . وحينما قال احد الباحثين « ان الثقافة هي الاداة الفعالة التي تسمح لكل فرد منا بأن يعلو على نفسه » ، فانه كان يعني بذلك ان « الانسان المثقف » هو ذلك الذي يرقى بنفسه الى مستوى « الانسان الكلي »، محققا في ذاته ضربا من « الوحدة العضوية » بين شتى عناصر الانسان الروحية، والعقلية ،والمادية، والاقتصادية ، والجمالية ، والدينية ... الخ . وليس معنى هذا أن يتخلى الانسان عن فروقه الفردية ، او أن يذيب شخصيته تماما في شخصيات الآخرين ، بل ان معناه أن يفيد من مجموع المنجزات التي حصلها العقل البشري ، لكي يكوّن لنفسه منها « مؤلفا » خاصا يعبّر عن معادلته الشخصية . ومن هنا فان « الثقافة الحقيقية » تراث انساني شامل (او كلي) من جهة ، ومركّب شخصي جزئي (او فرديّ) من جهة اخرى . وحينما نقول عن شخص ما انه قد نجح في « تثقيف ذاته » ، فاننا نعني بذلك انه قد اصبح يملك « وعيا » ناضجا يستطيع معه أن « يحكم » على « الكل » من جهة ، وأن يحدّد موقفه (الشخصي) من هذا « الكل » من جهة اخرى .

... والثقافة الحقة لا تستطيع أن تستغني عن تراث الاقدمين

على اننا لو انعمنا النظر الى المفهوم المعاصر للثقافة ، لوجدنا حرصا شديدا – من جانب الكثير من الباحثين – على ربط ثقافة الانسان المعاصر بمجموع المعارف والتكنيات الحديثة . وعلى حين كان رجال عصر النهضة حريصين على ربط الثقافة بالتراث اليوناني والروماني (القديم)، نجد لدى المعاصرين – اليوم – اهتماما كبيرا بربط الثقافة بالحياة (او الواقع الراهن) . ولا شك ان هذا الاهتمام البالغ بتوثيق وشائج القربى بين « الثقافة » و « الحياة » انما هو تعبير واضح عن احساس الانسان المعاصر بأن الثقافة الحقة هي تلك التي توحّد الانسان بالعالم من جهة ، وتعمل على تحقيق المزيد من التواصل بين الانسان واخيه الانسان من جهة اخرى . فلم تعد « الثقافة » اليوم ضربا من الترف الكمالي ، بل لقد اصبحت ضرورة حضارية تكشف عن نزوع الوجود البشري نحو تأنيس الطبيعة (اعني صبغها بطابع انساني) ، وتحقيق ضرب من التطابق بين « ما صدق » الانسانية و«مفهومها » . وهذا هو السبب في نزوع سائر الثقافات البشرية نحو اكتساب طابع شمولي (كلي) يعبّر – بدرجات تختلف شدة وضعفا – عن وحدة العقل البشري .

بيد أن هذا الحرص المتزايد على ربط الثقافة بالحياة ، قد صوّر للبعض انه لم تعد بنا حاجة اليوم الى « الكتاب » ، خصوصا واننا لم نعد نحيا في عصر «المعرفة المدرسية» (او الاسكولائية)! وقد يكون اصحاب هذا الرأى على حق حين يدعوننا الى ربط الثقافة بالخبرة (او التجربة) ، ولكنهم يجانبون الصواب – بلا شك – حين ينتقصون من قدر « الاطلاع » بوصفه « حوارا مع اكبر ادمغة البشرية في القرون الماضية » (على حدّ تعبير ديكارت) . واذا كنا نشهد اليوم حركة نكوص او تراجع في مضمار التأليف والقراءة ، بسبب ظهور وسائل اخرى جديدة في الاعلام والثقافة ، فان من واجبنا – على العكس من ذلك – أن تبرّز الحاجة المتزايدة الى « الكتاب » ، باعتباره حصيلة الحكمة البشرية على مرّ عصور التاريخ..

لقد كان البعض يقول : « ان جنّة البستاني هي بستانه، كما انه جنّة الصانع هي مَصْنَعه »، ونحن – بدورنا – نقول : « ان جنّة المثقف هي كتابه » ! والحق ان الثقافة الحقة لا يمكن ان تستغني عن تراث الاسبقين من يونان ورومان وعرب وفرس وهنود وصينيّين وغيرهم ... صحيح ّ ان العلم الحديث قد لا يجد في حكمة هؤلاء سوى « ثقافة عتيقة » لا صلة لها بمناهجه التجريبية ومعارفه التكنيكية ، ولكن من المؤكد ان الانسان المعاصر ما يزال بحاجة الى الكثير من مبادىء تلك « الحكمة البشرية » الخالدة . وحينما يتعرّف الانسان المعاصر كيف يحقق ضربا من « التواصل » الفعّال بينه وبين رجالات الماضي ، فهنالك قد يتحقق من ان القراءة (كما قال اندريه مُرْوَا بحق فنّ يستطيع المرء عن طريقه ان يلتقي من جديد بالحياة نفسها ، لكي يتفهّمها على حقيقتها عَبْرَ الكتاب نفسه ! وهكذا نخلص الى القول بأن الثقافة الحقة لا يمكن ان تتجاهل تراث الماضي لانها تعلم جيدا أن هذا التراث نفسه هو زادها الروحي الذي هيهات لها أن تستغني عنه ، اللهمّ الا اذا تنكرت لنفسها ، وحاولت أن تستأصل – بيدها – جذورها العميقة في تربة التاريخ البشري الطويل ! ■■

زكريا ابراهيم

لَمْ يَمُتْ عالِمٌ، جَماهِيرُ أَهْلِ الْـ

فِقْهِ، مَهْمَا يَشَّعَبُوا، مِنْ رُوَاتِهْ

بقلم: الاستاذ محمد عزيز أباظة

ظُلمَ الموتُ إنَّ في أحضانِهِ ... مَرفأً للغريق في أشجانِهِ
ومَجازاً إلى جوار طهورٍ ... ساكبٍ حوله سنا رحمانه
الحليم الذى يتوَّج بالغفرا ... نِ آلاءَه على عُبدانه (١)
كل حى فانٍ وما الحىُّ إلا الله ... في حوله وفي سلطانه
والردى راصدٌ . وكلُّ ابن أنثى ... بين فكيْه مُنظَرٌ لأوانه
يتلقَّى الصباحَ في أردانِهِ ... ويَراه المساءُ في أكفانه
ما الحياةُ التى نعيش ؟ غرورٌ ... نحن نلتذُّه على بهتانه
إن حب البقاء غشَّى على المو ... تِ ، وحض الورى على نسيانه

★★★

غيَّبَ الموتُ شافعىَّ (٢) زمانِهِ ... وأصاب القانونَ في بُرْهانِهِ
يَعظم الخطبُ في العظيم إذا لم ... يَرْقَ راقٍ إلى عوالى مكانِهِ
نكَّسَ الفقهُ رأسه يوم أَوْدَى ... وانطوَى سامِداً (٣) على أحزانه
أىُّ صافٍ منه تدَافَع سهلا ... مُعْجِزاً من جَنانه لبَنانِهِ
صاحبَ الفقهَ منذ هَلَّ صِبا الفقه ... ، إلى أن أشع (٤) في رَيْعانه

---

(١) عبدان وعبيد جمع عبد .
(٢) الاشارة للامام الشافعى رضي الله عنه .
(٣) السامد : المبهوت المتحير .
(٤) أشعت الشمس : تلألأ نورها .

رَاضَ للباحثينَ جامحةَ الصَّعْـــــبَ ، وأرخى لهم عَصِيَّ عِنانِه

وحَبَاهم من المراجِــع بالغَيْـــــثِ تُضِيءُ الشُرُوحُ في هَطَلاَنِه

مُغْنياتٍ عن غيرهنَّ ، جَــلاهُـــــنَّ بعيدُ الآفاق مِنْ إمكـانِه

صَادراتٍ عن رأيه . لا يَسُوق الــــحُكْمَ إلاَّ إنْ صَحَّ في ميزانه

جهدُ فرد تَعْيا المجامعُ ذاتُ الـــعزْمِ عن صوغه وعن إتقانـه

صَفوةُ القول أنه عَبْقَــريُّ الــــجيلِ غيرُ المسبوق في مَيْدَانه

ذو حياءٍ في فَضله حينَ بعضُ الـــخَلْقِ ذو خَيْلةٍ (٥) على نُقْصَانه

جَمَّعَ الشرقَ وحده فتلاقى في دَيابيجِ علمه وبيانه

من أقاصي خَليجه لِدِمشقٍ من طَرابُلْسِه إلى بَغْدانِهْ (٦)

وطوى العُرْبَ عند ضافٍ من التقـــنينِ ، أعلى وشَدَّ من أركانه

فَجَنَوْا من نَضير بُسْتانه الفَيْـــنانِ أبْهَى مارَفَّ من ألْوَانه

وانْتَشَوْا من رَحيقِ راووقه (٧) العَذْ

بِ وضموا ، الصفوفَ حولَ دِنانه

لَمَّ مِن شَمْلهم طِرازٌ من التشـــريع باتُوا في أمْنِــهِ وَضمانه

ثم عادُوا إلى التَخاذُلِ مُفْتَتَنْــــينَ في خَلْقه وفي إعْلانه

آه لوْ يُخلصونَ لانبعثَ الشر قُ وردَّت له نباهَةُ شانه

اختلافُ الآراءِ قد يَلِدُ الخيـــرَ ، وَيبني إن عفَّ عن شَنآنه

إنَّ هذي الحياةَ وهي صراعٌ لم تُوطِّأ لقابعٍ في هوانه

رُبَّ ومضٍ مُبَشِّرٍ لاحَ في الأفْـــقِ سنبْلُو غداً مدى لمعَانه

★★★

نَهنهُوا الحزْنَ إنه في رُفاتِه حُطَّ عنه ما مَضَّه في حياته

حُطَّ عنه الأذى، يُشَنُّ ، فيشقى الحُــرُّ في وَقْدِه وفي لَفَحاتِه

(٥) الخيلة : الكبر والعجب . (٦) اشارة الى ان الفقيد هو الذى سن قوانين الكويت وليبيا وسورية والعراق وغيرها . (٧) الراووق : المصفاة .

سادنُ العدلِ أعرضَ العدلُ عنه ساخراً من يقينه وحصاته
رأيه الحرُّ عُدَّ من سيئاته والإباءُ الوقورُ من سقطاته
وعظيمُ الرجالِ يُغرى به الحقدُ فيُضفي السنا على حسناته
حسدُ الحاسدين يُغضي عن الصفحِ ويَرقى لطودِه في شُرفاته
إن رأيَ الإنسانِ ضربٌ من العِرضِ . هما الأكرمان من حرماته
وتهونُ الأرزاءُ يُمنى بها المرءُ ، سوى كبتِ رأيه في لهاته
فإذا ساقه استطارت قوى الشرِّ ، فالموتُ برزقه أو بذاته
وإذا البغيُ لم تزله فأمهلهُ تفلُّ الأيامُ حدَّ شباته
ليس حكماً . حكمٌ يشقُّ من الإرهابِ متهواتهُ إلى شهواته
ليس شعباً . شعبٌ يقرُّ على الضيمِ ويشفي غليله في نكاته

★ ★ ★

إيهِ عبدَ الرزاقِ (٨) أضفى عليك اللهُ من فضلهِ ومن رحماته
وتولاك من رضاه بفيضٍ يتوالى عليك في جناته
يُكرمُ اللهُ نافعَ الناسِ قبلَ المنطوي في صيامه وصلاته
جزعَ المجمعُ الوقورُ وهل يجزعُ إلا للصمِّ من نكباته
كاد — لولا حياؤه وجلالُ العلمِ — يروي أساه في عبراته
لم يمتْ عالمٌ جماهيرُ أهلِ الفقهِ مهما تشعبوا من رواته
لا . ولا المشرعُ الخصمُ الذي فجرتَ للشرقِ ، فاستقى من فراته
أنتَ حيٌّ وإن طوتكَ المنايا ومن الناسِ ميتٌ في حياته

محمد عزيز اباظة

---

(٨) هو الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، وكفى باسمه تعريفا به .

نتيجة مسابقة العدد ١٧٥

مدن وجزر وأنهار

■ قامت مسابقة العدد ١٧٥ من العربي على اسئلة تتناول معالم من مشرق وطننا العربي وتدور حول مدن وجزر وأنهار وتسهيلا للقراء نشرنا الى جانب الاسئلة خريطة تظهر بالارقام مواقع الاماكن التى تدور حولها الاسئلة.

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من حالفهم التوفيق بالفوز فى المسابقة :

١ ــ النهر الذى يصب في الخليج العربى اسمه شط العرب .

٢ ــ الجزيرة الصغيرة التى كانت مركزا للحجاج اسمها جزيرة كمران .

٣ ــ الواحة التى تهددها رمال الربع الخالى اسمها الهفوف .

٥ ــ الجزيرة اسمها جزيرة بريم او ميون واسم المضيق باب المندب .

٥ ــ الخليج الذى يلتقى بمياه المحيط الهندى اسمه خليج عمان .

٦ ــ الجزر العربية التى تقبلتها الملكة فكتوريا هدية اسمها كوريا موريا .

٧ ــ المكلا هى التى اصبحت من عداد مدن اليمن الديمقراطى واسم السلطنة حضرموت .

٨ ــ اسم هذا النهر هو الليطانى ويمر وسط سهل البقاع .

٩ ــ ارواد هى الجزيرة التى سكنها الفينيقيون قديما .

١٠ ــ تبوك هى المدينة التى اشتهرت بالغزوة العظيمة التى قام بها الرسول (ص) .

١١ ــ المدينة التى شيدها الانباط اسمها البتراء .

١٢ ــ كركوك هى المدينة التى تحتل مركزا بارزا فى صناعة النفط فى العراق .

١٣ ــ الجزيرة العربية التى اكتشف فيها البترول مؤخرا هى جزيرة ابو موسى .

١٤ ــ الموصل مدينة على نهر دجلة وبجوارها مدينة نينوى .

١٥ ــ سانت كترينا اسم الدير الذى يقع فى شبه جزيرة سيناء .

١٦ ــ سقطرى هى الجزيرة التى تقع جنوب عدن وما زالت تعيش فى القرون الوسطى .

الفائزون بالمسابقة :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها :فاطمة ابراهيم عبد الباسط ــ عمان ــ الاردن .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :عبد الاله حميد الصباح ــ المنامة ــ البحرين .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :سليمان عبد الله الحمدان ــ عرعر ــ السعودية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **مصطفى على البكور:** معرة النعمان ــ سوريا .

٢ ــ **نور سالم أحمد حميدان :** المكلا ــ اليمن الديمقراطى .

٣ ــ **نبيل محمد رشاد حسين:** الفحيحيل ــ كويت .

٤ ــ **محمد راشد مطر :** الشارقة .

٥ ــ **رحاب محمد ذيبان :** أبو ظبى .

٦ ــ **عبد الله مرواح أحمد الاديمى :** صنعاء اليمن

٧ ــ **احمد عبد الله سالم الحرمى:** سلطنة عمان .

٨ ــ **وداد عبدالجبار شلال :** بغداد ــ العراق .

وسترسل الجوائز الى اصحابها

بائعو التسهيلات المالية

■ إنهم اليوم يملأون أسواق المال وهم يقدمون المسكنات للدول النامية، لا البرء والشفاء

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

■ المعاملات الدولية في حاجة الى وسيلةللدفع، ووسيلة الدفع الأولى هى اللهب ، لأن للذهب قيمة ذاتية فهو « مخزن للقيم » ، ولكن اقتناءه يحتاج الى تحقق من الوزن والعيار ، ويكلف كثيرا في النقل والحفظ والتامين ، وانتاجه لا يلاحق المطلوب في دنيا التجارة الخارجية ، فكان لابد من البحث عن وسيلة اخرى .

وحيث انه لا توجد سلطة دولية فوق سلطات الدول التى يتكون منها المجتمع الدولى فانه لاتوجد عملة دولية بالمعنى القانونى ، عملة يقبلهاالمتعاملون بالجبر لا بالاختيار .

وهذا بعكس الحال في المعاملات الداخلية حيث تستمد ورقة البنكنوت وجودها من سلطات الدولة التى تصدرها او تفوض البنك المركزى فيها في اصدارها فيكون لها ما يسميه رجال القانون « قوة الابراء » . ومادام الأمر كذلك فقد اتجه المتعاملون الدوليون الى هذه العملات القوية السلطان المرادفة للذهب .

من الاسترليني الى الدولار

وقد كانت لندن دائما حتى الحرب العالمية الثانية هى السوق العالمية للذهب بسبب علاقتها الخاصة بجنوب افريقيا ، وهى المنتج الاكبر لهذا المعدن الثمين . ثم اشتد الطلب عليه بعد هذه الحرب فارتفعت مبيعاته الى الاف الأطنان في اليوم الواحد . وفي مارس ١٩٦٨ اضطر رئيس وزراء بريطانيا الى ايقاظ الملكة في جوف الليل واستمضاها مرسوما باغلاق سوق الذهب .

ذلك ان الحرب العالمية الثانية كانت قد جاءت فدمرت المصانع والمزارع في أوروبا وفي اليابان ، ولكنها لم تصب الولايات المتحدة بسوء ، فزاد الانتاج الامريكى زيادة كبرى ، واستولى الأسطول الامريكى على مكانة الأسطول البريطانى في البحار، ووصلت صادرات الولايات المتحدة في سنة ١٩٤٨ الى ٢٣٫٧٪ من اجمالى الصادرات العالمية وهو ما يساوى صادرات الدول الرأسمالية مجتمعة ومن بينها بريطانيا ، فتدفق الذهب من سوق لندن الى خزائن امريكا حتى بلغ رصيدها منه ثلاثة ارباع الأرصدة في العالم كله . وبذلكانتقلت الثقة من الاسترلينى الى الدولار .

العصر الذهبى للدولار

ودعما للدولار في اسواق العالم رات واشنجتون ان تعادله بالذهب ، فاعلنت استعدادها لتحويل اية كمية منه بسعر ٣٥ دولارا للاوقية . واقنع هذا القرار من كان في حاجة الى مزيد من الاقتناع بان الدولار الورقى هو مرادف الذهب . ثم اشتد الطلب عليه سدادا لما استوردته دول العالم من



■ فقر الدول النامية علاجه نبذ الشعارات ، وزيادة الانتاج ، وتحديد النسل ، والا فالرجوع الى عصر الرعى والحياة فى الخيام .

امريكا من السلع الاستهلاكية والاسلحة اثناء الحرب ومن التجديدات فى العدد والآلات فى اعقابها فاصبح الدولار بحق عملة دولية .

وتشجيعا من الولايات المتحدة لهذه الدول على مزيد من الشراء قدمت لهم مشروع مارشال ومشروعات الانعاش ، وبرامج المعونة العسكرية ، والنقطة الرابعة ، فنشات عن هذه المعونات ارصدة دولارية ضخمة استخدمت بكثرة فى المدفوعات الدولية

نحو عملات أخرى

ولكن الأوضاع الاقتصادية استقرت فى الدول المنهزمةوهى المانيا وايطاليا واليابانلانهالم تتحمل شيئا من النفقات العسكرية الباهظة ، فلم تعد تشكو نقصا فى الدولارات . ومن الناحية الأخرى كانت رؤوس الأموال الامريكية قد تدفقت بسخاء على حرب فيتنام ، وعلى ابحاث الفضاء ، وعلى المعونات تعطيها الولايات لاصدقائها من الدول ، فادى هذا الى تزعزع مركز الدولار ، والى تخلص الدول الكبرى من جزء كبير من أرصدتهاالدولارية، فاضطرت الولايات المتحدة الى شراء الكميات المعروضة بسعر التعادل المقرر وهو ٣٥ دولارا للاوقية ، وانخفض رصيدها الذهبى الى حد كبير، حتى لقد نشات سوق حرة للذهب تباع الأوقية فيها بسعر ٣٦ دولاراً ثم بسعر ٣٧ و ٣٨ ومعنى هذا ان الدولار قد فقد مكانته الأولى كمرادف للذهب ، وان الولايات المتحدة اصبحت عاجزة عن المحافظة على سعر التعادل .

وبدا فى الجو ضرورة تخفيض سعر الدولار ، ولكن امريكا صعرت خدها ورفضت التخفيض ، ثم طالبت كبديل عنه برفع سعر المارك الالمانى والين اليابانى ، فكان لها ما ارادت . وانصرف الناس كثيراً عن الاسترلينى والدولار الى المارك والفرنك السويسرى والين ، والى الفرنك الفرنسى والليرة الايطالية * .

وهكذا نرى انالشرط الأول لاعتبار العملة دولية هو الثقة فى ثبات قيمتها ، على ان تكون لدولة واسعة التجارة ، ليسهل استخدامها فى سد الديون واجراء المقاصات .

نشوء الحاجة الى باعة التسهيلات

ان استقلال معظم الدول النامية او المتنامية (المتخلفة) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قد خلق فيها طلبا قويا على مواردها فى الخمسينات

* مصير الدولار الامريكى للدكتور اسماعيل صبرى عبد الله .

والستينات للانفاق على المظاهر الحديثة للسيادة من جيش وبوليس ومحاكم وحكم محلى ، ولتحسين الخدمات الاجتماعية من طب وفاني وعلاج وتعليم وتامين اجتماعى . ولم تكن مواردها كافية لمواجهة هذه الاحتياجات ، ولمواجهة متطلبات التنمية في نفس الوقت ، فاختلت موازينها واقتضى الأمر الاعتماد على القروض الخارجية في سد العجز . ذلك لان صادراتها مجتمعة لم تتجاوز في سنة ١٩٦٥ ٢٧ الف مليون دولار من اجمالي الصادرات العالمية في هذه السنة وهو ١٨٦ الف مليون دولار . واضطرت الدول النامية او المتنامية (المتخلفة) الى تقييد وارداتها خصوصا من البلاد ذات العملات الصعبة ، فنشأت حاجتها الى بائعي التسهيلات الذين يمولونها بهذه العملات ، ويقسطونها على سنوات نظير فوائد يتفق عليها مع اتخاذ اللازم من احتياطات لمواجهة ما قد يتعرضون له من مخاطر عدم الدفع او تأخيره .

واتجهت الدول النامية في بعض الأحايين راسا الى الموردين ، فاشترطت في السلع الرئيسية أن تقترن العروض المقدمة لها بتسهيلات في الدفع لآجال معينة ، واصبح طول المدة في هذه التسهيلات مرجحا للعروض حتى ولو كانت اسعارها اعلى من العروض الأخرى .

ثم تألفت منظمات حكومية ومصرفية لتقديم التسهيلات نذكر منها بنك التصدير والاستيراد الأمريكي وهيئة الكوفاس الفرنسية ، وهيئةهرمس الالمانية ، وهيئة ضمان الصادرات البريطانية ، والاتحاد الدولي لشركات الأصباغ السويسرية .

البيوت المالية الغربية ودول الكتلة الشرقية

تقوم البيوت المالية في أوروبا الغربية بالتعامل مع دول الكتلة الشرقية (روسيا وحلفاؤها) في حساباتها الخاصة مع دول الاتفاقيات استيرادا وتصديرا عن طريق وسطاء متخصصين . ذلك ان دول الكتلة الشرقية قد لا تستورد لنفسهاالمحاصيل والمنسوجات وغيرها من الدول النامية ، وانما تتعاقد عليها استقضاء لما لها من ديون عليها ، وانتظارا لبيعها للدول الغربية نقدا أو بالعملات الحرة .

وبالمثل قد ترى احدى دول الكتلة الشرقية أن تستجيب لحاجة احدى الدول النامية ، فتصدر لها مادة رئيسية كالقمح أو الورق في حدود الاتفاقية الحسابية بينهما مع انه ليس عندها من هذه المادة ما يكفي فتشترى ما تصدره من احدى الدول الغربية وتدفع في ذلك عمولة لاحدى البيوت الوسيطة .

وفي البيع والشراء علاوات معلاة تتأثر ارتفاعا وهبوطا بمدى حاجة الدول المشترية للسلعة ، ومدى حاجة الدولة البائعة للتخلص منها ، ومدى انتهاز الوسيط للفرصة المتاحة . وفيهما من التسهيلات والفوائد ما قدتفرضه طبيعة الصفقة .

البيوت المالية في الكويت ولبنان

وتخصصت بعض البيوت المالية في بيروت والكويت في بيعالتسهيلات للعالم العربي .وتتوقف درجة اسهام البيت المالي في ذلك على حجم الاموال المتاحة له ، وعلى سعر الفائدة الذى تدفعه البنوك المتعاونة معه على الأموال المودعة لديها .

ان البيت المالي الوسيط يقوم عند ابرام العمليات بتجميع الأموال من البنوك الصغيرة ومن ذوى اليسار السعوديين والكويتيين ومن بلاد الخليج العربيلتجنيب المورد الأمريكي أو الأوروبي مخاطر التمويل نظير عمولة يتقاضاها منه أو من المشترى أو منهما معاً .

وقد يشترى احد البنوك في الكويت أو في بيروت العملات الحرة من المسافرين الى القاهرة بما يزيد عن سعرها الرسمى بالعملة المصرية تشجيعا للسياحة في مصر ، مستندا في ذلك الى اتفاق مع الحكومة المصرية يضمن له شيئا من الربح .

وقد يستورد العراق أو السودان ما يحتاج اليه من مستلزمات التنمية عن طريق الكويت او بيروت لان ترتيبات الدفع متعاقد عليها مع أحد البيوت في هذين البلدين .

لقد كانت المعاملات الخارجية للدول العربية تتم بين طرفين اثنين احدهما بائع والآخر مشتر فاصبح كثير منها يتم بين اطراف ثلاثة ، والطرف الثالث غالباً في بيروت أو في الكويت .

ولكن التسهيلات ليست في النهاية الا مسكنات

ان اعباء السداد استنزفت احتياطات الدول النامية ورفعت أسعار السلع والخدمات التى تشتريها بمعدلات قد تصل في بعض الظروف الى

٢٠٪ . وقد سعى معظمها الى عمل ترتيبات جديدة لجدولة الديون ، وتطلب الأمر في بعض الحالات اجراء سلسلة من عمليات الانقاذ ولكنها جميعا لا تعدو ان تكون مسكنا لا علاجا .

ان كثيرا من الدول الفقيرة في افريقيا لم تبدا في الاقتراض مثل كينيا واوغندا وتنزانيا والكاميرون وتوجو والكونغو . وكثيرا من الدول النامية عليها ديون كثيرة مثل الهند ومصر ونيجيريا واندونيسيا وباكستان وافغانستان ومالي وداهومي . وهذه الدول جميعا مضطرة رغم فقرها الى الادخار ، والادخار لا يكفي فلا بد من تحويل المدخرات الى عملات اجنبية ، وهذا يعني ان سوق العملات الدولية تزداد اتساعا امام بائعي التسهيلات .

وما الحل ؟؟؟

لا عاصم لهذه الدول الا ان تزيد انتاجها وتحدد نسلها ، فان لم تفعل فهو الافلاس ، وهو الرجوع الى عصر الرعي والحياة في الخيام . ان باعة التسهيلات سيتوقفون حتما عن الاقراض ، وهم معذورون ما داموا لا يستردون اموالهم . والى القارىء قطوفا من آخر ما نشره البنك الدولي للتعمير والتنمية في سبتمبر ١٩٧٠عن معدلات النمو في الانتاج في منتصف ١٩٦٨ في بلاد الشرق الأوسط.

البلد	عدد السكان بالالف	انتاج الفرد بالدولارات	الزيادة في السكان	الزيادة في انتاج الفرد
			٪	٪
مصر	٣١٦٩٣	١٧٠	٢ر٥	١ر٥
السودان	١٤٧٧٠	١٠٠	٢ر٩	ر٤
المغرب	١٤٥٨٠	١٩٠	٢ر٩	ر٤
الجزائر	١٢٩٤٣	٢٢٠	٢ر٣	٣ر٥
العراق	٨٦٣٤	٢٦٠	٢ر٨	٢ر٩
السعودية	٧١١٢	٣٦٠	١ر٧	٧ر٢
سوريا	٥٧٠١	٢١٠	٢ر٨	٣ر٥
اليمن	٥٤٤٠	٧٠	٢ر١	–ر٢
تونس	٤٦٦٠	٢٢٠	٢ر٣	٢ر٧
تشاد	٣٤٦٠	٦٠	١ر٥	١ر٥
اسرائيل	٢٧٤٥	١٣٦٠	٣ر٣	٤ر٧
لبنان	٢٥٨٠	٥٦٠	٢ر٦	٢ر٥٤
الاردن	٢١٠٣	٢٦٠	٢ر٧	٤ر٨
ليبيا	١٨٠٣	١٠٢٠	٣ر٧	١٩ر٤
الكويت	٥٤٠	٣٤٥٠	٨ر٧	٣ر٣
البحرين	٢٠٠	٣٩٠	٣ر٧	٣ر١
قطر	٨٠	٣٤٩٠	٧ر٥	١ر٨

ويتضح من هذه الاحصائية ان البلاد التي تزيد معدل النمو في انتاجها عنه في عدد سكانها بشكل محسوس هي الجزائر والسعودية وسوريا وتونس واسرائيل والاردن وليبيا .

اما مصر والسودان والمغرب والكويت وقطر فعليها ان تتدبر امورها الا اذا كانت احوالها قد تحسنت في السنوات الأربع الأخيرة .

ان الدول النامية ما تزال تضع اقتصادها في خدمة السياسة ، على حين تضع الدول المتقدمة سياستها في خدمة اقتصادها . وحتى تدرك الدول النامية ان الشعارات وحدها لا تقدم لها رغيف العيش ، ولا تنشيء لها مستشفى بل لا تحفظ لها كرامة . وان ارقام الانتاج هي التي تكتب لها العزة وتضمن لها القوة وتكفل لها الاحترام في المجتمع الدولي . ما لم تدرك ذلك فستبقى ممدودة اليد الى باعة التسهيلات وهم للأسف الشديد لا يمدون ايديهم الا للدول المنتجة ■■

د.السيد أبو النجا

World Bank Atlas, Population per Capita Product and growth rates, Published 1970.

رجلان عظيمان حظيت بمقابلتهما



طاغور

بقلم
انيس المقدسي

■ ارجع بذكرياتي الى السنة ١٩٢١ وكنت خلالها في مدينة نيويورك اقضي فصلا دراسيا في جامعة كولومبيا . وما كان اشد حظي في تلك السنة اذ التقيت بعظيمين من عظماء الارض احدهما شرقي والآخر غربي .

ولعل قارىء هذه المجلة يجد شيئا من المتعة في حديثي عنهما ، وعن الظروف التي اتاحت لي مقابلتهما وما قد ترك كل منهما من انطباعات لم تزل حية في نفسي ، رغم مرور هذا الزمن الطويل عليهما .

طاغور شاعر الهند

اما الشرقي منهما فهو شاعر الهند العظيم رابندرانت طاغور . ولم يكن يدور في خلدي انني سالتقي يوما بهذا العبقري العالمي ، واسمعه يخطب ، ثم اصافحه متاثرا بما سمعت من كلامه، وما رايته من وقار طلعته وجلال شخصيته ،ولكن حسن الطالع اراد لي ذلك ، وفتح لي السبيل الى التعرف شخصيا بهذا المفكر الكبير .

كان ذلك خلال مادبة خاصة اقامتها جمعية الشعراء في نيويورك ، احتفاء بهذا الشاعر الفيلسوف ، يوم زار هذه المدينة ، وكان قد منح جائزة نوبل للاداب ، واصبح اسمه على السنة الناس في الشرق والغرب .

حضرت تلك المادبة وكانت تضم نيفا ومئتين وخمسين شاعرا وشاعرة ، وبعد تناول الطعام وقف رئيس الجمعية مرحبا بالحضور ، والقى كلمة تحدث فيها عن الرابطة الشعرية التي تربط الاجناس والمذاهب برباط الاخاء والادب ، وتلاه بعض كبار الشعراء ، فجالوا في عالم الخيال وشنفوا الاذان بما اوحي اليهم من بدائع الشعر ودرر الاقوال .

ثم وقف الشاعر الامركي الكبير مورغان Morgan ليقدم المحتفى به فقال : « أيها السادة مهما اختلف الشرق عن الغرب فان هناك مكانا يلتقيان فيه . ان روح الغرب هي روح العمل والاقدام والفتوح،وعلى هذه الروح بنيت مدنيتنا الحديثة، اما روح الشرق فروح التامل الهادىء ، والنظر الى ما وراء العالم المادي ، وعندي ان الغرب في حاجة الى شيء من روح الشرق ، كما ان الشرق في حاجة الى شيء من روح الغرب . فالمدنية لن تبلغ كمالها الا بامتزاج الروحين . على أن بيننا الآن شاعرا جمع بنفسه بين هاتين الروحين ،



اديسون

وقرن في حياته هذين المبدأين ، فاذا قدمته اليكم فانى اقدم شخصا كريما نكرمه نحن في الغرب كما يكرمه ايضا أهل الشرق ـ اقدم اليكم الشاعر المشهور طاغور .. » .

وكان شاعر الهند لابسا ثيابه الشرقية ، وقد تدلت لحيته البيضاء على صدره ، فزادته وقارا ، فوقف وعيناه تتقدان بنار غريبة ، نار الشمم والانفة الممزوجة بالدعة والايناس ، ثم التفت الى الحاضرين وشكر لهم حسن احتفالهم به وقال بعد توطئة وجيزة .

خطبة طاغور وموقف الغرب من الشرق

انتم ايها السادة ـ اهل الغرب ـ رجال القوة والعلم ، لديكم الأموال ، وفي ايديكم العتد ، قد سخرتم الطبيعة واستخدمتموها لبناء مدنيتكم الحديثة . ونحن اهل الشرق ضعفاء ، ضعفاء في المال والعلم ، ضعفاء في الصناعة والحرب . وقد حاولتم ان تفتحوا لنا أبواب العلم الطبيعي وتنيروا لنا سبل الحياة الحديثة ولذا فاني بالنيابة من اهل الشرق اشكر لكم ما لكم علينا من الجميل.

ولكن مهلا يا اخواني . ان قوتكم قد حملتكم على الاستبداد بأهل الشرق . نظرتم الينا نظرا خارجيا، فلم تروا غير الضعف والمسكنة ،فاحتقرتم مالنا وازدريتم حضارتنا . هو ذا الغرب القوي لا يزال قابضا على عنق الشرق الضعيف يحرث عليه وينتفع به . افما ان لكم ان ترمقونا بنظرة احترام واحدة ؟ أم تبقى المدنية الحديثة تمثل بنا دور المتحكم القاهر ؟ نعم عندكم كل شيء . عندكم المال والقوة والعلم وأسباب الحرب . فيا ليت شعري أفليس في مدنيتكم غير ذلك . اننا الى الآن لم نتعلم منكم غير مبدأ واحد هو ان الانسان لن ينال حريته الا بالسلاح والدم . افهذه نهاية تعاليمكم ؟ اجل نحن ضعفاء وانتم اقوياء . ولكن تعالوا الى بلادنا وانظروا هل فيها شيء يستحق الكرامة ! تعالوا ، لا لتفتحوا المناجم ، ولا لتمدوا السكك وتنالوا الامتيازات ، بل لتروا روح الشرق الحقيقية ، ولتسمعوا ضربات قلبه النابض ، ولتطلعوا على أسرار مدنيته الروحانية، وحينئذ ترون ان لدينا شيئا نفاخر ان نقدمه لكم .

انتم تقدمون لنا اسباب الحياة الجديدة ، ونحن نقدم لكم مبادىء الروح الأزلية ، بالله انظروا وافتكروا . الا يستطيع الشرق ان يقدم لكم غير مناجمه وحقوله ورقاب أبنائه .

« الى متى ينظر الغرب الينا نظرة الاحتقار والانانية ؟

« الى متى يعمي الجشع أبناءه عن رؤية الحقائق الروحية ؟

« لا تصدقوا عنا كل ما تسمعونه من أهل الاستعمار ، فان هؤلاء يخدعونكم ، ويموهون عليكم ، ويصورون لكم الشرق بصورة تستوجب احتقاركم . بل تعالوا انتم ، أنتم الاحرار ، وادرسوا حياة الشرق . تعالوا بروح الحرية التي بنيتم عليها حضارتكم الجديدة ، لتروا حينئذ ـ كما نرى نحن الآن ـ ان الشرق اهل للحرية والحياة القومية ، وان في روحه ومبادئه ما هو اسمى من الحياة المادية . »

رسالة طاغور للانسانية

كان طاغور يتكلم والجميع يصغون اليه ماخوذين بسحر بيانه ولم يشأ ان يتحدث اليهم شعرا اذ كان يحمل في نفسه رسالة يود أن يسمعها كل رجل في بلاد الغرب ـ الشعراء والكتاب والساسة ورجال الصحافة والمفكرون ورجال الأعمال ـ رسالة الروح الشرقية الى العالم الغربي . ومن مثله يستطيع ان يفسر هذه الرسالة ؟ انها رسالة

الوحدة الانسانية فى روح الحق . فالجنس البشرى فى حدّ قوله : « اما أن يعيش ويتقدم كجسم واحد مقودا بروح المحبة ، او يهلك كجسم واحد تحت تأثير الانانية التى لا تعرف غير البغضاء ..

وطاغور فى كل ما نظم وكتب يرمى الى هذا الغرض النبيل ، ولا يقصد به أن لا يكون للفرد كيان" وارادة مستقلة فى المجموع ، بل أن تتضافر الارادات الفردية لانشاء مجتمع موحد الاهداف ، غايته تحسين الحياة وتخفيف ويلاتها .

وتطبيقا لهذه الفكرة انشا فى وطنه معهدا ثقافيا مختلفا عن سائر المعاهد العلمية . فى هذا المعهد يتربى النشء مهما اختلفت اجناسهم وعناصرهم على فكرة الوطن العام . فكان ينادى بالغاء النظام الطبقى ، وشجب الحروب ، والنزعات القومية والدعوة الى دين انسانى عام مسيّر بتلك الروح الكونية العظمى التى بها نحيا ونتحرك ونوجد .

اجل كان طاغور ينشد ويكتب ويعمل لأجل غاية واحدة ، هى أن يكون فى الارض مجتمع انسانى نبيل ، يظهر الله فيه كمحبة متجسمة فى الحياة والعمل .

انه لصوت" كصوت الانبياء نسمعه من فم طاغور . وما احبّه من صوت الى آذان الشعوب . فى عصر طغت فيه المادية على العقول والقلوب . .

اديسون الاميركى
صاحب الاختراعات العظيمة

وكانت مقابلتى الثانية لعبقرى اميركى عاصر طاغور ولكن عبقريته ظهرت فى شكل آخر ، انه توماس اديسون أعظم مخترع ظهر فى العصر الأخير ، بل لا نغالى اذا قلنا اعظم مخترع فى التاريخ ، الى حين توفى سنة ١٩٣١ . ويكفى أن نقول ان مخترعاته قد فاقت الالف عدا" ، واكثرها مما زاد العالم تقدما وعمرانا .

اما الفرصة التى أتاحت لى مقابلته فقد سنحت عن طريق انتمائى يومئذ الى نادى الطلبة العالمى ، الذى كان قد أنشىء فى جامعة كولومبيا ، ليضمّ طلابها القادمين اليها من مختلف البلدان والقوميات ، ومهمته تنشيط الحياة الادبية والاجتماعية فى نفوس اعضائه ، بتوثيق عرى التعارف بينهم ، وتزويدهم بما يحتاجون اليه من الاطلاع العام على مختلف بيئاتهم .

وحدث يوما أن ادارة النادى أعدت رحلة لزيارة معامل اديسون ، والتعرّف بصاحبها ، وما قدم للعالم من مخترعات اصبحت من أعظم الأسس للحضارة الحديثة . وكنت من جملة الذين اشتركوا فى هذه الرحلة الميمونة ، وقد رجعت منها بذكريات لن انساها مهما قدم عليّ الزمان .

زيارة معامل اديسون

كانت تلك المعامل تشغل مساحة واسعة جدا من الارض فى مقاطعة نيو جرزى وتشمل العشرات من الابنية الكبيرة والمختبرات العلمية ، والوفا كثيرة من العمال والموظفين .

ولما وصلنا اليها استقبلنا منهم عدد من الأدلاء ليطلعونا على مختلف الاقسام والمصانع ، فانقسمنا فئات شتى وسار مع كل فئة دليل" يرشدهم ، ويفسر لهم ما كانوا يشاهدون من اعمال ومنشآت .

وما زلنا نطوف من مصنع الى مصنع ، ومن مختبر الى مختبر ، حتى مرّت علينا بضع ساعات ، ونحن مأخوذون بما نشاهد من غرائب وعظائم . ولما انتهى بنا المطاف التمسنا من كبير الأدلاء المرشدين أن يحقق لنا أمنيتنا الكبرى ، وهى أن نقابل ذلك العبقرى الذى طبقت شهرته الخافقين ، توماس اديسون عجيبة الدهر وأن نحظى بمصافحته وان كانت تلك امنية" قلّما تتحقق عادة للزائرين من ألوف المعجبين به ، فما لبث أن دخل عليه مستأذنا ، حتى عاد يبشرنا بأن اديسون قد لبى طلبنا ، وسيخرج من مختبره لمقابلتنا .

فى محضر اديسون

وما هى الا بضع دقائق حتى خرج الينا فاذا هو كهل فى نحو الستين من عمره ، وعلى ثغره ابتسامة وديعة . فلما وقعت أنظارنا عليه اعترى نفوسنا شعور الهيبة والخشوع ، لا كما يعتريها من رهبة امام الجبابرة والطغاة ، بل هو شعور بعظمة العقل وجلال العبقرية . ألسنا واقفين امام اشهر بل اعظم رجل فى العالم : رجل استطاع بجدّه المتواصل أن يزيد رخاء الانسان ، ويوسع له سبل التقدم والعمران ؟ وقف بتواضع وهو برداء العمل فتقدمنا نحوه ، وصدورنا تخفق بالغبطة والفخر لبلوغنا الامل ، وأخذ كل منا يصافحه ، ذاكرا اسم البلد الذى ينتمى اليه وهو يقابل

مصافحتنا بانس وابتسام ، ثم تقدم رئيس النادى فوجّه اليه والى معاونيه كلمة شكر ، وقال : « اننا نقدر اعمق التقدير تضحيته لنا بهـذه الدقائق من وقته الثمين ، وما كنا لنطلب منه ذلك لولا انها فرصة نادرة سنحت لطلاب علمٍ مثلنا ان يروا رجل العصر الذى تنظر اليه كمثال اعلى في السعى العلمى لخدمة الحضارة ، وتحسين معيشة الانسان ، ويكفى فخرا ان نكون قد لمسنا بايدينا يد توماس اديسون التى انارت زمانا ، وجعلته متفوقا على كل ما تقدم من ازمان .» فهز المخترع العظيم راسه شاكرا ، ثم ودّعنا،وعاد الى مخترعه لمواصلة العمل .

رؤية اديسون واثرها النفسى

رجعنا الى منازلنا وفي نفس كل منا خوالج يعسر عليه التعبير عنها . ها نحن اولاء قد حظينا بمقابلة ومصافحة توماس اديسون ـ ذلك العبقرى الذى سجلت له الحكومة الاميركية اختراعات كثيرة شتى ، نجتزىء بذكر ثلاثة فقط منها الآن ـ هى المصباح الكهربائى ، والفونوغراف ، واول آلة لاخذ الصور المتحركة ، مما مهّد السبيل لانشاء الصناعة السينمائية . حقا ان العالم باسره مدين له بما قدمه للناس من مستنبطات زادت رفاهيتهم ورفعت مستوى معيشتهم .

اديسون لم يتخرج فى مدرسة أو جامعة

لم يكن اديسون خرّيج مدرسةٍ او جامعـة بل تخرّج على نفسه بمساعدة والدته ، ولم يبلغ الثانية عشرة من العمر حتى اضطر الى الارتزاق بعمل يديه . فكان في اول امره بائع جرائد ، ثم عاملا في مصلحة التلغراف . ولكن موهبته لم تلبث ان ظهرت بوادرها للذين كان يعمل عندهم ، ففتحت امامه ابوابا جديدة للتقدم . وبدافع ميله الى الطبيعيات والميكانيكيات اخذ يطالع كل ما وصلت اليه يداه من كتب العلم الطبيعى .وهكذا صار يخطو خطوة بعد خطوة في ميـدان العلم والاستنباط . وما زال يتقدم جادا لا يضيع وقتا ، ولا ينصرف الى لهو ، حتى بلغ قمة المجد المادى ـ مالا وجاها وشهرة ـ هذا الفتى الذى لم يكن عند ذويه من المال ما يساعده على التخرج في مدرسة ـ اصبح بذكائه واجتهاده تنحنى لـه رؤوس اساطين العلم اجلالا وتقديرا .

العظمة فى خدمة الانسانية

على ان عظمته الحقيقية لم تتوقف على ما استنبطه من الات او احرزه من مال وجاه فحسب، ولم يكن اساسها الوحيد مجده المادى ـ فكم ممن احرزوا هذا المجد ذهبوا في التاريخ ادراج الرياح. كان اديسون يقرن مجده المادى بمجد روحى ـ ذلك انه لم يسمح لنجاحه في العمل والاختراع ان يهبط به الى دركة الغرور والفخفخة الفارغة . او يرميه في مستنقع من الرخاء والارتخاء ، بل زاده تواضعا ومروءة ورغبة في مواصلة الخدمة . كانت نفسه اكبر من ان ينظر الى الناس من علٍ وهو متجلبب بلباس الاعتزاز والصلف . فكانه المعنىُّ بقول الشاعر ابى تمام :

فتى كان عذبَ الروح لا من غضاضةٍ
ولكن كِبْرا ان يقال به كِبـــــرُ

انى لن انسى ذلك اليوم الذى شاهدته فيه مع رفاقى وهو في لباسه العمّالى البسيط ووجهه يطفح سماحةً ورضى . وكانه كان ينظر الينا ذاكرا ايام شبابه وما اختبره في حياته ولسان حاله يقول: :

ايها الشاب ، العمل العمل فليست الحياة الناجحةوقفا علىالعبقريات ـ فالحقَّ الحقَّ اقول لكم ان النجاح هو عشرة بالمئة عبقريةً وتسعون بالمئة اجتهادا ـ ولا نجاح الا للعامل المجد ، ولا بركة للانسان الا عن طريق السعى لاتمام عمل مفيد لاخيه الانسان .

هذا هو اديسون الذى رأيناه ولمسنا فيه عبقرية العظمة العاملة وشعرنا بحبٍّ لشخصيته الكريمة المتواضعة . وقد اصاب الشاعر المهجرى مسعود سماحه اذ قال من قصيدة يرثيه فيها :

يا باعث النور في الليل البهيــم لنا
أما انثنى رهبةً عن نفســك الاجلُ
جلستَ في عرش مجدٍ لا يضـــارعه
عرشٌ تحفّ به المسألةُ الذُّبلُ
وصــلتَ للقمّة العليا ومن فتحوا
ممالك الارض بالصمصــام ما وصلوا
الله اكبــرُ ، كم سوّيتَ معجزةً
لم تبقِ للغير مجدا ايها الرجلُ

■■

أنيس المقدسى

صخرة تحطمت عليها أكثر دول



نقص الإدارة والتنظيم

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ في كتاب « العيون والحدائق في اخبار الحقائق »[1] ـ وهو من احسن اصول التاريخ الاسلامى العام ، وأولاها بالثقة رغم اننا لا نعرف مؤلفه ـ في هذا الكتاب الذى قلما يلتفت اليه أحد ، نقرأ ما يلى في أخبار الخليفة الوليد بن عبد الملك :

« وفي هذه السنة (٧٠٥/٨٦) ورد قتيبة بن مسلم خراسان ، بعد عزل يزيد بن المهلب عنها ، وغزا قتيبة بن مسلم الباهلى خوارزم وكِش وغيرهما من البلاد . وفتحها كلها عنوة ، وفتح بعد ذلك سمرقند ، وقيل انه فتحها في عام واحد. وفي سنة ٨٨ (٧٠٧) غزا مسلمة (بن عبد الملك) والعباس بن الوليد الطوانة (في وسط آسيا الصغرى) وشتوا بها ، فجمعت لهم الروم والتقوا فهزم الله تعالى الروم ، وقتل منهم خمسون الفا . .وفتح الله الطوانة وحصنا قريبا منها آخر. مع السبى والغنيمة » .

« وغزا مسلمة في هذه السنة الترك حتى بلغ الباب (المراد هنا المدخل الى القوقاز) من ناحية اذربيجان . وغزا موسى (بن نصير) الأندلس

---

(١) لا يزال هذا الكتاب القيم مجهول المؤلف رغم طول البحث في الكشف عن اسمه ، ولكن ذلك لا يقلل من أهمية الكتاب ، فان مادته وأسلوبه ينمان عن مستوى رفيع من العلم والضبط والتحقيق . وأصل الكتاب يقع في خمسة مجلدات تقص تاريخ الاسلام من البداية حتى أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ، ولكننا لم نعثر الا على الجزأين الثالث والرابع . فأما الثالث فقد نشره في ليدن المستشرق دى خويه M. J. da Goeje سنة ١٨٧١ ، وأعادت نشره بالأوفست أخيرا مكتبة المثنى في بغداد ، وأما المجلد الرابع فقد نشرت القسم الأول منه الباحثة العراقية نبيلة عبدالمنعم داود في بغداد سنة ١٩٧٢ ، فأدت لنا بعملها المتقن خدمة كبيرة ، ونأمل أن تتم ما وعدت به من نشر القسم الثانى من ذلك المجلد الرابع .

المُسْلِمين ؟

ما أشْبَهَ الليْلة بالبارِحَة

فتحها ، وغزا موسى بن نصير من بلاد الاندلس عدة مدن وقتل ملكها » (ص ١ ـ ٣ من الكتاب المذكور) .

ونحن نقرأ هذه الأخبار ، ونسعد بها ، لأنها تعود بنا الى أمجد أيام العروبة على الاطلاق ، ايام الفتوح التى تشبه المعجزات ، ايام جيوش الاسلام التى كانت تطوى الأرضين بقوة لا تقهر ..

وفي خبر مشابه اورده ابن الأثير في احداث سنة ٨٩/٧٠٨ نقرأ ان الوليد بن عبد الملك تلقى في ساعة واحدة اخبار سبعة فتوح بعضها في قلب آسيا وبعضها في جنوبى فرنسا ..

وهذه مبالغة ولا شك ، ولكنها تصور سرعة التوسع الاسلامى ايام الوليد بن عبد الملك .

ولكننا ننسى ونحن نقرأ هذه الاخبار ان هذه الفتوح كانت تعنى في نفس الوقت مسئوليات كبرى ، لأن هذه الأرضين كانت تتطلب ـ بعد الفتح ـ التنظيم وحسن الادارة واقامة العدل في بلاد شاسعة كانت شعوبها عطشى الى العدل ، وفي معظم الاحيان نجد أن هذه الشعوب دخلت الاسلام املا في الوصول الى العدل والهدوء والرخاء .

فهذه السطور التى روى فيها صاحب «العيون» اخبار هذه الفتوح تعنى دخول نحو ستة ملايين من الكيلومترات المربعة في دار الاسلام وانضمام نحو اربعين مليونا من الناس ـ كانوا يعيشون عليها ـ الى جماعة الاسلام ..

ويقول خبر ابن الاثير الذى أشرنا اليه انالوليد بعد ان تلقى انباء هذه الفتوح « خر لله ساجدا » وماذا بعد السجود ؟ قعد يتلقى التهانى وينتظر الغنائم ..

وماذا كان ينبغى عليه ان يفعل ؟

استدعاءُ رجال الادارة والمال والعلم بالبلاد من اهل دولته ، والنظرُ فيما ينبغى أن يعمل لتثبيت اقدام الاسلام في تلك الاراضي ، واقامة العدل والنظام ، وتيسير اسباب الرخاء لأهلها ..

وما نطالب الوليد هنا بشيء لم يعرفه عصره من الادارة والتنظيم ..

لأن الرومان كانوا يفعلون ذلك ايام قيام دولتهم وتوسعهم في الغزوات .

كان خبر الفتح اذا وصل الى روما اجتمع مجلس الشيوخ (السناتو) لدراسة التقرير الذى ارسله القائد الفاتح وما يتضمنه من معلومات ومقترحات ..

ثم ينتدب (السناتو) لجنة من أعضائه للانتقال الى القطر الذى تم فتحه ، لدراسة أحواله ، وتكوين فكرة عن النظام الذى يتبع في ادارته .

وتعود اللجنة الى روما ، وتعرض تقريرها على مجلس الشيوخ ، ليضع النظام الذى يراه ، ثم يعين الحاكم أو الحكام .

ومعنى ذلك أن ما نطالب به الوليد كان شيئا معروفا سبقت اليه دولة الرومان ، ولم يكن تاريخها مجهولا لدى العرب في تلك الايام .

وكان واضحا أن الفتح لا يتم بمجرد الانتصار على المقاومة المحلية ، واستسلام اهل الناحية ، بل لا بد من وضع نظام جديد يكفل حسن ادارة البلد المفتوح ، وتحقيقَ قدر من العدل والرخاء لأهله يحببهم في الاسلام ودولته . اى انه لا يتم الا بادارة سليمة .

وهنا نواجه المشكلة الكبرى التى فات رجال العصر الاموى ، ورجال دول الاسلام التى جاءت بعدهم ان ينظروا فيه او يلتفتوا اليه ـ على الأقل ـ الالتفاتَ الواجب .

وقد وضع لهم الرسول والشيخان اسسا ادارية تنظيمية سليمة

ومن الحق أن نقرر أن الرسول صلى الله عليه

وسلم وصاحبيه أبا بكر وعمر (ثم عثمان الى حد ما) أعطوا الادارة والتنظيم أكبر جانب من الاهتمام .

فالرسول قبل هجرته الى المدينة طلب الى أهلها أن يختاروا من بين الوفد الذى فاوضه فى العقبة الثانية اثنى عشر نقيبا (اى مندوبا ، او ممثلا) مهمتهم التشاور معه فى أمر الجماعة الاسلامية وشئون المدينة .

وبعد هجرته بقليل قام بالمؤاخاة بين نفر من الأنصار ونفر من المهاجرين ، وكانت المؤاخاة ـ الى جانب معناها الاخلاقى ـ عملا اداريا تنظيميا، بدليل أن الجانب الادارى التنظيمى منها ألغى بعد زوال الحاجة التنظيمية اليه ، بنزول تشريعات الميراث بعد موقعة بدر .

وبقى جانبها المعنوى لأنه جزء من أخلاقيات الاسلام .

وبعد المؤاخاة صدر الجزء الأول من «الصحيفة» وهى الدستور العملى للجماعة الاسلامية فى المدينة، فهو يوضح حدود الأمة بشريا وجغرافيا . اذ ينص على أن المسلمين أمة من دون الناس تتكون من المهاجرين ، ومن آمن من الأنصار ، ومن انضم اليهم ولحق بهم وتبعهم وجاهد معهم من يهود المدينة ، وهذه هى الناحية البشرية ـ ثم يضع لها حدودها الجغرافية ، فيجعل بطن المدينة حراما لمن دخل فى هذه الصحيفة ، ويجعل كل قوم من الأمة مسئولين عن حدود الجماعة من ناحيتهم.

ان هذه الصحيفة وثيقة دستورية ادارية من الطراز الأول .

وقد تفرقت موادها بعد مناقشات بين المسلمين، فقد كان الرسول حريصا دائما على أن يسيروا فى أعماله كلها وفق نظام واضح ، وقانون مقرر ، وقد بينت ذلك بوضوح فى كتابى « عالم الاسلام » ، ولهذا فاننى أجتزىء بذلك فى هذا العرض السريع.

وعلى نفس الطريق سار أبو بكر ..

كان يهتم جدا بناحية التنظيم والادارة ، وهو أول من وضع للدولة الاسلامية نظاما ماليا بمناسبة توزيع الغنائم ..

وكان عمر أشد اهتماما بهذه الناحية ، فهو صاحب التنظيمات الأساسية الكبرى فى دولة الاسلام الأولى .

ولم يكن عمر يهتم فقط بوضع النظام ، بل كان يهتم ـ ربما أكثر ـ بمن سينفذ النظام ، الى الرجل الادارى بل كثيرا ما رفض أن يعهد فى الأمور الادارية لنفر من أجلاء الصحابة كابن عباس ، لأنه كان يرى انه رغم علمه لا يصلح للادارة ..

وكان عمر دائم الاهتمام بالتنظيم ، فكان لا يكف عن طلب المعلومات من الولاة والعمال ، لكى يعدل النظام بحسب ما تتطلبه مصلحة المسلمين ، وكان اذا وصلته المعلومات جمع كبار الصحابة وعرض عليهم الأمر ..

ومن المعروف انه وجه خطابات فى غاية العنف الى عمرو بن العاص لتقصيره فى اعطاء الخليفة صورة عن الموقف فى مصر أولا بأول ..

وعمر هو الذى عدّل النظام المالى الذى وضعه أبو بكر . عدّله بعد مناقشات مع الصحابة .

وبلغ من حرصه على حسن الادارة انه أراد ـ قبيل موته ـ أن يعيد النظر فى كل النظام الادارى والمالى الذى وضعه وسار عليه . ولم يمنعه من ذلك الا موته .

وعمر هو أول من عقد مؤتمرا رسميا لرجال الدولة وقادتها وعمالها ، وهو مؤتمر الجابية ، ولم يكن هذا الاجتماع خاصا بالنظر فى سياسة الفتوح ، بل كان مؤتمرا سياسيا اداريا ، نظر فى كل شئون الدولة الادارية والمالية ، وقد تبينا من دراستنا لكتاب « الأموال » لأبى عبيد القاسم ابن سلام ، أن عمر وضع لهذا المؤتمر نظاما وجدول أعمال ، بل نعتقد أنه كان فى هذا المؤتمر ما يشبه اللجان المتخصصة . ومن الأخبار العظيمة الأهمية التى يرويها أبو عبيد قوله : « ان عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية فقال : من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبى بن كعب ، ومن أراد أن يسأل الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى ، فان الله تبارك وتعالى خوّلنى له خازنا وقاسما » .

وأبسط ما نستنتجه من هذا الخبر هو انه كانت هناك تخصصات فنية فى ذلك المؤتمر ، والثلاثة الذين سماهم كانوا مستشارين فنيين . واعتبر عمر أن المال من اختصاصه هو ، لأنه خازن أموال المسلمين ومقسمها بينهم بالعدل .

وانشاء عمر للدواوين مظهر واضح لاهتمام عمر بالتنظيم والادارة ..

وفي طوفان فتنة عثمان ضاعت تلك القواعد الذهبية

وكل ما ذكرناه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر ، كان ينبغي أن يكـــون قواعد واسسا في الادارة والتنظيم ، كان ينبغي ان يتنبه من اتوا بعد ذلك الى أن التنظيم والادارة امران حيويان للدولة ، وبدونهما لا بد أن تتدهور ، ولكننا نلاحظ من منتصف خلافة عثمان اهمالا ظاهرا لهذه الناحية .

بل نلاحظ أن شؤون الدولة الادارية واموالها اصبحت شئونا عثمانية أو أموية .

وعثمان نفسه كان مسلما عظيما ، ولكنه لم يكن من أهل الادارة والتنظيم ، ولم يتنبه الى ان شئون المال قد استولى عليها رجال من اهل بيته ـ وشبابهم خاصة ـ الا بعد فوات الاوان ، وكان هذا هو أكبر اسباب الثورة عليه .

وقد كانت بداية الثورة مناقشة بين الخليفة ونفر من افراد الأمة ارادوا أن يستوضحوه عن بعض اجراءاته المالية والادارية ..

وتطور الاستيضاح الى محاسبة . وفي أثناء ذلك تدخلت عناصر شريرة وغير مسئولة وسيئة النية ، فتحولت المحاسبة الى محاكمة ، والمحاكمة الى عدوان وقتل ..

وهذا التطور من الاستيضاح الى المحاكمـــة واصدار الحكم الظالم وتنفيذه تدل على أن عثمان لم يسر ـ في ناحية التنظيم والادارة ـ في الخط القويم الذي رسمه له الرسول صلى الله عليه وسلم والشيخان .

وفي طوفان الفوضى الذي اعقب الاعتداء الاجرامي على شخص الخليفة الراشد الثالث ، ضـــاعت عناصر التنظيم السليم الذي وصلت اليه الجماعة الاسلامية اذ ذاك ، وكان على الجماعة أن تبدأ من جديد .

وبقيام دولة بني امية تلاشى امر التنظيم والادارة كاساس لحياة الجماعة الاسلامية ودولتها .

فان معاوية جلس مجلس خليفة ، ولكنه تصرف تصرف قبلي ، هدفه الوحيد تثبيت سلطانه ، وتجاهل صوت الجماعة ورشا الناس حتى يكفوا عن المساءلة والمحاسبة .

وعندما سكنت الفتنة من حوله بدأ مفهـومه للدولة يتجلى ، وهو أن هذه الدولة كلها ملك خاص له ولأسرته .

فهو لا يختار الولاة على أساس الكفاية الادارية . وانما على اساس الاخلاص له ولبيته فحسب : فهو يعطي مصر لعمرو بن العاص مكافاة له على مناصرته اياه . ويقيم زيادا ابن أبيه على العراق لكي يكسبه الى جانبه .

وعندما اقترحوا عليه أن يقيم عقبة بن نافع على افريقية (تونس) فضل أن يقيم عليها معاوية ابن حديج ، لانه كان كبير العثمانية في مصر .

وانتهى تفكيره السياسي بان بذل اقصى جهده حتى يرث ابنه يزيد دولة الاسلام كما يرث الولد مال ابيه .

ولكن الاهتمام بالتنظيم عاد الى الظهور في ايام عبد الملك بن مروان ، فهو الذي عرّب الدواوين ، ووضع السكة العربية أي النقود العربية ، وتنبه الى اهمية الرجال بالنسبة للدولة .

وبدلا من أن يسيروا على هدى الاسلام ساروا على « عهد أردشير »

هذا المبدأ ـ مبدأ الاعتماد على الرجال ـ أخذه عبد الملك عما يعرف بعهد اردشير ، أو وصية اردشير ملك الفرس الى من يجيء بعده من الحكام .

هذه الوصية تجمع حكمة الفرس الســـياسية ، وهي حكمة لم تذهب بدولتهم بعيدا في ايام رجل مشهور بالعقل وبعد النظر مثل انو شروان .

فانو شروان نفسه ربما كان نموذجا في الحكمة ، ولكنه كان ايضا نموذجا في الظلم والاستبداد ..

وهذه الحكمة ـ حكمة اردشـــير ـ تتعارض تعارضا اساسيا مع حكمة الاسلام ، فان الاسلام يقول ان الدولة تبنى على القانون ، لا على المال ، ولا على الرجال ، وانما على القانون ، على الشرع ، والشريعة كما نقول ، فالقانون يحمي النفس والمال ويضمن المساواة والعدل .

وحماية النفس والمال وضمان العدل والمساواة تتكفل بتربية الرجال الصالحين .

والعدل والمساواة والرخاء هي مهاد الرجـــال الصالحين .. والرجال الصالحون يهيئون لدولتهم كل شيء صالح : المال وغير المال .. والفاظ مثل العدل والقسطاس والميزان تتخلل القرآن الكريم من أوله الى آخره .

وفي « الصحيفة » تتردد عبارتا « على سواء بينهم » و « لهم الأسوة » ويراد بهما المساواة في الحقوق والواجبات .

ولكن الخلفاء ابتداء من بني امية لم يكونوا يستوحون احكامهم من القرآن أو من وثيقةالرسول وسيرته . كانوا يستلهمون عهد اردشير .

وقد قال اردشير ان الدولة تبنى على المال والرجال .

والمال معناه عندهم الاجتهاد في جباية اكبر قدر من المال من الناس .

والرجال عندهم جبابرة يصطنعون ويسلطون على الخلق ، ليرغموهم على الطاعة ، لهذا اجتهد رجال بني امية في البحث عن هذا الطراز من الرجال .

وبدات القصة باستلحاق معاوية بن ابي سفيان لزياد بن أبيه .

وزيادبن ابيه كان تلميذ المغيرة بن شعبة ،والمغيرة كان داهية جبارا ، وبعد زياد جاء الحجاج بن يوسف،ثم المهلب بن ابي صفرة ، ويزيد بن المهلب، وخالد بن عبد الله القسري ، ومن اليهم من رجال بني امية . ولم يفكر عبد الملك او ابنه الوليد فيما فعله عمر بن الخطاب عندما عقد مؤتمرا من رجال الدولة للتشاور وبحث الامور كما فعل عمر ..

فاتهما ان الادارة ليست عنفا ، وارهابا ، وان المشاكل لا تحل بقطعها ، بل بالنظر في العقدة نفسها ، والبحث من أول الخيط وسيره ، ومباشرة الحل في هدوء ..

سياسة قطع العقدة بدلا من حلها

وبينما كانت الدولة تتسع وجيوش الاسلام تشق الجبال وتتخطى الوعر كانت المشاكل تتزايد وتتعالى ..

ولم نسمع مرة واحدة أن واحدا من أولئك الخلفاء ذوي الصيت البعيد فكر في أن يعقد مجلسا للنظر في أحوال الدولة ونظامها واعادة هذا النظام من جديد ..

كانت البلاد المفتوحة يتراكم بعضها فوق بعض كانها حيتان تخرج من شباك الصياد فيلقيها في قاع السفين ..

اخذت ولاية الكوفة تتسع حتى شملت شمال العراق واذربيجان ..

وامتد سلطان والى البصرة حتى شمل كل ايران تقريبا ..

وفي يوم من الايام كان الحجاج بن يوسف يحكم العراق وشرق الدولة الاسلامية الذي يصل الى حوض السند وكاشغر في غربي الصين ..

وفي عهد هشام بن عبد الملك تولى رجل متواضع الملكات اسمه عبيد عبد الله بن الحبحاب ـ وكان اصله كاتب خراج ـ تولى هذا الرجل غرب الدولة الاسلامية كله من حدود مصر الشرقية الى جبال البرت أو البرانس .

ومن المستحيل قطعا ان يستطيع الحجاج ـ مهما كان موهوبا ـ ان يدير امر هذه الممالك الكثيرة التي صارت اليه .

ومن الطبيعي أن ينوء ابن الحبحاب تحت حكم مساحة كانت تبلغ ربع المعمورة في ذلك الزمان ..

وكان من الواضح ان سياسة قطع العقدة بدلا من حلها لم تذهب بالحجاج بعيدا ، فقد تمكن في بعض الاحيان من السيطرة على المشاكل وايقاف تطورها ، ولكنه لم يعالجها ، بل ادت سياسة القطع .. الى تحويل الشكوى الى عدم رضى عن الحكم ، وعدم الرضى الى سخط ، والسخط الى غضب ، والغضب الى الثورة التي ازالت البيت الاموي في المشرق من الوجود .

وكان عبيد الله بن الحبحاب اقل توفيقا من الحجاج في الجناح الغربي ، فاذا كان الحجاج قد نجح في السيطرة على المشاكل في شرق الدولة الاسلامية احيانا ـ فان ابن الحبحاب لم يلبث أن سقط تحت حمل المسئولية ، وقامت الثورة عليه ، وعلى الحكم الأموي كله في المغرب والاندلس معا ..

اهمال الادارة أدى الى سقوط الدول

وماذا كان ينبغي لتلافي هذه المشاكل كلها ..

كان ينبغي التفكير بجدية اكبر في موضوع ادارة الدولة وتنظيمها ..

كان ينبغي ان تكون هناك هيئة الى جانب الخليفة ، مهمتها التنظيم والادارة . كان ينبغي أن يكون هناك ناس متخصصون في شئون الادارة والمال ، يذهبون الى الولايات ، ويدرسون الاوضاع ، ويتعرفون على مواطن الداء ويشيرون بالعلاج .. ولنتصور مثلا انه طوال العصر الأموي من معاوية بن ابي سفيان الى مروان الجعدي (من سنة ٦٦١/٤٠ الى سنة ٧٥٠/١٣٢) لم يعقد اى خليفة مرة واحدة مجلسا للنظر في نظام الدولة وادارة ولاياتها والموظفين القائمين بهذه الادارة .

ولنذكر الى جانب ذلك ان الدولة البيزنطية

التي تنظر اليها دائما بازدراء ، وتعتقد انها كانت دائما تحت مستوى الدولة الاسلامية ، هذه الدولة اعيد تنظيمها وتقسيم ولاياتها وتعديل نظام المال والجندية فيها خمس مرات خلال مائتي سنة (من ٥٨٢ ــ الى ٧٩٧) من ايام الامبراطور موريق الى ايام قسطنطين السادس ..

لا غرابة اذن في أن المشاكل في تاريخ دولنا لم تعالج قط ، بل لم ينجح بنو امية ــ ولا بنو العباس من بعدهم ــ في علاج مشكلة واحدة من مشاكل ادارة الدولة وشعوبها ..

واصبح الحكم فوضى وصراعا بين جبابرة

وعندما تولى بنو العباس الحكم تلاشى كل أمل في تنظيم ادارة الدولة واصلاحها .. وأبو جعفر المنصور الذى يعتبر من الخلفاء الموهوبين في تاريخ الاسلام لم يخطر بباله مرة واحدة ان يفحص امور دولته فحصا شاملا ، ويقوم بعمل يشبه ما كان مجلس الشيوخ الروماني يقوم به بصورة منتظمة من ارسال الوفود الرسمية لدراسة أحوال الولايات واستشارة المتخصصين في مشاكل الادارة والمال في الدولة كلها ..

لاغرابة اذن في ان نجد مشاكل الزراع مثلا في طول الدولة وعرضها تدهورت ايام العباسيين عما كانت عليه أيام الأمويين .

والامويون انفسهم ــ فيما عدا عمر بن عبد العزيز ــ لم يضعوا هذه المشاكل موضع النظر والبحث الجدى الا في حالات الثورات والازمات .

واذا كان الفلاح الايراني دخل الدولة الاسلامية وهو يشكو من ظلم دهقان القرية (اى الموكل بشئون المال فيها) فقد ظل يشكو هذا الظلم خلال العصور الاسلامية ، لقد اسلم الدهقان الظالم ، ولكنه ظل دهقانا ظالما ، لان الدولة الاسلامية اثناء حركة التوسع الكبرى كانت تقر الكثير من الاوضاع القائمة ، على أمل أن تعود اليها بالدراسة والتعديل فيما بعد ، عندما تهدأ حركة الفتوح قليلا ..

وهدأت حركة الفتوح ، ولكن أحدا لم يتنبه الى أن التنظيم واعادة النظر قد جاء ..

وكان جهد كل خليفة وكل وال وكل وزير ينصرف نحو المحافظة على نفسه : الخليفة لا يهمه الا ان يظل خليفة ، والوزير صرف همه في ان يظل وزيرا ، والعامل شغل بنفسه عن مصالح الناس .

والنتيجة أن المشاكل لم تجد من يحلها . والمشاكل كما هو معروف لا بد أن يزداد حجمها اذا لم يتعرض لها احد بعلاج ..

والدولة العباسية ــ مثلا ــ التي تبهر الانظار بفخامتها وضخامتها ولدت دولة مفلسة ، على صخرة العجز المالي تحطمت .

وفي تاريخ الخلفاء يبرز اسم عمر بن عبدالعزيز وهو الوحيد الذى فكر في دراسة أحوال الدولة ومشاكل اهلها لعلاجها ..

ولكن عمر بن عبد العزيز لم يحكم الا سنتين وشهورا ، ولم يلبث السل الذى كان كامنا في صدره أن قضى عليه .

وهارون الرشيد الذى روعه افلاس الدولة وخلاء خزائنه قد تصور انه يحل هذه الأزمة بقتل البرامكة ، وقتل البرامكة ليتبين بعد ذلك انهم لم يكونوا يكتنزون الاموال ويغشون بها عليه . لان الحقيقة انه لم تكن هناك اموال مكنوزة ، لا عند البرامكة او غيرهم ..

في مصر فقط نجد اهتماما باعادة التنظيم والتقسيم ..

مرات كثيرة مسحت اراضي البلاد ، واحصيت مساحتها ، واحصي ما على كل قرية من المال ..

ولكن هذه العمليات كلها : من مسح ارض مصر ايام الوليد بن رفاعة في العصر الأموى ، الى مسحها ايام الناصر محمد بن قلاوون ، لم يكن الغرض منها تحقيق العدالة او انصاف الفلاحين بل كان هدفها الوحيد زيادة دخل الحكام والسلاطين على حساب المساكين .

هل ندهش اذن اذا رأينا ان دول المسلمين جميعا بلا استثناء كانت لا تكاد تقوم حتى تبدأ في التفكك ؟

وهل ندهش اذا قرأنا اخبار دول ما كادت تولد حتى ماتت كدولة الطولونيين ثم الاخشيديين ؟

ان مجال الدهشة أن بعض هذه الدول بقيت زمانا طويلا رغم ذلك النقص الخطير في نواحي الادارة والتنظيم .

لقد ولي الخلافة خلفاء كثيرون ، واقاموا على العرش ما شاء الله لهم أن يقيموا ، ثم مضوا لسبيلهم دون ان يعلموا علم يقين ماذا حكموا وكم من الناس كانوا في دولتهم ولو على وجه التقريب . ■■

حسين مؤنس

صفحة في اللغة

الاشتقاق

من الألفاظ العربية الجامدة

ومن الألفاظ المعرّبة الجامدة

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ معروف ان المشتقات في لغتنا العربية عشرة ، هي الافعال بانواعها الثلاثة (الماضي والمضارع وفعل الامر) واسم الفاعل واسم المفعول، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الالة ، والصفة المشبهة وافعل التفضيل ، وكل النحاة متفقون على هذه التسمية ، كما انهم متفقون على تسمية المصدر .

ولا نريد هنا ان ندخل في الخلاف بين البصريين الذين يرون ان المصدر هو الاصل الذى تشتق منه المشتقات ، والكوفيين الذين يرون أن الاصل هو الفعل ، فحسبنا هنا أن نشير الى ان العرب اشتقوا من الفاظ اخرى غير المصدر والفعل ، ومن ذلك اشتقاقهم من الاسماء الجامدة عربية ومعربة.

وهذه طائفة من الاسماء الجامدة العربية التي اشتقوا منها : أسد ، نمر ، ثعلب ، ذئب ، ناقة نعجة ، فقالوا مثلا استأسد ، وتنمّر ، وتثعلب ، وتذأّب ، واستنوق ، واستنعج ، كما اخذوا منها ومن غيرها انواعا اخرى من المشتقات غير هذه الافعال الماضية .

وهذه طائفة اخرى من الاسماء الجامدة المعربة التي اشتقوا منها ايضا : طراز ، عسكر ، طيلسان فرعون ، عربون ، سكر ، منظار ، جورب ، لجام ، سربال ، سروال ، دهقان (رئيس الفلاحين في القرية) ، مسك ، تابل ، بهرج ...

فقالوا : طرّز ، وعسكر ، وطيلس ، وتطيلس ، وتفرعن ، وعرّبن ، وسكّر ، وقنطر ، وجوّرب وتجورب ، والجم ، وسربل وتسربل ، وتسرول ، ودهقن ، وتمسّك (تطيب بالمسك) ، وتوّبل الطعام ، وبهرج القول او النقد (اظهر زيفه) ، كما اخذوا من هذه الكلمات المعربة وامثالها انواعا اخرى من المشتقات كالافعال المضارعة وافعال الامر ، واسماء الفاعل ... فقالوا مثلا : في المضارع : « يعسكر الجيش في المخيم » ، وفي الامر « عَسكِروا في الثكنة » ، وفي اسم الفاعل « الجند معسكرون فوق التل » ، وفي اسم المفعول « الخيمة معسكَرٌ فيها » ، وفي اسم الزمان : معسكَرُنا في الغد ، وفي اسم المكان ، ذهبنا الى المعسكر ، او معسكَرنا مزدحم ، او معسكَرنا خارج المدينة .

ومن هذا القبيل ما جاء في الحديث النبوى « كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكون ابواه هما اللذان يهوّدانه او ينصّرانه او يمجّسانه » اشتقاقا من الكلمات : يهود،او يهودا،والنصرانية، ومجوس – بعد تعريبها ، وكانت هذه الكلمات الثلاث معربة قبل الاسلام .

ومن طرائف ذلك اشتقاقهم من كلمة النيروز او النوروز (وهي تعنى اليوم الجديد ، وتدل على عيد مطلع السنة عند الفرس في اول الربيع) فقالوا « نَيْرَزَ » ، و « نَوْرَزَ » واشتقوا من كلمة « مهرجان » فقالوا « مَهْرَجَ » وينسب الى الامام على انه – لما كان في الكوفة – قدمت اليه حلوى في النيروز ، او المهرجان ، فقال : نيرزونا كل يوم « وفي رواية « مهرجونا كل يوم » ، وقد ضعّف الثقات هذا الخبر .

وقد عنى مجمع اللغة العربية في القاهرة بالتعريب

في اولى دوراته سنة ١٩٣٥ ، وبدا يلتفت الى الاشتقاق من الالفاظ المعربة بعد ذلك ، وفاقا للمناسبات وهذا ما يعنينا هنا ، ففي دورته الاولى اجاز استعمال بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم ، وفي سنة ١٩٦٣ قرر جواز اشتقاق الفعل من الاسم الجامد المعرب ووزنه من الثلاثي وغير الثلاثي ، كما قرر – من حيث التطبيق – الاقتصار في الاشتقاق من المعرب على الحاجة العلمية ، وان تعرض عليه هذه المشتقات للنظر فيها ، وغرض المجمع من ذلك اقرار ما يستحسنه ، ورفض ما يستحسنه ، حتى لا تفلت منه ازمة المعربات ومشتقاتها ، او تترك امورها فوضى للالسنة والاقلام العاجزة فتثقل متن اللغة بما لا يناسب قوانينها .

وفي سنة ١٩٦٦ عرضت لجنة الأصول على المجمع طائفة من مشتقات كلمات معربة كانت قبلتها ، فاقر المجمع بعض هذه المشتقات وتوقف في قبول بعضها ، ومن الكلمات التى اقرها المجمع هذه الافعال السبعة الاتية :

١) بَسْتَر ، وهو ماخوذ من بستور ، صاحب الطريقة الخاصة في التعقيم ، وبستور هو العالم الفرنسي المعروف .

٢) بلور ، من البلور ، وهو معرب قديما .

٣) بلشف ، من البلشفية (والبلشفية كلمة روسية الاصل تعني الاغلبية ، ضد المنشفية التي تعني الاقلية ، وقد اطلقت كلمة البلشفية يوما عندنا على كل شيوعي ، ثم غلبتها كمة الشيوعية ، فنطت عليها) .

٤) تلفن ، من التليفون .

٥) فبرك ، من الفبريكة ، والمراد بالفعل صنع الشيء بالالة (فبريكة تعني المصنع ، وقد تعني فبرك الشيء اختلقه ، او زوّره) .

٦) جبّس ، من الجبس ، من مواد البناء ، وهو معرب قديما .

٧) كهرب ، من الكهرباء ، وقد اقر المجمع تعريب الاسم .

وكانت اللجنة قد وافقت على هذه الافعال واقرها المجمع لمجيئها على وزن عربي صحيح ولكونها سائغة في الذوق ، كما ان اللجنة اشترطت أن يغتفر من هذه المشتقات الا ما اجتمع فيه هذان الشرطان ، الى شرط ثالث اضافته وهو شيوع استعمال هذه المشتقات في الكتابة والتاليف بوجه عام (وهذا الشرط الثالث موضع نظر ، فهل من الضروري ان يسبق الكتاب والمؤلفون في ذلك ، ام ان المجمع هو الذى يقرر ما يحسن لديه ، لكي ياخذ به الكتاب والمؤلفون ؟) يعنينا هنا التعقيب على تصريف هذه المشتقات ، من اصولها معربة .

فالملاحظ ان الماضي منها على وزن فعَّل (مضعفا او مضاعفا) ، ومطاوعه تفعّل ، مثل : جبَّسته فتجبّس (من الجبس) وجصَّصته فتجصص (من الجص) او على وزن فعلل ، ومطاوعه تفعلل ، مثل كهرَبْته فتكهرب (من الكهربا) .

كما يلاحظ ان الاصل اذا زاد على اربعة حروف يرد الى اربعة ، ويحذف ما زاد عليها ، كما في تلفن (من التليفون) وبستر (من بستور) وفبرك (من فابريكة)

ولكن ما الذى يحذف ؟ اذا رجعنا الى حروف الزيادة في الكلمات العربية الاصل ومشتقاتها وجدنا ان هذه الحروف عشرة يجمعها قولنا (سالتمونيها) واذا رجعنا الى اصول الكلمات في اللغات السامية جميعا ومنها لغتنا العربية وجدناها ثلاثية الاصول (ولو ان ذلك تم في طور متاخر) ، ووجدنا ان العناية فيها تنصب على الحروف الساكنة وهي التي تراعى في كتابة هذه اللغات جميعا دون الحروف اللينة او حروف المد (حرف الف وواو وياء) ، او ان العناية بالاولى اشد من العناية بالثانية على الاقل ، وهذا عينه ما يحدث في الاشتقاق من الكلمات المعربة ، اى حذف الحروف اللينة (الالف والواو والياء) والإبقاء ما امكن على ما عداها . ففي كلمة بستور ابقينا الحروف الاربعة الساكنة . فقلنا « بستر » وكذلك في كلمة « فيلسوف » قلنا فلسفة ، وتفلسف

ومن هنا يتضح لنا أن التقليم او الحذف عند الاشتقاق يتناول اولا الحروف اللينة ، لان العرب (كسائر الساميين) يعنون اشد عنايتهم بالحروف الساكنة ، واصول كلماتهم ثلاثية ، فالاعجمي في ذلك ياخذ حكم العربي ، ليصير معربا ، وما جاء على كلام العرب فهو من كلام العرب . ■■

التنمية الصحية

ركيزة من ركائز التنمية

بقلم : الدكتور نبيل صبحي

■ ليس غريبا ان يكون الوضع الصحى في البلاد المتخلفة ... متخلفا ايضا مثل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتكنية ، فهو على صلة وثيقة بهذه الاوضاع كلها يفعل فيها ويتفاعل بها ، لذلك يدعو الخبراء اليوم الى تنمية شاملة في البلاد المتخلفة تجمع في اطارها كل حقل من حقول النشاط الانساني .

ولقد درج علماء التخطيط الانمائى في ربع القرن الاخير على تاكيد وتوضيح التاثير المتبادل بين الصحه والاقتصاد ، يقول الاستاذ (ولفرد مالنباوم Wilfred Malenbaum (استاذ الاقتصاد في جامعة بنسلفانيا) : « ان تحسين الصحة ادى بدون شك الى زيادة ملموسة فى الانتاج القومى لبعض الدول المتخلفة الفقيرة » (١)

وهنالك في البلاد النامية ـ اى المتخلفة ـ حقول شاسعة واسعة لاتزرع ولا تحصد لان العمال الزراعيين غير قادرين على ذلك بسبب اصابتهم بمرض البرداء ـ الملاريا ـ (٢) ، وفى افريقيا وحدها ٤١/٢ (اربعة ملايين ونصف مليون) من الاميال المربعة من الاراضى الخصبة غير مستثمرة لسبب بسيط هو وجود مرض النوم ـ Trypanosomiasis ـ ، ومن الواضح ان اى مشروع صحى مدروس مناسب فى مثل تلك المناطق لمكافحة او استئصال الملاريا ومرض النوم يحسّن ، بالتاكيد ، الوضع الاقتصادى ويرفع سوية الدخل ومستوى المعيشة (٣) .

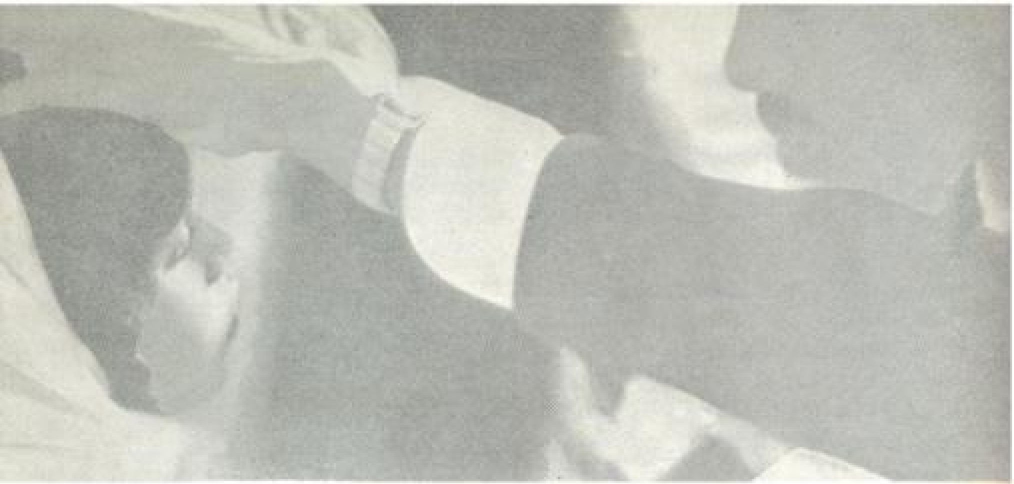
وعمد مؤخرا عدد غير قليل من علماء الاقتصاد والصحة الى محاولة جديدة في دراسة الخدمات الصحية على ضوء الارقام ، [illegible] مشروع صحى يعرض على مقياس دقيق يحدد التكاليف ويقيس ـ قدر المستطاع ـ الفوائد الناتجة ـ كمّاً ـ لمعرفة مدى الربح او الخسارة فى هذا المشروع من الوجهة

---

(١) من محاضرة القاها في جامعة هاواى في تموز ـ يوليو ـ ١٩٦١ م.

(٢) ونسلو C.E.A.Winslow منشورات منظمة الصحة العالمية ـ كتاب بعنوان ثمن الصحة".. وتكاليف المرض ـ The cost of Sickness and the price of Health ص (١٥) .

(٣) نفس المرجع السابق صفحة (٧٩) .



الاقتصادية في البلاد المتخلفة

المادية البحت . وقد اعترض كثير من الاطباء على هذا المقياس المادي معلنين ان الصحة لاتقاس بالمال فقط ، وان المشاريع الصحية – عادة – هي مشاريع غير انتاجية بالمعنى الاقتصادي المعروف ، فاكثرها خدمات يستهلكها المواطن وتعكس تاثيرها في تحسين صحته وتطويرها ويظهر ذلك في تحسن مردوده العملي وانتاجه فضلا عن راحته النفسية وسعادته بخلاصه من الآلام والعذاب .

وتتمتع مشاريع الصحة العامة ، بوجه خاص ، بمزايا اقتصادية لا تنكر اذ توفر على الفرد ، ومن ثم على الدولة ، كثيرا من النفقات ، وقد تكون رابحة – كمّاً – من الوجهة المادية الصرفة ، اذا كانت كمية المال المبذول في سبيلها اقل مما توفره من اموال كانت ستصرف في سبيل العلاج والادوية والنقاهة والتنقلات وضياع اوقات ثمينة من العمل.

وتنطبق هذه الصورة بخاصة على خدمات الطب الوقائي الذي يمنع انتشار كثير من الامراض السارية، واي مكافحة او استئصال لتلك الامراض بشكل على المدى الطويل – او ربما القصير – ربحا في الميزان المالي ، وهذا مالانستطيع ان نزعمه بالنسبة للطب العلاجي الذي يستهلك عادة كميات كبيرة من المال لتخفيف الام او تقصير مدة مرض او ابعاد شبح الموت لآجال متفاوتة .

التخطيط الصحي جزء هام من التخطيط العام

والتنمية العامة – والتنمية الاقتصادية عمادها – لا تكون بشطحات غير مدروسة أو ارتجال آني يحاول سد بعض الثغرات القاهرة غير آخذ بالاعتبار الصورة الكاملة للشروط الموضعية والاحوال المحلية من جميع نواحيها ، لذلك يقرر خبراء التنمية ان التخطيط هو الركن الاساسي في اية عملية تنمية لاى بلد سواء كان متقدما او متخلفا ، ولذا نحن نرى ونسمع عن حكومات تتبنى برامج تنمية في مشاريع خمسية او عشرية . ومهما بلغت عبقرية المخططين وكفاءاتهم الاقتصادية لن يكون التخطيط كاملا شاملا واقعيا له قابلية النجاح مالم يضم التخطيط الصحي بخاصة في البلاد المتخلفة . والاقتصادي البارع يعرف على كل حال ان الفقر هو حليف المرض مثلما هو حليف الجهل ، ومالم يواكب التطور الاقتصادي والاجتماعي تطور صحي مماثل لانقوم ابدا عملية الانطلاق – (٤) في التنمية

(٤) الخبير الاقتصادي الامريكي – ولت روستو – Walt Rostow يحدد مرحلة الانطلاق في عملية التنمية بالنقطة التي تستطيع الدولة القيام بنمو اقتصادي متصاعد ومستمر ومعتمد على قواها الذاتية دون حاجة لمعونات اقتصادية خارجية ضخمة .

الاقتصادية لانها ستتعثر في طريقها . يقول الخبيران (تيلور وهول ــ Taylor & Hall) (٥): « لن تكون تنمية اى قطاع من قطاعات التنمية العامة مجدية مالم يواكبها تنمية مماثلة في القطاعات الاخرى » .

ليس للتنمية الصحية نموذج لكل البلاد واحد

وغني عن البيان أن التنمية الصحية ــ مثل التنمية الاقتصادية ــ تتعلق اولا واخرا باوضاع كل بلد وليس هناك نموذج قياسي واحد يطبق على كل الاوضاع فى كل البلاد المتخلفة ، وتكون درجة واقعية الخطة الانمائية واحتمالات نجاحها متناسبة طردا مع مقدار تفهم المخططين لتلك البديهية ، واخذهم بعين الاعتبار الشروط المحلية القائمة .

وعملية التنمية فى البلاد المتخلفة عملية معقدة تتداخل فيها عوامل كثيرة تتشابك وتتفاعل سلبا وايجابا ، وليس من الممكن تبسيطها فى مقالة ولا فى كتاب ، والدلائل على ذلك كثيرة ظاهرة فى الصعوبات التى تواجهها الدول النامية وهى في طريق نموها ، كما انها ظاهرة فى العدد الهائل من الكتب والمقالات التى تنشر باستمرار فى موضوع التنمية فى كل انحاء العالم المتقدم منه والمتخلف .

ما هدف التنمية ؟

ولنقف لحظة لنسأل : ما هو هدف التنمية ؟؟ التنمية هى فى الواقع وسيلة الى غاية ، فماهى الغاية ؟ يجيب الاستاذ تيلور على ذلك قائلا : « ان الغاية هى تحسين « الكيف » فى حياة الانسان » (٦) ، ان التنمية الاقتصادية ، والصحة بحد ذاتها ، لاتمثلان الغاية النهائية ، وان تطوير الاقتصاد وتحسين الصحة يمكن قياسهما « كمّا » بمقدار الارتفاع في دخل الفرد والانخفاض فى نسبة الوفيات ، اما تحسين الحياة « كيفا » فمن الواضح صعوبة قياسه (٧) .

ويختلف تحديد تحسين « الكيف » فى حياة الانسان باختلاف الفلسفات والايديولوجيات السائدة في كل مجتمع . ومهما اختلفت الفلسفات في شرقنا العربي فانها تجمع ــ في الديانات السماوية على الاقل ــ على امر مشترك واحد وهو ان البحبوحة المادية او « الكيف » المادى وحده غير كاف لاسعاد الانسان في دنياه فهناك « الجسد » وهناك « النفس » « ان لجسدك عليك حقا ، وان لنفسك عليك حقا» كما ذكر خاتم الانبياء والرسل عليه الصلاة والسلام ، وشبيه بهذا الحديث في مغزاه القول الذى يردد عن سيدنا المسيح بن مريم عليه السلام « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » .

وسواء اختلفت الناس او اتفقوا على تحديد الكيف في حياة الانسان ، فالمسلمون مدعوون قبل غيرهم للحفاظ على صحتهم بكله تحسينها وتطويرها ، وهم يعيشون في اجزاء واسعة من العالم المتخلف ، والذى تقوم فيه المساعى الآن ــ بدرجات متفاوتة ــ لدفع عجلة تطوره وتنميته على كل صعيد بخاصة الصعيد الاقتصادى .

دور الصحة فى الوضع الاقتصادى

ولا مراء ان الصحة تلعب دورا هاما ــ سلبا او ايجابا ــ في الوضع الاقتصادى ، يقول ونسلو ــ Winslow ــ « في البلاد الفقيرة يمرض الرجال والنساء لانهم فقراء ، ويزيد فقرهم عندما

---

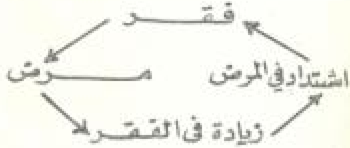
(٥) كارل ١٠ . تيلور ومارى فرانسواز هول في مقالة عن الصحة والسكان والتنمية الاقتصادية بمجلة « العلم » عدد ١١ ــ آب ــ اغسطس ١٩٦٧ المجلد ١٥٧ صفحة ٦٥٧
Science , vol 157, II August 1967.

(٦) المرجع السابق،والبروفسور تيلور هو مدير دائرة الصحة الدولية في جامعة (جونز هوبكنز) كلية الصحة العامة .

(٧) نفس المرجع السابق المقالة المنشورة في الصفحات ٦٥١ ــ ٦٥٧ .

* العالم المتخلف ــ أو البلاد النامية ــ كما يسمونها تأدبا ــ تشمل كل آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية باستثناء بعض الدول مثل اليابان في آسيا وجنوب افريقيا في افريقيا .

يصابون بالامراض، ويشتد المرض عليهم لانهم فقراء معدمون ... وهكذا تدور الحلقة المفرغة » . (٨)



وهناك رأيان متميزان في التنمية الاقتصادية كما يقول الدكتور كيبال (٩) ، « احدهما يركز على العوامل المادية في النمو وبخاصة حجم الاستثمار والثاني يؤكد اهمية العنصر البشري في النمو » ، لذا يقول اصحاب الراى الاول ان التركيز على التنمية الاقتصادية وتحسين المستوى المعاشي والدخل يجلب بصورة طبيعية تحسين وتطور الصحة. فتحسين الدخل يؤدى الى تخفيف الجهل والامية وتحسين التعليم والثقافة وهذا بدوره يحسّن الصحة بصورة غير مباشرة ، كذلك رفع مستوى الدخل يحسن سوية التغذية ويوفر السكن الصحي والبيئة النظيفة وهذان العاملات مهمان في تطوير وتحسين الصحة في قسمها الوقائي ، وزيادة الدخل توفر للفرد الخدمات الصحية العلاجية التى لم يكن يستطيعها في حالة فقره . ويجب الملاحظة هنا ان النمو الاقتصادى لاى بلد لا يعني بالضرورة تحسين المستوى المعاشي وهذا ما حصل فعلا في بعض دول امريكا اللاتينية كما يقول الدكتور ! « جورج سول » مساعد السكرتير العام للشئون الاقتصادية في منظمة الوحدة الامريكية .

ومن بين اصحاب الراى الاول من يتطرف لحد يلغي معه اى اعتبار للقيم الانسانية ويقول بقسوة مادية شديدة : اذا اردنا نجاح عملية الانطلاق في التنمية الاقتصادية فعلينا ان ننسى كليا موضوع التنمية الصحية في البلاد المتخلفة فان كل تحسن الصحى يعيق هذا الانطلاق ، فتناقص نسبة الوفيات وتزايد عدد الاطفال يشكلان خسارة اقتصادية ، فالاول ـ اى انخفاض نسبة الوفيات ـ يزيد من عددهم وهم من الوجهة الاقتصادية عنصر مستهلك غير منتج الى ان يبلغوا سنّ الشباب، وهكذا فان اى نمو اقتصادى تستهلكه الزيادة السكانية وتبقى البلاد المتخلفة في حالة استنقاع اقتصادى ـ Stagnation ـ ، واصحاب هذا الراى هم اتباع (المدرسة المالتوزية Malthuian School) ومنهم كبار الاقتصاديين من امثال هيكنز (Higgins) وليبنشتاين Leibenstein ، وروزنشتاين رودان Rosensteine-Rodan وغيرهم .

معارضة النظرية المالتوزية

الا ان الحقائق الواقعة في امريكا اللاتينية تناقض وتنفى تماما آراء اصحاب النظرية المالتوزية فلقد زاد مجمل الانتاج القومى ٥٠٪ ما بين عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٩ ، ونموّ بهذا الحجم لايعد استنقاعا اقتصاديا ـ Economic Stagnation ـ ، رغم ان الزيادة السكانية كانت ٣٠٪ اى اكثر من اية زيادة سكانية في سائر قارات العالم (١٠) وهناك امثلة مشابهة في الصين الشعبية والمكسيك (١١) .

التنمية الاقتصادية ركيزتها التنمية الصحية

اما الراى الثانى في التنمية فيقول يجب ان تكون التنمية الصحية جزءا لا يتجزأ من التنمية الاقتصادية في البلاد المتخلفة بل قد لاتكون التنمية الاقتصادية ممكنة اصلا قبل التركيز على الصحة وتحسينها اولا . وهناك امثلة عدة مثل دولة (هاييتى) التى لم تستطع القيام باية تنمية

---

(٨) ونسلو في كتابه ثمن الصحة وتكاليف المرض منشورات منظمة الصحة العالمية .

(٩) الدكتور جور ميليك كيبال Jur Milickybal ـ مدير التنسيق في بنك التنمية للقارة الامريكية . Inter American Development Bank

(١٠) من تقرير بالاسبانية للدكتور كيبال Jur Milickybal في مجال تعليقه على ورقة عمل قدمها البروفسور مالينباوم في ايلول سبتمبر عام ١٩٦١ في المناقشات التقنية عن النمو الاقتصادى .

(١١) من المحاضرة ـ او ورقة العمل ـ التى قدمها البروفسور مالينباوم في جامعة هاواى عام ١٩٦١ يوليو ـ تموز ـ وعنوانها زيادة النمو الاقتصادى وتحسين الصحة العامة في الدول المتخلفة .

الاقتصادية الا بعدما ركزت جهدها على استئصال مرض سار اسمه (اليوز ـ Yaws ـ) وهو شبيه بمرض (البجل ـ Bejel) الذى كان منتشرا في منطقة الهلال الخصيب في الشرق الاوسط . كذلك لم يكن بالامكان القيام باية تنمية اقتصادية في عدة اجزاء من الهند وغيرها من البلدان قبل التركيز على مكافحة مرض البرداء ـ الملاريا ـ .

الصلة بين المرض والتخلف الاقتصادي

ولعل من المناسب هنا ان اعرض بشيء من التفصيل الصلة الوثيقة بين المرض والتخلف الاقتصادي، ولناخذ مثلا مرض البرداء ـ الملاريا ـ الذى كان ـ ولايزال ـ منتشرا في الشرق العربي والجهود مبذولة منذ مدة لمكافحته واستئصاله ، فالعلماء والباحثون الذين درسوا « كمتا » مدى تاثير وجود هذا المرض وانتشاره على الاقتصاد والمستوى المعاشي ، وجدوا ان الفوائد الاقتصادية من استئصال الملاريا تركزت في النواحي التالية :

١ ـ بعد استئصال المرض نقصت بصورة ملحوظة نسبة تغيب التلاميذ عن مدارسهم وكان ذلك يحصل بسبب نوبات المرض المتكررة ، وهذا يعني بالمفهوم الاقتصادي زيادة المردود لاستثمارات الدولة في قطاع التربية والتعليم . وهذا الثروة البشرية المعلمة المدربة الماهرة هي العماد الثاني مع المال ـ في اية عملية تنمية وتطوير اقتصادي .

٢ ـ بعد استئصال المرض نقص ، بصورة ملحوظة عدد الأسرّة في المشافي ، والتي كان يشغلها مرضى الملاريا ، وهذا يعني ـ اقتصاديا ـ انخفاض في النفقات على المشافي وتوفير الأسرّة لمرضى آخرين .

٣ ـ بعد استئصال الملاريا زاد الانتاج الزراعي الفردي والعام وهذا يعني زيادة في الدخل القومي.

٤ ـ بعد استئصال الملاريا تحسنت بصورة ملحوظة اسعار الاراضي الزراعية وزادت قيمتها ، وهذا يعني زيادة في الثروة القومية ـ للفرد وللدولة ـ (١٢) .

هذا بالاضافة لتوفير ثمن العلاج على الفرد والعائلة والذى كان سيصرف من دخولهم في حالة المرض . وقبل كل هذه الفوائد المادية ياتي تخفيف آلام الانسان ... وهذا هو الواجب الاول لكل طبيب بل لكل دولة تعمل على رفاهية مواطنيها .

نرى مما سبق ان اصحاب الراى الثاني في التنمية هم على حق ، فالتنمية الصحية جزء متمم مكمل لازم لكل عملية تنمية شاملة ، سواء جاءت التنمية الصحية قبل عملية التنمية الاقتصادية كاحد شروط قيامها ، او جاءت مواكبة لها في اطار التنمية العامة . يقول الاستاذ تيلور « ان تحسين الصحة هو غاية ووسيلة » ويقول تقرير خبراء تخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لامريكا اللاتينية « ان التنمية الصحية مرغوبة لذاتها اولا ، ووجودها شرط اساسي لقيام اى نمو اقتصادي » (١٣) .

وتقول الخبيرة الامريكية المعروفة (سلمى موشكين ـ Selma Mushkin ـ) : « لقد أهمل التخطيط الصحي بصورة عامة في كل مناقشة للتخطيط الاقتصادي في الدول النامية مع ان التخطيط الصحي جزء لا يتجزأ من التخطيط الاقتصادي العام ، والمشاريع الصحية تستطيع الاسهام مباشرة في النمو الاقتصادي ، اضف الى ذلك ان المشاريع الصحية ، بخلاف المشاريع التربوية التى تقرن بها عادة ، قد يكون لها تاثير فوري على الاقتصاد » (١٤) .

في شرقنا العربي

ويؤسفني ان اقول ان هذا الكلام ينطبق الى حد كبير ـ على اوضاع كثير من بلدان شرقنا

---

(١٢) من تقرير الجلسة الثالثة عشرة للمجلس الادارى للمكتب الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية في القارة الامريكية التى عقدت في اكتوبر ١٩٦١ .

(١٣) تقرير خبراء التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في امريكا اللاتينية الصفحة الرابعة. (The group expert on Planning economic and social development .)

(١٤) من اللجنة الاستشارية الامريكية للتنسيق بين مختلف دوائر الدولة ، في مقالة لها عن الآثار الاقتصادية الناتجة من مكافحة الدولة للمرض في البرامج الصحية للبلاد النامية .

العربي،فبالرغم من الحديث عن التنمية الاقتصادية والاهتمام بها وانشاء وزارات مستقلة للتخطيط في بعض هذه الدول ، ليس للصحة في الاحاديث والاهتمامات مكان مرموق حتى الان ، وكل ما يقوم من تطوير في مجال الخدمات الصحيـة لايعدو مشاريع صغيرة قصيرة النفس تكـون ـ عادة ـ رد فعل لاستياء شعبي عام او خضوعا لنفوذ سياسي محلي ، وليس لها مكان مدروس في الاطار العام للتخطيط بالتشـاور مع الجهات المختصة والمعنية الاخرى التي يهمها ان تعرف متطلبات واسس التنمية الصحية وحاجاتها من المال والقوى البشرية المدربة والعُدد والالات التكنيكية ، والتخطيط للتنمية الصحية ـ مثل اي تخطيط اخر ـ ما هو الا عملية توفيق مدروسة بين الثروة القومية المتاحة وطرق الانفاق حسب حاجة البلد الماسة واولوية الموضوعات الحادة المطروحة .

وهكذا تقرر المشاريع التي تكلف الحد الادنى من الانفاق وتنتج الحد الاعلى من المردود آخذين بعين الاعتبار اهمية وخطورة المرض على الفرد والمجتمع ومدى اضراره المادية والنفسية التي تعيق الوصول الى تحسين « كيف » معيشة الانسان وهذه هي غاية التنمية .

حقول كثيرة للدراسة في شرقنا العربي

وفي شرقنا العربي حقول كثيرة يجب دراستها بعمق وموضوعية واحصاءات دقيقة وبوعي وتدبر لتحسين صحة الفرد والجماعة سواء في مجال التغذية او صحة الطفولة والأمومة ومكافحة او استئصال الامراض السارية او تحسين صحـة البيئة او توسيع شبكة الخدمات الصحية ـ وقائية وعلاجية ـ وتوزيعها العادل بين الريف المحروم والمدن المكتظة بالسكان ، كذلك الثقافة الصحية والصحة المدرسية ، وتطوير تدريس الطب ورفع مستوى الاختصاص والاهتمام بمدارس مهنية للمساعدين الصحيين الخ ...

كل هذه المجالات تحتاج تنمية صحية مناسبة عاجلة لكي نعود كما كنا في الماضي منارة للعالم في خدمة الانسان فنحن اليوم ـ ويا حسرتاه ـ في اسفل سلم التقدم والتطور الحضاري .

ما اقترحه الخبراء

واختتم هذ البحث القصير بادراج ما اقترحه الخبراء لجعل التنمية الصحية في البلاد المختلفة جزءا متمما ضروريا لكل خطة تنمية شاملة (١٥) . :

اولا : من الضروري لوزير الصحة او من يمثل وزارة الصحة ان يكون له صوت في مجلس التخطيط العام ، ولجنة التنسيق بين الوزارات المختلفـة لهذا الغرض ليحدد بالارقام حاجة وزارته مـن الميزانية العامة العادية والانمائية ومن القـوى البشرية التقنية المدربة .

ثانيا : يجب أن يكون له سلطة التوجيـه والارشاد الفني في المشاريع التي تؤثر مباشرة او غير ذلك على صحة الفرد والجماعة والتي تقوم بها الوزارات الاخرى كمشاريع ايصال مياه الشرب للسكان او مشاريع الاسكان او الري او انشاء المجاري .. الخ ، ليتأكد من انها كلها تسير في اتجاه صحي مدروس مقبول .

ثالثا : ان يكون له سلطة مراقبة وتقييم مشاريع الصحة العامة عند تنفيذها بعد ان كان له الرأي في التوجيه والارشاد عند التخطيط .

رابعا : ان يكون له رأي وسلطة في الاوضاع الصحية لشركات ومؤسسات القطاع الخاص بحيث لا تقوم بأي عمل يعرض صحة عمالها لأي خطـر او يعرض الجماهير عامة لأي ضرر او يعرض مصادر الثروة الطبيعية لأي خطر او تلوث يفسد البيئة.

وارجو مخلصا ان يصبح للتنمية الصحية في شرقنا العربي ، بل في عالمنا الاسلامي كله والشرقي كذلك ، مكانها الطبيعي في الاطار العـام لخطط التنمية الاقتصادية حتى تصبح فعلا تنميتنا شاملة وحتى تتقى عثرات تواجه اي تخطيط انمائي ناقص، واخيرا .. حتى نعيد للانسان في عالمنا الكبير كرامته التي وهبها الله له ـ فهي اذن حقه الطبيعي ـ ولا يكون ذلك .. الا بازالة كابوس الثلاثي المخيف عن كاهله الفقر .. والجهل .. والمرض .■■

الدكتور نبيل صبحي

(١٥) من تقرير مجموعة خبراء تخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في امريكا اللاتينية الصفحة الخامسة والسادسة ..

حكم الإجهاض في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

جاء فى المصباح . اجهضت الناق والمراة ولدها ، اسقطته ناقص الخلق ، وفى القاموس . الجهيض الولد السقط ، او ما تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير ان يعيش . ولم يخرج الفقهاء بالاجهاض عن هذا الاستعمال فيما رجعنا اليه من كتب المذاهب، وانما يغلب فى عباراتهم ايراد لفظ اسقاط بدل اجهاض ، وان كل الشافعية يكثر استعمالهم للفظ اجهاض .

ويعرف القانونيون الاجهاض بانه اخراج الحمل من الرحم فى غير موعده الطبيعي عمدا وبلاضرورة باى وسيلة من الوسائل ، ويعرفه اساتذة الطب الشرعي بانه خروج متحصل الحمل فى اى وقت من مدة الحمل وقبل تكامل الاشهر الرحمية .

وللاجهاض حكم اخروى واخر دنيوى . اما الاجهاض بالنسبة للحكم الاخروى وهو مقصدنا الاول فى هذا المقال ، فقد تكلم الفقهاء عنه وفرقوا بين احداثه بعد الشهر الرابع واحداثه قبل ذلك، وقالوا انه حرام بالاجماع بعد الشهر الرابع الا لضرورة تقتضيه ، اذ الضرورات تبيح المحظورات، يقول الله تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه .. »

واما قبل الشهر الرابع . فان عباراتهم تختلف بعضها عن بعض، وفى المذاهب تفصيلات واختلافات حول الاباحة (١) والكراهة (٢) والتحريم (٣) نعرف

---

(١) بمعنى التخيير بين فعل الشيء وتركه ، والمباح هو ما خير الشارع بين اتيانه وتركه دون ترتب ثواب او عقاب . راجع لنا كتاب الاباحة عند الاصوليين والفقهاء .

(٢) الكراهة . خطاب الشارع الناهي بغير جزم ، كما تطلق بمعنى الاثر المترتب عليه ، والمكروه هو الفعل الذى طلب الشارع تركه لا على سبيل الجزم والالتزام ـ راجع لنا كتاب مباحث الحكم عند الاصوليين .

(٣) التحريم : خطاب الشارع بالكف عن الشيء على سبيل الجزم . والحرام هو الفعل الذى طلب الشارع تركه على سبيل الجزم . (المرجع السابق) .

خلاصتها من واقع امهات كتب الفقه في كل مذهب، معقبين بما نرى ترجيحه والاخذ به .

المذهب الحنفي

يقول الحصكفي : يباح للمرأة اسقاط الولد قبل اربعة اشهر ولو بلا اذن الزوج .

كما نقل ابن عابدين ايضا – عن صاحب « الخانية » الحنفي – القول بعدم الحل قياسا على ما لو كسر المُحْرِمُ – بضم – بَيْضَ الصيد ، اذ نص الفقهاء على انه يَضمَنُه ، لانه اصلُ الصيد . فلما كان يؤاخذ بالجزاء الدنيوي ، فلا اقل من ان يلحق الاثم من اسقطت نفسها بغير عذر في هذه المدة ، واقل درجات الاثم الكراهة . وعلى هذا فان الاجهاض في هذه المدة يكون مكروها .

نعم اذا كان هناك عذر يقتضي ذلك كانقطاع لبن المرأة بعد ظهور الحمل ، وكشعورها بالهزال والضعف عن تحمل اعباء الحمل ، وكون الوضع يتم بالنسبة لها من غير طريقه الطبيعي – اى بالعملية القيصرية – وخاصة اذا كان قد تكرر لها ذلك وقرر الاطباء المتخصصون ان بقاء الحمل يفضي الى هلاك الام لا محالة . فانه لا مجال للقول بمنع الاجهاض .

وبما عرضنا من عبارات الفقهاء في المذهب الحنفي ، يبين لنا ان هناك قولا بان الاجهاض قبل نهاية الشهر الرابع يباح مطلقا سواء وجد عذر او لم يوجد عذر ، كما تفيده اطلاق العبارات ، وان منهم من اتجه الى انه مكروه من غير عذر . والكراهة كما هو معروف مرتبةٌ دون مرتبة الحُرْمة ، وقَصَرَ هؤلاء الاباحة على حالة وجود عذر ، واعتبروا من الاعذار مجردَ الشعور بالهزال والضعف عن تحمل اعباء الحمل .

المذهب المالكي

اما المالكية فقد كانوا اكثر تشددا في الجملة من الحنفية في جملة ما نقلنا عنهم . فقد منع فقهاء المالكية الاجهاض في جميع مراحله ، ولو قبل الاربعين يوما ، على ما هو المعتمد في مذهبهم، وفي رأى آخر في المذهب انه مكروه في هذه المدة ، ولا خلاف مطلقا عندهم في تحريمه بعد نفخ الروح بغير عذر ، واليك ما نص عليه الدردير في الشرح الكبير والدسوقي في حاشيته عليه (٤) « لا يجوز اخراج المنى المتكون في الرحم ولو قبل الاربعين يوما . واذا نفخت فيه الروح حرم اجماعا » ويعلق الدسوقي على قول الدردير : « ولو قبل الاربعين يوما » فيقول : « هذا هو المعتمد ، وقيل يكره اخراجه قبل الاربعين» وهذا يفيد ان مراد الدردير بعدم الجواز هو التحريم، كما يفيد النقل جميعه، انه ليس عند المالكية قول باباحة اخراج الجنين قبل نفخ الروح فيه ، فتَبْعَدُه اولى .

ويلاحظ ان التعبير « بالمتكون في الرحم » يفيد انه قبل تكون المنى في الرحم ، واستقراره بالعلوق – يجوز اخراجه . فالنطفة – اى البويضة الملقحة – وهي في القناة الرحمية وقبل استقرارها وعلوقها بجدار الرحم – يجوز التخلص منها . يدل على ذلك ويؤيده ما قاله القرطبي الفقيه المالكي في كتابه الجامع لاحكام القرآن : « ان النطفة لا يتعلق بها حكم ، اذا القتها المرأة قبل ان تستقر في الرحم ، فهي كما لو كانت في صلب الرجل (٥) » وهذا صريح في ان للزوجة ان تخرج النطفةَ باية وسيلة ، ما دامت لم تستقر ، دون ان يترتب اثم على ذلك .

وهذا الفقيه ابن رشد المالكي ، يروى عن الامام مالك رضى الله عنه « انه استحسن الكفارة في اسقاط الجنين ، ولو لم يُوجِبها ، لتردده بين العمد والخطأ (٦) » واستحسانُ الكفارة يرتبط بتحقق الاثم ، والاثم لا يكون على شيء مباح .

---

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير على متن خليل جـ ٢ صفحة ٢٦٦ .
(٥) تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ٨ .
(٦) بداية المجتهد لابن رشد .

والتعليل بالمترددين بين العمد والخطأ يرجح صرف قوله باستحسان الكفارة الى ما بعد نفخ الروح ، وان كانت عبارة ابن رشد عامة تتناول ما قبل الاربعين يوما وما بعدها .

واذا نظرنا الى ما قيل في تعريف الجنين ومتى يطلق على الحمل كلمة جنين (٧) تبين لنا صحة ترجيح انه بعد الاربعين يوما ، فالنويرى ينقل عن بعض الحكماء انهم اطلقوا اسم الجنين على ما بعد خلق الروح (٨)،ويؤيد ذلك ما قاله القرطبي في تفسير قوله تعالى « واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم » (٩) اذ قال : « الجنين الولد ما دام في البطن » (١٠) ويقول البستاني في دائرة المعارف . الجنين هو الولد ما دام في البطن ، ويكون اولا نطفة ، ثم يصير عَلَقَة ، ثم يصير مضغة ثم جَنينا (١١) » ويقول الدكتور نجيب محفوظ في كتابه فن الولادة : « وفي نهاية الشهر الرابع يطلق على العَلَقة اسم الجنين » (١٢) ويقول الدكتور ايبث سيرول في كتابه جسم الانسان : « ويسمى الجسم النامي في الرحم مُضغَة فيما بين الاسبوعين الثالث والثامن من حياته ، ولكنه يسمى جنينا منذ الاسبوع الثامن الى نهاية مدة الحمل » . (١٣)

ومع هذا فبعض كتب الفقه تطلق الجنين على ما في الرحم من وقت العلوق . لكن الامام المزنى الشافعي ينقل عن الامام الشافعي ان الاستعمال الحقيقي للجنين يكون فيما بعد مرحلة المضغة (١٤)

والامام الشافعي ـ فوق كونه من الائمة الفقهاء ـ عربي قرشي امام في اللغة ، وحجة في فهم عباراتها واستعمالاتها .

وعلى هذا فاننا نرجح ـ كما قلنا ـ ان ما نقله ابن رشد عن الامام مالك لايعم أول الحمل وآخره ، وانما هو خاص بما بعد الاربعين يوما عندما يسمى جنينا .

المذهب الشافعي

اختلفت الشافعية في حكم الاسقاط مالم يصل لحد نفخ الروح فيه ، وقالوا : والذى يتجه الحرمة ، بخلافه بعد استقراره في الرحم ، واخذه في مبادىء التخلق .. ومقتضى قولهم والذى يتجه الحرمة . ان بعض الشافعية يقول بعدم حرمة الاجهاض من قبل نفخ الروح ، كما يستنتج من قولهم : واخذه في مبادىء التخلق انه يفيد عدم الحرمة قبل الاربعين (١٥)

وقد صرح الشَبْرامَلسى الفقيه الشافعي بوجود هذا الخلاف في المذهب اذ يقول : انهم اختلفوا في جواز التسبب في القاء النطفة والعلقة بعد استقرارها في الرحم . وقال : ان ابا اسحق المَرْوَزى يجوّز القاءَ النطفة والعَلقة ، وتنقل عن الامام الغزالي الشافعي انه اورد في بحثه عن حكم العزل الجنسي ـ لمنع تلقيح البويضة بالحيوان المنوى ـ ما يدل على تحريمه ، وقال : انه الاوجه لانه بعد الاستقرار آيل للتخلق (١٦) .

وجاء في موضع آخر من نهاية المحتاج في الفقه

---

(٧) انظر لنا كتاب الجنين والاحكام المتعلقة به في الفقه الاسلامي . نشر دار النهضة العربية بالقاهرة .

(٨) نهاية الارب جـ ٢ ص ١١ .

(٩) سورة النجم آية ٣٢

(١٠) الجامع لاحكام القرآن جـ ١٧ ص ١١٠ .

(١١) دائرة المعارف للبستاني جـ ٦ ص ٥٦٩ .

(١٢) فن الولادة للدكتور نجيب محفوظ الطبعة الرابعة ص ٨٨ .

(١٣) جسم الانسان للدكتور أيرث سيرول ص ١٥٧ ترجمة د . عبد الحافظ حلمي .

(١٤) كتاب الأم جـ ٥ ص ١٤٣ .

(١٥) حاشية البيجرمى على الاقناع جـ ٤ ص ٣٠ .

(١٦) حاشية الشبراملسى على نهاية المحتاج جـ ٦ ص ١٧٩ ، وراجع حاشية الرشيدى عليه جـ ٨ ص ٤١٦ .

الشافعي : اختلف في النطفة قبل تمام الاربعين على قولين : قيل يثبت لها حكم السقط والواد ، وقيل : لها حرمة ، ولايباح افسادها ، ويتجه ابو بكر بن ابى سعيد الفراقي الى جواز الاسقاط في فترتي النطفة والعلقة ، اى قبل التخلق في مرحلة المضغة (١٧) .

وينقل الشبراملسي عن الغزالي انالاجهاض قبل نفخ الروح لايقال : انه خلاف الاولى . بل يحتمل الكراهية والتحريم ، اى الكراهة التنزيهية والكراهة التحريمية ، ويقوى التحريمُ فيما قرب من زمن النفخ . ثم قال : نعم لو كانت النطفةُ من زنى فقد يتخيل الجواز . فلو تركتْ حتى تنفخ فيها فلا شك في التحريم .

كما نقل ما قاله الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ثم قال : والمرجّح تحريمه بعد نفخ الروح فيه مطلقا ، وجوازُه قبله .

ومن النقول العديدة التي عرضنا من الفقه الشافعي نرىان منهم من يرى عدم حرمة الاجهاض قبل نفخ الروح او قبل الاربعين يوما من بدء الحمل ، ويرجح بعضهم هذا الراى ، وبهذا يتضح ان الشافعية يقتربون في مسلكهم الفقهي وذكر الخلافات في هذه الجزئية من مسلك الحنفية ، كما يتضح ان المالكية لايبعدون كثيرا عن ذلك ، خاصةً بعد ان عرضنا ما استحسنه الامام مالك وخرّجناه ، وبينا المراد منه بناء على المراد من كلمة الجنين .

المذهب الحنبلي

واما فقهاء الحنابلةفانهم يتناولونهذا الموضوع ـ فيما اطلعنا عليه ـ باطلاق دون تفصيل فيقول ابن قدامة الحنبلي : « من ضرب بطن امراة فالقت جنينا، وفي الحامل اذا اشربت دواء فالقت جنينا، ان على كل منهما كفارة » (١٨) والحكم بوجوب الكفارة في هذا المقام يقتضى وقوع الاثم الذى يدل على عدم جواز اللجوء الى الاجهاض .

ثم يقول ابن قدامة : وان القته مضغة فشهد ثقاتٌ من القوابل ان فيه صورة خفية ففيه غرّة، وان شهدت انه مبتدا خلق آدمى لو بقى تصور . فيه وجهان : اصحهما . لاشيء فيه لانه لم يتصور فلم يجب فيه كالعلقة (١٩) فكان الضمان لايكون الا بالنسبة لمن ظهرت فيه الروح على الصحيح .

وما نقلناه عن الفقه الحنبلي ، وان كان صريحا فيما يجب فيه التعويض فانه غير صريح من ناحية الحكم الاخروى من حيث الجواز وعدمه ، ومع هذا فانه يمكننا القول بانهم لا يختلفون كثيرا عن سابقيهم . فما نقلناه عن ابن قدامه اولا يتعلق بمن القت جنينا ، وقد قلنا : انه لايسمى جنينا الا بعد الاربعين ، ومعنى هذا انه قبل الاربعين يوما يختلف الحكم . يؤكد ذلك قوله بعد : وان القته مضغة غير مخلقة فالاصح انه لاشيء فيه لانه لم يتصور فلم يجب فيه كالعلقة . فهو صريح في ان العلقة لا يجب فيها شيء ، وان المضغة غير المخلقة لا يجب فيها شيء ايضا. فكانالاجهاض على هذا غير محظور عندهم في هذه الفترة ، وان كان الكلام غير صريح في هذا كما قلنا .

المذهب الظاهرى

ويصور المذهب الظاهرى ما جاء في كتاب المحلى لابن حزم من قوله : المراة تشرب الدواء او تستدخل الشيء فيسقط ولدها . فاذا كانت متعمدةً قتله ، وكان دون الاربعة الاشهر ، فعليها الكفارةُ ، وتلزمها الغرّة (٢٠) (دية الجنين) واذا كان بعد تمام الاربعة الاشهر فيجب القوَدُ او الفداء . وقد صح عن النبي ان الروح تنفخ فيه بعد مائة وعشرين ليلة ، فقبْلُ نفخ الروح فيه لم تكن هنالك جريمةُ قتل (٢١) » والعبارة

(١٧) نهاية المحتاج ص ٤١٦ جـ ٨ .

(١٨) المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٨١٥ .

(١٩) المرجع السابق ص ٨٠٣ مطبعة المنار .

(٢٠) وتقدر الغرة ب ٥٠٪ من الدية الكاملة وهي الف دينار اى ان الغرة تساوى ٥٠ دينارا .

(٢١) المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ٣٥/٤٠ مطبعة الامام بالقاهرة .

تفيد عدم جواز الاجهاض، اذ لو كان جائزا عندهم لما التزمت المراة بالغرة ، ولما كفرت لرفع الاثم ، ومع هذا فان ابن حزم قال في موضع آخر : اذا كان اسقاط الجنين نتيجة ضرب الحامل قبل تمام الاربعة الاشهر ففيه الغرة دون الكفارة، وان كان بعدها ففيه الغرة والكفارة معا .

وقد يرجع هذا الى عدم قصد الاجهاض وانما جاء نتيجة الضرب .

المذهب الزيدي

جاء في البحر الزخار ، وهو من امهات كتب المذهب « اذا جاز العزل جاز تغيير النطفة والعلقة والمضغة ، اذ لا حرمة لجماد .. (٢٢) »

فهو يعلل جواز الاسقاط قبل التخلق بعلتين : كل واحدة منهما تقتضي الجواز : الاولى انه في هذه الاطوار ، وقبل نفخ الروح فيه ـ لا حرمة له . والعلة الثانية انه يجوز ، بالقياس على جواز منع الحمل بالعزل .

المذهب الشيعي الجعفري

واما الشيعة الامامية فانهم يتجهون الى عدم جواز الاجهاض في اى فترة من فترات الحمل ، فقد نصوا في كتبهم على وجوب الكفارة عند بعضهم بقتل الجنين ولو قبل نفخ الروح (٢٣) ، ووجوب الكفارة مترتب على وجود الاثم ، غير ان التعبير بالجنين محتمل ـ كما قلنا ـ ان يكون بعد مضي فترة معينة على الحمل .

المذهب الاباضي

وفقهاء الاباضية ـ واتباعها كثير في ولاية عمان وبعض مناطق بشمال افريقيا ـ يصرحون في امهات كتب الفقه عندهم « بانه لا يجوز للحامل ان تعمل ما يضر بالحمل : من اكل او شرب او غير ذلك كرفع ثقيل ونحوه ، فان تعمدت شيئا من ذلك ـ مع علمها بالحمل ـ اثمت . وكذا غيرها اذا فعل ما يضر بحملها متعمدا (٢٤) . » فهم في هذا يتفقون مع الشيعة الجعفرية .

ومن هذا العرض لحكم الاجهاض الاخروى يبين انه محرم اتفاقا بعد نفخ الروح الا لعذر يقتضيه ، واما قبل ذلك ـ من غير عذر ـ فقد اختلفت وجهات النظر على ما بينا . ويتردد الراى بين الاباحة والكراهة والتحريم ويمكن ان نستخلص ان في المسالة اربعة اقوال :

١ ـ الاباحة مطلقا دون توقف على عذر ، وهو ما نقلناه عن الزيدية وبعض الحنفية وبعض الشافعية وما استخلصناه من نقول المالكية والحنابلة .

٢ ـ الاباحة عند وجود عذر ، والكراهة عند انعدام العذر وهو راى بعض الحنفية وبعض الشافعية .

٣ ـ الكراهة مطلقا ، وهو راى لبعض المالكية .

٤ ـ التحريم بغير عذر ، وهو المعتمد عند المالكية ، والمتفق مع مذهب الظاهرية ، وما يفيده كلام الشيعة الجعفرية وهو صريح كلام الاباضية .

ما نراه في هذا

والذى نميل الى القول به الاباحة لعذر ، والكراهة لغير عذر ، بالنسبة للاجهاض في الفترة ما قبل الاربعين يوما ـ مرحلة التخلق ـ واما

---

(٢٢) البحر الزخار جـ ٣ ص ١٨١ .

(٢٣) الروضة البهية جـ ٢

(٢٤) النيل وشرحه جـ ٣

(٢٥) مجلة العربي : العدد ١٦٧ (اكتوبر سنة ١٩٧٢) ص/ ٢٠ ـ ٢٥

بالنسبة لما بعد ذلك وقبل نهاية الشهر الرابع فتتجه الى التحريم الا لضرورة . وحكمه حكم ما اتفقوا عليه بالنسبة للاجهاض بعد الشهر الرابع .

وما دامت الشريعة الاسلامية تبيح لنا في الجملة ـ على ما بينا في مقال سابق (٢٥) ـ اتخاذ وسائل منع الحمل المؤقت فلا داعي الى اللجوء الى الاجهاض اذ ان في فتح بابه ـ من غير عذر ضرورى ـ فتحا لباب شر كبير . ومع هذا فاننا نرى جواز اخراج النطفة الملقحة قبل ان تستقر في الرحم بالتعلق في جداره ، ومن المعروف ان ذلك يكون بعد قرابة الاسبوع من بدء الحمل على ما حققناه في كتابنا .. الجنين والاحكام المتعلقة به في الفقه الاسلامي وعلى ما قاله القرطبي المالكي .

ثانيا ـ حكم الاجهاض الدنيوى

يتفق الفقهاء على اصل وجوب الغرة في القاء الجنين ميتا ، بجناية عليه من امه ، او من غيرها، ويختلفون في بعض تفاصيل : فينص الحنفية على ان من ضرب بطن امراة حامل، فالقت جنينا ميتا، وجب على العاقلة غرة ، واذا اسقطت المراة جنينا عمدا بدواء او فعل ، ولم ياذن لها زوجها، فان عاقلتها تضمن الغرة بذلك . واما اذا اذن الزوج ، او لم تتعمد الزوجة فلا غرة ، لعدم التعدى ، ولو امرت المراة امراة غيرها بالعدوان عليها لاسقاط الجنين فلا ضمان على المامورة ، وهذا لايلزم منه نفي الضمان من الآمرة اذا امرت بذلك دون اذن الزوج (٢٦) .

وينص الشافعية على ان الغرة تتعدد بتعدد الاجنة (٢٧) . ويفرق الظاهرية في حكم الاجهاض الدنيوى ـ كما يصور مذهبهم ابن حزم ـ بين ما اذا كان اسقاط الجنين نتيجة ضرب الحامل قبل تمام الاربعة الاشهر او بعدها . فان كان قبلها ففيه الغرة دون الكفارة ، وان كان بعدها ففيه الغرة والكفارة معا .. ثم قال فيمن تعمدت قتل جنينها ـ وقد تجاوز المائة وعشرين ليلة بيقين فقتلته ـ او تعمد اجنبي قتله في بطنها ، فان القود واجب في ذلك . الا ان يعفو عنه صاحب الحق فتجب الغرة فقط . وقد صرح الاباضية ايضا بالضمان لوجوب الغرة (٢٨) .

واذا كنا انتهينا الى ان الاجهاض لايباح الا لضرورة في غير ما قلنا ، فلا خلاف في انه ليس مما يبرر اسقاط الجنين ، خشية الفقر ، وعدم القدرة على الانفاق. فمن الخير ان يتحكم الزوجان في نفسيهما ، ويعملا ابتداء على استعمال وسائل منع الحمل المشروعة ، فاذا ما استقر الحمل برغم ذلك ، وحدث التخلق ، فانه لاينبغي ـ بحال ـ اللجوء الى الاجهاض من غير ضرورة .

ولا يفوتنا ان نشير هنا الى ان القانون الجنائي المصرى ما زالت احكامه تحرم الاجهاض ، وتعاقب عليه في جميع مراحله ، (٢٩) . بل جعل منه جناية اذا توافرت شروط معينة نص عليها .. غير ان هناك نوعا آخر من الاجهاض يسمى بالاجهاض الطبي وهو الذى يجريه الطبيب لغرض العلاج لانقاذ الام من خطر محقق او للتخلص من حالة تهدد حياة الام اذا استمر الحمل . ■■

محمد سلام مدكور

رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق بالقاهرة

---

(٢٦) حاشية ابن عابدين جـ ٥ ص ٤١٠ ، الهداية للمرغيناني جـ ٤ ص ١٥٣ .

(٢٧) الاقناع وحاشية الخطيب جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٢٨) النيل وشرحه جـ ٨ ص ١١٩٠ .

(٢٩) انظر المواد ٢٦١/٢٦٤ من قانون العقوبات المصرى .

التربية

أمام الانفجار الثقافي والسكاني

بقلم : على بركات

■ يشهد تاريخ التربية أنها عملية « متغيرة » ، متطورة » ، خضعت في تطورها للتغيرات الثقافية والسكانية ، منذ بدء النمو الثقافي ، والزيادة السكانية .

فالتربية على الرغم من سماتها التي تبدو ثابتة، الا أنها دائمة التغير لتوائم ما يجد من الظروف والملابسات ، والمطالب والتطلعات المرجوة في كل عصر ، فهي ليست عملية « جامدة » ، ولكنها مرنة ، وليست منعزلة ، بل مستقرها داخل الحياة ذاتها ، وفي صميم تحركات التغير والتقدم.

والتربية عملية مقصدها تزويد الفرد بالحقائق والمعارف والمفاهيم والاتجاهات والمهارات التي ينطوى عليها التراث الثقافي ، وتشكيله بالثقافة السائدة في مجتمعه ، ليكون حافظا لها ، ناقلا لمحتواها ، مستفيدا منها في تذليل مشكلات حاضره ، ومواجهة أعباء مستقبله ، مضيفا اليها بما تهيؤه له قدراته واستعداداته .

فالتربية متصلة بالثقافة لأنها وسيلتها الى تشكيل الفرد ، ولذا كان تأثرها بالانفجار الثقافي، وبالتالى بالانفجار السكاني لان الزيادة في السكان هي زيادة في عدد الأفراد ، والفرد هو هدف التربية وغايتها .

علاقة التربية بالثقافة

وتتباين تعريفات الثقافة ، وفقا لمجالات البحث والدراسة المختلفة ، ولكنها مهما تنوعت ، فانها تنطوى على عنصر مشترك . فهي عند «تايلور» Taylor : « الكل المركب الذى يتضمن المعارف والعقائد والفنون ، والاخلاق والقوانين والعادات والقدرات والخصال التى يكتسبها الانسان نتيجة وجوده كعضو في المجتمع » .

والانسان منه تخرج الفاعلية المؤدية الى استحداث امور في مجتمعه بعضها مادى « يتمثل في كل ما تنتجه ويمكن التحقق منه بالحواس ، واخرى غير مادية تتضمن العادات والتقاليد والقيم والأخلاق والاساليب الفنية. والثقافة تيار « مستمر » نام، تذوى بعض عناصره ، ويكتسب أخرى جديدة ، أثناء انتقاله من جيل الى جيل ، فهي عملية رمزية « تراكمية » موصولة « تقدمية » .

والتربية موضوعها الثقافة التى تمثل الخبرة الانسانية ، مما يبين الترابط الوثيق بين الثقافة والتربية .

تقدم الثقافة وانفجارها

لقد بدأ التراث « الثقافي » للانسانية يتكون ، منذ ان عرف الانسان صناعة أدواته التى تؤخذ مقياسا لثقافته منذ العصور السحيقة الضاربة في غموض ما قبل التاريخ . وحول وسائله المستحدثة، تجمعت خبراته وتجاربه ، التى أخذ ينقلها الى أبنائه ، ولكن الثبات والركود ، والتباطؤ كان خصيصة تلك الدهور .وتجاوز الانسان مرحلة جلب الطعام بالزراعة الى مطاردة صيد الحيوان ليكون له فيه منافع ، وأضيفت الى الثقافة معارف جديدة ، أخذت تنمو نتيجة صراعه مع الطبيعة ومقاومته الأخطار المهددة حياته .

أصبح التعليم شيئاً يمارسه الانسان بنفسه لنفسه الى آخر العمر .

تغيرت التربية وتغيرت وسائلها تحت وطأة الفيضان السكاني والثقافي معاً .

وسائل التواصل الحديث ، التكنية ، أخرجت التربية من الفصول ، إلى ساحات الجماهير .



وانتقل الانسان من التعبير بالايماءات والرموز الى الكلمات ، التى سجلها على الجدران واللفائف ثم الورق ، حتى مكنت الطباعة من صنع الكتب التى صارت سجلا مكتوبا للثقافة الانسانية ، ويقيّم « برستد » Breasted ذلك بقوله : « ان اختراع الكتابة واختراع نظام التسجيل على الورق كان له اكبر الاثر في رفع مستوى الجنس البشرى، اكثر من اى عمل عقلى في حياة الانسان » .

وقامت التربية بالارتكاز على هذه الثقافة التى تجمعت في كتب تشكل منها مناهج قوامها مواد « دراسية » منفصلة متعددة الاصول والفروع . وبعد ان كانت التربية غير مقصودة عمادها نقل الآباء خبراتهم مشافهة الى الابناء بالاتصال المباشر داخل الاسرة ، اصبحت التربية مقصودة ارتكزت على الكتب التى تجمع حصيلة الثقافة وتنقل الى الدارسين في صورة مناهج ذات مواد دراسية .

ولم يتوقف اتجاه المعارف والمعلومات واكتشاف الحقائق نحو الزيادة ، فبلغ أوجه في هذا القرن حيث زاد حجم المعلومات والحقائق عما كان عليه في القرن الماضي بما يوازى اضافة مليون صنف من المعارف . ويقدر عدد الكتب المطبوعة التى نشرت في العالم في الخمسمائة سنة التى اعقبت اختراع « جوتنبرج Gothenberg» لآلة الطباعة بما يقرب من ثلاثين مليون كتاب ، وفي الخمس وعشرين سنة الاخيرة وحدها طبع ونشر من الكتب ما يساوى هذا العدد بالاضافة الى المطبوعات الدورية ، والمواد التى تضمها وسائل غير الكتب Non -Bwk- Material كما أن حجم المعرفة في كثير من مجالات المعرفة اخذ يتضاعف كل عشر سنوات تقريبا ، وفي العلم والتكنولوجيا بلغ عشرين او خمسين او مائة ضعف ، ويقدر ما وصلت اليه الانسانية خلال العشرين عاما من الخمسينات الى السبعينات بما يعادل ما وصلت اليه الانسانية منذ باكر محاولاتها لاكتساب المعرفة الانسانية ، حتى بداية الخمسينات ، فهي زيادة فلكية تفوق الخيال ، وتشق على الملاحقة .

عوامل الانفجار الثقافي

وادى الى زيادة النمو الثقافي والتضخم المعرفي ، عوامل عدة ، كان أبرزها ، ايمان الانسان بالتغيير كظاهرة تسود العصر الحديث . فقد شاعت في العصور القديمة فكرة الثبات والاستقرار التى

ظلت طوال العصور الوسطى حيث اعتبر التغير عارضا . على الرغم من التغيرات في نظم المجتمع، وتقاليد الحياة التى كانت حثيثة ، كان التقدم الثقافي وئيدا ، ولهذا اتسمت التربية في حضارات قديمة كالصينية بروح المحافظة على القديم وحمايته من التغير . وكان لتلاحم الثقافات ، واحتكاكها اثر في اثراء الثقافة وزيادتها ،وارتقائها. ثم تأكد الانسان من قيمة العلم وتطبيقاته ، فاقترن ذلك باضافات جديدة للثقافة . وساعد على النمو الثقافي التقدم التكنولوجي في مجال المواصلات ، فادى الى تبادل المعارف والحقائق وسرعة اذاعتها ، والاحاطة بها .

وكان على التربية ان تواجه هذه الزيادة في المعارف الانسانية التى بلغت حد الانفجار الثقافي.

التضخم والانفجار السكانى

مر حين من الدهر على الانسان لم يكن يشكو فيه ازدحاما في السكان ، بل كان يسعى للاتصال باخيه الانسان للتآزر ، والائتناس ، وازالة وحشة القلة في رحابة الارض الواسعة . وكانت الحقائق العملية التى راح يكتشفها في خدمته تقيه شر الامراض ، وليقبض بها على زمام الطبيعة ليتجنب اخطارها. وبدأت زيادة السكان تنمو الى انصارت في هذا القرن تمثل زيادة ضخمة فوق مساحة يابسة غير قابلة للزيادة ، بعد ان انقضى عصر الكشوف الجغرافية ، حيث تبلغ مساحة الارض اليابسة حوالى ٥٦ مليون ميل مربع او ما يعادل ٣٦ الف مليون فدان . وقد وصل عدد سكان العالم في عام ١٩٧٢ م ٣٦٣٢ مليون نسمة ، اى ضعف عددهم قبل نصف قرن . واربعة امثال ما كانوا عليه عام ١٨٠٠ ، حينما كان تعداد السكان لا يتخطى ٩٠٠ مليون نسمة ، وسكان العالم اليوم موزعون على اساس ٥٦ر٦٪ منهم اى ٢.٦٦ مليونا في آسيا ، وفي اوروبا ٤٦٢ مليونا وفي افريقيا ٣٢٤ مليونا ، وفي امريكا الشمالية ٣٢١ مليونا (احصاء الامم المتحدة في يناير ١٩٧٢) والزيادة السنوية لسكان العالم في حدود ٦٥ مليون نسمة، اذ في كل ثانية يولد احد عشر طفلا يموت منهم خمسة ، ويعيش ستة ، ومن المتوقع انيتضاعف عدد السكان عام ٢٠٠٠،اذا استمر النمو السكانى بمعدل ٢٪ .

واذا ترجمنا زيادة السكان الى حقائق ذات صلة بالتربية وجدنا ان مجموع التلاميذ في العالم سوف يرتفع تبعا لذلك الى ٦٠٠ مليون تلميذ ، وقد ارتفع عدد الأميين البالغين في السنوات العشر الاخيرة من ٧٤٠ مليونا الى زهاء ٨٠٠ مليون ، وقد صار على التربية أن تجابه انفجارين سكانيا وثقافيا .

الدول العربية تواجه الانفجار السكانى

ولا مناص من انعكاس مشكلة الانفجار السكانى على الدول العربية حيث وصل معدل النمو السكانى الى حوالى ٨ر٢ وهو من أعلى معدلات المواليد في العالم . وقد وصل عدد السكان فيها عام ١٩٧٠ الى ١٢٢ مليونا ويرتقب بناء على التنبؤات السكانية أن يقفز الى ١٦٦ مليونا سنة ١٩٨٠ . ولما كان معدل النمو بالنسبة لاطفال المرحلة الابتدائية بالدول العربية يبلغ حوالى ١١ ٪ سنويا ، ونسبة استيعاب الملزمين تزيد قليلا عن النصف فان الدول العربية تواجه جهدا ضخما لتوفير التعليم الابتدائى لكل طفل فيها .

وقد أكد المؤتمر الثانى لوزراء التربية والتعليم الذى عقد في طرابلس سنة ١٩٦٦ حتمية الانتهاء من تعميم التعليم الابتدائى الاجبارى في الدول العربية عام ١٩٨٠ .

وتشير البيانات الاحصائية للدول العربية الى انه يوجد زهاء ١٥ مليون تلميذ في التعليم العام سنة ٧٠/٧١ ، وأن هذا العدد سيزيد عن الضعف خلال العشر سنوات القادمة ، وأن عدد المعلمين في التعليم العام بلغ نصف مليون معلم سنة ٧٠/١٩٧١ ، وعلى الدول أن توفر ما يزيد على مليون معلم خلال العشر سنوات القادمة . وقد أوصى مؤتمر وزراء التربية والتعليم الذى عقد في طرابلس عام ١٩٧٠ بأن تبذل الدول العربية قصاراها لتوفير أعداد مناسبة من المعلمين لسد العجز وتدارك الاحتياجات ، كما عقدت الجامعة العربية مؤتمر اعداد وتدريب المعلم العربى فيناير سنة ١٩٧٢ لمواجهة حاجة المعلمين والمشكلات التربوية والتعليمية التى نجمت عن الانفجار السكانى الحاد في العالم العربى .

خروج الانسان من عزلته الى الدنيا الحديثة الفسيحة

اقترن العصر الحديث بعدة ظواهر ذات صبغة ثقافية ، كان لها آثرها في التربية . فقد كانت المعارف والعلوم في العصور القديمة والوسطى

يزود بها الانسان من اجل الاشباع العقلي في حد ذاته ، وليس بهدف نفع عملي ، ثم صارت قيمتها في العصر الحديث بقدر ما تفيد في تغيير وتشكيل حياته وبيئته ، واصبحت التربية لا تقتصر على الاهتمام بعقله وحده ، بل بشخصيته من كافة اقطارها .

وكان الانسان يركن الى المؤسسات القديمة ليسالها الراى والمشورة وسط عالم تسوده فكرة الثبات وعدم التغير والرضوخ للواقع ، حتى حل العصر الحديث وذاعت فكرة التغير والتقدم والتطور ، فصار له رايه ، وفكره ومشاركته في صنع المضامين الثقافية في مجتمعه ، وانعكس ذلك على التربية التى بادرت بافساح السبيل امام قدراته وامكانياته .

واعان العلم والتكنولوجيا الانسان على الخروج من عزلته ليهتم بمشكلات العالم الذى يعيش فيه ، كما تطورت علاقة الفرد بالدولة فبرزت فرديته منذ عصر النهضة حتى بلغت غايتها في العصر الحديث ، واخذ يشارك في امورها ، وتاثرت التربية بذلك كله فساندت الفرد في تفاعله مع مجتمعه ، وتاكيد فرديته في ظل فلسفة المجتمع .

مبادىء قامت عليها التربية الحديثة

وقد انعكست معطيات الثقافة في العصر الحديث على التربية ، فظهرت في صورة مبادىء تدعمت بها لتواجه التزايد المتدفق في المعارف ، والافراد . فقد صارت التربية عملية اجتماعية قوامها الفرد والمجتمع،لانها في صميمها ، تكوين للفرد الانساني، القادر على التالف مع مجتمعه ، وتكييفه مع ظروفه ، وايمانه بقيمه وممارسته عاداته وتقاليده، وهذا يقضي بان تقوم العملية التربوية داخل الاطار الثقافي لمجتمع بعينه ، في زمن محدد .

وتتيح التربية للفرد أن يغير من ثقافة مجتمعه ولا يقف عنه مجرد الامتصاص السلبى لما هو سائد ، فالتربية ووسيلتها الثقافة تؤثر في الفرد ثم يعود ليؤثر في الثقافة ويطورها . ولم تعد طبيعة الطفل في نظر التربية جامدة ، بل صارت تعامله بحسبانه متميزا بطبيعة متغيرة ، قابلة للتشكل ، حيث يولد ، مزودا بالاستعدادات والقابليات الفطرية،التى تهيىء التربية لها الظروف السديدة للكشف عنها بوسائلها المتباينة ، لاستغلالها الى اقصى مدى . ونبذت التربية الحديثة فكرة الاقتصار على الاهتمام بالناحية العقلية ، وانكار نواحي الشخصية الانسانية الجسمية والنفسية والاجتماعية ، ونظرت الى الانسان نظرة متكاملة ، فاولت الجانب العملى اهتماما ، وصار التعليم عن طريق العمل اسلوبا مقررا في التربية الحديثة، وجمعت بين الناحية النظرية والعملية ، وعنيت بالممارسة ، وبالتالى بالخبرة التربوية التى هي ركيزة التفاعل بين الفرد والبيئة . وكان لاقرار مبدأ الفروق الفردية ، حيث يختلف كل فرد حسب قدراته واستعداداته اثره في الاخذ بالتوجيه التعليمي والمهنى الذى يتيح للفرد تاكيد ذاته فيما يتعلمه وما يعمله .

الديموقراطية تجعل من التربية حقا للمواطنين جميعا

قمع الانسان تمرده على التربية القديمة التى كانت مقصورة على الطبقة القادرة ماديا ، والمتميزة اجتماعيا والمستحوذة على اوقات الفراغ ، وما ان حلت نهاية العصور الوسطى حتى تمرد على القيود التى حرمته حقه في التربية ، لا سيما وقد اخذ عدد سكان القرى العاملين في الزراعة ، وخدمة الامراء يزداد،ورحلوا الى المدن ليعملوا بالتجارة، فظهرت الطبقة البرجوازية التى سعت لنيل حقوقها في التربية ، ففتحت مدارس وجامعات تابعة للنقابات والبلديات . وبظهور الحركة الصناعية توارت ثقافة الطبقة الوسطى لتحل محلها ثقافة الطبقة الدنيا ، التى تمسكت بحقها في التعليم للجميع ، وبذا عرفت المجتمعات الحديثة مبدا تعميم التعليم وساعد على تثبيته انتشار التقدم العلمى ، والحرية الفردية ، والكرامة الانسانية ، وانه لا تعارض بين العناية بالفرد والمجموع ، وتجسد ذلك كله في الديموقراطية . وارتبطت الديموقراطية بالتربية التى تشكل شخصية المواطنين بالايديولوجية التى يصطبغ بها المجتمع وسط اطاره الثقافي .

ودافعت الديموقراطية عن حقوق المواطنين الذين اخذ عددهم يتزايد ، وصار الفرد محور العملية التربوية باعتباره عضوا في مجتمع ديموقراطي . وتمثل اول محاولة لوضع نسق ديموقراطي شامل لتوحيد النظام التعليمي فيما وصفه جون نوكس (١٥٠٥ - ١٥٧٢ م) في القرن السادس عشر ، لمدارس الابروشيات ومدارس النحو والجامعات لتتدرج فيه جميع الفئات . وفي القرن السادس عشر قسم جون آدامس كومينوس(١٥٩٢ - ١٦٧٠م)

النظام التعليمي تبعا لمراحل النمو الاربع ، الطفولة المبكرة ، والطفولة ، والصبا ، والشباب ، وبذلك وجد الطريق الواحد المتصاعد حتى أعلى مراحل التعليم . ومكنت الديموقراطية من مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، ليكون لكل فرد حقه في فرصة تعليمه بقدر ما يتفق مع ملكاته ، وتحتمل طاقته ، وتطيق قدراته دون تأثر بالاصل الموروث ، أو المستوى الاقتصادي والاجتماعي واصبح الالزام في التعليم مقررا في ظل الديموقراطية ، ليكون للمواطن الحق في التعليم ، وعليه واجب الانتظام فيه ، كما تلتزم الدولة بتهيئة الفرص التعليمية للاعداد المتزايدة من السكان ، وتوفير الاحتياجات والامكانيات . وعلى الجملة فقد صار على التربية ان تواجه احتياجات المجتمع للثقافة مهما بلغ تزايدها الكمي ، وتضخم عدد السكان .

وسائل تربوية جديدة لمواجهة الانفجارين

وازاء الزيادة السكانية والتكاثر المعرفي ، لزم ان تعيد التربية النظر في وسائلها التي درجت على اصطناعها لتوصيل المعارف ، والخبرات الانسانية ، وكافة عناصر الثقافة . فقد انصرمت حقب والمعلم مركز الدائرة في تلقين المعارف ، مستعينا بالالفاظ ، والسبورة ، والكتاب . وكانت هذه الوسائل مناسبة لاوان مضى ، كان عدد الدارسين فيه محدودا ، والمعلومات نزرة لنمو وئيدة،والغاية حشو العقول بها ، واستبقاؤها بالحفظ والاستظهار . ومع تزايد السكان ،وتزايد المعارف ، اللذين نجم عنهما الانفجاران السكاني والثقافي ، كان على التربية أن تكتشف الوسائل المؤدية الى التوصيل الثقافي . ولم يعد المعلم هو المصدر الاوحد للمعرفة ، وصارت مهنتــه الرئيسية توجيه الدارسين والاشراف على تقدمهم الثقافي وقيادتهم خلال الانشطة ، لتحقيق نموهم المتكامل . وقد ساعد على ذلك التقدم التكنولوجي الذي زود المعلم بادوات معينة لتوصيل المعارف كالصور والنماذج والتسجيلات الصوتية والاذاعة والافلام الثابتة ، والشرائح والافلام المتحركة والتليفزيون ومجموعها يشكل وسائل الاتصال التعليمية .

وبذلك اهتمت التربية بوسائل الاتصال التعليمية لمواجهة التزايد السكاني والثقافي ، باعتبارها المواد والادوات التي يستخدمها المعلم او الدارس، لنقل المضمون سواء داخل الفصل او خارجه ، بهدف تحسين العملية التربوية التي لا ترتكن اساسا على الالفاظ ، وبذلك يتسع المصطلح ليشمل الرحلة التعليمية وزيارة المعارض والمتاحف، وكلها خبرات « تعليمية » تنظم خــارج جدران الفصل الدراسي .

وتنبهت هيئة اليونسكو منذ عام ١٩٥٣ ، الى اهمية دراسة المعينات التربوية واستعمالهـا وانتاجها ، وكرست اجتماعات دولية لاعضائها لمناقشة هذه الأمور ، فتتابعت الاجتماعات ابتداء من اجتماع مسينا بايطاليا عام ١٩٥٣ ونيودلهي عام ١٩٥٨ ، والمكسيك عام ١٩٥٩ ، وطوكيو عام ١٩٦٠ ، وكوالا لمبور عام ١٩٦١ ، وكان أهمهـا اجتماع باريس عام ١٩٦٢ لبحث تحسينات طرق التربيـة ووسائلها ، للارتقاء باستخدام وسائل الاتصال التعليمية .

وفي اكتوبر عام ١٩٦٧ واجه المجتمع الدولي مشكلات التربية التي زادت حدتها في المؤتمـر الذي عقد في ولياسبرج بفرجينيا لمناقشـة « الأزمة المالية في التربية » حيث تبنت فكرةتنظيم عام دولي للتربية ، ووافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وحددت له عام ١٩٧٠ ، ونفـذ تحت اشراف هيئة اليونسكو ، وأبرزت فيه الدول مدى اهمية وسائل الاتصال التعليمية في تذليل معوقات التربية التي تحول دون تحقيق اهدافها في صورة مثلى . وفي يوليه من العام ذاته ، عقد مؤتمر التربية الدولي بجنيف ، ابرز فيه ممثلو ٨٧ دولة بالاضافة الى ممثلي ١٧منظمة اشتركت في المؤتمر كهيئات مراقبة ، مدى اهمية وسائل الاتصال التعليمية .

تصنيف للوسائل التربوية الحديثة اساسه الحواس

ويمكن تصنيف وسائل الاتصال التعليمية على اساس الحاسة او الحواس التي يعول عليها في استقبال المضمون وادراكه . وحيث أن التعليم في اغلبه يتم عن طريق حاستي السمع والبصر (٨٠٪ ـ ٩٠٪) فالتصنيف يتشعب الى وسائل سمعية مثل الاذاعة والتسجيلات الصوتية بنوعيها على اشرطة واسطوانات ، ووسائل بصرية مثل النماذج والعينات والاشياء المبسطة والخرائط والرسوم والصــور المعتمة والشفافة والشرائح والافلام الثابتة والمتحركة والصامتة ، ووسائل

سمعية بصرية تعتمد على حاستي السمع والبصر مثل التليفزيون التعليمي والافلام المتحركة والناطقة والتعليمية الثابتة المصحوبة بشرائط أو اسطوانات للشرح والتعليق ، والشرائح المصحوبة بشرائط او اسطوانات .

وتصنيف أساسه عدد المستفيدين

وتصنف الوسائل من ناحية اخرى ، وفقا لعدد المستفيدين منها ، فهناك الوسائل الجماهيرية وتصل لكل فرد يريد الاستفادة منها في نفس الوقت، وبغض النظر عن المكان الذى يوجد فيه مثل التلفزيون ذى الدائرة المفتوحة والاذاعة اللاسلكية، والوسائل الجماعية التى توجه لمجموعة محددة ، في مكان معين ، وفي نفس الوقت ، مثل التسجيلات الصوتية على اشرطة أو اسطوانات ومعامل اللغات والتليفزيون ذى الدائرة المغلقة والنماذج والعينات، والوسائل الفردية التى يستخدمها فرد في وقت معين يختاره مثل الصور والرسوم خاصة اذا كانت صغيرة، ولم تتوفر الأجهزة الكبيرة لتكبيرها .

اسهام وسائل الاتصال التعليمية فى حل المشكلات

وتعقد الآمال على وسائل الاتصال التعليمية لا سيما الجماهيرية في مواجهة تكدس الفصول وازدحامها ، المتولد من تزايد السكان ، اذ بالتليفزيون والاذاعة استطاع الدارسون الحصول على تعليم كامل،ويمكن في الدول النامية الاستعانة باكفا المدرسين لتسجيل دروس نموذجية يعم الانتفاع بها ويقتدى بالاداء فيها ، وبذا يتوفر تكافؤ الفرص للدارسين مع التقارب الفكرى والثقافي .

وقد ترتب على النمو المتزايد للمعارف الانسانية الانفجار الثقافي الذى جعل الدارس اليوم يعاني من عبء اختزان معلومات تزيد على ما كان يحصله قرينه خلال الثلاثينات او الاربعينات ، ولما كان المدرس لم يعد المصدر الوحيد لمعارف الدارسين حيث هو في الحقيقة مرشد لتنظيم الخبرات والمواقف التعليمية المتنوعة ، وداعية لنشر الثقافة اكثر منه حاملا لها ، فقد تأكد دور الوسائل السمعية والبصرية ، في تدريس كثير من المعلومات والحقائق والمفاهيم ، وبذلك تحرر المدرس من دوره التقليدى الذى طالما اثقل كاهله . وقد اضطرت مؤسسات التربية والتعليم في بعض الدول لا سيما النامية لمواجهة الانفجار السكاني والثقافي الى الاستعانة بغير المؤهلين علميا وتربويا للتدريس، واسفر تطوير مفهوم التربية عن الحكم بعدم الكفاءة العلمية والتربوية على اعداد كثيرة منهم ، وقد قامت وسائل الاتصال التعليمية بتقديم برامج تدريبية ، ونماذج للتدريس ، ومساندة المدرسين في الفصول

وتساعد هذه الوسائل في التغلب على مشكلة ازدحام الفصول الذى قد يؤدى الى عدم اتاحة الفرصة أمام القدرات والامكانيات الفردية للتعرف عليها وظهورها ، حيث اعتاد المعلم توجيه عنايته وتدريسه الى من يظن انهم الكثرة من الدارسين، وهم المتوسطون في الذكاء والتحصيل ، كما لا يتسع وقته للاهتمام بمن هم فوق او دون المتوسط ، فتهيىء الوسائل المثيرات والمنبهات بطرق واساليب متباينة لمختلف المستويات ، وتجذبهم الى ما تعرضه من حقائق ومعلومات .

وتعرض وسائل الاتصال التعليمية للدارسين ما قد يفوتهم داخل الفصل من دروس حيث يمكنهم اعادتها ، وتكرار مشاهدتها ، والاستماع اليها اكثر من مرة ،وتوفر خبرات بديلة عن الخبرات الواقعية التى تحول الظروف المكانية والزمانية والنفقات دون الاتصال بها بالخبرة المباشرة في موطنها .

مهارات للبحث والاطلاع

واخذت اجهزة التعليم تستجيب للتطور المعرفي والتزايد الثقافي ، فبادرت المكتبات المدرسية والعامة بالاستفادة من التقدم التكنولوجي ، فلم تعد تقتصر على المعرفة المدونة ، بل ضمت اليها الوسائل المتنوعة التى تحتويها . وادخلت نظام الميكنة الذاتية الكاملة التى تدار بالازرار والحاسب الالكتروني ، ابتداء من الاختام الذاتية التحبير الى الآلة الكاتبة البعيدة (التلكس) وآلات النسخ الفوتوغرافية حيث يمكن استخراج المعلومات المطلوبة من أى مصدر على شكل نسخ فوتوغرافية او الكترونية مع تيسير تعدد نسخ المعلومات مهما بلغ عدد الراغبين فيها . وفي انجلترا يتبع نظام اعارة الكتب واعادتها بالحاسب الالكتروني ،الذى يمكنه ايضا من استخراج فهارس مطبوعة قابلة للتعديل ، وعمل قوائم ببليوجرافية للموضوعات .

تربية مستديمة

لقد اتسع مفهوم التربية متجاوزا حدود سنوات الدراسة ليجعل من التربية عملية ذاتية يقوم بها الشخص لنفسه تستمر مدى الحياة Life Time Self-Education ، وبذا لا يقف تقدم العمر عائقا ، طالما كانت حاجات المرء لا تنقطع وهو قادر على الاستجابة النشيطة المشبعة لحاجاته في عالم متغير . يتحتم عليه الاحتفاظ بتوازنه وسطه. ولم تعد التربية مقصورة على الطفولة والمراهقة والشباب ، فلا يمارى في امكانها وجدواها للكبار ، ويقول « ثورنديك » (١٨٧٤ ـ ١٩٤٩ م) انه لا ينبغى أن يحجم شخص عن تعلم اى شيء لاعتقاده انه أكبر من أن يستطيع التعلم ، ولا ينبغى ان يتخذ من هذا الخوف ذريعة للتردد في تعلم ما ينبغى تعلمه وقد اتضح أن توقف الكبار عن التعلم ليس تقصيرا من الطبيعة ، ولكن سببه الاعتقاد باكتمال نموهم ، الا انه حيث تتوافر حيوية الميل نحو التربية المستديمة لتحقيق هدف ذى فائدة ، فان التقدم في العمر ينطوى على مغزى الحكمة والاتزان .

وازاء الزيادة العظيمة في الثقافة والسكان ، لا مندوحة من التربية المستديمة حتى لا يجد الانسان نفسه وحيدا في عالم متغير ، حيث يبلغ التطور في كافة ميادين المعرفة مبلغ الثورة .

ولذا لزم ان يجدد مهارته ليكون في تزايدالسكان عائد اقتصادى استثمارى ، ومن وراء التزايد الثقافي استغلال للامكانات الواقعية والممكنة والمتاحة في موارد الطبيعة . ومدى تعلم الفرد لا يقاس بعدد سنوات الدراسة ، وما حصل من معارف ، ولكن بالقدرة على النمو العقلى والشخصى المستمر ، فالغرض الجوهرى من التربية هو اعداد الفرد لاقصى تعلم ممكن ، وتنمية القدرة على التعلم بالمبادرة الذاتية . والتربية بوسائلها الثقافية هى الملاذ للوقاية من اخطار « القنبلة السكانية » التى قد تؤدى الى أهوال تفوق الأسلحة النووية ، وهى الحصن لحفظ توازن الانسان ، وصواب حكمته ، وسط تفجير ثقافي لا تنقطع اصداؤه في عالمنا .

التعليم مدى الحياة

وقد اقترح الاعضاء السبعة للجنة الدولية لتطوير التعليم، التى قامت بتحقيق واسع النطاق على المستوى العالمى باشراف منظمة اليونسكو عام ١٩٧٢ برنامجا بعيد المدى لمشكلات الانفجار السكانى والثقافي ، يقوم على مبدا « التعليم مدى الحياة » وتكون من ٢١ نقطة ، لسياسة تعليمية عالمية . وتركز البرنامج حول ضرورة أن يكون التعليم مدى الحياة ركنا اساسيا في جميع السياسات التعليمية في السنوات القادمة سواء في البلاد المتقدمة صناعيا أو النامية، ويجب الا ينحصر التعليم داخل جدران المدرسة بل يكون حركة جماعية حقيقية . واهمية ادخال وسائل التعليم الذاتى ، بما فيها معامل اللغات والمكتبات وبنوك المعلومات والمعدات السمعية والبصرية في جميع النظم التعليمية والاستعانة الكاملة في برامج اعداد المدرسين باحدث الوسائل والأساليب التعليمية ، واعداد المدرسين ليكونوا مربين لا اخصائيين في تلقين المعلومات ، ويشارك الطلبة ايضا في التدريس وبذلك يعلمون انفسهم اثناء تعليمهم لغيرهم ، ويتاح للطالب حرية اكبر في أن يقرر بنفسه ما يريد وكيف وأين يتعلمه . وقد أجمعت الدلالات على ان مفهوم التعليم المستمر سوف يصبح عن قريب حقيقة واقعة . وحين يغدو التعليم مستمرا ، تتغير الآراء فيما يتعلق بمقومات الفشل والنجاح ، وسوف يجد الفرد الذى يفشل في سن معينة ، ومرحلة معينة من مراحل التعليم فرصا أخرى للنجاح ، ولن ينعزل طول حياته في النطاق الذى انحصر فيه بسبب فشله . وبذلك يؤدى الاهتمام بالتعليم المستمر الى معاونة الاعداد المتزايدة من السكان على الكفاح حيال تضخم المعلومات بسرعة كبيرة وحاجته المستمرة للتعلم ، لأن الانسان حيوان يتعلم ، والتعليم بالنسبة اليه امر طبيعى وضرورى .

التربية الديناميكية

وطبيعة التربية الديناميكية المتغيرة ، قمينة ان تكفل لها تحسين وسائلها وارتقاء اساليبها دوما، لتواجه الانفجار الثقافي والسكانى ، لانها المرآة التى تنعكس عليها الحضارة ، والبوتقة التى يعاد فيها صياغتها من جديد ، بفضل ما تكتشفه من قدرات وامكانيات وقابليات تثرى بالاضافة الخلاقة المبدعة الثقافة الانسانية . ■■

علي بركات

بورسعيد ـ ج. م. ع.

مسابقة العربي

كتب .. ومؤلفون

■ امامك اسماء اثنى عشر كتابا ،بعضها من تراثنا القديم وبعضها لمؤلفين معاصرين ، وكلها مشهورة ، والمطلوب منك ان تختار عشرة كتب منها ، ترتبها فى قائمة ، وتذكر امام كل واحد منها اسم مؤلفه .

وتيسيرا عليك فى الوصول الى الجواب الصحيح ، زودناك باسماء مؤلفى هذه الكتب دون ترتيب ، فعليك ان تختار من بينها اسم المؤلف لكل كتاب .

الكتب :	المؤلفون :
١ ـ تحرير المرأة	١ ـ ابن عبد ربه
٢ ـ القاموس المحيط	٢ ـ طه حسين
٣ ـ رسالة الغفران	٣ ـ ابو الفرج الاصفهانى
٤ ـ البيان والتبيين	٤ ـ توفيق الحكيم
٥ ـ النظرات	٥ ـ الفيروزابادى
٦ ـ الاغانى	٦ ـ ابو العلاء المعرى
٧ ـ عبقرية خالد	٧ ـ المنفلوطى
٨ ـ وحى الرسالة	٨ ـ احمد امين
٩ ـ الايام	٩ ـ احمد حسن الزيات
١٠ ـ مسرحية اهل الكهف	١٠ ـ عباس العقاد
١١ ـ العقد الفريد	١١ ـ قاسم امين
١٢ ـ ضحى الاسلام	١٢ ـ الجاحظ

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧٧ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الثالث من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٣

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة
العدد ١٧٧



الصَّفْحُ والغُفْرانْ

فى طيّهما مِنَ الهناءةِ قلَّ منْ يَعرِفهما مِنْ بَنِي الإنْسان

بقلم : منير نصيف

■ الحب والكراهية شعوران متلازمان. ولعل ابرز ما يميزهما عن غيرهما من احاسيس ومشاعر أنهما يتعايشان جنبا الى جنب ، فالمرء يحب ويكره فى آن واحد ، فسلوك الفرد نفسه ازاء الآخرين هو الذى يكسبه حبه ، وهو الذى يثير كراهيته له .. وكذلك مشاعره هو نحو غيره من الناس فانها تتأثر بما يلمسه من تصرفاتهم نحوه .. انه اليوم يحب زميله فى العمل أو الجامعة أو المدرسة .. لأنه اتى عملا أو قال قولا أحس من خلاله بتجاوب مع ما يعتمل فى صدره وفكره . وهو فى الغد يكره هذا الزميل لأنه تصرف تصرفا جرح شعوره أو اساء الى كبريائه.

وفي البيت كما في خارج البيت ، نرى الحب والكراهية يتعاقبان بسرعة تفوق سرعة دوران عقرب الساعة .. الزوجة تخاصم زوجها ، ثم لا تلبث بعد دقائق ان تعود اليه معتذرة آسفة عما بدر منها ، ويعود الوئام .. والأم تصفع صغيرها الذى اتى عملا اغضبها ، ويبكى الصغير ، فتسرع اليه لتضمه الى صدرها ، وتجفف له دموعه ، وتملأ له فمه بالحلوى ، لتؤكد له من جديد حبها وعطفها وحنانها ..

خيط رفيع

يقول علماء النفس انه نسيج رفيع ذلك الذى يفصل بين هاتين العاطفتين اللتين تملآن الحياة ذاتها .. فالمرء يحب لانه حى ، والمرء يكره لانه حى ، فلا حياة بغير حب ، ولا حب بغير حياة .. والقلب الكبير وحده هو الذى يتسع للحب ويضيق بالكراهية ، وليس معنى هذا ان الشعور بالكراهية لم يجد يوما الطريق الى قلبه ، ولكن معناه ان كفة الحب في هذا الميزان الدقيق هى الراجحة دائما .. ومعناه ان هذا القلب لا يميل الى الحقد، ولا يحمل الضغينة لاحد .. فهو على استعداد دائما لان يصفح وينسى .. لان القدرة على الصفح والغفران ونسيان الماضي ، سواء كان قريبا او بعيدا ، هى اهم وابرز صفة لا بد من توافرها في الانسان الذى يسعى الى ملء قلبه بالحب وحده ، دون ان يترك مجالا للكراهية تكبر فيه وترتع ..

ولكن كل هذه الأحداث التى تمر بنا في حياتنا اليومية ، تلك التى تدفعنا الى الشعور بكراهية الذين اساءوا الينا ، هى في واقعها احداث بسيطة ، قد تترك اثرا مؤقتا في نفوسنا ، لا يلبث ان يزول .. ولكن هناك احداثا جساما تبقى بصماتها في نفوسنا وقلوبنا ، بحيث تنغص علينا حياتنا وتستبد بتفكيرنا وتقلق نفوسنا وتهد كياننا .. وهى تلك التى تأتى من هؤلاء الذين نحبهم وتربطنا بهم صلات قوية عزيزة . كالرجل الذى يتعرض لتهمة خطيرة ، هو برىء منها ، او المرأة التى يهجرها زوجها بعد عشرة طويلة ، او الشاب الذى تسيطر عليه عقدة ذنب ارتكبه ، دون قصد منه .. هؤلاء جميعا وغيرهم كثيرون كيف يتخلصون من الشعور بالكراهية لهؤلاء الذين تسببوا في



تعاستهم ، وأى حب هذا الذى يمكن ان يجد له مكانا في قلوبهم تلك التى امتلأت بالحقد على الناس وعلى الدنيا وكل ما حملته وتحمله لهم ، حتى لم يعد في نفوسهم بقية من رغبة للاستمرار في الحياة نفسها ..

الخلاص من الشعور المدمر

يقول الدكتور سميلى بلانتون في كتابه « فن الحياة السعيدة » ، أن لا سبيل للخلاص من هذا الشعور المدمر ، الا بالصفح .. فالصفح هو النعمة التى تحمل في طياتها السبيل الوحيد لانقاذ المرء مما يعانى من الم سببه له الآخرون ... والصفح لا يأتى من جانب واحد .. وانما هو يأتى من جانب الجانى ومن جانب المجنى عليه .. ولكنه يكون اعظم واكبر وقعا ، اذا جاء من جانب الجانى نفسه ، ذلك الذى عز عليه ان يرى انسانا يتألم بسببه ، وهو يعلم ان في يده وحده خلاصه من المحنة التى يعيش فيها ..

ثم يروى الدكتور بلانتون قصة شاب تسبب في مصرع احد زملائه في الدراسة عن غير قصد .. فقد كان الشابان زميلين متحابين ، فلما افترقا ، في المدرسة او في خارج المدرسة ، الى ان جاء يوم دعا فيه الشاب زميله – الذى لقى مصرعه بسبب طيشه وتهوره – الى الذهاب الى شاطىء البحر للسباحة والاستجمام ، وذهبا ، ونزلا الى المياه الدافئة ، رغم ما كان يعلمه الشاب عن جهل زميله بهذه الرياضة .. ولم تكد تنقضي بضع دقائق حتى كان الزميل المسكين قد اختفى .. لقد ابتلعته الأمواج ..

وجن جنون الشاب فراح يغوص في الماء ويبحث في قاع البحر عن زميله المسكين الذى كان يخاطبه ويداعبه منذ لحظات قبل ان يقذف به الموج بعيدا عن شاطىء الأمان ، ولكنه لم يعثر له على اثر . وانقضى النهار بطوله ، وغابت الشمس ، وبدأ الظلام يحتوى الشاطىء والشاب لا يكف عن محاولاته ، حتى غلبه التعب وكاد الموج يبتلعه هو الآخر ، ولكنه بقى متشبثا بالبحر .. لقد رفض أن يترك مكانه فوق الرمال الساخنة لمدة ثلاثة ايام ، حتى علم ذووه بأمره فجاءوا يحملونه الى البيت حملا وقد استبد به الحزن والتعب والاعياء ..

قلق واضطراب

ومرت السنون ، وتخرج الشاب في الجامعة وتزوج زميلته في الدراسة .. ولكنه كان زواجا فاشلا لم يعمر طويلا ، فسرعان ما انفصلا بالطلاق .. وظل الشاب المسكين يتنقل من وظيفة الى اخرى .. ومن بلد الى بلد .. لقد كان ضائعا معذبا ما زال يعيش في ذكرى ذلك اليوم الذى فقد فيه زميله وصديقه ، منذ سنوات بعيدة ، وما زالت صورته راسخة في مخيلته تؤرق مضجعه وتلاحقه في عمله وفي بيته ، وهو عاجز عن ان يطرد من ذهنه تلك العقدة التى سيطرت على حياته .. عقدة « الشعور بالذنب » ! ومرت بضع سنوات اخرى ، قبل ان يلتقى الدكتور بلانتون بالشاب الذى جاءه يوما الى مكتبه يسأله النصح والمشورة .. واذا به يجد نفسه امام رجل جديد ، غير الرجل الذى عرفه عندما جاءه يجر قدميه جرا ويجلس على المقعد متهالكا وهو يروى له قصة « الجريمة » التى ارتكبها ، ومرت بلا عقاب !

وحدثت المعجزة

كان صاحبنا يبتسم للحياة ، حتى خطواته في مشيته قد تغيرت .. لقد كان يمشي وكأنه يريد أن يطير ، ولم يكن وحده ، لقد كانت معه فتاة حسناء تتأبط ذراعه وتميل برأسها على صدره في دلال ، وكأنهما عروسان في شهر العسل .. وقدمها له قال : « انها زوجتى يا دكتور .. زوجتى التى هجرتنى منذ ثلاث سنوات ، لقد عادت الىّ وعدنا الى الحياة معا من جديد ! »

وقال الدكتور بلانتون : « ماذا حدث ؟ أي معجزة تلك التي احدثت بك هذا التغيير ؟ » .

ووقف الرجل في هدوء يروي تفاصيل هـذا الحدث الكبير الذي غير حياته ، واعاد الأمل اليه في الحياة ، قال : « لقد كان مجرد التفكير في الذنب الذي اقترفته ، يمسح شبح الابتسامة التي توشك أن ترتسم على وجهي كلما اردت أن ابتسم للحياة .. كانت العقدة قد تمكنت مني ، فشيدت حائطا عاليا يفصل ما بيني وبين زوجتي ، التي لم يكن لي امنية في الحياة اعظم ولا اكبر من أن افوز بها زوجة واما لاطفالنا .. كنت حائرا قلقا مضطربا لا استطيع الاستمرار في أي عمل أبداه لاكثر من اسابيع قليلة ، لا البث بعدها ان اتركه لابحث عن عمل آخر .. كنت أعيش في جحيم البحر الذي ابتلع صديقي وزميل طفولتي وصباي ..

زيارة غير متوقعة

« ثم حدث آخر شيء كنت أتوقعه .. لقد فوجئت يوما بسيدة كريمة رقيقة تطرق باب بيتي . وما كادت تراني حتى مدت اليّ يدها تصافحني بحرارة ، بينما مدت يدها الأخرى الى كتفي وراحت تربّت عليها برفق وهي تقدم لي نفسها !

« وكدت اقع على الارض مغشيا عليّ » فلم تكن هذه السيدة سوى أم زميلي وصديقي الذي تسببت في موته غرقا منذ اعوام بعيدة مضت .. لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي اقابلها فيها رغم الجهود التي بذلتها هي للقائي بعد ما علمت من امري ..

قالت ، بعد أن دعوتها الى الدخول ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة كلها حب وحنان : « اريدك أن تعلم يا بني انني قد شعرت اليوم فقط بانني قد لقيت ابني الذي فقدته منـذ سنوات .. لماذا حرمتني من هذه المتعة .. لقد كنت صديقا وفيا عزيزا لابني .. لقد صفحت عنك ، ولو انني اعلم انه لم يكن هناك ذنب أتيته يستاهل الصفح .. هل تعلم انك الشخص الوحيد الذي رفض أن يصفح عن ابني ؟ »

قلت وانا اودعها : « لقد جعلتني اشعر لاول مرة منذ سنوات ، انني استحق الحياة واستحق الحب اللذين حرمت منهما طويلا . »

يقول الباحثون اننا كثيرا ما ننظر الى الصفح على انه نوع من الاحسان ، وننسى الثمار التي يجنيها كل من يصفح ، وكل من ينال الصفح .. فالصفح هو الشعلة التي تضيء كل لحظة من لحظات حياتنا ، انه احدى القدرات التي تميز النفس البشرية ، وكلما جاء الصفح مبكرا، جاءت ثماره أسرع وأنضج .

يقول نورمان فنسنت بيل عالم النفس المعروف « لو كان الأمر بيدي لجعلت العبارة التي يرددها الزوجان في حفلة زفافهما : الحب ، والتكريم ، والصفح والغفران » لكي يتذكرا دائما ما يمكن أن يصنعه الصفح من جانب الرجل وامرأته علـى السواء ، من اصلاح للاخطاء التي قد يقع فيهـا احدهما او كلاهما ، وبالتالي انقاذ زواجهما من الفشل ، فما اكثر الزيجات التي تفشل لأن الزوج لا يريد ان يصفح ولأن الزوجة لا تريد أن تنسى !

« قد يستغرق التئام الجرح الذي يحدث نتيجة لخطأ ارتكبه الزوج في حق زوجته أو العكس ، بعض الوقت ، ولكن الصفح هو خير دواء وأسرع وسيلة للشفاء ..

خصام ... ووئام

« حدث يوما أن اكتشفت زوجة شابة لم ينقض على زواجها اكثر من بضعة اشهر ، خطابا غراميا في جيب زوجها ، فراحت تقرأه ، وقد استبد بها غضب هائل ، كاد يحطم الآمال التي كانت تبنيها مع خطيبها قبل الزواج ..

« وجلست على اقرب مقعد من الباب الخارجي ، وقد امسكت بالخطاب في يدها ، وراحت تنتظر عودة « الزوج الخائن » من عمله .. حتى اذا ما احست به يقف أمامها ، انفجرت كالقنبلة تصرخ وتبكي في آن واحد وتكيل له الاتهامات !

« وعبثا حاول الزوج تهدئتها ، أو اتاحة الفرصة له لكي يشرح لها قصة هذا الخطاب ، وهو يقسم باغلظ الايمان انه بريء من كل ما اتهمته به من صور الخيانة والنفاق ..

« واخيرا هدأت الزوجة ، وجلس الزوج يعترف لها بكل ما حدث بينه وبين هذه الفتاة .. لقد كان يعرفها زميلة له في الجامعة ، وكانت تمني نفسها بالزواج منه ، رغم انه لم يعدها يوما بشيء من هذا .. وقد عرفت انه قد تزوج فعلا ، فأرسلت اليه خطابا تعتب عليه فيه وتبثه لوعتها .. قال الزوج بعد أن فرغ من اعترافاته : « لقد أرادت بخطابها أن تفسد علينا حياتنا ، فلو كان لديها

ذرة من الشعور بالكرامة لما كتبت مثل هذا الخطاب لرجل فتفتل غيرها عليها .. اصفحى عنى يا حبيبتى ولا تدعى هذه الفتاة تصل الى ما ارادت ان تصل اليه من وراء ارسال هذا الخطاب ..

« ثم مدّ يده الى جيبه ، واعطاها رسالة قصيرة ، وطلب أليها ان تقراها .. كانت الرسالة موجهة الى الفتاة ردا على رسالتها .. وكانت كلها من اول كلمة حتى آخر كلمة فيها تتحدث عنها هى .. عن الفتاة التى احبها واختارها زوجة له .. وعن السعادة التى وجدها بالقرب منها . »

وصفحت الزوجة .. وعاد السلام الى البيت الصغير .

دعوة للحياة

والصفح يكون أعظم ما يكون عندما يعيد الامل فى الحياة الى نفس فقدته .. ولعلنا نجد فى قصة الرجل الذى قضى مدة العقوبة التى حكم عليه بها فى السجن ، وبدأ يستعد للخروج من سجنه ومواجهة الحياة من جديد .. نجد فى هذه القصة معنى آخر كبيرا للصفح والغفران .. لقد جلس فى سجنه يفكر الى اين يتجه وهو الذى يحمل تلك البطاقة التى دمغته بالجريمة وأوصدت ابواب المجتمع فى وجهه . »

وراح الرجل يكتب رسالة قصيرة الى مدير المصنع الذى كان يعمل به ، قبل ان يدخل السجن بسبب تلك الجريمة التى ارتكبها فى لحظة من لحظات الضعف التى كثيرا ما يتعرض لها الانسان فى حياته .. قال السجين التائب فى رسالته :

« بعد بضعة ايام ساخرج من سجنى لأواجه الحياة من جديد .. وسوف استقل القطار الذى يمر ببلدتى ، حيث كنت اعمل فى مصنعكم طوال الخمسة عشر عاما التى انقضت قبل دخولى السجن .. انى اطلب الصفح عما اقترفته يداى .. فاذا شئتم ان تصفحوا عنى ، اعلنوها لى .. دعونى أرى ما نويتم عليه .. هناك على اغصان شجرة الزيتون العجوز على رصيف المحطة ، ضعوا علما ابيض فى مكان ظاهر منها .. وسيمر القطار امام الشجرة قبل أن يتوقف ، فاذا وجدته نزلت وعدت الى عملى تائبا مستغفرا .. والا فسوف امضى فى طريقى بالقطار الى حيث لا اعلم ، ولا يعلم الا الله وحده .

ورأى الشجرة .. لقد كانت كلها مزدانة بالاعلام البيضاء ، التى تعلن ترحيبها بقدومه وعودته .. وعلى رصيف المحطة كان مدير المصنع يقف فى انتظاره ليمد له يده مرحبا ويدعوه الى الحياة !

رجل عظيم

يروى الفيلسوف الامريكى ايمرسون بعد هذا قصة رجل عظيم اتهموه بالالحاد . وقالوا عنه انه انسان لا ضمير له ، وانه عميل وخائن وانه يريد ان يبيع بلاده لفرنسا بعد ان عاونتها فى حربها وثورتها على الاحتلال الانجليزى ..

وكان الرجل مرشح الحزب الجمهورى لرئاسة الولايات المتحدة الامريكية ..

وتوقع الجميع له الهزيمة بعد أن تمنوه فى شرفه وكرامته .. ثم كانت المفاجأة ، عندما أعلنت النتائج النهائية للانتخابات ، وفاز مرشح الحزب الجمهورى الامريكى على منافسه الراديكالى ، الذى نظم أعنف حملة تشهير فى تاريخ انتخابات الرئاسة الامريكية ضد الرجل الذى شارك فى تحرير بلاده ووضع اعلان الاستقلال عن النفوذ البريطانى منذ اكثر من مائتى عام ..

ولم يكن هذا الرجل سوى توماس جيفرسون Thomas Jefferson (١٧٤٣ — ١٨٢٦) وتوقع الشعب الامريكى أن يرد الرئيس المنتخب بعنف وقسوة على هؤلاء الذين أساءوا اليه وظلموه ، وحاولوا تشويه صورته أمام الناخبين .

ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، لقد وقف توماس جيفرسون يلقى خطاب التنصيب بعد أن حلف اليمين الدستورية ، وراح يتحدث فى صوت هادىء وقور ، حديث رجل عظيم ، قال مخاطبا الشعب :

« اريد أن اشكر كل الذين أعطونى أصواتهم ، فلولاهم ما استطعت أن أكون واقفا فى هذا المكان ، ولولاهم ما استطعت ان ابدأ فى محاولتى لتحقيق اعظم امنية لى فى حياتى السياسية ، وهى توحيد صفوف هذه الأمة . ثم اريد بعد هذا ان اشكر الذين حرمونى من اصواتهم ، فلولاهم لما تنبهت الى الفرقة التى تسود هذه الأمة . انى ادعوكم جميعا الى الاتحاد .. الى الوقوف معى قلبا واحدا .. ان قلبى ملىء بالحب والصفح ، وأرجو أن تساعدونى على ان املأ كل القلوب بالحب والتسامح . فهذه هى اسس الحياة الحرة ، بل هذه الحياة نفسها » . ■■

منير نصيف

مع ...
الله
فى الأرض

وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى فى بديع صنعه

الطَّيْر

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ من بعد طائفة الأسماك ، ثم طائفة البرمائيات كالضفدع ، ثم طائفة الزواحف كالسلاحف والعظايا والثعابين والتماسيح ..

بعد كل هذا تاتى طائفة الطير .

وهى جميعا من ذوات الفقار .

وبتعقد تركيبها ، وتتقدم وظائف اعضائها كلما انتقلنا من طائفة الى التى بعدها .

وهى جميعا خلائق تجمعها صفات وحدوية كثيرة ، بينها اختلاف سببه على الاكثر اختلاف بيئات تعيش فيها ، فهى فى سبيل التعدل لهذه البيئات تعدلت ، وفقا لذلك على الاكثر ، اعضاؤها ووظائف هذه الاعضاء .

ان الاحياء جميعا نشأت من الوحدة على بساط من الخلق واحد ، دليل صنعة فيها واحدة ، وصانع واحد ، ولكنها صنعة فاهمة عاقلة متصرفة قادرة مقتدرة ، تغير من هذه الخليقة العامة ، من اعضاء ، ووظائف اعضاء ، ما يتفق والعيشة على الارض او العيشة فى الماء ، او والعيشة طيرا فى السماء

موطن الطير الهواء

ومن اجل هذا اشتركت الطيور مع الزواحف فى الكثير .

ولكن لما اريد للطير ان يصعد الى الهواء ، تغير كنهه وتغيرت اعضاؤه ، ووظائف اعضائه فى الكثير .

تغيرت بكل ما يمهد ويسهل على الطير ان يطير .

صفات الطير التى هيأته للطيران

فاولا شكله المسحوب ، فهو يخترق الهواء باقل ما يمكن من معارضة واحتكاك .

ثم وزن الطير ، فقد قل هذا الوزن دون ان يفقد القدرة على اعطاء الطاقة اللازمة .

وعظام الطير خفت ، وهى مسامية ، ومنها ما يملؤه الهواء .

ورجلاه الاماميتان اللتان لذوات



الأربع ، تحولتا الى جناحين ، هما اداة الطيران ، وفيهما من سر الخلق بحسن الصنع الشيء الكثير ، وقد نذكره بعد.

والجناحان يتحركان،ويحركهما عضل في صدر الطير قوي متين . انه اللحم التي يتهافت عليه الآكلون في المآدب ، لحم فرّوج كان او لحم حمام او لحم طير كان ما كان .

والرّجلان الخلفيتان حملتا الجسم كله على الأرض فهما متينتان .

والمشي على الأرض للانسان مجهد ، وهو كذلك للحيوان . ولكن اشد من المشي اجهادا للطير الطيران . فلا بد من مصدر للطاقة واف في صعود الى السماء وهبوط،وفي التنقل من شجر الى شجر . والطاقة تحتاج الى طعام كثير وجهاز للهضم قدير ، وقلب بدورة الدم جدير .

ومن اجل كل هذا كان الطير ،بسبب هذه الحركة الدائبة ، وهو يقضيها في كسب الطعام والتقاط الحب غالبا ، من الحيوانات ذوات الدم الحار . فدرجة حرارة جسمه تتارجح عند نحو ١٠٠ درجة فهرنهيتية ، أي نحو ٣٨ درجة مئوية ، وهي اعلى من درجة حرارة كثير من سائر الحيوانات .

والطير وحده هو الحيوان الذي كساه الريش

والطير هو الحيوان الواحد الذي اكتسى جسمه بالريش .

والريش ينبت كما ينبت الشعر ، اي من الجلد .

والريش أصناف .

منه الزغب Down Feathers وهو يغطي الطائر عند خروجه من البيضة . وهو يصنع في بعض الحيوانات ، عندما تكبر ، وقاء لأجسامها من البرد قريبا من الجلد ، وهي به تستطيع أن تعيش في أجواء الشتاء الباردة ، ومع هذا تحتفظ بدرجة حرارة جسمها عند المائة الفهرنهيتية .

ومن الريش الريش الكفاف ، وهو ريش الطير الخارجي Cnaour Feahers وهي تغطي الجسم وتلف نواياه لفا ، وتجعل لجسمه مسا ناعما تحسه يد الانسان . وهذا الريش يقي الطائر من الأذى ، وهو موضع الألوان التي تزين الطير . ويختلف الذكر في زينته عن الأنثى . ان الأنثى تبقي في جسمها الالوان التي تحيط بها في عشها غالبا ، اما الطائر الذكر فله الألوان الفاقعة .

ومن الريش ، الريش ذو الأنبوبة القرنية الجوفاء Quill Feathers ، ومنها القوادم ، وهي كبار الريش . وهي من الريش الكفاف الا انها اكبر ، وهي تنبت في الجناح والذيل .

وهذا الريش الاخير يزود الطائر بالقدرة على الارتفاع في الهواء ، وفي الاتزان فيه والتحكم في سيره فيه .

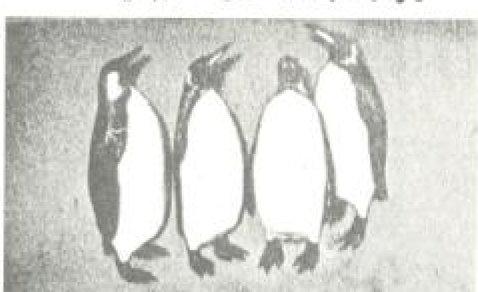
ورغم الريش ، ورغم الجناح ، يوجد من الطير ما لا يستطيع طيرانا ، من ذلك الدجاج والاوز. ومن الطير البري النعام. والطير المعروف بالبطريق Penguin افتقد القدرة على الطيران، ولكنه عوضها بالقدرة على العوم في الماء .

وفي الماء يعوم البط ، ويعوم الاوز والبجع . وفي ريش هذه الطيور زيت يحميه ان يبتل بالماء ، اذا ازيل عنه غرق الطائر في الماء . من اجل هذا قد ترى طائرا يقوم بتزييت ريشه من بعد عوم . ان كثيرا من هذه الطيور به غدة عند قاعدة ذيله تفرز الزيت ، ومنها يلتقط الطائر من هذا الزيت ما يلتقط ،ويدور بسطه على الريش فيجعله يأبى امتصاص الماء .

ومن الطير ما له الوطن الأرحب

ومن الطير من يظل في موطنه لا يبرحه.

طائر البطريق .. افتقد القدرة على الطيران ، وعوضها بالقدرة على العوم في الماء .



ومن الطير ما تعود الهجرة الى حيث تكون الأجواء اطيب ، فله رحلة في الشتاء الى حيث الدفء ، ورحلة في الصيف الى حيث الربيع باردة . فهو يشبر الأرض شمالا وجنوبا . وهو حيث يوجا يجد طعامه ، وحيث يهبط يجد اعشاشه ، افرعا من الشجر متشابكة ، او حفرة في جذع شجرة .

والطير صغير وكبير

وقد يصغر ، ومن ذلك العصفور ، وقد يكبر فيبلغ حجم النعامة ، وهو حجم كبير .

والطير وادع وجارح

ومن الطير الذي غذاؤه الحب ورحيق الزهر ، ومن الطير المفترس كالصقر والعقاب والنسر .

الطير طائفة في الطوائف ناجحة

والطير ، بسبب ما له من صفات ، وما امتاز به من ميزات ، ولكثرة ما تقلب فيه بالطيران من اوطان ، هو من انجح الطوائف الحيوانية ، واكثرها انواعا (نحو من ٩٠٠٠ نوع) واطوعها تعدلا بالبيئات التي يسكنها . فالطير يضارع في نجاح الحياة طائفة الأسماك والطائفة ذوات الأثداء .

ومع هذا تبقى اصول الخلق في كل هذه الطيور ، اجناسا وانواعا ، واحدة. والى هذا ننتقل بالحديث .

الرأس

يتألف من جمجمة مستديرة من عظم رقيق ملتحمة أجزاؤه ، وبالجمجمة المخ. وفي الوجه يمتد الفكان على صورة منقار خال من الأسنان . وفي الفم اللسان وهو صغير . وفي الفم حس بالمذاق ولو انه ضعيف . وفي المنقار منخاران يدخل

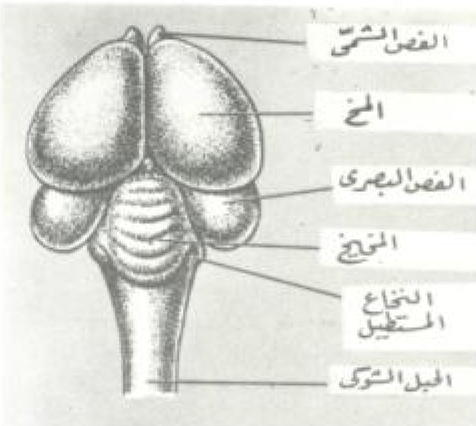
منهما الهواء الى الفم . والشم حس في الطير ضعيف .

المناقير اشكال

ومناقير الطير اشكال تختلف باختلاف طعامها ، فمنها ما يصلح لأكل الحب ، ومنها ما يصلح لالتقام الحشر والدود ، ومنها ما تتشكل لتستطيع تمزيق اللحم في الفرائس . ولصيد السمك من الماء شكل من المناقير خاص به .

حدة البصر في الطير

عيون الطير كبيرة ، وهي حادة البصر، ولقد قيل ان بصرها أحد من بصر الانسان مرات عديدة . ودعا الي ذلك لا شك انها تقع من غذائها عادة وهي على بعد منه . وقد تهوى اليه بين الأشجار هويا، دون ان تصطدم بأفرعها . والصقر قد يرى وهو في السماء فريسة صغيرة على الأرض ، فينقض عليها من عل ، وهو



رسم يوضح تركيب مخ الطير .

بعيد ، فلا يخطئها . وهذا يحتاج الى تسديد بصر سديد .

حدة السمع عند الطير

للطير أذنان يأتيان خلف العينين ، وللطير سمع حاد .

مناقير الطير لها اشكال عدة تختلف باختلاف طعامها .



رقبـة الطير

ورقبة الطير طويلة ومتحركة ، تحرك الرأس يمينا ويسارا . ويعين هذا المنقار ، وهو بديل اليد عند الطير ، على الاستدارة الى ما يريد التقاطه .

هيكل الطير

هيكل الطير العظمى اكثره ملتحم ليعطى العضلات التى تعمل عليه استقرارا وفقرات الذيل متحركة تحرك ريش الذيل ، والطير يستخدمه فى توجيه نفسه فى الهواء .

ومن اظهر الاشياء فى الهيكل القصّ فى الصدر فهو كبير ، وهو يغطى جانبا كبيرا من بطن الطير . وهو قد اتسع ليحمل من فوقه عضلات الصدر القوية التى تساعد الأجنحة على التحرك والطيران .

وفى هيكل الطير حزام الصدر ، وفيه حزام الحوض كما فى الانسان . وفيه الترقوة .

وعظم الجناح يشبه عظم ذراع الانسان ، ففيه عظم العضد ، ثم عظمة الكعبرة مع عظم الزّند . ثم يتغير عظم الرسغ واليد بالذى فيها من مشط واصابع ، فيلتحم منها ما يلتحم وينقص منها ما ينقص .

وكما فى الجناحين فكذلك فى الرجلين . ففى رجل الطير عظم الفخذ ، ثم عظم الساق ، ثم الرسغ والمشط واصابع القدم . والحق ان الطير عندما يمشى على الارض انما يمشى على اصابع قدمه .

جهاز الهضم للطير

ان الطيران مجهود عظيم ، وهو لهذا يحتاج الى طعام كثير .

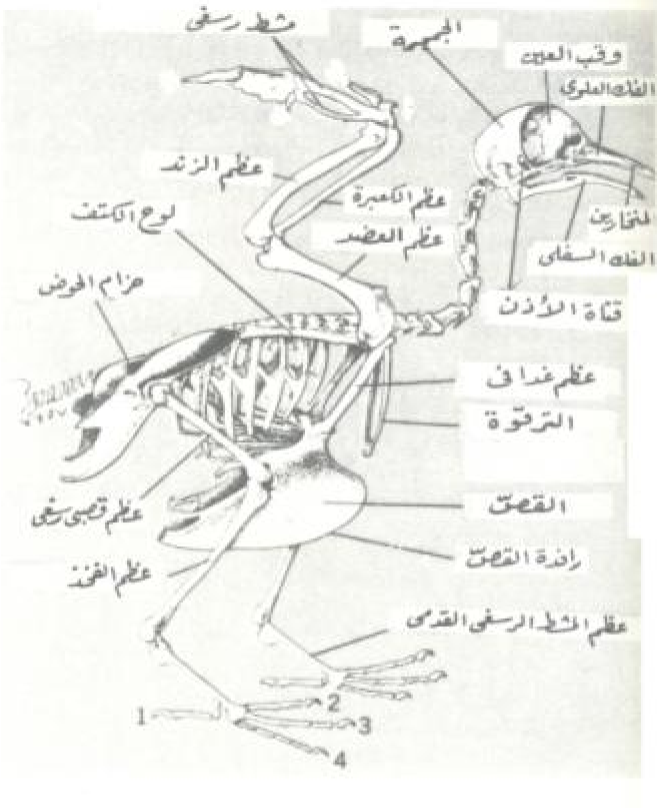
والطير لا يجد طعامه هذا الكثير كلما طلبه ، لهذا هو يأكل الحب ، اذ يبلعه

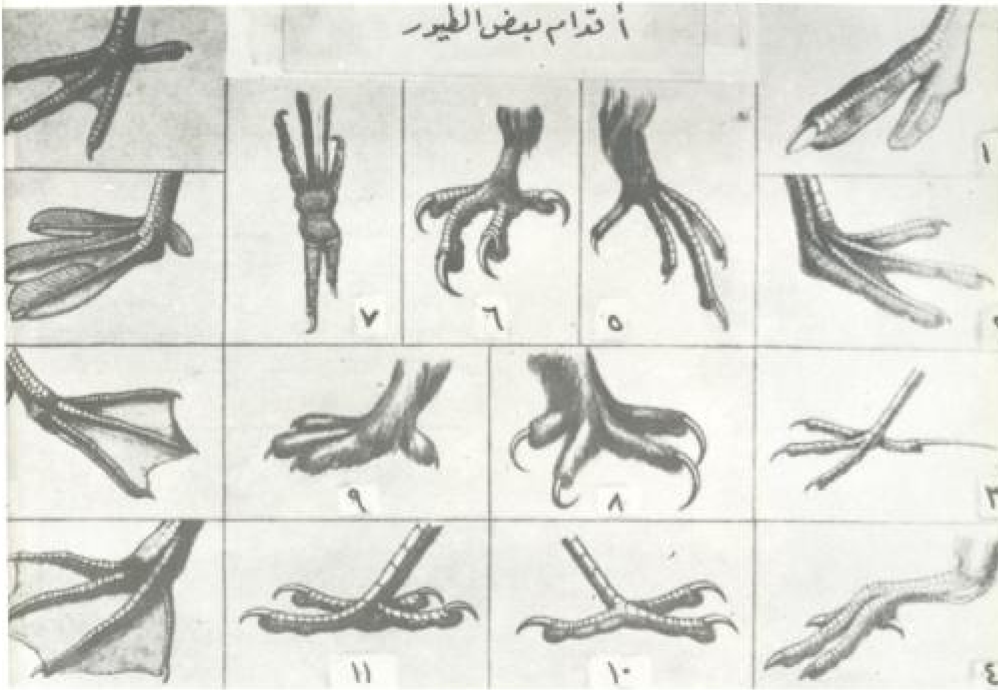




كما هو ، بلعا . وهو بهذا ينتقل من الفم عَبْرَ المرىء ، الى الحوصلة . وهى اشبه شىء بمخزن للطعام . وفيها يبتل الطعام ويَطرَى . والمعروف ان الحب والبذور ليست سهلة الهضم . ومن الحوصلة يذهب الطعام الى الجزء الأول من المعدة ، وله جدار سميك به غدد تفرز السائل الهضمى ، ويختلط الطعام بهذا السائل اختلاطا . ومن هنا ينتقل الى الجزء الثانى من المعدة ، ويعرف بالقانصة Gizzard ، ولها جدار سميك، وهى تفرك الطعام فركا بالذى فيه من

الهيكل العظمي .





سوائل هاضمة . وتوجد فى قوانص بعض الطير قطع من حجر تساعد على طحن الطعام .

ومن القانصة يخرج الطعام عبر باب المعدة ، عبر صمامه ، عند تهيئة للخروج، وبذلك ينتقل الى المعى الدقيق . وفى المعى يمتص الطعام . ومن المعى تخرج الفضلات الى المستقيم وهو قصير ،ومنه الى المذرق Cloaca .

والمعروف أن المستقيم ليس هو وحده الذى ينفتح على المذرق . فعليه تنفتح أيضا قناة البول ، وعليه أيضا تنفتح قناة البيض،فهو مجمع للجميع.

والكبد

وكبد الطير لها فصان ، وهى كبيرة ، وقد لا تصحبها حويصلة للصفراء . والصفراء تذهب فى المعى الدقيق عن طريق قناتين .

البنكرياس

وللطير كذلك بنكرياس يمتد على امتداد المعى ، ويصب افرازاته فى المعى الدقيق عن طريق قنوات ثلاث .

ورئة الطير

ورئتا الطير تحتلان مكانا من صدره ناحية الظهر،وتعتمد أن على الأضلاع . ويزيد من سعتهما، لأجل مجهود الطيران الكبير ، اتصالهما بأكياس هوائية ،تمتد فى الصدر وفى البطن .

والتنفس يحدث بدخول الهواء من المنخارين الواقعين في المنقار ، ويمر بالقصبة الهوائية ، الى الشعب واكياس الهواء فيحدث التبادل المعروف بين الاكسجين وثاني اكسيد الكربون .

والطير من ذوي الدم الحار كما سبق ان ذكرنا ، فدرجة حرارته تضبط عند حد من الحرارة تتارجح حوله . وضوابط الحرارة في الطير تبعة الرئة خاصة . والمعروف أن الطير ليس له غدد للعرق تخفض من حرارته عن طريق جلده .

الطير يصدح بالغناء

والطير يصدح بالغناء ، ولكن ليس من الحلق كما يفعل الانسان ، ان صندوق صوت الطير الصادح يقع في أسفل القصبة الهوائية عند اتصالها بالشعب .

قلب الطير

والطير له قلب قوي وكبير . وهو يتالف من خزانات اربع ، اذنين وبطينين ، فهو كقلب الانسان . والطير له كالانسان ، دورتان ، دورة تذهب بالدم الى الرئتين ليتطهر ويعود الى البطين الايسر ، وهذا يضخه الى الجسم في الدورة العامة .

وضربات قلب الطير كثيرة ، ففي بعضها عند بذل المجهود ، قد تصل الى نحو ٦٠٠ ضربة في الدقيقة ، او في بعضها الى ٩٠٠ ، وفي بعضها الى الف .

وكلية الطير

وله كليتان ، وهما تفرزان حامض البوليك Uric Acid ، وهو ينقل الى خارج الجسم مع ماء قليل عن طريق الحالب الى المذرق . وليس للطير مثانة يتجمع فيها البول . وفي ذلك خفة عند الطيران .

بوصولنا الى الطيران ارتقينا في سلم الحيوان ارتقاء كبيرا

من كل ما سلف ندرك أولا تلك الوحدة التي تعم الخلائق ، من حيث الأعضاء المشتركة بين الاحياء ، ومن حيث وظائفها .

واذ وصلنا الى الطير قاربنا في السلم الحيواني اعلاه ، حيث توجد طائفة ذوات الثدي من الحيوان ، تلك التي هي في الذروة .

وفي الذروة منها يوجد الانسان .

●●

احمد زكي

الجهاز الهضمي .



اعرف وطنك أيها العربي

أشجار الغضا .. أشهر في
الصحراء .. ومنها اشتق
اسم القصيم ، لأن الأوائل
سموا فيها الغضا تنبت
القصيم .

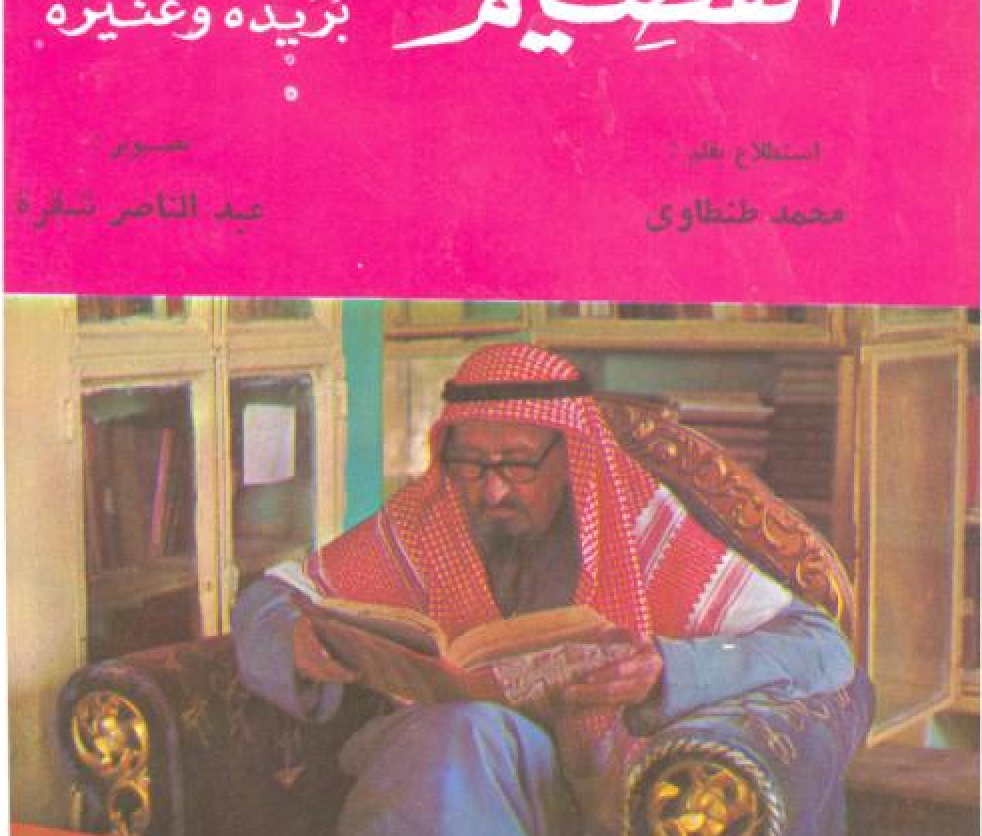


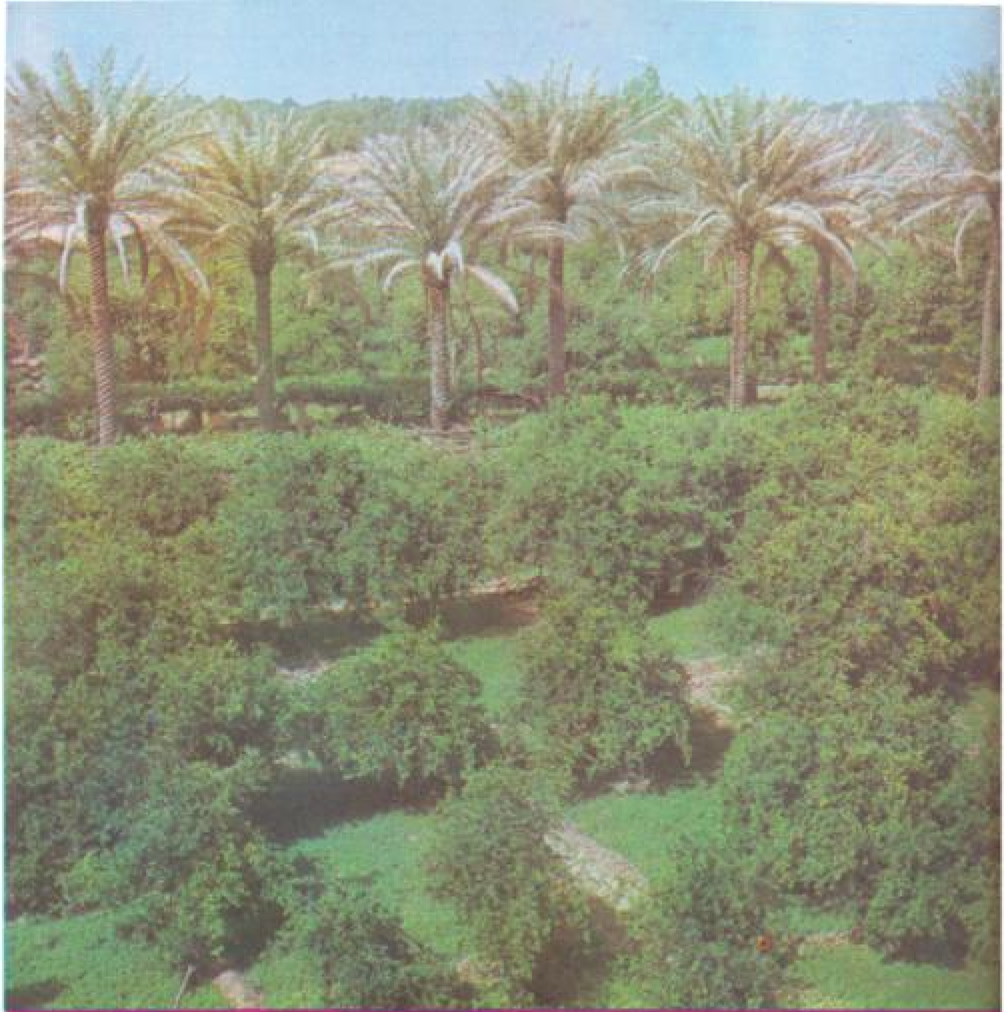
القَصِيم

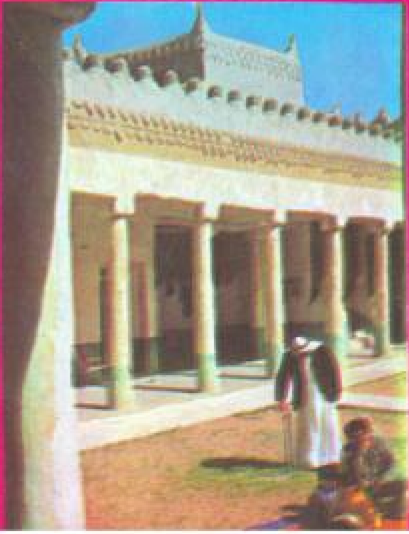
وَمَدينتَاهُ بُرَيْدَة وعُنَيْزَة

استطلاع بقلم : محمد طنطاوي

تصوير : عبد الناصر شفرة







إلى اليمين : السيد عبد الرحمن [illegible] يعتبر من مزارعي [illegible] الكثير من المحطات [illegible] إليه أهل المنطقة [illegible]
وإلى أعلى : أشجار الحمضيات والنخيل والأعناب [illegible] الزراعة في [illegible] في منطقة القصيم . **وإلى اليسار** : [illegible] المنازل التقليدية في [illegible] هذه المنازل [illegible] ببساطتها وجمالها .

● بُرَيدَة العاصِمة.. تتحوَّل إلى مَدينَةٍ حَديثَة

● عُنيزَة.. سَمَّاها أمين الرَّيحاني: باريس نَجْد

■ في وسط المسافة بين مدينة الرياض ،عاصمةالملكة العربية السعودية ، وبين المدينة المنورة ، مدينة الرسول (صلعم) ، تقع مدينتنا «عنيزة»و« بريدة » على الطريق الرئيسي الذى يمر منه الحجاج القادمون الى الاراضي المقدسة بواسطةالبر من دول الخليجاوالعراق وتركيا عبر الكويت. وهما من اهم مدن منطقة القصيم ، تلك المنطقةالشهيرة في نجد والتى تقع في منتصف الجزيرة العربية تقريبا . « والقصيم » وتبلغ مساحتهاحوالى ١٠.. الف كيلومتر مربع ، لها اهمية كبرى في المملكة السعودية الآن .. اهمية تضارع تاريخهاالقديم العريق .. فهذه المنطقة التى جاء ذكرها في شعر الجاهلية .. تعتبر قلب الجزيرة العربية.

ويقول ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان : « ان القصيم سميت بهذا الاسم لان اى ارض ينبت فيها شجر الغضا تسمى القصيم » ..

وتنتشر اشجار الغضا في التلال والنفود المحيطة بمدن القصيم .. وهي واشجار الاثل تقوم بحماية الاراضي هناك من الرمال الناعمة التى تذروها الرياح .

مدينتان متنافستان عنيزة وبريدة

واهم مدن القصيم هما بريدة عاصمة المنطقة ، وعنيزة المدينة ذات التاريخ القديم ، والتى كانت على اتصال وثيق بالعالم الخارجي ، والدول المجاورة منذ قديم الزمان .

« وبريدة » «وعنيزة » مدينتان متجاورتان ، لا تزيد المسافة بينهما عن ٢٥ كيلومترا.. ويربطهما طريق معبد ، هو في نفس الوقت طريق الرياض - المدينة المنورة . والمدينتان تتنافسان .. فعنيزة لها من التاريخ نصيب اكبر من بريدة ، ولكن بريدة تحتل مركز الصدارة ، وصارت عاصمة القصيم مما جعل اهل المنطقة يطلقون عليها « ام القصيم » . ونتيجة لهذا التنافس بين المدينتين الرئيسيتين نشأت فكرة استقلال «عنيزة» عن بريدة في الشئون الحكومية . وقد استطاع اهل عنيزة الحصول على مطلبهم هذا وبقيت امارة عنيزة مستقلة عن امارة بريدة ، وصارت الدوائر الحكومية في عنيزة ترجع في معاملاتها الرسمية الى الرياض مباشرة .. والتنافس بين بريدة وعنيزة له جذور قديمة . ولكن هذا التنافس تطور مع الزمن ودخل طور المنافسة في التقدم ، حتى اننا سمعنا ونحن نزور المدينتين انه اذا قامت «عنيزة» بافتتاح مدرسة ، عملت « بريدة » على اقامة مدرستين !

باريس نجد

عندما وصلنا الى « عنيزة » ، بعد رحلة بالسيارة من الرياض قطعنا فيها اكثر من ٤٥٠ كيلومترا في حوالى ٥ ساعات ، كان الهدوء يسود شوارع البلدة الصغيرة ، التى تحيط بها اشجار الفواكه والنخيل من كل جانب تحجب عنها رمال الصحراء المترامية الاطراف . ونزلنا في الفندق الصغير الحديث ، وهو الوحيد في البلدة وقد انشيء في عام ١٩٧٠ . ووجدنا غرفة لنا بصعوبة، اذ ان هذا الفندق اغلب حجراته محجوزة وخاصة لوجود اعداد كبيرة من رجال الشركات الاجنبية والعربية التى تقوم بتنفيذ مشروعات المجارى وانشاء الطرق والمباني بالبلدة .. وتوقعنا أن تمر ليلتنا الاولى في « عنيزة » بهدوء ، فلا احد يعلم بوصولنا ، ولكن يبدو ان توقعاتنا كانت على



خريطة تبين موقع منطقة القصيم ومدينتيه الكبيرتين « بريدة » و « عنيزة »

في اساس . وسرعان ما علم اهل البلدة بوصول بعثة (العربى) ولم يهدأ رنين الهاتف في غرفتنا . ولم تمض اقل من ساعة الا وكنا نتبادل الاحاديث مع العديد من رجالات عنيزة .. كل يطلعنا على نشاط معين من اوجه النشاط التى تزدحم بها هذه البلدة الصغيرة والتى لا يزيد عدد سكانها عن ٤٢ الف نسمة .. وكل واحد منهم يتحمس لاظهار اجمل صورة لعنيزة .. تلك البلدة التى وصفها امين الريحانى في كتابه « ملوك العرب » باسم « باريس نجد . »

والتى قال فيها امرؤ القيس :

تراءت لنا يوما بسفح عنيزة
وقد حان منها رحلة وقلوص

وفيها ايضا يقول المهلهل اخو كليب واصفا يوم عنيزة المشهور في حرب البسوس :

غداة كأننا وبنى ابينا
بجنب عنيزة رحيا مدير

وقال عنها الفرزدق :

أنخنا اليها من حضيض عنيزة
ثلاثا كلود الهاجرى رواسيا

واستمر الحديث مع اهل عنيزة حتى انتصف الليل او كاد . وتناول الحديث العلاقات الوثيقة التى تربط بين قبائل عنيزة وعائلاتها وعائلات الكويت ـ فاصول الكثير من هذه العائلات ترجع الى نفس الاصول ، ولا تزال بعض عائلات الكويت التى يعود اصلها الى عنيزة ترتبط ارتباطا اسريا وثيقا بعائلاتها هناك . ومن اهم القبائل الاصلية هناك : العنزة والمرة وبنو خالد وسبيع .

عنيزة الحديثة والزراعة

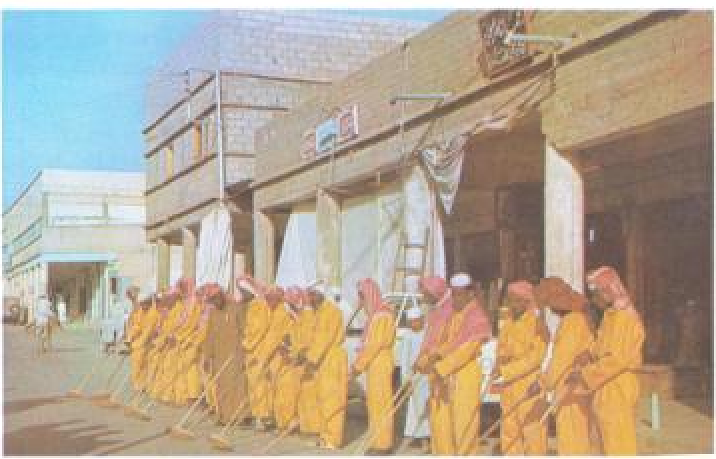
بالرغم من أن ذكر « عنيزة » جاء على لسان الشعراء العرب في الجاهلية ، كما جاء ذكرها في العصر الأموى ، الا أن تاريخ « عنيزة » لا يعرف على وجه التحديد الا في نهاية القرن السابع الهجرى أى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى ، حينما بدأ الاستقرار الحقيقى فيها ، وتحولت من واحة يتردد عليها البدو في فصول معينة من السنة الى اراض زراعية استقر فيها السكان. ومنذ هذا الزمان .. « وعنيزة » تعتبر اهم مدن القصيم ، واكثرها انفتاحا على الدول العربية المجاورة . ومرت بعنيزة تقلبات كثيرة ، ازدهرت .. ثم انتكست .. واخيرا عادت الى الازدهار .. وتفجرت عيون الماء فيها .. وتحولت الارض الصحراوية المحيطة بها الى جنات خضراء من



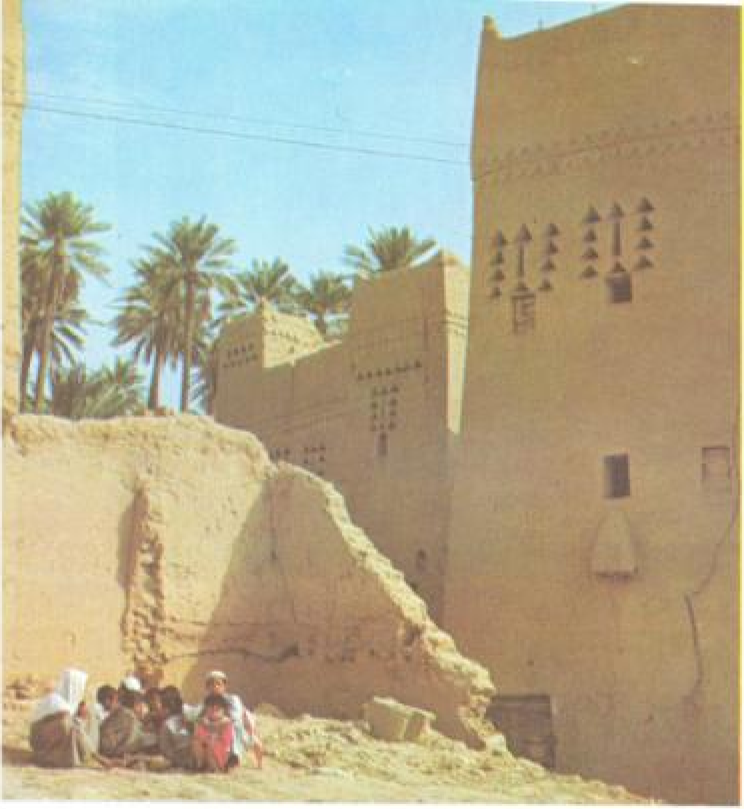
احد الشوارع الرئيسية في مدينة « عنيزة » ويظهر في الصورة جامع حديث وبعض المباني الجديدة .



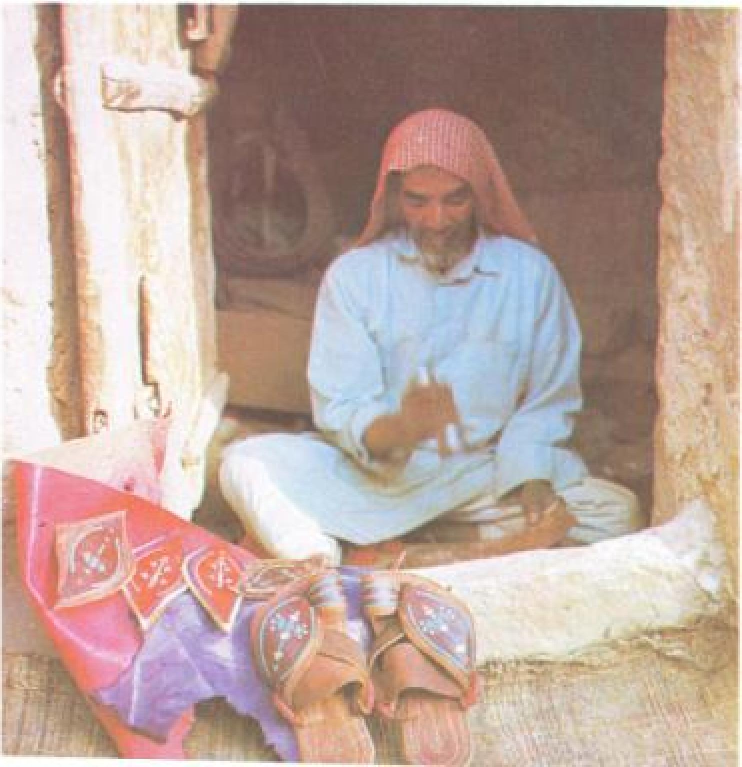
متجر حديث في مدينة بريدة عاصمة القصيم، وقد بدأت هذه المتاجر الحديثة تزحف على الاسواق التقليدية القديمة المسقوفة .



تهتم بلدية بريدة بنظافة المدينة .. وهناك فرق من الكناسين تقوم بتنظيف الشوارع بصفة دائمة علاوة على اللافتات المختلفة التي تطلب من المواطن الاهتمام بنظافة مدينته .



هذه البيوت القديمة
المبنية من اللبن ستختفي
تماما من مدينة عنيزة
خلال السنوات القادمة
.. وقد بدأت عملية
هدم أحياء بأكملها
وتحويل مبانيها الى مبان
حديثة بالاسمنت المسلح
.. لقد ظلت هذه
البيوت تمثل طابع
المدينة لأكثر من قرن
من الزمان ..



صانع النعال «النجدية»
وهي تلك النعال الملونة
والمزركشة وهي كلها
صناعة يدوية ، وتشتهر
بها نجد ويقبل عليها
كل أبناء المملكة العربية
السعودية وأبناء الخليج
العربي لجودتها ولأنها
مريحة للقدم .. وهذه
الصناعة تتطلب مهارة
بيرة ويتوارثها الأبناء
ن الآباء .. ويباع زوج
النعال النجدية بما
صل الى ٥ دنانير
كويتية .



احواض من الاسمنت المسلح تسير فيها المياه لري الحدائق الغناء التي تتميز بها منطقة القصيم .

نخيل واعناب ورمان وتين وزيتون وبرتقال . وصاحب الازدهار الزراعي حركة ثقافية نشيطة واهل عنيزة يتفاخرون بانه في الوقت الذى لم يكن في الجزيرة سوى ثلاث او اربع مدارس نظامية كان هنالك في عنيزة ، في ذلك الوقت ، مدرسة نظامية .

«وعنيزة» الحديثة مدينة صغيرة تقع وسط مزارع شاسعة تبلغ مساحتها ٣٠ الف هكتار (الهكتار ١٠ الاف متر مربع) تمت زراعة حوالي ٢٠ الف هكتار منها ، وتعتبر من المناطق الزراعية الهامة في المملكة العربية السعودية . وتشتهر بزراعة النخيل والحمضيات ، ويبلغ عدد اشجار النخيل فيها نحو ٣٠٠ الف واهم انواعه البرحي ويباع انتاج النخلة الواحدة من هذا النوع بحوالي ٥٠٠ ريال . وعدد اشجار الحمضيات بانواعها حوالي ١٨٠ الف شجرة .

ومن أهم المزروعات الاخرى العنب ومنه بعض الاصناف الممتازة مثل الطائفي (نسبة للطائف) وبز العنز ، والحلواني . كما توجد اشجار الرمان وتبلغ عدد الاشجار المزرعة منه في منطقة عنيزة حوالي ٨٠ الف شجرة ، كما توجد ايضا بعض اشجار التفاح البلدي والشمش والخوخ .

زراعة الخضراوات

وفي حديث مع المهندس الزراعي سليمان الحكيم المشرف على محطة التجارب الزراعية في القصيم قال ان زراعة الخضراوات قد نجحت في منطقة القصيم ككل .. ومن بينها عنيزة وبريدة ، والبطيخ الذى يزرع هناك يعتبر احسن انواع البطيخ في المملكة العربية السعودية ، ويبلغ انتاج الهكتار الواحد اكثر من ٧٥٠٠ ثمرة من الحجم الكبير .. ويصل وزن ثمرة البطيخ الواحدة في كثير من الاحيان الى اكثر من ٢٠ كجم . وقد صدرت منطقة القصيم من الفواكه والخضراوات في العام الماضي ما قيمته اكثر من ١٠٠ مليون ريال (٨ مليون دينار كويتي) الى دول الخليج .

كما نجحت زراعة البصل والطماطم والكرنب والقرنبيط والخيار وبدأ الاهالي يقومون بزراعة مساحات كبيرة منها . هذا وتقدر مساحة الارض الزراعية التابعة لبريدة بحوالي ٤٠ الف هكتار ، اي ما يقرب من نصف مساحة الارض الزراعية في القصيم كله والتي تصل الى ٨٧ الف هكتار .

مشروع زراعة القمح

وتقوم وزارة الزراعة الآن بتشجيع زراع منطقة القصيم على زراعة القمح المكسيكي القزم « المكسيباك » والذى يعطي محصولا كبيرا ، وثبت نجاحه في تربة تلك المنطقة ، وقد اعطى الهكتار الواحد من هذا النوع من القمح انتاجا كبيرا وصل الى ٤٥٠٠ كجم ، علاوة على مقاومته للامراض التي

تصيب الانواع العادية من القمح . وقد اقامت وزارة الزراعة محطة تجارب زراعية في عنيزة تشرف على مشروع اكثار القمح في القصيم .. وتقوم هذه المحطة بتسوية الارض بالآلات على حساب الوزارة، ثم زراعة بذور القمح ، وتسميدها ، كما تقوم بمراقبة الحقول ومكافحة الحشرات ثم تقوم بعملية الحصاد بالحصادات الآلية .. ولا تسترد الوزارة من الزراع سوى كمية من المحصول تساوي كمية البذور التي اعطتها لهم .

عمليات مسح لكميات المياه الجوفية

وقد انتبهت الجهات المسئولة عن الزراعة في القصيم الى اهمية تقدير كميات المياه الجوفية في المنطقة،فكلفت بعثات جيولوجية بالقيام بعمليات مسح لتقدير هذه الكميات .. وتختلف انواع العيون والمياه المتفجرة في المنطقة .. فعنيزة مثلا توجد فيها آبار المياه التي تستعمل الآلات في ضخها من على عمق يتراوح بين ٢٥ مترا ، و٨٠ مترا في باطن الارض . وفي منطقة بريدة تتفجر المياه بضغط الغاز الموجود في باطن الارض .. دون الحاجة الى استعمال آلات الضخ .. وغالبا ما تكون هذه المياه ساخنة الى درجة قد تصل في بعض الاحيان الى قرب درجة الغليان .. ولذلك يعمد الزراع الى مد مواسير الى بقعة منخفضة لتكوين بحيرة يتم فيها تبريد الماء قبل استعماله في ري المزروعات . وهناك في المناطق التابعة « لبريدة » الكثير من عيون المياه الكبريتية . التي يفكر المسئولون الآن في استغلالها في الناحية العلاجية ، وان كان بعض الزراع يستعملونها في الري أيضا .

وفي بعض المناطق الأخرى تتصاعد الغازات مع الماء .. ويقوم الزراع باستغلال الغاز في توصيله الى منازلهم وفي الطهي .. وليس مستغربا هناك ان ترى بعض الزراع يقومون بطهي طعامهم فوق مجاري المياه التي تروي أراضيهم ، وذلك بوضع قطع من الخيش في مجرى الماء ثم اشعال الغاز في هذه النقطة بالذات . ويقول الخبراء الجيولوجيون في تقريرهم المبدئي : « ان كميات المياه الموجودة في المنطقة كبيرة ، وهناك مصادر كثيرة للمياه .. أهمها التكوينات الرسوبية ، في وادي الرمة الذي يضم تحت تربته كمية كبيرة من الماء التسرب اليه من الامطار التي تسقط على ما لا يقل عن خمسة الاف كيلو متر مربع . ويتسرب بعضه الى الطبقات الصخرية الحاملة للماء في المنطقة .. »

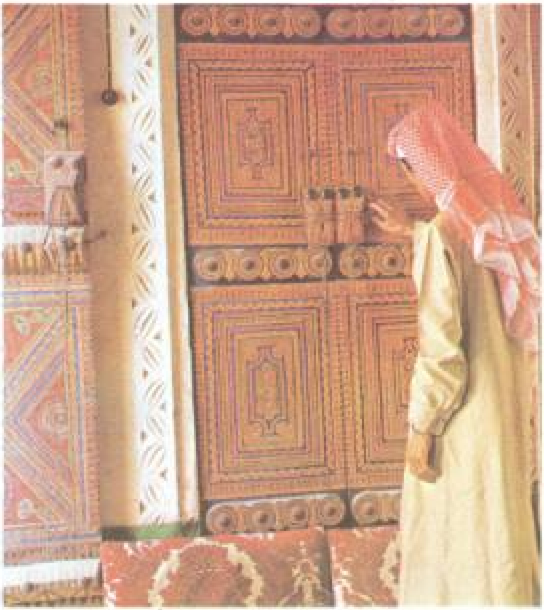
جولة في المزارع

على طول الطريق الممتد بين بريدة وعنيزة ، وبين بريدة والرس ، تقع المزارع الكبيرة التي يصل امتداد بعضها الى اكثر من ٢٠ كيلومترا .. وأغلب هذه المزارع تزرع حاليا بالبطيخ والخضراوات والفواكه والنخيل .. وتحيط بها من كل ناحية اشجار الاثل التي تدفع عنها شر الرمال التي تذروها الرياح . وأغلب المزارع القريبة من المدن، تصل اليها الكهرباء .. ويقبل أصحاب المزارع على تربية الابقار والابل والاغنام والخيول العربية

تمثل الاغنام حوالي ٧٥٪ من الثروة الحيوانية في القصيم .. وان كانت الاحصائيات الدقيقة غير متوفرة بسبب تبعثر قطعان الاغنام بين المراعي الواسعة التي تقع في المنطقة .



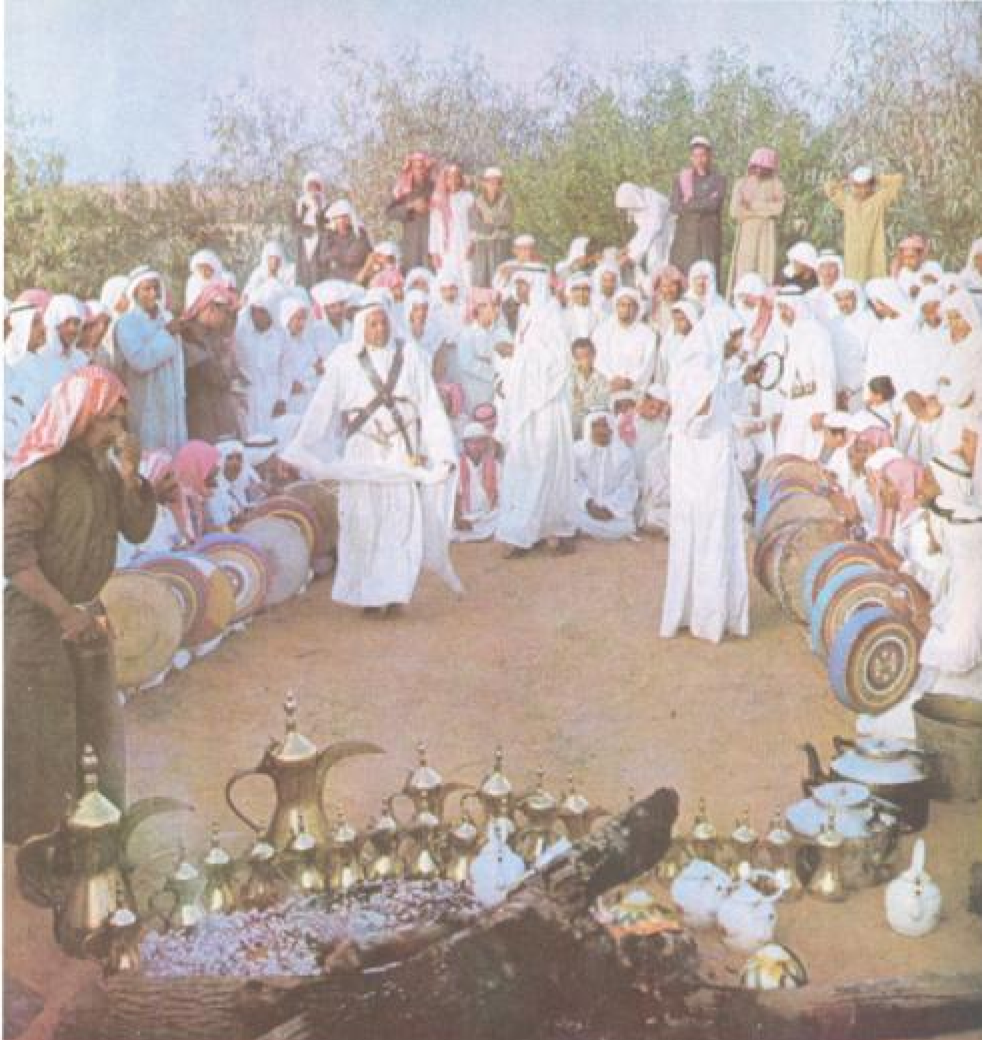




الى اعلى : التقطت هذه الصورة في حجـــرة الضيافة (القهوة) في أحد المنازل القديمة بعنيزة، وهي تمثل النقوش العربية الرائعة على الابواب والنوافذ المصنوعة من خشب الاثل . **والى اليسار** الصورة الاولى لصاحب البيت وهو يطلق البخور لكي يتعطر ضيوفه . **والى اقصى اليسار** رقصة السامري يقوم بها افراد من الهواة في حفلاتهم الاسبوعية التي تقام مساء كل يوم خميس في ملاعب السويل بعنيزة .



الى اليمين : وليمة تقليدية .. يجلس الجميع على الارض وتمد الصحـــون أمامهم .. والاكلة التقليدية هي الخـــراف والارز والتمر والمطازيز التجديه . ولا يستعمل الآكلون سوى ايديهم اليمنى فقط . **والى اليسار :** صورة « للقهوة » وهي حجرة لا يخلو منها بيت في هذه المنطقة .





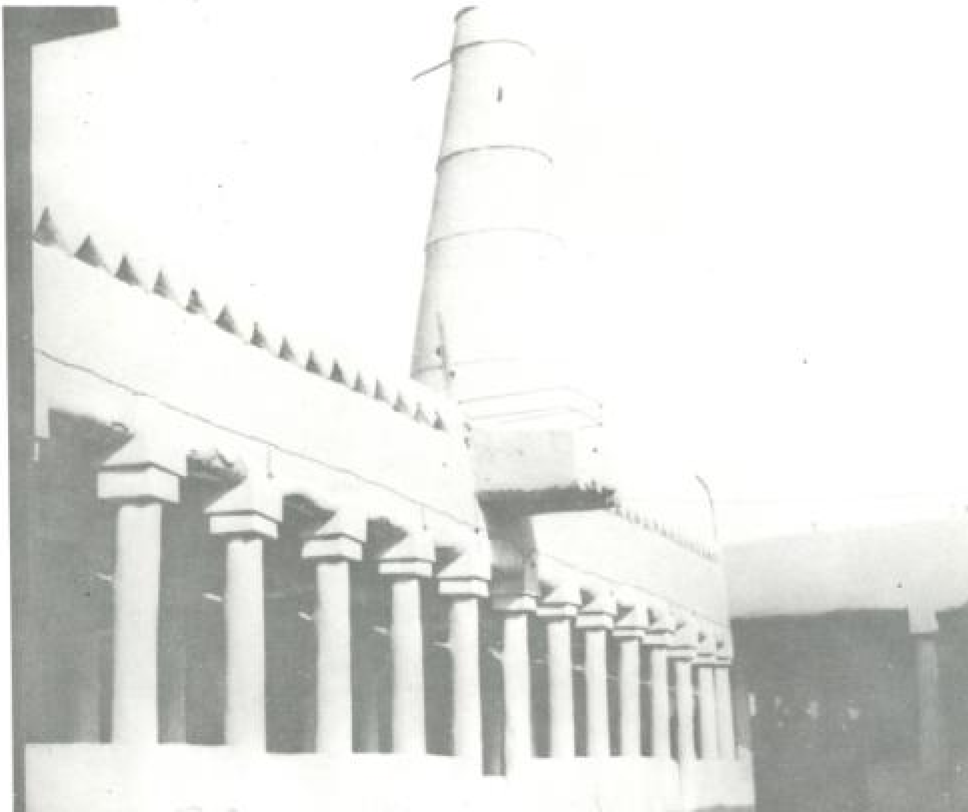
الاصيلة . وتبلغ عدد الابقار ومن بينها اصناف اجنبية كالفريزيان والجرسي اكثر من ٢٥ الف راس . اما الابل فعددها اكثر من ٣٠ الفا وذلك لوفرة المراعي في القصيم ، اما الأغنام فيزيد عددها عن ذلك بكثير وان كانت الاحصائيات عنها غير دقيقة لتبعثرها في المراعي الواسعة .

وتتميز مباني المزارع هناك بانها محلاة بالنقوش العربية القديمة،وبطرازها المتميز ، وهي في الغالب الاعم مبنية باللبن .

لقاء مع امير عنيزة

عندما قمنا بجولة في مدينة عنيزة ، كان اول لقاء لنا مع اميرها محمد الخالد السليم ..وامارة المدينة محصورة في عائلة « السليم » منذ اكثر من ١٥٠ عاما حتى الآن .. وتحدث معنا امير عنيزة ، عن المشروعات التي تتم في المدينة .. هنـــاك مشروعات انشاء حدائق ومبان وسفلتة طرق ، وانارة لهذا العام تبلغ تكاليفها حوالي ٢٨ مليون ريال . ومن بين المشروعات الحيوية ، مشروع انشاء مسجد جامع ، يحتوى على مكتبة كبيرة ، وقاعة للمحاضرات . وهو مصمم على احدث طراز .. ولكن الاهالي ، بالرغم من ترحيبهم بانشاء مثل هذا الجامع ، يتكلمون عن المشروع بحزن .. لان هذا الجامع سينشا مكان جامع عنيزة الكبير القديم ، والذى يعتبر من آثارها المحببة الى النفوس . وخاصة انه قد مضى على انشائه اكثر من ١٠٠ عام .. ويتميز بمنارته المبنية باللبن على شكل مخروطى يعتبر فريدا في عمارته .. وكانت المنارة قد انشئت في عام ١٣١٠ هـ اى منذ حوالي

الجامع القديم في عنيزة .. ويتميز بطرازه الفريد القديم .. ويعتز اهالي عنيزة بمنارة الجامع المخروطية الشكل والتي بنيت منذ اكثر من ٦٠ عاما .. والجامع كله مهدد الان بالازالة ليحل محلـه مسجد جامع جديد . وقد تقدم الاهالي بطلبات للابقاء على المنارة كأثر من الآثار التي تعتز بها عنيزة .





تجمع النوادي الريفية في بريدة وعنيزة بين النشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي .. ولا يخلو نادٍ منها من متحف صغير جمعوا فيه ادوات واشياء من الماضي القديم انقرضت او كادت . ومن طريق هذه الادوات يستطيع شباب اليوم ان يكونوا فكرة عن حياة الاباء والاجداد .

٨٢ عاما . ويضم هذا الجامع القديم الآن مكتبة بها العديد من المخطوطات . كما انه يوجد به مبنى تحت الارض يسمى « بالخلوة » لاقامة الصلاة فيه اثناء فصل الشتاء وهطول الامطار . وقد سمعنا أن اهل عنيزة تقدموا بطلبات لوزارة الاوقاف والحج بالابقاء على منارة الجامع القديم الى جوار الجامع الحديث الذى سيبنى ..

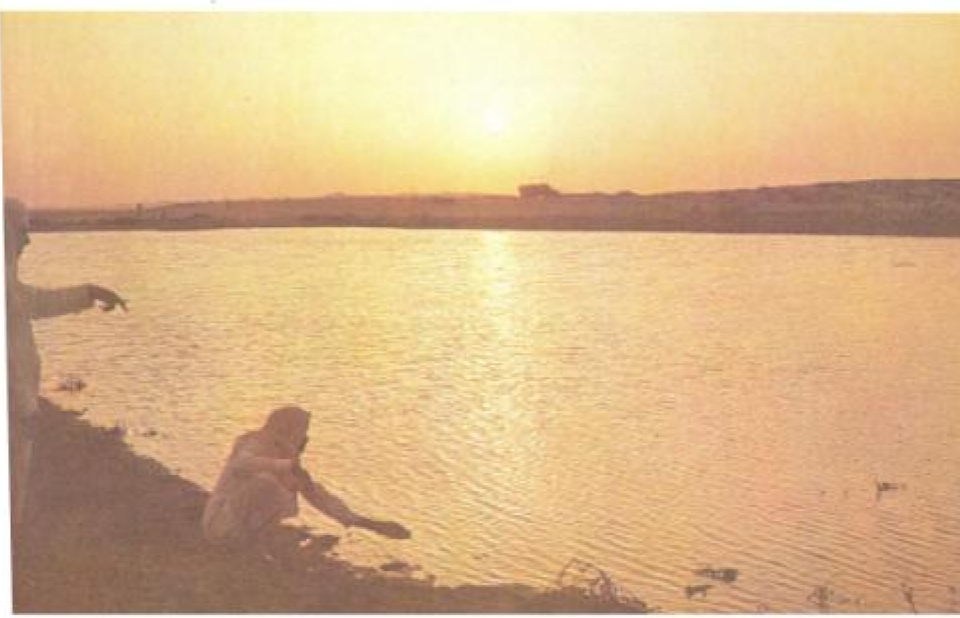
اكرام الضيف

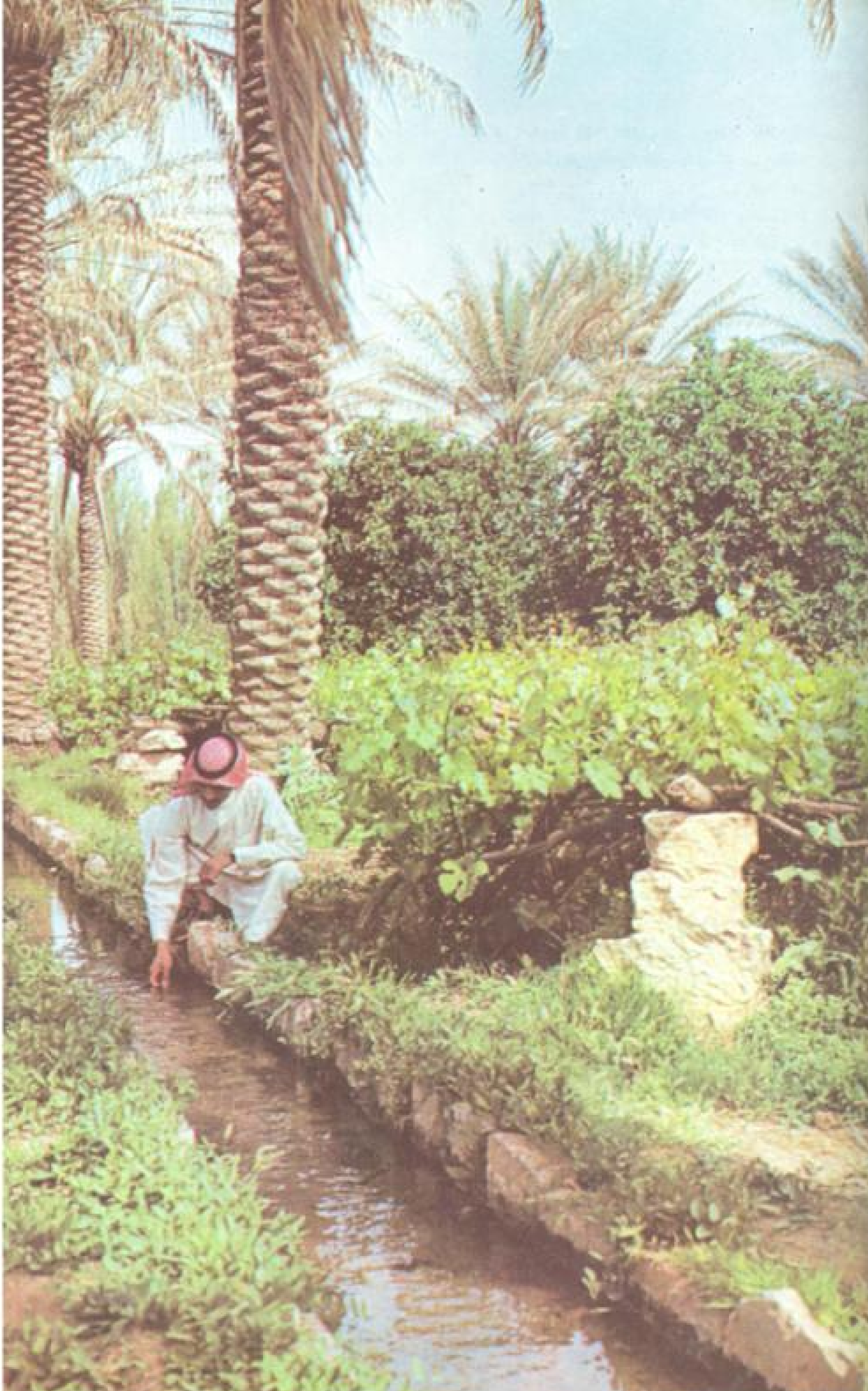
ويتم الآن وضع تخطيط جديد للمدينة ، وبناء على هذا التخطيط ستزال أحياء باكملها مبنية باللبن .. وتحل محلها المباني الحديثة .. وهذا التطور سيغير من طابع المدينة الذى تتميز به .. وهو الطابع العربي القديم . وعندما سمعنا بان اغلب البيوت القديمة ستزال .. طلبنا أن نقوم بزيارة لأحد هذه البيوت .. وفي هذه الزيارة اتيحت لنا فرصة قضاء بعض الوقت في « القهوة » وهو الاسم الذى يطلق على غرفة الضيافة ، والتعرف على بعض العادات والتقاليد التي لا يزال سكان عنيزة يتمسكون بها . والكرم احد هذه التقاليد عندهم ، وهم يتمثلون بالحديث الشريف « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ». ولا يكاد أي بيت من بيوت عنيزة ، حتى الحديث منها ، يخلو من غرفة « القهوة » ، وفيها توجد ادوات القهوة المرة ، من « دلات » الى مكان للفحم الذى تصنع عليه القهوة .

وعندما تدخل الى المضافة .. تدور فناجين القهوة .. ثم يتكرر الصب حتى يهز الضيف الفنجان .. وما أن تنتهي من تناول القهوة حتى يقدم الشاى .. ثم يدار على الضيوف بالبخور، ويأخذ كل ضيف من عبق هذا البخور . وبعدها يتم وضع الأكل حيث يجلس الجميع على الارض ويتناولون الطعام باليد اليمنى فقط لان استعمال



« وجعلنا من الماء كل شيء حي » وعندما تفجرت المياه من العيون في الصحراء تحولت الرمال الصفراء الى جنات من النخيل والأعناب .. وحمل الماء الحياة الى الرمال الجرداء .. **(الصورة الى ليسار)** وتمتاز القصيم بوفرة المياه الجوفية فيها .. وفي قلب الصحراء تتفجر العيون الارتوازية بالماء الذى يصعد الى سطح الارض دون الحاجة الى الات ضخ نتيجة ضغط الغاز في باطن الارض .. وتتصاعد المياه حارة **(الصورة الى اعلى)** ويعمد المزارعون الى تمديد مواسير من العيون الى أرض منخفضة حيث تتكون بحيرات من هذا الماء الحار لتخف حرارتها ويستعملوها في ري أراضيهم بعد ذلك **(الصورة الى اسفل)**.





اليد اليسرى لا يجوز على الطعام . ويتميز أهل عنيزة بكرمهم الشديد وبحبهم للضيوف ... ويعتبرون ان الاعتذار عن الدعوة امر يسيء لهم .

خدمات اجتماعية وثقافية

وفي عنيزة على صغرها عشر مدارس ابتدائية ، وثلاث متوسطة ، وثانوية واحدة ، ومعهد النور والأمل للمكفوفين وهو يضم عدة اقسام للابتدائي والمهني ، والمتوسط ، والثانوي ، كما يوجد بها ايضا ٦ مدارس ابتدائية للبنات ومدرسة متوسطة، ومعهد لاعداد المعلمات ، ومدرسة ثانوية للبنات .. وقد بدات حالة المرأة تتغير فبعد أن كان المتبع في الماضي أن تتعلم في صغرها القرآن وشئون المنزل دون الاهتمام بالكتابة ، اصبح معظم الاهالي الآن يهتمون بتعليم الفتاة . وقد تبين من احصائية اجريت في أحد احياء المدينة أن ٤٤ أسرة من ٧٠ تؤمن بتعليم الفتاة ، وأن ١٦ عائلة فقط لا تؤمن بذلك، ، بينما لم تبد عشر اسر اهتماما بالموضوع.

والى جوار هذه المدارس يقوم مركز الخدمة الاجتماعية بنشاط كبير لتعليم المرأة ، وخاصة بين النساء اللاتي فاتهن سن التعليم . وتقبل السيدات على هذه الفصول اقبالا كبيرا . ويشرف مركز الخدمة الاجتماعية على رياض اطفال يتعلم فيها الاطفال من بنات وصبيان في فصول مختلطة.

النوادي الريفية والنشاط الثقافي والاجتماعي

عندما دعينا لزيارة النوادي الريفية الموجودة في عنيزة وبريدة لم نكن في الحقيقة نتوقع ان نرى كل اوجه النشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي الذي وجدناه . وفي النوادي الثلاثة التي زرناها ، العربي والنجمة في عنيزة ، والتعاون في بريدة ، شاهدنا الشباب يساهم في الاعمال الثقافية والاجتماعية مساهمة فعالة . كل ناد منها فيه مكتبة ، وكل ناد به مسرح ، ويصدر مجلات حائط يبلغ عددها أكثر من ١٠ مجلات . بعضها مخصص للانتاج الادبي ، والبعض الاخر مخصص لأوجه الاصلاح في المدينة ولنشر المقالات التي تطالب بالاصلاح في مرفق من المرافق مثلا ، وصحف اخرى على النطاق القومي والعربي ونرى فيها مقالات التوعية ضد العدو الصهيوني ، بينما خصصت صحف غيرها للنشاط الرياضي والثقافي للنادي .

والى جانب هذا النشاط الثقافي ، يوجد في كل ناد متحف يضم الادوات التي كان الاجداد

في قسم الخراطة بمركز التدريب المهني ببريدة حيث يتم تدريب العمال على أعمال الخراطة ويمضي المتدرب فترة تتراوح بين ١٢ و ١٨ شهرا يخرج بعدها من المركز وقد اكتسب مهارة تؤهله للعمل في الورش والصناعات المحلية .



يستعملونها في حياتهم اليومية لم انقرضت في عصرنا الحالي . وذلك حفاظا على التراث الذى لم يبق منه امام تيار المدنية الجارف سوى القل القليل . وتساهم هذه النوادى ايضا في نشاطات اجتماعية وانسانية .. فهي تقوم بارسال بعض المرضى للعلاج في الخارج والانفاق عليهم . ويتطوع شباب هذه النوادى في الاشتراك في اسابيع النظافة ومقاومة الآفات والحشرات .

لقاء مع امير القصيم

قبل ان نبدا جولتنا في « بريدة » عاصمة القصيم .. توجهنا للقاء اميرها سمو الامير فهد ابن محمد بن عبد الرحمن .. تحدث عن امارة القصيم ككل .. ان عدد السكان يتراوح بين مليون ونصف ومليونين .. منهم اكثر من ١٢٠ الف يقطنون في «بريدة» . والمدينة تنمو بسرعة لذلك فان هناك شركة استشارية عالمية تقوم الآن بوضع مخطط هيكلي كامل للمدينة واحتياجاتها على مدى الثلاثين عاما القادمة .. ومشروع تمديد شبكة المجارى طرح في مناقصة عالمية وسيبدا تنفيذه في خلال العام الحالي . كما تم اعتماد مبلغ ٢٥ مليون ريال لتجميل المدينة وانشاء حدائق عامة فيها ، وشق طرق جديدة وميادين . وتم توزيع ٤ آلاف قطعة سكنية مجانا على اصحاب الدخول المحدودة. ونظرا لتوافر المياه الكبريتية في المنطقة فقد تقرر انشاء حمام كبريتي للسباحة تلحق به ملاعب للاطفال ، وملاعب للكبار ، واعتمد له مبلغ مليون ريال في المرحلة الاولى . وينتظر أن يتطور هذا المشروع ليصبح أكبر مشروع علاجي بالمياه الكبريتية في المنطقة .

ومن اهمية القصيم الزراعية تبين من الارقام ان مقدار ما صدر من الانتاج الزراعي للمنطقة وصل في العام الماضي الى أكثر من ١٠٠ مليون ريال. وان الشركات الانجليزية تقوم الآن باستيراد البصل من القصيم ، بما قيمته ٥ ملايين ريال . وسيتم انشاء معهد زراعي يضم قسمين ثانويا وعاليا على مساحة ٨٠٠ الف متر مربع تلحق به حقول تجريبية في مدينة بريدة . وذلك لتخريج فنيين زراعيين يسدون حاجة المنطقة. وقد وافقت الجهات المسئولة على انشاء مصنع للاسمنت في بريدة بعد ان تبين توفر الخامات اللازمة لهذه الصناعة.



سمو الامير فهد بن محمد بن عبد الرحمن امير القصيم وحديث عن المشروعات التى تتم الآن لتحويل بريدة الى مدينة حديثة

مركز التدريب المهنى للعمال

ونظرا للتطور الصناعي الذى بدا الآن في « القصيم » فقد تم منذ ٧ سنوات انشاء مركز للتدريب المهنى للعمال في « بريدة » ، تابع لوزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، وتتراوح فترة التدريب في المركز من ١٢ الى ١٨ شهرا . يمنح خلالها المتدرب ٣٠٠ ريال شهريا ، ويضم المركز ٨ اقسام هي : ميكانيكا السيارات ـ ميكانيكا عامة وخراطة ـ نجارة اثاث ـ بناء ـ تمديدات كهربائية للمنازل . وقد ساهم في وضع اسس انشاء المركز منظمة العمل الدولية .

اما الآن فقد اصبحت نسبة المدربين السعوديين ٧٥٪ من مجموع المدربين . وهناك فكرة لاضافة ٣ اقسام جديدة للمركز هي اقسام اللحام ، والسباكة والمعادن .

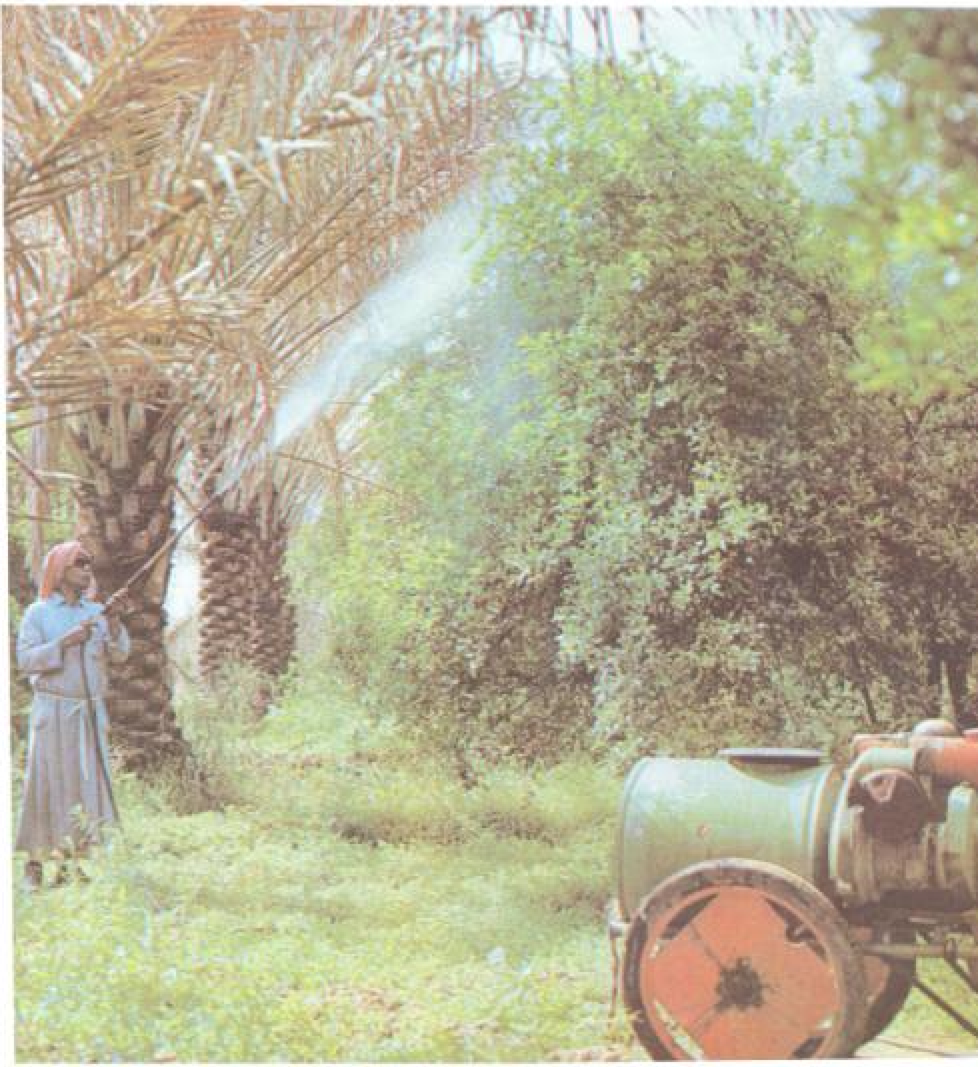
معهد اعداد المعلمين

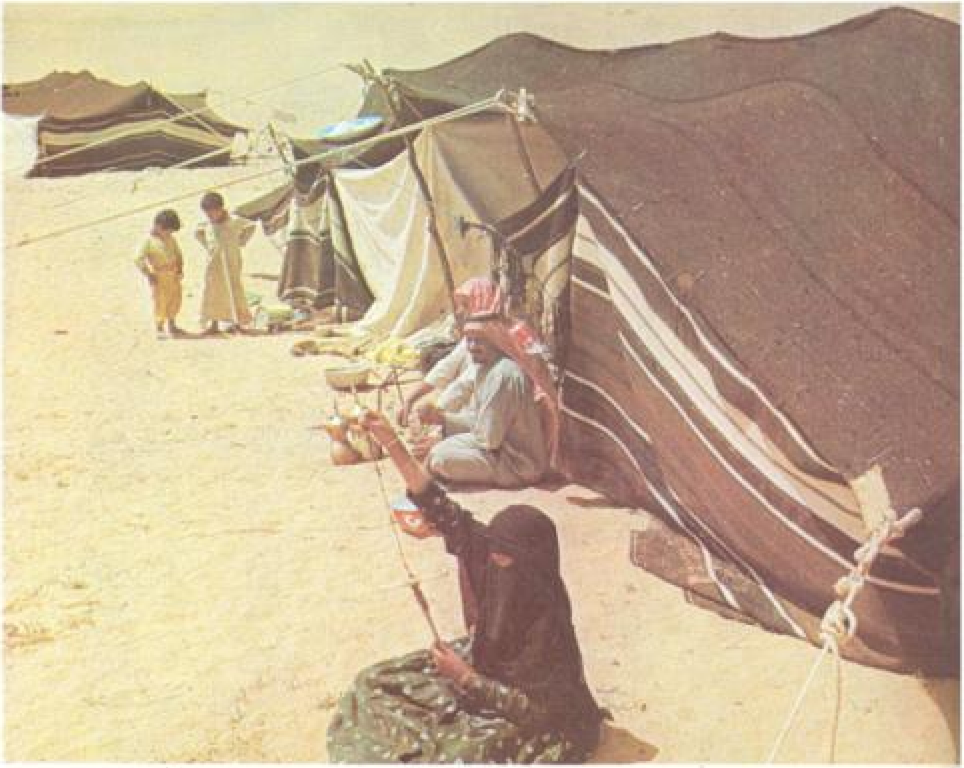
وفي القصيم اقبال كبير على التعليم ، وهذه



الى اليمين: أحد حقول القمح التى تشرف عليها محطة البحث الزراعية في القصيم ضمن مشروع اكثار القمح .. والآليات ملك وزارة الزراعة وتعمل بالمجان في حقول المزارعين .

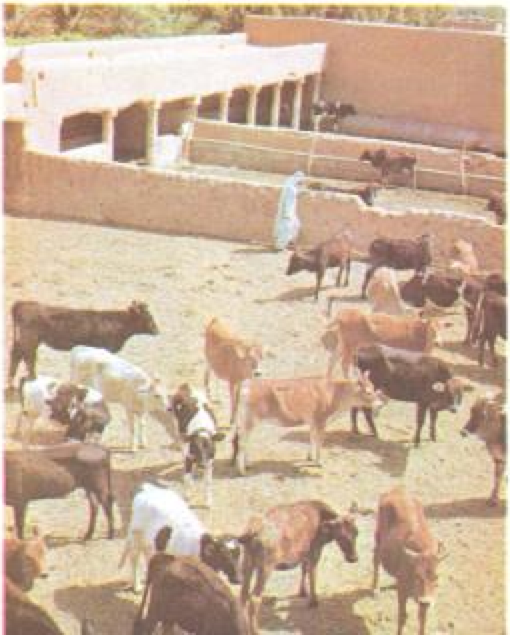
الى اسفل : عمال الزراعة يقومون برش اشجار الرمان بالمبيدات الحشرية .. لقد اصيب محصول الرمان بدودة الثمار في العام الماضي مما دعا تفتيش الزراعة بالقيام بعمليات الرش كل اسبوعين لوقايةمحصول هذا العام .





الى اعلى : هكذا يعيش البدو في بيوت الشعر في قلب الصحراء .. وتجرى الآن دراسة مشروع توطين البدو في القصيم .

الى اسفل : الصورة الاولى لسوق الابل في مدينة بريدة وهو يعتبر من اكبر أسواق الابل في المملكة العربية السعودية .. **والصورة الثانية** لحظيرة الابقار في واحدة من المزارع في عنيزة .







في معهد اعداد المعلمين ببريدة .. بعض الطلبة يضعون اللمسات الاخيرة على لوحاتهم الفنية .. ان المعهد سيقوم بسد حاجة مدارس القصيم الابتدائية من المدرسين بنسبة ١٠٠٪ خلال الاعوام الاربعة القادمة .

المنطقة تضم الآن ١٦٢ مدرسة ابتدائية يبلغ عدد طلابها أكثر من ٢٦ الفا . كما تضم ٣١ مدرسة ثانوية ومتوسطة يلغ عدد طلابها ٤٤٨١ طالبا . وفي بريدة وحدها ٢٢ مدرسة ابتدائية و٨ مدارس ثانوية ومتوسطة .. ونتيجة لهذا التوسع في التعليم فقد نشأت الحاجة الى مدرسين ، خاصة للمرحلة الابتدائية . وفي بريدة معهد لاعداد المعلمين يبلغ عدد طلبته ٦١٠ طلاب وسيقوم بتخريج حوالي ٢٠٠ مدرس هذا العام . وقد قام هذا المعهد بسد ٨٥٪ من حاجة منطقة القصيم لمدرسي المرحلة الابتدائية، وترمي الخطة المرسومة الى سد حاجة المنطقة تماما من المدرسين خلال السنوات الاربعة القادمة. وتتاح الفرصة للعشرة الاوائل من خريجي هذا المعهد لاكمال تعليمهم العالي في كلية التربية التابعة لجامعة الرياض .

تلفزيون القصيم

وفي بريدة توجد الآن محطة ارسال تليفزيوني ، هي رابع محطة تليفزيون انشئت في المملكة العربية السعودية . وقد تم افتتاحها منذ ٥ سنوات . وهي تقوم بالارسال لمدة ٥ ساعات يوميا تصل الى ٩ ساعات في أيام الجمع . والمحطة مزودة باستوديوهات صغيرة لانتاج بعض البرامج المحلية، وان كانت اغلب برامجها من المحطات التليفزيونية الاخرى في السعودية .. ويقول عبدالعزيز الراشد مدير تليفزيون القصيم ان العمل الآن يجري لانشاء محطتين للتليفزيون الملون في المملكة العربية السعودية واحدة في الدمام والثانية في أبها . ويتعطل الارسال التليفزيوني كل ما تحين الصلاة وذلك مدة نحو نصف ساعة من الزمان ، تتيح للمصلين اداء الفريضة .

سوق البدو في بريدة

وفي قلب بريدة ، ام القصيم ، يقع واحد من اكبر اسواق الابل في المملكة العربية السعودية . والسوق مفتوح يومياً ، صباحا وبعد الظهر .. يبدأ في الساعة السابعة صباحا حتى قبل الظهر .. ثم يعود بعد صلاة العصر حتى المغرب . ومن المناظر المألوفة في طرقات المدينة ، والطرق المؤدية اليها من مختلف قرى وانحاء القصيم سيارات النقل الصغيرة ، التي يملكها البدو القاطنون في المنطقة ، وكل سيارة منها تحمل جملا او اثنين متجهة الى هذا السوق . في الماضي كان لهذا السوق بالذات اهمية كبيرة .. فقد كان تجار الابل من مختلف البلاد العربية يحضرون اليه ، وكانت الابل تصدر منه الى مصر وبعض البلدان العربية الاخرى . اما اليوم فقد اصبح السوق محليا فقط .. والى جوار سوق الابل يوجد سوق الاغنام والابقار .

وقد وضعت بلدية بريدة مشروعا لاقامة سوق كبير جديد على نظام حديث لتجارة الابل والاغنام، وسيتم تنفيذه مع مشروعات تجميل المدينة .

توطين البدو

من المشاكل التي تعاني منها منطقة القصيم ، حياة البدو في الصحراء ، وتنقلهم من مكان الى مكان وراء المراعي ومصادر المياه ، او اقامتهم في اماكن مبعثرة فيما يسمى « بهجرات » أو قرى صغيرة جدا تضم على الاكثر ١٠ منازل وبعض بيوت الشعر . ان المشكلة هنا تكمن في ايصال الخدمات الى هؤلاء المواطنين . فهم في حاجة الى خدمات علاجية ، وتعليمية ، وزراعية وغيرها . وهذا في حد ذاته يكون مشكلة كبرى لاتساع رقعة المنطقة وبعد المسافات بين « الهجرات » ، ووقوع بعضها في مناطق صحراوية شديدة الوعورة . لذلك فكرت الحكومة في اقامة مشروع لتوطين البدو في القصيم ، واختارت موقعا يسمى بـ « البطين » واعتمدت مبدئيا مبلغ ١٥ مليون ريال لعمليات الدراسة وتعويضات نزع الملكية . ويقوم المشروع اساسا على تشجيع البدو في الاستقرار بالمنطقة ومنحهم ارضا زراعية يتملكونها . وتقوم الحكومة بتقديم الخدمات الاجتماعية والزراعية والثقافة الصحية لهم .

لقطات سريعة

● في عنيزة شاهدنا كيف يستطيع الفرد أن يوفر لبلده بعض وسائل الترفيه الثقافي والرياضي ، التي تنقصها .. ومثال ذلك متنزه « السويل » الذي انشاه محمد السويل .. انه يضم حماما للسباحة ، وملاعب ومدرجات لكرة القدم والسلة، وغيرها من الالعاب الرياضية .. ومكانا مخصصا لعرض حفلات السامري والعارضة والحوطي ، وهي رقصات فولكلورية شعبية ، مساء كل يوم خميس . والمشروع يؤدي خدمة عامة للبلدة كلها. وفي نفس الوقت ليس مشروعا تجاريا . عندما تقام مباراة كرة قدم فهناك تذاكر تباع ومن ثمنها يتقاضى متنزه السويل نسبة معينة تكفيه للانفاق على صيانة هذه المنشآت . وحمام السباحة الدخول اليه برسم مخفض .

● عندما يتحدث اهل القصيم تسمع كثيرا منهم يرددون لفظة « سم » وعندما سألنا عن معنى هذه الكلمة عرفنا أنها تستعمل الآن في الحديث العادي بمعنى نعم .. وان اصلها كان « سمعا وطاعة » ثم اختصرت .. وان لها استعمالا آخر عندما تقال في بداية تناول الطعام .. ويكون معناها « باسم الله » .

● عندما يتم الدوران «بالبخور» على الضيوف،

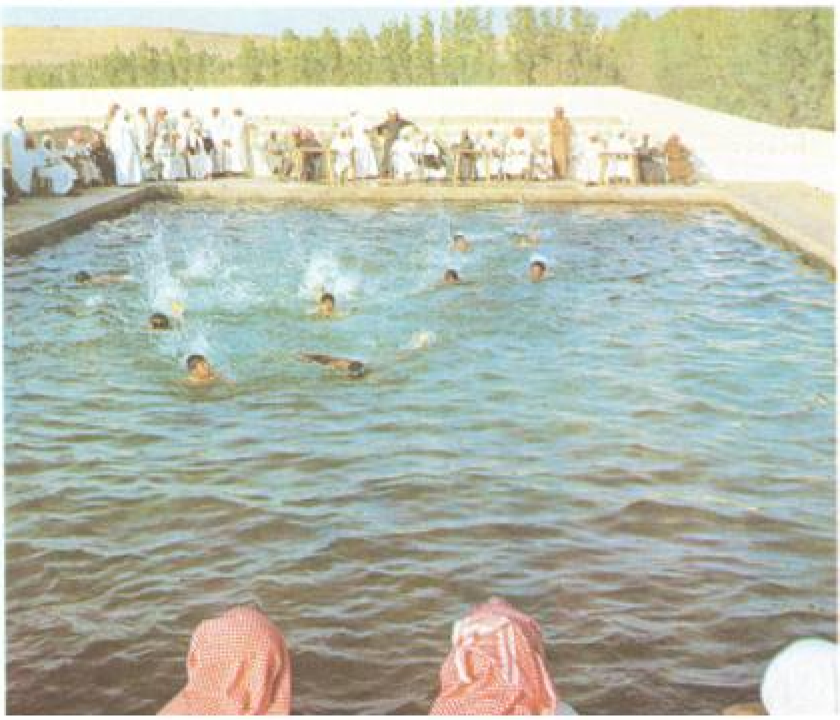
في معهد النور والامل يقومون بتدريب العميان على اعمال يدوية سهلة مثل صناعة الكراسي والمقاعد وغيرها .. وذلك لتأهيلهم لكسب عيشهم بالرغم من العاهة التي المت بهم .



الى اليمين : في معهد اعداد المعلمين ببريدة طلبة اليوم ومعلمو المستقبل يتلقون دروسا امام احدى وسائل الايضاح التي تبين الرئتين والجهاز الهضمي في جسم الانسان .



الى اسفل : حمام سباحة في منتزه الـويل » في عنيزة « ويعتبر المتنفس الوحيد أمام شباب البلدة في فصل الصيف .. وقد أنشأه شاب من « عنيزة » في مشروع قصد به الخدمة العامة لا الكسب المادي .





الى اليسار :
تلاميذ وتلميذات في عمر الزهور ومعهم المشرفة الاجتماعية في روضة الاطفال التابعة لمركز الخدمة الاجتماعية .. انها المرحلة الوحيدة التي يسمح فيها بالاختلاط .

الى أسفل :
في غرفة المراقبة في محطة القصيم أثناء تصوير برنامج الاطفال وهو من بين البرامج التي يتم اخراجها محليا في المحطة .





جانب من السوق القديم بمدينة عنيزة .. وهو لا يختلف في الكثير عن الاسواق القديمة في المدن العربية كلها .

يعني هذا انه لا يجوز المكوث بعد ذلك .. لان المثل الدارج يقول « اذا اطلق العود فلا قعود ».

اما اذا تم تدوير البخور قبل الاكل ، اذا كانت الدعوة على العشاء مثلا ، فهذا معناه ان المضيف يترك للضيف حرية البقاء او الانصراف مباشرة بعد تناول الطعام .

● من انواع المأكولات التى تشتهر بها القصيم نوع يسمى المطازيز ، وهو يحضر بوضع قطع صغيرة من « الرقاق » في القدر الذى يحتوى على اللحم الناضج المضاف اليه الصلصة والقرع المطبوخ . ولهذه الاكلة شهرة خاصة في كل اقاليم نجد . ويتم تقديم التمر مع كل الوجبات النهارية .. ومعه اللبن البقرى .. ولبن الابل .

● يفخر اهل القصيم بأن الكثيرين من المسئولين في الدولة من ابناء القصيم ، ويفخرون ايضا بأن الاوائل في شهادة الثانوية العامة في المملكة يضمون دائما واحدا او اكثر من القصيم .

● تنتشر المكتبات العامة في بريدة وعنيزة .. ومن بينها بعض المكتبات التى تحتوى على مخطوطات عربية قديمة .. وقد حضرت الى بريدة وعنيزة بعثة ثقافية تابعة للجامعة العربية حيث قامت بتصوير عدد كبير من هذه المخطوطات .

● البنك الزراعى يقوم باقراض المزارعين قروضا لشراء الات زراعية بدون فوائد .. المالك له حق الاقتراض والتسديد خلال ٥ سنوات اما المستأجر فقرضه لا تزيد مدته عن ٣ سنوات .. وللملاك ايضا الحق في الحصول على قروض نقدية سنوية .

★ ★ ★

هذه هى صورة سريعة عن « القصيم » .. تلك المنطقة التى تتوسط الجزيرة العربية السعودية .. والتى حولتها المياه المتفجرة الى واحدة من اهم المناطق الزراعية في السعودية . ومع هذه الصورة السريعة عن القصيم .. صورة اخرى عن اهل هذه المنطقة بعاداتهم وتقاليدهم العربية الصميمة .. صورة تجمع احسن ما في الماضى . وتتطلع الى احسن ما في المستقبل .

محمد طنطاوى

في الشريعة الاسلامية

تغير الأحكام بتغير الزمان غير تغيير النصوص وتعطيلها

بقلم : معروف الدواليبي

■ اخبرني منذ ايام بعض الاصدقاء من كبار هيئة العلماء في الرياض ان الدكتور احمد عبيد الكبيسي مدرس الشريعة الاسلامية بجامعة بغداد قد نشر في مجلتكم القراء في العدد ١٦٦ الصادر في شهر رجب ١٣٩٢ ـ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ كلمة تحت عنوان « الحكم بقطع يد السارق في الشريعة الاسلامية » ، وانه قد جاء فيها « ان بعض الباحثين ، ومن هؤلاء معروف الدواليبي في كتابه : المدخل الى علم اصول الفقه الصفحة ٣٢١ ، قد ذهبوا الى جواز الغاء عقوبة السرقة او تبديلها بعقوبةاخرى تبعا لتغير الازمان والاحوال وان لولي الامر الحق في تكييف عقوبة السرقة حسب الظروف والمقتضيات ، وان هؤلاء ومن وافقهم على اصل جواز تغيير الاحكام المنصوص عليها اذا دعت الى تغييرها مصلحة حتى ولو تعارض ذلك مع نصوص الكتاب والسنة ، وانهم اخذوا بوقوع النسخ كدليل على جواز تغيير الاحكام المنصوص عليها ، وانهم اعتبروا عدم قطع عمر لغلمان حاطب لما سرقوا « تصرفا في النص وتعطيلا للحد » ، ثم انهى هذا الكاتب كلمته بقوله « اما وقد تم التشريع الاسلامي واكمل الله دينه ، وعقوبة السرقة على حالها ، فليس لأحد ان يدعي انه يعلم من وجوه المصلحة ما غاب عن علم الله تنزه ذكره، ومن شقي بادعاء ذلك فليسمع قوله تعالى « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين » .

وانني ابدا في الرد على مانسبه الى كتابي من نقاط اساسية مرتبة كما جاءت في كتابي من

اصول ثم من فروع ، مع لفت نظر الكاتب اولاً الى انني لست باحثا في هذه الامور ومبتدعا ، وانما ناقلا ومتمسكا بما قرره العلماء ، وعاملا بفهمهم لا بما نسبه الكاتب الكبيسي اليّ من فهم ظالم .

ومن اولى هذه النقاط الاساسية زعم الكاتب بانني « من هؤلاء الباحثين ومن وافقهم على اصل جواز تغيير الاحكام المنصوص عليها اذا دعت الى تغييرها مصلحة ، حتى ولو تعارض ذلك مع نصوص الكتاب والسنة » . وهذا بهتان عظيم ابرا منه الى الله واستنكر نسبته الي فيما يخصني وذلك بدليل ما جاء في كتابي من نصوص واضحة صريحة ضد هذه المفاهيم الباطلة التي كان على الكاتب تصحيحها وتصحيح ما ابهم عليه من الفاظ احيانا وذلك بتحكيم تلك النصوص التي لاغموض فيها .

ومن هذه النصوص :

اولا ـ انني كلما ذكرت المصلحة للعمل بها فذلك « في كل مسألة لم يرد في الشريعة نص عليها ولم يكن لها في الشريعة امثال تقاس عليها » ـ الصفحة ٣٠١ ، الفقرة ١ ، وكذلك في الصفحة ٣٠٩ ، الفقرة ٢ .

ثانيا ـ « ان العبرة في المصلحة انما هو لمقصود الشرع لا للأهواء ، وان كل مصلحة علم انها ليست من مقاصد الشرع كان الاعتماد عليها في الاجتهاد والحكم باطلا لايلحق الحكم بالشرع » ـ الصفحة ٣٠٩ ، الفقرة ٢ .

ثالثا ـ « النسخ لا يصح الا من قبل الشارع نفسه .. وقد اعتبرت الشريعة الاسلامية النسخ للاحكام الشرعية حقا خاصا بمن لـه سلطة الاشتراع » ـ الصفحات ٣١٦ ، ٣١٧ ، الفقرات ١ ، ٣ ، ٤ .

رابعا ـ « واما تغيير الحكم الذى لم ينسخ نصه فهو عبارة عن العمل بنفس النص الثابت ، ولكن بدليل مستوحى من ظروف النص تبعا لمصلحة زمنية ... الصفحات ٣١٧ ، ٣١٨ ، الفقرة ٤ .

خامسا ـ « ان العمل بمبدأ تغير الاحكام بتغير الازمان هو عمل اجتهادى جليل ودقيق ، يتطلب حسا مرهفا في تلمس المصلحة للامة ودفع المفسدة عنها ، والا فان اطلاق العمل به للمجتهدين يكون مدعاة لفوضى في التشريع والقضاء » الصفحة ٣١٩ ، الفقرة ٦ .

سادسا ـ « ان الفقهاء اختلفوا في المصلحة تجاه النصوص على اربع طوائف : الشافعية،والحنابلة والمالكية ، والغلاة في المصالح المرسلة كالطوفي » ـ الصفحات ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، الفقرة ٣٨ ـ ثم قلت « ونرى لزاما علينا ان نشير الى ما في مذهب الطوفي وامثاله من خطر الغلو في الاخذ بالمصالح المرسلة ، وان في ذلك تعطيلا للنصوص بما يبدو للمجتهد من المصلحة ، ولو جاز لتعطلت نصوص الشرائع ، وسادت الفوضى في العمل بالشريعة .. ولذلك وجدنا الائمة الاربعة مجمعين على رفض هذا الغلو» الصفحات ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، الفقرة ٥٢ ـ

سابعا ـ « ان الاسلام لما اشتد ساعده وتوطد سلطانه ، رأى عمر رضي الله عنه حرمان المؤلفة قلوبهم من العطاء المفروض لهم بنصوص القرآن ، وليس معنى ذلك ان عمر قد ابطل او عطل نصا قرآنيا ، ولكنه نظر الى علة النص لا الى ظاهره، واعتبر اعطاء المؤلفة قلوبهم معللا بظروف زمنية تقتضي ذلك العطاء ، وتلك هي حالهم عندما كان الاسلام ضعيفا ، فلما قويت شوكة الاسلام وتغيرت الظروف الداعية للعطاء ، كان من موجبات النص ومن العمل بعلته ان يمنعوا من هذا العطاء » الصفحة ٣٢١ ، الفقرة ٢ . « ومن هذا القبيل ايضا اجتهاد عمر رضي الله عنه عام المجاعة في وقف تنفيذ حد السرقة وهو قطع اليد ، معتبرا ان السرقة ربما كان يندفع اليها السارقون بدافع الضرورة لابدافع الاجرام ، وفي ذلك شبهة في الجرم على الاقل ، والحدود تدرا بالشبهات » الصفحات ٣٢١ ، ٣٢٢ ، الفقرة ٣ ـ ومن المعلوم ان عمر رضي الله عنه كان أمر اولاً بقطع ايدى

غلمان حاطب لما سرقوا ، ثم امر بوقف القطع .

ويتضح من هذه النصوص الواردة في كتابي « المدخل الى علم اصول الفقه » انني لم اقل قط «بجواز الغاء عقوبةالسرقة تبعا لتغير الازمان»، ولا قلت بالتصرف بالنص وتعطيل الحد ، وانما نقلت الحكم بوقف تنفيذ القطع عام المجاعة بعد الامر بالقطع ، وذلك لان الحدود تدرا بالشبهات، ولم اقل قط « بجواز تغيير النصوص او تعطيلها اذا دعت الى ذلك مصلحة » ، كما عرف ذلك عن الطوفي ، والفرق كبير خطير بين جواز تغير الاحكام الزمنية، وبين الزعم بجواز تغيير النصوص الثابتة وتعطيلها وهذا ما رَدَدْته ردا صريحا وحذرت منه ودعوت الى العمل بما اجمع عليه الائمة الاربعة من رفض ذلك وعدم جواز الاخذ بالمصلحة « اذا تعارضت مع نصوص الكتاب والسنة » ولذلك لا يجوز للكاتب الاستاذ الكبيسي ان ياخذ بمفاهيمه المغلوطةوان يهمل نصوصي الصريحة، وان ينسب الي ظلما ما قد صارحت بالتحذير منه ، وخاصة ما نسبه الي من سوء فهم لما استشهدت به من كلام ابن القيم رحمه الله ظنا منه انني استشهدت به لاسقاط النص او للتصرف به وتعطيله مما ابرا الى الله منه ومن سوء فهمه.

واعجب من كل ذلك ما ظنه الاستاذ الكبيسي انه اكتشاف لانخداعي بالعنوان الذى ادرج ابن القيم كلامه فيه تحت قوله « فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد » ، وقوله انني فهمت من عبارة « تغير الفتوى » تغير الحكم ، « وانه ليس الامر كذلك لان الفتوى غير الحكم ، وانما هي بيانه » . وهنا الفت نظر الاستاذ الكبيسي الى انني لست صاحب القول الذى قال « لاينكر تغير الاحكام بتغير الازمان » ، وانما هو قول الائمة المجتهدين ، غير ان من قال بذلك لم يقل ان المراد من «تغير الاحكام» هو « تغير النصوص وتعطيلها والتصرف بها »،وانما مراده « تغير الفتوى » ، كما قال ابن القيم رحمه الله ، وليست « الفتوى » عندما تطلب من المفتي الا التعبير عن « الحكم » الشرعي في القضية المسؤول عنها ، فلا خلاف اذن في المراد من اللفظين هنا ، ولاانخداع ما دام المراد منهما هنا بعيدا عن الزعم« بتغير النصوص مع تغير الازمان » فلا يجوز للاستاذ الكبيسي الزام الاخرين بما يفهمه هو من فهم لم يُجِزْه الاخرون ، وانما رفضوه وحذروا منه .

وملاحظة اخيرة على فهم الاستاذ الكبيسي فيما يتعلق بالنسخ ، وزعمه بانني « اخذت بوقوع النسخ كدليل على جواز تغيير الاحكام المنصوص عليها » ، فهذا شيء لا اصل له الا سوء الفهم الذى وقع فيه ورماني به ، وذهب يطيل الكلام فيه اطالة لا حاجة اليها ، فانني فرقت ما بين النسخ الذى هو من عمل الشارع نفسه ويتعلق بالنصوص ، وما بين تغيير فتوى المفتين والمجتهدين في بيان الاحكام عند تغير الظروف والازمان وذلك من عمل المجتهدين ومن دون مساس بالنصوص ، بل قلت فيه : « انه عبارة عن العمل بنفس النص الثابت ، ولكن بدليل مستوحى من ظروف النص تبعا لمصلحة زمنية ـ الصفحات ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ـ » .

واما ما نقلته في هذا المقام عن العلماء في فلسفة الشرائع وقولهم فيها : « ان التشريع الذى تلائم احكامه امة ويتفق ومصالحها قد لا تلائم احكامه امة اخرى ويعارض مصالحها » ، ثم تعليق الاستاذ الكبيسي عليه بقوله « فهذا ما نستعيذ بالله من شر خطراته على الذهن » ، فانا ايضا استعيذ بالله من شر خطراته على الذهن اذا فهم منه فاهم اننا نريد منه تعطيل نصوص الشريعة الاسلامية الثابتة .

واختم بقوله تعالى « ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطانا .. واعف عنا ، واغفر لنا وارحمنا » .

محمد معروف الدواليبي



السيّر وُلتر سكُوت

مبدع القصة التاريخية

بقلم : صفاء خلوصي

■ احتفلت المملكة المتحدة في عام واحد بذكرى وفاة شاعر ، وميلاد شاعرين ، فاما الشاعر الذى مات قبل مائتي عام فهو « توماس جراى Thomas Gray » صاحب قصيدة « مرثاة في فناء كنيسة ريفية » وقد ترجمها الاستاذ علي الطنطاوى في مجلة الرسالة للمرحوم احمد حسن الزيات ، وترجمناها في كتابنا « دراسات في الادب المقارن والمذاهب الادبية » سنة ١٩٥٨ ونقلتها الاستاذة نازك الملائكة الى العربية شعرا ، وقد كوفىء جراى على قصيدته هذه بدفنه في فنائها .

اما الشاعران اللذان شملا باحتفالات التكريم والتخليد مع جراى فهما الشاعر الرومانسي جون كيتس John Keats الذى ولد قبل مائة وخمسين عاما ، وشاء ان يكون جراحا فما استطاع ، لان الاقدار ارادت له ان يكون شاعرا ، رغم انه لم يمنح الشعر من جهده الا بعض ما منحه للطب والجراحة ، وقد مات ودفن في ايطاليا .

والشاعر الاخر لم يبدا طبيبا وانما بدا شاعرا ثم تحول الى القصة ، وهو السر ولتر سكوت Sir walter Scott الذى يعد أول من ابتدع « القصة التاريخية » ، وعلى منواله نسج المرحوم جورجي زيدان في قصصه التاريخي الرائع .

وقد صدرت في انكلترة بهذه المناسبة ثلاثة طوابع تذكارية تحمل تواقيع الشعراء الثلاثة ، وبرعت المؤسسات المختلفة في الاحتفال بهذه الذكرى الثلاثية ، ولا يتسع المجال للكلام عنهم جميعا في وقت واحد ، لذلك سنقتصر على السر ولتر سكوت ، مرجئين التطرق الى الشاعرين الاخرين الى مناسبتين اخريين .

ولد « سكوت » سنة ١٧٧١ بادنبرة في الخامس عشر من آب (اغسطس) ، من اب كان يعمل في بعض الوظائف الكتابية ، وقد منح اسمه الكامل لولده ، وام تعرف بآن « Anne » الابنة الكبرى للدكتور جون رذرفورد D. John Rutherford استاذ الطب بجامعة ادنبرة ، فهو اذن اسكتلندى عريق ، ومن هنا جاء اهتمامه بتاريخ اسكتلندة واساطيرها ، وقد كان معاصرا لنابوليون ، اذ ولد بعده بسنتين فاهتم بسيرته ووضع عنها كتابا ممتعا كاكثر كتبه ، وقد ظهر الكتاب بعد وفاة نابوليون بست سنوات .

اصيب سكوت في طفولته بشلل في ساقه اليمنى، افضى به الى العرج طوال حياته ، وله في هذا شبه بالشاعر اللورد بَيْرُون Lord Byron الذى بالغ المعجبون في محاكاته حتى في طريقة سيره التي عرفت « بالعرجة البيرونية » ، وكان هو الآخر معاصرا لسكوت .

« وكل ذى عاهة جبار » كما تقول العرب ، فلعل هذا الشلل الجزئي هو الذى دفع بسكوت كما دفع باللورد بيرون الى قمة المجد الادبي السامق وخلقت منه ومن معاصره انسانين رائعين .

بعد أن أصيب سكوت بالشلل أرسل الى جده وجدته في (ساندى ناو Sandy Nau) بمقاطعة « روكسبرغ Rox Burg » حيث تعلم القراءة والكتابة ، واظهر ولعه بالاساطير المحلية ، وبتاريخ

القبيلة الاسكتلندية التي ينتمي اليها ، ثم انتقل الى مدرسة ادنبرة الثانوية ، واخذ يجمع الاغاني وينقر في تاريخ اسكتلندة وآثارها ، وعندما شرع « سكوت » في دراسته الجامعية وافق والده على ان يختص بالقانون ، فكان ان تخرج محاميا .

وقد نشر أول قصة لـه سنة ١٧٩٦ بعنـوان « الطريدة » شفعها بقصة «وليم وهيلن» المترجمة عن الكاتب الالماني برجر ، ولكنه مني منها بخسارة مالية ، لانها لم تلق رواجا ، ويخيل الي ان سكوت لم يكن مترجما بارعا ، او انه لم يوفق الى اختيار ما يستحسنه الرأي العام الانكليزي من مترجمات ، لانه ترجم بعض مؤلفات معاصره الالماني العظيم غوته Goethe ، فمني بالخيبة والاخفاق من جديد .

ولـم يبتسم الحظ لسكوت في عالـم التاليف والنشر الا بعد ان تعرف علـى الناشر الصحفي جيمس بالانتاين James Balantyne الذي نشر له قصته الشعرية المشهورة « سيدة البحيرة » تلك التي قالت عنها ابنته للناشر : « ان أبي قد منعني من قراءتها ، لانها من رديء شعره » . ولا ندري أكان هذا تواضعا من سكوت أم ان نظرة المؤلف لما يكتب تختلف في بعض الاحيان عن نظرة جمهور قرائه ، فما ينـال اعجابهم قد لا ينـال بالضرورة اعجابه .

ومن الغريب انه عندما عرضت عليه امارة الشعر سنة ١٨١٣ رفضها وقدمها هدية لصديقه الشاعر ساوذي Southey ، وليس تأويل ذلك انه كان زاهدا في المراتب الادبية الرفيعة ، لانه وافق بعد ذلك بسبع سنوات على أن يكون رئيسا للجمعية الملكية في ادنبرة ، ولا انه كان يعتقد بتفوق ساوذي عليه في الشعر ، ولكنه على ما نظن ، كره التقاليد المرتبطة بالمنصب الذي يجعل منه شاعرا للبلاط .

وظهرت قصته ويفرلي Waverley سنة ١٨١٤ فاثارت حفيظة القاصة المشهورة « جين اوستن Jane Austin » التي لم تتمالك نفسها ان قالت على رؤوس الاشهاد : « ليس من حق ولتر سكوت ان يكتب القصص ولا سيما القصص الجيدة ، فليس هذا عدلا ، اذ له من شهرته وأرباحه كفايته شاعرا ، فينبغي له الا ينتزع لقمة الخبز من افواه الاخرين . انني لا أحبه ، ولا اريد ان احب ويفرلي اذا استطعت الى ذلك سبيلا ، ولكنني مع الاسف مرغمة في ذلك » .

ولم يكن سكوت شاعرا وقاصا فحسب ، بل كان باحثا ، فقد كتب مقالات عن « الفروسية » واسـهم بفصل عن « الدرامـا » في الموسوعـة البريطانية ، وقام بنشر العديد من مؤلفات الكتاب والشعراء الاخرين ، فقد نشر اعمال الشاعر جون دريْدن John Dryden مع شروح وفصل خاص عن حياتـه ، وآثار جوناثـان سويفت Jonathan Swift الادبية ، مع شروح ، وفصل عـن حياة المؤلف .

واصيب سكوت سنة ١٨١٧ باول مغص في معدته، وعاودته نوباته في السنين التالية ، وفي هذه الفترة منح لقب « بارون » فتقبله راضيا ، بعد ان سبق له ان رفض لقب « شاعر البلاط » ويبدو ان المجد كان يبتسم له اكثر فاكثر كلما اقترب من نهايته العابسة المؤلمة ، فقد ظهرت عليه البوادر الاولى للصرع وازدادت أعراض الشلل ، فاستقال من منصبه في الدولة ، ورفض المرتب التقاعدي الذي قدم له ، وفي فترة سنوات متقاربة ماتت امـه وزوجته ،ورغم اكفهرار جوه العائلي وتدهور صحته المخيف ـ استمر يكتب ويؤلف ، اذ اسهم ببحث جديد في الموسوعة البريطانية عن «القصة الخيالية» ونشر قصصه عن الصليبيين ، وفيهـا قصتـا « المخطوبة » و « الطلسم » وقد ترجمت الاخيرة الى العربية ترجمة رائعة قبل سنوات .

وفي سـنة ١٨٣١ وضع الكتـاب الرابع مـن « حكايات جد » وقام بجولة في البحر الابيض المتوسط .

وفي سنة ١٨٣٢ ـ السنة الاخيرة من حياته ، وضع السلسلة الرابعة من « حكايات رب منزل »، وهي التي اختتم بها الحادية والستين من عمره ـ المتضمنة لقصتي « الكونت روبرت الباريسي » و « القلعة الخطرة » ، وقد اقام في ايطاليا بعض الوقت ، وعاد الى وطنه بطريق الراين ، ليموت في « أبوتز فورد Abbot's Ford » في ٢١ ايلول (سبتمبر) من سنة ١٨٣٢ .

وفي السنة ذاتها مات شاعر المانيا العظيم غوته Wolfgant Goethe فاية سنة مشؤومة هذه التي اطفأت نور شاعرين عظيمين من شعر الانسانية .. ولتر سكوت وولفجانت غوته ؟ ■■

صفاء خلوصي

(معهد الشرقيات بجامعة لندن)

طرائف

تواضــع

● جلس الاحنف بن قيس يوما على بابدار ، فافتربت منه ساقية ووضعت قربتها ، وقالت : « ياشيخ ، احفظ قربتي حتى انهى بعض اموري ! » ومضت في طريقها ، فاتاه الاذن وقال : « انهض » . فقال : « ان معي وديعة » . واقام حتى عادت المراة وتسلمت قربتها .

يتزو

● تزوج على بن الحسين المعروف بزين العابدين ام ولد لبعض الأنصار . فلامه عبد الملك بن مروان في ذلك ، فكتب علىّ اليه : ان الله قد رفع بالاسـلام الخسيسة ، واتم النقيصة ، واكرم به

بين عمر وأعرابى

● قدم رجل من الأعراب على عمر بن الخطاب ومعه صبيّة له وزوجته ، فقال:

يا عمر الخير ، جزيت الجنة

اكسُ بُنيّـاتي وامهنّـه

فقال عمر مازحا : فان لم افعل يكون ماذا ؟

فقال الأعرابي :

اذا ـ ابا حفص ـ لاذهبنّه .

فقال عمر : فاذا ذهبت ماذا يكون ؟

قال :

يكون عن حالي لتسألنّه ،

فقال عمر : متى ؟ قال :

يوم تكون الاعطيات جنة .

والواقف المسئول بينهنه

اما الى نار واما جنه .

فارتعد عمر وقال لغلامه : « يا غلام اعطه قميصا . » فاعطاه الغلام قميصا لعمر وقال عنه : والله لا يملك غيره الا ما عليه .

خطوبة

● خطب خالد بن صفوان امراة فقال:« انا خالد بن صفوان ، والحسب على ما قد علمته ، وكثرة المال على ما قد بلغك ، وفيّ خصال سأبينها لك ، فتقدمين عليّ او تدعين . » فقالت :« وما هي ؟ » قال : « ان الحرة اذا دنت مني املتني ، واذا تباعدت عني اعلتني، ولا سبيل الى درهمي وديناري ، ويأتي عليّ ساعة من الملال لو ان راسي في يدي نبذته . » فقالت : « قد فهمنا مقالتك ، ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصال لا نرضـاها لبنات ابليس ، فانصرف رحمك الله . »

عربية

م ولد

من اللؤم ، فلا عار على مسلم ان يتزوج ام ولد . هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج امته ، وامرأة عبده . فقال عبد الملك : « ان عليّ بن الحسين يتشرف من حيث يتضع الناس . »

أشعب

ذكر ابن ابى عتيق قال : دخلت منزل اشعب مرة ، وكان منزله جميلا ومتاعه حسنا ، واثاثه أحسن فقلت له مازحا : « ويحك اما تستحى ان تسال الخلفاء والاشراف ، وعندك ما ارى من يسر ورغد ؟ » فقال : « فديتك ، معى والله من لطيف السؤال ما لا تطيب نفسى بتركه . »

طيبته العافية

حج الحجاج ، فنزل بعض المياه ، ودعا بالغداء ، فقال لحاجبه : « انظر من يتغدى معي واسأله عن بعض الأمر » . فنظر الحاجب فاذا هو باعرابي بين شملتين ، فضربه برجله ، وقال : « ائت الأمير » . فأتاه ، فقال له الحجاج : « اغسل يدك وتغد معي » . قال : انه دعاني من هو خيرٌ منك فاجبته » . فقال له الحجاج : « من الذى دعاك ؟ » قال : « الله تعالى دعانى الى الصوم فصمت » . قال : «في هذا اليوم الحار!» قال : « نعم ، صمت ليوم احر منه » . قال : « فافطر وتصوم غدا » . قال : « ان ضمنت لي البقاء الى غد . » قال : « ليس ذاك اليّ . » قال : « فكيف تسالنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه ! » قال : « انه طعام طيب » قال : « انك لم تطيبه ولكن طيبته العافية » .

كم لك من ولد ؟

سأل زياد بن ابيه رجلا بالبصرة : « اين منزلك ؟ » فقال : « واسط » . قال : « كم لك من الولد ؟ » قال : « تسعة » ، فلما خرج قيل لزياد : « كذبك الرجل في كل ما سألته ، ما له الا ابن واحد ، وان منزله بالبصرة » . فلما عاد اليه قال له زياد : « ذكرت ان لك تسعة من الولد ، وان منزلك بواسط ؟ » قال : « نعم » . قال : ولكن خبرت بغير ذلك ، قال : « صدقوك وصدقت ، دفنت تسعة بنين فهم لي ، ولي اليوم ابن واحد ، ولست ادرى ايكون لي ام لا ، واما منزلى فالى جانب الجبانة ، بين اهل الدنيا واهل الاخرة ، فاى منزل اوسط منه ؟ » قال : « صدقت » .

الصَّرَع

EPILEPSY

كان يعتقد ان صاحبه به مس من الشيطان واليوم
يحيـا حيـاة طبيعية بين يدى الطب الحديث

بقلم : الدكتور محمد ابو شوك

■ الصرع مرض عرف منذ القدم ـ عرفه الاغريق وقدماء المصريين وكلمة Epilepsy معناها Falling Evil الشر النازل .

والصرع أنواع : فهناك نوبات الصرع الكبرى ونوبات الصرع الصغرى ، والصرع المصحوب بالحركة مع فقدان الوعى Psychomotor Epilepsy والصـرع الـذى يصحب الأمراض المختلفة التى تصيب الجهاز العصبى والأجهزة الاخرى من الجسم والتى تكون مصحوبة بتشنجات وهذا ما يسمى بنوبات الصرع الثانوية او العرضـيـة Symptomatic Epilepsy ، وهذه بالطبـع تحتـاج الى فحص المريض فحصا دقيقا ، وعمل التحاليل المختلفة والاشعات اللازمة حتى نصل الى سبب النوبات الصرعية ، لان في علاجها استئصالا للمرض وعدم تكرار النوبات ، ولهذا كان من الواجب على كل طبيب يرى حالة صرعية ان يفحصها الفحص الدقيق لعله يجد السبب ـ واذا لم يتمكن من العثور على السبب لهذه النوبات نجد انفسنا امام ما يسمى بنوبات الصرع التى لا سبب لها Idio Pathic Epilepsy ولنركز على هـذا النوع من الصرع اذ انه يكون نسبة عالية وهو يحتاج الى عناية خاصة من الناحيـة المرضية والناحية الاجتماعية ، وينشا الصرع من بؤرة في المخ تهيج وسرعان ما ترسل تيارات كهربائية تنتشر في المخ .

الاسباب التى تظهر الصرع

اولا ـ عامل الوراثة يلعب دورا كبيرا في مرض الصرع .. والذى يورثه هو استعداد المخ لان تحدث به اضطرابات تؤدى الى حدوث نوبة الصرع ، فلقد وجد أن عددا قليلا من عائلة المصاب ربما اصيبت بالمرض.وبعمل تخطيط المخ وجد ان ٨٪ من ابوى المصاب يكون التخطيط فيهما طبيعيا وفي ٩٢٪ يكون تخطيط احدهما او كليهما غير طبيعي .

ثانيا ـ الاصابة ـ اصابة الراس وبالتالـى اصابة المخ تسبب الصرع ـ فلقد وجد من فحص ٢٠٠ حالة مصابة بالصرع ، الذى لا يعرف له سبب ، أن هناك ١٧٪ حدث لها اصابة بالمخ وهذه تتراوح بين بسيطة وظاهرة ـ ولقد وجد في مرض الصرع انه كثيرا ما يحدث في أول طفل يولد لانه اشد عرضة لهذه الاصابات اثناء الولادة ـ مما يجعل احتمال الصرع فيه اكثر من اخوته من بعده لانهم اقل عرضة للاصابة منه اثناء الوضع .

ثالثا ـ ومن الأسباب التى تساعد على حدوث النوبات العادة الشهرية قبل حلولها او اثناءها واثناء الحمل ـ والاضطرابات النفسية ـ والحساسية خصوصا عند الأطفال والخوف والهلع والهياج .

أعراض الصرع

وجد ان ثلاثة ارباع الحالات المصابة بالصـرع

غير معروف السبب تكون قبل سن العشرين ، وللصرع اعراض وعلامات شتى تعتمد على البؤرة او المكان الذى تنشأ منه ــ وعلى مدار انتشار التيارات في المخ وتاثير هذا على بقية اجزاء الجسم المختلفة .

ولعل اكثر الانواع حدوثا يقع تحت انواع ثلاثة /

اولا ــ نوبة الصرع الكبرى Grand Mal

ثانيا ــ نوبة الصرع الصغرى Petit Mal

ثالثا ــ صرع الفص الصدغي

Temporal Lobe Epilepsy

اولا ــ نوبة الصرع الكبرى :

في بعض الحالات تكون هناك بوادر لحدوثها كان يحس المريض قبل حدوث النوبة بساعات انه في حالة قلق او اكتئاب او الاحساس بدوار .

وفي ثلاثة اخماس الحالات تحدث علامات أخرى تدل على قرب حدوث النوبة . وتعتمد هذه العلامات على موضع البؤرة التي تبدا منها النوبة، فاذا كانت في الفص الصدغي فانه يحس كأنه غير طبيعي او غير حقيقي ، او ان الاشياء اصبحت كلها ليست غريبة عليه ، والبعض يحس بالهلع والخوف ويجرى هربا ــ او يحس بطعم غريب ، او رؤية اشياء غريبة ، او يسمع اشياء غريبة عليه مع الاحساس بدوار . واذا كانت في الفص الامامي احس بتنميل واخدرار في احد الاطراف او فقدان القدرة على النطق او تقلص في احد الاطراف او طرفين ، او حتى الاطراف الاربعة ، وبعد هذه الاحساسات المختلفة والتي هي بمثابة انذار للمصاب فيمكنه أن يذهب الى موضع آمن حتى لا يكون عرضة للاخطار عند فقدان وعيه .

بعد هذه البوادر يُسْمَع للمريض صيحة عالية يفقد بعدها الوعي ويسقط على الأرض في حالة تيبس تام يفقد فيها التنفس لذا نرى لونه يميل الى الزرقة ــ وتستمر هذه الحالة لعدة ثوان ربما امتدت الى نصف دقيقة لتفسح المجال بعدها لنوبة شديدة من التشنجات تعترى الجسم كله فتنقبض الاطراف وتنبسط ويضغط الفكان على بعضهما ــ ويقطع اللسان اذا حدث وكان بينهما مع نزف شديد منه وربما تجمع وسد مجرى الهواء وحدث له اختناق ــ ويخرج الزبد من الفم ــ وربما يتبول المريض على نفسه دون ان شعر . وتستمر فترة التشنجات الى عدة دقائق ربما تكون شديدة وربما يتعرض المصاب لتهتك بالعضلات أو خلع في المفاصل وربما في الحالات الشديدة الى كسور بالعظام اذا ارتطم بشيء صلب .

وفي بعض الحالات الشديدة لا تكاد تهدأ هذه التشنجات لتزداد مرة اخرى وتعترى المريض نوبات متكررة دون أن يعود الى وعيه وتسمى « الحالة الصرعية » ربما في بعض الحالات تودى بحياة المصاب خصوصا اذا لم يسعف المريض .

وبعد ان تقف هذه النوبات يبقى المريض في حالة فقدان للوعى لفترة قصيرة ربما تطول الى ان تصل الساعة ، وربما حدث في هذه الفترة اعمال لا يحس بها المريض او يتذكرها . وربما عرض نفسه او غيره للخطر في هذه الفترة التي لا يكون فيها بوعيه الكامل ــ وفي بعض الحالات تنتاب المريض نوبات هستيرية او حتى جنونية يقوم فيها باعمال عنف . وعندما يفيق المصاب ويعود اليه وعيه يحس بصداع شديد مع الشعور بالرغبة الى النوم ، واذا ما افاق من النوم عاد كل شيء الى حالته الطبيعية وكان شيئا لم يحدث ويبقى المصاب خاليا من الأعراض الى ان تحدث نوبة اخرى . وتختلف فترة الخلو من النوبات من مريض الى آخر ، ربما كانت وجيزة فتحدث في اليوم مرتين او ثلاث مرات ــ او ربما كان الفارق بينها اياما او اسابيع او شهورا .

ثانيا ــ نوبة الصرع الصغرى

Minor Epilepsy - Petit Mal

وهذه كثيرا ما تحدث في الأطفال في سن مبكرة وهم في المدارس الابتدائية ــ وتظهر على شكل فقدان للوعى لفترة ثوان قليلة لا يشعر فيها المصاب بمن حوله ، ويسقط ما بيده دون أن يدرى ، ولا يسمع ما يقال . وتعتريه هذه النوبات من فقدان الوعى عدة مرات في اليوم مما يؤثر على متابعته للدرس ــ ويتهم هؤلاء المصابون بأنهم كسالى غير منتبهين ، ويكون ترتيبهم في مؤخرة الفصل مما يزيد الامور تعقيدا فيؤثر ذلك في نفوسهم ونفوس ذويهم .

وفي بعض الحالات تتلاشى هذه النوبات لتحل محلها نوبات صرع كبرى أو تتبادل الاثنتان . ويعالج المصاب من النوعين : نوبة الصرع الكبرى ونوبة الصرع الصغرى ــ وتمتد هذه النوبات الى سنوات عدة اذا لم تعالج .

ثالثا ــ الصرع ينبعث من الفص الصدغي Temporal Lob وهو لو قيس بالنوعين الآخرين فهو اقلها حدوثا . ويتميز هذا النوع ببوادر تختلف عن البوادر التي تحدث في النوعين الآخرين.

اهمها الاحساس باضطرابات في منطقة المعدة وبعض الاعضاء الداخلية في البطن وما يصحب ذلك من الشعور بالجوع ـ والغثيان والقيء ـ وعـــدم التحكم في البول ـ ثم اضطرابات في الرؤية فيرى اشياء غريبة ، او الاشياء تبعد وتقترب ـ او تصغر وتكبر ـ او رؤية حيوانات مخيفة وهائجة وغيرها مما يقال عنه « هلوسة الرؤية » او رؤية اشياء غير عادية وكانها عادية . وفي بعض الحالات تكون « هلوسة في السمع » فيسمع اصواتا غريبة مخيفة وغير مخيفة وربما كانت موسيقية . وفي بعض الحالات يشم المصاب روائح كريهة ـ او يرى وهو يتشدق ويمضغ ـ او الاحســـاس باضطرابات في مدى وعيه للاشياء او قيامه في بعض الحالات باعمال لا يدري بها ، كان يفتح بابا او يغلق نافذة او يقوم بحركات منتظمة ، ولا يتذكر انه قام بها . بل وربما سار في طريق لا يدري اين هو ويتخبط على غير هدى . واذا انتقلت الموجات من الفص الصدغي Temporal الى اجزاء اخرى من المخ تسبب عنها فقدان الوعي كلية والدخـول في نوبة صرع كبرى مع التشنجات المعروفة .

تاريخ المـرض

ولا بد لمريض الصرع ان يساعد طبيبه في اعطائه المعلومات الدقيقة لانها بلا شك تؤدي الى معرفة اصل الداء وبالتالي يكون العلاج الصحيح . ولا بد ان يؤخذ في عين الاعتبار النقاط التالية :

١ ـ متى بدأت النوبة الاولى ؟

٢ ـ هل حدثت هذه النوبة اثر حادث او مع مرض شديد ؟

٣ ـ المدة التي انقضت بين النوبة الاولـى والثانية ؟

٤ ـ عدد النوبات ـ ومتى تحدث والمسافة التي تفصل بين النوبة والنوبة التي تليها ـ أي كل يوم او كل اسبوع او كل شهر او كل سنة وهلم جرا ؟

٥ ـ متى تحدث النوبة في الليل ام في النهار ؟

٦ ـ هل للنوبة علاقة بالعادة الشهرية ـقبلها ـ اثناءها ـ ام بعدها ؟

٧ ـ العوامل التي تساعد على حدوث النوبة ـ هل تحدث بعد نوع خاص من الاكل مثلا ـ اثناء مشاهدة التلفزيون او ضبطه ـ اثناء مشاهدة السينما ـ بعد اضطرابات نفسية او اجهاد وهكذا!؟

٨ ـ هل هناك علامات على ان النوبة ستحدث وما هي هذه العلامات وكيف تبدأ النوبة ؟

٩ ـ وصف الحالة من احد اقارب المرضى او ان يكون المريض سمعها منهم ويشرحها لطبيبه .

١٠ ـ هل يعض المريض لسانه اثناء النوبة وهل يتبول على نفسه ؟

١١ ـ المدة التي تستغرقها النوبة ؟

١٢ ـ حالة المريض بعد ذهاب النوبة ـ هل يحس بصداع مثلا ، الرغبة في النوم ـ هل يقوم باعمال لا يدري عنها شيئا ؟

١٣ ـ هل هناك احد مصاب في العائلة بمرضه ، او هل المرض متوارث في العائلة ؟

١٤ ـ هل اصيب المصاب بحادثة في الراس من قبل ؟

١٥ ـ اي امراض اخرى يشكو منها المريض ؟

١٦ ـ هل اخذ علاجا للنوبات وما نوع العلاج اذا كان يعرفه ، والمدة التي استغرقها العلاج ؟

الكشف على المريض

وبعد اخذ تاريخ المرض يأتي دور الطبيب في الكشف على المريض . وهذا الكشف يشمل جميع اجهزة الجسم بما في ذلك الجهاز العصبي لان سبب النوبة في بعض الحالات يكون خارجا عن نطاق الراس . وفي الراس لا بد ان يفحص جيدا لاستبعاد امـراض ظاهرة فيه تكون السبب في حدوث الصرع كوجود تورمات في الغدد الدهنيـة في الكبد او وجود تمددات وتورمات في الاوعيـة الدموية او غيرها من العلامات الدالة على الامراض المختلفة .

الفحوصات

ويأتي دور الفحوصات المختلفة ، ولا يستغرب المصاب لماذا تجرى له الفحوصات على الدم والبول لانه في بعض الحالات تظهر اعراض بعض الامراض في الدم كالزهري مثلا او نقص الكالسيوم في الدم تؤدي في بعض الحالات الى نوبات تشبه الى حد كبير النوبات الصرعية .

ثم تعمل اشعة عادية على الراس لاكتشاف اي علامات تدل على وجود مرض بها ، وبالتالي تؤثر على المخ وتسبب النوبات .

وعمل تخطيط المخ يساعد كثيرا على تشخيص المرض ، ووضعه ، ومدى انتشاره ، ونوعية الصرع ، ومدى استجابة المريض للعلاج . على انه في بعض الحالات القليلة يكون تخطيط المخ طبيعيا وهنا يبرز دور وصف الحالة بواسـطة

المريض. ويكون التشخيص مبنيا على هذا الوصف وفي بعض الحالات يستعين الطبيب باعطاء مريضه عقاقير او يعرضه لضوء يظهر ويختفي بسرعةفيؤدي ذلك الى نوبة او حدوث تغير في تخطيط المخ يدل على وجود المرض .

وفي بعض الحالات التي تحتاج الى ايضـــاح اكثر ربما استدعى ذلك عمل أشعة خاصة للمخ بواسطة المنظار المشعة او بحقن مادة في شرايين المخ تظهر في الاشعة فيتضح الجزء المصاب .

العلاج الوقائي للمرض

هناك نقاط هامة في علاج مرض الصرع لا بد من التقيد بها .

اولا ـ يجب أن يكون هناك التعاون التام بين الطبيب والمريض ، وواجب المريض هو أن ينفذ ما ينصح به الطبيب وتكون الثقة التامة بينهما .

ثانيا ـ العلاج يتطلب وقتا طويلا يتراوح بين ثلاث سنوات وخمس سنوات وربما مدى الحياة .

ثالثا ـ ليس كل مريض مثل الآخر وما يؤثـر على حالة مريض ربما لا يؤثر على حالة الآخر . لذا يجب عدم الاستماع الى نصائح مريض لمريض، والتقيد بالدواء الذي يصفه الطبيب .

رابعا ـ من الواجب الصبر في العلاج ، لان الطبيب سيغير من نوع الدواء او من كميته تبعـا للحالة وربما تعرض المريض اثناء هذه المحاولات الكثيرة الى حدوث نوبات تكون شديدة ، فليس معنى ذلك ترك الدواء او اليأس من العلاج .

خامسا ـ يجب استشارة الطبيب عند زيادة عدد النوبات او تغيرها او تغير الاعراض .

سادسا ـ عند التوقف عن الدواء لا بد أن يكون تدريجيا ، وربما استغرق ذلك سنة على الاقـل لانه اذا توقف العلاج فجأة عادت النوبات .

سابعا ـ يجب أن يكون المصاب آمنا في نفسه وفي المجتمع الذي يعيش فيه فلا يتعرض ويعرض نفسه للمخاطر عندما يصاب بنوبة ، فلا يسمح لنفسه بقيادة السيارات ، ولا يعمل في أمـاكن تعرضه للخطر وتعرض الآخرين له ، كأن يعمل في الات ميكانيكية او كهربائية او مصنع معقد الآلات، ثم في نفس الوقت يجب عليه أن يعيش حيـــاة طبيعية خصوصا عندما يحدث تباعد بين النوبات او تكون النوبات ضعيفةاو لم يحدث فيها مضاعفات كالتأثير على المخ مع فقدان الذاكرة .

ويتبادر الى ذهن كل مصاب بالصرع او لاهله ان يسأل :

اولا ـ هل للمريض أن يمارس الالعاب الرياضية بما في ذلك السباحة ؟

والجواب اننا في هذه الأيام نحاول ان يعيش مريض الصرع حياة طبيعية على ان يكون فيها شيء من الحيطة ، فلا يعرض نفسه للالعاب الخطـرة كالملاكمة او المصارعة ، واذا سبح لا يقفز عن عل خوف اصطدام رأسه وحدوث النوبة وهو تحت الماء . ولكن يمكن مزاولة الالعاب الرياضية الاخرى شريطة عدم الاجهاد او تعرض رأسه للاخطار . ويستحسن أن تكون العابه مع فريق حتى اذا حدثت النوبة اسعف وابعد عن الخطر .

والسؤال الثاني ـ هل يتعلم المصاب بالصرع العلم في مدارس خاصة أو مع أشخاص عاديين ؟

لا بد أن يتعلم ولا يعزل عن زملائه . فلقد وجد بالتجربة انه اذا عزل المصابون بالصرع في مكان واحد تربت عندهم عقدة نقص تؤثر في حياتهم مستقبلا ، علما انه في معظم الحالات مع العـلاج ومرور الوقت ربما شفي المصاب شفاء تاما . من هنا كان يجب أن يترك على طبيعته مع زمـلائه حتى لا يتغير عليه وجه المجتمع الذي يعيش فيه. ويجب أن يعرف مدرسوه واقرانه بحالته ويسعفوه عند الاصابة بالنوبة دون ان ينكروا عليه حدوثها بل يهونوا عليه امره .

ثالثا ـ هل يتزوج المصاب بالصرع ؟

نعم يمكنه ان يتزوج ويستحسن أن لا تكـون مصابة بصرع او أن احدا في عائلة الزوجة مصاب بالصرع ، حتى لا تدع الفرصة اقوى في ان يرث الاطفال المرض .

رابعا ـ هل تحمل المصابة بالصرع ؟

نعم يمكنها ان تحمل على أن تلاحظ اثناء الحمل لانه في معظم الحالات تغير كمية الدواء اللازمة حتى لا تتكرر النوبات اثناء الحمل .

خامسا ـ هل هناك حمية خاصة لمريض الصرع ؟

لا توجد حمية خاصة فليأكـــل كل ما يريد وليحرص أن يبتعد عن الأطعمة التي تسبب له الحساسية اذ انها تكون في بعض الاحيان مشجعة على حدوث نوبة ، ولا يكثر من الاطعمة الدسمة .

سادسا ـ قيادة السيارة ؟

هناك بعض الدول تمنع المصاب من قيادة السيارة ما دامت تعتريه النوبات ويسمح له بالقيادة بعد

مرور سنتين على آخر نوبة . ولعل ذلك أسلم طريقة لكي يحافظ المصاب على نفسه وعلى غيره .

الدواء

العلاج ساعة النوبة ـ يبعد المريض عن المواضع الخطرة وأن يوضع بين الفكين ما يبعدهما ويبعد الأسنان بالتالي من أن تقطع اللسان ، وذلك بوضع قطعة خشب ملفوف عليها قطعة قماش مثلا ـ

ونحاول أن نسند الاطراف حتى لا تكون التشنجات قوية تساعد على خلع المفاصل ، وكذلك يفك ما حول الرقبة من اربطة تعوق التنفس . وليعلم من يشاهد المريض في النوبة أنها تأخذ وقتهـــا المحدد ولا شيء يوقفها فلها حد محدود تقف عنده . واذا كانت النوبات كثيرا ما تحدث في الليل فلينم المصاب على الارض خوفا من سقوطه من علـــى السرير واصابته . وليلاحظ أهل المصاب اذا حدث وتتابعت النوبات دون أن يفيق فمعنى ذلك أنه سيصاب بما يسمى بالحالة الصرعية . ويجب أن ينقل المريض فورا الى أقرب مستشفى لعلاجه لان علاجه المبكر يقيه من المضاعفات التي ربمـــا سببت له الوفاة ، والعلاج بين النوبات يعتمد على نوع الصرع ففي حالات نوبة الصرع الصغرى تعطى اقراص الزاروتين Zarotin أو تركســيدون Troxidon وفي نوبة الصرع الكبرى تعطي أقراص فينوباربريتون Phinobarbriitone أو ابانيتون Epanutin فان اوقفت النوبات استمر علـى واحد منهما أو أعطى الاثنين معا ، وان لم تقـف النوبة استبدل أحدهما باقــراص ميســولين Mysoline . وفي بعض الحالات لا تقف النوبة ويمكن استعمال اقرص اسبالوت Ospolot . ومن هنا يتضح أهمية تردد المريض على طبيبه وخصوصا في بدء العلاج ليحدد ويعرف الدواء الذي يستجيب له ويوقف النوبات اذ ان كل شخص يختلف عن الآخر في نوع وكمية الدواء التي تؤثر فيه .

وكذلك ليعرف الطبيب اذا كان للدواء مضاعفات اثناء العلاج . فكل من هذه الادوية له مضاعفاته الخاصة ويمكن معالجتها بانقاص الكميـــة أو استبدال الدواء . لذا نرى أنه من الواجب في بادىء الأمر أن يتردد المريض كل اسبوعين أو ثلاثة على الطبيب ، فاذا عرف العلاج والكمية اللازمة منه قل تردده على طبيبه . ويستمر العلاج حسب ما يرى الطبيب والى أن تتوقف النوبات ويمر على آخر نوبة ١٨ شهرا . فاذا عادت النوبات للظهور استمر العلاج . وعندما يقتنع الطبيب أن المريض قد شفي يأخذ في انقاص الدواء تدريجيا وعلى فترة طويلة وربما امتدت الى سنة . وفي بعض الحالات يستعين الطبيب بتخطيط المـــخ ليعـرف مدى تأثر المريض بالعـــلاج وهل يوقف العلاج أم يستمر ؟

لذا كانت أهمية التعاون الدقيق بين المريض والطبيب حتى يتغلبا على المرض . فكم من مريض لام طبيبه بأنه لم يوفق في استئصال الداء ، والسبب في ذلك عدم صبر المريض ، وتركه العلاج من تلقاء نفسه دون استشارته للطبيب .

ولعل المريض يسمع أن فلانا كان مصابا بالمرض واجريت له عملية على المخ وشفي تماما ، ونحن لا ننكر أن لجراحة المخ دورا في علاج الصرع ، ولكن هذا في حالات قليلة جدا . فيكون في الحـــالات الصرعية التي لها سبب مثل ورم بالمخ حميـــد ضاغط على المخ ، أما في حالات الصرع الذي ليس له سبب ظاهر فقد أجريت عمليــة على الفص الصدغي Temporal Lobe عندما وجد أن النوبات تكون شديدة ولم يؤثر فيها العلاج الدوائي . واستئصال البؤرة التي يندلع منها المرض ربما قضت عليه . وكانت النتائج مرضية في بعض الحالات وفي بعضها لم يحرز ذلك نجاحا ملحوظا مما اضطر المريض الى أن يرجع للعلاج الدوائي مرة أخرى كما لو كانت لم تجر له أي عملية ، من هنا يتضح أن العلاج الدوائي ما يزال العلاج المستحب في مثل هذه الحالات شريطة الاستمرار والصبر .

وهكذا أخذ الطب الحديث بين يديه مريض الصرع بعد أن كان مشردا ولعنة السماء والشر قد لبسته فكان منبوذا ، أو يقيد بالحديد ويلقى به في غياهب السجن ، أو يكوى بالنار على الرأس ، أو يضرب على رأسه لعل الشيطان يتركه ، أو يفصد دمه من رأسه لان الابخــرة السوداوية والصفراوية ، كما كانت تسمى تلك الأيام تسبب له هذا المرض . أقول أخذه الطب الحديث وهيأ له أسباب العلاج والموضع الذي يجب أن يكون فيـه عضـوا عاملا في المجتمع تحت رعايـة طبية حكيمة تضمن له السلامة والعيش الرغيد .

■■

د. محمد أبو شوك

الشريف الإدريسي

وخريطته المشهورة وكتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

بقلم : حسن الامين

■ عندما نجا ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن ابى طالبٌ من مجزرة « فخ » الرهيبة لم يكن احد يحسب انه سيكون لنجاته مثل هذا الشان الذى صار لها .

ولكن ادريس استطاع ان يجعل لنجاته شانا تاريخيا كبيرا امتدت آثاره عدة قرون ، وعاد على العرب والمسلمين بالخير الكثير .

وليس القصد من هذه الكلمة تدوين ماقام به ادريس ثم اعقابه من نضال مستميت في سبيل نشر الاسلام في افريقيا، وتوطيد قدم العروبة فيها، فذلك له مكان آخر غير هذا المكان .

الرحالة الادريسي

ونقصر القول في هذه الكلمة على رجل من رجال الادارسة شهير كغيره ذلك الشريف الادريسي .

كتب على الشريف الادريسي ان يفارق وطنه سبتة فيرحل طورا الى الشرق وطورا الى الغرب ، ولا شك ان هذا الترحال قد افاده بعد ذلك في عمله الجغرافي الكبير ، وكان له منه معوان في استجلاء الكثير من الحقائق التى اثبتها ، سواء في كتابه او خريطته .

وقد عبر عن غربته الطويلة وتنقله بين البلاد ، وحياة القلق التى كان يحياها بين حل وترحال بهذه الابيات الجميلة :

ليت شعرى اين قبرى ؟
ضاع في الغربة عمرى
لم ادع للعين ما تشـ
ـتاق في بر وبحر
وخبرت الناس والار
ض لدى خير وشر
لم اجد جارا ولا دا
را كما في طى صدرى
فكأنى لم اسر الا
بميت او بقفر .

واخيرا ينزل صقلية موطن ابائه ويعود الى الارض التى كان نزح عنها اسلافه ، حيث كان لايزال من الحموديين جماعة في صقلية ، نزحوا اليها بعد زوال سلطانهم في الاندلس ، وتفرقهم في البلاد . واذا كان الادريسي ينزل صقلية هذه المرة ليقيم فيها ، فقد كان قد طرقها من قبل في طريق عودته من المشرق ، ونزل على اقربائه الحموديين فيها . اما هذه المرة فقد جاءها مجيبا دعوة حاكمها رجار الثانى كبير النورمان ، ليقوم بعمله العلمي الضخم، متفرغا له تفرغا كاملا ، محاطا برعاية رجار وتشجيعه.

رجار والادريسي

كان رجار الثانى معنيا بالجغرافية ، محاولا الوصول الى ادق المعلومات فيها . ولم تكن وسائل الوصول الى هذه المعلومات ميسورة في ذلك الحين، فكان يستدعى اليه العلماء الباحثين مستعينا بما يعلمونه ، مدونا ما يصل اليه من الحقائق . وكان الى جانبه في كل ذلك الشريف الادريسي ، يحاور ويساجل ، حتى انقضت خمس عشرة سنة تجمع في خلالها الكثير من المعلومات ، واصبح لدى الادريسي من المادة ما يستطيع معه ان يباشر العمل في خريطته العتيدة .

ولم يقتصر عمله في بلاط رجار على الخريطة

وحدها ، بل كان انتاجه في تلك الفترة خصبا متنوعا ، لا يزال حتى اليوم وسيظل الى ما بعد اليوم مثار الاعجاب . ومن المؤسف انه قد ضاع في غمار الزمن جزء مهم مما حققه الادريسي من الاعمال،ذلك اننا عرفنا مما ذكره ابو الفداء انه كان له كتاب الممالك والمسالك ، كما عرفنا من غيره ان هذا الكتاب الف لا لرجار نفسه بل لولده (ولهلم) الذى حكم من سنة ١١٥٤الى سنة ١١٦١.

وفيما عدا الجغرافية ، الف كتابا ممتعا في علم النبات سماه (جامع اشتات النبات) يصفه الشيخ محمد رضا الشبيبي بانه يورد فيه اسماء النباتات في لغات عدة قد يوصلها الى اكثر من عشر لغات .

ويقول الشبيبي : ومن هذا الكتاب يستنتج ان الادريسي حاذق في علم النبات والمواليد وعلوم الطبيعة والطب ، اكثر من حذقه في ناحية الجغرافية والبلدانيات. والكتاب يدل على علم واسع وتحقيق بالغ ، وهو من المخطوطات النادرة .

اما قمة تاليفاته الجغرافية فهو كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى كان شرحا للخريطة وتعليقا عليها . ويقع الكتاب في جزءين كبيرين . ويقول محمد عبد الله ماضى : انه اختصر فيما بعد تحت الاسم عينه ، وانه اطلع على نسخة من هذا المختصر في مكتبة المعهد الشرقى بهامبورغ ، مطبوعة في روما سنة ١٩٥٢ .

خريطة الادريسى اول خريطة

سبق خريطة الادريسى العالمية خريطة « تعود الى عهود قياصرة الروم ، لها من العمر ضعف ما لخريطة الادريسى اذ وضعت في العام ٣٦٥م وعرفت باسم خريطة (بوتينجر) ، ولكنها خريطة محدودة الفائدة ، لم يقصد بها الا بيان طرق المواصلات ، وقد زالت المدن التى ورد ذكرها فيها ولا يعرف لها اليوم من اثر . وهناك خريطة لبطليموس تسبق خريطة الادريسى بالف عام ولكن ليس لها شمول خريطة الادريسى ، اذ ان غاية ما يستفاد منها هو ان تعطى فكرة عامة عما كان عليه العالم القديم .

تصور الادريسى للارض

الارض في تصور الادريسى تختلف عما شاع عنها في اواخر القرون الوسطى من انها مسطحة تقوم على سطح الماء ، فالادريسى يتصورها كرة بيضاوية الشكل ، محاطة بالماء من كل جانب ، حيث يغمر الماء نصفها وينحسر عن النصف الآخر ، وينقسم هذا النصف الى قسمين : شمالى هو وحده المعمور ، وجنوبى غير معمور ويفصل بينهما خط الاستواء .

وبناء على هذا التصور وضع الادريسى خريطته فشملت القسم المعمور وحده . ومن البدهي ان نقول انه لم يقسم الارض حسب التقسيم الذى نعرفه في هذا العصر ، اى الى القارات الخمس المعروفة ، لان بعض هذه القارات لم يكن معروفا يوم ذلك ، كامريكا واستراليا ، كذلك فان هذا الاصطلاح لم يكن معروفا وانما اخذ به بعد ذلك ، ولكن الادريسى اخذ بتقسيم الارض الى اقاليم سبعة ، على ماكان مصطلحا عليه يومذاك .

ويقول محمد عبد الله ماضى : « ومما يذكر للادريسى بالاعجاب والفخر انه حاول بتقسيمه الارض الى الاقاليم السبعة اثبات درجات العرض وتحديدها ، وانه افلح في محاولته هذه الى حد بعيد ، يجعل علماء الاختصاص في الوقت الحديث يطاطئون الرأس له اعجابا وتقديرا » .

البحار

لم يكن اصطلاح (المحيطات) معروفا فى تلك العصور باستثناء المحيط الاطلسى ، فان تلك المحيطات لم تكن تذكر على اساس كونها بحارا محيطة ، وذلك لان بعضها مثلا لم يكن معروفا اصلا كالمحيط الهادى ، وبعضها الآخر كان ينظر اليه على انه بحر مثله مثل كل البحار كالمحيط الهندى.

اما المحيط الاطلسى فقد كان وحده الذى ينظر اليه نظرة فيها الكثير من الرهبة والتوجس ، والتطلع الى المجهول المخيف . ومن هنا اطلقوا عليه اسم (بحر الظلمات) وحسبك بهذه التسمية دليلا على شدة هذا البحر وتوغله في الشمول والاحاطة . ولا احسب ان المقصود بالظلمات هنا : الظلمات المادية وحدها التى كان يقرن بها هذا البحر يومذاك بل ربما كان المقصود ايضا الظلمات المعنوية التى تعنى جهل حقيقة ما وراءه ، وما يخفيه من عوالم ليس من المستطاع معرفة كنهها .

لذلك افرد هذا البحر وحده ، واطلق عليه هذا الاسم ، ولم يدخل في تقسيمات البحار الاخرى التى اعتمدها الادريسى ، اذ قسم البحار الى سبعة : ثلاثة منها متفرعة من بحر الظلمات او مما تفرع عنه ، وهى : بحر الشام او بحر الروم (المتوسط) وخليج البندقية (الادرياتيك) وخليج بنطس (الاسود) . ثم بحر الهند (المحيط الهندى)

او البحر الفارسي ، وبحر السويس او بحر القلزم (الاحمر) المتفرعان من بحر الهند .

والبحر السابع بحر لا يتفرع من غيره ولا يتصل باى بحر هو بحر قزوين (الخزر) . اذن فهذه بحار سبعة على عدد الاقاليم السبعة ، وهى التى اعتمدها الادريسي في خريطته .

على انه لا بد لنا من القول ان الادريسي لم يقتصر في تقسيمه للاقاليم على عدها سبعة ، بل انه قسم كل واحد من هذه السبعة الى عشرة اقسام متساوية وبذلك اصبحت الاقاليم سبعين اقليما .

نزهة المشتاق

ولاجل شرح كل ذلك وجعله واضحا كل الوضوح ولاجل الوصول الى الغاية التى وضعت من اجلها الخريطة – وهى تعميم المنفعة والوصول الى الحقيقة ، والازدياد في المعرفة ، – لاجل ذلك وضع الادريسي كتابه العظيم (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ليكون دليلا للخريطة ، ومرشدا للمستطلع فيها . لهذا رأينا الادريسي في كتابه يتحدث عن الاقاليم السبعين حديثا مطنبا ، ويصف مواقعها وصفا دقيقا ، ويحدد اماكن الجزر والبلاد ويدل عليها ، ويشير الى الجبال والانهار فضلا عن المدن . وعدا هذا يتكلم عن الدول في كل اقليم ، وعن السكان واجناسهم ، ولا يهمل تقاليدهم وعاداتهم . كما لا يهمل ذكر ما عرف به الانسان من نبات وحيوان ، وما في ذلك من منافع طبية او خصائص طبيعية . واذا كان الادريسي – كما قال عنه الشبيبي – حاذقا في علم النبات والمواليد والطبيعة والطب – فان هذا الحذق لم يتجل في كتابه (جامع اشتات النبات) وحده ، بل لقد تجلى كذلك في (نزهة المشتاق) تجليا بينا واضحا.

وعلى ما وصف به (نزهة المشتاق) فان العسير العسير تلخيصه ، واظهار واقعه في سطور محدودة ، وهو « كتاب ضخم في جزءين كبيرين الحجم » كما قيل عنه .

الخريطة الفضية

اراد رجار ان يكون عمل الادريسي عملا ثابتا دائما ، فتفتق ذهنه عن طريقة يحفظ بها الخريطة حفظا مستمرا ، فلا يذهب بها كر الايام وتعاقب السنين ، فاشار بان تحفر الخريطة على لوح من الفضة ، وعهد الى الادريسي بانجاز ذلك بعد ان وضع بتصرفه مقدار اربعمائة الف درهم فضية – كما يروى خليل الصفدى – وامده بامهر الصناع . ولكن الادريسي لم يحتج من الفضة الا اقل من ثلث المبلغ حتى خرجت الخريطة الفضية في شكل مائدة مستطيلة قدر طولها بثلاثة امتار ونصف المتر وارتفاعها بما يقرب من المتر ونصف المتر ، – على ما يروى محمد على ماضى عن « ميلر – » وانتهى العمل بها كله في العام ١١٥٤م . وبعد ستة اسابيع من انجاز ما اراد رجار الثانى انجازه – سواء في الخريطة او الكتاب او المائدة الفضية – مات رجار .

واذا كان هذا قد اراد حفظ الخريطة فاشار بصنع المائدة الفضية ، فان الامر كما قال الشاعر: (وتقدرون فتضحك الاقدار) . ذلك انه في عهد ولهلم ابن « رجار الثانى » وبعد وفاة رجار بست سنوات (١١٦٠) هاجم الثوار القصر الملكى فكان نهب الناهبين ، وكان فيما نهب : المائدة الفضية التى كسرها الناهبون واقتسموها فيما بينهم مغنما ماديا تافها ، وقضوا بفعلتهم على ذلك المجهود العلمى الفنى الرائع . وبذلك لم تسلم الا خريطة الحائط والا خريطة الكتاب الموزعة في القطع السبعين حسب الاقاليم السبعين. ثم فقدت خريطة الحائط فلم تعرف بعد وظلت خريطة الكتاب. وهى الخريطة التى نظم اجزاءها وجمع قطعها المستشرق الالمانى « كونراد ميلر » ثم طبعها لاول مرة سنة ١٩٢٨ طبعة ملونة فاخرة .

لقد ظلت خريطة الادريسي المرجع الوحيد لكل المؤلفين في الجغرافيا ، فعليها اعتمدوا ومنها استمدوا .وظلت نبراسا للعاملين في هذا المجال .

وما اجدر الادريسي هذا العالم العامل بالاشادة به ، والاشارة اليه ، كواحد من انجب من انجب العرب في كل العصور . وما احرى علماءنا الجغرافيين في هذا العصر بان يدعوا للتعريف به ، والاحتفال بذكراه ، ووضع الدراسات المفصلة عن عمله العلمى الكبير .

ولا اعرف احدا عنى بذلك عناية الاستاذ محمد على ماضى في بحث ممتع له في مجلة الرسالة القاهرية في عهد ازدهارها وتوسع انتشارها . كما ان المستشرق الالمانى كونراد ميلر كان صاحب الفضل الاول في كشف الغبار عن خريطة الادريسي وبعثها من مرقدها ونشرها في كل مكان . ■■

بيروت – حسن الامين

أرقام الحساب

نكتبها فى المشرق العربى: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ الخ
ونكتبها فى المغرب العربى: 1, 2, 3, 4, 5, 6 الخ

فأيهما كان أسبق فى التآليف العربية عبر القرون

■ ١ - جرى الاجماع على ان الارقام التى تستخدمها الكثرة من العرب هي ارقام هندية الاصل ، سواء ما يكتب الآن منها بطريقة ١،٢، ٣ .... وما يكتب بطريقة (1,2,3 ...) .

٢ - اقدم استعمال للارقام كان عن طريق الخوارزمي محمد بن موسى المتوفى في الثلث الاول من القرن الثالث الهجرى ، الموافق النصف الاول من القرن التاسع الميلادى ، وقد ألف كتبه بالارقام ١ ، ٢ ، ٣ الخ ..

٣ - جاء في الفهرست المؤلف في القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى - صورة للارقام على سذاجتها وهذه هي صورتها .

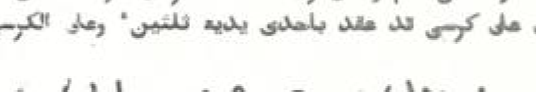
٤ - نقلت هذه الارقام الى المغرب ودخلت الى اوربا في القرن العاشر كما في موسوعة لاروس الكبرى وتغيرت كثيرا من القرن العاشر الى الآن .

وتقول الموسوعة ان الارقام ١ ، ٢ ، ٣ .. هي ارقام العرب الشرقيين وان الارقام (1.2.3 ...) هي ارقام العرب الغربيين ، ثم تقول ، وهذه الارقام (1.2.3) لا يزال اصلها مجهولا تماما رغم الافتراضات والتخمينات .

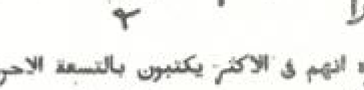
٥ - المخطوطات العربية القديمة التي بين أيدينا لم تستعمل ارقاما الا في القليل حتى القرن السادس الهجرى .

الكلام على السند

هولاء القوم مختلفى اللغات مختلفى المذاهب ولهم اعلام عدة قال لى بعض من يجول بلادهم ان لهم نحو مائتى قلم والذى رأيت صنما صفرا فى دار السلطان قيل انه صورة البد وهو شخص على كرسى قد عقد باحدى يديه ثلثين* وعلى الكرسى كتابة هذا مثالها



وذكر هذا الرجل المقدم ذكره انهم فى الاكثر يكتبون بالتسعة الاحرف على هذا المثال



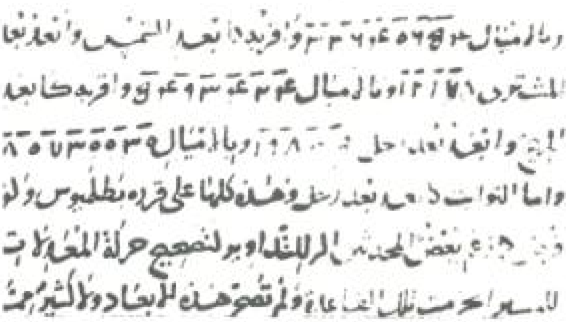
وابتداوه ا ب ج د ه و ز ح ط* فاذا بلغ الى ط اعاد الحرف الاول ونقطه تحته على هذا المثال



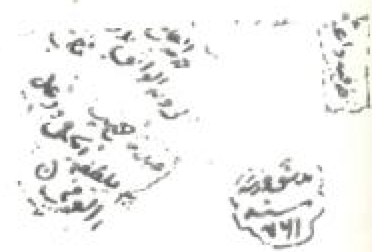


٦ ـ هذه صورة غلاف مخطوطة كتاب ، منتخب الالفاظ عليه رقم في سنة ٥٣٨ اى في القرن السادس الهجرى ، ويقابله في الميلادى منتصف القرن الثاني عشر الميلادى .

٧ ـ وغلاف كتاب التكملة عليه الرقم سنة ٦٥٧ وهو القرن السابع الهجرى يعادل القرن الثالث عشر الميلادى وهذه صورة من كتاب زبدة الادراك المكتوب سنة ٦٧٩ هجرية القرن الثالث عشر الميلادى .



٨ ـ صورة من تاريخ على غلاف مخطوطة، رسالة الجاحظ في مدح الكتب . بها ختم بدمشق سنة ٧٦١ هجرية .

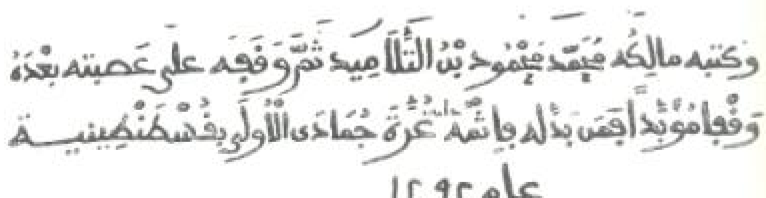


٩ ـ صورة من مخطوط حديث مغربي الخط منذ مائة عام بخط الشيخ الشنقيطي ومع هذا فهو مؤرخ بطريقة الارقام ١ ، ٢ ، ٣ ويلاحظ في الخط المغربي ان الفاء تكتب بنقطة من اسفل « ڢ » وان القاف تكتب بنقطة واحدة من أعلى « ڧ » .

١٠ ـ سميت الطريقة (1.2.3) الطريقة الغبارية . والمؤلفون بها من بلاد المغرب العربي منهم الحصّار المتوفى ١٢١٤ ميلادية ، ابن ياسمين المتوفى ١٢٠٤م وابن البنا المتوفى سنة ١٣٢١م وعلي القلصادى المتوفى سنة ١٤٨٦م .

١١ ـ بين المؤلف الاول وهو الخوارزمي في القرن التاسع الميلادى وبين ابن ياسمين في آخر القرن الثاني عشر أكثر من ثلاثة قرون ، أما القلصادى فمتاخر عن الخوارزمي سبعة قرون . ■■

عبد الستار فراج





قوة عربية جديدة ولدت في وطننا العربي .. انهم الفنانون التشكيليون العرب .. وهؤلاء مجموعة منهم يمثلون ١٦ دولة عربية يتحدثون عن مشاكلهم في مقر الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ..

استطلاع الكويت

مَوْلِدُ الفَنِّ العَرَبِيِّ المُعَاصِر

استطلاع
سليم زبال

تصوير
اوسكار مترى

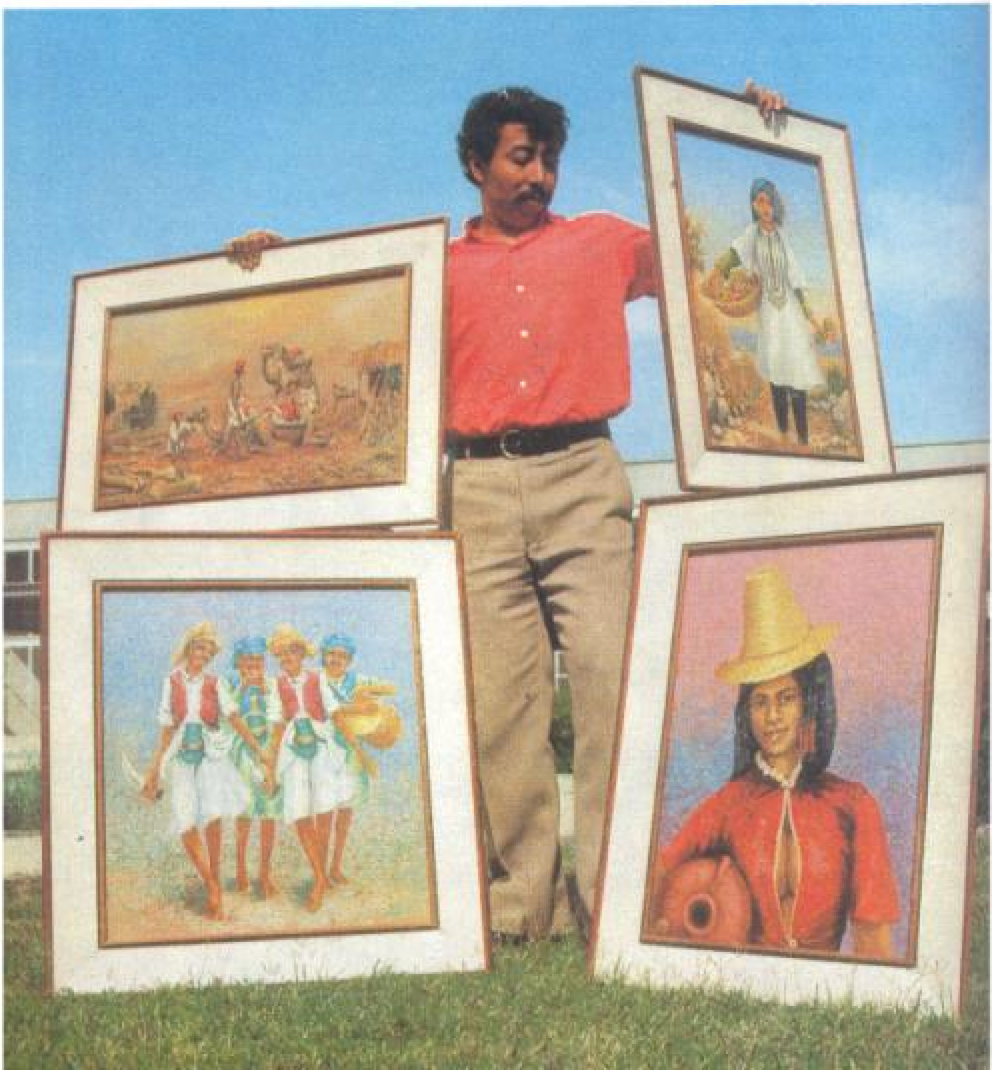


الفنانون العرب لمّوا شملهم ، وبذلك نجحوا

احاديث صريحة عن مشاكل الفنانين فى الدول العربيـــة

نحن اميون لاتجاه القراءة وحدها ، ولكن تجاه الفنون

الى اسفل : لاول مرة تشترك الجمهورية العربية اليمنية ، في معرض فني عربي وهذا هو الفنان هاشم على عبد الله واقفا بين لوحاته الاربع ، التى صادفت اعجابا زائدا من زوار معرض الكويت ، خاصة وان الفنان اليمنى تعلم من الطبيعة فقط .. ويوجد حاليا في اليمن ٦ فنانين تشكيليين ، وبدأ جيل فني بسيط يظهر في مدارس اليمن ..



■ ماذا يكون شعورك عندما ترسل الف بطاقة دعوة ، فلا يلبي دعوتك الا اربعة أشخاص ؟ مرارة تصيبك في الصميم ، وتجعلك تشعر بان صلتك بمدعويك مقطوعة تماما ..

هذا المثل يعكس لنا تماما ماساة الفن والجماهير في معظم أجزاء وطننا العربي الكبير ..

الفنان في واد .. والجمهور في واد اخر .. يقيمون له المعارض ويرسلون له الدعوات فلا يحضر أحد .. وهكذا نشأت بين الفنان العربي والجماهير حالة من البرود ، تصاعدت في بعض الأحيان الى ما يشبه العداوة الخفية .. منشأها اللوحات التجريدية السريالية التي يرسمها بعض الفنانين .. يقف أمامها المواطن العربي العادي ، فيشرد ذهنه ، وينتابه شعور غريب .. شعور بأن هذه اللوحات تشكل له تحديا فكريا وذهنيا ، يثيره ويملأ حفيظته بما يشبه العداء لهذه الألوان المتشابكة ، ولهذا الفنان « المخطرف » الذي خلطها بهذا الشكل المنفر !!

الخطوة الأولى ..

ورغم هذه الجفوة لم ييأس فنانونا العرب ، بل تابعوا نشاطهم ، مؤمنين برسالتهم في نهضة أمتنا .. ولكن فرقتهم كانت عقبة في سبيل غايتهم ، فتداعوا واجتمعوا في دمشق ، ونجحوا حيث فشل فيه غيرهم ، اذ انبثق عن اجتماعهم مولد «الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب » ، الذي شهد النور مع نهاية عام ١٩٧١ .

وقبل أن نستطرد يحسن أن نوضح معنى كلمة « الفن التشكيلي » انها كلمة عامة ، وتشمل الرسم بالزيت وغير الزيت ، والتصوير الفوتوغرافي والنحت ، والحفر ، وما يتفرع منها في مجالي الخلق والابداع ..

اهداف الاتحاد ..

وحدد اتحاد الفنانين الوليد أهدافه في سبعة نقاط **اهمها** : العمل عن طريق الفنانين العرب على تأكيد شخصية الانسان العربي المعاصر وحريته للمشاركة في العطاء الحضاري ، في مجال الفنون التشكيلية ..

ومن الأهداف الاخرى : تقديم الفن العربي المعاصر ونشره على الصعيد العالمي .. تعميم الثقافة

الى اسفل : الهادي التركي .. فنان من بين ٧٠ فنانا تونسيا محترفا ، يحمل بيده اليمنى لوحته التجريدية« عند غروب الشمس »وباليد الاخرى لوحة « سوق الحيوان » ، للفنان الكبير عمر فرحات ، وللحكومة التونسية ثلاثة مراسم بالحي الفني بباريس ، ترسل اليها ثلاثة من فناني تونس سنويا .



الى اسفل : على ارميص .. فنان من ليبيا جاء مع عشر لوحات من بلاده من صنع سبعة فنانين ليبيين .. تميزت كلها بالزخرف بعيدا من رسم الانسان .. ويقول الطاهر : ان الفنان هو الذي يؤثر في صياغة الأشكال الموجودة ، ويعطيها الشكل المناسب ، تطورا مع الزمن ، وانطلاقا مع القواعد العلمية الصحيحة للعمل .



الفنية بين الجماهير العربية .. ازالة الحواجز التى تحول دون تنقل الاعمال الفنية والفنانين بين اقطار الوطن العربى الكبير .

الكويت تتبنى الخطوة الثانية

بعد مولد اتحاد الفنانين ، تبنت الكويت الخطوة الثانية ، فدعت فنانى ١٨ دولة عربية ليعرضوا منجزاتهم فيها .. وحضر الفنانون من ١٦ دولة ، ولم تحضر دولة الامارات المتحدة ، ولا سلطنة عمان لعدم وجود فنانين فيهما ..

جاء الفنانون الى الكويت ومعهم ١٦٥ لوحة وتمثالا (١٥٤ لوحة و١١ تمثالا) ، عرضوها في معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب .. انه اول معرض عربى تشترك فيه ١٦ دولة عربية .. لقد قررت الكويت اقامته مرة كل سنتين ، وذلك في نهاية شهر مارس ..

وعن هذا المعرض حدثنا الاستاذ خليفة القطان رئيس جمعية الفنون التشكيلية الكويتية ، قال :
« نبعت فكرة اقامة هذا المعرض ليصبح على غرار المعارض الدولية التى تقام في العواصم الاوربية مرة كل سنة او سنتين أو ثلاث .. والسبب أنه لم تكن في وطننا العربى أى معارض للفنانين التشكيليين العرب .. وقد اقمنا أول معرض بعد تأسيس جمعيتنا الكويتية في عام ١٩٦٩ وكان بشكل بدائى ، وبامكانيات الجمعية المحدودة ، وقد وجهت الدعوات في ذلك الوقت عن طريق السفارات العربية في الكويت ، فاشترك في المعرض الاول سبع دول عربية ، وكان اسمه « معرض السنتين للفنانين العرب » .. واقمنا معرضنا الثانى في عام ١٩٧١ واشتركت فيه ٦ دول عربية ، أما في هذا العام ١٩٧٣ فقد قامت دولة الكويت بتحمل مسئولية المعرض ، اذ تولت وزارة الخارجية الكويتية عملية ارسال الدعوات ، عن طريق سفاراتها ، الى حكومات الدول العربية جميعا ، تستضيف فيها فنانا من كل بلد عربى ليشترك في المعرض الذى ابدلنا اسمه الى « معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب » .

« ان هذا المعرض يعتبر حدثا فنيا تاريخيا عربيا ، اذ اجتمعت فيه لوحات تمثل فن ١٦ دولة عربية .. وهذا شيء عظيم في حد ذاته ، اوحى الينا بأفكار كثيرة سنعمل على تطبيقها في معرضنا القادم عام ١٩٧٥ .. »



اشترك العراق بتسع لوحات في معرض الكويت ، مرسومة بالزيت و « الجواش » والاحبار والقصاصات .. تدل على مدى التقدم الفني الكبير الذى احرزه فنانو العراق

متاعب الفنان العربى

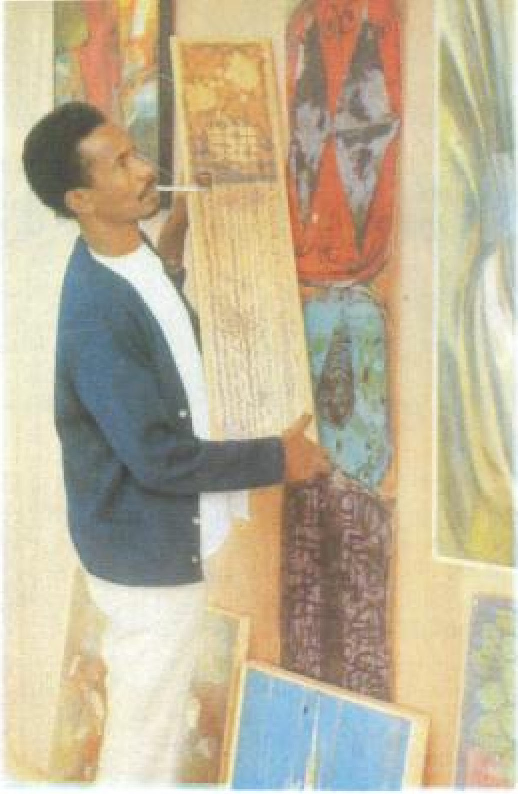
ومع اللوحات والتماثيل حمل الفنانون العرب الى الكويت امالهم والامهم وامانيهم .. واجتمعوا لمناقشتها بقاعة جمعية الفنون التشكيلية الكويتية .

واجتمعنا معهم جميعا ، وانطلق الحديث عن متاعب الفنان التشكيلى العربى ، فوجدنا أن متاعب هذا الفنان تكاد تتشابه في جميع اقطارنا العربية ..

واولى متاعب هؤلاء الفنانين العرب هى حاجتهم الماسة الى معرفة بعضهم بعضا .. وجهلهم بمعالم وطنهم العربى الكبير ، وعدم وجود امكانيات تتيح لهم فرصة التجول وتسجيل روائع هذا الوطن .. **ومن مشاكلهم** حاجتهم الى زيادة دعم الجامعة العربية والجهات الرسمية المسئولة لهم : تشجعهم وتقيم لهم قاعات العرض والمتاحف الفنية ، وتشترى منهم انتاجهم حتى لا يتكدس .. لا أن تفرض عليهم قيودا ، مثل ضرورة الرسم من البيئة المحلية فقط ، ان هذا القيد البسيط في حد ذاته ، يعتبره الفنان عملية قتل لوحته وابداعه .

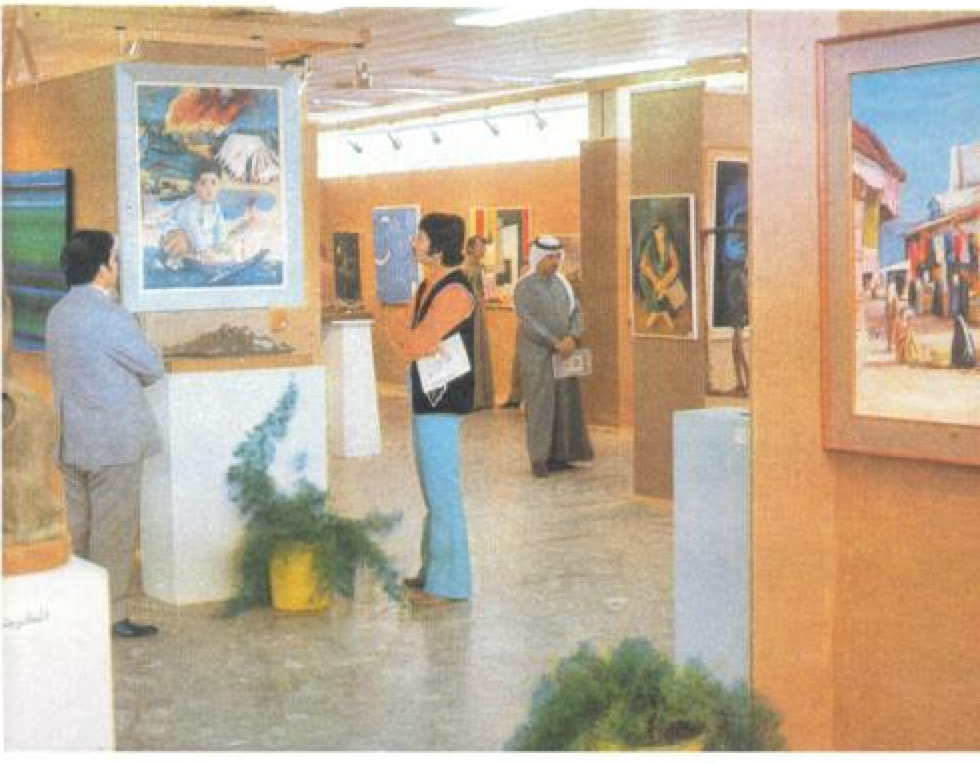
ومن متاعب الفنان العربى انه يضطر الى أن

الى اليمين : بكرى بلال .. فنان من السودان ، جاء ممثلا لعشرين فنانا تشكيليا سودانيا مؤهلا يضمهم اتحاد الفنون الجميلة السوداني .. والفنان السوداني مرتبط ارتباطا وثيقا بالطبيعة، وعندما نقصت مواد الرسم في السودان بعد حرب حزيران ، اتجه الفنانون الى الرسم بالحناء وحرق الخشب بأسلوب فني جميل .



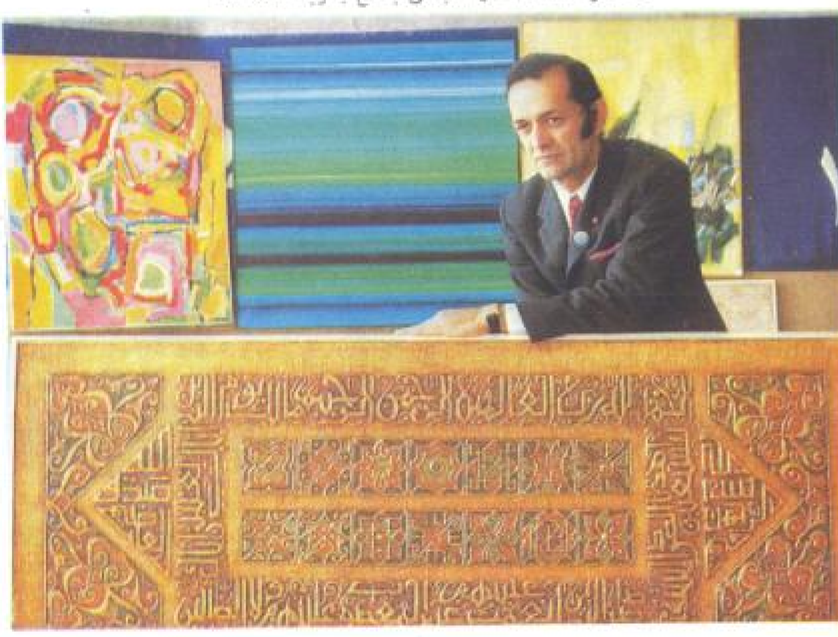
الى اليسار : أربعة من فناني الكويت، مع لوحاتهم ، وتمثال «الشقيقان» .. ان الفنان الكويتي يسجل بريشته مناظر شعبية محلية ، بدات تزول امام زحف المدنية الحديثة ..

الى اسفل : لوحات فنية من ١٦ دولة عربية ، عرضت لاول مرة في معرض الكويت ، ورغم ذلك تغيب الجمهور !!





الى اسفل : وجيه نخلة .. فنان من لبنان استطاع أن يحول الحرف العربي الى لوحات فنية رائعة ، اعطت للحرف قدسية وروحانية وصوفية .. وتضم جمعية الفنانين اللبنانيين مائة فنان منتسب ، ١٥ منهم انطلقوا عالميا في أوربا وامريكا ، وهم يتطرقون الى كل المدارس الفنية المعروفة والمجهولة على حد سواء .. فالفنان اللبناني يتمتع بحرية مطلقة ..



ان يحمل نحو ٥٠ ـ ٤٠ كيلو جراما في كل مرة يريد فيها اقامة معرض ، وهذا الحمل قد يهون ، امام متاعب الرقابة وادارات الجمارك التي تفرض هي الاخرى قيودا على ادخال أعمال الفنان الى بلادها ..

والمشكل الذي يحز في نفس الفنان حقيقة : افتقاره الى جمهور عربي متذوق للفن ، والجهد الكبير المبذول في كل لوحة ..

حاجتنا الى الفن

قلنا : « لماذا لا تحاولون تضييق الهوة التي تفصلكم عن الجمهور العربي ؟ »

قالوا : « لا يمكننا ابدا أن نقوم بهذا العمل منفردين .. انه مجهود جماعي يجب أن تتعهده مجتمعين ، وكذلك يجب أن يعرف المواطن العربي، انه في حاجة الى الفن في حياته اليومية بصورة مباشرة وغير مباشرة ، وأن الفن ليس وقفا على اللوحات المرسومة فقط .. يجب أن يعلم ان الفن موجود في كل شيء حوله .. في أواني مطبخه .. غرفة طعامه .. صالونه .. سيارته الجميلة .. المكتب الذي يجلس عليه .. كل هذا وغيره ، وراءه فنان مبدع رسم وصمم الاشكال ، التي يشاهدها المواطن أمامه يوميا » .

نقــد بالألوان !

ويتحدث الفنانون عن القطيعة بين الفنان العربي والجمهور فيقولون : « ترجع أسباب هذا البرود الى عوامل قديمة .. تاريخية .. فالفنان عامة كان يترفع عن العامة بنعمة عن مشاكلهم مكتفيا بالعيش في برجه العاجي ، يسمع بالجمهور دون ان يراه ..

« هكذا كانت حالة معظم فنانينا في السابق ، اما اليوم فقد انقضى عهد الانزواء في البرج العاجي واصبح لزاما على الفنان أن يغوص في كل مشاكل مجتمعه بنقل اللوحات الشعبية ، وينتقدويعارض

الى اسفل : الرعيل الأول من الفنانين الكويتيين ..مثلوا بلدهم في معرض الكويت الثالث الاشارة الى ان الحكومة الكويتية تدفع بدل تفرغ لهؤلاء الفنانين حتى يتفرغوا تماما لفنهم .. الخاص في هذا .. فهم يريدون الحرية التامة بحيث لا يحاسبهم احد في نهاية العام .. ولا يفر في الكويت .. ويطالبون بمنح الفنان علاوة دورية ،.. وهم الى جانب هذا يعترفون بالمساعدات القصار ، ساعد فهد ، خليفة القطان ، عيسى صقر ،محمود الرضـ



بريشته الأسلوب التقليدي الرتيب لحياة الناس، مطالبا بحياة أفضل للشعوب .. بهذا الأسلوب فقط سيتم ازالة الجفاء ولن يعود الفنان مرفوضا من مجتمعه .. »

لماذا نكره الجمال ؟

اما عن تربية الذوق الفني عند الجمهور فان الحديث عنه مثير .. اذ ان جميع العوامل المحيطة بالمواطن العربي تجعله يميل نحو كراهية الجمال الفني . .ونحن – للأسف – نعلمه القبح منذ نعومة اظافره ، عندما نقدم له كتبا مدرسية مشوهة الاخراج ، تنتقصها كل عناصر الجمال .. فينشأ الطفل بعيدا عن الذوق الفني ... ومن هنا نراه يتصرف عندما يشب ويكبر تصرفات غريبة مثيرة .. نراه يمسك بالموسى ويقطع جلد المقاعد الوثيرة الجميلة التي يجلس عليها في دور السينما والحافلات وغيرها .. واذا رأى حائطا مدهونا نظيفا سارع الى تشويهه بالحبر والقاذورات .. حتى المصابيح الملونة الجميلة في النافورات المائية نجدها كلها مكسرة في مدننا العربية .. والزهور والاشجار الجميلة لماذا نقطفها من الحدائق العامة ، وندوسها بالاقدام ؟

لماذا كل هذا ؟ انها التربية الفنية التي تنقصنا ... ان الله جميل يحب الجمال ، فلماذا يصر بعضنا على تقبيح كل ما هو جميل .

ان الوسيلة الوحيدة التي يمكن ان نخلق بها الذوق الفني بين افراد الجمهور العربي ، هي ان نبدأ معه من المدرسة ، « لأن النبتة التي لا عروق لها لا يمكن أن تعيش أو تزهر » .. ولا يمكن ان ننسى ان اعداد استاذ التربية الفنيةفي المدارس من اهم الضرورات .. وهذا يجب أن يكون من خريجي المعاهد الفنية وليس من الشعبة الفنية التابعة لدور المعلمين في البلاد العربية ، حيث الدراسة الفنية مركزة مختصرة ..

...كيليين العرب ، فعرضوا تسع لوحات وتسع تماثيل من الخشب والجبس والخزف .. وتجدر ... الفنانون العرب ، قالوا : « ان الكويت هي جنة الفنان ونعيمه » .. ولكن الفنانين الكويتيين لهم رأيهم ... لوحات محلية .. وان يفتتح معهد ، او كلية للفنون اسوة بمعهد المسرح والموسيقى الموجود حاليا ... التي تقدمها لهم الدولة . والصورة من اليمين الى اليسار : أيوب حسين ، عبد الله سالم ، عبد الله ... سامي محمد ، عبد العزيز الحشاش، ابراهيم اسماعيل، وعبد الحميد اسماعيل.





محمد السرغيني : فنان من المغرب يعلق واحدة من لوحـاته

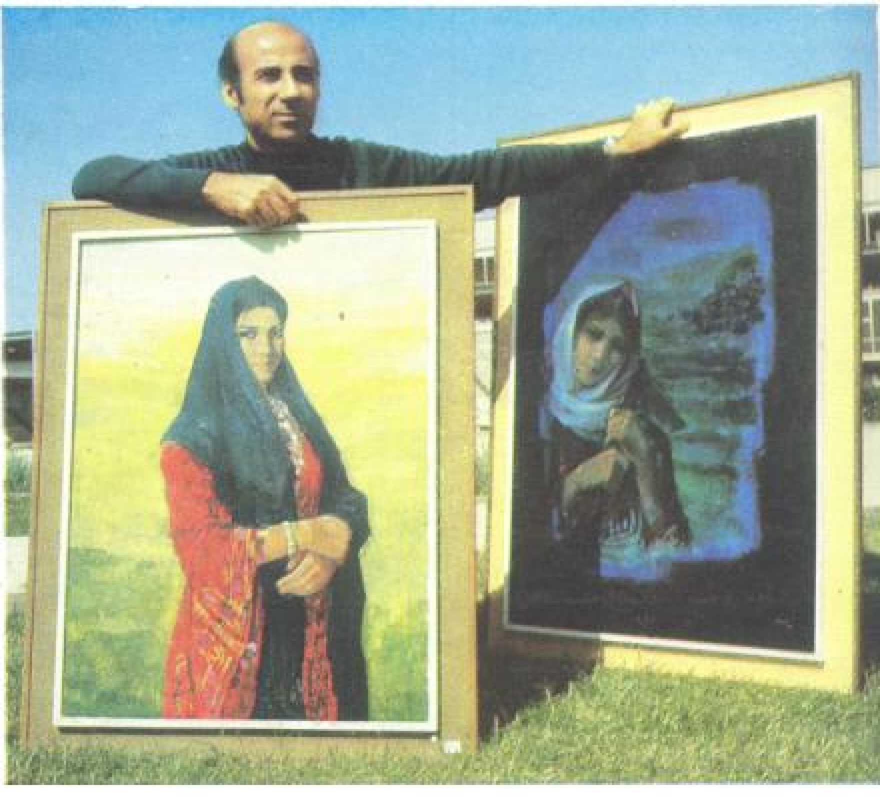
الى اسفل : ضياء عزيز ضياء .. فنان من العربية السعودية التي اشتركت بتسع لوحات وتمثال من الحجر .. لقد تخرج هو وزوجته من معاهد روما وفلورنسا وباريس





جاسم الزيني : أول فنان من قطر يعرض لوحاته .. وهذه لوحة « اكتشاف » يعالج فيها الرسام مشكلة الحجاب في قطر .. الطفل يكتشف وجه أمه لأول مرة بعد أن أزاح « البتولة » عن وجهها ..

الى أسفل : اسماعيل شموط .. الفنان الفلسطيني الذي هز الاوساط الصهيونية بصوره الواقعية .. انتخبوه أمينا لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب .. نخاف أن تفقد فنه المعبر عن المأساة « في دوامة الاعمال الادارية والروتينية للاتحاد ..



توصيات للحكومات العربية

١ ـ **يوصي** المؤتمر الحكومات العربية بالاهتمام بتدريس الفنون في المراحل التعليمية المختلفة .

٢ ـ **اعفاء** جميع ما يتعلق بمواد الادوات والكتب الفنية وغيرها من الرسوم الجمركية .. وتسهيل تنقل الاعمال الفنية بين الاقطار العربية والخارج .

٣ ـ **انشاء** متاحف للفن العربي المعاصر وتبادل الاعمال الفنية بين المتاحف العربية . **واقامة جناح** لفناني فلسطين في المتاحف العربية وكذلك للفنون الشعبية والتراث التقليدي الفلسطيني .

٤ ـ **يوصي** المؤتمر الحكومات العربية التي يتواجد فيها كليات ومعاهد فنية عليا بتخصيص منح دراسية (زمالات) للشباب العربي (وخاصة الفلسطينيين) وتشجيع تبادل الاساتذة وذوي الخبرات الفنية .

٥ ـ **يوصي** المؤتمر الحكومات العربية بتنسيب وانتماء منظماتها الفنية الى المنظمة العالمية للفنون التشكيلية ليتسنى تمثيل الاقطار العربية وابراز حجمها الحقيقي في المحافل الدولية الفنية وتكليف الوفود المنضمة الى هذه المنظمة العمل على تنسيب اتحاد الفنانين الفلسطينيين التشكيليين .

٦ ـ **يوصي** المؤتمر الحكومات العربية بعمل أفلام سينمائية وثائقية عن فنانيها .

٧ ـ **العمل** على تطبيق نظام التفرغ للبحث الفني التشكيلي .

٨ ـ **يوصي** المؤتمر الحكومات العربية باقامة معارض وثائقية عن وحشية الصهيونية ضد الانسانية .

٩ ـ **العمل** على استخدام الفنون التشكيلية في تزيين المدن ، **واشراك** الفنان التشكيلي في المجالس البلدية . **وتخصيص** نسبة معينة من كلفة المشاريع والانشاءات العامة للفنون التشكيلية .

١٠ ـ **وضع** جهد الفنان التشكيلي في العمل المناسب للاستفادة منه في مجال تخصصه .

انقلبت الأوضاع !

ويتحدث الفنانون عن معرضهم فيقولون بصراحة:

« خذوا معرضنا هذا .. انه اول معرض عربي تعرض فيه ١٦٥ لوحة منتقاة من ١٦ دولة عربية . هذا المعرض كم عدد الذين ترددوا عليه ؟

« في اليوم الاول قصده نحو ٥٠٠ شخص ، وفي اليوم الثاني انخفض العدد الى ٣٥٠ ثم ٢٠٠ وبعدها انخفض الى ٦٠ شخصا ، واستمر المعرض ١٦ يوما بعد ذلك ، دون ان يدخله الا اشخاص يعدون على اصابع اليد الواحدة .. فأين هذه الارقام من ارقام معرض الفنانين التشكيليين الذي عقد في برلين ، وكان يحضره يوميا ٤٢٣٦ شخصا في المتوسط لمدة ٢٠ يوما .. رغم سوء الأحوال الجوية ؟ »

« كنا نأمل ان يأتي الاف التلاميذ مع اساتذة التربية الفنية لزيارة معرضنا في الكويت ، يشاهدون لوحاته ويناقشون الرسامين .. ولكن احدا منهم لم يحضر .. »

« من هذا ترون أن الفنان لم يعد يعيش في برجه العاجي ، لقد نزل الى مستوى الجمهور فعرض اكثر من ١٠٠ لوحة تمثل فنوننا الشعبية العربية .. ومع ذلك لم يتحرك الجمهور للرد على مبادرة الفنانين تجاهه .. لقد انقلبت الآية واصبح الجمهور هو الذي يعيش في برج عاجي ! »

جمود ..

انهم يقولون عنا في بلاد الخارج اننا شعب لا يقرأ .. والواقع اننا اميون ، لا تجاه الكتابة

والقراءة فقط ، وانما تجاه الفنون .. اننا نجتر ماضينا اجترارا .. جمدنا تراثنا الفني الاسلامي، ووقفنا به عند النقطة التي استلمناه فيها ، لم نستغله او نطوره ..

اضف الى ذلك ان بلادنا هي مهد اغلب حضارات العالم العظيمة : فرعونية ، وفنيقية ، ونبطية ، وسبئية ، وحميرية ، وحضارات ما بين النهرين من : اشورية وبابلية وسومرية ، واكاديه ، وكلدانية .. كل هذا التراث الحضاري ، الذى لا يقدر بثمن ، يجب ان نعب منه عبا .. ولكننا للاسف نجهله جهلا تاما ، ولا نعلم عنه شيئا الا ما ينشره كتاب الغرب عنه !!

دفاع عن السيريالية

اما الحديث عن الصور التجريدية ، فكان له نصيب الاسد في الدفاع عنه .. قالوا :

ــ لقد اتفق نقاد العالم على ان فن القرن العشرين المعاصر ، هو الفن السيريالي .. اردنا هذا أم لم نرده ، لهذا كان لزاما على عالم القرن العشرين ، ذلك الذى نعيش فيه اليوم ، والذى شهد من التقدم العلمي والتكني والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية ما حير العقول وفاق التصور ، كان لزاما على هذا القرن أن يقدم لابنائه فنا يعكس هذا التقدم وتلك التطورات والتغييرات، فكانت اللوحات التكعيبة الراسية ، والتجريدية والخيالية .. »

ويضيف الفنانون العرب قائلين : « ان هذا التغيير الذى طرأ على الفن العالمى لا يمكننا ان نتجاهله ، او نقف منه موقف اللامبالاة .. لا بد لنا ان نواكبه وتتفهمه .. »

وهذا دفاع مقبول من فنان ، ولكن اذا عدنا الى الجمهور ، من جمهور عربي وغير عربي ، نجد القول غير هذا ، فلا تزال الكثرة الكبرى الكاثرة لاترى لهذا الفن الجديد طعما !

اول مؤتمر

وفي شهر ابريل من عام ١٩٧٣ أى بعد شهر من افتتاح معرض الكويت ، عقد الفنانون العرب ، مؤتمرهم العام الأول في بغداد .. وكان هذا المؤتمر بداية التنظيم الفعلي للفنانين التشكيليين العرب ، وقد حضره ٤٧ فنانا يمثلون عشر دول عربية فقط هى : تونس ، والجزائر ، وسورية ،

توصيات الجامعة العربيــة

يوصي المؤتمر الجامعة العربية بما يلي :

١ ــ **انشاء** مركز للدراسات الجمالية لاهمية هذه المراكز في تطوير الحركة الفنية والحفاظ على التراث العربى ، على أن يكون ذلك في مستوى الدراسات العليا التخصصية .

٢ ــ **تبنى** مشروع طبع كتاب او اكثر باللغات الاجنبية عن الفن العربى المعاصر على أن يقوم الاتحاد بالاشراف الفنيومتابعة المشروع .

٣ ــ **الاستفادة** من مكاتبها في البلاد الاجنبية لتنظيم المعارض الفنية بالتعاون مع الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب.

٤ ــ **انشاء** جناح باسم الجامعة للفنانين التشكيليين العرب ومشاركة الاتحاد على تنظيم الجناح والاشتراك به وذلك في المعارض الدولية : (فينسيا ، باريس ، سان باولو) الخ ..

٥ ــ **تنظيم** معرض (متحف) فلسطيني (عصرى وتراثي) في كل قطر عربى .

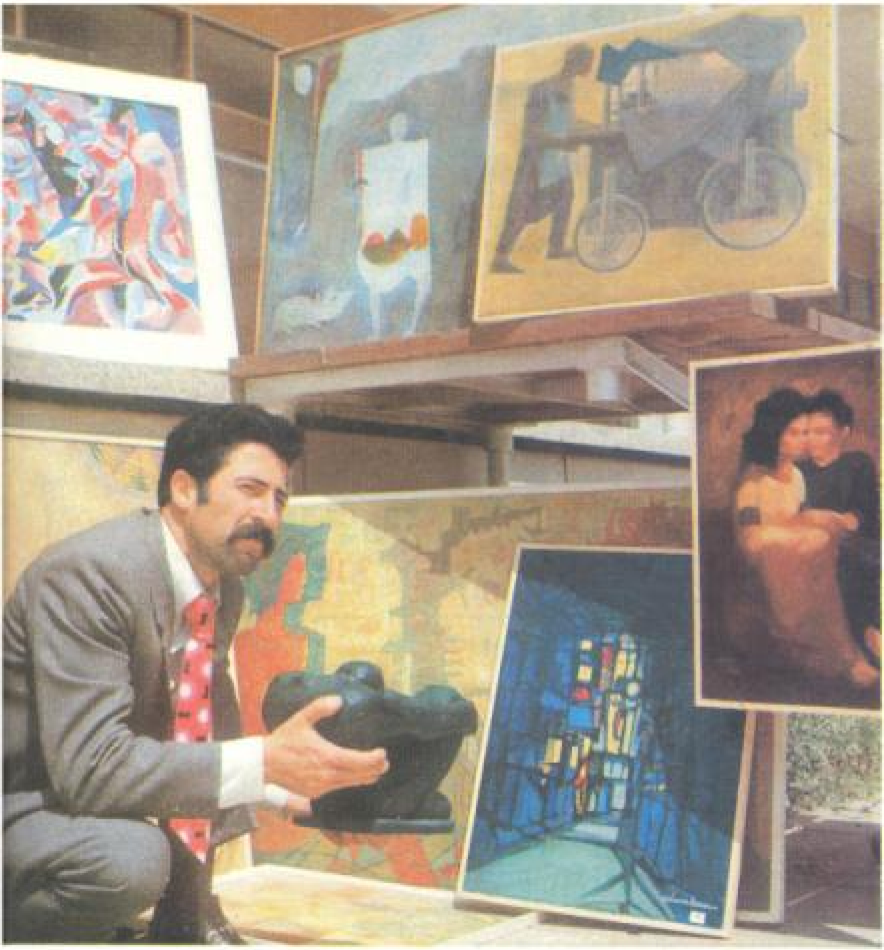
والعراق ، وفلسطين ، ولبنان ، والكويت ، ومصر ، والمغرب ، واليمن الديمقراطى ..

اما بقية الدول العربية فلم تدع للمؤتمر ، بسبب عدم وجود تجمعات فنية فيها ، يعترف بها اتحاد الفنانين العرب ..

ومما يذكر ان الجامعة العربية اعترفت باتحاد الفنانين العرب ، وارسلت مندوبا عنها لحضور مؤتمر بغداد ، وقد منحت الاتحاد مبلغ الفي دولار مساعدة له ..

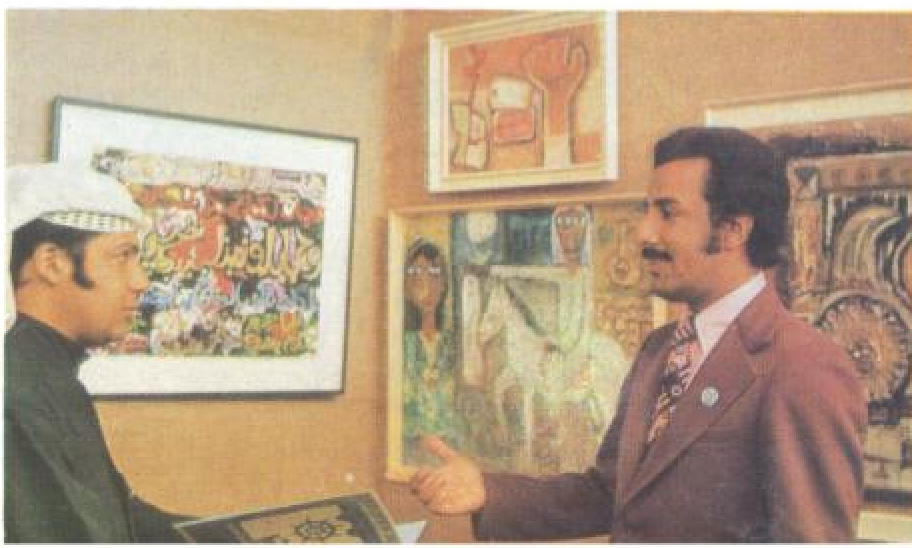
توصيات طموحة

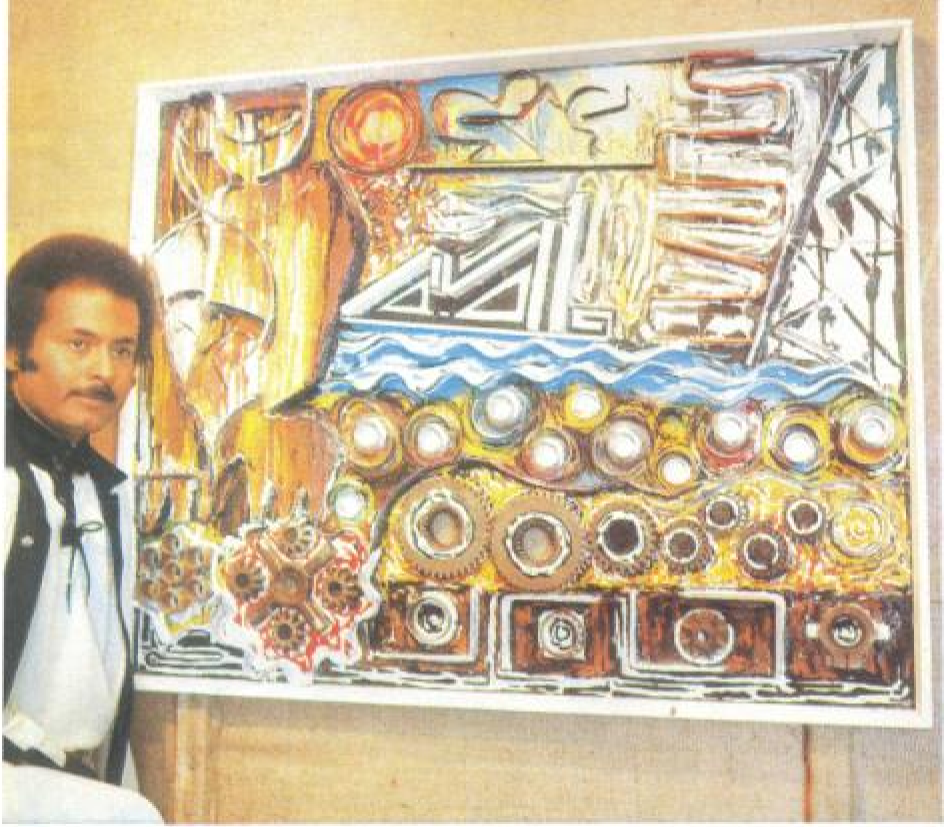
وتمخض هذا المؤتمر عن تقديم عشر توصيات طموحة الى جامعة الدول العربية ، و ٩ توصيات اخرى لينفذها الاتحاد العام للفنانين التشكيليين ،



احمد نعواش .. فنان من الاردن التي تضم نحو ١٥ فنانا تشكيليا محترفا ..

الى اسفل : احمد المريفي(**على اليمين**) .. فنان من بين ٢٥ اسسوا اسرة فناني البحرين ..





على عذاف .. فنان من اليمن الديمقراطي امام لوحته : **الاشتراكية** .. أدخل فيها الحـــديد والتروس والصفيح مع الزيت والالوان

الى اسفل : وصلت اللوحات ، ولم يصل أى فنان من جمهورية مصر .. فعرضت اللوحات العشر التى تمثل الفن المصرى بدون رساميها !



توصيات المؤتمر لامانة اتحاد الفنانين

تنفيذ المشاريع التالية : ــ

١ ــ **اصدار** هوية موحدة للفنان التشكيلي العربي يحصل بموجبها على امتيازات يحددها الاتحاد بموجب الانظمة المرعية (كزيارة المناطق الاثرية والمتاحف والمسارح والمكتبات والمؤسسات الفنية مجانا وغيرها مما له علاقة بطبيعة مهنته) الفنية .

٢ ــ **تنظيم** مهرجان فني تشكيلي سنوي في كل قطر عربي بوقت واحد باسم (اسبوع الفن العربي التشكيلي) يحدده الاتحاد .

٣ ــ **دعوة** أجهزة الاعلام في الاقطار العربية لنشر الثقافة الفنية والتعريف بالفنانين العرب .

٤ ــ اقامة حلقات دراسية في مواضيع الفن التشكيلي .

٥ ــ **دعوة** التجمعات الفرعية ، واصدار كتيبات صغيرة عن الفنانين (الرواد أو الذين يمثلون الحركة الفنية في القطر) باسم الاتحاد وبشكل موحد من حيث الشكل والحجم والاخراج وتبادلها بين الاقطار العربية .

٦ ــ **البدء** بعمل (ارشيف) ودليل من الفنانين العرب .

٧ ــ **طبع** بطاقات ملونة من اعمال الفنانين التشكيليين العرب ــ واصدار تقويم فني سنوي .

٨ ــ **اصدار** مجلة فنية ذات طباعة جيدة تغطي اخبار ونشاط الحركة الفنية العربية باسم (التشكيلي العربي) والعمل على ترجمتها الى اللغات الأجنبية .

لان قرارات هذا المؤتمر ملزمة للامانة العامة والهيئة التنفيذية .

(لاهمية هذه التوصيات وضعناها داخل اطارين مستقلين مع هذا المقال)

الى اين ؟

وحظيت فلسطيننا المحتلة باهمية خاصة من قبل الفنانين التشكيليين .. الذين قرروا أن تكون القدس مقرا لاتحادهم ، وحتى ينزاح كابوس الاحتلال الصهيوني عنها ، اختيرت بغداد مقرا مؤقتا لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب ..

وعند انتخاب امين الاتحاد ، وقع الاختيار على الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط **ليصبح أول امين عام للاتحاد .. والخشية الآن ، كل الخشية ، ان يضيع** « شموط » **ذلك الفنان المنطلق صاحب الخمسمائة لوحة ، والذى اقام ٤٠ معرضا ناجحا عربيا وعالميا في امريكا وانجلترا واوربا وروسيا ، احدثت ردود فعل عنيفة في المنظمات الصهيونية العالمية .. نخاف على الفنان** « شموط » **أن يتحول الى اداري ، تصرفه مشغوليات ومسئوليات الجهاز التنفيذي للاتحاد ، عن فنه الانساني الواقعي الذى اشتهرت به لوحاته ، وخاصة رائعته :** « الى اين » **التي تمثل كهلا فلسطينيا يحمل طفلا على كتفه ، وينطلق به في الطريق الطويل ...**

اقوى من السفارات

لقد كتبت الصحافة الامريكية عن احد المعارض العديدة التي اقامها الفنان شموط **في الولايات المتحدة كتبت تقول :** « جولة في هذا المعرض المتواضع تستميلك الى قضية العرب بقناعة تفوق ما حاولته الدعايات المجتمعة لسفارات الدول العربية في امريكا منذ ٢٠ عاما »

هذا التعليق ــ في حد ذاته ــ يثبت لنا اننا لم نتعد الحقيقة عندما ذكرنا في مطلع المقال : « ان قوة جديدة ولدت في وطننا العربي » ..

قوة في حاجة الى تشجيع ومساندة كل مواطن عربي ، في كل قطر عربي .. حتى تاخذ نهضتنا الفنية مكانها الطبيعي ، وتحقق كل اهدافها...

سليم زبال





طبيب الأسرة

يجيب عليها نخبة من الاطباء

زراعة الشعر
هل هي علاج ناجح للصلع ؟ !

● انا شاب في الاربعين من عمري، اعاني من صلع في راسي منذ عـدة سنوات ، وقد استعملت كثيرا مـن الدهونات والعلاجات بدون فائدة ، ثم سمعت عن عملية زرع الشعر ، فهل لي ان اعرف مدى نجاحها ، وهـل هناك امل في عودة الشعر الى طبيعته.

ـ الصلع قد يكون جزئيا أو شـاملا لكل الراس وعادة يحدث كلما تقـدم الانسان في العمر ويظهر خاصة في مؤخرة الراس الا انه قد يبدأ في المقدمة وسط الراس، ويحدث عادة بعد عمر الخمسين. ولكن في كثير من الحالات الوراثية نجده يبدأ مبكرا في عمر الثلاثين ، ونادرا ما يكون الصلع خلقيا منذ الولادة . وفي الصلع تختفي فتحات بصيلات الشعر تدريجيا ويصبح الجلد مشدودا وناعما واملس . وهناك انواع اخرى من الصلع ذلك الذي ينتج عن امراض جلدية ، مثل الحكة الهبرية او الثعلبة او الزهري او بعد العلاج بالاشعة او نتيجة الاصابات والحروق وفي جميع هذه الحالات المرضية تجد التاريخ المرضي للشخص واضحـا علاوة على ان الصلع يكون مختلفا في الشكل والوضع على حسب نوع المرض المسبب وسرعة او اهمال علاجه .



والصلع الناتج عن حالات مرضيـة يستفيد كثيرا من العلاج اذا ما عولـج السبب مع استعمال بعض الدهـونات المنشطة والمغذية للجلد ، وعمل جلسات اشعة بنفسجية للرأس . اما في الصلع الوراثي ، وهو ذلك المنتشر بين الناس فنادرا ما يتحسن نتيجة العلاجات العادية، وقد حاول البعض استعمال الكورتيزون بالفم ، وكذلك بالحقن موضعيا في جلد الراس ونبت الشعر فعلا الا انه عاود السقوط بعد وقف الدواء .

اما عن عملية زرع الشعر ، فهي معروفة من قديم الزمان الا ان قلة الخبرة فيها في ذلك الوقت علاوة على عدم الاهتمام الزائد بالمظهر جعلها تفقد ميزتها الى ان بدأ الناس يهتمون بالصلع ولبس « الباروكة » ويسألون مجددا عن عملية زرع الشعر ، ولذا بدأت تنتشر في السنوات الاخيرة بزيادة ملحوظة ، وقد برع فيها بعض الأطباء في أمريكا وبريطانيا ، واصبحت تعمل بنجاح تام لدرجة ان الشعر عند تمشيطه يبدو طبيعيا وينمو كذلك طبيعيا . وفي الحقيقة فانها ليست زرعا للشعر فقط بمعنى الكلمة ، ولكنها زرع لجزء من الجلد المحتوى على الشعر محل جزء آخر من الجلد الاصلع تماما مثلما يحدث في ترقيع الجلد في حالة الحروق مثلا ، حيث يؤخذ جلد سليم ويوضع محل جلد مُصاب . ففي حالة الصلع الجزئي تؤخذ اجزاء صغيرة متعددة ومتفرقة من الجلد المحتوى على الشعر والموجود على جوانب الراس بواسطة آلة خاصة ، وتنقل هذه الأجزاء وتثبت محل اجزاء اخرى من الجلد الاصلع متساوية في المساحة بحيث يتم في النهاية زراعة او تثبيت اجزاء منتظمة من الجلد المحتوى على الشعر ، في الراس الصلعاء بحيث تبدو الراس طبيعية عند نمو الشعر ، وبديهي ان هذا الشعر طبيعي وسينمو نموا طبيعيا ، ويقص عند الحلاق كالمعتاد . اما في حالات الصلع الكامل لكل الراس فهنا تكون الصعوبة حيث انه لا يوجد منطقة اخرى في الجسم يكون شعرها كثيفا ، وتكفي لتغطية الراس كلها ، ولذلك فقد حاول البعض زراعة الشعر او الجلد من شخص الى آخر الا انه كانت توجد دائما مشكلة رفض الجسم للجلد والشعر الغريب ، وذلك بالرغم من نجاحها في بعض الاحيان .

الامساك ظاهرة

● **انا سيدة في الاربعين من عمري اعاني من الامساك منذ مدة تزيد على العشر سنوات . وقد استعملت العقاقير المسهلة ومع ذلك فشلت كل محاولاتي ، واصبح الامساك ينغص عليّ حياتي . . فهل يجد الطب الحديث علاجا لحالتي؟**

ـ الامساك ـ يا سيدتي ـ ظاهرة مرضية شائعة بين متوسطي الاعمار من الرجال والنساء ، وان كانت نسبة النساء اللواتي يعانينه اكثر لأسباب كثيرة منها (١) تكرار الحمل والوضع مما يضعف العضلات البطنية وعضلات الحوض وهذان لهما شأن وتأثير مباشر في عملية الاخراج .

(٢) ان النساء يملن الى حياة هادئة بعيدة

النحافة

● **انا اعاني من النحافة الزائدة ، فهل هناك علاج لهذه الحالة ؟**

ـ النحافة / في معظم الاحيان ليست دليلا على المرض . ولكن توجد نسبة من الاشخاص تكون طبيعة بنيته نحيفة ، وذلك يرجع لعوامل وراثية يرثها الشخص من احد ابويه او من الاجيال التي سبقته ، ويكون ذلك ناتجا عن احتراق معظم المواد التي يتعاطاها الشخص دون أن يكون عنده استعداد لتخزين المواد الدهنية في جسمه ، ولكن لا يمنع هذا الشخص مانع من ان يقوم بالتمرينات الرياضية ، وزيادة كمية الاطعمة التي يتناولها مع الاكثار من النشويات والدهنيات فهي التي تخزن في الجسم ، على ان ذلك ربما لا يجدي نفعا ولا يزداد وزن الشخص لعدم استعداده لتخزين المواد الدهنية في الجسم لكن تكون عضلاته قوية وجسمه سليما ونعتبره نحن الاطباء محظوظا لان جسمه سليم ونحافته لا تضيره شيئا

ثر شيوعا فى النســاء

عن اى نشاط بدنى بالمقارنة بالرجال ، وذلك يمهد الطريق لاصابة الجهاز الهضمى والامعاء خاصة بنوع من الكسل والخمول .

(٣) ان النساء بصفة عامة معرضات للسمنة والبدانة اكثر من الرجال ، ويفضلن الدسم من الطعام .

ولكى نحيط بجميع جوانب هذه الظاهرة فلا بد من ذكر اسبابها ليسهل القضاء عليها والتخلص منها . واكثر اسباب الامساك ما يلى :

أ ــ **اهمال نداء الامعاء :** حينما يمتلىء الجزء الاسفل منها (المستقيم) بالبراز وتصدر الاشارة الى الانسان ليذهب الى بيت الخلاء للتبرز ويؤجل تنفيذ الأمر . ربما لأن الظروف غير مناسبة كان يكون الانسان فى مكان لا يتيسر فيه بيت الخلاء او يكون بيت الخلاء المتوفر قذرا او غير مناسب او من النوع الذى لم يتعوده الانسان وتعافه النفس او يكون على عجل او غير ذلك من الاسباب . حينئذ يسكت النداء ثم يتكرر بعد فترة زمنية قصيرة ، وهكذا يصدر الأمر ولا مجيب ، وتكون النتيجة ان يتمدد المستقيم ويتسع لمزيد من البراز المخزون ، وهكذا تدريجيا تزيد سعة المستقيم وتضعف قوة جدرانه ، ويختل التوازن بين التحركات المعوية المرجية وبين العضلات البوابية لفتحة الشرج .

ب ــ وجود مرض بفتحة الشرج مثل البواسير او الناسور او جروح شرجية مما يجعل عملية التبرز شيئا مؤلما ولذا يتجنب الانسان زيارة بيت الخلاء .

جـ ــ تفضيل كثير من الناس لبعض انواع الطعام دون غيره . كان يتجنب تناول الخضراوات او الفواكه ويكثر من النشويات واللحوم .

د ــ التعود على الملينات والمسهلات حين يشعر الانسان بالامساك وتلك عادة غير صحية ، وتؤدى الى الامساك المزمن .

هـ ــ فى حالات نادرة يحدث الامساك ــ من اثر مرض خلقى فى المستقيم ــ وفى تلك الحالة يحدث الامساك فى سن الطفولة . كما يحدث الامساك فى حالات مرضية نادرة . ولذا فانى انصح السائلة ان يتم فحصها وتجرى لها الفحوصات السريرية والشعاعية والمختبرية من قبل طبيب مختص ، فاذا كانت النتيجة سلبية ، فان الطريقة المثلى ان تعيد تدريب امعائها بصفة منتظمة يوميا او يوما بعد يوم على ذلك بعد الوجبة الرئيسية يساعد على الاول ، كما انصحها بان تكثر من تناول الخضراوات والفواكه الطازجة وتتعاطى كمية من السوائل بقدر كاف . وان يكون الوزن متناسقا مع الطول والعمر ، كما احذر من استعمال الملينات والمسهلات الا بعد استشارة الطبيب . ■■

ست دليلا على المرض

اللهم احساسه الشخصى بانه نحيف وسط اقرانه ولا ادل على ذلك من اولئك العدائين الاقوياء والسباحين النحفاء الاجسام ، والذين يقومون بالالعاب السويدية ، وراقصى الباليه ، على انه لوحظ فى بعض الحالات ربما زاد وزن الجسم مع نمو فى العضلات بعد الزواج ، ولعل ذلك راجع الى نشاط الغدد الصماء على انه من اهم ما يجب على الاطباء تجاه حالات النحافة الشديدة ان يفحصوا الجسم فحصا جيدا ويجروا كل الفحوصات اللازمة للتأكد من عدم وجود مرض عضوى يسبب هذه النحافة .

ولقد وجد انه فى بعض حالات النحافة الوراثية ربما زاد حجم العضلات باعطاء الشخص حقنا تزيد من وزن الشخص مثل حقن (Durabolin) او اقراص دينابول ولكن هذا ليس مؤكدا ، وليهنأ صاحب النحافة بنحافته ووقاه الله شر البدانة وما تجره على اصحابها من امراض ومضاعفات .



صَفحةٌ مَطوِيَّةٌ في حَياةِ العَقّاد

بقلم : طه الحاجرى

■ في حياة العقاد مرحلة لم تظفر – فيما أعلم – من عناية الدارسين له ، والمتتبعين لحياته ، والملتمسين لعوامل تكوين شخصيته ، بما هي جديرة به ، وهي مرحلة اتصاله بفريد وجدى ، وعمله معه في جريدة الدستور التي أصدرها في السادس عشر من نوفمبر سنة ١٩٠٧ ، بالرغم من تقدير العقاد لهذه الصلة ، وتنويهه بهذه المرحلة حين تعرض له ، في كتابيه : « أنا » و « حياة قلم » ، وفي الفصل الذي كتبه عن محمد فريد وجدى في سلسلة الفصول التي كتبها بعنوان : « رجال عرفتهم » ، وحديثه عنها حديثا يعبق بروح الحب لها والاعتزاز بها .

ونحن في هذا الفصل ، نحاول أن نلقى بعض الضوء على هذه المرحلة ، تمهيدا لدراستها – فيما نرجو – دراسة مستفيضة ، تكشف عن سائر جوانبها ، وترسم صورة العقاد فيها ، واضحة الملامح ، بينة القسمات وتبين ما تنطوى عليه من عوامل وأسباب كان لها – ولا ريب – أثر غير قليل في شخصيته .

يقول العقاد في بعض حديثه عن صلته بالصحافة في صدر حياته : « وإننى أحمد الله أن كانت بداية عملى في الصحافة مع رجل كالأستاذ وجدى ، رحمه الله ، قليل النظير في نزاهته وصدقه وغيرته على المصلحة القومية ، واستعداده للتضحية بماله وراحته في سبيل المبدأ الذى يرعاه ولا يتزحزح عنه قيد أنملة » .

في مثل هذه العبارة نحس أن العقاد كان يرى أن عمله مع فريد وجدى ، في مطلع حياته ، من الأحداث البارزة فيها ، وأن ذلك كان توفيقا يحمد الله عليه .

وما زالت صورة فريد وجدى التى وصفها العقاد بتلك الصفات ، ومثلها بتلك الكلمات ، ماثلة في ضميره ، يراها في كل مناسبة ، وينوه بها في شيء من الاحساس بالقداسة .

لقد أتيح له أن يرى أنماطا مختلفة من الناس ، وأن يبصرهم على حقيقتهم بعينه الناقدة الثاقبة ، وفي ضوء المثل التى اتخذها ودان بها ، فلما رأى فريد وجدى رأى العين ، وصحبه صحبة متصلة ،

« بدأ العقاد عمله الصحفي ، في اول شبابه مع محمد فريد وجدي ، في صحيفة الدستور ، منذ انشائها ، الى انطوائها ، وفي هذه الفترة تشكلت شخصية العقاد اول تشكل وهي فترة حمدها العقاد كل الحمد ، واطراها ونوّه بها »

وعمل معه نحو العامين ، راى فيهْ طرازا جديدا من الناس في نزاهته وصدقه وغيرته ، وفي حرصه على المبدا حرصا لا يعبا معه بشيء غيره .

وظلت هذه الصورة على نضارتها ونصاعتها في ذهن العقاد الى ان اداها مجلوةّ فيما كتب عن فريد وجدي في سلسلة مقالاته التي كان ينشرها في مجلة « المجلة » بعنوان : « رجال عرفتهم » ، وذلك اذ يقول :

« هو فريد عصره غير مدافع .

وتلك كلمة مالوفة طالت الفتها ، حتى رثت وبليت ، واصبحت حروفا بلا معنى .

ولطالما قيلت عن عشرات من حملة الاقلام في عصر واحد ، كلهم فريد عصره ، وكلهم واحد من جماعة تعد بالعشرات ، فلا معنى لها في باب العدد ولا في باب الصفات ،ولا سيما صفات الرجحان والامتياز

الا اننا نقولها اليوم عن محمد فريد وجدي لتعيد اليها معناها الذي يصدق على الصفة حرفا حرفا ، ولا ينحرف عنها قليلا ولا كثيرا ، حتى في لغة المجاز

فقد عرفنا في عصره طائفة غير قليلة من حملة الاقلام ورجال الحياة العامة ، فلم نعرف احدا منهم يماثله في طابعه الذي تفرد به في حياته الخاصة او العامة ، وفي خلقه او تفكيره ، وفي معيشته اليومية او معيشته الروحية . واوجز ما يقال عنه في هذه الحالات جميعا انه لم يخلق في عصره من تقارب المثل الاعلى والواقع المشهود في سيرته ، كما يتقاربان في سيرة هذا الرجل الفريد

نعم ! الفريد حتى في لغة الجناس ، لان اسمه فريد .

والفريد حتى في عزلته ، لانه كان في عزلة النساك والرهبان . عليما غاية العلم بالتحليل والتحريم .» (١)

هذه الصورة التي بهرت العقاد الشاب الطامح الذي كان في نحو العشرين من عمره ، بين سائر الصور التي اتيح له ان يراها في هذه الفترة ، تبرجت وتالقت لعينيه في وسط الغياهب الموحشة التي كانت اشباحها تناوش احلامه الصحفية . وهي احلام ظلت تداعب خياله منذ كان صبيا في اسوان يحاول ان يحققها في صورة مجلة صممها وصنفها وحررها بنفسه لنفسه ، واطلق عليها اسم « مجلة التلميذ » ، الى ان شارف مرحلة الشباب ، واخذ يدخل الحياة العملية ــ بعد وفاة ابيه سنة ١٩٠٥ من ابواب مختلفة ، الى ان صح عزمه وهو يشغل احدى الوظائف الحكومية في مدينة الزقازيق ، على ان يصدر من القاهرة مجلة يسميها « رجع الصدى » لولا ذلك المشهد البغيض الذي اتيح له ان يشهده ، وهو جالس الى بعض الكتبية ، على مقربة من احدى المطابع الصغرى التي كانت تطبع فيها بعض المجلات ، وقد مثل له هذا المشهد شيئا مما كان يجري في بعض الاوساط الصحفية في صورة تثير التقزز ، وتحمل على الصدود والعزوف ، الى ان خطر بباله ان يعقد صلته بجريدة اللواء ، لولا ما وقر في

---

(١) « العربي » لعل المرحوم العقاد كان يشير في هذا الى بيت المتنبي في وصف وحدة الاسد الذي قاتله بدر بن عمار ثم قتله .

في وحدة الرهبان ، الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا

نفسه عن صاحبها ، مصطفى كامل ، منذ لقيه للمرة الاولى في اسوان ، فلم يحمد لقاءه ، وما عرفه من انهم في هذه الجريدة وزميلتها الانجليزية انما يريدونه مترجما اذا هو عمل معهم ، وهو لا يرضى لنفسه الا ان يكون محررا ، يمارس ما يحسه في اعماق نفسه من رغبة في الكتابة ، وقدرة على التعبير بالقلم ، الى جانب ما كان يريده باصطناع الصحافة من ان يقطع عن نفسه اغلال الوظيفة التى كان يراها نوعا من الرق لا يرضى به حر مثله .

هذه الصورة التى اشرفت على نفس العقاد في وسط ذلك كله ، بكل بهائها وسنائها ، والتى ظلت تتجلى له بجميع جوانبها من خلال اتصاله بصاحبها مدة عامين او نحو ذلك ، طبيعى ان تكون من اقوى الصور ثباتا ، واشدها وقعا ، وابعدها في تكوينه وتوجيهه اثرا .

وقد كان اللقاء الاول بين العقاد وفريد وجدى قد ملا نفس العقاد رضا ، وغمرها بالطمانينة ، كما استطاع أن يحرره من ذلك القيد ، قيد الوظيفة ، الذى كان شديد الضيق به ، اذ لم يتردد بعد هذا اللقاء في ان يمضي لتوه الى حيث يستطيع ان يقدم استقالته من هذه الوظيفة ، ليبدا حياته الصحفية المنتظمة .

وكان ذلك اللقاء بعد رسالة بعث بها العقاد الى فريد وجدى،حين قرا اعلانا له في احدى الصحف، يطلب محررا يعمل معه في جريدة الدستور التى كان يتهيا لاصدارها . « ولم يكن اسم فريد وجدى غريبا عنه ، ولا عن قراء ذلك الجيل من طلاب الثقافة الاسلامية الفلسفية ، فقد كانت له كتابات ضافية يرد بها على كتاب الغرب وفلاسفته المنكرين لحقوق المسلمين وفضائل الاسلام ، وكانت له شهرة بالاطلاع على ثقافة الدين وثقافة العصر الحديث » ، كما يقول العقاد . وقد اخبره في هذه الرسالة انه يرشح نفسه للعمل في الصحافة، لاول مرة .

واذا كان ما ذكره العقاد عن نشاط فريد وجدى الفكرى ، على الوجه الذى ذكره ، كان مما حفزه للكتابة اليه ، وترشيح نفسه للعمل معه ، او كان مما انس به وهو يتجه بذلك نحوه ، فليس يبعد عندنا ـ وقد كان للعقاد اطلاعه على الاتجاهات السياسية ، ومعرفته ببعض دخائلها ـ ان يكون اسم « الدستور » الذى اختاره فريد وجدى لصحيفته له دلالته عنده على خلقه السياسي ومنزعه المستقل ، فكان ـ على حد قوله ـ « ميزانا لنزاهة هذا الرجل ولحريته الفكرية والدستورية » وان شيئا مما ذكره بعد في تفسير ذلك كان يدور في نفسه ، ويحوم في خواطره . وذلك اذ يقول :

« كان اسم الدستور يغضب قصر يلدز ، ويغضب قصر عابدين ، ويغضب قصر الدوبارة .

وكان الحزب الوطنى يطلب الدستور ،ولكنه يتحرج من الدعوة العامة اليه ، لانه ينكر مقاصد المطالبين به من رعايا الدولة العثمانية ، ويشفق من غضب السلطان عبد الحميد . ويراجع القارىء اليوم صحيفة اللواء ، فيرى انها كتبت عن المطالبين بالدستور في تركيا ، قبل اعلانه هناك بيوم واحد ، فقالت انهم قوم يسبحون في الخيال .

وكان الخديوى يحرص على طلب الدستور سرا، كلما اراد بالتحريض عليه احراج الانجليز ، والحد من سلطة المندوب السامى والمستشارين ، ولكنه كان يرفض الاصغاء الى هذا الطلب كلما ثاب الى شيءمن الوفاق بينه وبين المحتلين. ولهذا كان حزب القصر يسمى نفسه « حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية » ، ولا يخفى الفارق بين الدستور ، واصلاح الدواوين على مبادىء الدستور .

وكان حزب الامة ـ كما يدل عليه اسمه ـ يعارض الحكم المطلق للعرش في مصر ، وللعرش في عاصمة الدولة العثمانية .. ولكن حزب الامة لم يخل من اقطاب مخلصين كانوا يحسبون الطفرة في الحكم النيابى خطرا حقيقا بالحذر والاجتناب.

فاذا ظهر من بين هذه الصفوف رجل لا سند له من اصحاب العروش ، ولا من جمهرة الاحزاب ، فاختار كلمة«الدستور » دون غيرها اسما لصحيفته الوليدة ، فهو اسم يدل على كثير » .

لعل شيئا من ذلك كان يدور في خاطر العقاد ويتردد في فكره ، وهو جالس الى مائدته في القهوة التى كان يجلس بها في حى شبرا ، يقرا اعلان فريد وجدى عنصحيفته ، ثم يكتب رسالته اليه.

ومهما يكن من امر ، فلم يلبث العقاد ان تلقى من فريد وجدى ـبعد يوم او يومينـ خطابا يؤذنه

فيه بالاستجابة الى طلبه ، ويحدد له موعدا يلقاه فيه ، حيث اتخذ له مكتبا في دار مطبعة الواعظ ، بدرب الجماميز .

وكان ذلك اللقاء الاول الذى يتحدث العقاد عنه في مقاله عن « محمد فريد وجدى » ، كما يعرض له في سياق الفصل الثانى من كتابه «حياة قلم » .

ففى مقاله عن فريد وجدى يرسم لهذا اللقاء صورة حية واضحة الخطوط بينة الملامح ، وذلك اذ يقول ، بعد ان ذكر جواب كتابه اليه :

« ... فلما ذهبت الى الموعد - بالدقيقة - اخرج الساعة من جيبه ونظر فيها،وسكت هنيهة، ثم سالنى عما اطلعت عليه من مؤلفاته التى اشرت اليها في الخطاب ، ثم اختار صحيفة من الصحف التى كانت على مكتب صاحب الواعظ ، وقال لى: هل قرات هذا ؟ فنظرت في الصحيفة ، فعلمت انه يشير الى مقال عن رحلة لكاتب المقال في العاصمة الفرنسية ، كنت قد اطلعت عليه قبل ذلك . فرددت الصحيفة اليه وانا اقول : اننى لم اذهب الى باريس ، ولكن موضع العجب عندى ان الكاتب لم يطرق منها غير الحى اللاتينى ، ولم يعرف في الحى اللاتينى غير معارض الخلاعة والمجون. فهل هذه هى باريس ؟ فضحك صاحبنا ضحكة تنم على كل ما في طوية نفسه من براءة كبراءة الطفولة ، وقال : هذه هى باريس كلها اذا كانت القاهرة كلها هى ما تراه الساعة . هل لك في رحلة قصيرة نقضى بها رياضة اليوم ؟

وسرت معه حيث سار ، فلاح لى انه كان كانما يسير معى ، ولا يوجهنى الى مكان مقصود بعينه . او كانما كنت اوجهه كما كان يوجهنى على السواء.

وقال لى في صراحة لا تكليف فيها : انه عرض علىّ مقال الصحيفة عن رحلة باريس امتحانا لرايى ، بعد ان اغناه اسلوب خطابى عن امتحانى في الكتابة ، وبعد ان اغناه حضورى الى الموعد بالدقيقة عن امتحان نظامى في العمل . فلى ان اعتبر نفسى محررا بصحيفة الدستور منذ تلك اللحظة ، ولى ان اساله عما اشاء من نظام العمل المطلوب .

ولم اساله عن شىء من ذلك ، ولكنه هو مضى يسهب في بيان مقصده من انشاء الصحيفة ، وبيان خططها في السياسة الوطنية » .

اما ما عرض له العقاد من ذلك في سياق حديثه من مشاركته - في صدر حياته - في بعض وجوه النشاط هنا وهنا ، الى ان برقت له بارقة العمل الصحفى المنتظم في هذه الصحيفة التى يتهيا فريد وجدى لاصدارها ، فذلك اذ يقول :

« ... فلما لقيته وحادثته لم يكن ايسر من الاتفاق معه على العمل في صحيفته . وخرجت اقول لنفسي : ان اكبر خلاف بينى وبين كاتب كهذا لن يعوقنى عن العمل معه ، لانى عجبت لحرية فكره ، مع اشتهاره بالتعصب والمحافظة ، بل بالتزمت والتحرج في شؤون الدين والدنيا . فما من فكرة قط كان يرى انها قضية مسلمة ، وانها لا تقبل المناقشة » .

فالانطباع الاول الذى انطبعت به نفس العقاد في هذا اللقاء الاول هو انه من هذا الرجل الذى اشتهر بين الناس بالمحافظة والتعصب ، وتعددت المقالات عن تزمته وتحرجه في شؤون الدين والدنيا، جادة مرة وساخرة اخرى ، ازاء رجل يؤمن بحرية الفكر ايمانا مطلقا ، ويعتبر هذه الحرية مبداه الاول الذى ياخذ به نفسه ، غير مستسلم لراى سائد ، ويلتزم به لقاء غيره ، مهما اختلفت بينه وبين الاخرين اتجاهات الراى ومناهج التفكير.

والعقاد الذى نشا معتدا برايه ، مستقلا بتفكيره ، حريصا على ملامح شخصيته ، لم يكن يملا نفسه غبطة ورضا اكثر من ان يعمل مع رجل كهذا الرجل ، يقدر رايه ، ولا يصادر تفكيره ، ولا يحول بينه وبين المناقشة، ولا يحاول من مكانه الذى يتبوؤه، باعتباره صاحب الجريدة ورئيس تحريرها والمسؤول عنها ، ان يفرض نفسه عليه ، او يلزمه رايا لا يراه هو . ولعل ذلك كان اشد ما يخشاه حين خطر بباله ان من الممكن ان يعمل في جريدة اللواء ، اذ كانت الصورة التى وقرت في ذهنه عن صاحبها هى صورة « رجل معتد برايه ، ضيق الحظيرة ، لا يسمح حتى للفكاهة او للقافية ان تفتح عليه بابا ليصحح قولة قالها ، او رايا ارتاه.» فها هو ذا قد اتيح له ان يعمل مع رجل اقنعه

لفاؤه الاول به ان لا موضع لهذه الخشية منه ، على شهرته بالتعصب وشدة التحرج في رعاية المبدأ الذي يدين به : فان ذلك لم يكن ـ فيما رأى ـ ليحمله على اهدار مبدئه الاول والاعم ، وهو حرية الفكر واستقلال الرأى .

وهكذا خرج من لدنه وهو يردد بينه وبين نفسه: ان اكبر خلاف قد ينشأ بينه وبين هذا الرجل لن يعوقه عن العمل معه .

ولم يتغير هذا الانطباع الاول ، ولم تخيب سيرة فريد وجدى معه شيئا مما رجاه وتوقعه . وها هو ذا العقاد نفسه يتحدث عن شيء من هذه السيرة، قائلا :

« وقد كنت يوم اشتغلت بتحرير الدستور، كاتبا ناشئا خامل الذكر ، ليس لى ، بحق الشهرة ، ان يكون لى رأى مستقل مسموع . ولكنني كنت اخالفه في بعض آرائه ، بل في بعض مبادئه السياسية ، وبعض معتقداته عما وراء المادة وتحضير الارواح ، واشهر ما كان ذلك حول موقف الحزب الوطنى من سعد زغلول ، فلم يمنعنى ان انشر في الدستور ما يخالف هذا الموقف، وان احادث سعد زغلول حديثا ينفي كل ما يعزوه اليه كتاب اللواء . وقد صارحته غاية الصراحة فيما كان يعتقده من تحضير الارواح ، وصارحنى غاية الصراحة في امر المتشابهات من العقائد والاحكام ، فلا اذكر انى لمحت منه عند اشد المخالفة نظرة غير نظرته حيث تقترب الاراء والاحكام»

وهكذا نرى ان فريد وجدى لم يكتف بان افسح لهذا الشاب الناشيء صدره في مجالس المناظرة، يجادله في آرائه السياسية والاجتماعية والعلمية، ويخالفه فيها ممعنا في المخالفة ، دون أن يثير ذلك حفيظته ، او يبدو عليه شيء من الانكار عليه او الغضب لنفسه ، انما هو الرضا والتشجيع ، بل اوسع له صدر صحيفته ، يمارس فيها حريته ، ويكتب فيها ما يراه ، دون حجر عليه أو مصادرة لرأيه ، ودون أن يقيم وزنا لغير مبدأ حرية الفكر الذي يدين به ، والذى لا يعبأ في سبيله بشيء مهما جل وعظم خطره ، حتى يغضب الحزب الذى تعتبر صحيفته لسانه الثانى ، الى جانب اللواء .

يقول العقاد : « ودام عملى في صحيفة الدستور من عددها الاول الى عددها الأخير ، الا اشهرا قليلة فارقتها فيها ، ثم عدت اليها ، فاكاد اقول ان ما خالفته فيه اثناء هذه المدة اكثر مما وافقته عليه، ولكنه لم يغير كلمة واحدة كتبتها لمخالفة رأيه » .

ولم تكن الجفوة التى حدثت بين العقاد والدستور ، والتى كان من مظاهرها هذه الاشهر القليلة التى فارقها فيها ، بسبب خلاف في الرأى بينه وبين فريد وجدى ، أو لأن فريدا اراد ان يفرض عليه امرا لم يرضه ، او انه اراد شيئا انكره فريد وجدى عليه ، كما يذهب الى ذلك بعض الذين كتبوا عن العقاد ، اذ يقول :

« وعلى الرغم من ان العقاد كان موضع تقدير وجدى واحترامه ، فانه ترك الصحيفة نظرا لانه اراد ان يرثى مصطفى كامل بعد وفاته رثاء لا يخلو من النقد لسياسته تجاه الآستانة وتجاه الخديو ، وتجاه السياسة العثمانية . ولكن فريد وجدى ابى عليه ذلك ، لأن الصحيفة من صحف الحزب الوطنى ، وهو لا يريد الا رثاء يتأى بمصطفى كامل عن المساويء ، ويهيل عليه المحامد . وهنا حدثت القطيعة الموقوتة بين العقاد والدستور » (١)

فان العقاد نفسه ذكر سبب هذه الجفوة ، أو هذا الانقطاع عن الدستور ، بما لا يمت بأدنى صلة الى هذا الذى ذكره صاحب ذلك الزعم ، ولا نعرى أنى صدر به ، وذلك اذ يقول :

« ولم ينقطع عملى في الدستور غير بضعة اسابيع، تركت الصحيفة فيها لخلاف وقع بينى وبين اخيه » يعني احمد وجدى اخا فريد ، وكان يشارك في تحرير الدستور « لاعتراضه على بعض آرائى في السياسة الحزبية . والحق انه اعتراض لم يكن فيه ما يسوء ، لولا اننى استكثرته من الاخ الاصغر ، وهو يعلم ان اخاه الاكبر لا يبدى مثل ما

(١) عباس العقاد ، ناقدا : ص ٩٦ للاستاذ عبدالحى دياب .

اكتب مثل هذا الاعراض ، فيما يخالفه او يناقضه من الآراء السياسية .

وحكاية العقاد نفسه لموقفه من رثاء مصطفى كامل ، وموقف فريد وجدى منه فى هذا ، لا يمكن ان يدل ، بأية صورة من الصور ، على ذلك الزعم . وها هى ذى بنصها ، كما جاءت فى كتابه : «حياة قلم» .

« ولما توفى مصطفى كامل شيعته صحيفة الدستور — وهى من صحف الحزب الوطنى — برثاء ابلغ من رثاء صحيفة اللواء . ولكننى احجمت عن رثائه بثناء خلو من النقد ، واحجمت فى ذلك المقام عن نقد سياسته قبل الآستانة وقبل الخديو وقبل السيادة العثمانية . وكاشفت الأستاذ فريد وجدى بحرجى وحرج صحيفته ، وهى لسان الجامعة الاسلامية الاول ، ولسان الحزب الوطنى الثانى ، بعد اللواء ، فقال لى رحمه الله : انه يفهم هذا الحرج ، وانه يقوم عنى بها انحاشاه ، فآثرت الصمت على ثناء بغير نقد ، او نقد متحفظ متحرج ، بين مضطرب الآراء » .

فلا شىء فى هذا — كما ترى — مما اراد صاحب ذلك الرأى ان يؤول به هذا النص ، او يحمله عليه ، او يفهمه منه .

وبعد ، فان اقل ما يقال فى فترة صلة العقاد بفريد وجدى وعمله معه فى تحرير الدستور ، على ذلك النحو الذى رأينا ، انها فترة تمكين لما طبع عليه ونشأ معه من اعتداد بالنفس ، واستقلال فى الرأى ، وغيرة على الذات ، وان هذه الصلة جاءت مساندة وعونة لخصائصه العقلية ، واتجاهاته النفسية ، كما كان امتداد هذه الصلة نحوا من عامين ، لم يغير طابعها ، ولم تتعرض لما ينكرها ، جديرا ان يجنب تلك الخصائص ما لعله كان يعرض لها وينال منها .

واذا كان العقاد يعزو ما اتيح له من رأى مستقل فى القضايا التى كانت تشغل المجتمع المصرى فى ذلك الوقت الى استفادته من ظروف الزمن الذى نشأ فيه ، وظروف المكان الذى عاش حياته الأولى بين ربوعه ، وهو يعنى بذلك ان مصر فى ذلك الوقت لم يكن قد اشتدت العقول فيها بمحنة المحن فى العصر الحديث ، كما يقول ، « محنة تكوين الرأى جماعات جماعات . فلا ينطوى الشاب فى جماعة صاحبة ، حتى يحرم القدرة على نقدها ونقد سواها ، فهو مع جماعته التى انطوى فيها ، يقبل خطأها ، كما يقبل صوابها ، وهو مع الجماعات الأخرى يرفض صوابها ، كما يرفض خطأها . وانه لخاسر مضلل فى كلتا الحالتين » . فهو لم يتعرض لتأثير هذه المحنة ، ولا سيما ان نشأته فى اسوان ، باقصى الصعيد ، قد اتاحت له أن يكون بمعزل عن اضطراب الآراء فى العاصمة ، اذ « يكاد الناشىء أن يأوى بها الى صومعة من صوامع الفكر ، يقلب فيها وجوه النظر ، فى كل ما يسمع أو يبصر من الشؤون العامة ، بغير تضليل أو تهويل » .

اذا كانت ظروف النشأة هذه قد صنعت من العقاد ذلك الشاب المستقل فى رأيه ، المعتد بنفسه ، او شاركت فى أن يكونه ، فانا لا نكاد نشك فى ان هذا الخلق او هذا المزاج ، فى تلك السن الغضة ، وجد من فريد وجدى وجريدة الدستور مؤازرا قويا ، ودعامة رصينة ثابتة ، وحماية من الأعاصير المختلفة ، ضاعفت ثقة العقاد فى نفسه ، وقوت نزعة الاستقلال فى الرأى عنده ، كما ابدت صلابته فى مواجهة تلك الأعاصير التى لم تلبث أن جعلت تهب عنيفة متناوحة .

لا جرم كان العقاد يعبر عن نفسه اصدق تعبير حين قال كلمته التى اوردناها فى صدر هذا الفصل ، وهى انه يحمد الله على ان كانت بداية عمله فى الصحافة مع رجل كالاستاذ وجدى ، رحمه الله ، قليل النظير فى نزاهته وصدقه وغيرته على المصلحة القومية ، واستعداده للتضحية بماله وراحته فى سبيل المبدأ الذى يرعاه ، ولا تزحزح عنه قيد انملة .

ومبدأ فريد وجدى يرجع فى جملته الى حرية الفكر ، واستقلال الرأى ، وتحرى الحقيقة . ■■

طه الحاجرى

راهبُ اللَّيْل.؟!

بقلم : طاهر ابو فاشا

■ راهبُ الليـلِ لا ينـــامْ والجـوى عنـه لم ينَـــمْ
عاشقُ الروحِ مُسْتَهـــامْ ضَمَّهُ الليـلُ والأَلَـــمْ
كلَّما استقبلَ السِّهـــامْ غـالطَ الدمعَ وابتســمْ

هكـذا نحنُ في القِمَـــمْ
نَصْنَعُ الخُلْـدَ والقيَـــمْ

إنما الحبُّ كبريــــاءْ تَصِلُ الأرضَ بالسمـــاءْ
هــاتِ ياليـلُ ما تشـــاءْ
ســترانا مع الصبـــاحْ عندمـا يُقْبِلُ الصبـــاحْ

قــد كَبَرْنـا على الجِـــراحْ
وَارْتَفَعْنـــا على الأَلَـــمْ

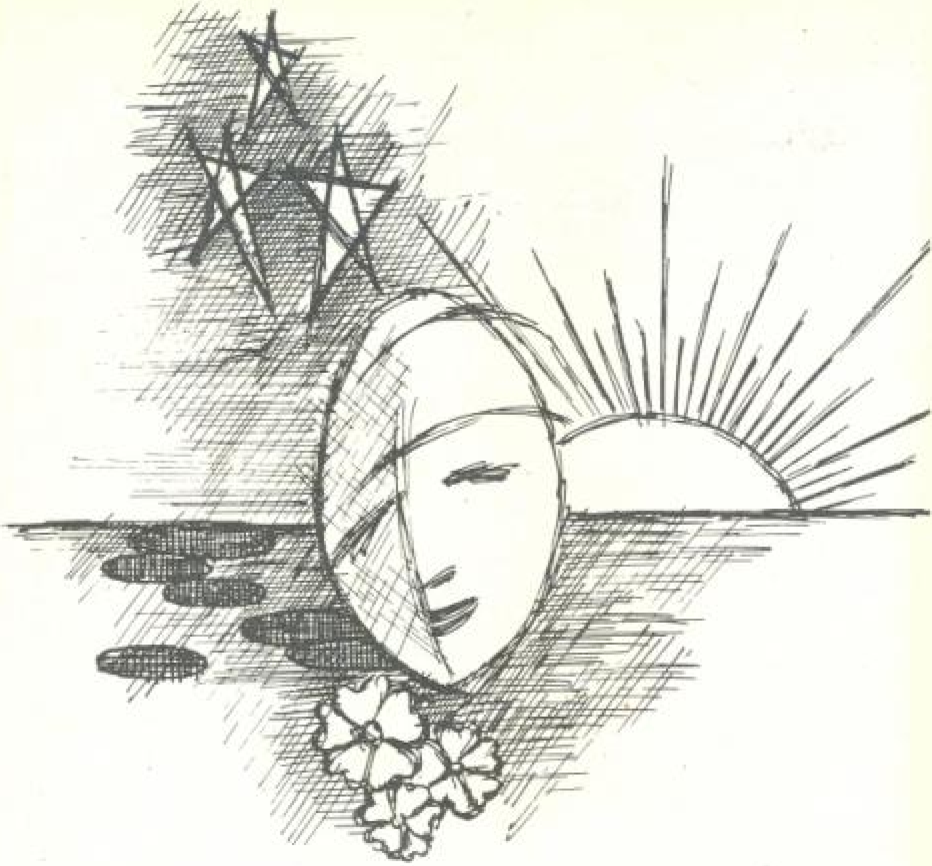
★★★

هَمَسَ الوَرْدُ للرِّيـــاحْ وهي تَذْرُوهُ للرَّغـــامْ
قَالَ : هل يُسْكِتُ النُّواحْ صيحةَ الحبِّ والســلامْ
أَوْ تُرى يَنْتَهِي الصبـــاحْ أو تُـرى يَخْلُـدُ الظـلامْ

وَأَرَى الشمسَ مِنْ بعيــدْ
تَنْشُرُ الصُّبْحَ مِنْ جـــديدْ

فَيُغَنِّي لـه الوُجُـــودْ فرحـةَ الحـبِّ والخُلُـــودْ
وهـو يَحْنُو علـى الـــوُرُودْ
وإذا مــا أتــى الصبـــاحْ ســيرانا مَـعَ الصبـــاحْ

قــد كَبَرْنـا على الجِـــراحْ
وَارْتَفَعْنـــا على الأَلَـــمْ



لا تقلْ طالتِ الشُجونْ   نحنُ أقوى من الشَجَنْ
كُلُّ ما كانَ أو يكونْ   هانَ . إنْ نحنُ لمْ نَهُنْ
نحن لا ترهبُ المنُونْ   نحن أبقى من الزَمَنْ

ولنا الحبُّ والحياهْ
رغمَ ما تصنعُ الحياهْ

وخُطانا على الرِمالْ   تُطلِعُ الحبَّ والجمالْ
قصُرَ الليلُ أم أطالْ
سيَرانا معَ الصباحْ   عندما يُقبِلُ الصباحْ

قد كبرنا على الجراحْ
وارتفعنا على الألمْ ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الفارابي اللغــوى

● نقرأ للفارابي الفيلســـوف ، ونسمع باسمه كثيرا ، ولكني سمعت بفارابي آخر ، قيل انه من اللغويين ، فمن هو هذا الفارابي اللغوى ، وما أصله ، وفي أي عصر عاش ، وما آثاره اللغوية ؟

فايز عبد الله ـ اربيل ـ العراق

ـ « الفارابي » نسبة الى فاراب ، بلد واقليم وراء نهر سيحون ، على تخوم بلاد التركستان ، بجانب طشقند (تاشكند) ، وقد نسب اليها كثير . ومن ابنائها المشهورين الفيلسوف المعروف أبونصر محمد بن محمد الفارابي أول فلاسفة الاســـلام ، وقد عرف بمؤلفاته الفلسفية والموسيقية ، وله شعر قليل ولكنه جيد ، وقد عاش آخر حياته فترة في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب ، وتوفي في الشام سنة ٣٣٩ هـ .

وجاء بعده الفارابي اللغوى أبو ابراهيـــم اسحاق بن ابراهيم المتوفى سنة ٣٥٠ (أو سنة ٣٧٠ م) وهو صاحبنا المسئول عنه هنا .

وهناك فارابي آخر لغوى هو اسماعيل بن حمّاد الجوهرى وكنيته ابو نصر ، وهو ابن اخت صاحبنا هذا ، توفي سنة ٣٩٨ (او نحو ٤٠٠ هـ) وهو اشهر من خاله ، ولم يشتهر بنسبه «الفارابي» كما اشتهر بنسبته الاخرى « الجوهرى » وهو صاحب المعجم الكبير المسمى « الصّحاح » الذى جمع فيه ما صحّ عنده من الفاظ اللغة ، ومن أجل ذلك سمى كتابه « الصّحاح » ، وقد غطت شهرته في اللغة على شهرة خاله ، لان كتـــابه « الصحاح » لقى اعظم رواج بين العلماء والمدرسين والطلاب ، الى ان ظهر « القاموس » المحيـــط للفيروزابادى ، فاخمله ، وكان من اسباب اشتهار الجوهرى ايضا أن الفيرزابادى في القاموس لـــم يعْنَ بنقد كتاب كما عَنى بنقد الصحاح للجوهرى ، ولهذا نجده يكثر من تخطئته في مئات المواضـــع في القاموس ، فيقول مثلا « ووَهَم الجوهرى » ، ثم اختصر كتاب الصحاح في معجم صغير سمى «مختار الصّحاح» وهو معجم مشهور كثير التداول الى اليوم حتى بين ناشئة المدارس ، لأنه طبع عدة طبعات بعد أن رتبت كلماته على الطـــريقة المعجمية الحديثة ، ثم طُبع الصحاحُ نفســه اخيرا بنفقة أحد وجهاء المملكة العربية الســعودية .

اما صاحبنا ـ المسئول عنه هنا ـ فهو اسحاق ابن ابراهيم الفارابي ، وكنيته أبو ابراهيم ، ولد ونشأ وتعلم في فاراب ، ثم ارتحل استزادة في العلم ، حتى انتهى الى أرض اليمن فسكن زَبيد ، وهي يومئذ من عواصم الدراسات الدينية والأدبيـــة واللغوية ـ وفيها ألف معجمه « ديوان الأدب » .

وقد ذكر له مترجموه ثلاثة كتب : بيان الاعراب ، وشرح أدب الكاتب ، وديوان الأدب ، ويظهر من النظر في هذه الكتب ، وما جاءنا من يسير أخباره أن همته اقتصر في المعرفة على اللغة والنحـــو والصرف ، ولم يشتغل بغيرها ، وليس كتابه « ديوان الأدب » الا معجما لغويا ، فلا شأن له بالأدب (بمعنييه الخاص والعام ، قديما أو حديثا) الا بالالفاظ أو المفردات اللغوية . وهذا المعجم أشهر كتبه ، وكلاهما يعرّف بالآخر ، فيقال « ديوان الأدب للفارابي » كما يقال : « الفارابي صاحب ديوان الأدب » تمييزا له من كل فارابي آخر وقد وصف هو معجمه هذا بانه « ميزان



اللغة ومعيار الكلام » ، وقسمه ستة كتب ، لأن الفعل ـ في مصطلحاتنا الصرفية اليوم ـ اما صحيح او معتل ، والصحيح اما مهموز مثل : اخذ ، سال ، قرا ، او مضاعف (مضعف) مثل : بشر، زلزل ، او سالم (مجرد من الهمزة والتضعيف) مثل ، كتب .ثم ان المعتل اما مثال « معتل الاول » مثل : وجد ، او اجوف (معتل الوسط) مثل : قام وباع ، او ناقص « معتل الآخر » مثل : دعا ومشى . وقريب من هذا اقسام ديوان الادب ، وان تكن مصطلحاته تختلف قليلا عن مصطلحاتنا ، فالكتاب الاول منه في السالم ، والثاني في المضاعف (المضعف) والثالث في المثال ، والرابع في ذوات الثلاثة (الأجوف) والخامس في ذوات الاربعة (الناقص) والسادس في الهمزة (المهموز) ، وكل كتاب من هذه الكتب الستة قسمان. أولهما خاص بالأسماء ، والثاني خاص بالافعال ، وقد رتبت أبوابها وفاقا للترتيب الهجائي (التعليمي)المتداول الآن (ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز) وقد خالف المعاجم الاخرى باخراج الهمزة لانه افردها بقسمها الخاص، كما افرد أحرف العلة باقسامها الخاصة .

ومن حسن الحظ بقاء هذا المعجم ، وان كان لم يطبع وينشر حتى الآن ، وقد اصابه الاهمال والخمول ، ولم يكن كذلك في عهد ياقوت الحموي الذي وصفه بالشهرة والذيوع ، وقد انتفع به بعده كثير من المتعلمين والمعلمين حتى اصحاب المعاجم ، ومنهم الجوهري (ابن اخت مؤلفه) حتى لقد اتهمه احد المستشرقين(كرنكو (Krenkow بانه اخذ في كتاب (الصحاح) كثيرا من كتاب خاله (ديوان الادب) ولكن الموازنة بين المعجمين تبطل التهمة ، لاختلاف المعجمين منهجا ومواد ، ونرجو الله ان ييسر ظهور معجم « ديوان الادب » كما يسر طبع « الصحاح » .

(م. خ. ت)

الاجهاض في فرنسا

● قرأت في احدى الصحف مؤخرا ان فرنسا اباحت الاجهاض مقتفية في ذلك أثر بريطانيا وغيرها .. وانها اتخذت هذه الخطوة الجريئة نزولا عند رغبة الجماهير والمتظاهرين .. فهل هذا صحيح .. وما اثره على الدول الاخرى التي تدين بالمذهب الكاثوليكي؟

عفيف صراوي ـ بيروت

ـ الخبر الذي تذكر غير صحيح ، والاجهاض في فرنسا لا يزال محظورا وتعاقب عليه القوانين . وقل مثل ذلك في الدول الكاثوليكية ، سواء منها الاوروبية او الامريكية . ونذكر هنا ان بعض دول امريكا اللاتينية تحرم الاجهاض تحريما كليا ، ولا تستثني من ذلك الحالات التي يكون للاجهاض فيها مبررات صحية طبية .

فالموجة التي عمت اكثر دول اوربا وامريكا الشمالية ، والتي ادت الى اباحة الاجهاض فيها، بالحد الادنى من القيود او دون شروط البتة

.. هذه الموجة لم تغمر فرنسا بعد . فقانون الاجهاض المعمول فيها لا يزال قانون ١٩٢٠ .

على ان هناك بوادر تشير الى اقتراب فرنسا من الاباحة ـ اباحة الاجهاض . ولا ريب في ان اهم هذه البوادر واخطرها هي الوثيقة (المنيفست) التي رفعت الى الحكومة الفرنسية في شهر فبراير الماضي ١٩٧٣ والتي وقعها ٣٣١ اطباء ، ضموا فيمن ضموا ، اطباء كاثوليك ، معروفين بتدينهم ، وجراحين بارزين . وقد طالب هؤلاء باباحة الاجهاض في فرنسا اباحة مطلقة ، وباجراء عملياته تلبية لمشيئة المرأة الحامل واستجابة لرغبتها . اي ان القول الفصل في الاجهاض انما يعود الى المرأة الحامل دون غيرها . فهي صاحبة الحق في هذا الامر ولا قيمة لرأي زوجها او ذويها ولا شأن للمحاكم ولا حتى للأطباء المختصين فيه . ولا يغير من ذلك اسباب الحمل او ظروفه ولا تبدل منه الاضرار الصحية او الاجتماعية التي قد تلحقها عملية الاجهاض بالمرأة . أضف الى ذلك ان وثيقة الأطباء الخطرة هذه قد دعت الى مجانية الاجهاض وطالبت الحكومة الفرنسية بتوفير المصحات والمستوصفات الكفيلة باجراء عملية الاجهاض دون مقابل ولكل من تشاء من النساء الحوامل .

ولعل اطرف بل اخطر ما يذكر عن هذه الوثيقة ما تضمنته من اعترافات الاطباء والجراحين الموقعين عليها ، فقد اعلن هؤلاء بصراحة انهم كانوا يجرون عمليات الاجهاض غير الشرعية في فرنسا منذ زمن بعيد . ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه الاعترافات من تحد للحكومة فضلا عن الاقرار بخرق القوانين. ولما سئل اصحاب هذه الوثيقة عن السبب الذي حدا بهم الى تعريض انفسهم لطائلة القانون وعقوبة السجن ، اكتفوا بالقول :

« نعتقد أن من واجبنا أن نساعد النساء . » ثم اضافوا : « ومهما يكن من امر فاننا سنقف صفا واحدا في مواجهة المحاكم .. »

وتجدر الاشارة الى وثيقة اخرى ثانية قدمت الى الحكومة الفرنسية بعد تقديم الاولى بيومين فقط وقد وقع هذه الوثيقة الثانية التي تشبه الاولى من حيث المطالب ٢٠٦ من المواطنين الفرنسيين البارزين، ومن بينهم اربعة من حملة جائزة نوبل.

وفي هذه المناسبة نذكر موقف الاسلام من هذه المشكلة وهو ان الاجهاض لا يجوز الا اذا كان في استمرار الحمل مضرة .

(ي. ز)

الامم المتحدة تضم ٢٢ منظمة وهيئة

UN

United Nations

● هل لكم ان تذكروا لنا عدد المنظمات والهيئات التابعة للامم المتحدة واعمال هذه المنظمات .

حسام عسل ـ جمهورية مصر العربية

ـ هناك ٢٢ منظمة وهيئة دولية تتبع الامم المتحدة هي :

١ ـ UNRWA « الانروا » والحروف تمثل اختصار اسم المنظمة والذي يبين طبيعة عملها وهي منظمة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأوسط .

UNRWA

United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East

٢ ـ اليونيسيف « UNICEF » . صندوق الامم المتحدة للاطفال . وعمله مساعدة اطفال العالم في حالات المجاعة او التشرد والكوارث ومساعدة الاطفال في الدول الفقيرة .

UNICEF

United Nations Children's Fund

٣ ـ UNHCR مكتب المندوب السامي للامم المتحدة لشئون اللاجئين .

UNHCR

Office of United Nations High Commissioner for Refugees

٤ – .U.N.D.P برنامج الامم المتحدة للتنمية .

UNDP
United Nations Development Programme

٥ – UNCTAD مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية .

UNCTAD
United Nations Conference on Trade and Development

Trade and Development Board

٦ – UNIDO منظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية .

UNIDO
United Nations Industrial Development Organization

٧ – محكمة العدل الدولية ومقرها الرئيسي في لاهاي بهولندا .

International Court of Justice
Headquarters: The Hague

٨ – اليونسكو UNESCO منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ومقرها الرئيسي في باريس .

UNESCO

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
Headquarters: Paris

٩ – منظمة الصحة العالمية WHO ومقرها الرئيسي في جنيف .

WHO

World Health Organization
Headquarters: Geneva

١٠ – الفاو FAO منظمة الامم المتحدة للاغذية والزراعة . ومقرها الرئيسي في روما .

FAO

Food and Agriculture Organization of the United Nations
Headquarters: Rome

١١ – منظمة العمل الدولية ILO ومقرها الرئيسي في جنيف .

ILO

International Labour Organization
Headquarters: Geneva

١٢ – منظمة الأرصاد الجوية الدولية W.M.O ومقرها الرئيسي جنيف .

WMO

World Meteorological Organization
Headquarters: Geneva

١٣ – الوكالة الدولية للطاقة الذرية IAEA ومقرها الرئيسي في فينا .

IAEA

International Atomic Energy Agency
Headquarters: Vienna

١٤ – الاتحاد الدولي للمواصلات I.T.U ومقره الرئيسي في جنيف .

ITU

International Telecommunication Union
Headquarters: Geneva

١٥ – اتحاد البريد العالمي U.P.U ومقره في برن بسويسرا .

UPU

Universal Postal Union
Headquarters: Berne

١٦ ـ منظمة الطيران المدني الدولية I.C.A.O ومقرها الرئيسي مونتريال كندا .

ICAO

International Civil Aviation Organization
Headquarters: Montreal

١٧ ـ منظمة الملاحة الاستشارية I.M.C.O ومقرها لندن .

IMCO

Inter-Governmental Maritime Consultative Organization
Headquarters: London

١٨ ـ صندوق النقد الدولي I.M.F. ومقره الرئيسي واشنطن .

IMF

International Monetary Fund
Headquarters: Washington D.C.

١٩ ـ البنك الدولي للانشاء والتعمير I.B.R.D ومقره الرئيسي واشنطن .

IBRD

International Bank for Reconstruction and Development
Headquarters: Washington D.C.

٢٠ ـ الرابطة الدولية للتنمية I.D.A. ومقرها الرئيسي واشنطن .

IDA

International Development Association
Headquarters: Washington D.C.

٢١ ـ المجلس المالي الدولي I.F.C. ومقره الرئيسي واشنطن .

IFC

International Financial Corporation
Headquarters: Washington D.C.

٢٢ ـ الاتفاقيات العامة على التعرفة الجمركية والتجارة GATT ومقرها الرئيسي جنيف .

GATT

General Agreement on Tariffs and Trade
Headquarters: Geneva

(م. ط)

الحماة
دائما ابدا !

● تزوجت فتاة في العشرين من عمرها تنتمي لأسرة محافظة بعد خطبة طويلة دامت لأكثر من عامين ، فقد كنت مازلت طالبا في الجامعة ولم اشأ ان تحتفل بزواجنا قبل تخرجي . •

وقد بدات متاعبي يا سيدي منذاليوم الاول الذي تقدمت فيه طالبا يد هذه الفتاة التي احببتها واخترتهـالتكون شريكة لحياتي .. وكان مصدر هذه المتاعب هو « حماتي » المقبلة التيراحت تفرض على شروطا لا طاقة لي

بها .. وليت الامر اقتصر على الاوامر والتعليمات التى كانت تصدرها، ولكنها كانت تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بحياتنا ـ انا وزوجتى المقبلة ـ وكانت حجتها فى ذلك أنها أم لفتاة واحدة ، هى تلك التى قبلت أن تزوجنى اياها، لبقية أولادها كلهم من الذكور .. وتحملت كل شىء فى سبيل الفوز بالفتاة التى كان حبى لها يزداد يوما بعد يوم ، وتقبلنا كل طلبات الام القاسية التى لم تكن ترحم ، رغم رقة حال والدى الفلاح البسيط ..

وتزوجنا ، وبدأت مشاكلنا مع حماتى يستفحل خطرها ، انها لاتحتمل فراق ابنتها .. لا تريد لها أن تعيش بعيدة عنها فى بيت زوجها .. انها تريد منا أن تنتقل من بيتنا الصغير الذى أنفق والدى فى تأثيثه كل ما يملك من اجل اسعادنا ، لكى نعيش معا فى بيتها تحت سقف واحد ..

ان عزائى الوحيد يا سيدى أن زوجتى تحبنى وهى لا تريد العودة للحياة فى بيت أمها .. انها توافقنى الرأى فى كثير من الامور التى تهدف الى التخلص من سلطان امها علينا واستبدادها بنا .. ان زوجتى يا سيدى حامل فى شهرها السابع ونحن نستعد الآن لهذا الحدث السعيد، قولوا لى بالله عليكم ماذا افعل مع هذه الحماة ؟ »

المعذب حسن ـ قضاء راشيا ـ لبنان

ـ ان الحل يا بنى لمشكلتك يكمن فى تلك السطور القصيرة التى ختمت بها شكواك .. ان زوجتك تحبك ، كما ذكرت ، وهى توافقك فى كل ما تراه من اجل التخلص من نفوذ امها .. فليست هناك مشكلة اذن ؟

لقد كان من الممكن أن يستعصى الحل لمشكلتك لو ان زوجتك تستمع الى امها ، ولو انها كانت تتأثر بكلامها ، ولكن ما دمت متفاهما معها ، وما دامت هى الاخرى ترى ان لا بد من التخلص من نفوذ هذه الام وسيطرتها على حياتكما ، فليست هناك مشكلة ..

ان زوجتك على ما يبدو فتاة ناضجة تدرك ان سعادتها فى استقلالها مع زوجها فى حياتهما الجديدة . فما دمت قادرا على الانفاق عليها ، وما دمت غير محتاج الى مساعدة احد من اهلها ، فليس هناك من سبب يمنعك من الاصرار على أن تعيشا انت وزوجتك ـ حياة مستقلة ، فلا تسمحان لاحد بالتدخل فى شئونكما او فرض سيطرته عليكما .

ولكن هناك مسألة أخرى ، يجب ان تحسب حسابها الآن .. ان زوجتك تنتظر حادثا سعيدا ، وهى ككل فتاة حديثة العهد بالزواج ، فى حاجة الى رعاية امها عندما تضع مولودها ، وبعد ان يصل المولود الجديد .. ولهذا فاننا ننصحك بالا تحاول أن تقطع علاقتك بحماتك دفعة واحدة .

اذهبا لزيارتها معا ، ولكن لا تدع الام تنفرد بابنتها طويلا .. حاول أن تكون دائما قريبا منهما، حتى لا تحاول التأثير عليها ، وكسب عطفها .

انك تستطيع فى الوقت نفسه أن تستميل حماتك يا بنى .. قدم لها الهدايا البسيطة فى حدود امكانياتك ، فى الاعياد والمناسبات ، حدثها حديثا حلوا حتى لو اساءت اليك .. حاول ان تشعرها بانها قد كسبت ابنا جديدا فى الاسرة .. حاول ان تقنعها بانها لم تفقد ابنتها كما تتصور ، وانكما ترحبان بزيارتها واستضافتها فى بيتكما فى اى وقت ، ولا تستطيعان ابدا الاستغناء عن حبها ودعواتها الصالحة .. حاول أن تبعد عن ذهن حماتك انك قد حرمتها من ابنتها بعد زواجك بها

م . ن

طرائف غريبة

(ثمن الجهل !)

● قصد أحد كبار رجال الاعمال الامريكيين لزيارة الرسام الاسباني الشهير بيكاسو الذى توفى فى شهر ابريل الماضى عن ٩١ عاما ، ليشترى لوحة من لوحاته الشهيرة ، يضيفها الى مجموعة اللوحات التى كان يقتنيها ..

ودخل الرجل المرسم وراح يتجول بين اللوحات المعروضة طويلا ، وأخيرا وقف امام لوحة كبيرة ، وراح يبدى أعجابه الشديد بألوانها الزاهية وخطوطها المتشابكة . وأحس بيكاسو الذى كان منهمكا فى ذلك الوقت فى وضع اللمسات الاخيرة على احدى لوحاته الجديدة ، باهتمام الزائر بلوحته ، فاقترب منه ، وقال متسائلا : « هل استطيع مساعدتك يا سيدى ؟ »

وابتسم الزائر ، وهو يفرك يديه ، وقد بدت على وجهه علامات الارتياح ، ثم مد يده وراح يربت على كتف الرسام الكبير وقال : « لقد وجدتها .. هذه هى اللوحة التى كنت ابحث عنها منذ زمن طويل .. ما اروع هذه الخطوط التى تعبر عن السعادة والفرح ، ثم تلك الدوائر الكبيرة والصغيرة التى تمثل الوجوه المرحة المستبشرة بالحياة ... سوف أشترى هذه اللوحة يا مستر بيكاسو .. ولكن كم تطلب ثمنا لها ؟ »

وقال الرسام الكبير : « المبلغ هو مائة الف دولار .. ولكننى لا أظن ان هذه هى لوحتك الضالة يا سيدى ، فهى لا تمثل شيئا مما كنت تتصوره وتتحدث عنه .. انها ترمز الى شىء آخر لا يمت الى السعادة بصلة .. انها قصة السمك الكبير الذى يأكل السمك الصغير .. انها قصة الحياة نفسها .. ومن أجل هذا فقد طلبت هذا المبلغ الكبير ثمنا لها وقد كنت على استعداد لأن ابيعك اياها بربع هذا المبلغ وهو ثمنها الاصلى لو انك استطعت ان تكتشف ما ترمز اليه هذه اللوحة اما وقد طلبت هذا الثمن الكبير ، فما كان ذلك الا لجهلك بالفن ! » .





(شاب فى الخامسة والثمانين)

● أصيب كونراد اديناور مستشار المانيا الغربية الراحل بنوبة انفلونزا حادة، وكان قد جاوز السادسة والثمانين من عمره ، وهو مازال فى كرسى الحكم .. وعاده طبيبه الشاب الذى جلس يصف للمستشار العجوز الدواء، ويضع له نظاما للطعام قاسيا ، حرم عليه تناول الدهنيات والحلوى وكل طعام من شانه ان يضاعف نسبة مادة الكلوسترول فى الدم !

وقال اديناور : « انك بذلك تريد ان تميتنى جوعا » .. اما الدواء فسوف اواظب على تناوله ، ولكننى لا استطيع ان احرم نفسى من الغذاء ! »

فقال الطبيب وقد استبد به الغضب: « اسمع يا مستر اديناور .. انا طبيب، ولست بساحر ، ولذا فارجو الا تتوقع منى ان اعيد اليك شبابك ! »

وثار اديناور ، وقام من فراشه ، ووقف فى منتصف الغرفة ، ثم صاح متحديا : « ومن الذى قال لك اننى لم اعد شابا .. هل ترى هذه المائدة التى تتوسط الغرفة .. حاول ان ترفعها ! »

واقترب الطبيب من المائدة الرخامية، وحاول ان يرفعها ولكنه عجز حتى عن تحريكها عن مكانها . !

وهنا تقدم اديناور بهدوء ، وانحنى تحت المائدة ورفعها بظهره ثم ما لبث ان اعادها الى مكانها فى هدوء ..

قال وهو يودع طبيبه : « ارجو ان تكف يا سيدى عن قياسك لأعمار الناس بالسنين ! سوف آكل الزبد والجبن والحلوى حتى لو علمت انها ستؤدى الى موتى غدا ! »

(الفيلسوف المتهور !)

● قال برنارد شو فيلسوف بريطانيا الساخر يصف سلوكه فى مواجهة الأزمات والمواقف الحرجة :

« عندما تحل بى ازمة طارئة ، اجد اعصابى كلها قد بدات تثور بطريقة غير عادية ، فاذا ما احسست بأن الكارثة وشيكة الوقوع لا محالة ، بدات استعد لمواجهتها بكل ما املك من قوة ، فأكشر عن انيابى ، وافرد عضلات جسمى ، تماما كما لو كنت استعد لملاكمة مصارع محترف .. وعندما يصبح استعدادى كاملا لمواجهة ما كنت اتوقعه ، ابدا فى التصرف ، وبسرعة هائلة ، ولكن سرعان ما اكتشف مدى الخطا الفظيع الذى ارتكبته .. كنت اعبر الشارع يوما ، عندما فاجأتنى سيارة فاخرة كادت تدهسنى ! وتوقف السائق ، ونزل من سيارته ، وراح يعتذر لى ! ولكننى لم اعبأ بكلماته .. لقد احسست بالدم يغلى فى عروقى ، وانا اراه يقف امامى وجها لوجه .. لم اسمع كلمة واحدة مما كان يقول لى ! كل ما شعرت به فى تلك اللحظة هو الرغبة الجامحة التى تملكتنى لتأديب هذا السائق المتهور ، فرفعت يدى وصفعته صفعة قوية على وجهه ..

« وتوقعت ان يرد على الرجل الصفعة بمثلها .. ولكن « المصارع » الجبان ، انسحب من الحلبة فى هدوء وعاد الى سيارته ..

وفى هذه اللحظة ، سمعت صوتا من السيارة يقول: « اسعدت مساء يا مستر شو .. أرجو ان تقبل اسفى انا ايضا!»

ولم يكن صاحب الصوت سوى صديقى مستر كليمنت اتلى رئيس الوزراء وزعيم حزب العمال البريطانى ! »

أنباء الطب والعلم والاختراع

هورمون لاثارة عواطف الأمومة في الحيوانات الثديية

● من المتعارف عليه علميا ان تغيرات هورمونية معينة ، اثناء الحمل والولادة ، هي التي تسبب اثارة عواطف الأمومة والسلوك الابوى فى الحيوانات الثديية . ولكن ، حتى وقت قريب ، كان من الصعب اثارة السلوك الأمومي في حيوانات التجارب داخل المعامل بحقنها بالهورمونات . وقد نجح بعض العلماء اخيرا في تطبيق نظام جديد لخلط الدم بين الفئران وبعضها . وعندما قام هؤلاء العلماء بعملية الخلط هذه بين دم فارة ام ، لم يمض على عملية وضعها لأطفالها سوى دقائق ودم فارة عذراء لم تلد ، ظهرت علامات السلوك الأمومي على الفارة العذراء . وقد اتضح من التجارب التي قام بها هؤلاء العلماء على ٤ مجموعات مختلفة من الفئران ان الدم المنقول من الامهات بعد الولادة مباشرة هو الذى يسبب اثارة عواطف الأمومة، اما اذا تمت عملية خلط الدم بعد عملية الولادة او قبلها بـ ٢٤ ساعة فان تاثيره على ناحية السلوك الاموى يكون معدوما .

وقد اسفرت تجربة تمت بين فارة لم يمض على ولادتها اكثر من ٣٠ دقيقة وفارة عذراء عن نتائج مثيرة . فقد وضع العلماء فئرانا مولودة في قفص الفارة العذراء عند بداية خلط الدم . وقد سجلوا ظهور علامات السلوك الاموى على الفارة العذراء قبل مضي ١٤ ساعة من عملية خلط الدم . وتتلخص هذه العلامات في عملية لحس الاطفال ، واحتضانهم والسماح لهم بمص الثدى . ومن المعروف عند علماء السلوك الحيواني ان الفارة العذراء، تحت الظروف العادية تتجنب الفئران الصغيرة الوليدة لعدة ايام قبل ان يظهر عليها اى ميل نحوها ، ثم يبدأ السلوك الاموى يؤثر في تصرفاتها نحو هذه الفئران الوليدة .

وفي تجارب اخرى اجريت لخلط دم فارة حامل قبل موعد وضعها بـ ٢٤ ساعة ، وفارة عذراء لم تظهر علامات السلوك الاموى على الفارة العذراء . وكذلك في حالة فارة ام مضى على وضعها ٢٤ ساعة ، خلط دمها بدم فارة عذراء ، فان عملية خلط الدم لم تؤثر على سلوك الفارة العذراء .

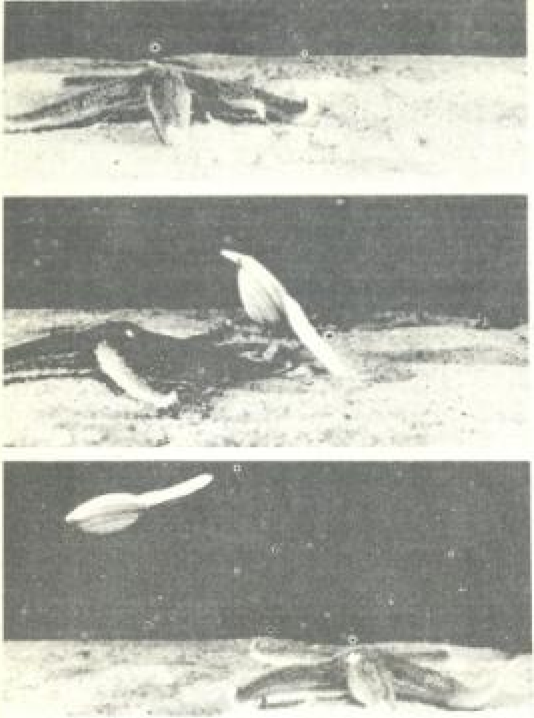
وقد استخلص العلماء الذين اجروا هذه التجارب من مشاهداتهم ، انهم يعتقدون ان التغيرات الهورمونية اثناء الحمل ليست هي التي تثير السلوك الاموى في الحيوانات ، ولكن يبدو ان هناك مزيجا هورمونيا معينا او هورمونا واحدا، ينتج عن تغير الصورة الهورمونية الذى يحدث قبل عملية الولادة بزمن قليل وبعدها مباشرة . هو الذى يؤثر تاثيرا مباشرا على السلوك ويثير عواطف الامومة في الحيوانات الثديية .

صراع من اجـل البقـاء

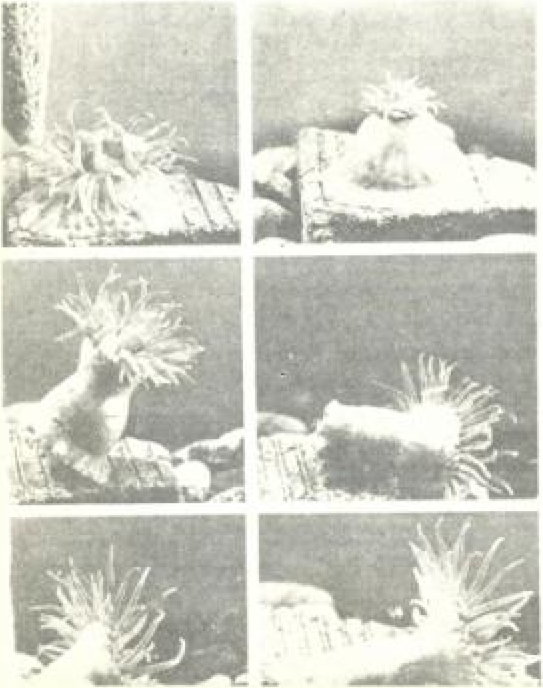
● حب البقاء والدفاع عن النفس غريزة من غرائز الحيوان .. وهى توجد فى كل الحيوانات من اصغرها رتبة الى اعلاها . وقد لاحظ العلماء ان الحيوانات الصغيرة اللافقارية والتى تعيش فى البحار مثل القواقـــع والأسماك الصـــدفية والبطلينوس Clam ، وغيرها لا تختلف عن بقية الحيوانات فى صراعها من أجل البقاء واستغلال قدراتها المحـــدودة فى الهرب من الحيوانات الأخرى التى تعيش على افتراسها . وقد اجريت مشاهدات عديدة فى قاع البحر و فى المعامل البحرية بالجامعات لدراسة هـــذه الظاهرة .. ومن بين الملاحظات التى سجلها العلمــاء ن الحيوان المفترس قلمـــا يقترب من فريســة سريعة الهرب، بل يفضل افتراس لحيوانات التى ليست لها قدرة كبيرة على الهرب . والصورة المنشورة مع هذا لكلام تبين بوضوح تفاصيل هروب نوعين ن الحيوانات التى تعيش فى البحار من نجمة البحر Starfish » والتى تعتبر ن الد اعداء هذه الحيوانات .

والصورة الاولى تبين من اعلى «نجمة لبحر » عندما لمست شعبة Siphon ميوان البطلينوس التى تظهر من رمال اع البحر . وهذه الشعبة هى جزء بض صغير يبعد عن نهاية الذراع الايمن بطلينوس بثلث طول هـــذا الذراع . فجأة عندما يشعر البطلينوس بنجمة بحر يفرد قدمه (الصورة الوسطى) . ويتقلب ثم يفر هاربا ناجيا بحياته الصورة السفلى) .

وتمثل الصور الأخرى «انيمون البحر» ناء عملية هروبه من « نجمة البحر » مراحلها المتعددة .. الصورة الاولى اع نجمة البحـــر يلمس الانيمون ، سرعة يبدأ الانيمون فى سحب مجساته Tentacl (الصورة العليا الى اليمين)



الصورة الاولى وتمثل عملية هروب البطلينوس من نجمة البحر .
الصورة الثانية وتمثل عملية هروب «انيمون البحر » من نجمة البحر .



وبعد ثوان قليلة (الصورة اليسرى فى الوسط) يبدأ الانيمون فى فصل نفسه عن الطبقة السفلية التى يعيش فوقها ، وبسرعة يتم انفصاله ، ويتكون شكل مخروطى يبدأ فى الحركة بحركة انقباض (الصورة العليا الى اليمين) وبعد ثوان قليلة (الصورة اليسرى فى الوسط) يبدأ الانيمون فى فصل نفسه عن الطبقة السفلية التى يعيش فوقها، وبسرعة يتم انفصاله، ويتكون شكل مخروطى يبدأ فى الحركة بحركة انقباض (الصورة اليمنى فى الوسط) . وفى خلال ١٠ ثوان يكون الحيوان قد تحرك بعيدا عن طبقته السفلية هاربا من « نجمة البحر » .. (الصورة السفلى الى اليسار) ..وبعد ان يتم له الهرب يبدأ فى الراحة والعمل على الاستقرار مرة اخرى .. وتتم عملية التصاقه بطبقة سفلية جديدة خلال ١٥ دقيقة .. ان هذه الصور تبين غريزة حب البقاء والدفاع عن النفس حتى فى الحيوانات الدنيا .

الحصبة الالمانية وتاثيرها على سلوك الطفل

● عندما اجتاح وباء الحصبة الالمانية امريكا فى عام ١٩٦٤ ، ترك وراءه ٣٠ الف طفل ، ولدوا لأمهات أصبن بالمرض اثناء فترة الحمل ، مصابين بتشوهات خلقية كالصمم واعتام عدسة العين Cataract ومن الأبحاث التى اجريت اخيرا ، يبدو من المحتمل ان يكون للحصبة الالمانية تأثير نفسى يؤدى الى اصابة المواليد بحالة مرضية نفسية تسمى بالتوحد Autism وهى تعنى الاسترسال فى التخيل تهربا من الواقع ، كما ان الطفل او الشخص الذى يعانى من هذه الحالة يبتعد كلية عن التفاعل مع الذين حوله من الناس .

وتدل الاحصائيات فى كل من بريطانيا وامريكا ان نسبة عدد المصابين «بالتوحد» فى مجموع السكان تبلغ اقل من ٥ حالات بين كل ١٠ آلاف مولود . ولكن هذه النسبة ترتفع بالنسبة للمواليد الذين اصيبت امهاتهم بالحصبة الالمانية . فمن بين ٢٤٣ طفلا من هؤلاء ، تم فحصهم فى المركز الطبى بجامعة نيويورك ، ارتفعت النسبة الى ٤١٢ حالة من بين كل ١٠ آلاف .. !! وتم فحص مجموعة أصغر من الأطفال فى كلية طب بايلور Baylor وجاءت النتيجة ضعف النسبة التى أثبتها المركز الطبى فى جامعة نيويورك .

وقد اثبتت الدكتورة ستلا تشيس Stella Che:s استاذة الطب النفسى فى جامعة نيويورك ان ٢٠٪ من بين ٢٤٣ طفلا نجوا من اى تشويه عضوى .. وان ٥٠٪ لا تظهر عليهم اية علامات لاضطرابات نفسية . فى حين ان ٩ اطفال من الذين ظهرت عليهم علامات التخلف العقلى ، يعانون ايضا من « التوحد » بينما ظهرت اعراض « التوحد » على طفل واحد لا يعانى من التخلف العقلى .. وظهرت بعض اعراض « التوحد » الجزئى على طفل واحد لا يعانى من التخلف العقلى ، بينما ظهرت هذه الاعراض على ٦ اطفال من المتخلفين .

ولم تظهر اية علامات « للتوحد » على ٦٥ طفلا آخرين مصابين بالتخلف العقلى، ودلت البحوث على ان ١٠ اطفال من بين ٢٤٣ يعانون من« التوحد» الكامل بخلاف ٨ اطفال يعانون من «التوحد» الجزئى .

وتقول الدكتورة تشيس « ان هذه الدراسات تبين بوضوح وجود علاقة بين



خريطة تبين ان البحر المتوسط كان صحراء قاحلة منذ ٧ ملايين سنة

منذ ٧ ملايين سنة
البحر المتوسط كان صحراء قاحلة !!

● منذ اكثر من سبعة ملايين عام كانت جغرافية أوربا تختلف تماما عما هى عليه الآن . فأغلب منطقة شمال شرق أوربا كانت عبارة عن بحيرة كبرى تحتوى على ماء حلو او يميل قليلا الى الملوحة . وكانت هذه البحيرة تمتد من ضواحى فيينا شرقا الى ما بعد بحر الآرال Aral Sea .. وقد أطلق الجيولوجى الفرنسى موريس جينو Maurice Gignoux أسم « لاك مير » اى البحيرة البحر Lac Mer على هذه البحيرة الكبرى .

وفى هذا الوقت كان البحر المتوسط قد انفصل عن المحيط الأطلسى . وقبل ظهور جبال الكارباث Carpathian والتى برزت على سطح الأرض منذ حوالى ٧ ملايين سنة ، كانت بحيرة « اللاك مير » تصب فى منطقة البحر المتوسط حيث تكون سلسلة بحيرات كبيرة وسط هذه المنطقة . وقد ترسبت فى هذه البحيرات طبقات من الطحالب الديالوميدية Dialomites .

وعندما ظهرت « جبال الكارباث » شكلت حاجزا أمام مياه « لاك مير » وحرمت منطقة البحر المتوسط من المياه التى تصب هناك . ونتيجة لهذا تحولت منطقة البحر المتوسط كلها الى صحراء شاسعة .. وتحولت البحيرات التى كانت فى المنطقة الى بحيرات ضحلة .

وتبين الخريطة منطقة اللاك مير ، وكذلك منطقة البحر المتوسط والبحيرات التى كانت فيها قبل ان تتحول الى صحراء .

مرض الحصبة الالمانية واصابة الأطفال « بالتوحد » . وان كان الأطباء لم يستطيعوا حتى الآن تحديد الضرر العضوى الذى ينتج عن الحصبة الالمانية ويسبب الاصابة النفسية . وتقترح الطبية الأمريكية أن يتم سؤال أمهات الأطفال المصابين « بالتوحد » عما اذا كن قد أصبن بالحصبة الالمانية اثناء فترة الحمل .. وذلك لتحديد العلاقة بين هذين المرضين بطريقة أدق .

قصة قصيرة

بين الخداع والحقيقة

بقلم

ابراهيم مهدى الشبلى

■ كانت زينب تحس بألم يعصر قلبها كلما وقع نظرها على مقعد احدى زميلاتها اللاتي تزوجن ، وهي اليوم تحس بهذا الالم كأشد ما يكون عليها ، لأن هند صديقتها الوحيدة ، ستسافر مع عريسها في اليوم التالي لقضاء شهر العسل في القاهرة .. ترى ما طعم هذا العسل ؟ .. ايه ، ولم الحسرة والألم ، وليس في الحياة الزوجية غير المتاعب والمشاكل ؟ ثم لم كل هذا اليأس فهي ليست قبيحة بدرجة تسبب الاشمئزاز ؟ فعسى أن يتقدم اليها « ابن الحلال » الذي ستحبه بكل عواطفها ، وتسعده بكل ما أوتيت من وسائل .

وقامت الى المرآة لتصلح ما يمكن اصلاحه ، وتذهب الى حفلة صديقتها هند .

أطالت النظر الى صورتها المنعكسة على صفحة المرآة : « لا يا زينب ليس هناك أى أمل .. يجب أن لا تخدعي نفسك ، فمن الأفضل أن تعترفي بالواقع ، فقد يريحك ذلك ، تصوري نفسك شابا ، فهل ترغبين في أن تقضي هذا الوجه أمامك طوال العمر ، بالرغم من امتلاء الحياة بالجميلات !! تأكدي أن لا زوج لك أبدا .. »

وهنا اغرورقت عيناها بالدموع ، وظلت في مكانها امام المرآة ، ودموعها تنهمر بغزارة .. ثم رأت شفاه صورتها في المرآة تتكلم ثانية : « لا تؤذي نفسك يا زينب فالألم والبكاء لا يصلحان شيئا فإن كان مقدرا لك أن تعيشي حياتك بلا زوج فما عليك الا أن تعيشي سعيدة من دون هذا الشيء الملعون الذي يسمونه زوجا .. حاولي أن تعيشي سعيدة بهذا الوجه القبيح ، وأن تجعلي الناس يحبونه بالرغم من قبحه ، لسمو خلق صاحبته ، وطيبتها وعطفها على الناس ومساعدتها لهم .. وإن كانت لأكثر الفتيات وجوه جميلة ، فلك روح جميلة ، وذكاء عال ، فحاولي استغلال هذا الذكاء وسترين كيف يصبح اسمك على كل لسان ، وكوني طبيعية .. أجل ، كوني طبيعية في تصرفاتك ، لأن التصنع يثير السخرية ، أتذكرين كيف جعلت من نفسك أضحوكة حين كنت تستعملين خفة الدم ! أتذكرين ما قاله لك ذلك الشاب اللعين : « ما أحلى خفة دمك يا غوريلا ! ! » أو أتذكرين عندما فرت حطيات الى الاتزان الشديد ، كيف أن ذلك لم يجد نفعا أيضا ، حيث غمزك أحدهم بقوله : « يا ساتر يا رب .. دمامة وثقل دم !! » فمن الأفضل أن تكوني طبيعية ، وأن تكوني أفضل من الجميلات الدراسة .. لم لا تعطى الأمل في العريس ، فقد يتقدم اليك من يهمه جمال الجوهر .. ولكن هل هناك شاب لا يهتم بجمال المظهر ؟ » .

وفكرت قليلا .

« أحبك » العصافير . .

وتهلل وجهها فرحا ثم تلاشت ابتسامتها . .

« ولكن اين هو العصفور يا رب ؟ لا يوجد بين رجال الاقارب والجيران والمعارف كلهم رجل واحد أعمى . . اين انت ايها الشاب الاعمى ؟ اين انت يا حبيبي المجهول ؟ . . ولكن لم كل هذا التفكير في الزواج ، يا زينب ؟ فان املك فيه كأمل الظمآن في سراب الصحراء . . أليس ذلك فعلى الانسان أن يعترف بواقعه ، وأن يحاول أن يعيش سعيدا في ذلك الواقع . . »

ورأت صورتها في المرآة تبتسم ابتسامة جميلة لأول مرة في حياتها فقد كانت ابتسامة طبيعية مبعثها راحة النفس .

واصبحت زينب حديث المدرسات والطالبات ، للتغير الذى طرأ عليها ، وعلى نشاطها المدرسي ، فقد اخذت تتقدم في دراستها تقدما ملحوظا ، وقد اخذت تكتسب احترام الجميع ومحبتهم ، تطيبها وادبها الجم وتعاونهاودوما أن شارف العام الدراسي على الانتهاء حتى كانت احسن طالبة في الصف ، وحققت امل مدرساتها فيها ، فكانت الاولى على مدارس البنات على مستوى القطر كله في الامتحان الوزارى .

والتحقت بكلية الآداب ، فكانت المع طالبة في قسم اللغة العربية ، وما أن وصلت الى السنة الثالثة حتى شعرت أن غرفة الدرس اخذت تضيق بامكانياتها الادبية ، فبدأت تنشر بعض المقالات على صفحات الجرائد والمجلات المحلية العربية .

وفي نهاية السنة الرابعة كانت الاولى على قسم اللغة العربية ، وكان اسمها أكثر الاسماء التى رددها عريف الحفل في حفلة التخرج لكثرة ما حصلت عليه من الجوائز .

وامتلأ البيت بالاقارب والمعارف الذين جاءوا مهنئين فخورين بزينب ، وجلس الجميع حولها وحول جوائزها ، واخذ كل لسان ينطق أجمل ما



يحفظ من عبارات المديح ، فهي زينب العبقرية ، وهي الاديبة وهي نجمة حفلة التخرج الساطعة ، وهي .. وهي ..

مرحى لك يا زينب والف مرحى ، فقد حققت انتصارا رائعا ، واصبحت في نظر الناس كل شيء، فانت الع نجمة في سماء الجامعة ، والع النجوم واجملها ، فانت اذن اجمل ما في الجامعة ..

واسكرها هذا الاستنتاج فوضعت ساقا فوق أخرى وتعمدت ان تبرز منهما اكثر مما يجب ، فقد كانت متأكدة من جمالها بشهادة صويحباتها، ووضعت وسادة خلف ظهرها ليزداد بروز نهديها اللذين كانت واثقة من جمالهما ، وتململ بعض الرجال في مقاعدهم ، واخذ البعض الاخر يختلس النظر الى المفاتن المثيرة هذه ، فارضى ذلك انوثة زينب ، وشعرت انها قد اكملت انتصارها .. انها حقا في ساعة فرحة نسيت دموعها وحسراتها .. انها في ساعة النصر .

ودق جرس التلفون ، فقامت اليه وهي تمشي غير مشيتها المألوفة ، اذ تركت جسمها يتهادى بمنة وبسرة اكثر من المعتاد .

ـ الو !

ـ ساهرة

ـ اهلا ساهرة .

ـ اهنئك زينب .. فرحت والله بنجاحك الممتاز

ـ اشكرك ساهرة . اهنئك بنجاحك انت ايضا .

ـ انا لا اهتم بالنجاح كما تعرفين ، لكن شكرا على اى حال . زينب ارجو ان تحضرى حفلة زفافي يوم الخميس القادم .

ـ يظهر انكم مستعجلون ، حسنا ذلك ، فخير البر عاجله .

ـ اعتقد انى ايضا استحق جائزة على دراستي ونجاحي . وخالد هو جائزتى .

ـ انه جائزة رائعة .

ـ ماجدة ستسافر مع مهند ، في الاسبوع القادم ، لقضاء شهر العسل في القاهرة .

هل سمعت ان سلوى قد خطبت وان عليا سيتزوج ابنة عمه ، وان ..

ـ نعم ، نعم اعرف كل ذلك وسأحضر حفلة زفافك بكل سرور ، معذرة فلدى ضيوف مع السلامة .

عادت الى مجلسها بعد ان امتصت اسلاك التلفون كل سعادتها وفرحتها .. ان ساهرة اللعينة لا تحبها ، وهي لم تكلمها لمجرد الرغبة في دعوتها لحضور زفافها ، بل انها اختارت هذا الوقت بالذات ، لكي تفسد عليها لحظات فرحتها بنجاحها وجوائزها ، اذ غمزتها بقولها « وخالد هو جائزتى » . انها تريد ان تقول : انه لا قيمة لجوائز زينب الخالية من الحرارة والحياة ، وان شريك الحياة الذي حصلته هو اثمن من كل جوائز زينب وشهرتها .. آه منك يا ساهرة لم تنغصين ساعات هنائي علي؟ انني ما اسأت اليك يوما ، فلم تعملين على ايذائي ، وتبديد سعادتي التي اعرف انا ، اعرف جيداً ، انها سعادة زائفة ؟

واستعادت بعض مواقف ساهرة الماضية معها ، وكيف انها كانت تستعمل نفس السلاح في محاربتها، فكلما دار حديث الطالبات عن الدروس وعن تفوق زينب فيها ادارت الحديث بلباقة الى الحب والشبان الذين كانوا يضايقونها بمعاكساتهم ، وكان ذلك الحديث كفيلا بأن يعقد لسان زينب ، ويعصر قلبها ، ويحرق احشاءها .. انها تحس بكل ذلك الآن كافي ما يكون عليها ، فهي لا تميل الى الكلام مع زوارها ، كما انها تحس وكأن يدا قاسية تمسك بقلبها وتعصره بعنف ، فيسبب له ذلك وخزا في صدرها وضيقا في تنفسها . ولم تستطع ان تشارك الزائرين الطعام ، لأن كل لقمة كانت تنزل الى معدتها وكأنها جمرة من نار . ولم تنم ليلتها ، لان انفاسها كانت تضيق كلما اغمضت

عينيها ، وكان وحشا هائلا كان يجثم عليها ، حتى ليكاد يخمد انفاسها ، ويتركها برهة ، ليعود اليها ثانية أشد وأقسى .

وطلع عليها صباح اليوم التالي ليظهرها على حقيقتها امام نفسها وامام اهلها ، محطمة مريضة يائسة في أوج عزها ونجاحها .. كان منظرها يثير الاشفاق : فعيناها محمرتان ، ولونها اصفر مخضر ، وقد زاد شقاؤها في دمامتها .. ولم تلق على اهلها تحية الصباح كعادتها كل يوم ، بل توجهت الى غرفتها ، وتهالكت على اقرب مقعد ، واسبلت أجفانها ، واخذت تمر بذهنها على كافة اجزاء جسمها تتفحصها ، تسألها عما بها فاذا هي جميعا تشكو ما تعانيه من ارهاق والام ، واعلنت مرارة فمها وصداع راسها ضعفها وعجزها عن امكان تخفيف أى ألم من هذه الالام الموزعة على اعضاء جسمها ، وارادت أن تهرب من آلامها بان تشغل نفسها بشيء ينسيها هذه النفس المتعبة ، فاخذت تجول بنظرها في ارجاء الغرفة وتوقفت نظراتها عند منضدة الجوائز .. هذا هو حصادك يا زينب .. انك كبستاني يصنع له سلالا جميلة من اغصان شجيراته ، وما أن يحل موسم جنى الفاكهة ، حتى لا يجد ما يملأ به تلك السلال الجميلة .. لقد حاولت دوما الهروب من واقعك المؤلم بالنجاح والتفوق ، وهذه هي مكافاتك .. هذا هو حصادك .. هذه هي جوائز نجاحك وهي اصدق دليل على فشلك وتعاستك .

وقامت الى جوائزها واخذت تتلفها الواحدة بعد الأخرى : « لا اريد سلالا بلا فاكهة .. هه ، جائزة الدكتور ، تبا له ! » .

وارتطم شيء بالارض ، جائزة العميد .. وتناثرت قطع ساعة فاخرة على الارض .. وهرع أهلها الى الغرفة حينما سمعوا أصوات اشياء تحطم ، واخرى تمزق ، وما ان وصلوا الى باب الغرفة ، وشاهدوا زينب — وهي كوحش هائج تحطم وتمزق وتلعن وتسب — حتى تسمرت أقدامهم في مكانها ، ولم يجرؤ واحد منهم على الدخول أو الكلام ، فعادوا الى اماكنهم الواحد بعد الآخر ، ودموع الاشفاق تملأ ماقيهم .. هدية استاذ الأدب . وارتطم شيء بالارض ، هدية استاذ النحو .. وتطايرت اوراق كتب في ارجاء الغرفة ، هدية استاذ الفلسفة .. وتوقفت قليلا ..

هه استاذ الفلسفة ، لا لن احطم جائزته فقد كان مختلفا عن الآخرين ، في كلامه رقة ، وفي سلوكه طيبة ، وفي نظراته حنان .. وما زال الكثير من كلامه مطبوعا في ذهنها : « أنا لا أرى الأشياء كما يراها غيري .. انني احاول أن أرى ما تحت السطح ، فكثيرا ما يكون المظهر خداعا ، وانني احاول ان ابني علاقاتي مع الناس على أساس أخلاقهم لا أشكالهم » .

كانت تعرف انه مخلص فيما يقول .. ولكن لا ، لم تحتفظ بجائزته ، وهي سلة فارغة كباقي السلال ؟ انها ستدمرها كالاخريات .. انها أجمل السلال ولكنها فارغة أيضا .. ولكن لم لا أرى ما عساها تكون قبل أن احطمها ؟ وفكت الشريط والغلاف بعناية .. انها مجموعة من الكتب مع رسالة ، وسارعت الى فتح الرسالة قبل أن تقرأ عناوين الكتب ، وطوت الرسالة بعد أن أتمت قراءتها ، ثم عادت ففتحتها وقرأتها ثانية وثالثة .. وعادت الى الجوائز المحطمة تجمع أجزاءها ، وتعيدها في اغلفتها بكل عناية ، ثم توجهت الى المرآة تصلح من شانها ، ثم خرجت وعلى وجهها ابتسامة جذابة .

— ... سفة لما قمت به ولما سببته لكم من ازعاج هذا الصباح . هند ، ارجو مساعدتي في تنظيف المنزل وتنظيمه ، فسيزورنا الأستاذ الدكتور عادل عصر اليوم .

ثم استدارت الى امها وهي تقول بكلمات متعثرة لكنها تنطق بالفرحة : « انه يريد أن يطلب يدي » .

■■

ابراهيم مهدي الشبلي

بغداد — العراق

مَعنى البُوذِيَّة

القواعِد الأساسِيَّة لِمذهب تِيرافادا

للاستاذ بهيكهو أوثيتيلا

استاذ الفلسفة البوذية بجامعة رانجون

مقدمة للمترجم

■ قليل منا من يعلم شيئا عن البوذية ، ومدلولها ، ومراميها . وما احوجنا ان نتعرف المعتقدات الاخرى ، غير التى ندين بها . لنفهم الكثير عن غيرنا من الشعوب : تاريخهم ، وحضارتهم ، وتفكيرهم ، وسلوكهم ، ومعاملاتهم ، وانشطتهم وعلاقاتهم بغيرهم من الامم — القريبة منهم والبعيدة ...

والبوذية — كما تعرفها المراجع الغربية — هي مجموعة من التعاليم او الفلسفة الاخلاقية نادى بها الامير جوتاما ، الذى ولد فى الهند حوالى سنة ٥٦٠ قبل الميلاد ومات حوالى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد . ولما قارب الثلاثين من عمره هجر زوجه وابنه وهام على وجهه بحثا عن حقيقة الحياة والموت . وبعد سبع سنوات قضاها فى التجوال ومغالبة النفس ، وصل الى غابة جايا فى ولاية بهار ، وبينما هو جالس يتأمل تحت شجرة بو Bo-tree (نوع من فصائل شجرة التين) اتاه النور والبصيرة ، فاصبح البوذا او الحكيم ذا البصيرة هكذا يصفون حياة بوذا .

واساس اراء البوذية ان حياة الانسان شر والم ، وان التخلص منه انما يتم عن طريق النرفانا (وهي كلمة غامضة يفسرها البعض بالاندماج فى الوحدة الشاملة ، ويفسرها بعضهم بالصفاء الروحي ، والبعض الاخر بالهدف الاسمى ، وغيرهم باللاذ الاعلى) .

والبوذية تقول بالتناسخ او حلول الارواح فى ابدان اخرى (هي عقيدة موجودة فى الديانات الهندية) ، وتنكر البعث والحساب .

كما ان تعاليم البوذية ، التى نادى بها جوتاما ، لم تتعرض للالوهية بنفي او اثبات ، وانما اهتمت ببث التعاليم الخلقية ، ونحت نحو طهارة النفس وتجنب الشر ، والسلوك السوى والحياة النظيفة وحب الخير وانكار الذات ، كما عارضت السحر والخرافات التى كانت جزءا من بعض الديانات السابقة فى الهند وما حولها .

وقد انتشرت التعاليم البوذية — عن طريق الجماعات التبشيرية — من الهند الى سيلان وبورما وغيرها من دول الهند الصينية (كامبوديا — تايلاند — لاوس — فيتنام) ، وكوريا واليابان والتبت والصين ، وارست جذورها فى تلك البلاد



تمثال حديث للبوذا
في احد المعابد



معبد أتوماشي في مندلاي
(من القرن التاسع عشر)

رغم انها لم توطن اقدامها في الهند نفسها التي ينتشر فيها كثير من المعتقدات والديانات الاخرى .

وتلقى البوذية رعاية كبيرة في معظم تلك البلاد التي تبجل منشئها ، وتعده واحدا من أسبق الملهمين الدينيين الذين طوروا الفكر الانساني في شرقي اسيا . وقد اقيمت المعابد الضخمة التي اصبحت فيما بعد جامعات ومدارس دينية تدرس فيها الاسس الاخلاقية والروحية لهذه التعاليم .

ولكن التعاليم التي نادى بها البوذا جوتاما تبدلت الآن في هذه البلاد المختلفة ، واتخذت في كل بيئةطابعا خاصا يخالف غيره في بعض التفاصيل، وتأثرت ببعض المذاهب او الفرق بغيرها في البلاد التي حلت بها ، وتعددت انواع المراسم والطقوس، واضاءة القناديل ، واطلاق البخور والعطور .

وباتت البوذية في بعض صورها المستحدثة تتحدث عن وجود الاله ووحدانيته بأحاديث مبهمة، بل انحدرت في بعض الفرق الى أن جعلت من الملوك او رؤساء الكهنوت الهة او شبه الهة يمجدون او يقدسون .

وفي العصر نفسه الذي كان البوذا جوتاما يبث فيه دعوته في الهند (القرن السادس قبل الميلاد)، كان الحكيم او الفيلسوف كونفوشيوس ، يعيش في الصين داعيا الى تعاليم مشابهة ترمي الى تهذيب النفس والسلوك ، وهي الآن الديانة الغالبة في الصين .

كما كان يعيش في الوقت نفسه في الصين ايضا حكيم او فيلسوف آخر يسمى لاو تزو ، داعيا الى تعاليم خلقية اخرى ، تعرف الآن بالديانة الطاوية ويدين بها قسم آخر من ابناء الصين .

وقد اختلفت الروايات عن البوذية ، وعن البوذا وتاريخه وحياته ، ونسبت اليه احيانا بعض الخوارق ـ

وفي الصفحات التالية ما يفصله متخصص في الفلسفة البوذية ، من ابناء بورما ، التي يدين ٩٠٪ من اهلها بالبوذية ، هو الأستاذ Bhikkhu U. Thittla (١) استاذ الفلسفة البوذية في جامعة رانجون ، وقد نشر مقاله في نشرة دعائية عن بورما اسمها Perspective of Burma .

وفي هذه المناسبة اذكر فيما يلي احصاء تقريبيا

---

(١) Bhikkhu تعني رجل الدين او رجل المعبد ، ويقابلها بالتقريب في الانجليزية Priest او Clergyman ـ أما U فتعني السيد او مستر .

نشر في بعض المراجع عن الديانات في العالم :

الكاثوليك	٦٠٠ مليون
المسلمون	٥٧٥ مليون
الهندوكيون	٤٥٠ مليون
كونفو شيوسيون	٤٠٠ مليون (في الصين)
بروتستانت	٢٢٠ مليون
بوذيون	١٨٠ مليون
زرادشتية	١٥٠ مليون (في ايران وما حولها)
ارثوذكس	١٥٠ مليون
شنتويون	٧٠ مليون (في اليابان والهند)
طاويون	٥٥ مليون (في الصين)

معنى البوذية
القواعد الاساسية لمذهب تيرافادا

تعرف التعاليم التي نادى بها البوذا بالبوذية. ولكن من هو البوذا ؟ ان كلمة بوذا تعني في اللغة « الفرد العارف » او المستنير او « ذا البصيرة ». والبوذا هو شخص امكنه ان يحصل على البوذي Bodhi ويقصد بها الحكمة ، وهي المرتبة المثلى من الكمال الفكري والروحي التي لا يصل اليها الانسان الا بالطهارة والسلوك السوي . ويعتقد المتنسبون الى البوذية انه يولد بوذا في كل زمن من ازمان الابدية ، وان بوذا الزمن الحالي وهو الحكيم جوتاما هو السابع في الترتيب ، وانه تلقى الحكمة عند شجرة بو (٢) في بودجايا في بلاد الهند.

كما يعتقدون ان جوتاما كان ابن ملك هندي على حدود نيبال، وانه ولد سنة ٦٢٣ قبل الميلاد، وان حكماء المملكة تنبأوا انه سيكون في شبابه امبراطورا او بوذا ، وان اباه الملك ــ وكان يبغي ان يصبح ابنه امبراطورا ــ حجبه كلية عن كل سوء حتى لا يصبح حكيما اذا راى الحياة وما بها من ادران ، ولكن الآلهة كانوا يعرفون ان جوتاما يجب ان يصبح البوذا فنزلوا الى الارض في صور عدة حتى يراهم . وفي ثلاثة ايام متتالية ــ بينما كان جوتاما في طريقه الى الحدائق الملكية ــ راى رجلا عجوزا ، وآخر مريضا ، وجثة رجل ميت ، وبهذا عرف ان الناس جميعا يجب ان يتالموا وان



معبد شويداجون في رانجون عاصمة بورما

يموتوا . وفي اليوم الرابع راى راهبا تعلم منه انه اذا اراد ان يتغلب الانسان على الآلام الدنيوية فعليه ان يهجر كل ملذاتها . وانه تبعا لذلك عندما بلغ التاسعة والعشرين من عمره تخلى عن مملكته واصبح زاهدا .

وان جوتاما هام على وجهه بين القرى باحثا عن الحقيقة وعن السلام ، وانه قصد كثيرا من علماء عصره ولكنه لم يجد عندهم بغيته . ثم مارس كل الطقوس الصارمة التي يقوم بها الرهبان ، املا في الوصول الى النيرفانا ، فهزل جسمه الرقيق وكاد يصبح هيكلا من عظام . ولكنه كلما زاد من تعذيب نفسه بعد عن الهدف الذي يرمي اليه . ولما راى ان لا جدوى في هذا السبيل ، قرر ان يتبع سبيلا آخر مبتعدا عن طريق التالم .

وكان الطريق الجديد الذي اكتشفه هو الطريق

(٢) Bo - tree هي نوع من فصائل شجر التين .

الوسط او الطريق الثماني العناصر (٢) الذى اصبح بعد ذلك جزءا من تعاليمه . وباتباعه هذا الطريق تمت عنده الحكمة الى اقصى مراتبها حتى اصبح البوذا .

وبذلك توصل الامير جوتاما بعزيمته وحبه وحكمته الى مرتبة البوذا ، وهي اعلى مراتب الكمال . وقد علم اتباعه ان يعتقدوا أن في وسعهم ان يفعلوا مثل ما فعل ، وان اى انسان يحمل في ثناياه القدرة على ان يجعل نفسه طيبا وحكيما وسعيدا .

ويمكن ان تلخص تعاليم البوذا في كلمة واحدة يطلق عليها ذامّا Dhamma ويعنى بها : الصواب والشريعة - او مبدا الحق .

اى ان البوذا يدعو الانسان الى أن يكون شريفا ونقيا ومحسنا ، لا رغبة في ارضاء اية قوة الهية ، ولكن عملا على ان يكون صادقا في نفسه كامل الصدق ، ونقيا في نفسه كامل النقاء .

وهذه ال « ذامّا » او قانون الصلاح لا تكون في قلب الانسان وفكره فحسب ، وانما توجد في الكون كذلك . فالكون بأجمعه هو تجسيد للذامّا ومظهر لها ، فشروق القمر وغروبه ، وسقوط المطر ، ونمو المحاصيل ، وتغير الفصول ، كلها جميعا نتيجة للذاما ، فالذاما هي قانون الكون الذى يجعل المواد تبدو او تعمل بالاشكال والوسائل التى نكتشف عنها في دراساتنا للعلوم الطبيعية .

واذا اتبع المرء الذامّا في حياته - نجا من التعاسة ووصل الى النرفانا Nirvana ، وهي التى تحميه من كل الآلام . وليس القيام باى نوع من الصلوات أو المناسك او الدعوات الى اله ، هو الوسيلة لأن يكتشف الذاما التى تقوده الى هدفه - وانما يصل الى الذاما بوسيلة واحدة هي الارتقاء بشخصيته عن طريق التحكم في افكاره وتطهير عواطفه . ولن يتمكن من ان يخطو الخطوة الأولى نحو هذا الهدف ما لم يعمل على تهدئة العواطف المختلفة التى تجيش في قلبه ، وعلى بذر بذور المحبة في نفسه لكل المخلوقات .

وعلى هذا فالبوذية ليست دينا على الاطلاق بالمعنى الذى نعرّف به كلمة الدين ، كما انها ليست طريقة للتعبد والايمان ، فليس في البوذية عقيدة او مجموعة من العقائد يجب الايمان بها ، كالاعتقاد في وجود اله خالق للكون ، او حقيقة الأرواح الخالدة ، أو منقذ البشرية ، او الملائكة التى تنفذ اوامر الاله - انما البوذيةهي « البحث عن الحقيقة » . فالبوذا يعلمنا ان لا نعتقد الا فيما هو حق في ضوء تجاربنا ، ذلك الحق الذى يرمى الى خير البشرية ورخائها ، وان على الناس ان يعتمدوا على انفسهم ، كما يجب عليهم ان لا يظنوا ان البوذا هو مخلصهم من اوزارهم ، فالبوذا هو هاديهم الى الطريق ، وعليهم بعد ذلك ان يعرفوا كيف يسلكون الطريق .

والحقيقة التى يراها البوذى عندما يتطلع الى ما حوله هي حقيقة السبب والنتيجة او العلة والمعلول . فكل عمل - مهما كان صغيرا - له أثر ونتيجة . وكل نتيجة بدورها تصبح مؤثرا يسبب نتائج اخرى . ولا معنى لأن نبحث عن السبب او المؤثر الاول ، اذ لا وجود للسبب أو المؤثر الأول ، فالسبب والنتيجة يسيران في حلقة . وكوننا هذا عندما يفنى ويندثر سينشأ في مكانه كون آخر ، - مثله في ذلك كما نشأ كوننا على آثار كون سابق . وينشأ الكون كله او اى فرد او شيء فيه نتيجة لسلسلة من المسببات السابقة التى تدور وتدور في حلقة لا تنتهى من ولادة ثم موت ثم ولادة أخرى .

وماذا عن الروح ؟ يقول البوذا انه ليس هناك روح - ودلل على ذلك بالعربة اذا نزعت منها العجلات والمحور والمقاعد والهيكل والأجناب وباقي اجزائها ... فما الذى يبقى منها .. ؟ مجرد تصور شكل العربة ... وهو الذى يكون موجودا عند تشييد عربة جديدة . وعلى هذا فعملية الظواهر الجسمية والنفسية تنتقل من حياة الى حياة . وكل حياة تنتقل في الحال من موت الى

---

(٢) هذه العناصر الثمانية هي : العقائد الصحيحة - الاغراض الشريفة - القول الطيب - العمل الصالح - اتباع خطة قويمة في الحياة وكسب العيش - بذل الجهد الصادق - الاهتمام - صدق التأمل الروحاني .

حياة جديدة . مثل ذلك كلهب الشمعة الذي يتقد في هذه اللحظة ، يختلف عن اللهب الذي اتقد في اللحظة السابقة ، ولكن اللهب دائم .

وعلى هذا ففي خلال سلسلة المسببات المتداخلة تتغير المخلوقات ، وتتحد العناصر ، ثم تتحد مرة او مرات اخرى ، دون ان تكون في داخلها روح او مادة خفية تحمل لها البقاء والدوام ... وهذه هي عجلة الحياة .. والسبب في الالم او القلق الذي يساور الناس الذين يدورون في عجلة الحياة انما هي الرغبة التواقة في استمرار الحياة، وهي التي تبعث فيهم الحركة والنشاط في العمل. وهذه الرغبة ـ وهي في الحقيقة قوة العزيمة او المشيئة التي تخلق في الفرد ملكة الخلق والابتكار ـ تسمى كارما Carma في اللغة السنسكريتية (٤) ولكنها تخففت الى كاما Camma في اللغة البالية(٥) التي كان البوذا يتكلم بها والتي كتبت بها التعاليم البوذية .

الكاما

كل تغير في هذا الكون الذي لا يبقى شيء فيه على حال انما تحكمه الكاما . والكاما تعني الفعل . وهي في معناها العام تعني كل الافعال الحميدة او السيئة ، سواء كانت عقلية ام شفوية ام جسدية ـ اي كل الافكار والكلمات والاعمال .

والكاما رغم انها تتحكم في سلسلة الاسباب والنتائج ، لا يمكن ان تسميها العزيمة ، وفي الوقت نفسه لا يمكن ان نعتبرها هي القدر . فالماضي يؤثر في الحاضر ولكنه لا يتحكم فيه . والماضي هو الخلفية التي تسير الحياة امامها من لحظة الى اخرى . والماضي والحاضر يؤثران في المستقبل . ولكن الحاضر هو الذي يبقى امامنا . ونقع المسئولية على عاتق كل فرد في ان يستخدم الحاضر للخير او للشر .

وكل فعل له نتيجة . ولهذا فنحن نقول عن « الكاما » بانها « قانون السبب والنتيجة او العلة والمعلول » . فانت اذا القيت بحجر في بركة ماء فان التموجات تنتشر وتتسع حتى تصل الى الشاطىء . ولكن لا ينتهي الامر عند هذا الحد ـ اذ لا تلبث أن ترتد التموجات لتلمس الحجر مرة ثانية ، فاثار اعمالنا تعود علينا ، وطالما ان افعالنا تؤدي بغرض السوء ، فان امواج النتائج ترتد علينا حاملة سوءا ،ولكن اذا كانت افعالنا تتسم بالخير والسلام ، فان الامواج ترتد حاملة الينا النعمة والبركة .

وانا لنجد في الحياة التي تحيط بنا كثيرا من التفاوت في اقدار الناس ، بعضهم اغنياء والبعض فقراء ، ومنهم من يحيون حياة طويلة وغيرهم يموتون في سن صغيرة .. ونحو ذلك . والبوذية تقول ان هذا التفاوت يرجع الى حد ما الى البيئة التي تشكلها الاسباب والنتائج ، كما يرجع الى حد كبير الى الكاما في الحاضر والماضي القريب والماضي البعيد . والانسان نفسه مسؤول عن سعادته وشقائه . وعلى هذا فالكاما ليست الحظ او القدر وليست التصميم الاعمى . وللانسان قدر معين من الاختيار ، كما ان له القدرة على ان يعدل افعاله ، وان يؤثر في مستقبله . وكل فعل ـ عقلي او جسدي ـ يؤدي الى نتيجة من نوع الفعل . فاذا فعل الانسان افعالا سوية او فكر في افكار حميدة ، فان الاثر الذي يلقاه هو ان تزيد عنده الميول الى النقاء والطيبة .

ومعرفة « الكاما » تمنحنا القوة . وكلما جعلنا مذهب الكاما جزءا من حياتنا توصلنا الى القوة لا لنوجه مستقبلنا فحسب ، بل كذلك لنكون اكثر فاعلية في مساعدة اخواننا من البشر . وممارسة الكاما الصالحة في اكمل صورها تساعدنا على ان نتغلب على الشر ، بل ونتغلب على الكاما نفسها ـ وبهذا نصل الى هدفنا وهو « النرفانا ».

ومبدا السببية والرجعة وقانون الكاما ، يمدانا بخلفية نتفهم منها طبيعة الولادة الجديدة.

---

(٤) السنسكريتية من اللغات الهندية وهي لغة دينية وادبية قديمة دُوِّن بها منذ القرن العاشر قبل الميلاد وكتب بها الكتاب المقدس المسمى فيدا كما كتب بها بعض الملاحم والمؤلفات اللغوية والادبية شعرا ونثرا .

(٥) والبالية هي اللغة المقدسة عند البوذيين في سيلان وبلاد الهند الصينية ودُوِّن بها منذ القرن الاول قبل الميلاد .



معابد منتشرة في باجان ـ وهي من البلاد ذات التاريخ العريق في بورما

فالبوذية تُعرّف الموت بانه « نهاية مؤقتة لظاهرة مؤقتة » ، وانه ليس افناء كاملا للانسان ـ فمع ان الحياة العضوية قد توقفت الا ان قوة الكاما لم تنعدم . واشكالنا الجسدية هي المظهر الخارجي لقوة الكاما الخفية . وعندما يفنى الشكل الحالي للانسان فان شكلا آخر يحل محله تبعا لدرجة الكاما التي كانت موجودة لحظة الموت ، حميدة كانت او سيئة ، وتستمر قوة الكاما بعد الوفاة رغم تحلل الجسد . ويخلق زوال الوعي الظروف المناسبة ليتكون جسم جديد في ولادة جديدة . فتيار الوعي يتدفق شبيها بالنهر الذي تغذيه جداوله ويوزع مياهه في الاقاليم التي يخترقها . ولا يتوقف استمرار التدفق عند الوفاة ، ولهذا فليس هناك من فاصل على الاطلاق بين هذه الحياة والحياة التي تليها ، فالولادة الجديدة تتم في الحال .

والشخص الحالي ، أو الوجود الحالي ، يتوقف على الطريقة التي واجه الشخص بها مختلف الاحوال في الماضي وفي كل حياة ماضية . وشخصية الفرد واحواله الحالية هي نتيجة لما قابله حتى الوقت الحاضر ـ ولكن ما يكون عليه في المستقبل يتوقف على ما يفعله في الوقت الحاضر . والبوذي الصادق يعتبر الوفاة حادثا وقتيا بين حياة وحياة تالية، ويقابل مقدمها بهدوء ، ويجعل همه الوحيد ان يكون مستقبله في حياة ثانية يجد فيها فرصا احسن ليرتقي بنفسه الى مراتب الكمال .

وتهدف البوذية الى انه من الممكن تقوية الذاكرة بمداومة التأمل وتركيز الفكر . فبالتأمل والتعمق في مختلف الثقافات تتوافر للانسان المقدرة على ان يرى مولده الجديد على شكل حلقة او حلقات متتابعة في سلسلة الولادات ـ بل وتتوافر لديه المقدرة على أن يرى حياته أو حيواته السابقة .. وليس ذلك فحسب انما تدعو البوذية الى انه بالوصول الى النرفانا في هذه الحياة نفسها عن طريق الاستنارة والحكمة الصادقة ، يستطيع الانسان أن يرى نهاية سلسلة ولاداته المتجددة .

والنرفانا ـ وهي الحالة التي يتطلع اليها كل بوذي ـ هي توقف الرغبة وبذلك تكون نهاية الآلام . والنرفانا في اللغة السنسكرتية تعني « الخمود » ـ فهي بذلك تعني اخماد الرغبات الشخصية واطفاء نار الحياة . ويظن كثير من الغربيين أن النرفانا هي حالة سلبية ، أو فعل سلبي ـ ولكنها في الكتب البوذية توصف دائما بتعبيرات ايجابية هي : الملاذ الاعلى ، والأمان ، والتحرير ، والسلام ، ونحو ذلك ، النرفانا هي التحرير ـ لا من الظروف والاحوال التي تلابسنا، وانما التحرير من الأغلال التي تربطنا بهذه الظروف والاحوال . ويكون الانسان حرا عندما تكون لديه المقدرة لأن يقول : « مهما حدث لي فسأتقبله كما لو كان أحسن ما في الوجود » .

والنرفانا هي زوال قوة الكاما . ويصل البوذي الى النرفانا بعد أن يتخطى عدة مراحل في طريق الحكمة ، وضبط النفس والسلوك السوي . وهو في خلال سلسلة ولاداته المتجددة يسمو بنفسه

ويقهر نزواته من طريق الحب والحكمة ــ وشيئا فشيئا تخبو قوة الكاما وينطفىء لهبها .

والجهل هو اساس متاعب الانسان . ومن الجهل تاتى الرغبة ، التى تدير عجلة قوة الكاما . ولهذا فالمعرفة هي السبيل الى النرفانا ــ والنرفانا هي السبيل الى الدامًا Dhamma وهي لب تعاليم البوذا . ففى الدامًا ــ وهى الصلاح والصواب والحق ــ الملاذ من الجهل والرغبة والتقلب .

معنى البوذية

اذن ماذا يُعنى بالبوذية ؟ البوذية ليست دينا بالمعنى الدقيق الذى يفهم من كلمة دين ، وانما هي رياضة روحية منسقة ومنظمة ــ بل هي حقا واحدة من اعظم الرياضيات الروحية التى عرفت ، فهى توفر للفرد الوسائل التى يسمو بها عن طريق المعرفة الى المثل الاعلى . ويعتقد كل بوذى انه عن طريق التامل وعمق التفكير ، قادر على أن ينحوّ سبيل « البوذا » من خلال المراحل المتتابعة للاستنارة ، حتى يصل فى النهاية الى الحكمة الكاملة .

ولكنهذا لايعنى انكل البوذيين هم من الرهبان او من المتخصصين فى علوم الكيمياء والفلك ، انما البوذيـة رياضـة روحيـة لكل فرد فى حياته العادية. وتعاليم البوذا توالى التاكيد على الاعتماد على النفس وعلى صدق العزيمة . فالبوذية تمكن الفرد من ان يقف على قدميه ، وتبعث فيه الهمة والثقة بالنفس . وكثيرا ما يُذكّر البوذا اتباعه بانه ليس هناك من احد فى الارض ولا فى السماء قادرا على أن يمد لهم يدا او ينجيهم من نتائج افعالهم الذميمة السابقة . والبوذى يعلم ان قدراته العقلية والروحية كافية لان توجهه فى الحاضر ، وان تشكل مستقبله ، وان تصل به بعد ذلك الى الصواب ، كما يعلم انه يمتلك قوة لا منتهى لتفوقها .

وفوق ذلك فالبوذية ترمى بغير لبس الى اتباع السلوك السوى فى الحياة اليومية ، فقانون الكاما او قانون السببوالنتيجة يقول ان كل فعل يسبب اثرا أو نتيجة ، وافعال كل فرد تسبب اثرا فى حياته الشخصية ، وعلى هذا فقوة الكاما التى تتحكم فى مصيرنا تكون قوة للخير والصلاح ــ اى قوة للحكمة ــ اذا ما كانت افعالنا افعال خير وصلاح .

واسمى درجة من درجات الكامًا يعبر عنها فى البوذية بلفظ ميتًا Metta وهي هدف كل بوذى فى سبيل المودة والمحبة بين بنى الانسان . والمتًا فى معناها الحقيقى تعنى اكثر من التوادّ وطيبة القلب ــ ولو ان هذا يدخل ضمن مقصدها .

فالميتًا تعنى : الجود والاحسان والرحمة ، ومدّ اليد الى كل محتاج ، وحب الخير والايثار سعيا وراء رخاء البشر جميعا . والبوذى الصادق هو من يفعل ما فى وسعه ليمارس الـ ميتًا مع غيره من البشر دون تمييز للجنس او اللون أو الطبقة او العشيرة .

وكما ان الانجيل هو المرجع الاعلى لكثير من الفكر والأدب عند الغربيين ، فان تعاليم البوذا هي ثقافة وقوة روحية عظيمة فى حياة الشرقيين . وتعاليم البوذا اكبر واكثر تفصيلا من انجيل المسيحيين حتى انها اذا ترجمت تملأ صفحاتها ١٢ مجلدا . وتعاليم البوذا فى اللغة البالية التى كتبت بها تسمىتريبيتاكا Tripitaka او السلاتالثلاث: فالسلة الاولى : سلة النظام فينايا بيتاكا Vinaya Pitaka تشتمل على خمسة كتب ، لشرح قواعد الرهبنة وحياتها .

والسلة الثانية : سلة الخطب سوتًا بيتاكا Sutta Pittaka وهي مجموعة من الاحاديث والقصص والاشعار والامثال مكتوبة فى لغة سهلة توضح السنن والتعاليم البوذية .

والسلة الثالثة : سلة العلوم الرفيعة ابهيدامًا بيتاكا Abhidhamma Pitaka وتبحث فى مواضيع الفلسفة العقلية وعلم النفس ــ وهذه لا يتفهمها الا المتعمقون فى الفلسفة .

اى ان السلات الثلاث « التريبيتاكا » تقدم دليلا مرشدا فى كل نواحى النشاط الفكرىوالروحى والخلقى . ■■

(ترجمها أحمد عفت عفيفى)

كتاب الشهر



تاريخ الفِكر العربي

تأليف
عمر فروخ

عرض
يوسف زعبلاوى

هذا كتاب جدير بالترحيب . فهو يستعرض الفكر العربى ، ويضع بين ايدينا صورا نابضة من امجادنا الفكرية الماضية ، ويشعرنا بقيمة تراثنا الذى لم نؤته بعد ما يستحقه من عناية وتقدير .

التقدير صنفان : تقدير عاطفى قوامه الكلام ، ولا شيء غير الكلام ، وتقدير بالعقل ، وقوامه المعاناة الفكرية من دراسة وتحقيق وتاليف . ولو ذكرنا اننا كنا اسخياء فى تمجيد تراثنا بالكلام ، وبخلاء فى تكريمه التكريم الصحيح ، لادركنا قيمة الكتاب الذى نقدمه لقرائنا ، كتاب شهر .

والمؤلف من ابناء بيروت ، وقد ولد فيها عام ١٩٠٦ ، وتخرج من جامعتها الامريكية سنة ١٩٢٨ ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة ارلنجن الالمانية عام ١٩٣٧ .

ومارس الدكتور فروخ التدريس منذ تخرجه ، فعلم فى كلية المقاصد الاسلامية فى بيروت ، باستثناء سنتين قضاهما فى التعليم فى نابلس وبغداد ونحو عشر سنوات قضاها فى التدريس فى جامعة دمشق ومثل بلاده فى مؤتمرات ثقافية كمؤتمر اليونسكو الثالث سنة ١٩٤٨ . وهو منشيء مجلة الامالى البيروتية ١٩٣٨ – ١٩٤١ .

هذا وللدكتور فروخ كتب عديدة ، بعضها مترجم ككتاب « اصدقاء لا سادة » للمشير أيوب خان ، وكتاب « الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط » لجورج سارطون ، مؤرخ العلم الامريكى والمستشرق المعروف .

اما مؤلفاته فكثيرة ، واكثرها فى مواضيع ادبية ، ولكن بعضها يتناول مواضيع فلسفية او حضارية ، ككتاب « عبقرية العرب فى العلم والفلسفة » وكتاب « العرب والفلسفة اليونانية » . وقد ترجمت بعض هذه المؤلفات الى الانجليزية والتركية ولغات اخرى مختلفة .

والكتاب الذى امامنا ، « تاريخ الفكر العربى » ان هو الا احد تلك المؤلفات ، وكان نشره للمرة الاولى سنة ١٩٦٢ ، واعيد طبعه سنة ١٩٦٦ ، ثم طبع للمرة الثالثة سنة ١٩٧٢ .

واول ما يلفت النظر فى هذا الكتاب كبر حجمه . فهو يقع فى نحو ٧٠ فصلا ويملأ ٧٠٠ صفحة من الحجم الكبير . وورق الكتاب وطباعته وتجليده : كل ذلك يبعث على الارتياح .

والكتاب فوق ذلك واسع النطاق . فلفظ فكر مستعمل فيه بأوسع معانيه ، لا بمدلوله الضيق المحدود الذي يكاد يحصره بالفلسفة وقضاياها . وفي هذا يقول المؤلف « ثم انني لم اجعل الفلسفة مقصورة على الالهيات ، بل ضممت فيها جوانب من تاريخ العلم ، مما يغفله مؤرخو الفلسفة عندنا عادة » . وهكذا جاء الكتاب عرضا جامعا للفلاسفة والفقهاء والمتكلمين والعلماء ، من فلكيين ورياضيين وكيميائيين وعلماء اجتماع .

وهو موضوع وفق خطة واضحة . فهو ليس مجموعة سير وتراجم يقف عند جمعها المؤلف ولا يتعداها . بل انه يبدأ بمعالجة كل عصر من العصور التي يشملها ، ككل. فهو يتعرض للفرق والمدارس ، ويتصدى للتيارات والمذاهب الفكرية التي سادت ذلك العصر ، قبل أن يوافينا بسير اعلامه ويمهد لذلك كله بنبذة سياسية . والسير التي يوافينا بها شاملة ، ولا تقتصر على الترجمة لاولئك الاعلام . فهو يلحق الموجز الذي يوافينا به عن حياة كل منهم بقائمة وافية بكتبه ، وبخصائص صاحب الترجمة ومقامه في تاريخ الفلسفة .. ثم يأتي مجمل فلسفته ، موجزة او مبسوطة بقدر ما له من آراء معروفة تتعلق بالموضوع الذي نحن بسبيله . ولا بد احيانا من شيء من المختارات ، تكثر او تقل بحسب طبيعة البحث المطروق ، او بحسب الحاجة الى التمثيل على اغراض العالم او الفيلسوف .» وما اسرع ما يشعر القارىء بقيمة هذه المقتطفات التي اختارها له المؤلف من النصوص والمصادر الاولية، فأحسن الاختيار .

وتجدر الاشارة الى ان الدكتور « فروخ » يميز بين المصادر والمراجع التي جمع قديمها والحديث ، وبين كتب العرب والمستشرقين .

ذلك هو كتاب تاريخ الفكر العربي بايجاز وتلك هي اغراضه وخطته . اما خطتنا نحن في عرض هذا الكتاب الواسع النطاق فتتحاشى الشمول خشية الاطالة بلا طائل ، ونكتفي بالوقوف قليلا هنا او هناك ، بقصد التعريف لا بالكتاب فقط ، ولكن بتاريخ الفكر العربي نفسه ايضا .

واصل بن عطاء

كان واصل بن عطاء من أول المفكرين في تاريخ الفكر الاسلامي . ولعله توصل الى آرائه ومعتقداته بمعزل كلي عن التأثر بالفلسفة اليونانية . ومن هنا آثرنا الحديث عنه وعن المعتزلة فرقته ، في مستهل هذا العرض وقبل الحديث عن عصر النقل والترجمة .

يقول المؤلف « ولد ابو حذيفة واصل بن عطاء في المدينة سنة ٨٠ هـ . ويبدو انه انتقل الى البصرة وهو في نحو العشرين من عمره . ولازم حلقة الحسن البصري . وكان واصل مع هدوئه ، وطول صمته ، غزير العلم ، حاضر البديهة بليغا مقتدرا في الجدل ، وكان عظيم الاحاطة بمقالات اصحاب الديانات والمذاهب .. »

ويضيف المؤلف ويقول : « وواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، لم يعرف اسم المعتزلة بهذا المعنى الفلسفي قبل اعتزاله هو حلقة الحسن البصري ، حوالي سنة ١٠٠ هـ . ولم تعرف آراء المعتزلة في الجدل الكلامي قبل ذلك الحين ..

« وكان واصل بن عطاء شديد الدفاع عن آرائه، نشيطا في نشرها حتى انه كان يبعث الرسل بها الى الاقطار .

ولاعتزال واصل حلقة استاذه ، ، وظهور فرقة المعتزلة ، قصة لطيفة معروفة يوردها الشهرستاني ويرويها عنه المؤلف ، اذ يقول :

« دخل واحد على الحسن البصري فقال : يا امام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون اصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان .. والعمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الامة . كيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا ؟! ففكر الحسن في ذلك .. وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : انا لا اقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر .. ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، يقرر ما اجاب به على جماعة من اصحاب الحسن .. فقال الحسن : اعتزل عنا واصل ، فسمي واصل واصحابه معتزلة » .

آراء واصل وصحبه

يوجز لنا المؤلف معتقدات المعتزلة الاساسية في سطور قليلة فيقول :

« اصول المعتزلة ـ القواعد التى تميز الحق في رايهم من غير الحق ـ خمسة : ويبدو ان هذه الاصول لم تتعين وتستقر مرة واحدة . غير ان واصل بن عطاء اشار اليها كلها وسماها القواعد .» وقد اورد المؤلف هذه الاصول ، استنادا الى الشهرستاني ، ونقتطف منها ما يلي :

• اصل العدل : العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة ، وهو اصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة . نظر المعتزلة الى اعمال البشر فوجدوا فيها ما هو خير وما هو شر ، وما هو نافع وما هو ضار . ثم انهم قالوا : ان كل انسان مجزىٌ بما يعمل . من اجل ذلك لم يقبلوا ان تكون الاعمال مقدورة على البشر ، بل جعلوا الانسان مخيرا يعمل اعماله كلها بارادته هو ، فيستحق الثواب على ما احسن من اعماله والعقاب على ما اساء منها . وليس من العدل ان يقدر الله عمل الشر على انسان ، ثم يعاقبه عليها .

• اصل الوعد والوعيد : هذا الاصل تابع في حقيقته لاصل العدل (السابق) . ثم ان له صلة بكلام الله ، وقضية خلق القرآن .

قال المعتزلة : لا كلام في الأزل (فنفوا ان يكون كلام الله قديما ، كيلا يشاركَ اللهَ في القِدَم) ، وانما هو امرٌ ونهيٌ : وعد الله واوعد بكلام محدث . فمن نجا فبفعله استحق الثواب ، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب . والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك .

• اصل العقل : قال المعتزلة : المعارف كلها معقولة بالعقل ، واجبةٌ بنظر العقل . وشكْرُ المنعم واجب قبل ورود السمع . والحُسْنُ والقبحُ صفتان للحَسَن والقبيح . وحكم العقل مقدَّم على الخبر الديني ، اذا كان الخبر الديني مناقضا للعقل . »

وانتشر مذهب الاعتزال بعد ذلك حتى بلغ ذروته ايام الخليفة العباسي المامون . فقد اندفع هذا في تيار الاعتزال حتى جعله مذهب الدولة . ولم يكتف بذلك بل ذهب الى حد فرض مذهب الاعتزال على العلماء والفقهاء فرضا . ثم فرض (المحنة) سنة ٢١٨ هـ . وهي تشبه كثيرا او قليلا محاكم التفتيش في اوربا . وقد استمرت هذه المحنة حتى امر بابطالها الخليفة المتوكل بن المعتصم سنة ٢٣٢ هـ . ولعل هذا الشطط في خنق الحريات باسم الحريات كان العامل الاساسي الذي أضعف المعتزلة ونخرَ في كيانها من الداخل . ولا يخفى ان المذهب الاشعري هو الذي حارب المعتزلة من الخارج .

عصر النقل والترجمة

لعل عصر النقل والترجمة هو العصر الذهبي في تاريخ الفكر العربي . انه يمثل نهضة العرب الحضارية الاولى التي لو قورنت بها نهضتهم الحالية لتضاءل خطر هذه الثانية الى حد كبير . وقد قيل ان التاريخ لم يسجل نظيرا لهذه النهضة العربية ، التي بلغت اوجها في القرن التاسع الميلادي الا في النهضة الاوربية الحديثة التي بدات في ايطاليا في القرن الرابع عشر . وما اكثر ما تشابهت النهضتان .. تشابهتا بتفتح الوعي ، وحب المعرفة والاقبال على طلب العلم. وتشابهتا ايضا بالاعجاب بتراث الاغريق والاقدام على نقل كنوزه وترجمتها . الا ان النهضة العربية سبقت النهضة الاوروبية بنحو ٥ قرون . وكانت ثمارها بمثابة بذور للنهضة الاوربية . اضف الى ذلك ان النهضة العربية ظهرت وبلغت ذروتها بسرعة ودون سابق انذار ، فبدت مدهشة وبحاجة الى تعليل في نظر الكثيرين . وتساءل المؤرخون بصدد حوافز تلك النهضة وراحوا يتحرون البواعث التي حدت بالعرب الى تعريب ما عربوا من كتب العلم والفلسفة ، اليونانية وغير اليونانية .

ويورد من بواعث تلك النهضة « القرآن الكريم وحثه على التفكير . » ويذكر ايضا ان « طلب العلم انما هو من توابع استبحار المدنية . فحينما تزدهر البلاد سياسيا واقتصاديا ويكثر فيها الترف ويستبحر العمران تتجه النفوس ايضا الى البحث في العلم والى التفكير ضرورة ، ولم يشذ العرب عن ذلك» ويلخص المؤلف موقفه اذ يقول : « ان الاسلام واتساع الامبراطورية ، وحاجة العرب الى ما عند الامم من علوم ، كانت من اقوى البواعث على طلب الفلسفة ، ونقل كتب العلم الى اللغة العربية . » (٢٧١)

ومهما يكن من امر فان عصر النقل مرّ بمرحلتين . بدات الاولى في وقت مبكر ، ابان الخلافة الاموية ، وفي حوالى منتصف القرن الاول الهجري ، وانتهت في عهد الخليفة العباسي المنصور (٧٥٤ م) اما الثانية التي بدات حيث انتهت الاولى ، فقد امتدت زمنا طويلا ، ولكنها بلغت ذروتها ايام الخليفة المامون (٨١٣ م) . والفارق الاساسي

بين المرحلتين انما هو في تحويل اعمال النقل والترجمة فقد كانت فردية ، ينفق عليها الافراد من جيوبهم الخاصة في المرحلة الاولى ، واصبحت حكومية ترعاها الدولة وتنفق عليها من اموال الخزينة ، في المرحلة الثانية . وهذا يعني ان اعمال الترجمة اصبحت اعمال احتراف اعتبارا من خلافة المنصور ولم تكن سوى اعمال هواية قبل ذلك . الا ان الهواية تلك ، لم تكن مما يستهان به .

يقول ابن النديم صاحب الفهرست :

« كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان . وكان فاضلا في نفسه وله همة ومحبة للعلوم . خطر بباله الصنعة (الكيمياء) فامر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر . وقد تفصح بالعربية . وامرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي . وهذا هو اول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة » .

اضف الى ذلك اعمال عبد الله بن المقفع في هذا المجال ، وكانت بوادرها في تلك المرحلة الاولى ، وقد شملت تلك الاعمال فيما شملت تعريب عدد من كتب السلوك والآداب الفارسية فضلا عن كتاب « كليلة ودمنة » الذى اشتهر بترجمته ابن المقفع .

على ان هذا الاهتمام بالكتب الادبية ما لبث ان تضاءل لصالح الكتب العلمية والفلسفية . ويذكر عن الخليفة المنصور انه استقبل بمزيد من الحفاوة ، الفلكي الهندى (مانكا) واصغى اليه بمزيد من اهتمام وهو يحدثه عن كتاب (سند هند) . وما لبث ابو جعفر ان عهد بتعريب ذلك الكتاب الى محمد بن ابراهيم الفزّاري . وتعود خطورة هذا الكتاب لا الى ما تضمنه من حساب حركات الكواكب فحسب ، ولكن ، وبصفة خاصة ، الى ما شمله من ايضاح لطريقة الحساب بالارقام الهندية . على ان هذه الارقام الهندية لم تنتشر بتاثير ترجمة الفزارى وانما بفضل ما كتبه الخوارزمي استنادا الى تلك الترجمة . فقد ضمن هذا العالم الرياضي العظيم كتابه في الحساب تلك الارقام الهندية ، بل شكلين اثنين من اشكالها وملاه بالامثلة التى اوضحت كيفية استعمال تلك الارقام في مختلف الشئون والمجالات ، كالمراث والجباية الى اخر ما هنالك . ولعل هذه الايضاحات والتطبيقات هي التي ضمنت لكتاب الخوارزمي الرواج ، ومكنت الارقام الهندية من الانتشار سواء في الدولة الاسلامية بشطريها ، الشرق المغرب ، او في اوربا . وليس هنا مجال الحديث عن خطورة انتشار تلك الارقام ، والاثر المباشر الذى كان لانتشارها في ظهور النهضة العلمية الاوربية في الوقت الذى ظهرت فيه . فذلك موضوع آخر وقد تطرق اليه (العربي) اكثر من مرة . هذا وكتاب (سند هند) لم يكن سوى كتاب واحد من الكتب العلمية العديدة التي تم تعريبها في ايام المنصور .

وجاء بعد ذلك الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦م) . ولئن تالق عهد هذا الخليفة بالندوات الشعرية والمجالس الادبية فان محصوله في مجال النقل والتعريب كان قليلا نسبيا ، وقد اقتصر على بضعة كتب في الطب واخرى في المنطق .

العصر الذهبي

ثم كان عهد المامون الذى بلغت فيه حركة النقل والترجمة اوجها ، كما ذكرنا . ولا ريب في ان لتفتح هذا الخليفة اكبر الاثر في نشاط حركة الترجمة في ايامه . فقد كان هو نفسه مفكرا ويولي شؤون الفكر وقضايا العقل اهتمامه الشخصي . وليس ادل على رغبات المامون القوية ، ونزعاته الخفية ، من الحلم الذى رآه في نومه .

يقول ابن النديم في الفهرست : « احد الاسباب في ذلك ان المامون راى في منامه كأنَّ رجلا ابيض اللون مشرَباً حمرة ، واسع الجبهة ، مقرون الحاجب ، اجلح الراس ، اشهلَ العينين ، حسن الشمائل ، جالسا على سريره . قال المامون : وكاني بين يديه قد ملئت له هيبة ، فقلت : من انت ؟ قال : انا ارسطاليس ، فسررت به وقلت : ايها الحكيم ، اسالك ؟ قال سلْ . قلت : ما الحسَنَ؟ قال : ما حسُن في الشرع ! قلت : ثم ماذا ؟ قال: قال : ما حسن في الشرع ! قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما حسن عند الجمهور ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم لاثم .. (الفهرست ٣٣٨) .

لا عجب اذن ان احتضن المامون حركة التعريب والترجمة على اوسع نطاق وكما لم يحتضنها احد من العرب قبله ولا بعده . وحسبنا ان نشير الى بيت الحكمة الذى انشاه (٢١٧ هـ) بقصد دراسة الفلسفة والعلوم ، اليونانية وغير اليونانيّة ، وترجمة كتبها الى اللغة . وقد حشد في هذه الدار ، دار التعريب الاولى في التاريخ ، خيرة

المترجمين . ومن طريف ما يذكر ان المكافاة التي خصها بالمامون بالمترجم القدير في تلك الايام كانت مجزية وتفوق باضعاف كل ما يحصل عليه مترجمونا في هذه الايام ، وقد بلغت حوالي ٥٠٠ دينار في الشهر . ولا ينطبق هذا على حنين بن اسحق العبادي الذي ولاه المامون رئاسة بيت الحكمة وهو المسيحي . اذ لم يجد الخليفة طريقة لانصافه الا بمكافاته بوزن ما كان يترجم ذهبا .

ويضيق المجال في هذا العرض عن تعداد الكتب التي ترجمت في عصر النقل والترجمة وفي عهد المامون بالتخصيص ، وقد جاء ذكرها بتفصيل في كتاب تاريخ الفكر العربي . وحسبنا ان نذكر ان تلك الاعمال قد استوفت في اقل من مائة سنة تعريب اهم الكتب الفلسفية والعلمية التي عرفتها البشرية انذاك . والفضل الاكبر في ذلك من حيث الترجمة انما يعود الى حنين بن اسحق الذي ذكرنا والى ابنه اسحق بن حنين وحفيده حبيش .

ابن حزم

وننتقل من المشرق الى الاندلس في المغرب ، ونتخطى نحو قرنين في الزمن لنقف قليلا عند الفيلسوف الاندلسي ابن حزم ، وهو الذي « مس نظرية المعرفة مسا صحيحا قبل عمانوئيل كنط بثمانية قرون او نقل قليلا » كما ذكر الدكتور فروخ في مقدمة كتابه .

وتجدر الاشارة الى ان ابن حزم كان من المولدين . الا انه نفر من نسبه الاولى وابدى حماسة بالغة لنسبه الثاني ودينه الجديد .

وقد ولد ابو محمد علي بن حزم في قرطبة سنة ٩٩٤ ، وكان من المقربين للبيت الاموي في الاندلس ولا سيما لعبد الرحمن الخامس الذي ما لبث ان عينه رئيسا لوزرائه وهو لما يبلغ الثلاثين من عمره . الا ان عهده بهذا المنصب لم يطل سوى سنة واحده ، ١٠٢٣ – ١٠٢٤ م ، وقد اعتزل السياسة بعدها ولدى انتهاء حكم الامويين في الاندلس . وانصرف بعد ذلك انصرافا كليا الى المطالعة والتاليف . ويجمع الكثيرون على ان بن حزم هو في طليعة فلاسفة الاندلس عمقا وابداعا وسعة اطلاع . ويذكر ان بشكوال في معجم اعلامه « الصلة في اخبار ائمة الاندلس » ان ابن الفيلسوف ابن حزم كان يحتفظ بنحو اربعمائة كتاب مما كتب ابوه .

وينسب الى ابن حزم قوله بانه لا يستهدف من اقباله على طلب العلم والمعرفة سوى الوصول الى مستوى علمي رفيع ، سواء في هذه الحياة الدنيا او الاخرة . والغريب ان هذا الفيلسوف كان من اتباع المذهب الظاهري الذي يتمسك بظاهر النص في الامور الدينية .

ولابن حزم مؤلفات كثيرة ، نذكر منها كتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل » وكتاب « طوق الحمامة في الالفة والالاف » .

وليس هنا مجال الخوض في فلسفة ابن حزم . الا ان نظريته في المعرفة وراي الدكتور فروخ في هذه النظرية جديران بالاهتمام .

اما في نظريته فيقول المؤلف : « جعل ابن حزم المعرفة بالحس السليم (بالحواس السليمة) وبالبديهة ، شيئا واحدا . ذلك ان المعرفة بالبديهة (او باوائل العقل) تقوم في حقيقتها على الحس السليم . وهكذا تكون المعرفة عند ابن حزم اما بشهادة الحواس (بالحس الصحيح مباشرة) واما ببرهان راجع ، من قرب او بعد ، الى شهادة الحواس » .

ويمضي الدكتور فروخ في شرح هذه النظرية بالاستشهاد بمقتطفات من كتب ابن حزم ، حتى ينتهي الى ابداء رايه فيها ، وفي سبقها لنظرية كنط الشهيرة ، اذ يقول : « فمن كل ما تقدم يبدو لنا ان مرد المعرفة انما هو الى الحواس . حتى العقل فانه لا يستطيع ان يميز الامور تمييزا صحيحا الا اذا كانت الحواس في جسم صاحبها سليمة . وهكذا يكون ابن حزم قد حل اعظم مشكلة في تاريخ نظرية المعرفة . تلك المشكلة التي زعم مؤرخو الفلسفة الاوروبية ان حلها كان نتاج عبقرية الفيلسوف الالماني كنط (ت ١٨٠٤ م) . لقد كان هم هذا الفيلسوف محاولة الجواب على هذه المشكلة الكبرى : « كيف تكون الاحكام المبنية على الاختبار الحسي ممكنة بالبديهة » ... على ان ابن حزم جاء قبل كنط بسبعة قرون ، ووقف امام المشكلة نفسها ، ثم حلها حلا ينقصه بسط القول ، وشكل المنطق ، اللذين امتاز بهما كنط ، ولكن لا تنقصه العبقرية والبصيرة » (٥٩٨) .

الغزالي

يحتل الغزالي ولا ريب مكانة طليعية ومرموقة بين رجال الفكر الاسلامي جميعا . فهو يحق حجة

الاسلام ، ولا يجوز اغفاله في عرض كهذا ، لا سيما انه يحظى باهتمام خاص في الكتاب الذى نعرض .

ولد ابو حامد في بلدة طوس سنة ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٠٥ هـ عن عمر يناهز ٥٥ عاما . وقد تتلمذ في بادئ الامر على ابي نصر الاسماعيلي في جوران ، والتحق بعد ذلك بامام الحرمين في نيسابور. ولما توفي هذا الاستاذ قدم الغزالي نفسه الى نظام الملك الذى اكرمه واولاه كل تقدير وعناية. ولم يلبث ابو حامد ان تجلت مواهبه النادرة وقوة شخصيته في مجلس نظام الملك الذي جمع عددا من المع رجال الفكر والدين في تلك الايام .

وفي سنة ٤٨٤ هـ اسند الى الغزالي منصب استاذ في جامعة بغداد النظامية . ولكنه تخلى عن عمله هذا بعد ٤ سنوات وانصرف الى التصوف ثم توجه الى مكة بقصد الحج . وعاد من مكة الى دمشق حيث اقام ١٠ سنوات كتب في اثنائها كتابه الشهير (احياء علوم الدين) .

وزار الغزالي بعد ذلك بيت المقدس والاسكندرية ثم عاد الى طوس . ولم يلبث ان اسند اليه منصب الاستاذية في نظامية نيسابور . الا انه لم يلبث ان تخلى عن هذا العمل ورجع الى مسقط راسه حيث قضى بقية ايام حياته .

وللغزالي كتب عديدة اهمها « احياء علوم الدين » الذى ذكرنا « والمنقذ من الضلال » وكتاب « تهافت الفلاسفة » وكان له ابلغ الاثر في الحياة الفكرية والدينية التي سادت العالم الاسلامي في عصره وفي العصور التي اعقبت عصره الى يومنا هذا . ويمكن تلخيص هذا الاثر البالغ في النقاط الاربع التالية :

صرف جمهور المسلمين عن المجالات الكلامية في امور الدين الى عيش ذلك الدين والتجاوب الحيوي وايات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة .

اعادة توطيد الاخلاق على اساس مخافة الله تعالى .

● انقاذ الصوفية مما كان يتهددها وتثبيت اركانها واحلالها محل الرضى والتقدير في نظر جمهور المسلمين ، المحافظين منهم وغير المحافظين .

● الظفر على الفلاسفة في المعركة التي خاضها ضدهم ، ففند معتقداتهم ، ورد على حججهم ، وقال بعجز العقل البشرى ، واخضعه للشرع خلافا لارائهم . ومهما يكن من امر فان الفلسفة لم تقم لها قائمة في العالم الاسلامي كله بعد وفاة ابن رشد ، غريمه المباشر في تلك المعركة .

يقول الدكتور فروخ : « الغزالي عبقرى لا ريب في ذلك ، وهو ذكي محيط بمقالات الفلاسفة، كما نجده في كتبه،نافذ البصيرة في المجتمع واهله ، كما نرى في احكامه . ولم يكن الغزالي مقتدرا في الرياضيات والطبيعيات ومع ذلك فقد اخذ منها امثلة وافر بصحة براهينها . اما في المنطق والفلسفة الخاصة فكان علماً من اعلامهما . غير انه استخدام المنطق لنصرة الدين وحمل على الفلسفة لانها تضلل ذوى الاستعداد العقلي القاصر (٩١) » .

ولخص المؤلف لنا المعركة الفكرية الكلامية التي احتدمت بين الغزالي والفلاسفة ، فقال :

« قال ارسطو بقدم المادة وان العالم ازلي قديم . ثم قال الاسكندرانيون وتابعهم على قولهم المعتزلة ، ونفر من فلاسفة الاسلام ـ ان العالم محدَث (لان الله علة ايجاده) ولكنه قديم لانه فاضٍ عن الله مباشرة ، بلا تراخ في الزمن . (فالعالم عند هؤلاء كلهم متاخر عن الله بالذات والرتبة وليس متاخرا عنه بالزمن) .

« اما الغزالي فلزم جانب الدين ، وقال : العالم حادث مخلوق خلقه الله من العدم باختياره وارادته ، في الزمن الذى اراده وعلى الهيئة التي ارادها . والله خلق الزمان والحركات ايضا . وليس العالم ازليا (قديما) ولكن الله يستطيع ان يبقي العالم الى الابد ، اذا شاء ، ويستطيع ان يفنيه اذا شاء .

« وقال الفلاسفة : ان النفس مخالفة للبدن ؛ ولذلك تبقى بعدَه بقاء سرمديا في نعيم او شقاء . اما الجسم فانه ينعدم (تتبدل صورته) ثم لا يعود لان المعدوم لا يعود .

« والغزالي يخالف الفلاسفة هنا في امرين : في انهم يدعون انهم عرفوا ذلك عن طريق العقل ، بينما الطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو طريق الشرع. ثم في انكارهم لحشر الاجساد وانكار الجنة والنار الجسمانيين . ثم يقول : فما المانع من الجمع بين السعادة الروحانية والسعادة الجسمانية . ؟ » (٥٠٧)

وجدير بالذكر ان الغزالي انكر السببية ليفسح مجالا للمعجزة . فهو يرى ان السببية تناقض القضاء والقدر. ثم ان اقتران حادثتين،او تعاقبهما، ليس دليلا في رايه على ان الثانية منهما مسببة عن الاولى ، مثل : الشرب والرى والاكل والشبع

وشرب الدواء والشفاء، والنار واحتراق الاجسام. واما ما نرى من الاقتران الظاهر بين الحوادث « فلما سبق من تقدير الله لخلقها على التعاون . فان الله يشفي المريض اذا اراد له الشفاء.. والله وحده هو مسبب الحوادث كلها » .. (٥٠٣)

ويعلق الدكتور فروخ على شخصية حجة الاسلام ، اذ يقول : « والغزالي شخصية عجيبة: انكر قيمة العقل في المعرفة ، وفي المعرفة الدينية خاصة ، ثم نصر الدين بالعقل . وهاجم الفلسفة ، واراد تهديمها ، ثم استعار براهينها للدفاع عن الدين » (٤٩٢)

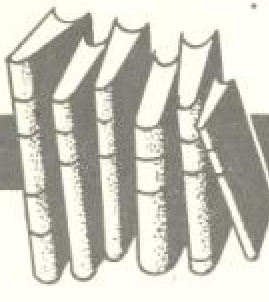
ويشير مؤلف كتاب تاريخ الفكر العربي الى هذه البراهين في مقدمة الكتاب ويقول « هي التي كسبت للغزالي لقب حجة الاسلام،وهي التي كسبت توما الاكويني لقب قديس . » ، على نحو ما اسلفنا .

والحق يقال ان هذا الفيلسوف المسيحي الكبير ، الذي يتمتع بمركز فيما يتصل باللاهوت والكنيسة خطير ، قد تأثر كثيرا بكتابات الغزالي وحججه . على ان اثر الفكر العربي في الفكر الاوروبي لم يقف عند ذلك . فقد كان لابن رشد اثر في نهضة اوربا الحديثة وبخاصة في نهضتها العلمية ، يفوق كثيرا اثر الغزالي في تفكيرها الديني .

الخاتمة

والحديث عن هذا الاثر المزدوج الخطير يذكرنا بمدى الحاجة الى ابحاث رائدة . يقوم بها كتابنا بصدده . ومن يدري ، فقد تدل هذه الابحاث على ان ما في اوربا حاليا من مدنية وقوة ، كان الاولى ان يكون لنا .. ولكن هذا موضوع يخرج بنا عن نطاق الكتاب الذي عرضناه في هذه السطور .

يوسف زعبلاوي



من الكتب التي وصلتنا

الاسلامية والروحية في ادب نجيب محفوظ

تاليف : الدكتور محمد حسن عبد الله

الناشر : مكتبة الامل ـ الكويت

● يعتبر الكاتب ان نجيب محفوظ من انبه كتابنا المعاصرين ، وانه واجه مسؤولياته كمثقف ورائد فكر وفن بنزاهته وشجاعته وقد بلغ فن القصة بجهده في ادبنا العربي الحديث مرتبة عالية ، بعد ان كان يتحاشاه الجادون ، ولا يعتبر من الثقافة الرفيعة .

ان الجهود التي بذلها هيكل والمازني وطه حسين وغيرهم من الكتاب غير منكور ولكن نجيب محفوظ تجاوز مرحلة الهواية كما تجوز ملابسات البداية، فقد بدأ بترسيخ هذا الفن وارساء الاصول الفنية على قواعد فنية من الادراك العلمي الواضح .

وهذا الكتاب يناقش بعض الاتجاهات الروحية والقضايا الاسلامية في ادب نجيب محفوظ ، لان الكثرة من النقاد حاولت ان تبرز هذا الاديب ككاتب مادي صريح ، وهنا حاول المؤلف ان يوضح الموقف الاسلامي او ملامح النزعة الروحية في الادب الروائي لنجيب محفوظ ، فلم يلجأ المؤلف للتجربة الفكرية والمناقشة النظرية الا في حالات قليلة ، وظل المقياس الذي احتكم اليه مقياسا ادبيا في صميمه ، ثم عقيديا بعد ذلك ، فاذا ما وجه النقد الى عمل فني فان هذا النقد يرتكز اساسا على اصول فن القصة والانطباع الذي يتركه العمل الفني في القاريء اكثر مما يعتمد على الانصاف والصدق بمعناهما الخلقي دون المعنى الفني .

وقد اعتمد المؤلف في هذه الدراسة على الروايات الطويلة دون القصص القصيرة لعدة اسباب ، فالافكار الكبرى للاديب تبدو على نحو اوضح في اعماله الكبيرة ، ثم ان نشاط نجيب محفوظ في القصة القصيرة قليل حين يقاس الى رواياته ، لذلك اعتمد المؤلف على الروايات ولم يتعرض للقصص القصيرة الا في النزر اليسير .

من غرائب القضايا



مارى بسنار

بقلم حسن الجداوى

■ مارى فيليبين بسنار من مواليد ١٨٩٦ من اسرة فلاحين وملاك اراضى زراعية تعيش فى رخاء ويسر . وتزوجت عام ١٩١٩ من ابن عمها اوجست انتيجى الذى توفى عام ١٩٢٧ . ثم تزوجت عام ١٩٢٩ اوجست بسنار صاحب متجر احبال فى مدينة لودون . وقد توفى بعد عشرين عاما اى سنة ١٩٤٧ بهبوط فى القلب .

وقد عرفت تارة باسم « الارملة السوداء » وتارة باسم « سيدة لودون الطيبة » عندما وجهت اليها تهمة قتل احد عشر شخصا بالسم بما فيهم زوجها وملأت حكاياتها اعمدة الصحف الفرنسية .

ذلك ان الاحتلال النازى لفرنسا اثناء الحرب العالمية الثانية قد كشف من فضائل الشعب الفرنسى فى المقاومة للمحتلين والتستر على رجال المقاومة من جهة ، كما كشف عن عيوب كثيرة نشرت الغش والتبليغات الكاذبة ضد الخصوم . وبعد انتهاء الحرب تعددت البلاغات ضد الذين قيل عنهم — صدقا او كذبا — انهم تعاونوا مع المحتلين.

★ ★ ★

وكان هناك اسير المانى اسمه دوتز يعمل فى مزرعة آل بسنار . وقيل انه كان على صلة بمدام بسنار . فلما مات زوجها اتهمتها الشائعات بقتله ووصل خطاب غفل من التوقيع الى البوليس يتهمها بانها دست لزوجها السم لتتخلص من غيره.

واهتمت مارى بهذه التهمة الباطلة وذهبت لمحاميها ليرفع لها دعوى قذف ضد « اكس » — اى ضد مجهول — لاجراء تحقيق قد يؤدى لمعرفة مرسل الخطاب ويثبت براءتها ، ولكن محاميها اقنعها بعدم جدوى ذلك .

★ ★ ★

واعد البوليس ملفا لالتقاط الشائعات والفضائح التى كان يتبرع بها المبلغون شفاء لاحقادهم أو تنفيسا عن كبتهم . فزعم انها قتلت بالسم افرادا آخرين من اسرة زوجها لتستولى على املاك الاسرة كلها .

ففى يوم ١١ مايو ١٩٤٩ استخرجت جثة احد افراد الاسرة — ليون بسنار — من مقبرته وامرت



كذلك استجوبا ديوتز ، ويبدو انه قيل لهان ماري اعترفت بطريقة تدينه، بينما قيل لها ان ديوتز لم يكتف بالاعتراف انه كان عشيقها ، بل انها صرحت له بانها ناولت زوجها السم .

النيابة بالبحث عن وجود سم فيها ، فقرر المحلل انه عثر على كميات كبيرة من الزرنيخ . وعندها تحقق البوليس ان وراء الاشاعات حقيقة تستاهل البحث فاستصدر امرا بالقبض على مدام بسنار .

وذهب رجلان من رجاله في ٢١ يوليو وقبضا عليها . واسم هذين الرجلين « نوكيه» و«شوميبه» وسيكون لهما دور كربه في المحاكمة . فقد قالت مدام بسنار انهما عاملاها بمنتهى القسوة والوقاحة عندما رفضت ان تعترف بانها مذنبة ، وهدداها بان الامر سيكون غاية في الخطورة ضدها اذا هي اصرت على عنادها ، في حين انها اذا قالت ما يعتقدان انه الحقيقة فسينجيانها من العقاب بسهولة .

كذلك استجوبا ديوتز ، ويبدو انه قيل له ان ماري اعترفت بطريقة تدينه ، بينما قيل لها ان ديوتز لم يكتف بالاعتراف انه كان عشيقها ، بل قال انها صرحت له بانها ناولت زوجها السم .

ولكن ماري بسنار لم تستسلم ، وقاومت كل الضغوط التي تعرضت لها ، واحتفظت بهدوئها بطريقة تدعو الى الاعجاب . والظاهر ان مقاومتها بشدة لضغوط البوليس حمل متهميها على الاعتقاد بانه ما من انسان بريء يستطيع ان يقاوم تلك الضغوط بدلا من الاعتقاد بانها امراة قوية الشكيمة صممت على ان لا تستسلم للظلم .

★ ★ ★

ونقلوها الى سجن بواتييه وقدموها لقاضي التحقيق الذي قال لها ان الدكتور بيرو ، اختصاصي السموم الشهير بمدينة مارسيليا ، قد عثر على كمية غير معقولة من السم في الاعضاء المستخرجة من جثة زوجها . ولما طلب محاموها ان يعهد لشخص آخر بالتحليل الزمهم القاضي مكانهم بان قال لهم ان شخصا في كفاية الدكتور بيرو وشهرته لا يخطيء ابدا ، وان واجب مدام بسنار ان تعترف بدلا من محاولة التشكيك في كفاية خبراء مشهورين . ذلك ما كانوا يقولونه لها بين جدران زنزانتها بل كانوا يحرجونها ويقولون لها « خير لك ان تعترفي ايتها العجوز الساحرة » لقد جاء التحليل واضحا فقد حشوت زوجك بالزرنيخ » .

وزارها في السجن من قبل البوليس من قال لها : « هل يتعين ان تُضرَبي لتعترفي ؟ لو كنت رجلا لعرفت ما يحل بك » . ولكنها اصرت على الانكار وقالت لهم انها لا تعتقد ان زوجها مات مسموما .

★ ★ ★

اما قاضي التحقيق فكان يعاملها بكياسة ورقة ولكنه مع ذلك قال لها انها تهرف بما لا تعرف حين تقول ان الدكتور بيرو قد اخطأ ، فانه لا يمكن الاعتراض على قراره ، وانه لن يسمح بخبرة اخرى . وان الاختيار وقع على الاستاذ بيرو لانه

لا يعرفها ولا علم له بالشائعات المنتشرة عنها ، فتقريره لذلك خال من الغرض ، فضلا عن كفايته التى لا يتطرق اليها الشك .

وهـذا يدل على ان القاضي كان ينظـر الى الاشاعات التى انتشرت ضدها في لودون نظـرة جديدة معتقدا صحتها ، ولذلك امر باستخراج جثث كل من توفي من اعضاء الاسرة في مدى الخمس والعشرين سنة الاخيرة وارسلت صناديق عديدة تضم بقايا عشرة اشخاص آخرين الى مرسيليا فحصها الدكتور بيرو وقرر انه استخرج منهـا ومن كل واحدة منها زرنيخا .

★ ★ ★

وهكذا اتهمت مـارى بيـسـنـار بتسميم عشرة اشخاص آخرين من بينهم ابوها وامها ووالد زوجها وامه واخته ، وان الباعث على تلك الجرائم هو المصلحة الشخصية والاستيلاء عـلى كل ثروات الاسرة .

★ ★ ★

وفى يوليو ١٩٤٩ قبض عليها ولكنها لم تقـدم للمحاكمة الا في فبراير سنة ١٩٥٢ . وبين القبض والتقديم للمحاكمة اخذت الادلة ضدها تترى وتبدو حاسمة . وتناولتها الصحافة لقمة سائغة تبدئ فيها وتعيد ، وتسود صفحاتها لتشبع نهم القراء . صورتها الصحافة بانها وحش وغول ، وسفاكة دماء ، وتقارنها بالسفاح الشهير في تلك الايام « لاندرو » الذى كان يعلن عن حاجته للزواج ثم يذبح من يقعن في حبائله ويحرق جثثهن في فرن اعده لذلك . او الدكتور « بتيو » الذى كان يزعم انه وجد وسيلة لتهريب الفرنسيين الراغبين في ترك فرنسـا المحتلة . وفي تلك الايام نظـرت الصحافة الى قضية مارى على انها كبش الفداء تصب فيها غضبها من الهزيمة .

★ ★ ★

واشتد الضغط على مارى في سجنها لانهـاء عنادها حتى اضطر محاميها الاستاذ « هايو » ان يتدخل لوضع حد لاستجواب البوليس غير القانوني لموكلتـه ومنعهـا من الـرد علـى اى سؤال يوجه لها الا في حضور محاميها .... ولكن ذلك لم يضع حدا لحرب الاعصاب التى استمرت داخل السجن فقد ادخلوا معها في زنزانتها مسجونات كن يعملن لحساب البوليس ، اخذن يوسوسن اليها ان لا جدوى من اى دفاع وان المحامين قد يئسـوا من النتيجة . وانها ان لم تعترف فسيحكم عليهـا بالسجن المؤبد او بالاعدام . وبذل كل جهد لاضعاف ثقتها والقضاء على ايمانها بان الحقيقة سوف تظهر فهى بريئة والله العادل لن يسمح بظلمها . وكوفئت النسوة اللاتى ساعدن البوليس عـلى عملهن الشائن اما بالافراج عنهن او الحكم عليهن بعقوبات خفيفة . ودلت هذه المحاولات على ان الاتهام لم يعد واثقا من قضيته . فهى لم تعد ثابتة كما صورتها الصحف . صحيح ان الزرنيخ هو السبب في الوفاة وان ذلك يلقى ظلالا من الشك على الزوجة ، ولكنه لا يرتفع الى مستوى الدليل الذى لا يرقى اليه الشك . والادلة الاخرى كلها اشاعات ومجرد قيل وقال وحكايات سـماعية فلا أحد يشـهد بانـه رأى المتهمة تعطى السم لاى من ضحاياها المزعومين او باعه لها او شاهدها تشتريه .

★ ★ ★

وطلب ممثل الاتهام اجلا طويلا لنظر القضية لعله يجد دليلا جديدا او تفقد المتهمة اعصابها . ولكن لم تأت ادلة ولا جاء اعتراف .

ولما اقترب موعد نظر القضية اقترح الاستاذ هايو على موكلته ان تضم اليه في الدفاع عنهـا المحامى الباريسي الشهير الاستاذ جوترا . وتردد جوترا في قبول التوكيل . الا انه بعد ان زار المتهمة في سجنها واستجوبها ـ استجواب ناقد ومتكر ـ ايقن ببراءتها وقبل الدفاع عنها .

★ ★ ★

وبدأت المحاكمة في بواتيـه امام محكمة الجنايات وانعقدت الجلسة الاولى في ٢٠ فبراير ١٩٥٢ . وبعد ان تودى على القضية اخذ القاضى يستوجب المتهمة . كانت نحيلة ضئيلة ترتدى ثوبا اسود

بسيطا وقد شيبت السنون شعرها لان السنتين والنصف التي قضتها في السجن كانت كأنها عشرون سنة. وقد وضعت على عينيها نظارة سميكة تدل على ضعف نظرها. لم تضعف نفسها في الشهادة عن اجاباتها على بعض الاسئلة كانت غامضة وكانت تتردد في الاجابة مما رجح كفة الاتهام .. فلما رفعت الجلسة كانت اعصاب ماري التي ظلت متماسكة قد افلتت واجهشت بالبكاء لاعتقادها ان كل شيء قد انقلب ضدها لانها لم تحسن الرد على اسئلة رئيس المحكمة .

* * *

ولكن الامور بدات تسير في صالحها عندما عادت الجلسة للانعقاد بعد الاستراحة . فقد انتقد الاستاذ هايو بقوة تصرفات قاضي التحقيق وضابط البوليس « نوكيه » للطريقة التي عوملت بها المتهمة في السجن .

ثم دعي الاستاذ خبير السموم الدكتور بيرو وقال انه لا يخامره اى شك في ان بدا مجرمة قد اعطت الزرنيخ ، وان النتيجة التي وصل اليها لا ياتيها الباطل من امامها او من خلفها ولكنه طبعا لم يستطع ان يشير باصبع الاتهام من قريب او بعيد الى الارملة الماثلة امام المحكمة .

وفي اثناء ادلاء الاستاذ بيرو بشهادته ابدى المحامي الباريسي انه يستخف باقواله وبنتائج ابحاثه فقد اثبت المحامي ان البرطمانات (الاوعية) التي ارسلت بها الاجزاء المستخرجة من جثث القتلى قد تصرف متصرف فيها اثناء نقلها من بواتييه الى مرسيليا تصرفا عجيبا . فقد زاد عددها ـ او كما قال المحامي « حملت وولدت » في اثناء الطريق .

وبدت الدهشة على ممثل النيابة المترافع ، وانكر حصول ذلك ، فروجعت الكشوف والخطابات المتبادلة بالجلسة ، وتبين المحلفون والرئيس وجميع مراسلي الصحف صحة ما قاله الاستاذ جوترا الذي قال انه لا تفسير لهذه الظاهرة الا احد امرين : اما ان عددا من البرطمانات اضيف اثناء الطريق او اضيف في مارسيليا .

وهرع ممثلو الصحف الى اكشاك التليفونات لنقل ذلك الاكتشاف المثير ... وطلب رئيس المحكمة من الاستاذ بيرو تفسير ذلك الغموض فلم يستطع له تفسيرا ، وظهر عليه الارتباك . ولكن جوترا تقدم لانقاذه من ربكته ببراعة ومكر وقال : ان هذا الخطا يحصل بسهولة في معمل كبير كثير الحركة كمعمل الدكتور بيرو الذى لا بد ان يتسلم اعدادا كبيرة من مثل هذه الاوعية وهي توضع على الارفف ويسهل ان تختلط في معملك . ثم اضاف بلؤم « فعندما قال الاستاذ بيرو انه اكتشف كميات كبيرة من الزرنيخ ، وبصرف النظر عن الطريقة العلمية التي لجا اليها ، فانه انما كان يحلل بقايا جثث اخرى لا علاقة لها بقضيتنا .

* * *

واخرج الاستاذ بيرو منديله من جيبه واخذ يمسح من على جبينه عرق الخجل ويمسح نظارته . واجهز عليه الاستاذ جوترا عندما ذكره بانه « اى بيرو » سبق ان حلل عينا لقتيل في جثة مضى عليها خمس سنوات بينما العين كما قال له بيرو نفسه تتحلل في مدى خمسة اسابيع .

وكان هذا الحاصل على مسمع من صحف فرنسا مربكا حقا ، ليس فقط لبيرو الذى تبخرت سمعته وكفايته ، ولكن للنائب العام الذى بنى الاتهام على النتيجة التي وصل اليها بيرو ، ولمحاكم فرنسا التي اعتادت ان تاخذ اقوال هذا الخبير بالذات بثقة واطمئنان ، وكم قضت بالعقوبات على متهمين سابقين بدون تردد استنادا على تقاريره .

ولكن جوترا كان قد اعتزم ان يقضي على بيرو قضاء نهائيا . فبعد ان سال بيرو اذا كان يستطيع ان يميز حلقات الزرنيخ بالعين المجردة في انبوبة الاختبار . واجابه بيرو بانه يستطيع ـ وما كان يمكن ان يجيبه بغير ذلك ، لانه كتب ذلك في تقريره . عرض عليه ستة انابيب اختبار بها سائل وطلب اليه ان ينتقي منها الانبوبة التي بها الزرنيخ ،

وبعد ان فحصها برو بدقة اختار ثلاثة منها وقدمها لجوترا مؤكدا ان بها زرنيخا . وعندها قال له جوترا بعبارات جارحة مليئة بالسخرية ، انه ليس بينها انبوبة واحدة بها زرنيخ ، وان تحت يده شهادة من المعمل الذى وردها له تثبت ذلك . فضجت القاعة بالضحك ، وقبع برو في كرسيه غاضبا . وحتى رئيس الجلسة اخفى ابتسامته وراء كم ردائه .

ووقف الاستاذ هايو وقدم لرئيس المحكمة ليضم للملف الخطاب الذى كتبه برو لقاضي التحقيق يقول فيه انه لا ضرورة لتحليل ما في الانابيب لان العين المجردة المتمرنة لا تخطىء في اكتشافه . ثم التفت الى برو وقال له « لقد دخلت الامتحان وسقطت .. وعند الامتحان يكرم المرء اويهان » .

وقامت ضجة في قاعة الجلسة فقد كان هناك من لم يسرهم اتجاه الامور لصالح المتهمة . واوقف الرئيس الجلسة .

* * *

وكان يتحتم على ممثل الاتهام ان يعيد النظر في موقفه ويتنازل عن طلب الحكم بالاعدام لانهيار الدليل العلمى ، ولكن لم يبد منه استعداده ان يتجه هذا الاتجاه . اما الدكتور برو فقد انسحب من القاعة وترك سراى المحكمة ، ولم يحضر الجلسة في اليوم التالى وارسل مساعده الدكتور «ميداى». ولم يكن هذا المساعد احسن حظا من رئيسه فقد عرضه جوترا الى تجربة التعرف على بقايا الجثث فخلط فيما بينها واعترف بانهم ذات مرة وجدوا عينا في جمجمة .

* * *

وقدم الدفاع خبراء شهدوا بأن الخلط في معمل مارسيليا بلغ درجة تحتم اعادة فحص جميع اعماله وشهد البروفسور بربيرو خبير محكمة استئناف باريس ان طريقة البحث التى اتبعها برو لم تكن توصل الى اكتشاف الزرنيخ حتى لو كان موجودا لانها طريقة جاهل .

وفي الجلسة الاخيرة حضر برو يرتكز على جنديين وقد جرح في صحته وسمعته ، ورفض الاجابة على اى سؤال يوجه اليه بقوله « انني لست هنا لامتحن انني اعمل بالطريقة التى علمها لي اساتذتي » .

ثم طلب الاتهام تاجيل نظر القضية لتمكين خبراء آخرين من تقديم تقاريرهم . ووضح ان مارى قد كسبت الجولة الاولى ومع ذلك استمرت في السجن بينما الخبراء يحاولون فرز البقايا وضمها لبعضها البعض ثم تنازل الاتهام عن ستة من التهم الاحدى عشرة .

* * *

وبدات المحاكمة الثانية في بوردو في ١٥ مارس سنة ١٩٥٤ . وانضمت الى هيئة الدفاع الاستاذة جاكلين فافرو كولومبيه وهى شابة جميلة جذابة لم تكتف بالدفاع عن موكلتها في قاعة الجلسة بل كانت تزورها يوميا في سجنها وتقدم لها العون الادبى الذى كانت في حاجة اليه وتهتم بمصالحها الشخصية ومشاكلها الخاصة التى لا تستطيع ان تقوم بها الا امراة . وقد كتبت مارى بعد ذلك عن اخلاص مدام فافرو :«انها دافعت عنى كما لو انها تدافع عن نفسها وكان دفاعها معجزة . انها كان يمكن أن تكون ابنتي ولكن حنوها عليّ كان حنو ام».

وفي هذه المحاكمة تولى الاتهام نائب آخر .

وبعد الاسئلة المعتادة كشف طبيب نفسانى على مارى وقال انها « طبيعية بطريقة غير طبيعية » (كذا) واعترض على وضع جواسيس معها في زنزانتها لاضعاف معنوياتها تحملها على الاعتراف وافرت واحدة من الجواسيس انه افرج عنها بامر من قاضى التحقيق بعد ذلك .

* * *

واستدعى شهود الاثبات فكرروا شهاداتهم وان لم يكن بنفس الحماس . وسأل الاستاذ جوترا احدهم«الان وقد ظهر لك ان تقرير برو خطأ هل لا تزال تعتقد ان مارى مذنبة ؟ » فاجاب « لا . لا اعتقد . » ثم التفت جوترا لنائب الاتهام المترافع

وقال له « الست تشعر يا سيدى ان التهمة قد انهارت ؟ .. »

ولكن كان يجب انتظار راى الخبراء الجدد .

لقد استعان هؤلاء الخبراء لفحص العينات بعد ان اختلطت ببطارية تربة وعداد « جيجر » ولكن الاستاذ جوترا افحمهم مرة اخرى واظهر عدم كفايتهم بل تزييفهم للنتائج ، ووجه هجوما عنيفا الى مدير معمل السميات لبوليس باريس – جريفون – مخترع التجارب الفيزيائية النووية لاكتشاف الزرنيخ في الشعر . وطلب منه شرح طريقته ، ولكن جريفون رفض ان يشرح . ومع ذلك اثبت جوترا ان طريقة جريفون عرضة للخطا بنسبة ثمانين في المائة . واغضب ذلك جريفون وضرب المنضدة بقبضة يده وصاح «هل انت بخير» فاجاب جوترا بهدوء « لا » ولكن الدكتورين لوبرتون وديروبير لا يوافقان على رايك وكذلك سميث الانجليزى وهم خبراء . وقرا تقريرا يؤيد ذلك .

واستدعى جوترا للشهادة خبراء ابدوا وجهة نظره وقرروا ان الطرق التى اتبعها خبراء النيابة مشكوك فيها وقد اصبحت طريقة قديمة .

وهكذا انهارت ادلة الاتهام وضربت في الصميم وبدا ان براءة مارى في المحاكمة الثانية لا تقبل الشك .. ولكن القاضي اجل المحاكمة لجلسة اخرى بقوله ان ليس امام المحكمة معلومات كافية لاصدار حكم في الدعوى . ولكنه – في هذه المرة – افرج عن مارى بالكفالة .

★ ★ ★

وانقضت سبع سنوات قبل اجراء المحاكمة الثالثة والاخيرة . وسبب هذا التاخير الطويل صعوبة الحصول على آراء علمية . فان عددا من الخبراء من بينهم البروفسور فريدريك جوليو كورى قد توفوا . وفي هذه الفترة اطلقت الصحافة على المتهمة بحسب ميولها وميول قرائها اسم « الارملة السوداء . »

وعندما بدات القضية تعرض للمرة الثالثة في ـ ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٦١ كان موضوع التهمة قد اصبح فضيحة قضائية من الدرجة الاولى ، ولم يعد الاتهام يطلب حكما قاسيا كما كان بل كان يطلب حكما لمجرد الشكل لينقذ ماء وجه السلطات التى تمادت سنين طويلة في قضية واضحة الخسران – غنية بتاجيلاتها فقيرة بادلتها – ولكن رائحة الانتصار هبت على انوف محامى مارى فابوا الا ان يذيقوا الاتهام كاسا مرة حتى الثمالة. وذكر الاستاذ جوترا راى البرفسور جوليو كورى بان جريفون زيف نتائج الابحاث ليجعلها تلائم الاتهام . وقدم استمارات معمل جريفون – حصل عليها بمجهود كبير وبصعوبة – وبها كثير من المحو والشطب والتغيير في الارقام . ورفعها بيده وصاح « ها هو الدليل على التزييف » .

واسرع جريفون للمحكمة ليدافع عن سمعته وشرفه العلمى ولكن رئيس الجلسة نظر اليه بازدراء وقال له : « اظنك تسلم ان تقريرا كتقريرك يترك في النفوس اثرا سيئا . »

★ ★ ★

وقدم الدفاع شهودا اثبتوا ان كل ما قاله خبراء الاتهام لا قيمة له و ن الزرنيخ الذى عثر عليه في الجثث جاء من ارض المقبرة فقد اثبت البروفيسور بربوريه وذكر للمحكمة ان ارض المقبرة تحتوى على زرنيخ وشرح شاهد آخر كيفية امتصاص الجثث للزرنيخ .

واتهم الدفاع القوميسير نوكيه بانه حرك القضية ضد مارى بسنار للحصول على ترقية وقالت الاستاذة جاكلين فافرو كولومبيه بصوت هازىء رنان ان مارى بسنار التى صوروها لكم وحشا من عمل القوميسير نوكيه وتاليفه فلو ثبت انها مذنبة لكان له المستقبل الباهر الذى طمع فيه على جثتها . »

★ ★ ★

ولقد برئت مارى من جميع التهم التى وجهت لها ، ولكن حياتها بددت وصحتها اعتلت وامتلات نفسها مرارة ، وعلقت بها ذكريات فظيعة مؤلمة .. ولم تنل من كل ذلك العذاب اى تعويض .

■■

القاهــرة   حسن الجداوى



خطـــاط فارق الحياة

● طوى الموت علما من اعلام الخط العربي في هذا العصر ، قل ان تجود بمثله الايام على الامة العربية والاسلامية ، وذلك هو هاشم محمد الخطاط البغدادي ، فقد وافاه الاجل ليلة الاثنين ٢٦/ربيع الاول ١٣٩٣ الموافق ٣٠ نيسان ١٩٧٣ عن عمر يناهز السادسة والخمسين .

ولد هذا الفنان في بغداد سنة ١٩١٧ ودرس في كتاتيبها وختم القرآن الكريم بكتابة الخط العربي وتولاه وهو فتى ابن خمسة عشر عاما وكرس حياته طيلة اربعين سنة مضت حتى اتقن انواعه واسراره . واتصل باعاظم الخطاطين في زمانه امثال المرحوم محمد بدوى الديراني ، خطاط بلاد الشام ، والسيد ابراهيم في مصر ، وحسني افندى ، فاخذ عنهم الكثير من هذا الفن العربي الرفيع ونبغ فيه حتى امسى من مشاهير الخطاطين.

وكان لموت هذا الفنان صدى اليم في نفوس من يعرف مكانته ويقدر موهبته . وقد اخذ اجازته في الخط من الاستاذ الكبير حامد الاموى في استانبول .

وتوج هذا الفنان خاتمة حياته ، رحمه الله ، بان اشرف على طباعة القرآن الكريم على نفقة مديرية ديوان الاوقاف العراقى ، فارسلته ثلاث سنوات الى مطابع فرنكفورت في المانيا الغربية سنة ١٩٧٠ فادى المهمة ، وانجز الرسالة فظهرت نسخ القرآن الكريم من اروع ما كتب . وبعد عودته من المانيا قبل اشهر قليلة عقد العزم بأن يتفرغ لكتابه القرآن الكريم بخط يده . ولكن ارادة الله سبقت وانتقل الى رب العزة بنفس راضية مرضية اللهم ارحمه رحمة عامة وعوض الامة العربية والاسلامية بما يقوم مكان هاشم البغدادي والبقاء لله وحده وانا لله وانا اليه راجعون .

حازم عزو مجيد

موصل ـ عراق ٢/مايس/١٩٧٣

برطمان ام مطربان ..

● يوضع المربى ، ولا سيما مربى البرتقال والفواكه عموما في اوعية زجاجية وعليها اغطية معدنية .. ونحن في سوريا نسمى هذا الوعاء مطربان ويسمونه في اقطار شقيقة مرطبان وفهمت انهم يسمونه في مصر برطمان .. فما اصل هذه الكلمة .. هل هي عربية .. ؟

على الجزائرى ـ دمشق

العربي : بحثنا في المعاجم العربية فلم نجد لهذا اللفظ وجودا وانما وجدنا لفظ « برطم » يتبرطم ، ويقال برطم الرجل اذا تحدث وأدلى شفتيه من الغضب . والبرطام ، وجمعها براطم ، هو ضخم الشفة . فلعل اصل الكلمة غير عربي .

الجبر مبتدعه جابر بن حيان !؟

● سمعت يوم السبت الماضي الحديث الديني الذى تذيعه اذاعة الكويت صباح كل يوم . صاحب الحديث يقول ما معناه فضل العرب كثير على العلم ومن افضالهم انهم ابتدعوا علم الجبر وان جابر بن حيان هو الذى ابتدعه ولفت الانظار الى ما بين الجبر وجابر من تشابه،فهل هذا صحيح..؟

هدى محمد ديب ـ الكويت

العربي : الصحيح ان الخوارزمي هو صاحب الجبر

تصـــويب شطر حلّ محل شطر

● ورد خطأ مطبعي في العدد رقم ١٧٠ / يناير (كانون الثاني) الصفحة رقم/٦١/بعنوان/ النصر الساحق/ في يوم ذى قار وهو في البيت الشعرى: قال العديل بن الفرخ العجلى :

الا اصطلينا وكنا موقدى النار
ما اوقد الناس من نار لمكرمة

اى قد سبق شطر على شطر فجعل الشطر الثاني مكان الاول والشطر الاول مكان الثانى . فصحيح البيت :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة
الا اصطلينا وكنا موقدى النار

فرجى اخذ العلم بذلك ، متمنيا لكم التوفيق، ولمجلتكم الازدهار . محمد على طاهر اللقى

حماة ـ سورية ـ الدباغة

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

راس المال والاحتياطي : ـ/٤٨٣ر٨٨٤ر٢٢ د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٢ :

ـ/٤٠٥ر٥٣٧ر٢٥٦ د.ك

المكتب الرئيسي : ص.ب ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ : (١٥ خطا) ٤٢٢١٩٥ : (٥ خطوط)

مِنَ المسرح العَالَمِىّ

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول أغسطس ١٩٧٣

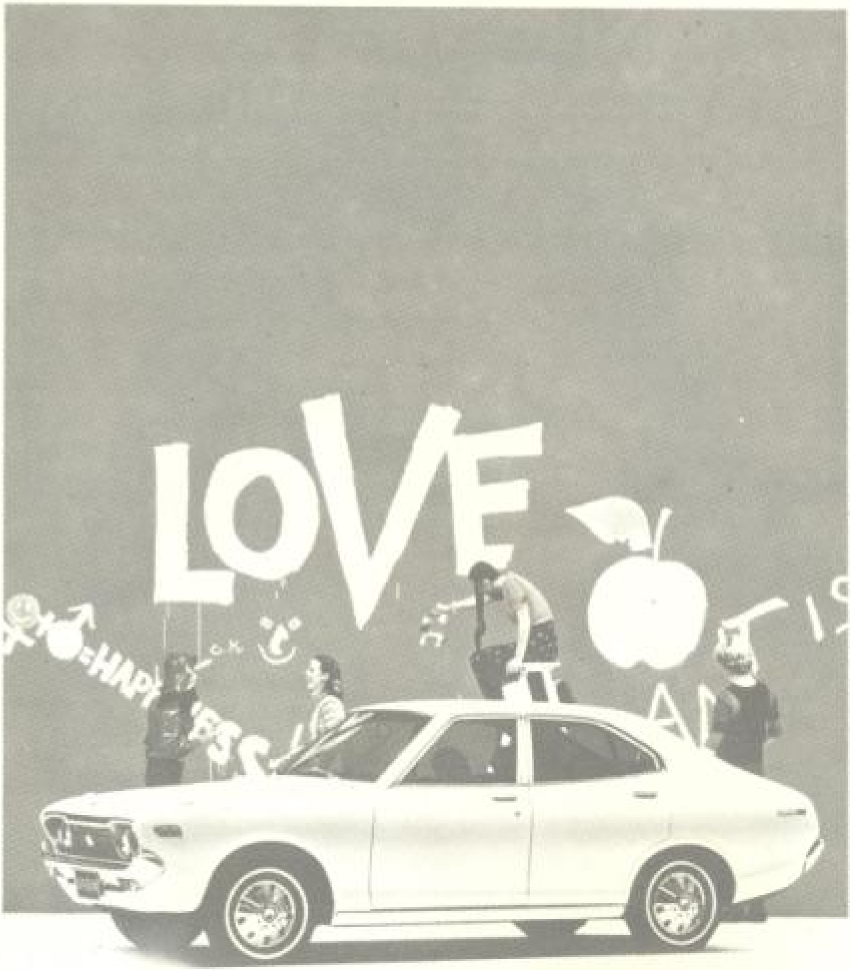
٤٧ / ٢

من الأعمال المختارة

يوجين يونسكو - ٢

• ضحايا الواجب • مرتجلة ألما • سفاح بلا كراء

ترجمة : حمادة ابراهيم
مراجعة : د. سيد عطية أبو النجا



داتسون ... هيَ التجديد الدائم

الجميع سعداء بوصول داتسون الجديدة 160J/140J .. لأنها السيارة التي يقتنيها كل من يعشق حياة الرفاهية والجمال ... إنها الأكثر إثارة من باقة سيارات داتسون.

بنيت لتسير على طرقات اليوم، وصممت لتتماشى مع خيال الغد. إن داتسون 160J/140J جذابة ومحببة للجميع .. لك ولأصدقائك. لهذا، فقد أسميناها "الصديقة داتسون". ثم أن ميزاتها الكثيرة تجعلك سعيدا مع أفراد عائلتك ..

فقد زودت بمحرك OHC بقدرة ١٤٠٠ - ١٦٠٠ سي سي وبنظام خاص يجعل نظام الاحتراق أكثر فعالية محافظا على نقاوة الجو. مقاعدها مجوفة محشوة بالاسفنج.

منها موديلان: سبور - بأربع سرعات مع مغير أرضي للسرعة، وعادي - بمقعد خلفي وبثلاث سرعات مع مغير السرعة على المقود ومساحة داخلية أكبر. أي الموديلين تختار يعطيك أفضل ما توصلت إليه داتسون في حقل التكنولوجيا. فرش مريح وجميل وأداء لا يضاهى .. أي كل ما تتوقع من أي داتسون جديدة.

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN

ضاعف دخلك

نعم في استطاعتك أن

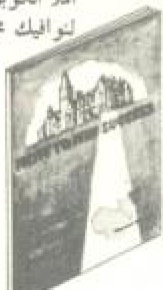
تحصل على مرتب أكبر

إذا أردت الترقي في وظيفتك أو الحصول على وظيفة أفضل فعليك قراءة نشرة برامجنا المختلفة لتختار لدراستك منهجاً من ضمن المناهج الحديثة لضمان عمل مربح

اخطرنا بالمنهج الذي ترغب في دراسته

من المناهج الآتية

إذا كان دخلك صغيراً فمن واجبك ان تعرف كيف يمكننا مساعدتك .
املأ الكوبون ادناه وارسله لنوافيك مجاناً بنشرتنا .



المحاسبة	هندسة البناء
الاعلان	الهندسة المدنية
الصحافة	هندسة الكهرباء
اللغات	هندسة الميكانيك
ادارة المكتب	هندسة السيارات
ادارة الأشخاص	هندسة الراديو
السكرتارية	التلفزيون
العلوم التجارية	النفط

كما اننا نعد الطلبة لشهادة البكالوريا الانجليزية (.G.C.E) علما بان المناهج المبينة اعلاه مكتوبة ومشروحة باللغة الانجليزية . وعلاوة على المناهج الانجليزية المذكورة لدينا اربعة مناهج مكتوبة ومشروحة باللغة العربية للراغبين في الدراسة باللغة المذكورة ممن لا يجيدون الانجليزية . اما المناهج العربية فهي .

هندسة البناء ـ هندسة الكهرباء ـ هندسة الراديو ـ العلوم التجارية

معاهد التعليم البريطانية (قسم ٣٥) بناية جابر الصباح
شارع الكمودور وليون – الحمراء ص. ب. (٦٠٨١) بيروت

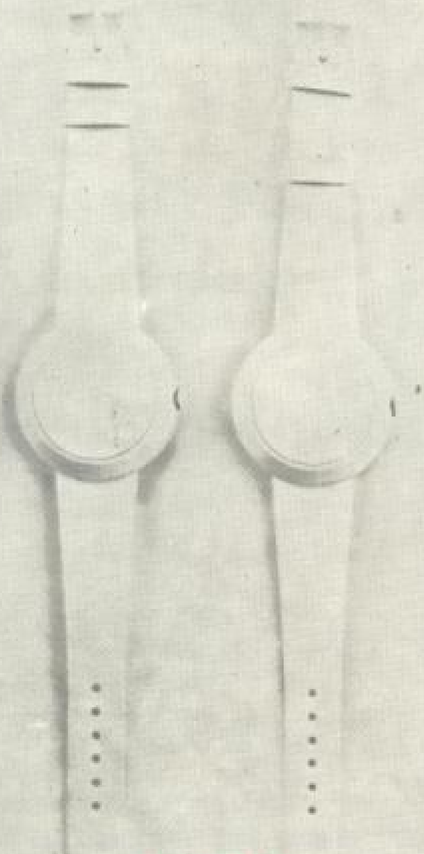
الاسم ________________

العنوان ________________

____

السن ________ المادة المختارة ________

الاسم
العنوان
الى العنوان التالي: مركز استعلامات انكابلوك للشرق الاوسط ص.ب ٢٧٨٢ بيروت - لبنان.



Incabloc®

انكابلوك يبين الفرق

قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات حقيقية ذات محل وربما لا تكون...

الا ان الساعاتي يعرف الفرق. و"انكابلوك" يعرف ايضا! ولهذا فان مضاد الصدمات "انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات الاصلية ذات محل.

والساعة ذات محل هي ساعة الرجل الخبير، وهي ساعة يعتمد عليها.

ذلك هو الفرق!

ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركة بورتسكاب، لاشو دي فون، سويسرا وبورتسكاب فرنسا، بيزانسون.

عندما تدخل الفائدة في الحساب..

لومبارد نورث سنترال يقدم تشكيلة واسعة من الحسابات

٨½٪

حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للودائع

تربح نقودك بنسبة ٨½٪ سنوياً مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر.
يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال
كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة.

٨¾٪

ودائع ذات دخل شهري

الحد الأدنى للودائع ٢٠٠٠ جنيه

الودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه أو ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة،
تربح فائدة بنسبة ثابتة قدرها ٨¾٪ في السنة تدفع شهرياً دون حسم أي
ضريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد منتظم.
يمكن ايداع مبالغ لمدد أطول، وتعطى تفاصيل الفائدة الثابتة لدى الطلب.

٩٪

ودائع زمنية

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة تربح فائدة بنسبة
٩٪ سنوياً تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. وهناك
فوائد بنسب جذابة أخرى لمدد ثابتة طولها ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات.

لومبارد نورث سنترال ليمتد هو من أعضاء مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها مع
الاحتياطي على ٣٨٣ مليون جنيه استرليني. فتح الحساب هو في غاية البساطة. أكتب الآن الى
مدير حسابات الودائع للحصول على تفاصيل هذه الحسابات ونسخة من كتيب الودائع رقم 182A

Lombard North Central

Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4111
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111

Branches throughout Great Britain – Depositors throughout the World

20 CLASS A
CIGARETTES

KENT

WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

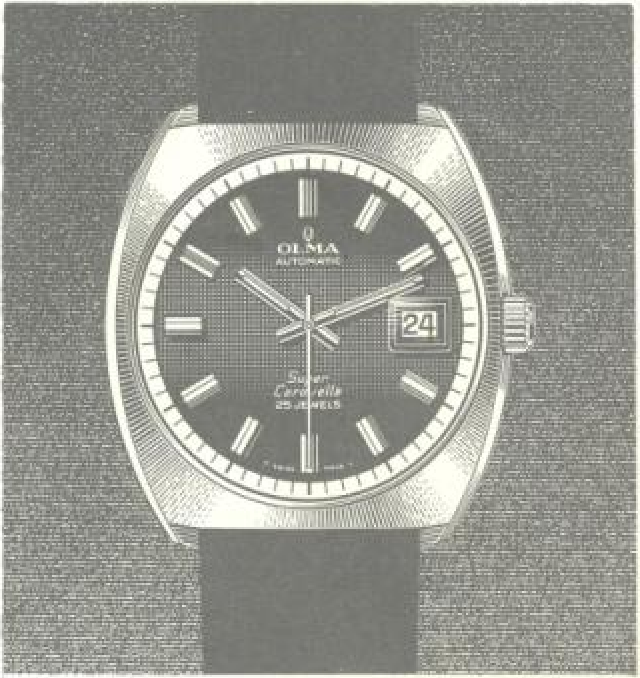
للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الــذ .



كنغ سايز ، دي لوكس ، ١٠٠ مليمتر و كراش بروف

OLMA

Super Caravelle



ساعة

أولما

للجميع

سوبر كرافيل
أوتوماتيكية
دقيقة الصنع
جذابة

الوكيل العام } مراد يوسف بهبهاني ساحة الصفاة

التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV . قياس ١٢ إنشاً يستقبل على تردد عالي (VHF) بالأبيض والأسود والأبيض ومزود بدارات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صوراً فورية متوازنة واضحة ونقية من أي تشويش، اقتصادي، (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط). شاشته مزودة بمصف خاص ليخفف من عناء العينين. تصميمه رائع ويتناسب مع مفروشات أي غرفة. وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المنزلي (١١٠ - ١٢٠ فولط و ٢١٠ - ٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط). وبهذا.. تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت.. مع **جنرال** - موديل TW-12EV

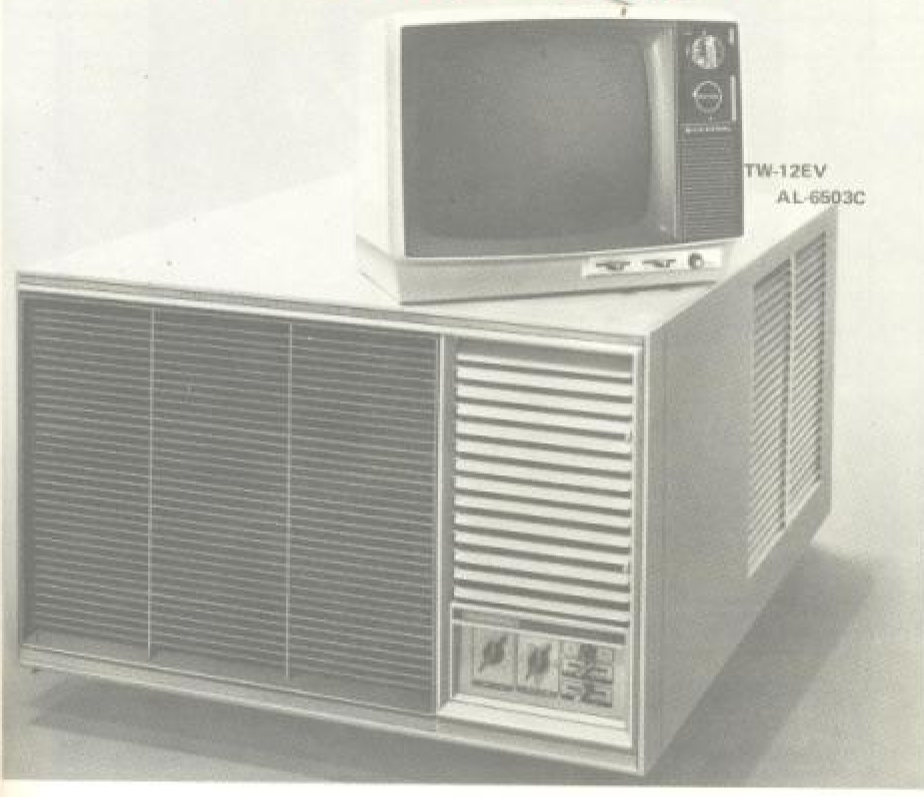
• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما اثنان فقط من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C . طاقته BTU-21.500 تكفي لتبريد أكبر غرفة. أما ضجته فهي منخفضة وتدوم لحياة طويلة. ضوابطه صممت في موضع يسهل فيه استعمالها. ومصفيته.. سهلة التنظيف. هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها **جنرال** لتزيد من راحة الإنسان.. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيوننا موديل TW-12EV .

إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف إلى حياتك نشاطاً نوعياً جديداً...

GENERAL جنرال

الجمهورية العربية السورية: محمد طيب دركزللي، ص.ب ٩٥١ - دمشق.
الخليج العربي: ناتكو، ص.ب ٦٧٤ - أبو ظبي.
الخليج العربي: شركة الاتحاد التجارية، ص.ب ٢٨ - الكويت.
البحرين: إبراهيم خليل كانو القديم، ص.ب ٦٧٠، منامة.
المغرب: سادة الكترونيك - ١١٤ شارع القادسية - الدار البيضاء.
إيران: شركة باسنة المحدودة - شارع نادري بشارع خيابان رقم ٦ الهولد.
ليبيا: نظر عبد الجواد، ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس الغربية.
قطر: علاقات المشيرب، ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة.
لبنان: محلات العطاب للتجارة - بيروت.
الأردن: عبده نقاوة - عمان.
دبي: ناصر بن عبد الله ومحمد - شركة عبد الله التجارة ص.ب ٢٠٨.

نوعية جيدة من جنرال
تزيدك تسلية وراحة





بوم اي مرسييه
الساعة المعجزة
أعظم إنتاج في حقل الساعات
BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
غاية في الدقة
رائعة في الجمال
أوتوماتيكية
آلتها المرصعة بثلاثين
حجر كريم تعمل لمدة
٥٥ ساعة بدون تحريك
الوكيل العام:
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون
أحمد بهبهاني واخوانه
السالمية ت/ ١١٨٢٢٤

سوني هي الأفضل

سوني تقدّم موديلاتها النقّالة المفضّلة

ثلاثة موديلات مختلفة ـ ونفس الأصوات الرخيمة!

جديدة من سوني! ثلاثة أجهزة راديو/ مسجلات كاسيت عظيمة تقدم لكم ما كنتم تريدونه دائمًا من الألحان الشجية في قطع صغيرة نقالة!

موديل CF-150 الخفيف الوزن يضم جهاز راديو FM/AM موديل CF-320 القوي يضم جهاز راديو FM/AM مع التقاط AFC مقاوم للانحراف الصوتي. وموديل CF-410 يلتقط أيضًا الموجات القصيرة بالاضافة الى موجات FM والمتوسطة.

جميع هذه الموديلات تضم مايكروفونًا بمكثف الكتريت وجهاز "سوني ـ او ـ ماتيك" الأوتوماتيكي لتعديل مستوى التسجيل ـ وذلك كي تبقى الأصوات المسجلة واضحة للغاية. وجميعها تضم أيضًا مضخم سوني الدقيق، والحاكي الكبير، والضوابط الصوتيّة ـ وذلك كي يكون اللحن الذي تستمعون اليه رائعًا وممتعًا دائمًا.

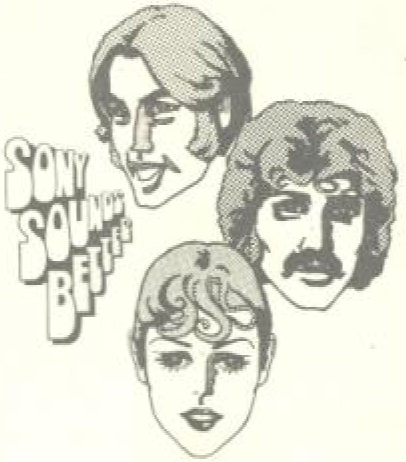
ونظرًا لإمكانيات التشغيل بالتيار المتناوب او المتواصل المتوفرة في هذه الموديلات، فإنكم تستطيعون استعمالها تقريبًا في كل مكان.

ان موزعي سوني مستعدون لعرض مجموعة "سوني" الكاملة من اجهزة الراديو/ المسجلات الكاسيت عليكم.

شاهدوا سوني، واستمعوا الى سوني أولاً.

شاهدوا واستمعوا اليوم الى اجهزة سوني النقالة والمفضلة وستوافقون معنا بان سوني هي الأفضل.

سوني
Research Makes the Difference
SONY®





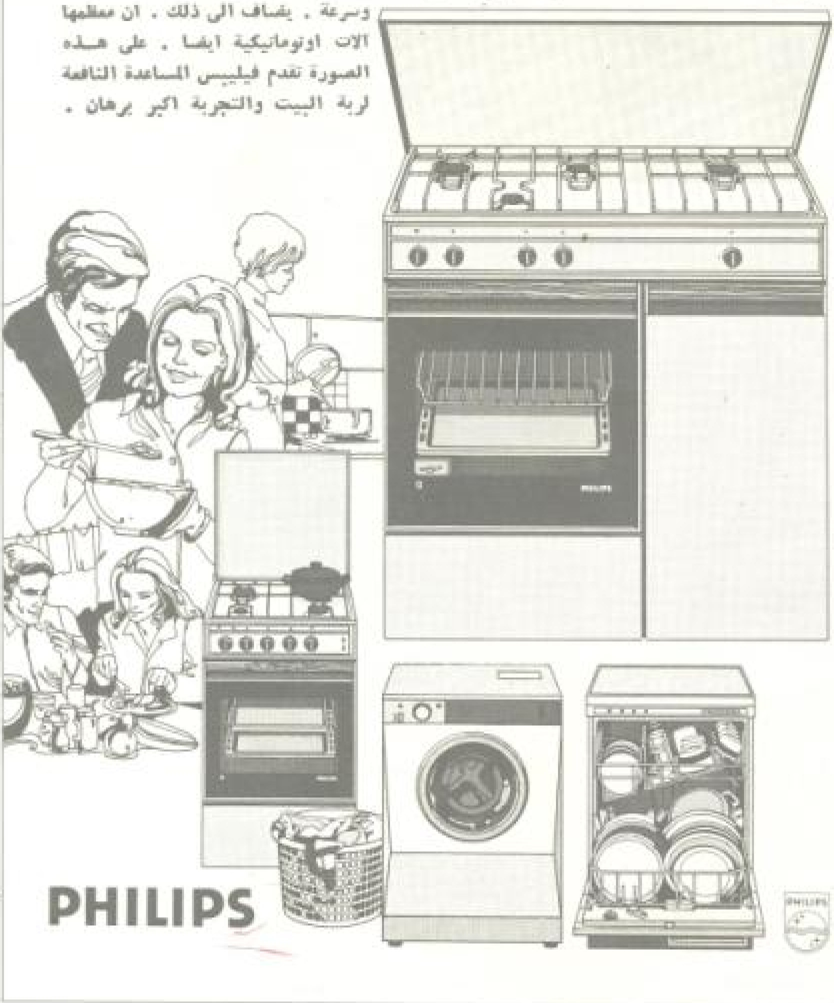
CF-320
جهاز راديو FM-AM
مسجلة كاسيت

CF-150
جهاز راديو FM-AM
مسجلة كاسيت

CF-410
جهاز راديو FM-MW-SW
مسجلة كاسيت

فيليبس تبسط عمليات الطبخ وغسل الأقمشة والاطباق

الغذاء الجيد الطبخ .. الاطباق اللامعة .. الملابس النظيفة .. كل هذه ضرورات لاية عائلة تبحث عن السعادة والصحة الجيدة لافرادها . وفي هذه المجالات تقدم فيليبس المساعدات القيمة . على سبيل المثال ، طباخ فيليبس موديل هـ ن (١٤٦١) ، برؤوسه الاربعة وفرنه الواسع وغرفة شي اللحم فيه ، فانه الطباخ النموذجي بدون شك . وعلى سبيل المثال ايضا ، الة غسل الاطباق في المطبخ . هذه الالة ، موديل هـ ن (٣٨٢٥) تحتوى على اثنتي عشرة فتحة للاطباق وعلى متسع كاف لعدد من الحلل والفناجين والكؤوس وغيرها . ضع الصحون والاطباق والفناجين المراد غسلها في داخلها واغلق الباب وادر الزر . هذا كل ما عليك عمله . وعلى سبيل المثال ايضـا ، الات غسـل الملابس ، كل هذه الالات صنعت لكي تنظف الاقمشة بخفة وسرعة . يضاف الى ذلك . ان معظمها الات اوتوماتيكية ايضا . على هـذه الصورة تقدم فيليبس المساعدة النافعة لربة البيت والتجربة اكبر برهان .



PHILIPS

أجزاء "آكاي" الأستريوفونية مصمّمة لتحقيق الجَودة وتعَدّد الأسْتعمَال وَالدّقة في نقل الأصْوات



GXC-46D



AP-004



SW-35



AA-5200

لامجال اطلاقاً للخطأ اذا كان الجهاز من صنع "آكاي"... فمن أجود أنواع المسجلات الاستريوفونية "دلث" بالكاسيت الى المضخمات المتقدمة الرئيسية بالترانزستور الى الاجهزة الدقيقة المكبرة للصوت من الطراز المعروف بالتيار المتدفق الى أفضل انواع اقراص الاسطوانات الدوارة.

Audio & Video

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan



رادو

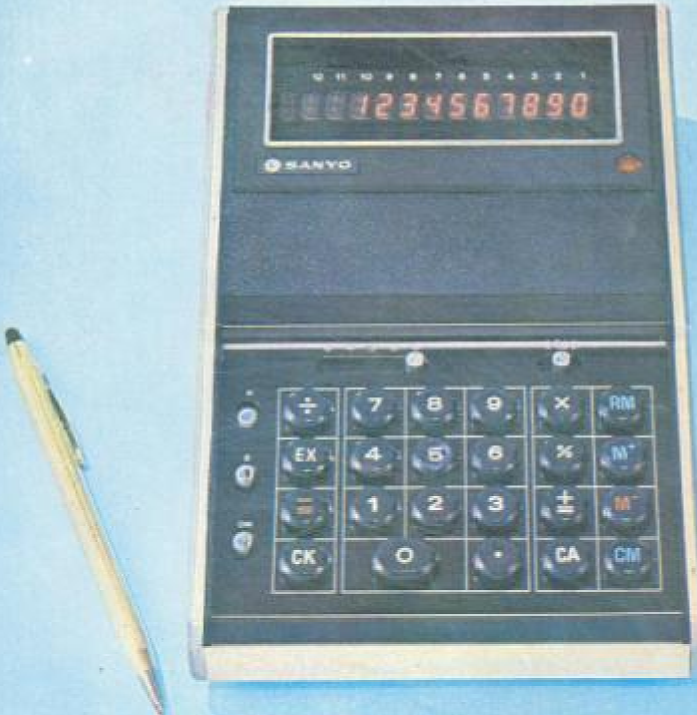
الساعة الوحيدة في العالم الغير قابلة للخدش

UNIVERSE

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد


أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر
VENI · VIDI · VICI
FINE TOBACCOS
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
مارلبورو
رمز الجودة
A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

علامات مميزة
أضيفت على إنتاجنا الجديد
لتضاعف أرباحك



(ICC- 3101



هاز (ICC- 3101) يحتوي على مؤشر
ناص ليحل بلمسة واحدة مشاكل
نسبة المئوية ، وباستطاعتك
إسطة محول آخر معالجة الكسور
جبرها « الكسور الأقل من النصف
حذف ، الكسور الأكثر من النصف تساوي
إحد » وبذلك تحصل على نتائج خالية
ن المشاكل الحسابية
ته خفيف الوزن ونقال ولكنه جهاز



ذو ذاكرة مستقلة ، إذ أنك تستطيع أن تضيف
أو تطرح من الأرقام المخزونة في الذاكرة .
١٢ خانة ظاهرة على عداد الجهاز ، لكن
الأرقام تصل أحياناً إلى ٢٤ .
إنه يعمل بالبطاريات التي
يعاد شحنها أو على التيار
الكهربائي .
إختصروا الوقت في عملياتكم
الحسابية ووفروه لجني أرباح أكثر مع سانيو

SANYO سانيو

AAA/K-5/73

العربي

العدد ١٧٨
شعبان ١٣٩٣
سبتمبر
(ايلول) ١٩٧٣



فتاتان من عنابة .. او بوابة الجزائر على الشرق

جوائز
١٢٠٠
دينار سنوياً

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار



من سلسلة لوحات
الفنانين العرب

نحو الافق
الازرق

لوحة زيتية للفنان
محمد السرغيني من
المغرب

عزيزي القارئ

من سياسة
اعرق امم الارض سياسة

■ فى النصف الثاني من يوليو ، هذاالماضي ، اعلنت حكومة المحافظين بانجلترا أن رئيس وزراء البرتغال سوف يزورلندن زيارة رسمية ، وأن الحكومة البريطانية ستحتفل بها احتفالا هو تحية للسلام الذى قام ودام بين الدولتين بضعة قرون .

وهاجت الصحافة البريطانية لهذاالخبر ، واخذت تحث رئيس الوزراء على الغاء هذه الزيارة الفاضحة ، لان الزائر دكتاتور من ابغض رجال العصر الى الناس ، فهو فى البرتغال حاكم ظالم غاشم ، وهو فى المستعمرة البرتغالية الافريقية موزامبيق ، سفاك لدم الأبرياء سفاح .

وصمد رئيس الوزراء البريطاني فلم يلغ الزيارة . واخذت الصحف البريطانية تستطرد فى وصف المذابح التى اقترفها الجيش البرتغالى فى افريقيا ، وما احرق وافنى من قرى كانت ثم بانت فلم يبق من أهلها المسالمين غير الجثث ولا من بيوتها غير الرماد .

والفاتيكان أعلن سخطه على ما وقع من فظائع وشجبها وشجب مقترفيها .

وصمدت الحكومة البريطانية .

وحضر الزائر البغيض فلقى المظاهرات الصاخبة من الجمهور حيثما ذهب من لندن .

والمعارضة البريطانية جعلت من الزيارة استجوابا والزيارة قائمة .

وصمدت الحكومة البريطانية .

وحضر الزائر يحيطه الحرس الى قصر الملكة للغداء ، ومر موكبه عند أبواب القصر بموكب عظيم من الساخطين الصارخين المحتجين .

وزادت الصحافة البريطانية كشفا الفظائع موزامبيق .

ورحل الزائر عن لندن الى بلده ، وهوباسم ، يحيى عند باب الطائرة مودعيه من الرجال الرسميين .

وازدادت الصحافة من بعد رحيله كشفا للجرائم وضراوة .

طريقة فى الحكم ، يا عزيزى القارىء ، فريدة .

بلد ديمقراطى ، تقف حكومته فى جانب ، ويقف الراى العام فى جانب . وسند الحكومة فى موقفها « المصالح اولا » ، لا « العواطف » ، ولا حتى «القيم الانسانية» . ومع هذا فهى تفسح للشعب عن طريق صحفه أن يتنفس « عاطفة » وأن يرتاح « قيما انسانية » . وهى لم توجه الصحافة فى هذا الأمر وجهة خاصة . وهى لا شك قرأت ماجاء بالصحف البريطانية بارتياح . عجزت أن تشجب عمل هذا السفاح الفاشم رسميا ، فرضيت أن تقوم الصحافة عنها بما يرضى العاطفة العالمية بعامة ، والعاطفة الافريقية والشرقية بخاصة .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 178 September. 1973 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤١ ٤٢٧١٤ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● فتاتان بالزى الوطنى العنابى .. نسبة الى عنابة .. المدينة التى كانت تطل منها الجزائر على بلاد المشرق .. ان عنابة اليوم تعمل بكل طاقتها من اجل الانتصار في معركة البناء بعد انتصار الجزائر في معركة التحرير .. وعنابة مرشحة لتصبح العاصمة الصناعية للجمهورية الجزائرية .. (انظر الاستطلاع ابتداء من ص ٧٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائرى . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢.٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى . وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص.ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



بريد القرّاء وعرض آرائهم

هدية العدد الممتاز

● اقترب موعد صدور العدد الممتاز من العربي، ترى ما هي الهدية التي اعددتموها لنا معه ؟

انني اقترح ان تقدموا لنا خارطة جديدة لعالمنا العربي . قد يبدو هذا الاقتراح معادا ، وقد يقول البعض ان الخارطة اهديت مع اعداد ممتازة كثيرة من العربي في الاعوام الماضية . ولكنني اقول لهؤلاء انها كانت وما زالت خير هدية قدمتها العربي لقرائها الذين « حالفهم الحظ » واستطاعوا اقتناء نسخة منها . اقول الذين حالفهم الحظ ، لان الخارطة كانت تختفي بمجرد نزول العربي الى الاسواق وكانت تباع على حدة بثمن يزيد على ثمن العربي نفسه !! وبالرغم من هذا لم تكن تغلو على احد .

اعيدوا اصدار الخارطة وقدموا لنا معها ما شئتم من المعلومات الجديدة عن وطننا العربي ، والله يوفقكم الى خدمة القراء ، وكل عام والعربي بخير باذن الله .

محمد الخليفة/الخرطوم ـ سودان

قرصنة الكتب ألم يحن الوقت لوقفها ؟

● مما يحز في النفس ويؤلم ان تغدو المعرفةسلعة يتبارى في ترويجها دور النشر وبعض المؤسسات الرسمية في لبنان بوجه خاص وفي سائر الاقطار العربية بوجه عام . اذ انها تعمد الى سلخ امهات الكتب وطبعها في اجزاء متسلسلةتقذفها افواه المطابع باشكال رديئة وطباعة سيئة واغلاط جمة ، لا تمت الى الروح العلمية والامانة الادبية بصلة ، ثم تقف هذه المسلسلات فجأة دون بلوغها التمام ، لتطالعنا مسلسلات اخرى .. يكون القارىء قد تورط باقتناء اجزاء مبتورة لا تغنيه بطائل .

وثمة وجه اخر لهذه التجارة اعني به قرصنة الكتب عن طريق التصوير والتزوير ...

واني اذ اضع هذه الصورة بوجهيها بين ايديكم، وانتم سَدَنَةُ المعرفة ، لارجو ان توجهوا الدعوة الى عقد مؤتمر عام يحضره وزراء الثقافة والارشاد لدول الجامعة العربية ، الى جانب مؤتمر للادباء والكتاب العرب تتخذ فيهما اجراءات حاسمة لقمع مثل هذه المهازل التي تئد المعرفة وتتلاعب بعواطف واموال القارىء العربي !! وانا لمنتظرون !

مختار فوزي النعال/حلب ـ سوريا

مشاكلنا

● على الرغم مما تحويه مجلة العربي من ابواب مفيدة فاننا نود ان تعنى بالناحية الاجتماعية ذلك لان النواحي الاجتماعية عندنا في حاجة الى توجيه وتبصير بما لها وبما عليها ، فالشجاعة الادبية مثلا لا نجد لها غير آثار طفيفة توشك ان تندثر ، والحرية الفردية اطلقت فلا قيود ولا مراعاة للآداب العامة ، فاينما سرنا في طريق او ركبنا قطارا أو تراما سمعنا من افواه بعض الناس ورأينا من سلوكهم ما يخدش الحياء ويؤذي النفس ولا نجد احدا ممن يسمعون ويبصرون تتحرك له

لماذا يتاخر وصول العربي الى قرائه ؟

● منذ شهر ابريل من هذا العام ومجلة العربي تتاخر في الوصول الى ليبيا في موعدها الذى لم يكن يتجاوز اليوم العاشر او الثاني عشر من الشهر الذى يصدر فيه العدد . وقد وصل عدد ابريل في اوائل شهر مايو ، ووصل عدد مايو بعد ٢٥ يوما على صدوره ، اما عدد يونيو فلم يصل بعد ، ونحن الان في اليوم السابع والعشرين من شهر يونيو ، وهو يوم كتابة هذه الرسالة ، والله وحده يعلم متى يصلنا، ومتى يصل عدد يوليو واغسطس.

لقد سمعت البعض هنا في بنغازى يقول ان ادارة المجلة هي المسئولة عن هذا التاخير ، ترى هل صحيح هذا ، ام ان السبب يرجع الى عوامل اخرى فنية تتصل بالطباعة وغيرها ، أم ماذا ؟

علي صالح حمد/بنغازى — ليبيا

العربي : لا . ليست ادارة مجلة العربي ولا مطابع العربي هي المسئولة عن هذا التأخير ، فالعربي يصدر في موعده كل شهر ، وانما التأخير ناتج من اسباب لا حيلة لنا فيها .. ونرجو ان تزول هذه الاسباب قريبا ويعود العربي الى الوصول الى قرائه في موعده .

الاجتماعية

جارحة ، او تنطلق منه كلمة زجر او ارشاد . ولا ندرى لذلك سببا ، اهو الخوف ، ام الجهل بالحقوق والواجبات الاجتماعية ، ان الحال لو سارت على هذا المنوال ، فما اشقى النشء وما اتعس الاجيال المقبلة .

وانا لنامل في مجلة العربي بأن تخصص بابا ثابتا تشخص فيه المشاكل الاجتماعية ، وتصف الدواء .

محمود فهمي الهوارى — الاسكندرية

المدارس الأهلية فى الكويت استيفاء

● قرانا استطلاعكم عن المدارس الاهلية في الكويت (عدد ابريل) فلاحظنا انكم لم تستوفوا الحديث عن المدارس الاهلية كلها واسفنا لانكم اغفلتم عددا من هذه المدارس ، نخص بالذكر منها المدرسة التي تعنينا ، وهي مدرسة العرفان الخاصة .

فقد تأسست هذه المدرسة عام ١٩٦٨ ويبلغ عدد طلابها ٣٠٠ طالب . وهي مدرسة ابتدائية وتشمل مرحلة الرياض وتدرس اللغة الانجليزية بالاضافة الى سائر المواضيع التي تقتضيها مناهج وزارة التربية الكويتية .

مدرسة العرفان الخاصة
الكويت

مسلمو بلغاريا

● قرات في العدد ١٧٣ من العربي الكلمة التي وجهها مسلمو بلغاريا الى العالم الاسلامي وبها يستغيثون بالمسلمين حكومات وشعوبا مما لحق بهم من اذى وظلم واضطهاد . ويطلبون ان يعمل المسلمون على رفع الحيف عنهم وتوقعت ان ارى بالعدد اللاحق من العربي ما يبشر بان هذه الكلمة لاقت صداها — لاننا لسنا اقل من الامم التى تحرص على افرادها اينما كانوا في بقاع الارض وتدافع عنهم .

وحينما لم ار اي كلمة او صدى لاستنجاد مسلمي بلغاريا حضرني قول الشاعر السورى حينما قال قصيدته المعروفة بمناسبة شبيهة عام ٤٨ والتي منها هذان البيتان :

رب وامعتصماه انطلقت
ملء افواه الصبايا اليتم

لامست اسماعهم لكنها
لم تلامس نخوة المعتصم

حامد طباخ — دمشق

حديث الشهر

الأجور

كيف اختلفت بين الناس

بقلم رئيس التحرير

■ فى صيف عام مضى ، فى لندن ، حضرنا مناقشة بين ام انجليزية نعرفها ، وولد لها ، أتم التعليم الثانوى . وقطع المناقشة رجل يدق الباب . وقام اليه الابن فاذا هو رجل من الرجال الذين يجمعون القمامة من المنازل، وكانوا ثلاثة، ومعهم سيارة مصممة لأغراض هذا الجمع ، فلا يتلوث بالقمامة التى يجمعها الرجال فيها ناس فى الطريق او الطريق نفسه .

ودق رجل القمامة بيت الدار لينبه اهله الى ان يوم جمع القمامة الاسبوعى قد تغير ، وأنه صار يوم الاربعاء لا يوم الاثنين .

وعاد الولد يخبر امه بالذى تم .

وعاد الولد والأم الى النقاش ، هل يدخل الابن الجامعة أم يدخل فى دنيا الأعمال. وفى سبيل المناقشة سأل والدته هل تعلم كم أجر جمّاع القمامة هذا الذى طرق الباب . ولم ينتظر جوابها ، فانه اردف يقول : ان اجره فى الاسبوع ثلاثون جنيها استرلينيا (كان هذا قبل خفض الجنيه) . **وراح يقول لامه :** بعد هذا ماذا يرجو داخل الجامعة من الجامعة .

قالت الأم لولدها : ليس الأجر الذى يعطاه العامل كل شىء ، فأعمال الحياة لها قيمها التى لا تستمدها من الأجر وحده ، ويزيد فى قيم هذه الأعمال انها تعطى للسواد من الناس والمجتمع .

قال الابن : وهل يقوم جماعو القمامة الا بخدمة المجتمع . لقد ادركنا هذا ايما ادراك ، عندما أعتصب جماعو القمامة بمدينة نيويورك ، واضربوا ، وجعلوا من شوارع هذه المدينة الكبيرة مـــالك

الرِّجالُ فى سُوقِ العَمَلِ ، كالبِضاعَةِ فى أَسْواقِها ،
ما قَلَّ مِنْها غَلا ، وما كَثُرَ رَخُص .

● ● ●

"قالَ الابْنُ لأُمِّه : الزَّبَّالُ أَجْرُهُ فى الأُسْبوعِ ثلاثونَ جُنَيْهًا ،
فماذا يَرْجُو داخِلُ الجامِعَةِ مِنَ الجامِعَةِ ؟"

سدتها القاذورات ، فصارت مباءات لأسباب المرض ، وصارت الروائح كريهة فى الأنوف . وعندئذ نزلت المدينة على مطالب هؤلاء الجماعين ، جماعى القمامات .

حصيلة من النقاش لم تنته الى شيء حاسم . وكذا أكثر النقاش . انها كثيرا ما تكون تفريجا لهم تجمع فى الصدور . ولقد أزيد هذه الصورة اكتمالا بان

ودق رجل القمامة باب الدار





الشغالة في البيت تتقاضى
دولارا واحدا في الساعة



السكرتيرة تتقاضى
٥ر١ دولار في الساعة .



والمدرسة
تتقاضي ٥ر٢ دولار

اقول ان جامع القمامة فى لندن غير جامعها فى الهند أو فى المكسيك .

انه رجل تعلم . فهو يقرأ ويكتب ، ويقرأ الصحف . وهو بقى فى المدرسة الى سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة فما فوقها ، فكاد غالبا ان يتم التعليم الثانوى .

والسيارة التى طاف بها رجال القمامة فى لندن ، تلك التى طرق رجالها الباب ، كان بها من الآلات ما ينزل بمجهود الرجال فى جمع القمامة الى حده الأدنى . وجامع القمامة نفسه ، تغطت رجلاه وتغطت يداه بما يمنع عنه الأذى . ولهذا كان أحد هؤلاء الرجال يدخن غليونه ، بينا هو يجمع قمامته .

انه عمل يدوى ، والعمل اليدوى احتقره الانسان منذ كان ، واحتقره الاغريق الذين قيل ان الحضارة الأوروبية انما خرجت عنهم فى سالف الأزمان . والعمل اليدوى محتقر فى الدنيا ، لاسيما دنيا العالم الثالث ، دنيا المتخلفات من الأمم .

ولعل هذا كان أول عامل عمل فى نفس الأم عندما اعترضت ان يترك ابنها العلم ليكون جامع قمامة . والحق أن الابن ما اراد ان يكون جامع قمامة . انما هو الحجاج العسير يدفع الانسان الى ان يقول ما يقول . وان يقول ما اذا تمسك به عليه السامعون له اباه آخر الأمر . انه عز عليه ان يبلغ أجر جامع القمامة ، بدون زيادة من علم ، وزيادة من تدريب ، ودخول فى جامعة ، أو تهيؤ لمهنة ، ان يبلغ اجره اجر الجامعيين أو لعله يزيد .

والحق ان اجور الناس تتفاوت . وكان من الطبيعي أن تتفاوت . وكثيرا ما نجد لهذا التفاوت اسبابا ظاهرة ، وكثيرا ما تكون هذه الأسباب باطنة . وليس معنى وجود أسباب اننا سوف نرضى بهذه الأسباب ، فشئون الحياة كثيرا ما تكون أعصى فهما من أن تبررها اسباب تذكر لها .

تفاوت الأجور

ورحت أسال رجلا امريكيا ، من الولايات ، صادقته ، رحت أساله عن الأجور فى بلاده ، كم هى ؟ وكم تتفاوت ؟.

قال من الصعب تحديد الأجور فى بلاد كبيرة بها العشرات من الولايات ، وبها اختلاف الأجواء ، واختلاف البيئات ،



السباك يتقاضى ٥
دولارات في الساعة .



الطبيب النفساني يتقاضى
٢٥ دولارا في الساعة

واختلاف الغايات والاهواء . ولكن قد لا يكون من الخطأ الكبير أن اذكر أن اجر الشغالة فى البيت يبلغ دولارا واحدا فى الساعة،وان السكرتيرة يبلغ اجرها دولارا ونصفا فى الساعة ، وان المدرسة تتقاضى نحو ٥ر٢ دولار فى الساعة ، والسباك يتقاضى نحو خمسة دولارات فى الساعة، والطبيب النفسانى يتقاضى نحو ٢٥ دولارا فى الساعة . فاذا نحن جئنا الى ممثل فى السينما معروف مشهور فقد يبلغ اجره ٢٠٠ دولار فى الساعة او يزيد .

اسباب التفاوت

ولتفاوت الأجور اسباب عدة .

لعل اولها وأصلها فى الميادين الحرة ان العمل فى الأسواق كالسلعة فى الأسواق، تغلو قيمتها وترخص وفقا للمطروح منها فى الأسواق ، فان كان المطروح كثيرا قل الأجر،وان كان المطروح قليلا زاد الأجر .

مثال ذلك أن الخضراوات ترخص احيانا ، وتغلو احيانا . وتسأل عن السبب فتعلم أنه الطقس برد فأفنى المحصول او كاد . او أنه اصابه الحشر او اصابته الآفات . والخضراوات فى أول المحصول قليلة ، فهى لذلك غالية . ويكثر المحصول فيرخص الثمن . ويقل بانتهاء الموسم فيعلو الثمن مرة اخرى .

وكالخضراوات الماكولات جميعا وسائر اللحوم .

وكالماكولات الملابس والمساكن وكل شيء يبتغى .

وكذا الحال فى الطبيعة . الماء لا يكاد يكون له ثمن فى بلاد مثل اوروبا مطرها لا يكاد يهدأ . ولكن الماء كبير الثمن ، وعزيز المنال فى الصحراء .

والهواء ، يتنفسه الانسان . وقد كان لا ثمن له لكثرته ايضا . ولقد جاز على جبروت الانسان أن يحبسه عن الناس الا بالأجر ، ولكن الذى دبّر امر الهواء ، ووصله هكذا بالحياة ، دبّر أن يكون من خواص الهواء ان يملأ كل فراغ ، غصبا، فهو من اجل ذلك يدخل البيوت ،ويدخل السجون ، ويقف عند أفواه الناس يطلب مدخلا .

وكما فى الطبيعة ، فكذلك فى حياة الناس .

فالمعروف مثلا ان الخدم قد غلت اجورهم فى بعض العواصم العربية، تلك التى دخلها التصنيع . وأذكر القاهرة خاصة ، ففيها ارتفع اجر الخادم الذكر

الى اضعاف ما كان عليه منذ سنوات .

وذهب ذاهب الى السوق يطلب من صاحب البقالة الذى منه يشترى ، أن يساعده في تدبير خادم . فقال له أدبّر لك خادمة ، فالذكور ذهبوا الى اعمال اخرى اربح . او ان شئت فعندى الطابخ الذى يأتيك اليوم الواحد في الاسبوع أو اليومين ، ثم يتحول الى غيرك . اما الخادمات فبالساعة . ومعنى الساعة انه اجر عظيم .

وفي عاصمة اوروبية احتاجت صاحبة الدار التى نزلناها الى من يصلح انبوبة في حمام . فجاءها السباك آخر النهار وقدّر للاصلاح اجرا كبيرا . وجاءت بآخر فكان تقديره أعلى . فسألته في ذلك ، فقال : أنا السباك لا بد ان أحصل من عملي في الشهر على مائتى جنيه انجليزى او اكثر ، والا فأنا سبّاك خائب .

قلة الرجال رفعت قيمة الرجال ، وكثرتهم نزلت بهم .

ولم يعد يؤخذ في تقدير أجرة العامل، انه يعمل بيده ، او يعمل بقلمه وعقله ، ولم يعد يؤخذ في تقدير الرجال ، انهم يلبسون البدلة الزرقاء ، او يلبسون الياقة البيضاء ، في عصر امتزجت فيه الألوان والأشكال حتى لا تكاد أحيانا أن تفرق بين الرجل والمرأة اذ يمشيان في الطريق .

المهارة
وأثرها في تفريق الأجور

قلنا أن العرض والطلب هما اللذان يؤثران في تقدير الأجور .

ولكن ليس كل عرض كثير بمرغوب عنه .

وليس كل عرض قليل بمرغوب فيه .

فكل عمل يتضمن مهارة لا بد ان يبلغها العامل ، ولهذا تختلف الأجور في الصنف الواحد من العمل .

فليس أجر الخدم بواحد .

وليس اجر اساتذة الجامعة بواحد ، وما يجب ان يكون .

والمهارة المطلوبة تختلف بالانتقال من نوع عمل الى نوع آخر .

وذكر ذاكرنا ان الخادمة الامريكية تأخذ في الساعة دولارا ، وان السكرتيرة تأخذ ١٫٥ دولار .

والسبب أن الثانية تحتاج الى مهارة تقضي فيها الشهور ، وقد تقضي السنين فوق ما تحتاج اليه الخادمة من تحضير .

وخريج الجامعة يقضي في تحصيله العلم ، وهو مهارة عقلية ، فوق ما تقضيه السكرتيرة الكاتبة . وهو ينفق أثناء ذلك على نفسه ، وفي تجهيزه لمهارته ، مالا مبذولا من حقه أن يتعوّض عنه عندما يعمل . والدراسة نفسها ليست دائما فيها ما يغرى الدارس بالسير فيها الى نهايتها .

ولكن كذلك السبّاك الفنى لا يبلغ مبلغه من الفن والتدريب الا بعد سنين . فهذا ايضا جدير بالأجر الوافر . وكذلك كل عامل فنان . ولقد زاد أجر العامل الفنان الماهر منذ بلغت التكنيّة الحاضرة أوجها ، وبلغت الصناعة ذروتها .

ووقف أجر المدرس ، في الولايات المتحدة ، حسب ما قال صاحبنا ، بين أجر الخادم وأجر السباك . السبب هنا لا أحسبه يرد الى بذل لاكتساب مهارة وانما يرد الى ازدحام الطلاب عند أبواب مدارس المعلمين والمعلمات ، وقلة ازدحامهم عند أبواب الصناعات .

الممثلة النجمة

بقيت الممثلة ، ممثلة السينما النجمة ، تلك التى ساعتها تؤجر بمائتين من الدولارات فما فوق ذلك .

هذه الممثلة بلغت ما بلغت بعدة اشياء :

(١) تدريب شديد ، قد يبلغ السنوات الطويلة .

(٢) مواهب شخصية كثيرة تتعلق بالجسد .

(٣) مواهب شخصية كثيرة تتعلق بالروح .

ومن كل هذه تؤلف النجمة الموهوبة، صوتا وجمالا . وتبتسم فيطل الحسن من شفتيها. وتغضب فيبلغ منها الحسن ذروته .

هذه لا يقاس عليها. كالذهب والماس، لا يسأل لماذا غلا ثمنه .

الأجـــور ليست وحدها تغرى بالأعمال

على ان هناك ظروفا اخرى تغرى طالب العمل به ، او تجعله يعزف عنه .

فالعمل الذى فيه خطر محتمـــل ، يزيد أجره .

والعمل الذى يدوم ، غير العمل الذى لا يدوم .

والعمل الذى يضمن الأجر ما طـال العمل،غير العمل الذى ليس فيه ضمان.

كل هذا يزيد فى أجر العامل .

بين استاذ حقوق ومحام شهير

هما أخوان تخرجا من جامعة واحدة، ونالا درجات من الجامعة الواحدة ،وكان لهما من الذكاء ما كاد أن يكون شـيئا واحدا . ولكن اختلفت الأمزجة ، الأول له المزاج الهادىء الذى يحب الخلوة لنفسه،والثانى لايبالى البيئة الصاخبة.

تخرج الاثنان .

وفضل الأول التدريس فى الجامعة.

وفضل الثانى الخروج الى السوق ، يعمل محاميا .

ومضت السنون ، فاذا المحامى يبلغ دخله اضعاف دخل استاذ الجامعة .

ورضى استاذ الجامعة حياته ، ورضى اختياره الأول . ورضى الدخل الأدنى .

ذلك انه وجد مهنة التدريس اروح



الممثلة النجمة ساعتها تؤجر بمائتين من الدولارات أو أكثر .وهذه احداهن

لنفسه ، وانه فيها يعمل بين أساتذة اخوان كفاة غايتهم كشف المجهول . وان له فيها أجازة الصيف الطويلة ، وانه يمتزج بارواح من البشر شابة هم طلبته. وهو وجد فى مهنة أخيه ، مهنة المحاماة، انما تقتضى منه العمل فى بيئة صارخة مزدحمة ، واختلاط باشخاص شررة ، ذوى اخلاق تغلب عليها الريبة . والدخل حتى الدخل ، ليس له فى أول العمل ضمان الزيادة ، فان زاد فما كل دخل محام بزائد .

الانتاج وأثره فى الأجور من ينتج أكثر ، يؤجر أجرا أكبر

فى الأسواق الحرة التى يقوم فيها التنافس المعقول، تتحدد الأسعار بنسبة ما يكون للعامل من انتاج .

مثال ذلك ان الانتاج زاد بمقدار ٢ أو



المحامى ، وله الدخل الكثير



استاذ الجامعة وله الدخل القليل

٣ فى المائة فى العام . عندئذ ننتظر ان ترتفع الاجور، الاجور الحقيقية (منسوبة الى قوة شرائها فى الأسواق) الى مثل هذه النسبة من الزيادة .

ولكن لو اننا فعلنا هـــذا لجانبنا الصواب . فهذه الزيادة فى الانتاج قد لا تكون من حصيلة العمال وحدهم . فصاحب المصنع قد يكون اشترى آلات جديدة زادت فى الانتاج ، فهذه يجب ان يطرح ثمنها من حصيلة الايراد .

ومن الناس من يتحمس للعمال ،ويقل تحمســه لصاحب راس المال ، فيقول بقوة من عاطفته : فلتذهب كل زيادة فى الانتاج لتكون زيادة فى اجور العمال . وفى هذا تضل العاطفة ، لأنه فى القطاعات العامة انما يكون الشعب هو صاحب راس المال . فالعاطفة اذن تكون تعاطفا مع بعض الشعب ضد الشعب كله .

ان كل محاولة لرفع الاجور الحقة فوق ما ياذن به الانتاج ، او خفضه دون ذلك ، لا بد أن تنتهى بالفشل ، وتعم المأساة حين يصل تاثير هذا الخفض فى سائر الانتاج،فتفسد به الأجور ،ويتعطل العمال ، والنتيجة التى لا مهرب منهـا انما تكون زيادة الأسعار ، وزيادة الأسعار عقوبة للشعب .

ان كل مؤسسة ، عامة او خاصة ، لا تحسن الانتاج ، كثيرا ما يكون اغلاقها خيرا ، لأنها تنزل بالأجور ، وترتفـع الأسعار،والفقر يرقد فى كليهما والافقار.

الاتحادات والنقابات وأثرها فى الأجور

كان العمال فى القرون الماضية مفرّقين، يطلبون العمل عند أصحـــاب العمـل فرادى .

وكان اصحاب الاعمال هم الذين يقررون اجور العمال وفق ما هو أنفع لهم ،واعود بالثراء عليهم . وكانت المصانع جديدة، والأمل فى اثرائها السريع يغرى الجميع . ونزلت اجور العمال بذلك ، عند الكثرة من العمال ، الى الحضيض .

وغير الاجر ، كانت شروط العمـل ،



الاضراب عن العمل عمل تعده القوانين الأوربية الديمقراطية عملا لا يتنافى معها . وهؤلاء حراس من العمال يقومون عند مداخل المصنع يراقبون العمال الذين يدخلون الى المصنع للعمل بعد التصويت بالاضراب .

وساعات العمل ، والبيئة التي يعملون فيها ، سيئة كلها .

العجز عند العمال ، ومعه الفقر ، وليس كالفقر عجزا .

والقدرة عند أصحاب العمل ، ومعها المال ، وليس كالمال قوة .

وعلى السنين عرف العمال قوة الجماعة ، فكانت الاتحادات العمالية .

وعلى السنين عرف كذلك اهل المهن النقابات والروابط والجمعيات، فتحولت الشعوب الى قوى تجمعها داخل حدودها .

ومن حيث العمال ، قال السابقون المؤسسون منهم ان طلب العمل تصاحبه مساومة في اجر . ووقوف الرجل العامل الفرد امام صاحب العمل الضخم يجعل المساومة غير متوازنة الكفتين ، فكفة راجحة وكفة مرجوحة .

واذن وجب أن تكون المساومة جماعية فيما يختص بالعمال .

وهدف العمال كان زيادة الأجور .

وخططوا لزيادة الأجور من الأرباح الزائدة لأصحاب العمل .

ومضت السنون على هذا،ثم ما لبثت أن تطورت . ظلت الخصومة ، في الأرباح الناتجة ، كم هي ، قائمة في الصناعة الواحدة . ولكن ما لبثت أن خرجت عن الصناعة الواحدة الى سائر الصناعات تؤثر فيها .

أصبحت الاتحادات العمالية ، تعمل

الأجور في الأمم الصناعية عالية لعلو انتاج الفرد . وفي الشركات الصناعية الكبرى يكاد ان يكون للعامل سيارة يمتلكها امتلاكا تروح بـه وتغـدو .





هذا صبى يعمل فى شركة كبيرة للصينى فى اليابان . وهو يعطى اللامح الاخيرة لاحد الاطباق . ان العمل سنة الجميع .

كل وحدة فى ميدانها ، ولا تبالى ما اثر ذلك فى سائر القطاعات .

وتضرب النقابة من العمال ، ومن ورائها سلسلة من النقابات لا تضرب ، ولكن تتعطل أعمالها لتسلسل اعمالها مع اعمال النقابة الأولى ، ولا تبالى الأولى ما جرى ويجرى للأخريات .

ولا يدرى أحد عند الاضراب ما يجرى للجمهور عامة . تتعطل اعماله . وتتعطل مصالحه ، وتتعطل حتى حاملات النقل التى تحملهم الى أعمالهم ، ويصبرون . وذلك لأنهم لم يجدوا الى اليوم نظاما يحمى العمال من استغلال ، أفضل من هذا النظام ، نظام الاتحادات والنقابات وحق الاضراب لتحقيق المطالب .

والحكومات عاجزة حتى عن حماية الجمهور ، لأن الجمهور موزع على اتحادات ونقابات ، والذى ليس له اتحاد او نقابة او جماعة تحميه ، وجب عليه ان يتوحد او يتنقب . ولكن مع هذا ليس كل من توحد وتنقب بذى قوة . فالاتحادات ذات القوة هى التى اذا اضربت اضرت بمصالح الناس اضرارا ظاهرا سريعا .

ويضرب العمال ، وكل من فى الشعب عامل . وتزيد الأجور . ولكن الى جانب الأجور تزيد الاثمان . والجمهور يشقى ويشقى بذلك . ويشقى العمال بزيادة الاثمان ، وتتكرر المطالب ، ويتكرر الاضراب . وهكذا دواليك .

والأسعار فى الدنيا اليوم ، اذا هى قورنت باسعار ما قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت أعلى منها كثيرا . ولكن كذلك الأجور . ولكن الأجور اخال أنها لم تزد بمثل تلك الزيادة فى الأثمان .

وزعمي ان الأثمان سوف تزيد ثم تزيد، لا بحكم الاتحادات ، ولا بحكم النقابات، ولكن بحكم الزيادة فى سكان الارض مع زيادة لا تساويها فى الانتاج البشرى . ويزيد الحال سوءا ان كثيرا من الأمم لا سيما الناهضة ، تطلب مستويات من العيش رفيعة كمستويات الأمم المتقدمة، وتنسى أن هذه المستويات لا تاتى باعتناق مذهب أو الصراخ بطلب المتعة الانسانية فى صحيفة ، وانما هى تستحصل بالعمل الجاد والعرق الصبيب . واختصارا بالانتاج الحديث ذى الوسائل التى يتحول بها العمل الى ثمرات أضعافا مضاعفة .

النقابات
تحمي نفسها من كثرة اعضائها

والنقابات تؤمن بان الكثرة ترخص الاشياء ، وانها كذلك ترخص الرجال .

ولقد بلغ من حماية النقابات نفسها ، انها أخذت تحتمى من كثرة الأعضاء فيها .

انها القاعدة الاقتصادية العامة ، اذا زاد عدد المدرسين او النجارين او المهندسين عن الطلب القائم فى الأسواق رخصت اجورهم . وان نقص زادت اجورهم .

ومن النقابات اليوم من تحمي نفسها من كثرة أعضائها بطرق شتى .



يشتغل الكثير من الأسر اليابانية في بلادهم في الانتاج لزيادة الكسب . وهذه اسرة تصنع لعبا من الحيوانات المحشوة ، وبها وامثالها تمتلىء تجارة اليابان الخارجية .

وهي تفعل ذلك بتشديد شروط الدخول فيها ، من حيث التحضير للصنعة او المهنة ، وتزيد في مدة التأهيل . وهي تجعل للدخول نصابا من المال يدفعه الداخل . ومنهم من يقف بالعدد عند حد او هو يحاول ذلك .

وبذلك دخلت النقابات في حكم الكائن الفرد الذي يريد ان يحمي نفسه من سائر الكائنات التي حوله . وما الطالبون الدخول في النقابة الا قوم من البشر ، وهم من اهل النقابيين وابناء اعمامهم واخوالهم . واذا سدت النقابات جميعا ابواب الدخول اليها ، فالى اين يذهبون .

ان الانسان ما زال يتخبط في السبل التي قد تؤدي به يوما الى نظام مرضي للعيش في هذه الدنيا ، يتسع لكل خلق الله ، مهما اختلفت مشاربهم ومذاهبهم ، واختلفت حظوظهم من ضعف وقوة ، وغباء وذكاء . فما من شك ان كل حي له حق الحياة بمجرد ان تنتصب رجلاه على سطح هذه الأرض .

للأجور حد ادنى

هذا ما اخذت به الكثير من الأمم المتقدمة ، والامم النامية الواعية .

فقد جعلت للانسان العامل حدا في



تجرى الامور بين العمال بالتصويت ، والاخذ براى الاغلبية ، ومع هذا وجد في العصر الحديث قلة لاتقبل هذه القرارات .



وللعامل الذى لا مهارة له
حدٌ في الاجور ادنى لا يُنزل عنه

الاجر ادنى لا ينزل عنه . ويختلف هذا الحد باختلاف الامم ، واختلاف اسعارها ، واختلاف اقتصادها وانتاجها . وهذا الحد يختار بحيث يفي بحاجات الانسان الدنيا ، وهو لا ينزل عنه مهما قلت كفايته فى العمل . ذلك لأن حاجته الى الطعام والشراب واللباس والسكن حاجة دائمة قائمة ، وهي من حق الانسان حتى العاجز عن العمل ، فما بالك بالذى يعمل ، ولكن لا يستطيع ان يعطى الكفاية منه .

الأجور فى الأمم الاشتراكية

لا بد اولا من تحديد معنى الامة الاشتراكية .

انها لغةً ، انما هي الامة التي يشترك اهلها فى اقتسام خيراتها كما يشتركون فى احتمال اعبائها ، والفقير فيها له حظ غير منقوص .

وعلى هذا فمن الامم الراسمالية امم لها من الصفات الاشتراكية الشيء الكثير . انجلترا ، السويد ، الدانمرك ، هولندة .

وامم اخرى توصف بالاشتراكية ، وفيها الاقتصاد قطاعان ، عام وخاص . فهذه لها بين الامم الموضع الاوسط .

وامم ثالثة توصف بالاشتراكية ، وفيها الاقتصاد قطاع واحد ، هو القطاع العام . ومن امثلة هذه الامم روسيا ، وحلفاؤها .

وروسيا بها من اتحادات العمال مثل ما بسائر الامم . واذا اردنا الارقام فهي بها آلاف من الاتحادات ومن النقابات وما اليها . والاتحاد الواحد منها يضم العمال بسائر مراتبهم ، ومعهم رجال الادارة ، ومعهم الرؤساء لا فرق بين احد واحد . كلهم عمال وان اختلفت الاعمال .

والمفروض بالطبع انه فى هذا الجمع يحدث التفاهم بين الرئيس والعامل . ومسالة الاجور خاصة يكون لها فى هذه الاجتماعات مناقشة ومراضاة .

والحق اننا لم نسمع باضراب هناك قط ، وهذه ميزة .

ولكن كسائر ميزات الدنيا ، كسب لا بد ان تقابله خسارة . ومن الخسارة عند الذين يؤمنون بحرية الفرد ان يُجبر على الرضى بالأجر الذى تفرضه الدولة .

وليس فى روسيا ، على ما سمعنا بطالة ، وهذا كسب . ولكنه شيء مرغوب فيه وقع فى مقابل شيء غير مرغوب فيه ، ذلك ان العامل هناك لا يستطيع ان يرفض عملا يعرض عليه . او على الأقل اذا هو اعترض ، لم يطل اعتراضه ، وينتهى بالقبول .

وليس معنى هذا ان حظ العمال فى مثل هذه الامم حظ سيء ، وانه عن عمد كان ذلك . فلا حظ لأحد من الرؤساء ان يسيء لامته متعمدا . وانما هو المبدا القائل ، ان الدولة فوق الفرد .

ولسنا هنا فى مقام مقارنة ، فمن الغباء المقارنة فى هذه الامور ، فى حديث عابر ، وانما هو العرض واستيفاؤه بقدر ما جاءنا من علم فى هذه الامور . ••

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٧٦

اجابات من آسيا وأوربا وأمريكا

■ كانت مسابقة العدد ١٧٦ تشمل(١٧) سؤالا جغرافيا عن مواضع موضحة فى خريطة ترافقها ، وبعض الاسئلة يقوم على معلومات تاريخية او اجتماعية او زراعية ، وكان عدد المشتركين كثيرا من بعض بلادنا العربية ، قليلا او معدوما فى بلادنا الاخرى التي لم تصل اليها اعدادالمجلة عن طريقها المعتاد (سوريا/لبنان) ومن هذه البلاد لبنان،وكل بلادنا العربيةجنوبي البحر الابيض المتوسط ، كما وصلتنا اجابات قليلة من دول آسياواوربا وامريكا .

وهذا نموذج للاجوبة الصحيحة ، ثم أسماء الفائزين بالجوائز .

١ ـ ميناء سواكن
٢ ـ الواحات الخارجة (والداخلة)
٣ ـ مدينة الابيض
٤ ـ ميناء "طبْرق"
٥ ـ بلدة العلمين
٦ ـ مدينة جوبا
٧ ـ بحر الجبل
٨ ـ الواحتان : سيوة ، وجغبوب
٩ ـ منخفض القطارة .
١٠ ـ البحيرة المرة الكبرى والبحيرة المرة الصغرى ، وبحيرة التمساح
١١ ـ فزان (مرزوق/سبها)
١٢ ـ بحيرة البرلس
١٣ ـ ارض الجزيرة
١٤ ـ مدينة الفيوم
١٥ ـ الجبل الاخضر
١٦ ـ فرع رشيد ، وفرع دمياط
١٧ ـ مدار السرطان (او المدار الشمالي)

الفائزون بالجوائز :

الجائزة الاولى ، وقدرها ٣٠ دينارا ، فاز بها : **حسن احمد حسن** ـ سنابس / البحرين

الجائزة الثانية ، وقدرها ٢٠ دينارا ، فاز بها ، **يوسف ابراهيم عمار** / بور سودان/السودان

الجائزة الثالثة ، وقدرها ١٠ دنانير ، فازت بها : **نجلاء ابراهيم** / الرياض / السعودية

٨ جوائز قدرها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥دنانير ، والفائزون بها :

١) **نائلة عبد الله العمري** / عمان / الاردن
٢) **فؤاد داية** / دمشق/ سورية
٣) **رمسيس رمزي** / القاهرة / مصر
٤) **عمر عبيد هلال** / الشحر / جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
٥) **عبد الناصر سعدى السعيد** ـ الدوحة / قطر
٦) **هناء موسى حافظ عبد العلي** ـ الاحمدي / الكويت
٧) **هانز باكشز** Hans D. Bakschis /ألمانيا الغربية
٨) **سعد يونس عيدان الطائي** / مدينة الزهور ـ / العراق .

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

تمرد الشباب الحاضر

بقلم : الدكتور ملاك جرجس

■ يتميز الشاب المتمرد بسوء التكيف الاجتماعى ويتمثل ذلك في عجزه عن التمشي مع قيم ومعايير وقوانين المجتمع الذى يعيش فيه، وبالتالى عجزه عن الاخذ والعطاء بطريقة راضية مرضية مع من يعاملهم من افراد المجتمع .. سواء داخل العائلة او خارجها .

ويتميز المتمرد بسوء التوافق الذاتى الذى يتمثل في الصراع بين الفرد وذاته ، وعدم الرضا عن النفس،وبالشعور بالنقص أو الشعور بالعظمة، او قد يتارجح بين احتقاره لذاته احيانا وبين تكبيره لنفسه احيانا اخرى ، فتارة ينبسط في سلوكه ويبدو في غاية البهجة ، وتارة أخرى ينزوى وينطوى على ذاته ويعانى من الشعور بالاكتئاب وكراهيته لنفسه مما قد يدفع البعض الى التفكير في الانتحار .

كما يتميز الشاب المتمرد بسوء التوافق المدرسي ان كان طالبا ، او سوء التكيف المهنى ان كان عاملا او موظفا ، وذلك لاخفاقه في التكيف للدراسة أو للعمل ، ولسوء صلاته الاجتماعية باقران الدراسة وبأساتذته او باقران العمل ورؤسائه .

وعلى هذا الأساس فان المتمردين قد لا يتصفون جميعا بكل انواع سوء التكيف ، في وقت واحد ، ولكن قد ينتقلون من عرض الى آخر ، ولكنهم يعانون جميعا من الصراعات وعدم القدرة على التكيف لمواقف وضغوط الحياة ، فيهربون في اعراض التمرد . ولكن هل للتمرد من اسباب اجتماعية ساعدت على ظهوره في اشكال متعددة في معظم دول العالم في العصر الحالى ؟ ، عصر التغيير الاجتماعى السريع ؟! لا سيما في بلاد الغرب ؟

بعض الاسباب الاجتماعية لمظاهر تمرد الشباب

لا شك أن أسلوب التربية في الطفولة هو حجر الزاوية في تكيف الشباب نفسيا أو انحرافه وتمرده ولكن هناك عوامل وظروف في الدنيا الحديثة ساهمت لدرجة كبيرة في ثورة الشباب وتمرده ، وهناك فرق كبير بين ثورة الشباب السوى ، وثورة الشباب غير السوى ، فالاسوياء ينهجون الطرق التى يقرها المجتمع في الاعراب عن ثورتهم على اى نظام او سلوك أو قانون لا يروقهم، ولكن المتمردين ينهجون نهجا آخر لا يتفق ومنطق الأسوياء ويتخذ تمردهم صورا سنذكرها فيما بعد .

ولعل أهم الظروف التى ساعدت على تعقيد حالات غير الأسوياء ، هى حالة عدم الاستقرار الاجتماعى الذى يعيش فيه العالم ، والرعب الذى

إنما يكون عن أمراض نفسية

يستولى على النفوس من الحروب السائدة في اجزاء مختلفة من العالم ، وحرب الاعصاب التى تنقلها جميع اجهزة الاعلام في كل يوم وكل ساعة، والعالم قد شهد حربين عالميتين ويشهد الآن حروبا تهدد جميع القارات ، كما شهد العالم ويشهد الآن كثيرا من الأزمات الاقتصادية .

ان من سمات المجتمع العصرى الصناعى السرعة والمادية ، والتمتع لدرجة مبالغ فيها باسباب الراحة التى اوجدتها التكنية الحديثة ، وان كان التوتر يسود كل علاقات الناس وأعمالهم ، لما يتميز به المجتمع الحضرى ، لاسيما الغربى ، من كثرة الضوضاء والصراع والتنافس بين افراد المجتمع ، لدرجة عدوان الاخ على أخيه وانتشار الجريمة والمخدرات والدعارة وتشرد الأحداث الامر الذى جعل المجتمع يبدو فاقدا لاتزانه وكيانه .. كل هذا لم يحتمله الشباب خصوصا غير الأسوياء فثاروا وتمردوا .

ويعانى بعض الشباب من الصراع الشديد بين الحرية التى يتطلبها والقيود التى يفرضها عليه المجتمع ، كما ان الشقة واسعة للغاية بين ما يريده الفرد وما يمنحه الشباب ، خصوصا بعد ان تضخم شعور الشباب بحقوقهم ومطالبهم .

ان التمرد في الواقع ما هو الا تعبير عن التضارب والتصادم بين القيم ، وهروب من ضغوط مواقف الحياة لمن لا يتحملها ، وهؤلاء هم من لم تؤهلهم نفوسهم القدرة على التكيف الاجتماعى ، ومن ثم فالتمرد ثورة وهروب .. ثورة للفشل في التكيف وهروب من توتر سوء التكيف .. ولكن ما هى بعض صور التمرد ؟

بعض صور أو أنماط التمرد

يتخذ تمرد الشباب صورا مختلفة تتميز كلها باعراض سوء التكيف ، وتتدرج هذه الاعراض من الانزواء والبعد عن الناس ، الى الاستعراض بشتى الأساليب ، ومنها ما هو استعراضي في المظهر او الملبس ، ومنها ما هو استعراضي ومبالغة في الميول والنزعات .. وهذا كله يعنى ان المتمرد يتكيف ويتلاءم مع متطلبات الحياة باسلوب يختلف عن أساليب اغلب من هم في سنه وبيئته وفيما يلى بعض صور التمرد :

١ ــ الظهور بمظهر « خنفس » يتهدل شعره في خصلات على جبينه وعلى رقبته ، ويلبس بنطالا ضيقا لدرجة ملحوظة ، وحذاء مدببا ، ويضع في يده سلسلة غليظة او يمسك بسلسلة يلفها حول اصابعه بسرعة شديدة وفي عصبية وتوتر واضح ، ثم يلبس قميصا لونه وزخارفه أقرب ما تكون الى ملابس السيدات ذات الالوان الصارخة . يلبس هذه الملابس ويبدو في هذا المظهر رغم المعارضة الشديدة التى يلقاها من والده ، ورغم عدم استساغة كل معارفه وجيرانه لهذا السلوك ، وهو لا يبالى ويجد لذة كبيرة كلما ابدى احد اعتراضا على مظهره ويجيب « انها موضة وانا حر» .. « انا اصبحت في سن يجب ان البس كما يحلو لى وليس كما يحلو لاهلى او للناس » .. «الحرية يا ناس الحرية » .. « هى القيود طول العمر .. في البيت .. في المدرسة .. في الشارع .. هذه ليست حياة .. انظروا العالم الخارجى كيف يعيش » .

يثور اى خنفس .. اذا حاول احد نصحه فيقول .. « روحوا صلحوا المجتمع المنافق » .. « المجتمع المتفشية فيه الجرائم والرشوة » ..

اما الآنسات والسيدات والشابات ممن يتمردن في الغرب فيبدو تمردهن في مصاحبة الخنافس وفي لبس الملابس الخليعة جدا كالميكروجيب والبلوفرات الخليعة او الملابس الغريبة جدا التي لا تراها الا في مجموعات الخنافس التي تتميز بالالوان الصارخة او يلبسن « البلوجين » الضيق وهو البنطال الازرق الذي يلبسه العمال في الدول الصناعية .. كما يلبسن الحلقان والنظارات البالغ جدا في حجمها والغريبة في شكلها ، لم يتركن شعورهن مسترسلة بشكل بشع كما لو كن بنات الغابة .. غير مباليات بالاثر الضار الذي قد يلحق بسمعة العائلة .. لمظهرهن الشاذ ، وسلوكهن الاكثر شذوذا ، سواء في السهر والرقص حتى الفجر .. او في مصاحبة بعض الشبان الفاشلين المنحرفين سلوكيا واخلاقيا الذين يتحررون من كل قيد اجتماعي ..

هذا وقد نجد احيانا بعض الخنافس ، سواء في بعض الدول العربية او في الخارج ، ناجحين في دراستهم .. وان كان اغلب الخنافس فاشلين في دراستهم وحياتهم العملية ، والكثيرون منهم يترددون على العيادات النفسية . والصحة النفسية لا تقاس ابدا بالنجاح في الدراسة او العمل فقط بل تقاس بدرجة التكيف الاجتماعي في مواقف الحياة كلها او اغلبها .. وما الثورة باسلوب غير واقعي وغير فعال ، يتمركز حول الذات ، لا خارجها ـ الا عرض من اعراض سوء التكيف النفسي ، والمرض النفسي .

٢ ـ الحياة الجماعية البوهيمية الاباحية « كالهيبز » Hippies اذ ينادي هؤلاء المتمردون من الشباب بالحرية المطلقة والحياة بلا قيود والحب بلا رقيب .. وغالبا ما ينتهي مثل هؤلاء المتمردين بالانهيار او الضياع او السجن او الانتحار .

بعض هؤلاء قد يعيشون حفاة" ثورة" على تقاليد لبس الحذاء، يلبسون الملابس الممزقة وغير النظيفة ثورة على تقاليد المجتمع التي تحتم التستر واللياقة في المظهر ، يدمنون المخدرات محاربة لقيم الدين والمجتمع اللذين يحتمان اليقظة والعمل الجاد واطراد النجاح في الحياة ، انهم كسالى لا يبالون ولا يحسبون حسابا من اين ستاتي الوجبة القادمة ، يعيشون في احلام يقظة قد تصور لهم القتل فيقتلون، وقد تصور لهم السرقة فيسرقون.

ان حركة الهيبز هي حركة من حركات التمرد والتنصل من كل المسئوليات والرقابات ، وهروب من سلطة الاباء والمجتمع وعودة ـ باسلوب مرضي ـ الى عهد ادم وحواء ، عهد العرى والبدائية ، عهد اللادين .

٣ ـ الاستماع لساعات طويلة حتى الفجر لموسيقى صاخبة .. اى الادمان على الاغاني والموسيقى الجاز خصوصا موسيقى (ميك جاجار) الذي اجمع الكثيرون على أن سلوكه واقواله اقوال « مجنون » ثم الرقص وشرب الخمر .. والظهور بمظهر يتنافى مع اللياقة والآداب العامة .. ان نسبة الاطفال غير الشرعيين تزداد في الدول الغربية بين من يسمون بالخنافس والهيبز من عام لآخر .. رغم انهم جماعات صغيرة لا تمثل الا شريحة صغيرة جدا من المجتمع .

٤ ـ قد يبدو التمرد في سلوك ولغة الشاب ، وان كان لا يتخذ لنفسه طابع شكل الخنافس او الهيبز .. فنجد احيانا الشاب الشرقي المتمرد يتكلم باسلوب غربي ويصطنع نغمات ونبرات في صوته ليست له .. مما يجعله نشازا في البيئة ويبدو مختلفا في اسلوبه في الاخذ والعطاء ..ويعلل ذلك بان مجتمعنا متاخر ولا بد ان يتمثل بالمجتمعات المتقدمة . ومن الطريف ان امثال هؤلاء الشبان كثيرا ما يسلكون هذا السلوك وهم لا يجيدون اللغة الاجنبية التي يتشدقون ببعض الفاظها . هذا وقد يحاكي المتمرد او المتمردة نجوم السينما في طريقة كلامهم ولبسهم وحركاتهم .

٥ ـ تعاطي المخدرات او الخمر اذ يلجا بعض الشباب المتمرد الى الانسحاب الكامل من المجتمع الذي يعيش فيه والانسحاب والهروب ثورة سلبية.

ان المتمردين الذين يتعاطون الخمر والمخدرات ، انما يغيبون عن الوجود والمجتمع الذي لا يمكنهم التوافق والتكيف معه .. بطريقة ارادية .. ان كل سلوك المتمردين سواء في اللبس او الاكل او شرب الخمر وتدخين الحشيش ما هي الا وسائل يدربون بها انفسهم على الانفصال عن العالم الذي

يعيشون فيه .. انفصال ارادي .. يصل احيانا الى النوم في الطريق العام .. او السلوك سلوكا لا يتفق والعرف غير عابئين بمن حولهم من الناس.

٦ - قد يلجأ المتمرد الى التظاهر وادعاء العلم او الفلسفة .. فيقوم بشراء ما تصل اليه يده من كتب في علوم الطب مثلا .. وهو ليس طالب طب .. او كتب الشيوعية ويجاهر بانه شيوعي ... وهو في الواقع لا يفهم الفروق بين المذاهب السياسية والاقتصادية كما انه لا يجيد الكتب التي يشتريها ويختزنها او يحملها دائما للاعلان عن نفسه وعن انتمائه ناحية هذا المذهب او ذلك ، وقد يجاهر في كل مكان .. بدون مناسبة انه « ملحد » .. او انه « وجودي » ويشترى كتبا في الفلسفة او الوجودية .. وهو لم يفلح بعد حتى في الحصول على الثانوية العامة .. ويبرر ذلك قائلا ما فائدة الشهادات .. المهم هو الثقافة الشخصية، ويضرب امثلة بذلك للاستشهاد فيذكر كثيرين من الكتاب الأجانب ومن العرب.. ان مثل هذا السلوك هو في الواقع وسيلة غير سوية لاثبات الذات ، وقد يؤدى بصاحبه الى السجن أو الى ان يصبح منبوذا بين افراد المجتمع ، او الانتهاء الى مستشفى الامراض العقلية .

المثالية التى يدعيها الشاب المتمرد

لو تركنا جانبا من مظاهر وسمات وسلوك الشباب المتمرد التي لا تتوافق معها يرتضيه اغلب الشباب واغلب افراد المجتمع .. فما الذى يدعى الشباب المتمرد بانه يكافح من اجله .

يدعى الشاب المتمرد ، كما سبق ان قلنا ، بانه يكافح من أجل ما يسميه « الحرية الشخصية للفرد » .. ويدعى بانه يحاول ان يقدم للعالم شكلا جديدا للمجتمع .. مجتمعا تتحقق فيه الحرية الفردية .. لذلك فالمتمردون يعلنون بكل الوسائل انهم اعداء للمجتمع القائم ، ويدعون انهم متحررون وانهم يريدون تحقيق العدالة الاجتماعية .. بل الغاء العملات النقدية .. وانهم يناهضون الحرب .. وينادون بالمحبة والاخاء والسلام .. والسؤال الذى يجب ان يثار : هل هؤلاء المتمردون عقلاء ام مرضى ؟ .. هل دوافعهم في معارضة ومقاومة السلطة دوافع شعورية اساسها المنطق .. ام انها دوافع لاشعورية غير منطقية ؟

ان العالم منذ قديم الزمان يجاهد في سبيل الحرية السياسية والدينية والاقتصادية وينادى دائما بالحب والسلام ، فليس هناك جديد في مزاعم الشباب المتمرد .. هذا ولم يقدم المتمردون صورة جديدة لمجتمع تتحقق فيه الحرية والسلام والمحبة يدعون بانها هدفهم .. انما قدموا للعالم صورا من حياة مضطربة بوهيمية ومضحكة .. لا تعتنى بالنظافة او اللياقة صحيا او اجتماعيا .. بل ان الكثيرين منهم انتهت حياتهم الى دخول مستشفيات الامراض العقلية ، والسجون ، كما ان البعض منهم انهى حياته بالانتحار .

هل المتمردون من الشباب مشكلة ؟

في الواقع ان من نسميهم متمردين من الشباب .. ليسوا مشكلة اجتماعية ذات اهمية في اى مجتمع ، ففى كل العصور والازمان سيكون هناك متمردون .. فقد سبق ان وجدوا وسوف يوجدون .. وفي كلتا الحالتين فان عددهم واثرهم في المجتمع لا يرقى لدرجة المشكلة .. ان عددهم في كل الدول العربية كما قدره الكثيرون ومع المبالغة الشديدة لا يزيد عن الالفين او الثلاثة الاف .. وحتى في الدول الغربية هم اقلية ضئيلة .. ان وسائل الاعلان من صحافة واذاعة وتلفاز واعلانات هى التى اوحت بان هناك مشكلة .. وهى التى ضخمت الموضوع .. فحياة هؤلاء المتمردين طريفة وغير معقولة ووجدت وسائل الاعلام فيها طرافة مما يجعلها مسلية للقارىء او المستمع .

ان مشكلة المتمردين ليست في اللبس او الشكل او المخدرات التي يتعاطونها او في اسلوب معيشتهم، ان اسبابها اعمق بكثير من مظاهرها .. اسبابها نفسية مرضية فالمتمردون غير اسوياء ومرضى بامراض نفسية ، وفاشلون في حياتهم الدراسية والعملية ويعوضون ما يعانونه من نقص بالسلوك الشاذ في المظهر والملبس واسلوب الحياة . ■■

ملاك جرجس

المال العربي

وتحريكه للاقتصاد العربي

بقلم : الدكتور محمد ربيع
كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة الكويت

■ اذا كان علم السياسة هو فن الممكن «سياسيا» فان علم الاقتصاد هو فن الممكن « اقتصاديا » . اى ان الاقتصاد في عمله على توفير احتياجات المجتمع المختلفة يتجه الى استخدام موارد المجتمع المتاحة بالكيفية التى تمكنه من انتاج السلع والخدمات التى تشبع اكبر قدر ممكن من رغبات المجتمع ، وتفي باكثر احتياجاته الحاحا وحيوية . واذا كان النظام الراسمالى قد حاول صياغة نماذج نظرية وادوات تحليل مختلفة يستخدمونها في ترشيد عمليتى الانتاج والتوزيع في المجتمع ، فان النظام الاشتراكى اتجه هو الآخر الى صياغة نماذجه وادواته الخاصة به ، والتى يرى انها اقدر على تحقيق اهداف المجتمع الاقتصادية .

تطور الفكر الاقتصادي

لقد جاء تطور الفكر الراسمالي والفكر الاشتراكي نتيجة لظروف حياتية معينة ومن خلال تجربة حضارية عاشتها شعوب معينة دون غيرها ، كما كان في نشوئه وانطلاقته نتاجا لفكر فلسفي معين ، هو الفكر الطبيعي الذى ساد أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وكان يشكل الاطار الفلسفي العام للفكر الاوروبى في تلك الفترة. ويقوم ذلك الفكر على اساس وجود قوانين طبيعية تستمد كمالها وتكاملها من تكامل الطبيعة نفسها ، وتعمل في كافة أوجه الحياة المختلفة حيث تقود البشر ـ في حالة اطاعتها ـ الى تحقيق السعادة والتقدم . ولهذا استمدت النماذج الاقتصادية المختلفة والأسس النظرية التى تقوم عليها صفة الشمول ، حيث زاد اقبال علماء الاقتصاد عليها وتمسكهم بها وتقبلهم لما يترتب عليها من نتائج .

واذا كان العصر الحالي ـ من خلال التجارب الحياتية لمختلف الشعوب ، وفي ضوء ما تحقق لها من انجازات حضارية مادية ولا مادية ـ قد تجاوز فلسفة الطبيعيين وافكارهم ، فقد أخذ يتجاوز ما انبثق عن تلك الفلسفة من صيغ فكرية ونماذج اقتصادية . اذ أن الاقتصاد الراسمالى من خلال تجارب الرواج والركود المتعاقبة ، وبناء على



عن طريق التقدم والتكامل

تجربة الكساد الكبير الذى كاد يطيح بالاقتصاد الراسمالى فى اوائل الثلاثينات قد اخذ يطور نماذجه النظرية ويقوم بمحاولة صياغة قوانين اقتصادية جديدة تاخذ معطيات الحياة الجديدة فى الحسبان ، وتكون اكبر قدرة على مواجهة مشكلاتها وتطلعاتها . واذا كان مبدأ التدخل الحكومى فى توجيه نشاطات المجتمع الاقتصادية قد تم اقراره من خلال معالجة معضلات الكساد الكبير ، فان تقبل المجتمعات الرأسمالية لمبدأ التدخل الحكومى المباشر فى مختلف النشاطات الاقتصادية فى أوائل السبعينات يعتبر انعكاسا لتنازل تلك المجتمعات عن مبدأ من أهم دعائم نظامها الرأسمالى ، وهو مبدأ الحرية الاقتصادية.

تخلف انتاجية العامل فى روسيا

وفى روسيا الاشتراكية كان لتخلف انتاجية العامل فى مجال الصناعات المختلفة وتعثر خططها فى مجال الصناعات الاستهلاكية والخدمات أثر كبير على تفكيرها الاقتصادى ، مما جعلها تدرك اهمية الحوافز المادية ، وقوى السوق فى رفع الانتاجية ، وتوزيع الموارد المتاحة بين البدائل المختلفة . ولهذا اتجهت روسيا الى تشجيع الحوافز الفردية وربط الأجور بالانتاجية والأخذ بالمعايير التى تستخدم فى الدول الرأسمالية لقياس مدى نجاح المشاريع الاقتصادية .

ومن خلال تجربة الكساد الكبير وتجربة اليابان وتجربة روسيا الاشتراكية اخذ الفكر الاقتصادى يبتعد تدريجيا عن القوالب الجامدة ، والنماذج

النظرية ، ويتجه نحو تحقيق المزيد من التقارب فى عملية التنظيم الاقتصادى والتنظيم السياسى بين المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الاشتراكية. ومما لا شك فيه أن مرونة التفكير والتطبيق الاقتصادى ، الرأسمالى ، والاشتراكى ، جاءت نتيجة لاحلال العقلية العلمية محل الانفعال واللاموضوعية مما جعله يخدم هدف تطور وتقدم المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية على حد سواء، ويحول ــ فى بعض الحالات ــ دون حدوث انهيارات سريعة وخيبات أمل كبيرة .

ومع انحسار موجة الصراع العقائدى ،والحرب الباردة ، واتضاح مدى صعوبة تطبيق الافكار النظرية فى واقع الحياة العملية ــ اتجه الرأسماليون والاشتراكيون من قادة عالم الأغنياء والأقوياء الى التعاون فيما بينهم وذلك من اجل تعظيم الفوائد التى تعود عليهم . اذ بينما أخذت كل من الولايات المتحدة الامريكية واليابان تتجه الى الصين الشعبية فى محاولة للبحث عن أسواق جديدة لمنتجاتها ، اتجهت روسيا الاشتراكية الى طلب المعونة الاقتصادية والفنية من بعض المؤسسات الاقتصادية الغربية .

الرأسمالية والاشتراكية والتعاون المشترك

واذا كان الرأسماليون اصحاب الفكر الرأسمالى وحماته قد قبلوا مبدأ التنازل عن بعض دعامات ذلك الفكر الأساسية ، واذا كان الاشتراكيون أصحاب الفكر الاشتراكى وحماته قد قبلوا مبدأ التعاون مع الرأسماليين الذين كانوا يعتبرونهم حتى وقت قريب من الد اعدائهم ــ فان الأولى بأتباع الفكر الرأسمالى والفكر الاشتراكى من قادة عالم الفقراء أن يتجهوا الى محاولة فهم وتطبيق مختلف النظريات الاقتصادية على أساس الادراك العلمى والتحليل الموضوعى لواقع الحياة فى بلادهم . ومما يبرر هذا الاتجاه ويحتم الاخذ به أن كلا من النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى كان نتاجا لتجربة حياتية معينة هى بالتأكيد غريبة فى فلسفتها وتجربتها عن فلسفة وتجارب الحياة فى معظم الدول النامية .

واذا كانت تجارب الحياة قد أثبتت أن الحياة الانسانية لا تستقيم ولا يكون لها معنى بدون توفر قاعدة اقتصادية تحميها وتوفر لها امكان الاستمرارية والتقدم ، فانها أثبتت أيضا ان الصراع العقائدى ليس الا مرحلة مؤقتة من مراحل الصراع المصلحى، وأن الصراع المصلحى من أجل تحقيق المكاسب الاقتصادية قد تحل محله فى النهاية مرحلة جديدة من التعاون .

تجارب التنمية فى الدول المتخلفة واسباب فشلها

مما لا شك فيه أن محاولات معظم الدول النامية لتحقيق معدلات نمو اقتصادية مرتفعة تمكنها من تضييق الفجوة التى تفصلها عن عالم الاغنياء قد باءت بالفشل . ومع أن مشاكل الدول النامية كثيرة ومتشعبة ، وأن اسباب فشل تجاربها الاقتصادية يعود الى عوامل كثيرة داخلية وخارجية، فاننا نعتقد أن العقلية التى تقوم على توجيه مختلف نشاطات الانسان الاقتصادية وغير الاقتصادية تعتبر من أهم العوامل التى تقف وراء فشل الدول النامية فى تحقيق الكثير من اهدافها ، اذ أن تلك العقلية بما تمثله من طريقة فى التفكير واسلوب فى العمل لمواجهة المشاكل الحياتية المختلفة لا تعدو كونها نتاجا لحضارات متخلفة وتجارب حياتية لمجتمعات لم تعش تجربة التصنيع، وبالتالى تبدو غير قادرة على فهم تجارب الحضارة الصناعية وغير معدة لاستيعاب طريقة حياتها .

ان ما تعانيه الدول المتخلفة من نقص فى قوى الدفع غير المادية قد اقترن فى معظم الحالات بنقص فى الامكانات المادية التى تستلزمها عملية التنمية ، واهمها نقص رؤوس الاموال القادرة على رفع معدلات الاستثمار الى المستويات المطلوبة . اذ على الرغم من أن ازدياد حجم المساعدات المالية التى تقدمها الدول الصناعية المتقدمة ومؤسسات هيئة الأمم المتحدة للدول المتخلفة على شكل هبات واستثمارات وقروض ــ ازدادت احتياجات تلك الدول الى مصادر التمويل الخارجية . وتعود أسباب ذلك بالدرجة الأولى الى فعل العوامل التالية :

١ - ازدياد معدلات النمو السكانية في تلك الدول ، وبالتالي ازدياد حجم الاستثمارات المالية التي من شأنها أن تحافظ على معدلات النمو الاقتصادية السابقة أو الارتفاع بها .

٢ - اتجاه الواردات الى النمو بمعدلات تفوق معدلات النمو الاقتصادية ، وازدياد نفقات الدولة بمعدلات وصلت في بعض الحالات الى ثلاثة أمثال معدلات النمو الاقتصادية .

٣ - تخلف تجارتها الخارجية عن مجاراة التوسع في حجم التجارة العالمية ، مما جعل نصيبها من تلك التجارة يتناقص .

٤ - سوء استخدام معظم الدول النامية للقروض التي حصلت عليها ، وذلك بسبب ضعف الكفاءات التي تقوم على توجيهها وادارتها وقد ادى هذا الى ازدياد الأعباء المالية المترتبة على عملية الاقتراض، اذ أن تراكم القروض الأجنبية يؤدي الى ارتفاع الأعباء السنوية المطلوب سدادها على شكل اقساط وفوائد لقروض سابقة .

واذا كان رأس المال يعتبر أحد عناصر الانتاج المهمة ، والحاجة اليه تزداد كلما تقدمت الدول نحو التصنيع ، فان توافره بالقدر الكافي يعتبر شرطا اساسيا لنجاح الكثير من برامج التنمية في البلاد المتخلفة .

وعلى الرغم من أهمية المساعدات المالية التي تقدمها الدول الصناعية المتقدمة للدول النامية ، فان التكاليف السنوية اللازمة لخدمة ما تحصل عليه تلك الدول من قروض ازدادت كثيرا في السنوات الأخيرة ، مما جعلها عبئا ثقيلا على كاهل اقتصاديات الدول النامية. اذ بينما كان معدل النمو الاقتصادي بالنسبة للدول النامية في عقد التنمية الاول (١٩٦٠ - ١٩٧٠) يساوي ٥٪ في السنة تقريبا ، كان معدل النمو في دخلها من الصادرات يساوي ٧ر٥٪ في السنة ، وذلك في مقابل معدل للزيادة في الأعباء المالية اللازمة لخدمة قروضها يساوي ٩٪ في السنة . وفي أواخر الستينات ، ومع ازدياد حجم القروض التي قدمتها الدول الصناعية المتقدمة للدول النامية في عقد التنمية الاول ، ارتفع معدل الزيادة في الأعباء المالية اللازمة لخدمة القروض الى ١٥٪ في السنة .

القروض .. والدول النامية

وبينما وصل الحجم الكلي للقروض التي تجمعت لدى الدول النامية في سنة ١٩٧٠ الى حوالي ٨٠ الف مليون دولار ، وصل حجم الاعباء المالية اللازمة لخدمة تلك القروض على شكل اقساط وفوائد الى ٨ آلاف مليون دولار تقريبا . ولما كان مجموع المساعدات التي حصلت عليها الدول النامية في سنة ١٩٧٠ أقل من ١٦ ألف مليون دولار ، فان اكثر من ٥٠٪ مما تحصل عليه الدول النامية من مساعدات سنوية تعود الى الدول المقرضة على شكل اقساط وفوائد لقروض سابقة . ومع تزايد حجم تلك الاعباء وصل الحال بالكثير من الدول النامية ، ومن بينها الدول العربية ، الى أن اصبحت قدرتها على الاستفادة من قروض جديدة معدومة تقريبا ، وذلك لأن تكاليف خدمة قروضها السابقة اصبحت تساوي أو تفوق حجم كل ما يمكنها أن تحصل عليه من قروض جديدة .

واذا استمرت الدول الصناعية المتقدمة تتبع نفس سياسة الاقراض الحالية وتزيد مساعداتها تبعا لمعدلات الستينات،فان تكاليف خدمة قروضها للدول النامية في حوالي سنة ١٩٨٠ ستكون مساوية لاجمالي مساعداتها لتلك الدول . وهذا يعني ، ان سنة ١٩٨٠ ستحمل معها امكانية توقف استفادة الدول النامية من القروض التي تقدمها لها الدول الصناعية المتقدمة ، وتوقف الدول الصناعية عن تقديم المزيد من المساعدات المالية للدول النامية .

عالم الأغنياء وعالم الفقراء

واذا كان الحديث عن التنمية الاقتصادية في الماضي ينصرف الى كيفية اغلاق الفجوة التي تفصل عالم الأغنياء عن عالم الفقراء ، فان استمرار تقدم الأغنياء وتكديس تخلف الفقراء قاد الى اتساع تلك الفجوة مما أدى الى توقف الحديث عن كيفية اغلاقها وانصرافه كليا الى البحث عن وسائل تضييقها . وبعد ظهور نتائج المجهودات العالمية خلال عقد التنمية الاول اخذ الحديث عن تضييق الفجوة بين عالم الأغنياء وعالم الفقراء يتراجع ، اذ كان عليه ان يتجه الى البحث عن

الاساليب التى تمكن الدول الفقيرة من الحيلولة دون استمرار تخلفها ، في مواجهة استمرار تطور المجتمعات الصناعية وتقدمها .

وربما كان بالامكان تلخيص اهم القضايا التى حاولنا ابرازها حتى الآن في النقاط الثلاث التالية :

١ ــ ان معالجة قضايا التقدم والنمو لا تتم من خلال اتباع اساليب عمل جامدة ، وباستخدام نماذج تحليل نظرية لا تاخذ احتياجات الواقع وتغير معطياته في الحسبان .

٢ ــ ان عدم توفر رؤوس الاموال بالقدر الكافي في معظم الدول النامية يعتبر احد معوقات النمو في تلك البلاد .

٣ ــ ان المصادر التقليدية للحصول على رؤوس الأموال لم تعد كافية لتحقيق الغرض ، كما ان دورها الايجابى في تمويل مشاريع التنمية الاقتصادية اخذ يختفى تدريجيا وراء ستار من السلبية .

رؤوس الاموال العربية ودورها فى عملية التنمية

ان طرح قضية التنمية الاقتصادية وعلاقتها بالفكر الاقتصادى على النحو الذى سبق ذكره لا بد وان يثير الشك لدى القارىء العربى في قدرة الاساليب والنظم الاقتصادية الحالية على تحقيق التقدم والرفاهية . وخوفا من الاتهام بالتهرب من محاولة الاجابة على التساؤلات التى حاول البحث اثارتها ، سأتجه في الصفحات القليلة التالية الى محاولة اقتراح اسلوب جديد للعمل الاقتصادى العربى ، يكون مكملا للاساليب المتبعة في معظم البلا العربية وينطوى على امكانية تلافي الكثير من النقص الذى تعانيه الاساليب الحالية.

ان المشاكل التى تعانى منها البلاد العربية تعتبر نموذجا لمشاكل العالم النامى بوجه عام ، حيث تظهر آثار سوء توزيع الثروة والسكان بين المناطق المختلفة ، وحيث يقوم بين البلاد المتجاورة الكثير من المشاكل السياسية والاقتصادية التى تعوق عملية التنمية وتبطىء سير التقدم . وبينما تعانى بعض الدول العربية من وجود نقص كبير في رؤوس الاموال التى تستلزمها عمليات الاستثمار المختلفة ، مثل مصر وسوريا والاردن والسودان والمغرب ، تتمتع مجموعة اخرى من البلاد العربية بوجود فائض كبير في رؤوس الاموال لديها ، تشير كل التوقعات الى تضاعفه أضعافا في السنين القليلة القادمة . وبينما تتميز مجموعة الدول العربية التى تعانى من نقص رؤوس الاموال لديها بوجود امكانات اقتصادية غير مستقلة ، تتميز مجموعة الدول العربية التى تتمتع بوجود الفائض بضعف امكاناتها الاقتصادية غير المستقلة . ولهذا، فان اتجاه الأموال العربية في مجموعة الدول التى تتمتع بالفائض الى مجموعة الدول التى تعانى من النقص يحمل بين طياته احتمالات شبه مؤكدة بالحصول على عوائد اقتصادية كبيرة تبرر لاصحاب رؤوس الاموال وللدول المضيفة العمل على تشجيع هذا الاتجاه وخلق الظروف الموضوعية التى تساعد على تقويته .

دور الدول العربية الغنية

ان قيام الدول العربية التى تتمتع بوجود فائض في رؤوس الاموال لديها باقراض غيرها من الدول العربية الاخرى يعتبر حتى الآن اهم مصدر من مصادر حصول الدول العربية على بعض احتياجاتها من المال العربى . وعلى الرغم من اهمية هذا المصدر ، وتعاظم دوره في تمويل الكثير من مشاريع التنمية في مختلف البلاد العربية ، فان عملية الاقراض والاقتراض تنطوى على بعض المخاطر والسلبيات التى قد يكون اهمها :

١ ــ امكانية نضوب ذلك المصدر او توقفه في المدى الطويل نتيجة لحدوث بعض التطورات الاقتصادية او السياسية غير المتوقعة .

٢ ــ احتمال حدوث تراكم كبير في حجم تلك القروض وتزايد كبير في تكاليف خدمتها مما يجعل امكانية الاستفادة من قروض جديدة معدومة او شبه معدومة .

٣ ــ احتمال قيام بعض الدول بعدم تسديد التزاماتها في الاوقات المحددة لاسباب اقتصادية او غير اقتصادية، مما قد يترتب عليه ارباك مؤسسات

التمويل وانعدام الثقة وتدهور العلاقات الاقتصادية والسياسية بين البلد المقرض والبلد المقترض .

وهذا يعني ، ان وصول جزء من فائض المال العربي حيث تتعاظم الحاجة اليه في البلاد العربية عن طريق الاقراض ينطوى على بعض المخاطر والسلبيات ، مما يفرض علينا التفكير في اساليب اخرى تكون مكملة او بديلة لهذا الاسلوب .

التنمية ومعدلات النمو السكاني والاقتصادى

ان استيعاب حقائق العصر الذى نعيش فيه تضع قضية التنمية والتقدم في البلاد العربية على راس قائمة القضايا التي تطرح نفسها بالحاح ، متحدية كل ما يملك الانسان العربي والوطن العربي ، من قدرة على التفكير والعمل والبناء . اذ ان استمرار معدلات النمو الاقتصادى ومعدلات النمو السكاني في البلاد العربية على حالها سوف يقود الى تكريس التخلف والتجزئة على الامة العربية ، وذلك للاسباب التالية :

١ ـ ان استمرار معدلات النمو الاقتصادى في الدول الصناعية المتقدمة والدول المتخلفة على حالها سوف يقود الى اتساع الفجرة التي تفصل البلاد العربية الفقيرة عن البلاد الصناعية المتقدمة . اذ بينما يتوقع ان يصل نصيب الفرد الامريكي من الدخل القومي في سنة ٢٠٠٠ الى حوالي ١١٠٠٠ دولار في السنة ، ونصيب الفرد الياباني الى حوالي ٢٢٠٠٠ دولار ، ونصيب الفرد الروسي الى حوالي ٦٠٠٠ دولار ، فانه ليس من المتوقع ان يزيد دخل الفرد المصرى مثلا عن ٥٠٠ دولار . اى ان معدل الدخل الفردى في مصر سوف يكون حوالي ٨٪ من معدل دخل الفرد روسيا ، وحوالي ٥٪ من معدل دخل الفرد في امريكا ، وحوالي ٢٪ فقط من معدل دخل الفرد الياباني .

٢ ـ ان الامة العربية التي كانت ـ وربما لم تزل ـ تتطلع الى المساهمة في تقدم العالم وتطوره اصبحت اليوم عاجزة عن استخدام الكثير من منتجات الحضارة الصناعية الحديثة كالالات الحاسبة الالكترونية والصواريخ الموجهة وغيرها من متطلبات الة الحرب الحديثة .

٣ ـ ان القوة العسكرية والقوة الاقتصادية القائمة على التصنيع والتكنولوجيا تسير اليوم يدا بيد ، مما يحتم على الامة العربية التي تحيط بها الاخطار من كل جانب ان تركز على قضايا التنمية في بلادها كوسيلة لبناء قوتها العسكرية .

٤ ـ ان قيام التكتلات الاقتصادية الكبيرة بين دول عالم الاغنياء واتضاح نواياها في استمرار عملية استغلالها لامكانيات الدول الفقيرة عن طريق الابقاء عليها فقيرة ومتخلفة ـ لا يفسح مجالا لبقاء الوحدات الاقتصادية الصغيرة ويلغي امكانات تقدمها .

٥ ـ ان اتجاه الدول الغنية الى التعاون فيما بينها ، وخاصة في مجالات البحث العلمي والتقدم التكنولوجي ، يحتم على الدول العربية ان تتعاون فيما بينها ، وذلك كحد ادنى لضمان وجود حركة فكرية وقاعدة بحث علمي في بلادها .

التعاون الاقتصادى وحرية انتقال المال العربى

ان قيام تعاون اقتصادى وعلمي بناء بين مختلف البلاد العربية يحتم السماح بحرية انتقال الانسان العربي بما يمثله من كفاءة علمية وخبرة فنية وقدرة على العمل المنتج ، وحرية انتقال المال العربى بما يمثله من قدرة على الانتاج والاستهلاك وقوة دافعة لحفز الانسان على مضاعفة الجهد . اذ ان كفاءة استخدام الانسان العربي لقدراته الخلاقة وموارده المتاحة سوف يمكنه من المساهمة مساهمة فعالة في تقدم البلاد العربية وتحقيق الرفاهية لسكانها .

ان الايمان بالدور الايجابي الذى يستطيع المال العربي ان يقوم به في تحريك الاقتصاديات العربية على طريق التقدم والتكامل يرتبط ارتباطا وثيقا بمنح ذلك المال حرية الحركة داخل البلاد العربية. ويرتكز ايماننا بايجابية دور المال العربي اذا ما اعطي حرية الحركة في البلاد العربية على الحقائق التالية :

١ ـ ان فشل بعض تجارب التنمية في الوطن العربي وتكرار حدوث حالات الركود الاقتصادى في الكثير من اجزائه يعود الى ضعف او انعدام الحافز

الفردي على العمل والانتاج . اذ ان سيطرة الدولة في بعض البلاد العربية على معظم النشاطات الاقتصادية ادت في الكثير من الحالات الى قتل او اضعاف روح المبادرة الفردية لدى الانسان العربي مما قاد الى انخفاض الانتاجية واختفاء مظاهر الخلق والابتكار على قلتها .

٢ ـ ان فشل القطاع العام في ادارة قطاع الخدمات وتعثر خططه في مجال الصناعات الاستهلاكية يجعل القطاع الخاص اكثر كفاءة في تولي شؤون تلك القطاعات وادارتها على اسس تجارية .

٣ ـ ان الايمان بالوحدة العربية ووجوب قيامها باعتبار ذلك عملا انسانيا وضرورة حياتية ، يجعل تكامل الاقتصاد العربي وتوحيده امرا في غاية الاهمية والخطورة واساسا من اسس الوحدة الحقيقية .

٤ ـ ان حصول البلاد العربية على احتياجاتها من رؤوس الاموال الخاصة لاينطوي على مخاطر تراكم الاعباء المالية وما يتفرع عنها من مشاكل اقتصادية وسياسية .

٥ ـ ان تشجيع هذا الاتجاه وتقويته سوف يفتح مجال الحركة الحرة امام الانسان العربي بما يمثله من كفاءة وخبرة وقيم مسلكية يؤمل ان يكون لها اثر كبير في رفع الانتاجية وتقوية الحوافز الفردية وزيادة المعارف العلمية والخبرات الفنية .

تنظيم استثمار الأموال العربية

وفي ظل النظم السياسية والاقتصادية التي تسود في بعض البلاد العربية ينطوي تحرك المال العربي على خطر الوقوع تحت وطأة قوانين التاميم والمصادرة ، مما يستوجب التزام كافة الدول العربية بعدم تاميم او مصادرة الاموال العربية التي تستثمر بطرق مشروعة . واذا كانت الدول العربية التي تلجا الى استخدام اساليب التاميم والمصادرة تعتبر قلة ، فان الدول العربية التي تحرم على المال العربي حرية الحركة في بلادها تعتبر الاكثرية . وربما كان تبرير الدول العربية لحرمان المال العربي من حرية الحركة ينبع من تخوفها من احتمال قيام رؤوس الاموال غير المحلية بالاستيلاء على مقدرات البلاد الاقتصادية ، ولجوئها الى ممارسة اعمال الاستغلال والسيطرة . ولما كان هذا التخوف من الامور التي لايستبعد حدوثها ، فان تنظيم عملية استثمار الاموال العربية بما يكفل التزامها باداء دور ايجابي في تحقيق التقدم والعدالة يصبح امرا على جانب كبير من الاهمية . وربما ساهمت الاسس التالية في ترشيد عملية تنظيم استثمار الاموال العربية :

١ ـ وضع حد اعلى لحجم الاستثمارات الفردية وحصرها ضمن نطاق نشاطات معينة يمكن معها تحاشي قيامها بدور استغلالي تسلطي في المجتمع.

٢ ـ تشجيع قيام شركات عربية مساهمة تطرح اسهمها في كافة الدول العربية ويكون لكافة رعايا الدول العربية وحكوماتها حق تداولها .

٣ ـ تحديد حد اعلى لما يمكن للحكومات ان تتملكه من اسهم تلك الشركات ، بما يكفل لتلك الشركات عدم خضوعها للسيطرة الحكومية ووقوعها اسيرة المناورات السياسية .

٤ ـ تحديد حد اعلى لما يمكن للفرد ان يملكه من اسهم تلك الشركات بما يكفل عدم ظهور صورة السيطرة الفردية او العائلية .

٥ ـ توحيد الضرائب وتحديدها بارباح المشاريع المختلفة التي تقام في كل دولة عربية على حدة .

شركات مساهمة

ان قيام شركات مساهمة عربية تطرح اسهمها لكافة افراد الشعب العربي وتضع حدا لامكان قيام سيطرة فردية او حكومية سوف يقود الى خلق نوع جديد من الاشتراكية يمنح مجاميع الشعب العربي حق امتلاك وادارة وتوجيه مؤسساته الاقتصادية بصورة مباشرة . ولما كانت الشركات المساهمة من اهم صور تنظيم النشاط الاقتصادي في الدول الراسمالية ومن اقوى العوامل التي ساهمت في حماية النظام الراسمالي من اخطار الاحتكار وما يترتب عليها من ملابسات ومتاعب اقتصادية وسياسية ، فان بروز الشركة المساهمة العربية على الصورة التي تم تحديدها سوف يقود الى خلق الشركة التنافسية والوحدة

الانتاجية القادرة على تحمل المخاطر الاقتصادية ونواة الحركة الديناميكية في مجال البحوث التطبيقية . ان خلق الوحدة الاقتصادية القادرة على بعث الحوافز الفردية وتنظيم جهود العاملين فيها على اسس علمية وموضوعية سوف يتكفل بخلق المسؤولية الاجتماعية ويساهم في بروز الكفاءات الاقتصادية ، وبالتالي سوف يعمل على تدارك سلبيات القطاع العام والتي قد يكون اهمها ضعف الكفاءات الادارية ، وانحراف القيادات الاقتصادية ، وغياب الحوافز الفردية ، وعدم احترام الشعب للملكية العامة .

ان عدم حدوث تقدم اقتصادي وتطور علمي وتكنولوجي حقيقي في البلاد العربية في العشرين او الثلاثين سنة القادمة سوف يجعل امكان حدوث اي تقدم ملموس في هذا الجزء من العالم امرا بعيد الاحتمال ، وذلك لان تضاعف سكان العالم العربي مع استمرار حالة التخلف سوف يجعل الفقر والجهل والمرض قاسما مشتركا اعظم بين غالبية سكان البلاد العربية .

انفتاح الدول العربية بعضها على بعض من اهم المتطلبات

واذا كان العمل من اجل احداث تقدم اقتصادي سريع في البلاد العربية يعتبر امرا حياتيا لاخيار فيه ، وان انفتاح دول العالم العربي بعضها على بعض يعتبر من اهم متطلباته ، فان التردد كثيرا قبل اتخاذ قرار منح المال العربي حرية الحركة داخل الوطن العربي سوف يحرم الامة العربية فرصة ذهبية ، وربما فرصتها الوحيدة لتحقيق تقدم حقيقي وتطور خلاق يخلصها من براثن التخلف والضياع . ان فائض المال العربي وحتى نهاية السبعينات يقدر بحوالي ١٠٠ الف مليون دولار على الاقل ، وان فائض الثمانينات سوف يكون اكبر من ذلك بكثير . ولما كانت المؤسسات المالية والمؤسسات الاقتصادية القائمة في العالم العربي لاتستطيع استيعاب كل هذا الفائض في الوقت الحاضر ، فان حرمانه من حرية الحركة في الوطن العربي يقوده الى التسرب خارج البلاد العربية من خلال ثلاث قنوات رئيسية هي :

١ ـ التبذير والانفاق التفاخري ، حيث يؤدي ذلك الى اتساع الفجوة بين مستوى معيشة الفرد العربي الذي يعيش في دولة غنية وبين مستوى معيشة الفرد العربي الذي يعيش في دولة فقيرة . وعلى الرغم من الضياع الاقتصادي الذي تنطوي عليه هذه العملية فانها سوف تؤدي في المدى الطويل الى خلق المزيد من معوقات الوحدة والتكامل الاقتصادي بين البلاد العربية .

٢ ـ الاستثمار في مشاريع اقتصادية اجنبية ، حيث يؤدي ذلك الى المساهمة في اتساع الفجوة التي تفصل دول عالم الاغنياء عن دول عالم الفقراء، وتربط الدول العربية الغنية بالدول الصناعية المتقدمة ، مما يخلق لديها مصالح وارتباطات وولاءات جديدة تبعدها كثيرا عن اهتمامات ومصالح الدول العربية الفقيرة .

٣ ـ التجمع في مؤسسات مالية غربية اودولية تفقد العرب امكانية السيطرة على مالهم ،وبالتالي قد تحوله الى سلاح يستخدم لضرب مصالحهم وآمالهم بصورة مباشرة او غير مباشرة . وليس ادل على هذا من اتجاه الدول الصناعية المتقدمة وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية الى تقديم اقتراح بايداع فائض الاموال العربية صندوق النقد الدولي ، حيث يتولى مهمة الاشراف عليها وتوجيهها لمساعدة الدول المتخلفة .

ان بقاء المال العربي خارج الاسوار التي اقامتها الحكومات العربية بعيدا عن الايدي المتلهفة اليه والعقول القادرة على استخدامه بكفاءة سوف يحوله وفي فترة من الزمن قصيرة الى سلاح في ايدي القوى المعادية للامة العربية . واذا حدث مثل هذا التصور ـ وعلى اغلب الظن انه سيحدث اذا ما استمرت العقلية العربية على حالها من الانغلاق والجمود ـ فان صحوة العرب بعد سنوات ولو قليلة سوف تكون مع الاسف كصحوة اهل الكهف على واقع جديد لا يملكون من امره شيئا ولا يستطيعون حياله حراكا . ■■

محمد ربيع

الإسلام والحرية الاقتصادية

بقلم : الدكتور محمد شوقى الفنجرى

المستشار بمجلس الدولة والاستاذ المنتدب بجامعة الازهر

■ أقر الاسلام حرية الافراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادى ، ولكنه لم يترك هذه الحرية مطلقة بل قيدها بقيدين أساسيين :

أولهما : ان يكون النشاط الاقتصادى مشروعا بحسب المفهوم الاسلامى . وهذا هو سبب تحريم الاسلام انتاج الخمور ، أو التعامل بالربا ، أو الاحتكار، أو كنز المال وحبسه عن الانتاج والتداول، أو حتى صرفه على غير مقتضى العقل والا عد المرء سفيها وجاز الحجر عليه ، ومثل هذه المفاهيم لا نجد لها مثيلا في كل النظم الاقتصادية الاخرى أو بعضها .

ثانيهما : أن يكون ذلك النشاط متفقا والمصلحة العامة . وهذا هو السبب في تحريم الاسلام بعض أوجه النشاط الاقتصادى المشروع متى كان يلحق ضررا بالاخرين يفوق ما يعود على أصحاب هذا النشاط من منفعة(١) . وهو أيضا السبب ، في القيود العديدة التى يضعها الاسلام على الملكية الخاصة ، فتحيلها الى مجرد وظيفة اجتماعية .

ونبين هنا بايجاز ماهية الربا والاحتكار بحسب المفهوم الاسلامى ، وذلك في فرعين مستقلين ، على الوجه الآتى : ــ

الفرع الاول : الربا

١ ــ الربا لغة وشرعا واصطلاحا :

الربا لغة هو الزيادة والنماء ، ويقال ربا الشيء

---

(١) وأساس ذلك قوله تعالى « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » البقرة/١٩٠ . ومن قبيل ذلك ما روى أن سمرة بن جندب كان له نخل في بستان رجل من الانصار ، وكان سمرة يكثر من دخول البستان هو واهله فيؤذى ذلك صاحب البستان ، فطلب اليه أن يبيعه النخل فأبى فطلب اليه أن يناقله فأبى ، فشكا الى رسول الله ، فاستدعى ــ عليه السلام ــ سمرة وطلب اليه أن يبيعه فأبى ، فطلب اليه أن يناقله فأبى ، فقال هبه ولك مثله في الجنة فأبى ، فقال الرسول لسمرة « أنت مضار » أى تبغى ضرر غيرك وقال لمالك البستان « اذهب فاقلع نخله » .

ومن قبيل ذلك ما روى أنه كان للضحاك أرض لا يصل اليها الماء الا اذا مر ببستان لمحمد بن مسلمة ، فأبى ابن مسلمة أن يدع الماء يجرى بأرضه فشكاه الضحاك الى الخليفة عمر بن الخطاب فأمر عمر باستدعاء ابن مسلمة وسأله « أعليك ضرر في أن يمر الماء ببستانك » فقال : « لا » فقال عمر : « والله لو لم أجد له ممرا الا على بطنك لأمررته » .

اذا نما وزاد ، ومنه الربوة وهى الصخرة المرتفعة على ما حولها .. وفي ذلك يقول الله تعالى «وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت» ـ الحج/٥ .

والربا شرعا هو الظلم والاستغلال وأكل المال بالباطل والغبن الفاحش في المعاملات(٢) . فالله تعالى يقول « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل » ـ النساء / ١٦١ . والرسول يقول « الربا ثلاثة وسبعون بابا ، وان اربى الربا عرض الرجل المسلم » ، ويقول عليه السلام « غبن المسترسل ربا » . والمسترسل هو الذى يدخل السوق ولا يعرف قيمة ما يشتريه.

والربا اصطلاحا هو الفائدة ، وهى الزيادة في اصل الدين دون مقابل سوى المدة التى يظل فيها الدين في ذمة المدين (٣) . اذ روى أن الرسول « نهى عن قرض جر نفعا » ، ويقول عليه السلام « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فمن زاد او استزاد فقد اربى ، فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم » .

٢ ـ الربا الجلى والربا الخفى :

والربا في الاسلام نوعان :

اولهما الربا الجلى (٤)وهو الذى حرمه القرآن بقوله تعالى « وأحل الله البيع وحرم الربا » البقرة/٢٧٥ ، وتوعده بحرب من الله ورسوله بقوله (وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) البقرة/٢٧٩ ، وجعل تعالى جزاءه النار ابدا بقوله « ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون» البقرة/٢٧٩ . ويسمى « بربا القرآن » أو « ربا الجاهلية » أو « ربا النسيئة » اى التاجيل والتاخير او « ربا الدائن » لان نطاقه هو الدائن . وصورته ان يحل الدين ايا كان نوعه ـ مبلغا من المال او مقدارا من القمح مثلا ـ فيقول الدائن لمدينه « اما ان تقضي واما ان تربى » اى تزيد نظير تأجيل الدين لك .

وهذا النوع من الربا محرم لذاته اى تحريم مقاصد ، فلا يجوز للضرورة التى تبيح أكل الميتة. ذلك انه ينطوى على ابشع صور الاستغلال لحاجة المدين او عجزه ، لا سيما اذا لاحظنا انه في ذلك الوقت لم يكن للزيادة المفروضة اى حد ، ويفاجأ بها المدين ، وانه كان يدفع لمن عجزه عن السداد من جسمه وحريته .

وقد اختفى هذا النوع من الربا ، ويكاد لا يكون له وجود في العالم الآن .

ثانيهما : الربا الخفى : الذى حرمته السنة ، وهو كل ما يؤدى الى الربا الجلى لقول الرسول عليه السلام « فانى اخاف عليكم الربا » ، والربا هو ربا الجاهلية . ويسمى « ربا السنة » أو «ربا الفضل » اى الزيادة أو « ربا النسا » (٥) أى التاجيل او التاخير او « ربا البيوع »، لان نطاقه البيع . وصورته كل زيادة خالية عن العوض في مبادلة مال بمال من نفس جنسه .

وهذا النوع من الربا محرم ، سدا للذرائع ، اى من قبيل دره المفاسد ، وهذا مقدم على جلب

---

(٢) وعليه يعتبر الربح الفاحش في أية معاملة من قبيل الربا .
اما الغبن اليسير في المعاملات ، فهو بالاجماع مغتفر ، رفعا للحرج وتيسيرا للمعاملات .

(٣) فالاجل بلغة الشرع والقانون ليس مقابلا ، لانه ليس بمال يدخل في الذمة ، ومن ثم تكون الفائدة مقابل الأجل زيادة دون مقابل ، أى ربا .
ونفسر ذلك بلغة الاقتصاد بأن العائد في الاسلام لا يستحق الا مقابل عمل : سواء كان هذا العمل في صورة جهد يبذل ، او سبق بذله له ممثلا في ملكية عينية . اما الاجل او الانتظار او الحرمان من راس المال النقدى ، فهو لا يمثل عملا فلا يستحق عائدا .

(٤) وهذا أخذ من تعبير الامام ابن القيم الجوزية ، وقد نسب الى الامام احمد بن حنبل تعبير « الربا الذى لا شك فيه » .

(٥) تمييزا له عن ربا الجاهلية المصطلح عليه بربا « النسيئة » بمعنى التأجيل والتاخير .

المنافع ، فهو تحريم وسائل بحيث لا يجوز الا لحاجة ملحة أي لمصلحة راجحة .

٣ـ طبيعة الخلاف بين الفقهاء حول الربا :

وجدير بالذكر انه لا خلاف بين الفقهاء في حكمة تحريم الربا ، وهو الظلم والاستغلال والاضرار باحد اطراف التعامل . وانما الخلاف حول علة تحريم الربا ، فهل هو بتعبيرات الفقهاء القدامى القدر والجنس(٦) كما يقول الحنفية ، ام الثمنية او الطعم كما يقول الشافعية ، وبتعبيرات المحدثين هل هي الفائدة بدون مقابل ، ام هي الكسب بدون عمل او جهد ، ام هي الغنم بدون تحمل الغرم ، الى غير ذلك من العلل التي هي مظنة الحكمة .

وانه لما كانت الاحكام الشرعية لتوحيدها وضبطها تبنى على العلة باعتبارها الوصف الظاهر المنضبط ، لا الحكمة باعتبارها امرا تقديريا يختلف باختلاف الناس واحوالهم . فقد اختلف الفقهاء في شان الكثير من المعاملات المالية المعاصرة ، وهل تعتبر من قبيل الربا المحرم أو غيره بحسب اختلافهم في العلة . وهو الأمر الذى نبه اليه سيدنا عمر بن الخطاب بقوله (ان النبى صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يبين لنا الربا ، أى مظنة الربا وشبهته ـ فدعوا الربا والريبة) ، وقوله (لقد خفت ان نكون قد زدنا في الربا عشرة اضعافه بمخافته) . وفي رواية اخرى (تركنا تسعة اعشار الحلال مخافة الربا) .

والرأى عندنا هو ما اوضحه فضيلة الشيخ محمد عبد الله دراز ، ممثل الازهر الشريف في اسبوع الفقه الاسلامى الاول المنعقد بباريس سنة ١٩٥١ وقد القى باللغة الفرنسية بحثا عن الربا جاء فيه : ان القضية ليست قضية (مبدأ) وانما قضية (تطبيق) وينبغى ان يدعى لها طوائف من الخبراء من كل جانب وان يدرسوها دراسة دقيقة مستفيضة من جميع نواحيها متخذين أساسا للبحث في التفاصيل أمرين :

الاول : ان كل مبادلة تجارية تتم عن تراض بين المتبادلين ، وليس فيها ضرر لاحدهما ولا لغيرهما من الناس فهى مشروعة ومباحة .

الثانى : ان الاسلام وضع الى جانب كل قانون ، قانونا اعلى يقوم على الضرورة التى تبيح كل محظور ، مع مراعاة ان الضرورة بقدرها ، ولا تستعمل الرخصة في غير موضعها .

٤ ـ ليست كل فائدة من قبيل الربا :

ويجب هنا ان ننبه ان المقصود بالفائدة المحرمة هى الزيادة المشروطة التى لا يقابلها عوض في مبادلة مال بمال من نفس جنسه . ونرتب على ذلك امرين اساسيين :

اولهما ـ ان الفائدة غير المشروطة التى يؤديها المدين من تلقاء نفسه شكرا للدائن ، ليست من قبيل الربا بل هى من حسن القضاء الذى امرنا به الرسول بقوله « خياركم احسنكم قضاء » .

ثانيهما ـ انه ليست كل فائدة مشروطة من قبيل الربا :

ا ـ فقد تكون هذه الفائدة من قبيل المصروفات الادارية التى تحصلها بعض المؤسسات على ما تمنحه من قرض حسن ، لتغطية نفقاتها .

ب ـ وقد تكون هذه الفائدة لمواجهة النقص الذى يلحق أصل الدين وهو ما عبر عنه الامام الكاسانى في الجزء السابع من كتابه « البدائع والصنائع » بقوله « المال المستقبل ارخص من المال الحال ، فالفرق بين سعر المالين فضل مال لا يقابله عوض » .

جـ ـ وقد تكون هذه الفائدة من قبيل الغرامة او التعويض الذى تقضي به المحاكم نظير امتناع او مماطلة من احد اطراف التعاقد في اداء التزاماته .

د ـ وقد تكون هذه الفائدة نسبة محددة سلفا مما يتحقق معه ارباح مؤكدة كشهادات الاستثمار

---

(٦) القدر هو ان يكون المال مما يوزن كالذهب والفضة أو يكال كالحنطة والشعير والتمر .. الخ .

والجنس هو أن يكون البدلان من جنس واحد ، بمعنى ان يكونا معا ، ذهبا أو فضة او حنطة او شعيرا .. الخ .

والمراد بالمماثلة بين البدلين هنا ، هو المماثلة في الجنس والقدر فقط ، لا في الصفة ايضا ، والا فلو تماثل البدلان جنسا وقدرا وصفة ، ما كان هناك معنى للتبادل بينهما ما داما متساويين من كل وجه .

الحكومية (٧) ، أو من قبيل المكافاة التى تمنحها الدولة لتشجيع الادخار(٨) كشهادات الايداع وصناديق التوفير .

ولا شك ان المناط في تقدير ذلك كله ، والتحقق منه هم « اهل الحل والعقد » أى المشرع .

الفرع الثانى : الاحتكار

١ ـ معنى الاحتكار :

احتكار السلعة لغة هو جمعها او حبسها عن السوق للانفراد بالتصرف فيها .

والاحتكار في الاقتصاد الوضعى هو السيطرة على عرض ، أو طلب السلعة بقصد تحقيق اقصى قدر من الربح .

والاحتكار في الاقتصاد الاسلامى هو جمع أو حبس السلعة التى يحتاج اليها الناس ، ليبيعها بثمن مغالى فيه ، لقول الرسول « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » .

ومن ذلك يبين أن مفهوم الاحتكار واحد في الاقتصاد الوضعى والاقتصاد الاسلامى ، ومرده في النهاية ما عبر عنه الامام ابو حنيفة بقوله : « كل ما اضر الناس حبسه فهو احتكار » .

٢ ـ حكم الاحتكار وشروطه :

والاحتكار محرم شرعا ، بحيث يقتضى تدخل الدولة واكراه المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل .

الا ان الفقهاء يشترطون لذلك شروطا معينة يرجع فيها الى كتب الفقه ، ومحصلها :

اولا : أن يكون الاحتكار في وقت الضيق بحيث يؤثر على الناس ، اذ العلة في التحريم ليست ذات الاحتكار ، وانما استغلال ضائقة الناس ورفع الأسعار ، وهو يثبت في الحديث بقوله « يريد الغلاء » .

ثانيا : أن يكون الشيء المحتكر فضلا عن كفاية المحتكر ومن يمونهم سنة كاملة لانه يجوز للانسان ان يدخر حاجته وحاجة اهله من الطعام واللباس وغيره مما يلزمه لمدة عام .

ثالثا : ويشترط بعضهم كابى حنيفة ان تكون السلعة المحتكرة مشتراة أو منتجة بنفس الاقليم الذى ظهرت فيه الضائقة ، باعتبار أن الجلب والانتاج مطلوب في ذاته وانه لو أجبر الجالب او المنتج على البيع بسعر ما قبل الندرة لامتنع الناس عن الجلب والانتاج .

الا انه مع ذلك لا يجوز ترك الجالب او المنتج ، ليبيع بما يروق له من الأسعار ، يستغل ضائقة الناس والا كان بدوره ينشىء احتكارا جديدا ، عملا بقاعدة « ان كل ما اضر الناس حبسه فهو احتكار » .

ومؤدى ما تقدم ان جمع السلعة او حبسها عن السوق او انفراد منتج واحد او بائع واحد بعرض السلعة ، هو أمر جائز شرعا بالقدر الذى لا يؤدى الى الاضرار بالناس ، أو رفع سعر السلعة باكثر من قيمتها ، أو تحقيق ارباح غير عادية ، فالمعول عليه ليس هو ذات الاحتكار ، وانما استغلال حاجة الناس ، فهو الذى يقتضى من الشارع التدخل . ■■

د . شوقى الفنجرى

---

(٧) نقول « مؤكدة » باعتبار أنه لا يشترط في الربح ان يكون ماديا ، بل يجوز ايضا أن يكون معنويا . والدولة تبدو أنها تخسر في بعض المشروعات كتعبيد الطرق واقامة المدارس والمستشفيات الا أنها في الحقيقة تحقق من الأموال المقترضة عائدا مؤكدا يعود بأكبر النفع على كافة الأجيال .

ونضيف أيضا ، انه اذا جاز الخلاف حول شرعية الفائدة التى تمنحها السندات وشهادات الاستثمار التى تصدرها الشركات والهيئات الخاصة فانه لا يجوز أن يثور هذا الخلاف حول السندات أو شهادات الاستثمار الحكومية . ذلك أن الدولة اذا لحقها فعلا خسارة في استثمارها للاموال المقترضة فانها تستطيع بحكم سيادتها أن تمتنع عن صرف الفائدة المشروطة . بل ولها أكثر من ذلك قانونا ، وهو أن تصادر في حالة الضرورة القصوى أصل راس المال المقترض .

(٨) الاقتصاد الاشتراكى عامة والماركسى خاصة ينكر الفائدة كعائد لراس المال ، الا انه يقرها كأداة لتحديد حجم الادخارات المطلوبة ، وحسن توزيعها على الاستخدامات المختلفة .

يسألون عن..
الصدى

■ قبل ان تسأل عن الصدى وجب ان تسأل عن الصوت ، ما هو ، وكيف يحدث ..

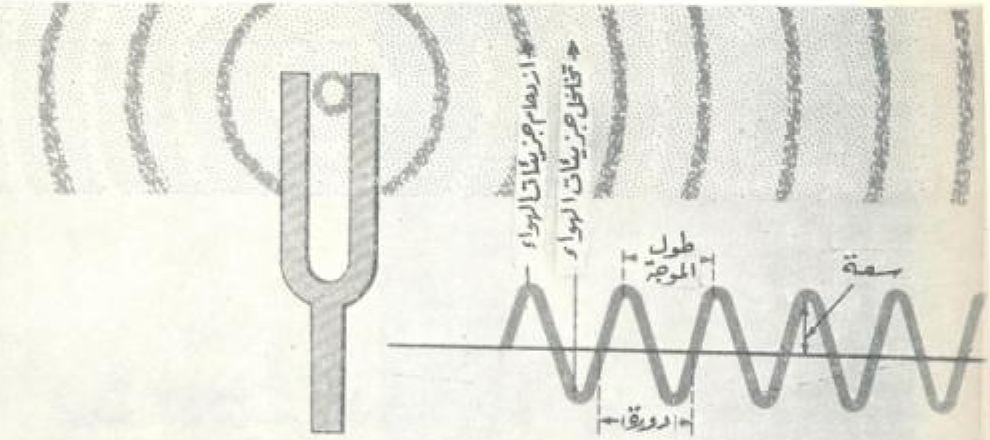
انك تدق دقة على مائدة بمطرقة ، فيتردد السطح المطروق ، اى سطح المائدة ، صعودا وهبوطا ، وسطح المائدة يدفع الهواء ، الملاصق له ، فيتردد مثل تردده. فى صعود السطح المطروق ينضغط الهواء المجاور ويزدحم ، وفى هبوط السطح المطروق يتخلخل هذا الهواء المجاور (والهواء عبارة عن جسيمات صغيرة جدا هي الجزيئات)، وبين الردة الصاعدة والردة الهابطة يعود الهواء الى سجيته الأولى ، فلا ازدحام ولا تخلخل. ويحدث هذا كله فى جزء صغير جدا من الثانية . ويتكرر التردد ليعطي نغمة تسمع .

وهي تسمع عندما تصل الى الاذن ، فتتردد طبلة الاذن بمثل ترددها . ويتردد ماوراء الطبلة فى الاذن مثل هذا التردد ، وتنقل الأعضاء هذا التردد الى العقل فيترجمه الى صوت ، بل الى النغمة التي تنتسب الى عدد الذبذبات التي كانت .

فتذبذب شيء ، بادئا ، لازم لاحداث الصوت . والهواء لازم لاحداث الصوت . ولولا الهواء ما كان صوت وما كانت اذن .

وهنا يقف الانسان وقفة تتعلق بالخلق . صانع الاجسام والأشياء التي تتذبذب ، وصانع الهواء وما فيه من جزيئات تزدحم وتتفرق وتتذبذب ، وصانع الاذن ، من طبلة وما وراءها داخل الاذن ومن اعصاب ، صانع كل هذه، لابد صانع واحد، والا ما اشتركت جميعها وتناسقت فى احداث ظاهرة للحياة واحدة هي ظاهرة السمع .

بالسمع امكن بين الناس الفهم، وامكنت الحياة والمجتمع الانساني ، وامكن وجود الانسان فى هذا الوجود . وكثير من التعرف الى اشيائه انما يكون عن طريق السمع .



شوكة من فولاذ ، ضربنا احدى شعبتيها على المائدة ، فرنت . ان الشعبتين تذبذبتا ، ودفعتا الهواء ، ثم ارتدتا عنه ، ثم دفعتا ، وهكذا اوجدتا في جزيئات الهواء ازدحاما ثم تخلخلا ، ثم ازدحاما ، وهلم جرا . فهذه امواج الصوت كيف تسري في الهواء حتى تصل الآذان .

ونترك الصوت ونعود الى سؤال السؤال : انه الصدى

والصدى انما ينشأ من انعكاس الصوت على الجدران والسقوف والسطوح الجامدة متى وصلها صوت .

ونحن نألف انعكاس امواج الضوء على اسطح المرايا .

ولكن كذلك تنعكس امواج الصوت على السطوح المسطوحة فيرتد اصواتا تصل الى الاسماع فتسميها صدًى .

وانت تذهب الى الصالة الطويلة العريضة في القصر الفخم ، وتصيح ، فتسمع الصدى .

وانت تذهب الى الوادي بين الجبال الرفيعة وتصيح فتسمع الصدى .

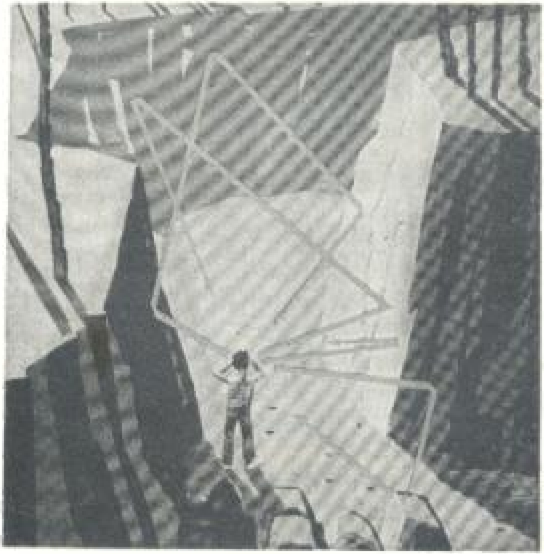
وان صحت بقولك (لا اله الا الله) فقد لا تسمع من الصدى سوى نهايته ، سوى (الا الله) .

فهل معنى هذا ان النصف الثاني من الجملة هو الذي انعكس على سطح الجبل القائم ، ولم ينعكس النصف الأول ؟

والجواب : بلى ، فلقد انعكس النصفان . اما النصف الأول من الصدى فقد وصل اليك سريعا وانت لا تزال صارخا فلم تتبيّنه ، وتبيّنت النصف الثاني لأنك كنت انتهيت من صراخ .

والسبب في ذلك ان الصوت يستغرق زمنا في الوصول من فمك الى الجبل ، ويستغرق مثله في الرجوع اليك . وسرعة الصوت هي نحو ١١٠٠ قدم في الثانية في الطقس العادي ، وتزيد كلما احتر .

فانت لم تسمع الجزء الأول من جملتك لان هذا الجزء قطع المسافة الى الجبل



شاب يصرخ في واد بين جبال . وينعكس صوته على سطح الجبل فيرتد صدى ، وبما انه يوجد اكثر من جبل ، فسيرتد اليه اكثر من صدى واحد ، تتعاقب وفق المسافة بين الصبي وهذه الجبال .

وعاد بسرعة كبيرة ، وانت لم تكن فرغت من الجزء الثاني .

والجبل هذا كلما اقترب منك كان ما تسمعه من صداك اقل .

والجبل كلما ابتعد منك كان ما تسمعه من صداك اكثر ، لأن الجبل يكون ، لبعده ، قد امهلك لتفرغ من صياحك بالجملة فتفرغ لسماع الصدى ، اذ يأتيك .

فهذا جواب بعض ما سألت فيه .

وتسأل عن الصدى لم لا تسمعه وانت تصيح في حجرتك ؟

والجواب ان حوائط حجرتك ، والسقف ، ان صَلحَا لردّ الصدى ، فهو لا شك واقع ، ولكنك لا تسمعه لأنه يصلك كله تقريبا قبل ان تفرغ من صياح . انه حال كحال الجبل القريب وانت في الوادى .

وتقول انك في الوادى ، وبين الجبال ، يتردد الصدى اكثر من مرة .

وهذا صحيح .

وهذا دليل وجود اكثر من سطح ينعكس عليه الصدى ، فأكثر من جبل . ويصلك الصدى الأول ، فالثاني ، فالثالث ، وذلك لوجود ٣ اسطح عاكسة لجبال ثلاثة بعدت عنك ابعادا غير متساوية فوصلتك اصداؤها في فترات من الزمان قريبة متعاقبة .

اما عن بيت الشعر الذى فيه الصدى ، فلعلك اردت به بيت شوقي في قصيدته « يا جارة الوادى » ،

مَثلتْ في الذكرى هواك وفي الكرى
والذكرياتُ صدى السنين الحاكي

والقصيدة من اروع قصائد احمد شوقي ●●

ا ٠ ز

مواقف رجال

هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص

فتوحٌ للمسلمين وحروب

بقلم :
عبد الستار أحمد فراج

■ الحروب المشهورة التي دارت رحاها في الفتوحات الاسلامية : موقعة اليرموك ، وفتح « دمشق » بالشام ، ومعركة « القادسية » ، والاستيلاء على « مدائن كسرى » بالعراق وفارس . ثم ما دار من حرب بين المسلمين في موقعة «الجمل» ، ومعركة « صِفّين » ، كل هذه اشترك فيها هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الملقب « بالمِرْقال » ، وكلمة « مِرْقال » لُقّب بها لانه كان يُرْقِل في الحرب، اى يسرع .

وكان اشتراكه في كل هذه الحروب رئيسا على فرقة من الخيالة ، او قائدا لجماعات كثيرة . وانفرد هو بان كان قائدا اعلى لمعركة « جلولاء ».

ابوه وعمه

ومن نسبه : هاشم بن عتبة بن ابى وقاص الزُّهْرى ، نعرف انه ابن اخى سعد بن ابى وقاص ، وانه من بنى زُهْرة ، اسرة السيدة آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونعلم أن عمه سعدا كان من اوائل المسلمين ، أما عتبة والد هاشم ، فانه لم يكن شقيقا لسعد ، بل كان اخاً له من ابيه ، كما أن عتبة كان له موقف سيىء في غزوة احد ، اذ كان من المشركين ، وهو الذى بلغ من شدة شركه انه هجم على رسول الله وجَرَحه ، مع أن اباه ابنُ عمٍّ السيدة آمنة ، والمشهور أن عتبة مات كافرا .

اسلامه وابتداء أمره

ويبدو أن هاشما كان صغيرا أيام الرسول ، او كان واقفا على عتبات البلوغ ، مما جعل اسمه لا يذكر في الغزوات مع الرسول ، وبخاصة انه اسلم في عام الفتح ، وحتى في حروب الردة لم يكن له شان يذكر ، ولكن بتتبع مسيرة خالد ابن الوليد في حروب الردة ، ومنها السفر الى العراق ، ثم ارسال ابى بكر اليه أن يتوجه بنصف الجيش الى الشام . ثم عودة ذلك الجيش الى العراق مرة اخرى بامر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب.وان يكون بقيادة هاشم بن عتبة بن ابى وقاص ، نتبين أن هاشما كان من الفرسان المقاتلين مع خالد في حروبه بالعراق ، ورحلته الى الشام.

قائد فرسان ومدد

ثم تولى رياسة فرقة من الفرسان في معركة

اليرموك ، التي تعد اكبر الفتوح في حروب الشام، وكان وسامه في هذه المعركة أن فقئت عينه ، فصار اعور ، واستمر بعد ذلك في جيش خالد حين فتح دمشق ، ثم عاد هاشم قائدا على من كان خالد بن الوليد قائدا عليهم ، متوجها هاشم بهم الى معركة « القادسية » التي كان يقودها عمه سعد بن ابي وقاص .

وادرك بجيشه جيوش المسلمين ، فكان مددا عظيما له شأنه في تقوية نفوس المجاهدين ، حتى لقد قال من ترجموا له « انه ابلى في القادسية بلاء حسنا ، وقام منه في ذلك ما لم يقم من احد وكان سبب الفتح على المسلمين » .

زحف بعد القادسية

ولما انهزم الفرس في معركة القادسية التي الفت الهيبة في افئدة سادة فارس من مَلِك وقُوّاد ، واوقعت تضحيات المسلمين واقدامهم الرهبة في قلوب عامة جند فارس ، تفرقوا هاربين متجهين الى المدائن وتَهاوَنَد ، وكان معهم المشئوم عليهم ملكهم « يزدجرد » منتظرا بالمدائن ، فجاءته الأخبار المزعجة بما حاق بجيشه وكبار قواده ، فلم يكن له همّ الا ان يجمع ما خف حمله وغلا ثمنه ، ويعدّ نفسه للهرب حين يجد الجِدّ . جاعلا من يستنفرهم لحمايته من جميع الجهات وفودا يَصْلَون الحرب ، لعلهم ينقذون ما تبقى له من ملك وسلطان .

مظلم ساباط

وفي الطريق الى المدائن وصلوا الى « مُظْلِم سَابَاط» يقول ياقوت عنه « مُظْلِم» يقال له مُظْلِم ساباط ، مضاف الى ساباط التي قرب المدائن، موضع هناك ، ولا ادري لم سُمّي بذلك، قال « زَهْرَة بنْ حَوِيّة » ايام الفتوح :

ألا أبلِغا عني أبا حَفْصٍ آيـــةً
وقُولا له قَوْلَ الكَمِيّ المُغَاوِرِ

بأنّا أثَرنا آل طُوْران كُلّهـــم
لَدَى مُظْلِمٍ يَهْفُو بِحُمْرِ الصَّرَاصِرِ

ويقول ياقوت في موضع آخر : « الساباط عند العرب : سقيفة بين دارَيْن ، من تحتها طريق نافذ » .

ومعنى هذا ان مظلم ساباط كان ممرا يسهل الدفاع عنه من جانبيه ، وقد يكون حوله آجام او مرتفعات . وفي هذا الموضع كان هاشم بن عتبة قد تقدم عمه سعد بن ابي وقاص اليه ، وهناك ادركه سعد ، حيث انتظره هاشم الى ان لحق به ، وكانت في هذا الممر كتيبة لكسرى تسمى كتيبة « بُورَان » تقيم حول مظلم ساباط ، وهذه الكتيبة كانت من القوة بحيث كانوا يحلفون كل يوم انه لا يزول ملك فارس طالما كنا احياء عائشين. ووجد هاشم امامه اسدا كان كسرى اختاره من منطقة مظلم ساباط والفه ، ووقف الأسد في طريق الجيش . فنزل هاشم بن عتبة عن جواده ،وتقدم الى الأسد ، وكان الأسد يسمى « المُقرّط » ، واستلّ هاشم حسامه ، وقد تهيأ له الاسد ، فضربه بحسامه فقتله . فتقدم اليه عمه سعد على جواده ، وانحنى فقَبّل رأس هاشم ابن اخيه ، اعجابا به وتقديرا له ، حينئذ قَبّلَ هاشم رجْلَ عمه ، وهي أقرب مكان اليه ، وهو على جواده ، ثم انهزمت كتيبة « بوران » التي كانت تقسم بأن ملك كسرى لن يزول ما داموا احياء . ونزل سعد الى مظلم ساباط ، وقرأ قوله تعالى : « أولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال » .

بهرسير

فلما كان الليل ارتحل المسلمون ، ونزلوا على بَهُرَسير » وكان جيش سعد كلما وصلت فرقة منه الى « بَهُرَسير » هتفوا مكبرين ، وهذا مما كان يلقي الرعب في قلوب المشركين ، ويبعث الحمية والقوة في نفوس المسلمين .

وبهرسير « بفتح الباء ، وضم الهاء ، وفتح الراء ، وكسر السين ، هي احدى مدائن كسرى تقع في الجانب الغربي من نهر دجلة ، اما الايوان فيقع في شرقيه ، والشاعر قد يسكن الهاء من « بهرسير » كما سنرى ذلك .

وقد استعدت « بهرسير » للحصار ، ومن خلفهم شرقا ، نهر دجلة ، وامر سعد بعمل المنجنيقات ، فعمل له عشرون منجنيقا ، ونصبت على بهرسير ، واشتد الحصار ، وبدا لاهل بهرسير ان يلتحموا بجيوش سعد ، لكنهم رُدّوا على اعقابهم منهزمين .

طلب الصلح

ثم اشرف على المسلمين رسول من الفرس فقال:

ان الملك يقول : هل لكم الى المصالحة ، على أنّ لنا ما يلينا من دجلة ، وما بعده شرقا ، ولكم ما يليكم من دجلة وما بعده غربا ، أمّا شبعتم لا أشبع الله بطونكم » .

فبدر الى جوابه ابو مُفَزّد الاسود بن قطبة ، ولا شك قد أثارته الجملة الاخيرة ، فنطق بجملة الهمه الله اياها ، كانت سببا في ضعضعة مَلِك الفُرْس وإيقانه أنهم لن يتراجعوا عنه ، ذلك أن أبا مُفَزّز قال : لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل « افريذون » بأُترُنج « كوثا »»(١).

فقال الملك : واويلاه الا ان الملائكة تتكلم على ألسنتهم ، تردّ علينا وتجيبنا عن العرب . والله لئن لم يكن كذلك ، ما هذا الا شيء أُلقي على فم هذا الرجل لننتهي » .

وتركوها خالية

حينئذ نسلوا الى سفنهم ، فانتقلوا الى شرقي دجلة ، وكانت المنجنيقات ما تزال تقذف عليهم صخورها ، وأخيرا خرج رجل من «بهرسير» ونادى بالامان ، فأمنوه ، فتقدم اليهم وقال : ان بهرسير .. لم يبق فيها أحد ، فما يمنعكم من دخولها ؟ حينئذ تسوّر المسلمون اسوارها . فما وجدوا بها احدا .. ولاح لهم « الابيض » حين وقفوا على شاطىء دجلة ، ودجلة فاصل بينهم ، فقال ضرار بن الخطّاب الفهري : الله اكبر ، أبيض كِسْرى ، هذا ما وعد الله ورسوله . وتابع المسلمون التكبير حتى أصبحوا . والخطّاب هذا غير الخطّاب والد عمر بن الخطاب فانه ضرار بن الخطاب بن مِرْداس ينتهي الى فِهْر قريش ، وعمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى من قريش ايضا .

وقد قال احد شعراء المسلمين في فتح بهرسير وما تلاها من فتوح ، وسكن الهاء من لفظ بهرسير:

تَوَلَّى بنو كِسْرَى وغابَ نَصيرُهم
على بَهْرَسيرٍ فاستُهِدَّ نَصيرُها(٢)

غَداةَ تَوَلَّتْ عن مُلوكٍ بنصرها
لدَى غَمَراتٍ لا يُبَلّ بَصيرُها(٣)

مَضَى يَزْدَجِرْدُ ابنُ الأكاسرِ سادِما
وأدبر عنه بالمدائن خيرُها(٤)

ثم المدائن

والمدائن هى عدة مدن ، قيل انها سبع ، بين كل مدينة الى الاخرى مسافة قريبة أو بعيدة ، اذ كان كل ملك من ملوك الفرس يختار بقعة وينشىء فيها ضاحية كبيرة ، ومن هذه المدائن « بهرسير » و « جنديسابور » ، وفي احدى المدن السبع ايوان كسرى ، والابيض ، وهو قصر الاكاسرة بالمدائن ، ولعله الذى كان فيه الايوان ،حيث قاعة عرشه وعظمة أُبهته ، وهذا الابيض كان من عجائب الدنيا ، ظل قائما بعد الاسلام الى ايام الخليفة العباسي المكتفى ، ثم هدم في سنة ٢٩٠ هجرية بعد موت الشاعر البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ وفيه يقول من قصيدته التى مطلعها :

صُنْتُ نَفْسي عمّا يُدنّس نَفْسي
وتَرَفّعْتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ (٥)

يقول فيها :

حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمُومُ فوجّهْتُ
إلى أبيض المدائنِ عَنْسي (٦)

أتسلّى عن الحظوظ وآسى
لمحلٍّ من آل ساسان دَرْسِ (٧)

ذكّرتْنيهم الخُطوبُ التّوالي
ولقدْ تُذْكِرُ الخُطوبُ وتُنْسي

وهمْ خافضون في ظِلّ عالٍ
مُشْرفٍ يَحْسرُ العيونَ ويُخْسي (٧)

---

(١) افريذون او افريدون ، هكذا وردت ، ولعلها «افرندوين » .. وهى شرقيّ دجلة في داخل بلاد الفرس ، اما كوثى فبين نهري دجلة والفرات وكان المسلمون قد فتحوها .

(٢) استهد : استضعف .

(٣) لا يبل : لا يمتنع .

(٤) سادما : حزينا اشد الحزن .

(٥) الجدا : العطية . والجبس : اللئيم .

(٦) العنس : الناقة .

(٧) آل ساسان : الاكاسرة ، درس : قد بلى .

(٧) يحسر : يتعب . يخسي : يخسىء بأن يجعلها كلّ ويصيبها الاعياء .

وعلى نمطها صاغ أمير الشعراء احمد شوقي قصـيدته ، وهو منفى في الاندلس (اسبانيا) ورأى آثار بني امية خلفاء الاندلس الذين كانوا من بني عبد شمس بن عبد مناف من قريش ، وبدأها بقوله :

اختلافُ النهارِ والليلِ يُنْسي
فاذْكُرا لي الصِّبا وأيامَ أُنْسي
وصِفَا لي مُلاَوَةً مِن شَبابٍ
صُوِّرَتْ من تَصَوُّراتٍ ومَسِّ
وَعظَ البحترِيَّ إيوانُ كِسرى
وشَفَتْنِي القُصورُ مِن عَبْدِ شَمْسِ

والمدائن كانت بالقرب من المكان الذى انشئت فيه بغداد عاصمة لأبى جعفر المنصور العباسي .

وفي القرن السابع الهجرى ايام ياقوت صاحب معجم البلدان صارت المدائن بلدة شبيهة بالقرية، بينها وبين بغداد اذ ذاك ستة فراسخ اى حوالى ثمانية عشر ميلا في رأى من قال ان الفرسخ ثلاثة اميال .

اقتحام دجلة

وأراد سعد بن أبي وقاص أن يعبر نهر دجلة بجنوده ، ليستولى على الايوان وبقية المدائن ، فلم يجد سفنا ، لأن الفرس حين هربوا من « بهرسير » اجتازوا بكل السفن ، ولم يتركوا منها شيئا ، ليقطعوا الطريق بينهم وبين المسلمين .

وأخيرا جمع سعد الجيش ، وخطب فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : « ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا النهر ، فلا تصلون اليهم ، وهم يصلون اليكم اذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، فقد كفاكم ذلك اخوانكم الذين جاهدوا ولم يتركوا خلفكم بلدا الا اخضعوه ، وقد رأيت الرأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم .. الا انى قد عزمت على قطع هذا النهر اليهم » .

فقال الناس جميعا : « عزَم الله لنا ولك على الرشد ، فافعلْ » .

حينئذ طلب الى فرقة من الفرسان أن تخوض بخيلها ، وكانوا من اهل الشجاعة والفروسية ، ليصلوا ويقفوا على الشاطىء الشرقي يحمون بقية الجيش حتى يصل بأجمعه .

واقتحم النهر ستمائة بخيولهم ، حتى اوشكوا على نهايته من الشرق ، ورآهم اهل المدائن ، فقدموا جماعة بخيلهم ليلقوهم في الماء . وصاح رئيس الفريق المسلم وهو عاصم بن عمرو التميمي، فقال : الرماحَ الرماحَ ، أشْرعوها وصَوِّبوها الى عيون أعدائكم . حينئذ توخى المسلمون عيونهم برماحهم ، فأصابوا اكثرهم ، فانهـزم الفارسيون ، وتعقبهم المسلمون يغمزون برماحهم خيول عدوهم، حتى اضطربت وجمحت بمن عليها، وهم لا يملكون زمامها ، فلحقوهم على الشاطىء ، وقتلوا اغلبهم ، ونجا من نجا وهو أعور .

فرار وفراغ

ووقف فرسان المسلمين الستمائة على الشاطىء وقد امتلأ النهر وراءهم بخيول المسلمين آلافا مؤلفة ، متراصة متتابعة متلاحقة ، وهم يذكرون الله ويستعينون به ويتوكلون عليه ، ويقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وكان سعد بن أبي وقاص على جواده ،ويسايره سلمان الفارسي على جواد آخر . وقد صـار الماء من كثرة ما عليه من الخيل والفرسان لا يرى من الشاطىء .

وفوجىء سكان المدائن بأمر لم يكن في حسبانهم. فصار همّ كل ذى مال وذى سلطان أن ينقذ نفسه وما يملكه من غالي الأموال . أما الذين كانوا من جند فارس على الشاطىء ، فلم يلبثوا الا قليلا ، ثم ولوا منهزمين .

واهل المدائن حين رأوا دجلة تموج خيلا ورجالا قالوا بالفارسية « ديوان آمد » ومعناها : قد جاء الشيطان . وتصايح بعض ممن كان خلـف بقايا جيوش الفرس يقولون لهم : ان الملك قد هرب ، فعلام تقتلون انفسكم ، فوالله ما في المدائن احد .

حينئذ كانت الهزيمة التامة ، وفتح الله المدائن امام المسلمين ، فلم يجدوا فيها احدا الا بعض من كان في ابيض كسرى ، فانهم حوصروا ، ثم طلبوا الأمان على أن يدفعوا الجزية .

ولما دخل سعد الى ايوان كسرى قرأ قول الله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك واورثناها قوما آخرين » .

ولم ينس ان يبعث سعد جنوده في كل الأنحاء، ليتبعوا الفارين، وخاصة من حملوا معهم الأموال، فادركوا أغلبهم ، واستولوا على ما كان معهم ،ولم ينج الا القليل .

هاشم قائدا

واقام سعد بن ابى وقاص بالمدائن ، فجاءته الأخبار بأن فلول الفرس قد توقفت عند «جلولاء» وانهم اجتمع اليهم خلق كثير ، وجَمّ غفير ، وسار « يزدجرد » الى « حَلْوان » .. ببلاد فارس ، وهى غير حلوان التى تقرب من القاهرة.

وصار « يزدجرد » يجمع من انحاء مختلفة جيوشا كثيرة ، لتقف امام المسلمين ، وتحمى بقية فارس من زحفهم .

فارسل سعد بن ابى وقاص الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بذلك . فكتب اليه عمر يطلب منه ان يقيم هو بالمدائن ، وأن يبعث ابن اخيه هاشم بن عتبة اميرا على الجيش الذى يبعثه الى جيوش كسرى في « جلولاء » وعيّن له جماعة من فرسان المسلمين يكونون معه .

فبعث سعد مع ابن اخيه جيشا يقارب اثنى عشر الفا . فيهم بعض من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار واعلام العرب .

فتح الفتوح

وكانت جيوش الفرس بجلولاء قد حفرت الخنادق حولها ، فحاصرهم هاشم بن عتبة ، وكانوا يخرجون من البلد للقتال ، فيقاتلون قتالا شديدا لم يسمع مثله ، وجعل كسرى يبعث اليهم الأمداد ، وكذلك كان سعد بن ابى وقاص يبعث مددا الى ابن اخيه مرة بعد اخرى . والقتال يشتد ، وقام هاشم في الناس فخطبهم اكثر من مرة ، فحرضهم على القتال . والتوكل على الله لم يقول : ان هذا المنزل منزل له ما بعده ، ويقول لهم : « ابْلُوا اللهَ بلاءً حسنا يُتمّ لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله » .

اما الفرس فقد تعاقدوا وتعاهدوا ، وحلفوا بالنار التى يعبدونها انهم لن يفروا ابدا حتى يفنوا العرب ، ولهذا شهدت جلولاء معاركلم يسبق لها مثيل في الهجوم والدفاع والاستبسال ، واخيرا اذن الله بالنصر ، فبعد حوالى ثمانين معركة ، في أيام مختلفة ، انتصر المسلمون ، واقتحموا الخندق ، من الطريق الذى كان يخرج منه جيش الفرس ليقاتل المسلمين ، واصاب الله المشركين بالذعر ، فاندفعوا متفرقين ، يحاولون الهرب ، فكانت خنادقهم سببا في هلاك كثير منهم ،اذ تساقطوا فيها أكداسا ، وكانوا ايضا قد بذروا في الأرض عند الخندق من جهتهم قطعا من حديد لها أسنان كالمسامير لتصيب خيل المسلمين اذا هم استطاعوا ان يجتازوه بمعابر في ساعة غفلة ، فكانت هذه المسامير سببا في اصابة كثير من خيل الفرس ، وهى تتجه هاربة بعد الهزيمة بمن عليها ، فيتساقطون تحت أقدامها صرعى ، حينما تكبو بهم وهى مندفعة في هربهم ، وفتح الله جلولاء ، وكانت هى الضربة القاضية على آمال الفرس في الوقوف امام المسلمين ، ولهذا سميت وقعة « جلولاء فتح الفتوح » ، قيل انه قتل فيها من الفرس حوالى مائة الف ، وظفر المسلمون بغنائم لا تحصى .

وكان بين فتح المدائن وفتح جلولاء حوالى تسعة أشهر .

وقال في ذلك هاشم بن عتبة :

يَوْمُ جَلولاءَ ويَوْمُ رُسْتَمْ
ويومُ زَحْفِ الكوفةِ المُقَدَّمْ
ويَوْمُ عَرْضِ النَّهَرِ المُحَرَّمْ
مِن بَيْنِ أيامٍ خَلَوْنَ صُرَّمْ
شَيَّبْنَ أَصداغي فهُنَّ هُرَّمْ
مِثْلُ ثُغامِ البَلَدِ المُحَرَّمْ (٨)

واقام هاشم في جلولاء ، وبعث القعقاع بن عمرو في جند يتبع آثار القوم،ليقضي على بقايا مقاتليهم، وبلغ « يزدجرد » ما أصاب جنوده في « جلولاء » فلم ينتظر في مكانه بحلوان ، بل وَلّى هاربا بما معه من مال وذرية الى « الرَّيّ » شرقا ، وخلف قائدا للدفاع عن حلوان ، الا ان هذا القائد لقى مصرعه ومصرع جنوده على يدى القعقاع وجيشه قريبا من حلوان . حيث خرج للقاء القعقاع ، وحينئذ استسلمت حلوان ، واستولى عليها المسلمون . ■■

عبد الستار احمد فراج

(٨) الثغام : نبت أبيض الثمر والزهر .

أمراض شائعة

سرطان الرحم

بقلم : الدكتور احمد نعيم

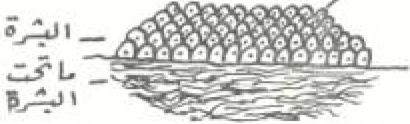
مدير مستشفى الولادة بالكويت

■ يعتبر سرطان الرحم من اكثر انواع السرطانات حدوثا في النساء ، اذ انه مع سرطان الثدى يشكلان اكثر من ثلثى حالات السرطان في الاناث .

ولكى ناخذ فكرة واضحة عن سرطان الرحم يجب ان نتفهم بوضوح عنصرين هامين اولهما ما هو السرطان ؟ وثانيهما ما هو الرحم ؟

وحتى نتمكن من معرفة ما هو السرطان يتحتم ان نعرف شيئا بسيطا عن تركيب خلايا البشرة في الجسم ـ ويطلق لفظ البشرة على النسيج الذى يغطى سطحا خارجيا او سطحا داخليا في الجسم ، فالطبقة السطحية من الجلد تعرف بالبشرة والطبقة السطحية للغشاء المبطن بكل تجاويف الجسم تعرف بالبشرة ـ فالبشرة تبطن فراغات الفم والانف والاذن الخارجية والمعدة والامعاء والمثانة البولية والمهبل والرحم وكل ما هو فراغ يحتوى او لا يحتوى على شيء يملاه بصفة مستمرة او بصفة غير مستمرة ـ فالغشاء المبطن للمرارة الصفراوية بشرة ، والغشاء المبطن لقناة مجرى البول بشرة والغشاء المبطن للحنجرة بشرة، والغشاء المبطن للاوعية الدموية بشرة .

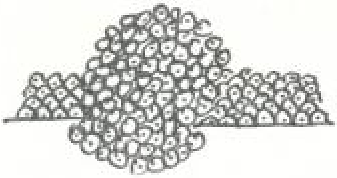
وبتكون غشاء البشرة الذى يغلف سطح الجلد والفراغات المتصلة بالخارج اتصالا مباشرا كالغشاء المبطن للفم او المهبل ـ تتكون البشرة في هذه الحالات من عدة طبقات من الخلايا متراصة في صفوف افقية تتوازى مع السطح الخارجي للغشاء، وتتميز هذه الصفوف من الخلايا بخلايا قاعدية او عميقة تكون الطبقة المولدة لخلايا البشرة وخلايا متوسطة وخلايا سطحية ـ ويكبر عمر الخلية كلما اتجهنا من القاعدة الى السطح فالخلايا السطحية هى اكبر عمرا . وعندما تصل الى حد معين من العمر تموت وتنفصل وتتطاير في الهواء ، في حالات



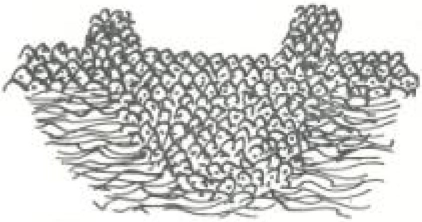
التركيب الطبيعي لبشرة الجلد .

الخلايا الجلدية ، أو تتطاير في الفراغات التى تبطنها كما هو الحال في الفم أو المهبل . وعلى ذلك فالسائل الموجود طبيعيا في الفم أو المهبل يحتوى دائما على خلايا تساقطت من الطبقة السطحية لخلايا البشرة التى تبطن هذه الفراغات وتتساقط هذه الخلايا في السائل الذى يحتويه الفراغ عندما تنتهى مهمتها وتموت شكل (١) .

ولما كان تطاير هذه الخلايا السطحية يحدث بشكل مستمر في كل انسان من ولادته الى مماته ، كان لا بد من وجود تكاثر مستمر من الخلايا التى تحتها لتحل محلها حتى تحفظ البشرة سمكها . فاذا كانت البشرة تتكون مثلا من عشرة صفوف افقية من الخلايا وجب عليها المحافظة على هذا العدد من الصفوف طوال الحياة ـ ويحدث ذلك بتوالد الخلايا المكونة للصف القاعدى بصفة مستمرة حتى اذا ما تطايرت خلايا الصف العاشر السطحى بقيت البشرة على سمكها من عشرة صفوف .



بدء تكوين السرطان بالجلد ، ويلاحظ أن خلايا السرطان اتجهت في نموها لسطح الجلد وكونت ورما عليه ، كما انها اخترقت غشاء ما تحت البشرة وهاجمت الانسجة تحت البشرة .



قرحة سرطانية نتجت من سقوط الخلايا السرطانية

الخلايا السرطانية

وفي الحالات الطبيعية تنقسم خلايا الصف القاعدى للبشرة بسرعة تتوافق مع سرعة تطاير الخلايا في الصف السطحى بحيث تبقى البشرة دائما على سمكها الطبيعى ـ اما في حالات السرطان فنجد أن خلايا الصف القاعدى للبشرة تتوالد بشكل أسرع من الطبيعى وبشكل جنونى يدعو الى زيادة سمك البشرة فنجد انه في نقطة ما من البشرة تكون الصفوف أكثر في العدد من الصفوف الطبيعية التى تحيط بها ـ ولكن ما هو الداعى لهذا الانقسام الجنونى في الخلايا القاعدية لخلايا البشرة ؟ السبب غير معروف بشكل مؤكد ولكنه ربما كان تنبيها ميكانيكيا من احتكاك مستمر أو من أثر مادة كيمائية تستعمل لمدة طويلة ، وربما كان التنبية ناتجا من وجود التهاب مزمن في هذه المنطقة ، وفي بعض الاحيان يكون التنبيه ناتجا من اثر مواد داخلية من الجسم كبعض الهرمونات التى تؤدى الى ذلك الانقسام السريع في الخلايا القاعدية لنسيج البشرة .

وهذا هو ما يحدث في السرطان ـ اذ ينتج عن تنبيه الخلايا لاحد هذه الاسباب أن تنقسم الخلايا القاعدية لنسيج البشرة بشكل سريع جنونى ـ وماذا ينتج ذلك الانقسام الجنونى الزائد عن الحد والحاجة ؟ ـ تزداد من الطبيعى سمك البشرة لزيادة عدد الصفوف من خلاياها ولا تتمكن الأوعية الدموية التى تغذى البشرة من تغذية هذا العدد من الخلايا فتموت الخلايا السرطانية الزائدة وتنفصل عن البشرة تاركةوراءها منطقة غائرة في البشرة تعرف بالقرحة السرطانية. ويحدث كذلك من كثرة انقسام الصف القاعدى لخلايا البشرة أن تتجه هذه الخلايا السرطانية الى الداخل بدلا من أن تتجه للخارج في الحالات

الطبيعية . ففي الحالات الطبيعية تتجه خلايا الصف القاعدي للبشرة بعد انقسامها للخارج لتحل محل الخلايا السطحية المتطايرة ـ وفي هذه الحالات الطبيعية يفصل غشاء البشرة عن الانسجة التي تحتها منطقة ما تحت البشرة ، ولا يمكن في الاحوال الطبيعية لخلايا الصف القاعدي للبشرة ان تنفذ خلايا منطقة ما تحت البشرة لتغور وتهاجم الانسجة التي تحتها . ولكن في حالات السرطان ، ومن سرعة انقسام الخلايا في هذه الحالات ، نجد ان خلايا الصف القاعدي للبشرة تجتاز حدودها وتنفذ خلال منطقة ما تحت البشرة لتهاجم وتحتل الانسجة التي تحتها وهذه ظاهرة لا تحدث الا في الانقسام السرطاني . واذا ما وصلت الخلايا السرطانية الى ما تحت البشرة والى الانسجة التي تحتها نجد انها تزداد شراهة وانقساما ويمكنها أن تمتد في الانسجة بعد ذلك حتى تاكلها وتحل محلها ـ ففي جدار المعدة مثلا نجد أن خلايا السرطان في غشائها البشري يمكنها ان تتكاثر في اتجاه فراغ المعدة وتكون قرحة سرطانية كما ذكرنا كما يمكنها أن تتجه داخل جدار المعدة الى ما تحت البشرة وما تحتها من انسجة لتاكلها وتحل محلها وحتى يمكنها اختراق كل جدار المعدة لتظهر على السطح الخارجي للمعدة شكل (٢) وشكل (٣).

وفي التحام خلايا السرطان للانسجة ما تحت البشرة وما تحتها نجد انها تاكل جدار الأوعية الليمفاوية والأوعية الدموية التي تغذي المنطقة وتدخل في تيار الليمف أو الدم وتبقى حية فيه ، وينقلها السائل الليمفي الى الغدد الليمفاوية القريبة من المنطقة كما يمكن ان ينقلها السائل الدموي الى أعضاء أخرى بعيدة كل البعد عن المكان الذي نشأت فيه أصلا .

مراحل السرطان

وعلى ذلك فيمكن مما سبق أن نقول ان السرطان ما هو الا انقسام سريع وجشع في الخلايا القاعدية لغشاء البشرة الذي يغطي السطح الخارجي للجلد او يبطن السطح الداخلي لأي فراغ في الجسم ويمكن كذلك أن نقول ان هذا الانقسام يمر بالمراحل التالية : ـ

اولا ـ مرحلة ازدياد سمك خلايا البشرة بزيادة عدد الصفوف المميزة للبشرة في هذا الجزء من الجسم .

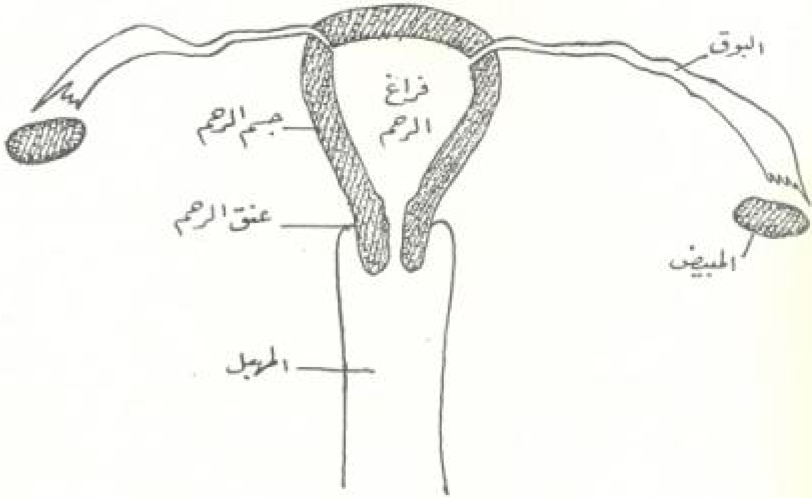
ثانيا ـ انفصال الخلايا السرطانية السطحية في غشاء البشرة لتترك فراغا يعرف بالقرحة السرطانية .

ثالثا ـ اختراق الغشاء تحت البشرة ومهاجمة الانسجة الداخلية او في جدار الفراغات الداخلية للجسم .

رابعا ـ اختراق الأوعية الليمفاوية والسريان مع تيار السائل الليمفي لتستقر خلايا السرطان وتنمو في الغدد الليمفاوية .

خامسا ـ اختراق الأوعية الدموية والسريان مع تيار الدم لتستقر خلايا السرطان وتنمو في انسجة واعضاء بعيدة كل البعد عن مكان نشأتها ـ فقد تستقر الخلايا في الكبد او المخ او الرئتين او غيرها من الاعضاء الحيوية ، وهناك تنمو خلايا السرطان وتاكل الخلايا الاصلية للعضو الذي تهاجمه وتكون اوراما سرطانية في هذه الأعضاء البعيدة وتسمى هذه بالأورام السرطانية الثانوية.

وليس من الضروري أن تتبع كل حالات السرطان هذه المراحل الخمس بهذا الترتيب ، ففي بعض الحالات نجد مثلا أن السرطان يمتد الى الداخل خلال ما تحت البشرة قبل ان يمتد للخارج تجاه السطح الخارجي للبشرة ، كما انه في بعض الحالات النادرة نجد ان خلايا السرطان تنفذ خلال الأوعية الدموية والأوعية الليمفاوية لتكون سرطانات ثانوية قد تكبر وتكون المشكلة الرئيسية للمريض دون أن يشكو من اي اعراض توجه انتباهه للسرطان الأصلي. فمن المعروف مثلا ان سرطان المرارة الصفراوية او سرطان المعدة أو سرطان الثدي في النساء قد يؤدي الى اورام سرطانية كبيرة في المبيضين تشكو منها المريضة قبل أن تشكو من اي اعراض يمكن ان



رسم تخطيطي للاعضاء التناسلية الداخلية في المرأة

تنتج من السرطان الاصلى في المرارة الصفراوية او المعدة او الثدى ، ولكن حدوث مثل هــــذه الحالات نادر وفي الحالات السرطانية في معظم المرضى نجد أن المريض يشكو من أعراض تنتج من وجود السرطان في مكان بدء تكوينه .

الرحم : هو العضو الاساسى فى الاعضاء التناسلية الداخلية للمرأة

وبعد هذه النبذة القصيرة عن ماهية السرطان يجدر بنا ان نعرف شيئا عن الرحم الطبيعى حتى يمكننا معرفة بعض الشيء عن سرطان الرحم . والرحم هو العضو الأساسي في الاعضاء التناسلية الداخلية للانثى . وتوجد هذه الأعضاء التناسلية الداخلية في المراة في الجزء الأسفل من البطن داخل فراغ الحوض العظمى .

وتتكون الاعضاء التناسلية الداخلية من مبيضين وبوقين ورحم ومهبل ، ويوجد كل مبيض على جانب الحوض ويمتد من جواره قناة طولها عشرة سنتيمترات تعرف بالبوق وينتهي كل بوق بان يفتح في فراغ الرحم . والرحم عبارة عن عضو عضلى اجوف يشبه في شكله وحجمه لمرة الكمثرى المتوسطة الحجم ، وتتجه قاعدته العريضة الى اعلا ويفتح فيها من كل ناحية البوق ، وتتجه قمته الرفيعة الى اسفل وتفتح في فراغ المهبل - والمهبل عبارة عن قناة طولها حوالى عشرة سنتيمترات تصل من عنق الرحم الى منطقة الفرج الخارجيــــة شكل (٤) .

ويبطن فراغ المهبل ، وفراغ الرحم ، وفراغ البوق ، غشاء تعرف طبقته السطحية التى تلامس الفراغ بالبشرة . وكما هو الحال في خلايا البشرة كما اوضحنا سابقا نجد أن هذه الخلايا في حالة تجدد مستمر من الخلايا القاعدية .

وكما قلنا ان الرحم كمثرى الشكل وعلى ذلك يقسم الرحم الى قسمين - القسم العريض العلوى ويشكل ثلثى العضو ويسمى جسم الرحم وفراغه هرمى الشكل ذو قاعدة علوية وقمة سفلية - اما القسم الضيق من الرحم الذى يكون ثلثه السفلى

فيسمى بعنق الرحم وفراغه عبارة عن قناة طولية أولها من أعلا هو قمة الفراغ الهرمى لجسم الرحم ، وآخرها من أسفل يفتح في فراغ المهبل . وطول قناة عنق الرحم حوالى ٢،٥ سم تقريبا في المرأة العادية اما طول فراغ الرحم فضعف ذلك اى حوالى ٥ سم تقريبا .

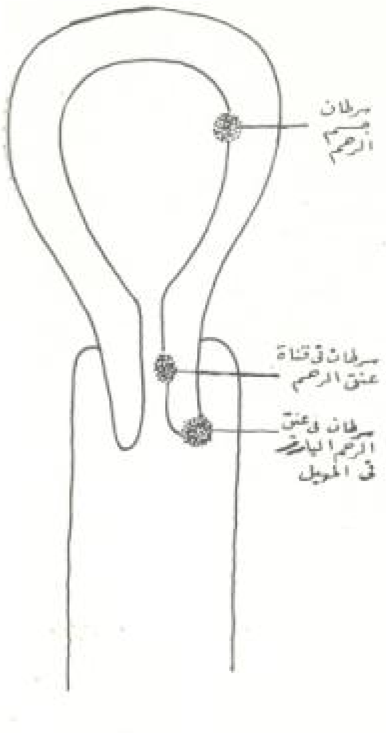
سرطان الرحم
نوعان أساسيان

واذا ما تناولنا بعد تلك المقدمة موضوع سرطان الرحم أمكننا تمييز نوعين أساسيين من سرطان الرحم ـ سرطان جسم الرحم الذى ينشأ في الغشاء المبطن لفراغ الرحم ، وسرطان عنق الرحم ـ وهذان النوعان من السرطان متباينان ولو انهما ينشآن كلاهما في الرحم الا أن كلا منهما مرض قائم بذاته وله مميزات خاصة بعيدة كل البعد من النوع الآخر . شكل (٥) .

وسرطان عنق الرحم أكثر حدوثا من سرطان جسم الرحم اذ انه يكون أكثر من ثلاثة أرباع حالات سرطان الرحم . وينشأ سرطان عنق الرحم في الخلايا القاعدية لنسيج البشرة الذى يغطى الجزء البارز من عنق الرحم في المهبل أو في الخلايا البشرية المبطنة لقناة عنق الرحم .

سرطان عنق الرحم

ويحدث سرطان عنق الرحم عادة في السيدات في العقد الرابع أو الخامس من العمر ولكنه قد يحدث نادرا قبل سن الثلاثين أو بعد سن الخمسين . وعادة يصيب السيدات اللاتى حملن ووضعن عدة مرات ، ولكنه نادرا ما يصيب السيدات اللاتى وضعن مرة واحدة أو اللاتى لم يضعن اطلاقا ، وفي الحالات النادرة جدا قد يصيب السيدات اللاتى لم يحملن أو حتى الفتيات اللاتى لم يتزوجن ـ ويعتبر الالتهاب المزمن لعنق الرحم من أهم العوامل التى تمهد الطريق لحدوث سرطان في عنق الرحم . ومن هنا نشأت أهمية الحزم



اماكن تكوين السرطان في الرحم

والتعجل في علاج كل حالات الالتهاب المزمن في عنق الرحم لاجتناب حدوث سرطان به ـ كما أن وجود أجسام غريبة ملامسة لعنق الرحم مدة طويلة قد يؤدى الى تهيج مستمر في خلايا البشرة المغلفة أو المبطنة لعنق الرحم مما قد يمهد الطريق لحدوث سرطان به . وكثر القول عن علاقة أقراص منع الحمل وسرطان الرحم ولكن لا يمكن الجزم بوجود علاقة مباشرة ـ غير أن أقراص منع الحمل قد تجعل علاج الالتهاب المزمن في عنق الرحم عسيرا ، ومن المعروف أن الالتهاب المزمن بعنق الرحم اذا لم يعالج بشكل حازم وفعال فانه قد يمهد الطريق لحدوث سرطان الرحم .

أعراض سرطان عنق الرحم

واول ما تشكو منه السيدة في حالات سرطان عنق الرحم هو حدوث افراز مدمم غير طبيعي فتلاحظ عادة نزول بضع نقط من الدم بعد ملامسة عنق الرحم سواء كانت هذه الملامسة ناتجة من الجماع أو بعد فحص مهبلي او بعد عمل غسيل المهبل ــ وهذه الظاهرة تعتبر أول ظواهر المرض ويجب في حد ذاتها ان تدفع السيدة لمراجعة طبيبها لاستبعاد وجود سرطان بعنق الرحم بها . ولست اعني بذلك أن وجود افراز مدمم بعد ملامسة عنق الرحم يعني دائما وجود سرطان به ــ اذ قد يحدث ذلك في حالات الالتهاب المزمن الشديدة المصحوبة بقرحة في عنق الرحم . ولكن هذا المرض يجب دائما ان يضع المريضة وطبيبها في موضع الشك والحذر الى ان يثبت عدم وجود سرطان بعنق الرحم .

واذا ما تقدم المرض نجد ان الافراز المدمم يصبح مستمرا سواء حدثت ملامسة أم لا ، اذ ان الخلايا السرطانية كما سبق أن أوضحنا تنفصل من النسيج الذى نشأت فيه وتكون قرحة سرطانية تدمى من قاعدتها وحوافها وتكون معرضة للالتهاب بسهولة لان خلايا السرطان لا يمكنها مقاومة ميكروبات الالتهاب فينتج عن ذلك وجود افراز مدمم باستمرار . وقد يكون له رائحة كريهة من آثار الالتهاب الموجود في مكان السرطان .

ومن الواضح أن الادماء الاولى في حالات السرطان في عنق الرحم الذى يحدث عادة بعد الملامسة ، وأن الافراز المدمم الذى يحدث بعد ذلك ليست لهما اية علاقة بالادماء الحيضي ، فقد يحدثان في اى وقت من الدورة الطمثية اى قبل الحيض او بعده ، كما أنهما قد يحدثان احيانا بعد انقطاع الحيض اذا ما أصاب المرض السيدة في سن اليأس بعد أن يكون حيضها قد توقف .

الألم ليس من الامراض الهامة

ولا يعتبر الألم عرضا مهما في حالات سرطان عنق الرحم اذ انه لا يظهر الا اذا انتشر السرطان خارج نطاق عنق الرحم اللهم الا اذا شكت المريضة من الم احتقانى ناتج من الالتهاب الذى يصاحب هذه الحالات ــ اما الآلام المميزة لسرطان عنق الرحم فهى آلام عميقة مستمرة في الحوض وتنتج من انتشار المرض لاعصاب الحوض . كما تشكو المريضة من آلام في الرجلين لاتصال اعصاب الحوض بأعصاب الرجلين . وأحيانا تشكو المريضة في الحالات المتقدمة من آلام في التبول أو التبرز ناتجة من انتشار المرض للمثانة أو المستقيم. وفي الحالات المتقدمة جدا تشكو المريضة من اعراض ناتجة من وصول المرض للمثانة والمستقيم فيؤدى ذلك الى حدوث فتحات بين هذه الأعضاء وبين قمة المهبل ويسيل البول أو البراز أو الاثنين معا من المهبل ، وتسمى هذه الحالات بالنواسير البولية المهبلية أو الشرجية المهبلية ــ واذا ما انتشر المرض عن طريق الدم الى اعضاء بعيدة فقد يظهر على المريضة علامات الصفراء اذا ما وصل للكبد ، أو قد تسعل دما اذا ما وصل المرض للرئتين ، أو قد تشكو من صداع مستمر اذا ما وصل المرض للمخ .

ولكننا قلما نصادف هذه الحالات المتقدمة اذ عادة تموت المريضة قبل انتشار المرض لأعضاء بعيدة عن الحوض . وتحدث الوفاة في معظم الحالات بعد سنة أو سنتين من بدء المرض وتنتج من انتشار المرض في الأنسجة حول عنق الرحم حيث يوجد الحالبان اللذان يوصلان البول من الكليتين للمثانة ، فاذا ما هاجم سرطان عنق الرحم الحالبين أدى ذلك الى حدوث انسدادات والتهات فيهما ويصعد هذا الالتهاب للكلى وتموت المريضة من هبوط وظائف الكلى .

العلاج

واذا ما امتد سرطان عنق الرحم الى الأعضاء البعيدة كالكبد والرئتين والمخ اصبح علاجه مستحيلا وتعطى المريضة مسكنات الى أن ينتهى اجلها ــ اما في الحالات التى يكون امتداده فيها مقصورا على

الاعضاء الحوضية كالمثانة والمستقيم فيمكن اجراء عملية لاستئصال كل الاعضاء الحوضية ولكن العملية كبيرة والنتائج تكاد تكون معدومة . ومن حسن الحظ أن هذه الحالات المتقدمة اصبحت نادرة في السنوات الاخيرة لتقدم الوعى الصحى ولتطور وسائل تشخيص المرض . فمعظم الحالات التى نقابلها هذه الايام يكون السرطان فيها ما زال في أنسجة عنق الرحم دون أن يمتد خارجها . وهذه هى الحالات التى تشكو فيها المريضة من الافرازات ، المدممة ، ويمكن علاج هذه الحالات للتاكد من تشخيصها باجراء عملية جراحيـــة او بالراديوم والاشــعاعات العميقة . ونســبة الشفاء في هذه الحالات قد تصل الى خمســين بالمائة وتعتبر المريضة انها شفيت من المــرض اذا ما بقيت خمس سنوات بعد العلاج دون ظهور اعراض تشير الى رجوع المرض .

واحسن النتائج في علاج سرطان عنق الرحـــم نحصل عليها في الحالات المبكرة التى تكون فيهـا التغيرات السرطانية لم تتعد خلايا البشرة التى تغطى عنق الرحم أو تبطن قناته . وفي هذه الحالات تكون الخلايا السرطانية في البشرة فقط وتشكو المريضة من افراز مدمم بعد الجماع . ويمكــن علاجها بالراديوم أو باستئصال الرحم بعملية بسيطة ونسبة الشفاء في هذه الحالات قد تصل الى خمسة وسبعين في المائة .

اجراءات وقائية

وفي السنين الاخيرة امكن نقل سرطان عنق الرحم الى قائمة الأمراض الوقائيـــة في بعض البلدان المتقدمة في خدماتها الطبية . ومن السهل الوصول الى نفس المستوى في بلادنا بتوسيع نطاق التوعية وتعميقها بالنسبة للسيدات في هذا المجال فبعلاج كل حالات الالتهاب المزمن في عنق الرحم علاجا فعالا وحاسما يمكن تجنب حالات عديدة كان يمكن ان يحدث بها سرطان بعنق الرحم لو اهمل عـــلاج الالتهاب الموجود فيه . كما انه بفحص خـــلايا السائل المهبلى في كل سيدة كل ستة شهور حتى لو لم تكن تشكو من أى أعراض ـ يمكن اكتشاف الخلايا السرطانية المتطايرة من البشرة التى تغطى عنق الرحم لانه كما سبق أن بينا ان خلايا البشرة في اى مكان دائمة التجديد بتطاير الخلايا السطحية واحلال خلايا جديدة بدلا منها من الطبقة القاعدية للبشرة ، وعلى ذلك فبسائل المهبل دائمة خلايا بشرية متطايرة فاذا ما بدات خلايا البشرة في الانقسام السرطانى امكن اكتشافها بفحص الخلايا الموجودة في سائل المهبل ـ وفحص خلايا السائل المهبلى فحصا بسيطا تظهر نتيجته في وقت قصير وتظهر خلايا السرطان قبل ان تشكو المريضة من اى اعراض ناتجة عن المرض الخبيث .

وفي الخلاصة يمكننا الجزم بانه بفحص خلايا السائل المهبلى لكل سيدة كل ستة شهور بانتظام يمكن تشخيص سرطان الرحم في بدء تكوينه عندما يكون علاجه بسيطا لا يتعدى عملية يستاصل فيها عنق الرحم وتكون نسبة الشفاء في هذه الحالات حوالى تسعين بالمائة والعشرة بالمائة الباقية التى لا تشفى بهذه العملية هى الحالات التى تكون الخلايا السرطانية قد امتدت داخل انسجة الرحم مع امتدادها تجاه السطح الخارجى للبشرة لتتطاير وتظهر في السائل المهبلى .

ومما سبق يتضح الاهمية القصوى لكل سيدة في ان تعرض نفسها على اخصائى الامراض النسائية مرة كل ستة شهور بانتظام لفحص خلايا السائل المهبلى وفحص اعضائها التناسلية وعلاج اى التهاب في عنق الرحم . ولعلاج اى سرطان في عنق الرحم في بدء تكوينه قبل ان يؤدى الى اىاعراض. وعندها تكون نتائج العلاج مضمونة وبذلك يمكننا اعتبار سرطان عنق الرحم مرضا يمكن اجتنابه بتوعية السيدات لذلك الفحص الدورى المنتظم كل ستة شهور .

سرطان جسم الرحم

والنوع الثانى من سرطان الرحم هو سرطـان جسم الرحم وهو اقل شيوعا من سرطان عنق الرحم

وينشأ في الخلايا البشرية التى تبطن فراغ الرحم ـ ويكثر حدوث سرطان جسم الرحم في السيدات في العقدين الخامس والسادس ويندر أن يحدث قبل سن الاربعين او بعد سن الستين ولكنه يمكن أن يحدث في الاحوال النادرة جدا في صغيرات السن أو المتقدمات في السن .

ومعظم حالات سرطان جسم الرحم تحدث في السيدات اللاتى لم ينجبن اطفالا ، او اللاتى انجبن طفلا او طفلين من عدة سنوات ، وهناك علاقة واضحة بين ذلك المرض وبين السمنة ، والاصابة بمرض البول السكرى ، وارتفاع ضغط الدم ، فبعض حالاته تظهر في السيدات البدينات اللاتى يشكين من ارتفاع في ضغط الدم ومن ارتفاع نسبة السكر في الدم .

وسرطان جسم الرحم بطىء في تقدمه وانتشاره اذا ما قورن بسرطان عنق الرحم . فيكون أولا ورما صغيرا في الغشاء المبطن للرحم لا يلبث أن يتفصل مكونا قرحة سرطانية ولكنه لا يمتد خارج الرحم بسهولة لسمك جدار الرحم فلا يصل الى الاعضاء خارج الرحم الا بعد فترة طويلة . ولكنه يمكن أن ينتشر عن طريق الاوعية الليمفاوية في البطن ، كما يمكنه ان ينتشر عن طريق الأوعية الدموية للكبد والرئتين والمخ . ولو ان كل هذه الانتشارات لا تظهر الا في الحالات المتقدمة جدا في المرض .

نزف غير منتظم

وأول ما تشكو منه المريضة في حالات سرطان جسم الرحم هو النزف غير المنتظم . فاذا كانت المريضة لا تزال في سن الحيض تجد أن النزف الحيضي يزداد في كميته ، كما أنها تلاحظ حدوث نزف في غير أوقات الحيض . واذا كانت المريضة قد قطعت الحيض ودخلت في دور سن الياس أو الشيخوخة الجنسية فانها تلاحظ ان النزف الرحمى قد عاودها بعد انقطاع ربما كان قد دام عدة سنوات .

ولا تشكو المريضة عادة من آلام الا أحيانا من الام تقلصية تشبه الام العادة الشهرية ، ويندر ان تشكو من آلام مبرحة مستديمة في الحالات المتقدمة التى يكون المرض قد انتشر خارج الرحم، ولا يحدث ذلك الا بعد فترة طويلة بسبب سمك الجدار العضلى للرحم كما قدمنا .

فاذا ما لاحظت السيدة نزفا غير حيضي ، او نزفا بعد انقطاع الحيض في سن الياس ، وجب عليها استشارة الطبيب الاخصائى للفحص وعمل الابحاث اللازمة لاستبعاد وجود سرطان بجسم الرحم ، ويتوقف التشخيص النهائى في تلك الحالات على اجراء عملية كحت لجدار الرحم وفحصها للبحث عن وجود خلايا سرطانية في الانسجة التى تم كحتها من جدار الرحم .

العلاج

وعلاج حالات سرطان جسم الرحم اسهل بكثير من علاج حالات سرطان عنق الرحم ، اذ أنه يعالج عادة بعملية استئصال شاملة للرحم وما يتعلق به من بوقين ومبيضين . وبعض الحالات يمكن علاجها بالراديوم . وفي معظم الحالات يلزم اكمال العلاج بالاشعة العميقة . ونسبة الشفاء في حالات سرطان جسم الرحم عموما تصل الى أكثر من خمسين بالمائة .

وبالرغم من أن سرطان جسم الرحم لم ينتقل للآن الى الامراض الوقائية التى يمكن توقيها بطرق الفحص العادية الا أنه مرض من السهل تشخيصه في الحالات المبكرة اذا ما لجأت السيدة للطبيب عند حدوث نزف غير عادى وخاصة اذا بدأ النزف بعد انقطاع العادة في سن الياس . وتشخيص المرض من الأمور السهلة وعلاجه في حالاته المبكرة يكاد يكون مضمونا . ■■

احمد نعيم

السُّلطَان عَبد الحَميد

طَاغية وليسَ خَليفة

بقلم : عبد الله احمد حسين

■ قرأت في العدد التاسع والستين بعد المائة من مجلة العربى مقالا للاستاذ سعيد الافغانى بعنوان « سبب خلع السلطان عبد الحميد » ولفت نظرى أن الاستاذ حاول ان يطلع على الشعب العربى بوثيقة بتوقيع السلطان تظهره بطلا في المحافظة على فلسطين ، ويحاول الاستاذ أن يستدل من هذه الوثيقة على أن السبب المباشر لخلع السلطان انما كان رفضه أن يسلم لزعماء الصهيونية بفلسطين . كما أن الاستاذ الافغانى عرّج على ذوح اليقظة العربية التى برزت أمام طغيان الاتراك العثمانيين، والتى جعلت الشباب العرب يرفعون راية التحرر العربى ، ويحاولون ان يناضلوا لاعادة مجد الامة العربية ، فوصفها بأنها عدوى « بالتحسس القومى الذى كان الاجانب يؤزلونه حيث لا يشعر بهم ، وكانت الارساليات الاجنبية ومدارسهاوالقنصليات تنفخ في رماد هذا الوعى القومى .. الخ » !وافاض الاستاذ الافغانى في وصف عبقرية السلطان عبد الحميد وتفرده حتى جعل امبراطوريته متخلفة عنه ، ودافع عن عهده واستبداده الى حد ادانته للدستور الذى يعطى الشعب حقه في الحياة .

لا شك أن الاستاذ الافغانى بذل جهدا في اعداد المقال يشكر عليه ، الا ان المقال هذا والامة العربية تخوض معركة التشكيك والحرب المعلنة عليها فكريا وعقائديا ، لا يجوز أن يمر دون ان يحاول اى مفكر عربى حر أن يناقشه مع الاستاذ املا في الوصول الى الحقيقة ، خاصة وقد نشر في مجلة واسعة الانتشار ولها قيمتها العلمية كمجلة العربى .

احب ان اتحدث اولا عن السلطان عبد الحميد ونشأته وحكمه لكى نصل الى مدى مطابقة الواقع لما ذكره الاستاذ الافغانى عنه ، وهل يروى التاريخ الصحيح من سيرة السلطان ما ينسجم والوصف الذى اسبغه عليه كاتب المقال ؟ وهل أن الخلع جاء لان السلطان رفض ان يسلم فلسطين لليهود ام لاسباب غير هذا السبب .

لنبدأ مع السلطان منذ أيام طفولته الاولى . فاذا تركنا ما كان يتردد في ابهاء قصور آل عثمان عن الفتى عبد الحميد من اخبار متناقضة عن صحة نسبه استنادا الى علامات فارقة والى اسارير وجهه وما يلفظ به اولئك المقربون من دائرة والده السلطان عبد المجيد (١) فلا يجوز أن نترك تصرفاته الغريبة والتى كان يختلف بها اختلافا كبيرا عن اخيه الذى سبقه الى العرش وهو السلطان مراد وبقية اخوته الذين نشأوا معه في القصر .

(١) — عصر السلطان عبد الحميد دائرة في الاقطار العربية



الشعور القومي شعور نبيل وأصيل وليس عدوى من الصهيونية والاستعمار

فقد روى أن والده السلطان عبد المجيد كان يكرهه كرها شديدا ، وكان يتصرف مع اخوته تصرفات غريبة تصل احيانا الى الاقدام على السرقة (٢) .

وكان الفتى عبد الحميد نتيجة الغربة النفسية التى كان يحياها يفكر في الانتقام ، ويحقد حقدا غريبا لا يجول في نفس طفل في سنه ، وكانت لديه رغبة في البطش نتيجة لهذا الحقد تلفت نظر من حوله . وهذه طفولة حاقدة متحفزة عاشها الفتى عبد الحميد طبعت حياته المقبلة على العنف والكيد والاستبداد . ولم يكن يتورع أيام حكم عمه السلطان عبد العزيز عن التجسس على أخيه ولى العهد يوم ذاك الامير مراد(٣) .

وعندما وُلّي السلطة اخوه الامير مراد واصيب بخلل عقلى جعل من السهل التطويح به كان يجلس في اجتماع خاص مع سفيرى انكلترة والنمسا حين كانت اجراءات الخلع تجرى في مكان مجاور وكان هذان السفيران قد اشارا بوجوب تنحية السلطان مراد في أسبوع الخلع عينه ، وما كان خلع السلطان مراد حاجة ملحة الا لأن له ميولا دستورية وكان يبدو عليه أنه سلطان اصلاحى وأن عارض المرض كان مرشحا للزوال ، وقد تبين فعلا انه شفى تماما خلال حياة السجن التى عاشها تحت بطش اخيه وظلمه .

وتذكر المصادر ان الشعب تلقى خبر ارتقاء عبد الحميد العرش العثمانى بصمت عميق لانه كان عالما بما سيتم (٤) . وعلى هذا الاساس فان طفولة عبد الحميد ونشأته وظروف هذه النشأة تكاد توحى بما سيئول اليه مصير الشعب تحت حكمه ، كما ان اجتماعه بسفيرى انكلترة والنمسا اثناء عزل اخيه لا يوحى بأن تصرفاته المقبلة ستكون مستقلة عن مشورة السفراء الاجانب ، كما أن عدم استبشار الشعب بقدوم عهده لا يدل على أن معلومات الشعب عنه تزكيه ، وانه لا ينتظر من هذا العهد ما يوحى بالثقة والاطمئنان . وقد حدث هذا قبل أن يتصل به عملاء الصهيونية ومن

---

(٢) ـ نفس المصدر .

(٣) ـ نفس المصدر .

(٤) ـ نفس المصدر .

ثم فان السلطان كان مرشحا للخلع شعبيا قبل ان يعارض في انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ان قام فعلا بهذه المعارضة . ولم يكن الشعب وحده يتوقع سوء العاقبة من حكم السلطان عبد الحميد وانما كان الساسة المجربون يحملون نفس الشعور ، فقد ذكر ان الصدر الاعظم محمد رشدي باشا كان يجلس الى جوار مدحت باشا رجل الدستور والحرية (٥) يوم ولي عبد الحميد الخلافة فلما التفت اليه يريد ان يحدثه في امر ما وجد الدموع في عينيه فلما ساله عما يبكيه اجابه ان قلبه يحدثه بان عبد الحميد سوف يقضي على الساسة وعلى الدولة ولما سمع الصدر الاعظم هذا بكى هو ايضا تأثرا .

فعبد الحميد اذن مرشح للخلع منذ ان تولى السلطة ، مرشح لذلك بحكم نشأته وظروف حياته الاولى منذ ايام صباه ، مرشح لذلك من نظرة الشعب اليه وتوقعاته لما سيحدثه ، ومرشح لذلك في نظر الساسة الذين قيض لهم ان يعرفوه عن كثب. وقد سار السلطان على اسلوب استبدادي ولم يلغ الدستور (٦) لانه يريد ان يسلك طريق الشريعة الاسلامية ، وانما لانه ضاق صدرا بوقوف النواب في المجلس يهاجمون قواد جيشه ورجال حكومته لانهم جميعا اثبتوا بشهادة الاتراك انفسهم الاهمال الذى وصل الى حد الخيانة . حتى لقد كان بعضهم يدس على بعض خلال معاركهم مع الروس وكانت فضائحهم تزكم الانوف حتى اهدوا الروس نصرا رخيصا ضد امبراطورية آل عثمان .

الغى السلطان عبد الحميد الدستور وسار سيرة استبدادية وساءت حالة الحكم بسبب ذلك وتعرض الناس للظلم والعنت والحرمان ، وساد الفساد وحرمت الجماهير من اى نوع من انواع الحرية ، وقد ثارت ثائرة احرار البلاد والتابعين من شعوب الامبراطورية من ترك وغير ترك (٧) حتى تمرد الجيش فاضطر السلطان المستبد الى اعادة الدستور .

ولم يترك السلطان عبد الحميد هذه العودة الحميدة تاخذ طريقها وتقبل الدولة على عهد جديد من الحرية الدستورية والمساواة ، وانما حاول في اواخر مارس من عام ١٩٠٩ « ان يلغى الدستور ثانية فحرك بعض المشايخ والدراويش (٨) وأثار فتنة في العاصمة بحجة العدوان على مقام الخلافة العظمى . وكان ابرز الذين تزعموا الحركة شيخ اسمه درويش وحدتى استطاع ان يغرى من التف حوله من المشايخ ورجال الدين والطرق وبعض طوائف الجند والضباط وجعلهم يطلقون شعار « الشريعة المحمدية بدلا من الدستور»وقد حاصروا مجلس النواب والباب العالى » .

فالسلطان لم يكن مع الدين وانما استغل قوما ينتحلون لانفسهم صفة رجال الدين لا ليقيم حكم الشريعة وانما ليهدم حكم الشعب ، ولم يكن حكم الشريعة الصحيح في يوم من الأيام الا حكم الشعب.

ان حكم الشريعة ينص على أن النفس البشرية لا تزهق الا بحق ، واذا كان عهد عبد الحميد يمتاز بصفة خاصة انه العهد الذى يعدم فيه الكثيرون بدون محاكمة فهل يمكن ان يسمى حكمه حكم شريعة بالرغم من ان اسلافه كانت عهودهم لا تخلو ايضا من ازهاق النفوس (٩) ؟ . واذا كانت الشريعة تنهى عن التجسس فهل نسمى حكما يعتمد على تقارير الجواسيس لاعدام الابرياء انه حكم شريعة ؟.

ان دائرة راغب باشا وما كان يجرى فيها من ظلم وتعذيب وما يسمع فيها من انات المعذبين شاهد على أن الاسلام برىء من حكم عبد الحميد وأن الاسلام السمح القائمة رسالته على العدل لا يمكن ان يكون هو الدستور الذى يعمل السلطان عبد الحميد بهديه . والى جانب هذا الظلم الذى كان يصبه السلطان على الشعب ، كان متهاونا في أمر الدولة ، وكان منشغلا في مواجهة الاخطار التى تهدد الامبراطورية بتدبير المؤامرات للقضاء على الاحرار الشرفاء .

وكان خلال الحرب الروسية ـ التركية ينام على الدمقس والحرير في قصر يلدز بينما كان القيصر الروسي ينتقل بين مواقع جنوده يشجعهم

---

(٥) ـ نفس المصدر .
(٦) ـ نشأة الحركة العربية الحديثة (ص. ٧٨
(٧) ـ نفس المصدر (ص. ١٠٦) .
(٨) ـ سورية والعهد العثماني ـ يوسف الحكيم(ص. ٣١)
(٩) ـ نفس المصدر .

وينفث روح الحمية فيهم مكشوفا للبرد والمطر .

ولقد اقصى السلطان مدحت باشا بطل الدستور لا لانه يريد ان يحكم بالشريعة وانما لانه يريد ان يستبد ولان اخته السلطانة جميلة تلقت عشرين الف ليرة من السفير الروسي ثمنا لراس مدحت باشا(١٠) .

اما القول بان السلطان كان يحب العرب ويقربهم اليه فانه قول لا يقوم على اساس ، فلم نسمع عن صدر اعظم كان عربيا ، وكان العرب يقتلون في حروب آل عثمان ومع ذلك فان القيادة دائما بايدى الأتراك .

اما ان يقرب السلطان بعض العناصر العربية لحاجات اخرى فهذه مسالة فعلها خلفاء وملوك وحكام العالم وفي ظروف تاريخية مختلفة وكثيرا ما يقرب الحكام الغرباء لمجرد شكهم فيمن حولهم فيجعلون منهم حراسا ويجعلون منهم وزراء في بعض الأحيان ولم يحظ العرب من السلطان حتى بالنصيب الذى حظى به الفرس في العهد العباسي وغيرهم عندما كانت الدويلات الهزيلة تحكم الاندلس . . وكان العنصر التركى صاحب النصيب الاكبر في الوظائف الرئيسية في البلاد العربية وغيرها(١١) .

ولم يحفظ هذا السلطان الدولة من عبث صهره الداماد محمود جلال الدين باشا الذى كان يلاحق الأحرار ويعيث في امور الدولة فسادا (١٢) ولم يكن خافيا على الناس صلته بالاميرال هوبارت باشا الذى التحق بخدمة الاسطول العثماني والذى كان همزة الوصل دائما بين السلطان والسفارة البريطانية .

ومجمل القول اذن ان السلطان لم يعزل لانه رفض الموافقة على اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين بل لانه كان مرشحا للعزل منذ صباه الباكر وقبل ان يلى السلطة وعندما وليها سار بطريق حتمى الى النهاية المنتظرة .

ولندخل الآن في مناقشة ما سمى بالرسالة التاريخية التى قيل ان السلطان عبد الحميد كتبها للشيخ ابى الشامات . يتبادر الى الذهن ان عبد الحميد الداهية المستبد والذى لم ياخذ بالشورى التى دعا اليها الاسلام سوف لا تكون له صلة باولئك الذين يفترض انهم حماة الاسلام . الا ان دهاء الرجل جعله يسلك كل طريق كما ان دهاء اولئك الذين يتظاهرون بالدين جعلهم يقتربون كثيرا منه ليحصلوا على بعض المغانم والأسلاب . وكما ان السلطان على قرب من السفير الروسي عن طريق شقيقته وزوجها، وقريبا من انكلترة عن طريق الاميرال هوبارت باشا كان على قرب ايضا من حفنة معينة من بعض رجال الدين عن طريق محاسيب وانصار له في القصر . وهذا يدل على دهاء لا مراء فيه ، الا انه لا يدل على اخلاص « لدولة الخلافة » .

ان السلطان ـ كما يقال ـ كتب الرسالة بلغة اهل الطريق ليضفى عليها مسحة من الصدق والبساطة كما انه كان فيها في منتهى التواضع الذى كان يكفيه بعضه وهو في السلطة ليحظى بمحبة شعبه .

وكان اظهر ما في الرسالة ما اشار اليه من امانة كان عليه ان يؤديها ، وتتلخص في انه يريد ان يقول للناس بانه اجبر على ترك «الخلافة» لان الاتحاديين اصروا بان يصادق على تاسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وانه لم يقبل بذلك الى اخر ما في هذه الرسالة من تفاصيل (١٣) .

وهنا ارغب في ان اطرح وجهة نظرى الخاصة ، وهى انى اشك في الأساس بصدق هذه الرسالة ، ولا أستبعد ان تكون موضوعة . ذلك ان عبدالحميد الذى قضى على مجلس النواب لمجرد ان بعض اعضائه طالبوا بمحاسبة بعض الوزراء والقادة في اعقاب فضيحة الحرب الروسية ـ العثمانية ، والذى كان يحقد على مدحت باشا ابى الدستور حتى اقصاه لانه كان السياسي الوحيد الذى يناقشه ويجادله ، لا يعقل ان يوطىء اكتافه لشيخ محسوب عليه الى حد استعداده لتقبيل يديه .

ثم لماذا لم يطرح عبد الحميد موضوع الوطن القومي اليهودى عندما اخذت الاتصالات مجراها معه؟وفي علمنا ان اولئك الذين يستمطرون الرحمات

---

(١٠) ـ نفس المصدر (ص. ٦١)

(١١) ـ عصر السلطان عبد الحميد دائرة الاقطار العربية (ص. ١٨٦)

(١٢) ـ نشأة الحركة العربية الحديثة (ص. ٢٠٧)

(١٣) ـ عصر السلطان عبد الحميد دائرة في الاقطار العربية .

على قبره كانوا يؤكدون بأن هذه الاتصالات كانت تجرى متقطعة وتثار بين وقت وآخر ». ولو أعلن السلطان هذا الأمر قبل خلعه لكان استفاد منه في توطيد مركزه ، وقد كان ـ رحمه الله ـ لا يتورع عن أي مسعى يؤدي الى هذا مهما كانت السبل المؤدية اليه .

ثم ان عبد الحميد عندما أرسل هذه الرسالة ـ ان كانت امانة مقدسة ـ فاخر بهاونشرها على الملأ لا ان يتركها محفوظة في جراب شيخ طريقة !!

ان ما أريد قوله ان لدي ما يشبه القناعة بأن موضوع الرسالة مجرد حديث خرافة ، وقد جاء بها في خضم النزاعات الايديولوجية أولئك الذين بداوا يحاربون اليقظة العربية عندما بدات تأخذ طريقها الى الذهنية العربية برغم النكسات والانحرافات .

لقد رفضنا جملة وتفصيلا تلك الرسالة فيما سبق من حديث ، ولكن لو اردنا ان نصدق جدلا ان السلطان عبد الحميد اقدم على ارسالها لصاحبه واستاذه ابي الشامات شيخ الطريقة الصوفية الشاذلية ، فهل يجوز الاعتقاد بأن السلطان ارسلها بصفاء نية ، وأن الامر لم يخرج عن كونه أمانة في عنق السلطان رأى أن يؤديها ؟! .

ان المتتبع لتصرفات السلطان واستغلاله كل سبيل يؤمن مصلحته لا يمكن أن يصدق ببساطة مثل هذا الزعم ، وانما السلطان المهزوز الخائف دائما على كرسي « الخلافة » أن يسحب من تحته قد يلجأ الى رجال الدين كما لجأ الى غيرهم ،ولم يغب عن الأذهان أنه سلط نفرا منهم للقضاء على الدستور وعلى الحياة الديمقراطية ، وكان في قصره جماعات مهياة لكل مناسبة من هذا القبيل (١٤).

اذن فالسلطان الذي لم يشر بشكل جدي الى المطالب الصهيونية خلال حكمه ، ولم يذع عنها شيئا ولم يفضح هذه المطالب ـ ان كانت فعلا قدمت اليه ـ أراد من موضوع الرسالة أن يكون مجال دعاية له ، وتعمد أن يضعها بيد رجل صوفي ، وشيخ طريقة لكي تذاع عن طريقه ، وبما ان الناس آنذاك كانوا يتأثرون كثيرا برجال الدين، وبما أن الموضوع يتعلق بفلسطين وبالقدس بالذات وهي بقعة مقدسة ، فان السلطان اراد ان يشر استاذه الموضوع بزخم ديني ان لم يعد السلطان الى الحكم فلاشك انه يخلق مشاكل جديدة لاعدائه، ولكن الشيخ الشاذلي لم يتنبه الى غاية سلطانه ، واعترته غفلة الصالحين فلم يصدع بما كان يريده عبد الحميد وهكذا لم تصل احبولة السلطان به الى غايتها .

انها احبولة سياسية لا تختلف اطلاقا عن أحابيل عبد الحميد الكثيرة التي كان ينصبها خلال حكمه الطويل واوقع بها خصومه الواحد بعد الآخر(١٥).

على اني اعتقد بأن هذه الرسالة ـ على الاغلب ـ من صنع أولئك الذين يريدون أن يعودوا بنا الى عهد الاستعمار التركي على أنه عهد خلافة لا عهد استعمار والذين أصبحوا يكتبون هذه الايام للتشكيك في التاريخ العربي الحديث ، ورجال اليقظة العربية ، ويحاولون أن يخلقوا في الذهنية نوعا من الارتداد الى تلك الخلفية المظلمة من عهد الاستعمار العثماني .

اما القول بأن السلطان عبد الحميد كان يهتم بالاقطار العربية فانه اهتمام لم يأت الا بعد ان تحررت دول البلقان جميعها من السيطرة العثمانية ولم يعد للعثمانيين من مورد ينهبون خزائنه الا الأقطار العربية حيث اصبحت موردا لجنود السلطان وخزينته ، وكان الفتيان العرب يقادون الى جبهات القتال من أجل ارضاء غرور السلطان التركي وكانوا يموتون ليعيش آل عثمان في القصور الفارهة .

بقيت نقطة لا بد من التعرض لها في المقال الآنف الذكر وهي قول الكاتب ان الشباب العرب « أعداهم التحسس القومي الذي كان الاجانب يؤرثونه من حيث لا يشعر بهم .. » فهل الشعور القومي مرض بحيث يعدي الشبان العرب ويأتيهم من الاجانب ؟ .. هل أن يقول العربي انه عربي وانه يجب أن يعمل على توحيد امته وأن يحررها من الاستعمار سواء أكان تركيا أم غير تركي ، هل هذا مرض تنتقل عدواه من الاجانب ؟ .. هل ان تكون لكل امة قومية وأرض وعلم امر مباح ودليل عافية ، واذا نادى بذلك العرب كان كفرا وخروجا على الدين وظاهرة مرض وعدوى داء خبيث !! .

ان القول بأن الدعوة القومية انما انبثقت من

(١٤) ـ عصر السلطان عبد الحميد دائرة في الاقطار العربية (ص ١٠٣)

(١٥) ـ مجلة العربي العدد (١٦٩)

الغرب وانه اريد منها هدم الدين ، وانها جاءت بدسائس الدول الغربية ليس بجديد ، فقد الغناء من اقلام كان دابها كبح جماح التحرر العربي ، واخماد روح اليقظة العربية ويلتقي عليه كل أعداء العروبة من اقصى اليمين الى اقصى اليسار .

ان شعور العرب بانهم امة واحدة لم يات بعدوى تحسس قومي اورثه الغرب لنا أيام الاستعمار العثماني ، ولم تدسه الصهيونية وانما كان العرب يحسون بانهم امة واحدة منذ الجاهلية الاولى .

ان عنترة بن شداد يقول :

لله در بني عبس لقـد نسلوا
من الاكارم ما لـم تنسـل العـرب

قال العرب ولم يقل عبس او ذبيان وحدد الامة ولم يحدد القبيلة .

وحارب العرب الفرس في ذى قـار كعـرب واحتشدوا لقتالهم كعرب وتحمس لهم من بالحجاز ومن بنجد حتى كان النبى الكريم يردد والعرب على مشارف الصراع « اللهم انصر شيبانا .. » وقال بعد نصر العرب « اليوم انتصف العرب من العجم » ، قال انتصف العرب وقالها بفخر صلى الله عليه وسلم ، وما حماس النبى الكريم لبنى قومه الا شعور قومى نبيل ، وقد تحمس وهو الحجازى الى ابناء قومه على ضفاف الخليـج العربى وجنوب العراق وتخطى حدود القبيلـة والاقليم ، وهل القومية الا تخطى هذه الحدود ؟ وعندما سئل الشاعر الجاهلى عنترة بن شـداد العبسي عن اى يوم من ايام العرب اسف لانه لم يشهده قال « كان يوم ذى قار » .

ان عنترة فاته كذا من الحروب ولكنه اسفلانه لم يشهد يوم ذى قار لانه قتال بين الامة العربية والامة الفارسية .

وجاء الاسلام فحفظ للامة العربية قدرها فكان نبى الاسلام عربيا وكان القرآن عربيا وكان الفتح وتبليغ الرسالة واجب العرب الاول .

وقال الرسول في حق العرب : « اذا ذل العرب ذل الاسلام»واكد على وجوب محبة العرب ، وجاء بعده الفاروق فاوصى بهم خيرا واكد على عماله وولاته الا يضربوا العرب فيجبنوهم وقال « ان العرب مادة الاسلام الاولى » .

ثم جاء بنو عبد شمس الأمجاد فوضعوا الراية العربية على جبين الدهر وكان خلفاؤهم يستقبلون في مجالسهم الشعراء العرب من مسلمين ومسيحيين لا يفرقون بينهم حتى كان الاخطل يقول :

هـذا ابن عمى في دمشـق خليفـة
لو شـئت سـاقكم الى قطينـا

بل ان العرب حتى في صـدر الاسلام كانوا يتعاملون مع اخوتهم المسيحيين بقيادة انس بن هلال التغلبى قائد الفرس وتم بعد ذلك سحق الجيش الفارسي . ولقاء العربى المسلم والعربى المسيحى ظاهرة قومية وحين يدعى لها اليـوم فلان لها جذورا من ايام الاسلام الاولى وقبل تلك الايام ايضا ، ومن ثم فان من الدس ان يقال بانها ظاهرة جديدة جاءت عن طريق الصهيونية والامم الغربية .

الى جانب ذلك فان الشعراء العـرب كانوا يعبّرون تعبيرا قوميا في كثير من اقوالهم ،والشعراء دائما مرآة الشعوب ، وكان هؤلاء الشعراء يؤكدون الروح القومية قبل ان نسمع عن مواقف صهيونية وغربية اعدتنا وايقظت « رماد الوعى القومى فينا» وقلبتنا على السلطان المسلم عبد الحميد خان .

فالمتنبى يقول :

وانمـا النـاس بالملـوك ولا
تصـلح عـرب ملوكها عجـم

ولا ادرى ان كان السلطان عبد الحميد عـربيا يفهم القرآن ، ويلم باحاديث النبى الكريم ، ويخطب ايام الجمع كخليفة للمسلمين باللغـة العربية لغة القرآن ، ام كان المتنبى مصـابا بالتحسس القومى الذى اعداه به الاجانب حتى قال ما قال ؟! .

وينشأ المتنبى بالكوفة ويقيم في حلب ، ويعبر لبنان ويلم بمصر فلا يقول انه اجنبى ولا يقول انه غريب ولكنه يرحل الى ايران ولا يكاد يقطع منه مسافة شبر حتى يتذكر وطنه العربى ، ويحن الى قومه العرب بالرغم من جمال المكان الذى هو فيه فيردد من قصيدة رائعة :

ولكـن الفتـى العـربى فيهـا
غـريب الوجـه واليـد واللسان

لقد حدد المتنبى الوطن العربى ولم ينس وهو يمتدح جمال قطر اجنبى ان يؤكد بانه قطع حدود الوطن العربى وهو الآن في بلد غريب ، فهل كان المتنبى خريج مدرسة يشرف على التعليم فيهـا الارساليات الأجنبية أم انه عربى يعرف حدود

وطنه ؟ وهل القومية العربية الا تحديد حدود الوطن العربي والايمان بان داخل تلك الحدود امة عربية واحدة ؟ .

ويقف الشعراء اجلالا لأبي نواس وهو يقرأ عليهم احدى روائعه ثم يسجدون فيغضب لذلك ويصيح بهم « أجعلتموها اعجمية ؟ » يشير بذلك ان من خصائص العرب الا يسجدوا الا لله . وهل القومية الا محافظة الامة العربية على خصائصها ؟ فهل ابو نواس من القوم اياهم الذين اعداهم التحسس القومي ؟! .

ان اولئك الذين يستشهدون بان العرب لم يكن لهم يوما شعور بانهم امة واحدة لأنهم يقاتل بعضهم بعضا في كثير من حقب التاريخ فانهم أن يستعرضوا تاريخ الشعوب الاخرى . ان العرب بالرغم من حروبهم كانوا يحسون بوطأة هذه الحرب على مشاعرهم القومية وكان الشاعر القديم يعبر عن وجهة النظر هذه حين يقول :

اذا اختصمت يوما وسالت دماؤها
تذكرت القربى فسالت دموعها

ثم ان القول بانهم ثاروا على الخلافة فيه باطل كثير . فان الخلافة زالت معالمها منذ اصبح الخليفة يتحدث بغير لغة القرآن ، وصارت المنابر اعجمية واختلفت عليها لغات غير لغة محمد .

واى خلافة هذه التى اصبحت فيها لغة القرآن في المؤخرة ، وحلت محلها التركية وصارت الالفاظ الاعجمية ترتفع آناء الليل وأطراف النهار في ابهاء مساجدها .

ان الخلافة كانت خلافة يوم كان الخليفة يقف خطيبا بلغة القرآن فتهتز له القلوب وتتجه نحوه الافئدة ، اما حين اصبح يقبع في قصر يلذ وسواه وليس بينه وبين لغة القرآن اى نسب ويستخدم اسم الخلافة للسيطرة والحكم فان الخلافة منذ يوم ذاك اصبحت حديث خرافة .

ان هؤلاء الذين اغتصبوا الخلافة لو كانوا خلفاء بحق وصدق ، ولو انهم ارادوا أن يحكموا باسم الاسلام لتعلموا لغة القرآن وعلموها لأبنائهم ،ولكن الذى حدث كان عكس هذا فقد ضعفت اللغة العربية على ايامهم وكادت تمحى لولا القرآن الذى لم يستطيعوا مسّه وان كانوا في طريقهم الى ذلك لولا الثورة العربية ، ولولا ابناء العرب المخلصين من مسلمين ومسيحيين الذين كانت لهم اليد الطولى في حفظ اللغة العربية والتراث القومي والذين يحاول أولئك الذين يريدون العودة بنا الى عهد الاستعمار التركى ان يصفوهم بانهم قد اصابتهم عدوى « التحسس القومى » .

ان الثورة على السلطان عبد الحميد كانت ثورة تركية بحتة ، وكانت ثورة مخلصة نتيجة لما كان عليه الطاغية من استبداد وظلم ، ولأنه حارب الأحرار وقضى على الدستور . اما الثورة العربيه عليه فكانت ثورة شعب يريد الانعتاق والتحرر كغيره من الشعوب التى رزحت زمنا طويلا تحت ذل العبودية . وان وصف الحكم الحميدى بانه حكم اسلامى يعتبر اساءة بالغة للشريعة الاسلامية.

ان ما تقدم من حديث عن مواقف السلطان عبد الحميد يمكن ان يستدل بها على أن الامبراطوريه العثمانية يجب أن تزول ، ويجب أن تستقل الشعوب التى فرض عليها أن تخضع لآل عثمان ، واذا كان ابناء البلقان قد تحرروا قبل العرب فلأنهم وجدوا الحلفاء ووجدوا الارض المناسبة . اما العرب فانهم كانوا آخر من تحرر من الشعوب التى كانت رازحة تحت النير العثمانى لأن الاتراك استعمروهم باسم الدين ، ولأن أرضهم لم تكن في معظمها صالحة لمواجهة الدولة التركية بحرب عصابات وهم العزل المعذبون في الارض .

سمعنا كثيرا ان الدعوة القومية انما جاءت من الغرب ، وسمعنا كثيرا أن دعاة الفكر القومى انما هم ملحدون جاءوا يحققون أفكار دول مسيحيه اوروبية ، ولكن تبين أن أولئك المهاجمين انما يحققون افكارا ليست بعيدة عن مصلحة العدو ، وأن كثيرا من الفئات التى حاولت ان تتمسح بالدين في كثير من الحركات انما كانت تسير والعدو في خط واحد للتأثير على الروح المعنوية وخلق الفتن الطائفية في الامة .

ان القومية العربية قديمة قدم العرب ، وقد تطور الفكر القومى في التعبير عن هذه القوميه بتطور الزمن . وهى ليست آتية من الغرب وليست آتية من الشرق ، وانما هى نابعة من ضمير الشعب العربى وذاته وهى قومية انسانية بعيدة عن العنصرية والطائفية والمذهبية ، وكل من تكلم اللغة العربية كلغة قومية وعاش الحياة العربية وارتبط بالامة العربية ولم يشده عرق قديم الى غير العرب ، ولم يحمل ولاء مزدوجا فهو عربى .

عبد الله أحمد حسين

دمشق

زورق الأحلام

■ كيف انسى ؟ واهم ان   قلت : انى سوف انسى
يا حبيبا ... فاض ف   عمرىَ اشراقا وانسا
أن تكن غبت .. فلم تب   رح دمى نبضا وحسا
وغدا تأتى .. فقلبى   فيك لا يعرف بأسا

★ ★ ★

حينما روعت قلبى   يوم اعلنت الوداعا
لم اجد فى الافق ، والاض   واء قد غابت سراعا
غير نجم اخضر البس   مة اهدانى شعاعا
نحوه يممت وجهى   ثم اطلقت الشراعا

★ ★ ★

ومضى زورقُ احلامى من   واد لواد
وحنينى لك فى الغر   بة امسى كل زادى
وغداً حبك لحنا   خافقا ملء فؤادى
واذا الآفاق سمع   مرهف يصغى لشاد

★ ★ ★

سوف احيا ، اتغنى   بك يا نبع الصفاء
لا آملُ الشدو من شو   ق وان طال التنائى
يا ربيعا يبعث الاش   راق فى وجه سمائى
يوم ان ترجع لى تن   جاب غيمات الشتاء

★ ★ ★

قلت لى ذات مساء   ان حبى لن يطولا
وهو ذكرى .. سوف لا تل   بث يوما أن تزولا
قلت هذا ، عندما ودعتنى تبغى الرحيلا
ومضى عمرٌ ، وقلبى   عنك لم يعرف بديلا

★ ★ ★

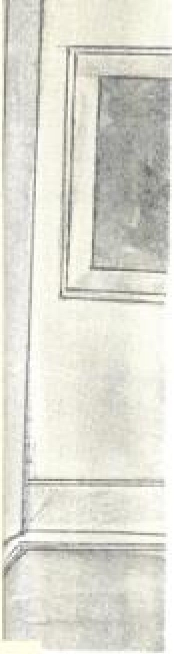
يا حبيبى ، لا تقل ان الهوى قد صار ذكرى
انه كان بميلا   د الغد الوضاء بشرى
والى أن تقضىَ الايام فى لقياكَ امرا
سوف تبقى شاغلى رو   حا واحساسا وفكرا

★ ★ ★

انى مهما انطوت شم   سى باعماق المغيب
واثقٌ انى سالقا   ك مع الفجر القريب
باضياءَ سوف يمحو   كل احزان الغروب
أننى ذبت .. اشتياقا   للتلاقى .. يا حبيبى

■■

عبدالملك عبدالرحيم



المالُ يَهنأُ بِهِ الزَّوجان ولكن بالحبِّ تكونُ الهناءةُ أكملَ ..

بقلم : منير نصيف

■ هل يمكن ان يكون المال بديلا للحب ؟

هل يستطيع النجاح ان يعوضنا عن الشعور بالرضا والسعادة مع من نحب في الزواج ؟

يقول الدكتور سمايلي بلانتون عالم النفس الشهير : « ان المال هو وسيلة الحياة ، وهو شيء هام وجوهري في حياة الاسرة ، والناس .. كل الناس يجدون متعة في انفاق المال . كما ان في جمع المال ايضا متعة ، فهو الهدف الذي يسعى اليه كل رجل وامراة . وهو بعد هذا الوسيلة الوحيدة التى تمكن الرجل من التعبير عن حبه لزوجته وأطفاله !

« ولكن المال وحده لا يمكن ان يكون بديلا للحب .. فكم من ثروات ضاعت ، وانفقها اصحابها عن طيب خاطر ، بحثا عن الحب .. الحب الحقيقى الذى يدوم حتى اذا ذهب المال ! وكم من رجال اعلنوا استعدادهم للتضحية بكل ثرواتهم ثمنا لقلب كبير يستطيع ان يعطى بقدر ما ياخذ .. وكم من رجال خلعوا ثوب الثراء واختلطوا بالفقراء بعد ان اكتشفوا ان ثرواتهم كانت نقمة عليهم ، وبعد أن ادركوا ان قلوب النساء ، انما يشتد خفقانها ، كلما ارتفع رصيد الرجل من المال في البنوك !

« وما يقال عن المال ، يقال عن النجاح .. فالنجاح وحده لا يكفى لان يكون سببا في شعور الرجل او المراة بالسعادة التى ينشدانها في الحياة ..

أعرف رجلا وصل الى القمة في عمله ، كان دائما في الضوء .. اذا سار في الشارع اتجهت اليه العيون .. واذا وقف خطيبا او محاضرا دوت الهتافات تحية له ! ومع هذا كله عاش الرجل تعسا .. عاش ومات وحيدا دون ان يذوق طعم السعادة التى ينشدها كل انسان في هذه الحياة .. ومثل هذا الرجل كثير .

قصة زوجة عظيمة

كتبت مدام كورى ، المراة التى سجل تاريخ العلم اسمها كواحدة من هؤلاء الذين اسهموا في انقاذ البشرية من ويلات المرض ، وهى قلما كتبت في غير العلم ، وفي غير الاشعاع الذى اوقف نمو غول



اذا وجد الزوج امراة باسمة ، سعيدة لجلس في انتظار عودته بشغف ولهفة .. امراة عرفت كيف ترضي مزاجه وتهيىء له الجو الذى ينشده ويبحث عنه ، ازداد اقترابا منها ، وبعدا من الاصدقاء الذين ألف معاشرتهم .

الامراض جميعا .. ذلك الذى اكتشفته بعد سنوات طويلة من العمل والجهد في سبيل تطوير العلم وترويضه لخدمة الانسان .

فقد كانت مدام كورى امراة ، وكانت زوجة لرجل شاركها حياتها وعملها ، ولم يكن غريبا اذن أن تكتب باحساس المرأة .. قالت تصف تلك اللحظة التى فاجأها فيها زوجها بذلك المعطف الثمين من الفراء الذى طالما وقفت امامه تتأمله من وراء النافذة الزجاجية في اكبر واشهر محل لبيع الفراء في باريس مدينة النور التى عاشت فيها حياتها مع ابحاثها وتجاربها ..

قالت : « لم يكن زوجي بيير في حاجة لان يؤكد لى حبه بشرائه لهذا المعطف الثمين الذى دفع في سبيل اقتنائه كل ما اقتصده خلال عام كامل من العمر والعرق .. لقد كان المعطف يثير اعجابى ، هذه حقيقة لا انكرها ، وكنت اقف امامه واتخيل نفسي امام مرآتى ، وقد وضعت جسمى النحيل بداخله .. ولكنني لا ادرى كيف اصف شعورى وانا ارى زوجي يحمله بين يديه ويقول لى : « انه لك يا مارى ! كنت اعرف دائما انك تتمنين ان تمتلكي هذا المعطف ، فاردت ان احقق لك هذه الامنية ! » .

لقد انتابني شعور غريب في هذه اللحظة ، وانا ارى بيير ممسكا بالمعطف بين يديه ، وهو يحاول ان يستشف من خلال نظراتى وتعبيرات وجهى ، رد الفعل الذى احدثته المفاجأة .. كان شعورى مزيجا من الفرح ، والاسف على المبلغ الكبير الذى دفعه زوجي ثمنا له .. فقد كنا في بداية حياتنا الزوجية ، شابين مكافحين في حاجة الى كل قرش من اجل رزقنا وعيشنا والاستمرار في بحوثنا وتجاربنا ..

أسعد زوج فى العالم

قلت لبيير ، وانا اقترب منه واقبله : « شكرا لك يا عزيزى ، لا شك انه معطف جميل ، تتمناه كل امراة ، ولكنني اؤكد لك ان سعادتى لم تكن لتقل لو انك اخترت ان تقدم لى باقة من الزهور الجميلة ، فهى ارخص كثيرا ! الا تعلم يا عزيزى ان وجودك بجانبي هو اثمن شيء يمكن ان تقدمه لى !

« لقد كان اليوم ، هو يوم عيد ميلادى ، وكان المفروض ان اشعر انا بالسعادة بهديته الثمينة ، ولكنني احسست في هذا اليوم ، انني استطعت بهذه الكلمات الصغيرة ، ان اجعله هو يشعر بانه اسعد رجل واسعد زوج في الدنيا .. فقد نجحت فيما تفشل فيه الكثير من النساء .. نجحت في ان اشعره بان امتلاكي له هو ، اكبر واعظم هدية قدمها لى في حياتى !! »

مفتاح الحياة

يقول الباحثون ان الزوجة الصالحة تستطيع

ان تفعل بزوجها ما يعجز عن صنعه فريق من العلماء النفسانيين .. فهى وحدها التى تجعله يحب الحياة ، وهى وحدها التى تدفعه الى الزهد فى الدنيا وكل ما تحمله اليه من متع ومفاجئات حتى لو كانت سارة سعيدة .. هى وحدها التى تستطيع ان تملأ نفسه بالقوة والقدرة على العمل والابتكار، وهى وحدها التى تدفعه الى اليأس والكسل والنوم.

وهى وحدها التى تجعله يعبد بيته واطفاله ويحن الى العودة اليهم ، أو يهرب منهم ، وقد امتلأ قلبه بالندم على اليوم الذى صار فيه زوجا وابا !

المعنى الكبير للزواج

ولكن كيف تستطيع المرأة ان تفعل كل هذا بزوجها ؟ ان النساء يختلفن ، اختلاف الحياة ذاتها .. فهناك الزوجة المسيطرة ، وهناك الزوجة الغيور ، وهناك الزوجة الانانية التى لا تبالى بشيء فى الدنيا ، غير راحتها وسعادتها هى ..

امثال هؤلاء من النساء يجهلن المعنى الكبير للزواج .. وليس معنى هذا انهن لا يصلحن زوجات، فليس هناك امرأة فى الدنيا لا تصلح لان تكون زوجة .. ولكن معناه انهن لم يمتدن بعد حياتهن الجديدة بعد الزواج ..

يقول ايمرسون فيلسوف امريكا : « ان الزواج عادة ، ونحن وحدنا الذين نستطيع ان نجعل منه عادة سيئة ، ونحن وحدنا الذين نستطيع ان نحوله الى اسعد رباط فى الحياة ..» والعبء فى الحالتين يقع على الرجل والمرأة على السواء ، ولو ان نصيب المرأة منه اكبر واوفر .. فالمرأة تتمتع بقوة تأثير ، لا يشعر بها الا الرجل وحده ، ولو انها ادركتها واكتشفتها فى الوقت المناسب ، لما ترددت لحظة واحدة فى ان تستخدمها بكل ما لديها من عناد وقوة .. »

قوة تأثير الزوجة

وهذا هو الفرق بين الزوجة العاقلة الصالحة ، وبين الزوجة الانانية الطائشة .. الاولى نضجت قبل الزواج ، والثانية ما زالت تفتش داخل نفسها ، وما زالت تنظر من حولها ، بحثا عن الطريق الذى يمكنها من تكييف حياتها الجديدة فى الزواج ، والبحث عن افضل الوسائل والسبل لحماية زواجها وصيانة بيتها ورجلها .

كيف تمارس الزوجة تأثيرها على زوجها ؟

وما هو دورها فى مختلف مراحل حياتها معه ؟

ولنبدأ من حيث يمكن ان يبدأ ذلك الشعور الذى ينتاب بعض الازواج فى بداية حياتهم الجديدة مع زوجاتهم ..

عندما يشعر الزوج بانه اسعد حالا مع زملائه الذين تعود على رفقتهم وصحبتهم له فى العمل .. او عندما يحس بان الجو الذى يعيش فيه خارج البيت مع اصدقائه يتيح له فرصة للتصرف على طبيعته ، افضل بكثير من تلك التى يجدها فى البيت مع زوجته !

ماذا تفعل الزوجة ازاء هذا التصرف الذى يهدد حياتها الجديدة .

اخطر تحد

هنا يبدأ اخطر تحد يواجه الزوجة .. ولكنها يجب ان تأخذ الامور بحكمة وترو ، لانها اذا غضبت وانفعلت واظهرت له غيرتها من عمله واصدقائه وحياته التى اعتادها قبل بناء هذه « الشركة الجديدة » فقد تؤدى ثورتها هذه الى عكس النتائج التى كانت تهدف اليها ، وربما ادت فى النهاية الى فقدها لزوجها وتحطيم حياتها قبل ان تبدأ !

يقول الباحثون ، ان الزوجة العاقلة هى تلك التى تدرك عامل الزمن فى انتقال الرجل من حياة الى حياة جديدة .. فهو قد الف صداقة هؤلاء الذين عاشرهم فى عمله من الجنسين ، وهو قد عرفهم قبل ان يعرف هذه المرأة التى اختارها ليبنى معها بيتا واسرة .. ولكن ليس معنى هذا انه يفضل معاشرتهم وصحبتهم عليها .. فهذا اكبر خطأ تقع فيه الزوجة ، اذا تصورت ان زوجها يرتاح لاصدقائه اكثر مما يرتاح لها ، ويأنس الى رفقتهم ، اكثر مما يأنس الى وجوده بجوارها .. فالمسألة مرة اخرى ، مسألة عادة ، وهو لا بد ان يعود الى بيته فى نهاية اليوم ، ولكن المهم هو ماذا يجد فى هذا البيت عند عودته ؟

امرأة .. وامرأة !

اذا وجد امرأة ثائرة حانقة نادمة على القدر الذى القى بها فى طريقه وربط حياتها به ، انتابه هو الآخر شعور بالنفور من هذه الحياة الجديدة التى بدت من حوله وكأنها سجون وقيود من حديد، واسوار عالية يسعى اليه بقدميه كل يوم وهو يولج المفتاح فى الباب ليدخله ، فتوصده زوجته من ورائه ، وتنصب من نفسها قاضية تسأل

وتستفسر وتصدر حكمها الجائر دون وعي او تفكير.

اما اذا وجد امراة باسمة ، سعيدة تجلس في انتظار عودته بشغف ولهفة .. امراة عرفت كيف ترضي مزاجه وتهيىء له الجو الذى ينشده ويبحث عنه ، ازداد اقترابا منها ، وبعدا عن الاصدقاء الذين الف معاشرتهم .. وشيئا فشيئا اصبح يقصد بيته ويسرع عائدا اليه ، ويعد الدقائق التى تفصل بينه وبين لقائه بها ..

هوايات الزوج

فالمراة لا ينقصها الذكاء حتى لو لم تتلق من التعليم الا القدر اليسير ، وخاصة عندما يكون المجال ، هو مجال التفكير في زوجها وفي اعادته الى بيته واثارة اهتمامه بها ..

يقول الدكتور سمايلى بلانتون : « للزوج هوايات كثيرة ، فهو قد يهوى القراءة ، أو مراقبة برامج معينة في التلفاز ، وقد يهوى لعبة الشطرنج ، او اى لعبة اخرى ، وتستطيع الزوجة ان تعود نفسها على هذه الهوايات .. فهو أمر لا يحتاج الى بذل جهد كبير من جانبها ، ولكن الشيء الذى يتفق كل الرجال على هوايته هو الطعام الجيد.. الطبق الشهى الذى يفضله على غيره من مختلف انواع الغذاء ..

« وليس في العالم كله امراة لا تعرف ان قلب الرجل في معدته .!! » ان الشهور والسنوات الاولى في الزواج ، هى أصعب وأعقد مراحله ، لأن كل شيء في حياة الزوجين يتغير بعد وصول الأطفال . ثم لا تلبث الحياة كلها ان تتغير بعد ان يكبر الأبناء ، ويتقدم العمر بالزوجين ..

عندما يتقدم العمر بالزوجين

هنا يبدأ دور الزوجة ياخذ صورة اخرى تختلف تماما عن تلك التى بدأتها مع بداية حياتها مع زوجها .. ان مهمتها الأساسية الآن هى ان تحافظ على صحة هذا الرجل الذى كافح طويلا في سبيل اسعادها واسعاد ابنائها ، فهى لا تريد ان تقضي ما تبقى لها من عمر وحيدة بعد أن تزوج الابناء،وتركوا لها البيت ليستقلوا في حياتهم الجديدة.

فقد اثبتت الاحصائيات أن نسبة الوفيات بين الرجال في سن ما بين الخمسين والستين أعلى منها بكثير بين النساء ، ومن هنا كان دور الزوجة حيويا للمحافظة على صحة زوجها وسلامته ،وعدم تعرضه للامراض ، وهى بحكم وظيفتها في البيت ، وبفضل ما تتمتع به من مزايا ، ليست من صفات الرجل ، تستطيع ان تفرض من نفسها رقيبا على غذائه ، وبرنامج حياته في صحوه ونومه ، وعلى كل ما يتصل بصحته ويؤثر عليها . وهى رقابة مستحبة يسعد بها الزوج في هذه السن ، على النقيض مما كان يحدث في مستهل حياتهما الزوجية !

فاذا كانت السمنة مثلا هى المشكلة التى يعانى منها الزوج ، وضعت له نظاما دقيقا لغذائه ، حتى لا يزداد وزنه وتزداد معه احتمالات تعرضه لأمراض القلب .

أم وزوجة

واذا شكا من علة ، سارعت هى لتحديد موعد له مع الطبيب الذى يشرف على علاجه .. واذا تاخر عن موعد نومه ، نبهته الى ضرورة الذهاب الى فراشه ليستريح .. واذا احس بالارهاق الغت كل مواعيد مقابلاته وزياراته .. فهذه هى الساعة التى يشعر فيها الرجل بحاجته الى ام ترعاه وتعنى به اكثر من حاجته الى زوجته ، كما كان الحال ايام الشباب .!

ثم ماذا .؟ هل يبقى الحب بين الزوجين في شيخوختهما .؟

شباب الزوجين في شيخوختهما

يقول ايمرسون : « ان الزوجة تبقى شابة في عين زوجها مهما تقدم بها العمر ، فهى في نظره دائما ، نفس الفتاة الجميلة التى لقيها وعرفها واختارها من بين كل نساء العالم لكى تصبح شريكة حياته .. يكفى أن يعود بذاكرته الى الوراء ويتصورها في فستان الزفاف الابيض الذى لبسته يوم زفت اليه عروسا .. ان الزوجة الوفية الصالحة وحدها هى التى لا تغيب صورة شبابها عن عين زوجها مهما امتدت بهما الاعوام !

وكذلك المراة .. ان الكثيرين من الرجال يتغيرون مع الزمن .. وتتغير عاداتهم وتصرفاتهم كلما تقدم بهم العمر ، ولكن مهما كان لون عيوبه الجديدة ، فهو ما زال نفس الرجل الذى قبلت به زوجا لانها وجدت فيه شيئا ما جذبها اليه فاحبته .. ان هذا الشيء ما زال موجودا فيه ، ابحثى عنه دائما وسوف تجدينه ، حتى لو كان قد فقده.! اذكرى دائما انه زوجك ووالد ابنائك ، والرجل الذى افنى عمره في سبيل اسعادك . وقضيت بجانبه كل سنى عمرك الحلوة ! ■■

منير نصيف

مسابقة العربي

في المغرب العربي

■ مسابقة هذا العدد هي الثالثة عن جغرافية وطننا العربي .. وتنحصر هذه المرة في منطقة المغرب العربي .. والمطلوب منك معرفة ١٢ اسما على الاقل من اسماء الاماكن المبينة بالارقام على الخريطة المنشورة مع هذا الكلام ... ولمساعدتك في معرفة الاجابة الصحيحة .. وضعنا لك ١٥ سؤالا عن المناطق الموضحة في الخريطة .

ابحث عن الاجابة الصحيحة وارسلها الينا لتفوز باحدى الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار .

١ ـ مدينة مغربية **ولد فيها ابن بطوطة ،وكانت قبل استقلال المغرب مدينة دولية حرة تخضع لمجلس مراقبة مكون من قناصل ثماني دول .. أما اليوم فهي مدينة من مدن المغرب العربي ..** ما اسمها ؟

٢ ـ جزيرة تونسية **ذات شهرة سياحية عالمية، تقع في خليج قابس** ، ما اسمها ؟

٣ ـ هذه المدينة الجزائرية الكبيرة **الواقعة قرب الحدود الجزائرية المغربية ، يطلق عليها اهلها لقب زينة البلدان .. انها تحتل اليوم المكانة الخامسة بين مدن الجزائر ..** ما اسمها ؟

٤ ـ هذه المنطقة المغربية **ظلت تحتلها اسبانيا حتى جلت عنها في عام ١٩٧٠ فعادت الى الوطن الأم ..** ما اسمها ؟

٥ ـ مدينة الزيتون ، وزيت الزيتون .. **وهي في نفس الوقت درة الجنوب التونسي ، والبوابة التي يصدر منها انتاجه** ، ما اسمها ؟

٦ ـ هاتان المدينتان ، **ما زالت اسبانيا تحتلهما ، وترفض الجلاء عنهما ..** فما اسمهما ؟

٧ ـ صباح يوم ١٨ مارس ١٩٥٨ ولدت هذه العاصمة لجمهورية لها حدود مشتركة مع الصحراء الاسبانية والجزائر ومالي والسنغال .. ما اسم العاصمة ، وما اسم الجمهورية ؟

٨ ـ هذه المدينة هي عاصمة الصحراء المغربية **التي تحتلها اسبانيا منذ عام ١٨٨٤ وفي هذه المدينة اقام الاسبان ميناء كبيرا لتصدير الفوسفات الذي اكتشفوه بكميات هائلة في الصحراء ، بلغ رصيدها نحو ١٠ الاف مليون طن** ، فما اسم هذه المدينة ؟

٩ ـ هذه المدينة هي المركز البترولي في الصحراء الجزائرية .. **انتج النفط من حقولها عام ١٩٥٧ ، ومن هذه المدينة تمتد انابيب الغاز الى الجزائر العاصمة ، وانابيب النفط الى ميناء بوجي ..** فما اسم هذه المدينة البترولية ؟

١٠ ـ ميناء تونسي **اكسبه موقعه الاستراتيجي شهرة حربية عالية .. وهو في الوقت نفسه مدينة مجاهدة ناضلت وقاومت فقدمت ١٣٠٠ شهيد في ثلاثة ايام وحصلت على حريتها واستقلالها ،** ما اسمها ؟

١١ ـ مدينة مغربية **تعرضت لزلزال مدمر عام ١٩٦٠ هدم ٨٠٪ من مساكنها ، ودفن ١٥ الفا من ابنائها تحت الانقاض .. وبعد تسع سنوات اعيد بناء المدينة على احدث طراز هندسي ..** ما اسم هذه المدينة ؟

١٢ ـ مدينة علمية **اسلامية ذاع صيتها في المشرق والمغرب ، وخرج منها عالم اسلامي مشهور،**



كان اسمها يطلق على ارض جمهورية موريتانيا .. غطتها رمال الصحراء فطمست معالمها .. ولكنها عادت الى الحياة في مكان يبعد ميلين عن المدينة القديمة .. ما اسم هذه المدينة ، وما اسم الشيخ الذى خرج منها ؟

١٣ ـ هذه المنطقة هى مركز الطوارق ومقرهم في الجزائر .. ما اسم المنطقة ، أو ما اسم المدينة الرئيسية فيها ؟

١٤ ـ أول مدينة بناها الاسلام في المغرب العربي على يد عقبة بن نافع ، فكانت عشا للخلافة الاسلامية ، وعاصمة لولاية افريقيا .. تشتهر بجامعها الاثرى الذى يحوى في خزانته مجموعة نادرة من المخطوطات .. ما اسم المدينة ؟

١٥ ـ في هذا الميناء اجتمع روزفلت وتشرشل في الحرب العالمية الثانية (١٩٤٣) وهذا الميناء يعتبر اكبر موانىء القارة الافريقية .. وهو في نفس الوقت اكبر مدن المغرب من ناحية عدد السكان .. ولكنه ليس العاصمة .. فما اسمه وما اسم عاصمة المغرب ؟

شروط المسابقة

ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧٨ » .
٤ ـ اخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اكتوبر (تشرين اول) ١٩٧٣ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ ـ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة
العدد ١٧٨

طرائف

وجبت وجبت

● في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوما لأصحابه : من منكم اصبح صائما ؟ قال عمر : انا . قال : فمن شيع جنازة ؟ قال عمر : انا . قال : فمن عاد مريضا ؟ قال عمر : انا . قال : من منكم تصدق بصدقة ؟ قال عمر : انا . فقال صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت وجبت .

رجل

❋ قال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه . ان فلانا هذا رجل صدق فقال له عمر : هل سافرت معه ؟ قال : لا . قال : اكانت بينك وبينه خصومة او سوء تفاهم ؟ قال : لا . قال : هل ائتمنته على

صديق

● قال الحسن بن علي عن صديق :« كان لى صديق من اعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه . كان خارجا من سلطان بطنه ، فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر اذا وجد ،وكان خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يمد يدا الا عن ثقة لمنفعة ، وكان لايشتكي او يتبرم ، كان اكثر دهره صامتا ، فاذا قال بذ القائلين ، كان ضعيفا مستضعفا ، فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا . كان اذا جالس العلماء احرص على ان يسمع منهم على ان يقول ، كان اذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت . كان لايقول ما لا يفعل، ويفعل ما لا يقول، كان اذا عرض له أمران ، لايدرى ايهما اقرب الى الحق، نظر اقربهما من هواه فخالفه»

السيف سيد الخطباء

● اجتمع الناس عند معاوية بن ابي سفيان ، وقام الخطباء لبيعة يزيد ، فاظهر بعضهم الترحيب ، واظهر البعض الاخر الكراهة ، فقام رجل من بني عذرة يقال له يزيد بن المقنع ، فاستل من سيفه شبرا ثم قال : « امير المؤمنين هذا ــ واشار الى معاوية ــ فان هلك فهذا ــ واشار الى يزيد ــ فمن ابى فهذا ، واشار الى سيفه » . فقال معاوية : « انت سيد الخطباء » .

يصوم في يوم شديد الحر

● حدث الاصمعى قال : كنا في طريق مكة نريد الحج ، فجاء اعرابى في يوم صائف شديد الحر ، ونحن فى وقت الغداء ، فقلنا له : « لو دخلت واصبت من طعامنا شيئا » قال : « انى صائم » . قلنا : « تصوم فى هذا اليوم الحار ، وانت فى البادية ؟ » . فقال الاعرابى : « ان الدنيا كانت ولم اكن فيها ، وستكون ولا اكون فيها ، ولا احب ان اغبن ايامى » .

عربيـة

صدق

شيء من اموالك او عرضك ؟ قال : لا .
قال : فانت الذى لا علم لك عنه بهذه الامور . اراك رايته يرفع راسه ويخفضه فى المسجد ! وليس بهذا يقاس صدق الرجل .

الثقة لا يبلغ

● كان مصعب بن الزبير جالسا فى مجلس له فى الكوفة فحضر اليه احد اشراف العرب ووشي باحدهم وشيّن اعماله . وبعد قليل اتى الرجل يعتذر وينفى ما قيل عنه ، فقال مصعب ان الذى بلغنيه ثقة يضع الامور فى مواضعها . فقال الاحنف بن قيس وكان حاضرا المجلس . كلا ايها الامير ان الثقة لا يبلغ .

فيما يؤكل فقط

● كان ابو الاسود الدؤلى مشهورابانه بخيل بعض الشيء وقد قال فى يوم من الايام فى مجلس له : « من آهديت اليه هدية » ـ وعنده قوم ـ فهم شركاؤه فيها » .

وحدث ان اهدى اليه صديق ثيابا من ثياب مصر ، وعنده قوم ، فأمر برفعها ، فقال له احد الحاضرين : « الم تخبرنا أن من آهديت له هدية ـ وعنده قوم ـ فهم شركاؤه فيها ؟ » فقال : « ذلك ياعبد الله فيما يؤكل ويشرب ويشم ، فاما فى ثياب مصر فلا والف لا . »

لا ادعه لآكل

● دخل رجل من اشراف قريش على بعض ملوك الحيرة فساله الملك عن اخيه ـ وكان سيىء الطبع مذموما من جماعته ـ فاخذ الرجل يغتابه وينتقصه ، ويكيل له المعائب ويشين أعماله ، وكان فى المجلس رجل يشنؤه ، فشاركه فى القول مرددا معائبه ومشائنه . فقال له الشريف : « مهلا يا هذا ! انى لآكل لحمى على مضض ، ولكن لا ادعه لآكل » .

حبى المدينية

● قيل لحبى المدينية ، وكانت امراة عربية فصيحة اللسان : « ما الجرح الذى لا يندمل مدى الدهر ؟ » قالت : « حاجة الكريم الى اللئيم ، ثم يرده . » قيل لها : « فماذا تقولين عن الذل . » قالت : « وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له . » قيل لها : « ما الشرف ؟ » قالت : « اعتقاد المنن فى رقاب الرجال . »

التلوث

بقلم : هانى عبيد

« يبذل ملايين الناس قصارى جهدهم لتشويه بقعة الارض التى يزدحمون فيها . فهم يزيلون الزرع .. ويرصفون الارض بالاحجار ويقتلعون الشجر .. ويطردون الطيور والوحوش.. ويملاون الجو بالدخان والجراثيم .. »

■ لقد كانت احدى النتائج المترتبة على التطور العاصف فى العلم والتكنية فى هذا العصر بروز مشكلة جديدة يتفاقم خطرها يوما بعد يوم ليشمل الدول المتطورة والنامية على حد سواء ويستفحل خطرها ليشمل كافة المرافق والمجالات المعيشية لانسان هذا القرن . فالمدن الكبيرة اخذت تعانى من مشكلة تلوث الجو ونقص كمية الاكسجين فيه ، والانهار والبحار اخذ يداهمها خطر فناء المخلوقات الحية فيها،ونتيجة لذلك تضاعفت جهود الحكومات والهيئات الدولية فى محاربة الخطر الجاثم على صدر الانسانية ولو ان ذلك لا يزال فى بداية مراحله الاولى .

التفاعل بين الانسان والطبيعة

ان استغلال الانسان لثروات الطبيعة بدا منذ اقدم العصور. وكلما تقدمت البشرية ازداد الطلب على المواد التى تختزنها الارض . وقد وصل ذلك الى شكل جنونى فى الـ ٢٠٠ سنة الاخيرة وخاصة فى الـ ٢٥ سنة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية. فازدياد نمو العمليات الانتاجية الصناعية قد تطلب الازدياد فى استخدام الطاقة ، ويبقى الفحم الحجرى أحد المصادر الكلاسيكية المستخدمة فى توليد الطاقة ، وكمية المختزن منه فى باطن الارض كبيرة ، فلو ان الزيادة فى الطاقة على مستوى العالم تبلغ سنويا ٥٪ وتحقق تغطيتها فقط عن طريق الفحم الحجرى ، لكفى الاحتياطى منه العالم على الاقل لمدة مائة سنة . فالعلاقة بين الانسان والطبيعة منذ اقدم الازمنة كانت علاقة اعتمادية متبادلة ، فتقدم العلم والتكنية اتاح الفرصة للانسان كى يسيطر على الطبيعة سيطرة تكاد تكون شبه تامة ، ولكن هذا لا يعنى أن هذه السيطرة وما يعقبها من عمليات توجيه وضبط قد الغت العلاقة الاعتمادية بل اعطتها صورة اكثر تقدما تتمثل ليس فى فقد الاتصال المباشر معها بل فى توجيه هذه العلاقة الاعتمادية بشكل يؤمن الاستفادة الكلية من ثروات الارض من جهة ومن جهة أخرى الاحتفاظ بالطبيعة وتكييفها بشكل تبقى فيه هذه العلاقة فى صورة متطورة ، والا فان العكس يعنى قيام نوع من العلاقة المستمرة بشكل مستقل وتطورا مطلقا بحيث تصبح عمليات الاستفادة من الثروات عبارة عن عمليات متوحشة بدائية ـ ان جاز لنا هذا التعبير ـ وبالتالى الاستنزاف الكامل لثروات الارض بحيث تصبح حياة الانسان مستقبلا محدودة فى كوكب مقفر قد تحطمت فيه الظروف والشروط المتوازنة لتامين استمرارية الحياة على الكوكب الأرضى .

تلوث الجو والبيئة المحيطة بالمدن

ان اهم اسباب تلوث الجو والبيئة المحيطةبالمدن هو وجود عدد ضخم من المصانع والمنشآت الانتاجية في الحدود المنطقية للمدينة والاستخدام المتزايد للفحم الحجرى فيها مما يؤدى الى زيادة نسبة ثانى اكسيد الكربون في الجو . اما السبب الآخر والاهم فهو التزايد المطرد في عدد السيارات داخل المدن والتى تستعمل الوقود السائل (بنزين، سولار) مما يؤدى الى ارتفاع نسبة ثانى اكسيد الكربون .

ثم هناك مشكلة الفضلات والقمامة في المدن وقد يظن البعض ان ذلك وهم ، ولكن عندما نستخدم لغة الارقام في التعبير عن ذلك تصيبنا الدهشة والتعجب .

فمثلا في سنوات العشرين كانت العائلة الامريكية تلقى من الفضلات والقمامة (فقط الصلبة منها) ما يعادل ٢٫٧ باوند (الباوند – ٤٥٤ غم) اما في عام ١٩٧٠ فقد ارتفع ليصل الى ٣ره باوند ، واذا استمرت الزيادة بنفس المعدل فانه في سنة ١٩٨٠ سيصل هذا الرقم الى ٨ باوند، واذا اضيف الى ذلك فضلات المصانع والمؤسسات (ايضا من المواد الصلبة) فان هذا المؤشر يصبح ٥٠ باوند بالنسبة للفرد في السنة ، فاذا اعتبرنا عدد سكان المدينة مليون نسمة فان الفضلات من المواد الصلبة تعادل ٥٠ مليون باوند وهذا ليس بالشيء القليل .

وفي بريطانيا ايضا فان ٣٥ بنسا تذهب الى التخلص من الفضلات من كل ١١٠٠ جنيه استرليني . وهذا دليل آخر على ما نقول .

وفي الولايات المتحدة يتجمع سنويا من ١٠ – ٢٠ مليون طن من الزجاج المستخدم في الاستهلاك اليومى وعمليات التموين . ولكن ذلك الى اين يذهب ؟ وكيف يمكن الاستفادة منه؟كان ذلك احدى المشاكل الرئيسية في احد مراكز الابحاث هناك وبعد تجارب عديدة وعمل متواصل توصل الجميع الى حل بخلط الزجاج مع الاسمنت وتزفيت الشوارع به.وهذه الخلطة سميت باسفلت الباطون الزجاجي ونجحت التجربة الى حد ما .

فمن اجل ذلك نشطت الهيئات الاجتماعية والمدنية الحكومية في محاربة هذا الداء . فبالنسبة للمصانع والمؤسسات وضعت شروط" على عملها وهى عدم توسيع الوحدات الانتاجية فيها داخل حدود المدينة كما انه قد تم نقل عدد من المصانع الى خارج حدود المدن ، وفي بعض المدن طبق نظام قاسي للمصانع بحيث اصبح على كل مصنع ان يحتوى على دورة تصفية كاملة للمياه المستعملة فيه بحيث لا تلقى المياه الملوثة كما في السابق في مجارى الانهار او البحار ، والفضلات الصلبة الناتجة من عملية التنقية هذه تستخدم في تسميد الارض ، هذا بالاضافة الى ان تقوم المصانع منفردة او متعاونة وبالتعاون مع السلطات المحلية بانشاء افران خاصة لحرق الفضلات ، فمثلا في مدينة دوسلدورف في المانيا الغربية يوجد مثل هذا الفرن ليخدم ٧٠٠ الف نسمة ويعطى ربحا مقداره ٤ر٣ دولار لكل طن من الفضلات ، والمصانع تدفع بالمقابل مبلغ٢ دولارات لكل طن من فضلاتها ، فضلا عن ذلك فان الغاز الناتج عن عملية الاحتراق يستخدم في اغراض التدفئة في المدينة . اما المواد المعدنية الناتجة فانها تذهب الى مصانع الصهر.

اما بالنسبة للتلوث الناتج من استخدام السيارة في المدن فهو مشكلة المشاكل كما يقولون ،فالسيارة دخلت في حياة الفرد الاوروبى كجزء اساسي ،واى عملية من شانها ان تسلبه هذا الامتياز او التحديد منه ستلقى مقاومة عنيفة من جانبه . فالفكرة القائلة بتحويل المواصلات في المدن الى الكهرباء وعدم استخدام السيارات الصغيرة داخل المدن الا لاغراض الاسعاف والشرطة وغيرها لم تلاق النجاح المطلوب منها . ولنرجع الى لغة الارقام .

فعملية تحويل مواصلات المدينة الى الكهرباء تعطى من حيث المبدا نتيجة طيبة فلكل مائة الف راكب في الميل يمكن الاستغناء عن ١٦ الف طن بنزين ، والتقليل من غاز ثانى اكسيد الكربون في الجو بمقدار ٨ الاف طن ، والكربون بمقدار ٦ر١ الف طن ، والغازات النيتروجينية السامة بمقدار ٢٢٠ طن .

والخطر الناتج عن السيارات ليس فقط في انها احدى مصادر غاز ثانى اكسيد الكربون بل ايضا حوادث الموت الناتجة عنها فمثلا في الولايات المتحدة فان ٥٠ الف شخص يلاقون مصرعهم كل عام .

والمجلس الامريكى لمراقبة الجو المحيط بالمدن قدّر بان الخسارة السنوية الناتجة عن التلوث والتى تؤدى الى اتلاف المزروعات والمنشآت الاخرى تقدر ب ٩ر٤ مليارد دولار ، كما ان مقاومة الانسان للامراض قد نقصت ، ولو نظرنا الى المحاصيل

الزراعية فان الزيادة الناتجة عن تنقية الجو تكون كالتالي : في الذرة الصفراء ٦٠٪ والبطاطس ٧٠٪ . ونذكر مجلة العربي (راجع العدد ١٦١ نيسان ١٩٧٢) بان الدكتور سيرل دن Scarl Dunn من جامعة روشستر Rochester يقوم بتصميم محرك سيارة مزود بجهاز هيدروليكي لاختـزان الطاقة من اجل الاستغناء عن المحرك العادي ، كما ان هناك فكرة علمية قائلة بتحويل السيارات من البنزين الى الغاز الطبيعي .

نظافة المدن

وهذه أولى مهمات المجالس المحلية في المدن بل قل هي من الواجبات الاساسية للفرد لأن الفرد يعتز ويفتخر بالمدينة التي يعيش فيهـا . وتعتبر بكين عاصمة جمهورية الصين الشعبية من انظف المدن على الاطلاق ، تليها المدن الاسكندنافية وموسكو ، واذكر هذا ليس من قبيل الشماتة ولكن للتدليل على أن المواطنين في الدول النامية لم يدركوا بعد دور الفرد في نظافة مدينته ، فاثناء زيارة احد الوفود الى مدينة اسكندنافية حدث ان رمى احدهم عقب سيجارته على الشارع أثناء مرور سيارتهم فيه فما كان من شرطي المرور الا ان لف عقب السيجارة بمنديل ولحق بالسيارة واوقفها ، وتقدم من الوفد بادب جم قائلا : « لقد سقط من سيارتكم شيء لا أعلم ما هو أيها السادة فتفضلوا!! » وهنا احمرت وجوههم ونظروا بخجل بعضهم الى بعض ويعقب رئيس الوفد على ذلك قائلا بان هذا درس لن ينساه مطلقا طيلة حياته وسيبقى في منتهى الحذر أينما حل .

وعملية تنظيف المدن من اصعب العمليات وخاصة اذا كانت المدينة كبيرة . فمثلا يذكر نيكولاي فرزين في حديث له عن عملية تنظيف مدينة موسكو فيقول ان ادارة المرافق العامة لمجلس مدينة موسكو تشرف على عملية تنظيف كاملة ويوميا ، ويدخل تحت اشراف هذه الادارة والطرق ووسائل النقل والمتنزهات العامة والبرك والبحيرات والطرق داخل الانفاق وشبكات منابع المياه والمصارف ، وتبلغ مساحة الطرق ٥٤ مليون متر مربع ، ولدى الهيئة ٩٠٠ الية ذاتية وسيارة تستخدم في اجراء النظافة ، وهناك أسطول خاص يتكون من ٢٦ سفينة يتبع ادارة تنظيف برك السباحة والبحيرات . وطرق المواصلات الرئيسية تشرف على نظافتها ٢٠٠٠ الية وسيارة متنوعة ، ففي الصيف تقوم نهارا ٣٠٠ سيارة بكنس شوارع المدينة ورشها ليلا ٤٠٠ سيارة بالمياه . اما في الشتاء فتعمل ٦٠٠ سيارة ليلا ونهارا على ازالة الثلج من الشوارع وتصاحبها ٤٠٠ سيارة تقوم بنقل الثلج الى خارج موسكو ويبلغ مجموع ما تنقله السيارات ٢٠ مليون متر مكعب . أما النفايات فتقوم بنقلها ٨٠٠ سيارة ويبلغ عدد العاملين في هذه الادارة ٢١ الف موظف وعامل . هذا مثال بلغة الأرقام عن صعوبة تنظيف المدن والاعتناء بجوها نقيا ما امكن .

تلوث البحار والانهار

يعلم الجميع ان اي بحر او نهر له توازن بيولوجي لحفظ استمرار معيشة الكائنات الحية فيه ، وهذا التوازن البيولوجي هو عبارة عن كمية الأكسجين اللازم توفرها في المياه ، وهذه النسبة قد تختلف من بحر الى بحر . وفي فترة السنوات الأخيـرة اختل التوازن البيولوجي في مناطق معينة من البحار والأنهار ، ونأخذ البحر الأبيض المتوسط كمثال . ان الحد من الدورة المغلقة لمياهه والبطء في عملية تبادل الاكسجين ، وعدم كفاية المـواد العضوية لاستمرار معيشة العالم الحي فيه ، ثم تلويث المياه الناتج عن تسرب النفط والمـواد الكيماوية الصناعية فيه وهي تزيد نسبة التلوث كل هذا أخل بالتوازن .

وهذه الاسباب جميعا مرتبطة بالتطور السكاني في المدن الواقعة على شاطىء البحر الابيض يعيش ١٠٠ مليون نسمة، ويرتفع هذا الرقم صيفا الى ١٥٠ مليون نسمة ، وبعد ٢٠ سنة سيتضاعف عدد سكان مدن البحر الابيض .

ومن المعروف أيضا ان المدينة التي يبلغ عدد سكانها ٢٠٠ الف نسمة تلقي في البحر في كل ثانية مترا مكعبا من مياه المجاري التي يحتوي كل غرام منها على ٢ ـ ٣ مليون ميكروب ، وعمليات التنقية الطبيعية للبحر تجري بفعل الرياح والأمـواج والتيارات ثم الاتصال بالمحيط ، والبحر الابيض يتصل بالمحيط عبر مضيق جبل طارق وهذا غير كاف طبعا .

ان الزيادة في تلوث البحر تجعل البحر لا يتمكن من اكمال دورة تنقيته ، ويقول العلماء انه يلزم ٨٠ سنة لتنقية مياه البحر الابيض . ان أهم منطقتين تعانيان من التلوث هما الشاطىء الفرنسي

قرب مرسيليا ومنطقة فينسيا في البحر الادرياتيكي، ان علماء مركز الابحاث في مدينة زغرب في يوغسلافيا قد بحثوا مستوى التلويث في البحر والجو في هاتين المنطقتين وتوصلوا الى نتيجة ان في هاتين المنطقتين يكمن خطر حقيقي ، وان مستوى البكتير في ماء البحر على شاطىء فلورنسا قد زاد عن الحد المتوسط ، وعلى بعد ١٠٠ متر من الشاطىء لوحظ مقتل الكثير من الحيوانات والنباتات البحرية . ومن اجل تنقية مياه البحر عقدت عدة مؤتمرات كانت اول خطوة في المؤتمر الخاص بتلوث مياه البحر الذى عقد في روما في عام ١٩٧٠ م ثم مؤتمر مالطا عام ١٩٧١ والذى حضره مندوبو ٣٠ دولة ، كما ان عدة دول قد اعدت خطة الهدف منها توقيع اتفاقية لمحاربة التلوث ، ثم المؤتمر الذى نظمه الاتحاد الدولي للمدن المتاخية (١٣٠ مدينة) والذى عقد في شهر اكتوبر من عام ١٩٧٢م في مدينة فلورنسا .

نتائج التلوث في البحر والبر

ان النتائج المترتبة على تلوث مياه البحر تختلف من منطقة الى أخرى حسب نسبة التلوث ، ولكن الجميع متفق على أن احدى النتائج المترتبة في مجال الطبيعة والنباتات هو تسمم اماكن تكاثر الأسماك فتهرب من الاماكن الملوثة ، وبالتالي تتغير مناطق الصيد . ويتبع ذلك انخفاض كبير في التبادل الغازى وتغير الغلاف الجوى مما يؤثر تأثيرا مباشرا على الطقس . ثم تدهور حالة الشواطىء والمنشآت السياحية القريبة من الشطآن وخاصة المصايف ومراكز الراحة والاستجمام .

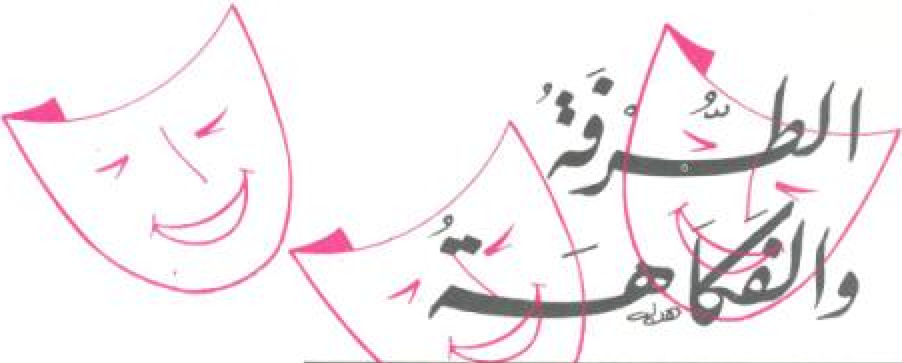
اما بالنسبة للانسان سيد هذا الكوكب فان ارتفاع نسبة ثاني اكسيد الكربون في الجو وقلة الاكسجين تجعل عملية تنقية الدم خلال الرئتين غير دقيقة مما يؤدى الى ظهور الامراض العديدة فتقل مقاومة الجسم لهذه الامراض وبالتالي فان البنية الفيزيائية للانسان تضعف وهذا قد يؤدى في المستقبل البعيد نسبيا الى ظهور اجيال ضعيفة البنية او مشوهة ، ولا ننسى ان تلوث البيئة يؤدى الى ظهور المواد المسببة للسرطان ثم الى سوء حالة المياه مما يجعلها غير صالحة للاغراض الصناعية والصحية والسياحية . ان البروفسور لي فوستير يعلن حقيقة مؤلمة اذ يقول « ولن نبالغ اذا قلنا انه ما لم تتخذ الاجراءات اللازمة فان درجة تلوث مياه البحار في مناطق الشواطىء ، او على الاقل القريبة من الشاطىء ستتضاعف ٤ ـ ٥ مرات خلال العشرين سنة القادمة . »

فما الحل ؟

الحل : لتخفيف درجة تلوث البحار ، تتخذ اساليب عدة ولكن اهمها على الاطلاق هو أسلوب الوقاية تبعا للقاعدة التى تقول « درهم وقاية خير من قنطار علاج » ، ثم يأتي بعد ذلك العلاج نتيجة للدراسات العلمية والتوسع في بحث مشاكل التلوث . فالوقاية تبدأ في مراقبة المدن المتاخمة للشواطىء وذلك بمعالجة مياه المجارى معالجة اولية مسبقة قبل القائها في البحر مع العلم بان درجة تركز المواد الضارة والبكتير في المياه تزداد يوميا وبشكل مطرد ، ثم مراقبة درجة تلوث مياه الانهار التى تصب في البحر ومحاولة تنقيتها ومعالجة مياه النهر بالمواد الكيماوية . لقد ذكرنا في بداية هذا المقال ان عدد سكان مدن الشواطىء صيفا يزداد بنسبة ٥٠٪ لذلك فان العناية بنظافة الشواطىء والبلاجات تكتسب اهمية خاصة مع المراقبة المستمرة لمحطات سفن النزهة وتنظيفها لمنع تراكم المخلفات في أحواضها والعناية بالادوات الصحية فيها . أما بالنسبة للمصانع والمنشآت التي أقيمت سابقا قرب شاطىء البحر لسهولة التخلص من الفضلات بقذفها في البحر فيجب معالجة هذه الفضلات معالجة اولية بالمواد الكيماوية لان هذه المخلفات قد تحلل الى عناصر بسيطة سامة في تكوينها مثل الكالسيوم والفسفور والنيتروجين . لقد اتخذنا البحر الأبيض المتوسط مثالا وقلنا انه ابتدأ يهرم بسرعة والسبب هو وجود مناطق البترول الغنية جدا قريبة منه ، وعبره يتم شحن هذه الكميات مع ازدياد بناء المصافي والمصانع الكيماوية القائمة على استخدام النفط الخام لذلك يجب منع غسيل ناقلات النفط وسفن الشحن في المرافىء والعناية المستمرة بهذه الاماكن ، وفي حالة انفجار الناقلات او اصابتها فيجب المبادرة الى حصر منطقة التلوث بمعالجتها فورا .

وبعد فان الحديث يطول عن مشكلة التلوث لو اخذنا بدراسة المشاكل الاجتماعية الناتجة عن ذلك ، ولكننا لم نتطرق الى هذا الجانب آملين ان يطرقه غيرنا . ■■

هاني عبيد
لينينغراد/الاتحاد السوفياتي



الطرفة والفكاهة

عند العرب وفي الإسلام

بقلم : جعفر الخليلي

■ يغلب على الظن بان الظرف والطرفة والفكاهة، وما شابه ذلك من الدعابة والمزح ، كثر شيوعا في الادب العربي منها في آداب الامم الاخرى ، اقول يغلب على الظن ، لانه ليس هنالك دراسة علمية ثابتة ونسب معينة في احصاء كامل يرجع اليه الباحث عند التطرق الى هذا الموضوع . ولكن كثرة ما يرد في الشعر العربي ونثره وقصصه وحكاياته وامثاله لا يمكن الا ان توحي الى الباحث بان الطرفة بمختلف الوانها تعد اظهر في الادب العربي منها في الآداب الاخرى ، واذا صح ان الفكاهة تصلح ان تكون عنوان طيبة الخلق ولطفه، ورقة المزاج ورهافته ، فان الأدب العربي في المكان الاعلى من حيث انسجامه وحلاوته وجاذبيته ، لكثرة ما يعرب عن هذه الطيبة في النفوس ، ورقة المزاج ، ورهافة الحس .

الظرف

والظرف كما يعرفه اللغويون هو حسن العبارة، وفي لسان العرب عن الأصمعي وابن الاعرابي : ان الظريف هو البليغ الجيد الكلام ، وقالا : ان الظرف في اللسان ، واحتجا بقول عمر بن الخطاب في الحديث اذ قال : « اذا كان اللص ظريفا لم يُقطع » (أى لم يعاقب) ، ومعناه : اذا كان بليغا جيد الكلام احتج عن نفسه بما يسقط الحد، ونظير هذا كثير ممن استطاع ان ينجو من العقاب والحد الشرعي بسبب ظرفه وبلاغته ، وجودة كلامه .

ومن هؤلاء كان ابن هرمة ، وكان شاعرا ماجنا ومدمنا على شرب الخمرة ، حتى شاع عنه هذا البيت :

أسأل الله سكرة قبل موتي
وصياحَ الصبيان يا سكران

وقد مدح ابنُ هرمة المنصورَ مرة بقصيدة فسأله عما يريده جزاء على قصيدته ؟ فقال : « ان تكتب الى عاملك في المدينة ان لا يحدّني اذا وجدني سكران » ، فقال المنصور : « ان هذا حدٌ ، لا سبيل الى تركه » ، فقال ابن هرمة : «وانا لا اريد غير هذا » ، فكتب المنصور الى عامله بالمدينة : ان عليك أن تضرب ابن هرمة ثمانين جلدة اذا جيء به سكران ، وتضرب من يجيء به مائة سوط!!فكان الشُرَطُ يمرون به وهو سكران فيقولون : « من يشتري ثمانين بمائة؟ » ويتركونه.

ومثل هذا ما نقل عن أبي نواس ، فقد قيل ان الامين غضب عليه ، لجرم اقترفه ، وأمر بحبسه، ولكي يحصل أبو نواس على العفو التجا الى ظرفه ، وما جبل عليه من الفكاهة ، ودعا احد غلمان السجن ــ وكان بليدا ــ وقال له : اتريد

ان احسن اليك ، فاحمل الخليفة على ان يخصك بجائزة كبيرة ؟ قال : « نعم » ، قال : اذن فاذهب الى الحلاق ، ودعه يحلق شعر راسك جيدا وتعال اليّ لأنهيَ لك البقية » ، وحين فعل ، كتب ابو نواس على راسه الأبيات التالية ، وقال له : « اذا بلغت القصر فصح قائلا : نصيحة لأمير المؤمنين ، وحينذاك سيفسح لك القومُ والجلاوزة المجالَ ، حتى تدنوَ من امير المؤمنين ، وتدعه يقرا ما كتبته لك على راسك ، من رجاء لاكرامك» ، اما الابيات التي وجهها الى الأمين فهي :

بك استجير من الردى
متعوذا من سوء باسك
وحياة راسك لا اعو
د لمثلها وحياة راسك
من ذا يكون ابا نوا
سك ان قتلتَ ابا نواسك

ثم كتب تحت الابيات : « اذا قرا امير المؤمنين الرقعة فليمزقها » ، فضحك الامينُ واطلقه .

ومن هذا القبيل وغيره الشيءُ الكثير الذي لا يحصى .

وقال محمد بن يزيد : الظريف مشتق من الظرف ، وهو الوعاء ، كانه جعل الظريف وعاء للادب ومكارم الاخلاق ، وفي تاج العروس عن الكسائي يقال : وجه ظريف ، ولسان ظريف ، وقد أجاز قولك ما اظرف زيد ؟ في الاستفهام ، السانه اظرفُ أم وجهه ؟

ومن ظرف اللسان ما ذكره الجاحظ عن نفسه قال : « سالني بعضهم كتاب توصية في حقه الى بعض اصحابي فكتبت له رقعة وختمتها ، فلما خرج الرجل من عندي فضها فاذا فيها :

« كتابي اليك مع من لا اعرفه ، ولا اُوجبُ حقه ، فان قضيت حاجته لم أحمدك ، وان رددته لم اذمك » .

فرجع الرجل اليّ فقلت له : « كانك فضضت الرقعة ؟ »

قال : « نعم » . فقلت : « ما يضيرك منها ؟ فانها علامة لي اذا اردت العناية بشخص اوصي به ؟ ! »

فقال : « قطع الله يديك ، ورجليك ، ولسانك، ولعنك »

فقلت : « ما هذا ؟ »

قال : « هذه علامة لي ، اذا اردت ان اشكر شخصا !! »

وقال رجل لابي الاسود : « انك ظرف علم ، ووعاء حلم ، غير انك بخيل » ، فقال ابو الاسود : « لاخير في ظرف لا يمسك مافيه » .

الطـرف

الطرف قريب من الظرف ، وشيء طريف ، اى طيب غريب ، وعن ابن الاعرابي في لسان العرب ، قال : قال خالد بن صفوان : « خير الكلام ما طرّفت معانيه ، وشرّفت مبانيه ، والتذته اذان سامعيه » واطرف فلان اذا جاء بطرفة .

وفي تاج العروس : يقال : « اطرفت فلانا اى اعطيته شيئا لم يملك مثله فاعجبه ، والاسم الطرفة بالضم » .

وقال الفيروزابادى في القاموس : « وامراة طرّف الحديث : حسنته ، يستطرفه من سمعه » ، ومن هذا ما جاء في نهاية الارب : ان امراة مرت ببني نمير فتغامزوا عليها فقالت : يابني نمير ، لم تعملوا بقول الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) او بقول الشاعر : (فغض الطرف انك من نمير) (١) فخجلوا .

ونظير هذا من طرف المراة ما روى الاصمعي ، وهو ان عجوزا من الاعراب جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا ، فسقوها قدحا ، فطابت نفسها ، فتبسمت ، فسقوها قدحا آخر ، فاحمرّ وجهها وضحكت ، فسقوها ثالثا فقالت : « خبروني عن نسائكم بالعراق ، ايشربن النبيذ ؟ » قالوا : « نعم » ، قالت : « زنين ورب الكعبة ، والله ان صدقتم فما فيكم من يعرف اباه !! »

الفكـاهة

والفاكهة هي الثمر كله ، وهذا قول اهل اللغة كما جاء في تاج العروس ، ومن المجاز القول : فكههم بِمُلَح الكلام تفكيها ، اذا اطرفهم بها ، وقد فكه الرجل فكها وفكاهة ، فهو فكِه وفاكه ،

---

(١) المعرب : بقية البيت «فلا كعبا بلغت ولا كلابا»وهو من شعر جرير في هجائهم .

اي طيب النفس ضحوك ، مزّاح . ورجل فكه يحدث صحبه ، فيضحكهم ، والفاكه : المزّاح .

وقال ابن منظور : رجل فكه ، وفاكـه ، وفيكهان ، وهو الطيب النفس المزّاح .

الفكاهة في الاسلام

ويمتاز الانسان على غيره من المخلوقات بكونه انيسا غير متوحش ، وان بشاشته وضحكته وظرفه عنوان من عناوين جبلته الانسانية ، بل لقد زعم بعضـهم ان هذه البشاشة لم تقتصر على الانسان وحده وانما شملت بعض الحيوانات حتى باتت نواجذها من الضحك :

والضحك تعبير صادق عن الطيبة ورضا النفس، وله تاثير كبير في تلطيف المزاج ، ورقة الطبع ، وفي كتاب (الضاحكون) ان احد علماء الطب من الالمان قد اقر المبادىء التالية :

١ ـ كلما ضحك الانسان اضاف مدة الى عمره .

٢ ـ ان نزول ماجن ببلدة اجدى على الصحة العامة فيها من عشرين حملا من الادوية .

٣ ـ الضحك يؤثر في الجسم والعقل معا ، ويساعد على الهضم ، ويقوي دورة الدم ، ويزيد افراز العرق ، ويرفع القوة في كل عضو من اعضاء الجسم .

٤ ـ اذا جلست الى الطعام فليكن حولك اهل فكاهة وطرب .

وقالوا : يبعث الله السحاب فيضحك احسن الضحك ، وضحكت الارض ، اذا اخرجت نباتها وزهرتها وقالوا : ضحك الزهر على المثل ، لان الزهر لا يضحك حقيقة .

وفي روايات الاسلام : ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه السلام وهو يضحك فقال له : « مالي اراك لاهيا »كانك امن ؟ (اي من غضب الله) فقال عيسى : « ومالي اراك عابسا كانك آيس ؟ » (اي من رحمة الله) فقال يحيى : « لن نبرح حتى ينزل علينا الوحي » ، فاوحى الله اليهما بان احبكما الي الطلق البسام .

وقد عزز الاسلام الفكاهة والظرف والبشاشة ، وانكر العبوسة والتجهم في الكثير من الآيات القرانية ، وفي الكثير من الاحاديث المروية عن النبي وخلفائه واصحابه ، واعتبر العبوسة صفة الشذوذ الدخيلة على الصفة الانسانية ؟ وقد جاء في الآية الكريمة من سورة الانسان : (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) اي شديد العبوسة .

والفكاهة والظرف في مفاهيم الاسلام من صفات اهل الجنة ولذلك نزلت الآية الشريفة « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا » وفي انكار العبوسة قال الله تعالى (عبس وتولى) .

وخص الله اهل الجنة بصفة الفكاهة ، وجاء ذكرهم في مواضع مختلفة من القران الكريم كقوله تعالى عنهم : (في شغل فاكهون) وجاء (ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين) .

وفي الحديث الشريف : « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت » .

وقد عرف النبي صلى الله عليه واله بكونه من افكه الناس واظرفهم .

ففي حديث انس على ما جاء في لسان العرب : ان النبي كان من افكه الناس ، وفي حديث زيد ابن ثابت ان النبي كان من افكه الناس اذا خلا مع اهله .

وعن عائشة، وقد سئلت : كيف كان رسول الله اذا خلا في بيته ؟

قالت : كان الين الناس ، وكان رجلا من رجالكم الا انه كان ضحاكا بساما .

وعن عبد الله بن الحارث الزبيدي انه قال : ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه واله .

وروى ان النبي (ص) بينما كان يسير في بعض اسواق المدينة راى زاهر بن حزام ـ وهو يبتاع بعض الامتعة ـ فاقترب من ورائه ، واحتضنه وقال : « من يشترى مني هذا العبد ؟»

والتفت زاهر فاذا هو برسول الله ، فقال : « تجدني كاسدا يا رسول الله » ، فقال النبي : « لا ، ربيح عند الله ان شاء الله » .

وقال النبي : « اني لامزح ولكني لا اقول الا حقا » ، ومن مزاح النبي ما روى ان امراة شكت زوجها عنده ، فقال النبي : « اتعنين زوجك الذي في عينه بياض ؟ » فمضت المراة الى زوجها تتامله، فقال لها : « مالك تحدقين هكذا الي ؟ » قالت : « قال رسول الله : ان في عينيك بياضا» » فقال : « واكثر من سوادها ، فالى كم تكونين ساذجة ؟ ! »

ومثل هذا ما جاء عن النبي (ص) انه دخل

على نعيمان بن عمرو بن رفاعة فوجده يأكل تمرا فقال له : « أتأكل التمرَ ، وأنت أرمد ؟ » فقال نعيمان : « انما آكل من الجانب الآخر .. »

وعلى ذكر التمر ، روى ان النبي جلس ذات يوم يأكل تمرا مع الامام علي ، وكان كلما أكل تمرة وضع نواتها في قصعة الامام ، وفجأة بدهه بقوله : « ياعلي ، ما اعجلك بأكل التمر ! وما أكثر أكلك منه ؟ ! » فقال الامام بعد أن نظر الى القصعة : « يارسول الله : اعجل مني من يأكل التمر بنواه »

وأورد ابن قتيبة عن عائشة ما يستدل به على ان النبي لم تقتصر فكاهته وظرفه ودعابته على الحكاية والتندر بالكلام وكثرة الضحك والتبسم ، وانما يتجاوز ذلك الى الفكاهات العملية ، فقد روى ابو سلمة قال : اخبرتني عائشة بأنها سابقت رسول الله (ص) في سفر فسبقته ثم سابقته في سفر آخر فسبقها وقال : « هذه بتلك !! »

وفي الروايات انه كان لبعض الانصار جارية سوداء ، وانها كانت تختلف الى السيدة عائشة فتلعب بين يديها وتضحكها ، وربما دخل النبي على السيدة عائشة ، فيجدها عندها فيضحكون جميعا ، وافتقدها النبي مرة فقيل له : انها مريضة ، فجاءها النبي فوجدها في غرغرة الموت ، فقال لاهلها : اذا توفيت فآذنوني ، فلما توفيت آذنوه ، فشهدها ، وصلى عليها وقال : « اللهم انها كانت حريصة على ان تضحكني ، فاضحكها فرحا !! »

ودليل آخر على حب النبي للدعابة والفكاهة ما جاء في عيون الاخبار : ان ابا بكر خرج في تجارة ومعه نعيمان ، وسويبط بن حرملة وكانا ممن شهدوا (بدرا) . وكان سويبط على الزاد،فطلب منه نعيمان أن يطعمه ، فقال سويبط : « لا يمكن ذلك ، حتى يجيء ابو بكر » ، فتوعده نعيمان وقال : « والله لأغيظنك » ، ومروا بعد ذلك بقوم فقال لهم نعيمان : « أتشترون عبدا لي بثمن زهيد ؟ » قالوا : « نعم » ، قال : « ولكنه كثير الكبرياء ، ولا يعترف بعبوديته ، ويدعي انه حر وغير مملوك » ، فقالوا : « وماذا يضيرنا ؟ فليقل ما يشاء » ، فدلهم على سويبط ، وباعهم اياه بعشر قلائص !!

وجاء هؤلاء ووضعوا الحبل في عنقه وسحبوه ، فقال سويبط : « ان هذا ـ واشار الى نعيمان ـ يستهزيء بكم ، وانا رجل حر وغير مملوك » ، فقالوا : « قد أخبرنا نعيمان بخبرك » ، وانطلقوا به حتى جاء ابو بكر (ض) ورد عليهم القلائص ، واخذه ، فلما قدموا على النبي اخبروه ، فضحك هو واصحابه منهما حَوْلا !!

وجاء في روايات الاسلام عن صفات المؤمن: يجب ان يكون المؤمن « هشّا بشّا » ، وكان الامام علي مشهورا بالدعابة وخفة الروح والفكاهة ، حتى قال فيه من لم يستسغ الفكاهة : « لولا دعابة فيه »، وذلك حين جاء ذكر الخلافة في اول دورها ، وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب : « من كانت فيه دعابة فقد برأ من الكبر » .

شروط الفكاهة في الاسلام

والفكاهة المأثورة في الاسلام هي التي تترفع عن بذيء القول ، والكلام الرذيل ، والنيل من الناس . اذ لا فرق بين جرح اللسان وجرح اليد ، على حد تعبير القلقشندي ، والى هذا يشير الامام علي كرم الله وجهه في بعض ما نسب اليه من الشعر بقوله :

فـــرب كــلام يمشُّ الحشـا
وفيــه من الضحـك ما يستطاب

ومما يشترطه الاسلام في الفكاهة قول الشاعر .

اذا قَبُلكَهــان ذو مَــلاء ولمــــة
قليلُ الأذى ـ فيما يرى الناس ـ مُسْلِمُ

« وقالوا : اياك وما يستقبح من الكلام ، فانه ينفر عنك الكرام ، ويجسر عليك اللئام . »

وقالوا : « لا تقـل ما يسوءك عاجله ، ويضرك آجله . »

ويورد القلقشندي في صبح الاعشى ما يستحسن ان يجمع الكلام من الفكاهة ، ويوصي بأن يقتصر في الكلام على النادرة المستظرفة،والنكتةالمستطرفة، واللمعة المستحسنة ، والفقرة المستغربة في الكتابة، دون الاطالة المملة ، والى ذلك يشير بعض الشعراء بقوله :

« أفِد طبعــك المكـدود بالجد راحــة
بلهـو ، وعلّلـــه بشيء من المــزْح
ولكن اذا أعطيتـــه المــزْح فليكنْ
بمقـدار ما يعطى الطعامُ من الملْـح »

■■

جعفر الخليلي
كرادة مريم ـ بغداد



اعرف وطنك أيها العربي

عنَّابة

بلد جزائري له تاريخ قديم وهذا اليوم يسطر صفحات لمستقبله رائعة

استطلاع : سليم زبال
تصوير : اوسكار متري



الى اليمين : كشافة عنابة تدق الطبول ، في ساحة الثورة ، حتى يصطف الجمهور لمشاهدة السباق .



و«ديمقراطية التعليم » اي تعميمه واعطاء فرصة لكل طاقة ان تتعلم » .. هو واحد من اهداف الثورة
في الجزائر .. وفي الصورة مجموعة من الرجال والشبان يتابعون علومهم « بالجامعة الشعبية » المبنية «
في مبنى مسجد سيدي ابو مروان .. انه شعب متعطش الى العلم الذى حرم منه طيلة ١٣٢ عاما ..

■ في مدينة عنابة اختفت الابتسامة من وجوه الناس .. تبحث عنها فلا تجدها .. فأهلها الجدد مشغولون منذ ١١ عاما ، بمطالب الحياة ومتاعب الاستقرار ..

جاءوها من تونس بعد ان عبروا الحدود الى الجزائر ، وكذلك جاءوها من رؤوس الجبال والمزارع ، بعد انتصار ثورة الجزائر .. زحفوا الى المدينة بعشرات الالوف ، واستقروا مكان المستعمرين الفرنسيين الذين تركوا البلاد ، بعد أن عمروا فيها وفي نعيمها طيلة ١٣٢ عام ..

واليوم ، وبعد مضي ١١ عاما على الاستقلال ، لم يعد من المستساغ ترك ريف عنابة الخصب مهجورا مهملا .. لا بد من اعادة الفلاح الى أرضه ومزرعته ، واقتلاعه من المدينة التى استقر فيها طيلة ١١ عاما ..

مشكلة صعبة عويصة ، هي واحدة من جملة مشاكل تظهر عادة في كل دولة قامت بثورات مسلحة ضد الاحتلال .

من يبني ؟

وحتى يكون كلامنا واضحا .. يجب الا نغفل وضع الجزائر الخاص .. بلد ظل ثائرا فترة ثمانية اعوام .. فقد خلالها مليون شهيد ، الى جانب الوف المشوهين والأرامل والأيتام .. وبعد انتصار الثورة ظهرت في الجزائر المستقلة طبقة جديدة هي « قدماء المجاهدين » الذين كانوا أداة هذه الثورة ، فقدموا لها كل ما يمكن تقديمه من أجل تحقيق النصر واسترجاع سيادة الوطن ..

وانطلقت اناشيد النصر ، وزغاريد الفرح تعم كل اطراف الجزائر .. ثم ران الهدوء ، ليبدأ بناء الدولة .. ولكن على اكتاف من سيتم البناء ؟

هذا هو السؤال الذى ظل متارجحا .. وفي احدى الاعداد الاخيرة من مجلة « الجزائر » الحكومية كتبت تقول : « ان المتمرد القادر على حمل السلاح ليس بالضرورة قادرا على تحمل مسئولية البناء الاقتصادى » .

وانطلاقا من هذه النظرية بدأت عملية مرهقة صعبة ، لدراسة أوضاع كل « مجاهد » .. توصلوا بعدها الى حلول لبعض المشاكل ، مثل اعطاء منح شهرية لنحو ١٠١٨٠ مشوه حرب و ٨١٠٠٠ أرملة شهيد .. مع فتح منشآت ومدارس لتعليم وتأهيل ابناء الشهداء ..

وحتى لا يصاب قدماء المجاهدين بداء الاتكالية لم يمنحوهم مرتبات أو منحا شهرية ، بل اعطوهم امتيازات خاصة ، اذ خصصوا لهم رخص سيارات الأجرة ، وتصاريح فتح المقاهي والبارات والمحلات التجارية الصغيرة .. وقرروا لهم العلاج والدواء مجانا .. واحتسبت السنوات التى قضوها ثائرين في اقدمية الموظفين ، مع اولويتهم على غيرهم ..

وفي ميدان التعليم العالي خضع «قدماء المجاهدين» لقوانين خاصة ، فاعفوا من تقديم الشهادات الثانوية للقبول في الجامعة ، وطلب منهم تقديم « مسابقة » اعتبرت بمثابة الشهادة الثانوية .

كل هذه الخدمات وغيرها تقدمها الجزائر الدولة لابنائها المجاهدين بكل تواضع وهى على خجل ، اذ « كيف يمكن قياس المكاسب المادية ، بما فقده الانسان من نفسه ، وما كان مستعدا لتقديمه في سبيل الوطن ؟ .. »

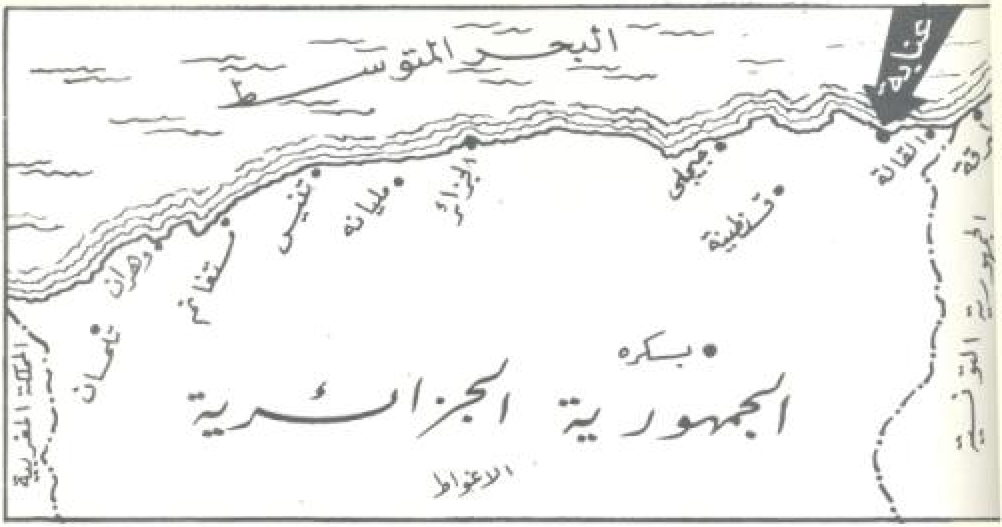
جولة عامة حول الافاق الجزائرية ذكرناها لنضع القارىء في الاطار الواقعي للصورة الكبيرة .. فيكون استطلاعنا عن عنابة واضحا جليا ..

ابتسامات ضائعة

من الجزائر العاصمة ركبنا طائرة الكارافيل في

الى أسفل : مبنى محطة سكة حديد عنابة .. اقامه الفرنسيون على الطراز الأندلسي ، ومنه تنطلق القطارات الى شرق وغرب وجنوب الجزائر .





خريطة للشريط الساحلي الجزائري ، وقد ظهر عليها موقع مدينة عنابة بالقرب من الحدود التونسية .. لقد كانت عنابة دائما هي بوابة الجزائر التي تطل منها على المشرق العربي .

طريقنا الى عنابة ، بعد ان اكدت لنا وزارة الاعلام في العاصمة انها ارسلت برقية وتلكس تخبر بهما ولاية عنابة بموعد وصولنا حتى يقوم مندوب الولاية في المطار بتسهيل مهمتنا ..

وبعد ساعتين من الطيران أعلنت المضيفة اننا على وشك الهبوط في مطار عنابة ، فاصلحنا هندامنا ، ونزلنا من سلم الطائرة ودخلنا قاعة المطار ، نبتسم لكل شخص يقترب منا عسى أن يكون هو مندوب الولاية .. ولكن بدون امل .. فلم يحضر احد ..

واتجه نحونا شاب طويل عريض المنكبين فاستبشرنا خيرا ، فاذا به يسألنا : تاكسي ! .. قلنا : نعم .. وانطلقنا في السيارة التي مضى على طرازها عشر سنوات ، متجهين الى عنابة ، وقلنا للسائق : « نرجو أن توصلنا الى الفندق الرئيسي بالمدينة .. »

فاجابنا بلهجة قاطعة : « جميع غرفه محجوزة » سآخذكم الى فندق آخر افضل منه .. »

المصعد يظهر بعد اختفاء !

ووصلنا الى باب فندق ـ آخر ـ متواضع ، أوقف السيارة عنده وبدأ في انزال الحقائب .. قلنا : لحظة حتى نرى الفندق .. ودخلنا فوجدنا رجلا متكئا على اوراق أمامه .. فسألناه ان كانت هناك حجرة لكل منا .. فأجاب دون أن يرفع رأسه : لا توجد عندنا غرف مفردة بل غرفة مزدوجة .. وفي هذه الاثناء دخل السائق خلفنا .. فقال لنا صاحب الفندق بعد ان رأى حقائبنا الكثيرة وادواتنا : لا يوجد خدم ، ولا مصعد ، عليكما أن تحملا حقائبكما حتى الطابق الثاني ..

قلنا: ولكنها ثقيلة ومهمتنا تتطلب نزولا وصعودا يوميا . قال : ليست عندي غرف خالية ..

واتجهنا الى سائق التاكسي نطلب منه أن يأخذنا الى فندق آخر ..

فقال : وهل تعتقدون انى سأقضي الليل معكما .. هذه هي حقائبكما ، وادفعا لي دراهمي!

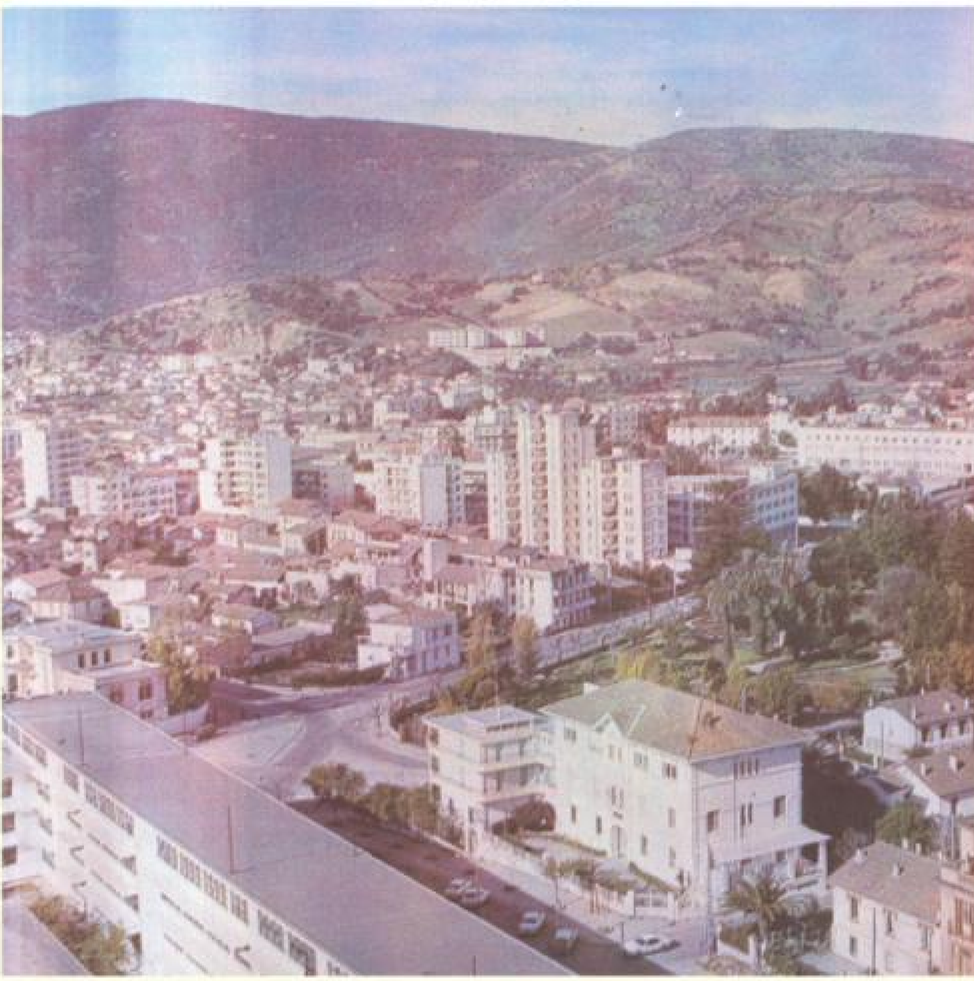
ودفعنا بالتي هي احسن ، فقد كان يتكلم من مركز قوة تهدد بعظائم الأمور .. وانتظرنا قليلا على الرصيف .. ولم نتردد كثيرا ، بل سارعنا بالدخول ، وابلغنا رجل الفندق بقبولنا لجميع شروطه .. وتبدل موقف الرجل فجأة ، فخرج من وراء مكتبه وبدأ يساعدنا في نقل حقائبنا ، وعندما اتجهنا الى السلالم لنتسلقها ، قال : « لا .. تعالوا من هنا .. نصعد بالمصعد !! » .

اعتذار عن ازعاجنا !

ورحنا في سبات عميق ، لم نستيقظ منه الا على رنين التليفون المتواصل ، وكانت الساعة الخامسة صباحا .. ورفعنا السماعة نسأل : من الهاتف الطارق ! فاجابنا صوت أجش ساخط:



أطلال مدينة هيبون ، تتحدث عن مجد قديم .. لقد تم التنقيب عن ربع المدينة الأثرية ، وبقية المدينة ما زالت تحت الرمال ، وتنتظر الكشف عنها .. وعلى مسافة خمسة كيلومترات من هيبون الأثرية ، ارتفعت مدينة بونة الاسلامية المسورة .. وعندما احتل الفرنسيون البلاد أقاموا مدينة بون الحديثة فوق سبعة تلال (المسورة السفلى) وبعد الاستقلال تحول اسم المدينة الى عنابة ، وتضم المدينة الحالية ١٧ عمارة عالية ضخمة ..





ساحة الثورة .. الساحة الرئيسية في عنابة ، يقام فيها سباق للطلبة والطالبات كل يوم أحد .. وفي وسطها ترى مبنى فندق بلازا السياحي الحكومي الكبير (٢٥٠ غرفة ـ ٤٥٠ سريرا) الذى مضى عليه خمس سنوات دون أن يكتمل ، ويقول الاهالى : « ان قبة مزار « السبعة رقود » تصدعت بسبب بناء هذا الفندق ، لهذا حلت اللعنة على الفندق وتوقف اكمال بنائه !! »

الى أسفل : ست فتيات من مدرسة « الأيام الحلوة » للبنات يرتدين الزى الوطنى العنابى : جندورة مطرزة بخيوط ذهبية .. واحزمة مصنوعة من جنيهات لويس الذهبية .. وعقد (سخاب) يختلط فيه العنبر مع الذهب .. واساور وخلخال ، كلها من الذهب ..



انتم الذين اتصلتم بي ! ..واقفل السماعة ..
وفي صباح كل يوم كانت القصة تتكرر . في تمام الخامسة يدق التلفون بالحاح . وفي الايام الاخيرة من اقامتنا ، كنا نرفع السماعة ونعتذر له مباشرة عن ازعاجه لنا !!!

القاب في غير موضعها !

ومع صباح اليوم الاول اتجهنا الى مبنى ولاية عنابة لمقابلة الوالي .. وتكررت هذه الرحلة الصباحية ثلاث مرات في محاولة فاشلة لمقابلة الوالي .. فقد ضاع وقتنا بين مدير ديوان الوالي ومدير بروتوكول الوالي ، وطابور السكرتيرية الطويل الملحق بهما .. في كل مرة يقولون لنا : الوالي في ريتيون (اجتماع) .. ولا يمكن مقابلته على كل حال ما دامت الجزائر لم تتصل بنا فنحن لا يمكننا عمل اى شيء لكم ..
ونفتح لهم أوراقنا التي زودتنا بها وزارة الاعلام في العاصمة ، ونطلب منهم الاتصال بها في الجزائر .. ولكن دون اى فائدة .. علينا الاتصال شخصيا بالجزائر لترسل بدورها برقية للولاية بالتعليمات اللازمة ..

ديكتاتورية الموظف

وذهبنا الى مركز البرق والهاتف .. فالاتصال بين عنابة والجزائر يعتبر اتصالا خارجيا .. ووقفنا ننتظر ونتامل الجماهير تنتظر مثلنا دورها للاتصال بالعاصمة وبغيرها من مدن الجزائر .. الموظف يتحدث بكلمة قاطعة لا يقبل المراجعة او تكرار السؤال عليه .. عليك ان تنتظر والا انفجر بك صارخا .. ينادى على الاسم مرة ، فاذا لم يجب صاحبه في الحال الغى المكالمة ! .
انها دكتاتورية الموظف لمسناها في اغلب مراكز الحكومة بعنابة .. لا مبالاة .. مع انعدام رقابة ، وعدم وجود رادع ، فالجميع هنا سادة .. واحرار ! .

انتهت الجلسة

وفكرنا في الذهاب مباشرة الى مديرية التربية والثقافة بولاية عنابة لعلنا ننجح اكثر في الاتصال المباشر .. وقابلنا الاخ ابن قادار بن مهل مدير التربية في عنابة .. وشرحنا له مهمتنا ، وعرضنا عليه أوراق تسهيل المهمة التي زودتنا بها وزارة الاعلام الجزائرية ، وطلبنا منه الاذن بتصوير المدارس والتحدث .. ولم يتركنا المدير نكمل عبارتنا ، اذ قال : التعليمات عندنا صريحة .. لا يسمح لنا بالادلاء بأي معلومات ، او التصريح بدخول الصحفيين الى المدارس ، او حتى التحدث الى هؤلاء الصحفيين ، الا اذا كانوا حاصلين على امر كتابي من رياسة التعليم بالجزائرالعاصمة..»
ورفض الرجل متابعة كلامه معنا .. فقد انتهت الجلسة !!

حتى أنت يا « سوق » !

واذا تابعنا سرد ما صادفنا فاننا لن نتحدث عن عنابة .. فقد بلغ الامر الى حد أن مدير السوق المركزى قال لنا : « كان المفروض أن تبلغنا الجزائر العاصمة بوصولكم » ..
انها المركزية اللعينة .. لا يمكن ان يتحرك الموظف او يتحدث في عنابة الا اذا حصل على تصريح مسبق من الجزائر ! .

الى أسفل : جسر الخروبة الحديدي .. شيده الفرنسيون ليربط بين عنابة القديمة ، وطريق الكورنيش الجديد .. وعند الطرف الايمن من الجسر توجد آثار سجن اقامه الاتراك ، كانوا يلقون منه المذنبين المحكوم عليهم بالاعدام فيتدحرجون على صخوره .. اما اليوم فأصبح الناس يلقون منه القمامة والمهملات !! وان كان بعض المحبين اليائسين يهدد حبيبته قائلا : **« نروح بالجنطرة باش نطيش روحى ! »** اى سأذهب الى القنطرة لالقى بنفسي وانتحر ..





ميناء عنابة الكبير ، يحميه جبل ايدوغ من الرياح الشمالية الغربية ، فيجعله من أكثر موانيء شمال افريقيا أمانا وهدوءا .. لقد استعمل الميناء في البدء لاغراض عسكرية ، اذ كانت تنقل منه التموينات العسكرية الى القوات الفرنسية المحاربة في شبه جزيرة القرم ، ثم لنقل الامدادات الى جيوش الحلفاء .. أما اليوم فهو الميناء التجارى الجزائرى الاول ، اذ يصدر منه الحديد والفوسفات وغيرهما من المواد.

ووسط هذا « الجو » كان لابد ان نستطلع اوجه الحياة المختلفة في عنابة .. ووجدنا من الأهالي ترحيبا وتعاونا فاق ما نامله .. فهم يقدرون رسالة « العربي» ويقراونه بشغف زائد..

من هبو الى عنابة مرورا ببونة !

ومدينة عنابة تقع في أقصى الطرف الشرقي للجمهورية الجزائرية ، وعلى مسافة ١٠٠ كيلومتر من حدود تونس مع الجزائر .. وموقعها هذا جعلها بعيدة عن الطرق السياحية الجزائرية الرئيسية المعتادة .. وفي هذا ظلم فادح لمنطقة عنابة فهي من أجمل وأغنى مناطق الجزائر .. وسواحلها وخلجانها وشواطئها تنافس أجمل الشواطيء العالمية ..

ولكن من يروى لنا قصة هذه المدينة التي تبدل اسمها عدة مرات ، من : هبو ، وهيبونة ، وبونه ، وزاوي،وبون ، الى اسمها الحالي عنابة، الذى لم يعرف من اطلقه عليها .. وانما نسبه ليون الافريقي الى اشجار العناب الاحمر الموجودة في المنطقة بكثرة ..

وقمنا بجولة على المكتبات العامة الثلاث في عنابة، وفي مكتباتها الخاصة ، وفي مركز الاعلام والوثائق، كنا نبحث عن قصة عنابة وتاريخها ، فلم نعثر على اى كتاب ، او حتى نشرة صغيرة ترد على سؤالنا .

لقد منعوا تداول اى نشرة صدرت قبل الاستقلال ، وفي نفس الوقت لم ينشروا اى نشرة جديدة .. فكانت النتيجة قحطا في المعلومات عن البلد ..

بصمات التاريخ !

وعنابة ليست مدينة مجهولة للمواطن العربي والجزائرى فقط ، بل مجهولة من ابناء المدينة نفسها ..

وهذا الجهل لا يوجد ما يبرره ، فتاريخها ناصع مثير قديم ، حتى يمكن القول ـ بكل تأكيد ـ انها أقدم مدن الساحل الشمالي لافريقيا . اذ



ما من شك أن عنابة الحديثة مدينة بوجودها لمناجم الحديد التي بدأ استغلالها منذ عام ١٨٧٥ الى اليوم
.. وفي الصورة كمية من الحديد الزهر السائل، تتدفق من البوتقة الى القوالب في مصنع الحجار الكبير.





بعد أن نضب منجم الحديد في « مين مقرة » ، بدأ في عام ١٩٢٠ استغلال منجم « الونزة » الجديد الذي يبعد ١٥٠ كيلومترا عن عنابة .. وكان العالم كله يشترى الحديد الخام المستخرج من هذا المنجم ، وهو من اجود انواع الحديد في العالم .. واليوم ـ بعد مضي ٥٣ عاما من بدء استغلال المنجم ـ ما زال الحديد الخام يستخرج منه بكميات كبيرة .. يذهب ٢٠٠٠ طن منها يوميا ، الى مجمع الحديد والصلب في قرية الحَجّار ، على مسافة ١١ كيلومترا من عنابة ، والقسم الآخر يتم تصديره خاما للخارج .. والصورة العليا توضح عملية تسخين البوتقة الكبيرة في مصنع الحديد والصلب ، الى درجة حرارة الف مئوية ، حتى لا ينفجر الطوب الحرارى ، المبطنة به البوتقة ، عندما يصب فيها الحديد السائل والذى تكون حرارته نحو ١٦٠٠ درجة ..

الى اليمين : الاغنام ترعى الاعشاب النامية ، على الارض الطيبة ، التى اجتثت من فوقها اشجار الحمضيات ، لتترك مجالا لامتداد مرتقب ، لمصنع الفوسفات الحديث الذى يزيد انتاجه عن حاجة اسواق الجمهورية الجزائرية ، فيتم تصديره الى الخارج .

انها تأسست في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، أي منذ ٣٢ قرنا من الزمان .. عندما جاءت مجموعة من المراكب الفينيقية تحمل مختلف مصنوعات الشرق ، من زجاج شفاف ، ومرايا معدنية مصقولة ، واقمشة حريرية مصبوغة بالارجوان ، ومستحضرات تجميل نسائية ، جاءوا بكل هذه المقريات ، وحطوا رحالهم في المنطقة . واقاموا مركزا تجاريا بين نهري سيبوس وبوجمعة تحت ظلال جبل ايدوغ .. ومع مرور السنوات ازدهر هذا المركز الفينيقي وتحول الى مدينة زاهرة تحمل اسم « هبو » .

حسان يفتح هيبونة !

وظلت « هبو » عروس المدن رغم احتلالها من القرطاجنيين ، وملوك البربر القادمين من قسنطينة ثم الرومان الذين ابدلوا اسمها الى هيبونة ، ورفعوا من شأنها .. ولما انتشرت الديانة النصرانية في شمال افريقيا ذاع اسم هيبونة كمركز لاسقف المنطقة .. واشهر اساقفتها القديس اوجستين الذي دفن فيها ، وله تمثال كبير عند اطلال هيبونة الحالية .. وقد ذكره ابو عبيد في كتابه المسالك والممالك بقوله : « مدينة بونة » هي مدينة اقشتين العالم بدين النصرانية » .

وحاصرها الفندال عام ٤٢٩ فخربوها ومحوا معالمها الا انها عادت ثانية ، فاحتلها الرومانيون عام ٥٣٤ وبقيت في أيديهم الى ان افتتحها المسلمون في عام ٧٨ هـ (٦٩٧ م) في أيام أمير افريقيا حسان ابن النعمان ثم اقطعها المعز بن باديس لابن أخيه زاوي بن زيري ، فتبدل اسمها من مدينة سيبوس الى مدينة زاوي ..

وفي عام ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) شيد على التلال المتموجة مدينة بونة الجديدة التي أخذت اسمها من تحريف هيبونة المندثرة ..

ولقبت بونة باسم « عش الفرسان » لما استفحل امر غزاة البحر الخارجين منها ، فجاءها اسطول جنوى وضربها عام ٤٢٥ هـ ، (١٠٣٣م) .

الفرنسيون يحتلون بونة ٣ مرات

وظلت بونة يتبادلها الاتراك والاسبان حتى افتتحها الفرنسيون أول مرة في عام ١٨٣٠ دون قتال ، ومكثوا فيها ١٦ يوما خرجوا بعدها بامر من قائد جيوشهم في الجزائر .. ولكنهم رجعوا اليها ثانية عام ١٨٣١ بطلب من سكانها ، ومرة أخرى جلوا عنها في نفس العام .. فاخربها البدو .. وعند ذلك رجع اليها الفرنسيون بعد ايام قلائل فاستولوا على قصبتها * (عاصمتها) وبقيت مدينة بونة في ايديهم حتى جلوا عنها في ٤ يوليو سنة ١٩٦٢ .

حرب القرم توقظ عنابة

كان عدد سكان بونة عندما احتلها الفرنسيون ٥٠٠٠ نسمة يعيشون داخل المدينة المسورة ، تفتك بهم الملاريا ـ حسب ادعاء المصادر الفرنسية ـ وكانت المدينة تكاد تختنق داخل السور المحيط بها ..

كانت عنابة أشبه بحصن عسكري تعيش فيه قوة عسكرية صغيرة ، بعيدا عن الأسماع والأبصار ، حتى وقعت حرب القرم بين روسيا من جهة ، وتركيا وفرنسا وانجلترا وسردينيا من جهة أخرى (١٨٥٤ ـ ١٨٥٦) فكانت بونة بموقعها الطبيعي هي بوابة الشرق ، تتجمع فيها المعدات والتموين والقوات الفرنسية القادمة من طولون في طريقها الى حرب القرم ..

وتوقفت حرب القرم ، واعتقد الناس ان بونة ستعود للنوم ثانية ، بعد ازدهار ، ولكن بابا آخر انفتح لها ، تمثل في منجم حديد « عين مقرة » .. وقامت شركة فرنسية خاصة باستغلال هذا المنجم .

وقال الفرنسيون ان منجم عين مقرة هو الذي صنع عنابة الحديثة ، التي تساقط سورها القديم وارتفعت المباني العالية الحديثة حولها ..

الفوسفات يخلف الحديد

ونضب الحديد في منجم المقرة ولحسن حظ بونة فتح باب جديد ، انقذ المدينة للمرة الثالثة .. وكان هذا الباب هو منجم هائل للفوسفات .. ولكن بونة لم تنتعش من الفوسفات مثل انتعاشها من حديد المقرة ، الا انه ، قبيل الحرب العالمية الاولى ، اكتشف منجم للحديد هو منجم الاوونزا الذي لم يستغل الا بعد توقيع الهدنة .. وشهدت بونة بعد الحرب العالمية الاولى ازدهارا كبيرا ، اثر البدء باستغلال هذا الحديد على اوسع نطاق

---

* من كتاب المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجيلالي .



.. واحتل ميناء بونة المركز الاول بين موانىء الجزائر في التصدير .. وانعكس النشاط الصناعي على النشاط الزراعي ، حتى قيل ان الأعوام من ١٩٢٠ الى ١٩٣٩ ستظل في تاريخ شرق الجزائر مثالا للرخاء عن طريق الزراعة .. فقد ظهرت التعاونيات الزراعية على أوسع نطاق .. امدت الفلاحين بحاجتهم ، واخذت منهم انتاجهم ، من نبيذ وفاكهة ، لبيعه في اسواق أوربا ..

وهكذا نجد أن الارض هي التي ساعدت على امتداد بونة وانتعاشها ، فكان عدد سكانها ينمو بسرعة مذهلة : من ٧٠ الفا عام ١٩٢٦ الى ٨٣ الفا عام ١٩٣٦ الى ١٢٠ الف عام ١٩٥٤ الى ١٦٠ الف عام ١٩٦٢ .

واليوم يحاول ٣٠٠ الف نسمة العيش في نفس الحيز الذي كان يعيش فيه ١٦٠ الف نسمة قبل الإستقلال .. ولكن محاولتهم في التكدس لم تجد ، فاقاموا الأكواخ من الصفيح والخشب في ضواحي مدينة عنابة ، يعيش فيها ٤٠ الف مواطن ، هم الذين ضاقت مساكن عنابة عن استيعابهم ..

ان مشكلة السكن في عنابة هي مشكلة المشاكل ومعدل الايجارات يتراوح بين ٣٠٠ الى ٦٠٠ دينار جزائري شهريا (٥ دنانير) تقريبا للشقة ذات الحجرتين ..

البلدية مسئولة عن ١٥ الف تلميذ

وتجدر الاشارة الى ان تسعة اعشار اراضي عنابة تملكها الدولة ..

هكذا صرح لنا رئيس المجلس الشعبي البلدي الأستاذ البشير مسيخ ، الذي استطرد قائلا : « يلزمنا وقت لتطوير البلاد .. لا بد من امكانيات .. ولا بد من اطارات (ادارات) ، وهذه لا نعثر عليها ، بل لا بد من تكوينها وتدريبها .. اننا في حاجة الى سنوات حتى نحقق ما نريد .. وقد خططنا لتصبح عنابة مدينة صناعية اقتصادية .. تمتد ناحية الجنوب .. »

وتتحمل بلدية عنابة مسئوليات عديدة ، تختلف عن مسئوليات البلديات في مختلف اقطارنا العربية .. فهي مثلا مسئولة عن سد الثغرات في التعليم ، وفي هذا قال لنا رئيس البلدية : « اننا ملتزمون بادارة المدارس الابتدائية ، وعددها ٥٥ مدرسة ، وعندنا ١٥ الف تلميذ تقع علينا مسئولية تغذيتهم .. »

أغلب آثار عنابة ما زال مطمورا تحت الأرض ، والقليل الذي اكتشف نقل الى خارج الجزائر قبل استقلالها .. ومع ذلك توجد في متحف عنابة بعض القطع الفينيقية والرومانية ، ولوحات رائعة من الفسيفساء الملونة،كانت تزهو بها منازل مدينة هيبون الاثرية .. وهذه لوحة منها طولها ٦١/٩ متر ، وعرضها ٣١/٥ متر .. توضح طريقة صيد النمور والأسود ، عند محاولتها التهام الخراف المستعصية كطعم لاجتذابها .. فتخرج بها لتعدو وفي اطرافها النار المشتعلة ، قبل أن تقدر عليها الشباك .. وهذا يدلنا على أن الأسود والنمور كانت تعيش بمنطقة عنابة في قديم الزمان .

٢٤ ساعة تعليم

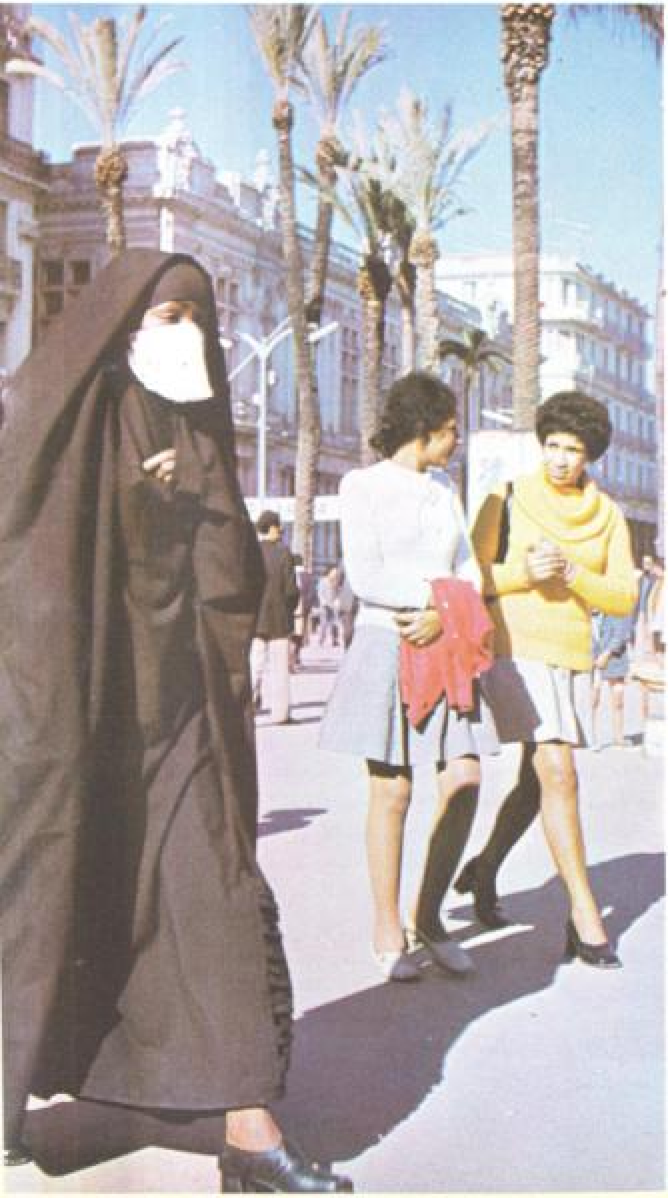
وخير من يتحدث عن التعليم في عنابة هو بوحجة محمد ، مدير التعليم التكنولوجي للتربية ، الذي



الى اليمين : ٢٠٠ فتاة يتعلمن في المعهد الاسلامي الذي أصبح حاليا ثانوية التعليم الأهلي ، انهن يتعلمن العلوم العربية ، والمواد الاجتماعية ، والرياضيات والعلوم الحديثة واللغة الفرنسية ، الى جانب التدبير المنزلي.



الى اسفل : القديم والحديث يتقابلان في شوارع عنابة .. الميني والميكرو ، يكشفان أكثر مما يخفيان .. وبجانبهما احدى السيدات ترتدي الملحفة ، أي الملاءة السوداء تغطي بها كل جسمها ، وتضع العجار ، أي المنديل الابيض المطرز على وجهها ، فلا يظهر منها الا عيناها .. وقال لنا بعض رجال عنابة : **« المرأة العنابية تكون رشيقة قبل الزواج فقط .. وغالبية النساء يعملن طوال الاسبوع ، أما يوم العطلة ـ الاحد ـ فتخصصه المرأة لحضور الافراح .. وهكذا لا تكاد تراها فتضطر للجلوس الى المقاهي ، والتحدث مع الأصحاب.»**





بالرغم من التحول الاجتماعي صوب المجتمع الاوربي ، الا أن التقاليد والعادات العربية ما زالت تحتم وجود « صالة عرب » في كل منزل عنابي .. للجلوس والاستقبال .. وهذه عائلة رويش أحمد تشرب « الكافيه » القهوة ، فهي خير من « التي » الشاي .. وتشرب الكافيه صباحا وبعد الظهر ، ومعها البسكويت والقروش .



في وسط مدينة عنابة يقوم استاد ٢٠ الاف شخص ، تقام فيه مختلف الـ[illegible]



١١٠٠ قبر ، تضم اجداث جنود الحلفاء الذين سقطوا هنا ، عند سفح جبل ايدوغ ، خلال المعارك التي دارت اثناء الحرب العالمية الثانية من يوليو ١٩٤٣ الى يناير ١٩٤٤ .

كان اول استاذ لتعليم اللغة العربية في عنابة ،قال:
« لقد استطعنا تحقيق نتائج رائعة في مجال التعليم بعنابة ، فجميع الاطفال الذين بلغوا سن السادسة اصبحت لهم اماكن في المدارس الابتدائية .. ولمواجهة هذا الاقبال الزائد كان لا بد أن نستعمل المباني المدرسية لفترتين : صباحا ومساء .. »

« أما على صعيد الاساتذة والمعلمين ، فاننا نهدف الى « تجزير » اطارات التعليم الابتدائي تماما في عام ١٩٧٣ بمعنى نقلها الى أيد جزائرية صرفة ، وكذلك فعلنا بالنسبة لأساتذة تعليم اللغة الفرنسية ..

.. أما بالنسبة لتعليم اللغة العربية فلم تحتج الى استيراد معلمين من البلاد العربية هذا العام ، اكتفاء بما لدينا منهم ، وممن أخرجنا من معلمين جزائريين هذا العام » .

مدرسون بالجملة ..

قلنا : « وكيف استطعتم تأمين هذا العدد من الاساتذة الجزائريين في تلك الفترة الوجيزة ؟ »

أجابنا : « لمواجهة ظروف استثنائية ، لجأنا الى اساليب استثنائية .. كان الطالب يقضي في دار المعلمين ٤ سنوات ليصبح مدرسا متوسطا .. وكان عدد الخريجين غير كاف ، فأسسنا المعاهد التكنولوجية بدلا من دور المعلمين لتكوين الاطارات المتوسطة بصفة سريعة ، فاختصرت مدة تكوين الاستاذ الى سنة أو سنتين .. وهكذا من المنتظر أن يتخرج من معاهدنا في كل أرجاء الجمهورية الجزائرية ، عدد يتراوح بين ٧ و ١٠ آلاف معلم سنويا » ان المسئولين في المعاهد التكنولوجية يعرفون جيدا صعوبة الجمع بين الكم والكيف ، ولكنهم يتداركون هذا بنوعية التعليم مهما تقدم للطالب المعلومات اللازمة ، الى جانب تعليمه كيف يتعلم وحده ، ويكوّن نفسه بنفسه .. »

ومما يذكر ان في عنابة خمس بعثات تعليمية عربية ، من سوريا ، وفلسطين ، ومصر ، وتونس ، والعراق ، تضم ٥٥ مدرسا ، يعلمون في المراحل التي تلي المرحلة الابتدائية ..

البريد والبرق والهاتف P.T.T.

والأمية في الجزائر تعتبر من اخطر رواسب



رياضي كبير ، يتسع لجلوس سبعه المباريات الرياضية ، وخاصة مباريات القدم .



التاريخ مدون في عمارة ! : عشرة تماثيل تحمل فوق رؤوسها عمارة من اوائل العمارات الحديثة في المدينة ، وكل تمثال يمثل عهدا من العهود التي مرت على عنابة .

الاحتلال الطويل .. وتلمس آثار هذه الامية في مختلف المجالات ؛ فلافتات المحلات تحمل أخطاء كثيرة ، مثل : تصليح راديو من كل انواع ـ سياقة الأحباب ! .

والشيء المثير للانتباه أن اغلب الناس يجيدون التحدث باللغة الفرنسية ، نتيجة ١٣٢ سنة من الاحتلال ، ولكنهم لا يكتبونها ، وكثيرون منهم لا يقرأونها ، وانما يتكلمون فقط ..

ومن متاعب المواطن العربي النازل في عنابة ، استعمالهم الحروف الاولى من التسمية الفرنسية ، للتعبير عن الكلمة نفسها ، مثل قولهم P.T.T. بدلا من البريد والبرق والهاتف و T.N.A بدلا من المسرح الوطنى الجزائرى .. وهكذا الكثير من الحروف التي اخذت مكان الكلمات !

في الصبح ثانوية .. وبعد الظهر للأمية !

وتشير الاحصائيات الجزائرية الى أن نسبة الامية بلغت اكثر من ٩٠٪ بين السكان وهي نسبة كبيرة مرتفعة ..

واكثر الناس ميلا للتعليم هم الموظفون والعمال الحاصلون على الابتدائية ، هؤلاء وجدناهم يقبلون بشغف زائد على « الجامعة الشعبية المسائية » لتكملة علومهم من الاولى الاعدادية ، حتى نهاية المرحلة الثانوية ..

وفي الصباح تعود مباني الجامعة الشعبية لتتحول الى مدرسة ثانوية للتعليم الاصلي (اى العربي) .

كل لسان .. انسان !

اما عن الثورة الثقافية الجزائرية ، فقد عاصرناها محتدمة على صفحات المجلات حول موضوع: « الازدواج اللغوى في الأدب الجزائرى» .

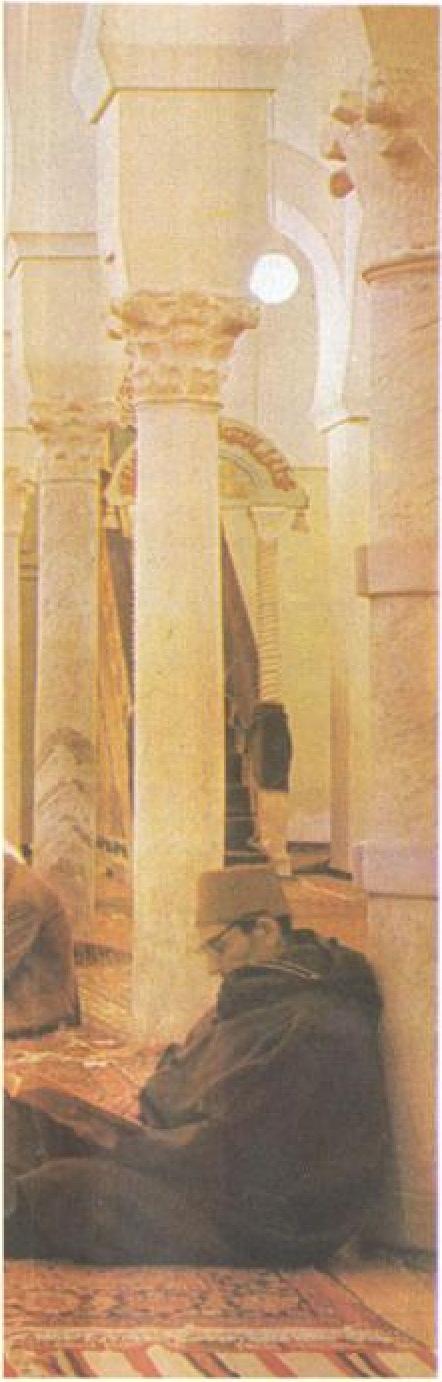
الكتاب الجزائريون الذين يكتبون بالفرنسية يقولون : « ان اللغة الفرنسية لغة عالمية .. ونحن نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية .. » .

ويجيب كتاب العربية : « الادب الجزائرى المكتوب باللغة الفرنسية لا يمكن أن يعتبر أدبا جزائريا ، ولو كان كذلك لما خصصت له فرنسا صحفا .. » .

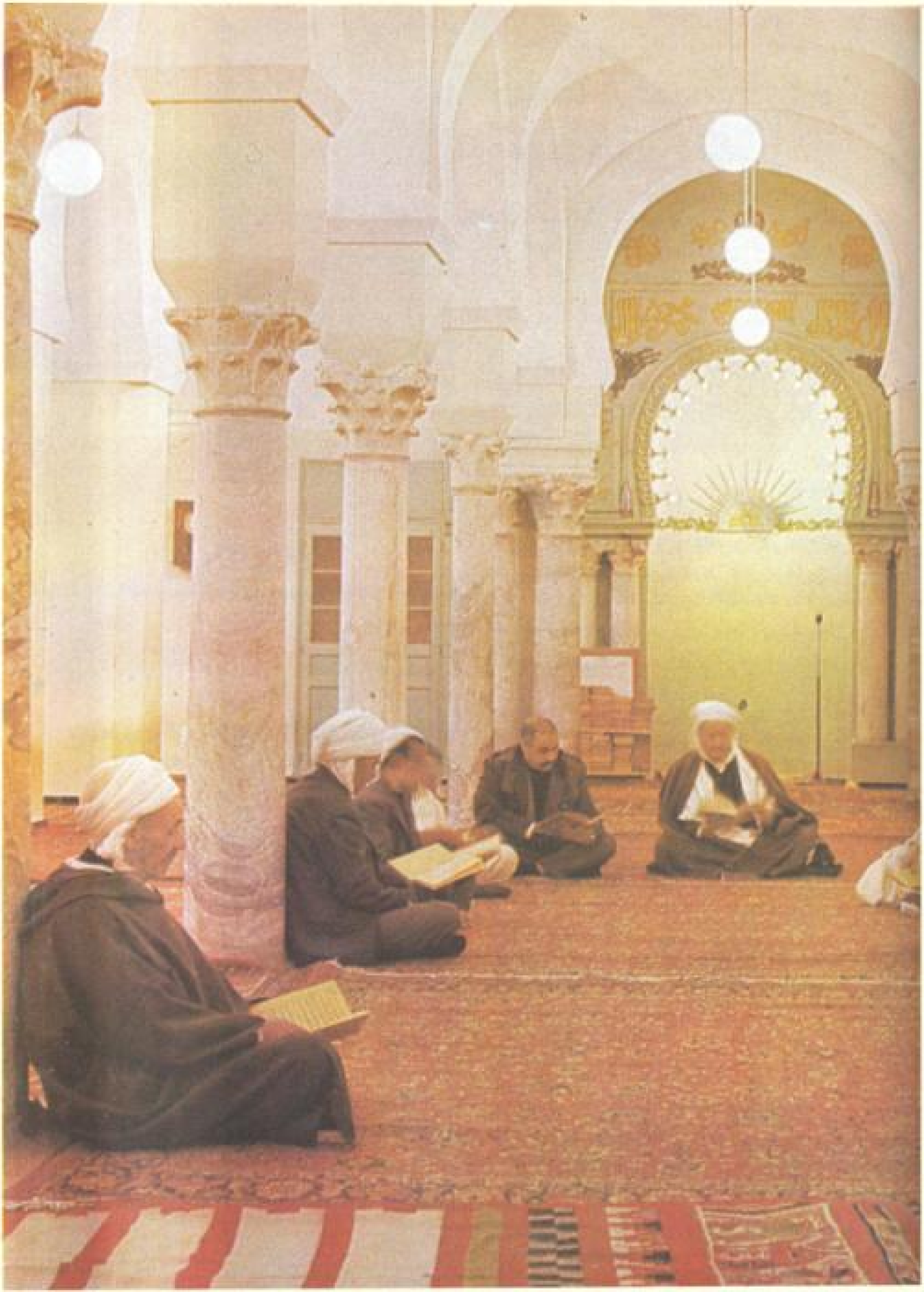
أما أدباء عنابة ، مثل : عبد الله بن ضيف ، وعبد الحميد شكيل ، فيكتبون بالعربية ، ولكنهم



مقبرة عنابة .. نظيفة ملونة .. تظللها الأشجار .. مغريات تجعل الفرد يتمنى الموت ليدفن فيها !



الى اليسار : تضم عنابة ١١ مسجدا وجامعا ، أشهرها جامع سيدى «أبو مروان» ، الذى احتفل بمرور الف عام على انشائه .. وينسب الجامع الى مروان « أبو عبد الملك بن علي البونى الاندلسي الأصل » ، وكان رجلا حافظا للفقه والحديث .. قضى خمسة اعوام ينهل العلوم من أساتذة جامع القيروان ، ثم رجع الى بلدته بونة ، واستقر بها ، وتجرد لخدمة العلم والتدريس والتأليف .. والجامع المنسوب اليه اسس في أواخر القرن الرابع الهجرى ، مع الرباط الملاصق له .. وكان الشيخ مروان يلقى فيه دروسه العلمية ويتصدى للوعظ والارشاد ، فاشتهر باسمه ونسب اليه ، الى أن توفي فدفن فيه ، وفي عام ١٨٣٨ تحول الجامع الى مستشفى عسكرى ، ليعود ثانية في عام ١٩٤٥ ويصبح جامعا وفي عام ١٩٦٤ انفجرت الباخرة المصرية المحملة بالذخيرة في ميناء عنابة ، فتصدع بناء الجامع ، وسارعت الحكومة المصرية باصلاحه على نفقتها .. واعيد افتتاحه في عام ١٩٦٨ بعد أن لبس حلة قشيبة جديدة .. ومما يذكر أن الاعمدة الرخامية التى تعتمد عليها عمارة المسجد الاولى ، قد أخذت من آثار مدينة هيبون الفينيقية الملاصقة لعنابة .



يرون انه ليس هناك ضرر من وجود « مزدوجي اللغة » فسلاحهم يكون ذا حدين ، يحاربون به في شتى المعارك والجبهات ، فكل لسان في الحقيقة هو انسان ..

٥ مدارس للبنات في كل حي !

وتعليم الفتاة يسير موازيا لتعليم الفتى ، وحدثتنا السيدة اسما بلقاسم جبارة ناظرة مدرسة « الأيام الحلوة » الابتدائية للبنات فقالت : في السابق كانت الفتاة العنابية تترك المدرسة بعد حصولها على شهادة الابتدائية ، وتعتكف في المنزل تصنع أثواب الزفاف والزواج التي لاتنتهي .. أما الآن فقد امتد تعليم الفتاة الى كل المراحل، ولم تعد هناك فتيات خارج المدرسة ، فكل أم تشجع بنتها على التعليم حتى لو كان عمرها ١٧ سنة .. ونتيجة لهذا الاقبال انتشر تعليم الفتاة على أوسع نطاق ، وأصبح في كل حي من أحياء عنابة خمس مدارس للبنات على الاقل ، كاملة العدد تماما .. »

أرقهم شعوراً ..

وامتد الحديث الى العنابية فقالت السيدة جبارة : « المرأة العنابية شديدة العناية بمنزلها والمرأة العاملة ما تكاد تنتهي من عملها حتى ترتدي « الجندورة » مكان الميني الجوب ، وتربط شعرها المرسل ، وتشرع في الاعتناء بمنزلها .. وتطبخ مختلف الانواع ، من كسكسي الى الكسرة (رقاق بالطاجن) الى التريدة (عجين مقصوص مثل المكرونة) الى القرص (سميد بالعجوة) وغيرها ..

« وسن الزواج عند الفتاة العنابية أصبح هو سن البلوغ ، وسابقا كان ممنوعا على الفتاة أن تتزوج قبل السادسة عشرة من عمرها » .. وللمجتمع العنابي عاداته الخاصة ، فمثلا لم يعد الأهالي يرتدون السواد حزنا على الميت ، كما اختصرت فترة الحداد الى يوم او يومين فقط .. ومع ذلك فان المواطن العنابي الاصيل هو أرق أهل الجزائر شعورا .. واذا عرفك واطمأن لك ، فتح لك قلبه ، وأعطاك ثقته الكاملة .. »

ولكن العنابي الاصيل اصبح اقلية في بلده ، فنسبته لا تتعدى ١٠٪ من مجموع عدد سكان المدينة ..

رحم الله ابن حوقل !

والمجتمع العنابي الجديد الذي تكون بعد الاستقلال ، ابعد ما يكون عن عادات المجتمع القديم ، فهو مجتمع صناعي لا يهمه كثيرا رقة الشعور ، ولا يبالي بالهجوم العنيف الذي تشنه الصحافة الجزائرية عليه .. ولا يكترث ان كانت عنابة تعيش ازمة ثقافية او اجتماعية ! .

كل هذا لم يعد يهم أفراد المجتمع الجديد .. لانهم مشغولون بتأمين قوت يومهم .. وخاصة بعد الارتفاع الجنوني في الأسعار الذي جعلنا نترحم على قول رحالتنا العربي الجغرافي ابن حوقل عندما قال : « ان رخص الاشياء موصوف في عنابة .. » هذا ما قاله ابن حوقل منذ ألف عام، اما اليوم فقد بلغ سعر كيلو اللحم ١٥ دينارا جزائريا .. (كل ٥ دنانير = دولارا) وكيلو الخيار ١٢ دينارا ، والحذاء ٨٠ دينارا .. وهذه الاسعار سجلناها وغيرها من الباعة أنفسهم ..

ماذا يصنعون ؟

وتكاد دور السينما ان تكون هي المحال الترويحي الليلي الوحيد في عنابة .. وان كان البعض يفضل التنزه في ميدان الثورة تحت اشجارها الضخمة العالية ، التي سألناهم عن اسمها ، فقالوا :

الى اسفل : السيدة اسما بلقاسم جبارة ناظرة مدرسة الأيام الحلوة ، تستقبل طالبة جديدة جاءت بها أمها الى المدرسة ..



« ما كانش لها اسم !! » .. وقد سبقهم الى التجول تحت ظلالها الكاتب الفرنسي الكبير البير كامو ، الذى اشار لها فى كتاباته باسم Ficvs وهو الاسم العلمى لشجرة التين ..

وفى هذه الساحة الواسعة نرى الناس دائما غادين رائحين .. ونسألهم : ماذا يصنعون ؟ وجوابهم : الوقت يقتلون .. فراغ هائل يعيشون فيه ، يجلسون على المقاعد الحجرية فى الساحة العامة امام محطة السكة الحديد ، يدخنون السيجارة تلو السيجارة .. وبعضهم يجلس على مقاعد المقاهى يحتسى القهوة او يشرب الماريتيز .. سائل غازى احمر اللون .

ويتميز اهل عنابة عن بقية بلادنا العربية ، بطبعهم الحاد الملتهب ، وقد رأينا من المعارك اليدوية الدامية ما لم نر مثله فى اى بلد عربى اخر .. . والغريب ان الجمهور لا يتدخل لفض المعركة ، انما يتفرج عليها حتى تنتهى بصورة او اخرى .

ومسكين الشخص الذى يحمل آلة تصوير .. ان الحساسية من التصوير تبلغ ذروتها فى عنابة .. كل شيء ممنوع تصويره .. حتى الآثار هيبونة ممنوع تصويرها .. وكم من مناقشات طويلة خضناها دفاعا عن آلة زميلنا المصور .

انهم يأنفون ان نصور ماسحى الأحذية او الشحاذين،الذين ما زالوا موجودين رغم الحملات التى بذلت لجمعهم .. ويقولون لك : « انها مشاكل ورثناها ، وهى فى طريقها الى الحل عندما يعود الفلاح الى زراعة التمباك والقطن والحمضيات وتزاول التعاونيات والتجمعات الفلاحية اعمالها ، وتتم برامج التصنيع ، وتصبح عنابة العاصمة الصناعية للجمهورية الجزائرية..»

حديد .. وفوسفات

والواقع ان الصناعة فى عنابة بدأت تتجه نحو التصنيع الثقيل .. ويمكنك مشاهدة ذلك على جانبى الطريق الممتد جنوبا ، فعلى مسافة نحو ٩ كيلومترات من عنابة تشهد مجمع الحجار الكبير للحديد والصلب .. ذلك المصنع الحكومى الذى يعد مفخرة الجزائر المستقلة .

ويعتمد هذا المصنع ، الذى بدأ انتاجه فى ١٩ يونيو ١٩٦٩ على الحديد الخام ، يجلب منه يوميا ٢٠٠٠ طن بالقطارات من مسافة ١٥٠



الاروقة الجزائرية .. محاولة حكومية للقضاء على الغلاء .. وهى تبيع بدون خسارة ، وارباحها محددة من ٧ الى ١٠ ٪ لهذا كانت اسعارها مقبولة من الجماهير ، حتى ان بعضهم كان يشترى البضائع من « الاروقة » بالاسعار المخفضة ، ليعاود بيعها باسعار مرتفعة فى متجره !

كيلومترا ، حيث تقع مناجم « الونزة » التى تعتبر من اغنى مناجم الحديد فى العالم ..

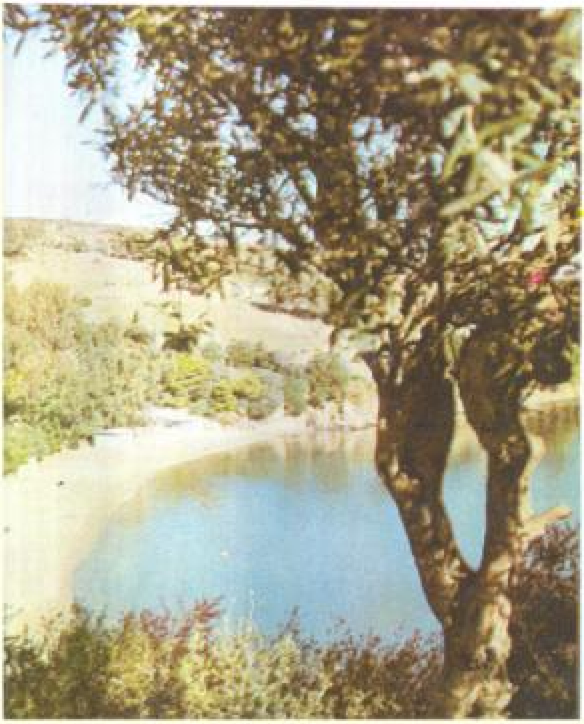
وتستهلك الجزائر فى مصنعها ، خام الحديد العادى ، اما الخام الممتاز والذى يحتوى على نسبة حديد تتراوح بين ٦٠ و٦٤٪ فيتم تصديره خاما بكميات كبيرة الى فرنسا والمانيا وروسيا وايطاليا ويوغوسلافيا .. ومن المؤمل ان يرتفع الانتاج السنوى لمصنع الحجار الى مليونى طن من الحديد والصلب فى عام ١٩٨٠ عندما تبدأ جميع وحدات المصنع فى الانتاج ..

ومما يذكر ان هذا المصنع الذى يعمل فيه حاليا ٦٢٠٠ موظف وعامل ، يعتبر العمود الفقرى لصناعات جزائرية اخرى .. فانتاجه من صفائح الحديد سيفتح مجالا امام مصنع لانتاج اجسام السيارات ، ومصنع للجرارات ، ومصنع لانابيب البترول والغاز .. الى جانب انتاجه من خطوط السكك الحديد واسلاك الفولاذ .. واسياخ الحديد للبناء ، وغيرها الكثير ..

والى جانب صناعة الحديد والفولاذ ، يقوم

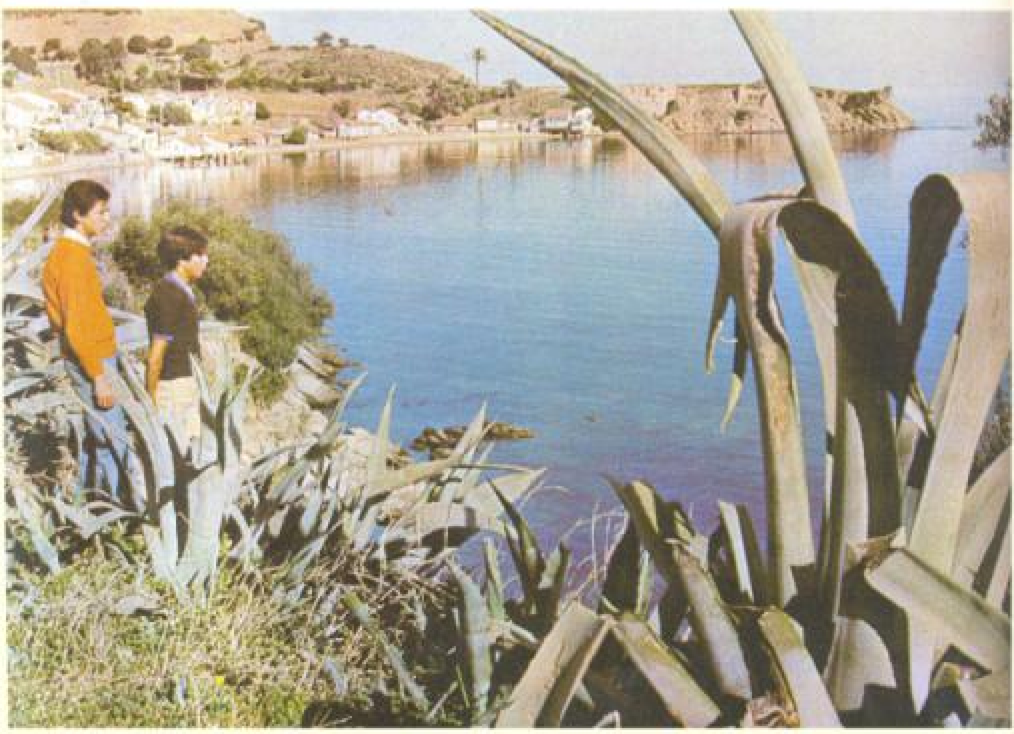


الى اليسار : صورتان للتعليم في عنابة .. اليمنى لطالبات فصل اولى متوسط ، الذى افتتح هذا العام في مدرسة الايام الحلوة الابتدائية .. والصورة الثانية لفصل مختلط في المعهد التكنولوجي للتربية ، الذى يعمل على تكوين المعلمين والمعلمات – للاقسام المتوسطة – بأسلوب حديث سريع .. وظهر في يمين الصورة الاستاذ بوحجة محمد مدير المعهد .. ومما يذكر ان بلدية عنابة تقوم بدور ايجابي محسوس في حقل التعليم .



الى اليسار : جمال عنابة الحقيقى تشهده في خلجانها السبع المتتابعة التى تحولت الى شواطىء مثالية للاستحمام .. انها سواحل مازالت على طبيعتها الاولى ، شوهتها بعض المنازل الصغيرة التى تناثرت في بعض اجزائها .. ويربط هذه السواحل ببعضها طريق (كورنيش) طوله ١٥ كيلومترا ، يطلقون عليه اسم « الطنف » .





مصنع الكيماويات الفوسفاتية الكبير ، الذي يفي انتاجه من السماد الكيماوي بحاجة الجزائر كلها ، والكميات الكبيرة الزائدة يتم تصديرها للخارج ..

تدهور غرفة التجارة والصناعة

وفي منطقة عنابة ٥٤ مصنعا آخر ، تنتج مواد استهلاكية متعددة ، من بسكويت ، وامواس حلاقة ، واحجار بطاريات ، واحبار مطابع ، ومصابيح كهربائية ، وجوارب نايلون .. وغيرها الكثير .. كلها تعمل بصمت ، دون ان تعرف غرفة التجارة والصناعة عنها شيئا .. ونتيجة لانعدام الاتصال بين الغرفة والمصانع ، تدهورت اوضاع الغرفة وسحبت معظم اختصاصاتها السابقة ، وهبط عدد موظفيها من مائة موظف الى اربعة موظفين فقط ، ما زالوا يقيمون في المبنى الكبير الذي تمتلكه غرفة التجارة والصناعة بعنابة ..

ورق وزيت وفلين

وهناك مشاريع كثيرة لاقامة العديد من المصانع في عنابة ، منها مشروع لصنع الورق الممتاز من نبات الحلفاء الذي ينبت بكثرة في مختلف أجزاء ولاية عنابة .. وهناك مشاريع لاقامة معاصر لزيت الزيتون ، الذي تنمو اشجاره بكثرة في ارض الولاية ، ومصنع لصناعة القاطرات .. ومصنع حديث كبير لصناعة الفلين ، الذي تنمو أشجاره بوفرة في عنابة .. اما المصنع الحالي الكبير ، فقد احرقه المجاهدون عام ١٩٦١ في اثناء جهادهم ضد المحتلين .. ولم تبق منه سوى أطلال تقريبا ..

ويتم حاليا تصدير نحو ٢٨ الف قنطار من فلين عنابة خاما الى كوبا ويوغوسلافيا وروسيا والمانيا ..

الى اسفل : الاستاذ بشير السيخ ، رئيس المجلس البلدي ، وبجواره الاستاذ بوحجة محمد ، امام خارطة لوضع تغيير مجرى نهري سيبوس وبوجيما ، اللذين أصبحا يصبان على بعد ٦ كيلومترات من المدينة



« منصور » حامي الديار والقصور

ان عنابة اليوم تقف على عتبة تغيير شامل ، وقديما كان الفرنسيون يرسلون البطاقات الى ذويهم تحمل صورة مقابر بونة قائلين عنها :

لو رأيتها فسوف تشتهي الموت لتقبر فيها !

والاهالي لا يزورون المقابر كثيرا ، فقد الفوا الموت اثناء حرب التحرير ، حتى تساوى الموت والحياة عندهم تقريبا . ولكنهم يقصدون مزارات الاولياء ويتبركون بها مثل مزار « السمة رقود » ومزار « سيدي منصور » الذي تقف امامه النسوة يرددن : « يا سيدي منصور عاوني واطلب من ربي معي .. يا منصور يا حامي الديار والقصور ومخرجها من المحنة أيام الجورة .. وسارها من الفجور أعد لي ابني المفقود ، بحق الله القدير الغفور » .

لو تكلم ايدوغ ؟

ويتردد صدى صوتها عند سفح جبل ايدوغ .. الجبل الكثير البرد والثلج ، الذي يقف كالطود وكأنه يسجل الاحداث التاريخية المتعاقبة تحت سمعه وبصره ..

وتنطلق الريح تعصف حوله .. فيخيل لك انه يدمدم ويردد ما يقوله اغلب المسئولين الجزائريين : « ان جميع المشاكل التي ظهرت بعد تحرر الجزائر هي ظواهر عادية ، يمكن علاجها كلها ، اذا استطعنا حل مشكلتنا الرئيسية ، وهي توفير الموظفين المدربين الاكفاء في جميع المجالات ، ليكونوا في مستوى المسئولية .. مسئولية النهوض بشعب مكافح ثائر ، ضحى بكل عزيز وغال من أجل حريته واستقلاله .. »

وتهدأ الريح قليلا وهي تردد : « لقد أصبحت عنابة قطبا صناعيا جذابا .. يجذب اليه الصالح والطالح .. وقانا الله الشرور .. »

سليم زبال



طبيب الأسرة

يجيب عليها نخبة من الاطباء

البول السكرى الوراثي فى بداية العمر
علاجه الوحيد حقن الانسيولين

● أنا شاب في مقتبل العمر ورثت من والدى مرض البول السكرى وقيل لى انني ساعالج مدى الحياة بالانسولين بالابر فهل هذا صحيح ؟

ــ ان مرض البول السكرى يختلف من شخص الى آخر ، فالبعض يصاب به فى اول العمر ، وهذا النوع هو النوع الوراثى الشديد وهو يدل على ان خلايا البنكرياس لا تعمل كما يجب فتفرز كمية صغيرة من الانسولين لذا يحتاج صاحبها لمعونة من خارج جسمه وهذه الحاجة تكون ملحة خصوصا فى فترة النمو فيسمح للطفل او الشاب بأن يأكل الغذاء الكافى لنموه ولطاقته دون الاسراف فى الحلوى . وهذا يتطلب كمية كبيرة من الانسولين ، لذا نجد انه فى مثل هذه الحالة يحتاج المريض الى ثلاث حقن يأخذها قبل الافطار وقبل الغداء وقبل العشاء لكي يستفيد من هذه الوجبات ، بل ومن الخطورة بمكان لو تركت هذه هذه الحقن فترتفع نسبة السكر فى الدم وما يتبع ذلك من ارتفاع الاحماض الكيتونية مسببة نوبات الغيبوبة السكرية وتعرض المصاب للمضاعفات الكثيرة لمرض السكر .

وكم من أفراد كثيرين أصيبوا فى مقتبل العمر بالمرض . وتعلموا اعطاء انفسهم الابر ومرنوا عليها واصبحت عادية بالنسبة لهم وعاشوا ويعيشون حياة عادية . والمهم فى الأمر هو ان يداوم الانسان على الحقن . والذى يتغير هو الكمية اللازمة فهى تتغير حسب الحالة وكذلك نوع الانسيولين فربما عندما تعتدل نسبة السكر فى الدم يحاول المصاب ان يأخذ حقنة واحدة بها انسيولين من الذى له مفعول طويل مع انسيولين ذى فعالية سريعة اى انسيولين مائي مع انسيولين بروتامين زنك وغيرها من الانواع المختلفة حسب وصف الطبيب له .

وفى هذا النوع من البول السكرى اثبتت العلاجات بالأقراص عدم فعاليتها لأنه كما اسلفت كمية الانسيولين التى يفرزها البنكرياس غير كافية ؛ لذا كان على الفرد ان يأخذ العلاج باستمرار ومدى الحياة الى ان يكتشف الطب علاجا آخر يكون ناجعا ودون اللجوء الى الحقن المستمر .

الشيب المبكر .. ما هي اسبابه ؟

● **انا طالب في العشرين من عمري ، الاحظ ان الشعر الابيض قد ازداد كثيرا فى راسي في السنة الاخيرة ، فما هو السبب ، وكيف العلاج ، وفي اى عمر عادة يشيب الشعر ؟**

ــ الشعر الرمادي ، او الابيض ينتشر بين الناس كتطور طبيعي لتقدم السن ، وعادة يبدأ رماديا ثم ينتهي باللــون الابيض الناصع ، ولكن الشعر الرمادي الحقيقي قليل الحدوث ولكن وجــود الشعر الابيض وسط الاسود يعطيــه الصبغة الرمادية .

وعادة يبدأ الشعر فى البياض عند عمر ٣٥ سنة، الى الاربعين الا انه فى بعض الاحيان قد يتأخر حتى عمر الخمسين ، وبياض الشعر عادة يكون تدريجيا وببطء ويبدأ على جوانب الراس ثم يمتد تدريجيا الى قمة الراس ، واخيرا تبيض مؤخــرة الراس .. وفي الرجل يبدأ البياض فى الذقن وآخر جزء يبيض هو شعر الابط والعانة . وفي بعض الاحيان وهذه نادرا ما تحدث قد يرجع الشعر الابيض الى لونه الطبيعي ثانية فى كبار السنين ، كما انه يعود الى لونه الطبيعي اذا كان البياض ناتجا عن مرض فى الراس او ضعف عام تم علاجه . والمفروض ان يبدأ البياض فى جذع الشعرة ، ولكن نادرا قد تجد طرف الشعرة هو الابيض او يكون الجذع والطرف ابيضين بينما وسط الشعرة اسود . ويقال ان الشخص الاســود يبيض شعره قبل الاشقر ، ولكن قد يكون ذلك بسبب ان البياض يلاحــظ أوضح بين الشعــر الاسود عنــه فى الاشقر .

وفى حالة حدوث البياض فى عمــر العشرين فاننا نسمي ذلك PreMature

مرض الكلب .. سببه فيروس .. وعلاجه

● **ما هو مرض الكلب وما علاجه ؟**



ــ مرض الكلب هــو مرض يسببه فيروس يصيب بعض الحيوانات مثــل الكلب والثعلب والقطط وينتقل منها الى الانســان بواسطة العض او لمس الجلد الذي به تقرحات او لحس الغشــاء المخاطي . ومدة الحضانة (اى مدة بقاء الفيروس فى الجســم الى ان تحدث الاعراض) تتراوح بين ثلاثين وسبعين يوما ، ولكنه يكون فى بعض الحــالات عشرة ايام او ربما امتد الى شهور عدة ، وبعدها تظهر الاعراض فيكون هناك ارتفاع فى درجة الحرارة مع خدور حول العضة وبعدها تحدث تقلصات فى عضلات البلع

greyness حيث يبدأ فى سن مبكرة واحيانا قبل العشرين ، ويكون كل الراس ابيض عند عمر الأربعين وعادة تكون هذه الحالة وراثية ويكون الشخص سليما وشعره سليما خاليا من اى مرض. كذلك فى حالات Poliosis حيث تظهر كتلة واحدة من الشعر بيضاء فى منطقة محددة من الراس نتيجة نقص خلقى فى صبغة الشعر وتكون فى العادة وراثية .

اما التغير المفاجىء فى لون الشعر الى الابيض فينتج عن عدة اسباب مثل الاجهاد والضعف العام ونقص فيتامين ب المركب، وجود بؤرة صديدية فى الجسم، اضطراب الغدة الدرقية ، الملاريا ، الانيميا، السل الرئوى ، التسمم المزمن، امراض القولون، القلق والاجهاد الفكرى والنفسى والاضطراب العصبى والمشاكل المفاجئة، التعرض لاشعة اكس والراديوم امراض جلدية على الراس مثل الحكة الهبرية او الثعلبة . ويزداد بياض الشعر اذا كان الشخص يستعمل دهانات للراس محتوية على امونيا او قلويات او كحول، بينما استعمال الزيوت يؤخر ظهور الشعر الابيض . كما ان العمال فى مصانع النحاس او الكوبالت او الفضة قد يتغير لون شعرهم . كذلك استعمال دهانات موضعية على الراس مثل ريزورسين او بيكربونات تفتح لون الشعر . كما لوحظ اثناء استعمال حبوب ميباكرين او كلوروكوين ان الشعر يفتح لونه ، وفى العلاج يلاحظ أن الحالات المرضية هى التى تستفيد من العلاج وليس الحالات الوراثية حيث أنه بعلاج السبب يعود الشعر الى لونه الطبيعى ، فيجب علاج الصحة العامة واعطاء فيتامين ب المركب ، وعلاج اضطرابات القولون والامساك ، وعلاج الناحية النفسية ، وعلاج اى بؤرة صديدية فى الجسم . وتدليك جلد الراس بالزيوت لتحسن الدورة الدموية، وكذلك التعرض لاشعة الشمس ، كما ان استعمال بيلوكاربين يفيد فى بعض الحالات ، واخيرا يمكن استعمال الصبغات كعلاج ظاهرى ومؤقت فقط وليس كعلاج دائم .

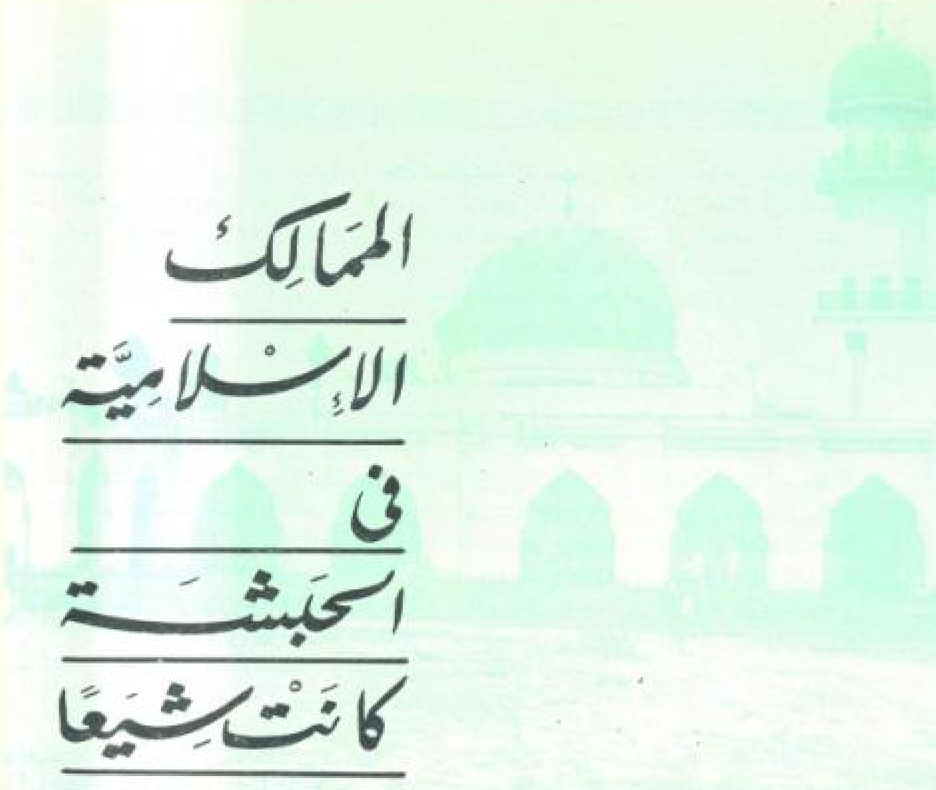
فى فترة حضانة المرض

ثم تهيج شديد الى ان يصل الى حد أن صوت الماء او حتى ذكر اسمه بسبب تقلص هذه العضلات ، وفى بعض الحالات تتأثر عضلات التنفس مع صعوبة فى هذه العملية وتحدث هلوسة وتهيجات شديدة ثم يحدث شلل فى معظم الجسم يؤدى الى الوفاة فى بحر اسبوع من حدوث المرض .

العلاج :

يجب ان يكون العلاج فى فترة مدة الحضانة واذا كان من الممكن أن لا يقتل الحيوان المشتبه فى امره ويبقى تحت المراقبة واذا لم يمت فى ظرف عشرة أيام فمعنى ذلك انه لم يكن مصابا بالمرض ، واذا مات فى هذه الفترة وتأكد من فحص مخه أن به المرض عد الحيوان مصابا بالمرض ويعطى العلاج اللازم للمريض .

واذا كانت العضة شديدة اعطى المصاب المصل المضاد (المناعة بواسطة السيرم) فى العضل وحول العضة و فى نفس الوقت يعطى الطعم لمدة ٧ ــ ١٤ يوم تبعا لحالة المرض ومدى تأثره بالعضة وسن المصاب ، واذا حدث ان الكلب بقى حيا بعد عشرة أيام يوقف اعطاء الطعم لأن معنى ذلك أن الكلب ليس مسعورا . ولا داعى لاعطاء الطعم . ■■



الممالك الإسلامية في الحبشة كانت شيعًا ثم طواها الزمان

بقلم الدكتور
جمال زكريا قاسم

■ ترجع علاقة العرب بالحبشة الى عصور موغلة في القدم ، اذ كانت هجراتهم مستمرة الى سواحل أرتيريا والصومال ، حيث كانوا يجدون في هذه السواحل ملاجىء يفرون اليها من ظروف الحياة القاسية التى تتصف بها طبيعة بلادهم ، وأساليب العيش فيها . ويستدل من قدم عهد العبيد والاماء الأحباش في بلاد العرب على العلاقات القديمة التى قامت بينهما . والمعروف أن العلاقات التجارية كانت وثيقة بين العرب ودولة اكسيوم منذ القرن الاول الميلادى ، ولعب ميناء عدن دورا هاما في تنشيط تلك العلاقات . وليس من شك في أن هجرة المسلمين الاوائل الى الحبشة في عهد الرسول عليه السلام تشكل معلما بارزا من المعالم التى تؤكد الصلات التى قامت بين العرب والاحباش.

العرب يتوغلون فى افريقية الشرقية

ومن الثابت أيضا أن العرب لم يقتصروا على المناطق الساحلية ، بل كانوا أول من توغل في هضاب الحبشة لمسافات بعيدة ، متخذين من مجارى نهر هواش وسيلتهم لذلك ، غير أن ما يؤسف له أن معظم ما سجله العرب من تلك

المحاولات الاولى قد مسته يد الضياع ، أو على الاقل لم يصل الى أيدى الباحثين . ويبدو أن الدعوة الاسلامية لقيت استجابة سريعة من الاحباش ، اذ دخل الكثيرون منهم الدين الاسلامي وعنى علماء المسلمين من ناحيتهم بتصنيف الكتب والرسائل الجامعة لبيان فضل الاحباش وآثارهم على الدين الاسلامي ، واشتهر من أولئك العلامة السيوطى الذى وضع ثلاث رسائل خاصة في هذا الموضوع .

ويكتنف الغموض تاريخ الحبشة من نهاية القرن السابع حتى القرن الرابع عشر الميلادى اذ لم يتعرض جغرافيو العرب أو مؤرخوهم لذكر شيء له قيمة في بلاد الحبشة في خلال هذه الفترة المشار اليها ، ولكن من المؤكد أن عمليات التغلغل العربى والاسلامي لم تنقطع طيلة هذه القرون ، اذ قامت سلسلة من الامارات والسلطنات الاسلامية امتدت من جنوب الحبشة حتى منطقة البحيرات الاستوائية، كما تناثرت المراكز العربية والاسلامية على طول سواحل الصومال وبلاد الجالا . وقد أكد المقريزى في القرن الخامس عشر الميلادى أنه كان للمسلمين في الحبشة سبع ممالك مزدهرة ، سميت بالطراز لأنها كانت كالطراز على سواحل الحبشة ، وهى مملكة أوفات – دوارو – ارابيني – هديا – شرحا – بالى – دارة . والحق أن المقريزى يعد أول مؤرخ سجل كتابات صحيحة عن الحبشة واخبارها وذلك في رسالته الشهيرة التى اسماها « الالمام عمن في أرض الحبشة من ملوك الاسلام » وقد أورد في مصنفه هذا اثنى عشر اقليما من اقاليم الحبشة .

كما سجل القلقشندى في كتابه « صبح الأعشى » معلومات مفيدة عن الحبشة بقسميها الاسلامى والمسيحى ، مركزا وصفه على الممالك الاسلامية ، متحدثا عن قواتها وانظمتها ، آخذا الكثير مما كتبه عن « مسالك الابصار » لابن فضل الله العمرى. وقد ركز القلقشندى بصفة خاصة على مملكة « اوفات » التى عدها أوسع الممالك الاسلامية السبع وأكثرها تقدما وازدهارا .

المسلمون يتوغلون في الحبشة

ولما كانت السيطرة الاسلامية قد تركزت في الدرجة الاولى على السواحل المتاخمة للهضبة الاثيوبية فقد نتج عن ذلك وقوع موارد الحبشة بل وعلاقاتها الاقتصادية في أيدى العرب والمسلمين مما أدى الى ايجاد أجواء من المتاعب والحرج لحكام الحبشة الذين ارتأوا ضرورة الحد من نشاط العرب ومن سيطرتهم على مرافق التجارة وطرق القوافل المتجهة من الساحل صوب الداخل .

وقد حفلت القرون الثلاثة (من منتصف القرن الثالث عشر حتى النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادى) بحروب عنيفة بين المسلمين في شرقى افريقية والاحباش ، ولم تقتصر على أن تكون حروبا محلية وانما امتدت تهديدات اباطرة الحبشة للدول الاسلامية القائمة في مصر . وبصدد ذلك تطالعنا في اوقات كثيرة تهديدات حبشية بقطع مياه النيل الازرق عن مصر ، لما كان شائعا في ذلك الوقت من أنه المصدر الأساسي لمياه النيل ، وقد وجدت مشروعات كثيرة بذلك ، وبصفة خاصة عندما كانت تتدهور العلاقات بين البلدين بسبب اشتداد الروح الصليبية . وقد ترتب على ذلك قيام صراع بين المماليك والأحباش ، لم يلبث أن تحول الى صراع عالمى بدخول قوى العثمانيين والبرتغاليين فيه .

حلف اسلامى وحلف مسيحى في شرقى افريقية

والمعروف أن البرتغاليين قد نجحوا في الوصول الى سواحل شرقى افريقية في أواخر القرن الخامس عشر وذلك في اعقاب نهضتهم الملاحية الكبرى . وكانت الدوافع الصليبية كامنة في نفوس البرتغاليين ، ويكفى للتدليل على ذلك رغبتهم الملحة في الوصول الى مملكة القس يوحنا Prester John التى يحتمل أن تكون هى بعينها مملكة الحبشة المسيحية ، وذلك لايجاد تحالف وثيق معها يكون موجها في الدرجة الاولى ضد الدول الاسلامية القائمة في المشرق . وكما تطلع الاحباش الى البرتغاليين تطلعت القوى الاسلامية بدورها الى العثمانيين الذين اخذوا على عاتقهم عبء الدفاع عن العالم الاسلامى منذ النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى ، من جراء الاخطار الصليبية التى أخذت تحدق به من جديد،

والتي تمثلت في ذلك الوقت في مطامع البرتغاليين والاسبانيين .

وقد وجد العثمانيون في أمير هرر احمد بن ابراهيم الملقب بجرانيا Gragn (أي الاعسر) القوة التي تمكن لهم من السيطرة على الساحل العربي للبحر الاحمر ، فامدوه بالمال والذخيرة ، كما استفاد العثمانيون من تدينه وتقواه لاظهاره امام مسلمي الحبشة بمثابة قائد ديني ، يجمع كلمتهم ، ويوجه قوتهم للجهاد . وأثمرت المساعدات العثمانية ثمرتها حينما أعلن الامام أحمد بن ابراهيم ثورته على النجاشي «لبنا دنقل » والتف حوله مسلمو الصومال ، ونجح في اكتساح اجزاء كثيرة من الهضبة الاثيوبية ، وايقاع الهزيمة بجيوش « لبنا دنقل » في أكثر من موقع . وقد استمرت غزوات المسلمين بقيادة جرانيا نحو سبعة عشر عاما (١٥٢٥ ـ ١٥٤٢) وكان لهذه الغزوات اثر كبير في نشر الاسلام .

ومن حسن الحظ أن غزوات « جرانيا » داخل الحبشة سجلها مؤرخ عربي من جيزان ، كان يرافق الامام في غزواته ويدعى « احمد بن عبد القادر شهاب الدين » الملقب « بعرب فقيه » وذلك في كتاب له عرف باسم « فتوح الحبشة » . وقد نشر المستشرق الفرنسي رينيه باسيه Rene Passet القسم الأول من هذا الكتاب في عام ١٩٠١ بنصه العربي ، مع ترجمة فرنسية وتعليق عليه ، وللاسف لم يعثر على القسم الثاني من هذا الكتاب . اما القسم الأول من كتاب « عرب فقيه » فيسجل عظم النفوذ الذي وصل اليه الامام « احمد بن ابراهيم » ، كما يتضح منه ايضا ان النفوذ الاسلامي وصل الى الاراضي المتاخمة لبحيرة تانا . وقد عني « عرب فقيه » ببيان المسالك التي كانت تسير فيها جيوش الامام وفتوحاته في الحبشة . وليس من شك في أن تأجج الحماس الديني لهذه الغزوات كان نتيجة تحريض العثمانيين وتشجيعهم ، أو انه من ناحية اخرى كان رد فعل لمساندة البرتغاليين للاحباش ، خاصة بعد أن قام تحالف برتغالي حبشي ، اذ ادرك النجاشي « لبنا دنقل » بعد ان ارغم على ان يفر امام « جرانيا » من موقعة الى اخرى ، وبعد أن اخذ « جرانيا » يتصرف في الحبشة تصرف صاحب الأمر ـ انه لم يعد له وسيلة لاسترجاع هيبته الا طلب المعونة من البرتغاليين الذين بدأوا قوة بحرية ضخمة يحسب حسابها في مياه المحيط الهندي ، خاصة بعد تحطيمهم للاسطول المملوكي المصري في موقعة ديو البحرية الشهيرة على سواحل الهند في عام ١٥٠٩ .

وقد بادر « لبنا دنقل » بارسال وفد الى لشبونة ، قابل ملك البرتغال ، ووصف له حرج مركز النجاشي ، واسرع ملك البرتغال من ناحيته بارسال تعليمات الى نائبه في الهند يطلب فيها تجهيز اسطول برتغالي لمساعدة النجاشي . وعلى الرغم من أن المسلمين في الحبشة قد فوجئوا بوصول ذلك الاسطول الضخم أسرع جرانيا الى طلب امدادات سريعة من الباشا العثماني في زبيد (١٥٤٢) وتمكن بفضل المساعدة التي تلقاها من مطاردة الحملة البرتغالية بل لقد نجح في قتل قائدها كريستوفر دي جاما ، ولكن لم يلبث أن وصل مدد آخر من قوة برتغالية كبيرة هاجمت جيوش جرانيا ، ونجحت فصيلة منها بقيادة « بدرو ليوني » في تعقب الامام حيث أطلقت عليه الرصاص فجرح على أثره جرحا نافذا ، ويقال انه انسل الى الغابة وهو يقطر دما ، فتبعه « بدرو » حتى رآه يسقط ميتا عن صهوة جواده ، فيقطع اذنيه ، ويذهب بهما الى النجاشي كلاوديوس الذي خلف اباه في الحكم ١٥٤٠ ـ ١٥٥٨ .

البرتغاليون يطالبون الحبشة باعتناق الكاثوليكية بدل الارثوذكسية

وقد طلبت البرتغال من الحبشة ثمن هذه المساعدة وهو ان تنضم الى الكنيسة الكاثوليكية . ومن المؤكد أن المعاهدة الحبشية البرتغالية كانت تنص في بعض موادها على اباحة دخول قسس الكاثوليك الى الحبشة في نظير معاونة البرتغال لها ضد المسلمين ، وبالفعل شهدت الفترة التالية ـ من النصف الثاني من القرن السادس عشر حتى السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر ـ نشاطا تبشيريا واسع المدى، قامت به الجمعيات الكاثوليكية من طوائف الجزويت والدومينكان ، بهدف تحويل الحبشة العريقة في ارثوذكسيتها الى المذهب الكاثوليكي

الحبشة تستنجد بالمسلمين للتخلص من البرتغاليين

ومن الطريف ان تلجا الحبشة في غمار هذا الصراع المذهبي الى طلب المعونة من جارتها المسلمة: اليمن ، بل لقد وصل الأمر الى ان يكتب النجاشي « فاسيلادس » الى امام اليمن يبلغه عن رغبته في فهم الدين الاسلامي ، لعل الله يهديه الى اعتناقه . وتسجل رحلة الحسيمي الى الحبشة في السنوات الاولى من القرن السابع عشر ، تفصيلات كثيرة عن وفادة يمنيــة ارسلت الى النجاشي ، وعلى الرغم من أن هذه الوفادة لم تحقق هدفها الديني الا انها حققت نجاحا جغرافيا بفضل ما أتت به من وصف دقيق لطبيعة أراضي الحبشة وقبائلها ومسالكها التى عنى الحسيمي بتسجيلها في كتابه المعروف « حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر » .

نشاط التبشير بين الوثنيين في الحبشة

والامر الذى لا شك فيه أن الجهود المضنية التى قام بها الامام احمد بن ابراهيم امير هرر ، ومن بعده الامير نور بن مجاهد ـ لم تذهب سدى اذ كانت سببا اساسيا في انتشار الاسلام في الهضبة الاثيوبية ، كما اعتنق قسم كبير من قبائل الجالا الوثنية الدين الاسلامي . ومما هو جدير بالذكر أن دعاة الاسلام في الحبشة وجدوا مرتعا خصبا في الشعوب الوثنية لنشر الاسلام ، اذ كان الرؤساء الوثنيون يدخلون الدين الاسلامي بسهولة وطواعية ، بسبب بساطة التعاليم الاسلاميــة وبُعدها عن التعقيد ، في الوقت الذى كان يعانى فيه المبشرون بالمذاهب المسيحية المختلفة من الصعاب الكثيرة في ادخال الوثنيين في حظيرتهم ، أو رد مسلميهم عن الدين الاسلامي .

وقد لعبت الطرق الصوفية دورا هاما في الدعوة الى الاسلام ونشره وتمكين الروابط بين المسلمين ، ومن هذه الطرق برزت الشاذلية والقادرية والختمية، كما استطاع المسلمون في الحبشة ان يقيموا بينهم وبين البلدان المجاورة لهم ، لا سيما مصر والسودان روابط ثقافية واقتصادية وثيقة ، فقد وفد الى الجامع الأزهر كثير من طلاب الحبشة المسلمين ، وكان لهم رواق شهير عرف برواق «الجَبَرْتية» نبغ فيه كثير من العلماء أشهرهم الامام الزيلعي ، والشيخ حسن الجبرتي والد المؤرخ المصري الشيخ عبد الرحمن الجبرتي صاحب التاريخ المسمى « عجائب الآثار في التراجم والأخبار . »

ويسجل القرن التاسع عشر تقدما جديدا احرزه الاسلام في الحبشة ، وقد ساعده على ذلك قيام الحكم المصرى في زيلع وهرر ، حتى أن كثيرا من المعلقين الاوربيين اكدوا ان من المحتمل اسلام جميع القبائل اذا دام الحكم المصرى بضع سنوات أخرى . وليس من شك في ان الاحباش كانوا من جانبهم يقدرون مدى الخطر الذى يهدد مملكتهم من جراء التوسع المصرى في السودان ومصوع وارتيريا الى أن تضع هزيمة الجيش المصرى في الحبشة نهاية للتقدم الاسلامي وتفتح المجال بالتالى لاخضاع الممالك الاسلامية المتاخمة للهضبة الاثيوبية ، وقد تم ذلك في عهد النجاشي منليك ولم يبق في الحبشة سوى سلطنة اسلامية واحدة هى سلطنة « جما » التى أضحت الملاذ الوحيد للمسلمين في الحبشة .

والجدير بالذكر ما كان من الألمان في استغلال دعوة الخليفة العثماني لحركة الجهاد الديني خلال الحرب العالمية الاولى في الدعاية لتأسيس امبراطورية اسلامية افريقية تضم اليها مسلمي زنجبار ومقاطعات الشرق الافريقي الاخرى . وعلى اى حال فقد استمرت سلطنة « جما » قائمة حيث قدر لها أن تشهد بضع سنوات من الانتعاش خاصة في عهد حاكمها ـ ابو جفار ـ ولما توفي في عام ١٩٣٤ خلفه ابنه عبد الله الذى شهد عهده افول نجم هذه السلطنة ، بنجاح هيلاسلاسي في ضمها الى حكومته المركزية . وبسقوط سلطنة « جما » لم يبق في الحبشة ممالك اسلامية ذات كيانات خاصة بها بعد أن كانت الممالك الاسلامية فيها سبعا ، لكل واحدة منها جيش خاص ، وادارة خاصة ، واستقلال تام في شئونها . ■■

جمال زكريا قاسم
الاستاذ المساعد في التاريخ الحديث
جامعة عين شمس / القاهرة

أنباء الطب والعلم والاختراع

ارقام رسمية تذاع لاول مرة
عن التقدم الاقتصادى والتكني فى الصين الشعبية

■ لأول مرة منذ أكثر من عقد من الزمان اصبح فى الامكان تقييم التقدم الاقتصادى فى الصين الشعبية على أساس ارقام رسمية بدلا من تقديرات قائمة على الاستنتاج .

وقد اذيعت مؤخرا فى تقرير عن اقتصاد العالم نشرته هيئة الأمم المتحدة ارقام احصائية تدل على أن الانتاج الصناعى والزراعى فى الصين قد ارتفع بنسبة ١٠٪ فى عام ١٩٧١ عنه فى عام ١٩٧٠ .

وهذا الرقم يعتبر من اكبر الارقام فى العالم خاصة اذا علمنا ان متوسط زيادة الانتاج فى الدول النامية وصل الى ٤ر٥٪،وفى الدول ذات الاقتصاد الموجه، كاوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتى ، يصل متوسط نسبة زيادة الانتاج الى ٤ر٦٪ .

ويقول التقرير ان استراتيجية الصين الشعبية فى التنمية تعتمد على أن الزراعة هى الأساس ، بينما تكون الصناعة القطاع الرئيسى .

وقد اعطت سياسة التنمية الزراعية اولويات لثمانية أهداف هى :

(١) تحسين التربة .
(٢) استعمال الأسمدة والمخصبات بطرق علمية حديثة .
(٣) التحكم فى مصادر الماء .
(٤) استعمال السلالات المحسنة من البذور .
(٥) استعمال الوسائل الحديثة للزراعة .
(٦) حماية النباتات والمزروعات .
(٧) تحسين الآلات الزراعية .
(٨) تحسين ادارة الحقول .

اعتمدت استراتيجية الصين الشعبية فى التنمية على ان الزراعة هى الاساس ولذلك اهتمت الصين بالتنمية الزراعية وتحسين ادارة الحقول واستعمال الوسائل الحديثة للزراعة .





ارتفع الانتاج الصناعي في الصين ارتفاعا كبيرا نتيجة لزيادة انتاج الحديد والصلب باعتباره وسيلة للتقدم الصناعي ككل .

ولتحقيق هذه الأهداف ازداد تموين المزارع من الأسمدة الكيماوية فى عام ١٩٧١ بمقدار ١٣٪ عن عام ١٩٧٠ كما حدثت زيادات ملموسة فى آليات الرى والصرف ، والمبيدات الحشرية ، والنفط اللازم لادارة آلات الزراعة ، وكذلك الآلات الزراعية .

وتقول الأرقام الصينية الرسمية ان انتاج الصين من الحبوب قد ارتفع فى عام ١٩٧١ بنسبة ٥ر٢٪ ليصل الى ٢٤٦ مليون طن ، كما أن انتاج الفدان قد ارتفع الى مستويات قياسية .

وفى قطاع الصناعة ارتفع انتاج الحديد والصلب ارتفاعا ملحوظا ، وذلك للتركيز الذى قامت به الصين على هذا المجال باعتباره وسيلة للتقدم الصناعى ككل . وتبلغ الزيادات فى هذا المجال ٢٦٪ بالنسبة لخام الحديد ، و ٢٣٪ بالنسبة للحديد المصبوب ، و١٨٪ للصلب غير المصقول ، و١٥٪ للصلب الملفوف Rolled Steel وقد وصل انتاج الصين من الصلب غير المصقول الى ٢١ مليون طن سنويا ، وهذا يضع الصين بين فرنسا وايطاليا بالنسبة لانتاج الصلب فى العالم .

وقد ارتفع انتاج الفحم فى الصين بنسبة ٨٪ ليصل الانتاج السنوى الى ٣٢٥ مليون طن ، كما ارتفع انتاج النفط الخام بنسبة ٢ر٢٧٪ ليصل الى ٥ر٢٥ مليون طن سنويا .

وتبين الأرقام ايضا أن الصين اصبحت فى عام ١٩٧١ أكبر منتج فى العالم للملابس القطنية ، ويصف تقرير الأمم المتحدة هذه الصناعة بأنها أهم انتاج استهلاكى شعبى .

وبالنسبة للتجارة الخارجية فان توسع الصين السريع فى هذا المجال فى عام ١٩٧٠ والذى وصلت الزيادة فيه الى ١٠٪ قد تقلص فى عام ١٩٧١ بنسبة ٤ أو ٥ ٪ ووصل الى ما قيمته ٤٥٠٠ مليون دولار .

وتمثل التجارة مع اليابان ٢٠٪ من تجارة الصين الخارجية ، وهى تقدر بحوالى ٩٩٠ مليون دولار فى عام ١٩٧١ .

العنكبوت
يصلح نسيجه اذا قطعت احد خيوطه

● العنكبوت يعيش تقريبا في كل بيت وفي كل مكان .. والعنكبوت نشيط، فهو لا يفتأ ينسج بيته الذي يصطاد به فرائسه ، وهو يقوم بافراز الخيوط الحريرية ويكون بها اشكالا هندسية دقيقة متداخلا بعضها في بعض حتى يظن الانسان ان العنكبوت يقوم بعمله هذا دون خطة مرسومة .. ولكن هل هذا حقيقي .. ؟

لقد ازاحت المشاهدات العلمية للعناكب الستار عن حقيقة هامة بالنسبة لهذا السؤال .. فقد قام احد الدارسين الذين جذب انتباههم حياة العناكب .. بقطع خيط من نسيج العنكبوت بابرة صغيرة محماة .. وانتظر قليلا .. يراقب ماذا سيفعل العنكبوت .. وفي لحظات احس العنكبوت بان هناك شيئا حدث لنسيجه .. واسرع الى المكان الذي قطع فيه الخيط الدقيق .. وبدأ يقوم بعملية الاصلاح ، وعاد نسيج العنكبوت الى ما كان عليه قبل قطع الخيوط . وتمثل الصور الثلاث عملية اصلاح نسيج العنكبوت . والجدير بالذكر هنا ان الذي سجل هذه المشاهدات العلمية هو طالب في مدرسة ثانوية بمدينة نيويورك .. وهوايته العلم .. !!

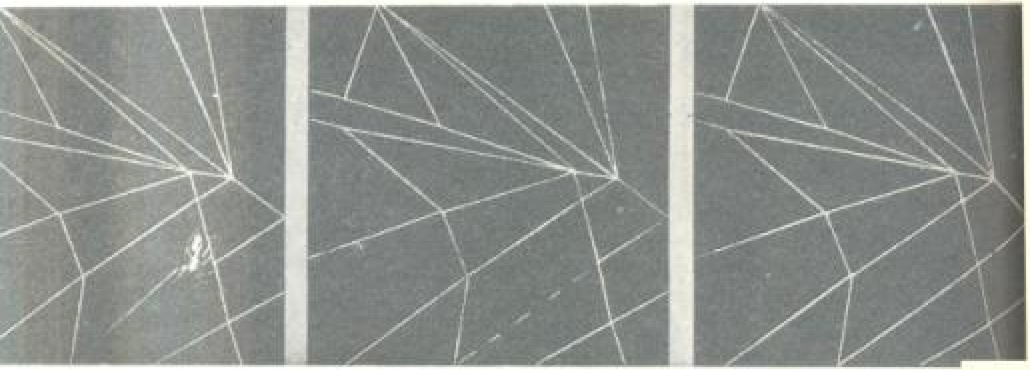
ومن بين المشاهدات الاخرى التي سجلها هذا الطالب ، ونشرت في احدى المجلات العلمية الأمريكية مؤخرا ، انه عند نقل احد العناكب من نسيج قام به الى نسيج عنكبوت آخر ، بدأ العنكبوت

الغيوم تحجب ضوء الشمس عن جو كوكب «الزهرة»

● استطاعت مركبة الفضاء السوفييتية « فينوس ٨ » والتي هبطت برفق على سطح كوكب « الزهرة » في شهر يوليو عام ١٩٧٢ ، ان ترسل معلومات جديدة عن هذا الكوكب ، وان تزيح الستار عن الكثير من الأسرار التي كانت تحيط به . ومن بين الأسئلة التي كانت تتردد على السنة العلماء ، سؤال عما اذا كانت الغيوم التي تغطي « الزهرة » تمنع اشعة الشمس من الوصول الى سطح هذا الكوكب في الجانب الذي يكون عنده النهار . وقد صممت المركبة السوفييتية « فينوس ٨ » لقياس مستويات الاضاءة على ارتفاعات مختلفة فوق سطح كوكب « الزهرة » ، وزودت المركبة بمقياس ضوئي Photometer حساس . وقد اثبت هذا المقياس الضوئي ان الغيوم تحجب اغلب اشعة الشمس فعلا عن الوصول الى سطح « الزهرة » . ولكن بالرغم من ذلك فان هناك فرقا في كثافة الضوء الساقط على الجانب الذي يكون فيه النهار وكثافة الضوء الساقط على الجانب الذي يكون فيه الليل .

وبالرغم من أن اليوم في كوكب « الزهرة » يعادل ٤ اشهر ارضية ، فان درجة الحرارة والضغط الجوى لا يختلفان كثيرا بين الليل والنهار .

وقد اكدت « فينوس ٨ » المعلومات السابقة التي حصلت عليها المركبة « فينوس ٧ » والتي هبطت على الجانب



٣ صور : الأولى من اليمين تمثل نسيج العنكبوت قبل قطعه ، في الوسط نسيج العنكبوت بعد تمزيق خيط منه ، والصورة الثالثة تمثل العنكبوت وهو يقوم باصلاح ما تمزق من نسيجه واعادته الى اصله .

فى تلمس طريقه فى النسيج الذى يختلف عن نسيجه هو، ثم بدأ فى أضافة تعديلات على النسيج الجديد الذى نقل اليه . .

وتتلخص المشاهدات التي اجراها هذا الطالب على العناكب انها تقوم بنسج بيوتها بنظام هندسي يختلف من نوع من العناكب الى نوع آخر . وانها تستطيع ان تحدد مكان فريستها بواسطة ذبذبات الصوت التي تنتج عن وقوع الفريسة فى نسجها .

المظلم من « الزهرة » فى عام ١٩٧٠ وقد سجلت « فينوس ٨ » درجات حرارة نهارية على سطح الزهرة تتراوح بين ٤٧٠ و ٤٧٨ مئوية ، فى حين كان الضغط الجوى حوالي ٩٠ .

وقد سجلت « فينوس ٧ » والتي هبطت على الجانب المظلم من « الزهرة » درجات حرارة ليلية تتراوح بين ٤٧٥ و ٤٩٥ ْ مئوية والضغط ايضا ٩٠ .

ويتكون ثاني اكسيد الكوبون حوالي ٩٧٪ من جو كوكب « الزهرة » ، اما النيتروجين فلا تزيد نسبته عن ٢٪ واقل من ار٠٪ اكسجين وربما ١٪ ابخرة ماء قريبة من الغيوم التي تغطي سطح « الزهرة » . وقد اكتشفت « فينوس ٨ » كميات ضئيلة من النشادر Amonia ، على ارتفاع يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ميلا فوق سطح « الزهرة » .

ونسبة هذه النشادر تتراوح بين ٠١ر٠٪ الى ار٠٪

وقد استمرت « فينوس ٨ » فى ارسال معلومات عن « الزهرة » لمدة ٥٠ دقيقة بعد هبوطها على سطح هذا الكوكب . وقد حللت عينة من التربة التي على سطح الزهرة بواسطة قياس الطيف الضوئي Gamma - ray Spectrometer وتدل النتائج على ان سطح « الزهرة » يشبه الصخور الجرانيتية الموجودة على سطح الأرض .

وقد دلت النتائج ايضا على ان سطح الزهرة يحتوي على ٤٪ بوتاسيوم ، و ٠٠٢ر٪ يورانيوم ، و ٠٠٠٠٦٥ر٠٪ توريوم Thorium .

وتبدو الصخور على سطح الزهرة قريبة الشبه بالصخور الارضية. ■■

تجربة في التعليم



مدارس بدون فشل

■ تجرى الآن في بلدة جارى في ولاية انديانا الامريكية تجربة ثورية في حقل التربية والتعليم ، وهذه التجربة بعيدة كل البعد عن الصيغ والمفاهيم التربوية المألوفة ، وهى تحدث دويا لا يزال يتصاعد صداه مع كل خطوة ناجحة تخطوها ، والغريب في الأمر أن هذه التجربة التربوية الرائدة تجرى على يد احدى الشركات الصناعية المرموقة وهى شركة مخابر البحوث السلوكية[1] Behavioral Research Laboratories ، ولاول مرة في التاريخ تدخل عمليات التربية في المنافسة التجارية وتخضع لموازين الربح والخسارة ، وعوامل النجاح والفشل .

بدأت قصة هذه التجربة في مستهل عام ١٩٧٠ عندما عهد مجلس التربية في بلدة جارى Gary بانكر Banneker الحكومية الى الشركة المذكورة لادارتها واجراء التجارب التربوية عليها للتوصل الى طرق أفضل من الطرق التقليدية لتعليم اطفال البلدة ، ومما حدا باهل البلدة الى اتخاذ هذه الخطوة الجريئة حالة التعليم السيئة التى تردت اليها أوضاع أبنائهم بعد ان اثبتت الطرق التقليدية فشلها الذريع ، فقد كان ثلاثة ارباع اطفال البلدة لا يستطيعون القراءة او الكتابة كنظرائهم من الاطفال في أنحاء أخرى من البلاد وكانت الحالة تزداد سوءا ويزداد التخلف سنة بعد سنة .

---

(١) السلوكية Behaviorism هى نظرية لتفسير السلوك الانسانى والحيوانى على حد سواء أرسى دعائمها العالم النفسى جـ.ب. واطسون Watson والعالم ر.ل. ثورندايك Thorndike وهى ترى أن السلوك ما هو الا استجابة Kespones فيزيولوجية للمنبهات Stimulus الخارجية ويبنى عليها واحدة من اهم نظريات التعلم . والسلوكية تعتمد المنهج التجريبى وتستند الى تجارب أ.ب. بافلوف Pavlov على الافعال المتمكنة الشرطية والتى نال عليها جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٠٤ .

قامت بها شركة

وقد تغير الحال بعد تسلم الشركة للمدرسة بعام واحد فقط وأصبح ثلاثة أرباع الأطفال قادرين على الكتابة والقراءة كغيرهم في البلاد ، واستطاعت الشركة تحقيق هذه النتيجة المذهلة عن طريق تركيز العملية التربوية حول الشخصية الفردية للطفل .

ويقول الدكتور بريان فتش Brian Fitch مدير المشروع : « ان النظرة السائدة في المدارس الأخرى هي أن الطالب الفاشل هو المسؤول عن فشله ، أما هنا في بانكر فاننا نعتبر انفسنا مسئولين عن ذلك ونحن مستعدون لتحمل المسؤولية . »

وطريقة الشركة في تحمل المسؤولية تتلخص في ارجاع الاموال التى تقاضتها عن كل طالب يفشل في الوصول الى مستوى النجاح . ووراء هذه التجربة واحد من أكثر المفاهيم التربوية اثارة واشدها عرضة للجدل والنزاع ألا وهو مفهوم « تحديد المسؤولية » والاعتقاد السائد بهذا الخصوص أن شخصا أو هيئة ما يجب أن تعتبر مسؤولة عن الحالة التى تردت اليها أوضاع المدارس الحكومية ، فالدولة تنفق على التربية ما بين ستين الى سبعين بليونا من الدولارات سنويا وقد عبر عن ذلك الرئيس نيكسون في احدى خطبه قائلا : « ان ما تنفقه على التربية يعادل ما يصرفه العالم أجمع عليها ، ومع ذلك فان مدارسنا تخرج كل عام الملايين من حملة الشهادات الثانوية الذين لا يستطيعون قراءة الشهادات التى يحملونها . »

وقد ظهر في تقديرات مجلس التربية الأعلى للبلاد ان أربعة وعشرين مليونا من الشباب ممن هم في سن الثامنة عشرة او يزيد اميون من الناحية العملية أى أنهم لا يستطيعون القراءة او العد بما يكفي لمعالجة الأعمال اليومية التى يتطلبها منهم المجتمع الحديث ، فهم لا يستطيعون العد لدفع حسابهم في المقصف وقراءتهم لا تمكنهم من معرفة الحافلة التى ينبغي أن يستقلوها لتوصيلهم الى مقر عملهم . ولا يرجع ذلك الى عدم تلقيهم القسط الكافي من التعليم اذ أن معظم هؤلاء والذين هم في الواقع أميون (٢) قد وصلوا الى المرحلة الثانوية ولكنهم لم يتعلموا سوى كراهية المدرسة .

من المسئول عن فشل العملية التربوية ؟

مفهوم المسؤولية يتركز كما سبق ذكره على ان شخصا ما يجب أن يعتبر مسؤولا ليس عن انفاق الأموال على المدارس فحسب ، بل عن الطريقة التي تؤدى بها المدارس مهمتها ، والمعنى الضمني لذلك واضح ففشل المدارس في تزويد الطلبة بأبسط المهارات العلمية يؤدى الى تخريج الملايين من الفاشلين في الدراسة والذين سيكونون في التالى فاشلين في الحياة لعدم قدرتهم على القيام بأى عمل نافع في مجتمع تقنى متقدم . فالمدارس في وضعها الحالى تهيىء الجو الذى يصبح فيه الفشل أمرا عاديا .

الشركات تتدخل

الى الرد أخيرا على هذه الحالة المتردية عن طريق عروض قدمتها بعض الشركات والتى تعهدت بالاضطلاع بمهمة التعليم ورفع مستواه ، وخصوصا فيما يتعلق بمهارات القراءة والكتابة والحساب على أن تتكفل الشركات برد النفقات في حالة فشلها في الوصول بالتلاميذ الى مستوى النجاح ويعرف هذا النوع من التعاقد باسم تعاقد الانجاز Performance والذى يعتبر من أحدث الموضوعات التربوية وأكثرها اثارة للجدل .

ولم يكن هناك قبل عامين سوى عقد واحد بالانجاز في الولايات المتحدة بأسرها أما الآن فقد ارتفع عدد هذه العقود الى مائة وسبعين عقدا كلفت الدولة ما يقرب من سبعة ملايين من الدولارات .

موقف الهيئات التربوية ونقابات التعليم

تلقى فكرة تحديد المسؤولية ، والتى هي من وراء عقود الانجاز معارضة حادة من رجال التربية ومن اتحادات التعليم بالذات ، وهم يصرون على

(٢) تقوم حاليا دراسات جادة في جامعة لندن وغيرها من الجامعات البريطانية لمعرفة سبب هبوط مستوى تحصيل الطلاب في المهارات الاساسية كالقراءة والكتابة .

ان الشركات لا يمكن أن تفلح فيما فشلوا فيه لسنين طويلة وقد كتب احد اعضاء هيئة التربية في كالفورنيا يقول : ان التربية ليست بقائمة للارباح والخسائر وليست بعملية انتاج بالجملة ، فنحن نتعهد عقولا وانفسا بشرية ولا نتعهد آلات يمكن زيادة سرعتها او تخفيفها حسب فكرتنا عن الاداء « الصحيح » وهكذا اعرب الكثير من المدرسين عن سخطهم وضيقهم بهذه العقود ، ولكن دوافع التذمر تختلف من فئة الى اخرى ، فمن المدرسين القلقون على مصالحهم والذين يرون في هذه العقود تهديدا لمستقبلهم ، ومنهم من يخشون أن تحل آلات التعليم Teaching Machines (٣) محلهم، ومنهم من هم راضون عن أوضاعهم ويرفضون ان يعتبروا مسؤولين عن نتائج تدريسهم السيء وقد ذهب بعض المدرسين الى حد استعمال العنف عندما حاولت الدولة تطبيق مفهوم المسؤولية ومعايير الانجاز ، وقد حدث هذا فعلا في مدينة واشنطن بالذات .

وقد عبر دافيد سلدون رئيس اتحاد المدرسين الامريكيين الذي يزيد اعضاؤه عن ربع مليون مدرس عن القلق الذي يساور المدرسين بقوله : « ان عقود الانجاز هي عمل شركات انتهازية كونها اناس شعروا بأن هذه العقود تنطوي على ربح وفير . »

الشركات تختار أسوا المدارس

كانت الشركات في السابق تكلف بعمل واحد محدد فقط كرفع مستوى القراءة او الرياضيات لمجموعات محدودة من الاطفال ، اما بلدة جاري فهي المدينة الأولى التي وضعت النظام التعليمي باكمله بين أيدي احدى هذه الشركات . فقد شعرت البلدة بحاجة ملحة لتطوير التعليم وأساليبه ، فنفقات التعليم كانت تزداد بنسبة ١٥٪ سنويا في حين كانت النتائج تنخفض عاما بعد عام .

ويقول الدكتور الفونسو د. هوليداي A.D.Holliday رئيس لجنة التربية في البلدة : « لقد وصل مستوى التعليم عندنا الى الحضيض وليس امامنا سوى البحث عن اتجاهات جديدة لتعليم ابنائنا ، اننا موافقون على أن نكون الرواد في هذا الأمر وان لا نكتفي بالقول بأن اطفالنا عاجزون عن التعليم . »

وقع اختيار اهالي البلدة على شركة مختابر البحوث السلوكية التي تأسست عام ١٩٦١ م على يد الن كالفن Allen Calvin احد كبار اساتذة علم النفس والرئيس الحالي لهيئة ادارة الشركة ، وقد وافقت الشركة على الاضطلاع بهذه المسؤولية في ادارة المدرسة بكاملها . وتعتبر مدرسة بانكر ثاني أسوا مدارس البلدة وقد رفضت الشركة تعهد أسوا مدرسة فيها نظرا لكثرة تغيب طلبتها واصرت على نسبة في الحضور لا يقل معدلها عن مائة وخمسين يوما في السنة الدراسية والا فانها لن تكفل النتائج .

القضاء على جو الفشل

تقع مدرسة بانكر في افقر أحياء مدينة جاري ، وطلبة المدرسة كلهم من السود الذين يعيشون في جو من البؤس والفقر ، وتبلغ نسبة البطالة ٥٢٪ أي تسعة أضعاف النسبة العامة للبطالة في البلاد .

واول ما عمدت اليه الشركة هو تغيير جو الفشل واقتلاع جذوره من نفوس طلبتها واشاعة جو من النجاح يحل محله . ولم يكن هذا العمل السهل مطلقا لان ذلك اقتضاها ان تتبنى مواقف وسياسات جديدة لم يسبقها اليها أحد . ومن اهم المزايا التي خدمت الشركة انها لم تكن مكبلة بسنين طويلة من التقاليد الراسخة الموروثة والتي تكبل المعاهد التربوية التقليدية . كان اول ما قامت به الشركة في هذا السبيل هو الغاء وظيفة الناظر التقليدية فقد كان هذا المنصب في نظرها اكبر من ان يتحمل اعباءه رجل واحد ، ووزعت اعماله التقليدية بين اثنين من الاداريين اسمت الاول «مدير المدرسة» وحددت مهمته بالاشراف على المبنى المدرسي واختيار المواد التعليمية وتوزيع الاعمال والاختصاصات بين الهيئة العاملة في المدرسة ، وأسمت الثاني « الموجه التربوي » واسندت اليه

---

(٣) بنيت آلات التعليم Teaching Machines على المبادىء التي نادى بها العالم النفسي الامريكي B.F. Skinner والتي تعتمد على مبدأ المنبه والاستجابة Stimulus - Response ومبدأ التعزيز Reinforcement

جوهر العملية التعليمية فهو يعمل مع الطلبة واعضاء هيئة المدرسة في الفصول كما انه يعالج القضايا المتعلقة بالنظام ومشاكل اولياء الامور بالاضافة الى توجيه العاملين في التدريس وتشجيعهم .

الغاء المدرسين

اما الخطوة الثانية التى اتخذتها الشركة فهى الغاء المدرسين او على الاقل المفهوم التاريخى لدور المدرس ، فبدلا من المحاضرة لصفوف كاملة أصبح المدرس بمفهومه الجديد يقوم بالرعاية الفردية للاطفال واطلقت عليه اسم « منفذ البرامج »وقامت بتدريبه تدريبا ممتازا على مهام عمله الجديد ، كما ان الشركة لجأت الى تخفيض عدد المدرسين الى عشرين مدرسا بدلا من ستة وثلاثين مدرسا في النظام القديم ، ويساعد منفذى البرامج مشرفات على التعليم ومعظمهن من امهات التلاميذ ومهمتهن التجول في غرف الدراسة لمساعدة الاطفال في المشكلات البسيطة كتهجئة الكلمات أو حل المسائل الحسابية والمشرفات على التعليم لا يتلقين نفس التدريب الذى يتلقاه منفذو البرامج وتقتصر مهمتهن على التخفيف من العبء التعليمى عنهم ليتفرغوا للمشاكل الاكثر اهمية .

العناية الفردية والغاء نظام الصفوف

من الأمور الاخرى الاساسية التى أجرتها الشركة تغيير مركز الاهتمام ، اذ لم تعد المدرسة تدار حسب أذواق المدرسين بل اصبحت تدار بحيث يتم التركيز على الشخصية الفردية للطفل في معظم المعاهد التربوية ابتداء من رياض الاطفال وانتهاء بالجامعة بتدريس ما يريده او ما تمليه السلطات التربوية بغض النظر عن احتياجات الطفل او قدرته على التعلم . وللوصول الى هذا الهدف الغت الشركة نظام الفصول ولم يعد هناك ما يعرف بالصف الأول أو الثانى أو الثالث ، فتوزيع الطلاب حسب السن لا حسب القدرة على التعلم الصفوف التقليدية امر مناسب للمدرسين ولكنه ليس كذلك للاطفال . ولذا فقد قررت الشركة توزيع الاطفال حسب القدرة على التعلم وبهذه الطريقة اصبح من الممكن استغلال الوقت الذى يقضيه الطفل في المدرسة لتدريسه ما يحتاجه وبحدود طاقاته وقدراته ، لا ما يقرره له مدير التعليم الذى يبعد عنه مئات الأميال ولمن هم في مثل سنه من الاطفال . وهكذا فان الصفوف في مدرسة بانكر تتالف من تلاميذ من مختلف الأعمار فالصف التمهيدي في القراءة مثلا قد يضم اطفالا في السادسة أو الثامنة أو حتى الثانية عشرة وكل منهم يتعلم القراءة بالسرعة التى تتمشى مع قدراته .

العناية الفردية

لناخذ حالة الطالب (جون) مثلا والذى التحق بمدرسة بانكر في سن التاسعة . كان جون طبقا للنظام القديم للمدرسة في الصف الرابع ولكنه مع ذلك لم يكن ليستطيع حتى قراءة مقرر السنة الأولى وكان لو شاء له سوء حظه أن يتابع الدراسة حسب النظام القديم سيتخرج بعد سنتين وينضم الى عداد الفاشلين . وقد رأت الادارة الجديدة ان لا فائدة من مطالبة جون بقراءة نصوص السنة الرابعة فليس من ذلك سوى مضاعفة حيرته وفقدانه لثقته بنفسه وتعريضه لسلسلة من الفشل والازمات المصطنعة وباشراف الشركة اصبح جون يدرس مقرر السنة الاولى مع تلاميذ من مختلف الاعمار لا يجمع بينهم سوى حاجتهم للقراءة في ابسط مستوياتها .

وتبين أن جون قد استطاع أن يتقدم بسرعة . فبالقياس الى المعايير القديمة تمكن جون من تخطى ثلاثة فصول في مهارة القراءة في سنة دراسية واحدة واضحى بوسعه القراءة بمستوى الطالب العادى في مثل سنه .

وهكذا فان العديد من الاطفال يدرسون مقررا خاصا (لسن معينة في مادة ما في حين انهم في الوقت ذاته) يدرسون مقررا أعلى منه بعدة سنوات أحيانا في مادة أخرى .

برنامج خاص لكل طالب

يبلغ عدد تلامذة بانكر لهذا العام ٧٢٣ تلميذا ، لكل منهم برنامج فردى خاص له يتناسب تماما مع قدراته . وهم يشبهون هذه البرامج بالوصفة الطبية ، ويرى المشرفون على المدرسة أن من يتبع تعليمات هذه الوصفة باخلاص لا يمكن أن يفشل

ابدا ، فهذه الوصفة ترشد التلميذ الى القرد الذي يحتاجه ، ليسير بما يتلاءم مع استعداداته وقدراته وبالسرعة التى تسمح له بها هذه القدرات .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو كيف يتم اعداد هذه الوصفة . لا نغالى اذا قلنا ان الشركة تلجا الى نفس الاسلوب الذى يتبعه الطبيب عند كتابة وصفته : اى عن طريق الفحص والتشخيص فمع مطلع كل عام دراسي يخضع التلاميذ لاختبار موضوعى دقيق يرتبط كل سؤال فيه بوحدة معينة من المنهج فبالاضافة الى معرفة ما لدى التلميذ من معلومات فان هذا الاختبار يشير ايضا الى ما يجب ان يتعلمه بعد ذلك .

وعند فرز هذه المعلومات تعد الشركة لكل طفل وصفته الخاصة ليتعلم ما يحتاجه بالضبط وما يمكن ان ينطلق منه الى مراحل اعلى في الدراسة .

المدرسة هى المسؤولة عن تقصير التلميذ

يتقدم الطفل هنا في دراسته بالسرعة التى تتناسب مع طاقاته دون ان يشعره احد بتقصيره ، فالتوبيخ كلمة لا وجود لها في قاموس المدرسة . ان مهمة منفذى البرامج هى اشاعة الثقة في نفس الطفل واشعاره بانه انسان مهم . ان المدرسة بتركيزها على شخصية الطفل والغائها لنظام الفصول التقليدى لا تفسح مجالا امام الاطفال لمقارنة بعضهم ببعض وابراز المقصرين بينهم . والتلميذ المتخلف في هذا النظام لا يعتبر مسؤولا عن تخلفه ، وواجب المدرسة اكتشاف نقطة الضعف في مناهجها ومقرراتها لا في التلميذ .

ان الثقة التى يكتسبها التلميذ ، في نفسه وشعوره باهميته يلعبان دورا كبيرا في تقدمه وفي تعلقه بمدرسته . وقد كان لهما تاثير سحرى في نفوس العديد من الاطفال الذين كانوا يكرهون المدرسة في النظام القديم فاصبحوا يتعلقون بها بشكل يدعو الى الدهشة .

مدرسون مبدعون

لا يمكن ان نعزو نجاح المدرسة الى الانظمة الجديدة فقط ، فالنوع الجديد من المدرسين ، والذين اطلقت الشركة عليهم اسم « منفذى البرامج » ، يلعب دورا هاما في انجاح النظام التربوى الجديد . وقد استجاب هؤلاء المدرسون استجابة فعالة للتخطيط وللصيغ التربوية المبتكرة ، واضطلعوا بالمسؤوليات الجسام التى انيطت بهم بكفاية نادرة . فهذه المسئوليات اكبر ، واكثر ابداعا من اى وقت مضى ، واصبح لزاما على كل منهم ان ينظر الى تلاميذه كافراد متميزين ، وليس كمجموعات متجانسة او فصول موحدة ، ويعامل كلا منهم بالاسلوب الذى يناسبه ، ويحفزه للدراسة بالطريقة التى تتلاءم مع شخصيته واستعداداته ، فالتشجيع الذى ينجح مع فرد ما قد يفشل مع غيره ، ولذا فان على منفذ البرامج ان يضع خططا للتشجيع بعدد الاطفال الذين يشرف عليهم لحفز واثارة اهتمام كل منهم على حدة . ومن هذا يتبين لنا ان عمل منفذ البرامج عمل خلاق يحتاج الى الكثير من الابداع والخيال وسعة الافق .

تنمية الاحساس بالنجاح

من اهم واجبات منفذ البرامج اشاعة جو من النجاح ليس في نفوس تلامذته فحسب بل يجب ان يتعداهم هذا الشعور الى اولياء امورهم ايضا. لم تكن المدرسة تتصل باولياء الامور في النظام القديم الا عند فشل ابنائهم في الدراسة او حين خروجهم على النظام . اما في نظام الشركة الجديد فان اولياء الامور لا يدعون للمساهمة في حل مشاكل اطفالهم . فادارة المدرسة ترى ان هذا هو واجب المدرسة بالذات ولكنها تدعوهم لزيارة المدرسة عندما يترقى اطفالهم من وحدة دراسية الى اخرى او عندما يحققون نجاحا من اى نوع ، ليشاركوهم اعتزازهم بنجاحهم وليشعروا بالتالى بان المدرسة هى مكان دائم للنجاح .

نتائج السنة الاولى للتجربة

كلفت الدولة جهازا خاصا مستقلا عن الشركة بالقيام بدراسة شاملة لنتائج اختبارات نهاية العام الدراسي ومقارنتها مع اختبارات بداية العام ليتم بموجبها تقدير اتعاب الشركة ، وهذه

الاختبارات من وضع لجنة وطنية للاختبارات الموضوعية وهي على درجة عالية من الثبات والصدق (٤) وقد تبين من هذه الدراسة ان التلاميذ بشكل عام قد احرزوا من التقدم في المادتين الرئيسيتين وهما القراءة والحساب ما يحرزه التلميذ المتوسط في ستة ونصف في المدارس العادية، ولا شك في ان هذه النتيجة المشرفة تعتبر نجاحا كاسحا للتجربة وللصيغ والمفاهيم التربوية الجديدة التي تقوم عليها . ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان ٨٠٪ من أولياء الامور قد اجمعوا على ان ابناءهم قد بداوا يقبلون على الدراسة بشغف متزايد وان حجم مطالعتهم الخاصة قد ازداد الى الضعف بالاضافة الى انهم باتوا يتحدثون عن تجربتهم الدراسية بكثير من الاعتزاز .

نهاية المطاف

لا بد من كلمة اخيرة اختتم بها هذا الموضوع ، والواقع انني اذ اسوق هذه التجربة الرائدة في حقل التربية في بلد سبقنا في طريق التقدم باشواط بعيدة لا اخفي بان تبني مثل هذه المبادىء بدون تمحيص امر محفوف بالمخاطر والمزالق فالتجربة التي تنجح في نطاق ضيق محدود قد تفشل فشلا ذريعا اذا طبقت على نطاق الدولة أو حتى المدينة باسرها (٥) ، والشركات هي آخر من يؤتمن على تربية ناشئتنا فالربح والربح وحده هو الهدف الاول والمبرر الوحيد لوجودها ، ومتى دخلت التربية مجال المنافسات والمضاربات التجارية فعلى مستقبل ابنائنا العفاء . اما الشركة التي قامت بالتجربة فهي مؤسسة معنية بالبحوث التربوية ، ورغم انها قد حققت ربحا يزيد على العشرين بالمائة (٢٠٪) في السنة الاولى للتجربة فقد اعلنت منذ البداية انها لا تهدف الى الربح المحض وان هدفها الاول هو ان تثبت بان هناك اساليب افضل بكثير في ميدان التربية والتعليم مما يسمح به النظام الحالي للتربية في المدارس التقليدية .

اما عن الشركات الاخرى فقد لفت تهافتها على استلام المدارس انظار المسؤولين وجعلهم يحسون بقلق حقيقي من ان يؤدي التوسع في هذا الامر الى سوء الاستعمال ، وقد حصل ما يخشونه فعلا عندما تبين ان احد المتعاقدين لم يكتف بتشجيع التلاميذ وحفزهم ماديا عن طريق توزيع الهدايا عليهم فحسب بل انه تعدى ذلك الى اطلاعهم على اسئلة الامتحان واجوبتها .

ومهما يكن من امر فان هذه التجربة تنطوي على الكثير من الافكار والصيغ التربوية المتحررة من القيود والعادات الراسخة في التعليم والتي قد تثير في المخلصين من المربين وغيرهم من القائمين على امور التربية في وطننا العربي رغبة في التامل واعادة النظر في الكثير من مفاهيمنا ومواقفنا التربوية .

محمد حسن التيتي
مفتش اللغة الانجليزية
بوزارة التربية في دولة الكويت

عن دراسة للتجربة بقلم الدكتور جون . ر . مايلز John R. Miles ظهرت في اواخر عام ١٩٧٢ في المجلة الامريكية Saturday Evening Post

---

(٤) الثبات Reliability والصدق Validity اصطلاحان يستعملان في الاختبارات الموضوعية ويقصد بالثبات أن الاختبار لا يتغير ويعطي نتائج ثابتة اذا اجرى على نفس الافراد والمجموعات في اوقات مختلفة أما الصدق فيقصد به أن الاختبار يقيس فعلا ما يدعي بأنه يقيسه فاختبار الترجمة يجب أن يختبر هذه المهارة بالذات ولا يمكن أن يعتبر اختبارا لمادة أخرى كالاملاء مثلا وان دل بشكل غير مباشر على مقدرة الممتحن في الاملاء .

(٥) ان الحصول على نتائج ممتازة ومضمونة في اي تجربة محدودة ليس بالامر الصعب فبالامكان اختيار نخبة من المدرسين الممتازين وتدريبهم للمدة اللازمة وبالشكل المطلوب وتزويدهم بكل ما يلزمهم من الوسائل المعينة والامكانيات لتحقيق الاهداف المرجوة بغض النظر عن التكاليف . أما عند تعميم التجربة فاننا نصطدم بعقبة كأداء وهي صعوبة توفر هذه الشروط والتي قد تصل الى حد الاستحالة احيانا .



استطلاع الكويت

مجلس التخطيط عمره الآن ١١ عاماً

الى اسفل : صورة تمثل مدخل مبنى مجلس التخطيط في الكويت ويضم هذا المبنى ادارات المجلس التسع.



استطلاع بقلم
محمد طنطاوي

تصوير :
عبد الناصر شقر



الى اليمين : جانب من الاجتماع الاسبوعى لمجلس التخطيط والذى يتعقد برئاسة سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح بصفته رئيسا لمجلس التخطيط ، ويضم مجلس التخطيط في عضويته ٥ وزراء عن وزارات الدولة لشئون مجلس الوزراء ، والمالية ، والنفط ، والشئون الاجتماعية والعمل ، والاشغال العامة ، والتربية،ويضم ايضا رئيس البلدية وعشرة اعضاء من القطاع الخاص يتم اختيارهم من بين أصحاب المهن والكفايات ويعينون بمرسوم لمدة ٤ سنوات قابلة للتجديد . ويظهر في الصورة سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء والى يمينه السادة عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ، وحمود يوسف النصف وزير الاشغال العامة ، وجاسم المرزوق وزير التربية .

الى اسفل : صورة من الجو التقطت لجانب من احدى مناطق مدينة الكويت . ان مجلس التخطيط قد أقر مشروعات التخطيط الهيكلى للمدينة ، وستنفذ هذه المشروعات على مراحل .



● الخطة الخمسية الجديدة تهدف إلى التكامل العربي الاقتصادي

● الاتجاه إلى استغلال الأرصدة العربية في الدول العربية

■ من مميزات الدولة الحديثة اعتمادها على التخطيط في سبيل بناء مجتمعها ، ودعم تطورها، والسير به في طريق سليم بعيدا عن الارتجال والتخطيط .

والكويت دولة حديثة نامية ، ولذلك فقد اهتمت بالاخذ بمبدا التخطيط .. واذا عدنا الى الخمسينات من هذا القرن لوجدنا ان اول لبنة من لبنات التخطيط في الكويت تم وضعها في عام ١٩٥٤ بتاسيس مجلس الانشاء ، والذى تحول في عام ١٩٥٩ الى مجلس الانشاء والتنمية الاقتصادية .. وفي عام ١٩٦٢ حل مجلس التخطيط محل مجلس الانشاء والتنمية الاقتصادية .. واصبح للكويت جهاز مركزى للتخطيط يقوم بعملية التخطيط القومى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ولمجلس التخطيط اهمية خاصة في الكويت .. ويراس هذا المجلس رئيس مجلس الوزراء وولى العهد، ويضم في عضويته خمس وزراء عن وزارات: الدولة لشئون مجلس الوزراء ، والمالية والنفط ، والشئون الاجتماعية والعمل ، والاشغال العامة ، والتربية . ويضم ايضا رئيس البلدية وعشرة اعضاء من القطاع الخاص يتم اختيارهم من بين اصحاب المهن والكفايات ويعينون بمرسوم لمدة ٤ سنوات قابلة للتجديد .

ومجلس التخطيط ، بموجب مرسوم انشائه ، هيئة قائمة بذاتها ملحقة بمجلس الوزراء ، ويرفع توصياته وتقاريره الى مجلس الوزراء ليتخذ في شان ما يتقرر تنفيذه منها الاجراءات الدستورية والقانونية .

وقد توجه « العربى » الى لقاء معالى الأستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء والموكول اليه اعمال مجلس التخطيط .

وكان حديثنا معه عن مجلس التخطيط .. قال :

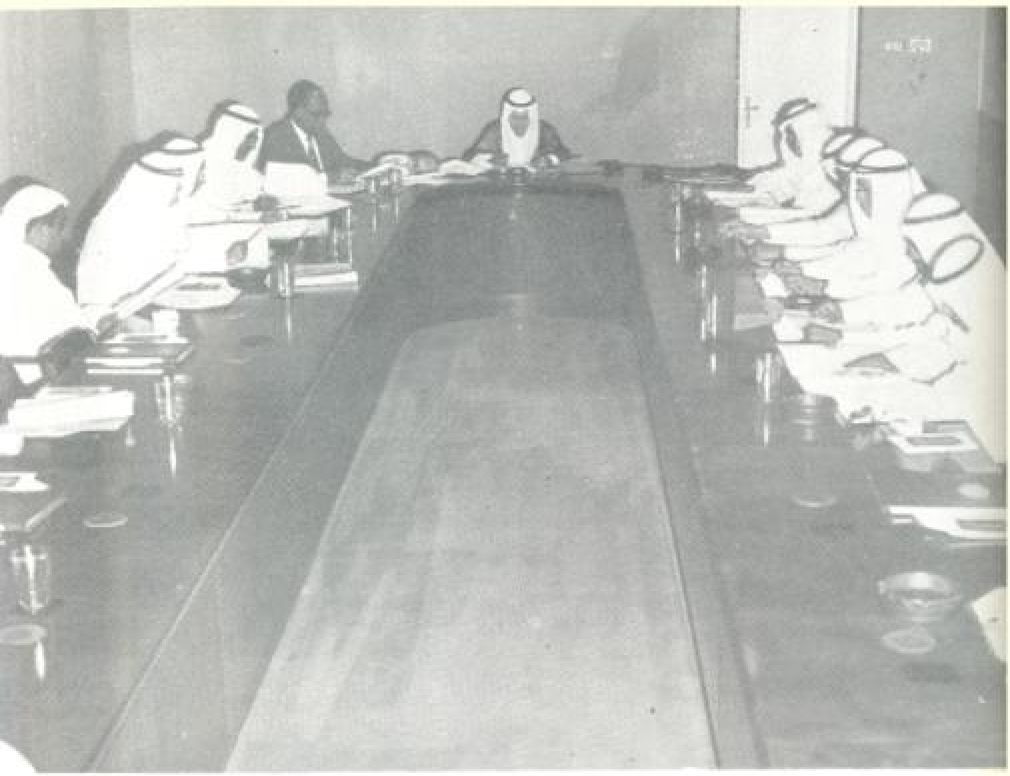
« سوف يجد القارىء في استطلاعكم عن مجلس التخطيط شيئا من الجوانب الهامة لجهاز له مكان مرموق بين اجهزة الدولة . وسوف يطلع على ما انيط به من تبعات ومهام ، كما سوف يحيط علما بتشكيلات المجلس وتوزع اختصاصاته بين الادارات المتعددة التى تشكل بمجموعها الجهاز الفنى لمجلس التخطيط وتساعده في اداء وظائفه المتنوعة .

واستطرد الأستاذ عبد العزيز حسين قائلا :

ان البيانات والمعلومات عن مجلس التخطيط يجب أن تكون سبيلا للربط بين وجود هذا المجلس وبين الفلسفة الاجتماعية والاقتصادية التي اوجبت قيامه واسندت اليه المسئوليات التى القيت على عاتقه . فلا يكفى ان نعلم بوجود مجلس للتخطيط في دولة الكويت وان نلم بما يقوم به من انجازات وان نتصور بان قيامه انما تم استجابة لاستكمال اسباب السيادة فحسب ، فان المجلس انما قام ليؤدى رسالة اجتماعية هامة الا وهى جعل عملية نمو البلاد وتطورها عملية مستمرة متكاملة لا تعتمد على حدث عرضي كتوافر الثروة البترولية التى تحددها عوامل الزمان والمكان وانما تستند على بنيان وطيد الاركان من مواطنين صالحين يستطيعون بعملهم وجدهم واجتهادهم جعل تطور الكويت ونموها عملية واعية ارادية ، ويتمكنون بالتالى من ابقاء الكويت دولة تتوافر فيها عوامل الرخاء الاقتصادى وتعمل جنبا الى جنب مع الاقطار العربية الشقيقة على تحقيق اسباب الرقى والتقدم للامة العربية جمعاء لتكون جديرة بان تحتل مكانها اللائق بها في مضمار الحضارة العالمية .

واختتم وزير الدولة حديثه عن مجلس التخطيط قائلا :

« ولذلك فان مجلس التخطيط كجهاز من الأجهزة الحكومية وكحامل لرسالة لها صفة الديمومة والاستمرار انما هو تعبير عن ارادة شعب بنفس الحياة الأصيلة النابعة عن الجهد ، والجهد المتواصل . وسيستمر في القيام بواجباته طالما



سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح يرأس جلسة مجلس التخطيط التي تعقد أسبوعيا ، ويتم فيها بحث المسائل الهامة الخاصة بالتخطيط على مستوى الدولة .

أننا نسعى على الدوام لبذل المزيد من الجهد الواعي للحفاظ على اقتصاد متين ومجتمع متماسك .»

(الدور الذي يؤديه مجلس التخطيط)

وقد حدد مرسوم انشاء مجلس التخطيط في الكويت مهام المجلس والوسائل التي يتبعها في رسم السياسة الاقتصادية والاجتماعية والسكانية ووضع برامج التنمية والاشراف على تنفيذها .. ومن اهم هذه الوسائل :

* تحديد الأهداف الطويلة المدى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسكانية ورفعها الى مجلس الوزراء .

* جمع المعلومات الاحصائية المتعلقة بمختلف أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي واعدادها وتحليلها وتنسيق الاعمال الاقتصادية بين اجهزة الدولة والهيئات العامة .

* الطلب من الوزارات والهيئات العامة والقطاع الخاص تقديم البيانات والدراسات والتقارير والاقتراحات التي تتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

* وضع دراسات دورية مفصلة عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسكاني .

* تنسيق المشاريع التي تتقدم بها جميع الوزارات على ضوء السياسة الاقتصادية والاجتماعية ورسم خطة قابلة للتنفيذ خلال فترات معينة .

* متابعة المشروعات التي تقوم بها الحكومة ومراقبة تنفيذها ، والتأكد من أن هذه المشروعات تنفذ بالطريقة الصحيحة ، ورفع تقرير بملاحظاته الى مجلس الوزراء .

* توجيه القدرات الاقتصادية والاجتماعية في القطاع الخاص وتنسيقها مع السياسة الاقتصادية والاجتماعية للدولة واقتراح الوسائل الواجب اتخاذها لتحقيق هذا الغرض .

* تقديم توصيات الى مجلس الوزراء لاستصدار



الى أعلى : أحد مندوبى الادارة المركزية للاحصاء أثناء زيارته لاحد المنازل للحصول على معلومات عن الاسرة ؛ وتدل أرقام هذا الاحصاء بالعينة على أن عدد سكان الكويت الكلى يبلغ ٨٤٧/٧٠٠/ نسمة .



الى : اليمين : جانب من العقل الالكترونى الضخم الذى يعمل فى المركز الالكترونى التابع للادارة المركزية للاحصاء ويقوم المركز الالكترونى باعداد كشوفات مرتبات موظفى الدولة وفواتير الكهرباء" والتليفونات وكشوفات المخازن الحكومية بدقة وسرعة .



الى اليسار : احد العاملين في المركز الالكتروني امام لوحة ذاكرة الحسابة الالكترونية وهي التي يتم خزن المعلومات المطلوبة داخلها ، وبواسطتها يستطيع العاملون الحصول على اية معلومات مطلوبة في ثوان معدودة .

الى اسفل : عملية اعداد البطاقات المثقبة هي العملية الاولى في عمليات الحسابة الالكترونية .. ويقوم بهذه العملية فتيات متخصصات .. وبعدها تتم مراجعة كافة البيانات قبل ادخالها الى الحسابة الالكترونية لتفادي وقوع اي خطأ .



أي قانون أو اتخاذ أية اجراءات يراها المجلس ضرورية لتحقيق اهدافه أو لزيادة فعالية التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

* دراسة وتقييم المشروعات والبرامج الانمائية في القطاع المشترك والتي سيتم تمويل قسم من رأس مالها من قبل الدولة للتأكد من جدواها الاقتصادية .

(٩ ادارات)

ولكي نلقي بعض الضوء على اعمال مجلس التخطيط لا بد لنا من استعراض الادارات التابعة له وذكر بعض الاعمال التي تقوم بها بايجاز شديد . ويتكون جهاز مجلس التخطيط من ٩ ادارات هي :

١ ـ مكتب المدير العام : ويتولى المدير العام تصريف جميع الشئون الخاصة بجلسات مجلس التخطيط واللجان المنبثقة عنه وغير ذلك من الاعمال .

٢ ـ الادارة الاقتصادية : وتقوم باجـــراء الدراسات والابحاث في كل ما يتعلق بشئون الاقتصاد الوطني وعلاقاته مع الاقتصاد العربي والعالمي ، واقتراح السياسة الاقتصادية الواجبة الاتباع في ضوء المعطيات السياسية والاجتماعية السائدة .

٣ ـ ادارة التخطيط الاجتماعي : وتختص بدراسة وجوه الحياة الاجتماعية في الدولة بغرض تحديد المشاكل والظواهر الاجتماعية الحاليـة والمتوقعة والمترتبة عن التغيير الاقتصادي الاجتماعي السريع .

٤ ـ ادارة تخطيط البيئة : وتتولى اجـراء البحوث المتعلقة بالخطط العمرانية للدولة . ودراسة مشكلات الاسكان من النواحي المعمارية والبيئة وقضايا التلوث والمحافظة على المعطيات الطبيعية والترفيهية .

٥ ـ ادارة البرامج والموازنات : وتقوم بوضع برنامج مفصل بمشروعاتالتنمية التي يثبت ضرورة القيام بها في جميع القطاعات ، وترجمة برامج التنمية الى موازنات تنمية سنوية بحسبالقطاعات الاقتصادية والاجتماعية .

٦ ـ ادارة المتابعة : وتتولى تتبع تطور المراحل التنفيذية لبرامج التنمية وتحليل مدى التقدم أو التقصير في التنفيذ . والكشف عن الاسباب التي كان لها تاثيرها المباشر أو غير المباشر في مراحل التنمية .

٧ ـ الادارة المركزية للاحصاء : وتقوم بكل اعمـال الاحصـاء والتعـداد ويتبعها المركـــز الالكتروني .

٨ ـ ادارة الشئون الادارية والمالية : وتختص بتصريف جميع الشئون المتعلقة بسير العمل في اجهـزة مجلس التخطيط في النواحي الاداريـة والمالية .

٩ ـ ادارة تخطيط القوى العاملـة : وتقوم بالدراسات اللازمة لحصر الطاقة العمالية الحالية وتصنيفها وتقدير الاحتياجات من القوى العاملة على ضوء الخطة ومستلزماتها .

(الخطة الخمسية الجديدة)

ومن خلال حديث « للعربي » مع الاستاذ احمد علي الدعيج مدير عام مجلس التخطيط ، شرح مدير عام التخطيط بعض الاسس العريضة للخطة الخمسية الجديدة والتي يقوم مجلس التخطيط حاليا بدراستها ووضع اسسها تمهيدا لعرضها علىالهيئةالتشريعيةلاقرار تنفيذها في عام ١٩٧٥ . وقد بدأ الاستاذ الدعيج حديثه عن الخطة قائلا :

« اذا كانت الخطة الاولى قد اعتنت بتوفير الخدمات الاساسية لايجاد هيكل اقتصادي متكامل ـ وبمعنى ادق ـ خلق الاطار العام المتمثل بخدمات الطرق والمياه والكهرباء والموانيء والمطارات ، وهو ما اقصده بالهيكل ، فان الخطة القادمة سوف تركز على استغلال المزايا التي يوفرها هذا الهيكل ، والانطلاق نحو ايجاد طاقات انتاجية جديدة . ولهذا فهي ستركز على التصنيع داخليا ، وضمن نطـاق العالم العربـي ، وبالذات دول الوحـدة الاقتصادية العربية ومنطقة الخليج العربي » .

(تكاليف الخطة لم تتحدد بعد)

« اننا لا نزال في مرحلة لا تسمح لنا بتقدير تكلفة الخطة الجديدة ، لان هذه التكاليف هي حصيلة تكلفة مشروعات القطاعات المختلفة وهذه الارقام الاجمالية عادة ، تقرر عندنا في الكويت ـ في نهاية الشوط وليس في بدايته . وهذا لحسن الحظ ما يميز الكويت ، اذ ان معظم الدول الاخرى

تكيف خطتها حسب الموارد المتوفرة ، ولكننا هنا نقوم بدراسة المشروعات اولا ثم نقوم بدراسة حصيلتها وتكاليفها ، اذ ان الموارد المالية ليست بالمشكلة لدينا »

(السياسة السكانية وتوفير الاستقرار للقوى العاملة)

ويستطرد مدير عام التخطيط في حديثه قائلا :

« ومن اهم الدراسات القائمة حاليا ، والتي سوف تشكل ركنا هاما من اركان الخطة الجديدة، دراسة السياسة السكانية . واهم ما يشغل بال الحكومة ومجلس التخطيط توفير عنصر الاستقرار والاستمرار لقوة العمل ، والتي تتكون في معظمها الآن من غير الكويتيين ، والعمل على أن تتمتع هذه القوة العاملة بنفس المزايا التي يتمتع بها الكويتيون في مجالات الخدمات الاجتماعية المختلفة من تعليم وتطبيب وسكن . وهذه هي المشكلة ، واسهل حل بالطبع هو معاملة هذه القوة معاملة متساوية تماما مع الكويتيين . وهذا هو الهدف . ولكن الامكانيات في الوقت الحاضر لا تسمح بشكل مطلق بذلك . وعلى سبيل المثال يوجد في الوقت الحاضر ما يقرب من ٢٠ الف طلب على المساكن من قبل الكويتيين . وحتى الان الدولة عاجزة عن تلبية هذه الطلبات لاسباب كثيرة من ضمنها عدم قدرة قطاع المقاولات على الانشاء ، وعدم توفر الموارد المالية الكافية لمواجهة النفقات المترتبة على السكن ، وهي الخدمات الاخرى التي تخدم المنزل .

وبالنسبة للتعليم مثلا ، نجد ان ميزانية وزارة التربية هذا العام تكاد تقرب من الميزانية الكلية لبعض الدول العربية . وهذا في الوقت الذى تلجا فيه الوزارة الى تحديد عدد من تقبلهم من غير الكويتيين . ولو فتح باب القبول على مصراعيه لتضاعفت ميزانية الوزارة على الاقل . ويبقى الهدف الاساسي للسياسة السكانية ، رغم ما اشرت اليه من مصاعب ، هو ان يوفر للقوة العاملة غير الكويتية نفس اسباب المعيشة المتوفرة للكويتيين . وخاصة العناصر العربية من قوة العمل هذه . وتحقيق هذا الهدف بطبيعته سيكون مرحليا ، حسب قدرة الموازنة العامة » ومن المعروف أن عدد الوافدين في الكويت يبلغ ٤٣٩,٥٠٠



احمد الدعيج مدير عام مجلس التخطيط وحديث طويل عن الخطة الخمسية الجديدة .

في حين ان مجموع عدد السكان الكلى يبلغ ٨١٥,٠٠٠ حسب احصائيات عام ١٩٧٢ التقديرية .

(تشجيع الشباب الكويتي على الدخول (في مجالات القطاع الخاص)

« ومن بين ركائز الخطة الجديدة الدراسات حول موضوع الخدمات الاجتماعية وما يدخل منها في توفير عنصر الاستقرار للكويتيين انفسهم وتشجيعهم على الدخول الى القطاع الخاص ، عن طريق توفير نفس التامينات التي توفرها الحكومة للعاملين فيها . وذلك عن طريق مشروع قانون للضمان الاجتماعي يهدف الى ايجاد مزايا متماثلة بين القطاع العام والخاص ، بحيث تسهل الحركة من والى القطاعين حسب حاجة أى منهما لقوة العمل الكويتية . والهدف في المرحلة الحالية



الى اليسار : يهتم مجلس التخطيط بالمحافظة على البيئة من التلوث وهناك مكتب خاص بالبيئة يقوم بدراسة كافة التقارير الخاصة بالتلوث في الكويت والمشاريع الكفيلة بالقضاء عليه أو درء خطره .

والى اسفل : صورة التقطت لمنطقة الشعيبة الصناعية حيث يقوم الخبراء بدراسة آثار التصنيع على تلوث الجو والبيئة في المنطقة ووضع الاسس اللازمة لمنع الآثار الضارة الناتجة عن المصانع هناك .





الى أعلى : من أهم المشروعات التى يقوم بدراستها مجلس التخطيط وضع الحلول الملائمة لمشكلة الازدحام في الكويت ، لقد وصل عدد السيارات التى تسير في شوارع الكويت ١٣٦١٢٥ سيارة خاصة و ٧٧١٤ سيارة أجرة و ٢٧٢٢٥ سيارة نقل خاص ، و١٣٨١٥ سيارة نقل عام ، و ١٢٢٤ اوتوبيس خاص ، و ١٦٢٤ اوتوبيس عام .

الى اليمين : واحد من المجمعات السكنية الحديثة والتى بدىء في انشائها بواسطة القطاع الخاص لحل مشكلة الاسكان ومواجهةزيادة السكان.



هو تشجيع الكويتيين على الدخول الى مجالات القطاع الخاص والتقليل من اقبالهم ، وخاصة الشباب المتعلم منهم ، على العمل الحكومي ذي الطبيعة الروتينية » .

رفع سن التعليم الالزامي الى ١٨ سنة

وعن التعليم في الخطة الجديدة قال مدير عام مجلس التخطيط :

« لقد اهتمت الخطة الجديدة بموضوع التعليم ودوره في تهيئة الفرد من حيث الاختصاص . وفي هذا المجال قام المجلس بالتعاون مع الاجهزة الحكومية والخاصة المختلفة، باعداد سياسات محددة تتناول بالتفصيل اهداف التعليم العام وتتدخل في مضمونه . ومثال ذلك رفع سن التعليم الالزامي الى ١٨ سنة ونامل أن نكون أول دولة في العالم تصل الى هذا المعدل . ولكن هذا متروك للامكانات المادية والبشرية . وكذلك موضوع تنظيم المدارس الخاصة ، وادخالها ضمن المخطط العام للتعليم والتفكير في امدادها بالمعونة حتى تستطيع الاسهام في حمل عبء تعليم الاعداد المتزايدة من غير الكويتيين ، على الاقل الى ان تتمكن الدولة من استيعابهم كلهم . وقام المجلس من خلال لجانه المتخصصة بمسح شامل لاجهزة التدريب . وادت توصياته الى انشاء هيئة مركزية للتدريب الحقت بمجلس الوزراء وسوف تتولى الاشراف على جميع معاهد ومجالات التدريب المهني في الدولة . ويقوم مجلس التخطيط بالتعاون مع جامعة الكويت بدراسة موضوع التعليم العالي وتسخيره لخدمة اهداف التنمية العامة .

المشروعات الصناعية في الكويت والتكامل العربي الاقتصادي

وعن قطاع الصناعة في الخطة الجديدة قال الاستاذ الدعيج :

« ان هناك دراسات لعدد من المشروعات الصناعية الكبرى ، والنظر اليها من خلال التكامل العربي الاقتصادي من ناحية ، ومن خلال كونها صناعات وليس مشروعات فقط . وبالتالي محاولة تلمس الآثار الاجتماعية والاقتصادية لهذه المشروعات . وانا اركز على البدء بالاثار الاجتماعية ، واقصد هنا قوة العمل ، ونوع هذه القوة، وكيفية الحصول عليها ، وما تحتاجه قوة العمل هذه من خدمات اساسية في المعيشة . مثال ذلك لو فكرنا في قيام صناعة للحديد والصلب (توجد الان مقومات لقيام صناعة كهذه ، بل وتقدم القطاع الخاص بمشروع لانشاء مصنع للحديد والصلب وتكلفته ٤٠ مليون دينار لخدمة مناطق الاحواض الجافة التي يجرى العمل لانشائها في البحرين ودبي والكويت) فان هذه الصناعة بطبيعتها تحتاج الى قوة عمل كبيرة تقدر بعدة آلاف . ويجب ان تستورد هذه القوة العاملة . ولا شك انه من الافضل أن تكون هذه القوة العاملة مصحوبة بأسرها ، فلو احتجنا مثلا الى ٥ آلاف عامل في هذه الصناعة ، فمعنى ذلك اننا سنحتاج الى استيراد من ٢٠ الى ٢٥ الف فرد على افتراض أن متوسط عدد افراد الاسرة هو من ٤ الى ٥ اشخاص واذن حين ننظر الى الصناعة فاننا ننظر اليها من خلال هذا المنظار الاجتماعي ـ بالاضافة الى نظرتنا الاقتصادية وما ستدره هذه الصناعة من اموال اضافية .

اجتماع بين موظفي مجلس التخطيط وبعض الخبراء الاجانب الذين جاءوا للكويت كخبراء استشاريين .



كذلك فاننا ننظر الى الصناعات ايضا بمنظار جديد هو منظار البيئة ، وما اذا كانت هذه الصناعات ستساهم في تلويث البيئة ، وكيف يمكن تجنب ذلك .

ونحن في الكويت ننظر الى الصناعة بمنظار غير منظار الربح والخسارة فقط ولا نركز فقط على العناصر التقليدية المكونة للصناعة وهي الارض والقوى العاملة وراس المال ، بل ندخل عناصر جديدة لا تقل فعالية ، ومنها الادارة ورخص راس المال النسبي ، وتوفر الطاقة باسعار متدنية نسبيا ، ووجود الخدمات التي تحتاجها الصناعة في مكان واحد وما يحدثه هذا من وفورات اقتصادية كبيرة . وهذه العناصر الاضافية الاربعة تجعل الكويت مكانا يستحق التفكير فيه لاقامةصناعاتقد لا يبدو لاول وهلةانمكانها ليسهو الكويت . وذلك بسبب عدم وجود السوق الداخلية وعدم وجود القوى العاملة ، والمواد الاولية . الا ان توفر هذه العناصر الاضافية من شانه ان يعوض عن عدم توفر العناصر الاساسية الاولى في بعض الصناعات، على شرط ان تكون هذه الصناعات لخدمة السوق العربية الكبرى . وهي سوق موجودة الان بشكل مصغر بين دول الوحدة الاقتصادية السبعة » . ومن بين الدراسات المعروضة الان على مجلس التخطيط دراسات خاصة بالصناعات الكيماوية البترولية تبلغ تكاليفها حوالى ٢٠٠ مليون دينار.

(تنسيق الخطط بين الدول العربية)

وتناول الحديث موضوع التنسيق بين خطط التنمية في الدول العربية ، وفي هذا يقول مدير عام مجلس التخطيط في الكويت « ان تنسيق الخطط بين الدول العربية يصطدم دائما بموضوع السيادة . وتنسى الدول العربية عندما توقع على معاهدات او اتفاقيات للوحدة الاقتصادية انها بتوقيعها لهذه الاتفاقيات تكون قد تخلت عن جزء من سيادتها.وهذا يعني انها لا تستطيع ان تنشىء ما تشاء من المصانع دون ان تاخذ بعين الاعتبار ما سيحدث في الدول الاخرى الموقعة على الاتفاقية او المعاهدة . ولكن هذا غالبا لا يحدث وبالتالي فان الاستمرار في طرح موضوع تنسيق الخطط العربية هو كمن يعجن الماء .

ولقد رأت الكويت ان تخطو خطوات عملية في هذا المضمار عن طريق المشروعات المشتركة سواء الثنائية منها ـ كاستثمارات الشركات الكويتية الصناعية في السودان ـ أو الجماعية والتي توجت بمحاولات الكويت التي ادت الى انشاء صندوق الاستثمار العربي ومشروع انشاء المؤسسة العربية لضمان استثمار رؤوس الاموال العربية ، وشركة الناقلات العربية ، ونكون بذلك قد نجحنا في تحقيق نوع من التعاون والاندماج الاقتصادى العربي ، متخطين موضوع تنسيق الخطط » .

دراسة الخطة الجديدة تنتهي في نهاية عام ١٩٧٤

وانهى مدير عام مجلس التخطيط حديثه عن الخطة الجديدة بان المجلس سينتهي من كل الدراسات المتعلقة بها في نهاية عام ١٩٧٤ ثم تعرض على مجلس الوزراء لاقرارها واحالتها الى مجلس الامة للموافقة عليها قبل تنفيذها في عام ١٩٧٥ .

الادارة المركزية للاحصاء

ومن اهم الادارات التابعة لمجلس التخطيط الادارة المركزية للاحصاء وهي تقوم باعداد الاحصائيات المتعلقة بالسكان والمساكن والاسر ومستويات الاستهلاك، واحصاءات العمال والعاملين في الحكومة وغيرها من احصاءات ثقافية واجتماعية. وتقوم الادارة ايضا باحصاءات اقتصادية خاصة بالتجارة الخارجية ، والاسعار ، والانتاج الصناعي والاجور وساعات العمل ، والتجارة الداخلية . كما انها تقوم كذلك باعداد التحليل الاحصائي لكافة البيانات الاحصائية ، وتركيب الحسابات القومية بما في ذلك ميزان المدفوعات . وكان من الطبيعي ان يكون حديثنا مع الاستاذ فؤاد الملا حسين مدير الادارة المركزية للاحصاء حديثا يدور بلغة الارقام .. الادارة تضم ٩٧ موظفا من بينهم ٤٣ من حملة المؤهلات العالية .. قامت باجراء احصاءات للسكانفي أعوام ١٩٥٧ و ١٩٦١ و ١٩٦٥ و ١٩٧٠ . ومنذ عام ٧٠ يتم اجراء احصاء بالعينة لتعداد السكان.لقد بلغ عدد سكان الكويت في آخر تعداد رسمي كامل ٧٢٨ر٦٦٣ نسمة من بينهم ٤١٩ر٨٨١ من الذكور و٢١٨ر٧٨١ من الاناث .

وقد بلغ تقدير عدد سكان الكويت نتيجة احصاء



قامت الادارة المركزية للاحصاء باجراء احصائيـــات للسكان في أعوام ١٩٥٧ و ١٩٦١ و ١٩٦٥ و ١٩٧٠
عملية الاحصاء ، (الصورة الاولى الى اليمين) ،وبعد ذلك يقوم مندوب الاحصاء بتدوين المعلومات الت

بالعينة في فبراير ١٩٧٢ ..٨٤٧ر٧٠ نسمة من بينهم ١٦.٢٣١ طالب وطالبة في جميع مراحل التعليم .

ارتفـاع متوسـط عدد أفراد الاسـرة الكويتية

ومن الاحصائيات التي نشرت اخيرا ضمن دراسة



فؤاد الملا حسين مدير الادارة المركزية للاحصاء وحديث بلغة الارقام .

احصائية عن الاسرة أجريت في شهر مارس ١٩٧٣ ، ان حيازة الاسرة الكويتية للسيارات تصل الى ٨٦ سيارة لكل ١٠٠ اسرة (أو ١١ سيارة لكل مائة فرد) ويبلغ عدد السيارات الخاصة في الكويت حسب احصائية اجريت عام ١٩٧٢ ، ١٣٦١٢٥ سيارة . وتتميز الاسرة الكويتية بارتفاع متوسط عدد افرادها وذلك بسبب ارتفاع معدلات الخصوبة والانجاب للنساء الكويتيات ، اذ يبلغ متوسط عدد المواليد للأم الواحدة ٧ر٤ كما أن حجم الاسرة المكتمل يبلغ ٥ر٦ وهو يمثل متوسط عدد الاطفال الذين ولدوا احياء للمرأة المتزوجة خلال فترة حياتها الزوجية الى ان تبلغ سن الخمسين .

ويبين الجدول الاتي متوسط عدد الاطفال لكل ام في الاعمار المختلفة :

فئات اعمار الامهات	متوسط عدد الاطفال
١٥ ـ ١٩ سنة	٨ر٠
٢٠ ـ ٢٤ سنة	٢ر٢
٢٥ ـ ٢٩ سنة	١ر٤
٣٠ ـ ٣٤ سنة	٤ر٥
٣٥ ـ ٣٩ سنة	٠ر٦
٤٠ ـ ٤٩ سنة	٢ر٦
٥٠ فاكثر	٥ر٦

والمتوسط العام لجميع الاعمار هو كما ذكرنا ٧ر٤ .



وهى تقوم سنويا باجراء احصاء بالعينة ، ويقوم الموظفون بوضع ارقام على المنازل كخطوة أولى في يحصل عليها من رب البيت او سكان المنزل . (الصورة الثانية الى اليسار) .

أهمية الارقام

ويقول فؤاد الملا حسين مدير ادارة الاحصاء ان للارقام اهمية خاصة .. وان عمل ادارة الاحصاء الحصول على الارقام الصحيحة وتقديمها للجهات الفنية المختصة التي تقوم بتحليلها واستخلاص النتائج منها . وان وضع الخطط يعتمد اساسا على الاحصائيات الدقيقة سواء السكانية او الثقافية او الصناعية او الاقتصادية منها .

وان هذه الارقام هي مؤشرات تبين الحالة الحقيقية لأى دولة من الدول .

المركز الالكترونى ومشروع انشاء بنك للمعلومات

وفي مبنى المركز الالكترونى شاهدنا الحسابات الالكترونية الحديثة وهي تقوم بأعداد مرتبات موظفي الدولة وفواتير الكهرباء والتليفونات وكشوفات المخازن الحكومية بدقة وسرعة .. وقد صدر قرار انشاء هذا المركز التابع لادارة الاحصاء المركزى في عام ١٩٦٧ . ومنذ انشائه وهو في تطور مستمر .. ويقول الاستاذ عبد الواحد عقيل مدير المركز ان اعمال المركز الالكترونى ستتوسع وفي شهر اكتوبر القادم سيبدأ العمل بحسابة الكترونية من طراز اضخم من الموجودة حاليا .

وفي عام ١٩٧٤ سيتم انشاء خطوط اتصال مباشرة بين الحسابات الالكترونية في المركز وبين وزارات الكهرباء والتربية والصحة والبريد والبرق والهاتف . وهناك الان ضباط اتصال بين كل وزارة من وزارات الدولة وبين المركز الالكتروني ، وذلك لاجراء التعديلات الشهرية في احوال الموظفين والتى تؤثر على رواتبهم التي يتم اعدادها في المركز الالكتروني .

وتتم الان دراسات لانشاء بنك للمعلومات يتبع المركز الالكتروني Data Bank ، وقد ساعد في هذه الدراسات خبير من الامم المتحدة . ويعتبر هذا المشروع من اهم المشروعات الحديثة للمركز وهو غير منفذ حاليا الا في الدول المتقدمة ولم ينفذ في منطقة الشرق الاوسط الا في دولتين فقط حتى الآن .

★ ★ ★

بعد هذه الصورة السريعة عن مجلس التخطيط في الكويت .. غادرنا المجلس ونحن نترك وراءنا رجالا يعملون في صمت ودأب على رسم صورة كويت المستقبل .. صورة رائعة لما يمكن للعقل البشرى المنظم ان يفعله اذا توفرت له القدرة المادية والبشرية والطبيعية . ■■

محمد طنطاوى

طرائف غريبة

الهروب من الجحيم

● هـ . ج . ولز H.G. Wells (١٨٦٦ – ١٩٤٦) الكاتب والمؤلف القصصي الشهير الذى كان يتمتع بخيال واسع ، كتب يصف الدبابة والطائرة ودورهما فى الحروب الحديثة ، قبل سنوات طويلة من ظهورهما .

ولكن أعظم تنبؤاته كانت تلك التى وصف فيها رحلات الفضاء . فقد كتب يقول : « سوف ياتى اليوم الذى يرتدى فيه الرجال ملابس خاصة مقفلة لا يتخللها الهواء ، وينطلقون بها من هذا الفراغ الهائل من حولنا ويدورون حول الارض ، ويبعثون برسائلهم الينا . . انى اراهم فى ملابسهم وهى من مطاط ، وقد اخفوا وجوههم وراء تلك الأقنعة الغريبة ، وهم يقومون بأول محاولة لاستكشاف الفضاء . ! »

ولم تكن تنبؤات ولز تثير سخرية بعض العلماء فحسب ، بل كانت تدفعهم فى بعض الاحيان الى مهاجمته كلما ظهر كتاب جديد من كتبه تلك التى كانت تروى فى اسلوب قصصى ممتع ما سيحمله لهم الغد من مفاجئات !

حدث يوما ان جاءه رجل من العلماء المشتغلين بالفلك ، وجلس اليه فى بيته بمدينة هانوفر وكان ولز قد جاوز وقتها السبعين من عمره . وأراد عالم الفلك ان يسخر من الكاتب الكبير ، فقال له : « لقد شاهدت الليلة الماضية من خلال منظارى الفلكى (التلسكوب) ، العديد من الأجرام السماوية ، وهى تبتعد عن الارض ، وكأنها كانت مشدودة اليها ، ثم انقطعت الحبال التى تشدها ، فراحت تسبح فى الفضاء بسرعة هائلة مبتعدة عن هذا الكوكب ! هل تعتقد يا مستر ولز ان هذه الأجرام بدات تحس بما تحس به انت من خطر يهدد كوكبنا ؟ » .

فأجاب ولز وابتسامة ساخرة تتراقص فى عينيه اللتين تلمعان بهذا البريق الذى ينم عن الذكاء : « اذا صح هذا الذى رأيت يا صديقى فاعلم أن هذه الاجرام قد ولت الأدبار هربا من هول ما سيحدث على هذه الأرض ! »

وقبل وفاة ولز بعام واحد القت امريكا قنبلتها الذرية فوق هيروشيما ، وبعدها بخمسة عشر عاما انطلق اول رجل فى اول رحلة الى الفضاء وتحققت كل نبوءات العالم الكبير !



مع الشقاء بداية ونهاية



● كتب جوهـــان سباستيان باخ الموسيقار الالمانى (١٦٨٥ – ١٧٥٠) ، يصف اقسى لحظات عمره، قال : « عندما سقطت الكمان من يد ابى ، وانا واقف امامه اقلد حركات اصابعه فوق اوتارها .. لقد مات والدى قبل ان ابلغ التاسعة .. ولم اكن اعرف معنى الموت .. لقد ارتميت فوق جسده الهامد ، وامسكت بانامله احركها ، ولكنها بقيت جامدة ، فلما ايقنت انها سكتة الى الابد ، حملتها الى شفتى ورحت اقبلها وابللها بدموعى .. وعندما حملوا ابى ومعلمى الى حيث لا اعرف اين ذهبوا به . كان الظلام قد احتوى المدينة التى ترجم فيها لوثر « العهد الجديد » الى الالمانية .. ونظرت الى السماء من فوق ، فوجدتها هى الأخرى قد اكتست بظلمة داكنة .. ومن وراء زجاج النافذة حاولت ان انفذ ببصرى الى ما يحدث فى الخارج .. ولكننى لم ار شيئا، فقد انطفأت الشموع من حولى .. كان الصوت الوحيد الذى ترامى الى اذنى ، هو صوت حوافر الجياد التى تجر العربة الصغيرة .. تلــك التى حملت جثمان ابى الى مقره الاخير ! »

لقد كتب باخ الابن بعد هذا يصف بؤسه وشقاءه عندما فقد نور عينيه ، بعد ان بلغ الخامسة والستين قال : « الآن فقط ادركت ان ابى كان اسعد حظا منى عندما اقتربت نهايته فقد مات وهو يرى صور الحياة من حوله .. هل امضى حياتى فى ظلام مستمر .. واى حياة تلك التى اجدها فى الظلام ! »

وبدا باخ يستعد للقاء ربه ، ومن فوق فراشه البارد ومن غرفته المظلمة جلس يملى آخر كورال « امام عرشك يا رب ، أقف ! » ثم اسلم الروح فى الظلام .

(هدف .. وهدف . !)



● امضى سير ونستون تشرشل السياسى البريطانى الداهية معظم سنى حياته السياسية ممثلا لدائرته الانتخابية فى مجلس العموم البريطانى (البرلمان) .. وفى احد الايام كان تشرشل يجلس على مقعده الذى اعتاد ان يجلس عليه فى المجلس ، وفجاة التفت اليه احد النواب الجدد ممن دخلوا البرلمان لأول مرة بعد انتخابه ، وكان يجلس فى المقعد المجاور له مباشرة ..

وقال النائب الجديد يحدث تشرشل: « ربما تساءلت يا سيدى عن السبب الذى دفعنى الى اقتحام معترك السياسة؟

ولم يرد تشرشل ، فقد اكتفى بأن رمق جاره بنظرة فاحصة مدققة ، وقد ازداد حاجباه الكثيفان اقترابا !

ولم يقنع النائب الجديد بسكوت تشرشل ، فعاد يقول له : « حسنا ، ما دمت لا تريد ان تجيبنى على السؤال الذى اعرف انه يدور بخاطرك ، فسوف اجيب عليه انا ، انه الطموح وحده يا سيدى .. الطموح الذى دفعنى لأن ارشح نفسى فى الانتخابات لكى افوز بهذا المقعد واصبح سياسيا ناجحا مثلك .. من يدرى فقد اصبح وزيرا واصل يوما الى كرسى الحكم! » وهنا التفت تشرشل الى النائب الجديد ، وقال: وماذا ستفعل عندما تصل الى الحكم ؟

وقال النائب : « وقتها فقط ساكون قد حققت اعظم امنية لى فى الحياة .. »

فقال تشرشل : « وهل عرفت انت لماذا بقيت انا طوال هذه المدة فى الميدان السياسى ؟ »

فأجاب النائب الجديد : « الطموح يا سيدى .. وهل يمكن ان يكون هناك دافع آخر ؟ »

وهنا ضرب تشرشل الارض بقدميه ثم قال وقد علا الغضب الشديد وجهه: « لا .. وانما انا هنا يا سيدى لأمنع امثالك من تحقيق هذه الامنية العزيزة!»

الحجاج الثقفي

بقلم : علي أدهم

« قد تختلف أحكام المؤرخين فى تقدير مواقفه وأعماله ، ولكنهم لا يختلفون فى أنه كان من كبار الولاة فى التاريخ الاسلامى . »

■ كان العراق في عهد الدولة الاموية مصدر متاعب ومشكلات لا تكاد تهدا حدتها وتطوى صفحاتها ، وكانت مكانة الامويين فيه عرضة لأعاصير الثورات الدامية ، والاضطرابات الخطيرة، ولم يكن في مكنتهم الاحتفاظ بسلطتهم في العراق الا بالاعتماد على القوة ، والركون الى العنف ، والأخذ بالشدة والصرامة ، وفرض الطاعة والنظام بمختلف الطرق والوسائل ، وكان عليهم ان يبذلوا جهدهم ما وسعتهم الطاقة في تفادي الثورات غير المامونة العواقب ، والانقلابات التى تعرض عرشهم للسقوط والضياع ، وكانت الكوفة هي المصدر الرئيسي للخطر ، والبركان الذى تنبعث منه الحمم الملتهبة المدمرة من الحين الى الحين، والواقع انه بانتقال الخلافة الى معاوية بعد مصرع علي بن ابي طالب ، وتخلي الحسن عن احتمال اعبائها ، كان يشعر العراقيون بانهم اضاعوا فرصة ذهبية ، وخسروا الصفقة ، وقصّروا في القيام بواجبهم في مناصرة العلويين ، وكانت « عقدة الذنب » تحز في نفوسهم، وتجعلهم يحاسبونها ويراجعون ضمائرهم، وكبر عليهم ان يصبحوا تابعين للشاميين بعد ما كانوا متبوعين ، وسادة يدبّرون امور الدولة ، ويتولون المهمات الكبيرة ، ويخوضون المعارك تحت راية الاسلام ، وقد أصبحت بلادهم مصرا من الامصار يتلقى الأوامر والتوجيهات ، وقد قاموا باعباء الكثير من الفتوح ، ولكن غيرهم أصبح يجني ثمراتها ، وينعم بدخولها وخيراتها ، وكان هذا الشعور يحز في نفوسهم ، وينزع بهم الى التمرد والثورة متى سنحت الفرصة ، وواتتهم الظروف، ولذلك صار الحكم الأموى في العراق هدفا للكثير من الثورات العنيفة .

أسرة الحجاج ونشاته

وكان هذا الموقف المضطرب يستلزم دائما الحيطة والتدقيق في اختيار الولاة ذوى الكفايات الممتازة، والشخصية القوية للعراق ، وغير عجيب أن ترى بين الولاة الذين تقلدوا مقاليد الحكم في العراق من كانت شهرتهم وأخبارهم ومكانتهم تكاد تحجب شهرة بعض الخلفاء الذين اختاروهم للولاية ،وعهدوا اليهم بالسلطة التى تكاد تكون مطلقة ، ومن بين هؤلاء الولاة ثلاثة من قبيلة ثقيف التى كانت تقيم بالطائف كان لهم شان يذكر في بناء الدولة الأموية، وتوطيد مكانتها ، وهؤلاء الثلاثة هم المغيرة بن شعبة وزياد بن ابيه والحجاج بن يوسف . والحجاج هو ابعدهم شهرة ، وقد حفلت باخبار ولايته كتب التاريخ والسير ، وقد لمع اسمه ، وعلت مكانته في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وصار يذكر بوصفه نظيرا لهما ، وذلك برغم أن عبد الملك كان في طليعة الخلفاء الامويين ، وان ابنه الوليد كانت له مكانته بين الخلفاء الامويين .

وكان للمصادفات دورها المأثور في ظهور الحجاج على مسرح الحوادث ، شأنها في حياة الكثيرين من عظماء الرجال وصانعي التاريخ ، ولم يكن الحجاج من اصل باذخ ، ولا سليل بيت من بيوت الشرف الرفيع او المجد المؤثل ، ولكنه كذلك لم يكن وضيع الاصل ، ولا مجهول النسب ، وقد ولد بالطائف ، وامه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي . وفي احدى الروايات انها كانت تحب الحارث بن كلدة الثقفي حكيم العرب المشهور ، فدخل عليها مرة سحرا فوجدها تتخلل ، فبعث اليها بطلاقها ، فقالت لم بعثت بطلاقي ؟ هل لشيء رابك مني ؟ قال : نعم ، دخلت عليك في السَّحَر وانت تتخللين ، فان كنت بادرت الغداء فانت شرهة ، وان كنت بتّ والطعام بين اسنانك فانت قذرة ، فقالت : « كل ذلك لم يكن ، لكني تخللت من شظايا السواك » . فتزوجها بعده يوسف بن ابي عقيل الثقفي ، فولدت له الحجاج .

وقد ذكر ابن عبد ربه في العقد ان الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة بن شعبة ، وانه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل .

وقد ولد الحجاج سنة احدى واربعين هجرية ، ونشأ بالطائف ، وزعم بعض الرواة انه كان في اول امره معلم صبيان ويسمى كليبا ، وقد عيره بذلك احد الشعراء فقال :

أينسى كُليبٌ زمانَ الهزال
وتعليمَه سورةَ الكوثر

رغيفٌ له فلكٌ دائر
وآخر كالقمر الأزهر

يشير الى خبز المعلمين فانه مختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبية ، وحينما هاجمه الشاعر كعب الأشقري زعم انه كان يحترف الدباغة ، وبعض الرواة – كما يقول جمال الدين بن نباتة المصري – ينكر هذا القول ويقول انه من اكاذيب الشعراء ، وأن الحجاج كان في كنف ابيه ، وكان ابوه رجلا جليل القدر ميسور الحال .

اول ظهور الحجاج

وهذه الاخبار على علاتها تبين لنا بوجه عام ان طريق حياته لم يكن مفروشا بالورود ، وانه جاهد ليشق طريقه ، ويثبت شخصيته ، وقد اتصل في مطالع حياته بروح بن زنباع الجذامي ، وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك بن مروان وله مكانة وثيقة عنده ، فلما توجه عبد الملك الى الجزيرة لقتال زفر بن الحارث الكلابي امر روح جماعة من اصحاب شرطته واصحابه ان يحثوا المتاخرين من اهل العسكر في كل منزلة ، وكان الحجاج من جملتهم ، وكان يبذل جهدا في مباشرة هذا العمل . ومر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح في خيمة ياكلون ، فامرهم بالرحيل ، فسخروا منه ادلالا بمكانة سيدهم ، فلم يطع الحجاج السكوت على ذلك ، وضرب بسيفه اطناب الخيمة ، فسقطت عليهم ، واطلق فيها نارا ، فاحرقت اثاثهم ، فامسكوا به ، واتوا به الى روح ، وسمع عبد الملك الخبر فطلبه وقال له « من فعل هذا بغلمان روح ؟ » .

فاجابه الحجاج « أنت يا امير المؤمنين ! امرتنا بالاجتهاد فيما وليتنا ، ففعلنا ما امرت به ، وبهذه الفعلة يرتدع من بقي من اهل العسكر ، وما على امير المؤمنين ان يعوض عليهم ما ذهب ، وقد قامت الحرمة ، وتم المراد » .

فأعجب به عبد الملك وقال « ان شرطيكم لجلد » . واقره على ما هو عليه .

وطال القتال والحصار بين عبد الملك وجيشه وبين زفر بن الحارث ، وارسل عبد الملك رجاء ابن حيوة وجماعة منهم الحجاج الى زفر بكتاب يدعوه الى الصلح ، واتوه بكتاب وقد حضرت الصلاة ، فقام رجاء فصلى مع زفر ، وصلى الحجاج وحده ، فسئل عن ذلك فقال « لا اصلي مع منافق خارج على امير المؤمنين وعن طاعته » . وسمع عبد الملك بذلك فازداد اعجابه بالحجاج ، ورفع قدره ، وولاه بلدا تسمى تبالة ، وهي اول

ما ولى ، فلما ذهب اليها واقترب منها سأل عنها، فقيل له انها وراء اكمة ، فامسك عن دخولها وعاد ادراجه ، وقد قيل في المثل « اهون على الحجاج من بتالة » . وقدم على عبد الملك ملازما خدمته .

الحجاج يحارب عبدالله بن الزبير

ولما فرغ عبد الملك من قتال مصعب بن الزبير ، ورجع الى الشام ، فكر في اختيار من يعهد اليه بقتال عبد الله بن الزبير . القائم بمكة ، وتقدم الحجاج ، وقال لعبد الملك « انا له ، ابعثني اليه فلقد رأيت في المنام كاني سلخته وجردته من جلده » ، وسواء كان الحجاج صادقا او كاذبا في هذه الرؤيا فانها قد تركت أثرها في نفس عبدالملك الذي كان يؤمن بالاحلام والرؤى ، فبعثه الى الحجاز ، وجهز معه جيشا ، واعطاه عهده على مكة والمدينة والطائف . وقد تمكن الحجاج من القضاء على هذه الثورة التي أسفرت عن قتل عبد الله بن الزبير ، ودخول مكة والمدينة والحجاز في طاعة عبد الملك ، وقد اتفق في اثناء حصار مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق ، ان قام رعد وبرق وصواعق، وسقطت صاعقة على المنجنيق فاحرقته، وقتلت بعض رجال الحجاج ، فاكبر ذلك اهل الشام ، وراعتهم هذه الظاهرة ، واعتقدوا أن سبب ذلك غضب الله عليهم لهاجمتهم الكعبة ، وخشي الحجاج ان يثني ذلك من عزيمتهم ، ويؤثر في نفوسهم ولكن بديهته الحاضرة لم تخذله في هذا الموقف ، وقال لاهل الشام « لا تهولنكم هذه فانما هي صواعق تهامة » واستطاع بذلك أن يذهب عنهم ما وقع في روعهم .

لماذا نقل الحجاج من الحجاز الى العراق

وتختلف الروايات في سبب عزل الحجاج عن ولاية الحرمين ، ويبدو أن شدته مع أهل الحجاز وبها اولاد المهاجرين والانصار كانت من بواعث هذا العزل ، ويؤيد ذلك الرواية التي تقول ان ابراهيم بن طلحة حينما وفد على عبد الملك مع الحجاج طلب ان يخلو بعبد الملك ، وصارحه في تلك الخلوة قائلا « يا امير المؤمنين انك عهدت الى الحجاج مع تغطرسه وتفجره وبعده عن الحق وركونه الى الباطل وولّيته الحرمين ، وبهما من اولاد المهاجرين والانصار من قد علمت ، يسومهم الخسف ، ويقودهم بالحتف ، ويطؤهم بطغام أهل الشام ورعاع لا روية لهم في اقامة حق ولا في ازاحة باطل ثم تظن ان ذلك ينجيك من عذاب الله » ، والواقع ان هدوء الحال في الحجاز واستقراره جعل عبد الملك يفكر في اسناد ولاية العراق الى الرجل الذي محصته التجربة ، وصقلته الاحداث ، واثبت انه جدير بالاعتماد عليه واهل للثقة به ، ولم يكن عبد الملك راضيا عن ولاية اخيه بشر بن مروان على الكوفة والبصرة وكان من حظه الحسن ان بشرا توفي سنة ٧٤ هجرية فيسر ذلك اختيار عبد الملك الحجاج ليضطلع بأعباء ولايته العراق ، وقد وجهه عبد الملك واليا على العراق في اول ٧٥ هجرية .

الحجاج على العراق وخطبته الثارية اول قدومه

ولما قدم الحجاج الكوفة قصد الجامع ، وصعد المنبر متلثما بعمامته ، متنكبا قوسه وكنانته ، وجلس على المنبر مليا لا يتكلم ، فقال بعض الحاضرين لبعض قوموا حتى نحصبه،ودخل المدعو محمد بن عمير الدارمي وحوله مواليه ـ كما يروى لنا المسعودي ـ فلما رأى الحجاج جالسا على المنبر لا يتكلم قال « لعن الله بني أمية حين يولون العراق مثل هذا،لقد ضيع الله العراق حيث يكون مثل هذا عليها » ، ثم ضرب بيده الى حصباء المسجد ليحصبه ، فنهاهه عن ذلك بعض اهل بيته ، وقالوا له « اكفف عنه حتى تسمع ما يقول » ، فلما غص المسجد باهله حسر الحجاج اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه ، وبدا خطبته بقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني

وقد تهدد اهل العراق في هذه الخطبة المشهورة التي تختلف الروايات في سرد نصوصها ، وهي تنطوي على الكثير من الوعيد والارهاب ، وسرعان ما ادرك الحاضرون ان هذا الوالي الجديد من طراز آخر غير الولاة الذين سبقوه ، وتبين لابن عمير ان هذا الرجل لم يكن عاجزا ولا عييا ، فجعل الحصى يتساقط من يده.ويبدو أن هذه الخطبة كانت مفاجأة غير منتظرة لاهل الكوفة ، وبدا لهم ان هذا الرجل الذي لا يُغمز جانبه كتغماز التين ، ولا يقعقع له بالشنان والذي فرّ عن ذكاء وفتش

عن تجربه ، والذى حينما نثر عبد الملك كنانته وجده امرّها طعمـا ، واحدها سنانا ، واقواها قداحا ، فسلطه من اجل ذلك على اهل العراق »، كما قال عن نفسه،اقول بدالهم ان مثل هذا الرجل لا بد أن يكون مستندا الى قوة رهيبة ، ولذلك ثبتت في قلوبهم مهابته وامتلات منه رعبا . ويروى لنا ابن نباتة ان القاسم بن سلام كان يقول « قاتل الله اهل الكوفة أين قبائلهم وعشائرهم واهل الانفة منهم ، واين تجبرهم ، قتلوا عليا ، وطعنوا الحسين ، وقاتلوا المختار ، وعجزوا عن قتل هذا الملعون الدميم الصورة ، وقد جاءهم في اثنى عشر راكبا وهم مائة الف » . ولكن الحجاج دفع ثمنا غاليا لهذا السكوت المريب،فقد نفسوا عن انفسهم بعد ذلك في الثورات الخطيرة التى هزت عرش الامويين ، وزلزلت مكانتهم في العراق وعصفت بملكهم في النهاية .

بداية صارمة مرعبة

وكانت تنتظر الحجاج في العراق اعباء ثقيلة ، ومهام مضنية ، كان الصراع الطويل حول الخلافة قد هدأت حدته وأخمدت الثورة التى قام بها الشيعة في الكوفة ومن انضم اليهم من الموالي بقيادة المختار الثقفي ، ولكن الاحقاد ظلت كامنة في النفوس . ولم تكن البصرة قد تحررت بعد من الخوارج الذين كانوا يقتربون من دق ابوابها ، ولم يكن مصعب الزبيرى قد استطاع القضاء عليهم في اثناء ولايته على العراق ، وكان المهلب ابن ابى صفره مشغولا بمنازلة الازارقة ، وكان الحجاج قد قال في ختام خطبته النارية«الا وان أمير المؤمنين امرني باعطائكم اعطياتكم ، واشخاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب ، وقد امرتكم بذلك ، واجلت لكم ثلاثا ، واعطيت الله عهدا يؤاخذني به ، ويستوفيه مني ، أن لا أجد احدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه ، وانتهبت ماله » .

وكان الكثيرون من جند المهلب الكوفيين قد رأوا أن موت بشر بن مروان الوالي السابق بمثابة اشارة لترك معسكر المهلب دون أن يأذن لهم بذلك، وكانوا قد سئموا البقاء في ميدان القتال بعيدا عن اهلهم واولادهم زمانا طويلا ، ولذلك انذر اهـل الكوفة من اعلى المنبر ، وعرف كيف يؤكد تهديده لهم ، وذلك انه لما كان اليوم الثالث جلس بنفسه يعرض الناس ، فمر به عمير بن ضابىء التميمي البرجمي ، وكان من اشراف اهل الكوفة ، وكان من بعث المهلب ، وتقدم من الحجاج ، وقال له « أصلح الله الامير ! اني شيخ كبير زَمِن عليل ضعيف ، ولي عدة اولاد ، فليختر الامير ايهم شاء مكاني، اشدهم ظهرا ، واكرمهم فرسا ، واتمهم اداة .

فقال له الحجاج « لا بأس بشاب مكان شيخ »

فلما ولى الرجل قال عنبسة بن سعيد ومالك ابن اسماء للحجاج « أصلح الله الأمير ! أتعرف هذا ؟

فقال الحجاج « لا »

فقالا « هو عمير بن ضابىء التميمي الذى وثب على امير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من اضلاعه »

فقال الحجاج « على به »

فأُتيَ به ، وقال له الحجاج « أيها الشيخ ، أنت الواثب على امير المؤمنين عثمان بعد قتله والكاسر ضلعا من اضلاعه ؟ »

فقال له عمير « انه كان حبس أبي شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات في سجنه »

فقال الحجاج « اما امير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك ، وأما الازارقة فتبعث اليهم بدبلا ، أو ليس ابوك الذى يقول :

همـمت ولـم افـعـل وكـدت وليتني
تركت علـى عثمـان تبكـي حلائلــــه

اما والله ان في قتلك ايها الشيـخ لصـلاح المصرين ، ثم اقبل يصعد بصره اليه ويصوبه ، ويعض على لحيته مرة ويسرحها اخرى ثم اقبل عليه فقال « يا عمير سمعت مقالتي على المنبر ؟ »

فقال عمير « نعم »

فقال الحجاج « والله انه لقبيح بمثلي ان يكون كذابا ، قم اليـه يا غلام فاضرب عنقه »

ففعل الغلام ما امره به .

وكان لهذه الحادثة القاسية المحزنة اثرها في ادخال الرعب الى قلوب الناس ، فركبوا كل صعب وذلول .

الحجاج في البصرة بعد الكوفة

وبدأ الحجاج عمله بالبصرة بمثل ما بدأ به عمله في الكوفة ، ووُفّق بها مثل توفيقه بالكوفة . ولم يكن المهلب قد اتم تغلبه على الازارقة في المشرق حينما قام خوارج آخرون بثورة في أول

سنة ٧٦ هجرية ، وكانوا ينتمون الى قبيلة بني شيبان ، وكان اشهر زعمائهم وأخطرهم واشدهم اقداما شبيب بن يزيد ، وقد هزم جيوشا كثيرة ارسلها الحجاج لمقاتلته ، وجمع الحجاج جيوشا شتى لمناجزته ، ولكنه هزم جيوش الكوفة كلها هزيمة شنعاء جعلتهم يلوذون بالفرار،واضطر الحجاج الى ان يطلب من الخليفة ان يرسل اليه جندا من الشام ، وجاءته النجدة في الوقت المناسب ، والتقى شبيب عند نهر دجيل في الاهواز بجيش الشام الذي ارسل وراءه ، وغرق وهو راجع عبر النهر في سنة ٧٧ هجرة وحينما دخلت غزالة الحرورية امرأة شبيب الكوفة وتحصن منها الحجاج واغلق عليه قصره وكان حينذاك بلغ في طلب شاعر الخوارج عمران بن حطان ، عيره عمران بذلك في شعره الذي يقول فيه : ـ

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة
ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس
تركت مدابره كأمس الدابر

بين الحجاج والمهلب

وكتب الحجاج الى المهلب يامره بالاسراع في مناجزة الازارقة ، ويضعفه ويعجزه ويستبطئه في تاخيره امرهم ومطالبتهم ، واستاء المهلب من اللوم والتقريع الذي تضمنه كتاب الحجاج ، فقال لرسوله « قل له انما البلاء ان الامر الى من يملكه لا الى من يعرفه ، فان كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما ارى فان امكنتني الفرصة انتهزتها ، وان لم يمكني فانا ادبر ذلك بما يصلحه ، وان اردت مني ان اعمل برايك وانت غائب فان كان صوابا فلك ، وان كان خطا فعليَّ » ، فابعث من رأيت مكاني . وكتب من فوره ذلك الى عبد الملك . فكتب عبد الملك الى الحجاج لا تعارض المهلب فيما يراه ، ولا تعجله ، ودعه يدبر امره « وعلم الشاعر كعب الاشقري بالامر ، فانشد المهلبَ في حضرة رسول الحجاج قوله : ـ

ان ابن يوسف غره من غزوكم
خفض المقام بجانب الامصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا
ضاقت عليه رحيبة الاقطار
ورأى معاودة الدباغ غنيمة
أيام كان محالف الاقتار

وبلغت الابيات الحجاج، وكان لا يطيق التعريض بمكانته أو النيل منها بأية صورة من الصور ، فكتب الى المهلب يامره باشخاص كعب الاشقري ، فاعلم المهلب كعبا بذلك ، واوفده الى عبد الملك ، وكتب اليه يستوهبه منه ، فقدم كعب على عبد الملك ، واستنشده ، فاعجبه ما سمع منه ، فاوفده الى الحجاج ، وكتب اليه يقسم عليه ان يعفو عنه ، ويعرض عما بلغه من شعره . فلما وصل كعب اليه ، ودخل عليه ، قال له الحجاج « ايه يا كعب ! « ورأى معاودة الدباغ غنيمة » فقال له كعب معتذرا « ايها الامير ، والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وازماتها وما يوردناه المهلب من خطرها ، ان انجو منها ، واكون حجاما أو حائكا » .

فقال له الحجاج « أولى لك ، لولا قسم امير المؤمنين لما نفعك ما اسمع ، فالحق بصاحبك » ورده من وقته .

الحجاج يتولى المشرق مع ولاية العراق

وفي سنة ٧٨ هجرية كان قد تم القضاء على خطر الخوارج في شرق العراق وغربه ، فضم عبدالملك خراسان وسجستان الى الحجاج زيادة على ما كان له من امرة الكوفة والبصرة ، فأعطى الحجاج ولاية خراسان للمهلب بن ابى صفرة قاهر الازارقة ، وقد بقي المهلب هناك حتى وفاته في آخر سنة ٨٢ هجرية .

وفي سنة ٧٩ وجه الحجاج حملته الى سجستان على راسها عبيد الله بن ابى بكرة لمحاربة زنبيل امير سجستان لانه امتنع عن دفع الخراج ، واستدرجه زنبيل الى الامعان في البلاد حتى انتهى الى شعب يصعب التقدم فيه، واخذ عليه الطريق، ولم يستطع عبيد الله ان يعود ادراجه ، وتكبد خسائر جسيمة ، وفقد الكثيرين من رجاله ، وكبر عليه الامر واشتد حزنه ولم يستطع العودة الا بعد مصالحة زنبيل ، وقصرت هذه الهزيمة أجله فقضى نحبه كمدا سنة ٧٩ هجرية .

وكان الموقف في سجستان في حاجة ماسة الى والٍ من ذوى القيادات الممتازة يحسن قيادة الجيوش ، وينهض بأعباء الحكم ، واختار الحجاج كوفيا رجلا من قبيلة كندة الذين كانوا ملوكا في

الجاهلية وهو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ، وكان حينذاك في بلاد كرمان ، لاخماد ثورة نشبت بها. وفي رواية اخرى انه كان هناك لمحاربة الخوارج، واعانه الحجاج بجيش كامل الاهبة انتخبه من اهل الكوفة والبصرة ، ولذلك سمي هذا الجيش « جيش الطواويس » .

وافاد عبد الرحمن من تجربة سلفه ، فاتبع طريقة مغايرة لطريقته ، فكان يتقدم في حذر واحتياط متحريا تامين مؤخرته ، وجعل الاجناد على العقاب والشعاب، واقام المسالح بكل مكان مخوف، ولم ير المسارعة في التوغل حتى يالف جنوده طبيعة الجبال والشعاب التي سيخترقها جيشه ، ولكن الحجاج الذي كان يميل الى التسرع لم يقدر سلامة الخطة التي اختطها عبد الرحمن لتقدم جيشه ، فكتب اليه يتهمه بالضعف والجبن والميل الى المهادنة والموادعة كما سبق ان عمل مع المهلب ابن ابى صفرة ، وحثه في كتب متلاحقة على التقدم في بلاد العدو ، والتوغل فيها ، وهدده ان لم يفعل باقالته من قيادة الجيش واسنادها لاخيه اسحاق ابن محمد بن الاشعث ، وكان عبد الرحمن رجلا شديد الكبرياء كثير الاعتداد بنفسه ، ولذا اثار غضبه ما وجهه اليه الحجاج من اللوم والتعنيف ، فجمع من معه من الرؤساء والاعيان وافضى اليهم بما تضمنته كتب الحجاج ، وقال لهم « اني لكم ناصح ، ولصلاحكم محب ، ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر ، ولقد كان من رأيي فيما بيني وبين عدوكم رأى استشرت فيه ذوى احلامكم واولى التجربة للحرب منكم ، فرضوه رأيا .. وقد كتبت الى اميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ، ويامرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو ، وهي البلاد التي هلك اخوانكم فيها بالامس ــ وختم عبد الرحمن كلامه قائلا « وانما انا رجل منكم ، امضى اذا مضيتم ، وآبى اذا ابيتم »

فتنة ابن الأشعث وخلعه الحجاج

وكان عبد الرحمن يعرف ما تنطوى عليه نفوس اهل العراق من الكراهة الشديدة للحجاج ، وانهم يرحبون بكل فرصة تسنح لهم للعودة الى ديارهم، فلما انتهى من حديثه ثار الناس ، وقالوا « لا ، بل تأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع ، ثم قام احدهم فقال « ان الحجاج لايرى فيكم الا راى من قال لاخيه : احمل عبدك على الفرس ، فان هلك هلك ، وان نجا فلك ! ان الحجاج والله لايبالي ان يخاطر بكم فيقحمكم بلادا كثيرة اللغوب والعقاب والاشب ، فان ظفرتم فغنمتم اكل البلاد وحاز المال ، وكان ذلك زيادة في سلطانه ، وان ظفر عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لايبالي عنتهم ولا يبقى عليهم ، فاخلعوا الحجاج ، وبايعوا اميركم عبد الرحمن ! فاني اشهدكم اني اول خالع » .

وقام اخر فقال « ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وجمركم تجمير فرعون الجنود ، ولن تعاينوا الاحبة فيما ارى او يموت اكثركم ، بايعوا اميركم وانصرفوا الى الحجاج فانفوه عن بلادكم » .

ووثب الناس الى ابن الاشعث وبايعوه جميعا على خلع الحجاج وجهاده ، حتى يخرج من العراق ، وبطبيعة الحال كان اشدهم حماسة يمن الكوفة الذين كان منهم ابن الاشعث .

ولما اظهر عبد الرحمن خلع الحجاج ، وعقد صلحا مع الزنبيل ، وعاهده الا يرزأ منه شيئا ، فان ظفر بالحجاج لم يسال الزنبيل خراجا قط ما بقى ، وان انتصر عليه الحجاج لجا ومن معه الى الزنبيل فمنعهم .

وعين عبد الرحمن خلفاء له في بست وزرنج حاضرتي سجستان ، وتحرك بالجيش في سنة ٨١ هجرية ، وانضم اليه في طريقه جند من الكوفة والبصرة كانوا في حاميات الامصار .

ولما حل جيش ابن الاشعث بفارس قال الناس بعضهم لبعض « انا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك ، فقد خلعنا عبد الملك ، واجتمعوا على ابن الاشعث فكان اول من خلع عبد الملك » .

وتابعه الناس وخلعوا عبد الملك وبايعوا ابن الاشعث على كتاب الله وسنة نبيه وخلع ائمة الضلال .

ولم يكن عبد الرحمن في حاجة الى ان يدفعهم لذلك ، بل كانوا هم الذين دفعوه ، وهكذا بدات هذه الثورة البالغة الخطورة والتى اسهرت جفن الحجاج ، واقضت مضجعه وكادت تنتزع منه ولايته وتذهب بحياته ، والتى ازعجت عبد الملك واهمته ، وجعلته يبذل اقصى ما في وسعه لاطفاء وقدتها . وتفادى خطورتها ، ولو ضحى في سبيل ذلك بعامله المخلص الأمين .

وقد كان الحجاج حينما قدم العراق اميرا زوّج ابنه محمدا ميمونة بنت محمد بن الاشعث ابن قيس اخت عبد الرحمن رغبة في شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها في جميع حالاتها ، وقد اراد الحجاج من وراء ذلك استمالة قومها ، ومصافاتهم ليكونوا له عونا في الشدائد . وكان أخوها عبد الرحمن شديد الزهو بنفسه ،والاعتداد بحسبه ونسبه ، فلما تم النسب بينه وبين اسرة الحجاج ، والحقه الحجاج بخاصته وافاضل اصحابه زاده ذلك تطاولا ، وملاه كبرا ، وادلالا بمكانته ومنزلة اسرته وماضيها العريق ، واقام حينا من الزمن مع الحجاج الذى كان لا يزيده الا اكراما ، ولا يظهر له الا قبولا ، وكان في الوقت نفسه يأخذ عليه فرط كبريائه وشموخه بانفه ، ويروى انه كان يقول اذا رآه مقبلا ، اما والله يا عبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر ، وتدبر عني بقفاء غادر . ولما عيل صبره معه أراد ـ فيما يروى ـ ان يبتلى حقيقته ، ويتبين خفى نياته ، ومستور امره ، فكتب اليه عهده على سجستان،وتقول الرواية أن أهل بيت عبدالرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديدا ، فأتوا الحجاج فقالوا له « اصلح الله الامير ، انّا اعلم به منك ، فانك به غير عالم ، ولقد ادبته بكل ادب فابى أن ينتهى عن عجبه بنفسه ، ونحن نتخوف ان يفتق فتقا او يحدث حدثا يصيبنا فيه منك ما يسوؤنا » . فاجابهم الحجاج « لقد استعملته على بصيرة ، فان يستقم فلنفسه نظر ، وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدى ان شاء الله » . وتقول الرواية ان الحجاج كان يضمر له البغض ويقول « ما بالعراق رجل ابغض الى منه ، وما رايته ماشيا او راكبا الا احببت قتله » . وكان في بعض الاوقات يغتاظ منه الحجاج ويقول له : « انك لمنظراني » فيغيظه عبدالرحمن قائلا « ومخبراني » وكان عبد الرحمن يعرف ما يكنه له الحجاج من الكره والبغض والحقد والرغبة في التخلص منه،ويضمر في نفسه انتهاز الفرصة التى تسنح للخروج على الحجاج . وقد نصح الناصحون الحجاج بان لا يعهد اليه في قيادة هذه الحملة فقال لناصحيه « انه لى اهيب ، وفي ارغب من أن يخالف امرى أو يخرج عن طاعتى ». فهل كان الحجاج بحثه عبد الرحمن على التوغل في شعاب سجستان يريد اهلاكه والخلاص منه ، أو ان فرط ثقة الحجاج بنفسه هى التى حملته على ذلك وجعلته يعتقد ان عبد الرحمن مهما تكن العداوة التى يضمرها للحجاج فانه لا يجترىء على مخالفته والخروج عليه ؟

وواضح أن اعداد هذه الحملة وتسليم عبدالرحمن قيادتها والاعتماد عليه في اخضاع زنبيل كان مغامرة من الحجاج غير مامونة العواقب ومجهولة النتائج، وتجعل الناظر في سياسة الحجاج يشك في سلامة وضعه للخطط وتناوله للمشكلات ، ويرى أن استبداده برأيه ، والميل الى العنف والقسوة الغالب على طبعه ، واعتماده على فرط ثقة عبد الملك به كان كثيرا ما يورطه في اخطاء تسيء الى سمعته ، وتمهد السبيل للخروج على سلطة الدولة ، والاستهانة بها .

الحجاج يستنجد باهل الشام فيرسل اليه الخليفة مددا

وقد اشتد القلق بعبد الملك من ثورة عبدالرحمن وعجز الحجاج عن اخمادها واستغاثته المتوالية به ، فاشار عليه رؤوس قريش واعيان اهل الشام بان ينزع الحجاج عن أهل العراق إن كان هذا العزل يرضيهم ، فبادر بارسال أخيه محمد ابن مروان وابنه عبد الله على رأس جيش من أهل الشام ، وامرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج ، وأن تجرى عليهم اعطياتهم كما تجرى على أهل الشام ، وان ينزل ابن الاشعث اى بلد من بلاد العراق شاء يكون عليه واليا ما دام حيا ، فان قبلوا ذلك عزل الحجاج عنهم ، وكان لهذا العرض وقع أليم في نفس الحجاج ، فكتب الى عبد الملك ينبهه الى غدر العراقيين وما صنعوه بعثمان بن عفان ، ولكن عبد الملك كان يرى مسالمة العراقيين ، واسترضاء ابن الاشعث ، فأعرض عن نصيحة الحجاج ، وأراد ابن الاشعث أن يقنع أهل العراق بقبول الشروط التى قدمها عبدالملك، ولكنهم أبوا قبولها ، وجددوا خلع عبد الملك ، وكان في مأمولهم التغلب على اهل الشام .

وقد استطاع الحجاج اخماد ثورة ابن الاشعث مستعينا بجند الشام بعد معارك كثيرة ضارية ، واضطر ابن الاشعث الى الالتجاء الى زنبيل ، وحاول الحجاج أن يغرى زنبيل بان يسلم له ابن الاشعث، واغراه بان يعفيه من الخراج بضع سنين ، وفي احدى الروايات أن ابن الاشعث قد لقى نحبه منتحرا ، وفي رواية أخرى انه مات بعد أن شفه المرض ، وحصل الحجاج على راسه مقطوعا .

سوء سياسة الحجاج

وقد كان تجبر الحجاج وغطرسته وكثرة استطالته على أشراف العراق وأعيانها وسوء معاملته للموالى مدعاة لان يشترك في ثورة ابن الاشعث الكثيرون من أكابر العرب وأعلاهم مكانة، وكان منهم قرشيون وعلماء واخباريون وشعراء ممتازون ، وكان القراء ورجال الدين من اشد الناس حماسة ، واقواهم صوتا في الاشتراك في هذه الثورة الخطيرة ، مما يوضح لنا أن الحجاج لم يحسن معاملة أى طبقة من الطبقات ، أو أى جماعة من الجماعات التى كان يتألف منها المجتمع الذى كان يلى اموره ، ويتحكم في مصائره ، وقد كان الحجاج يحسن الخطابة ويجيد التهديد والانذار ، ولو انه كان يحسن السياسة ، ويعمل على اجتذاب القلوب ، وازالة الاحقاد والحزازات ، لكان ذلك أجدى عليه من الخطب العنيفة ، والكلمات الجارحة المهينة .

وبعد انتصار الحجاج بمساعدة الشاميين على ابن الاشعث في معركة دير الجماجم المشهورة تمادى الحجاج في القتل واراقة الدماء ، وكان يلزم من يشملهم عفوه بان يعترفوا على انفسهم بالكفر لخروجهم على سلطة الدولة ، ولم يرض عبدالملك عن هذا السلوك الذى ينم على القسوة المتناهية فكتب الى الحجاج رسالة يحد فيها من طغيانه يقول فيها « اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين سرفك في الدماء ، وتبذيرك في الاموال ، ولا يحتمل امير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس ، وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء وفي الخطأ الدية وفي العمد القود ، وفي الأموال ردها الى مواضعها ثم العمل فيها برايه ، فانما امير المؤمنين امين الله وسيان عنده منع حق واعطاء باطل ، فان كنت اردت الناس له فما اغناهم عنك ، وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم ، وسيأتيك من امير المؤمنين امران لين وشدة ، فلا يؤنسك الا الطاعة ، ولا يوحشنك الا المعصية ، وظن بامير المؤمنين كل شيء الا احتمالك على الخطأ ، واذا اعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانحا ولا اسيرا . وكتب في اسفل كتابه ابياتا من الشعر تنطوى على النصيحة المشوبة بالتهديد وبيان الحدود التى يقف عندها الحجاج.

ولما قرأ الحجاج كتاب عبد الملك كتب اليه « أما بعد فقد أتانى كتاب امير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء ، وتبذيرى في الأموال ، ولعمرى ما بلغت في عقوبة اهل المعصية ما هم اهله ، وما قضيت حق اهل الطاعة بما استحقوه ، فان كان قتلى اولئك العصاة سرفا واعطائى أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغنى امير المؤمنين ما سلف ، وليحد لى فيه حدا انتهى اليه ان شاء الله تعالى ، ولا قوة الا بالله ، والله ما علىّ من عقل ولا قود ! ما أصبت القوم خطأ فاديهم ولا ظلمتهم فاقاد منهم ، ولا اعطيتهم الا لك ، ولا قتلت الا منك ، واما ما انتظره من امريك فالينهما عدة ، واعظمهما محنة، فقد اعددت للعدة الجلاد وللمحنة الصبر » وكتب في اسفل كتابه أبياتا من الشعر يستلين بها قلب عبد الملك ، ويعبر فيها عن حرصه على طاعته وابتغاء مرضاته واخلاصه لسدته .

ولما انتهى كتابه الى عبد الملك ، قال « خاف ابو محمد صولتى ، ولن اعود لشيء يكرهه » . وكان عبد الملك على بينة من فرط اخلاص الحجاج للبيت الاموى ، وتماديه في لزوم طاعته .

خضوع الرهبة لا خضوع الاطمئنان

وبعد انقضاء ثورة ابن الاشعث اصبح شرق الدولة الأموية جميعه خاضعا للحجاج خضوع الخوف والرهبة لا خضوع الاطمئنان والتقدير والاعجاب ، وكان للمهالبة في المشرق مكانة مرموقة اعتمادا على قوة قبيلتهم وبلاء عميدهم المهلب ابن ابى صفرة في تخضيد شوكة الخوارج ، وقد خلفه في امارة خراسان ابنه يزيد وكان تابعا للحجاج مثل ابيه ولم يكن الحجاج راضيا عن يزيد ولكنه كان يعرف انه ليس في مقدوره عزله ، وكان مما اخذه الحجاج عليه انه لم يسهم الاسهام المطلوب في القضاء على ثورة ابن الاشعث ، ولم ياخذ بالشدة أسرى الثوار الذين ظفر بهم ، والح على عبد الملك في عزله ، ولكنه لم يوفق في ذلك الا بعد وفاة عبد الملك في سنة ٨٦ هجرية .

مرءوس مطيع ورئيس جبار

وكان موقف عبد الملك من الحجاج طوال خلافته موقف الرئيس الذى يلزم مرءوسه من الحين الى الحين التزام الحدود التى لا يتجاوزها ، ويسفه رأيه ويقسو عليه في بعض المواقف ، ولما توفى عبد الملك وخلفه ابنه الوليد وكان ابوه عبدالملك قد أوصاه خيرا بالحجاج ـ ترك للحجاج السلطة الكاملة ، وعمل برايه في حالات كثيرة . ولما كان عمر بن عبد العزيز الرجل الصالح المعروف بشدة تعلقه بالدين وحرصه على الأخذ باحكامه

ـ واليا على المدينة لجأ اليها بعض أهل العراق فرارا من عسف الحجاج ، ولم يكن عمر راضيا عن سياسة الحجاج في العراق ، فكتب الى الوليد يسترعى نظره الى ظلم الحجاج ، وخطر سياسة العنف التي يتبعها مع العراقيين ، فلما بلغ الحجاج ذلك كتب الى الوليد بأن مراق اهل العراق قد لاذوا بمكة والمدينة ، وان في ذلك ما يضعف سلطته ، ويشجع الخارجين على طاعته ، فعزل الوليد ابن عمه عمر بن عبد العزيز وولى مكة خالدا القسري ، وولى المدينة عثمان بن حيان المري وكان الحجاج هو الذى رشحهما للولاية .

وبلغت سلطة الحجاج ذروتها في عهد الوليد واستغل الحجاج الهدوء الذى عم العراق في عهد الوليد للقيام باستصلاح الاراضي والعناية بالنواحي الاقتصادية ، وانشأ مدينة واسط فيما بين دجلة والفرات ، ويرجع اليه الفضل في اختيار قتيبة ابن مسلم الذى خلف المهالبة في خراسان ، وقام بالكثير من الفتوحات وكذلك في اختيار محمد ابن القاسم الثقفى الذى فتح بلاد السند .

ولم يكن الحجاج قائدا للجيوش موهوبا ،ولكنه كان يحسن تجهيز الجيوش واعدادها ولا يبخل في ذلك بالمال وكان ذلك مما يسر نجاح قتيبة ومحمد ابن القاسم في الغزوات التي قاما بها .

نهاية الحجاج

وفي سنة ٩٤ هجرية ظفر الحجاج بسعيد بن جبير العالم الفقيه المعروف بغزارة العلم وشدة التقوى وكان قد اشترك في ثورة ابن الأشعث ، ولما وصل سعيد الى الحجاج دارت بينهما مناقشة زادت الحجاج عليه حنقا ، لأن سعيدا لم يبد ندما على مشاركته في الثورة ، ولم يتراجع أمام تحدى الحجاج له ، فامر به الحجاج فاخرج وقتل ، ويروى انه لم يعش الحجاج بعد قتله الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت في جوفه الأكلة ومات منها بعد ان حكم العراق عشرين سنة ، وكان في الرابعة بعد الخمسين بواسط في العراق .

مزايا الحجاج وعيوبه

عرف الحجاج بالفصاحة والبلاغة والدهاء ، والجور والحلم في بعض الأوقات ، وكان رجلا جادا ، لا يشرب الخمر ، ولا ينغمس في الشهوات الجنسية ،

ولا نزاع في أنه كان مخلصا للدولة الأموية ،متفانيا في الدفاع عنها ، عاملا على توطيد اركانها ،وحماية حدودها ، وكانت له كلمات جامعة ، وحكم مأثورة ، واشتهاره بالعنف والقسوة والشدة والجبروت مهد السبيل للكثير من اقاويل السوء عنه كما قال الشاعر القديم .

ومن دعا الناس الى ذمة ذموه بالحق وبالباطل

واسمه في كثير من الروايات يقرن بالرغبة في ازهاق الارواح ، وسفك الدماء والتشدد في العقوبة ، وقد يختلف حكم رجال السياسة عليه عن حكم الصالحين ورجال الدين ، وارجح اننا بعد أن نزن ما له وما عليه ، ونشيد بما بذله من جهد في بناء الدولة الأموية ، نجد في الوقت نفسه ان شدته العارمة ، وقسوته البالغة ، وسوء معاملته للموالى من ناحية ، واساءته الى الكثيرين من زعماء القبائل العربية البارزين من ناحية أخرى قد ساعد على تثبيت كراهة العراقيين للبيت الأموى ، بل زادت تلك الكراهة قوة واشتعالا ، وذلك في حين أن الدولة الأموية كانت في حاجة ماسة الى ما يسوغ قيامها ، وقبضها على مقاليد الأمور ، وسحب ذيول النسيان على ماضي الأسرة في محاربة الاسلام في ابان نشأته ومبدأ أمره ، وقد يصدق في بعض الأحايين قول المتنبى ان « أعلى الممالك ما يبنى على الأسل » ولكن الاعتماد على القوة والعنف والجور والاستبداد والقسوة والشدة قد لا تكون في جميع الظروف والحالات السبيل الى رفع مكانة الدول وحمايتها من السقوط والدثور ، والحجاج بشدة سطوته وعنف أساليبه وقسوته كان من بناة الدولة الأموية ، ولكنه كان في الوقت نفسه من هدامها في المدى الطويل ، وهو لا يبدو في التاريخ محفوفا بهالة الاعجاب والتقدير، وانما يبدو وحول اسمه ظلال سود من المقت والكراهة والذم والتنقص ، وقد روى انه كان يتمثل عند موته بقول الشاعر :

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا
ايمانهم انني من ساكني النار
ايحلفون على عمياء ويحهم
ما ظنهم بعظيم العفو غفار

وقد تختلف احكام المؤرخين في تقدير مواقفه واعماله ولكنهم لايختلفون في أنه كان من الشخصيات البارزة وكبار الولاة في التاريخ الاسلامي . ■■

على أدهم

«دار العلوم»

نذكرها بعد مائة عام من إنشائها وبها نحيي أول دار لتخريج المعلمين في بلاد العرب

بقلم : الدكتور سعيد اسماعيل علي

كلية التربية ـ جامعة عين شمس

■ المستقرىء لتاريخ التربية الاسلامية يستطيع أن يلمس الأهمية الكبرى التى أولاها المسلمون لضرورة أن يتلقى الطالب العلم عن المعلم ونبذهم الاعتماد على الكتب وحدها كمصدر يتلقى منه الطالب العلم ، ومن هنا كان قول بعضهم : « من أعظم البلية تشييخ الصحيفة » أى أن يتعلم الناس من الصحف ، وكذلك قال أحد الكتاب المسلمين القدماء : « من لا شيخ له ، فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان » . وحول هذا المعنى قال أيضا مصعب بن الزبير : « ان الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فاذا أخذت الأدب ، فخذه من أفواه الرجال ، فانك لا تسمع الا مختارا ولؤلؤا منثورا » .

وكان الرسول الكريم محمد عليه السلام عندما بعث بالاسلام يدعو الناس الى الدين الجديد ، ويبذل قصارى جهده لتعليم المسلمين الجدد أسس هذا الدين وأصوله وقواعده ، ومن هنا لم يكن الرسول زعيما فحسب ، بل كان معلما . ومن بعده استطاع الخلفاء الراشدون أن يتابعوا المهمة بنجاح كبير ، فكان الخليفة يسوس الدولة بكل ما كانت تتطلبه هذه السياسة من أعباء ، وفي الوقت نفسه يمارس المهمة الكبرى : مهمة تعليم الناس مبادىء الدين . ثم تضخمت الأعباء السياسية لدى الخلفاء من بنى أمية بالاضافة الى قلة رصيدهم الثقافي الدينى بالقياس الى الخلفاء الراشدين ، فلم يواصلوا مهمة التعليم ، ومن هنا برز العلماء المتخصصون لتعليم الناس وارشادهم . ولم يكن هؤلاء يعدون في معاهد خاصة لاعداد المعلمين ، وانما كان المطلوب أن يكون المتصدى للتعليم على قدر كبير من المعرفة بالموضوع الذى يعلمه للآخرين . كذلك كان العمل الذى يؤدونه لا يكلفون به من قبل الدولة في بداية الأمر ، الى أن بدأت الدولة تأخذ على عاتقها تخصيص بعض العلماء للتعليم ، وظهر ذلك واضحا منذ انشاء المدارس .

فاذا طوينا العديد من صفحات التاريخ وقفزنا الى أوائل القرن التاسع عشر ، نجد أن حكومة محمد علي في مصر قد أنشأت ـ ولأول مرة ـ العديد من المدارس التى تسير وفقا للنظام الغربى الحديث ، قبل أن تجد كفايتها من المدرسين العرب الأكفاء . ولم يكن في وسعها أن تتريث حتى

« تعد » المدرسين أولا ، ثم تفتح المدارس بعد ذلك، فاخذت تلتمسهم من مصادر مختلفة : فاعتمدت على اساتذة كانت تتعاقد معهم من الخارج وخاصة من ايطاليا وفرنسا حيث تولوا تدريس المواد العلمية الحديثة واللغات الاجنبية ، وهذا كان من الصعب على خريجي الازهر ان يقوموا به ، حتى اذا ما أخذ نطاق التعليم في الاتساع بانشاء المدارس الابتدائية والتجهيزية(الثانوية) ،واشتد الاهتمام بتعليم اللغة العربية خاصة ومد كثر العنصر العربي في هذه المدارس ، بدات الحكومة تستعين برجال الازهر للمشاركة في مهمة التعليم. يضاف الى هذين المصدرين ، مصدران آخران ، وهما خريجو المدارس الحديثة بعد عدة سنوات من انشائها ثم العائدون من البعثات العلمية الذين بداوا يزيدون عاما بعد عام .

واستمرت العناية بالتعليم ، واستقرت أسسه، فزادت مشكلة اعداد المعلمين الصالحين تعقيدا ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الدولة في ذلك الوقت لمواجهة هذه المشكلة ، الا انها لم توفق الى اصوبها بان تنشيء مدرسة خاصة لاعداد المعلمين .

وفي سنة ١٨٧١ كان بسراى درب الجماميز بالقاهرة جملة مدارس عليا ، عدا ديوان الوزارة والمكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية) ، وعدا مدرج انشيء خصيصا للاحتفال بالامتحانات التي كانت تجري سنويا امام الخديوي اسماعيل او نائبه ترغيبا في الاقبال على العلم وتنشيطا للتلاميذ. ثم راى على مبارك ــ وكان هو صاحب الفكرة في انشاء هذا المدرج ــ ان ينتفع به طوال العام بدلا من قصر الانتفاع به على موسم الامتحانات وحدها، ففكر في ان تلقى به محاضرات عامة لكبار الاساتذة. وقد تحايل على ذلك بان القى في روع الخديوي انه ــ في ظله وبعنايته ــ أتم تكوين (المكتبة الخديوية) ، فاصبحت للبلاد مفخرة كالمفاخر السابقة وهي دار الحكمة او دار العلم التي انشاها العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي في قصر الملك بالقاهرة ، غير أن هذه المكتبة ينقصها ما رتبه العزيز بالله والخلفاء من بعده من علماء يلقون الدروس على الطلاب ويملون عليهم مسائل العلم ويحلون لهم معضلاتهم ،وهو لذلك يريد ان يكمل هذا النقص بتكليف عدد من الاساتذة بالقاء محاضرات في مختلف فروع المعرفة لمن يرغب في مزيد من العلم . وقد راقت الفكرة للخديوي لدى سماعها ، وقد كان مغرما بالتشبه بعظماء الحكام ممن تمتليء بهم صفحات التاريخ .

وقد خرجت الفكرة الى حيز التنفيذ في يوليو ١٨٧١ ، واختار اسم « دار العلوم » علما على هذا المكان مجاريا في هذه التسمية مسميات المعاهد العلمية القديمة في الشرق « كبيت الحكمة » ، وكان يستمع لهذه المحاضرات في بادىء الامر طائفة من موظفي الحكومة والمدرسين وبعض طلبة المدارس العالية وفريق من طلبة الازهر . ولكي نضع امام القارىء صورة لهذا المحفل الثقافي ، نورد فيما يلي قائمة ببعض الموضوعات التي كانت تلقى فيها المحاضرات ، واسماء المحاضرين :

- الشيخ احمد شرف الدين المرصفي
  للتفسير والحديث
- الشيخ عبد الرحمن البحراوي
  لفقه ابي حنيفة النعمان
- الشيخ حسين المرصفي
  لعلوم الادب
- هنري بروكش باشا ناظر مدرسة اللسان القديم
  للتاريخ العام
- فيدال باشا ناظر مدرسة الادارة والالسن .
  لفن السكك الحديدية
- فرانس باشا المدرس بمدرسة المهندسخانة
  لفن الابنية او العمارة
- جيجون بك ناظر مدرسة العمليات
  لفن الآلات
- مسيو بكتيت
  لعلوم الطبيعيات
- اسماعيل الفلكي باشا ناظر مدرسة المهندسخانة
  لعلم الفلك
- منصور احمد افندي المدرس بالمهندسخانة
  لعلم الطبيعيات مع التجارب
- احمد ندى بك مدرس النبات بالحربية والطب
  لعلم النبات مع استحضار النماذج

وبعد مرور شهرين على انشاء مدرج دار العلوم ارسل على مبارك الى شيخ الازهر يلتمس منه ان يخص المدرج بعدد من علماء الازهر للتدريس فيه ، وكذلك أن ينتقي عشرة من الطلبة الممتازين بالازهر لتلقي بعض دروس دار العلوم مع السماح لهم بحضور الدروس الاخرى كالفلك والطبيعة اذا ارادوا ذلك ، وقد تم هذا بالفعل .

وفي ٣٠ يوليو سنة ١٨٧٢ ، كانت الفكرة قد تطورت لدى على مبارك ، اذ أرسل خطابا هاما

الى الخديوى يلتمس فيه موافقته على انتخاب خمسين طالبا من ابناء الأزهر بالامتحان ليدرسوا في هذا المكان على أن تصرف لهم مكافآت شهرية وقد جاء في نص هذا الخطاب :

« بما ان مرغوب الجناب الخديو الافخم نشر انوار التمدن والتقدم بتوسيع دائرة التربية والتعليم ولذلك حصل بعنايته السنية وفي ظل حضرته العلية بتجديد ما تجدد من المكاتب الأهلية وازديادها وتعميمها في سائر جهات الوطن العزيز وذلك يحتاج بالضرورة لوجود كثيرين من مهرة المعلمين يقومون بواجبات حسن التربية والتعليم على الوجه الأتم كمرغوب جناب ولي النعم ، وقد نلاحظ ان المشتغلين الان بوظيفة التعليم في اللغة العربيه والتركية فيهم الكفاية بالنسبة لذلك ، فان وافقت الحضرة العلية ينتخب قدر خمسين من نجباء الطلبة في سن العشرين الى الثلاثين يؤخذون بالامتحان ممن يرغبون لذلك ويوجد فيهم الاهلية واللياقة ، ويدرس لهم في دار العلوم الملحقة بالكتبخانة العامرة مايلزم لتكميل معلوماتهم واستعدادهم لاداء وظيفة التعليم وحسن التربية على الوجه المطلوب والاسلوب المرغوب ويحضرون جميع الدروس التى تلقى اليهم ، ويربط لكل منهم مدة اقامته تحت التعليم ماية قرش شهرى من ضمن المتحصل للكتبخانة من الرسوم بديوان الاوقاف ، وعند تعين احد منهم بوظيفة في مكتب من المكاتب بعد تمام تعليمه وظهور براعته بالامتحان ، يربط له بدل المائة قرش المذكورة على الجهة التى يعين لها الماهية اللازمة على حسب الوظيفة التى ينتخب اليها ، فان بهذه الواسطة يمكن الاستحصال على ما فيه الكفاية من المعلمين للغة العربية والتركية ويؤخذ منهم لجهات الاقتضاء على حسب اللزوم وبذلك يتقدم ويستقيم امر العلم والتعليم ، فبناء عليه لزم ترقيمه ليعرض من ذلك للاعتاب السنية وترد الافادة عما يصدر به الامر الكريم للاجراء بمقتضاه .

وقد صدر الامر العالى بالفعل بالموافقة على ما جاء بالخطاب السابق ، وتم افتتاح المدرسة في شهر سبتمبر سنة ١٨٧٢ ، وبذلك كانت دار العلوم اول معهد ينشأ لاعداد المعلمين بصفة خاصة ، ولو ان المطلع على الخطة الدراسية الاولى لها لا يجد مكانا لاية مادة تربوية تفيد تلقى طلابها لاصول وقواعد التعليم ، فكانها بذلك لم تتحرر من الفكرة السابقة التى تقول انه يكفى جدا بالنسبة لمن يريد التصدر لمهنة التعليم ان يكون على قدر كبير من العلم فيما يريد ان يدرسه .

واذا كانت دار العلوم قد انشئت لهذا الغرض الذى اشرنا اليه ، الا ان على مبارك كان يهدف الى احداث تغيير آخر ثقافي ، ذلك انه كان ينظر الى المعلمين الذين يتولون تربية ابنائنا وتهذيبهم وتعليمهم في ذلك الوقت فيجدهم فريقين : فريق من الازهر الشريف يعلمون لغة القرآن وما لابد منه من أمور الدين الحنيف ، وهؤلاء يرون أن كل علم ليس في الكتب التى تلقوها في الازهر الشريف، ضلال وكفر، وان الاشتغال به اشتغال بما لايجدى، ويرون ان شركاءهم في التدريس الذين يدرسون المواد الحديثة كالجغرافيا والكيمياء والطبيعة والفلك وغيرها ، هم ملاحدة كفار لانهم يخالفون نص ما جاء في كتاب بدائع الزهور ، وما اورده صاحب تفسير الخازن من الاسرائيليات،ولا يعوزهم ان يجدوا في ظواهر بعض النصوص وفي حرفية اقوال العلماء ما يجعلونه مستندا لآرائهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وفوق ذلك ، هم يتبعون في تدريسهم طرقا عقيمة غير مجدية .

اما الفريق الآخر ، وهم اخوانهم الذين زاولوا دراسة العلوم الحديثة وعرفوا صحة نظرياتها بالبرهان القاطع والقياس المنطقى ، فيرون في معلمى اللغة العربية والدين جهلا فاضحا وضلالا واضحا ، وربما يلغ بهم ذلك الاعتقاد الى الشك في الدين الذى يعتمدون عليه ويدعون الاضطلاع به .

ازدواج ثقافي ما في ذلك شك يهدد بايجاد اخدود ثقافي يشطر المجتمع الى مجتمعين ، تقود الاول عقلية لا تنظر الا الى الوراء زاعمة ان ليس في الامكان ابدع مما كان ، وتقود الثاني عقلية اخرى لاتضرب بجذورها في الماضي زاعمة ان كل ما مضى وانتهى فهو مما يستحق ان يدفن . ومن هنا كان تفكير على مبارك في انشاء دار العلوم كمؤسسة تقوم على فكرة التكامل الثقافي حيث لا غنى لانسان عن التزود من كلا الثقافتين . ولا شك في ان هذا عندما يتم داخل معهد لاعداد المعلمين ، لابد ان يؤتى اكله بطريقة أكثر فاعلية مما لو تم في مكان آخر حيث ان المعلمين الذين سيعدون وفقا لهذه الفلسفة، هم الذين سيتولون تربية الابناء وتشكيل عقولهم الى حد كبير .

ولم يكن للمدرسة في مبدأ الامر خطة تعين مدة الدراسة ، اذ تخرج بعض طلبتها بعد عام واحد

من انشائها ، ومن غير ان يكون لها منهج دراسي مطبوع . وقد ظلت على هذا الحال مدة ثلاث سنوات الى ان طبع منهجها الدراسي سنة ١٨٧٥، وكانت مواد الدراسة قبل طبع المنهج مثلها بعد طبعه وهي :

١ ـ تفسير القرآن الكريم .
٢ ـ الفقه .
٣ ـ العلوم الادبية .
٤ ـ التاريخ العام .
٥ ـ الجغرافيا .
٧ ـ الهندسة .
٨ ـ الكيمياء والطبيعة .
٩ ـ الخطوط العربية .

وتبدا الدولة في الاعداد لتغيير كبير في التعليم لم يقدر له ان يتم في معظمه للظروف التى داهمت البلاد بعد ذلك نتيجة للاحتلال البريطاني ، ويهمنا من التقرير الذى وضعته اللجنة التي شكلت لدراسة التغيير المطلوب سنة ١٨٨٠ النصوص الاتية لاظهارها مدى احساس اللجنة بالقصور البادي في اعداد المعلمين : « ... وعيوب التعليم الابتدائي في الجهات الكائن بها الان ليست ناشئة عن كثرة عدد التلامذة على المعلم الواحد وانما هي ناشئة عن كون التعليم قاصر جدا ، يعني انه مقتصر فيه على حفظ القرآن وعلى القراءة والكتابة ، وعلى كون طريقة التعليم ليست خصوصا مستوفية » .

« والتعليم الجاري في الحالة الراهنة قاصر على كون المعلم يشتغل بتعليم التلامذة كل واحد على حدته ، فانه يدنو من التلميذ ويعطيه درسا في القراءة ويوضح له توضيحات على درس لا تكون التلامذة الاخر صاغية له ، ويتنقل بعد ذلك الى تلميذ ثاني ويكرر له ما سبق تكراره للتلميذ الاول، فاذا كان عنده ١٠ تلامذة او ٣٠ تلميذا فيكرر الدرس الواحد ١٠ مرات او ثلاثين مرة اثناء ما تكون التلامذة الذين لا يكون ملتفتا اليهم في الوقت عينه مشتغلين بتكرار ما اعطى لهم من الدروس بالترتيل والصياح الشديد وهز اجسامهم ... » .

وجاء كذلك في التقرير : « ... وحيث انه قد زاد احتياج الاهالي الان الى انتشار المعارف بينهم، والمانع من ذلك امران :

احدهما : عدم كفاية النقود الضرورية لايجاد بعض مدارس جديدة ، والثاني عدم وجود اشخاص جديرين بالتعليم في درجاته المتنوعة .

فالامر الاول يمكن استدراكه بحسن التفات المجلس ، والامر الثاني ، يمكن استدراكه بتحسين مدرسة دار العلوم الموجودة الان ، وايجاد مدرسة اخرى للمدرسين تفتح في عهد قريب لتعليم اللغات الاجنبية والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية التي هي من اعظم احتياجات الاهالي لتسهيل انتشار المعارف بينهم :

واصدر مجلس النظار بالفعل قرارا بانشاء مدرسة للمعلمين في ١٣ يوليو سنة ١٨٨٠ حيث اطلق عليها اسم « مدرسة المعلمين العمومية » (النورمال) ، وافتتحت رسميا في اكتوبر من العام نفسه وضمت اليها دار العلوم ، واتخذ لها مكان بدرب الجنينة قرب ميدان العتبة الخضراء ، واختيرت لها طائفة من تلاميذ المدرسة التجهيزية (الخديوية) والحقت بها مدرسة ابتدائية لتمرين طلبتها .

ومدرسة المعلمين هذه ـ طبقا للائحة تنظيمها ـ تنتظم قسمين : الاول مؤلف من دار العلوم والغرض منه اعداد معلمين للمدارس الابتدائية الاولية Inférieures ومعلمين للقرآن واللغة والآداب العربية للمدارس الابتدائية الراقية Supérieures وبالتالي لمدارس التجهيزية . والقسم الآخر من مدرسة المعلمين يهدف الى اعداد مدرسين مبتدئين لعلوم الرياضيات واللغات والتاريخ والجغرافية .. الخ .

وقد لاقت المدرسة في مبدأ انشائها كثيرا من الدس والكيد على ايدى نظار المدارس العالية الاخرى وعلى رأسهم ناظر مدرسة الادارة والالسن (فيدال باشا) الذي رأى في وجود مدرسة المعلمين سدا للطريق على خريجي مدرسته الذين كانوا يقومون بتدريس اللغة الفرنسية والآداب ... غير ان الاقدار ابت الا ان تسير المدرسة بخطوات ثابتة في طريقها ، بل وتبرعت الحكومة الفرنسية لمكتبتها بطائفة من الكتب وصور الحيوانات وبمجموعة قيمة من اجهزة الطبيعة والكيمياء .

وبانضمام دار العلوم الى المدرسة، اضافت النظارة الى مواد الدراسة فيها ، اللغة الفرنسية لطلبة الفرقتين الثانية والثالثة ، وقد اقبل الطلبة جميعا على تعلمها وامتحنوا فيها في آخر العام الدراسي مع انها كانت مادة اختيارية . وكانت مادة الدراسة بها على ما جاء في تقرير القومسيون سنة ١٨٨٠ هي: علم التوحيد ـ الشريعة الاسلامية ـ التاريخ ـ الآداب العربية ـ الحساب ـ الجغرافيا

ـ الخط ـ التاريخ الطبيعي ـ مبادىء الطبيعة والكيمياء

ومن الملاحظ على نظم مدرسة المعلمين في هذا العهد تأثرها الواضح بالثقافة الفرنسية والنظام الفرنسي ، ويفسر لنا هذه الملاحظة علمنا بالدور الكبير الذى لعبه الخبير السويسرى في التعليم ف . ادوار دور بك V.Edouard Dor في تنظيم التعليم في مصر في ذلك الوقت وقد الف دور كتابا هاما عن « التعليم في مصر » « L'Instruction Fublipue. »

وقد جاء « دور » هذا الى مصر سنة ١٨٧٢ للترويح عن النفس لا لغرض آخر ، ولكن طبيعة المعلم غلبت عليه ودفعته لان يدرس نظم التعليم في مصر ، فجاء كتابه ثمرة هذه الدراسة . واجتذب الكتاب نظر حكومة اسماعيل ، فاسندت اليه وظيفة مفتش لعلوم المدارس والمكاتب في ٢٩ مارس ١٨٧٣ . ويشرح يعقوب ارتين (الذى اصبح وكيلا للمعارف سنة ١٨٨٤) سر اهتمام حكومة اسماعيل باختيار الخبير السويسرى ، بان اسماعيل كان قد هاله ما رآه من نشاط الجاليات الاوربية في انشاء معاهد التعليم وخشى ما قد ينشأ عن هذا النشاط من تغلغل النفوذ الاجنبي في المصريين فرأى ان ينهض بالتعليم الاولى الابتدائى المصرى نهوضا جديا واختار « دور » لمعاونته في تحقيق هذه الغاية .

ولم يظل العهد بدار العلوم كجزء من مدرسة المعلمين ، اذ سرعان ما استعادت اسمها في العام الدراسي ١٨٨٤/٨٣ ، وابطل بها تدريس اللغة الفرنسية والطبيعة والكيمياء الى اجل قصير ، ذلك انها استعادت هذه المواد في عام ١٨٨٥ بالاضافة الى استحداث تدريس اللغة الانجليزية على ان يختار الطالب بينها وبين اللغة الفرنسية ، وقد ادى الى هذا الوضع تحول مدرسة الالسن الى « قلم للترجمة » وانضمامه الى الدار ، وكان الطلبة يرسلون الى مدرسة الطب مرة كل اسبوع ليشاهدوا كيفية التحضيرات الكيميائية والاجهزة العضوية الحقيقية او النموذجية ويمرنوا على التطبيقات العملية على يد معلمى (مدرسة الطب) وكان تعليم مبادىء الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي قبل ذلك نظريا بحتا .

وشهدت الدار بعد ذلك تغييرات مختلفة كانت صدى لما كانت عليه سياسة التعليم في مصر ولسنا بصدد استقصاء هذه التغيرات وانما سنكتفى بالوقوف قليلا امام الاحداث الآتية :

ـ فقدت الدار اسمها سنة ١٨٩٥ فاصبح الاسم (قسم المعلمين العربى) ، وذلك حتى تتمكن نظارة المعارف من التخلص من ناظر المدرسة لخلاف بينه وبينها ، وكان هذا الناظر هو ابراهيم مصطفى الذى كان قبل ذلك استاذا للكيمياء بمدرسة قصر العينى .

تغير الاسم مرة اخرى في اغسطس سنة ١٩٠٠ فاصبح « مدرسة المعلمين الناصرية » ، ولم يعد الاسم الاصلى الا في عام ١٩٢٠ .

ـ كان الزى الرسمى لطلاب الدار هو زى الشيوخ الجبة والقفطان والعمامة . وفي عام ١٩٢٦ ، شهدت الدار احداثا خطيرة استلزمها تغيير الطلاب لزيهم بان يلبسوا زى الافندية فقد عقدوا مؤتمرا كبيرا قبل اجازة نصف السنة في الاسبوع الذى نهايته ١٩٢٦/١/٢٢ اتفقوا فيه على ترتيبات خاصة بحيث يأتون بعد الاجازة بالزى الجديد ، وحدث بالفعل ان اتى الطلبة يوم ١٩٢٦/٢/٦ لابسين (البدل) ووضعوا لهم حرسا خاصا في الطريق الى الدار حتى يمنعوا من يتقهقر منهم من الدخول ، ومن العجيب ان البوليس الرسمى وقف بابواب المدرسة ليمنع دخول اى طالب لا يلبس زى الشيوخ ، واحتال الطلاب على ذلك بان كانوا يلبسون الكاكولة مخفين تحتها البدلة ، حتى اذا تمكنوا من الدخول خلعوا العمة والكاكولة ، فحدثت معركة بينهم وبين البوليس الذى اراد اخراجهم بعد انكشاف اللعبة ، وصارت هذه المسالة حديث الناس في مختلف المجالس واصبحت مادة دسمة تكتب عنها الصحف والمجلات الى ان انتصر منطق التطور والتجديد رغم انف الجامدين .

ـ وفي عام ١٩٤٥ ، تخلت دار العلوم عن مهمتها كمعهد لاعداد المعلمين مقتصرة على التخصص في الدراسات العربية والاسلامية مع اعتبارها كلية جامعية ضمن كليات جامعة القاهرة . وقد ادى الى هذا التغيير ظهور معهد التربية للمعلمين سنة ١٩٢٩ الذى اختص هو باعداد المتخرجين من بعض كليات الجامعة اعدادا تربويا يؤهلهم لممارسة مهنة التدريس .

تاريخ طويل وحافل استطاعت فيه الدار ان تصمد في وجه العديد من التيارات المضادة مقدمة الى الثقافة العربية خدمات لايمكن ان يفيها حقها مقال كهذا ، فما احرانا ان نذكر لها هذا هذا العام الذى به تكون قد استكملت من العمر مائة عام .

سعيد اسماعيل على ■■

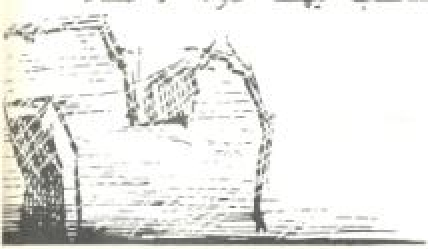
في سبيل الوحدة اليمنية

بقلم : الدكتور محمد عبده غانم

■ الأهل أهلي والبلاد بلادي … يمنيةٌ في حاضر أو بادي
لا فرق بين «عبادل» و«عواذل» … و«بكيل»[1] في التاريخ والميلاد
أو بين «شمسان» الأشم وصنوه … «ردفان» أو «ضوران»[2] في الأطواد
أو بين وادٍ سال من «وزان» في … «تبن» وآخر في «بنا»[3] ميّاد
حُييت يا وطني الحبيب ولم تزل … وطن الكرام الصيد من شدّاد
لك في النفوس مكانة قدسية … رفعتك فوق النفس والأولاد
لولاك ما انطلقت دماء حرة … تروى بمآثرها الصعيد الصادي
ولما التقى ثبجَ الرصاص مزمجرا … متحدّيا من كل فجٍ فادي
ولما ترمّلت النساء ويُتمت … أولادُها في نُضرة الإملاد
ولما تشرّدت الرجال وغادرت … أحبابها في مأتم وحداد
ولما خوت تلك المنازل بعدما … كانت تميد بأهلها والنادي

★ ★ ★

الله أكبر ! كل شرّ ينتهي … إن تلقه بعزيمة وجهاد
من كان يحسب أنّ ليلا ينجلي … بالصبح بعد ظلامه المتمادي
أو أنّ صوتا للتفرق داويا … يمحوه صوت الشعب حين ينادي
أو أنّ عهدا للقطيعة ينقضي … ليحلّ عهدُ تضامن ووداد
يتعانق الأخوان فيه وقد قضوا … أن لا مجال لفرقة وبعاد
والله ما سادت بلاد لم يكن … للشعب فيها صولة الآساد



(١) عبادل وعواذل وبكيل : قبائل يمنية .
(٢) شمسان وردفان وضوران : جبال يمنية .
(٣) وزان وتبن وبنا : أودية يمنية .

حق الشعوب على البلاد أمــــانة   جلّت عن الأحـــزاب والأفراد
من أجلها كان التــآخي بيننـــا   فرضا على الأقـــران والأنـــداد
ما «لَحَجُ» ما «صنعاءُ» ما «عَدَنٌ» وما   «عَتَقٌ» و «دَوْعَن»[٤] في ظلال الوادي
إلا بـــلاد للتلاحـــم بينهـــــا   عهد من الآبـــاء والأجـــداد
كيف التمزُّق والأواصـــر جمـــة   كيف التفرّق والجميع بـــلادي

★ ★ ★

فإلى الذين[٥] نضالهم من أجلنـــا   ما زال للطـــاغين بالمرصـــــاد
وإلى الذين بهم يتم خلاصنـــــا   من ربقة الأضغان والأحقـــاد
ولقاؤنا في وحدة يمنيـــــــة   خلاّقــة للعــز والأمجـــــاد
من شاعر يهدي الجميع تحيـــة   عربيّة الآفـــاق والأبعـــاد
نشوى بآمال البـــلاد يزفّهـــا   في لحنـــه المتألّـــق الوقـــاد
قلبا وفيــاً، كم يرفّ به الهـوى   والحب لا يحيا بغير فـــؤاد

(٤) لحج وصنعاء وعتق ودوعن: مدن وقرى يمنية.

(٥) وفي مقدمتهم الزعيم العربي معمّر القذافي.



أنت تسأل .. ونحن نجيب

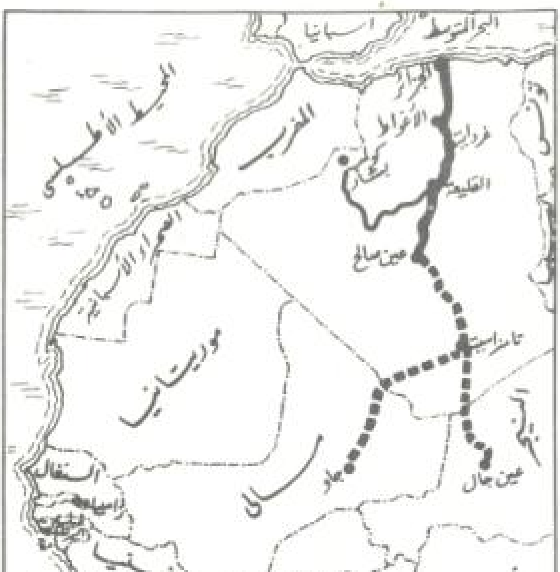
طريق الذهب الجديد ، يخترق الصحراء الكبرى .

● سمعنا من الطريق الطويل الذى سيمتد من الجزائر العاصمة الى جمهوريتى النيجر ومالى ،ترى هل تم افتتاح هذا الطريق ، وهل بمكنكم رسم خارطة له ؟

احمد السعيدى ـ مسقط

ـ فى شهر ابريل عام ١٩٧٣ اجتمع رؤساء جمهوريات الجزائر وموريتانيا والنيجر ومالى لافتتاح المرحلة الاولى من الطريق الصحراوى الكبير الذى بدأ من مدينة الجزائر العاصمة ، منطلقا جنوبا مستعملا فى بدايته نفس شبكة الطرق الجزائرية الصالحة حتى مسافة الف كيلو متر تقريبا اى الى مدينة الاغواط ، ومنها يتابع امتداده جنوبا الى غرداية ، على طريق مرصوفة موجودة ، ولكنها فى حاجة الى توسعة .

ومن غرداية بدأ شق الطريق الصحراوى الكبير



خريطة تبين الطريق الجديد الذى سيمتد من الجزائر الى جمهوريتى النيجر ومالى ويبلغ طوله حوالى ٣٥٠٠ كم .



الفعلى فوق رمال الصحراء ، حتى وصل الى بلدة عين صالح مارا بالقليعة .. وبانتهاء هذا الجزء تمت المرحلة الاولى من الطريق الكبير ، وهى المرحلة التى افتتحها رؤساء الجمهوريات الافريقية الاربع ..

وبعد الانتهاء من المرحلة الاولى بدأت فى الحال المرحلة الثانية ، وهى المرحلة الصعبة اذ تطلب شق الطريق وسط مرتفعات « الهقار » البركانية الصلبة حيث يعيش « الطوارق » . وعندما تصل الطريق الى مدينة تامنراسيت ، حيث مركز الطوارق ، ستتفرع الى فرعين ، واحد يتجه الى « عين جال » فى النيجر .. والطريق الثانى سيتجه الى مدينة « جاو » فى جمهورية مالى ..

ومما يذكر ان مد هذا الطريق تتولاه ٣ دول .. الجزائر وعليها تعبيد ٢٢٠٠ كيلومتر ، ومالى وعليها شق ٧٠٠ كيلومتر ، والنيجر وعليها شق ٦٠٠ كيلومتر .. وبالانتهاء من هذا الطريق سيقضى على اسطورة حاجز الصحراء الكبرى ، التى ظلت عقبة مستعصية ، تعزل وسط افريقيا عن ساحل البحر المتوسط ..

اما فوائد الطريق فلا يمكن حصرها ، اذ ستبعث الحياة فى مناطق نائية مجهولة ، وسترتبط مناجم الفحم فى منطقة « الهقار » ، ومناجم الحديد فى كولمب بيشار ، بطريق يسهل معها تصدير انتاجهما ..

اما الطرق الفرعية التى سترتبط بهذا الطريق الرئيسى — الذى سوف تصل مجموع اطواله ٣٥٠٠ كيلومتر — فسوف تكون عديدة على مر الايام ، وقد انطلق منها فعلا طريق من القليعة الى تميمون ، ومنها الى كولمب بيشار فى الجزائر ، حيث مناجم الحديد .

وترى تفاصيل كل هذا فى الخريطة المرفقة .

(س. ز.)

التحية عند العرب فى الجاهلية والاسلام

● ماذا كانت تحية العرب عند اللقاء فى الجاهلية ؟ ولماذا جعل الاسلام التحية بين المسلمين كلمة « السلام عليكم » وهل للمسلم أن يحيى غيره بغير هذه التحية اذا كان هو البادىء ، أو كان هو المجيب ؟

احمد محمود سعد — باريس — فرنسا

من الظواهر الكونية الكبرى التى لفتت انظار البشر منذ اقدم العصور ، طلوع الشمس وغروبها وما ينشأ عن ذلك من ليل او نهار ، ولهذا كانت التفرقة بين النور والظلام مضرب المثل فى التمييز بين شىء وغيره لدى جملة الشعوب والجماعات ، كما يعم بينهم تحية بعضهم بعضا فى الصباح والمساء مما يدل على تمنى الخير فى هذين الوقتين ، ويكون الجواب على وفق التحية ، ولهذا تقاربت التحيات واجوبتها فى جملة الشعوب . وقد لفت منتصف النهار ، او توسط الشمس السماء نظر بعض الجماعات ، فانشأت تحية لما بعد الظهر حتى مغرب الشمس .

وكان العرب قبل الاسلام كاكثر الشعوب ، تحيتهم « انعم صباحا » و « انعم مساء » ، وقد يختزلون الفعل « انعم » فيقولون

«عم صـــــباحا » و « عـم مســـــاء » او او « عم ظلاما » وهذا في الجاهلية التي سبقت الاسلام بقليل ، اما ما قبل ذلك فلا نعرف ما كان لهم من تحيات ، ومن تحيات الجاهليين القريبين من الاسلام ما جاء على لسان شاعرهم في تحيته للجن الذين زعم انهم زاروا داره ، فقال :

اتوا داري ، فقلت «مَنُون» انتم ؟ »
فقالوا :« الجن » ، قلت «عموا ظلاما »

و « منون انتم ؟ » اى « من انتم » بجمع «من» الاستفهامية جمع مذكر سالم ، وهذا وجه عجيب .

وكذلك كانوا يحيون الاماكن العزيزة ، اعزازا لاهلها الاولى فارقوها (وهذا يدخل في مناجاة الاطلال ونحوها من اغراض الكلام) ومن ذلك يقول امرىء القيس :

الا عم صباحا ايها الطلل البالـــــى
وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُر الخوالى

وقول زهير ايضا :

فلما اتيت الدار قلت لربعهـــــا
الا عـم صـباحا ايهـا الربع واسلم

وقول شاعر اخر بصـيغة اخرى : الا يا اسلمى ــ ــ يا دار مى ــ على البلى .

ويلاحظ ان «السلامة» والسلام ــ تحيـــة الاسلام ــ قريبان في لغتنا لفظا ومعنى ، ثم ان السلامة تقتضي البقاء او الحياة ، وهذا اصل معنى التحية ، والحياة والتحية قريبان كذلك لفظا ومعنى . وكانوا يحيون بعض ملوكهم بقولهم للملك « ابَيْتَ اللّعْن » اى برئت من فعل ما تلام عليه ، او انت فوق الذم او اللوم ، كانه مقدس ، او فوق الحساب ، وقد كثرت ادعيـة بعضهم لبعض بما هو شبيه بالتحية ، ومن ذلك قولهم « خلاك ذم » اى عوفيت من فعل ما تذم عليه ، و « لا تبعَد » اى عشتَ او دمت .

ويلاحظ ان هذه التحيات (واجوبتها) في كل الجماعات ــ حتى التحية الاسلامية ــ تحية وامنية معا ، فاذا قلت لغيرى « صباح الخير » او «نهارك سعيد » او « طاب وقتك » فمؤدى ذلك تمنى الخير له ، وكذلك « السلام عليك » فمؤداهاتمنى السلام (والسلامة) له ، او انا في سلام وسلامة معه ، وان لم يفطن كلانا الى ذلك ، لان معظم الناس ينطقون التحيات ونحوها وفاقا للعادة ، دون تامل .

والتحية الكاملة في الاسلام هى « الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وكذلك كان النبى يحيى اصحابه فيجيبونه ، ويحيونه فيجيبهم ، وقد يكتفى في التحية بالسلام ، او مع الرحمة ، ويظهر من حديث رواه الامام الطبرى بسنده عن سلمان الفارسي ان النبى عليه السلام كان يفضل رد التحية بخير منها ، وان رضي الجواب بمثلها ، ويستشهد بقول الله تعالى « واذا حيّيتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها » ، ويفهم من حديث

مصر الدولة السابعة

● هل حقيقي ان مصر تعتبر الدولة الاولى في العالم في انتاج القطن .. ؟
سليم منصور بطارسة / عمان

ــ في الحقيقة ان الكثيرين يعتقدون مثل اعتقادك . وهو اعتقاد نتج عن شهرة مصر بالذات في انتاج الاقطان طويلة التيلة ، وهي تعتبر الدولة الاولى في العالم في انتاج هذا النوع من القطن بالذات .

اما بالنسبة لانتاج القطن عموما فمصر تاتي في المرتبة السابعة بين دول العالم . والاحصائية التالية تبين انتاج القطن في العالم ومقدار ما تنتجه كل دولة من هذا المحصول الرئيسي ونعتقد ان فيها الاجابة على سؤالك . والاحصائية لعامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ .

الانتاج مقدرا
بالاف البالات

اسم الدولة	عام ١٩٧١	عام ١٩٧٠
امريكا	١٠٧٠١	١٠١٦٦
روسيا	٩٨٠٠	١٠٨٠٠

فى العالم فى انتاج القطن



الصين الشعبية	٦٩٠٠	٦٩٠٠
الهند	٤٨٠٠	٤٥٠٠
البرازيل	٢٩٠٠	٢٢٥٠
باكستان	٢٦٥٠	٢٤٢٥
مصر	٢٤٠٠	٢٢٢٥
تركيا	٢١٥٠	١٨٢٥
المكسيك	١٥٦٠	١٤٤٠
السودان	١١٥٠	١١٥٠
ايران	٦٥٠	٦٩٠
سوريا	٦٠٠	٦٨٠
كولومبيا	٥٨٠	٥٤٠
اليونان	٥٤٠	٥٠٥
بيرو	٤٠٠	٣٩٥
اسبانيا	٢٠٠	٢٤٠

● تقدر البالة ب ٤٨٠ رطلا .

(م . ط)

رواه الامام احمد بن حنبل أن النبى كان يزداد رضا كلما كانت صيغة التحية أتم ، ولا يرى بأسا فى اختصارها خطابا وجوابا . والآية القرآنية تجمع اداب التحيات فى الاسلام سواء كانت التحيات قولية ، أو عملية ، وأما الجواب بالمثل أو ما هو خير منه فيقدر بالاستطاعة ، ولكن لابد من تقدير الموقف والعرف ، وقد جرت عادة كثير من المسلمين فى بلاد كثيرة ـ لا سيما غير العرب ـ استعمال تحيات محلية متداولة بينهم بلغتهم ، وهى تؤدى معنى مثيلاتها « صباح الخير » و « مساء الخير » المنتشرة فى جملة الشعوب قديما وحديثا ، وقد عرفنا ذلك قراءة ومشاهدة ، ولم نسمع انكارا من أحد ، ولا نعرف سندا للانكار ، والآية القرآنية قد وسّعت على المسلم . ولا حاجة بالمسلم ان يُجرّ ِع غير المسلم ما لا يرضاه من التحية ، والا ادت التحية الى عكس المقصود منها ، والاسلام دين السماحة والتيسير والتبشير ، لا دين الانطواء او التعسير أو التنفير . فاما اصرار المسلم عمدا على عدم النطق بتحية الاسلام بين المسلمين فامر آخر ، وهو على كل حال دليل انحراف فى القلب او الفكر ينبغى درسه واصلاحه بالحسنى ، والمسلم يرشد اخوانه فى الانسانية بالحكمة والموعظة الحسنة طالما وجد لارشاده موضعا عند سامع ، « ومن يُحرَم الرفقَ يحرَم الخيرَ كله » ، وهذه سنة النبى قولا وعملا ، لأن الاسلام ينشد السلام والرحمة والبركة بين الناس ، ولهذا كانت تحيته شاملة لها جميعا ، فكل ما يحققها فهو يحقق دعوة الاسلام ، وكل ما يعطلها يعطل دعوته .

م . خ . ت



الفلسطينيون
يقارب عددهم الثلاثة ملايين

● نرجو أن تعطونا فكرة واضحة ومفصلة عن المجموع الحالي لعدد الفلسطينيين اللاجئين وغير اللاجئين . .

محمد علي صوان — بيروت

— يبلغ مجموع الفلسطينيين في الوقت الحاضر (سنة ١٩٧٢) ٢٫٧٢٢٫٠٠٠ نسمة . أما عدد اللاجئين من هؤلاء فهو يزيد على النصف ، ويبلغ ١٫٤٧١٫٢٢٠ نسمة .

وتجدر الاشارة الى أن هذه الارقام مستمدة من تقرير وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين السنوى الاخير ، وقد نشرت موجزه أكثر مجلات الغرب في اعدادها الصادرة في شهر ديسمبر الماضي (١٩٧٢). وهي تنطوى كما لا يخفى ، على زيادة كبيرة بالمقارنة بالاحصائيات السابقة . وتذكر احدى المجلات ، وهي مجلة جيوجرافيكال البريطانية Geographica أن عدد الفلسطينيين الحالى يزيد على عدد سكان كثير من الدول المستقلة ذات السيادة . فهنالك ما يزيد عن ٥٠ دولة من دول العالم المختلفة لا يكاد يبلغ عدد سكان الواحدة منها ٢٫٥ مليون نسمة .

اما سبب تلك الزيادة الكبيرة في تعداد الفلسطينيين فنسبة التوالد عالية بينهم ، وقد بلغت في الثلاثين سنة الماضية ٣٫٢٪ سنويا .

على أن هذه الزيادة في المواليد لم يصحبها زيادة مماثلة في الخدمات التي تقدمها وكالة الغوث الدولية للاجئين الفلسطينيين . اذ لا تشمل هذه الخدمات سوى ٦٠٪ من عدد اللاجئين الفلسطينيين الذى ذكرنا . وهذا يعنى أن ٤٠٪ من هؤلاء لا تشملهم تلك الخدمات . ولو ذكرنا أن ١٠٪ (أى نحو ١٤٠٫٠٠٠) نسمة في غير حاجة الى مساعدة، نظرا لاعتمادهم على أنفسهم ، تبين لنا أن ٣٠٪ من مجموع اللاجئين الفلسطينيين محرومون . ولا يتلقون شيئا من المواد الغذائية التى توزعها وكالة الغوث على المحتاجين من امثالهم ولا ينتفعون بشيء من خدماتها الاخرى وهى خدمات صحية طبية وتعليمية . ومرد ذلك الى المخصصات المقررة لاعمال وكالة الغوث الدولية وهى ضئيلة نسبيا ، وقد بلغت آخر ميزانيات هذه الوكالة ١٩٫٠ مليون جنيه استرليني .

ومهما يكن من امر فقد احتل التعليم في المدة الاخيرة مكانا بارزا بين ابواب تلك الميزانية بحيث ازداد عدد المتعلمين بين اللاجئين الفلسطينيين ، وبلغ مجموع الجامعيين منهم في فترة ١٩٤٨ — ١٩٧٢ نحو ٥٠٫٠٠٠ خريج . الا أن هذه الظاهرة الطيبة قد رافقتها ظواهر أخرى لا يرتاح لها الكثيرون . فقد هبطت نسبة المزارعين في صفوف اللاجئين الفلسطينيين من ٨٠٪ في سنة ١٩٤٨ الى ٥٥٪ في سنة ١٩٧٢ . ولا يخفى أن اسلوب الحياة في المخيمات هو الذى أدى الى اختفاء الفلاح الفلسطيني الذى عرف بخبرته في زراعة الحمضيات والخضراوات وخلافها . ■■

(ى . ز)



الأسلحة النووية واستراتيجية إسرائيل

تاليف
فؤاد جابر
عرض
الدكتور محمود السمرة

■ هذه الدراسة صدرت باللغة الانجليزية عن « معهد الدراسات الاستراتيجية » بلندن ، ونقلها الى العربية زهدى جار الله ، وقامت بنشرها باللغة العربية « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » بيروت ، وذلك « لخطورة ما تحتويه من معلومات علميــة في موضوع البرنامج الذرى الاسرائيلى ، وحرصا منها على وقوف القارىء العربى على ما يجرى في هـذا المجـال ، دون ان تلتـزم بالآراء والاستنتاجات والتحليلات الواردة فيها » .

والكتاب في ثلاثة اقسام : فالقسم الاول يتناول المؤسسة النووية ومنشآتها ، ومعاهد البحث فيها ، والهيئات التى تضع سياستها .. ويركز القسم الثانى على ما تحتاج اليه المصانع الاسرائيلية من اجل انتاج الاسلحة النووية ، ومشاكل اسرائيل في الحصول على الوقود . ويعرض القسم الثالث لاهداف الاستراتيجية الاسرائيلية من وراء انتاج الاسلحة النووية .

وسنقف في هذا العرض للكتاب عند : عقيدة اسرائيل الاستراتيجية والاسلحة النووية ، لنبين اولا استراتيجية اسرائيل ، وثانيا مكان الاسلحة النووية من هذه الاستراتيجية .

اما استراتيجية اسرائيل العسكرية ، فتاخذ بعين الاعتبار ثلاثة عوامل :

١ ــ واقع اسرائيل .

٢ ــ ان تتضمن هذه الاستراتيجية حـاجات اسرائيل الحيوية .

٣ ــ ان تحقق اهداف اسرائيل القومية .

واقع اسرائيل السياسى

ويتحكم في هـذا الواقع النواحى التاليـة : السياسية ، والاقتصادية ، والجغرافية .

وواقع اسرائيل السياسي هو : انها فشلت في ان تكسب اعتراف جيرانها بها ، رغم مرور اكثر من عقدين من الزمن على قيام دولتها . واستمر وجودها قائما على القوة فقط . وكانت نتيجة هذا الموقف ان ازدادت العداوة بين العرب واسرائيل.

ويملا قادة سرائيل الاعتقاد بان العرب يريدون القضاء على اسرائيل ككيان سياسى صهيونى ، اى

انهم يريدون ابادتها سياسيا . ويذهبون الى ابعد من هذا ، حين يصرحون بان الابادة السياسية قد تتحول الى ابادة جماعية . وهم يعنون بهذا أن الابادة الجماعية لن تقتصر على يهود اسرائيل ، بل ستتعداهم لتشمل اليهود كلهم في العالم ، لان اساس العقيدة الصهيونية ان اسرائيل وحدها هي الممثلة ليهود العالم . ومن الاقوال الكثيرة التي صدرت عن قادة اسرائيل ، والتي تؤكد هذا التصور للواقع السياسي ، تكتفي بايراد القول التالي للزعيم الصهيوني العتيق ، بن غوريون ، وهو مقتبس من مقدمته التي كتبها لـ « الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل » ١٩٥٩ — ١٩٦٠ .

يقول بن غوريون : « .. ويجب الا ننسى ، ولو لحظة واحدة ، ان مشكلة امن اسرائيل تختلف اختلافاتاما عن مشكلة اى بلد آخر . انها ليست مشكلة حدود او سيادة ، بل مشكلة بقاء مادى ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى . ثم انها مسالة بقاء ، لا للشعب اليهودي في اسرائيل فقط ، بل للشعب اليهودى في جميع انحاء العالم » .

وامام هذا الواقع السياسي ترى اسرائيل ان عليها أن تسعى الى تسوية سلمية مع العرب ، شريطة الا تقدم فيهذا السبيل سوىاقل التنازلات. وقد يرد البريقادير جنرال هاركابى (وهو رئيس سابق للاستخبارات العسكرية) موقف اسرائيل هذا ،فقال في كتابه « المواجهة العربيةـالاسرائيلة» ما يلي : « .. بما ان اسرائيل صغيرة المساحة فان قدرتها على التنازلات قليلة جدا .. وهى لهذا تفضل البقاء في خطر ، على أن تقدم تنازلات تعرضها لخطر القضاء على وجودها » .

وقادة اسرائيل على يقين أن مثل هذه التنازلات المحدودة لن ترضي العرب ، ولهذا فان خطتهم دوما هيتحقيق تفوق حاسم استراتيجيا وعسكريا، وهذا لا يتاتى لهم الا بتحسين نوع الأسلحة لدرجة لا يستطيع العرب مباراتهم فيها . اى ان خطة اسرائيل كانت دوما تطوير اسلحتها بحيث تكون قادرة على اقناع العرب بأنهم عاجزون عن تصفية اسرائيل ، وبحيث تكون قادرة في الوقت نفسه على تحقيق نصر سريع حاسم في حالة تفكير العرب في استعمال القوة ضدها . وقد ابرز أبا ابيان هذا المعنى ، وذلك في قوله : « اننا نريد أن نزرع الشك .. وبالتالي الاستسلام واليأس .. من الحلم بازالة اسرائيل من خريطة العالم » .

واقع اسرائيل الاقتصادي

وواقع اسرائيل الاقتصادي هو انها تشكو من ندرة الموارد الطبيعية ، والنقص المزمن في راس المال ، وهي تعتمد اعتمادا رئيسيا على تبرعات الجاليات اليهودية في الخارج لموازنة عجزها السنوي . كما تعتمد مشروعاتها على المعونات التي تتلقاها من امريكا، ومن بلاد كالمانيا الغربية. وهذا دليل في راى المؤلف ، على الضعف المتاصل في الاقتصاد الاسرائيلي . ولهذا فان اسرائيل تهدف الى امتلاك قوة عسكرية ضخمة تفوق قوة العرب بكثير ، لتستطيع ان تفرض عليهم صلحا بالقوة ، لان هذا الصلح سيؤدى الى فتح ابواب العالم العربي امام الصناعة الاسرائيلية . واذا بقيت اسواق العالم العربي مغلقة امام الصناعة الاسرائيلية ، فان الاقتصاد الاسرائيلي سيبقى في وضع متردٍ .

ولي على كلام المؤلف تعليق : ففي رايي ان التبرعات اليهودية الخارجية لاسرائيل ليست تبرعات عابرة ومؤقتة ، بل هي ثابتة مستمرة ثبوت واستمرار اى ثروة طبيعية يمكن أن تمتلكها. ومثلها كذلك المعونات الامريكية : ويكفي أن أشير الى انه في السنة الماضية اقرت السلطات الامريكية المسئولة ملحق ميزانية بمبلغ خمسمائة مليون دولار ، قدمتها لاسرائيل لتسد العجز في الاقتصاد الاسرائيلي ، وانا اشك في أن السلطات الامريكية كان يمكن أن تفعل الشيء نفسه لاحدى ولاياتها ، لو انها كانت في نفس الوضع . وما ذلك الا لان وجود اسرائيل يحقق للسياسة الامريكية مكاسب لها من الاهمية ، بحيث تهون في سبيلها الملايين التي تغدق عليها بلا حساب .

واقع اسرائيل الجغرافي

وواقع اسرائيل الجغرافي ـ السكاني هو : ان اسرائيل بلد صغير في مساحته وعدد سكانه ، محاط بجيران معادين له ، مفتقر الى المواد الخام وغيرها من الموارد الطبيعية التي يمكن أن تحقق له اكتفاء ذاتيا ، ويزيد من سوء هذا الوضع الجغرافي من الناحية العسكرية ، ان كثافة السكان موجودة في المنطقة الساحلية .

وهذا الواقع الجغرافي خلق لاسرائيل مشكلة هي كيفية المحافظة على امن اسرائيل في مثل هذا

الظرف . ولهذا كانت استراتيجيتها العسكرية هى المبادرة بالهجوم في حالة الحرب ، لأن المبادرة في مثل حالتها ضرورة لا بد منها . ويعكس هذه الاستراتيجية ما قاله ايغال الون ، وهو : « في الاوضاع الحالية .. لن يستطيع اى من الطرفين ان يحرز نصرا حاسما على الطرف الاخر ، ما لم يتبع استراتيجية الهجوم المفاجىء » .

واستراتيجية الهجوم المفاجىء لاسرائيل ضرورية ايضا ، لأنها لا تستطيع أن تتحمل هزيمة عسكرية واحدة ، للاسباب المذكورة سابقا . وقد دعا ايغال الون هذه الاستراتيجية بـ « استراتيجية اللابديل » : « اما أن تربح الحرب أو يرمى بك في البحر الأبيض المتوسط .. أنت شخصيا وسائر الشعب الاسرائيلى .. ان الهزيمة في حرب مع العرب لن تعنى لاسرائيل شيئا أقل من التحطم التام ، وقد تعنى نهاية الشعب اليهودى . ولذلك فان مشكلة الحرب والسلم ، بالنسبة لاسرائيل اشد خطرا منها بالنسبة الى اى شعب آخر » .

وبسبب قلة سكان اسرائيل ، فان استراتيجية اسرائيل في الحرب أن تخوضها باقل عدد ممكن من الخسائر في الارواح . وقد أوضح هذا اسحق رابين ، رئيس أركان جيش اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، حين قال : « ان مقتل ٨٣٠ شخصا كثير بالنسبة الى عدد سكاننا . لقد كانت اصاباتنا في حرب الأيام الستة أعلى نسبيا من مجموع اصابات الولايات المتحدة في الحرب الكورية ، وفي حرب فيتنام معا . وقد حدث ذلك في ستة أيام ، لا في خمسة عشر عاما .. »

استراتيجية اسرائيل وحاجاتها الحيوية

ان اهم حاجتين حيويتين لأى بلد ـ هما : ان يضمن دوام وجوده ، وأن يعيش وينمو في سلام ، اى أن يوفر لنفسه اوضاعا خالية من اى خطر كبير على كيانه .

ويقاس دوام وجود اسرائيل ، في نظر قادتها ، ببقاء شخصيتها اليهودية . يقول بن غوريون : « ان دولة اسرائيل جزء من الشرق الاوسط جغرافيا فقط . اما من حيث أوجه النشاط والابداع فهى جزء من العالم اليهودى .. والاشتراك في المصير والهدف يجمع دولة اسرائيل والشعب اليهودى جمعا لا انفصام له . هناك رابط يربطهما لا يمكن تحطيمه ، رابط الحياة والموت » .

ويقاس عيش اسرائيل ونموها في سلام ، بقيام علاقات طبيعية بينها والبلاد العربية المجاورة . ومثل هذه العلاقات ضرورية لاسرائيل من اجل تحقيق الرخاء الاقتصادى ، والأمن الطويل الأمد . ولا يكفى توقف القتال لتحقيق هذه الغاية ، اذا لم يكن نتيجة سلم حقيقى ودائم . يقول بن غوريون : « ان ما نريده هو سلم حقيقى دائم ، وتعاون اقتصادى وثقافي وسياسي مع البلاد المجاورة .. هذه هي الأهداف العليا لسياسة اسرائيل الخارجية .. » ويقول ايغال آلون : « ان الحل النهائى للصراع العربى الاسرائيلى يقوم على تكوين رابطة (كومنولث) اقليمية للتعاون الاقتصادى ، والسياسي ، والعلمى ، والثقافي ، وللتعاون على الأمن .. تضم جميع دول المنطقة أو معظمها » .

ولعل هذه الاقوال وما شابهها ، يمكن أن تفسر لنا سبب اصرار اسرائيل على المحادثات المباشرة مع العرب ، بعد حرب ١٩٦٧ ، فهى تريد ان تكون مقبولة في المنطقة ومعترفا بها .

واسرائيل تعرف أن وسيلتها الوحيدة للوصول الى هذه الغاية هى القوة .

استراتيجية اسرائيل واهدافها القومية

واذا كانت اسرائيل تهدف ـ كما رأينا ـ الى الاستقلال الاقتصادى ، والرخاء ، والسيطرة على المنطقة ، فان لها هدفا قوميا ايضا ، نرى انه هدفها الأساسي ، وهذا الهدف هو « جمع المنفيين » اى جمع الشعب اليهودى المنتشر في انحاء العالم في « وطنه القومى » . وقد أكد بن غوريون على هذا الهدف في الخطاب الذى القاه في الكنيست ، في سنة ١٩٥٥ ، والذى قال فيه : « .. من اجل هذا اسست الدولة وبفضله وحده تبقى » .

ولهذا نجد أن اسرائيل تبذل كل جهدها لاغراء يهود العالم بالهجرة الى اسرائيل ، حتى أنها تعتبر كل من لا يهاجر اليها مخالفا لتعاليم الدين اليهودى . وترى أن كل اليهود الذين يعيشون خارج اسرائيل ، انما يعيشون في المنفى ، أو بلاد الشتات .

ومعنى هذا في رايى ان اسرائيل تهدف الى

ان تجمع في ارضنا المحتلة نحو اربعة عشر مليونا من اليهود . والارض التي تحتلها حاليا لا تتسع لهم ، ولهذا فان سياستها قائمة اصلا على التوسع. وقد حدد مفكرو الصهيونية ارض اسرائيل بوضوح، ولم يحاولوا اخفاء نواياهم ، ومن اقوالهم نفهم انه حتى الاراضي العربية المحتلة بمجموعها هي دون حلمهم في الحدود التي يتخيلونها لدولة اسرائيل ، ولهذا فان اي حديث لهم عن السلام ، انما هو للاستهلاك في العالم الخارجي .

واذا كان اسحق رابين قد قال بعد حرب ١٩٦٧: « ان حدودنا الآن مثالية ، على الاقل من الناحية العسكرية»، واذا كان موشيه ديان ، وزير الدفاع، قال ايضا : « انني اشك في اننا نستطيع ان نجد حدودا اكثر مثالية من الحدود الحالية » فان كلاهما صحيح ، ولكن مرحليا .

واسرائيل تعرف انها لا تستطيع ان تحقق اهدافها هذه الا اذا كونت قوة عسكرية ، لها التفوق المضمون على العرب . ولتكوين هذه القوة العسكرية القادرة على تحقيق الاهداف ، سلكت سبيلين : احدهما تقليدي ، والثاني نووي .

الاسلحة التقليدية

منذ سنة ١٩٤٨ خصصت اسرائيل كل طاقاتها للاحتفاظ بقوة عسكرية ، مزودة بالمعدات والمهارات الكافية لردع العرب عن بدء اي عدوان عليها ، ولم تدخر اية جهود ، ولا اية اموال ، لتحويل قواتها المسلحة الى اداة حرب عالية الكفاءة ، حسنة التدريب ، مجهزة تجهيزا جيدا .

وقد بلغ الهوس بقادة اسرائيل ان اعتبروا اي جهد يبذل في غير زيادة فاعلية هذه القوة العسكرية، عبثا لا فائدة منه . وهذا بن غوريون يقول : « ان العلم في ايامنا مفتاح القوة العسكرية ، وشبابنا الموهوبون الذين يدرسون القانون ، بدلا من التكنولوجيا ، انما يضيعون رأس مال بشريا ، له لدى الشعب قيمة لا تقدر » .

وبهذه السياسة استطاعت اسرائيل ان تطور قواتها المسلحة بحيث اصبحت اداة صالحة لتنفيذ استراتيجية ردع من جهة ، واستراتيجية توسع في الزمان والمكان الملائمين لها . واستراتيجية الردع عندها قائمة على الا تسمح حتى لتحد واحد ان يمر دون رد عليه، لان التقصير في الرد قد يفسره العرب بانه علامة ضعف ، وبهذا تفقد استراتيجية الردع تأثيرها، واذا استعرضنا باذهاننا التحرشات العربية باسرائيل ، ورد اسرائيل عليها ، وجدنا ان الرد لم يكن متكافئا مع العمل الذي دعا اليه.

ولتحقيق هذا الدور ، كانت استراتيجية الجيش الاسرائيلي هي : المبادرة ، والمفاجأة ، والهجوم غير المباشر . وكل هذا من اجل : ابعاد المعركة عن ارض اسرائيل الصغيرة المساحة، المزدحمة بالسكان، وتحقيق نصر سريع باقل ما يمكن من التكاليف ، واحداث الاضطراب في القوات العربية . وقد استخدمت اسرائيل هذه الاستراتيجية في جميع حروبها ضد العرب . ولحاييم بارليف قول مشهور هو : « خير الدفاع هو الهجوم » .

وقد استطاعت اسرائيل بالاسلحة التقليدية ان تحقق كل هذا ، ولكنها عجزت عن ان تفرض على العرب شروطها : اذ رغم ما احرزته من نصر في حرب ١٩٦٧ ، الا انها فشلت في فرض ارادتها على العرب . وهنا وجه قادة اسرائيل لانفسهم السؤال التالي : هل ستكون القوة التقليدية كافية فعلا لردع العرب عن خوض معركة رابعة ؟ وهل هذه القوة التقليدية كافية لفرض سلام دائم على العرب بالشروط الاسرائيلية ؟ ان الواقع يقول : انها لم تكن كافية . ولهذا فليس من المستبعد ان يتجه التفكير الاسرائيلي الى امتلاك سلاح لا يمكن تحديه ، ويكون قادرا على فرض السلم الذي تريده اسرائيل وهو السلاح النووي.

الاسلحة النووية

ما هي سياسة اسرائيل المعلنة فيما يتعلق بقضية السلاح النووي ؟

ان اسرائيل تعلن على السنة المسئولين فيها انها تريد الطاقة النووية لاستخدامها في الاغراض السلمية فقط ، وهي عازمة على الا تبدأ سباقا نوويا في المنطقة ، كما انها مستعدة لعقد اتفاقية نزع سلاح عام مع الدول العربية .

هذه هي السياسة المعلنة ، ولكن الواقع غير هذا . فقد سارت اسرائيل بخطى ثابتة ، في تطوير قدرتها على صنع القنابل الذرية ، على الرغم من ان (اشكول) تظاهر بتجميد العمل الجاد في هذه السبيل ، والذي بداه بن غوريون في

الخمسينات . والواقع أن الأدلة المتوفرة تشير الى ان اسرائيل لم تدخر جهدا في تجهيز المؤسسة النووية ، علميا وتقنيا ، بكل ما يتطلبه انتاج الأسلحة النووية في أمد وجيز .

وقد فرضت اسرائيل سرية تامة على نشاطها النووي : فهي لا تسمح للصحف بمعالجته والتعليق عليه . وحصرت المناقشة العامة في هذه الشئون ضمن اضيق نطاق . وحددت قدرة الكنيست على الدخول في مناقشات حول القضايا النووية .

وتهدف اسرائيل من وراء هـذه السرية الى تحقيق هدفين : اولهما أن تبعث الشك في نفوس العرب بان اسرائيل تملك اسلحة نووية ، وبهذا يتحفظ العرب قبل الاقدام على أي عمل عسكري. وثانيهما : ان هذه السرية تفيد اسرائيل في علاقاتها بالدول الصديقة ، وبخاصة الولايات المتحدة ، لأنها تستعمل شك هذه الدول في امتلاكها للسلاح النووي ، وسيلة للمساومة من اجل الحصول على اسلحة تقليدية . وقد لمح اشكول في عدة مناسبات الى ان اسرائيل ستضطر الى استعمال السلاح النووي ، اذا لم تحصل على اسلحة تقليدية ، تفوق تلك التي حصل عليها العرب .

وسياسة اسرائيل النووية هذه هي السبب في موقف اسرائيل السلبي من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ، في سنة ١٩٦٨ ، ورفضهـا التوقيع عليها ، وحجتها في ذلك أن توقيعها على المعاهدة سيفقدها قيمة الردع النفسي الذي تمارسه على العرب .

★ ★ ★

عرّف الجنرال اندريه بوفر الاستراتيجية فقال: انها فن الجدل بين ارادتين متعارضتين تستعملان القول لحل الخلاف . وفي هذا الاصطدام بين الارادتين ، يتم التوصل الى قرار بفرض على العدو تأثيرا نفسيا معينا : حتى يقتنع بانه لا فائدة من بدء الصراع ، او الاستمرار فيه » .

ويقول البريقادير جنرال هاركابي (وهو رئيس سابق للاستخبارات العسكرية) : « .. والردع اجراء مؤقت ، يجر وراءه تسويات ، وتهدئة تدريجية للتوتر .. ان التكنولوجيا تؤدي الى انعدام الحرب ، وانعدام الحرب يؤدي الى السلام » .

ولا أظن أن قولين يمكن أن يصفا الاستراتيجية الاسرائيلية ، خير من هذين القولين . ■■

محمود السمره



حماة الاسلام

تأليف : مصطفى نجيب
الناشر : دار الكاتب العربي/بيروت/لبنان

● كتاب يضم بين دفتيه صفحات ناصعة من صفحات التاريخ الاسلامي من خلال سير ابطاله منذ اليوم الذي اشرقت فيه تعاليم الاسلام في ربوع الجزيرة العربية ، وما صاحبها من فتوحات عسكرية ، ونهضة شاملة في مجال الفكر والادب والفن حتى سقوط الدولة الاسلامية في بغداد ، وافول نجم المسلمين في الاندلس .

ويرى المؤلف ان العرب الذين يعيشون اليوم في هذا العالم المتصارع في مسيس الحاجة الى هـذا السفر الذي يوقفهم على ما كان عليه آباؤهم واجدادهم من كريم السجايا ورفيع الخلال ومراعاة للشرف والذمة واحقاق الحق ، وقول الصدق والوفاء بالعهد ، وبذل الأموال رخيصة في سبيل صون الأعراض وتعظيم الشريعة وانصاف المستضعفين والتواضع للمساكين والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد .

فهذا الكتاب جاء ـ الى جانب ما فيه من السير الممتعة والصفحات الخالدة ـ عرضا لحياة الخالدين من ابطالنا المسلمين من خلفاء وعلماء وادباء وفقهاء وقادة جيش ، كما جاء معرضا لأسمى الفضائل

وارفع السجايا ، فيفيد ويمتع ويغني الفكر ، ويهذب النفس ويصقل الطباع ، وقد بدأ الكتاب بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وتبعه بسير الخلفاء الراشدين من بعده ، ثم رجال الدولة الأموية ممن قاموا في بدايتها ورفعوا لواءها ورايتها ، وابلوا في الحروب البلاء الحسن ، وانموا بالوقوف على قدم الخير غايتها ، ثم ما كان في الدولة العباسية من خلفاء وقواد ، اولئك الذين ساسوا الدولة في ميادين الفتح والحرب واتساع الملك ، ثم ما كان من اعاظم رجال دولة الموحدين والملثمين ، وفي النهاية مدنية الدولة الأموية في الأندلس وعجائب خلفائها في الآراء والأفكار .

مصطلحات بلاغية

المؤلف : الدكتور احمد مطلوب

الناشر : المؤلف ، مع مساعدة المجمع العلمي العراقي/بغداد .

● المصطلحات في اى مجال علمى او فلسفى او فنى هي العملة الوحيدة التي يتعامل بها اهل هذه المجالات او غيرها فيها ، ولكي تبدو واضحة، يلزم أن تكون محددة بحيث تكون جامعة مانعة كما يقول المناطقة ، سواء كانت اصيلة في لغتها او دخيلة .

والكلمات في لغتنا من مصطلحات وغيرها لم تدرس حتى الان دراسة تاريخية توضح حياة كل منها : ما اصلها وكيف تطورت وماذا كانت تعنى في كل طور من اطوارها التاريخية ، مع حاجتنا الشديدة الى هذه الدراسة . والامل واسع في تحقيق هذه الامنية يوما ولو بعد اعمار ، ولكن لا بد لهذا العمل من تعاون جهود المختصين في البلاد العربية جميعا ، وان كان هذا لا يمنع بل يشجع كل مختص ان يقدم من هذا النوع في اختصاصه ما يستطيع ، وان كان عمله يحتاج الى استدراك بل استدراكات ، وحسبه أن يجتهد ولمن بعده ان يغربلوا حصيلته .

وهذا ما تصدى له في اختصاصه الدكتور احمد مطلوب استاذ البلاغة في كلية الآداب بجامعة بغداد ، والمنتدب لجامعة الكويت ، فكانت هذه المحاولة التي وضع فيها قصة خمسة مصطلحات: كل يشمل عدة بحوث : وهذه المصطلحات هي الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان والبديع .

وقد مهد الاستاذ لموضوعه بمقدمة وضح فيها الحاجةالى تحديد المصطلحات بعامة ومنها البلاغة، واشار الى البلبلة التي يجدها الناشيء حينما يمر بهذه المصطلحات المختلفات الدلائل مع اختلاف العصور ، كما وضح المنهج الذى سلكه ، وهو المنهج التاريخي لا محالة .

فهو يوضح معنى الكلمة لغويا كما جاءت في المعاجم ، ثم في القرآن الكريم والحديث الشريف اذا كانت قد وردت فيهما كالفصاحة والبلاغة والبيان ، ثم ما قاله فيها البلاغيون وامثالهم من قبل الجاحظ حتى السكاكي والقزويني ، وقد يذكر خلال ذلك آراء بعض المعاصرين في لزوم الابقاء على هذه المصطلحات وتحديدها ، وقد يختمها برايه الخاص .

اضواء على مشاكل المراة العاملة

تاليف : الدكتور سميح عبد الفتاح مسعود

الناشر : دار البيان ـ الكويت

● هذا الكتاب لا يوغل في ايراد اقوال السلف الصالح في النساء وكيدهن ، ولا يذكر مساوئهن ومحاسنهن، بلهو ينظر الى قضية المراة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات اثر بسوء وبحسن فيالاقتصاد والتربية والتطور الحضارى للانسان . هو يعالج موضوع اشتغال المراة باعمالغير الامومة والرضاعة، ولا يسند كوعهاليتمارق السلف الصالح المحشوة باوراق الحظ النسائي ، وعلى بعضها عبارة « يحق للمراة » وعلى بعضها الآخر عبارة « لا يحق للمراة » ، فهذا الكتاب يدرس وقائع النساء في المعامل والمدارس والمجتمع بعامة ، دراسة تاريخية فياطار ما عاشته هذه الوقائع منمشاكل ومعضلات، وهو بعد يصف (الاعراض النسائية) في جسم مجتمعنا فيعدد ما يعدد من اسبابها ويحلل من عواملها ما يحلل ويصف لها ما يصف من علاج .

كما ان هذا الكتاب يبحث في المشاكل الاجتماعية والعملية التى تواجه الحركة النسوية المعاصرة ، فقد حاول المؤلف ان يشرح بالتحليل العلمي شيئا من عمل المراة وعن العوامل التي ساعدت على نموه وتوفير الفرص العلمية المتزايدة للنساء في مختلف اوجه النشاط والاعمال ، والهدف منه تعريف المراة العربية كل ما حققته المراة العاملة من انتصارات او فشل في مختلف الاعمال .

الترانزستور للهواة دراسة وتطبيق

تاليف : ياسين خطاب ـ لبنان

● نال علم الكهرباء واللاسلكي السبق بين العلوم ، فهذا العلم عمت فوائده العالم ، واهدت الى البشرية انواعا لا تحصى من الاجهزة الرائعة ، فمنذ عشرين سنة ظهرت فروع جديدة من فروع الترانزستور ، ورغم حداثة عهد هذا الفرع اينعت ثماره وقطع شوطا كبيرا نحو الكمال .

وقد ظهرت في الاسواق كتب عن الترانزستور ولكن معظمها كان على مستوى الدراسة النظرية البحتة ، يصلح لمن يريد التخصص في هذا الفرع، وهذا الكتاب وضعه مؤلفه لهواة الترانزستور الذين حصلوا على معلومات بسيطة في هذا الموضوع، ويريدون ان يكملوا هذه المعلومات ويستمتعوا بتركيب اجهزة بسيطة الا انها عظيمة الفائدة ، وقد افترض المؤلف في قارىء هذا الكتاب ان يكون ملما بعض الشيء بالمبادىء الاساسية للكهرباء واللاسلكي ، كما تحاشى النظريات العلمية المعقدة والقوانين الرياضية قدر الامكان ، فعمد الى التبسيط في الشرح ، وان يكون مفهوما لدى الهواة، فيستطيع اى هاو ان يركب الاجهزة المشروحة فيه بسهولة وبتكلفة ضئيلة ، شريطة ان يبدا بتركيب الاجهزة السهلة ويتدرج في ذلك حتى يركب الاجهزة الاكثر صعوبة .

ومن الطبيعي انه من السهل جدا على الهواة الذين مارسوا تركيب الاجهزة ذات الصمامات ولم يطلعوا على الترانزستور ـ ان يضيفوا الى معلوماتهم هذا النوع الجديد من اللاسلكي ، وسيجدون انفسهم اكثر تشوقا لتركيب الاجهزة التي تستخدم الترانزستور بدل الصمام .

دراسات وتراجم عراقية

تاليف عبد الرزاق الهلالي

الناشر : منشورات مكتبة النهضة/بغداد/العراق

كتاب يقع في قسمين يعرض لترجمة حياة عدد من ادباء العراق الذين كان لهم في تاريخ العراق الحديث صفحات لامعة امثال الشيخ محمد رضا الشبيبي وما كان له من اثر فعال في احداث ثورة العشرين المجيدة ثم ابو العز السيد محمد القزويني والاب انستاس ماري الكرملي .

كما اضاف المؤلف الى هذا الكتاب مقالين ادبيين لهما علاقة بموضوع التراجم ، اما الموضوع الاول، فهو دراسة عن الزهاوي والاشتراكية ، ثم مقال اخر عن مدحت باشا ، وهل كان شاعرا .

اما القسم الثاني من الكتاب فيتضمن تصويبات لبعض الاوهام والاخطاء التي وقع عليها المؤلف خلال قراءته في كتاب عن الزهاوي للدكتور ماهر حسن فهمي ، وفي كتاب عن فهمي المدرس للدكتور يوسف عز الدين .

لحن العامة

تاليف : ابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي

الناشر : مكتبة الامل/السالمية/الكويت

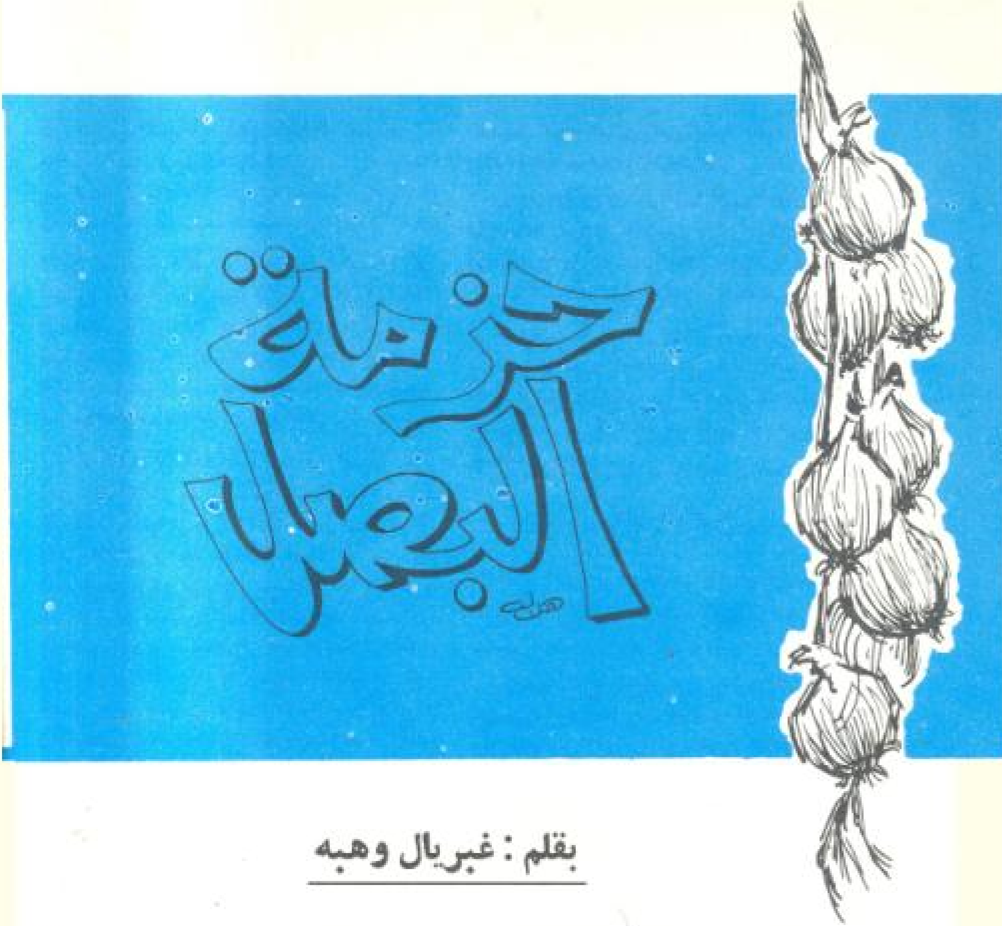
تحقيق : الدكتور عبد العزيز مطر

تحقيق لكتاب لغوى من تراث الفكر العربي يدرس جانبا مهما من جوانب لغتنا العربية ، هذا الجانب الذى برز في القرن الثاني الهجرى للمحافظة على سلامة اللغة وتنقيتها مما بدا يشوبها من كلام دخيل او مختلف عن سنن العرب في كلامها او في الأصوات او الصيغ او نظام الجمل او حركة الاعراب او دلالة الالفاظ ، وهذه المؤلفات تذكر الخطأ الذى شاع استعماله والصواب الذى يجب الأخذ به .

عرف هذا اللون من التاليف باسم (لحن العامة) وهناك كتب كثيرة بهذا العنوان او عناوين تعبر عن الغرض الذى الف من اجله مثل (اصلاح المنطق) و (تقويم اللسان) و (تصحيح التصحيف) ولهذه الكتب اهمية كبيرة في انها سجل للالفاظ والمعاني المستعملة في لهجات الخطاب في البيئات العربية المختلفة ، ثم انها لا تقتصر على ذكر الخطأ والصواب ، بل تورد شواهد من الشعر والنثر والأمثال والنوادر والاخبار مما يضفي عليها شيئا من الحيوية ويبعد عنها الجفاف .

وقد قام المحقق بالتعريف بمؤلف هذا الكتاب ، ومكانته العلمية ثم مؤلفاته ووفاته ثم قام المحقق بالتحقيق في عنوان الكتاب ونسبته ومصادره وبيان النسخ التي اعتمد عليها .

■■



بقلم : غبريال وهبه

■ كان الكرى يداعب أجفان فردوس عندما نهضت من مقعدها واطفأت التلفاز .. ولكنها ما كادت تصل الى فراشها حتى دق جرس التليفون فاسرعت الى الردهة وتناولت السماعة ..وشعرت أن شيئا في أعماق نفسها ينبئها بانه مرسي رضوان .. ذلك الذى استحوذ على تفكيرها كله ..وأصبح طيفه لا يبارح مخيلتها في الأسابيع الاخيرة . صدق حدسها .. اذ سرعان ما جاء اليها صوته الرخيم العطوف :

ـ دوسة .. ! .. كيف حالك ؟ لقد مضى قرابة شهرين منذ رأيتك آخر مرة !

فأجابته معاتبة وقد اشتد خفقان قلبها ، وبدا على وجهها آية الشوق واللهف :

ـ وبلى منك يا مرسي ! .. أو لم تتذكرني الا الآن فقط ؟!

ـ لم يمنعنى عنك الا العمل .. وأنت خير من يعلم ذلك .. لقد أوحشتنى كثيرا .. أيتها الحسناء العجوز !

لا شك أن نعت عانس تقترب من الاربعين بانها عجوز أمر فيه جراة ومجازفة غير مأمونة العواقب. ولكن مرسي استطاع أن يفعل ذلك .. فهو يسلك مع النساء طريقة مغايرة للمألوف .. ومع هذا كان دائما يحقق انتصارات باهرة في مغامراته العاطفية . انه ضحوك لعوب يسبي عقول بنات حواء ، وخاصة العوانس منهن ، بأكاذيب ساحرة تجذب قلوبهن وتفتن ألبابهن .. غير أنه يعمد أحيانا الى خلط هذا بقليل من الحقائق يقولها مازحا . كان خبيرا محنكا في هذا المجال .

أردف مرسي قائلا : «لقد عدت توا من أسوان.»

ـ توا .. !



كان قلب فردوس يدق بعنف وهو يقفز مضطرباً بين ضلوعها .. تراحت تلتقط أنفاسها بشق الأنفس حتى استطاعت أن تنطق الكلمة الصغيرة التى أفرجت عنها شفتاها .

والقت نظرة على ساعتها . كانت العقارب تشير الى العاشرة والنصف .

ـ نعم منذ لحظة .. كان المفروض أن يصل ديزل الصباح الى القاهرة في التاسعة مساء ، ولكنه تأخر .. لو تعلمين كم أتوق الى رؤياك ..

ثم تنهد قائلا : « لكم يسعدنى أن أعود لأستنشق الهواء الذى ينتشر فيه عبق أنفاسك العاطرة يا أنضر زهرة في بساتين القاهرة . »

رن صوت فردوس في اذنه وهي تضحك مبهورة الأنفاس وقد شرد ذهنها وتجلى التساؤل في عينيها

الواسعتين المستطلعتين وهما تنظران من خلال النافذة الى الافق البعيد .. أتراه يردد هذه الكلمات على مسامع كل من يلقاه من النساء والفتيات في مختلف المدن ؟! .. انه لا شك يعرف الكثيرات .. فعمله يقتضيه كثرة التنقل والترحال بين مختلف المحافظات .

ولما لم يسمع جوابا من فردوس جاء صوته عبر الأسلاك نافد الصبر : « الو .. ! .. آلو .. أتسمعينني ؟! » .

ـ نعم .

ـ انني في انتظارك على أحر من الجمر .. احضري حالا ولا تتأخري ..

ثم خفض صوته وهو يقول : « في نفس المكان المعهود .. »

فقالت له : « كلا .. لا يمكنني اليوم . »

فسألها بدهشة : « لماذا ؟ ما المانع ؟! »

ثم استطرد قائلا : « لقد جئت من أقاصي الصعيد لأراك ... سوف نتناول عشاء خفيفا .. ونتجاذب أطراف الحديث ونقص بعضنا على بعض ما مرّ بنا من احداث وما صادفنا في تلك الفترة التي مرت منذ التقينا معا آخر مرة .. انني مضطر الى السفر غدا الى بني سويف . »

فطرق صوت فردوس آذانه وهي تقول : « آسفة .. انني مشغولة اليوم . »

انتابته حيرة شديدة .. لم يخطر بباله قط ان تقف اية عقبة في طريقه وخاصة مع فردوس بالذات ففيها دعة ولين .. وهي دائما ابدا خاشعة كالقطة الذليلة .

ماذا تعنين بأنك مشغولة اليوم ؟! ألديك ضيوف ؟

ـ كلا .. ليس لدي اي منهم .. وانما .. التيار الكهربي مقطوع ..

فقال لها ضاحكا : « أوعاد فأر السبتية الى الظهور مرة أخرى .. ؟ ! .. وعلى كل لا تقلقي ، فلن تلبث المؤسسة أن تصلح العطل .. »

ـ ان .. ان .. انقطاع التيار .. في شقتي فقط .. فشقق الجيران مضاءة ..

ثم اردفت قائلة : « وانت كل بضعة اشهر تحضر الى القاهرة وتصفق طالبا اياي كما يجلس الزبون الطائر في المقهى طالبا كوبا من الشاي .. ومن ثم تعاود الاختفاء بعد ذلك .. »

عض مرسي على لسانه غيظا .. اذ لم يسبق له طوال السنين التي مارس فيها لعبته مع العوانس ان اصيب بمثل هذه النكسة .. فان له لسلطانا عظيما على قلوبهن ، فهن أبدا يتهافتن عليه تهافت الفراش على النار .

وها هو ذا يعمد مضطرا الى وضع اعصابه في ثلاجة .. ويتخيل نفسه في معطف الطبيب وهو يحك جبينه كأنما يزن الفاظه ..

ـ استمعي اليّ يا حبيبتي .. لا بد أن هناك أشياء طريفة في حياتك الخاصة وحبذا لو صعدت من أعماق اللاشعور وطفت الى عقلك الواعي ..

ثم استطرد قائلا : « ما الذي يمنع من أن تفضي الى بذات نفسك وتقصي في هدوء كل ما مر بك من أحداث .. فربما كانت أعصابك مضطربة ! فمن لك بغيري تبثينه أشجانك ، وتشكينه لوعتك وأحزانك . »

ولم يلبث أن سمع لغطا وجلبة لم يستطع لها تفسيرا فتساءل قائلا : « ما هذا ؟! »

كانت في عينيها دمعتان تريدان أن تسقطا ،ولكنها علقتهما بين جفونها في شيء من الجهد .. وحاولت ان تجعل صوتها هادئا وهي تجيبه قائلة :

ـ كان لساني ممدودا خارج فمي .. كنت اخرجه لنفسي في المرآة ...

ألجمته المفاجأة .. واغتم وأحس بانقباض وضيق شديدين .. أتسخر منه ؟! .. أتراها قد اصيبت بلوثة ؟! .. أم لعلها على علاقة بأحدهم وانها تلقاه من وراء ظهره ؟!

ـ آلو .. ! آلو .. ! .. أما زلت هناك ؟!

لحظة واحدة من فضلك !

فساد صمت لم يلبث أن قطعه قائلا بدهشة : « ماذا دهاك ؟! .. انني لا أفهم .. ماذا تقصدين بقولك انك تخرجين لسانك لنفسك في المرآة ؟! .. أتغيظين نفسك أم تغيظينني ؟! »

ـ أردت فقط أن أرى اذا كان لساني مكسوا بغشاء ابيض ام لا .. !

لفظتها في صوت منخفض ، وكأنهـــا تخاطب نفسها ..

ظهر القلق والاضطراب جليا في صوته وهو يقول لها : « حسن .. »

أخذ يصارع غروره وكبرياءه وهو يستأنف الحديث معها بشيء من الحدة : « انني من اجل خاطرك قد قلبت خطة سفري رأسا على عقب !.. كما أهملت كتابة التقارير عن المدارس التى فتشتها .. وها هي ذي مكدسة أمامي بالعشرات بيضاء لم تمســها يدي .. ومع ذلك لا تريدين التنـــازل بمقابلتي .. يا لك من قاسية .. ! »

ثم أردف قائلا : « أو يروق لك أن أزورك ولو لخمس دقائق ؟! »

وضرع اليها الا تحرمه رؤيتها .. ومرت فتـرة من الصمت .

وعلى الرغم مما حركته هذه التضرعات مـن عواطفها ، أصرت على رفضها ، وتبددت سيول فصاحته الدافقة على صخرة ابائها الصماء عندما تطلعت الى المرآة وقالت له بلهجة قاطعـــة : « متأسفة جدا ! »

ثم قالت في نفسها:« أراني أبدو شاحبة هزيلة وعلى وجهي آثار الذهول وشرود الفكر .. »

واجتاحتها موجة من المرارة والاشفاق غمرت فؤادها . لقد حدث بالفعل ما كانت تخشى وقوعه .. فها هو ذا يقول لها بتأثر وانفعال :«ويحك!.. ان هذا منك لعجيب ! »

ثم تنحنح قبل أن يكمل حديثه قائلا : « أراك تريدين التخلص مني !.. حسن !.. لا تقلقي نفسك كثيرا .. فسأغادر العاصمة غدا مرة أخرى .. وسأريحك من وجهي .. لنيتاي الطيبة لك.»

كانت كلماته تنثال من فمه كاللعنات بسرعـة متلاحقة كأنما قد ادخرها لمثل هذا الموقف .. فاصيبت بصدمة سرى لهيبها الى فؤادها الذى ألح عليه الخفقان .. وانتقل منه الى أحشائها وأمعائها وسائر جوارحها وأوصالها . ثم سمعت قرقعة سماعة التليفون وهو يعيدها الى مكانها ، فارتمت فوق أقرب مقعد لها تتلوى كمن لدغتها أفعى ، وشرعت تبكي ، وقد وضعت منديلهـــا على شفتيها ..

ــ أنا البائسة ! المنكوبة الشقية ! .. أنا أبعد خلق الله عن السعادة ! ماذا أصنع ؟! وقد فقدت الرجل الذى عقدت عليه آمالي .. أحقا كان من الممكن أن يتزوجنـي .. أم تـراه كان يخدعني بأحاديث المنى الكاذبة ؟! أم أنا التى تعيش في أضاليل الأوهام وأضغاث الأحلام ؟! ليتني أستطيع أن أطرحها وأفيق من غشيتي .. لقد جنيت على نفسي اذ عودتها حلاوة الائتناس برؤيته ولو مـرة كل شهر أو شهرين .. وعلى التى اذ جعلتها تتوق الى عذب حديثه .

سار مرسي غاضبا لا يلوى على شيء .. وواصل مسيره يفكر .. والنيران تنهش أحشاءه .. كيف أمكن أن تصده فردوس بهذا الشكل ؟! وكيـف استباحت أن تجرح كبرياءه هكذا ؟! وماذا يهمه من ذلك ؟ .. وهل هو يحبها ؟! .. كلا .. لاشيء يفضل انغماسه في اللهو .. وقادته قدماه الى ملهى لوليت الليلى .. لعله يجد تفريجا لهمـه وتنفيسا لكربته .. كانت الراقصات الاسبانيات يرقصن على نغمات موسيقى الجاز الصاخبة شبه عاريات الا من أشرطة حـــول نهودهن وأردافهن المجنونة .. فشدهن عيون الرواد وسحرن لبهم .. عدا مرسي .. كان في واد آخر ، اذ أسند كوعه على المتكأ ، ووضع ذقنه على يده ، وأطرق يفكر فيما حدث في آخر مقابلة له مع فردوس ... لقد أبدت له بعض الملاحظات .. انه يميل الى البدانة والترهل .. وأخذ شعره يخف ويتباعد عن بعضه .. ترى أهي بوادر الصلع ؟! .. وأخذ يتحسس رأسه وهو مقطب الحاجبين ، مكفهر الجبين ..هل فقدت حبها ؟! .. لا أعتقد ذلك ! .. ان لـي عينين ما زالتا تحتفظان بحيويتهما ونظرتهمـــا الجريئة .. انهما عينا رجل تجري وراءهما النساء.

وهكذا كان يطلق العنان لهواجسه .. ثم يتصل الليل بالنهار فاذا الخواطر التى كانت تعرض له أثناء اليقظة تلح عليه أثناء النوم .

★ ★ ★

أقبلت فردوس تجوب الغـرفة جيئة وذهابا كالروح الشريد المعذب . انها تحفظ رقم تليفونه عن ظهر قلب .. واذا ما اتصلت به الآن فسيأتي على عجل ويحتضنها في جرأة وتهور حتى ليكاد يهشم ضلوعها .. و .. لا .. لا .. لن تفرط قط .. ورغم هذا كانت تشعر بقوة تجذبها نحو

التليفون .. فتمتد يدها تارة .. وتحجم تارة اخرى .. واخيرا القت احدى الوسائد فوقه حتى لا يقع نظرها عليه . وبعد عشر دقائق كانت تقف امام المرآة في الحمام تدلك وجهها بالمعاجين وهي تحاول ان تمحو منه ما نقشته عليه يد الزمن من بعض التغضنات التى بدأت تغزوه .. وصـــاحت فزعة :

ـ مستحيل ! .. كيف لم انتبه لهذا من قبل؟!

واذا بها تنزوى مذعورة في ركن الحمام وهي تمد ذراعيها كانما تدفع بهما خطرا مهددا .. وفـرق بين اجفانها دمع لم يعد يضايقها ان ينهل علـى وجنتيها .

لم يسبق لها ان شعرت بقسوة الوحدة القاتلة التى تعيش فيها مثلما شعرت اليوم وراحت تهمس لنفسها : « ما اشد وحشتيبهذه الجدران الاربعة، وما امضى الى ! انني آكاد اموت سامة وضجرا! »

وعبثا حاولت وهي مستلقية في فراشها آنتسرى عن نفسها بالقراءة .. فاطلقت للدموع عنانها فقد وجدت فيها راحة وسلوى .

كان عليها ان تستيقظ في الصباح الباكر .. لتشرف على امتحان نصف العام الذى يعقد للصف الرابع الابتدائى في المدرسة التى تتولى نظارتها .

انها تعلم ان مرسى قد غادر القاهرة في الفجر دون ان يتصل بها ثانية . ولكن الشيء الذى لـم تكن تعلمه انه الفى نفسه لا يستطيع النوم ، بل لا يستطيع اطباق اجفانه .. وراح يتلوى ويتقلب في فراشه .. يتمطى ويتمدد تارة ويتجمع ويستدير تارة اخرى ، ثم يلجا الى الجلوس بعد ذلك .. وهكذا جرب كل رقدة وجلسة دون جدوى .. فنهض من فراشه واطل من نافذة حجرته محملقا في الظلام وهو ينفث دخان سيجارته بعصبية وبه من القلق والاضطراب ما به وقد استحوذ عليه التفكير فيما حدث .. ثم اخذ يمرر يده خـلال شعره الذى وخطه الشيب وهو يقول لنفسه : « من المضحك حقا أن يحدث هذا من عانس ، ماذا قالت ؟ .. انت تصعق طالبا اياى كما يجلس الزبون الطائر في المقهى طالبا كوبا من الشاى .. هذا كلام فارغ .. حسبها أن تقنع بصداقتى لها .. لم تكن فردوس لتتحدث بهذا الشكل على الاطلاق .. ارى ما سر تغيرها هكذا ؟! .. يبدو انها متقلبة ! »

ثم هز كتفيه وهو يقول : « لســت ادرى ... اراني قد افتتنت بملامح هذه المرأة .. انها فعلا لا تخلو من ملاحة وحسن .. لا .. ! .. لا .. ! لقد خدعتني بعذوبة سذاجتها .. واذا بى لـم ار من هي اروع منها خدعة .. وهأنذا اتذكرها عندما دعتنى ذات يوم الى احدى الحفـــلات في مدرستها .. كيف كانت ترنو الى الرجال كأنما تعرض عليهم نفسها في نظرة عينيها .. لماذا يهيجنى ذلك منها الآن ويكاد يذهب بصبرى . ثم لا يني يزيدنى تعلقا بها ، ويجعلنى اشفق من وشك فقدانها .. اوه .. ! .. كلا ! .. يجب أن اكف عن التفكير فيها . »

ولكن ما جاء صباح اليوم التالى حتى كان يتصل بها تليفونيا: « ها قد عدت ثانيا من بنى سويف... »

سكت هنيهة ثم اردف قائلا : « لقد نسيت شيئا هاما . »

ـ حقـا ؟!

كان قلب فردوس يدق بعنف وهو يقفز معربدا بين ضلوعها .. فراحت تلتقط انفاسها بشـــق الانفس حتى استطاعت ان تنطق هذه الكلمـــة الصغيرة التى انفرجت بها شفتاها .

قال : « لقد استوردت الوزارة عددا من احدى الآلات الحديثة من تشيكوسلوفاكيا ، وزودت بها مدارسها الصناعية .. وقد كلفت بتدريب المدرسين بكل منطقة على كيفية ادارتها وصيانتها .. الا انني نسيت الكتالوج الخاص بها . »

ثم اردف قائلا : « على فكرة لقد نسيت أن أخبرك انني اريد أن أوضح لك كل شيء .. فلا بد أن أبدد اوهامك . متى يمكنني أن أراك ؟ »

ـ الآن .. ان حماتك تحبك .. فقد أعددت اليوم

صينية بطاطس في الفرن .. وهو طعامك المفضل .. وها أنذا على وشك تناول الغداء .. فهلم حتى تصيب منه شيئا .

فقال لها ضاحكا : « كلا .. سآخذ منه نصيبي كاملا .. فمن حضر القسمة فليقتسم . »

★ ★ ★

دار بينهما حديث طويل تخلله بعض الكلمات الغاضبة تقبلتها راضية وهى تهمس لنفسها : « ما أملحه راضيا وغضبانا . »

وفوجئت به في النهاية وهو يقول لها : « سأكون محظوظا لو شاركتني في رحلة الحياة على سنة الله ورسوله . »

تطلعت اليه فردوس غير مصدقة ، وكأنها لفرط السرور تطير في الهواء .. وتفرست في وجهه طويلا كأنها تريد أن تستشف أعماقه .. ثم قالت له بصوت متهدج : « وماذا ستفعل مع الباقيات .. هل ستتركهن ؟! »

فغمز لها بعينه : « دعك من هذه الأوهام .. فأنت التى استحوذت على تفكيرى .. ولم تستطع أية امرأة أخرى أن تفوز بهذا قط .. ولا حتى حسناوات تشيكوسلوفاكيا ابان البعثة العلمية التى أوفدت فيها الى هناك . »

ـ وأرجو أن أكون الوحيدة التى أحببتها حقا .

ثم انثنت تقول في دلال : « أنا مثل الفريك لا أحب أن يكون لى شريك .. ! »

فضحك مرسي وقال : « أو تحسبين يا فردوس انى أطيق أن أشرك في حبى اياك واحدة غيرك ! »

ثم أردف قائلا : « يجب أن أوضح لك ما خفى من قصة شعورى نحوك . »

واسترسل في حديثه ، بينما أدارت وجهها ناحيته ورعشة السعادة تهزها وقد أنصتت لصوته وهو يداعب أذنيها .. وفجأة أحاط وجهها بيديه اللتين شعرت بهما قويتين بعد أن أصبح يمتلكها .. وأوسعها عناقا وهو يعبث بشعرها المرسل المهدل ، وقال: « بالطبع أحبك يا دوسة برغم أوهامك .. »

أضاءت محياها ابتسامة عريضة .. انها تعلم أكثر مما يعلم .. فما قد أشار اليه من أوهامها هى التى أقضت مضجعه وألهبت مشاعره وأرسلت في كيانه هزة عنيفة .. لقد فوجىء بالصدود والاعراض لأول مرة في حياته .. كان دائما أبدا يجد من ترقص له عندما يزمر لها . ومن خلال هذه الصدمة تغير كل شىء . انه يرى ثغرها الجميل الذى صان سرها وحافظ عليه .. وهاهو ذا يرى عينيها وما حولهما من غضون طفيفة دون أن يزعجه ذلك أدنى ازعاج .. فهو يحبها ككل دون أن يرهق نفسه بالتفاصيل الصغيرة .. أو يحسب حسابا لسنها .. وها هى ذى قد أسندت رأسها الى صدره وهو يحتضنها ويطوقها بذراعيه ، وقد بدت على وجهها أوضح شواهد الفرح والسرور في احمرار وجنتيها ووميض عينيها وبريق ثغرها .. لقد ظفرت بلذة العمر ، ومتعة الدهر ولن تعانى من الوحدة بعد الآن ..

وعندما غادر مرسي المنزل ، توجهت للمطبخ لتفرغ مطفأة السجاير .. وهناك وقع بصرها على حزمة البصل المعلقة على الجدران .. فغمزت لها بعينيها قائلة في سرور : « تحياتى لك يا أوهامى ! »

كانت دائما تضعف أمام نداء التليفون .. وظلت منذ أن تعرفت به أسيرة عاطفتها ، وهو ضعف لا تنكره ، وذلة لا تدفعها ، ومهانة رضيتها .. ولكن مرسي الأنيق المتحضر الذى صال وجال في أوروبا هيهات أن يعجب بامرأة تفوح منها رائحة البصل .. فقد تاقت نفسها الى تناوله بجانب العشاء .. ولولا هذا ما استطاعت أن تجد القوة على صده في تلك الليلة .. كانت رمية من غير رام ! وها هى ذى تقول لنفسها في حزم واصرار : « أما أنا فلن أحكى له قصتى هذه الا في عيد زواجنا العاشر .. ان شاء الله .. » ■■

مصر ـ غبريال وهبه

الكوميديا

فى مسرحنا العربى

- الكوميديا .. دراما العصر الحديث.
- الكوميديا فى المسرح تعبير اجتماعى ورؤية حضــارية وموقف انسانى للنهوض بالحياة وتغيير الواقع الى ما هو افضل .
- المعوقات التاريخية والثقافية التى اثرت على نظرتنا للمسرح .
- المسرح تسلية لحساب الجمهــور وليست على حساب حياته ومثله وقيمه وتطلعاته .
- مسرح الممثل الهزلى ومزاعم الضحك للضحك .

بقلـــم
نعمان عاشور

■ لكى نستطيع تحديد « واقع الحال » فى المسرح العربى القائم ومدى ما تطورت اليه الاعمال المسرحية فى السنوات الأخيرة ، خاصة فيما يقدم من عروض كوميدية على خشبات المسارح العربية .. تلزمنا وقفة بل وقفات امام عدة أصول وعدة حقائق بالنسبة للمسرح ذاته ، كفن له مقوماته ، وله تاريخه ، وله ابعاده وأهدافه ومراميه ..ولعل من اوليات هذه الأصول .. التعريف بالمسرح فى الجانب الذى يميزه من بقية الفنون الادبية والالوان التعبيرية الاخرى .

وبالاضافة الى ذلك .. يلزمنا بالضرورة الكشف عن الارضية التاريخية التى قام فوقها بناء مسرحنا الحالى كمسرح يعتمد كل الاعتماد على الكوميديا .. اذا كنا نبغى الوصول الى معرفة واستجلاء كنه العوامل التى اثرت على حياتنا المسرحية فأحالت مسرحنا الكوميدى الى ما هو عليه اليوم.. كدار للتسلية الهزلية المحضة التى تتخفى فى هزالها وضحالتها ورخصها وفجاجتها وراء الشعار الرائج الحالى وهو شعار .. « الضحك للضحك».

اخطاء شائعة فى فهمنا للمسرح

لست احب ان اخذ القارىء الى ابعد من الواقع الملموس لحياتنا المسرحية ولكن يتحتم فى البداية جلاء بعض الأخطاء الشائعة عن المسرح .. فمن ابرز الأخطاء اننا لا نزال نعرّف المسرحية بانها القصة التى يجرى تمثيلها على خشبة المسرح ونطلق على المأساة اى التراجيديا اسم الدراما .. وعلى اى أسلوب من اساليب الضحك التمثيلى اسم الكوميديا .. فى حين أن المسرحية ليست قصة .. وانما هى معالجة درامية لموضوع .. والقصة عنصر من عناصر هذه المعالجة ليس الاّ .. بدليل امكان اعداد المسرحية من قصة او رواية ، واستحالة اعداد قصة او رواية من مسرحية . اما الكوميديا والتراجيديا فانهما نوعان من أنواع



رفاعة الطهطاوى



عزيز عيد



عبد الله النديم

الدراما .. في حين ان الدراما ذاتها تشمل كافة الالوان الادبية والفنون التعبيرية التى تعتمد على عنصر المحاكاة للفعل الانسانى الحى المجسد والقائم على امكانية بل حتمية العرض امام جمهور مشاهد .. فالابرا لون من الوان الدراما والباليه ايضا .. كما ان المأساة (وهى التراجيديا) والملهاة (وهى الكوميديا) فنون درامية خالصة .. وبالمثل فالفيلم السينمائى والتمثيلية التلفازية والسماعية الاذاعية يمكن اعتبارها من الاعمال الدرامية .

ولعل منشأ هذا التضارب في فهمنا للمسرح .. أن الدراما كلون من الوان الادب .. لم يكن لها وجود وليس له حتى الآن تراث قديم يعتد به في أدبنا العربى كالشعر بالوانه والنثر بانواعه وفنونه .. مع أن الدراما تكون في الادب الاوروبى الرافد الثالث المفتقر في مسار رافدينا الادبيين الوحيدين وهما الشعر والنثر . الدراما اذن لون ادبى وفن تعبيرى ، ولا عهد لنا بها ولا تراث لنا فيها والمسرح هو مهد الدراما وجماع فنونها واصل وجودها .

المسرح الاغريقى والتراجيديا

نشأ المسرح بداية عند الاغريق وكان اول ظهوره على صورة تراجيديا ، وظل المسرح التراجيدى مئات السنين هو اللون الغالب على المسرح الاغريقى يستمد مادته وموضوعه من الاساطير الاغريقية القديمة .. وبالذات ما حوته الالياذة والاوديسة من اساطير .. ويعتمد في اهدافه على المحاولة الاولية الانسانية العامة التى سادت كافة الحضارات الاولى وهى محاولة الانسان تفسير الكون الغامض الذى يحيط به بما فيه من آلهة مسيطرة على اقدار البشر .. وقامت التراجيديا الاغريقية على تصوير صراع الانسان ضد الآلهة وعجزه الحتمى المأسوى في محاولة الفكاك من القدر الذى يفرضه عليه وجودها .. وتقوم التراجيديا على المحاكاة المتعددة الجوانب لهذا الصراع بهدف انسانى خالص وواضح .. هو وصول الانسان الى نوع من « التطهير » على حد تسمية ارسطو .. وهو ما يجعل من هذا العجز الحتمى امام سطوة الآلهة والقوى غير الطبيعية بالنسبة له دافعا لا الى اليأس الكلى من متابعة الحياة .. ولكن الى تبرير هذا العجز بحتميته القدرية على انه دافع اصلى من دوافع البقاء والوجود .

الكوميديا دراما اجتماعية

كان صراع الحياة هو الاصل والاساس في التراجيديا .. وهو صراع يتسم بالماساة امام قوى خارقة ومجهولة وقادرة .. ولكن لما تطورت الحياة الاغريقية وبدات تتجلى معالمها على صورة مجتمع له مقوماته الانسانية الحضارية الواضحة ..استمرت المحاكاة الدرامية للحياة .. لكن تبدل الصراع فيها من صراع الآلهة .. الى صراع لمقارعة العوامل المختلفة التي تحيط بحياة الانسان في داخل المجتمع .. وهو مجتمع من صنع الانسان لا سيطرة فيه لحتمية القدر الذى يفرضه وجود الآلهة .

اختلفت اذن عناصر صراع الانسان من اجل الحياة .. وكان حتما لزاما ان تتبدل المحاكاةبتبدل نوعية الصراع نفسه فتاخذ الشكل الكوميدى .. اى التغلب على مقومات الحياة الانسانية التى تثبتها عوامل اذا لم يكن في الامكان قهرها ..فليس من المستحيل اصلاحها أو تغييرها . ويكون ذلك اكثر فاعلية واقوى اثرا .. بالسخرية منها وليس بالخوف منها .. وبمحاولة التحكم فيها وليس بالاستسلام القهرى لها كما هو الحال فيالتراجيديا. ولقد جاء ارسطو بعد اكثر من مئتى سنة من ظهور الكوميديا ومن قبلها التراجيديا فوضع قواعده المعروفة المستنبطة من وجود هذين الفنين الكبيرين في التراث الدرامى السابق عليه .. وبغض النظر عن القواعد والمبادىء التى شرعها ارسطو او غيره .. فالاساس الجوهرى في وجود التراجيديا والكوميديا .. انما يعتمد كلية على حقيقة راسخة .. وهى ان كليهما فن له أهدافه وأبعاده ومراميه وكلها اهداف تنصب اصلا على تحقيق وجود الانسان في الكون ، وخدمة الحياة الانسانية ورقيها داخل المجتمع الانساني .

التراجى – كوميديا

الكوميديا بمفهومها الحقيقى اذن .. هى دراما المجتمع الانساني .. وقد تلازمت الكوميديا في تطورها مع تطور المجتمع الانساني عى مدى العصور المتتابعة منذ عرفها الاغريق .. فاذا هى في النهاية الفن الدرامى الوحيد الذى يطبع المسرح بطابعه ، وهذا طبيعى لانها تتصدى لمعالجة الحياة الانسانية داخل المجتمع الانساني بكل ما يحيطه من الوان ، ولا تقتصر على الصراع بين الانسان والالهة في الاطار الكلى للكون ، ولهذا اصبحت الكوميديا هي الدراما الاصلية في المسرح المعاصر لانه مسرح اجتماعى بالدرجة الاولى وبحكم وجوده الحضارى. وقد اتسع مفهوم الكوميديا نتيجة تطور المجتمع ونمت على حساب التراجيديا ذاتها حتى بات من النادر اليوم ان توجد التراجيديا الخالصة .. الا اذا ادخلت ضمنا كعنصر من عناصر دعم الكوميديا ذاتها في رسالتها كتعبير اجتماعى شامل ، يهدف الى اصلاح الحياة البشرية وتقويمها .. داخل الاطار الكونى الشامل ثم داخل الاطار الاجتماعى القائم .. ومن هنا نشا الفن المسرحى الجديد الذى بات يعرف بفن « التراجيكوميديا » اى المسرح الذى تمتزج فيه التراجيديا بالكوميديا امتزاجا كليا وعضويا تاما داخل العمل المسرحى الواحد ... وفضل بعض الدارسين والنقاد ان يطلقوا عليها اسم « الكوميديا السوداء »

الكوميد دراما العصر الحديث

ونظرة خاطفة على نوعية المسرح منذ شكسبير – وهو آخر عمالقة التراجيديا بقدر ما هو امام خالقى الكوميديا في المسرح كله تكشف لنا ان المسرح من بعده لا يكاد يشهد من كتاب التراجيديا الا النادر اليسير .. وبين قلة اغلبهم من الشعراء .. مثل لوركا الاسباني Lorca واليوت الانجليزى Eliot .. وربما انفرد ايوجين اونيل الامريكى Eugen O'neill وهو ناثر لا شاعر باعماله الشاعرية التراجيدية ، يجاوره في ذلك الى حد ليس بالقليل هنريك ابسن النرويجى Heurik Ibsen في بعض مسرحياته ... اما كافة كتاب المسرح من بعد موليير Moliere واعمدة الدراما على مدار القرن العشرين فكلهم من عباقرة الكوميديا . تشيكوف Chekhov وجوركى Jorki برناردشو ، بيرانديللو Pirandello اوسكار وايلد Wilde ، نويل كاورد Coward ، وجماع كتاب الغضب الانجليز المعاصرين والكتاب الوجوديين ، وكافة كتاب العبث واللامعقول لا يدورون الا في فلك الكوميديا الواسع الرحب الحاليين، حتى ارثر ميللر نفسه، وكلهم وغيرهم.. والخلاصة ان الكوميديا هي دراما العصر الحديث.

الجمهور في المسرح

ولكى نستطيع تحديد« واقع الحال » في مسرحنا

العربي القائم بالنسبة لما يقدمه من اعمال كوميدية .. فلا بد في البداية من التعرف على بعض الحقائق التى تميز المسرح عن بقية الفنون الاخرى ... وقد يمكن ان نجملها على الوجه التالي :

١ ـ يختلف المسرح عن القصة والرواية والشعر في انه فن يستحيل تحقيقه اذا بقى نصا مكتوبا ومتضمنا بين دفتي كتاب .. ففي هذه الحالة لايعدو المسرح ان يكون نصا ميتا .. او نصا ادبيا قابلا للقراءة فقط .

٢ ـ لكى يكون للمسرح وجود يجب ان يجرى تمثيله واداؤه وعرضه على جمهور حي من المشاهدين .

٣ ـ على خلاف السينما والتلفاز يستلزم العرض المسرحي قيام تجاوب مباشر بين مجموعة البشر الذين يقدمون العرض ، ومجموعة البشر الاخرين الذين لا بد من وجودهم كمشاهدين .

٤ ـ مالم يتحقق مثل هذا التواجد ومثل هذا التجاوب بين العرض المقدم والجمهور المتفرج ... فلا يمكن ان يكون هناك مسرح .

٥ ـ والمسرح لا يكسب صفته النهائية كمسرح له دوره واثره ورسالته وهدفه اذا لم يتجاوب فيه الجمهور تجاوبا حيا مباشرا مع ما يقدم من عروض لانه فن تجسيد حي .. قوامه التجاوب المباشر الحي ..

هذه هي الحتميات الضرورية لقيام المسرح .. وهي حتميات يلعب فيها الجمهور دورا رئيسيا واساسيا في وجود الفن المسرحي ونمائه وتطوره .. مثلما يلعب فيه المجسد المباشر الحي (المشخص) وهو الممثل دورا لا يقل خطورة . فلو سلمنا بالمفهوم القائل ان المسرح جمهور .. اعنى ان الجمهور جزء عضوى لاصق الارتباط بالمسرح ... بالاضافة الى الحقيقة القوية الاخرى التي اوردناها من قبل والتى تؤكد ان الكوميديا هي دراما العصر ـ لامكننا بعد ذلك ان نحكم حكما واضحا على الصلة القائمة بين مسرحنا العربى .. كمسرح معاصر تغلب عليه الكوميديا بحكم التطور التاريخى والحضارى معا .. مسرحنا العربى يلعب الجمهور دورا رئيسيا في تحقيق وجوده وتطوره ونمائه ونضجه .

خطوات التطور فى مسرحنا العربى

علينا بعد ذلك ان نحدد .. كيف دخل المسرح حياتنا العربية ، وباى مفهوم تطورت فيه الكوميديا حتى يمكن الكشف عن حقيقة وجودها الحالي كفن درامي ماخوذ به في حياتنا الادبية والفنية .. ولعلنا نستطيع في متابعة سريعة لحياة مسرحنا العربى ان نلم ببعض الحقائق التى كانت ولم تزل تؤثر على تطوره كمسرح معاصر حي ، يستند الى دراما العصر وهي الكوميديا .

مارون النقاش :

وجاء تعرفنا على المسرح بالخطوة التى بداها مارون النقاش في سوريا ثم في بيروت حول منتصف القرن التاسع عشر . فقد بهره المسرح الايطالي والمسرح الفرنسي كمظهر حضاري وكتعبير اجتماعى وكفن من فنون التسلية .. ولما اراد الاقتداء بهما لم يجد امامه غير الكوميديا بوصفها اللون المسيطر تماما على المسرح الاوربى .. وكان ان بدات معرفتنا العربية للمسرح الحديث بالكوميديا ممثلة في « البخيل » للكاتب الفرنسى موليير وهي اول ماقدم مترجما ثم معربا على المسرح بواسطة مارون النقاش .

رفاعة الطهطاوى :

وقد حكمت تلك البادرة الاولى مسار تطورنا المسرحى كله .. فاذا اخذنا في الاعتبار الى جانب ذلك الفكرة الاولى التى نادى بها رفاعه رافع الطهطاوى كرائد لثقافتنا العربية الحديثة حين شاهد المسرح في باريس وكتب عنه ونادى الى الاخذ به .. تبلورت لدينا البداية الباكرة لمفهوم المسرح كما وعاه الطهطاوى .. وهو انه فن يقوم على التسلية ولكنه يهدف الى الاصلاح .. وعلى حد ما وصفه « الضحك وسيلته ، ولكن تقويم المعوج هو مبتغاه وغايته »

خلفاء مارون :

وجاءت الخطوة الثانية على هدى هذا المفهوم الوطيد لحقيقة المسرح الكوميدي بل المسرح عامة .. فيما حاوله خلفاء مارون النقاش في بيروت اذ تابعوا خطاه في تقديم مسرحيات كوميدية مترجمة او معربة .. ونظرا لما كانت تحويه من اخلاقيات متحررة فانها سرعان ما اغضبت عليهم رجالات

الدين ، وبالتالي الخلافة العثمانية بكل سلطان سلاطينها .. فلما اقصى الوالي المثقف المتحرر الذي كان يحتضنهم وابعد عن الشام .. هاجروا هم الى مصر .. وفيها انشا سليم النقاش واديب اسحاق مسرح الاسكندرية على ختام عهد الخديوي اسماعيل وبداية عهد توفيق « لتقديم الروايات التي تسعى الى غرز اصول الحرية في النفوس » .

يعقوب بن صنوع :

لكن هذه الخطوة كانت قد سبقتها في مصر خطوة اخرى على يد يعقوب بن صنوع .. فقد انشا ابان عصر اسماعيل .. مسرحه الكوميدي السياسي الذي استمر عامين كاملين ثم اغلق بمجرد نفيه لتهجمه على الخديوي .. وكان يقدم فيه القطع التشخيصية الفكاهية باللغة الدارجة التي يفهمها العوام .. فلما جاء مسرح الاسكندرية كسب من مسرح صنوع بعدا جديدا .. هو احالة المسرح الى منبر سياسي الى جانب كونه مظهرا حضاريا او دار تسلية ولهو او تعبير عن الحياة الاجتماعية وحدها .

عبد الله النديم :

وبهذا البعد الجديد جاءت محاولة عبد الله النديم في استخدام المسرح كمنبر لدعوته السياسية ابان الثورة العرابية .. وكتب ومثل عدة مسرحيات ماخوذة من التراث العربي وامجاده الاسلامية .. لكن بعد هزيمة عرابي ووقوع الغزو الانجليزي وقيام الاحتلال .. تحول المسرح في ظل سيطرة الاحتلال الى فن تسلية وتطريب وغناء على يد الفرق الشامية المتنقلة بين بيروت والقاهرة والاسكندرية .. كفرقة أبي خليل القباني وغيرها من « الجوقات التمثيلية » العديدة .. وظل الحال كذلك حتى بداية القرن حين اخذت الحياة تدب من جديد في اوصال الحركة الوطنية المصرية التي تزعمها مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد .

طابع الشمول العربي

وهنا يجدر بنا ان نشير الى ظاهرة عامة وهامة .. فقد كان المسرح على مدى هذه الخطوات يتسم بالروح العربية الكلية .. أعني انه لم يكن قد تحول بعد الى مسرح بيئي مقصور على الحياة الاقليمية للقطر العربي كوحدة قائمة بذاتها .. فقد كانت كافة المسرحيات والاعدادات المسرحية تستند الى موضوعاتها المرتبطة بالاصل العربي والتراث الاسلامي الواحد .. الذي كان يجمع بالفعل بين مختلف الاقطار العربية ربما بسبب الانضواء تحت راية الخلافة العثمانية .. ولكن هذا الارتباط ومن خلال المسرح بالذات .. كانت له ابعاده الشعبية الواضحة في الربط بين البلدان العربية .

المسرح على مفتتح القرن

بدأت معرفتنا بالمسرح اذن عن طريق الكوميديا .. ولكن فهمنا للمسرح كما وعاه رجالات المسرح العربي الاول .. كان فهما واسعا رحبا .. لانهم لم يقصروه على التسلية والاضحاك والغناء والتطريب الا في فترات الركود .. ولكنهم تطوروا به في مراحل النهوض الى مفاهيم حضارية واجتماعية ووطنية وانسانية بعيدة المدى وقوية الأثر .. وهذا بالفعل ما نلمسه في حياتنا المسرحية على بداية القرن الحالي وخاصة في مصر التي تركز فيها النشاط المسرحي كامتداد للخطوات السابقة .. وبحكم كونها الدولة العربية التي يتحقق فيها التطور الاجتماعي الواضح المعالم والأصول .

وهكذا شهدت مصر على بداية القرن حركة مسرحية متوسعة ومتشعبة النشاط تمثلت في عدة اتجاهات ..

اولها : **الاتجاه نحو اعتبار المسرح دار تسلية وغناء وتطريب** .. وهو اتجاه غلب على المسرح بفضل وجود المطربين ودخولهم الى ميدانه .. كالشيخ سلامة حجازي ومنيرة المهدية والفرق الشامية الغنائية التي كان من ابرزها جوقات القباني وامين عطا الله واسكندر فرح .

وثانيها : **الاتجاه الذي كان يمثله تلامذة رفاعة الطهطاوي من المثقفين** .. وعماده ترجمة الاعمال المسرحية الكبرى ويقف على رأسه عثمان جلال بترجماته لمعظم اعمال موليير البارزة او على الأصح تعريبه لها وتقديمها بالزجل الشعبي .

وثالثها : **الاتجاه نحو خلق مسرح سياسي** يساند الحركة الوطنية على يد مصطفى كامل

نفسه بالمسرح الذى انشاه والف له عدة مسرحيات .. ودفع بالكثير من انصاره واثر على الكثير من من المسرحيين في الاحتذاء به .

ورابعها : الاتجاه نحو الأخذ بأسباب المسرح الاوربى كادب مكتوب وكفن جاد ممثل ، وكان عماده ما بدا الشاعر خليل مطران وغيره بترجمته من اعمال شكسبير وما قدمه جورج ابيض اثر عودته من بعثته التمثيلية في فرنسا عام ١٩٠٤ من تراجيديات راسين وشوامخ المسرح الفرنسي الكلاسيكى .

وخامسها : الاتجاه نحو الترجمة والاقتباس والتعريب من المسرح الفرنسي القائم ايامذاك وهو مسرح يعتمد على الكوميديا الاجتماعية النظيفة وهو اتجاه قاده عزيز عيد واحتضنه العديد من المثقفين مبلورا في جماعة انصار التمثيل عام ١٩١٣ والتى ضمت عبد الرحمن رشدى ومحمد ومحمود تيمور وغيرهم من دعاة المسرح الاجتماعى الرصين والكوميديا الاخلاقية الهادفة .

ثورة ١٩١٩ والنهضة المسرحية

وقد عاشت هذه الاتجاهات تتصارع من اجل خلق نهضة مسرحية واضحة المعالم حتى كان عام ١٩١٤ .. وقامت الحرب العالمية الاولى وفرضت الحماية البريطانية على مصر .. فانطفات جذوة النشاط المسرحى الجاد بصورة تامة .. واتجه هذا النشاط الى مسارب اخرى من مسارب التسلية واللهو والمجون .. سادت الحياة الفنية في مصر واحالت المسرح الى الصالات والمراقص والمواخير التى اشتهر بها شارع عماد الدين . لكن انتهاء الحرب وقيام الثورة الوطنية عام ١٩١٩ وما اعقبها سرعان ما اعاد للمسرح مساره الطبيعى .. كمنبر سياسي وطنى وكتعبير اجتماعى اصلاحى وكفن وسيلته التسلية وهدفه خدمة حياة الناس .. وهكذا كان المسرح الغنائى الذى ابدعه سيد درويش والمسرح الاجتماعى الذى حاول خلقه محمد تيمور وعبد الرحمن رشدى وفرح انطون وغيرهم .. ثم ما اعقب ذلك من ظهور فرقة رمسيس التى انشاها يوسف وهبى وفرقة فاطمة رشدى التى انشاها عزيز عيد والمسرح الفكاهى الذى اوجده الريحانى .. ومسرح الفودوفيل الذى كان على الكسار بطله المتوج ..

ومرة اخرى تلزمنا وقفة لتحديد معالم هذه الفترة .. لانها المعالم التى اسهمت الى حد بعيد في تحديد مسار المسرح بالاتجاه بالكوميديا بوصفها دراما العصر كما اثبتنا قبلا .. الى الحال التى هى عليه الآن .. لا في المسرح وحده .. ولكن في كافة المعبرات الدرامية الاخرى ..

الرواد الاول

لعل ما يميز هذه الفترة انها كانت تمثل البداية الناضجة لتحقيق وجود المسرح وجودا فعليا في حياتنا .. ففى هذه الفترة بالذات بدات المحاولات الباكرة للتاليف المسرحى الخالص بدلا من الترجمة والتعريب والاقتباس المباشر للاعمال المسرحية الاجنبية .. لانها الفترة التى انبتت محمد تيمور وفرح انطون وانطون يزبك .. ثم توفيق الحكيم .. ومهدت لاقتحام شوقى ثم عزيز اباظة بشعرهما ميدان المسرح .. ثم انها الفترة التى شهدت وجود العديد من الفرق التى تهتم بمعالجة القضايا الاجتماعية القائمة في الحياة الواقعية التى يعيشها الناس .. كفرقة يوسف وهبى وفرقة فاطمة رشدى وعزيز عيد .. اكثر من ذلك انها الفترة التى بدات تكشف لنا عن وجود مجموعة بارزة من الممثلين القادرين المبرزين في الاداء التمثيلى .. كيوسف وهبى وجورج ابيض والريحانى وروز اليوسف والكسار وفاطمة رشدى وحسين رياض وفؤاد شفيق .. وغيرهم وغيرهم .. فقد كانت هذه الفترة التى بدأ يتكون فيها جمهور مسرحى حقيقى يحب المسرح ويرتاده ويحتاج اليه ويقبل عليه ..

ورغم ذلك فان هذه الفترة الحية الفنية لم تدم بدورها طويلا في حياتنا المسرحية ، كانت فترة النهوض المسرحى التى لازمت الانتعاشة الكبرى وصاحبت وتلت ثورة ١٩١٩ بقدر ما لازمت الانتعاشة الاقتصادية التى اعقبتها فترة قصيرة في عمر المسرح .. انتهت مع هبوط سعر القطن ووقوع الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣١ . انها فترة ازدهار الطبقة الريفية الوسطى فترة يمكن تسميتها بفترة « كشكش بيه عمدة كفر البلاص » التى عبر عنها الريحانى في مسرحه خير واصدق تعبير . ومع بداية احتدام الصراع السياسى في الساحة الوطنية العامة حول الدستور والاستقلال


نجيب الريحاني


فاطمة رشدي

تأثر النشاط المسرحي تأثرا كبيرا .. ذلك ان المسرح كفن .. تعبير اجتماعي بالدرجة الاولى .. ولهذا عجزت الفرق المسرحية عن متابعة نشاطها كفرق تجارية تعتمد على الطبقة السياسية المنتصرة في الثورة وهي الطبقة الوسطى في القرية وفي المدينة .. كبار صغار الفلاحين .. وكبار صغار التجار في المدن .. فقد بدا كيان هذه الطوائف يهتز اقتصاديا من اثر الازمة العالمية .. وتحول المسرح الى مجرد واجهة حضارية رسمية لا بد من استكمال وجوده كمظهر وليس كنشاط .. وجاء ذلك على صورة الفرقة القومية التي انشأتها الحكومة عام ١٩٣٥ برئاسة خليل مطران وباشراف لجنة من كبار الأدباء والمفكرين .. وكانت الفرقة تتبع وزارة الاشغال كمبنى قومي .. وتستخدم مسرح الاوبرا في فترات انقطاع زيارات الفرق الأجنبية من فرق الاوبرا الغنائية .. وتحولت الفرقة القومية الى مجرد مأوى لفلول الممثلين القدامى الذين افلست بهم الفرق السابقة التي حطمتها الازمة الطاحنة .

المسرح الاجتماعي

حقيقة ان الفرقة القومية قدمت لاول مرة الكثير من الاعمال المسرحية المؤلفة بواسطة الكتاب المحليين .. وانها كانت ذات مستوى ادبي رفيع .. كاهل الكهف باكورة توفيق الحكيم .. ومسرحيات شوقي وعزيز اباظة وعلى احمد باكثير .. وغيرها من الاعمال الكلاسيكية العالمية المترجمة .. ولكنها عجزت عن كسب الجمهور المعتاد للمسرح .. وهو جمهور كان يحتاج اكثر ما يحتاج الى المسرحيات التي تعبر عن واقع حياته الاجتماعية بكل ما يحيطها من ابعاد سياسية ومقومات اقتصادية ومثل وقيم وتطلعات انسانية .. وبصورة تختلف تماما عن صور الفواجع التي قدمها يوسف وهبي من قبل .. وجاءت الفرقة القومية لتضفي عليها من الرتابة والجمود ما يزهده فيها .. سيما وانها كانت كلها تقدم باللغة العربية الفصحى كشرط اساسي .. (ومشكلة اللغة من المشاكل الجوهرية المرتبطة بطبيعة مسرحنا وتاريخه وتطوره كمسرح لا بد وأن يعبر عن واقع الحياة الاجتماعية التي يعيشها الناس .. وبالذات في تناوله لها تناولا كوميديا .. وهو التناول الوحيد السائغ لدى الجمهور والذي لا بديل فيه بغير اللغة العامية) .

كوميديا الريحاني

وكان الريحاني هو الوحيد الذي استطاع ان يلتقط هذا الخيط من خيوط الامتداد بالمسرح الاجتماعي ولفنه . ولهذا ظل بمسرحه يطاول التطور بما كان يدخله على مسرحياته من سخريات اجتماعية لاذعة .. رغم اعتماده الذي يكاد يكون اعتمادا كليا على الاقتباس من الكوميديا الاوربية الدارجة (مسرح البوليفار الفرنسي) .. وبذلك انفرد الريحاني بعد تواري الكسار وغيره وانحسار نشاط الفرقة القومية الرسمية .. انفرد بالمسرح حتى قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ولقد اثبتت هذه الفترة بما لا يدع مجالا للشك .. ان الكوميديا .. والكوميديا الاجتماعية بالذات .. هي اللون الوحيد من الوان الدراما الذي يحتاجه مجتمعنا من المسرح .

حتمية الكوميديا

وبقيام الحرب العالمية الثانية .. انطفأت جذوة النشاط المسرحي من جديد .. وعادت موجة

الصالات الراقصة والمواخير وملاهى الليل طوال سنى الحرب حتى عام ١٩٤٥ والمسرح في الظل من اهتمام الناس ، بينما السينما تنمو وتتصاعد لتاخذ المكان الشاغر للمسرح ولتصبح فى تلك الايام الصناعة الاولى في البلاد على يد تجار الخردة والمضاربين الاجانب وغيرهم من صيادى الربح العاجل الرخيص من بين اثرياء الحرب واباطرة السوق السوداء . وانتقل كافة العاملين بالمسرح الى الاشتغال بالسينما .. ولكن الريحانى وحده ايضا .. لم ينجرف وراء هذا التيار .ومن اجل ذلك فما ان انتهت الحرب حتى عاد بفرقته لينفرد تماما بالنشاط المسرحى وظل كذلك حتى وفاته عام ١٩٤٩ .. كان الريحانى يقتبس موضوعاته من الكوميديا الاجنبية وبالذات .. « لون الفارس Farce » ويدخل عليها نقده لبعض الاوضاع والسخرية من العادات .

وساعده في ذلك مقدرته كممثل بارز صاحب موهبة كوميدية اصيلة ولهذا درج على «تفصيل» رواياته لنفسه وفرقته بادوار تمثيلية مرسومة تناسب شخصياتهم التى عرفوا بها لدى الجمهور .. وهذا بدوره حال دون وجود الكوميديا التى تعتمد على النص المؤلف .. وانما الكوميديا التى يتجاوب فيها الجمهور مع الممثل الهزلى..وبالتالى تثبيت قوائم « مسرح الممثل الهزلى » وهو علة العلل في مسرحنا الكوميدى القائم حاليا .

مسرح الممثل الهزلى

ولقد اهلّ النصف الثانى من القرن .. ببادرة طيبة في حياة مسرحنا المصرى وذلك اثر تخريج الافواج الأولى من الممثلين الدارسين خلال المعهد العالى للفنون المسرحية الذى راسه وتولى عمادته في مبدأ الامر زكى طليمات ، وفي نفس الوقت تكفلت الحكومة بمحاولة اعادة جمع شتات الممثلين القدامى في داخل الفرقة القومية ومنهم جورج أبيض ويوسف وهبى .. وكان من اثر ذلك ان دعم النشاط المسرحى بعد عام ١٩٥٠ بفرقتين جادتين كبيرتين .. هما فرقة المسرح القومى التى ضمت الى جانب جورج أبيض ويوسف وهبى حسين



يوسف وهبى



جورج ابيض

رياض وفؤاد شفيق واحمد علام وغيرهم .. وفرقة المسرح الحديث التى تكونت من أوائل الخريجين في المعهد المسرحى الجديد ومن ابرزهم نبيل الالفى وحمدى غيث وسميحة أيوب وفاتن حمامة وشكرى سرحان وزملاؤهم ، وارسلت الى الخارج عدة بعثات للتخصص في الاخراج المسرحى . كانت خطوة طيبة لمحاولة تاسيس النشاط المسرحى على قوائم جادة مثقفة مزودة بالمعرفة العلمية والفنية الصحيحة .. ولكنها استنفدت سريعا في خلافات بين الفرقتين .. التى كانت تمثل احداهما قدامى الكبار .. وتمثل الاخرى بواكير الجديد . وادى ذلك بالضرورة الى أن يخلو الجو تماما للفرق الأهلية والهزلية .. التى استاثرت باهتمام الجمهور بعد موسم واحد فقط من تردى الأوضاع في الفرقة القومية بشعبتيها .. القديمة والجديدة معا ..

وهكذا شهدنا بعد وفاة الريحانى ورغم وفاته .. طغيان المسرح الفكاهى القائم على الاقتباس والذى لا يقدم غير التسلية الهزلية البحتة .. وفي تلك الفترة .. راج سوق النكتة والقافية وبرز دور الممثل الهزلى القادر على الاضحاك بالحركات البهلوانية الجسمانية وتطليع اللسان وتحريك الأشداق والضرب على القفا وما الى ذلك من افاعيل وأحاييل لاستدرار الضحك من الافواه

.. وكان بطل هذه المرحلة بلا منافس اسماعيل يس في السينما ثم في المسرح ومن خلال فرقته التي انشأها .

ولكن أين المؤلف المسرحي الكوميدي ؟

وهكذا انتهى المطاف بالكوميديا منذ عرفهـا مسرحنا على مدار قرن كامل من الزمان والتطور الى مثل هذا الهزال .. وكان لذلك اسبابه العديدة التي لاأقلها عدم وجود المؤلف المسرحي القادر على كتابة الكوميديا الحقيقية التي تتخطى التسلية والاضحاك الى ما عرفه ارسطو عنها . وما قضى به التطور المسرحي العالمي .. ورعاه مارون النقاش ودعا اليه الطهطاوي وحاول ان يطبقه عزيز عيد ومحمد تيمور وتوفيق الحكيم واخذ الريحاني ببعض جوانبه .. وكان لا بد لكي تنهض الكوميديا من كبوتها أن يتطور النشـاط المسرحي ليشق له طريقا جديدا .. يعتمد على اسس مغايرة .. قوامها وجود المؤلفات النابعة من واقع الحياة الفعلية للمجتمع والناس .. تتمتع بالمستوى الثقافي وتحمل من براعة الموهبة الفنية ما يمكنها من تحقيق رسالتها وتأكيد مفهومها كتعبير اجتماعي ورؤية حضارية وموقف انساني يمكن ان يطور اذواق الجماهير ويجتذبها الى المسرح بغير اساليب الاضحاك الفجة المستشرية .

وجاءت احداث ثورة يوليو ١٩٥٢ ولا وجود للمسرح تقريبا وكان لا بد من قيام مسرح جديد يعتمد على الكوميديا المفتقدة . مسرح يلم شتات ما تبعثر على مدى الاجيال من نتاج التجارب المسرحية السابقة جميعها .. ويبدأ من حيث انتهى التطور المسرحي .

الحركة المسرحية الجديدة

ومن ثم قامت الحركة المسرحية الجديدة على ختام عام ١٩٥٥ وصاحب قيامها انشاء وزارة للثقافة لأول مرة في مصر .. وتكفلت الدولة بدعم النشاط المسرحي على انه نص أدبي ونشـاط ثقافي وليس مجرد مجال من مجالات التسلية او سوق .. « لتجارة الضحك » وتحقق ذلك باتباع الفرقة القومية لوزارة الثقافة .. وأعيد تكوينها باسم « المسرح القومي » لتبدأ على خشباته نهضة مسرحية لمسرح كوميدي اجتماعي جديد المعالم ..

فماذا كان هذا المسرح الجديد ؟

وماذا كانت مستلزماته واتجاهاته ؟

وكيف كانت معالمه وكيف تحقق نتاجه ؟

والى ما انتهى اليه مآله اليوم ؟

اسئلة تحتاج الى دراسة متوسعة للحركـة المسرحية القائمة بكل أبعادها وتطوراتها مع متابعة العوامل التي خلقت في المسرح الراهن هذا التيار الفكاهي الرخيص الضحك .. وهو تيار غامر في المسرح العربي كله .. وليس مقصورا على المسرح المصري وحده ..

الخلاصة

والخلاصة بعد كل هذه الافاضة .. ان التاريخ القصير لوجود المسرح في حياتنا وهو تاريخ لا يعدو مائة عام او أكثر بعدة سنوات .. يشهد في كافة مراحله بأن المسرح .. وبالذات الكوميديا في المسرح العربي .. خضعت او على الاصح اخضعت في معظم عهود ازدهاره بل منذ نشأته الاولى ذاتها وحتى اليوم .. الى عوامل عديدة من عوامل التعثر والهبوط بسبب المستوى الثقافي العام للجمهور الذي يرتاد المسرح .. فاذا اضفنا الى ذلـك الافتقار الدائم الى حرية التعبير والخضوع المتصل لعوامل القهر السياسي التي خلقها وجود الاستعمار اصلا .. هذا فضلا عن النظرة العاجزة الضيقة الى المسرح .. والمسرح الكوميدي خاصة .. على انه مجرد عرض يقدم لتسلية الشاهدين واضحاكهم وتلهيتهم عن واقع حياتهم .. وليس كما هـو بالفعل تعبير اجتماعي وموقف انساني ورؤية حضارية .. بل مؤسسة ثقافية تلعب اضخـم الادوار في بناء الحياة الكلية للمواطنين .

اذا رأينا ذلك اصلا .. لما عز علينا أن ندرك الأسباب التي ادت ولا تزال تؤدي الى هبـوط مستوى الكوميديا في مسرحنا العربي .. وبالتالي في كافة فنوننا الدرامية الاخرى .. كالسينما والاذاعة والتلفاز وكلها تمثل الصدى المجاوب لما وصلت اليه حال الكوميديا في المسرح بوصفه دراما العصر كله .. وبوصفه مهد الفنون الدرامية جميعا . ■■

نعمان عاشور

مؤسسة اخبار اليوم ـ القاهرة

مِنَ المسرح العَالَمِىّ

سِلسلَة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٣

٣/٤٨

من الأعمال المختارة

جبرييل مارسل - ٣

• طريق القمة • العالم المكسور

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل
مراجعة : محمد اسماعيل محمد

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

راس المال والاحتياطي : ٢٢ر٨٨٤ر٤٨٣/- د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٢ : ٢٥٦ر٥٣٧ر٤٠٥/- د.ك

المكتب الرئيسي : ص.ب ٩٥ تلفون { ٤٢٢٠١١ (١٥ خطا) / ٤٢٢١٩٥ (٥ خطوط)


PIAGET
بياجيت
الساعة الثمينة
الانيقة التي لا
مثيل لها
الوكيل العام
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون
احمد يوسف بهبهاني واخوانه
السالمية / تلفون : ٦١٨٢٢٤
2189



"داتسون أخرى جديدة 120Y..؟"
"نعـم.. بالتأكيد"

حيثما ذهبت داتسون الجديدة 120Y فإنها موضع إعجاب الجميع. إنها النقطة الهامة التي يدور حولها كل حديث. ونحن في شركة نيسان قد سررنا بهذا الإعجاب والتقدير لأننا فعلنا ما بوسعنا لنجعل من 120Y السيارة التي تحلم باقتنائها. حسنة التصميم، سباقة، يعتمد عليها، ومزودة بالكماليات الكثيرة.

إلا أن داتسون لا تترك لك الخيار عندما يكون طلبك الراحة والنوعية الجيدة في الهندسة والتصميم. إن 120Y هي المتعة في القيادة.. وتصميمها الداخلي مدهش. مرنة ومريحة مهما قست الطرق. محركها الدقيق الصنع والبالغة قدرته ١٢٠٠ سي سي يعطيك سرعة ١٥٠ كم في الساعة وبمصروف زهيد من الوقود.

اقتن 120Y وكن فخوراً بها مثلنا.

Nissan puts people first

DATSUN

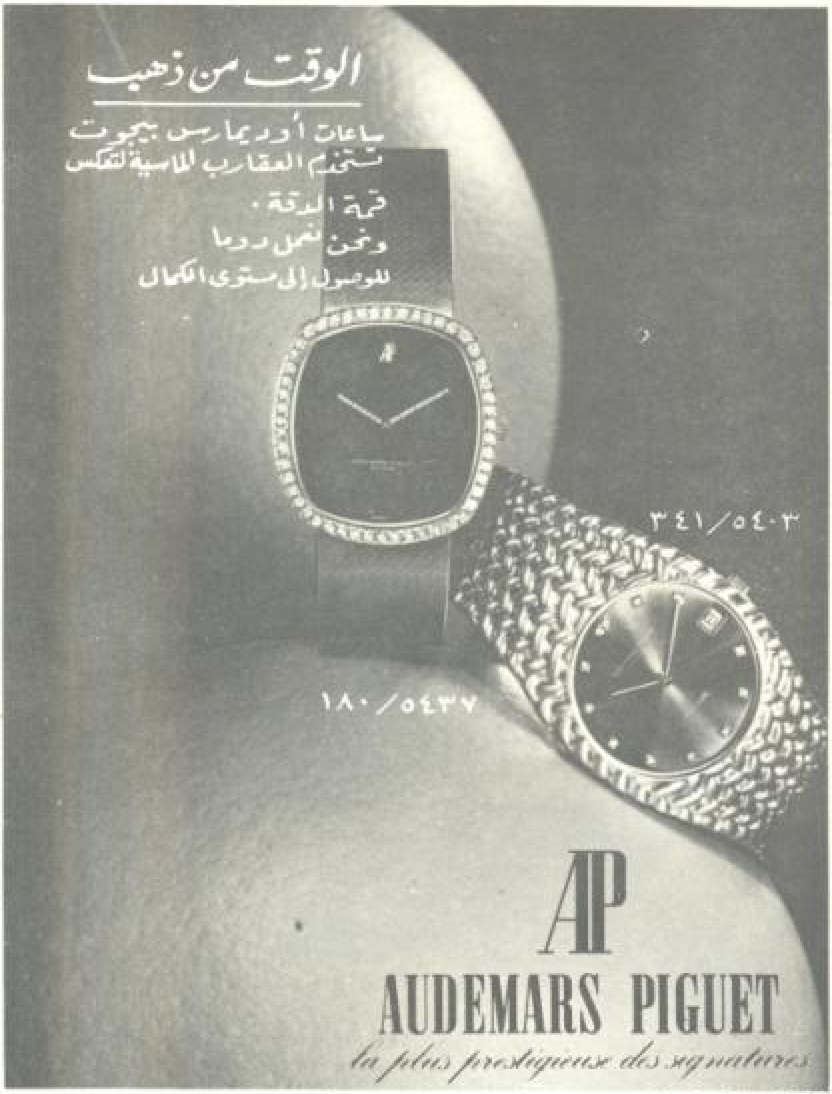
DATSUN NISSAN MOTOR CO., LTD.

شبابك لا يعني فقط عمرك
انه حيويتك
ونشاطك ايضاً



سوبر ويت أون بطعم الفريز والموز هو
مستحضر غذائي جديد غني بالكالوريهات. سوبر ويت اون
يحتوي على عدة فيتامينات، د ، ب ١٢ ، ب ١ و ب ٦ يعطيك ما يلزمك من قوة
وحيوية ونشاط لتتمتع بما اعطتك اياه الحياة. سوبر ويت أون مستحضر
مقو للجسم. في بضعة ايام يجعل منك رجل آخر. النساء يكتسبن شكلاً جذاباً بازدياد
وزنهن في الاماكن اللازمة. سوبر ويت أون يباع في كافة الصيدليات

سوبر ويت - اون انتاج د.د.د



أبوظبي : محمد رسول خوري وأولاده
عمارة محمد رسول ص . ب ١٢٦
هاتف ٢٢٥٤٩

دبي : ابراهيم أحمد صديقي
ص.ب ٢١٢٣
هاتف ٢٢١٦٩

قطر : علي بن علي
ص.ب ٧٥ ـ الدوحة ت ٢٦٢٠١

الكويت : أحمد يوسف بهبهاني
ص.ب ٥٦٧ ت ٤٢٧٠٧١

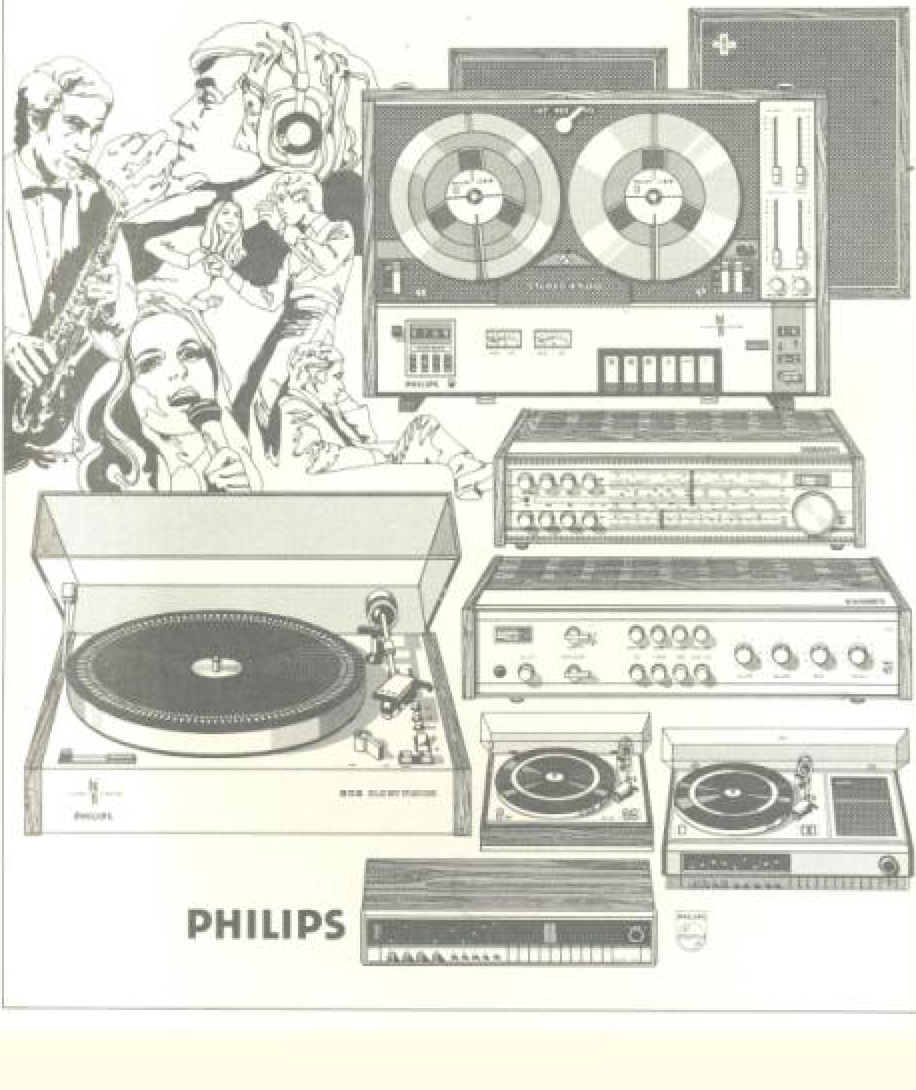
البحرين : بهبهاني اخوان المحدودة
ص.ب ١٦٨ ت ٣٨٧٢

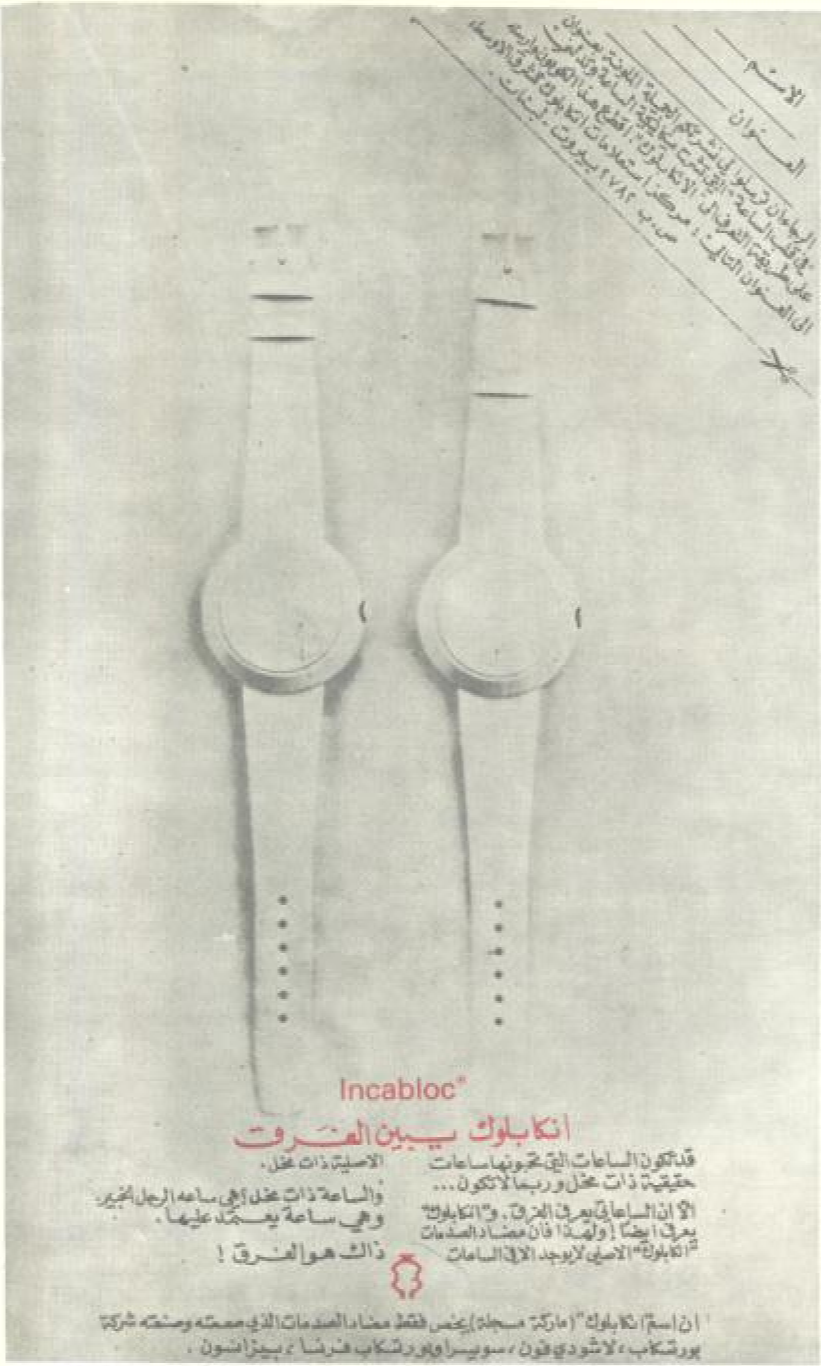
لبنان : مؤسسة جورج أبو عضل
ص.ب ١٣٣٢ ت ٢٥١٢١٥
بيروت

المملكة العربية السعودية :
بجير للساعات والمجوهرات
شارع الملك عبد العزيز ص.ب ٦٨١
هاتف ٥٥٥٣ ـ جدة

فيليبس هاى فاى يقدم لك احلى الموسيقى

تشكيلة فيليبس الهاى فاى الشائعة الانتشار في كل اقطار الدنيا تتراوح بين لاعب الاسطوانات موديل ج أ ٢٠٢ ومسجل الاشرطة موديل ن ٤٥٠٠ ومضخم الصوت موديل ر ﻫ ٥٩١ وضابط المضخم موديل ر ﻫ ٦٩٧ ومكبرى الصوت ذاتي الشكل الصندوقي موديل ر ﻫ ٤٩٦ . كل هذه معا تقدم لك اروع ما يعرفه عالم الصوت ، سواء على الاشرطة او اسطوانات او على الراديو . وكل هذا منطقي ، لان كل افراد هذه التشكيلة هي من انتاج نفس الشركة . . فيليبس . بمعنى ان التصميم والتكنيك متجانسان تماما . ويجد الانسان على كل جهاز من هذه الاجهزة ماركة تحمل كلمات «هاى فاى الترناشيونال» ، لاثبات ان الجهاز الذي يحمل الماركة يملك كل الشروط الدولية المتعارف عليها رسميا . ابحث عن هذه الماركة عند شرائك اي جهاز . انها الضمانة لافضل نوعية في مجال الصوت .





الاسم
العنوان
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحوزونها ساعات
حقيقية ذات محل وربما لا تكون ...
الا ان الساعاتي يعرف الفرق . و"انكابلوك"
يعرف ايضاً ! ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات
الاصلية ذات محل .
والساعة ذات محل اهي ساعة الرجل الخبير .
وهي ساعة يعتمد عليها .
ذلك هو الفرق !
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركة
بورتسكاب ، لاشو دي فون ، سويسرا وبورتسكاب فرنسا ، بيزانسون .

ارويـني
ولكن بهيتاشي



تكييف الهواء شيء ممتاز جميل ، ولكن ليس حين تكون
العملية مضجة . ان ماتحتاج اليه هو مكيف
هواء هيتاشي . مكيف متميز بالهدوء التام . انا أحب
مكيفات هواء هيتاشي لانها هادئة . ولأنها جميلة .
ولأن بامكانك ايضاً ان تركبها وتبقى محتفظاً
بقوة تستنفدها في لهوك ومرحك .
وما هو الهواء البارد اذا لم ترافقه مياه باردة ؟
ان ما تحتاج اليه هو براد الماء هيتاشي . انا أحب هذه
البرادات . لانها معدة على اسس صحية . ولأن
بامكاني ان اعدل برودة الماء كما اريد .
رجاء حقق لي هذا الجميل . اذهب الى بائع
اجهزة هيتاشي اليوم .

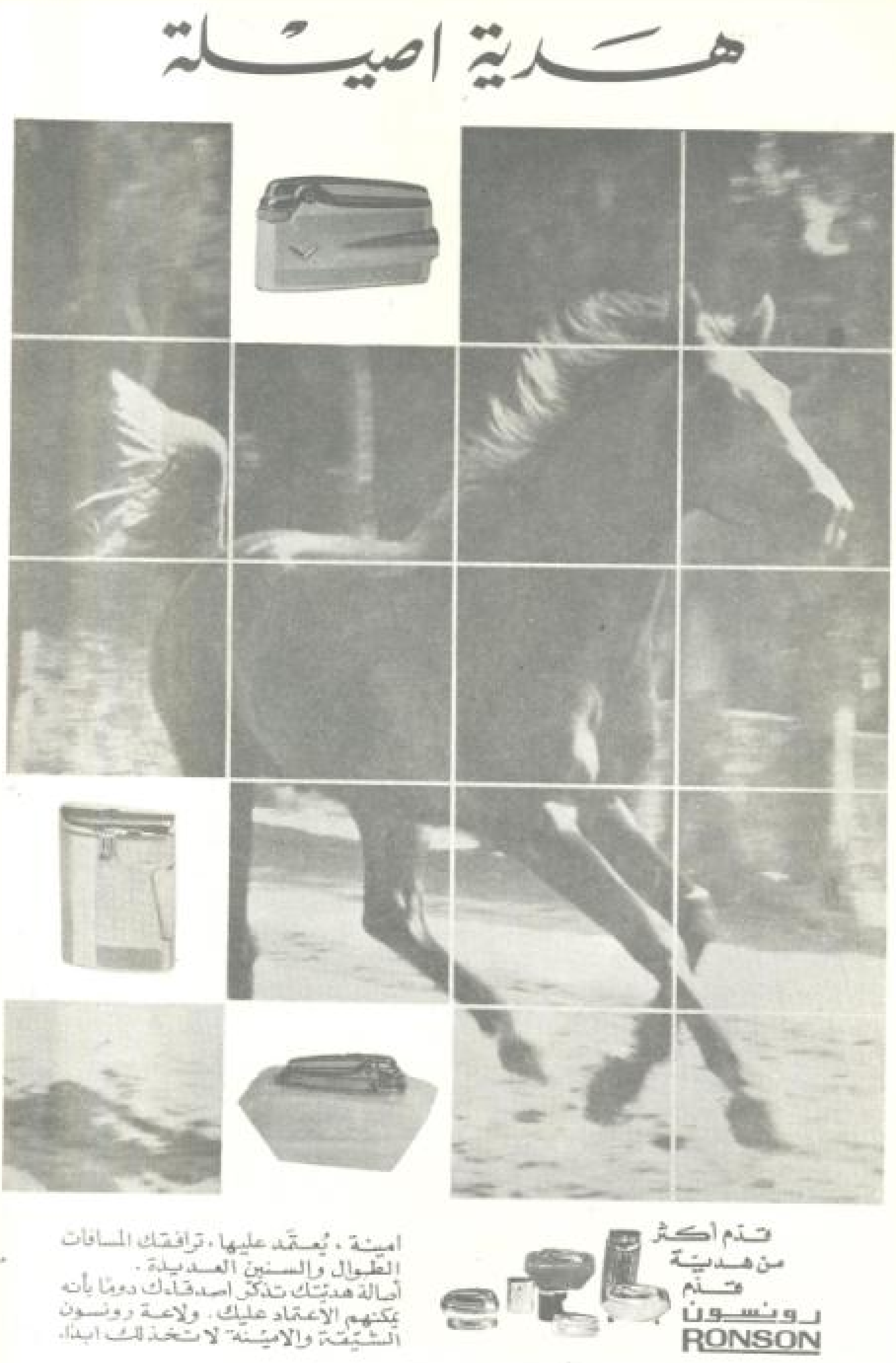
براد ماء
RW-1502



مكيف هواء
RA-184C
16,000 BTU



HITACHI
هيتاشي


هدية اصيلة
امينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات
الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكر اصدقاءك دوماً بأنه
يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون
الشيقة والامينة لا تخذلك ابداً.
قدم أكثر
من هدية
قدم
رونسون
RONSON

ساعات الرايدرز
قوة ، ابتكار من فافرلوبا ـ جنيف

تصميمات فافرلوبا تكون عادة متقدمة لسنوات عديدة عن تاريخ صناعتها . والبرهان على ذلك ، يكمن في هذه النماذج الاربعة . غاية في الاناقة ، وبدون تفاصيل وتمويهات غير لازمة ، نماذج ذات خطوط وطرز تدعو للاعجاب .

سي رايدر
خلقت اعجابا شديدا ووصلت مبيعاتها ارقاما قياسية ، انها اوتوماتيكية باليوم والتاريخ (٣٦٠٠٠ نبضة في الساعة ـ بل انها اكثر دقة) ، جهاز لتعديل التاريخ بسرعة ونظام ايقاف الثانية ، مقاومة كبيرة للماء (١٥٠ قدم) محمية من الصدمات ، غير مغناطيسية .

ميمو رايدر
تجعل ذاكرتك طليقة من اى قيد ، ميمو رايدر ثابتة على رسغك اكثر من ثبات رباط منديلك . حركتها الاوتوماتيكية مع التاريخ بالاضافة الى استنباط الاشارة الصوتية يجعل هذه الساعة واحدة من الخطوات الرائدة في صناعة الساعات في هذا العصر . الميمو رايدر ضد الصدمات، غير مغناطيسية ، تقاوم الماء الى ٩٠ قدم .

سي رايدر II
تحوى جميع صفات وميزات الاتقان التي تتحلى بها السي رايدر ، وموضوعة في غلاف قوى لمقاومة المؤثرات .

سي رايدر II للسيدات .
اناقتها حقيقية بشكلها المصمم للمرأة العصرية .



من فافر لوبا جنيف : مجموعة من ٢٥٠ طراز .
الوكيل العام في الكويت محمد عبدالله شهاب ص.ب (٢٣٨) .
شارع عبد الله السالم ـ تليفون ٤٣٢٢٢٢ شارع فهد السالم ـ تلفون ٤٢٥٢٤١



20 CLASS A
CIGARETTES
KENT
WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER
للتمتع باطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ.
كنغ سايز، دي لوكس ١٠٠ مليمتر و كراش پروف

التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV . قياس ١٢ إنشاً، يستقبل على تردد عالي (VHF) بالأسود والأبيض، ومزود بدارات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صورة نقية متوازنة واضحة ونقية من أي تشويش. اقتصادي، (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط). شاشته مزودة بمصفي خاص ليخفف من عناء العينين. تصميمه رائع ويتماشى مع مفروشات أي غرفة. وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المتردد (١١٠-١٢٠، ٢١٠-٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط). وبهذا.. تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت.. مع **جنرال** - موديل TW-12EV

• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما سببان فقط من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C . طاقته BTU-21,500 تكفي لتبريد أكبر من غرفة. أناقته وقوته متفوقة وتدوم لحياة طويلة. ضوابطه صممت في موضع يسهل معه استعمالها، ومصفاته.. سهلة التنظيف. هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها **جنرال** لتزيد من راحة الإنسان.. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيونها موديل TW-12EV. إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف إلى حياتك نشاطاً نوعياً جديداً...

جنرال GENERAL

الجمهورية العربية السورية: فخورة وشركاه - ص. ب ٩٥٤ - دمشق.
الخليج العربي: ناكو - ص. ب ٦٧٤ - أبو ظبي.
الخليج العربي: شركة الاتحاد التجارية - ص. ب ٢٨ - الكويت.
البحرين: إبراهيم مرهون وأولاده - ص. ب ٦٧٠ - المنامة.
المغرب: سامه الكتروتيك - ١١٤ شارع القاهرة - الدار البيضاء.
ايران: شركة باشت الحديدة - شارع نادر شاه بشارع فرخان رقم ٦ طهران.
ليبيا: نظر عبد الجواد - ص. ب ٢٩٩٤ - طرابلس الغربية.
قطر: محلات الشرقية - ص. ب ١٦٢٠ - الدوحة.
لبنان: معدات الصفات للتجارة - بيروت.
الأردن: عبده نقاوا - عمان.
دبي: ناصر بن عبد الله ومحمد - شركة سند التجارة - ص. ب ٢٠٨٠.

نوعية جيدة من جنرال
تزيدك تسلية وراحة





اذا كنت تريد ساعة قوية
تيسو تقدم لك ساعة PR٥١٦

ان ساعة تيسو PR ٥١٦ صنعت خصيصا للرجل الذى يريد ساعة قوية ولا تبدو كعداد جايجر . مضادة للماء حتى عمق ٣٠٠ قدم وللصدمات ، أوتوماتيكية ، لا تتأثر بالمغناطيس ، مجهزة باليوم والتاريخ ومنها مجهز أيضا بكرونوغراف وجرس منبه .



• أما اذا أردت ساعة تمكنك من الغطس أكثر من ساعة تيسو PR ٥١٦

• فان تيسو تضع بين يديك ساعة T ١٢ المجهزة بطريقة ثلاثية ضد الماء تمكنك من الغطس حتى ٦٥٠ قدم أوتوماتيكية ومجهزة باليوم والتاريخ مثل ساعة تيسو ٥١٦

ان ساعة تيسو PR ٥١٦
وتيسو T ١٢

تشتركان في شيء واحد بينهما وهو "الجودة" التي بنيت بداخلهما والتي جعلت إسم تيسو عاليا وأكثر الساعات رواجا في العالم .

TISSOT

ان تيسو تدعمها خدمة أوميغا / تيسو العالمية

وسيلتان سائغتان للتخفيف والتلطيف من آلام الامساك



إذا كنتم تعانون من الامساك فلا شك في انكم تعرفون تماماً انه يسبب لكم مضايقات شديدة فضلا عن كونه غير صحي . ولذلك يجدر بكم مقاومته باتباع الوسيلة السائغة واتخاذ « بروكلاكس » أو « بونومينت » . وبروكلاكس هو عبارة عن شكولاته مسهلة لذيذة . . . وبونومينت هو المضيغة (اللادن) المسهل اللذيذ المنعش امضغوا « بروكلاكس » أو « بونومينت » قبل النوم . وسوف تحصلوا على راحة تامة عند الاستيقاظ في الصباح . وفي الواقع يخفف « بروكلاكس » أو « بونومينت » الآلام أثناء الليل . وعلى الرغم من انهما لطيفان إلا انهما شديدا الفعالية والتأثير .

بروكلاكس وبونومينت من منتوجات شركة ريكيت وكولمان



الــرفيــق لــوقــت الضيق
جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-410"

هذا هو جهاز الراديو FM-MW-SW / المسجلة كاسيت للذين يحبون الاستمتاع بالالحان الشجية.
فهو يلتقط اكثر الموجات القصيرة شعبية (٤ الى ١٢ ميغاهرتز)، بالاضافة الى الموجة المتوسطة وموجة FM التي تضم مفتاح AFC لالتقاط حساس حر من الانحراف. وهو شيء حيوي عند تسجيلات الاذاعات على هذه الموجة الحساسة للغاية.
وتصدر الاصوات عن الراديو والمسجلة كاسيت بواسطة مكبر اصوات نشيط قطره ١٢ سم، مركب في الجهة الامامية لمزيد من الجودة الصوتية. الطاقة القصوى: ١٫٥ وات.
اما خصائص المسجلة الكاسيت فانها تشمل التوقيف الأوتوماتيكي، وضابطة "سوني - او - ماتيك" لتعديل مستوى التسجيل أوتوماتيكيا، ومنظم الأصوات المتعدل دوما، ومايكروفون ضمني بمكثف الكتريت، وقابلية العمل على التيار المتناوب، والبطاريات، والخلية الصالحة لإعادة التعبئة، وبطارية السيارة او الزورق. بالاضافة الى العديد من الأشياء الأخرى المناسبة التي توفر من الوقت والمشاكل.

جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-410"
الرفيق لوقت الضيق.

انه أفضل... لانه من صنع سوني

SONY سوني



رفيـــقك في تنقلاتك :
جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-450"

هذا هو جهاز الراديو FM-AM / المسجلة كاسيت للذين يودّون استعماله وهم متنقلون!

ففيه خاصية سوني "سونيك-بالانس" التي تعني بأنك تستطيع تسجيل الأصوات والاستماع الى تسجيلاتك وأنت تمشي او تركض في الطريق، وستكون الأصوات المسجلة ثابتة دائمًا وواضحة.

وفيه أيضًا خاصية للتوقيف الأوتوماتيكي عند انتهاء الشريط، ومايكروفون ضمني بمكثف الكتريت، وضابطة "سوني - او - ماتيك" التي تعدل الأصوات المرتفعة والمنخفضة أوتوماتيكيا. وباستطاعتك أيضًا ان تعدل مستوى الأصوات الى اي ارتفاع تريده.

اما جهاز الراديو FM-AM الدقيق، فانه يضم مفتاح AFC الذي يمنع الانحراف الصوتي عند اشتغال موجات FM لمزيد من الوضوح والنقاوة عند الاستماع اليه.

جهاز CF-450 يعمل على التيار المتناوب (مع منتخب خاص لثلاث طاقات من التيار الكهربائي)، والتيار المتواصل من البطاريات، والخلية القابلة لاعادة التعبئة، وبطارية السيارة أو الزورق. طاقة القصوى: ١،٥ وات.

جهاز الراديو / المسجّلة كاسيت "سوني CF450" رفيقك في تنقلاتك.

انه أفضل... لأنه من صنع سوني

SONY سوني

عندما تدخل الفائدة في الحساب..

لومبارد نورث سنترال يقدم تشكيلة واسعة من الحسابات

٨½٪

حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للودائع

تربح نقودك بنسبة ٨½٪ سنويا مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر. يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة

٨¾٪

ودائع ذات دخل شهري

الحد الأدنى للودائع ٢٠٠٠ جنيه

الودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه أو ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة، تربح فائدة بنسبة ثابتة قدرها ٨¾٪ في السنة تدفع شهريا دون حسم أي ضريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد منتظم. يمكن ايداع مبالغ لمدد أطول، وتعطى تفاصيل الفائدة الثابتة لدى الطلب.

٩٪

ودائع زمنية

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة تربح فائدة بنسبة ٩٪ سنويا تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. وهنالك فوائد بنسب جذابة أخرى لمدد ثابتة طولها ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات.

لومبارد نورث سنترال ليمتد هو من أعضاء مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها مع الاحتياطي على ٣٨٣ مليون جنيه استرليني. فتح الحساب هو في غاية البساطة. أكتب الآن الى مدير حسابات الودائع للحصول على تفاصيل هذه الحسابات ونسخة من كتيب الودائع رقم 182A

Lombard North Central

Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4111
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111

Branches throughout Great Britain – Depositors throughout the World

أجزاء "آكاي" الأستريوفونية مصمّمة لتحقيق الجَودة وتعَدّد الأسْتعمَال وَالدّقة في نقل الأصْوات



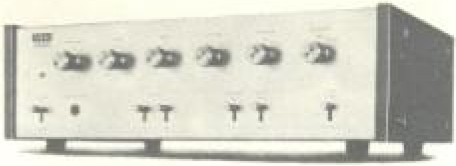
GXC-46D



AP-004



SW-35



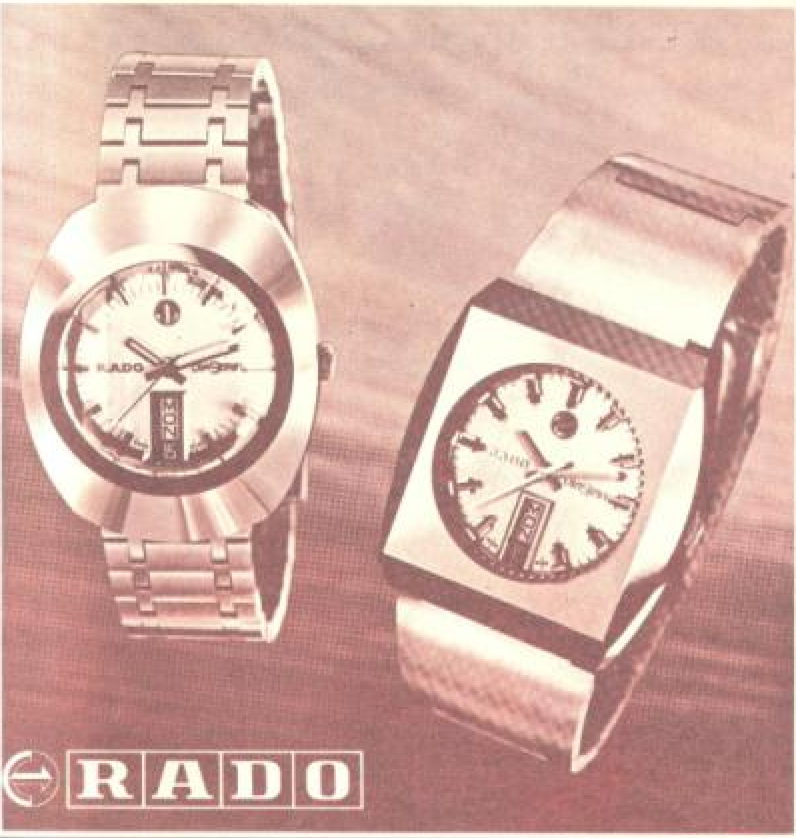
AA-5200

لامجال اطلاقاً للخطأ اذا كان الجهاز من صنع "آكاي"... فمن أجود أنواع المسجلات الاستريوفونية "دلك" بالكاسيت الى المضخمات المتقدمة الرئيسية بالترانزستور الى الاجهزة الدقيقة المكبرة للصوت من الطراز المعروف بالتيار المتدفق الى افضل انواع اقراص الاسطوانات الدوارة.

Audio & Video

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan



رادو

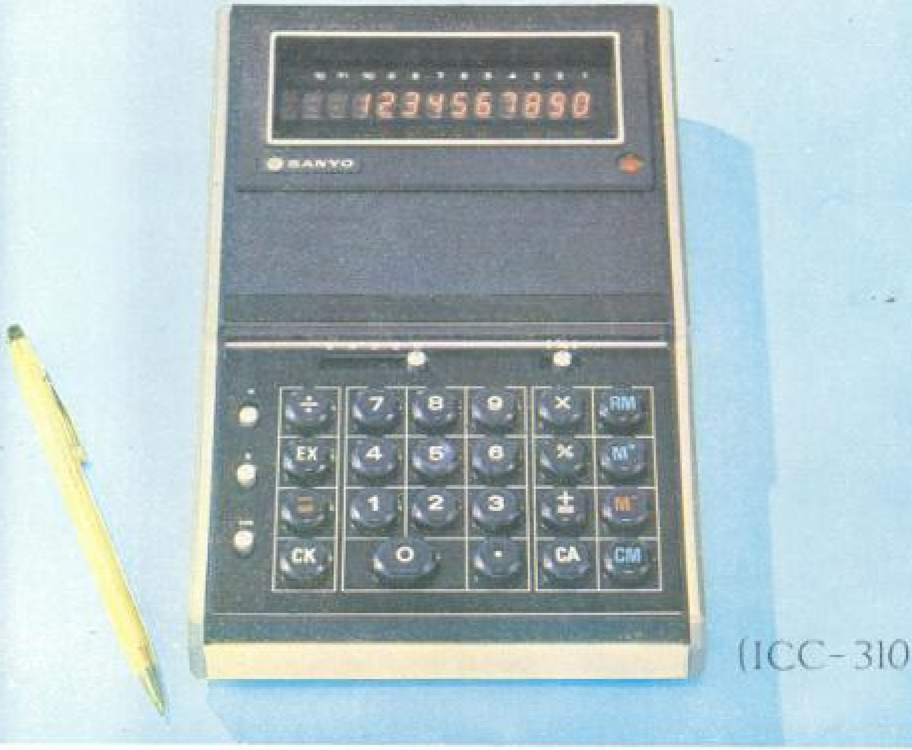
الساعة الوحيدة
في العالم
الغير قابلة
للخدش

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر
PM INC
VENI·VIDI·VICI
FINE TOBACCOS
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
مارلبورو
رمز الجودة
A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

علامات مميزة
أضيفت على إنتاجنا الجديد
لتضاعف أرباحك



(ICC-3101



ز (ICC-3101) يحتوي على مؤشر
ص ليحل بلمسة واحدة مشاكل
ية المئوية ، وباستطاعتك
طة محول آخر معالجة الكسور
برها ,, الكسور الأقل من النصف
ف ، الكسور الأكثر من النصف تساوي
ند ,, وبذلك تحصل على نتائج خالية
لمشاكل الحسابية .
خفيف الوزن ونقال ولكنه جهاز



ذو ذاكرة مستقلة ، إذ أنك تستطيع أن تضيف
أو تطرح من الأرقام المخزونة في الذاكرة .
١٢ خانة ظاهرة على عداد الجهاز ، لكن
الأرقام تصل أحياناً إلى ٢٤ .
إنه يعمل بالبطاريات التي
يعاد شحنها أو على التيار
الكهربائي .
إختصروا الوقت في عملياتكم
الحسابية ووفروه لجني أرباح أكثر مع سانيو

SANYO سانيو

AAA/K-5/73

العربي

العدد ١٧٩
رمضان ١٣٩٢
اكتوبر
(تشرين اول) ١٩٧٣



بنت السويداء تحمل الماء في جبل العرب

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريال ق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس ب	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



من سلسلة لوحات
الفنانين العرب

«« منائر وقبب »»

لوحة زيتية
للرسام محمد علي شاكر
من العراق

الانفتـــاح على الدنيـا

● يتحدث العرب اليوم عن شيء جديد اسمه الانفتاح على الدنيا .

وهم يتحدثون عن الانفتاح على الدنيا بعد أن انفتحت الدنيا بعضا على بعض . كانت الدنيا مغلقة . باب" شرقى مغلق على أمم الشرق من أوروبا اتسمت بالمذهب الشيوعى . وباب غربى مغلق على امم الغرب من أوروبا وامتدادها فى الولايات المتحدة ، اتسمت جميعا بالمذهب الراسمالى .

وكان بين الجانبين صراع" عقائدى ، وصراع صناعى ، وصراع حربى ، وحرب باردة ، ظلت تضطرم لسنوات . ثم خمدت نار'ها فجاة بسبب اتفاق سلام ، أمضته روسيا وتوابعها طرفا أول ، وأمضته الولايات المتحدة وتوابعها طرفا ثانيا .

وكان من مظاهر هذا الانفتاح ، التبادل التجارى الهائل بينهما ، وسوف يزداد على السنين . بلايين الدولارات تسير من شرق الى غرب, تجارة" ، وبلايين الدولارات تسير من غرب الى شرق, تجارة" . وفتحت روسيا أبوابها المصيئة للمستهلك من مصنوعات امريكا . ولم تخش أن يقول شعبها ان اشياء الحياة تحت النظام الراسمالى أمتع منها تحت النظام الشيوعى ، بل كدت اقول ان روسيا أصبحت اليوم لا تبالى بالشيوعية أن ينهار منها جدار .

والصين كان لها فى هذا الانفتاح نصيب كبير . كان مكانها فى جدول الأمم التى تتجر مع الولايات المتحدة فى ذيل القائمة ، فاذا بها تقفز فتحتل المكان الثانى ، وتبلغ تجارتها هذا العام' مع الولايات المتحدة الف' مليون دولار !

انفتحت الدنيا وتم انفتاحها .

ولم ننفتح نحن بعد ، ولكنا والحمد لله بدأنا نفكر فى انفتاح .

انه الصبر . والمعروف ان الحكمة' فى الصبر والتانى ، فان سبقت التهلكة ، فحالت دون الوصول الى النتائج المر'ضية ، فى هذا وفى الكثير من أمثاله ، فهذا قدر الله ! ●●

المحـرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 179 October 1973 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● المياه .. كانت دائما المشكلة التي عانت منها محافظة السويداء .. وكانت الفتيات وما زلن يحملن جرارهن المصنوعة من الصفيح ، ويذهبن بها الى حيث تخرج الماء من الينابيع الصغيرة النادرة فيملأنها ويعدن بها الى بيوتهن .. اما اليوم ، فقد حلت ازمة المياه او كادت .. وارتوت السويداء وقراها من بعد عطش، وعادت الحياة الى جبل العرب من بعد طول نسيان ..

(اقرأ الاستطلاع ص ٧٦)

سياسة واقتصاد :

فلسفة :

ركن الأسرة والمرأة :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

شعر وشعراء :

كتب :

قصص وقضايا :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى ، وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص.ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



بريد القرّاء ومعرض آرائهم

العلم .. العلم

● انني من قراء مجلة « العربي » الحبيبة الدائمين ولكن الموضوع ، انني وجدت العدد الاخير من العربي ، عدد شهر مارس يكاد يخلو من المقالات العلمية .. اننا لا نحتاج الآن الى الادب والشعر والتاريخ مثل حاجتنا الى العلوم ، من علم الأحياء ، النبات والحيوان والكيمياء والفيزياء .. الخ .

ارجو منكم أن تهتموا بالمقالات العلمية ولكم مني جزيل الشكر والامتنان .

خالد الخليفة المنامة ــ البحرين

منجزات الوطن العربي

● في كل مرة تطلع علينا العربي القراء باستطلاعات خاصة عن الجديد في الكويت ومعاهدها ومنجزاتها الثقافية والعمرانية والحضارية ؟ لماذا لا تنتقل عدسة العربي الى كل المنجزات في شتى انحاء الوطن العربي ؟

محمد الرقيوق ــ تفشاون ــ المغرب

العربي : هذا ما نفعله في استطلاعاتنا خارج الكويت .

يطلب مقالا عن العقول الالكترونية

● الف تحية صادقة من كل القلوب التي تفخر بانها تتلمذ في رحاب « العربي » .

انني انتهز هذه الفرصة لاتقدم برجائي اليكم ان تكتبوا مقالا باسلوبكم المعهود عن العقول الالكترونية بعد ان اصبحت اداة من ادوات تكنولوجيا العصر التي يقاس بهما تقدم الامم .

مصطفى محمد ياسين
الزرقاء ــ الاردن

اصدروا فهرسا عاما للعربي

● أضم صوتي الى الاصوات القائلة باصدار فهرس عام للعربي ، يحوى جميع المقالات والموضوعات التي نشرت في المجلة منذ صدورها فالعربي بالنسبة لنا ليست مجلة علمية ثقافية فحسب ، بل هي موسوعة زاخرة بشتى الوان المعرفة . واذن فلا بد من وجود فهرس ، يمكننا من العودة الى ما نريد أن نعود اليه في سهولة ويسر ، كما هو الحال مع كل موسوعة وكل مرجع.

« قبياش » فاس ــ المغرب

عدد صفحات الكتب الجديدة

● يسرني ان اتقدم بهذا الاقتراح المتواضع وهو يتعلق بباب (من الكتب التي وصلتنا) اقترح عند نشركم اسم الكتاب ومؤلفه والناشر والمطبعة .. ان تضيفوا عدد صفحات الكتاب المقدم وهذا لن يكلفكم من حيز المجلة كثيرا .

ان التعريف بعدد صفحات الكتاب يفيدنا نحن اصحاب المكتبات بصفة خاصة والقراء بصفة عامة.

جعفر محمد السقاف/سيؤن م/الخامسة/اليمن الجنوبي

تحية عربية لموقف الكويت

● نحن نعلم ما للكويت من اهمية كبيرة في دعم معركة الصمود والثوار والدول المقاتلة ونحن نعلم ونعلق الامل الكبير على الكويت ذلك البلد العظيم المخلص الوفي لامته ، في التقاء الكلمة وذوبان الحدود المفرقة وتجمع كلمة شعوب العرب وتعاونها الطيب المفيد . وكذلك كانت للكويت نظرة انسانية تجاه اسر المستشهدين في معارك النضال ، فقد آوتهم وحمتهم بعطف كبير يشهد له الجميع منا .

بورك في الكويت وفي شعبها وفي اميرها وحكومتها.

اخيكم العربي ، الوفي « ابو ظبي »

((اقتصادنا)) كتاب جدير بالقراءة

● كنت أطالع مجلة « العربي » العدد (١٦٤) تموز ١٩٧٢ وقد وقفت عند مقالة الدكتور محمد شوقي الفنجرى عن « الاقتصاد الاسلامي » لقد تحدث الدكتور عن واقع يترك في نفس المسلم الما اليما . وكشف عن اغفال واهمال لجانب رائع وقويم من الدين الحنيف وهو نظامه الاقتصادي .

واني اود ان اعلن للدكتور الفاضل ولكل ساع لدراسة كاملة وعميقة عن الاقتصاد الاسلامي ومقارنته بالنظم الاقتصادية المادية والراسمالية ، ان يطالع – بحرص – كتابا يعد بحق من اروع ما كتب في هذا المجال في عصرنا هذا وبقلم عقل كبير نضج الدين في تفكيره وسلوكه حتى صار حجه في عمله وتقواه .

اما الكتاب فهو كتاب « اقتصادنا » وهو يقع في ٦٩٤ صفحة وفي جزئين .

ولقد طبع ثلاث مرات آخرها في بيروت واصدرته دار الفكر سنة ١٩٦٩ . واما المؤلف فهو قمة من قمم جامعة النجف الاشرف/وهو السيد محمد باقر الصدر .

القارىء عبد الكاظم مجلي
كوت/العراق .

السمكة العجيبة عروس البحر

● فاجأتنا الصحف اليومية ذات يوم من شهر ابريل الماضي بنبأ اصطياد عروس البحر على شاطىء الحديدة ، في جمهورية اليمن العربية . وذكرت الصحيفة ان عروس البحر المذكورة كانت بصحبة عريس البحر الذي تمكن من الهرب لدى اصطياد عروسته .

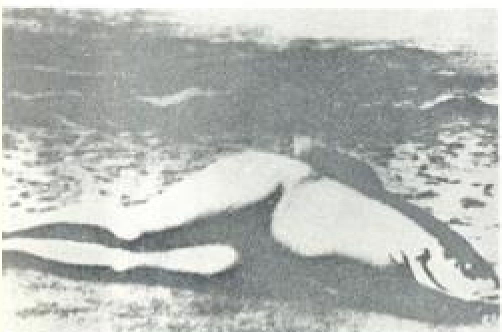
والعروس الجديدة تشبه عرائس البحر القديمة وتختلف عنها . تشبهها في انها سمكة وامراة في آن واحد ، وتختلف عنها في كون الجزء البشرى منها هو نصفها الاسفل لا الاعلى . وفي هذا الاختلاف ضمان لبقاء النوع ، على ما يبدو ...

نرجو اعطائنا رايكم في الموضوع وشكرا .

......

العربي : لقد كتب الينا ثلاثة من القراء عن السمكة التي تذكر ووافونا بصور فوتوغرافية لها بقصد الاشتراك في زاوية المواهب الفنية . والقراء الثلاثة كلهم من اليمن . الا ان الصور الثلاثة غير واضحه ولا تصلح لزاوية المواهب الفنية اطلاقا .

ثم أن العلم لا يعلم بمخلوق نصفه الأعلى من طائفة من الحيوانات والنصف الثاني في طائفة أخرى . وعروس البحر التي ذكرتموها ، جمعت بين النصف الاعلى وهو من طائفة الاسماك ونصف أدنى هو من الانسان ، اي طائفة الثدييات . وبين هاتين الطائفتين اختلاف بالتشريح واختلاف في الاعضاء ووظائف الاعضاء لا تتسق معه حياة . من ذلك مثلاً أن النصف الأعلى أداة تنفسه الخياشيم والنصف الأدنى اى الانسان ، لايأتلف الا واداة التنفس الرئات وقل مثل هذا في سائر الاجهزة ، من جهاز هضمي ، فجهاز دوري الى آخر ما هناك .



قانون الطبيعة

غذى حركات التحرير فى كل القرون

بقلم رئيس التحرير

■ التاريخ له شان فى الحياة عظيم .

والتاريخ قد يكون بالأمس القريب ، وقد يكون بالأمس البعيد، وهو يتسلسل على الأيام، ويزيد الانسان فهما للأحداث، وللأشخاص ، وحتى للفكر والعادات ، اذا هو اخذ يتفهمها بان يسايرها من حيث بدات الى حيث انتهت .

والأشياء نعهدها اليوم ، ونالفها آلفة الشىء الدائم الذى ما تغير ، بل وما جاز له ان يتغير ، فكانه الشمس اذ تطلع ، لا بد ان تطلع بنفس الاشراقة التى تطلع بها كل صباح ، او كانه الليل الذى لا بد ان ينعتم بمثل الاعتام الذى يخيم على الأرض وأهل الأرض كل مساء . وفكرة الدوام والاستدامة يصحبها دائما معنى الصحة ، ومعنى الصواب، ومعنى الحق. والعقل الانسانى دائما يربط الشىء الدائم بحق له فى البقاء لا يرقى اليه بين الناس خلاف او نزاع .

ومن الشئون الانسانية ذات الخطر الكبير ، التى يتساءل عنها الناس ، تنظيم العيش بين الناس على سطح هذه الأرض ، كيف بدأ .

اما كيف انتهت اليه امور الناس فى هذا الصدد ، فى هذه الأيام الحاضرة ، فهذا من بعض علم الناس الشائع .

واذ بلغ بنا الحرج حده فى الحديث عن ملابسات فى الناس حاضرة ، فقد يتسع الحديث فى ملابسات فى الناس ماضية غابرة .

الانسان فى عصوره الأولى

لا يستطيع احد ان يقول من ثقة كيف كان الناس فى عصورهم الأولى ، عصور ما قبل التاريخ . ولكن الانسان اوتى من الفكر ، ومن قوة الخيال ، ما يستطيع به ان يتصور حالا للانسان وقع فى تلك الأزمان الغابرة البعيدة،حين الناس كانت قلة ، وحين مجتمعاتهم كانت صغيرة ، وكانت متناثرة ، وحين المجتمع الصغير بسبب صغره ، والقربى القريبة التى لا بد قامت بين اهله ، كان مجتمعا يسوده السلام . ان امر اب،اطاع ولد، أو نهت ام، استجابت لها الفتاة . وبانت وجوه النفع فى هذا المجتمع الصغير ، وبانت وجوه الضر ، فعمل الجميع على استجلاب النفع ، ودفع الضر . والنتيجة انه ساد فى هذه المجتمعات السلام ،ومع السلام الرضا .

وشىء آخر غير السلام والرضا ، ان كلا ، فى تلك الحدود ، كان يفعل ما يشاء، فلم يكد يوجد فى هذه المجتمعات مانع او غاصب .

الحالة الطبيعية

هذه المجتمعات القديمة ، التى كانت بلا حكومة ، خالها الفلاسفة ، وخالها علماء التاريخ ، فقالوا انها عاشت فى « الحالة الطبيعية » Natural State

والحالة الطبيعية هى ما وصفنا : حياة لا ينتظمها حكم،ويسودها السلام ،وفيها يعمل كل على هواه فى حدود النفع العام.

القانون الطبيعى

ولكن كيف تكون حالة من العيش ،بين قوم كانوا ما كانوا ، دون نظام يسودها ؟ ودون قانون يقودها ؟

قالوا : ان النظام غير الحكومة ، والنظام قد يسود الاسرة فى بيتها وليس فيهامن رجال الشرطة أحد .

اما القانون ، فقالوا انه كان القانون غير المكتوب ، وسموه « قانون الطبيعة » Natural Law .

الرواقيون وقانون الطبيعة

اما الرواقيون ، فقبيل من فلاسفة اليونان اعتنقوا فلسفة وضع اسسها الفيلسوف اليونانى زينون ، وهو عاش فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ،واوائل القرن الثالث ، ولد فى جزيرة قبرص ، وتعلم فى اثينا ، وعلم فيها اكثر من خمسين عاما . وسميت فلسفته بالرواقية Stoicism لأنه بدا يدرس اصولها لتلاميذه تحت رواق Stoic فى اثينا . والرواق سقف فى مقدم البيت .

واشتهرت الرواقية بنظرات فى الخلق والخالق .

فحياة الرجل الفرد عندهم ليس فيها من الخير غير الفضيلة . ولا قيمة للصحة، ولا للسعادة ، ولا لما يمتلك الانسان الى جانب الفضيلة . وبما ان الفضيلة مقرها فى الانسان ارادة ، فكل شىء يحمد او يذم فى الانسان انما يتوقف على نفسه هو . وقد يكون من اهل الفقر ، ومع هذا يظل بالفضيلة ذا فضل . وقد يودعه الحاكم الظالم السجن ، ومع هذا يظل يحافظ على العيش فى انسجام مع الطبيعة . وقد يحكم عليه بالموت ،



زينون

ومع هذا يتقدم الى الموت مرفوع الراس، بمثل ما مات « سقراط » .

ودخلت الرواقية روما ، ومازجت المسيحية دهرا . مازجتها بعضَ وجوهها . وبقى تأثيرها ، كما ذكر العارفون ، يعمل حتى وصل الى شكسبير الانجليزى ، وكورنى Corneille الفرنسى ، وشلر Schiller وكنط Kant الالمانى .

وقامت الثورة الفرنسية فوجدت الرواقية ، أو وجد بعضَ ما اعتنقت من الآراء ، وجد سبيله الى بعض رجال هذه الثورة .

الرواقية والقانون الطبيعي

والذى يهمنا من أمر الرواقية هنا انهم ، فى الفكر الاغريقي القديم ، كانوا اول ما جاءوا « بالحالة الطبيعية » التى عاش عليها الناس ، فى سلام ، قبل ان يكون حكم ويكون حكام ، وجاءوا « بالقانون الطبيعي » ، ذلك القانون غير المكتوب الذى ظلل اولئك الاقوام به فى سعادة ووئام .

قالوا ، ونحن انما نذكر ما قالوا : « ان الله ليس بالشىء الذى هو بمعزل عن الدنيا . انه روح هذه الدنيا ، كل منا به قبسٌ من تلك الشعلة المباركة . وكل الاشياء انما هي اجزاء من نظام واحد ، ذلك النظام الذى اسميناه بالطبيعة . وكل حياة انما تكون خيرا عندما تجرى مع الطبيعة، فى تسق واحد ، لأن ايجاد هذه الحياة انما تم وفقا لقوانين الطبيعة » .

فالطبيعة كانت خيِّرةً فى ايجاد الانسان ، وهى كذلك خيِّرة بعد ايجاده .

فالانسان لا يحتاج للعيش فى غبطة وراحة وعدل بين اخوانه الا الى ان يردّ نفسه دائما الى ما يعتمل فى نفسه من قواعد الطبع الخيِّرة .

ولقد قرات لمن وصف هذا الحال الأول من الحكم بانه « الفوضى الخيرة » .

القانون الطبيعي والقرون الوسطى

لفهم العقل الاغريقى فى الكثير من آرائه لا بد ان ندرك ان المنطق الاغريقى كان من النوع الاستنتاجي الاستدلالى Deductive Logic . فهو يبدأ باصول يراها ثابتة واضحة مستقرة كاستقرار الصخر فى الارض ، لا تحتاج الى برهان او بيان، ثم هو ياخذ يبنى عليها .

انه يبدأ بالفكرة يراها أصيلة الكيان، وجذورها فى الفطرة عميقة ، وهى بعض الجبلّة وبعض الطبع والسليقة . وعلى هذه الفكرة يأخذ فى البناء .

ومن هذه الفطرة التى فطر الله عليها الناس :

تلك التى أسماها الرواقيون « **بالحالة الطبيعية** » و « **بالقانون الطبيعى** » .

ومنها استخرجوا أشياء عن الحكم،من أولها تحرّر الانسان من الظلم،وأن الناس انما خلقوا سواسية . ومساواة الناس فى تلك العهود كانت على ما يظهر شيئاً غير معهود ، لا سيما فى أثينا ، وقد كانت موطن الأحرار وموطن العبيد .

الامبراطور الفيلسوف والمساواة بين الناس

ومن الاغارقة انتقلت الرواقية الى الرومان ، وما قالت عن الحكم والحكام ، وما استجدته من الحال الطبيعية للانسان .

ونراها فيما نرى ، فيما كتبه الامبراطور **ماركس اوريليوس** Marcus Oureiius فيما يختص بالحكم وحقوق الانسان .

تولى ماركس حكم الرومان من عام ١٦١ بعد الميلاد الى عام ١٨٠ . ونشأ معتزلا حياة الترف . وقام على تعليمه مدرسون كفاة ، سقوه من الفلسفة ، ومن الفكر الرواقى ، الشىء الكثير . فلما تولى الحكم كان على غير ما عهد الناس فى ذلك الزمان من حكام . وسوّد العقل، وسوّد الخير ، وجاهد ليذهب عن الناس بالجهل الذى يقبع وراء الخوف والشهوة وصنوف المآسى والأحزان . وأحبه الناس ، حتى المسيحيون من قومه ، وقد وقف هو عند ابواب المسيحية يتنازعه الشك واليقين .

وكتب ، وهو فى ساحة القتال ، كتابه الشهير . انها التأملات Meditations التى حوت من آرائه الشىء الكثير .

وفى تأملاته ظهرت نزعته الرواقية خير ظهور ، كما ظهرت فى حياته ، وفى سائر أعماله وتصرفاته . ووصف الدولة الحميدة فى تأملاته بأنها الدولة التى يكون فيها القانون الواحد للجميع ، وللجميع الحقوق المتساوية، وكذلك حرية القول، وبها الحكومة التى تحترم كل الحريات لكل المحكومين .

وصف للدولة ما كان يمكن ان يتحقق فى الامبراطورية الرومانية . وكان وصفا

ماركس اوريليوس



سابقا لزمانه ، ومع هذا ، قال المؤرخون انه كان له أثره الواضح فى التقنين الوضعى ، فارتفع بقيم النساء والأرقاء.

القانون الطبيعى
فى القرون الوسطى من أوروبا

ان القانون الطبيعى لم يمت ابدا .

وجاءت النصرانية فدخلتها . قال الكاتب الفيلسوف برتراند رسل Bertrand Russell ، « ولكن بعد ان لبث ثوبها وتزيى بزيها » .

توماس اكويناس



ولعل بقاءه ، وحرص الناس على استبقائه ، انه كان فى تلك الأزمان لسانا للحرية عزيز المنال .

ونذكر مما احبوه وذكروه رجل القرون الوسطى الضخم توماس اكويناس Thomas Acquinas (١٢٢٥ – ١٢٧٤ م) الذى كان اذا قال فى عالمه المسيحى اسمع . ومات فجعلته الكنيسة قديسا . مارس الفلسفة ولكنه أخضع الفلسفة للدين . وهو كاد أن يلحق ابن رشد فى حياته، ومع هذا فقد كان له ، وقد سبقه ابن رشد بالرحيل عن دنياه ، كان له معه نقاش فيما ارتأى من تفسيره لفلسفة ارسطو وحوار .

قال اكويناس :

كل قانون يصنعه الانسان ، لا يكون له من صفة القانون ، الا بالقدر الذى يستمده من قانون الطبيعة . فاذا هو تعارض معه فى اى نقطة ، لم تعد له صفة القانون . انه اذن قانون زائف .

قانون الطبيعة
فى القرن السابع عشر والثامن عشر

اشتهرت الثورة الفرنسية بانها الثورة الكبرى فى العهود الحديثة لنيل الحرية.

وهى بهذا غطت على ثورة سبقتها بنحو قرن كامل ، تلك الثورة الانجليزية، وهى الأخرى قامت فى عام ١٦٨٨ م دفاعا عن الحرية ، حرية الحكم ، وسيادة الشعوب فى أوطانها .

وكان من رجال الفكر فى ابان هذه الثورة ، والفلاسفة الذين شاع ذكرهم وشاع ، الفيلسوف الانجليزى جون لك John Locke . وما كادت الثورة الانجليزية أن تنتهى ، حتى نشر « لك » رسالتيه، وكلاهما فى الحكم والحكومات. فى الرسالة الأولى شجب ما كان يدعيه

الملك الراحل من حق فى حكم البلاد بتفويض من الله ، وفى الثانية جاء بأصول الحكم والحكام ، وعلى اى أساس تبنى . ورد الأساس الأول فى سياسة الدول والمجتمعات الى قانون الطبيعة وما تضمنه من حقوق .

وصف « لك » الحال الطبيعية لبنى الناس قال :

« ان الناس تعيش فيها وفقا للعقل ، وبدون رأس من فوقهم لأحد من أهل الارض ، الا من سلطة تقضى بينهم عند الخصومات » .

فهو ادخل فى الحال الطبيعية لبنى الناس شيئين: العقل ، وسلطة القضاء.

فالمجتمع الذى اراد « لك » ، واراده من قبله جماعة الرواقيين، لم يكن مجتمعا صاخبا مشاغبا ، فيه طمع واعتداء . وانما كان مجتمعا لا شرطة فيه ولا سجون . وقد يوصف لذلك بانه مجتمع الفوضى ، لأنه ليس فيه ما ينظمه ، ولكنه مجتمع فوضى يتألف من عقلاء فضلاء .

وزاد « لك » وصف ما عنى من منافع الحال الطبيعية للناس قال :

« اذا أردنا أن نفهم القوة السياسية ، فهما صحيحا، وأن نستمدها من اصولها الحقة ، يجب ان ننظر فى الحال التى يكون عليها الرجال وهم على الطبيعة . انهم عندئذ يكونون فى حال يستطيعون معها ان يقوموا بأعمالهم وان يتصرفوا باملاكهم واشخاصهم على الوجه الأنسب الذى يرونه، وذلك فى حدود القانون الطبيعى، أى بدون استئذان احد ، او الاعتماد على مشيئة احد . انها حالة تسود فيها المساواة ، تتوزع فيها القوى والحقوق بالعدل ، فلا يأخذ رجل فوق رجل آخر شيئا . وليست الحالة الطبيعية بحالة اباحية واستباحية ، وانما هى حالة طبيعية يحكمها قانون طبيعى يحرم على الناس الفساد والافساد » .



جون لك

قانون الطبيعة
غذى حركات التحرير فى كل القرون

وان سكت الناس عن قانون الطبيعة ، بحسبانه اسما يذكر ، فما سكتوا عما تضمنه من معانى للمساواة والحرية بحسبانهما شيئين لزما المجتمع الانسانى من يوم كان . فترى اثر هذا القانون فى الثورة الفرنسية ، ونراه فيما تلاها من ثورات للسيادة القومية. وحقوق الانسان التى نتحدث عنها اليوم ما كان لها فى التاريخ من سند الا هذا القانون ، قانون الطبيعة ، قانون المجتمع الأول .

القانون الطبيعي ومجتمع الانسان الأول

وهنا يقف المرء يتساءل عن حقيقة هذا المجتمع الانساني الأول ، هل كان حقا في التاريخ مجتمع كهذا .

يرى الفلاسفة والمؤرخون ان هـــذا المجتمع المزعوم ما كان الا صورة مما خال الانسان الحاضر ما كان عليه مجتمـــع الانسان الغابر من حال . فهو نسيـــج الخيال . ولكنه نسيج من وعى الفطـرة الانسانية ، والمعاني الخافية الوجدانية . فان لم يصح وجود مثل هذا المجتمع ، فقد صح ما خالت الفطرة انه لا بد موجود هناك حقا وصدقا لو كان لهذا المجتمع وجود .

ان الانسان يميل بفطرته المنطقية ، ان يرد كل معتقد يعتقده الى أصول عقلية مرضية . ولكن كثيرا ما تقوم فطـــرة الانسان الساكتة الصامتة بالحكم الساكت الصامت الذى لا تسبقه حجة . ومـــع هذا يستقر في النفس مستقر الصخر في الرمل . امور كثيرة تؤمن بها أوثق الايمان ويعوزنا الدليل عليها .

نحن نؤمن بان الناس اخوة ، ووجب ان يقوم بينهم التراحم .

ولكن ، ما دليلنا على انهم اخوة ، وانه وجب بينهم التراحم ؟

ونحن نؤمن بأن اعطاء الفقير من فضل ما عندنا خير .

ولكن ، ما الدليل على أن هذا خير ، وانت قد تحبس مالك عن الفقير فيكون فيه النفع لك ؟

ونحن نقول من الاثم ان يقتل الشبان الأشياخ اذا هم عجزوا عن عمل .

ولكن ما دليلنا ، وظاهر هذا العمل فيه كسب لقوم ؟

دليلنا في كل ذلك الفطرة . الفطرة التى فطر الله الانسان عليها . انهـــا فوق المنطق ، وفوق الحجة ، وفـــوق النقاش .

وكذلك ما اســـتنتجه الرواقيون ، واستنتجه من بعدهم الفلاسفة الآخرون ، من حال للانسان طبيعية زعموها ، من حرية قامت فيهم ، ومن مـــساواة تحققت بينهم ، انما دليلها جميعا ما في الفطرة الانسانية من معان جميلة ، طمسهـــا بالوحل الزمان ، وانتظر الناس الأجواء الماطرة التى تغسل عنها وحلها وتكشفها وتطهرها .

ونحن في أحاديثنا الجارية كثيرا ما نذكر الطبع والطبيعة التماسا للحجج .

يقول لك صديقك : انى استمعت اليوم لخطاب فلان فتأثرت حتى دمعت عينى .

وتقول له : « هذا طبيعى » . فانت تريد ان تعزز ما وقع بانه « طبيعى » .

ويقول لك صديقك : هل تحدث فلانا غدا فيما حدثتك فيه ؟

وتقول له : « بالطبـــع » . تريد أن تؤمن على ما يطلب بأن تنسبه للطبع . والطبع والطبيعة سيان .

بقى سؤال

نحن نعتمد على الطبيعة تبريرا لأمور . ولكن هل نحن راضون بكل ما تصـنع الطبيعة .

سؤال يخرج من اللسان ليقف عنـد الآذان حائرا مترددا . له لا شك جواب ، ولكنه في حاجة الى تدبير وتيسير .

●●

احمـــد زكى

القراء ، وتراثنا الفكرى

■ قامت مسابقة العدد ١٧٧ من العربي على اسماء لاثنى عشر كتابا كان بعضها من تراثنا الفكرى القديم وبعضها الاخر لكتاب محدثين ، وكان المطلوب معرفة اسماء مؤلفى هذه الكتب، ونظرا لسهولة هذه المسابقة فقد تلقينا العديد من اجابات القراء وكانت كلها صحيحه ممايدل على ان تراثنا الفكرى له مكانته عند قراء العربي ، وهي ظاهرة تستحق التقدير .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بهذه المسابقة .

الكتاب	المؤلف
١ ـ تحرير المراة	قاسم امين
٢ ـ القاموس المحيط	الفيروز ابادي
٣ ـ رسالة الغفران	ابو العلاء المعرى
٤ ـ البيان والتبيين	الجاحظ
٥ ـ النظرات	المنفلوطي
٦ ـ الاغاني	ابو الفرج الاصفهاني
٧ ـ عبقرية خالد	عباس محمود العقاد
٨ ـ وحى الرسالة	احمد حسن الزيات
٩ ـ الايام	طه حسين
١٠ ـ مسرحية اهل الكهف	توفيق الحكيم
١١ ـ العقد الفريد	ابن عبد ربه
١٢ ـ ضحى الاسلام	احمد امين

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا وفاز بها : **اسكندر ابراهيم فاضل ـ المكلا** ـ اليمن الديمقراطي

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **صلاح الدين المستاوى** ـ مقرين العليا ـ تونس .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **احمد علي محمد عوض الله** ـ الجامعة الاردنية/الاردن

٨ ـ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **علام عبد القادر استيتيه** ـ الكويت .

٢ ـ **علي فلاح محسن ـ دمشق** / سوريا .

٣ ـ **عزام مصطفى محمد الاحمد** ـ البصرة / العراق .

٤ ـ **سعيد عبد الله محمد صالح حكيمي** ـ صنعاء / اليمن

٥ ـ **يحيى محمد المطاع** ـ القاهرة / مصر

٦ ـ **نادية عيسى شعبان** ـ امريكا

٧ ـ **حسن اسماعيل احمد** ـ ابو ظبى / الخليج العربي .

٨ ـ **محمد انور جعفر الصالح** ـ المنامة / البحرين .

العُقمُ والتَّعقيم

وما يتعلق بهما من أحكام في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

■ العُقم كما في القاموس . هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد ، ويقال : رحم عقيم وامرأة عقيم، وجمعه عقائم وعُقم ، ورجل عقيم لا يولد له ، وجمعه عُقماء وعُقمى .

والعقم والاخصاب بارادة الله قال تعالى : « لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير . (١) »

واذا كان قد روى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : تزوجوا الودود الولود .. » فان هذا لايفيد التنفير من العقيم ، وتحريم التزوج بها ، وانما هو لمجرد الارشاد والتوجيه . اذ لم يُعرف في تاريخ الاسلام من حرّم زواج العقيمات مطلقا ، لما في ذلك من حرج ومشقة ، والله تعالى يقول : « وما جعل عليكم في الدين من حرج (٢) »

على ان الزواج كما يكون بقصد الانجاب فانه يكون بقصد اعفاف النفس والسكن والمودة والرحمة مصداقا لقول الله سبحانه « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة (٣) » . فالحديث لاينفر من زواج العقيم ، وانما يوجه الى ما هو اهم مقاصد الزواج وهو التناسل ، ملاحظا ماهو الشأن والغالب عند الرغبة في الزواج .

ومما تقدم يبين ان العقم هو العجز عن الاخصاب الذى يتوقف على قدرة كل من الذكر والانثى على انتاج خلايا تناسلية ، ثم قدرة هذه الخلايا على الاتحاد حتى يحدث الحمل .

التعقيم الاصطناعي : نهائي ومؤقت

ان الطب توصل الى التعقيم الاصطناعي لمنع التناسل نهائيا او مؤقتا ، والتعقيم بنوعيه هو الذى نهدف هنا الى بيان حكم الشريعة الاسلامية بالنسبة له .

التعقيم المؤقت

اما التعقيم المؤقت فهو الذى لايمنع اصل

---

(١) سورة الشورى آية ـ ٤٩/٥٠
(٢) سورة الحج / آية ٧٨ .
(٣) سورة الروم/ آية ٢١ .

الصلاحية للانجاب ، وانما يمنعه طالما الشخص لايرغب في الانجاب ، ويبقى اصل الصلاحية اذا ما رغب فيه في اى وقت شاء ، وهذا ما لاتمنعه قواعد الاسلام ، لانه لايعدو ان يكون وسيلة من وسائل تنظيم النسل ، وهي مشروعة وجائزة كما دل على ذلك الكثير من نصوص السنة ، والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما جاء في كتب الفقه على اختلاف المذاهب علـى ماذكرناه في مقال سابق بمجلة العربي (٤) وبيناه تفصيلا في كتابنا نظرة الاسلام لتنظيم النسل (٥).

فقد جاء في حاشية ابن عابدين على شرح الدر في الفقة الحنفي نقلا عن صاحب النهر : انه يجوز للمراة ان تسد فم الرحم منعا من وصول ماء الرجل اليه لاجل منع الحمل (٦) . وصرح الرملى الشافعى في هذا المقام نقلا عن الزركشي بان استعمال مايمنع الحمل قبل انزال المنى في حالة الجماع مثلا لامانع منه (٧) . ولايعود شيء من ذلك ان يكون تعقيما مؤقتا ، فالحكم لا يختلف في هذا عنه فيما اذا وصل الطب الى اجراء ما يمنع الحمل مؤقتا ، بحيث يمكنه اعادة الحال الى ما كان عليه عند الرغبة في الانجاب ودون ترتب اى ضرر بالشخص في جسمه .

التعقيم الدائم

واما التعقيم الدائم ، وهو معالجة الزوجين او احدهما معالجة تمنع الانجاب نهائيا ، وتقطع الامل في وقوعه ، فانه جائز ، اذا وجد ما يدعو اليه من مرض نفسى او عقلى او جنسى ثبت طبيا انه ينتقل بالوراثة القريبة او البعيدة وانه لايزول بالعلاج مطلقا.بل نستطيع القول بان قواعد الشريعة العامة تقتضى في مثل هذه الحالة ان يكون مطلوبا لامحظورا ، منعا من جود ذرية مشوهة ضعيفة ، تحيا حياة مليئة بالعقد والآلام النفسية وهذا ما افتى من قبل به المرحوم الشيخ محمود شلتوت احد شيوخ الازهر السابقين اذ يقول : « يباح منع الحمل دائما ان كان بالزوجين او احدهما داء من شانه ان ينتقل في الذرية والاحفاد .. » ثم قال : « واذا كان في هذا ما يقلل النسل جزئيا ويحرم بعض الافراد من الذرية فان فيه دره مفسدة ، ودفع ضرر اكبر ، هو انتاج ذرية مصابة بامراض خبيثة مستعصية . ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، والقواعد الشرعية تقضى باللجوء الى اخف الضررين (٨) .

ومثل هؤلاء يكونون ممن تحققت فيهم مشيئة الله بالعقم ، كما جاء في الآية « ... ويجعل من يشاء عقيما » (٩)

والتعقيم الدائم الذى يمنع اصل الصلاحية للحمل من غير وجود ضرورة تتطلبه لانعلم فيه نصا من كتاب الله سبحانه ولا في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بل ان بعض النصوص توحى بمخالفة ذلك لمقاصد الشريعة الاسلامية من الزواج ومن ابرز هذه المقاصد التناسل والانجاب، كما يشعر بذلك قول الله تعالى « ياايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. (١٠) » وقول الرسول « تناكحوا تناسلوا ... » كما ان ذلك لايتفق مع الطبيعة البشرية التي اوجدها الله في كل من الذكر والانثى من حب الابوة والامومة ، وان يشعر كل منهما بتحقق هذا الوصف ، وان وراءه من ذريته من يخلفه في الحياة .

وفضلا عن ذلك فان الفقهاء السابقين نصوا في مختلف كتبهم على منع التعقيم الدائم وتحريمه، فقد نقل البيجرمى الفقيه الشافعي انه يحرم استعمال ما يقطع الحبل من اصله اما مايبطىء الحبل مدة ولايقطعه من اصله فلا يحرم ، بل ان كان لعذر ـ كتربية ولد ـ لم يكره ايضا ، والا كره (١١) ، كما جاء في نهاية المحتاج

---

(٤) العدد ١٦٧ أكتوبر سنة ١٩٧٢م ص/٢٠ ـ ٢٥ .

(٥) قامت بنشره دار النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥ .

(٦) حاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٤١٢ .

(٧) نهاية المحتاج وحواشيه جـ ٨ ص ٤١٦ .

(٨) فصول شرعية واجتماعية مطبعة وادى الملوك بالقاهرة ، الفتاوى مطبعة الازهر .

(٩) سورة الشورى آية / ٥٠ .

(١٠) أول سورة النساء .

(١١) الاقناع على شرح أبي شجاع جـ ٤ ص ٤٠ .

للرملي (١٢) « لايجوز كسر الشهوة بنحو كافور بل يكره ذلك كما قاله البغوى ، ونقله في المطلب عن الاصحاب ، لانه نوع من الخصاء ان غلب على الظن انه لا يقطع الشهوة بالكلية ، بل يفترها في الحال ، ولو اراد اعادتها باستعمال ضد الادوية لامكنه ذلك . وما جزم به في « الانوار » من الحرمة محمول على القطع لها مطلقا . وقال الشبراملسي الشافعي : بجواز استعمال الادوية التى تفتر الشهوة فقط ولا تقطعها (١٣) .

والمفهوم من هذه النقول ان الكل يتفق على ان احداث ما يقطع الشهوة اصالة ، ويمنع الحبل دائما ـ امر محظور شرعا ، اذ فيه تغيير من الطبيعة البشرية ، وسد لباب التناسل نهائيا ، وهو امر يخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ولايتفق مع الهدف الاساسي من الزواج .

على ان قواعد الشرع تدل على منع ذلك وتحريمه من غير ضرورة . فان في الحرمان من النسل نهائيا مَضَرّة ظاهرة ، يأباها الشارع ، وتدخل فيما نَهَى عنه بقوله صلى الله عليه وسلم « لاضرر ولا ضرار » وواضح وجه المَضَرّة في الحرمان من النسل . فان الشريعة الاسلامية وما تعارفه الناس في امر النكاح يقتضى ان يكون هناك تناسل لعمارة الارض ، وبقاء الانسان .

والتناسل مطلوب ، والصلاحية له التي خلقها الله في عباده يجب الا نزيلها لان الرسول اشار الى انه مقصد اصلى في الزواج ، فيما روينا عنه من قوله : تناكحوا تناسلوا .. » وقوله : « تزوجوا الودود الولود .. » . نعم ان التناسل يتحقق بالقلة كما يتحقق بالكثرة ، وان الابوة والامومة تتحققان بالقليل من الاولاد . وقد يقال ان مصلحة الابوين قد تتطلب التعقيم لهما او لاحدهما بعد انجاب بعض الاولاد اكتفاء بهم ، وقد تحقق التناسل واشباع الرغبة في الاحساس بعاطفة الابوة والامومة ؟

التعقيم قبل الانجاب وبعده

لكننا نقول : انه في تحريم التعقيم الدائم الذى يمنع اصل الصلاحية للانجاب من غير ان تكون هناك ضرورة تقتضيه ـ يستوى ان يكون ذلك قبل الانجاب مطلقا ، او بعد انجاب بعض الاولاد ، اذ ان ذلك ايضا يشتمل علي مضرة تتنافى مع اغراض الشارع ، وتتنافى مع المصلحة الحقيقية للابوين ، فان ما رزقهما الله به من اولاد قد يفقدانه دفعة واحدة او على التوالي . فما يكون موقفهما وقد ذاقا طعم الابوة والامومة ؟ كما انهما أو احدهما قد فقد الصلاحية للانجاب مطلقا . الايقعان بذلك في محنة ومشقة نفسية قاسية اذ لايستطيعان تدارك ما فاتهما ؟ وقد تتحرك فيهما او فيمن فقد منهما الصلاحية للانجاب عاطفة الامومة والابوة فلا يجدان مجالا لتحقيقها فيندمان أو احدهما وقت لا ينفع الندم .

اذا تعقمت المرأة ثم مات زوجها

واذا ما اقدمت المرأة على طلب التعقيم برغبتها كي لا تتعرض للحمل مع قدرتها صحيا ، او طلبت ذلك استجابة لرغبة الزوج فماذا تصنع ، ومايكون احساسها وشعورها لو مات عنها ذلك الزوج او طلقها ؟ الا يمكن ان يكون ذلك سببا في الحاق الضرر بها ، والاعراض عن التزوج بها ، او تقليل الرغبة فيها ؟ لان العقم يعتبر عيبا من العيوب التي تجيز طلب التفريق من القاضى (١٤) فقد ورد في فتاوى بعض الفقهاء ما يدل على ذلك . وقد توسع بعض الفقهاء في اعتبار العيوب التي يصح التفريق من اجلها وقالوا : أن كل عيب باحد الزوجين لايحصل منه مقصود الزواج من التناسل والتواد والتراحم او ينفر منه الآخر ـ يجيز التفريق ، ومن هؤلاء شريح والزهرى وابو ثور وابن تيمية . وقال ابن القيم : ان من العيوب .. كل عيب منفر او مفوت للقصد من مقاصد النكاح ما دام الآخر لايعلم به ولم يقبله . ثم قال : ومن يتدبر مقاصد الشرع فى عدله وحكمته وما اشتمل عليه من المصالح لم يَخْفَ عليه رجحان هذا القول » .

وعلى هذا فالعقم عند هؤلاء يكون من العيوب التي يصح التفريق من اجلها ، بل ان ابن القيم

---

(١٢) نهاية المحتاج جـ ٦ ص ١٧٩ .

(١٣) المرجع السابق جـ ٨ ص ٤١٦ فما بعدها .

(١٤) راجع لنا أحكام الاسرة في الاسلام الجزء الثانى فرق النكاح وما يتعلق بها من آثار الطبعة الثانية ١٩٦٩ ص ١٩٨/٢٠٠ .

قد نص عليه واستدل له بما روى عن عمر بن الخطاب اذ قال لمن تزوج امراة وهو عقيم لايولد له : « أخبِرْها انك عقيم ، وخيِّرْها » .

ونحن نرى ان التفريق بسبب العقم ينبغي ان يكون مذهب كل من قال : « انه كلّ مالايمكن للزوجة او للزوجين المقام معه الا بضرر » . فالعقم يدخل في هذا بدليل قولهم : العيوب التي تفوت بها مقاصد النكاح . والا فكيف يحرمون المراة من عاطفة الامومة بامساك الزوج العقيم لها رغم ارادتها .

القول بالكشف الطبى قبل الزواج

وقد يجرنا هذا الكلام الى القول باننا من واقع النظر الشرعي نحبذ ان يعرض كلّ من يتقدم على الزواج ـ نفسه على الكشف الطبى ، ليتعرف سلامته للحياة الزوجية ، ومدى صلاحيته للانجاب ، وحتى يكون كل منهما على بينة من امر صاحبه ، قبل الالتزام بعقد الزواج الذى هو عقد عمرى لايجوز مع اشتراط التاقيت فيه .

التعقيم للأب المريض والأم المريضة

بقى ان نبين ان من حالات الضرورة التي تجيز التعقيم ان يكون الشخص مريضا بمرض ثبت طبيا انه لا يمكن البرء منه ابدا ، وانه ينتقل بالوراثة القريبة او البعيدة الى نسله وذريته ، بل قلنا ان قواعد الشريعة الاسلامية تقضي في مثل هذه الحالة بان يكون التعقيم مطلوبا ، منعا من وجود ذرية على هذا الوضع ، ومن حالات الضرورة ايضا ما اذا كانت الزوجة لاتلد ولادة طبيعية ، وانما تلد بالعملية القيصرية ، وقد سبق ان ولدت بهذا الطريق اكثر من مرة ، ويكون قد ثبت طبيا ان الحمل يؤدى بحياتها ، لاستحالة اجراء هذه العملية لها بعد ذلك . وهذا من قبيل المحافظة على حياة الام ودفع الضرر والأذى عنها .

الخلاصـــة

وبعد فهذا هو حكم التعقيم المؤقت والتعقيم الدائم لضرورة ولغير ضرورة ، وقد انتهينا الى اباحة التعقيم المؤقت ، لانه لايعدو ان يكون نوعا من وسائل تنظيم النسل المشروع ، كما انتهينا الى اباحة التعقيم الدائم في الحالات الماسة التي تقتضيه ، ويحقق التعقيم فيها مصلحة ويدرأ مفسدة ، بل قد يكون التعقيم مطلوبا في بعض هذه الحالات . اما التعقيم الدائم في غير حالات الضرورة الخاصة فانه محظور شرعا لمنافاته لمقاصد الشريعة وقواعدها ، ومعارضته لمصلحة الافراد انفسهم وان كانوا عنها غافلين .

وما دام اخذ الحيطة لمنع الحمل ـ بالوسائل المتعددة لتنظيم النسل ومنها التعقيم المؤقت ـ امرا ممكنا ومشروعا ، ويؤدى الغرض المنشود ، فما الذى يحوجنا الى محاولة اللجوء الى الوسيلة غير المشروعةوالتي توقع صاحبها في الندموالخسران المبين ؟ وقد سبق ان نظر مجمع البحوث الاسلامية في مؤتمره الثانى المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٦٥ هذا الموضوع وقرر ان الاجهاض بقصد تحديد النسل او استعمال الوسائل التي تؤدى الى العقم لهذا الغرض ـ امر لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين او لغيرهما ، كما سبق ان اصدرت لجنة الفتوى بالازهر في ١٩٥٣/٣/١٠ ان استعمال دواء لمنع الحمل مؤقتا لايحرم .. واما استعمال دواء لمنع الحمل ابدا فهو حرام .

ومن هذا وغيره يتبين ان الاسلام كله سماحة ويسر ، وانه يساير مصالح الناس دائما ، وينظر في ذلك ابعد من نظرتهم ، كما يبين ان الحرص على تنظيم النسل من الافراد ، حتى يكون للابوين قدرة على رعاية اولادهم ، وتوجيههم التوجيــه الصحيح ، وتربيتهم التربية التى تعود عليهم وعلى المجتمع بالخير ، اذ الذرية تكون أملا ورجاء حين يرجى خيرها ويؤمن شرها ، وتكون شرا ووبالا حين يفسد امرها ولا ينصلح حالها ، والمؤمن القـوى خـير وأحب الى الله والى الناس من المؤمـن الضعيف .

هذا الحرص على تنظيم النسل ـ ابتغـاء احسان التربية والرعاية والتوجيه ـ لا يتوقف علـى التعقيم والاجهاض وانما وسائله المشروعة كثيرة ومامونة والحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما امور مشتبهة ينبغى الاخذ فيها بحذر ، والحق احق ان يتبع . والله سبحانه الموفق للصواب ، والموجه للخير في القول والعمل ، والهادى الى سـبيل الرشـاد . ■■

محمد سلام مدكور

رئيس قسم الشريعة بكلية حقوق القاهرة
والمعار لجامعة الكويت

الشعر العربي

في قديم الزمان وحديثه

بقلم : أنيس المقدسي

■ تعوّد نقّاد الأدب أن ينظروا الى الجمال الشعري نظرةً مزدوجة ، كأنه ذو عنصرين مستقل احدهما عن الثاني – هما عنصر اللفظ وعنصر المعنى – ولو راجعنا كتب البيان في أدبنا العربي لوجدناها في الغالب تفرد لبلاغة اللفظ بابا آخر. وقد تتناول مزايا كل منهما على حدة وتحاول الموازنة بينهما للحكم في أيهما هو الافضل .

قضية اللفظ والمعنى

فهذا ابو هلال العسكري مثلا في كتابه «الصناعتين» يقول – « وليس الشان في ايراد المعاني لان المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي . وانما هو في جودة اللفظ وصفائه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلوّ من اوَد النظم والتاليف . وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صوابا .. ومن الدليل على ان مدار البلاغة على تحسين اللفظ ان الخُطب والاشعار الرائعة ما عملت لافهام المعاني فقط لان الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيدة منها في الافهام . وانما يدلّ حسن الكلام واحكام صنعته ، ورونق الفاظه وجودة مطالعه ، وبديع مباديه وغريب مبانيه ، على فضل قائله وفهم مُنشيه . واكثر هذه الاوصاف ترجع الى الالفاظ دون المعاني .

ويتابع سيره في التدليل على أفضليّة اللفظ فيقول « ودليل آخر في ان الكلام اذا كان لفظه حلوا عذبا وسلسا سهلا ، ومعناه وسَطا ، دخل في جملة الجيّد وجرى مع الرائع .. واذا كان المعنى صوابا واللفظ باردا وفاترا ، كان مستهجنا ملفوظا ومذموما مردودا » (١).

جمال الألفاظ وعلاقته بالنطق

ويحدثنا ضياء الدين بن الاثير في كتابه (المثل السائر) عن سر الجمال اللفظي فيقول « ان الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن . وأعني بالظاهر البيّن أن تكون الفاظه مفهومة لا يُحتاج في فهمها الى استخراجٍ من كتاب لغة ».

(ويبني قوله على انها مألوفة الاستعمال دائرةٌ في الكلام) « ذلك لان ارباب الكلام غربلوا اللغةَ

---

(١) كتاب الصناعتين طبع الآستانة سنة ١١٩ هـ ص ٤٢ .

- شعرٌ جمالُه في لفظه، وآخرُ في معناه
- شعرٌ جمع بين الحسنيين
- الوحدة الفكرية في الشعر
- المنهج العلمي، والمنهج القصصي، والمنهج التأملي في الشعر الحديث

باعتبار الفاظها . وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه . »

ولكنه يتساءل من اى وجه ميّزوا الحَسَن من القبيح فاستعملوا الاول واهملوا الثانى ؟ سؤال يجيب عنه بقوله متابعا ما ذكره سابقا ـ « ان هذا من الأمور المحسوسة التى شاهدها من نفسها . لان الالفاظ داخلة في حيّز الصوت . فالذى يستلذه السمع ويميل اليه هو الحسن ، والذى يكرهه وينفر منه هو القبيح » (٢).

فانت ترى من كلام هذين الامامين من أهل البيان كيف كان كبار نقاد الادب قديما يفصلون اللفظ عن المعنى ويجعلون لكل منهما مزايا بلاغية خاصة .. ولكن هل هما حقا منفصلان ، وهل صحّ اعتبار اللفظ مجرّد ثوب للمعنى يمكننا تجريده عنه ثم الحكم على كل منهما دون الآخر ؟

أمثلة لجمال الالفاظ وجمال المعانى معا

الواقع انهما كالجسد والروح لا قوام لاحدهما دون الثانى ، وهما كالماء المركب من عنصرى الاكسجين والهدروجين فاذا فصلنا هذين العنصرين بعضهما عن بعض او ركبناهما تركيبا آخر لم يبقَ هناك ماء . كذلك الشعر لا تقوم روعته او بلاغته على حسن لفظه أو على حسن معناه فحسب، بل عليهما ككلّ لا يتجزأ . وفي هذه الوحدة كمال جماله اللفظى والمعنوى .

كنّا بالامس في حلقة أدبية نصغى الى تلاوة أبيات لشوقى من قصيدته (يا جارة الوادى) . ولدى سماعنا هذه الابيات من قوله وبخاصة البيت الأخير منها ـ وهى :

وتعطلت لغة الكلام ، فخاطبت
عينيّ في لغة الهوى عيناكِ
ومحوتُ كل لُبانةٍ من خاطرى
ونسيت كلّ تعتُّبٍ وتشاكى
لا أمسُ من عمر الزمان ، ولا غدٌ
جُمِع الزمانُ فكان يوم رضاكِ .

شعرنا بنشوة تغمر نفوسنا ، ليس فقط لما اطرفنا من رقيق صياغتها اللفظية ، ولا لمجرّد ما طاب لنا من دقيق معانيها الغرامية ، فما هى عند التحليل الاّ نوع من التغزّل الصناعى بمدينةٍ في لبنان أعجب بها الشاعر ، فاستعار لها صورة غانيةٍ فتّانة طال بعادها عن حبيبها الولهان ، ثم سمح بتلاقيهما الزمان . فاذا نحن أمام مشهد حبّى رائع يصفه لنا الشاعر بابيات تنفذ الى قلوبنا كقطعةٍ موسيقية واحدة متلاحمة الأجزاء متوافقة الالحان .

ومثل ذلك الأبيات التالية للشريف الرضى ، وكان مسافرا مع رفقةٍ له ، حتى مرّوا بديار

(٢) المثل السائر (بولاق) ص ٤٠ .

احبته فتولاه حزن شديد لرؤيته مواطنهم طلولا بالية . ورام أن يطيل الوقوف عليها ، ولكن رفاقه عذلوه ، والحوا عليه بمتابعة المسير ، فاطاعهم مرغما ، وسار معهم وهو دائم الالتفات نحو تلك الطلول . وبقى كذلك حتى اذا غابت عن العيان التفت نحوها بشعور قلبه الولهان . يقول :

ولقد مررتُ على ديارِهمُ
وطلولُها بيد البلى نَهْبُ
فوقفتُ حتى هَجَّ من لَغَبٍ
نِضْوى ، ولجَّ بعذْلِيَ الرَّكْبُ
وتلفَّتَتْ عينى ، فمذ خفيت
عنى الطلول تلفَّت القلب

وليس المهم أن نعرف هل وقفته هذه حقيقية تاريخية فذلك شأن المؤرخين ولكن المهم أن في الأبيات حقيقة عاطفية هي وجد الشاعر والتعبير عنه بصورة فنية يتحد فيها جمال المعنى بجمال اللفظ اتحادا اذا فصم ذهبت روعتها وزال بهاؤها. واعتبر هذه الوحدة الفنية في القطعة التالية لأبى تمام يصف الطموح واحتمال المشاق سعيا لنيل الرغائب . قال من قصيدة :

ولكننى لم أحْوِ وفرا مجمَّعا
ففزتُ به إلا بشمل مبدَّدِ
ولم تُعطِنى الأيام نوما مسكّنا
ألذُّ به إلا بنوم مشرَّدِ
وطول مُقام المرء في الحىِّ مُخْلِقٌ
لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ
فإنى رأيت الشمس زيدت محبّة
إلى الناس أنْ ليست عليهم بسرمد

فلو نظرنا في هذه الأبيات وما تثيره في نفوسنا من روعة أخاذة ثم حاولنا صوغ المعنى العام فيها بشكل لفظى آخر لذهب رونقها وضاعت محاسنها. ذلك بأن روعتها المعنوية وروعتها اللفظية هما شيء واحد لا يتجزأ .

ما البلاغة ؟
أمثلة من نقد البلاغيين

وقد شرح الامام عبد القادر الجرجانى هذه الحقيقة البلاغية في كتابيه (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) مبيّنا أن البلاغة ليست صفة لأى من اللفظ والمعنى منفردا عن الآخر فتناول من الأمثلة بعض الاشعار التى أثنى عليها كبار البيانيين من جهة الالفاظ فقط ، كقول كثيّر عزّة واصفا رجوعه مع رفاقه من مناسك الحج :

ولما قضينا من«مِنى» كلَّ حاجة
ومسَّح بالأركان من هو ماسحُ
وشُدَّت على دُهم المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطىّ الأباطح

فنقد الجرجانى أقوال من ضربوها مثلا على بلاغة اللفظ دون أن يكون وراءه معنى بليغ ومنهم ابن قتيبة في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) حيث يتحدث عن أنواع الشعر فيقول « وضربٌ منه حَسُنَ لفظه وحلا فاذا انت فتشته لم تجد هناك طائلا » ـ الى قوله مشيرا الى ابيات كثيّر المذكورة آنفا ـ « وهذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع فاذا نظرت الى ما تحتها وجدته ـ ولما قضينا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا ابلنا الانضاء ، ومضى الناس لا ينظر من غدا الرائح . ابتدأنا في الحديث وسارت المطىّ في الاباطح » . ثم يعقّب ابن قتيبة على ذلك بقوله : وهذا الصنف في الشعر كثير . ويضرب عليه وعلى عكسه بعض الأمثلة كقول جرير :

إنَّ الذين غدَوا بلبّكَ غادروا
وشَلاً بعينكَ لا يزال مَعينا
غيَّضنَ من عبراتهن وقُلنَ لى
ماذا لَقِيتَ من الهوى ولقينا

وهذا القول عنده أيضا من الضرب الذى حَسُنَ لفظه وليس وراءه معنى يذكر . ويمثل

على ما يخالفه اى على الشعر « الذى حاد معناه وقصرت الالفاظ عنه » بقول لبيد من اصحاب المعلقات

ما عاتب المرء الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

فيقول فيه « هذا وان كان جيد المعنى والسبك فانه قليل الماء والرونق » .

ويحذو حذو ابن قتيبة في هذا الباب ابو هلال العسكرى اذ يقول ان مدار البلاغة انما هو على تحسين اللفظ ويتناول ابيات كثير المار ذكرها فيقول فيها ـ « وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى وهى (مع ذلك) رائقة معجبة » ، وانما هى على حد قوله ـ « ولما قضينا الحج ومسحنا الاركان وشدت رحالنا على مهازيل الابل ولم ينتظر بعضنا بعضا جعلنا نتحدث وتسير بنا الابل في بطون الاودية » . ثم يعقب على ذلك بقوله ـ « واذا كان المعنى صوابا واللفظ باردا او فاترا كان مستهجنا ملفوظا ومذموما مردودا » ويضرب على ذلك بعض الأمثلة (٣).

اما الجرجانى فيفند ما ذهب اليه ابن قتيبة والعسكرى ومن جروا مجراهما من اعلام البيان اذ يقول ـ « انظر الى الاشعار التى اثنوا عليها من جهة اللفظ ثم راجع فكرتك واشحذ بصيرتك. هل تجد لاستحسانهم وحمدهم منصرفا الا الى استعارة وقعت موقعها ، واصابت غرضها ،وحسن ترتيب تكامل معه البيان ، حتى وصل المعنى الى القلب وصول اللفظ الى السمع » (٤) . ونظريته البيانية معروفة وهى تتلخص في ان البلاغة لا ترجع الى اللفظ بحد ذاته ولا الى المعنى بحد ذاته بل الى طريقة نظمهما معا في الجملة . وبكلمة اخرى ان الجمال الشعرى لا يتجلى على حقيقته من ناحية واحدة فقط بل هو نتيجة تركيب فنى يكون فيه عنصرا اللفظ والمعنى شيئا واحدا من حيث الجودة والجمال . فالشعر لا يعدّ جيدا اذا تفككت عرى الوحدة الجمالية بين عنصريه ، بحيث يكون احدهما من نمط عال والثانى من نمط اخر . وهذه النظرية التى قررها الجرجانى في القرن الخامس الهجرى لا تزال الى اليوم تعدّ من القواعد الاساسية في علم البيان ونقد الشعر .

النقد الجزئى قاصر

بيد انها نظرية محدودة المجال لا تشمل غير جزء من المنظومة الشعرية ـ بيتا واحدا او جملة من الابيات ـ ولعل ذلك لان الشعر العربى سابقا كان يدور في الاغلب من الحالات على فرد من الافراد او على غرض من الاغراض يتعلق بشخص الشاعر نفسه او بمن يهمه امرهم من الناس . فلا عجب ان يُعنى ناظمه باخراجه في حلل انيقة من الالفاظ والمعانى توجب الاستحسان والاعجاب .

والحق يقال ان ما وصلنا منه لتراث مجيد قد لا يفوته تراث ادب آخر . وها نحن اولاء لا نزال نتدارسه جيلا بعد جيل ونحرص عليه كل الحرص ، لما نجد فيه من متعة ادبية وطرافة ثنية.

واهتمام الشعراء منذ القديم بالاناقة في نظم الشعر حمل علماء البيان على النظر في كل من وجهتيه اللفظية والمعنوية . فجعلوا للفظ كما جعلوا للمعنى احكاما بلاغية خاصة ، وعنها نشا ما عرف عندهم بالصناعة اللفظية والصناعة المعنوية . وهكذا انفرد اللفظ عن المعنى في دراستهم لبلاغة الشعر . حتى قام الجرجانى بنظريـة الوحدة الجمالية في النظم شاجبا فكرة الانفرادية في الحكم على الشعر ناظرا الى هذه الوحدة بين اللفظ والمعنى نظره الى قطعة من نقود لها وجهان ولكنهما متحدان لا ينفصلان . وقد راينا ان نطلق عليها في الفن الأدبى « الوحدة البيانية » التى تربط بين عنصره اللفظى وعنصره المعنوى . على ان هناك وحدة اخرى ابعد واشمل وهى الوحدة الفكرية كما سنرى فيما يلى :

الوحدة الفكرية في الشعر

اشرنا سابقا الى ان الشعر العربى في شتى عصوره كان على العموم شعرا غنائيا (او قيثاريا) Lyric ويمكن وصفه بانه منظومات تصاغ بشكل قصائد ذات ابيات مستقلة تجرى على قواف متماثلة الروىّ . ويراد بها التعبير عن عواطف ناظمها نحو شخص من الاشخاص أو غرض من الاغراض . وهذا الشعر الغنائى بطبيعته لا يقتضى رابطا عضويا بين ابياته . بل قد يتالف احيانا من مواقف متنوعة لا علاقة للواحد منها بالآخر غير شخصية

(٣) الصناعتين ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٤) اسرار البلاغة (استانبول ١٩٥٤) ص ٢٠٢ .

الشاعر نفسه . هكذا وصفه ابن قتيبة في مقدمة كتابه«الشعر والشعراء» اذ قال(٥)« سمعت بعض اهل العلم يقول ان مقصد القصيد (أى ناظم القصيدة) انما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار، فشكا وبكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل من ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين ، ثم وصل ذلك بالنسيب (الغزل) فشكا شدة الشوق والم الوجد والفراق وفرط الصبابة ، ليميل نحوه القلوب .. فاذا علم انه استوثق من الاصغاء اليه عقبه بايجاب الحقوق ، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر وسُرى الليل ، وانضاء الراحلة . فاذا علم انه اوجب على صاحبه الرجاء وذمام التأميل .. بدأ بالمديح (أو بغيره من الاغراض) فالشاعر المجيد عنده كما يقول « من سلك مثل هذه الاساليب . وعدل بين هذه الاقسام ، ولم يطل ويمل السامعين » ففي القصيدة كما ترى مواقف شتى ينتقل فيها الشاعر من موقف الى آخر ـ بكاء على الاطلال وتغزل بالحبيب ، فوصفٌ رحيله عنها ، وما عاناه من أهوال الطريق ، ثم ما قاساه من نصب وسهر حتى يصل الى غرضه المقصود من مدح أو سواه . وظلت القصيدة منذ أقدم عهودها تجرى هذا المجرى لا تكاد تفارقه الا نادرا أو في حالات قليلة حتى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع قرننا الحالى .

فلما استيقظ الشرق العربى بعد سباته الطويل ابان عصور الانحطاط فتح عينيه على حضارة جديدة ، مادية وفكرية ، كان لها أثر عظيم في حياته الأدبية . فالشعر قبلا كان يعيش في كنف الملوك ورجالهم من ارباب السلطة والمال ، وقلما كان له اهتمام بجمهور الشعب وقضاياه ، ولكنه بعد أن اشرق عليه نور الحضارة الجديدة أخذ يتحول تدريجيا عن نهجه التقليدى . وما أن أقبل القرن العشرون حتى رأيناه ينزل الى الاوساط الشعبية ويعنى بحاجاتها داعيا الى اصلاح حالها وتوفير أسباب التقدم لها .

وكان من الطبيعى أن تتطور رؤاه في الحياة والناس وأن ينصرف الى مواضيع غير التى كان ينصرف اليها وهو على أبواب الحكام والاقطاعيين: مواضيع اجتماعية وانسانية وفكرية ، تصلح لبيئته ، وتناسب المدى الذى بلغه في تطوره . ساعده على ذلك تزايد تأثره بآداب الامم المتقدمة وتعالى أصوات المفكرين من النقاد بوجوب الاخذ بأسباب التجديد في الفن الشعرى روحا واسلوبا. فالشعر ليس مجرّد صناعة كلامية فحسب بل هو ايضا فن رفيع يحمل الى الناس رسالة الجمال ، جمال العاطفة وجمال الفكر والروح . ومما اقتضاه التجديد اليوم أن تكون ابيات المنظومة الشعرية أو اجزاؤها متضافرة على الاتجاه نحو هدف واحد مهما كان ذلك الهدف . وقد التمس شعراء العصر هذه الوحدة في ثلاثة مناهج شعرية : هى : المنهج الملحمى ، والمنهج القصصى ، والمنهج التأملى ، وكل من هذه المناهج يرمى بطبيعة تركيبه الى غرض رئيسى تدور عليه المنظومة وتوجه القارىء اليه . فلنقف هنيهة هنا لعرض بعض الأمثلة على كلٍّ منها تبيانا لما نقصد اليه من الوحدة الفكرية .

المنهج الملحمى :

ان الملحمة عادة عبارة عن منظومة طويلة تستهدف سيرة شخصية انسانية ذات أثر كبير في الحياة ، أو شخصية معنوية تتجسم فيها عظمة أمة من الامم أو عقيدة من العقائد . ومهما قيل في تاريخ نشوئها فانها في الأدب العربى حديثة العهد لا يظهر لها في الشعر القديم ما يعدّ فنا ملحميًا كالملاحم المعروفة في الآداب الأخرى . وقد عالجها نخبة من شعرائنا في هذا العصر . وسنكتفى للتمثيل بواحدة تعد من افضل ما نظم من الملاحم الحديثة وهى (عيد الغدير) للشاعر اللبنانى بولس سلامة . نظمها في نحو ٣٥٠٠ بيت من البحر الخفيف ، على أنه جعلها أقساما متنوعة القوافي وكرّسها كما قال لتبيان ما كان « من فضل للبيت العلوى منذ الجاهلية الى ختام مأساة كربلاء » ، وجعل بطلها رأس هذا البيت « ليكون مثالا للأمة العربية في عهدها الحاضر » . واليك قوله في مقدمتها ـ« ان العربية المستيقظة اليوم في صدور ابنائها أحوج الى التمثل بأبطالها الغابرين وهم كثيرون على أنه لم يجتمع لأحد منهم ما اجتمع للامام على بن أبى طالب من بطولة وعلم وصلاح . ولم يقم في وجه الظالمين اشجع من الحسين (ابنه) فقد عاش الاب للحقّ واستشهد الابن في سبيل الحق » .

---

(٥) بتصرف قليل من الكتاب المذكور .

وفي مطلع هذه الملحمة يتوسل الى الله بخشوع قائلا :

يا مليكَ الحياة أنزل عليّـــــا
عزمةً منك تبعث الميت حيّـــا

وبعد جولة طويلة في وصف المناقب التى برزت في البيت العلوى وبوجه خاص في راس هـــذا البيت الكريم يختمها متوجها الى الله بقوله :

مصدرَ الحقّ لم أقل غـير حقّ
أنت أجريتَه على شفتيّـــــا
أنت ألهمتني مـــديح علـــيّ
فَهَمى غيدقُ البيـــان عليّـــا
أنا مـــن يعشق البطـولة والإلــ
ـــهام والعدل والخلاَق الزهيّا
فإذا لم يكن عليّ نبيـــــا
فلقـــد كان خُلقه نبويّـــا

فالذى يطالع ملحمة عبد القدير يشعر لــدى قراءتها انه مسوق الى غاية رئيسية هى اساس الوحدة في نظم ابياتها الثلاثة الآلاف والخمسمائة. فجميع هذه الابيات تتضافر على توجيه الفكر الى هذه الغاية ــ الى هذه البطولة التى جسّمها لنا في شخصية بطل من ابطال التاريخ العربى .

القصة الشعرية :

لا يخلو الشعر في القديم من بعض منظومات قصصية ، لكنها في الواقع لا تخرج عن كونها من الاحاديث الشخصية (حكايات حال) يحدثنــا فيها الشاعر عن بعض وقائعه الغرامية والخمرية او بعض ما قام به من اعمال بطولية .

اما القصص الشعرى الموضوعى ، اى الذى ينظم لاجل غرض من الاغراض الاجتماعية ، او لتبيان حقيقة من حقائق الحياة الانسانية او الفكرية فانه لم يشيع بل لم يدخل ادبنا كفن من فنون النظم الا ابان نهضة الأدب الاخيرة وهو يتخذ عادة شكل المسرحية او شكل القصيــدة العادية ــ وللمسرحية مقام غير هذا المقام فلنحصر الآن كلامنا في القصيدة العادية والوحدة الفكرية فيها .

ومن مراجعة ما نظم من قصـــائد في عصرنا الحديث يبدو أن معظمها وضع أثناء النصف الاول من القرن العشرين . وهى اما ذات غاية اصلاحية تتعلق باوضاع المجتمع في هذا القرن وما يتصـل به من القرن الماضى . أو ذات التفاتة الى الماضى تنوبها بمآثر ومحامد عرفت لبعض ذوى البطولة ومكارم الاخلاق . ومن امثلتها (الجنين الشهيد) لخليل مطران ، و (الفقر والسقام) لمعـــروف الرصافي ، و (الريال المزيّف) للاخطل الصغير و (خولة بنت الأزور) لشبلى ملاط ، و (عليا وعصام) لقيصر معلوف ، و (بين عشية وضحاها) لابراهيم العريّض ، و (العذراء) لخير الدين الزركلى ، و (الوفاء) لالياس فياض ، و (زينب وخالد) لخيرى الهنداوى ، و (المصدورة) لالياس ابو شبكة ، وما الى ذلك من قصص اجتماعيــة وتاريخية كثيرة (٦) .

كل هذه القصائد من واقعية او تخيلية ترمى الى هدف يربط شتى أجزائها ومواقفها بوحدة فكرية تلازمها وتجعل منها شبه بناية واحدة .

فقصيدة (الجنين الشهيد) مثلا .. تدور على ما حدث لفتاة وقعت في حبال شاب سافل غرّر بها بعد أن وعدها بالزواج ولما حملت منه تخلّى عنها وتركها تقاسي الشقاء حتى اضطرت الى التخلص من جنينها بالاجهاض . والقصيدة طويلة جدا يقول الشاعر انها قصة حقيقية عرف وقائعها وهو يقصها عبرة لمن يهمهم الاعتبار . ويختمها بكلمة درامانيكية وضعها على لسان هذه الفتاة البائسة وهى واقفة امام جثة جنينها بعد أن اجهضته بواسطة الأدوية فخرج ميتا من احشائها. فقالت تخاطبه من قلب كسير :

تموت وما سلّمتَ حتى تودعـــا
وأملك تسقيكَ السّموم لتُصرعـــا

---

(٦) راجع كتاب الاتجاهات الاربعة للمؤلف ص ٣٩٢ .

وتفيك من جوف به كنت مودعا
لتخلص من عيش ثقيل بما وعى
من الحزن والآلام والفقر والذل

وقصيدة (الفقر والسقام) وضعها ناظمها ليرينا صورة من صور الحياة في بيئته فيقص علينا قصة اخ واخت فتيين لا ناصر لهما ولا معين ـ وكان الفتى عاملا يسعى كل يوم ليكتسب لقمة العيش له ولاخته . ولكنه لم يلبث ان اصيب بمرض عضال منعه من العمل اليومي . فاخذت الاخت تسعى لتجد عملا طارقة ابواب الخدمة في المنازل فلم توفق . ولما لم يبق لديها حيلة لتكسب ما يسد رمقها ورمق اخيها اندفعت الى التسول مستغيثة ارباب اليسار على ان يعينوها على مساعدة اخيها المريض فلم تلق الا صافية وما زالت حتى فتك بها وباخيها الجوع والسقام . وهنا يقف الشاعر منددا بالمجتمع الذى لا يجد فيه البائس والمحروم من يشفق عليه ويمد له يد المعونة . ثم يلتفت بنقمة الى الاغنياء المترفين فيصيح بهم قائلا :

أيها الأغنياء كم ذا ظلمتم
نِعَم الله حيث ما إن رحمتم
سهر البائسون جوعا ونمتم
بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوّع وشراب

هذان مثلان من القصص الاجتماعية . وهي شائعة في ادبنا الحديث منذ اواخر القرن الماضي حتى منتصف القرن الحاضر . ومثلها القصص التاريخية ، وهاك مثلا عليها قصيدة (الوفاء) لالياس فياض وهي تحملنا الى العهد الذى تم فيه انتزاع العباسيين الخلافة من بني امية في الشام.وخلاصتها ـ ان امويا في مدينة الكوفة كان الجند العباسي يطارده للقبض عليه . ولكنه تمكن من النجاة متواريا بين ازقة تلك المدينة والتجا الى دار رآها مفتوحة أمامه طالبا من صاحبها حمايته من مطارديه . فرحب به صاحب الدار وخباه في منزله دون أن يعرف من هو . ولما خف خطر المطاردة استاذن مضيفه بالرحيل شاكرا له حسن ضيافته وما قدمه من حماية له. وفي اثناء الحديث قبل توديعه عرف الطريد ان هذا الرجل الذى اضافه وحماه هو ابن رجل كان قد قتله في بعض الحوادث وانه جاد في اخذ الثار من قاتل والده . فرأى الطريد من الوفاء لمضيفه ان يعترف له بذلك وان يقدم نفسه ليثار منه . ولا تسل عما ثار في نفس صاحب الدار ساعتئذ من صراع داخلي بين رغبته في الثار الذى كان ينشده وعاطفة المروءة تجاه رجل استضافه واقام عنده في مامن من أعدائه . وبين عاطفتي المروءة والوفاء نترك للقارىء أن يستنتج كيف تمت هذه القصة ، ونكتفي بذكر بضعة أبيات من مطلعها وخاتمتها . يقول في المطلع :

رَبّة الشعر عن رجال الوفاء
حدثينا وابغي جميل الثناء
حدثينا عن قومنا العُرب أهل الـ
ـمجد قِدْما والعزة القعساء
صفحات التاريخ ملأى بما يؤ
ثر عنهم من نخوة وإباء

وفي خاتمتها يجلو لنا ما يرمي اليه من تمجيد للوفاء ومكارم الاخلاق العربية في شخص بطل قصته فينهي حديثه عنه بقوله :

شرف في شجاعة وذكاء
في وقار ، وقدرة في وفاء

وعلى هذا الغرار اكثر القصص الشعرية المستوحاة من تاريخ ادبنا القومي .

بقي علينا الآن ان نلقي نظرة على ما نظم من شعر وجداني مستوحى من التامل في حياة الانسان ومجتمعه وما يحيط به من مشاهد الطبيعة وعجائبها .

المنهج التاملي :

فالشاعر احيانا قد يجد نفسه واقفا موقف المفكر في احوال نفسه ومجتمعه او عجائب الكون الذى يحيط به . وفي غمرة تفكيره يرتفع جناح الشاعر الى حيث يرى ما لا نراه عادة من حقائق الحياة . فيحملها الينا بشكل نفثات وجدانية

نسميها الشعر التاملي والوجداني . وقد عرف ادبنا القديم هذا النوع من الشعر ووصلنا منه روائع من الحكم والامثال ولكن غالبا في سياق اغراض اخرى . لا كما هي الحال في ادب هذا العصر حيث نرى الشعر التاملي يصاغ في قصائد تدور كل منها على فكرة واحدة يحاول الشاعر ان يجلوها لنا بطريقته الخاصة . ولعل في المثلين التاليين ما يكفي لتبيان القصد من الشعر التاملي الحديث وما يتميز به من وحدة فكرية . فمن ذلك قصيدة (العنقاء) للشاعر المهجري المعروف ايليا ابو ماضي والفكرة الرئيسية التي تدور عليها القصيدة هي ان السعادة (ويكنى عنها الشاعر بالعنقاء وهي طائر خرافي) مهما فتش عنها الانسان لا يجدها خارج نفسه ـ يقول في مطلعها ـ

أنا لست بالحسناء أوّلَ مولــــع
هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي
فاقصص عليّ إذا عرفت حديثها
واسكن إذا حدّثت عنها، واخشع

ثم ياخذ في الحديث عنها،فيذكر انه فنى العمر مفتشا عنها في كل مكان ، فدخل القصور الملوكية، واكواخ الفقراء ، وادبرة الرهبان ، ونشدها بين احضان الطبيعة بحرا وبرا ، وسعى اليها في المجتمع الانساني على اختلاف حالاته ولكن دون طائل . وفي آخر المطاف حين كاد العمر ينقضي ادرك ضلاله وعلم ان السعادة لا توجد خارج النفس وهكذا يختم قصيدته بقوله :

حتى إذا نشر القُنوطُ ضبـــابه
فوقي ، فغيّبني ، وغيّب موضعي
عَصَرَ الأسى روحي،فسالت أدمعاً
فلمحتها ، ولمستها في أدمعـــي
وعلمتُ،حين العلمُ لا يُجدي الفتى
أن التي ضيّعتها كانت معـــي

ولهذا الشاعر كثير في هذا الباب .

ومن هذا القبيل قصيدة : للشاعر التونسي ابي القاسم الشابي موضوعها (ارادة الحياة) يستهلها بقوله :

إذا الشعب يوما أراد الحيـــاةَ
فلا بدّ أن يستجيب القـــدرَ
ولا بـد لليــل أن ينجلـــي
ولا بـدّ للقيــد ان ينكسر »
كذلك قالت لـيَ الكائنـــات
وحدّثني روحهـــا المستتر

ومنهـــا :

أبارك في للناس أهل الطمـــوح
ومن يستلـذّ رُكوب الخَطَـر
وألعنُ من لا يماشي الزمـــان
ويقنع بالعيش : عيش الحجَـر

وعلى هذا القرار يجري في هذه القصيدة راميا الى فكرة واحدة وهي ان الارادة القوية ذات الطموح الى المعالي ـ لا تستطيع الاقدار مهما وضعت في سبيلها من عقبات الا ان تخضع اخيرا لمشيئتها الجبارة . يقول في ختامها :

ورنّ نشيد الحيـــاة المقـدّس
في هيكلٍ حالم قد سحَــر
وأعلن في الكون أن الطمـــوح
حبيبُ الحياة وروحُ الظفـــر
إذا طمحت للحيـــاة النفـــوسُ
فلا بد أن يستجيب القـــدر

وقس على هذين المثلين عشراتِ الامثلة من تاملات شعراء العصر في الحياة البشرية ،وصروف الزمان ، وفي أسرار الكون ومصير الانسان ، وفي القيم المثلى التي هي اساس التقدم والعمران . وفي كل قصيدة من هذه القصائد نشعر بوحدة فكرية جامعة وانما يقوم جمال القصيدة على سمو هذه الفكرة وجمال عرضها الفني عرضا يحرك الشاعر ، ويلذ العقل ويرفع النفس عن العادي في الحياة . ■■

أنيس المقدسي

المتوسطات

في حياتنا اليومية

«وكذلك جعلناكم أمة وسطا»

بقلم : الدكتور علي أحمد علي

■ تلعب المتوسطات دورا هاما في حياتنا اليومية . وهناك أنواع كثيرة من المتوسطات ولكن ابسط صورها هو المتوسط الحسابي(١) ويمكن الحصول عليه من طريق قسمة مجموع قيم اية مفردات على عدد هذه المفردات .

ولتوضيح ذلك للقارىء نفرض أن طالبا حصل على ثلاث درجات في امتحانات ثلاثة دخلها في مادة معينة وهذه الدرجات هي ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ . فيكون متوسط ما حصل عليه الطالب من درجات في الامتحانات الثلاثة =

$$\frac{٣٠ + ٣٢ + ٣٧}{٣} = \frac{٩٩}{٣} = ٣٣ \text{ درجة .}$$

ونضرب مثالا آخر لتوضيح كيفية الحصول على المتوسط الحسابي . عامل يعمل لحسابه الخاص عمل عدد الساعات الآتية بالنسبة للايام الستة التي يشتغلها كل اسبوع : السبت ٨ ساعات ـ الاحد ٦ ساعات ـ الاثنين ٧ ساعات ـ الثلاثاء ٩ ساعات ـ الاربعاء ٦ ساعات ـ الخميس ٨ ساعات . فيكون متوسط عدد الساعات التي يعملها هذا العامل اسبوعيا تساوي

$$\frac{٨ + ٦ + ٧ + ٩ + ٦ + ٨}{٦} = \frac{٤٤}{٦} = ٧ \frac{١}{٣}$$

ساعة .

استخدام المتوسطات في وصف المجموعات

وللمتوسطات استخدام واسع في وصف المجموعات ومقارنتها . فمثلا اذا أعطي امتحان معين لتلاميذ فصلين واردنا ان نقارن مستوى اداء تلاميذ الفصلين في الامتحان كان اسهل اسلوب للمقارنة السريعة هو الحصول على متوسط درجات التلاميذ في كل فصل ثم مقارنة هذين المتوسطين .

وفي التجارب المعملية كثيرا ما تستخدم المتوسطات لمقارنة المجموعات ومعرفة الفروق القائمة بينها

(١) سنركز حديثنا في هذا المقال على المتوسط الحسابي نظرا لبساطته واهميته وتطبيقاته المعددة في حياتنا اليومية .

ودلالة هذه الفروق . فمثلا تجربة في مجال الزراعة تهدف الى دراسة اثر عامل معين على نمو النبات ، يكون اسلوب البحث هو اختيار مجموعتين من النبات وتوحد ظروف المجموعتين تماما مع تغير العامل الذى نريد ان نعرف تاثيره على نمو النبات بالنسبة لاحدى المجموعتين فقط . ثم نقيس مثلا ارتفاع وحدات النبات في كل مجموعة بعد فترات زمنية معينة ونحسب متوسط ارتفاع النبات في كل مجموعة ونقارن المتوسطين، فاذا لاحظنا فروقا بين المتوسطين بحثنا عن دلالة واهمية هذه الفروق . وهذا يلقى الضوء على اثر هذا العامل المحدد في نمو النبات .

المتوسطات
في بعض الظواهر الانسانية

للمتوسط تطبيقات هامة في الظواهر الانسانية المختلفة . فمثلا اذا اخذنا عينة كبيرة من الافراد الراشدين وقسنا اطوالهم وحصلنا على متوسط هذه الاطوال . وقارنا اطوال هؤلاء الافراد بالمتوسط للاحظنا ان غالبية الافراد يقعون حول الطول المتوسط فاذا فرضنا مثلا ان الطول المتوسط لافراد هذه المجموعة هو ١٦٠ سم فان حوالى ٦٨٪ من الافراد تقع اطوالهم قريبة من هذا الطول المتوسط .

وهذا القول يصدق مع الكثير من الصفات والقدرات الانسانية . خذ لذلك مثلا ذكاء الافراد اذا اخذنا عددا كبيرا من الافراد الراشدين يمثلون عينة عشوائية من الافراد الرشدين في اى شعب وقسنا ذكاءهم باستخدم اختبارات الذكاء وحصلنا على نسبة ذكاء كل فرد منهم للاحظنا ان نسبة كبيرة من هؤلاء الافراد تقع نسبة ذكائهم قريبا من الذكاء المتوسط(٢) ، في حين نجد قلة من الافراد يتميزون بذكاء ممتاز او بذكاء منخفض للغاية (متخلفين عقليا) .

المتوسطات
واهميتها في اتخاذ القرارات

للمتوسط اهمية كبرى عند اتخاذ القرارات سواء أكان هذا على مستوى الاسرة او على مستوى المنشآت بكافة انواعها والانشطة التى تمارسها . فالفرد عندما يشترى احتياجات الاسرة من الطعام عادة يضع في الاعتبار الاستهلاك المتوسط لافراد الاسرة من الانواع المختلفة للطعام . والفرد عندما يشترى سيارة او ثلاجة او اية سلعة معمرة اخرى يقدر مدة بقائها وعمرها على اساس متوسط العمر المتوقع لمثل هذه السلعة .

وعلى مستوى المنشآت الصناعية والتجارية يكون للمتوسطات استخدام واسع في مختلف نواحى نشاط المنشاة . فمثلا نسمع البعض يتحدث عن متوسط الانتاج اليومى ومتوسط انتاج العامل الواحد في فترة زمنية معينة ومتوسط انتاج العامل الواحد في فترة زمنية معينة في الاسبوع ، كما نسمع عن متوسط الغياب الاسبوعى للعمال ومتوسط أجر العامل وغير ذلك من مسائل هامة تذكر فيها المتوسطات ويكون لهذه المتوسطات فائدة كبيرة ودلالة واضحة عند اتخاذ القرارات الهامة في مختلف المواقف التى تواجه المنشاة .

وعلى مستوى الدولة فانها تعتمد على المتوسطات عند اتخاذ بعض القرارات الهامة فمثلا في مجال التعليم تقام الخطة التعليمية على اساس متوسط عدد الطلاب في الفصل الواحد ومتوسط المساحة المخصصة للطالب الواحد داخل الفصل او في فناء المدرسة في كل مرحلة من مراحل التعليم . ومن المؤشرات ذات الدلالة في مجال التعليم متوسط عدد التلاميذ بالنسبة للمعلم الواحد وكذلك متوسط التكلفة السنوية للطالب في المرحلة التعليمية .

ومن الأمور التى يلعب فيها المتوسط دورا هاما على مستوى الدولة متوسط دخل الأسرة الشهرى فهذا المتوسط يوضح التغييرات التى تحدث على مستوى المعيشة للافراد مع ضرورة وضع أسعار السلع والخدمات التى يستهلكها الفرد في الاعتبار للوصول الى الاستنتاج المناسب .

وبالنسبة للمسائل التموينية يمكن للدولة معرفة الاحتياجات مع السلع الأساسية عن طريق التعرف على متوسط احتياجات الفرد من هذه السلعة في فترة زمنية محددة .

---

(٢) اصطلح على أن نسبة الذكاء المتوسط هي مائة .

والواقع أن المتوسطات وغيرها من المؤشرات الاحصائية تلعب دورا هاما عند رسم أية خطة سياسية تتصل بالجماهير في الدولة وتساعد على اتخاذ قرارات سليمة في مختلف المجالات .

الانحراف عن المتوسط ومعناه من الناحية النفسية

الواقع ان الفرد في سلوكه يعتبر فردا عاديا ومتوسطا Normal طالما انه لم ينحرف في سلوكه عن المتوسط العام المتوقع للسلوك . وكل فرد ينحرف في سلوكه أو في قدراته كثيرا عن المتوسط يطلق عليه في المجال النفسي شاذ Abnormal فالشخص الذكي جدا يعتبرا شاذا على هذا الأساس ولو أن هذا الشذوذ في الاتجاه المرغوب فيه . ويعتبر أيضا الشخص الذى تنخفض قدراته كثيرا عن المتوسط شاذا أيضا .

وفي مختلف مجالات السلوك يكون السلوك شاذا اذا بعد عن السلوك المتوسط والشائع . فمثلا بالنسبة للسلوك الانفعالي يعتبر افراط واسراف الفرد في الانفعالات من جهة ، أو تبلده الانفعالي من جهة أخرى بعدا عن السلوك الانفعالي العادى والمتوسط ، ويعتبر مظهرا مرَضيا يقتضي علاجا ومواجهة .

والفرد عندما يكون عضوا في جماعة وينحرف سلوكا كثيرا زيادة أو نقصا عن المتوسط العام لسلوك الجماعة ، يتعرض هذا الفرد للكثير من الضغوط من جانب الجماعة حتى يصل بسلوكه الى المستوى العام للسلوك داخل الجماعة . والمستوى المتوسط للسلوك داخل الجماعة يطلق عليه مستوى الجماعة Group Standard . فمثلا اذا كان قيام العامل بعمله بصورة ممتازة ومثالية ترتفع كثيرا عما هو سائد في الجماعة اوقعت هذه الجماعة على هذا العامل صورا مختلفة من الضغوط Pressures حتى ينخفض بمستوى ادائه الى المستوى المتوسط ويخضع نفسه للمعايير التى ارتضتها الجماعة لنفسها ، وهذا المستوى وهذه المعايير ليست صريحة ولكنها ضمنية ومعترف بها من قبل الجماعة . أما اذا انخفض مستوى سلوك الفرد وانتاجه داخل الجماعة عن المستوى المتوسط (المستوى العام) للجماعة . فان الجماعة تعرض الفرد للضغوط والعقاب وتوجه اليه أحيانا المساعدة والتوجيه لكى يرتفع بمستوى سلوكه وانتاجه الى المستوى العام للجماعة . واذا لم يستطع العامل الارتفاع الى هذا المستوى فانه يعرض نفسه للفصل من عضوية الجماعة أو يضطر الفرد الى ترك الجماعة باختياره لعدم قدرته على التعايش معها ومواجهة مطالبها .

واى فرد تنحرف قدراته او سلوكه عن المتوسط زيادة أو نقصا يتطلب معاملة ورعاية خاصة . فمثلا الطالب الممتاز جدا من الناحية العقلية يتطلب الأمر احاطته برعاية تعليمية ومنزلية خاصة حتى تهيىء له فرصة استغلال واستثمار امكانياته وقدراته الممتازة الى أقصى الحدود الممكنة . وبالمثل فان الطالب الغبى منخفض الذكاء Dull يحتاج الى رعاية متخصصة ومناسبة مع احاطته بظروف مناسبة في البيت وفي المدرسة بما يمكنه من استغلال قدراته المحدودة الناقصة أحسن استغلال ممكن .

والانحراف كثيرا عن المتوسط في الصفات والسمات الجسمية قد يسبب بعض المتاعب والمشاكل النفسية للفرد . فالفرد مثلا قصير القامة جدا قد يعاني شعور النقص ويضطر الى اللجوء لبعض الأساليب النفسية دفاعا عن نفسه وتدعيما لمدركه لذاته Self Concept . فقد يلجأ مثلا للتعويض في مجالات معينة من الحياة يتفوق فيها ويثبت فيها وجوده ويدعم بها كيانه ويزيد من احساسه بالقيمة . وبالمثل فالفرد المفرط في الطول ينظر اليه الناس نظرة استغراب بما يضايقه ويسبب له المتاعب النفسية . كما ان هذا الفرد المفرط في الطول قد يواجه الكثير من الصعوبات في حياته ، فمثلا كثيرا ما يجد صعوبة في الحصول على الملابس الجاهزة التى تناسب طوله .

قانون المتوسطات ينظم حياة الناس

يعمل قانون المتوسطات على تنظيم الحياة اليومية للناس . فلو خرج هؤلاء الناس في سلوكهم وتصرفاتهم على هذا القانون لاضطرب حال الدنيا واصبحت معيشة الناس عذابا لا يطاق . ولتوضيح

ذلك نذكر هذا المثال : نفرض ان كل الرجـــال قرروا في يوم واحد التوجه الى الحلاقـــين لقص شعورهم . ماذا يحدث نتيجة لذلك ؟ . طبعـــا اضطراب وزحام شديد . سنجد مثلا الافا من الناس يتجمهرون ويقفون في صفوف امام حوانيت هؤلاء الحلاقين . وسيعجز هؤلاء الحلاقين عن تأدية أعمالهم وقد يضطرون تحت الضغط الهائل الى اغلاق محلاتهم هربا من ضغطهم وغضبهم وسخطهم.

ونضرب مثالا آخر لما يمكن أن يحدث اذا اختل قانون المتوسطات . نفرض ان كل الافراد قرروا الخروج في يوم معين وفي ساعة واحدة الى الحدائق للنزهة . يكون نتيجة ذلك خروج عشرات الآلاف من السيارات وملايين من الافراد الى الشوارع في وقت واحد متوجهين الى الحدائق القليلة المعدودة. ونتيجة لذلك ايضا تمتلىء الشـــوارع تماما بالسيارات مما يؤدي الى توقف هذه الســيارات تماما وعجزها عن الحركة . كما يؤدى زحـــف الاعداد الضخمة من الناس الى امتلاء الشوارع تماما بهم مما يؤدى الى عدم قدرتهم على المشي والحركة واصابة اعداد منهم بضيق في التنفس والاغماء وغيرها . وحتى الافراد الذين يتمكنون من الوصول الى الحديقة سيجدون أن البقاء في هذه الحديقة بعض الوقت جحيما لا يطاق . فالمساحات الخضراء في الحديقة غطيت تماما بالناس ولم يعد في الحديقة مكان للجلوس أو الحركة واللعب. فالناس اصبحوا في الحديقة متراصين كما يرص السردين في علب السردين المحفوظ . وتصبـــح النزهة التي كان يبغيها الناس نوعا من العـــذاب الذى لا يطاق ، وتصبح رحلة العودة الى المنازل ايضا رحلة عذاب اشد واقسى .

كل ما تقدم يمكن ان يحدث لان الافراد خرجوا على قانون المتوسطات او لان قانون المتوسطات الذى يعمل دائما في حياتنا اليومية قد اختـــل تماما مما يجعل حياة الناس جحيما لا تطاق في جميع المجالات . ففى الظروف العادية لن يخرج جميع الرجال لقص شعورهم في يوم واحد ولكننا سنجد ان عددا منهم قريبا من متوسط الافـــراد الذين يقصون شعورهم في اليوم هم الذين يتوجهون يوميا الى الحلاق . وقد تحدث بعض المتاعب في بعض الايام نتيجة توجه عدد من الافراد اكبر قليلا من المتوسط لقص شعورهم في يوم معين ولكن هذه المتاعب عادة ما تكون محدودة ومعقولة .

وبالنسبة للمثال الثاني عادة تلعب المتوسطات دورها بالنسبة للافراد الذين يذهبون الى الحدائق للنزهة . فعادة ما يقررون الذهاب الى الحديقة في اوقات مختلفة ، كما ان افرادا آخرين يقررون عدم الذهاب لأسباب متعددة ، مما يجعل الافراد الذين يذهبون الى الحدائق في اى يوم قريبا من المتوسط . وحتى في أيام المواسم والاعياد لـن يذهب الى الحدائق كل الناس لان قطاعا كبيرا من الناس عادة ما يقرر عدم الخروج للنزهة في هـذه الأيام نظرا للزحام . لذا فاننا نجد أن عدد الافراد الذين يخرجون للنزهة قريبا من المتوسط العام وان زاد عنه قليلا فلا خطر من ذلك ، فما ينتج عن ذلك قد يكون قدرا من الزحام المعقول المقبول .

وأخيرا .. فخير الأمور الوسط

ولا يفوتنا ونحن في مجال حديثنا عن المتوسطات ان نشير الى الحكمة القائلة بان خير الأمور الوسط او التوسط وهذه الحكمة تصدق في مجالات من الحياة مختلفة . وهناك نصوص من القرآن الكريم تحض على التوسط لا التطرف في بعض نواحي السلوك . ومن هذه الآيات : « ولا تجعل يـدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ».ومن أمثلة الدعوة الى التوسط: « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » وهذا يشكل دعوة للتوسط في علاقة الفرد بالحياة الدنيا وبالآخرة .

وحتى بالنســـبة لحياة الانســان نجـد ان اوسط العمر يمثل سنوات عمر الفرد تتسم عادة بالهدوء والطمأنينة والثبات والاستقرار الانفعالى والمادى واكتمال النضج وزيادة الخبرة .

واخيرا فقد امتدح القرآن امة الاسلام بان وصفها بانها امة وسط اى امة خيرة لا تطرف فيها: « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » . ■■

علي أحمد علي

الانسان المُعاصِر

بين السعادة والشقاء

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ كثيرا ما يرتد الانسان ببصره الى الوراء ، فيتحسر على ذلك « الماضي السعيد » الذي كان ينعم به آباؤه وأجداده ! وكثيرا ما يحدثنا الفلاسفة والادباء المعاصرون عن « شقاء الانسان الحديث » ، و « أزمة الحضارة المعاصرة » ، فلا نكاد نملك سوى الاقرار بان انسان الامس كان اسعد حالا من انسان اليوم ! ولا شك أن كلمات « الضياع » ، و« الغربة » ، و « القلق » ، و « اليأس » ، و « الشقاء » ـ وما الى ذلك ـ قد اصبحت تتردد اليوم على أسماعنا بكثرة ، حتى لم يعد احد منا يشك في أننا ـ بالفعل ـ اشقى بكثير من آبائنا وأجدادنا . .

الانسان المتحضر : أهو أشقى من الانسان البدائي ؟

وهذا واحد من فلاسفة الفكر الحديث ـ الا وهو ماكس شلر Max Scheler ـ يحدثنا عن الفارق بين الانسان البدائي والانسان المتحضر ، فيقول ان الرجل البدائي لا يكاد يعرف كل تلك الآلام العديدة المتنوعة التي تجيء بها الحضارة البشرية كلما أوغل الانسان في سبيل التقدم والتحضر ، في حين أن الرجل المتحضر يعاني الكثير من الآلام وضروب الشقاء ، بسبب ترقي حساسيته ونضج وعيه ، ورقة شعوره والواقع ان الانسان البدائي يكاد يحيا في شبه سرور دائم ، لدرجة انه يجهل الكثير من الآلام الأولية البسيطة التي يعانيها الانسان المتحضر ، على الرغم من أن التجربة شاهدة بان الانسان البدائي أكثر تعرضا ـ من الانسان المتحضر ـ لعوامل الصدفة ، وتأثيرات القوى الطبيعية ، وشتى ضربات القدر ! وعلى حين ان الرجل المتحضر قد أصبح اليوم بعيدا عن الطبيعة ، كما أنه قد أصبح فريسة للكثير من المخاوف ، نجد أن الرجل البدائي أقل منه احساسا بالبعد عن الطبيعة ، فضلا عن انه اقل منه شعورا بالخوف . ولهذا تقل ـ لدى الرجل البدائي ـ درجة الاحساس بالألم ، وتضعف لديه القدرة على تمييز المواقف الأليمة . وأما لدى الرجل المتحضر ، فان « المدنية » تعمل على زيادة احساسه بالألم ، وتقوية قدرته على ادراك المواقف المؤلمة . وليس غريبا ـ فيما يقول ماكس شلر ـ ان يكون من آثار الحضارة البشرية تزايد آلام الفرد والجماعة : فانه لمن الواضح أن تعقد أسباب الحياة لا بد من أن يفضي الى تنوع آلام الانسان . ومعنى هذا أن من شأن المدنية ان تجيء فتزيد من عمق الآلام البشرية لأنها في الوقت نفسه تجيء فتفتح أمام الرجل المتحضر مجالا واسعا لضروب كثيرة من المسرات . وسواء أردنا أم لم نرد ، فانه لا بد لنا من أن نشتري حضارتنا بأفدح الأثمان . لأن علينا أن نتقبل كل ما يجيء معها من آلام ، ومصاعب ، ومحن ! وبيت القصيد ـ في نظر ماكس شلر ـ انه لا بد لنا من أن نقيس مدى رقي كل من الفرد والجماعة بدرجة ما يعانيه (الواحد منهما والآخر) من محن ، وما يمر به من تجارب !

«حياةُ الإنسانِ، في كُلِّ زمانٍ ومكان، استقطابٌ بين اللذاتِ والآلام»

حياة الانسان استقطاب حاد بين السعادة والشقاء

.. بيد اننا كثيرا ما ننسي – أو نتناسي – انه مهما يكنْ من أمر تزايد الآلام – في ظل الحضارة المادية الحديثة – ، فان حياة الانسان – في كل زمان ومكان – قد كانت (وما تزال) استقطابا حاداً بين الألم واللذة ، بين السعادة والشقاء ، بين الصراع والتوافق .. وحينما قال بعض الفلاسفة ان « الاستقطاب » Polarity هو قانون الوجود البشرى ، فانهم كانوا يَعْنُون بذلك ان حياة الانسان – في جوهرها – تعارض ،وتناقض ، وصراع ، وتمزّق .. والحق انه اذا كان « الموضوع » Object هو بمثابة « توافق » او « تاليف » Synthesis ، فان « الذات » هى عبارة عن « صراع » او « تناقض » وليس«الصراع» سوى تعبير عن حالة « الثنائية » أو « الازدواج » التى يتسم بها الوجود البشرى .

وربما كان المظهر الاكبر لشقاء الوجود البشرى– في كل زمان ومكان – انه وَعْيٌ بهذه « الثنائية »، مع شعور – في الوقت نفسه – بعجز عن تجاوز هذه الحالة من « الانقسام » . وعلى حين أن الشعور السيكولوجي هو احساس بوجود«مسافة» او « بَوْن » يفصل الذات عن نفسها ، نجد أن الشعور الخلقى – او الضمير – هو بمثابة جهد تبذله الذات في سبيل الاقتراب (أو الدُّنوّ) من نفسها،بينما يبدو الوعى التاملى – او التفكير – بمثابة حركة تاليفية – وان كانت تظل دائما خفية أو ضمنية – من أجل الجمع بين هذين الشكلين من أشكال الوعى أو الشعور .

ولو شئنا ان نعرّف الوعى البشرى – بوجه ما من الوجوه – لكان في استطاعتنا ان نقول انه – في صميمه – « شعور» بالازدواج ، مع رغبة حادّة في بلوغ حالة الواحدية » وليست حالة «الواحدية» سوى المثل الأعلى لما تصبو اليه الذات، حين تتطلع في شوق ولهفة نحو « التطابق » مع نفسها . صحيحٌ أن « الذات » لا تصل مطلقا الى تحقيق هذا المثل الأعلى ، ولكن من المؤكد انها ما كانت لتشعر بانقسامها وتمزّقها ، لو لم تكن تهدف في قرارة نفسها الى بلوغ هذه الحالة المثالية من التوافق او الانسجام . وبعبارة أخرى، يمكننا ان نقرر – بصفة عامة – أن الانسان لا يشعر بازدواجه ، الا لأنه يريد في قرارة نفسه ان يكون واحدا !

الشقاء حليف الشعور بالتمزق والانقسام

وهنا قد يُقال ان كل هذه المشاعر احاسيس عصرية ، لم يكن للانسان القديم بها عهد ، لأنه لم يكن يعرف الانقسام والازدواج والصراع والقلق والتمزّق .. ولكن الحقيقة ان « الشقاء » لا يمثل بدعة جديدة ابتكرها انسان القرن العشرين ، بل هو يعبر عن طبيعة الموقف البشرى نفسه ،باعتباره مجرد صدىً وجداني لحالة « الصراع » او « الانقسام » . والواقع أن ما يسبِّب شقاء الوعى البشرى – في كل زمان ومكان – انما هو هذا الازدواج الذى يَسِمُ بطابعه كل وجود انسانى . وحينما قال أحد الفلاسفة المعاصرين « ان ما يكوّن صميم الوجود البشرى هو الشعور بالشقاء » ، فانه كان يعني بذلك أن حياةالانسان تأثر ، ومُعَاناة ، وعذاب ! ولكنه عذاب انسانى يشهد بقدرة الوجود البشرى على احتمال الألم من جهة ، والعمل على تجاوزه من جهة أخرى .

هل يكون « الشقاء » أيضا حليف « الوعى الخامل » ؟

.. انَّ الرجل الخامل – في كل زمان ومكان –

هو ذلك الذى يتقبل الألم ، ويستسلم بالفشل ، في حين ان الرجل العامل هو ذلك الذى يرفض الالم ، ويثور على الفشل ، واثقا من ان «الشر» لم يُخلق الا لكى يكون حافزا للارادة على العمل! وقد استطاع الانسان دائما ان ينتصر على «العبث» او « اللامعقول » : لانه لم يقف من الأحداث موقف المتفرج او المتامل ، بل هو قد اتخذ من « الفعل » أو « النشاط » ، وسيلة فعالة لتناسى « العبث » أو « اللامعقول » . وليس يكفى أن نقول ان الانسان الذى « يعمل » لا يجد لديه متسعا من الوقت للتفكير في «لا معقولية » الأشياء، وانما يجب أن نضيف الى ذلك ان « العمل » يقضى (ولو الى حين) على احساسنا بالتمزق او الانقسام ، فيزيل عنا الاحساس بالعذاب أو الشقاء . وآية ذلك أننا حين « نعمل » ، فاننا - ان صح هذا التعبير - « نتوحد » و«نتكامل» ونعبىء كل طاقاتنا في سبيل تحقيق هدف واحد، أو - على الأصح - نحن « نؤلف » بين كل قدراتنا وامكانياتنا ، من أجل بلوغ الغاية الواحدة التى نصوب كل سهامنا في اتجاهها . واما ذلك الذى لا « يعمل » ، فانه لا بد من أن يبقى صريعا لحالة « التمزق » أو « الانقسام » ، نظرا لانه لا يجد امامه « مرمى » يصوب سهامه اليه ، أو «هدفا» يعمل على بلوغه ، أو حتى مجرد « غاية » يتطلع اليها ! ومن هنا فقد يكون في وسعنا ان نقول ان اليأس هو دائما حليف ذلك الوعى الخامل الذى لا يجد أمامه ما يتطلع اليه ، وبالتالى لا يعمل مطلقا على تجاوز وجوده الخاص . واما الذات العاملة فهى تلك التى تعرف دائما السبيل الى حل ما يواجهها من ازمات : لانها تنظر الى الأمام، فترفض التسليم بالواقع ، وتعمل في سبيل المستقبل ، فتأبى أن تعد الحاضر دائرة مغلقة ! ولا ريب ، فقد كان الشقاء دائما ابدا علما على الاستكانة ، والتسليم بالواقع ، وقبول الوضع الراهن ، ورفض الايمان بامكانية التحسن ..الخ

هل نقول - مع البعض - انه لا وجود للسعادة المطلقة ؟

وهنا قد تعلو صيحات اهل التشاؤم معلنة اننا مهما ارهقنا ذواتنا بالعمل ، ومهما اجهدنا انفسنا في مقاومة الفشل ، فاننا لا بد من أن نجد انفسنا مضطرين للاعتراف بان الالم قدرنا ، وان الشرور لا تنفك تلاحقنا ، وان الفشل لا يمكن أن يرتفع عنا نهائيا ! والحق انه لو قدر للسعادة الخالصة ان تستوعبنا ، لوجدنا انفسنا غارقين في حالة وسن تام أو رقاد حقيقى ! وقد لا يكون في وسع الانسان - حتى ولا على سبيل التخيل - أن يتصور فردوسا أرضيا يرتفع عنه الالم تماما، ويختفى منه كل مظهر من مظاهر الشقاء !

وحين يقول المثل الأجنبى المعروف « انه ليس للشعوب السعيدة من تاريخ » ، فان هذا القول لا يعنى - من وجهة نظر الفلسفة - سوى أنه لا وجود للكائن السعيد على الاطلاق ! وحسبنا ان نعود الى كتابات الفلاسفة ، قديما وحديثا ، لكى نتحقق من ان واقعة « السعادة » نفسها لا تقوم الا فوق « خلفية » من الاحساس بالالم ، أو القلق ، او الفشل .. الخ . صحيح اننا - جميعا - نتوق الى السعادة المطلقة ، ونحن الى الانسجام التام ، ولكن من المؤكد أن هذه الحالة السكونية المزعومة لا يمكن مطلقا ان تتحقق لدى موجود زمانى ، حركى ، دائب الصيرورة ! والا ، فانى لكائن ممزق شريعته الانقسام ، ان يظفر بالتكامل والانسجام ، أو كيف لمخلوق مزدوج لسان حاله الاستقطاب ، أن يتوصل الى الاتحاد والاستقرار ؟!

.. أجل ، فان حياتنا - بالضرورة - ايقاع مستمر من السعادة والشقاء !

... « ان الناس جميعا - فيما يقول بسكال Pascal - يبحثون عن السعادة ، حتى اولئك التعساء الذين يقدمون على ازهاق أرواحهم»! وقد نعجب لهذه الحقيقة ، ولكن ربما كان السر في ذلك ان الناس حين ينشدون السعادة ، فانهم لا يعرفون - على وجه التحديد - ما الذى يبحثون عنه ، وليس من الغرابة في شيء الا يهتدى الانسان الى شيء يجهله ! وحينما قال كنط Kant ان مفهوم السعادة مفهوم غامض غير محدد ، فانه كان يعنى بذلك ان السعادة « مثل اعلى »يصوره لنا الخيال ، لا العقل » . وقد لا تكون فكرة السعادة سوى محاولة وهمية يقوم بها الخيال

البشري من اجل صبغ اللحظة السارة العابرة النسبية المؤقتة ، بطابع الحقيقة الدائمة المطلقة الخالدة ، وكأنَّ في وسع اللذة الجزئية الخاطفة ان تستحيل الى متعة كلية دائمة ، تصاحب ــ بلا توقف ــ كل مرحلة من مراحل حياتنا ! والحق أن حلم السعادة هو الذي يصوِّر لنا امكان قيام مثل هذه الحالة السارة الدائمة ، على شكل وضع مستقر دائم .

واما اذا عرفنا أن وجودنا ــ بطبيعته ــ استقطابٌ ومرّاوحة ، لا مجرد وضع او حالة ، ــامكننا ان ندرك أن في الامتناع عن الصيرورة ــ بالنسبة الينا ــ انقطاعا عن الوجود ، وانه لا بد لنا بالتالي من هذا الايقاع المستمر : ايقاع السعادة والشقاء ! ولعلَّ هذا هو السبب في أن كل من يتصور نفسه قد بلغ حالة السعادة ، لا بد من أن يجد نفسه في وضع شاذٍّ ، قوامه الانغلاق او الانحباس ، وكأنَّ ذاته قد استحالت الى دائرة مغلقة على ذاتها ! وسواء أكانت هذه الحالة حقيقية ام وهمية ، فان من شأن صاحبها ــ بالضرورة ــ ان يفقد كل مقدرة على التواصل مع الآخرين ، لكي لا يلبث ان يستحيل الى ذرة تافهة معزولة تماما عن العالم .

.. موقفنا البشري نفسه يضطرنا الى مواجهة الفشل ..

اننا كثيرا ما نتحدث عن سعداء واشقياء ،ولكن هؤلاء واولئك حالمون،عاجزون عن الاستمتاع بحياة بشرية سوية ! واذا صح ما يقولونه عادة من أن الاضداد في تماسٍّ ، فلا بدع أن يكون مَثَلُ السعداء كمثل الاشقياء من حيث ان هؤلاء واولئك لا يتمتعون بحياةٍ انسانية عادية ، ملؤها الهوى والانفعال ، ورائدها الجهد والحماسة ، وقوامها النجاح والفشل ! اليست الحياة البشرية نسيجا من الاضداد ، فكيف نتصور موجودا تخلو حياته تماما من كل قصور ، او ضعف ، او قلق، او صراع ، او تمزق .. الخ ؟ صحيحٌ أن ارادة السعادة هي الرغبة في تجنب الفشل ، ولكن من المؤكد ــ مع ذلك ــ ان الرغبة في التحامي عن كل فشل ، انما هي هروب من كل موقف بشريٍّ ! وقد تكون اكبر نعمة يمكن ان يظفر بها الانسان على ظهر هذه الارض هي أن يحيا حياة انسانية عادية ، فلا يقع بين براثن الشقاء من جهة ، ولا يجد نفسه اسيرا لوهم «سعادة المطلقة من جهة اخرى !

هل من سبيل الى الحصول على « السعادة » ؟

ولكن ، هل يكون « البحث عن السعادة » ــ في نظرنا ــ عبثا لا طائل تحته ، او جهدا ضائعا لا معنى له ؟ السنا نلاحظ أن كَنْط Kant نفسه ــ وهو الفيلسوف الذي أدان اخلاق السعادة ــ قد عاد فأكد أن « البحث عن السعادة » واجب اخلاقي ؟ يبدو لنا انه وان كان من المستحيل علينا أن ننظر الى « السعادة » باعتبارها هدفا جزئيا محدَّدا ، الاَّ أن في وسعنا أن نعدَّها بمثابة افق نصوِّب نحوه كل آمالنا واحلامنا ومطامحنا ومطامعنا .. الخ . فليس في استطاعتنا أن نريد شيئا ، دون أن نريد « السعادة » في الآن نفسه، وكأنما هي الهالة التي تحيط بارادتنا نفسها . وبعبارة اخرى يمكننا ان نقول انه لا معنى للسعادة ــ في نظر الانسان ــ اللهم الا باعتبارها « تفتُّحا تامّا ، واكتمالاً اخيرا » (على حدّ تعبير أحد الفلاسفة المعاصرين) بحيث أن مفهوم السعادة لا يمكن أن ينفصل ــ في نظرنا ــ عن « مقولةالشمول» (او « الكلية ») Category of Totality . ومن هنا فانه قد لايكون من حقنا ــ ولا من واجبنا ــ أن نريد السعادة في ذاتها ولذاتها ، وانما حَسْبُنا أن نحقق ذواتنا على الوجه الأكمل ، آملين أن توهب لنا السعادة ــ بعد ذلك ــ وكأنما هي « شيء زائد » قد أعطى لنا بالمجان !

وقد فطن فيلسوف الأخلاق المعاصر نيقولاي هارتمان Nicolai Hartmann الى أن السعادة ليست سوى « ظاهرة مُصاحبة » ، فقال ان مثل السعادة ــ كمثل الحب ــ من حيث أن كلاًّ منهما لا يمكن أن يكون « موضوعا » نجاهد في سبيل الوصول اليه ، او نعمل على الظفر به ! وربما كان من طبيعة السعادة ــ فيما يقول المفكر الالماني الكبير ــ انها لا تكفُّ عن استثارة الانسان والسخرية منه : فهي لا تفتأ تغريه ، وتخدعه ، وتضلله ، لكي لا تلبث ان تتركه فارغا ، خاويا ، صفر اليدين ! وقد تلاحق السعادة انسانا انصرف عنها،

وراح يبحث عن قيم أخرى غيرها ، ولكنها لا بد من ان تهرب من ذلك الانسان الذى يحاول الامساك بها ، والقاء القبض عليها ! ولو شاء مثل هذا الانسان أن يمضي في البحث عنها ، وان يعمل جاهدا في سبيل الحصول عليها ، فانها عندئذ لا بُدّ من ان تمعن في التدلل عليه والتهرب منه ، حتى اذا ما كف عن السعى وراءها ، وأقلع نهائيا عن البحث عنها ، راحت تغازله من بعيد ، وتغريه مرة أخرى بمعاودة الجرى خلفها ، وهلمّ جرّا!.. ومعنى هذا أنه ليس ثمة « صَنْعَة » خاصة لاقتناص السعادة ، او الظفر بها ، بل ان من شأن « السعادة »باستمرار أن تفاجئنا من حيث لاندرى، او ان تتقدم الينا على غير ميعاد ، دون ان يكون في وسعنا يوما ان نحصل عليها كـ « نتيجة » ترتتبت على بعض « المقدمات » ، أو كشىء «متوقع» قد مهدنا له السبيل ، وكأنما هى « مكافأة » لنا على « فعل » قمنا به .. !

لا قيام للأخلاق على مبدأ « البحث عن السعادة » ..

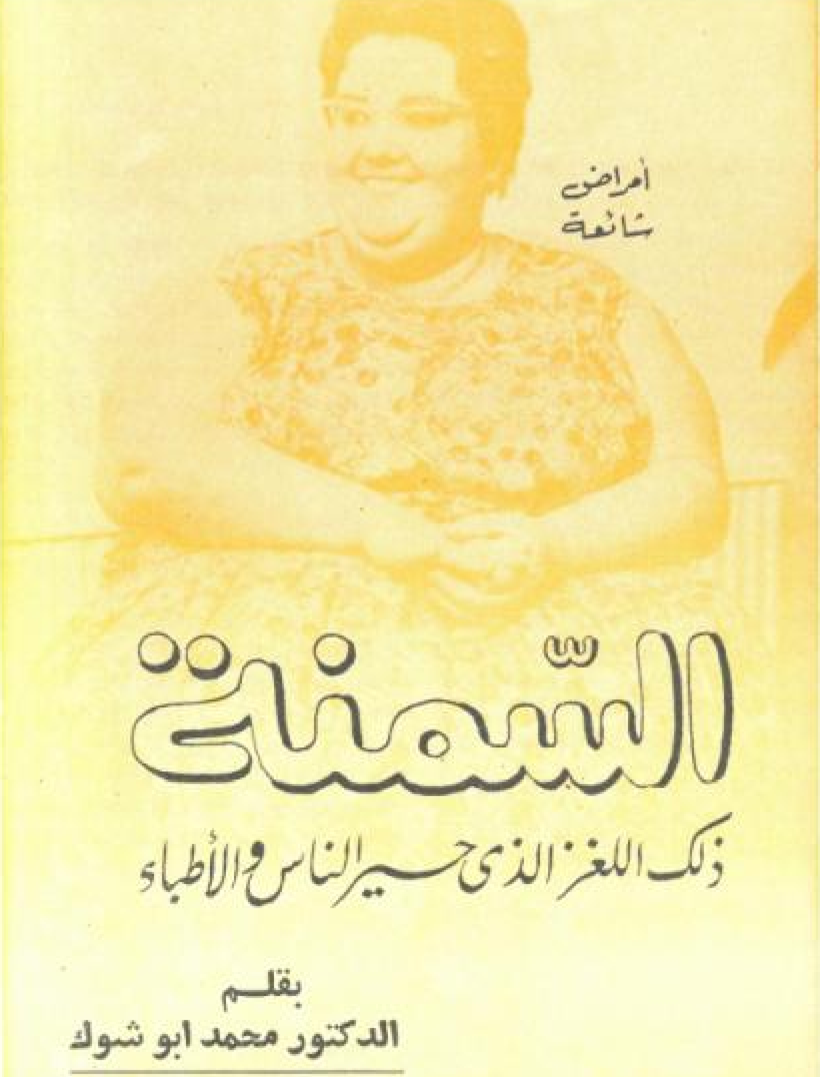
والحق أنه اذا كان الفلاسفة القدماء ـ من امثال ارسطو والرواقيين وابن مسكويه وغيرهم من فلاسفة الاخلاق ـ قد قالوا بمذهب السعادة ، فان فلاسفة الاخلاق المعاصرين قد أصبحوا على وعى تام باستحالة اقامة الاخلاق على مبدأ السعادة . وآية ذلك ان « السعادة » ـ في رأيهم ـ ليست رهنا بتلك الخيرات الجزئية التى يسعى المرء عادة في سبيل الظفر بها ، بل هى تتوقف ـ اولا وبالذات ـ على ضرب من الاستعداد الباطنى السابق . ومن هنا فان السعادة رهن بما لدى الفرد نفسه من حساسية او مقدرة على بلوغ السعادة . وكثيرا ما يجىء « البحث عن السعادة » فيفسد على الفرد ما لديه من « حساسية » أو « قابلية للسعادة » ، وكأنّ من شأن « السعادة » أن تَنِدَّ عن كل جهد يراد من ورائه الحصول عليها ، او الظفر بها .

وان السعادة ـ كما أسلفنا ـ لتدعنا نَحِنّ اليها ، ونتحرق شوقا في سبيل الظفر بها ، ولكنها قلما تسمح لنا بان نتملكها عن طريق السعى المتواصل او البحث المستمر . وليس من شأن السعادة أن تهرب من مطارديها فحسب ، بل هى لا بد أيضا من أن تترك في نفوسهم مشاعر القلق والتلهف والتعطش والحنين المستمر ! ولعلّ هذا هو السبب في أن أشقى الناس على ظهر هذه الارض كثيرا ما يكونون هم أكثر اهل الدنيا بحثا عن السعادة ! وعلى العكس من ذلك ، كثيرا ما تجىء السعادة فتدنو منا ، ولكن من الجانب الآخر الذى ما كنا ننتظر أن تجيئنا منه ! وهى عندئذ لا بد من ان تجيئنا على سبيل الهبة أو المنحة،لا كمكافأة او جزاء . ولهذا يقرر الفيلسوف الأخلاقى المعاصر هارتمان ـ مرة اخرى ـ ان المذهب الأخلاقى الذى يدعو الى « السعى وراء السعادة » لا بد من ان يكون مذهبا يهدم نفسه بنفسه ، ما دام من شأن كل جهد يُبْذَل في سبيل الحصول على السعادة ان يقودنا الى العجز التام عن التمتع بالسعادة !

أخيرا ، لم تعد « السعادة » عندنا اليوم هى « قيمة القيم » ..

وأخيرا ، نعود الى السؤال الذى طرحناه في مستهل هذا المقال فنتساءل : هل أصبح انسان اليوم أشقى من انسان الأمس ؟ أم لعله قد أصبح اقدر من سلفه على تفهم حقيقة الموقف البشرى فلم يعد يطمع في السعادة المطلقة ؟ ألسنا نلاحظ أن الفلاسفة المعاصرين قد صاروا يؤكدون استحالة بلوغ « السعادة المطلقة » ، لأنها لن تكون ـ بالنسبة الى الانسان انْ وجدت ، سوى حالة من السُبات التام أو الرقاد المطلق ؟ بل ألسنا نجد بعض المفكرين المعاصرين يقررون أن كل مظهر من مظاهر تفتح الوجود البشرى ـ بما في ذلك الحب ، والابداع الفنى ، وغير ذلك ـ لا يمكن أن يتحقق دون عذاب او ألم ؟ فهل من عجب بعد ذلك ان نرى « قضية السعادة » تتراجع لكى تترك مكانها لقضايا أخرى اكثر اهمية ، كقضية الحرية التى تستلزم جهدا ومشقة ، حتى يكون في وسع الانسان أن ينتزع نفسه من براثن الطبيعة ؟ وهل من الغرابة في شىء ـ بعد هذا كله ـ أن نجد لدى الانسان المعاصر من الواقعية ما يجعله يرفض كل سعى رخيص وراء السعادة ، لأنها لم تعد في نظره « قيمة القيم » ؟!

زكريا ابراهيم



أمراض شائعة

السمنة

ذلك اللغز الذى حير الناس والأطباء

بقلم
الدكتور محمد ابو شوك

■ مهما جد من جديد في السمنة فالسبب الرئيسي والهام في حدوثها هو الافراط في الطعام والشراب وتبقى كلمة الله الخالدة لما يعرفه من تكوين خلقه وما ينفعهم وما يضرهم، وكلمته الباقية ما دامت الحياة وما دام الانسان « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وتبقى احاديث رسوله الكريم هادية وتنير الطريق لمن شاء ان يحفظ لبدنه السلامة ويقيه مضاعفات السمنة المفرطة ، ومن احاديثه « نحن قوم لا ناكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ومنها « ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه » .

ولقد توصل العلماء حديثا بعد بحث مستفيض ان بجسم الانسان خلايا دهنية تكبر وتصغر وفاقا لما تحويه من مادة دهنية مختزنة بداخلها ، فاذا زادت كمية الطعام على ما يتطلبه الانسان من مواد كافية لنشاطه الجسمانى وعمله العضلى ـ اختزن جسمه الفائض في هذه الخلايا فتنتفخ وتكبر وتظهر السمنة تدريجيا ، واذا ما قلل الانسان

من الطعام وزاد من مجهوده استنفد المختزن وصغرت الخلايا الدهنية ، ونقص الوزن تبعا لذلك .

وكذلك من الملاحظ انه لو عاد الانسان الى الافراط مرة اخرى كبرت الخلايا الدهنية وزاد الوزن بمعنى ان حجم الخلية الدهنية يزداد مع زيادة في عددها ايضا ويحبذون هذه النظرية ، لانه في بعض الحالات مهما صغر حجم الخلية الدهنية فان السمنة تبقى ولو الى درجة متوسطة، عندما يتبع البدين النظام الخاص القاسي في التغذية

عوامل التحكم في تناول الطعام

ويكون السؤال ما هى العوامل التى تتحكم في تناول الطعام ؟

وبعد القيام بتجارب عدة على الحيوانات ثم من تتبع الامراض التى تصيب الجهاز العصبي وجد انه توجد مراكز التحكم في تناول الطعام في منطقة تدعى سرير المخ Hypo thalamus ويجاورها المراكز التى تتحكم في البحث عن الطعام ، هذه المراكز تكون تحت تاثير مواد كيمائية تفرز في نهاية الاعصاب التى تؤثر عليها ، من هنا جاءت الفكرة من ان اعطاء المواد التى تحتوى مادة الامفيتامين Amphetamin تؤثر على نهاية الاعصاب التى تتحكم في مركز تناول الطعام فيحس الانسان بعدم الرغبة فيه وقد انتشرت هذه المادة في حبات تطرح في الاسواق لانقاص الوزن ، ولكنه وجد ان لهذه المواد تاثيرات اخرى على الجسم جعل الحد منها واجبا ، بل ان استعمالها غير مستحب اذ هى تضر في بعض الحالات تبعا لكمية مادة الامفيتامين فيها ، فهى تسبب اضطرابات نفسية ، مع الارق، والانفعالات لاسباب بسيطة ، والرعشة في اليدين، وهبوط الضغط ، وغير ذلك من تاثيرات . لذا كان من الواجب ان لا تؤخذ جزافا ولكن لابد وان تكون تحت رقابة طبية شديدة .

وبعد دراسة مستفيضة وجد ان تاثير هذه الحبوب التى بها مادة الامفيتامين لا تنقص من عدد الخلايا الدهنية ولكن تنقص من حجمها فيقل الوزن تبعا لذلك ، وتعود الخلايا لحالتها الطبيعية اذا عاد الانسان وتناول كمية كبيرة من الطعام تزيد على حاجته ، لذا كان من الخطا الاعتقاد بان الانسان حر ياكل ما يشاء اثناء تناول الحبوب وبعدها ، فهو في هذه الحالة سوف لا ينقص وزنه بل انه يزداد .

والشيء الآخر المهم هو انه قد وجد ان الانسان اذا تعاطى وجبة واحدة طول اليوم فان هذه الوجبة تساعد على تمثيلها التمثيل القوى بحيث انها تؤول في النهاية الى زيادة نسبة الجلوكوز في الدم ، وزيادة نسبة المواد الدهنية المختلفة وتخزينها في خلايا الدهن ، اى ان نظام الوجبة الواحدة يساعد على السمنة ولا يقللها وكم واجهت حالات كثيرة من هذا القبيل ، تقول البدينة انني لا آكل الا وجبة واحدة في اليوم وهى لاتدرى انه بفعلتها هذه انما تساعد الجسم على خزن المواد الدهنية ، لذا كان من الواجب ان تقسم السعرات اللازمة للجسم على وجبات ثلاث او اربع صغيرة حتى لا تستنفر كل طاقات التمثيل وتؤول في النهاية الى السمنة ، وليس معنى ذلك ان ياكل الانسان وجبات كبيرة اربع او خمس مرات بل الكمية اللازمة تقسم على وجبات ولا تؤخذ في وجبة واحدة كما يفعل البعض .

وكذلك ثبت بالتجربة ان الذين عندهم استعداد للسمنة يتاثرون كثيرا بالعوامل الخارجية التى بالتالى تؤثر على تناولهم الطعام عكس نحاف الاجسام ، ولاضرب لذلك مثلا ففى بعض سمان الاجسام نجدهم مثلا عندما يغضبون او يحزنون او يفرحون نجد ان رغبتهم في الاكل تزداد لكن نحاف الاجسام الذين لا يجدون شهية لاى طعام لا يكترثون للاقبال على الاكل مهما كانت المغريات والمشهيات ولا يزال البحث جاريا للوصول الى عمق هذه الاعراض والحقائق التى نشاهدها ولو ان هناك نظريات عدة لتفسير هذه الظاهرة ولكنها كلها ما زالت غير ثابتة وقيد البحث .

تغير الهرمونات

ما هى التغيرات التى تحدث في الهرمونات الاخرى في الجسم ؟

لقد لوحظ انه بعد ظهور السمنة تتغير نسبة الهرمونات الاخرى في الجسم فترتفع نسبة الانسولين ، ونسبة الكورتزون وتقل نسبة هرمون النمو ، وهذا التغيير ليس هو الذى يسبب السمنة كما يعتقد ولكنه ناتج عن حدوثها ، لانه

لوحظ كذلك ان هذه الهرمونات تعود الى حالتها الطبيعية بعد نقص الوزن ، واسترجاع الجسم لوزنه الطبيعي . هذا التغير في الهرمونات يساعد على زيادة حجم الخلية الدهنية ، وزيادة ما تختزن من مواد دهنية ، ولعل لطعام البدين دخلا في ذلك ، فاذا زادت كمية البروتينات في طعامه كانت سببا في زيادة افراز واستقطاب هرمون الكورتزون ، وبزيادة المواد الكربوهيدراتية تزيد نسبة افراز الانسولين .

وكذلك لوحظ زيادة نسبة الهرمون المعاكس لفعل الانسولين وهو الذى يفرز من خلايا في البنكرياس ويسمى بالجلوكاجون Glucagon هذه الزيادة في هذا الهرمون تنعكس في ان العضلات لا تستفيد من مادة الجلوكوز ، فتزداد في الدم ، وبالتالى تتحول مواد دهنية تذهب الى الخلايا الدهنية فيزداد بالتالى حجمها .

من هنا يتضح جليا انه ــ نتيجة للسمنة ــ يحدث تغير في هرمونات الجسم يزيد من السمنة ويركزها .

وماذا استحدث من علاج ؟

هناك طريقة العلاج السريع الحاسم وهو يتلخص في تجويع المصاب فلا يعطى الا ما بين ٣٠٠ و ٦٠٠ سعر يومى ، وتستعمل هذه الطريقة فقط تحت اشراف الطبيب ، وفي المستشفى ، او مكان خاص بعيد عن البيت ، تحت رقابة شديدة ، لعمل التحاليل اللازمة ، وللاحظة المضاعفات ان حدثت ، وهى تستعمل للمرضى المصابين بالبدانة المفرطة التى تؤثر تاثيرا شديدا على اجسامهم ، وبالتالى لا يمكنهم القيام باى عمل جسمانى ، او للذين بذلوا محاولات عدة لانقاص وزنهم بالطرق العادية دون فائدة . على ان لهذا الرجيم القاسي مضاره ومضاعفاته ، والعبرة ليست في انقاص الوزن بسرعة وبكمية كبيرة ، ولكن العبرة في المحافظة على هذا النقص ، والوصول بالمريض الى المستوى الطبيعى لوزنه .

والملاحظ في هذه الطريقة هو النقص الشديد الذى يحدث في بادىء الامر وذلك تبعا لوزن المريض ، فالنقص مثلا فيمن بدأ بوزن ١٥٠ كيلو جرام يختلف عن النقص فيمن بدأ بـ ١٢٠ كيلو جرام ، اذ انه يكون اكثر في صاحب المائة والخمسين كيلو جراما . ويلاحظ انه يكون شديدا في الايام الاولى ثم يكون تدريجيا .

وفي حالات السيدات يرتفع بعض الشيء عند حدوث العادة الشهرية وقبلها بايام ، وتستمر الطريقة هذه في العلاج لفترة شهرين ، وفي المتوسط ينقص الوزن حوالى ١/٢ كيلو غرام يوميا ، ويفقد الجسم الماء بكميات كبيرة في اول يوم (حوالى ٥ كيلوجرامات) فنجد المصاب بسمنة يشعر براحة خصوصا اولئك الذين يعانون من نزلات شعبية مزمنة مع زرقة بالوجه او الذين يعانون من تورم شديد في البطن والاطراف السفلية نتيجة لتكدس كميات كبيرة من الماء داخل الجسم . وعند فقدان كمية كبيرة من السوائل تقل نسبة البلازما حوالى ٢٠٪ وتبعا لذلك ينخفض ضغط الدم ويحس البدين بدوار شديد عندما يقف على قدميه وتزداد خطورة هذا النقص في ضغط الدم عند المصابين بنقص في الدم الذاهب الى المخ او القلب لذا نرى معظمهم عندما يحسون بهذا الاحساس يقلعون عن التجربة القاسية التى يعيشونها لنقص وزنهم ، ويفضلون عليها السمنة مع عدم حدوث هذا الدوار الشديد وعدم القدرة على القيام باى عمل مع عدم التمتع بالحياة ، ويزيد هذا الهبوط في ضغط الدم اذا كان البدين معتادا ان ياخذ حماما ساخنا في الصبح .

هذا الهبوط في ضغط الدم مفيد عند الذين يعانون من ارتفاع في ضغط الدم ، ولكن يلاحظ ان تقلل كمية العلاج عندما يقومون باتباع الحمية الخاصة خوف التعرض للهبوط الشديد . وفي بادىء الحمية الشديدة يتعرض الجسم لنقص في البوتاسيوم ويفقد الجسم كذلك الماغنيسيوم والكالسيوم والفوسفات ولكنها لا تؤثر على وظائفه المختلفة وتعود لحالتها الطبيعية بعد فترة التجويع .

وتنقص بروتينات الجسم وينعكس ذلك على العضلات ، ولكن لا يتأثر الجسم بهذا النقص ، اذ ان العضلات الباقية يمكنها ان تحمل الجسم بعد ان يعود الى مستواه الطبيعى بعد فقد الدهن ، ويفتقد الجسم كمية من الدهن المخزون داخل الخلايا ، فتنكمش ويقل حجمها ، وتزداد نسبة المواد الكيتونية في الدم مما يسبب طعما غير

مستحب بسبب الغثيان ، مما يساعد على عدم الاقبال على الطعام ، وترتفع كذلك نسبة حامض البوليك المسبب لمرض النقرس ، فيظهر هذا المرض عند الذين عندهم استعداد له ، وتحدث نوبات الام حادة في المفاصل ، لذا كان من الواجب اعطاء هؤلاء العلاج الذي ينقص هذه النسبة كاقراص البينامبد Benemid او الزيلين Zyline مع الاكثار من شرب الماء حتى لا تترسب الاملاح في مجرى البول ، ويستحسن اعطاء بيكربونات الصودا ، ليكون البول قلويا ، فلا يساعد على حدوث حصى البول الناتج من ارتفاع امـــلاح حامض البوليك .

وكذلك تهبط نسبة السكر في الدم الى مستوى اقل من الطبيعي ، ولكنها ترتفع تدريجيا الى ان يصل الى النسبة الطبيعية عند الوصول الى وزن الجسم الطبيعي ، ولا يظهر السكر في البول ، ويختفي وجود البول السكرى اللازم للسمنة عند التخلص منها ، وتتأثر نسبة الفيتامينات وتقل ، لذا كان من الواجب مد الجسم بالفيتامينـــات اللازمة بما في ذلك فيتامين ب على اختلاف انواعه وفيتامين (ج) و (د) وحـــامض الفوليـك Folic Acid ويسود الاعتقاد بان الفيتامينات تزيد من السمنة وهو اعتقاد خاطىء ،فالفيتامينات لا تزيد الوزن بل يجب على من يتبع الرجيـــم القاسي ان يتناولها خوفا من حدوث مضاعفات من نقص الفيتامينات .

ما عاقبة الرجيم القاسى بعد شهرين ؟

يبدأ في تعاطى الوجبات اللازمة المحـــددة ، ويستحسن ان يتناول المريض اولا ـ لمدة يومين او ثلاثة ـ السائل المحلى فقط ، كالشاى مثلا بالسكر ، ثم يعطى طعاما يحتوى على ٥٠٠ سعر لفترة ، ويزاد ذلك تدريجيا حسب حاجة كل مريض بالسمنة ، وبحيث لا يزيد وزنه عن المستوى الطبيعي له ، وفي بعض الحالات يرتفع الوزن نتيجة لاختزان الماء في الجسم ، ولكن سرعان ما يحـدث ادرار بول يساعد على التخلص منها بعد ثلاثة اسابيع

ما دور هرمون الثيروكيسين Thyroxin ؟

هذا الهرمون تفرزه الغدة الدرقية ، وزيادته في الدم تساعد على احتراق المواد الغذائية ، فحيثما نجد ان هناك نقصا في هذا الهرمون في اصحاب السمنة المفرطة نجد انه لو اعطى الهرمون بكميات كبيرة تحت اشراف الطبيب ، ولنوع خاص من المصابين من السمنة ، وليس لكل صاحب سمنة مفرطة ، فان هذا يساعد على نقص الوزن على ان لهذا الهرمون مضاعفاته ، فربما سبب اضطرابات في ضربات القلب لذا كان الاشراف الطبي الدقيق هاما في مثل هذه الحالات .

وما هي العمليـات التي تجرى لعلاج السمنة ؟

هناك عملية تجرى لبعض الحالات الشـاذة التي لا تستجيب لأى علاج حتى لعلاج الرجيم القاسي ، وتتلخص العملية في ان تقتصر عملية امتصاص الطعام على جزء قصير من الامعـــاء الدقيقة ، فتوصل حوالى ٣٥ سم من اول الامعاء الدقيقة بحوالى ١٠ سم من آخر هذه الامعاء اى ان الجزء الذى سيمتص الطعام يكون حوالى ٤٥ سم ، اى نصف متر ، بدلا من اربعة امتار هى طول الامعاء الدقيقة ، ولقد لوحظ انه بواسطة هذه العملية ينقص الوزن حوالى ٣٥ كيلوجراما في السنة الاولى التى تلى العملية ، و ٣٢ كيلوجراما في السنة التى تليها و١١ كيلوجراما في السنة التالية ثم يبقى الوزن الطبيعي او فوق الطبيعي بقليل . ولكن وجد في بعض الحالات النادرة بعد العملية ان الوزن يزيد نتيجة لتكيف الجزء الباقى من الامعاء وامتصاصه معظم الغذاء الذى يمر به ويتعرض الشخص الذى تجرى له مثل هـــذه العملية الى اسهال شديد عند تناوله طعـــاما دسما ، لذا نراه يتجنب هذه الاطعمة ، وبالتالى يحافظ على وزنه .

وفي بعض الحالات تقع مضاعفات شديدة ، ربما تودى بحياة المريض، ففى بعض الحالات يحدث انسداد في الامعاء او تسرب عند ملتقى الجـزء العلوى والسفلى منها ، ثم النقص الشديد في الفيتامينات والحديد والاملاح المختلفة ، فتحدث امراض مختلفة ، وكذلك لوحظ انه احيانا تحدث الام مفصلية ، ويتأثر الكبد ، وربما حدث به تليف ، لذا كان من الواجب تتبع حالة الكبـد واذا وجدنا انه يتقدم نحو التليف ارجئت العملية

على أن يمر الطعام في جميع أجزاء الامعاء ، ولا بد من اعطاء الفيتامينات والاملاح اللازمة بما في ذلك فيتامين (ب١٢) مع تتبع حالة المريض ، وعمل الفحوصات اللازمة له من آن الى آخر وفي بعض الحالات تكون المضاعفات شديدة ويفضل البعض السمنة المفرطة على المضاعفات التى تنتج من العملية .

وعند فقدان كميات كبيرة من الوزن مع عدم القيام باى تمرينات رياضية تكون عضلات البطن ضعيفة مما يساعد على سقوط الامعاء داخل البطن وبسبب ذلك الامساك الشديد الذى يشكو منه المرضى عندما يفقدون كمية كبيرة من اوزانهم ، وكذلك يتعرضون في بعض الحالات الى آلام معوية، نتيجة التواء في الكلى عندما تكون حركتها كثيرة ، بعد فقدانها كميات كبيرة من الدهن كانت تحيط بها .

لذا كان من الواجب أن تمارس الالعاب الرياضية لتقوية عضلات الجسم وأهمها المشي والتدليك

علاج حالات السمنة المتوسطة

ولعله من الانصاف أن نذكر هنا بعض النواحي اللازمة في معالجة السمنة خصوصا المتوسطة التى لا تحتاج الى رجيم شديد أو تجويع ، علينا أن نتذكر أن الجسم يحتاج للغذاء لامداده بالطاقة اللازمة للمجهود الذى يقوم به،لبناء خلايا الجسم التى تتعرض للهدم فهو اذن يحتاج الى عدد من السعرات الحرارية للطاقة،وتحسب هذه السعرات حسب المجهود العضلي الذى يقوم به الانسان مع زيادة السعرات أثناء الحمل للسيدات ، فاذا زادت الكمية وخلد الانسان للراحة اختزنت داخل الجسم على هيئة دهن وكانت السمنة .

لذا كان من الواجب حساب ما يتطلبه الانسان بدقة ، حتى لا يتعرض للسمنة ، مع قيامه بالتمرينات الرياضية وغيرها من الحركة اذا كان عمله لا يتطلب مجهودا عضليا لذا نجد السمنة منتشرة في أصحاب المهن المريحة كالمديرين والكتبة وأصحاب الاعمال الجالسة ومن على شاكلتهم ، اولئك الذين حرموا حتى في هذه الايام من الحركة للذهاب الى اعمالهم ما دامت السيارة والمدنية هيأت لهم كل اسباب الراحة .

فاذا حدث وتعرض أحدنا للسمنة المتوسطة وجب عليه أن يقلل من السعرات اللازمة له ليأخذ من مخزون الدهن الذى اختزنه ، وبذلك يقلل وزنه ، والمهم في الموضوع هو انقاص الوزن ، تدريجيا حتى لا يحس المريض بالسمنة اى ضيق من الرجيم .

وقد وضعت عدة طرق للاقلال من الطعام ، ولكن المهم أن تصل في النهاية الى اكل يوازى حوالى ٩٠٠ – ١٠٠٠ سعر يوميا ، ويجب أن يقسم على ثلاث وجبات حتى لا يحس الانسان بالجوع ، ولا يأخذ ١٠٠٠ سعر وجبة واحدة ، ولا يتناول أى طعام بين الوجبات اذا أحس بالجوع فليأكل بعض الخضراوات مثلا كالطماطم والخيار وما شابهها وليكن طعامه محتويا على المواد البروتينية اللازمة للجسم والأملاح ، بما فيها الحديد ، حتى لا يتعرض لفقر الدم وهذا ما يحدث في معظم الحالات ، ويحتوى الطعام على معظم الخضراوات والفواكه الطازجة لتمده بالفيتامينات اللازمة ، ولا بد أن يتبع هذا النظام الخاص الى أن يصير وزنه طبيعيا ويداوم على الطعام اللازم لما يحتاج من طاقة دون زيادة ، حتى لا يتعرض للسمنة مرة أخرى .

كذلك لا بد له من الرياضة والمشي حتى لا تضعف العضلات بفقدان الدهن .

وعلاج السمنة يحتاج الى عزيمة قوية كحالة الاقلاع عن التدخين والمشروبات الروحية ،فلتكن العزيمة القوية الدائمة رغم كل الاجراءات التى تواجه الانسان في الطعام والحفلات والمآدب وما زالت الابحاث تجرى في معظم مراكز العالم للوقوف على ما خفي من هذا المرض ، وللوقوف على أحسن علاج له خصوصا في الحالات المستعصية ، لتقى البشرية مضاعفاتها ، من ارتفاع ضغط الدم ، وانسداد في الشرايين ، ومرض البول السكرى ، والآلام المفصلية ، والتهاب الرئتين والمرارة ، وغير ذلك من مضاعفات ، ليعيش الفرد حياة كفاح تكتنفها الصحة والسعادة . ■■

دكتور
محمد محمد أبو شوك

مسابقة العربي

١٠ أسئلة و١٠٠ دينار جوائز

■ تتميز مسابقة هذا العدد بأنها تتناول موضوعات شتى . والمطلوب منك الاجابة اجابة صحيحة على ٨ أسئلة لكي تفوز باحدى جوائز المسابقة .

(١) العالم العربي منطقة بترولية كما تعلم ، وفيها من حقول البترول الغنية ما يشار اليه بالبنان . وفيما يلي اسماء اربعة من اشهر هذه الحقول ، والمطلوب هو ان تحدد الدولة التي يقع فيها كل حقل من هذه الحقول الأربعة :

حقل برقان مرجان الغوار امال

(٢) حرب الافيون هي الحرب التي قامت بين بريطانيا والصين سنة ١٨٤٠ ، ترى ما هو السبب في تسميتها بهذا الاسم ؟

ا ـ لان انجلترا نشرت الافيون بين صفوف المقاتلين الصينيين .

(ب) لان الصين حرمت تعاطي الافيون واستيراده ، فقضت بذلك على الأرباح التي جنتها بريطانيا من تصديره .

(٣) تختلف الفيلة الهندية عن الافريقية في نواح عديدة ، منها ان اذان الفيلة الافريقية اكبر كثيرا من اذان الهندية . والملاحظ ان شركات السيرك في شتى انحاء العالم تفضل الاعتماد على الفيلة الهندية للاشتراك في استعراضاتهم اما سبب ذلك فهو احد الاحتمالات التالية :

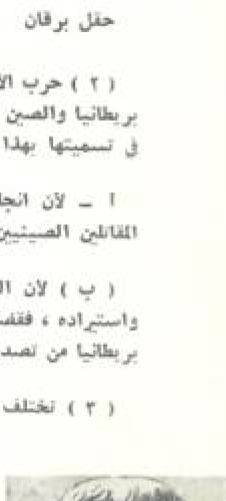
ا ـ الفيلة الهندية اكثر عددا ، وارخص ثمنا من الفيلة الافريقية .

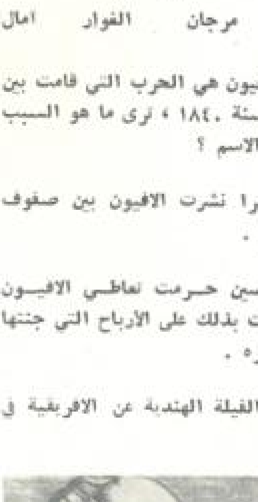
ب ـ الفيلة الافريقية اميل الى الشراسة واقل قابلية للاستئناس والتدريب .

ج ـ اذان الفيلة الهندية الصغيرة نسبيا من شانها ان تسهل على هذه الفيلة اشتراكها في استعراضات السيرك .

فما هو السبب ؟

(٤) يذكر التاريخ سقراط وافلاطون وارسطو باعتبارهم اشهر فلاسفة العالم القديم . ولكنه يذكر ان احدهم وقع اسيرا في ايدي قراصنة البحر . وكان ذلك حوالي سنة ٣٨٧ ق.م ، حينما كان في طريق عودته من زيارة سراكوسة في جنوب ايطاليا . وقد عرض القراصنة هذا الفيلسوف في سوق النخاسة ، الا ان احد اصدقائه افتداه بالمال ، فانقذه من الرق ... فمن هو هذا الفيلسوف ؟





(٥) ايهما اكبر بيضة النعامة ام بيضة الزرافة؟

(٦) تيمورلنك وهولاكو قائدان من قواد التتار الذين عاثوا في العالم العربي خرابا وتدميرا ، وكانت دمشق حصة القائد الاول وبغداد حصة القائد الثاني ، فايهما سبق الآخر في الزمن ؟

(٧) في العبارة التالية خطأ لغوي :

تنتعي الصحف الرجل الميت لا بقصد تخليد ذكره او اعترافا بفضله وكريم خلقه ، وانما تلبية لطلب ذويه واهله ، فما هو هذا الخطأ ؟

(٨) كثيرا ما يتردد ذكر الأنتربول في الأخبار ، ولا سيما فيما يتصل بتعقب الهربين والمجرمين الفارين من العدالة ، فما هو هذا الانتربول ؟

ا ـ فرع من دائرة بوليس لندن المسماة اسكتلانديارد .

ب ـ فرع من وكالة استخبارات امريكا (سيا CIA)

جـ ـ هيئة دولية تستهدف محاربة الجريمة .





(٩) اكمل العبارات التالية ، واملأ الفراغات بالكلمات المناسبة :

ا ـ حدائق	المعلقة
ب ـ برج	المائل
جـ ـ سور	العظيم

د ـ جبل غالبا ما تكلله الثلوج رغم وقوعه عند خط الاستواء

(١٠) ايهما اعلى مرتبة في السلك الدبلوماسي: السفير أم الوزير المفوض ؟

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٧٩ »

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو الثالث من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٢

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ..١ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة
العدد ١٧٩

ملامح من التربية العربية الاسلامية

بقلم
الدكتور فاخر عاقل

■ تقسم البعثة النبوية تاريخ العرب الى عهدين كبيرين جدا ، اولهما العصر الجاهلى ، وثانيهما العصر الاسلامى ، ومن الجدير بالذكر ان تاريخ العرب في جاهليتهم مشوب بالغموض ولا تتوفر الوسائل لدرسه دراسة توضح معالمه وتمكن الباحث من تقرير واقعه . ولذلك فانه من العسير على من يتعرض لتاريخ التربية فيه ان يقوم باكثر من تلمس بعض الحقائق والمقارنات والاستقراءات التى تنير الطريق بعض الانارة .

العصر الجاهلى

ينقسم عرب الجاهلية الى بدو وحضر ، اما البدو فاقوام رحل يتنقلون في انتجاع المرعى وطلب المياه ، ولذلك كان تامين معاشهم همهم الاكبر الذى صرفهم عما عداه من شؤون الحياة . واما الحضر فقد كانت لهم مدنيتهم وحضاراتهم وبالتالى مدارسهم ومؤسساتهم العلمية،وازدهرت حضاراتهم في جزيرة العرب نفسها وتعدتها الى العراق والشام ، واهتموا بالعلوم والفنون فدونوها وعلموها ، واشتغلوا بالهندسة والرى وفن البناء، واهتموا بالحساب والطب والزراعة والآداب ، وانه لمؤسف حقا ان لا تساعدنا مخلفاتهم التاريخية على جلاء غوامض حضاراتهم ووصف مدنيتهم وصفا علميا دقيقا ، الا انه من الثابت المؤكد انهم قطعوا شوطا بعيدا في مضمار الرقى .

وبديهى ان نشير هنا الى ان البدو كانوا اميين في غالبيتهم عاشوا على تجاربهم ومقتضيات حياتهم البسيطة واتقنوا من الفنون والعلوم ما كان على صلة مباشرة بحاجاتهم اليومية كعلم النجوم يستفيدون منه في تنقلهم،والطب والقيافة والفراسة والانواء .

التربية عند البدو في الجاهلية

وبدهى ايضا ان يكون غرض التربية عند البدو اعداد الناشىء لحياته البسيطة وتمكينه من السيطرة على محيطه واتقان ما تعلم اباؤه من فنون ومعارف عن طريق توريثه هذه الفنون والمعارف ، وتعليمه استعمال السلاح وركوب الخيل للدفاع عن عشيرته وبسط سلطانها ان امكن .

ولا شك في ان الهدف الثانى لهذه التربية كان تعويد الطفل البدوى عادات قومه وتخليقه باخلاقهم ومثلهم لا سيما وأن الخلق والعادات كانت مفرطة الاهمية عند البدو .

● العصر الجاهلــى ، عنــدالبدو ، وفى الحضر
● العصر الاســلامى ، علوماللغة والشــرع ، دور النقل والترجمــة ، دور التحقيقوالتاليف
● فى المــدارس والحلقــات ،المدارس الشهيرة، دور الكتب
● الغزالى ، ابن خلدون

التربية عند الحضر فى الجاهلية

اما غرض التربية عند الحضر من العــــرب الجاهليين فقد كان اعدادهم لحياتهم الحضرية عن طريق تعليمهم الصناعات والمهن وتدريبهم الطب والهندسة وطرق الرى وفن البناء والنقش وغيرها من الحرف .

ثم انه من تحصيل الحاصل ان يقال ان الاسرة والعشيرة كانتا الوسط الذى يتربى الطفل البدوى فيه،يعلمه ابواه الصناعات البسيطة التى يحتاجها ويدربانه على الدفاع عن نفسه ، كما تطبعه القبيلة بطابعها وتفرض عليه تقاليدها وعاداتها واخلاقها .

اما الطفل الحضرى فقد كان يخضع لعمليــة تربوية ارقى ، يدرس فى مدارس ابتدائية وعالية فيتعلم القراءة والكتابة والحساب وشيئا مــن الهندسة والفلك والطب والأدب والتاريخ .

واذا كان الطفل البدوى يتعلم ما يتعلم بالتقليد وعن طريق الاوامر والزواجر يلقيها عليه ابواه ويأخذها عن شيوخ القبيلة ، فان الطفل الحضرى كان يحفظ فى المدرسة ما يلقى عليه ، وكان المعلم يعطى بعض وقته لكل طفل بمفرده على طريقــة الكتاتيب ويترك الآخرين يدرسون ، واغلب الظن ان المعلم كان يكتب نماذج من الخط على الواح من الطين الطرى،ثم يجفف هذه الالواح،ويدفعها للتلاميذ فيحاولون تقليدها .

كان للعرب اسواق ومجالس ادب ، ومدارس

ولقد كان للعرب الجاهليين اسواق ومجــالس ادب ، ففى الأسواق يجتمع الناس فى مواسم معينة فيبيعون ويشترون وينشدون الشعر ويلقون الخطب فيحكم بينهم قضاة من فحولهم مما كان له اطيب الأثر فى ترقية اللغة وتهذيبها والنهوض بالشعر والنثر ومما ترك لنا ثروة ادبية ذات بال ، ومن اشهر ما ترك المعلقات العشر وغيرها من روائع الأدب الجاهلى . واشهر هذه الأسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت تشبه الى حد بعيد ملاعب اليونان حيث يتناظر فلاسفتهم ويتناقش علماؤهم . وفى مجالس الادب كان الناس يتناشدون الاشعار ويتبادلون الاخبار ويبحثون امورهم العامة واشهر هذه المجالس والاندية نادى قريش .

اما فى المدن المتحضرة فقد كانت المدارس زاهرة ودور الكتب عامرة وقد عثر بين آثارهم على انقاض مدارس وبقايا ألواح من قرميد عليها دروس فى الحساب والهجاء وغيرها من ضروب العلم .

العصر الاسلامى

حرص القرآن الكريم والرسول (صلعم) على حض المؤمنين على طلب العلم فقال الله تعــالى فى كتابه العزيز « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال « وقل ربى زدنى علما» .

وقال الرسول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » كما قال « لأن تغدو فتتعلم بابا خير من أن تصلى مائة ركعة . » وقال : « حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة » فقيل : يارسول الله ومن قراءة القرآن ؟ » فقال : « وهل ينفع القرآن الا بالعلم ؟ » وكانت فدية أسرى غزوة بدر ان يعلموا اطفال المسلمين القراءة والكتابة .

ولقد كان القرآن الكريم أول كتاب دون في اللغة العربية توصلا لقراءة القرآن وفهمه ، والقرآن الكريم هو الذى حفظ اللغة العربية وابقى لها نقاءها .

ولقد انصرف المسلمون زمن الراشدين الى نشر دينهم وتوطيد دعائم ملكهم فلم يهتموا بالعلوم الا ما كان منها متصلا بتدوين القرآن .

وفي عصر الأمويين انتشر الاسلام واتسعت رقعة ملكه واختلط العرب بالاعاجم ففشا اللحن بينهم واختلفت وجهات النظر في مسائل الدين فالتفتوا الى العناية باللغة وتدوين قواعدها كما بدأوا يعملون النظر في امور دينهم ويجتهدون فيه فنشأت علوم اللغة والعلوم الشرعية .

علوم اللغة : كان العرب في بداوتهم يعتمدون على السماع في ضبط لغتهم والابقاء عليها ، فلما دخل الناس في دين الله افواجا فسدت ملكة اللغة في المدن وفشا اللحن بين العرب وصعب تعلم اللغة على الأعاجم مما اضطر العرب الى وضع قواعد للغتهم وأجبرهم على العناية بعلوم اللغةمنفصاحة وبلاغة وأدب وشعر .

العلوم الشرعية : كانت عناية المسلمين بدينهم بالغة فنشأ عندهم علم الفقه والتفسير والقراءات وعلم الكلام وغيرها . ولقد بحثوا أمور الدين ، صغيرها وكبيرها ، والفوا فيها مئات الكتب ، وجمعوا احاديث الرسول وفسروا القرآن وشرحوا الحديث وحاولوا التوفيق بين الفلسفة والدين.

ولما اتسع سلطان المسلمين في عهد العباسيين وفرغوا من وضع علوم الدين والفقه ، او كادوا ، التفتوا الى علوم اليونان والفرس والهنود وما حوته من فلسفة ومنطق وطبيعيات ورياضيات وما تفرع عن ذلك من طب وصيدلة وكيمياء وحساب وجبر وهندسة وفلك وسياســـة . وقد بداوا عهدهم بالترجمة والنقل وما ان اتقنوا ما نقلوا حتى انتقلوا الى التحقيق والتاليف .

دور النقل والترجمة : أول من اهتم من خلفاء العباسيين بالترجمة أبو جعفر المنصور فقد كان شغوفا بالطب والفلك والهندسة فامر بأن تترجم الكتب فيها ، ثم جاء المأمون وكان عالما فاضلا حر التفكير مؤمنا بالعقل فانتصر فيزمانه مذهبالمعتزلة القائل باعمال العقل في النصوص الدينية مستعينا بالفلسفة اليونانية على ذلك ، وكان من جراء ذلك أن أمر بنقل كتبها الى العربية فنقلت كتب المنطق والفلسفة أولا ، ثم جميع فروع العلم ثانيا ولا سيما كتب الطب والفلك والفيزياء . ثم استمرت هذه النهضة وتزايدت الكتب المترجمة حتىترجمت كل الكتب اليونانية التى وقعت في أيدى المسلمين. ولم يكتف العرب بترجمة كل الكتب اليونانية فقط بل ترجموا عن الفارسية والهندية ايضا .

دور التحقيق والتأليف : ما كاد المسلمون يتدارسون هذه الكتب المترجمة حتى نشطوا الى تحقيق مسائلها وشرحها وتلخيصها ومناقشتها والزيادة عليها فابقوا على التراث اليونانى ثم زادوا عليه واغنوه فاخترعوا وابتكروا والفوا وتركوا للغرب تراثا غنيا هياه لنهضته الحاضرة.

واذا كانت الدنيا هدف التربية عند اليونان والرومان وكانت الآخرة والتحضير لها غاية التربية المسيحية ، فقد حض الاسلام على الجمع بين الاثنين . قال تعالى في كتابه العزيز « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وقال (صلعم) : « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا . » وعلى هذا فقد كانت غاية التربية الاسلامية ان تهيىء الطفل لدنياه ليعيش فيها كعضو نافع ، راض بالمقدار الذى لا يفسد دينه ولا يصرفه عن آخرته .

كان القرآن اصل التعليم

ولقد كان القرآن الكريم أصل التعليم وأساس التربية الاسلامية في كل الأقطار الاسلامية . الا

ان الطريقة كانت تختلف من قطر الى آخر فاهل المغرب كانوا يقتصرون في تعليم أولادهم على مدارسة القرآن وتعليمهم القراءات المختلفة والكتابة، وقلما يخلطون ذلك بسواه من الحديث او الفقه او الشعر قبل أن يتقن الوليد قراءة القرآن ، ويجاوز سن البلوغ ولذلك فقد كان أهل المغرب اقدر على حفظ القرآن ورسمه من سواهم .

اما اهل الاندلس فقد كانوا يعلمون القرآن ولكنهم لا يقتصرون عليه بل يخلطون به رواية الشعر وقواعد اللغة ورواية الأخبار والكتابة والحساب وتقويم البلدان فلا يعتنون بالقرآن اكثر من عنايتهم بسواه ، بل انهم كانوا يعتنون بالخط. ولذلك فقد كان المتعلم الاندلسي لا يكاد يبلغ سن الشباب حتى يكون قد اخذ ببعض العلم في كل الفروع .

واما اهل المشرق فقد كانوا يخلطون التعليم كاهل الاندلس ، الا انهم يعتنون بالقرآن أكثر من غيره ، ولا يعتنون بالخط عناية اهل الاندلس به وانما كانت له معاهد خاصة ومعلمون متخصصون.

ولقد اشار بعض المربين الى خطأ الابتداء بالقرآن وقالوا بوجوب الابتداء بعلوم اللغة حتى يتقنها الطالب فيتمكن من فهم القرآن . قال القاضي ابو بكر العربي بوجوب البدء بتعليم الشعر وعلوم اللغة والانتقال من ذلك الى تعليم الحساب حتى اذا أتقن الوليد ذلك انتقل الى دراسة القرآن فيتيسر له فهمه ، وقال : « يا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي بكتاب الله في اول امره ، يقرأ ما لا يفهم،وينصب في أمر غيره اولى بالتقدم منه » . ولقد وافقه ابن خلدون على ذلك فقال : « هو لعمري مذهب حسن الا ان العادات لا تساعد عليه » .

في المدارس والحلقات

تلك كانت طريقة التعليم في المدارس الابتدائية، او ما يمكن ان يسمى بالمدارس الابتدائية ، أما في المرحلة التالية من التعليم فقد كانت حلقات الدرس تعقد في الجوامع وكان الاستاذ يتناول مسائل العلم بالشرح والتفصيل والنقد ، وكان طلابه يسالونه ويستفتونه . وكانت الطريقة التحليلية هي الطريقة السائدة كما كان منطق ارسطو يسيطر على هذه الحلقات .

رسائل اخوان الصفا

ومما يستحق الذكر في هذا الصدد رسائل اخوان الصفا وعددها احدى وخمسون رسالة تضمنت العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة والمنطق وما وراء الطبيعة . ولقد ابتدات هذه الرسائل بالبحث في الموضوعات الحسية وتدرجت منها الى الموضوعات العقلية ثم انتهت الى الأمور الالهية فعرضت العقائد الاسلامية وفصلت ونقدت واشير الى الخرافات التى شابت الدين وقيل بوجوب تطهيره عن طريق العقل .

ولم تقتصر الدراسات العالية على الجوامع فحسب بل تعدتها الى المستشفيات والرباطات والمنازل الخاصة حيث كان الأثرياء يستقدمون المعلمين والعلماء الى مجالسهم ليتعلم اطفالهم او لمتابعة بحوثهم .

وفي أواسط القرن الخامس للهجرة بنى نظام الملك الطوسي وزير ملك شاه السلطان السلجوقي المدارس المستقلة الخاصة بالتدريس مما يشبه مدارس اليوم واجرى على هذه المدارس الارزاق الكثيرة . ووقف لها الأملاك الغنية مما كفل لها العيش وكتب لها الحياة . ولقد بنى نظام الملك المدارس التي سميت باسمه في بغداد واصبهان ونيسابور . وأشهر هذه المدارس المدرسة النظامية في بغداد على شاطيء دجلة ، بناها سنة ٤٥٧ هـ وعين لها الأساتذة لتدريس علوم الدين والدنيا وكان من اساتذتها الامام الغزالي .

بناء المدارس الشهيرة

ولقد اقتدى السلاطين والأمراء بنظام الملك في تاسيس المدارس فامتلات بها دمشق وحلب وحماه وحمص والقاهرة والاسكندرية وقرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة ، حتى لقد روى ابن جبير الذى طاف بعض اقطار العالم الاسلامي في القرن الهجرى السادس انه شاهد ٢٠ مدرسة في دمشق و٣٠ في بغداد ولقد قيل بانه كان في غرناطة ١٧

مدرسة عليا و١٢٠ مدرسةصغيرة وقد اسس الحكم المستنصر في قرطبة ٢٧ مدرسة مجانية لتعليم أولاد الفقراء ودفع رواتب المعلمين من جيبه الخاص .

دور الكتب

اما دور الكتب فيرجع الفضل في انشائها الى خلفاء العباسيين الاول فقد انشا هرون الرشيد بيت الحكمة وجمع فيه كل ما كان قد نقل الى العربية من كتب العلم وما قد وضع من كتب في علوم الدين وكل ما وصلت اليه يداه من كتب اليونان والفرس . ولما ولي المامون اضاف اليه الكثير من كتب العلم اليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية . ولقد كان للبيت قيم يدبر شؤونه ويتولى اموره . ثم قامت دور للكتب اخرى في بغداد اشهرها المكتبة السابورية التي اسسها وزير بهاء الدولة سابور ابن ازدشير وقد كانت هذه المكتبة تضم الالوف من الكتب وقد احرقت هذه المكتبة اثناء مهاجمة السلجوقيين لبغداد .

وفي القاهرة أسس الخليفة الفاطمي العزيز بالله مكتبة كبرى قيل انها كانت تحوي أكثر من مليون ونصف مليون مجلد .

وفي الاندلس انشئت في قرطبة واشبيلية وغرناطة وغيرها مكتبات عظيمة ، فلقد انشا الحكم بن الناصر مكتبة في قصره بقرطبة بلغ عدد مجلداتها مئات الالوف /٤٠٠٠٠٠/ وكان يرسل التجار لشراء الكتب من اسواق العالم ويامرهم بالبذل في هذا السبيل .

مشاهير التربية في العصر الاسلامي

اهتم كثير من مفكري الاسلام وفلاسفته بامور التربية ونبغ منهم فيها عدد وفير نذكر منهم ابن سينا والغزالي والقاضي أبو بكر العربي وابن خلدون وغيرهم وسنقتصر على ذكر اشهرهم وهما الامام الغزالي وابن خلدون .

الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) :

الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) : نشا بطوس وتعلم مبادىء العلوم فيها ثم سافر الى نيسابور فلمع نجمه وصار فقيها من أكبر فقهاء الشافعية ، ثم لقي نظام الملك فقدره هذا الاخير حق قدره وفوض اليه التدريس بمدرسة بغداد النظامية فبدأ عمله فيها سنة ٤٨٤ هـ . درس الغزالي في هذه المدرسة اربع سنوات ، ثم تزهد وقصد الحج ، ومن البلد الحرام ذهب الى دمشق فالاسكندرية ثم عاد الى وطنه وقضى بقية عمره في التدريس والوعظ .

الف الغزالي ما يزيد على سبعين كتابا يدور معظمها على مهاجمة الفلسفة والدفاع عن الدين واشهر كتبه (احياء علوم الدين) ، وفيه نجد معظم آراءه التربوية التي سنشير اليها فيما يلي :

كان الغزالي يعتقد أن صناعة التعليم اشرف الصناعات ويستشهد على ذلك بتعظيم الرسول (صلعم) للمعلمين وقوله « وانما بعثت معلما » ، وهو يرى أن الانسان اشرف مخلوق على الارض وان اشرف ما في الانسان قلبه وبما ان المعلم مشتغل بتطهير القلب وتقريبه من الله فان صناعته اشرف الصناعات .

اما هدف التربية عند الغزالي فهو الفضيلة والتدين . يقول « الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين ، وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين » ويقول « على المعلم أن ينبه المتعلم على أن الغرض من طلب العلوم التقرب الى الله تعالى ودون الرياسة والمباهاة » .

وهو يرى أن الطفل يأتي الى الحياة ونفسه صحيفة بيضاء خالية من كل نقش وتصوير ، وان المربي ، أبا ومعلما ، هو الذي ينقش على هذه الصحيفة ما يشاء من خير وشر ، يقول : « والصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وتصوير وهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل الى كل ما يمال به اليه » . ولهذا فقد كان الغزالي يعلق أهمية كبيرة جدا على التربية ويعتقد أن في مكنة المربي أن يصوغ المتربي على الخير والشر . ولسنا هنا في صدد التصدي لهذه النظرية وبيان خطئها ولكن المهم أن نشير الى انها كانت نظرية الكثيرين من العلماء في القرون الغابرة وكانت سببا في الاهمية الكبرى التي نسبوها الى التربية .

وقد عقد الغزالى فى كتابه (احياء علوم الدين) فصلا فى تربية الصبيان فى اول نشوئهم كما تحدث فى موضوع آخر عن تربية الكبار .

تربية الطفل :

تربية الطفل : خلاصة آراء الغزالى فى تربية الطفل هى :

(١) وجوب العناية بتربية الطفل منذ اليوم الاول من حياته وذلك لان نفسه صحيفة بيضاء فكل ما ينقش عليها يترك اثره ، ولهذا فالواجب ان تكون مرضعته وحاضنته امرأة صالحة ذات دين .

(٢) وجوب تعويده الاخشيشان فى المأكل والملبس والمفرش فيعوّد الخبز القفار أحيانا لئلا يرى الادم حتما ويحبب اليه القصد فى المطعم والقناعة بالخشونة ، وأخيرا يجب أن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه كما يجب أن يمنع من النوم نهارا لانه يورث الكسل .

(٣) وجوب الاستعانة على تأديب الصبى بحيائه ،فالحياء هدية من الله تعالى وبشارة تدل على اعتدال الخلق وصفاء القلب .

(٤) يعلم الطفل فى المكتب القرآن وسير الصالحين والانبياء لينغرس حبهم فى قلبه ويمنع عن اشعار العشق واهله ويجنب مخالطة من يزعم ان ذلك من الظرف ورقة الطبع .

(٥) الرياضة البدنية تقوى جسم الطفل وتملاه نشاطا ولذلك فانه « يعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل » كما ينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب التعليم بحيث لا يتعب فى اللعب ، فان منع الصبى من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه » .

(٦) وجوب تعويد الطفل مكارم الاخلاق وتجنيبه سيئها ، فيعود الصبر والشجاعة واكرام العشير واحترام الكبير وقلة الكلام وحسن الاصغاء وترك اليمين وطاعة الوالدين والمعلم والمؤدب ، ويمنع عن لغو الكلام وفاحشه والتفاخر على أقرانه بما يملك أبواه .

ويجب أن يمنع عن قرناء السوء الذين تنتقل أخلاقهم الى معاشريهم انتقال الوباء من المريض الى الصحيح .

(٧) يكافأ الطفل على جميل خلقه وحميد فعله وفى ذلك تشجيع له على الخير وباعث على الاكثار منه .

(٨) وجوب الاقتصاد فى العلوم والتعنيف عند وقوع الذنب لان كثرة العتاب والتوبيخ مما «يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويخفف وقع الكلام فى قلبه . »

(٩) حين يبلغ الطفل سن التمييز يعلم ما يحتاج اليه من حدود الشرع ولا يسامح بترك الصلاة والطهارة ، وحين يصل سن البلوغ يوقفه المربى على الشريعة والآداب ، فانه فى هذا السن تتولد فيه القوى العقلية التى تساعده على الادراك .

(١٠) لا يؤخذ الغلمان جميعا بطريق واحدة ولا يعاملون المعاملة نفسها بل يجب أن يختلف علاجهم باختلاف امزجتهم وطباعهم واسنانهم وبيئاتهم . يقول : « وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم كذلك المربى لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم ، وانما ينبغى ان ينظر فى مرض المريد وفى حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ، ويبنى على ذلك رياضته » .

وبما ان الغزالى امام صوفى فقد ذهب الى ان اقوم الطرق لكسب الفضائل هى مجاهدة النفس وترويضها على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب ، ومن اجمل ما يقول : « وجميع الاخلاق المحمودة تحصل بهذا الطريق ، وغايته ان يصير الفعل الصادر عنه لذيذا . » والطريقة التى ارشد اليها فى النزوع عن الاخلاق السيئة هى السلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه. وهو يرى ان يسلك المربى سبيل التدرج مع الغلمان الذين لا يقدرون على ترك الخلق السيء دفعة واحدة وذلك بان « ينقله المربى من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر أخف منه » .

التعليم العالي :

سبق القول ان الغزالي علم في المدرسة النظامية ببغداد ، والمدرسة النظامية هذه اشبه ما تكون بكليات اليوم وقد كان علماء عصره ونوابغ الطلاب في زمانه يحضرون دروسه ولذلك فقد اهتم بالكتابة عن آداب المتعلم والمعلم وطرق التعليم .

(١) وجوب تقديم الخلق الصحيح القويم على ما عداه فان الطالب السيىء الخلق أبعد الناس عن العلم الحقيقي النافع .

(٢) وجوب الانصراف عن الدنيا والرحلة في طلب العلم والبعد عن الاهل لان هذه العلاقات تصرف الطالب عن العلم .

(٣) ان يتواضع المتعلم ويلقى زمام امره الى المعلم ويذعن لنصيحته . ويؤخذ على الغزالي مبالغته في هذا الصدد حتى انه قال بان خطأ المرشد انفع للطالب من صوابه هو .

(٤) وجوب الابتداء باتقان الطريقة الحميدة الواحدة التى يرضى عنها استاذه ثم بعد ذلك يتعرف على المذاهب المختلفة . وذلك خشية اندهاش عقله وحيرة ذهنه .

(٥) ينظر الطالب في كل العلوم المحمودة ثم يشتغل بالاهم منها واذا ساعده الصبر عاد الى باقيها .

(٦) وجوب مراعاة الترتيب في العلم الواحد مبتدئا بالاهم الاحسن .

(٧) وجوب اتقان الفن الواحد قبل الانتقال الى الآخر .

(٨) ان يبتغى المتعلم وجه الله في علمه فلا يطمع في رياسة او مال او جاه .

(١) الحدب على المتعلمين ومعاملتهم معاملة البنين .

(٢) ان يعلم لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا .

(٣) الا يالو جهدا في نصح المتعلمين وزجرهم واطلاعهم على انواع العلم .

(٤) ان يلجا الى التعريض لا التصريح والرحمة لا التوبيخ في زجر المتعلمين فالتصريح يهتك حجاب الهيبة ويهيج الحرص على الاصرار .

(٥) الا يقبح في نفس المتعلم العلوم التى لا يعلمها هو وان يراعى التدريج في الارتقاء بالتعليم من رتبة الى رتبة .

(٦) ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه بما يجل عن فهمه واستعداده وان يلقى عليه الجلى المفهوم ولا يذكر انه يدخر عنه تدقيقات اعلى من منزلته لئلا ينصرف قلب المتعلم عن السهل الجلى .

(٧) ان يعمل المعلم بعلمه فلا ينهر عن خلق ويأتي مثله وذلك لان العلم يدرك بالبصائر والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر .

ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ) :

ولد بتونس ودرس فيها الفقه والحديث وعلم اللغة والعلوم العقلية والفلسفية فنبغ وكتب لبعض الملوك ، ثم رحل الى الاندلس حيث زها نجمه ووزر لملوكها ثم سافر لمصر وولى قضاء المالكية في القاهرة ثم انقطع للدرس والتاليف . اشهر كتبه كتاب (العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والبربر) والمشهور من هذا الكتاب مقدمته المعروفة بمقدمة ابن خلدون التى ترجمت الى معظم لغات العالم والتى وضع فيها اسس علم الاجتماع الحديث وقال فيها بمبدأ النشوء والارتقاء وعرض فيها لكثير من مسائل التربية . ولقد كان ابن خلدون يشعر شعورا واضحا بانه يضع في مقدمته هذه اسس علم جديد مستقل ذى موضوع خاص هو العمران البشري والاجتماع الانساني . يقول في مقدمته : « واعلم ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصفة غريب النزعة غزير الفائدة .. وكأنه علم مستنبط النشأة ، ولعمرى لم اقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة » . وآراء ابن خلدون في علم الاجتماع قيمة تكاد تنطبق على احدث الآراء واصدق النظريات اليوم .

وفي هذه المقدمة يعرض ابن خلدون لمذهب النشوء والارتقاء ، او ما يشبه مذهب النشوء والارتقاء حين يقول : « انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة

من التدريج ، آخر افق المعادن متصل باول افق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر افق النبات مثل النخل والكرم متصل بافق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما الا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب ان يصير اول افق الذى بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر .

ولابن خلدون كما اسلفنا آراء تربوية قيمة ترتكز على اسس نفسية صحيحة غالبا نجملها فيما يلي :

(١) الاعتماد في البدء على الامثلة الحسية وذلك لان المبتدىء ضعيف الفهم فلا بد من امثلة حسية تعينه على فهم ما يلقى اليه .

(٢) الا يؤتى بالغايات في البدايات فلا يؤتى بالتعاريف والقوانين في اول الامر مما يكره الطفل بالعلم ويصعبه عليه .

(٣) يكون تلقين العلوم للمتعلمين مفيداً اذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا . يلقى على المتعلم مسائل في كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ثم يقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يعرض عليه حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك تحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها ضعيفة، وحينئذ يرجع به الى الفن ثانية فيخرج عن الاجمال ويستوفي له الشرح ثم يرجع به ثالثة فلا يترك له عويصا ولا مبهما ويذكر له ما هناك من وجوه الاختلاف فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته .

هذا وجه التعليم المفيد وهو انما يحصل في ثلاثة تكرارات وقد يحصل للبعض في اقل من ذلك.

(٤) الا يطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لان ذلك ذريعة النسيان وانقطاع مسائل العلم بعضها عن بعض .

(٥) الا يخلط على المتعلم علمين معا فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما في ذلك من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الآخر فيستغلقان معا .

(٦) ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم ، فان ارهاق الحد في التاديب مضر بالتعلم سيما في اصاغر الولد لانه من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعا الى الكسل وحمل على الكذب والخبث خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه .. وقد قال ابو محمد بن زيد في كتابه الذى الفه في حكم المعلمين والمتعلمين ما ياتي : لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط .

(٧) ان يعتمد في تهذيب الاطفال على القدوة الحسنة فان الاطفال ياخذون بالتقليد والمحاكاة اكثر مما ياخذون بالنصح والارشاد .

(٨) الرحلة الى الاقاليم النائية في طلب العلم فان ذلك يزيد في تجارب المتعلم ويكسبه معارف وعلوما لا تتاح له لو اقام جميع حياته في بلده .

(٩) البداءة في التعليم بكتاب الله ، يقرؤه التلميذ ويحفظه ثم ينتقل منه الى غيره من العلوم. وقد وافق ابن خلدون على البداءة بتعليم علوم العربية والانتقال منها الى الحساب ومنه الى القرآن ثم استدرك فقال « ولكن العادة لا تسمح ».

(١٠) العلوم على صنفين : علوم مقصودة بالذات كالعلوم الشرعية وغيرها من العلوم ، وعلوم آلية كاللغة والحساب ، ينبغي الا يوسع الكلام في العلوم الآلية بل يقتصر فيها على القدر الذى يساعد على فهم العلوم المقصودة بالذات .

(١١) الا يطالب المعلمون تلاميذهم استقصاء المؤلفات واستيعاب ما كتب في كل علم فان في ذلك اعاقة لهم عن التحصيل فلا يفى عمر المتعلم كله بما كتب في صناعة واحدة .

(١٢) يجب ان يتجنب المعلمون وضع المتون المختصرة وتكليف تلاميذهم حفظها واستخراج المسائل من بينها وذلك لان الفاظ المختصرات عويصة دائما . لقد قصد اصحاب هذه المختصرات تسهيل الحفظ على المتعلمين « فاركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات » . ■■

فاخر عاقل

معركة

الزلاقة

« مثل رائع على وحدة الصف ويوم مجيد من أيام أمتنا »

بقلم : الدكتور عبد الجليل عبد الرضا الراشد

■ بعد مبايعة القائد يوسف بن تاشفين زعيما لدولة المرابطين من قبل الشيخ أبي بكر عمر اللمتوني ، بدأ يفكر في التدخل في شئون الاندلس ، ولعله كان يرى ان الاندلس لا بد أن تكون جزءا من دولته ، أو ليس أجداده البربر الذين قادهم طارق ، جديرين ان يدفعوه الى التفكير في هذا الأمر ؟

اسباب تدخل المرابطين في شئون الاندلس

فالحالة المتدهورة لاوضاع المسلمين هناك كانت تقلق مضاجعه ، والتهديد المستمر من قبل المسيحيين ــ كفيل لو ترك وشانه ــ بان يستولي في يوم من الايام على أملاك المسلمين هناك ، ثم هناك التوسع السياسي واتخاذه اوضاع المسلمين هناك حجة في سبيل تحقيق هذا الهدف ، أضف الى ذلك ان يوسف قد عد نفسه مسؤولا مباشرا عن حماية الدين في هذا الجزء من العالم الاسلامي، كل هذه الاعتبارات قد شجعته على التفكير جديا في هذا الأمر .

ولقد أخذت الحوادث تجرى بسرعة مذهلة ، وأصبح استمرار المسلمين في شبه الجزيرة أمرا مشكوكا فيه بعد سقوط طليطلة بيد الفونسو ، وانباء المعارك التي أحرز فيها النصارى الانتصار وخنوع امراء الطوائف المسلمين لهم. كل هذه الامور كانت تسبب القلق في نفوس المخلصين ، وانطلاقا من هذا الأمر كان لا بد من تدخل المرابطين لانقاذ ما بقي للمسلمين هناك من وجود .

فقد كان ظهور المرابطين تحت قيادة يوسف بن تاشفين هو الذي أحيا النفوس ، وكان لا بد من تدخلهم ، ذلك لأن أمراء الطوائف قد فوتوا على انفسهم كل فرصة للاتحاد والوقوف صفا واحدا في وجه العدو الشرس ، فقد حل الشك والحذر والخوف والعداء في نفوسهم ، محل الاتحاد والتعاون ، ثم ان الاندلس لم تكن تقل بامكاناتها البشرية عن المغرب ، وقد فاقتها بامكاناتها المادية وخيراتها الوفيرة .

اذن لم يكن للمرابطين ــ وقد حلوا محل (زناتة) في حكم المغرب ــ خيار" في التدخل عبر البحر ، بل انهم اصبحوا ملزمين به ، حتى لو لم يستنجد أهل الاندلس بهم ، اذ لا بد لهم من استكمال دورهم الذي نجحوا فيه بالمغرب ، حين وحدوا

هذه الاجزاء من العالم الاسلامي ، فالاندلس تمثل الجبهة الشمالية لدولتهم ، ومن يدري فلو قدر للقوى المسيحية أن تستولي على الاندلس فانها لا بد ان تمد بصرها الى ما وراء مجاز جبل طارق الى بلاد المغرب ، ومهما قيل عن صفة هذا التدخل كالسعي وراء التوسع السياسي ، أو برسم الجهاد في سبيل الدين ، فانه كان لا بد من حدوثه ، وانه كان من حسن حظ المسلمين جميعا .

التقاء مصالح الاندلسيين بالمرابطين

وتلاقت مصالح أهل الاندلس والمرابطين للقيام بهذه المهمة ، اما مخاوف امراء الاندلس وترددهم فلم يعد يحسب لها حساب في نظر الامير يوسف ، حتى لو ادى ذلك الى استعمال القوة لتحقيق هذا الامر ، وللقضاء على تردد امراء الطوائف وقبولهم عبور المرابطين .

شهامة المعتمد بن عباد
اعظم امراء الأندلس
رعي الجمال خير من رعي الخنازير

وقد ازدادت الشائعات عن الخطط التى كان يدبرها الفونسو ، وترددت أنباؤها في الاندلس ، فاذا لا بد من مبادرة شجاعة وسريعة لاتخاذ هذه الخطوة ، وأخيرا حسم المسألة المعتمد بن عباد اعظم امراء الاندلس ، فقد صرح بعزيمة واصرار - لرجال بلاطه الذين اسهموا في تبيان خطر دعوة هؤلاء البربر - عن نيته في استدعائهم ، وبذلك اصبح المعتمد بطل هذه العملية الجريئة والتصقت الدعوة باسمه ، ولم يكن ابن عباد يجهل الخطر الذى اضحى يهدده من مشاريع الفونسو الحربية، وان املاكه اصبحت مهددة بالاحتلال على الرغم من استمراره في دفع الجزية ، وانها لن تمتنع الفونسو من الوقوف عند حد معين ، أو أن هناك نهاية لأطماعه التوسعية ، ولطالما كانت المسألة بشقيها خطرا على أملاكه وعرشه سواء من الفونسو كما هو واضح ، أو من بربر افريقية على حد تصوير رجال بلاطه ، فليكن ضحية لأبناء دينه ، فذلك أهون عليه من أن يكون لعنة الاجيال ، وقد وضح ذلك بقوله (رعي الجمال خير من رعي الخنازير) ولم يكن الاختيار عسيرا على سليل آل عباد ، اذ قرر المضي فيما استقر عليه رأيه ، وتغلبت شجاعته وتصميمه ، وأثر نفوذه على تردد الامراء الذين كانوا متأكدين من أن مصير دولهم لن يكون - ان عاجلا أو آجلا - بأحسن من مصير طليطلة ، ولعل فئات الشعب الاندلسي ، بل من المؤكد انها كانت قد احست بالخطر ، وقررت القيام بمبادرة ما ، في سبيل انقاذ بلدهم ، ولقد لقيت الوفود التى عبرت المغرب شاكية وشارحة حالة مواطنيهم ليوسف كل ترحيب ، ووُعِدوا بتحقيق مطالبهم ، ولم ينتظر الامراء اثر الاتفاق على توجيه الدعوة ليوسف ، بعد أن علموا بمحاصرة الفونسو لسرقسطة ، وانه لم يعر توسلات أميرها أي انتباه، رافضا كل استعداد لدفع الجزية ، ولم يقتنع الا باخذ البلد ، وضم الوفد المفاوض قضاة قرطبة وغرناطة وبطليوْس يرأسهم ابن زيدون وزير المعتمد ، واعطى الوفد صلاحية عقد الاتفاق ،وعمت الفرحة طبقات الشعب الاندلسي ، وهذه هي الفرحة التى اظهرها ايضا امراءالاندلس مرغمين.

أمراء الأندلس
يعلنون فيها النفير العام

وسارعوا الى اعلان النفير العام ، وحشد ما استطاعوا من قواتهم ، ووصلت القوات المرابطية الى الجزيرة الخضراء ، واستقبل المعتمد بن عباد يوسف بن تاشفين قرب اشبيلية استقبالا يليق بمكانة هذا القائد العظيم ، وكادت خزائن المعتمد تستنفد ، لما قدمه من هدايا ، وبذل كل ما في وسعه لاجابة طلبات واحتياجات ضيوفه ، وبلغ من كرم المعتمد انه قدم هدية لكل جندي مرابطي، وهذا ما اوحى ليوسف بمقدار الغنى الذى عليه امراء الجزيرة .

استعداد الخصمين للمعركة

وسارت قوات يوسف نحو الشمال ، ولم يكن ملك قشتالة بغافل عن هذا الخطر ، وقد ادرك استحالة استمراره في حصار سرقسطة الذى تطلب منه شهورا عديدة وسبب الملل لجنوده وضباطه ، فرفع الحصار بسرعة ، وارسلت الأوامر لحشد كل قادر على حمل السلاح ، واخذ الرهبان يعظون ويشحذون همم الناس في كل مكان لدرء الخطر الداهم والاقتداء باجدادهم الذين وضعوا اسس دولتهم وسط ظروف أشد تعقيدا واكثر صعوبة . وكانت حشود المتطوعين من فرنسا

وايطاليا بل من الاراضي الاسلامية التى استولى عليها الفونسو . تجتذبهم الآمال في الحصول على الغانم وحب المغامرة . وقد بولغ بشكل ظاهر في تعداد جيش كل من المسيحيين والمسلمين ، وعسكر الجيشان بعضهما على مسافة قريبة من بعض في سهل الزلاقة .

وقد شعر الملك الفونسو باهانة وجهت اليه من يوسف في صميم معتقداته الدينية عندما عرض عليه الأمير المرابطى ، بان يهجر عقيدته ، او يرضى بدفع الجزية ، وعند رفضه هذين العرضين فلا مفر من الحرب ، وكان رد الفونسو عليه مسهبا ومملوءا بعبارات رنانة وتهديد ووعيد (أبمثل هذا يخاطبني وانا وابى نغرم الجزية اهل ملته منذ لمائتين سنة،والله لا نهضت من مكانى ،فليزحف). وامتلات نفس الفونسو اعجابا بجيشه الضخم ، فنظر الى حشوده قائلا (برجال كهؤلاء يمكن ان اقاتل الشياطين والملائكة والأشباح) ولكنه رغم هـذه الثقة المتناهية بجيشه لجا الى الحيلة والغدر ، وهو مبدا ذميم استند فيه الى انالحرب خدعة ، وكان المعتاد في مثل هذه الحالات استنادا الى الأعراف المتبعة في تلك العصور ــ أن يحدد يوم المعركة بموافقة الطرفين ، واقترح الفونسو ان يكون اللقاء يوم الاثنين ١٤ رجب سنة ٤٧٩ هـ ، ولقى هذا الاقتراح الموافقة .

الفونسو يلجا الى الغدر ، فلا ينفعه

الا ان ضباط المعتمد الذين مارسوا الحرب مع الفونسو اصبحت لديهم الخبرة باساليبه ، وكانوا يشكلون الطليعة للجيشالاسلامى ، واحسوا باستعداد الفونسو فايقنوا ان الفونسو سوف يعمد الى الغدر ، وقد ايقن المعتمد ان مصير المعركة والمسلمين يتوقف على مدى استعداده هو وبقية الأمراء الذين معه . لذلك ضاعف رجال الحراسة وخاصة في الليل ، ونام جنوده وتحت ايديهم سلاحهم ، وكانت جماعات الاستطلاع مستمرة للاخطار باى حركة لالفونسو مهما تكن صغيرة .

قوة الخصمين قبيل المعركة

لقد كان الشك يساور نفوس المعتمد وضباطه من نتيجة المعركة فقد كان كذلك يدرك التفوق العددى للقشتاليين ، ومدى استعدادهم ،فخيولهم القوية تفوق خيول المسلمين ، ومعداتهم الحربية كذلك ، فكان الفارس القشتالي يحمى نفسه بدروع حديدية ثقيلة . ومن ثم خضوعهم لقائد واحد ، وكان حماسهم شديدا ، لانهم كانوا يعتقدون أن هذه المهمة موكولة اليهم من السماء ، وكانت خطب رجال الدين تزيدهم حماسا .

اما معسكر المسلمين ــ وهذا امر لا يمكن نكرانه ــ فان الوحدة كانت تنقصه ، ولعل بعضهم قد شعر بأن هذه المعركة قد فرضت عليه فرضا ، وكانت الشكوك بين الأمراء ، امرا واضحا وجليا ، وكانت نظرة العرب الاسبانيين الى حلفائهم البربر ، يعتورها الخوف وعدم الثقة ، يقابل هذه المشاعر نظرة ازدراء من قبل هؤلاء البربر الشجعان الى جنود الأندلس المترفين الذين نسوا مهنة الحرب، وغرقوا في ملذات الدنيا ، حتى انهم جاءوا الى الحرب بثياب حريرية يعدها البربر غير لائقة الا بالنساء .

ولم يكن أكثر من المعتمد خوفا وحذرا ، فقد لجا الى قراءة طوالع النجوم ، وحاول التوثق مما كتبه لهم القدر في هذه الساعات الحرجة وكان كل شيء متوقعا في مثل هذه الظروف فقبل الفجر في يوم ١٢ رجب ٤٧٩ هـ .(٢٣ اكتوبر ــ ١٠٨٦م) اخبره جواسيسه بأن العدو قد تحرك ، وهكذا تحولت شكوك المعتمد الى وقائع ثابتة ، وكان موقف الأندلسيين الذين اصبحوا في المقدمة حرجا للغاية، فلم يكونوا على استعداد للتحمل او القدرة على الصمود لجيش الفونسو بأسره .

نشوب المعركة وضراوتها

وما هى الا ساعات حتى غشيتهم قواتالفونسو، فاربكتهم هذه الحركة ، ففر جنود الأندلس فرارا مخزيا منالميدان ، الا جنود المعتمد الذين حوصروا، وغمرتهم الأعداد الهائلة للجيش القشتالي ، ولكنهم استمروا يقاتلون بشجاعة ، ولم يهتز موقفهم على الرغم من المباغتة التى تعرضوا لها ، وجرح المعتمد عدة جراح ، وكان يخطب وُدّ الموت ، والاستشهاد بشرف وبسالة ، وقتل تحته ثلاثة افراس ، وكان سيفه يقطر دما من أعدائه ، ولعله كان يريد ان يثبت للبربر قوة الجندى الأندلسي الباسل وقت الملمات .

وأرسل المعتمد الرسل الى يوسف بن تاشفين

يستعجله النجدة ، ويعلمه بالخطر الداهم ، الا ان يوسف ظل ساكتا لا يتحرك ، ويبدو انه قد وضع خطته ، وعزم الا يحيد عنها ، وقد اثار يوسف بتصرفه هذا بعض الشكوك ، فهو في رأي بعض لم يكن يهمه مصير الاندلسيين ، واراد ليكشف لهم ضعفهم ، ردا على الاهانات والازدراء الذي واجهه جنوده من هؤلاء ، بل ذكر انه قال (اتركوهم قليلا للفناء ، فكل من الأعداء) . وأخيرا وصلت نجدة يقودها داود بن عائشة ، وثانية بقيادة سير بن أبي بكر ، ونفست النجدة بعض الشيء عن المعتمد ، وكان يوسف في مؤخرة جيش الفونسو ، فسار على رأس قبائل لمتونة وفرسان صنهاجة ، وانقض فجاة على مؤخـرة الجيش القشتالي ، فتمكن من تمزيق الحرس المسيحي اربا اربا ، وحوصر الفارون ، واحرقت الخيام ، وكانت ضربات الطبول الافريقية تهتز لها الجبال ، ومع اشعة الشمس الأولى رأى القشـتاليون معسكرهم ينهب ، وقد ارعبتهم اصوات الجمال ، وفرت خيولهم المرتاعة لهذه المناظر ، وسادت الفوضى معسكرهم ، وعاد الاندلسيون الفارون واصبحوا يهاجمون القشتاليين .

انتصار الأندلسيين على القشتاليين

واصبح القشتاليون ـ وقد فقدوا الأمـل بالنصر ـ فارتد كل منهم على الاخر ، وتناوشتهم سيوف البربر من كل صوب ، وكان يوسف على جواده يتنقل بين صفوف جنوده ، يحثهم على الصبر والقتال ، وهو يقول (يا معشر المسلمين اصبروا لجهاد اعداء الله الكافرين ، ومن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن سلم فقد فاز بالأمر العظيم والغنيمة) وقاتل جنود قشتالة ببسالة ، وكانوا يعتقدون لساعات قليلة انهـم كسبوا المعركة ، وكانت عودة الجنود الهاربين من الاندلسيين وبسالة المعتمد ، واقدام حرس يوسف الخاص ، كل هذا قد وضع نهاية حاسمة للموقف المريب لهذا اليوم ، وتحققت هزيمة القشتاليين . ولم يعط الجنود البربر الغضابى اية فرصـة لجنود الفونسو للهرب ، وافنيت زهرة مقاتليه ، وبلغ قتلاهم زهاء عشرين الف رجل ، واصيب الفونسو بجرح من خنجر احد حراس يوسف ، ولكنه نجح في الهرب ، معتمدا على الظلام مع خمسمائة من جنوده فقط ، وبقي المسلمون على خيولهم تلك الليلة لتصفية حملة الفونسو .

وفي اليوم التالي تلقى يوسف نبأ موت ابنه في سبته ، ـ ويبدو أن هذا سبب لتوقف يوسف عن تتبع الفونسو الهارب ـ وقد رأى ان السبب الذي جاء من اجله قد تحقق ، وهو ضمان سلامة الاندلس ، وكان هذا الخبر مفاجاة له اربكته ، فارسل على عجل قائده مزولي ، لضبط الامور في المغرب ، وضمان عدم قيام اي حركة ضده .

وبعد ان اقام المعتمد بوداع يوسف الى حدود الاندلس عاد الى اشبيلية ، وجلس في قصره لتلقي التهاني ، ومن الشعراء الذين انشدوه مهنئين عبد الجليل بن وهبون اذ يقول :

ولم يثبت مـن الأشياع الا
شقيقك وهو صارمك الحسام

ثبت به ثبات القطب لمـا
أدار رحاه خطبٌ لا يُرام

فأين العُجْبُ يا اذفُنْشُ ؟ هلا
تجنبت المَشِيخة يا غلام ؟

ستسألك النساءُ ، ولا رجالٌ
فخبر ما وراءك يا عصام

اقمت لدى الوغى سوقا ، فخذها
مناجزةً ، وهون ما يسام

فان شئت اللجين فثمَّ سامٌ
وان شئت النضار فثمَّ حامٌ

أنام رجالك الاشقون ؟ كلا
وهل يلقى بلا رأس منامُ ؟

وعلى الرغم من الانتصار العظيم الذي احرزته قوات المسلمين لم يعقب المعركةَ النتائجُ الهامة التي كان يتوقعها بعض المسلمين ، وقد رفض يوسف تعقب الفونسو مكتفيا بهذا النصر الذي احرزه ، والسؤال الذي بقي دون جواب شاف هو السماح للفونسو الجريح المنهزم ، وجنوده الذين نجوا معه بالتسلل ليلا دون تتبعهم والقضاء عليهم نهائيا ، او حتى اسرهم ـ على الاقل ـ وهو ما كان طبيعيا ان يقوم به يوسف بن تاشفين، ولكن تصرفه هذا اعطى الفرصة لالفونسو ان يقوم من عثرته وينظم نفسه مرة اخرى . ■■

عبد الجليل عبد الرضا الراشد
بغداد

الــزواج بدايــة وليس نهــاية

> « مثلُ كلمة طيبة كشجرة طيبة، اصلها ثابت، وفرعها في السماء تؤتي اكلها كلَّ حين باذن ربها »
> (قرآن كريم)

■ ما هي الحياة ..

وما هو المعنى الحقيقي للحياة ؟

يقول تولستوي كاتب روسيا الكبير : « الحياة حب ، والحياة فكر ، والحياة عمل وفن وابتكار وانتاج » .

ولكن فيلسوف امريكا ايمرسون يرى صورة اخرى للحياة فهو يقول انها بحر واسع متلاطم الامواج ، تسير فوق سطحه السفن .. سفن من كل حجم ولون .. سفن صغيرة وسفن كبيرة ، سفن تملأ الريح أشرعتها فتدفعها وتحركها ، وسفن اخرى حديثة تسير بالآلة .. كلها تطفو على السطح .. وكلها تحاول أن تدرأ عن نفسها خطر الانواء والأمواج .. وكلها بعد هذه تشترك في هدف واحد .. الوصول بمن فيها وما عليها الى شاطىء الأمان.

« والبعض يصمد سواء كان مسيِّرها شراعا ام آلة .. كبيرا كان حجمها ام صغيرا .. كثيرا كان عدد ركابها ام قليلا .. والبعض يتيه وسط الامواج العالية ، فتضل السفن طريقها وترتطم بالصخور وتغوص في قاع البحر بمن فيها وما عليها ! » .

صور شتى للحياة

هذه هي الحياة .. وما أكثر ما رسموا لها من صور ، وهي صور جميلة احيانا .. قبيحة احيانا .. مؤلمة احيانا .. مليئة بالاحداث والعبر في كل الاحيان ..

ولكن ما هو المعنى الحقيقي للحياة ؟

وليس هناك تعريف محدد لمعنى الحياة .. ولو اننا نستطيع ان نقول ان المعنى الحقيقي للحياة يكمن في ما نصنعه نحن بأيدينا لأنفسنا .. فنحن وحدنا الذين نسعد أنفسنا ، فنحس بطعم الحياة، ونحن وحدنا الذين نشقي أنفسنا فتمتلىء قلوبنا بهذا الشعور بالكراهية للحياة وكل ما تحمله لنا ولو كان فيه خير الدنيا باسرها .. فنحن ناخذ





من الحياة بقدر ما نضعه فيها .. نحن نحصد ما نزرع .. لمارنا منها هى تلك التى ننثر بذورها . !

الزواج .. أعظم مشاركة

والحياة بعد هذا مشاركة ، واروع صور هذه المشاركة ، هى تلك التى تقوم بين الرجل والمرأة في الزواج..الأساس الأصيل لبناء الاسرة والمجتمع .. فلا الرجل وحده استطاع ان يسعد نفسه ، وينعم بالحياة ، ولا المرأة استطاعت ان تعيش وحدها بغير الرجل .. فلا بد لهما ان يجتمعا ويقترنا ويندمجا ، ففى هذا الاقتران استمرار الحياة ..

فالزواج اذن هو المصير الطبيعى لكل رجل ولكل امرأة .. وهو بداية وليس نهاية .. بداية لرحلة طويلة مليئة بالعمل والجهد ، يقوم بها الزوجان من اجل تحقيق الهدف من هذا الرباط الذى جمع بينهما أمام الله والناس .. من أجل بلوغ الهدف الاسمى من الحياة ..

تقول الدكتورة ماريون هيليارد Marion hilliard في كتابها « نظرة الى الحب والحياة » : « الزواج هو اخطر وظيفة تحتاج الى مؤهلات قد لا تتطلبها اية وظيفة أخرى في الحياة .. فهو اعظم اختبار لقدرة الرجل ولقدرة المرأة على السواء ، في مواجهة الحياة معا في ظل هذا الرباط .. »

تجارب مع الزوجات

لقد كتبت الدكتورة ماريون في الحب والزواج والحياة ، وقضت ما يزيد على ربع قرن من الزمان تعالج مشاكل المرأة في حياتها مع زوجها في البيت ، ومشاكلها خارج البيت ، ومع الناس .. وكن يأتين اليها .. نساء من كل جنس ومن كل لون .. نساء في ربيع العمر ، ونساء في منتصف العمر ، ونساء اقتربن من الخريف .. فقد كانت تعمل في مستشفى تورنتو في كندا ، البلد الذى يجمع اكبر خليط من البشر من الشرق والغرب ، ومن كل بلاد الدنيا ..

كن جميعا يأتين اليها ، وقد حملت كل واحدة منهن متاعبها والامها .. وكانت تجلس اليهن ، وتحدثهن في الحياة ومعانيها .. أسرارها وفنونها .. فلا تلبث ان تصل الى جذور المشكلة التى تعانى منها كل امرأة طرقت باب مكتبها خلال تلك السنوات الطويلة من عملها كاخصائية امراض النساء والامراض النفسية ..

المشكلة دائما هى الرجل

تقول الدكتورة ماريون من خلال تجاربها الطويلة : « لقد كانت المشكلة دائما هى الرجل .. الرجل الذى لا يريد أن يفهم المرأة ، او الذى لم يحاول يوما ان يفهم نفسية المرأة ! »

« لقد اخترت من بين الحالات العديدة التى مرت عليَّ شكوى تلك العروس التى لم يمض على زواجها أكثر من بضعة اشهر .. وقد اخترتها هى بالذات لانني وجدت فيها نموذجا لشكوى المرأة بصفة عامة من الرجل .. لقد جاءت اليَّ تبكى وهى تروى لى مشكلتها مع زوجها .. وهى مشكلة تكاد تكون شائعة بين العديد من الأزواج .. هؤلاء الذين لا يدركون المعنى الحقيقى للحياة في الزواج، بل اقول الذين لا يعرفون متطلبات الزواج ويجهلون الأسس التى يقوم عليها الزواج .. فهو ليس مجرد ارتباط بين جسدين .. ولكنه ارتباط بين روحين وفكرين ، وعاطفتين وباختصار هو اندماج لشخصيتين في وحدة واحدة لا تتجزأ ..

عروس تشكو

قالت الفتاة تشكو : « لقد اكتشفت يا سيدتى انني قد تزوجت رجلا غريبا لا يمت الى الرجل الذى عرفته قبل الزواج .. كنت سعيدة معه طوال

الفترة التي استغرقتها خطبتنا ، والتي دامت شهورا طويلة .. كان يجلس بجانبي ويحدثني عن آماله وأحلامه للمستقبل المشرق الذي ينتظرنا بعد الزواج .. كان مرحا ، خفيف الروح حاضر النكتة حتى في احرج وادق اللحظات التي كان يمر بها في عمله .. لم يكن هناك شيء يمكن أن يعكر صفو اللحظات السعيدة التي كان يأتي فيهـــا لزيارتي في بيت والديّ ، وهو يحدثني عن سعادته وفرحته الكبرى لانه عرف كيف يفوز بي زوجـة له .. وكنت انظر الى وجهه وأتأمل عينيه ، فلا اجد فيهما غير الصدق في كل كلمة يقولها .. لقد كان يحبني الى درجة العبادة ، وقد بادلته حبا بحب ، ورحنا نعد الايام التي سننتقل بعدها الى عشنا السعيد بالزواج ..

« ولم تكد تمضي الايام الاولى لزواجنا ، حتى اكتشفت أنني قد تزوجت طفلا كبيرا ، لقد تحول زوجي الى رجل كتوم صامت ، مكتئب الوجه وكأنه يحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسه .. اصبح لا يتحدث معي الا بقدر ما يتطلبه الموقف ، وكأنه يختزل الكلام اختزالا .. لقد تحول الى رجـل عصبي يثور لأتفه سبب ويملأ الدنيا بصياحه اذا بدر مني اى تصرف لم يعجبه .. اصبح كثير التفكير شارد الذهن ، لا يكاد يحس بوجـودي بجانبه .. وعبثا حاولت ان انفذ الى اعماق نفسه لأعرف سر هذا التحول الغريب الذي طرأ على زوجي .. انني ما زلت احبه ، ولكنني اريده ان يعود الى الشاب المرح المتفائل الذي عرفته قبل الزواج » .

بداية وليس نهاية

انها قصة واحدة من بين مئات القصص التي سجلتها الدكتورة ماريون في مذكراتها ، فما اكثر ما سمعت وسجلت ، وهي تقول : « ان ما حدث من تغير في مسلك هذا الزوج وغيره من الازواج هو نتيجة لذلك الشعور الذي يصيب بعض الرجال بعد الزواج بانتهاء المهمة التي بدأوها وبذلوا في سبيل تحقيقها الكثير من الجهد للفوز بفتـــاة احلامهم .. فالزواج عند هؤلاء اذن هو نهاية المطاف ..

« وهذا اكبر خطأ يقع فيه الرجل بعد الزواج ، لان الزواج بداية وليس نهاية .. انه ليس سوى الخطوة الاولى في الطريق الطويل الذي ينشده كل زوجين من أجل بناء الأسرة السعيدة ، وما يتطلبه ذلك من جهد كبير ، فهو اكبر واعظم بناء في المجتمع ..

الزواج طفل صغير

« ولكي تكون هناك أسرة ، فلا بد أن توفر لها كل المقومات التي تحتاج اليها في كل مرحلة من مراحل هذا البناء .. وأول هذه المراحل هـي السعادة التي يجب أن يشعر بها كل من الرجل والمرأة في هذا الزواج ..

« فالزواج اشبه ما يكون بطفل صغير ، في حاجة الى رعاية وعناية وحب وغذاء .. والأم ترضـع طفلها وتعتني به لكي يكبر وينمو ويصبح طفـلا سليما ، فاذا ألمت به علة ، سارعت تحمله الى الطبيب لكي يقدم له الدواء الذي يعيد له صحته .

وكذلك الزواج .. انه في حاجة كل يوم وكل ساعة الى غذاء جديد ، يبعث فيه الدفء ويعيد اليه الروح ، والا اصبح جسدا بلا حياة ...

اخطاء لا بد لها من تصحيح

« ان الشعور بالملل هو من ألد أعداء الزواج ، واذا بدأ الملل يتسلل الى قلبي الزوجين او الى احدهما ، فمعناه أن هناك خطأ في حاجة الى تصحيح سريع .. وما أكثر الاخطاء التي تؤدي الى الشعور بالملل .. ولعل أولها وأهمها، هـو « الروتين » .. أن تسير الحياة بين الزوجين في البيت على وتيرة واحدة لا تتلون ولا تتغير .. فهذا التكرار للاعمال التي تقوم بها والتصرفات التي تصدر عنها في وقت معين وفي ساعة محددة يوما من بعد يوم وأسبوعا وراء أسبوع .. هذا التكرار هو الذي يولد الشعور بالملل والسأم .. هـو الذي يفقد الحياة طعمها ولذتها ، ويجعلها أشبه ما تكون بآلة تدور دائما ولا تكف عن الدوران ..

« والحياة الزوجية في حاجة الى التجديد ، والمرأة بصفة خاصة أكثر ميلا من الرجل الى الزهد في الحياة الرتيبة التي لا تتجدد ولا تتغير ، لأنها ارهف حسا وأرق شعورا ، ولأنها بعد هذا تعيش

في عالم محدود وخاصة اذا كانت غير عاملة فهى لا ترى ما يراه زوجها من صور للحياة جديدة تمر به كل يوم بين بيته ومقر عمله ..

شـــعلة الحـــب

« من هنا نجد أن هناك عبئا كبيرا يقع علـى عاتق الرجل ، الذى يحرص على أن يسعد بيته وزوجته .. عبء التفكير دائما في كل ما هو جديد ، فيحمله معه في جيبه وقلبه وفي حديثه ، حتى يستطيع أن يشعر زوجته بأن شعلة الحب ، تلك التى ربطت بينهما،والتى ظلت متقدة تملأ قلبيهما بهذا الضوء النقى الساطع طوال فترة الخطوبة ما زالت تشتعل ، وما زالت تضيء ، وأن نارها لن تخمد أبدا ..

« وهى مهمة لن تتطلب منه جهدا كبيرا ، ولا مالا وفيرا .. فالعبرة ليست بالقيمة المادية ، لما يعطيه الرجل لزوجته ، وانما هى القيمة الروحية لما يقدمه لها من احاسيس ومشاعر تعبر عما يجيش في صدره ..

« فهذه الأحاسيس هى التى تحرك بدورهـــا مشاعرها وتملأ صدرها بالأمل في الحياة مع الرجل الذى تركت من أجله البيت والأهل ، لتعيش معه وله وحده .

« باقة من الزهور التى تحبها زوجته قد تصنع بحياتها المعجزات .. كلمة رقيقة من تلك التى تعودت سماعها أيام لهفته عليها قبل الزواج قد تعيد اليها ذكريات أحلى وأجمل ساعات عمرها ، عندما كانا يحلمان ببناء قصورهما في الهواء ..

العيش مع الذكريات الحلوة

« دعوة لرحلة الى شاطىء البحر حيث كانا يقفان ويتأملان قرص الشمس وهو يغوص في الافق البعيد .. نفس المكان الذى طالما ترددا عليه أيام خطبتهما الحلوة ، وجلسا ينصتان الى همسات الموج وهى توشوش في الاصيل فتملأ آذانهما بهذا النغم الجميل .. نغم الحياة ..

« وليس هناك رجل يفهم معنى الحياة ، ولا يدرك ما يمكن أن تصنعه العودة الى الذكريات .. تلك التى تبقى حية دائما أبدا طالما بقى في المرأة عرق ينبض بالحياة ..

وزوجة أعظم

« عرفت امراة مات زوجها بعد حياة طويلـة حافلة بالعمل والفكر والانتاج ، لازمته فيها كظله، فقد كانت دائما بجانبه لم يفترق عنها ولم تفترق عنه لحظة واحدة الى أن اختطفه الموت فجاة بعد أن أنجبت منه خمسة من الاولاد والبنات .. ومع هذا فقد كانت تشعر بالوحدة .. جاءت الىّ يوما تقول : « لا أريد أن أصدق أننى لن أراه ثانية .. اننى أسمع صوته في كل مكان .. ضحكاته ما زالت ترن في أذنى .. كلماته الحلوة تداعبنى كلما خلوت بنفسي في بيتنا الصغير .. صورته تلازمنى في صحوى ونومى .. اننى أكاد افقد عقلى .!

« كانت امراة عظيمة ، تحول شعر راسها الى هذا اللون الفضي الذى يكسبه وقار السنين .. كانت في السبعين من عمرها او ما يزيد ..

قلت وانا أمسح لها دموعها وآخذها بين ذراعى: « ولكن هذه هى الحياة يا سيدتى .. ثقى انك سوف تجدين في ذكرياتك الحلوة معه ، العـزاء والسلوان ! » .

قالت : « انها كل ما تبقى لى .. اننى اقضي كل ساعات ليلى في مكتبه ، مع كتبه ومذكراته ، اقلب فيها واقرأ سطورها ، فاضحك وأبكى في آن واحد .. الى أن يغلبنى النعاس ، فأنام .! »

ومرت بضعة اسابيع لم تزرنى فيها صـديقتى العجوز .. ولم يكن قد انقضى على رحيل زوجها عنها أكثر من ستة اشهر .. وفي صباح أحد الايام جاءت احدى بناتها لزيارتى مع زوجها ، وكانت تبكى .. قالت : « لقد ماتت أمى يا سيدتى .. وجدناها نائمة نومتها الأبدية على المقعد الكبير الذى طالما جلس عليه أبى يقرأ ويكتب ، وقـد أسندت رأسها الصغير المتعب الى ذراعها في هدوء .. لقد كان يدعوها اليه ، فذهبت .!

وخرجت الفتاة مهرولة ، واسرعت أغلـق باب مكتبى ، وغصت في مقعدى وبكيت .! »

قصة زوجين عظيمين ..

وقصة رجل وامراة عرفا معنى الحب ، وعرفا معنى الحياة ..

■■

(م ٥ ن)

أَبُو الكَلَام أَزَاد

يقوم في الهند بدور الأفغاني، ومحمد عبده في مصر

- يستثير المسلمين للتحرر
- يدعو للاجتهاد
- يفسر القرآن تفسيرا عصريا بالأوردية

بقلم: الدكتور عبد المنعم النمر

مدير البعثات والثقافة بالازهر

■ بالفهم العميق للاسلام ورسالته في الحياة انطلق ازاد يعمل في كل المجالات التى يمتد اليها هذا الفهم ويظللها . انه حين قال « اننا لم نفهم السياسة الا بالدين ، فالدين هو الذي خلقها فكيف نفرق بينهما ؟ .. » كان قد وعى فعلا رسالة الاسلام في هذه الحياة .. وحلق بهذا الوعى الى مستوى لا يصل اليه غبار الارض ، ولا يعوقه قصور الفهم من الذين عرفوا الاسلام من والفهم الموروث البعيد عن رسالته ، ولايوئسه فتور العزائم عن المستوى الذى وصل اليه . فالقصور في الفهم قد تمكن معالجته ، والظلام الذى حال بين العقول وبين الرؤية الواضحة للدين وتعاليمه الشاملة يمكن تبديده بالقاء اضواء امام هذه العقول ، كى ترى كل أمر على حقيقته .. والفتور الذى أصاب العزائم من كثرة الطرق عليها ، يمكن القضاء عليه باشعال الجذوة الدينية فيها من جديد « فليس هناك ما هو ادعى للخزى والمهانة من أن يحنى المسلمون رءوسهم أمام افكار غيرهم ، واذا كان الله قد رفع رؤوسهم فلا ينبغى لهم أن يخفضوها أمام غيرهم . ولو انهم خفضوا رءوسهم لله لخفض العالم رأسه لهم » .

لم يكن ازاد في انطلاقه اذن محدود الفكر ، ولا محدود الهدف ، بل كان فكره شاملا ، وأهدافه متنوعة ، وان كانت تتركز على الفهم السليم الواعى للدين . ومن هذا الفهم الواعى يتحقق وجود الأمة التى تعتز اعتزاز فكر وعمل بما لمى ، ويتحقق بالتالى تحررها وسيادتها لنفسها ..

وما دامت كل أهداف ازاد تتركز على الفهم الواعى للدين ، وتربية الأمة ــ كما يقول ــ فليتجه بجهوده لايجاد هذا الوعى ، يستمده اولا من القرآن الكريم ، وحسن فهم المسلمين له ..

الدعوة للاجتهاد

ومن هنا اتجهت جهوده لفك الأغلال الموروثة التى قيدت العقول ، وصبتها في قالب واحد من تفكير السابقين فاصبحوا لا يفهمون شيئا ، أو يحكمون على أمر ، الا في الدائرة التى فهمتها العقول السابقة مع ان الحاضرين لهم عقول كعقول الماضين ، ولهم حياة تختلف عن حياة السابقين ، ولها متطلبات تغاير متطلبات الماضين .. فلا بد اذن من التحرك العقلى ، الذى يمكن به مواجهة الحاضر ، بما يناسبه من أحكام ..

وعلى هذا الاساس الفكرى بدأ دعوته للعلماء أولا ليتحرروا من جمودهم ، وتبعيتهم المطلقة لافكار غيرهم ، دون تمحيص ، وليتحرروا كذلك من أوهام البدع والخرافات التقليدية التى أخذت احترام الدين في النفوس على مر الأزمان ، حتى اذا اقتنع العلماء بفكرته قاموا بدورهم في تربية طلابهم ، وتنوير جماعة المسلمين ، وبعث الهمم الراكدة فيهم ، والارتفاع فوق الخلافات على الشكليات التى اختلفت فيها وجهات نظر السابقين ومضى زمنها ، ليختطوا طريقا مناسبا لحياتهم ..

ولقد كان من حسن الصدف ـ وانا في الهند ـ ان اطلع على عدد من مجلة « البلاغ » صادر في الرابع من محرم ١٣٣٤ هـ ، ١٢ نوفمبر ١٩١٥م يحتفظ به في اعتزاز ـ أحد علماء الهند ، فوجدت افتتاحية طويلة مكتوبة باللغة العربية ، وعنوانها « المسلمون بين الاجتهاد والتقليد » بقلم مولانا آزاد ، فاقبلت على قراءتها بشغف ، ونقلتها وفيها استعرض الحالة الفكرية للامم قبل الاسلام، ثم دعوة الاسلام للتفتح العقلى وحالة المسلمين في أوج مجدهم الفكرى والسياسى ، وقيادة العلماء والمجتهدين لهم ، حتى خلف من بعدهم خلف قصرت هممهم ، وفرقوا دينهم وكانوا شيعا ، « وجعلوا التعصب للمذاهب دياناتهم التى بها يدينون ، ورؤوس أموالهم التى بها يتاجرون وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد ، واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وحجروا على رب العالمين ـ مثل اليهود ـ الا يبعث بعد ائمتهم وليا ومجتهدا ، وقالوا لم يبق في الارض عالم منذ الأعصار المتقدمة ، وانكروا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يزال يبعث على راس كل مائة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها » واخذ يسرد اقوال المقلدين منكرا عليهم ما يقولون ، الى ان يقول « وكان نتيجة هذا التقليد ان شوهوا وجه الشريعة الغراء ، حتى ظن من ضعف ادراكه ، أن الشريعة ليست سوى ما بأيدى المقلدة ، فيالله للمسلمين من هذه الفاقرة التى هى أعظم فواقر الدين ، الرزيئة التى ما رزىء بمثلها سبيل المؤمنين » .

ويدلل على هذا بقوله « حتى أن صوت حجة الاسلام « احمد بن تيمية » قد خفت في هذه الامة المسكينة ، وهو أندى أصوات المصلحين ، وكتبه خفيت فيهم عدة قرون ، وهى الأقوى واظهر حجة من سائر كتب المسلمين » .

« آه ما اشد غفلة الناس عن حقيقة الاسلام » ثم يتساءل : افرايت لو لم توجد بدعة التحزب والتفرق من كل طائفة لتعليم معين، هل كان يوجد هذا الضلال ؟ .. أرأيت لو ان المسلمين يعملون في كل عصر بقوله تعالى « فان تنازعتم في شىء فردوه الى الله والرسول » هل كان يوجد هذا التفرق والتمزق والانحلال ؟ لا .. لا .. وانما وجد بالتقليد الاعمى ، لأن كل طائفة وثقت برؤسائها، فاتبعتهم بغير دليل ، وحسبى الله ونعم الوكيل ».

ثم يختتم مقاله الطويل بهذه العبارة « لا اصلاح الا بدعوة ، ولا دعوة الا بحجة ، ولا حجة على بقاء التقليد ، فاغلاق باب التقليد الاعمى ، وفتح باب النظر والاستدلال ، هو مرد كل اصلاح ، والسلام على « الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب » .

وقد حرصت على أن انقل هنا هذه الفقرات ، من هذا المقال القيّم ، لتعرف آزاد في اسلوبه العربى ، وتعرفه في تفكيره وآرائه من هذه الفقرات القليلة ..

رد الفعل

ودعوة مثل هذه مع مثل هذا الهجوم على التقليد والمقلدين ، في وسط قائم على التقليد ، لا يمكن أن تمر بسهولة ، بل لا بد أن تثير رد فعلها من جانب العلماء ، الذين يقدسون التقليد، حتى وجدنا احدهم يعيب عليه : « بأن اعجابه بنفسه وبرأيه ، أورده الى الانخلاع من ربقة التقليد ، وانتهى به الى امور حائدة عن الصراط المستقيم » .

بينما وجدنا الكثيرين يعجبون بآزاد وآرائه ودعوته ، ويلتفون حوله .. ويقفون لمهاجميه بالمرصاد ، حتى وجدت احد العلماء الذين هاجموه يقول« ولم أكن أدرى أن الناس سيفتحون افواههم ومحابرهم للازدراء بى ، والطعن على ، والرمى بالجمود والعصبية والبلادة » مما يعطينا انطباعا بأنه كان وراء آزاد مدرسة قوية ، متشبعة بفكرة عن قادة الفكر والمثقفين ، حتى وجدنا احد زعماء الفكر وهو « شبلى بالنعمانى » يعتبره « أعجوبة من اعاجيب الزمن التى لا بد أن تعرض فيمعرض علمى » ووصل الأمر الى أنهم اطلقوا عليه اسم الامام ، كما كان الأمر هنا بالنسبة للشيخ محمد عبده .الأمر الذى لم يرض عنه بالطبع ، خصومه

من العلماء والمقلدين ، فقال احدهم في معرض الهجوم عليه وعد نقائصه : « وسعى لأن يكون اماما متفقا على امامته في الهند ، واميرا للمسلمين في امر دينهم ودنياهم ، وحاول أن يجعلوه امام الهند بالاجماع ، ولكن كان بالهند رجال أولو علم .. فقاموا وصدعوا بالحق : بانه ليس اهلا لذلك » والرجال الذين يشير اليهم هنا،هم خريجو مدرسة ديوبند الاسلامية التي لا تقلد الا المذهب الحنفي، كشأن المسلمين في الهند .

ومعلوم أن الامامة لا تكون بسعي كالنجاح في الانتخاب مثلا ، ولكنها تنبع من ضمير المتأثرين به ، المعجبين بآرائه .. وقد كاد الاجماع ينعقد على امامته ، ولم يخرج عليه الا بعض العلماء المقلدين الذين هاجموه ..

ولعل هذا يعطينا صورة عن مدى اثر دعوة آزاد ، في جمهور المسلمين ، ومدى المكانة التي احتلها في قلوبهم ولا سيما المثقفين منهم ..

فهم القرآن اساس الاصلاح

ولم تكن الدعوة للاجتهاد وترك التقليد هي أول المطاف وآخره عند آزاد ، فان مثل هذه الدعوة لا تثمر ما لم يكن بجانبها وعي ديني ، يقوم على الفهم السليم للقرآن الكريم وتعاليمه ، وصيحة في العقول أن تستيقظ وتفهم ، أو كما يقول آزاد نفسه : « لقد كان من أولى ضرورات الاصلاح الديني العمل على تعليم القرآن ، وفهمه بأسلوب العصر ، وطبقا لمقتضياته ، ومن سوء الحظ أن ذلك لم يكن متيسرا » ، وقوله « ان دعوة المسلمين لدراسة القرآن بطريق مباشر وعملي ، تمثل أولى الخطوات الضرورية للاصلاح ، ولكن هذه الدعوة لم تنجح لأن وسائل الفهم والدراسة كانت مفقودة» .

ولكن كيف والمدارس الدينية والعلماء كان همهم دراسة التفاسير المعروفة لفهم القرآن ؟

ان هذا هو الذي لم يقتنع به آزاد ، ولم يره كافيا للاصلاح الذي ينشده ، بل كان يراه حائلا دون الفهم السليم ، فهو يريد فهما للقرآن بأسلوب العصر ، وفهم مقتضياته ، مع تنحية المشكلات والاسرائيليات والاعشاب التي نشأت وترعرعت في طريق دراسته وتفسيره من عدة قرون ، وذلك عن طريق « تفسير لا هو بالطويل الممل ، ولا بالمختصر المخل ، ولا يحتاج في فهم ترجمته الى شيء آخر سواه » .

فاذا وجد هذا التفسير ، وامكن ترجمته الى لغات المسلمين وغيرهم في الهند وخارجها ، امكن حينئذ أن نقول : اننا بدأنا السير في طريق الاصلاح ..

واذا كانت المدارس الدينية هي المكان الذي يُخَرّج العلماء والداعين ، فهي اشد حاجة الى وجود مثل هذا التفسير ، ولكن من الذي يقوم به، ويحمل اعباءه ويرى في نفسه الكفاءة له ؟

لم يكن هذا غير آزاد الذي تجمعت له وفيه صفات من العبقرية والفهم النافذ للدين ، واهدافه ، والحياة ومتطلباتها ، مع شدة الغيرة على الاسلام، دين الانسانية كلها ، وشدة احساسه بحاجة المسلمين الماسة لهذا التفسير ..

دار القرآن

فوضع مشروعا لدار القرآن ، تضطلع بتفسيره التفسير الذي يريده ، وترجمته بكل لغات العالم، والهند في مقدمته ، وطبعه في طبعات متفاوتة الجودة والثمن ، ليتيسر وصوله الى جميع الأيدي .. على نسق ما يقوم به الغربيون بالنسبة للانجيل او كما يقول : « يجب أن تقام ادارة او هيئة تشرف على نشر القرآن وطبعه ، وخدمته على نسق ما يتم في أوربا وأمريكا من جهود الروابط والجمعيات التي تسمى « جماعات الانجيل » .

ولكن ذلك يحتاج الى تضافر الجهود . مع المال الكثير ، وكثيرا ما نتحدث عن مشروعات جليلة ، ولكن ما تقتضيه من جهد ومال ، يدفن هذه المشروعات ، ويبقيها في دائرة الكلام والأماني .. ولكن مولانا آزاد مع عزوفه عن تعريض نفسه لجمع المال من الناس ، لم يقف عند الكلام والأمال، بل بدأ هو على قدر جهده ، أو كما يقول « وفي الظروف الحالية لم يكن لي من سبيل سوى الاعتماد على جهودي الذاتية ، فاعمل ما أستطيع وأرجيء الباقي الى المستقبل » .

واضطلع بهذه المهمة الثقيلة راضيا مغتبطا ، لتحقيق أمنية المسلمين المخلصين ، بدأ بنفسه يخط طريق الاصلاح الذي ينشده ، ووضع خطة العمل الذي يريد القيام به : ترجمة سهلة في متناول انصاف المثقفين وطلاب العلم ، ويليه كتاب في التفسير يبسط فيه معاني القرآن وأهدافه الاجتماعية والتشريعية وغيرها ، يليه كتاب عن علوم القرآن ، يشرح كيفية نزوله ، وحكمة النزول على

اقساط الخ .. وبذلك يكون قد قدم للقراء على اختلاف مستوياتهم الثقافة القرآنية .

وبدا باهم شيء في نظره لانه يسد حاجة اكبر عدد من المسلمين ، وهي الترجمة السهلة لمعاني القرآن الكريم ، وقطع في ذلك شوطا ، ثم اخذ ينشر ما كتبه منها في صفحات مجلته « البلاغ » سنة ١٩١٦ .. ووعد القراء بمتابعة العمل في هذا حتى يتم في وقت وجيز ، قدره بسنة .

عوائق على الطريق

ولكن العوائق حالت بينه وبين ما اراد ، فقد كان مع عنايته الشديدة بهذه الناحية ، باعتبارها حجر الاساس لبناء دعوته الاصلاحية ، يلهب ظهور الانجليز بسياطه الحامية ، فيما يكتب في مجلته ، وما يلقيه من دروس وخطب على الجماهير .. منذ قر عزمه على الاعتناء بالاعمال السياسية ، وتربية الرأي العام عن طريق الدين .

ولقد اصدر الهلال ـ كما عرفنا ـ من اجل ذلك سنة ١٩١٢ وهو في الرابعة والعشرين ، ولكنه كان موهوبا عبقريا : موهوبا في فهمه ، وفي عزمه ، وعمله .. فاخرجها في طبعة انيقة لم تعهدها الصحف والمجلات الاوردية ، فكان ذلك مع اسلوبه الفريد الجذاب في اثارته الجماهير المسلمة على العبودية والمستعمرين عن طريق دينهم سببا في جذب القراء اليه ، وتأثرهم بدعوته ، والتفافهم حوله ..

وكان ذلك يقض مضاجع المستعمر ، والجماعة الاسلامية التي اعتنقت فكرة المسالمة معه ، ليحظى المسلمون برعايته .. فبدأوا يأتمرون به ، ويدبرون اغتياله ولكنه نجا ، كما بدأت السلطة تتحرش به ، وتقدمه للمحاكمة ، وتفرض عليه الغرامات المتتابعة ، لعلها تثقل كاهله ، ولكنه يفوت عليها هدفها ويدفع ، ويظل في طريقه ، حتى ضاقت اخيرا به ذرعا ، ولا سيما بعد قيام الحرب العالمية الاولى فانذرته ولكنه استمر في طريقه اللاهب ، فعمدت الى تعطيل « الهلال » ومصادرة مطبعتها في نوفمبر سنة ١٩١٥ فلم يستكن . واعد عدته لاخراج مجلة بديلة فاصدر « البلاغ » في ٤ من المحرم ١٢٣٤ (نوفمبر سنة ١٩١٥)واستمر في حملته على المستعمرين ، ودعوته لايقاظ المسلمين ، واصلاح شئونهم .

ومنذ دخلت تركيا الحرب في صف المانيا وهو يتخذ من اعلان انجلترا الحرب على دولة الخلافة العثمانية التي تتعلق بها آمال مسلمي الهند ، يتخذ من هذا جذوة يغذي بها النار الملتهبة في صدور المسلمين على الانجليز ، ويزيدها اشتعالا .. حتى احس الحكم الانجليزي في الهند الخطر يهب عليه وعلى حكمه ، والهند هي المخزن البشري والتمويني للانجليز .. فاصدر امره بابعاد آزاد عن كلكتا ومصادرة البلاغ ومطبعتها .. في مارس سنة ١٩١٦ ، ثم امتدت سلطته الى جسم الجريمة في نظره ، فحال بين آزاد وبين الجماهير نهائيا ، باعتقاله في ٨ يوليو ١٩١٦ م . وبقي في اعتقاله حتى آخر يوم من ١٩١٩ م .

وقد اتجه وهو في اعتقاله ، الى اتمام ما بداه من قبل « ولم يكن في قانون المعتقل ما يمنعني من ذلك ، فشعرت وانا في سجني بانني في غاية السعادة بهذا العمل ، وخيل لي انني لو حرمت حريتي كلها ، واتيح لي فقط حرية القراءة والكتابة ، لم اشعر انني حرمت شيئا من طمانينة الحياة بل في استطاعتي ان اقضي العمر كله في هذا الجو ، مع القرآن الكريم ، وترجمته ، وتفسيره . لكنني .. للاسف لم يمض على ثلاثة شهور حتى حرموني هذه اللذة ، وافقدوني صوابي » وكان ذلك بسبب تمزيق البوليس لمسودات التفسير والترجمة التي كانت في منزله حين اجراء التفتيش وقد حاول بعد ذلك وهو في سجنه ان يستمر في عمله ، ويعوض ما تمزق . واعد عدته لطبعه حين يغادر معتقله ..

في قيادة حركة التحرير

ولكن بعد خروجه من المعتقل في اول يناير سنة ١٩٢٠ وجد البلاد تغلي ، ووجد ـ كما يقول ـ دعوة الهلال للثورة على المستعمرين تؤتي ثمرتها في النفوس ، والناس يرددونها ، فلم يجد بدا من ان يلقي بنفسه في قيادة الجماهير في حركة العصيان المدني ، مع غاندي وزعماء الهند .. المسلمين والهندوس .. حتى حكم عليه بالسجن ، والكتاب جاهز للطبع فعبث به البوليس مرة اخرى ، وذهبت جهوده وضاعت .

ثم خرج من سجنه ليرأس الحزب سنة ١٩٢٣ ، وجرفته اعمال الثورة وابتعد عن جو التفسير ،

وهو كئيب، لضياع وتمزيق ما كتبه للمرة الثانية، ومرت سنوات حتى تفتحت شهيته للكتابة في فترة هدوء سياسي، فاعاد كتابته من جديد .. وقدمه للمطبعة تحت اسم « ترجمان القرآن » حين كانت حركة العصيان المدني الثانية ١٩٣٠ م.على اشدها، وكان هو في السجن فكتب مقدمته، التي يهمني منها بوجه خاص ان اذكر سطورا ختمها بها لما لها من دلالات لها اهميتها قال :

« لقد مضى على سبعة وعشرون عاما بالتمام والقرآن كان موضوع مطالعتي ودراستي، ليلي ونهاري، وذهب بي الفحص والتفكير وراء سور القرآن واياتها، بل كلماتها، الى ابعد حدوده، واوسع معانيه، فدقق فكري سورة سورة، وحقق اية آية، ونقبت دراستي لفظا لفظا، ولي أن اقول انني قرأت من كل ما يوجد من الكتب والتفسير خطية كانت أم مطبوعة اكثرها، فلم تفتني ناحية من نواحي علوم القرآن، واذا كانوا قد قالوا ان في العلم قديما وحديثا، فانني لم اقف عند واحد منها، فالقديم قد ورثته، واما الجديد فقد فلقته بعصاي، وجعلت لنفسي اليه سبيلا، فهو عندي كالقديم علما وخبرة » .

« وان كل ما وهبت لي اسرتي وبيتي وما اسلمته لي من اوضاع علمية او اجتماعية، ابيت ان اقتنع به لاول وهلة، فما حالت دوني قيود التقليد وعوائده في اية ناحية قصدتها، ولم تزل عاطفة الفحص والتنقيب متى عطشى، اينما حللت، فلي في داخل فؤادي اليوم، بفين شاكته الظنون والوانها، ولي في اعماق روحي عقيدة ابتليت بكل بلاء العصيان، وعذاب الجحود والتمرد، ولقد شربت السم من كل كاس، واختبرت مضاده من كل مستشفى، وحينما كنت ظمآن لم يكن ظمئي كغيري، وعندما ارتويت كان مشربي غير المنهل الذي يشرب منه عامة الناس » .

« وبعد الفحص والطلب طوال هذه السنين، بسطت من القرآن كما علمت، وقدر ما علمت على هذه الصفحات، « ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

وقد عنيت بذكر هذه الفقرات ليقف القارىء بنفسه، على ما تعنيه، وهي تعني الكثير من خصائص هذا الرجل وملامح شخصيته .. وقد طبع منه حتى آخر سورة « المؤمنون »، وآخر طبعة قامت بها جماعة احياء ذكراه في دهلي كانت ١٩٦٤ م. وقدم لها الدكتور ذاكر حسين رئيس الجمهورية الهندية السابق، عليه رحمة الله ..

وقد عنى آزاد بتفسير سورة الفاتحة تفسيرا مطولا، اخذ نحو اربعمائة صفحة في هذه الطبعة في مجلد مستقل باعتبارها ام الكتاب، تعرض فيه لكثير من البحوث التي تحفل بها السورة، مما يمكن ان نعده معرضا لآراء آزاد وقدرته واحاطته .. مما اغراني بالعمل المشترك على ترجمتهـــا وتقديمها لقراء العربية، وارجو أن يكون ذلك قريبا

ولقد كانت قبل آزاد ترجمات كثيرة لمعـــاني القرآن بالاوردية، ولكنها لم تكن على المستوى الذي يريده، والذي يسد به حاجة الجماهير المسلمة، ويناسب مستواها، لما فيها من تعقيد ولاعتمادها على الآراء المتداولة في كتب التفاسير القديمة دون ربطها بالحياة .. ولحرص آزاد على التقيد بوضوح ترجمته، كان أحيانا يدفع بعض ما يترجمه للطلاب، ليقف بنفسه على مقدار فهمهم لها ..

كان يترجم معنى الآية في أسلوب سهل مفهوم ومختصر، فاذا وجد آية او موضوعا مهما، يحتاج لزيادة ايضاح، كتب هذا الايضاح في مكان خاص من الصفحة، مستقلا عن الترجمة، ثم يستعرض اهداف السورة والموضوعات التي جاءت بها، عندما ينتهي من ترجمتها، كما فعل السيد رشيد رضا في تفسيره « المنار » وكثيرا ما كان يقف طويلا عند بعض الآيات التي تتعرض لموضوعات او اشخاص تحتاج الى بحث وتحقيق، وقف عند اهل الكهف، وقصة يوسف . وذي القرنين .. الذي وقف عنده طويلا، وافرغ في بحثه كل ما استطاع ان يبذله من جهد واطلاع، بمختلف اللغات، ولم يقتصر على الكتب التي اطلع عليها، بل سافر الى المنطقة التي اداه بحثه عنها الى وجود آثار لذي القرنين فيها، والى منطقة السد الذي اقامه، وخرج من ذلك كله بنتيجة، اعتقد انها وضعت حدا لكل تخمين، او اقوال تركها السابقون، وعمرت بها كتب التاريخ والتفسير، دون جدوى . ■■

عبد المنعم النمر

الحمّامات العامّة

في الأدب العربيّ

بقلم : عبد العليم القباني

■ (الحَمّة) ، العين الحارة يستشفى بمائها المرضى ، و (حمّ) الماء ، سخنة ، وبابه (ردّ) و (الحميم) الماء الحار ، وقد استحمّ الرجل اى اغتسل بالحميم . وهذا هو الاصل ، ثم صار كل اغتسال استحماما بأى ماء كان ، و (الحمام) مشددا هو واحد الحمامات المبنية ، والحمام والديماس بمعنى واحد في العربية ، وان كانت (الديماس) في الاصل كلمة يونانية بمعنى المكان العميق المظلم .

والعرب تذكر (الحمام) ويقول « سيبويه » انه يجمع بزيادة الالف والتاء وان كان مذكرا ، ويرى « ابن الخباز » في شرحه للالفية ان بعض الكتاب كتب « هذه الحمام » فقيل « ان الحمام مذكر » فقال «اردت حمام النساء» واجاز بعضهم التأنيث، على ضعف في هذا الجواز ، ومن هذا قول « صدر الدين القاضي » .

ان حمامنا التى نحن فيها
اىُّ ماء بها وايةُ نار ؟
قد نزلنا بها على « ابن معين »
وروينا عنه صحيح «البخارى»

وابن معين والبخارى علمان من اعلام الحديث .

وقد اشتهرت بعض المدن القديمة بكثرة حماماتها، ويقول صاحب كتاب « مطالع البدور » انه كان ببغداد خمسة آلاف حمام ، على حين تقول الرواية ان « عمرو بن العاص » بعث الى امير المؤمنين «عمر بن الخطاب »بكتاب يذكر فيه أن بالاسكندرية اربعة آلاف حمام ، ويحدثنا « هاني بن المتوكل » في رواية له ، انه احصى بالاسكندرية – فيما احصى عند الفتح – اثنى عشر ديماسا يتسع اصغر ديماس منها لالف مجلس ، واسند الرواة الى الوليد بن عبد الملك انه خطب حين اتم

بناء المسجد الاموى بدمشق فقال « يا اهل دمشق انكم تفتخرون على الناس باربع . بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فاردت ان ازيدكم خامسة هي هذا الجامع » .

وقد افتن القدماء في بناء الحمامات وتزيينها وزخرفتها ، واتخذت انابيبها من الفضة احيانا وصنعت الصنابير على هيئة الطير ، وفرشت الارض والحيطان بالرخام الملون ، وبالبللور في بعض الاحيان ، وقسمت الانابيب الى حار وبارد ، وكان بعضها يزدان بالتماثيل المتقنة الصنع التي لم يرض عنها « الامام الغزالى » فاوجب على من يريد الدخول في « الحمام » ان يزيل امثال هذه التماثيل من الحمام ، فان لم يستطع فليعدل عن دخوله فيه ، وليقصد حماما آخر لا توجد به تماثيل ...

وقد ذكر « ابن عبد الحكم » في كتابه « فتوح مصر » ان شاعرا اعرابيا من الجنود دخل حمام « الزبان بن عبد العزيز » في الفسطاط ففتنه فيه تمثال من الرخام لسيدة جميلة وقال في ذلك ابياتا ، منها :

« من كان في نفسه للبيض منزلة »
فليأت ابيضَ في حمام زبّان

لا روح فيه ولا شفر يقلبه
لكنه صنم في خلق انسان

وقد ظل هذا التمثال قائما ، حتى امر « يزيد ابن عبد الملك » بتحطيم الاصنام فحطم ضمنا .

وذلك الذى فتن به الجندى العربي فنظم فيه ما نظم من الشعر ــ يذكرنا بما رواه « المقرى » في « نفح الطيب » من ان جنديا عربيا شاعرا دخل حماما من حمامات « اشبيلية » ــ من بلاد الاندلس ــ ففتنه فيه تمثال من المرمر ، لغانية مشرقة الطلعة ، فما ملك الا ان قال :

ودمية مرمر تزهو بجيد
تناهى في التورد والبياض

ونعلم انها حجر ، ولكن
تتيمنا بالحاظ مراض

واذا كان « يزيد بن عبد الملك » قد امر بتحطيم الاصنام تطبيقا لاتجاه دينيكان لا يعترف بالتماثيل، وخشية منه على عقيدة قوم كانوا قريبي عهد بالوثنية وبالبداوة من ان تزيغ ابصارهم تحت تاثير من الفن الجميل .

واذا كان « الاسلام » ــ في اصوله الاولى ــ لم يتناول الحمامات العامة بشيء فان علماءه لم يغفلوا امرها ، بل وضعوا لدخولها آدابا خاصة تتصل بفضائل هذا الدين ، واغلبها توجب على آمر الحمام اتباعَ شروط النظافة ، وكفالة امن وسلامة الرواد ، كما توجب على الرواد الالتزام بالطهارة ، والبعد عن منطقة النجاسة ، حتى اعتبر وضع اليد في الحوض الصغير مدعاةً للشك في طهارته عند الشافعية والحنفية ، كما اوجبوا على الرواد غض البصر ، والامتناع عن كشف اجزاء من الجسم حتى امام (القيم) الذى يقوم بتدليك الجسم وتنظيفه ، بل وبعدم لمسه لاجزاء معينة .

ويتكون الحمام في العادة من ثلاثة ابواب :

باب اول ويفضى الى صالة ذات حرارة معتدلة، وباب ثان ينتهي الى صالة ذات حرارة متوسطة ، ثم باب ثالث يفتح على صالة ذات حرارة مرتفعة، وبها حوض « مَغطِس » يخرج منه البخار ، وعليه سورٌ يحمى الرواد من مفاجاة الحرارة او من الانزلاق فيه ..

ويقول « علاء الدين الغزولى » في الجزء الثاني من كتابه « مطالع البدور » ان خير الحمامات ما كان قديم البناء .. ويعللون ذلك بان الحمام الجديد تكون حيطانه ندية ، وما زالت مشبعة برائحة الجص والقار ، فاذا ما تكاثفت الابخرة افسدت رائحةٌ هذه المواد الجوَّ العام للحمام .

ويقولون ان خير الحمامات ما كانت سقوفها مرتفعة حتى لا تحدث ابخرتها مضايقة سريعة للرواد ، ولقد بالغ كثير من الناس في فوائدها ، وزعموا انها تشفي كثيرا من الامراض ، وبخاصة ذات الصلة بالرطوبة ، وينسبون هذه الاقوال الى طائفة من كبار الاطباء الماضين .

وقد افتن الشعراء العرب في وصف الحمامات والحديث عنها ، فاضافوا بذلك الى الشعر العَربي ثروة من الاوصاف الجميلة ، وتناول الشعراء في قصائدهم المناظرَ التى يمكن ان تقع عليها عيونهم،

وكذلك تعرضوا للحوادث التي قد تحدث للنازلين بها ، فيقول « محاسن الشواء » في وصف بعض الرواد :

شدوا المآزر فوق كثبان النقـا
بأنامل حلوا بها عقد التقى

وتجردوا . . فرأيت بان معاطف
نشروا ذوائبهم عليه ، فاورقا

بينما يبرر « صدر الدين بن الوكيل » دخوله الحمام بهذا التبرير الحزين :

ولم ادخل الحمام من اجل لذتي
وكيف، ونار الشوق بين جوانحي؟

ولكنني لم يكفني فيض مقلتي
فجئت لأبكى من جميع جوارحي

واتخذ الفقيه الشاعر « ابن الوردي » من الحمام وحالة رواده مادة للوعظ فقال :

وما اشبه «الحمام» بالموت لامرىء
يذكر ، لكن اين من يتذكر ؟

يجرد من اهل ومال وملبس
ويصحبه من كل ذلك مئزر

ويضيق « جوبان القواس الدمشقي» ذرعا باحد الحمامات فيقول : (وقد اتى الحمام) :

جئت اريد الحمام يوما
فغرني النقش والحصير

حتى اذا جزت نلت ريحا
كأنما تنبش القبور

انقل خوف الوقوع فيها
رجلي ، كما يفعل الضرير

وكلما جاءها زبون
قالت : الم يأتكم نذير ؟

وروى « صلاح الدين الصفدي » في حواشي المقامات ان « محمد بن سكرة » دخل حماما ، وعند خروجه افتقد حذاءه فلم يجده ، فعاد الى داره حافيا ، وقد نظم في ذلك ابياتا جاء فيها قوله :

اليك اذم حمام ابن موسى
وان فاق المنى طيبا وحرا

تكاثرت اللصوص عليه حتى
ليحفى من يطوف به ويعرى

ولم افقد به ، ثوبا ولكن
دخلت « محمدا » وخرجت بشرا

ويشير في قافية البيت الاخير الى «بشر الحافي» الزاهد المعروف .

وبسناء « شرف الدين الحموى » من تدليك « قيم الحمام » له تدليكا عنيفا ، فيقول فيه :

ان امسك اليد مني كاد يخلعها
او سرح الشعر ابكاني وابكاني

فليس يمسك امساكا بمعرفة
ولا يسرح تسريحا باحسان

وكان الشاعر الاديب « نصير بن احمد بن على المنازى المصرى » احد العاملين بهذه الحمامات ، ولذلك اشتهر بالحمامى ، وقد اشتهر بالادب والشعر كما كان صديقا لكبار شعراء عصره ، من امثال « السراج الوراق »و« ابى الحسين الجزار» و « ابن دانيال الكحال » ومن مقطوعاته المشهورة قوله يصف داره ومنها :

ودار خراب بها قد نزلت
ولكن نزلت الى السابعة

فلا فرق ما بين اني اكون
بها ، او اكون على القارعة

واخشى ان اقيم بها الصلاة
فتسجد حيطانها الراكعة

اذا ما قرات « اذا زلزلت »
خشيت بان تقرأ « الواقعة »

وقد كنت اريد ان اطيل الحديث عنه ، لولا انى اوفيته حقه في بحث لي نشرته ضمن كتابى « مع الشعراء اصحاب الحرف » الذى نشرتهالهيئة المصرية العامة للنشر فليرجع اليه من يشاء . ■■

عبد العليم القباني
الاسكندرية

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

البيضة

أصل الحياة

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ الناس تحيا ثم تموت .

والحيوان يحيا ثم يموت .

وحتى النبات ، يحيا ثم يموت .

والموت فناء . والموت لسطح الأرض فراغ . والفراغ خراب ويباب . وما يشاء رب الكون ان يكون لسطح الأرض خراب ويباب .

اذن لا بد من ذاهب عن الأرض أن يترك عليها نسخة منه لتمتلىء الأرض .

والانسان يترك الأولاد . وتموت الأولاد من بعد أن تخلف وراءها الانسال .

والحيوان يترك الذرارى .

والنبات ، ومنه المعمر ، ينثر بذوره على سطح الأرض . فهو في غير حاجة الى الانسان لتتصل عمارته للارض .

انها وحدة في الكون عامة شملت انسانا وحيوانا ونباتا .

ذكر وانثى

وفي سبيل ذلك ، انقسم الجنس ، في الأحياء ، الى ذكر وانثى ؛ فآدم وحواء ، والثور والبقرة ، والنحل والنحلة ، وهي ملكة النحل ، والعنكبوت والعنكبوتة .

فالذكر يرمي عند اللقاح ببعض منه ، فيه مخطط الخلق الجديد كيف يكون .

والانثى ترمي عند اللقاح ببعض منها ، فيه كذلك مخطط الخلق ، كيف يكون .

وقد يجمع الذكر والانثى كيان واحد .

ويلتقي البعضان ، ومنهما يتألف الانسان الجديد ، ويتألف الحيوان ، ويتألف النبات .

كل احياء الارض في ذلك واحدة .

شذوذ قلة

وشذ عن ذلك قلة قليلة من الاحياء .

احياء ، كان خلقها من البساطة بحيث لم تجد ايسر عليها من ان تنشق لتخرج من ذلك الحى الجديد .

انها تتضاعف انقساما ، أو تتضاعف تبرعما ، فكانما هى اعجز من ان تتطلع الى اسلوب فى التناسل اعلى وارقى واكثر تعقدا .

البيضة
عند الناس
وفى العلم

انت اذا قلت البيضة لأخ او صاحب ، ارتسمت فى خياله على الفور بيضة الدجاجة ، فهذه من صنوف البيض امسها بحياة الناس .

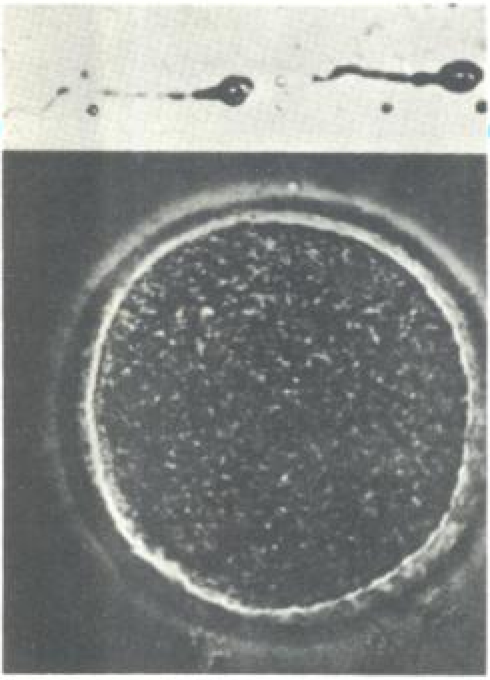
فاذا انت انكرت على صاحبك ما خاله، انتقل بك الى بيض الحمام ، أو بيض الأوز ، او بيض الطير عامة ، حتى بيض الصقر والغراب .

ولقد علمنا أن الزواحف تبيض .

ولقد علمنا ان الضفدع ، وفيه تتمثل البرمائيات، يسقط بيضه ومنيه فى الماء، فيكون تلقيح . ولم ير الرجل العادى بيضة ضفدع ملقحة أو غير ملقحة ، فهى ليست بالحجم الذى تسهل رؤيته ، وليس لها قشر البيض الذى ألفه الناس.

بيضة الانسان

حتى الانسان ، الأنثى منه تبيض . وهى بيضة فى غاية الصغر ، قطرها نحو خمس المليمتر . وتتلقح بالحيوان المنوى من الذكر ، فتخلق من ذلك الأبناء والبنات .



بيضة الانثى من بنى الانسان والى جانبها الحيوان المنوى من منى الرجل . كلاهما مكبر تكبيرا عظيما .

البيضة
فيها للجنين غذاء

والبيضة هى فى العادة اكبر من الحيوان المنوى الذكر الذى به تتلقح واكبر كثيرا.

ومن اسباب ذلك ان البيضة ، وفيها بعد التلقح ينشأ الجنين ، تسبق فتحمل لهذا الجنين الغذاء. ويسمى الغذاء بالمح وهى صفار البيض .

ويختلف مقدار الغذاء فى البيضة وفقا لصنفها ، فمن البيض كثير الغذاء . فهو بيض كبير ، ومن البيض معتدل الغذاء، ومنه قليل الغذاء او لا يكاد يوجد فيه غذاء اصلا .

وبيض الدجاج ، هو بيض ينشأ جنينه في البيضة بعد أن وضعتها الدجاجة .

فهو قد انقطعت صلته بالبيضة من حيث تغذيته اياه ، هذا البيض ليس لجنينه مصدر للطعام غير ما يضمه البيض . ولهذا كثرت كمية هذا الطعام وكبرت بذلك البيضة .

وعلى النقيض من ذلك بيضة تبيضها انثى الانسان . ان الجنين الانساني لا يلبث أن يتصل بالأم عن طريق المشيمة Placenta ، لتغذيه ، فهو ظاهرا لا يحتاج الى غذاء تكون قد تزودت به البيضة . ولكن الحقيقة أن بيضة المرأة بها كذلك غذاء للجنين ، وهو لتغذية الجنين في الفترة التي لا يكون فيها الجنين تم اتصاله بالأم عن طريق المشيمة .

وهكذا هي الكثرة الكاثرة من طائفة الحيوانات الثديية التي منها الانسان ، تلك التي تلد .

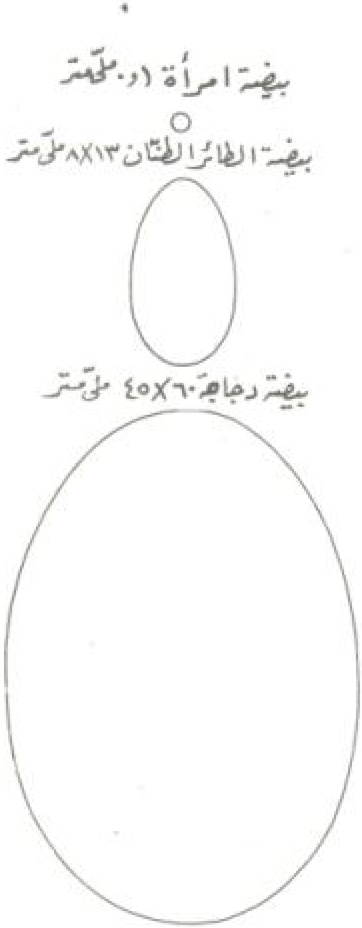
الفرق بين الحيوانات التي تبيض والحيوانات التي تلد

لعل وقفة هنا نافعة ، تفرق بين الحيوان الذي يلد والحيوان الذي يبيض .

الانثى تعطي البيضة ، والذكر يعطي الحي المنوي . ويتم لقاء هذه بهذا ويتم التلقيح . ومن بعد التلقيح ينشأ من البيضة الملقحة الكائن الجديد . وتتزود البيضة بغذائه . والمح غذاؤه ، وهو ما تطلق عليه صفار البيض Yolk .

ولكن من الحيوانات ، كالضفدعة ما ترسل انثاه بيضها ، كما يرسل ذكره حيه المنوي ، الى الماء ، وفي الماء يحدث التلقيح ، وكل ما وراء التلقيح .

وكالضفدع الأسماك ، لقاء البيض والحيوان المنوي على العموم في الماء .



ولكن من الحيوانات ما يحدث تلقيح بيضه داخل جسم الانثى ، ومن امثلة ذلك الزواحف والطيور . ولكن البيضة الملقحة تخرج عن الانثى ، لتستتم تشكلا وخلقا خارج جسم الانثى . فهذا هو البيض الذي تراه اعيننا . والانثى قد ترعاه حتى يتفقس وقد لا ترعى .

ومن الحيوانات ما يستتم التلقيح ، وكذا التنشأ والنمو داخل جسم الانثى ، والذي يخرج منها عند تمام النمو انما هو المولود ، فهي اذن ولادة .

فهذا هو الحال في الانسان والبقر والكلاب والقطط، وكل ذات ثدي ترضع.

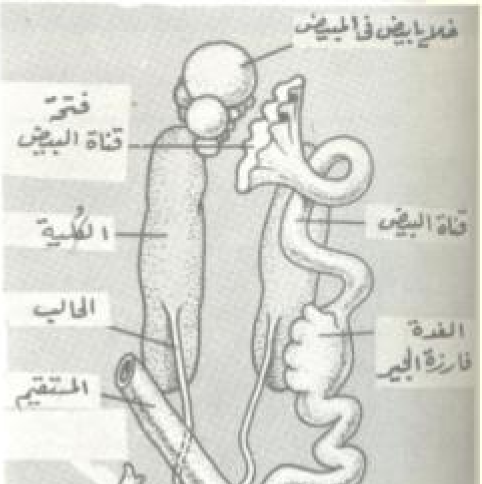
ومع هذا توجد أنواع من الثعابين تحتفظ ببيضها في جسمها من بعد تلقيح فيه، فهو داخل الجسم يتلقح وهو داخل الجسم ينشأ، ولكن كما ينشأ خارج الجسم. فجسم الأنثى لا يغذيه عن مشيمة توجد فيه. وتتفقس البيضة داخل جسم الثعبانة، ويخرج الثعبان الجديد، وكأنه مولود. وما هو بالمولود الصادق.

البيض والطير

ونعود بعد هذه الجولة مع البيضة، في حيث توجد من الأحياء، نعود الى بيضة الطير بحسبانها الشيء الأول الذي سماه الانسان بالبيض، وعرفه الانسان بيضا يؤكل، لا سيما بيض الدجاج والبط والأوز.

وللطير معان أخرى تتصل بالبيض، وخاصة في رعاية من ينشأ عنه من أفراخ.

جهاز التناسل في الدجاجة



التلقيح في البيض

تخرج البيضة من المبيض وتدخل في فتحة قناة البيض، وقد نضجت، فكانت كتلة من صفار، هو المح، وهو غذاء الخلية، ومعه نواة الخلية، وكذلك حشوها البروتوبلازمي Cytoplasm، وهي عندئذ تخرج من المبيض لتدخل فتحة قناة البيض. وحين يجتمع الديك بالدجاجة، يدخل الحيوان المنوي الآتي من الديك الى مذرق الأنثى، ويصعد فيها الى البيضة، وطريقه قناة البيض. وهو يلتقي بالبيضة في أعلى هذه القناة، وبه تتلقح.

وتأخذ البيضة الملقحة تهبط في قناة البيض، وهي أثناء ذلك تكتسي بطبقات من الزلال هي بياض البيض. وترتبط البيضة من كل طرفيها بخيوط تمتد في الزلال الى أقصى نهايتي البيضة. ويتكون حول الزلال طبقتان من نسيج هو نسيج القشر، وهو يلف الزلال لفا. ثم تتكون القشرة حول هاتين الطبقتين. أما مادة القشرة، وهي جيرية، فتفرزها غدد في النصف الأدنى من قناة البيض. ثم لا تلبث البيضة أن تخرج من المذرق، وهو نفس المخرج الذي يخرج منه بول الدجاجة وفضلاتها.

وعندئذ نقول، ان الدجاجة باضت.

والبيضة تخرج بعد التلقح بنحو أربعين ساعة.

حضانة البيض

ان الجنين يأخذ يتكون في البيضة منذ تمام التلقح. والجنين لا يستمر في تكونه بعد خروج البيضة الا اذا ظل دافئا، ومن هنا وجبت الحضانة.



الأم بحكم الغريزة تأتي لأطفالها بالطعام

والدجاجة تجلس على بيضها . ومن الطيور ما تعين ذكوره الأمهات فتجلس على البيض أحيانا ليدفأ .

ودرجة الحرارة اللازمة لهذا الدفء هى نحو ١٠٠ درجة فهرنهيتية ، وهى تساوى نحو ٣٨ درجة مئوية .

ومدة الحضانة تختلف من طير الى طير . ففى الطيور الصغيرة تقع بين ١٣ و١٥ يوما . وفى الطيور الكبيرة تقع بين ٤٠ الى ٥٠ يوما . وبيض الدجاج ينفقس بعد نحو ٢١ يوما من حضانة . وبيض البط بعد نحو ٢٨ يوما .



بيضة الدجاجة



والاطفال بحكم الغريزة تفتح افواهها طلبا للغذاء والغذاء حياة .

وعند اكتمال الجنين يمتص من المح (الصفار) آخر مصة فيه ، ثم هو ينقر بمنقاره قشر البيضة ، ثم يزيدها سعة حتى تنشق شقين ويخرج الفرخ منها .

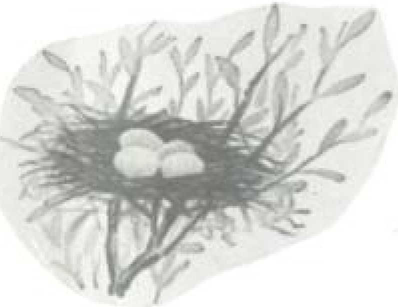
رعاية الطير افراخها

تختلف افراخ الطير التي ينفقس عنها البيض من حيث استعدادها للحياة ، والقيام على التو بواجباتها .

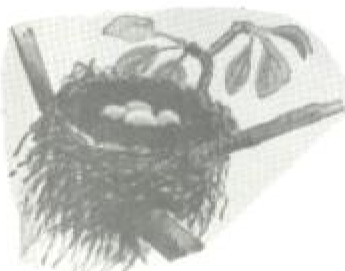
ومن اكمل الافراخ استعدادا لهذا ، افراخ الدجاج والبط والاوز والديكة الرومية وغيرها . الام من هذه الطيور تبيض عادة عددا من البيض يتراوح بين ١٢و٢٠ بيضة،وتتخذ اعشاشها لحفظ البيض قريبة من الارض . والام لا ترقد على بيضها حتى يتم عدده .

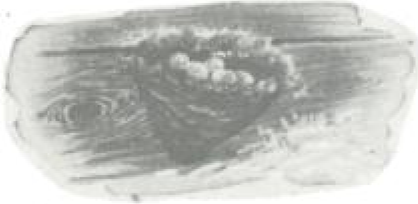
والافراخ تقدر ، من ساعة انفقاس البيض عنها ، أن تمشي على رجليها وتتبع الأم حيثما سارت .

وهناك أنواع من الطير تخرج افراخها، ولم يكتمل اعدادها للحياة اعداد كافيا ، فهذه تبيض انثى الطير منها اعدادا تقل عن ستة ، وهي تبدأها بالحضانة بمجرد وضع البيضة الأولى . وينفقس البيض عن الافراخ ، وهي هزيلة صغيرة ، والام تراها وتدفئها وتطعمها وهي في عشها حتى يكتمل ريشها وتستطيع ان تطير . ومن امثلةهذا الطير العصفور وابوالحناء.









اشكال متباينة من شتى ما تصنع الطيور من اوكار





والصقر والبومة تبيض اناثهما من البيض ، من الواحدة الى الاربع . والبيضة تحتضن من ساعة ان تبيض الأم وتنفقس عن افراخ لا تخرج عن العش حتى تكتسى ريشا وتستطيع الطيران .

واكثر الطيور يحمي فراخه من الأعداء. ومن الطير نوع اسمه طير البقر Cow bird فهذا يضع بيضه في عش الطيور الأخرى لتقوم هى بحضانتهم وتنشئتهم . وهكذا تختلف طبائع الخلق وتتعارض. ولكن مثل هذا نادر الوجود.

والامومة هي الأمومة في ثعبان او طائر او انسان . انها مظهر من مظاهر الوحدة بين الخلق .

●●

احمد زكي

غيرة و غرور..

بقلم
الدكتورة عاتكة الخزرجي
بغداد

■ توجَتْ مرآةَ الجمال بوَرْده ... نديانَ ، يروى نفحة عن خدّه
وأغارُ منها كالمُنافس إن تلت ... صُوَرَ الجمال ، ورتّلت من وِرْده . .
كملَتْ محاسنُه ، فعزّ شبيهُه ... كالبدر تَقْصُر أن تجيء بنِدّه
إني أغار عليه من نَفْسي ، ومن ... نَفَسي ،فتى جار الهَوى عن قصده !
إني أَغارُ عليه من ألحاظه ... فُتِنت به ، فزها . وماد بقَدّه
إني أحبُّ له الغرور . . أحبه ... متعاليا، ومُصَعّراً من خدّه . . !
حكم الجمال بذا ، وأيده الهوى ... ولقد رضيت بهزله وبجِدّه
حكم الجمال بِعَدله وبظلمه ... وقضى الهوى بوصاله وبصدّه
ماذا أقول ، وعزتي مغلوبةٌ ... وكرامتي وُئِدت على إفرنده . . ؟
وخدعتُ بالأوهام قلبيَ واهيا ... هيمانَ ، أطْمَعَه بخُلّبِ وعده !
وقَنِعتُ منه بطيفه لو زارني . . ... وتَقَعّت أشواقي بِسَلْسَل وِرْده . .
ماذا عليه إذا يمر مسلما ... أيضيق حتى بالسلام وردّه . . ؟
ماذا عليه إذا تعطف ، ثانيا ... من عِطفه، أوَما يَرِقّ لعبده . . ؟
إني لأقْنَعُ باليسير تعلّةً ... حسبي القليلُ إذا انتهى من عنده . . ! ■■

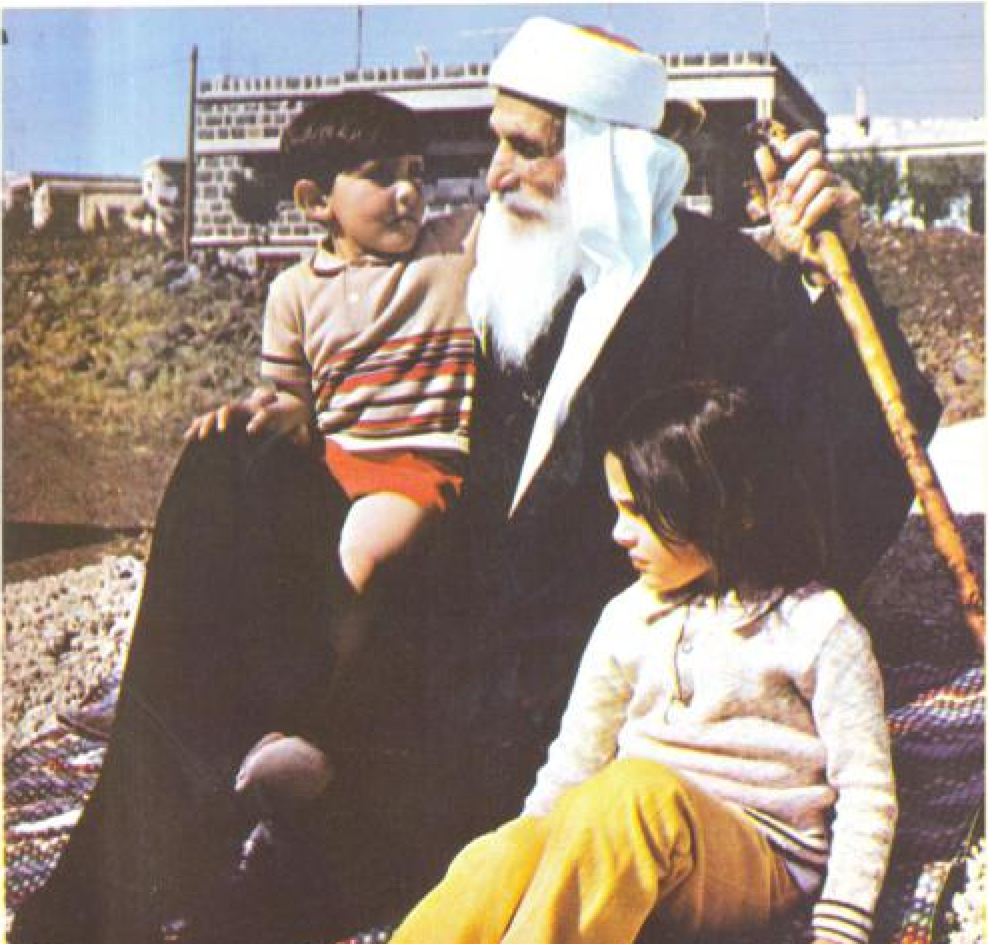
اعرف وطنك أيها العربي

السُّوَيْداء

أَرضُ الأَبطالِ في جبلِ العرَبِ في القُطرِ السُّوري

استطلاع
منير نصيف

تصوير :
اوسكار متري





السويداء في صور ثلاث : **الاولى (الى اليمين)** لاحد المجاهدين من أهالي جبل العرب مع اثنين من احفاده ، وهو الحاج سالم الحناوي ، أما الصورة الثانية فوق هذا الكلام ، فهي تمثل مجموعة من سيدات السويداء بالملابس الحديثة والملابس الوطنية في زيارة لبلدة شهباء ، أكبر قرى الجبل ، والصورة الثالثة لجانب من مدينة السويداء أرض الابطال ، بمساكنها الحديثة والقديمة .



الحيـاة تعـود الى السـويـداء مـن بعـد طـول نسيـان !

■ جبل اشم .. اما سهوله فكانت مسرحا لثورة دخلت التاريخ ، واما تلاله فقد وقفت وما زالت شاهدا على بطولة ابنائه .. وأما الثورة فقد نشبت للخلاص من المستعمر الذى اراد ان يذل امة ويسجن شعبا وراء تلك الأسوار العالية من الاستبداد والطغيان .. الأسوار التى اقاموها في كل بلد حط فيه ، الى ان كانت الهبّة الكبرى التى شاركت فيها كل الشعوب المستعبدة من اجل الحياة .

هنا ، ومن بطن هذا الجبل ، خرج الرجال يحملون السيوف والعصي والبنادق القديمة في وجوه الجنود النظاميين الذين اتخذوا من الارض الطيبة مرتعا لهم ولشهواتهم .. وتصدت البنادق للدبابات ، وشهرت السيوف في وجه الغـزاة وتطايرت الأحجار فوق رؤوس جنود الامبراطورية الفرنسية .. ودارت المعارك الضارية التى غيرت وجه التاريخ ..

وانتصر ابناء الجبل .. وسجلت كتب التاريخ قصة هذا النصر الذى انتهى بجلاء المستعمر ورحيله عن الأرض الثائرة .. وتغنى الشعراء ببطولة أهله ..

انها ثورة جبل العرب او جبل « الدروز » كما أسماه الفرنسيون قديما ، وهى قصة انتصار ابناء هذا الجبل ..

قال أمير الشعراء احمد شوقي في قصيدته الشهيرة التى مطلعها :

سـلام مـن صـبا « بردى » أرق
ودمـع لا يكفكـف يا دمشـق

الى أن يقول :

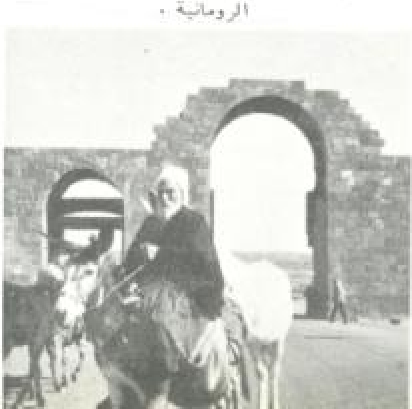
وما كـان الـدروز قبيـل شـر
وان أخـذوا بمـا لـم يستحقوا
ولكـن ذادة وقـراة ضـيف
كينبوع الصـفا ، خشنـوا ورقـوا
لهـم جبـل اشـم لـه شـعاف
مـوارد في السـحاب الجون بلق

وقال الشاعر محمد البزم مشيدا ببطولة أبنـاء الجبل في معركة المزرعة .. المعركة التى اعترفت فيها فرنسا لاول مرة بهزيمتها في المستعمرات ، قال :

ما ان سـمعنا ولا التاريخ حدثنا
بمثـل فعلكـم شـيبا وشـبانا
انتم ملوك الوغى والبيض ناطقة
وذى عمائمكم في السهـل تيجـانا

القصة من افواه الثائرين

ولكن ما اروع القصة حين تسمعها على السنة هؤلاء الذين عاشوا الثورة وشاركوا فيها .. ان الكثيرين منهم ما زالوا أحياء يرزقون .. بعضهم جاوز المائة ، وبعضهم قاربها .. انهم ينتشرون في محافظة السويداء .. فوق تلالها ، وفي سهولها ، ووسط مزارعها ، وفي متاجرها الصغيرة والكبيرة .. وفي شوارعها وطرقاتها يمشون مرفوعي الرأس ، مفتولي الشوارب ، وقد وضعوا العمامة البيضاء فوق رؤوسهم ، او لبسوا القطرة والعقال .. وقد حملوا كلهم ذلك الوسام الذى يعتز به أبن الجبل ويفخر .. وهو ليس وساما وضعوه فوق صدورهم ، ولكنه بطاقة حملوها في جيوبهم .. لا تكاد تلقى الواحد منهم ، وتحدثه فيما كان من امر بلاده ، حتى تجد عيناه قد لمعتا ببريق عجيب وهو يحكي لك قصصا عن المعارك التى خاضها في



بوابة شهباء الجنوبية ، ومجاهد عاش نضال الجبل وشارك فيه .. ويرجع تاريخ هذه البوابة الى عصر الرومان ، حيث كان يقوم سور عال له اربعة مداخل او بوابات ، وقد تهدم السور ، واندثرت معالمه او كادت ، وبقيت البوابات الاربع الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية ... ان شهباء هى أهم وأكبر قرى السويداء ، وهى غنية بآثارها الرومانية .

سبيل استقلال بلده وحريتها.. ثم لايلبث ان يمد يده الى جيبه، ويخرج لك البطاقة .. وتقرأ فيها أول ما تقرأ كلمة « مجاهد » ، وترتفع عيناك قليلا لتتطلع الى وجه صاحبها ، فتراه وقد احاطت به هالة من الفخر والكبرياء .. وكأن الكلمة الصغيرة قد تحولت الى تاج مرصع يزين راس صاحبها .. ثم تقرأ بعد ذلك اسمه واسم أبيه وامه التي ولدته ، واخيرا محل قيده ، ورقم سكنه وتاريخ مولده ..

وقفة على الطريق

ونتوقف هنا قليلا ، قبل ان نمضي في مسيرتنا مع ابطال جبل العرب .. نتوقف لنتقدم في سطور قصيرة مدينة السويداء ، موضوع استطلاعنا اليوم .. اين هي ، وما هي ، ومن هم اهلها ؟ ..

انها منطقة اثرية قديمة تقع الى الجنوب من دمشق عاصمة سوريا ، وعلى بعد مائة كيلو متر منها .. وهي تتوسط ارضا بركانية واسعة قامت فيها سلسلة طويلة من الجبال المنبسطة الممتدة من الشمال الى الجنوب .

ترتفع اعلى قمة في جبالها عن سطح البحر بحوالي ١٨٠٠ متر ، ولا يقل ارتفاع السويداء نفسها وما جاورها من قرى من ١١٠٠ متر عن سطح البحر .. يحدها من الغرب سهل حوران الفسيح، ومن الشرق بادية الشام ، وتتاخم حدودها من الجنوب الاراضي الاردنية ، ومن الشمال غوطة دمشق .

اهل جبل العرب

لقد قدر عدد سكانها طبقا لآخر احصاء بحوالي مائتي الف نسمة ، بما في ذلك سكان القرى الصغيرة التابعة للمحافظة ، والتي تنتشر حول المدينة ويزيد عددها على المائة وخمسين قرية ، يشتغل اهلها بالزراعة وبالحرف اليدوية التقليدية ..

لقد سكنها على مجرى التاريخ الكنعانيون والاراميون ، والانباط الذين جاءوا من شبه الجزيرة العربية ، والغساسنة وهم من اصل يمني قحطاني عربي .. وما تزال بقايا الانباط والغساسنة موجودة في قراها الصغيرة حتى اليوم ..

يقول داود نمر استاذ التاريخ في كتابه محافظة السويداء : « لقد سكن بنو معروف جبل العرب عندما جاءوا اليه في عام ١٦٨٥ ، وكانت اول دفعة تصل اليه منهم تضم ما يقرب من ١٥٠٠ رجل



خريطة تفصيلية تبين محافظة السويداء بقراها العديدة



فتل الشوارب واطلاق اللحى دلالة الرجولة عند اهل السويداء ، وتراهم يسيرون في عباءاتهم السوداء الفضفاضة مرفوعي الراس ، في كل مكان في جبل العرب ، في الريف والحضر ، في شوارع المدينة وقراها وفوق تلالها .

« تحية لشهداء الثورة السورية » عام ١٩٢٥ عبارة تتوج قاعدة النصب التذكاري المقام في قلب مدينة السويداء (الى اليسار) ، تخليدا لذكرى هؤلاء الأبطال الذين ضحوا بأرواحهم من أجل حرية بلادهم واستقلالها .. (والى اليمين) نصب تذكاري آخر مقام في منطقة المزرعة حيث دارت رحى المعركة الشهيرة في التاريخ ، تلك التي اعترفت فيها فرنسا بهزيمتها في المستعمرات لأول مرة ، عندما طوّق أبناء الجبل جنود الحامية الفرنسية بقيادة الجنرال ميشو وأبادوها عن بكرة أبيها .





(الى اليسار) سلطان باشا الأطرش ، قائد الثورة في جبل العرب قال : « رفضنا الحياة مع الذل ، وآثرنا الموت مع الحرية »

المضافة العربية في الجبل .. كلهم مجاهدون ، شاركوا في الثورة وشاركوا في الجهاد .. وأمتع أوقاتهم هي تلك التي يقضونها في المضافة يستعيدون الذكريات مع فناجين القهوة العربية المرة وأقداح الشاي ، انها أقدم مضافة في السويداء .





العاقل والجاهل ..
فئتان من الدروز ،
الأول الى اليمين
يمثل رجل الدين
والعقل ، ويلبس
العمامة البيضاء ،
ويحج الى بيت الله
الحرام.. أما الثاني
فهو رجل دنيا
ويدخن ، ولا يبالي
بتعاليم الله .



وامرأة وطفل ، بقيادة اميرهم علم الدين المعنى ، وقد غادر هؤلاء الاراضي اللبنانية وتوجهوا الى اعالي حوران القليلة السكان ، رغبة منهم في التخلص من سيطرة الارالد .. وبالرغم من عددهم القليل ، فقد تمكنوا من طرد البدو الذين كانوا يعيشون في الجبال الى جانب بعض النصارى ، بقايا الانباط والغساسنة الذين كانوا يقيمون في بعض انحائه الغربية والشمالية ..

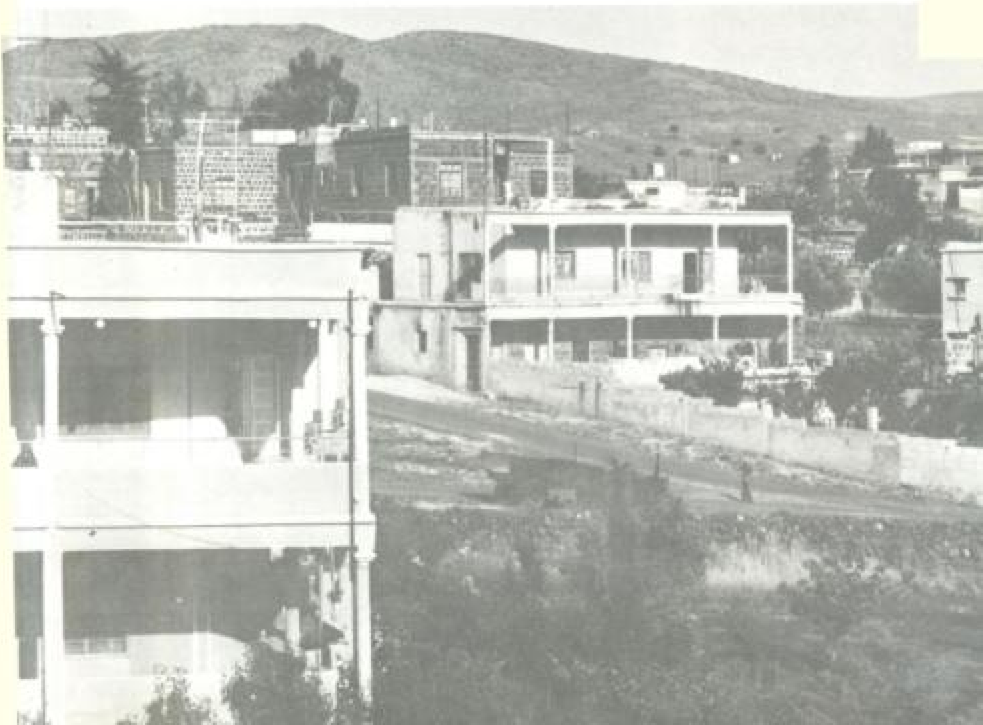
« حكمهم الامير علم الدين المعنى طيلة ثلاثين عاما ، ولما غادروا البلاد الى لبنان اعطى الحكم الى الزعيم حمدان الحمدان عام ١٧١١ الـذى استدعاه لهذا الأمر من جبل لبنان . وقد مارست عائلة الحمدان التى يعود اصلها القديم الى «حلب» في شمال سوريا .. الى والد سيف الدولة الحمداني الشهير .وبقيت تمارس سلطاتها ونفوذها على منطقة الجبل كلها .. الى ان انتزعت منها عائلة الاطرش زعامتها وسلطاتها ..

لقاء مع قائد الثورة

ونعود من حيث توقفنا .. الى موكب ابطال الجبل .. ولم يكن ممكنا ان نمضي معهم ، دون ان نلقى قائدهم وزعيمهم .. الرجل الذى لعب دورا رئيسيا في ثورة سوريا الكبرى من اجل استقلالها وحريتها .. سلطان باشا الاطرش . وذهبنا اليه على غير موعد .. قالوا لنا : « ستجدونه في بيته الجديد الذى بناه بدلا من بيته القديم الذى دمرته مدافع الفرنسيين في ثورة ١٩٢٥ » .. لقد اختار سلطان الاطرش بلدة « القريّا » التى تبعد عن السويداء بحوالي سبعة عشر كيلومترا ، لتكون مقرا له ومقاما » .

ووصلنا الى البيت .. ووقفنا امام باب مضافته مترددين .. وكان يجلس وحده مع ذكرياته في الداخل ينتظر قدوم ضيوفه وزائريه الذين تمتلىء بهم المضافة العربية كل مساء ، ويدور الحديث فيها عن الماضي واحداثه ، وعن حاضر البـلاد

منظر لجانب من مدينة السويداء ، وقد ظهرت في الصورة المباني القديمة والحديثة جنبا الى جنب ، ومن ورائها الجبل .. لقد عاد أبناء البلد الذين هاجروا الى فنزويلا ، وبقية دول امريكا اللاتينية ، بحثا عن الرزق .. عادوا بعد أن امتلأت جيوبهم بالمال ليبنوا ويعمروا .





شارع السوق القديم في السويداء أو شارع الشعراني في ساحة السير ، أو ساحة محطة وقوف سيارات النقل ، ويتميز بمبانيه التي شيدت بالأحجار ، وتنتشر المحال التجارية على جانبيه ، وهو يزدحم بالمشترين بالنهار،ويغلق أبوابه في ساعة مبكرة في المساء .. لقد أنشيء هذا السوق منذ أكثر من مائة عام.

ومستقبلها . .واحس بنا عندما توقفت بنا السيارة ونزلنا منها ، وبدأنا نتجه الى باب مضافته ونحن نقدم رجلا ونؤخر اخرى .. فخرج الينا ، في عباءته السوداء .. رجل قوى البنية واسع العينين رغم ما اصابهما من ضعف ووهن مع العمر الذى تقدم به ، فهو قد قارب المائة .. يحمل فوق كتفيه راسا كبيرا مليئا ، ويمشي في خطوات ثابتة راسخة ، قال لنا بعد ان قدمنا له انفسنا .. : « مرحبا بمجلة « العربى » .. مرحبا بكم في بلدكم ودياركم » وامسك بايدينا ودعانا الى الدخول وجلسنا في المضافة اولا ،حيث قدم لنا القهوة والشاى والشراب الحلو .. ثم دعانا الى صحن الدار الذى يتوسط بيته الحديث القديم .. بيت بسيط شيد على الطراز العربى القديم .. وفي ركن من الحديقة جلس هو على مقعدة بينما جلست زوجته السيدة تركية ـ وهذا اسمها ـ التي توج الشيب راسها ، والتيشاركته حياته ونضاله ، في شرفة البيت المطلة على الحديقة ترقب عدسة « العربى » ، وهى تلتقط صورا « لأسد الجبل » كما يسمونه في السويداء ..

قلنا : « الا ترى ان الصورة سوف تكتمل اذا ظهرت معك زوجتك وشريكة حياتك وكفاحك ؟ » .

قال : « دعوها وشانها فهى سيدة متعبة ، ثم هى لا تحب التصوير .. »

ومضي سلطان باشا الأطرش يحدثنا عن ثورته ، وهو موضوع لا يمل الحديث فيه أبدا . وعن المواقف البطولية التى وقفها ابناء الجبل .. وعن المعارك الضارية التى نشبت بين رجاله وبين جنود فرنسا في الجبل ، وعن المواقع الحربية التى سجل فيها ابناء الجبل اروع انتصارات في تاريخ سوريا ..

وكان يجد متعة وهو يعود بذاكرته الى تلك الأحداث البعيدة التى مرت بها بلاده ..

اقسى لحظات كفاحه

وسألناه : « ما هى اقسي لحظة مرت بك



الاغنام تشكل جزءا من الثروة الحيوانية في محافظة السويداء ، وهناك ما يزيد على المائة وثمانين ألف راس من الغنم و ٩٠ الف راس من الماعز ، و١٦ الف بقرة .. ولا يكاد يخلو بيت حديثا كان أم قديما من الاغنام في السويداء

الجرارات في السويداء ، لم يعد عملها مقصورا على الفلاحة ، فقد طوّعها المزارع لخدمته هو وافراد اسرته ، فأصبحت وسيلته للانتقال بدلا من الدواب .



السويداء هي بلد العنب ، وقد أدخلت زراعته في العصر النبطي ، ثم ما لبثت أن نمت وازدهرت واحصوا عدد غرسات العنب فوجدوها اليوم تزيد على العشرة ملايين غرسة .. والمرأة هناك كأي امرأة ريفية ، تعاون زوجها في فلاحة الارض وزرعها وجني محصولها



في نضالك ؟ »

قال : « يوم اضطررنا لترك بلادنا في عام ١٩٢٥ عندما احكم الفرنسيون الحصار على بيتي الذي دمروه ، وارادوا لنا الموت جوعا وعطشا ... فلجأنا الى وادي السرحان داخل الحدود الاردنية .. لقد ذقنا مرارة الحرمان خلال سنوات حياتنا في المنفى .. كنا ناكل الثعابين وورق الشجر ، ونشرب المياه المالحة ، ولكننا تحملنا كل هذا في سبيل استقلال بلادنا وفي سبيل حريتها وكرامتها .. الى ان اعترف الفرنسيون اخيرا باستقلال سوريا وبعد مضي اثنى عشر عاما من الكفاح المتصل .. وعدنا الى بلادنا في عام ١٩٣٧ ، وخرج عشرات الالوف من أبناء الجبل يحتفلون بانتصار الثورة، وعودة قائدها .. واغرورقت عيناى بالدموع وانا احس بقدمي تلمسان من جديد ارض بلدي وترابها.

قلنا : ماذا تصنع الآن ، وكيف تقضي وقتك في شيخوختك ؟

قال : « انا مزارع .. ثم انا رجل فقير لا املك اكثر من ستة هكتارات ازرعها بنفسي ..

قلنا : لماذا لا يساعدك ابناؤك؟

قال في لهجة يشوبها الاستنكار : « يساعدني ابنائي ؟ لقد رزقني الله بثلاثة اولاد وسبع بنات، عاشت منهن خمس ، وتزوجت ثلاث .. وكلهم تخرجوا في الجامعة ، وابنائي يشغلون مراكز مرموقة،فبينهم الطبيب الجراح والمهندس ،ولكنني ارفض مساعدتهم .. انني افضل ان احصل على قرض من البنك اسد به حاجتي ، على ان امد يدي لواحد من ابنائي ..

قلنا : « انت قائد ثورة ، وزعيم مناضل ، فما هو السبيل في رأيك للخروج من المأزق الذي نعيش فيه والعدو رابض فوق أرضنا .

قال : « نصيحتي للعرب أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم ، والا فلن يكون لهم مستقبل على الاطلاق . »

قالها سلطان الاطرش ، وهو يضرب بيده على المائدة .. وقفنا نودعه .. لقد ازدحمت المضافة بالزائرين ، وخرج معنا يودعنا ، ويحملنا تحياته « للكويت ولمجلة « العربي » وللدكتور احمد زكي استاذ الجيل » .. ثم وقف يلوح لنا بيده حتى غاب عن اعيننا وغاب معه بيت الذكريات .. عندئذ تذكرنا قول الشاعر القروي :

فيالك من اطرش لما دعينا
لثار كنت اسمعنا جميعا



مسجد السويداء .. وهو مسجد قديم ،ويقع بجوار مبنى ثانوية الفتاة العربية ، ويتسع لالف مصل ، وهناك كنيستان صغيرتان في الجبل ، واحدة للمسيحيين الارثوذكس واخرى للكاثوليك .

مدرج شهباء الروماني أو مدرج فيليب العربي الذي توّج امبراطورا على روما (٢٤٤ — ٢٤٩)م ويتألف المدرج من طابقين ، لم يبق منهما سوى الطابق الاول المتهدم .. انه في مقدمة الآثار القديمة التي تجذب السائحين ، ولكنه مع الاسف لا يجد العناية اللازمة من جانب المسئولين عن الآثار والسياحة .





يجرى العمل على قدم وساق في بناء سد الروم الذى سيكتمل بناؤه في نهاية هذا العام ، او بداية العام الجديد ١٩٧٤ ، وسوف يتسع لحوالى ٥ ملايين متر مكعب من مياه الامطار التى كانت تضيع هباء كل عام .. وقد ظهرت في الصورة منطقة الجبل التى تعلق عليها محافظة السويداء املا كبيرا في الزراعة في المستقبل .

ونترك الثورة وقائدها ، وننتقل الى الناس .. الى سكان جبل العرب ، عاداتهم وتقاليدهم ، عيشهم ورزقهم .. شيمهم وخصالهم ..

بنو معروف

واهل جبل العرب يتميزون بالنخوة والشجاعة والكرم ، حتى انهم اسموهم في كتب التاريخ بنى معروف والدروز والموحدين .

اما اطلاق اسم بنى معروف على اهل الجبل فربما يرجع الى انهم لا يترددون في صنع المعروف في غيرهم ، او لان احد اجدادهم اسمه معروف ، كما يقول بعض العارفين ، ولعله جد آل ارسلان او التنوخيين .. فقد نزح بنو معروف الى الجبل، ليستقروا فيه في القرن الثامن عشر الميلادى ، فلم يجدوا مقاومة من سكانه المسيحيين بل جاءت المقاومة من البدو الذين راحوا يشنون عليهم الغزوات المتلاحقة ، ولكن بنى معروف تمكنوا بفضل شجاعتهم من تثبيت اقدامهم في المنطقة والتوسع فيها .

عروبة الجبل

عرب ؟ نعم عرب اصليون ، فالحياة الاجتماعية في الجبل تشبه الى حد كبير في جوهرها ، ما كان شائعا ومعروفا عند اجدادنا العرب القدامى ..

يقول الاستاذ محمد كرد على في كتابه « خطط الشام » : « ان الدروز لم يفقدوا اصولهم العربية التى من شأنها الشمم والاباء » بينما يقول الشاعر مارون عبود :

يمشى الدم العربى في اعراقهم
صرفا صراحا والدليل المنطق

وقد لمسنا عروبة الجبل واهل الجبل ، خلال الايام القليلة التى قضيناها وسط اهله وعشيرته ، كنا لا نكاد نلقى احدا او يلقانا احد ، حتى يدعونا الى بيته ويقدم لنا الشاى والقهوة العربية المرة ، ويقسم باغلظ الايمان بان نكون ضيوفه على مائدة الغداء او العشاء .

واكثر ما تهتم به الاسرة في الجبل هو تنشئة الفتاة على العفة والاخلاق الكريمة .. والمراة هنا لا تضع الحجاب على وجهها ، ولكنها تلبس



من بين الانجازات الحديثة في السويداء ، المستشفى الوطني ، الذي وضع الحجر الاساسي لبنائه أيام الوحدة بين مصر وسوريا ، واستكملت المباني في عام ١٩٦٣ ، **(الى اسفل)** ويحتوي المستشفى على ١٦٠ غرفة ، وتجرى فيه العمليات الجراحية الكبرى ، وقد انشئت في المستشفى مدرسة للتمريض . **(الى اعلى)** ، وهى تقبل الطالبات اللواتي يحصلن على شهادة الكفاءة ، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .. وتدفع المدرسة لطالباتها مرتبات شهرية الى جانب الاقامة الكاملة بالمستشفى بالمجان .





يقوم الاتحاد النسائي في السويداء بدور كبير في رعاية شئون المرأة والاسرة ، وفي الصورة احدى عضوات الاتحاد الذي يضم كرائم السيدات المثقفات ، وهي تقوم بدورها في توعية مجموعة من النساء القرويات اللواتي التففن حولها ، ورحن ينصتن باهتمام لها وهي تحدثهن عن أفضل الوسائل الحديثة في تربية الأطفال.



فتاة ريفية تعمل في نسيج السجاد على أحد الأنوال اليدوية في وحدة شهباء لصناعة السجاد . وتشتهر المحافظة بانتاج السجاد اليدوي الذي ينافس أجود أنواع السجاد المستورد .

فوطة بيضاء شفافة تغطي شعرها واذنيها وعنقها ، ويبقى وجهها مكشوفا ، وتلبس تحت الفوطة طربوشا صغيرا من النوع الخاص بالنساء ، تزينه الفتيات بقطع من الذهب المستدير في حافته الامامية السفلى وبقطع ذهبية اخرى تشبه الليرات الذهبية معلقة في قرص جميل مزخرف من الفضة في اعلى الطربوش ، وهو ما يعرف محليا باسم « القرص الشنشل » .

المرأة في السويداء

ولباس المرأة التقليدي هو اللباس الطويل الفضفاض الذي يصل الى كاحل القدمين ، وهو لباس جميل طالما اثار اعجاب الزائرين والسائحين، وهو اكثر شيوعا في القرى عنه في المدينة .. فقد مزقت المرأة القيود .. وجلست مع الرجل في المدرسة تدرُس وتدرِّس ، ووقفت في المصنع تنافسه ، ولكنها مع هذا كله لم تنس بيتها ، فهي « ست بيت » ممتازة ، تولي عناية خاصة بترتيبه وتنظيمه ، وتتفنن في اعداد اطباق الطعام الشهية، وترحب بضيوفها من الجنسين ، وتجلس معهم وتناقشهم في مشاكل الساعة .. وهي رفيقة جميلة، حلوة الحديث تعشق القراءة والاطلاع ، وتقبل على التعليم ..

الازياء الوطنية في شوارع المدينة ، والمرأة لا تغطي وجهها ، وانما تضع الطرحة فوق رأسها وتخفي بها فمها،أما الثوب فهو فضفاض يصل الى الكاحلين، وقد ظهر في الصورة الفندق السياحي الجديد في السويداء .



اسم السويداء من اين جاء ؟

هناك قصص كثيرة تتناقلها الالسن عن السبب في تسمية مدينة « السويداء » بهذا الاسم ، فيقول البعض لانها تقع في منتصف المسافة بين عمان عاصمة الاردن وبين دمشق ، فهي اذن في موضع السويداء من القلب .. ويقول البعض الآخر ، لانها في سويداء القلب .. قلب كل من زارها وأحبها .. الا أن هناك رواية تاريخية ينقلها اساتذة التاريخ ، فهو يقول أن اسم السويداء اشتق من تسمية قديمة جدا ، لا يعرف على وجه التحديد متى اطلق على هذه المدينة ، وهو Soada سوآدا ،وقد ظهر هذا الاسم مكتوبا باللغة اليونانية على قاعدة تمثال ، عثر عليه امام دار الحكومة القديمة في عهد الانتداب الفرنسي ، وظهر من الترجمة للنقوش المكتوبة على قاعدة التمثال ، أن أهل مدينة سوآدا ، قد اقاموا هذا النصب تكريما لذكرى محام يدعى « بروكلس » اعترافا منهم بالخدمات الجليلة التي قدمها لاهل مدينته في حياته.

مدرسة في كل قرية

قال لنا السيد عامر حمزة مدير التربية في محافظة السويداء .. « ان هناك ما لا يقل على ١٥ الف تلميذ في المدارس الابتدائية التى أنشئت بمحافظة السويداء .. وهناك مدرسة ابتدائية واحدة في كل قرية ومدرستان في بعض القرى الكبيرة .. اما المدارس الاعدادية فهى تضم ٦ الاف طالب .. وهناك سبع مدارس ثانوية للجنسين من بينها مدرسة واحدة صناعية وتضم حوالى ثلاثة الاف طالب .

« ان الحاجة الماسة الى المعلمين لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، قد اضطرتنا الى انشاء « صف خاص» للشبان واخر للفتيات الذين يحصلون على الثانوية العامة ، ونكتشف فيهم استعدادا خاصا للتدريس، وهم يمضون عاما واحدا في هذا الصف يتخرجون فيه معلمين ومعلمات .. »

وفي المدينة يعمل معظم الاهالى في التجارة ،وهم يتاجرون في السلع التى ينتجونها محليا ، والتى يصلهم من دمشق وبقية المدن السورية أو التى يستوردونها من الخارج ، كما يعمل قسم كبير منهم في المصالح والادارات الحكومية .

الزراعة في الجبل

وفي الريف ، بطبيعة الحال ، تنتشر الزراعة ، قال لنا المهندس الزراعى حمد جربوع ، وهو ابن الجبل وينتمى الى اسرة الشيخ حسين جربوع ، احد ثلاثة شيوخ عقل للطائفة الدرزية على مستوى القطر السورى ، قال المهندس الذى تخرج في كلية الزراعة بجامعة القاهرة : « ان المحاصيل الرئيسية في محافظة السويداء هى القمح والشعير والحمص والعدس ، كما تجرى الآن تجارب على زراعة السمسم وعباد الشمس ..

« وهناك ايضا زراعة مستحدثة ، هى زراعة التفاح ، التى ادخلت في السويداء منذ عشرين عاما تقريبا ، ولكنها ما لبثت ان تضاعفت عقب الحركة التصحيحية في عام ١٩٧٠ ، ويبلغ عدد اشجار التفاح في السويداء اليوم حوالى ربع مليون شجرة ، يبلغ انتاجها السنوى ما يزيد على الفى طن ، وينتظر ان تتضاعف هذا الانتاج بعد نمو شجيرات التفاح الجديد خلال السنوات الاربع القادمة ، وبذلك يقفز الانتاج الى اكثر من عشرة الاف طن من التفاح ..



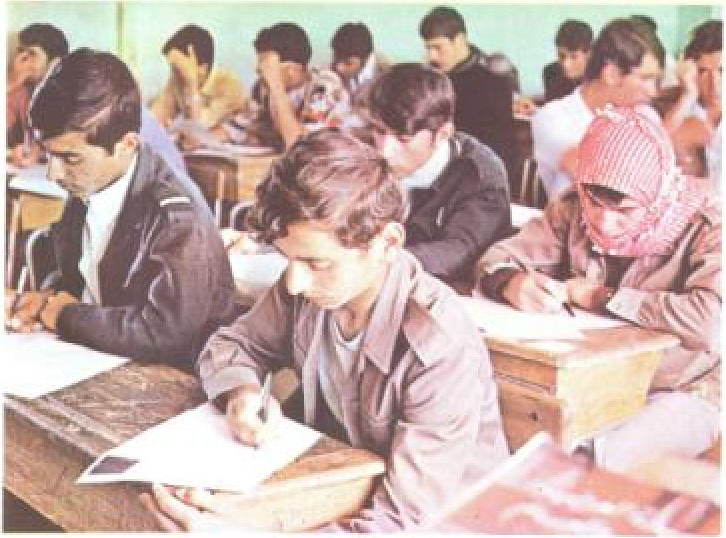
أشجار التفاح وهي زراعة مستحدثة في جبل العرب ، وقد أصبح في بساتين الجبل الآن ما يزيد على ربع مليون شجرة تفاح مثمرة .

السويداء بلد العنب ، وقد أدخلت زراعته في العصر النبطي ، ثم ما لبثت أن نمت وتطورت ، والدليل على قدم هذه الزراعة في تلك المنطقة ما وجدوه من رسومات بارزة على واجهات الآثار الرومانية ، وهى تمثل عناقيد العنب واوراق شجرة العنب ، وفي الصورة مدير متحف السويداء للآثار السيد غالب عامر مع نقوش العنب على قطع الاحجار التى نقلوها الى المتحف لصيانتها .





القديم والحديث في صورة .. ثلاث فتيات من بنات الجبل ، شاءت اثنتان منهن أن ترتديا الملابس الوطنية ، وتوسطتهما ثالثة بالملابس الحديثة ، التي بدأت تزحف الى البيداء مع انطلاقة المرأة الحديثة الى ميدان العلم والعمل .



صف دراسي في مدرسة الامير شكيب ارسلان ، في مبناها الذي تأسس سنة ١٩٦٠ ، ويعمل الطلبة في المعسكرات الالزامية خلال عطلة الصيف ولا يحصل الطالب على شهادته الدراسية الا اذا ادى تدريبه في المعسكر وحصل على شهادة منه تؤكد لياقته ونجاحه .



مجموعة من طالبات مدرسة ثانوية الفتاة العربية بالسويداء اثناء تأدية الامتحان .. وتضم المدرسة اكثر من سبعمائة طالبة في المرحلتين الاعدادية والثانوية يشرف على تدريبهن ٢٥ مدرسا ومدرسة من خريجي الجامعة .



مديرة المدرسة السيدة ابتسام حوشان ، وهي متخرجة من كلية الآداب ، قسم اللغة العربية بجامعة دمشق ، وقد وقفت وسط مجموعة من طالباتها بملابس الفتوة ، حيث يتدربن على استعمال السلاح بالذخيرة الحية ، فكلهن جنود .



نول يدوي من الانوال التي تستخدم في صناعة السجاد ، وقد وزعت على الفتيات المدربات في بيوتهن ، وتعمل بنت الريف على هذه الانوال مقابل أجر محدد يدفع لها عن كل متر مربع تفرغ من نسجه . انها احدى الوسائل التي استحدثت لرفع مستوى الاسرة الريفية ، ومضاعفة دخلها .

« ان هناك منطقة في شرق السويداء تسمى « ظهر الجبل » ، وهي ترتفع عن سطح البحر بحوالى ١٨٠٠ متر ، وقد ثبتت صلاحيتها لزراعة جميع انواع الفاكهة التي يكفي انتاجها استهلاك سوريا باكملها اذا استغلت الاستغلال الكامل .

ان الزراعة في الجبل تعتمد اعتمادا كليا على مياه الامطار في الشتاء .. تماما كما كان اهلها يعتمدون على ما ترسله اليهم السماء من ماء يشربون منه ويسقون أرضهم وحيواناتهم .. وما أكثر ما شحت السماء فعطش ابناء الجبل ، وماتت زراعتهم او كادت ..

بلاد العنب

وأجمل ما في جبل العرب كرومه ، تلك التي عاشت معه منذ مئات السنين ، عندما ادخلت زراعة العنب لأول مرة في العصر النبطي ، في عام ٨٨ قبل الميلاد ، وبقيت قائمة على مر العصور ، حتى نمت وتطورت ، واصبح الجبل اليوم يضم ما يزيد على العشرة ملايين غرسة عنب ، يصل انتاجها السنوي الى أكثر من ٦٠ الف طن من العنب العجلوني والبلدي والحلواني والاسود ..

لقد قامت بعض الصناعات الرئيسية على هذه الزراعة التي رأينا رسوماتها تزين الاثار الرومانية القديمة التي تنتشر في طول البلاد وعرضها .. وفي مقدمة هذه الصناعات صناعة المشروبات الروحية كالنبيذ والعرق ، وصناعة الزبيب والدبس وهو عصير العنب المركز ..

ان السويداء هي بلد العنب ، فهو الشجرة الوحيدة التي تراها في كل مكان تذهب اليه سواء في الريف او في المدينة .. في البساتين وفي حدائق المساكن ، وفي المزارع الواسعة ، حيث تقف المرأة بجانب زوجها تعاونه في فلاحة الارض ورعايتها

وسوف يتضاعف انتاج العنب بعد تنفيذ مشروع « سد الروم » في منطقة ظهر الجبل ، تلك المنطقة التي يعلق عليها اهالي محافظة السويداء ، آمالا كبيرا في الزراعة في المستقبل .. وقد اقيم السد عند حافة الجبل حيث تتجمع مياه الامطار في بحيرة هائلة يبلغ عرضها ٧٥ مترا ، وطولها خمسمائة متر ، وعمق المياه فيها ستة عشر مترا .. وسوف يتسع السد لحوالي خمسة ملايين متر مكعب من

المياه التى تضيع سنويا ، للانتفاع بها في موسم الجفاف ..

بناء وتعمير

كيف تبدو السويداء اليوم ؟ لقد بدات المدينة القديمة بمبانيها الاثرية العتيقة تتوارى وراء الجديد الحديث .. ففي السويداء اليوم حركة بناء وتعمير يلمسها الزائر في كل مكان ، فلم يعد الجبل تلك المنطقة المهملة المنسية التى بقيت على حالها منذ قرون طويلة ، كما قال لنا محافظ السويداء محمد يونس محمد .. لقد عاد ابناء السويداء من المهجر الذى كانوا قد سافروا اليه في فنزويلا وفي غيرها من دول امريكا اللاتينية سعيا وراء الرزق والعيش .. عادوا وقد امتلات جيوبهم بما جمعوه من مال ، خلال سنى هجرتهم التى بدات في النصف الثانى من القرن العشرين .. عادوا ليبنوا ويعمروا ، ويقيمون مساكنهم الجديدة فوق انقاض المساكن القديمة التى ملت البقاء من هول ما حل بها من هرم .

ومع عودتهم بدات الحياة تعود الى الجبل المنسي .. فقد وضع المسئولون برنامج اصلاح شامل في البلاد ، بداوه من ريف الجبل .. من حيث تبدا الحياة ..

انعاش الريف

قال لنا السيد حمد حمزة مدير الشئون الاجتماعية والعمل : « لقد كان انعاش الريف من بين الاهداف الرئيسية التى عملنا على تحقيقها بعد الحركة التصحيحية في القطر السورى ، فقد اقمنا مراكز للتدريب المهنى في القرى ، لعل اهمها هى الوحدة الارشادية لصناعة السجاد .. وفي هذه الوحدة تتدرب الفتاة الريفية على صناعة السجاد الذى اشتهرت به هذه المنطقة ، وهو ينافس في جودته افخر انواع السجاد اليدوى العالى .. وتستمر مدة التدريب خمسة اشهر تتخرج بعدها الفتاة وقد اجادت هذه الصناعة ويعقب فترة التدريب مباشرة ، فترة الانتاج . حيث يقوم المركز او الوحدة بتوزيع الفتيات على الانوال اليدوية الموجودة داخل الوحدة او في خارجها ، واعنى بذلك بيوت الفلاحات المتخرجات .. ويعمل على النول الواحد اكثر من فتاة ، حتى يمكن الانتفاع به وبانتاجه لاقصى حد ممكن ،وتعميم الفائدة على اكبر عدد من الاسر الريفية المنتجة.

« لقد حقق هذا المشروع نجاحا كبيرا .. واصبحت الفتاة في الريف تكسب رزقها بعرق جبينها .. حقيقة انها تساعد اسرتها في الزراعة وفلاحة الارض .. ولكن هناك فترة جفاف وقحط خلال العام الزراعى ينخفض فيها مصدر رزق الاسرة .. وفي هذه الفترة تستطيع الفتاة ان تعوض اسرتها بفضل ما تكسبه من عملها في صناعة السجاد .. فهى تتقاضى ٥١ ليرة سورية مقابل كل متر مربع تقوم الفتاة بنسجه من السجاد اليدوى .. فاذا علمنا ان متوسط انتاج الفتاة في الشهر الواحد يزيد على المترين ، فمعنى هذا انها قد ضمنت دخلا شهريا لا يقل عن مائة ليرة سورية .

« وقد كان لهذا العمل الجديد الذى وفرته المحافظة للفتيات الريفيات ، اثره الكبير في رفع المستوى المعيشي للاسرة في الريف .

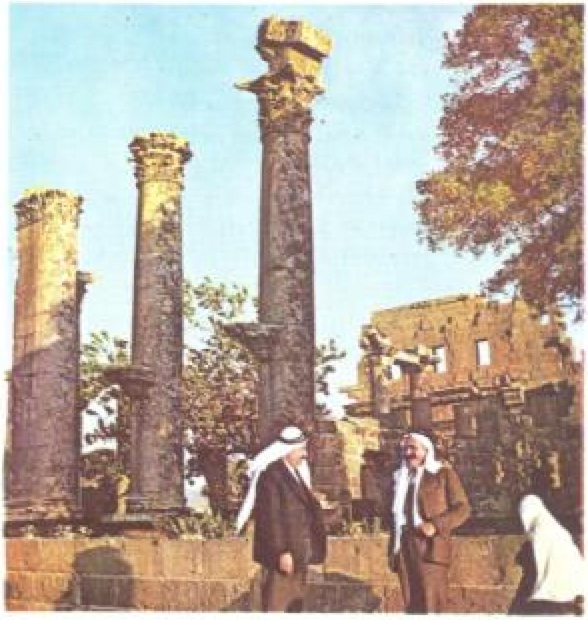
لقد اصبح لدينا الآن ما يزيد على المائة وعشرين

صورتان من الداخل للمستشفى الوطنى بالسويداء **(الاولى الى اليمين)** لاحدى غرف العمليات ، وفي المستشفى ستة غرف للعمليات الصغيرة والكبيرة ، وهى مجهزة بكل الآلات الحديثة ، وملحق بها مختبر لتشريح مرضي Pathology اما الصورة الاخرى **(الى اليسار)** فهى لاحدى غرف المرضى في قسم الجراحة للنساء .



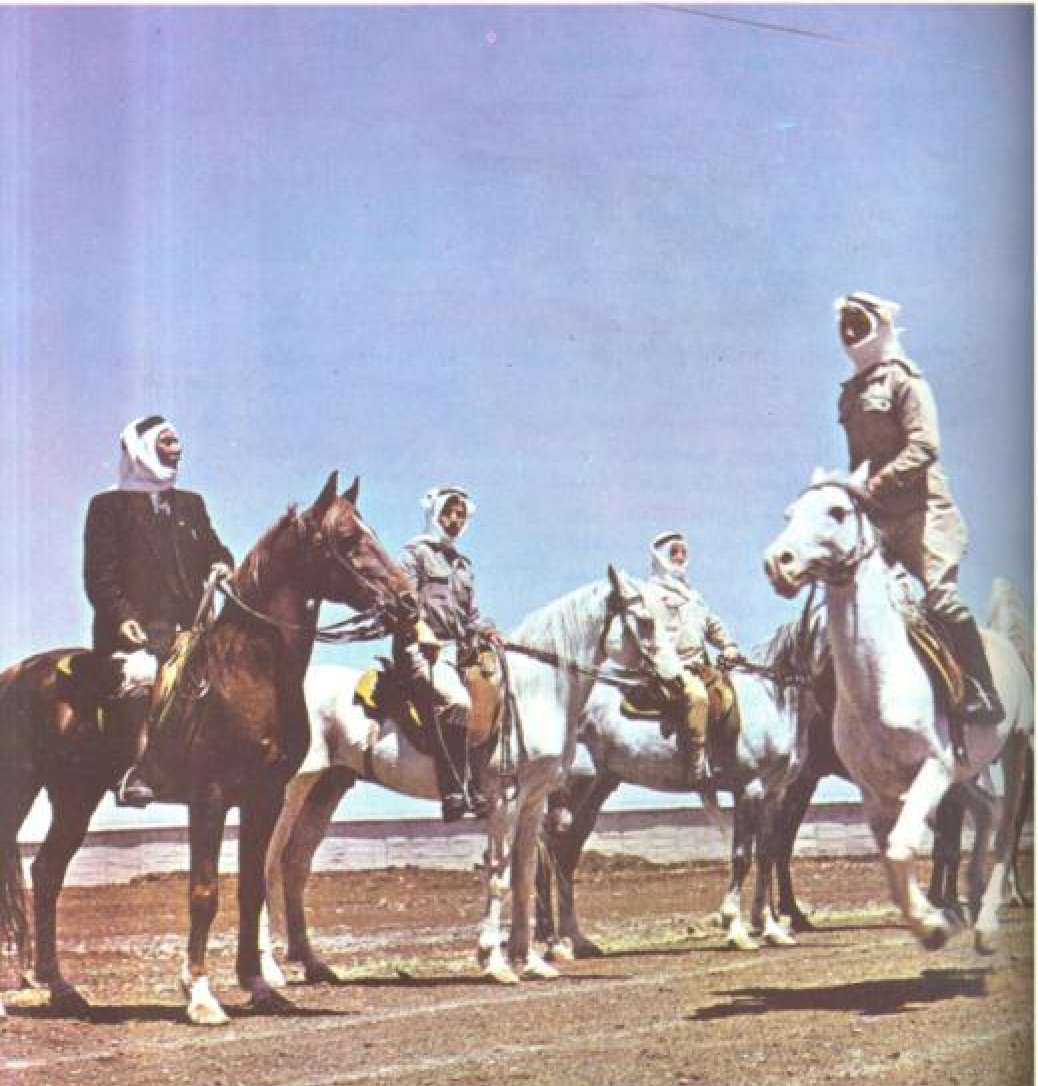


تنتشر الآثار الرومانية في مدينة السويداء وقراها .. فهي منطقة غنية بآثارها القديمة ، والصورة لمجموعة من الأعمدة الرومانية في قرية قنوات احدى قرى المحافظة .



محل تجاري لبيع الاقمشة في سوق السويداء ، وقد وقفت مجموعة من السيدات ينتقين ما يعجبهن منها .. ان التجارة حرفتهم ، ويقبل على العمل فيها المعمرون من ابناء الجبل .. والاتجار في الاقمشة النسائية هي دائما تجارة رابحة ، فالمرأة هي المرأة في كل زمان ومكان .





تشتهر السويداء بتربية الجياد العربية الأصيلة منذ القدم ، فأهلها يهرمون ركوب الخيل ، وقد انشأوا ناديا للفروسية لتدريب أفراد الجيل الجديد على هذه الرياضة التى عشقها اجدادهم ، وللمحافظة على أنساب الخيول الأصيلة تقديرا للدور الكبير الذي قامت به الخيول وقام به فرسانها في الثورة السورية الكبرى في أرض الجبل .



اهالي جبل العرب هواة رماية وصيد ، وهي هواية مميزة للمنطقة واهلها ، وقد انشأوا لهم ناديا ، وبداو ينظمون هواياتهم وينمونها،كما أولوا اهتماما خاصا للمحافظة على الثروة الحيوانية في الجبل، فحددوا مواعيد لصيد الحيوانات البرية والطيور، وكذلك انواع الحيوانات المسموح بصيدها حتى يضمنوا بقاءها وتكاثرها،وفي مقدمة هذه الحيوانات الطيور والغزال ، والارنب الجبلي وطائر الحجل وغيرها ..

نولا يدويا تعمل عليها ٢٦٠ فتاة ، وتقوم المحافظة من جانبها بطبيعة الحال بتوفير كل المواد الاولية التى تدخل في صناعة السجاد ، كما تتولى ايضا عملية تسويق الانتاج .

« اننا نولي هذا المشروع اهتماما كبيرا ، لاننا نؤمن بأن رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمحافظة ككل ، لا بد ان يبدأ من الريف .. فالريف هو عصب الامة .. اى امة .. واساس الحياة فيها » .

الحياة تعود الى المدينة المهملة

قال لنا محافظ السويداء : « نعم ، لقد بقيت هذه المنطقة منسية مهملة قرونا طويلة ، ولكنني



محافظ السويداء محمد يونس محمد ، حدثنا عن الانجازات التى تمت في جبل العرب في السنوات الاخيرة، وقال : « لقد بدأت السويداء تصحو من نومتها ورقادها ، بعد سنوات طويلة من النسيان والاهمال»

اتوقع لها مستقبلا اقتصاديا وسياحيا طيبا بعد الانتهاء من المشاريع الحيوية التى بدانا في تنفيذها في السنوات الثلاث الاخيرة .. لقد ظلت السويداء تعاني من العطش ، ولكنها لن تشكو بعد اليوم من نقص المياه الذى عانت منه كثيرا .. ان العمل يوشك ان ينتهي في مشروع جلب المياه من بحيرة مزيريب الواقعة في محافظة درعا والتى تبعد حوالى ٥٢ كيلو مترا عن منطقة الجبل .. وقد تكلف هذا المشروع وحده اكثر من ١٦ مليون ليرة سورية .

ان المياه الحلوة ستصل الى الجبل في شهر يونيو من عام ١٩٧٤ .

« اما القرى التى تحيط بالسويداء وعددها ١٥٠ قرية ، ففيها ينابيع صغيرة ، ولكنها لا تكفي حاجة سكانها..ولذلك فقد تقرر انشاء سد الروم الذى تكلف مليونين ونصف مليون ليرة سورية لتغطية حاجة المدينة وقراها من المياه ، وسوف تخرج المياه من هذا السد صالحة للشرب لانها سوف تمر بمعمل تكرير المياه الذى يقام الآن في منطقة السد .. وبذلك نكون قد وفرنا مياه الرى اللازمة لجميع القرى المنتشرة في المحافظة ، من السويداء حتى بلدة الشهباء ، وقد عهدنا بعملية نقل المياه من السد الى هذه القرى الى متعهدين وتكلف المشروع مليون ليرة سورية » .

انجازات في شتى الميادين

ثم ماذا .. لقد لخص لنا محافظ السويداء الانجازات التى تحققت خلال السنوات القليلة الماضية .. قال :

- لقد انتهينا خلال العامين الماضيين من رصف وتعبيد ٢٥٠ كيلو مترا من الطرق الجديدة التى لم تكن موجودة اصلا .
- تم شق ٤٥٠ كيلو مترا من الطرقات الزراعية في كافة انحاء الجبل وخاصة في المناطق الوعرة ، التى لم يكن بالامكان الوصول اليها بالسيارة .. وقد ادى هذا الى اكتشاف مناطق زراعية جديدة.
- قامت المحافظة بتوزيع الأراضي الصالحة للزراعة في منطقة « ظهر الجبل » على المزارعين باعتبارها ملكا للدولة ، واعطت مهلة للفلاح تنتهى في نهاية عام ١٩٧٤ ، على اساس ان تستعيد الدولة



الشيخ حسين جربوع

العقلاء والجهلاء

قلنا لسماحة الشيخ حسين جربوع احد شيوخ العقل الثلاثة للطائفة الدرزية « سمعنا عن وجود طائفتين او فئتين للدروز ، فهل لكم أن تحدثونا عن الفرق بين الفئتين والصفات المميزة لكل منهما ؟ » .

قال الشيخ حسين الذى يرعى مصالح ابناء الطائفة في المهجر ، ويجيء الى الجبل زائرا كل عام : « ربما لاحظتم ان هناك من يضع العمامة البيضاء فوق راسه ، هؤلاء هم الذين ينتمون الى فئة العقلاء ونسميهم ايضا « الفئة الروحية » ، او فئة رجال الدين الاتقياء .. وهم يحجون الى بيت الله الحرام ، ويصلون ويصومون رمضان ، والصيام عندنا هو صيام النفس اكثر منه صيام الغذاء .. اما الفئة الاخرى فهى فئة الجهلاء او الفئة الزمنية ، ويلبس أصحابها فوق رؤوسهم الفطرة والعقال .. وقد نعتناهم بالجهل لانهم يشربون الخمر ويدخنون ، فاذا اراد احدهم أن ينضم الى فئة العقلاء وجب عليه أولا أن يقلع عن التدخين وعن شرب العرق .. حينئذ فقط يسمح له بخلع العقال ووضع العمامة البيضاء فوق راسه ، ويصبح حجه مبرورا وصيامه مقبولا » .

قلنا : « كم يبلغ عدد الدروز الذين يعيشون في المهجر ، هؤلاء الذين تقومون برعاية مصالحهم خارج سوريا ولبنان ؟

قال : « اكثر من ١٢ الف درزى مهاجر نصفهم من دروز لبنان ، ويقيم معظمهم فى فنزويلا ، وبعض دول أمريكا اللاتينية ، ويعملون جميعا في التجارة ، ولكنهم لم ينسوا الجبل ابدا .. انهم يعودون اليه مهما طالت غيبتهم » .

هذه الأرض من الفلاح الذى لا يستصلح ارضه ويزرعها قبل انقضاء هذه المهلة .

● انشأت المحافظة جمعيات تعاونية زراعية ، احداها في مدينة السويداء ، وقدمت لها في العام الماضي قرضا قيمته مليون ليرة سورية ،كما ستحصل على مليوني ليرة هذا العام ، وستستخدم هذه الاموال في عملية التشجير .

● زرعت المحافظة خلال العامين الماضيين مليون شجرة مثمرة من التفاح والكرز والدراق والكمثرى والفستق الحلبى .

منطقة أثرية جميلة

يقول المحافظ : « ان هذه المنطقة من اغنى المناطق الاثرية في سوريا .. وهى الى جانب هذا تتميز بطقس جميل في شهور الصيف المحرقة .. ولقد بدات السويداء تصحو من نومتها ورقادها ، بفضل جهود ابنائها من ناحية ، وبفضل اهتمام الدولة بمشروعات التنمية والانعاش والتعمير من ناحية ، ونحن نتوقع لها مستقبلا سياحيا باذن الله .

« انني لست من ابناء الجبل ، ولكنني لم اجد اجمل ولا اروع من تلك الروح التى تملأ نفوسهم النقية الطيبة .. روح المشاركة .. ترى هل سمعتم بقصة المهاجرين الذين يعودون من المهجر ؟ » .

قلنا : « نعم .. انهم يعودون ليستغلوا اموالهم التى جمعوها من التجارة في مهجرهم ، في بناء بلدهم وتعميرها ..

قال المحافظ : « لا .. هناك الاخ العائد من مهجره ، وقد امتلأ جيبه بالمال..ان اول ما يصنعه بماله قبل ان ينفقه او يستثمر ليرة واحدة منه ، هو ان يقتسم ما جمع مع اشقائه الذين تركهم وراءه ورحل منذ سنوات وسنوات .. فاذا ما انتهى من تقسيم ثروته .. جاء دور الاشقاء ، فقدموا له ما جمعوا هم خلال غيبته ، وراحوا يتقاسمون بدورهم الثروة التى جمعوها خلال هذه الغيبة .. »

بلاد جميلة .. واجمل ما فيها نفوس اهلها وطبائعهم .. ■■

منير نصيف



الوضع المالي الدولي منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية إلى اليوم

بقلم : الدكتور عزت غوراني

■ يمكن القول ان الوضع المالي الدولي قد مر بمرحلتين منذ الخامس عشر من شهر اغسطس سنة ١٩٧١ . فقد بدأت المرحلة الاولى في ذلك التاريخ عندما اعلنت الحكومة الامريكية سياستها الاقتصادية الجديدة . وبدأت المرحلة الثانية في الثامن عشر من شهر ديسمبر من السنة ذاتها عندما أعلنت الحكومة الامريكية موافقتها على تخفيض قيمة الدولار وتحديد سعر الذهب بما يعادل ثمانيةوثلاثين دولارا بدلا من خمسة وثلاثين للاونس الواحد . وكانت المرحلة الاولى فترة ذهول عالمي مطلق تخللها اخذ وعطاء بين الاطراف المعنيين حول السياسة الجديدة ومدى اصدائها . علىحين تتميز المرحلة الثانية بحالة من عدم التاكد حيال مستقبل العلاقات التجارية الدولية .

بعد تخفيض الدولار،ورفع قيمة الذهب

وقد انطوت السياسة الاقتصادية الجديدة على عدد من الاجراءات الداخلية في الولايات الداخلية والخارجيةوكان من اهمها تجميد الاجور والاسعار ووقفاستبدال الدولار بالذهب وفرض ضريبةاضافية مقدارها عشرة في المئة على ما تستورده امريكا من الدول الاخرى . وكان الهدف من هذه الاجراءات هو زيادة صادرات امريكا وانقاص وارداتها وبالتالي تحسين ميزان مدفوعاتها ، ثم الابقاء على الدولار عملة احتياطية رئيسية ورفع نسب تحويل عملات الدول الاخرى بالنسبة اليه .

اتفاقية سميثسونيان

وقد شهدت الفترة التي تبعت اعلان هذه الاجراءات كثيرا من المؤتمرات الدولية خاصة بين دول المجتمع الصناعي كان آخرها باشراف صندوق النقد الدولي وتمخض عنه ما يعرف الان باتفاقية سميثسونيان التي وقعت في واشنطون في الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩٧١ . وقد وافقت الحكومة الامريكية بموجب هذه الاتفاقية على تقديم مشروع قانون للكونجرس الامريكي يتعلق بتخفيض الدولار كما الغت ضريبة الاستيراد الاضافية على حين وافقت معظم الدول الاخرى على تعديل النسب في تحويل عملاتها بالنسبة للدولار .

بعد عام من الاتفاقية ليس الوضع اكثر تبلورا

اما الان وبعد مرور اكثر من سنة على توقيع

الميزان التجارى الأمريكى يتحول فى عام ١٩٧١ إلى عجز لأول مرة منذ عام ١٨٨٨

اتفاقية سميثسونيان فان الوضع ليس أكثر تبلورا مما كان عليه في ذلك الحين ، والنظام المالى الدولى ما زال في حاجة الى اعادة النظر فيه بصورة واسعة وجذرية. فلقد اوقفت السياسة الاقتصادية الجديدة العمل بالنظام المالى الدولى كما كان متعارفا عليه حتى الخامس عشر من شهر اغسطس سنة ١٩٧١ ، وترك عددا من الدول في حيرة من امره وفي تساؤل مستمر حول مستقبل العلاقات المالية الدولية .

شعور بوجوب التعاون بعد الحرب العالمية الثانية

وجدير بالذكر ان من ميزات السنوات الاخيرة للحرب العالمية الثانية كثرة ما قيل فيها عن وجوب قيام حالة من التعاون الاكيد بين الدول ، ليس في المجال الاقتصادى فحسب ، بل وفي المجالات الاخرى التى تؤثر على حياة الاقطار وشعوبها ، وعلى الصعيد الاقتصادى زاد شعور الخبراء والسياسيين خلال فترة الحرب بوجوب زيادة مدى التعاون الدولى في هذا المضمار لما لذلك من اثر على تحسين مستويات الدخل والمعيشة .

تأسيس ٣ منظمات دولية

وقد تمخض هذا الشعور عن تأسيس ثلاث منظمات دولية لتحقيق اهداف التعاون الاقتصادى وهى : صندوق النقد الدولى IMF ومنظمة التجارة الدولية ITO والبنك الدولى IBRD وتاسيس هذه المنظمات يشير الى النواحى التى كانت تنال اهتمام المشرفين على الامور في ذلك الحين وهى : اقامة حالة من التعاون المالى بين الدول ، واقامة حالة من التعاون التجارى بينها ، واقامة حالة من التعاون من أجل اعادة بناء اقتصاديات الدول التى تضررت من جراء الحرب ثم مساعدة الاقطار الاقل تطورا .

ما أنجزوه فى هذه المجالات الثلاثة

اما ما أنجز في هذه المجالات الثلاثة فهو محدود حقا ان نحن استثنينا اعادة بناء اقتصاديات اوروبا الغربية واليابان . فقد اخفق صندوق النقد الدولى والنظام المالى الذى نتج عنه في مهمته . وكانت الفكرة الاساسية تقوم على اعتبار عملات الدول الاعضاء في الصندوق متساوية من حيث المكانة ، واعتبار الدول نفسها متساوية في الحقوق والواجبات . اما ما حدث بالفعل فهو ان اصبحتا عملتين اثنتين فقط هما الدولار والجنيه الاسترلينى تتميزان بمكانة خاصة من حيث هما عملات احتياطية وزادت بسبب ذلك المسؤوليات الملقاة على عاتق كل من امريكا وبريطانيا ، وزاد الاعتماد عليهما في الامور المالية ، واصبحت سلامة النظام باكمله مرتبطة بسلامة هاتين العملتين وبخاصة الدولار .

واخفقت منظمة التجارة الدولية في مهمتها وزالت من الوجود واستبدلت بما يعرف «بالجات» GATT اى الاتفاقية العامة للحماية والتجارة . ويرجع السبب في فشل منظمة التجارة الدولية الى ان الدول الاعضاء وخاصة الكبيرة منها استمرت في اتباع سياسات الحماية والتمييز وهى سياسات مناقضة لميثاق المنظمة ، والى ان الكونغرس الامريكى رفض تصديق هذا الميثاق . اما اتفاقية الجات GATT فتقوم هى الاخرى على اساس قبول الدول الموقعة عليها لفكرة عدم تعرض التجارة الدولية الى اية قيود أو تمييز في المعاملة، وعلى تعهد هذه الدول بتخفيض ضرائب الاستيراد تدريجيا . ولكن نصيب الجات من النجاح ليس اكبر كثيرا من نصيب منظمة التجارة الدولية . فقد استمر التقييد والتمييز في المعاملة وارتفعت ضرائب الاستيراد .

واخفق كذلك معظم الجهد الذي بذل من أجل مساعدة الدول الاقل تطورا في تطوير مجتمعاتها . فمعظم سكان الارض ما زالوا يعيشون في حالة من الفقر المدقع ، ومعظم الدول التي تحررت بعد الحرب العالمية الثانية ما زالت تعتمد على تصدير المواد الاولية كما كان الحال في الفترة التي سبقت التحرير ، ومعظم هذه الدول ما يزال في مرحلة بدائية من مراحل التصنيع بينما لم يسجل القطاع الزراعي في معظمها سوى تقدم بسيط .

همنا هو موضوع التعاون المالي لفترة ما بعد الحرب

ان اهداف التعاون الاقتصادي لفترة ما بعد الحرب هي اهداف سليمة من وجهة نظرية غير أن تحقيق هذه الاهداف يخضع لوجهات نظر فلسفية وسياسية واقتصادية هي المسؤولة اولا وآخرا عن مدى الفشل او النجاح . وليس هدفنا هنا بحث وجهات النظر هذه رغم اهميتها . ولكن اهتمامنا هو في موضوع التعاون المالي لفترة ما بعد الحرب، والاسباب المباشرة التي ادت الى اخفاقه غير ان التعاون المالي يترابط ترابطا أكيدا مع التعاون التجاري الدولي. فما هي الأسس النظرية للتجارة الدولية :

أهمية التجارة الدولية

ان اهميـة التجارة الدولية بالنسبة لمختلف الاقطار وشعوبها هي من الأمور التي لا يختلف فيها اثنان . فقد ازداد التكامل والترابط الاقتصادي بين الدول الى الحد الذي يصعب علينا فيه تصور واقع الحال ان لم يكن هناك تبادل تجاري بينها . فكما هو الحال بالنسبة للافراد كذلك الاقطار فهي لا تستطيع العيش في مَعْزَل عن غيرها مهما كبر حجمها ومهما توفرت لديها المصادر الطبيعية والمالية والانسانية . أما بالنسبة للاقطار التي هي اقل حجما او سكانا او ثراء فقد يكون التبادل التجاري الدولي هو السبيل الوحيد لانتعاشها وتقدمها وارتفاع المستوى المعيشي فيها. ولعل دول الخليج العربية وبريطانيا واليابان هي اصدق الامثال على هذا . مثل هذه الدول تنعم بوفرة من مصدر او مصادر معينة ولكنها تفتقر افتقارا كبيرا الى غيرها من مصادر بحيث يصعب عليها احراز اى تقدم يذكر بدون التجارة الدولية.

نظرية النفقات النسبية

اما النظرية الحديثة التي تفسر قيام التجارة الدولية فهي مستمدة في الاصل من نظرية النفقات النسبيـة Comparative Costs الكلاسيكية . تقول النظرية انه اذا توفرت شروط التجارة الحرة ضمن حالة من المنافسة الكاملة فان قيام التجارة الدولية يتطلب الشرط الآتي كحد ادنى : وهو ان تكون النفقات النسبية لانتاج السلع فمختلفه في مختلف الاقطار . وهذا يعني ان امكانيات الانتاج تختلف اختلافا كبيرا بين قطر وآخر لسبب اختلاف نفقات عوامل الانتاج فيها . وان هذا الاختلاف ناتج عن التفاوت في وفرتها وعن اختلاف النسب في تجميعها . اى ان قيام التجارة الدولية يتطلب وجود اختلاف نسبي في وفرة العوامل الانتاجية وبالتالي اختلاف أسعار هذه العوامل واختلاف مقدار ما يتطلبه انتاج السلع منها . ونستنتج من هذا انه اذا توفرت مثلا لقطر ما مساحات واسعة من الارض الصالحة للزراعة فان هذا القطر يميل الى التخصص في الانتاج الزراعي وهكذا . فالاقطار اذن تميل الى التخصص في انتاج وتصدير السلع التي يتطلب انتاجها توفر وجود عوامل انتاجية ذات نفقات منخفضة وهذا يؤدي كما تقول النظرية الى زيادة الانتاج وانخفاض نفقاته وانتقاله من قطر الى آخر وبالتالي الى زيادة الرفاه العام .

التجارة الدولية امتداد للتجارة المحلية

فالتجارة الدولية اذن هي امتداد للتجارة المحلية الى ما وراء الحدود السياسية . والتخصص يزيد من الانتاج ويخفض النفقات والاسعار ويزيد بالتالي مقدار الفوائد التي تحصل عليها الاقطار وشعوبها. اما الفوائد فتتلخص في امكانية حصول قطر ما على سلعة من الخارج بسعر اقل مما لو قام هو نفسه بانتاجها . ويتم الحصول على الفوائد اذا كان قطر ما هو في حاجة الى سلعة ينتجها قطر آخر بالكميات الفائضة عن الاستهلاك المحلي لذلك القطر واذا كان القطر الثاني هو في حاجة الى سلعة ينتجها القطر الاول بالكميات الفائضة عن الاستهلاك المحلي لذلك القطر . وتتلخص الصعوبة هذه في ان الشرط الاول ممكن التحقيق بينما يتعذر تحقيق الشرط الثاني في اكثر الاحيان . اى انه اذا امكن

لقطر ما ان يتخصص في انتاج سلعة ما فان هذا لا يعنى بحكم الضرورة قيام حالة من الطلب لهذه السلعة بالذات في قطر او اقطار اخرى .

طريق المقايضة وطرق الدفع والقبض

اما التبادل التجارى الدولى فانه قد يتم عن طريق المقايضة اى باستبدال سلعة باخرى او عن طريق البيع والشراء اى باستخدام العملة للدفع والقبض . والمقايضة تحتم قيام حالة من التعادل في قيمة السلع المتبادلة حال اتمام كل صفقة من الصفقات بينما لا يتطلب استخدام العملة هذا التعامل الآنى ولكنه يدعو الى ضرورة تسجيل جميع المعاملات التى تتم خلال فترة معينة من الزمن لمعرفة القيمة المادية لمجموع تلك المعاملات . وما اذا كان هناك تعادل بين ما هو « مطلوب منه » وما هو « مطلوب له » وهذا هو المعنى العام لميزان المدفوعات . كما يتطلب استخدام العملة للدفع والقبض تحديد نسب لتحويل العملات Exhange Rates أى تحديد سعر العملات بنسبة بعضها الى بعض .

ميزان المدفوعات

فميزان المدفوعات اذن هو تقدير مالى لجميع المعاملات التجارية والمالية التى تتم ما بين قطر معين وبقية اقطار العالم خلال فترة محددة من الزمن هى عادة سنة واحدة . وبسبب كثرة المعاملات وتنوعها تدرج هذه المعاملات تحت احد الاقسام التى يتكون منها الميزان وهى قسم الحسابات الجارية ويشمل جميع الصادرات والوارداتمن سلع وخدماتونفقات سياحيةودخل الاستثمارات الخارجية وغيرها منمعاملات مصدرها القطاع الخاص ، وقسم الحسابات المالية ويشمل قيمة راس المال المصدر والمستورد ، وقسم ارصدة الذهب والعملات الاجنبية الاحتياطية وهذا القسم يعادل كفتى الميزان .

وكفتا الميزان هما « المطلوب له » و « المطلوب منه » . والتعادل يعنى أن يكون ناتج الميزان صفرا . فاذا كان ناتج القسمين الاول والثانى هو عجز تم دفع ذلك من القسم الثالث وانخفض بذلك مقدار الاحتياطى . واذا كان الناتج وفرا أضيف مقدار الوفر عليه وارتفع بذلك مقدار الاحتياطى.

واذا كان ناتج القسمين الأول والثانى هو صفر لم يتاثر الاحتياطى . وبما ان القسم الثانى هو قسم مالى محض أمكن القول أن ميزانه يُموّل ميزان القسم الاول . أى ان ميزان الاحتياطى يتاثر اذا لم يتساوى ميزان القسمين الاول والثانى ، وهذا ما حدث بالذات لميزان التجارة الامريكى منذ الخمسينات فقد كان ميزان القسم الثانى يزيد على ميزان القسم الأول وكان ميزان القسمين عجزا مما اوجب قيام امريكا بتزويد الدول الأخرى بالمزيد من الاحتياطى كان معظمه على شكل سندات حكومية امريكية او دولارات او ذهب .

وتجدر الاشارة الى أن مجموع العجز العالمى يجب ان يكون مساويا لمجموع الفائض العالمى لدى مختلف الدول وأن مجموعهما الجبرى يساوى صفرا . وان ما يصدره قطر يستورده قطر او اقطار اخرى وان ما يدفعه اى قطر يقبضه قطر أو اقطار أخرى . وهذا يعنى أن ميزان المدفوعات العالمى هو في حالة تعادل دائمة . أما ميزان المدفوعات لأى قطر معين من الاقطار فانه قلما يكون في حالة تعادل . والاغلب ان يكون الميزان غير متعادل ، اى أن يكون فيه وفر أم عجز . ويصبح الحال اكثر تعقدا اذا تواصل العجز سنوات طويلة خاصة في ميزان مدفوعات عملة احتياطية كالدولار او الجنيه الاسترلينى .

نظام التحويل بين العملات

اما ما يدفعه قطر ما الى قطر آخر فانه يتقرر على أساس نسبة التحويل بين عملتى القطرين . ونظام التحويل الشائع الآن هو النظام الذى نص عليه ميثاق صندوق النقد الدولى ويُعرف بنظام نسب التحويل الثابتة مع مراجعة وتعديل هذه النسب كلما اصبح ذلك ضروريا . وكان ميثاق صندوق النقد الدولى قد وُقع في بريتون وودز سنة ١٩٤٤ وهو يهدف الى اقامة نظام شامل يسمح بتحويل العملات وبالحرية في التعامل المالى على الصعيد الدولى . وقد نص الميثاق على ان تقوم الدول الاعضاء بتحديد اسعار عملاتها بالنسبة للذهب أو الدولار على أساس السعر الرسمى للذهب وهو خمسة وثلاثون دولارا للاونس الواحد .

ولضمان ثبات نسب التحويل طُلب الى الدول

الاعضاء أن لا تسمح لنسب تحويل عملاتها بالتقلب هبوطا وارتفاعا باكثر من واحد في المئة من السعر الرسمي . اي انه اذا هبطت نسبة تحويل الجنيه الاسترليني مثلا باكثر من هذه النسبة بسبب ازدياد حالة العرض على حالة الطلب تدخل البنك المركزي في السوق كمشتر لعملته ودفع ثمنها ذهبا أو دولارات او اية عملة أخرى مقبولة لكي يستنزف جميع الفائض من السوق ويعيد الى الجنيه نسبة تحويلها الرسمية . وبديهي أن نجاح البنك المركزي في مهمته هذه يتوقف على مدى ما لديه من احتياطي ذهب او عملات اخرى .

ولكي يتمكن الصندوق من الاسهام في عملية معادلة ميزان المدفوعات اقام ما يُعرف بالمجمع المالي Pool وطلب الى الدول الاعضاء المساهمة في رأس مال هذا المجمع كما سُمح لهم بسحب نسبة معينة من قيمة اشتراكاتهم فيه واستعمالها كمكمل للاحتياطي من أجل معادلة الميزان . ونص الميثاق ايضا على شروط خاصة تتعلق بتخفيض العملات في حالات معينة وبعد الحصول على موافقة الصندوق .

النظام الدولي الحالي أساسه نظام الذهب

لقد اقيم النظام المالي الدولي الحالي على اساس نظام الذهب معدلا بموجب نصوص ميثاق صندوق النقد الدولي لكي يتوافق ومتطلبات فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . ويتلخص هذا النظام في نقطتين اساسيتين هما أولا قيام نسب تحويل ثابتة ما بين العملات الوطنية والذهب أو بين العملات الوطنية وعملة رئيسية اخرى (كالدولار) تتخذ من الذهب قاعدة لها . وثانيا : تعهد الدول الأعضاء في الصندوق بعدم فرض اية قيود كمية على الحرية في تحويل العملات اللازمة لاغراض قسم الحسابات الجارية في ميزان المدفوعات . اما نجاح النظام فيتوقف على وجود كميات كافية من احتياطي الذهب أو العملات الرئيسية او غير ذلك لتمويل العجز المؤقت في ميزان مدفوعات أي قطر من الاقطار . ولقد استعمل كل من الدولار والجنيه الاسترليني لهذا الغرض . وهكذا تمكنت العملتان من دعم احتياطي الدول الأخرى الاعضاء في صندوق النقد الدولي .

اما تحديد المقدار اللازم من الاحتياطي فهو ليس من الامور السهلة ولكنه يجب أن يزداد ـ كما يقول الخبراء ـ بكميات لا تقل نسبتها عن نسبة الزيادة في حجم التجارة الدولية . وبما أن مقدار تعدين الذهب هو محدود تحتم ان تكون معظم الزيادة في الاحتياطي بشكل دولارات أو جنيهات استرلينية .

وكنا قد اشرنا سابقا الى أن الزيادة في احتياطي العملات يتوقف على وجود عجز في ميزان مدفوعات الدول صاحبة العملات الرئيسية . فما هي نوعية هذا العجز وما هي اسبابه :

فترة نقص ((الدولارات))

تعرف الفترة الواقعة ما بين انتهاء الحرب العالمية الثانية وسنة ١٩٥٧ بفترة «نقص الدولارات» Dollar Shortage لدى الأقطار التي كانت تتعامل تجاريا مع الولايات المتحدة . ويرجع السبب في ذلك الى ان معظم الدول وخاصة تلك التي تضرر اقتصادها بالحرب كانت تعتمد على الولايات المتحدة لتزويدها بمعظم ما كانت تحتاج اليه من سلع . اي أن واردات هذه الدول من امريكا كانت تفوق ما صدرته اليها ولذا فان حاجتها الى الدولار كانت تفوق ما هو في حوزتها منه ، وبعبارة اخرى فانها ، اي الدول الاخرى ، كانت تعاني نقصا في كمية الدولارات المتوفرة لديها واللازمة لتمويل وارداتها من امريكا . وكان هذا يعني أيضا وجوب قيام امريكا بتمويل الفائض من صادراتها الى الدول الأخرى .

غير ان عملية التمويل هذه فاقت في مداها ما كان ضروريا بالنسبة للفائض من الصادرات الامريكية . فقد واكب هذا التمويل تدفق اضافي من الدولارات الى الخارج لأسباب عسكرية او استثمارية خاصة مما احدث عجزا في قسم الحسابات المالية من ميزان المدفوعات يفوق في مقداره الوفر الكبير في ميزان قسم الحسابات الجارية بحيث كان ميزان القسمين عجزا وقد بلغ مجموع هذا العجز حتى سنة ١٩٥٧ حوالي عشرة الاف مليون دولار استبدلت الدول الاخرى حوالي الف وسبعمائة مليون دولار منها بالذهب واحتفظت بالباقي كعملة احتياطية على شكل سندات حكومية امريكية قصيرة المدى. وهكذا تحول العجز في ميزان

المدفوعات الاميركي الى فائض في موازين مدفوعات الدول الاخرى فزاد ما لديها من احتياطي معظمه بالدولار واستمر هذا الحال حتى الآن . وقد بلغ مجموع الاحتياطي من الدولار في الخامس عشر من شهر اغسطس سنة ١٩٧١ حوالي اثنين وخمسين الف مليون دولار .

اذن « نقص الدولارات » تحول الى فائض منذ عام ١٩٥٨

منذ سنة ١٩٥٨ تحول «النقص» في الدولارات لدى الدول الاخرى الى « فائض » Dollar Glut اي انه ابتداء من ذلك التاريخ أصبح ما لدى هذه الاقطار من دولارات يزيد على حاجتها لتمويل الفائض مما تستورده من اميركا . أما الأسباب التي ادت الى ذلك فيمكن تلخيصها كما يلي :

سبب التحول ان انتاج أوروبا واليابان فاق انتاج اميركا

لقد تمكنت الدول الاخرى خاصة دول اوروبا الغربية واليابان من استعادة مقدرتها الانتاجية كما تمكنت من تنمية هذه المقدرة بمعدلات كبيرة فاقت معدلات النمو الاميركية . وهكذا تناقص اعتماد العالم على اميركا كالمزود الرئيسي للسلع وظهرت في الميدان دول اخرى هي ايضا على جانب كبير من القدرة والتصميم على المنافسة في الأسواق العالمية . وبذا بدأ الفائض في ميزان قسم الحسابات الجارية الاميركي بتناقص وتناقص معه مقدار التمويل المترتب عليه . ولكن زاد في الوقت نفسه تدفق رؤوس الأموال الاميركية الخاصة الى الخارج وزادت النفقات العسكرية الاميركية في الخارج فزاد مقدار العجز في قسم الحسابات المالية من ميزان المدفوعات الاميركي وزاد بذلك مقدار ما حصلت عليه الدول الاخرى من دولارات فزاد احتياطي هذه الدول . وفي سنة ١٩٧١ تدهور الوضع درجة اخرى حين تحول الفائض في الميزان التجاري الاميركي (الفرق بين الصادرات والواردات من السلع فقط) الى عجز لاول مرة منذ سنة ١٨٨٨ . وقد بلغ هذا العجز في نهاية تلك السنة حوالي الفين وتسعمائة مليون دولار . واستمر هذا العجز في سنة ١٩٧٢ وقد يبلغ هذا العجز اكثر من ضعف ما كان عليه في سنة ١٩٧١ .

خطورة الوضع على « العملات الاحتياطية »

اما بالنسبة للعملات الاحتياطية فالوضع هو على غاية من الخطورة . فان لم تستطع دول هذه العملات زيادة الاحتياطي الموجود لديها تعرضت هي نفسها الى نقص في الاحتياطي وزاد بالتالي مدى تأثرها بالازمات المالية .

واكثر الازمات حدة هي تلك التي تحدث عندما يقرر اولئك الذين يملكون احتياطي من العملات الرئيسية تحويلها الى عملات اخرى او الى ذهب . وهذا يحتم قيام الدولة صاحبة العملة الاحتياطية المتأثرة بهذا التحويل بالدفاع عن عملتها ومحاولة تثبيت نسب تحويلها في السوق كما اشرنا سابقا . اما الرغبة في التحويل فقد تتسبب عن ارتفاع سعر الفائدة في قطر بالنسبة لاقطار اخرى او عن المضاربة في الأسواق المالية او عن تزعزع الثقة في مقدرة دول العملات الاحتياطية على دعم عملاتها .

وهكذا ، فان النظام الدولي المالي يسمح بزيادة مقدار الاحتياطي من الدولار والجنيه الاسترليني ولكنه لايؤمن زيادة احتياطي كل من اميركا وبريطانيا من الذهب بنسب تعادل مدى اسهام هاتين الدولتين في دعم الاحتياطي العالمي مما يؤدي الى تضاؤل احتياطي هذين القطرين وبالتالي الى تزعزع الثقة بهما والى ضعف النظام المالي باكمله .

ان الصعوبات التي سببت توالي الازمات في السابق ما تزال قائمة . وهي ليست صعوبات فنية تحتاج الى معالجات آلية وآنية بل هي صعوبات جذرية ذات اصداء سياسية واقتصادية بعيدة المدى تتلخص بالتساؤل عما اذا كان من الممكن لقطر معين ان يكون في آن واحد في حالة عجز مستعصية بالنسبة لميزان مدفوعاته وفي وضع يمكنه من تزويد الاقطار الاخرى بالاحتياطي . واذا كان الجواب بالنفي فالتساؤل عندئذ يدور حول نوع النظام الذي سيمكن مختلف الأقطار من تفادي وقوع الازمات . ويتحتم قبل الاجابة ان تعيد النظر بصورة واسعة وجذرية في النظام المالي الذي ساد العالم الغربي خلال ربع قرن . اما ما سيتمخض عنه المستقبل فهو من الامور التي يصعب تحديدها في الوقت الحاضر . ■■

عزت غوراني
كلية عبدان للتكنولوجيا

الجموع

هل صحيح أنّ بعضها للقِلّة وبعضها للكَثْرة ؟

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ معروف في لغتنا ان الاسم ـ من حيث العدد ـ اما مفرد أو مثنى أو جمع ، فالمفرد يدل على واحد أو واحدة ، والمثنى يدل على اثنين أو اثنتين ، والجمع يدل على أكثر من ذلك .

وعلماؤنا يقسمون الجمع ثلاثة أنواع : جمع مذكر سالم مثل : كاتبون وكاتبين (بزيادة واو ونون أو ياء ونون على مفرده) ، وجمع مؤنث سالم ، مثل : كاتبات (بزيادة الف وتاء على مفرده) وجمع تكسير تتغير صورته عن صورة مفرده ، مثل : كتّاب وكتبة ، جمعا لكاتب ، وكواتب جمعا لكاتبة .

وقد وصف كل جمع من النوعين الاول بانه سالم ، وقد يسمى جمع سلامة او تصحيح ، لان صورة المفرد او بنيته تبقى سليمة او صحيحة عند الجمع ، ويوصف الجمع الاخير بانه « مكسر » او يقال له جمع تكسير ، لان صورة المفرد تتغير عند الجمع ، كأنها تنقضت واعيد بناؤها ، أو كسرت واعيد تركيبها .

تعدد الجموع في اللغة العربية

والنوعان الأولان من الجمع معروفان في فصيلة اللغات السامية التى تعد لغتنا العربية واحدة منها وأما جمع التكسير فلا يكاد يوجد له أثر في لغة سامية الاالعربية واليمنية القديمة والحبشية، والعربية وحدها هي التى توسعت فيه واكثرت منه ، حتى اننا كثيرا ما نجد للمفرد عدة جموع ، مثل : أعيُن واعيان وعيون ، جمعا لعين ، كما نجد لبعض الجموع جموعا ، مثل مصارين(أمعاء) جمع مصران ومصران جمع مصير ، ولا نعدم أحيانا ما هو جمع جمع لجمع الجمع وان كان هذا نادر .

وهذا التوسع في الجموع وزحامها سمة واضحة في العربية بين جميع اللغات ، وقد عدّ هذا اسرافا لا مسوغ له ، وعابه بعض المستشرقين، مثل بروكلمان الالمانى ورينان الفرنسي ، لما يسببه من تشتت واضطراب ، وعذر اللغة فيه ان هذه الجموع كانت لقبائل مختلفة اختلطت فاخذ بعضها من كلام بعض، واستوعب اللغويون كل ما وصلهم من ذلك ودونوه كما هو مما استوعبته لهجة قريش وصقلته ولم يكن يسعهم غير ذلك، لانهم لا يستطيعون أن يأخذوا بعضه ويتركوا الآخر ، ما دام فصيحا ، وليس من المعقول أن قبيلة واحدة نطقت بدءا بأكثر من جمع واحد للاسم المفرد .

ومهما يكن فان الشعراء قد استفادوا من تعدد الجموع للمفرد الواحد ، فهم ياخذون منها ما يناسب أوزان الشعر وقوافيه .

وقسموا جمع التكسير الى جمع قلة وجمع كثرة

ويلاحظ ان علماءنا لم يكتفوا بتقسيم الجمع ثلاثة انواع على النحو السابق ، بل اوغلوا ، فقالوا : ان جموع التكسير تنقسم جمع قلة وجمع كثرة ، وجمع القلة ما كان على صيغة من الصيغ الآتية : ١) أفعِلَة مثل : احزمة وأصبِية وأغلمة ، جمعا لحزام وصبي وغلام . ٢) أفعُل ، مثل : اعين، وأثدٍ ، جمعا لعين وثدي . ٣) فِعْلَة ، مثل : غِلمة ، وصِبية ، جمعا لغلام وصبي . ٤) أفعال : مثل : ابيات ، آجال ، آذان ، جمعا لبيت ، وأجل ، وأذن ، وقد جمعها ابن مالك في بيت من الفيته ، فقال :

أفعِلة أفعُل ، ثم فِعْلَة
ثمت افعال - جموع قلة

واما جموع الكثرة فلها اكثر من عشرين صيغة ، وهي تختلف عن هذه الصيغ الأربع لجموع القلة ، ولم يكتف علماؤنا بذلك في جمع التكسير ، بل تطرقوا الى جمعي المذكر والمؤنث السالمين ، فقال بعضهم : انهما جمع قلة ، وقال بعضهم : انهما مشتركان بين القلة والكثرة ، ولا سند عندهم لذلك ، ولا فائدة للدارسين من ورائه غير تعقيد اللغة مما ينفر منها ويصعب تحصيلها .

ويلاحظ اولا - مع كثرة صيغ الجموع عندنا - انه ليس لكل اسم مفرد جمعان : احدهما للقلة ، والاخر للكثرة ، ولو من نوعين مختلفين من انواع الجمع الثلاثة ، مثل مؤمن ومؤمنة وكتاب ، فلا جمع لها الا مؤمنون او (مؤمنين) ومؤمنات ، وكتب . وهذا وحده كاف للتوقف عن متابعة النظرية التي تدعي ان هناك جمع قلة وجمع كثرة . وقد حدد بعض علمائنا القلة بانها من ثلاثة الى عشرة ، والكثرة ما زاد على ذلك ، فالقلة والكثرة اذن تختلفان مبدأ ونهاية ، فليس بينهما اي تداخل .. ونعود الى النصوص العربية فنجدها لا تؤيد دعواهم ، ومن الأمثلة القرآنية « والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء » (أي عدة المطلقة ثلاثة اطهار أو ثلاث حيضات) وقروء جمع كثرة عند جميع علمائنا ، ومع ذلك جاء تمييزا لثلاثة ، وفي اللغة « اقراء » (جمع قلة ، وفاقا لاصطلاحهم) ، وليس من ضرورة - كالضرورات الشعرية - تدعو الى ذكر « قروء » بدل « اقراء » في الآية . وكل ذلك يدل على اضطراب قاعدة « جموع القلة والكثرة » في كل انواع الجمع الثلاثة .

تمحل واضطراب

وقد لاحظ علماؤنا هذا الاضطراب فاضطروا الى وضع عدة استثناءات وتمحلات ، لتسلم لهم هذه القاعدة ، ومما قالوه :

ان جموع القلة وجموع الكثرة لا تختلفان مبدأ ونهاية ، بل تتداخلان في المبدأ وتختلفان في الغاية ، فيجوز ان نطلق كلا من جمعي القلة والكثرة على المعدود من ثلاثة الى عشرة ، ونطلق جمع الكثرة وحده على ما فوق العشرة .

ويبدو ان هذا تخريج كاف للابقاء على هذه النظرية ، ولكن تبقى امامها المفردات التي ليس لها الا جموع قلة ، وهذا النوع كثير في لغتنا ، فما تخريجه ؟

الاولى ان نقول

- أليس الاولى ان نقول : ان هذه الجموع مشتركة بين المعدودات جميعا ، فليس هناك جموع للقلة وجموع للكثرة ، او فانا ذلك لأرحنا واسترحنا وكنا ادنى الى السداد .

القرآن العربي

والذي به من لفظ أعجمي

فهل أعجمي هو ، أم عربي ، أم معرب ؟

بقلم : يونس موسى شتات

■ قال تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا ، لعلكم تعقلون » .

وفي آية اخرى « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا ، لينذر الذين ظلموا » .

وقال كذلك « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته، أأعجمي وعربي » .

فهل لهذه الآيات مدلولات معينة عن اللفظ القرآني ؟ .

اتشير هذه الآيات الى ان جميع الفاظ القرآن عربية صرفة ؟ ايصح ان نستنتج منها ان القرآن نزل خلواً من اية الفاظ دخيلة أو اعجمية ؟ .

في الحقيقة ان هذه الأسئلة لا تثير قضية جديدة حول الفاظ القرآن ، فقد شغل هذا الأمر اذهان الكثيرين من علماء الدين واللغة قديما . وأثار هذا الموضوع جدلا فيما بينهم .

اختلاف العلماء

انقسم العلماء حول قضية الكلمات الدخيلة في القرآن الى فريقين ، فريق انكر وقوع الفاظ اعجمية في القرآن ، لان الآيات السالفة الذكر تنفي عنه صفة العجمة ، وتنص صراحة على عروبة لغته وكلماته، ولان الاعتراف بوجود اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم يعطي المشركين الذين تحداهم القرآن أن يحاكوه ، العذر بان كلماته أعجمية لا يعرفونها ، فكيف يستطيعون اذن محاكاته ؟ قال ابن فارس ، مؤلف كتاب الصاحبي في فقه اللغة :

لو كان فيه من لغة غير العرب شيء ، لتوهم متوهم ان العرب انما عجزت عن الاتيان بمثله ، لانه اتى بلغات لا يعرفونها .

وتشدد البعض في انكاره . فاتهم القائلين بوقوع اللفظ الأعجمي في القرآن بانهم يقولون قولا خطيرا منكرا . فقد قال ابو عبيدة : انما انزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم ان فيه غير العربية فقد اعظم القول . اما ابن جرير الطبري فهو يعتقد ان هذا التشابه بين بعض الفاظ القرآن ولغات اجنبية ، لا تعني ان هذه الالفاظ ماخوذة من تلك اللغات ، وانما المسالة هي من قبيل توارد الخواطر في اللغات . فهو يقول : ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير الفاظ القرآن انها بالفارسية والحبشية او النبطية او نحو ذلك ، انما اتفق فيها توارد اللغات ، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد ، هذه هي آراء أصحاب الفريق المعارض .

اما الفريق الآخر فقد قال بوقوع اللفظ الأعجمي في القرآن ، وهم يؤمنون أن « في القرآن من كل لسان » كما رُوي عن التابعي الجليل ابي ميسرة . وهم يجيبون عن قوله تعالى « قرآنا عربيا » ، بأن الالفاظ اليسيرة في القرآن بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا . فالالفاظ العربية القليلة في القصيدة الفارسية مثلا ، لا تخرجها عن فارسيتها وتجعلها عربية .

وهم يرون ايضا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى امة دون امة ولكنه بعث الى كل الامم ، فليس هناك ما يمنع ان يقع في الكتاب الذي انزل عليه شيء من لغات هذه الامم . والقرآن كتاب الله الجامع ، فيه نبأ كل شيء وحوى علوم الاولين والآخرين ، فلا بد ان يقع فيه اشارة الى لغات مختلفة لتتم الاحاطة بكل شيء .

هذه خلاصة لآراء الفريقين . فأيهما كان أصوب رأيا ؟ ورأي مَنْ منهما هو الذي رجح فيما بعد ؟ وما رأيُ المحدثين في هذه المسالة ؟ بل ما رأيُ علم اللغة الحديث في الموضوع ؟ .

علم اللغة الحديث

اصبحت الدراسات اللغوية في العصر الحديث علمية ومنظمة تعتمد على المنهج الاستقرائي الوصفي ، وصار علم اللغة الحديث يتناول بالدراسة الشاملة اللغة كظاهرة انسانية اجتماعية ونفسية . ودرست فصائل اللغات الانسانية دراسة علمية مقارنة ، وتم الكشف على ما بينها من صلات قربى أو تباعد .

واثبتت هذه الابحاث ان اللغة العربية فرع من اللغات السامية ، وان بقية اللغات السامية اخوات للعربية لأنها تلتقي معها في اللغة السامية الأم ، والتشابه بينها قائم في لفظها ودلالتها واسلوبها وقواعدها . كما اثبتت هذه الدراسات ان تبادل التأثر والتأثير بين اللغات قانون اجتماعي انساني ، وان اقتراض اللغات من بعضها ظاهرة طبيعية .

وهذه الظاهرة تنسحب على اللغة العربية كما تنسحب على بقية اللغات ، ورغم ان العرب في العصر الجاهلي عاشوا في شبه عزلة في جزيرتهم وصحرائهم ، الا ان ذلك لم يحل دون تسرب بعض الالفاظ من لغات الأمم المجاورة الى لغتهم ، وخاصة الشعوب التي كانت لهم معها بعض العلاقات والاتصالات كالروم والفرس واليهود والسريان والاحباش ، وانما تسرّبت اليهم هذه الالفاظ لأنها ترمز الى اشياء غير موجودة في بيئتهم . ولكن العرب عندما اخذوا هذه الألفاظ عن جيرانهم ، لم يبقوها على حالها وصورتها الاصلية ، بل اجروا عليها تحريفا وتغييرا في حروفها وأوزانها لتتلاءم مع لغتهم وتاخذ شكلها وتنزل على احكامها . فينطبق عليها من القواعد والاحكام ما ينطبق على الكلمات العربية تماما . وهذا هو التعريب في اللغة . فاللفظة الدخيلة اذا ما عرّبت فقد اصبحت عربية لأنها تكتسب شكل الألفاظ العربية وخصائصها .

والكلمات الواردة في القرآن الكريم ، والتي اختلف عليها القدامى هي من هذا القبيل ، أعجمية في اصلها البعيد ولكنها عرّبت في الجاهلية ، ووردت في القرآن بعد ان استعملها الجاهليون . وانطلاقا من هذا الفهم فلا خلاف بين الفريقين وكلاهما صادق فيما قال ، فالذين قالوا بوقوع كلمات غير عربية في القرآن ، اصابوا لأنهم يقصدون انها اعجمية في اصولها . والذين انكروا وقوع الفاظ غير عربية في القرآن ، اصابوا ايضا لأن مرادهم ان هذه الألفاظ أصبحت عربية بعد استعمال العرب لها وورودها في القرآن . ومما يجدر ذكره ان بعض القدامى كان قد اشار الى هذا الرأي في هذه المسالة ، ولكن صوته ضاع في زحمة الخلاف بين العلماء من معترفين ومنكرين . حتى جاءت الدراسات الحديثة فأيدت هذا الرأي واثبتت صوابه .

ولكن ما هذه الالفاظ التى اثارت هذا الجدل بين العلماء قديما ، والتى قال عنها المحدثون انها معربة؟وما اللغات التى انحدرت منها هذه الكلمات في الاصل ؟ وهل اختلفت معانيها في لغاتها الاصلية عن معانيها في العربية ؟ .

كلمات قرآنية معربة

تطرق القدامى الىذكر كثيرمن الالفاظ القرآنية الاعجمية الاصل ، وبينوا اللغات التى اخذت منها هذه الكلمات ، وقد رتبها جلال الدين السيوطي في مؤلفه « الاتفاق في علوم القرآن » على حروف المعجم ، ونظم قسما منها شعرا ليسهل حفظها ومعرفتها .

ولكن يلاحظ ان القدامى لم يدرسوا الكلمات الدخيلة على لغتهم دراسة علمية مبنية على اساس المقارنة بين اللغات،كما لم يلاحظوا ايضا ان اللغات السامية تنحدر كلها من اصل واحد ، الامر الذى يجعل اللغة العربية تتفق مع اللغات السامية الاخرى في بعض الالفاظ . وفي العصر الحديث تصدى لهذه المهمة بالدراسة العلمية والموضوعية المبنية على المقارنة بين اللغات بعض الباحثين من امثال الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، صاحب الكتاب الطريف القيم « غرائب اللغة العربية » ، وقد اورد فيه قوائم دقيقة بالالفاظ المعربة عن لغات اجنبية مبينا اصل هذه الكلمات ومعانيها في اللغة الام . وقد اتفق مع القدامى في رد بعض الالفاظ الى اللغات التى اقتبست منها ، واختلفت معهم في الفاظ اخرى ، ومما لا شك فيه انه يمكن الوثوق بدراسته والاطمئنان اليها في هذا المضمار اكثر من روايات القدامى اذ ان دراسته علمية وتعتمد على المقارنة بين اللغات في منهجها ، اما روايات القدامى ، فتعتمد على المعرفة المحدودة او التخمين حول هذه الالفاظ .

ويمكننا ان نرد الالفاظ الاعجمية الاصلوالواردة في القرآن الكريم الى اكثر من لغة ، اهمها :

الفارسية : ومن امثلتها كلمة (استبرق) في الاية « عليهم ثياب سندس خضر واستبرق » ، وتعني الديباج ، او هيثوب منحرير وخيط من ذهب . و (سجّيل) في الاية « ترميهم بحجارة من سجيل » وهي مؤلفة من مقطعين (سنك) بمعنى حجر ، و (كيل) بمعنى طين ، فيصير معناها حجر الطين ، ومنها (ابريق) في الاية « يطوف عليهم ولدان مخلدون ، باكواب واباريق ، وكاس من معين » واصلها (آبريز) ، بمعنى صب الماء . ومنها (زنجبيل) في الاية « ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا » . ولكن صاحب غرائب اللغة لا يوافق القدامى على اعتبارها فارسية الاصل ، ويعتبرها يونانية ، ومنها (سرادق) في الاية «انا اعتدنا للظالمين نارا ، احاط بهم سرادقها» واصلها بالفارسية (سردار) بمعنى الدهليز . ومنها (كافور) في الاية « ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا » ، وعدها صاحب الغرائب يونانية الاصل ايضا . ومنها (مسك) في الاية « يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » وتعني المادة العطرية ، ومنها (مقاليد) بمعنى مفاتيح «له مقاليد السموات والارض » ومنها (السّجل) في الاية « يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب » ومنها (دينار) في الاية « ومنهم من ان تأمنه بدينار ، لا يؤده اليك ، الا ما دمت عليه قائما ».

الرومية : ان الدراسات الحديثة لفصائل اللغات العالمية ، لا تذكر لغة بهذا الاسم الذى ذكره القدامى ، ولكنهم يريدون بها لغة الروم ، اى اليونانية او اللاتينية،ولم يفرق العرب بينهما، وعدوا منها كلمات مثل « صراط » بمعنى الطريق. اما صاحب الغرائب فيقول عنها انها لاتينية ، الأصل لها (ستراتا) معنى الطريق الواضح . و (فردوس) في الاية « كانت لهم جنات الفردوس نزلا » وعدّها صاحب الغرائب يونانية بمعنى الجنة او مسكن الابرار الابدى . اما القدامى فقالوا : انها تعني بستانا بالرومية . و (قسط) في الاية « يا ايها الذين آمنوا ، كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله » بمعنى العدل . ولكن صاحب الغرائب نسبها الى الآرامية ، و (قسطاس) في الاية « واوفوا الكيل اذا كلتم ، وزنوا بالقسطاس المستقيم » بمعنى الميزان . ولم يذكرها صاحب الغرائب بين الكلمات المقتبسة من اليونانية او اللاتينية ، و (سندس) في الاية « يلبسون من سندس واستبرق متقابلين » بمعنى الديباج الرقيق ، وعدها صاحب الغرائب يونانية ، كما

عد صاحب الغرائب كلمة (ابليس) يونانية الاصل وتعني « نمام وكاذب » .

الحبشية : عد العرب القدامى بعض الكلمات الحبشية الاصل ، والتي وردت في القران مثل (ارائك) في الاية « متكئين فيها على الارائك ، لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا » بمعنى السرر . و (اواب) في الاية « ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد انه اواب » المسبّح . و (سينين) في الاية « والتين والزيتون وطور سينين » وتعني الاسد ، و (مشكاة) في الاية « الله نور السموات والارض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » وتعني الكوة . و (يس) في الاية « يس » والقران الحكيم ، انك لمن المرسلين » وتعني يا انسان . و (طه) في الاية « طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » ومعناها : يا رجل .

اما صاحب الغرائب فلم يثبت هذه الكلمات مع الكلمات المعربة ، مما يدل على انه يعتبرها عربية صرفة ، مع انه ذكر ان كلمة (الحواريين) مقتبسة من اصل حبشي .

العبرية : نسب القدامى الى العبرية كثيرا من الكلمات الواردة في القرآن، ولكن اراءهم هذه لا يمكن الركون اليها ، لان العبرية والعربية من اصل سامي واحد ، والتشابه بينهما قائم ، فوجود كلمات في العربية تشابه الكلمات العبرية لا يعني اقتباس العربية لهذه الكلمات ، وانما هو الاصل المشترك بين اللغات السامية . ومع ذلك فهنالك كلمات عبرية الاصل وردت في القران الكريم مثل : اسرائيل ، ابراهيم ، توراه ، اسباط . اما كلمة (جهنم) فقد اختلف القدامى حول اصلها ، فقال بعضهم انها فارسية ، وقال آخرون انها عبرية ، ويرجح صاحب الغرائب انها عبرية ، ويقول انها تعني (وادى هنّم) وهو في الاصل واد جنوب اورشليم ، كثر فيه احراق الاطفال ، تضحية بهم لمولوخ اله العمونيين قبل ميلاد السيد المسيح كما ذكر كذلك أن من بين الكلمات العبرية المعربة كلمة (شيطان) وتعني عدوا او مشتكيا .

الارامية : لم يذكر القدامى اللغة الارامية ، ولكنهم نسبوا بعض الكلمات الى السريانية ، وكلمات اخرى الى النبطية ، وهما من فروع الارامية اما صاحب الغرائب فقد ذكر كثيرا من الكلمات التي يعود اصلها الى الارامية ، ومن هذه الكلمات التي وردت في القران : سقر ، وتعني الاحراق بالنار ، و (عدن)وتعني الفردوس الارضي. و (طاغوت) وتعني بالارامية : رئيس عقيدة ضلال او شيطانا ، او صنما ، او ضلالا وغشا .

اما القدامى فقالوا انها حبشية الاصل وتعني الكاهن . و (ملكوت) وتعني الملك و (طوبى) ومعناها سعادة . وقال عنها القدامى انها هندية وهي اسم الجنة بالهندية . و (طور) ومعناها الجبل ، وكذلك قال القدامى انها الجبل بالسريانية . و (اليم) وتعنى البحر ، وذكر القدامى انها البحر بالسريانية .

هذه امثلة معربة وردت في القران ، وتعود اصولها الى لغات مختلفة، وبلغ من اهتمام القدامى باحصاء هذا النوع من الالفاظ القرآنية المعربة ، ان نظمها بعضهم شعرا ، بقصد تسهيل حفظها ، كما فعلوا بقواعد النحو والعلوم . فقد اورد السيوطي في كتاب (الاتقان في علوم القران) ما نظمه العلماء في جمع هذه الكلمات ، واضاف اليها ابياتا من نظمه هو ، وهذه هي الابيات التي اوردها من نظم القاضي تاج الدين بن السبكي وقد ضمت سبعة وعشرين لفظا ، اعتبرها العرب اعجمية الاصل :

السلسبيلُ ، وطه ، كُوِّرَتْ ، بِيَعٌ
رُومٌ ، وطُوبَى ، وسجّيلٌ ، وكافورُ
والزّنجبيل ، ومِشكاةٌ ، سرادقُ ، معْ
استبرق ، صلواتٌ ، سندسٌ ، طُور
كذا قراطيسُ ، ربانيُّهم وكذا
غساقُ ، دينارٌ ، القسطاسُ مشهور
كذاك قَسْوَرَةٌ ، واليَمُّ ، ناشئةٌ
ويُوتِ كِفْلَيْنِ ، مذكور ومسطور
له مقاليد ، فردوس ، يعد كذا
فيما حكى ابن دريد منه ، تنّور

هل يضر العربية اقتباس

وتبقى هناك بعض التساؤلات التي قد ترد في هذا الصدد .

ايضير العربية انها اقتبست الفاظا من لغات اخرى وعربتها ؟

ايقلل من بلاغة القرآن واعجازه انه استعمل الفاظا غير عربية الاصل ؟

سبقت الاشارة الى ان اقتراض اللغات بعضها من بعض يعتبر ظاهرة طبيعية ، والعربية ليست بدعا من دون سائر اللغات في العالم ، فهي تأثرت بغيرها واثرت في غيرها ، بل انّ قدرة لغة معينة على تمثل واستيعاب الفاظ من لغات اخرى يعد ميزة لها،لانها تدل على مرونة هذه اللغة وحيويتها، ومع ذلك فانّ الالفاظ الأعجمية التي دخلت العربية تعتبر قليلة ، اذا ماقيست بالالفاظ العربية التي دخلت اللغات الاخرى . فلقد كان تأثير العربية في لغات العالم اكبر واوسع من تأثير اليونانية واللاتينية ، على الرغم من قدم هاتين اللغتين على العربية . وقد ذكر الاب رفائيل نخله صاحب غرائب اللغة ان العربية قد اثرت في نحو مائة من لغات العالم . وهو يثبت جداول بمائة وخمس من الكلمات العربية التي دخلت كلها او معظمها في اكثر اللغات الاوروبية .

اما استعمال القرآن لمثل هذه الالفاظ ، فلا يقلل من بلاغته واعجازه بل على العكس من ذلك ، اذ يعتبر استعماله لهذه الكلمات مظهرا من مظاهر البلاغة القرآنية ودليلا من دلائل اعجازه . لان هذه الكلمات انما هي رموز لاشياء ومعان لم يعرفها العرب ولم توجد في بيئتهم ، فاحدث استعمال القرآن لها زيادة في وقع كلماته على النفوس ، وهذه الكلمات تحمل في نفس العربي من الظلال والايحاءات ما تعجز عنه اية الفاظ اخرى مكانها ، كما ان من استعمالها ايجاز لطيف الوقع ، فاستعمال كلمة واحده لتؤدي معنى واحدا خير من استعمال عدة كلمات لتؤدي نفس المعنى ، وقد لاحظ القدامى ذلك ، فقد نقل السيوطي في « الاتقان » عن الجويني قوله في صدد حديثه عن كلمة (استبرق) : « لو اجتمع فصحاء العالم وارادوا أن يتركوا هذه اللفظة ، ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة ، لعجزوا عن ذلك . ولا يجد العربيّ لفظا واحدا يدل عليه ، لأنّ الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد لقلة وجوده عندهم ، وندرة تلفظهم به ، واما انّ ذكره بلفظين فاكثر ، فانه يكون قد اخل بالبلاغة ، لأنّ ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ ، تطويل ... » وهذا قول صادق وفهم صحيح .

وحصيلة القول ان الكلمات المعربة عن اصول اعجمية واردة في القرآن الكريم ، وهي تمثل مظهرا من مظاهر عظمة لغة القرآن ، وسراً من اسرار بلاغته المتجددة . ■■

يونس شتات

معهد المعلمين / حوارة ـ الأردن

المراجع :

١) الاتقان في علوم القرآن تأليف : جلال الدين السيوطي
٢) معترك الاقران في اعجاز القرآن جلال الدين السيوطي
٣) المزهر في علوم اللغة جلال الدين السيوطي
٤) البرهان في علوم القرآن الامام الزركشي
٥) غرائب اللغة العربية الاب رفائيل نخله اليسوعي
٦) دراسات في فقه اللغة دكتور صبحي الصالح
٧) فقه اللغة الاستاذ محمد المبارك
٨) من بلاغة القرآن دكتور احمد احمد بدوي



طبيب الأسرة

يجيب عليها نخبة من الاطباء

كثرة العرق .. هل لها علاج ؟

● اشكو من كثرة العرق حتى بدون اى مجهود خاصة فى اليدين التى تبدو دائما مبتلة ، فما سببها وهل لها من علاج ؟

ـ ان هذه الحالة تسمى Hyperhidrosis ولكن يجب أن تعلم ان زيادة افراز العرق تحدث طبيعيا نتيجة زيادة الحرارة ، ونشاط العضلات والحركة ، والانفعالات النفسية ، وشرب المشروبات الكحولية والمشروبات الساخنة وبعض الاطعمة والادوية، كذلك يزداد افراز العرق نتيجة اضطرابات فى الجهاز العصبى ، او اضطرابات فى الدورة الدموية ، واضطرابات الغدد الصماء ، ونتيجة افرازات او سموم فى الجسم او نتيجة حساسية ، كما ان بعض الامراض عادة تكون مصحوبة بزيادة العرق مثل فقر الدم ، والسكر ، والحميات مثل الملاريا والتهاب الرئة والسل . ونادرا ما تكون زيادة العرق ناتجة من اضطرابات الغدد العرقية نفسها نتيجة تضخمها وزيادة نموها .

وقد تكون زيادة العرق زيادة عامة فى الجسم ، ولكن تظهر بصفة خاصة على اليدين والقدمين والابط وتحت الصدر والجبين وفروة الراس ، او تكون الزيادة محدودة فى مناطق معينة من الجسم ، وهذا النوع المحدود قد يظهر فى بعض الاشخاص الطبيعيين بدون اى شكوى او اى مرض سوى أن عندهم وهنا عصبيا .

وقد يكون افراز العرق شديدا لدرجة انه يؤدى الى الاجهاد ، او أن يصيب نصف الجسم فقط دون النصف الاخر ، كما انه يكون مصحوبا برائحة كريهة نتيجة تحلل العرق وتكاثر الميكروبات فيه .

وفى ثنايا الجلد خاصة فى الشخص البدين وفى الاطفال قد يتسلخ الجلد نتيجة زيادة افرازات العرق والاحتكاك وفى هذه الحالة تتكاثر الميكروبات والفطريات مؤدية الى التهابات شديدة .

العلاج : وللتخلص من المرض يجب معرفة السبب الرئيسى وعلاجه مع اتباع بعض الارشادات مثل عدم شرب المياه بكثرة ، والاقلال من التمرينات الرياضية او المجهودات العنيفة ، وعمل حمامات باستعمال ماء البحر المالح او الشبه ، واعطاء المهدئات وادوية مضادات الكولين مثل Prantal او Profanthine الا ان هذه الادوية تؤدى الى جفاف الحلق وبعض الضعف الجنسى ، ويوجد منها الآن انواع احدث مثل Bistrium Bromide او Darbid .

وفى المواضع المحدودة مثل اليدين او القدمين تستعمل البودرة المحتوية على حمض البوريك والساليك او حمض

التنيك او خلات الالومنيوم ، وتستعمل المحاليل خاصة فى ثنايا الجلد مثل محلول برمنجنات البوتاسيوم او محلول شبه البوتاسيوم او محلول حمض التنيك او كبريتات الالومنيوم . كذلك يمكن استعمال الكريمات الموضعية المحتوية على كلوريد الالومنيوم او Prantal Cream .

وفى الاماكن المحددة مثل اليدين والقدمين ، فان العلاج باشعة اكس مفيد جدا ، الا انه لا ينصح باستعمالها فى مناطق اخرى مثل الرأس او العانة خوفا من حدوث مضاعفات فيها .

التدخين أثناء الحمل يضر المرأة الحامل والجنين

● ما ضرر التدخين على السيدة الحامل ؟

ـ مما لا شك فيه أن التدخين يؤثر على المرأة مثل الرجل من ناحية التهاب الحلق والحنجرة والشعب الهوائية ، وتمدد الحويصلات الهوائية ، وزيادة تعرض الجهاز التنفسى للنزلات الشعبية ، ثم هو كذلك يؤثر على الجهاز الهضمى فيسبب التهابا بالفم والتهاب المعدة وزيادة نسبة قرحة المعدة والاثنى عشر فى المدخنين . والتدخين له اكبر الاثر على الشرايين بما فى ذلك الشرايين التاجية فيعرض صاحبها لمرض الجلطة ، واثر التدخين على البصر معروف وفى التهاب الأعصاب الطرفية وغيرها .

وقد وجد أن للتدخين اثرا على الحمل وعلى الجنين داخل رحم الأم : فعلى الجنين وجد أن نموه يتأخر وربما حدثت الولادة قبل تمام مدة الحمل وسبّب ذلك فى ولادة الاطفال ناقصى النمو وبالتالى تكون الزيادة فى نسبة عدد الوفاة بعد الولادة . ويلاحظ كذلك ان اطفال المدخنات فى العادة تبقى اجسامهم ضئيلة بعد الولادة ، واذا قدر لهم أن يحيوا وجد



ان اطفال المدخنات اقل ذكاء من اطفال اللاتى لا يدخن .

وكذلك وجد ان نسبة الاجهاض أعلى فى المدخنات نظرا لأن انفصال المشيمة عن الرحم تكون نسبته أعلى فى المدخنات ويرجع السبب فى هذا كله الى زيادة نسبة الهيموجلوبين المكربن Corboxy hoemglobin والذى يؤثر على الجنين ونموه وعلى الأوعية الدموية فى المشيمة .

من هذا يتضح ضرر التدخين فى السيدات وما احراهن أن لم يتمكن من الاقلاع عن التدخين أن يقلعن عن ذلك اثناء الحمل .

الامراض الوراثية .. يجب الاحتراس منها قبل الزواج

● انا شاب على اعتاب الزواج احب أن اعرف ما هى الامراض الوراثية التى يجب الاحتراس منها لكى لا تؤثر على عائلتى فى المستقبل ؟

ـ هناك قبل الزواج أشياء لا بد ان يتأكد منها الشخص وذلك بفحص الشاب وخطيبته ومعرفة اذا كانا فى صحة جيدة او كان احدهما يعانى اى مرض عضوى ليعرف كل منهما مدى صلاحيته او يحذرا من مضاعفات المرض بعد الزواج ، ثم بفحص الدم لمعرفة خلوه من الزهرى لأن هذا من الامراض التى تنتقل فى الابناء

استطلاع الكويت



السيد جاسم المرزوق وزير التربية يستمع باهتمام الى حديث طالبتين صغيرتين في فرقة النشاط التمثيلي والفن الشعبي (الفولكلور) ، خلال احدى الزيارات الاسبوعية التي يقوم بها الوزير لتفقد نشاطات الاندية الصيفية في الكويت .

الأندية الصيفية في الكويت

ثقافة وتربية وتنمية للمواهب





مجموعة من طالبات المدارس في فرقة الموسيقى « بنادي الشبيبة » ، وتقول الآنسة انيسة عبد الصمد التركي رئيسة النادي ان الفتيات يقبلن على التمثيل والموسيقى والفن الشعبي اكثر من اى نشاط آخر .

تصوير :

عبد الناصر شقره

يجذب المسرح العديد من الشباب الكويتي من الجنسين ، فهو كما يقول السيد جاسم حبيب مراقب ادارة النشاط المدرسي عن المسرح انه : « الاب الشرعي لكافة الفنون » .. وفي الصورة مشهد من مسرحية « بشرى خير » التى عرضت فى احد الاندية الصيفية ، وهى تحكى قصة تاريخية دارت حوادثها فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي وتسخر المسرحية من تصرفاته الشاذة ، كما تروى تفاصيل المؤامرة التى دبرت ضده من جانب أخته « ست الملك »



الرياضة البدنية ، من أهم النشاطات التى يتعلى بها المشرفون على الاندية الصيفية ، وفي الصورة مجموعة من الطالبات يمارسن رياضة الكرة الطائرة ، في احد هذه الاندية التى بلغ عددها ٢٩ ناديا .

طالبتان تتصفحان مجلة « صوت الشباب » ، وهى مجلة اسبوعية تصدرها النوادي الصيفية ، ويحررها مجموعة من الطلبة والطالبات الذين ينتمون الى جماعات الصحافة بهذه الاندية .





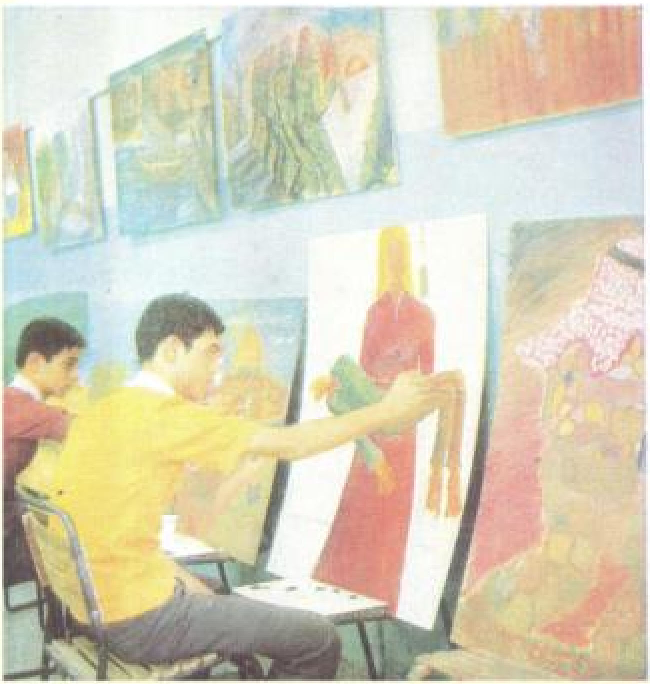
مباراة في الشطرنج بين لاعبين صغيرين في احدى قاعات التسلية والترفيه بالاندية الصيفية ، وهي قاعات مزودة بالتكييف المركزي ، ويجد فيها الطلبة كل ما يحتاجون اليه من المشروبات المثلجة والاطعمة الخفيفة .



مباراة في كرة السلة بين مجموعة من الطلبة الذين يمارسون شتى انواع الرياضة البدنية في هذه الاندية التي ساهمت في حل مشكلة الفراغ في حياة الطلبة والطالبات خلال العطلة الصيفية .



الرسم موهبة ، وقد اهتم المسئولون عن الاندية الصيفية برعاية هذه الموهبة عند الصغار والكبار على السواء .. وفي الصورة السيد وزير التربية يستمع الى شرح مدرس الرسم ، بينما انهمك هذان الطالبان في تلوين لوحاتهما الصغيرة .



طالبان من جماعة الفن التشكيلي بنادي حولي الصيفي ، يضعان اللمسات الاخيرة على لوحتيهما ، ويقوم أعضاء هذه الجماعة بنشاطات فنية مختلفة كالنحت والتصوير الزيتي والحفر على الخشب ، وتضم الجماعة طلبة من جميع المراحل الدراسية ، وبينهم مجموعة من طلبة جامعة الكويت.

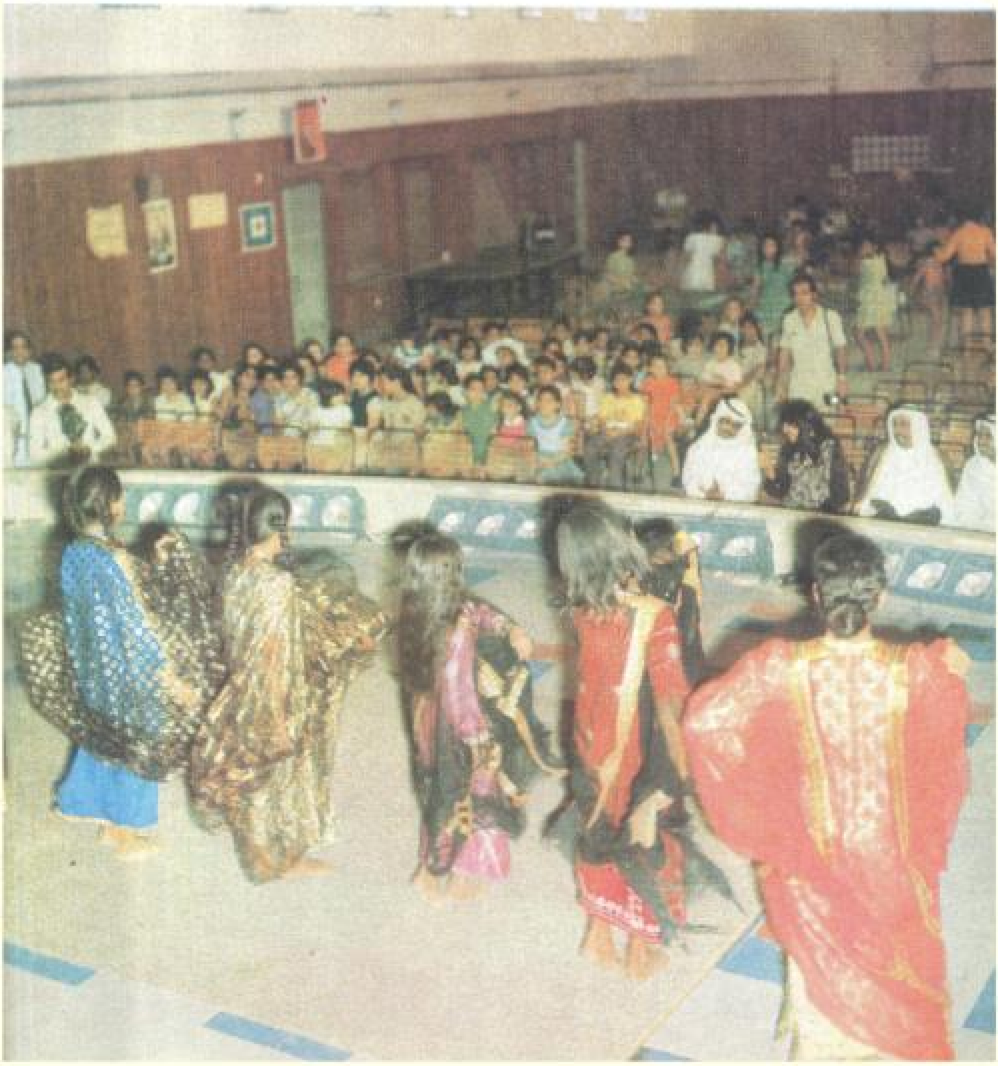


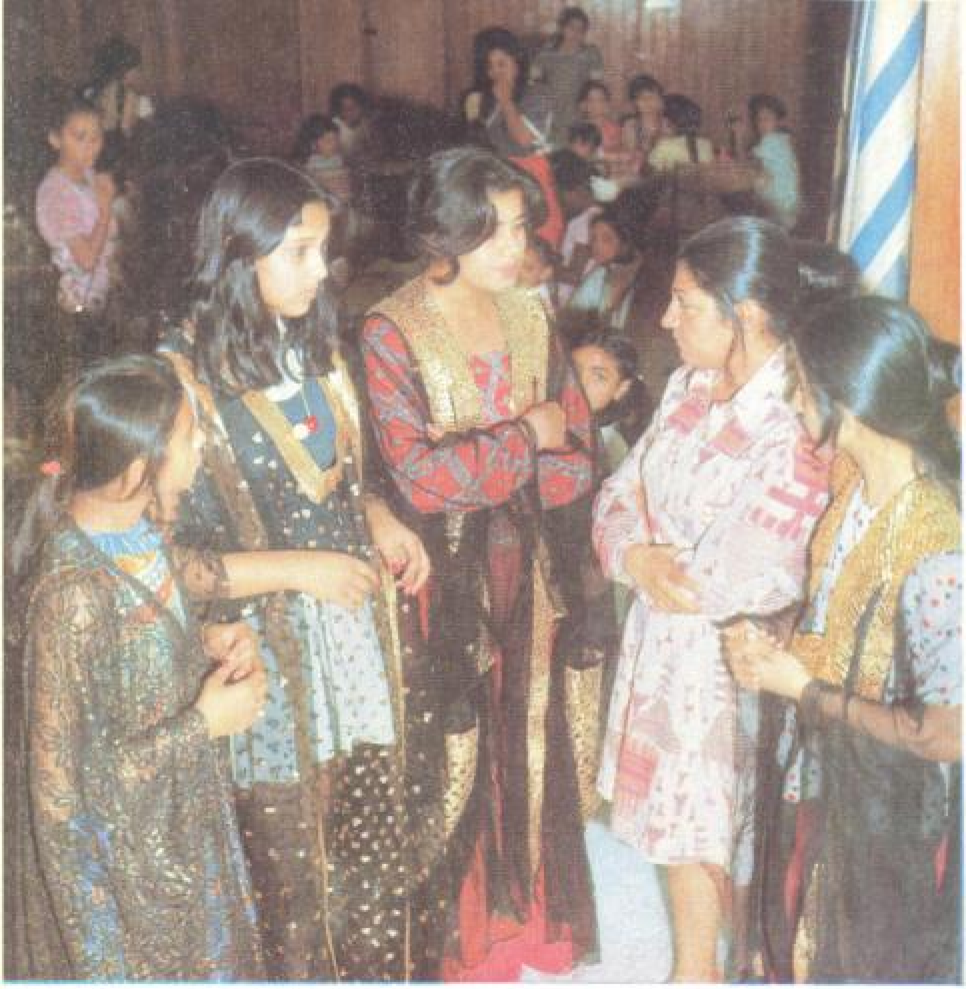
يُعنى المسئولون عن الاندية الصيفية باضافة شيء جديد كل عام الى هذه المراكز التربوية والتعليمية ، وقد كان النشاط العلمي من بين ما استحدثوه اخيرا فيها ، فالعلم هو المستقبل . **وفي الصورة العليا** طالبان اشتركا في صنع نموذج مصغر لحفارة تنقيب عن البترول تعمل بالكهرباء ، **اما الصورة الثانية الى اليمين** ، فهي لطائرة صغيرة صمم الطلبة هيكلها ، وزودوها بمحرك صغير ، وهي قادرة على الطيران بفضل جهاز صغير يتحكم في توجيهها من الارض .



الطالبات بالملابس الوطنية يؤدين رقصة شعبية على مسرح أحد الاندية الصيفية للبنات ، وقد جلس بعض المسئولين عن التربية ومجموعة من الطالبات يشهدون هذا الفن « الفولكلوري » باعجاب بينما راحت عدسات المصورين تسجل المشهد للتلفاز الكويتي .

رئيسة نادي اشبيلية الصيفي للبنات تتوسط مجموعة من الطالبات اللواتي يهوين الفن الشعبي عقب تأدية عرض فولكلوري على المسرح .. ان الهدف من الاهتمام بالمسرح ليس ترويحيا فحسب ، بل هو هدف تعليمي وتربوي وسياحي واجتماعي في الوقت نفسه ، ومن هنا كان الاهتمام بالمسرح والحركة المسرحية بين افراد الجيل الصاعد .







التربية النسوية من النشاطات التي تجد اقبالا من جانب الطالبات بحكم طبيعتهن ؛ وفي الصورة مجموعة منهن يقمن بأعمال الحياكة والتطريز .. ويقام معرض في نهاية موسم الاندية الصيفية يباع فيه انتاج الطالبات خلال موسم الصيف.

والنصف ، ومن الساعة الرابعة والنصف الى الساعة السابعة والنصف مساء ما عدا بعد ظهر الخميس ويوم الجمعة » ونحن نترك للطلاب حرية المجيء اليها في الوقت الذى يختارونه لمزاولة الأنشطة المختلفة ، حتى لا نشعرهم بأن هناك قيودا على مواعيد حضورهم وانصرافهم ..

« ان الانتساب الى هذه الأندية لا يقتصر على قبول تلاميذ المدارس الحكومية وحدهم ، فنحن نقبل جميع الطلبة الذين ينتمون الى المدارس الحكومية والمدارس الخاصة على السواء ، ما دامت أعمارهم تقل عن العشرين .. »

الاقبال على المسرح

ثمة حقيقة لمسناها من خلال زيارتنا لعدة أندية للطلبة والطالبات ، وهى الاهتمام بالموسيقى والغناء والفن الشعبى .

قالت لنا الآنسة أنيسة عبد الصمد التركى رئيسة نادى اشبيلية للبنات : « ان هذا الاهتمام الذى رأيتموه ، هو نتيجة حتمية للاقبال الذى لمسناه من جانب الفتيات للانضمام الى المجموعات الموسيقية والمسرحية ، أكثر من أى نشاط آخر .. ونحن نفعل كل ما فى وسعنا لرعاية هذه الفنون وتطويرها ، وتشجيع هؤلاء الفتيات من مختلف الاعمار على اشباع هواياتهن » .

وقال لنا السيد جاسم حبيب مراقب ادارة النشاط المدرسي، شارحا لنا أهمية المسرح فى حياة الطلاب.. قال: «ان المسرح هو الأب الشرعى لكافة الفنون،وقد كان ولا يزال المقياس الحقيقى الواضح للمستوى الحضارى الذى بلغته أية دولة من الدول . وقد تشعبت الادوار التى يمكن للمسرح ان يلعبها فى حياة الشعوب ، فالى جانب الأهداف الترويحية للمسرح ، والتى لا يمكن انكارها ، نجد أيضا الأهداف التثقيفية والتعليمية والتربوية والسياحية والاجتماعية .

« فالمسرح من هذا المنطلق اذن ، هو الحضارة الاصيلة وهو الحياة ، ومن هنا كان اهتمام الدول بدعم حركتها المسرحية ، ومن هنا مرة اخرى كان اهتمام الكويت كدولة حضارية بدعم الحركة المسرحية فيها على ضوء الدراسة الجادة والخطى الثابتة المنتظمة . وقد توجت الدولة هذا الاهتمام بانشاء المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، وتطوير مركز الدراسات المسرحية فى الكويت بحيث يصبح معهدا عاليا لدراسة فنون المسرح دراسة اكاديمية اعتبارا من العام الدراسى المقبل باذن الله . »

الرسالة العامة للمسرح

ومضى السيد جاسم يقول : « وانطلاقا من هذا المفهوم ، نجد أن المسرح المدرسى هو فى واقع الأمر ، جزء من الرسالة العامة للمسرح بصفة عامة،يضاف الى ذلك الأهداف التربوية والتعليمية، بل هو يعتبر ركنا هاما لاتمام العمليتين معا . فهناك اكتساب الثقة وتبلور الشخصية والتخلص من عيوب النطق والتعود على مواجهة الجماهير ، بما يعود على الطالب أو الطالبة بالنفع ، والعمل على خلق المواطن الصالح ، وغير ذلك من الفوائد والمزايا والاهتمامات المجدية التى يكتسبها ابناؤنا من ممارستهم للنشاط المسرحى .

« ونحن اذا تأملنا دور المسرح خلال فترة العمل فى الأندية الصيفية نجده يحمل نفس السمات ويهدف الى تحقيق الرسالة التى ذكرناها ، فنشاط المسرح المدرسى فى النوادى الصيفية هو امتداد لرسالته أثناء العام الدراسى مع فارق واحد، وهو اتاحة الفرصة كاملة للطلبة والطالبات للقيام بكافة الاعمال اللازمة لممارسة هذا اللون من النشاط الفنى . فالتأليف والاعداد والاخراج وتصميم المناظر (الديكور) وتنفيذها واختيار الموسيقى التى تصاحب العروض المسرحية ،وتحمل مسئولية اقامة الحفلات المسرحية، وادارة المسرح، كل ذلك يقوم به الطلاب أنفسهم ، تحت اشراف وتوجيه المشرفين المسرحيين فى هذه النوادى .»

وبعد ، هذه لمحة سريعة عن النوادى الصيفية فى الكويت .. تلك التى أعادت الطلاب الى مدارسهم ، ليستزيدوا منها علما وثقافة وتوجيها .. وأعادت فى الوقت نفسه الحياة الى المدارس، تلك التى كانت تبقى مغلقة مهجورة طوال أشهر الصيف بعد أن يتركها طلابها بمجرد الانتهاء من تأدية الامتحان . ■■

(م ٥ ن)

أنباء الطب والعلم والاختراع

الفجوة تزداد
بين الدول الفقيرة .. والدول الغنية
وهي فجوة فى استهلاك طاقة ، واخرى فى الكفاية من طعام

● خلال السنوات العشر التي بدأت منذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٠ والتي وصفتها الأمم المتحدة بعقد التنمية ، لم يتوقف التباين فى مستويات المعيشة بين الدول الغنية والدول الفقيرة على الازدياد باطراد . ومن الأمثلة التى تدل على أن الفجوة التي تفصل بين الدول الفقيرة والدول الغنية فى ازدياد مستمر ، ان معدل الانتاج المحلى الاجمالى بالنسبة للفرد فى الدول المتقدمة قد ازداد بنسبة ٤٣٪ خلال السنوات العشر المذكورة ، فى حين أن هذه الزيادة فى الدول المتأخرة لم تتعد ٢٧٪ .

والفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة تزداد الآن اتساعا . وقد ظهرت هذه الحقيقة واضحة فى التقرير الذى اعده مكتب الاحصاء التابع لقسم الاقتصاد والشئون الاجتماعية فى هيئة الأمم المتحدة . والتقرير يحتوى على احصائيات وطنية تقدمت بها أكثر من ١٥٠ دولة . الى جانب المعلومات التى قام بجمعها فريق من الهيئات والوكالات التابعة للأمم المتحدة ، وهيئات شبه رسمية أخرى ، ويقع التقرير فى ٨١٨ صفحة .

ويتبين من هذا التقرير ان الانتاج المحلى الاجمالى لعام ١٩٧٠ ازداد ١ر٧ مرة عن معدلات الانتاج فى عام ١٩٦٠ . وقد سجلت الحركة الاقتصادية الحرة زيادة مقدارها ١ر٦ مرة ، فى حين سجلت الحركة الاقتصادية الخاضعة للتخطيط المركزى زيادة قدرها ١ر٩ مرة . وبالرغم من ان هذه الارقام تبين ان التوسع الاقتصادى فى البلاد المتأخرة كان اكثر من التوسع الاقتصادى فى البلاد المتقدمة ، الا ان نسبة تزايد السكان والمواليد العالية فى البلاد الفقيرة تسببت فى تخفيض النمو الاقتصادى بالنسبة للفرد فى تلك البلاد الغنية .

وتقول احصائيات هيئة الأمم المتحدة ان تعداد سكان العالم يقدر بـ ٣٦٣٢ مليون نسمة فى منتصف عام ١٩٧٠ وان معدل نسبة تزايد عدد السكان السنوية تصل الى ٢٪ . وأن نسبة تزايد عدد سكان الدول الفقيرة تزيد عن نسبة تزايد سكان الدول المتقدمة ، وذلك بالرغم من ارتفاع نسبة وفيات الأطفال وانخفاض

مستويات العمر بين سكان الدول المتأخرة . وعلى سبيل المثال فان سكان قارة آسيا (باستثناء الاتحاد السوفييتي) يبلغ عددهم أكثر من ٢٠٠٠ مليون نسمة ، ويزدادون بنسبة ٢ر٣٪ سنويا ، وفي افريقيا يبلغ عدد السكان ٣٤٤ مليون نسمة ، ونسبة تزايدهم تصل ٥ر٢٪ سنويا . وفي امريكا اللاتينية يوجد ٢٨٣ مليون نسمة ، نسبة تزايدهم ٩ر٢٪ . وعلى العكس في امريكا الشمالية قدر عدد سكانها بـ ٢٢٨ مليون ، ونسبة الزيادة بينهم ٣ر١ سنويا .

ويبلغ عدد سكان دول أوروبا (بدون الاتحاد السوفييتي) ، طبقا لنفس هذه الاحصائية ٤٦٢ مليون نسمة يزدادون بنسبة ٨ر٠٪ سنويا . اما سكان الاتحاد السوفييتي فيصلون الى ٢٤٣ مليون نسمة والزيادة السنوية ١ر١٪ وتتمثل الفجوة الاقتصادية بين الدول المتقدمة والدول المتأخرة في نسبة استهلاك الطاقة، ففي عام ١٩٧٠ استهلكت الدول المتأخرة (وتعداد سكانها يبلغ أكثر من ضعف سكان الدول المتقدمة) أكثر قليلا من سبع الطاقة المنتجة في العالم ككل . واستهلك ٣٦٪ من هذه الطاقة في دول امريكا الشمالية ، و٢٩٪ في دول ذات اقتصاد خاضع للتخطيط المركزي . وقد تبين ان أكبر دولة مستهلكة للطاقة في عام ١٩٧٠ هي الولايات المتحدة الامريكية ، والتي قامت باحراق طاقة تعادل ١١ر١ طن من الفحم لكل فرد ، في حين أن اغلب الدول تستهلك أقل من المعدل العالمي الذي يقدر بـ ٩ر١ طن من الفحم للفرد.

وتبين المعلومات المنشورة في تقرير الامم المتحدة الاحصائي ان عملية تزويد سكان العالم بالسكن الصحي الملائم لم تلاق من النجاح الا القليل . وبالمقارنة بالولايات المتحدة مثلا ، والتي تبلغ فيها نسبة السكان الى الحجرات حوالي ٧ر٠ شخص لكل حجرة ، فان هذه النسبة ترتفع في الهند الى ٦ر٢ شخص لكل حجرة ، وفي باكستان الى ١ر٣ شخص للحجرة ، وفي جمهورية افريقيا الوسطى ٣ر٤ شخص للحجرة . ومن العجيب أن الدول ذات التزايد السكاني الكبير، والتي تشكو من عدم توفر المسكن الملائم لمواطنيها ، هي نفسها التي لم تنجح فيها مشروعات الاسكان والتعمير .



نقص الطعام مع زيادة السكان ادى الى تفشي المجاعات في بعض بلدان آسيا وافريقيا .

ويزيح تقرير الامم المتحدة الستار عن ان الفجوة بين سكان الدول المتأخرة وسكان الدول المتقدمة تشمل ايضا الغذاء . ففي الدول المتقدمة يصل متوسط استهلاك الفرد من الاسعار الحرارية ٣٢٠٠ سعر يوميا ، وفي الدول الفقيرة ، فان متوسط استهلاك الفرد من الغذاء لا يزيد عما يوازي ١٩٠٠ سعر حراري يوميا .

ولعل في هذا التقرير الذي نشرته الامم المتحدة ، ما يعطي صورة واضحة عن المشكلة التي يعاني منها العالم الآن من اتساع الفجوة بين الدول المتقدمة والدول المتأخرة .. الاولى تتقدم الى الامام بسرعة فائقة ، والثانية تترنح تحت ثقل التأخر ومشاكله، وتكاد تقف مكانها ، او تسير بخطوات بطيئة لا تستطيع بها ان تلحق بركب التقدم .

آلــة جديــدة
لاستخلاص لحم سرطان البحر من صدفته

● لعل الكثير من الناس ، الـذين يقبلون على اكل لحم سرطان البحر او أبو جلمبو Crab ، ويعانون من عملية استخلاص هذا اللحم اللذيذ الطعم من بين صدفة هذا الحيوان الصلبة ، قد تساءلوا عما اذا كان في الامكان وجـود او اختراع آلة تقوم باستخلاص لحـم سرطان البحر وتوفر عليهم هذه العملية المتعبة. والآن يمكن الاجابة على تساؤلات هؤلاء الناس بأن مثل هذه الآلة قـد اصبحت في حيز الوجود ، ولكن بصورة قد تختلف عما تخيلوه .. فهي آلـة ضخمة يبلغ حجمها حجم ثلاجة كهربائية كبيرة ، وثمنها يزيد عن ٢٠ الف دولار . وبالرغم من انها لن تتيسر في المطاعـم الصغيرة ، الا أن فائدتها ستكون كبيرة بالنسبة لمصانع تعليب لحوم سرطـان البحر .

ولقد طرحت هذه الآلة في الأســواق الأمريكية منذ أكثر من عام . وهي تعمل بنظرية الطرد المركزي .. وتوضع فيها أجـسام سـرطان البحر وارجلها بعـد تقطيعها مـع محلـول ملحي ، ومـع الحركة الدائرية للآلة يتم فصل الصدفة عن لحم سرطان البحر، لأنها ببساطة ذات ثقل نوعي أكبر من اللحم . ويتم لفـظ الصدفات من طرف من الماكينة ، بينما يخرج اللحم من طرف آخر .

وسيوفر استعمال هذه الآلة مبالغ كبيرة لكل من شركات التعليب والمستهلك. وقد دلت التجارب على ان هذه الآلـة تستطيع استخراج ٤٠٠ رطل لحم من كل ١٠٠٠ رطل من سرطان البحر ، في خلال ساعة واحدة من الزمان . وهذه الكمية من اللحم تبلغ نحو ضعف الكمية التي يمكن استخراجها من نفس كمية سرطان البحر بواسطة الطريقة اليدوية.

سرطان البحر .. اخترعوا آلة جديدة لاستخلاص لحمه .





اديسون

اديسون يسبق الزمن ويخترع جهازا لقياس الأشعة تحت الحمراء تصل دقته الى ١ على مليون من الدرجة

● ان عبقرية العالم الكبير توماس اديسون Thomas Edison لم تكن تعرف حدا تتوقف عنده .. ولو ان اديسون استمر فى اهتمامه بالمقاييس الدقيقة للحرارة لاضيف الى سجل اكتشافاته واعماله اكتشاف مقاييس الاشعة تحت الحمراء فى الفضاء .

فمنذ حوالي قرن من الزمان ، او على وجه التحديد فى عام ١٨٧٨ اخترع « اديسون » جهازا حساسا يستطيع ان يكتشف اى تغير فى درجة الحرارة ، ولو كان هذا التغير يصل الى ١ على مليون من الفهرنهيت . وقد استطاع اديسون بجهازه هذا ان يقيس درجة حرارة اشعاع اكليل الشمس . ويبدو انه نظرا لقلة المعلومات عن الشمس فى ذلك الوقت ولان اديسون قام بتسجيل ملاحظاته اثناء رحلة له فى ولاية « وايومنج » Wyoming ، فان الأهمية الحقيقية لملاحظاته هذه لم تلق الاهتمام الذى تستحقه .

وتبدأ القصة عندما كان اديسون يعمل على ادخال تحسينات عديدة على جهاز التليفون واثناء قيامه بتجارب على اقراص مصنوعة من بودرة الكربون المضغوطة ، لاستخدامها كعنصر ناقل ، اكتشف ان هذه الاقراص تتأثر من درجة حرارة يديه ، اى انها كانت حساسة جدا للأشعة تحت الحمراء . ولم يهمل اديسون هذه الملاحظة العابرة .. وابتدأ فى عمل جهاز اسماه تاسيمتر Tasimeter . وكان هذا الجهاز حساسا جدا ، حتى ان احد المحررين العلميين كتب اخيرا يصف حساسية هذا الجهاز قائلا: «دع اى شخص يدخل الى حجرة ومعه سيجار مشتعل ، وعندها يتحرك الجهاز ليسجل الفرق فى درجة الحرارة . وفى يوليو ١٨٧٨ — دعى اديسون الى رحلة فى ولاية وايومنج لمشاهدة كسوف الشمس .. ورحب اديسون بهذه الرحلة لكي يرتاح من عناء العمل .. ولكنه لم ينس ان يصطحب جهازه الجديد « التاسيمتر » معه .. وقبل حدوث كسوف الشمس بثلاثة ايام قام « اديسون » بتوجيه جهازه بواسطة تلسكوب الى الكوكب المسمى « السماك الرامح Arcturus » . واستطاع الحصول على قياس للاشعاعات الصادرة من هذا الكوكب . وفى يوم كسوف الشمس استطاع اديسون ان يسجل درجات حرارة اشعاع اكليل الشمس قبل الكسوف بلحظات .. وتبين ان درجة الاشعاع الصادرة عن الشمس تبلغ ١٥ ضعف الاشعاع الصادر عن « السماك الرامح » والغريب فى الأمر ان القياسات الحديثة ، بالاجهزة الدقيقة التي تم اختراعها بعد الحرب العالمية الثانية تتفق مع ذلك تماما .

وبدأ الاهتمام بجهاز « التاسيمتر » . واقترح اديسون تركيب جهازه على تلسكوب كبير والكشف فى السماء على موجات الاشعة تحت الحمراء وغيرها من الاشعاعات . ولكن المشروع لم ينفذ . وبدأ الاهتمام بهذا الاختراع ، الذى سبق به اديسون الزمن ، يتلاشى ، والسبب الرئيسي فى ذلك ان « اديسون » نفسه لم يكن يهتم بالفلك ، ولذلك لم يتابع اهتمامه بجهازه .. وبقي الحال كذلك حتى تم اختراع اجهزة حديثة تقيس الأشعة تحت الحمراء فى السماء وذلك بعد الحرب العالمية الثانية وبداية عصر الفضاء . ■■

أبو حيّان التوحيدي

بين ابن العميد الأب وابن العميد الابن

(الميلادُ والموْت)

بقلم : طه الحاجري

مهما يكن من أمر الخلاف في الاصل الذى ينتمي اليه ابو حيان التوحيدى والبلد الذى ولد به ، أهوشيراز في فارس ام نيسابور في خراسان ، فلا يكاد يداخلنا الشك في انه ــ وان ولد في هذه او تلك ، وتلقى فيها مبادىء العلم (١) ــ نشا بعد ذلك نشاة عراقية بغدادية . ففي بغداد تكونت شخصيته العلمية والاجتماعية وعن شيوخها تلقى فنون المعرفة المختلفة ، وعن مجتمعها تلقى كثيرا من المشاعر والاحاسيس التى لونت حياته ، وشاركت في تكوين مزاجه ، وخطت له طريقه . وقد ظلت صلته ببغداد وثيقة متصلة ، لم تقطعها الا بعض رحلاته الى المشرق ، ورحلته الى الحجاز .

ونحن اذا اردنا أن نتبين شيئا من ملامح الحياة التي نشا فيها ، وطبيعة الجو الذى تنفس انفاسه، وجدنا انفسنا بازاء صورتين مختلفتين اشد الاختلاف وابعده مدى : صورة الحياة السياسية وما تعكسه على المجتمع البغدادي ، وصورة الحياة العقلية في مجالاتها المختلفة ، ومجالسها المقصورة .

الصورة الاولى التي تمثل للقارىء من خلال قراءة كتب التاريخ هي صورة صراع سافر محتدم بين عنصرى السلطة في بغداد : الاتراك والديلم، وما داخلهما من عناصر ، يؤجج الصراع بين الشيعة واهل السنة ، ويثير الضغائن والاحقاد والنوازع الدنيا بين جماعات الشعب البغدادى ، ويحول احياء بغداد الى اطراف متصارعة يكيد بعضها

---

(١) قال ابو حيان في الامتاع والمؤانسة (١ : ٢٢) بعد ايراده بيت ذى الرمة :

لها بَشَرٌ مثلُ الحرير ، ومنطقٌ رخيمُ الحواشي ، لا هُراءٌ ولا نزْرُ

« وكنت انشد أيام الصبا هذا بالذال ، وكان ذلك من سوء تلقين المعلم ، وبالعراق رُدَّ عليَّ ، وقيل : هو بالزاى »

لبعض صنوف الكيد ، ويصيب الحياة الاقتصادية بالشلل .

والصورة الاخرى التي تمثل للقارئ من خلال كتب العلم والادب ، وتراجم العلماء والادباء ، صورة نشاط فكرى دائب ، يتناول جوانب المعرفة في آفاقها المختلفة ، يجمع بينها ، ويوائم بين اطرافها ، ويتغلغل الى الافاق البعيدة يحاول ان يكتنهها . وفي هذه الصورة تتألق وجوه العلماء والمفكرين مشرقة ناضرة لايغشيها حقد ، ولا تعقدها ضغينة ، وقد جلسوا الى تلاميذهم ومريديهم ، يقرءون عليهم ، او يشرحون لهم ، او يثيرون من مسائل الفكر ومشاكل العلم ما يختلف فيه الرأى ، وتتفاوت فيه وجهات النظر ، فيبعث هذا الوانا من الحوار والمناظرة ، في جو فكرى مفتوح ، برىء من العصبية وما تثيره من ضغائن واحقاد .

وبين هاتين الصورتين من الحياة البغدادية نشأ ابو حيان نشأة غابت ملامحها وامحت تفصيلاتها ، وذهبت في ركام الأيام ، وفي غمرة المجتمع البغدادى المتدافع المتصارع الذى لايملك الاحتفاظ بصورة ناشيء متواضع مثل صاحبنا : على بن محمد بن العباس .

واكبر الظن ان مواهب الفتى العقلية ، ونشأته المتواضعة — فيما نفترض — وايثاره السلامة ، كانت مما اقبل به على الحياة العلمية ، وينفق فيها نشاطه . ويظهر فيها مواهبه ، ويعتصم بحلقاتها ومجالسها ودور كتبها ودكاكين وراقيها من تلك الفتن الناشبة في احياء بغداد المختلفة . ففي هذه المجالس والاماكن يستطيع ان يحيا حياة وادعة ، وبما يتاح فيها لمواهبه من نشاط، يستطيع ان يتعزى عما قد يحسه من عوز ، او يداخل نفسه من مشاعر مختلفة متصلة بما فرضته الاقدار عليه .

ويخيل اليه ، بادىء بدء — حين تلح عليه هذه المطالب المادية — ان امرها يسير ، اذ يستطيع ان يقوم بادائها وهو منصرف الى هذه الحياة العقلية التي فتنته واستبدت بوجدانه ، دون ان تشغله عنها ، ماذا عليه لو اصطنع ما يصطنعه كثير من العلماء،فاتخذ من نسخ الكتب العلمية حرفة له، يقيم بها اوده،ويسد حاجته، كما كان يصنع مثلا احد اساتذة ذلك العصر ، ولعله كان من اساتذته ايضا ، ابو زكريا بن عدى . الم ينسخ تفسير محمد بن جرير الطبرى مرتين ؟ هذا وهو رجل نصرانى متفلسف .

انه بهذه الحرفة ، يستطيع الى جانب الحصول على حاجات عيشه ان يظل متصلا بحياته الفكرية، موثقا صلاته بها،بما يتاح له من تغلغل في جوانبها، وروية في دقائقها ، وتوقف عند غوامضها . وذلك الى جانب ما يؤديه الى العلم بحماية بعض آثاره من عبث الوراقين ، وتحريف جهلة النساخين .

ولكن هذه الحرفة — وان استهوته اول الامر لانه يستطيع بها ان يوفق رغائبه العقلية وحاجاته المادية — لم تلبث ان ابرمته . فلم يعد يحس فيها ، او في كثير مما كان يكلف نسخه ، بتلك المتعة . انما هي ، فيما صارت اليه عنده ، عمل آلي يرهقه ويملأ نفسه ضيقا . ويتطرق به هذا الاحساس الى مراجعة نفسه ، فان ما يعود عليه من هذه الحرفة المضنية لايكاد يتجاوز ما يسد الرمق ، وربما لم يبلغ هذا المبلغ .

ومن هنا اخذ يردد نظره فيما عسى هو مستطيع ان يتخذه من وسائل ، او يسلكه من مسالك يمكن ان تضفى عليه بعض الترو'ح ، او تقيه مس العوز . وكانت الاوساط العلمية والادبية في بغداد تردد اسم رجل يوصف برجاحة العقل وسعة العلم واصطناع الفلسفة بفنونها المختلفة ، الى جانب ما له من جاه كبير ، وما يتولاه من منصب رفيع لاكبر امراء المشرق في ذلك الوقت ، ركن الدولة الحسن بن بويه ، فهو وزيره واثيره ، ذلك هو ابو الفضل بن العميد . فلماذا لايلتمس لنفسه الترو'ح المرجو بالاتجاه اليه ، كما اتجه اليه فلان وفلان من الادباء والشعراء واهل العلم ، فتحموا في مجلسه بالمطارحات الادبية والمناظرات العلمية ، وصدروا عنه بالنائل الجزل ، والعطاء الرضى . وهكذا اتخذ ابو حيان سبيله الى الرى ، ميمما ابا الفضل بن العميد .

وكانت نشأة ابي الفضل ابن العميد وثيقة الصلة بالديوان ، فقد كان ابوه ، ابو عبد الله الحسين بن محمد ، قائما على ديوان مرداويج ، اكبر امراء المشرق قبل البويهيين ، وزيرا له ، واحد عصره فيه ..

حتى اذا كان سلطان البويهيين انعقدت الصلة

بين ابي الفضل بن العميد وبين ركن الدولة، الحسن بن بويه ، بعد ان كانت انعقدت قبل بين ابيه وعماد الدولة ، على بن بويه ، فاتخذه ركن الدولة كاتبا يكتب له ، ويعبر عنه ، ويدبر شؤون ديوانه ، ووزيرا يشير عليه ، وينظر في الامور معه ، ويقوم عنه ببعض مهامه ، ويقف الى جانبه في حروبه ومنازعاته . وكان جديرا بهذه المنزلة التي تبواها، فظل في مكانه عنده . موضع ثقته المطلقة ، الى ان استبد به المرض ، واقعده النقرس ، وغلبته بعض هموم حياته ، فاستخلف على الديوان ابنه الفتى : عليا ابا الفتح .

وقد استطاع ابو الفضل ـ بسعة معارفه ، وعميق ثقافته ، ونزعته العقلية الغالبة عليه ، ان يجعل من مجلسه ندوة علمية حافلة ، وسوقا ادبية رفيعة .

والى هذا المجلس كان ابوحيان يطمح ببصره وبه انتهت رحلته الى الرى ، وفيه اتخذ مجلسه بين رواد ابي الفضل والوافدين عليه . فماذا كان من شانه معه ؟

واذا كان ابو حيان لم يحفل في حديثه عنه في كتابه « اخلاق الوزيرين » برسم صورة من لقائه الاول معه ، كما صنع في حديثه عن الصاحب بن عباد فلعلنا نستطيع ان نستشف من بعض احاديثه غير المباشرة في هذا الكتاب صورة مما استقبل به ابو الفضل شابا مثله ، مغمورا . زرى الهيئة ، بادى البذاذة، ليس لهاسم يقدمه، او شيء من الشهرة ينبيء عنه، وقد انتقل للمرة الاولى من مجالس العلم الى مجلس السلطان ، فهو ماخوذ به ، معقود اللسان فيه ، كما نستطيع ان نتبين من خلال ذلك شيئا مما انطبعت به نفس ابي حيان في هذا اللقاء ، وذلك اذ يقول : « ومما يختل به الرئيس ويذهل عنه ، ان ينظر الى جماعة بين يديه ، قد احسن الى كل منهم ، وقربه واعطاه واختصه بشان ، وآبانه بحال ، فاذا راى واحدا بعد هؤلاء لا نباهة لقدره ، ولا جهارة لمنظره ، او لا شهرة لاسمه ومنصبه ـ حقره ، وثنى طرفه عنه ، واغضاه دونه ، ولم يهش لذكره ورؤيته ، واعتقد انه ليس بلدى محل يبالى به ، ولا يبين في غمار الباقين » .

فهل كان ابو حيان ، وهو يكتب هذه الجملة ، يسترجع صورة الاستاذ الرئيس ابى الفضل ابن العميد ، ويتمثل نفسه ، حين غشى للمرة الاولى مجلسه ؟ وليس يبعد عندنا انه كان في حديثه هذا يتمثل ذلك المجلس ، وينظر الى نفسه اذ ذاك « في غمار الباقين » ، ويسترجع خوالجه التى غمرت قلبه ، والوصفة التي احسها ، وقد اخلف ابو الفضل ظنه ، وخيب امله ، وبدا لعينه في صورة غير تلك الصورة التي كان يحملها له ، وقد جعلت الايام توضح خطوطها ، وتضع تفاصيلها وقد ظلت ماثلة في حافظته ، الى ان اخذ يكتب كتابه ، ويتحدث عنه .

وابرز ملامح هذه الصورة ، كما يؤديها الينا كتابه هذا ، هي ملامح الحرص على المال والشح به ، في معرض من مظاهر السؤدد وفخامة المنصب، تبدو فيه مثل هذه الصورة اشد قبحا واظهر نكرا.

ويعرض ابو حيان هذه الصورة باساليب شتى وفي مشاهد مختلفة . فهو ، يرسم ملامح وجه ابي الفضل رسما يعبر عما هو منطو عليه من الشح ، وماهو حريص عليه من الذب عن ماله والمحاماة دونه ، بما يدفع عنه طمع الطامعين ، وذلك بمثل قوله :

« وكنت اذا نظرت لابى الفضل تجده غضبان في غير مغضب ، شنج الانف ، متخازر الطرف . كالح الوجه ، كانما وجهه بالخل منضوح . كانما يعافك اذ تنظر اليه ، او يتقزز منك اذا كلمك . يتجهم عليك قبل ان تلاطفه ، ويردك قبل ان تساله ، ويؤيسك قبل ان ترجوه ، ويحرمك قبل ان تمترى معروفه » .

ومرة يعرض صورة بخل ابى الفضل من خلال ما يجريه على لسان من قصده يرجو رفده ، فخاب رجاؤه عنده ، كذلك الشاعر الكرخي الذى انتجعه من بغداد ، واقام بالرى عاما كاملا ، يغدو ويروح بالمدحة بعد المدحة ، يتانق فيها ، نظما ونثرا ، دون ان يحظى منه بطائل ، حتى ساءت حاله في مغتربه ، وحتى لم يكد يجد ما يتبلغ به ، وكلما شكا حاله الى ابى الفضل اعرض عنه ، وصم دونه اذنه . لم يرق لشكاته المريرة ، ولا شفعت له عنده بلاغته وافتنانه في تصوير حالته . حتى اذا خانه صبره ، وبلغ غاية الياس لم يجد بدا من ان يجبهه بما يكره ، ثم مضى لوجهه .

ومن هذه المشاهد التي يبرز بها ابو حيان صورة ابي الفضل متقلقلا ببخله الى التوافه ، ما يصنعه على لسان بعض من خالطه وعرف دخائله ، كابن عبد الرحيم القاضي ، من وصف حرصه على بقايا المائدة ، وما جرى من تلك بينه وبين طباخه ، مما يجرى امام الناس من ثياب السؤدد التي يتشح بها .

الى غير ذلك من الاحاديث والصور التي يفتن ابو حيان في عرضها وتلوينها ، ليبدو ابو الفضل من خلالها رجلا غلب عليه شح نفسه ، فهو شديد المنع بالغ القسوة »

هكذا كانت صورة ابى الفضل بن العميد في نفس ابي حيان ، او كما اراد ان يرسمها في كتابه . وكان يذهب تماما على ذلك – الى ان هذا البخل الذى يوسم به شيء في طبيعته وجبيلته ، وذلك من ناحيتين :

اما اولاهما فترجع الى « العرق » الممتد بينه وبين اسلافه ، يحمل اليه صفاتهم وطبائعهم ، ويسم تصرفاته بميسهم . فقد كان جده « كله » – فيما يحكيه ابو حيان عن الخليلي او يجريه على لسانه – « نخالا في سوق الحناطين ، او حمالا او منقيا ، وكان يحرس السوق ايضا بالليل . والعرق لا ينام . ولا بد للاصل من امارة في الفرع، كما لا بد في الفرع من اشارة الى الاصل . والاصل والفرع متشابهان ، الا ان هذا الخافي ينطق عنه ذلك البادى ، وذلك البادى يشهد له هذا الخافي . ولهذا قالت العرب : لكل اناء رشح ، ولكل سقاء نضح ، ولكل شجرة سوس ، ولكل دوحة عيص ».

اما الاخرى فترجع الى ابى الفضل نفسه في تكوينه العقلي ، منذ اتجه الى الفلسفة واخذ نفسه بدرسها ، فكانه بذلك قضى عليها بالبخل . فان « البخل في الجملة غالب على المتفلسفين » كما يقول ابو حيان .

والعقل والحكمة والفلسفة وما الى ذلك هي ملامح الوجه الآخر من صورة ابي الفضل بن العميد ، كما كان يراها ابو حيان ، او كما يريد ان يعرضها في كتابه. وهي صفات يقفهتها ابو حيان مواقف مختلفة ، بين الاقرار بها ، وانكارها ، باعتبار انها متكلفة مصنوعة لا حقيقة لها ، وانما تكلفها ليخفي وراءها ما يناقضها .

فها نحن اولاء نراه يقرر الفلسفة لابن العميد ، ويراها من علل بخله او من ملابساته ، كما نراه ، غير مرة ، حين نعرض له المقارنة بينه وبين الصاحب ابن عباد ، يقول مثلا : « واعلم – حاطك الله – ان الكمال عزيز ، فان ما ربحه ابو الفضل بالعقل خسره بالبخل ، وكلما زاد ابن عباد بالسخاء نقص بالحمق . على ان العقل لا يكون تاما وهناك خساسة، والسخاء لا يكون محمودا وهناك حماقة » فهو يصف ابن العميد هنا بالعقل ، وان كان لا يملك الا ان يسم هذا العقل بالنقص .

ولكنا لا نلبث حتى نراه ينكر على ابي الفضل ما يدعيه من فلسفة ، لان الفلسفة عنده سلوك قبل ان تكون معرفة ، والرجل في سلوكه بعيد عن سيرة الفلاسفة . فيقول :

« واما ابن العميد فمن هذا الذى يتفلسف على بصيرة ومعرفة وهو يرضى سيرته ، ويحمد هديه ، ويراه قدوة ، ويعده سعيدا ! كان الفلسفة انما تكون بالدعوى باللسان ، من غير عمل ومعاناة ورياضة ، وقمع الشهوة اذا غلبت ، وردع النفس اذا طغت ، واستطلاع الامور بالعدل المؤثر فيها ، وطلب السعادة ، والفوز في العاقبة ، على ما رسمه علماؤها ، وحققه حكماؤها . هيهات ! فلن لا تسافر فيه العين ، وقول لا يصبر على تفتح الكير »

ومرة اخرى تقلبه مشاعره ، ويفرط عليه قلمه ، فاذا هو يكاد يجرد ابا الفضل من كل فضيلة يعتز بها ، وينكر عليه دعوى العلم والمنطق وما الى ذلك مما يدعيه .

وبعد ، فهذه بعض ملامح من صورة ابى الفضل ابن العميد ، كما ارتسمت في نفس ابي حيان ، وكما عرضها في كتابه : « مثالب الوزيرين » .

وليس معنى ذلك ان هذه الصورة هي التي تمثل ابن العميد على حقيقته ، فليس هناك – في حقيقته الامر – حقيقة مطلقة يمكن ان توسم بها صورة اى انسان ، فالحقيقة لا تتعدد، وصورة اى انسان هي ما ينعكس عنه في عقل اى انسان آخر . ومن ذلك كان لكل انسان عدد من الصور بقدر من نظروا اليه واتصلوا به .

فابو الفضل بن العميد عند ابى حيان شخص يختلف عنه ، كثيرا او قليلا ، عنه عند مسكويه مثلا ، وهو عند مسكويه غيره عند سائر معاصريه

الذين يختلفون فيما بينهم في تمثله ، فضلا عمن جاءوا بعده ، واعتمدوا في رسم صورته على ما ما يؤثر عنه من هنا وهنا . بل ان له اكثر من صورة في نفس ابي حيان ، كما نعرف ذلك من كتابه .

فليس ينبغي ان يكبر في نفس احد ان تكوين هذه الصورة التي تمثلها ابو حيان هي صورة ابي الفضل بن العميد فيحمله اجلاله له ، وما وقر في نفسه مماكتبه الثعالبي ، مثلا ، ومن جاءوا على اثره عنه ، على ان ينفي نسبة هذه الصورة الى ابي حيان ، ويقول ان هذا خطأ وقع فيه ياقوت ــ وهو من اخبر الناس بالكتب واولعهم في صفتها ، والحكاية عنها ، وقد كانت الكتب صناعته ثم تورط فيه من جاءوا بعده ، نقلا عنه واتباعا له ، منذ ابن خلكان الى السندوبي ، ويذهب في لهجة المطمئن الواثق الى ان ابن العميد الذى كان يعنيه ابو حيّان انما هو ابو الفتح ابن العميد لا ابوه ابو الفضل (١) . مع أن كتاب « مثالب الوزيرين » بين ايدينا ، وقد نشر غير مرة ، وعنه صدرنا بالصورة التي قدمنا بعض خطوطها .

فالوزيران المقصودان في هذا الكتاب هما ابو الفضل ابن العميد والصاحب بن عباد . اما ابو الفتح ابن العميد فاذا كان عرض له فانما كان ذلك عرضا واستطرادا ، كما عرض لغيرهما ممن اتصلت حياتهم بواحد منهما ، كمسكويه خازن كتب ابي الفضل ، او ممن انساق اليهم حديثه عنهما ، كابي حامد المروروذى .

وكذلك عرض ابوحيان لابي الفتح ابن العميد ، في مواضع متفرقة من كتابه التفتت ذكره ، بما لايدل على سخط عليه ، او زراية به ، او رأى سيء فيه .

وكان ابو حيان قد اتصل بابى الفتح ابن العميد حين جاء بغداد في اوائل سنة ٣٦٤ . شابا في نحو السابعة والعشرين من عمره ، وكان قد خلف اباه ، فجلس مجلسه ، واضطلع بما كان يضطلع به لركن الدولة في الرى ، ونزل منه قريبا من المنزلة التي كان ينزلها ابوه ، ومن ذلك رأى ان يوجهه ، كما وجه ابنه عضد الدولة ، لنجدة ابن اخيه بختيار في العراق ، في خصومته مع سبكتكين ، وما ادت اليه هذه الخصومة من فتنة اشتعلت نارها في بغداد بين الشيعة واهل السنة ، واجتذبت اليها عناصر مختلفة، حتى ضاق الخناق عليه .

حتى اذا قرت الامور وهدأت ، وطاب ابو الفتح نفسا بما احرز من نجاح ، وبما اشعره به مقامه في بغداد من دَوْح ومتاع ، جعل يتخذ لنفسه فيها من مظاهر السؤدد وامارات الترف ما عرض ابو حيان لجانب منه ، وذلك اذ يقول :

« ودخل بغداد فتكلف واحتفل ، وعقد مجالس مختلفة ، للفقهاء يوما ، وللادباء يوما ، وللمتكلمين يوما ، وللمتفلسفين يوما ، وفرق اموالا خطيرة ، وتفقد ابا سعيد السيرافي ،وعلى ابن عيسى الرماني، وغيرهما ، وعرض عليهم السير معه الى الرى ، ووعدهم ومناهم ، واظهر المباهاة بهم . وكذلك خاطب ابا الحسن الانصارى ، وابن كعب وابا سليمان السجستاني المنطقى ، وابن البقال الشاعر ، وابن الاعرج النميرى ، وغيرهم » .

وكان ابو حيان يحضر هذه المجالس فيمن كان يحضرها من اهل العلم والادب . وقد تحدث في كتابه عن بعضها ، وحكى طرفا مما كان يدور فيها من حوار ومناظرة .

وجملة حديث ابي حيان عن ابي الفتح في كتابه يدل على انه كان راضيا عنه ، معجبا به ، وانه كان يرى فيه من مخايل النباهة ما كان جديرا ان يسمو به الى غاية رفيعة ، لو مُدّ له في اجله . وذلك في مثل قوله: « واما ابو الفتح ذو الكفايتين، فانه كان شابا ذكيا متحركا ، حسن الشعر ، مليح الكتابة ، كثير المحاسن . ولم يظهر منه كل ما كان في قوته لقصر ايامه ، واشتمال دولته لم طفوتها بسرعتها».وبعد أن يورد طرفا من شعره،ومنه قصيدة تتجاوز الثلاثين بيتا ، يقول : « وله كلام كثير ، نظم ونثر . وله في وصف الصديق (او : الفرس، في قراءة اخرى) ما يوفي على كل منظوم ، لو القته الايام لظهر منه فضل كبير » .

تلك هي صورة ابي الفتح ابن العميد التي مثلت في نفس ابي حيان ، اثناء مقامه في بغداد ، من خلال ذلك الجو الذى خلقه فيها بتلك المجالس العلمية والادبية التي احتفل لها وتأنق فيها . ولم يغير من تلك الصورة ماخذ اخذت عليه في اواخر عهده ببغداد .

لم يكن بد من ان يغادر ابو الفتح بغداد، بالرغم من افتتانه بها ، والتماسه شتى التعلات ليطيل

مقامه فيها ، لكي يراجع عمله في الري ، ويأخذ مكانه الذي تركه منذ اكثر من عام في ديوان ركن الدولة ، فقد خلف وراءه ، في ذلك الجانب من جوانب الحياة البغدادية،فراغا لا قبل لعز الدولة بختيار ولا لابن بقية ولا لغيرهما بان يملاه .

فقد كان طبيعيا ان يتطلع رواد تلك المجالس التى كان يعقدها ابو الفتح ، ومنهم ابو حيان الى مجلسه بالري ، استجابة لحاجاتهم العقلية والمادية ، واستجابة للدعوة التى كان يوجهها اليهم .

وهكذا نرى ابا حيان موليا وجهه مرة اخرى شطر الري ، وافدا على ابن العميد الابن ، كما وفد من قبل على ابيه . وقد قدم بين يديه رسالة ثناء ومدح وتأميل ، اورد نصها في كتابه في سياق حكايته بعض أمره مع الصاحب بن عباد .

ولسنا ندرى ماذا كانت عاقبة هذه الرحلة التى تجشمها ، وهو شديد الرجاء ، قوى الامل، ممتلىء النفس بصورة ابى الفتح التى عرفها في مجالسه البغدادية : كيف استقبله ، ماذا كان يدور بينه وبينه ؟ ما هو الانطباع الذى انطبعت به نفسه في ذلك المجلس الذى كان غشيه من قبل فلم يحمده ؟

لا ندرى . الا اننا يمكن ان نتحسس شيئا من امر ابى الفتح في هذه الفترة . والجو الذى جعل يعيش فيه ويعانيه ، ونتعرف الى شيء من طبيعة ابى حيان ، فربما اتصل ذلك بما نتساءل عنه .

لقد تعرض ابو الفتح منذ عاد من بغداد الى الري ، كارها او مكرها ، لطائفة من المكايد كانت تدبر له وتنسج حوله ، فان ما نشا بينه وبين عضد الدولة في بغداد من ريب ، وما امتد بينهما من سوء ظن متبادل،وما امتلا به قلب عضد الدولة من حقد عليه وحسد له ، لما أتيح له في بغداد من منزلة لم يبلغها ، كل ذلك لم يلبث ان نما وترعرع وتفرع ، وتحول الى عداوة تدب دبيبها وتحاول بلوغ اهدافها ، وابو الفتح كاللاهي عن ذلك ، لا يكاد يبالي ، « لقلة حنكته ، ونزق شبابه ، وتهوره في الامور » ، كما هي عبارة مسكويه في صفته . ولقد مكن لهذا النزق عنده ما اصاب من وصول سريع ونجاح لم يكلفه كثيرا ، ثم ما كان من ركون ركن الدولة اليه ، وثقته به ، وتكفافه الشديد عنده ، ثم ما اجتمع له من مال وفير ، مما ورث من ابيه وما اصابه في فترة مقامه في بغداد . وبهذا وذلك استطاع أن يصد عنه مكايد الكائدين ، وهم من هم .

وطبيعي ان يكون رجل كابى حيان ، لم تستطع الايام ان تصقله،ولا التجارب ان تهذب من حواشيه، اول من يناله ما صار اليه ابو الفتح ، وخاصة اذا نحن تمثلناه في الصورة التى يصوره بها ابو الوفاء المهندس ، في حديثه اليه عن مجالسه مع الوزير ابى عبد الله العارض اذ يقول له :

« ... ولعلك في عرض ذلك (أى عرض حديثه الى الوزير) تعدو طورك بالتشدق ، وتجوز حدك بالاستحقار ، وتتطاول الى ما ليس لك ، وتغلظ في نفسك ، وتنسى زلة العالم ، وسقطة المتجرىء، وخجلة الواثق . هذا وانت غر لا هيئة لك في لقاء الكبراء ومحاورة الوزراء ، وهذه حال تحتاج فيها الى عادة غير عادتك . والى مران سوى مرانك ، ولبسة لا تشبه لبستك ، وقلَّ من قرب من وزير خدم فاجاد ، وتكلم فافاد ، وبسط فزاد ، الا سكر ، وقل من سكر الا عثر ، وقل من عثر فانتعش » .

فاذا نحن تمثلنا ابا حيان في هذه الصورة في مجلس ابى الفتح ، وقد صار الى ما صار اليه ، مما افترضناه ،استطعنا ان نتصور — على نحو ما — كيف خاب مأموله فيه ، وخاصة ان الايام لم تمهل ابا الفتح ، فلم يلبث ان فقد بموت ركن الدولة اقوى ما كان يعتصم به في مواجهة ما كان خصومه يدبرونه له ، ثم لم يلبث ان ضاقت عليه الحبائل التى كان ينصبها من حوله عضد الدولة ومؤيد الدولة والصاحب بن عباد ، الى ان اطبقت عليه وانهت حياته ، وهو بعد لم يبلغ الثلاثين من عمره .

ومن هذا ، فيما نحسب ، لم يعرض لشيء من مساوئه الا بقدر قليل ، كرميه بالبخل على لسان الخليلي ، مقتصبا على ذلك بقوله : « وهذا عرق كان ينبض فيه من ابيه ، فان اباه كان عاليا في هذا الخلق » .

وهكذا نرى ان ابا حيان ، وان فات مأموله من ابى الفتح ابن العميد ، كان هواه معه رفيقا به ، متلطفا في الحديث عنه ، بقدر ما كان شديدا على ابيه ابى الفضل ، متجنيا عليه . ■■

طه الحاجرى

طرائف

تمهل

● قال عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز لابيه يوما : يا ابت مالك لا تنفذ في الامور على عجل ، فوالله لا ابالي في الحق ولو غلت بي وبك القدور . وجرت عليّ البلايا والمحن ، فقال له عمر : يا بني لا تعجل فان الله ذم الخمر في القرآن اولا ، ثم حرّمها في الثالثة ، وانا اخاف ان احمل الناس على الحق جملة فيدفعوه فتكون فتنة.

بين يحيى

● ركب يحيى بن خالد البرمكي مع هارون الرشيد فرأى الرشيد في طريقه جمالا قد حملت هدايا ثمينة فسأل عنها فقيل له : هذه هدايا خراسان الى امير المؤمنين بعث بها علي بن عيسى بن ماهان،

اشعر الناس

● ذكر صاحب الاغاني ان رجلا قال لجرير : من اشعر الناس ؟ قال : قم حتى اعرفك الجواب . فاخذ بيده وجاء به الى ابيه عطية بن الخطفى ، وقد اخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمتص ضرعها ، فصاح به : اخرج يا ابت . فخرج شيخ دميم رث الهيئة . فقال جرير : ترى هذا الرجل؟ قال : نعم . قال : أوتعرفه؟ قال : لا . قال : هذا ابي أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنزة ؟ قال : لا . قال: مخافة ان يسمع احد صوت الحلب فيطلب منه شيئا من اللبن . ثم قال جرير : اشعر الناس من فاخر بهذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم فغلبهم جميعا .

ليتك تسلم

● كان حاتم بن عنوان البلخي مشهورا بالزهد والتقى ، وله سيرة محمودة . ومما يروى عنه انه لما جاء الى بغداد اراد ان يلقى الامام احمد بن حنبل ، فمضى اليه ، فاستقبله ابن حنبل ببشاشة ورحب به ، وبعد حين قال له : اخبرني يا حاتم فيم التخلص من الناس ؟ فقال حاتم : يا ابا عبد الله في ثلاث خصال . قال : وما هي ؟ قال : ان تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئا. وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقا. وتحمل مكروههم ولا تكره احدا منهم على شيء .

فاطرق ابن حنبل هنيهة ثم رفع راسه وقال : يا حاتم انها لشديدة . فقال حاتم : وليتك تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم .

عربيـة

والرشيد

وكان ابن ماهان قد ولى خراسان بعد الفضل بن يحيى ، فقال الرشيد ليحيى: ابن كانت هذه الاحمال فى ولاية ابنك ؟ فقال يحيى : كانت فى بيوت اصحابها يا امير المؤمنين .' فأفحم الرشيدوسكت.

بشــــار

● كان بشار بن برد جالسا مـع احد الخلفاء وكان في المجلس احـد الثقلاء وكان دوما ينتقص شعر بشـار ويصفه بانه تافه ركيك فقال له : ما سلب الله من مؤمن كريمتيه (عينيه) الا عوّضه عنهما،امّا الحفظ او الذكاء او حسن الصوت، فما الذى عوضك عن عينيك ؟ فقال بشار : عوضنى العمى حتى لا انظر الى بغيض ثقيل مثلك .

للركوب فوائد

● لما كبر ابو الاسود الدؤلى واسن' كان يركب الى المسجد والسوق ويزور اصدقاءه ، فقال له رجل : يا ابا الاسوداراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت فلو لزمت منزلك كان أودع لك' فقال له ابو الاسود : صـدقت ولكن الركوب يشد اعضائى، واسمع من اخبارالناس ما لم اسمه فى بيتى ، واستنشق الريح والقى اخوانى . ولو جلست فى بيتى لاغتم بى اهلى ، وانس بى الصبى واجترأ على الخادم ، وكلمنى من اهلى من يهاب كلامى . لالفهم اياى وجلوسهم عندى حتى لعل العنزات قد تبول على' فلا يقول لها احد هش . . !

رايها فيهم

● قال ابو اليقظان : خطب عمر بن الخطاب ام ابان بنت عتبة بن ربيعة بعد أن مات عنها يزيد بن أبى سفيان .' فقالت: لا يدخل على الا عابسا ولا يخـرج الا عابسا ، يغلق ابوابه ويقل خيره . ثم خطبها الزبير فقالت : يد له على قرونى ، ويد له فى السوط . ثم خطبها على بن ابى طالب ، فقالت : ليس للنساء مـن وقته الا حظ قليل . ثم خطبها طلحة فأجابت فتزوجها . فدخل عليها على بن ابى طالب فقال لها : رددت من رددت منا وتزوجت ابن بنت الحضرمى! فقالت: القضاء والقدر . فقال : اما انك تزوجت اجملنا مرآة واجودنا كفا واكثرنا خـيرا على اهله .

المجتمع الإسلامي

في باكستان

مسلمو باكستان، اختلفوا في فهم الإسلام، ولهم فيه مدارس ثلاث

بقلم : عبد الرحمن الطاهر السورتي

معهد البحوث الاسلامية ــ اسلام آباد

■ ظهرت باكستان على خريطة العالم باسم الاسلام ، فقد كان ذلك من اولى المطالب التى بنيت عليها باكستان . لقد اسست باكستان على اعلاء كلمة لا اله الا الله . وكنت انا شاهدا الحفلة التى عقدت ببمباى تحت رئاسة المغفور له القائد الاعظم محمد على جناح ، عندما اهدى اليه فيها المصحف الكريم ، فقام القائد وقال : ان هذا المصحف الذى اهديتموه الى انما هو دستور باكستان .

هدف المسلمين فى العالم واحد

ان هدف المسلمين فى العالم واحد وهو اعلاء كلمة الله ، وعمل الخير ، وسوق القافلة الانسانية الى التقدم ، وابتغاء الاحسن ، وما فيه نفع الناس اجمعين . وقد صرح القائد الاعظم باننا اسسنا باكستان كمختبر لمبادىء اسلامية ، ولتكون بذرة تنشا منها دوحة تستظل بها الانسانية البائسة المعذبة المضطهدة ، وليقوم الناس فيها بالقسط ، ولا يعبدون فيها الا الله الواحد ، ويسود فيها العدل الاجتماعى من كل جانب ، ونجمع بها قوات المسلمين العالمية ، ثم ندعو العالم ليجرب مثل تجربتنا ويقتفى آثارنا حتى تشرق الارض بنور ربها ، ويعم الامن والسلام ، ولا يدعى الانسان انه اله لانسان ، ولا يفتقر انسان الى انسان ، ويكون الملك لله الواحد القهار .

مسلمو باكستان مختلفون فى فهم الاسلام

ان مسلمى باكستان كمسلمى العالم يؤمنون بدينهم الحق ويودون من اعماق قلوبهم ان يتكون فى بلادهم مجتمع اسلامى خالص . غير انهم مختلفون فى فهم الاسلام وتاويل تعليماته و تفسير كتاب الله وآياته وشرح سنة النبى صلى الله عليه وسلم وتبيين مصطلحات الفقهاء .

فمنهم من لا يعرف بسبب أميته من الاسلام الا اسمه ، ومنهم من عرف الاسلام من عمل آبائهم او كتب علمائهم الاولين ، ومنهم من عرف الاسلام بمؤلفات المستشرقين فى لغات أجنبية .

تعليم الاسلام فى المدارس والكليات

وبناء على رغبة الشعب الباكستانى فى تعليم

الاسلام جعلت الحكومة تدرسه الزاميا للطلاب في الفصول الابتدائية وفي الثانوية ، يتعلمونه حسب المناهج المقررة من الحكومة . والطلاب الآخرون يتعلمون الاسلام كموضوع اختياري في الكليات والجامعات ويحصلون فيها الشهادات العليا كالماجستير والدكتوراه .

وهناك اكثر من ستمائة مدرسة عربية يتعلم الطلاب فيها علوم الدين عن طريق الكتب العربية اكثر هذه المدارس بل كلها تديرها الجمعيات او علماء الدين وينفقون عليها من تبرعات الاغنياء والموسرين.

وهيئة الاوقاف لها دور في الدين محمود

وهناك هيئة الاوقاف التي تولت ادارتها الحكومة وكانت من قبل ذلك فوضى ، ومنذ تولتها الحكومة ظهرت فيها اصلاحات نافعة للشعب . وهيئة الاوقاف عندنا تقوم بطبع الكتب الدينية القيمة ، كما شكلت اكاديمية (علماء اكاديمى) لتدريب ائمة المساجد والخطباء وفتحت لهم فصولا تنشيطية لمدة ثلاثة اشهر يلقى فيها اساتذة الجامعة الخبراء محاضرات في موضوعات حديثة علمية ليعرف الائمة والخطباء مدى رقى العلوم الحديثة والاتجاهات الجديدة . وهذه الاكاديمية لها مكتبة قيمة يستفيد فيها العلماء من الكتب الدينية والعلمية . وهذه الاكاديمية تستهدف كذلك اصلاح مناهج المدارس العربية ايضا .

وهيئة الاوقاف تدير ايضا جامعة بهاولبور ويتعلم فيها الطلاب العلوم الاسلامية العالية باللغة العربية . والهيئة بكل قواها لاتزال ترفع مستوى التعليم الدينى حسب المقتضيات العصرية .

ولهيئة الاوقاف مزية اخرى لاتساويها مزية وهي انها تجمع بكل امانة جميع القرابين والنذور التي يتقرب بها الناس على الاضرحة ، وتنفقها في سبيل الله على ذوى العاهات والزمنى والمرضى والايامى وفي تزويج البنات الفقيرات ، وفي مكافحة الامية .

وتحقيقا لرغبة الشعب المتزايدة في ان يعمل باحكام الاسلام ويتبع اوامر الله اسست الحكومة معهد الابحاث الاسلامية ومعهد الثقافة الاسلامية ليمدا ادبا اسلاميا . ويطبعا مؤلفات علمية دينية ليهتدى الشعب الى حل المسائل الجديدة على ضوء العلم والعقل والحرية ، لان الكتب لها تاثيرها في بناء المجتمع .

.. ومجهودات في توثيق القوانين الاسلامية

وهناك مجهودات جبارة في توثيق القوانين الاسلامية ويقوم بهذا العمل مجلس النواب المركزى ومجالس النواب الاقليمية ويراجع المجلس في التشريع الاسلامى الهيئة الاستشارية الاسلامية

ونهضات دينية سابقة فاشلة لم تفت في اعضادهم

ان في عامة المسلمين بباكستان رغبة ملحة مستمرة في قيام اى نهضة دينية لينخرطوا في سلكها ، وعندما يدعوهم داعى الاسلام تراهم يلتفون حوله باذلين اقصى طاقاتهم ، وهذه الرغبة لاتزال تتجدد فيهم على الرغم مما بهم من ياس بسبب نهضات دينية سابقة فاشلة ، لان اكثرهم يؤمنون بان الاسلام حق ، وان سبب فشل النهضات الدينية السابقة انما هو خطا قائدى هذه النهضات وقلة خبرتهم اوسوء فهمهم لمقتضيات عصرهم ومتطلبات عهدهم .

واذا امعنا النظر في معرفة كنه هذه الظروف مجتمعة راينا ان الشعب المسلم فقد الزعامة المتحمسة المؤمنة بتعاليم الاسلام .

ثلاث مدارس في معركة الدين بباكستان

ومنذ ان نشبت المعركة بين مسلمى شبه القارة (الهند وباكستان) وبين الحضارة الغربية الحديثة اضافة الى تحدى استيلاء اوربا السياسى لهم باستمرار ، ترى في باكستان ثلاث مدارس او وجهات نظر دينية قبلت هذا التحدى ونازلته في هذه المعركة .

وهذه القوات الثلاث التى تدير المجتمع الاسلامى في باكستان تظهر آثارها في شعب باكستان ، ويرتكز عليها قوام النشاط الدينى في بلادنا ، ولانذكر منها في هذه المقالة الا ما بقى من نشاطها في باكستان بعد انقسام شبه القارة الهندية .

المدرسة الاولى

فالمدرسة او وجهة النظر الاولى تعرض عن جميع التطورات العلمية راسا ، ولا تعترف بالمقتضيات العصرية اصلا ، وترى الدنيا واقفة

في المكان الذي كانت فيه قبل اربعة عشر قرنا ، فعليها ان تقضي حياتها وتتمسك بالدين كاسلافها بدون اي تغيير ، وان اي محاولة لفهم التطورات الحديثة والمقتضيات العصرية زور ونفاق .

ومن اتباع هذه المدرسة وحماتها جميع المحافظين على القديم مع اختلافاتهم ، فمنهم المتشددون المتصلبون المتطرفون ، ومنهم دون ذلك ومعهم الاغلبية الساحقة من المواطنين ، وعندهم علماؤهم ومفتوهم يفتون ويحللون ويحرمون ويكفرون ويفسقون ، ولفتاواهم تأثير في اثارة الرأي العام، وعندهم وسائل تنشر افكارهم بالقلم واللسان ، ولبعضهم مهارة في ابداء آرائه ، وله اسلوب جذاب للبيان والتبيين ومعه جماعة منظمة تؤيد آراءه وتستميت في سبيل تنفيذ أقواله واوامره .

وليس تفسير القرآن عندهم الا ما دوّن في تفاسير السلف لاسيما في صدر الاسلام ، وليس لاحد الحق في ان يقول في التفسير شيئا جديدا لم يقله السلف ، ومعنى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم واحاديثه مذكور في مؤلفات الفقهاء القدامى وليس لاحد ان يجاوز تأويلاتهم . وكذلك القول في معنى الشورى والاجتهاد والاجماع وغيرها من المصطلحات الدينية .

ان هذه المدرسة لتبذل جميع مجهوداتها الفكرية والعلمية وقواتها الاستدلالية والبيانية لتثبت ما دونه الفقهاء القدامى في كتبهم كما تقيد العصر الحاضر المتقدم المتحمس بقيود المسائل الفقهية التي دونها الفقهاء العقلاء المهرة وفقا لمقتضيات عصورهم ومتطلبات مستوى زمانهم، تحت ظروفهم الاجتماعية الخاصة قبل قرون . وليس لديها حينما تواجهها المسائل الحديثة ـ مثل فائدة البنوك او التأمين، او ملكية الارض او اصلاحات زراعية ، او شكاوى عمال المصانع او مسائل دستورية او سيادة نهائية ، او حرية المرأة وتحديد حجابها او تحديد النسل او تعدد الزوجات او رؤية الهلال وما شاكلها ـ الا ان تعيد ما كتبه السلف بعبارات جديدة واسلوب متين . ولا تبالي بمخالفتها روح العصر المتطور وما بلغ الزمان من المستوى العلمي.

المدرسة الثانية

وهناك مدرسة ثانية او وجهة نظر ثانية تتبرأ من كل قديم الا القرآن وتريد ان ترمي عن ظهورها جميع الاثقال القديمة التي تحملها المدرسة الاولى وتحسبها حواجز تحول دون الوصول الى الاهداف الاسلامية السامية . وهذه المدرسة تبدي آراءها على جميع المسائل الحديثة من ربا البنوك . الى حرية المرأة وما شابهها . ولها اتباع غير انهم يعدون على الاصابع . ويرى بعض النقاد ان لديها مقدرة على فهم المسائل الجديدة اكثر من المدرسة الاولى ، وهذه المدرسة ترى المسائل كلها على ضوء القرآن المجيد وحده ومدى مستوى العلم الحديث تاركة الروايات القديمة . وتأتي احيانا بتفاسير وتأويل لا تكاد توجد عند القدامى .

ومن ميزات هذه المدرسة التشكيك فيما يروى من الاحاديث ، وما دون في الكتب الفقهية بشدة ، والبراءة من التصوف ، وعدم الاعتماد الكلي على اي تفسير . ويتهمها بعض العلماء بالانانية المتصلبة والكبر الفاحش والاغترار بمعرفتها وفقد الثقة بالسلف لعدم معرفتها مكانتهم العلمية .

وتحاول هذه المدرسة ان تنتمي الى السير سيد احمد خان او العلامة الدكتور محمد اقبال لما ترى فيهما من مسايرة الزمن ومراعاة مقتضيات العصر الحاضر ، وهي تنسى ان احدا منهما لم يقم الثورة ضد الاحاديث والآثار كما فعلت هي ، حقا انهما كانا لا يتفقان مع القدامى في كل امر ومع ذلك لم يكونا يستهزئان بهم ولا يستخفان بهم ، بل كانا يقدرانهم غاية التقدير .

المدرسة الثالثة

اما المدرسة الثالثة ففيها العلماء الذين اطلعوا على القديم والحديث ، يدركون مسائل الحياة الجديدة ومقتضيات التطور العلمي اضافة الى معرفتهم بالاحكام القرآنية والتعليمات الدينية الحقيقية . واولئك المقتصدون ، انظارهم واسعة ، وصدورهم رحبة ، وافكارهم عالية ، يجتهدون ان يضعوا كل شيء في محله ، يغلون في دينهم ويشغل بعضهم وظائف حكومية في معاهد اقامتها الحكومة للابحاث الاسلامية غير انهم لم ينجحوا في اصلاح المجتمع الاسلامي لتوتر العلاقات بين المدرسة الاولى والحكومة .

وهذه المدرسة ترى من اللازم ان يبحث العلماء واولو امر المسلمين عن حلول بعض المسائل الهامة

التي تواجهها الامة المسلمة على ضوء التعليمات الاسلامية .

اصلاح ما بين الفقر والغنى

من ذلك اصلاح النظام الاقتصادي غير المتزن لان الفقر الى الناس داء عاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم . فقد ورد في الحديث انه قال : اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفقر فقال احد اصحابه : او يعدلان يا رسول الله ؟ قال : نعم». « وهذه هي الحكمة التي ادركها الوعي العالمي اليوم فلن يرضى ابدا على الخسف والضيم والفقر والظلم ولو كان باسم مقدس . وقد حل هذه المشكلة كثير من البلدان غير الاسلامية ، ومع الاسف ترى الشعوب الاسلامية لاتزال الى اليوم ترزح تحت اثقال الفقر والذل والمسكنة مع ما عندهم من اوامر الله بالانفاق في سبيله والجهاد بالاموال والصدقات والزكوات والنهي عن الكنز والتكاثر وحب الخير وتكديس الاموال حتى تكون دولة بين الاغنياء منهم . وتؤكد هذه المدرسة انه لن تفلح امة في هذا العصر ابدا مالم تحل هذه المشكلة الاقتصادية ، وان صلت وصامت وقالت انى مؤمنة . ومن المعلوم ان هذه المشكلة لن تدوم وستزول بالقريب العاجل ، غير ان فلاح الاسلام وسعادته يهتم بان يستاصل هذا الداء باسم الاسلام قبل أن يستاصل باسم غيره .

حرية المراة وحدود حجابها

وهناك مسالة حرية المراة وحدود حجابها والى اي مدى تسهم في بناء المجتمع وماذا يجوز لها من الاشغال والحرف والمناصب ، لان المراة اذا بقيت بلا عمل تعطل نصف المجتمع ، وان تتقدم الامة وهي تحمل نصفها على عاتقها .

ثم مسالة التعليم

اما المسالة التعليمية وانسجام التعليم مع المقتضيات العصرية والمبادىء الاسلامية فانها من المعضلات الكبرى ، وارى اننا لم نتغلب على هذه المشكلة بعد ، غير ان مشروع التعميم الجديد قام بمحاولة ناجحةلحلهذه المشكلة بتاكيده ان مسالة التعليم تحتاج الى اصلاح مستمر وليس هناك حكم نهائي فيهـا .

وموقف الاسلام تجاه سائر الاديان

وهنـاك مسالة هـامة جدا يلزمنا التفكر فيها وهي : ما هو موقف الاسلام تجاه الاديان والثقافات الاخرى ؟ وهل نعامل غير المسلمين معاملة الاعداء وهم لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا ، ونشن عليهم الغارات وهم يجنحون للسلم، ام نتم اليهم عهدهم الى مدتهم ونستقيم لهم ما استقاموا لنا ، ونتعاون على البر والتقوى ، ونعدل ونصاحبهم في الدنيا معروفا ؟

كل هذا يدعونا الى ان نعيد النظر في معاملتنا غير المسلمين وان ناخذ العلم والحكمة واصابة الحق اينما كانت ، ولا يجرمننا شنئان قوم على ان لا نعدل .

ثم مسالة وحدة العالم الاسلامي

وهناك مسالة وحدة العالم الاسلامي . وهـذه مسالة لا يختلف فيها مسلمان ، وهي ضرورة دينية لان فريضة تبليغ الدين لا تتم الا بها، وان رسالة الاسلام رسالة الى العالمين . رسالة الامن والسلام والرحمة الى الناس اجمعين ، رسالة تسرع سير القافلة الانسانية الى الخير ومافيه نفع الانسانية جمعاء ، ولا نؤدي هذا الواجب الا بعد ان نوحد كلمتنا ونجمع شملنا ونكون اسوة للناس في الاتحاد والاخوة والمواساة .

واللغة العربية

واخيرا احب ان ابدي رايي في بث اللغة العربية فان لها تاثيرا قويا في وحدة العالم الاسلامي وتمتين علاقاتالمسلمين فيما بينهم وبها يبتديء فهم القرآن الكريم وتدبره وتحافظ على الثقافة الاسلاميـة والميراث العلمي الذي نفتخر به دائما وان هذه هي اللغة الوحيدة التي لا يختلف في اهميتها مسلم وانها جديرة بان يتخذها المسلمون لغتهم الدولية. ولزاما علينا ان نتخذ اجراءات جدية في سبيل بث هذه اللغة المباركة للاسلام والمسلمين عسى الله ان يصلح اخر هذه الامة بما اصلح به اولها .

والله المعين . ■■

عبد الرحمن الطاهر السورتي

أنت تسأل .. ونحن نجيب

تعلق الزوج بوالديه واخوته

● مشكلتي يا سيدي تنحصر في تعلق زوجي الشديد بوالديه واخوته .. انني لا أشكو من مساعدته لهم ، فهذا واجب على الابناء تجاه الاباء .. ولكن عندما تشعر الزوجة أن المسألة قد تعدت حدود المساعدة ، وأنها أصبحت استغلالا بشعا ، كما كان الحال دائما قبل زواجنا ، الذي لم ينقض عليه أكثر من بضعة شهور ، وعندما تشعر بأن زوجها دائم التفكير في والديه واخوته حتى في أسعد اللحظات التي يقضيها معها ، كأن يفكر مثلا في دعوة أمه أو أخوته لمشاركته هو وزوجته في رحلة يقومان بها ، أو اقتطاع جزء كبير من مرتبه لشراء الهدايا وارسالها لهم بمناسبة وبغير مناسبة ، رغم علمه بحاجته وحاجة بيتنا الى أشياء كثيرة تنقصنا ، ورغم ادراكه للديون المستحقة علينا ، عندما تشعر الزوجة بهذا كله ، فلا بد أن ينتابها الضيق وتشعر بالحيرة .. ماذا تصنع ، وكيف تتصرف ؟ انني أحاول جهدي أن أساهم في نفقات البيت من مرتبي الصغير الذي أنفقه كله عن طيب خاطر ، وأنا لا أعترض على استمرار زوجي في مساعدة والديه واخوته ، ولكن اعتراضي كله ينصب على ألا تكون هذه المساعدة أكبر مما تحتمله ميزانيتنا وامكاناتنا المالية .

م. م/ الاردن

— واضح من خطابك ، انك زوجة فاضلة ليست طامعة في شيء سوى سعادة بيتها وزوجها ، وسوف يكون لك ما تريدين عندما تمتد عشرتكما وتطول ، لانك ما زلت حتى الآن شيئا جديدا في حياة زوجك الذي ما زال يعيش ويفكر بعقلية الرجل الاعزب . .

اما مساعدة الوالدين ، فهي واجب لا شك في ذلك ، كما ذكرت انت في رسالتك بشرط ان يكونا في حاجة الى المساعدة ، والا تتجاوز حدود امكانياتكما

ولكنك تقولين ان مساعدة زوجك لوالديه قد تجاوزت فعلا حدود المساعدة المألوفة ، وهو شيء غير عادي ، فالمفروض ان الآباء يحرصون على اموال ابنائهم حرصهم على اموالهم الخاصة ، وربما اكثر ، لانهم يعطون اكثر مما يأخذون ..

اما هذا الاستغلال الذي تتحدثين عنه ، فقد يوجد عند بعض الآباء ، ومصدره الجهل أو مصدره الغفلة ، اذ كيف يفكر أب في استغلال ابنه أو تفكر أم في امتصاص موارد ابنها ، وهما اللذان ربياه وانفقا في سبيل تعليمه وتثقيفه كل ما يملكان ؟

لا بد أن في الأمر شيئا ، فليس هناك اب ينتظر أجرا على تضحياته ، وليست هناك أم تتوقع أى مكافأة على ما بذلته من جهد في سبيل تربية أبنائها .. فكم من آباء يعيشون في ضيق ، ومع هذا يرفضون مساعدة أبنائهم لهم .

اغلب الظن ان زوجك يشعر من تلقاء نفسه ، انه مدين لأبيه وامه ، وانه يريد أن يسدد لهما هذا الدين ، ومن هنا كان اغداقه عليهما وعلى اخوته ، لكي يشعرهم بان الطفل الصغير قد كبر الآن ، واصبح رجلا ، وانه قادر على ان ينفق عن سعة .

وقد كان الواجب على الأب والأم في مثل هذه الحالة ان يتوجها الى ابنهما بالنصح والارشاد حتى يشعر بقيمة المال الذى يبعثره يمينا وشمالا بغير حساب ، فاذا لم يمتثل اقتصداه له عندهما ،



حتى اذا جاء اليوم الذى احتاج فيه اليه ، قدمه له ، فكانت فرحته به كبرى .

حاولي ان تجعلى زوجك يشعر بمسئولياته الجديدة بعد الزواج ، وتاكدى ان هذا الحال لن يدوم .. اما اخوته فهو مسئول عنهم ما داموا قصرا ، وعليه واجب مساعدتهم ، وخاصة اذا كان الاب غير قادر على الكسب ، اما اذا كانوا قد تجاوزوا سن الرشد ، فقد اصبح كل واحد منهم قادرا على كسب قوته مسئولا عن نفسه .

لكن ان الحال سوف يتغير عند وصول طفل لكما، وسوف يضعف تعلق زوجك بوالديه ، ويزداد ارتباطه باسرته الجديدة ..خذى زوجك بالحسنى، دعيه يدرك حجم المسئوليات الجديدة التى تتطلبها حياتكما بعد الزواج وحدود المساعدات التى يمكن ان يقدمها لوالديه واخوته،حاولي انت ان تقتصدى فمال زوجك هو مالك انت ، والواجب يحتم عليك ان تحرصي عليه .

(م. ن)

٠٠٠ر٥٠٠ر٨١ دولار
دخل فيلم العراب بعد ٩ شهور من عرضه

● قرأت حديثكم عن السينماوالخداع السينمائى في « العربى الصغير » مؤخرا . ولفت نظرى قولكم بأن بعض الافلام السينمائية يكلف عشرات الملايين من الدولارات ، ويعود على أصحابه بعشرات الملايين . فهل في الامكان أن تعطونا مثلا من هذه الافلام ... !

عبد الله رياض ـ دمشق ـ سورية

ـ خير مثل يعطى في هذا الصدد هو فيلم «العراب» الذى عرض وتكرر عرضه في مدن عديدة، فقد بلغت ايرادات هذا الفيلم (٠٠٠ر٥٠٠ر٨١) دولار ، وذلك حتى نهاية الشهر التاسع من بداية عرض هذا الفيلم في مطلع سنة ١٩٧٢ ، وهذا مبلغ ضخم حقا ، ويفوق دخل الفيلمين الشهيرين «صوت الموسيقى» و « ذهب مع الريح » ، فقد بلغ مجموع دخل الأول منذ بداية عرضه سنة ١٩٦٥ ، حوالى ٧٢ مليون دولار ، وبلغ مجمل دخل الثانى الذى استمر عرضه طوال ٣٠ سنة نحو ٧٧ مليون دولار .



واليك فيما يلى بعض الافلام التى اشتهرت بأرباحها :

قصة حب	٥٠ مليون دولار
دكتور جيفاكو	٤٨ مليون دولار
المطار	٤٥ مليون دولار
الوصايا العشر	٤٣ مليون دولار
ماش	٣١ مليون دولار

(المرجع مجلة تايم ٧٣/١/١٥)

(ى. ز)

لقيت منــه الامرين

● نقرأ في أدبنا ولا سيما القديم هذه العبارة « لقيت منه الامرين » فما هذان « الامرّان » ثم الا يوجد لهما ثالث ورابع .. ؟ وما معنى العبارة ؟

عبد الجليل حسين ـ القاهرة

ـ يقال « لقيت منه الامرين » أو « ذقت » او « قاسيت » وما هو بهذا المعنى ، اي لقيت منه شرا ، أو كربا شديدا ، ويفسر الامرّان بالفقر والهرم ، وكفى بواحد منهما شرا وبلاء ، فكيف اذا اجتمعا ؟ انهما لفي قسوة القتل ، بل القتل المتجدد طالما عاش المبتلى بهما ، وهذا فوق طاقة النفس ، وفوق طاقة اللحم والدم . فالفقر بلاء ساحق مهما يقل القائلون في تهوين وطأته ، لأنه يهدر آدمية صاحبه في نظر نفسه ونظر الآخرين ما لم يجد منه مخرجا ، ويهبط به من سيىء الى اسوأ في نفسه وحياته ، حتى ليكون الموت أكرم منه وارحم .

والهرم موت بطيء متجدد الآلام، متزايد الأسقام، وقد احسن القرآن الكريم وصفه ، اذ سماه « أرذل العمر » فالمرء فيه ـ غالبا ـ عالة على الآخرين ، مع ضيقهم باحتماله ، ومع شعوره هو بذلك غالبا ولو كانوا ذريته ، ومهما يبلغوا من البر والصبر واللطف به ، لأن مطالبه مطالب الأطفال سواء مع نفسه او المحيطين به ، وهو يدل ادلال الأطفال ، ولكنه يعرف ما يجهلون ، فلا تستطاع تلهيته مثلهم ، لصرف ذهنه عما يتمسك به ، ثم هو يذكر احسانه السابق لأهله وغيرهم ، ويستشعر حقه في أن يقاضيهم بعض ديون احسانه، وهو في اشد الحاجة الى الشعور بهذا الفضل عليهم ، لينفي عن نفسه أنه رزئة عليهم دون مسوغ ، وأنه بمنزلة المتطفل او المتفضل عليه ، لأن هذا الشعور ـ حتى امام الابناء البررة ـ اقسى من سقم وألم ينال الجسم أو النفس ، والموت حينئذ رحمة وكرامة ، وتقول العرب ايضا « لقيت منه المرّيين » والمرّى مؤنث الأمرّ ، وكلاهما اسم تفضيل ،كما تقول « الأكبر والكبرى» وهذه العبارة مثل« لقيت منه الأمرين »في المعنى ، وكذلك تقول العرب « لقيت منه البُرَحَيْن والأقورّين » ، والمعنى واحد . ويلاحظ ان هذه الأسماء الثلاثة « الامرين والبرحين والاقورين » وردت مثناة ، وكذلك ترد جمعا ، فيقال لقيت منه الأمرّين والبرحينَ والأقورين » وكلها كناية عن الشر والكرب ، وليس المراد بها اثنين او جمعا ، وان وردت في صيغة التثنية والجمعية ، ولا غرض من ذلك الا المبالغة ، وهذه سنة بلاغية من سنن اللغة العربية أن تثني وتجمع ، مع أن المقصود مفرد . وعلى هذه السنة البلاغية حمل بعضهم قول الله تعالى : « ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله » وليس المراد الا المسجد الحرام في مكة ، وازالة سلطان الوثنيين عنه ، وقوله تعالى: « واذا قتلتم نفسا فادّارأتم فيها » ، ولم يرتكب القتل غير واحد ، وكذلك يخاطب الشاعر العربي صاحبين واصحابا وليس معه الا صاحب ، ولو خيالا .

ويكثر في الشعر العربي ـ لا سيما القديم ـ ان يعبر بضمير الجمع المذكر في حالة المتكلم او الخطاب أو الغيبة ، فيقال نحن وأنتم وهم ، ونحو ذلك ، والمقصود مفرد او مفردة . وقد نسب الى النبي عليه السلام انه قال : « ماذا في الأمرين من الشفاء » والمراد بالاستفهام هو الاخبار بكثرة الشفاء في هذين الأمرين ، ويقصد بهما عقاران : أحدهما الصبر ، وهو دواء مر معروف يضرب المثل بمرارته والثاني الخردل وهو حب صغار شديد الحرافة والحدة، وقد انزلت حرافته منزلة المرارة ، ولذلك اقترن بالصبر في التثنية فقيل « الأمران » ومن السنن البلاغية في العربية تغليب احد القرينين على الآخر ، فيثنيان بلفظ معا ، مثل العمرين لأبي بكر وعمر ، و «الحسنين» للحسن والحسين ابني الامام علي ، «والشمسين» و « القمرين » ولم يعرف العرب الا شمسا واحدة وقمرا واحدا .

(م.خ.ت)

ذهب اكثر الاستعمار .. ولكن له بقايا

● نحن الآن في الثلث الاخير من القرن العشرين . وما زلنا نسمع عن مستعمرات لبريطانيا ولامريكا ولفرنسا وللبرتغال ولغيرها من الدول .. فهل لكم أن تذكروا لنا نبذة عن الاماكن التي لا تزال مستعمرة حتى الآن ..

عدنان محمد أبو شعبان ــ الكويت

ــ لا يزال هناك حتى الآن العديد من الاماكن التى تقع تحت نير الاستعمار الاجنبى ، ولكى تكون اجابتنا على سؤالك محددة سنذكر لك اهم واكبر الاماكن التى لا تزال واقعة تحت الاستعمار في القارات الاربع ، مع ذكر الدولة المستعمرة .

في افريقيا :

١ ــ عفار وعيسى (الصومال الفرنسي سابقا) وعاصمتها جيبوتى وتستعمرها فرنسا .

٢ ــ انجولا وتستعمرها البرتغال وتبلغ مساحتها ٤٨١ر٣٥١ ميل مربع ويقطنها ٥ر٤٦٦ر٦٠٠ نسمة وعاصمتها لواندا Luanda.

٣ ــ جزر رأس فردى وتستعمرها البرتغال وسكانها ٢٤٤ر٨٠٠ نسمة .

٤ ــ جزر كومورا وتقع تحت الاستعمار الفرنسي وسكانها ٢٧١ر٩٦٢ نسمة .

٥ ــ غينيا المسماة بالبرتغالية وتستعمرها البرتغال وسكانها ٥٣٠ الف نسمة .

٦ ــ موزمبيق ومساحتها ٣٠٢ر٠٧٣ ميل مربع ويقطنها ٧ر٥٩٦ر١٠٠ نسمة وتقع تحت الاستعمار البرتغالى .

٧ ــ جزيرتا سيشل وسانت هيلانة وتقعان تحت الحكم البريطاني .

٨ ــ جنوب غرب افريقيا (ناميبيا) وتقع تحت حكم حكومة جنوب افريقيا ومساحتها ٣١٧ر٨٢٧ ميلا مربعا وسكانها ٦١٥ر٠٠٠ نسمة .

٩ ــ الصحراء الاسبانية وتقع تحت الحكم الاسبانى وقد اكتشف فيها مؤخرا مناجم غنية بالفوسفات ويبلغ عدد سكانها ٦٤ر٥٨٨ نسمة ومساحتها ١٠٢ر٧٠٠ ميل مربع .

في آسيا :

١ ــ بوتان مملكة تحت الحماية الهندية .

٢ ــ هونج كونج مستعمرة بريطانية ،مساحتها ٤٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٤ر٠٨٩ر٠٠٠ نسمة.

٣ ــ ماكاو مستعمرة برتغالية ، مساحتها ٦ اميال مربعة وعدد سكانها ٢٦٠ر٠٠٠ نسمة .

٤ ــ جزر ريوكو (yuku) تحت الحكم الامريكى ، مساحتها ٨٤٨ ميلا مربعا وسكانها ٩٨٩ر٠٠٠ نسمة

٥ ــ مملكة سيكيم وهى تحت الحماية الهندية.

أوربا :

١ ــ جزر مان تحت حكم التاج البريطاني .

وغيرها من الجزر الصغيرة التى تتبع الدنمارك والنرويج وانجلترا .

امريكا :

١ ــ جزر البهاما وعاصمتها ناساو وهى مستعمرة بريطانية تتمتع بالحكم الذاتى .

٢ ــ جزيرة برمودا وهى مستعمرة بريطانية تتمتع بالحكم الذاتى .

٣ ــ هندوراس البريطانية تتمتع بالحكم الذاتى .

٤ ــ منطقة قنال بنما تستعمرها امريكا في المنطقة المحيطة بقنال بنما .

٥ ــ جزر العذراء Virgin Islands مستعمرة امريكية . وهناك مستعمرات بريطانية في هذه الجزر .

٦ ــ جزر الانتيل الهولندية مستعمرة هولندية تحت الحكم الذاتى .

٧ ــ جوا ديلوب تحت الاستعمار الفرنسي .

٨ ــ غيانا الفرنسية مستعمرة فرنسية .

الاوقيانوسيا :

واغلب هذه المناطق موزعة بين الاستعمار الامريكى والبريطانى والاسترالى والنيوزيلندى .

(م. ط)

كابرال .. اغتاله البرتغاليون لأنه قاد حركة تحرير غينيا المسماة بالبرتغالية.



صـــولـــون
مشرّع اليونان القديم

● أرجـو ان تعطونا فكـرة عـن صولون ، رجل السياسة الشهير في تاريخ اليونان القديم .. فقد حدثتمونا عن بريكلس وديموستينس وغيرهما من عظماء الاغريق ونتمنى لو حدثتمونا عن حياة صولون وتشريعاته في باب أنت تسأل ونحن نجيب .

بكر عابد ـ الرقه

ـ لعلّ اطرف ما يذكر عن هذا المشرع اليونانى القديم : شيئان : اولهما شعْره وثانيهما تجارته. فقد كان شاعرا مجيدا نظم في الغزل والحب وفي الاخلاق والسياسة . ولعله كان اقدم شاعر عرفته اثينا ومنطقتها اتيكا .

وكان صولون كذلك تاجرا . ولعل الفقر هو الذى دفعه الى تعاطى التجارة . ذلك ان عائلتـه الارستقراطية لم تنل من بحبوحة العيش مثلما اصابت من النبل والوجاهة ، على الاقل في الفترة التى نشأ فيها صولون وترعرع ؛ اى في النصف الثانى من القرن السابع قبل الميلاد . لا غـرابة اذن ان ترك صولون اثينا في وقت مبكر وراح يتنقل بين مختلف الدول والمدن ويمارس التجارة بمعناها الأوسع .

وعاد صولون الى اثينا سنة ٦١٢ ق.م ، وقد صار غنيا ، كما بيدو،ورغب في الراحة والاستقرار. الا أن مشاعره الوطنية لم تلبث ان تحركت فانطلق يحثّ الاثينيين،ويثير حماستهم لكى يستردوا جزيرة سلاميس من اعدائهم .

ونجح صولون في مهمته واذا باهل اثينا يقدرون له صنيعه ويختارونه،ارخونا او رئيسا لجمهوريتهم، سنة ٥٩٤ ق.م. وهكذا برزت مواهب صـولون الاخرى ، وتسنى له تحقيق الاصلاحات التى طغت شهرته بها على شعره وتجارته .

ويمكن تقسيم هذه الاصلاحات الى قسمين : قسم عملى او تطبيقى والقسم الاخر نظرى او تشريعى . واهم ما يذكر من اصلاحاته العملية تحريره العبيد الذين دخلوا العبوديّة بسـبب عجزهم عن دفع الديون المترتبة عليهم . ورافق ذلك تحرير الاراضي من غاصبيها وهم الدائنون ، واعادتها الى اصحابها الاولين ، وهم المدينون ، الذين لم يتمكنوا من الوفاء بديونهم . وكانت اثينا قد الفت تلك الاجراءات القاتلة التى وضعها دراكو Draco قبل اكثر من قرن . وقد شجعت تلك القوانين الاولى الربى على أوسع نطاق واجـازت بيع شخص المدين وزوجته وأولاده في سوق الرقيق، فضلا عن الاستيلاء على أملاكه ، اذا هو تخلف عن دفع دينه . وهذا يعنى ان نظام الحكم في اثينا كان في ذلك الزمن نظاما ارستقراطيا وظالما في جوهره وان بدا ديمقراطيا في مظهره . ولم يفت صـولون ملاحظة ذلك . وقد تبين ان الطبقة الارستقراطية هى وحدها التى سمح لها بتولى المناصب وتصريف شؤون الحكم . لذلك اقدم صولون على اعادة تقسيم المجتمع الاثينى الى طبقات وجعل اساس التمييز بين هذه الطبقات الجديدة العمل وبذل الجهد ومقدار الدخل بدلا من المكانة العائليـة المتوارثة ، وهى التى ميزت بين الطبقات القديمة وهكذا اصبح في امكان ابسط الناس مولدا ان يصبح عضوا في اعلى مجالس الدولة ، ويحتـل اعلى المناصب ، اذا هو أراد ذلك وسعى اليه بهمته وعمله .

وتشـمل اصـلاحات صـولون العملية ايضـا استيراده الصناع والعمال المهرة من مدن اخـرى للعمل في اثينا . فقد اراد نشر الاعمال الصناعية في تلك المدينة الدولة التى اعتمدت فيما سبق على الزراعة . ومنح صولون الجنسية الاثينية لاولئك العمال تشجيعا لهم على البقاء في اثينا .

هذا بالاضافة الى اصلاحات اخرى ، ضمت فيما ضمت اقامة الروابط التجارية مع المـدن الاخرى القريبة والبعيدة واصدار عملة جديدة .

ولا يخفى ان هذه الاصلاحات العملية وغيرها استوجبت التشريعات والتعديلات القانونية التى سبقت الاشارة اليها والتى من شانها أن توطد تلك

الاصلاحات . وهكذا ظهر ما يعرف بدستور صولون . ويقول المؤرخون ان النظم الديمقراطية التى تالقت بها اثينا فيما بعد ، في القرن الخامس ق.م. ايام بريكلس ، انما كانت الثمرة التى زرع صولون بذرتها في دستوره .

وتجدر الاشارة الى ان صولون تخلى عن منصب الرئاسة واعتزل السياسة بعد ذلك . وقد غادر اثينا وراح يسافر ويتنقل ويقوم بالاعمال التجاريه على نحو ما كان يفعل قبل دخوله المعترك السياسي.

وقد توفي هذا الرجل العظيم سنة ٥٥٨ ق.م. (تقريبا) عن عمر يقارب المائة سنة .

(ى. ز)

رسالة التوابع والزوابع

● سمعت في احدى الليالي من اذاعة الكويت حلقات لتمثيلية مسلسلة كانت بعنوان التوابع والزوابع وكان المذيع يقول في النهاية التوابع والزوابع الرسالة الخالدة في الشعر والادب لابن شهيد الاندلسي ارجو اعطائي نبذة ميسرة عن هذه الرسالة وعن صاحبها .

حسن ابراهيم آل خري
سنابش ــ السعودية

ــ « التوابع والزوابع » اسم لرسالة نفيسة في النثر الفني الاندلسي صاغها ابو عامر بن شهيد ولم يبق منها الا نتف يسيرة في كتاب الذخيرة لابن بسام ، وقد زعموا ان رسالة التوابع والزوابع هذه هى محاكاة لرسالة الغفران التى الفها ابو العلاء المعرى حيث نالت شهرة وانتشارا واسعين . ولكن الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفنى حقق هذه المسالة وخرج بنتيجة مؤداها ان رسالة التوابع والزوابع كتبت قبل رسالة الغفران بنحو عشرين سنة .

والتوابع جمع تابع أو تابعة وهو الجن والجنية يكونان مع الانسان يتبعانه حيث ذهب ، والزوابع جمع زوبعة وهو اسم شيطان او رئيس للجن ومن ذلك سمى الاعصار زوبعة ، وابن شهيد يعرض في هذه الرسالة المشكلات الادبية والبيانية بصورة قصصية ويتخيل انها جرت في وادى الجن في الدنيا . والاشخاص فيها جن يسخرون الناس .

لقد كان لابن شهيد خصوم وحساد كثيرون ولقد لقى منهم عنتا واذية فانبرى يواقعهم ويناضلهم وينتقص ادبهم ثم يبسط آراءه في المنظوم والمنثور من ادبهم فرسالة التوابع والزوابع لا تعدو هذا الغرض وهو الطعن على انداده ومنافسيه من ادباء وساسة واظهار محاسنه هو وفضائله في المتقدمين والمتاخرين، لذلك عزم على الرحيل الى وادى الجن ليلقى توابع الشعراء والكتاب وينال منهم اجازة النظم والخطابة فاجازه امرؤ القيس وطرفه ابو تمام والبحترى وابو نواس ثم المتنبي، ثم يرغب ابن شهيد في لقاء الكتاب فيسير اليهم وقد اجتمعوا في بعض المروج للمذاكرة وفيهم تابع الجاحظ وتابع عبد الحميد الكاتب وتابع بديع الزمان الهمذاني ، فياخذون عليه شغفه بالسجع فيدافع عن نفسه ثم يلقى من صاحب عبد الحميد الكاتب عنفا فيقابله بالطعن على بداوة اسلوبه فيبتسم له ويباسطه .

فنجد ابن شهيد شديدا على خصومه شديد المباهاة بادبه يناقش القديم والحديث ونتاج ادباء وكتاب الشرق والمغرب فيساجلهم ويعارضهم ويذاكرهم ويأخذ الاجازة منهم .

اما ابن شهيد فهو من ادباء الاندلس المرموقين ولد سنة ٣٨٢هـ في بيئة موسرة ورث عن اجداده الشغف بملذات الحياة وملاعب الحسن والجمال فكانت الحياة عنده وجها صبوحا وكاسا مترعة او رسالة انيقة او قصيدة بليغة فان خلت من بعض ذلك فهو لغو وفضول، وكان مع تهتكه كريم النفس محمود الخلال كما كان اشد الناس احساسا بكراهة الموت قال ابن بسام عنه « ولما طال بابي عامر العلة وتزايد سقمه ، وغلب عليه الفالج لم تعد له حركة ولا تقلب وكان يمشي الى حاجته على عصا مرة واعتمادا على انسان مرة ، الى قبل وفاته فانه صار حجرا لا يبرح ولا ينقلب ، فكره حياته ، حتى هم بقتل نفسه وقد توفي سنة ٢٦)هـ .

(ص . ى)

حَدِيثٌ عَنْكِ

بقلم : احمد غازى النمرى

■ حديثٌ عنكِ يا من لا أبوحُ ولا أسمّيها !
ويا من إن رأيتُ الشمسَ مشرقةً أحيّيها !
وإن وافى غروبُ الشمسِ أذكرُها وأبكيها !

★★★

حديث عنكِ أشجاني جرى في مجلسِ الأُنسِ !
تولّتْهُ هنا بالأمسِ فاتنةٌ من القدسِ !
روَتْ عنكِ الأحاديثَ التي تاقتْ لها نفسي !
وقالت : إننّي قد كنتُ جارتَها مدى خمْسِ !
فملتُ إلى محدّثتي بشوقٍ مرهفَ الحسِّ !
ذكرتُكِ كيف كنتِ أعزَّ من أحببتُ بالأمسِ !
وكيفَ جرَتْ لقاءاتٌ لنا في مغربِ الشمْسِ !
تُغنّي للحياةِ وللغدِ المرجوّ في همْسِ !
ورأسُكِ مائلٌ من سحر نشوتنا إلى رأسي !
نراقبُ عودةَ الغربانِ أسراباً ووحدانا !
وقد جاءت إلى الغاباتِ تنعقُ في أعاليها !
تُحوّمُ فوقَ أوكارٍ غفَتْ أفراخُها فيها !

★★★

حديثٌ عنكِ سبّبَ لى اهتياجا بالغَ الأثرِ !
وأيقظَ من سُباتِ الفكرِ طائفةً من الصُورَ !
ففاض الدمعُ من عينيَّ فيضاً غيرَ منتظَرِ !
وأقسمُ مُذْ عرفتُكِ كنتِ ملْءَ السمعِ والبصَرِ !
وكنتِ فتاةَ أحلامي وغايةَ ما اشتهى نظرى !
وآمالاً رأتْ ألاّ نجودَ بها يدُ القدَرِ !

لَوَ أنّ اللهَ حققَها لنمّتْ فرحَةُ العُمُرِ !
ونِلتُ من السعادة ما بسّم لأسعدِ البَشَرِ !
ولكنْ لم أنلْ غيرَ انشغالِ الفكرِ والسهرَ !
حَصَادى كان أشواكاً وأحزاناً وحِرْمَانا !
قضيتُ العُمرَ منطوياً على نفسى أواسيها !
بأجملِ ذكرياتى مَعْكِ أقرؤها وأطويها !

★★★

حديثٌ عنكِ ما ملّتْ سَمَاعَ كلامِهِ أذُنى !
ولا اشتاقتْ إلى غير التى راحتْ تُحدثُنى !
كأنَّ حديثَها تغريدُ شحرورٍ على فَنَنِ !
أو أغنيةٌ يحب سمَاعَها المشتاقُ ذو الشجَنِ !
تذكرُنى بأجملِ بُقعةٍ أحببتُ في وطنى !
تذكرُني بأشجارِ الصنُوبَرِ جاورتْ سَكَنى !
تذكرُنى بأيام الشبابِ وعودك اللدنِ !
وآمالٍ لنا قد ضيّعَتْها قسْوةُ الزمَنِ !
فأضحتْ كالسرابِ كأنها بالأمسِ لم تكُنِ !
سأبقى ما حَييتُ أفيضُ أشواقاً وَوِجْدانا !
أرددُ كلّ أغنيَةٍ معاً كُنا نُغنيها !
وأسألُ عنكِ : أينَ وكيفَ ثُمّ متى ألاقيها ؟



زَوَاجٌ عَلَى الطَّرِيقَةِ الأَمْرِيكِيَّة

بقلم : عبد الله كبير

■ صديقى العزيز « عبد الرحمن »

تلقيت في منتصف مارس الماضي رسالتك التى تنبئنى فيها انك قد خطبت احدى جاراتك ، وانك ستبنى بها في اخر الشهر ، في حفلة خاصة لا تدعو اليها الا الاصفياء من اصدقائك ... ولكم عجبت ـ علم الله ـ لاقدامك على الزواج ، وقد كنت لا تراه الا حماقة وطيشا،فما جرى حتى عدلت عن رايك ؟! ومن هـذه « الغوانية القادرة » التى استطاعت ان تصرعك .

المهم انى ظللت ـ وهذا بيت القصيد ـ ارقب بفارغ الصبر ورود دعوة منك ، الى حضور حفل قرانك ، وامنى النفس بسهرة ممتعة معك،وباكلة شهية على مائدتك ، حتى انتهى مارس ، وهذا ابريل يوشك ان ينتهى ...

ولما ان يئست جئت اسالك عن سر اهمالك دعوتى ، واعتب عليك اجتراءك على حذف اسمى من « قائمة » خلصائك الذين اثرت اليهم في رسالتك ، وانت تعرف انى اخلص الاصدقاء ، واوفى الصحاب ، لا سيما اذا كان هنالك طعام وشراب !

على انى ـ وان كنت لا أغفر لك هذه الزلة ـ لا يسعنى الا أن اهنئك بزواجك ، متمنيا ، داعيا لك بالتوفيق .

اسيوط في ٢٦ ابريل ...

حسن

★ ★ ★

عزيزى الصديق « حسن » .

... لقد خطبت احدى جاراتى ، كما أنبأتك ، أو قل انها هى التى خطبتنى ، كما سيتبين لك ! ... ولو سار كل شيء في مجراه ، لكنا الآن زوجين سعيدين ، او شقيين ، لست ادرى ! لكنى خطبتها في مساء الخميس ، قبل ان اكتب اليك بسويعات ، ثم فسخت الخطبة في أصيل السبت !

اما هى ـ جارتى القصد ـ فقد تزوجت في اليوم التالى ـ تامل ! ـ من شاب كانت مخطوبة لـه منذ ستة اشهر ! وضاع عليك ـ تشجع ! ـ ما منيت به نفسك من اكله شهية ، وسهرة ممتعة .. فعزاء يا صديقى في أمل لك قد خاب ، وفرحة قد طاربها الغراب !



وكان لهذا الحديث اثره في نفسى ، فلما التقيت « وفوزية » في اليوم التالى سألتنى :

ــ متى تكلم امى ؟

ــ فيم ؟

ــ في زواجنا ...

ــ يا صغيرتى ، انت لا تعرفين !

ــ ماذا ؟

ــ كلام الناس !

ــ وما يهمنا من كلام الناس ؟!

ولهذه الخطبة الموءودة في مهدها قصة يلذ لك ان تسمعها ، ولهذا الزواج الذى عقد على « الطريقة الامريكية » حكاية يلذ لى ان اقصها عليك ، لاطلعك على لون من الوان الحياة في « القاهرة » لم تعرفه من قبل ، ولا الفته في بيئتك !

كنت قد عزمت ان ابدا حياتى بداية جديدة ، مع مبدا السنة الجديدة ، فانتقلت الى شقة صغيرة مفروشة ، في ضاحية « مصر الجديدة » ، وفارقت « بنسيونات » شوارع « توفيق » و« سليمان باشا » و « عماد الدين » ، اقتصاداً في النفقات ، وهربا من الصديقات المقلقات اللاتى كنّ يحرمننى الراحة ، وهرباً ايضاً من جشع ربات « البنسيونات » اللاتى كنّ يثقلن علىّ ، ويتقاضيننى

جملا كبيراً ليغفين عن بعض النزوات والحماقات!

وكان لحجرة نومي ـ في الشقة الجديدة ـ شباكان : يطل احدهما على الشارع ، ويطل الآخر على الفضاء الذي يفصل بين مسكني ومساكن الجيران ...

ومرّ بي في مثواي الجديد اسبوعان لم احاول في اثنائهما ان أتعرف الى أحد ممن حولي ، عدا البوابين ، لأنهم يسهل انتزاع الأسرار منهم بهبة ضئيلة ، او بكلمة طيبة ، او بتحية وسيجارة !

وذات صباح فتحت الشباك الجانبي ، فرأيت في الشقة المقابلة سيدة صغيرة تمشط شعرها ، وهي نصف عارية ! فما كدت أراها في هيئتها هذه حتى تغلّب الطبع « الصعيدي » على نزعة الفضول ، فاغلقت شباكي !

ثم تكررت رؤيتي اياها بعد ذلك ، حتى كنت اراها في اليوم غير مرة ...

كانت تبدو جميلة ، وشعرها الذهبي يترامى على كتفيها في جدائل طويلة غزيرة ، وتنعقد منه فوق جبينها الوضاء خصلات في حلقات ملتوية فاتنة ... اما عيناها فواسعتان حوراوان ، تقرأ فيهما سورة من سور الحزن الذي يشيع في قسماتها سحابة من الهم والكآبة ! وانت تعرف ضعفي امام الجمال ، ولا سيما الجمال الذي فيه من حنان الانوثة اضعاف مافيه من الفتنة ، والذي تتجسّد فيه الرقة والوداعة ، اكثر مما يبدى من رشاقة واغراء !

ان جمالها لم يكن من ذلك الجمال الذي يبهر النظر لأول وهلة ، ولكنه كان جمالا ينسكب في النفس قطرة قطرة حتى تمتلىء به من دون ان تشعر ! ... كان جمالا يتسلل الى الفؤاد في حذر وعلى مهل ، فلا تشعر الا وقد استقرّ في اعماقه وتمكن ! ولهذا لم يحرك منظرها في نفسي اية عاطفة او احساس ! ... وانّى يا صديقي ، وقلبي قد مات ، وهو اليوم يزخر بذكريات حبه القديم ؟ ! ... لكنها فتاة لعوب ، فما لبثت نظراتها المتحدّية ، وابتساماتها المغرية الداعية ، ان نفثت فيّ شعور الرغبة والحاجة !

ويوم فكرت في ان اغازلها رأيتها تحمل بين يديها طفلة تقبلها ، وهي تنظر اليّ وتبتسم ...

وابتسمت انا ايضا ، فزادت ابتسامتها حتى اكتملت ...

دنوت من الشباك ، فدنت ... فسألتها في صوت خافت : أهذه أختك ؟

وكأنما هيأت لها بهذا السؤال فرصة كانت تتحيّنها ، فراحت تحدّثني عن نفسها واسرتها ..

ومرت الايام سريعة نشيطة ، ونحن نتحدث كل يوم بالنظرة والهمسة والاشارة ، حتى فجأتني يوما بسؤالها : لمَ لم تتزوج ؟ !

ـ لأني من الذين يكرهون الزواج ...

ـ لماذا ؟

ـ لما يجرّه من متاعب ومنغصات !

ـ لم تحب ؟

ـ بلى ! احببت فتاة وهبتها قلبي ، ثم فرّقت بيننا الأقدار !

الا تزال تحبها ، وهي بعيدة عنك ؟

ـ اكثر مما لو كانت الى جانبي !

ـ ولماذا لا تتزوجا اذا ، ما دمت تحبها هذا الحب ؟ !

ـ سبقني اليها « عزرائيل » !

ـ مسكين ! ... وهل تعيش حياتك راهبا ؟ ... الم تجد عروسا أخرى ؟ !

ـ اخشى ، ان تزوجت ، أن اشقي زوجتي معي !

ـ وهل انت شقي ؟

ـ لست سعيدا ... على الاقل !

انك تبالغ وتغالي ... اما انا مخطوبة ...

ـ ربنا يتمم بخير .. ومن هذا السعيد الحظ الذي سينعم بهذا الحسن الفتان ؟ يا بخته !

ـ أتراني جميلة ؟

ـ جميلة ! ... بلا شك ! ... هكذا أراك !

وناداها امها ، فحيّت وانصرفت .

في اليوم التالي سألتها : كيف حال خاطبك ؟ ... يجب ان تعينيه على استذكار دروسه ... لا اظن زواجكما يتم قبل ان يتخرّج ... سمعت انه في السنة النهائية ...

ـ كيف عرفت هذا ؟

ـ اليس كذلك ؟

ـ انت شيطان !

ـ لا ازال تحت التمرين !

ـ وما رايك ؟

ـ فـيمَ ؟

ـ في خاطبي ... « جلال بن حسنى بك عبد الوهاب » ... كان ابوه من الاعيان ، وعضواً في مجلس النواب .. وقد ترك له سبعين فداناً ..

ـ لا احسبنى سمعت هذا الاسم من قبل !

ونادتها امها ، فاستأذنت ، فاغلقتُ شباكى ، وهرولت الى الشارع .

وفي اليوم التالى قالت : ألا تعلم ؟

ـ ماذا ؟

ـ جاءنى امس خاطب جديد ... مهندس ...

ـ كيف ؟ ! الست مخطوبة ؟!

ـ لا اريد الطالب ...

اتركيه اذا ، وتزوَّجى المهندس ...

ـ لا احبه ... ثم انه مهندس تنظيم في « الفيوم » ...

ـ احرصى على الطالب اذاً ...

ـ لا تكدنى ...

ـ لا الطالب يعجبك ، ولا المهندس ؟ !

ـ لا تمعن في اغاظتى !

ـ ومن يعجبك اذاً ؟

قالت ـ وهي تشير باصبعها اليَّ : انت : ايها المغفل ! وانفجرت ضاحكة ...

ونادتها امها !

وفي اليوم التالى قلت لها : ماذا كنت تقولين امس ؟

ـ فيمَ كنا نتحدث ؟

ـ أنت ادرى !

ـ نسيت ...

ـ الم يأتك اليوم خاطب جديد ؟ !

ـ اتظننى كنت اكذب عليك ؟ !

ـ انما اريد ان اطمئن على اخبارك !

ـ لن اتزوج احداً ...

ـ حتى انا ؟ !

ـ انت ؟ ... انت ؟ !

ـ نعم ، انا ! ... فما يدهشك ؟

ـ اتتكلم جاداً ، ام تهزل كعادتك ؟ !

ـ هبينى جاداً ...

ـ ليت ذلك يكون !

ـ اولا تذكرين قولتك امس ان الحب شرط من شروط الزواج ؟

ـ الا تعرف انى احببتك ؟ !

ونادتها امها ... وبارك الله في امها ! ... انها مثل مخرجى حلقات الاذاعة ينهون الحلقة بسؤال لا تسمع له جواباً الا في الحلقة التالية !

وفي اليوم التالى رأيتها في زينة كاملة، فسألتها: اذاهبة انت الى فرح ؟

ـ لا انا ذاهبة الى السينما ...

ـ يا ليتنى كنت معك ، فافوز فوزا عظيما !

ـ وما يمنعك ؟ ... انا وحدى ... فتفضل ... انى ادعوك ...

ـ لكنى على موعد ...

ـ أهو اهمُّ من ان تلبّى دعوتى الاولى ؟ ... هيّا ... نلتقى عند محطة « روكسي » .

... وذهبنا الى « سينما ريفولى » حيث كانت تعرض قصة غرامية رائعة ، ثم تناولنا العشاء معا في مطعم « الحاتى » ...

واعجبت بطلاقة حديثها ، ونعومة حسنها ، ورنين ضحكتها ، وتغريد صوتها ... ان لها صوتاً يوائم حسنها ، صوتاً يداعب القلب ، ويدغدغ الحواس ! فاحدثت في نفسى تغييراً كبيراً ، فاخذنا نتواعد ، ونلتقى في القاهرة يوماً بعد يوم ، حتى شدَّتنى اليها شداً عنيفاً !

امام منزلى دكانان : احدهما لحلاق ، والآخر لخياط يفصل القمصان والمنامات « البيجامات »

... ولم تمض بي في مسكني الجديد ايام حتى تعاملت مع الحلاق فالخياط . وقد اظهرا لي ضروبا من الود والاحترام . فلما تعلقت بجارتي « فوزية » لجأت اليهما اسألهما عما يعرفان عنها . اما الحلاق ـ وكان اول من سألت ـ فقد قال : انها بنت حلال ! فلما عرف الخياط ما قال الحلاق، اخذ يلومه ويوبخه ، ويقول له : اتريد ان تزوجه بنت فلان وفلانة ؟!

قلت : ومن فلان هذا ، وفلانة هذه ؟ !

قال : اعفني من الاجابة !

قلت : والبنت

قال : لا تفتأ تغازل كل شاب ! ...

وفترت عواطفي نحو « فوزية » ، واخذت اقضي اكثر الوقت بعيداً عن البيت ... غير ان الحنين الى الجلسات المختلسة ، والأحاديث الخافتة ، دفعني الى وصلها ... فلما التقينا دار حديثها حول هذه الغيبة الطويلة ، وسببها ، فتعللت بكثرة العمل !

قالت : لمَ لا تتكلم ؟ !

ـ أخشى أن يسمعني الجيران !

ـ أقصد ... لماذا لا تكلم أمي ؟ !

ـ وفيمَ أكلمها ؟ !

ـ في زواجنا ...

ـ لا تعجلي !

فبدا عليها التأثر والغضب ، وانصرَفتْ ، وانصرفتْ ...

ولما رأيتها في اليوم التالي سألتها : ألا تزالين غاضبة ؟ !

ـ انما أغار عليك !

ـ ولم الغيرة ؟ !

ـ لأني أحبك !

ـ لكنه حب ضائع !

ـ كيف ؟

ـ لأني لا أريد الزواج ...

وكأنما صدمها هذا التصريح ، فاعتمدت رأسها بين كفيها ، واتكأت على السرير تبكي ... ولما رفعت وجهها رأيت الدموع تترقرق في عينيها ، وتجري على خديها ، فسألتها : ما يبكيك ؟

ـ لا شيء ...

لا بد من سبب ...

ـ تمّ لسانك عما في قلبك !

وعادت تجهش وتبكي ...

هل تستطيع يا صديقي أن ترى امامك فتاة جميلة ، تقول لك انها تحبك وتغار عليك ، وتذرف الدمع لأجلك ، ثم لا تحرك ساكنا ؟! ... اما أنا فما استطعت الا أن أتسلل الى منزلها !

استقبلتني فزعة ترجف ، وهي لا تزال تبكي ، فقبلتها في عينيها الدامعتين ، وسألتها عن أمها ، فقالت انها في الدور الأعلى تعود جارة مريضة ...

وتحت تأثير سحرها ، ودموعها المتوسلة قلت لها : سأتقدم غداً لخطبتك ... فملأ البشر وجهها، وجففت دموعها ، والتصقت بى تقبلني في بهجة وحرارة !

تركت الأمل ينشرها ويطويها ، وانصرفت الى مقهى « بالميرا » ، ومضيت أفكر ...

ـ وفيما انا أقلب الامر على مختلف الوجوه ، اذا بواب المنزل الذى تقيم فيه « فوزية » يقبل الى ، ويحييني ، ويرجو أن أسمح له بدقائق، ليحدثني في أمر يهمني ...

دعوته الى الجلوس ، وقلت : نعم ... تفضل ...

قال : رأيتك اليوم تزور شقة الست ام «فوزية» ... وجئت احذرك من هذه « الست » ومن بنتها ... اننا « بلديات » ، وانا اعرفك جيداً ... وابن العلم والفضل والأصل العريق لا يليق به أن يعرف هذه « الأشكال » ... ان « الست فوزية » مخطوبة الى طالب في الجامعة من ابناء « الشرقية » ... ومع هذا تذهب الى المسارح والملاهي مع كثير من الشبان ...

وكان لهذا الحديث أثره في نفسي ، فلما التقيت في « فوزية » في اليوم التالي سألتني : متى تكلم أمي ؟

ـ فيمَ ؟

ـ في زواجنا ...

ـ يا صغيرتي ، انت لا تعرفين !

ـ ماذا ؟

ـ كلام الناس ؟

ـ وما يهمنا من الناس ؟ ... يهمنا اننا لا نستطيع ان نرفع بينهم رؤوسنا ؟

ـ كيف ؟ ولماذا ؟

ـ برغمي اصارحك ...

وسردت على مسمعيها ما عرفته عنها وعن ابويها ...

ـ اسمع ...

آه ، يا صديقي ! ما كان احلى هذه الكلمة اذ نطقت بها !

ـ ماذا اسمع ؟

ـ كلُّ ما نقلوه لك عني كذب ...

ـ وعن امك وابيك ؟ !

ـ مالك انت وامي وابي ؟ اتتزوجني انا ام تتزوج اهلي ؟ !

ـ انك ابنتهما ...

ـ انا احبك ... فخذني الى حيث تشاء ... سأترك اهلي وامضي معك الى آخر الدنيا !

ـ وهل ترضى امك ؟

ـ لا يهمني سوى رضاك انت !

ـ حسناً ... اذا اتكلم غداً ...

ـ دائماً غداً ؟ ! ...

لكنني كلما هممت تمثّل لي شبح تلك الشائعات التي سمعتها ، والاقاويل التي تلوكها الالسنة ، فأثوب الى رشدي ، وتخمد نار رغبتي ، واتقهقر ، واتعلل لها ، حتى افنيت عِلاّتي !

وفي يوم الاثنين ، قبل ثلاثة ايام من الكتابة اليك ، سمعت ان الطالب الجامعي دفع جزءاً من المهر ، وتحدّد مساء الخميس موعداً لكتب الكتاب ...

فلما رأيتها في صباح الثلاثاء هنأتها ، وقلت لها : ان تطور الامر قد أراحني،وان كان قد ساءني!

ـ كيف ؟

ـ لانك متى تزوجت قطعت كل امل فيك ...

ـ لكنني لست راضية ...

ـ لم يعد لرضاك ـ بعد الذي كان ـ من قيمة ...

ـ بل لا يزال في الوقت متسع ...

ـ كيف ، وكتب الكتاب بعد غد ؟

ـ تكلم انت امي الليلة ، وغداً ينتهي كل شيء .

ـ والذي قبضتموه ؟ !

ـ نردّه اليه ...

ـ ساحضر غداً ، لازوركم ، واتكلم ...

لا تعجب ياصديقي ، او تظن بي الغفلة ، اذا ذكرت لك اني لاحظت ـ وانا اتاهب للانصراف ـ ان امها كانت في الحجرة المجاورة تنصت للحوار بيننا !

وعدت الى منزلي في منتصف الليل ، فسمعت « فوزية » تقول لامها : لقد اكد لي انه سيأتي غداً !

وفي الصباح تركت الشبابيك مغلقة ، ومضيت الى عملي مبكراً ...

وانقضى الصباح كغيره من الاصباح .. وبينما انا اتاهب للانصراف ، اذا الساعي يقبل قائلا ان زائراً يطلب مقابلتي ... ولم يكن الزائر غير جارنا الحلاق !

« انتهى كل شيء » ـ كانت هذه اول جملة سمعتها منه ، فقلت : اي شيء ؟ !

ـ وقد بعثتني امها اليك ...

ـ امُّ مَن ؟

ـ امُّ « فوزية » ...

ـ وماذا تريد مني ام « فوزية » ؟ !

ـ الم تعد بان تخطب « فوزية » اليوم ؟

ـ من اين علمت هذا ؟

ـ من امها ، ومنها ...

ـ وماذا ترى ؟

ـ تعال ، وقابلها ، وليفعل الله ما يشاء ويختار! واستقبلتني امها بترحاب بالغ ... وجيء بالحلوى ، وبدأ الحديث ، وقالت الام : اعلم ان

الناس قد سمعوا عنك عنا بالوشايات والاكاذيب ... واعلم بكل ما دار بينك وبين « فوزية » ، ويسعدني ان اراك زوجا لها ...

قلت : اعرف انها مخطوبة ، ان الخاطب دفع جانبا من المهر ، وحُدّد يوم العقد ...

قالت : لاجلك انت نفسخ الخطبة !

وتورّطت يا صديقي ، ورأيت انا احتال، فاخذت املي شروطي ، فكانوا يقبلونها شرطا شرطا : انا اشتط ، وهم يلعنون ...

وتمت خطبتنا في المساء ، وكأني كنت مسحورا.

وفي جوف الليل كتبت اليك رسالتي ، وانا في ذهـول ...

وفي ضحى الجمعة ، وانا في حديقة مقهى « بالميرا » افكر فيما اقدمت عليه ، واتسلى بلعب الشطرنج ، لازيح الافكار السوداء عن خاطري ، اقبل الخياط ، وجلس بجواري في هدوء ، وكأنه في مأتم ، وقسمات وجهه لا تبشر بالخير ، فجعلت احييه ، واسأله عما يهمه ، فقال انه يريد ان يحدثني منفردا في امر خطير ...

فلما دعوته الى الانتقال الى منضدة اخرى في ركن من اركان الحديقة ، غاب عني دقيقة ، وعاد ومعه بواب المنزل الذي اقيم فيه ، وبواب المنزل الذي تقيم فيه « فوزية » ، وبينهم الحلاق يبدو عليه الخزي والخجل ...

وبدأ الخياط والبوابان يلومون الرجل العاقل المهذب المتعلم ـ الذي هو انا ـ ويعجبون كيف وقعت في هذا الفخّ الذي نُصب لاصطيادي ، واشترك فيه الحلاق !

قلت : كيف ؟

قالوا : كيف تتزوج انت فتاة ابوها احد اولئك المتسكعين في المقاهي ، يتصيّدون رزقهم من كل مائدة ؟! ... كيف تتزوج انت فتاة طلقها زوجها قبل الدخول بها ؟ ... كيف تتزوج انت فتاة ماضي امها وحاضرها لا يشرّف ؟ ... كيف تتزوج انت فتاة اتخذت الخطبة والزواج مصدرا للرزق ؟! ... لقد خطبت ستّ مرات ، وحصلت من خطابها على هدايا تقدر بمئات الجنيهات ، ثم اكرهتهم واحدا واحدا على فسخ الخطبة والنجاة بجلدهم ! ...

قلت : كفى ، كفى ... والآن ما رأيكم ؟

قالوا : الرأي رأيك ، والامر الاخير لك ... وقد فعلنا ما يرضي ضمائرنا ، وانت حر !

فماذا تظنني فعلت يا صديقي ؟ وما تراهم يفعلون ؟

لقد ذهبتُ الى بيت عمي ، وبتّ ليلتي هناك. وفي صباح السبت طلبت من الشركة ان تجيزني اجازة عارضة ، ونقلت امتعتي الى « بنسيون » في ميدان « قصر النيل » ...

وفي الاصيل ذهبت انا وابن عمي الى منزل « فوزية » ، فجاهرناها بفسخ الخطبة ...

تشنجت ، واعولت ، حتى اوشك قلبي ان يرق ويلين ، وكدت ارجع عن قراري ... لولا ان طلاء التكلف قد اختفى عن وجه امها ، وبدت على طبيعتها ، فطال لسانها ، وتحركت يداها حركات دلت على خسّة نفسها ، ودناءة اصلها ، وسوء تربيتها ، فثرت وانفجرت ، وجابهتها بما عرفت عن ماضيها وحاضرها ، فانخذلت ، وانكمشت ، وطلبت النزول عن سوار الخطبة ، بالاضافة الى دفع خمسين جنيها نقدا ...

نزلت عن السوار ، ودفعت خمسة وعشرين جنيها ، وانصرفت سالما !

واني لاحمد الله ان نجاني من هذه «المصيدة» وانتشلني من هذه البيئة الخانقة التي كنت موشكا ان اغوص في وحلها !

اما هم فقد ارادوا « ستر موقفهم » من ناحية، واغاظتي ـ كما زعموا ـ من ناحية أخرى ، فعقدوا زواج « فوزية » على خاطبها الطالب ، في مساء الاحـد !

هذه يا صاحبي قصة خطبتي التي دفعتك الى ان تعتب عليّ هذا العتب الخفيّ القاسي .... فلعلك ـ بعد الذي عرفت من امري ـ تهنئني .. ولكن بالسلامة والنجاة !

القاهرة في ٦ مايو ...

عبد الرحمن

■■

عبد الله كبير

كتاب الشهر

رجال حول الرسول

تأليف : خالد محمد خالد

عرض : الدكتور محمود السمره

■ ترالنا على نوعين : نوع يجب ان نحمله معنا لانه يثرى حياتنا ، ويبعث الهمم في نفوسنا ، ونوع يثقل كواهلنا ، ولهذا يحسن بنا أن نتخلص منه. وهذا الكتاب يجمع بين دفتيه طرَفا من النوع الذى يفيدنا ان نحمله معنا ، وذلك في ثمانمائة صفحة عرض فيها المؤلف لمواقف خالدة في حياة ستين من رجال رسول الله . وأنا على يقين اننا بحاجة الى أن نتذكر هذه المواقف ، لما فيها من عظة وفائدة وتوجيه ، وبخاصة في حاضرنا هـذا القلق الذى انبهمت فيه الأمور علينا . ونحن لا نجد بين هؤلاء الرجال خلفاء الرسول الاربعة ، لانه سبق للمؤلف ان خصهم بمؤلفات مستقلة هى : وجاء ابو بكر ، بين يدى عمر ، في رحـاب على ، ووداعا عثمان .

وقد اخترت أن اقف عند شخصيات ، كانت لها مواقف تدل على الايمان العميق ، والثبات الذى لا يلين ، والبطولة في الدفاع عن الحق الذى امنت به . وابدا بواحد من هؤلاء الخالدين ، هو :

مصعب بن عُمَيْر : اول سفراء الاسلام

هو غرة فتيان قريش ، واوفاهم بهاءً ، وجمالا ، وشبابا . وقد وصفه المؤرخون فقالوا : « كان أعطر اهل مكة . » ولد في النعمة ، وغذّى بها . وعلى الرغم من صغر سنه كان زينة المجالس والندوات في مكة ، لأنه أضاف الى اناقة المظهر رجاحة العقل .

وسمع مصعب الكثير عن دعوة الرسول ، فاذا بقلبه الذكى يقوده الى دار الارقم بن ابى الارقم. وما ان اخذ مجلسه ، واستمع الى الرسول ، حتى حلّ الايمان قلبه ، واصبح يعرف بين المسلمين بانه « مصعب الخير » .

وكانت أم مصعب هى خناس بنت مالك ، وهى امرأة قوية الشخصية ، لها نفوذ في قومها وتربطها

بابتها باوثق الروابط واقواها، وكان لها تاثير عليه، ورغم كل هذا فقد وقف في وجه امه التي حاولت جهدها ان ترده عن السير في الطريق الذي اختاره. ولما اعيتها الحيل قالت له : اذهب لشانك . لم اعد لك اما .

فاقترب منها مصعب وقال لها : يا أمه ، انى لك ناصح ، وعليك شفوق ، فاشهدى انه لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله .

فاجابته غاضبة مهتاجة : قسما بالثواقب ، لا ادخل في دينك ، فيُزْرى برايى ، ويضعف عقلى !

وهكذا ادار مصعب ظهره لكل هذا النعيم ، مؤثرا عليه الشظف والفاقة مع الاحتفاظ بدينه .

وهاجر مصعب مع اخوانه المهاجرين مرتين الى الحبشة .

واختاره الرسول للقيام بمهمة من أصعب المهام، اذ جعله سفيره الى أهل المدينة ، ليفقه الانصار ويدخل غيرهم في دين الله ، فنجح في مهمته نجاحا باهرا ، اذ غزا قلوب اهل المدينة بعقله الراجح ، وخلقه الكريم .

وهاجر الرسول الى المدينة . وخرج مصعب يوما على المسلمين وهم يحيطون بالرسول ، فما ان ابصروه حتى حنوا رؤوسهم ، وذرفت عيون بعضهم ، فقد كان يلبس جلبابا مرقعا باليا ، وتملى الرسول من النظر اليه ثم قال : لقد رايت مصعبا هذا ، وما بمكة فتى انعم عند ابويه منه ، ثم ترك ذلك كله حبًا لله ورسوله !

★ ★ ★

وتمضي الأيام والأعوام ، وتكون معركة بدر ، ويبلى المسلمون فيها اى بلاء . ثم تكون معركة أحد ، وفيها دعا الرسول مصعب الخير ، وحمله اللواء . وسير المعركة معروف مشهور ، وما يهمنا هنا هو دور مصعب فيها : اذ عندما راى الفوضى والذعر يمزقان صفوف المسلمين ، وادرك ان المشركين أخذوا يركزون على النيل من رسول الله، بادر فرفع اللواء عاليا ، واخذ يصيح صيحة الحرب ليبعدهم عن الرسول بجلب الانظار اليه، وقاتل قتال من يطلب الشهادة .

وقد وصف شاهد عيان مشهد الختام في حياة « مصعب الخير » ، فقد ورد في «الطبقات الكبرى» لابن سعد ما يلى : « اخبرنا ابراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدرى عن أبيه قال : حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد ، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب ، فاقبل ابن قميئة وهو فارس ، فضربه على يده اليمنى فقطعها ، ومصعب يقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ... واخذ اللواء بيده اليسرى ، وحنا عليه ، فضرب يده اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .. ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فانفذه واندق الرمح ، ووقع مصعب ، وسقط اللواء .. »

لقد سقط مصعب بعد أن خاض بشجاعة فائقة معركة الفداء والايمان .

ووقف الرسول الكريم يلقى نظرة على مصعب الشهيد ، ثم قال :

لقد رايتك بمكة ، وما بها ارقُّ حلةً ولا أحسنُ لمّةً منك ... ثم ها انت ذا شعث الراس في بردة . »

سلمان الفارسي : الباحث عن الحقيقة

وهذا رجل من رجال الرسول جاء من بلاد فارس، وهو صاحب المشورة بحفر الخندق . وقد كان أشبه الناس بعمر بن الخطاب في زهده ، وفطنته، وورعه .

يروى المؤرخون انه اقام اياما مع أبى الدرداء، وكان ابو الدرداء يقوم الليل ويصوم النهار ، ويأخذ سلمان عليه مبالغته في العبادة . واراد سلمان يوما أن يثنى عزمه عن الصوم،وكان نافلة، فعاتبه أبو الدرداء قائلا : أتمنعنى أن أصوم لربى! واصلى له ؟!

فاجابه سلمان قائلا : ان لعينيك عليك حقا ، وان لأهلك عليك حقا . صُمْ وأفْطر وصل ونَمْ . » ووصل نبأ ذلك الى الرسول ، فقال : لقد أشبع سلمان علما . »

ويوم الخندق وقف الانصار يقولون : سلمان منا ، ووقف المهاجرون يقولون : بل سلمان منا. فناداهم الرسول قائلا : « سلمان منا آل البيت.»

وكان على بن ابى طالب يلقبه بلقمان الحكيم . وقد سئل عنه بعد موته فقال : « ذاك امرؤ منا اهل البيت .. من لكم بمثل لقمان الحكيم ؟! اوتى العلم الأول ، والعلم الآخر ، وقرأ الكتاب

الاول والكتاب الاخر ، وكان بحرا لا ينزف . »

وبلغ من اجلال عمر بن الخطاب له انه عندما جاء المدينة زائرا ، خرج مع أصحابه يستقبله عند مشارف المدينة ، قائلا لهم : « هيا بنا نخرج لاستقبال سلمان . » وهو ما لم يفعله مع احد غيره .

★ ★ ★

عرضت عليه الامارة مرارا فكان يرفضها ويقول: « ان استطعت ان تأكل التراب ، ولا تكونن أميرا على اثنين ، فافعل . » كان يهرب من الامارة الا أن تكون امارة على سرية ذاهبة الى الجهاد .

وعندما أكره اخيرا ، ولظروف خاصة ، على أن يكون اميرا على المدائن ، كان مثال الحاكم العادل الزاهد : لقد كان عطاؤه وفيرا ، اذ كان بين اربعة الاف وستة الاف في العام ، ولكنه كان يوزعه جميعا ، ولا يبقى لنفسه منه درهما واحدا، ويقول « اشترى خوصا بدرهم ، فأعمله ، ثم أبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيد درهما فيه ، وانفق درهما على عيالي ، واتصدق بالثالث . ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عن ذلك ما انتهيت . »

وروى هشام بن حسان عن الحسن : « كان عطاء سلمان خمسة آلاف،وكان على ثلاثين الفا من الناس يخطب في عباءة يفترش نصفها ، ويلبس نصفها . وكان اذا خرج عطاؤه امضاه ، ويأكل من عمل يديه . »

وكان ، وهو امير المدائن ، سائرا في الطريق ، فلقيه رجل قادم من الشام ومعه حمل تين وتمر ، ويبدو عليه التعب.فتقدم سلمان منه وحمله عنه . ومر بجماعة من الناس فسلم عليهم سلمان ، فوقفوا جميعا قائلين : وعلى الأمير السلام!وسارعوا لأخذ الحمل عن الأمير ، وبهت الشامي ، واخذ يعتذر ، وحاول أن يأخذ منه الحمل ، ولكن سلمان رفض ذلك قائلا:«لا حتى أبلغك منزلك.»!

ودخل عليه صاحبه يوما فوجده يعجن ،فسأله عن خادمته ، فاجابه : « لقد بعثناها في حاجة ، فكرهنا أن نجمع عليها عملين . » !

واراد يوما ان يبنى بيتا ، وكلف بناء بذلك . ولكنه قبل أن يبدأ بالبناء سأله كيف سيبنيه . فاجابه البناء ، وكان يعرف زهد سلمان وورعه ، قائلا : « لا تخف . انها بناية تستظل بها من الحر، وتسكن فيها من البرد ، اذا وقفت فيها أصابت رأسك ، واذا اضطجعت فيها أصابت رجلك . »!!

فقال له سلمان : نعم ، هكذا فاصنع .

اى بيت هذا لأمير المدائن ؟! ولكن هكذا فلتكن الامراء !

★ ★ ★

ولم يكن سلمان حريصا على شيء في هذه الدنيا، الا صرة ائتمن عليها زوجته . وعندما مرض مرض الموت ، طلب منها أن توافيه بالصرة ، فاذا بها صرة مسك كان قد أصابها يوم فتح «جلولاء» ، واحتفظ بها لتكون عطره يوم مماته . واتجه نحو زوجته ، وقال لها : « انضحيه حولي، فانه يحضرني الآن خلق من خلق الله ، لا يأكلون الطعام ، وانما يحبون الطيب . »

فلما فعلت ، قال لها : « اجفى على الباب وانزلى . » ففعلت ما أمرها به . وبعد حين صعدت اليه ، فوجدت روحه قد فارقت جسده ودنياه.

ابو ذر الغفارى : زعيم المعارضة وعدو الثروات

دخل مكة متنكرا ، ومضى يتسمع الانباء عن محمد .

وفي صبيحة يوم دخل على الرسول ، فوجده جالسا وحده،فاقترب منه وقال : نعمت صباحا، ياأخا العرب .

فاجاب الرسول : وعليك السلام ، يا أخاه .

قال أبو ذر : أنشدني مما تقول ..

فاجاب الرسول : ما هو بشعر فأنشدك ، ولكنه قرآن كريم !

وقرأ الرسول ، وأبو ذر يصغى ... ولم يمض غير وقت قليل حتى ملأ الايمان قلبه .

وعندما علم الرسول انه من غفار ابتسم ، لان هذه القبيلة لا يدرك لها شأو في قطع الطرق . ويروى أبو ذر القصة فيقول : « فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يرفع بصره ويصوبه تعجبا لما كان من غفار ، ثم قال : ان الله يهدى من يشاء.»

وكان ترتيب أبى ذر في المسلمين الخامس او السادس . وكان ابو ذر (جندب بن جنادة)يحمل طبيعة فوارة ، فقد خلق ليتمرد على الباطل . لقد رأى الرسول يؤثر الهمس ، فقال : والذى نفسي بيده ، لا أرجع الى قومى حتى اصرخ بالاسلام في المسجد !

ودخل المسجد الحرام ، ورفع صوته عاليا بدعوة الاسلام ، وكانت هذه اول صيحة بالاسلام تحدات كبرياء قريش . واحاط به المشركون ، وضربوه حتى صرعوه .

وعاد الى قومه يبشر بالدين الحنيف ، وانتقل الى قبيلة «اسلم» وهي مثل « غفار » في الشرك ، يدعوها الى الاسلام ، فاسلمت القبيلتان ، وخرج رجال منهما للقاء الرسول ، فاخذ يدير بصره فيهم ثم قال : « غفار" غفر الله لها ، واسلم سلمها الله . »

وبلغ من محبة الرسول لابى ذر ان قال فيه : « ما اقلت الغبراء ، ولا اظلت الخضراء اصدق لهجة من ابى ذر . »

والقى الرسول عليه يوما هـــذا السؤال : « يا ابا ذر ، كيف انت اذا ادركك امراء يستاثرون بالفيء ؟ » فاجاب قائلا : « اذا والذى بعثك بالحق لاضربن بسيفى . »

فقال له الرسول : افلا ادلك على خير من ذلك؟ اصبر حتى تلقانى . »

وحفظ ابو ذر هذه الوصية : فهو لن يحمل السيف لمقاومة الامراء الذين يثرون من مال الامانة، ولكنه في الوقت نفسه لن يسكت عنهم ابدا .

★ ★ ★

وذهب الرسول الى جوار ربه ، وذهب بعده خليفتاه ، ابو بكر وعمر . ورأى ابو ذر بعض اصحاب رسول الله ، وقد مالت نفوسهم الى السيطرة ، والثراء والترف ، بينما مات الرسول ودرعه مرهونة ، رغم ان اكوام الفيء والغنائم كانت عند قدميه . وهب ابو ذر يغزو بالكلمة الصادقة الامينة معاقل السلطة والثروة ، وبدا بالشام اكثر تلك المعاقل سيطرة ورهبة ، وفيها معاوية بن ابى سفيان . وسابق الريح اليها ، ونظر حوله فرأى اكثر الناس ذوى خصاصة وفقر ، والقلة القليلة تنعم بالقصور والضياع . وبدا ينشر دعوته ، والتف الناس حوله ، وكان يصرخ بهم قائلا : « عجبت لمن لا يجد القوت في بيته ، كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه !! » وكان ابو ذر يريد من دعوته هذه ان يكون في كل بلاد الاسلام رأيا عاما يكون شكيمة لامرائه واغنيائه ، كلما استهوتهم الدنيا بما فيها من سلطان ومال.

ولقد احس معاوية بن ابى سفيان بما في هذه الدعوة من خطر عليه وعلى اصحابه ، فناظر ابا ذر في ذلك ، وفي هذه المناظرة وقف ابو ذر يسال معاوية عن هذه القصور التى يملكها في الشام ، ومن اين جاءته ، وبيته بمكة معروف ! ثم التفت الى اصحاب معاوية الذين حوله ، وصارت لهم الضياع ، وصاح بهم مذكرا اياهم بقوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم، وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون . »

ويرد عليه معاوية قائلا : لقد انزلت هـــذه الاية في اهل الكتاب .

فيصيح ابو ذر : لا ، بل انزلت لنا ولهم .

ويفزع معاوية من وجود ابى ذر في الشام ، فيكتب للخليفة عثمان « ان ابا ذر قد افســد الناس بالشام . » فكتب عثمان الى ابى ذر يستدعيه اليه . ولما وصل الى المدينة قرر عثمان ان يحتفظ به الى جواره ، اى ان يحدد اقامته بها . وعرض عثمان قراره هذا على ابى ذر بلطف ، قائلا له : « ابق هنا بجانبى ، تغدو عليك اللقاح وتروح . » فاجابه ابو ذر : « لا حاجة لى في دنياكم » !! وطلب من الخليفة ان ياذن له بالخروج للاقامة في « الرَّبَذَة » فاذن له .

وعرضت عليه الامارة مرات ، فكان يرفضها ، لانه كان دوما يذكر تحذير الرسول لاصحابه من اغراء الامارة ويقول : « انها امانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا من اخذها بحقهـــا ، وادى الذى عليه فيها . » وهذا ما فعله ابو بكر وعمر ، ولكنهما ـ في راى ابى ذر ـ لن يتكررا ، وبخاصة انه كان ينظر حوله فيرى ان بعض اصحاب رسول الله ممن ولوا الامارة قد اثروا وملكوا الضياع . وكان يصارحهم برايه فيهم : لقى يوما ابا موسى الاشعرى ، فاقبل عليه ابو موسى فرحا بلقائه قائلا له : « مرحبا ابا ذر ، مرحبا باخى .» ولكن ابا ذر دفعه عنه وهو يقول : « لست باخيك انما كنت اخاك قبل ان تكون واليا واميرا . »

ولقيه ابو هريرة يوما ، فاحتضنه مرحبا ،ولكن ابا ذر نحاه عنه قائلا : « اليك عنى ، الست الذى وليت الامارة،فتطاولت في البنيان ،واتخذت لك ماشية وزرعا ؟! »

وقد يبدو لنا هذا الموقف من ابى ذر فيه مبالغة،

ولكن ابا ذر كان انسانا مثاليا ينشد الكمال في تصرفات اصحاب رسول الله ، وقد تجلت المثالية عنده في ابى بكر وعمر . وبعبارة أخرى ، فقد كان ابو ذر « ضميرا » بين قومه وامته .

وفي فلاة الربذة مات أبو ذر وحيدا ، فصدق فيه قول الرسول :

يرحم الله ابا ذر: يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده . »

قيس بن سعد بن عبادة : ادهى العرب لولا الاسلام

كان قومه الانصار يقولون : « لو استطعنا ان نشترى لقيس لحية باموالنا لفعلنا . » ذلك أن قيسا كان زعيما في قومه منذ حداثة سنه ، ولم يكن ينقصه من صفات الزعامة في عرفهم سوى اللحية .

وقيس من الانصار في الذروة ، وبيته من اجود بيوت العرب واعرقها ، وهو البيت الذى قال فيه رسول الله:« ان الجود شيمة اهل هذا البيت .»

ولقد تحدث ابو بكر وعمر يوما عن جود قيس وسخائه فقالا : « لو تركنا هذا الفتى لسخائه لاهلك مال ابيه.» وعلم سعد بن عبادة بمقالتهما هذه عن ابنه قيس ، فصاح قائلا : « من يعذرنى من أبى قحافة ، وابن الخطاب ، يُبخّلان عليّ ابنى !! » .

واقرض قيس احد اخوانه المعسرين يوما قرضا كبيرا ، ولما جاء ليرده اليه ، قال : « انا لا نعود في شيء اعطيناه . »

وعُرف قيس ايضا بانه الداهية الذى يتفجر حيلة وذكاء ، وهو الذى وصف نفسه فقال : « لولا الاسلام لمكرت مكرا لا تطيقه العرب . »

ويوم صفين كان قيس مع على ضد معاوية ، وكان يخلو بنفسه فيرسم الخطة التى يمكن ان تودى بمعاوية وجيشه ، ولكنه يعود عنها لانها خدعة من النوع الخطر ، ويذكر قوله تعالى : « ولا يحيق المكر السيئ الا باهله .» ويهب من مجلسه مستغفرا ربه ، وهو يقول : « والله لئن قدّر لمعاوية ان يغلبنا ، فلن يغلبنا بذكائه ، بل بورعنا وتقوانا . »

وعرف قيس بالشجاعة والاقدام ، ووصفه انس ، صاحب رسول الله فقال : « كان قيس ابن سعد من النبى بمكان صاحب الشرطة من الامير . » وكان احد ابطال معارك صفين ،والجمل، والنهروان

وفي المدينة المنورة ، وفي عام ٥٩ . مات الداهية الذى روّض الاسلام دهاءه . مات الرجل الذى كان يقول : « لولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المكر ، والخديعة في النار ، لكنت من امكر هذه الأمة . »

عُمَيْر بن سعد : نسيج وحده

كان المسلمون يلقبونه « نسيج وحده » ! وقد كان كذلك .

ابوه سعد ، القارىء رضي الله عنه . شهد بدرا مع رسول الله ، والمشاهد بعدها ، حتى استشهد في معركة القادسية . ومنذ أن اسلم عمير ، وهو عابد مقيم في محراب الله ، يهرب من الاضواء ، ولا تعثر عليه في الصفوف الاولى الا ان تكون صلاة ، والا ان يكون جهاد .

ونحن نعرف ان عمر بن الخطاب كان يختار ولاته بدقة وعناية ، من الزاهدين الورعين ، والامناء الصادقين ، الذين يهربون من الامارة والولاية ، ولا يقبلونها الا حين يكرههم عليها امير المؤمنين ، فكان بهذا يطبّق المبدأ القائل : « طالب الولاية لا يُوَلّى . »

وكان عمر بن الخطاب ، عند اختيار ولاته ، يردّد عبارة له مأثورة ، هى قوله : « اريد رجلا اذا كان في القوم ، وليس اميرا عليهم بدا وكانه اميرهم . واذا كان فيهم وهو عليهم امير ، بدا وكانه واحد منهم . اريد واليا لا يميز نفسه على الناس في ملبس ، ولا في مطعم ، ولا في مسكن . يقيم فيهم الصلاة ، ويقسم بينهم بالحق ، ويحكم فيهم بالعدل ، ولا يغلق بابه دون حوائجهم . »

وبهذه المقاييس الدقيقة الصارمة اختار عمير ابن سعد ليكون واليا على حمص . وحاول عمير ان يعتذر ولكن الخليفة ردّ له كل اعتذار .وتوكل عمير على الله وتوجه الى حمص ، ومضى عام كامل لم يصل منه الى المدينة خراج . فقال امير المؤمنين لكاتبه : « اكتب الى عمير لياتى الينا . »

وذات يوم شهدت شوارع المدينة رجلا اشعث اغبر ، على كتفه اليمنى جراب وقصعة . وعلى كتفه اليسرى قربة صغيرة فيها ماء ، وبيده عصا

يتوكا عليها . وهنا نترك لابي نعيم الاصبهاني، صاحب كتاب « حلية الأولياء » ليصف لنا هذا اللقاء :

دخل عمير الى مجلس عمر في خطى وئيدة ، وقال : السلام عليك ، يا امير المؤمنين .

فرد عليه عمر السلام ، وقد آلمه ما راى من حالته ، وما هو فيه من جهد واعياء ، ثم جرى بينهما الحوار التالي :

ـ ما شانك ، يا عمير ؟

ـ شاني ما ترى . الست تراني صحيح البدن، طاهر الدم ، معي الدنيا اجرّها بقرنيها ؟

ـ وما معك ؟

ـ معي جرابي احمل فيه زادي ، وقصعتي آكل فيها، واداوتي احمل فيها وضوئي وشرابي، وعصاي اتوكا عليها ، واجاهد بها عدوا ان عرض . فوالله ما الدنيا الا تبعٌ لمتاعي .

ـ اجئت ماشيا ؟

ـ نعم .

ـ اولم تجد من يعطيك دابة تركبها ؟!

ـ انهم لم يفعلوا ، واني لم اسألهم .

ـ فماذا عملت فيما عهدنا اليك به ؟

ـ اتيت البلد الذي بعثتني اليه ، فجمعت صلحاء اهله ، ووليتهم جباية فيئهم واموالهم ، حتى اذا جمعوها وضعتها في مواضعها ، ولو بقي لك منها شيء لاتيتك به .

ـ فما جئتنا بشيء ؟!

ـ لا .

فصاح عمر وهو منبهر سعيد :

ـ جدّدوا لعمير عهدا .

فاجابه عمير :

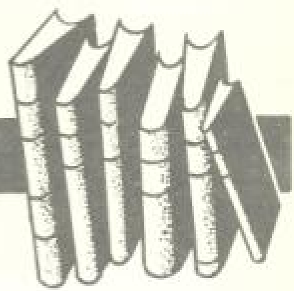
ـ تلك ايام قد خلت . لا عملت لك ، ولا لأحد بعدك . »

وكان عمر بن الخطاب دوما يقول : « وددت لو ان لي رجالا مثل عمير ، استعين بهم على اعمال المسلمين . »

★ ★ ★

هذه مواقف في حياة نفر من الرجال الذين كانوا حول الرسول، وهي باعجازها تبدو كالاساطير ولكنها ليست من الاساطير في شيء . انها مواقف يقفها الانسان عندما يملأ الحق قلبه ، وتزهد نفسه في عرض الدنيا من جاه ومال . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

الانسان العقائدي

تاليف : حمدى حنبلي
الناشر : مكتبة الامل/السالمية/الكويت

● يضم هذا الكتاب مجموعة ابحاث تدور حول محور واحد وهو الانسان في نظر الاسلام ، فقد تعرض المؤلف في البحث الاول لامكان الانسان من ان يبدع والدور الذي يؤديه اذا اراد ذلك ، وانه قادر على البناء والتدمير في آن واحد ، وان الانسان البناء يستطيع أن يسحر بني جنسه ويهديهم الى صراط سوى ، فكل انسان مبدع بناء انما هو انسان عقائدي ، اما المبحث الثاني فتكلم عن التطور الفكري للانسان ، وعن علاقة ذلك بالمجتمع ، وكيف تصطبغ المجتمعات بالمراحل الفكرية التي يصل اليها الانسان في تطوره ، كما اوضح الفروق بين مختلف مراحل التطور من الناحيتين الفردية والمجتمعية .

اما البحث الثالث ، فكان مع العقيدة ، وقد عرفها وعرض لتطور مفهومها كما عرّف العقيدة المنزهة ، وفي رأيه انها هي التي يحتاج اليها الانسان ، ويجد في ظلها الاطمئنان .

ثم يعرض المؤلف الى الدور الذي تؤدية الثقافة في حماية الحضارة ، ويرى ان الانسان العقائدي هو الذي يقوم بالدور الرئيسي في حماية الثقافة وتدعيمها ، ولهذا السبب لن تهزم حضارة ذات

ثقافة قوية يحملها رجال عقائديون ، ان الانسان العقائدى عند المؤلف هو انسان مبدع بناء يعيش وفاق القوالب الفكرية ، مطمئن واقعي مساير لناموس الحياة والكون ، شجاع منكر لمصلحته ، متفاعل مع بيئته واسع العلم عميق الثقافة يظل اساسا لكل نهضة وسياجا لكل حضارة .

اسرار العبادات فى الاسلام

تأليف : عبد العزيز سيد الاهل

الناشر : دار النهضة الحديثة ـ بيروت

● هذا الكتاب هو الجزء الثاني من سلسلة حضارة العرب ففي الجزء الأول من الكتاب يتناول القواعد الاسلامية العامة لشئون المجتمع الفاضل الذى دعا اليه الاسلام فتناول بالتفصيل شئون كل دعوة يراد بها خير الناس ، وكيف يهتدى الفرد بالاسلام الى معرفة ذاته ، وكيف تهتدى الجماعة به لبناء مجتمعها ، ثم تكلم عن مدارج السلوك في الاسلام وحركة الفضائل فيه ومعارج الارتقاء بالصفات الموروثة المكسوبة ليصلوا الى ما قدر لهم من صفات الكمال ، ثم تناول فريضة الجهاد ، وان الاسلام لا يرغب من حربه الا استمرار سلمه،ولا يبغى من سلمه الا استمرار هناءته ، ثم تناول بعد ذلك القول في السياسة التى يجب أن تتبع في الاعداد للحرب ، والآداب التى يجب أن يتمسكوا بها اذا دعوا للقتال ، ثم تناول الكلام عن الحكم والمشورة ، وكيف كان اختيار أبي بكر بعد الرسول قدوة الاختيارات ، حيث قصد فيه تولي الاصلح والذى من عنده تبدأ مرحلة الانطلاق .

اما الجزء الثانى فهو رحلة طويلة الى اسرار العبادات ومواسم المسلمين ، اذ يتناول أركان الدين وقواعده التى اوضحها حديث رسول الله بنى الاسلام على خمس ، شهادة الا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » ، وقد اضاف الكتاب الى هذه الأركان كلاما عن مواسم المسلمين وأسرار عباداتهم في محاولات مدعومة باراء كثيرة التفاصيل ، ولم ينس العناية باقوال الفقهاء ، واحوال الحضارة الدينية والدنيوية التى ارسى قواعدها ومنها اداء الفرائض واقامة المواسم .

نظرية التطور
بين العلم والدين

تأليف : احمد على الشحات

الناشر : مؤسسة الخانجي بالقاهرة ـ مصر

● يرى المؤلف ان هناك صراعا قائما بين اهل العلم واهل الدين ، ذلك لأن بعض البحوث والكشوف التى توصل اليها نفر من العلماء قد نظر اليها بعض رجال الدين على انها تتعارض مع الشرائع السماوية ، ومن ثم راحوا يتهمون بعض العلماء بالالحاد ، كما اخذ بعض العلماء يتهمون بعض رجال الدين بالتعصب والرجعية ، وبين هؤلاء واولئك نجد المجتهدين من اهل العلم واهل الدين يحاولون الربط باسلوب علمي بين نظريات العلم والشرائع السماوية ، والحقيقة التى يجب ان ندركها ـ كما يرى المؤلف ـ هي انه ليس هناك تعارض بين الاديان والكشوف التى يتوصل اليها العلماء ، ولكننا بحاجة الى من يتولى تفسير العلم عندما يتصل بالعقيدة تفسيرا يقبله العقل ولا يخرج بنا الى الجنوح او المجادلة العشوائية .

وهذا الكتاب ينقسم اربعة ابواب فنجد فيالباب الأول لمحة سريعة عن دارون الذى يعد اول من قدم نظرية التطور واهم ما يمكن ان يستفيد منه علماؤنا ، اما الباب الثانى والثالث فيستعرضان الاسباب التى ادت الى حدوث التطور في الكائنات الحية ،واهم النظريات التى تناولت هذاالموضوع، والادلة التى تثبت حدوث التطور ، ثم الاحقاب الزمنية في العصور التى بدأت بظهور الكائنات الحية التى لم يصبها التطور حتى ظهور الانسان ، وقد ساق الكاتب الادلة على ظهور التطور ، طبقا لما تم من دراسات مختلفة ، تناولت مقارنات بين الكائنات الحية بعضها وبعض . اما الفصل الرابع فتناول فيه المؤلف موضوع الانسان في نظرية التطور ، واوضح بطريقة بسيطة الاحتمالات التى افترضها علماء البيولوجيا والانثروبولوجيا بالنسبة لكيفية ظهور الانسان .

ولما كان الغرض من الكتاب هو تبيان ما ينبغى ان يكون عليه موقف كل من العلماء ورجال الدين بالنسبة لقضية التطور فقد اوضح في الفصل الخاص بالاديان السماوية ونظرية التطور ما ورد عن الانسان في القرآن الكريم باعتباره اسمى الكائنات الحية جميعا ، واوضح أن الاديان تقر

خلق الانسان خلقا مستقلا بمعنى انه لم ينحدر من كائنات حية ذات اصل مشترك واحد في الازمان البعيدة . اما نظرية التطور فهي عنده لم تزل نظرية ، فهي لم تبلغ مبلغ الحقيقة ولكنها في سبيل التحقيق .

المدخل الى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

تاليف : السيد محمد باقر الموحد الابطحي
الناشر : مطبعة الاداب في النجف الاشرف ـ العراق

● هذا الكتاب محاولة لترتيب الآيات حسب الموضوعات المختلفة مع ملاحظة التسلسل الطبيعي بينها وبين الموضوعات ، وقد وضع الكتاب كي يكون مدخلا للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، فهو يجمع الايات الباحثة عن الموضوع الخاص بحيث تكون هذه الايات مستوعبة لما يحتاجه الموضوع من المباحث والمطالب ومرتبة بحسب ما يقتضيه التسلسل الطبيعي للموضوع .

لان علماء التفسير لم يتغيروا في دراستهم للقرآن عما درسه الجيل الاول حيث تدرجوا في تفسير القرآن اية فاية وسورة فسورة ، وقلما نراهم ينظرون الى جميع ما انزل الله في القرآن في كل موضوع خاص من مواضيعه كوحدة متكاملة ، لان القرآن نزل منجما ولان طبيعة الدعوة كانت تقتضي هذا التنجيم ، اذ كانت عامة لا تخص امة دون امة ولا طائفة دون طائفة . ولكن بعد ماتمت رسالة القرآن اصبح من الواجب على المفسر ان يبذل جهده لربط الايات وايصال بعضها ببعض وتتبع نجوم القرآن ليعرف المطلق منها من المقيد ، والعام من الخاص ، والمبين من المتشابه ، بل الجمع بينها مما يؤكد دلالتها .

ومحاولة المؤلف مسبوقة بسابقتين في هذا العصر ، سبقه اليها الاستاذ جول لبوم في كتابه « تفصيل آيات القرآن الكريم » ورتبه في ١٨ بابا ، وقسم كل باب الى فصول : لكل فصل موضوع خاص ، ثم تلاه الاستاذ ادوار مونتيه ، فاستدرك ما فاته ، ولهذا سمى كتابه « المستدرك » والمؤلفان فرنسيان ، الفا كتابيهما بالفرنسية ، ثم ترجم الكتابين الى العربية ، الاستاذ المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي ، وقد بدأ باولهما ، ثم ثانيهما ، وقد طبع الكتابان اكثر من مرة .

الفكر الاسلامي مواجهة حضارية

تاليف : محمد تقي المدرس
الناشر : دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان

● تواجه الامة الاسلامية اليوم تحديا حضاريا صارخا ، يتخذ طابعا مختلفا يكمن في تحوله التدريجي الى مواجهة حضارية شاملة ومصيرية ، وهي شاملة للجوانب الايدلوجية والاقتصادية والسياسة العسكرية .وهي مصيرية ، لانها تعتزم بطبيعتها اكتساح الحضارة الاسلامية حتى لا تعود قادرة على تجديد نفسها مرة اخرى ، وهذه المواجهة تبرز من خلال مظاهر مختلفة ، بيد ان نقطة واحدة مشتركة تقرر مصيرها النهائي تلك هي جدارة (الفكرة الحضارية) بالبقاء ، ولن تغني الفكرة الحضارية شيئا لو لم تكن تملك السيولة والانسجام والواقعية ، وهذا ما يهدينا الى طبيعة التفاعل الضروري بين الانسان والفكرة ، حتى يتمكن الانسان من تغيير واقع وبناء حياة ، فلا تتقدم امة تملك تراثا ضخما من الفكرة الحضارية لو لم تتحول فعلا وعملا ، لان الاسلام كدين والاسلام كتاريخ يختلف كثيرا عن الاسلام كايمان وعمل وحضارة لان الدين بمفهومه الشائع انتماء وطقوس والتاريخ عبر وحكم ، اما الايمان فهو وجود وكينونة اما الحضارة فهي حركة وحياة وبين القسمين بون شاسع .

ويقول المؤلف ان هناك عقبة تعترض الطريق وهي التطرفات اليمينية واليسارية التي تريد بالمسيرة الانحراف فاليمين يحاول تجميدنا على الاوضاع الفاسدة ، واليسار يريد تمييعنا في بوتقة الحضارات المعاصرة . اليمين يرفض الاخذ بأي جديد ويحاول الانطواءعلى شكليات القديم المهترئة، والتقوقع في اقبيته الفكرية المحنطة ، ولا يقبل الانفتاح على معطيات الحضارة الحديثة العلمية ، ولذلك لا يزال يعكف على منطق ارسطو وهيئة بطليموس وطب جالينوس في عصر المناهج العلمية الدقيقة والانسان يرتاد الفضاء ويستخدم الذرة في توليد الطاقة .

وكذلك يرى المؤلف أن التطرف اليساري ايضا عقبة كئود ، فهو ينظر بعيون مستعارة الى واقعنا وكياننا فلا يرى الا مصالح الاخرين ، فيريد أنْ نرفض كل أصيل لانه ، في زعمه ، السبب المباشر لتخلفنا .

ابو يوسف
حياته وآثاره الفقهية

المؤلف : محمود مطلوب .

الناشر : المؤلف ، بمساعدة من جامعة بغداد .

● ابو يوسف اكبر تلاميذ الامام الاعظم ابي حنيفة ، وقد حفظوا مذهبه واذاعوه ، كما اذاعوا آراءهم الخاصة مستقلين عن امامهم الكبير في كثير من الآراء ، فالتلمذة على اي استاذ ، والوفاء له ـ لايحولان دون الاستقلال عنه في رأي ، أوفي عدة آراء ، او في المذهب جملة ، اذا كان التلميذ قوي الشخصية ، حر الفكر ، مهما يكن المجال الدراسي الذي يجمعهما ويشغلهما معا ، بل ان هذا الاختلاف من آيات الفضل في الاستاذ والتلميذ معا ، واما التقليد المحض او شبهه ، في متابعة استاذ مهما يعظم فضله ، فقد لا يغض من قدره كثيرا ، ولكنه يدل على سوء حظه في تلاميذه ، وانهم صغار ، وانهم لم يكونوا اهلا للتلمذة عليه .

ولم يكن كذلك ابو حنيفة وتلاميذه الكبار لحسن حظهم وحظه ، ومنهم الائمة ابو يوسف ومحمد وزفر ، فهم يطاولونه في الفقه على درجات ، وكانوا كذلك خلال حياته ، وزادوا نضجا بعد وفاته . وكان ابو يوسف اشهر هؤلاء واكبرهم واعلاهم نفوذا في حياته ، كما كان اوسعهم نشرا لمذهب امامه ، اذ تولى قضاء القضاة في الدولة العباسية ايام هارون الرشيد،فكان يؤثر اختيارهم في انحاء الدولة ممن يتابعون مذهبه .

ولست اعرف كتابا جمع من اخباره وآرائه الفقيه ما جمعه هذا الكتاب الذي يبلغ ٤٦٨ صفحة، وقد الفه الاستاذ محمود مطلوب ، المدرس في قسم الشريعة بكلية الآداب في جامعة بغداد ، واستقصى كل ما استطاع جمعه في موضوعه ، ثم قسمه بابين : الباب الاول في حياته وآثاره ، وهو سبعة فصول : في نشأته ، وثقافته ، وصفاته واخلاقه ، ومنزلته ، وتوليه القضاء ، ووفاته وذريته ، ثم في آثاره : الباقية والمفقودة .

والباب الثاني في آرائه الفقهية ، وهو خمسة فصول : اولها في فقههواصوله ومنزلته في الاجتهاد واثره في الفقه الحنفي . والفصول الاربعة الاخيرة في آرائه التي انفرد بها مقسمة الى اربعة موضوعات عامة ، كل منها يضم موضوعات فرعيه ، ففي الموضوع العام للعبادات ١٢ فرعا ، وللاحوال الشخصية اربعة عشر، وللمعاملات سبع وعشرون، وللعقوبات خمسة ، ثم خاتمة تلخص الجديد في الكتاب كله ، اخره قائمة بمصادره ومراجعه ، وفهرس بموضوعاته .

وينتهي الكتاب او الرسالة بمائة صفحة تشمل سبعة فهارس لمحتوياتها وهي الموضوعات ، والمصطلحات (الفرعية) والآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وقوافي الابيات ، والاعلام ، واسماء الكتب .

افيون المثقفين

تأليف : ريمون آرون

الناشر : دار الكاتب العربي للتأليف والترجمة والنشر/بيروت/لبنان .

● مؤلف هذا الكتاب باحث من اكبر الباحثين في العقائد والمذاهب واستاذ في العلوم الاجتماعية في المدنية المعاصرة ، كوليج دي فرانس يعالج ظاهرة اليسارية والثورية في المجتمعات الحديثة معالجة علمية بارعة .

يقول ريمون آرون ان اليسار والثورة والبروليتاريا ثلاث اساطير من نسج خيال القرن التاسع عشر فقد شرح في هذا الكتاب المزالق التي يقع فيها المثقفون الذين يتغنون بوحدة اليسار ، وهو يثبت بانه لم يتحد على الاطلاق ، كما يبين ان ارقى الدول قد توصلت الى الاهداف المنشودة دون الحاجة الى اية ثورة ، وذهب الى ان ما يعنيه دعاة البروليتاريا هذه لا ينطبق على واقع الحياة عند العمال في القرن العشرين .

وان الاحزاب اليسارية تعمل جاهدة لاستقطاب المثقفين في محاولة منها لايهامهم بانها تحمل اليهم الحرية والرخاء وهم يحاولون زعزعة ثقة المثقفين بمجتمعاتهم وقيمهم الفكرية والروحية ، وبذلك فان اليسار الشيوعي اليوم هو الافيون الذي يمتص الطاقات الابداعية لدى الشعوب ودفعها الى مزالق الظلم ومهاوي الضياع .

ولذلك كان المثقفون الثوريون ظاهرة مَرَضية في المجتمعات الحديثة تلتقي في اكثر من مثل ومجال بظاهرة الهيبية التي يدعي افرادها لانفسهم القدرة على تغيير المجتمعات وبناء الفردوس المنشود ، بينما يمتص الافيون ارادتهم وامكاناتهم الابداعية ، ولا يدرك اولئك وهؤلاء انهم يشكلون وقود الثورة الشيوعية التي تعمل على تحويل المجتمعات الانسانية الى سجون كبيرة ، وجحيم لا رحمة فيه ولا خلاص منه .

طرائف غربية

واحكموا بين الناس بالعدل

● ابراهام لنكولن رئيس الولايات المتحدة الامريكية الاسبق ، كان رجلا صارما ، ولكنه كان يتصف بالعدل ، ويكره أن ينزل العقاب بأى رجل الا اذا تحقق بنفسه من أنه قد أخطأ ، وأنه يستحق العقاب .. ولم يدخر لنكولن جهدا فى سبيل بث هذه الروح بين أعضاء وزارته والعاملين معه .. فقد كان لنكولن محاميا بارزا قبل أن يصبح رئيسا لأمريكا ..

حدث يوما أن أحس وزير حربيته وكان يدعى ادوين ستانتون بأن أحد كبار الجنرالات فى الجيش الامريكى قد أساء اليه وتحدى أوامره . فجلس الوزير يملى على سكرتيره خطاب انذار عنيف موجه الى الجنرال . وما كاد ينتهى منه، حتى حمله الى الرئيس الأمريكى ،ووقف يقرأه عليه فى انفعال ، بينما جلس لنكولن ينصت فى اهتمام الى أن انتهى الوزير من قراءة الخطاب !



وهنا قال رئيس الجمهورية :«خطاب عنيف ، لا شك فى ذلك ، ولكن قل لى يا سيد ستانتون ، ماذا تنوى أن تفعل به الآن ؟ »

فقال الوزير : « سأرسله اليه بطبيعة الحال ! » وسكت لنكولن برهة ، ومال برأسه الى الوراء ، وقال يسأل الوزير : « دعك مما بدر من هذا القائد فى حقك يا ستانتون .. أريد أن أعرف رأيك فيه كقائد عسكرى ؟

فأجاب الوزير : « انه من خيرة قوادنا واكثرهم كفاءة ونظاما !

فقال لنكولن : « لماذا لا نستدعيه ونسأله عن أسباب هذا التصرف الغريب الذى بدر منه ؟» .

واستجاب الوزير ، وجاء القائد ، وما كاد يمثل أمام رئيس الجمهورية ، حتى وقف يؤدى التحية العسكرية ، ثم مد يده الى جيبه وأخرج منه رسالة راح يقرؤها بصوت مرتفع على مسمع من الوزير الذى كان حاقدا ..ولم تكن هذه الرسالة سوى الأوامر التى أصدرها الوزير ، وأخذ على القائد تحديه لها ..

وقال القائد بعد أن انتهى من قراءة الرسالة : « أنا أعرف سبب استدعائى يا سيدى الرئيس .. وأنا أعتذر عما بدر منى .. ولكننى واثق من أنك سوف تعذرنى ، اذا عرفت أن هذه الأوامر قد وصلتنى بعد مضى ٢٤ ساعة على الأوامر التى أصدرتها لقواتى ، وهى تناقض أوامر الوزير تماما كما ترى ! »

ونظر رئيس الجمهورية الى وزيره ، فوجده منهمكا فى تمزيق بعض الأوراق التى كان يحملها فى يده .. ولم تكن هذه الأوراق سوى الانذار الذى أعده ستانتون ليرسله الى القائد « المتمرد » !

القوة والعقل في شريعة همنجواى !



● كان ارنست هيمنجواى ، الكاتب الامريكى الشهير ، شخصية فريدة فى نوعها ، فقد كان رجلا مفكرا ، وقصصيا بارعا ، وملاكما محترفا ، ومغامرا حمل السلاح وحارب فى صفوف الثورات التى تحمس لها! سألوه يوما عن الحياة وكيف يراها ؟ فأجاب : « الحياة معركة ، كنا فى الماضى نخوضها بكل سلاح تقع عليه أيدينا ، حتى اذا نفدت ذخيرتنا منه ، عدنا الى أذرعتنا نستخدمها بعنف للنيل من خصومنا ، ثم تطورت الدنيا ، وتطور معها اسلوب القتال فى هـذه المعارك ، فألقينا بالسلاح جانبا ، ولجأنا الى تراشق الاتهامات وتبادل الشتائم والاهانات ، ولكن « معركة الحياة » بقيت قائمة ، واختلف الناس .. البعض رفض ان يتخلى عن هذا الاسلوب الجـديد فى القتال ، والبعض لجأ الى « العقل » ، أعظم شىء يميز الانسان ، وراح يحكمه فى حل مشاكله ..

« انا شخصيا ما زلت أميل الى القوة اذا اضطرتنى الظروف ، فأنا لا اذكر اننى لجأت يوما الى ذلك الاسلوب المتطور الجديد .. اسلوب الشتائم وكيل الاهانات .. اما عقلى ، فهو دائما فى اجازة ، الا اذا رأيت ان استعين به ، فأجده فورا يلبى النداء ! »

وصية عالم كبير

● مكتشف الدورة الدموية وليام هارفى William Harvey (١٥٧٨ — ١٦٥٧) ، العالم الانجليزى الشهير الذى احدث اكتشافه انقلابا فى عالم الطب ، كان من الممكن ان يصبح تاجرا مثل والده الذى كانت امنيته أن يورث ابنه تجارته الناجحة ، تلك التى لم يكن يريد لها ان تموت ، عندما يتقدم به العمر وتقعده السنون عن مزاولة المهنة التى احترفها !

ولكن وليام الصغير لم يكن يميل كثيرا الى العمل مع ابيه فى التجارة ، فكان يهرب من المتجر ، ويذهب الى المدرسة التى لم يكن يدخلها الا القادرون ، وهى مدرسة كنجز School Kings ، فى كانتبرى ، الى ان جاء يوم ، اكتشف فيه الأب سر تغيب ابنه عن المتجر ، عندما شاهده يحمل كتبه عند موعد الانصراف من المدرسة .

ويومها اكتشف الأب ان زوجته وام ابنه كانت هى وراء هذه « المؤامرة » ، فكانت تدفع مصاريف دراسة ابنها سرا دون ان يعلم الوالد بشىء مما يدور حوله!

ونجح وليام فى دراسته والتحق بجامعة كامبريدج واصبح عالما ، الى ان توصل الى اكتشافه للدورة الدموية فى جسم الانسان . وكبر وليام وتزوج فتاة تنتمى الى اسرة كريمة ، ولكنه لم ينجب اطفالا ، ومضت السنون ، وتقدم به العمر حتى اعجزه المرض واصيب بشلل كامل فى يوم ٣ يونيو ١٦٥٧ ، اعجزه حتى عن الكلام .

وعندما دنت ساعته ، فتح وليام فمه ، وتمتم ببضع كلمات قال : « اننى اترك ثروتى لأبنـاء اخوتى ، ولكننى أخص الكلية الملكية للاطباء بالجزء الأكبر منها !»

ولم تكن هذه هى وصيته ، فقد دعا وهو يلفظ النفس الأخير ، كل العلماء الى ان يبذلوا قصارى جهودهم فى البحث عن أسرار الطبيعة ، تلك التى أفنى فيها كل سنوات عمره !

★ ★ ★

لا ننسى بهذا الصدد ان نقول ان ابن النفيس العالم العربى سبق أهل الغرب فى اكتشاف الدورة الدموية ، لا كلها ولكن تلك التى يخرج الدم فيها من القلب ويذهب الى الرئة ليتطهر فيها من ثانى أكسيد الكربون ويزود فيها بالاكسجين ، ثم يعود الى القلب مرة أخرى ، ليضخه الى الجسم .. وهى الدورة التى تعرف « بالدورة الصغرى » . والمرجح ان هارفى لم يكن يدرى بهذا السبق ، فقد تم اكتشاف هـذا السبق فى السنوات الاخيرة . ■■

ضحية حماس في غير موضعه

بقلم : حسن الجداوى

■ في سنوات الكساد الذي ساد امريكا في اواخر العشرينات من هذا القرن والتي واجهها رئيس الجمهورية انذاك روزفلت باجراءات حازمة ، شبه دكتاتورية ، ابقته على كرسي رياسة الجمهورية اربع مرات متوالية ـ وهي سابقة اولى واخيرة ـ في تلك السنوات العجاف كانت سنة ١٩٣٢ من اسوا تلك السنين على العدد الكبير من الامريكيين وكان وقعها اشد ما يكون على مدينة « اشفيل » .

ذلك ان تلك المدينة هي المدخل لمقر كبير للهدوء والاستجمام يسمى « اسموكز الكبير » يلجأ اليه المنهوكون ـ جسمانيا وعقليا ـ ليتمتعوا بفترة من الهدوء تعيدهم قادرين على مواصلة العمل . وتعتبر مدينة اشفيل شهور الصيف موسما لها ، ولكن صيف سنة ١٩٣٢ لم يات لسكانها بالخير الذي توقعوه . فالزوار قليلون ، والمال في ايديهم شحيح ، وديون اهل المدينة تثقل على كواهلهم ، ومثل هذا الضيق يساعد على خلق الاشاعات وانتشارها ، وهو ما حدث عند مقتل « لوني راسل » العامل بمحطة لتوزيع البنزين .

★ ★ ★

كان اول من حضر الى محطة البنزين ممرضة وجدته في حالة نزع ، وقال لها ان شخصين حاولا السطو على المحطة ولكنه قاومهما ، فاطلقا عليه رصاصة من الخلف . وتجمع الناس بعد ذلك حتى ان البوليس حين وصل هناك صعب عليه الوصول الى المحطة من شدة الزحام .

وفي وسط هذا الزحام الشديد بدأ عمدة المدينة التحقيق ، وتمكن البوليس من الاهتداء الى شاهدين لم يسمع اى واحد منهما صوت العيار الناري : احدهما عامل في فندق ، قال انه رأى رجلين احدهما اطول من الآخر يجريان من محطة البنزين الى سيارة كانت واقفة على الرصيف المقابل ركباها وفرا بها . وسيدة قالت انها رات رجلين يجريان وان عربتهما كانت تحمل « لوحة من نيوجرسي » .

ثم تقدم شاهد ثالث ـ وكيل شركة تامين ـ وقال انه لاحظ ـ في اليوم السابق ـ وقوف سيارة من « نيوجرسي » بجوار محطة البنزين . ولانه سبق له الاقامة بتلك الولاية وقف يتبادل حديثا قصيرا مع الرجلين الموجودين بالعربة ، وقال ان احدهما اطول من الآخر ووصف الطويل بانه اشقر الشعر .

★ ★ ★

ولان جريمة القتل حدثت في نحو الساعة التاسعة من مساء يوم ٢٧ سبتمبر انحصر البحث في تاريخين مهمين : ساعة ارتكاب الجريمة . وامسية يوم ٢٦



سبتمبر وهو اليوم السابق عندما راى وكيل التامين الرجلين (المترصدين ؟) بجوار محطة البنزين في عربة تحمل نمرا معدنية لولاية « نيوجرسي » .

ولاهمية تحديد هذين التاريخين يجدر بالقارىء ان يتذكرهما جيدا . ذلك ان من اقوى وسائل الدفاع هو « الدفع بالغيبة » ALIBI اى ان يثبت المتهم انه لم يكن موجودا في مكان الجريمة وقت ارتكابها .

★ ★ ★

بعد ذلك ننتقل بالحديث الى مأساة الرجل الثاني في هذه القضية واسمه «جاس كولن لانجلى» وسنقتصر على تسميته « لانجلى » فيما يلي من رواية .

كان لانجلى في اليومين المحددين في ولاية «نورث كارولينا » . فهو من مواليد مدينة ولمنجتون على الشاطىء وعلى بعد اربعمائة ميل من مدينة اشفيل . وقد عاش لبضع سنوات في نيوجرسي يعمل في دهان البيوت . ولكن الكساد حل عليه فقد اقترح عليه ابوه ـ الذى يتولى نفس العمل في ولمنجتون ـ ان يحضر الى ولمنجتون ليعمل معه ويقتسما ايراد اى عمل يحصلان عليه . وصادف الاقتراح هوى في نفسه فاتفق مع زوجته على ان تبقى في نورث كارولينا للعناية باولادهما ، حتى يجرب زوجها حظه مع ابيه .

واستعدادا للرحلة الصق « لانجلى » على جوانب عربته عدة اعلانات مزوقة واسعار رخيصة مغرية لاعمال الدهان على امل ان يجد زبائن على طول الطريق تساعده في تغطية مصاريف الرحلة .

وكانت العربة تحمل لوحة رخصة من نيوجرسي . ويحسن بنا ان نلفت النظر ـ هنا ـ الى ان النظام في امريكا يختلف عن النظام عندنا . فصاحب اللوحة (الرخصة) يضعها على اى سيارة يملكها . لان اللوحة المعدنية تصدر عن سنة محددة فاذا انتهت السنة لم تعد اللوحة صالحة ولا بد له من لوحة جديدة . وكان لانجلى يستعمل لوحة نيوجرسي لانها سارية المفعول .

واصطحب لانجلى معه في العربة صديقه ويلسي جونسون . ومع ان لانجلى كان متوسط الطول ، لا هو بالطويل ولا بالقصير الا انه كان اطول من صديقه بعدة بوصات .

★ ★ ★

وفي اليوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر اى اليوم السابق على ارتكاب جريمة القتل عندما راى وكيل شركة التامين سيارة تحمل لوحة من نيوجرسي واقفة بقرب محطة البنزين ، كان لانجلى قد اوقف سيارته في احدى محطات تموين السيارات، على مسافة اربعمائة ميل من مدينة « اشفيل » ذلك انه قابل جماعة من الضباط تعطلت سيارتهم في الطريق فاخذهم معه الى معسكرهم وتصادقوا اثناء الطريق وتبادلوا بطاقات بعناوينهم . واثناء خروجهم من المعسكر حوالي الساعة التاسعة مساء اصطدم به جندى على دراجة وحررت مذكرة عن هذا الحادث البسيط . وبعد ان سار مسافة قصيرة بدأت احدى العجلتين الاماميتين تترجرج . ولان الوقت كان متاخرا لا يسمح باصلاحها على جانب الطريق استمر يسير بالعربة وهي «تعرج» حتى نقطة البوليس في « اليزابث تاون » حيث سمح له رئيس النقطة بان يوقف سيارته في فناء مدرسة قريبة ، ويقضي ـ هو ورفيقه ـ الليلة في السيارة .

وفي صباح الغد ـ وهو كما نذكر يوم ارتكاب الجريمة ـ اكمل لانجلى اصلاح سيارته وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ، وامضى ساعة او اكثر في الحديث مع رئيس نقطة البوليس وكان لا يزال على مسافة اربعمائة ميل من مدينة اشفيل مكان الجريمة .

وعندما وصل لانجلى بالسيارة الى الكوبرى الذى يوصل الى ولمنجتون حيث يجب ان يدفع اتاوة مرور قدرها ربع دولار . كان ـ هو وصديقه ـ قد صرفا كل ما معهما من نقود . فشرحا لحارس الكوبرى ظروفهما ، ووعد لانجلى الحارس بان يعود فورا بعد ان ياخذ من ابيه ربع الدولار المطلوب ولكن الحارس (المحصل) رفض ان يسمح له بالمرور . وكان معهما بالسيارة علبتا زيت اخذا يعرضانها على محطات البنزين في تلك الناحية ليحصلا على مقابل ضريبة المرور الا ان احد رؤساء محطة البنزين اقرضهما مبلغ الربع دولار ليعبرا على الكوبرى .

وحين وصل لانجلى الى منزل والده استقبله

الاب بالاحضان وكان معه لفيف من الاصدقاء وقد اقاموا له حفل استقبال .

★ ★ ★

ولم تكد تمضي خمسة ايام حتى انتزع هو وجونسون من منزل الاب واقتيدا الى مدينةاشفيل بتهمة قتل عامل محطة البنزين . وكان الدافع الوحيد الى اتهامهما ان سيارة « لانجلي » تحمل صفيحة رخصة من نيوجرسي وهي الوحيدة التي استطاع موظفو المدينة الاهتداء الى وجودها في الولاية في يوم ارتكاب جناية القتل .

واقل نظرة الى خريطة الولاية تبين ان «اشفيل» في اقصى الغرب من ولاية « نورث كارولينا » حيث تضيق الحدود كانها اصبع سبابة محشورة بين ولاية تنسي في الشمال وكارولينا الجنوبية وجورجيا في الجنوب وان مدينة اشفيل هي اسهل واسرع طريق للهرب من اشفيل الى الشمال او الى الجنوب حيث ان المسافة بينها وبين الطريق الرئيسي اقل من اربعين ميلا .

★ ★ ★

ومع ان لانجلي قد ابلغ اثنين من مساعدي العمدة انهما يستطيعان التأكد من انه كان في ولمنجتون في يوم ارتكاب القتل فانهما ـ اي المساعدين المذكورين ـ لم يعيرا الامر اي انتباه . فحين يكون الراي العام هائجا تحت ضغط الشائعات فان هم رجال الامن الاول هو وضع اليد على متهم ايا كان لتهدئة الراي العام . وقالا له ان لديهم شهودهم في اشفيل .

وفي اشفيل وعد رئيس البوليس انه سيحقق دفاع لانجلي من انه لم يكن موجودا في مكان الجريمة في اليومين المحددين . ومضت عدة اسابيع بعد ذلك ، وبعد ان وجهت للرجلين تهمة القتل ، ووعد رئيس البوليس قائم لم يتحقق .

★ ★ ★

وحوكم لانجلي في البداية بمفرده وحكم عليه بالاعدام وحفظت التهمة ضد جونسون . لذلك ندعه جانبا ونكتفي بتتبع ما حدث ل « لانجلي ».

ففي اثناء حبسه قبل محاكمته علم ان رجل التامين قد تعرف عليه ـ أعني على لانجلي ـ بانه الرجل الذي تحدث اليه في اشفيل في اليوم السابق على ارتكاب جناية القتل . لذلك كتب الى ضباط الجيش في معسكر براج،والى الجندي الذي اصطدم بدراجته وحررت مذكرة بالحادث ، والى رئيس بوليس اليزابيث تاون ، يطلب منهم ان يؤكدوا انه كان عندهم في ذلك التاريخ على مسافة اربعمائة ميل من مكان الجريمة . ومضت عدة ايام بل وأسابيع دون أن تصله اجابة فاعاد الكتابة اليهم جميعا أكثر من مرة دون جدوى .

هذه واحدة . اما الثانية من الاعيب البوليس فقد كانوا وضعوا لانجلي في زنزانة بمفرده وبعد فترة ادخلوا معه في الزنزانة زميلا من رجالهم بقي لايام قليلة لم افرج عنه .

★ ★ ★

وبدات المحاكمة في شهر ديسمبر . وكان محامي لانجلي مريضا ، وتطوع آخر للدفاع بدل زميله المريض ، وطلب تأجيل نظر الدعوى ليتمكن من دراسة القضية . ولكن مجموعة من الشهود كانوا قد حضروا من ولنجتون . وكان لانجلي متأكدا من انه سيحكم ببراءته لذلك أصر على أن تجري المحاكمة بدون تأجيل .

وكانت محاكمة من نوع غريب . فممثل الاتهام لم يتقدم بدليل واحد على ان لانجلي كان في اشفيل في يوم الجريمة . واكتفى بتقديم شاهدين اعتبرهما كافيين .

الاول وكيل شركة التامين الذي قال انه تحدث الى لانجلي في اليوم السابق لارتكاب الجريمة عندما كانت عربته تقف على مقربة من محطة البنزين .

وفي اثناء استجوابه قرر انه تعرف على لوحة نيو جرسي لان لون الصفيحة المعدنية كان أصفر وأحمر (في حين ان الصفائح المعدنية لرخص نيو جرسي في تلك السنة كانت خضراء غامقة وبيضاء . كما اعترف انه وصف لون شعر لانجلي في اول الامر انه فاتح بينما هو أسود حالك . وقال ان لانجلي كان يلبس قميصا قصير الاكمام وانه لا توجد على جسمه آية رسومات بينما

ذراعي لانجلي وصدره عبارة عن غابة كثيفة من الرسومات .

واما الشاهد المهم الثاني في تقدير الاتهام فهو الزميل الذي شارك لانجلي في الزنزانة لفترة قصيرة . ويطلق على امثاله في عرف رجال البوليس والمساجين انه ـ خروف ـ وقد شهد ان لانجلي اعترف له بارتكاب الجريمة وتباهى بانه يستطيع ان ياتي باي عدد من الشهود من ولنجتون ليثبتوا براءته . وقد تبين فيما بعد ان هذا الرجل كان مقبوضا عليه بتهمة احداث عاهة مستديمة بالاشتراك مع آخرين ، وانه حكم على اثنين من شركائه بخمس واربعين سنة سجنا ، أما هو فقد حكم ببطلان اجراءات الاتهام وببراءته ، بعد ان ادلى بشهادته ضد لانجلي .

ودافع لانجلي عن نفسه وشرح باسهاب الادلة على انه في يومي ٢٦ و٢٧ من شهر سبتمبر كان في ولنجتون على مسافة ٢٩٠ ميلا من مكان الجريمة وجاء شهود يؤكدون صحة اقواله ، ولكن ممثل الاتهام قضى على قيمة شهاداتهم بزعم ان شهاداتهم انحصرت في القول كالببغاوات « يوم الثلاثاء ٢٧ سبتمبر » ، وان مجموعة من الطيور استجلبت من بائع الطيور كان يمكن ان تقوم بنفس الدور ، ونسي ـ او تناسى ـ ان يوم ٢٧ سبتمبر هو اليوم الاساسي لارتكاب الجريمة وان عدم وجود المتهم في اشفيل في ذلك اليوم دليل قاطع على انه لم يرتكب الجريمة المنسوبة اليه ... وطوال نظر القضية كان ممثل الاتهام يتساءل : لماذا لم يستدع المتهم شهودا تثبت اين كان يوم ٢٦ سبتمبر واتخذ من ذلك ذريعة لاهدار شهادة الشهود الذين جاءوا من ولنجتون .

وبعد ساعتين من المداولة اصدر المحلفون قرارهم بان لانجلي مذنب واصدر القاضي حكما بان يعدم على الكرسي الكهربائي .

★ ★ ★

وتحدد يوم الاعدام في سجن كارولينا الشمالية. وتناول لانجلي طعامه الاخير وحلق له شعر راسه واخذ مقاسه لالباسه الخوذة التي تساعد على سرعة انتقال التيار الكهربائي ولم يبق امامه الا اقل من نصف ساعة . وفتح باب الزنزانة واستعد لانجلي ليسير خطواته القليلة الى كرسي الاعدام.

ولكنه اخطر ان امرا صدر بارجاء التنفيذ بسبب خطأ قضائي وقع في صيغة النطق بحكم الاعدام ، لان القاضي الذي نطق بالحكم لم يذكر ان التهمة جناية قتل من الدرجة الاولى . ولم يكن عند « لانجلي » المال اللازم لاستئناف الحكم . ولكن المحامي الذي تولى الدفاع عنه هو الذي اكتشف العيب في الحكم وتبرع بالرسوم المطلوبة .

★ ★ ★

ان المرافعة امام القضاء ـ اتهاما كانت ام دفاعا ـ يجب ان تكون باسلحة نظيفة ، ولذلك نود ان نعتقد ان ممثل الاتهام وهو يتحدى المتهم ويطالبه بان يقدم دليلا على عدم وجوده في مكان ارتكاب الجريمة يوم ٢٦ سبتمبر لم يكن يعلم السبب في عجز المتهم عن تقديم ذلك الدليل . فقد ظهر في تحقيق اجري فيما بعد ـ بمعرفة مكتب محافظ الولاية ان ضابط الجيش ورئيس البوليس اليزابيث تاون شهدا بانهما لم يتسلما اي خطاب من الخطابات العديدة التي ارسلها لهما «لانجلي». ذلك ان لانجلي كان يسلم الخطابات التي يريد ارسالها الى حراس السجن المعينين من قبل رئيس بوليس اشفيل الذي اجرى القبض على لانجلي . واسترسالا في حسن الظن نقول انها ربما كانت مصادفة بحتة ان جميع هذه الخطابات التي كتبت في اوقات مختلفة وعلى فترات متباعدة قد فقدت جميعها ، لولا انه قد عثر عليها جميعا بعد ذلك في مكتب رئيس بوليس مدينة اشفيل .

وحتى بعد ان ثبت ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ صحة دفاع لانجلي بانه لم يكن موجودا في مكان وتاريخ ارتكاب جناية القتل فقد اجري تحقيق طويل لالغاء حكم الاعدام . ذلك ان رجال الحكم ـ في الادارة وحتى في القضاء يصعب عليهم ان يسلموا بان خطأ وقع . ففي بادىء الامر استبدل بعقوبة الاعدام عقوبة الاشغال الشاقة مدى الحياة وافرج عن « لانجلي » افراجا مؤقتا مشروطا بعدم مغادرة نيوجرسي وتقديم نفسه يوميا لقسم البوليس . واخيرا ـ في اغسطس سنة ١٩٣٦ ـ ـ اي بعد اربع سنوات من القبض عليه ـ سلمت الولاية بانه بريء وصدر قرار بالعفو الشامل عنه.

■■

حسن الجداوي

مِنَ المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول اكتوبر ١٩٧٣

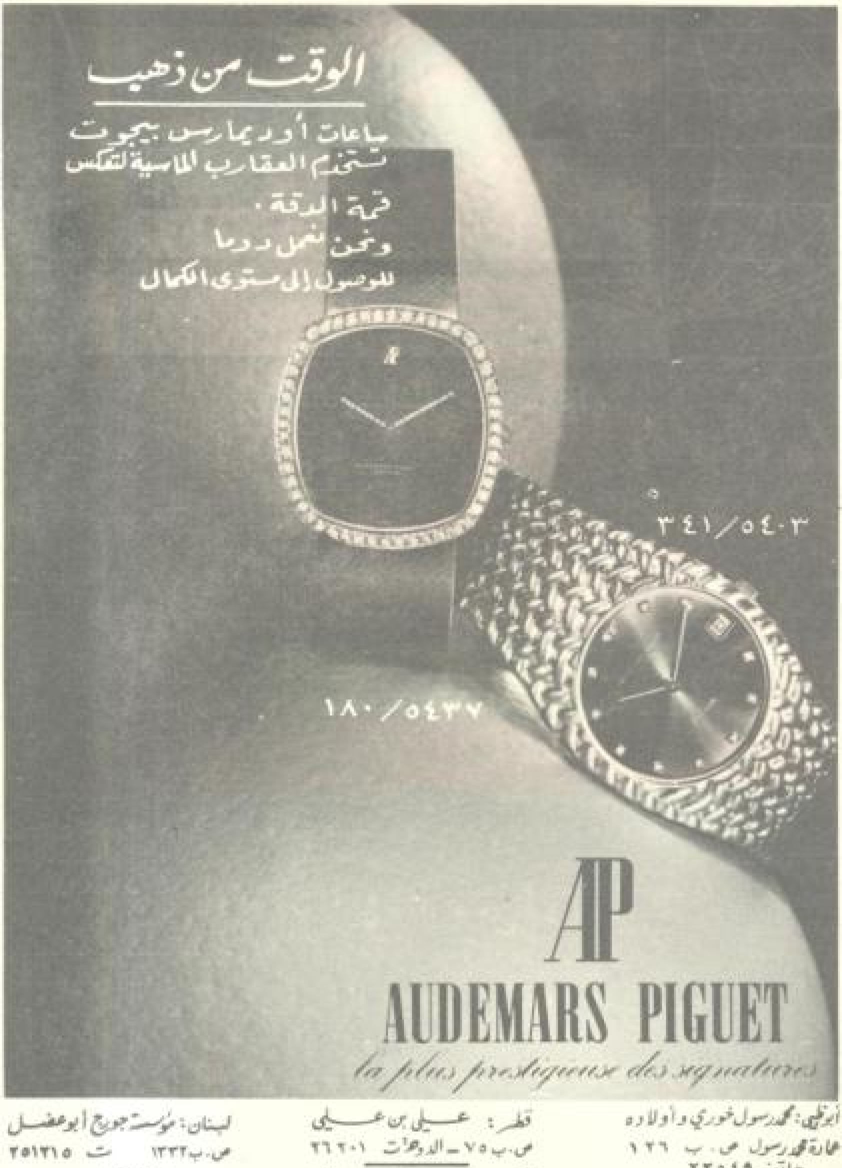
(٤٩)

من المسرح الأمريكى المعاصر

• الحلم الأمريكي • ألبى

• الطابعان على الآلة • شيزچال

تقديم : د. على الراعى
ترجمة : تماضر توفيق
مراجعة : د. وداد حماد



أبوظبي: محمد رسول خوري وأولاده
عمارة محمد رسول ص. ب ١٢٦
هاتف ٢٢٥٤٩

دبي: ابراهيم أحمد صديقي
ص.ب ٢١٢٣
هاتف ٢٢١٦٩

قطر: علي بن علي
ص.ب ٧٥ ـ الدوحة ٢٦٢٠١

الكويت: أحمد يوسف بهبهاني
ص.ب ٥٦٧ ت ٤٢٧٠٧١

البحرين: بهبهاني اخوان المحدودة
ص.ب ١٦٨ ت ٣٨٧٢

لبنان: مؤسسة جورج أبو فضل
ص.ب ١٣٣٢ ت ٢٥١٣١٥
بيروت

المملكة العربية السعودية:
بجير للساعات والمجوهرات
شارع الملك عبد العزيز ص.ب ٦٨١
هاتف ٥٥٥٣ ـ جدة

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

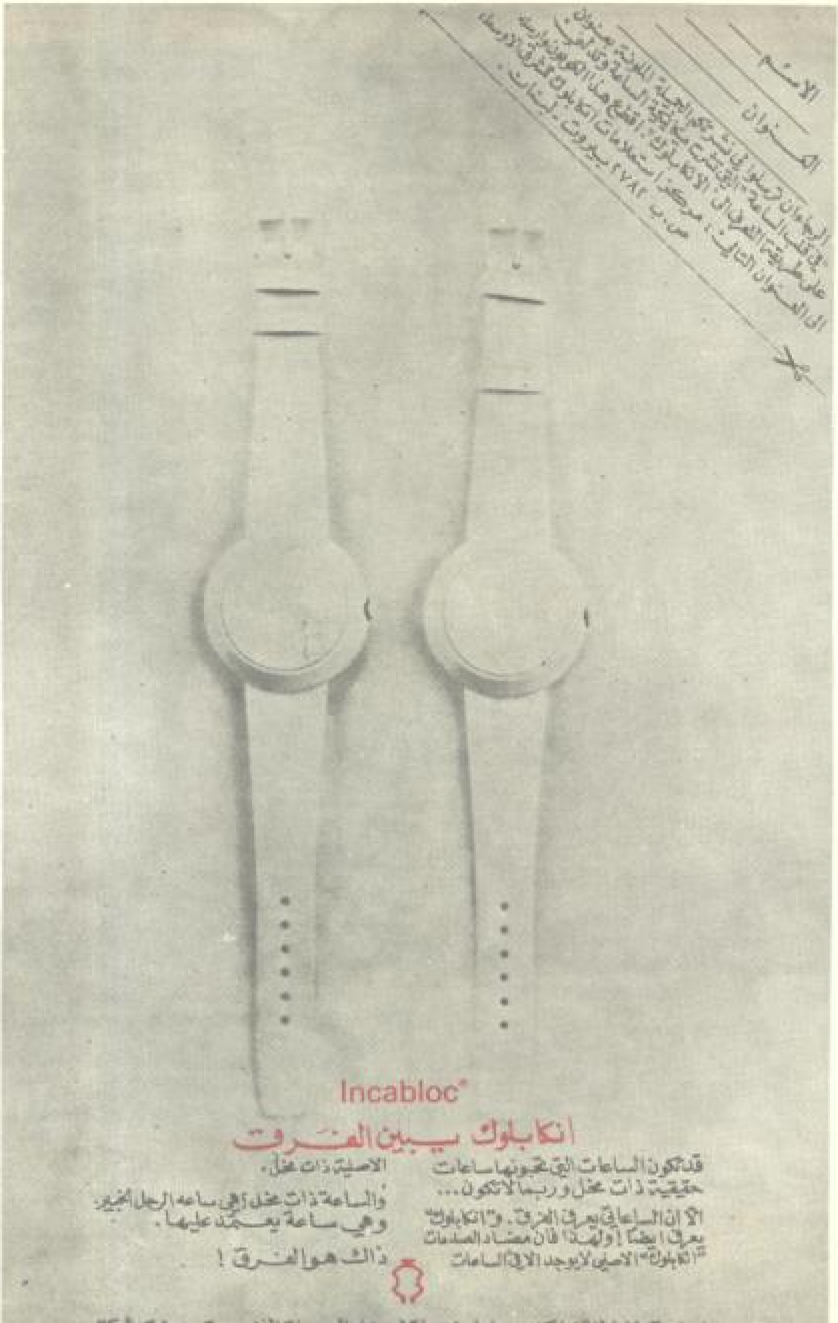
بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

راس المال والاحتياطي : ـ/٢٢٫٨٨٤٫٤٨٣ د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧٢ : ـ/٣٥٦٫٥٣٧٫٤٠٥ د.ك

المكتب الرئيسي : ص.ب ٩٥ تلفون { ٤٢٢٠١١ (١٥ خطا) ٤٢٢١٩٥ (٥ خطوط)



الاسم
العنوان
الى العنوان التالي: مركز استعلامات انكابلوك للشرق الاوسط
ص.ب ٢٧٨٢ بيروت، لبنان.
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات
حقيقية ذات عقل وربما لا تكون...
الا ان الساعاتي يعرف الفرق. و"انكابلوك"
يعرف ايضا! ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات
الاصلية ذات عقل،
والساعة ذات عقل هي ساعة الرجل الخبير،
وهي ساعة يعتمد عليها.
ذلك هو الفرق!
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركة
بورتسكاب، لاشو دي فون، سويسرا او بورتسكاب فرنسا، بيزانسون.



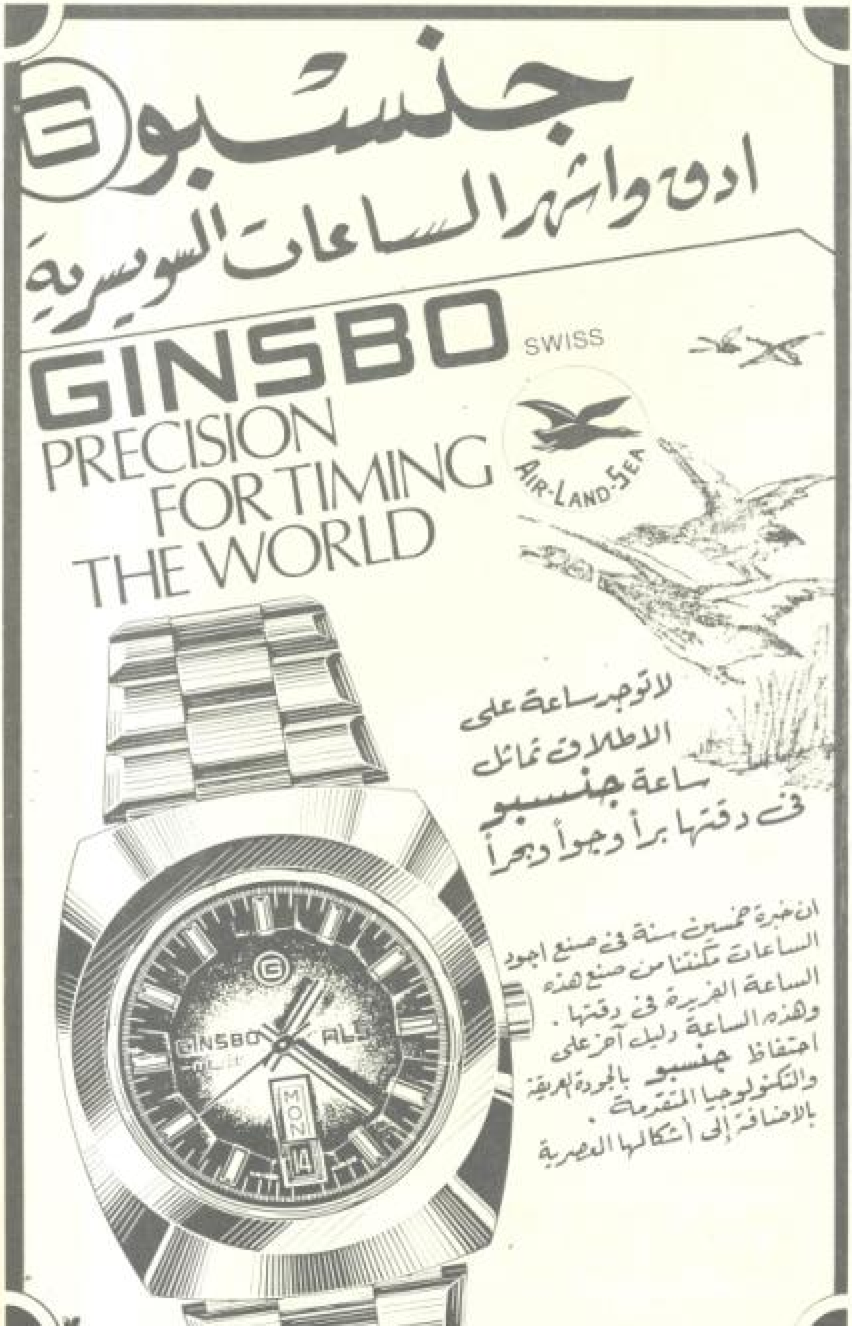
"داتسون أخرى جديدة 120Y ..؟"
"نعم.. بالتأكيد"

حينما ذهبت داتسون الجديدة 120Y فإنها موضع إعجاب الجميع. إنها النقطة الهامة التي يدور حولها كل حديث. ونحن في شركة نيسان قد سررنا بهذا الإعجاب والتقدير لأننا فعلنا ما بوسعنا لنجعل من 120Y السيارة التي تحلم بإقتنائها. حسنة التصميم، سباقة، يعتمد عليها، ومزودة بالكماليات الكثيرة.
إلا أن داتسون لا تترك لك الخيار عندما يكون طلبك الراحة والنوعية الجيدة في الهندسة والتصميم. إن 120Y هي المتعة في القيادة.. وتصميمها الداخلي مدهش. مرنة ومريحة مهما قست الطرق. محركها الدقيق الصنع والبالغة قدرته ١٢٠٠ سي سي يعطيك سرعة ١٥٠ كم في الساعة وبمصروف زهيد من الوقود.
إقتن 120Y وكن فخوراً بها مثلنا.

Nissan puts people first

DATSUN

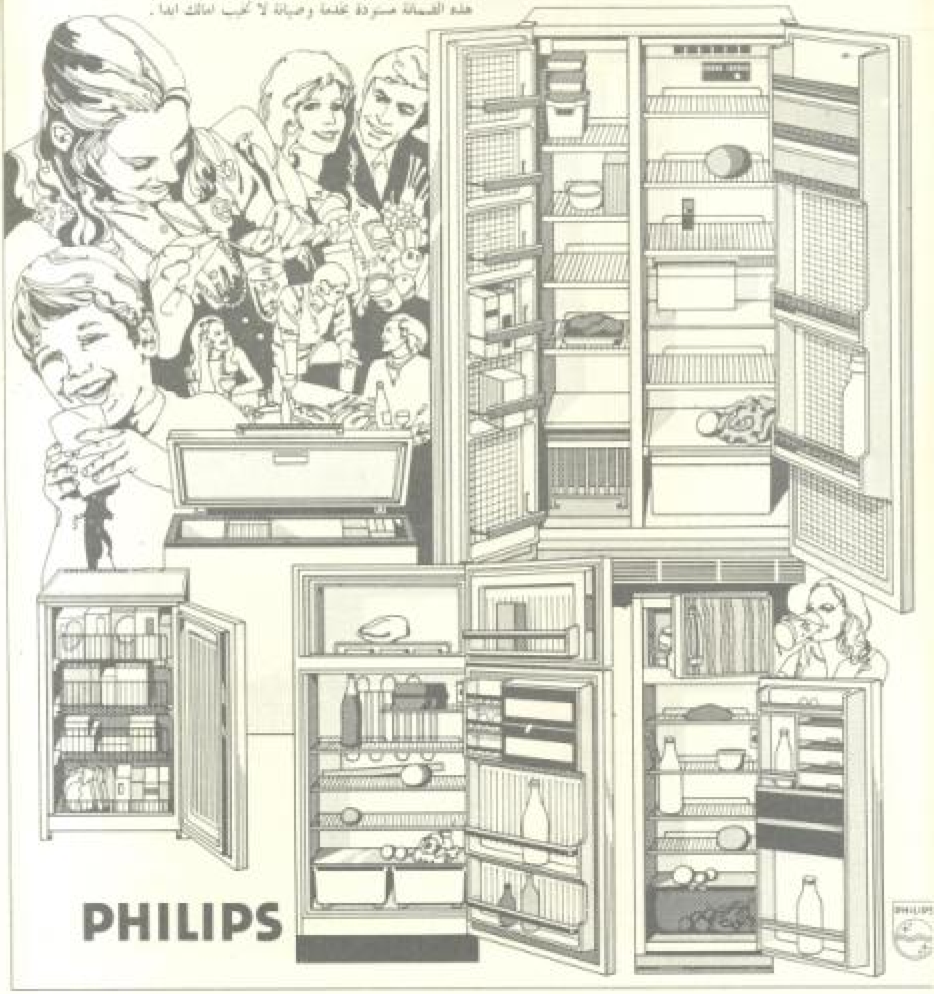
NISSAN MOTOR CO., LTD.



جنسبو
ادق واشهر الساعات السويسرية
GINSBO SWISS
PRECISION FOR TIMING THE WORLD
AIR-LAND-SEA
لاتوجد ساعة على
الاطلاق تماثل
ساعة جنسبو
في دقتها براً وجواً وبحراً
ان خبرة خمسين سنة في صنع اجود
الساعات مكنتنا من صنع هذه
الساعة الفريدة في دقتها .
وهذه الساعة دليل آخر على
احتفاظ جنسبو بالجودة العريقة
والتكنولوجيا المتقدمة .
بالاضافة إلى أشكالها العصرية
GINSBO
MON
14

بـــرادات فيليبس لــن تخيب امـــالك

شركة فيليبس تدرك ان البرادات والثلاجات يجب ان تكون ضمن الاجهزة البيتية التي يعتمد عليها طيلة الوقت ، ولذلك فان الشركة تصنع هذه الاجهزة صناعة خاصة تجعلها تؤدي مهامها على اكمل وجه حتى في اشد الايام حرارة . ان اية عائلة لا يمكنها الا الاعتزاز بموديل ه ن ٢١٥٣ ذي البابين الذي تبلغ مساحة الحسر فيه ٢٩٥ لترا ، ومساحة قسم التجميد ٩٥ لترا . وكل ثلاجات فيليبس تملك نظاما لمنع تجمد الماء فيها وواحدة منها ملبسة من الخارج بقشر خشب ممتاز تتماشى مفروشات بعض المطابخ او غرف الطعام . واذا كنت تبحث عن ثلاجة للتجميد ، الافضل ان تختار الموديل العمودي المعتدل الحجم او الثلاجة الاكثر حجما التي تملك مخزنا عريضا للتجميد . وتذكر . . كل ثلاجات فيليبس مصحوبة بضمانة ، واكثر من ذلك ان هذه الضمانة مسنودة بخدمة وصيانة لا تخيب امالك ابدا .




بوم اي مرسيه
الساعة المعجزة
أعظم انتاج في حقل الساعات
BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
غاية في الدقة
رائعة في الجمال
أوتوماتيكية
آلتها المرصعة بثلاثين
حجر كريم تعمل لمدة
٥٥ ساعة بدون تحريك
الوكيل العام
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون
أحمد بهبهاني واخوانه
السالمية ت/ ١١٨٢٢٤

التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV . قياس ١٢ إنشاً يستقبل على تردد عالٍ (VHF) بالوجهين الأسود والأبيض ومزود بدارات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صوراً فورية متوازنة واضحة ونقية من أي تشويش. اقتصادي، (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط). شاشته مزودة بمصفٍّ خاص ليخفف من عناء العينين. تصميمه رائع ويتماشى مع مفروشات أي غرفة. وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المنزلي (١١٠-١٢٠ فولط و ٢١٠-٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط). وبهذا.. تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت.. مع **جنرال** - موديل TW-12EV

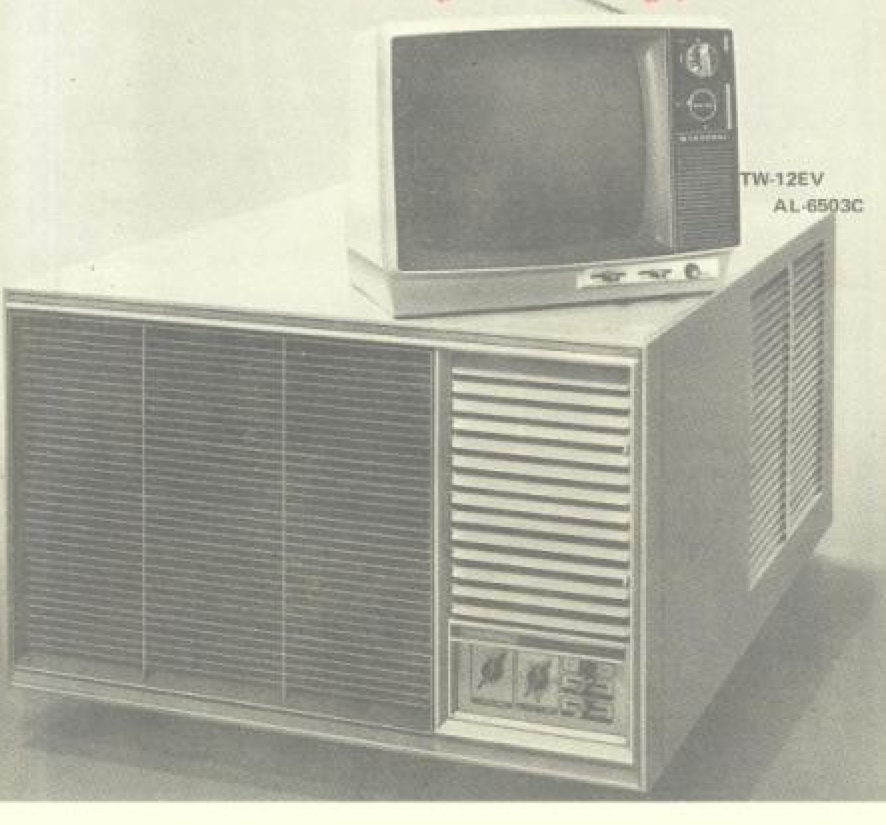
• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما سببان فقط من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C . طاقته BTU 21.500 تكفي لتبريد أكبر غرفة. أما خدمته فهي متفوقة وتدوم لحياة طويلة. ضوابطه صممت في موضع يسهل معه استعمالها، ومصفيه.. سهل التنظيف. هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها **جنرال** لتزيد من راحة الإنسان.. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيونها موديل TW-12EV .

إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف إلى حياتك نشاطاً نوعياً جديداً...

GENERAL جنرال

الجمهورية العربية السورية: [illegible] وشركاه - ص.ب ٩٥١ - دمشق.
الخليج العربي: ناتكو - ص.ب ٦٧٤ - أبو ظبي.
الخليج العربي: شركة الاتحاد التجارية - ص.ب ٢٨ - الكويت.
البحرين: إبراهيم [illegible] وأولاده - ص.ب ٦٢٠ - المنامة.
المغرب: [illegible] ١١٤ شارع المقاومة - الدار البيضاء.
إيران: شركة [illegible] المحدودة - شارع [illegible] رقم ٦ طهران.
ليبيا: [illegible] - ص.ب ٩٩٤ - طرابلس الغرب.
قطر: محلات المشيرب - ص.ب ١٩٢٠ - الدوحة.
لبنان: مؤسسة [illegible] للتجارة - بيروت.
الأردن: عبده نقاوا - عمان.
دبي: ناصر بن عبد الله ومحمد - شركة [illegible] للتجارة - ص.ب ٢٠٨٠.

نوعية جيدة من جنرال
تزيدك تسلية وراحة

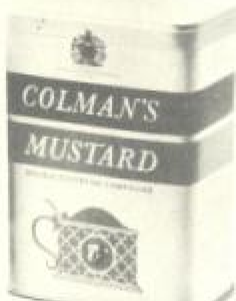


يجب ان يتوفر في كل منزل ...



سافورا ـ ذو النكهة اللذيذة الفاتحة للشهية

سافورا هي أفضل المواد التي يمكن اضافتها إلى السلطة واللحوم والسمك والجبن وهي تزيد من لذة طعمها ... وهي المادة ذات النكهة اللذيذة الفاتحة للشهية التي يحبها جميع أفراد العائلة . احفظوها دائماً في المطبخ .



خردل (مستردة) كولمان للاضافة إلى الطعام

وخردل (مستردة) كولمان هو أشهر أنواع الخرادل الانكليزية وهو يضفي نكهة لذيذة على اللحوم والسمك والجبن . كما يمكنكم اضافته إلى الصلصة العادية أو صلصة السلطة .

ستيرادنت لتنظيف وانعاش الاسنان الصناعية

تحتاج الأسنان الصناعية إلى منظف خاص مثل (ستيرادنت) الذي يتوفر في شكل أقراص أو مسحوق (بودرة) . وهو ذو رغوة لطيفة المفعول ... مفعول ينظف الأسنان الصناعية بفعالية عظيمة وأمن تام . وهو يزيل التلوثات الخفيفة في فترة تقل عن ١٠ دقائق . يجب أن تحتفظوا به في غرف الحمام واستعماله بصفة مستمرة .



ديتول ـ المطهر المثالي للمنازل

استعملوه للجروح وتكشطات الجلد وكمطهر منزلي بسيط . وهو متعدد الاستعمالات ويوصي باستعماله الأطباء في جميع انحاء العالم بفضل مفعول وقوة تطهيره . احتفظوا به في غرف الحمام .

خردل (مستردة) كولمان ، سافورا ، ديتول ، وستيرادنت من منتوجات شركة ريكت وكولمان

OLMA

Super Caravelle



ساعة

أولما

للجميع

سوبر كرافيل
أوتوماتيكية
دقيقة الصنع
جذابة

الوكيل العام } مراد يوسف بهبهاني ساحة الصفاة



الــرفيــق لــوقت الضيق
جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-410"

هذا هو جهاز الراديو FM-MW-SW / المسجلة كاسيت للذين يحبون الاستمتاع بالالحان الشجية.
فهو يلتقط أكثر الموجات القصيرة شعبية (٤ الى ١٢ ميغاهرتز)، بالاضافة الى الموجة المتوسطة وموجة FM التي تضم مفتاح AFC لالتقاط حساس حر من الانحراف. وهو ثمين حيوي عند تسجيلات الاذاعات على هذه الموجة الحساسة للغاية.
وتصدر الاصوات عن الراديو والمسجلة كاسيت بواسطة مكبر اصوات نشيط قطره ١٢ سم، مركب في الجهة الأمامية لمزيد من الجودة الصوتية. الطاقة القصوى: ١٫٥ وات.
اما خصائص المسجلة الكاسيت فانها تشمل التوقيف الأوتوماتيكي، وضابطة "سوني - او - ماتيك" لتعديل مستوى التسجيل أوتوماتيكيا، ومنظم الأصوات المتعدد دومًا، ومايكروفون ضمني بمكثف الكتريت، وقابلية العمل على التيار المتناوب، والبطاريات، والخلية الصالحة لإعادة القبنشة، وبطارية السيارة او الزورق. بالاضافة الى العديد من الأشياء الأخرى المناسبة التي توفر من الوقت والمشاكل.

جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-410"
الرفيق لوقت الضيق.

انه أفضل... لانه من صنع سوني

SONY سوني



رفيـــقك في تنقـلاتـك :
جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-450"

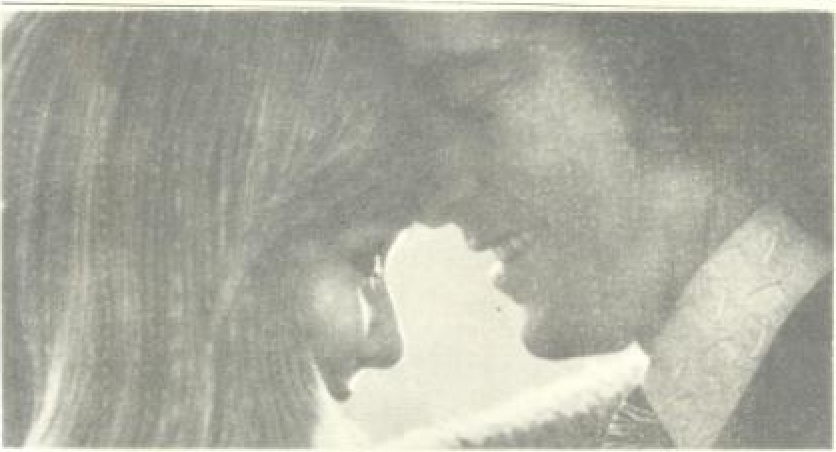
هنا هو جهاز الراديو FM-AM / المسجلة كاسيت للذين يودّون استعماله وهم متنقلون!
ففيه خاصة سوني "سوني بالانس" التي تعلمك بانك تستطيع تسجيل الأصوات والاستماع الى تسجيلاتك وانت تمشي او تركض في الطريق، وستكون الأصوات المسجلة ثابتة دائمًا وواضحة.
وفيه أيضًا خاصة للتوقيف الأوتوماتيكي عند انتهاء الشريط، ومايكروفون ضمني بمكثف الكتريك، وضابطة "سوني - او - ماتيك" التي تعدل الأصوات المرتفعة والمنخفضة أوتوماتيكيًا. وباستطاعتك أيضًا ان تعدل مستوى الأصوات الى اي ارتفاع تريده.
اما جهاز الراديو FM-AM الدقيق، فانه يضم مفتاح AFC الذي يمنع الانحراف الصوتي عند اشتغال موجات FM لمزيد من الوضوح والمتعة عند الاستماع اليه.
جهاز CF-450 يعمل على التيار المتناوب (مع منتخب خاص لثلاث طاقات من التيار الكهربائي)، والتيار المتواصل من البطاريات، والخلية القابلة لاعادة التعبئة، وبطارية السيارة أو الزورق، طاقته القصوى ١،٥ وات.

جهاز الراديو / المسجلة كاسيت "سوني CF450"
رفيقك في تنقلاتك.

انه أفضل ... لانه من صنع سوني

SONY سوني

انك تقدرها باهدائها
ساعة
تيسو



الساعة
التي تنير قلبها
وتضع الدقة على معصمها

ان جودة وجمال شكل
تيسو
جعلتها أكثر الساعات السويسرية مبيعا بالعالم

استفد من
١٢٠ سنة من الخبرة
في صناعة الساعات

انها بحق ساعة الغد



ان تيسو تحرص على أن
تناسب كل ذوق
فهي اما أن تكون

بسوار جلدي أو معدني
أوتوماتيكية أو عادية
ذهبية ، مطلية بالذهب أو بالكروم
مع تاريخ ، مضادة للماء ، بألوان عصرية جذابة
مستديرة أو مربعة



تيسو
TISSOT

بجميع اشكالها تشترك
في بناء شيء واحد بداخلها
"الجودة" مما جعلها أكثر
الساعات رواجا بالعالم .

ان تيسو تعرابطة أوميغا / تيسو العالمية

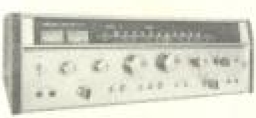


صفاء موسيقي رائع لايصدق



يمكنك الحصول على ما تنشده من نقاء
ووضوح بمسجل "آكاي" GX-400D
الاستريوفوني "ديك" المزود بأربعة رؤوس
من طراز "جي. اكس" ذات الشهرة

العالمية من انتاج "آكاي" (مصنوعة
من الزجاج وفريت الكريستال) التي تبقى
خالية من الغبار وتكفل لك اداة موسيقيا
رائعا مدى الحياة. وهناك ايضا الجهاز
الاستريوفوني GX-400D للمحترفين المجهز
بمدرجين لتسجيل الصوت. ويكمل هذه
المجموعة الجهاز AA-940 المضخم
للموالف FM/AM/MPX وجهاز مكبر
الصوت SW-175.



أوديو وفيديو
AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD. Ohta-ku Tokyo, Japan



رادو

الساعة الوحيدة في العالم الغير قابلة للخدش

UNIVERSE

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد

أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر



مارلبورو

رمز الجودة

A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

علامات مميّزة
أضيفت على إنتاجنا الجديد
لتضاعف أرباحك



(ICC-3101)

جهاز (ICC-3101) يحتوي على مؤشر
خاص ليحل بلمسة واحدة مشاكل
النسبة المئوية ، وباستطاعتك
بواسطة محول آخر معالجة الكسور
وجبرها „ الكسور الأقل من النصف
تحذف ، الكسور الأكثر من النصف تساوي
واحد „ وبذلك تحصل على نتائج خالية
من المشاكل الحسابية
إنه خفيف الوزن ونقال ولكنه جهاز

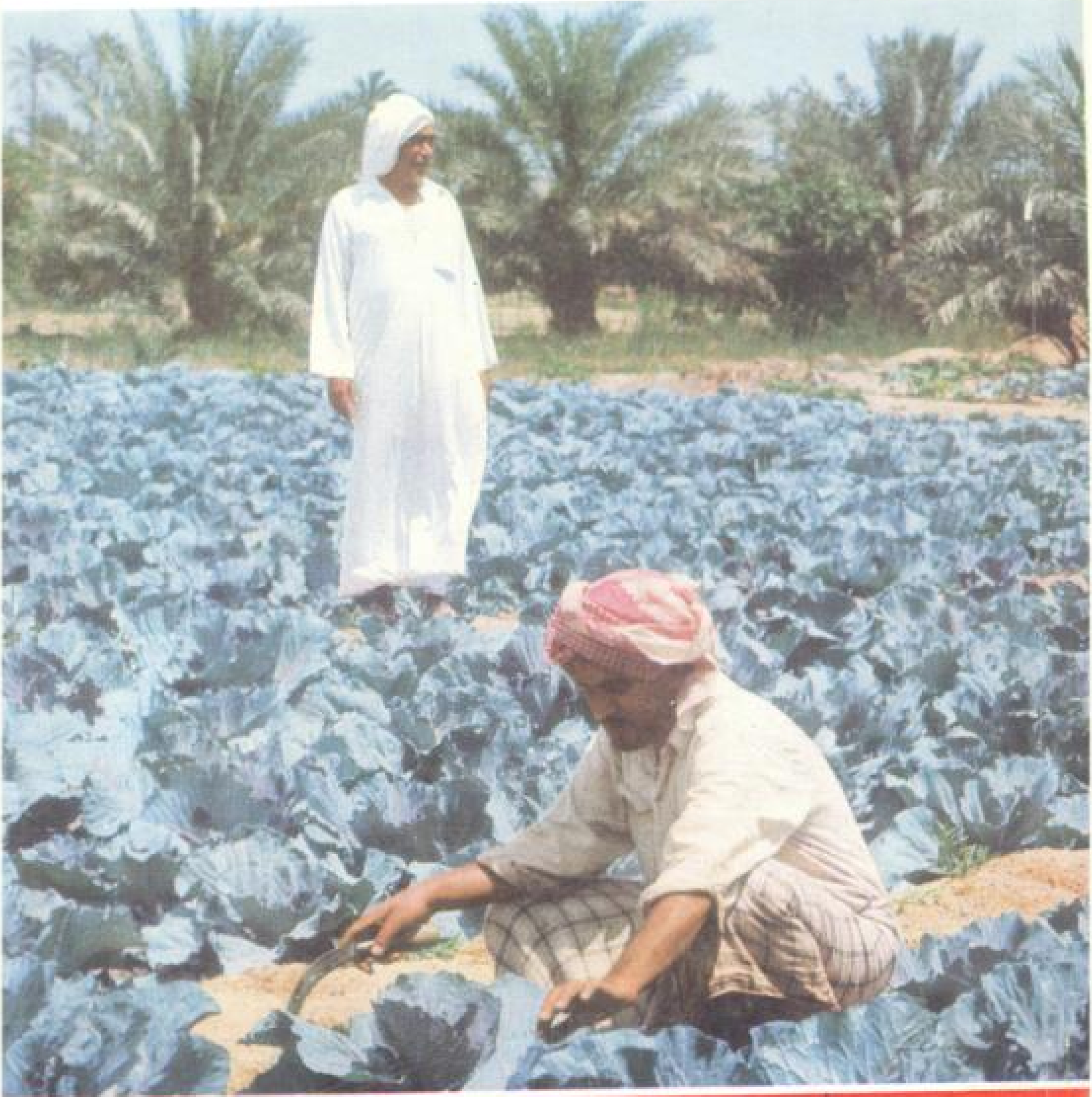
ذو ذاكرة مستقلة ، إذ أنك تستطيع أن تضيف
أو تطرح من الأرقام المخزونة في الذاكرة .
١٢ خانة ظاهرة على عداد الجهاز ، لكن
الأرقام تصل أحياناً إلى ٢٤ .
إنه يعمل بالبطاريات التي
يعاد شحنها أو على التيار
الكهربائي .
إختصروا الوقت في عملياتكم
الحسابية ووفروه لجني أرباح أكثر مع سانيو

SANYO سانيو

AAA/K-5/75

العربي

العدد ١٨٠
شوال ١٣٩٣
نوفمبر
(تشرين ثاني) ١٩٧٣



تجارب على زراعة الخضر فى القطيف بالسعودية

جوائز ١٢٠٠ دينار سنوياً

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	١٠٠ فلس	سوريه	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



« البائس »

لوحة زيتية

للرسام احمد فلمبان

من المملكة العربية السعودية

من سلسلة لوحات
الفنانين العرب

عزيزي القارئ

● قامت الحرب بين العرب واسرائيل .

انها حرب « التصحيح » التي كان لابد منها .

حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، حرب الستة الأيام ، حرب خضبت تاريخ العرب ، وتاريخ مصر خاصة ، بصفحة جللها السواد . حرب بداها الأعداء بغدر ، وانتهت فينا بتفكك وذعر .

ومضى على هذه الحرب ست سنوات ذاق فيها العرب المر . وكان المر ذلة . وكان المر صلفا وكبرياء ، وتطرات مزريات تقتحمنا اقتحاما . وعدو قليل ، ولكنه بغطرسته كثير ، به الطمع ، ومع الطمع الغرور . وخلا له الجو فدار على الدول العربية يوزع عليها عقوباته كما يشاء .

كان لا بد لكل هذا من « تصحيح » .

فقامت هذه الحرب ، حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، تصحح الأوضاع .

بها نريد ان نكتب صفحة في تاريخنا بيضاء ، تذهب بسواد تلك الصفحة الرهيبة القديمة السوداء .

وفاجاتنا هذه الحرب ، وقد تم طبع « العربي » الا صفحات . حتى الافتتاحية كانت جمعت حروفا ، وصففت صفوفا ، واوشكت بها المكنات ان تدور . فانتزعناها انتزاعا ، لنضع مكانها كلمة اخرى لحديث الشهر عاجلة . ●●

المحــرر

حديث الشهر

الحرب في أيَّامِهَا



بقلم رئيس التحرير

■ نحن اليوم فى اليوم الرابع من اندلاع الحرب ، بين اسرائيل والعرب ، والى اليوم تاتى الأخبار مبشرة بتقدم العرب فى كل ميدان فى جبهة القتال ، وفى مرتفعات الجولان ، وكذلك فى خليج السويس ، واسقط العرب الكثير من طائرات العدو ، واخذ العرب الكثير من الاسرى ، واستسلم للعرب من الاسرائيليين قوات بقضها وقضيضها ، وكل هذه اخبار تملأ قلب العربى غبطة ، وبها القلب يفيض .

ولن نسكت عن ذكر ضحايا العرب فى هذه الحرب الطاحنة ، فما نحسب أن النصر البادىء كان بالنصر السهل الميسور . فكل كسب فى هذه الدنيا لا بد له من ثمن ، فى الميادين جميعا ، ومن هذه الميادين ميادين الحروب .

ولسنا من الغفلة والغرور بحيث نبتهج ، فى هذه الأيام الاولى من الحرب ، ابتهاجا كاملا ، بحسبانها انها حرب دلّت

هذه الصورة وما تلاها سبقت الصحف اليومية بنشرها ، وانما نعود اليها فى هذا المقال السريع العابر لنسجلا لها

الأربعة الأولى

احد الجسور التي عبر عليها الجيش المصرى القناة في اول يوم من قيام الحرب . وقد تم اعداد الجسور ومرت عليها القوات في ست ساعات .



بوادرها دلالة حاسمة على خواتيمها . فالحروب قلب . وعدا هذا فللعدو انصار هم من القوة والجبروت ، مع الغباء ، بحيث قد يقتحمون الاحداث اقتحاما .

ولكنا نكتب لنؤكد في هذه الساعات الأولى امورا لا بد من تأكيدها هنا ،وعلى الفور قبل ان يلفها الزمان بالنسيان .

اسطورة كاذبة

واول هذه الاشياء ، ان هذا النصر الأول الذى كان ، هو فى ذاته ، وفى حدوده ، من حيث انه اول ، له ثان وثالث ورابع على ما نرجو ، كسب لا شك فيه . ولكن وقوع هذا النصر وصيرورته حقيقة لا مراء فيها ، ازال عن العرب ، وعن أهل الارض ، ولعله عن اسرائيل ايضا،تلك الأسطورة التى كانت تضع العدو فى مستويات من القوة ، والفن ، وحذق الحرب ، فوق كل مستويات الأرض ، وتضع العرب فى مستويات من الضعف والجهل وقلة الخبرة بشئون الصراع هى فى الحضيض الادنى من مستويات أهل الأرض . ونجح الاسرائيليون فى اذاعة هذه الأسطورة حتى قبل ان الروس اعتقدوها فأحجموا ، واعتقدها الامريكان ، واعتقدها الأوروبيون ، فمالوا على عادة بنى الناس الى مناصرة القوة حيث تكون . حتى العرب انفسهم ، فيهم من كفر بقوة العرب ورأى ان لا سبيل للسلام الا المسالمة والاستسلام .

انفقات هذه الأسطورة كما تنفقىء فقاعة الماء والصابون السابحة فى الهواء عندما يمسها مسا خفيفا طرف ابرة من فولاذ .

اسطورة ما كان أكذبها .

واسطورة ما كان انجحها .

واسطورة فقؤها كسب للعرب اول عظيم ، مهما تكن نتائج هذه الحرب آخر الأمر .

وهو كسب ثقة :

ثقة أمم الأرض بالعرب تلك التى ضاعت منذ ست سنوات او تزيد .

وثقة العرب بانفسهم ، وهذه أهم واخطر .

والعرب جاز ان تخذلهم الأقدار ، فى اى زمان ، ولكن الثقة بالنفس تصحح من سياسة هذه الأقدار ، وتصحح من سوء سلوك ساسة هذه الأرض .

والحرب مع الثقة تعود وتعود .

اسطورة
تضمنت اساطير

وهذه الأسطورة الاسرائيلية ،تضمنت اساطير .

الأسطورة الأولى

ومن هذه الاساطير اسطورة القنال ، قنال السويس .

زعموا ان القنال حد فارق يعطى الأمان الدائم لاسرائيل . واحتلت اسرائيل شاطىء القنال الشرقى ، فكأنما احتلت القنال كله ، وهو فى طوله اكثر من مائة ميل . ووقفت اسرائيل على ذلك الشاطىء الشرقى تهدد مصر بالغزو فى اى يوم هى تشاؤه . اما ان يعبر المصريون القنال ، الى الشرق ، فشىء تضحك منه اسرائيل سخرية به وبهم ، وحق لها ، وفى مخيلتها تلك الصورة الفاضحة القديمة ، صورة حرب الستة الأيام ، وما صاحبها من هزيمة للعرب منكرة . وتضحك اسرائيل ، ويضحك معها العالم . ومن دول العالم من يتفضل بنصيحة مصر أن لا تحاول المحال، فيكون القتال انتحارا ، فعندئذ قد يعبر الاسرائيليون القناة الى الغرب عبورا ما ايسره عندهم فتتأزم بذلك الأمور فوق تأزمها ، وبسوء المآل . مآل مصر والدول العربية معا .

اسطورة ان مصر عاجزة عن عبور القناة فضحتها حرب هذه الايام الاربعة



الرئيس السادات مع الفريق احمد اسماعيل والفريق سعد الدين الشاذلي (الواقف الى اليمين) في جبهة القتال .

★★★

من أول الطيارين الاسرائيليين الذين اسرتهم سوريا في هضبة الجولان





جندى مصرى يصعد على دبابة اسرائيلية ، ويشير بعلامة النصر بعد الاستيلاء عليها فى اول المعارك .

الماضية، فلم يبق فى ضفة القناة الشرقية اليوم الا مواقع يحتلها المصريون ، رفعت عليها اعلام مصرية. وكبرى مدن سيناء، استولت عليها الجيوش العربية ورفعت فوقها الأعلام. تلك مدينة القنطرة بشرق، واليها كانت تنتهى سكة الحديد ، عبر سيناء ، بين مصر وفلسطين .

الأسطورة الثانية

اما الأسطورة الثانيـة ، « فخط ماجينو »

وخط ماجينو خط دفاعى حربى متين فى التاريخ شهير ، اقامته فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية على حدودها الشمالية الشرقية بينها وبين الالمان . وكان القصد منه حمايتها عند الحرب من غائلات الاقتحام . وتحدثت الدنيا عن خط ماجينو ، وما به من سراديب ، وما به من ممرات كلها تحت الأرض ، وما به من أدوات للدمار لم يكد يسمع بها انسان . وصار الخط اسطورة .

وقامت الحرب بين فرنسا والمانيا . ورأى هتلر ورجال حربه هذا الخط الشهير المنيع امامهم . فركزوا هجومهم على ثغرة فى شماله ففتحوها . وعندما اقتحموا الخط، داروا حوله . وما أسرع ما وصل الالمان الى باريس بعد ذلك .

اسطورة اسرائيل صنعتها اسرائيل على غرار اسطورة صنعتها فرنسا . اقامت خطا،قالوا انه قائم بطول القنال، ليحمى سيناء من هجوم المصريين اذا صح يوما أنهم فى عبور القناة جادون . وأسموه خط « بارليف » (نسبة الى حاييم بارليف رئيس أركان جيشهـا السابق) تشبيها لـه بخط ماجينو ، وينشرون فى العالم هذا الاسم ، فيعطى الناس لهذا الخط بحكم الشبه صفات كانت للخط السابق المنيع ، خـط الفرنسيين .

وفى حرب الأربعة الأيام هذه الماضية



جندى مصرى واقف عند خط بارليف

فقات الجيوش العربية المصرية المحاربة هذه الفقاعة ، هذه الأسطورة كما فقات أسطورة القناة .

أسطورة ثالثة

واسطورة ثالثة ، أسطورة سلاح الطيران الاسرائيلى الذى لا يندفع .

روجوا لطائرة الفانتوم ترويجا حتى صار لفظها مرادفا للفظ الهلاك المحقق ، كلما ظهرت هذه الطائرة فى سماء .

وروجت امريكا لهذه الطائرة ترويجا ، كما امدت اسرائيل " بكل حاجاتها منها ، وهى عندها المثقال الذى به تثقل موازين اسرائيل فى كل حرب تقوم بينها وبين العرب .

وفى حرب الأيام الأربعة الماضية ،وبناء على ما نسمع من أخبار الجولان فى سوريا وأخبار القتال فى مصر ، انفقات هذه الأسطورة الثالثة .

انفقات بانه لا سيادة فى السماء لنوع واحد من الطائرات ، يتفرد بالسيطرة فيها ، لتصبح سائر انواع الطائرات لهذا النوع المتميز خدم" وحشم .

وانفقات بأن تبين أنه الى جانب السماء توجد الأرض ، وكما تستطيع السماء ان تتحكم فى الأرض ، تستطيع الارض أن تتحكم فى أمور السماء . والحرب على كل حال هى حرب أرض ، وتحرك فى أرض ، وزحام" أو تفوق فى أرض ، وانتصار" وكسب أرض ، والخسران خسران أرض . والجيوش الصامدة المؤمنة تتحمل الضربات الكثيرة على الارض ولا تتوجع ، فما من حرب الا ولها وجائع ، وما من حرب الا ولها فجائع ، والعاقبة للصابرين .

الأسطورة الرابعة

واسطورة رابعة تتعلق بالأجناس ، يهود وعرب .

وهى لا تتعلق بالأجناس فى كل مكان



الفدائيون في احد مواقعهم فى المعركة المصيرية القائمة .

وكل زمان ، ولكنها تتعلق بالعرب كما هم اليوم، وباليهود، او الاحرى بالصهاينة، كما هم اليوم ، وفى اسرائيل خاصة .

ذكروا لنا ان المجتمع الاسرائيلي كله اليوم علم ، وكله فهم ، وكله حضارة ، وكله تقدم ، حتى لقد تخيل البعض انه لا يوجد فى اسرائيل من لا يفهم نسبية اينشتين،وانهعلى عكس هذا، المجتمعات العربية الحاضرة ، من امية فاشية ، ونقص فى علم ، ونقص فى حضارة . وبالطبع نقص فى فنون الحرب . وان ادوات الحرب الحديثة لا تلين فى ايدى الذين تخلفوا فى تكنية وفن .

وفى نتائج حرب هذه الأيام الأربعة فرغت هذه الاسطورة من محتواها ، كما تفرغ الزجاجة من شرابها .

الآليات التي فى ايدى العرب آليات حربية متقدمة ، سواء فى سماء او فى ارض . والاذهان متفتقة . والجيوش العربية قدموا فيها المتعلم وأخروا الأمي.

ولا بد كان فى العرب ، مع التخلف الذى لا ننكره ، قدر كبير من الثقافة تحركت به الآلات ، وانضبطت الحركات ، ومع الثقافة قلوب عامرة ، هى ، مع الثقافة تصنع الفرق بين النصر والهزيمة .

لا نبالي ما تصنعة الأيام غدا

نقول هذا اليوم ، ولا نبالي ما تصنعه الأيام غدا . المهم أن نصنع ما يجب علينا ان نصنع . والطبع يهدينا . فما من حي من احياءهذه الارض ،هدّدوه فى حياته ، الا دفع. وهو يدفع بحكم الطبع ولا يبالي العواقب . سنة الله فى خلقه . والحياة هبة من الله . وهو اعطاها ايانا كريمة ، وهى امانة وجب انتحفظها طاهرة مطهّرة كريمة . وندفع عنها حتى ولو كانت هى آخر الامر ثمنا ندفعه . وهي عندئذ تعود الى الله ، فهو واهبها .

والحياة تقصر وتطول ، ولا فرق بين



نجمة داود على حطام طائرة اسرائيلية في الجبهـة السـورية الشماليـة .



حطام طائرة اسرائيلية اسقطتها فيما اسقطت القـوات السـورية في الجبهـة الشمالية .

قصيرها والطويل ، فهي مهما طالت الى انطواء . ويخطط الانسان في الارض ما يخطط ، ويكتب في الأوراق ما يكتب ، ولكن كما يخطط في الرمل ، خطوطا ما اسرع ما تذهب بها الريح . أو كما يكتب الاصبع فوق سطح ماء ، حروفا يتصل ظهورها باختفاء ، فلا تدرى أسبق ظهورها أم تخلف .

واعمال الناس ، منسوبة الى الزمان ، كقطرة ماء منسوبة الى بحر محيط . مات هذا الطفل في السنة الأولى ، ومات هذا الصبي في العاشرة . وهذا الرجل في الاربعين وذاك الشيخ في التسعين . وتسأل كم عاش الانسان على ظهر هذه الأرض ، فيقول اهل الذكر لعله عاش مليون عام ، ولا يزيدون .

واحياء الأرض كم عاشوا ؟ عاشوا قبل ذلك بنحو الفي مليون عام .

والله ؟ ما هو ؟ ...وكم ...وكم ..

مساءلات استدرجتني اليها القلم عندما ذكرت شبابا جديد الاهاب من العرب ، لا بد ضحى بحياته في هذه الحرب . واستدرجني لاقول لهم ، ان سمعوا ، والى اهل لهم خلفوا ، أن الحياة هدية من الله لا بد راجعة الى مهديها . واستدرجني لاقول لشباب العرب ورجالهم الذين يتقدمون فينخرطون في صفوف القتال ، نعم ما فعلتم وتفعلون ، وان صفعة وجه ، على الذلة ، اهون منها حياة تصعد الى حيث كانت كريمة ، لتستقر مرة اخرى في خزائنها الى حين .

والى الله ترجع الأمور .

احمد زكي

١٠/ اكتوبر / ١٩٧٣

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

تربية .. وعلم نفس :

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 180 November 1973 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



● تهتم المملكة العربية السعودية الان بتنمية ثروتها الزراعية ولهذا قامت بانشاء العديد من محطات التجارب الزراعية . ومن بين هذه المحطات محطة التجارب الزراعية بالقطيف ، وهى تختص بابحاث زراعة الخضراوات . وقد نجحت تجارب زراعة الكثير من انواع الخضر واعطت نتائج مبشرة . ومن بين الانواع الكرنب والبنجر والطماطم والبطاطس وغيرها .(انظر الاستطلاع ص ٧٦)

سياسة واقتصاد :

عروبة :

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

شعر .. وشعراء :

كتب :

قصص .. وقضاء :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج٠م٠ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائرى . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص.ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



بريد القراء
ومعرض آرائهم

العدد الاول هدية العربي

● عودتمونا قبل صدور العدد السنوى ببضعة اشهر ، استطلاع راينا ازاء نوع الهدية التي تقدمها « العربي » للقراء ، وانا كاحد القراء اقترح بان يعاد طبع العدد الاول من المجلة ويقدم كهدية للقراء . حيث اني على يقين من ان الغالبية لم تتح لهم فرصة امتلاكه واذا ارتأيتم الاخذ بهذا الاقتراح فلا اعتقد ان القارىء سيضيق بزيادة سعر العدد السنوى من اجل تغطية نفقات طبع العدد الاول .

طالب عبد الناصر الدليمي / العراق .

تصويب

● نشرنا في وحدة الخلق «الحيوانات ذوات الثدى » في صفحة ٣٩ من هذا العدد صورة عنوانها « الكنغر وقد حمل ابنه في جرابه » . ولا شك ظهر للقارىء ان الصورة المذكورة لا تمت الى الكنغر بسبب ، فهو خطأ مطبعي .

★ ★ ★

● نشرنا في بعض اعداد « العربي » القريبة مقالات باسم طه الحاجرى ومعروف الدواليبي وصفاء خلوصي ، وللاسف سقط عند الجمع لقب الدكتور لكل منهم .

الاحافير في الادب والبلاغة

● « كتب الزمان احداثه في الصخر احافير ، فكانت اصدق من احداث خطها الانسان كلمات في صفحات » ، هذا هو العنوان الذى اخترتموه لمقالكم « في سبيل موسوعة علمية » عدد مارس ١٩٧٣ .

اقول : كلمة حق لا ريب فيها ، عرفها الشعر العربي، وانتفع بها الادباء وكانت احد مباحث البلاغة.

اما الشعراء الذين عرفوها فاقدمهم ـ فيما اعلم ـ نصيب الشاعر الاموى ، وذلك من قصيدة مدح بها سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« اقول لركب صادرين لقيتهم
قفا ذات أوشال ، ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان انني
لمعروفه من آل ودّان طالب

فعاجوا ، فاثنوا بالذى انت اهله
ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

هو البدر ، والناس الكواكب حوله
وهل تشبه البدر المنير الكواكب

٢ ـ وفيما ذكره عبد القاهر الجرجاني ان الجاحظ سرق هذا المعنى حين نثر قول نصيب : « ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب »، وكتب به الى محمد بن عبد الملك الزيات (نحن ـ اعزك الله ـ نسحر بالبيان ، ونموّه بالقول ، والناس ينظرون الى الحال ، ويقضون بالعيان ، فاثر في امرنا اثرا ينطق اذا سكتنا ، فان المدعى بغير بينة متعرض للتكذيب) .

عبد الحميد محمد يوسف
من علماء الازهر سابقا .

(كاليكوت) غير (كلكتا)

● في العدد (١٧٦) من ـ العربي ـ وفي مقال(صراع بين البرتغاليين وعرب عمان في الخليج العربي والمحيط الهندي) ذكر الدكتور جمال زكريا قاسم خلال حديثه عن الملاح العربي الشهير (شهاب الدين احمد بن ماجد) انه قاد بنفسه الملاح البرتغالي فاسكودي جاما من مالينده في شرق افريقيا الى كاليكوت (كلكتا) .. هكذا . وقد حسب الاخ الدكتور ان كاليكوت هي نفسها كلكتا .. وفي حين ان (كاليكوت) هي ميناء على ساحل الهند الغربي وقد وصل اليها ابن ماجد وبرفقته الملاح فاسكودي جاما (١٤٩٨) .. وهي المدينة التي زارها (ابن بطوطه) وذكرها في (رحلاته) بلفظ (قاليقوط) .. واما (كلكتا) فتقع في الشمال الشرقي من القارة الهندية على خليج البنغال وبالقرب من دلتا (سندربان) وهي التي كانت الى زمن قريب عاصمة للقسم الشرقي من جمهورية الباكستان .

لطفي ملحس/عمان/الاردن .

خطأ مطبعي

● في العدد ١٧٦ مقالة عنوانها « سعد بن ابي وقاص في القادسية» وقد وردت خلالها (ص/١٦٤) آية قرآنية كتبت خطأ هكذا « وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما» ـ سورة العنكبوت ٨ في وصواب الاية هكذا «وان جاهداك على أن تشرك بي .. » ـ سورة لقمان ـ الآية ١٥

جلولاء ـ العراق ـ عز الدين الحاج رشيد

٢ ـ في مقالة الدكتور الفنجري « الاسلام والملكية بنوعيها : الخاصة والعامة » وقع نظري على خطأ في كتابة آية قرآنية ، اذ وردت هكذا « واعلموا اذا غنمتم من شيء .. » وصوابها « واعلموا أنما غنمتم من شيء » ، الانفال ـ ٤١ ولذا وجب التنويه .

البصرة ـ العراق ـ باقر ابراهيم السهلاني

(العربي) تشكر للسيدين غيرتهما ، وتقول للسيد عز الدين : ان الامر اشتبه عليه فآية سورة العنكبوت غير آية سورة لقمان ، وما جاء في العربي صحيح ، ونحن نأسف لوقوع الخطأ المطبعي الذي اشار اليه السيد باقر .

الاجتهاد في الاسلام

كنت اطالع وبشوق بالغ سلسلة الابحاث التي كان يكتبها فضيلة الاستاذ بدر المتولي عبد الباسط في مجلتكم الغراء عن الفقيه المجتهد ، وكنا ـ نحن الشباب ـ ننتظرها بلهفة ونستزيد منها دائما لما فيها من فائدة ومتعة ولما لهذا البحث من صدى طيب وأثر بالغ في نفوس الشباب الذين يريدون ان يحملوا الرسالة والامانة عمن سبقهم .

ولكن ـ كما تعلمون ـ ان تشتت الموضوع او حتى البحث الواحد في عدة اعداد من العربي وفقدان بعضها في السوق ثم عدم وصول قسم منها اصلا ، كل هذا يشكل عقبة امام من يريد مراجعة ابحاث هذا الموضوع في العربي مما يحملنا على سؤالكم عن امكانية طبع ابحاث هذا الموضوع في كتاب واحد يحقق الفائدة العظيمة المرجوة منه باذن الله ويروى ظمأ الشباب المسلم المتعطش لمعرفة الطريق لغوص بحر الفقه العظيم الذي هو سيد العلوم الشرعية بلا منازع ..

احمد ماهر ختام / حلب .

يحجبون العربي عن قرائه

● بعد انتظار طويل استلمت عدد العربي من البائع بعد معركة تدخل فيها ضباط الشرطة لفض النزاع بيننا ، وكم كنت سعيدا عند استلامه علما بان مكتبتي قد خلت من بعض اعدادها ، وذلك بسبب بائعي الصحف والمجلات الذين يحجزونها في محلاتهم ويبيعونها باضعاف ثمنها لفئة معينة من الناس ويحرمون الكثيرين منهم وبذلك يحرمونهم من المعرفة التي تنقلها العربي في كتابها الشهري الذي هو كالغذاء بالنسبة للشباب العربي المتطلع الى العلم والثقافة انني ارجوكم الاكثار من المقالات العلمية المعززة بالصورة الواضحة .

طارق محمد الجبوري . بغداد

في مشاكل العروبة وهمومها (٢)

اختلاف النظم يجب ألا يؤدي إلى خلاف

الجزيرة العربية

بقلم : احمد السقاف

■ في آخر مقال لي نشرته في هذه المجلة تحدثت فيه عن أولئك الذين حاولوا جر مؤتمر الادباء في تونس الى التشهير باحدى الدول العربية متخذين من الخلاف الذي نشب بين بعض الكتاب وبين السلطة في تلك الدولة ذريعة لذلك التشهير ، وقلت فيما قلت ان اصحاب تلك المحاولة رفضوا التوصية التي تبناها المؤتمر الداعية الى تشكيل وفد لزيارة كافة الاقطار العربية لدراسة ما يعاني الأدباء والشعراء والكتاب من عنت وتضييق في بعض الاقطار العربية ، ولقد نسي أولئك القوم أن أي مؤتمر من المؤتمرات العربية سواء أكان سياسيا أم اعلاميا أو كان للتربية والتعليم أو للصحة أو لغير ذلك من الشئون التي تهم العرب لم يوص في أي يوم من الايام بادانة احدى الحكومات العربية أو ان يشهر بتصرف أقدمت عليه . والأسباب كثيرة لعل من أبرزها أن أكثر الدول العربية تتشابه أوضاعها وتتقارب تصرفاتها في أكثر من مجال ، فليس من المنطق ولا من المعقول أن تشن المؤتمرات العربية حملاتها على دولة معينة بسبب تصرف معين اذا كانت أكثر الدول العربية تشاركها في مثل هذا التصرف . وهل المؤتمرات أيا كان نوعها تستطيع مناقشة وضع الحريات في الاقطار العربية ؟ وهل حرية الأديب منفصلة عن حرية المواطن أم انها جزء من تلك الحرية ؟ ومن المهم والحديث عن تلك المحاولة الفاشلة أن أشير الى الرسائل الكثيرة التي وردت اليَّ طيلة الاشهر المنصرمة وفيها اهتمام كبير بالموقف المسئول الذي وقفه وفد الكويت في مؤتمر الادباء بتونس ، وكم كنت أود أن ألخص كل رسالة في هذا المقال ليقف القارىء العربي على مدى الاهتمام بقضايا الأدب والشعر في عصر تكاد تطغى فيه وسائل الترفيه والاعلام على كل شيء ومهما حاولت اختصار الموضوع فلا بد من الاشارة الى رسالتين احداهما من اخ عربي من الدار البيضاء في المغرب والثانية من اخ عربي من مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وهما تصلحان نموذجا لهذا التشتت الفكري الذي يعيشه شبابنا العربي في طول أرض العرب وعرضها ، فرسالة الاخ المغربي تتهم وتحاكم وتصدر الحكم كما تشاء في قضية غير موجودة في الاصل ، فالكاتب يزعم ان الأدباء في تونس لم يوافقوا على نصرة الأديب العربي ، ولم يتخذوا توصية بصدد الحرية الفكرية، وفي اعتقادي ان الكاتب الكريم لو تفضل فسأل رئيس وفد المغرب الأستاذ المجاهد عبدالكريم غلاب لوقف على



لا يصونها سوى أبنائها

حرية الأديب لا يمكن فصلها عن حرية الآخرين

جلية الأمر . أما اتهام الأدباء بعدم الوقوف الى جانب حرية الأديب في البلاد العربية فهذا زور وتشويه للحقيقة وليس من الشجاعة النكوص عن موقف والتمسح بموقف آخر بعد ذلك .

لا بد من تنفيذ التوصية

ان المؤتمر رفض التشهير بدولة عربية معينة ، واتخذ قرارا بدراسة أحوال الأدباء والكتاب في كافة الاقطار العربية لعلم المؤتمر بأن التضييق على حرية الكاتب أو الأديب موجود في أكثر البلدان العربية . ولقد أخبرني رئيس تحرير احدى المجلات الكويتية وهي مجلة يسارية معروفة أن رئيس وفد صحفي الدار في مؤتمر الصحفيين العرب في العام المنصرم مسالة اضطهاد الصحفيين في أحد أقطار المغرب العربي ، وطالب المؤتمر بادانة حكومة ذلك القطر فلم يوافقوا على طلبه ، حيث اتضح للمشاركين في المؤتمر أن الصحفيين يتعرضون للاضطهاد في أكثر الاقطار العربية ، ولذلك فلا بد من ادانة شاملة لما يتعرض له الصحفيون من اضطهاد . والغريب العجيب في الأمر أن أولئك الذين رفعوا أعلامهم بالاساءة والتجريح بعد مؤتمر تونس لم يستطيعوا أن يقولوا بشجاعة ما حدث في المؤتمر وتنادوا دون علم بما حدث أو بتحريف ما حدث يندبون حرية الأديب التي لم يلتفت اليها مؤتمر الأدباء ، لقد وجدوا في قضية حرية الأديب مظلة يقبعون تحتها فرارا من شمس الحقيقة ، وادعوا في بيانات متهافتة أن المؤتمر رفض نصرة الأديب العربي الذي يعاني ما يعاني من طغيان بعض الأنظمة في بعض الاقطار العربية في حين أن المؤتمر اتخذ توصية بنصرة الأديب العربي والوقوف الى جانب الكتاب والأدباء والشعراء دونما تمييز بين قطر وآخر من أقطار العروبة ، وعلى الامانة العامة لاتحاد الكتاب العرب أن تسرع في تشكيل وفد يطوف البلاد العربية للاتصال بالأدباء والكتاب وبالجهات الرسمية لهذه الدراسة المرجوة قبل حلول الموعد المقرر لانعقاد المؤتمر القادم .

مقارنة طريفة

أما رسالة الرياض فقد شن فيها كاتبها حملة شعواء على المزايدين وطالب بتطهير الصفوف من أذرع الأخطبوط الباقية قائلا « وكما انهى الرئيس السادات في خطوته الموفقة الجريئة سيطرة هؤلاء الذين تسلطوا كالاخطبوط في مرافق الاعلام المصرية وهي التي تشكل قلب العالم العربي والاسلامي الثقافي والعلمي ، على أدبائنا الاصلاء ان يشنوا حملتهم فيطهروا صفوفهم من أذرع الاخطبوط الباقية حتى تعود الثقة في الأديب والأدباء مثلما كانت في ربيعها الزاهر يوم كان الرافعي والزيات وطه حسين والعقاد - على خلافاتهم - يجرون في اتجاه واحد هو بناء الأمة لا هدمها والعمل على

تاسيس مكانة الادب من جديد لا استغلاله لاغراض حزبية دنيئة .نعم اخرسوا هذه الضفادع المأجورة التى كانت بضاعتها الصراخ والنعيق لتخفىصوت الاصالة والعراقة ، والرسالة طويلة وفيها الكثير مما لا داعى لنشره ، وقد تطرق فيها الى محاكمة سيد قطب والتنكيل بالاخوان المسلمينوتساءل اين كان هؤلاء في ذلك الحين لماذا لم يرفعوا الاعلام دفاعا عن الحرية ؟ أم أن هؤلاء القوم لا تعنيهم سوى حرية لويس عوض والفرد فرج ؟!! وتساءل كيف ترفض الرابطة - رابطة الأدباء في الكويت - ممثلة في وفدها بمؤتمر الادباء بتونس ما أراده هؤلاء القوم من تجريح وتشهير بدولة عربية معينة ثم تقوم الرابطة بالاحتجاج على السلطة في البحرين لاعتقالها بعض الأدباء هناك . وأرانى مضطرا لايضاح بعضالأمور للأخ العربى بعد اقتناعىبنزاهة مقصده وحبه للوقوف على الحقائق : -

نقاط فوق الحروف

١ - لقد كتبت من قبل في هذه المجلة وفي غيرها من الصحف والمجلات حول الصراع الفكرى بين المثقفين من أبناء الأمة العربية ودعوت مخلصا الى التكاتف وايجاد أدنى قدر من نقاط الالتقاء للعمل المشترك ضد الصهيونية الآثمة ونبهت الى أن الخطر الصهيونى ما فرق ولن يفرق بين نظام وآخر أو بين جماعة وجماعة،فالعربى مهما كانت اتجاهاته فريسة لهذا الخطر ، وحذرت من أن يستغل هذه الخلافات أعداء الأمة العربية .

٢ - ان محاكمة الاخوان المسلمين ومن بينهم سيد قطب لا نعرفها على حقيقتها واذا كان هؤلاء قد سكتوا عن تلك المحاكمات ، فغيرهم قد سكت أيضا ثم ان المحاكمات السياسية في أكثر الأقطار العربية التقدمية والمتزمتة على حد سواء تحتاج الى دراسة من رجال القانون لتنوير الرأى العام العربى بما فيها من أخطاء . وفي اعتقادى أن الدعوة الاسلامية ان كانت متنكرة للعروبة فهى دعوة شعوبية مشبوهة ، كما أن أية دعوة باسم القومية ان كانت متنكرة للاسلام فهى دعوة مزيفة لا تمت الى القومية العربية بصلة وانى لأعجب من أولئك الذين هاجموا الكلمة التى ألقيتها في افتتاح مؤتمر الأدباء في تونس وشددت فيها على ضرورة التمسك بديننا ولغتنا وعاداتنا وتقاليدنا والتى قلت فيها ان القومية العربية كانت وستبقى مرتكزة على الدين الاسلامى الحنيف وأن تجريد القومية من الاسلام تجريد لها من أهم المقومات وأصلبها وأقواها . ولقد فهمت أن أولئك القوم لا يرغبون في الاشارة الى الدين بحجة أن وفدهم يضم عددا من غير المسلمين وهذه حجة واهية يتذرع بها أولئك الذين يحاربون العروبة والدين في آن واحد وانى لأؤكد هنا موقفى بكل صراحة ووضوح فاعلن ان التمسك بالدين الاسلامى الحق فيه مناهضة صريحة للطائفية ، فالعربى المسلم بوعى قومىنظيف يشجب الطائفية ويحاربها باعتبارها مرضا من الأمراض التىنشرها الاستعمار العثمانى والاستعمار الغربى في وطننا العربى ، وأن المسيحى المتمسك بدينه لن يجد اية غضاضة في تمسكه بالقومية العربية بكل ما تحمل من معان اسلامية مشرقة ، الا اذا كان ممن شوه الاستعمار روحه وعقله فاصبح مسخا في هذا الوطن وفي هذه الأمة . لقد كان الوطنيون المخلصون من المسيحيين فى الوطن العربى يلهبون الجماهير العربية بخطبهم الحماسية ويستشهدون في خطبهم بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، ومهما نسيت فلن أنسى ما قاله الاستاذ حنا خلف لرئيس المحكمة العسكرية حين حوكم لمشاركته في ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ تحت قيادة الشهيد البطل عبد القادر الحسينى ، فلقد سأله رئيس المحكمة وهو ضابط بريطانى كبير كيف تحمل السلاح ضدنا تحت قيادة عبد القادر الحسينى وهو مسلم وانت مثلنا مسيحى ؟ فأجابه الأستاذ حنا خلف « يجب أن تعلم انى مسيحى دينا مسلم قومية » . فالمسيحى الحق ذلك الذى لا يطلب من العناصر القومية أن تتنكر للاسلام والمسيحى الحق ذلك الذى لا يجد منهلا أعذب ولا أصفى من تراث العروبة المشرب بالمثل الاسلامية الرفيعة . كما أن المسلم الحق ذلك الذى لا يتنكر للعروبة ولا يفرق بين ابنائها بسببالدين.

٣ - ان احتجاج رابطة الأدباء في الكويت على السلطة في البحرين لاعتقالها بعض الأدباء ناشىء عن قناعة تامة بما حدث وليس الأمر كذلك بالنسبة لما تقدم به أحد الوفود للتشهير باحدى الدول العربية في مؤتمر الأدباء بتونس ، فالذى اتضح للمؤتمر في تونس لا يعدو عن أن تكون تلك الدولة قد منعت بعض الكتاب من الكتابة في صحف الحزب الحاكم .

٤ - انه لمن المهم جدا التفريق بين العناصر

الوطنية المخلصة الشريفة وبين العناصر المرتبطة ايديولوجيا بالدول الأجنبية فلا يجوز البتة ان يحارب الوطنيون المناهضون للفساد والرشوة والشاجبون للتسلط والظلم ويتعتون نعوتا بعيدة عنهم بحجة انهم مخربون هدامون ، فالخلط بين العناصر التى تتلقى التوجيه من خارج الارض العربية وبين العناصر الشريفة التى لا تستوحى الا ضمائرها الحية امر مؤسف لا يمكن قبوله على الاطلاق . لقد عانينا الكثير الكثير من مثل هذه المزاعم فى فترات مختلفة من تاريخنا الحديث ، وما زلنا نعانى منها واكبر دليل على ذلك ما نراه اليوم من تراشق بالتهم تسدده بعض القوى الوطنية الى بعضها الآخر ، فالرجعية واليمينية جزاء المنادين بالحفاظ على التراث والقيم الأخلاقية والدين والأصالة العربية ، والعدالة الاجتماعية ، والشيوعية والعمالة جزاء المنادين بمحاربة الجشع والاستغلال والفساد والتخلف . ولقد دعوت الى ضرورة التكاتف بين العناصر الوطنية ، كيلا تبدد الطاقات سدى ، وينقلب مردودها السيىء الى صدور ابناء الأمة الواحدة .

قومية القضية المصرية

ان اختلاف النظم بين الأقطار العربية لا يجوز ان يتبعه اختلاف فى النظرة الى القضية المصرية قضية الصراع العربى ضد الغزو الصهيونى ، فلقد رحل الاستعمار المتحكم فى شؤوننا ، وازيلت القواعد الأجنبية من اراضينا ، واصبحنا اسياد انفسنا ، نقرر ما يجب أن يكون لحاضرنا ولمستقبلنا فلا عذر لنا ان تقاعسنا او اختلقنا الأعذار ، لنبتعد عن واجبنا المقدس . ان التمحك بالاشتراكية ، وبما احدثت فى الوطن العربى من هزات ، كالتمحك بالراسمالية وبما فيها من مآخذ وعيوب ، وليس من المنطق فى شىء ان ترفع النظم الراسمالية صوتها لتسفه مسيرة الاشتراكية العربية ، أو ان تجلجل الاذاعات الاشتراكية باصواتها مندددة بالراسمالية والاقتصاد الحر فى بعض البلدان العربية ، ففى الوطن العربى اليوم دول اشتراكية تحاول جاهدة أن تصلح ما اعتور التطبيق الاشتراكى من اخطاء ، وفى الوطن العربى دول راسمالية تحاول أن تعطى الطبقات الكادحة والفقيرة اكثر مما نالت فى البلدان الاشتراكية ، فالمعارك الطاحنة بين الاشتراكية العربية والراسمالية الوطنية فى الوطن العربى قد توقفت بعد ان اثبتت الاشتراكية العربية وجودها فى الوطن العربي وبعد زوال القواعد الأجنبية والنفوذ الأجنبى من كافة الاقطار العربية . ونحن نعلم أن لتلك القواعد يدا فى تاجيج تلك المعارك واضرام نيران الخصومات بين العرب . ومن الخطا الجسيم أن يعترض معترض من هذا الفريق او ذاك على لفظة الاشتراكية أو لفظة الراسمالية كما حدث فى مؤتمر علماء الدين فى الجزائر ، فالقضية ليست قضية الفاظ وانما القضية قضية تطبيق ، فرب نظام راسمالى ينهج فى التطبيق الاقتصادى نهجا قريبا من الاشتراكية ، ورب نظام اشتراكى هو الى الراسمالية اقرب . واذا كان هناك مثلا يريد أن يسمع لفظة الاشتراكية ففى الوطن العربى ايضا من لا يحب أن يسمع لفظة الراسمالية ، واذا تطوع الطيبون يقترحون اطلاق الوسطية على الاشتراكية كما حدث فى مؤتمر علماء الدين بالجزائر لارضاء من لا تعجبهم لفظة الاشتراكية من المتزمتين فمتى ينبرى الطيبون من الراسماليين ليطلقوا لفظة اخرى على الراسمالية ارضاء للاشتراكيين المتعصبين . ان النظام الاشتراكى قد قام ولا مفر من وجوده فى الوطن العربى ، وان النظام الراسمالى موجود ولا مفر من وجوده اليوم فى هذا الوطن ، وليعمل المهيمنون على الامور فى هذا النظام أو ذاك ، وستحكم الجماهير العربية فى كل نظام على صلاح أو فساد التطبيق ، ولا داعى لاختراع الفاظ جديدة قد تجر الى معارك جانبية لا يستفيد منها سوى الأعداء .

العبرة بالمنجزات

ان الاشتراكية ليست هدفا فى حد ذاتها ، والراسمالية كذلك ليست هدفا فى حد ذاتها ، فقد نجد فى بقعة واحدة من الارض نظامين احدهما اشتراكى صارخ والثانى رأسمالى واضح والفقر والحرمان حليفا النظامين ، فلا الاشتراكية اتت بالمعجزات ولا الراسمالية تباهت بالمنجزات ، فلا بد اذن من الاعتماد على التخطيط الجاد لاستغلال الموارد الطبيعية فى الأرض والبحر والجو ايضا ان امكن ذلك لتحسين معيشة المواطنين ومحاربة البؤس والشقاء والحرمان ، فما كان ولن يكون النظام الاقتصادى وحده سبيلا الى الرفاهية والنعيم . ان العيوب الكثيرة فى اى نظام اقتصادى

يمكن أن تخف أو تتوارى ان التزم المهيمنون على التطبيق المراجعة المستمرة لمسيرتهم ، وليس من غضاضة فى الرجوع عن خطأ أو تعديل لاعوجاج ، وانني لا أبرىء المسيطرين على الثروة والثراء في بعض أجزاء الوطن العربى من قصور وعجز في النهوض بالواجب نحو أقطار أخرى من هذا الوطن تعصف بها الأخطار بسبب الفقـر والتخلف ، والمشاكل الاقتصادية الخطيرة . لقد نبهت وما زلت أنبه الحكومات الغنية فيشبه الجزيرة العربية الى المشاكل الاقتصادية العاصفة فى الأجزاء الفقيرة من هذه البقعة التى تهم الجميع ، وقلت مـرارا وما زلت أقول ان الجزيرة العربية بمثابة السفينة التى تتلاطم بها الأمواج فالواجب يحتم علـى الربان والملاحين وركاب هذه السفينة أن يتعاونوا بجد واخلاص للوصول بالسفينة وبأنفسهم الى شاطىء الأمان . ان العناد والمكابرة لن يقودا الى نصر . ان النصر الحق ان نعمل نحن أبناء شبه الجزيرة لمحاربة التخلف في كل شبر من هـذه البقعة وأن نعمل بعد ذلك على ايجاد صيغة للتعاون بين اجزاء الجزيرة العربية كي يستطيع المواطن العربى فيها ان يقوم بدوره نحو القضية العربية وبرسالته نحو العالم . فالانسان العربى اليوم في شبه الجزيرة العربية غائب عن دوره وعن رسالته ، ولولا المال الذى تقدمه بعض الحكومات فى شبه الجزيرة العربية كمساهمة منها في النضال ضد الصهيونيةلما احس الناس بتأثير شبه الجزيرة في هذه الأحداث . لقد عصف التخلف الرهيب بطاقات المواطن العربى في كثير من أجزاء شبه الجزيرة العربية ، واذا لم يسارع الموسرون المهيمنون على مقاليد الامور فى الاجزاء الاخرى الغنية من شبه الجزيرة العربية الى انتشـال الأوضاع المترديةفي الأجزاء الفقيرة من هذه الجزيرة فان كارثة حقيقية ستحدث لا محـالة وستمس متاعبها الجميع .

آن للعقل أن يعمل

ان الصراع الحالى بين التخمة والجوع في شبه الجزيرة العربية قد يشتد وقد تكون له مضاعفات تهدد الأمن والاستقرار ، ولقد آن الاوان للعقل أن يعمل ، وللحكمة أن تتصرف . أما سباق التسلح فى الأجزاء الغنية من شبه الجزيرة العربية فلن يكون له نفع ما لم ترفرف أعلام الوئام والمحبة على ربوعها كلها ، ولا شك أن اقتطاع جزء مقبول مما رصد للتسلح يكفى للنهوض بالاجزاء الفقيرة وربطها قلبيا بالاجزاء الغنية وجعلها قوة للجزيرة بأسرها تفوق قوةأى سلاح. ان الكثيرمن دول العالم تبذل قصارى الجهد لدرء المخاطر عن نفسها بما تقدم من عون لبلدان أجنبية بعيدة عنهـا ، فهـل يليق بالاجزاء الغنية في شبه الجزيرة ان تصم فيها الآذان عن سماع أنات الجوعفيالاجزاء الفقيرة الاخرى ؟! .. انني لا أتنبأ حين أكتب عن أوضاع شبه الجزيرة العربية ، وانما هناك ظروف كثيرة قد جعلتني أعرف عنها ما لا يعرفه الكثيرون . ونحن فى الكويت نعلم علم اليقين أن واجبنا نحو اليمن ونحو الأجزاء الأخرى المحتاجة للعون في شبه الجزيرة واجب اخوى لا يمكن التراجع عنه او التردد فيه ، والكويت باعتبارها جزءا من شبه الجزيرة العربية يجب أن تقوم بدورها الأخـوى على أكمل وجه ، وبالرغم من الدور الايجابى الفعال الذى قامت به الكويت في مناطق عربية من الخليج منذ ١٩٥٣ حتى أواخر عام ١٩٧٢ فى مجالى الخدمات التعليمية والصحية وبالرغم من دورها في اليمن منذ مطلع ١٩٦٣ في مجالات كثيرة ، الا انني أعتقد أن بوسع الكويت وبوسع الحكومات الغنية في شبه الجزيرة العربية أن تجنب اليمن بشطريه المتاعب والكوارث ، وليس ما يحتاجه اليمـن بشطريه شيئا مهما بالنسبة الى عائدات النفـط المتزايدةفيالدول الغنية من شبه الجزيرة العربية. أما الايديولوجيات الغريبة ، فمهمـا حاولت أن تكتسب سمرة الصحراء ، فلن تستطيع أن تنتصر، فأمامها الايمان بالله والايمان بالعروبة ، والايمان بوحدة المصير العربى ، ولقد شهدت الجزيرة في تاريخها الطويل دعوات مناهضة لتعاليم محمـد وأخلاق العرب ، فانهزمت تلك الدعوات وبقيت تعاليم محمد وبقيت أخلاق العرب .

انني لأرجو مخلصا أن يستمع لهذا النـداء المسئولون فى دول شبه الجزيرة العربية وأن يمنحوني العذر ان كان ندائي هذا صريحا أكثر مما يجب أن تكون الصراحة ، ذلك أنه لا يجوز أن يبقى العرب في جزيرة العرب مضرب مثل للتخلف والتعاسة والضياع والتنازع، والفائض من عائدات نفط هذه الجزيرة يزحم بنوك العالم وينعش مصانع الاسلحة في دول الغرب . ■■

الكويت ــ **أحمد السقاف**

١٩٧٢/٩/١٥

نتيجة مسابقة العدد ١٧٨

شمال أفريقيا ومدنها

■ قامت مسابقة العدد ١٧٨ من « العربي » على اسئلة في الجغرافيا تدور كلها حول مغرب وطننا العربي الكبير ، وقد كانت اسئلة المسابقة سهلة واضحة ، وكان الرجوع الى خارطة شمال افريقية هو السبيل الوحيد للاجابة على اسئلة المسابقة .

ونحن نأسف لان الظروف حرمت قراء كثيرين في لبنان ومصر وليبيا والسودان وتونس والجزائر من الاشتراك في حل هذه المسابقة ، لأن «العربي» لم تصلهم لأسباب خارجة عن ارادتنا خلال الأشهر القليلة الماضية ، ولكن ما حيلتنا ونتيجة المسابقة لا بد وان تظهر في موعدها ، ونرجو لهؤلاء القراء الذين فاتهم الاشتراك في هذه المسابقة حظا في الفوز في المسابقات القادمة باذن الله .

واليكم نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ــ المدينة المغربية التي ولد بها ابن بطوطة هي طنجة .

٢ ــ الجزيرة التونسية الساحلية هي جزيرة جربة .

٣ ــ المدينة الجزائرية التي يطلق عليها زينة البلدان هي تلمسان .

٤ ــ المنطقة المغربية التي كانت تحتلها اسبانيا هي افني .

٥ ــ مدينة الزيتون وزيت الزيتون هي صفاقس .

٦ ــ المدينتان اللتان ما زالتا تحت الحكم الاسباني هما : سبتة ومليلة .

٧ ــ العاصمة هي نواكشوط والجمهورية هي موريتانيا .

٨ ــ عاصمة الصحراء المغربية هي مدينة « العيون » .

٩ ــ المدينة البترولية هي حاسي مسعود .

١٠ ــ الميناء التونسي هو مدينة بنزرت .

١١ ــ المدينة المغربية التي تعرضت للزلزال هي مدينة اغادير .

١٢ ــ المدينة العلمية الاسلامية هي شنقيط والعالم الاسلامي هو غالي بن المختار الشنقيطي .

١٣ ــ اسم المنطقة الهجار واسم المدينة تمانراست .

١٤ ــ أول مدينة بناها المسلمون في المغرب العربي هي القيروان .

١٥ ــ الميناء الذي اجتمع فيه روزفلت وتشرشل هو الدار البيضاء . والرباط هي عاصمة المغرب .

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : فارس الحاج عبد الواحد الحاج جاسم النوري ــ الفلوجة ــ العراق .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : هيثم الرغبان ــ حلب ــ سوريا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمود حسين الشريف ــ الجزائر .

٨ جوائز قدرها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ، والفائزون بها :

١ ــ حمدي محمود الشرباصي ــ الدقهلية ــ مصر

٢ ــ جبرائيل عبد الله قبعين ــ الزرقاء ــ الاردن

٣ ــ عبد الرحمن ابراهيم الرويتع ــ الرياض ــ السعودية

٤ ــ لولوة جاسم العيسى الحوطي ــ القادسية ــ الكويت

٥ ــ عيسى عبد الرحيم بن هامل ــ المكلا ــ اليمن الديمقراطي .

٦ ــ عبد الحليم محمد نور ــ الخرطوم ــ السودان

٧ ــ خالد علي البستاني ــ دبي ــ الامارات المتحدة

٨ ــ بدر العصيمي ــ أمريكا .

وسترسل الجوائز الى أصحابها ■■

الإمام النووي
٦٣١هـ إلى ٦٧٦هـ
في خدمة العلم والمجتمع

بقلم : الغزالي حرب

■ في القرن السابع الهجري ، دارت بعض الوقائع الحربية المؤسفة ، بين الناصر الايوبي والملك عز الدين أيبك الصالحي التركي ، ثم انتهت بعقد الصلح بينهما عام ٦٥١ هـ وبعد ذلك بقليل دارت المعركة التاريخية الفاصلة بين التتار تحت قيادة هولاكو .. وبين المصريين بقيادة سيف الدين قطز ونعني بها معركة عين جالوت وتقع بين نابلس وبيسان ، التي انحسرت بها امواج العدوان التتري الهمجي عن العروبة والاسلام والانسانية منذ هزيمة التتار فيها يوم ٢٥ من رمضان ٦٥٨ هـ ، واصبحت بلاد الشام عقب هذه المعركة الحاسمه تابعة للملك المظفر قطز ... ثم لقاتله الظاهر بيبرس البندقداري الذي عرف على الرغم من دهائه وخبثه بتكريم العلماء ومهابتهم والاستماع لهم والحفاوة بهم ، ولا سيما الامام الفقيه المحدث العظيم ابو زكريا محيى الدين أو يحيى بن شرف الملقب بالنووي نسبة الى « نوى » التي كانت حينذاك بمرتفعات « الجولان » السورية ، وقد ولد فيها امامنا النووي في العشر الاوسط من المحرم عام ٦٣١ هـ ... واخيرا وبعد خمسة واربعين عاما هي كل عمره العريض لا الطويل توفي ليلة الاربعاء ٢٤ من رجب عام ٦٧٦ هـ ...

بدأ صباه عاملا

وقد بدأ صباه عاملا اجيرا في محل تجاري ـ وهو في السابعة من عمره ـ ثم اخرجه منه ابوه وقد رأى ما رأى من ملامح نجابته المبكرة ليتيح له فرصة التفرغ لدراسة العلوم العربية والاسلامية. وفي التاسعة عشرة من عمره سنة ٦٤٩ هـ ارتحل به ابوه الى « دمشق » العاصمة حيث تتلمذ لكثير من اشهر علمائها وادبائها .

وفي عام ٦٥١ هـ ادى فريضة الحج في صحبة والده الذي رجع الى بلدة « نوى » بينما عاد ابنه النووي الى دمشق ليواصل دراسته العربية والاسلامية ...

دراساته وتدريسه

ومن العجيب انه في بداية دراسته خطر له ان يدرس الطب مأخوذا بعبارة للامام الشافعي تقول : العلم علمان : علم فقه للاديان وعلم طب للابدان . غير انه لم يكد يمضي في دراسة كتاب « القانون » للفيلسوف الطبيب ابن سينا ، حتى ضاق صدره بهذه الدراسة الطبية الفلسفية فعدل عنها الى دراسة الفقه والحديث اللذين صار فيهما وبهما ،

لم يخش في الحق أحداً، واختصم مع السلطان الظاهر بيبرس في أمر فلاحقه فيه حتى رده إلى الحق.

فقيه المحدثين ، ومحدث الفقهاء ، بل صار علما يشار اليه بالبنان في زمانه ، ومرجعا يعتمد عليه غير منازع ولا مدافع بعد أن اكتملت له أدوات الفقه والحديث ، فقام بتدريسهما في المدرسة الاقبالية التي أنشأها جمال الدين اقبال سنة ٦٠٣ هـ خلفا لشمس الدين بن خلكان ، وظل مدرسا بها حتى آخر سنة ٦٦٩هـ — كما قال عبدالقادر النعيمي في كتابه « الدارس في تاريخ المدارس » ص ١٥٨ — ثم قام بالتدريس في المدرسة الركنية التي أسسها ركن الدين منكورس ، والمدرسة الخلفية التي اقامها خلف الدين بن سليمان ثم ولي « دار الحديث » التي تم افتتاحها رسميا يوم النصف من شعبان سنة ٦٣٠ هـ .. ثم تولاها تقي الدين بن الصلاح فخطيب الشام عماد الدين ابو الفضائل ، فشهاب الدين ابو شامة عبدالرحمن ابن اسماعيل فشيخ الاسلام امامنا النووي الذي اعتبره المحققون من العلماء والباحثين ، اجدر من غير بلقب المجدد الاسلامي للقرن السابع الهجري في ظلال الحديث النبوي الشريف الذي رواه ابو داود والحاكم وغيرهما عن ابي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم « ان الله يبعث لهذه الأمة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

وقد احصى الباحثون شيوخه واساتذته في مختلف العلوم الاسلامية والعربية فكانت عدتهم عشرين شيخا تقريبا ، واحصوا تلاميذه الذين اثر فيهم تاثيرا مباشرا بلسانه او قلمه فكانوا قرابة الاربعين — كما قال ابو نصر السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » ج ٥ ص ٢٣٠ — ٤٤٠ وابن حجر في « الدرر الكامنة » ج ٣ ص ٥ ، ٣٠٣ —

ومن اشهر مؤلفاته :

١ — شرح صحيح مسلم المسمى « المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج » ويعتبره علماء الحديث اعظم واوفى شرح حتى اليوم لصحيح مسلم ، كما يعتبرون « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني اعظم شرح لصحيح البخاري .

٢ — و « منهاج الطالبين في مختصر المحرر للرافعي » وهذا من اعظم كتبه في فقه الامام الشافعي ، وقد اختصر فيه وشرح « المحرر » للرافعي ، ولأهمية هذا الكتاب عند علماء المذهب الشافعي عنى بشرحه او التعقيب عليه او نظمه اكثر من اربعين عالما وأديبا وناظما من فقهاء الشافعية ، وكان اسلافنا يلقبون كل من يتوفر على خدمته والافادة منه بلقب « المنهاجي » وهذه خصوصية لا نعلمها لغير كتاب « المنهاج » على حد تعبير السخاوي في ترجمته للنووي ...

٣ — و « الروضة » وهي مختصر الشرح الكبير للرافعي وقد بدأ النووي تاليفها يوم الخميس ٢٥ من رمضان سنة ٦٦٦ هـ ثم ختمها يوم الاحد ١٥ من ربيع الاول سنة ٦٦٩ هـ و « المنهاج » و « الروضة » من اعمدة فقه المذهب الشافعي ..

٤ — و « بستان العارفين » — ٥ — و « الاذكار النووية » — ٦ « التقريب » — ٧ — « الاشارات لبيان اسماء المبهمات » — ٨ — والترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من الأنام — ٩ — و « خلاصة الاحكام » وهذا المؤلف ما يزال من مخطوطات دار الكتب المصرية حتى كتابة هذه السطور — ١٠ — و « المجموع في شرح المهذب » وقد اعجلته المنية — وا اسفاه — من اتمامه ، وكانه كان يحس بذلك وهو يقول — رحمه الله — في الجزء الاول من « المجموع » ص ٧٨ : « وأرجو أن تم هذا الكتاب ان يستغنى به عن كل مصنف ويعلم به مذهب الشافعي علما قطعيا ان شاء الله تعالى » ولكن الله لم يشأ له

اتمام هذا الكتاب فاتمه من بعده العماد اسماعيل الحسباني ...

آداب المعلم مع تلاميذه

وللامام النووي كلام في الاداب التي ينبغي ان يتادب بها المعلم مع تلاميذه ، ويتادب بها التلاميذ مع معلمهم : فمن اداب المعلم الجدير بشرف الوراثة للانبياء والرسل ما ياتي :

١ ـ نزاهته وترفعه في تعليمه عن اية شائبة من شوائب المطامع الدنيوية ، وان ساقها اليه تلميذه في صورة الهدية التي « لولا اشتغاله عليه لما اهداها اليه » ـ كما لاحظ ذلك النووي في الجزء الاول من المجموع ص ٤٦ .

٢ ـ وعزته ومحافظته على كرامته باحترامه لكرامة العلم الذي ينبغي ان يزار في شخص المعلم ولا يزور ، وان يهرع اليه طالبه كائنا من كان ، بدلا من ان يهرع العالم بعلمه الى فلان او علان كائنا من كان .

٣ ـ حكمته في اختياره الاسلوب التعليمي التربوي الملائم كما وكيفا ولا اقل من تأكده اولا من اهلية المتعلم لما يتلقاه عن معلمه من العلم ، وتأكده من الافادة من التعليم الذي لا غنى له عنه في توصيل المعلومات عن مراعاة التكرار احيانا ، مع الاطناب في موضع الاطناب والايجاز في موضع الايجاز ، والتصريح في موضع التصريح والتلميح في موضع التلميح ولكل مقام مقاله واسلوبه .

٤ ـ تواضعه بتجنب التعالم وادعاء المعرفة وعدم الاستحياء من قوله مثلا : لا ادري اذا لم يكن داريا .. قال النووي : واذا سئل المعلم عن شيء لا يعرفه او عرض له في الدرس شيء لا يعرفه فليقل : لا اعرفه ولا اتحققه ولا يستنكف ذلك فمن علم العالم ان يقول فيما لا يعلم : لا اعلم او الله اعلم ، فقد قال ابن مسعود رضى الله عنه : يأيها الناس من علم شيئا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله اعلم ، فان من العلم ان يقول لما لا يعلم : الله اعلم . وقال الله تعالى : « قل ما اسالكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين » رواه البخاري ، وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ نهينا عن التكلف ، وقالوا : ينبغي للعالم ان يورث اصحابه : « لا ادري » ....

٥ ـ رفقه بتلاميذه فلا داعي لتعنيفهم فضلا عن الغلظة عليهم .

٦ ـ مراعاته رضاء الله دون سواه في كل ما يصدر عنه من فتاوى تاسيا بالامام النووي الذي لم يخش في افتائه لومة لائم ، حتى لقب بمفتي الشام ـ كما قال الذهبي في الجزء الثالث من « تاريخ الاسلام » للذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ وكتابه هذا من مخطوطات دار الكتب المصرية تحت رمز ٣٩٦٠ .

ومن آداب التلميذ مع معلمه

ومن آداب التلميذ مع معلمه ـ كما راى النووي ـ ما ياتي :

١ ـ شدة احترامه له ، واريحيته في الحفاوة به ، وما كان اروع ادب ذلك التلميذ الذي اعجب به النووي لانه كان اذا اراد الذهاب الى استاذه لتلقي العلم عنه قدّم قبل ذهابه صدقة مشفوعة بهذا الدعاء التربوي الودود :

« اللهم استرعيب استاذي عني ، ولا تذهب بركة علمه مني . وما ارق قول الامام الشافعي الذي روى عنه النووي انه بلغ من تادبه في حضرة استاذه الامام مالك بن انس ـ رحمه الله ـ انه كان اذا اراد ان يصفح الورقة ويقلبها حرص على الا يكون لصفحها وتقليبها صوت مسموع حتى لا يسمع استاذه وقعها .. وما اعجب قول الربيع المزني في حديثه عن مهابته واحترامه لشيخه وامامه الشافعي : والله ما اجترأت على أن أشرب الماء والشافعي ينظر الى مهابة له .. ثم يمضى الامام النووي في سرد ما تيسر من شواهد احترام التلميذ ومهابته لاستاذه قائلا : وعن علي بن ابى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : من حقّ العالم عليك ان تسلم على القوم بعامة ، وتخصه هو بالتحية ، وان تجلس امامه ، ولا تشيرنّ عنده بيدك ، ولا تعمدن بعينك غيره ، ولا تقولن : قال فلان خلاف قوله ، ولا تغتابن عنده احدا ، ولا تسار في مجلسه احدا ولا تاخذ بثوبه ولا تلح عليه اذا كسل ولا تشبع من طول صحبته فانما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء !!

وجاء في الجزء التاسع والعشرين من (تاريخ الاسلام) للذهبي ـ أن امامنا النووي بلغ من تأدبه

مع شيخه واستاذه عز الدين بن عمر بن اسعد الاربلى ـ انه كان يملأله الابريق ماء ثم يمشى به قدامه الى الطهارة حيث يكون له خير معوان على التطهر والتنظف .. !!

٢ ـ صبرة ومصابرته على ما قد يسوؤه من استاذه وشيخه قال النووى « وينبغى ان يصبر على جفوة شيخه وسوء خلقه لايصده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله .. واذا جفاه الشيخ ابتدا بالاعتذار واظهر ان الذنب له والعتب عليه فذلك انفع في الدين والدنيا .

٣ ـ مشاورته فيما يتيسر من أموره مشاورة المريض لطبيبه الحاذق الناصح الأمين ... وهذا التشبيه من كلام الامام النووى ..

٤ ـ عدم سؤاله عن شيء في غير موضعه الا ان يعلم من حاله انه لايكرهه مع تجنب الالحاح في السؤال .

٥ ـ عدم استحيائه من السؤال عما اشكل عليه من اية صغيرة او كبيرة ، حتى لايضيع من وقته شيء في غير التعلم الا بقدر الضرورة القاهرة او الاستراحة العابرة ...

بين النووى وحكام زمانه

وكما صحبنا امامنا النووى في جولة داخلية بينه وبين شيوخه او تلاميذه ، تعالوا بنا لنتشرف بصحبته في جولة خارجية بينه وبين حكام زمانه ، ومشاهير مجتمعه لنرى كيف كان مثلا عاليـا ، ومنارا هاديا ، واسوة حسنة لرجل الديـن « الملتزم » في أمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر ، وغيرته على العدالة ، واعتصامه دائما بالحق والصبر والايمان ... والنووى في كل ذلك ، لم يفته ـ وهو الرجل التربوى الحكيم ـ أن يسوق بين يدى من يأمره بالمعروف أو ينهاه عن المنكر أحيانا من الثناء عليه بالخير ما يرضى كبرياءه مادام من طراز ابى سفيان بن حرب الذى اثنى عليه الرسول نفسه بقوله ـ وهو أحكم المربين : ـ ان ابا سفيان رجل يحب الفخـر ، من دخل دار ابى سفيان فهو امن !!! ولم يفته ـ وهو الأسوة الحسنة في احترامه لشيوخه وتوقيرهم ـ أن ينكر على بعض هؤلاء الشيوخ بعض آرائهم غضبا لما اعتقد انه الحق ، من ذلك ان شيخه وأستاذه تاج الدين بن الفركاح أصدر فتيا في مسالة الجوارى لم يرتح اليها النووى شرعا ، فسارع الى الرد عليه كتابة مخالفا اياه في الرأى ...

بين النووى والسلطان الظاهر بيبرس

والظاهر بيبرس البندقدارى ـ وهو السلطان القائد المظفر المهيب ـ بعد أن أجلى التتار عن دمشق الشام أصدر أمره بتحويل بساتين الشام وجعلها ملكا للدولة بعد أن كانت ملكا لاصحابها ، مادام هؤلاء الملاك عاجزين عن اثبات ملكيتهم لها باوراق رسمية ... فكتب اليـه عـالم الامة الاسلامية في الشام حينذاك وهو الامام النووى كتابا تاريخيا دافع فيه باسم الشعب عن أملاك الشعب وفي مطلعه يقول «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله رب العالمين ، قال الله تعالى « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ... ثم يقول : وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على املاكهم انواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها ، وطلب منهم اثبات لايلزمهم ، فهذه الحوطة لاتحل عند احد من علماء المسلمين ، بل من في يده شيء فهو ملكه لا يحل الاعتراض عليه ولا يكلف اثباته ، وقد اشتهر من سيرة السلطان أنه يحب العمل بالشرع الشريف ويوصى نوابه به فهو اولى من عمل به ، والمسئول اطلاق الناس من هذه الحوطة والافراج عنهم جميعهم فاطلقهم اطلقك الله ...» .

ولما وصلت هذه الرسالة مسامع السلطـان الظاهر اخذته العزة بالاثم فامر نوابه بقطع رواتب الامام النووى وعزله من مناصبه جميعها ..

وهنا ظهر عالم من علماء السوء المتجرين بالدين (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) وهـو (ابن النجار) الذى لم يتورع عن الصيد في الماء العكر ، وتقديم وقود جديد لهذه الفتنة ، فاصدر فتيا ايد فيها الظاهر بيبرس في استيلائه على تلك البساتين والأراضى باسم الحوطة ، واخذ يوغر صدره على العلماء العاملين المخلصين ولا سيما الامام النووى الذى لم ينطو على نفسه في عقر داره ـ كما فعل زملاؤه من العلماء ، وانما اصر على مواجهة العاصفة في جبهتين لا في جبهة واحدة :

جبهة علماء السوء ، وجبهة السلطان المستبد . أما جبهة علماء السوء المنافقين فيمثلها « ابن النجار » الذى ارسل اليه النووى رسالته التاريخية الطويلة العريضة التى يرجع اليها في مقالتها ومطلعها بعد البسملة « اعلم ايها المقصر في التاهب لمعاده ... انى كنت لا أعلم كراهيتك لنصرة الدين، ونصيحة السلطان والمسلمين ، حملا منى لك على ما هو شان المسلمين من احسان الظن بجميع الموجودين ، وربما كنت أسمع في بعض الاحيان من يذكر بعض المسلمين ، فانكر عليه بلساني وقلبي ، لانها غيبة لا أعلم صحتها ، ولم ازل على هذه الحال الى هذه الايام ، فجرى ما جرى من قول قائل للسلطان ـ وفقه الله الكريم للخيرات ـ ان هذه البساتين يحل انتزاعها من اهلها عند بعض العلماء ، وهذا من الافتراء الصريح ، والكذب القبيح ... فلما افترى هذا القائل في امر البساتين ما افتراه ، ودلس على السلطان ، واظهر ان انتزاعه جائز عند بعض العلماء ، وغش السلطان في ذلك ، وبلغ ذلك علماء البلد .. وجبت على هؤلاء العلماء نصيحة السلطان وتبين الامر له على وجهه ، وان هذا خلاف اجماع المسلمين .. ثم انى لاتعجب غاية التعجب من اتخاذك اياى خصما ـ ياحبذا من اتخذ ـ فانى بحمد الله تعالى، أحب في الله تعالى ، وأبغض في الله تعالى، فاحب من أطاعه ، وابغض من خالفه .. فياظالم نفسه ... أنا ما خاصمتك أو كالمتك أوذكرتك أو بيني وبينك مخاصمة أو منازعة أو معاملة في شيء ، فما بالك تكره فعل خير يسترني الله الكريم له ؟ « وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » ... ثم يقول : « واعلم أيها الظالم نفسه انى ـ والله الذى لااله الا هو ـ لاأترك شيئا اقدر عليه من السعي في مناصحة الدين والسلطان والمسلمين في هذه القضية ، وان رغمت انوف الكارهين وان كره ذلك أعداء المسلمين ، وفرق حزب المجادلين ، وسترى ما أتكلم به عند هذا السلطان ، وفقه الله لطاعته ، وتولاه الله ببركاته، في هذه القضية غيرة على الشرع الشريف، واعظاما لحرمات الله تعالى ، واقامة للدين ونصيحة للسلطان وعامة المسلمين . الى آخر هذه الرسالة التاريخية الطويلة العريضة التى كتبها النووى الحر الثائر بأسلوبه المتحرر المنطلق مما كان يتقيد به كثير من علماء زمانه وأدبائه من البهارج اللفظية ، والحسنات البديعية على حساب المعنى ، ويستطيع القارىء ان يراها كاملة غير منقوصة في كتاب « ترجمة شيخ الاسلام ، قطب الأولياء الكرام وفقيه الأنام النووى » لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ » طبع جمعية النشر والتأليف الأزهرية سنة ١٩٣٥ من ص ٥٠ ـ الى ص ٥٥ .

وبيت القصيد من هذه الرسالة قول النووى فيها ـ رحمه الله ـ « وسترى ما أتكلم به عند هذا السلطان » وقد برّ النووى بوعده أو وعيده هذا ، على الرغم من خطورة ذلك ، وما جبن أو انكمش او انطوى على نفسه في عقر داره قانعا باضعف الايمان ، امام غضب السلطان ، وأمام خبث ابن النجار ودسائسه ، وانما واجه العاصفة بله العواصف بمواجهة السلطان نفسه ، حيث نصحه بالعدول عن تدويل تلك البساتين والاراضي، نصيحة حازمة صريحة تشيع فيها حرارة الصدق والاخلاص لله دون سواه ، وما صدر عن القلب وصل الى القلب ، فلا عجب أن استجاب له السلطان الظاهر ضاربا بدسائس ابن النجار واباطيله وبهارجه عرض الحائط ، فسارع الى اعادة تلك البساتين والأراضي والممتلكات الى أصحابها الذين وجدوا في النووى امام المسلمين في عصرهم الحصن الحصين من كل عدوان على أحكام الاسلام .

وغضبة أخرى للسلطان تلقاها النووى بالصبر والمثابرة

وحينما أراد الظاهر بيبرس ايضا فرض ضرائب جديدة على أبناء الشعب باسم المصلحة العامة والدفاع عن البلاد ، كتب الامام النووى رسالة الى الأمير بدر الدين الخازندار الذى كان بمنزلة وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة في عصره طالبا اليه أن يكون سفيره وسفير الشعب لدى السلطان حتى يعدل السلطان عن فرض

هذه الضرائب الجديدة ومطلع هذه الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله يحيى النووى ... الى ملك الامراء بدر الدين ادام الله له الخيرات وتولاه بالحسنات ... ومنها قوله : اهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش ، وضعف حال ، بسبب قلة الامطار وغلاء الاسعار فاشيروا على السلطان ان – يرفق بالرعية بما يجده مدخرا له عند الله ... وقد شارك النووى في كتابة هذه الرسالة ، بعض علماء زمانه في حذر واشفاق وبعد تردد منهم ، لانهم كانوا يتوجسون خيفة من عاقبتها ... وصح ما توقعوه فقد غضب السلطان عقب وصول هذه الرسالة اليه عن طريق الامير بدر الدين الخازندار واشتد غضبه شدة ارتعدت لها فرائص العلماء فتظاهروا بالتسليم لقول السلطان حين قال غاضبا : « ان الجهاد في سبيل الله ، ليس مقصورا على الجنود المحاربين، وانما هو مطلوب من كل مسلم في الجبهة الداخلية التى لابد من التعاون بينها وبين الجبهة الخارجية الحربية على الجهاد ، هذه باسلحتها .. وتلك باموالها ... ولكن الامام النووى لم يحن رأسه لغضب السلطان باسم التعاون بين الجبهتين وأبى الا ان يصدع مرة اخرى بكلمة الحق في رسالة اخرى اقوى واصرح الى السلطان نفسه مباشرة وليكن بعد ذلك ما يكون ومطلع هذه الرسالة :

« من عبد الله يحيى النووى ينهى أن خدمة الشرع الشريف كانوا قد كتبوا مابلغ السلطان – اعز الله انصاره – فجاء الجواب بالانكار والتوبيخ والتهديد – وفهمنا منه ان الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع ... وذكر في الجواب ان الجهاد ليس مختصا بالاجناد ، وهذا امر لم ندعه ، ولكن الجهاد فرض كفاية ، فاذا قرر السلطان له اجنادا مخصوصين ، ولهم اخباز معلومة من بيت المال – كما هو الواقع – تفرغ باقى الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والأجناد ... ولا يحل ان يؤخذ من الرعية شيء مادام في بيت المال شيء من نقد او متاع او ارض او ضياع تباع او غير ذلك » « ... وأما تهديد السلطان لطائفة العلماء فليس هو من عدل السلطان وحلمه، واما انا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا اكثر منه، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان .. » « انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار ... وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد ... وقد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول الحق حيث كنا والا نخاف في الله لومة لائم ، ونحن نحب للسلطان معالى الأمور واكمل الاحوال .. » .

وهكذا صدع الامام النووى بكلمة الاسلام والحق في مواجهة السلطان الجبار ، وبيّن له في جلاء ووضوح وقوة ، ان الجهاد مشترك حقا بين ابناء الأمة جميعهم شعبا وجيشا على ان يكون جهاد كل منهم في ميدانه الذى يحسن الجهاد والعمل فيه : فالزارع في مزرعته ، والصانع في مصنعه ، والمدرس في مدرسته ، والجندى في معركته ... والأمة جميعها انسان واحدله يدان لا بد"واحدةلان اليد الواحدة لاتصفق ... يد للتعمير والبناء والاصلاح ويد للحرب وحمل السلاح ....

بين النووى وخلف الظاهر بيبرس

ولمامات الظاهر ركن الدين بيبرس خلفه ابنه ناصر الدين محمد بركة خان ، الذى لم يمكث في الحكم والسلطان اكثر من سنتين وشهرين وثمانية ايام فسرعان ما خلعوه منها وأبعدوه عنها .. ولا نعرف موقفا بينه وبين الامام النووى الا حينما صدر في عهده مرسوم سلطاني باقتصار كل فقيه من فقهاء الاسلام في تدريسه على مدرسة واحدة بعد ان كان من حقه التدريس في اكثر من مدرسة. وهنا انبرى الامام النووى لهذا المرسوم السلطانى مطالبا بالغائه تحقيقا لتكافؤ الفرص بين الجميع ، وتوسيعا لدائرة النشاط العلمى الاسلامى هنا وهناك ، وتمكينا للعلماء من النهوض بمسئولية التعليم واعباء الحياة .... وقد تحقق للامام الثائر الحر ما اراد كاملا غير منقوص ...

الا رحم الله هذا المجدد الاسلامى الفذ للقرن السابع الهجرى ، وجزاه خير الجزاء عما أداه للعلم والمجتمع من أياد بيض بلسانه وقلمه في حرارة وايمان واخلاص لله رب العالمين ■■

الغزالى حرب – القاهرة



الأزمة النقدية الدولية وأهم مظاهرها

بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملى

■ عقد صندوق النقد الدولي اجتماعه السنوى، بمدينة نيروبي (كينيا) في أواخر (سبتمبر) ، وعلى جدول اعماله موضوع المقترحات التي قد تتقدم بها لجنة العشرين ، المشكلة من الدول الأعضاء - في الصندوق - بشأن التعديلات الواجب ادخالها على نظام النقد الدولي ، المعمول به بمقتضى اتفاقية «برتن وودز» لمجابهة الازمة النقدية الدولية الحالية .

والكل يسلم بان نظام «برتن وودز» (١) ، وان كان قد أدى دوره ، فانه قضى نحبه ، الا ان هناك خلافات كبيرة حول النظام الذى يصلح لظروف العالم الاقتصادية والاجتماعية في الربع الاخير من القرن العشرين .

وهناك مشروعات ومقترحات متعددة ومتباينة ايضا ، تتجاذب الفكر ، وتصدر في الكثير من الاحيان عن رغبة واعية لايجاد نظام اكثر مرونة من النظام الذى لم يقو على مجابهة التطورات العميقة التي اصابت الاقتصاد العالمي ، وان كان بعض تلك المقترحات لايخرج عن ان يكون محاولة دائبة لخدمة بعض المصالح الوطنية على حساب مصالح الغير ، بل وعلى حساب مستقبل العلاقات الاقتصادية الدولية في جملتها .

الازمة النقدية الحالية واهم مظاهرها

واهم مظاهر الازمة النقدية الحالية امور اربعة : الاول : التدهور المستمر في مركز الدولار

---

(١) برتون وودز Bretton Wood مؤتمر دولي ، عقد في بلدة (برتون وودز) في ولاية نيوهمبشاير ، في الولايات المتحدة الامريكية ، سنة ١٩٤٤ . وقد حضر هذا المؤتمر ٤٤ دولة من دول العالم غير الشيوعي وتكللت اعماله باتفاقيات تعرف باسم برتون وودز ايضا . وصدرت هذه الاتفاقيات بقانون عام ١٩٤٥ ووضعت اسس نظام النقد الدولي الذى ساد العالم الحر منذ ذلك الحين . وقد نصت هذه الاتفاقيات على قيام صندوق النقد الدولي International Monetary Fund .
والبنك الدولي للانشاء والتعمير International Bank for Reconstruction & Development .

الامريكي بالنسبة للعملات الاخرى ، الامر الذى ادى الى تخفيض قيمته الرسمية مرتين ، الاولى في ديسمبر سنة ١٩٧١ والثانية في فبراير ١٩٧٣ ، واستمرار انخفاض قيمته بعد ذلك في الاسواق النقدية عن القيمة الرسمية المخفضة ، مما يشير الى استمرار فعل العوامل التي دفعت الى تخفيض القيمة الرسمية للدولار ، ويشير ايضا الى ان الثقة بالدولار قد تزعزعت ، مع العلم بان هذه الثقة هي الاساس الضروري لقيام النظام النقدي على النطاق الوطني أو العالمي .

ولو نظرنا الى مدى الانخفاض الذى طرا على قيمة الدولار بالنسبة لبعض العملات الدولية الاخرى في المدة من يناير سنة ١٩٦٨ الى اوائل يوليو سنة ١٩٧٣ ، لوجدنا نسبة الانخفاض الى الدتشمارك الالماني قد بلغت ٥ر٤١٪ والى الفرنك السويسرى ٤ر٣٦٪ والى الين الياباني ٣ر٢٨٪ .

ولو كان هذا الانخفاض في قيمة الدولار معبرا عن التغيرات النسبية في مستويات الاسعار في الولايات المتحدة وخارجها ، لكان الامر مقبولا ، على اساس التفسير النظرى المعروف ، والقائل بان التغيرات في قوة شراء كل عملة داخل بلدها الاصلي تؤثر وتحدد مدى التغيرات التي تطرا على سعر مبادلة العملة بالعملات الاخرى (سعر الصرف) . ولكن يبدو ان الدراسات التي اجريت على التغيرات النسبية في مستويات الاسعار ، تدل على ان انخفاض الدولار قد تجاوز هذه الحدود ، وانه بالتالي قد يرجع الى أسباب اقتصادية بحتة بل الى امور نفسية جماعية، ويعزو بعض الاقتصاديين الامريكيين الامر الى خطأ في السياسة النقدية والمالية الامريكية (الاستاذ روبرت منديل ، استاذ الاقتصاد بجامعة شيكاغو)،وان كان هذا القول لاينفي اهمية العوامل النفسية .

ولا شك في ان تزعزع الثقة بالدولار يخلق مشكلة نقدية عالمية ، لانه هو العملة التي تتم على اساسها تسوية معظم عمليات التجارة الدولية ، وهو الوسيلة للاحتفاظ بقدر ملائم من الارصدة السائلة لمقابلة احتياجات المعاملات المستقبلة . فالدولار يقوم في المبادلات الدولية بوظائف مشابهة للوظائف التي يقوم بها النقد الوطني في المعاملات الداخلية .

الثاني : التضخم النقدى وارتفاع الاسعار مع تزايد الناتج القومي

تشكو دول العالم من الارتفاع المستمر في الاسعار الداخلية ، ومن الضعف المتزايد في قدرتها على التحكم في هذا الارتفاع ، حتى لقد اصبحت موجة التضخم النقدى تجتاح العالم كله ، سواء في ذلك الدول ذات العملات القوية (كالمانيا واليابان) ، ام الدول ذات العملات الضعيفة في اسواق الصرف (كالولايات المتحدة والمملكة المتحدة) . وظاهرة التضخم معروفة وقديمة ، ولكن الجديد في الوضع الحالي ، هو شمولها واتساع نطاقها .

ويلقى البعض على الولايات المتحدة الامريكية (وعلى الدولار) كل المسئولية او بعضها ، ويعتبرونها مصدرة للتضخم الى الخارج ، بما تخلقه من وسائل دفع دولية (دولارات) لا تخضع لاية رقابة ما ، بينما يعتدل البعض الآخر في موقفه ويرى مسئولية مختلف الدول عما يعتور السياسات النقدية والمالية وغيرها من السياسات من انحرافات واخطاء تؤدى الى ارتفاع الاسعار بصورة تضخمية ، وان كانوا لا ينكرون الدور التضخمى لعجز ميزان المدفوعات الأمريكي وللكميات الضخمة من الحسابات الدولارية الاوروبية (اليورو دولار – Euro Dollar) التي بلغ ما بين الحكومات منها في الوقت الحاضر قرابة التسعين بليون دولار .

ولقد اقترنت الازمة النقدية الدولية منذ مقدماتها الاولى في سنة ١٩٦٨ ، بظاهرة عدم القدرة على الاحتفاظ بسعر ثابت للعملات بالنسبة للذهب ، الامر الذى حدا بالدول الكبرى لان تقرر في مارس ١٩٦٨ ترك سعر الذهب حرا بالنسبة للمعاملات غير الرسمية ، مع الاحتفاظ بالسعر الرسمي للدولار (٣٥ دولارا للاوقية من الذهب) بالنسبة للمعاملات بين البنوك المركزية . وفي سنة ١٩٧١ قرر الرئيس الامريكي عدم قابلية الدولار للصرف بالذهب حتى بالنسبة للمعاملات الرسمية ، ثم تقرر تخفيض الدولار بالنسبة للذهب . (راجع مقالنا في مجلة العربي العدد ١٦٠ ، مارس ١٩٧٢ عن « تخفيض قيمة الدولار بالنسبة للذهب »)

وتبدت الظواهر النفسية للازمة ، في صورة التهافت الضخم على الذهب ، الى ان زاد سعره على ثلاثة أضعاف السعر الرسمي ، الذى كان مقررا له قبل تخفيض الدولار .

ويحدث ذلك الاضطراب كله ، بالرغم من التزايد المستمر في معدلات النمو الاقتصادى في الولايات المتحدة ، وفي دول اوروبا الغربية ، واليابان ،

وغيرها من الدول المتقدمة ، مما يشير الى أن الازمة الحالية ازمة نمو ، وليست بازمة ركود .

الثالث : ظهور القيود على حرية التحويل

من بين الاهداف الأساسية لاتفاقية «برتن وودز» ولنظام صندوق النقد الدولى ، تحقيقُ حرية تحويل العملات، وبصفة خاصة بالنسبة للمعاملات التجارية ولغيرها من المعاملات التى تتصل بالعمليات الجارية ، ولا تقتصر على مجرد تحويلات راسمالية من بلد لآخر .

ولقد أخذت الدول الكبرى بنظام حرية التحويل المقرر في اتفاقية الصندوق ، بعد عودة التوازن الى الاقتصاد العالمى في سنة ١٩٥٨ ، أما الولايات المتحدة ، فلم تكن قد خرجت عن هذا المبدأ . وبذلك توافرت الاسباب للنمو الكبير في التجارة الدولية وفي الاقتصاد العالمى ، وزالت العقبات ، التى ترتبت على الاخذ بنظام الرقابة على الصرف، الذى ترجع أصوله الى الحرب العالمية الاولى ، والى السنوات الثلاثينيات . واتسع نطاقه فشمل معظمَ بلاد العالم عند قيام الحرب العالمية الثانية.

ولم يقتصر الأخذُ بمبدأ حرية التحويل على العمليات الجارية وحدها ، بل امتد ايضا الى كافة العمليات المالية على نطاق عالمي او اقليمى، وان كان هذا التوسعُ قد اختلف من بلد لآخر ، تبعا لظروف موازين المدفوعات ، ولنوع العلاقات التى تربط الدولة بالدول الاخرى . ففى ظل ميزان المدفوعات الملائم، توسع الدول من حدود مبدا حرية التحويل، وكذلك الحال داخل المناطق النقدية أو التجارية المشتركة (مثال منطقة الاسترليني ، والسوق الاوروبية المشتركة) .

وقد ساعد نظامُ الصندوق على بلوغ قدر كبير من العالمية في العلاقات النقدية الدولية ، وعلى تحقيق نظام للتسويات الدولية ، يتميز بقدر كبير من الحرية والثبات . فالعملات الاساسية تحَوّل بحرية ، وبسعر يكاد يكون ثابتا ، ويقوم الدولار وسط الاسواق النقدية والمالية كنقد دولى، تنسب اليه القيم ، ويتم عن طريقه تحقيقُ القدر الاكبر من المعاملات ، بما في ذلك نقل رؤوس الاموال من بلد لآخر .

وقد تغير هذا الوضع خلال السنوات القليلة الماضية ، وبصفة خاصة منذ أن تعقدت الأزمة النقدية في فبراير ١٩٧٣ ، وترتب على تعقدها قيامُ مجموعتين من الدول ، احداهما تأخذ بنظام الصرف المتغير ، وتربط بين قيم عملاتها برباط وثيق ، وهى دول أوروبا الغربية ، أما المجموعة الثانية فتتبع الدولار في تقلباته بشكل جامد او مرن .

ولعل من اهم الاحداث التى طرأت على مبدا حرية التحويل في سنة ١٩٧٣ ، ما اخذت به فرنسا من فرض قيود جديدة على ودائع غير المقيمين ، فضلا عما لديها من قيود ، وما قررته بلجيكا وهولندا والمانيا الغربية من فرض فوائد سلبية (اى رسوم) على ودائع غير المقيمين ، وما اتخذته السويد وغيرها من الدول من اجراءات للحد من تدفق العملات الاجنبية عليها .

ومن القرارات الهامة ذات الصلة بمبدا حرية التحويل ايضا ، قرار بريطانيا في صيف سنة ١٩٧٢ ، بتصفية منطقة الاسترليني ، فهذا القرار ـ وان كان يمكن أن يدخل في طائفة الاجراءات التى التى تهدف الى تحقيق العالمية في العلاقات النقدية والمالية ـ الا انه من ناحية اخرى قد انهى العمل بالقواعد الميسرة في التحويلات الرأسمالية ، التى كان مأخوذا بها فيما بين المملكة المتحدة والدول الاخرى الداخلة في منطقة الاسترليني .

وكذلك فقد وضعت الولايات المتحدة ـ بشكل تدريجي ـ بعض القيود على قدرة البنوك الامريكية على الاقراض في العالم الخارجي ، كما أن الدول ذات العملات القوية قد وضعت قيودا ، واتخذت اجراءات ، للحد من تحويل الدولار الى عملاتها .

الرابع : التعويم وقاعدة الدولار الجديدة

وقع الحدث الاكبر ـ كما أسلفنا ـ في مارس ١٩٧٣ عقب تخفيض الدولار للمرة الثانية (بنسبة ١٠٪) ، وحين أدت المضاربات على الدولار الى اتخاذ قرار بتعويم عملات دول السوق الاوروبية الست (المانيا الغربية ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وهولندا ، ولكسمبرج ، وايطاليا) . وقد انضمت الى التعويم الاوروبى بعد ذلك النرويجُ ، والدنمارك، والسويد، وخرجت منه ايطاليا لتدخلَ في نظام تعويم منفرد مثل المملكة المتحدة واليابان وسويسرا وكندا وبعض الدول الصغيرة الاخرى (ماليزيا ولبنان) .

ويتلخص نظام التعويم الاوروبي المشترك في أن يترك تحديد قيم العملات الى عوامل العرض والطلب في السوق ، دون ما تدخل ، للمحافظة

على سعر معين للعملات غير المشتركة في التعويم المشترك ، وبصفة خاصة الدولار ، ولكن يقضي نظام التعويم المشترك ـ من ناحية أخرى ـ بالمحافظة على أسعار الصرف فيما بين العملات المشتركة ، بحيث لا تتغير فيه أية عملة منها ، ارتفاعا او انخفاضا عن سعر التعادل الاصلى ، الا بنسبة لا تتجاوز ٢١٪ في اى من الاتجاهين . وتقوم البنوك المركزية للدول المشتركة في التعويم المشترك ، بالتدخل لتحقيق الثبات النسبى في قيم العملات المشتركة في التعويم .

الثعبان الطليق في الماء

وبسبب تحرك هذه العملات بحرية تجاه العملات الاخرى مع ترابطها فيما بينها ، فان الرسم البيانى لاسعارها يأخذ شكل « الثعبان » الطليق في الماء وهذا هو الاسم الذى تعارف الكتاب عليه للتعبير عن حالة عملات أوروبا الغربية .

ويتحرك سعر الدولار الامريكى في أسواق الصرف العالمية في اتجاه مضاد لحركات « الثعبان الاوروبى » ، وان كانت اتجاهات الدولار تعبر أيضا عما يعترى العملات الاساسية الاخرى (المعومة تعويما مستقلا) من تغيرات . وان كان يلاحظ أن العملات الكبرى المعومة تعويما منفصلا ـ فيما عدا الفرنك السويسرى ـ تتجه في المرحلة الاخيرة من أزمة النقد الدولى اتجاها يتمشى مع تغيرات الدولار بصفة عامة ، الامر الذى دعا الى تسمية التعويم اليابانى مثلا « بالتعويم المشوب » او « القذر » لان التغيرات التى تطرأ على قيمة الين تدل على أن ثمة تدخلا من جانب السلطات النقدية لشراء الدولار وعرض الين في السوق ، منعا من ارتفاع قيمته على نحو يزيد من الاضرار التى تلحق لتجارة التصدير اليابانية ، وبسبب الانخفاض المستمر في قيمة الدولار بالنسبة للين . وقد يلحق نفس الوصف « التعويم الكندى » أما التعويم البريطانى والايطالى المتجه الى اسفل ، فقد يرجع معظمه الى ظروف العرض والطلب على هذه العملات في سوق الصرف .

وهناك عدد كبير من الدول النامية ، في مختلف بقاع العالم ، قد اخذت بنظام تثبيت عملاتها بالنسبة للدولار ، منذ انهيار نظام صندوق النقد الدولى . ومن بين هذه الدول ، الدول العربية بما فيها الدول العربية المنتجة للنفط .

وتختلف هذه الدول في مدى ربط قيمة عملتها بالدولار ، فبعضها قد تبع الدولار في تخفيض قيمته الرسمية بالنسبة للذهب بصفة كاملة او جزئية ، وبعضها لم يتبع الدولار في التخفيض الرسمى ، وان كان يتبعه في التغيرات التى تطرأ على سعره في سوق الصرف .

ويؤدى تثبيت قيمة العملة الوطنية بالنسبة للدولار ـ في وقت تميل فيه قيمة الدولار الى التدهور ـ الى انخفاض قيمة هذه العملات المثبتة بالنسبة الى العملات الاوروبية المعومة الى اعلى (الثعبان الاوروبى) أو الى العملات الاخرى المعومة ، التى سبق رفع سعر تعادلها الرسمى قبل التعويم (الين اليابانى) . ويترتب على ذلك تغيرات في مستويات الاسعار الداخلية في هذه البلاد تتوقف على نسبة ما تستورده من البلاد التى ارتفعت قيم عملاتها .

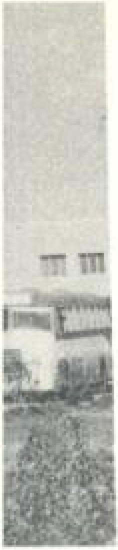
ويلاحظ أن بعض العملات المثبتة بالنسبة للدولار قد سمحت بتغيرات في سعرها بالنسبة له ، في حدود ٢٫٢٥٪ ارتفاعا او انخفاضا (مثال دولة الكويت) ، بينما عمدت دول أخرى الى رفع القيمة الرسمية لعملتها بالنسبة للذهب ، وبالنسبة للدولار بالتالى ، كما فعلت المملكة العربية السعودية حين رفعت قيمة الريال بنسبة ٥ ٪ تقريبا في شهر اغسطس الماضي .

ويمكن القول بان الدول التى تثبت عملتها بشكل مستمر ، بانها تاخذ بقاعدة نقدية جديدة ، هى قاعدة (الدولار الورقى) المنفصل عن الذهب . واذا كان من الواضح ان مجموعة الدول النامية التى ارتبطت بالدولار بعد فصله عن الذهب ، قد اعتمدت القاعدة النقدية الجديدة ، فان من الممكن أيضا اعتبار الدول الآخذة بالتعويم الى اسفل ، آخذة بالقاعدة الجديدة ، ما دامت تحافظ على سعر صرف ثابت بالنسبة للدولار ، ولو آخذت بهامش واسع للتقلبات بين عملتها الوطنية وسعر الدولار .

وعلى هذا الاساس ، تمثل مجموعة الدول ذات الارتباط بالدولار ٤٠٪ من تجارة الولايات المتحدة الخارجية ، الامر الذى يشير الى ان انخفاض القوة الشرائية الخارجية للدولار قد تحقق في حدود اقل مما تشير اليه تقلبات (الثعبان الاوروبى) بالنسبة للدولار . ■■

٨ سبتمبر ١٩٧٣

عبد المنعم الطناملى



الأمية في البلاد العربية

بقلم : صالح الناجى

■ منذ حوالي خمس عشرة سنة ، وحملات محو الامية في البلاد العربية تتوالى الواحدة تلو الاخرى .. منذ ذلك التاريخ ونحن نقرأ عن مؤتمرات عربية تعقد ، وقرارات وتوصيات تصدر بشأن القضاء على الامية . من التوصيات ما تحث على اقامة المشروعات ، ومنها ما تطالب بوضع خطط وتشريعات ، واخرى تؤكد ضرورة حشد الطاقات والامكانات من أجل القضاء على اشد آفات المجتمع .. الا وهي الامية .

منذ سنوات ومراكز التدريب تعمل على تخريج متخصصين في ميدان محو الامية ، وتعد الاخصائيين لانتاج مواد التعليم لمحو الامية .. منذ سنوات ونحن نعمل على تطوير مواد القراءة لمحو الامية ، كي تصل الى المادة التي تسهل عملية التعليم للكبار .. فمن مواد القراءة التقليدية ، الى مواد القراءة الوظيفية الى المواد المهنية الخاصة بقطاعات مهنية معينة ، ومن يدري .. فقد تظهر في السنوات القليلة المقبلة اتجاهات جديدة تحدد نوع مادة القراءة لمحو الامية من حيث الكم والكيف .

وفي كل مناسبة يؤكد رجال الاقتصاد والاجتماع وغيرهم ، ممن لهم دور في تنمية وتطوير المجتمعات ، ان الامية من المعوقات الاساسية لبرامج التنمية المختلفة ، كما ان وجودها في هذا العصر اهدار لكرامة الانسان .

ماذا حققت الدول العربية في هذا الميدان

منذ سنوات والدول العربية تنظم حملات لمحو الامية ، وتضع الخطط والبرامج لمحو الامية ، وفي كل سنة تحتفل الدول العربية بالمناسبة الاقليمية والمناسبة العالمية لمحو الامية ، وتعلن في كل مناسبة عن تجديد العزم ، ومتابعة السير ، والتوسع في فتح مراكز محو الامية ، ولكن ما نتيجة كل هذا الجهد المبذول ؟ ... زيادة في حجم المشكلة في بعض الدول العربية ، وتعثر في العمل القائم في بعض الدول الاخرى ، وتحاول تبرير هذا القصور ، وعدم احراز نتائج تتناسب مع الجهد المبذول ـ بنقص في الامكانات المادية والبشرية .

من تجارب الأمم الأخرى (١)

نشر المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي بسرس الليان منذ اكثر من عشر سنوات بعض التجارب الناجحة في محو الامية في بعض

---

(١) اعداد الدكتور محمود رشدي خاطر ـ الجزء الاول ـ مركز سرس الليان ج. م. ع



مركز سرس الليان

الدول الاجنبية منها : التجربة الروسية والكوبية والبرازيلية وغيرها ، ويفيد هذا المصدر ان الحملة الروسية ضد الامية بدأت سنة ١٩١٩ ، وكانت امكانات الدولة المادية والبشرية ، ومتطلبات التعليم من كتب وقرطاسية ومدارس – تقل كثيرا عن الامكانات المتوافرة حاليا في الدول العربية التي تعاني من مشكلة الامية ، فما هي الامكانات التي توفرت لدى روسيا في حملتها ؟ وكيف تمكنت من تحرير اربعين مليونا من الامية ؟

في ديسمبر سنة ١٩١٩ اصدرت الحكومة المرسوم الخاص بمحو الامية بين سكان جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية ، وأمضاه حينذاك فلاديمير لينين رئيس مجلس الوزراء ، ويقضي المرسوم : « ان جميع سكان الجمهورية ملزمون بتعلم القراءة والكتابة بلغتهم القومية او باللغة الروسية » . وقد جند من اجل ذلك جميع المتعلمين . من المدرسين والموظفين ، والمتعلمين من الفلاحين والعمال ، وتلاميذ السنوات النهائية بالمدارس الثانوية ، والمسرحين من الجيش . اما الأميون فاذا كانوا مستخدمين فان مدة عملهم اليومي كانت تنقص ساعتين دون أي نقص في الاجور ما داموا يدرسون ، واستعملت اماكن مختلفة من اجل محو الامية ، منها المدارس والنوادي والمصانع والكاتب.

ليس المهم في الامر ان يصدر قانون محو الامية، ولكن الاهم ان يكون هناك عزم وتصميم على العمل، واستعداد كامل لتنفيذ القانون بموجب خطة عملية مرنة واضحة المعالم والابعاد ، وأن تبنى برامج محو الامية على اساس رغبة الشعب الصادقة في تطوير نفسه بنفسه ، وقد تحقق نجاح المشروع للاسباب التالية

– طبق قانون التعليم الالزامي للاطفال في جميع انحاء البلاد ، وبذلك انقطع الرافد الاساسي الذى يعمل على تزايد اعداد الاميين .

– صدر قانون محو امية الكبار على اساس خطة واضحة وثابتة ، وكان لتنفيذ القانون الاثر الكبير في تحقيق نجاح حملة محو الامية .

– اعدت الدولة مواد القراءة لمحو الامية في حوالي اربعين لغة قومية ، بالاضافة الى اللغة الروسية ، مما سهل عملية محو الامية في جميع انحاء البلاد .

– ارتبط التقدم في محو الامية بحركة التصنيع في البلاد ، فاخذت اعداد كبيرة من الريف تتوافد الى مراكز الصناعة الجديدة ، وبذلت جهود هائلة لرفع مستوى الكفاية الفنية للعمال، فزادت دوافع التعلم ، كما كثرت فرص التعليم .

وضع الامية في البلاد العربية

صدرت نشرة اليونسكو لسنة ١٩٦٥ التي

تضمنت بيانات احصائية عن الحالة التعليمية في الدول العربية تفيد ما يلي :

ان مجموع السكان في البلاد العربية من سن ١٠ سنوات فاكثر ٦٥ر٥ مليون نسمة ، منهم حوالي ٣٢ر٥ مليونا من النساء وحوالي ٣٢ مليونا من الرجال . وكانت جملة عدد الاميين من هذه الفئة حوالي ٥٠ مليون نسمة ، والنسبة المئوية العامة للامية بين السكان في سن ١٠ سنوات فاكثر ، حوالي (٧٥٪) .

كما تشير البيانات الى ان نسبة الامية تختلف من بلد الى آخر ، وكانت اقل نسبة بين الذكور ١١٪ واعلاها ٩٢٪ ، واقل نسبة بين الاناث ١٧٪ واعلاها ١٠٠٪ .

وقد نشر الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ــ بجامعة الدول العربية ــ في التقرير النهائي (ديسمبر ١٩٧١) نتائج الاستبيانات التي تجمعت لديه من ثلاث عشرة دولة عربية منها ــ ان نسب الامية تتروح في البلدان العربية على النحو التالي :

٩٠٪ فاكثر دولتان
٨٥٪ ــ ٨٩٪ دولة واحدة
٨٠٪ ــ ٨٤٪ أربع دول
٧٥٪ ــ ٧٩٪ ثلاث دول
٦٥٪ ــ ٦٩٪ دولة واحدة
٦٠٪ ــ ٦٤٪ دولة واحدة
أقل من ٥٠٪ دولة واحدة

رغم الجهد المبذول في الدول العربية منذ سنة ١٩٦٥ في هذا المجال ، فان نتائج الاحصائيات الواردة من الدول العربية تشير الى ان المعدل السنوى لانخفاض نسبة الامية لا يتجاوز ٢ر٤٪ .

وحيث ان النسبة العامة للامية ما تزال في حدود ٧٥٪ فاذا استمر النشاط والانتاج بهذا المعدل ، فان القضاء على الامية يستغرق اربعين سنة ، هذا اذا استوعبت المدارس الابتدائية جميع الاطفال الذين يبلغون سن التعليم دون حصول أى تسرب من المرحلة الابتدائية .

مصدر الامية

من الواضح أن عدم استيعاب المدارس الابتدائية لجميع الاطفال الذين يبلغون سن التعليم هو المصدر الرئيسي لمشكلة الامية ، ويزيد من حجمها . فلو توافرت الامكانات التعليمية لاستيعاب جميع الاطفال الذين يبلغون سن التعليم ، وتزودوا في المرحلة الابتدائية بقدر مناسب من المهارات الاساسية في اللغة العربية والحساب يصل بهم الى صفوف المتعلمين ، ويضمن عدم ارتداد الذين لا يواصلون الدراسة ، في مراحل تالية ، الى الامية ــ لما كان هناك مجال لنمو اعداد الاميين ، ولكان من السهل التغلب على المشكلة خلال فترة من الزمن .

ان الحال على عكس ما نشتهي ونامل ، ونلاحظ انه يتخرج في كل عام جيل امي جديد اكثر في عدده من الافراد الذين تزال اميتهم ، وتفيد تقارير الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ان نسبة استيعاب الاطفال من الذكور في المدارس الابتدائية يصل الى ٨٠٪ ، ومن الاناث يصل الى ٥٨٪ كما يتضح ايضا ان الزيادة في نسب الاستيعاب للاطفال في المدارس الابتدائية سنويا ٢ر٢٥٪ ، بينما تصل النسبة العامة في زيادة السكان الى ٢ر٦٪ ، وهذا يعني ان العدد الذى يضاف الى صفوف الاميين من غير المستوعبين في المدارس الابتدائية يزداد عاما بعد عام طالما بقي الوضع على هذا الحال .

لماذا نحن متخلفون في هذا الميدان

نضالنا من اجل القضاء على الامية يرجع تاريخه في بعض الدول العربية الى ربع قرن تقريبا (*) . منذ سنوات ونحن في صراع مع مشكلة الامية ، وحتى يومنا هذا ... لم تعلن دولة واحدة ــ ممن توفر لها امكانات العمل ــ عن تجربة ناجحة قضت على الامية في مدينة ، او منطقة ، او قرية ، او قطاع معين من قطاعات الانتاج . فالى متى نظل نعمل ونعمل ؟ والى متى تبقى هذه المشكلة قائمة ، والى متى نظل نعلن عن قيام مشروعات ، ووضع خطط لمحو الامية ؟ والى متى نستمر في تعديل او تغيير المناهج وكتب محو الامية ؟ الى متى نظل ننفق الاموال دون تحقيق نتائج ملموسة ؟ ما الذى يمنعنا من تحقيق النصر على الامية وتحرير المواطن العربى من الجهل طالما تتوافر لدينا امكانات العمل ؟

---

* العربي : بدأت هذه المحاولة في مصر منذ نحو اربعين سنة على يد هيئة أهلية في القاهرة تسمى « جمعية اصلاح القرى » ، وتعنى بمحو الامية في القرى ، وكانت توزع كتبها مجانا .

الا يكفي ما عقد من مؤتمرات واجتماعات بشان دراسة المشكلة وتحديد ابعادها واقتراح الوسائل الكفيلة بالقضاء عليها ؟ أليست القرارات والتوصيات التي تصدرها مؤتمرات اليوم هي تكرار لقرارات وتوصيات مؤتمرات الأمس ؟ الاتكفينا القرارات والتوصيات التى صدرت عن الاجتماع العربي التنظيمي الثاني(١) التي اقرها مجلس الجامعة لتكون اساسا لانطلاقة الامة العربية في تحرير المواطن العربي من الامية ؟ ماذا ينقصنا من امكانات العمل ؟ ليست هناك مشكلة في تعدد اللغات في البلد الواحد كما هو الحال في بعض الدول ، فلغة العرب واحدة من المحيط الى الخليج ، وكتب القراءة التي تعد في بلد ما قد ثبت عمليا صلاحيتها لمحو امية الفرد العربي في كل مكان من البلاد العربية ، وحالنا في هذه الناحية افضل من حال روسيا التي اضطرت الى وضع كتب محو الامية في اربعين لغة قومية .

في الواقع ان سر تاخرنا في القضاء على الامية لا يعود الى نقص في امكانات العمل ، وانما يرجع الى عدم احساس البعض بخطورة المشكلة ، وما يترتب على وجودها من تخلف في اقتصاديات البلاد .

ما هي متطلبات العمل لمحو الأمية ؟

هناك امور يجب مراعاتها في التخطيط لبرامج محو الامية منها :

– أن يدرك كبار المسئولين في الدولة أولا وقبل كل شيء خطورة المشكلة ، وان يحددوا مسئولياتهم منها، وان يشاركوا في وضع الخطط ، والتشريعات الخاصة بمحو الامية ، وان يتابعوا سير العمل حتى تحقق الغاية المنشودة .

– أن تدعم اجهزة محو الامية التي تتحمل المسئولية المباشرة في الميدان بكفاءات علمية وتربوية كافية تكون في مستوى العمل ومتطلباته الفنية والتنظيمية .

– بالاضافة الى حماس وتشجيع كبار المسئولين في اجهزة الدولة ، يجب أن تتوفر رغبة التعلم عند الاميين رجالا ونساء ، وأن تعد مواد تعليمية متخصصة لكلا الجنسين ، تكون موضوعاتها هادفة، فيها من الخبرات والمعلومات ما يفي بحاجات الكبار وتزيد من دوافع التعلم عندهم .

– ان يقتنع المعلم بعملية محو الامية ، وأن يضع في اعتباره ان هذا العمل عمل انساني ، وواجب قومي تفرضه عليه ظروف العصر وحاجة البلاد . فعليه ان يؤديه بامانة واخلاص بصرف النظر عن حجم المكافأة التي تقررها الدولة .

– أن يدرب معلمو محو الامية قبل مباشرتهم العمل على اساليب التعامل مع الكبار ، وطرق تدريس المواد المختلفة .

– قد تضع الدولة خطة شاملة ، وقد تضع خطة لاقليم او قطاع معين من قطاعات الانتاج ، وحتى نضمن سير الخطة بشكل طبيعي ، ولكي يتحقق الهدف المنشود من الخطة ، فلا بد من وجود تشريع ينظم العمل ويكفل سيره حتى نهاية المرحلة المتفق عليها في الخطة ، كما يجب توفر الامكانات اللازمة لتنفيذ جميع جوانب الخطة دون تعثر في أى جانب منها .

– ولا بد ان يكون هناك نوع من التعاون والتنسيق بين جهاز محو الامية واجهزة الدولة المختلفة لضمان مزيد من الضبط والمتابعة لدوام الدارسين في فصول محو الامية .

– من الضرورى أن يبدأ دور اجهزة الاعلام ببدء العمل في برامج محو الامية وينتهي بنهايتها ، وأن يكون دور الاعلام في التوعية والتوجيه وحث المواطنين على مواصلة الدراسة ، وأن يشارك في البرامج الاعلامية عناصر مختلفة من اجهزة الاعلام، ومحو الامية ومختلف الوزارات التي تشارك في مسئولية العمل .

ولا شك ان الجهاز العربي لمحو الامية ، ومركز سرس الليان – جديران بتحمل مسئولية العمل في الميدان العربي ، وهما في حاجة الى دعم مادي ومعنوى حتى يواصلا تقديم المعونات المادية والفنية الى الدول العربية التى تعمل من اجل القضاء على الامية ، وبرغم الامكانات المحدودة لدى الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، فقد قدم الكثير من الخدمات للدول العربية في هذا الميدان .

واخيرا ، فالامية في البلاد العربية ليست مشكلة كما يصفها البعض منذ ربع قرن ، ولكن المشكلة اننا لم نحدد موقفنا منها بشكل حازم .

■■

صالح الناجي

---

(١) عقد في مدينة الاسكندرية – ابريل سنة ١٩٦٥ .

مع ...
الله
في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الحيوانات

ذوات الثدي

وهي أتم ما عرفنا من الحيوانات خلقاً، وعلى رأسها أنت أيها الإنسان

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ وللتعريف الاولى بها نبدأ فنقول طائفة الحيوانات ذوات الثدى تشمل الحيوانات التي نحن اعرف بها في حياتنا وآلف لها . فالقط والكلب ، والخيل والماشية بصنوفها من ذوات الثدى . والجمل والفيل ، والغزال والوعل ، والفهد والأسد والنمر، والثعلب والذئب كلها من ذوات الثدى . والفأر والأرنب والسنجاب من ذوات الثدى .

ولا نكاد نحتاج الى القول بأنها سميت ذوات الثدى لأن لها ثديا ترضع بها ولائدها لتعيش حتى يتهيأ لها النمو الكافي فتقوم بأعباء حياتها وحدها .

شدة اختلاف اشكالها وانواعها

والحيوانات ذوات الثدى مختلفة أنواعا، مختلفة اشكالا والوانا ، وهي منتشرة في بقاع الأرض الواسعة . وبها اكثر من خمسة آلاف نوع، منها الصغير كالفأر، والكبير الضخم كالفيل وحوت البحر ، ومنها ما يأكل الزرع ، ومنها ما يأكل



الأيل ، والذى في الصورة من النوع الذى يسكن اواسط اوروبا . طوله نحو ٦ اقدام و ٨ بوصات ، وارتفاعه الى الكتف نحو ٥ اقدام .

اللحم ، ومنها ما يأكل الحشر والنمل ، ومنها ما يستطيع الطيران كالوطواط ، ومنها ما يسبح فى الماء كالحوت Whale وخنزير البحر او الدلفين Porpoise . ولكن أكثرها يعيش على الأرض اليابسة.

اكتمال خلقها

وهى اكتملت خلقا اذا هى قورنت بما سبق من طوائف الحيوانات ، فأعضاؤها واجهزة أجسامها ازدادت تعقدا ، لأنها ازدادت تخصصا فى وظائفها . والمخ والجهاز العصبى ارقى مما هما فى سائر الحيوانات ، فالثدييات أذكى فى مجموعها مما سبق من سائر الطوائف الحيوانية.

تناسلها

وقد رأينا أن الزواحف تتناسل بأن تبيض البيض ويتم نمو جنينه خارج جسم الأم. وكذا الطير . اما فى الحيوانات ذوات الثدى فالاخصاب يتم داخل جسم الأنثى ، وكذا نمو الجنين يتم فى رحم الأم ، وهى تقوم أثناء ذلك بتغذيته عن



الابسوم Opossum
وهو من ذوات الجراب ، واشتهر بانه يتظاهر بالموت في حالة الخطر .

طريق المشيمة Placenta . وشذت انواع قليلة احتفظت ببعض صفات الزواحف فهى تبيض، ولكن تعود فترضع ما انفقس عنه البيض . وانواع تلد قبل ان يتم وليدها خلقا فتحمله فى جراب . وفيه تتولاه . وسياتى ذكر هذا فى حينه .

صفات خاصة بالحيوانات ذوات الثدى

مع كثرة اختلاف الحيوانات فى طائفة ذوات الثدى نجدها تتحد فى صفات خاصة بها، قل الشذوذ عنها . والوحدة هى هدفنا الاول . وهذه الصفات هى :

(١) اجسامها مغطاة بالشعر .

(٢) الانثى منها تغذى صغارها وهى فى الرحم .

(٣) ترضع الانثى صغارها من بعد ولادة باللبن يدرُّ من ثديها .

(٤) تتنفس الثدييات عن طريق الرئة .

(٥) بها الحجاب الحاجز، وهو يساعد على التنفس ، ويفصل فجوة الصدر عن فجوة البطن .

(٦) لها قلب به اربع خزانات ، وشريان اورطى Aorta واحد يسارى ويعرف ايضا بالوتين .

(٧) وهى من ذوات الدم الحار .

(٨) وبعنقها سبع فقرات فى اكثر الانواع .

(٩) لها اربع اطراف تتحرك بها ، فى اكثر الانواع .

(١٠) لها مخ ومخيخ حسن النمو .

الحيوانات ذوات الثدى مجموعات ثلاث

الثدييات ذات المشيمة :

هى الحيوانات ذوات الثدى التى تلد اناثها كما تلد انثى البشر . التلقيح يجرى داخل جسم الانثى ، وتستقر البيضة الملقحة فى الرحم ، وفيه ينمو الجنين حتى يتم خلقا . ويكون بينه وبين امه، وهو فى الرحم ، المشيمة ، وعن طريقها ياتى الغذاء من الام الى طفلها المتخلق ، وياتى معه اكسجين التنفس . وعن طريق المشيمة يخرج عن الطفل الى الام ثانى اكسيد الكربون المتخلف عن التنفس وتخرج سائر الفضلات .

وبعد تمام الجنين يخرج من جسم امه ولادة ، فهو مولود .

فهذا شأن الكثرة الكاثرة من الحيوانات ذوات الثدى ، وهى تؤلف ٩٥ فى المائة

منهـا ، وتسمى هـذه الحيوانات بالثديات ذات المشيمة PlacentalMammal او المشيمية . وهى الحيوانات التى بلغت اعلى درجة فى الخلق عرفناها .

الثدييات ذات الجراب :

انها حيوانات ثديية يجرى التلقيح داخل جسمها ، نعم ، ولكن البيضة ، بعد تلقيحها، لا يكون ، وهى فى الرحم، ما يكفى لتغذية الجنين حتى يأتى موعد ولادته ، وليس عند الأم الوسيلة لتغذية جنينها تغذية مباشرة . لهذا هى تلد وليدها قبل اكتمال نموه . واذ تولد هذه الولائد فى حالة عجز نراها تتجه مباشرة الى الكيس الذى فى بطن امها وفيه توجد الغدد التى تدر اللبن . وهناك يأخذ كل مولود بحلمة ثدى ويأخذ فى الغذاء .

وتسمى هـذه الحيوانات بالثدييات ذوات الجراب Marsupials وهى قليلة الأنواع أكثرها يعيش فى أطراف الدنيا.

ومنها الحيوان المعروف باسم الابسوم Opossum وهو حيوان يلد صغاره فتكون عند الولادة مباشرة اصغر من النحل . وهو يلد منها ما بين ٦ الى عشرين ، يمتد مكونها فى جسم الام لتنمو ١٣ يوما فقط . وهى تبقى بعد ذلك فى جراب الام نحو شهرين . وهى تخرج عنه عند المقدرة لتتعرف على الدنيا ثم تعود .

ومن ذوات الجراب حيوان الكنغر Kangaroo وموطنه استراليا ، ويوجد من الحيوانات الثديية ذوات الجراب نحو من ٣٠ نوعا . فهى قليلة الأنواع .

الثدييات ذات المسلك الواحد :

وهى فى الثدييات ادناها خلقا .

وتختلف عن سائر الثدييات بأن حالب البول فيها ، وقناة البيض ، وكذا فضلات الطعام تلتقى كلها فى مخرج واحد ، هو المذرق Cloaca . ومن اجل هـذا



آكل النمل .

●●

الكنغر وقد حمل ابنه فى جرابه .





البلاتبوس او منقار البطة
يبيض ومع هذا يرضع ولائده بعد فقس

سميت بذات المسلك الواحد Monotremes وهى تبيض ولا تلد .

وبسبب هذا المسلك الواحد، وبسبب انها تبيض ، نقول انها احتفظت دون سائر ذوات الثدى ، بصفات هى اشبه بالزواحف والطيور .

ومن امثلتها الحيوان المعروف باسم منقار البطة ، او البلاتبوس Platypus ، وهو حيوان طوله ما بين ١٢ الى ١٨ بوصة، له منقار كمنقار البط ، واقدام ذات غشاء بين اصابعها تعين على التجديف فى الماء . وهو يعيش فى مسارب يحفرها فى الارض عند شواطىء المياه تطول بضعة اقدام ، ومن اجل هذا كان فروه مما لا يبتل بالماء .

وانثاه تبيض عادة بيضتين او ثلاثا فى المرة الواحدة ، تحتفظ بها فى جسمها بعض حين قبل ان تبيض . فاذا باضت حضنتها بعض الشىء لتدفئها . فاذا انفقست وخرج صغارها اخذت ترضعها بلبن تفرزه غدد للعرق تشبه غدد الثدى فى سائر الثدييات . وليس لهذه الغدد حلمات وانما هى تفيض باللبن وتلعقه الصغار .

وموطن منقار البط استراليا .

وكمنقار البطة الحيوان المعروف بآكل النمل Anteater ، وموطنه استراليا ، وغينيا الجديدة .

وهذا الصنف من الحيوانات قليل جدا .

مـدة الحمل
فى الثدييات ذات المشيمة

الحيوان	المـدة
الفارة	٢١ يوما
الارنبة	٣٠ يوما
القطـة	٦٣ يوما
الكلبـة	٦٣ يوما
الخنزيرة	١٢٠ يوما
المراة	٤٠ أسبوعا
البقـرة	٤١ اسبوعا
الفرسة	٤٨ اسبوعا
انثى الحوت	٢٠ شهرا
الفيلة	من ٢٠ الى ٢٢ شهرا

وقد ذكرنا انها تؤلف نحو ٩٥ فى المائة من ذوات الثدى جميعا .

وهذه الثدييات ذات المشيمة يخرج صغارها على حال من الاكتمال أفضل كثيرا من صغار ذوات الجراب او ذوات المسلك الواحد .

وصغار الفئران والأرانب والقطط والكلاب تستطيع فى نحو اسبوع او اسبوعين ان تتحرك وتسير مع امهاتها .

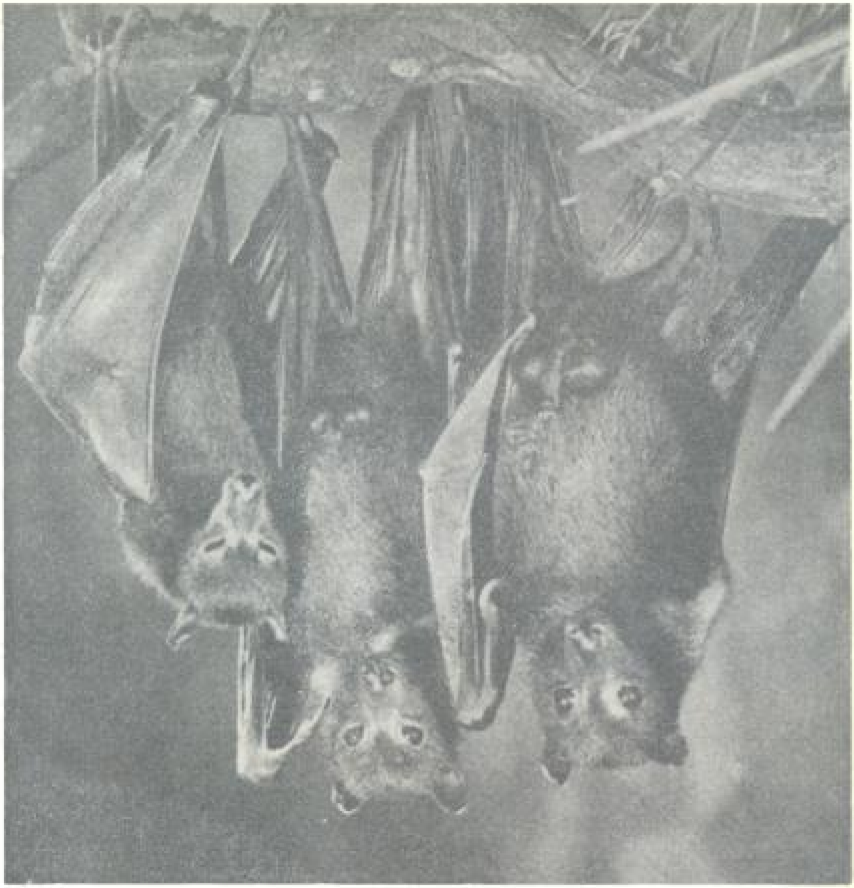
والأبقار والخيل والابلات والخنازير، تولد صغارها على حال من الاكتمال والقوة افضل من صغار الفئران وصواحبها المذكورة سلفا ، فهى تستطيع ان تمشى بعد ساعات قليلة من ولادتها .

وولد الحوت يستطيع العوم ساعة يولد .

وننتقل بعد ذلك الى الرتب التى تنقسم اليها هذه الحيوانات .

الثدييـات
آكلات الحشرات

وهى رتبة من الثدييات آكلة الحشرات Insectivora ، وهى تتمثل فى الحيوان المعروف بالخلد Mole وهو حيوان يشبه الفار ، متمرس على العيش فى باطن الأرض ، وبه اطراف قوية للحفر ،



الوطاويط وقد تعلقت بفرع من فروع الشجر .وراس الوطواط اشبه مايكون براس الفار .

وهو يعيش على الحشر ويأكل صغار الخنافس ، وكثيرا ما يضر الزرع .

وهذه الرتبة أيضا تتمثل فى الحيوان المعروف بالزبّانة Shrew ، وهو حيوان من آكلات الحشر أيضا يشبه الفار ، وهو أصغر الحيوانات ذوات الثدى . وهو قليل الظهور على سطح الأرض لأنه يعيش فى سراديب تحت الارض ويحسن الاختفاء فى الحشيش وبين اوراق النبات .

الثدييات الطائرة

وهى رتبة الخفاشيات او الخفافيش Chiroptera وتحتوى على بضع مئات من الأنواع .

وهى الوحيدة فى الثدييات التى لها اجنحة تطير بها ، وهى تتألف من عظام اصابع طالت ووصلتها اغشية فغطتها .

وهى تطير بالليل ، وطعامها الحشرات ، ولو أنها ، لما لها من أجنحة ، لم تدخل فى رتبة آكلات الحشر لأن الجناح اخص بها .

وهى تقضى النهار معلقة فى اسقف الكهوف ، أو فى جذوع الشجر الأجوف . وهى بالطبع لا تمارس المشى لأن أبعاد اطرافها لم تشكل له .



السنجاب ، وهو نوع مخطط يعيش في امريكا الشمالية . وهو من القوارض .

الثدييات القارضة

وتجمعها رتبة القارضات Rodents .

وبذكر القارضات يذكر الانسان على التو الفار ، وهو يمثلها خير تمثيل . ومنها السنجاب Squirre ، ومنها القندس Beaver .

وهي انجح ذوات الثدي في ممارسة الحياة ، وعددها يفوق عدد سائر الحيوانات الثدية مجتمعة . ومن اسباب ذلك جسمها الصغير ، فبه تستطيع أن تختفي ويحتويها الحيز القليل . ومنها كثرة انسالها . ومنها قوة أسنانها ، فهي تعيش على الجامد من الطعام . ومنها اطراف قوية تستطيع بها أن تهرب وتتسلق وتكسب طعامها .

وهي تعيش على الارض، او في الشجر، او تحفر الحفر في الارض ، ومنها ما يألف الماء مثل فأر المسك Muskrat

والأرنبيات من الثدييات

وهي الأرانب واضرابها ، من برية ومستأنسة .

وهي تقرض طعامها ، ولكن لا كقرض القوارض . انها تطحن طعامها بتحريك فكها الاسفل في مستوى افقي يمينا ويسارا . ولها من الأسنان القاطعة اربع قواطع في كل فك ، بينا القوارض بها سنان فقط .

ومن الثدييات المدرعات

والمدرعات Armadelos هو اسم الرتبة. وعليها لباس من الدروع يحميها . وهي تعيش على الحشر والبيض والدود والطيور وصغار الحيوانات .

ومن الثدييات حيوانات تعيش في البحار

ومنها الحوت Whale والدلفين Dolphin

وخنزير البحر Porpoise وتجمعها رتبة الحيتان Cetacea ، ولها الجسم المسحوب وذيل الأسماك وزعانفها فهى جديرة بالحركة فى المحيط وائتلافه .

والاسماك تتنفس عن طريق الخياشيم . وهذه الثدييات تتنفس عن طريق الرئات ، وهى تستطيع أن تحبس فى رئاتها مقادير كبيرة من الهواء تيسّر لها البقاء مغمورة وقتا طويلا فى الماء .

والأسماك تتكاثر عن طريق البيض ، وهذه الثدييات تتكاثر كما تتكاثر ذوات الثدى ، وهى تلد الولائد ، وهى تدفع بوليدها عقب ولادته الى سطح الماء ليأخذ اول شهقةمن هواء . . وهى لاتعلمه العوم فهو يولد وهو به عارف .

والحوت الأزرق ، وهو اكبر حيوان حى ، ولعله أكبر حيوان كان . ومنه ما بلغ طوله ١٠٠ قدم وبلغ وزنه ١٢٠ طنا .

والحوت العنبر Sperm whale برأسه مقدار عظيم من الزيت يعرف بزيت العنبر Sperm oil .

ويستخدم تجاريا مزلقا ، وفى ادهنة التجميل . ومعاء الحوت تفرز مادة تعرف باسم العنبر Ambergris وتستخدم فى صنع العطور .

والدلفين Dolphin اسم يطلق على عدة من الحيتان الصغار يقل طولها عادة عن ١٤ قدما . وهى ذات ذكاء كان من عناية البحاث ، وهو قائم كذلك فيما بين الدلافين من مواصلات وتفاهم .

وخنازير البحر Porpoises شبيهة بالدلافين ، وليست منها . وهى عادة أصغر منها ، ولها رأس مستدير غير مدبب .

والدلافين وخنازير البحر توجد فى شتى المحيطات .

وثدييات ذات خراطيم

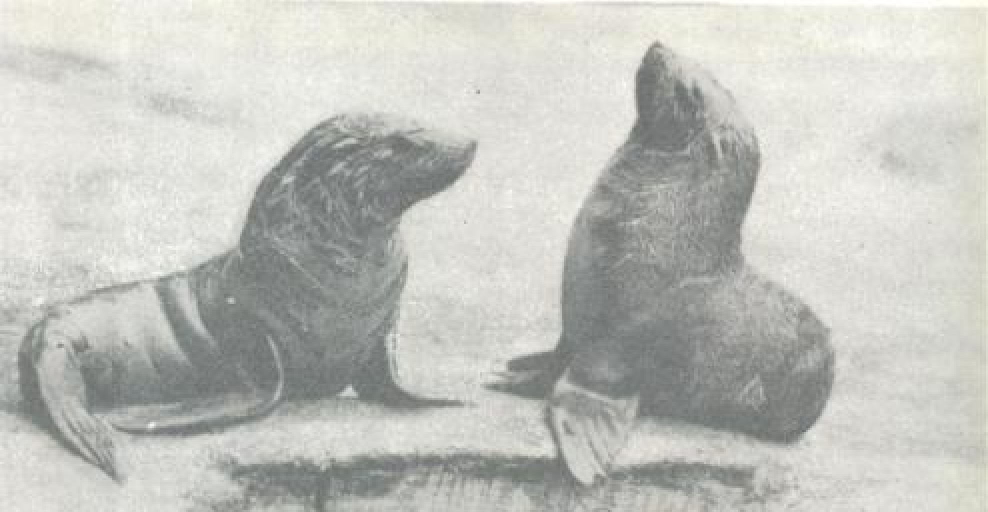
وهى الخرطوميات ، ولم يبق ما يمثلها من الحيوانات غير نوعين اثنين ، وقد كانت فى زمن ما ثلاثين نوعا على الاقل ، ذهب الزمان بها ، وهى كانت تعيش فى افريقيا وآسيا واوروبا وشمال امريكا .

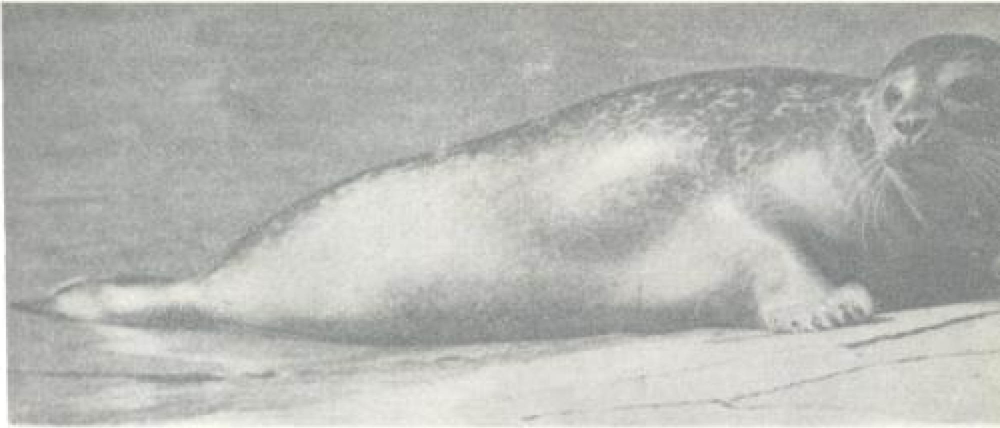
والنوع الاول هو الفيل الآسيوى . ويستخدمه العارضون فى ملاعب السرك ، وهو فى اوطانه يستخدم لحمل الأثقال .

والنوع الثانى هو الفيل الأفريقى ، وهو اعلى جسما ، واعضاؤه اقل ضخامة ، وجبهته تميل الى أمام ، وأذناه عظيمتان .

والفيلة الافريقية تجوب البرارى الافريقية فى قطعان ، وهى أعصى تأنيسا من أخواتها الآسيويات .

اثنان من اسد البحر Sea-Lions . ومسكنه شواطىء جنوب افريقيا والجزر القريبة .





عجل البحر Seal وهو يختلف عن اسد البحر بانه ليس له آذان خاصة .

الثدييات
آكلات اللحوم

وقد تسمى اللحميات Carnivora .

ومن آلفها لنا القط والكلب .

ومنها الأسد والنمر والفهد . ومنها الضبع والذئب والثعلب .

وابن عرس ويمثل فصيلة من هذه الرتبة تشتهى الدم اشتهاء. ومنها عرس المنك Mink ، وهو حيوان ثديى لاحم، يصاد لفروه الثمين . وله الجسم الطويل والأرجل القصار .

والارمين Ermine عرسة من القطب لها فرو ابيض ، أبيض فى الشتاء ، بنى فى الصيف .

ثم الدب ، وله الأسنان الصالحة لأكل اللحم والعشب .

ثم اللواحم التى تسكن البحار ، ومنها أسد البحر Sea lion . والفظ Walrus ، والفقمة أو عجل البحر Seel . وهذه اللواحم لهاالجسم المسحوب الذى يأتلف وشق ماء البحر ، ولكنها لم تنبت فى أجسامها زعانف كالتى تبتت فى الحيتان .

واقدامها مكففة لأن بين أصابعها نسيج ، وهو يقوم فى القدمين الأمامين باتزان الجسم ، وفى القدمين الخلفيين بدفع الجسم الى أمام .

وصفات اللواحم تتفق واسلوب حياتها، انها تصيد بالعنف طعامها ، وطعامها الأحياء التى تأبى أن تصاد .

لهذا كان للواحم أنياب قوية تخترق جلد الضحية ، وأسنان تكسر العظام .
ووجب أن يكون لها الجسم القوى والعضل المتين والمخالب الناشبة . كذلك البصر الواضح والشم المرهف ، هذا الى مبلغ من الذكاء يفوق ذكاء ضحاياهم .

الثدييات
ذوات الحوافر

انها الرتبة من ذوات الحافر Ungulata . وهى من آكلة الأعشاب ، لهذا لها أسنان تقطع العشب، والنبات وتطحنه.

وبعضها المستانس ، وبعضها البرى .

ولعل الماعز هو أول ما استأنس الانسان .

واعتمد الانسان زمانا طويلا على الحصان والجمل والثور واللامة Llama فى الحمل وجر الأثقال .

واتخذ طعامه من الأبقار والأغنام والجمال .

وبقى البرى من ذوات الحوافر يبغيه الانسان فى الصيد ، مثل الأيل والوعل والغزال .

والحيوانات ذوات الحافر لبعضها

اطراف تعينها على الجرى السريع . وهى غالبا ما تجرى فى الواقع على اطــراف اصابعها ، وما الحوافر الا مواد قامت مقام الاظافر لتمتص هزة الارض عند الجرى .

وللذوات الحافر فصائل ست عشرة . وهى تقسم الى قسمين ، قسم بأطرافه اصابع عددها فردى Perissodactyla odd وقسم بأطرافه اصابع عددهـــا زوجى Artiodactyle eren.

ومن القسم الأول الحصان ، ومنه ايضا وحيد القرن Rhinoceros .

وفى القسم الثانى الكثرة من هــذه الحيوانات . ومن هذه الخنزير ، وفرس النهر .

ومن هذا القسم الثانى ايضا الحيوانات المجترة Raminants ومنها الأبقار والأغنام والماعز والزرافة ولها الأمعــدة ذات الخزانات الأربع على ما هو معروف .

الثدييات
الرئيســيات

والحيوانات الرئيسيات Primates تقع فى الذروة من السلم الحيوانى، ومنها القردة بشتى صنوفها . وتتميز بأن جسمها يستطيع أن يعتدل قائما ، وان تمشى قائمة عند الحاجة ولو أنها تميل غالبا الى العيش فى الشجر .

وللرئيســيات اذرع ، وايد مكتملة النمو ، واصابع بها تمسك الأشياء ، وتنمو الاظافر فى بعض اصابع اليدين او الرجلين .

والرئيسيات تأكل اللحم والنبات .

ومن القردة صنف لا ذَنَب له Apes ، وهى شبيهة بالانسان من حيث كيان جسم ، وذراعاها اطول من رجليها .

والغورلا هى اكبر هذه القرود ، وهى تمشى على رجلين اثنتين ، وهى من اقوى الحيوانات ، وموطنها افريقيا .

والشمبنزى، وهى اصغر من الغورلا، ولها ذكاء معروف ، وموطنها كذلــك افريقيا .

والأرانج تان Orangutan وموطنه جزائر الهند الشرقية .

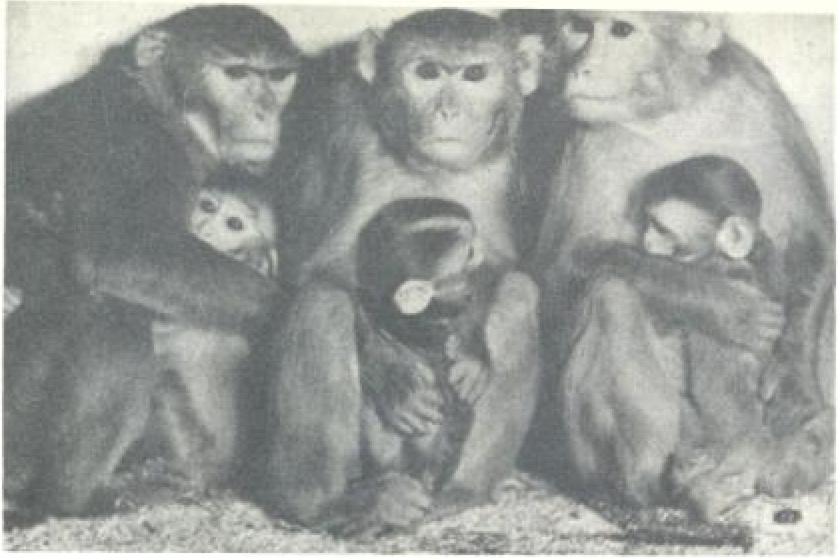
وعدة أخرى من الأنواع ، مثل البابون Baboon ، والليمور Lemur وموطن هذا الأخير جزيرة مدغشقر .

فى
الحيوانات ذات الثدى
وحدة ومعها اختلاف

أما الوحدة فبينة ، وهى وحدة بينها

انثى فرس النهر او جاموس البحر ، سنها نحو ٧ سنوات ومعها ابن لها عمره شهر واحد





ثلاث من القردة المعروفة بالرسيس Rhesus وهي تحنو على صغارها حنو الأم من بني الناس.

جميعا ، وبين سائر ما سبق أن ذكرنا من رتب الحيوانات وانواعها . وحدة في اصول الحياة . وحدة في اعضاء الأجسام . وحدة في وظائف الأجسام . وهي تتعدل كلما صعدنا في السلم الحيواني ، ولكن تبقى اشكالها ، واصولها واهدافها واحدة ، هي اهداف الحياة عامة . وتتدخل مؤثرات البيئة فتغير منها . وتتدخل المشيئة الكبرى فترقى بها .

واذا وصلنا الى الثدييات ادركنا لا شك الوحدة القائمة بينها وبين سائر الحيوان ، وادركنا الوحدة القائمة بين رتبها وانواعها .

ولكن مع هذه الوحدة بين رتب الثدييات وانواعها يوجد اختلاف عظيم في اشكال الأعضاء ووظائف الأعضاء ، اعطاها القدرة على أن تفعل اكثر مما خيل لها ان تفعل . وأن تغزو من الوجود اكثر مما خيل لها أن تغزو .

فاطرافها مثلا اخذت اشكالا مختلفة تفي بأغراض مختلفة شتى ، ولا سيما الطرفان الأماميان . فأحيانا تشكلت لتنفع في حفر ، واحيانا لتنفع في تعليق جسم ، واحيانا للطيران ، واحيانا للجرى هربا ، او الجرى وراء فريسة .

وهذا التشكل مهد لهذه الثدييات ان تذهب الى كل بيئات الارض ، فهي غزت الارض ، وهي غزت السماء وفاقت فيها الطير ، وهي غزت الماء ونافست فيه الاسماك .

وتشكلت اسنانها واختلفت ، فمنها قاطع عشب ، ومنها طاحن عشب ، ومنها غارز في لحم ، ومنها قاضم عظم ، كل وفقا لما ياكل من طعام .

وتشكل كساء الجلد وتغيرت الوانه .

ولكن سيادة الحيوانات ذات الثدي ، ومنها الانسان لا تتراءى اوضح ما تكون الا بمقارنة اعضاء اجسامها ووظائف هذه الاعضاء بسائر ما لرتب الحيوانات وانواعها منها . وعندئذ يتراءى السلم الحيواني ، في صلابة بنائه الواحد ، ونشعر ونحن نصعد درجاته ، انما نصعد قبيلا من الخلق واحدا ، تترك درجة من الحيوانات الى درجة من حيوانات ارقى ، لها بالأولى أواصر متينة .

●●

احمد زكي

المفاهيم الماركسية يطورها الفكر الاسلامي

تجربة المسلمين الروس في الاتحاد السوفيتي مرت بثلاث مراحل

بقلم : الدكتور محمد شوقي الفنجري

■ يوجد في الاتحاد السوفيتي مايزيد عن ثلاثين مليون مسلم ، يمثلون اكثر من ١٥٪ من عدد سكانه. وهم يتركزون في آسيا الوسطي بجمهوريات ازبكستان وتقع بها اشهر ثلاث مدن اسلامية هي بخارى وسمرقند وطشقند . واذربيجان واهم مدنها باكو . وتاجستان وتوجد بها اعلى قمة جبلية في روسيا وتعرف باسم قمة الشيوعية وتركمنستان واغلبيتها مسلمون سنيون ، وكازاخستان ، وقيرغزيا . وتعتبر هذه الجمهوريات السوفيتية الاسلامية من اغني جمهوريات روسيا ، وبها معادن اليورانيوم والحديد والنحاس ، فضلا عن الآثار الاسلامية واشتهارها برجال العلم والادب الذين تخرجوا في ربوعها وسافروا الى الاقطار العربية.

وعندما قامت الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧ ، انتصارا لفكر معين هو الفكر الماركسي ، مر المسلمون الروس ازاءها بثلاث مراحل : ــ

المرحلة الاولى : مرحلة المعارضة والمعاداة

فقد لقى القادة السوفيت في بدء ثورتهم اعراضا من المسلمين الروس ، واتسم ذلك في بعض المناطق كالقوقاز والتتار بالمعارضة السافرة والمعاداة العنيفة ، حتى انه اندلعت بها الفتن والحروب .

وقد كان سبب ذلك الفروق الاساسية بين الفكر الاسلامي والفكر الماركسي، ومن قبيل ذلك ما يأتي : ــ

اولا ــ ان الفكر الماركسي فكر" ملحد يقوم على اساس المادة ، وأن المادة وتطور قوى الانتاج ، هو الذي يحدد علاقات الافراد ويصنع تطور المجتمع. بخلاف الأمر في الاسلام فهو فكر مؤمن بالله وحساب اليوم الاخر ، وأن خشية الله تعالى وابتغاء مرضاته والتزام تعاليم الاسلام ، هو التي تصوغ علاقات الافراد بعضهم ببعض وتحدد مسار المجتمع.

وتبدو اهمية هذا الفارق في وجود منطقة فراغ روحي ، يعاني منه الفرد والمجتمع الملحد ، مهما حاول انكاره . فضلا عن اثر ذلك في السلوك فبينما الوازع في الفكر الماركسي هو وازع دينى فقط فالرقابة فيه محدودة وقاصرة نجد الوازع في الفكر الاسلامي هو وازع ديني ودنيوى معا . وفي ذلك الاخير صمام امان لسلامة السلوك الاجتماعي وشرعية النشاط الاقتصادى ، لشعور الفرد المؤمن حقا ، أنه اذا استطاع ان يفلت من رقابة ومساءلة القانون فانه لن يستطيع ان يفلت من رقابة ومساءلة الله.

ثانيا : ان الفكر الماركسي يستهدف الغاء الملكية الخاصة ، لتحل محلها الملكية العامة أيا كانت صورتها : ملكية الدولة (قطاع عام) او ملكية الجماعة (ملكية جماعية أو تعاونية) ، بخلاف الامر في الاسلام، فالتأميم ليس هدفا ،وانما هو وسيلة.

وتبدو أهمية هذا الفارق في أن الملكية العامة في الاقتصاد الماركسي هو الاصل ، والملكية الخاصة هي شذوذ واستثناء . وفي الاقتصاد الرأسمالي العكس ، فالملكية الخاصة هي الاصل ، والملكية العامة هي الاستثناء . اما في الاقتصاد الاسلامي فالملكية الخاصة والملكية العامة، كلاهما على السواء اصل . فقد اقر الاسلام الملكية الخاصة ، وفرض عليها عدة قيود . كما أنه اوجد ، منذ اربعة عشر قرنا ، الملكية العامة بالقدر الذي تطلبته احتياجات المجتمع وقتئذ ودرجة تطوره الاقتصادى . ومن قبيل ذلك أرض الحمى للرعي .. والوقف الخيري .. ومؤسسات المساجد وانتزاع الملكية الخاصة من أجل توسيعها ... وموقف عمر بن الخطاب من الاراضي المفتوحة ورفض تمليكها للغزاة وتحويلها الى ملكية جماعية .

ولا شك أن للشارع الاسلامي ان يوسع أو يضيق

من دائرتي الملكية الخاصة والملكية العامة ، بحسب ظروف الزمان والمكان . ومن ثم تختلف التطبيقات الاسلامية من حيث نطاق هاتين الملكيتين ، دون ان يوصف هذا التطبيق او ذاك بانه ماركسي او راسمالي ، بل يظل تطبيقا اسلاميا طالما احتفظ بالملكية المزدوجة كاصل وليس كاستثناء . وهذا ما يعبر عنه فقهاء الاسلام بتغير الاحكام بتغير الازمنة والامكنة ، وقولهم هذا اختلاف زمان ومكان لاحجه وبرهان .

ثالثا : ان الفكر الماركسي يقوم على اساس الصراع بين الطبقات ، واقامة دكتاتورية الطبقة الواحدة وهي طبقة البروليتاريا (العمال) . في حين ان الفكر الاسلامي يقوم على اساس تعاون جميع افراد المجتمع، واقامة تحالف قوي الشعب العاملة.

المرحلة الثانية . مرحلة التفهم والتلاقي

فقد ادرك القادة السوفيت ، انهم لن يستطيعوا ان ينفذوا بثورتهم الاشتراكية الى المناطق الاسلامية لا سيما مناطق القوقاز والتتار ، الا باسم الاسلام، ومن خلال تعاليمه . ومن ثم وجدنا في منشوراتهم الرسمية في هذه الفترة ، ان المثل الاعلى للشيوعية من حيث القضاء على استغلال الانسان للانسان ، انما اخذ من القرآن وتعاليم الاسلام .

وفي نفس الوقت تبين لعلماء المسلمين الروس ، ان الاسلام يؤيد الماركسية في الكثير من النواحي والاجراءات ومن قبيل ذلك : ـ

تصفيتها للاقطاع وحربها ضد الاستغلال والاستعمار .

اقامة المساواة الفعلية بين الناس واعلاؤها قيمة العمل فوق كل قيمة وجعله معيار تقييم الانسان.

انكار الربا واقامة اقتصادها على غير الفائدة.

ضمان العمل والاحتياجات الاساسية لكل انسان.

اعمال مبدأ جماعية القيادة والمشاركة الشعبية في الحكم .

الى آخره من المبادىء الاشتراكية الاساسية ، والتي سبق ان قررها الاسلام منذ اربعة عشر قرنا .

ومن ثم فقد حدث التلاقي ، وظهر في هذا المجال سلطان جالييف Le Sultan Galievs وحنفي مظهر وغيرهم من القادة المسلمين الروس ، الذين الفوا (الحزب الشيوعي الاسلامي) Le Part Communiste musulman وجعلوا قوام سياستهم انه في مواطن الاتفاق وحيث يقر الاسلام بعض التعاليم الماركسية ، فانهم ينتهزون هذه الفرصة ويضعون ايديهم مع القادة السوفيت لانتشارها وفعاليتها ، بل وشنها حربا مقدسة ضد كافة اوجه الظلم والاستغلال . اما في مواطن الاختلاف ، وحيث ينكر الاسلام بعض المفاهيم الماركسية ، فانهم يفتحون باب الحوار بامل اقناع القادة السوفيت بالعدول عن هذه المفاهيم وتصحيح مسار الثورة البلشفية ... الامر الذى بدا اثره في المرحلة التالية .

المرحلة الثالثة :مرحلة المساهمة والتطوير

وفي هذه المرحلة لعب سلطان جالييف وتلاميذه، دورا كبيرا فاغنوا وعمقوا بفكرهم الاسلامي ، الفكر الاشتراكي عامة، وطوروا وصححوا الكثير من المفاهيم الماركسية ، من قبيل ذلك ماياتي : ـ

اولا:اوضح سلطان جالييف انه لا علاقة بين المادية والاشتراكية ، وان محاولة الربط بين التفسير المادى للكون الذى يرفض الدين بالضرورة وبين الاشتراكية ، هي محاولة لاضرورة ولا محل لها . فقد يكون المادى (الملحد) اشتراكيا وقد يكون غير اشتراكي ، كما ان الاشتراكي قد يكون ماديا او غير مادي،وتاريخ الفلسفة وكذلك تاريخ الاشتراكية شاهد على ذلك بغير حاجة الى تحديد الاشخاص او ذكر الامثلة . واكد جالييف العلاقة الوثيقة بين الدين والاشتراكية من حيث ان جوهرهما واحد ، فكلاهما رفض للظلم والاستغلال . هذا الى ما اوضحه بان التصور المادى للوجود والقول بان المادة هي سبب كل موجود هو من قبيل التصورات الميتافيزيقية ، وهو على هذا النحو نوع من عملية استبدال اله حقيقي هو الله باله آخر هو المادة .

واننا الآن نجد الكثير من الماركسيين يسلمون بهذه الحقيقة ، وانه لاعلاقة بين الالحاد والاشتراكية. بل لقد بدات ظاهرة التدين والتردد على الكنائس تغزو اوربا الشرقية رغم التزامها بالفكر الماركسي . وبعود الالحاد فينكمش متواريا الى حدوده الاصلية ، مزاجا منحرفا واتجاها فرديا .

ثانيا : اظهر سلطان جالييف ان الغاء الملكية الخاصة والتاميم الكامل ليس هدفا في ذاته، وليس هو السبيل الوحيد للاشتراكية ، وانما المهم هو سيطرة الشعب على ادوات الانتاج .

واوضح انه قد تتعدد طرق الاشتراكية Les voies multiples Du Socialisme ، بل انه يجب ان تختلف التطبيقات الاشتراكية بحسب ظروف كل مجتمع .

وان هذه الحقيقة التى ابرزها سلطان جالييف بوضوح لاسيما في مؤتمر الحزب الشيوعى لسنة ١٩٢٣ ، بدات تغزو الفكر الماركسى الحديث ، حتى لقد اعتنقها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى المنعقد سنة ١٩٥٦ . بل لقد ذهب هذا المؤتمر الى المناداة بالتعايش السلمى بين مختلف المذاهب .

ثالثا : ابرز سلطان جالييف انه بعد انتصار الثورة البلشفية، لم يعد هناك محل لفكرة كراهية او صراع الطبقات ، كما لم يعد هناك محل لتمييز العمال على الفلاحين او اقامة دكتاتورية الطبقة الواحدة . وحل محل ذلك فكرة تعاون افراد المجتمع ، واقامة تحالف قوى الشعب العاملة .

وان فكرة تحالف قوى الشعب العاملة اصبحت الصيغة الجديدة التى تدين بها دول أوربا الشرقية والتى تلتزم بالفكر الماركسى .

ولم يكتف سلطان جالييف بذلك ، بل نبه الى ان حقيقة مشكلة كل مجتمع سببها التعارض بين الاغنياء والفقراء واتساع الفوارق بينهما ، ولو كان هؤلاء الاغنياء من فئة العمال والمثقفين . وان حقيقة مشكلة العالم هي في وجود دول غنية او شعوب بورجوازية ودول اخرى فقيرة او شعوب بروليتاريا ، وهو الصراع الحقيقي الذى يعانيه عالمنا الحاضر .

رابعا : واخيرا فان سلطان جالييف كان يرى ان المجال الحيوى لثورة اكتوبر البلشفية L'Espace vital de le Revolution D'ootirb. هو الشرق وليس الغرب . فكان ينكر على المسئولين الروس اهتمامهم بالمجتمع الغربى والراسمالى ، ويرى أن الثورة البلشفية يجب أن تصحح طريقها وأن مجالها هو افريقيا وآسيا والدول الفقيرة . وكان يبرر ذلك بأن الدول الغربية هي دول غنية فهى اقل تقبلا للاشتراكية وبعدا عن الشيوعية . بخلاف دول الشرق فهى دول فقيرة وهي مجال نصرة الاشتراكية . ذلك لان الاشتراكية في صميمها هي محاربة الاستغلال وخاصة الاستعمار وهو مايعانيه الشرق بصفة خاصة .

وهذا الراى الذى كان وقتئذ بمثابة رؤيا ، هو ما انتهى اليه الفكر الاشتراكى الحديث بان حتمية الحل الاشتراكية ليس نتيجة تناقضات المجتمع الراسمالي المتقدم ، كما يتصور الفكر الماركسى والذى يرفض رفضا قاطعا امكان تصور قيام الاشتراكية في البلاد المتخلفة . وانما هو الحتمية التى تقتضيها ظروف المجتمع خروجا من التخلف وتحقيقا للتقدم كفاية وعدلا .

والخلاصة ان المفكرين المسلمين الروس قد اغنوا وعمقوا الفكر الاشتراكى ، كما اسهموا في تطوير الفكر الماركسى بل وتصحيح الكثير من مفاهيمه .

ولا نعجب اذ نجد تلاقيا بين التطبيقات الاشتراكية في بعض الدول العربية وبين الآراء التى نادى بها سلطان جالييف كفكرة الاشتراكية المؤمنة بالله ورسوله ... والابقاء على الملكية الخاصة والاكتفاء بسيطرة الشعب على ادوات الانتاج ... واقامة تحالف قوى الشعب العاملة ... ذلك لان الاصل واحد وهو الفكر الاسلامى ، الذى له ايدلوجيته الخاصة وله ذاتيته المستقلة . بل ان اى تطبيق اشتراكى في العالم الاسلامى اذا اريد له النجاح والبقاء لايمكن ان يخالف اصول الاسلام وتعاليمه ، والا كان حليفه الفشل ومصيره الزوال. ■■

د . محمد شوقى الفنجرى
القاهرة

(1) Bennigson (A.) : Les Mounements nationaux chez les musulmans de Russie. Le Sultangalievirme, Ed. Monton [illegible] Paris 1960.
(2) Carrere d'Encause (H.) et Schraın (S.), Le Marxisme et l'qsie, Ed. Armond Colin, Paris, 1965.
(3) Charles (R.), L'Etoile Rouge contre le Croissant, Ed. Calmann Levy, Paris 1962.
(4) Monteil (V.), Les musulmans sovietiques, Ed. Du Seiul, Paris, 1957.
(5) Rondot (P.), L'Islam et les musulmans d'aujourd'hui, Ed. de l'Orient, Paris, 1965.
(6) EL FANGARY (M.S.), L'Islam Sovietique, Revue Al-Ilnanoun Wal Iqtisad, publiee par les professeurs de Faculte de Droit du Cave, No. 2 — XXXX annee 1970.

مسابقة العربي

أبيات مشهورة .. من هم أصحابها ؟!

■ امامك خمسة عشر بيتا ، كلها مشهورة ، كما ان نسبة كل بيت منها الى صاحبه مشهورة ايضا ، وبعضها مما يتغنى به اليوم ، كما أن معظمها شديد الدلالة على شخصية صاحبه ، او حياته ، او عصره ، او بيئته .

والمطلوب ان تختار عشرة ابيات منها ، وتنسب كل بيت الى صاحبه أو صاحبته . ولكي نيسر عليك الاجابة ، أعقبنا كل بيت منها بأسماء ثلاثة من الشعراء بين قوسين ، واحد الثلاثة هو الشاعر الذي نظم هذا البيت .

(١) اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
(عزيز اباظة ــ ابو القاسم الشابي ــ الأخطل الصغير)

(٢) تعب كلها الحياة فما أعجـ
ـب الا من راغب في ازدياد
(الطغرائي ــ مهيار الديلمي ــ ابو العلاء المعري)

(٣) مكر مفر ، مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
(امرؤ القيس ــ الاعشى ــ النابغة الذبياني)

(٤) وانما الامم الاخلاق ما بقيت
فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا
(حافظ ابراهيم ــ احمد شوقي ــ عباس العقاد)

(٥) واذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز أن تموت جبانا
(المتنبي ــ الشريف الرضي ــ الصاحب بن عباد)

(٦) ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم
(المهلهل ــ زهير بن ابي سلمى ــ عمرو بن كلثوم)

(٧) والنفس كالطفل، ان تهمله شب على
حب الرضاع ، وان تفطمه ينفطم
(البوصيري ــ عمر بن الفارض ــ البهاء زهير)

(٨) اتاك الربيع الطلق ، يختال ضاحكا
من الحسن ، حتى كاد أن يتكلما
(ابن الرومي ــ ابو نواس ــ البحتري)













(٩) السيف أصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
(دعبل – ابو تمام – على بن الجهم)

(١٠) اراك عصي الدمع ، شيمتك الصبر
اما للهوى نهي عليك ولا أمر ؟
(السرى الرفاء – الصنوبرى – ابو فراس الحمدانى)

(١١) ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
(كعب بن زهير – عبد الله بن رواحة – الحطيئة)

(١٢) وان « صخرا » لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار
(قتيلة بنت الحارث – الخنساء – هند بنت عتبة)

(١٣) هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
(الفرزدق – عمر بن ابى ربيعة – جميل بثينة)

(١٤) كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا – ليل تهاوى كواكبه
(السيد الحميرى – مروان بن أبى حفصة – بشار بن برد)

(١٥) أخى ، جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد ، وحق الفدى
(على محمود طه – خليل مطران – ايليا ابو ماضي)

شروط المسابقة

١ – ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى
مجلة العربى – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٨٠ » .

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٣ .

٥ – كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة
العدد ١٨٠

مواقف رجال

أوس بن حارثة الطائي

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ ثلاثة كانوا سادة امجادا من قبيلة طيىء ، تردد ذكرهم وما زال باقيا : « حاتم الطائى » الذى ضرب به المثل في الكرم ، لم يدرك الاسلام ، واسلم ابنه « عدى » وابنته « سَفّانة » .

و« زيد الخيل بن مُهَلْهِل » الذى كان فارسا مغوارا ، والذى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم،واسلم‌وقال:انا زيد الخيل بن مهلهل ،فقال له رسول الله : بل أنت زيد الخير ، ثم قال : الحمد لله الذى جاء بك من سَهْلك وجَبَلك ، ورقق قلبك على الاسلام . يا زيد ، ما وُصِف لى‌رجل قط فرايته الا كان‌دون‌ما وُصف به الا انت فاتك فوق ما قيل فيك .

وسُمّىَ زيد الخيل لكثرة خيله . لانه لم يكن لاحد من قومه ولا لكثير من العرب الا الفرس والفرسان .

اما الثالث فهو أوس بن حارثة . الذى نعنيه بهذا المقال .

وهناك ايضا « ايَاس بن قَبِيصة » الطائى ، كان كسرى ملك الفرس يتيمَّن به ، وهو الذى هزم الروم لما نزلوا « النَّهْـرَوان » في أيام « بَرْويز » . وكسرى جعل اياس بن قبيصة ملكا على « الحيرة » بعد آل المُنْذِر .

وهؤلاء الاربعة كانوا متعاصرين ، يتنافسون على الزعامة ، كل منهم زعيم على فرع من قبيلة طيىء .

ويبدو ان أوس بن حارثة كان اكبرهم سنا ، فقد عمر طويلا ، وخلف من‌الأبناء كثيرين ، منهم من اسلم ووفَدَ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بنت اخيه زوج الملك

ومن دليل كرم أسرة أوس ان بنت اخيه « سعد بن حارثة » كانت زوجة للنعمان بن المنذر، وهذا الصِّهْر كان يجعل النعمان يقف الى جانب فرع حارثة بن لأمٍ الطائى ، ضد فرع حاتم الطائى ، لولا اياس بن قبيصة ، وهو من فرع آخر من طيىء ، فانه ناصَر حاتما امام النعمان ، وجعله يتراجع في تأييده ، ويدعوهم الى نسيان ما بينهم من مغاضبات وتنافس .

امراة لها شان

ولئن ظن بعض الناس ان المراة لم يكن لها شان

يذكر في الجاهلية ، فان القصة التالية ترينا ان نساء كان لهن شان يذكر ورأى وسيادة .

يقص علينا الزجاجي في اماليه ص ١٠٦ انه كانت امرأة من العرب ذات جمال وكمال ،وحسب ومال ـ هي ماوية بنت عَفْزَر ـ فاقسمت ان لا تزوج نفسها الا كريما ، ولئن خطبها لئيم لتجدَعَن انفه . فتحاماها الرجال . لكن حاتم بن عبد الله الطائي ، وزيد الخيل بن مهلهل ،واوس بن حارثة ، وكلهم طائيون ، يشمرون بما لهم من قيمة وقدر وكرم وكرامة،فقدموا اليها ليخطبوها. فلما دخلوا عليها قالت : مرحبا بكم ، ما كنتم زوارا . فما الذي جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زوارا وخطابا . قالت : انكم اكفاء كرام . فانزلتهم كل واحد في مكان منفرد ، وقدمت لهم ما هم جديرون به من ضيافة ، وزادت في ذلك .

اختبار

فلما كان في اليوم الثاني بعثت بعض جواريها متنكرة في زى سائلة ، تتعرض لهم . فدفع لها زيد الخيل نصف ما قدم اليه من طعام . وكذلك قدم اليها اوس بن حارثة نصف ما قدم اليه . فلما صارت الى حاتم دفع اليها جميع ما حُمِل اليه من طعام . فلما كان في اليوم الثالث دخلوا عليها . فقالت لهم . ليَصِف كل واحد منكم نفسه في شعره . فابتدر زيد الخيل فانشا يقول:

هلا سألت بني «نَبْهَانَ» ما حَسَبي
عند الطِّعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ

وجاءت الخيل مُحْمَرّاً بوادِرُها
بالماءِ يَسْفَحُ عن لَبّاتها العَلَقُ (١)

في ابيات اخرى يبين فيها شجاعته وكرمه .

نحن أكرم أحسابا

لكن اوس بن حارثة كان معتزا بكرامته ، وكان غير متهالك على زواجها ، وهو الذى كانت له نساء خلفن رجالا ابطالا ، فقال لها : انك لتعلمين اننا اكرم احسابا ، واشهر افعالا من ان نصف انفسنا لك . انا الذى يقول فيه الشاعر « بشر ابن ابى خازم » :

إلى أوس بن حارثةَ بن لأْمٍ
ليَقْضِيَ حاجتي فيمن قضاها

فما وَطِئَ الحصى مثل ابن سُعْدَى
ولا لبس النعال ولا احتَذَاها

وانا الذى حين حَلَقَ شَعْرى ، في اول ما حُلِق وانا طفل ، اعتقت امى « سُعْدَى » عن كل شعرة من شعرى انسانا . ثم انه اضاف الى ذلك قوله :

فإن تَنْكحِي «ماويّةَ الخَيْرِ» حاتماً
فما مثلُه فينا ولا في الأعاجم

فتىً لا يزال الدهر أكبر همه
فَكَاكُ أسير أو معونة غارم

وإن تنكحي زيدا ففارسُ قومِه
إذا الحرب يوما أقعدَتْ كلَّ قائم

وصاحب «نَبْهَان» الذى يُتَّقَى به
شَذَا الأمر عند المُعْظِمِ المُتَفاقِمِ (٢)

وإن تنكحيني تنكحي غير فاجرٍ
ولا جارفٍ جَرْفَ العشيرةِ هادِمِ (٣)

---

(١) البوادر جمع بادرة ، وهى اللحمة التى بين المنكب والعنق . واللبات جمع لبة ، وهى وسط الصدر . والعلق ، الدم الغليظ .

(٢) شذا الامر : أذاه وشره . وصاحب نبهان هو زيد الخيل .

(٣) جَرَف : اخذ كثيرا ، والجرف عرض الجبل الأملس وما كان بارزا من أعلى محفورا من اسفل.

ولا متقٍ يوماً إذا الحرب شمرت
بأنفسها نفسي كفعل الأشائم
وإن طارقُ الأضياف لاذَ برحله
وجدتَ ابن سعدى للقرى غيرَ عاتم (٤)
فأيّ فتىً أهدى لك اللهُ فاقبلي
فإنا كرام من رؤوس الأكارم

واختارت السمح اللين

ومن هذا الشعر يتبين مدى سماحة اوس ، ومعرفته لاقدار الكرام من قومه ، واعتزازه بهم وبنفسه . وقال حاتم :

أماويّ قد طال التجنبُ والهجرُ
وقد عذرتني في طلابكم العذْرُ
أماويّ إمّا مانعٌ فمبيّنٌ
وإما عطاءٌ لا ينهنهه الزجْرُ
أماويّ ما يُغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجتْ يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفْرُ

وهي قصيدة طويلة ، فقالت ماوية ، وكانت في اختيارها تريد استقرارا وعدم تنغيص :

اما انت يا زيد فقد صارت للعرب عندك ثارات بسبب كثرة حروبك ، وبقاؤك مع الحرة قليل . واما انت يا اوس فانك رجل ذو ضرائر ، والصبر على الضرائر شديد . واما انت يا حاتم فمَرْضيّ الاخلاق ، محمود الشِّيَم ، كريم النفس ، وقد زوجتك نفسي .

واسمعي يا جارة

وقصة المثل « اياك أعني واسمعي يا جارة » .. تبين ان اوس بن حارثة بن لأم الطائي ورث السيادة وحافظ عليها ، وان عمته ايضا كانت ذات كرم وطهارة .

خرج « سَهْل بن مالك الفزاري » يريد « النعمان بن المنذر » ، ملك العرب ، فمر ببعض احياء طيىء ، فسأل عن سيد الحي ، فقيل له : « حارثة بن لأم » .. فقالت له أخت « حارثة » : انزل في الرحب والسعة . فنزل ، فاكرمته وحيّته بما يستحق أن يحيّى به الضيف. ثم انها خرجت من خبائها ، فرأى أجمل أهل دهرها واكملهم ، وكانت سيدة قومها وسيدة نسائها ، فاستولى منظرها على لبّ « سهل بن مالك » . ووقع في هواها ، وأحب ان يشعرها بما في نفسه ، ولم يدر ما يفعل،ولا يعرف ما هو القول الذي يوافقها. ثم غلبه الأمر ، فجلس في فناء الخباء يوما وهي تسمع كلامه ، فجعل ينشد ويقول :

يا أختَ خير البدْوِ والحضارهْ
كيف ترين في فتى فزارهْ
أصبح يهوى حرةً معطارهْ
إياك أعني واسمعي ياجارهْ

فلما سمعت قوله عرفت انه يعنيها . فبادرت قائلة له : ما هذا بقول صاحب عقل أريب ، ولا رأي مصيب ، ولا آنِفٍ نجيب ، فاقمْ مدةَ اقامتك مكَرّماً ، ثم ارتحل متى شئتَ مُسَلَّماً. ويقال انها أجابته قائلة :

إني أقول يافتى فزارهْ
لا أبتغي الزوجَ ولا الدعارهْ
ولا فراقَ أهلِ هذي الحارهْ
فارحلْ إلى أهلك باستخارهْ

فاستحيا الفتى « سهل بن مالك » وقال :

---

(٤) غير عاتم : غير مبطىء .

واسوأتاه ، ما اردت منكرا . واستحييت هي ايضا من تسرعها الى اتهامه وقالت : صدقت .

ثم ارتحل « سهل بن مالك » الى « النعمان » ، فحياه وأكرمه ، فلما عاد في طريقه ، مرّ بحيّ « حارثة بن لام » ومعه ما وصله به « النعمان » وكان هو في الحق فتى وسيما جميلا ، ومالت أخت حارثة اليه ، فارسلت اليه : ان كان لك في زواجي رغبة فاخطبني فاني ساوافق على ما تريد، فخطبها ، وتزوجها ، وسار بها الى قومه.

الاعتراف بفضل الآخرين

ومن معرفة المرء قدر غيره ، كما يعرف قدر نفسه، ما يُروى عن « أوس بن حارثة » و «حاتم» انهما وفدا على « عمرو بن هند » واسمه عمرو بن المنذر بن المنذر ، اما « هند » فاسم امه ، وكان عمرو من ملوك العرب . فدعا « أوْساً » فقال له : أانت افضل ام حاتم ، فقال اوس : أبيْتَ اللعن ، لو مَلَكني حاتم وَولدي ولحْمتي لوهبنا في غدَاةٍ واحدة .

ثم دعا عمرو حاتماً فقال له : أانت افضل ام اوس ؟ فقال حاتم : ابيت اللعن ، انما ذُكِرْتُ بأوْسٍ ، ولأحد ولده افضل مني .

وفي احدى نسخ كتاب «المستجاد من فعلات الاجواد» يروى القصة السابقة ، ويجعلها وقعت عند « النعمان بن المنذر » وانه كان بين حاتم واوس من المودة كالطف شيء ، فقال النعمان : لأفسدنّ بينهما فقيل له : انك لا تقدر على ذلك قال : بلى ، ما جرّد الرجلُ في الشر الا بلفظه .

فدخل عليه اوس فقال له : ما الذي يقوله حاتم ؟ قال : وما يقول؟ قال: انه يقول انه افضل منك واشرف . قال : ابيت اللعن، صدق والله ، لو كنت انا واهلي وولدي لحاتم لأنهبنا في مجلس واحد ـ يعنى بذلك سعة جوده وكرمه ـ ثم خرج اوس يقول متمثلا :

يقـــول لى النعمـــــان لا من نصيحة
أرى حاتمـــا في قوله متــــــطاولاَ

له فوْقَنا باعٌ كَـــا قـــــال حاتم
كذا النصح فيما بيننا كان حاوَلاَ

ثم دخل عليه حاتم . فقال له : ما الذى يقوله اوس ؟ فقال حاتم : وماذا يقول ؟ قال : انه يقول انه افضل منك واشرف. فقال حاتم : صدق اوس. واين عسى اقع انا من اوس ، وله عشرة ذكور ، أخيبهم افضل منى . ثم خرج يقول متمثلا :

يُسائلنى النعمان كــى يستزلنى (٥)
وهيهات لى أن أستَضَام وأضْرَعَا

كفانِيَ نَقْصاً أن أضيمَ عشيرتـــى
بقَوْلٍ أرى في غيرِه متَوسَّعَـــــا

أكـــرم الوافدين

اما خبر « اوس » مع سادات العرب امثاله ، في مجلس النعمان بن المنذر ، فانه برهان على ما كان له من مقام مرموق ، ومنزلة سامية ونورد نصّ التنوخى في « المستجاد من فعلات الأجواد » اذ يقول :

قيل : كان أوس بن حارثة المرّيّ رئيســا مُسَوّداً نبيلا عالي الهمة ، وله اخبار كثيرة ، فمن أحسنها ما رواه ابو الفرج الشلحي عن ابن حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا ابو عمرو بن العلاء عن اشياخه قال :

جلس النعمان بن المنذر يومَ نعيمه ، في حُلّة مذهبة مطوقة بالدر ، لم يُرَ أحسن منها ، وأذِن للعرب فدخلوا عليه ، وكان فيهم اوس بن حارثة ابن لام الطائي ، قال : فجعلت وجوه العرب ، تعجب من حسن الحلة ، ويتحدث بعضها الى بعض ، واوس بن حارثة مطرق ، فقال النعمان : ما ارى فيمن دخل اليّ الا من استحسن هــذه الحلّةَ ، على نقصان قدرها عندى الا انت يا اوس لـم تفعل مثلهم . فقال : ايها الملك ، أسعدك الاهك ، وساعدك زمانك ، انما تستحسن هذه اذا

(٥) يستزلنى : يجعلنى اقع في الزلل وازلق .

كانت عند تاجرها ، واما اذا كانت على الملك ، وتهلل وجهه المشرق فيها ، فالأبصار مقصورة عليه دونها . فاسترجع النعمان عقل أوس ، واستحسن ما اتى به من القول .

سيد العرب

ثم ان النعمان قال : اني افكر ليلتي هذه ، وادفع هذه الحلة غدا الى من ارى انه سيد العرب. فانصرف الحاضرون ، وكل واحد طامع فيها ، وفي ان يكون سيد العرب ، ومهموم ان لا يعطاها ، وحينئذ لايكون سيد العرب في نظر الملك النعمان على الأقل .

فلما كان اليوم التالي ، تزينت وجوه العرب ، وذهبوا الى باب النعمان ، كل يتباهى بما لبس ، يسحب اذياله وينظر في اعطافه ، وكل يرى انه سيكون صاحب الحلة . وتاخر اوس بن حارثة ولم يذهب . فقال له أصحابه : ما لك لا تغدو الى دار الملك ؟ لعلك تكون المُسَوَّد في العرب بأخذ الحلة ، فيتم فخرك ، فقال اوس : يا سبحان الله ، ان كنت سيد قومي فلست بسيد طبقات العرب عند نفسي ، وانما وَعد الملك ان يدفع الحلة ، فيتم فخرك ، فقال اوس : يا سبحان غرى ، الا ان الملك اوْلى برأيه ، فان انا حضرت ولم آخذها انصرفت منقوصا مهموما ، وان كنت المطلوب فسيرسل الملك اليّ . فسكت عنه أصحابه وهم مستعجزون لرأيه .

فكر فيما فكر فيه أوس

ونظر النعمان في وجوه الجماعة ، فلم يجد بينهم اوس بن حارثة ، فدار في عقله ما فكر فيه اوس ، فاستدعى بعض حاشيته ، وانفذه ليتعرّف خبر اوس من اتباعه ، وذهب رسول الملك ثم عاد اليه واخبره بما كان ، وبما قاله أوس . فقال النعمان لرسوله : اذهب الى اوس وقل له : الملك يستبطئك على تأخرك، وانه يدعوك للحضور. فحضر اوس في هذا اليوم بالثوب الذى كان فيه بالأمس ، لم يتجمل ولم يتباه . وكان اكثرْ الحاضرين قد سُرّوا بغياب أوس خشية منهم وشعورا بأن الملك قد يدفع اليه الحلة . فلما جاء اوس دعاه النعمان ، ومد يده اليه وقال : اراك لم تغير ثوبك في يومك هذا ، فالبس هذه الحلة لتتجمل بها بين من تجمّل من اصحابك . فلبسها ، فحسدته وجوه العرب ، وعرفوا ان ذلك له فخر عظيم ، فدبروا في ان يسيئوه ، بان يبحثوا عن شاعر مشهور يهجوه . ودعوا الحطيئة، ووعدوه بان يعطوه ثلاثمائة من الابل ان هو هجا اوس بن حارثة. لكن الحطيئة،على الرغم من انه كان هَجّاءً ، قدّر فضل اوس عليه وما كان يوليه اياه ، وما تغدقه اسرته عليه من الفضل والخير ، فقال لمن ارادوه ان يهجو اوسا : لا سبيل عندى الى اوس ، وكيف اهجو رجلا حَسيبا لا يُنكر بيته ، كريما يأتينا عطاؤه كل يوم ، فاضلا لا يُطْعَن على رأيه ، شجاعا لا يُصْطَلَى بناره ، محسنا لا ارى في بيتي شيئا الا من افضاله . ثم قال :

كيف الهجاء وماتَنْفَكُّ صالحة
من آل لأْمٍ بظهر الغيب تأتيني

طمع وهجاء

حينئذ طمع احد الشعراء ، وكان من قبيلة أسد ، واسمه « بشر بن أبي خازم » ويبدو انه كان مطمئنا الى حماية قبيلته له ، كما كان هو ايضا من الشجعان ، الفرسان ، فقبل الابل وبدأ يهجو أوس بن حارثة ، يذكره مرة منسوبا الى امه « سعدى بنت حِصْن » او بنت « حُصَين » ومرة يعمّ بالهجاء قبيلته . والانسان في قبائل العرب تارة يُمدح بذكر امه اذا كانت من قبيلة رفيعة العماد ، وتارة يذم بنسبته الى امه ، اذا كانت غير محمودة النسب ولا الصفات . والصفات التى يذم بها المرء في العرب هى البخل والجبن ، وعدم الوفاء بالوعد ، وعدم حماية الجار والنساء. وفي كل ذلك خاض بشر بن ابى خازم ، متجنيا على اوس ، خصوصا حين هدده اوس ليكفّ ، فما زاده الإبعاد الا اقذاعا في الهجاء . وفي قصيدته التى مطلعها :

تَعَنَّى القلبَ من «سَلْمى» عَناءُ
فما للقلب مُذْ بانُوا شِفاءُ

يقول فيها هاجيا آل لام « وبجيَرا » وهو ابن أوس بن حارثة ، واوسا نفسه ، وينسبه الى امه سعدى ويذكر انه لا يخشاه لان قومه بني اسد حوْله :

فيـــا عجبـاً عجبـتُ لآل لأْمٍ
أما لَهمُ إذا عقَدُوا وَفَـــــاءُ

مجَاهـيلٌ إذا نُدِبُوا لِجَهْـــلٍ
وليس لهم سِوَى ذاكم غَنَـــــاءُ

وأنكاسٌ إذا استعرَت ضَروسٌ
تُخلّي من مَخافتها النّســــاءُ

سأقذِف نحوهم بمُشَنّعـــــات
لهـا من بعد هُلْكِهِـم بَقـــاءُ

★ ★ ★

فيا عجبا أيوعدني ابن سُعْــــدَى
وقد أبـدَى مساوئه الهِجَـــاءُ

وحولي من بني أسَد حلُـــولٌ
كمثل الليلِ ضاق بها الفَضَـــاءُ

ويكرر هذه المعاني في قصيدته التي مطلعها :

تغيَّــرت المنــازل بالكثيـــب
وعفّى آيَها نَسْجُ الجَنُـــوبِ

يقول فيها :

ألا أبلِــغْ بني لأْمٍ رســـولاً
فبئس مَحَلّ راحلَـةِ الغَريـــبِ

لضيفٍ قد ألمّ بها عِشَـــاءً
على الخَسْف المُبَيَّن والجُدُوبِ

إذا عقَدوا لِجارٍ أخفَـــــروه
كما غُرَّ الرِّشاءُ من الذَّنُوبِ(٦)

وما أوسٌ ولو سَوَّدتموه
بمَخْشِيّ العُرَامِ ولا أريـــبِ

أتوعدني بقومك يا ابنَ سُعْـدَى
وذلك من مُلِمّــــاتِ الخُطوبِ

وحَوْلِي من بني أسد حُلُــولٌ
مُبِنٌ بين شُبّانٍ وشيـــبِ(٧)

ومن ذلك ايضا في قصيدته التي مطلعها :

ألاَ بَلَحتْ خفَـارةُ آل لأْمٍ
فلا شاةً تَرُدُّ ولا بَعِـــيرا

لِئامُ الناس ما عاشوا حيـــاةً
وأنتَنهُم إذا دُفِنُوا قُبـــورا

ومن قصيدته التي مطلعها :

أهمّــت منك « سَلْمى » بانطلاق
وليس وصــال غانيـة ببــاقي

يقول فيها :

سـأرمِي بالهجــاء ولا أفيـــه
بـني لأْمٍ وللمَوْقِيّ وَاقِـــي

وسوفَ أخصُّ بالكلمــات أوســاً
فيلقــاه بما قـــد قُلْتَ لاقــي

وقال ايضا رجزا يهجو فيه اوسا :

إنك يا أوس اللئيمُ مَحْتِــدُهُ
عبدٌ لعبْدٍ في كِلاب تُسْنِدُهُ

---

(٦) غرّ : قطع . الرّشاء : الحبْل . والذنوب : الدلو .

(٧) الحلول : الحالون . والمبِنُّ : المقيم .

مُعَلْهَجٌ فيهم خَبيثٌ مَقْعَدُه
إذا أتاه سائل لا يَحمَدُه
مثل الحمار في حمير تَرْفُدُه
واللؤم مَقصورٌ مُضافٌ عَمَدُه

الملهج الدعى ، والملهج : الأحمق الهذر اللئيم ، والملهج الذى ليس بخالص النسب

مطاردة ولا مجير

ونفذ اوس وعيده ، واغار على بني اسد ، واستولى على اموال بشر بن ابى خازم ، اذ كان هو المقصود ، ولم يترك له ما كان له من قبل ، ولا ما كسبه ثمنا للافتراء على اوس . اما بشر فقد هرب . وعرف انه هالك ان وقع في يد اوس ، الذى طلبه اشد الطلب، ونذر لئن ظفر به ليحرقنه. وسار بشر يلجأ الى القبائل لتجيره، فكان كل حى من الاحياء يذهب اليه يقول له : قد أجرناك الا من اوس بن حارثة .

واخيرا وقع بشر ، وتمكن اوس من القبض عليه. فجاء به ، ثم نحر بعيرا وسلخ جلده ، وادخل فيه « بشرًا » ، وخاطه عليه ، وتركه حتى جف، ثم أوقد نارا ليحرقه فيها .

سعدى ذات الرأى

وبلغ الخبر امه « سعدى » فخرجت الى ابنها أوس وقالت له : ما تريد ان تصنع ؟ فقال : احرق هذا الذى شتمنا . فقالت : قبح الله قوما يُسوّدونك او يقتبسون من رايك ، والله لكانما اخذتَ به ـ اى صرتَ مطلوبا بثاره ـ اما تعلم منزلته في قومه ؟ خَلِّ سبيله واكرمه ، فانه لا يغسل هجاءه لك الا مدحه اياك .

ونفذ اوس ما اشارت به عليه امه سعدى التى مسها الهجاء ، ولكنها كانت بعيدة النظر فيما اشارت به . وقال اوس بن حارثة لبشر بن ابى خازم : ان امى سعدى التى كنت تهجوها قد امرت فيك بالعفو والاكرام وتقديم الهبات لك . وانى قد عملت برايها .

مديح يغسل الهجاء

ووهب اوس لبشر مالاً فوق ماله الذى كان استولى عليه منه ،واظهر اعزازه له.فقال بشر ، وقد عظمت في عينه المكرمة . واسر قلبه الاحسان: والله لا مدحت حتى اموت احدا غيرك .

وجعل بشر يمدح اوسا واهل بيته ، بمكان كل قصيدة هجاهم بها قصيدة يمدحهم فيها .

فمن قصيدة له تقتبس ابياتا :

تدارَكَنى أوسُ بن سُعْدَى بنعمة
وقد ضاق من أرض علىَّ عَرِيضُ
فمَنَّ وأعطانى الجزيلَ وإنه
بأمثالها رَحْبُ الذراع نَهوضُ
فإن تَجعل النَّعماءَ منك تمامَةً
ونُعماك نُعْمَى لاتزال تَفِيض
يَكُنْ لك في قومى يَدٌ يشكرونها
وأيدى النَّدَى في الصالحين قُروضُ
فككْتَ أسيرًا ثم أفضلْتَ نعْمَةً
فَسلمَ مَبرىٌ العِظَام مَهيض

وفى قصيدة ايضا يبدى توبته فيقول :

وإنى لراج منك يا أوس نعمة
وإنى لأخرى منك يا أوسُ راهب
فهل ينفعَنى اليومَ أن قُلْتُ إننى
سأشكر إن أنعمتَ والشكرُ واجِبُ
وإنىَ قد أهْجَرْتُ بالقول ظالمًا
وإنىَ منه يا ابن سُعْدَى لتائب
وإنى إلى أوسٍ ليقبل عِذْرَتى
ويَعفُوَ عنى ماحَييتُ لراغب
فهبْ لى حياتِى فالحياةُ لقائم
بشُكرِك فيها خيرُ ما أنت واهب
فقُلْ كالذى قال ابنُ يعقوبَ يوسفٌ
لإخوته والحكم في ذاك راسب

فإني سأمحو بالذي أنا قائـــــل
به صادقاً مــا قلتُ إذ أنا كاذبُ

راسب أى باق ثابت والذى قال يوسف لاخوته كما جاء في القرآن الكريم « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين » وذلك بعد أن حكى القرآن ايضا اعترافهم بالخطأ ، واعترافهم بفضله عليهم في قوله « قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين » .

وفي قصيدته التى مطلعها :

هلَ انْتَ على أطلالَ مَيّةَ رابعُ
«بحوضي»تُسائِلُ رَبعَهَا وتُطالِعُ

يصف اوسا بالكرم والعفو والشجاعة ، وانه اغر ، واخو ثقة في النائبات . وانه لم يصنع كصنعه صانع .

وكذلك يمدحه بانه يحمى جاره ، وانه أجرأ من الاسد ، وانه مجرب ليس بغمْر ، وانه كريم النسب ، وذلك في قصيدته التى مطلعها :

كفى بالنَّأْي من أسمــاء كافــي
وليس لحُبِّها إذ طال شافــــي

ومثل هذا المدح في قصيدته التى مطلعها :

أنيَّةٌ الغدَاةَ أم انتِقــــالُ
لمُنصرفِ الظّعائـن أم دَلالُ

وهذه ابيات في الغاية من المديح من قصيدة له:

إلى أوسِ بــن حارثة بـن لأْمٍ
ليقضى حاجتى ولقد قضاهــا

فما وطىء الحصَى مثلُ ابنِ سُعْدَى
ولا لَبس النعال ولا احتَذَاهــا

إذا ما المكرماتُ رفعْنَ يومــاً
وقصّر مُبتغوهــا عن مدَاهــا

وضاقَتْ أذرعُ المثْرين عنهــا
سمَا أوسٌ إليهــا فاحتواهــا

نَمَى من طيىء في إرْث مَجـد
إذا ما عُدَّ من عَمْرو ذُرَاهـا

وأضحَى من جَديلةَ في مَحَلّ
له غَابَاتُها ولَهُ لُهَــاهـا

نَمَوْهُ في فُروعِ المَجْدِ حتّى
تأَزَّرَ بالمكارم وارتداهـــا

غياثُ المُرْمِلين إذا أناخــوا
به في الليلة الغــالي قِراهــا

له كَفّان كَفٌ كَفٌ ضُـر
وكفٌ فَواضِلٍ خَضِلٌ نَداها

إذا ما شَمَّرَتْ حَربٌ عَـوانٌ
يَخاف النّاسُ عُرّتها كَفاهـا

يُجيب المُرْهَقين إذا دَعَــوه
ويَكْشِف عــن أطاحيها دُجاها

بخيْــل تحْسَـب الزفرات منها
زَئِيرَ الأُسْدِ مشدوداً قِراهــا

حيــاة وبنون

ولقد كان اوس بن حارثة من الذين طــال عمرهم في الجاهلية ، والصحيح انه لم يدرك الاسلام وانما ادركه ابناؤه جرير ، وخُرَيْم ، ومُرَيْء ، ويُذكر من نسله عُرْوَة بن مُضَرس بن اوس فيقال : كان بيت الرياسة في قومه ، وجده كان سيدهم وكذا ابوه .

والربيع بن مُرَيْء بن اوس،كان شريفا مذكورا، وَلِيَ الحِمَى بظهْرِ الكوفة ايام عثمان بن عفان وجرير بن اوس بن حارثة قال له معاوية : من سيّدكم اليوم ؟ فقال : من أعطى سائلنا ،واغضى عن جاهلنا ، واغتفر زَلّتنا . فقال معاوية : احسنت يا جرير . ■■

عبد الستار احمد فراج

مرض منيير

Meniere's Disease

يصيب الانسان بالدوار والسقوط الى الأرض

بقلم : الدكتور جمال الصواف

■ في سنة ١٨٦١ وفي آخر سنين حياته ، تنبه طبيب فرنسي في باريس يدعى بروسبر منيير Prosper Meniere الى ذلك المرض الذى يتميز بنوبات من الدوار مصحوبة بالقيء والطنين بالاذن وضعف بالسمع . ولعل شكسبير كان يعني نفس المرض بما اسماه «مرض السقوط» Falling Sickness في رواية يوليوس قيصر . ولا شك ان هذا المرض كان معروفا قبل عهد بروسبر منيير الا انه كان يعزى لاصابة في الدماغ . وكان منيير هو اول من حدد مكان الاصابة الحقيقي وكما نعرفه الآن ، الا وهو القنوات الهلالية بالاذن الداخلية .

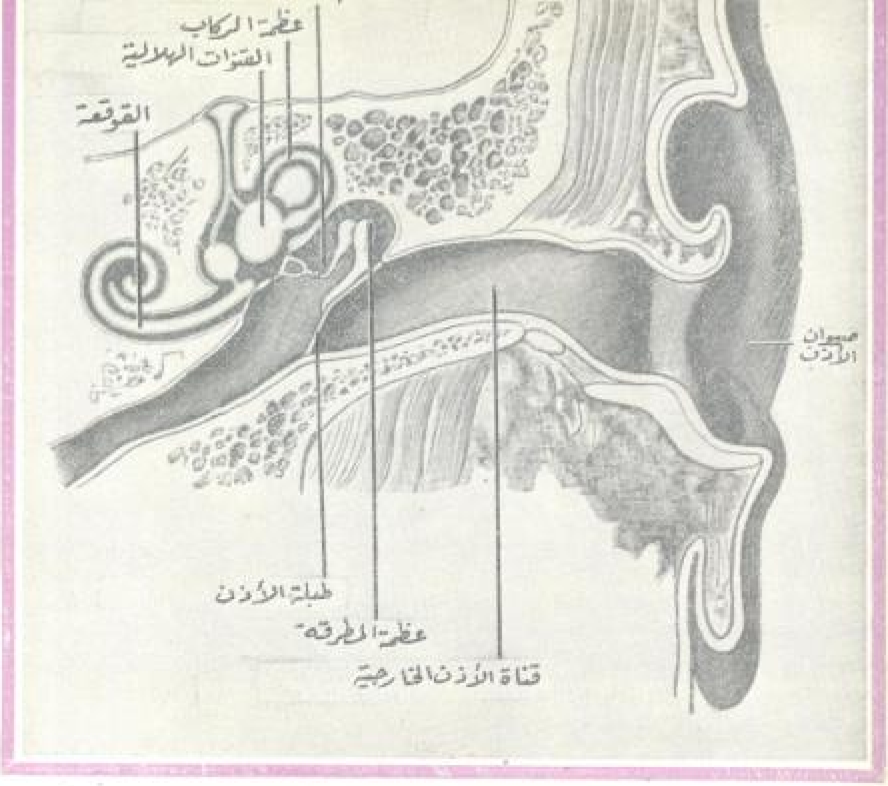
تركيب الاذن الداخلية

وقبل ان نسترسل في وصف المرض وما يسببه من اعراض وتأثيرات لا بد لنا من شرح موجز لتركيب الاذن الداخلية ووظائفها حتى نستطيع ان نتفهم طبيعة هذا المرض .

تقع الاذن الداخلية داخل احدى عظمات قاع الجمجمة وتتكون من جزءين رئيسيين وهما :

١ ـ الجزء الأول ويعرف بالاذن الباطنة العظمية او التيه العظمي Bony Labyrinth وهو يمثل الهيكل الصلب للاذن الداخلية ويتكون كما هو مبين بالرسم من جزءين رئيسيين هما القوقعة Cochlea والقنوات الهلالية Semicircular Cana s ولكل منهما وظيفتها التي تختلف تماما عن وظيفة الاخرى .

٢ ـ الجزء الثاني ويعرف بالاذن الباطنة الغشائية او التيه الغشائي Membranous Labyrinth وهذا الجزء صورة مطابقة للجزء الأول ويقع داخله الا ان الاذن الباطنة الغشائية تتكون من غشاء متناهي في الرقة ، وكذلك فهي اصغر حجما بحيث انها لا تلتصق بالجزء العظمي كما تلتصق انبوبة اطار السيارة الداخلية بالأنبوبة الخارجية للاطار ، بل تفصلهما مسافة يملؤها سائل خاص يعرف باسم « ليمفاتيه الاذن» Perilymph اما داخل هذه الانابيب فيملؤها سائل آخر يعرف باسم « الليمفا الباطني » Endolymph . وكما نرى في الرسم فان الاذن الداخلية بجزءيها العظمى والغشائي تنقسم الى قسمين رئيسيين هما القوقعة والقنوات الهلالية ولكل منهما وظيفتها التي تختلف تماما عن وظيفة الاخرى ، فبينما تحتوى القوقعة على الخلايا العصبية المختصة باستقبال الموجات الصوتية ،

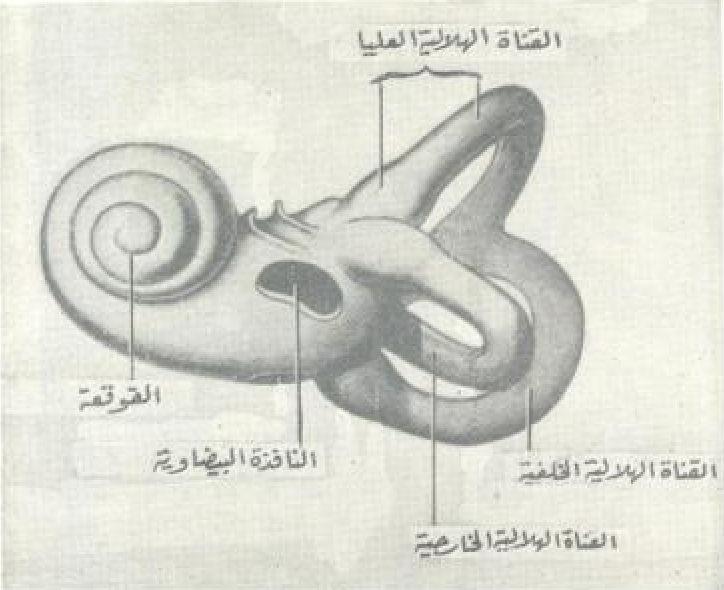


نجد ان القنوات الهلالية تحتوى على خلايا عصبية خاصة تتاثر بحركة الراس بالنسبة للجسم وبحركة الجسم ككل ، ومن ثم ترسل اشارات الى الجهاز العصبي بموجبها يتحكم في حفظ توازن الجسم .

وهذه القنوات الهلالية وعددها ثلاث كل منها عمودية على الاخرى ومركبة في اوضاع تسمح لها باعطاء الجهاز العصبي المعلومات الدقيقة عن وضع الراس بالنسبة للجسم . وعن حركة الراس مع الجسم ككل بواسطة حركة السائل الموجود داخلها والتي تؤثر على خلايا عصبية خاصة تقوم بتوصيل هذه التغييرات الى مراكز خاصة في الدماغ. ولعلنا نذكر تجربة ربما مر بها اغلبنا لتوضح لنا ذلك ، فاذا قام شخص بالدوران حول نفسه بضع مرات متعاقبة او جلس في مقعد دوار وادار المقعد دورات ثم اوقفه فانه يستمر يشعر بالدوران لبضع ثوان. وتفسير ذلك ان حركة الليمفا الباطني لا تتوقف فور ايقاف حركة الجسم بل تستمر لبضع ثوان بعد ذلك ، ولذا يشعر الشخص بانه ما زال يدور ، مع ان حركة الجسم قد توقفت ، ومن هذا نستطيع تعريف الدوار بانه توقف الشعور الطبيعي بالوضع والحركة .

كيف ينشأ مرض منيير

والآن بعد ان ألممنا بايجاز بتركيب الاذن الداخلية وطريقة قيامها بوظائفها في الاحوال العادية ، لعلنا نستطيع ان نبين التغييرات التى تحدث بها في حالة الاصابة بهذا المرض . والتي تتسبب فيما يصاحبها من اعراض . ولا اظن ان ذلك سيكون بالشيء الهين لكثرة النظريات والاستنتاجات التي وضعت لتفسير التغييرات المصاحبة لهذا المرض . الا ان الشيء المتفق عليه من اغلب الباحثين الذين تناولوا هذا المرض في ابحاثهم هو ان السبب الرئيسي للاعراض المميزة لهذا المرض هو زيادة في كمية السائل المعروف باسم « ليمفاليه الاذن » Endolymph وبالتالي زيادة في الضغط داخل الاذن الباطنة الغشائية، اما الاختلاف بين الباحثين



فيأتي في تفسير كيفية واسباب حدوث هذه الزيادة وحول هذه النقطة قدمت عدة نظريات تحاول وضع التفسير المقنع ، ولا اعتقد ان مجالنا في هذا المقال يتسع لمناقشة هذه النظريات ، فلنترك ذلك الجزء الجاف من الموضوع والذى لا اعتقد انه يهم الا الباحث المتخصص ، ولنولى اهتمامنا الآن للصورة الاكلينيكية للمرض والاعراض المميزة له فهي في مثل هذا المقال اهم .

أعـراض المـرض

تنبئنا الاحصاءات أن اغلب حالات هذا المرض تبدأ بين سن الثلاثين والخمسين ، وان كانت هناك حالات نادرة بدأت في سن الرابعة .

وهو يصيب الذكور اكثر من الاناث بنسبة ضئيلة ، وفي خمسة وثمانين بالمائة من الحالات يصيب اذنا واحدة فقط ، اما في باقي الحالات فيصيب كلتا الاذنين . وقد يبدأ في الاذنين في نفس الوقت . وقد تسبق احدى الاذنين الاخرى في الاصابة بالمرض .

وليس لهذا المرض عوامل مهيئة معروفة سواء منها ما كان مرتبطا بالعنصر او بالعوامل العائلية (الوراثية) . وان كنا نلاحظ في بعض الحالات ان النوبات قد تتبع الاضطرابات العاطفية كما انها قد تزيد في الاناث في فترة ما قبل الطمث وفي شهور الحمل الأخيرة . اما اعراض المرض الرئيسية فهي تاتي في صورة نوبات من الدوار مصحوبة بضعف في السمع وطنين بالاذن ، وهذه النوبات قد تحدث في اى وقت وبدون اى سابق انذار ولربما تحدث اثناء النوم .

وقد يفصل بين النوبة والاخرى فترة طويلة لعدة شهور او سنوات ، ولكنها في الأغلب تتكرر بعد اسابيع او شهور وتتبع ذلك فترة طويلة خالية تماما من اى اعراض .

والآن لنتحدث بشيء من التوضيح عن كل من هذه الأعراض الرئيسية الثلاثة :

اولا : الدوار Vertigo .

وهي ما سبق ان عرفناه بانه « توقف الشعور الطبيعي بالوضع والحركة» وهو قد يصيب المريض في صور مختلفة الا ان اكثرها شيوعا هو الشعور بالدوران اى ان المريض يشعر انه يدور في مكانه او ان الغرفة بما فيها تدور من حوله .

وقد يصيب المريض في صورة احساس بعدم

الاتزان الذى يجعله يميل الى ناحية عند محاولة السير . وقد ياخذ الدوار شكل حركة للامام وللخلف او لاعلى ولاسفل مثلما يشعر به الواقف على ظهر باخرة في بحر عاصف .

وقد ياخذ الدوار صورة عنيفة ترمى بالمريض على الارض ، وكانما قد تلقى ضربة شديدة على الراس . ومهما تكن الصورة التي ياتي عليها الدوار فانه يدفع بالمريض الى تفادى اى حركة براسه ، فتراه راقدا دون حراك مغمضا عينيه ملتصقا بفراشه يشعر وكانه سابح في الفضاء .

وتستمر نوبة الدوار فى الاغلب لعدة ساعات ، ولكنها قد تمتد لبضعة ايام تبدا بعدها في الاختفاء تدريجيا حتى يعود المريض الى نشاطه العادى .

ثانيا : ضعف السمع Deafness .

وهو غالبا ما ياتي في الدرجة الثانية اثناء النوبة بالنسبة للدوار الذى يستحوذ على كل شعور المريض . ولكنه يبدأ في استرعاء انتباه المريض بعد ان يبدا الدوار في الانقشاع ، ويشعر به المريض في صورة تشويش في الأصوات اكثر منه عدم قدرة على السمع ، كما يشكو المريض من عدم تحمل الاصوات المرتفعة .

ثالثا : الطنين Tinnitus .

وهو موجود تقريبا في كل الحالات ويصفه المريض عادة بانه يشبه صوت الهمهمة او طنين النحل ويشتد عادة اثناء النوبة او قبلها مباشرة عندما تتغير طبيعة الطنين ليصبح مثل صوت الرعد او مثل الصفير او مثل صوت باب يصفق .

بالاضافة الى هذه الأعراض الرئيسية الثلاثة قد يصاحب المرض بعض الاعراض الثانوية او الجانبية الاخرى مثل الغثيان والقيء والصداع والقلق العصبى .

العلاج

لعلي بما تقدم اكون قد وفقت في تقديم صورة واضحة ، وان كانت موجزة عن ما يسمى « مرض منيير » . وقبل ان اختتم مقالي لا بد لي من تعريف بالخطوط الرئيسية للوسائل المتبعة في علاج هذا المرض ، لان العلاج غالبا ما يتقرر حسب كل حالة ، وما قد ينفع احد المرضى قد لا يفيد آخر ، والعلاج ذو شقين احدهما العلاج ، بالأدوية والآخر العلاج الجراحي ، وهو ما لا نلجا اليه الا في ندرة من الحالات وليس قبل فشل العلاج بالادوية في تخفيف الحالة وخصوصا فى الحالات الشديدة ، والحالات المصحوبة بفقدان حاسة السمع في احدى الاذنين ، لان اغلب العمليات الجراحية التى تجرى في مثل هذه الحالات ترمي الى محاولة تخريب الاذن الداخلية وابطال عملها وبالتالي فقدان حاسة السمع في هذه الاذن .

اما العلاج بالأدوية فيشمل اعطاء عقاقير معينة لها تاثير مهدىء على الاذن الداخلية نذكر منها على سبيل المثال الدرامامين Dramamine . والافومين Avomine والستيميتيل Stemitil وهذه تعطى اثناء حدوث الاعراض .

اما في فترة الهدوء بين النوبات وكمحاولة لمنع تكرار النوبات فان اول ما ينصح به المريض هو اتباع نظام غذائي معين يهدف الى تقليل تراكم الماء والملح بالجسم ، ولا بد لنجاح هذا النظام الغذائي في القيام بما يرجى من ورائه ، ان يتبع بحذافيره دون اى انحراف عنه ، ويمكن تلخيص هذا النظام الغذائي في النقاط التالية :

١ ـ الامتناع عن استعمال الملح في الطعام .

٢ ـ الامتناع عن تناول اى من الاغذية التالية :

اللحم المحفوظ ، النقانق ، خلاصات اللحم ، البهريز ، الحساء المعلب بانواعه ، الاسماك المعلبة الاسماك المدخنة والمملحة ، المحار ، البقول ، الزيتون المعلب .

٣ـ الجبن والزبد المملح يستحسن الامتناع عنهما واذا لم يكن بالامكان ذلك ، فيجب التقليل منهما الى اقصى حد .

٤ ـ عدم اضافة الملح لعجينة الخبز .

٥ ـ لا يجب تناول السوائل بانواعها بكمية تزيد عن لتر وربع في الأربع وعشرين ساعة .

وبالاضافة الى هذا النظام الغذائي تعطى بعض العقاقير التي يحددها الطبيب لكل حالة حسب ما تستحق . ■■

دكتور جمال الصواف

اخصائي الاذن والانف والحنجرة
مستشفى الصباح

الخوف

متى نبوح به ؟ ومتى نخفيه ؟

بقلم : منير نصيف

■ مخاوفنا ، ماذا نصنع بها ؟
هل نكشفها امام الناس ، ام نحتفظ بها فى صدورنا ؟
يقول الفيلسوف الاسكتلندى الشهيرروبرت لويس ستيفنسون :
« احتفظ بمخاوفك داخل نفسك ،اما شجاعتك فاشرك معك فيها الاخرين ! »
قد تبدو هذه النصيحة قديمة بالية،لاتتفق مع ظروف العصر الذى نعيش فيه فالحياة بالامس غيرها اليوم ، فهي اليوم حياة مليئة بالخوف والقلق اللذين اصبحا من اهم السمات البارزة للحضارة ومن اخطر امراض القرن العشرين .

ولكن ما قاله ستيفنسون منذ اكثر من مائة عام، لايزال في رأى الكثيرين من علماء النفس والاطباء نصيحة لها وزنها وقيمتها ، وانه من الواجب ان ناخذ بها في كثير من الحالات التي نتعرض فيها لهذه المشاعر ، حتى فى عصرنا الحاضر .

وقد يكون من الغريب ان ياتي هذا الراى من جانب العلماء والاطباء انفسهم ، وهم الذين طالما توجهوا الينا بالدعوة الى تعرية مخاوفنا، والكشف عما يعتمل في صدورنا من قلق ، حتى يتمكنوا من مساعدتنا على علاج نفوسنا القلقة المضطربة .. فماذا يقولون ؟

اسباب الشعور بالخوف

يقولون ان الخوف يستبد بنا ويسيطر علينا جميعا في بعض مراحل حياتنا .. كالخوف من المرض ، او الخوف من الفقر والافلاس، او الخوف من الموت .. او الخوف من شيء مجهول لانعرف مصدره ، ولا نستطيع حتى ان نحدد اسبابه ودوافعه ..

مثل هذه المخاوف وغيرها كثير، يجب الا نحبسها في صدورنا ، يجب ان نساعد انفسنا على التخلص منها ، حتى لاتتضخم وتصبح اكبر منا ..

المهم ان نعرف كيف نختار هؤلاء الذين يمكن ان نجلس اليهم فى ارتياح ونحدثهم عن مخاوفنا وعن اسباب قلقنا ، وفي مقدمة هؤلاء بطبيعة الحال الاخصائيون في علم النفس ، الذين قضوا سنوات طويلة يدرسون طبيعة النفس البشرية ويغوصون



فى أعماقها باحثين منقبين عن جذور هذه المخاوف التي كثيرا ما ادت الى شل حركة تفكيرنا واقلاق راحتنا وهروب النوم من اعيننا ، وفقدان الشعور بطعم الحياة ولذتها !

فوق كرسى الاعتراف

والبعض منا يعرف طريقه الى عيادات هؤلاء الاطباء والاخصائيين ، فهو لايكاد يحس بهذه الاعراض حتى يسرع اليهم ، ويجلس من تلقاء نفسه على كرسى الاعتراف .. ويبدأ فى سرد كل ما يشعر به من احاسيس وانفعالات ملات صدره المتعب وعقله المهدود .. وهم يفعلون هذا رجالا كانوا ام نساء ، شبانا ام شيوخا ، حتى قبل ان يسالهم الطبيب ، وحتى دون آن يعرفوا الوطن الحقيقى للعلة التى اقضت مضجعهم وشلت عقلهم وتفكيرهم ..

امثال هؤلاء يجدون راحة كبرى فى الحديث ، وفي التنفيس عما في صدورهم ، فاذا ما انتهوا من « اعترافاتهم » الطويلة ، تركوا عيادات اطبائهم ، وهم اكثر ما يكونون ثقة بانفسهم وبالحياة نفسها !

ماذا كانت مشكلتهم ؟ ومم كانوا يشكون ؟

الواقع انه لم تكن هناك مشكلة ولم تكن هناك شكوى ، وانما كانت هناك اوهام ، وكانت هناك تخيلات .

أخطار غير مرئية

يقول علماء النفس ان ٨٠٪ من حالات الامراض النفسية التي يعاني منها هؤلاء الذين يترددون على عياداتهم ، والتي سببها لهم الشعور بالخوف ، لاتقوم على اساس من الخطر الحقيقى الذى يتهددهم ، وانما هو خوف قائم على اساس خطر مرتقب او متوقع .. فالخوف من الفقر ، والخوف من الجرائيم والامراض ، والخوف من الفشل في الحياة ، والخوف من الولادة عند الامهات اللواتي ينتظرن وضع مولودهن الاول .. كلها مخاوف قائمة على خطر غير مرئي ، وقد لا يكون له وجود اطلاقا الا في مخيلتهم فقط ..

ومثل هؤلاء « المرضى » من السهل تخليصهم

مما يعانون منه ، لانهم في العادة لايحبسون مخاوفهم في صدورهم ، وانما يفرجون عنها للطبيب ، فاذا لم يجدوه اختاروا صديقا وفيا او قريبا ممن يثقون في رأيهم وفي حكمتهم ، وراحوا يشكون له ما يشعرون به من خوف ، فما يلبثون ان يحسوا بالراحة بفضل ما يدور بينهم من مناقشة هادئة على اساس من الفهم والادراك والواقعية ، ثم ما تلبث ان تتبدد مخاوفهم وتفارقهم تخيلاتهم .

حكاية مع ولز

لقد كان كاتب الانجليز الشهير هـ . ج . ولزمن ذلك الطراز من الرجال الذين ينظرون في كثير من الاحيان الى الدنيا من حولهم بمنظار اسود .. ولم يكن ولز يعتمد على تخيلاته فحسب ، فيما كان يتوقعه من كوارث واخطار تتهدد البشرية ، بل لقد كان افقه العلمي الواسع ، مصدرا للكثير من التنبؤات التي عبر عنها في كتبه ومؤلفاته ..

وفي احد الايام ، كان ولز يجلس وحده في حديقة « هايد بارك » بلندن ، عندما لمح شابا يضع يديه في جيب معطفه الثقيل ، اذ كان الوقت شتاء . وكان الشاب يذرع الارض من حوله جيئة وذهابا ، وقد بدا عليه القلق الشديد ، وهو يحدث نفسه تارة ، ثم يتوقف عن السير تارة ويسرح ببصره في الاشجار التي جفت اوراقها تحت وطأة الصقيع ..

ولم يجد الكاتب الكبير صعوبة في ادراك حقيقة ما كان يشعر به الشاب الغريب في تلك اللحظة لقد كان مضطربا خائفا قلقا ..

فقام ولز من مقعده واتجه اليه ، وبادره التحية ثم قال يسأله في رفق : « هل انت بخير يابني ؟ »

واجاب الشاب على الفور ، وكأنه كان ينتظر صوتا يخرجه من وحدته ، ومما هو فيه : « لست على ما يرام ياسيدي ! »

وقال ولز : « انا ايضا احس بشيء من التعاسة اليوم .. ما رأيك لو سرنا معا برهة ، وتبادلنا الحديث ؟ »

وعادت الابتســـامة

وسارا .. وقبل ان يصلا الى نهاية الطريق ، كان ولز وصديقه الغريب يتصافحان ويتواعدان على لقاء جديد .. وقد اشرق وجه كل منهما بابتسامة لم يكن لها اثر منذ لحظات قصيرة قبل هذا اللقاء !

ماذا قال ولز لصديقه الشاب ، وفيم حدثه هذا الغريب ؟ لا احد يعرف ..

ولكن الذي يعرفه العلماء ، هو أن الكشف عن المخاوف لمستمع يشعر المرء تجاهه بالتعاطف ، من شأنه أن يخفف من اثر هذه المخاوف على النفس ، ويمتص اسباب التوتر والانزعاج .. وهذا هو ما حدث لولز وصاحبه .

متى نحتفظ بمخاوفنا

ولكن اين قول روبرت لويس ستيفنسون ؟ ذلك الذى جاء في بداية هذا الحديث .. اين نصيحته لنا ان نحتفظ بمخاوفنا داخل نفوسنا وان نشرك في شجاعتنا الاخرين ؟

ثم اين بعد هذا رأى العلماء الذين ايدوا هذا الرأى وقالوا انها ضرورة في كثير من الظروف التي تمر بنا وتمر بها فيحياتنا في كل زمان ومكان ؟!

يقول اتباع هذا الرأى : « نعم هناك حالات كثيرة يجب ان نحتفظ فيها بمخاوفنا لانفسنا ، فنضعها في صندوق ونغلق عليها الغطاء باحكام حتى لاتتسرب الى آذان غيرنا ، وتنتقل على شفاههم في كل مكان ..

متى وأين ولماذا نحبس مخاوفنا ؟

يجب اولا ان نتساءل عن الاثر الذى ستتركه « اذاعة » هذه المخاوف ، على انفسنا وعلى غيرنا من الناس ؟ هل هي مخاوف حقيقية ام هي مجرد اوهام وتخيلات ؟ ثم ماهو الهدف الذى نسعى اليه بعد هذا ، من تعرية مخاوفنا ؟ هل نحن حقا في حاجة الى نصيحة نسترشد بها لتخليص انفسنا من الشعور بالقلق والخوف الذى يلازمنا ، ام اننا نفعل ذلك لارضاء رغبة ملحة في نفوسنا بكسب عطف الآخرين ؟

كل هذه اسئلة يجب ان نوجهها الى انفسنا قبل ان نفكر في الافصاح عن مخاوفنا فنحن جميعا نعلم ان هناك حالات كثيرة تتطلب منا ان نحجب مخاوفنا حتى لاتنتقل عدوى الخوف الى غيرنا ، وخاصة عندما نجد أن الموقف يتطلب اخفاء ما نحس به من قلق وخوف ..

الام التي تقف بجوار فراش صغيرها المريض .. ان قلبها يكاد ينفطر خوفا عليه وقلقا على صحته . ترى ماذا يكون الحال ، لو احس الطفل بما تحس به امه ؟ ان نظرات اليأس والخوف التي تظهر في عيون الاقارب والاصدقاء حول فراش المريض قد تودى بحياته ..

يقول نورمان فنسنت بيل : « ان الخوف يضعف القدرة على المقاومة ، والخوف يفقد المرء ثقته بنفسه ، ويصيبه بشتى انواع العقد التي تبقى جذورها في داخله ، وتولد معها الشعور بالقلق طوال حياته » .

عقدة الخوف

ثم يروي بعد هذا قصة الام التي كانت تودع ابنتها الطفلة في صباح كل يوم قبل ذهابها الى المدرسة وهي تقول لها : « خذي حذرك يا ابنتي وانت تعبرين الطريق .. لاتنسى ان تتلفتي يمينا ويسارا لتتأكدي من خلو الشارع من السيارات.. الله يرعاك ! »

« لقد ادى تكرار هذا التحذير من جانب الام لابنتها ، الى شعور الطفلة بخطورة تلك « الرحلة » التي تقوم بها يوميا الى مدرستها .. فلما كبرت اصبحت تنظر الى الدنيا من حولها ، كما لو كانت غابة فسيحة مليئة بشتى انواع المخاطر التي يمكن ان تصادفها في حياتها ..

« لقد ظلت الابنة المسكينة تعاني من عقدتها هذه اعواما طويلة ، حتى بعد الزواج ، ولم يخلصها منها سوى حب زوجها لها .. ذلك الحب الذي جعلها تدرك ان الحياة ليست بهذا السوء الذي كانت تتصوره ، وانما هي حياة لذيذة مليئة بالوان من الصور الجميلة ..

« اما الام نفسها ، فقد ظلت تعيش في مخاوفها ولم تفلح معها شتى الوسائل التي لجا اليها الاطباء لتخليصها من هذا الشعور ..

الخوف يشل التفكير

« فاذاعة الخوف يشل تفكير المذيع والمستمع على السواء .. والافصاح عن مخاوفنا قد يؤدي الى التقليل من حدة التوتر التي نحس بها ، ولكنه في الوقت نفسه يضعف في نفوسنا القدرة على التفكير في ايجاد الحلول لهذه المشكلة .. »

ويقول العلماء ان نسبة كبيرة من هؤلاء الذين يترددون على عياداتهم ، انما يأتون اليهم لمجرد التنفيس عما في صدورهم، ولكنهم نادرا ما يأخذون بنصيحتهم لهم .. وتكون النتيجة ان يبقوا حيث هم ، مع مخاوفهم ومتاعبهم ..

الخوف والفشل

ثم هناك المبالغة في تصوير المخاوف التي تلازمنا ، هذه ايضا قد تؤدي بدورها في النهاية الى تحقيق اسباب مخاوفنا .. فالطالب الذي يخاف الامتحان ، انه طالب مجد ومجتهد ، يواصل ليله بنهاره في استذكار دروسه ، ولكنه مع هذا خائف مضطرب ، لايكف عن الحديث عن مخاوفه والتعبير عنها في اعماله وتصرفاته .. حتى اذا حل موعد الاختبار ، وجدناه قد فشل في الاجابة على اى سؤال من الاسئلة التي حوتها ورقة الاختبار ، او ربما خانته اعصابه فسقط مغشيا عليه حتى قبل ان يشرع في قراءتها ...

« والموظف الذي يعلن عن مخاوفه من فقد وظيفته ، ولا يكف عن اظهار هذه المخاوف امام زملائه الموظفين بمناسبة وغير مناسبة ، لن يلبث ان يشعر بضعف مركزه ، رغم ما يتمتع به من كفاءة وقدرة على العمل ، وتكون النتيجة في النهاية ان يفقد الموظف ثقته في نفسه وثقة هؤلاء الزملاء فيه، وربما ادى الامر في النهاية الى فقدانه لهذه الوظيفة ..

ابتسامة النصر

روى جون جانثر John Gunther ، الكاتب الامريكي المعروف في كتابه « ايزنهاور ، الرجل والرمز » ، الظروف القاسية التى مر بها الجنرال دوايت ايزنهاور قائد قوات الحلفاء في اوروبا ابان الحرب العالمية الثانية،قال : « لقد كانت ابتسامة هذا القائد العظيم ، تلك التى لم تفارق شفتيه لحظة واحدة ، حتى في أقسى المحن التى مرت بجيوشه في حربها الطويلة ضد قوات المحور .. كانت هذه الابتسامة من العوامل الرئيسية التى ادت الى انتصار الحلفاء في كل المعارك التى خاضوها » .

وبعد ، اننا نعيش في عالم مليء بأسباب القلق والخوف .. ونحن لا نستطيع أن نزيل هذه الاسباب ، ولكن الذى نستطيع ان نفعله هو أن نتعلم كيف نميز بين الاسباب الحقيقية التى تدعو الى الخوف ، وبين الاوهام والتخيلات التى قد تثير مخاوفنا بلا مبرر .. ولكى ننجح في هذا فلا بد لنا من أن نكون على قدر من الذكاء والحكم السليم على الأمور .. وبهذا وحده نستطيع أن نعيش مع مخاوفنا ، وأن ندرك متى يجب أن نشرك فيها معنا الاخرين ، ومتى يجب ان نحتفظ بها داخل صدورنا فنواجهها وحدنا بكل ما اوتينا من شجاعة وقدرة على التحكم في مشاعرنا . ■■

منير نصيف

عقوق الأبناء

ووصينا الإنسان

بقلم : الدكتور على أحمد على

■ الابن العاق هو ذلك الابن الذى يواجه والديه دائما بالاساءة والاذى ، ويقابل سهرهما على رعايته وتعبهما فى تربيته بالجحود والنكران . والابن العاق عادة ما يقسو على والديه قولا وفعلا ولا يقدم المساعدة والمعونة الى والديه اذا احتاجا اليه . والأبناء العاقون صور غريبة وشاذة من البشر لأنهم فقدوا الكثير من انسانيتهم وسلكوا مسلكا يخالف كل عرف وشرع وعقل . فهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟ هل الجزاء الذى يحصل عليه الآباء من أبنائهم العاقين عن سهرهم وتعبهم وقلقهم وشقائهم فى سبيل رعاية هؤلاء الابناء ، يقدمه هؤلاء الأبناء للآباء قسوة وظلما واعتداء وايذاء . حقا انه سلوك غريب ولكنه سلوك صادر عن انسان مضطرب مريض فقد حسه ووعيه وعميت بصيرته .

من أدب معاملة الأبناء للآباء

فيما يلى بعض صور رائعة من القرآن الكريم توجه الفرد الى اسلوب رعاية ومعاملة والديه ، وكلها آيات توصى بالوالدين خيرا حتى مجرد الكلمة الجارحة نهى القرآن الكريم عن توجيهها الى الوالدين فى هذه الآيات اللغوية البليغة الرائعة : « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربى ارحمهما كما ربيانى صغيرا »

وفى القرآن الكثير من الآيات البينات التى تحث الأبناء على حسن معاملة الآباء ورعايتهم ومصاحبتهم بالحسنى ، وتقديم العون والمساعدة لهم ، خاصة عندما يتهينون ويبلغ بهم العمر ارذله ، ومن هذه الآيات البينات :

« ووصينا الانسان بوالديه احسانا »

« ووصينا الانسان بوالديه ، حملته امه وهنا على وهن »

« وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا »

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا »

وفى الآية الأخيرة جاء الاحسان للوالدين بعد الايمان بالله مباشرة تكريما للوالدين وتعظيما لشأنهما .

عظة وعبرة من قصص الأنبياء ايضا

وفى قصص الأنبياء صور رائعة لعلاقة الرحمة والطاعة التى تسود العلاقة بين الأبناء والآباء . ومن هذا القصص قصة سيدنا ابراهيم حين رأى فى المنام أنه يذبح ابنه وخضع الابن العظيم البار لأمر أبيه واستسلم لارادة الله ، والآيات البينات ترسم صورة انسانية رائعة لهذه العلاقة بين الأب وابنه : « وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى ارى فى المنام انى أذبحك فانظر ما ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتله للجبين . وناديناه أن يابراهيم . قد

بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ

صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » .

وصورة اخرى رائعة لما يجب ان تكون عليه العلاقة بين الابن وابيه معروض فيها محادثة عطوفة مشفقة بين ابراهيم عليه السلام وابيه آزر الذى رفض الايمان بالله الواحد القهار : « واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقا نبيّا . اذ قال لابيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا . يا ابت لا تعبد الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمن عصيّاً . يا ابت انى اخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . قال اراغب انت عن الهتى يا ابراهيم ، لئن لم تنته لارجمنك، واهجرنى مليّا قال سلام سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا . واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى عسى الا اكون بدعاء ربى شقيا » .

فنبى الله ابراهيم كان يناقش ابيه في رحمة ورفق ، انظر كلمة « يا أبت » التى كان يبدأ بها ابراهيم عليه السلام كل جملة وكل حجة يسوقها لابيه . مثل هذه الكلمة (يا أبت) فيها رحمة ومودة من جانب ابراهيم عليه السلام نحو ابيه . وانظر ايضا كيف واجه ابراهيم عليه السلام تهديد ابيه له الرجم بالحجارة وطلبه بأن يبتعد عنه فترة طويلة . لقد واجه ابراهيم قسوة الأب بالرحمة والحسنى : « قال سلام عليك ، سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا » ، فالابن البار واجه اساءة ابيه بالرحمة والدعاء والاستغفار له لعل الله يهديه سواء السبيل .

عقوق الأبناء في القرآن الكريم

وقد ذكر في القرآن الكريم ايضا بعض صور عقوق الابناء ومنها ما ذكر في عصيان ابن نوح عليه السلام لامر ابيه ورفضه مصاحبة ابيه والذين آمنوا معه في رحلة النجاة من الطوفان « وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم . وهى تجرى بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل ، يابنى اركبْ معنا ولا تكن مع الكافرين .قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء . قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهم الموج فكان من المغرقين » .

عقوق من جانب ابن نوح ورحمة من جانب نوح عليه السلام . فهذا سلوك الآباء نحو الابناء دائما : « ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين » . ويكون الرد من جانب المولى سبحانه وتعالى : « قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم ، انى اعظك ان تكون من الجاهلين » .

بعض صور واشكال عقوق الأبناء

صور واشكال عقوق الابناء وسلوكهم الشاذ مع الآباء كثيرة متعددة نذكر منها ما يأتي :

١ ـ الاعتداء البدنى على الآباء من جانب الابناء كأن يضرب الابن أباه . وقد يصل هذا الاعتداء لدرجة أن يقتل الابن أباه . وهذه صورة غير شائعة ولكنها موجودة ، وهي تمثل صورة متطرفة وبشعة من عقوق الابناء .

٢ ـ اعتداء الابناء على الآباء بالقول وتوجيه الشتائم والسباب اليهم دون أدنى مراعاة لأدب العلاقة بينهم وبين آبائهم .

٣ ـ تحميل الأبناء لآبائهم فوق ما يطيقون في مختلف نواحى الحياة ومن امثلة ذلك الابن الذى يصر على الحصول من ابيه على المال باستمرار بالرغم من علمه بعجز ابيه عن اجابة مطالبه . وفي سبيل الحصول على مثل هذا المال يلجأ الابن الى وسائل التهديد والوعيد وكافة الأساليب غير المشروعة وغير الأخلاقية .

٤ ـ عدم رعاية الابن لأبويه الكبيرين اللذين يحتاجان لرعايته وعنايته وعدم مساعدته لهما ماديا بالرغم من يسره وتحصله على دخل كبير ، فتراه يعيش عيشة سهلة هانئة ، في حين يعيش والداه حياة يسودها الفقر والعوز والحاجة . وقد يصل الأمر بالوالدين احيانا للجوء الى المحاكم لكى

يحصلوا على حكم يصدر ضد هذا الابن بنفقــة مالية لوالديه أحدهما أو كليهما .

٥ ـ تبرأ الابن من والديه وهجره لهما . فتراه يسكن بعيدا عنهم ويرفض زيارتهما له او يمتنع هو عن زيارتهما .. كما انه يغفل ذكر سيرتهما في اى حديث مع الغير . وقد يدعى انهما غير موجودين او متوفون . وقد يحدث هذا عندما يرتفع الابن اجتماعيا فجأة ويجد نفسه في طبقة اجتماعيــة ممتازة غير طبقة الوالدين . وهذا شكل من اشكال الجحود ونكران الجميل والفضل .

٦ ـ عدم طاعة الوالدين في اى امر من الامور ووقوف الابن دائما موقف المعارضة في وجه اى راى او نصح او توجيه يصدر اليه عن طــريق الوالدين .

دوافع واسباب عقوق الأبناء

قد يسأل سائل : ما هى دوافع واسباب عقوق الأبناء ؟ وما الذى يضطر الابناء الى هذا السلوك الشاذ في مواجهة ابوين سهرا وتعبا ووهنا في سبيل رعايتهم وتربيتهم ؟ وما الذى يدفع الأبناء لان يسلكوا ويتصرفوا على هذا النحو الشاذ مخالفين كل عرف وكل تقليد وكل منطق . وللاجابة على الأسئلة السابقة ، نذكر هذه الدوافع والأسباب المحتملة لعقوق الأبناء :

١ ـ أسلوب التربية الذى عاش في ظله الابن العاق .

فاسلوب التربية الذى اتبع مع الابن العاق قد يكون سببا اساسيا لما وصل اليه هذا الابن من سلوك شاذ ومن عقوق . والآباء يريدون دائما أن يروا ابناءهم « أحسن الناس » ولكنهم قد يضلون السعى وقد يسيئون الى الابناء وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . فمثلا قد يكون من اسباب العقوق المعاملة اللينة غير الحازمة واجابة جميع مطالبهم في طفولتهم دون تردد ، واحاطة الابن في طفولته باهتمام زائد . وهذا يجعل الابن يشعر في بعض الاحيان انه يسيطر على والديه ويتحكم فيهما ويوجههما ، ويجد هذا الابن ان عليه أن يامر وعلى الوالدين السمع والطاعة ، وان عليه ان يطلــب وعلــى الوالدين الاجــابــة . في مثل هذه الاحوال تنقلب الاوضاع ، ويثور الابن ثورة عنيفة اذا لم يجب الوالدان له مطلبا مهما كان هذا المطلب غير معقول وفوق طاقة الوالدين وامكانياتهما .

وبعض الآباء يسلكون داخل الأسرة ســلوكا لا يجلب احترام الابناء لهم،وبعض الاباء يتساهلون في علاقتهم بالابناء فيغفرون للابناء كل أخطائهم وكل سوء سلوك يصدر من جانب هؤلاء الابناء،ويكون موجها نحو آبائهم دون ان يكلفوا انفسهم عبء محاسبة الأبناء وتوجيههم . وتكون نتيجة سوء التوجيه وسوء التربية هذه أن يرتد مزيد من سوء السلوك والتطرف من جانب الابناء نحو الآباء .

واحترام الوالدين نفسهما واحترام كل منهما للآخر داخل الأسرة هما الدعامة الاساسية التى يقوم عليها احترام هؤلاء الأبناء لهم . ونود ان نشير هنا أن الآباء الذين يحسنون تربية أبنائهم ـ فيشب هؤلاء الأبناء على السلوك القويم والخلق الطيب والاستقامة وحسن التعامل مع الغير ـ لا يمكن ان يظهر العقوق بين صفوف أبنائهم،بل يكون مثل هؤلاء الأبناء أكثر برا ورحمة بآبائهم وأكثر عطفا عليهم .

٢ ـ سوء السلوك وسوء التصرف مـن جانب الآباء .

لكى يحترم ويطيع الأبناء الآباء لا بد ان يكون الآباء قدوة حسنة يحاول الأبناء الاقتداء بهــا وتقليدها . ولكن يحدث أن يسوء سلوك الاباء ويصدر عنهم من السلوك والتصرفات ما يشين ويشوه صورة هؤلاء الآباء في نظر الابناء . فاذا اضفنا الى ذلك سوء تربية مثل هؤلاء الآباء لأبنائهم لاستطعنا ان نتصور عقوق هؤلاء الأبناء وصدور بعض التصرفات والافعال النسيئة عنهم موجهة نحو آبائهم وقد يزيد من عقوق هؤلاء الابناء الاضطرابات النفسية التى تسود بعضهم .

٣ ـ التخلف العقلى لبعض الأبنــــاء

التخلف العقلى وانخفاض مستوى الذكاء للابناء يعتبر من الاسباب الرئيسية لعقوق بعضهم وسلوكهم الشاذ مع آبائهم . فالابن المتخلف عقليا لا يدرك ابعاد او نتائج افعاله وتصرفاته لذلك فقد يعتدى على والديه اعتداءات صارخة دون ادنى تقدير للمسئولية أو دون احساس بالذنب او الالــم النفسى .

٤ ـ الاضطــراب النفســى والعقلـىّ

يمكن القول بقدر كبير من الثقة أن عقوق الأبناء

يتحصر عادة في أبناء يسودهم قدر من الاضطراب النفسي يجعلهم قلقين ومتوترين ومتخوفين ومتشككين، ويجعلهم لا يحسنون تقدير الظروف والاحوال التي تصادفهم في حياتهم . وهذا الاضطراب النفسي له مسببات كثيرة ولكنه يعتبر مظهرا من مظاهر سوء التوافق والتكيف .

والاضطرابات العقلية مسئولة أيضا عن بعض صور العقوق الصارخة . فمثلا الكثير من الابناء الذين يعتدون بالضرب على آبائهم ويلجاون في بعض الاحوال الى قتلهم عادة ما يكونون مضطربين عقليا. فقد يتصرفون هذه التصرفات دون وعي أو إدراك مدفوعين بأوهام أو تخيلات أو وساوس خبيثة متسلطة .

٥ ـ البعد النفسي والفكري بين الآباء والأبناء .

وهذا البعد الفكري والنفسي بين الآباء والأبناء قد يعتبر سببا لبعض عقوق الأبناء . فمثلا بعض الأبناء يحسون بمرارة تجاه آبائهم لأنهم لم يحاولوا أن يشبعوا حاجاتهم النفسية عندما كانوا أطفالا وصغارا فلم يشعرهم هؤلاء الآباء بالحب أو بالطمأنينة والأمن . وقد رأى مؤلف هذا المقال بعض الأبناء العاقين الذين يحيطهم آباؤهم بقدر كبير من الرعاية المادية ، ومع ذلك فهؤلاء الأبناء يحقدون على آبائهم ولديهم كراهية داخلية دفينة نحو هؤلاء الآباء ، لأنهم ـ أى الآباء ـ أشبعوا حاجات أبنائهم المادية ولكنهم لم يشبعوا حاجات هؤلاء الابناء الى الحب والحنان .

وكثيرا ما يكون البعد الفكري بين الآباء والأبناء سببا في عقوق بعض الأبناء وإقامة عوائق تحول دون اقامة تفاهم فعال مثمر بينهما . وكثيرا ما يحدث هذا عندما يكون الآباء جامدين غير متطورين، وعندما يكون هناك فارق سن كبير بين الآباء والأبناء. والواقع أن بعض الآباء يجمدون فلا يسايرون الظروف أو العصر الذي يعيش فيه الابناء ويكون من نتيجة ذلك أن تجد بعض هؤلاء الابناء يرفضون آراء ونصح وارشاد آبائهم . وينتقل هذا الرفض من جانب الأبناء الى عدم تقبل أى سلوك يصدر من الآباء . وقد يغالي الابناء في هذا الرفض حتى يظهر ذلك في شكل عقوق وتصرفات تؤلم الآباء وتسبب لهم الضيق والحزن . ويزيد انتشار مثل هذه الحالات عندما يرتفع مستوى الأبناء الفكري والتعليمي والثقافي كثيرا عن مستوى الآباء . وهذا الفرق في المستوى لا يعني بالضرورة وقوف الأبناء في وجه الآباء والثورة عليهم وعلى أفكارهم ، ولكن يسهم في ذلك سوء تربية الأبناء وعدم تأديبهم وعدم توجيههم واعطائهم من الاهتمام والرعاية ما لا يستحقون . ومن امثلة السلوك الشاذ لبعض الأبناء نحو الآباء في هذا المجال : موظف صغير رقيق الحال يعاني كثيرا في تربية ابنائه حتى تخرج احدهم من احدى كليات الهندسة وحقق نجاحا كبيرا في حياته العملية . وقد جاء هذا الاب يشكو من ان ابنه أصبح لا يتقبل منه اى رأى ، وينقد كل شيء يصدر عنه ، حتى الكلمات التي ينطق بها الأب وملبسه وسلوكه المعتاد ، كلها أصبحت مجالا لهجوم الابن . وكان يعم الأب حزن عميق ويقول : « أبعد هذا الجهد والعناء يكون الجزاء من جانب ابني رفضا وجحودا ونقدا لكل ما يصدر عني ؟ » .

كيف نقضي على ظاهرة عقوق بعض الأبناء

الواقع أن عقوق الأبناء يمثل ظاهرة شاذة تقف ضد كل منطق وعرف وتقاليد ودين. وهذا السلوك لا يصدر الا عن أبناء ساءت تربيتهم واضطربت البيئة المحيطة بهم ، وزاد القلق والاحباط في حياتهم . وعقوق الأبناء يسهم في حدوثه سلوك الآباء غير السوي في الأسرة كما يسهم فيه العلاقات غير السليمة التي تقوم بين الآباء والأبناء . واذا استثنينا العقوق الذي يصدر عن بعض الأبناء الأغبياء والمتخلفين عقليا أو المضطربين عقليا ، فان مسئولية عقوق الأبناء تقع على الاسرة وعلى رأس هذه الأسرة الوالدان فاذا حسن سلوك هؤلاء الآباء واستخدموا مع الأبناء الأساليب التربوية والنفسية السليمة ، واشبعوا الحاجات المادية والنفسية لأبنائهم ، واذا جعلوا من انفسهم نماذج سلوكية صالحة في الأسرة يقتدى بها الأبناء ، لكانت النتيجة أبناء صالحين بررة يحسنون صحبة ورعاية آبائهم ، يلتزمون بأمر الله سبحانه وتعالى عند تعاملهم مع آبائهم : « ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا » . ■■

علي أحمد علي

أنباء الطب والعلم والاختراع

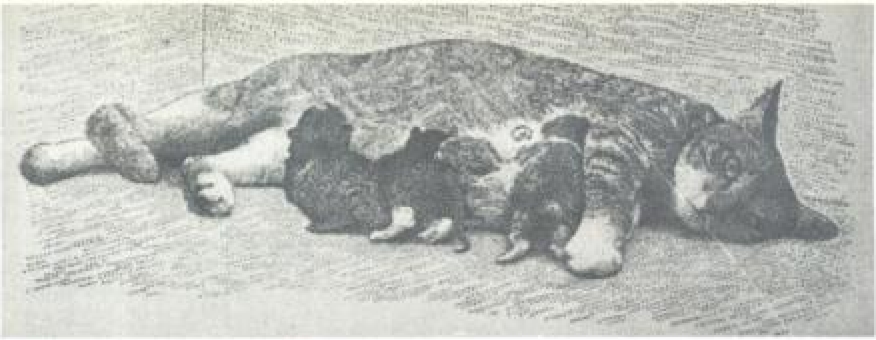
سلوك الأمومة عند القطط
القطط الوليدة ... تتعلم الرضاعة فور ولادتها

● من المعروف ان كثيرا من الحيوانات الثديية تكون عاجزة تماما ولا تستطيع الاعتماد على نفسها بعد ولادتها مباشرة، وهناك فرض علمي معروف عن نمو الحيوانات الثديية يقول ، ان الحيوان الثديي الحديث الولادة لا يستطيع تعلم اى شيء حتى يصل الى مرحلة معينة من تطور الجهاز العصبى فيه . وقد قام فريق من العلماء فى معهد السلوك الحيوانى بجامعة روتجرز Rutgers فى الولايات المتحدة الامريكية بعدة تجارب ومشاهدات على عدد من القطيطات حديثة الولادة . وخاصة كيفية تصرف هذه القطيطات بالنسبة للرضاعة والشعور بالانتماء. وقد وجد هؤلاء العلماء ان القطيطات تستطيع التعلم بعد ولادتها مباشرة ،وعلاوة على ذلك فان تعلمها هذا يلعب دورا هاما فى نموها وتطورها. وتبدا عملية الرضاعة فى القطيطات ، بعد دقائق معدودة من ولادتها ، وتكون الأم البادئة، فهى تنام على جانبها ثم ترشد اطفالها الى مكان اثدائها .. وتستمر القطة الام فى هذه العملية طوال اسابيع ثلاثة. وتتم عملية الرضاعة والحضانة فى جزء معين من القفص يطلق عليه العلماء اسم «ركن البيت»، وتبدا الأم العملية بأن تقوم بشم ابنائها ثم لحسهم بلسانها ، وبعدها تعرض عليهم اثداءها وتحتضنهم بين ارجلها الأمامية والخلفية .

وتبدا عيون القطيطات فى التفتح فى نهاية الاسبوع الأول من حياتها . . ولكنها لا تستعمل احساساتها البصرية الا فى نهاية الاسبوع الثانى من عمرها . وبعد ان تصل اعمارها الى ٣ اسابيع تبدا القطيطات فى التجول خارج منطقة « البيت » وتبدا كذلك فى الاتجاه الى الأم عندما تشعر بالحاجة الى الرضاعة. والقطة الأم تقف فى هذا الوقت ساكنة حتى يبدا اطفالها فى الرضاعة ، وعندها تنام على جنبها. وبعد الاسبوع الخامس، من الولادة ، تبدا قابلية القطة الأم فى حضانة اطفالها وارضاعهم تقل . ولكن فى هذا الوقت يكون باستطاعة القطيطات ان تطارد الأم داخل القفص والامساك بأثدائها يمتصون منها غذاءهم ، وعندها تسمح لهم الأم بالرضاعة .

وفى الاسبوع الثالث تبدا ظاهرة اللعب عند القطيطات ولكنها تتطور فى الاسبوع الرابع وعندها تبدا القطيطات فى مطاردة بعضها البعض وفى التعارك باظافرها . وقد تحاول القطيطات ان تلاعب امها فتقفز على ظهرها او تخمشها .. وغالبا ما تتخلص الأم من مداعبات اطفالها .

وقد تبين العلماء من مشاهداتهم وجود علاقة بين سلوك القطط الصغيرة وسلوك الأم عندما تبدا القطيطات فى النمو .



صورتان تمثلان سلوك الامومة عند القطط .. **الصورة العليا** القطة الأم تنام على جانبها لترشد قطيطاتها حديثة الولادة الى مكان اثدائها . **والصورة الى اسفل** القطيطات بعد أن بلغت اعمارها ٣ أسابيع وقد اجبروا أمهم على الرقاد كي يرضعوا لبنها ..



وعندها يبدأ سلوك الأمومة يقل فى القطة الوالدة .. ولوحظ ذلك بلجوء الأم الى مكان علوى فى القفص بعيداً عن قطيطاتها وذلك بعد مرور اسبوع كامل من الولادة .. فى الاسبوع الاول لا تغادر الام ابناءها .. وبعد ذلك تبدأ تدريجيا فى الهرب الى المكان العلوى .. ويزداد الهرب بنمو الأطفال .. وخاصة عندما تبدأ هذه القطيطات فى ممارسة اللعب والجرى .

وعند بداية الاسبوع الخامس من حياة القطط الصغيرة ، تبدأ فى تناول اكلاتها من الاطباق وتستغنى عن الرضاعة تدريجيا، ولكن عملية الرضاعة لا تتوقف نهائيا .. فقد لوحظ ان القطيطات ، عند نهاية الأسبوع الثامن من عمرها ، قد تنتهز الفرصة وتقوم بالرضاعة ، ويعتبر الاسبوع الثامن هو العمر الذى يتم فيه فطام القط الوليد . وقد لوحظ أن عمر الفطام يمتد عند وجود قطيطة واحدة فى القفص مع الام ، اذ انه لا يوجد نشاط بين الصغار ولعب وجرى مما لا يزعج الام ويجعلها تلجأ الى مكان بعيد عن صغارها .

وهكذا يحاول علماء السلوك ان يكتشفوا غرائز الأمومة بمشاهداتهم على الحيوانات الثديية .

كيف تحمي نفسك من امراض الاسنان ؟
وسائل جديدة لمنع تسوس الاسنان وحماية اللثة

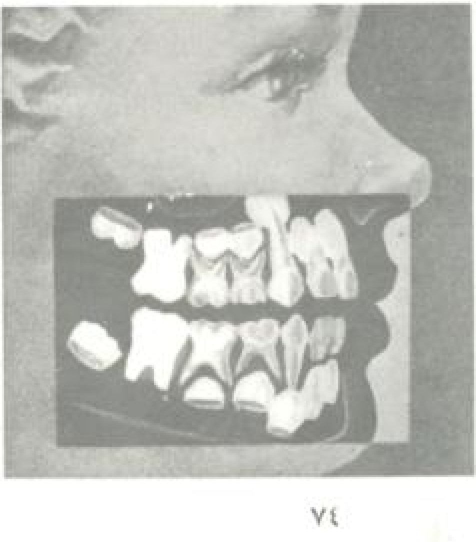
● فى خلال السنوات العشر الماضية اكتشف اطباء الأسنان وسائل جديدة يمكن ان تؤدى الى جعل تسوس الأسنان وامراض اللثة امراضا نادرة كما حدث من قبل بالنسبة لمرض السل . ولكن بالرغم من هذه الاكتشافات فان امراض الأسنان لا تزال منتشرة وخاصة فى الدول المتقدمة . وعلى سبيل المثال فان الاحصائيات التى اجريت مؤخرا فى بريطانيا تدل على ان شخصا بالغا من بين كل ثلاثة اشخاص قد قام بخلع أسنانه الطبيعية واستعمل اسنانا صناعية ، وتدل ايضا الارقام على ان ٩٨٪ من طلبة المدارس فى بريطانيا يعانون من امراض اللثة والتى لو اهمل علاجها ستؤدى الى فقدان اسنانهم عندما يصلون الى منتصف العمر .

وتقول نفس هذه الاحصائية ان امراض الأسنان تؤدى الى فقدان ٢ مليون يوم عمل ، وان تكاليف علاج البريطانيين من امراض الأسنان قد وصلت الى ١١٠ مليون جنيه استرلينى فى عام ١٩٧٢ . ويقول اطباء الاسنان ان هذه الارقام وحدها تدل دلالة قاطعة على اهمية مكافحة امراض الاسنان ، وانه بالرغم من اكتشاف الوسائل الحديثة للعلاج فان الفرد نفسه هو الذى يستطيع ان يقى اسنانه من التلف . وتتلخص الوسائل الجديدة لحماية الأسنان من التلف فى النقاط التالية ، والتى يقول الأطباء انها لو نفذت بدقة فانها تؤدى الى حماية الأسنان من امراض الاسنان :

* ان عمر فرشة الأسنان يجب ان لا يزيد عن ٣ اشهر . وعلى كل فرد ان يستبدل فرشاة اسنانه كل ٣ اشهر اذ انها تصبح غير صالحة بعد هذه الفترة .

* يجب على كل فرد ان يقوم بزيارة طبيب الأسنان لتنظيف اسنانه من الطبقة التى تترسب عليها وتتحول الى طبقة صلبة تكسى الأسنان وتكون مرتعا لبكتريا الفم التى تقوم بافراز مواد حمضية نتيجة تغذيتها بالمواد الكربوهيدراتية ، وتؤدى هذه الافرازات الحمضية الى تآكل ميناء الأسنان . وتفرز هذه البكتريا ايضا بعض المواد التى تؤدى الى التهاب اللثة مما يسبب ادماءها ويؤدى ذلك الى تدمير جذور الأسنان . وللتغلب على مفعول هذه البكتريا يجب مراعاة عدم اكل الحلويات بكثرة وخاصة بالنسبة للاطفال ، وذلك علاوة على الامتناع عن تناول اى طعام بين الوجبات وخاصة قبل النوم مباشرة .

* اضافة كمية ضئيلة جدا من مادة الفلوريد Fluoride الى مياه الشرب او



استعمال افرازات انثوية صناعية
لاهلاك ذكور الحشرات الضارة

● فى كثير من فصائل الحشرات ينجذب الذكر الى الانثى بواسطة افرازات معينة تقوم الانثى بافرازها وتنتشر فى الأجواء المحيطة بها بواسطة الهواء . وفى خلال العقدين الأخيرين من الزمان تم فصل عدد كبير من هذه الافرازات ، والتى اطلق عليها العلماء اسم « فيرمون » Phermone ، كما انه تم ايضا تصنيعها.

ونتيجة لهذا النجاح فى تصنيع هذه « الفيرمونات » فكر العلماء فى امكانية استعمالها فى مكافحة هذه الحشرات الضارة . وقد تم استعمال فيرونات بعض انواع العثة بنجاح فى هذا المضمار . وبعد ذلك قامت بعض الشركات بانتاج الفيرمونات فى معاملها بتكلفة حوالى ٣٠ سنتا للجرام الواحد . والغرض من استعمال الفيرمونات هذه انها تضلل الذكر وتقوده الى مكان مصيدة معدة لاهلاكه ، وهو يعتقد انه فى طريقه الى اناثه ، وبذلك تمنع عملية التلقيح والتفقيس ، وذلك بتكاليف اقل من تكاليف استعمال المبيدات الحشرية المعروفة .

ويقدر العلماء ان تكاليف اهلاك حشرة من الحشرات فى مساحة ميل مربع مثلا ، لا تزيد عن ٢٠٠ دولار بطريقة استعمال الفيرمونات ، فى حين انها تتكلف حوالى ٢٠٠٠ دولار فى حالة استعمال المبيدات الحشرية التقليدية . ولكن هذه الطريقة لا تنجح فى حالة وجود انواع عديدة من الحشرات فى مكان واحد ، اذ ان اناث الحشرات تنجح فى جذب الذكور بالرغم من وجود الفيرمونات الصناعية ، وذلك لكثرتها . وتتم عملية التلقيح والتفقيس ، وفى هذه الحالة لا بد من استعمال المبيدات الحشرية المعروفة .

ولكن التجارب التى لا تزال تجرى حتى الآن تفتح الباب أمام استعمال بعض الظروف الطبيعية للتخلص من افواج الحشرات التى تهاجم المزروعات وتهلكها.

حتى دهان أسنان الأطفال بمادة الفلوريد مرة كل ٦ أشهر . وتؤدى هذه الطريقة الى انخفاض تلف الاسنان بنسبة ٤٠ ٪ .

والى جانب هذه الوسائل المطبقة فعلا يقوم العلماء الآن باجراء تجارب على وسائل جديدة من بينها تأثير بعض المواد الكيماوية مثل جليسرو فوسفات الكالسيوم Calcium Glycerophosphate التى تقوم بمعادلة المواد الحمضية فى الفم التى تؤدى الى تآكل الاسنان .

وتتناول هذه البحوث ايضا عملية اعادة ميناء الاسنان كيماويا . وكذلك البحث عن مصل او لقاح Vaccine يحمى الأسنان من فساد الأسنان . وقد قام اطباء وحدة الأبحاث التابعة لكلية الجراحين الملكية فى بريطانيا بتجربة لقاح من بكتريا حية مأخوذة من أسنان تالفة على القرود . ولكن لا يزال هذا اللقاح فى دور التجربة ولا ينتظر الانتهاء من التجارب عليه قبل عدة سنوات .

ويقول اطباء الأسنان انه بالرغم من كل مستحدثات طب الاسنان فان الفرد نفسه هو الذى فى يده أن يتخلص من آلام الأسنان اذا واظب على نظافة اسنانه واتبع الارشادات الصحية التى يزوده بها طبيبه . ■■





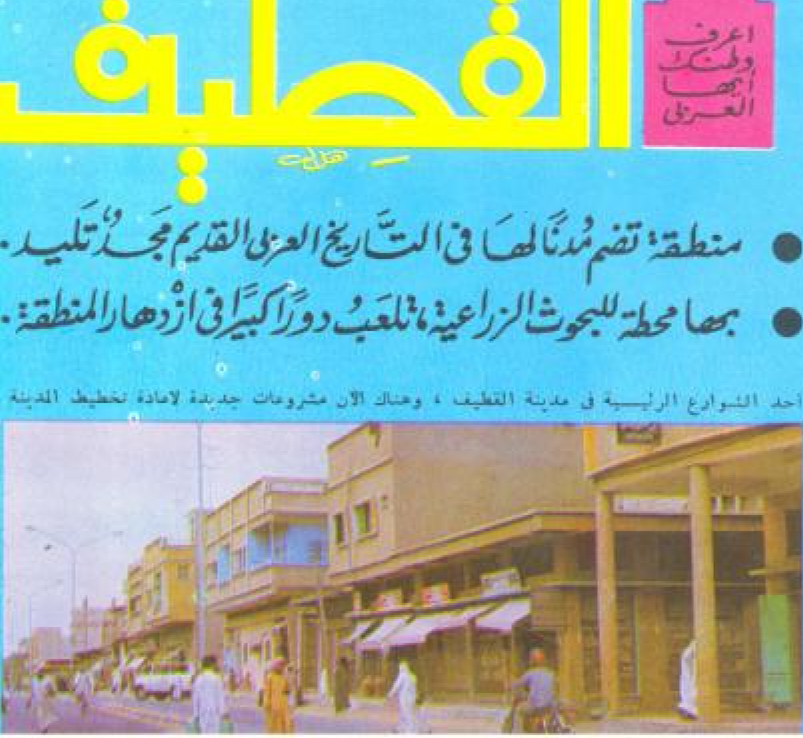
اعرف وطنك أيها العربي

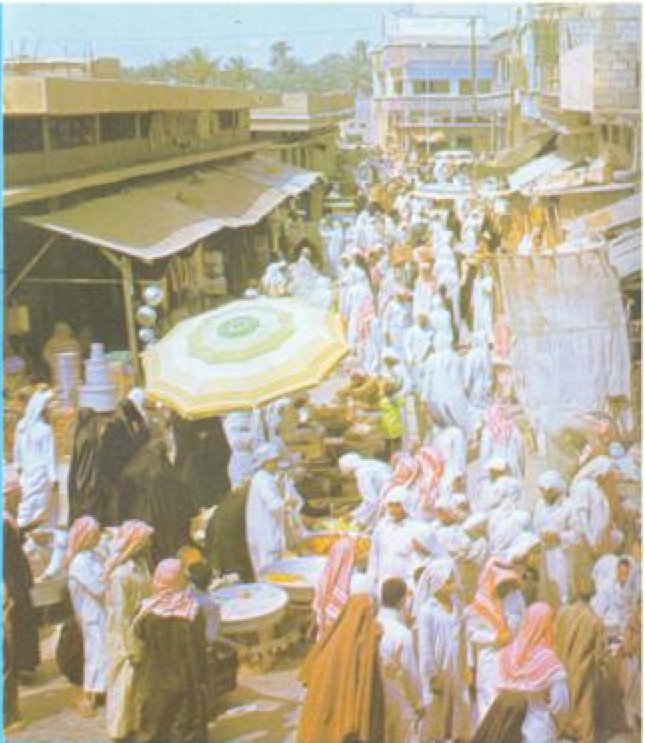
القَطِيف

• منطقة تضم مدناً لها في التاريخ العربي القديم مجدٌ تليد .

• بها محطة للبحوث الزراعية تلعبُ دوراً كبيراً في ازدهار المنطقة .

أحد الشوارع الرئيسية في مدينة القطيف ، وهناك الآن مشروعات جديدة لاعادة تخطيط المدينة .





الى اقصى اليمين : ثمار اشجار « البوباي » وهي اشجار جيء بها من الهند ، ونجحت زراعتها في منطقة القطيف .. ويقبل الأهالي على زراعتها وسط النخيل ، كما انهم يقبلون على اكل ثمارها

الى اليمين : سوق الخميس في مدينة القطيف يجيء اليه اهالي قرى المنطقة وفيه يبيعون منتجاتهم الزراعية ، ومنه يشترون لوازمهم ، ويعتبر هذا السوق من اكبر الأسواق الاسبوعية في المنطقة .



استطلاع بقلم :

محمد طنطاوى

تصوير :

عبد الناصر شقرة

الى اليسار : محمد الفارس حوّل منزله الى متحف يضم الكثير من آثار منطقة القطيف . ويرى في الصورة وهو يمسك بسيف ذهبي يعود تاريخه الى أيام احتلال الاتراك للمنطقة .

■ في التاريخ العربي القديم ، اماكن كثيرة ، خلدتها الأحداث والاقوال .. ومن بين هذه الأماكن منطقة القطيف، التي تقع في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ، على ساحل الخليج العربي . وتضم منطقة القطيف مدنا تاريخية قديمة اهمها مدينة القطيف نفسها ، واسمها مشتق من القطف، وهو القطع من العنب . ويقول بعض المؤرخين ان اسمها في الاصل محرف عن كتيوس Catcus وهو الاسم القديم الذي ذكره مؤرخو اليونان لهذه المنطقة . ومدينة القطيف مدينة قديمة جدا، وتدل الحفريات على ان القطيف يعود تاريخها الى اخر عهد من عهود العصر النحاسي ، اى في حدود ۳٥۰۰ سنة قبل الميلاد .

وتتكون واحة القطيف من غابة كثيفة من النخيل كانت في الماضي القريب متصلة بعضها ببعض ، ولكنها بدأت تنفصل نتيجة امتداد العمران في المنطقة ، واقبال الاهالي على تقطيع النخيل واحلال الزراعات الاخرى كالخضراوات مثلا محل اشجار النخيل .

وبالقرب من القطيف تقع جزيرة تاروت ، وهي في قلب خليج كيبوس ، ولا تبعد عن مدينة القطيف الا ستة كيلومترات ، واسمها التاريخي القديم تاروس Tarus واطلق عليها اليونانيون اسم « تارو » ، ويقول البعض ان اسمها في الأصل عشتاروت ، وانها كانت معبدا لعشتاروت التى كان الفينيقيون يؤلهونها . ويقال ايضا ان هذه الجزيرة كانت موطنا قديما للفينيقيين قبل نزوحهم الى شواطيء البحر المتوسط . وفي طرف جزيرة تاروت الجنوبي تقع بلدة دارين الشهيرة ، والتي كانت سوقا من اسواق الجزيرة العربية الهامة وميناء رئيسيا ، ويردد ذكرها كثيرا في الشعر العربي والتاريخ الاسلامي . وهي التي قال فيها الاعشى :

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم
ويرجعن من دارين بجر الحقائب

في الطريق الى القطيف

والى القطيف ذهبت بعثة « العربي » ، لتقدم

خريطة تبين موقع القطيف في المملكة العربية السعودية .





احد الشوارع الرئيسية في مدينة القطيف ويظهر في جانب من الصورة منتزه القطيف وتقوم البلدية الآن باعداد مشروعات حديثة لاعادة تخطيط المدينة بمساعدة شركات استشارية متخصصة في التخطيط .

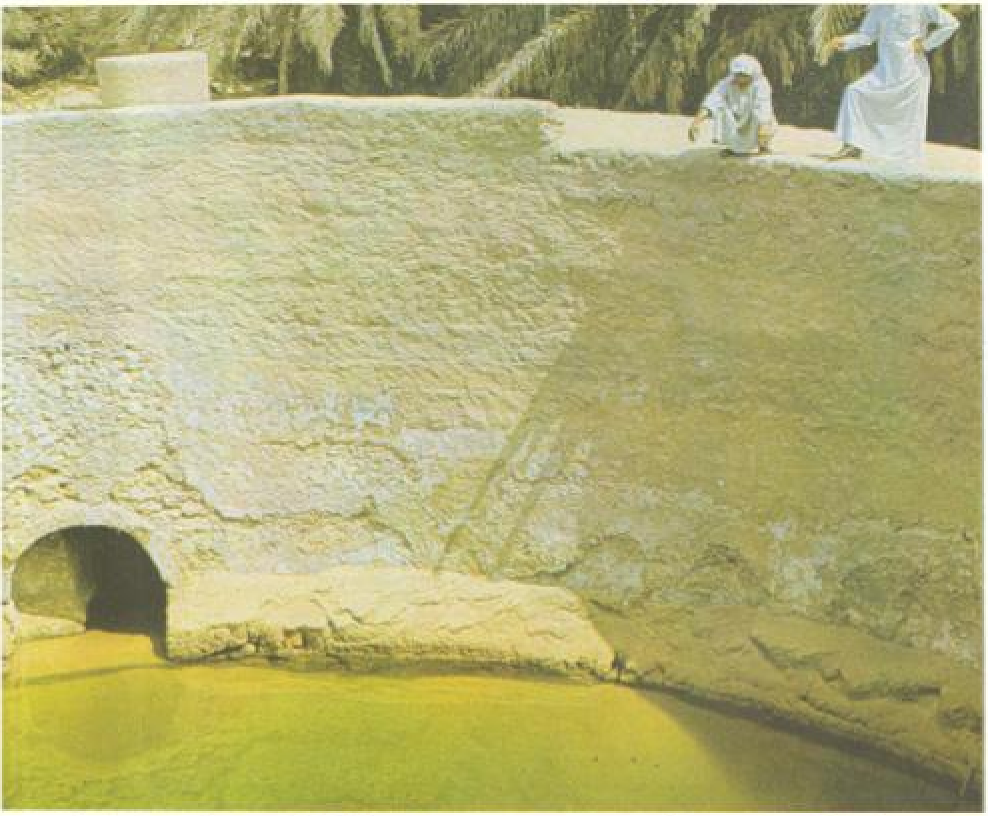
لقرائها من ابناء الوطن العربي الكبير صورة سريعة عن هذه المنطقة ذات التاريخ العتيق ، وكيف تعيش الآن ... ؟ ويتركز هذا الاستطلاع على مدينة القطيف ، وبعض ضواحيها ومن بينها تاروت ودارين ، وغيرها من القرى التي توجد فيها بعض الآثار القديمة .. والوصول الى القطيف سهل ميسر .. فهناك « الظهران » وهو مطار مبني على على طراز جميل حديث . وهذا المطار لا يبعد عن القطيف اكثر من ٣٠ كيلومترا تقطعها السيارة في اقل من نصف ساعة على طريق معبد يربط مدن المنطقة الشرقية الحديثة بعضها ببعض ، واشهر هذه المدن هي الظهران، والدمام، والخبر، ورأس تنورة .

والقطيف بلدة صغيرة لا يزيد تعداد سكانها عن ٣٠ الف نسمة . ولكن تاريخها العريق لا يزال يؤثر على الحياة فيها .. والمدينة الآن بدأت في التطور والنمو ، ولكنها لا تزال محتفظة ببعض ملامح طابعها القديم ، وتسمى المنطقة الرئيسية فيها باسم « القلعة » . وهي تقع على ساحل الخليج العربي بابنيتها المتلاصقة وطرقها الضيقة، وكان يحيط بالقلعة سور قديم ، لم يبق منه سوى اجزاء متهدمة ، بينما شقت الطرق الحديثة في قلب القلعة . وفي القلعة بعض الآثار التاريخية من اهمها جامع يرجع بناؤه الى القرن الثامن الهجري ، وقد تداعى بنيانه ، ولم يبق منه سوى بعض الأطلال . وقد نقل الكثير من الآثار التي عثر عليها في القطيف وتاروت الى متحف خاص في جامعة الرياض .

شوارع حديثة وتخطيط جديد

وهناك الآن مشروعات جديدة لتطوير تخطيط مدينة القطيف على طراز حديث . الشوارع تشق وتعبد، والمباني الجديدة تحل محل المباني القديمة، القلعة تكاد معالمها البائدة لا تبين وسط هذا التجديد .

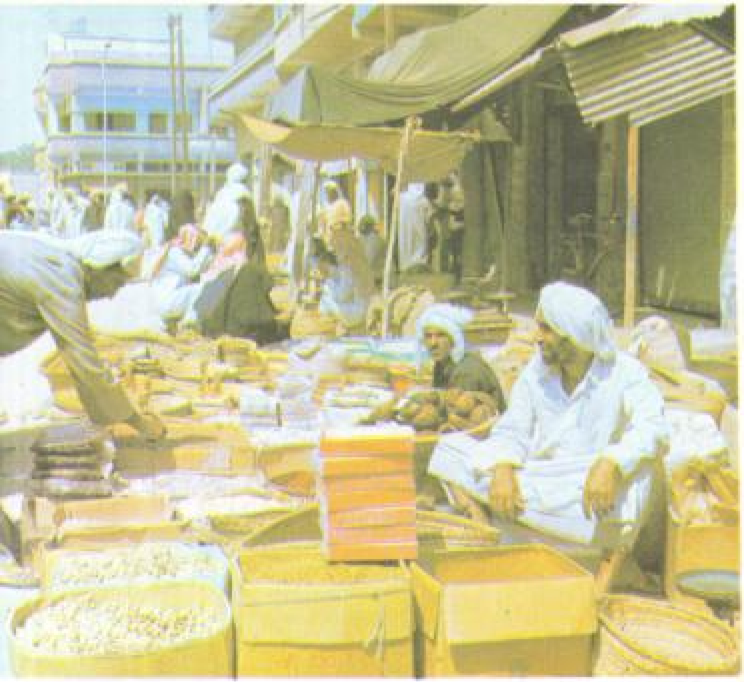
قال لنا غنام علي الغنام رئيس بلدية القطيف : ان العمل يجرى الآن في مشروع المجاري العامة ، وهو يشمل القطيف وقراها ويتكلف نحو ٢٥ مليون ريال . كما ان عملية مد خط انابيب مياه الشرب تجرى الآن من محطة تكرير مياه البحر في مدينة



في هذا المكان بقي الحجر الأسود اكثر من ٢٠ عاما ، بعد ان سرقة القرامطة من مكانه في الكعبة المشرفة ..
وقد حاول القرامطة ان يجعلوا من هذا المكان بديلا للكعبة ولكنهم فشلوا في حركتهم .

تنتشر آبار المياه في منطقة القطيف ، وهذه البئر يقال ان من حفرها هم العماليق ، ولا تزال غنية بالمياه حتى يومنا هذا ، ويستعملها الاهالي في ري مزروعاتهم والاستحمام فيها





الأسواق القديمة لا تزال
على حالها في مدينة القطيف،
وتفكر البلدية الآن في انشاء
اسواق حديثة لتحل محل
الأسواق القديمة .

بعض سكان قرى منطقة القطيف يحضرون اسبوعيا الى المدينة حيث يقومون بشراء لوازمهم من سوقها
الذى يقام كل يوم خميس . وتشهد البلدة رواجا تجاريا في هذا اليوم يعوضها عن قفل الميناء الذى
تسبب في تدهور حالة التجارة بها .



« الخبر » (على بعد ٤٠ كيلومترا) . وهناك ٩ فروع لبلدية القطيف تقوم بخدمة قرى الواحة التي تبلغ حوالي ٤٠ قرية .

وتشرف البلدية على مكافحة الحشرات وخاصة البعوض ، وقد استطاعت فرق مكافحة الحشرات خلال السنوات الخمس الماضية ان تستاصل بعوض الملاريا ، وبذلك قضت على انتشار هذا المرض في المنطقة كلها .

نشاط اجتماعي وتربوى

وفي القطيف ، كما في اغلب مدن المملكة العربية السعودية التي زرناها ، نشاط اجتماعي وتربوى كبير ، ويقوم مركز الخدمة الاجتماعية في القطيف بنشاط ملحوظ ، وهو يشرف على الجمعيات الخيرية والتي وصل عددها الى اكثر من ست جمعيات ، من بينها جمعية لرعاية العجزة من المسنين ، وقد اقامت هذه الجمعية مقرا لهؤلاء العجزة في قرية سيهات على شاطىء الخليج العربي . وهناك الآن نواة لانشاء جمعية نسائية اجتماعية ، تقوم برعاية شئون المراة . ويقول محمد المصيبي رئيس مركز الخدمة الاجتماعية في القطيف ان مراكز الخدمة الاجتماعيـــة تقوم بدور كبير ، ولها انشطة متعددة من بينها انشطة صحية مثل دراسة صحة البيئة ، والارشاد الصحي ، وتفقد المرافق العامة . ويشمل النشاط الاجتماعي الأندية الريفية والجمعية التعاونية ، ومعونة الشتاء . اما القطاع النسائي فهناك دار للفتاة تقوم بتعليم الفتيات المهارات والحرف ، وتقوم لجنة السيدات بزيارات منزلية لارشاد ربات البيوت . والقطاع الثقافي ويشمل روضة اطفال وتنظيم دراسات صيفية للطلبة المتخلفين في جميع مراحل التعليم ، واقامة المعارض ، وغير ذلك .

لجنة اهليـة تشرف عـلى النشـاط الاجتماعي

ويشترك اهالي القطيف في اعمال مركز الخدمة



اشتهرت القطيف في الماضي بزراعة العنب .. ثم جاءت عليها فترة من الزمن اضمحلت فيها الزراعة .. واليوم عادت الى القطيف شهرتها وبدات زراعة العنب تزدهر كما كانت وذلك بعد ان بدا المزارعون في تطبيق نصائح المختصين في محطة التجارب الزراعية .



←

واحدة من خلايا النحل التي تنتشر في مزارع القطيف ويقوم المزارعون هناك بتطبيق احدث الوسائل العلمية في استخلاص العسل وتربية النحل .



احد الطرق الرئيسية التي تربط مدينة القطيف بالقرى التابعة لها وقد شق هذا الطريق المعبد وسط غابات النخيل التي بدأت الحياة تعود اليها بعد تنفيذ مشروعات الصرف .

الاجتماعية ، وهناك لجنة اهلية مكونة من عشرة اعضاء من اهل البلدة تقوم باقرار اوجه النشاط الاجتماعي . وقد التقت « العربي » باعضاء هذه اللجنة ودارت مناقشة عن الاحوال الاجتماعية .. ومن هذه المناقشة خرجنا بصورة واضحة عن كيفية حياة اهل القطيف .

● الحالة السكنية لسكان المدينة تحسنت خلال السنوات العشر الماضية ، واصبح معدل سكان الحجرة الواحدة شخصين فقط ، بعد ان كان منذ عشر سنوات يصل الى خمسة افراد .

وينتظر ان تتحسن هذه الاحوال اكثر بعد تنفيذ كافة مشروعات اسكان ذوى الدخل المحدود . وقد قام مركز الخدمة الاجتماعية بمعونة اللجنة الاهلية بادخال تحسينات صحية وعمرانية على ١٠٩ مساكن ، وانفق على هذه التحسينات ٢١٥ الف ريال ..

● ظاهرة تعدد الزوجات بدأت في انتقصان ، ولا تزيد نسبة من يجمع بين اكثر من زوجة واحدة على ١٥٪ . زيادة المواليد تعتبر عالية ، فهي تصل الى ٤٪ سنويا . ويصاحبها ايضا نقصان في نسبة وفيات الاطفال التي اصبحت لا تتعدى ١ر٠ ٪ .

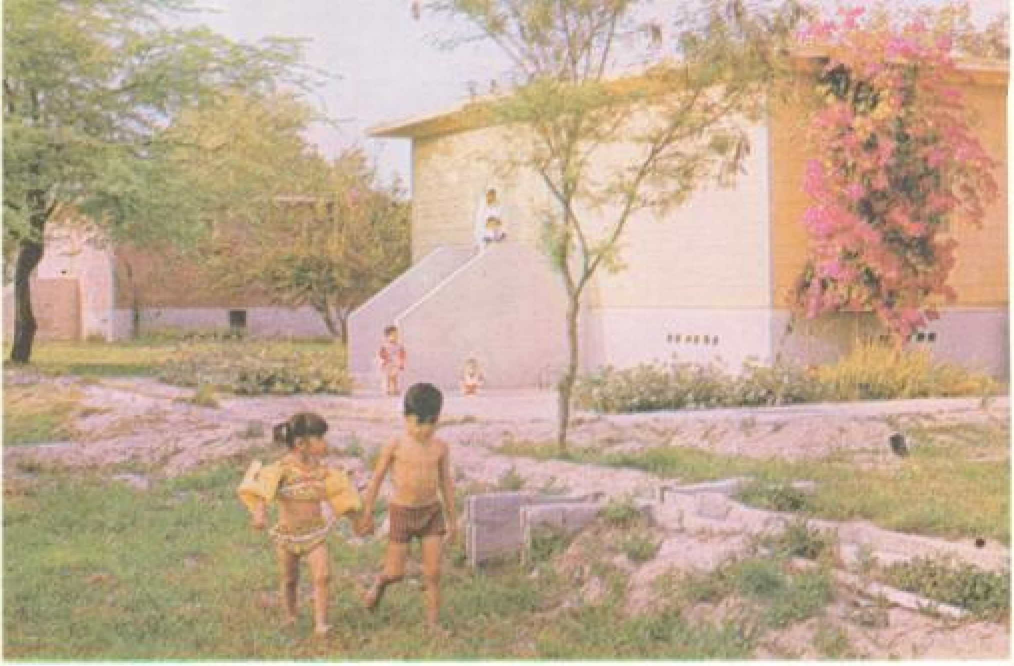
● تقاليد الزواج تطورت ، واصبح الاب ياخذ راى البنت في الزواج ، كما انه يحق للخطيب ان يرى وجه خطيبته . ومشكلة الصداق بدأت في التراجع . فصداق العروس لا يزيد عن ثلاثة الاف ريال ، كما انه لا يوجد صداق مؤجل .

● تعليم البنات ازداد الاقبال عليه .. وتوجد في القطيف مدرسة ثانوية للبنات ومدرسة متوسطة ويبلغ عدد الطالبات في هاتين المرحلتين ٣٠٤ طالبة وعدد طالبات المرحلة الابتدائية ١٤٨٥ طالبة .

● اما بالنسبة للطلبة الذكور فهناك ٥ مدارس ابتدائية بها ٢٩٤٦ طالبا ، وثلاث مدارس متوسطة يدرس فيها ٥٣٥ طالبا ، ومدرسة ثانوية عدد طلبتها ٢٢٠ طالبا .

سوق الخميس

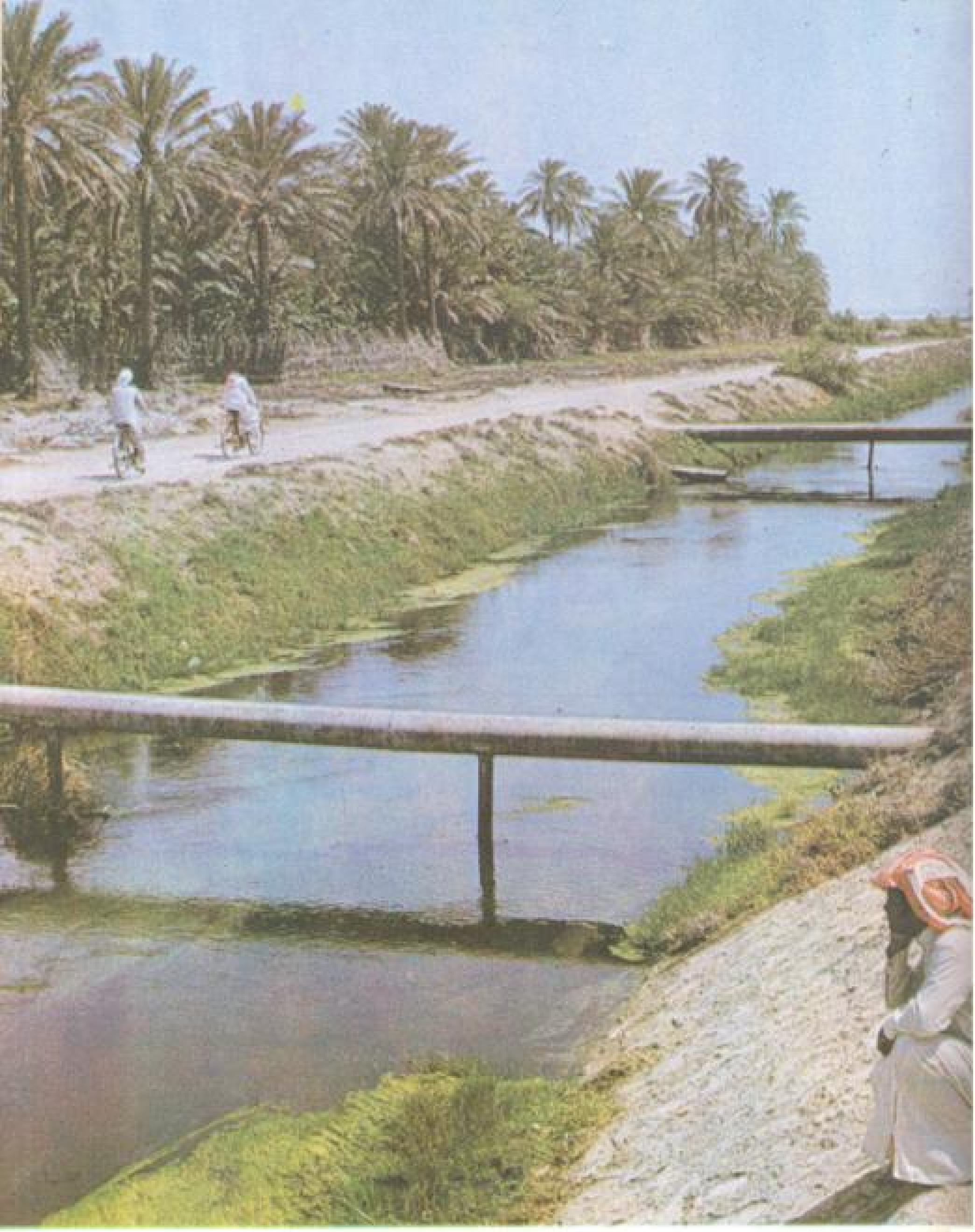
وتكتظ شوارع مدينة القطيف كل يوم خميس ، فهو يوم السوق الاسبوعي بالمدينة . واليه يحضر سكان القرى القريبة يبيعون ويشترون . وسوق الخميس يتردد عليه اكثر من ١٠ الاف بائع ومشتر .. المنتجات الزراعية والتمور ياتي بها سكان الريف



تتميز منازل مهندسي محطة التجارب الزراعية بالقطيف ببساطتها وجمالها . ويقيم المهندسون وسط أرض المحطة ، وبذلك يستطيعون الاشراف على تجاربهم الزراعية ليل نهار .

احد المهندسين الزراعيين يقوم باجراء تجارب على عينات من التربة بواسطة جهاز توصيل كهربائي لقياس ملوحة التربة ، وذلك في معمل محطة التجارب الزراعية .





اقيمت في القطيف شبكة مصارف رئيسية بعد ان تعرضت التربة لزيادة الملوحة مما تسبب عنه موت الكثير من المزروعات واهمها النخيل . ولكن انشاء شبكة المصارف خفض ملوحة التربة ، وادى الى عودة الحياة الى الزراعة فيها .



في منزل مدير محطة التـ
عبد الرحمن محمد الشنيان ،
المخصصة للمهندسين في مـ
المهندسين داخل المحطة القر



تقع محطة التجارب الزراعية في القطيف بين بلدتي سيهات والقطيف وهي مقامة على مساحة تزيد على ٢٠٠ فدان (٩٥ هكتارا) وتضم المحطة مباني الادارة وكذلك مساكن المهندسين الزراعيين .

ليعرضوها للبيع ، ويشتروا ما يحتاجون اليه من محلات المدينة والتي تنتظر هذا اليوم من كل اسبوع بلهفة شديدة ، وخاصة بعد ان اغلق ميناء القطيف ، والذى كان مصدرا لرواج الحركة التجارية فيها .

متحف في بيت !

عندما تساءلنا عن آثار القطيف ، اجمع كل من سألناه على ان نقوم بزيارة لمنزل محمد الفارس رئيس بلدية القطيف السابق ، واحد جامعي الآثار القديمة لحضارة هجر والقطيف ... قالوا لنا ستشاهدون في منزله اكبر متحف خاص لآثار المنطقة .. ومن خلال الزيارة القصيرة لمنزل محمد الفارس شاهدنا الكثير من الابواب الأثرية التي كانت موجودة في قلعة القطيف ، ومسجلا عليها تاريخ عملها .. وكذلك السيوف الذهبية القديمة .. وآثارا من ايام الاتراك ، ومن ايام البرتغاليين .. كلها تروى قصة تاريخ القطيف الطويل .

ويحتفظ محمد الفارس في متحفه بمجموعة من النقود الذهبية تعتبر فريدة في نوعها .. وهي تضم بعض المسكوكات الذهبية من ايام الحسين ابن علي . والى جانب التحف توجد ايضا بعض المخطوطات العربية القديمة التي تروى تاريخ القطيف وتاروت ودارين .

القرامطة .. ونقل الحجر الأسود

وتطرق الحديث عن تاريخ القطيف الى القرامطة وقصة سرقة الحجر الأسود من الكعبة الشريفة ، ونقله الى القطيف .

وتساءلنا عن المكان الذى نقل اليه الحجر الأسود، وحيث بنى القرامطة ما حاولوا ان يجعلوه بديلا للكعبة المكرمة .

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا الى ذلك المكان الذى نقل اليه الحجر الأسود ، وهو يقع على بعد حوالي ٨ كيلومترات من القطيف . والوصول الى هذا المكان صعب للغاية ، استغرق منا اكثر من نصف ساعة سيرا على الأقدام وسط الرمال بعد ان وصلنا بالسيارة الى اقرب نقطة الى هذا الموقع على الطريق المعبد .

وبين اشجار النخيل وسط المزارع وجدنا اسوار



زراعيــة المهنـدس الزراعـــي
ـورة طبق الاصل من بقية المنازل
تجارب الزراعية . ويتيح سكن
اشراف على تجاربهم ليلا ونهارا.



واحد من حقول التجارب الـ ٢٧ والتي يتم اجراء التجارب الزراعية فيها داخل محطة التجارب الزراعية . وتمثل الصورة تجارب زراعة البنجر . وقد نجحت زراعة هذا النوع في تربة القطيف مما ادى الى التفكير في اقامة مصنع لانتاج السكر من

بئر عالية ، الماء لا يزال في البئر ، وحدد دليلنا مكان هذه البئر موقعا للكعبة التي اراد القرامطة ان يصطنعوها .

وعاد بنا الخيال الى ابي طاهر القرمطي الذى زين له الشيطان ان يجعل من منطقة هجر (الاسم العربي القديم لمنطقـة القطيف وبعض المناطـق المجاورة لها) وارثة لمكة ، فهاجم البلد الحرام اثناء موسم الحج عام ٣١٧ هـ ، ودخل مكة في ٩٠٠ من انصاره ، وقتل امير الكعبة ، وفتك بالوف الحجيج في المسجد الحرام ، وقلع باب الكعبة . ثم انتزع الحجر الاسود ، واعتلى سطح البيت العتيق وهو يصيح :

انا باللــه وباللـه انـــا
يخلق الخلق وافنيهم انـــا !

واقام ابو طاهر القرمطي في مكة ستة ايام ، ثم عاد الى هجر (القطيف) يحمل الحجر الاسود . وبقي الحجر الاسود في كعبتهم المزعومة لمدة ٢٢ عاما حتى اعاده القرامطة سرا الى مكة عام ٣٣٩ هـ .

وتطلعنا الى هذا المكان الذى شهد واحدة من اهم احداث التاريخ الاسلامي .. وفوجئنا بدليلنا يحدثنا عن النخيل الذى اطلق عليه القرامطة الصفا والمروة ، وكانوا يسعون بينه تشبها بالسعي بين الصفا والمروة في الحرم المكي الشريف !!

التجارب الزراعية في القطيف

وشهرة القطيف الزراعية لا تقل قدما عن تاريخها الشهير .. ففيها قيل المثل العربي القديم « كجالب التمر الى هجر » . كناية عن شهرتها في انتاج التمور ... وقد اقيم في منطقة القطيف واحدة من اكبر محطات التجارب الزراعية في المملكة العربية السعودية ، وذلك نظرا لاهمية المنطقة الزراعية ، وجريا على تنفيذ سياسة التوســـع الزراعي في المملكة .

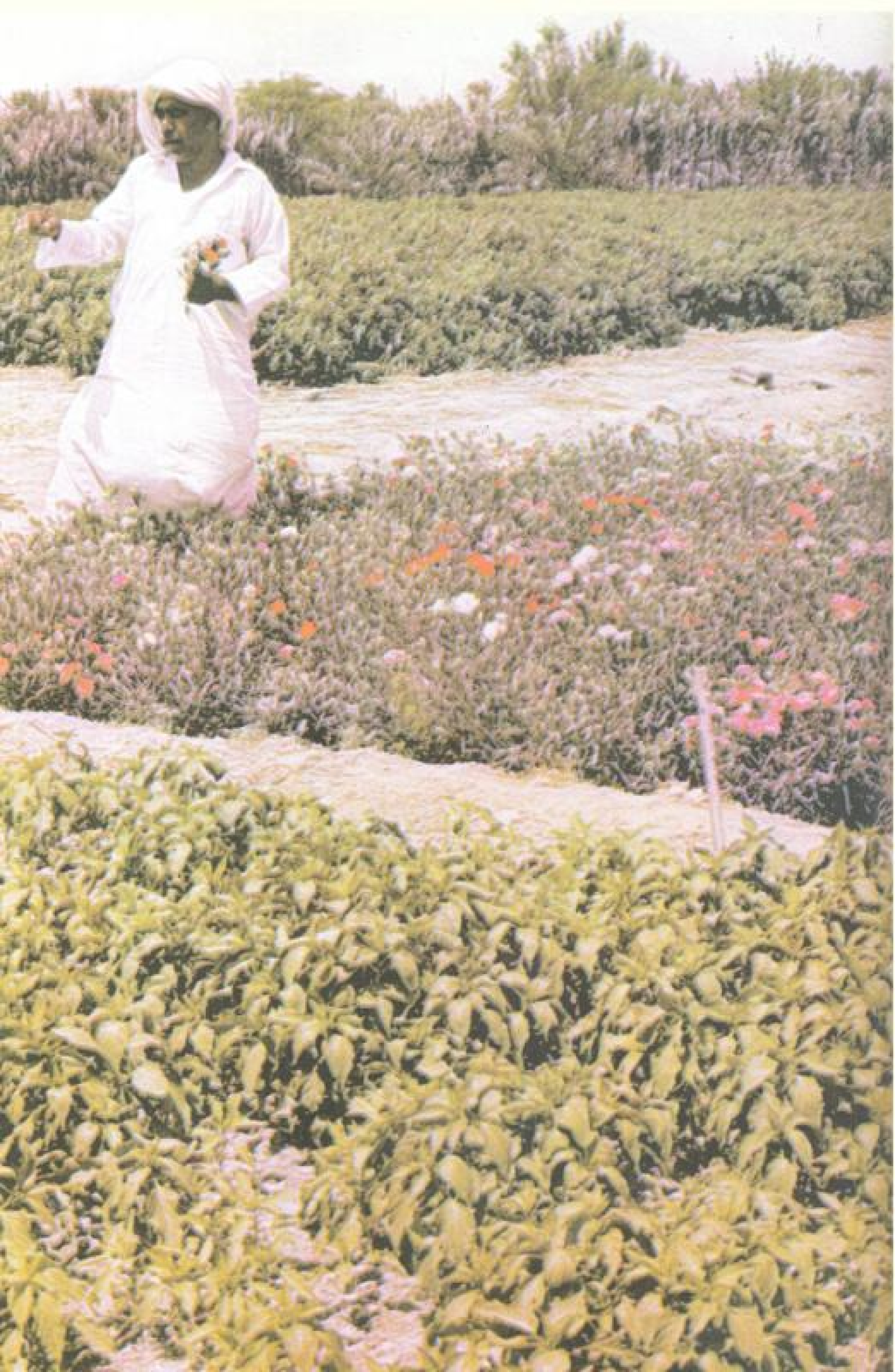
ويعود تاريخ انشاء هذه المحطة الى شهر يونيو عام ١٩٦٣ نتيجة اتفاقية بين المملكة العربيـة السعودية ومنظمة الزراعة والاغذية الدولية ، والصندوق الخاص التابعين للامم المتحدة . وفي بداية الامر عهدت منظمة الزراعة والاغذية الى شركة هولندية بانشاء وادارة هذه المحطة .وبقيت الشركة الهولندية تشرف على محطـة التجارب







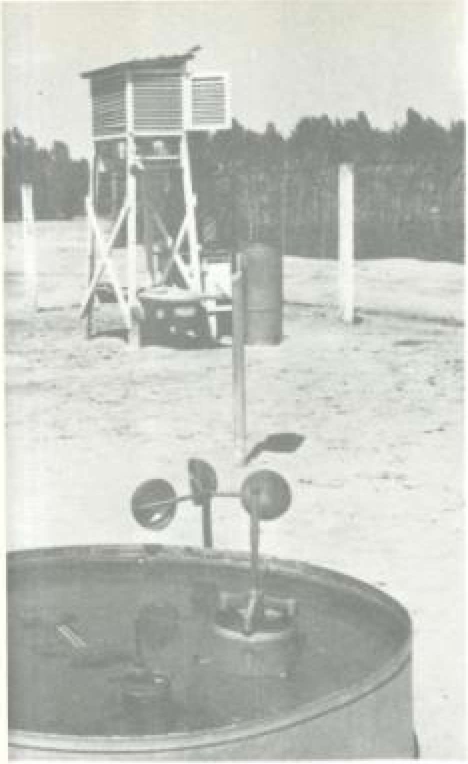
قبل انشاء محطة التجارب الزراعية لم تكن زراعة الخضراوات والفواكه والزهور معروفة في منطقة القطيف ، وكان الاعتماد الاساسي على النخيل فقط . وقام رجال المحطة بانشاء حقول تجريبية على كثير من انواع الخضراوات ، وادى تجاح هذه التجارب الى اقبال الأهالي على تطوير زراعاتهم حتى اصبح انتاج المنطقة من الخضراوات يكفيها بل ويصدر بعضه الى المناطق المجاورة . وتمثل **الصورة الأولى الى اليمين:** حقل تجارب لزراعة الطماطم وهو تابع لمحطة الأبحاث الزراعية . **والصورة الثانية الى اليمين** احد حقول الكوسا بينما العمال الزراعيون يقومون بجمع المحصول ووزنه لمعرفة معدلات الانتاج . **والصورة الثالثة** لأحد مزارع الموز الذي نجحت زراعته في المنطقة . **والصورة الى اليسار** تمثل احد المزارعين الذين يسترشدون بخبرة مهندسي محطة التجارب الزراعية وقد قام بزراعة الزهور لبيعها في الظهران والدمام والخبر ، وقد درت عملية زراعة الزهور ارباحا اكثر من ارباح الزراعات التقليدية .



الزراعية حتى ١٩٦٩ ، ومنذ ذلك الحين تسلمتها وزارة الزراعة السعودية . وحل المهندسون الزراعيون السعوديون محل المهندسين الاجانب ، واستعانوا ببعض الخبراء العرب .

وتبلغ مساحةمحطة التجارب الزراعيةفي القطيف ما يزيد على ٢٠٠ فدان (٩٥ هكتارا) . وقد قسمت المزرعة الى ٢٧ حقلا معدل مساحة كل منها ٧ افدنة (٣ هكتارات) .

ويتم ري مزرعة محطة التجارب بواسطة ثلاث ابار ارتوازية ، وجميع قنوات الري مبطنة بالاسمنت وهناك نظامان للصرف ، مصارف مفتوحة ، وهي متصلة بجهاز الصرف الرئيسي لواحة القطيف . ومصارف مغطاة عبارة عن انابيب بلاستيكية صلبة مشققة قطرها ٤ سم وبها ٦٠ شقا في المتر الواحد ، وتصب هذه الانابيب في المصارف الرئيسية ، وتستعمل فقط حيث يسوء الصرف ، وتوضع هذه الانابيب في ازواج باطوال تختلف بين ١٢٠ ـ ٢٠٠ متر بانحدار يتراوح بين ٠٫٢ ـ ٠٫٦ ٪ على عمق واحد الى ١٫٨ متر حسب مستوى الماء في المصرف الرئيسي المفتوح وحسب الطول الكلي للانابيب .



محطة ارصاد جوية صغيرة ، توجد داخل محطة التجارب ، وذلك لتسجيل اختلاف درجات الحرارة والرطوبة وسرعة الرياح لمعرفة تأثير هذه العوامل الجوية على مختلف المزروعات .

تجارب استصلاح ارض القطيف

وكانت اراضي القطيف الزراعية (حوالي ١١ الف فدان) قد بدأت في التدهور من ناحية الخصوبة بسبب زيادة الملوحة في الارض . وكان اول عمل تم في الارض بعد اقامة مشروع الري والصرف هو عملية غسل الارض حتى قلت ملوحتها .

مروحة هوائية تعمل على الاحتفاظ بمنسوب المياه في قنوات الري المصنوعة من الاسمنت والتي انشئت في حقول التجارب الزراعية بالقطيف .







شبكة قنوات الرى في محطة التجارب الزراعية ، وتعتمد على المياه الجوفية . وقد اقيمت هناك الات لضخ المياه كما اقيمت شبكتا مصارف مغطاة واخرى مكشوفة لتحسين عوامل الرى والصرف .

وبعد ان اعدت الأرض الزراعية التابعة لمحطة التجارب للزراعة تم تقسيمها الى حقول ، خصص كل منها لاجراء تجربة على نوع معين من الخضراوات والفواكه . وتختص محطة التجارب هناك بهذه الأبحاث الى جوار ابحاث النخيل . حيث ان هناك في المملكة اربع محطات تجارب اخرى تختص كل منها بنوع معين من البحوث .

١٨ بحثا جديدا عن الخضراوات

ومن الصدف القريبة اننا وجدنا عند زيارتنا لمحطة التجارب الزراعية بالقطيف مؤتمرا علميا لدراسة ابحاث الخضر والنخيل التي قامت بها المحطة خلال السنوات الثلاث الأخيرة . وقد تم الاجتماع برئاسة الدكتور محمد السعدى مدير عام الأبحاث والتنمية الزراعية في المملكة العربية السعودية . وحضرة عدد كبير من خبراء الزراعة السعوديين والعرب .

وقد ناقش المؤتمر ١٨ بحثا جديدا عن زراعة الخضراوات من بينها بحوث عن تقييم أصناف الخيار المستوردة ، والسبانخ ، والملفوف ، والبزر . والبصل ، والطماطم ، والبطاطس ، وتأثير مواعيد الزراعة سواء مبكرة او متاخرة على المحصول ، وكذلك تأثير الأسمدة العضوية والنتروجينية والفوسفورية على مختلف المحاصيل في تربة القطيف بالذات .

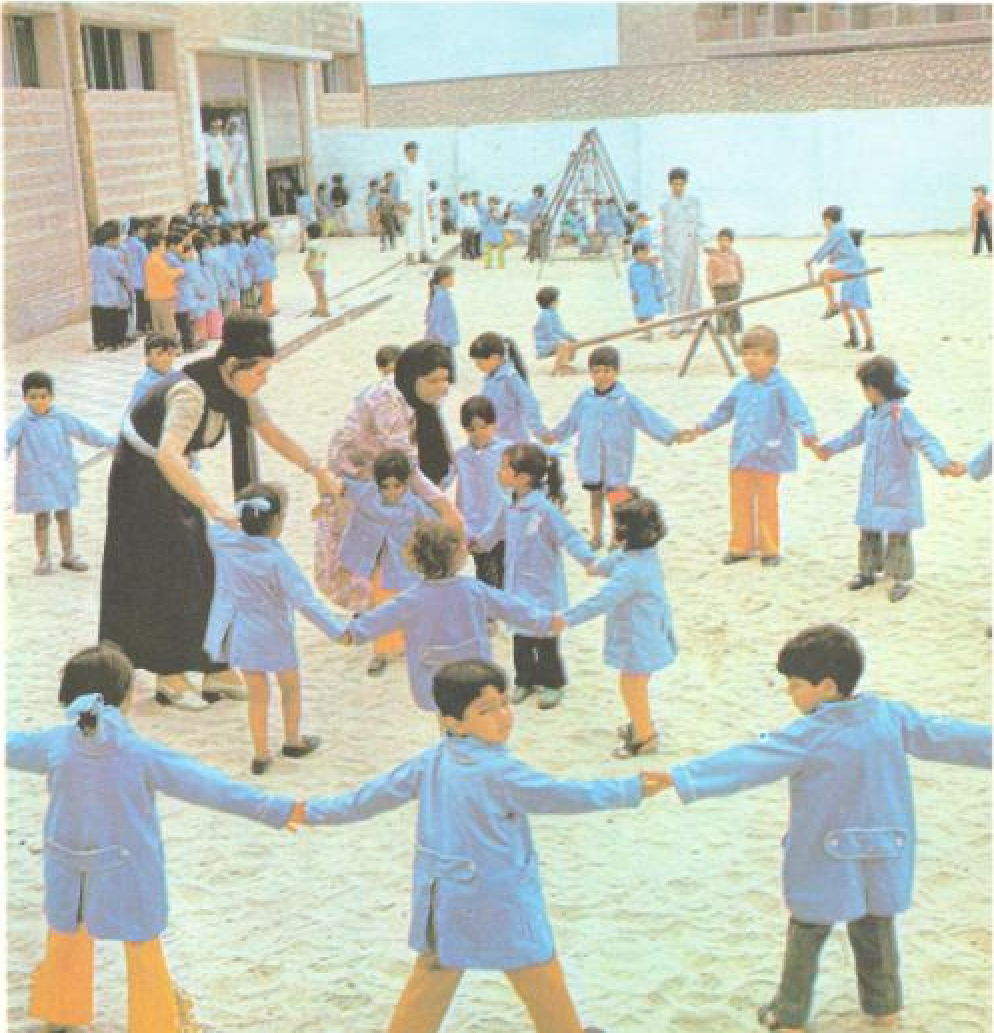
الدور الذى تلعبه محطات التجارب الزراعية

وتحدثنا مع الدكتور محمد السعدى مدير الأبحاث الزراعية ، والمهندس الزراعي عبد الرحمن



الى اليمين : بعض طلبة المدارس في القطيف يلتفون حول خريطة مجسمة للمملكة العربية السعودية قام طلبة المدرسة الثانوية هنالك بعملها وهي معروضة في معرض النشاط المدرسي هناك

الى اسفل : في روضة الاطفال التابعة لمركز الخدمة الاجتماعية ، التلاميذ والتلميذات يلعبون تحت اشراف مدرساتهم .





طفل يجلس بين طفلتين في احد فصول روضة أطفال القطيف ، ان التعليم مشترك في هذه المرحلة ، ويقبل الاهالي على تعليم أبنائهم وبناتهم .

اجتماع اللجنة الاهلية المشرفة على النشاط الاجتماعي في القطيف وهي تضم عشرة اعضاء من اهالي المدينة وتشرف على مشروعات مركز الخدمة الاجتماعية .





صناعة الحصر (المدات) واحدة من الصناعات اليدوية التقليدية الباقية في القطيف وتعتمد على سعف النخل .

محمد النتيان مدير محطة التجارب الزراعية بالقطيف عن الدور الذى تلعبه هذه المحطات بالنسبة للتنمية الزراعية في المملكة العربية السعودية . ومن هذا الحديث خرجنا بالحقائق الآتية :

ـ اجراء بحوث على البذور الجديدة والسلالات الحيوانية ، التي تتلاءم مع البيئة وذلك تمهيدا لنشرها على نطاق الجزيرة العربية .

ـ انشاء حقول نموذجية تكون بمثابة نماذج ارشادية للمزارعين ، وتشجعهم على استعمال الطرق الحديثة في الزراعة . ومن بينها الميكنة الزراعية .

ـ دراسة احتياجات المحاصيل المختلفة من الماء وتقنين هذه الكميات بحيث لا تضيع الثروة المائية هدرا .

ـ ادخال محاصيل جديدة الى البلاد ، وعلى سبيل المثال لا الحصر زراعة الأرز في منطقة الاحساء . وهناك الآن تجارب تجرى بمعونة خبراء في هذه المنطقة . كما ان هناك تجارب تجرى على زراعة القطن والسمسم والذرة في منطقة جيزان .

ـ تشجيع الصناعات الزراعية وخاصة الصناعات المتعلقة بالتمور حيث ان المملكة العربية السعودية فيها ما يزيد على ٨ ملايين نخلة ويبلغ قيمة انتاجها ١٢٠ مليون ريال سنويا .

ولتحقيق هذه الأهداف بدأت وزارة الزراعة في اتخاذ خطوات عملية من بينها العمل على زيادة

الآثار الباقية من قلعة تاروت وهي ان دلت على شيء فانما تدل على عراقة هذه المنطقة تاريخيا وحضاريا .





صناعة الفخار وهي أيضا من الصناعات اليدوية التي لا تزال منتشرة في منطقة القطيف وذلك لوجود الطينة الصالحة لصناعة الفخار .



في القطيف تنتشر مزارع الدواجن الكبيرة وهناك اكثر من مزرعة تضم الواحدة منها اكثر من ١٠ آلاف دجاجة

الثروة المائية بانشاء سدود مثل جيزان . وكذلك قررت بيع جميع الآلات الزراعية المملوكة لوزارة الزراعة للمزارعين باسعار رمزية . وقررت ايضا ان تتحمل الدولة ٥٠٪ من ثمن الأسمدة الكيماوية التي يتم استيرادها من الخارج ، والخدمات الزراعية كلها مجانا مثل رش المحصولات بالمبيدات الحشرية ، او تطعيم الحيوانات وغير ذلك .

معمل ومحطة ارصاد

ويعيش المهندسون في محطة التجارب الزراعية بالقطيف في منازل صغيرة اقيمت خصيصا لهم داخل المحطة هناك حديقة غناء ونادي به حمام للسباحة . وذلك لتوفير وسائل العيش المريح لهم. وفي المحطة معمل لدراسة وتحليل التربة ومعرفة درجة ملوحتها . وكذلك محطة ارصاد صغيرة لتسجيل درجات الحرارة والرطوبة وسرعة الرياح وغير ذلك من المعلومات التي تلزم للبحث العلمي الذي يقوم به المهندسون الزراعيون . وقد ادت محطة التجارب خدمات كثيرة للمزارعين في القطيف ونتيجة لنشاطاتها تم انقاذ عدد كبير من مزارع النخيل من الهلاك . ودخلت زراعات جديدة على المنطقة من بينها زراعة الموز ، كما ازداد انتاج العنب وتحسنت نوعيته . واقبل المزارعون على الاستعانة بخبرات المهندسين الزراعيين ، فانشأ البعض منهم خلايا للنحل ، ومزارع للدواجن وحظائر لتربية الأبقار . وهكذا بدأت محطة القطيف تؤدي الغرض من انشائها .

عودة الى التاريخ

بعد ان انتهت زيارتنا لمحطة التجارب الزراعية في القطيف ، انتقلنا الى جزيرة تاروت ، تلك الجزيرة التي تضم الكثير من الآثار القديمة .. ويربط بين الجزيرة والقطيف الآن طريق ترابي وسط ميناء الخليج انشىء منذ اعوام لا تزيد على الخمسة ، وتضم هذه الجزيرة) قرى هي تاروت ، وسنابس ، والزور ، ودارين . ولا يزيد تعداد سكان الجزيرة كلها عن ١٥ الف نسمة . ويوجد في تاروت آثار للقلعة القديمة ، وقد نقل العديد من الآثار التي عثر عليها الى جامعة الرياض . كما عثر مؤخرا على تمثال ذهبي لعشتاروت معبودة الفينيقيين . اما عن بلدة تاروت في حالتها الراهنة فهي لا تقارن بما كان لها من تاريخ .

دارين ذهب المجد وبقيت الذكريات

وتعتبر « دارين » من اشهر المدن في تاريخ



الى اليسار : قصر محمد عبدالوهاب باشا أحد كبار تجار اللؤلؤ في جزيرة دارين لم يبق منه سوى آثار تدل على مجد دارين الغابر .

الى اسفل : بعض الصيادين من أهالي « دارين » يقومون بصيد الأسماك ، وهو العمل الوحيد الباقي لهم بعد أن تحولت مدينتهم التاريخية الى قـرية ساحلية صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ٣٥٠٠ نسمة.

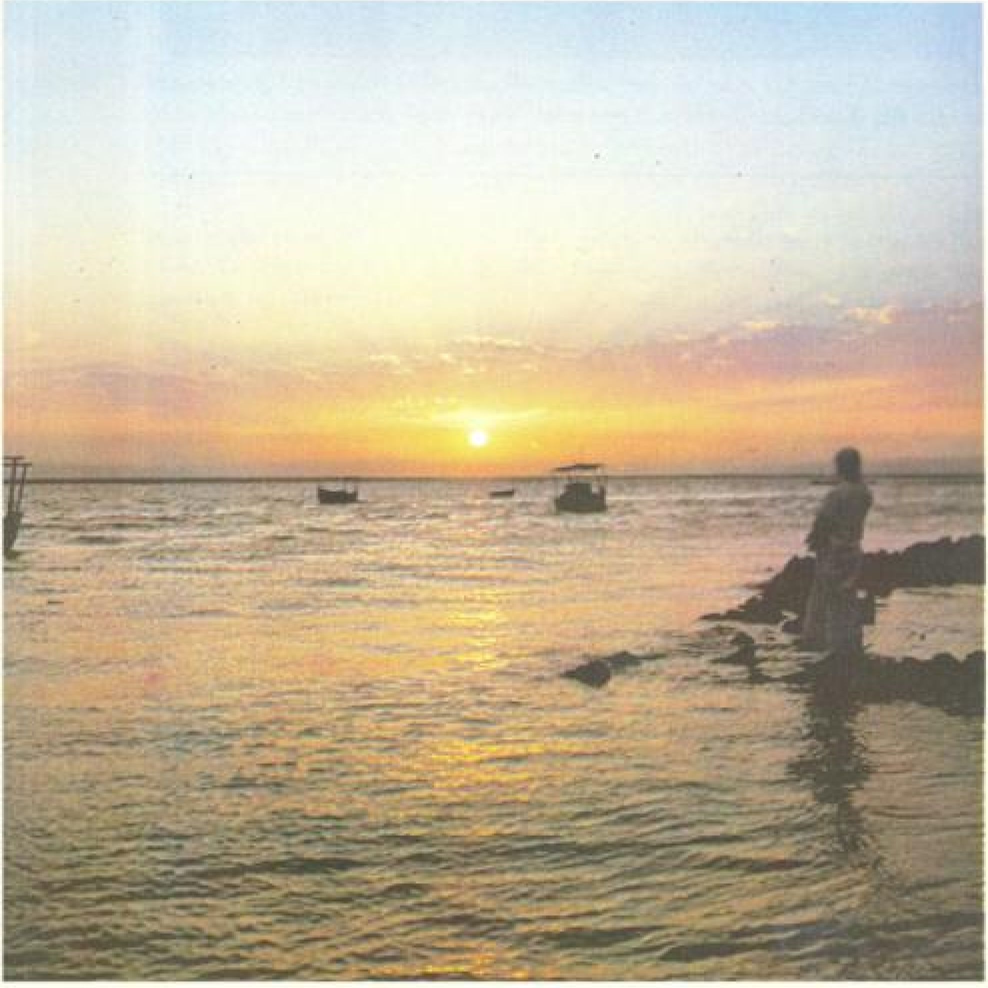


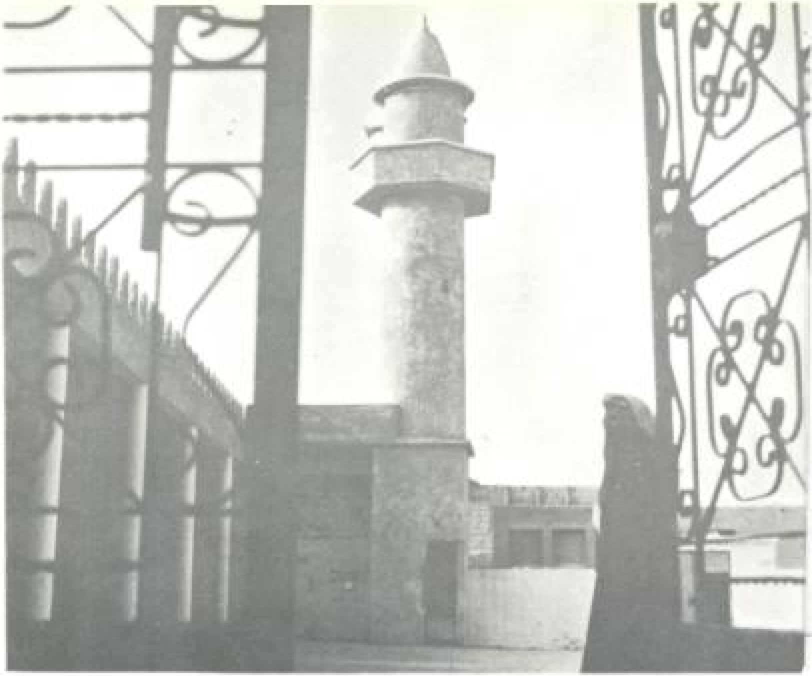
الى اسفل : من أعلى القلعة التي لا تزال آثارها قائمة في تاروت ، التقطت هذه الصورة للمدينة الصغيرة، والتي لها في التاريخ أصول عريقة .





الى أعلى : مراكب الصيد تقف أمام « دارين » ذلك الميناء القديم الذى كان يقصده صيادو اللؤلؤ وتجاره من كافة أنحاء الخليج العربى .. ووراء هذه المراكب ظهرت مبانى دارين كلها بعد أن اضمحل شأنها وأصبحت مجرد بلدة لها ذكريات تاريخية وماض بلا مستقبل ، **والى أسفل** الشمس تغيب وراء الافق ، بينما أحد اهالى دارين يرقب غروب الشمس ، وكأنه يتذكر شمس دارين الغاربة .





جامع حديث في « دارين » الميناء التاريخي العريق الذى تحول الى مجرد قرية صغيرة لا يقطنها سوى عدد من صيادى الاسماك . وقد قام بانشاء هذا الجامع مجموعة من تجار الكويت الذين لا يزالون يذكرون تاريخ « دارين » القديم .

العرب ، وقد وصفها ياقوت الحموى في كتابه « معجم البلدان » « بانها فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند » .

وقد كانت دارين في الماضي مرفا تجاريا هاما ، وكانت تعتبر همزة وصل بين تجارة الشرق والغرب . واشتهرت باستيرادها البضائع من الهند ، وبما يردها من التوابل والعطور .

واستمرت اهمية دارين في القرن الماضي بصفتها من اهم موانىء صيد اللؤلؤ ، ومركزا هاما من مراكز تجارته . وكانَ صيادو اللؤلؤ يترددون عليها من كافة انحاء الخليج . ولا يزال هناك الآن عدة آثار تشهد بتاريخ هذه البلدة من بينها بقايا قصر محمد عبد الوهاب باشا ، وكان من اكبر تجار اللؤلؤ في المنطقة منذ نحو ١٠٠ عام . ولم يبق من هذا القصر الذى ترددت الأقوال في فخامته سوى اطلال .

وقد اصبح عدد سكان دارين الآن لايزيد عن ٢٥٠٠ نسمة اغلبهم يعمل في صيد الاسماك .

وبالرغم من حاضرها الصعب الا ان أهلها لا يزالون يعيشون في ذكريات الماضي ، ويتطلعون الى الى المستقبل ، لعل وعسى ان يسترجعوا جزءا من امجاد ماضيهم .. وهم دائما يتمثلون بابيات الأعشى التي قالها عن مدينتهم ..

★ ★ ★

وغادرنا « دارين » .. الى القطيف .. بعد ان شاهدنا الصيادين يخرجون الى البحر سعيا وراء رزقهم .. ساعة غروب الشمس بقرصها الذهبي وهى تضفي على مياه الخليج لونا ذهبيا براقا ..

وعندما حلقت بنا الطائرة من مطار الظهران في طريق عودتنا الى الكويت .. القينا نظرة وداع على الواحة الخضراء .. واحة القطيف .. التي تجمع بين الماضي التاريخي الطويل .. والمستقبل الذى بدا مع تدفق النفط ، وعودة الحياة من جديد الى ساحل الذهب الأسود . ■■

محمد طنطاوى



طبيب الأسرة

يجيب عليها نخبة من الاطباء

العرق أثناء الاكل .. يزداد مع مرض البول السكري

● الاحظ اثناء الاكل ان هناك عرقا غزيرا على الوجه فما سبب هذا وما علاجه ؟

ـ يلاحظ ان بعض الافراد يتصببون عرقا عند تناولهم اطعمة خاصة مثل المأكولات الحريفة وبعض أنواع الجبن او الشوكولاتة او المشروبات الروحية او غيرها ، على أنه يوجد هناك بعض امراض تصيب الأعصاب فى الوجه فتسبب عرقا غزيرا أثناء تناول الطعام منها التهاب العصب أمام الأذن او اصابة العصب تحت الفك او أثناء عبوره الغدة النكفية . وهناك بعض امراض للجهاز العصبى نادرة الحدوث يحدث منها العرق اثناء الأكل .

على أنه قد وجد ان بعض المصابين بمرض البول السكرى يعانون من عرق غزير فى الوجه والرقبة ربما تساقط على الصدر أثناء الطعام بل وان بعضا منهم تكون بيده منشفة يستعملها أثناء تناوله الطعام . ويرجع السبب فى ذلك الى وجود التهابات فى الأعصاب نتيجة لمرض البول السكرى .

والعلاج فى هذه الحالات هو معرفة السبب وعلاجه والابتعاد عن المواد التى تسبب حساسية للشخص وبالتالى تسبب له العرق وفى بعض الحالات وجد ان المركبات التى تعمل عمل الاتروبين تقلل من انصباب العرق اثناء الأكل مثل بروبانتين وانترانيل Probanthin - Antranly وما شابهها .

نوبات الربو .. لها مواسم تكثر فيها

● تعترينى نوبات شديدة من الربو فى شهر ابريل (نيسان) ثم تعاودنى فى الشتاء ، فهل لذلك من سبب وهل هناك علاج قاطع لهذه النوبات .

ـ من الملاحظ أن نوبات الربو لها مواسم تكثر فيها فتزداد النوبات حدة وعددا لأن أسباب الربو متنوعة ومن بينها امراض الحساسية من الزهور والعطور والمأكولات والاتربة والأدوية المختلفة، ثم هناك الالتهابات التى تحدث فى أعلى الجهاز التنفسى وتنتشر الى الشعيبات الهوائية مسببة نوبات ربوية . ، وهناك الاضطرابات النفسية التى تعترى اصحاب الربو من آن الى آخر فتؤثر

فيهم ، وفوق ذلك الاستعداد الشخصي لهذه النوبات .

ومن الواضح انه فى شهر ابريل فى الربيع تكثر الزهور وحبوب اللقاح تنتشر فى الجو والاشجار تزهر ، فيساعد ذلك على حدوث النوبات لأن أمراض الحساسية تزداد فى هذا الشهر . اما فى الشتاء فيتعرض الانسان لنوبات زكام او التهاب فى الشعب الهوائية وهى نزلات شعبية حادة سرعان ما تذهب الى الشعيبات مسببة نوبات الربو . لذا كان من الواجب الاحتراس فى هذين الموسمين من العام لذا نرى استئصال الاشجار التى تسبب الحساسية من البيت اذا كانت موجودة ، او اخذ الامصال المضادة للوقاية من الحساسية بالتدريج الى ان يتعود الجسم . وكذلك الابتعاد عن الأجواء المكتظة بالناس قدر الامكان حتى لا يتعرض الشخص لزكام او النزلات الشعبية ، واذا حدث ان اصيب فليلزم الفراش بسرعة ويأخذ العلاج القوى الناجع بما فى ذلك المضادات الحيوية ليقى نفسه شر نوبات الربو الحادة .

حساسية الكولونيا .. ما هى .. وما علاجها ؟

● ظهرت لطع بنية اللون على رقبتي مضى عليها أكثر من شهر ولم تختف ، واخبرني الطبيب انها حساسية للكولونيا ، فما هى هذه الحساسية ، وهل هناك امل فى اختفائها ؟

– ان هذه الحساسية كثيرة الحدوث خاصة فى النساء تسمى BerloqueDermatiti: وهى عبارة عن تلوث فى الجلد يحدث على شكل نقط او رقع او قد تأخذ اشكالا مختلفة يختلف لونها من البنى الفاتح الى البنى الغامق ، وتلاحظ عادة بعد استعمال الكولونيا ثم اخذ حمام شمسى او النزول الى البحر او استعمال الأشعة البنفسجية . وهذا المرض يحدث من فرط الحساسية الضوئية الموضعية نتيجة استعمال بعض الزيوت Essential oils خاصة زيت البرجاموت المستعمل فى ماء الكولونيا او العطور ، وكذلك زيت الليمون اللافندر ، وغيرها من الزيوت المستعملة فى كثير من ماء التواليت والعطور ، والكريمات ، ومواد الزينة ، ولذلك نجد ان الاماكن المعرضة للاصابة عادة تكون فى جوانب الرقبة ، مثل الوجه ، الذراعين ، الابط ، الا ان اى جزء فى الجسم ممكن ان يتعرض للاصابة .

كما ان زيادة الحساسية الضوئية قد تنتج كذلك من منتجات القطران ، وعصير بعض النباتات مثل التين والمانجة ؛ واحيانا نجد استعمال البنزين او الكحول فى بعض الاشخاص موضعيا قد يؤدى الى تلون مشابه على الجلد وقد يظهر التلون باللون البنى كظاهرة وحيدة للمرض بدون اية عوارض اخرى ، او قد يكون مسبوقا او مصحوبا باحمرار او حتى بالتهاب شديد بالجلد ، وقد يستمر هذا التلون لفترة طويلة تمتد الى عدة شهور وتختفى تدريجيا .

ولعلاج هذه الحالة يجب الامتناع عن



استعمال الكولونيا والمواد المعطرة ، واذا كان التلون بدون اي احمرار او مضاعفات يترك لحاله ويختفي تدريجيا خلال بضعة اسابيع ، وان كان هناك احمرار او حكة تستعمل الدهانات الملطفة مثل دهان الزنك او الكورتيزون ، ويمكن استعمال الكريمات المبيضة Bleaching Creams .

النمش هل هو مرض معد ؟

● ظهرت في ابنتي البالغة من العمر سبع سنوات بقع صفيرة في وجهها اخذت في الازدياد ، وعرفت انها نمش، فهل هى معدية،وهل من الممكن علاجها؟

ـ النمش Freckles عبارة عن بقع صغيرة ذات لون اصفر او بني فاتح او غامق تظهر على الجلد في المناطق المعرضة للشمس والضوء ، وعادة تحدث نتيجة التعرض للشمس ، لذلك تزداد في الصيف او عقب التعرض للاشعه البنفسجية او اشعة اكس . تخف واحيانا قد تختفي في الشتاء . والنمش يظهر على شكل بقع او نقط متناثرة او على شكل تجمعات ، وتنتشر في الشقر ذوى العيون الزرقاء عنه في الملونين . ولكنها توجد بصفة خاصة في المولدين ، وتختلف في الحجم من واحد الى بضعة مليمترات في اشكال متجانسة في المناطق المكشوفة من الجسم واكثر الاجزاء تعرضا هى الوجه والرقبة وظهر اليدين، وعادة تبدأ في سن الطفولة عند حوالى ٦ ـ ٨ سنوات وتستمر بقية الحياة وتزداد كل صيف ولكنها ليست معدية وليس في وجودها اى ضرر ، وهنالك العامل الوراثي في حدوثها حيث انه لوحظ انها احيانا تحدث في التوائم وحتى في نفس الاجزاء المتشابهة من الجسم .

وهناك مرض آخر عبارة عن بثور عدسية مشابهة للنمش وتسمى Lentigens يجب التفرقة بينهما حيث ان هذه عبارة عن شامة تشبه في شكلها النمش ، ولكنها توجد منذ الولادة ، اغمق في اللون ، وتنتشر كذلك في الأماكن



المغطاة من الجسم ،ولا يؤثر فيها الصيف او الشتاء .

وفي العلاج يجب استعمال الملابس البيضاء في الصيف التي تعكس اشعة الشمس ، كما انه يجب عدم التعرض للشمس واستعمال الكريمات المضادة الشمس او المحتوية على حمض التنيك او Paran Aminobenzoic ولعلاج بقع النمش يعمل مس بمواد كاوية مثل الفينول حتى تتكون قشرة تسقط ويظهر تحتها جلد طبيعى اللون،كذلك استعمال مرهم مثل بينوكوين Benoquin قد يساعد على ذلك ولكن يجب العناية اثناء المس حيث ان هذه المراهم قد تلهب الجلد ، كما انه يجب مس عدد بسيط من البقع في كل جلسة ، وليس الجميع دفعة واحدة خوفا من امتصاص الفينول وحدوث مضاعفات .

أساطيل للعرب في البحر المتوسط

رصدها البحتري، وابن هانئ، وسائر الشعراء

بقلم: الدكتور نصرت عبد الرحمن

■ لا مراء أن المسلمين في القرن الثالث الهجري كانوا سادة البحر المتوسط، وأن اساطيلهم كانت من القوة والضخامة بحيث يبدو اسطول البيزنطيين امامها واهنا لا حول له ولا طول. كانت الأساطيل العربية الاسلامية في ذاك القرن تجوب البحر المتوسط في زهو وخيلاء، وتمخر عُبابه من شرقه وغربه وقلبه، وتحطّ قلاعها التي شاءت من جزره الكثيرة، فقبرس ورودس وكريت وصقلية ومالطة وكورسيكة وسردينية وجزر البليار في يد العرب والمسلمين، تخفق عليها رايتهم، وترفرف فوق ذراها بنودهم. حتى يمكننا ان نقول — دون مبالغة — ان البحر المتوسط قد غدا بحيرة عربية اسلامية.

وعلى الرغم من وفرة المعارك التي كانت تقع بين الأساطيل الاسلامية والأسطول البيزنطي، كانت حصيلة هذه المعارك في الشعر تبدو متواضعة فليس بين أيدينا — أو ليس بين يديّ — الا قصيدة واحدة للبحتري.

قصيدة البحتري

وقصيدة البحتري في امير البحر، أحمد بن دينار. وقد عرفنا انه امير البحر لا من كتب التاريخ العربية، فهي لا تحكي عن ابن دينار شيئاً وانما من البحتري الذي مدحه ببيتين ذكر فيهما ممدوحه امير البحر:

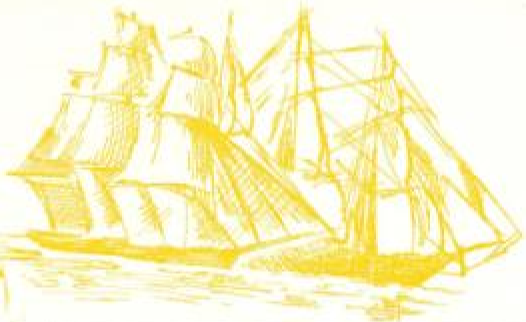
قلْ لابن دينارٍ رَميلِ القَطْرِ
إذا استهلَّ بالنَّوالِ الغَمْرِ
يكذبُ ظَنّي أو يَخيبُ شِعْري
وأنتَ بحرٌ وأميرُ البَحْرِ

ولكن يبدو أن البيزنطيين كانوا يعرفون ابن دينار، فقد كانوا يسمونه « أبا دينار » وهي كنية قريبة من ابن دينار، فما زلنا حتى الوقت الحاضر نكنّي الرجل باسم والده.

ويبدو ان ابن دينار كان اميرا للبحر زمن المعتصم، فان فازيليف Vasyliyev ينقل الينا: (ان العرب بعد ان هزموا الروم في عَمّوريّة، ارادوا ان يهزموهم مرة أخرى في البحر فمكثوا سنين يبنون اسطولاً ويعدّونه، حتى كان عام ٨٤٢ م، فولوا قائدا عربيا اسمه « أبو دينار » على أسطول مؤلف من اربعمائة سفينة وابحروا نحو القسطنطينية، ولكن عاصفة ادركت الاسطول العربي فاغرقته. فلم يعد منه الا سبع سفن) (١).

---

(١) العرب والروم: ص ١٧٠





ولكن « كانار » Canard يجعل تلك الحملة زمن المتوكل رداً على حملة البيزنطين على دمياط في مصر ، ويذكر ان الاسطول العربى قد هلك بسبب الاعصار والعواصف البحرية . (٢)

واخال ان قصيدة البحترى لا تنطبق على الحملة البحرية التى ارخها فازيليف وكانار فكلاهما يذكر ان اسطول ابن دينار قد اهلكه الاعصار ، ولا يذكر انه قد هزم البيزنطيين . ولكن البحترى ، يتحدث في قصيدته عن هزيمتهم ، ولا استطيع ان اتهمه بتزييف التاريخ ، حين ذكر هزيمة البيزنطيين وهم لم يهزموا ، فليس من طبيعة شعراء العرب أن يزيفوا التاريخ . ولا اقوى على اتهام البحترى بانه قد اسبغ البطولة على من خرج للحرب باربعمائة سفينة وعاد بسبع ، فالبحترى وغيره من الشعراء كانوا يمنحون البطولة لرجالها ، ويصورون بطولتهم عند النصر ويسكتون عن هزائمهم حتى يوم تكون الطبيعة هى التى هزمتهم.

هى معركة اخرى قد صورها البحترى ، معركة تقابل فيها بالفعل اسطول المسلمين بقيادة احمد ابن دينار مع اسطول البيزنطيين ، وهزم فيها البيزنطيون هزيمة ماحقة .

بيدا البحترى قصيدته بتصوير الربيع لا بالنسيب او الاطلال ، وهى مقومة لم يلجأ اليها البحترى في رومياته على كثرتها ، واخليق بهذه المقدمة ان تكون مميزة للمعركة البحرية ، وكانى بالبحترى وقد ادرك أن المعركة البحرية جديدة(٣) على شعر المشارقة ، اراد ـ وهو الشاعر البارع ـ ان تكون جديدة في مقدمتها ايضا :

ألم ترَ تغليس الربيع المبكّرِ
وما حاكَ من وشْى الرياض المنشّرِ ؟

رسرْعانَ ماولّى الشتاء ، ولم يقفْ
تسلُّلَ شخصِ الخائف المتنكّرِ

وينتقل البحترى الى المدح، فيذكر اسم ممدوحه « احمد » وانه من سِرّ الاعاجم ، ويربط بين ولاية ابن دينار على البحر وكرمه ، وهو ربط يبدو طريفا على قدم تشبيه الكريم بالبحر . ويذكر شجاعته وصلابة صدره :

---

(٢) انظر : الدكتور زكى المحاسنى : شعر الحرب في أدب العرب ، ص ٢١٨

(٣) يقول النويرى : « لم يصف أحد من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب الا البحترى » . (نهاية الأرب : ٦ ـ ١٩٧) .

بأحمدَ أحْمَدنا الزمانَ وأسهلَتْ
لنا هَضَباتُ المَطْلَب المتوعِّر

تظنُّ النُّجومُ الزُّهْرُ بِتْنَ خلائقاً
لأبلجَ من سرِّ الأعاجم أزهـــر

ولما تولّى البحرَ ، والجودُ صنوه
غدا البحرُ من أخلاقه بينَ أبحُر

أضافَ إلى التدبيرِ فضلَ شــجاعة
ولا عزمَ إلاّ للشُّجـاع المدبِّر

إذا شَجَروهُ بالرماح تكسَّرتْ
عواملُها في صَدْرِ ليثٍ غضَنْفَر

ويخرج الشاعر الى وصف الأسطول ، وهو لا يصفه ككل بل يتخير سفينة القائد التي يبدو انها تغاير بقية السفن . ويذكر البحتري ان مركب القيادة اسمه « ميمون » ، وليس ذلك غريبا ، فالعرب قد سمّوا خيولهم وسيوفهم وابلهم .

ويحدّد لنا الشاعر زمن خروج الاسطول بوقت الصباح ، وهو الوقت الأثير للاعمال الحربية حتى الآن :

غدَوْتَ على المَيْمون صُبحاً وإنمّا
غدا المركَبُ الميمونُ تحتَ المظفّر

ويصوّر البحتري مركب القيادة ، فيصفه بانه عال مشرف كان من فوقه فارسا على صهوة جواد ، وعندما يزمجر الملاّح فوقه يبدو كأنه خطيب فوق ذروة منبر . ويعطي صورة امير البحر عندما يصعد على ظهر المركب : فيصطفّ البحارة ويؤدون له التحية العسكرية غاضين عيونهم احتراما . وهذه الصورة شبيهة بما يحدث اليوم في الجيوش الحديثة :

أطلَّ بعطْفَيه ، ومرَّ كأنّمـــا
تشوَّفَ من هادي حصانٍ مشهَّر

إذا زمجرَ النوتيُّ فوقَ عَـــلاته
رأيتَ خطيبـاً في ذُؤابة مِنْبَر

يغضّونَ دونَ (الاشيتام) عيونَهم
وفوقَ السِّمـــاط للعظيمِ المؤمَّر

ويصور سرعة المركب عندما تعصف فيه ريح الجنوب : فيضحي كالعقاب المحلق في أجـواز الفضاء عند الهاجرة ، ويعتلي اللجج ، ويتوالب فوقها ، ويندفع صوب الشمال بشراعين كجناحي العقاب

إذا عصفَتْ فيه الجَنوبُ اعتلى لهـا
جناحا عُقابٍ في السماء مُهَجِّر

ويصوّر الموكب وقد لفّ الماء حيزومه كأنه قد تلفّع ببرد ازرق :

إذا ما انكفَا في هَبْوة الماء خلْتَه
تلفَّعَ في أثناء بُرْدٍ محـــبَّر

وينتقل البحتري الى رجال البحر الذين صدم بهم ابن دينار البيزنطيين « صهب العثانين » فيذكر انهم مطيعون لاوامر قائدهم، ركابون للاهوال والأخطار ، قد عركوا البحر وعركهم ، وكرعوا من كاس الحروب حتى ارتووا . وهم يجيدون الضّراب بالسيف والرّشق بالسهام النارية : فان ضربوا بالسيف فضربهم فيه الموت الزؤام ، وان رشقوا بالنار ففي رشقهم شواء للاجساد .

وهو في وصفه رجال البحر قد مزج بينهم وبين المعركة الحربية ، فتداخلت الصورتان . ولكن هذا التداخل لم يشوّه الصورة الكليّة بل اضفى عليها جوّاً من الخلاب الفنّي . وكان الشاعر ـ وقد مزج خيوط الصورتين ـ قد أراد ان يصوّر الجيش في غمار المعركة لا منفصلا عنها ، وهو تصوير فيه جدّة بالنسبة لصورة المعركة البرية ، وفيها يصور الجيش كجزء يكاد يكون مستقلاً عن المعركة .

ويمكننا أن نتبين اسلحة رجال الأسطول : فهي الدروع والسيوف والسهام النارية ، وان نتبين صورة المعركة قبل أن يلتحم الأسطولان : تنطلق السهام النارية عن بعد ، فتصيب من السفن ما تصيب ، وتشعل فيها الحرائق :

وحَوْلَكَ رَكّابونَ للهَوْل عاقروا
كُؤوسَ الرَّدى من دارِعينَ وحُسَّر

---

(٤) الاشتيام : رئيس المركب .

تميلُ المنايا حيثُ مالَتْ أكفُّهم
إذا أصْلَتُوا حدَّ الحديدِ المذكّرِ
إذا رشقوا بالنار لم يكُ رَشْقُهُمْ
ليُقْلِعَ إلاَّ عن شواء مُقَتَّرِ
صَدَمْتَ بِهم صُهْبَ العثانينِ دُونَهم
ضِرابٌ كإيقادِ اللَّظَى المتسعِّرِ

وها هي ذي سفن الأسطولين تقترب من بعضها البعض ، بعضها سريعة الجرى كالسحاب الجهام الذى لا يحمل ماء ، وبعضها بطيئة كغيم أثقله قطره . وها هي ذي السفن تتعانق تعانق الوحوش الضارية حيث تشتجر الرماح ، وتعتجر السيوف وتصطفق الأمواج على جسوم الفلك ، فينبعث من اصطفاقها صوت كرغاء النياق . ومع طعنات الرماح ، وضربات السيوف تتقطع أعناق وتتطاير رؤوس ، ويتساقط الصرعى في الماء فتبتلعهم ألباج اليمّ ولججه :

يسوقونَ أسطولاً كأن سَفِينَهُ
سحائبُ صيفٍ من جَهامٍ ومُمْطِرِ
كأنَّ ضجيجَ البحرِ بين رماحِهم
إذا اختلفَتْ تَرْجيعُ عَوْدٍ مُجَرْجِرِ
تقاربُ من زَحْفَيْهم فكأنَّما
تؤلِّفُ من أعناقِ وَحْشٍ منفّرِ
فما رِمْتَ حتى أجْلَتِ الحربُ عن طُلًى
مُقَطَّعَةٍ فيهمْ وهامٍ مُطَيَّرِ
على حينَ لا نَقْعٌ يطوِّحه الصَّبا
ولا أرضَ تُلْفَى للصَّريعِ المُقَطَّرِ

ويختم البحترى قصيدته بوصف هزيمة قائد الأسطول البيزنطى : فقد تحطم مركبه ، فتعلق بألواح مستترة . وغدا في رحمة الريح تدفعه أنَّى شاءت ، وهو شاكر لها هذا الصنيع إذ سينجو من الموت الذُّعاف ، وطفقت الأمواج ترفعه أنَّى ارادت دون أن يدرى أين تسوقه ، وحجبت الأمواج الرؤية عن ناظريه فأخذ ينتهز فرصة انحدارها ليحدّد موقعه . وينظر بعينين أخزرتهما ماوحة البحر . ولما بلغ الشاطىء تنفّس الصعداء :

جَدَحْتَ له الموتَ الذُّعافَ فعافَهُ
وطارَ على ألواحِ شَطْبٍ مُسَمَّرِ
مضى وهو مَوْلَى الريحِ يشكرُ فضلَها
عليهِ ، ومن يولَ الصَّنيعةَ يشكُرِ
إذا الموجُ لم يُبْلِغْهُ إدراكَ عينِه
ثنى في انحدارِ الموجِ لحظةَ أخزَرِ
تعلَّقَ بالأرضِ الكبيرةِ بعدما
تقنّصهُ جَرْيُ الردَى المُتَمَطِّرِ

فى القرن الرابع الهجرى

على الرغم من خروج العباسيين من الصراع البحرى في القرن الرابع ، فان خروجهم لم يؤثر كثيرا على سلطان العرب والمسلمين على البحر المتوسط ، فقد ظلت لهم قوة بحرية في سواحل الشام ومصر وشمال افريقية وكريت وصقلية ، وظلت هذه القوة تستطيع أن تقف في وجه الأسطول البيزنطى الذى تضخّم في هذا القرن .

واكبر قوة بحرية للمسلمين كانت للفاطميين في شمال افريقية ، فقد أولوا الأسطول عناية فائقة ، بمخره أسطولهم الذى ضم سفنا تسمى الشَّوانى(٥) والشَّلَنْدِيَات (٦) والمسطّحات والطرّادات(٧) والعشاريّات (٨) والحرّاقات (٩) . وقد استطاع

(٥) الشَّوانى : مراكب حربية كبيرة فيها ابراج وقلاع ، وتحمل زهاء مائة وخمسين رجلا ، ولها مائة مجداف .
(٦) الشَّلَنْدِيَات : مراكب حربية مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح .
(٧) الطرّادات : من السفن الصغيرة القوية السريعة .
(٨) العشاريّات : من القوارب النهرية .
(٩) الحرّاقات : مراكب حربية كبيرة فيها مكاحل البارود والعرّادات والمجانيق .

هذا الاسطول ان يهزم الأسطول البيزنطى عدة مرات في مياه جزيرة صقلية ، كانت موقعة «المجاز» احداها ، فردّ قالة نقفور Nicephorus امبراطور بيزنطة انا وحدى البحر » ، فقال ابن هانىء الاندلسي ساخرا من اسطول البيزنطيين :

قد كانت الروم محذوراً كتائبها
تدني البلاد على شحط وتبعيد
وشاغبوا اليم ألفى حجة كملا
وهم فوارس قارياته السود
فاليوم قد طمست فيه مسالكهم
من كل لاحب نهج الفلك مقصود
لو كنت سائلهم في اليم ما عرفوا
سفع السفائن من عفر الملاحيد

وتطالعنا في الشعر صورة اسطول الفاطميين وهو جاثم في الميناء ، وصورته وهو يمخر عباب البحر ، وصورة اللقاء باسطول البيزنطيين :

وقصيدة ابن هانىء الاندلسي :

ألا طرقتنا والنجوم ركود
وفي الحي أيقاظ ونحن هجود

تعطي صورة عامة للمعركة البحرية . ويذكر فيها ابن هانىء ان للمعز لدين الله الفاطمى البر والبحر ففى البر جياد جرد ، وفي البحر سفائن عظام تخوض اللجج وتمخر عباب اليم ، لها قباب تحوى كتائب مسومة وجنودا اشداء .

لك البر والبحر العظيم عبابه
فسيان أغمار تخاض وبيد
أما والجوارى المنشآت التي سرت
لقد ظاهرتها عدة وعديد
قباب كما ترجى القباب على المها
ولكن من ضمت عليه أسود
ولله مما لا يرون كتائب
مسومة تحدو بها وجنود

وسار الأسطول ترعاه عناية الله ، وتردفه ملائكة مطهرون ، وهبت الرياح رخاء فغدت كتائب أخرى تعين الجيش وتؤازره ، وكانت الساعة التى سار فيها الأسطول ساعة سعد .

وفوجىء ملك البيزنطيين بطلوع الاسطول الفاطمى تخفق الرايات فوق سفينه ، وترفرف البنود عليها ، وعليها غمام حالك برعد وبرق ، وتمخر العباب الطامى شامخة كأنها بناء ضخم او كأنها طود يفوق جبل كبكب ضخامة وشموخا او كأنها جوارح الطير التى لا تقنص الا النفوس :

وما راع ملك الروم إلا اطلاعها
تنشر أعلام لها وبنود
عليها غمام مكفهر صبيره
له مارقات جمة ورعود[10]
مواخر في طامي العباب كأنه
لعزمك بأس أو لكفك جود
أنافت بها أعلامها وسما لها
بناء على غير العراء مشيد
وليس بأعلى «كبكب» وهو شاهق
وليس من الصفاح وهو صلود[11]
من الراسيات الشم لولا انتقالها
فمنها قنان شمخ وريود[12]

(١٠) الصبير : السحاب الذى يصير بعضه فوق بعض .

(١١) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليه .

(١٢) قنان : جمع قن وهو الجبل المنفرد المستطيل في السماء . والريود : جمع ريد وهو الحرف الناتىء من الجبل .

من الطَّيرِ إلا أنّهنَّ جـــوارحٌ
فليس لهـــا إلاّ النفوسَ مصيـــدُ

وبدات المعركة ، فاخذت السفن تقدح النار البحرية فتخرق الاعناق،وطفقت تزفر لهبا وهتاجا كانه من نار السعير ، وتتفجر القذائف فتشتعل الغمار وتلتهب كانها دماء فوق اكسية سود ، وتعانق النيران موج البحر فيغدو كانه زيت لها ، وتغدى الامواج محمرة كانها جلود قد طليت بالخلوق :

من القادحاتِ النارَ تُضْرَمُ للطِّلَى
فليسَ لها يومَ اللقاءِ خُمـــودُ
إذا زفرَتْ غيظاً ترامتْ بمـــارجٍ
كما شبَّ من نارِ الجحيمِ وَقُودُ
فأنفاسُهُنَّ الحامياتُ صـــواعقٌ
وأفْواهُهـــنَّ الزّافراتُ حَديدُ
لها شُعَلٌ فوقَ الغمارِ كأنّهـــا
دماءٌ تلقّتْها ملاحفُ ســودُ
تعانقُ موجَ البـــحرِ حتى كأنّـــه
سَليطٌ لهُ فيهِ الذُّبالُ عتيدُ(١٣)
ترى الماءَ فيها وهْوَ قانٍ عُبابُه
كما باشَرَتْ رَدْعَ الخَلُوقِ جلودُ

وفي قصيدة اخرى يصور ابن هانيء هزيمة اسطول البيزنطيين،فقد بعث الامبراطور اسطوله، ففتك بمعضه الاسود من الرجال وبات فرائسلهم، وفرّ باقيه خفيفا سريع الجرى بعد أن كان ثقيلاً بالرجال والعتاد :

وبعثْتَ بالأُسطولِ يحملُ عُدّةً
فأثابنا بالعُدّةِ الأســـطولُ
ورمَيْتَ في لَهَواتِ أُسْدِ الغابِ ما
قد باتَ ، وهْيَ فريسةٌ مأكولُ
ومضى يخِفُ على الجنائبِ حَمْلُهُ
ولقد يُرَى بالجيشِ وهْوَ ثقيلُ

الاسطول

ذكرت ان الفاطميين كانوا يستعملون عدة انواع من السفن ، ولكنني لم اجد الا وصفا لاثنين منها، اخال انهما الشتواني والطرادات ، وهما موجودان في قصيدة « على بن محمد الايادي » التي اولها :

اعجبْ لأسطولِ الإمامِ محمـــدٍ
ولحُسْنِهِ وزمانــــه المُسْتَغْرَبِ

فالشونة ، كما يصورها الايادي ، سفينة ضخمة عالية ، يشبه صدرها صدر الصقر ، وهي سوداء الحجم بيضاء الشراع،تحيط بجانبيها المجاذيف المصفوفة ، فتبدو الشونة والمجاذيف حولها كنسر مرفرف قد ذهب ريشه وبقيت خوافيه ، وهي جوفاء وقت السلم تحمل الجيش يوم الكريهة ، ولها شراع ضخم يجعلها تطير في البحر الزخار ، وفيها دبابة عالية اذا جلس فيها الربان بدا كانه يروم ان يسترق السمع لما يجري في السماء :

لبستْ بهِ الأمواجُ أحسنَ منظـــرٍ
يبدو لعينِ الناظرِ المُسْتَعْجِـــبِ
من كلِّ مُشْرِفَةٍ على ما قابلتْ
إشرافَ صدرِ الأجدلِ المتنصّبِ
دَهْماءَ قد لبستْ ثيابَ تصنُّعٍ
تسبي العقولَ على ثيابِ ترهُّبِ
من كلِّ أبيضَ في الهواءِ مُنشَّرٍ
منها وأسْحَمَ في الخليجِ مُغَيَّبِ

(١٣) السليط : الزيت .

مَحْفوفة بمجاذفٍ مَصْفُوفةٍ
في الجانبين دُوَيْنَ صُلْبٍ صُلَّبِ
كقوادمِ النَّسْرِ المُرفرِفِ عرِّيَتْ
من كاسياتِ رياشهِ المتهدّبِ
جوفاء تحمل كوكباً في جوفها
يومَ الرهانِ وتستقلُّ بمركبِ
ولها جناحٌ يُستعار بطيرها
طوْعُ الرياحِ وراحةُ المتطربِ
يعلو بها حدْبَ العُبابِ مطارةً
من كلِّ لُجٍ زاخرٍ مُغْلَولِبِ
يتركّبُ الملاّحُ من دبابةٍ
لو رام يركبُها القَطا لم يَركَبِ
فكأنما رامَ استراحةَ مقعدٍ
للسمعِ إلا أنهُ لم يُشْهَبِ

وأما الطرادات فهى سفن نحيلة كالأهلة ، سريعة الجرى ، تدرك ما تطلب وتفلت اذا طلبت ، وتروح جيئة وذهابا ، فاذا ما ذهبت سارت بلطف، وان جاءت فهى كالطير المتقلب ، او كأنها الأفاعى العطاش اللائى يتلاعبن على الارض ثم يقعن في الماء. وفيها فتحات تخرج منها مجاذيف لا يصيبها الكلال او الونى :

ولَوَاحقٍ مثلِ الأهلةِ جُنَّحٍ
لُحُقِ المطالبِ فائتاتِ المَهْرَبِ
يذهبْنَ فيما بينهنَّ لطافةً
ويجئْنَ فِعلَ الطائرِ المتقلبِ
كنضائضِ الحيّاتِ رُحْنَ لواعباً
حتى يقعْنَ ببركِ ماءِ المِيرَبِ
شَرَجُوا جوانبَهُ مجاذِفَ أتعبَتْ
شأوَ الرياحِ لها ولمّا تتعبِ

النار البحرية

يظهر ان هذه النار قد طورت في القرن الرابع ، فان الشعر الذى يصورها لا يدل على انها قذائف تطلق من المجانيق ، وانما يدل على انها قذائف تنطلق من افواه المدافع ، والقوة التى تدفعها من الدخان ، وهذا يؤيد ما قاله المؤرخ « رنسيمان » بان قوة البارود كانت تستخدم بطريقة ما في دفع المواد القابلة للاشتعال الى اهداف على شيء من البعد (١٤) . ولنا ان نستعيد ابيات ابن هانيء التى وردت في المعركة البحرية « ومن القادحات النار » ، وسنرى انها صورة تنطبق على قول رنسيمان .

وثمة ابيات اخرى لعلى بن محمد الايادى تصور النار البحرية ، وهى :

سَجَروا جَواحِمَ نارِها فتقاذفوا
منها بألسُنِ مارجٍ متلهّبِ
من كُلِّ مسجورِ الحريقِ إذا انبرى
عن سجنِهِ انصلتَتْ انصلاتَ الكوكبِ
عُريان يقذفه الدُّخانُ كأنّهُ
صبحٌ يكرُّ على الظّلامِ الغَيْهَبِ

■■

نصرت عبد الرحمن

اربد

(١٤) الحضارة البيزنطية : ص ١٨٢ .

النقد الادبي الحديث في العراق

بقلم : عبد الرزاق البصير

● العراق دعامة من دعائم الادب العربي في العصور القديمة والحديثة ، وقد نال حظه من التنويه بما قدمه للادب القديم من مد وعطاء ، فما من مؤرخ للادب العربي الا وقد اشاد بالعراق ، ونوه بذكره ، فقد تحدث كثير من الادباء والنقاد عن سوق المربد في البصرة ، وسوق الكناسة في الكوفة ، وعن النحاة في هاتين المدينتين ، وعما قام بينهما من حوار اعطى اللغة العربية بعامة والنحو بخاصة خصبا عظيما ، جعل المهتمين بعلوم اللغة يشعرون بمتعة لا تعادلها متعة، كما تحدث المؤرخون عن مكانة بغداد ، وانها كانت ميدانا نمت فيه كل الفنون والعلوم الاسلامية ، وانها روضة نما فيها الشعر ، حتى اصبح كل شاعر لاياتي الى بغداد يشعر انه ليس بشاعر ، فالناس لا تعرفه الا اذا اشتهر في مدينة السلام .

ولا يقل حظ العراق في العطاء الادبي في العصور الحديثة عن حظه في العصور القديمة ، لكن عناية النقاد المعاصرين به كانت ضئيلة لا تساوى مكانته ومساهمته ، ومن هنا راح بعض الادباء العراقيين يعتبون من طرف خفي على الادباء الذين قصروا في حق هذا القطر العربي العظيم . وقد جاء كتاب النقد الادبي في العراق ، ومؤلفه الدكتور احمد مطلوب ، يعالج هذا القصور في التنويه بالنقد الادبي بالعراق .

بدء الحركة الادبية في الندوات

على ان المؤلف قد ابى الا ان يؤرخ للنقد الادبي منذ القرن الثاني للهجرة حتى العصر الحديث ، وقد اوجز ذلك ، لانه لم يقصد من تاليف هذا الكتاب ان يتبسط في تاريخ النقد الادبي القديم ، وانما قصد الحديث عن الحركة الادبية المعاصرة في العراق .

على ان المؤلف يرى ان الحياة الادبية بدات تشع في المجالس الادبية التي تنعقد في بيوت الادباء وفي بعض المقاهي، ولعل اشهرها مجلس المرحوم الاستاذ انستاس الكرملي ، ومجلس الرصافي ومجلس الزهاوى ، ومجلس محمود حسام الدين الكيلاني ومجلس طه الراوى ، وكانت هذه المجالس بمثابة الاندية تناقش فيها القضايا الفكرية والفلسفية ، ويقرأ فيها الشعر القديم والحديث .

وكان لا بد ان يختلف الحاضرون حول امور الفكر او الادب او الفلسفة او اللغة ، فيكون الحكم الى مرجع من المراجع ، وقد يكون هذا المرجع كتابا من الكتب المعروفة في الموضوع الذى اختلف فيه الحاضرون ، او عند حجة من الحجج المشهورة والحاضرة في ذلك المجلس . كالزهاوى او الرصافي او الكرملي .

والحق ان للمجالس الادبية فضلا كبيرا في احياء الحركة الفكرية في مبدا الامر ، ثم لا تلبث ان تتطور تلك الحركة فتصطنع الوسائل الحديثة من صحافة واذاعة تلفاز ، وكانت مجالس بغداد تتحاشى النقاش في الدين والسياسة في اغلب الاحيان لان هاتين الناحيتين لا تخلوان من مزالق لا تحمد عقباها .

وبيدو ان هذه الطريقة سارية في معظم البلاد العربية .

انتقال الحركة الفكرية الى الصحافة

ثم كان أن مجلة لغة العرب التي اصدرها انستانس الكرملي بدأت في نقل النقد الادبي من الحديث بين الادباء في مجالسهم الخاصة الى الكتابة على صفحاتها ، وكانت بدايةً ذلك تقريظَ ما يصل اليها من كتب ، ثم توسعت في ذلك حين بدأت في التنويه باخطاء الكتاب اللغوية . وبعد ذلك اخذت الصحف والجرائد في العراق تتشعب في النقد ، وكان المرحوم جميل صدقي الزهاوي مادة غزيرة للنقاد ، ولقد تجافى بعضهم الحق فيما كتبَ عن ذلك الشاعر العظيم ، فنشأت من ذلك خصومة بين جميع الصحف والمجلات ، واشترك في ذلك معظم كتاب تلك الحقبة التي ابتدأت في شهر يوليو ١٩١١ ولكن يبدو ان الزهاوي كان يرى ان مُعظم نقاده قد جعلوه هدفا سهلا يقولون فيه ما يشاءون دون تحقيق ولا دليل .

بين الزهاوي والرصافي

لهذا فانه انشأ مجلة اسماها « الاصابة » ، وقصد من انشائها ان يرد على خصومه وان يوضح الطريق السليم للنقد الصحيح . ومن اظرف ما جاء في بعض مقالاته رحمه الله قوله : « اذا كان يُسخطهم ما وصلت اليه من منزلة شعرية فاني أود ان اعلن باني أصغر شاعر من شعراء هذا العصر ».

ومن الملاحظ ان النقد الادبي في هذا العصر يبدأ اول ما يبدأ هزيلا ضعيفا لا يرتكز على اساس صحيح ، ثم يأخذ في القوة شيئا فشيئا حتى يبلغ القمة معتمدا على قواعد النقد الصحيحة . وعلى اى حال فقد كانت الخصومة بين الزهاوي والرصافي تهدأ حينا وتثور حينا آخر ، لان كلاًّ من الشاعرين يرى بانه احق بامارة الشعر . وكان الزهاوي يحفظ كل بيت للرصافي يجد فيه مأخذا لغويا او نحويا او ضعفا ، فيورده في معرض التهكم والتشنيع . يقول الاستاذ كمال ابراهيم : « دعاني اليه مرة ، وقبل ان يستقر بي المجلس بادرني بقوله : اتعلم قائل هذا البيت :

وما انا الا من اولئك ان مشــــوا
مشيت وان يقعـد اولئـك اقعـد

قلت : بلى هو للرصافي اخذه من بيت قديم ولكنه قصر عنه . قـال : بل مسخه وشوهه ، اين هو مما اخذه واين الثرى من الثريا ، والبيت هو !

وما أنا الا من غَزِيَّةَ ان غَوَتْ
غويتُ ، وانْ تَرْشُدْ غزية أرشُدِ »

وهذا البيت من ابيات مشهورة لدريد بن الصمة ، والبيت الذى قبله هو .

أمرتهمُ أمرى بمنعـرج اللـوى
فلم يستبينوا النصح الاّ ضحى الغد

ويروى الاستاذ احمد حامد الصراف ان الرصافي علق في احد المجالس على رباعية الزهاوى التي مطلعها .

أكثر التـرب عظـامٌ
مـن ضلـوع وصـدور
سحقتها أرجـل الدهـ
ـر واقـدامُ العصـور

فقال بعد ان انشدها له احد الحاضرين : غفر الله لابى العلاء فقد سطا على معانى الزهاوى عندما نظم قصيدته :

خفف الوطء مـا اظـن اديـم الا
رض الا مـن هـذه الاجسـاد

وهذه سخرية لا تخفى على المثقفين .

وصادف أن اقام طلبة المدرســة الثانوية في بغداد حفلةً ادبية دُعيَ الشاعران اليها ، حتى اذا حضرا جلسا على كرسيين متجاورين ، فاخذ كل منهما يُدير ظهره ، ويشيح بوجهه عن الاخر . فلما دُعيَ الزهاوى الى المنبر مضى يغمز رفيقه فقال بعد أن اشار الى نفسه بزهو واختيال : « وللشعر اعباء اقوم بها وحدى » فغضب الرصافي وغادر الحفلة محتجا (١) . ولقد سعى بعض المخلصين للشعر والادب في المصالحة بين الشاعرين فافلحوا في ذلك ، فصفا الجو بينهما ، حتى صار كل من الشاعرين يمدح الآخر بأبيات من الشعر .

بين المحافظين والمجددين فى الادب

ولما جاءت الحرب العالمية الثانية (٢) ركد النقد الادبي في العراق ، لاشتغال الناس بويلات الحرب وترقب المستقبل . ثم نشط النقد بعد انتهاء الحرب فكنت ترى فيه ماتسرب الى البلاد العربية من مذاهب فكرية مختلفة ، بعضها يدعو الى وجوب ترك المقاييس والقواعد القديمة . ومعنى هـذا

(١) من ص ٦٩ – ٧٠

(٢) من ص ٨٤ – ٩٣

نسف الثقافة العربية القديمة برمتها ، والاقبال على الثقافة الحديثة.وهذا رأى مجانب للصواب، لانه يعني اننا ينبغي أن نكون عالة على الغرب فنلغي عقلنا وتفكيرنا وشخصيتنا ، ونكون كالحاكي الذي لا يقوم الا بالنقل والتقليد . ولقد تصدى لهذا المذهب نقاد آخرون كانت الدكتورة نازك الملائكة في مقدمتهم . فقد كتبت بحثا فيما اوضحت فيه مزالق الناقد الحديث ، وحذرت فيه اولئك الذين يدّعون لترك القواعد والمقاييس . ولم يقف التجديد عند النقد وانما امتد الى الشعر . فلقد ثار بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، وعبد الوهاب البياتي على أسلوب الشعر القديم ، ويبدو ان أول ثائر في هذه الناحية هو المرحوم السياب (٣) ثم تلته نازك الملائكة وبعدهما تحرك البياتي (٤) على ان آراء السياب ونازك الملائكة كانت آراء معتدلة لانها تحترم التراث العربي القديم . أما البياتي فانه يُشبــّه الشعراءَ القدامى بصائدي الذباب ، وهو يدعو الى احراق ذلك التراث . وللسياب ــ رحمه الله ــ حجة تقول بان اكثر المفردات العربية أصبحت أثرية غير صالحة مثل السجنجل والعقنقل مما يجعل الشاعر غير قادر على نظم قصيدة لامية طويلة واني لأرى ان هذه الحجة واهية ، لان كثيرا من الشعراء نظموا قصائد طويلة على هذا النحو فابدعوا غاية الابداع . والقضية تعتمد على الموهبة التي اودعها الله في الشاعر .

ومهما يكن من امر فان خصومة ادبية قد ثارت بين الداعين الى التجديد في الشعر ، وبين الداعين الى المحافظة على شكله القديم . وقد أوضح لنا المؤلف موقف الدكتور عبد الرزاق محيي الدين والاستاذ ابراهيم الوائلي والاستاذ عبد الكريم الدجيلي ، والاستاذ الشاعر حافظ جميل من هذه الدعوة ، وهم يرون أن المحافظة على الشكل القديم لا تعني الوقوف عند مضامين الشعر القديمة ، وانما تعني مراعاة قواعد اللغة والأسلوب العربي ، لانه اقرب الى الذوق وأشد تأثيرا في النفس العربية . أما هذا الأسلوب المتبع عند بعض الشعراء المتمردين على الشكل القديم فانه لا يعني اكثر من تقليدهم لبعض الشعراء الغربيين ، وهو امر ان كان له تأثيرٌ في نفوس تلك الأمم فان تأثيره ضعيف في نفوسنا ، لان بيئتنا تختلف عن بيئتهم، ولغتنا تختلف عن لغتهم . وبناء على ذلك فان الصور التي يرسمها شعراؤنا وكتابنا لا يجوز ان تكون مثل تلك الصور التي يرسمها شعراء الغرب وكتابه .

أسس التجديد وصوره

وهذه الدعوة الى تجديد الشعر أظهرها في العالم العربي شعراءُ المهجر (الذين حاولوا ان يدفعوا الشعر خطوة الى الامام ، وكانت دعوتهم مرتبطةً أشد الارتباط بالموشحات الاندلسية ، ثم اخذت شكلا جديدا صار نموذجا يحتذى فيما بعد) وكان الاستاذ محمد بسيم الذويب من الرواد الذين خرجوا على هيكل القصيدة العربية . وحاول ان يطورها مستفيدا من التجارب التي بدأها شعراء المهجر كما يقول المؤلف ص ١٨٤ . في حين أن كثيرا من القراء يعتقدون بان نازك الملائكة وبدر شاكر السياب هما أول من بدأ التغيير في هيكل القصيدة واظهارها في هذا الشكل الحديث . ولكن يبدو ان نازك الملائكة هي التي بحثت أسباب هذا التغيير في دراستها التي جعلتها مقدمات لدواوينها ، كما أنها نشرت بعضها في الصحف الأدبية الكبرى . ويعتبر كتابها « قضايا الشعر المعاصر » من أعمق الدراسات التي كتبت في الشعر الحديث .

ويعتقد الاستاذ محمد الهاشمي وعبد الكريم الدجيلي والدكتورة نازك وغيرهم من النقاد العراقيين أن اصول الشعر الحديث ترجع الى الموشحات الاندلسية والى لون آخر من الشعر ظهر في القرن الماضي اطلق عليه اسم « البند » وهذه لفظة يختلف فيها النقاد العراقيون ، فمنهم من يقول انها أخذت من اللغة التركية ومنهم من يقول انها اخذت من اللغة الفارسية .

وهكذا تستمر مسيرة الحركة الادبية في العراق كما وصفها الدكتور احمد مطلوب فتمر بالمراحل التي مرت بها في معظم الأقطار العربية . كالشام ولبنان ومصر ، اذ ان الجدل يثور بين الداعين الى التجديد في الشعر وفي النثر من حيث الشكل والمضمون وبين المحافظين على الصور القديمة شعرا كانت او نثرا ، ومن حيث الشكل والمضمون أيضا، مما يثبت أن الحركة الثقافية متشابهة في كل

(٣) ص ٩٣ ــ ١٠١

(٤) ص ١٩٠ ــ ١٩١

الاقطار العربية . الا ان الاديبين العراقين الرصافي والزهاوي لم يقف نشاطهما على نظم الشعر ، وانما اقتحما النقد الادبي ، وحتى شعرهما فانه عالج جوانب فكرية كثيرة ، لهذا نالهما من النقد اللاذع الشيء الكثير، فقد وصفهما النقاد العراقيون بالالحاد والكفر مما جعل حياتهما تتعرض الى خطر محقق .

خصب الادب الحديث في العراق

وخلاصة القول ان الحركة الثقافية في العراق غنية قوية يجدر بالمثقفين ان يقفوا عليها ، فانها مصدر ادبي ، لا بد للاديب من ان ينهل منه لتكون حصيلته الادبية عميقة غزيرة . فانه اذا ما فعل ذلك فسيظفر بمتعة فكرية غير محدودة ، وفي كتاب « النقد الادبي الحديث في العراق » للدكتور احمد مطلوب حصيلة من هذا النقد وافية . فقد استطاع مؤلف هذا الكتاب ان يعطي قارئه صورة لكل الاتجاهات والمدارس في الشعر وما ثار من خصومات حول هذه المدارس والاتجاهات ، لكنى الاحظ على المؤلف انه قد اطال في هذا القسم من كتابه مما جعله يكرر بعض النقاط التي انتهى منها . فقد أورد نصوصا متكررة عن معروف الرصافي وجميل الزهاوي ، ونازك الملائكة وغيرهم من النقاد ، وهذه النصوص تعني مذاهب هؤلاء النقاد المختلفة في الشعر الماضي وفي الشعر الجديد. ولعل المؤلف اراد بذلك ان يعطي قارئه صورة مفصلة عن النقد الادبي الحديث في العراق ليبين ان الحركة الادبية لا تقل عن غيرها في بقية الاقطار العربية .

القصة والمسرحية

وبعد ان يفرغ المؤلف من ذلك ينتقل الى لون آخر له اهميته ومكانته ، ونعني به القصة ، فيمر سريعا بالمراحل التي تنقل فيها هذا اللون من الادب ، حتى انه لم يشر الى المقامات والى « رسالة الغفران » و « حي بن يقظان » وغيرها من القصص العربية القديمة ، مع العلم بأن لهذه القصص اثرا كبيرا في تطور القصة العربية ، وقد قال المؤلف عن القصة العراقية الحديثة بأنها بدأت بعد مصر والشام (وكان اول رائد للقصة العراقية هو محمود احمد السيد الذي تفتحت موهبته مع تمتع اهل العراق بقيام حكم ذاتي تعود السيادة فيه للشعب الذي اراق دمه في كفاحه العظيم ومقاومة الاستعمار) وهكذا يبدأ صف طويل من القصاص العراقيين يتناولون في قصصهم الوانا شتى من الاغراض والفكر ، مما انشأ مادة صالحة للدراسة من بعض النقاد العراقيين .

على ان النثر لم يستأثر بالقصة ، فقد ابى الشعر الا ان يشارك في هذا اللون من الادب وكان اول من تقدم الى هذا الميدان المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، فكانت له قصائد مشهورة مثل «أرملة الجندي»، « سلمى المطلقة » ،«والغريب المحتضر » ، ثم تلاه معروف الرصافي (وظهر في سمات هذا الشعر بعد هذين الشاعرين عند الشعراء الذين نظموا الشعر الحر) .

أما الجانب الآخر من القصة وأعني به المسرحية (فان العراق قد عرفه منذ القرن الرابع ايام البويهيين حين مثلوا مقتل الحسين الشهيد) ، ثم توقف هذا النشاط حتى مطلع هذا القرن فابتدأ يسير ولكن ببطء شديد .

والمسرحية في العراق لم تبلغ من القوة ما بلغه الشعر والنقد، ولست أعرف سببا لهذا التخلف، فقد يكون النقاد في العراق يعرفون ذلك ، ولكنني لم اقرأ حتى الآن تعليلا مقنعا لهذا الضعف . وكان لشعراء العراق نصيب لا بأس به في المسرحية الشعرية ، ويبدو ان الاستاذ الشاعر خالد الشواف اعظمهم طاقة في هذا الجانب .

لقد الف كثير من شعراء العراق مسرحيات شعرية منهم: عبد الحميد الراضي، كمال جبوري، عاتكة الخزرجي ، وعبد الغني الملاح وغيرهم كثيرون. الا ان الاستاذ خالد الشواف قد استأثر بنقد الادباء المتخصصين في المسرح كالدكتور علي الزبيدي وغيره من النقاد ، وكانت اشهر مسرحيات الاستاذ الشواف « شمسو » ، « والاسوار » وقد كانت هاتان المسرحيتان تدوران حول بعض الجوانب من تاريخ العراق القديم ، وكانت مسرحية الاسوار بخاصة قد تناولت جشع اليهود ومهارتهم في الربا وسعيهم لهدم اخلاق الامة ، وذلك باشاعة الفساد، وقد اطال المؤلف اطالة مفيدة في تلخيص بعض المسرحيات ، وفي ما كتبه النقاد حول هذه المسرحيات .

هل يصلح الشعر للمسرحية اليوم ؟

ويطيب لي هنا ان أبدي هذا الرأي المتواضع

وهو اني اشارك الذين يقولون بان الشعر قد لا يكون صالحا لنظم المسرحيات ولا سيما اذا اردنا ان نعرض المسرحيات الشعرية على خشبة المسرح، لان التمثيل يقلل من رونق الشعر وموسيقاه، فقد يكون البيت الواحد موزعا بين اكثر من شخصية مما يضعف الموسيقى الشعرية، ولئن كان الشعر صالحا للمسرح عند اليونان والرومان في العصور القديمة فهو غير صالح في هذه العصور. ذلك ان النثر كان ضعيفا في تلك العصور مما جعل ميول الناس ضعيفة نحوه. اما اليوم فان النثر قد اصبح قادرا على التعبير عن كل شئون الحياة. لكن الحركة الثقافية في الوطن العربي تتاثر بكل التيارات الجديدة التي تاتينا من الشرق ومن الغرب، وليس في هذا عيب او ماخذ، لان ثقافتنا لو بقيت بدون ذلك التاثر لظلت في موقعها جامدة لا تتلاءم مع ما نحن فيه من تطور.

النقد الادبي قديمه وحديثه

وليس اللون المسرحي والقصصي هما اللونين الجديدين اللذين دخلا حركتنا الثقافية، فقد اشرنا الى ان بعض شعرائنا كتبوا الشعر باسلوب يختلف عن اسلوب الشعر القديم شكلا ومضمونا، مما اثار جدلا عنيفا حول هذا التيار الجديد من الشعر، وهناك ناحية جديدة اخرى نشات في نقدنا الادبي الحديث ونعني بها ذلك الحوار الذي دار حول هذا السؤال: هل الفن للفن او الفن للواقع؟ فقد ترك كثير من النقاد عندنا تلك القواعد التي وضعها عبد القاهر الجرجاني، والآمدي، والعسكري، والسكاكي، وغيرهم من علماء البلاغة، وبداوا النقد من منطلقات جديدة تتلخص في ان هذا الشاعر او ذلك القصاص استمدا كتابتهما من الواقع او انهما ابتعدا عن الحياة مما جعل آثارهما بعيدة عن تصوير حياة الجماهير، وربما اشتط بعض النقاد، اذ اهملوا الاهتمام بالقواعد التي تكون الشكل الفني للكتابة الادبية، لاعتقاده ان تلك القواعد اصبحت غير ذات قيمة بالنسبة لادبنا الجديد، وقد خلق هذا الاتجاه الجديد حوارا ادبيا خصبا بين الذين يرون هذا الاتجاه – وقد دعوا انفسهم بالملتزمين ودعوا آثارهم بالادب الملتزم – وبين مخالفي هذا الاتجاه وهم يسمون انفسهم بالادباء الحقيقيين، ويسمون آثارهم بالادب الصحيح. وانت واجد عند كل من الفريقين حججا قوية تكاد تقنعك باتجاه كل منهما، فليس من العدل ابدا ان ينفعل الشاعر بشذا زهرة، وخرير جدول، ولون الشمس عند الغروب، او بكلب تدوسه سيارة، ولا ينفعل بانين جائع، او صراخ مضطهد، او هدم بلدة باكملها على كل من فيها من اطفال وشيوخ وشباب، وما الى ذلك من الكوارث الانسانية، كما انه ليس من الانصاف ان نطلب من القصاص او الشاعر بان يكون آلة تتاثر باوامر حزب من الاحزاب، او فكرة معينة، فاذا ما تحركت نفسه لصورة فنية جميلة طبيعية كانت او غير طبيعية وصفنا ذلك الكاتب بالخروج على الوطنية، او قلنا انه مؤيد للمستعمر. ويغلب على ظني ان الخير كل الخير ان يكون الاديب منفعلا بكل القضايا والصور التي تحرك القرائح وتثير الاحاسيس والمشاعر.

وفي اعتقادي ان كل اديب حر لا يستطيع ان ينفصل عن قضايا امته. على ان ذلك لا يعني ان يبتعد عن الانسجام في بعض الفترات مع جمال الطبيعة او مع كل جمال اينما وجد. فان نفس الاديب حساسة مرهفة تتاثر بالمآسي والافراح الانسانية وترتاح لجمال الطبيعة ومباهجها.

ولقد افاض المؤلف في تفصيل ما دار من نقاش بين الادباء العراقيين حول النهضة الادبية الجديدة، وما في شعر الشعراء المعاصرين من خيال واستعارة ومجاز وتشبيه وجناس وطباق وسرقات بعضها خفي وبعضها ظاهر، وبعضها يتصل باللفظ وبعضها يتصل بالمعنى، فاورد نصوصا كثيرة من اشعار الشعراء وملاحظات النقاد. ولقد احسن المؤلف صنعا حين اورد مقالات باكملها لبعض كبار النقاد العراقيين: الزهاوي، والرصافي، والدكتور مصطفى جواد، ونازك الملائكة، ومحمد بهجة الاثري، وغيرهم من مشاهير الادباء في العراق، لان الوصول الى هذه المقالات النقدية يصعب على القارىء. اذ انها مفرقة في صحف وكتب عراقية وغير عراقية، وبالجملة فان هذا الكتاب يرسم صورة كاملة لمسيرة الحركة الادبية في العراق منذ مطلع هذا القرن حتى سنة ١٩٦٦. اما صفحات هذا الكتاب فانها بلغت ٥٧٣ صفحة. ■■

عبد الرزاق البصير

طرائف

الـوزارة

● يقال ان اسم الوزارة مشتق من ثلاثة اوجه ، احدها : انه مشتق من الوِزْر وهو الثقل ، لأن الوزير يحمل عن المَلِك اثقاله. والثاني : انه مشتق من الأزْر وهو الظهر لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر . والثالث انه مشتق من الوَزَر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر) .

بين

● قيل ان رجلا ادخل على العباس عيسى ابن موسى . وكان في مجلسه ابن شبْرمة القاضي، وكان الرجل قد اتهم بريبة . فقال له عيسى بن موسى : « اتعرف الرجل يا ابن شبرمة ؟ » قال : « نعم ، ان له بيتا وشرفا وقدَما . » فخلى

ممن الرجل ؟

● دخل رجل من بني تميم على عبدالملك بن مروان ، فقال له : ممن الرجل ؟ فقال من الذين قال شاعرهم :

اذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

فقال عبد الملك : فمن ايهم انت ؟ قال: من الذين قال فيهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى ... واثقل من وزن الجبال حلوما

قال : فمن ايهم انت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وابيك ما ظلمت قريع ... بان يبنوا المكارم حيث شاءوا

قال : فمن ايهم انت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم هم الأنف والاذناب غيرهم ... ومن يسوى بانف الناقة الذنبا

فقال عبد الملك : اجلس والله لقد خفت ان تفخر عليّ .

استر ما ستره الله

● اتى رجل الى عمر بن الخطاب فقال : ان ابنةً لي كنت قد وأدتها في الجاهلية، فاستخرجناها قبل ان تموت، فادركت معنا الاسلام واسلمت، فاصابها حد من حدود الله، فاخذت الشفرة لتذبح نفسها ، فادركناها وقد قطعت بعض اوداجها ، فداويناها حتى برئت ، ثم اقبلت بعد توبة حسنة، وهي الآن تخطب الى قوم ، افاخبرهم بالذى كان ؟ فقال عمر : اتعمد الى ما ستره الله فتبديه ؟ والله لئن اخبرت بشأنها احدا من الناس لاجعلنك نكالاً لاهل الأمصار ، انكحها نكاح العفيفة المسلمة .

عربية

وشرف وقدم

عيسى بن موسى سبيله . فلما خرج الرجل قال له عيسى بن موسى : « أتعرف الرجل ؟ » قال : « لا ، ولكني اعلم ان له بيتا يأوي اليه ، وشرفه اذناه ومنكباه ، وقدمه هي قدمه التي يمشي عليها . »

المـوت

○ قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة . ما تقول في موت الوالد ؟ قال : ملك حادث ، . قال : فموت الزوج ؟ قال : عرس جديد . قال : فموت الأخ ؟ قال : قصّ الجناح . قال : فموت الولد ؟ قال : صدع في الفؤاد لا ينجبر .

كذب في كذب

※ روى ان ابا القاسم الجهني كان من أصحاب الوزير المهلبي، وكان فاحش الكذب ، يورد من الحكايات ما لا يتعلق بقبول ولا يدخل في معقول ، فلما كان في بعض الأيام وابو الفرج الاصفهاني (صاحب الاغاني) حاضر جرى حديث عن النعناع والى اي حد يطول . فقال القاضي الجهني . في البلد الفلاني يتشجر النعناع حتى يعمل من خشبه السلالم وبعض أثاث البيوت . فاغتاظ ابو الفرج وقال : نعم عجائب الدنيا كثيرة وعندي ما هو أعجب واغرب ، وهو زوج حمام يبيض في نيف وعشرين يوما بيضتين ، فانتزعهما من تحته ، واضع مكانهما كرتين من النحاس مختلفتين بالحجم : فاذا انتهت مدة الحضانة تفقست الكرتان عن طشت وابريق . فعم الضحك بالحاضرين . وفطن الجهني لما قصده ابو الفرج فانقبض عن الاكثار في المبالغة .

مات دينارك في النفاس

● حكى اشعب قال : جاءتني جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك ، فجعلته بين ثني الفراش ، فجاءت بعد ايام . وقالت : بابي انت الدينار ؟ فقلت ارفعي فراشي وخذي ولده ، فانه قد ولد ، وكنت قد تركت جنبه درهما ، فاخذت الجارية الدرهم ، وتركت الدينار . ثم عادت بعد ايام ، فوجدت معه درهما آخر ، فاخذته وفي الثالثة كذلك . وجاءت في المرة الرابعة فرايتها تبكي ، فقلت ما يبكيك ؟ فقالت : لم اجد الدينار . فقلت : مات دينارك في النفاس . فقالت : ويحك ، وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا هذه تصدقينني بالولادة ولا تصدقينني بالنفاس .



صناعات تصديرية كبيرة ، ذات استثمارات مالية ضخمة ، مدعومة بمساعدة الدولة وحمايتها .. هذا هو ما يجري في الشعيبة حاليا ، حيث تعمل المصانع نهارا وليلا ..

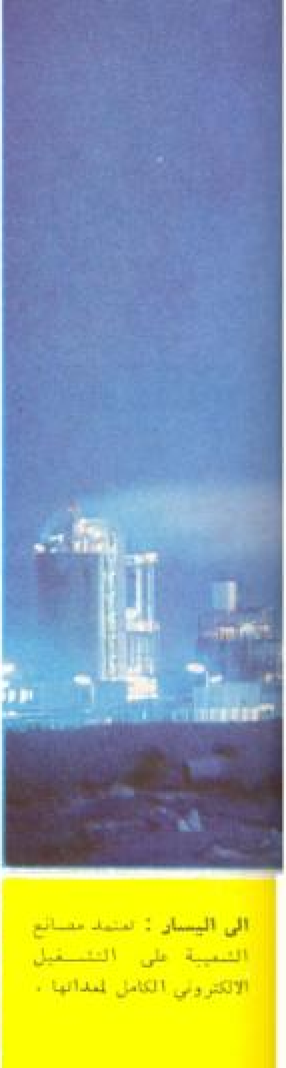
استطلاع الكويت

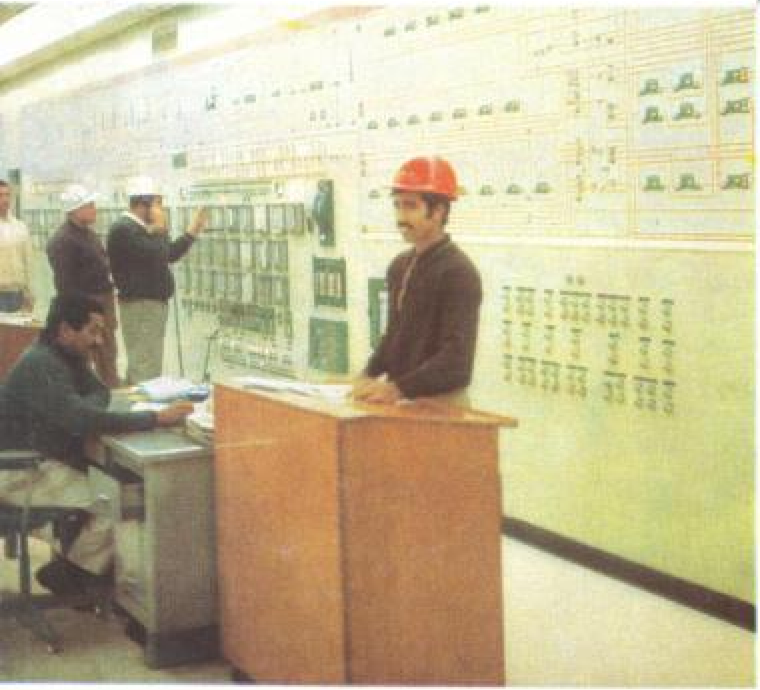
الشعيبة

- ماردٌ مِنَ الحَديدِ ظهرَ فوقَ رِمالِ الصحراء
- بَعْدَ مَرحلة تثبيت الأقدام بَدأت عمليةَ مضاعفة الانتاج !



بالرغم من الحرب الخفية التي شنتها التكتلات العالمية على مشاريع الشعبية ، الا ان المصانع ظلت صامدة تعمل باصرار .





الى اليسار : تعتمد مصانع الشعبية على التشغيل الالكتروني الكامل لمعداتها .

استطلاع :

سليم زبال

تصوير :

أوسكار مترى

■ غابة من الحديد، نبتت فوق رمال الصحراء.

غابة فريدة في نوعها ، غذاؤها الغاز والنفط والكهرباء !!

ظهرت على مسافة ٤٠ كيلو مترا جنوبي مدينة الكويت ، قرب قرية صغيرة مجهولة ، اعطت اسمها للغابة التي عرفت باسم: منطقة الشعيبة الصناعية.. ولم يمكث سكان القرية طويلا في قريتهم .. اذ من يستطيع مجاورة مارد حديدى ينفث باستمرار الغازات والابخرة، المتخلفة عن استهلاكه لنحو ٩١٦,٠٠٠,٠٠٠,١ متر مكعب من الغاز الطبيعي و ٤٢ مليون برميل من النفط الخام و ٧.٦ مليون كيلو واط ساعة كهرباء و ٦ ملايين متر مكعب من المياه ! ؟ !

وسرنا وسط غابة الحديد .. انابيب متشابكة ملتوية صعودا ونزولا خلناها فارغة ، واذا بها بالغاز والنفط والامونيا عامرة !

هدير الالات والمكابس والافران ، يختلط بصفير البخار المنطلق من الفتحات .. انها سيمفونية الحياة الحديثة التى بدات انغامها تشنف آذانا تعودت منذ القدم على اصوات الدفوف والطبول والحان المزمار والربابة والقيثارة !



يتم تصدير ٩٠٪ من الانتاج المثلج للشركة الكويتية الوطنية لصيد الاسماك ، عن طريق ميناء الشعيبة .. وتنقل كميات اخرى بالسيارات المكيفة الى لبنان.. وكمية قليلة من الروبيان المثلج تشحن بالطائرة من مطار الكويت الى سويسرا ، وبعض البلدان الاوربية .

ليست مدينة سكنية

واينما سرت في الشعيبة يجب ان تضع خوذة على راسك ، حذرا من اى قطعة حديد ان تصيبك خطا ، فانت هنا لا تسير في متنزه عام ، أو مدينة سكنية ، بل تسير في مدينة صناعية .. تشعر بذلك في كل خطوة تخطوها .

الآلات تهدر حولك .. ورائحة الغازات تزكم انفك ، مرة غاز النشادر ، ومرة غاز ثاني اكسيد الكبريت ، واخرى غاز ثاني اكسيد الكربون .. غازات عديدة تنطلق من الداخن ، فتتفاعل في جو الشعيبة لتعطي غازات جديدة !! ؟

من يسير الآلات ؟

والذى يلفت النظر فى الشعيبة هو انك لا ترى عمالا يقفون بجوار الآلات .. كل شيء هنا يعمل آليا .. ولكن من الذى يسيرها بهذا الانتظام وتلك الدقة ؟

« انه التحكم الاليكتروني في التشغيل واعداد البرامج » وطالبنا بزيادة التفاصيل .. فاخذونا الى غرفة جدرانها مغطاة بمئات المصابيح الصغيرة، صفراء وحمراء وخضراء ، والى جانبها عشرات الازرار والترمومترات الحرارية ، واكثر من عشرة هواتف ، وثلاث طابعات اليكترونية .. مصابيح ومعدات لا تتوقف عن الاضاءة والحركة ابدا :

احد الاجراس يرن بالحاح .. فينبعث النور الاحمر من المصباح .. يسارع احد المهندسين بتحريك الازرار .. هذا لتخفيف الضغط ، وهذا لزيادة البخار .. وذاك لتحويل الغاز .. وآخر لازالة ثاني اكسيد الكربون .. وهذا لماء التبريد .. وآخر للتسخين العالي السريع .. كل عملية لها ازرارها الخاصة .. بينما العقل الاليكتروني يعمل ٢٤ ساعة .. يعطي الارقام عن كميات الانتاج .. والمخزون .. ويحلل البيانات اللازمة لتشغيل المصنع ..

ويعمل موظفو غرفة العمليات وفق تعليمات تاتيهم من « الكيمائي الكبير » الذي يحدد نوعية المواد ونسبتها ، ودرجة الحرارة، ومقدار الضغط اللازم لانتاج السلعة المطلوبة . وطبقا لهذه التعليمات يقف المهندس الكيمائي امام لوحة الضبط، وطولها ..٢٠ قدم ، يوزع الكميات ، ونوعيتها ، ونسبتها ـ وذلك يتم بالضغط على الازرار وادارة المحركات .. دون أن يرى اى شيء من المواد او الالات ، فهو يقف في حجرة المراقبة المكيفة المقفلة عليه وعلى زملائه !

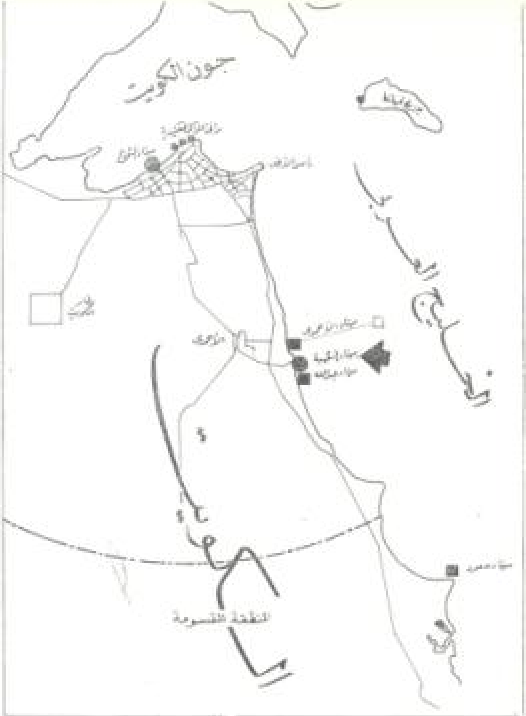
والعمل في هذه الحجرة مستمر طوال ٢٤ ساعة .. واذا توقفت فان المصنع نفسه يتوقف عن العمل !

الكويت تدفع ضريبة التصنيع

ان هدف الحكومة من اقامة منطقة الشعيبة الصناعية هو تنويع مصادر دخل الكويت ، بادخال صناعات تصديرية كبيرة تساعد في زيادة الدخل القومي للبلاد ، مع استغلال شامل منظم للمواد الاولية المتوفرة محليا ..

ومنذ صدور مرسوم بانشاء هيئة الشعيبة الصناعية ، في عام ١٩٦٤ ، والمنطقة تمر بتطورات جذرية مذهلة ، وصفها مدير ادارة الشعيبة السيد سليمان خالد الحمد بقوله :

« تحول شاطىء الشعيبة الهادىء في سنوات قليلة ، الى منطقة تعج بالعمل المنتج .. ففي داخل البحر يجثم ميناء الشعيبة .. وعلى الشاطىء تدور حركة هادرة للتوربينات البخارية والمقطرات ومصانع الامونيا السائلة ، والاسمدة الكيماوية ، ومحطات ضخ مياه التبريد .. وفي قلب المنطقة



خريطة توضح موقع منطقة الشعيبة الصناعية في الكويت .. وقد اختير مكانها عام ١٩٦٤ لعدة اسباب ، اولها : قربها من حقول النفط والغاز الطبيعي .. وثانيها : عمق المياه عند ساحلها .. وثالثها : خلو الموقع من اية عوائق طبيعية ..

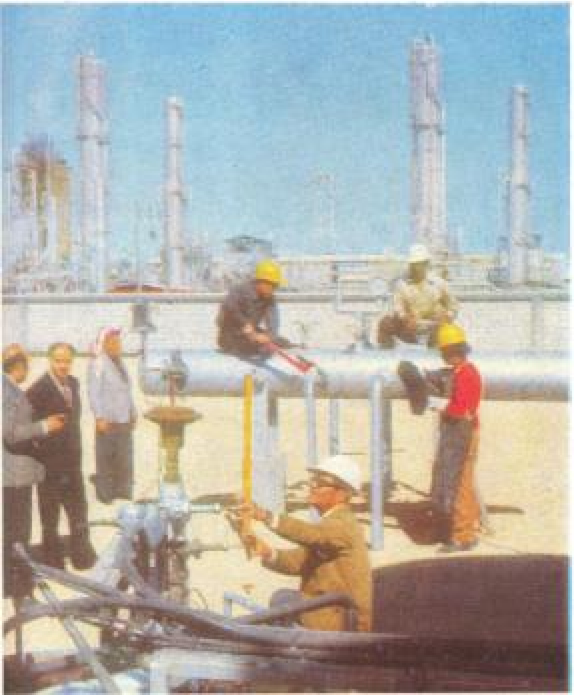
تهدر وحدات مصفاة الشعيبة ، وترتفع انشاءات مصنع الاسمنت ..

« ان السنوات الاولى في بناء قاعدة صناعية في بلد نام ، ليست أمرا هينا ، بل تحتاج الى جهد وعرق ومشقة .. انها ضريبة التصنيع دفعناها عن طيب خاطر .. كما كان علينا ان نواجه بكل قوة وعزم مشكلة النقص في الخبرات الفنية والادارية ، مع العمل على تكوين خبرات عند ابناء بلدنا تكون لنا حصنا في المستقبل القريب ».

لمن تدفع الرسوم ؟

ومما يذكر ان مساحة منطقة الشعيبة الصناعية تبلغ ثمانية ملايين واربعمائة الف متر مربع ، خصص منها ٦ر٥ مليون متر مربع للمصانع ..





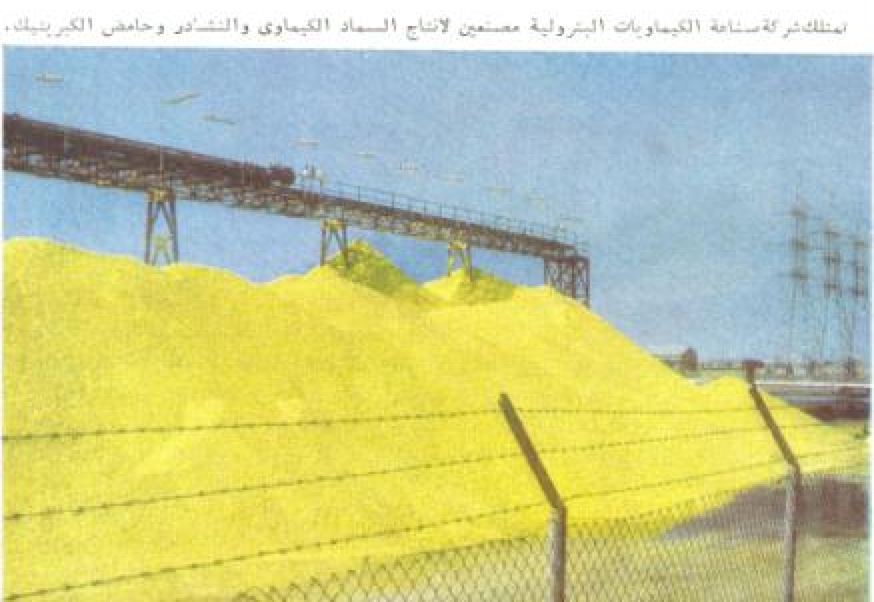
رغم التوسع الصناعي في الشعيبة الآن الناتج المحلي للقطاع الصناعي الكويتي لم تتجاوز حصته ٣٫٩٪ من مجموع الدخل القومي للبلاد .

الى اليسار : نصف مليون قدم مكعب من غاز النتروجين يتم ضخها كل ساعة من مصنع اوكسيجين الكويت بالشعيبة الى المصانع الكبيرة ، عبر ثلاثة أنابيب مطمورة تحت الارض .



الى اعلى : تعمل مصفاة شركة البترول الوطنية على استخراج الكبريت من النفط الخام ، وتقوم شركة الاسمدة الكيماوية بشراء كميات كبيرة من هذا الكبريت لعملياتها ، ، وما يفيض عنها يصدر للخارج ،

تمتلك شركة صناعة الكيماويات البترولية مصنعين لانتاج السماد الكيماوي والنشادر وحامض الكبريتيك ،



واقيم على الباقي مكاتب وطرق مجموع اطوالها ١٢ كيلو مترا ، تربط بين المكاتب والمصانع ومختلف المؤسسات والمنشآت في الشعيبة ..

وتدفع المصانع ايجارا رمزيا قدره ٥٠ فلسا سنويا ، عن كل متر مربع تستغله في المنطقة ، وقد استأجرت شركة البترول الوطنية ارضا مساحتها ١٢٢٠٠٠٠ متر مربع ، واستأجرت شركة الاسماك رصيفا لاستقبال سفنها وتصدير انتاجها ، تدفع عنه ٦٧٥ فلسا ايجارا سنويا عن كل متر مربع ..

ان ادارة الشعيبة عندما تتقاضى هذه الرسوم لا تستهدف الربح ، وانما تتقاضاها لتحسين وتطوير الخدمات التى تقدمها للمصانع ، ولتسديد القروض التى حصلت عليها من وزارة المالية ، وهى قروض واجبة الاسترداد باكملها . لان ادارة الشعيبة هى ادارة عامة حكومية مستقلة اداريا وماليا .. مهمتها الرئيسية الاشراف على تنفيذ وادارة الاعمال والمشاريع المتصلة بالخدمات داخل المنطقة الصناعية ، بما في ذلك الميناء التجارى ورصيف الزيت .

وبمعنى آخر ان ادارة الشعيبة مسئولة عن الطرق والمجارى والارصفة ، وحماية المنطقة من سيول الامطار ، ومد المصانع بحاجتها من مياه التبريد والغاز ، ودراسة مشاريع الصناعات الجديدة في المنطقة ، والتلوث ، والمشاكل والمنافع الاجتماعية للتصنيع .. وتقوم بتنفيذ هذه الواجبات اما مباشرة او بالتعاون مع الجهات الحكومية الاخرى .

ثلاثة انواع من المصانع

والصناعات العاملة في منطقة الشعيبة احتلت حتى الآن حوالى مليونى متر مربع من مجموع ٦ر٥ مليون متر مربع مخصصة للمصانع ، وهذه المصانع ثلاثة انواع :

مصانع انتاج كبرى ، ومصانع خدمات ، ومصانع تكميلية ..

ولو اخذنا كل صناعة على حدة ، لوجدنا ان اول مصانع بدات مرحلة الانتاج في المنطقة كانت مصانع شركة الاسمدة الكيماوية* في عام ١٩٦٦ وكانت ملكية الشركة انذاك تتوزع بين ثلاث شركات كبيرة ، اما اليوم فقد اشترت شركة صناعة الكيماويات البترولية ، وهي شركة كويتية حصص كل الشركاء واصبحت هي المالك الوحيد لمصانع الاسمدة الكيماوية .

فائدة اليوريا

وجلسنا الى الاستاذ عبد الباقي النورى رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب لشركة صناعة الكيماويات البترولية ، فسألناه عن مختلف شئون الاسمدة فقال :

عدد سكان العالم في ازدياد مستمر .. والطلب على الغذاء يتبع زيادة السكان ..والزراعةأصبحت مستحيلة بدون سماد .. ان العالم يستهلك ١٠٠ مليون طن سنويا .. والسماد الطبيعى المتوفر في العالم كله لا يزيد وزنه على مليون طن .. لهذا اصبحت حاجة العالم واضحة الى سماد كيماوى .

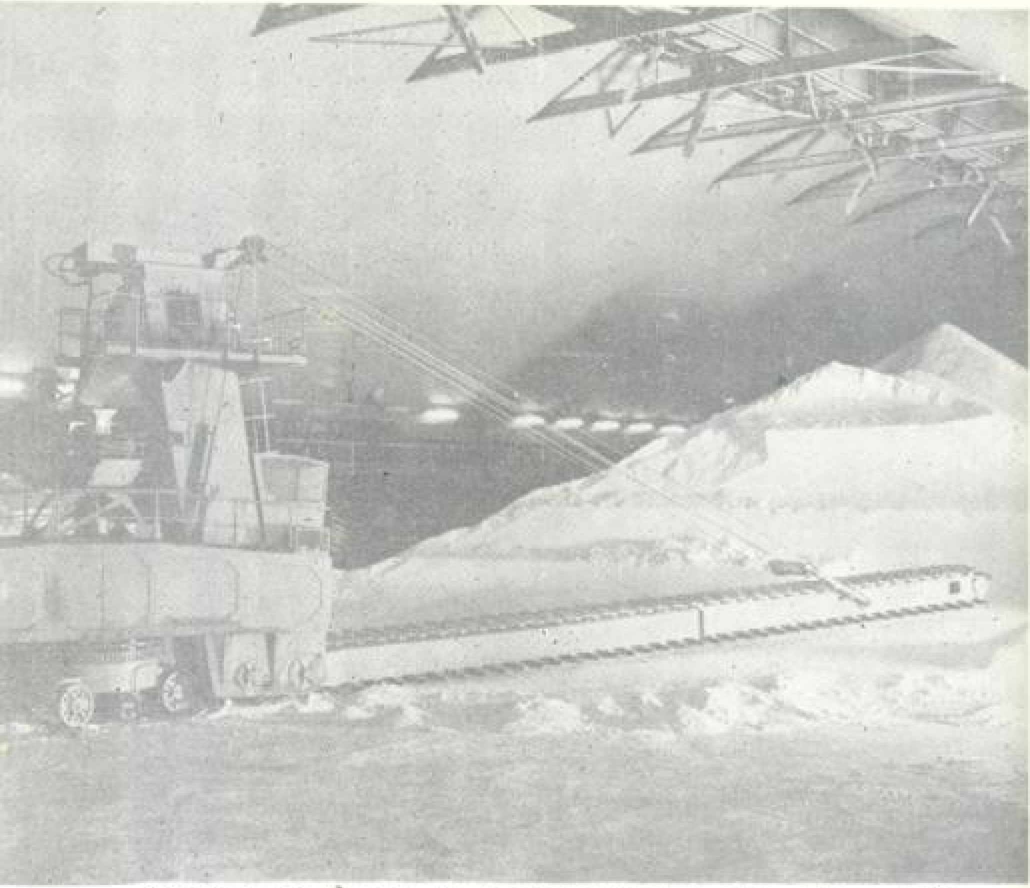
« ومن هنا كان اتجاهنا في الكويت الى انتاج سماد اليوريا .. وهو اكثر الاسمدة الكيماوية احتواء على وحدات غذائية ، فهو يحتوى على ٤٦ وحدة ، أى ٤٦٪ منه من النيتروجين .. وهى اكثر النسب ارتفاعا في الاسمدة ، اذ يحتوى سماد نترات الجير مثلا على ١٥٪ نيتروجين ، وسماد نترات الشيلى يحتوى على ١٦٪ وسلفات النشادر ٢١٪

« وهذه الميزة في سماد اليوريا الذى ننتجه تجعله بالغ الاهمية ، اذ أن حجم الاسمدة كلها واحد ، ولكن درجة النيتروجين التى فيها هى التى تختلف ، فأنا عندما أنقل طنا واحدا من سماد اليوريا ، كأنى نقلت ٣ أطنان من نترات الجير ، تعادله في احتوائها على القيمة الغذائية .. ويظهر انه لن يكون هناك في القريب العاجل سماد اكثر تركيزا من سماد اليوريا » .

التصدير الى ٢٣ دولة

ويتابع الاستاذ النورى حديثه قائلا : « اننا نصنع سماد اليوريا للتصدير الى جميع بلاد العالم ، فالكويت كما هو معروف ليست بلدا زراعيا ، وبالتالى فهى لا تستهلك شيئا من انتاجنا

* راجع استطلاع العربي عن صناعة الاسمدةبالكويت في العدد ١٠٣ يونيو ١٩٦٧ .



بعد الانتهاء من صناعة سماد اليوريا يوضع الانتاج في مخزن واسع كبير ، يقوم حزام ناقل متحرك بنقله الى مكان تعبئته .. وفي عام ١٩٧٢ تم انتاج ٥١٤٦٤١ طن متري من سماد اليوريا ، بيع منها ٤٨٢٦١٤ طن الى ٢٩ دولة مختلفة .

.. ومن حسن حظ الكويت انها تقع وسط منطقة تستورد ٧٥٪ من تجارة اليوريا العالمية ففي عام ١٩٧٢ قمنا بتصدير انتاجنا الى ٢٣ دولة مختلفة .

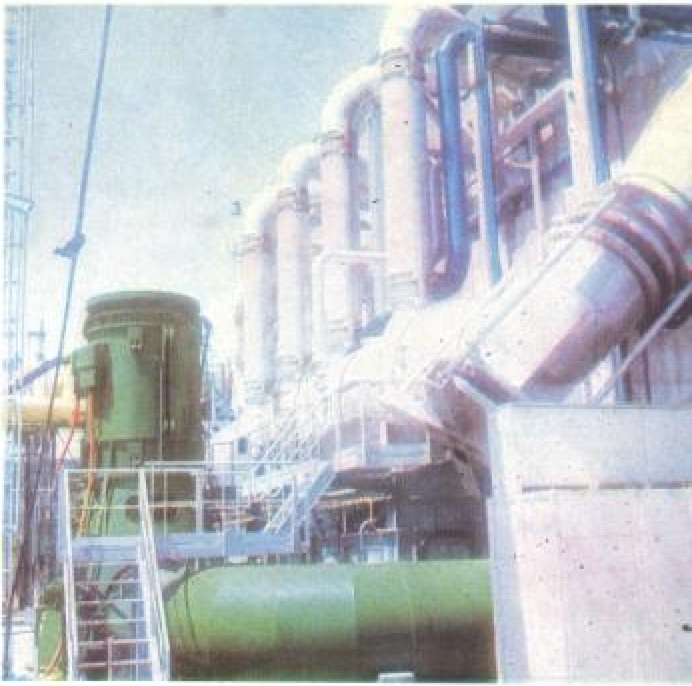
« ان الطلب العالمي على اليوريا زاد عن المعروض منذ منتصف عام ١٩٧٢ بسبب طلبات كبيرة مفاجئة جاءت من الهند والباكستان ، فارتفع ثمن الطن الى ٧٥ دولارا ، بعد أن كان عام ١٩٧١ هو أسوأ عام في تاريخ صناعة الاسمدة الكيماوية العالمية من جهة الاسعار .. »

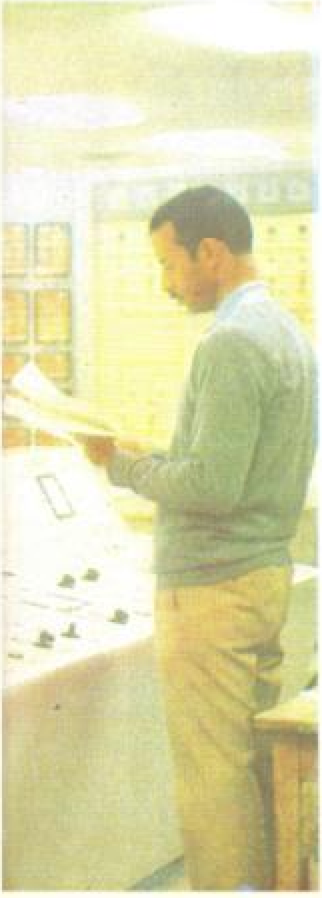
صناعة اليوريا لم تعد صناعتهم

ويتابع رئيس شركة الصناعات الكيماوية حديثه قائلا : « ولا يوجد حاليا لدى دول أوربا أو اليابان اي مشروع لزيادة التوسع في صناعة اليوريا .. وهم يقولون ليست عندنا طاقة اضافية نستطيع تحويلها الى هذه الصناعة ، كما لم يعد بامكاننا منافسة دول النفط من ناحية موقعها قرب الاسواق ، ولا من ناحية امتلاكها لطاقة اضافية .. انه تسليم عالمي بأن صناعة سماد اليوريا لم تعد صناعتهم .. لقد اتجهوا الى انتاج مواد أخرى تحتاج الى تكنولوجيا اكثر تعقيدا ..

« من هنا تبرز أهمية دور دول الخليج العربي في هذه الصناعة الحيوية بالنسبة لكثير من البلدان النامية .. واذا كانت حصة الخليج العربي اليوم من التجارة الدولية لسماد اليوريا هي ١٢٫٥٪ (الانتاج السنوي للكويت ٦٣٠ الف طن متري ـ السعودية ٣٦٠ الف ـ قطر ٣٣٠ الف

الى اليمين : تضم منطقة الشعيبة محطتين لتوليد القوى الكهربائية وتقطير مياه البحر ، تعتبر الجنوبية منهما أكبر محطة من نوعها في الشرق الاوسط ، اذ تبلغ طاقة انتاجها الكهربائية ٥٣٦ الف كيلواط ، الى جانب ٢٠ مليون جالون من الماء تقطرها يوميا .. وتعتمد المحطتان على الغاز الطبيعي لادارة المراجل وتسخين مياه البحر في المقطرات .. ويتم ايصال الغاز من حقل برقان الى المحطتين عبر انبوبين قطر كل منهما ٢٦ بوصة .





الى اسفل : تشكل صناعة الاسمدة الكيماوية اول محاولات لتنويع موارد الدخل القومي الكويتي ، ومن هنا كان اهتمام الدولة كبيرا بهذه الصناعة .





تعبأ بعض منتوجات مصفاة البترول الوطنية داخل براميل لنقلها بالسيارات لأسواق الكويت .

الى اسفل : من هذه الغرفة ، تتم عملية التحكم الالكتروني في تشغيل مصفاة شركة البترول الوطنية .. ويبلغ طول لوحة الضبط المركزية اكثر من ٢٠٠ قدم .



ايران ٢٢٠ الف ـ العراق ٥٦ الفا فانه ينتظر ان ترتفع حصة الخليج العربي الى ما يزيد عن ٢٠٪ عندما يتم تشغيل مصنع قطر ، وتنفيذ المشاريع الحالية الواسعة لدى الجمهورية العراقية ..

ويهمني ان اؤكد لكم انه مهما تنشأ من مصانع جديدة في هذه المنطقة ، او يتم توسيع المصانع الحالية ، فان تلك المصانع لن تستطيع ان تسد الا اجزاء بسيطة من احتياجات منطقة شرق افريقيا ، وجنوب شرق آسيا ، من سماد اليوريا الحيوي .. »

سنتوقف عند مليون طن !

قلنا : « وماذا عن مشاريعكم الحالية والمستقبلة ؟ »

قال : « صناعة الاسمدة الكيماوية باب واسع دخلناه على مستوى عالي ، ولا يمكننا التوقف في منتصف الطريق ، والا فقدنا مركزنا التجاري في معظم الاسواق الدولية ، التى كلفنا دخولها الاموال والجهود الطائلة ، لهذا نرانا نتابع بعين ساهرة التقدم التكنولوجي السريع في العالم ..

« ومصانعنا لا تنتج سماد اليوريا فقط ، وانما تنتج كذلك سلفات النشادر ، والنشادر ، وحامض الكبريتيك .. ونحن ندرس حاليا امكانية زيادة انتاج اول مصنع لليوريا انشأناه في عام ١٩٦٦ من ١٦٥ الف طن الى ٢٢٥ الف طن سنويا ..وكذلك ندرس اقامة وحدة رابعة لانتاج اليوريا قدرتها ٢٥٥ الف طن سنويا .. واذا تحققت نتائج هذه الدراسات فان انتاجنا سيصل الى ٩٠٠ الف طن.

« ونتوقع ان ننتج حوالى مليون طن من سماد اليوريا عام ١٩٧٥ ، وهذا الرقم هو الحد الاقصى لامكانيات الشحن والتحرك في منطقة الشعيبة الصناعية،واذا رأينا من صالحنا الزيادة في انتاج اليوريا ، فانه يجب اعادة النظر في مخطط منطقة الشعيبة باكملها .. ولكن من الارجح ان نكتفي بهذا القدر من انتاج اليوريا ، ونتوسع في انتاج اصناف اخرى من الكيماويات البترولية ..

« وهذا لا يعنى باننا قد لا ندخل مستقبلا في مشاركات مع بلدان الخليج العربي المنتجة للنفط، من اجل مشاريع كيمياويات بترولية عديدة ، ومنها الاسمدة ، في بلاد عربية مختلفة ، تعود بالخير والفائدة على الجميع .. »

١٦ نوعا من منتجات النفط

وتركنا مبنى ادارة شركة الاسمدة في الشعيبة وعبرنا الطريق فوجدنا انفسنا امام مصفاة شركة البترول الوطنية .. انها اللؤلؤة التى يفتخر بها كل عامل في الشعيبة ويقول لك : « انها اول مصفاة في العالم تعمل كليا بالهيدروجين » .

والواقع انها مصفاة مهيبة ضخمة ، يحتار المرء من اين يبدأ بالكتابة عنها ، فهي تاخذ يوميا ١١٥ الف برميل من النفط الخام ، تأتيها بانبوبين من حقل برقان الكبير وحقل ام قدير .. ويتوزع هذا النفط الخام على ١٦ وحدة رئيسية عاملة في المصفاة تحوله الى ١٦ نوعا مختلفا من منتجات النفط ، من اهمها البنزين الخاص (٩٨٪ اوكتين) والديزل الخفيف والثقيل،والنافتا ، والكيروسين الخفيف والثقيل ، وكيروسين الطائرات النفاثة ، والكبريت ، وانتاج الهيدروجين والنيتروجين ..

زيادة الانتاج

وتتم عملية تشغيل جميع اقسام مصفاة البترول ، الموزعة على ارض مساحتها مليون و ٢٠٠ الف متر مربع ، من داخل غرفة العمليات بواسطة الضغط على الازرار .

وفي عام ١٩٧٢ انتجت المصفاة ٥ر٥ مليون طن من مختلف المنتجات ، وصدرت ٧ر٤ مليون طن .. اى ما نسبته ٥ر٨٥٪ من الانتاج ، والباقى تم استهلاكه محليا ..

ان مصفاة البترول ، مثل شركة الاسمدة الكيماوية ، استطاعت الصمود ، وتخطى جميع المتاعب والعراقيل التى صادفتها منذ تاسيسها عام ١٩٦٨ واليوم اصبحت كل قطرة من انتاجها تباع محليا وعالميا .. وهذا ما دفع بالمسئولين عن المصفاة الى دراسة امكانية زيادة انتاجها من ١١٥ الف برميل يوميا الى ١٨٠ الف برميل ، لمجابهة الطلبات المتزايدة على المنتجات المكررة .. وقد بدات بالفعل عملية بناء صهاريج ومستودعات لتخزين الانتاج الجديد من المصفاة . .

اخدم نفسك ..

وقبل ان نتابع جولتنا على بقية المصانع ، تعالوا نسترح قليلا في احد مطاعم الشعيبة . انه

من الأماكن القليلة التى تستطيع ان تنزع فيهـا الخوذة من فوق راسك ، ولكن مع ذلك تجد فى المطعم اناسا ياكلون وعلى راسهم الخوذة ، وكانهم يخافون من طعام قد ينسكب فوق راسهم !

والاكل فى مطاعم الشعيبة يتم على اسـلوب : اخدم نفسك بنفسك ... ووجبات الطعام تاتى جاهزة من فندق كبير بالكويت .. تدفع الشركة نصف الثمن ، والموظفون النصف الاخر .. وعدد العاملين فى منطقة الشعيبة اصبح الآن اكثر من ٣٧٠٠ عامل وموظف . وتناول وجبة الطعام فى الشعيبة لا يستغرق زمنا طويلا ، لان الات المصانع لا تتوقف عن الدوران طيلة دوران عقارب الساعة .. لهذا عليك ان تاكل وترحل بسرعة !

القانون ينقذ الاسمنت

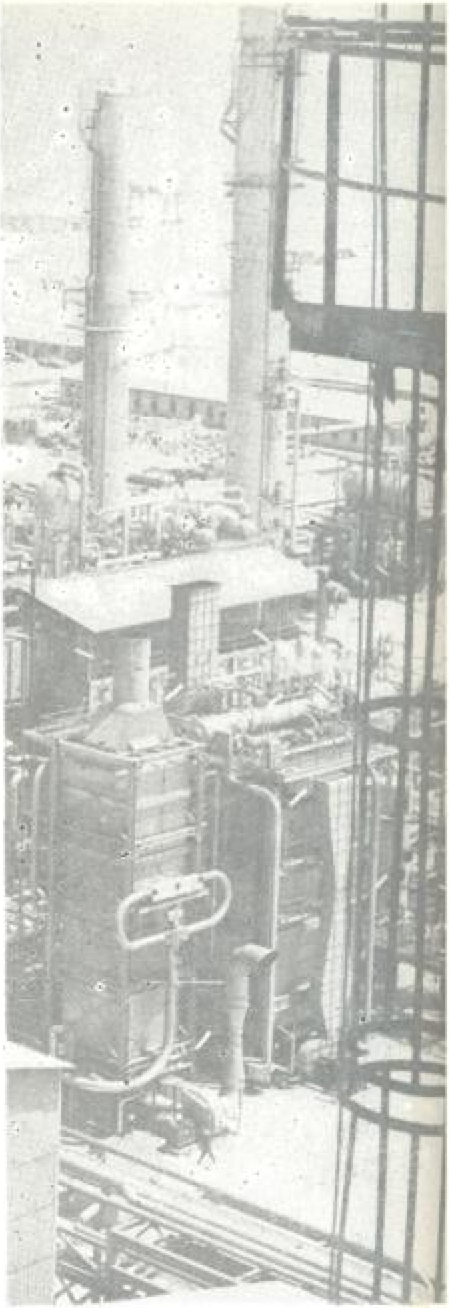
واتجهنا بعد هذه الاستراحة القصيرة الى احدث مصانع الشعيبة .. انه مصنع الاسمنت الـذى فتح ابوابه رسميا فى منتصف عام ١٩٧٢ وسـط جو عاصف من المنافسة ، فقد كان السوق المحلى الكويتى فى حالة اغراق Dumpid بكميات كبيرة من الاسمنت الخارجى المستورد .

وادركت الحكومة خطورة وضع المصنع الوليد ، فسارعت باصدار قرار وزارى ينص على استعمال الاسمنت المحلى وحده فى مناقصات وزارة الاشغال ..مع تحديد اسعار منتجات الاسمنت لفترة ثلاث سنوات ..

وكان هذا دعما ايجابيا قويا لمصنع الاسمنت فى بداية انتاجه ، ونتيجة لهذا القرار الحكيم تم بيع كل انتاج المصنع لعام ١٩٧٢ .

ان أسواق الكويت تستهلك ٧٥٠ الف طن من الاسمنت سـنويا ، فى حين أن الطاقة الاجمالية للمصنع هى ٢٠٠ الف طن تقريبا ، اى اقل من نصف حاجة الكويت السنوية .

لهذا بدا العمل على زيادة طاقة المصنع مـع تبديل فى أسلوب عمله ، لان الالات الموجودة حاليا لا تعدو اكثر من طاحونتين هائلتين تطحنان وتخلطان مادة الكلنكر (الحجر الجيرى المحروق) مع الجبس بنسبة ٩٦٪ و٤٪ لكل منهما .



هذه هى وحدة انتاج النشادر السائل فى مصنع شركة صناعة الكيماويات البترولية التى انتجت ٢٩٠٥٢٦ طنا متريا من النشـادر فى عـام ١٩٧٢ .



الى اليسار : ميناء الشعيبة ، ويضم ثلاثة ارصفة تستعمل لاغراض مختلفة، اولها رصيف مخصص لشحن المنتجات النفطية السائلة ، وثانيها مخصص للاغراض التجارية ، وثالثها مخصص للقوارب الصغيرة ومراكب صيد شركة صيد الاسماك الكويتية .. وبدأ استعمال ميناء الشعيبة عام ١٩٦٧ وهو لا يتقبل الا البواخر التي لها علاقة بالمنطقة ، ولكنه يتجاوز عن هذا الشرط ، عندما يشتد الضغط على ميناء الشويخ التجاري ، فيساعد في عمليات تفريغ البواخر المتاخرة .



٧٨ سفينة صيد أسماك ، تقف على الرصيف في حوض السفن الصغيرة بالشعيبة .. وهو حوض تتوفر له الحماية الكاملة من الامواج ، ومنه يتم تصدير اغلب انتاج شركة الاسماك الكويتية ، التي تستأجر الرصيف بمبلغ ٦٧٥ فلسا للمتر المربع سنويا ..

الى اسفل : سفينتان حمولة ٨٥ الف طن لكل منهما ، باستطاعتهما الرسو والتحميل في وقت واحد على رصيف المنتجات السائلة في ميناء الشعيبة .. وتقوم شركة البترول الوطنية بادارة هذا الرصيف وتصدير منتجاتها منه ، وقد بلغت كمياتها خمسة ملايين طن مترى في عام ١٩٧٢ هذا الى جانب ٤٥ الف طن من النشادر السائلة ، انتجها مصنع الاسمدة الكيماوية في الشعيبة ، وتم تصديرها من نفس هذا الرصيف ، الذى يبعد ١٨٠٠ متر عن الساحل .





يتم تسويق انتاج مصنع الاسمنت داخل اكياس وزن الواحد منها ٥٠ كيلو جراما .. وقد اتبع المصنع اسلوبا جديدا مع المهندسين والمقاولين وهو ايصال الاسمنت السائب حتى موقع العمل بسعر يقل عن سعر الاسمنت المعبأ ..

الكلنكر في الكويت !

ومادة الكلنكر تستوردها الكويت من العراق باسطول ضخم من السيارات الضخمة عددها ٢٠٠ سيارة تنقل يوميا هذه المادة من جنوب العراق الى الشعيبة ، بموجب مناقصة عالية ، فازت فيها العراق فاصبحت المورد الوحيد لمادة الكلنكر الى مصنع الاسمنت حتى نهاية عام ١٩٧٤ .

وتجدر الاشارة الى ان مادة الكلنكر متوفرة في ارض الكويت ، وقد أجرت ادارة الصناعة بوزارة التجارة والصناعة اول دراسة عليها في عام ١٩٦٢ ثم تعاقدت شركة الاسمنت مع مستشارين عالمين لاجراء بحث جيولوجي جديد ،وقام الخبراء باجراء حفريات وصلت الى اعماق ٥٢ مترا في مناطق الصباعية وميناء سعود، وخيران ، وطريق الوفرة - الاحمدى .. وقدموا تقريرهم في اول ديسمبر من عام ١٩٧٣ يؤكدون فيه وجود نحو مائة مليون طن من هذه المادة الاولية .. وهي كمية تكفي حاجة الكويت لاكثر من مائة سنة قادمة .

وهكذا تقرر اقامة مصنع كامل لانتاج الاسمنت في الشعيبة ، يعتمد على الخامات المحلية في انتاجه، وستتراوح كمية الانتاج من ٦٠٠ الى ٧٥٠ الف طن سنويا ..

كهرباء وماء ...

والى جانب المصانع الرئيسية في الشعيبة تقوم مصانع الخدمات ، اى التى تزود المصانع الكبيرة بحاجاتها المختلفة من ماء وكهرباء وغازات واصلاحات . .

واهم هذه المصانع محطتان كبيرتان لاستخراج القوى الكهربائية والماء .. اولاهما محطة الشعيبة الشمالية، وتنتج ٤٠٠ الف كيلو واط من الكهرباء، ولم تكن هذه الطاقة كافية لسد احتياجات مصانع الشعيبة ، فتم انشاء محطة الشعيبة الجنوبية بطاقة قدرها ٥٣٦ ألف كيلو واط، وهكذا اصبح مجموع السعة الانتاجية المتوفرة للطاقة الكهرباء في الشعيبة هي ٩٣٦ ألف كيلوواط ، ينتظر أن ترتفع الى ١٢٠٤ الف كيلوواط في عام ١٩٧٤ بعد تركيب الوحدات الجديدة في محطة الشعيبة الجنوبية ..

والى جانب الكهرباء تقوم المحطتان بانتاج ٢٤

مليون جالون من الماء المقطر يوميا ، سترتفع الى ٤٤ مليون جالون يوميا عندما تبدأ الوحــدات الجديدة عملها في عام ١٩٧٥ .

وهذه الكميات من الماء رغم ضخامتها ليست كافيةلـه احتياجاتالصناعات الثقيله في المنطقة، لهذا أخذت ادارة الشعيبة على عاتقها مسئولية مد المصانع بنحو ١٢٠ مليون جالون من ماء البحر في كل ساعة ، لاستعماله في تبريد الالات والمعدات في المصانع ..

نيتروجين واكسجين وصيانة !

ومن مصانع الخدمات الاخرى في الشعيبة مصنع انتاج النيتروجين والاكسجين ، تنتجهما شركة اكسيجين الكويت بمقدار ....٥ قــدم مكعب في الساعة من النيتروجين ، ومثلها من الاكسيجين .. وتقوم بضخ النيتروجين عبر ثلاثة خطــوط الى المصانع الكبيرة لتنظيف انابيبها قبل مرور المواد البترولية فيها . .اذ يقوم غاز النيتروجين « بطرد » الهواء من الانابيب ، لان وجود الهواء الذى يحتوى على الاكسيجين داخل الانابيب ، ممكن ان ينتج عنه انفجارات وحرائق عند مرور المواد البترولية فيها ..

اما الاكسيجين الذى ينتجه المصنع سائلا وغازا، فيعبأ في اسطوانات خاصة ، ويرسل الى الكويت لاستعماله في الاغراض الطبية والصناعية ..

ومن مصانع الخدمات في الشعيبة مصنع صيانة وهندسة المصافى ، الذى يقوم بتقديم خدمــات هامة واساسية من أجل صيانة واصلاح كافة انواع المعدات والالات في مصانع الشعيبة ..

روبيان مثلج !

والى جانب هذه المجموعة من المصانع نجـد مصنعين تكميليين : أحدهما لتثليج الروبيان ، (الجمبرى) والاسماك التى يصطاد منها اسطول شركة صيد الاسماك حوالى ١٥ طنا يوميا يتم تثليجها وتصديرها من الشعيبة ..

والثانى مصنع لانتاج شباك الصيد ، وآخـر لطحن مخلفات الاسماك وتحويلها الى غذاءللدجاج.

وتقوم سفن اسطول شركة الاسماك الكويتية باستغلال احد الارصفة الثلاثة في ميناء الشعيبة كقاعدة ارضية لها ..

هدفنا : صناعات متكاملة

اما المصنع الاخير في الشعيبة فهو مصنع انتاج الطين الخاص المستعمل في حفر آبار البترول .. وطاقته تبلغ ١٣ طنا يوميا .

وبعد انتهاء جولتنا بين مصانع الشعيبة اتجهنا الى السيد محمد سنان مدير جهاز التنميـــة والتخطيط بالادارة العامة للشعيبة ، نسأله عن مشاريع المستقبل في المنطقة فقال : « ان الذى نسعى اليه في الشعيبة هو ايجاد صناعات متكاملة تستفيد من انتاج بعضها البعض ، ومن التسهيلات الموجودة في المنطقة مثل الميناء والكهرباء والغاز ومياه التبريد .

« والمصانع الموجودة حاليا تحتل نحو مليونى متر مربع من الارض ، وما زالت عندنا ثلاثة ملايين و٦٠٠ ألف متر مخصصة للمصانع الجديدة .. وقد انتهت الدراسات من أجل اقامة مصنع لاسالة الغاز ، ومصنع للحديد والصلب ، ومصنع لانتاج زيوت التشحيم .. وما زالت الدراسات جارية في مشروعات صناعية أخرى ، وخصوصا صناعـــة الكيماويات البترولية .

« ان زيادة كفاءة وانتاج المصنعلا تعنى بالضرورة زيادة حجم الارض المخصصة له ، اذ قد لا يتعدى الامر تبديل قطعة من آلات المصنع لزيادة انتاجه .. ومع ذلك فهناك تعاون وتنسيق بيننا وبين بلدية الكويت للتوسع شمالا ، وضم قرية الشعيبة الى المنطقة الصناعية بعد تهجير اهل القــرية وتعويضهم .. »

الخطوة التالية

ان منطقة الشعيبة أصبحت ماردا جبارا بعد ان تجاوزتمرحلة تثبيت الاقدام صناعيا فيالكويت، وتجاريا في الاسواق العالمية .. وهي اليوم تستعد للخطوة التالية ،وهى مضاعفة انتاجها الذى أصبح كله يباع مقدما . ■■

سليم زبال

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الفرق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية

● ما الفرق بين القرآن الكريم والاحاديث القدسية ؟

مائدة نجيب محمود ـ المنصور ـ بغداد

ـ نحن ـ المسلمين ـ نؤمن ان القرآن الكريم كتاب انزله الله تعالى على نبيه محمد عليه السلام، ليكون حجته لدى البشر ، ورسالته اليهم ، والقرآن مقسم سورا ، ولكل سورة آياتها الخاصة المحددة ، وكلها قد حفظت كما هي منذ عهد النبي حتى الآن ، وقد تم حفظها منذئذ بطريقتين : كتابتها في السجلات او المواد الميسورة يومئذ،واستظهارها في الصدور ، وقد تواترت مسجلة كما دوّنها كتّاب النبي في عهده ، ثم غيرُهم بعد ذلك ، كما تواترت مستظهَرةً في صدر النبي وصدور صحابته ومن بعدهم حتى اليوم ، فثبوتها يقيني بحكم هذا التواتر ، لم تتعرض لتحريف ولا زيادة ولا نقص ، ولم يعتمد فيها الا على لغتها الاولى (العربية) وهذا ما لم يجتمع لأى كتاب آخر مقدس . وقد نزلت آيات القرآن خلال ثلاث وعشرين سنة تقريبا، منجمةً على النبي ، وفاقا للمناسبات او نحوها، منذ هبط عليه الوحي في غار حراء بمكة الى ما قبل وفاته بالمدينة ، وهذا ما مكن لصياتنها كلمة كلمة وحرفا حرفا ، ووعتها المصاحف المنتشرة حتى الآن بالعشرات ، ثم المئات والألوف وعشراتها قبل الطباعة ، وهي الآن بالملايين ، فالقرآن يقيني الثبوت كأقوى ما يثبت يقين في النقل .

ومعروف أن النبي كان يرضى من كل قبيلة أن تنطق بالقرآن على وفق لهجتها ، تيسيرا لها ، مع التقيد بالنص ، وكانت للقرآن ولم تزل قراءات أو تلاوات محدودة معروفة متواترة ، وهي مع اختلافها تجتمع لها ثلاثة امور : انها توافق لغة العرب ولو من وجه ، وانها متواترة السند : نقلها جماعة عن جماعة حتى النبي ، وانها توافق الرسم في المصاحف العثمانية (المكتوبة في عهد الخليفة عثمان) فكل ما فقد شرطا من هذا الشروط فليس بقرآن . واللهجات التي انتشر بها القرآن هي القرشية (لهجة قريش قبيلة النبي) ولهجة بني سعد (الذين رضع فيهم النبى) ولهجة ثقيف (سكان الطائف القريب من مكة) ولهجة هذيل وكنانة واسد وقيس ، وكل هذه القبائل كانت تسكن وسط الجزيرة ، بعيدا عن اطرافها حيث يكثر الاتصال بالاعاجم . واعتقادنا نحن المسلمين ان النبي ـ عليه السلام ـ الهم معاني القرآن والفاظه معا ، ولذلك نسنده الى الله ، فنقول : « قال الله » او نحو ذلك .

اما الاحاديث القدسية فقد الهم الله معانيها لنبيه ، وفوض اليه التعبير عنها ، فنقلها مسندة الى ربه ، ولكنه صاغ معانيها بلفظه كما صاغ معانيه الشخصية ، ثم ان الاحاديث القدسية لم تنقل متواترة كالقرآن ، بل نقلت بطريق الآحاد ، فهي لا تضارع القرآن في يقينية ثبوتها . ثم ان مجال القرآن واسع ، فموضوعاته تشمل كل ما فيه مصلحة البشر في علاقة الفرد بربه وبنفسه وبغيره من الناس والكون جميعا ، ففيها العبادات، والاخلاق ، وطرق التفكير والقوانين والنظم العامة. ومجال الاحاديث القدسية ضيق، فاغلب موضوعاته الاخلاق والجزاء الاخروى ، ولا يقال في الحديث القدسي : « قال الله » بل يقال : « قال النبي فيما روى عن الله » أو نحو ذلك . والاحاديث القدسية لها قراءة واحدة كالاحاديث النبوية ، لا جملة قراءات كالقرآن ، ومن هنا ايضا يتضح الفارق بين الأحاديث القدسية والاحاديث النبوية الخالصة .

(م . غ . ت)



جمعيات حماية المستهلك ليست فى امريكا وحدها

● قرانا في العربي ما نشرتموه عن رالف نادر المحامي الامريكي اللبناني الأصل ، الذي خصص وقته كله لعمله في حماية المستهلك من استغلال الشركات .. فهل هناك جمعيات لحماية المستهلك في بلاد أخرى غير أمريكا .. ؟

سمير سلام ـ الزرقاء

ـ ان فكرة حماية المستهلك فكرة قديمة جدا : فقد نصت القوانين القديمة على حماية المستهلك من الغش في الموازين .. ونص القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى : « وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » . ولكن بتطور التكنية الصناعية ، وانتشار وتعدد المنتجات الصناعية المتنافسة ، وحملات الدعاية لهذه المنتجات في وسائل الاعلام المختلفة ، اصبح المستهلك في حاجة لمن يرشده الى اختيار المنتجات الأحسن والتى تفيده فعلا . كما ان عملية التعليب اخفت عن المستهلك كنه الشيء الذى يشتريه . ولذلك وجب ان تقوم جمعيات أهلية تعمل من اجل حماية المستهلك الى جانب الادارات الحكومية التى تشرف على انتاج هذه الشركات . وقد ادى هذا التقدم التكنى الى تعدد جمعيات حماية المستهلك وانواعها .. فهناك جمعيات تقوم بفحص المنتجات، وجمعيات تمارس الضغط على الشركات المنتجة لتخفيض اسعارها عن طريق مقاطعة المستهلكين للبضائع ، وجمعيات تقدم محاضرات لارشاد المستهلك ، وكذلك توجد مجالس للمستهلكين ، ذلك كله الى جانب الادارات الحكومية الرسمية التى تتولى حماية المستهلك عن طريق التفتيش الصحى على المنتجات الغذائية مثلا ، او التفتيش الهندسي على المنتجات الصناعية مثل السيارات، والتى تقوم ايضا بوضع قوانين ومواصفات الانتاج الصناعى . ومن اهم اغراض جمعيات حماية المستهلك :

١ ـ ضمان دقة الموازين ، وكتابة وزن محتويات المعلبات بوضوح عليها .

٢ ـ ضمان مطابقة المعلبات الغذائية للشروط الصحية .

٣ ـ سحب المنتجات الخطرة من الاسواق .

٤ ـ مكافحة الاعلانات الكاذبة ، وخاصة في مجالات الأدوية والمنتجات الطبية .

٥ ـ تكوين لجان تقوم بفحص المنتجات المتنافسة ونشر تقارير عنها في الجرائد مع ذكر علاماتها التجارية حتى يعرف المستهلك ماذا يشترى .

٦ ـ تدريس قواعد الاستهلاك في المدارس حتى يكون الطلبة ، وهم المستهلكون الجدد ، على علم بقواعد الاستهلاك في نظام السوق المعقد .

٧ ـ تمثيل المستهلكين في لجان تحديد الاسعار، حتى يكون للمستهلك رأى في ثمن السلعة الذى سيقوم هو بدفعه .

وجمعيات حماية المستهلك ليست وقفا على امريكا ، بل انها تنتشر في اغلب بلدان اوربا الغربية . ومن بين اوائل البلدان الاوربية التى انشأت جمعيات لحماية المستهلك بريطانيا . وبدأت فيها هذه الحركة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ثم امتدت الى هولندا وبلجيكا ومنها الى الدول الاسكندنافية ، والنمسا ، والمانيا الغربية ، وفرنساوواستراليا ، واليابان.

وقد عقدت جمعيات حماية المستهلك مؤتمرا دوليا لها في عام ١٩٦٠ بحثت فيه تبادل الخبرات في مجال حماية المستهلك .

ومن اهم جمعيات حماية المستهلك الموجودة في اوربا الجمعية البريطانية وقد انشأت هذه الجمعية معهدا لبحوث مشاكل المستهلك . كما انها تضم الآن ٥٢٢ الف عضو ، واسست اتحادا عاما لجمعيات المستهلكين على نطاق بريطانيا كلها يقوم ببحث مشاكل المستهلكين في كل اقاليم بريطانيا .

(م. ط)

الشعور بالغيرة ، ماذا يعني بالنسبة للزوجين ؟

● انا متفقة على جانب من الجمال، تزوجت منذ عام تقريبا ، شابا متعلما يشغل مركزا مرموقا ، وقد احتفلنا بزواجنا بعد فترة خطبة طويلة امتدت لاكثر من عام كامل ، اتيح لنا فيه ان يدرس احدنا اخلاق الآخر ، وقد كنا نختلف كثيرا ونتشاجر احيانا ، فلا يزيدنا هذا الا تعلقا ببعضنا ..

ان هناك شيئا يحيرني يا سيدي ، فقد اكتشفت بعد الزواج ان زوجي يغار علي غيرة شديدة ، فهو لا يريدني ان اقابل احدا او ازور احدا ، حتى زملائي في العمل اصبح لا يرتاح لمعرفتي بهم .. وهو يتصرف على هذا النحو رغم انه يعلم تمام العلم ، انني احبه ، وانني فتاة مخلصة امينة على شرفي ، وكم من مرة صارحني بحقيقة مشاعره ، فهو يقول لي ، مثلا : « انا اعرف انني تزوجت اشرف وانبل فتاة في الدنيا ، ولكنني اغار عليك يا حبيبتي ، اغار عليك من النسيم ! » .

ولكن هذه الغيرة الشديدة تثير في نفسي الضيق ، لأن المسألة ليست مسألة ثقة كما ترون ، فهو يثق بي ، فماذا افعل ؟

س . ر / القاهرة

ـ كل رجل يغار على زوجته يا سيدتي ، كما ان كل زوجة تغار على زوجها ، والغيرة في حد ذاتها شيء مستحب ، فهي تأكيد لمشاعر كل من الزوجين نحو الآخر ، والمرأة بطبيعتها تحب ان تحس بنار الغيرة تأكل صدر زوجها .. فكم من زوجة عانت وما تزال تعاني لان زوجها لا يبالي .. بعثت الينا زوجة فاضلة تقول : « ان زوجي لا يكاد يحس بوجودي بجانبه .. فهو لا يهمه ماذا آكل ، ولا ماذا البس ، حتى اذا خرجت وطالت غيبتي في الخارج ، فلما سألني اين كنت ولا ماذا فعلت بنفسي خلال هذه الغيبة »

وقد كانت رسالتها كلها تفيض بالمرارة ، وهي تحدثنا عن فساتينها الجديدة التي تشتريها لكي تبدو دائما جميلة وانيقة ، محاولة ان تثير اهتمامه بها .. ولكن هيهات فقد كان كل فستان جديد يبدو في نظره قديما ، وكل تسريحة شعر حديثة تبدو مألوفة .. حتى استبد بها الغيظ يوما فذهبت الى صالون التجميل ، وصبغت شعرها الاسود باللون الذهبي الاصفر ، ثم وقفت امامه تنتظر ما ستحدثه هذه المفاجأة ، فلما صمت ولم يتكلم ، قالت تسأله ، وقد استبد بها الغيظ الشديد : « الا ترى فيّ شيئا جديدا يا حبيبي ؟»

وتحرك الزوج اخيرا فقال : «الحذاء .. نعم الحذاء الأبيض الجميل الذى اشتريته لك .. انه يبدو رائعا أليس كذلك ؟ » .

ولكن هل معنى هذا ان زوجها لا يحبها ؟ والجواب بالنفي ، فهو قد يكون مصابا بشرود في الذهن ، او النسيان ، ومن الأزواج من تكون قد اطمأن الى زوجته واخلاصها حتى انه لا يأذن لريبة كانت ما كانت ان تدخل في قلبه ، فهو يتقبل كل ما يأتي منها ويصدر عنها ، بصدر رحب وثقة كاملة .

وليس معنى هذا اذن ، ان زوجها لايحبها ، بل العكس هو الصحيح ، وقد بحثنا في رسالتها الطويلة الى ما يوحي بغير هذا فلم نجد له اثرا .. فقد كانت الزوجة في خطابها تشيد باخلاق هذا الزوج وطباعه وخصاله ، كل ما كانت ترجوه هو شيء من الاهتمام بمظهرها ، والشعور بوجودها .

فالمرأة تلبس ، والمرأة تتجمل ، والمرأة تعنى بمظهرها من اجل اثارة اهتمام رجلها بها .. فهذا الاهتمام يرضي كبرياء الزوجة ويسعدها ويطمئنها .

حقيقة ان بعض الرجال يبالغون في غيرتهم على زوجاتهم ، وخاصة اذا كن جميلات فاتنات بصورة تلفت الانظار ، ولكن هذه الغيرة لا تلبث

ان تخف عندما يعلم الرجل ان هذه المرأة ، انما تزوجته لتكون له وحده .

ولهذا يجب ان تحذرى الرجال الطائشين ، لا سيما الشباب منهم ، هؤلاء الذين يتخذون من مغازلة النساء حرفة ، يجب ان ترديهم رداً عنيفاً . والالفة التي تقوم بين الفتاة التي تعمل وبين زملائها من الرجال ، يجب ان تكون الفة ذات حدود ، كتلك التي تكون بين الاخت واخوتها ..

والرجل العاقل بعد هذا هو الذى يشعر بالزهو والفخر ، وهو يسير متأبطاً ذراع امرأة جميلة ، والمرأة العاقلة هي تلك التي تدرك انه من الخير لها ان يقول الناس : « ما اسعده من رجل ليفوز بهذه المرأة الجميلة » ، على ان يقولوا : « يا لها من امرأة ماكرة عرفت كيف توقع هذا الرجل الوسيم في حبائلها »

(م . ن)

سكان « تل أبيب » بلغ عددهم ٠٠٠ر٢٠٠ر١ نسمة

● يردد بعض المذيعين العرب اسم تل أبيب بتشديد اللام ولفظ الكلمتين وكأنهما مضاف ومضاف اليه . ترى هل التسمية في الاصل عربية ، نظراً لان المدينة انشئت ، كما قال لي احد الاخوان ، على تل كان يملكه أحد سكان مدينة يافا ، واسمه عفيف ، ولكن اللسان العبرى حرّف هذا الاسم بحيث اصبح (أبيب) ! وبالمناسبة كم يبلغ عدد سكان تل أبيب ؟

محمد احمد ــ الكويت

ــ انشئت مدينة تل أبيب بالقرب من مدينة يافا الى الشمال سنة ١٩٠٩ . اما التسمية فعبرية ، ولفظ (ابيب) معناه الينابيع ، ولفظ (تل) مشترك بين اللغتين الساميتين . وله نفس المعنى فيهما . وهكذا فان تل أبيب تعني تل الينابيع ، ولعل سبب هذه التسمية وجود بعض الينابيع في المكان الذى انشئت فيه المدينة او لعله التفاؤل ، نظراً لان المنطقة التى اسست فيها تل أبيب كانت عبارة عن كثبان رمل .

ومهما يكن من أمر فقد بلغ عدد سكان تل ابيب في مطلع هذه السنة ٠٠٠ر٢٠٠ر١ نسمة ، وذلك بعد مضي ٧٥ سنة على تأسيسها .

ونذكر في هذه المناسبة أن عدد سكان القدس الذي لا يزيد حاليا على ٠٠٠ر٣٠٠ نسمة سيبلغ حوالى المليون في مستقبل غير بعيد . اما حيفا فيبلغ عدد سكانها نحو ٠٠٠ر٢٢٠ نسمة ، هذا وقد وصل عدد سكان اسرائيل المتزايد بنحــو ٠٠٠ر١٠٠ر٣ نسمة في اوائل عام ١٩٧٢ .

(ى. ز)

البلاد العربية .. وانتاج الطاقة الكهربائية

● هل يمكنكم ان تنشروا لنا احصائية بين انتاج الطاقة الكهربائية في الدول العربية .. ؟

محمد على عبد الله ــ القاهرة ــ مصر

ــ ان الاحصائيات المتوفرة لدينا لا تشمل كافة الدول العربية .. ولكن في نشر الموجود منها فائدة كبرى لكى يعرف القارىء العربى مدى التقدم الذى يحدث في بلاده . ان مقدار انتاج الطاقة الكهربائية الناتجة في العالم كله لعام ١٩٧٠ يبلغ ٩٠٠ر٦٧ ٤ مليون كيلووات ساعة .

وقبل ان نذكر الطاقة الكهربية التى تقوم البلاد العربية بتوليدها ، سنذكر ارقام الطاقة الكهربية

التي تنتج في بعض الدول الصناعية الكبرى .. مثل المانيا الغربية وانجلترا ، وكذلك ارقام الطاقة في بعض دول الشرق الاوسط مثل تركيا وايران حتى نستطيع المقارنة .

وبين الجدول الآتي مقدار الطاقة الكهربيـة المولدة في هذه البلدان الاربعة مقـدرة بملايين الكيلو وات ساعة في عام ١٩٧٠ .

بريطانيـا	٢٣٨٫٢٥٦
المانيا الغربية	٢٢١٫١٩٩
ايران	٥٫٨٦٢
تركيا	٧٫٨٣٠

وبين الجدول التالي مقدار الطاقة الكهربية المولدة في البلدان العربية المذكورة مقدرة بملايين الكيلو وات ساعة لعام ١٩٧٠ .

الجزائر ١٫٤٣٤ ـ الكويت ٢٫٢٠٠ ـ لبنان ١٫١٣٩ ـ ليبيا ٣٥١ ـ المغرب ١٫٩١٢ ـ سوريا ١٫٠٢٣ ـ تونس ٧٣٢ ـ مصر ٧٫٣١٦ ـ المملكة العربية السعودية ١٫٥٠٠ .

وقيمة هذه الارقام في أنها تعكس مدى التقدم في كل بلد من البلدان ، فالطاقة الكهربية يمكن اعتبارها مقياسا لهذا التقدم الصناعي والاجتماعي.

(م . ط)

اكبر مـدن العـالم كثرة سكـان

● ما هي المدينة الاولى في العالم من حيث كثرة السكان .. هل هي طوكيو كما قرأنا في العربي مرة .. ام هي نيويورك او لندن كما قرأنا في مجلتنا أكثر من مرة .. نرجو أن توافونا بمعلومات صحيحة ولكم الشكر ..

سالم سالم ـ اهدن ـ لبنان

ـ يبدو ان المعلومات التي وافاك بها العـربي والتي بدت لك متناقضة او مغلوطة .. يبدو أن هذه المعلومات صحيحة لا غبار عليها . ذلك أنها اعطيت في اوقات مختلفة ، كما يفهم من سؤالك ولا ينكر تغير عدد السكان بتغير الازمان . فـان احتلت لندن المرتبة الأولى من حيث كثرة السكان في وقت ما ، فالذنب ليس ذنبها أن حلت محلهـا نيويورك او طوكيو في اوقات اخرى لاحقة .

ولو نظرت الى الاحصاء التالي ، وهو احدث احصاء نشرته هيئة الامم المتحدة في مطلع سنة ١٩٧٢ لوجدت ان مدينة شنغاي الصينية هي المدينة التي تتفوق حاليا على طوكيو وسائر مدن العالم من حيث كثرة السكان .

١ ـ شنغاي ...١٠٫٨٢٠٫٠٠٠

٢ ـ طوكيو ...٨٫٨٤١٫٠٠٠

٣ ـ نيويورك ...٧٫٨٩٥٫٠٠٠

٤ ـ بكـين ...٧٫٥٧٠٫٠٠٠

٥ ـ لندن ...٧٫٣٧٩٫٠٠٠

٦ ـ موسكو ...٧٫٠٥٠٫٠٠٠

٧ ـ بومباي ...٥٫٩٦٩٫٠٠٠

٨ ـ سيؤول كوريا ...٥٫٥٣٦٫٠٠٠

٩ ـ سان باول ...٥٫١٨٧٫٠٠٠

١٠ ـ القاهرة ...٤٫٩٦١٫٠٠٠

لا يخفى أن سكان القاهرة قد ازدادوا زيادة كبيرة منذ اجراء هذا الاحصاء وقد بلغ عددهم حاليًا في تقدير المسئولين حوالي ستة ملايين أو أكثر .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى أن عـدد سكان العالم ، المتزايد دوما ، قد بلغ في احصاءات هيئة الامم الأخيرة ٣٫٧٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة .

(ي . ز)



شريعة حمورابي كانت شريعة عدلٍ ورحمة

بقلم
الدكتور محمود سلام زناتى

■ يميل بعض المؤلفين الغربيين الى تصوير التشريع الذى اصدره الملك حمورابى (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق.م) فى صورة شريعة فظة تتضح غلظة وتفيض قسوة . ويستشهدون على قولهم هذا بتوسعه فى تطبيق عقوبة الموت وعقوبة المثلة من فقء عين او قطع يد .. الخ ، ويقارنونه فى هذا الخصوص بشرائع اخرى قديمة يرونها اقل قسوة واكثر لينا . ومنهم من يقارن بينه وبين القانون العبرى ، الذى جاءت نصوصه متناثرة فى اسفار العهد القديم . ويخلص هؤلاء من مقارنتهم تلك الى ان القانون العبرى اكثر انسانية من قانون حمورابى .

دفع تهمة باطلة

وفي اعتقادنا ان وصف شريعة حمورابى بالقسوة والغلظة دعوى لا دليل عليها ، وهى ابعد ما تكون عن الحقيقة . ذلك ان هذه الشريعة ان تميزت بشيء فانما بالرغبة القوية فى تحقيق العدل بين الناس ، والمحاولة الجادة للاخذ بيد الضعيف ونصرة المظلوم .

ولكى نتبين ما انطوت عليه شريعة حمورابى من نبل فى الهدف ، وعدالة فى الحكم ، لسنا فى حاجة الى دراسة متعمقة بل يكفينا ان نطالع نصوصها ونتعرف الى مضمونها . وليست احكامها العادلة ومبادئها الانسانية بمقصورة على مجال دون آخر من مجالات القانون ، بل انا لواجدون لها تطبيقات فى كل فرع من فروعه .

ففيما يتعلق بذلك الفرع من فروع القانون الذى

جرت العادة بتسميته الاحوال الشخصية ــ وهو مجموعة القواعد التى تحكم نظام الزواج والاسرة ــ نجد بها الكثير من القواعد التى تهدف الى رعاية المرأة وحماية الاولاد .

حقوق المرأة فى شريعة حمورابى

وفي الحق ان موقف شريعة حمورابى من المرأة موقف يتسم بقدر غير قليل من العدل والانسانية.

فقد وضعت هذه الشريعة قيودا على تعدد الزوجات : فقضت بمنع الزوج من اتخاذ زوجة ثانية الا لأحد اسباب ثلاثة : اولها ان تكون الزوجة قد دابت على الخروج والتصرف بحمق ، مضيعة بيتها ، ومصغرة شان زوجها . وليس للزوج عندئذ ان يستعمل هذه الرخصة قبل ادانة الزوجة بواسطة القضاء . والسبب الثانى ان تكون الزوجة عاقرا ، لكن ان اعطت الزوجة زوجها جاريتها لكى يتجب منها ابناء ، وانجب بالفعل منها ابناء، لم يجز له اتخاذ زوجة ثانية . اما السبب الثالث فهو مرض الزوجة . ويرجح بعض الباحثين ان المرض الذى عناه القانون هو الملاريا التى لم يكن لها من علاج في ذلك الوقت والتى تنهك المريض وتعجزه عن العمل .

كذلك سعت شريعة حمورابى الى كفالة اسباب العيش للمرأة المطلقة . فالزمت الرجل ــ اذا طلق زوجته التى انجبت له اولادا ــ ان يتخلى لهـا ولاولادها عن نصف ثروته . وبعد ان تربى أولادها تحصل من هذه الاموال على نصيب مماثل لما يحصل عليه كل منهم . واذا لم تكن الزوجة قد انجبت اولادا كان على الزوج ان يعطيها نقود طلاق تعادل قيمة صداقها اذا كان الزواج قد اقترن بصداق معين . واذا لم يكن الرجل قد دفع لزوجته صداقا التزم بأن يدفع لها عند طلاقها مبلغا معينا يتفاوت مقداره تبعا لمكانة الزوج الاجتماعية .

ولقد حرّمت على الزوج ان يطلق زوجتـه المريضة ابدا ، والزمته الانفاق عليها طيلة حياتها. وفي ذلك تقول المادة ١٤٨ : « اذا كان رجل قد تزوج زوجة وأصابتها الملاريا وعوّل على الزواج من امرأة اخرى فله ان يتزوج . لن يطلق الزوجة التى اصابتها الملاريا ، بل وسوف تقيم في البيت الذى اقامه ، وسوف يستمر في اعالتها طالما بقيت على قيد الحياة » فياله من حكم يبلغ ذروة الانسانية والرحمة قل ان نجد له مثيلا في الشرائع القديمة بل والمعاصرة .

كذلك كانت العادة تجرى ، في بلاد النهرين ، بان يوصي الرجل لزوجته ببعض امواله ، واذا حدث ولم يوص الزوج ــ لسبب او آخر ــ بشيء من ماله لزوجته كان لها رغم ذلك نصيب في تركته . وفضلا عن حق الارملة في استرداد الاموال التى حصلت عليها من ابيها بمناسبة زواجهـا وهي ما يعرف بالبائنة ، جعل القانون لها حقـا في الحصول من تركة زوجها على قدر من المال يعادل قيمة هذه البائنة . وللارملة على اية حال ان تستمر في الاقامة في بيت زوجها طيلة حياتها ، وليس لأحد ان يخرجها منه . وقد يحدث ان يرغب ابناء الميت في الحصول على البيت للتصرف فيه ، كما يحلو لهم . وقد يعمد الابناء تحقيقا لهدفهم الى مضايقة امهم لحملها على مغادرة البيت . وقد واجه المشرع البابلى هذا الفرض فقضي بمعاقبة الابناء ، واستمرار اقامة الزوجة في بيت زوجهـا . وفي ذلك تنص المادة ١٧٢ : « اذا داب ابناؤهـا على ملاحقتهـا لحملهـا على الخـروج من البيت ، فسوف يتثبت القضاة من وقائع دعواها ويضعون جزاء على الابناء، سوف لا تخرج تلك المرأة من بيت زوجها » .

للزوجة حقوقها ولو كانت امة واولادها ابناء شرعيون

ومن الاحكام التى تشهد بما انطوى عليه هذا التشريع من روح انسانية غامرة ما قضي به بالنسبة للسرّية التى تلد لسيدها أو سيدتها اولادا . فقد عرفت بلاد النهرين الرق كما عرفه غيرها من المجتمعات القديمة . وللسيد في ظل نظام الرق سلطة التصرف في عبيده وامائه بالبيع أو الهبة او غيرهما . وقد كانت شريعة حمورابى تقر للسيد بهذه السلطة ، لكنها اوردت عليها قيدا خاصـا بالامة التى تنجب اولادا لسيدها او سيدتها . فقد حرّمت بيع مثل هذه الامة ، بل قررت انها واولادها يصبحون احرارا بعد وفاة السيد ولو لم يعترف بأولاده منها بوصفهم اولاده الشرعيين .

حماية الاولاد
من تعنت الآباء والاخوة

كذلك تضمنت شريعة حمورابى عددا من الأحكام التى تهدف الى حماية الاولاد وتحقيق المساواة بينهم . من ذلك مثلا تقييدها سلطة الاب في حرمان ابنه من الميراث على سبيل العقوبة ، باشــتــراط ان يكون ذلك لخطأ جسيم يرتكبه الابن للمــرة الثانية . فاذا لم يكن الخطأ جــسـيما ، او كان جـسـيما لكنـه يحـدث للمـرة الاولى ــ لـم يجـز للأب أن يحـرم ابنه مـن الميراث . ومن ذلك أيضا ما نصت عليه المادة ١٦٦ بخصوص مهور الأبناء . فقد كان من عادة الآباء في بــلاد النهرين أن يدفعوا المهور اللازمة لزواج ابنائهم . وقد يحدث أن يُزَوِّج الرجل بعض أبنائه اثناء حياته ، ويدفع مهورهم ، ثم يموت وله ابن صغير لم يزوجه ولم يدفع من اجله مهرا . وقد رأى المشرع البابلى أن اقتسام التركة على قدم المساواة بين الأبناء من شانه ان يلحق في هذه الحالة غبنا بالصغير الذى سوف يضطر الى دفع المهر اللازم لزواجه من نصيبه بينما يكون اخوته قد حصلوا على مهورهم بالاضافة الى أنصبتهم في التركة . ولكى يحول المشرع دون هذا الغبن قضى بان يجتنب من التركة قبل اقتسامها القدر اللازم دفعه على سبيل المهر من أجل الابن الصغير . كذلك كان من الشائع في بلاد النهرين ان يهب الأب ابنته بمناسبة زواجها بعض ماله . وما تحصل عليه البنت من ابيها على هذا النحو يعد بمثابة تعجيل لهــا بنصيبها في الميراث . وقد يحدث أن يموت الأب قبل أن يزوج ابنته وبالتالى قبل أن يقرر لها بائنة . وقد واجه المشرع البابلى هــذه الحالة فقضى بان على اخوتها عندئذ ان يقرروا لها بائنة وان يزوجوها . ولم يقتصر الشرع على الـزام الاخوة بتقرير بائنة لأختهم بل لقد اشترط ان تكون متناسبة مع طاقة التركة .

اباحة الزواج بين الأحرار والعبيد

ومن الاحكام التى تكشف عـن سماحة هـذه الشريعة اجازتها الزواج بين الاحرار والعبيد . ولم يكن الزواج جائزا بين الحر والامة فحسب بل كان جائزا بين الحرة والعبد المملوك للغير . والقاعدة في الزواج ان يتبع الاولاد حالة ابيهم ومع ذلك فقد خرج المشرع البابلي على هذه القاعدة بالنسبة للأولاد الذين قد تحصل عليهم المراة الحرة من زوجها العبد فاعتبرتهم احرارا لاسلطة لسيد العبد عليهم . وفي ذلك تقول المادة ١٧٥ : « اذا كان عبد" لقصر أو عبد" لعامي؛ على السـواء قد تزوج سيدة وانجبت أبناء ، فصاحب العبد سوف لايدعى على ابناء السيدة بالرق » .

حماية الفقراء من الاستغلال

واذا تركنا مجال الاحوال الشخصية وانتقلنا الى المعاملات وجدنا أيضا العديد من الاحكام التى قصد بها المشرع تخفيف العبء على المدينين عندما تعجزهم الظروف غير المواتية عن الوفاء بالتزاماتهم ، وحمايتهم من أن يقعوا ضحية جشع الدائنين .

فقد اعطى مثلا مستاجر الارض الزراعية الحق في ان يطلب الى مالكها السماح له بالاستمرار في زراعة الارض عاما آخر اذا لم يتمكن من استرداد نفقاته، وفرض على مالك الارض ان يستجيب لطلب المستاجر . كذلك قد يحدث أن يقترض زارع مبلغا من النقود او كمية من القمح لزراعة حقله . ثم يغرق المطر الحقل ، أو يجرف الفيضان تربته، او يبقى الحقل دون زرع بسبب نقص الماء . وقد قضى المشرع البابلى بان مثل هذا الزارع ليس عليه ان يؤدى فى تلك السنة قمحا او يدفع فائدة لدائنه .

تحريم التطفيف فى الكيل والميزان

كذلك سعى المشرع البابلى بكل الطرق الى الوقوف دون استغلال الدائنين لمدينيهم . من ذلك مثلا مجازاته الدائن الذى يطفف الكيل او يخسر الميزان . فمن الوسـائل التى كان الدائنـون يستخدمونها لتحقيق مكاسب كبيرة غير مشروعة ، انهم كانوا عندما يقرضون الفضة يزنونها بالوزن

الخفيف ، وعندما يستوفونها يزنونها بالوزن الثقيل ، وعندما يقرضون الحب يكيلونه بالمكيال الصغير ، وعندما يستادونه يكيلونه بالمكيال الكبير. وقد عاقب الشرع البابلي مثل هذا الدائن بفقدان كل مايكون قد قبض . فهو لا يخسر ما حصل عليه من كسب غير مشروع فحسب ، وانما يخسر أصل دَيْنه ايضا .

ومن ذلك سماحه للمدين الذى اقترض شيئا معينا بان يفى لدائنه بشىء آخر اذا تعذر عليه الوفاء عينا . فقد يحدث ان يقترض شخص مبلغا من النقود . والمفروض عندئذ ان يفى المدين بدينه في صورة نقود ايضا . وقد لاتتوفر لدى المدين النقود اللازمةللوفاء عند حلول الاجل . والزامه الوفاءحتما بما تعهد به قد يحمله على بيع قمحه بثمن بخس مما يعود عليه بالضرر رغبة في الحصول على النقود . ولهذا نص تشريع حمورابى على ان للمدين ـ اذا لم يكن لديه نقود للوفاء ـ ان يعطى لدائنه قمحا أو سمسما بقيمة نقوده التى كان قبضها وفائدتها القانونية . كذلك قد يضطر المدين ـ تحت الحاح الدائن ـ الى التنازل له عن حقله او بستانه ، لكى يأخذ محصوله وفاء لدينه . ولما كان الغالب فى مثل هذه الاحوال ان يكون هذا التنازل مجحفا لمصلحة الدائن على حساب المدين فقد اعتبر المشرع مثل هذا التنازل باطلا . وقضى بان صاحب الحقل هو الذى سوف يأخذ ما انتجه الحقل من قمح او سمسم . وسوف يعطى دائنه الدين وفوائده وما تكبده من نفقة فى الزراعة .

التيسير على المسترقين بسبب الديون

ومن القواعد الانسانية التى تضمنها التشريع البابلى تحديده حدا اقصى للمدة التى يمكثها المدين او احد أفراد اسرته تحت يد الدائن . فقد كان للدائن فى بلاد النهرين ـ عندما يحل اجل الوفاء بدينه ويعجز المدين عن الوفاء به ـ الحق فى ان يستولى على مدينه او احد افراد اسرته واسترقاقه مطلقا بسبب الدين ، او على الاقل حتى يحصل من عمله على مايعادل قيمة دينه .

وقد رأى الشرع البابلى فى ذلك منافاة لكرامة الانسان ، ولهذا نجده يضع حدا اقصى للمدة التى يمكثها المدين او احد افراد اسرته فى بيت الدائن وهذا الحد ثلاث سنوات . بحيث اذا انقضت هذه المدة تحرر المدين من سلطة دائنه .

حقوق الجيرة

واذا تركنا مجال المعاملات وانتقلنا الى مجال المسئولية المدنية وجدنا عددا من الاحكام يثير دهشتنا بعدالته . من ذلك مثلا مانصت عليه هذه الشريعة من ان لصاحب البيت أن يطلب الى جاره الذى ترك بيته خربا ان يصلحه لئلا يتسلق الناس الى بيته من البيت الخرب ، ومن ان لصاحب البيت ان يطلب الى مالكالارض الفضاء المجاورة ان يبنيها لئلا ينقب الناس بيته منها . واذا لم يمتثل صاحب الخَرِبة او صاحب الارض الفضاء وسُرق صاحب البيت بواسطة التسلق او النقبكان له الحق فى الحصول من جاره على تعويض .

اذا اهمل حاكم المدينة فعليه تعويض المتضرر بسبب اهماله

بل لقد جعل المشرع المدينة ومحافظها مسئولين عن التعويض اذا ارتكبت بها جريمة ولم يمكن التوصل الى معرفة الفاعل . فقضى مثلا بانهاذا لم يقبض على السارق فعلى المسروق منه أن يعلن رسميا مايكون فقده امام نصب اله وعلى المدينة والمحافظ اللذين ارتكبت السرقة فى ارضهما أو مقاطعتهما أن يعوضاه عما يكون فقده . واذا كان الامر متعلقا بجريمة قتل ولم يضبط القاتل فعلى المدينة او المحافظ ان يدفع دية الى قرابة القتيل. ولسنا نعرف تشريعا آخر، قديما او حديثا يتضمن مثل هذا المفهوم المتقدم فى التضامن الاجتماعى ، ومسئولية السلطة العامة .

شريعة حمورابى تقوم على العدل وتستهدف حماية الضعفاء

تلك هى طائفة من الاحكام التى تشهد لشريعة حمورابى بانها كانت شريعة أساسها العدل وغايتها

الانتصار للضعيف والفقير . وقد اقتصرنا على ايراد بعض احكام هذه الشريعة دون محاولة تقصيها لضيق المجال .

لماذا اكثر حمورابي من العقوبات البدنية ؟

حقا لقد تعددت الجرائم التى عاقب عليها المشرع البابلي بالموت ، غير ان توسع حمورابى في تطبيق عقوبة الموت يفسره ان شريعته لم تكن معدة لكي تطبق على ابناء شعب واحد ، او حتى مدينة سياسية واحدة ، وانما وضعت لكي تكون شريعة امبراطورية متسعة الارجاء ، ضمت شعوبا مختلفة ، واجناسا متباينة . فلكي يقر حمورابى النظام في هذه الامبراطورية الناشئة ويكفل لسكانها الامن والطمانينةعلى انفسهم واموالهم لم يجد بدا من التوسع في تطبيق عقوبة الموت .

كذلك لجأ حمورابى الى التوسع في العقوبات التي تنطوى على مثلة : اى قطع او اتلاف احد اجزاء الجسم . لكن المثلة كانت في كثير من الشرائع القديمة هي الجزاء العادى للاعتداء البدني الذى تنجم عنه اصابة او عاهة . فقد كان الناس يرون الحاق اذى بالجاني مماثل لما احدثه بالمجنى عليه هو اكثر صور الجزاء عدلا . ويكفي ان نشير هنا الى القاعدة التى وردت في العهد القديم بخصوص الجزاء على الاعتداءات البدنية ، فهي تقول : « واذا احدث انسان في قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به . كسر بكسر وعين بعين وسن بسن . كما احدث عيبا في الانسان كذلك يحدث فيه » (١) .

الجزاء بالمثل بين النظرية والتطبيق

وفضلا عن ذلك فاننا نجد في شريعة حمورابى بعض النصوص التى تبدو لنا للوهلة الاولى شاذة او غريبة ، ان لم تبد ظالمة او متجنية . منها مثلا النص الذى يقضي بمجازاة البناء الذى لايحسن اقامة بناء فينقض ويتسبب في موت ابن صاحب البيت بقتل ابنه . فهنا نجد الفعل الذى تسبب في الموت يقع من شخص هو البناء بينما يصيب الجزاء شخصا آخر هو ابنه . لكن ذلك يفسره اولا الارتباط الشديد الذى كان قائما في تلك الازمنة القديمة بين الولد وابيه ، وكان يصل الى حد الاعتراف للاب بتقديم ابنه قربانا للآلهة. كما يفسره من ناحية اخرى رغبة المشرع في تحقيق التماثل بين الجريمة والجزاء عليها ، باعتبار ان الجزاء المماثل للجريمة هو اقرب انواع الجزاء تحقيقا للعدل .

حمورابى يدرك عظمة شريعته

من كل ماتقدم يبدو واضحا ان شريعة حمورابى كانت بحق شريعة عدل ورحمة. ولقد كان حمورابى على بينة من انه باصداره هذا القانون قد انجز عملا ضخما ، وحقق اصلاحا جذريا اشاع به العدل بين الناس ، وحمى بواسطته الضعيف من بطش القوي والفقير من استغلال الغني . وليس ادل على ذلك مما جاء في خاتمة هذا التشريع على لسان حمورابى حيث يقول :

« لقد دعتني الآلهة العظام ، وانا في الحقيقة راع يجلب السلام ، ذو صونجان ، ينتشر ظلى البهيج فوق مدينتي ، قد حملت الى صدرى شعوب شومر واكد ... لئلا يظلم القوى الضعيف، ولاحقق انصدل لليتيم والارملة ، قد سجلت كلماتي الغالية على صرحي واقمتها في مواجهة تمثالي « ملك العدل » في بابل ليذهب الرجل المظلوم الذى تكون له دعوى الى تمثالي ، المسمى « ملك العدل » وليجد من يقرا له ما هو مسجل على صرحي ، وليسمع كلماتي القيمة ، حتى يوضح صرحي له دعواه ، ليتبين القاعدة التى تنطبق عليه ، ولتدخل الراحة الى قلبه قائلا : العاهل حمورابى ، الذى هو اب حقيقي للشعب قد انحنى لكلمة مردوك (اله بابل) سيده وحقق رغبة مردوك الجادةمن الشمال الى الجنوب ،لقد ادخل الغبطة الى قلب مردوك سيده ، وجلب الخير للشعب الى الابد ، واجرى العدل ايضا في البلد » . ■■

محمود سلام زناتي

---

(١) سفر اللاويين ، الاصحاح ٢٤ ، الآيتان١٩ و ٢٠ .

إسم الفاعل

صيغه ودلالاته

■ قالوا في تعريف الفاعل انه اسم يدل على من فعل الفعل أو اتصف به ، فحين تقول : « كتب محمد رسالة » ، فان محمدا فاعل ، لأنه هو الذى كتب ، وحين تقول : « استقام الخط » فان الخط يسمى فاعلا أيضا ، لأنه اتصف بالاستقامة ، وان لم يكن هو الذى فعلها .

وكذلك قالوا في تعريف اسم الفاعل : انه اسم يصاغ لمن وقع منه الفعل ، أو اتصف به ، فاذا قلنا : « محمد كاتب » ، و « الخط مستقيم » ، فاسم الفاعل كاتب ، لأن الكتابة وقعت منه ، واسم الفاعل « مستقيم » لأنه اتصف بالاستقامة ، أو هى قامت به .

والفعل في اللغة العربية لا يقل عن ثلاثة حروف ولا يزيد على ستة ، مثل كتب ، أحسن ، اقترب، استقام .

صياغة اسم الفاعل

ولصياغة اسم الفاعل ننظر الى فعله : أهو ثلاثى ام غير ثلاثى ، فان كان ثلاثيا فاسم الفاعل منه على وزن فاعل ، مثل كتب ، سال ، قرأ ، جاء ، وعد ، قام ، ناى ، رضي ، طوى ، وعى ، فاسم الفاعل منها على الترتيب : كاتب ، آخذ ، سائل ، قارىء ، جاءٍ ، راضٍ ، طاوٍ ، واعٍ .

واذا كان الفعل غير ثلاثى ننظر الى مضارعه عند صوغ اسم الفاعل منه ، ففى الافعال : أحسن (رباعى) واقترب (خماسى) واستقام (سداسى) — نأتى بالمضارع ، فنقول : يُحْسِنُ ، ويقترب ، ويستقيم ، ثم نحذف الياء (حرف المضارعة) في أولها، ونضع بدله ميما مضمومة ، ثم نكسر الحرف قبل الأخير ، فاسم الفاعل اذن هو : مُحْسِنٌ ، مُقترِب ، مُستقِيم .

صيغ المبالغة من الفعل الثلاثى

قد يكون الفعل الثلاثى لازما أو متعديا ، فيصاغ منه اسم الفاعل بصيغ أخرى للدلالة على المبالغة في الحدث ، وهذه صيغ المبالغة : —

١) فَعَّالٌ ، مثل أكَّال ، هجّام ، بسام ، صدام ، شداد ، ومنه ما في قوله تعالى « ولا تطع كل حلاف مهين ، همّاز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم » ، والمبالغة هنا في : حلاّف ، همّاز، مشّاء ، منّاع .

٢) مِفْعَال ، مثل مِقْدام ، مِنْكال ، مطعام، معوان ، مغوار ، مذكار (من تنجب الذكور) مئناث (من تنجب الاناث) .

٣) فَعُول ، مثل : جَمُوح، صبور ، وعروب، وطروب ، وبَتُول ، وغيور ، وسروق ، وضحوك، ومنه قول المتنبى في مدح علىّ سيف الدولة يصف فتوحه للبلاد « عَلِىٌّ أكولٌ للبلاد شروب » .

٤) فَعِيل ، مثل : عليم ، فطين ، أثيم ، شريد ، أبىٌّ ، زكى ، ذكى ، عَتِىٌّ .

٥) فَعِلٌ ، مثل : فَطِن ، فَهِم ، نهم ، شره ، زكن (فطن) مرح ، فرح .

٦) فاعُول ، مثل : فاروق (لقب عمر بن

الخطاب) ناظور ، ناطور (حارس البستان) ، ومنه قول المتنبي :

« نامت نواطير مصر عن ثعالبها
وقد بشمن ، وما تفنى العناقيد »

٧) فِعِّيل ، مثل : شِرِّيب ، خِنِّيس ، قدِّيس (قدِّيسة) ، وصدِّيق (لقب يوسف النبي ، وأبي بكر) وصدِّيقة (لقب مريم ام المسيح عليهما السلام) .

٨) فَعّالة ، مثل : علّامة ، فهّامة ، نهّابة ، بحّاثة ، نقّابة ، سمّاعة ، صخّابة ، عيّابة (والتاء هنا للمبالغة فوق مبالغة) .

٩) فُعَلة ، مثل : هُزَأة (من يكثر الاستهزاء بالناس او الاشياء) ، ضُحَكة ، ضُجَعة (كثير الاضجاع) قُعَدة (كثير القعود ، وبعض البلاد العربية تسمى الولد الاخير في الأسرة «قعدة» لانه يبقى في الأسرة مع والديه وينال من الدلال أكثر من اخوته) ، ومنه قوله تعالى « ويل لكل هُمَزَة لُمَزَة » والهُمَزَة من يكثر الطعن في الناس واللُمَزة من يكثر العيب في سواه .

١٠) مِفْعيل ، مثل : معطير ، منطيق .

ملاحظـــــات

١) وقد لاحظ العلماء ان الصيغ ليست متساوية في كثرة الاستعمال ، بل الخمس الاولى منها تستعمل بكثرة، ولذلك تكتفي بها الكتب المختصرة، والخمس الاخيرة قليلة الاستعمال ، فلا تذكر الا في الكتب المطولة

٢) صيغة فاعل قد تكون للمبالغة بزيادة تاء تسمى تاء المبالغة ، مثل نابغة ، وداهية ، بدل نابغ ، وداه .

٣) اقر المجمع اللغوي في القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ان الصيغة السابعة هنا « فِعِّيل » قياسية من الثلاثي اللازم والمتعدي ، للدلالة على المبالغة ، لان كثرة امثلتها تسمح بالقول انها قياسية .

٤) هنالك صيغة للمبالغة « فَعْلان » لا أعرف ان احدا ميزها غير الاستاذ الامام محمد عبده وذلك في تفسيره لسورة « الفاتحة » حين تعرض للتفرقة بين صيغتي « رحمن » و « رحيم » فعنده ان « الرحمن » من يكثر من الافعال الرحيمة ، والرحيم مَنْ طبيعته الرحمة ، فالرحيم (كسائر ما نسميه في الصرف صفة مشبهة) تدل على الطبيعة الملازمة لصاحبها ، فاذا جاز هذا اضفنا الى الصيغ العشر السابقة فَعْلان ، مثل :شبعان تعبان ، وجعان ، فرحان ، يقظان (اذ لا فرق بينها وبين صيغة « فَعِل » مثل شبع ، وتعب ووَجِع ، ويقظ) وهذه الصيغة تيسر صوغ كثير من الأمثلة التي ربما لم تسمع ، دالة على المبالغة في الحدث، فنحن نقول « الرضا » و « رِضوان » متصدِّرين ونسمي بهما ، وقد درجت السنتنا على فتح الراء في « رضوان » بدل الكسر ، وهو نطق صحيح اذا قلنا انه على وزن « فَعْلان » بمعنى كثير الرضا ، وقد سمّت العرب « رضوى » فالصيغة مثل « ثروان » و « ثروى » (التي تصغيرها الثريّا) وكذلك وصفت العرب ، وسمّت ببعض ما وصفت، فقالت : قحطان ، عدنان ، غزوان ، عفّان ، (شديد العفاف) ، حسّان (شديد الاحساس ، او شديد الحَسّ بمعنى القتال ، أو القطع او الجلبة) ،حمدان ، شعبان ، نبهان ، عدوان ، حيّان ، ومن الكنايات « هيّان ابن بيّان » .

٥) وصيغة « فَعيل » مشتركة بين اسم الفاعل للمبالغة والصفة المشبهة التي تدل على الطبائع او الغرائز الملازمة ، مثل عليم ، وفقيه ، وأريب، واديب .

٦)صيغة فَعّالة تشترك بين اسم الفاعل للمبالغة، واسم الآلة ، فكأن الفاعل هنا اداة لانجاز الفعل كثيرا ، مثل : لعّابة ، نقّابة ، صخّارة .

٧) ويلاحظ ان فَعّالة مؤنث « فَعّال » ، وفعّال مثل مؤنثه في الدلالة المشتركة على اسم الفاعل للمبالغة ، وعلى اسم الآلة ايضا ، مثل : سخّان ، وجرّار ، وكبّاس ، كما انه مشترك في الدلالة على الصنعة او الحرفة، مثل نجار (نسبة الى التجارة) وزمّار ، ولبّان ، وتمّار ، وحطاب ولا باس بالاشتراك،لان السياق يدل على المقصود، فهو كاف في التمييز بين الدلالات،وان كانت الصيغ واحدة . ■■

م٠ خ٠ ت

من غرائب القضايا

مأساة أرملة

بقلم : حسن الجداوي

■ كان هاري بيس راعي أغنام يملك مائة نعجة يرعاها ، ويعالج مرضاها ، ويبيع نتاجها ، ويجز صوفها ليبيعه .

تزوج بياتريس عام ١٩١٧ ، وأقاما في مزرعة متطرفة في تلال جلوسستر ، بعيدين عن العمران. وكان هاري يبذل كل جهده في العناية بنعاجه ، وفيما عدا ذلك كان كئيبا متقلب المزاج ، وأحيانا عنيفا متوحشا في تصرفاته .

والواقع أن اعتداءاته على المرأة التي تزوجها واختارها لتؤنس وحدته في تلك المعيشة الضنكة تدل على انها كانت من الصابرات ، وانها تحملت منه الكثير على أمل أن تتحسن أخلاقه في مستقبل الايام .. ولكن لسوء حظها ظن هو أنها انما احتملت منه كل ذلك حتى تتخلص منه ، وعرضها هذا للخطر ، وجعلها موضع شك .

★ ★ ★

اعتدى عليها بالضرب المبرح في الليلة الاولى للزواج . وضربها بالعصي بدون شفقة قبل مولد ابنها الثاني . وبلل ذات مرة غطاء فراشها بالجاز واشعل فيه النار . واغلق باب المنزل في وجهها وولديها ، وحكم عليهم أن يقضوا ليلتهم في حظيرة الخنازير . وامسك كلب زوجته الصغير المدلل بعنف ، وضرب به الحائط حتى نفق . وهدد زوجته ذات مرة باطلاق الرصاص عليها حتى استنجدت بالبوليس . وكان اذا غضب يرفس نعاجه ويعضها من اذانها كما يعض كلبه . وكان يضرب بيديه على جانبيه ، ويصيح كالغربان مقلدا لها تقليدا متقنا ، حتى أنها كانت تأتي تسور الدار تلبية لندائه . وكان احيانا يعوي كالكلب ويبقي أهل منزله ايقاظا طوال الليل وقد يحكم عليهم بالمبيت خارج البيت ، وذلك بان يطلق عقيرته باغان مبتذلة .

وبرغم ذلك ظلت بياتريس الزوجة الامينة المخلصة تشاركه حياته الخشنة ، وتؤنس وحدته ، وتعاون في خدمة نعاجه : تجز صوفها ، وتغطسها في المحلول المطهر ، وتعنى بزوجها ابان مرضه ، وتقوم على خدمته في الصحة .

★ ★ ★

وفي شهر يوليو سنة ١٩٢٧ اخذته زوجته للمستشفى لانه احس بالام في معدته وشلل جزئي ، وشخص الأطباء مرضه — وان لم يجزموا — انه



وجلست المتهمة ساهمة لاتدرك ما هو جار ، حتى تقدم اليها المحامى ومد لها يده مهنئا . فاحمر وجهها وجرت الدموع على خدها .

تسمم بالزرنيخ ربما نتيجة كثرة اشتغاله بتغطيس النعاج في المحلول المطهر ..

وقبل أن يتم علاجه أخرج من المستشفى في شهر أكتوبر . وفي ديسمبر في عيد الميلاد ، أمسك بملقاط المدفأة ، واعتدى على زوجته ، وكسر حاجز المدفأة ، وهدد بقطع رقبة كل معترض ،

وبعد يومين عاودته الام المعدة .. وقضى نحبه بعد مرض مؤلم ، وصراع عنيف ، في العاشر من شهر يناير .

★ ★ ★

وبعد خمسة أيام من موته ، والجنازة على .

وشك مغادرة المنزل ، استوقفها البوليس بأمر من قاضي اثبات الوفيات على أثر شكوى من « التون بيس » أخي المتوفي الذي كان يكره زوجة أخيه، ويسيء بها الظن . وبدأ تحقيق جديد في احدى الحانات ، وسمعت أقوال طبيب ، فحص اجزاء مستخرجة من جثة القتيل ، ووجد بها تسع حبات زرنيخ ونصف حبة تقريبا .

وبدأت مأساة مسز بيس .

تأجل تحقيق الوفاة لمدة شهرين لفحص جديد للجثة . واجريت تحليلات وتأجيلات استمرت تسعة عشر اسبوعا . وأنهكت الارملة المسكينة صحيا وماليا بهذه التأجيلات . وانطلقت الشائعات تأكل لحمها نيئا بدافع من اتهامات أخي زوجها . وفقدت كل ما لديها ، فقد كان عليها أن تسد رمق ابنتيها (١٧ و ١٦ سنة) وابنيها ،واصغرهما في السادسة ، وقد ولد مريضا بمرض غير قابل للشفاء . وعمره احد عشر شهرا . وكان عليها أيضا ان تدفع مصاريف ورسوم الاجراءات القانونية لكل تأجيل ، وكان ذلك كله فوق ما تحتمله .

★ ★ ★

زاد الطين بلة أن سكوتلاند يارد أقبلت في شهر مارس سنة ١٩٢٨ تتحرى من كل من هب ودب ، ممن يمكن أن يكون لديهم معلومات عن ظروف موت هاري بيس . واعترضت صحيفة الديلي ميل الشهيرة في لندن بشدة على هذا الارهاق الذي تعرضت له مسز بيس ، ووصفته بأنه نوع من الاضطهاد . وكان التحقيق في الحقيقة نوعا من المحاكمة بغير الضمانات المعتادة عند جمع المعلومات وسماع الشهود .

★ ★ ★

ووصفت الارملة حياتها التعسة مع زوجها المتوفى ، وقدمت بيانات عن عنايتها به أثناء مرضه . وقالت انها اشترت علبتين من دواء مطهر للنعاج استعمل زوجها واحدة في علاج عدد من النعاج . وانه مرض في ذلك اليوم ونقلته الى المستشفى . وانه أثناء وجوده بالمستشفى هدد بأن ينتحر ..

وجاءت الزوجة بشهود عدول ، وافقوا ما وصفت من أمر زوجها .

وفي نهاية التحقيق قرر المحلفون ان « هاري بيس » مات نتيجة تسمم بالزرنيخ أعطاه له شخص او أشخاص مجهولون ، وان الحالة تتطلب زيادة الاستقصاء .

وقال لهم القاضي ان عليهم أن يعينوا شخصا او اشخاصا لتوجه اليهم التهمة . وكان هذا التوجيه الغريب من قبل القاضي ـ وهو ليس من رجال القانون ـ توجيها خاطئا ، ولكنه حمل المحلفين على توجيه التهمة لزوجته بياتريس . وصرخت الارملة تنفي الاتهام بقوة، وحملها الحرس الى نقطة البوليس بأسفل المحكمة وهي مغمى عليها ، وبقيت فاقدة الوعي عدة دقائق .. وحين أتوا بها أمام قضاة التحقيق لم تدرك ما هو حادث لها ، ولم تفهم قرارهم باحالتها الى محكمة الجنايات ، حتى أنها قالت لمن كانوا حولها انها عائدة الى المنزل .

وحملتها السجّانات وسط صراخ النساء « يا للعار » .

ولم يقنع أهل القرية بترديد عبارات الاحتجاج، بل جمعوا من بينهم مبلغ ألف جنيه لاعداد دفاع عنها ، كما تضامنوا في تولي أمر أولادها مدة وجودها تحت المحاكمة .

★ ★ ★

وفي اليوم الثاني من شهر يوليو سنة ١٩٢٨ بدأت المحاكمة ، ولم يكن للصحف من حديث الا قضية « بيس » ، حتى لقد حاول صحفي ان يأخذ حديثا من كلب الاسرة وكتب يقول : « لقد حاولت اليوم أن أجعله يسير معي ، ولكنه أبى ، وكل ما فعله انه خرج من وجاره (بيته) وحدّق بنظره فيّ ، ثم عاد أدراجه . »

ومثل الاتهام سير فرانك بويد المحامي العام يعاونه محاميان ، بينما تولى الدفاع نورمان بيركت مستشار الملك ـ العملاق بين المحامين الذي أصبح فيما بعد من أكبر محامي القرن العشرين وأكثرهم كسبا ، وتنازل عن كل هذا الكسب ليصبح قاضيا ، ثم اختير فيما بعد احد قضاة محكمة نورمبرج في محاكمة النازيين .

★ ★ ★

وأقام الاتهام نظريته على أنه قد عثر في جثة القتيل على أكثر من تسع حبات زرنيخ بينهما حبتان تكفيان للقضاء على أي انسان ، وأن كميةً كبيرة من ذلك السم القاتل كانت موجودة بالمنزل

الذى يسكنه الزوجان بسبب مشروع هو عـلاج النعاج . وان القتيل مات بالسم المستخرج من المحلول المطهر للماشية ، ناولته ــ أعنى الزرنيخ ــ زوجته اياه بنية القضاء عليه .

ومع ذلك يجب ان نعترف ان ممثل الاتهـام لم يتحيز ضد المتهمة ، فقد بيّن ان القتل بالسم يتم دائما فى السر ، ولا يستبعد ان يكون القتيل هو الذى تناوله باختياره ، او بطريق الخطأ . والدليل فى مثل حالتنا يجب ان نصل اليه بطريق الاستنتاج ، خاصة وقد جاء فى بعض اقـوال المتهمة صراحة اعتقادها ان زوجها سم نفسه .

وفى سبيل ذلك عرض ممثل الاتهام على المحلفين الاعتبارات الآتية التى تستحق منهم الاهتمام .

(ا) تاثير الزرنيخ فى جسم الانسان (ب) تكوين محلول مطهر للاغنام (جـ) ماذا عن الزرنيخ الذى عثر عليه فى جسم المتوفى (د) هل يستقيم الاخذ بطريقة قاطعة لا تحتمل الشك باى مـن النظريات ؟

ان المحلول المطهر مكون من ٢١ فى المائة مـن الزرنيـخ و ٦٥ فى المائـة مـن الكبـريت وسنة الى ٧ فى المائة صودا فعند خلط المحلول بالماء تبين ان الزرنيخ يذوب بسهولة فى الماء بينما الكبريت لا يذوب . ومعنى ذلك ان السائل عديم اللون الذى يحتوى الزرنيخ فقط يمكن استخراجه وحده . فلو ان القتيل تناول المحلول المطهـر بحالته لوجب ان يعثر بجثته على كمية من الكبريت تعادل ثلاثة اضعاف ما عثر عليه من الزرنيخ .

وهذا يدعونا الى التساؤل أولا : اذا كان الرجل قد اعتزم الانتحار وصمم عليه فلماذا يحرص على تنقية الشراب من الكبريت لمجرد ان طعمه كريه .

ولم تناقش هذه المسالة المناقشة التى كانت تستحقها لان الثابت علميا ان الجسم يتخلص من الكبريت بعد ٢٤ ساعة . وربما كان ذلك التقصير فى بحث الناحية العلمية قد ساعد فى تكوين قرار المحلفين .

وقال ان كمية الزرنيخ التى وجدت فى معدة القتيل لا تكاد تذكر بينما عثر على اربع حبـات فى امعائه وثلاث حبات ونصف حبة فى كبده وأكثر من حبة فى كليتيه . ويستنتج الخبراء من ذلـك ان القتيل لم يتناول اى كمية من الزرنيخ فى فترة ست ساعات قبل الوفاة بينما وجود اربع حبات فى الامعاء يدل على ان كمية كبيرة تنوولت فى خلال ثمان واربعين ساعة قبل الوفاة . ولكن الاطباء يؤكدون ان القتيل كان فى حالة لا تسمح لـه بالتحرك ، فلا يتصور انه نزل من السرير للبحث عن السم ، وانه ــ وتلك حالته ــ استطاع ان يفصل بين الزرنيخ والكبريت .

ثم تكلم عن الباعث على الجريمة فوجده ــ على حد قوله ــ فى حياة الزوجة التعسة ، وأن فرص اعطاء السم توفرت لديها . واستشهد بام القتيل التى زارت ابنها فى فترة تركه للمستشفى أول مرة ، وكيف انها وجدت كاسا به سائل بجـوار سريره فناولته له ولكنه ما كاد يتذوقه حتى انزله من عن فمه ، وانها ذاقته فوجدته مالحا وكريها .

ثم قال ان المتهمة قدمت للبوليس بعد شهرين من الوفاة علبة بها بعض الحبوب وقالت ان زوجها نصحها ان تتناول واحدة منها اذا تعبت من الحياة . وقال ان القتيل لم ينتحر بهذه الطريقة لانه بفحص العلبة تبين انه كان بها زرنيخ وكبريت .

★ ★ ★

وحمل ليسلى الصغير (١٠ سنوات) الى منصة الشهود فوصف ــ فى غير تردد ــ كيفية تغطيس والده لعدد من النعاج وكيف كانت ترفس بارجلها وكيف بللت ملابسه ، وان والده أخرج كمية من « البدرة » من قرطاس ولكنه لم يستعمل كل ما فى القرطاس ، ووضع الباقى فى قرطاس اخر ، وطلب منه ان يضعه فى صندوق فى سرداب المنزل . وذات مرة بينما كانت والدته فى الخارج ووالده مريض فى السرير طلب منه ان يحضـر الصندوق (اياه) واخذ منه القرطاس المحتوى على بقية المسحوق .

وشرح كيف انه واخته دافعا عن امهما حين اراد الاب ان يضربها بملقاط المدفاة ، كما شرح تهديدات ابيه بانه سيقتلهم ببندقيته . واخـذ يجيب فى بساطة وبدون تردد على الاسئلة التى وجهت اليه من منصة القضاء ومن المحامين .

سأله محامى الدفاع :

ــ هل كانت امكم تعطف عليكم دائما ؟

جـ ــ نعم .

ـ هل تحبها ؟

ج ـ نعم .

ـ هل كانت تعتني بك ؟

ج ـ نعم .

ـ وباخوتك ؟

ج ـ نعم .

وتساقطت دموع المتهمة اثناء هذا الحوار بين ابنها ومحاميها واخذت تبكي بصوت مكتوم .

★ ★ ★

وفي استجواب محامي الدفاع لوالدة القتيل فضى ببساطة على حكاية كاس الماء الذي رفض القتيل شربه وذاقته الام فوجدته مالحا وكريه المذاق . اذ كانت قد قالت في محضر البوليس انها لم تكن قد رات ابنها منذ شهر قبل مرضه . ولم تكن تعلم ان زوجته قد عرضت زوجها على طبيب في المدينة حين شكا من آلام في معدته . سألها المحامي :

ـ من كان يقوم بتمريض ابنك في مرضه ذاك فيما عدا المتهمة ؟

ـ دوريس ابنته وعمرها ١١ سنة .

ـ الواقع انك وانت امه لم تساعدي مطلقا في تمريض ابنك .

ـ انها لم تكن تريدني .

ـ لقد كانت انجبت طفلا . وكان الطفل مريضا. الم يكن ذلك يشغل كل وقتها ؟

ـ طبعـا .

ـ مذاق السائل الكريه ـ على قدر علمك ـ ربما كان دواء ؟

ـ لا استطيع ان اقول ما هو .

وفي استجوابه لمفتش سكوتلاند يارد كان المحامي عنيفا على غير عادته ، لان الضابط حاول ان يرغم الزوجة على الاعتراف ، بينما كان يحقق معها ، وذلك ليس من حقه . وجعله يعترف بانها سلمته خطابا وصلها من زميل لزوجها بالمستشفى كله عطف عليها ، قال فيه ان زوجها اخبره انه يعتزم الانتحار لانه لم يعد يطيق الامه . وساله لماذا لم يستدع هذا الشاهد امام قاضي اثبات الوفاة . كذلك لم يستدع الدكتور فرانسيس الذي عالج الزوج اثناء مرضه مع انه شرح للمفتش تطورات المرض .

واستطاع المحامي ان يبرز ـ من طريق استجواب الشهود ـ ان الزوجة المتهمة خاضت بصعوبة ارضا مغطاة بالثلوج حتى الركبة لمسافة ثلاثة اميال لتستدعي الطبيب لزوجها . وان الثلج كان من الكثافة بحيث ان الطبيب ، رغم استعداده لم يستطع ان يعود المريض الا في اليوم التالي . وقال الطبيب ان المتوفى لم يكن يقبل تناول اي دواء كريه الطعم ، وان الفضل في تحسن صحته بعد مرضه الاول يرجع لعناية زوجته به .

وكانت المتهمة اثناء نقلها من السجن الى المحكمة وعودتها محل عطف من الجمهور المحيط بالمحكمة ، على عكس اخي زوجها ، فقد كان يقابل بالصفير وبكراهية واضحة لتحامله الذي وضح اثناء ادلائه بشهادته . فقد زعم انه سمع الزوجة تقول : « متى نتخلص من هذا العجوز المتعب ... » وانه رآها مرة تكبس على نفس اخيه تحاول كتمانه ، حتى اضطر لان يسحبها من خلف رقبتها، ليبعدها عن اخيه . وقال انها ، اي الزوجة ، ابلغته ان الطبيب سيحضر في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر في حين انه كان موجودا من الساعة الحادية عشرة ، وانه قال لها : « انك كاذبة » فطردته من المنزل .

ووجه اليه المحامي في هدوء وبساطة اسئلة قائلة

ـ لقد بدأت شهادتك بأن علاقتك بأخيك وزوجته كانت طيبة ؟

ـ نعم يا سيدي .

ـ هل هذه حقيقة أم كذب ؟

ـ حقيقة يا سيدي .

ـ هل حرّمت عليك من اربع سنوات دخول منزلها ؟

ـ كثيرا ما قالت لي ذلك .

ـ ارجو ان تجيب على هذا السؤال اولا . هل حرمت عليك من اربع سنوات دخول منزلها ؟

ـ لا استطيع ان احدد .

ـ متى كانت أول مرة ومنذ كم سنة ؟ .

ـ لا استطيع ان اقول .

ـ ربما من ثلاث سنوات ؟

ـ **ربما يا سيدى .**

ـ اذا ما الذى عنيته حين قلت لسيدى اللورد وللمحلفين انك كنت على علاقة طيبة ، على حين انه كان محرما عليك دخول المنزل ؟

ـ **كثيرا ما تصالحنا .**

ـ هل قالت عنك انك وقح ؟

ـ **قالت اننى وقح .**

ـ متى كانت أول مرة قالت عنك ذلك ؟

ـ **فى حضور الدكتور ناندا .**

ـ هل كان ذلك ردا على وصفك لها بأنها كاذبة؟

ـ **نعم .**

ـ هل قلت لأخيك ان زوجته قالت عنه انه عجوز بخيل حقير ؟

ـ **طبعا ، لا ، لانه لم يكن ليصدقنى .**

ـ هل السبب أن المرحوم كان يحب المتهمة ؟

ـ **لم يكن يرى عيوبها .**

وانكر الشاهد عنايةالمتهمة بزوجها او استدعاءها للطبيبين اثناء مرضه الاول .

ـ الا توجد لديك اية فكرة من محاولات المتهمة استدعاء أطباء للعناية بزوجها ؟

ـ **لا .**

ـ هل تقصد بذلك انك لا تصدق ؟

ـ **أجل اننى لا أصدق .**

ـ حتى لو جاء الاطباء وحلفوا اليمين ؟

ـ **لا اصدق . ان لى رايى فيهم .**

ـ هل قلت لمسز بيس شيئا حين كانت ـ كما تقول ـ تعوق تنفس زوجها ؟

ـ **لم اشا التكلم مع مثل هذه المراة .**

★ ★ ★

اقبل النساء من القرى المجاورة يدفعن عربات الاطفال ويقفن بالساعات حول المحكمة ، ليلوحن للمتهمة وهى فى طريقها لقاعة الجلسة او خارجة منها ، متمنين لها الحظ وكانت العبرات تخنق بعضهن . فقد كن يعرفن انها انجبت عشرة اطفال لم يبق منهم على قيد الحيـــاة الا خمســـة ، ـ وآخرهم ـ بسبب الضرب المبرح ـ ولد اصم ابكم . وعاشت طوال الخمسة الاشهر التى سبقت المحاكمة من صندوق اعانة الكنيسة .

★ ★ ★

وفى اليوم الخامس للمحاكمة قال محامى الدفاع انه لا توجد قضية صالحة للعرض على المحلفين ، فلم يقدم دليل علىان المتهمةتاولت زوجها السم، وجميع الأدلة العلمية لا تتعارض مع ان يكون القتيل نفسه هو الذى تناول السم ، ويقع على عاتق الاتهام ان يثبت عكس ذلك . واذا قال الاتهام منّ غيرُ الزوجة أتيحت له الفرصة فان كلزوجة فى المملكة يمكن ان توجه لها مثل هذه التهمة .

وعندها اشار القاضى للمحامى ليقترب من المنصة ، وأسر اليه بانه اى القاضى لا يقبل القول بان الاتهام لم يتقدم باى دليل . وقال المحامى اذا اعدّل طلبى الى انه لم يات بالدليل الكاف ليقدم للمحلفين . وعندها وجه القاضى المحلفين للتقرير بان المتهمة « غير مذنبة » . وهو ما قرروه وهم جلوس فى اماكنهم لم يبارحوها .

وجلست المتهمة ساهمة لا تدرك ما هو جار ، حتى تقدم اليها المحامى ومد لها يده مهنئا . فاحمر وجهها وجرت الدموع على خدها . ثم ساد هرج ومرج قل أن يحدث فى محكمة انجليزية . وقف الجمهور يلوح بالايدى ، ويغنى انشودة الشكر ، والجموع فى الخارج تشترك فى الاغنية ، فرفع القاضى الجلسة واسرع بالدخول الى غرفته بينما اخذ المحامى يتقبل تهانى الجمهور .وتوالت صيحات الاستهزاء ضد التون بيس ولم يستطع مغادرة المحكمة الا بين صفين من الخيالة .

★ ★ ★

واصبح من العسير خروج المتهمة لان الجمهور لم يشأ أن ينصرف ، وأخيرا خرجت تبتسم للجمهور، وامامها دوريس ابنتها تحمل دُبّتها ، ودورثى تمسك بذراعها ، ومسز سايبس التى احتضنت الطفل المريض بذراعها الآخر ، ووصلت لمنزلها حيث استقبلت بالترحاب من كلبها المدلل .

وطلب عضو البرلمان الذى جمع لها مصاريف الدفاع أن تمنحها الحكومة تعويضا عما لاقت من عذاب ، ولكن المحامى العام رفض ، فجمع عضو البرلمان من التبرعات مبلغا يكفى ليضمن لها ايرادا اسبوعيا مدى الحياة . ■■

القاهرة **حسن الجداوى المحامى**

شيخ عربيّ...

بقلم : أحمد مخيمر

■ في بورسعيد .. رأيت شيخا واقفا — جنبَ القنال .. وشاطئْ البحرِ
لم أدرِ مَنْ هُو ... غير أنّي مُبْصرٌ — فيه صراعَ الحزْنِ والصبْرِ
ويشدُّني فيه إليه ؛ شموخُهُ — وصراخُ ما يطْوى من الكِبْرِ
وتحرُّكُ التاريخِ في أعْماقِهِ — وضجيجُهُ بمعاركِ النّصْرِ
فعلمتُ أنيّ .. عند ذلك .. واقفٌ — قُدّامَ شيْخٍ .. مُخْتنِقِ الصّلَفِ
مِنْ أمّة العربِ الأشاوسِ .. فارسٌ — لم ينْسَ بعْد معاركَ الشّرَفِ
فلهيبُها لمّا يزَلْ — في رُوحِهِ متوهّجاً
وضجيجُها ما زال في — فمِهِ سكُوتاً مُحْزِنا ...
فدنوتُ منه خُطْوتيْن ... مُسَلّمَا — وسألتُه في رقّةٍ .. متبَسّمَا ...
ماذا يرُوعُكَ ؛ أيهاالشيخ الذى — يلْقَى الوُجُودَ مُقَطّباً، متجهّمَا؟
عيناك أخبَرَتَا بأنك حاملٌ — قلْباً .. ووراءَ ضُلوعِهِ .. متألّمَا
عيناك كاشفتان ما أخفيْتَهُ — سرّاً بأعماق الضّميرِ مكتّمَا
ويكاد صمْتُ الرّوحِ يطْفِر منهما — متحدّياً، متململاً، متكلّمَا ..
فأجابني الشيْخ العجوزُ ؛ ببسْمةٍ — خرساءَ ... لم تحملْ سوى أحزانهِ
وأطلّ للشّرق البعيد بعينه — يستقبلُ النّسمَاتِ من أوطانه
ويئن في صمْتٍ، ويمْسَحُ أدمعاً — هرَبَتْ إلى خدّيْه من أجفانه
ويغالب الذكرى . وللذكرى به — لَهَبٌ. وهذا الدّمْعُ بعْضُ دُخانه

فعلمتُ أنّ أمام عيني محنـــــةً   وسكتُّ . . لم أسأله عن أشجانـــه
إنـى لأعرفُهَـا . . ويعـرفُهَا   شعبٌ يعيش الحزن والصـــبرا
فـلأحترمْ أحزانَ وَحْدتِـــهِ   وسكونَه في لحظـة الذكـــرى

وأردْتُ أرجع خطـوةً أخـرى

لكنّـه ألقَى إليّ بطـــرفـه   متبسّمـاً . . . وأراد أنْ يتكلّمَا . .

وسكـــتّ وهو يقـول لى . . .
ياسيّدى. . .وطنى هنا. . .في أضلعى. .

دارى. . وأحبابى . وجيرانى. . .وما   شيّتى. . . وحقلى. . . والليالى المقمرهْ. . .
ورعاةُ قومى عائدين إلى القــرى   ليلا . .على ضوء النجوم النّيّــرهْ
وقوافلٌ من سفح لبنـــان . . . ومن   مصْر. . .ومن أرض الحجاز. .مُسَيّرهْ
كانت تمرّ بنا فنعطيـــها وتعـــ   طينا . . بأيْدٍ طيّباتٍ. . خيّرَهْ . . .

وطنى هنا. . .ياسيدى. . .في أضلعى . . .
وطنى غدا حلْمـاً، أعيشُ به ليوم لقائه

وغدا أعود إليه في حرّيّـــتى   لأراه. . وهو حقيقتى الكـبرى
إنّ أخـوض إليه معركـــةً   حمّلتْ إبائى فيه. . . والصـــبرا
وأبتْ علىّ الموتَ مغتربـــاً   إنْ لم أجدْ في أرضه قـــبرا
بدأتْ هنا . . . ولسوف أختمهـا   بالنصر؛ فوق الضّفّة الأخـــرى
ولسـوف تسمع فـى غـدٍ   صوتا لشعبى الثائـــــرِ
صوتا يقـود الزاحفــــين إلى الصّبـــاح الظّافــر

صوتـا تـردّده المـــلايـينْ
عـــاشـــت فلســـطينُ
عاشـــت فلســطينُ. . .

■■



الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

(١٩٠١ — ١٩٧٢)

بقلم : علي حيدر النجاري

■ هذا عالم عربي ، من اقطاب العلم واللغة ،يطويـه الثرى فتنطوى به صفحة من صفحـات سجل ذهبي،حافل بجلائل الاعمال اللغوية العلمية،أسهم في وضع القسم الاول منه بضعة عشر شخصا منفردين ومجتمعين في سورية ومصر بوجه خاص ،وفي العراق وبعض الاقطار العربية بوجه عام .

اما القسم الذهبي الثاني فهو فى حيز التنفيذولسوف يتحقق انجازه ضمن دائرة عربية منتظمة، قوامها اعضاء المجامع اللغوية والافراد العلميون في البلاد العربية .

والعمل بمجموعه يدخل تحت ما يدعى المسميات العلمية الحديثة في اللغة العربية .

لغتنا تمر فى اخطر مراحلها

وما اخال لغتنا العربية اذ تحتك في نطـاق عالى واسع بالعلم الحديث الزاخر في مستحدثاته والمستمر في مكتشفاته ، الا وهى تمر فى أدق وأخطر مراحل حياتها منذ أن نطقت بها العرب العاربة الى أن جرت وتجرى محاولة تجميعهـا وتبويبها فى مجامع اللغة ، لذا فان اى جهد يبذل في سبيل سيرها والعلم ، انما هو جهد جبار نورثه لابنائنا واحفادنا ، فلا يتعثرون بلغتهـم العلمية، ولا يقفون حيارى تجاه تيار علمى فياض.

جهود العلماء العاملين

وانا لنذكر في هذا السبيل — سـبيل وضع المسميات العلميـة في اللغـة العـربية — بوادر ومحـاولات جـرت من رواد قلائل في النصـف الثـانى مـن القـرن التاسـع عشر : رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ — ١٨٧٣)واحمد فارس الشـدياق (١٨٠٥ — ١٨٨٧) وبطرس البستانى (١٨١٩ — ١٨٨٣) .

ثم لم تكد تضع الحرب العالمية الاولى أوزارها، حتى بدأ الجهد الحقيقى — بما يقرب من التفرغ والانصراف — من علماء عرب اعلام : أطباء ، او اشتهروا في بحوثهم بفرع من فروع علم الحياة. اذ أن من الضرورى أن يتوفر العلم والفن واللغة في كل من يتصدى لدخول هذا الميدان . نذكر منهم علـى سـبيل المثـال لا الحصـر : في سورية الدكاترة : مرشد خاطر ، جميل الخانى ، أحمد حمدي الخياط ، محمد صلاح الدين الكواكبى ، ويضاف اليهم خريجا الزراعة : الامير مصطفى الشهابى والاستاذ عز الدين التنوخى .

وفي مصر العلامة الدكتور يعقوب صروف مؤسـس المقتطف ، والدكتور أمين المعلوف ، واحمد عيسى، ومصطفى الدمياطى ، والدكتور محمد شرف ، واسماعيل مظهر ، وأخيرا وليس بآخر علامتنا

من بناة لغة العلوم

الجليل نزيل الكويت الدكتور احمد زكي دام موفورا بسربال الصحة والعافية والعمر الطويل .

وكان ثمة في العراق عالم جمع فاستوعى هو المغفور له الأب ماري انستاس الكرملي ، ثم تلميذه الدكتور حنا خياط .

لاضرر في تعثر اللغة العربية

ولئن تعثرت اللغة العربية قليلا حيال عشرات الوف المفردات العلمية الحديثة ـ وليس هذا بضائرها فكافة لغات العالم تعاني الوضع نفسه ـ فمجال التعريب واسع ، وقد فتحه العرب علينا في جاهليتهم ، ثم القرآن الكريم والحديث الشريف، واتسع حينما كثرت الحاجات ، وتعددت الاغراض في العصر العباسي . وأي واحد منا ـ حين يطالع معجما من امهات معاجم اللغة العربية ـ لا يرى كلمات يقول عنها المؤلف فارسية معربة او رومية معربة ، او هندية معربة ، أو ما يطلق عليهـــا احيانا كلمة مولدة ؟ ولطالما الفت هذا في معجـــم لاروس Larouss الكبير ، حتى الصغير ، وفي كثير من المعاجم العلمية الفرنسية .

بعض مؤلفات الالفاظ الدخيلة

ومنذ اكثر من ثلاثة قرون حاول العلامة الشهاب الخفاجي جمع الالفاظ الاجنبية في كتاب اسماه : « شفاء الغليل فيما طرأ على العربية من الدخيل» والكتاب مطبوع في القاهرة ، حققه البحاثة الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجه .

وكنت ذكرت هذا في مجلة « المعرفة » الدمشقية منذ بضع سنوات وذكرت نبأ وقوفي على اسم لكتاب وضعه العلامة المؤرخ محمد امين المحبي (١٦٥١ـ١٦٩٩) صاحب التراجم المسماة « خلاصة الأثر ، في اعيان القرن الحادي عشر » وقد ذكر الكتاب الاديب المرادي (١٧٩١) في تاريخه المسمى « سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر » (١) حين اتى على ذكر مؤلفات المحبي . وقلنا انئذ ان اسم الكتاب « قصد السبيل ، فيما ورد على العامية من الدخيل » حسبما نذكر . وكتبنا عبـــارة « حسبما نذكر » لتقادم العهد بقراءة سلك الدرر ، اذ لم يعد الكتاب في متناول اليد منذ نحو اربعين عاما . غير انه ـ وبعد ذكرنا ذلك ، وفي زيارة لدار الكتب الظاهرية بدمشق ـ اتضح ان اسم الكتاب « قصد السبيل فيما ورد على العربية ـ وليس العامية ـ من الدخيل » . وهو مخطوط لا ندري في اية دار كتب هو دفين !

التعريب اوسع الابواب وايسرها منالا

وقد اختص التعريب بالذكر دون غيره لانـه اوسع الابواب وايسرها منالا في عصر السرعة ،وحيال سيل العلم الدافق ، وان كان ثمة مجالات اضيق افقا واقل عددا كالاشتقاق والنحت والتركيب الخ.

الم ترد في كثير من الكتب القديمة كلمـــات البسملة والحوقلة والسمعلة وغيرها ، الم يقولوا مثلا في النحت والنسبة الرسعني لعلماء سريان من رأس العين (بلدة صغيرة عند منابع الخابور أكبر رافد لنهر الفرات) ؟ واختصر العوام في العصر العباسي مدينة المعتصم « سر من رآى » وقالوا سامرا واستعمل هذه اللفظة المختصرة الشاعر البحتري في قافية الهمزة اذ قال سامراء .

واعجب من هذا ما ذكره الزمخشري في تفسيره

---

(١) لا يسعنا الا ان نشكر وزارتي الثقافة في الحكومتين العراقية والسورية ، اذ اعادت الاولى طبع : « سلك الدرر » مصورا من طبعة بولاق ، ومثلها فعلت الثانية في « خلاصة الاثر » وبذا صانتا هذين الاثرين من التلف والضياع .

كلمة « بعثرت » في الآية الكريمة : « واذا القبور بعثرت » بان هذه اللفظة منحوتة من فعلين: « بعث » و « اثر » أى بعث موتاها واثير ترابها. ويقول الخضرى في مقدمة حاشيته على شرح ابن عقيل والفية ابن مالك : « ومن المولد الفذلكة من قولهم فذلك العدد كذا وكذا » . وما احسن ما تطالعنا به اليوم كتب الفيزياء من كلمات معربة ومركبة ومنحوتة كالكهرطيسية مثلا ترجمة لـ Electra magnetique ولفظة الفيزياء نفسها قد عربها المرحوم العلامة عز الدين التنوخي(ت١٩٦٦) قياسا على لفظة الكيمياء المعربة قديما (٢) .

واذا استمر اجتهاد العلماء المعاصرين في الصرف اللغوى فالامر بلغ غايته . الم يقل العرب مثلا فلفل وعصفر من الفلفل والعصفر وكلتا اللفظتين فارسية معربة ؟ وكنا ذكرنا في مجلة « العربى » ـ حين الحديث عن العلامة الراحل الامير مصطفى الشهابى ـ ان له اعمالا لغوية قدمها بصيغ اقتراحات في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، واقترنت بالموافقة عليها واقرارها ، منها قرارات تجيز اشتقاق « فعال » و « فعّل » للدلالة على الداء سواء اورد للاسم فعل ام لم يرد (٣) .

نحسب اننا بهذه المقدمة الوجيزة نكون قد اخطرنا القارىء بما للمسميات العلمية العربية من اهمية بالغة ، وبما لرجالها من فضل كبير على اللغة ذاتها ، فليس اقل من كتابة كلمة تحيي ذكرى كل منهم في اية مناسبة من المناسبات .

ولمرور سنة على وفاة الاستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبى ، الصيدلانى المشهور ، وعضو المجمع اللغوى بدمشق ، نكتب نبذة عنه ، وفاء منا لجهوده ومآثره العلمية واللغوية .

ولد الفقيد الكواكبى عام ١٩٠١ في حلب ، أبوه العلامة الشيخ مسعود الكواكبى المتوفى عام ١٩٣٠، من اوائل اعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ، اذ انتظم في سلكه عام ١٩٢٣ ، وكان عضوا في محكمة التمييز (النقض والابرام) ، وقبيل الحرب العالمية الاولى كان نقيبا لأشراف حلب ، وكان يمثل هذه المدينة في مجلس المبعوثان (النواب التركى) ، ولعل من سخرية القدر او كما يقول الشاعر أبو العلاء المعرى : « ونقدرون فتضحك الاقدار » . انني كنت في طريقى الى الدكتور الكواكبى لاطلعه على قصيدة مخطوطة لوالده ، ردا على قصيدة أرسلها اليه والدى « رسول النجارى » مهنئا اياه بعضوية مجلس المبعوثان سنة ١٩١٢ مطلعها :

شَهبًا العلى لكِ صار خي عماد
مبعوثك المسعود في الامجاد

فاجابه الشيخ الكواكبى في نظم وخط بلغا غاية الروعة :

وافت قصيدة واحد الاحاد
مولى القريض وتحفة الرواد

كنت في طريقى اليه واذا بى افاجأ بنعيه ، فينقض عليَّ النبأ انقضاض الصاعقة ، فاعود ادراجي والالم يعتصر قلبى .

أسرة الفقيد

والفقيه من اسرة عريقة في العلم ، وفي مجلة « العربى » ـ حين الحديث عن الرحالةعبدالرحمن الكواكبى ـ ان الأسرة تنتمى الى على بن ابى طالب (٤) . وقد جاء في الاثر : انا مدينة العلم وعلى بابها.وكنت في حداثتى قد اطلعت على ترجمة لبعض العلماء الكواكبيين في كل من « خلاصة الاثر » و « سلك الدرر » ؛ ويكفى ان ينسل من هذه الاسرة سابق زمنه عبد الرحمن الكواكبى ، اول مفكر عربى مسلم ثائر في العصر الحديث ، وذلك في كتابه « طبائع الاستبداد » و « ام القرى » .

صلاح الدين الكواكبى في حياته الدراسية

لا عجب بعد ما ذكرنا ان يشع العلم والمعرفة

(٢) نذكر هنا في هذا المضمار الجهود التى يبذلها الاساتذة السوريون ، اذ يقومون بترجمة الموسوعة الفيزيائية البريطانية ، فيضعون لها مئات المسميات العلمية في اللغة العربية ، اما ترجمة أو تعريبا ، وقد انجزت أربعة أجزاء منها ، وذلك تحت اشراف لجنة مقررها المهندس الاستاذ وجيه السمان عضو المجمع اللغوى بدمشق .

(٣) مجلة العربى العدد ١٢٨ أيار ـ مايو ـ ١٩٧٠ .

(٤) مجلة العربى العدد ١٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٥٩ بقلم الدكتور عبد الرحمن الكواكبى .

بطريق الوراثة في نفس المترجم له الدكتور الكواكبي، فهو منذ حداثته متفوق في دراسته ، وقد اتم تحصيله الابتدائي والاعدادي في الآستانة ، ثم نال شهادة الثانوية بدرجة ممتازة من مسقط راسه « حلب » ، دخل على اثرها المعهد الطبي العربي بدمشق سنة ١٩٢١ ، فدرس فيه خلال ثلاث سنوات — العلوم الفيزيائية والكيميائية والصيدلانية ، وذلك في فرع الصيدلية ، ثم ذهب الى باريس وتسجل في جامعة الصوربون ، حيث قام باعمال وتحليلات شتى بطلب من مدير المخْبَر كوهن ايربست واشرافه ، وقدم سنة ١٩٢٦ اطـروحة عنوانها : « تحري الازوتات في الكيمياء الحيوية والسمية » الى لجنة فاحصة في المعهد المذكور ، منح بها لقب دكتور في الصيدلة من جامعة باريس بدرجة ممتازة ، وفي ايلول من السنة نفسها قدم الاستاذ دارسنفال D'arsanval عالم الفيزياء الطبية الشهور (١٨٥١ — ١٩٤٦) — الى المحفل العلمي الفرنسي خلاصة عمله هذا ، والطريقة التي وصفها مع الاستاذ كوهن لتحري الازوتات في الكيمياء الحيوية ، فحازت الاستحسان ونشرت في مجلتها وذكرت الطريقة نفسها في كتاب الاستاذ كوهن ايربست الذي يدرس في مؤسسة الطب الشرعي ، كما ذكرت في كتاب الطب الشرعي للاستاذ بلطزار ، وكان لاكتشافه وجود الازوتات في اللبن (لبن المرأة ، لبن البقر) المجهول الى ذلك العهد — صدًى لدى بلدية باريس التي كانت تتحرى الغش في اللبن الوارد من القرى الى باريس بكشف الازوتات فيه ، زعما منها ان القروي يمذق اللبن بماء النهر الذي لا يخلو من الازوتات ، مع ان اللبن في الحالة الطبيعية يحتوي على مقـدار اكبر مما قد يوجد منه في الماء المضاف الى اللبن بقصد المذق (٥) .

وظائفه واعماله العلمية

واثر عودته الى وطنه ومعه شهادة الاختصاص في الكيمياء الحيوية ، تقلد منصب مساعد مَخْبَر الكيمياء بدمشق ، ليعاون الطبيب الجرائيمي العلامة الدكتور احمد حمدي الخياط عضو المجمع العلمي العربي وقام بجميع الاعمال المخبرية الخاصة بالتدريس وبالفحوص الواردة من المستشفى العام التابع للمعهد الطبي .

وكان من اعماله في النصف الاول من الثلاثينات صنع مستحضر صيدلاني من نـوع الحُبابات — الامبولات Ampaules — الدوائية : هيموجين الكواكبي (٦) بولوكربن الكواكبي (٧) الخ .. ثم اصبح رئيس المخبر في المعهد الطبي العام عام ١٩٣٧ . واستدعته الحكومة العراقية لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة الملكية العراقية ببغداد ، بدلا من الاستاذ الانكليزي الذي انتهى عقده ، ووجهت اليه وزارة الداخلية العراقية رسالة شكر وتقدير مشفوعة بشكر من مديرية الصحة العامة ، وبعد انتهاء عقده الرسمي مع الحكومة العراقية عاد الى دمشق ، واعيد الى رئاسة المخبر عام ١٩٤٠ ولبث مدرسا بالمرتبة الممتازة للصيدلة والكيمياء في الجامعة السورية ، حتى كانون الاول ١٩٦١ وهو تاريخ بلوغه سـن التقاعد .

وقد سد ثغرة كبيرة بصنع حباباته الدوائية التي نالت شهرة فائقة في البلاد العربية وذلك في الحرب العالمية الثانية حين عزّت الحبابات الخاصة باهم المواد الدوائية ، امتين (٨) ، كنين ، ستوفائين (٩) الخ ..

اذ قام بتجهيزها وتقديمها بثمن الكلفة الى مستشفى المعهد الطبي الذي تخرج منه .

وكان انتخابه لعضوية المجمع العلمي العربي في السابع من كانون الاول — ديسمبر — عام ١٩٥٢ .

---

(٥) مجلة المجمع اللغوي الجزء الثاني من المجلد السابع والاربعين (تموز/يوليو ١٩٧٢) .

(٦) دواء منشط ومقو للدم .

(٧) دواء كعلاج للرشوحات الرئوية .

(٨) Emetide ، مادة شبه قلوية تدخل في معالجة الزحار — الديسنطاريا — وتستخرج من نبات عرق الذهب Epeca ، من الفصيلة الفوية Rubiacu ، التي منها شجرة الكينا أيضا .

(٩) Stavaine ، مادة مسكنة مخدرة .

آثاره العلمية واللغوية

وقد اوردت مجلة المجمع اللغوي بدمشق له وبمساعدة نجله الاستاذ نزار الكواكبي ـ نيفا وعشرين كتابا علميا صرفا ، منها : الحَيَويات ـ الفيتامينات ـ والحالات (١٠) ـ الهرمونات ـ والهيوليات ـ البروتينات ـ الخ .. عدا ما ذكرته له من كتب لغة العلوم .

وقد كلف بقرار من المجلس الاعلى للمصالح المشتركة عام ١٩٤٤ ـ مع الاستاذ توفيق المنجد ، والسيد جورج عريضة ـ بترجمة تعريفة المكوس وعدد اوضاعها (٩٩١) ، وبعد عمل متواصل ستة اشهر قدمت الى رئاسة المجلس نسخة بخطه الانيق ، طبعت في بيروت ، ولا يزال يتمل بها في مصلحة المكوس .

على ان اهم اعماله اللغوية العلمية كتابه : « مصطلحات علمية » وكانت الطبعة الثامنة منه صدرت عام ١٩٥٩ وتقول عنه مجلة المجمع اللغوي وعنها ننقل معظم هذه الترجمة : « هو خير دليل على مبلغ الجهود الكبيرة التي بذلها في الاشتقاق والنحت والتعريب والاوزان التي ادخلها الى المصطلحات العلمية ـ قياسا ـ لبضع مئات من الكلمات العلمية الاجنبية ، وقد وفق في اكثر مصطلحاته واصاب ، بدليل ان اصحاب اكثر المحلات الكيماوية والعلمية والكليات في الاقطار العربية استعملوا مصطلحاته هذه ، وكان من هذا وسيلة لشيوعها في العالم العربي ، وقد ذكرها المستشرق « فنسان مونتي » في كتابه دراسات عربية اسلامية العربي الحديث « المطبوع بباريس ١٩٦٠ في اكثر صفحات هذا الكتاب ولا سيما الصفحة ١٤٩ » (١١) .

وكان احد ثلاثة من رجالات العلم السوريين هم اعضاء لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب الدكاترة : مرشد خاطر ، واحمد حمدي الخياط ، وصلاح الدين الكواكبي ، اذ نقلوا الى العربية معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للعالم الفرنسي كليرفيل ، بطلب من الدكتور المؤلف نفسه ، وعدد كلماته (١٤٥٣٤) وطبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٦ ، وكان ولم يزل معتمدا لدى اساتذة الطب ، وقد اشرنا اليه في مجلة المعرفة الدمشقية .

وقبيل وفاته كان قد اتم كتابه : « معجم المصطلحات الطبية » الواردة في نسخة كليرفيل مرتبة على حروف الهجاء باللغات الثلاث العربية والفرنسية والانكليزية وهو مخطوط قيد الطبع ، ومعجم آخر « معجم مصطلحات اعضاء الانسان ، وما يطرأ عليها باحداث الزمان » وقد قارب الانتهاء ، وهو باللغات الثلاث ايضا ، رتّبه على حروف الهجاء العربية .

كتابه : « نظرة عيان وتبيان » وفقرات منه

وفي كتاب لغوي قيم ، عنوانه « نظرة عيان وتبيان » ، عقب فيها عام ١٩٦٧ على المقالة المخطوطة للفقيه اللغوي احمد بن فارس ، صاحب كتاب « المجمل » عنوانها « اسماء اعضاء الانسان » حققها الدكتور فيصل دبدوب عضو المجمع اللغوي . اذ وضع الدكتور الكواكبي ما يقابل الاسماء باللغتين الفرنسية والانجليزية ، مع شرح موجز ، كما استدرك ثلاثة ابواب على النهج الذي عليه مقالة ابن فارس : الاول في الجنين ، الخلايا ، الرحم ، العضلات ، العظام ، الغدد ، الكبد ، الطحال ، الكلية ، الرئة ، الدم .

والثاني في الاوردة ، الشرايين ، الاعصاب .

والثالث في الامراض ، الادواء ، الآفات .

وكنموذج لبحثه وتحقيقه اللغوي والعلمي نورد ما قاله في صفحة ٣٥ من هذا الكتاب :

« بين لي ان المقلة ف (١٢) Globe oculaı ، ز Globe of the eye هي العين ، ف oeil ، ز Eye في الاصل ـ لم يذكر لها تعريف وفي ق (اي القاموس) : العين ، الباصرة مؤنثة ج اعيان واعين

---

(١٠) لفظة هرمون Harmon كان قد ترجمها المرحوم الدكتور شرف في معجمه العلمي بالكلمة العربية « اثور » واستعمل صاحب المقتطف كلمة « رسول » والكلمتان مترادفتان في المعنى ، واللفظة يونانية الاصل معناها "حرك" او "اثر" ، وقد وضعها العلامة هاردي W. B. Hardy ، بينما كان وضع لها ستالنغ مكتشف الافراز الداخلي اسم رسول كيميائي Chemicol Messenger .

(١١) مجلة المجمع اللغوي تموز ـ يوليو ـ ١٩٧٢ .

(١٢) يرمز الكواكبي الى اللفظ الفرنسي بالفاء والانكليزي بالزاي .

وعيون ، جع اعينات ، ومعان شتى لا حاجة لسردها .

وفي ل (اى لاروس) العين عضو الرؤية وعين الانسان : تحدها ثلاثة اغشية Membranes (١٣) وهن : الصلبة Scleratique وشبه المشيمة Charaids والشبكية Retine .

اولا ـ الصلبة هى الطبقة الواقية من الامام ، تؤلف القرنية الشفافة .

ثانيا ـ شبه المشيمة ، وهى مصطبغة ومغذية ، تمتد من الامام بالقزحية Fris ثقبة الحدقة ، ذات فتحة متحولة حسب شدة الضوء الساقط .

ثالثا ـ الشبكية وهى ذات اعصاب ، وحساسة على المنبه الضوئى : تتصل بالمخ (١٤) Encephale بواسطة العصب البصرى Nerf optique ترتسم عليها الصور المتكونة عن الاوساط الشفافة من العين » الخ .. (حيث يذكر الاوساط ووظائفها وعيوبها مما يهتم به المختصون) .

وقلما كان يظهر عدد من أعداد مجلة المجمع العلمى سابقا واللغوى حاليا الا ويساهم في كتابة بحث فيه ، وكمثال لذلك مقالاته بعنوان «الاوزان العربية في المصطلحات العلمية » و « النحت والمصطلحات العلمية » الخ .

آخر مقالاته

واخر كلمة خطتها يده مقال بعث به الى مجلة المجمع اللغوى بدمشق ، ونشر في الجزء الثانى من المجلد السابع والاربعين الصادر في تموز ـ يوليو ـ ١٩٧٢ « حول الفاظ الحضارة » عقب فيها على ما جاء للاستاذ محمود تيمور في نشرة « مجمع اللغة العربية بمصر في الدورة السادسة والثلاثين لمؤتمر المجامع العلمية (١٩٦٦ ـ ١٩٧٢) وقد شرح الكواكبى واوضح بعض الفاظه موافقا ومستدركا .

فمثلا يترجم الاستاذ تيمور كلمة Aeratrain بالقطار الطائر في حين أن المرحوم الكواكبى يرى ترجمتها بالقطار الجوى نسبة للجو « كما سيقال قطار فضائى اذا تيسر لعلماء الفضاء أن يبتدعوا هذا القطار للانتقال من الارض الى الكواكب . »

وقد استبقى كلمة التلفزيون التى عبر عنها الاستاذ تيمور بقناة الاذاعة المرئية ، وذلك لانها كما يقول الكواكبى « عالية الشيوع مثل الراديوم والراديو والبنسلين ، فارى التزام ما شاع عالميا كما يقال متر ، كيلوغرام ، طن .. الخ من الكلمات العالمية »(١٥) .

واتفق معه على تعريف فعل جدول وبالفرنسية Enragistrer ، من اسم جدول ـ جدول الرواتب مثلا ـ وعلى هذا ورق مجدول Tapier regle القسول Latian ، ولم يرض باضافة كلمة الشعر الى القسول حسبما اقترحها تيمور، اذ يقول الكواكبى : انه لفسل الشعر تضميخا وتجميلا وعلاجا ، ومثلها الفسلة Champaing الخ ..

خاتمة وامل

فقضى محمد صلاح الدين الكواكبى نحبه في الحادي والثلاثين من آيار ـ مايو ـ لعام الف وتسعمائة واثنين وسبعين فكان لنبأ وفاته هزة كبرى في الاوساط العلمية واللغوية . وانا لنأمل من أن يكون في زملائه البررة الباقين اعضاء المجامع العربية الثلاثة ما يعوض ويوفر للغة العربية ما فات من مصطلحات العلم الحديث .

ولئن طوى التراب صلاح الدين كما طوى غيره من العلماء العاملين ، فهم ـ بما لهم من آثار رائعة ، وحيال شتى الباحثين المترسمين خطاهم ـ ينطبق عليهم قول كعب بن معدان الاشقرى الشاعر الاموى :

تجـوم يهتـدى بهـم اذا ما
اخـو الظلمات في الغمـرات حـارا

علي حيدر النجاري
حمص / سورية ■■

---

(١٣) وردت اللفظة الفرنسية في الكتاب Mebmrane ولا شك أنه خطأ مطبعى .

(١٤) هكذا وردت في الكتاب والصحيح أن الترجمة العربية للفظة الفرنسية هى الدماغ وقد رجعت الى المعجم الفرنسى فرأيته يذكر ان Encephale مجموعة المراكز العصبية وتحتوى على المخ والمخيخ والبصلة السيسائية وقد وردت صحة الترجمة في غير مكان من الكتاب .

(١٥) لفظة التلفزيون عربها الدكتور فؤاد صروف بالتلفزة ، في النصف الثانى من الثلاثينات ، وتستعمل مجلة العربى لفظة « التلفاز » ونظنها لرئيس تحريرها الدكتور احمد زكى ، وترجمها أحد أعضاء المجمع اللغوى بلفظة « الرائى » .

طرائف غربية

« صديق الملك » .. والرحلة الاخيرة !

● مدام دي بومبادور (١٧٢١ – ١٧٦٤) ، المرأة التي حكمت فرنسا عن طريق نفوذها القوي الذي كانت تمارسه على الملك لويس الخامس عشر ، روت يوما قصة « صديق الملك » الذي اختفى فجأة عن القصر الملكي الذي كان يتردد عليه بين الحين والحين ، فيمثل بين يدي الملك ويستغرق الاثنان في حديث طويل لا ينتهي قبل ان تعلن دقات الساعة منتصف الليل !

قالت : « لقد كان هذا الصديق رجلا قويا ، يجيد الحديث ، ويعرف كيف يشد انتباه مستمعيه اليه ، وكنت أخشاه ، رغم أنني لم أحاول مرة واحدة ، أن اكتشف سر تلك الاجتماعات الطويلة التي كانت تعقد بينه وبين الملك .. الى أن جاء يوم تحققت فيه شكوكي ومخاوفي عندما أسرّت الى « سيمون » وصيفتي الصغيرة الجميلة بأنها سمعت اسمي يتردد مرارا على شفتي هذا الصديق وهي تقدم له طعام العشاء على المائدة الملكية !



« ولم يكن صعبا عليّ بعد ذلك ان ادرك ان صديق الملك الوفي كان يغتابني في غيبتي ، فقد لمست تغييرا واضحا في معاملة الملك لي.. واحسست بالخطر ، بعد أن اكتشفت عن طريق سيمون أن هذا الضيف يعرف عني أكثر مما اعرف عن نفسي، وقررت أن أتخلص منه . ولم أجد امامي غير زجاجة السم الصغيرة ، فسلمتها الى «سيمون»، التي نفذت الخطة بمهارة !

« كان العشاء هو ختام الحديث في كل ليلة ، وانصرف صديق الملك بعد أن ودعه ، دون أن تظهر عليه أية أعراض للسم الذي بدأ يسري في دمه .

« وفي حديقة القصر ، كان رجال الحرس في انتظاره ، فحملوه الى مهجعهم ، وابقوه هناك حيث بقي يتلوى من الالم الى ان فارق الحياة ، ودفنوا جثته في مكان لا يعلم به أحد !

« ومرت الايام ، ولم يظهر الصديق ، واشتد قلق الملك عليه ، فامر بالبحث عنه في بيته وفي كل مكان تعود الترددعليه !

« وفي أحد الايام سمعت طرقا على باب غرفتي وأسرعت وصيفتي تفتح الباب ، واذا بي أجد نفسي وجها لوجه امام الملك .. فانحنيت امامه في احترام ، واقترب مني ، ووضع يده فوق راسي ، وقال انهضي يا عزيزتي .. فلدي خبر مزعج أريد ان اقوله لك .. واحسست بقشعريرة تسري في جسمي ، وبحافة الجيلوتين تكاد تطبق على عنقي

.. لا بد ان الملك قد اكتشف انني دبرت اغتيال صاحبه !

ثم كانت المفاجأة ، عندما اخرج الملك منديله الحريري من جيبه وراح يجفف به دموعه ويقول لي في صوت حزين : « هل تعلمين انك فقدت اعز صديق لديك .. اليوم فقط عرفت ان « اعداءك » في القصر قد تخلصوا من الرجل الوحيد الذي كان يدافع عنك وعن سمعتك .. لقد طلب مني يدك ، وقال انه على استعداد لان يهبك كل ثروته ، اذا ما استمعت انا الى وشاية الواشين ، وقررت ان ابعدك عن حياتي وعن قصري !! »

ولم تنقض فترة طويلة على هذا الحادث حتى كانت العربة الملكية تقل مدام دي بومبادور من قصر الملك لويس الخامس عشر وتذهب بها الى حيث لن تعود ابدا .. فقد ماتت المرأة التي حكمت فرنسا ، اثر مرض لم يمهلها طويلا .ومن وراءزجاج النافذة ، كان الملك يقف ويرقب جثمانصديقته وهم يحملونه الى العربة والمطر يتساقط بغزارة فيحجب عن عينيه موكب الموت .

وقال وهو يودعها : « حتى الطبيعة لم تشفق عليها في رحلتها الاخيرة ! »

صائد السمك !

● الكاتب والمؤلف الانجليزي الشهير تشارلز ديكنز (١٨١٢ ـ ١٨٧٠) ،الذي وصل الى القمة بين مشاهير الكتاب في القرن التاسع عشر ، كتب يوما يحدثنا عن سلوكه في مواجهة المشاكل والصعاب، قال : « كنت احمل « صنارتي » واذهب الى شاطىء النهر لأصطاد السمك، وكنت القي « بالصنارة » الى الماء ، واجلس فوق اقرب صخرة ، والمقبض في يدي لا يتحرك ، بينما ينهمك عقلي في تفكير عميق في الظروف والملابسات التي تحيط بالمشكلة التي ابحث لها عن حل ، وتمتد بي الساعات ، وانا جالس في مكاني لا اتحرك ، وقد تعلقت عيناي بالمياه الساكنة من تحتي ، حتى اذا جاء المساء حملت صنارتي وعدت الى البيت من حيث جئت !

« وقد اجد في نهايتها سمكة صغيرة او كبيرة ، او لا اجد فيها شيئا على الاطلاق! المهم انني وجدت الحل الذي كنت ابحث عنه للمشكلة التي كانت تؤرقني وتقض مضجعي .. وربما وجدت مع الحل لمشكلتي ايضا فكرة جديدة لقصة جديدة اكتبها واقدمها للناس .. »

وكانوا يقولون له وهو يروي لهم قصة



البحث عن الحلول لمشاكله في مياه النهر: « وماذا كان رأي الناس فيك وانت عائد من الصيد بخفي حنين ؟ »

ويرد الكاتب الفيلسوف : « كنت اسمعهم يرددون : « يا له من صائد سمك صبور ! » اليس الصبر صفة يعتز بها الرجل ويفخر .. انها اعظم شيء يتحلى به الانسان في مواجهة متاعب الحياة ! » ■■

كتاب الشهر



ماذا يجرى فى العالم الغنى والعالم الفقير

شركاء فى التنمية

■ لم تنقص رقعة الارض فى القرن العشرين عما كانت عليه قبله ، ولكن تقدم وسائل المواصلات ، واشتباك المصالح بين الشعوب ، واضطرار بعضها الى بعض على نحو لم تعهده من قبل ــ جعلت البشر جميعا اليوم يحسون كانهم مواطنو مدينة واحدة ، وان كانت مترامية الأطراف، وان دولهم منها بمثابة الأحياء والضواحى ، من كبيره وصغيره ، ومتقدمة ومتخلفه ، فلا تكاد واقعة ذات بال تظهر فى أى طرف حتى يكون لها صداها فى سائر الأطراف . فكأن الارض فى هذا القرن قد زودت بما لم يكن لها قبله من أعصاب الحس والحركة ، وكأن هذه الأعصاب تزداد امتدادا ورهافة كلما تقدمت بها السنوات .

فالبشر اليوم يحسون ، كمواطنى المدينة الواحدة ، انهم جميعا مهما تتسع أطرافها وتتباعد مضطرون الى التعاون فيما بينهم لانعاش جميع مرافقها ، وتعمير كل أحيائها وضواحيها، ليشعروا معا فيها بالأمن والرخاء ، وليزهوا بانها مدينتهم وأنهم مواطنوها ، وأن الفضل فى تجميلها ووفرة خيراتها يعود الى توادهم وتعاونهم معا على ترقيتها وانعاش مرافقها ، وان كانت بعض الاطـــراف أجمل أو أغنى أو أوسع من بعض ، أو كان

تاليف : جماعة من الاقتصاديين العالمين ، تحت اشراف السيد لستر بيرسون رئيس وزراء كندا (سابقا) .

اعداد : ابراهيم نافع
عرض : محمد خليفة التونسي

المواطنون على درجات متفاوتة في التمدن والرخاء.

لهذا بدأ دوليا علاج المشكلات بين الشعوب بعد ان كان مقصورا على طرفين او اطراف قليلة ، وظهر ذلك جليا عقب الحرب العالمية الاولى عند انشاء عصبة الأمم ، وظهر بصورة اجلى بعد الحرب العالمية الثانية عند انشاء هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها العالمية المتنوعة ، وقد حاولت بعض الدول القوية او الضعيفة منذئذ عقد الاتفاقات الثنائية او الجماعية لتامين مصالحها المشتركة ، وتوالت على الدول المتخلفة معونات شتى من مالية وفنية ، اما من الدول المتقدمة ، أو من المؤسسات الدولية ، وشملت المعونات كل البلدان المتخلفة في آسيا وافريقية وامريكا الجنوبية،بل شملت الدول المتقدمة في التعاون بين بعضها وبعض . وقبل بضع سنوات كان قد مر على تجارب هذه المعونات الاقتصادية نحو عشرين سنة ، فكان لا بد من مراجعتها لتقييمها من جانب ، ورسم خطط لها أصلح للمستقبل من جانب آخر . وكان ممن فكروا في ذلك ـ بحكم منصبه ـ رجل كان يشرف يومئذ على البنك الدولي ، أكبر مؤسسة مالية دولية ، وكان من نتائج تفكيره هذا الكتاب .

قصة هذا الكتاب

ففي ٢٧/١٠/١٩٦٧ ، اقترح المستر جورج وودز ـ وكان يومئذ رئيس البنك الدولي ـ أن تجتمع نخبة دولية من ذوي المكانة والخبرة . لتدرس نتائج التعاون الدولي للتنمية الاقتصادية خلال الفترة الماضية التي امتدت نحو عشرين سنة، ولتوضح أخطاءها من تجاربها ، وتقترح السياسات التي يمكن أن تنتهج في المستقبل لبلوغ نتائج افضل ، ولكن هذا الاقتراح لم ينفذ الا في عهد خلفه في رياسة البنك الدولي ، السيد روبرت ماكنمارا ، الذي وجه الدعوة الى السيد ليستر بيرسون رئيس وزراء كندا السابق ، لاجراء هذه الدراسة ، مستعينا بمن يراهم اهلا لهذه المهمة الخطيرة ، وقد تم قبول السيد بيرسون لذلك في ١٩/٨/١٩٦٨، وبادر باستدعاء سبعة من معارفه واهل ثقته من دول مختلفة للانضمام الى لجنته على اساس قدراتهم الفردية ، وهذه اسماؤهم ، واسماء دولهم التي ينتمون اليها .

السير ادوارد بويل (المملكة المتحدة)

السير روبرتو دي اوليفرا كامبوس (البرازيل)

دوجلاس ديللون (الولايات المتحدة)

د. ويلفريد جوث (جمهورية المانيا الاتحادية).

الاستاذ آرثر لويس (جامايكا)

د. روبرت مارجولان (فرنسا)

د . سابورو اوكيتا (اليابان) .

ثم أضافت اللجنة أربعة عشر خبيرا آخرين في مختلف ميادين التنمية من تسع دول بين متقدمة ونامية ، وفي نوفمبر/١٩٦٨ عقدت اللجنة اول اجتماعاتها في « مونت جابريل » (في كندا (بلد رئيس اللجنة) ، وبدأت استعراضا شاملا للتاريخ القريب الخاص بالتعاون الدولي للتنمية ، كي تقدم نتائج دراساتها مع توصياتها الخاصة بمثل هذا التعاون في العشرين سنة القادمة ، وقد تلت هذا الاجتماع اجتماعات أخرى في عواصم شتى : روما ، وكوبنهاجن ، وجنيف . وخلال هذه الاجتماعات ، وما جرى بين الأعضاء من مراسلات ، بحثت اللجنة المواد التي طلبتها من هيئة خبرائها ، لتعدها وتعد معها توصيات خبراء آخرين من خارجها ممن كانت اللجنة قد

كلفتهم باجراء دراسات خاصة ، ومن تصفية هذا كله وضعت اللجنة توصياتها ، والنتائج التي وصلت اليها ، وضمنتها هذا الكتاب او هذا التقرير ، وقد تم ذلك كله خلال احد عشر شهرا كادت لا تكفي لاستيعاب الموضوع على نحو ترضاه اللجنة لولا انها قررت في اول اجتماعاتها انتسلم التقرير الى البنك في اجتماع محافظيه السنوى في اكتوبر سنة ١٩٦٩ ، وهذا ما حققته فعلا .

اسلوب الدراسة

لم تكن مهمة اللجنة هينة ، بل واجهتها صعوبات كثيرة قوية ، فمثل هذه الدراسة لا تتم عن طريق اجتماعات تعقد داخل المكاتب ، فتدرس خلالها ما يقدمه اليها من معلومات اعضاؤها او خبراؤها الأصلاء ، او الطارئون ، بل كان ضروريا لها ان تعرف وجهات نظر الدول النامية ، وهي الدول التي جرت فيها تجارب التنمية ، والتي تلقت من اجلها الأموال من الدول الاخرى ، ولهذا اضطر رئيس اللجنة ـ وبرفقته عضو او اكثر من اعضائها ـ ان يطوف في بلاد كثيرة ، ويعقد فيها اجتماعات اقليمية لجمع المعلومات والآراء على اساس التجارب التي مرت بهذه البلاد في قارات عدة ، منها سنتياجو في امريكا اللاتينية ، ومنها ابيدجان وكمبالا في افريقية ، ومنها روالبندي ونيودلهي في آسية ، ومنها انقرة في الشرق الاوسط ، وفي هذه الاجتماعات الاقليمية مكنت هذه اللجنة الصغيرة المتنقلة لسبعين حكومة ان تعرض رايها في كل المسائل المتصلة بالتنمية على اوسع نطاق ، وكان لهذا الأسلوب فضله فيحصول اللجنة على كثير من المعلومات القيمة لهذه الحكومات السبعين ودولها ، بالاضافة الى آراء مماثلة تلقتها كتابة من حكومات اخرى .

وكذلك بحث رئيس اللجنة مسائل التعاون الدولي في ميدان التنمية ونتائجها ومشاكلها مع ممثلي عدد من حكومات الدول النامية ، وشهد كثيرا من الاجتماعات الدولية ، وشارك فيمشاورات كثيرة اجراها مع عدد من كبار رجال المال والاعمال، كما اجرى محادثات قيمة غير رسمية مع المسئولين في وكالات الأمم المتحدة وفي منظمات غيرها تعمل ايضا في ميدان التعاون الاقتصادي الدولي ، مثل لجنة معونة التنمية التابعة لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ، بالاضافة الى محادثات رئيس اللجنة مع افراد غير رسميين من ذوى الاطلاع والخبرة في هذا الميدان ، وقد نوه التقرير بكل هذه المساعدات ، رسمية وشخصية ،جماعية وفردية ، وشكرها لاصحابها .

صراحة وكياسة

وواضح من مطالعة التقرير ان اللجنة جمعت بين الصراحة والكياسة معا في دراستها للموضوع، وفي اتصالاتها بالمسئولين وغيرهم من افراد وجماعات ، ثم في كتابتها للتقرير ، سواء فيما قدمته من معلومات أو توصيات ، ولولا أن اللجنة في نشاطها قد جمعت بين الصراحة والكياسة لما نالت هذا التوفيق في مهمتها ، ولما نال تقريرها هذا الحظ الوافر من التقدير العالمي لدى الحكومات ثم الهيئات والافراد المهتمين بالتنمية في كل انحاء العالم .

ومن امثلة كياستها أن اللجنة في وصفها للدول المتأخرة قد اختارت كلمة « النامية » لا كلمة المتخلفة ، ومن امثلة صراحتها اشارتها الى انها لم تفد شيئا من اتصالها بالدول الشيوعية ، في الحصول على ما ارادته من معلومات في موضوع التنمية ، وبهذا عللت اللجنة خلو تقريرها من المعلومات التفصيلية المنشورة عن تلك الدول ،ومن برامجها الخاصة بالتعاون والمعونة في ميدان التنمية ، وان كانت اللجنة قد أشارت الى ان معظم هذه المعونات قائمة على اساس ثنائي ، اى بين دولتين اثنتين ، ووراء هذه الاشارة الصريحة الكيسة اللبقة ما وراءها ، وقد تمنت اللجنة لو ان التعاون كان أشمل ، فقالت : « لا شك أنه كان من الافضل والأفيد لقضية التنمية الدولية لو أن الدول الشيوعية وغير الشيوعية استطاعت ان تعمل معا بطريقة اوثق في هذا الميدان ، واللجنة يحدوها الأمل أن يتم هذا التعاون في المستقبل » .

ولا شك عندنا في أن أمنية اللجنة ستتحقق طوعا او كرها ، للاسباب التي اشرنا اليها في اول هذه المقالة ، والتقارب الذى جرى في هذه السنة بين الدول الشيوعية وغير الشيوعية ، ولا سيما الدول التي تتزعم الكتلتين ـ يشير بان هذه الأمنية في طريقها الى التحقق طوعا لا كرها ، فلم تبق

دولة بالغة ما بلغت من السطوة والغنى والرقى بقادرة ان تحل مشكلاتها بمعزل عن سائر الامم ، او تنطوى على نفسها دون أن تبالى بما يجرى فى البلاد المجاورة لها ، وكل الدول الآن متجاورات عن اضطرار او اختيار مهما تكن نائية ، لأنها الآن جميعا كالأحياء والضواحى لمدينة واحدة .

ومن امثلة الصراحة والكياسة لدى اللجنة ما اشارت اليه فى ختام تقريرها من أن مسئولية كل ما يحتويه انما تقع على اللجنة وحدها ، وانه اذا كان البنك الدولى هو الممول لها فى هذا العمل ، فانها لم تتقيد به ، بل أدت عملها مستقلة عنه وعن جميع الحكومات الأعضاء فيه ، ومن اجل هذا لا يبين التقرير الا آراء اللجنة وحدها ، لا آراء البنك الدولى ولا اية حكومة او منظمة دولية . وكل هذا مما يمكن للتقرير عند قرائه فى الثقة والتقدير .

الكتاب يعرف من عنوانه

وعنوان الكتاب أصلا « شركاء فى التنمية » ، ويكاد هذا العنوان يستوعب وجهة نظر اللجنة فيما ينبغى أن تكون عليه التنمية العالمية فى أسبابها وخططها وغاياتها جميعا ، ويدل على حظ هذه الوجهة من السداد والانسانية معا ، بل ان العنوان يوضح الوجهة الانسانية السديدة فى كل عمل بين طرفين او اكثر فى شتى مجالات الحياة ، ايا كانت مكانة احدهما من الآخر ، فالعمل الثنائى او الجماعى شركة بين اهله جميعا ، وليس من مسئولية بعضهم دون بعض ، حتى تربية الأبوين لطفلهما وهما أقوى منه واعقل ، وهى مسئوليتهما قبله ، لا بد فيها من أن يحس الصغير منذ سن التمييز لزوم تعاونه مع أبويه فى تربيته ، وان يحتمل نصيبه من مسئوليته معهما بقدر طاقته طورا بعد طور حتى يستقل بأمره فى تربية نفسه، ولا نجاح لتربيته بغير هذا الاحساس بمسئوليته والقيام بأعبائها فعلا ، مع زيادة اعبائه كلما تقدمت به السن او التجربة والخبرة .

اهمية الكتاب وتخطيطه

هو كتاب مفيد سهل لكل مثقف يهتم بالمسائل العالمية اليوم ، ومن اجل هذا عز تحصيل نسخة بلغته الانكليزية ، مع أنه طبع اكثر من مرة ، ومن هنا ندرك حاجتنا الى هذه الترجمة العربية التى اعدها الاستاذ ابراهيم نافع ، المحرر الاقتصادى لجريدة « الأهرام » القاهرية ، وهى ترجمة فى جملتها واضحة ، وان لم تخل من ضعف فى مواضع كثيرة متفرقة ، كما تدل عليها المقتبسات التى سننقلها عنه فيما بعد .

ومن حسنات هذه الدراسة أن كل فصل من فصولها الاحد عشر ـ ما عدا الثلاثة الأولى ـ متوج بجملة توصيات تقدمها اللجنة ، مستمدة من دراستها العميقة الشاملة لموضوع هذا الفصل ، فهى لا تكتفى بالدراسة ونتائجها ، ولكنها توجه العاملين الى السبيل الذى يحسن أن يسلكوه فيما بعد ، لتكون التنمية أيسر ، ونتائجها انفع.

ولا سبيل الى تلخيص كل ذلك ـ حتى مجرد سرد العناوين ـ فحسبنا ما قدمنا من توضيح لفكرة الكتاب وملامحه ووجهته العامة ، ومنهجه العلمى، ودرجة الانسانية فيه ، ولكن يحسن بنا أن نضيف بعض التوضيحات والشواهد التى تزيد هذه المعالم قربا من القراء .

فلسفة التنمية

الفصل الأول ـ وان كان أقصر فصول الكتاب ـ يلم بفلسفة التنمية او ايديولوجيتها من كل جوانبها ، وتكاد تكون بقية الفصول شروحا لهذه الفلسفة ، وادلة على سدادها ، فيحسن أن يكون المامنا بها اطول . وعنوان هذا الفصل « مسألة ارادة » اى ارادة التنمية لمن يطلبها ولمن يقدمها، ولا بد للطرفين من أن يحسا بعمق حاجتهما اليها ، وأن يريداها معا على بصيرة من أمرهما ، اذ « أصبحت الفجوة الآخذة فى الاتساع بين الدول المتقدمة والنامية قضية أساسية من قضايا العصر الذى نعيش فيه » ، « وقد أدى الجهد المبذول لتضييق هذه الفجوة الخاصة بالأمم النامية عن الثورة التكنولوجية ـ الى تعبئة مواردها من أجل النمو الاقتصادى ، كما أوجد عملية نقل للمواد من الدول الغنية الى الدول الفقيرة على نطاق واسع لم يسبق له مثيل ، وكانت طبيعة التعاون الدولى من أجل التنمية والنطاق الذى تم عليه خلال السنوات العشرين الأخيرة شيئين جديدين لم يعرفهما التاريخ من قبل » .

« وقد اعتمدت محاولة القيام بعمل ما ، لمواجهة

هذه الفجوة ، على افتراض أن التأخر الاقتصادى يمكن معالجته عن طريق جهد قومى يتسم بالتصميم ، مع المساعدة الخارجية من تلك الدول التى جعلت قوتها الاقتصادية من ذلك أمرا ممكنا».

ثم يشير هذا الفصل من الكتاب الى أن الجهد الدولى التعاونى قد بدأ عقب الحرب العالمية الثانية متجسدا فى موارد نقلت من الدول الغنية الى الفقيرة ، ثم أسرع فى أواخر الخمسينات ، وفى سنة ١٩٦١ بلغ نحو ٨ مليارات دولار ، أو نحو واحد فى المائة من اجمالى الناتج القومى للدول غير الشيوعية ذات الدخل المرتفع ، وهذا زيادة على عمليات تحويل اضافية من الاتحاد السوفييتى ، ودول شيوعية أخرى . وبعد سنة ١٩٦١ لم يزد تدفق المواد بالسرعة نفسها التى كانت تنمو بها اقتصاديات الدول الغنية ، ومع ذلك حقق المستوى العام للتدفق زيادة ثابتة ، حتى بلغ سنة ١٩٦٨ ما قيمته ١٢٫٨ مليار دولار من الموارد العامة والخاصة الصادرة من الدول غير الشيوعية وحدها .

البلدان النامية قادرة على التنمية

« ونعتبر الخبرة التى كسبناها فى العقدين الاخيرين مقدمة للجهد الذى يبذل ، كما انها تحمل فى طياتها بشائر الأمل بالنسبة للمستقبل . ففى كثير من الدول النامية سار النمو الاقتصادى بمعدلات أسرع من تلك التى شهدتها الدول الصناعية فى أى مرحلة مماثلة من تاريخها » . وكانت هناك مخاوف من أن بعض البلدان المتأخرة اقتصاديا عاجزة عن النمو ، ومن أن مشكلاتها تعوق الى حد كبير تقدمها الاقتصادى ، ولكن ثبت أن هذه المخاوف لا تقوم على أساس صحيح ، « وبرهنت كثير من الدول النامية على قدرتها على القيام بجهد كبير فى سبيل التنمية » .

ومع ذلك ، بدأ الدعم الدولى منذ سنة ١٩٦٨ يعانى ضعفا ، فبعض الدول تتساءل عن امكان تحقيقه ، ومن هدفه ، وبرامج المساعدات الأجنبية يحيطها جو مثقل بالأوهام والشكوك ، وان كان هذا لا ينطبق على كل الدول ، ومع ذلك وصلت التنمية الى نقطة أزمة . فهل ستواصل الدول المتقدمة مساعداتها للدول النامية ، أم هل ستسمح لبناء التعاون فى التنمية أن ينهار ؟

اخطاء فى أفكار التنمية وتطبيقها تسبب فشلها

وعند اللجنة أن من الخطأ توقع « التنمية الفورية » ، لأنها لا تتم الا على المدى الطويل .

وكثير من المساعدات فى الاتفاقات الثنائية كانت تقدم لتحقيق امتيازات سياسية أو استراتيجية عاجلة أو لتشجيع الصادرات ، وكثير منها قدم فى الخمسينات لتمكين بعض الدول من الاحتفاظ بقوات مسلحة كبيرة بدل التنمية الاقتصادية ، مع ان التنمية الاقتصادية هى الغاية ، وكان كل ذلك من أسباب فشل التنمية ، كما كان من أسباب فشلها الالتزام القومى بمحو الفقر ، والتمييز الاقتصادى ، ومشكلات البيئة . فلم تحدث الخيبة داخل الدول المتقدمة فحسب بل داخل الدول النامية أيضا لنفاد صبرها ، وعجزها عن فهم طبيعة العلاقات فى هذه المساعدات نفسها ، فهى تظن أن التنمية استمرار اقتصادى لكفاحها من أجل الاستقلال ، ووسيلة لخلق شخصيتها القوية لتقويض الروابط القديمة المقيدة ، وأن ازالة الحكم الاجنبى وسيلة الى الرفاهية المبكرة السهلة ، واهملت التنمية الزراعية مع شدة الحاجة الى زيادة الصادرات ، وظهرت الرغبة فى اثراء بعض الجماعات الخاصة أو الافراد .

نجاح التنمية له شروط

ثم بدأ تفهم هذه الأخطاء والعدول عنها ، فادركت الدول النامية ان عليها فى سياستها الاقتصادية بلوغ درجة المنافسة بها فى الأسواق العالمية ، وانه لا بد لها من العناية بالزراعة لتحسين معيشة اغلبية سكانها ، وتشجيع الحوافز الفردية ، وان التنمية ينبغى أن تأتى من الداخل ، وأن جدوى المساعدات الخارجية قليلة ما لم تتوفر الارادة القومية فى الداخل لاحداث التغييرات الاساسية الضرورية للتنمية . فعلى قدر كفاية الدولة النامية وحسن سياستها الاقتصادية والاجتماعية الشاملة فى داخلها تكون فوائد المساعدات الخارجية لها . كما أدركت الدول المتقدمة والنامية أن التعاون فى التنمية يتضمن علاقات جديدة تقوم على التفاهم المتبادل واحترام الذات . فالثروة لا تعطى الدولة الغنية أو القوية

اى حق فى السيطرة على الحياة القومية لدولة اخرى مقابل ما تقدمه لها من مساعدات ، ولا تستطيع دولة نقل اموالها الى الخارج دون اقناع مواطنيها بأن هذه الاموال تستهدف التنمية المرضية ، فالتنمية لا بد أن تقوم على تقسيم واضح للمسئوليات ، مما يرضى احتياج الشريكين او الشركاء .

وليس الغاية من المشاركة فى التنمية الدولية سد كل الفجوات وازالة كل الفوارق ، فهذا مستحيل ، بل الغاية تقليل الفوارق ، وازالة القصور ، وتمكين الدولة النامية من التحرك الى الامام بطريقتها الخاصة نحو العصر الصناعى والتكنولوجى ، حتى لا ينقسم العالم قسمين : دولاً تملك ، ودولا لا تملك ، أو دولا ممتازة ، ودولا اقل مزايا ، او محرومة منها .

واللجنة توصى بأن يتحقق داخل كل دولة غنية نصيب من الرخاء لمواطنيها المحرومين منه ، وهذه الضرورة لا تعد سببا فى أن تتخلى كل دولة غنية عن البشر الذين هم خارج حدودها ، فالحرب ضد الفقر تبدأ فى الداخل ولكن ينبغى أن لا تنتهى هناك .

لماذا تعين الدول الغنية الدول الفقيرة

ولقد قالوا ان الدول الغنية نفسها تعانى فى داخلها مشكلات اجتماعية واقتصادية ثقيلة ، فلماذا تساعد غيرها ؟ .

ابسط الردود هو الرد الاخلاقى ، اى انه من الامور الصحيحة اخلاقيا ان من يملكون – يساعدون من لا يملكون ، غير ان الالتزامات الاخلاقية تكون قوية فى العادة بين الجماعات القومية اما الاهتمام بالامم الاخرى فهو تعبير عن اتجاه اساسى جديد فى العصر الحديث ، هو ادراكنا أن عالمنا كالقرية الواحدة ، واننا جماعة عالمية واحدة . وهذا الادراك يخلق الرغبة فى المساعدة ، فينبض الشعور الاخلاقى فى الفرد ، ويحوله الى امر سياسى واجتماعى امام الحكومات ، لتقبل درجة من الالتزام الاخلاقى فى علاقة بعضها ببعض ، فتحسين الظروف الانسانية امر لا يمكن تقسيمه ، واذا حاولت الدول الغنية حصر اهتمامها لازالة الفقر والتاخر داخلها دون أن تعبأ بها فى الخارج – فهل تبقى الاسس الاجتماعية والاخلاقية فى مجتمعاتها ثابتة ، وهى تنفض يدها من محنة الاخرين ؟

التنمية شاملة لكل المرافق الاجتماعية

هذه جوانب من فلسفة اللجنة فى موضوع التنمية ، ولا شك ان العمل الذى قامت به عمل جبار سواء فى دراسته لما مضى من اصلاح ، او تخطيطه لما سياتى من ذلك ، لو صدقت نية الدول فى الاصلاح وحسنت فهما له ولوسائله .

وقد يظن ان هذا الكتاب لم يتناول فى موضوع التنمية غير المسائل الاقتصادية او المالية ، فينبغى ان ننبه الى انه لم يدع مرفقا من مرافق المجتمع فى الدول ، غنية وفقيرة ، الا تناوله بالبحث الجاد الشامل ، ووضع له خطة اصلاحية ، ومن ذلك المساعدات لمرفق الصحة والتعليم والتدريب المهنى والاسكان ونظم الحكم ، ونحوها . بالاضافة الى الزراعة والصناعة والتجارة ، وتوطين الرحل ، وهجرة اهل الريف الى المدن . ومن وصايا اللجنة فى التعليم مثلا انه « لا بد من تهيئته لاعطاء كل فرد فى اى وقت من حياته الادوات والخبرة اللازمة لتكييف قدرته مع مطامحه ، وتتطلب هذا تغييرات اساسية فى كل من السياسة التعليمية ، وفى طبيعة وحجم المساعدات التى ستدعو اليها الحاجة » . وطلاب الدول النامية حين يتعرضون للبيئات الاجنبية بدرجة كبيرة فان هذا التعرض يساعدهم على توسيع آفاقهم ، وتشجيع روح التجديد والابتكار ، ولهذا لا ينبغى وضع العراقيل امام هؤلاء الدارسين كالتفرقة فى النفقات مع الطلاب الاجانب .

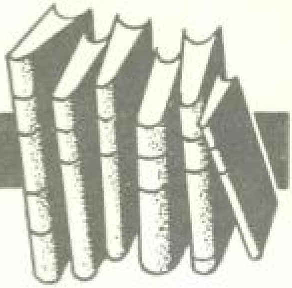
وقد اسهمت المنح الدراسية من الدول المتقدمة لهؤلاء الطلاب أن يدرسوا مع غيرهم فى تلك الدول دون تمييز . ولكن برامج التدريب هذه ساعدت على سرعة « استنزاف العقول » من الدول الفقيرة ، ولهذه المشكلة ابعادها التى تبعث على القلق فان الموظفين المهرة والمؤهلين فى تدفقهم من الدول النامية الى الدول المتقدمة – اكثر عددا من الخبراء الاستشاريين الذين ينتدبون من الدول الغنية الى الدول الفقيرة ، ففى سنة ١٩٦٧ حصلت الدول النامية على نحو ١٦٫٠٠٠ مستشار اجنبى ، وكان مواطنوها المهاجرون الى الدول الصناعية

...ره) ممن تلقوا تدريبهم فيها ، لأنهم لا يجدون في دولهم الاصلية مثل ما تقدمه لهم الدول المتقدمة من مراكز اجتماعية وحوافز مادية .

اعضاء اللجنة عاملون في ميدان التنمية خبراء

ما كان لمثل هذا العمل الجبار ان يتم في هذه الفترة القصيرة لو لم يكن القائمون من العاملين قبل ذلك في ميدان التنمية وما يتصل به من ميادين او مرافق تشمل النشاط البشري في جميع الدول، فلم يكن عمل اللجنة الا امتدادا لنشاط اعضائها وخبراتها السابق : كل في ميدانه ، ولا حاجة ، ولا مكان للتعريف بهؤلاء جميعا ، ولا باعضائها فحسب ، وان كان كل منهم خبيرا عالميا عملاقا في ميدانه . ■■

محمد خليفة التونسي



من الكتب التي وصلتنا

العقل عند الشيعة الامامية

تأليف : الدكتور رشدي محمد عرسان عليان
الناشر : مطبعة دار السلام / بغداد

● رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من جامعة الازهر ، ويدرس هذا الكتاب الدليل الرابع من ادلة الاحكام الشرعية عند الشيعة الامامية مقارنا بآراء المذاهب الاسلامية ، وقد بدأ الكتاب بدراسة تمهيدية عرف بها العقل ومقامه وقيمة ادراكاته وموقف الاسلام ومذاهبه منه ، وبيان المقصود من العقل الذي هو دليل على الحكم الشرعي الواقعي عند الامامية . ثم يبحث عن ادلة الاحكام الشرعية عند الشيعة الامامية ليتضح موقف دليل العقل منها وترتيبه بينها وعلاقته بها وتناول في ذلك على سبل المقارنة اراء المذاهب الاخرى ولا سيما اهل السنة والجماعة فخصص مبحثا لادلة الاحكام عند اهل السنة .

لذلك جاء التمهيد او المدخل اطول من المعتاد في مثل هذه الرسائل اذ وقع البحث الاول في ادلة الاحكام عند اهل السنة والجماعة منذ عهد الرسول حتى عصر ائمة الاجتهاد والبحث الثاني في ادلة الاحكام عند الشيعة الامامية في عصري النص والاجتهاد والبحث الثالث في التعريف بالعقل « ما هو » وموقف المذاهب الاسلامية من مدركاته الشرعية عند الامامية ويتكون من مقصدين الاول في المستقلات العقلية والمقصد الثاني في غير المستقلات العقلية وهذان المقصدان ايضا ينقسمان الى قسم في الحسن والقبح العقليين ، وفي الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع .

اما الباب الاخير من الرسالة فهو يتكون من خمسة مباحث الاول في الاجزاء والثاني في مقدمة الواجب والثالث في الضد والرابع في اجتماع الأمر والنهي والخامس وهو الاخير في اقتضاء النهي الفساد .

اسس العلاقات العامة والمجالات الرياضية والاجتماعية

تأليف : جلال عبد الوهاب
الناشر : دار البيان ـ الكويت

● يدرس هذا الكتاب نظرية جديدة في العلاقات العامة والاعلام وطرق الاتصال ، مبينا مدى انطباقها ومسايرتها في الهيئات والمنظمات والمؤسسات والجمعيات التي تعني بالشباب ورعايته من النواحي الرياضية والاجتماعية ، وذلك عن طريق اجراء مقابلات اتمها المؤلف مع قادة آخرين في هذه المجالات من مختلف دول العالم وخاصة في الكويت وبعض البلاد العربية .

فالكتاب يدرس نظريا وتطبيقيا اسس كل من

العلاقات العامة والتربية الرياضية والتربية الاجتماعية ، كما يعرض لطريقة تنظيم اتحادات الطلاب والاندية الصيفية ومراكز الشباب وانشطة المدارس والمعاهد والجامعات وكل تجمع شبابي يمارس اي نوع من الانشطة الرياضية والترويحية او الاجتماعية او الكشفية .

والكتاب مقسم الى ثلاثة ابواب وكل باب يتفرع عدة فصول فالباب الاول يتناول العلاقات العامة مبينا ماهيتها وتطورها وفلسفتها والباب الثاني يعرض الاسس ودعائم العلاقات العامة والمجالات الرياضية والاجتماعية ، اما الباب الثالث فهو تطبيقي للباب الثاني ويعرض لنماذج من شتى دول العالم مع وقفة لوضع الرعاية والتنمية الاجتماعية والرياضية في مختلف قارات العالم .

مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف

اختيار وتعليق : عبد البديع صقر ـ

الناشر : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ـ بيروت / لبنان .

● يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الاحاديث النبوية الصحيحة والحسنة تبرز السنة النبوية على نطاق واسع كما تبرز اثرها في التشريع وقدرتها على حل مشاكل الناس واصلاح امرهم ، وقد رأى المؤلف ان يختار في هذا الكتاب الصحيح والحسن من الحديث الشريف والاكتفاء بذكر الراوي الاول مع الاشارة الى مصدر الحديث من الكتب المعتمدة ، كما قصد المؤلف ان تكون الاحاديث وتبويبها ، ما يناسب التفكير المعاصر ثم ايراد بعض الشروح والتعليقات كلما دعت الضرورة .

وقد حرص المؤلف على وضع مقدمة توضح اهمية الحديث الشريف ورجاله واسباب الوضع وجهود العلماء لحفظ الحديث ، ولا يخفى على كل من له دراية بهذا العلم ان تقسيمات الابواب والفصول انما هي اجتهادية تقريبية بحتة، لان غالب احاديث الرسول عليه السلام هي من جوامع الكلم وجوامع الاحكام فيمكن وضع بعض الاحاديث في باب العبادات كما يمكن وضعها في باب الاقتصاد او في باب الاخلاق دون تعارض فالدين كل لا يتجزأ .

الطرماح بن حكيم الطائي

تأليف : عزمي الصالحي ـ

الناشر : مطبعة الاقتصاد ـ بغداد / العراق .

● دراسة وافية عن الطرماح احد شعراء القرن الاول الهجرى وما تمتاز به شخصية هذا الشاعر من غريب الطباع وتناقض الافكار والنزعات وما يمتاز به شعره من غريب الالفاظ والتراكيب فهو شاعر خارجي يسرف في التعصب لقحطان واليمن والشام ويسعى الى المال احيانا سعي المتكسبين ، كما ان حياته كثيرة الابهام : فلا يدرى اين ولد ولا متى ولد ولا اين نشأ فالمصادر في هذا مختلفة وقد شغلت لغة الطرماح علماء اللغة وظل شعره مددا وشغلا شاغلا للرواة واللغويين .

. فالطرماح احد شعراء الخوارج لم يدرس قبل هذا الكتاب دراسة متعمقة تتناول سيرته بالتفصيل فضلا على ان ادب الخوارج جملة مثل ادب اية فئة ثائرة تناهض السلطة قد تعرض للاهمال والمصادرة، ثم ان الطرماح هو الشاعر الخارجي الوحيد الذى جاءنا ديوانه وقد عنى بتحقيقه ونشره المستشرق ف . كرنكو .

وقد قسم المؤلف كتابه قسمين : القسم الاول تاريخي ، درس فيه طبيعة الكوفة وعناصر مجتمعها وخصائصه ، وقد اولى الجانب السياسي منها عناية خاصة فبحث في نشاطها السياسي والمعارضة فيها ، وتناول الجذور التاريخية لحزب الخوارج بالدراسة والتتبع ، كما درس خلال هذا القسم حياة الطرماح وتاريخ اسرته وقبيلته وبحث عن مقومات شخصيته وسلوكه وختم هذا القسم بفصل درس فيه عقيدة الطرماح الخارجية، ووصل الى كثير من الاراء الجديدة المفيدة في هذه الموضوعات ، لاسيما شخصية الطرماح بن حكيم الطائي ، وميزه دون بقية الاشخاص الآخرين الذى كان كل منهم يسمى « الطرماح » ايضا ، وبعضهم شعراء مثله ، بل من اقاربه .

اما القسم الثاني وهو القسم الادبي فقد تحدث فيه عن الديوان وكل ما يتعلق به من نشر وتحقيق، واطال الوقوف عند شعر الطرماح، ومظاهر الغرابة فيه، ثم مظاهر تأثر البيئة في موضوعاته ، فتناول معانيه وفنونه واغراضه واساليبه بالدراسة ثم انهى هذا القسم بالحديث عن خصائص اسلوب الطرماح الفنية . ■■

مسلمات خالدات

أم الشهداء

بقلم
سنية قراعة

■ سوامر مجونر تنطلق من جنباتها أصداء المرح ، وضحكات النشاوى ، وشدو القيان ، وهن يتمايلن مع دقات المزاهر والدفوف ، فيتعالى الصخب ، وتدوى الجلبة ، حتى لتصم آذان القوم عن الاصغاء الى كلمة حق ، او دعوة صدق ، أو همسة نصح ..

بل من كان يصغى ، ومن ينصت وسط مجتمع قام على الصخب ، وكانت الفوضى دعامة وجوده القلق المهتز ، الذى بلغ ذروة التردى والانحلال .

مجتمع ماجن فاسد ، سادته الجاهلية العمياء، وتحكمت في اهله النزوة ، وتملكتهم الرغبة .

في ذلك المجتمع الفاسد ، المتهاوى الموشك على الانهيار ، عاشت هي ، قوية متعالية ، تصر على البقاء ، وتكره ان تنحنى لريح الاحداث ، او زعازع التقاليد .

ندية حلوة ، كزهرة تفتحت لانداء الفجر ، نضرة كأقاحى الربى .

وسعى الخاطبون الى حماها ... ولكنها صدت وابت ، وكان قلبها لم يكن بعد قد عثر على بغيته، او تحققت امانيه ، في فارس الاحلام الذى كانت ترجوه ، ويطيب لها ان تعيش في ظله ، وتحيا في حماه ..

كان اسمها « تماضر » ... وبقدر ما كان في اسمها غرابة ، كان له وقع في الافئدة والقلوب .

كان ابوها « عمرو بن الحارث بن الشريد » سيد قومه وعظيم اهله ، وكان لها اخوان هما « صخر » و « معاوية » وكانا من اجرأ شباب العرب واكثرهم شجاعة واقداما .

وتعود اهلها ، بل وكل من نماها شريكة عمره ان يكنيها باسم « ام عمرو » فغلبت عليها هذه الكنية ، وان اشتهرت وعلا صيتها باسم «الخنساء» بعد ذلك ، اذ كانت من شواعر العرب المتفوقات اللائى كانت لهن في مجالى الشعر امجاد عرفها الدانى والقاصى ...

خرجت ذات صباح مبكر تستروح عبق الربى ، وترى اشعة الشمس تسبق موكبها ، متهافتة على الصحراء الوسنانة ، كمن توقظها لتهب فتحيا يوما جديدا في عمر الوجود .. ووقفت « تماضر » سعيدة مزهوة هانئة ، فكل ما حولها كان يحفه الصمت ويجلوه الوقار ، وتسمه الطبيعة السخية بميسم الشاعرية والجمال ، حتى لقد حلا لها ان تترنم بابيات في قصيد ، او تشدو بنغم في شعر تصوغه وترويه، ولكنها آثرت الصمت على الشدو، والتطلع في فتنة الطبيعة على التغنى بجمالها الفياض ، فراحت مزهوة سعيدة تنصت وتتسمع، وكان عرائس افق ذلك الصبح البهيج كانت تحف بها في مواكب الاحلام تزفها الى عالم الخيال بنشيد علب رقيق .. وتنقلت بين نياق لابيها ، لتطلى التى اصابها الجرب بالطلاء المسمى « الهِناء » ليزول الجرب وهو ما يسمى ايضا « النقب » .



ومر الوقت ولم يدر بخيال تماضر ان عينين كانتا ترقبانها في شغف المأخوذ .

وبدأت الشمس تلقي من شعاعها ومضات خفيفة فجرت لها الحسناء الفاتنة ، فلوت وجهها لتعود الى الدار هانئة قريرة العين ، فقد سعدت بوحدة حبيبة ذات صبح مشرق جميل .

ووقف العاشق مكانه يرقب مسيرها ، وقلبه يخفق في لوعة من تمنى لو طال امد الحلم السعيد.

كان « دريد بن الصمة » مغامرا جريئا ، ومهاجما مرهوب الجانب ، ومحاربا لا يشق له غبار .

وكان دريد بن الصمة سيد بني جشم من هوازن ، عرفته الطائف وثقيف ، وشهدت ببطولاته البطاح والربا ، وشهدت بحبه للنجدة وبفضائله الركبان .. وكان كبير القلب خصب الخيال وقد جمله اقباله على الشعر يشعر بالحب فكان يتلمس الجمال حيثما كان ليهيم به ، ويعيش في اسار سحره ، فلا عجب ان جذبه اليه في ذلك الصباح جمال تماضر وسد عليه حسنها مسالك تفكيره .

وذهبت تماضر.. تاركة في قلب سيد بني جشم حسرة وأسى .

فاسلم الى الصمت نفسه ، ثم سبقته عرائس شعره اليها فاذا هو يقول :

حيُّوا تُماضرَ واربَعوا صَحْبي
وقِفُوا فإن وقوفكم حسْبي
ما إن رأيت ولا سمعت بـه
كاليوم طاليَ أينُقٍ جُرْبِ
مُتَبذِّلاً تبدو محاسنه
يَضَعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ
أخُناسُ قد هام الفؤادُ بكم
وأصابه مَسٌّ من الحبِّ

لو ان من سلبت لب الفارس الشاعر لم تكن بنت عمرو بن الحارث سيد القوم ، ورجل المروءة والنجدة ، واخت معاوية وصخر لاقدم على سبيها والاغارة على اهلها ، ولكنها كانت من نزواته في حمى جعلته يتبعها الى دارها ..

واسرع عمرو بن الحارث يرحب بالضيف القادم، فقد عرف دريدا ، وعرف قومه ، وعرف مكانته .

وران الصمت على الضيف والمضيف، ولم يجسر احدهما على قطع حباله، وتجاوز نطاقه، فقد رحب المضيف بالضيف القادم ، ورد القادم التحية وحيّا ، ثم .. حار الاثنان ، فماذا كان يستطيع الشيخ ان يقول وهو يحس في نفسه ان دريدا قد جاء لحاجة، وانه من الواجب ان يبدأ بها ..

وطال الصمت بين الرجلين ، ثم لم يلبث دريد ان استمد من تردده قوة وجرأة ، فتكلم وتقدم من الشيخ يسأله ابنته زوجة له ..

خاطبٌ له مكانته ، ورجل له قدره العظيم في اهله وقومه ، بل في شتى القبائل جميعا فهل يرده .. ولكن .. هل يقبله زوجا لتماضر المعتدة برأيها المعتزة بنفسها !!

لو ان بنت عمرو بن الحارث فتاةٌ غير تماضر ابنته لأسرع واعلن قبوله للخطبة ورحب بالمصاهرة،

ولكنها كانت ام عمرو ، وام عمرو يعرفها ابوها ويقدرها ويجلها اعظم اجلال ويؤمن بانها صاحبة حقوق من الواجب ان تمارسها في حدود مقدرتها وفهمها ، فلم يجد ـ وقد جاءها دريد بن الصمة خاطبا لتكون شريكة حياته ـ الا ان يستاذن ضيفه لمدى لحظة واحدة يحمل خلالهـا الامر الى وحيدته الغالية ، ويتعرف رايها وهو يحدثها عن الفارس العالي المكانة ، العظيم المقدار الذى طرق بابها خاطبا وجاء يرجو وُدّها ..

واصغت تماضر الى ابيها طويلا ، وقد راح يحدثها عن دريد فارس الهيجاء والنجدات .

وبقي دريد ينتظر على لهفة وشوق ، واصداء كلمات ترحيب ابيها به ساعة فاتحه في امر الزواج بها تدوى في اذنيه وقد قال له :

ـ مرحبا بك ، لنعم الرجل انت ، وانك لكريم لا يطعن في حسبه ولكن .. لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها من النساء ، وانا لا املك اكثر من ان اذكرك لهـا .

وبقي دريد بن الصمة نهبا للهواجس والافكار ، في الوقت الذى اقبل فيه الاب على وحيدته فقال لها : ان فارس هوازن وسيد بني جشم قد اتاها طالبا يدها ، وانه من تعلم من سمو النفس وعلو الهمة ، وعراقة المحتد ، وكرم الاصل ..

وراح الاب يطنب ويقول ، والخنساء تستمع ، حتى فـرغ من حديثـه وتولاه الصمت ، وابنته صامتة هي الاخرى تفكر وتعرض الامر على عـديد من الوجوه التي عَنّت لها ، ثم رفعت راسـها في النهاية وقالت في صَراحة عهدَها فيها ابوها :

ـ اى ابتِ .. اتراني تاركة بني عمي مثلَ عوالي الرماح ، واتزوج شيخا ؟ وكان قولها هو الفصل ، وهو الجواب الذي لا يحتمل جدلا ولا مناقشة ، فاطرق الاب راسه وقد تولته حيرة من لم يجد ما يقول لوحيدته التي كبر لديها ان تفارق اهلها وتتزوج غريباً عنها ، بالغا ما بلغ من الرفعة والمكانة والسمو ، واطرق لحظةً اسرعت تماضر تقول له خلالها منشدة .

أتخطبني هُبلْتَ على دُريـــد
وتطرد سيّداً من آل بـــدر

معاذَ الله ينكحـــني حبَرْكَى
يُقال أبوه من جُشَم بن بكـــر
ولو أمسيت في جُشَم هَديّـا
لقد أمسيتُ في دَنَس وفقـرْ

(الحبركى : الضعيف الرجلين . والهدى : التى تهدى الى زوجها)

وسكتت تماضر .. ولم يحر ابوها جوابا ، واذا به يخرج من عندها الى من كان ينتظره ووجهه تنطق ملامحه بكل ما كان ..

لقد كبر لدى الاب الشيخ فعـلا ان يردّ يد دريد بن الصمة ، وعز عليه أن يصدمه بالحقيقة، فاحب ان يهون الامر عليه ، ويخفف من وقعه ، واقبل عليه متعثرا يقول : ان تماضر قد امتنعت عن الاستجابة له هذه المرة ، وانه يرى ان يحاول مرة ثانية ، عساها توافق وترضى بدريد شريكا لدنياها .. ولكن دريدا كره العذر ، وابى ان يتعلق بالوهم ، وقد سمع بنفسه ، واذا به يقول للاب الشيخ في صراحة : انه قد سمع ما كان بينه وبين ابنته من حديث .

ثم انصرف لتوه يتحرق غضبا ، وقد كبر لديه ان يرد على هذه الصورة ، وان يكون هذا هو راى تماضر فيه ، وهو الشريف الكريم الحسيب ، الكرار المغامر الشجاع الذرب اللسان ، وقال من ابيات :

وقاكِ الله يا ابنة آل عمـــرو
من الفتيان أمثالي ونفســـي
وقالت إنه شيخ كبـــير
وهل خبرتها أني ابن أمســـي

واقدم دريد بن الصمة الشاعر الفارس على هجاء تماضر الشاعرة التي رفضته ، لكن عروس حلم الشاعر التى تخلت عنه كانت من الكرم بحيث ابت ان تستجيب لمن كانوا يتمنون ان يسعدوا بسماع معركة هجائية بين شاعر فحل ، وشاعرة لها مكانتها ، واذا بها تقول لمن ارادوا جرها الى حلبة التشاحن انها ليست من القسوة بحيث تضرب دريدا ضربتين موجعتين .

وانتهى الى هنا عهد تماضر بالفارس المغامر دريد بن الصمة ، وعادت الخنساء تقبل من جديد على الحياة بوجه مستبشر سعيد ، ولم يخطر ببالها زواج ، حتى تقدم رواحة بن عبد العزّى السُّلمي اليها ، فقبلته زوجا وبدأت معه حياة ناعمة راضية .

ورواة السيرة هنا يقفون بنا موقف المستريب ، الذي عجز عن تحديد مدى هذا الزواج ، وهل طال أمده أم قصر ؟ وهل نَعِمَ « رواحة » بالحياة السعيدة الى جوار تماضر ، أم حرمه منها الموت فتخطفه وتركها وراءه ارملة ، لم يطل امد ترملها اذ تقدم لها مرداس بن عامر يخطبها ، فارتضته زوجا ، وقبلته شريكا لحياتها ، وعوضا عن زوجها الاول ، ودخلت بيته وعاشت ماشاء لها الله ان تعيش هانئة سعيدة ، ترفل في بحبوحة النعمة .

ولما كانت حياة الصحراء في الجاهلية حياة غارات وتوثب وقلق ، وعدم استقرار فقد عاشت تماضر هذه الحياة ، ونعمت بخيرها ، ولم تضق يوما بمرها ، حتى حدث ان قتل اخوها لابيها صخر ، اجرأ شباب العرب واعلاهم في الفروسية كعبا ، فثارت نوازعها ، وبرح بها الحزن ، حتى بلغ منها مداه ، فانطلقت شاعريتها ، ولم تكن تماضر قبل فجيعتها في صخر تهتم بالقصيد، ولكنها وبعد ان مات صخر ، قالت فيه المراثي الباكية الطويلة ، التي جعلتها على رأس شواعر العرب اجمعين . ويكفي أن نستعرض أبياتا لبعض رثائها في صخر لنعرف بأي احساس اقدمت على الرثاء ، وبأي شعور جارف بكته :

قذًى بعينكِ أم بالعين عُوّارُ
أم أقفرتْ إذ خلَتْ من أهلها الدارُ

كأن عيني لذكراه إذا خطرت
فيضٌ يسيل على الخدّين مِدرارُ

تبكي لصخرٍ هي العَبرى وقد وَلِهَتْ
ودونه من جديد التُّرْبِ أستارُ

تبكي خُناسُ على صخرٍ وحقّ لها
إذْ رابها الدهر إن الدهر ضرّارُ

ومن قولها في هذه القصيدة :

وإن صخراً لمولانا وسيدنا
وإن صخرا إذا نَشْتُو لنحّارُ

وإن صخرا لتأتمُّ الهُداة به
كأنه علَمٌ في رأسه نارُ

ومن قولها :

أعينيَّ جُودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخرِ النَّدى

ألا تبكيان الجريء الجميل
ألا تبكيان الفتى السيِّدا

طويل النِّجاد رفيع العماد
وساد عشيرته أمردا

وذاع حديث تماضر، وشاع أمرها بين الشعراء، فكانت واحدة المرثية ، وقد عرف لها فحول الشعراء تقدمها على الرجال في هذا الميدان .

واخذت مواكب الايام تمر تباعا ، رتيبة ، منتظمة ، لايكاد يذهب موكب حتى يقبل آخر فيه مافيه من احداث وحوادث تعودها الجاهليون فصاروا قطعة منها ، او صارت هي لهم كلاً ، او بعضا من كل ، ثم . . .

ثم توقفت المواكب كلها امام حادث جلل ، ما كان للعرب به من عهد قبل ذلك اليوم ، وهم الذين تعودوا ان يصغوا الى انباء الثارات المتعددة، او التعرض بالقدح او المدح ، ولكن ان تعاب الارباب، ويرتفع صوت بشير نذير بسفه العبادات، ويقول للجميع : لا اله الا الله الواحد الاحد ، وانه على كل شيء قدير ــ فذلك امر لم يتعودوه ، وكانت مفاجآتهم به جدّ رهيبة ، فكان ان تجمع من عاشوا في فراق واختلاف ليقفوا امام ذلك الداعية الجريء محمد بن عبد الله . .

وظلت تماضر بعيدة عن الاسلام حيث اراد قومها ان يكونوا ، حتى ايد الله رسوله بالنصر الاعظم ، والفتح الاكبر ، ففتح عليه مكة البلد

الحرام ، وبدأ الناس يدخلون في دين الله افواجا ..

وخرجت ثقيف على الاجماع العام ، وتصدوا للرسول الكريم ، وكانت موقعة « حنين » التي انتهت بفتح الطائف ، وتحطيم آخر معاقل الاصنام وكان دريد بن الصمة فارس الهيجاء ممن لقوا حتفهم، وقد بلغ من الكبر عتيا ، ولم يكن قد خرج للحرب التي لم يعد يصلح لها ، ولكنه خرج للمشورة والراى ، فكان في خروجه منيته ونهايته ومات جاهليا ابى ان يعتنق الاسلام ..

وبقيت تماضر ، وكانت ستون العمر قد تقدمت بها ، واذا بالشاعرة البعيدة النظر تراجع نفسها ، وتفكر في امرها وامر ذلك الدين الذى تعاظم وانتشر ، فوجدت أنه من الضلال ان لاتؤمن به ، وانه من الاجرام في حق نفسها ان تبقى في طريق الغواية والناس جميعا يتبعون طريق الرشاد ، فكان ان شدت الرحال ، وهاجرت لتلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المدينة ، حيث بايعت واعلنت اسلامها، وشهدت انه لا اله الا الله، وان محمدا رسول الله .

وقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم تماضر اليه ، واستنشدها بعض شعرها ، وكان يطرب لها ويطالبها بمزيد مما كانت تقول ، حتى لقد تعود عليه الصلاة والسلام أن يقول لها اكثر من مرة : « هيه يا خُنَاس » !!

وبالرغم من أن تماضر كانت نعم المسلمة المخلصة لمبادىء دينها ، المستمسكة بعقيدتها ، لم تمتنع ـ وهي الاخت التى فجعت في شقيقها معاوية واخيها لابيها صخر ـ عن بكائهما والعويل عليهما بصورة كان يأباها الاسلام ، حتى لقد قيل في كثير من الروايات ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب سمع بعويلها ، فاقبل عليها في موسم من مواسم الحج ، ونهاها عن البكاء والعويل ، والتغنى بمآثر صخر بصفة خاصة ، ولم ينس أن يقول لها : ان البكاء لن يرد عليها ما فات .

والخنساء التى ضربت في مجال الشعر والرثاء والتصدى باكثر من سهم ، قال فيها جرير ذات مرة : « والله انى لاشعر الشعراء لولا هذه الخبيثة .. يقصد بها الخنساء » .

أما بشار بن برد فقد قال انه لم تقل امرأة قط شعرا الا تبين الضعف في شعرها . فسألوه وهل الخنساء كذلك ؟ فاذا به يقول : ان الخنساء فوق الرجال !!

ومن الغريب بعد هذا الاجماع على صدق شاعرية الخنساء وتفوقها أن الاصمعى كان يقدم عليها ليلى الاخيلية ، ولكن المبرد كان اكثر منه انصافا ، فاحقّ الحق ، ولم يقدم ليلى على الخنساء ، ولا الخنساء على ليلى ، بل قال في الاثنتين : انهما كانتا فائقتين في اشعارهما متقدمتين على اكثر الفحول ..

ان الخنساء التى استطاعت ان تخلد لنفسها ذكرا بين الشعراء ، لم تقصر في الجهاد في سبيل دينها ، بل كانت مجاهدة صادقة ، لم يقف كبر سنها دونها والخروج مع المقاتلة في سبيل الله ، عساها تستطيع بما وسعها من مقدرة أن تعين من كان في حاجة الى العون ، او تمد يدا الى من كان في حاجة الى تلك اليد ..

وقد خرجت تماضر في كثير من غزوات المسلمين، وصحبت الجيوش الظافرة في مسيرها .

وكان للخنساء اربعة ابناء ، ما كادوا يبلغون مبالغ الشباب ، ويسايرون الحياة الاسلامية ويتعرفون عليها ، حتى اسرعت توجههم الى الجهاد في سبيل اعزاز دين الله ، وتحرضهم على الخروج مع الجيش الذاهب الى الفتح .

ورواة السير، وان لم يهتموا من اخبار الخنساء بغير اشعارها ومراثيها وفخرها وهجائها ، وتناسوا ذكر جهادها ، وعدد مرات خروجها الى ميدان هذا الجهاد المقدس في سبيل الله ، فان التاريخ الحق قد حدد هذه الفترة من حياة الشاعرة الكبيرة وعينها فذكر هذا التاريخ انه لم يكد ابناؤها الاربعة يبلغون مبالغ الرجال ، ويندمجون في الحياة الاسلامية ، حتى خرجوا للجهاد والنضال ، مستجيبين لنداء امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، عندما ندب الناس للخروج مع المثنى بن حارثة الشيبانى لقتال الفرس في قلب بلادهم ، والاغارة عليهم في معاقلهم ، لهدم صروح الضلالات ، والقضاء على عبادة النار .

خرج ابناء الخنساء الاربعة للجهاد في بلاد فارس، وخرجت أمهم يومئذ هي الاخرى لتجاهد بما وسعها الجهاد في سبيل الله ، فشهدت المواقع المجيدة ،

والبلاء العظيم في سبيل احراز النصر ، وظلت واولادها مع الغزاة الظافرين ، يتقدمون نحو الهدف ، وينتصرون في الموقعة بعد الاخرى ، حتى حققوا من النصر مالم يكن يتصوره من قبل احد في هذا الوجود .

لقد عاشت الخنساء تلك الحقبة العظيمة من حقب عمرها ، فاحست بعبير المجد ينعش كيانها ، ويهزم امامه شيخوختها ، فعادت وكانها شابة ، ترنو الى مستقبل مرموق ، وترقب شباب العرب جميعا وهم يناضلون تحت راية الاسلام ، وكانهم من خالص بنيها ، حتى لقد تسامت امومتها هذه الى حد ذابت فيه الامومة الخاصة باولادها الاربعة ، واصبحت امومة لجند الله الظافرين ، فراحت تتمنى لهم التوفيق ، وتدعو لهم بالنصر ، وتسال الله ان يكون معهم ، وان يعينهم على اعدائهم ، حتى يحققوا البشارات العظمى التي بشر بها سيدنا رسول الله جموع المسلمين في اول عهدهم بالاسلام ، وبدات الاحداث تمهد لموقعة القادسية .

وفي ليلة القادسية اجتمعت الخنساء باولادها الاربعة وابت وهي أمام غد كانت ترجوه مشرقا الا أن تهيء بنيها للزحف الأعظم في ذلك الغد المرموق ، فاقبلت عليهم تقول لهم :

« يابني ، انكم اسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا اله الا هو ما هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الاخرة خير من الدار الفانية يقول الله تعالى « يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا اصبحتم غدا ان شاء الله سالمين . فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أرواقها ، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة،في دار الخلد والمقامة » .

وطلع الصبح بنور جديد ، وامل جديد ، وعزم جديد .. وتصايح جند الله مكبرين :

وتقدم جند الله وتقدموا .. وتكسر الصف الفارسي امامهم بعد الصف ، وظلوا في تقدمهم يتصايحون ويتدافعون نحو الموت ، لانهم كانوا يؤمنون أن الجنة الوارفة الظلال انما هي تحت ظلال السيوف ..

وتمت هزيمة جيوش كسرى وكانت (القادسية) الفيصل بين الحق والباطل ، فدالت دولة كسرى، وتهاوى عرشه ، واعز الله الاسلام والمسلمين ، واستطاعت القادسية موقعة الشرف والفخار والكرامة ان تغير وجه التاريخ ..

وحمل النعاة الى الأم العجوز أنباء استشهاد بنيها الاربعة . فتملكتها هزة المفاجاة ، ورفعت راسها بعد ذلك الى السماء في ايمان بالغ، تسال الله ان يعجل بها لتلحق بالاحبة في جواره وتظفر بما ظفروا به ، وهي تقول في نبرة هادئة مؤمنة : « الحمد الله الذى شرفني باستشهادهم جميعا ، في ميدان الشرف ، وتحت راية الجهاد في سبيل الله .. واعز شرفي هذا بان اتم نعمة النصر الاكبر على المسلمين .. » .

وهكذا ودعت أم الشهداء شهداءها الابرار ، فضربت بذلك أعظم مثل في البطولة ، وأثبتت ان المراة العربية المؤمنة تفهم واجبها المقدس نحو دينها، وما يوجبه هذا الدين من تضحيات وجهاد، وامنت بان الشرف كل الشرف ليس في حياة متعمة مترفة .. بل في حياة يجللها الفخار ، وتتوجها الشهادة في سبيل اعزاز دين الله ..

عاشت ام الشهداء خلافة الصديق ابى بكر ، وخلافة عمر بن الخطاب . ثم عاشت من بعده خلافة عثمان بن عفان وشهدت ايامها ، ثم عاشت بعد ذلك خلافة الامام علي بن أبي طالب ، فكان لها بذلك شرف الحياة في عهد الرسول وخلفائه الاربعة من بعده ..

وامتد العمر بالخنساء حتى شهدت خلافة « معاويه بن أبى سفيان » .

ان الله مد في حياتها ، لتقر عيناها برؤية امجاد المسلمين ، وهم يتقدمون عبر الصحارى الى المدن ، ثم الى البحار ، ومنها الى بلاد بعيدة . ما كان يتصورها عقل .

وماتت الخنساء في البادية ، عزيزة مكرمة ، وانتهت بذلك صفحة حياة نضرة مشرفة ، بدات مع الجاهلية ، وانتهت في أزهى عصور الفتح الاسلامي . ■■

من وراء التاريخ

بقلم : ثروت اباظة

■ كانت للحجاج محاكمات عجيبة حين اخمد ثورات العراق بعد ان القى فيهم خطبته الشهيرة :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى اضع العمامة تعرفوني

ثم استرسل يهدد ويتوعد

وفي احدى الثورات اعلن عن قرار عجيب ، فقال بعد ان اخمد احدى الفتن «كل من يقر بانه لم يكن على دين الاسلام يعفو عنه ، وكل من يصر على انه على دين الاسلام يقتله .

فكان يسال الثائر من هؤلاء

ـ « على اى دين انت ؟ »

فان كان مصرا على التحدى قال :

ـ « على دين محمد »

او

ـ « على دين الاسلام »

فيامر بقتله .

فان قال :

ـ « على غير دين الاسلام » .

او

ـ « على غير دين محمد » .

اطلقه

وجرت المحاكمة على هذا النحو ، حتى جاء فتى في ريعان الفتوة ، ممتلىء بالصحة ، في عينيه بريق من تطاحن السيوف ، وفي فمه ابتسامة من اثر الهدوء .

ـ على اى دين انت

ـ على دين محمد

ـ اقتلوه

وقتل

وتقدم بعده شيخ راعش يلقف انفاسه من الحياة لقفا

ـ على اى دين انت

ـ على دين ابيك الشيخ يوسف

ـ لقد كان والله قواما صواما .. اطلقوا الرجل .

واطلق الحراس الرجل ، ولكن الرجل ظل واقفا يلقف انفاسه من الحياة ، واستجمع بعض قوة ، ولم يكن محتاجا لاية شجاعة وقال : « يا كافر .. ايقول لك الفتى : انه على دين محمد فتقتله . واقول لك : اني على دين ابيك ، فتطلقني ولو لم يكن لابيك مساءة الا انه ابوك لكفاه خزيا » .

وثار الحجاج وازبد وارغى وقتل الرجل الراعش . ولم يعد الرجل يلقف انفاسه من الحياة .

وفي فتنة اخرى ـ ان صح ان تسمى فتنة ـ كان بين الثوار عمران بن حطاب ، وقد كان شاعرا مجيدا ، وكان قبيح الوجه الى درجة ملحوظة .. وكانت زوجته جميلة غاية الجمال فكانت تقول له :

ـ كلانا في الجنة يا عمران .

ـ لماذا ؟

ـ لانك رزقت مثلي فشكرت ، ورزقت مثلك فصبرت ، فلك اجر الشاكرين ولي اجر الصابرين .

ثار عمران هذا الشاعر قبيح الوجه على الحجاج ، وامعن في الثورة ، وراح الحجاج يلهث خلفه يريد ان يدركه باية وسيلة . حتى تمكن منه آخر الامر .

ـ ارايت نتيجة الثورة على

ـ لا .. لم ارها

ـ ان من يثور على الحجاج لا بد ان يدركه الحجاج

ـ وماذا لو ادركتني

ـ اقتلك

ـ وماذا لو قتلتني

ـ ويحك ، الا تدرى ماذا لو قتلتك ؟

ـ لا والله ، لا ادرى .



ـ تنتهي حياتك .. تصبح عدَماً .

ـ تنتهي حياتي .. نعم .. اما ان اصبح عدما فهذا امر لن يكون .

ـ وهل الموت الا عدَم .

ـ اذن فقد كفرت .

ـ اقول الحق .

ـ او تجرؤ

ـ على قول الحق .. نعم اجرؤ .

ـ ويحك لقد جاوزت حدك .

ـ هكذا انتم ايها ، الطغاة .. تخشون الحق دائما ، وتخافون ان تسمعوه ... يمينكم ان تمثّل في عمل ... بل يمينكم ان تمثّل في كلمة ... مجرد كلمة .

يايها الحجاج ان الحق لا يموت ... مهما تقتلني يا حجاج فانا لن اموت .. لانني كلمة حق وكلمة الحق ستظل تصك اذان الطغاة .. وقد تغتيهم لكنها ان لم تتمكن منهم فستظل باقية يرن صداها حتى تلقى الخليفة وجه الحق سبحانه ، ويرث الله الارض ومن عليها .

ـ اقتلوه .. اقتلوا ابن الفاعلة .

وهمّ الحراس بعمران ، ولكنه لا يلتفت الى واحد منهم ، وانما يظل ثابتا في مكانه .

ـ لبئس ما ادبتك امك .. كيف امنت لساني ان اردها عليك . هل بعد الموت منزلة اصانعك عليها ؟

وبهت الحجاج لحظات واستخزى من نفسه .. ان عمران نبّهه انه يستطيع ان يرد عليه السب ، وفي نفس الوقت لم يفعل .

ـ اطلقوا الرجل .

وخرج عمران طليقا وانفض حوله صحبته ، رفاق ثورته .

ـ والله ما اطلقك الا الله ، عد لتحارب الحجاج .

ورفض عمران ان يعود الى حرب الحجاج ، وقال ابياتا منها :

اادافع الحجاج عن سلطانه
بيد تقر بانها مولاته
ماذا اقول اذا وقفت تجاهه
في الصف ، واحتجت له فعلاته

وفي مرة خرج النعمان بن المنذر للصيد . فاكمل اهبة الصيد . فالخيل تتهادى في عظمة وشموخ، والصقور على اكتاف الرجال كانها بعض اكتافهم ، والنعمان يتقدم الركب ، فالدنيا له خدم ، والزمان كله والايام جميعها من بعض موكبه .

ومضى به الطريق في المدينة والناس ينظرون بين مكبر ومتعجب . أو هكذا على الاقل خيل للنعمان ابن المنذر . فهو طبعا لا يرى الحاسد ولا الحاقد. وهل يعقل ان يكون بين الجمهور حاسد وحاقد . ولماذا . اليس هو النعمان ، وكيف يكون النعمان بغير هذه الخيل ، وهذا الموكب الضخم ، وهؤلاء الرجال حوله ، وهذه الصقور على اكتافهم .

وفرغ الموكب من المدينة وهم ان يلتقي بالصحراء وحدها ، ولم يكد حتى التقى برجل فقير يسير الهوينى يضرب في عرض الطريق لا يقصد الى شيء . وانما هو يسير .

وواجه الرجل الموكب وبصر به النعمان ... ما هذا ؟ انه اعور ... امسكوا به . وسارع الحراس الى الرجل ولقفوه ، وراحوا يضربونه في قسوة موجعة عنيفة .

ـ افسدت على يومي ايها الاعور المشئوم .

ـ ولكني يا مولاى لم اصنع شيئا .

ـ لماذا سرت في هذا الطريق .

ـ ولكني يا مولاى لم اكن اعرف انك ستمر من هنا

ـ خذوه الى السجن .

واكمل النعمان طريقه ... ولكن الانشراح الذى صحبه عند خروجه من القصر لم يعد يجد في جوانحه مكانا ... ضيّق" هو ، برَم" ، يوشك ان يلغي رحلة الصيد ويعود ... انه يوجس من يومه هذا بؤسا وشرا مستطيرا . ولكنه لسبب لا يدريه يكمل رحلة الصيد ...

ما هذا ... ما هذا التوفيق الذى يلازمه ... انه في حياته لم يصب من الصيد ما اصابه اليوم . صيد وفير وجو رائع ... ويوم موفق في كل لحظة من لحظاته .

ويعود النعمان الى القصر ... وسعادته بيومه هذا لا تعادلها سعادة ... وفجاة يتذكر هذا الرجل الذى القى به في غيابة السجن ...

ـ ائتوني به .

ويأتي الرجل

ـ لقد ظلمناك

ـ لا شك في هذا

ـ هذا تعويض لك

ـ ما هذا ؟

ـ عشرة الاف درهم

ـ مولاى ؟ !

ـ قل .

ـ اتراك ترى انى فقير

ـ اتريدني في ان ازيدها لك ؟

ـ لا يا مولاى ... وانما انا اردها لك

ـ تردها ؟

ـ لاقول كلمة

ـ اتساوى الكلمة هذا ؟

ـ مولاى انا احتاج الى درهم ... من العشرة الآلاف درهم ، ولكني اردها جميعا لاقول كلمة .

ـ اتساوى الكلمة كل هذا

ـ تساوى حياتي .

ـ اتساوى الكلمة حياتك ؟

ـ اموت ان لم اقلها

ـ فقلها

ـ مولاى ، لقد لقيتك انا فكان يومك سعيدا هانئا موفقا .

ـ نعم

ـ لقيتني انت فضربتني وسجنت، وعذبت... مولاى ؟

ـ قل .

ـ اينا كان نحسا على صاحبه ؟ !

■■

ثروت اباظة

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول نوفمبر ١٩٧٣

(٥٠)

الأرض كروية

تأليف : أرمان سالاكرو
ترجمة : عبد المسيح ستيتي
تقديم ومراجعة : مصطفى كامل فودة

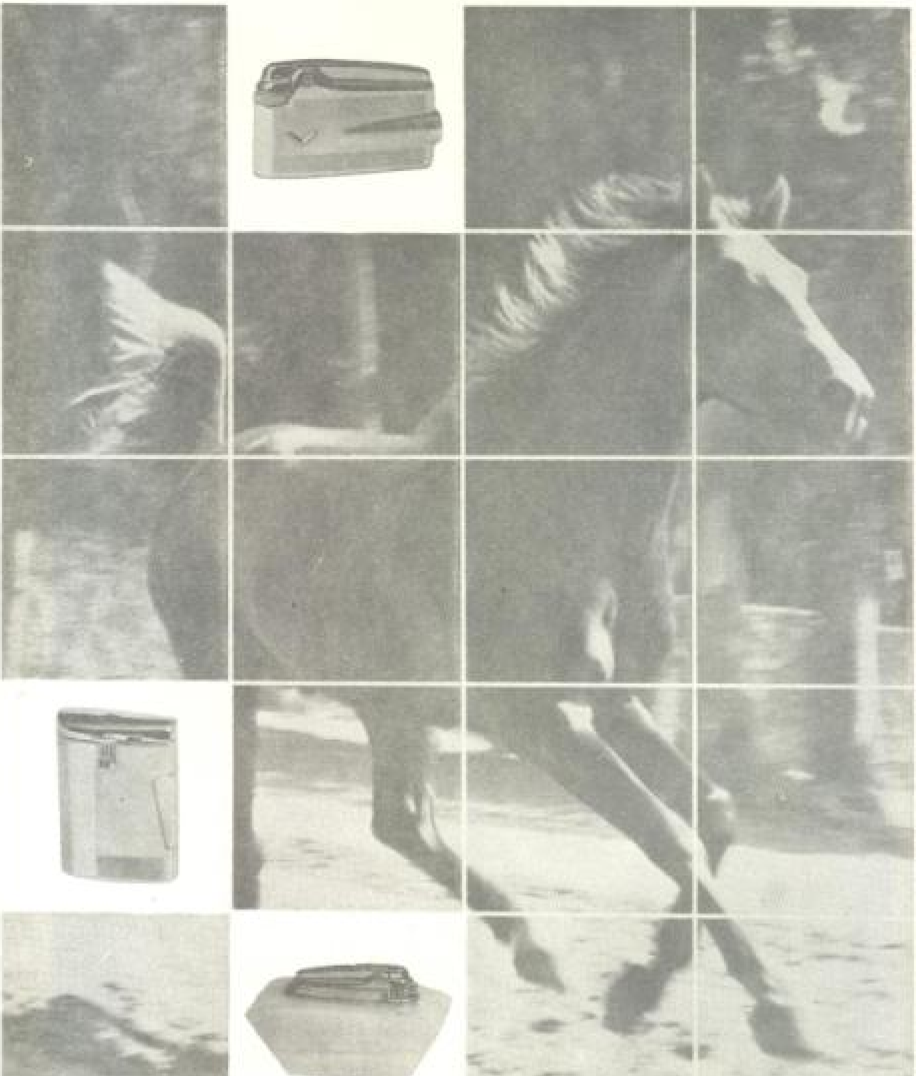
احصل على الصورة كاملة بواسطة تلفزيون فيليبس

دع الصورة على شاشة التلفزيون تتحكم بقرارك عندما تعتزم شراء جهاز تلفزيون. فصورة التلفزيون الجيدة النوع، هي الصورة الناصعة الخالدة التي تمكنك من رؤية كل التفاصيل. ثم انها الصورة الثابتة تماما التي لا تتعب عينيك. كل هذا تحققه لك وبأفضل شكل، شاشة تلفزيون فيليبس. الا ان فيليبس تقدم لك الكثير غير هذا. تقدم لك التصميم الجذاب الرائع. الق نظرة لتتأكد من ذلك على جهاز × ٢٤ ت ٦٨٤ بهيكله الخشبي الفاخر وبابه الجرار الذي يغطي الشاشة في حالات عدم استعمال الجهاز. ثم تقدم لك الصيانة السريعة الناجزة المتميزة بخبرة فنية وشبكة عالية لا تضاهى. كل هذه الخصائص جعلت من صورة تلفزيون فيليبس الصورة الكاملة.



PHILIPS

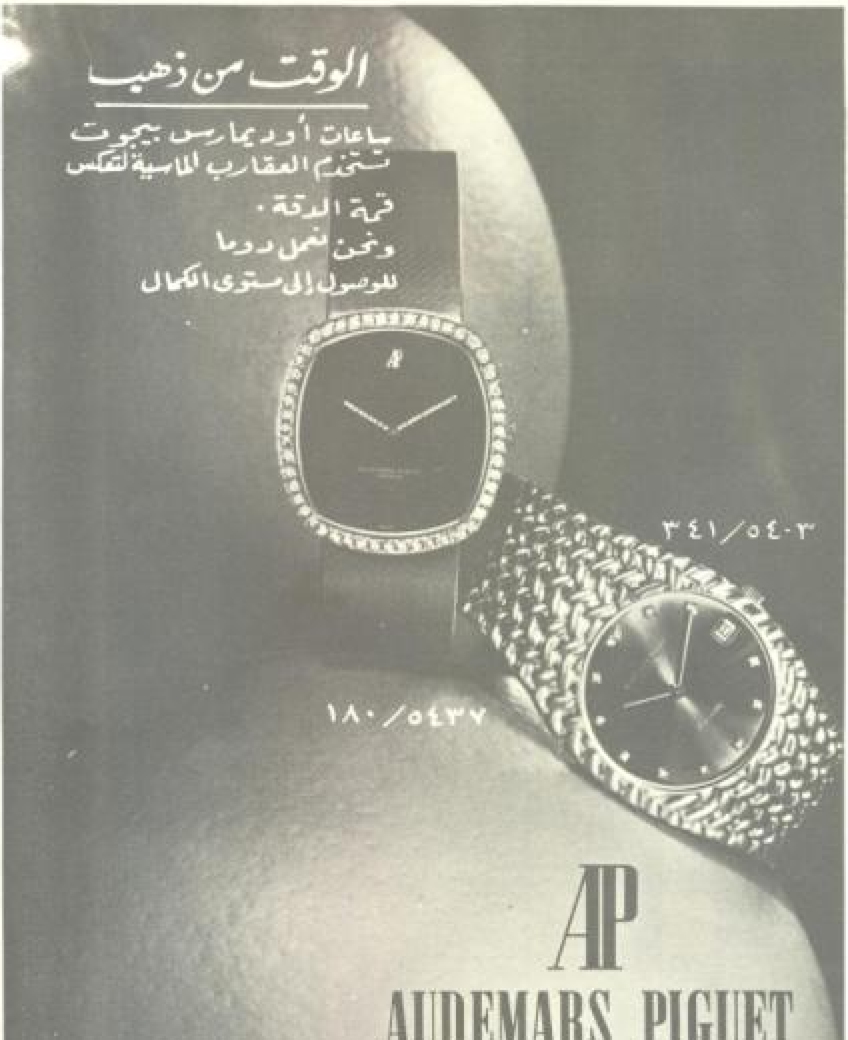
هدية أصيلة



أمينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكّر أصدقاءك دومًا بأنه يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون الشيّقة والأمينة لا تخذلك ابدا .



قدّم أكثر
من هدية
قدّم
رونسون
RONSON



أبوظبي : محمد رسول خوري وأولاده
عمارة محمد رسول ص . ب ١٢٦
هاتف ٢٢٥٤٩

قطر : علي بن علي
ص . ب ٧٥ ـ الدوحة ت ٢٦٢٠١

البحرين : بهبهاني إخوان المحدودة
ص . ب ١٦٨ ت ٣٨٧٢

دبي : ابراهيم أحمد صديقي
ص . ب ٢١٢٣
هاتف ٢٢١٦٩

الكويت : أحمد يوسف بهبهاني
ص . ب ٥٦٧ ت ٤٢٧٠٧١

لبنان : مؤسسة جورج أبو فضل
ص . ب ١٣٣٢ ت ٢٥١٢١٥
بيروت

إنك في المقدمة حين تتعامل مع البنك الوطني



بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

مرآة اقتصاد الكويت

مؤسسات شقيقة : بنك الكويت المتحد، لندن. بنك دبي الوطني - دبي - بنك الريف، ش.م.ل. بيروت. فراب بنك الدولي - باريس - بنك البحرين والكويت، ش.ب.م. البحرين. البنك الاوروبي العربي، بروكسل - البنك الاوروبي العربي، ج.م.ب.هـ. فرانكفورت



TISSOT

تيسوت
"سي ستار"



انها متينة
غاية في الدقة
ضد الماء
أوتوماتيكية
مجهزة بتاريخ

انها
ساعة
تيسوت
"سي ستار"

اذا كنت تود الحصول على ساعة
تعطيك الوقت بالدقة وبنفس الوقت لا تود أن تزعج نفسك
بتعبئتها أو بضبط تاريخها أو اذا بللت بالماء
فان تيسوت
تقدم لك الساعة
التي تحمل جميع
هذه المميزات

سي ستار

بالرغم من أن موديلاتها جذابة وفخمة ولكن سعرها يناسبك . وموجودة للرجال والنساء
انها جديدة مثل اليوم وذلك لانها تحمل ١٢٠ سنة من التقاليد جعلوها ساعة الكمال وتجد بداخلها جودة تيسوت الشهيرة
إن السويسريين يبتاعون تيسوت اكثر من اي ساعة اخرى

شبابك لا يعني فقط عمرك
انه حيويتك
ونشاطك ايضاً





سوبر ويت أون بطعم الفريز والموز هو مستحضر غذائي جديد غني بالكالوريهات.

سوبر ويت أون يحتوي على عدة فيتامينات د، ب ١٢، ب ١ و ب ٦ يعطيك ما يلزمك من قوة وحيوية ونشاط لتتمتع بما أعطتك إياه الحياة.

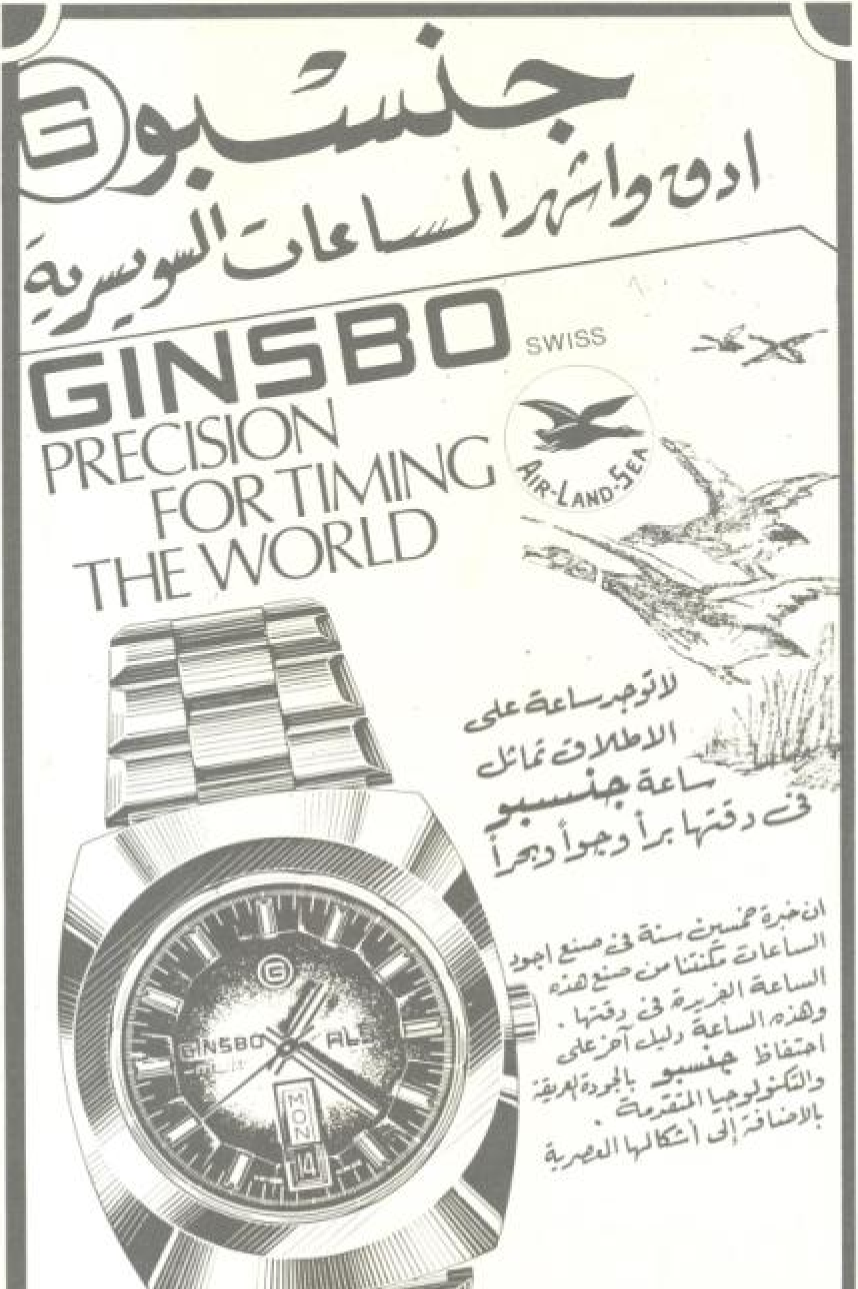
سوبر ويت اون مستحضر مقو للجسم في بضعة أيام يجعل منك رجل آخر.
النساء يكتسبن شكلاً جذاباً بازدياد وزنهن في الأماكن اللازمة.

سوبر ويت اون يباع في كافة الصيدليات

سوبر ويت - اون

انتاج د.د.د

Publinex



جنسبو
ادق واشهر الساعات السويسرية
GINSBO SWISS
PRECISION FOR TIMING THE WORLD
AIR-LAND-SEA
لاتوجد ساعة على
الاطلاق تماثل
ساعة جنسبو
فى دقتها براً وجواً وبحراً
ان خبرة خمسين سنة فى صنع اجود
الساعات مكنتنا من صنع هذه
الساعة الفريدة فى دقتها.
وهذه الساعة دليل آخر على
احتفاظ جنسبو بالجودة العريقة
والتكنولوجيا المتقدمة
بالاضافة إلى أشكالها العصرية
GINSBO
MON
14



"داتسون أخرى جديدة 120Y ..؟"
"نعم .. بالتأكيد"

حينما ذهبت داتسون الجديدة 120Y فإنها موضع اعجاب الجميع. إنها النقطة الهامة التي يدور حولها كل حديث. ونحن في شركة نيسان قد سررنا بهذا الاعجاب والتقدير لأننا فعلنا ما بوسعنا لنجعل من 120Y السيارة التي تحلم باقتنائها. حسنة التصميم، سباقة، يعتمد عليها، ومزودة بالكماليات الكثيرة.
إلا أن داتسون لا تترك لك الخيار عندما يكون طلبك الراحة والنوعية الجيدة في الهندسة والتصميم. إن 120Y هي المتعة في القيادة.. وتصميمها الداخلي مدهش. مرنة ومريحة مهما قست الطرق. محركها الدقيق الصنع والبالغة قدرته ١٢٠٠ سي سي يعطيك سرعة ١٥٠ كم في الساعة وبمصروف زهيد من الوقود. اقتن 120Y وكن فخوراً بها مثلنا.

Nissan puts people first

DATSUN

NISSAN MOTOR CO., LTD.

مركز سوني



انظمة الحاكيات بوجهتين
سوني SS-179A
مركز سوني HP-179A
للموسيقى المنزلية

للموسيقى الستريو المنزلية

ثلاثة اجهزة مرغوبة في قطعة واحدة

هنا، في قطعة مضمومة وأنيقة وحيدة تضم انظمة حاكيات مناسبة بوجهتين، تجدون الأجهزة الثلاثة الأكثر شيوعاً وشعبية للموسيقى الستريو المنزلية ...

لاعب اسطوانات ستريو مع مغيّر اوتوماتيكي، منغم FM ستريو FM-AM، ولاعب كاسيت ستريو.

جهاز سوني HP-179A يمتاز بقدرة اللعب الموسيقي الكاملة التي قد ترغبون بالحصول عليها.

لاعب الأسطوانات والمغيّر الأوتوماتيكي

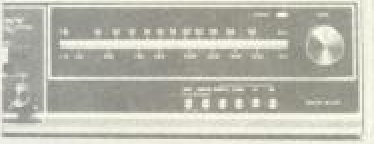
لأسطواناتكم الستريو، تجدون الجهاز الأوتوماتيكي ذا الحجم الكامل والأربع سرعات الذي يستطيع ان يتقبل لغاية ٦ اسطوانات في آن واحد.

وهو يتقبل الأسطوانات من جميع القياسات ويصلح للتشغيل يدوياً.



المنغم FM ستريو FM-AM

انه أفضل طريقة للاستماع الى الموسيقى الستريو الرخيمة ... الصادرة عن الاذاعات الستريو FM الواضحة، وذلك بفضل حساسية هذا الجهاز البالغة. وهو يضم ايضاً موجة AM لالتقاط جميع الاذاعات المحلية، بالاضافة الى FM مونو.



لاعب الكاسيت الستريو

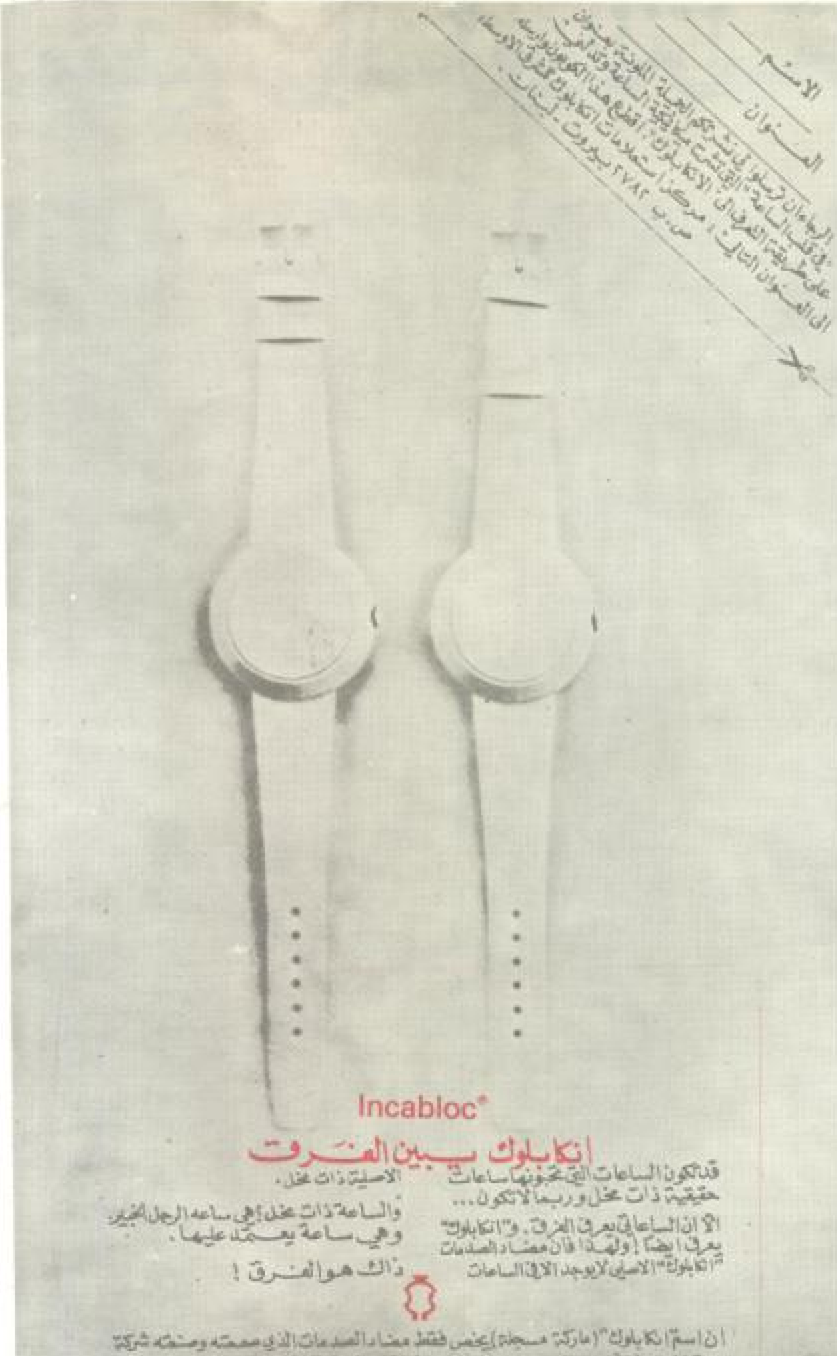
بفضل لاعب الكاسيت الستريو المناسب، يمكنكم ان تسجلوا الموسيقى الستريو رأساً من المنغم او من لاعب الاسطوانات او الاصوات الحيّة بواسطة مايكروفونات ستريو اختيارية. وهو يضم ضابطة مستوى التسجيل الأوتوماتيكي "سوني - او - ماتيك" لاعطائكم نتائج ممتازة للغاية. بالطبع، تستطيعون ان تسمعوا بواسطته الى جميع الكاسيتات الستريو او المونو.

زوروا أقرب موزعي سوني اليكم، واستمعوا الى "مركز الموسيقى HP-179A" الجديد الخلاب.

شاهدوا أيضاً كيف انه يتلاءم تماماً مع منزلكم ومع مفروشاتكم ومتطلبات حياتكم الخاصة



SONY سوني



الاسم
العنوان
ص. ب ٢٧٨٢ بيروت . لبنان
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحوزونها ساعات حقيقية ذات محل وربما لا تكون...
الا ان الساعاتي يعرف الفرق . و"انكابلوك" يعرف ايضاً ولهذا فان مضاد الصدمات "انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات الاصلية ذات محل .
والساعة ذات محل هي ساعة الرجل الخبير وهي ساعة يعتمد عليها .
ذلك هو الفرق !
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركة بورتسكاب ، لاشو دي فون ، سويسرا او بورتسكاب فرنسا ، بيزانسون .

التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV ، قياس ١٢ إنشاً يستقبل على تردد عالي (VHF) باللونين الأسود والأبيض ومزود بدارات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صورة فورية متوازنة واضحة ونقية من أي تشويش. اقتصادي ، (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط ومن البطاريات ١٢ واط) ، شاشته مزودة بمصفٍ خاص ليخفف من عناء العينين ، تصميمه رائع ويتماشى مع مفروشات أي غرفة ، وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على التيار الكهربائي المنزلي (١١٠ - ١٢٠ فولط و ٢١٠ - ٢٥٠ فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط) ، وبهذا ، تستطيع أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت .. مع جنرال - موديل TW-12EV

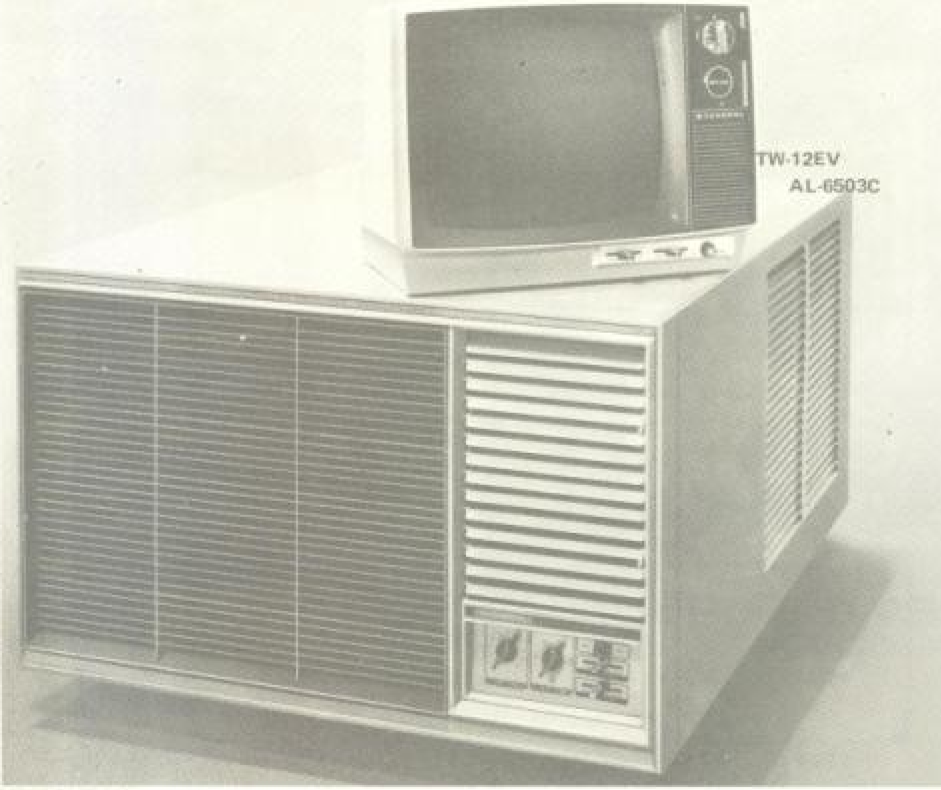
• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما سببان فقط من الأسباب الكثيرة التي رفعت الناس لأن تقتني مكيف الهواء موديل AL-6503C ، طاقته BTU-21,500 تكفي لتبريد أكثر من غرفة ، أما خدمته فهي متفوقة وتدوم لحياة طويلة ، ضوابطه صممت في موضع يسهل معه استعمالها ، ومصفيته سهلة التنظيف. هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها جنرال لتزيد من راحة الإنسان .. وتجعل من مكيف الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيونها موديل TW-12EV .

إن تلفزيونات ومكيفات جنرال تضيف إلى حياتك نشاطاً نوعياً جديداً ...

GENERAL جنرال

الجمهورية العربية السورية : محمد ... ص.ب ٩٥٤ - دمشق (سوريا) .
الإمارات العربية المتحدة : الشركة الوطنية للاستشارة والمقاولات ص.ب ٧٣٦ - أبوظبي .
الكويت : شركة الاتجار التجارية ، ... ص.ب ٢٨ - كويت .
البحرين : ابراهيم ... ص.ب ٦٧ - منامة .
الدار البيضاء : ... ١١٤ شارع ... .
إيران : ... رقم ٦ - طهران .
ليبيا : ... ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس .
قطر : ... ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة .

نوعية جيدة من جنرال تزيدك تسلية وراحة



ساعات الرايدرز
قوة ، ابتكار من فافرلوبا ـ جنيف

تصميمات فافرلوبا تكون عادة متقدمة لسنوات عديدة عن تاريخ صناعتها . والبرهان على ذلك ، يكمن في هذه النماذج الاربعة . غاية في الاناقة ، وبدون تفاصيل وتمبيقات غير لازمة ، نماذج ذات خطوط وطرز تدعو للاعجاب .

سي رايدر

خلقت اعجابا شديدا ووصلت مبيعاتها ارقاما قياسية ، انها اوتوماتيكية باليوم والتاريخ (٣٦٠٠٠ نبضة في الساعة ـ بل انها اكثر دقة) ، جهاز لتعديل التاريخ بسرعة ونظام ايقاف الثانية ، مقاومة كبيرة للماء (١٥٠ قدم) محمية من الصدمات ، غير مغناطيسية .

ميمو رايدر

تجعل ذاكرتك طليقة من اى قيد ، ميمو رايدر ثابتة على رسغك اكثر من ثبات رباط منديلك . حركتها الاوتوماتيكية مع التاريخ بالاضافة الى استنباط الاشارة الصوتية يجعل هذه الساعة واحدة من الخطوات الرائدة في صناعة الساعات في هذا العصر . الميمو رايدر ضد الصدمات، غير مغناطيسية ، تقاوم الماء الى ٩٠ قدم .

سي رايدر II

تحوى جميع صفات وميزات الاتقان التي تتحلى بها السي رايدر ، وموضوعة في غلاف قوى لمقاومة المؤثرات .

سي رايدر II للسيدات .

اناقتها حقيقية بشكلها المصمم للمرأة العصرية .



من فافر لوبا جنيف : مجموعة من ٢٥٠ طراز .
الوكيل العام فى الكويت محمد عبدالله شهاب ص.ب (٢٣٨) .
شارع عبد الله السالم ـ تليفون ٢٢٣٢٢ ، شارع فهد السالم ـ تلفون ٤١ ٢٥٣ ٤

عندما تدخل الفائدة في الحساب..

لومبارد نورث سنترال يقدم تشكيلة واسعة من الحسابات

حساب ودائع عادي

٩½٪

لا يوجد حد أدنى للودائع

تربح نقودك بنسبة ٩½٪ سنويا مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر. يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة

ودائع ذات دخل شهري

٩½٪

الحد الأدنى للودائع ٢٠٠٠ جنيه

الودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه أو ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة، تربح فائدة بنسبة ثابتة قدرها ٩½٪ في السنة تدفع شهريا دون حسم أي ضريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد منتظم. يمكن ايداع مبالغ لمدد أطول، وتعطى تفاصيل الفائدة الثابتة لدى الطلب.

ودائع زمنية

١٠½٪

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة تربح فائدة بنسبة ١٠½٪ سنويا تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. وهناك فوائد بنسب جذابة أخرى لمدد ثابتة طولها ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات.

لومبارد نورث سنترال ليمتد هو من أعضاء مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها مع الاحتياطي على ٣٨٣ مليون جنيه استرليني. فتح الحساب هو في غاية البساطة. أكتب اليوم الى مدير حسابات الودائع للحصول على تفاصيل هذه الحسابات ونسخة من كتيب الودائع رقم 182A

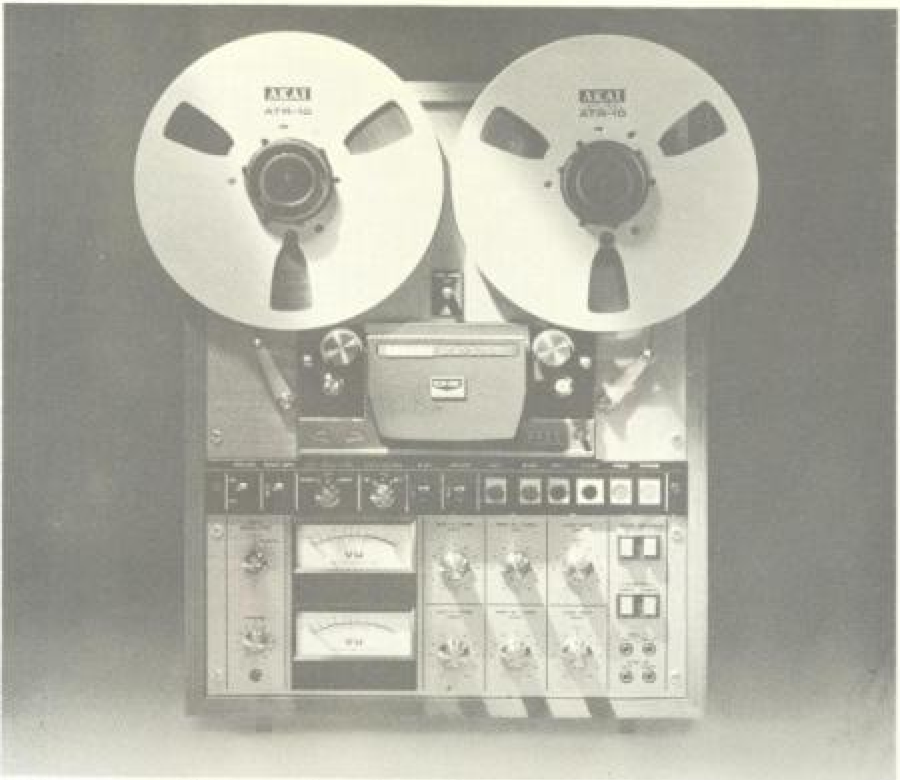
Lombard North Central

Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4111
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111

Branches throughout Great Britain – Depositors throughout the World


PIAGET
بياجيت
الساعة الثمينة
الانيقة التي لا
مثيل لها
الوكيل العام
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
أحمد يوسف بهبهاني واخوانه
2170



صفاء موسيقي رائع لا يصدق



يمكنك الحصول على ما تنشده من نقاء ووضوح بمسجل "أكاي" GX-400D لاستريوفوني "ديك" المزود بأربعة رؤوس من طراز "جي. اكس" ذات الشهرة العالمية من انتاج "أكاي" (مصنوعة من الزجاج وفريت الكريستال) التي تبقى خالية من الغبار وتكفل لك أداة موسيقياً رائعاً مدى الحياة. وهناك ايضاً الجهاز الاستريوفوني GX-400D للمحترفين المجهز بمدرجين لتسجيل الصوت. ويكمل هذه المجموعة الجهاز AA-940 المضخم المؤالف FM/AM/MPX وجهاز مكبر الصوت SW-175.



أوديو وفيديو

AKAI

AKAI ELECTRIC CO., LTD. Ohta-ku Tokyo, Japan


RADO
رادو
الساعة الوحيدة
في العالم
الغير قابلة
للخدش
UNIVERSE
أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد

أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر



مارلبورو

رمز الجودة

A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

سَاعة بالأرقـام

ذات أعدادكبيرة تتحرّك بأطراف الأصابع ، مع جرس رنّان أو منبه راديو ، تدار مرة واحدة فقط كل ٢٤ ساعة . ويزداد إرتفاع الصوت بصورة متواصلة إذا لم تنهض فورًا .

راديو بموجتين

موجة AM وأخرى FM مع ساعة وقف " تهدهدك " للنوم مدة ٤ ساعات ، ثم يتوقف الراديو اتوماتيكيًا ، بعد أن تكون قد استغرقت في نوم هادىء .

مسَجّل كاسيت

لتخزين الموسيقى المسجلة التي تشتريها ، أو للتسجيل الشخصي بواسطة المكبّر المثبت في الداخل ، مع جهاز توقيت آلي للتسجيل ، أثناء غيابك أو أثناء النوم .

الموديل
M 5400 F



كلّ ذلك ضمن صندوق واحد جذّاب

SANYO سانيو

العربي

العدد ١٨١
ذو القعدة ١٣٩٢
ديسمبر
(كانون اول) ١٩٧٢



بنت ظفار تتعلم لاول مرة فى تاريخها ...

جوائز
١٢٠٠
ديناراً سنوياً

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



« بائعة الورود »

لوحة زيتية للرسام هاشم علي عبد الله

من الجمهورية العربية اليمنية

من سلسلة لوحات
الفنانين العرب



عزيزي القارئ

اليك تحولا عظيما

ارسل جلالة الملك فيصل برقيـة تهنئة الى فخامة رئيس مجلس جمهوريات الاتحاد السوفييتي جاء فيها :

« بمناسبة ذكرى اليوم الوطني أبعث لكم باسم شعب وحكومة المملكة العربية السعودية ، وباسمي ، تهانينا بهذه المناسبة ، راجين لفخامتكم دوام الصحة والسعادة وللشعب السوفييتي الصديق التقدم والنجاح » .

التوقيع : فيصل

انه تحول عظيم حقا ، وانها الحكمة السياسية الناضجة البالغة التي لا تصدر الا عن حكيم خبير واع عالم بخفايا الأمور، فيها فرّق العاهل السعودي بين المبدأ الايديولوجي كائنا ما كان ، وبين الدولة الصديقة ، والشعب الصديق .

مثلَ هذا النهج فلينهج الزعماء . .

وان هم انتهجوه بين دولة عربية واخرى غير عربية ، فما اولاهم ان ينهجوه بين دولتين كلتاهما عربيتان .

والله وليُ التوفيق .

المحـرر

١٩٧٢/١١/٨

حديث الشهر

احدى الدبابات الاسرائيلية الضخمة التى استطاع الجنود المصريون الاستيلاء عليها سليمة في معاركهم على ارض سيناء . وتتميز الدبابة الاسرائيلية بأن مدفعها يظهر كأنه انبوب داخل انبوب .

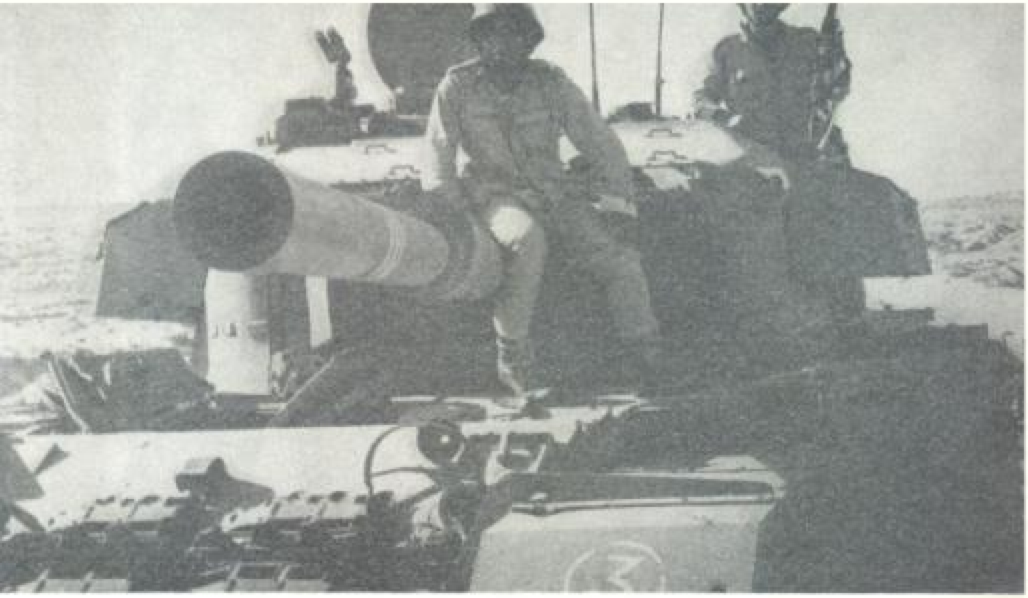
بعد ١٧ يومًا من سير القتال قرر مجلس الأمن : وقف



التقطت هذه الصورة المعبرة لرئيسة وزراء اسرائيل ومعها نائبها ايجال الون بعد الهزيمة، والصورة ليست في حاجة الى تعليق .

■ بدأت حرب المصير ، بين العرب واسرائيل ، فى السادس من اكتوبر الماضي عام ١٩٧٣ ، واصدر مجلس الامن قراره بوقف اطلاق النار فى الثاني والعشرين من اكتوبر ، ومعنى هذا ان الحرب استمرت ، بيننا وبينهم ، هذه المرة ١٧ يوما .

وقد بدأنا حديث هذه الحرب ، فى العدد الماضي من « العربي » ، بحديث الحرب فى ايامها الاربعة الاولى ، واليوم ،



إطلاق النار

بقلم رئيس التحرير

في السادس من نوفمبر عام ١٩٧٣ ، تتابع حديث الحرب في أيامها الثلاثة عشر التي تلت تلك الايام الاربعة الاولى .

تقدم في الجبهات العربية مع كثير من الحذر

استمر انتصار العرب في الجبهات . واشتد في الجبهة الواحدة حين خف في الاخرى . وكانت خفة الشدة لتثبيت الاوتاد في الارض . وظل هذا الصمود العربي ، مع التقدم ، جاريا الى نحو اليوم الحادي عشر من القتال .

ففي هذا اليوم تأكد للعدو ان ذخيرته قاربت النفاد (كما عرفنا بعد ذلك) لو انه ظل يقاوم جيوش العرب بتلك الشدة التي كانت له عند ذلك . كان العدو في مأزق وجب الخروج منه ، واتخذ الخروج منه شكل انقلاب خطير وقع في سياسة الحرب . بدأ هذا الانقلاب في هذا اليوم الحادي عشر للقتال ، وظل يتصاعد على الأيام حتى جاء قرار



احد المواقع الحصينة في خط بارليف الذى اجتاحته القوات المصرية فى ست ساعات بعد ان كان العسكريون فى اسرائيل يدعون أن هذه المواقع لا يمكن اختراقها ، وانها اقوى من خط ماجينو الشهير فى الحرب العالمية الثانية .

مجلس الأمن بوقف اطلاق النار فى اليوم السابع عشر من القتال .

الانقلاب
أمريكا تتدخل فى الحرب

وما كان هذا الانقلاب الا تدخل أمريكا صراحة فى الحرب .

كانت تمد اسرائيل من العتاد الكثير السريع،من قبل حرب،ومن بعد حرب، بما تمد،ثم استبطأت هذا المد،وخشيت أن تلحق الهزيمة باسرائيل والحرب قائمة قبل أن يأتيها من المدد الكفاية ، فاقامت ما اسمته « جسرا » ، يحمل العتاد الحربى بالطائرات من الولايات المتحدة ومن أوروبا ، ومن حيث كان لأمريكا عتاد ، يحمله الى اسرائيل فى كل يوم وكل ساعة . وجاء مع العتاد ، من صنوف شتى ، أطقم من الرجال لكل ما لزم رجال لتشغيله . وحطت الطائرات به مباشرة فى الموقع من الجبهات الاسرائيلية حيث وجب أن يكون ، فلا يضيع وقت دون استعماله .

وكما حملت الطائرات ما حملت عبر الهواء ، حملت السفن عبر الماء .

واعلنت أمريكا كل هذا على الملأ اعلانا، لم تخش نقدا من أحد ، ولم تخش ريبة .

وكان فى هذا العتاد أحدث ما ابتدعته



احد معابر الجيش الثانى المصرى وترى فى الصورة دبابة من الدبابات المصرية وهى تخترق الثغرة التى فتحها الجيش فى السد الترابى فى خط بارليف

الولايات من جهاز حرب . اجهزة لم تكن هى قد اذنت باستخدام جيوشها اياها ، واذنت باستخدامها فى ميادين القتال لاسرائيل ، بايدى رجال جاءوا بها من الولايات ، وبأيدى رجال سبقوا الى اسرائيل .

جرت الأيام بطيئة

وجرت تلك الأيام بطيئة وئيدة .

واذا اخبار العرب تتحدث فى القليل عن النصر . وفى الكثير عن الصمود . ومع الصمود كسر لكل هجوم شرس من الأعداء كلفهم من الضحايا والمؤونة الشىء الكثير .

ومن اخبار الولايات

ومن أخبار الولايات سمعنا بثلاثمائة طيارة جاءت من الولايات دفعة واحدة وحطت فى جزر الأزور ، وهى تتبع البرتغال ، ومقصدها اسرائيل .

ومن أخبار أوروبا سمعنا بسفن لاسرائيل ، فى موانىء المانيا الغربية ، ملأتها امريكا مما تختزن من عتادها

الحربي في المانيا ، للحلف الأطلسي ، لتحمله الى اسرائيل .

وتحدث قائد القوة الامريكية بأوروبا ، ولعله رئيس جيوش حلف الأطلسي ، تحدث في احتمال نقل جنود من جنود الولايات بالمانيا ، اذا اقتضت الحاجة الى اسرائيل .

سَفَر كل شيء ، فلم يعد في الأمر خفاء ، ولم يعد استحياء .

الولايات المتحدة في حرب سافرة مع العرب ، اذا هي لم تعلنها رسميا بلسانها ، فقد أعلنتها بأعمالها .

رئيس وزراء روسيا في القاهرة

وفي زحمة هذه الأحداث سمعنا بوجود السيد كوسيجين ، رئيس وزراء الروس بالقاهرة . حضر اليها وقضى بها اربعة أيام ، وكان له مع الرئيس السادات لقاءات كثيرة .

وقال كل من سمع الخبر ، ان في الأمر شيئا جللا .

وما كاد يعود المستر كوسيجين من القاهرة الى موسكو حتى حضر الى موسكو من واشنجطن وزير خارجية الولايات ، الدكتور كسينجر ، وعاد وزير الخارجية هذا الى واشنجطن بعد زيارته اسرائيل .

وقف اطلاق النار

وتمخضت هذه الزيارات او هذه اللقاءات ، وما تبعها من اجتماع مجلس الأمن ، عن صدور قراره بوقف اطلاق النار ، بين العرب واسرائيل . وتضمن القرار تحديد وقف الاطلاق بمساء يوم ٢٢ اكتوبر ، وقضى بان تقف الجيوش حيث هي في تلك الساعة المضروبة . وتضمن القرار ، فيما تضمن ، تطبيق قرار مجلس الامن ، رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ على الفور ، وهو يقضي فيما يقضي بعودة اسرائيل الى حدودما قبل حرب الخامس من يونيو لعام ١٩٦٧ .

وصوّت لقرار وقف اطلاق النار أعضاء مجلس الأمن جميعا ، الا الصين ، فقد امتنعت ، زيادة في الحرص على مصلحة العرب ، وصوّتت له الولايات المتحدة ، وصوّت الروس . والحق ان القرار كان من صنع هاتين الدولتين الكبريين بما لهما من أسلحة نووية لها الأثر الاكبر في عمار الارض او خرابها .

وسارعت مصر الى قبول وقف اطلاق النار وسارعت اسرائيل

وكان من أول من سارع الى الموافقة على وقف اطلاق النار مصر ، وكان بيّنا ان هذا لم يكن بناء على ما احتواه قرار مجلس الأمن وحده ، ولكن كذلك على اتفاق سبق بين مصر ورئيس وزراء الروس ، وعلى تأكيدات وضمانات حملها المستر كوسيجين الى الرئيس السادات ، باسم روسيا والولايات المتحدة ، تؤكد لمصر ان كل شيء سوف يمضي على ما يرام .

اما اسرائيل فبادرت الى الموافقة بشرط ان يوافق سائر الفرقاء من الدول العربية . وكان هدفها الظهور بطاعة مجلس الأمن . اعلنتها ، ولكنها ربطتها بشرط يقوم عقبة في تحقيقها ، فهي كانت

تعلم ان العرب لم يكونوا كلهم راضين على ما استند اليه قرار رقم ٢٤٢ لنوفمبر ١٩٦٧ من أمور .

كان هذا اذن أول مظهر لمراوغة اسرائيل، وقد كانت طبعا فيها ، فهدفها كان لا شك أن تكف مصر وتواصل هي القتال ، وقد كانت في سبيل التحضير لمفاجاة هي عبور قنال السويس الى الغرب ،شمال البحيرات المرة .

كانت مراوغة اسرائيل : مراوغة مكشوفة . ولا شك أن أصدقاءها نصحوها على عجل برفع هذا الشرط الذي اشترطته ، فاعلنت انها تقبل وقف اطلاق النار اذا اوقفته مصر . وكانت مصر قد فعلت .

قــرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢

تم التصويت على المشروع المقدم من بريطانيا فنال اجماع الدول الأعضاء في مجلس الأمن ، وينص القرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ على :

« ان مجلس الأمن :

١ ـ اذ يعرب عن قلقه المستمر للوضع الخطير في الشرق الأوسط

٢ ـ اذ يؤكد على عدم السماح بتملك الأراضي عن طريق الحرب وعلى الحاجة الى العمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع كل دولة فيه أن تعيش في أمن .

٣ ـ واذ يؤكد بعد ذلك ان على كل الدول الأعضاء بقبولها لميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالتصرف طبقا للفقرة الثانية من الميثاق .

١ ـ « يقر بأن تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب اقرار سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط يجب ان يتضمن تطبيق كل من المبدأين التاليين » :

أ ـ سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من أراض احتلت في القتال الأخير

ب ـ انهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب واحترام سيادة ووحدة اراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود مأمونة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة .

٢ ـ يؤكد أيضا الحاجة الى :

أ ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

ب ـ ضمان المناعة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق اجراءات بينها اقامة مناطق مجردة من السلاح .

٣ ـ يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص للذهاب الى الشرق الأوسط كي يقيم ويجرى اتصالات مع الدول المعنية بغية ايجاد اتفاق ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقا للنصوص والمبادىء الواردة في مشروع القرار هذا .

٤ ـ يطلب من الأمين العام ان يرفع تقريرا الى مجلس الأمن حول تقدم جهود الممثل الخاص في أقرب وقت ممكن .



دبابة برمائية مصرية من الدبابات التى استعملت فى عبور القوات المصرية قنال السويس الى سيناء .

ولكن ..

غيرت اسرائيل اسلوب منطوق كلامها ، وابقت على نية عمل مبيتة . قالت انها قد اوقفت اطلاق النار وما اوقفت . واغراها النفاذ الى ضفة القناة الغربية بالمضى فى القتال ، وسارعت فانتشرت فى الصحراء ، ودارت حتى بلغت ميناء الأدبية على خليج السويس من غرب كما جاء فى الأخبار . وذلك لتنشر فى الدنيا انها بلغت من غزو مصر ما بلغت . حتى السويس ادعت انها اقتحمتها ، وما اقتحمت . وكل ذلك لتكسب حسن سمعة بين امم الأرض بعد ان كانت سمعتها قد تمرغت بتراب الأرض فى الأسبوعين الماضيين .

وعلم اهل الأرض ما تصنع اسرائيل ، وانها اخترقت ميثاق وقف اطلاق النار .

وعلمت الولايات المتحدة ما تصنع اسرائيل ، وانها اخترقت ميثاق وقف اطلاق النار .

واعتمدت اسرائيل على انها ، بعد ان تصنع ما تصنع ، فسوف تقول انها صنعت كل ما صنعت قبل وقف اطلاق النار . واعتمدت اسرائيل على انها سوف تقول لمن يطلب اليها من بعد الارتداد الى الحدود التى كانت عندها قبل اعلان قرار وقف اطلاق النار ، سوف تقول : ومن ذا الذى يدرى اين كانت هذه الحدود ؟!

واعتمدت اسرائيل على معونة الولايات المتحدة فى ذلك .

اسرائيل ، التى لم تبال يوما كذبا ، او نفاقا ، ظلت ، حتى فى هذه الحرب ، ومع خذلانها ، هذا الخذلان الذريع ، ظلت لا تبالى كذبا او نفاقا .

والولايات المتحدة ، التى ظلت تناصر اسرائيل السنوات المتطاولة ، فى كذبها ونفاقها ، ظلت ، حتى فى هذه الحرب التى زعموا انها سوف تؤدى الى سلام

عادل دائم ، تناصر اسرائيل فى كذبها ونفاقها .

اسرائيل تواصل اطلاق النار

اعلنت اسرائيل وقف الحرب قولا ، واستمرت تواصل الحرب فعلا ، ومضت فى دعايتها الصاخبة .

والتزمت مصر بقرار مجلس الأمن . وحرصت أكبر الحرص على الالتزام به والظهور على الملأ بذلك ، حتى لضاق بعض السامعين به .

واذا بمصر تطلب من الروس والامريكان معا انزال قوة فى الميدان حتى تكف اسرائيل عما تفعل . وقبل الروس ارسال قوة منهم . ورفض الأمريكان . وكان طبيعيا ان يرفضوا . انهم لا يقفون فى وجه اسرائيل يمنعونها عن شىء ابدا . فكيف وهم فى سبيل نصر زعموه .

واستنفر الروس خمسين الفا من المظليين ليهبطوا فى مصر ، فهكذا زعم الأمريكان ، ولم يكذب الروس . ورفض الامريكان نزول الروس فى مصر ،فارسل اليهم المستر بريجنيف ، سيد موسكو ، مذكرة قيل انها كانت غاية فى العنف . وكان جواب الولايات المتحدة على هذه المذكرة انها استنفرت كل قواتها فى كل ارض وكل بحر . فى الولايات ، وفى غير الولايات . وفى اوروبا خاصة . واخص من هذا كله استنفار محطات القذائف النووية الأمريكية عبر البحار ، وغير عابرة البحار .

انها المواجهة بين الدولتين العظميين النوويتين المخوفة اذن .

وانها لدمار للدنيا محقق .

وتعم الخشية الطرفين الكبيرين ، فيجتمع مجلس الامن مرة أخرى لينادى اطراف النزاع مرة اخرى بوقف القتال . ويطلب الى الأمين العام لهيئة الأمم تأليف قوة طوارىء دولية تقوم بين الجيوش المتحاربة تمنع التحامها ،وتعزز وقوفها حيث كانت مساء يوم الثانى والعشرين من أكتوبر .

واخيرا ، واخيرا جدا ، توقف اسرائيل خرقها لقرار وقف اطلاق النار ، وتلغى الدولتان العظميان استنفارهما لقواتهما

نص قرار وقف أطلاق النار رقم ٣٣٨

فى ما يلي نص مشروع القرار الذى وافق عليه مجلس الأمن باغلبية ١٤ صوتا ، وامتناع الصين عن التصويت :

« ان مجلس الأمن :

اولا : يدعو جميع الاطراف المتحاربة الى وقف شامل لاطلاق النار فى وقت لا يتجاوز ١٢ ساعة بعد تبني هذا القرار وفي المواقع التي تحتلها هذه الأطراف الآن .

ثانيا : يدعو الأطراف المعنية الى البدء مباشرة بعد وقف اطلاق النار بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بجميع فقراته .

ثالثا : يقرر وجوب بدء مفاوضات فورية فى الوقت ذاته الذى يتم فيه وقف اطلاق النار وتحت رعاية مناسبة بغية تحقيق سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط .

تردد سوريا فى الموافقة على وقف القتال ثم توقفه

فى أثناء هـذه الأيام كانت سوريا مترددة فى الموافقة على وقف اطلاق النار، ثم وافقت ، وذلك بعد الاتصال بمصر، وبها اتصل كذلك الروس ، فزادها هذان الاتصالان وثوقا بما تفعل ، واطمئنانا الى الضمانات التى صحبت وقف اطلاق النار ، وهى تقضى ، فيما زعموا ، بحصول العرب على مطالبهم غير منقوصة .

موقف الجيوش المتحاربة عند وقف القتـــال

جيوش العرب متقدمة ، وصامدة فى تقدمها ، فى الجولان ، وفى سيناء شرق القنال ، الا حيث فتح الاسرائيليون لهم ثغرة فى الشمال من البحيرات المرة الى غرب القنال، ذهبوا منها الى الجنوب ناحية السويس ، وقالوا انهم طوقوا الجيش المصرى الثالث بأن التفتوا حوله . وقالت مصر ان مدن القنال ما دخلها من العدو داخل ، وأن الذى انتشر فى الصحراء غرب القنال من جيش العدو ما هو الا جيوب متفرقة تداخلت مـع القوات العربية هناك فى اختلاط . وأن الذى اقامه العدو حول الجيش الثالث ، واقله يوجد شرق القنال ، واكثره يوجد فى السويس وغرب القنال ، ما هو الا جدار هش يطيح به أى هجوم فى أى يوم . وجاء فى وصف الاذاعة البريطانية لهذا الجدار انه هش Fragile **.**

وهنا يظهر السؤال : لماذا تركت مصر هذا الجدار هشًا فلم تحطمه .

وتقول مصر : ان الجدار انما صنعته اسرائيل بعد قرار وقف اطلاق النار . وان مصر حسمت الامر من اول ساعة بقبول قرار مجلس الأمن ، وحرصت على أن تظهر للعالم دائما بقبول قرارات مجلس الأمن ، وتركت الأعداء يفعلون ما يفعلون ليؤكدوا للعالم مرة اخـرى ان اسرائيل ما احترمت قرارات مجلس الأمن قط ، وهى اليوم تسخر بقراره الأخير وفقا لعادتها .

لماذا قبلت مصر وقف القتال

نعود فى ذلك الى المؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس السادات فى القاهرة فى يوم الاربعاء ٣١ من اكتوبر ، وفيه يذكر سببين لقبوله وقف القتال . وان تكن احداث القتال خطيرة ، فحدث وقف القتال يقع فى القمة من هذه الأحداث .

قال السيد الرئيس انه قبل ذلك لسببين ، أولهما أن وثيقة قرار مجلس الأمن بوقف القتال تضمنت اعطاء العرب ما يريدون من رد ما اغتصبه الاسرائيليون من أرضهم اليهم، وغير ذلك من مطالبهم، وأن كل هذا كاف مع ضمان النفاذ الذى تعهدت به كل من الدولتين العظميين ، الروس والأمريكان . وحمل كل هـذه الضمانات الى الرئيس السادات رئيس روسيا السيد كوسيجين عند زيارته الطويلة لمصر . هذا عدا أن الوثيقة ما قدمها الى مجلس الأمن غير الدولتين العظميين .

وقال الرئيس السادات ان السبب الثانى لقبوله وقف اطلاق النار هو أنه لا يرغب فى حرب الولايات المتحدة .

هذان هما السببان المذكوران .

والاحظ ان السيد الرئيس لو وضع السبب الثانى اولا ، ووضع السبب الأول ثانيا ، لكان هذا الوضع اقرب الى الحقيقة . فالأسباب تتصل بمسبباتها، ولكن بعض هذه الأسباب أوثق اتصالا . ورغبة الرئيس عن محاربة الامريكان لعلها اقرب سببا .

ثم تغيير لا بد منه فى منطوق هـذا السبب . قال السيد الرئيس انه لا يود ان يحارب الولايات المتحدة . وهذا فى



الرئيسان عند التقائهما

العرف الدبلوماسي تعبير لبق جميل ، والموقف يحتاج الى اللباقة ، والسيد الرئيس معروف بلباقته في كل حديث . واشهد انا له بذلك . ولكن اصح من قوله انه لا يريد محاربة الولايات ، هو ان يقول : أنه لا يستطيع ان يحارب الولايات المتحدة ، وقد انقلبت محاربة اسرائيل

بادىء ذي بدء ، الى محاربة الولايات المتحدة بكل اثقالها .

وهنا اسمع بعض صقور العرب يقولون : ولكن مع العرب الروس .

والجواب على هذا : نعم ، ان الروس أعانوا العرب ، في حربهم هذه الطاحنة ،

بعد ايمان العرب بأنفسهم ، بالكثير . فمن أين جاءت الدبابات ، ومن اين جاءت الصواريخ ، وهي التي حصدت في الأيام القليلة الاولى لعبور القنال من دبابات العدو مائتين عداً . وهذا رقم ذكرته المصادر غير الموالية لنا .

ولكني اعلم كذلك ان الروس يفعلون هذا دفاعا عن كياننا ، وعن كيانهم أيضا. فنحن العرب ، تقع في الجنوب من أرض الروس . واسرائيل حربة زرعتها أمريكا في أرضنا ، أي في جنوب ارض الروس . فاذا سيطرت اسرائيل والامريكان على العرب عزلت روسيا عن آسيا وعن افريقيا ، يضاف هذا الى عزلها الواقع في أوروبا .

فمن صالح الروس الطبيعي أن ينتصر العرب ، ثم تكون موالاة العرب بعد ذلك لهم ، موالاة دولة لدولة .

معونة الروس الكبيرة للعرب اذن ، انما هي معونة لصالح العرب والروس على السواء . فاذا هم جاءوا الى مصر والى الشام وغيرها من الدول العربية يغيرون من سياسة الحرب ، فانما كان ذلك لسبب خطير ، يتهدد مصالحنا ومصالحهم معا ، ومصالحهم هم لها السبق على كل حال .

ومن البديهي أن مجابهة تقع بين الروس والأمريكان ليست في صالح الروس . ولا حتى في صالح الأمريكان . لانها تؤدي الى خراب الدنيا .

فالروس يعينون العرب مخلصين ، ولكن الى حد ، تقف عنده الروس . ونقف نحن عنده معها اضطرارا . الا ان نجد للعتاد موارد من اهل الأرض اخرى .



عساف ياجوري قائد اللواء الاسرائيلي المدرع ١٩٠ وقد وقع في الأسر بعد أبادة مدرعاته ابادة كاملة على ايدي القوات المصرية في القطاع الاوسط من سيناء .

وآخرون رفضوا قرار وقف اطلاق النار

ان اختلاف الرأى ، بين اهل الفكر، اختلاف يدل على حياة بالفكر عامرة . والحياة اذا عَمُرت بالفكر ، تضاربت فيها الأفكار . فهذا حكم الطبع فيها . والأفكار اذا انسجمت دائما ، وتوحّدت، أوشك الانسان أن يرتاب في ان وراءها قسرا ، او ان وراءها الزاما ، او ان وراءها ارهابا . ومن أمثلة ذلك ان نسمع ان رئيسا في امريكا او آسيا او افريقيا فاز في الانتخابات بنسبة ٩٩ر٩٩ في المائة من أصوات الناخبين . نسمع ولا نؤمن لعلمنا بطبيعة الفكر في الناس ، وبطبيعة الفكر في أهل الفكر خاصة ، وانه لايتوحد الى هذا الحد ابدا .

وقديما قال القائلون : اختلاف الناس رحمة .

وذكرت اختلاف أهل الفكر ، وتركت



طائفةمن اسرى جيش اسرائيل وقعت فى ايدى القوات المصرية بعد ان تحطمت اسطورة الجيش الذى لا يقهر.

من ليس من اهل الفكر ، عامدا . لأن الذى يقبل عن هوى او يرفض عن هوى ، فى مسائل خطيرة كالتى نحن فيها ، ليس مما يعنينا فى هذا الحديث . ان الاختلاف ، عن منطق ، سليم او حتى غير سليم ، مقبول ، ما دامت النية الطيبة تصحب صاحب الرأى .

وادخل فى ذكر من رفضوا قبول وقف اطلاق النار ، لأقول انه كان لهم فى ذلك منطق ، سلم كله او لم يسلم . واعجبنى من بعض من رفضوا وقف اطلاق النار ، وقد قبلته الدولتان العربيتان المتحاربتان الاساسيتان ، انهم خشوا انشقاق الرأى ، فرقة فى الجماعة ، فصحبوا اعلان رأيهم بالرفض ، التزامهم بوحدة الصف العربى ، تلك الوحدة التى كانت سببا ضخما لكسب كسبه العربى المعاصر ، فى هذه الحرب الطاحنة ، اقله عودة الثقة فى نفسه ، وفى العروبة ، اذ استيقظت اصالة العربى وثقافته وقدرته على احتمال الاثقال التى سوف تراكمها على كتفيه الايام ، بدخوله العصر الحديث ، يتقدم فيه مع طوائف البشر ، على التحضر ، ومع الايمان بالله ، الى حيث تريد الاقدار للانسان ان يسير .

قال الرافضون

قال الرافضون ان قرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ ، ذلك الذى تذكره الدول دائما على انه اساس لتسوية سلمية ، هذا القرار ، اهم بنوده يقول بسحب القوات

المسلحة الاسرائيلية من أراض احتلتها في قتالها مع العرب .

وفي هذا النص ابهام يتيح للاسرائيليين ان يتهربوا منه فلا يجلون عن كل الأرض العربية . فالقرار يقول عن (ارض) ولم يقل عن (الأرض) . ورأى وزير خارجية اسرائيل ان هذا الابهام كان مقصودا ليعني عدم خروج اسرائيل من كل الارض التي احتلتها في حرب عام ١٩٦٧ ، واسماه بالابهام البناء Constructive Ambiguity .

وفي يولية الماضي عرض على مجلس الأمن نص يفيد ازالة هذا الابهام ، فوافق الأعضاء جميعا على أنه يعني النزوح عن كل الأرض . ونقضته أمريكا وحدها نقضا ، فأبطلته ، وذلك مسايرة لاسرائيل .

فامريكا اذن لا ترى نزوح اسرائيل عن كل الأرض العربية التي احتلتها .

وهذا عزز رفض الرافضين لوقف اطلاق النار .

فهل من ضمانات الروس ، التي حملها كوسيجين الى السيد الرئيس السادات ، ان امريكا اصبحت تفسر الآن منطوق قرار رقم ٢٤٢ كما يفسره العرب ، وعلى نقيض ما كانت ارتأته في يوليو هذا الماضي ؟!

ويلاحظ في هذا الشأن أن السيد الرئيس السادات ، عندما التقى بالصحفيين ، العرب وغير العرب ، في مؤتمره الصحفي الشهير ، لم يعتمد في تقرير انسحاب الاسرائيليين من جميع الأرض العربية على هذا البند من قرار رقم ٢٤٢ ، ولكنه اعتمد على بند آخر من القرار يقول انه (يؤكد على عدم السماح بتملك الاراضي عن طريق الحرب) .

وهذا وضع الريبة في قلوب المخالفين لوقف القتال ، فعندهم ان المسألة مسألة نقاش ، وان هذا الحوار سوف يظل ، حتى بعد وقف القتال ، قائما .

وسبب آخر لمعارضة المعارضين ، ذلك ضياع الثقة في الامريكان وفي الاسرائيليين ، وفي كل ما يقولون ان يعدون .

ثم القضية الفلسطينية لم يذكر ذاكر قولا صريحا مباشرا عنها ، الا استنتاجا .

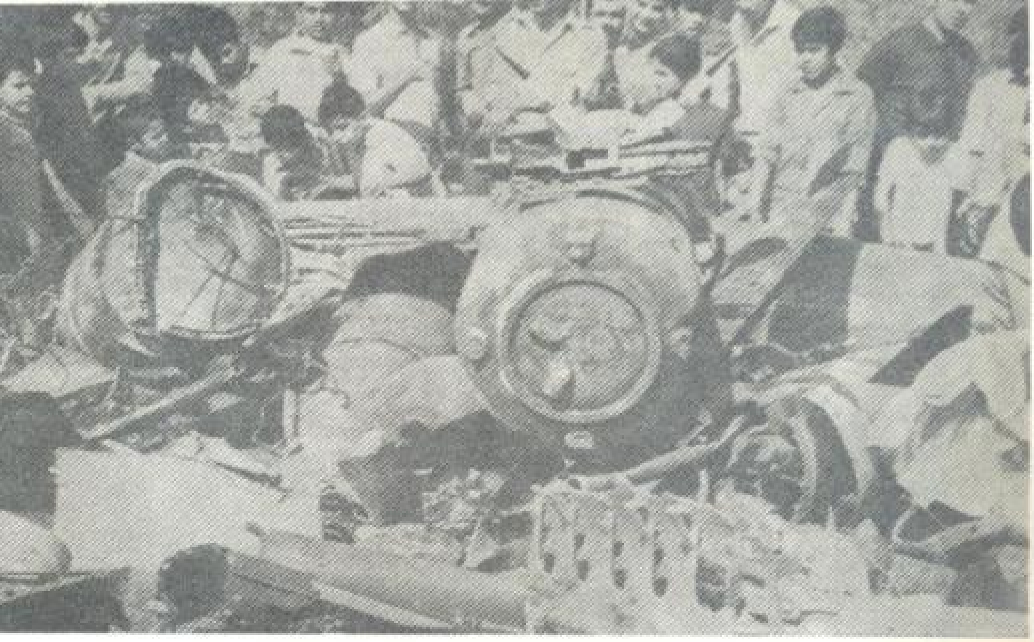
والحق اني ، لو شققت قلوب العرب جميعا ، من موافقين على قرار الوقف ، ومعارضين ، واخص الساسة والقادة ، لما وجدت في هذه القلوب لحكام الولايات ودا ، ولا فيها بهم ثقة ، بعد الذي جرى في ربع القرن هذا الذي مضى . ولكن للضرورات أحكام .

جفوة بين اوروبا والولايات

وجرت الأحداث ، فاحدثت ما تراءى لنا أنه بدء جفوة بين دول اوروبا والولايات المتحدة . . وهي بدأت عندما اخذت الولايات تنقل الى اسرائيل من عتاد حرب ، ومن رجال حرب ، على الأرض وفي البحر ، وفي الهواء كل ما تستطيع أن تنجد بها اسرائيل في محنتها التي كانت في الأيام العشرة الأولى او نحو ذلك من حربها مع العرب ، تلك المحنة التي كادت تنتهي باندحارها في الحرب لولا تدخل الأمريكان .

ونقل الأمريكان عتادهم ورجالهم من اوروبا ، وعبر أوروبا ، بدون استئذان ، وحتى دون اطلاع دولها على ما هم صانعون . وتصرفوا وكأن دول اوروبا بعض ولاياتهم ، فأثار هذا غضب القوم . نعم ان امريكا تحميهم من روسيا ، حقيقة او زعما ، بالصواريخ النووية ، ولكن ليس معنى هذا ان هذه الدول ، ولها تاريخها ولها عراقتها ، نزلت بها الذلة الى مراتب الخدم .

جرحت دول اوروبا في كرامتها ، وسمعنا اصواتا ترتفع تقول انها تأبى أن تستخدم أراضيها او بحارها أو هواؤها



حطام طائرة من طائرات اسرائيل اسقطتها وحدات الدفاع الجوى السورى فوق مدينة دمشق .. وفى الصورة بعض الشبان والصبية يشاهدون ما انجزه جيشهم الباسل .

فى نقل عتاد الى اسرائيل او رجال ، وان هذا يتنافى مع حيادها . واختلفت هذه الأصوات شدة ولينا . وكان من بينها صوت تركيا واليونان والاسبان ، وايطاليا ، وفرنسا ، والالمان . وكان آلم هذه الأصوات لأمريكا صوت الالمان ، المان الغرب ، على ما فيه من اين كثير .

واشتكى رئيس الولايات المتحدة شكوى مرة من تخلف دول اوروبا عن نصرة الولايات فى جهودها لراب الصدع الذى صنعه العرب بجدار اسرائيل حتى كاد ينهد .

وفى هذه الامسية التى أكتب فيها هذه السطور ، أسمع اذاعة لندن تعلن ، مفاجاة ، قرارا اتخذه وزراء الخارجية للدول التسع التي تتالف منهم السوق الأوروبية المشتركة ، وهى :

فرنسا ، انجلترا ، ايطاليا ، لوكسمبرج ، ايرلندة ، الدنيمرك ، هولندا ، المانيا ، بلجيكا . وهم جميعا حلفاء الأمريكان .

وكان هذا القرار مطالبتهم بالاجماع ، اسرائيل بالنزوح عن كل الارض العربية التى احتلتها فى يونيو عام ١٩٦٧ . عن كل الارض !!

وطلبت الى اسرائيل قبل ذلك أن يرتد جيشها الى الخطوط التى كانت له فى الموعد الذى ضربه مجلس الأمن لوقف اطلاق النار ، وذلك مساء يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ .

تغيرت وجوه أهل الأرض للعرب ، حتى كاد الناظر أن يلمح فيها ابتساما .

ووجوه اوروبا من اخطر وجوه اهل الأرض .

ومن وجوه الدنيا التى تغيرت
وجوه كريمة سوداء
تضمنت قلوبا طاهرة مطهرة بيضاء
فى افريقيا

هذا اذا وضعنا البياض فوق السواد قدرا .

والحق أن السواد أول ، والبياض طارىء .

ففي غيبة النور ، وهو مصنوع ، لا يكون الا الظلام .

والظلام ملء الأرحام ، والظلام ملء القبور . فالظلام اول والظلام آخر .

والمتنبي يقول :

انما الجلدُ ملبسٌ وابيضاض الـ
ـنفس خير من ابيضاض القباء

والعرب «ملبسهم» وقع بين النقيضين، فاذا هم انتسبوا ، كان لهم نصيب من النقيضين .

وأقول هذا ، تحية لأهل افريقيا ، ونحن منهم .

واحييهم لقطعهم حبالا تصلهم بأمة ، طلبت سبيلها الى الله ، ثم ضلت سبيلا . وهى قديما ضلت الى الله سبيلا .

شيئان
كسبا معركة العرب ويكسبانها
الوحدة
والزيت

كسب العرب فى الدنيا ما كسبوا لسببين :

أولهما : الوحدة الرائعة التى لم تتم فى سنة من السنين تمامها فى هذه الأيام، لقد سبق أن دعا الداعون للوحدة، فآمن قوم وكفر اقوام . فلما اشتدت الحوادث وتفاقمت الأخطار ، وتهددت موارد الحياة فى اشتات الوطن العربى ، وصاح الصائحون دَرَاكِ، قامت الجيوش تقتحم الميادين التى خوفوهم بها ، واقتحمتها الجيوش فذاق العرب لأول مرة حلاوة النصر ، واستشعروا رفقة العزة فى النفوس ، فآمنوا بالوحدة فزادوها وثاقة ، وزادوها روابط ، وزادوها شدة .

ولفت هذا أنظارَ العالم ، وهم كسائر بنى الناس تعجبهم الفتوة ، ويعجبهم الحق ، ولكن مع الفتوة .

ناصرت العرب كل دولة غير منحازة . وناصرت افريقيا. وناصرت أخيرا أوروبا، وهى حليفة أمريكا ، وناصر الروس وناصر حلفاؤهم ، ولم يبق غير مناصرين غير أهل الولايات المتحدة واسرائيل، ومعهم جنوب افريقيا .

ثم كان الزيت . وكانت حكمةُ العرب فيه . لم يحجبوه عن امم الارض حجبا ، ولكن نقصوه درجات ، ليطوهم الحرمان مذاقا مرًّا من بعد مذاق . وليس فى الحياة آلم من الألم . وليس كالألم فاتحا لبصيرة حالَ بينها وبين رؤية الحق ضبابٌ كثير .

فالوحدةَ والوحدةَ ، أيها العرب . هى حزام النجاة فى بحر الحياة المتلاطمة امواجه ، الخطرة رياحه ، البعيدة أعماقه .

ذقنا الكرامة مع الوحدة ، او ذقنا بعضها .

وسنستتم بالوحدة مذاقها .

وبضياع الوحدة تكون مرارة فى الأنفس شديدة عميقة ، لو كانت فى اللسان ما ذهبت بها حلاوةٌ يجتمع على استخلاصها النحل من زهر الأرض جميعه .

والعاقبة للصابرين . ●●

أحمد زكى

١٩٧٢/١١/١٠

الانسجام
مع الجماعة
سبيل العروبة الى الحياة

سألني سائل : ماذا تصنع ، اذا رأيت رأيا ، رأت الجماعة غيره ؟

قلت : اصدع برايي ، ثم اترك رجليَّ تسيران مع الجماعة حيث سارت .

قال : فاى تقليد هذا ؟

قلت : انه تقليد عربي اصيل ، نشا مع القبيلة ، وحيث القبيلة كانت ولاء واحدا ، وحيث القبيلة العربية كانت تهددها المخاطر من كل جانب ، كما تتهدد المخاطر الامة العربية اليوم

قال سائلى : والمنطق ، ما نصيبه والحق ، كم له ؟

قلت : المنطق يجوز عليه الخطأ والصواب ، والحق ابيض واسود كما يتراءى لك ولي ، وما بينهما من الوان . والمنطق يراه الف ، والحق يراه ألف ، اقرب الى الصحة من منطق وحق لا يراه غير فرد واحد .

قال : وما سجل العرب من ذلك ؟

قلت : فى الجاهلية قال دريد بن الصمة ، وقد اختلف مع قومه :

أمرْتُهمُ أمري بمنعرَجِ اللوى
فلم يستبينوا الرشدَ الاّ ضحى الغد

فلما عصَوني كنت منهم ، وقد أرى
غوايتهم ، او انني غير مهتدي

وهل انا الا من غزِيّة ان غوتْ
غويتُ ، وان ترْشُد غزيةُ أرشدِ

وفي عصرنا هذا الحديث قال محمود سامى البارودى ، وقد خالف العرابيين في ثورتهم ، مخالفة صح رأيه فيها او لم يصح :

نصحتُ قومي وقلت الحرب مفجعة
وربما تاح امرٌ غيرُ مظنون

فخالفوني وشبوها مكابرةً
وكان اولى بقومي لو اطاعوني

حتى اذا لم يعد فى الامر منزعةٌ
واصبح الشر امرا غير مكنون

اجبتُ اذ هتفوا باسمى ومن شيَمى
حفظُ الولاء وتحقيقُ الأظانين

احمد زكى

مؤتمر وزراء النفط
الذى دعت اليه
الكويت يقرر :

النفط العربى

- تغيرت الصورة واستطعنا استعمال النفط العربى سلاحًا ماضيًا فى معركتنا.

- تخفيض الإنتاج يتصاعد من ٥ الى ٢٥ فى المائة.

- توقف السيارات أيام الآحاد فى هولندا .. والغاء ٣٠٠ رحلة طيران داخلى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك نتيجة قطع النفط العربى عنهما.

يدخل معركة المصير

■ ان أوربا واليابان ، اللتين تحصل كل منهما على ٨٠٪ من بترولها من الشرق الأوسط ، كان يمكن ان تموتا متجمدتين من البرد Would Have frozen to death ما لم نصل الى تسوية لنزاع الشرق الأوسط .. ان قطع النفط العربى يعتبر من العوامل الرئيسية التى تطلبت التعجيل بشدة لبذل جهودنا لتسوية أزمة الشرق الأوسط .. »

هذا ما جاء على لسان رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية بعد اسبوع واحد من قرار تخفيض انتاج النفط العربى ..

محاولات لم يكتب لها النجاح

لقد حاول العرب استخدام « النفط » ثلاث مرات من قبل ، دون نتيجة .. المرة الاولى فى عام ١٩٤٨ والثانية فى عام ١٩٥٦ والثالثة كانت فى عام ١٩٦٧ عندما اجتمع وزراء النفط العرب لمدة سبعة أيام متعاقبة فى بغداد ، قرروا بعدها وقف ضخ النفط عن العالم .. الا ان الملوك والرؤساء العرب ، الذين كانوا مجتمعين آنذاك فى الخرطوم ، رفضوا قرار القطع ، ورأوا فيه أسلوبا سلبيا لا يخدم المعركة ، لأن دول المواجهة فى حاجة الى دعم مالى لتعيد بناء اقتصادها .. من عائدات النفط .

وهكذا تقرر استمرار انتاج وبيع النفط للعالم ، ودعم الدول العربية المتضررة بالمال ..

ولم يكن عند العرب ـ فى ذلك الوقت ـ الرصيد الكافى من اموال البترول لدعم الصمود العربى .. وكانت كميات النفط المطروحة فى الاسواق العالمية تفيض عن حاجة تلك الأسواق .. والدول الكبرى المستهلكة ما كانت تأبه لقطع النفط من دول عربية ، اذ كان بمقدورها شراء النفط من اية دولة اخرى : غير عربية .. وكانوا يقولون :

« ان العرب لا يستطيعون شرب نفطهم ، لهذا هم سيضطرون الى بيعه لنا ..

.. وتغيرت الصورة فى عام ١٩٧٣

أما اليوم ، وبعد مضى ست سنوات على نكسة حزيران ١٩٦٧ فقد تغيرت الصورة وتبدلت ، فالاستهلاك العالمى المتزايد من النفط ، زاد على كمية الانتاج ، مما جعل النفط مادة نادرة تنقص عن المطلوب منها فى الاسواق ..

والدول العربية اصبحت اكثر دراية بأمور النفط وكيفية استغلاله لصالحها .. والتطورات فى زيادة الاسعار ، التى ادت الى ارتفاع ثمن برميل النفط الممتاز من ثلاثة دولارات الى خمسة دولارات ، جعلت بمقدور دول النفط العربية تقديم الاموال بسخاء لدول المواجهة من اجل صرفها وقودا لمعركة التحرير .. أضف الى ذلك المعجزة التى حققها العرب باتحادهم ، لا سيما فيما يتصل بالنفط ، واتخاذه سلاحا أول من أسلحة الحرب ..

اجتماع وزراء النفط العرب

وكانت حكومة الكويت هى التى دعت ، بعد ثلاثة أيام من بدء معركة التحرير ، وزراء النفط العرب الى عقد اجتماع عاجل فى الكويت ، لبحث « دور النفط فى المعركة » ..

وحول مائدة مستطيلة ، فى قاعة صغيرة ، بالطابق الرابع من مبنى منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط فى الكويت ، جلس ١١ وزيرا عربيا ، تنتج بلادهم ١٨ مليون برميل من النفط الخام يوميا ، جلسوا وقد اتفقوا على شىء واحد لا خلاف عليه .. الحماس الذى كان يملأ صدورهم ، ولو أنهم

كانوا يتفاوتون في درجة الانفعال .. بعضهم كان يطالب بتأميم شركات النفط الاجنبية العاملة في البلاد العربية .. وبعضهم اقترح قطع النفط تماما عن العالم .. واخرون اقترحوا خفض انتاج النفط العربي بنسبة ٥٠٪ من انتاجه الحالي .. وبعضهم راى قطع النفط عن الولايات المتحدة فقط ، وعدم تخفيض الانتاج .. اقتراحات كثيرة كان الهدف من ورائها واحدا لا يتغير .. وهو وضع البترول في خدمة المعركة .

القرار التاريخي ..

واستمرت المناقشات يوما كاملا ، وعند منتصف الليل ، خرج المجتمعون ببيان تاريخي هام ينبغي دراسة كل كلمة فيه كي نفهم رسالته ، ومن أهم ما جاء فيه قوله :

« على الرغم من أن الجماعة الدولية عليها التزام بتنفيذ قرارات الامم المتحدة ، وعليها الا تمكن المعتدي من جني ثمار عدوانه ، والاستيلاء على اراضي الغير بالقوة ، الا ان معظم الدول الصناعية الكبرى المستهلكة للبترول العربي لم تتخذ اجراء او تصرفا يدل على شعورها بذلك الالتزام الدولي العام .. بل يبدر من بعضها ما يدعم الاحتلال ويقويه ، ونشطت الولايات المتحدة الامريكية قبل الحرب الحالية لمد اسرائيل بكل مصادر القوة التي تزيد من غطرستها ، وتمكنها من تحدي الحقوق المشروعة ومبادىء القانون الدولي العام التي لا جدال فيها ..

« لذلك فقد قرر وزراء البترول العرب ، المجتمعون هذا اليوم السابع عشر من اكتوبر بمدينة الكويت ، أن يبدأوا حالا في تخفيض انتاجهم بنسبة لا تقل في كل دولة عربية مصدرة للبترول عن ٥٪ من انتاج شهر سبتمبر ، ثم تطبق نفس النسبة كل شهر بالتخفيض مرة أخرى من انتاج الشهر الذي سبقه ، وذلك حتى يتم جلاء القوات الاسرائيلية جلاء كاملا من جميع الاراضي العربية المحتلة في حرب يونيو ١٩٦٧ واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .. وقد حرص المجتمعون الا ينال هذا التخفيض اية دولة صديقة ساعدت أو ستساعد العرب مساعدة مادية فعالة ، اذ يستمر امدادها بالبترول بنفس الكمية التي كانت تحصل عليها قبل التخفيض .. وسوف تعامل نفس المعاملة الاستثنائية كل دولة تتخذ اجراء هاما ضد اسرائيل لحملها على انهاء احتلالها للاراضي العربية المغتصبة .. »

لا نهدف الى معاقبة العالم

وعلق وزير المالية والنفط الكويتي ، السيد عبد الرحمن سالم العتيقي ، على هذا القرار بقوله : « لم نهدف من هذا القرار الجماعي الى معاقبة العالم ، بل هدفنا كان تعريف العالم بما تقاسيه نحن من ألم وظلم .. ان التخفيض جاء بشكل يمس الدول مسا خفيفا ثم يزداد مع الايام ، دون أن نهدم اقتصادنا العربي .. فالمعركة لا بد لها من وقود .. والمال هو الوقود اللازم لاستمرار هذه المعركة ..

« ان قرار تخفيض ٥٪ ـ لو طبق وحده ـ فهو كفيل باحداث رجة في سوق النفط العالمي ، قد لا تحس بها الدول في البداية ، لكن جميع دول العالم سوف تتأثر بها .. لاننا لو اخذنا نسبة الخفض واضفنا اليها نسبة زيادة الاستهلاك العالمي من النفط ، ومقدارها ١٠٪ سنويا ، لوجدنا أن التخفيض سيكون في حدود ٦ ملايين برميل من النفط الخام يوميا .. »

التخفيض يصل الى ٣١٪ و ٢٠٪

وبدات الدول العربية المنتجة للنفط في تنفيذ القرار ، واذا بها جميعا تبدأ بتخفيض انتاجها بنسبة ١٠٪ لا خمسة في المائة كما نص القرار ، وبعد عشرة ايام زادت المملكة العربية السعودية هذه النسبة الى ١٥٪ على أن تزيدها ٥٪ شهريا بشكل مركب ، حتى يتم جلاء القوات الاسرائيلية ويستعيد شعب فلسطين حقوقه المشروعة .

وفي نفس الوقت اوقفت معظم الدول العربية تصدير نفطها الى الولايات المتحدة الامريكية نتيجة دعمها غير المحدود لدولة العدوان ..

وامتد وقف تصدير النفط العربي الى هولندا ، لموقفها السافر مع دولة المسخ الصهيوني .

وهكذا ارتفعت نسبة اجمالي قطع النفط السعودي الى ٣١٪ من انتاجها الذي كان في شهر سبتمبر .. ووصلت هذه النسبة الى ما لا يقل عن ٢٠٪ في معظم البلاد العربية المنتجة للنفط .

الولايات المتحدة كم تاخذ من النفط العربى ؟

لقد حاولت الدعايات المضادة للعرب التهوين من عملية قطع النفط العربى عن الولايات المتحدة .. مدعية انه لا يمثل الا ٥٪ فقط من مجموع الواردات النفطية للولايات المتحدة .. ولكن الرئيس نيكسون أعلن ان ١٠٪ من وارداتالولايات المتحدة من النفط يأتيها من البلاد العربية .. ثم ذكرت هيئة الاذاعة البريطانية ان النفطالعربى يغطى حاليا ما يقرب من ١٨٪ من النفط المستهلك فى الولايات المتحدة .

والواقع انه من الصعب تحديد كمية النفط العربى الذى تستورده الولايات المتحدة فعلا .. فهو يصدر اليها على هيئة نفط خام ، وعلى صورة نفط مكرر ، يأتيها من المصافى الاوربية ، ومصافى البحر الكاريبى .

ولكن الذى لا شك فيه أن الولايات المتحدة الامريكية قد زادت وارداتها من النفط الخام خلال الاشهر الثمانية الاولى من عام ١٩٧٣ بنسبة ٥١ر٧٪ عما كانت تستورده فى نفس المدة من عام ١٩٧٢ .

وهكذا نجد ان سكان الولايات المتحدة الذين لا يمثلون الا ٦٪ من مجموع سكان العالم ، يستهلكون ٣٣٪ من نفط العالم !! .

الولايات المتحدة تستورد ٢٥٪ من زيتها نفطا عربيا

وفى عددها الصادر فى ١٧ يونيو ١٩٧٣ نشرت مجلة واشنطون بوست الامريكية الاحصائية التالية عن كميات النفط الهائلة التى استوردتها الولايات المتحدة خلال شهر مارس ١٩٧٣ مع بيان باسماء

الدول المصدرة :	الكمية بالبراميل
كندا	٣٩ ٦٣٨ ٠٠٠
فنزويلا	١٣ ٨٣٥ ٠٠٠
نيجيريا	١٢ ١٨٦ ٠٠٠
العربية السعودية	٩ ٣٨٣ ٠٠٠
ليبيا	٧ ٠٨٠ ٠٠٠
الجزائر	٥ ٢٧٩ ٠٠٠
اندونيسيا	٥ ٢٦٠ ٠٠٠
ايران	٤ ٦٨٠ ٠٠٠
اتحاد الامارات العربية	١ ٧٧٢ ٠٠٠
الاكوادور	١ ٧٥١ ٠٠٠
تونس	١ ٠٦٩ ٠٠٠
دول عربية أخرى	١ ٣٧٩ ٠٠٠
دول أخرى غير عربية	٢ ٧٦٣ ٠٠٠
المجموع	١٠٦ ٠٧٣ ٠٠٠

وهذا الجدول يوضح أن الدول العربية مجتمعة صدرت الى الولايات المتحدة الامريكية فى شهر مارس الماضي فقط ٢٥ ٩٦٢ ٠٠٠ برميل ، اى نحو ٢٥٪ من مجموع وارداتها النفطية ..

احتياطى النفط العربى

ان اعتماد العالم على النفط العربى حقيقة ثابتة ، فاوربا تستورد حاليا نفطا عربيا يعادل ٨٠٪ من وارداتها النفطية .. واليابان تستورد اكثر من ٤٠٪ من حاجتها من النفط العربى .

ويقدر الاحتياطى الثابت للنفط العربى بنحو ٣٩٠ بليون برميل ، من مجموع احتياطى العالم الذى يقدر بنحو ٦٦٧ بليون برميل ..

والدول العربية المطلة على الخليج العربى تتربع على ٥٥٪ من احتياطى النفط العالمى ..

وهناك بلد عربى واحد ، هو المملكة العربية السعودية ، يستطيع منفردا ان يسد اى عجز او نقص فى كميات النفط التى يستهلكها العالم .. اذ ثبت من آخر تقرير عن احتياطى النفط المختزن تحت ارض السعودية ، ان كمياته تبلغ نحو ١٥٦ بليون برميل .. وهذا يمثل نحو ربع احتياطى النفط المعروف فى العالم !!

وبالمقارنة نجد ان احتياطى روسيا ٩٥ بليون برميل ، واحتياطى الولايات المتحدة ٣٦ر٨ بليون، وامريكا الجنوبية ٣٠ر٦ بليون ، وكندا ١٠ر٢ بليون ، واوربا كلها ١٢ر١ بليون .. بينما يصل احتياطى الكويت الى ٦٤ر٩ بليون برميل (البليون يساوى الف مليون) .

طريق الاشواك

ان بعض دول العالم بدلا من ان تحل مشكلة دولة العدوان ، وتقف الى جانب العدل والحق ، نجدها تتمادى فى غيها ، ونجد امريكا بالذات ، تواصل مد ربيبتها بالعتاد ، حتى بعد قرار وقف اطلاق النار وبدا العالم يخصص مليارات الدولارات بحثا عن مصادر جديدة للطاقة بدلا من النفط ..

وبلغ الامر حدا افترضوا فيه احتمال قيام مجابهة واحتلال حقول النفط بالقوة ، وهذا امر عرض على بساط البحث الفعلي، وناقشته صحيفة الجارديان على صفحاتها ، ونسبت الصحيفة الى مساعد مدير المكتب الامريكي للاستعداد للطوارىء قوله : « ان هذا الاحتلال ، اذا تم ، سيتطور الى وضع تبدو فيه حرب فيتنام وكأنها نزهة !».

نتائج قطع النفط العربي

بعد مضى اسبوعين فقط على قرار تخفيض انتاج النفط العربي ، وقطعه عن الولايات المتحدة وهولندا .. بدأت آثاره تظهر في مختلف انحاء العالم ..

وكان الأثر الاكبر هو رفع الدول غير العربية لأسعار نفطها ، وفرضها الضرائب على تصدير النفط ..

فقد اعلنت كندا عن تخفيض ١٧٠ الف برميل يوميا من صادراتها النفطية الى الولايات المتحدة ، مع رفع الضريبة المفروضة على تصدير النفط الكندى الى الولايات المتحدة من ٤٠ سنتا ، الى دولار و ٩٠ سنتا عن كل برميل ..

وجمهورية فنزويلا رفعت سعر نفطها بمقدار ٥٦٪ ونيجريا ضاعف سعر نفطها ..

واندونيسيا رفعت السعر بنسبة ٢٠٪ ..

وفى يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٣ اعلنت الولايات المتحدة عن اجراءات مشددة فرضت بموجبها نظام الحصص على عملية توزيع البنزين وبترول الديزل ، ووقود التدفئة داخل الولايات المتحدة ، واعلنت شركات الطيران الامريكية انها قد الغت ٢٠٠ رحلة يومية من رحلاتها الداخلية ، لنقص وقود الطائرات ، وخففت الحكومة من تشديدها على قيود تلوث البيئة فسمحت باستعمال الوقود المحتوى على نسبة من الكبريت .. وامرت أن يستمر العمل بالتوقيت الصيفى طوال السنة ، مع تخفيض ساعات العمل ... وبدأت في طبع البطاقات لتوزيع البترول بمقتضاها .

كما شرعت فى دراسة خطة للطوارىء من اجل الحفاظ على الطاقة ، تشتمل على توجيه نداء الى الشعب الامريكي تطلب منه تخفيض سرعة سياراته الى ١٠٠ كيلو متر فى الساعة ليوفر ٢٥٠ الف برميل من النفط يوميا ، وتطلب منه تخفيض ٦ درجات فهرنهيتية فى مدفئته ليوفر ٥٠٠ الف برميل يوميا .. وتطلب منه أن يستعمل الماء البارد في غسل الملابس ليوفر ١٨٠ الف برميل من النفط يوميا !!

اما فى هولندا فقد منعت الحكومة سير السيارات الخاصة يوم الاحد ، وهاج الشعب فتراجعت الحكومة وسمحت بسير السيارات الخاصة لمدة ٣ ساعات فقط تبدأ من منتصف الليل حتى الثالثة صباحا فقط !! واستغاثت هولندا بدول المجموعة الاوربية لانقاذها من محنتها .. فظهرت مشكلة جديدة ، لانه اذا امدت الدول الاوربية ، هولندا بالنفط قطعته الدول العربية عنها ، واذا هي لم تفعل انقطع عنها النفط المكرر فى مصافى روتردام !!

التأثير السياسى لتخفيض النفط

اما التأثير السياسي لقطع البترول فقد بدأ يظهر فى هذا النشاط الدبلوماسي المكثف الذى لم يسبق له مثيل من اجل ايجاد حل لقضية الشرق الاوسط.. اجتماع لوزراء خارجية ورؤساء دول السوق الاوروبية المشتركة ، واصدارهم قرارا تاريخيا اكدوا فيه التزامهم ومطالبتهم بتنفيذ قرارات مجلس الامن .. اجتماعات متواصلة على اعلى المستويات فى واشنطون .. انشقاق فى حلف الاطلسى ، بين الدول الاوربية من جانب ، والولايات المتحدة الامريكية من الجانب الاخر

ان العرب باستعمالهم النفط سلاحا سياسيا واقتصاديا فى معركتهم ، فانهم يستعملون واحدا من اسلحتهم لتحرير وطنهم .. ومن الحماقة والسذاجة ان بعض الدول كانت تفكر أن العرب ما كانوا سيستعملون هذا السلاح لتغيير الموقف المتحيز لبعض دول اوربا وامريكا الى جانب اسرائيل

وفى يوم ٤ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٣ دعت حكومة الكويت ، وزراء النفط للاجتماع من اجل مراجعة النتائج التى ترتبت على استخدام البترول سلاحا فى معركة المصير ..

واجتمع الوزراء، للمرة الثانى مرة خلال ثلاثة اسابيع، واصدروا بعد منتصف الليل بيانا مقتضبا جاء فيه انهم تدارسوا الموقف واتخذوا قرارات فيها :

« ان يكون مجموع تخفيض الانتاج ، من كل

الاستيراد سيعادل الانتاج

يوضح الجدول التالـي مقدار تزايد حاجـةالولايات المتحدة من النفط فى السنوات القادمة (بملايين البراميل

السنة	الانتاج المحلى	الاستهلاك	الاستيراد
١٩٧١	٤ر٠٧٢	٥ر٥٥٣	١ر٤٣٢
١٩٧٥	٣ر٨٢٠	٧ر٢١٥	٣ر٣٩٥
١٩٨٠	٤ر٦١٠	٨ر٥٧٠	٣ر٩٥٢
١٩٨٥	٤ر٧٢٠	٩ر٥٥٥	٤ر٦١٥

من هذا الكشف يتضح ان امريكا سوف تضطرلاستيراد كمية من النفط تعادل انتاجها عام ١٩٨٥ .

دولة عربية منفذة للقرار هو ٢٥٪ من انتاج شهر سبتمبر ١٩٧٣ داخلا فيها الكميات المخصومةنتيجة قطع البترول من امريكا ومن السوق الهولندية ، لم يستمر التخفيض بعد ذلك . في شهر ديسمبر بنسبة ٥٪ من انتاج نوفمبر ، على أن لا يؤثر أى تخفيض على الحصة التى كانت كل دولة صديقة تستوردها من كل دولة عربية مصدرة للبترول خلال التسعة الاشهر الاولى من سنة ١٩٧٣ .

وتقرر ايفاد وزيرى النفط الجزائرى والسعودي الى العواصم الغربية لشرح وجهة النظر العربية .. كما تقرر عقد اجتماعات لوزراء النفط من وقت لآخر حسب الحاجة ..

ويحلو لبعض المعلقين القول : ان الدول العربية المنتجة للنفط ستتأثر دخلها المالي نتيجة تخفيض وقطع النفط ..

والواقعان التنبؤات المالية ـ السابقة لحرب ٦ اكتوبر ـ كانت تشير الى أن رصيد الدول العربية المنتجة للنفط سيصل الى ما يوازى أربعين الف مليون جنيه استرليني من العملات الصعبة ، اى اكثر من ربع الاحتياطى المالي للعالم !!

ترى ما الذى يدفع الدول العربية الى زيادة انتاجها من النفط ؟ وهل هي بحاجة الى هذا المال الزائد ؟

على هذا السؤال اجاب وزراء النفط العرب بقولهم :

« ان الدول العربية المصدرة للنفط تسهم فى رخاء العالم وازدهار اقتصاده بما تصدره اليه من هذه الثروة الطبيعية تلك التي ستنضب حتما على مر السنين ، فمن صالح هذه الدول أن تقتصد فيما تخرجه من زيت أرضها تحسبا لمستقبلها ، ومع ذلك تضحى بهذه المصلحة المستقبلة بزيادة انتاجها ، استجابة لمطالب التعاون الدولي ومصالح المستهلكين الحاضرة » .

العالم سيصبح أكثر اكتراثا

وكتبت مجلة نيوزويك الامريكية تقول : ان معظم الامريكيين لايهمهم قليلا او كثيرا ما يجرى فى الشرق الاوسط ما دامت بلادهم غير متورطةفي حرب هناك ، وان كان طبيعيا أن يكون اهتمام القلة اليهودية الامريكية بمنطقة الشرق الاوسط بالغا ، فقد جرت العادة دائما أن تكون للاقليات اهداف سياسة أكثر بكثير من الاغلبية التى تقف موقف اللامبالاة .. غير أن الاكثرية هذه قد تصبح الآن اكثر اكتراثا ، وقد يبدأ الكثير من الناخبين في الاهتمام بما يجرى في الشرق الاوسط ، لأن ما يجرى هناك سيؤثر على مدفئة العائلة وسيارة العائلة وصناعات الدولة عامة ، وان تسوية عربية اسرائيلية وفق شروط يقبل بها العرب ستصبح امرا مرغوبا فيه للغاية ، وسوف يكون هناك لاول مرة ، ضغط سياسي واسع الانتشار ، لتحقيق مثل هذه التسوية » ..

وهذا تماما ما يهدف اليه قرار « استخدام النفط العربي سلاحا » **فى معركتنا مع عدو دخيل يحاول ان يتبع سياسة** « القمع الدائم » **مستعينا بالسلاح الامريكي الاوربي . ومهددا العرب بقوله :** « سنسحق عظامكم .. سنريكم نجوم الظهر .. سنحول ايامكم الى ليال » .. ■■

(س٠ ز)

١٩٧٣/١١/٣

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

حـــرب :

اسـلاميات :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

فلســفة :

سياسة واقتصاد :

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

ALARABI — No. 181 December 1973 P. O. B. 748 — KUWAIT

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● « كنا نتساءل لماذا تأخرت العربي في ارسال بعثتها الينا ؟ » .. انها أمنية ابناء ظفار في أن يعرف اشقاؤهم العرب كل شيء عنهم ، بعد انغلاق أبدي لم يشهد انفتاحا الا منذ ثلاث سنوات فقط .. وهذه احدى بنات ظفار ، واسمها : خيار بنت مسلم ، تقرأ لاول مرة في المدرسة الجديدة

(انظر استطلاع ظفار ابتداء من ص ٧٢)

نتيجة مسابقة العدد ١٧٩

● حالت الحرب دون وصول البريد فمعذرة

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الأردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونغ ـ ص.ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

يوميات المعركة

في اسبوعها الأول

عن الصحيفة الاسبوعية
صحيفة صنداى تيمز البريطانية

ارسلت الى جبهات القتال كتابا ومراسلين امدوها بالذى راوه من اخبار، راينا تسجيل مقتطفات منها ، تسجيلا تاريخيا من السنة قوم محايدين .

« من ٦ الى ١٢ اكتوبر ١٩٧٣ » .

AELI WAR — HOUR BY HO

these were manoeuvres deceived the over-confident Israelis.

Although the theatres of battle are similar to those of the 1967 war, when Israel crushed Egypt, Syria and Jordan in six days, there the similarity ends. This time the idea of effortless superiority of Israeli firepower and military intelligence has not been fulfilled. The Egyptians and Syrians, fighting better than ever man for man, have had the taste of going forward. What is crucial, our reports show, is that they have also had the benefit of Russia's latest Surface to Air missiles (SAM 6) which have threatened Israel's strongest weapon, its air force. This is still th

« صنداى تيمز ١٤ اكتوبر »

ثقة اسرائيل بنفسها جاوزت الحدود

■ قالت الصحيفة فى مقدمة تقريرها الذى استغرق اكثر من سبع صفحات كاملة : « ان هذه الحرب،وهى الرابعة ، بين العرب واسرائيل، ليست حربا لم يحسب لها حسابها ، فهى قد بدات بخطة منسقة تنسيقا دقيقا من الناحيتين العسكرية والدبلوماسية بين مصر وسوريا .. ان

هذه الحرب كانت مفاجاة للعالم ومفاجاة لاسرائيل بصفة خاصة .. والغريب أن الحشود المصرية والاسرائيلية فىسيناء وفى الجولان كانت منالوضوح بحيث يمكن الا تخفى على احد .. ولكنها ثقة الاسرائيليين فى انفسهم ، وهى ثقة جاوزت الحدود المعقولة ، هى التى جعلتهم ينخدعون ويتصورون انها مجرد مناورات عسكرية لا اكثر ولا اقل ..

« وبالرغم من ان مسرح المعارك التى بدات يوم ٦ اكتوبر من عام ١٩٧٣ تشبه الى حد كبير مسرح حرب عام ١٩٦٧ ، عندما سحقت اسرائيل القوات المصرية والسورية والاردنية فى ستة ايام ، الا ان التشابه بين الحربين لا وجود له الآن .. ففى هذه المرة لم تتحقق فكرة التفوق العسكرى الاسرائيلى، فى القوة الضاربة ، وفى المخابرات العسكرية ،وهو تفوق كانت تدعيه اسرائيل لنفسها وحدها ، دون حاجة الى جهد يبذل لتحقيقه .

« ان المصريين والسوريين الذين يحاربون أفضل

من أى وقت مضى ، حرب رجل ضد رجل ، قد ذاقوا حلاوة الانتصار والتقدم .. هذا الى جانب المزايا التى حققها لهم ، كما تشير التقارير الصحفية ، أحدث صاروخ روسي ينطلق من الارض الى الجو ، وهو صاروخ سام ٦ SAM 6 ، فقد نجح هذا الصاروخ فى تهديد اقوى سلاح تملكه اسرائيل ، وهو سلاح الطيران .

« لقد فقدت اسرائيل حتى الآن ما يقدر بحوالى ٨٠ طائرة ولم يعد لديها اكثر من اربعمائة طائرة تقف ضد ٧٨٠ طائرة حربية عربية يساندها صاروخ « سام ٦ » .. اننا نستطيع أن نقول انه من الواضح ان اسرائيل قد اصبحت مكشوفةومعرضة لنفاذ الهجوم فيها فى اية حرب طويلة ، حتى لو استمرت عدة أسابيع فقط ، وخاصة اذا لم تصلها الامدادات من الغرب . ووراء هذا الخطر يكمن التهديد المتزايد الذى لاح فى عطلة نهاية هذا الاسبوع (١٤ اكتوبر ١٩٧٣)، باستخدام البترول العربى كسلاح جديد فى المعركة،وهو سلاح يمكن أن يوجه الى الدولة التى تعتمد عليها اسرائيل اعتماداً كليا فى امدادها بالمعدات العسكرية .. (الولايات المتحدة الامريكية) .

جهود مصر من اجل السلام

وتحدثت الصحيفة بعد هذا عن الجهود التى بذلتها مصر خلال السنوات الست الماضية بعد نكسة ١٩٦٧،وقبل اندلاع الحرب الاخيرة لاسترداد الاراضي المحتلة سلميا الى أن قالت : « وفى شهر فبراير من هذا العام ١٩٧٣ ، اجتمع السيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس المصري انور السادات لشئون الأمن القومى بمستر ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا ، وتم الاجتماع فى لندن ، وقدم حافظ اسماعيل سلسلة من المقترحات تهدف الى الوصول الى تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط » وبدا واضحا أن المقترحات قد اثارت اهتمام مستر هيث . وعندما اقتربت المحادثات بين الرجلين الى نهايتها ، قال حافظ اسماعيل يسأل رئيس الوزراء البريطانى : « هل هناك ما يمكن أن نفعله اكثر من هذا ، من أجل الوصول الى تسوية سلمية ؟ »

وقال هيث : « لا . لقد فعلتم كل ما فى وسعكم واكثر » .

ثم قالت الصحيفة الانجليزية : « وقد كانت زيارة حافظ اسماعيل هذه الى لندن جزءا من بادرة سلام حملها مستشار الرئيس السادات معه الى بون عاصمة المانيا الغربية والى موسكو ، ثم واشنطون وأخيرا الأمم المتحدة . »

« لقد انقضت ست سنوات على حرب ١٩٦٧ ، ولم تستعد مصر اى جزء من أراضيها التى احتلتها اسرائيل .. لقد كانت هناك مجموعة متنوعة من مقترحات السلام التى قدمت لانهاء الوضع الراهن فى الشرق الاوسط ، ثم ما لبثت كل هذه البوادر أن انهارت .. وقد كانت معظم الجهود الملحة تدور حول قرار الجمعية العامة للامم المتحدة .. وهو القرار رقم ٢٤٢ الذى وافق عليه أعضاء الجمعية العامة للمنظمة الدولية بالاجماع فى شهر نوفمبر من عام ١٩٦٧ . »

« وبعد مضي ست سنوات كاملة من الجهود الدبلوماسية غير المثمرة التى بذلتها الامم المتحدة، لم نر فى موقف اسرائيل الا مزيدا من التشدد ، فى الوقت الذى راحت المستعمرات اليهودية الجديدة تقام فى الجولان وغزة وشرم الشيخ وفى الضفة الغربية لنهر الاردن ، مؤكدة بذلك أن اسرائيل سوف تحتفظ بكل هذه الاراضي فى اية تسوية مقبلة !! »

« ومع حلول عام ١٩٧٣ ، وبعد بقاء جميع الاراضي العربية فى ايدى اسرائيل ، بدا واضحا أن حالة الركود قد أصبحت تامة وكاملة . ولكن الرئيس السادات قرر بالرغم من هذا ، القيام بحملة سلام جديدة . فقد ابلغ السادات مبعوثه حافظ اسماعيل باستكشاف كل امكانية تحقق الوصول الى حل سلمى . وقيل للمبعوث المصرى، انه اذا عجز الغرب عن حمل اسرائيل على القبول فورا بمبدأ الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة، فان مصر سوف تقبل انسحابا جزئيا من سيناء ، بشرط أن يكون مقرونا بوعد بالانسحاب التام فى النهاية من جميع الاراضي المحتلة ، مع استبعاد فكرة اجراء اية محادثات مباشرة مع اسرائيل » .

« وبدا مستشار السادات رحلته. وفي واشنطون، بدا له ان هناك شيئا من التعاطف مع وجهة النظر المصرية من جانب ريتشارد نيكسون الرئيس الامريكي، ووليام روجرز وزير الخارجية الامريكية في ذلك الوقت . حتى انه قال في ختام محادثاته مع الرجلين انها كانت محادثات ودية وموضوعية ومثمرة . »

« ولكن لم تكد تنقضي بضعة ايام ، حتى تبددت آمال المستشار المصرى ، فقد اعلنت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل ، عقب اجتماع لها بالرئيس الامريكي، امام نادى الصحافة الوطني في واشنطون، انها لن تقبل اجراء اية مفاوضات بشأن الموقف ، الا عن طريق محادثات مباشرة مع العرب . واضافت الى ذلك قولها « اما عن مرتفعات الجولان ، وشرم الشيخ ، فهما لن يكونا مجالا للتفاوض في اية محادثات مقبلة .. »

« وعندما اعقب تصريحات جولدا مائير ، صدور البيان الذى اعلنه الرئيس الامريكي نيكسون

نماذج من عنوانات المجلات الامريكية

Jerusalem: Waking Up from a Dream

القدس : صحوة من حلم
« مجلة تايم ٢٩ اكتوبر »

Cairo: A New Sense of Pride

القاهرة : شعور بالفخر جديد
« مجلة تايم ٢٩ اكتوبر »

WORLD AFFAIRS

A War That Broke the Myths

حرب حطمت الاساطير
« نيوزويك ٢٢ اكتوبر »

باعتزام الولايات المتحدة بامداد اسرائيل بثماني واربعين طائرة نفاثة اخرى ، تحققت أسوأ مخاوف الرئيس المصرى انور السادات . لقد بدا واضحا بعد ذلك أن الولايات المتحدة غير قادرة وغير متهيئة لممارسة ضغط كاف على اسرائيل . واذا كانت هناك لحظة بدت الحرب فيها امرا لا مفر منه ، فقد كانت هذه هى اللحظة . »

الحرب
اليوم الأول : لماذا أخذت اسرائيل على حين غرة

وقبل وقوع الانفجار بثلاثة أيام ، شوهدت القوات المصرية على الضفة الغربية لقناة السويس، وهى تعمل في اعداد القوارب المطاطية والقوارب الصغيرة والجسور التى تمتد فوق اقسام عائمة.»

« وعلى خط بارليف على الضفة المقابلة للقناة، كان من السهل على الاسرائيليين ان يروا الضباط المصريين وهم يصدرون أوامرهم الى جنودهم بالهجوم ، لافتين انظارهم الى مواطن الخطر والى نقط الدفاع الممكنة . »

« اما في مرتفعات الجولان التى تبعد حوالى ٢٥٠ ميلا (حوالى اربعمائة كيلومتر) الى الشمال الشرقى ، فقد ثبت من تقديرات موشى دايان نفسه انه كانت هناك « المئات » من فوهات المدافع التى ظهرت وهى موجهة الى القوات الاسرائيلية لعرض قوة الحشد الهائل للمدفعية والعتاد العسكرى السورى . »

« وبالرغم من هذا ، فقد ظل زعماء اسرائيل غير مدركين لخطورة الهجوم المرتقب ، حتى عندما اطلقت صفارات الانذار في معسكرات الجيش مساء يوم الاحتفال بيوم الغفران .. »

« فقد وضع الجيش النظامى الاسرائيلى في حالة تأهب .. ولكن الاحتفالات استمرت بلا توقف ، دون أى تفكير في دعوة الاحتياطى الى الخدمة العسكرية . »

« وقد أسف الاسرائيليون بشدة ومرارة لقرارهم هذا بتجاهل الخطر ، بعد مرور ليلتين على نشوب

الحرب ، عندما تمكنت المدرعات السورية من الوصول الى حافة التلال التى تشرف على بحيرة طبريا ، والى مسافة كادوا معها ان يشطروا القوات الاسرائيلية الى شطرين .

وفى القاهرة ، قطعت جميع محطات الاذاعة برامجها العادية لأول مرة منذ وفاة الرئيس السابق عبد الناصر ، وراحت تذيع الموسيقى العسكرية والاناشيد الوطنية التى تتخللها البلاغات العسكرية بين الحين والحين .

وفى الساعة الثانية وسبع دقائق بتوقيت جرينتش من بعد ظهر يوم السبت ٦ نوفمبر أذيع البلاغ العسكرى رقم ٥ ، وكان بلاغا موجزا اعلن فيه ان العلم المصرى قد رفع فى الضفة الشرقية لقناة السويس . »

« وقبل صدور هذا البلاغ بسبع دقائق ، اى فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت ، وبينما كان سيل كثيف من قذائف المدفعية السورية الثقيلة ينهال فجأة على المواقع الاسرائيلية ،وضح جليا مدى تعرض مركز اسرائيل للخطر . فقد كان السوريون يوجهون نيرانهم المكثفة تجاه النقط التى كانت الدبابات الاسرائيلية تتجمع فيها بسرعة لصد الهجوم .. ومن وراء عاصفة الغبار التى احدثها السيل المتدفق للقذائف السورية ، لم يتمكن القواد الاسرائيليون من تبين مراكز مئات ومئات الدبابات السورية المتقدمة . حتى لقد قال احد جنود الدبابات الاسرائيليين فيما بعد : « لم أكن أتصور ان هناك مثل هذا العدد الهائل من الدبابات فى العالم . »

وبعد أربع ساعات كاملة من القتال المستمر ادرك القواد الاسرائيليون انهم يواجهون موقفا حرجا عصيبا ، ولكنهم مع هذا حاولوا تهدئة الرأى العام فى اسرائيل . وفى الساعة السادسة والربع مساء القت جولدا مائير رئيسة الوزراء خطابا اذيع على الشعب الاسرائيلى وصفت فيه الهجوم العربى بانه « ضرب من الجنون » ، ثم راحت بعد هذا تبدى أسفها لاضطرارها الى دعوة مجلس الوزراء الاسرائيلى الى الانعقاد فى يوم الغفران .. »

« وقالت جولدا مائير فى خطابها : « ايها المواطنون فى اسرائيل ، ليست هذه هى المرة الأولى التى نواجه فيها اختبار حرب فرضت علينا .. ان انتصار قوات جيش الدفاع الاسرائيلى هو ضمان الحياة والسلام » .

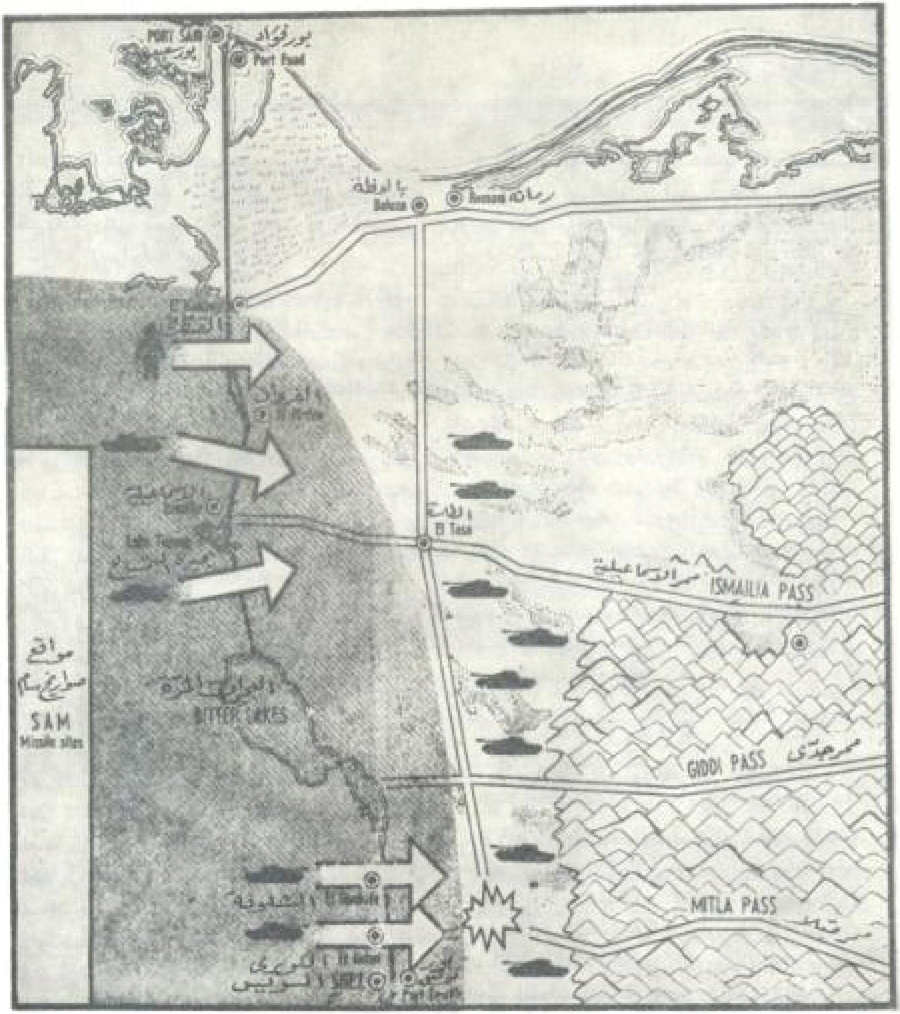
« وبعد فترة وجيزة من القاء رئيسة وزراء اسرائيل لخطابها ، اذاع موشى ديان كلمته .. وفى الماضى ، كان المتحدث الاسرائيلى يجد انه من النافع ان يؤكد ان خط بارليف من المناعة بحيث لا يمكن اجتيازه .. ولكن موشى دايان جاء اليوم ليعلن فى كلمته ان خط بارليف لا قيمة له .. الى ان قال : « انها منطقة شاسعة ، تلك التى نرابط فيها ، ولا يمكن بحال من الاحوال أن يحمى كل شبر منها .. اننا الآن ، ونحن نقوم بتعبئة قواتنا، سوف تتمكن اسرائيل بفضل قواتها الدفاعية من تجميع كل قوتها وتحييد المكاسب الصغيرة التى تمكن العرب من تحقيقها . »

اليوم الثاني
الدبابات السورية تثير الدهشة

« لقد اقتحم المصريون صحراء سيناء فى ثلاثة مواقع على امتداد قناة السويس التى يبلغ طولها مئة ميل .. المشاة فى القنطرة فى الشمال ، والمدرعات فى الاسماعيلية فى الوسط ، والمدرعات مرة أخرى فى الشالوفة وفى الكوبرى فى الجنوب وقد اقامت القوات المصرية ما بين ١١ و ١٢ جسرا فى هذه المناطق الثلاث ، مكنت عددا يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ دبابة من العبور الى الضفة الشرقية للقناة ، خلال الساعات القليلة الأولى من بدء القتال . »

« وفى المراحل الاولى للحملة ، لم يكن المصريون يحتمون بعد تحت مظلة قواعد صواريخهم من طراز سام تلك التى اقاموها على الضفة الغربية للقناة ، فقد مضوا يتوغلون فى عمق صحراء سيناء . »

« وفى صباح يوم الاحد ، قام ستون من جنود الكوماندوز المصريين بالاغارة بواسطة الطائرات



خريطة منقولة عن صحيفة صنداى تيمز الانجليزية تبين مواقع عبور قوات الجيش المصرى الى الضفة الشرقية لقناة السويس

الهليكوبتر على البلدة الواقعة على الطريق المحاذى للشاطىء فى الشمال ، كما قامت مجموعة اخرى من جنود الكوماندوز المصريين بالاغارة على بشر جفجافة ، وضربها من الجو .. وتعتبر هذه المنطقة الأخيرة ، قاعدة جوية اساسية لاسرائيل . وفى الوقت نفسه وجه المصريون ضربات اخرى الى منطقة الطاسة المقر المتقدم لقيادة القوات الاسرائيلية . »

« اما فى الجبهة السورية ، فقد أثار نظام وانضباط القوات السورية دهشة الاسرائيليين ، حتى عندما أعطبت بعض الدبابات السورية ، بقى افراد طاقمها بداخلها ورفضوا مغادرتها ، وظلوا يطلقون مدافعها فى الاتجاه الذى يسمح به التحرك

المحدود لهذه المدافع الى أن تمكن الاسرائيليون من تدميرها واحراقها تماما . »

« ولقد مضى السوريون في تقدمهم صباح يوم الأحد . حقيقة كان التقدم يسير بسرعة اقل عما كان عليه في اول أيام القتال ، ولكنها مضت تتقدم وسط القتال الدامى .. لقد كان حجم التقدم السورى غير قابل للصد بحال من الاحوال .. »

« حتى كان منتصف يوم الاحد ، عندما تمكنت الدبابات السورية من تطهير الطريق الأوسط حتى وصلت الى مسافة تبعد خمسة اميال من جسر « بنات يعقوب » . ولو أن هذا الطابور من الدبابات تمكن من الالتفاف والتقدم بضعة أميال أخرى الى الجنوب ، لكان السوريون قد استطاعوا الوصول الى الحافة التى تشرف على بحيرة طبرية .. ولقد كانت هذه هي اللحظة التى وصلت فيها قوات الاحتياطى الاسرائيلية من وادى نهر الاردن . »

« وبالرغم من الهجوم العنيف المضاد الذى قام به الاسرائيليون ، والمعارك الدامية التى دارت بين الجانبين ، فان السوريون لم يتقهقروا ، لقد بقوا متشبثين بمراكزهم حتى هبوط الليل . قال أحد كبار الكتاب الاسرائيليين العسكريين : « ان المواطنين في اسرائيل لم يدركوا ولم يشعروا اطلاقا بمدى الخطر المحدق بهم ، ولا بخطورة المعارك الدامية التى تخوضها قواتهم . »

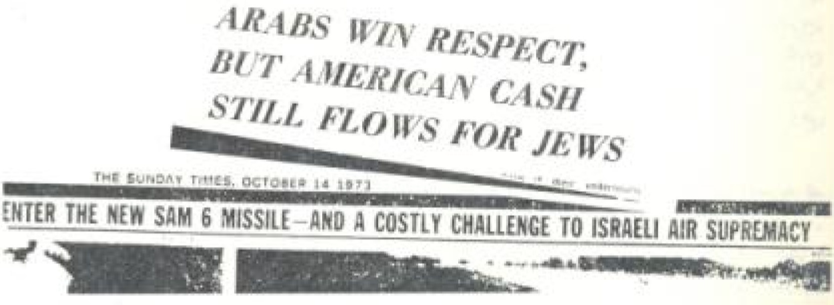
« لقد كانت هذه هى الحرب الأولى بين العرب واسرائيل ، التى لعبت فيها الصواريخ دورا هاما . ربما لا يكون هنا المجال الذى يتحتم علينا فيه أن نختبر دور الصواريخ ، ولكن الذى يجدر بنا ان نذكره أن هجوم الصواريخ الذى قامت به القوات السورية مساء يوم الأحد ــ ثانى أيام المعركة ــ هو الذى ارغم اسرائيل على الدخول في مغامرتها اليائسة على الجبهة السورية . »

اليوم الثالث
« الروح الجديدة للجيش المصرى »

« البادئون بداية طيبة ، ينتهون نهاية سيئة .. وسوف يتداعون بسرعة !! »

« كانت هذه هى نبوءة أحد الدبلوماسيين الانجليز في عمان ، عندما بدات القوات السورية تتباطأ بعض الشيء في تقدمها . وفي نفس الوقت طلعت صحيفة « جيروساليم بوست » بتصريح لأحد الضباط الاسرائيليين يصف فيه السوريين بالجبن .. وبالرغم من هذا فلم يسقطوا ولم يتداعوا ، لقد مضى الجنود السوريون يقاتلون ببسالة ووحشية يوم الاثنين ، ثالث ايام القتال . وأثارت هذه الروح الجديدة قلقا متزايدا في الزعامة الاسرائيلية » .

العرب يكسبون الاحترام ولكن الاموال الامريكية مازال تتدفق على اليهود « صنداى تيمز ١٤ اكتوبر »


ARABS WIN RESPECT, BUT AMERICAN CASH STILL FLOWS FOR JEWS

THE SUNDAY TIMES, OCTOBER 14 1973

ENTER THE NEW SAM 6 MISSILE—AND A COSTLY CHALLENGE TO ISRAELI AIR SUPREMACY

front

Arabs in fight for their self-esteem

"in the ... 1,100 tanks ... according 80 planes ... Israel had lost an estimated ... tanks left leaving it just over 400 against a remaining Arab force of 780—backed by SAM missiles. Israel is clearly vulnerable in a long war, even of weeks, and especially without supplies of materials from the West. A growing threat in the background this weekend is the use of Arab oil power, which can be deployed against Israel's chief supplier of war material, the United

العرب يقاتلون من اجل تحقيق عزة النفس « صنداى تيمز ١٤ اكتوبر »

« وقد كان من ابرز الدلائل التى اكدت تصميم السوريين وعزمهم على الاستمرار فى القتال ، ما سببوه من انهاك للقوات الاسرائيلية التى ظلت تحاول التقاط انفاسها يوما كاملا فى مرتفعات الجولان . وبينما كانت الدعاية الاسرائيلية تفاخر بقولها ان يوم الاثنين قد شهد دمار « القطاع الاوسط » للقوات السورية المتقدمة،فان الحقيقة للقوات المصرية فى الضفة الشرقية لقناة السويس، كانت تختلف عن ذلك تماما ، اذ لم تحرز القوات الاسرائيلية اى تقدم على الاطلاق فى ذلك اليوم ، وانها امضت اليوم كله فى اعادة تنظيم صفوفها.»

« لقد ظلت القوات السورية قريبة من وادى نهر الاردن ، مما اتاح لها اطلاق صواريخها من الارض الى الارض فى اتجاه وادى جزريل الواقع الى الشمال الأوسط من اسرائيل ، مما آثارمخاوف شديدة فى الحكومة الاسرائيلية وفى هيئة اركان حرب القوات الاسرائيلية ، من ان تؤدى الخسائر الفادحة فى الارواح بين المدنيين الاسرائيليين الى اضعاف روحهم المعنوية . »

« وحتى مساء يوم الاثنين كانت المدفعية السورية قادرة على توجيه ضربات قوية مضادة على مركز الحشود الاسرائيلية التي كانت تتجمع لمقاومة الهجوم السورى . ومن وراء الخطوط السورية كان الجرحي الاسرائيليون لا يزالون يلعقون جراحهم ، ولو ان مجموعة منهم تمكنت من الهرب من الحصار الذى فرضته القوات السورية عليهم، واللحاق بزملائهم » .

فى الجبهة المصرية

« اما الجيش المصرى ، فقد تحسن كثيرا جدا ، لقد ظل القتال العنيف دائرا طوال يوم الاثنين على طول جبهة سيناء . ويبدو ان هذا اليوم هو الذى شهد التدمير الكامل للواء رقم ١٩٠ للمدرعات الاسرائيلية ،التي اسر قائدها ، ونقل الى القاهرة حيث عرض فى التلفزيون فى اليوم التالي » .

« وفى اليوم الثالث للحرب ، كانت مجموعات الدبابات المصرية فى صحراء سيناء تقوم بمناورات فى الليل من اجل تحقيق مزايا جديدة ، وبلغ عدد الدبابات والمصفحات المقاتلة اكثر من ٧٠٠ وحدة ، احتشدت فى منطقة يبلغ طولها ٦٠ ميلا وعرضها ٢٠ ميلا فى كل من الاتجاهين » .

« وكان يعقب هذه المناورات التي تقوم بها المدرعات المصرية فى كل مرة ، قصف قوى بالمدفعية من الجانبين المتحاربين اللذين كان كل منهما يستقل اول خيوط النهار فى البدء بهجوم جديد . وفى اذاعة لراديو اسرائيل فى الساعة السابعة و ٢٦ دقيقة بتوقيت جرينتش من صباح يوم الاثنين ٨ اكتوبر ، وصف المذيع منطقة القتال ، بانها قد اصبحت خطا من اللهب » .. والواقع انه لم تكن هناك اية محاولة لاخفاء الحقيقة، وهي ان المصريين جنود « بواسل Formidable » فقد قال المذيع فى راديو اسرائيل : « اننا نواجه معركة خطرة تقاد بفضل تعبئة الجهود فى جبهتي القتال ، وهي تعبئة لها شانها وخطورتها » .

« واذاع راديو القاهرة ان القوات المصرية قد استعادت القنطرة ، وكان الخبر صحيحا . « وادعت اسرائيل مرة اخرى ان ضرباتها الجوية قد دمرت الكثير من الجسور التي اقامها المصريون

على القنال ، ولكن اسرائيل عادت واعترفت بان المصريين يقومون باعادة بناء هذه الجسور مرة اخرى » .

« وكان قواد الدبابات الاسرائيلية الذين يتركون معركة سيناء لاعادة تسليح دباباتهم وتزويدها بالوقود من جديد ، يعترفون بان المشاة المصريين يسببون لهم متاعب خطيرة بفضل الصواريخ المضادة للدبابات والموجهة .. لقد كانت هذه الصواريخ تستخدم بشجاعة ودقة اكبر بكثير مما كانت عليه فى عام ١٩٦٧ » .

« ان الجيش المصرى مدين بهذه الروح الجديدة لرجل واحد، هو « الجنرال » ، اللواء سعد الدين الشاذلي ، قائده خلال العامين الاخيرين .. والشاذلى « جنرال » سياسى ، وهو من « الصقور » المعروفة ، منذ وقت طويل ، وكان يضغط باصرار للهجوم على اسرائيل » .

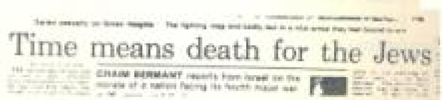
« لقد تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤٠ ، وهو من المحاربين الذى شهدوا الهزائم الثلاث الماضية امام اسرائيل . فقد كان قائدا لفصيلة فى عام ١٩٤٨ ، ثم لسرية من جنود المظلات فى عام ١٩٥٦ ، ثم قائدا لفرقة فى عام ١٩٦٧ » .

« وعندما قطع الاتصال بقيادته وهزمت بالمنطقة الشرقية لسيناء فى حرب الايام الستة ، تسلل الشاذلي متخفيا واستطاع ان يفلت من الاسر ، وراح يشق طريقه فى الصحراء عائدا الى مصر مخترقا الخطوط الاسرائيلية » .

« وقد عرف الشاذلى ببساطته ، وهذا قربه الى جنوده ، فهو يرتدى بيريه فوق راسه ، وبدلة عسكرية بسيطة وحذاء ذى عنق طويل ولايضع على صدره سوى شارة جنود المظلات ، بدلا من الاوسمة والنياشين الذهبية التي يمكن ان تزين صدره » .

الوقت يعنى الموت لليهود

« صحيفة اوبزرفر الانجليزية ١٤ اكتوبر »



« وفى شهر مايو الماضي ، افتتح الشاذلي بنكا للدم بان تبرع بكمية من دمه ، وهي وان كانت لفتة بسيطة الا انها كانت الاولى من نوعها فى الجيش المصرى » .

« وفى يوم ٢٣ ابريل الماضي ، وعلى اثر فشل المحاولات الدبلوماسية لحل الازمة، القى الشاذلى خطابا عنيفا اعلن فيه « ان قرارا قد اتخذ لاحياء الجبهة الشرقية » . ولكن احدا لم يصدقه ، فقد تصور البعض ان الهدف من الخطاب هو مجرد رفع الروح المعنوية » .

« وفى الاسبوع الماضي ، شوهد الشاذلي قائدا للقوات المصرية فى الضفة الشرقية لقناة السويس. وقد يبدو هذا المنصب غير مناسب للقائد العام ، ولكن الذى حدث هو ان الشاذلي الذى شهد ثلاثة جيوش تذوب من حوله ، قد صمم على مايبدو، على الا يقبل اى عذر للتقهقر فى اى انهيار جديد » .

اليوم الرابع
السلاح الارضى ضد المعركة الجوية

« ان حرب ١٩٦٧ ، قد تركت اعتقادا ثابتا لدى اسرائيل ، يكمن فى تفوق قواتها الجوية . ولكن معركة الجولان التي دارت يوم الثلاثاء كانت تحديا باهظ الثمن حتى لهذا التفوق الذى كان يوفر الامن لاسرائيل » .

« ولمدة ٢٤ ساعة منذ بداية الهجوم المضاد ظلت الطائرات الاسرائيلية من طراز ميراج Mirages » تغير بسرعة فى اتجاه الشمال على ارتفاع منخفض فوق منطقة الجولان لضرب المدفعية السورية .

«ولكن هذه المحاولة اثبتت انها باهظة التكاليف، فقد حركت سوريا صواريخها من طراز سام ٦ « SAM 6 » ، ان هناك جانبين للحرب الجوية فى الشرق الاوسط .. الطائرات والصواريخ .. وقد ثبت ان الطيارين المصريين والسوريين قد دربوا على قيادة الطائرات افضل من اى وقت

مضى .. ولو ان عدد هؤلاء الطيارين ليس كبيرا . اما اسرائيل من الناحية الاخرى فلديها العديد من الرجال لكل طائرة واحدة كما ان قاذفة القنابل الفانتوم ، وهي سلاح اسرائيل الاساسي تعتبر من اكثر الطائرات الحربية فعالية في العالم. ان طائرة الميج ٢١ يمكن ان تتفوق على الطائرة الفانتوم في المناورات وفي القتال الجوى ، ولكن ربما تكون مهارة الاسرائيليين في قيادة الطائرات قد عوضتهم عن هذا العجز » .

« ان العجز الذى عانت منه اسرائيل حقيقة كان في الصواريخ ، وفي الصواريخ المضادة ، وقد اتضح هذا في الخسائر التي لحقت بالطائرات الاسرائيلية خلال الاسبوع الاول من القتال . وبالرغم من ان اسرائيل قد احاطت خسائرها الحقيقية بستار من الكتمان ، الا ان دوائر المخابرات الامريكية قدرت عدد الطائرات التي خسرتها اسرائيل باكثر من ٨٠ طائرة حتى الان، كلها سقطت اثر اصابتها بصاروخ « سام ٦ » .

« ان الفعالية المهلكة للصاروخ « سام ٦ » تستند الى حد ما على اساس استحالة التكهن بوجهته ، فهو يحمل محركا ذاتيا ، ويمكن تغيير موقعه من مكان لاخر في خلال دقائق معدودة . وهناك بعض الدلائل التي تشير الى ان السوريين لم ينقلوا صواريخهم الى جبهة القتال الا قبيل بدء الهجوم الاول مباشرة على الاعداء ولكن السر الحقيقي في فعالية « سام ٦ » هو سرعة انطلاقه الكفيلة باسقاط الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض ، بطريقة تضمن له الحصانة ضد التدابير الالكترونية المضادة » .

« وفي سيناء ، يوم الثلاثاء ، كان الحال كما هو في معظم ايام الاسبوع فقد اتضح للاعداء ان غطاءهم الجوى الذى زعموا انه لايقهر ابدا ، قد اصبح قليل الجدوى » .

فلقد كانت بعض طائرات اسرائيل التي لايزيد عددها على اصابع اليد الواحده تظهر بين الحين والحين على ارتفاع شاهق في السماء الصافية ، وهي تحاول الهرب ، بينما اعمدة الدخان الابيض المنبعث من صواريخ سام تنطلق الى اعلى ، وكان انفجار رؤوسها يحدث دويا يختلط بدوى الطائرات النفاثة . وكانت بعض الطائرات الاسرائيلية من طراز سكاى هوك Sky hawk ، تظهر فجاة فوق الرؤوس وتنطلق على ارتفاع منخفض فوق الصحراء، لتضرب اهدافا خارج نطاق « المظلة » التي صنعتها صاروخ « سام » المنتشر على الجانب الاخر للقتال . »

« كذلك بقي سلاح الطيران المصرى بعيدا عن الانظار معظم الوقت، ربما لكي يدخر نفسه للمعركة الفاصلة، اذا حول الاسرائيليون اهتمامهم الرئيسي عن سوريا . »

« لقد كان التهديد بسقوط المزيد من القتلى المدنيين في اسرائيل بفضل صواريخ « فروج » Frog السورية التي قذفت بها المستعمرات الاسرائيلية الزراعية يوم الثلاثاء ، هو الذى استفز اسرائيل الى الاقدام على اكبر مغامرة في الحرب . فقد قامت طائرات الفانتوم الاسرائيلية بعد ظهر يوم الثلاثاء بضرب المراكز السورية المزدحمة في دمشق وفي حمص . »

« وزعم الاسرائيليون ان جميع الاهداف التي تعرضت للضرب كانت اهدافا استراتيجية ، وان الضربات كانت « دقيقة ومحكمة » .

« ولكن المراقبين المحايدين اشاروا الى صحة الارقام التي اذاعتها سوريا عن خسائرها في ارواح المدنيين والتي قدرت بحوالي ..٢١ مدني ، وانه وان كانت بعض الاهداف التي ضربها الاسرائيليون في واقع الأمر اهدافا عسكرية، الا ان هناك اهدافا اخرى مدنية في ضواحي دمشق الانيقة » .

ثم تحدثت الصحيفة بعد ذلك عن الايام الثلاثة الباقية في الاسبوع الاول من القتال ، قالت : «لقد حدث اضطراب في القيادة العليا في اسرائيل. ان فشل المخابرات الاسرائيلية في التنبؤ بوقوع الهجوم على اسرائيل كان من بين الاسباب الرئيسية التي ادت الى هذا الاضطراب . ثم هناك ايضا

خطر الفدائيين الفلسطينيين الذى استحوذ على اسرائيل ، ثم تعهد حكومة النمسا بالا تجعل من اراضيها معسكر « ترانسيت » لليهود المهاجرين الى اسرائيل . اضف الى هذا حشد الصواريخ في الجيوش العربية ، وهو امر لم تكن تحسب له اسرائيل اى حساب » .

« لقد كان واضحا ان العرب يقاتلون بتصميم وعزم شديدين ، وكانوا يستخدمون في قتالهم معدات افضل » .

« اما الاسرائيليون فكانوا مصممين على ازالة خطر الهجوم العربي على حدودهم الشمالية ، فارسلوا طائراتهم لضرب المواقع غير العسكرية في سوريا . ضربوا محطات القوى الكهربائية . ضربوا منشآت البترول وضربوا مطار دمشق الدولي » .

« وفي فجر يوم الخميس، اى في اليوم السادس للقتال،ضربت الزوارق الاسرائيلية المسلحة موانىء اللاذقية وطرطوس وبانياس .. وفي بانياس ، التي يصب فيها البترول العراقي . احرق الاسرائيليون اثنى عشر ناقلة بترول . ثم اعقب الاسرائيليون هذا الهجوم ، بهجوم اخر على مستودعات تخزين البترول السورى بالقرب من مدينة حمص ، وكان هذا نذير شؤم لامريكا وللغرب ، وبدات فرنسا والسويد واستراليا تتحدث عن صرف البترول بالبطاقات » .

« وكان هذا اليوم هو يوم اتحاد العرب بحق . فقد بدأ التحرك الى توسيع نطاق استخدام سلاح البترول ضد الغرب » .

« وظلت الاخبار التي تزعج الاسرائيليين ، هي تلك التي تجيء من الجو .. انها اخبار الصواريخ سام ٣ وسام ٦ التي كانت ما تزال تسقط ضحاياها . لقد اعلنت مصر انها اسقطت ٢٣ طائرة اسرائيلية في هذا اليوم . وربما يقول الاسرائيليون ان في هذا الرقم بعض المبالغة، ولكن اسرائيل لاذت بالصمت ولم تعلق عليه بشيء »

« ان معظم الضحايا من الاسرائيليين ، كانوا من جنود الدبابات الذين اصيبوا بحروق فظيعة »

« لقد دافع السوريون عن اوديتهم بعناد واصرار ، ولكن الهجوم الاسرائيلي استمر بلا توقف ، واعلنت سوريا انها اسقطت ١٦ طائرة اسرائيلية مقاتلة » .

« اما في سيناء ، في اليوم السابع للقتال فقد بقيت الجبهة المصرية مستقرة صامدة واستمرت القوات المصرية والمعدات تتدفق على القطاع الشرقي لقناة السويس تحت جنح الظلام ، ثم اشتبكت القوات المصرية مع القوات الاسرائيلية تحت غطاء جوى من صواريخ سام » .

« ومع نهاية الاسبوع الاول من القتال كانت مصر وسوريا قد حققتا انتصارات عسكرية ، لم يكن الكثير من الناس يتوقعونها . وبالرغم من بعض النكسات التي اصيبت بها القوات العربية في الجبهتين ، الا ان العرب قد تخلصوا من العار الذى لحق بهم عام ١٩٦٧ . »

« وفي مجلس الامن ، وعندما بدات المناقشات تاخذ دورها من اجل تحقيق وقف اطلاق النار كان الحليف الوحيد القوى لاسرائيل بين اعضاء المجلس الكبار الدائمين ، الولايات المتحدة الامريكية ولا احد غيرها » .

الى هنا ينتهي تسجيلنا من الصانداى تايمز الى تاريخ ١٣ اكتوبر/١٩٧٣ .

عناية رجال الاعلام ، من صحفيين واذاعيين ، باللغة العربية ، ظهرت هـذه الايام واضحـة فى قولهم : الدولتان الأعظم !! انهمـا الدولتان العظميـان يا رجال . « العربى »

بالعدالة وحدها.. يصان السلام العالمي

بقلم : أحمد السقاف

■ حين نشرنا ما نشرنا في العدد السابق من هذه المجلة كانت غيوم الحرب تتكاثف على المنطقة العربية وقد ساورنا الشك في ان شيئا قد يحدث قبل صدور العدد ، فكان لزاما علينا ان نثبت التاريخ في نهاية المقال كيلا يظن القارىء اننا كتبنا تلك الآراء اثناء الحرب واننا لم نول أحداث منطقتنا ما تستاهل من الاهتمام . ان المجلات الشهرية تختلف اشد الاختلاف عن المجلات الإسبوعية وعن الصحف اليومية ، ولقد كتب في هذا كما تذكر استاذنا الكبير الدكتور احمد زكي ، فالمجلة الشهرية لا سيما مجلة كمجلة العربي ينتهي تحديد ما يجب نشره في عدد ديسمبر قبل حلول منتصف شهر اكتوبر ، وتبقي بعض المجالات الضيقة بعد ذلك في الملزمة الأولى المربوطة بافتتاحية رئيس التحرير ، وهذه الملزمة قد يتاخر طبعها حتى الاسبوع الاول من شهر نوفمبر ، وهي وحدها التي يستطيع رئيس التحرير استغلالها للاحداث قدر المستطاع ، لانه وحده الذي يستطيع أن يتاخر الى آخر يوم يقبل به الفنيون المشرفون على طباعة المجلة وليست الطباعة وحدها تتطلب هذا التبكير وانما هناك التجليد والاعداد للشحن الى كافة الاقطار العربية لتنزل بعد ذلك في اسواق الوطن الوطن العربي في وقت متقارب من الشهر المرقوم على الغلاف . فمعذرة منا الى كافة القراء لا سيما الذين اهتموا بما كتبنا في عدد نوفمبر ، ولنا العذر ان شاء الله من اولئك الذين تابعوا ما نشرنا اثناء حرب اكتوبر في صحيفة الرأي العام الكويتية ، وقد رأينا في تلك الفترة ان أحسن عنوان لتلك الخواطر اليومية التي نشرناها في تلك الجريدة هو « بعض ما اعتقد » ، وكانت تلك المقالات مساهمة قلمية متواضعة في حرب كنا نود ان نحمل فيها السلاح ونشارك اخواننا وابناءنا من جنود وضباط ، ولكننا فوجئنا كما فوجيء كل عربي وصدمنا كما صدم كل عربي بقرار مجلس الامن الداعي الى وقف اطلاق النار ، وكان العدو اول من أعلن عن قبوله بذلك القرار ، ولقد وضحت الصورة بعد ذلك فاذا بالاصدقاء قد اتفقوا مع الاعداء الذين وقفوا بكل ثقلهم مع الكيان الصهيوني على منع تلك الحرب المقدسة من الاستمرار ، كيلا يؤدي موقف الاصدقاء المؤيد للحق العربي وموقف الاعداء المؤيد للعدوان الصهيوني الى مجابهة بين الفريقين

العرب والسلام

ونحن العرب من اكثر شعوب الارض اهتماما بقضية السلام العالمي ومن اشدها مناصرة له ورغبة فيه ، غير اننا نرفض أن يتحمل الشعب العربي وحده ثمن السلام ، فيظل الشعب الفلسطيني مشردا عن وطنه ، وتظل ديارنا ومقدساتنا بيد الغزاة . ان السلام العالمي يجب ان يصان بردع العدوان وباعادة الحقوق المشروعة الى اصحابها الشرعيين ، ولا يجوز على الاطلاق ان يصان السلام العالمي بتشجيع المعتدين ، ولا بالاستمرار في تجاهل حقوق الشعوب . ان هذه الحجة التي يلجا اليها الاقوياء لفرض حلول مجحفة بالشعوب المظلومة يجب أن تكون مرفوضة. ان الامة العربية التي فرض الاستعمار الغربي عليها في عام ١٩٤٨ كيانا عنصريا فاشستيا قد ظلت

جسمُ الأمةِ العربيةِ يرفضُ أنْ يُزرعَ فيهِ جسمٌ غريبٌ ..

طوال ربع قرن ترفض قبول هذا الكيان ، وليس من المعقول ولا من المقبول ان يتجاهل العالم هذه الحقيقة . واذا كان جسم الانسان يرفض قبول القلوب المزروعة ، وهذه القلوب التي يزرعها بعض الاطباء انما هي لخدمة الجسم ، فكيف يمكن لجسم امة من الامم ان يقبل زراعة جسم غريب فيه لا سيما جسما كهذا الذى نتحدث عنه يحمل الهلاك لحياة الامة العربية ؟ !! .. ان الكيان الصهيوني منذ انشائه في قلب الوطن العربي حتى هذه الساعة قد برهن على أن الارض العربية اما انتكون للامة العربية واما أن تكون للنازية الجديدة التي تتمثل في الكيان العنصري الصهيوني المتغطرس، ولا يمكن على الاطلاق ان يقوم تعايش بين الامة العربية وبين العصابات العنصرية الصهيونية . انا لواثقون من ان اشد المتحمسين لهذا الكيان النازي لا يستطيع ان يقول ان على الامة العربية التي يزيد عدد سكانها على مائة وعشرين مليونا أن تنقرض وتزول من الوجود لتعيش على ارضها وتحت سمائها هذه العصابات الوافدة من كل صقع من اصقاع الارض . ان العرب منذ اقدم العصور قد احاطوا اليهود الذين عاشوا بينهم كمواطنين مسالمين برعاية ممتازة ، ولم يجد اليهود عند قيام محاكم التفتيش في اسبانيا ملجا لهم غير المغرب وتونس واقطار عربية أخرى ، فعاشوا بين العرب في امان واطمئنان ، والعرب اليوم لا يرفضون يهود البلاد العربية الذين يرغبون في العيش بسلام في فلسطين او غير فلسطين، وانما يرفضون العناصر الصهيونية الفاشستية التي قدمت الى فلسطين باسم الدين ، واقامت هذا الكيان العنصري الفاشستي على حساب شعب فلسطين .

رفض الاحتلال الصهيوني

انا نعلم أن المسلمين لهم الحق في المقدسات الاسلامية في مكة والمدينة والقدس ، ويعلم هذا جميع من في الارض ولكن هل يقبل العالم ان تتدفق الى مكة والمدينة ملايين المسلمين من ايران وافغانستان وماليزيا لتحتل مكة والمدينة وما جاورهما من الارض باسم الدين ؟ واذا كان للعرب الحق في رفض مثل هذا افلا يكون لهم الحق في رفض الاحتلال الصهيوني لفلسطين ؟ !! . ان الدين ما كان في يوم من الايام حجة لاحتلال اوطان الاخرين ، والا لحق للمسيحيين أن يزحفوا الى فلسطين بحجة انها كانت موطنا للسيد المسيح عليه السلام ومهدا للديانة المسيحية ، ونحن نعلم كيف قضى العرب على حملات الصليبيين الذين زحفوا الى فلسطين باسم التعصب الديني من اقطار اوربا ، وكيف قضوا ايضا على الوجود التركي في بلادهم والاتراك مسلمون وقد دخلوا البلاد العربية باسم الاسلام . ان الامة العربية لتعجب اشد العجب من التاييد الأعمى الذى تظهره بعض البلدان المسيحية للحركة الصهيونية، والعرب يعرفون وغيرهم لا ينكر ان اليهود من اشد اعداء الديانة المسيحية ، وهم قتلة سيدنا المسيح عليه السلام كما يعرف المسيحيون ، ولا ريب أن الاستعمار والامبريالية يتخطيان التعاليم المسيحية ولا يجدان غضاضة بعد ذلك بحسب تكوينهما في مباركة النزعة الصهيونية العنصرية الفاشستية .

انا نكتب هذه الخواطر والمذياع يبث احلام الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية كما نشرتها وكالات الانباء نقلا عن الصحف الامريكية ، وهذه الاحلام تتلخص في الاستعداد لعدوان جديد على الامة العربية ، فهم يقولون ان اسرائيل دخلت الحرب في السادس من اكتوبر وهي تملك خمسمائة طائرة والفي دبابة ، وأن على اسرائيل أن تستعد للمستقبل بالف طائرة وباربعة الاف دبابة ، ومعنى هذا الكلام ان اسرائيل غير مستعدة للعيش بسلام في المنطقة العربية لانها غير مستعدة لاعادة الفلسطينيين الى ديارهم ومنحهم كافة حقوقهم المشروعة ، واذا كان ذلك كذلك فما جدوى قرار وقف اطلاق النار ، وما فائدة الحلول التي تبناها مجلس الامن ؟ !! .

لقد قلنا في الخواطر التي نشرناها طيلة ايام الحرب أن اسرائيل ما زالت ذلك الكيان العدواني

التقطرس ، وان قرار وقف اطلاق النار ستفيد منه الى ابعد حدود الفائدة . لقد كانت اسرائيل قاب قوسين او ادنى من الانهيار ، ولولا تدفق السلاح الامريكي الى ميادين المعركة بشكل جنوني لما استطاعت ان تعبر قناة السويس من احدى النقاط الضعيفة وتصل الى البحيرات المرة بعد ان الحق بها جيش مصر هزائم موجعة في عبوره لقناة السويس وفي احتلاله لخط بارليف وبانطلاقه بعد ذلك الى اعماق سيناء . وبالرغم من استمرار الدعم الامريكي الهائل فقد كانت اسرائيل تترقب قرار وقف اطلاق النار خوفا من استمرار المعارك فمئات الدبابات الاسرائيلية قد سحقها الجيش المصري في سيناء ومئات اخرى من الدبابات سحقها الجيش السوري في الجولان وآلاف القتلى والجرحى قد سقطوا في الجبهتين ، وتساقطت طائراتها كالفراشات فعلا هذه المرة بفضل الصواريخ المتطورة . ان الامة العربية تستطيع ان تقذف الى جبهات القتال بموجات متلاحقة من الرجال ، ولها نفس طويل في استمرار القتال ، اما الكيان الصهيوني فقد كان يخشى اطالة الحرب ، فكلما طالت الحرب زادت خسائر العدو في الارواح ، ولقد كان العدو الاسرائيلي يخشى ان يلجأ العرب الى اطالة الحرب ، ولو لم يتخذ مجلس الامن قراره بوقف اطلاق النار لزحفت الى ميادين القتال جيوش عربية كانت تستعد للمشاركة في هذه الحرب ولم تستطع اسرائيل ان تخفي هلعها في اليوم الذي زحف فيه جيش العراق الى الجبهة السورية ، فكيف لو استمرت الحرب اسبوعين آخرين ، وخف الى ميدان القتال من كان يتحفز وكيف لو فتحت جبهة ثالثة شرقية ؟!! ..

التورط الامريكي في اسرائيل

ان الاهتمام الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية بما يجب ان تكون عليه قوة اسرائيل العسكرية في المستقبل لا يزيدنا نحن العرب الا تصميما على مواصلة الحرب ، ونحن نستطيع بما لدينا من ثروات هائلة ان نجعل بلدا كسورية تمتلك من السلاح بقدر ما يمكن ان تمتلك اسرائيل، وان نجعل قوة مصر العسكرية تفوق قوة اسرائيل بمراحل . واذا كانت الولايات المتحدة الامريكية قد سارعت في حرب اكتوبر الى انقاذ اسرائيل فهل تضمن اسرائيل استمرار هذا التورط الامريكي في المستقبل ؟ لقد اظهرت حرب اكتوبر اشياء كبيرة كنا لا نقدرها حق قدرها من قبل، ولعل ابرز هذه الاشياء ما يأتي : ــ

١ ــ ان العرب هم انفسهم ذلك الشعب الذي لا ينام على ضيم وان الموت لدى هذا الشعب اهون من احتمال الظلم .

٢ ــ ان المقاتل العربي هو نفسه ذلك الذي هد العروش وحطم الامبراطوريات وان النكسات لا تزيده الا مضاء وصلابة وعنفوانا ، وهو فوق ذلك يستطيع استعمال ادوات الحرب الحديثة ويتفوق في استعمالها .

٣ ــ ان جيش العدو الصهيوني قد منحته وسائل الاعلام الصهيوني هالة لا يستحقها ، فلقد ظهر في حرب اكتوبر انه لا يستطيع ان يقاتل في حرب مكشوفة ، ولولا الدعم الفاجر لانهزم هذا الجيش خلال اسبوعين اثنين ..

٤ ــ ان الامة العربية ــ وان اختلفت نظم الحكم فيها وظهرت بعض الشعارات والايديولوجيات في صفوف بعض ابنائها ــ امة واحدة تتناسى خلافاتها في الشدائد وتتسابق الى التضحيات .

٥ ــ ان النفط العربي سلاح فتاك خطير جدا تستطيع الامة العربية ان تمرغ به انوف الاعداء وما على العرب الا ان يكونوا يدا واحدة في استعمال هذا السلاح .

يد واحدة وصف واحد

ان على العرب في كل مكان ان يثبتوا للعالم اجمع انهم في جبهة واحدة من هذه المعركة المقدسة وعليهم ان يستعدوا كما يجب ان يكون الاستعداد. ان العدو الصهيوني وهو يتشبث بما ليس له حق فيه التزم حياة صارمة في تربية النشء عادت عليه بالكثير من النفع ، ونحن ارباب الحق المدافعون عن ديارنا وعن مقدساتنا ما زلنا نقدم رجلا ونؤخر اخرى في تطبيق ما يجب تطبيقه في تربية اجيالنا الصاعدة . لقد كتبنا بعد هزيمة حزيران في هذه المجلة وطالبنا الدول العربية بأن تبادر الى فرض التدريب العسكري على كافة الطلاب والطالبات في المدارس والجامعات وحذرنا من ان الوجود العربي يتعرض لغزو صهيوني عالمي

مدعم بالحقد الامبريالي الآثم . ولو سارعت جميع البلدان العربية الى تدريب فتيان وفتيات الشعب العربي لكان في الساحة العربية المقاتلة اليوم ملايين الشباب . ان الحرب الشعبية ضرورية في جميع الاوقات وهي سند قوى للجيوش النظامية وأساس متين للجبهة الداخلية ، اننا نطالب قادة هذه الامة من جديد بان يفسحوا المجال امام شبابنا المتحمس ليقوم بدوره في هذا الصراع ، فلدى الشباب العربي طاقات يجب استغلالها فيما يعود بالخير على الامة والوطن . ان كثيرا من الشباب يعيش عيشة كلها فراغ وضياع ، وفي الامكان ان نسد فراغ هؤلاء الشباب بالتدريب العسكري وبالتوجيه القومي والروحي . فالتوجيه الروحي وهو جزء لا يتجزأ من القومية العربية يجب ان يحتل اكبر قدر من اهتمامنا في عملية بناء هذا الجيل . ان الشعارات التي اطلقها بعض المخدوعين للتعتيم على النواحي الدينية يجب ان تتوقف . ان الدين الاسلامي يجب ان يغرس في قلوب ابنائنا وبناتنا منذ الصغر ، والدين الاسلامي دين سمح لا يحث الا على مكارم الاخلاق . انالعدو يتباهى بالصور التي التقطت لجنوده وهم يرتلون التوراة في جبهة القتال ، كما تباهى في حرب حزيران بصور وزعت لجنوده وهم يقبلون رمال سيناء بعد ان نزعوا الاحذية من ارجلهم . اننا لا نهتم حين يقرأ اليهود التوراة في جبهة القتال صدقا كان ذلك الموقف او تمثيلا ، اننا نعرف ان التوراة كتاب هؤلاء القوم ، الفه نفر من اليهود في بابل في عهد بختنصر ليحل محل التوراة التي انزلها الله على موسى عليه السلام ، ولا يهمنا ان يقبلوا رمال سيناء ما دامت مقدسة لديهم ولدينا ولدى المسيحيين ، ان المهم ان يتخلى هؤلاء القوم عن العنصرية والفاشستية وأن يعطوا شعب فلسطين حق العودة الى وطنه فلسطين .

رفض الاحتلال باسم الدين

ان الفلسطينيين لم يرتكبوا جريمة واحدة في حق اليهود ، فلماذا يغتصب اليهود وطن هذا الشعب ، ولماذا يحظى هذا الظلم بتأييد بعض الدول الكبيرة كالولايات المتحدة الامريكية . لقد قلنا اننا لا نمانع في أن يزور مكة والمدينة من يشاء ولكن الاحتلال باسم الدين لا يمكن أن يكون مقبولا على الاطلاق . ان الشعوب التي اعتنقت الديانة اليهودية في روسيا ودول البلقان والمانيا وبريطانيا والهند وغيرها من بلدان العالم لا يحق لها أن تزحف الى فلسطين باسم الدين ، والمنطق يقضي والعدالة تقضي كذلك ان تعيش هذه الشعوب في بلدانها لا ان تهاجر الى فلسطين لتطرد شعبا عاش آلاف السنين في أرضه . ان الدعم الامريكي لهؤلاء الغزاة يمكن ان يتوقف متى استمر العرب في معاملة الولايات المتحدة الامريكية بالمثل . وستضطر الولايات المتحدة الامريكية ان قابلها العرب عداء بعداء وابتداء بابتداء الى اتخاذ موقف مقبول يختلف عن مواقفها السابقة . ان من المهم ان يتوحد الموقف العربي ، فلدينا النفط ، ولدينا الارصدة الضخمة ، ولدينا المرات المائية الى كافة انحاء العالم ، ولدينا مائة وعشرون مليونا من البشر يحتلون مساحات هائلة من الارض ـ من الخليج الى المحيط ـ ذات خيرات وكنوز وطاقات مذهلة . اننا نستطيع ان تكاتفنا بصدق وباخلاص وبتصميم شجاع ان ننقذ الولايات المتحدة الامريكية من هذا الركوع الذليل للحركة الصهيونية ، ان الامة العربية مطالبة بان لا تقبل اى تقارب مع الولايات المتحدة الامريكية ما لم يتوقف الدعم الامريكي للكيان الصهيوني وما لم تبادر الولايات المتحدة الامريكية الى تعويض مصر وسورية عن كافة الخسائر التي لحقت بهما في حرب حزيران ١٩٦٧ وفي حرب اكتوبر ١٩٧٣ . ان الولايات المتحدة الامريكيةقد خططتلعدوان ١٩٦٧ وشجعت المعتدين على ذلك العدوان ، وفي حربنا هذه هبت تنقذ المعتدين من هزيمة محققة بما قدمت من طائرات ودبابات ومدافع وقنابل وحوامات وعوامات بالاضافة الى المتطوعين من ضباط وخبراء سلاح . ان مدن القناة التي هدمتها طائرات الفنتوم الامريكية ومدن سورية التي تعرضت للقصف البربري يحتاج تعميرها الى آلاف الملايين من الدولارات ، ولا بد كذلك من تعويض أسر الشهداء واسر الأبرياء الذين قتلوا بالسلاح الامريكي وبالخبرة الامريكية دون أن تكون بيننا وبين الولايات المتحدة الامريكية قضية تستحق بسببها هذا الانحياز وهذا العدوان ... ■■

الكويت ـ أحمد السقاف

الجولان

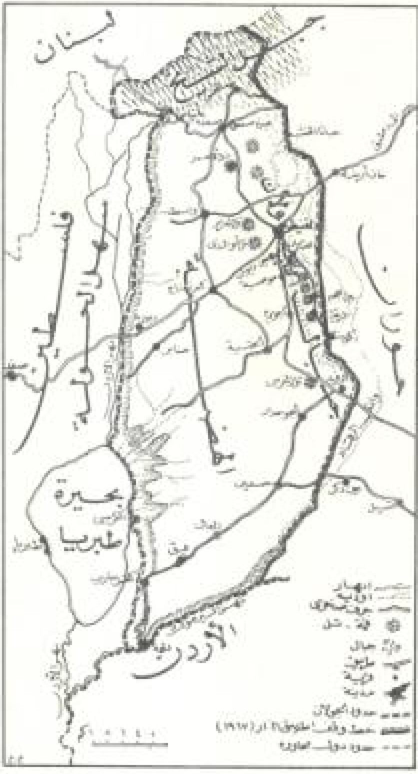
مسرح الجبهة السورية في الحرب بين العرب وإسرائيل

بقلم : الدكتور عادل عبد السلام

قسم الجغرافيا ـ جامعة دمشق والكويت

كانت الجولان احد المسرحين الكبيرين فى الحرب المصرية الحاضرة . ونقدم هناك لمحات عابرة عن هذه المنطقة من ارض سوريا . وفى العدد القادم ان شاء الله نقدم وصفا للمسرح الثاني للمعركة ، سيناء .

■ فى أقصى الجنوب الغربى من سورية تنتشر رقعة طولية من الأرض ، تشرف على فلسطين غربا وعلى أراضي المملكة الاردنية جنوبا ، وهى محافظة القنيطرة ، أو هضبة الجولان . وتكاد الحدود الادارية لمحافظة القنيطرة تنطبق على الحدود الجغرافية الطبيعية لما نسميه بمنطقة الجولان أو هضبتها . فتحدها السفوح الجنوبية الشرقية لكتلة « جبل الشيخ » ، أو « جبل الثلج » عند الجغرافيين العرب القدماء ، وهو الجبل الذى يشكل الحد الطبيعى الفاصل بين سورية ولبنان ، وينهض هذا الجبل شامخا شمالى منطقة الجولان الى أكثر من ٢٨٠٠م فوق مستوى سطح البحر ، حيث تسد الأفق قمم وصفحات بيضاء مكللة بالثلوج فى فصل الشتاء ، وسطوح جرداء رمادية تحززها الاودية التى رسمتها السيول بعد ذوبان الثلوج . أما من جهة الغرب حيث الأراضي الفلسطينية فان هضبة الجولان تشرف من عل على منبسط متطاول من الارض ممتد من الشمال باتجاه الجنوب هو سهل الحولة فى الشمال ، وبحيرة طبرية فى الجنوب. ويقع كل من السهل والبحيرة دون حافات هضبة الجولان وعند اقدامها بفارق ارتفاعات يتراوح بين





موقع منطقة الجولان من سورية



مقطع تضاريسي عبر مدينة القنيطرة في الجولان الشمالي



مقطع تضاريسي لجنوب الجولان

(٣٥٠ ـ ٦٥٠ م) مما دعا بعض المصادر وخاصة الغربية الموالية لاسرائيل تسميتها بالمرتفعات السورية لارتفاعها فوق الحُولة وطبَرية . علما بان هذه التسمية غير معروفة في جغرافية القطر السوري . لذا فان تسميتها بمرتفعات الجَولان او هضبة الجولان امر اقرب للواقع الجغرافي .

وتستمر الحافات الغربية للهضبة باتجاه الجنوب ، حتى مجرى نهر اليرموك الذي يمر وادبه ومسيله ضمن الصخور البركانية الاندفاعية السوداء القاسية ليرسم لنا الحد الفاصل بين الجولان في الشمال ، وهضبة وجبال عجلون الاردنية في الجنوب . ووادي اليرموك خندق طبيعي سحيق ، جوانبه شديدة الانحدار ، او قائمة بعمق قد يتجاوز ٣٠٠ متر احيانا . اما من جهة الشرق فيسير وادي الرقاد (القاف تلفظ كالجيم المصرية) ملتويا ليفصل بين منطقة الجولان في الغرب ، ومنطقة حوران في الشرق .

وهكذا تتخذ هضبة الجولان شكلا طوليا ممتدا من الشمال نحو الجنوب على مسافة تقدر بحوالي ٧٥ ـ ٨٠ كم خط طيران ، وحوالي ١٠٠ كم على الارض . اما عرض الجولان فيتراوح بين ٢١ كم على خط عرضي جنوب بلدة الرفيد ، و ١٣ كم في شمال المنطقة و ١١ كم في جنوبها . اي بوسطي عرض قدره (١٨ ـ ٢٠ كم) بصورة عامة . وتقدر مساحة الجولان بهذا الشكل بحوالي ١٨٠٠ كم٢ معظمها وقع عام ١٩٦٧ تحت الاحتلال الاسرائيلي .

ارض الجولان وطبيعتها

الجولان هضبة طبيعية أرضها مؤلفة من سطوح تتجه انحداراتها الطبوغرافية من الشرق نحو الغرب بصورة عامة ، حيث تتدرج الارتفاعات من علو يتجاوز الـ ١٠٠٠ م في

سلسلة جبال الجولان الشرقية ، الى حوالى ٢٠٠ ــ ٤٠٠ متر على الحافة الغربية للهضبة المطلة على بحيرة طبرية ، وعلى الحافة الجنوبية المشرفة على نهر اليرموك . لكن ارض الجولان في اقسامها الجنوبية الغربية تنخفض الى ما دون ذلك على ضفاف بحيرة طبرية حيث تقع الارض دون مستوى سطح البحر (مستوى سطح البحيرة هو ٢١٢م) . وهذا معناه أن حافة مرتفعات الجولان في الجزء الجنوبي الغربي منها ترتفع الى علو قدره (٥٠٠ ــ ٦٥٠ متر) . اما بالنسبة لانحدارات الارض على امتداد خطوط الطول ؛ فانها تتجه من الشمال من سفوح جبل الشيخ باتجاه الجنوب على طول وادى نهر اليرموك وروافده المختلفة . ومن ارتفاع ٢٠٠٠ م الى (١٠٠ ــ ٢٠٠م) او دون ذلك في وادى اليرموك ومنطقة الحمة . فشرقى الجولان وشماله مرتفع وجبلى ، وغربيه وجنوبيه منبسط هضبى منخفض نسبيا .

أضخم التلال

وتل (ابو الندى) هو اكبر واضخم واعلى التلال ، اذ تصل قمته الى (١٢٠٤ م) فوق سطح البحر ، والى اكثر من ٢٥٩٠ م فوق الاراضي المحيطة به . وهو يشرف على مدينة القنيطرة وسهل عين زيوان من جهة الغرب . واذا استثنينا الاجزاء الشمالية المؤلفة من اراض جبلية وعرة صخورها من الحجر الكلسي فان بقية الاراضي مركبة من صخور قاسية سوداء رمادية اللون ذات احجام متباينة تتراوح بين حجم قبضة اليد والمتر المكعب الواحد ، كلها نتاج الاندفاعات والثورات البركانية التى خمدت منذ الاف السنين في منطقة الجولان . وما التلال المذكورة الا المخاريط البركانية التى قذفت فوهاتها بالمهل الباطنى الذى انساح منها ، ليغطى ارض الجولان كلها تقريبا ، ثم تصلب وتبرد على سطح الارض ، وقدم لنا ارضا وعرة وقاسية جدا مغطاة بالاحجار الكبيرة . ويصعب السير عليها الا على امتداد الطرقات المتفرقة فيها.

وهذا الشريط التضريسي يرسم لنا حاجزا طبيعيا بين الجولان في الغرب وحوران في الشرق، مما يعطيه اهمية استراتيجية كبرى في القتال ، ويخلق مصاعب جمة أمام محاولة اختراقه من الجهة الشرقية ، مما يجعلنا نقدر عملية عبوره من قبل القوات السورية في المعارك التى دارت في المنطقة، وخاصة اذا أضفنا صعوبة الارض وارتفاعها ووعورتها كون مساحات منها مغطاة باحراج واشجار غابية تعرقل التقدم والمرور . اضف الى ذلك الخطوط الدفاعية والتحصينات التى انشأها الاسرائيليون على طول خط الجبهة السورية منذ عام ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ .

اما الجزء الغربى فهو اقل ارتفاعا ، وتكاد تكون الارض فيه خالية من فروق الارتفاعات الكبيرة . فالسطح يكاد يكون منبسطا تعلوه بعض التلال الصغيرة القليلة العدد والارتفاع فوق السطح العام . لكن الارض ما زالت مغطاة ببساط من الاحجار الكبيرة والصخور السوداء كما في المنطقة الشرقية. وهناكلما تقدمنا غربا باتجاه حافات الهضبة تاخذ اشكال" تضريسية جديدة في الظهور حتى تصبح مظهرا غالبا على الطبيعة ، وهى الأودية التى حفرتها السيول والامطار الشتوية . وعدد هذه الاودية كبير وتتجه من الشرق نحو الغرب والجنوب الغربى ، وهى تقسم الشريط الى السنة متطاولة من الرؤوس المتقدمة غربا والخلجان المتوغلة في جسم الهضبة شرقا. ان الاودية المذكورة تشكل عقبات طبيعية قاسية لمن يريد قطعها طوليا، بمحاذاة حافات الهضبة ، لكونها عميقة ، عميقة جدا (بين ١٠٠ ــ ٣٥٠ م) وضيقة (٢٥ ــ ٢٧٥) وتزداد صعوبة قطع هذه الأودية لكونها ذات جوانب شديدة الانحدار ، بل قائمة كالجدار تماما ، وبعلو" لا يقل عن ١٠ ــ ١٠ ــ ٣٠ ، ومن اهم هذه الأودية وادى (الفاجر) ووادى (حوار) ووادى (اليعربية) ووادى (السمك) . وتكثر الأودية وتكبر ابعادها في الزاوية الجنوبية الغربية من الجولان وعلى ضفاف بحيرة طبرية الشرقية وعلى الجانب الايمن لنهر اليرموك حيث تنتهى مياه وسيول الأودية .

ومنطقة الجولان مشوشة طبوغرافيا ، مؤلفة من مرتفعات ووهاد وأودية ، وسطحها وعر مغطى بالأحجار والصخور والحفر الصغيرة والكبيرة ، وكأنه وجه مصاب بالجدرى ، وكل ذلك من المظاهر المميزة للاراضي البركانية عادة . لكنها ، وبالرغم

من ذلك ، لا تخلو من بعض المساحات الصغيرة المنبسطة السهلية والتي استغلها الانسان لسكناه وممارسة الزراعة فيها : كسهل المنصورة ، وسهل عين زيوان ، وسهل الدلوة ، وسهل الخويخة ، وعين عيشة في الشرق ، وسهل الخشنية وسهل الرفيد ـ الجوخدار ، وسهل العال ـ فيق ، وسهل البطيحة (وهو اغنى سهل في الجولان) وسهل كفر نفاخ وغيره من سهول صغيرة اخرى .

الاوضاع المناخية في الجولان

تتنوع المظاهر المناخية في الجولان على مسافات قصيرة جدا ، مثلها في ذلك مثل تبدل المظاهر التضريسية على طول اقل من ٣٠ كم . فمن ينتقل من جبل الشيخ او جبال الجولان الى منطقة الحمة وضفاف طبريه يجد نفسه في مناخ جبلي بارد ثلجي في مناطق مجدل شمس ومسعدة والقنيطرة ، ثم في مناخ بارد ممطر في مناطق واسط ، وكفر نفاخ ، والخشنية ، ثم في مناخ رطب ممطر معتدل في البطيحة والحمة ، كما يعاني من مناخ حار شبه جاف في مناطق خشفين، والعال. واذا اردنا التعبير عن الاوضاع المناخية السائدة في الجولان بالأرقام وجدنا ان المناخ السائد هو الرومي (المتوسطي) الذي يتميز بشتاء ماطر وبارد نسبيا وبصيف حار وجاف . وتزداد الحدود المناخية في الجولان تطرفا ، بالنظر الى فروق الارتفاعات فيها . فالحرارات السنوية المتوسطة لمدينة القنيطرة تقع بين ١٤ ـ ١٦ درجة مئوية . وابرد الاشهر فيها هي اشهر كانون الاول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ، اذ كان معدل هذه الأشهر في سنوات متفرقة(٤ ـ ٥) درجات . اما اشد الأشهر حرارة فهو شهر اب (اغسطس) او تموز (يوليو) حيث يصل المعدل الوسطي الى ٢٣ ـ ٢٤ درجة. وترتفع الحرارات القصوى الى اكثر من ٣٥ درجة كما تنخفض الدنيا منها الى اقل من ـ ٥ درجات . ومدينة القنيطرة والقرى القائمة عند اقدام جبال الجولان وجبل الشيخ معروفة ببردها الشديد القارس في الشتاء.

اما بلدة الحمة وحماماتها فتعتبر مشتى لسكان الجولان ، ومدينة دمشق يندر ان تنخفض فيها الحرارة الشتوية عن ١٠ درجات .

ومع تزايد الارتفاع والبرد باتجاه الشرق والشمال تتزايد كميات الأمطار السنوية الهاطلة فتصل في مدينة القنيطرة الواقعة على ارتفاع ٩٣٥م ، الى ٨٠٠ ـ ١٠٠٠ ملم،وفي بلدة الخشنية الواقعة على ارتفاع ٧٦٠م الى ٦٠٠ ـ ٨٠٠ ملم وفي فيق الواقعة على ارتفاع ٣٢٢م الى ٣٢٠ـ٤٥٠ ملم . وتهطل الامطار في فصل الشتاء عادة بعنف وغزارة كبيرتين تعيقان التحرك والانتقال في المنطقة. ومما يميز الاجزاء المرتفعة التي تقع فوق ارتفاع (٥٠٠م) فوق مستوى البحر انها تتغطى في الشتاء ببساط من الثلوج التي تسقط عدة مرات في السنة وتدوم في كل مرة عدة ايام يتزايد عددها كلما ازداد الارتفاع . وهذه الثلوج من المناظر المألوفة لسكان قرى الجولان الشرقي والشمالي . ولقد استفاد الاسرائيليون من هذه الثلوج فانشأوا مركزا لممارسة رياضة التزحلق على الثلج في سفوح جبل الشيخ اثناء احتلالهم للمنطقة ويرافق ذلك كله حادث تشكل الضباب والندى لارتفاع نسبةالرطوبة الجوية في المنطقة لانفتاحها امام الرياح البحرية القادمة من الغرب والجنوب الغربي في البحر المتوسط عبر فلسطين الشمالي . ان الضباب وان كان حادثا معروفا في اواخر الخريف وطوال الشتاء واوائل الربيع ، فان الندى معروف في جميع فصول السنة تقريبا ، وله اثره الكبير على الزراعة وعلى المراعي التي تربى فيها قطعان الماشيةوالأغنام.

المصادر المائية في الجولان

تغذي مياه الامطار والثلوج الذائبة مصادر المياه المختلفة في الجولان . وتتمثل هذه المصادر في الينابيع والأنهار والسيول والبحيرات او الرامات (وهي البرك المائية التي تتشكل في الحفر الأرضية اثر هطول الأمطار) ، وتكثر الينابيع في الشريط الغربي من المنطقة ، حيث تنبثق المياه المترشحة في صخور الهضبة وجبالها الشرقية على شكل ينابيع كبيرة وغزيرة جدا كينابيع نهر بانياس في شمال غربي المنطقة وينابيع الحمة في اقصى جنوب غربي الجولان . كما تظهر

على شكل ينابيع صغيرة وعيون مائية على جوانب وبطون الاودية المختلفة عند اقدام حافات الهضبة وتماسها مع سهل الحولة واطراف بحيرة طبرية . وجميع مياه هذه الينابيع التي تتغذى بالمياه الباطنيةلهضبة الجولان تتجه نحو الحولة وطبرية، اى الى فلسطين المحتلة مباشرة ، عن طريق نهر الأردن وبحيرة طبرية ، او بصورة غير مباشرة عن طريق نهر اليرموك . وبالتالي فان القسم الاكبر ان لم نقل معظم المياه التي يعتمد عليها الاسرائيليون في حياتهم مصدرها المياه الآتية من الجولان وينابيعه ، فهو ، اى الجولان ، حوضة تجَمّعٍ عُليا لوادى نهر الأردن . ومن اهم هذه المصادر نبعْ بانياس الذى يقذف بحوالى ١٦٠ مليون م ٣ من الماء سنويا . ثم نبع البَرْجيّات وعينْ الكبش ، ونَبْعِ السّنابر والدّبّورة وغير ذلك من ينابيع اخرى . اما ينابيع الحمّة فهى من اشهر الجولان للفوائد الصحية ـ الطبية التي تقدمها مياهها ، وتقع على يمين نهر اليرموك في الأراضي السورية . وهي عبارة عن مجموعة مؤلفة من خمسة ينابيع مبعثرة على مساحة قدرها كيلومتر مربع تقذف بمياه معدنية دافئة حارة تتراوح حرارتها بين ٢٦ و ٤٩ درجة مئوية .

واخيرا هناك بُحيرة" طبيعية صغيرة وجميلة جدا في شمال الجولان هي بحيرة مَسْعَدة التي تشكلت في قلب فُوّهةٍ بركانية ذاتِ شكل بَيْضَوى ، ومساحتها كيلومتر مربع،هذا الى جانب مساحات عديدة متفرقة من المياه الراكدة التى تتجمع في المنخفضات المغلقة تشكل بركا ورامات تظل فيها المياه فترة طويلة من الزمن قبل تبخرها تحتشمس الربيع .

اما النباتات الطبيعية في الجولان فمتنوعة وكثيرة تشمل الأشجار الغابية في المرتفعات الشمالية والشرقية كما تشمل الاعشاب والحشائش المختلفة التي تغطي معظم اراضي الجولان في فصل الربيع ومعظمفصل الصيف بشكل كثيف من جراء الرطوبة العالية والندى الليلي . ولقد كان هذا الغطاء العشبي الدافع لتربية الابقار المعروفة بالأبقار الجولانية في سورية ، ولانتشار تربية الحيوانات الاخرى كالاغنام في الجولان . ومن اكثر الاشجار انتشارا فيالجولان نجد السنديانوالبلوطوالزعرور والاجاص البرى والخوخ البرى،ومن اهم الأحراش حَرْش مَسْعدة ، وحَرْشْ عينِ زيوان ، وحرش الموصية (الفسانية) وحرش الجَوْيْزة، وحرش البريقة ، وحرش بير عَجَم ، ومساحات صغيرة اخرى متفرقة في انحاء الجولان .

الأهمية الاستراتيجية للجولان

هذه الشروط الطبيعية الآنفة الذكر ، والطبيعة الأرضية بشكل خاص قد اعطت الجَوْلان اهميةً استراتيجية كبرى تمنح القوة المسيطرة عليها افضليات عسكرية عديدة بالقياس الى من يسيطر على سهل الحولة وطبرية في الغرب ، او على حوران في الشرق . ولقد ادرك الصهاينة هذه الاهمية وعملوا جهدهم وما زالوا يحاولون التمسك بالجولان

فمن بيده الجولان يهدد شمال فلسطين الممتدة اسفل جروف الهضبة ، وتكون جميع الأراضي الفلسطينية هنا تحت رحمة نيران مدفعيته . ليس هذا فحسب، بل يمكن للمدفعية الحديثة والبعيدة المدىوكذلكالصواريخالصغيرة انتصلمن الهضبة الى أعماق فلسطين المحتلة.واهم من ذا وذاكوقوع منابع مياه نهر الأردن في منطقة بانياس ونهايات جبل الشيخ الجنبية تحت رحمة المسيطر على هضبة الجولان ، وبالتالي تهديد الحياة في فلسطين المحتلة بامكانية قطع او تحويل مياه الاردن الأعلى عن الصهاينة . اما من ناحية الشرق فان للجولان اهميةاستراتيجية لا تقل عن اهمية القسم الغربي. اذ ان سلاسل جبال الجولان وتلاله البركانية وكتلة جبل الشيخ ـ تمنح القوات المرابطة فيها قدرة وامكانية السيطرة على سهول حوران وهضاب اقدام جبال الشيخ ، وتهديد حوض دمشق والتلال المحيطة بها . اى تهديد جنوبي سورية بصورة عامة . ان الشروط الجغرافية الطبيعية التي منحت الجولان هذه الاهمية الاستراتيجية بالنسبة للمسيطر على المنطقة لم تكتف بذلك ، بل منحته ميزة اخرى ، الا وهي ميزة الدفاع الجيدة عنها من جميع الجهات . فالجولان هي عبارة عن قلعة طبيعية كبيرة يسهل الدفاع عنها ويصعب القتال فيها . لذا فان دخول القوات السورية والعربية

الاخرى اليها بعد اختراق الجبال الشرقية ، يعتبر عملا عسكريا ناجحا .

اعمار الجولان وسكانها

تشير الآثار المعروفة في الجولان والتي اكتشفت فيها اثناء الاحتلال الصهيوني لها الى اعمارها القديم وسكنى الانسان فيها ، فقلعة نمرود قرب بانياس (وهي غير بانياس الساحل) ومغاور عكاش وآثار قرية الصرمان (العدنانية) تشير الى ان الجولان كانت تحت حكم الرومان . ثم دخلتها الجيوش العربية الاسلامية بعد معركة اليرموك في مطلع القرن السابع الميلادي . ومع وصول العرب المسلمين استوطنت بعض القبائل العربية المنطقة ، ومارست مهنة رعي الاغنام . ومن اشهر القبائل العربية التي لا زالت تعيش في الجولان نجد قبيلتي الفضل والنعيم، ومركز الاولى قرية (واسط)، ومقر الثانية قرية كودنة (النعيمية).وبالرغم من اهتمام هؤلاء السكان بتربية الحيوانات فانهم يهتمون بالزراعة ومشتقاتها ايضا .ولقد ازداد عدد سكان الجولان بعد سنة (١٨٧٨) للميلاد بوصول افواج من الشركس الى منطقة الجولان قادمين من اوروبا الشرقية ومن جبال القوقاز حيث مواطنهم الأصلية. وكذلك دخول بعض العناصر التركمانية وسكناها الجولان ايام العثمانيين وحكمهم لسورية.

اما بالنسبة لسكان الجولان واعدادهم بعد استقلال سورية وحتى عام ١٩٦٧ فيمكن القول بانهم قد تزايدوا بشكل كبير ، ففي خلال اقل من ربع قرن ١٩٤٦ ـ ١٩٦٧ تزايدت اعدادهم مرة ونصف المرة . ووصل عددهم عام ١٩٦٧ الىحوالي ١٤٠ الف نسمة، اي الكثافة السكانية كانت قريبة من ٩٠ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد . وهي كثافة عالية في المفاهيم الجغرافية . تزداد في منطقة القنيطرة وتقل باتجاه الغرب ، واذا اردنا معرفة توزع العناصر البشرية عدديا وجغرافيا ، وجدنا ان السكان العرب هم الغالبية المسيطرة ، اذ يبلغ عددهم حوالي ١٠٠ الف نسمة، وينتشرون في جميع انحاء الجولان في مدنه وقراه ومزارعه . وهم يدينون بالاسلام عدا اقلية صغيرة من المسيحيين كانت تعيش في مدينة القنيطرة . وتاتي الاقلية الشركسية في الدرجة الثانية من حيث الاهمية بعد السكان العرب . ويقدر عددهم عام ١٩٦٧ بحوالي ٢٣ الف الى ٢٤ الف نسمة ، ويعيشون في مدينة القنيطرة نفسها، وعدد من القرى المنتشرة على السفوح الشرقية والسفوح الغربية لجبال الجولان الشرقية وبراكينها . والشركس او (الشراكسة) كلهم من المسلمين الذين جاءوا الى سوريةوالاردنوتركيا بعد حرب قامت بينهم وبين القياصرة الروس دامت قرابة قرن من الزمن .

اما الاقلية التركمانية فقليلة الأهمية ولا يتجاوز عددها بضعة الاف وافرادها كلهم مسلمونويعيشون في قرى صغيرة تنتشر على طريق القنيطرة ــ جسر بنات يعقوب ، وخاصة في منطقة كفر نفاخ .

مراكز التجمعات البشرية في الجولان

بالرغم من ادعاء الصهاينة بان منطقة الجولان كانت قبل احتلالهم لها عام ١٩٦٧ خاليةمن السكان وعبارة عن صحراء صخرية حجرية سوداء ، فان عدد التجمعات البشرية فيها كانت حوالي ١٩٠ تجمعا بين مدينة ، وقرية ومزرعة ، وقد اكره الاسرائيليون سكانها على مغادرتها بقوة السلاح بعد دخولهم اليها . فنزح جميع السكان عدا القليل منهم من اهالي بلدة ومنطقة مجدل شمس في سفوح جبل الشيخ ويقدر عددهم بحوالي ٧ الاف نسمة فقط . اما اكبر مركز سكاني فهو مدينة القنيطرة التي ارتبط نموها بوصول المهاجرين الشراكسة ومجيء التجار الدمشقيين اليها. واخذت بالتوسع والازدهار في الخمسينات والستينات من هذا القرن ، ونشطت فيها الحركة التجارية والعمرانية والانشائية بشكل غير معهود من قبل ، وخاصة بعد ان اصبحت مركزا لمحافظة القنيطرة في مطلع الستينات . ولقد وصل عدد سكانها قبل الاحتلال الصهيوني الى ٢٩ الف نسمة يعيشون في احياء المدينة المختلفة ، مثل (حارة الشوام ، وحارة الشركس ، وحارة المسيحيين) وغيرها من احياء احدث منها ، وكان عدد محال البيع والتجارة والحوانيت المختلفة في مدينة القنيطرة قد وصل

الى ما يقارب (٥٠) محلا . كما كانت قد اضحت اهم مدينة سورية من الناحية العسكرية والاستراتيجية . وترتبط بدمشق وجميع الاراضي المحيطة بها بطرق سيارات جيدة . وتبعد عن دمشق مقدار (٧٠ كم) فقط .

ويلي مدينة القنيطرة ، مدينة فيق (وتسمى « الزَّوْية » ايضا) وهي مركز منطقة فيق وهي بلدة صغيرة لم يتجاوز عدد سكانها الـ (٦٠٠٠) نسمة ، وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية من الجولان . ثم تأتي قائمة تضم عدداً من القرى الكبيرة كمَجدل شمس ، والخشنيَّة ، والجوِيزة ، والبُريقة ، والصّرمان ، وعين زيوان ، والمنصورة ، وكفر نفاخ ، وبقعاثا ، وجِباثا الزيت ، وجِباثا الخشب ، وغيرها من قرى اخرى منتشرة على انحاء ارض الهضبة ، وبيوت هذه التجمعات السكانية مبنية من المادة الاولية الطبيعية المتوفرة في المنطقة ، وهي الصخر والحجر البركاني ـ البازلتي.ولقد دخل الاسمنت المسلح في مادة البناء في السنوات العشر التي سبقت الاحتلال . ولقد كان في الجولان عدد من القرى ذات المساكن المقاومة للعمليات العسكرية ، وهي القرى الدفاعية التي اقيمت في الاقسام الغربية من الجولان .

اما توزع التجمعات السكانية وبالتالي توزع السكان فيتبع محاور واضحة،اهمها المحور الجبلي لسلاسل الجولان الشرقية ثم محور اقدام جبل الشيخ ، ثم محور طريق دمشق ـ القنيطرة ـ كفرنفاخ فجسر بنات يعقوب على حافة الحولة . واخيرا محور الرفيد ـ الحمة . ويرتبط كل مركز ببقية المراكز وبالعاصمة القنيطرة بطريق مواصلات للسيارات مفروشة كلها بالاسفلت ، وصالحة للسير في جميع الفصول ، عدا الطرقات المشقوقة في الجبال حيث يسقط الثلج في الشتاء ويمكن ان يسد الطريق لبضع ساعات .

الفعاليات البشرية واقتصاديات الجولان

الزراعة وتربية الحيوانات هما الوسيلتان المعيشيتان الرئيسيتان لسكان الجولان . وهما المهنتان الملائمتان للشروط والاوضاع الطبيعية السائدة في المنطقة . فالزراعة تعتمد في انتشارها على بعض المساحات السهلية الصغيرة والخالية من الاحجار والصخور ، وعلى رقع صغيرة جدا من الاراضي التي قام الانسان بتنظيفها من الكتل الحجرية للحصول على تربة صالحة للزراعة . خاصة على السفوح الجبلية في الشريط الشرقي والشمالي للجولان .

وتشتهر الجولان بانتاج انواع جيدة من فواكه المناطق الباردة كالتفاح والكرز التي قام فلاح جبل الشيخ بغرس اشجارها على سفوحه الجنوبية حول قرية مَجدَل شَمْس ، ومسعدة ، وبقية قرى الشمال الجَولاني . اما في سلسلة الجولان الشرقية فتزدهر زراعة اشجار الكرْمة على المساحات التي نظفها الفلاح من الاحجار ، واقام منها جدرانا تفصل بين الحقول .

وتنتج اراضي الجولان المنبسطة في الاماكن التي تتوفر فيها التربة الزراعية ، كميات جيدة من القمح والشعير والذرة الصفراء ، وهي المحاصيل التي تشكل المادة الغذائية الاساسية للسكان .

اما في الاودية الغربية والجنوبية فتنمو اشجار اللوز والزيتون والرمان ، كما تنمو في الاراضي الواقعة على مستوى سهل الحولة وضفاف بحيرة طبرية انواع من الزراعات تلائم المناخ الدافىء والرطب : كالموز والحمضيات والخضراوات كما في منطقة البطيحة .

وتعتبر تربية الحيوانات والنحل وصيد الاسماك ـ قائمة ـ الفعاليات الاقتصادية في الجولان ، حيث ساعد مناخ المنطقة على نمو الاعشاب بشكل واسع وكثيف . ولقد استفاد الانسان من هذه الثروة الطبيعية فقام بتربية المواشي ، وخاصة الابقار التي تنتشر تربيتها في جميع انحاء الجولان تقريبا ، اما الاغنام فعددها قليل بصورة عامة . كما تربى الخيول العربية في معظم القرى رغم دخول السيارة الى جميع المراكز البشرية . ويستفيد سكان الجولان من منتجات

الأبقار من الألبان والسمن والجبن واللحوم . كما يستفيدون من تربية الدواجن من اجل لحمها وبيضها .

واخيرا فان منطقة القنيطرة وقراها تنتج العسل من المناحل الفنية الحديثة والقديمة ، بكميات تكفي الاستهلاك المحلى ، والتصدير الى مدينة دمشق . كما تشتهر منطقة البطيحة بصيد الأسماك في بحيرة طبرية .

اما الصناعات فمحدودة في الجولان ، وتقتصر على الصناعات اليدوية البسيطة التي تؤمن حاجة الفلاحين، وهي صناعات محلية في القرى وفي مدينة القنيطرة بالذات . ومن الصناعات التي ازدهرت في منطقة القنيطرة ـ قبل الاحتلال ـ صناعة المواد البنائية لتامين متطلبات العمران المتزايد في الجولان باسرها .

ولقد كان لازدياد اهمية المنطقة من الناحية العسكرية اكبر الأثر في ازدهار ونمو الحركة التجارية والاقتصادية عامة ، دفعت الكثيرين من سكان سورية للهجرة اليها والعمل فيها بغية الكسب والربح ، لدرجة كان يقال فيها عن الجولان بانها تكاد تصبح (كويت سورية) .

والآن فان منطقة الجولان تنتظر تحريرها ، ثم اعادة بنائها واعمارها ، بعد ما اصابها من تخريب في حربى ١٩٦٧ و عام ١٩٧٣ . ■

عادل عبد السلام

اسرائيل
تخطط للحصول على مياه النيل
نقلا عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية

■ عرض خبراء المياه الاسرائيليون عدة حلول للتغلب على ازمة المياه في اسرائيل خلال الأعوام المقبلة . واشاروا الى مشاريع تحلية مياه البحر ، واستغلال روافد نهر الاردن والحاصباني والوزاني ، والحصول على مياه نهر النيل في المدى البعيد .

ومما قيل في هذا الصدد ما كتبه أحد اولئك الخبراء في صحيفة عال همشمار (١٩٧٣/٦/٢٢) عن نية اسرائيل لاستغلال روافد نهر الاردن ، اذ قال : ان اسرائيل لم تستطع ، قبل حرب ١٩٦٧ ، ان تجعل الروافد تصب في القناة القطرية ، ولكن حرب الايام الستة قضت على مشروع التحويل (اى المشروع العربي لتحويل روافد نهر الاردن) ،فزال بذلك الخطر عن مصادر المياه ، واصبح نهر بانياس والجزء القزير من الحاصباني (ينابيع الوزاني) ، تحت السيطرة الاسرائيلية ، وانتهت قضية المناطق المتزوعة واقيمت ، مشاريع مياه في مرتفعات الجولان ، ونفذت اعمال حفر في جبال اليهودية والسامرة من اجل التغلب على النقص في المياه .

وفي رأى خطير آخر ، يقول احدخبراء المياه الاسرائيليين (صحيفة دافار ١٩٧٣/٧/١٢) ان القيود (أو العقبات) القائمة بالنسبة الى نهر الليطاني غير موجودة بالنسبة الى نهر النيل . فالنيل تبلغ مياهه نحو مائة ضعف مياه الليطاني ، وهو يختلف عن الليطاني اذ ليس فيه مشكلة فيضانات الشتاء الخطرة .. كما أن النقل منه (اى النيل) الى مناطق الاستهلاك في اسرائيل مستقبلا بواسطة قناة مكشوفة عبر سيناء ، وانابيب تحت قناة السويس ، قد يكون رخيصا جدا .

(نشرة م. د. ف. بتاريخ ١٩٧٣/٩/١٦)

مع
الله
في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الخلية

الوحدة الصغرى
التي منها بنى كل حي كيانه

بقلم الدكتور أحمد زكى

نحن نذكر الامم . نذكرها اسماء ، ونذكرها اعداد انفس .

نقول هذه الامة او تلك تعدادها بضع عشرات من الملايين ، وهى تصنع وتصنع ، وهى تزرع وتزرع ، وهى تنتج من هذا الفا ، ومن هذا آلافا ، وهى كما تنتج تستهلك ، سنة الحياة التى لايكون بها استهلاك الا ومعه انتاج . وهى امة تحمد او تذم ، بما تصنع من الخير ، او بما يفوتها من صنع الخير .

وندور على كل اعداد هذه الامة ، واحصاءاتها ، ونحن نتخيلها كلاً واحداً لايتجزأ .

فاذا نبهنا احد الناس الى ان الكل يتجزأ ، ادركنا على الفور ان هذه الامة الواحدة ، هذا الكل الذى قلنا انه عشرات الملايين ، انما هو اجزاء عشرات من الملايين ، هم الافراد ، وهم الذين يصنعون ويصنعون ، وهم الذين يزرعون ويزرعون . وليست الامة هي التي تنتج ، وانما الفرد هو الذى ينتج ، وتطيب الامة عندما يطيب الفرد ، وتسوء الامة عندما يسوء الفرد .

ويجتمع الزارع بالزارع ، فتكون اسرة الفلاح . وتجتمع الاسرة بالاسرة فتكون طائفة الفلاحين . والفلاح يزرع لنفسه ، لياكل . وفى نفس الوقت هو يزرع لغيره . وكالزارع واسرة الزارع وطائفة الزراع ، الصانع واسرة الصانع وطائفة الصناع . ونجرى على طوائف الامة فنعد منها الفا . كل يعمل لنفسه ، ويعمل لغيره وفوق ذلك هو يعمل بغيره . فالفلاح يحتاج

الخلية

المختبر الأول الذي يصنع الجسم فيه كيمياءه، وبالكيمياء يصنع الحياة

الى الماء ، وغيره يأتيه بالماء . والفلاح يحتاج الى آلات الفلاحة وغيره يأتيه بالآلة . والفلاح يحتاج الى البذور الطيبة والى السماد ، وغيره يأتيه بها . وكذا الصانع يعمل لنفسه ، ولغيره ، وبغيره .

ومطفىء الحرائق يطفئها ، ولكن في زمرة من مثله ، وكذا رجل الشرطة ، وكذا القاضي والقضاة . كلهم ، افرادا ومجاميع ، يخدمون الحياة . ولهم منها نصيب .

وفي الامة الواحدة تنضم الطائفة الواحدة الى الطائفةالاخرى ، فالاخرى ، ليكون منها طائفة كبرى ،يتنسق العمل فيما بينها لغاية واحدة ، فتنشأ من ذلك المدن ، وتنشأ العواصم وتنشأ الاقاليم، وتنشأ الوزارات ، وهي طوائف اكبر ، اذا ضم بعضها الى بعض نشأ ما يعرف بالدولة . دولة أساسها الفرد .

الجسم دولة اساسها الخلية

كذلك الجسم ، جسم الحيوان الحي، وجسم الرجل الانسان خاصة والمرأة ، هي كلها دول تتألف من افراد ، هي الخلايا Cells ،

وتنضم الخلايا المتشابهة بعضها الى بعض فتكون الانسجة ، انسجة الجسم Tissues ، والعضلة مثلا تتألف من خلايا عضلية تخصصت في عمل واحد هو التقبض والانبساط اللذان يسببان الحركة .

والعضلة نسيج من الانسجة بما تضمنته من خلايا متشابهة .

ويجتمع النسيج من نوع ، بنسيج من نوع آخر ، ثم بثالث ، وهلم جرا ، فينتج من ذلك العضو Organ ، فالقلب عضو . والكبد عضو ، وهلم جرا، وكل نسيج يتألف منه العضو له عمل مختلف ، ولكن مجموع اعمال هذه الانسجة يؤلف شيئا واحدا وله هدف واحد يحتاج الوصول اليه الى كل هذه الاعمال متعاونة .

والعضو قد ينضم الى العضو الاخر ، والى الثالث والرابع ، فيتألف منها الجهاز System ، ومن امثلة ذلك الجهاز الهضمي . فالفم والاسنان ، والحلق والمرىء، والمعدةوالمعاء،وما يتصل بالهضم من بنكرياس وكبد وغير ذلك ، من هذه يتالف الجهاز الهضمي لينجز عملا معروفا كثير الخطوات كبير الخطورة .

ومن الاجهزة يتالف الكائن الحي Organism

ومع هذا ، ومع كشف الناس لكل هذا ، غابت عن الناس الحقيقة القديمة الازلية ، ان اساس كل الانسجة ، وكل الاعضاء ، وكل الاجهزة في الاجسام الحية انما هو الشيء « الفرد » الاول : الخلية.

الخليـة لفظ حديث

ويقرا القارىء عن « خلايا » الجسم فيحسب انه لفظ عربي قديم . او يقرا لفظه الانجليزى Cell ، فيحسب انه لفظ انجليزى ، في هذا المعنى ، عتيق . وما هو بذلك ، لا في العربية ، ولا في الانجليزية ولا في اى لغة كانت .

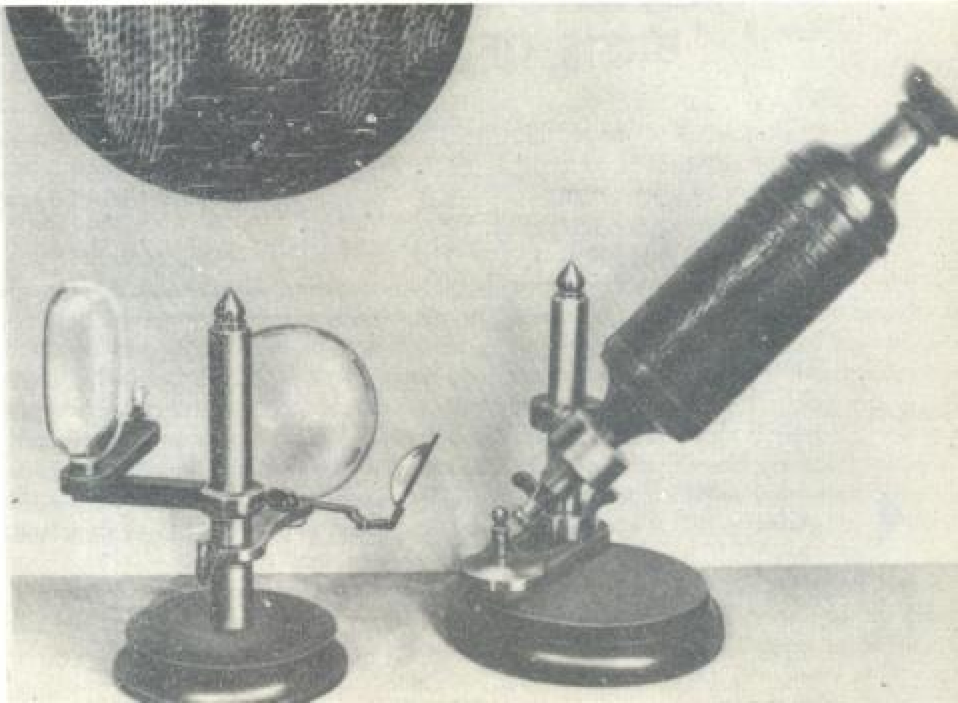
اكتشاف الخلية كان في القرن السابع عشر

نعم تأخر الكشف عن خلية الاجسام الحية ، في نباتات وحيوانات ، الى هذا التاريخ ، والسبب في ذلك ان هذه الخلايا في عمومها اصغر من ان تراها العين العارية، اى التى لا تستخدم العدسات لتكبير الاشياء المكروئية المتناهية الصغر.

كان اول كشف لها قام به العالم الانجليزى روبرت هوك Hooke (١٦٥٥ ـ ١٧٠٣ م) فهو نشر في عام ١٦٦٥ نشرة سماها Micrographia ، وفيها وصف تجارب اجراها على الفلين. قطع منه رقائق رقيقة جدا تأذن بان تستخدم في رؤيتها مجهره . فكشف له المجهر المكبر منها سطوحا تألفت من فجوات فارغة اشبهت عنده الخلايا التي يصنعها النحل في اقراص شمعه ويملأها بالعسل . ولهذا الشبه اسمى هذه الاجسام الفارغة في الفلين باسم الخلايا، والمفرد خلية . وكانت هذه اول تسمية.

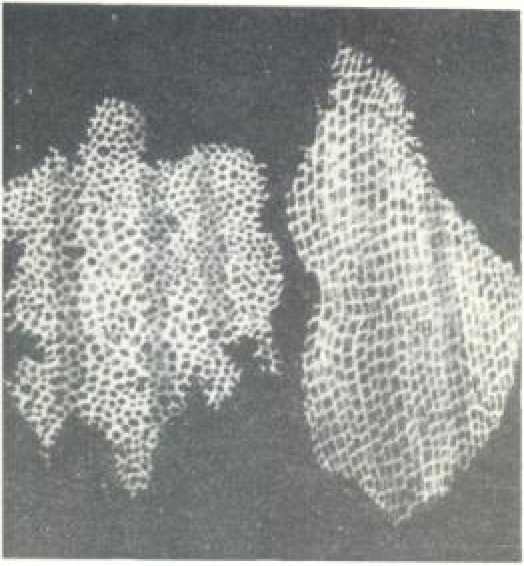
وكان « هوك » عالم فزياء تجريبي ، وكان في اول امره مساعدا للعالم الشهير بويل Boyle في بعض تجاربه . وكان من حق من كشف هذا الكشف الخطير الاول عن الاحياء وعن الوحدات الاولية الاساسية التي منها تتألف وتتركب ، كان من حقه أن يتابع هذا

المجهر الاول الذى استخدمه « هوك » للكشف عن خلايا الفلين اول مرة ومعه الضوء الذى انار به العينة .



الكشف الى غايته ، ولكنه لم يفعل . لم يكن هوك عالم احياء . وهو حتى في مواضيع اختصاصه كان سريع التنقل من موضوع الى موضوع ، فكشف عن الكثير ولكنه لم يذهب الى الاعماق . ولم يجد هذا البحث من يتابعه ، حتى اذا جاء عام ١٨٣٥ كشف عالم الأحياء الفرنسي فيلكس دو جاردان Felix Dujardin (١٨٠١ – ١٨٦٠ م) عما يملأ هذه الخلايا ، وهي حية ، في سائر الأحياء ، من مادة ، اسماها اول الأمر Sarcode ومعناه القالب اللحمي ، وهو لفظ جاء به من اللفظ اليوناني Sarx ، ومعناه اللحم ، وقد تغير هذا الاسم فيما بعد فصار بروتوبلازم Protoplasm ، ومعناها القالب الأول ، والقالب يفيد الشكل والتشكل .

وتلت هذه البحوث بحوث علماء كثيرين انتهت بما يعرف بنظرية الخلية . Cell Theory



خلايا الفلين كما رآها « هوك » اول مرة

نظرية الخلية

وهي تقضي بأمرين اساسيين :

اولا – ان الخلية هي الوحدة الأولى التي تتألف منها الاحياء جميعا ، من نباتات ومن حيوانات ، وذلك من حيث التركيب ، ومن حيث الوظيفة ايضا .

ثانيا – الخلية التي تنشأ جديدا ، انما تنشأ من خلية سبقت .

ومعنى هذا ، بالقول الصريح ، ان الخلايا هي التي تؤلف الانسجة تركيبا ، وهي التي تعطيها وظائفها ، وما وظائف النسيج الا مجموعة من وظائف خلاياه .

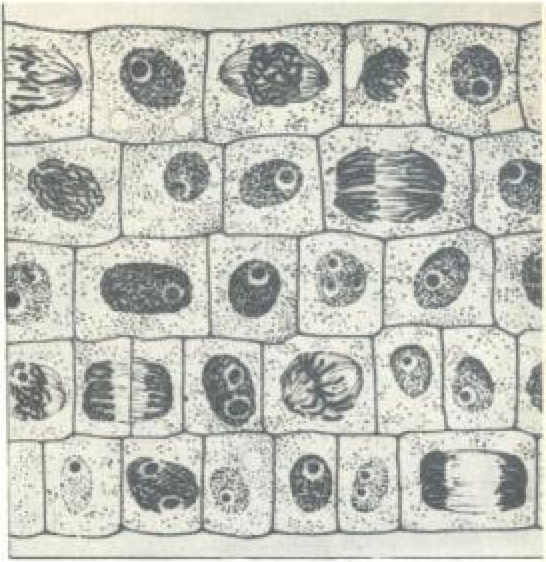
ومعنى هذا ان الخلايا هي التي تعطى الاعضاء ، تراكيبها ووظائفها ، لأن الأعضاء انما تتألف من انسجة تتألف من خلايا .

ومعنى هذا ان الخلايا هي التي تعطى الأجهزة الجسمية ، تركيبها ووظائفها ، فالأجهزة تتألف من اعضاء ، والأعضاء تتألف من انسجة ، والانسجة تتألف من خلايا .

وكذا الجسم في مجموعه ، جسم حيوان كان او جسم نبات ، انما يعتمد في تركيبه وفي وظائفه على ما يتضمنه هذا الجسم آخر الأمر من خلايا .

واختلفت اعمال الجسم الواحد في ارجائه المختلفة باختلاف وظائف خلاياه ، وباختلاف اشكالها ، تماما كما تختلف في ارجاء الدولة الواحدة .

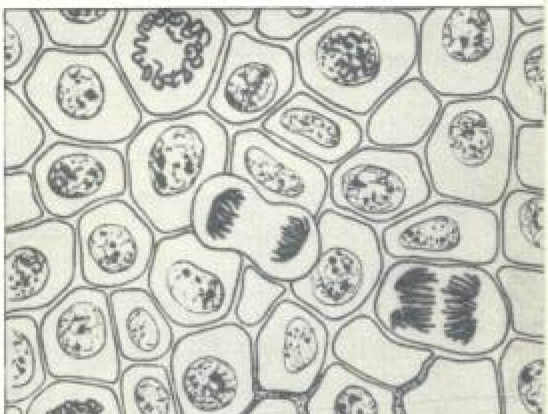
وهذا قول يتراءى كأنه الشعر ، والشعر اعذبه اكذبه . ولكن الحقيقة هي ان العلم ، في بضع العشرات من السنوات الماضية ، قد كشف في امر الخلية ، في حيوان ونبات ، ما ادهش حتى اكثر العلماء شكا . والعلماء رواد حقائق .



مقطع من جذر نبات البصل اذ ينمو فى الارض وتظهر فى الخلايا نوياتها . وفى هذه الخلايا ما بدأ ينقسم الى خليتين ، وعندها تتحول النواة الى خيوط تنقسم آخر الأمر مناصفة بين النواتين الناشئتين .

★★★

مقطع من جلد حيوان من الضفدعيات ، وترى فى الخلايا نوياتها وهى تنقسم عند انقسام الخلية الى خليتين ، تماما كما وصفنا فى خلايا جذر البصل السابقة. انها الوحدة بين حيوانات ونباتات



ولقد كشف العلم لهم ان الخلية هى مصدر الحياة الاول ، وانها المختبر الاكبر الذى تصنع فيه الحياة ، وانه مختبر كيماوى فزيائى معا، وانه فى الخلية الواحدة تقوم صناعات مختلفة تعجز كبرى المصانع التى عرفها الانسان عن ان تؤديها ولو سال فيها الحديد أحمر واستعرت النيران .

المجهر الضوئى

وكشف هذه الخلية الحية استغرق سنين طويلة ، بسبب صغر هذه الخلية، فى حيوان وفى نبات . فقطر هذه الخلايا يقع على العموم بين جزء من عشرة آلاف من الملى متر وعشر الملى متر . ومعنى هذا ان الخلايا أصغر من ان تراها عين الانسان ، الا ان تعينها العدسات المكبرة.

والعدسات المكبرة اما عدسة جيب ، وهى تتألف من عدسة واحدة ، وأما هى المجهر أو المكرسكوب ، ويتألف من عدة عدسات . وبمقدار ما تحسنت صناعة المجاهر الضوئية على القرون ، وبمقدار ما زادت قدرة تكبيرها للأشياء المرئية ، زاد عونها للأبحاث العلمية ، والأبحاث علم الحياة خاصة .

والمجاهر الضوئية الطبية يصل تكبيرها اليوم عادة الى نحو ٤٠٠ قطر من قطر الشىء الصغير المرئى ، مع حسن وضوح تفاصيل الصورة ، فوضوح الصورة ، او ما يسميه الفزيائيون بقدرة التبيين ، خطيرة كقدرة التكبير .

ومن المجاهر الضوئية ما بلغ مقدار تكبيرها ٢٠٠٠ مرة ، اى الفى قطر .

المجهر الالكترونى

وفى العقد الرابع من القرن الحالى ابتدع

الالمان المجهر او المكرسكوب الالكترونى ، وفيه تستخدم الالكترونات مكان اشعة الضوء . والمجهر الالكترونى يكبر الشىء المرئى من ... ١٠٠ الى ... ٢٠٠ قطر ، مع وضوح التفاصيل .

ولقد ساعد هذا المجهر الكشوف العلمية أكبر مساعدة ، ولا سيما بحوث الخلية وبحوث علم الحياة عامة .

وبسبب هذه المجاهر تقدم علم الخلية فى العقدين الماضيين تقدما زاد كثيرا على تقدمه فيما سبق من عقود طويلة كثيرة مجتمعة .

ان المجاهر زادت بصر الانسان حدة ، ومدت لعينه آفاق الرؤية .

وكما انتظرت كشوف الخلية ، لكى تتضح بناء ، وتتضح وظائف ، التقدم فى تحسين المجاهر ، لتزداد صور الاشياء البالغة الصغر فى العين كبرا ، وتزداد تفاصيلها وضوحا ، فكذلك انتظرت هذه الكشوف تقدما آخر عظيما يقع فى الكيمياء وفى الفزياء ، ولا سيما فى الجوانب التجريبية منهما ، حتى يستطيع العلماء فصل الاشياء المختلفة التى تتألف منها الخلية الواحدة ، الصغيرة ، المتناهية الصغر ، وفحصها ، وتحليلها ، والاطلاع على ما تقوم به من وظائف متعددة مختلفة تقوم بها الخلايا الأخرى ، فى تلك الجبلة ، جبلة الخلية ، تلك التى سماها العلماء بالبروتوبلزمة Protoplasm ، اى مادة الحياة الأولى .

وانتهى العلماء على ان هذه الخلية الصغيرة ، التى يتراوح قطرها عادة بين نصف مكرو . Micro وعشرين مكرو (والمكرو جزء من الف جزء من المللى متر) مختبر كيماوى ليس مثله بين ايدى العلماء شىء ، لا فى صغر الحجم فحسب ، ولكن كذلك واهم من ذلك فيما يجرى فيه من تحولات كيماوية يعجز العلماء عن اجرائها فى المعامل هكذا سهلا ، ولو اتخذ بعض من بعض نصيرا وظهيرا .

لقد قيل أن الحياة كيمياء ، وهذا حق اذا اعتبرنا ذلك الجانب من الحياة الذى يتصل باحساسنا ، وتستطيع ان تفهمه عقولنا . ان توقف كيمياء الجسم ، فى اى حى ، عن العمل ، معناه الموت .

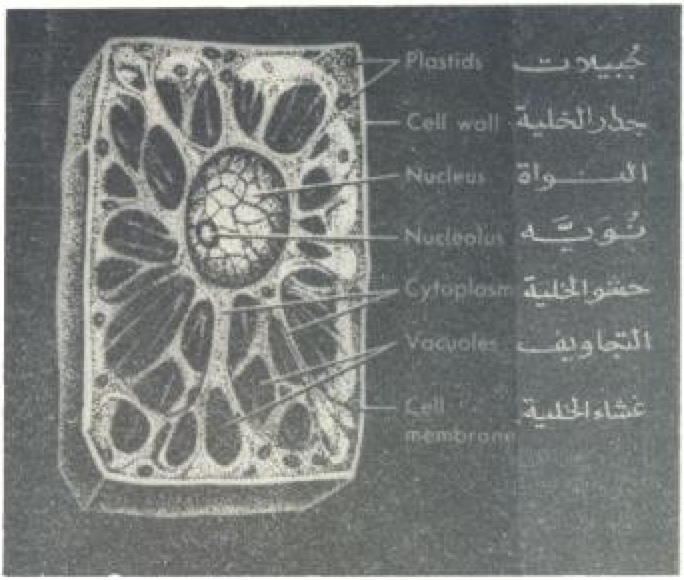
نقول فعل الجسم ، والجسم ما فعل ، وانما فعلت خلاياه .

نحن نقول مثلا ان الانسان يأكل الطعام ليحيا . والطعام شىء ميت ، لا ينفع الجسم فى مواصلة حياة الا اذا دخل اليه من بعد هضم فدخلته الحياة ، بصيرورته جزءا من الجسم الحى ، من بروتوبلزمة خلاياه .

ونحن نقول ان الجسم هضم طعامه ، وما هضم الجسم ، وانما هضمت خلاياه .

فالطعام يتغير كيمائيا فى الفم ، بالذى تصبه عليه خلايا الفم من انزيمات تصنعها الخلايا . والطعام يتغير فى المعدة بما تصبه عليه خلايا المعدة من انزيمات هى صانعتها ، وهلم جرا . وهو اذ يمتص فى المعاء الدقيق فانما تمتصه الخلايا التى فى جداره . وهو يتوزع بعد ذلك على خلايا الجسم ليكون لكل منها منه نصيب . وعندئذ يصبح هذا الطعام ، بعد هضمه وانحلاله ، هو المادة التى منها تبدأ خلايا الجسم تصنع ما توجبه عليها وظائفها . وما أكثر ما تختلف هذه الوظائف باختلاف الخلايا .

ونحن نقول مثلا ان الجسم يتنفس ، وما تتنفس الا خلاياه ، يصلها عن طريق الدم وهو دائر فى الجسم مما حمل من



الخليـة النباتية .

اكسجين ، وهـــذا الاكسجين يتوزع عليها اقساطا معلومة ، وتحرق به الخلية بعض ما بها من طعام قابل لذلك ، وينتج عن ذلك طاقة ، تستخدمها الخلية في شتى انجازاتها ، من كيميائية وفزيائية ، وفي حفظ حرارة الأجسام .

ونقول ونقول . . .

كل شيء ننسبه الى الجسم ، وهو انما ينتسب اول المطاف وآخر المطاف الى الخلية ، كانت في راس حي ، او في معدة ، او في كلية ، او في جلد ، او في عظم .

تفاعلات تتصل بالأصول والأعماق من علم الكيمياء

ونعود فنزيد بعضما اجملنا ايضاحا .

ان الذي يدخل الى الجسم من طعام نصنفه فنقول انه من بروتين ، وانه من سكر ونشا ، وانه من دهن ودهون ، والى جانب هذه املاح وفيتامينات ومواد قليلة اخرى . ويدخل كذلك الماء ، ويدخل الاكسجين . هذا هو الطعام .

والجسم لا يتقبل كل هذه الاشياء دون تبسيطها . والتبسيط في الكيمياء معناه الكسر ، ومعناه الحل . ومثال ذلك البروتين ، بروتين الطعام ، في لحم او جبن ، لا ينتفع به الجسم ولا يدخل الى حظائر الجسم ، الى خلاياه ، الا بعد تحطيمه وتحليله الى ما يعــرف بالأحماض الأمينية . وهي شتى .

ويجرى هـــذا التحطيم في الجهاز الهضمي بما تصبه فيه خلايا جدرانه من انزيمات هي الخمائر . تصبه من داخل الجسم الى خارجه ، فجوة الجهـــاز الهضمي ، مهما ضمها الجسم وطواها

فى داخله، فهى فى الواقع الصحيح لاتزال سطوحا خـارجية ليست من بواطن الاجسام فى شىء .

وهذه الاحماض هى وحدها التى يؤذن لها بالمرور والوصول الى طرقات الجسم الداخلة فالى خلاياه .

والخلايا تتخذ من هـذه الاحماض خامتها الأولى ، فتعود فتصنع منها ، فيما تصنع ، البروتينات . وهى بروتينات غير بروتينات الطعام الذى دخل الأجسام . وهى بروتينات شتى تصنعها الخليـة لأغراض شتى . ومنها هى تبنى ما تهدم من كيانها .

والجسم لا يتقبل السكر ولا النشا فيأذن بدخولهما الى باطن الجسـم ، الى خلاياه ، لا بد من تحطيمه . وللحطام يؤذن بالدخول الى الخلايا ، مادة خامة تصنع منها وتدخلها فيما تصنع مـن اشياء . ويجرى هذا التحطيم خارج الجسم ، فى القناة الهاضمة .

وكالبروتين والنشا والسكر ، الدهون والشحوم . تتحلل الى ما هو ابسط ليؤذن لها بالدخول . وتصل هذه المواد الخام الى المختبرات الكيماوية ، الى الخلايا ، فتصنع بها ، وتصنع منهـا العجب العجاب . تصنع منها اشياء تحتاج اليها هى لتستمر بها الحياة . ومنها تصنع اشياء تلزم غيرها من خلايا الجسم لتقوم تلك بوظائفها . وتتبادل الخلايا المنافع ولو كان ما بينهما بعد ما بين الراس والقدم .

ويجرى هـذا التحطيم الكيماوى والتخليق بأساليب شق على العلمـاء استجلاؤها وما يزال الكثير منها غامضا ، وهى تجرى فى صمت وهدوء وفى سهولة لا تعرفها التحولات الكيماوية فى مخابرها وبعجز عن الاتيان باشباه لها العلماء .

ونقف عند هذا الحد فلا نوغل فى وصف هذه التفاعلات الكيماوية ايغالا ، لأنها من التخصص بحيث لا يعيها الا المتخصصون . وهؤلاء عندهم مراجع جمة فى ذلك .

وظواهر تتصل بالدقيق الأدق من علم الفزياء

وكما تنتفع الخلايا بالاصول العميقة من علم الكيمياء ، فكذلك هى تنتفـع بأصول علم الفزياء .

ونضرب مثلا بالغشاء الذى يحيط بمادة الخلية ، بجبلتها ، وبروتوبلزمتها . هذا الغشاء الذى يؤمّن وحدة الخلية واستقلالها . فالمعروف ان هذا الغشاء ليس بمُصمَت ، اذ انه لا يمنع ان يجرى التبادل عبره بين الخلية وسائر الخلايا . والحياة فى الجسم انما هى تبادل بين الخلايا وتقارض .

وحدود الخلية هـذه تأذن لاشيـاء بالمرور ، كالماء ، وتمنع اشياء من المرور ، كالنشا والبروتين . ثم اشياء اخرى تأذن لها اذنا خاصا بالمرور او تمنع ، ولكل خلية تعليماتها فى هذا الشأن . ومن اعجب العجب تلك المواد التى تنتهى اليها مواد التغذية فى الجسم ، كالبولينة Urea وحامض البوليك Uric acid ، فتصبح نفـايات وجـب على الجسم التخلص منها خروجا مـع البول حتى لايضار الجسـم بها . فهذه المـواد يؤذن لها بالخروج مـن خلاياها حيث تتولد ، ويحملها الدم الى الكليتين لتتهيأ للخروج وتأذن لها الكلية بالخروج . ولكن بالدم يوجد غير هذه المواد الضارة مواد نافعة كثيرة واغذية لاتزال تمر بخلايا الجسم جميعا تتوزع عليها بالنفع والخير . فكيف تصنع خلايا الكلية امام هـذا المعضل . ان اغشيتها التي تلاصق الدم بها القدرة على التفرقة بين النافع فى الدم

(تم الى الصفحة رقم ٦٠)

خلية حيوانية

صورة تعطى القارىء فكرة عما يكون شكل الخلية الحيوانية والناظر ينظر الى قطاع منها ، تحت المجهر الالكترونى .

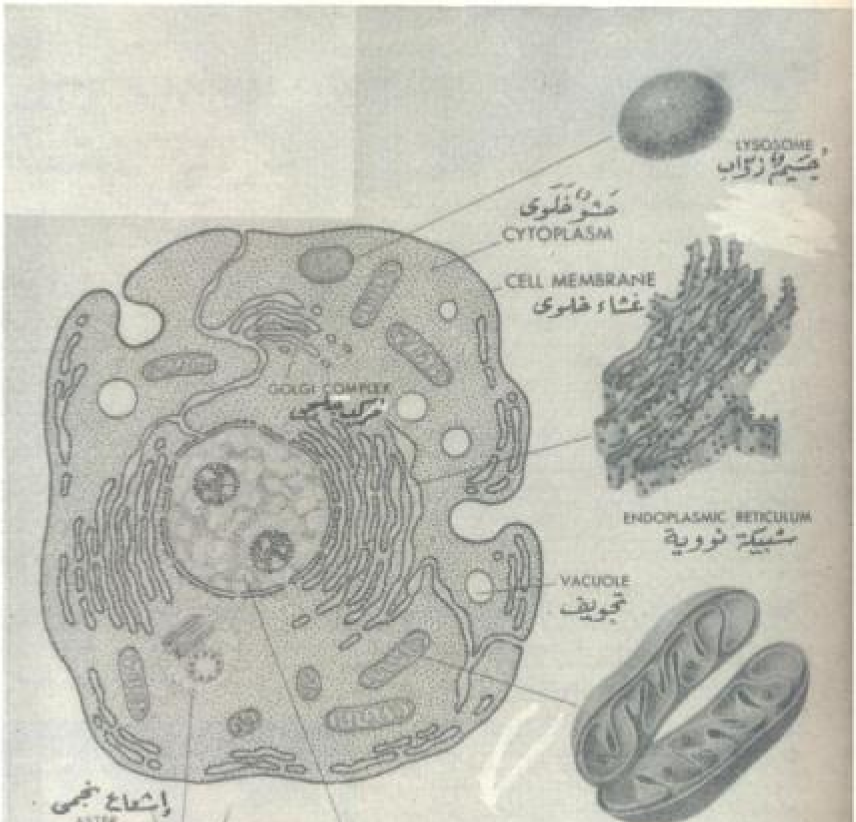
وبهذه المناسبة نذكر ان الخلية الحيوانية يبلغ قطر الكثرة الكاثرة منها ما بين خمسة أجزاء من عشرة آلاف جزء من الملى متر ، وبين ٢٠ جزءا من الف من الملى متر كما سبق ان ذكرنا . وفى الحالة الأولى الصغرى ، تحتاج الى ... ٢ خلية تصفها صفا واحدا ليبلغ طول الصف ملى مترا واحدا . وفى الحالة الثانية ، الكبرى ، تحتاج الى ٥٠ خلية تصفها صفا واحدا ليبلغ طول الصف ملى مترا واحدا.

ونذكر ايضا أن المجهر الالكترونى يكبر عادة نحوا من مائة الف من قطر الشىء المرئى ، ومعنى هذا ان الصورة المعروضة هنا صورة مكبرة تكبيرا عظيما .

وهذا التكبير كان لازما للكشف عن محتويات الخلية ، وقد ظهرت المحتويات أجزاء عدة لها أشكال بنية خاصة بها . وبهذا الكشف المكرسكوبى ، وبالتقدم العلمى الكيماوى الفزيائى الدقيق ، أمكن التعرف على هذه الأجزاء الدقيقة غاية الدقة ، التى احتوتها الخلية الواحدة ، وهو تعرف كشف عن أشكالها ، وكشف كذلك عن وظائفها . ومن هذه الوظائف أننا تعلمنا ان هذه الأجزاء تقوم بتفاعلات كيماوية ، وتحويلات فى صميم الأغذية،للهدم والبناء معا ، وكلها يهدف لوصل حياة الحى الذى هى بعض لبناته .

بقى ان نقول،ان العادة تقضى بالقول ان الخلية تتضمن شيئين، حشو الخلية Cytoplasm ،وهو اكثر ما يملؤها داخل غشائها ، ثم نواة الخلية Nucleus وهى فى هذا الحشو قائمة .

وفى حشو الخلية تجرى أكثر التفاعلات التى قلنا انها تصنع الحياة . اما الخلية فاكثر عملها القيام بالرقابة على أعمال الخلية . وعندما تنقسم الخلية الى خليتين عند التكاثر ، تقوم النواة بجملة ذلك .


LYSOSOME
جُسَيْمٌ زَوَّاب
حَشْوٌ خلوى
CYTOPLASM
CELL MEMBRANE
غشاء خلوى
GOLGI COMPLEX
ENDOPLASMIC RETICULUM
شبيكة نووية
VACUOLE
تجويف
إشعاع نجمى
ASTER
MITOCHONDRION
حُبَيْبٌ خيطى
NUCLEOLUS
نُوَيَّة
CENTROSOME
جُسَيْمٌ مركزى
NUCLEAR MEMBRANE
غشاء نووى
NUCLEUS
نواة

من المواد والضار . فهي كموظف الجمرك يأذن اولا يأذن . وهي تأذن بدخول الماء ومعه البولينة وحامض البوليك وما اليهما ، ومنها يتكون البول ، وهو يجرى من الكليتين الى المثانة الى المرحاض ، طاهرا فى أول امره مطهرا .

واين الوحدة فى كل هذا

ونحن فى كل هذا الذى نذكر لانهدف الى عرض العلم خاصة ، ولكنا نعرض هذا الجانب منه الذى يتصل بالحياة على الارض ، حياة الحيوانات جميعا والنباتات ، ، لنقول بعد ذلك انها حياة واحدة ، تجرى على انماط واحدة ، وراءها مخطط ومدبر ومصمم واحد .

فجسم الحىّ به من الخلايا ، وهى من حيث العدد آلاف من الملايين ، او ملايين الملايين ، كلها ذات كينونة واحدة ، وتراكيب واحدة ، وعمليات متشابهة واحدة ، وكلها تتعاون فيما بينها لصالح الجسم الحى فى ائتلاف غريب ، ليس فيما صنع البشر على سطح الارض ائتلاف مثله او يدانيه ، وغايتها تلك الحياة العجيبة الغريبة التي يذهب بها الخلل الذى يصيب هذا الائتلاف ، او يفكك من هذا التعادل الكامل الشامل .

فوحدة جسم الانسان الواحد دليل الوحدة فى هذا الكائن بل الكون الصغير : الانسان .

فكيف والانسان يعيش منه على الارض الان بضع آلاف من الملايين ، من اجسام كلها نسخ واحدة . وعاش منه قبل ذلك على الارض الآلاف المؤلفة من الملايين . وسوف يعيشون .

وكيف ومع الانسان تعيش آلاف مؤلفة من صنوف الحيوان ، كلها تقتبس من حياة الجسم الانساني ما تقتبس ، درجات .

ويأتى النبات ، ولا تزال الخلية فيه هى الاصل ، وهى الفرد ، والشجرة الدولة . واذا نحن وصفنا خلية الحيوان وجدناها اشبه شىء بخلية النبات تركيبا ، ففيها النواة . والخلية هى التى تصنع الغذاء ، وهى التي تتنفس ، وكل هذا بقواعد من الكيمياء والفزياء لاتخرج عنها ابدا .

انها الوحدة الشاملة تلاحق الحياة حيثما وجدت على هذه الارض .

انها الدولة ، بل الدول ، وافرادها الخلايا .

والاعمال الجثمانية لهذه الدول انما هو مجموع ما تعمل خلاياها . ●●

احمد زكي

العدد القادم من ..
العربي
عددٌ ممتاز
فى
السنة
الخامسة
عشرة
من حياتها
هدية : خريطة للوطن العربي، بحقول نفطه وطرقاته بالمجان

الحافظ ابن عساكر

اسمه في المنجد
علي بن الحسن
ابن عساكر
(١١٠٥ – ١١٧٦)

«يعتبر تاريخه لمدينة دمشق ، اقدم مدن الدنيا ، مفخرة من المفاخر خلد فيها اسمها على مدى الزمان»

بقلم : مصطفى الشماع

■ ابو القاسم بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الملقب ثقة الدين والمعروف بابن عساكر .

بيئة الحافظ ونشأته

نشأ ونبت في بيت القضاء وحديث وفقه، فابوه الحسن كان شيخا صالحا عدلا ، وكان صحب الفقيه نصرا المقدسي ، وسمع منه صحيح البخاري ، واجاز له ابو الفضل بن خيرون ، وهو رأس بيت معمور بالائمة والمحدثين والعلماء كان لهم شأن علمي في القرنين السادس والسابع الهجريين .

وكان اخوه الاكبر الصائن هبة الله بن حسن فقيها ثقة ، قرأ القرآن بالروايات ، وسمع كبار رجال عصره : كابي قاسم النسيب ، وابي حسن الموازيني ، وابي علي بن نبهان ، وتفقه في دمشق علي ابي الحسن بن المسلم ، نصر الله بن محمد، ورحل الى بغداد ، ولما عاد الى دمشق درس بالغزالية وافتى وكتب ، وكان ثقة ثبتا ، عرضت عليه خطابة البلد فامتنع ، وكان معنيا بعلوم القرآن والنحو واللغة .

اما اخوه الثاني محسن بن الحسن فلا يعلم الكثير عنه الا انه كان قاضيا ، وقد نشر اولاده الستة علم الحديث ودرسوه ، وفرعه في بني عساكر اكثر الفروع افرادا .

وكانت امه من بيت القرشي ، وهو بيت عربي عرف بالعلم ، ينتهي نسبه الى بني امية ، وكان منه قضاة دمشق مدة طويلة .

كان جده لامه يحيى بن علي بن عبد العزيز ، سمع نصرا المقدسي وصحبه، وسمع محدث دمشق الكتاني ، وتفقه بدمشق على القاضي المروزي ، ورأى الخطيب البغدادي ولم يسمع منه ، ورحل الى بغداد ، وسمع الحديث ، وكان عالما بالنحو والعروض، الى جانب علمه بالفقه والحديث ، وفي بغداد قرىء عليه شيء من شعر ابي الفتيان بن حيوس بسماعه منه ، وتولى القضاء بدمشق كرة ، وكان ينوب عنه فيه ابنه ابو المعالي ،

وكان له خالان اوتيا طرفا واسعا من العلم ، وتوليا قضاء دمشق : الاول ابو المعالي محمد بن يحيى ، وقد تفقه على نصر المقدسي ، ورحل الى بغداد ، يتسمع الحديث ، وناب في القضاء عن ابيه وكان نزها عفيفا صلبا ، وقد مدحه الشاعر علي بن عبد الله الصورى .

اما الثاني فكان ابا المكارم سلطان بن يحيى ، وكان رحل الى العراق في طلب الحديث ، ووعظ فيما ، وعاد الى دمشق ، فناب فى القضاء عن ابيه ايضا ، ووعظ وافتى .

وكانت اخته تحت محمد بن علي بن محمد بن الفتح السلمي ، وبيت السلمي بيت علم ووجاهة .

فبيئة هذا شانها جمع افرادها اطراف العلم لا تنبت غير العلماء ، وقد وجد الحافظ فيهـا ماساعده على تفتح ذكائه ، واقباله على مارغب فيه ، حتى غدا مؤرخ الشام وحافظ العصر .

اول سـماعه :

ولد علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي سنة ٤٩٩/١١٥٠ ايام طفتكين ، فاقبل على تلقي العلم وهو صغير ، وكانت الدلائل من قبل تنبيء ذويه عن نبوغ هذا الصبي ، فقد حدث ابنه القاسم يوما أن امه قيل لها في المنام عند حمله :«ستلدين غلاما يكون له شان » ، وان اباه راى من قال له : « يولد لك ولد تحيا به السنة » فمـا يكـاد يبلغ السادسة من عمره حتى نراه مقبلا على العلم ، يرعاه ابوه ، ويسمعه الصائن اخوه ، وليس في سماعه ــ وهو فى السادسة من عمره ــ عجب ، فقد كانوا يسمعون وهم اصغر سنا ، فالحميدى وهو من كبار تلامذة ابن حزم يقول (كنت احمل للسماع على الكتف وعمرى خمس سنوات وكنت افهم ما يقرأ) .

ويمضي الحافظ فيتردد على كبار الشيوخ يومئذ : يقرأ على سُبيع بن قيراط (٥٠٨) ، ويستمع الى القاسم النسيب (ــ ٥٠٨) ، وابي الفرج الصورى ــ (٥٠٩) ، وقوام بن زياد (٥٠٩) وابي طاهر الحنائي ــ (٥١٠) ، فياخذ عنهم الحديث .

استكتابه الشيوخ ، ورحلاته العلمية :

كان الحافظ لا يقنع بالسماع والاخذ عن شيوخ بلده ، بل يطمع فيما عند شيوخ بغداد وخراسان فيستكتبهم فيكتب له ابو محمد الابنوسي (٥٠٥) محدث بغداد ، وابو غالب الذهلي (٥٠٧) ، ومسند خراسان ابو بكر الشيروى (٥١٠) ، وابو زكريا بن مندو (٥١١) ، وغيرهم ، كل ذلك وابن عساكر لم يبلغ الحلم .

وكان يختلف الى مسجد بني امية ، وهو اعظم مركز للعلم بدمشق ، فيتلقى فيه العلم مرة ، ويستمع الى الوعظ مرة .

ثم اخذ يتردد الى الشيخ السلمي في المدرسة الامينية ، وياخذ عنـه ويتفقه عليه ، ويقصد الشيوخ الذين لا يستطيعون التردد الى المسجد او المدرسة ، وظل كذلك حتى بلغت سنه التاسعة عشرة ، ولما بلغ العشرين من عمره توفى أبوه .

رحلته الاولى الى بغداد :

رحل بعد وفاة ابيه الى العراق التي كانت مركزا عاليا للحديث والفقه ، لانه عرف عن اهل بغداد انهم ارغب الناس في الحديث ، واشدهم حرصا عليه ، واكثرهم كتبا له ، وهم موصوفون بحب المعرفة ، والتثبت في اخذ الحديث ، وشدة الورع فى روايته ، وقد عاد الى دمشق بعد ان اقام فى بغداد سنة واحدة ، ثم رحل الى مكة يحمل رسالة من علماء حنابلة دمشق الى الشيخ البلخي الحنفي الذى ضاق بهم ذرعا اثر خلافات نشبت بينهم وبينه ، وسمع ممن لقي من العلماء بمكة والمدينة ومنى ، ثم عاد الى دمشق بعد ان حدث في مكة .

مقامه فى العراق :

ويعـود الحافظ الى العـراق ويقيم خمس سنين كان يستمع خلالها الى الدرس في النظامية ويستمع الـى كبار المحدثين كابي القاسم بن الحصين ، وابي حسين الدينورى ، وابي غالب البناء ، وابي بكر المزرقى ، وغيرهم .

ويظهر فضله في بغداد ويشيع ذكره حتى انهم كانوا يصفونه (بشـعلة نار) ، لذكائه وتوقده وحسن ادراكه ، وهو لم يكتف بالسماع فيها ، بل حدث ايضا ، حتى اذا استنفد ماعند الشيوخ وضمنه صدره وصحائفه ، قفل راجعا الى دمشق

ليأخذ فيها عن شيوخ آخرين ، بعد أن طاف في مدن العراق ، فهبط الكوفة ، وصعد الى الموصل والرحبة والجزيرة وماردين يستمع فيها الى الشيوخ .

يظل الحافظ في دمشق الى (٥٢٩) ، وهي سنة ولادة ابنه القاسم ، ثم يرحل الى خراسان ، فيطوف بلادها ، ويذهب الى ايران وافغانستان واذربيجان ، يلقى العلماء والفقهاء والمحدثين والادباء فيها ، ويأخذ عن النساء كما يأخذ عن الرجال ، ويحدث بنيسابور وباصبهان ، وقد دامت رحلته هذه قرابة اربع سنوات .

العودة والجلوس للرواية :

عاد الحافظ الى بغداد سنة ٥٣٣ فلقي السمعاني بها ، وكان قد فارقه في خراسان ، ثم قفل عائدا الى دمشق ـ وكان ملكها محمود بن بدري ـ بعد ان طوف في البلاد ، وكتب الحديث وجمع مالم يجمعه غيره ، وكان له من الشيوخ الذين اجتمع اليهم ، واخذ عنهم ، الف" وثلاثمائة شيخ ، ومن الشيخات ثمانون .

بعد هذا كله عزم الحافظ على التحديث ، وهو يقول (متي اروى ماسمعت ، واى فائدة في كوني اخلفه بعدي صحائف ؟) الا انه لم يجرؤ على ذلك حتى اذن له شيوخه .

زمن الانتاج والتأليف :

ينصرف الحافظ قرابة اربعين عاما (٥٣٣ ـ ٥٧١) الى الجمع والتصنيف،والرواية والتأليف، والمطالعة والتسميع ، لايترك فرصة تمر (حتى في نزهه وخلواته) يعرض عن طلب المناصب ، ويعزف عن تحصيل الاملاك وبناء الدور ، ويأخذ نفسه (بالامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لاتأخذه في الله لومة لائم) .

ويسير ذكره ، ويشهر امره ، فيرحل اليه الطلبة كما رحل الى شيوخه ، ويفضل على كبار معاصريه كالسلفي وابن ناصر ، وتنتهي اليه الرئاسة في الحفظ والاتقان والمعرفة التامة بالحديث ، حتى يصبح امام المحدثين .

وينال الحظوة عند نور الدين وصلاح الدين ، فيحضر مجالسهم ويستمعون اليه ، وتبلغ به عزة العلم الى تقريع صلاح الدين يوما ، وينعت مجلسه بانه مجلس سرقة لايستمع فيه الى قائل ولا يرد جواب متكلم ، هذا مع قلة التفاته الى الامراء واصحاب المناصب ، ثم يبث علمه ويثبت ماعنده فيؤلف مايؤلف ويملي في جامع دمشق اربعمائة مجلس وثمانية في فنون العلم .

وفاته :

في اوائل عهد صلاح الدين سنة ١١٧٥/٥٧١ ختمت حياة الحافظ ـ الحافلة بالجد والسعي في طلب العلم والتأليف والتصنيف والتدريس وكانت حياة كلها خير" ، انتجت اعظم كتب بين تواريخ المدن فخلد اسم دمشق .

آثاره وتآليفه :

يقول ابن خكان ان ابن عساكر كان محظوظا في الجمع والتأليف وكانت الحقبة التي قضاها في ذلك طويلة ، لم يضع منها برهة ، لذلك استطاع ان يضيف ثروة عظيمة الى كتب الحديث.

وقد ذكر القاسم ابنه انه الف ستين كتابا ولكن ثبت الكتب التي نقلها ياقوت عن القاسم يتضمن مايزيد عن الستين كتابا عدا الاجزاء والمجالس والمشيخات .

مواضيع مؤلفاته :

اذا استثنينا تاريخ دمشق التى لم تشهد في تاريخها محدثا فاق الحافظ في الحديث، ولم تعرف غيره من الف في تاريخها ثمانين مجلدة احيا فيها ذكرها ، فان سائر مؤلفاته كانت في الحديث ، وان اختلفت موضوعاتها : فبعضها في الفضائل، وبعضها يتعلق به وبشيوخه ، وكذلك في التاريخ والاخبار والادب .

ولم يكن اعتماده في التأليف على النقل بل كان يستعمل العقل وكان اقرب الى الاجتهاد منه الى الجمود والتقليد. وكانت عنده امانة المؤرخ وصدق الحديث .

وتقوم جميع تآليفه على الجمع فليس له الا المقدمات التي ينشئها ولعل كتابه (تبيين كذب المفترى) من اكثر كتبه شأنا لانه لم يقم على الجمع وحده وانما ذكر فيه تراجم شيوخ رآهم وسمع منهم رأيان تن رأيه فيهم . ■■

مصطفى الشماع

كَيْفَ نُغالب .. الخَوْفَ فَنَغْلبه

بقلم : منير نصيف

■ وما الخوفُ إلاّ ماتَخَوَّفَهُ الفتى
ولا الأَمْنُ إلاّ ما رآهُ الفتى أمناً

« المتنبى »

★★★

كيف نعيش حياتنا بلاخوف ؟

ماذا نفعل لكى نعود انفسنا على التخلص من المشاعر المضطربة التي تنتابنا فى بعض مراحل حياتنا ؟

يقول العلماء ان هذه المشاعر التي تعتمل فى صدورنا وتشغل تفكيرنا وتهد كياننا ، انما هي نتيجة حتمية لاستجابة نفوسنا للعوامل التى تسبب لنا هذه المشاعر . فاذا تعلمنا كيف نسيطر على هذا التجاوب ، نجحنا فى التغلب على مخاوفنا ، واسباب قلقنا والتوتر الذى يصيب حياتنا ، وعلى الشعور بالعداء الذى نحس به تجاه الآخرين فى بعض الاحيان .

ولكن مم نخاف ؟

ولماذا يسيطر علينا الشعور بالخوف ؟

والخوف ، والفكر ، شيئان متلازمان .

فالانسان يفكر ، ولكنّ هناك فرق بين تفكير وتفكير ، هناك من يفكر وهو يضع على عينية نظارة سوداء ، لايرى من خلالها سوى هذا الظلام ، الذى يحيط بكل شيء من حوله ، وهناك من يفكر ، ولكن باسلوب آخر ، فلا يدع للافكار المظلمة والصور الحزينة مجالا للتسلل الى راسه وعقله ، وليس معنى هذا انها لاتدور فى مخيلته ، فهي قد تحوم حولها ، وقد تحاول ان تنفذ الى قلبه وفكره ، ولكنه يطردها ، ويسد الطريق امامها ..

كيف يجب ان نفكر

يقول نورمان فنسنت بيل في كتابه « دليل لحياة مطمئنة » A Guide To Confident Living .

« نحن في حاجة الى البحث عن اساليب عملية لتفكيرنا ، لان ملكة التفكير هي واحدة من اعظم القدرات التي يتمتع بها الانسان . ان حياة الانسان لا تسيّرها الظروف الخارجية ، ولكنها تخضع للافكار التى تدور فى اذهاننا .. فالمرء ، رجلا كان ام امراة ، هو وحده القادر على خلق

عالمه الخاص به وحده عن طريق ما يعتمل في راسه من افكار . ولقد قيل يوما : « ان الرجل هو ما ياكل ! » ، ولكن الحقيقة هي « ان الرجل هو ما يفكر » فالمرء هو خلاصة الافكار التي تدور في عقله الظاهر ، وعقله الباطن معا » .

قال ماركوس اوريليوس Marcus Aurelius ، احكم حكماء روما : « ان افكارنا هي التي تصنع حياتنا » ويقول ايمرسون ، فيلسوف امريكا : « ان المرء هو ما يفكر فيه طوال ساعات يومه ، في صحوه وعند نومه ! »

ان كل واحد منا يجد نفسه مشغولا بالتفكير في امور كثيرة طيلة اليوم ، ولكن كثيرا ما نجد انفسنا نهتم بالتفكير في امر معين من هذه الامور ، دون غيره، لانه بالنسبة لنا يمثل مشكلة اساسية . ولا تلبث هذه المشكلة ان تسيطر على تفكيرنا كله وتستبد بعقولنا وتثير اهتمامنا ، حتى ننسى معها كل ما عداها من امور ومشاكل اخرى ..

وبعض الناس يسمح للخوف بان يصبح شغله الشاغل ، وهذا الشعور المضطرب ، يبدأ اول ما يبدأ بخيط رفيع من القلق نراه كالطيف امامنا ، ثم لاتلبث الصورة ان تتكرر على مر الايام، حتى يصبح القلق والخوف عادة ، عندئذ نجده قد اتخذ له اخاديد عميقة في اذهاننا ، اشبه بتلك التي تصنعها مياه الامطار في بطن الجبل ، وهي تجري فيها حتى تستقر عند السفح ..

ويقول مؤلف الكتاب : « ومهما حاول المرء الذي تمكن الشعور بالخوف منه، ان يقاوم هذا الاحساس او يطرده عن راسه ، وجد نفسه عاجزا تماما امام محاولاته المستمرة للهرب منه »

قصة امراة قتلها الخوف

ثم يروي فنسنت بيل بعد هذا قصة امراة قتلها الخوف ، بعد ان عاشت في خوف مدة تزيد على ثلاثين عاما ..

وهي قصة واقعية ، جرت حوادثها في لندن ، ونشرت الصحف تفاصيلها تحت عناوين عريضة على صفحاتها الاولى .. انها قصة طفلة صغيرة ، وقفت منذ ثلاثين عاما ترقب في فزع ورعب شديدين، امها وهي تلفظ انفاسها الاخيرة فوق كرسي الجراحة في عيادة طبيب الاسنان، فقد اصيبت الام المسكينة بنوبة قلبية مفاجئة اثناء اهمال الطبيب في علاج اسنانها ..

« وترك الحادث المؤلم في نفس الطفلة اثرا عميقا ، زادته السنون عمقا على عمق ، حتى كبرت الطفلة واصبحت امراة ناضجة ، ولاعبة تنس مشهورة .. الى ان جاء يوم اصيبت فيه بالام في اسنانها .. ولكنها ما لبثت ان استبعدت الفكرة عن راسها ، وآثرت ان تتحمل آلامها ، على الذهاب الى طبيب الاسنان .. فقد كانت زيارة الطبيب بالنسبة لها . اشبه ما تكون بمن يسعى الى حتفه بقدميه ..

الحياة مع الخوف

وظلت الفتاة تعيش مع مخاوفها ، برغم كل ما اكدته التقارير الطبية ، من ان وفاة امها كانت طبيعية ، وان طبيب الاسنان لم يكن له يد في النوبة القلبية المفاجئة التي اصابتها وقضت عليها ..

« ولكن الام اسنانها عادت تلح عليها ، حتى باتت تشكل خطرا على صحتها وحياتها ان هي استمرت في اصرارها على مقاطعة عيادات اطباء الاسنان !

« واضطرت الفتاة اخيرا الى الذهاب الى « عيادة الموت » كما كانت تسميها .. ذهبت بكل ما كان يحتويها من مشاعر الخوف والهلع ، ولكنها حرصت على الا تذهب وحدها ، فقد اصطحبت معها طبيبها الخاص ليكون بجوارها اذا دعا الداعي ..

« وجلست الفتاة على كرسي الجراحة في عيادة الطبيب ، تماما كما فعلت امها منذ اكثر من ثلاثين عاما .. وما كاد يستقر بها المقام ، وقبل ان يبدأ الطبيب في فحص اسنانها احست الفتاة المسكينة برعشة قوية تسري في جسمها ، ثم ما لبث ان توقف قلبها عن الخفقان ، وماتت لساعتها .

« وجاء في تقرير الطبيب المرافق الذي فحص جثمانها الهامد، ان الوفاة حدثت نتيجة نوبة قلبية مفاجئة ، رغم انها لم تكن تشكو من اية علة في

قلبها ، فقد كانت فتاة تتمتع بصحة طيبة ونجمة من نجوم الرياضة » .

وهكذا قتلها الخوف بعد ان عاشت ثلاثين عاما يحتويها الخوف ..

الحب والحماس والعمل

ماذا نفعل لكي نخلص انفسنا من الخوف ، هذا الشعور الذي قد يودي بحياتنا اذا تمكن منا وسيطر على افكارنا حتى اصبحنا نعيش كما تعيش الفئران التي تهرب الى جحورها امام اى خطر يلوح لها ، حتى لو لم يكن يتهددها ! كيف يمكن ان نشق طريقنا في الحياة دون أن نترك مجالا لهذا الشعور المدمر ان يتفذ الى رؤوسنا ونفوسنا ؟

يقول ايمرسون : « اذا عرف المرء كيف يرفع راسه ، وكيف ينظر الى الحياة من حوله نظرة مليئة بالحب والحماس والعمل من اجل اسعاد نفسه ، ومن اجل خير المجتمع الذى يعيش فيه .. اذا عرف المرء كيف يواجه الحياة فى ثقة واذا ادركانه لا مكان لرجل يخاف الناس ويخاف الحياة وما قد تحمله وتخبئه له .. اذا عرف المرء كيف يفكر بلا خوف ، فهو قد عرف كيف يفسح لنفسه مكانا تحت الشمس » .

ويقول نورمان فنسنت بيل : « ان الايمان بالله ، هو اقوى سلاح يمكن ان نقاوم به الشعور بالخوف والقلق » ثم يروى الكاتب قصة رجل استطاع بقوة ايمانه ان يحقق المعجزات .. انها قصة ايضا من واقع الحياة ، ولكنها تنتهي بخاتمة سعيدة ، على النقيض من قصة الفتاة التى استسلمت لمخاوفها .. انها قصة رجل ظل يعاني من الشعور بالخوف حتى بلغ الستين من عمره او ما يزيد ، ثم شاء القدر فى هذه السن المتأخرة ان يعيد اليه ايمانه بالله ، وان يخلصه من هذا الشعور الذى احتواه طوال هذه الاعوام ، وأن يجعل منه « عملاقا » فى شيخوخته !

كيف بدأت قصة هذا الرجل مع الخوف ، وماذا صنع بنفسه فى حزنه وألمه ومحنته ، وكيف جاءت تلك الخاتمة السعيدة لقصته ؟

الخوف من الطفولة

« لقد عرف الرجل الخوف فى طفولته عندما مات ابوه بالسرطان . ومرت الايام وشبح هذا « الغول » الذى حرمه من ابيه يطارده في ليله ونهاره .. كان كلما احس بالم فى اى مكان من جسمه ، تصور ان الداء اللعين قد اصابه وتمكن منه ، فيعتريه خوف هائل ، وتسرع امه الى عرضه على الاطباء الذين لا يلبثون أن يؤكدوا له ان صحته بخير ، وانه ليس هناك من سبب واحد يدعوه الى هذا الانزعاج ..

« وكبر الفتى وتزوج ، واصبح أبا لولد واحد. ولكن خوفه لم يفارقه.. فقد ظلت الاوهام والمخاوف تملا صدره وراسه وتعيش معه ، وانعكس هذا الشعور المضطرب على الاسرة كلها .. على زوجته وام طفله ، وعلى الطفل نفسه ، وعلى الجيران ، وعلى كل من عرف هذه الاسرة الصغيرة الخائفة من قريب او من بعيد ..

« كان الأب يقفز من كرسيه مذعورا اذا سمع طفله يبكى ، فيهرع اليه ويحمله بين ذراعيه ، ولا يهدأ له بال حتى يعود طفله الى هدوئه وينام .. وكان اذا احس الطفل بوعكة ، اسرع الاب يستنجد بالاطباء ويظل ساهرا بجوار فراش طفله ممسكا بيده الصغيرة ، وهو يتحسس جبينه بين الحين والحين الى ان يغلبه النعاس فينام على مقعده بجوار فراش طفله !

اب مذعـور

« كان يخاف عليه من النسيم .. وتظلم الدنيا امامه اذا راى دمعة في عينيه ، لم يكن يثق فى احد يستطيع ان يوكل اليه مهمة العناية به ورعاية شئونه ، حتى زوجته وام طفله .. كان يحمل له كتبه ، ويتشبث بيده وهو يعبر الشارع فى طريق ذهاب ابنه لكي يصطحبه معه الى البيت ..

« ثمة شعور غريب كان يسيطر على هذا الاب المسكين .. الشعور بالخوف من أن يفقد ابنه الوحيد فقد كان عقله المتعب وفكره المضطرب ، يصوران له دوما أن مكروها سوف يصيب هذا الابن اذا هو تهاون يوما فى رعايته او اغفل السهر عليه وعلى راحته ..

نهاية الدنيا !!

« وكبر الطفل ، وصار شابا .. الى ان كان اليوم الذى فوجىء فيه الاب بابنه يقف امامه فى لباسه العسكرى .. لباس الجندية .. وصاح الاب كالمذعور :

ـ « ماذا فعلت بنفسك يابني ؟ »

ـ لقد تطوعت للخدمة فى الجيش يا ابي .. ساذهب لادافع عن بلدى ووطني ..

وسقط الاب على الارض مغشيا عليه ..

وعندما وقف الابن يودع امه واباه ، احس الاب بنهاية الدنيا .. قال وهو يودعه، وقد امتلات عيناه بالدموع ، واختنقت الكلمات على شفتيه : « عد الي يابني . فلن تكون لي حياة من بعدك »

وذهب الفتى .. وانقطعت اخباره تماما، وتحول البيت الصغير الى ماتم .. كل شيء فيه بدا ساكنا لايتحرك .. كل شيء فيه بدا ميتا ، فقد هربت الحياة من البيت ومن فيه .

« لقد ايقن الاب ان ابنه لن يعود .. واستسلم لياس قاتل ! واشفق الناس على الاب الكهل عندما كانوا يرونه وهو يسير وحده فى سوق المدينة ، يجر ساقيه جرا ، وقد انحنى ظهره وغارت عيناه ، وكسا الخوف وجهه ، حتى اصبح حطاما لرجل ينتظر نهاية حياته التي لايريد لها الله ان تنتهي ..

الطريق الى الله

« ومرت بضعة شهور عندما فوجىء اهل الحي بالشيخ الحزين ، وهو يقف وسطهم واعظا ومرشدا ، وقد راح يحدثهم عن الجنة والاخرة ويوم الحساب .. واستبد بهم الذهول .. فلم يكن الرجل الذى وقف امامهم فى ذلك اليوم يمت الى الشيخ المحطم الذى عرفوه بصلة .. كان يقف مرفوع الراس معتدل القامة ، وقد اشرق وجهه بابتسامة تحمل كل معاني الحب للحياة والناس !

ماذا حدث ؟

لقد عرف الاب الشيخ طريقه الى الله فسار فيه بثبات وايمان وحماس .

ومع هذه المشاعر الجديدة التى بدات تغمر قلبه ، بدا الخوف يفارق صدره المتعب ونفسه الحزينة..لم يعد يرى شبح الموت الذى ظل يطارده طيلة سنوات عمره ، ولم يعد يحس بهذا الخطر المجهول الذى احال حياته الى جحيم ..

لقد اصبح انسانا مؤمنا بالله وارادته .. وتمر شهور طويلة على هذا التحول الغريب الذى طرا على حياة هذا الرجل الذى قضى عمره خائفا هلعا مضطربا ..

.. وعاد الابن

« الى ان كان يجلس ذات مساء على مقعده الكبير الذى طالما جلس عليه وهو يلملم شتات افكاره الحزينة .. وكان يدعو ويدعو فى حرارة وايمان .. وفجاة سمع طرقا قويا على باب البيت الخارجي ، واسرعت زوجته تفتح الباب .. واذا هي تجد نفسها وجها لوجه امام ابنها ووحيدها الذى ذهب منذ سنوات طويلة ولم يعد ..

« وصرخت وهي ترتمي بين ذراعيه وتضمه الى صدرها ..

« وقام الاب من مقعده ، واقترب من ابنه فى لهفة وطبع على جبينه قبلة حارة طويلة ، ثم مالبثت عيناه ان اغرورقتا بالدموع ، فراح يبكي ويبكي ما شاء له البكاء ..

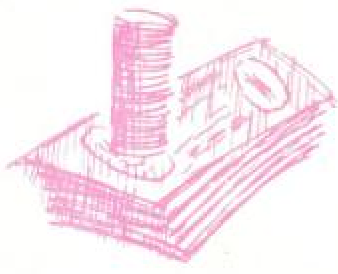
قال وهو يكفكف دموعه : « منذ اسابيع قليلة فقط احسست يابني انك حي؟ ترزق وانك ستعود الينا سالما معافى .. اين كنت ، وماذا حل بك ؟ »

ـ كنت اسيرا يا ابي،ولكن قيادة الجيش عدتني ضمن المفقودين ، فلم يظهر اسمي مرة واحدة فى قائمة الاسرى .

وعندما لقيه الناس بعد عودة ابنه ، كان الاب يقف فى مقدمة صفوف المهنئين .. لقد جاءوا جميعا الى الحفل الكبير الذى اقامته ادارة الجيش بمناسبة منح « الجندى البطل » وسام الشرف .. جاءوا لتحية الاب الذى اعاد اليه ايمانه ، الامل فى الحياة ! ■■

منير نصيف

أزمة النقد الدولية الحاضرة



جذورها العميقة

بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملي

■ تتصل الجذور العميقة للازمة النقدية بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي طرأت منذ الحرب العالمية الثانية ، تلك التغيرات التي ادت الى اعادة توزيع القوى الاقتصادية المنتجة وغيرها من القوى المؤثرة في البنيان الاقتصادي والاجتماعي على نحو جديد ، يختلف عن الاوضاع التي كانت سائدة عند وضع القواعد التي تحكم نظام النقد الدولي الذى وضع في « برتن وودز » . ولذلك فان هذا النظام يبدو في الوقت الحاضر غير قادر على اداء وظائفه .

الناحية الاقتصادية المتصلة بالانتاج والتجارة

تغير البنيان الاقتصادى العالمى ، نتيجة لاعادة بناء الاقتصاد الاوروبي والاقتصاد الياباني ، بعد الحرب العالمية الثانية ، على احدث الاسس التكنولوجية، على نحو ادى الى ارتفاع مستوى انتاجية العمل في هذه الدول بمعدلات اعلى من ارتفاعها في الولايات المتحدة الامريكية ، وادى بالتالي الى تمكين هذه الدول من تصدير كمية ضخمة من منتجاتها لا الى العالم الخارجي فحسب ، بل الى السوق الامريكى على وجه الخصوص، مستفيدين بذلك من القدرة الاستيعابية الهائلة لهذا السوق الواسع . وتهيأت بالتالى الاسباب لارتفاع الناتج القومي لتلك الدول ، وارتفاع متوسط الدخل القومي للفرد فيها ، بصورة اسرع من الولايات المتحدة الامريكية .

ففي سنة ١٩٦٠ كان متوسط دخل الفرد في المانيا الغربية ٤٤٪ من متوسط الدخل في الولايات المتحدة وارتفعت النسبة الى ٦١٪ في سنة ١٩٧٠ ثم وصلت الى ٨٥٪ في سنة ١٩٧٢ .

ولقد تزايدت القدرة التنافسية للبلاد التي خربتها الحرب ، في الاسواق العالمية ايضا ، فالأسباب تتصل بقيم العملات وبمستويات الاسعار ، فقد كانت قيم العملات الاوروبية والعملة اليابانية منخفضة بالنسبة للدولار ، الأمر الذى خلق اعاقة للتصدير ، وكذلك اخذت الاسعار في الارتفاع في الولايات المتحدة ابتداء من سنة ١٩٦٤ ، وكان لذلك اثره في زيادة القدرة التنافسية للصناعة الاوروبية واليابانية لداخل الولايات المتحدة وخارجها .

ومن ناحية اخرى ، فان حركة التقدم الكبيرة في الصناعات الاوروبية (والالمانية على وجه الخصوص) وفي الصناعة اليابانية ، قد اتجهت

- اوروبا واليابان تفوقتا على الولايات المتحدة ، من بعد حرب ، انتاجا وتصديرا .

- عرفت اوروبا مسئولية الدولة عن الرخاء والعمالة قبل الولايات المتحدة .

- تمويل الولايات المتحدة العجز فى ميزان مدفوعاتها عن طريق زيادة حيازة غير المقيمين اغضب أوروبا .

- نظام «برتن وودز» تنقصه الشروط اللازمة لقيام نظام نقدى سليم .

الى الصناعات التصديرية ، بينما تتجه الصناعة الامريكية الى السوق المحلي ، بسبب كبر حجم هذا السوق ، فلا تمثل الصادرات الامريكية الا ٥٪ من جملة الناتج القومي الاجمالي للولايات المتحدة .

وقد ترتب على ذلك تطور المركز التجارى للولايات المتحدة ، نتيجة تزايد معدل الواردات بنسبة اكبر من تزايد معدل الصادرات ، كما هو ظاهر من الجدول التالي :

التزايد النسبى فى الواردات والصادرات فى الولايات المتحدة الامريكية ١٩٦٥ ـ ١٩٧٢

السنة	الاستيراد	التصدير
٦٥ ـ ١٩٧٠	١٣٫٣٪	٩٫٨ ٪
١٩٧١	١٤٪	٢٫١ ٪
١٩٧٢	٢١٫٩٪	١٢٫٨٪

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التطور فى الميزان التجارى ، أن تغير وضع ميزان المدفوعات الامريكي مع العالم الخارجى .

ولكن يلاحظ ان التغير الذى حدث فى ميزان التجارة لم يؤد الى حدوث عجز فى صافى هذا الميزان ، الا فى حالة استثنائية نادرة ، ولكن ادى التغير الى حدوث نقص فى فائضه ، جعل ميزان المدفوعات النهائي يتمخض عن عجز . فتناقص فائض ميزان التجارة الامريكي جعل هذا الفائض غير كاف لتمويل تصدير رؤوس الاموال الامريكية للاستثمار فى العالم الخارجي، ولمواجهة التحويلات الحكومية الى العالم الخارجي ، لدفع تكاليف الدفاع والاعانات والهبات للخارج .

ولذلك فان العجز فى ميزان المدفوعات الامريكي قد تم تمويله عن طريق تحويل جزء كبير من رصيد الولايات المتحدة الذهبي الى العالم الخارجي ، وان كان الجزء الاهم من العجز قد مُوِّل عن طريق زيادة مديونية الولايات المتحدة للعالم الخارجى ، اى بزيادة حيازة غير المقيمين لارصدة الدولار .

وعلى ذلك فان التناقص فى فائض ميزان التجارة قد ادى الى نقص الرصيد الذهبي الامريكي من ناحية ، والى زيادة المديونية من جهة اخرى ، الامر الذى ادى الى انخفاض نسبة الاحتياطات النقدية الى الالتزامات قصيرة الاجل بدرجة كبيرة ، ووضع بالتالي بذرة ضعف الثقة بالدولار الامريكي .

الناحية الاجتماعية المتصلة بالاجور والعمالة

تتأثر قدرة الدولة على معالجة التغيرات التي تطرا على ميزان المدفوعات ، بالاهداف الاجتماعية التي ترسمها السياسة الاقتصادية .

فاذا كانت الاهداف الاجتماعية للسياسة الاقتصادية تتجه الى رفع مستوى المعيشة وتحقيق

العمالة الكاملة ، وحدث عجز في ميزان المدفوعات ، فان من الصعب معالجة هذا العجز عن طريق اتباع سياسة نقديةاو سياسة مالية تؤدى الىالانكماش الداخلي، مهما كانت فاعلية هذه السياسة في علاج حالة ميزان المدفوعات فامام الاهداف الاجتماعية التي تدعو الى التوسع الاقتصادى ، على نحو يُحقق فرص عمل اكبر ، واجورا اعلى يتعذر الاخذ بسياسة تؤدى الى تقليل الطلب على السلع ، والحد من ارتفاع الاجور ، وتخفيض الاسعار الداخلية،بقصد تقليل الاستيراد وزيادة التصدير.

ولقد عرفت اوروبا مسئولية الدولة عن الرخاء وعن العمالة قبل الحرب العالمية الثانية بسنوات طويلة ، بينما لم تتقرر مسئولية الحكومة عن هذه الاهداف الكبرى في الولايات المتحدة الامريكية الا في السنوات الاربعينيات ، وبالرغم من ان هذا التقدم الاجتماعي يعتبر من فضائل العصر ، الا انه يضع حدودا للقدرة على تحقيق التوازن او على الاصح على الوسائل التى يمكن اتباعها لتحقيقه ، ولعل في هذا تفسيرا جزئيا لعجز الولايات المتحدة عن تحقيق توازن ميزان مدفوعاتها ، وضعف قدرتها على محاربة التضخم وارتفاع الاسعار في الوقت الحاضر .

الناحية السياسية المتصلة بالوضع المتميز للدولة ذات العملة الاساسية

استطاعت الولايات المتحدة ـ كما قدمنا ـ تمويل العجز في ميزان مدفوعاتها عن طريق زيادة حيازة غير المقيمين للدولار . وقد اثار ذلك حفيظة الاوروبيين ، لانهم رأوا الولايات المتحدة تمول جانبا من استثماراتها في العالم الخارجي ، عن طريق خلق دولارات لاتكلفها شيئا في نظرهم ، وقد وصف الجنرال ديجول هذا الوضع بانه يمثل « امتيازا اجنبيا غير محتمل » .

ومن ناحية اخرى ، ترى الولايات المتحدة انها قدمت خدمة كبرى للعالم ، لا بسبب ما اعطته من مساعدات وهبات لاوروبا وغيرها من الدول فحسب، بل لانها تحملت مسئولية تمويل العالم بوسائل الدفع الدولية ، عن طريق ايجاد عجز في ميزان مدفوعاتها . وترى ايضا ان الظروف الحاضرة تقتضى ان تتحمل الدول ذات الفائض مسئولياتها في اعادة التوازن الى الاقتصاد العالمي ، وان تتحمل تكاليف الدفاع ، ومسئولية تقديم العون للدول النامية ، تخفيفا لاعباء ميزان المدفوعات الامريكي .

الناحية النقدية الدولية نظام برتن وودز

يؤخذ على نظام برتن وودز انه لم يتضمن وسيلة جماعية فعالة، لاعادة التوازن في موازين المدفوعات، فاذا حدث عجز في ميزان مدفوعات دولة ما ، فان كل ما يمكن للصندوق عمله هو تمكين الدولة ، من الحصول علىالعملات الاجنبية في حدود ضيقة، مرتبطة بحصة الدولة في الصندوق . واذا لم تستطع الدولة معالجة العجز ، فان عليها ان تحاول المحافظة على ثبات سعر الصرف في الحدود المقررة (١٪ اعلى او اقل من سعر العملة المعلن ، تبعا للاتفاقية الاصلية ، و ٤/١ر٢٪ اعلى او اقل من السعر المعلن وفقا لاتفاق وشنطون في ديسمبر ١٩٧١) . واذا عجزت الدولة عن ذلك ، فان من حقها تغيير سعر عملتها المعلن ، مع التعهد بالمحافظة على السعر الجديد . هذا مع ملاحظة ان ثمةقيودا على حق الدولة في تغيير قيمة العملة، لا محل هنا للتعرض لتفاصيلها .

ولم يتضمن نظام الصندوق عند انشائه اية وسيلةلتيسير الائتمان المتبادل بين الدول الاعضاء، اللهم الا حق السحب المقرر على اساس ١٢٥٪من قيمة الحصة ، ومقابل العملة الوطنية للدولة التي تطلب العملات الاجنبية. وقد اتخذ الصندوق عدة خطوات لتوسيع قدرته على مساعدة الدول الاعضاء ، عن طريق زيادة الحصص وعقد اتفاقية الاقتراض مع الدول الصناعية الكبرى ، للحصول على موارد اضافية لعملياته ، وانتهى الامر بانشاء وسيلة محدودة للائتمان المتبادل تعرف « بحقوق السحب الخاصة » في سنة ١٩٧٠ ، وبمقتضى

هذا الترتيب الجديد يقرر في كل سنة، كمية حقوق السحب الخاصة التي يتفق عليها، وتحدد حصة كل عضو فيها على اساس حصته في الصندوق . ويكون للعضو الحق في الحصول على العملات الاجنبية التي يريدها في حدود الحصة المقررة من حقوق السحب الخاصة . ولكن صغر حجم المبالغ التي اعتمدت كحقوق سحب خاصة والقيود التي يحاط بها استخدام هذه الحقوق، تجعل من الممكن القول ان نظام الصندوق ، حتى في وضعه الحاضر ، لايمكن الدول الاعضاء من الافادة من نظام الائتمان المتبادل ، يزيد من القدرة على مقابلة العجز الطارىء على ميزان المدفوعات ويوفر قدرا مناسبا من السيولةالدولية .

وينتقد نظام الصندوق ايضا ، بسبب اخذه بمبدا ثبات سعر الصرف ، على نحو يؤدى الى عدم قيام تقلبات سعر الصرف بدورها الاساسي في اعادة توازن ميزان المدفوعات ، عندما يظهر هذا العجز ، اذ يتاخر تغيير سعر الصرف الى ان يتفاقم أثر العجز ، ويصبح علاجه أمرا عسيرا . وفي هذه الحالة يؤدى التغيير المتاخر في سعر الصرف الى تطورات عميقة في الاقتصاد الداخلي ، وفي علاقاته مع العالم الخارجي .

ومن ناحية اخرى ينتقد نظام الصندوق ، لانه ترك للولايات المتحدة وحدها مهمة خلق وسائل الدفع الدولية ، عن طريق العجز في ميزان مدفوعاتها . ويتم هذا الخلق نتيجة الطلب على الدولار من جانب الحكومات والبنوك المركزية من ناحية ، ومن جانب البنوك التجارية ، والمؤسسات المالية والشركات والافراد من ناحية اخرى . اما الطلب الرسمي للحكومات والبنوك المركزية الاجنبية فيكون لتكوين الاحتياطيات الدولارية التي تستخدم للتدخل عند الاقتضاء ، للمحافظة على السعر المعلن للعملة الوطنية ، او لمعالجة العجز الطارىء في ميزان المدفوعات ، أو للاستثمار في السندات المقومة بالدولار . اما طلب القطاع الخاص على الدولار فيكون من اجل الاحتفاظ بارصدة للتشغيل بالعملة المتداولة دوليا وهي الدولار . ويأتى عرض الدولار نتيجة الاستيراد الامريكي من الخارج ، ونتيجة لتصدير الدولار للاستثمار الخاص الخارجي ، أو بسبب التحويلات الحكومية الامريكية للخارج لمختلف الاغراض .

وغني عن البيان ، أنه اذا أريد زيادة ما بيد غير المقيمين من دولارات ، فان هذه الزيادة لا تتأتى الا بزيادة التزامات الولايات المتحدة على حقوقها قبل العالم الخارجي خلال السنة ، اي ان زيادة السيولة الدولية انما تأتي من عجز ميزان المدفوعات الامريكي .

ويرتب منتقدو نظام « برتن وودز » على هذه النتيجة ــ انتقادا آخر هاما ، يتصل بقدرة هذا النظام على تحقيق الثقة اللازمة بالعملة الدولية ، فيقولون ان وجود عجز في ميزان مدفوعات الدولة يضعف الثقة بعملتها ويؤدى الى خروج رؤوس الاموال قصيرة الأجل منها ، والى حدوث مضاربات على قيمة العملة ، ويؤدى بالتالي الى عدم ثبات هذه القيمة .

هذا ولما كان نظام برتن وودز يقوم على أساس الاعتماد على عجز ميزان المدفوعات الامريكي لتوفير السيولة الدولية ، فانه قد تضمن بذرة القضاء على النظام النقدي، لان مقابلة الاحتياجات المتزايدة للسيولة تؤدى الى توسع العجز في ميزان المدفوعات الامريكي، وتؤدى بالتالي الى ضعف الثقة بالدولار، مما يؤثر على صلاحيته للقيام بالوظيفة النقدية .

وخلاصة القول ان نظام « برتن وودز » تنقصه الى حد كبير الشروط الثلاثة اللازمة لقيام نظام نقدي سليم ، الا وهي القدرة على تحقيق التوازن والسيولة والثقة .

واود ان انهي هذا البحث في الأزمة النقدية الدولية ــ بالقول بان الأصول العميقة للازمة انما تكمن في التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي ادت الى تغير معالم التوازن العالمي ، وان عيب نظام النقد الدولي الحالي ، انه لم يتضمن قوة دفع كافية ، لبلوغ وضع ملائم للتوازن على اساس الظروف المتغيرة . ■■

١٩٧٢/٦/٨

عبد المنعم الطناملي

اعرف وطنك
أيها العربي

ظفار

قدم في القرن العشرين
وقدم في العصر الحجري!

استطلاع
سليم زبال

تصوير
اوسكار متري



القاضي زايد بن سيف بن محمد آل عبد السلام كان يحكم في قضايا الناس الشرعية والمدنية طبقا للتفسير الاباضي للشريعة الاسلامية .. أما اليوم فان اكثر القضايا المعروضة عليه اصبحت قضايا حوادث المرور والسيارات !! انه قاضي ظفار الوحيد ، تعرض عليه جميع انواع القضايا .



عمل متواصل من اجل تغيير معالم التأخر ، والدخول الى حضارة القرن العشرين ..
والى اليمين : وقفة استرخاء طبيعية لاحد ابناء البلد ..
والى اسفل : فاق الاقبال على التعليم كل التوقعات .. انه التعطش الى المعرفة في ظفار .





■ **الحديث عن ظفار حديث حساس .**

فهذه المنطقة اصبحت كانها قدس من الأقداس، لا يجوز مسّه .. واذا اراد احد الكتابة عنها فلا خيار له الا في اتباع احد الخطين : يميني متحاز .. أو يساري متطرف !! والويل له من انصار المعسكرين اذا كتب غير هذا !

هكذا يسير العرف بين الكتاب منذ تسع سنوات ..

التيارات السياسية من ناحية ، والأعاصير الجوية من ناحية اخرى ، يعملان بتعاون وثيق على حجب الرؤية وطمس الحقيقة عن اعين المواطن العربي ، الذي يريد ان يعرف كل شيء عن شقيقه الظفاري .

ووسط هذا الخضم المضطرب ، يقف ابن ظفار يقرأ ما يكتب عنه ، ويراقب ما يدور حوله.. فيتألم ويحزن ويصمت .. متسائلا : لماذا كل هذا؟

واليوم ، ونحن ننشر هذا الاستطلاع عن ظفار ، ننشره بعيدا عن كل هدف الا ان يكون استطلاعا لشعب عربي فحسب : اين يعيش ... وكيف يعيش ... وما حظه من الحياة ؟

ولا نحسب أن فردا عربيا يسر بأن تحجب صورة شعب عربي ، كان من حسن طالعه ، أو سوئه ، أن يولد في منطقة مضطربة تستنزف يوميا دما عربيا ... ومالا عربيا .. وجهدا عربيا ..

الى اسفل : والي ظفار بريك بن حمود الغافري ، يتمتع بدرجة وزير ، وله ستة نواب في مختلف المناطق ، وهو يتبع السلطان مباشرة ... ويجلس والي ظفار يوميا في مكتبه المفتوح للاهالي ، ونراه هنا وجها لوجه مع مسلم محمد المهري ، الذي قدم من البادية ليعرض شكواه ، وقد ظهر معهما الشيخ عيسى المعشني ، احد شيوخ القبائل .



انها واحدة من معاركنا العربية الجانبية الفرعية تدور بين اخوة وابناء عم منذ تسع سنوات ، كان بالاحرى توجيهها نحو معركتنا الرئيسية ، مع عدونا الصهيوني المشترك ..

ما هي ظفار ؟

ظفار ليست مدينة ، كما يحلو للبعض وصفها، بل هي اكبر ولاية في سلطنة عمان ، تمثل ثلث مساحة البلاد الاجمالية ، اي نحو مائة الف كيلومتر مربع .. مساحة شاسعة تزيد على مساحة الاردن ولبنان والبحرين مجتمعة .

وقد اسهم موقع ظفار الطبيعي في عزلها عن العالم ... من الشمال تحدها رمال الربع الخالي .. ومن الجنوب تغسل سواحلها مياه بحر العرب .. ومن الشرق يعزلها جبل سمحان المرتفع، اما من الغرب فحدود مغلقة دائما مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

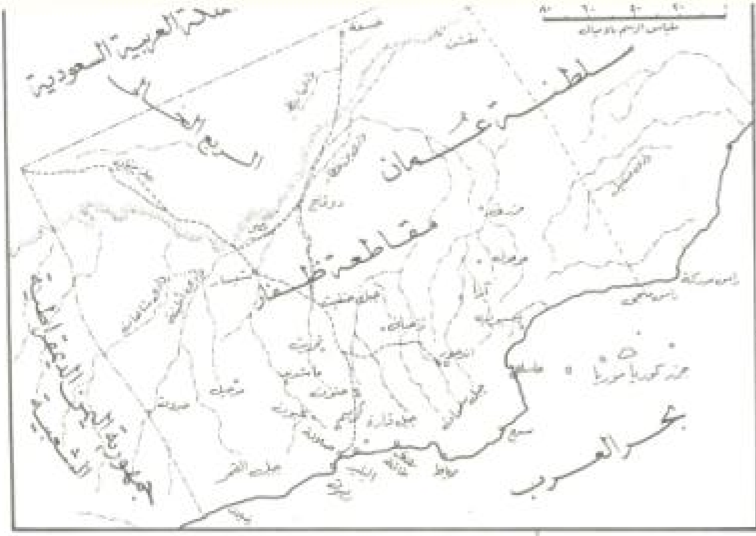
والى جانب عزلة الموقع تشترك طبيعة الارض في زيادة صعوبة الحياة ، فالصحراء تحتل نسبة ٩٠٪ من مجموع ارض ظفار ، والجبال تحتل ٩٪ والباقي ، اى ١٪ سهل ساحلي .

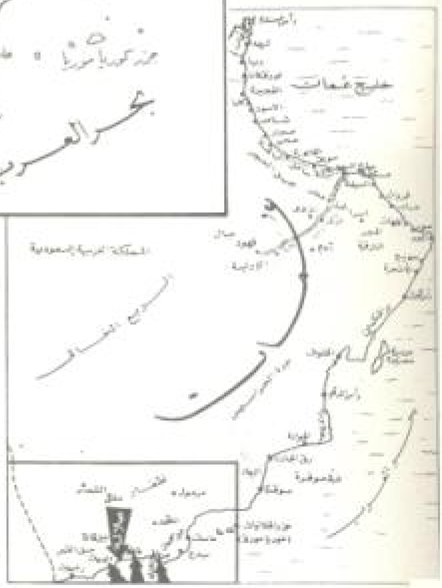
اما مناخ المنطقة فحدث عن تنوعه دون حرج .. فبينما تنضج البيضة الطازجة تحت حرارة شمس رمال ظفار في الشمال ، نجد الاعاصير تهب على الساحل الجنوبي ، فتغلق البحر مدة ٣ شهور في وجه المراكب والسفن .. وتهطل الامطار بمعدل خمس بوصات على الساحل ، و ٣٠ بوصة على جبال ظفار الثلاثة : القمر ، وقارة ، وسمحان ..

طموح قرية

ومن هذه الجبال ينحدر اثنا عشر واديا باتجاه البحر ، قامت عند مصبها القرى والتجمعات السكانية ، تعزلها الجبال بعضها عن بعض .

واشهر هذه القرى : صلالة ، ذاع صيتها وانتشر ، فامتدت واتسعت حتى ابتلعت قرى الحصن وحافة ، وما زال طموح ابنائها كبيرا ،





خريطتان : اليمنى تبين موقع ولاية ظفار التي ظهرت مكبرة في الخريطة العليا . وظفار هي واحدة من ثلاث ولايات تتكون منها سلطنة عمان ، مساحتها مائة ألف كيلو متر مربع أو ٤٠ ألف ميل مربع ، كان يقدر عدد سكانها بنحو ٢٠ ألفا يعيشون في الجبال و ١٥ ألفا يعيشون على الساحل .. عاصمة الولاية صلالة ، وتبعد عن مسقط بنحو ٩٧٠ كيلومترا .. العملة المتداولة هي الريال السعيدي ، ويساوي جنيها استرلينيا .. احسن الاوقات لزيارة ظفار الشهر التاسع .

انهم يريدونها مدينة نابضة تشع الخير على المنطقة باسرها ، وبدأ حلمهم يتحقق ، فسكانها قفز عددهم من ٣ الاف الى ١٦ الفا ، وبلدتهم اصبحت العاصمة الادارية لولاية ظفار ، فيها مجلس الوالي والقاضي ، والمدرس ، وفيها الفندق والمستشفى والمسجد والمدرسة .

وبعد صلالة في الأهمية تأتي مرباط ، وطاقة ، وريسوت .. قرى ساحلية بدأت تأخذ اشكالا حضارية في الآونة الأخيرة .

اما بقية اسماء القرى ، فلا تعدو كونها تجمعات سكانية لا يزيد سكان اكبرها على الف نسمة ، مثل رخيوت ، وبلكوت ، والحاسك ، وعوقة الأولى وعوقه الثانية ، ورزات وغيرها .

وعدد سكان ظفار غير معروف بالدقة لعدم وجود احصائية رسمية ، ولكنهم اكدوا لنا أن سكان الجبل كان عددهم ٢٠ الف نسمة يملكون ٢٠ الف بقرة ، وسكان الساحل كان عددهم نحو ١٥ الف نسمة ، اما اليوم فقد امتزجت الأرقام ، نتيجة للهجرة المتزايدة من الجبل المضطرب الى الساحل الهادىء ..

مبني على « الكسر » !

وقد جرت عادة الناس في ايامنا هذه على نطق ظُفار بضم اولها .. في حين أن ضبطها الصحيح، كما جاء في « معجم البلدان » وكتب اللغة ، هو : ظَفار بفتح اولها ، اما آخرها فبعضهم يبنيه على الكسر وبعضهم يُعربه .

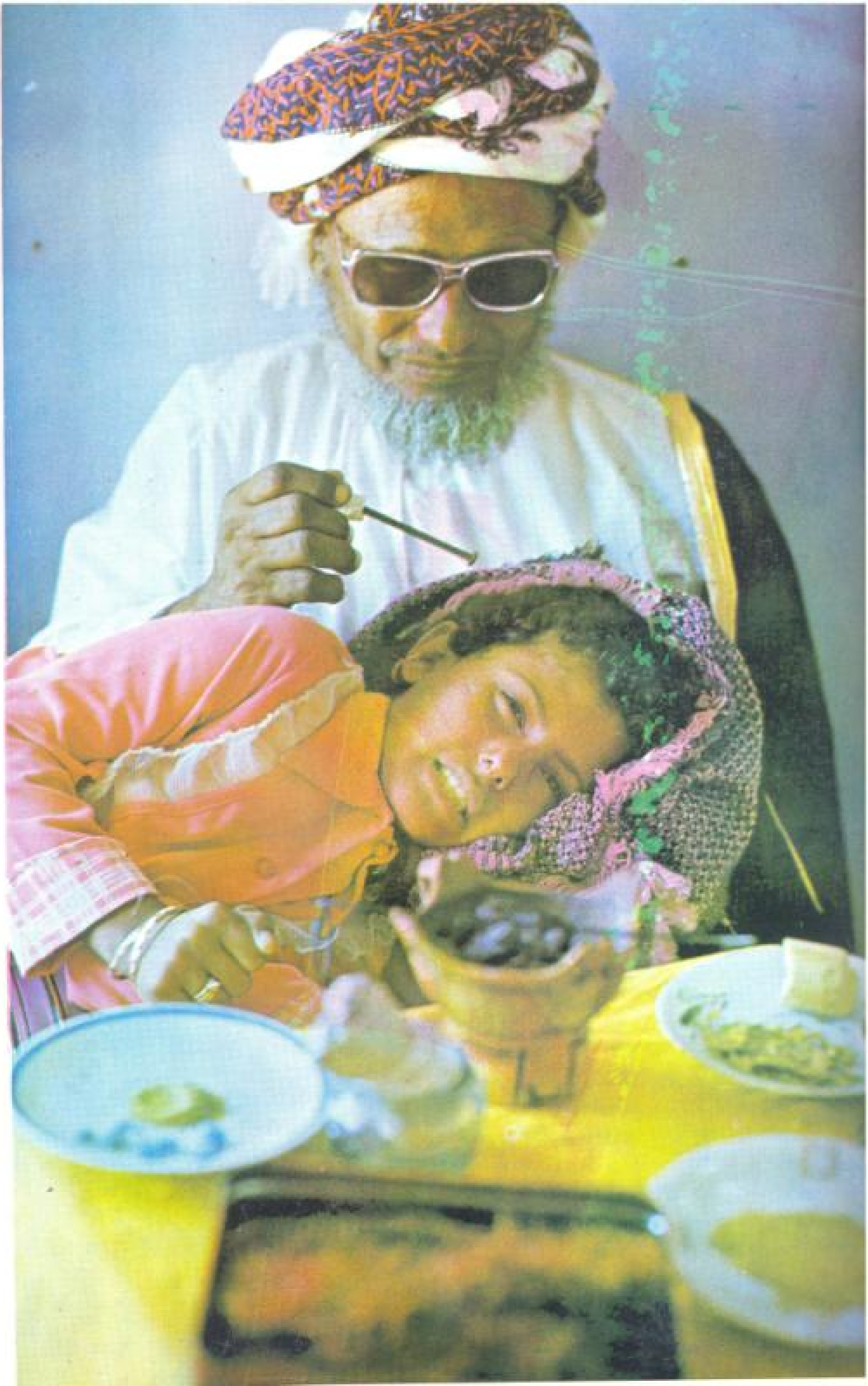
اما السلطان السابق سعيد بن تيمور ، فكان بناؤه على « الكسر » فقط !! كان يحكم بسلطات تعسفية مطلقة ، يعاونه خدمه كوزراء له، يرسلهم الى الاهالي يبلغونهم اوامره بمقدمة تقليدية تقول : « يسلم عليكم حبّاب (اي السيد العظيم) ويقول لكم .... »

وكان السلطان سعيد ، الذى توفي منذ نحو



« ما فينا الم كبير حتى نذهب للدكتور ! » .. ان ابن ظفار يكابر حتى في المرض ، فلا يذهب للطبيب الا عندما يبلغ الرمق الاخير تقريبا ..! وتطعيم الرضع ضد شلل الاطفال والتيتانوس والجدري والدفتريا ، لم تعرفه المنطقة بعد .. كما ان هيئة الصحة العالمية لم تعرف هي الاخرى منطقة باسم ظفار !! والناس هناك تعودوا على التبرك باضرحة الاولياء العديدين لشفائهم من امراضهم ، وخاصة الضريح الغريب الطويل « للنبي عمران » **(الصورة العليا)** الذى بناه مسافر هندي باعتبار ان طول ابونا آدم كان ٦٠ ذراعا !! وبعضهم ما يزال يصر على الذهاب الى « الطبيب العربي » عم فرج ، **(الصورة اليسرى)** رغم اعتزاله الخدمة بعد ٤٠ سنة من معالجة الناس بالكي والصبر السقطرى والتوابل . وهو يقول : « الناس ما افتكوا مني ، انهم يصرون على فائدة علاجي » .. ولكن الاغلبية الساحقة من الناس اصبحت تتردد على مستشفى صلالة المزود بغرفة عمليات حديثة **(الصورة السفلى)** ويعمل فيه سبعة اطباء و ١١ ممرضا وممرضة .. عالجوا في السنة الماضية ربع مليون متردد على المستشفى .









هذه الصورة ليست في هونولولو وانما في ظفار .. اشجار جوز الهند الرشيقة تتمايل على الشاطيء الجميل الذي لا يستحم فيه احد .

خلجان متتابعة ، جميلة رائعة لعـ
ريسوت هو افضل هذه الشواطيء

عام في لندن ، مهتما بمنطقة ظفار باسلوبه الخاص .. يخطط للمشاريع ويشبعها بحثا ، ولكنه لا ينهيها ابدا .. فمثلا شيد جدران المستشفى في صلاله ، ولكنه تركه بدون سقف مدة ١٧ سنة ، واجرى الخبراء مسحا زراعيا شاملا لمقاطعة ظفار ، وقدموا تقاريرهم ، فجمدها ولم ينفذها .. وفكر في شق الطرق ، وجلب فعلا خمسة تراكتورات ، ولكنه وضعها في ساحة قصره مدة خمس سنوات ، فعلاها الصدأ !!

حتى التعليم ، كان للسلطان سعيد ، الذي كان يجيد خمس لغات ، فلسفته التعليمية الخاصة ، فتح مدرسة ابتدائية ، واعطى اوامره بتحديد القبول بخمسة وعشرين طفلا سنويا فقط .. وغير هذه ، قصص اخرى كثيرة يرويها لك الناس كلها تحوى العجب العجاب .

السلطان يؤيد الثوار

وهكذا تضامن « الانغلاق الانساني » مع « الانغلاق الطبيعي » على عزل ابن ظفار وتحويله الى انسان يعيش في زمان متأخر عن زمانه بعدة قرون .. فكان هذا مرتعا خصبا لانتشار الخزعبلات والدجل ، وسيطرة الثالوث المرعب : الفقر والجهل ، والمرض على كل ارجاء ظفار ..

ولم يكن هناك مفر من اندلاع ثورة ظفارية على هذا الواقع الفاسد ، وحظيت الثورة بتأييد داخلي وخارجي شامل ، حتى السلطان قابوس ، الذي اطاح بوالده سعيد بن تيمور في ٢٣ يوليو ١٩٧٠ قال بعد توليه الحكم : « كانت مطالب الثوار معقولة ، وكان الجميع ــ بما فيهم انا ــ مع الثورة عند انطلاقها عام ١٩٦٤ لقد كان الامس ليلا مظلما ، وفي الغد تشرق الشمس » .

واليوم وبعد مضي ٣ سنوات على « اشراقة الشمس » ما الذي تبدل في ظفار ؟

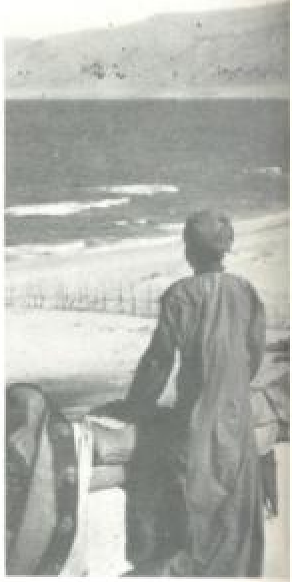
مصاعب التحول

لقد عشنا اسبوعين في المنطقة تنقلنا خلالهما بالسيارات والقوارب والهليكوبتر ، الى مناطق نائية لم تطأها قدم ، وقطعنا الساحل جيئة وذهابا ، وعبرنا جبال ظفار الى نجد ورمال الربع الخالي .. وخرجنا من كل هذا بحصيلة وافرة من المشاهدات والمعلومات يمكن تلخيصها في هذه الكلمات : « ان ظفار اليوم قد وضعت قدما في القرن العشرين ، ولكن قدمها الاخرى ما زالت مشدودة الى القرون الحجرية الاولى » .

وهذا وضع طبيعي بالنسبة لظفار ، فعمليات الاصلاح التي تمت حتى اليوم ، لا تعدو قطرة



روشة ريسوت .. اطلق عليها هذا الاسم لانها تتشابه مع روشة بيروت وظهر في الصورة عبد العزيز محمد الرواس مسئول الاعلام في ظفار .



على طول ساحل ظفار .. وشاطيء وان كانت خلجان مرباط لا تقل روعة .

من بحر ، فهنا لا يمكن اجراء التبديل بسهولة ، فالتقاليد والعادات المتوارثة ، لم يحاول احد تطويرها عبر الاجيال ، فرسخت في نفوس اهل ظفار ، رسوخ النقش على الحجر !

ان التحول من مجتمع قبلي بدوي ، نسبة الامية فيه ٩٨٪ الى مجتمع حضري متعلم ، ليس من الامور التي يمكن أن تتم في طرفة عين ، فكل شيء هنا معقد ليس من السهل حله .

جنة الزبالـين

تعالوا ناخذ مثلا بسيطا : نظافة المدن الظفارية .. لقد سرنا في قرية « طاقة » نتجول بين احيائها ومبانيها ، فوق ارض معبدة .. معبدة بسماد الابقار الطبيعي ، وبقايا عظام الماعز والاسماك !

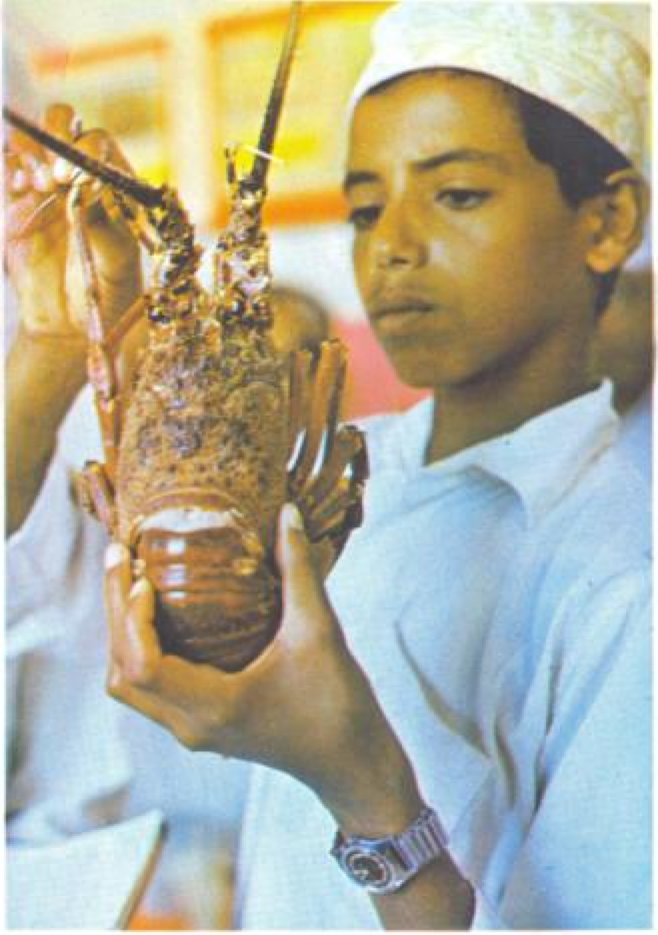
كثرة الذباب جعلتنا لا نستطيع فتح افواهنا لنسال : لماذا هذا ؟ حتى وصلنا الى صلالة فطرحنا السؤال على ضابط البلدية الذى اجابنا متحسرا : « عندما بدانا عملية تطوير صلالة ، وجدنا ان شوارعها لم تنظف منذ ٤٠ سنة على الاقل .. المهملات متراكمة في كل مكان .. وحاولنا تعيين زبالين محليين ، ولكننا لم نوفق .. لان القبلي لا يعمل ابدا في هذه المهنة لحقارتها (والقبلية ـ بالمناسبة ـ ما زالت منتعشة في عمان .. وعند وصول طائرتنا الى مطار مسقط طلبوا منا ـ ومن بقية الركاب الاجانب ـ كتابة اسم قبيلتنا على بطاقة الدخول .!!) ولم تجد بلدية صلالة مخرجا الا باستيراد الزبالين من خارج البلاد ، فجلبتهم من الباكستان بعد ان ارسلت لهم بطاقة سفر بالطائرة ، وجاء ٥٠ زبالا الى صلالة ، يتقاضى الواحد منهم ، الى جانب السكن والكهرباء والماء ، ٣٤ ريالا سعيديا (الريال يساوى جنيها استرلينيا) والمسئول عن التفتيش عليهم ـ وهو باكستاني ـ يتقاضى ٦٥ ريالا شهريا ، وهم لا يتكلمون لغتنا ، لهذا عينت البلدية مترجما خاصا بالزبالين !! »

هذا مثل من مشاكل المنطقة ، والمثل الثاني لمسناه عندما حلقت بنا الطائرة فوق مدينة مرباط .. مدينة كالحة اللون ، ليس فيها غصن اخضر واحد ، فنزلناها ، ووجدنا الخضرة في القلوب ، وفي كرم اهلها وبشاشتهم ، اما الزراعة فمهنة حقيرة عندهم ، بعكس بقية مناطق ظفار التي يكثر فيها الزرع والاشجار ..

استيراد العمال

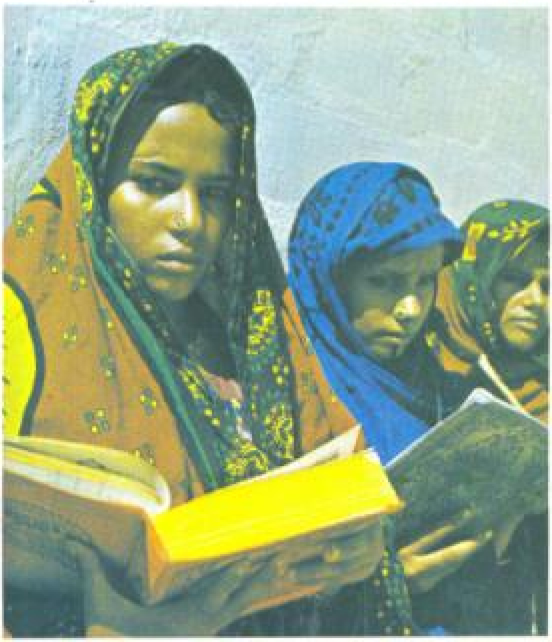
هاتان المشكلتان الصغيرتان توضحان لنا نوعية من المشاكل الكبيرة التي توارثتها المنطقة ..

أوشك القرن العشرون ـ وهو عصر العلم ـ على الانتهاء ، ولم يكن في كل مقاطعة ظفار الا مدرسة واحدة تضم ١٤٠ طالبا .. وجاء الانفتاح بعد طول الانغلاق،وكان هناك اصرار على توسيع فرص الالتحاق بالتعليم لكل راغب فيه .. وذللت اغلب الصعوبات والمتاعب التى في الطريق ، ولم يعد يرفض اى تلميذ يرغب في التعلم .. فقفز عدد التلاميذ من ١٤٠ الى ٢٠٥٣ في سنتين فقط .. وبعد انتهاء من مرحلة « الكم » بدأ التشديد على مرحلة « الكيف » وبدأ التعاقد مع معلمين ومعلمات عرب مؤهلين ، وشرع في اعداد منهج عماني يتحدث عن البيئة العمانية .. مع الاخذ بالاساليب النامية الحديثة ، مثل تصبير حيوانات واسماك المنطقة لدراستها (الصور اليمنى) انه طموح كبير الى حياة افضل من ملء المدارس بالتلاميذ والتلميذات (الصورتان اليسرى والسفلى) ..









نزلت « خضرة » من الجبل الى صلالة لتستقر فيها مع اهلها ، فدخلت المدرسة المؤقتة حتى يبدأ العام الدراسي التالي ، وتراها هنا تتعلم تلاوة آيات من المصحف الكريم .

ولا علاج لكل هذه المشاكل الا بنشر التعليم على اوسع نطاق .. ولكن من يحل مشاكل التعليم نفسه ؟.. « من اين نأتي بالاساتذة ، واين المباني اللازمة لسكناهم ؟ » .

ان الازمة السكنية خانقة ، لانه لا توجد مبان صالحة للسكنى في المنطقة .. وعندما بدات عملية التطوير تولت وزارة الدفاع مهمة البناء ، لخوف المقاولين الكبار من الانغلاق والاضطرابات ، ولتشجيعهم على دخول المنطقة عرضوا عليهم شروطا مغرية ، تتلخص في دفع جميع تكاليف البناء ، مع نسبة مئوية زائدة تحتسب لهم ..

لم يكن في المنطقة كلها نجار او سباك او كهربائي واحد ، فاضطرت الشركات الى جلب العمال من الهند والباكستان ودبي .. وبدأت المباني والطرقات الحديثة تظهر في صلالة ، وارتفع عدد شركات المقاولات العاملة في المنطقة الى خمس ، واحدة منها عربية لبنانية جلبت معها عددا محدودا جدا من العمال الفنيين العرب . وقال لنا احد مسئولي الشركة العربية : « ان المشكلة اقتصادية في المرتبة الاولى ، فالعامل الهندي والباكستاني ممكن جلبه بسرعة وباقل التكاليف ، بينما العامل العربي ، المتفوق عليهما فنيا ـ يجب ان تدفع له تذكرة سفر ثمنها ٢٠٠ ريال ، وتهيىء له السكن المناسب ، بينما العمال الآخرون يقبلون النوم جماعات تحت خيمة .. »

اما العامل الظفاري العادي فلا يتقاضى اقل من ثلاثة ريالات يوميا (الهندي يتقاضى ريالين) .. وقد نجحت عملية تدريبه في قيادة السيارات والشاحنات والتراكتورات ، واستطاع ان ياخذ مكان ٣٠٠ عامل هندي وباكستاني ، تركوا المنطقة بعد توفر اليد المحلية العاملة ..

التعليم يكتسح المشاكل

وانعكست ازمة البناء على التعليم في المنطقة ، شرحها لنا الاستاذ عبد القادر الغساني ، مشرف التعليم في ظفار ، بقوله : « كان عدد التلاميذ في كل المنطقة ١٤٠ تلميذا يتعلمون في مدرسة واحدة حتى نهاية عام ١٩٧٠ ، واليوم اصبح لدينا ٢٠٥٣ تلميذا وتلميذة .. ولم يكن ممكنا ان نستلم اول مدرسة في صلالة الا في سبتمبر عام ١٩٧٢ ، ومدرسة البنات استلمناها هذا العام فقط ، وهي تسع لاثنى عشر فصلا .

« ان متاعب البناء لم تقف عقبة امامنا ، فنحن لم نرفض أي طالب من ٦٥٨ طالبا تقدموا الينا في العام الماضي . ان ٥٥ مدرسا يقومون حاليا بتعليم الاطفال على فترتين صباحا ومساء ، حتى تستغل المباني على اوسع نطاق .

« وقبل افتتاح مدرسة البنات هذا العام كانت الفتيات يتعلمن في المنازل الخاصة الكبيرة تحت اشرافنا ، وقامت نساء صلالة المتعلمات بدور ايجابي رائع ، فتولين التدريس للفتيات في منازلهن » .

اما تأثير مشكلة البناء ، فيظهر جليا في مساكن الاساتذة لقد كان ابناء ظفار هم الذين يعلمون التلاميذ ، وفي عام ١٩٧٢ جاء لاول مرة ١٠ اساتذة عرب : خمسة من مصر وخمسة من الاردن ، وفي هذا العام ١٩٧٣

الى اسفل : شجر جوز الهند في ظفار على نوعين : قصير يعطي انتاجه بعد رابع سنة من غرسه ، وطويل يعطي انتاجه بعد سابع سنة ، ولا تؤتي الشجرة (ويسمونها النارجيل) ثمرتها المرجوة حتى تبلغ السابعة عشرة من عمرها .. وهي تعمر من ٨٠ الى ١٠٠ سنة . ولثمرة جوز الهند يسمونها الكزابة يقطفونها خضراء ويشربون حليبها المنعش اللذيذ ، ويأكلون لبها . ويسمونه « الفقيش » والصورة توضح عملية تقطيع الثمرة





ثلاثة وجوه لثلاثة رجال .. تركو الجبل مع عائلتهم واستقروا في قرى الساحل .. ان حمل السلاح هو عنوان الرجولة عند أهل ظفار .. سواء كان سلاحا ابيض او مدفعا رشاشا !

ستاتي خمس عشرة معلمة عربية ، وقد وعد مكتب التنمية باعداد المساكن اللائقة لهم مع بداية العام الدراسي الحالي .

جامعاتنا ولغة العصافير ؟

ويتلقى الطلبة علومهم باللغة العربية الى جانب تعلمهم اللغة الانجليزية ، ولكنهم في حياتهم العادية يتحدثون باللغة الشحرية او الجبلية ، ويطلق عليها الاجانب اسم لغة العصافير والطيور ، فهي تتميز بنغم عذب ، وبحرف يتوسط الثاء والشين .. وسمعناهم يتحدثون بها فخلناها العربية ، ولكن سرعان ما تبين لنا اننا لا نفهم شيئا !!

وهذا نص حديث شحرى دار امامنا سجلناه بحرفيته : لكن سوشاشيت غرامكو حيا الله ابو سعود طايف عادوا يتسبرق اوربيتر حلاص لا تصفيح دلحقت د الحمر »

ولا تسألنا عن المعنى ، وانما اليك معنى الارقام فهي اسهل ، وترتيبها من ١ الى ١٠ كالآتي : طاد ، ثرة ، ساثيت ، اربعات ، خولش ، شيثيت ، ستثعيت ، ثينيت ، تسثقيت ، عشريت .

وهم يختصرون بعض الكلمات فكلمة خبور ؟ تاخذ مكان : ما هي اخبارك ؟ . ومه بدلا من الماء .. وكم يكون رائعا ومفيدا اذا قامت احدى جامعاتنا العربية بتسجيل واجراء دراسة مفصلة لهذه اللهجة ، قبل ان تنقرض مع الانفتاح الجديد على العالم ..

واللغة الشحرية هي لغة تخاطب فقط ، اذ انها لا تكتب ، ويتحدث الناس بها في كل ولاية ظفار ، وفي مرباط يتبادل الرجل والمرأة كلمات الغزل شعرا باللغة الشحرية قبل زواجهما ، ومرباط (سكانها ٢٠٠٠ نسمه) وهي المدينة الوحيدة في ظفار التي يضحك اهلها ويرقصون ويطربون للشعر ، وياكلون الصويلح بنهم زائد ، وهي مادة هلامية يخرجونها من داخل أصداف كبيرة ، تظهر على شاطىء مرباط بكثرة عندما ينفتح البحر بعد الاعاصير ، يجففونها في الشمس ، وياكلونها قطعا صغيرة كل يوم تقريبا .

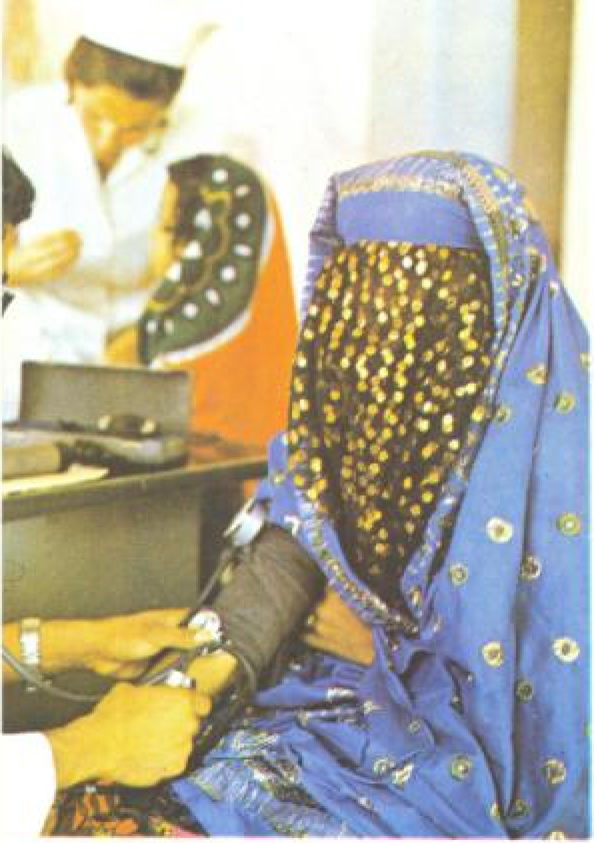
وفي مرباط نمنا في حصن الشيخ عامر بن علي العامرى نائب الوالي ، وفي الصباح جلسنا نتناول الفطائر المشبعة بالسمن والعسل مع الشاى والحليب ، مبدين اعجابنا بالنسمات اللطيفة التي هبت في الليل ، فقال الشيخ عامر : « لو مكثت معنا شهرا ، فلن ترجع ابدا الى مسقط راسك ، وستذكر قول الشاعر :

كأن بمالها نفثات سحر
تنسيك الآلى رُبوك طفلا

كل شيء رائع هنا .. هواء مرباط اللطيف يجعلك تستيقظ نشيطا كالظبى .. انكما أول صحفيين جاءا الينا . وهذا حدث له اهميته لنا فوصولكما دليل على بداية انفتاحنا على العالم ، وبداية خير كثير للمنطقة !!

يخاف من الحضارة !

قلنا للشيخ عامر : « مرباط تعيش في عزلة تامة

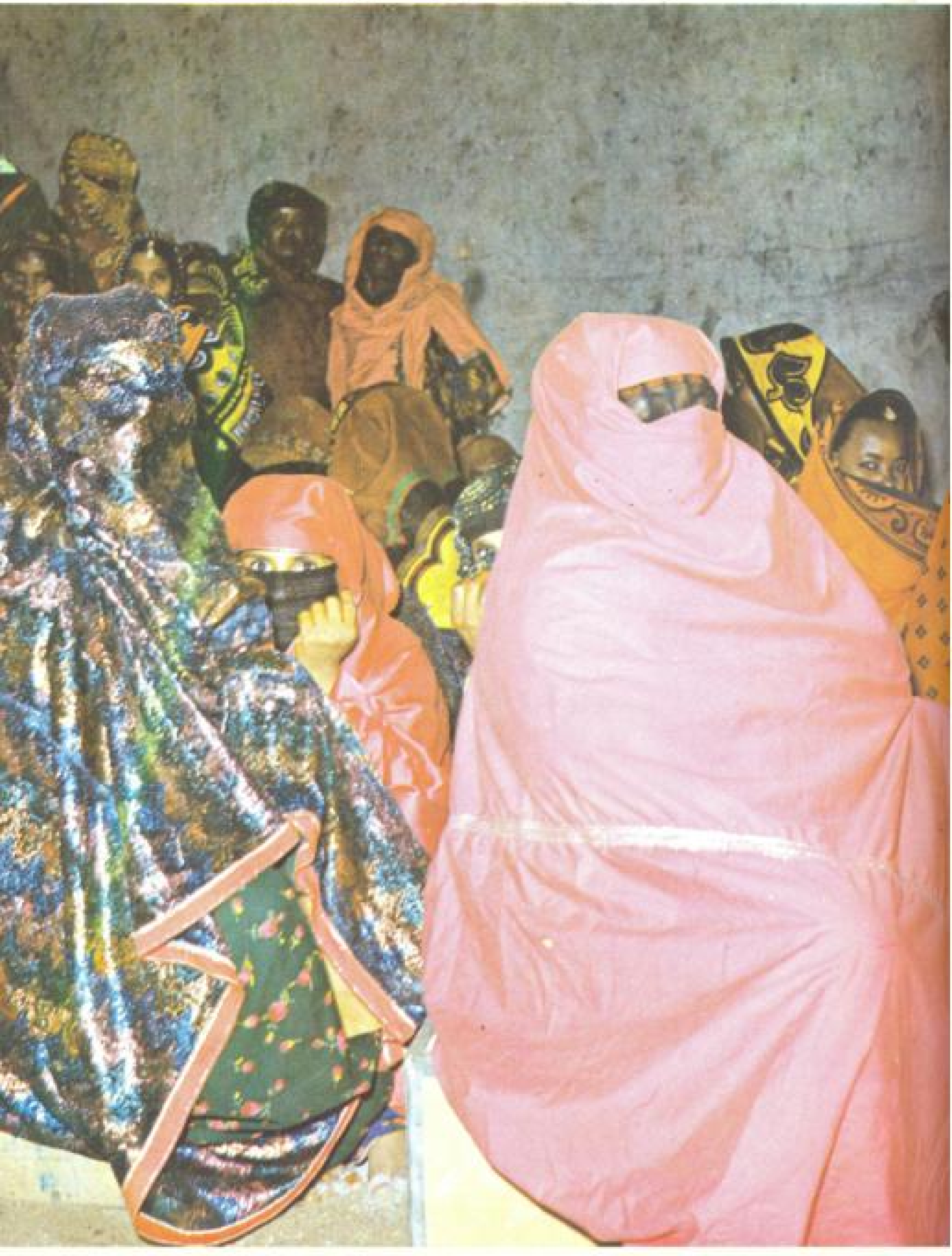


الى اليسار : ثلاثةاطباء عمانيين يقومون بعمل انساني مشرف في مستشفى صلاله .. لقد بدات المراة لاول مرة تعالج نفسها عند الطبيب ، وكانت في السابق تذبل وتموت بامراضها دون أن يعالجها احد .. وفي الصورة الدكتور العماني «يزدوى محمد» يعالج احدى المريضات المحجبات ..



الى اليمين : الفتاة الظفارية الحديثة .. بدات تتعلم في مدارس نظامية في هذا العام (١٩٧٣) ان الامال كلها معقودة على فتيات الجيل الجديد للنهوض بمستوى المراة المتدهور في ظفار ..

الى اسفل : الالوان الصارخة الحامية هي الالوان المفضلة لدى المرأة الظفارية .. فتراها تغطي جسمها بقطعة هائلة من القماش الملون .. وغالبية النساء يضعن الحجاب الكثيف على الوجه ، ولا يخرجن من منازلهن الا مرة او مرتين في الاسبوع .. وتشكو المرأة من الفراغ الكبير الذى تعيش فيه .. وتتزوج المرأة عندما تبلغ ١٥ عاما .. وغالبية الرجال ، وخاصة في مرباط ، يتزوجون اربع نساء مرة واحدة !!



لا طريق ، ولا سيارات ، فما رأيك في الحضارة الحديثة التي بدأت تدق أبوابكم ؟ »

فسكت الشيخ عامر ، ونظر الينا من تحت نظاراته الثقيلة قائلاً : « أنا لم أسافر الى الخارج أبداً ، حياتي كلها قضيتها على وتيرة واحدة : ٦ شهور في مرباط ، و ٦ شهور نصعد فيها الى الجبل عندما ينغلق البحر في الخريف .. والحضارة العصرية تخيفني ، لأننا سعداء بحياتنا ، ولا تعتقد ان احداً عاش عيشة طيبة مثلنا ، اني اخاف من شيء أشعر أنه سيمس ديني ، وينقص ايماني .. ان التقدم الكهربائي والمالي ليس تقدماً .. العادات المستمرة هي الأحسن ، والحضارة ما هي الا مرض اجتاح العالم .. ان الحضارة الحقيقية هي التي تبني ولا تهدم ، أما الحضارة العصرية الحالية فانها تجردني من معنى الانسانية وتجعل من الانسان حيواناً ، القوى يريد أن يأكل الصغير ... »

هذه لغته ، وهذا هو تفكيره .

العروس تهرب من العريس !

وانتقلنا بعد العشاء الى منزل الشيخ مسلم

ساعتان ونصف استغرقتها رحلتنا بالطائرة من مسقط الى صلالة .. وقد تم افتتاح خط طيران تجاري منتظم ، ينطلق بين مسقط وصلالة مرتين في الاسبوع .. وما زال السفر الجوي يتم على نفقة الحكومة بالنسبة للفقراء والمرضى ..



ابن سعيد العمرى لتناول الصنّوبلح» «والقوالة» اى الفاكهة والقهوة ، وامتدت الجلسة الى ساعة متأخرة من الليل ، قال خلالها الحاضرون : ان ابن مرباط يموت وهو دائماً عريس ، وقد جرت العادة في المدينة ان يتزوج الرجل بأربع نساء ، والاستثناء بواحدة .. وللفتاة حق الاعتراض ، عن طريق امها ، على العريس الذى يختاره لها والدها ، ومن عادات الزواج في منطقة جالر ان العريس عندما يدخل على عروسه تجرى منه الى البادية ، فاذا امسكها كان الزواج ناجحاً ، واذا فشل في اللحاق بها ، عادت ثانى يوم مع امها طالبة الطلاق والانفصال !!

عادات وتقاليد ، لو ذكرناها كلها ما تركنا مجالاً لحديث آخر .

تاريخ « شوية مفقود » !

وعندما سألناهم عن تاريخهم القديم ، اجابونا بحياء : « التاريخ عندنا شوية مفقود .. لكن الأكيد ان شداد بن عاد هو المالك الوحيد لظفار » !!

وشداد هو من العرب البائدة ، والواقع ان تاريخ ظفار يشوبه بعض الاختلاط ، اذ توجد اربعة اماكن تحمل نفس الاسم ، حتى صنعاء اطلقوا عليها اسم ظفار .

وتعتبر ظفار مركز البخور واللبان العربي المر الذى كان يتهافت عليه العالم القديم بشراهة زائدة ...

وكتب هيرودوس يقول : « ان الثعابين المجنحة هي التي تحرس اشجار اللبان » .. وقال آخرون : « بل التنين الذى ينفث النار والدخان هو الذى يحرسها » .

والواقع اننا وقفنا امام شجرة اللبان في ظفار ، فلم نقف على اثر لثعبان أو تنين .. !!

لقد ظل العالم القديم ، من فراعنة واغريق ورومان يعتقد ان العربية السعيدة Arabia Feli. **اى اليمن ، ومعها الصومال ، كانتا مصدر هذا اللبان ، ولكن الواقع ان القوافل كانت تبدأ رحلتها من ظفار محملة باللبان على الطريق الطويل الممتد عبر حضرموت واليمن حتى ميناء غزة ، ومنها كان يشحن اللبان الى اوروبا ، وكانت هناك طرق اخرى تمتد الى الخليج العربي والهند والشرق الاقصى .**

كيف تدهور اللبان ؟

واستمر سوق اللبان العربي رائجا حتى عشر سنوات مضت .. وتعالوا نستمع سويا الى نهاية قصة شجرة اللبان العربي ، كما رواها لنا تاجر اللبان الظفارى مسلم العمرى ، قال :

« حياتنا كانت تعتمد على حجر اللبان المستخرج من ملايين الاشجار التي تنمو طبيعيا دون أن يزرعها أحد في جبلنا ، كنا تجارا في مرباط ، عاق ظفار فهم يزرعون ولا يتاجرون (يقصد بكلمة ظفار كل ما هو واقع قرب مرباط ، مع ان مرباط نفسها هي جزء من ظفار) .. وكل قبيلة او عائلة تختص بمجموعة من اشجار اللبان تستغلها لنفسها او تؤجرها ، كما يحلو لها .. اما نحن فكنا نخرج ومعنا ٣٠٠ بعير (جمل) على الاقل ، لنسير مدة ثلاثة ايام حتى نصل الى موقع اشجارنا عند النجد خلف الجبل .. وبمجرد وصولنا نبدأ بجرح كل شجرة بالسكاكين ، فتنزف حليبا أبيض ، نتركه عشرة أيام حتى يجف ويتحول لونه الى اصفر ، فنضربه مرة ثانية باسياخ من حديد ، فيتساقط على الأرض ونجمعه .

« هكذا كنا نجمع كميات هائلة من اللبان .. واحيانا أخرى كنت اؤجر اشجارى ، واتقاضى ٣٠ رطلا من اللبان ، عن كل عامل يعمل في اشجارى .

« واللبان لا يشتهي الماء عندما نجرح اشجاره ، لهذا كنا نصعد الجبل ايام الجفاف في الشتاء ، وننزل بعدها الى مرباط مع حملنا الثمين .. وتكون الخشاب (اى المراكب الخشبية) الهندية في انتظارنا ، تأخذ منا اللبان ، وتعطينا الملابس والاكل ، وعندما استقلت الهند بدأوا يعطوننا الروبيات بدلا من الملابس ، لم تشددوا في اجراءاتهم فاتجهنا لبيع محصولنا الى تجار عدن .. واستقلت عدن ، وترك تجار اللبان البلاد ، وزاد الطينة بلة وقوع الاضطرابات في الجبال ، فلم يعد أحد يهتم بجرح الاشجار ، او جمع اللبان بكميات » .

اللبان يسطر التاريخ

ولم تكن اشجار اللبان مصدرا للخير دائما ، بل كانت سببا لغزوات متواصلة تعرضت لها ظفار على مر التاريخ ، من الشرق والغرب .. فقد جاءتها قوات الملك الساساني انو شروان فاحتلتها عام ٥٧٠م ، وفي بداية التاريخ الاسلامي كانت عائلة المنجاوة تدير اقليم ظفار في مرباط ، وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، قتل امير هرمز اهل ظفار وسباهم ، ثم جاءها ملوك بني رسول من اليمن .. وزارها ماركو بولو عام ١٢٨٥ وبعده بنصف قرن مر بها ابن بطوطة ، وفي القرن السادس عشر دمرها البرتغاليون .. واحتلها سيف الاسلام الغساني اليمني في القرن السادس عشر .. وفي عام ١٨٢٩ احتلها حاكم مسقط سعيد بن سلطان ، وفي عام ١٨٧٩ ضمها نجله السلطان تركي بن سعيد الى سلطنة مسقط نهائيا ، ولم تنجح الاضطرابات المتوالية ، ولا اطماع الجيران في تغيير الوضع .

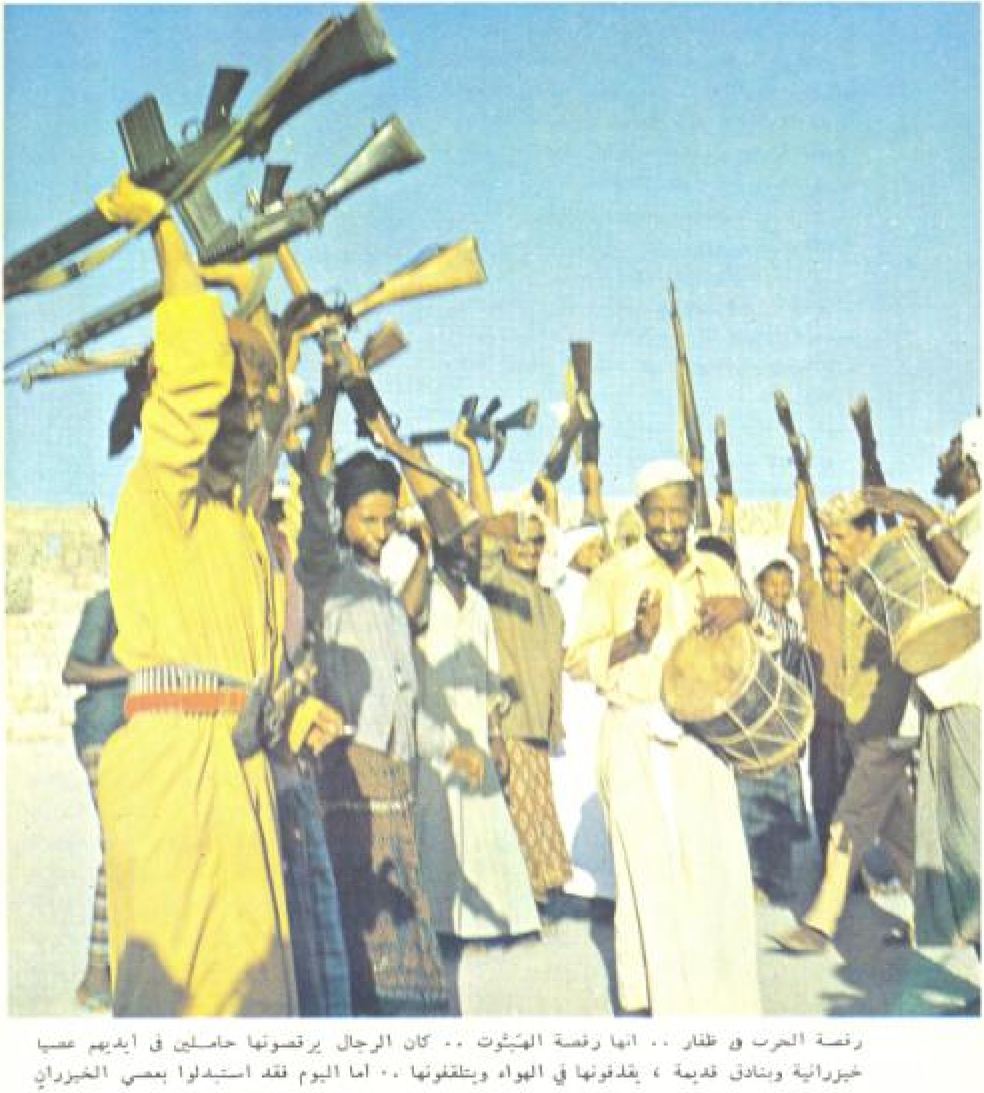
نصيب الأسد لظفار

وهكذا تعاقبت الغزوات على ظفار ، دون ان تبذل اى محاولة للاصلاح ، اما اليوم فاصبحت ظفار تستأثر بنصيب الأسد من الاهتمام ، لها ادارة خاصة ، ووال بدرجة وزير يتبع السلطان مباشرة هو الشيخ بريك بن حمود الغافرى ، ثم ستة نواب موزعون في مختلف قرى ظفار .

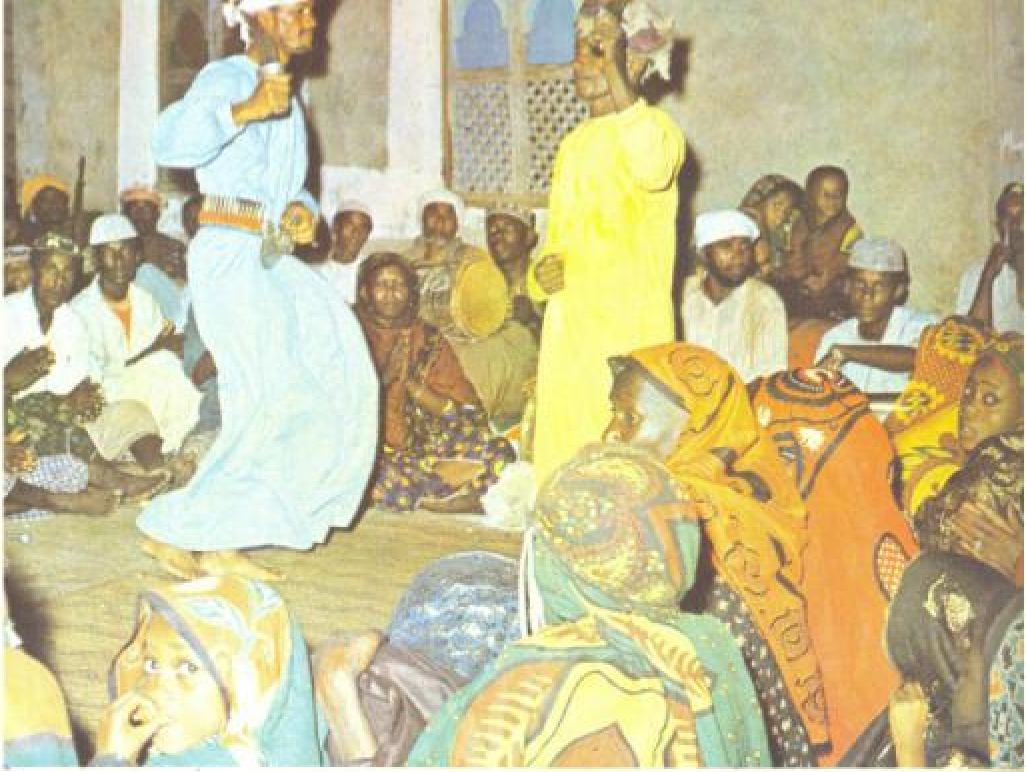
هنا ظفار .. بدأت الاذاعة بقوة كيلو واط واحد اصبحت الان ١٠ كيلو واط ، تبث لفترة ٧ ساعات ، نصفها موسيقى ونرى هنا مديرها حماد الغافرى بذيع على الهواء .. ان الاغاني الظفارية تصادف اقبالا كبيرا من اهالي المنطقة ..

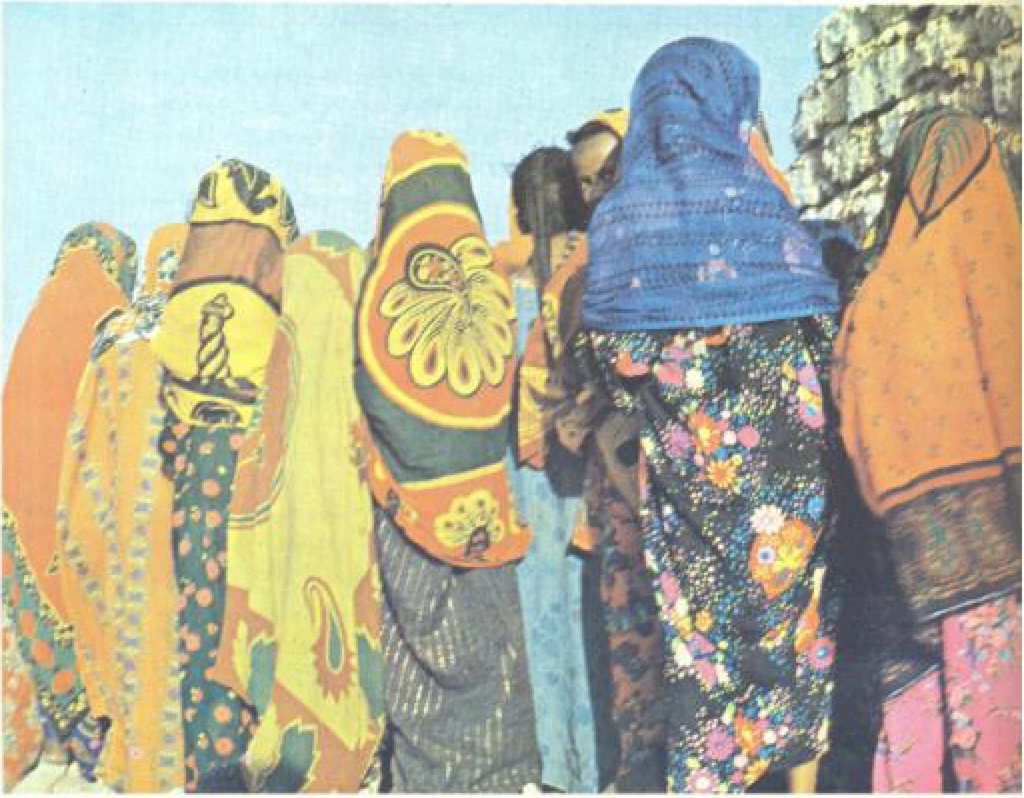


الى اليسار : اهل مرباط ، اهل طرب وغناء ، ما كدنا نسألهم عن رقصة شعبية حتى اجابونا بقرع الدفوف والطبول ، وتجمع اهل البلدة كلهم فى ساحتها الرئيسية « ربدوت » واستمر الرقص والغناء من بعد الظهر الى ما بعد منتصف الليل .. وتجلس النساء الى جانب الرجال في الحلقة المحيطة بالراقصين ، يصفقون وينشدون .. بينما تكتفى بعض الفتيات بالتفرج ، دون الاشتراك فى الرقص ، مرتديات الشال الملون الوارد من الباكستان والهند (**الصورة اليسرى الى اسفل ..**)



رقصة الحرب فى ظفار .. انها رقصة الهَبَّوت .. كان الرجال يرقصونها حاملين فى أيديهم عصيا خيزرانية وبنادق قديمة ، يقذفونها في الهواء ويتلقفونها .. أما اليوم فقد استبدلوا بعصي الخيزران البنادق السريعة الطلقات ، والرشاشات الثقيلة التي لا يمكن قذفها في الهواء وتلقفها بسهولة !! وفى الساحة العامة كان الرجال يرقصون على قرع الطبول مرددين الالحان التى اخذت معاني سياسية .







ريسوت ... أول ميناء يقام على الساحل الطويل الممتد من مسقط حتى عدن .. ان هذا الميناء الذى تكلف ثلاثة ملايين ريال سعيدى ، والذى سيفتتح في نهاية ١٩٧٢ سيؤمن رسوا مباشرا بجوار اليابسة للسفن من حمولة ١٥٠٠ طن ..



ثلاثة ثيران فريزيان جاءوا بها الى ظف
رائعة ، اذ زاد وزن البقرة من ٥٠
ظفار الحيواني يرتكز على هذه الاب
بقرة .. تعيش في جبال ظفار وسهوا

وفي صلالة مجمع لدوائر الحكومة يضم فروعا مستقلة لكافة الوزارات والادارات ، وخاصة ادارة تنمية ظفار ، التي تنفق سنويا بين ٤ و ٥ ملايين ريال سعيدى .. ويجرى حاليا العمل في وضع اللمسات الاخيرة لمشروع السنوات الخمس في ظفار ، وسيخصص له نحو ١٢ مليونا ونصف مليون ريال سعيدى (مجموع دخل سلطنة عمان من النفط وغيره ٦٠ مليون ريال سعيدى ، نصفها مخصص للقوات المسلحة التي تحارب الثورة في ظفار) .

اصلاح ما افسده الدهر

ان الابن يحاول اليوم اصلاح ما افسده الدهر في ظفار ، مدفوعا بعوامل شتى ، فهو ظفارى من ام ظفارية فتراه يغدق على المنطقة بسخاء .. كهرباء ، وماء ، وتلفون ، واذاعة ، وطرقات ، وصحة وتعليم .. و .. و ..

لقد فتحت ظفار ابوابها واسعة امام رياح القرن العشرين ، وخصصت الحكومة طائرة خاصة ظلت تنقل الأهالي مجانا من مسقط الى صلالة ٤ مرات في الاسبوع ، حتى تم افتتاح خط طيران رسمي الى صلالة يسير منتظما مرتين في الاسبوع باجرة رمزية لا تتجاوز ٢٠ ريالا سعيديا .

ويسعى السلطان من ناحيته الى استقطاب كبار زوار السلطنة الى صلالة ، فتراه يجلس فيها ويستقبلهم كما حدث مع ولى عهد أبو ظبى ، ووزير خارجية الكويت ، حتى السفير الأمريكي قدم اوراق اعتماده في صلالة .

وينزل كبار الزوار في بيت الضيافة الحكومي، او في فندق صلالة الحديث المكيف الهواء ، الذى يضم ٢٤ سريرا ، ويتقاضى يوميا ١٢ ريالا سعيديا ، اجرة النوم مع الوجبات الثلاث .

اول ميناء بين مسقط وعدن

ويقوم زوار صلالة بجولات على مختلف المنشآت التي اقيمت في المنطقة .. يسيرون على طريق معبد يوصلهم الى ريسوت ، فيشاهدون « روشة ريسوت » ، وميناءها الحديث (١٤ قدما



لتلقيح الابقار الضعاف، وكانت النتيجة رطلا الى ٣٢٥ رطلا .. ان مستقبل التي يقدرون اعدادها بنحو ٢٠ الف مدللة من اصحابها ..



يتوارد ابناء جبال ظفار على مدينة صلالة في مختلف شهور السنة ، ومعهم اطفالهم .. وحتى يتعود الاطفال على جو الدراسة ، اقيمت لهم مدرسة مؤقتة تضم ١١٥ طفلا وطفلة، اذ انه من المستحيل ادخالهم بالمدارس الحكومية ، في الشهور الاخيرة من الدراسة النظامية .

عمق مياهه) وهو الاول من نوعه على طول الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية الممتد من مسقط حتى عدن ، وقد تكلف ثلاثة ملايين ريال سعيدي .

ريش الهدهد وكبد الضباع !

ثم سيزورون مستشفى صلالة ذا الستين سريرا ، ويتحدثون الى اطبائه السبعة ، الذين تردد عليهم في العام الماضي ٢٥٠ الف مراجع ، واجروا ٦٠٠ عملية جراحية .. لقد ذكر ابن بطوطة ان الناس في ظفار مصابون بداء الفيل والفتاق ، اما اليوم فيقول الاطباء ان اكثر الامراض انتشارا هو السل في الجبل ، والملاريا والبلهارسيا وديدان الاسكارس في السهل .

ان وجود هذا المستشفى الكبير في صلالة ، جعلها قطب جذب ، فالعلاج الذى كان شائعا في صلالة ، وما زال شائعا في بقية مناطق ظفار ، هو كي المريض بالنار .. وحفر اسنانه المسوسة بالمسمار .. ومسح صدر المريض بدم الماعز او دم البقرة المذبوحة حديثا في ليلة قمرية .. والمجنون يحبسونه في حجرة لا تفتح ابدا .. وختان الفتيات يتم بالملح الحجرى بعد ولادتهن مباشرة .. حتى ريش الهدهد ، وكبد الضباع يفيدان في علاج الشلل !!

الابقار تاكل السردين

وبعد زيارة المستشفى سيتجه الزوار لمشاهدة ثيران الفريزيان الضخمة ، التي لا يتناسب حجمها مع حجم الابقار الظفارية القصيرة القوية .. والمطلوب من هذه الثيران تحسين نسل الابقار المحلية وزيادة ادرارها من الحليب الذى انخفض الى اربع ليترات فقط يوميا .

وقصة تربية الابقار تبدو غريبة ، فقد تعود العرب على تربية الجمال ، واشتهرت ظفار في القرن السادس عشر بكونها مركز تجارة الخيل العربية الى الهند وافريقيا الشرقية ، اما اليوم فلم نشهد حصانا واحدا في المنطقة . لقد انصرف الناس الى تربية الابقار تاركين وراءهم الجمال

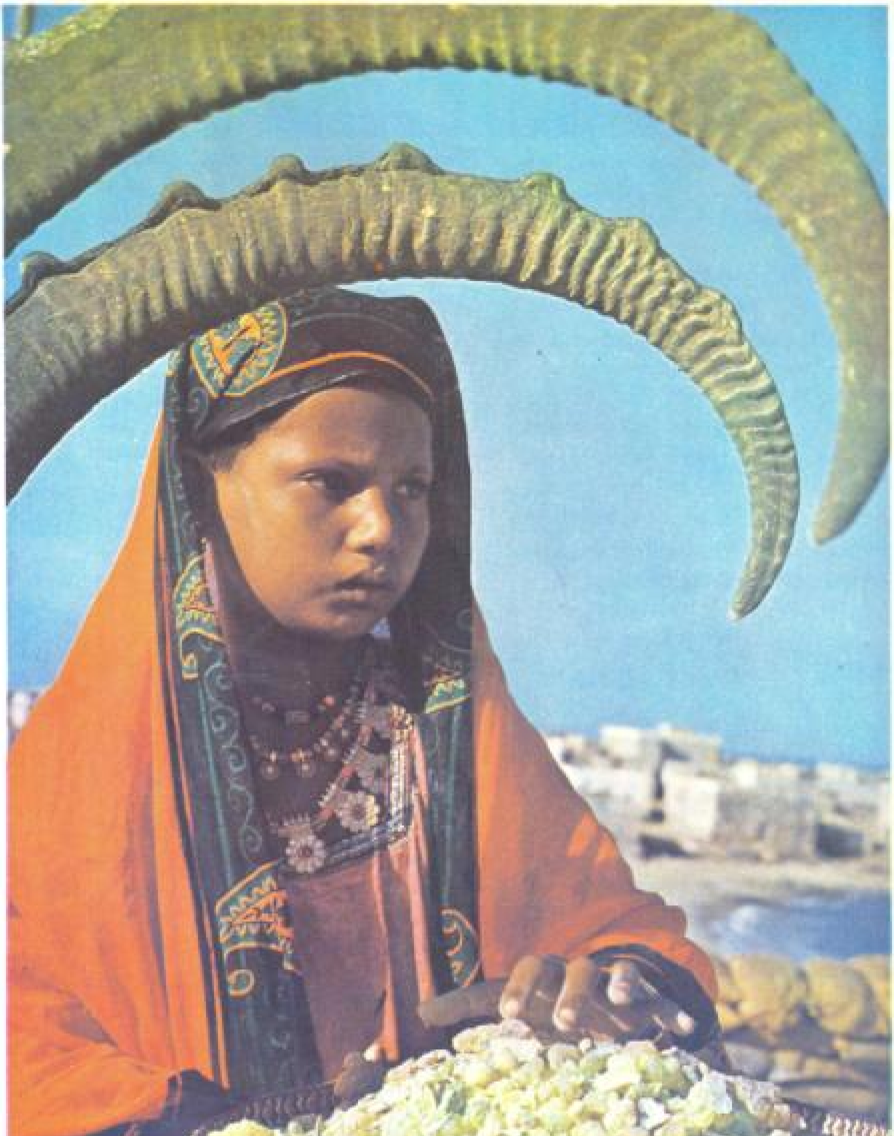




الى اليمن : كان الاقدمو
يعتقدون ان اللبان العربي الر
مصدره بلاد اليمن والصوما
.. ولكن الواقع أن ظفار م
مركز هذا اللبان ، والاشجا
التي تنمو في جبال ظفار
لا تعادلها اية اشجار من ناحي
وفرة المحصول .. لقد است
سوق اللبان العربي رائجا حت
عشر سنوات مضت .. وبعد
لم يعد احد يستورد اللبان ..

الى اليمين : كانت قوافل الجمال الكبيرة تنقل اللبان من ظفار الى اليمن ومنها شمالا الى موانىء البحر الابيض .. اما اليوم فلم يعد احد يجمع اللبان ، فالاضطرابات كلها تدور في مناطق اشجار اللبان .. واصبحت الجمال عاطلة عن العمل ، تسير دون هدف في الصحراء الواسعة ..

الى اسفل : الكمية الوحيدة من اللبان العربي المرى شهدناها في مرباط .. وهذه كريمة والى مرباط جالسة بجوار اللبان ، تحت ظلال قرني الوعل الوحشي الموجود في جبال ظفار ..







الرخاء سينتقل من الساحل الى الجبل .. وقداقيمت فعلا ثلاثة مراكز بالجبل في : تمريد ، ومضي
الخالي ، ويضم كل مركز مسجدا ومدرسة ومستوصفاومتجرا ، ومنازل للموظفين ، مع مولد كهربائي و

والخيل وجمع اللبان !

كانوا يخرجون بابقارهم الى الجبل ، يعطونها للراعى ومعها كمية من « العومة » و « القاشع » اى سمك السردين المجفف باشعة الشمس ، تاكله الابقار فيزداد حليبها ، وبالتالي يزداد استخراج السمن الظفارى الشهير ، الذى كان عصب الاقتصاد فى المنطقة ، ظلوا يصدرون منه ٤٠ الف جالون حتى عام ١٩٦٤ وبعدها توقف صعود الابقار الى الجبال المضطربة ، وقل صنع السمن ، وارتفع ثمن الجالون منه الى ٢٠ ريالا ، بالرغم من ان عدد الابقار ما زال يقدر بنحو ٢٠ الف بقرة ، الا ان طعامها الجاف على الساحل يختلف تماما عن رعيها للحشائش الخضراء فى الجبل .

ابن امه ؟

ويدلل الظفاريون ابقارهم ، تماما مثلما يدلل اهل المهرة ابلهم ، يطلقون عليها الاسماء المحلية مثل : فيرحات ، هالت ، غبتوك ، كيود .. اما الثيران فينسبونها الى امها ، وينادونها بن هالت ، بن غبتوك ، وما يكاد الثور او البقرة يسمع اسمه حتى يسارع بالحضور ملبيا نداء صاحبه .

والرجال فقط هم الذين يحلبون الابقار ، فى ظفار ، اما النساء فيحلبن الماعز ، والاغنام قليلة نادرة ، وقال لنا الاهالي : الخروف لا يخلق هنا ، ولا تكاد توجد اسرة فى ظفار الا وتملك حيوانا .. وكان الحليب يوزع مجانا على من يشاء ، اما اليوم فاصبح يوزع على المنازل يوميا، مقابل ريال واحد للكوب شهريا .

مطلوب نصف مليون شجرة نارجيل

وتتجمع الابقار تحت اشجار جوز الهند ، ويسمونها « النارجيل » محليا .. وهو لفظ فارسي يعنى جوز الهند ، ان ظفار هى المنطقة الوحيدة فى شبه الجزيرة العربية التى تنمو فيها هذه الاشجار وهى لهم بمثابة « شجرة العمر » ياكلون ثمارها ، ويشربون حليبها ، ويصنعون الحبال من اليافها ، ومن جذوعها يستخرجون اخشاب البناء ، تماما مثل النخيل الذى لا ينمو فى ظفار بسبب رداءة الطقس .

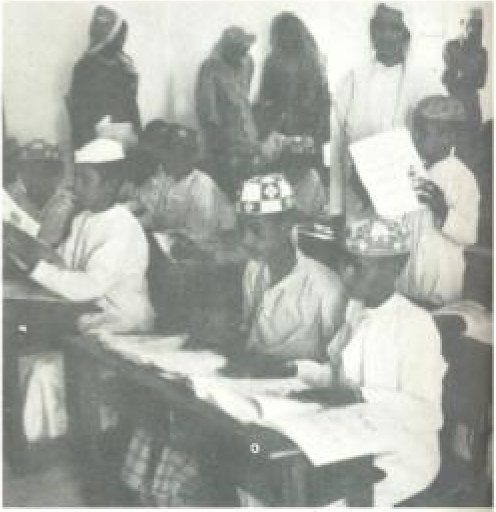
ويقدرون عدد اشجار جوز الهند فى ظفار بنحو ٨٠ الف شجرة تنمو فى المناطق المحيطة بصلالة ، وكان العدد اكثر من هذا بكثير ، ولكن عملية تقطيعه كانت تتم بدون حساب ، مما حدا بوالى ظفار الى اصدار قانون بمنع قطع اشجار النارجيل او جوز الهند .

وارسلت الحكومة خبيرها الزراعي من صحار الى صلالة ، فبدأ برنامجا جريئا سيزيد بموجبه عدد اشجار جوز الهند الى نصف مليون شجرة حتى يمكن استخراج الزيت منه بكميات تجارية.

الزراعة لاكل الحيوان !

ان مستقبل ظفار يعتمد حاليا على الزراعة ،





وتاليم ، كما سيقام مركز في حيروت .. انها مراكز مخصصة للبدو من سكان النجد عند اطراف الربع ارتوازية او نبع طبيعي ، والصور الاربع العليا ،التقطناها لاوجه الحياة الجديدة في مركز مَنضي .

اما المعادن التي في الجبال فما زالت في علم الغيب ، او من الاسرار التي لم يكشف النقاب عنها بعد ، وساحل ظفار صالح في اغلب اجزائه للزراعة ، امطاره قليلة ، لكن تعوضها رطوبة الجو المستمرة من يونيو الى سبتمبر ، ومن المؤسف جداً انه نتيجة للاضطرابات ، طمرت ستة افلاج ضخمة (عيون ماء) كانت تمد المنطقة يوميا باكثر من ٦٠ الف متر مكعب من الماء ، واستعيض عنها بنحو ٢٥ بئرا ارتوازية تروى ٢٢٥ فدانا فقط ، أى ٥٪ فقط من مساحة الاراضي الصالحة للزراعة على الساحل ومجموعها ٥ الف فدان .

وتجدر الاشارة الى ان ٩٠٪ من الانتاج الزراعي هو علف للحيوان .. وهناك مشاريع كثيرة لتطوير زراعة البطاطا الحلوة ، ويسمونها « القندال » ، وهي تنمو بنجاح مذهل هنا ، الى جانب الذرة والتمباك وقصب السكر ، واشجار بذور الزيت من خروع وكتان وخردل وفول سوداني .

الطيران فوق الجبل

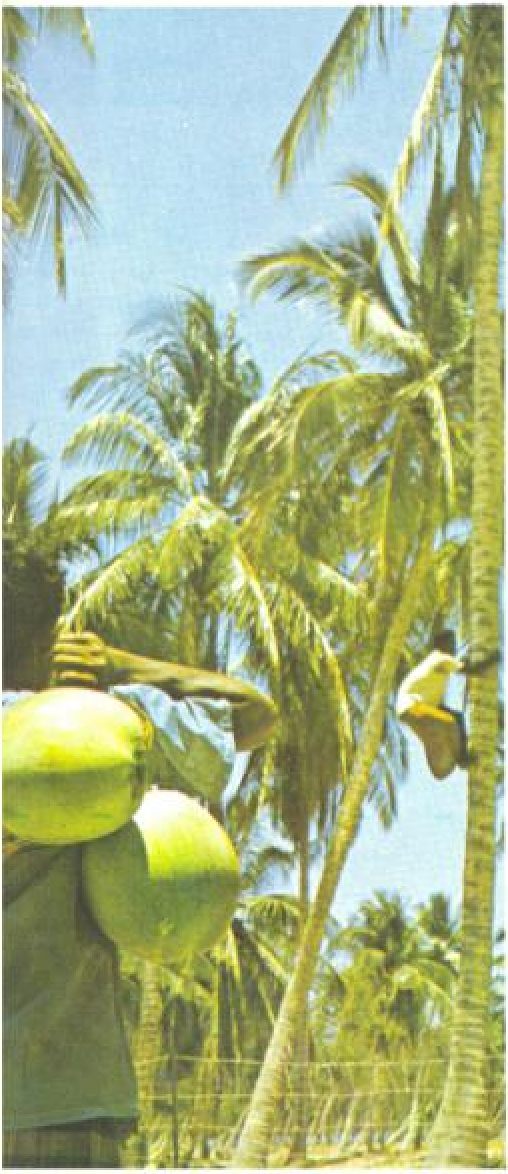
ان ظفار ليست على الساحل فقط ، وانما الجبل وما وراء الجبل ، حيث اقيمت اربعة تجمعات سكانية في المناطق النائية .. وكان لا بد ان ننتقل لنرى واحدة من هذه القرى التي اقاموها على النجد بين رمال الربع الخالي والجبل.

الطائرة تحلق بنا فوق جبال ظفار ، الجبال شبه جرداء فنحن في موسم الجفاف ، انها ليست جبالا مسننة الاطراف ، وانما قمم واسعة عليها سهول كبيرة خصبة ، تصلح تماما للزراعة ، الوديان تحيط بها من كل جانب ، الانسان غائب لا اثر له تقريبا في الجبال ، الطبيعة تتولى زراعة الجبل نيابة عنه .

الطائرة تتبع الجبال في انحدارها البطيء نحو الشمال،انه نجد ظفار،هنا تبدأ المعركة بين الجبل ورمال الربع الخالي ، الارض جافة قاسية ، وكأن صخور الجبل قد تشققت من شدة الحرارة فتحولت الى الوف الوديان الصغيرة المنطلقة الى كل اتجاه ، قبل انتهائها من رحلة الضياع تحت رمال الربع الخالي .

ثلج فوق الرمال الحارقة

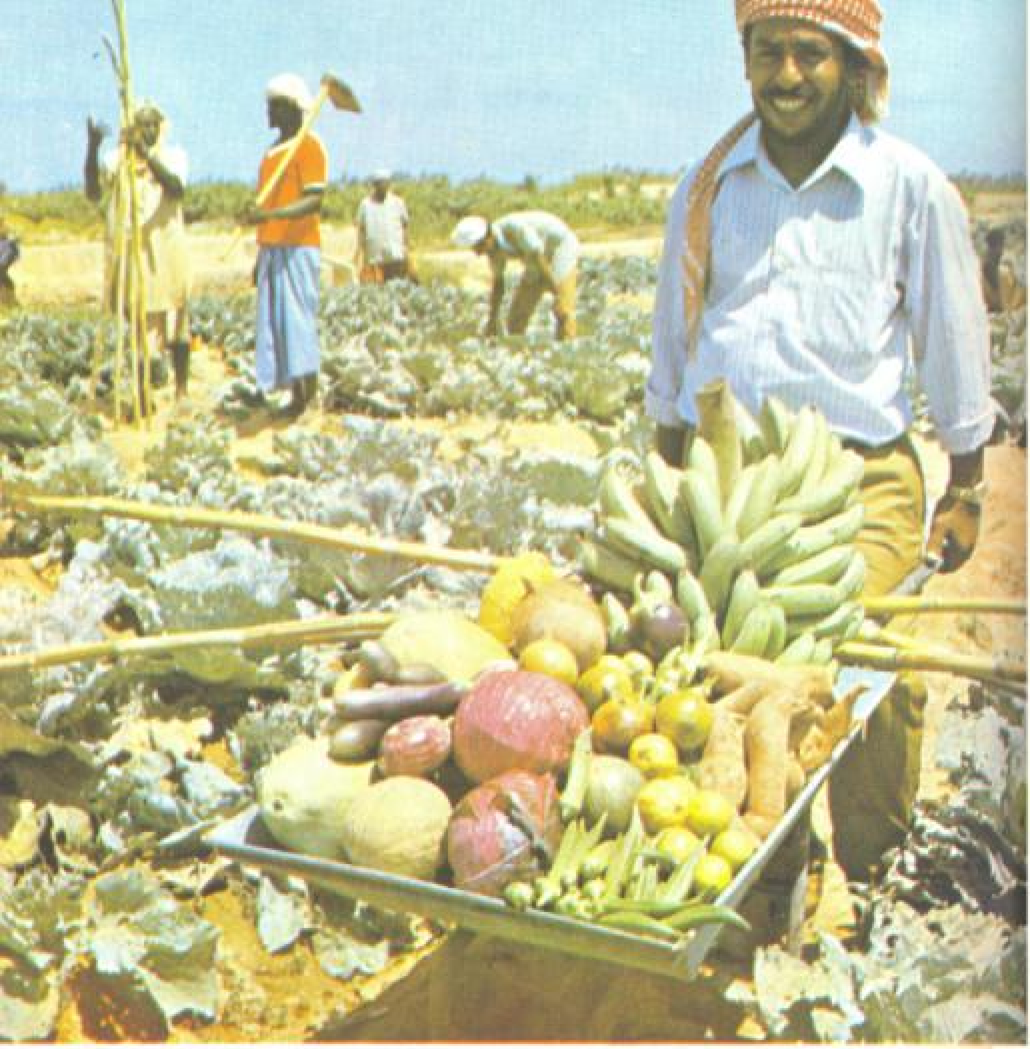
وحطت بنا الطائرة العمودية على الارض ،ونزلنا الى « مَنضي » انها واحدة من التجمعات التي اقيمت في « نجد ظفار » لخدمة البدو ، الصورة هنا تختلف تماما عن صلالة ، البدو والبدويات مع جمالهم جاءوا ليتعالجوا من التراخوما والسل في اول مستوصف ينشأ في المنطقة ، وجاء معهم اولادهم ليتعلموا في اول مدرسة اقيمت فوق النجد الحارق .. ولاول مرة كذلك دخل موتور كهربائي كبير الى المنطقة ، وجاءت الثلاجات الكبيرة تصنع الثلج تحت درجة حرارة تصل الى ٥٠ درجة مئوية في الظل ، وكم كان عذبا رؤية



الى اسفل : ٨٠ ألف شجرة جوز هند ، تنتج نحو مليوني ثمرة سنويا ، موجودة في ساحل ظفار .. ولكن المشكل الذي يواجه هذه الشجرة الطيبة هو أن الناس توقفوا عن تسلقها لجمع ثمارها ، التي تجف على الاشجار دون أن يستفيد منها احد .. ولن تعالج هذه الحالة الا عندما يفتح مصنع زيت جوز الهند ، فيرتفع ثمن الثمرة ، وعندئذ يتسارع الناس لتسلق الاشجار ؟!



في لبنان يقولون : « يا ريتني حصان في بيت سرسق لآكل بندق وفستق » .. اما في ظفار فيقولون : « يا ريتني بقره لاتدلل وآكل سمكة » .. نعم فالأبقار في ظفار تحظى برعاية ، كل واحدة لها سمها الخاص المعروفة به ، والبقرة غير الحلوب تعني وجود عين حسود ، فيتم تبخيرها باللبان والبخور .. ويغذي الظفاري بقرته بالتمر والسردين المجفف (العومة) فهو يزيد ادرارها للحليب .. أما هو فيكتفي بشرب حليب البقر !. ومما يذكر أن ظفار تضم نحو ٢٠ الف راس من البقر .



في شهور الصيف والجفاف تتوقف الزراعة تقريبا في شمال عمان ، أما ظفار فتتميز بمناخها الصيفي الرطب ، الذي يسمح بنمو كل انواع المزروعات .. وكانت نتائج الزراعة التجريبية مذهلة (**أنظر الصورة العليا**) انه المزارع سعيد احمد الرواس يحمل انتاج الارض الطيبة بكل فخر واعتزاز .. وساحل ظفار المحيط بصلالة (**الصورة السفلى**) هو المنطقة الوحيدة الخضراء على الساحل الطويل الممتد من مسقط حتى عدن ..





الى اليمن : « العربي » تصفق لهذه المجموعة المتفانية من الاساتذة العمانيين والمصريين والفلسطينيين الذين يقومون بتعليم ابناء ظفار في مدارس صلالة .. وقد توسطهم الاستاذ عبدالقادر الغساني مشرف التعليم في ظفار .

المرطبات الباردة وماء الثلج الى جانب الزوابع الرملية العمودية الحارقة .

« ان منغي » والتجمعات الاربع الاخرى بدات تبدل اسلوب البدو التقليدى ، الذى لم يطرا عليه اى تبديل منذ بدء التاريخ ..

هجرة مع المشاكل

ان ابن الجبل لم يعد يكتفى بالنظر الى الاضواء الكهربائية المنبعثة من صلالة ، بل بدا يتجه اليها ومعه اسرته الكبيرة حاملين معهم عاداتهم وتقاليدهم وابقارهم ، وما ينتج عنها من مشاكل لا تعد ولا تحصى ، انهم يريدون التعليم والسكن والارض والدواء والعمل ، اعباء ثقيلة تضاف على كاهل الحكومة التى تتحمل مشاكل بقية المدن والمناطق العمانية ، مثل : نزوى ، والجبل الاخضر ، والرستاق ، وصحار ، وعبرى ، وصور، وغيرها. كلها فى حاجة ماسة الى اصلاحات سريعة .

الاتكالية بدات تطل براسها

وعندما سالنا القادمين الجدد الى صلالة ، دون اى مهارات انسانية : « ماذا ستصنعون من أجل تأمين رزقكم ؟ »

اجابونا ببساطة : « الحكومة راح تسوى كل شيء ! »

اتكالية بدات تطل براسها بين الناس الذين يعيشون فى فراغ كبير .. فراغ قلب حياتهم ، وقلب معها معانى الكرامة والعزة ، فتسمعهم يفاخرون : « نحن نعيش على الطبيعة ، ونحيا بعيدا عن تعقيدات المدنية » .. ناسين أو متناسين ما هم عليه من تخلف .

انهم الان ينتظرون تنفيذ المشاريع الجديدة ليختاروا الوظيفة التى تناسبهم ، فهم لا يريدون العمل فى اى وظيفة خالية ... ان المشكلة لم تعد مقصورة على الوافدين الى صلالة فقط ، بل امتدت الى ابناء ظفار الذين يعيشون خارج الحدود (يقدر عدد العمانيين العاملين فى دول الخليج العربى فقط بنحو ٥٠ الف عمانى) أكثرهم يريد العودة الى بلده ، ولكنه لا يريد العودة ليعمل سائقا أو عاملا ، بل يشترط لعودته ان يشغل وظيفة بدرجة مقبولة .. وهذا اضعف الايمان ، فى نظره !

الزمن لم يتوقف !

ان ظفار بلد بكر يحتاج الى كل ابنائه ليساعدوه فى انطلاقته .. والذى يجرى حاليا هناك ليس عملية بناء هندسي ، بقدر ما هو عملية بناء انسان جديد .. انسان يشعر بانسانيته وباهميته فيبدأ العمل بتفكير جدى من أجل المجتمع الذى يعيش فيه ، لا من أجل نفسه فقط !

ان الزمن لم يتوقف فى ظفار .. وانما تطوير الانسان هو الذى توقف .. فاهل مرباط ما زالوا يؤمنون بفوائد الصويلح والمسلة والحياة الهانئة .. واهل الساحل يزرعون طعام الابقار ويتسون طعام الانسان .. فالانسان عندهم ما يزال يغط فى نومه .. انه فى حاجة الى يد تمتد اليه لتهزه بعنف كى يستيقظ ويتململ وينطلق ..

ان الطريق الذى كان مقفلا وعرا ، أصبح اليوم مفتوحا ممهدا امام ابن ظفار ، ولكنه ما زال خاليا .. لانه من فرط تعود المواطنين على الانغلاق والظلم ، اصبحوا حذرين تجاه الانفتاح والانطلاق .. فتراهم يسيرون بكل تؤدة وروية .. سدد الله خطاهم ..

سليم زبال



طبيب الأسرة

يجيب عليها نخبة من الاطباء

ينام وهو يقود سيارته !!

● **مشكلتي خطرة وقد تعرضت مرةالى حادث بسيارتي بسبب نومي اثناء القيادة، رغم انني اتمتع بصحة جيدة،ارجو تفسير هذه الظاهرة ، وبماذا تنصحونني ؟ .**

ــ ان اهم الاسباب التي تدفع السائق الى النوم اثناء قيادته السيارة هو تعاطي المواد الطبية واذكر منها على سبيل المثال : ــ الحبوب والكبسولات المضادة للحساسية والمهدئات وادوية الاعصاب وتلك العقاقير ــ لسوء الحظ ــ زاد استعمالها من قبل الجمهور ووصفها من قبل الاطباء زيادة ملحوظة فى السنين الاخيرة .

كما ان ادوية ارتفاع ضغط الدم قد تكون المسئولة عن النوم اثناء القيادة ، ناهيك عن تعاطي المشروبات الروحية (الكحولية) ، فهي بالاضافة الى انها تخل بالقوة العقلية والتحكم بعجلة القيادة فالمعروف ان هذه المشروبات الروحية تسبب النوم فى معظم الاحوال .

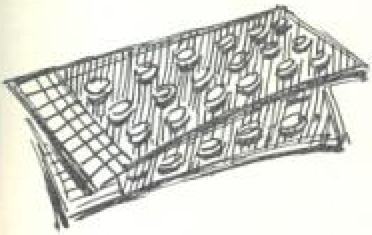
اضف الى ذلك ان القيادة المنفردة لساعات طويلة فى طريق ممل تجعل السائق يميل الى النوم ، وخاصة اذا لم يكن الشخص معتادا على ذلك . وهذا ما نشاهده يحدث كثيرا فى موسم الاجازات الصيفية لاخواننا المسافرين بسياراتهم وما يتبع ذلك من حوادث مؤسفة . وقد يحدث النوم بعد تناول وجبة دسمة ثقيلة. وهناك بعض امراض الجهاز العصبي التي من خصائصها اصابة المريض بنوبات نوم وعلى الاخص نوع من الصرع الصغير وهجمات النوم (Petit Mal & Narcolepsy) فاذا ثبت ان الشخص مصاب باحد هذين المرضين او غيرهما من امراض الجهاز العصبي المركزى ، فيجب ان يمتنع نهائيا عن قيادة السيارات .

وانصح بان لا يتعاطى السائق أى نوع من انواع المهدئات او الاقراص المضادة للحساسية اذا اراد ان يقود سيارته كما انصحه بان يتوقف عن القيادة فور احساسه برغبته فى النوم ثم يخرج من السيارة ويسير على قدميه بضع دقائق ويفضل ان يتناول مشروبا ساخنا قبل ان يجلس الى عجلة القيادة ليستانف رحلته .

وحبذا لو اصطحب قائد السيارة معه فى رحلته صديقاً يؤنس وحشته ، ويبعد شبح الملل والسأم عن نفسه اثناء القيادة وبذلك يتخلص من رغبته فى النوم والتي ربما كانت نتائجها خطيرة .

حبوب منع الحمل .. هل لها مضار ؟!

● هل هناك مضار من استعمال حبوب منع الحمل ؟



ـ كأى دواء أو عقار توجد هناك تأثيرات غير مستحبة من استعمال الحبوب . وهذا يحدث فى قلة من اللاتى يستعملن الحبوب واللاتى عندهن استعداد لهذا التأثير ، بل ولقد وجد أن تغيير الحبوب بنوع آخر والتى كثرت أنواعها فى هذه الأيام ربما أزال هذه التأثيرات غير المستحبة .

ففى بعض الحالات تشكو السيدة من صداع ربما كان صداعا كليا أو صداعا نصفيا Migrain ويكون هذا فى بعض الاحيان مصحوبا بغثيان وربما قىء مع الشعور بتوهج فى الوجه وباقى أجزاء الجسم والشعور بدوار . وتشاهد بعض الحالات الاخرى تشكو من الم فى منطقة المعدة مع زيادة فى الحموضة .

وقد تؤثر الحبوب على الأوردة فيكون هناك الم على طول الأوردة مع زيادة فى الدوالى اذا كانت موجودة، وربما انفجرت مع تقلصات تحدث فى الساقين وتورم بهما وفى الحالات الشديدة يحدث سد فى هذه الأوردة مع اعراض الانسداد ـ احمرار وارتفاع فى درجة حرارة الساق والم شديد فى بطن الساقين يزداد عند الحركة وتورم بهما .

ومما يساعد على تجلط الدم فى الاوردة ارتفاع العوامل التى تساعد على التصاق صفائح الدم فيحدث التجلط .

ويحدث فى بعض الحالات تغيرات نفسية اهمها الاكتئاب والاحساس بالتعب وعدم التحمل والصبر والضيق لاتفه الأسباب مع ازدياد الرغبة فى الجماع او العزوف عنه أو فقدان الرغبة . ولقد لوحظ ان بعض السيدات يزداد وزنهن مع تعاطى حبوب منع الحمل . وفى الحالات النادرة ربما تأثر الكبد وحدث به تضخم مع آلام فى منطقة الكبد . ونعود فنقول ان هذه التأثيرات نادرة الحدوث .

الزرقة تحت الجلد .. قد تكون علامة لاكثر من مرض فى الدم

● اعانى من زرقة تحت الجلد عند اقل اصابة ؟ ما العلاج ؟

ـ ان السبب فى وجود زرقة تحت الجلد عند الاصابة يرجع الى خروج الدم من الشعيرات الدموية مما يجعلها هشة ويخرج منها الدم حتى عند الاصابة البسيطة كما يحدث ذلك عادة فى المسنين . ولقد وجد أن هناك أشخاصا عندهم استعداد للنزف تحت الجلد على درجات مختلفة وعملت لهم كل الفحوصات ولم يعثر لذلك على سبب ولعل ذلك راجع الى سبب من اسباب نقص تجلط الدم او غيره لم يكتشف بعد ، وهذا كما قلت قد يكون نسبة كبيرة ممن يشكون

من الزرقة تحت الجلـــد . والاسباب التالية تكون جزءا بسيطا ممن يعانون من هذه الظاهرة ، فهناك الضـــعف الذى يحدث فى الشعيرات الدموية نتيجة لالتهاب بها كما هو فى حالة التيفود والحمـــى الشوكية وتسمم الدم بالميكروبات أو نتيجة بعض السموم والأدوية كالمنومات وادوية الصرع والكينين ومركبـــات الاسبرين ثم ضعف الشعيرات الناتج عن تسمم البولينا والذى يحدث فى هبوط عمل الكلى ، أو هبوط عمل الكبد ، وكذلك فى حـالات نقص فيتامين (C) والموجود بكميات كبيرة فى الحمضيات كالليمون والبرتقال .

وهناك كذلك نقص الصفائح الدموية والتى لها اسباب عدة وربما سببت هذه الزرقة وهذا يلاحظ عندما يكون عددها اقل من ٤٠,٠٠٠ فى المليمتر المربـــع (الطبيعى ٢٥٠,٠٠٠) .

وهنـــاك امـــراض اخرى وراثية المساعدة كالهيموفيليا وامـــراض نقص العوامل المساعدة فى تجلط الدم مثل نقص البروترومبين والفيبروتوجين وغيرها من العوامل المساعدة .

من هذا يتضح انه من الواجب أخـذ تفاصيل عن السبب وعمـل الفحوصات اللازمة للتوصل الى أسباب العلة وعلاجها .

مرض النقرس
علاجه يستمر مدى الحياة

● اعانى من مرض النقرس من مدة طويلة فهل علاج هذا المـــرض ان يستمر الانسان على العلاج او ان يتوقف عنه عندما يتحسن . وهـــل هناك حمية يجب اتباعها فى هذا المرض ؟ .

ــ مرض النقرس Gour من الأمراض الوراثية ويؤدى الى زيادة نسبة حامض البوليك Uric acid فى الدم مما يجعله يترسب فى المفاصل محدثا آلاما مبرحة بها او يترسب فى مجرى البول مسببا حصى البـــول . ويتكون حامض البوليك من تكسر الخلايا فى الجسم وكذلك المواد البروتينيـــة فى الطعـــام كاللحـــوم على اختلاف انواعهـــا والألبان ومشـــتقاتها وتقل نسبة الحامض فى الدم اذا قللنا من هذه الأشياء التى ترفع النسبة منه .

وكذلك الادوية الخاصة لهذا المرض تقلل النسبة فى الدم وتعطى بكميـــات كافية فى أول الأمر الى ان ينزل الى المستوى الطبيعى ، ثم تعطى الكميـــة اللازمة لبقاء هذه النسبة وربما احتاج الى ½ حبة أو حبة من الدواء وهو فى معظم الحالات بناميد زيلورك Benemid - Zyluric وهذا العلاج يستمر مدى الحياة اذ انه اذا توقف ارتفعت النسبة مرة اخرى وعاد المرض فى المفاصل مع وجود احتمال تكون الحصى البولى ، والحمية المتبعة فى مثل هذه الحالات هى:

فطور : ــ بيضة ــ فاكهة ــ زبـدة ومربة ــ قهوة وشاى بحليب خفيف ــ قطعة جبنة صغيرة .

غداء : ــ قطعة صغيرة من اللحم او الدجاج ــ سلطة خضار طازج او مطبوخ ــ بطاطا، رز، زبدة ، كمية قليلة ــ فاكهة ــ لبن .

العشاء : ــ (اللحم المسموح به) ¼ رطل من اللحم او الدجاج أو السمك أربع مرات فى الاسبوع .

ممنوعات : ــ الكبد ، الاحشاء ، النخاعات ، القلب ، الكلى ، السردين ، ماء اللحم ، اللسان . ■■

ثَوْرَةٌ عَلى الجُمودِ الفِكْرِيّ

بقـلـم
الدكتور زكريا ابراهيم

■ مجتمعنا العربي المعاصر في حاجة الى ثورة : ثورة على السبات العقلي الذى خيم على معظم الباحثين والادباء ورجالات الفكر ، وثورة على الجمود الفكرى الذى طغا على كل ـ أو جل ـ مناهجنا التعليمية ، واساليبنا التربوية ، وانماطنا الثقافية . وان الصيحات لترتفع ـ في كل مكان ـ معلنة ضرورة القيام بحركة « تجديد فكرى » ولكن معظم اصحاب هذه الدعوات لايكادون يتجاوزون مرحلة النقد والهدم و « التحطيم » من أجل الانتقال الى مرحلة البناء والدعم و « التاسيس » . ونحن لا ننكر اهمية « النقد » النزيه ، الصادق ، المخلص ، ولكننا نعتقد ـ في الوقت نفسه ـ ان « الحماية » لا تكفي وحدها لتدعيم أية « ثورة ثقافية » وبيت القصيد ـ اليوم ـ ان نعرف ـ من جهة ـ ما الذى ينبغي لنا ان نثور عليه ، وان نحدد من جهة اخرى الهدف الذى نريد الوصول اليه .

لا بد لنا ـ أولا ـ من الثورة على « الافكار الميتة »

اننا في حاجة ـ اولا وقبل كل شي ـ الى التمرد على « المعرفة الميتة » والثورة على « الافكار الجامدة » . والواقع ان جانبا غير قليل من « جمودنا الفكرى » راجع الى اننا نحشو اذهان ابنائنا بالمعلومات المتحجرة ، بدلا من العمل على تنشيط وظيفة التفكير عندهم . وحسبك ان تلقي نظرة على معظم برامجنا التعليمية ، لكى تتحقق من اننا نكاد نقتصر على تزويد ذاكرة التلميذ العربي بالعديد من « الافكار » التي لن تتاح له الفرصة ـ من بعد ـ لاستخدامها او اختبارها ، او ربطها بافكار اخرى. فالتلميذ ـ عندنا ـ يتقبل المعلومات بشكل سلبي تام ، دون ان يفطن الى قيمة تلك الاحمال الفكرية التي قد تنوء بها ذاكرته . وهو يعرف الكثير من الجزئيات والتفاصيل ، ولكنه قلما يقف على المبادىء والاصول . ولعل المهم في

التعليم ان تقدم للطفل الحقائق الرئيسية ، و « الافكار » الاساسية ، ولكن بشرط ان يعرف الطفل كيف ينطلق من تلك المعلومات القليلة الهامة الى معلومات اخرى جديدة تكون على صلة وثيقة بها . ولا شك ان التلميذ حين يعرف كيف يطبق « الافكار » التي تعلمها ، وحين يهتدى الى « العلاقات » التي تربطها بما عداها ، فان « المعارف » التي حصلها لا تلبث ان تصبح « معارفه » هو ، وبالتالي فانه سرعان ما يهتدي الى « قيمة » العلم الذى يتلقنه . وانت حين تتيح له الفرصة للتحقق من ان « الافكار العامة » التي تعلمها تزوده بالقدرة على « فهم » مجرى الاحداث المتعاقبة في صميم حياته ، فانمن المؤكد انك - بذلك - تنمي في نفسه « روح الاكتشاف » . وحينما يدرك التلميذ ان « العلم » اداة لفهم « الحياة » فانه لن يرى في « الافكار » التي يحصلها مجرد « معلومات » ميتة ، او «تصورات» جامدة ، بل سيرى فيها « ادوات نافعة » يمكن ان توصله الى « تطبيقات عملية » مجدية . واذا كان الفلاسفة البرجماتيون قد قالوا ان « الفكرة النافعة » هي الفكرة « الصادقة » فربما كان في وسعنا ان نقول - على العكس من ذلك - « ان الفكرة الصادقة » لا بد بالضرورة من ان تكون « فكرة نافعة » . : اذ لا بد « للحقيقة » من ان تكون عونا لنا على مواجهة « الحياة » . وبعبارة اخرى يمكننا ان نقول انه لا بد للطفل من ان يكشف ان « الافكار العامة » التي يتلقنها هي ادوات للفهم ، و « الفهم » لا بد بالضرورة من ان يكون « نافعا » . واما اذا بقيت « المعارف » التي يحصلها الطفل مجرد « افكار ميتة » فانها لن تكون الا « اثقالا ذهنية » تنوء بها عقليته الصغيرة ، وبالتالي فانها لن تكون الا حجر عثرة في سبيل نموه النفسي وترقيه العقلي .

ولا بد لنا - ثانيا - من احياء « القديم » حتى يصبح « جديداً »

« ان التربية - فيما يقول وايتهد Whitehead لا تكون ناجحة الا اذا اتسمت فيها « المعرفة » بطابع « الجدة » او « النضارة » Freshness ، واذا لم تكن المعرفة جديدة في ذاتها ، فلا بد لها - على الاقل - من ان تجيء مقترنة ببعض مظاهر الجدة ، سواء من حيث التطبيق ، او من حيث ملاءمة العالم الجديد والتكيف مع الازمنة الحديثة .. ان الافكار - كالاسماك - لا يمكن ان يقدر لها طول البقاء ، ولا سبيل الى الاحتفاظ بها طازجة امدا طويلا من الزمن . واذن فان عليك ، حين تكون بصدد معرفة من نوع قديم ، او حين تكون بازاء حقيقة قد عفى عليها الزمن ، ان تعرضها بطريقة جديدة ، وكانك قد اكتشفتها لتوك ، أو كانك قد اخرجتها من الماء منذ برهة . ان المعرفة تتطلب دائما الجدة ، فلا بد لك من ان تقدمها لطلابك ، بكل ما لها من نضارة الخبرة المباشرة » .

والحق ان « التفكير » مخاطرة عقلية ، لا يمكن لأية مخاطرة عقلية أن تتم في جو ملؤه الرتابة ، والتكرار ، وروح الاتباع . ومن هنا فاننا حتى حين تكون بصدد « حقائق قديمة » ، قد تم الاحتفاظ بها في سجلات « التراث » ، فاننا لا يمكن ان نعدها مجرد « آثار » متحفية ، نقربها بروح التقديس وعدم المساس ، بل لا بد لنا من ان نستخرج ما فيها من « عناصر حية » تجعل منها « افكارا معاصرة » ، تنبض بدماء الحياة . وعلى حين ان اهل « الجمود الفكرى » يقتصرون على التعبد للماضي ، دون ان يتمكنوا من احياء « القديم » حتى يصبح « جديدا » ، نجد ان دعاة « الثورة الفكرية » يعرفون كيف يستخرجون من الماضي كل ما فيه من دروس حية ، والفهن من الفائدة الوحيدة لكل معارف الماضى ،انها اسلحة فكرية قد تعيننا على مواجهة الحاضر ، ولا شك ان « الحياة » - بوصفها « المخاطرة الكبرى » - انما هي التي تجعل من عملية « التفكير » - في كل زمان ومكان - « مخاطرة عقلية » يقوم بها الانسان في « الحاضر » مستفيدا من كل خبرات « الماضي » آملا في الوقت نفسه العمل على تحقيق « مستقبل » افضل .

هل يكون الجمود الفكرى عرضا من أعراض عبودية الماضي ؟

الظاهر ان رجالات التربية - عندنا - كثيرا ما ينسون(اويتناسون) اننا نربي ابناءنا لانفسهم، لا لأنفسنا . فليس من واجبنا ان نصب عقولهم في قوالب الماضي او الحاضر بل لا بد لنا من ان نستبقي لهم « حرية المستقبل » ومعنى هذا اننا نخطىء خطا جسيما في حق الاجيال المقبلة ، لو اننا اقتصرنا في تربيتنا لهم على مراعاة ضرورات

« التكيف » مع البيئة الحاضرة ، في حين ان « البيئة » لا تكف عن « التغير » ، وبالتالي فانها لا تفتأ تفرض عليهم ضروبا اخرى جديدة من « التكيف » . ولعل هذا ما قصد اليه الفيلسوف الفرنسي الكبير ليون برنشفيك Léon Brunschwicg (١٨٦٩ ـ ١٩٤٤) ، حين كتب يقول : « انه لا بد لابنائنا ـ بالروح والحق ـ من ان يكونوا معاصرين للبشرية التي سيحيون يوما في كنفها .. واذن فان بيت القصيد ان نشيع في نفوسهم القوة على التكيف (لانفسهم ، وبانفسهم) ، وان ننمي في شخصياتهم كل اسباب الثراء العقلي والطاقة الخلقية، بحيث تتوافر لهم مرونة التصور والقدرة على تغيير ذواتهم » . ولسنا نعني بذلك الا يحاول الجيل الحاضر تسليم شعلة « المعرفة » الى الاجيال المقبلة ، وانما كل ما نعنيه ان يقوم الجيل الحاضر بتربية « الوظيفة التخيلية » لدى ابناء جيل المستقبل ، حتى يتمكنوا من استبقاء تلك « الشعلة » المتوهجة مضيئة متألقة . او مهما يكن في التربية من عادات ، وانماط ، واساليب جاهزة في السلوك ، فلا بد لكل جيل من ان يعتاد حياة التلقائية ، والمبادرة ، والاصالة ، حتى يكون في وسعه يوما ان يواجه المستقبل بخيال واسع ، وتفكير مرن ، وكفاءة عقلية عالية . وهذا ما يدفعنا الى القول بان الجمود الفكرى كثيرا ما يكون مجرد عرض من اعراض « عبودية الماضي » ، في حين ان « التحرر الفكرى » لا بد من أن يقترن ـ في العادة ـ بعملية « الاهتمام بالمستقبل » Le Sauci de L'avenir

دور الخيال في عملية الثورة على الجمود الفكرى

لقد استرعى انتباهي يوما حديث لاحد اساتذة هارفرد Harvard عن « وظيفة الجامعات » قال فيه : « ان الشباب اهل خيال . واذا قدر للمخيلة ان تكتسب قوة من خلال عملية التنظيم فقد يكون في الامكان عندئذ ـ الى حد كبير ـ المحافظة على طاقة الخيال طوال الحياة . وربما كانت مأساة هذا العالم ان الذين يتمتعون بموهبة الخيال ، لا يملكون سوى خبرة ضئيلة ، وان الذين تمرسوا بخبرات الحياة ، لا يتمتعون الا بخيال قاصر ضعيف . وبينما يتصرف الحمقى بدافع من الخيال ، دون ادنى معرفة ، نجد ان اهل الثقافة الجامدة يصدرون في سلوكهم عن وازع من المعرفة ، دون ادنى خيال . ومن هنا فان المهمة التى تقع على عاتق الجامعة هي أن تصهر كلا من الخيال والخبرة في بوتقة واحدة » . وقد يعجب المرء حين يجد هذا الاستاذ الجامعي الكبير يعلق كل تلك الاهمية على « الخيال » ولكن ربما كان السر في ذلك ما لاحظه من أن « الجمود الفكرى » كثيرا ما يكون حليف « الخيال القاصر » . والواقع ان المبرر الاوحد ـ في رايه ـ لقيام الجامعات ، انما هو هذا الترابط الذى تحققه بين « المعرفة » من جهة ، و « سورة الحياة » من جهة ثانية ، من خلال الجمع بين الشيوخ والشباب ، في دائرة تربوية واحدة قوامها « التعلم » المشبع بروح « التحمس » و « التخيل » فالجامعة مركز اشعاع فكرى ولكنها في الوقت نفسه مصدر استثارة تخيلية : لان من شأنها ان تنشط طاقة الخيال ، وان تخلع على المعرفة « طابع » الاثارة ، وان تخلق بين الاساتذة والطلبة جوا « حرا » ملؤه التحمس والتخيل ، والنشاط الابداعي . وهنا لا تكون «الواقعة» مجرد «واقعة خالصة» بل تصبح « حدثا » مغلفا بالكثير من « الامكانات » ولا تبقى «المعلومات» مجرد « احمال ذهنية » تنوء بها الذاكرة بل تستحيل الى « قوى منشطة » تزود أصحابها بالطاقة ، كما لو كانت « الهامات شعرية » تستثير احلامهم أو كما لو كانت « مشروعات هندسية » تنظم أهدافهم .

والحق اننا لو ادركنا دور « الخيال » في تنشيط « المعرفة » ، لكان في وسعنا أن نقول ان أهل « الجمود الفكرى » هم ـ في العادة ـ قصار النظر ، قاصرو الخيال . انهم يقتصرون على « التعبد للواقع » دون أن يفطنوا الى ضرورة تفجير « الممكنات » الباطنة في صميم «الواقع». وهم قد يدركون «الوقائع» منعزلة ، مفككة ، دون أن يعملوا خيالهم فيها ، حتى يهتدوا الى المبادىء العامة التى تكمن من ورائها ، وتنطبق عليها . ولا شك أن « الخيال » حين يسلط أضواءه على « الوقائع » (على نحو ما هى ماثلة بالفعل) ، وحين يقوم بعملية « مسح عقلى » Intellectual survey لجميع « الممكنات » البديلة التى لا تتعارض مع « المبادىء العامة » لتلك « الوقائع » فانه يفتح السبيل امام البشر لتكوين منظور عقلى جديد وبناء عالم فكرى ذى أبعاد مختلفة .

وهكذا يجيء « الخيال » فيكون بمثابة « قوة ابداعية » تسمح لنا برؤية «الاشياء» على نحو ما هي « قابلة لان تكون » ، دون الاقتصار على رؤيتها على نحو « ما هي كائنة بالفعل » . وفارق كبير بين هذا «الخيال العلمي» القائم على ادراك « العلاقات الخفية » بين الظواهر ، وذلك « الخيال الوهمي»المبني على احلال آمالنا واحلامنا محل الوقائع والحقائق .

وقد يتساءل القارىء عن السر في حرصنا على ابراز دور « الخيال » في عملية « الثورة على الجمود الفكرى » ، ولكنه لن يلبث يدرك أن أهمية هذا الدور اذا عرف أن « الابتكار العقلى » ـ كما لاحظ وليم جيمس Games بحق ـ هو « القدرة على ادراك كل شيء بطريقة مغايرة لما الفناه تحت تأثير العادات المكتسبة » . صحيح اننا كثيرا ما نتلقى أهل « الابتكار العقلى » بروح الرفض والتمرد ، لاننا حريصون دائما على الوقوف في وجه أي « تجديد » قد ينطوى على معاني « قلب القيم » أو « تحطيم المعايير » ، ولكن من المؤكد أنه لن يكون في وسعنا يوما الخروج من حالة « السبات العقلى » التى ترزح تحتها ، الا اذا اخذنا على عاتقنا أن ندع لعقول الناس حق القيام بمخاطرات عقلية ، بكل ما تحتمله امثال هذه « المخاطرات » من نجاح أو فشل ، من صواب أو خطأ .

لا قيام لأية ثورة ثقافية بدون حرية فكرية

وهنا قد يحق لنا ان نقف وقفة قصيرة عند شرط اساسي من شروط كل « ثورة ثقافية » الا وهو : توافر « الحرية الفكرية » . ونحن لا ننكر أن « الحرية » قد استهدفت ـ في كل زمان ومكان ـ لشتى عوامل القهر والقسر ، ولكن من المؤكد أن ازدهار « الحركات الفكرية » قد تحقق دائما في ظل الانظمة الديمقراطية التى كانت تترك للافراد حق القيام ببعض « المغامرات العقلية » ونحن ـ اليوم ـ حين نأخذ على بعض رجالات الفكر عندنا ـ ما هم فيه من « سبات عقلى » ، فاننا قد نجد لديهم اجابة شبيهة بما ورد على لسان الفيلسوف حين قال:« انكم لتبدأون بان توثقوا اذرعتنا وسيقاننا، ثم تعجبون ـ بعد ذلك ـ كيف اننا لا نقوى على الحركة ».والواقع أن الجمود الفكرى الذى نشكو منه ، راجع ـ في جانب من جوانبه ـ الى ذلك « الحجر العقلى » الذى يفرضه البعض على الاقلام الحرة ، والالسنة الصادقة ، بدعوى أن أحكامها معرضة للخطأ،وأن آراءها ليست معصومة من الزلل . وواضح أن « حرية الفكر » تتضمن ـ بطبيعة الحال ـ احتمال كلٍّ من الصواب والخطأ ، وتنطوى ـ بالضرورة ـ على امكانية اجادة الحكم أو سوء الاستدلال . ومن هنا فان« الحرية الفكرية » لا يمكن أن تكون مجرد صورة من صور « الترف العقلى » ، بل ان من واجب المفكر حين يواجه غيره من الناس بكلمة « نعم » او بكلمة « لا » الا يكون قد صدر في حكمه هذا عن عناد أعمى ، وانما عن ثبات عقلى استمده من « تقييم » واع لشتى « البدائل الممكنة » . وما استطاعت الحضارة الغربية المعاصرة ان تقدم لنا هذا العدد الهائل من العلماء والمفكرين والفلاسفة والادباء وغيرهم من حملة « شعلة الثقافة » الا لانها فتحت صدرها لمغامرات سائر « الباحثين » دون حجر على حرياتهم الفكرية .

وليس من شان « الموتى » أن يحجروا على حرية « الاحياء » . فان تراث الماضي لا ينبغي أن يكون « قيدا » يغل حركتنا ، او يشل تفكيرنا ، بل هو لا بد من أن يكون « عونا » لنا على السير في طريق « الحكمة » و « نورا » يرشدنا الى معرفة السبل الموصل الى « الحقيقة » . وحينما قال عيسى عليه السلام قولته المشهورة : « دعوا الموتى يدفنون موتاهم » فانه كان يعني ان المحبة الحقيقية هي واجب الاحياء نحو الأحياء . وما دام الاحياء هم الذين يفتقرون الى خدماتنا ، ويحتاجون الى كل ما لدينا من جهد ووقت فلا بد لنا من أن نمضي اليهم بكل ما أوتينا من قوة ، حاملين معنا تراث موتانا : أعني عصارة ما خلفوه لنا من « قيم » وما يستثير فينا ـ اليوم ـ كل ما نكنه لهم من « محبة » . ومعنى هذا أننا حين نعود اليوم الى التراث الفكرى الذى خلفه لنا رجالات من امثال الكندي ، والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد أو من امثال ابن المقفع ، والجاحظ والمعرى وغيرهم ـ فاننا لا نلتمس لدى كل هؤلاء فكرا ندين به ، أو مذهبا عقليا نسير على هديه،بل نحن نستلهم حبهم للحقيقة ونستوحى رغبتهم

الصادقة في « الحكمة » .

بيد اننا ـ مع ذلك ـ «فيحاجةالى اذان جديدة لسماع الموسيقى الجديدة ، وفي حاجة الى عيون جديدة لرؤية الاشياء البعيدة ، وفي حاجة الى وعي جديد لادراك الحقائق التي بقيت خرساء حتى الآن » . فليس من حقنا أن نطفىء ملكة الاعجاب (أو التعجب) في نفوس شبابنا المتحمس وليس من واجبنا ان نحجر على حريات مفكرينا الراغبين في الانطلاق نحو آفاق المستقبل ، وانما لا بد لنا دائما من أن نتذكر أن « الحاضر » هو الذي يفسر (أو يؤول) « الماضي » لـ «مستقبل» وان من لا يحيا الا من أجل « الماضي » لا يستحق أن يكون له « مستقبل » .

.. ولا بد من جهود جماعية

اننا كثيرا ما نتوهم انه لا سبيل امامنا للخروج من حالة «الجمود الفكرى » التي نرزح تحتها الا باقامة « حوار » بين « الحاضر » و « الماضي » . ولكن مهما تكن اهمية مثل هذا « الحوار » فانه لا يمكن أن يغنينا عن حوار آخر لا يكون بين « أحياء » و « أموات » بل بين « أحياء » و « أحياء » . وهذا الحوار الشائق الشائك الذي يدور في العادة بين جماعة « المعاصرين » من أهل الحضارة الواحدة ، أو من أهل الحضارات المختلفة ، انما هو ما نحن ـ اليوم ـ في امس الحاجة اليه . وانك لتقرأ عندنا ـ بين الحين والآخر ـ دعوات اصلاحية تنادي بتجديد الفكر العربي ، ولكن معظم هذه الدعوات تتخذ طابع « الصيحات الفردية » التي قلما تلقى أصداء حقيقية ، أو استجابات اجتماعية ، وكأنما هي « مناجيات شخصية » لا تخص سوى أصحابها . وشبيه بهذا ما يحدث عندنا من انتاج علمي أو ادبي أو فلسفي ، فانه ـ في معظمه ـ « انتاج فردي » لا يضطلع به سوى شخص واحد ، ولا يكاد الآخرون يلقونه الا بالاستهانة أو اللامبالاة ، أو عدم الاكتراث . ويخيل الى اليوم اننا قد اصبحنا في حاجة الى « عمل جماعي » تتعاون على ادائه معا بـ « روح الفريق » فلا تكون حركاتنا الفكرية مجرد « محاولات فردية » تذهب أدراج الرياح ، بل تكون بمثابة « اعمال مشتركة » تعبر عن ضرب من « التلاقي الفكري » الصحيح ، وليس من شك في أن « الحوار العقلي » ـ بمعنى الكلمة ـ انما هو ذلك اللقاء الذي تتم فيه عملية « المواجهة » ، بدلا من الاقتصار على « المناجاة » . وحين يجد المفكر نفسه بازاء مفكرين آخرين يناقشهم ويناقشونه ، ويجادلهم ويجادلونه فانه لن ينظر الى « دعوته » على انها «صرخة» في واد ، بل سيرى فيها « قضية » مشتركة يتعاون مع غيره على تحديدها ، واظهار معالمها ،والوقوف على شتى أبعادها . ومن هنا فان تلاقح الافكار سبيل أكيد للخروج من حالة « الجمود الفكري » خصوصا اذا ترك للمفكر حق التعبير عن رأيه بكل وضوح وصراحة .

اننا لا ننكر ـ بطبيعة الحال ـ دور « الافراد» في عملية التجديد الفكري : ولكننا نميل الى القول بأن « النهضات الثقافية » تحتاج باستمرار الى جهود جماعية مشتركة لا يبقى فيها «التخصص» أسير التخصص . وحين يجتمع العالم ـ على مائدة واحدة ـ مع الفيلسوف والفنان ورجل الدين والمصلح الاجتماعي ورجل الاقتصاد والمربي والمفكر الاخلاقي (وغيرهم) فهنالك لا بد للنظرة التكاملية الشمولية من أن تجيء فتحل محل النظرة الجزئية التخصصية . وقد سبق لنا أن قلنا اننا « متحيزون » لأننا « جزئيون » بمعنى اننا قلما نصل الى حالة « النزاهة العقلية» التامة بسبب تخصصنا الجزئي ، وشتى مظاهر « انحرافنا المهني » . ولا بأس لنا من أن نعود فنقول الآن أن لكل منا « قصر نظره » الخاص : فلو قدر لأحدنا أن يتحكم ـ بمفرده ـ في مصير « الثورة الفكرية » لأبناء عصره ، لأحالهم ـ بنظره القصير ـ الى مجموعة من العميان .

ويبقى أن نتساءل : ما الهدف الذي ينبغي أن ترمي اليه ثورتنا الفكرية ؟ وهل يحق لثقافتنا العربية أن تغلق الدائرة على نفسها ، لكي تقتصر على اجترار ذاتها ، أم يجدر بها أن تفتح جميع الابواب ، لتتلقى سائر التأثيرات ، على نحو ما فعل أحد أجدادنا العرب ، حين أخذوا عن اليونان والفرس والهنود وغيرهم ، دون أن يجدوا أدنى غضاضة في استعارة افكار الآخرين ، ما داموا قديرين على هضمها وتمثلها والافادة منها ؟

انها ـ لعمري ـ مشكلة خطيرة تحتاج منا الى وقفات طوال ، وأحسب أن القارىء ينتظر منى أن أتعرض لدراسة هذه المشكلة بالمزيد من الفحص والتمحيص ، فالى حديث مقبل باذن الله. ■■

زكريا ابراهيم



الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

رجل سبق بفكره عصره

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ في يوم الخميس ٥/٧/١٩٧٣ فقدت الكويت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، وهو رجل من رجالها الأجلاء ، احتل منزلة كبيرة في النفوس لاتكون الا للمخلصين الاحرار . استغرقت رحلته في هذه الحياة قرابة قرن من الزمن اذ كان مولده سنه ١٢٩٦ هـ ووفاته سنة ١٢٩٣هـ ، اما دراسته الاولى فقد كانت في الكويت ، ثم سافر الى الأحساء ، ثم الى مكة المكرمة فدرس النحو واللغة والفقه والحديث ، وأتاحت له ظروفه أن يسافر الى الهند والعراق ، مما جعله يطلع على آفاق فكرية واسعة ، فتفتحت نفسه المستنيرة الى العلوم العصرية ، وبذل كل ما في وسعه أن تدخل الكويت عصر النور والعلم ، فلم يستطع أن يحقق ذلك الا بعد كثير من المشاق ، لأن الناس هنا في الكويت كانوا يرون ذلك خروجا على الدين ، فقد كانوا يعتقدون أن الاشتراك في الصحف ، وتعليم اللغات الاجنبية من الامور التي يجب اجتنابها ، أما الداعون الى اصطناعها فان في مقاومتهم خدمة للعقيدة الاسلامية .

الجمهور مع المتزمتين ، ضد المستنيرين

وكانت جمهرة الناس تنحاز الى هذه الفكرة لأن الكويت انذاك كانت تعيش في جهل مطبق ، فكان المتزمتون لا يكادون يحكمون بكفر أحد ، أو مروقه عن الدين ، ويفتون بقتله ، أو مقاطعته ـ الا وتستجيب العامة لهم بسرعة بالغة ، وهذا ما حصل لفقيدنا الجليل وغيره من المستنيرين القلائل في الكويت ، أمثال مؤرخ الكويت المرحوم عبد العزيز الرشيد ، وصقر الشبيب الشاعر المعروف ، وغيرهما ، وقد تجلى ما لقيه اولئك الرجال الاحرار فيما كتبه المرحوم عبد العزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت ، اذ نجده يقول : « للدجالين آثارهم السيئة في كل بلد ، وفي كل محيط ، ولهم من الهيمنة على العقول والافكار ما يصغر معها كل هيمنة وسلطان ، وللكويت منهم حظ كبير ونصيب كما لغيرها ، وهم فيها كثيرون لا كثرهم الله ولا أعانهم » ، كذلك نجد الشاعر صقرا يشكو من أولئك المتزمتين مر الشكوى في كثير من شعره يقول من قصيدة بلغت ابياتها (٧٨) بيتا :

قليتهم اذ منعـــولي خـــيرهم
لـم يتركـيــوني من أذاهم مركـبـا
لم يتخـــل' في قومي مقامي ســاعة
لو أنني أستطيع منهم هـــربا

فان أقمتُ في الكويت مُرغما
مضطهدا من أهلها مكتئبا
اشكو ولا مُشتكيَّ منهم ، فالقضا
عليَّ أن أُعربَ منهم قد أبى
وكيف يستطيع فرارا من غدا
يشكو الوثاقين العمى والوصبا
لله در معشري ، ما بينهم
لا يشتكي الا الصريحُ الكُرَبا
اما الذي نافق فهو عندهم
مقدَّمٌ ، مسموعٌ قولُه ، مجتبى
ولم ازل آملُ منهم نهضةً
حتى لخيَّلتني غدوت اشعبا

فقد تفنن شاعرنا فيما لاقاه هو واصحابه من اولئك المتزمتين الذين ضاقت آفاق تفكيرهم من دعوة المستنيرين ، حتى اصبحت الشكوى تشكل جزءا هاما من ديوانه .

الشيخ القناعي وجهوده الوطنية

على ان فقيدنا الجليل المرحوم الشيخ يوسف القناعي استطاع بلباقته ان يصل الى ما يبتغى من نقل التعليم من الكتاتيب الى التنظيم . فقد كان من المؤسسين للمدرسة المباركية والاحمدية ، واوكلت نظارتهما له ، فقام بذلك خير قيام دون ان يتقاضى على ذلك اجرا . وكان من الداعين والساعين الى تاسيس جمعية خيرية ومكتبة اهلية والى مدرسة سميت مدرسة السعادة وقد أوكلت رئاسة المكتبة الخيرية اليه ، ومما يبرهن على مكانته الاجتماعية انه انتخب عضوا في أول مجلس شورى في الكويت . كذلك مارس مهنة القضاء مدة من الزمن دون ان يقبل اى اجر او مكافاة على ذلك ، مما يدل دلالة واضحة على أن نشر العدل والخير كان اهم شيء ملأ وجدان ذلك العالم الجليل ، وقد يكون من الانصاف لهذا المخلص المستنير ان نرسم صورة لمسيرته الفكرية المتطورة ليتضح لنا صفاء نفسه واستنارة عقله . وأول ما نحب ان نبدأ به في رسم هذه الصورة هو هذا الموقف الحر من ذلك المتملق المرتزق عبد المسيح الانطاكي، الذى صنف ديوانا مليئا بالاطراء الكاذب، جعل عنوانه (الآيات الصبّاح ، في مدائح مبارك الصبّاح) . ولم يكد شيخنا الجليل يطلع عليه، ويعرف ما فيه حتى اتصل بالمرحوم الشيخ ناصر ابن مبارك الصباح وقال له بالحرف « انصح والدك في اخفاء هذا الكتاب لانه مهازل واكاذيب افتراها الانطاكي ليس لها صحة بتاتا . وان انتشر هذا الكتاب فسيكون اضحوكة الزمان عليكم بين أهل الكويت وغيرها » ، فتكلم ناصر مع والده فامر بحبس الكتاب في الجمرك . ولنتذكر ان هذا الموقف قد صدر عن الشيخ يوسف قبل ٧٢ سنة على وجه التقريب بمعنى انه كان يصارح المسئولين بكلمة الحق في أيام كان فيها الخوف من السلطان يسيطر على القلوب ، واعظم من ذلك ان أصحاب النفوذ كانوا لا يتبرمون من مصارحته وانما كانوا يتقبلونها بصدر رحب لمعرفتهم باخلاصه وصفاء ضميره .

جرأته وشجاعته

وقد دفعته هذه الشجاعة الادبية الى أن يعلن اراءه بجرأة نادرة بالرغم من انها تسبب له نفور الكثيرين لانها تخالف ما يتظاهر به الكثيرون ، فمن ذلك رايه القائل بوجوب ترك باب الاجتهاد مفتوحا لان ذلك هو الذى يلائم ما يحدث من تطور في الحياة وهذه عبارته بالحرف الواحد ، يقول :

« لو أن المسلمين سلكوا طريق السلف الصالح في القرون المفضلة قبل أن يسد باب الاجتهاد لكان الحال غير هذا الحال في أغلب البلاد الاسلامية ، لأن السلف الصالح كانوا اذا حدث أمر لم يجدوا له نصا بكتاب الله ولا في سنة نبيه ، اجتمعوا وتشاوروا بهذا معتمدين على أصول الدين العامة كقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر) وكقوله (ما جعل عليكم في الدين من حرج) . والحديث « لا ضرر ولا ضرار » ، « يسروا ولا تعسروا » . وافتوا باجتهادهم مع ملاحظة العدل والمصلحة . ولكن مع الأسف ان الفقهاء سيما في القرون الوسطى جمدوا ولم يفكروا في هذا التطور في المعاملات على حسب الزمان كما فعل الغرب . بل صار جُلُّ تفكيرهم الراتبَ والاستيلاءَ على الاوقاف(١)

الا ترى معي أن فقهاءنا لو فكروا بمثل هذا الصوت المرتفع الحر لكان تاثيرهم في النفوس اكثر ؟

ولم يخش المؤلف ان يعلن للملأ بأن (نشر حقائق التعاليم الاسلامية بأسلوب عصرى على

(١) صفحة ٣١٨ الملتقطات من تصنيف الشيخ يوسف القناعي .

اساس الفطرة) وان كان نافعا قد يدفع المسلمين الى اتفاق كلمتهم وتحسين اخلاقهم الا انه ليس بكاف . فليس ينقذهم مما هم فيه من انحطاط الا تعلمهم للصناعات الحديثة التي تفوقت بها اوروبا فهي القوة الحقيقية للدفاع عن راية الاسلام (٧) . ولا يكتفي شيخنا الجليل باعلان ارائه من الناحية النظرية وانما يسعى لتطبيقها بصورة عملية ، فقد كان ناظرا للمدرسة المباركية سنة ١٩١١ وكان يريد أن يحتوى برنامج التعليم فيها على الجغرافيا والهندسة والرياضيات واللغة الانكليزية ، غير أن اعضاء مجلس ادارتها كانوا يرون الاكتفاء بتجويد القرآن ومبادىء القراءة والكتابة والحساب والفقه ، فاشتد الخلاف بينه وبينهم حتى آل الأمر الى تركه لنظارة المدرسة ، وسعى مع اخوان له مستنيرين الى بناء مدرسة الاحمدية ، فلما كمل بناؤها وكلت نظارتها اليه ، فاشترط أن تكون عصرية في برامج تعليمها فكان له ما أراد .

ولقد طرح الشيخ سؤالا لا تخفى دلالته على كل لبيب وهو « هل يوجد فرق بين قاطع الطريق الذي يسلب المارة وبين أولئك الاغنياء والوجهاء الذين ياكلون اموال الناس بالدهاء والغش والحيلة ؟ » .

ايمانه بجوهر الاسلام

وكان رحمه الله يبدي استياءه من أولئك الفقهاء الذين يضيعون أوقاتهم وأوقات قرائهم بفروض لا يمكن أن تقع الا في الخيال وهي لا تمس امورا لها مكانتها في الحياة وانما تتعلق بامور جانبية لا يحتاج الناس اليها بأي حال ، وهو يسميها بالامور المخجلة ويقول ان الانسان لا يستطيع أن ينتقدهم على هذا الجمود لانه اذا فعل ذلك اتهم بالزندقة والالحاد ، وكان يرى أن افضل الطرق أن تدرس جميع المذاهب الاسلامية دراسة دقيقة شاملة فان ذلك يظهر لنا ما في هذه المذاهب من عبقريات وتعمق ، فليس التفوق محصورا في أربعة أو خمسة مذاهب ، اذ أن في كل مذهب افذاذا من الرجال لا يجوز اغفال ما بذلوه من جهود ، فان من عدم الانصاف الوقوف على مذاهبَ معينة محدودة ، واشد من ذلك أن تنتقد ما عداها من مذاهب العلماء ، وقد كان يؤثر الاتصال والوقوف على النصوص « ويكره مطالعة المتون التي الفها في العصور المتاخرة الفقهاء المذهبيون ، الا أن ذلك لا يَغمط الائمة السابقين قدرهم ولا جهدهم ، ولا يبيح اعتبار فقههم مقابلا لفقه السنة ، كان للرسول مذهبا ولهؤلاء الرجال منزعا « يبتعد عنه » . ويقول : (ان من حق اي باحث أن يستريح الى اجتهاد ما دام هذا الاجتهاد مضبوطا بقيود محكمة من اصالة النظر ورحابة الادراك) . ويقول : (ان الاجتهاد الاسلامي لملاحقة الاحداث ومتابعة الزمن السائر اصابه ضرر شديد عندما احتبس داخل السجن المذهبي الضيق . وعندما أزرى به التعصب لآراء مجتهد واحد ، ونريد الآن أن ننتفع بأمجادنا العلمية كلها وأن يعتبر المسلم العادي أئمته المقتدى بهم في الفقه هم سلفه الصالح جميعا فلا ينتمي لواحد ويتجاهل الآخر .

وكان رحمه الله يرجع العاقل المستنير على من اتسع اطلاعه ، وكأني به يشارك ذلك الذي قال لمن افتخر امامه بانه حفظ نسخة من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، لقد زادت نسخة في البلد . فلا يكفي أن يكون الانسان حافظا لكثير من المسائل الفقهية . وانما ينبغي أن تكون آفاقه متفتحة تجعله قادرا على التمييز بين الغث والسمين . فقد روى شيخنا أنه تعرض في بعض دروسه الدينية التي كان يلقيها في المدرسة المباركية لما رواه بعض المفسرين عن كيفية دخول عبدالله بن قلابة الانصاري في مدينة ارم ذات العماد ووصفه لها بان جدرانها بنيت من الذهب والفضة وان حصباءها الدر والياقوت . تعرض لهذه القضية موضحا أن هذه القصة ليست من العلم في شيء ، فانكر عليه بعض المحافظين هذا الايضاح ، لا لانه مخالف للحقيقة ، ولكن لان ذلك يفتح بابا لانتقاد بعض العلماء المتقدمين ، وهو امر فيه كثير من الضرر . فكان جواب الشيخ له ، « ان الحق احق أن يتبع » .

وبالجملة فان الشيخ يوسف القناعي رحمه الله كان علما من أعلام الاسلام في الكويت اتخذ مسيرة نادرة في هذه الحياة . ولم يستغل المناصب الرفيعة التي تقلدها لمصلحته الخاصة ، وانما أنفق كل طاقاته للمصلحة العامة ، اما مصدر رزقه فكان التجارة ، ومن توفيق الله له أنه استطاع أن يوفق بين التجارة وبين رسالته التي كان يسعى الى تحقيقها . رحمه الله وطيب ثراه . ■■

الكويت ــ **عبد الرزاق البصير**

---

(٧) صفحة ٢٢٦ (المصدر السابق) .

اللُّغَة الثَّانيَة

مَتَى نَبْدَأُ تَعْلِيم أَبْنَائِنَا إِيَّاها ؟

بقلم : محمد حسن التيتي

مفتش اللغة الانجليزية بوزارة التربية بالكويت

■ « ما هى السن المثلى ليبدأ ابناؤنا تعلم اللغة الأجنبية ؟ »

سؤال لا ينفك يطرح نفسه علينا لا سيما المعنيين منا بشؤون التربية ، بالحاح يتزايد مع تزايد الحاجة الى تعلم اللغة الأجنبية والتمكن من مختلف مهاراتها ، اذ لم يعد تعلم اللغة الاجنبية في يومنا هذا مجرد حلية يزهو بهاحاملها على أقرانه ، بل أصبح ضرورة ماسة لا غنى للامة التى تتطلع الى النهوض عن تزويدأجيالها القادمة بها ، لتواكب التقدم العلمى والحضارى ، وتبقى على صلة وثيقة بالمنجزات الجبارة التى تحققها الامم يوما بعد يوم .

ولسنا وحدنا المعنيين بهذا الموضوع ، فالاجابة على هذا السؤال امر يشغل بال رجال التربية في كل مكان ، على مختلف مللهم ونحلهم ، وفي جميع اصقاع الارض ، المتقدم منها والمتخلف على حد سواء ، واليوم اضحى تعلم اللغات الأجنبية اشد الحاحا من اى وقت مضى بعد أن بدأت الحدود التقليدية التى تفصل بين الشعوب تتهاوى تحت معاول التقدم العلمي والتكني الجارف. وللاجابة على هذا السؤال تقوم الان دراسات موضوعية جادة في العديد من معاهد وجامعات العالم المتخصصة . ومن اهم واحدث من قام بعرض وتحليل هذه الدراسات البرفسور ليون ا. جاكوبوفتس Leon A. Jakobovits استاذ اللغة وعلم النفس في جامعة الينوى Illinois حاليا والذى شغل منصب الاستاذية في عدد من الجامعات الامريكية ، وقد كتب ما يزيد على الاربعين من البحوث التى تعالج مشاكل تعليم اللغة الثانية ، ونال على هذه الدراسات عدة جوائز تقديرية منحه اياها مكتب التربية الامريكى والمؤسسة القومية للعلوم وغيرهما من المؤسسات التربوية .

والبحث الحاضر يعتمد بشكل رئيسي على كتاب ظهر له في منتصف عام ١٩٧١ تحت عنوان « تعلم اللغة الأجنبية »

يشير جاكوبوفتس الى الانحراف الواضح الذى ظهر في السنوات الاخيرة نحو الاخذ بالرأى القائل بان تعلم اللغة الثانية ينبغى أن يتم في سنوات الطفولة الاولى او على الاقل قبل سن البلوغ . ويرى ان هذا الرأى يستمد وجوده من المشاهدات الحية ، وهناك اتفاق على ان الطفل عندما يتعرض بشكل طبيعى الى لغتين خلال سنوات طفولته المبكرة فانه يتمكن من اتقان هاتين اللغتين ،واحيانا يتقن ثلاثا أو اربعا ، اتقانا مماثلا لاتقان اللغة الام ، من حيث الطلاقة وسلامة النطق ، دون ان يبذل أى مجهود ملحوظ ، ولا يخفى ان السواد الاعظم من الناس يؤمنون بأن تعليم اللغة الأجنبية السليم لا يمكن أن يتم الا تحت هذه الشروط من التعليم المبكر ، ويسوقون دليلا على ذلك التقدم الذى يحققه الاطفال في المدارس الأجنبية والخاصة،

ولم تخل توصيات اي مؤتمر تربوي(١) عقد لهذا الغرض من الاشارة الى هذا الموضوع من قريب او بعيد والتوصية ببدء تدريس اللغات في مرحلة الطفولة المبكرة اي في المرحلة الابتدائية .

وقد كان للتصريحات التي أدلى بها جراح الأعصاب الكندي الشهير الدكتور ويلدر بنفيلد Wilder Penfield اثر كبير في تدعيم هذا الرأي وترسيخه ، فقد ظل هذا الجراح الشهير ينادي لسنوات عدة بان العقل البشري يفقد مرونته بعد سن البلوغ ، وكلما زادت السن عن ذلك اصبح تعلم لغة ثانية اكثر صعوبة .

ومهما يكن فان هناك آراء كثيرة مناقضة للرأي الذي ينادي به الدكتور بنفيلد ، فقد تبين من التجارب والاختبارات التي أجراها العديد من رجال التربية على تأثير ادخال تعليم اللغة الاجنبية في مناهج المرحلة الابتدائية ان الامر محفوف بالمخاطر ، واصبحوا يحذرون مما بات يعرف الآن بالأثر التوازني balance effect والذي يشير الى الفرضية القائلة بأنه كلما زاد الوقت المخصص لدراسة اللغة الاجنبية نقصت قدرة الطفل على تعلم لغته الام ، وان اثر ادخال اللغة الاجنبية المبكر السيء لا يقتصر على اللغة الام ، بل يتعداه الى التعليم بشكل عام ، والى تطور قدرات الطفل العقلية .

ونحن نهدف هنا الى ان نسوق الحجج المؤيدة والمعارضة لادخال اللغة الاجنبية المبكر الى المناهج المدرسية ، مع تحليل المضامين والمرامي البعيدة – من فسيولوجية وتربوية ونفسية – التي ينطوي عليها هذا الموضوع الهام والخطير .

الادلة المستقاة من فسيولوجية الاعصاب

تتلخص آراء بنفيلد في الجانب الفسيولوجي لتعلم اللغات في محاضرة له القاها في الاجتماع الرابع والثلاثين بعد المائة للاكاديمية الامريكية للفنون والعلوم في بسطن عام ١٩٥٣ تحت عنوان « اللغة والآلية العقلية » . وقد تبنت جمعية اللغات الحديثة هذه الآراء واعادت طباعة المحاضرة وتوزيعها على نطاق واسع ، والمقتطفات التالية تمثل هذه الآراء .

« يتمتع الطفل قبل سن التاسعة الى الثانية عشرة بقدرة خاصة على تعلم اللغات ، فهو يستطيع في هذه السن ان يتعلم لغتين او ثلاثا بالسهولة نفسها التي يتعلم بها اللغة الواحدة . وهناك اعتقاد سائد بان الانجليز لا يتمتعون بالقدرة على اكتساب اللغات التي يتمتع بها غيرهم ، ويعود ذلك الى ان الانجليزي عندما يكبر يصبح فردا متصلبا ، تنقصه المرونة ، ويمكن تشبيهه بشجرة البلوط الضخمة التي تعجز عن الانحناء بليونة ، ولكن ذلك لايصدق مطلقا اذا تعرض هذا الانجليزي للغة في سن الصغر ، اذ ان مقدرته على اكتساب اللغات حينئذ لا تقل عن غيره بحال ، ولذلك فانني اهيب بالمربين ان يضعوا مناهجهم بحيث تتلاءم مع القدرات العقلية النامية للاطفال الذين يضعون المناهج من اجلهم ، راجيا ان لا يغيب عن بالهم ان العقل البشري يتصلب ويفقد مرونته تدريجيا بعد سن التاسعة فيما يختص باكتساب اللغات» .

وقد القى بنفيلد محاضرة أخرى في جمع غفير من المتخصصين عام ١٩٥٣ في اكاديمية العلوم والفنون في بسطن ، ونادى فيها بآرائه السابقة نفسها ، الا ان المحاضرة الاخيرة لاقت اضعاف ما لاقته سابقتها من الرواج ، وتبنتها رابطة اللغات الحديثة الامريكية ، وقامت بتوزيعها على كافة اعضائها ،وقد يكون ذلك لانها تتفق مع الآراء التي يحملونها .

وفي هذه المحاضرة الاخيرة يقول بنفيلد :

« قد يبدو من الانسب لمخططي المناهج ان يؤجلوا تعليم اللغة الاجنبية الى العقد الثاني من الطفولة ، ولكنني انصحهم في حال فشلهم في تحقيق النتائج المتوخاة بان يدخلوا النمو العقلي للطفل في حسابهم ، فان للعقل البشري توقيته البيولوجي الخاص ، والذي لا يختلف عن التوقيت البيولوجي لنمو الغدد عند الاطفال (٢) ان تعلم اللغة في البيت يتم على مراحل طبيعية مألوفة تعتمد كليا على مراحل النمو العقلي للطفل وهذا

---

(١) ذكر هنا على سبيل المثال البند الخامس من توصيات لجنة اللغات الاجنبية في مؤتمر المناهج المدرسية المنعقد في الكويت في شهر مارس عام ١٩٧٢ .

(٢) من الحقائق المعروفة في عالم الطب أن هنالك توقيتا معينا (أو سنا معينة) لتصل بعض الغدد فيه الى أوج نموها ، وتوقيت آخر تضمحل فيه ويمكن أن نضرب مثلا بالغدد الجنسية على ذلك .

لا يعنى التقليل من شان الام والدور الكبير الذى تلعبه في مساعدة طفلها على اكتساب اللغة ، ولكن المبادرة الحقيقية في اكتساب اللغة تأتى من الطفل، وتخضع لمراحل نموه العقلى . ان اكتساب اللغة الام او اللغة الاولى امرلامفر منه ، وليس باستطاعة الابوين ان يحولوا بين الطفل واكتساب اللغة ، ما لم يحجزوه في زنزانة ، أو يضعوه في قمقم .

ان عقل الطفل يتمتع بمرونة بالغة ، وبالرغم من أن عقل الراشد يتفوق عليه في مجالات عدة الا أنه يعجز عن مجاراتهفيما يختص باكتساب اللغة ولدينا الدليل المادى على ذلك ، فالطفل يحتفظ بالقدرة على تعلم اللغة للمرة الثانية بعد اصابة مراكز التكلم في النصف الأيسر من الدماغ بالتلف، وهذه الاصابة تسلب الطفل والراشد ـ على حد سواء ـ القدرة على التكلم ، ولكن الطفل يستعيد قدرته على التكلم ثانية بعد مضي شهور قليلة في حين ان الامر بالنسبة للبالغ أصعب من ذلك بكثير ، فقد يستعيد القدرة على التكلم أو لا يستعيدها ، ويتوقف ذلك في غالب الاحيان على عمق الاصابة وشدتها . »

من الواضح من هذه التصريحات ان الدكتور بنفيلد لا يدعى الخبرة في ميدان تعلم اللغة الاجنبية ولا بد لنا من ان نفرق بين ما يقوله كاخصائي في فسيولوجيا الاعصاب وما يقوله كمواطن مهتم بتشجيع تعلم اللغات في بلده . ولاستاذ اللغة الأجنبية العذر في اعتماده على ما يقوله المختصون من امثال بنفيلد ولنبرج نظرا لخبرته المحدودة في فسيولوجيا الاعصاب ، والشواهد والحجج التي يسوقونها لتطور الكلام عند الطفل تبدو مقنعة وجذابة في نظر الكثيرين من غير المختصين ، ومما زاد في شيوع هذه الآراء وشعبيتها ، العودة الى بحث هذا الموضوع على يدى العالم لينبرج Lenneberg سنة ١٩٦٧ في كتابه « الأسس البيولوجية للغة » (٣)

ولكن السؤال الحاسم الذى يعنى مدرس اللغة الأجنبية بطرحه هو مدى ارتباط الدلائل التى تقدمها فسيولوجية الاعصاب بتعلم وتعليم اللغة الأجنبية ، اذ من الواضح أن تعلم اللغة الام او اللغة الاولى يعتمد على الآليات الفسيولوجية عند الطفل وأن هذه الآليات تنمو في فترات زمنية حاسمة وما لم يتعرض الطفل للغة قبل سن البلوغ فان من المحتمل جدا أن لا يتمكن من تعلم اى لغة انسانية في حياته (٤) . ويسوق لنبرج حججه بايجاز بليغ : « ان اكتساب اللغة الاولية لا يمكن أن يتم بالسهولة نفسها في المراحل المختلفة للعمر من سن الطفولة الى الهرم فالدماغ البشرى يفقد مرونته في سن البلوغ ، وليس أدل على ذلك من حالات الحُبْسة ، أى فقدان النطق ، نتيجة لاصابة الدماغ التى يصعب التغلب عليها بعد مضي بضعة اشهر على الاصابة ، والأمل بالشفاء يتضاءل كلما تقدم المصاب في السن ، وعلى الاخص بعد العقد الاول من العمر . وتحديد اكتساب اللغة الاولى بسن البلوغ امر تعززه مشاهداتنا للمصابين بالتخلف العقلى ، فهم غالبا ما يتمكنون من البدء باكتساب اللغة بداية متواضعة وبسيطة حتى سن العاشرة ، وعندها ترسخ مقدرتهم اللغوية وتثبت الى الأبد .

ولذلك يمكننا الافتراض بأن هناك سنا حاسمة يكون اكتساب اللغة في بدايتها بطيئا نظرا لقلة النضج ، وكذلك في نهايتها لفقد الدماغ القدرة على التكيف والمرونة . »

ومن الواضح هنا أيضا أن الادلة التى تقدمها لنا فسيولوجية الاعصاب تقتصر على اكتساب اللغة الاولى ومع ذلك فان لنبرج يحاول تعميم مشاهداته، ونراه يتبنى بعض المزاعم المتصلة باللغة الثانية ، لكن هذه المزاعم مدعاة للكثير من الشكوك . نذكر منها على سبيل المثال تلك الجداول التى وضعها لمراحل تطور اللغة طوال تاريخ حياة الفرد ،والتى تخلط في احدى المراحل بين اكتساب اللغة الاولى والثانية .

---

(٣) Biological Foundatians of Language

(٤) لقد ثبت الآن أن الاطفال الذين عزلوا بشكل طبيعى عن المجتمعات الانسانية في طفولتهم يعجزون تماما من تعلم اى لغة رغم المحاولات الجبارة المبذولة في هذا السبيل بعد سن العاشرة تقريبا . ويورد لينبرج في كتابه المذكور أعلاه حالتين لطفلين تربيابين الذئاب، وقد تم العثور عليهما في سن السادسة وتمكن كلاهما من تعلم اللغة بشكل مرضي .

والجدول التالى يظهر على الصفحة ٢٤٨ من كتابه :

السن	تطور اللغة الطبيعي
من الشهر الأول الى الشهر الثالث	ظهور المناغاة
من الشهر الرابع الى الشهر العشرين	من التفتفة الى الكلمات الواضحة
من الشهر الحادى والعشرين الى الشهر السادس والثلاثين	اكتساب اللغة
من السنة الثالثة الى العاشرة	زيادة الدقة فى التعبير اللغوى ـ توسع المفردات
من السنة الحادية عشرة الى السنة الرابعة عشرة	ظهور اللهجات الاجنبية
من أواسط العقد الثانى الى الشيخوخة	تزايد صعوبة تعلم اللغة الثانية ؟

يلاحظ من هذا الجدول أن المراحل الاربع الاولى تتصل باكتساب اللغة الاولى فى حين أن البندين الاخيرين يتصلان باكتساب اللغة الثانية ، علما بان ليس هنالك اية اشارة تمت لاكتساب اللغة الثانية بصلة فى اى مكان آخر من كتابه ، ومما يضاعف فى حيرتنا ان التعميمين الاخيرين وعلى الاخص ثانيهما لا يزالان موضع شك كبير ، وقد قامت دراسة حديثة تهدف الى اختبار النظرة الشائعة المتعلقة بتفوق الأطفال فى تعلم أصوات اللغة الثانية على الراشدين (*) وقد أجريت هذه الدراسة على فئتين من السن هما الخامسة والحادية والعشرون واقتصرت على تدريب هاتين الفئتين على التمييز بين صوتين فى اللغة العربية لمدة سبع ساعات ، ولذا فان نتائج هذه الدراسة لا تعتبر نهائية الا انها تلقى ضوءا جيدا على الموضوع . وقد انتهى القائمان على الدراسة الى ان النتائج التى توصلا اليها لا تقدم أى دليل قاطع يشير الى تفوق الاطفال على الكبار فى اكتساب الاصوات الجديدة،وبالرغم من ذلك فان المشاهدات تشير الى ان أطفال المهاجرين الذين تعرضوا للغة ممن هم دون سن الخامسة عشرة يتمكنون من اتقان اللفظ بصورة أفضل بكثير من آبائهم أو أقربائهم ممن يفوقونهم سنا ، ولكننا لا يمكن ان نعزو هذا التفوق الى أمور تتصل بفسيولوجيا الاعصاب للاسباب التالية .

١ ـ ان الاطفال الذين يتعلمون اللغة فى جو مدرسي لا يتمكنون فى الغالب من اتقان النطق .

٢ ـ ان لبعض الكبار قدرة بالغة على اتقان النطق بحيث يصعب التفريق بينهم وبين أهل اللغة .

وهكذا فاننا نرى أن الجدول البيولوجى الذى وضعه لينبرج يتبع نموذجا جامدا لا يسمح بتغيرات من هذا القبيل ، أما التعميم الاخير فى الجدول والذى ينص على أن اكتساب اللغة يزداد صعوبة بعد سن الخامسة عشرة ، فليس هناك أى دليل يؤيده ، بل ان هنالك من الحقائق ما يناقضه تماما .

وكلنا يعلم ان المقرر الذى يدرسه الطالب الجامعى فى النصف الاول من العام يعتبر مساويا لمقرر سنة دراسية كاملة من المرحلة الثانوية ، وهنالك دورات لغوية للكبار تستطيع أن تزودهم بمقدرة على تحدث اللغة بنطق واتقان يضاهيان أبناء اللغة فى مدة لا تتجاوز الالف من الساعات ، باستخدام ثلاثة الاف كلمة استخداما فعليا ، وهذا المستوى من التحصيل اللغوى لا يقل بحال عما يحققه المهاجر الصغير الذى ينغمس فى جو اللغة الأجنبية ، ان لم يكن افضل من ذلك . ولا بد من الاشارة هنا الى أن هذه الدورات الموسعة موجهة للموهوبين من الكبار ، ولكن عدد هؤلاء الناس يشكل نسبة لا تقل عن ثلاثة وثلاثين بالمائة من مجموع الكبار حسب تقدير كارول Carroll ١٩٦٥ . وهذه النسبة العالية تفرض علينا ان نستبعد التفسير الذى تقدمه فسيولوجيا الأعصاب كلية .

الادلة التربوية والفكرية

تبين لنا من الصفحات السابقة أن فسيولوجية

(*) جرت هذه الدراسة عام ١٩٦٨ .

الاعصاب لم تقدم اى دليل يثبت بأن الاطفال اقدر على اكتساب اللغة الثانية من الكبار ، وسنحاول هنا أن نلقى نظرة فاحصة على الادلة المتصلة بالنتائج التربوية والفكرية للتعليم المبكر للغة الثانية ، ويعتبر كتاب ماكنمارا Macnamara الذى صدر عام ١٩٦٦ تحت عنوان« ثنائية اللغة والتعليم الابتدائى Bilingualism and Primary Education اشمل واوسع دراسة ظهرت حتى الآن (٦) .

وقد اختار ماكنمارا من فيض الدراسات التى تعالج هذا الموضوع سبعا وسبعين دراسة تناولها بالتحليل المفصل الدقيق وعلى الاخص تلك الدراسات التى تبين انها تتمتع بدرجة عالية من الثبات والصدق وتخضع للضوابط السليمة . وقد اكدت غالبية هذه الدراسات على خطورة ما سبق أن دعوناه بالاثر التوازنى Balance effect فقد ثبت أن الاطفال ، ممن فرض عليهم دراسة واستعمال لغتين فى آن واحد ، لا يتم لهم اتقان كل لغة على حدة بنفس المستوى الذى يتقنه اندادهم ممن يقصرون على دراسة لغة واحدة فقط .

ان دراسة ماكنمارا الواعية والدقيقة للتجربة الايرلندية تتفق تماما مع هذا النموذج العام ، وتراه يقول فى الفصل الختامى :

بغض النظر عن الفروق بين ايرلندا وغيرها من البلاد فى النواحى المتصلة بتعلم اللغات ، فان النتائج التى حصلنا عليها تتفق اتفاقا تاما مع تلك التى توصلت اليها غالبية الدراسات الاخرى، والبحث الذى اجريناه فى ايرلندا يثبت خطورة الاثر التوازنى فى تعلم اللغات، وعلى الاخص عندما يطغى الوقت المخصص لتعلم اللغة الثانية على الوقت المخصص لدراسة اللغة الاولى ، ولا ريب أن ذلك سيكون على حساب اللغة الاولى وقد ثبت ان الاطفال الانجليز الذين يعيشون فى ايرلندا والذين قضوا ٤٢ ٪ من وقت الدراسة فى تعلم اللغة الايرلندية لا يحققون نفس المستوى فى الكتابة فى اللغة الانجليزية كنظرائهم الذين لم يتلقوا لغة ثانية، والاختلاف التقديرى بين مستواهم فى اللغة الام يعادل سبعة عشر شهرا ، كما أن هؤلاء الاطفال لا يصلون الى نفس المستوى فى الكتابة فى الايرلندية كامثالهم من ابناء اللغة الايرلندية ، والفرق التقديرى فى المستوى يقرب من الستة عشر شهرا من العمر الايرلندى ، ومن الناحية الاخرى فان تحصيل الاطفال الايرلنديين فى اللغة الانجليزية ادنى من تحصيل الاطفال الانجليز المولودين فى ايرلندا ، والفرق هنا يعادل ثلاثة عشر شهرا من العمر الانجليزى اما اذا ما قورنوا بالاطفال الانجليز الذين يعيشون فى انجلترا فان الفرق يصل الى الثلاثين شهرا من العمر الانجليزى .

وقد تبين من مقارنة مجموعات من الاطفال الايرلنديين بعضهم ببعض أن النتائج متشابهة فى غالبيتها مع النتائج التى توصلت اليها الدراسات الاخرى ، وظهر ان تدريس الحساب باللغة الايرلندية للاطفال الانجليز يؤدى الى تخلف فى القدرة على ادراك المشكلات الحسابية وليس فى العمليات الحسابية الالية ويصل هذا التخلف احيانا الى ما يقدر بثلاثة عشر شهرا من العمر الحسابى . وتبين ايضا أن النتائج التى يؤدى اليها تدريس الموضوعات الاخرى باللغة الاجنبية غير مشجع بالمرة ، فتعليم هذه الموضوعات باللغة الثانية لا يفيد اللغة الثانية اطلاقا بالاضافة الى ان له اثرا سلبيا على تقدم الطلاب فى الموضوع ذاته .

الا أنه ينبغى أن لا يغرب عن بالنا أن هنالك عددا من الدراسات ، وان كانت قليلة ، تناقض ما توصلت اليه الابحاث السابقة فيما يختص بالاثر التوازنى وبالنتائج الضارة التى يؤدى اليها التدريس المبكر للغة الثانية ، وهناك بشكل خاص دراسة حديثة تمت تحت اشراف الدكتور ولاس لامبرت Wallace Lambert وهو أحد زملاء ماكنمارا البارزين فى جامعة ماكجل Mc. Gill بكندا . وقد بينت الدراسة المذكورة أن الاطفال الذين نشأوا فى ظروف ثنائية اللغة فى مدينة مونتريال وصلوا الى درجة جيدة من التمكن من اللغة الانجليزية وتفوقوا فى ذكائهم اللغوى وغير اللغوى على أندادهم ممن يتكلمون الفرنسية فقط. مما دعا القائمين على البحث الى الخروج بفرضية مؤداها أن التعرض للغتين فى آن واحد فى سن مبكرة قد يؤثر على الفكر ذاته – وان قسطا كبيرا من الفعالية الفكرية للفرد تنشأ عن الخبرات التى يتعرض لها هذا الفرد وعن انتقال هذه الاطفال من ثنائيى اللغة يتعرضون لتجربة أوسع

---

(٦) حتى أواخر عام ١٩٧١ وهو تاريخ صدور الطبعة الثانية للكتاب .

واشمل في ثقافتين مختلفتين ، الأمر الذي يزودهم بمزايا لا يتمتع بها أصحاب اللغة الواحدة فالطفل الثنائي اللغة يتمتع بمرونة فكرية عالية وقدرة على تكوين المفاهيم بالاضافة الى مجموعة من القدرات العقلية المتنوعة .

لا ريب أن المهتمين بشؤون التربية ومدرسي اللغة الاجنبية بخاصة قد باتوا يضيقون بهذا السيل من الافكار والآراء المتناقضة التي يحملها هؤلاء الباحثون ، الذين يجاهد كل منهم كي يدعم وجهة نظره بالأدلة والبيانات التجريبية الدقيقة ، الا أننا نخلص من هذا الى ان البحث وحده يعجز عن تزويدنا بالاجوبة النهائية للمشاكل التربوية والاجتماعية المتشابكة .

وكثيرا ما يلجأ السياسي أو المسؤول التربوي عندما يقررادخال اللغة الثانية المبكر الى ما نسميه بلعبة المعلومات ، فهو يحاول أن يبرر السياسة التي ينهجها باسلوب علمي رصين فتراه يستشهد بالتقارير والتجارب والاحصاءات التي تتفق مع ميوله واتجاهاته ، علما بان من السهل الاستشهاد بالعديد من التقارير التجريبية والاحصاءات الدقيقة التي تناقض ما يدعيه تماما .

من واجب المربي الجاد اذن أن يعترف بان تعميم نتائج البحث التجريبي فيما يتعلق بالقضايا التربوية والاجتماعية امر في غاية الصعوبة ، فالشروط التي تنطبق على وضع معين قد تختلف اختلافا جوهريا اذا حاولنا تطبيقها في وضع قد يبدو مماثلا ، وهذا يملي على المربي أن يتخذ قراراته ضمن اطارمن العوامل التربوية والاجتماعية والسياسية والفلسفية المعقدة والمتداخلة وليس هناك ما يدعو لاثبات القرارات التي يصل اليها من وجهة النظر العلمية فهذه القرارات لن تكون نهائية بحال من الاحوال ووجهة النظر العلمية اعجز من أن تزوده بالتبرير الكافي المقنع .

وفي تقرير دولي للخبراء صادر عن اليونسكو عام ١٩٦٢ تحت عنوان : تعليم اللغة الاجنبية او اللغة الثانية للاطفال الصغار تأييد للنتيجة التي توصلنا اليها ، وهذه بعض المقتطفات من التقرير المذكور :

« ليس هناك ضرورة تدعو الى تبرير تعليم اللغات في السنوات الابتدائية على انها المرحلة المثلى لذلك . والذي نحتاجه فعلا هو (١) أن نبين المسوغات الاجتماعية والتربوية التي تحدو بنا الى تبني هذا الامر . (٢) أن نشير الى عدم تعارض هذه الخطوة مع النمو النفسي للطفل في هذه المرحلة . (٣) أن نبرهن اذا استطعنا ، على أن لتعليم اللغة في هذه المرحلة مزايا خاصة ، ولا شك أن هذا سيضفي المزيد من الاهمية على مبرراتنا .

من الاجدى اذن ـ بدلا من البحث عن السن الافضل ـ أن نكتفي بأن نبين أن السنوات المبكرة مناسبة لتعلم اللغة الثانية نظرا لما لها من مزايا خاصة .

اما عندما لا يكون هناك ضرورة ملحة للتعليم المبكر للغة الثانية فيمكن أن نتخذ القرار الذي ينسجم مع الخطة التربوية والمصلحة الوطنية .

وخلاصة البحث ان ادخال اللغة الثانية المبكر الى مدارسنا أمر لا يرتبط بالمنهج أو الطريقة او التوقيت النفسي السليم فقط بل ينبغي أن يرتبط بنظرة شاملة ضمن اطار من التطلعات والمواقف الاجتماعية والاماني القومية للشعب الذي تقوم المؤسسات التربوية على خدمته ، فواجب رجال التربية عندما يتحتم عليهم اصدار قرار يتعلق بتعليم اللغة الثانية أن يقلبوا المشكلة على مختلف وجوهها ويزنوا كل دقيقة من دقائقها بميزان المصلحة الوطنية ومقتضيات الاوضاع الخاصة للبلاد ، ولو درسنا اوضاع الامم التي تتبنى تعليم اللغة الاجنبية المبكر لوجدنا انالعوامل السياسية والظروف الاجتماعية للبلاد هي التي تلعب الدور الاول في فرض هذا النظام . ففي بلد كايرلندا مثلا نرى أن العوامل السياسية وحدها هي التي تتحكم في هذا القرار ، اما في الولايات المتحدة فان هناك ضرورة اجتماعية ملحة لصهر المهاجرين في بوتقة الشعب الامريكي عن طريق الولاء والحفاظ على اللغة . فهذه الدوافع اذن هي التي تحتل مركز الصدارة عند بحث اللغة الثانية ، وأهميتها اكبر بكثير من القضايا العلمية البحتة المتعلقة بفسيولوجية الاعصاب او بالمخاطر المترتبة على التعليم المبكر للغة الثانية ، ولكن القضايا العلمية يمكن ان تلعب دورا حاسما في تطبيق القرارات التي تمليها المصالح الاجتماعية والوطنية عن طريق اكتشاف حسنات السياسة المتبعة أو مساوئها وتحسس السبل المؤدية الى زيادة فعالية الاولى والحد من التأثير السلبي للثانية . ■■

محمد حسن التيتي

أمراض شائعة

الغُدَّة النّخاميَّة

(الغدة الرئيسية)

ومظاهرها المرضيَّة

بقلم : الدكتور سالم نجم

تقديم :

■ حينما يذكر لفظ الهرمونات يتبادر الى اهميتها في الوظائف الجنسية والتناسلية، وقد يقفز الى الخاطر دورها في السمنة المفرطة ، وربما ذهب تفكيرنا الى ان الهرمونات لها تأثير تنشيطي على باقي غدد الانسان. وهذا كله صحيح وواقع ، غير ان الوظائف الهرمونية تفوق كل ما ذكر ، اذ انها تتدخل بصفة ايجابيـة في جميع وظائف اعضاء الجسم الحيوية والكيماوية، ولا يمكن ان يستثنى من ذلك عضو او جهاز .

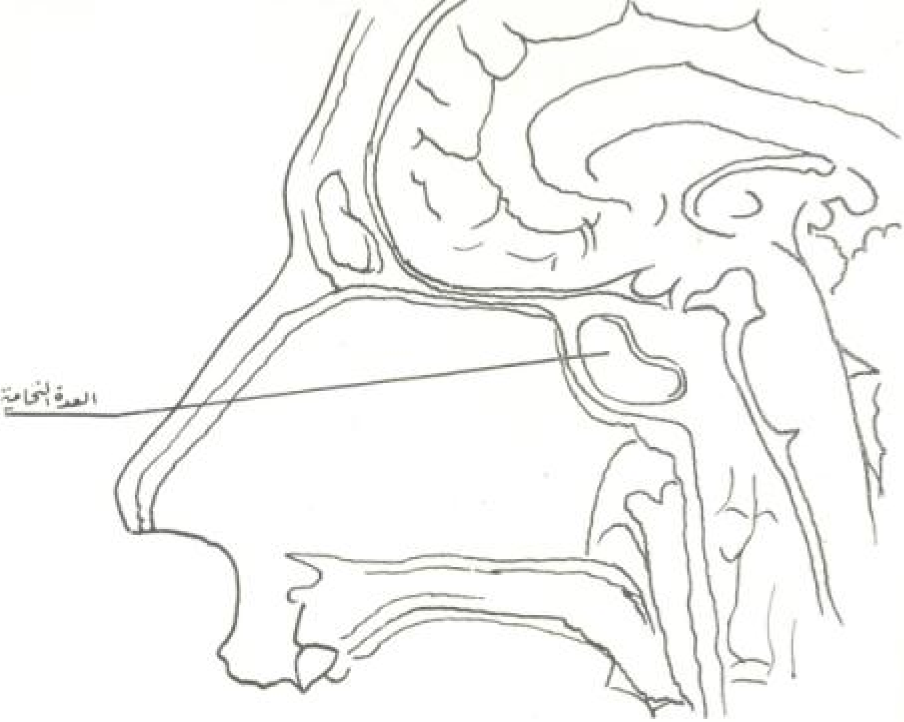
والانسان في حالته الطبيعية يحتاج الى ان يكون مستوى الهرمونات في الدم في حالة توازن وتوافق دقيقين ويتم ذلك طبقا لاحتياجات الجسم تحت الظروف المختلفة ، ونضرب لذلك مثالا : حين يتعرض الانسان الى خطر يهدد حياته ، تصدر اشارات عصبية من مراكز الاحساس العليا في المخ الى الغدة النخامية عن طريق منطقة خاصة في المخ تسمى مهاد المخ « Hypothalamus » ، وعلى الفور تقوم الغدة النخامية بافراز هرمون معين ويزداد التنفس ويتيقظ الشعور ، ويقشعر البدن وتتوتر العضلات ويتحفز الانسان لخوض المعركة دفاعا عن حياته . كل ذلك يتم في وقت قصير جدا يُعد بالثواني. كما ان عملية التوازن بين الهرمونات تحدث فوريا بمعنى ان الغدة النخامية تتوقف عن الافراز حينما يصل مستوى الادرينالين الى الحد اللازم لاداء العمل المطلوب فاذا ما نقصت نسبته تبدأ الغـدة النخاميـة بالافـراز لتنشيط افـراز الادرينـالـين وهكـذا تستمر الـدورة على هـذا المنوال الى ان يزول الخطـر ويأمن الانسان على نفسه، حينئذ يعود مستوى الهرمونات الى حالته الطبيعية المتوازنة وبذلك تظل النسب محفوظة بين ما تنتجه الغدة الرئيسة وما تنتجه الغدة المختصة .

حقائق عن الجهاز الهرمونى فى الانسان

ـ ان الهرمونات مواد زلالية تفرزهـا الغـدد الصماء «التي لا قنوات لها» وهي ضرورية للحياة، لا يمكن للانسان ان يعيش بدونها .

ـ تمكن العلماء في السنين الاخيـرة من انتـاج الهرمونات صناعيا ، بالاضافة الى الهرمونات التي تستخلص من غدد الاحياء الاخرى ، وكلا النوعين يصلح للانسان لمعالجة بعض الامراض .

ـ ان تناول الهرمونات الخارجية يقلل من نشاط الغدد الصماء في الانسان ويضعف وظائفها .



ـ يعتمد الجسم على هرموناته التي تفرز ساعة بساعة حيث المخزون منها في الجسم ضئيل جدا ولا يكفي الا لفترة قصيرة لا تزيد عن بضع ساعات باستثناء الغدة الدرقية ، فمخزونها يكفي الانسان عدة شهور .

ـ معظم الهرمونات لها خاصية نوعية : اى ان الهرمون المستخلص من كائن ما لا يصلح لكائن اخر ، ولكن لهذه القاعدة شواذ .

ـ ينتج الجسم اجساما مضادة للهرمونات المعطاة من خارج الجسم ، ويتبع ذلك انخفاض في التاثير الهرموني مما يضطر الطبيب معه الى زيادة الجرعة باطراد حتى يصبح الهرمون ولا تاثير له .

ـ تتم عملية افرازات الهرمونات بتوافق عجيب ومعقد ، وتعتمد في ذلك على عوامل نفسيةوعصبية وبيولوجية ، وتشترك فيها معظم اجهزة الجسم وخاصة الجهاز العصبي المركزى .

الغدة النخامية (Pituitary Gland) : ـ

انها الغدة الرئيسة : (Master Gland) وتعتبر بحق اهم غدد الانسان على الاطلاق ، مع ان وزنها لا يزيد عن نصف جرام (١/٢) ، وحجمها كذلك لا يتعدى نصف سنتيمتر مكعب(١/٢ سم٣) ، وتسكن في تجويف صغير في اسفل الجمجمة ، وملاصقة للسطح الادنى للمخ ، ومتصلة به اتصالا مباشرا .

هذه الغدة تنقسم الى جزءين (فصين) أ ـ الفص الامامي ب ـ الفص الخلفي .

أ ـ الفص الامامي Anterior Lobe ويشتمل على نصف الغدة تقريبا ، وهو المتخصص في افراز الهرمونات المسيطرة على نشاط باقي الغدد الصماء ، وحول هذا الجزء فقط يدور حديثنا في هذا المقال .

والفص الامامي هذا يقوم بافراز الهرمونات التالية : ـ

١ ـ هرمون النمو Sometotrophin

وهو الذى ينشط نمو الانسجة ، وبواسطته ينمو الانسان ، ويتطور في مراحلة المختلفة منذ ان كان جنينا في بطن امه الى ان يصبح انسانا بالغا كامل النمو .

٢ ـ منشط الكورتيزون Corticotrophin, Acth

وهو الهرمون المسئول عن تنشيط الغدد فوق الكليتين (الكظرية) لافراز مواد الكورتيزون والادرينالين

٣ ـ الهرمون المنشط للغدة الدرقية

Thyrotrotrophin وعليه يتوقف نشاط أو ركود الغدة الدرقية ، (غدة الرقبة) .

٤ ـ الافرازات الباعثة للهرمونات الجنسية Sex Stimulating Hormones في الذكور والاناث فهي في الرجل تنشط عملية افراز الحيوانات المنوية والهرمونات الذكرية ، وفي الانثى يتوقف عليها نظام الدورة الشهرية والعمليات المعقدة من حمل وولادة وارضاع .

وهناك اعتقاد بين العلماء بان العدد من الهرمونات التي يفرزها الفص الامامي للغدة النخامية لا يزال مجهولا ولم يكتشف بعد ، كما انه تجدر الاشارة الى ان بعض المتخصصين قد نجحوا نسبيا في انتاج بعض هذه الهرمونات بطرق صناعية حديثة ، ولكن لا يزال الطب يعتمد على استخلاص الهرمونات من الغدد الطبيعية في معالجة العديد من الامراض المتعلقة بالغدد الصماء .

ب ـ الفص الخلفي Posterior Lobe ويقوم بافراز نوعين من الهرمونات .

١ ـ الهرمون المسئول عن انقباض الرحم في حالة الولادة .

٢ ـ الهرمون المسئول عن امتصاص الماء من القنوات الكلوية وهو بذلك يحفظ مستوى الاملاح في الدم ويجعلها في حالة توازن وتوافق دائمين .

★★★

نعلم مما سبق بان الغدة النخامية تؤثر على باقي الغدد الصماء في الجسم، وتؤثر تأثيرا مباشرا على نشاط الكبد والبنكرياس ، كما تقوم بدور هام في عمليات البناء والهدم والتمثيل الغذائي وانتاج الطاقة اللازمة لاداء الوظائف الحيوية للانسان في حالات سكونه ونشاطه وفي صحته ومرضه .

المظاهر المرضية للغدة الرئيسية

تنشأ الاعراض والمظاهر المرضية للغدة النخامية نتيجة لاحدى حالتين :

أ ـ في حالة نقص الافراز الهرموني . Hypopituitarism

ب ـ في حالة زيادة الانتاج الهرموني (وهذه نادرة الحدوث) Hyperpituiturism .

وفي كلا الحالتين تتأثر الغدد التوابع (التي تدور في فلك الغدة الرئيسة) مثل الغدد الدرقية والكظرية والمبايض والخصيتين تأثرا مطردا اما بنقص او بزيادة في افرازاتها من الهرمونات تبعا للنقص أو الزيادة في نشاط الغدة النخامية .

أ ـ اعراض نقص الافراز الهرموني للغدة النخامية .

يحدث ذلك حينما تصاب الغدة بمرض يحطمها ويفتت خلاياها لاي سبب من الاسباب نذكر منها : الاكياس الخلقية والاورام المختلفة وانسداد الشرايين والاوردة وانواع خاصة من الالتهابات التي تصيب هذه المنطقة من المخ والتي تشغل حيزها الغدة المذكورة .والاعراض تختلف باختلاف سن المريض فهي في الاطفال غيرها في الكبار ، كما ان هذه المظاهر تشتد او تضعف تبعا لاصابة الغدة كلها او جزء منها . وتنقسم الاعراض بصفة عامة الى نوعين : ـ

الاول : ـ الاعراض الناتجة عن ارتفاع الضغط داخل الجمجمة مثل الصداع المصحوب باختلال في قوة الابصار ومداه في جميع الاتجاهات ، كما ان المريض قد يشكو من اختلال في نظام نومه وطعامه .

الثاني : ـ اعراض ناتجة عن تحطيم الغدة ذاتها وبالتالي انخفاض انتاجها من الهرمونات، وتأخذ عند الاطفال مظهرا غير ما تأخذه عند الكبار .

المظاهر المرضية في الاطفال

اذا ما اصيبت الغدة النخامية بمرض في سن الطفولة ، فان المصاب يصبح قزما (قصير القامة ، ضعيف العقل ، ناقص النمو في كل شيء وخاصة الاعضاء الجنسية) . وقد يصاب الطفل بالسمنة المفرطة ، وبالاكثار من شرب الماء والتبول واختلال في نظام النوم وتناول الطعام . فهو دائما يغط في النوم بين وجبات الطعام ولا يصحو الا ليأكل مع قلة في النشاط وضعف في الحيوية . وقد يصاب بضمور في الاعضاء التناسلية واضمحلال في وظائفها

ب ـ اعراض قصور الغدة عند البالغين Hypopiuitarism

عند النساء : ـ قد يحدث المرض بعد ولادة عسرة يعقبها نزيف من الرحم وانخفاض في الضغط مع هبوط في الدورة الدموية . هذه المضاعفات الولادية قد تسبب انسدادا في شرايين الغدة وتحطيما

في خلاياها معطية الصورة المرضية لقصور الغدة النخامية والتي اهم اعراضها ما يلي : ـ

عادة تشكو المريضة من انقطاع الدورة الشهرية وسقوط شعر العانة والابطين ، وفي معظم الاحوال يكون وجه المريضةوجلدها باهتا كما لو انها حرمت من سريان الدم فيه . وقد يهبط ضغط الدم لديها وتعاني من هزال عام وفقر الدم لانخفاض معدل خضابة (الهيموجلوبين) .

وفي الحالات الشديدة تضعف المقاومة العامة للجسم وتتعرض المريضة الى نوبات من الاغماء تهدد حياتها بالخطر اذا لم تعالج بصورة ايجابية سريعة . ومن المظاهر المرضية ان تنخفض درجة حرارة الجسم عن معدلها الطبيعي وربما هبطت الى ٣٢ درجة مئوية (المعدل الطبيعي لدرجة حرارة الانسان هو ٣٧ درجة مئوية) .

كما ان المريضة ربما يظهر عليها من الاعراض ما يشير الىاصابة الغدد الاخرى(الكظرية او الدرقية او المبايض) بصورها المميزة لكل غدة على حدة او لهن جميعا في آن واحد .

وقصور الغدة عند الرجال نادر الحدوثواعراض المرض تنطبق على ما سبق ذكره عند النساء باستثناء ما يتعلق منها بالوظائف الجنسيةلديهن، اما اسبابه فمتعددة اهمها الاورام وكسور في الجمجمة والالتهابات المتورمة المتليفة . وعلاج قصور الغدة النخامية يكون بازالة سبب المرض ثم باعطاء المريض الهرمونات المستخلصة من الغدد النخامية الطبيعية او التي تحضر صناعيا في المعامل ومن همها مادة الكورتيزون ومستخلص الغدة الدرقية والهرمونات الجنسية المتعددة ، ويجب ان يتم العلاج تحت اشراف اطباء متخصصين ولا مفر من ان يخضع المريض لاشراف طبي دقيق طول حياته .

الاعراض المرضية الناتجة من زيادة افراز الغدة النخامية (Hyperpituitarism) .

يتكون الفص الامامي للغدة من نوعين من الخلايا كل منهما يعطي صورة متباينة عن الاخرى ، اذا ما اصيب هذا النوع او ذاك باورام تزيد من افرازاته الهرمونية ، كما ان الصورة المرضية تختلف كذلك باختلاف عمر المريض فالاعراض عند الطفولة غيرها عند البلوغ . ولنناقش الآن هذا الايجاز بشيء من التفصيل .

١ ـ الخلايا الحمضية (Eosinophil Cells)

وهي متخصصة في افراز هرمون النمو Growth Hormone فاذا ما بدأ المرض في سن الطفولة اصبح المريض عملاقا (طويلا ضخما ، كل عضو فيه كبير الحجم) . Giagentism ولكن اذا بدأ المرض بعد سن البلوغ ، فان المريض يصاب حينئذ بتضخم في الاطراف (عظم اليدين والقدمين والوجه وخاصة الفك الاسفل) وتسمى هذه الحالة عظم الاطراف (Acromegaly) . اما اذا بدأ المرض في سن الطفولة واستمر الى مرحلة البلوغ فانه يأخذ الصفتين معا بحيث يكون عملاقا في بنائه مع ضخامة في اطرافه، وجلد المريض في هذا الحالة يكون سميكا خشنا ، كما يحدث تضخم في حجم لسانه وشفتيه واذنيه ، ومع تقدم المرض يشكو المريض من صداع دائم، وتضعف العضلات وينحني الظهر ويبدأ ضغط الدم في الارتفاع وتتدهور حالته العقلية وينتهي الامر بقصور في افراز الهرمونات النخامية وظهور اعراضها المذكورة آنفا .

٢ ـ الخلايا القلوية Basophil Cells

وهذه الخلايا متخصصة في افراز الهرمونات المنشطة لمواد الكورتيزون وزيادة افرازها تؤدي الى ظهور مرض يسمى بمرض كشنج Cushing واهم اعراضه : ـ ارتفاع ضغط الدم وداء البول السكري والسمنة المركزة في نصف الجسم الاعلى وخاصة الجذع والرقبة . كما يتميز الوجه باستدارته (كوجه القمر) وتظهر خطوط وردية اللون في جلد البطن والفخذين ، وكثيرا ما تشكو المريضة (حيث يكثر المرض بين النساء) من صداع والام في الظهر والتواءات فيه مع ضعف عام واختلال في نسب الاملاح في الدم .

وحيث ان السبب الرئيسي لزيادة الافرازات الهرمونية للجزء الامامي للغدة النخامية هو اصابته بالاورام وتكاثر خلاياه فان العلاج يتحتم ان يعتمد بالدرجة الاولى على استئصال هذه الاورام بطريق الجراحةاو تحطيمها بالاشعة العميقة او بالذبذبات فوق الصوتية او بطرق اخرى مستحدثة مع الاشراف الطبي الدقيق لضبط مستوى الهرمونات في الدم بصورة متوازنة لكي تؤدي اجهزة الجسم وظائفها على احسن وجه في جميع الاحوال . ■■

سالم نجم

خالد بن الوليد

في اليرموك

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

■ لايعرف تاريخ الاسلام قائدا كخالد بن الوليد ابن المغيرة المخزومي ، رضي الله عنه ، وأرضاه ان له في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مواقف تشهد بالبراعة والفروسية ، احدها كان في الجانب الذى يقف ضد المسلمين في غزوة احد .

وحين اسلم قبل فتح مكة فرح رسول الله باسلامه ، وكان قدم هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ، فقال الرسول : رمتكم مكة بافلاذ كبدها .

وقد تولى في عهد الرسول قيادة بعض الجيوش الاسلامية ، فكان القائد الملهم المنتصر الميمون وفي عهد الخليفة ابى بكر كان من خيرة المجاهدين .

اننا نتخير من مواقفه اعظمها ، وهو موقفه في معركة اليرموك .

اليرموك

كانت موقعة اليرموك غرة في تاريخ الاسلام ، بما فعله المجاهدون ، من بذل أرواحهم رخيصة في سبيل الحق الذى امنوا به ، وسعوا الى ان يعم الآفاق نوره المبين . في أول سنة ١٣ من الهجرة شرع الخليفة ابو بكر الصديق رضى الله عنه، في تولية الأمراء ، وعقد الالوية والرايات .

وكان الروم يملكون الشام الذى لم يكن قد اشرق فيه الاسلام بعد ، فعزم ابو بكر على ان تغزوه جنود المسلمين ، فوجه جيشا بقيادة يزيد بن ابى سفيان ، اخى معاوية بن ابى سفيان ، وخرج معه ماشيا يوصيه ، وكذلك وجه أبا عبيدة بن الجراح بجيش ، وخرج معه ماشيا يوصيه . وبعث عمرو ابن العاص في جند اخرين . كما بعث «الشرحبيل ابن حسنة » في جيش كثير ، وكلهم وجههم الى الشام .

فلما توجهت هذه الجيوش افزع ذلك اهل الروم ، وخافوا خوفا شديدا ، وكتبوا الى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر ، فامر بخروج الجيوش اليهم ، في لقاء كل امير من المسلمين جيش كبير عليه امير. فكتب امراء المسلمين الى الخليفة ابى بكر يعلمونه بما وجهه هرقل اليهم من عشرات الآلاف من الجنود ، فبعث اليهم ان يجتمعوا ويكونوا جندا واحدا .

ما لها الا خالد

ثم الهم الله ابا بكر ان يقول : مالها الا خالد بن الوليد ، والله لأشغلن الروم عن وساوس الشيطان به .

وكان خالد بن الوليد في العراق يزحف بجنوده فاتحا منتصرا بعد أن كان انتصر على المرتدين من العرب ومانعى الزكاة وبعض المدعين للنبوة .

وبعث الخليفة ابو بكر الى خالد وهو بالعراق يطلب اليه أن يتوجه الى الشام بنصف من معه من الجنود ، فيكون الأمير على مَنْ بالشام من الامراء ، فاذا فرغ من المعارك يعود الى عمله بالعراق .

وسمع هرقل ان جنود المسلمين اجتمعوا ــ وذلك قبل مسيرة خالد اليهم ــ فامر قواده الذين بازائهم ان يجتمعوا ايضا ، ولئن كان الأمراء العرب : يزيد بن أبي سفيان ، وأبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، قد اجتمعوا في ميدان واحد، فانهم لم يكونوا تحت قيادة واحدة .

> **نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سله على الكفار**
>
> حديث شريف

مغامرة

لقد تدبر خالد بن الوليد الامر ، وفكر في الطريقة التي توصله في اسرع وقت الى الجنود الذين اجتمعوا قريبا من اليرموك . انه ان سار في الطريق العامرة بالسكان شمالا سيقابل كثيرا من الأعداء ، يعوقونه عن الوصول في الوقت المناسب ، وان سار في الطريق الامين جنوبا نحو المدينة ثم يسلك الطريق شمالا الى الشام تمتد امامه المسافات ، بحيث يتاخر عن اللحاق بالمحتاجين الى نجدته .

ولم يبق الا طريق واحد ، هو ان يجتاز بادية [illegible] المعروفة ببادية السماوة ، وهي طريق [illegible] ، يخشى الراكب الفرد من اجتيازها ، لعدم وجود الآبار بها ولتطرّقها التي يضل فيها السالكون لها ، لكن خالدا لاتقف امامه العقبات ، وهو صاحب العزيمة الصادقة ، والقلب الجرىء فبحث عن خبير بهذه البادية ، يكون دليلا له ولجيشه ، فدلوه على رجل من طيىء يسمى « رافع بن عَمِيرَة » فاستدعاه وأخبره بغرضه . وحاول « رافع » أن يثنيه عن عزمه ، لكن خالدا قال له انه والله لابد لي من ذلك .

العدة للاجتياز

واحب خالد أن يقوى عزائم الجيوش التي يريد ان يخترق بها الصحراء ، فقال لهم « لايضعفن يقينكم ، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النيّة ، والاجر على قدر الحسنة ، وان المسلم لاينبغي له ان يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله »

حينئذ قال رافع : ان الطريق خمس ليال بايامها ، وليس فيها ماء . فكان لابد للتغلب على هذه العقبة الشاقة من ان احضروا ابلا كثيرة ، وعطشوها ثم سقوها ، ثم كمموها ـ اى احاطوا افواهها برباط ـ بعد ان قطعوا مشافرها ، لئلا تجترّ ، وحملوها بقرب الماء ، فكانوا في سيرهم المسرع ينحرون بعضها ، ويشربون هم مما عليها من الماء ، ويطعمون من لحمها ، ويسقون الخيل مما اختزنته الابل في كروشها .

وفي اليوم الخامس احب خالد ان يطمئن ، فسال رافعا قائلا له : ويحك يا رافع ، ما عندك؟ قال : خير ، ادركت ارواء الظما ان شاء الله ، وكان قد اصابه بعض الرمد بعينيه ، فقال وهو متحير أرمد : انظروا هل ترون شجيرة من عَوْسَج حجمها كمثل قعدة الرجل ، فقالوا : مانراها . فقال رافع : انا لله وانا اليه راجعون ، هلكتم والله الآنَ وهلكت معكم ، انظروا جيدا وابحثوا عنها، فجعلوا يبحثون ، فوجدوها مقطوعة، وبقيت منها بقيّة ، فلما راها المسلمون كبروا ، فكبر رافع ثم قال : احفروا في اصلها ، فحفروا فنبع الماء وشربوا بعد ان سَرَوْا ليلتهم الخامسة وكان ذلك عند الصباح فقال خالد . « عند الصباح يَحْمَد القومُ السُرَى » فصارت مثلا .

وقال احد الشعراء الراجزين مثنيا على رافع معجبا انه سار من طريق « قُرَاقِر » الى « سُوَى » في خمس ليال ، هي مقدار ما تظما فيه الابل فيسمى خِمْسا :

لله عينا رافع أنَّى اهتدى
فَوَّزَ من قُرَاقِرٍ الى سُوَى
خِمسا اذا ما سارهُ الجيش بكَى
ما سارها قبلك انسيٌ يُرَى

امراء متفرقون

بلغت جيوش الروم اكثر من مائة الف منهم فرسان ومنهم مشاة ، وحتى لايفر المشاة جعلوا كل عشرة مربوطين بسلسلة معا ، وكان عدد هؤلاء المربوطين ثلاثين الفا،عدا غيرهم من الفرسان وغيرهم من المشاة ما جاوز الثمانين الفا .

ووجد خالد جيوش المسلمين متفرقة ولم يشا ان يخبرهم بانه امير عليهم ، بل قال لهم : هل لكم يا معشر الرؤساء في امر يعز الله به الدين ، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة" ولا مكروه ؟ ، فقالوا : نعم، فقام فيهم خطيبا فقال : ان هذا يوم من آيام الله ، لاينبغي

فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم ، واريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وأنتم تحت رايات شتى منتشرين متفرقين ، ان مَنْ وراءكم لو يعلم ما أنتم عليه حال بينكم وبينه . ان هؤلاء الاعداء قد تهيئوا ، فلو رددناهم اليوم الى خندقهم فلا نزال نردهم ، وان هزمونا لانفلح بعدها أبدا . فتعالوا فلنتعاور الامارة فليكن بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمّر كلكم . ودعوني اليوم اليكم . اى اكون واليا عليكم .

فوافقوا على ان يكون اميرهم في هذا اليوم الاول من المعركة . وكانت الروم قد نظمت جنودها تنظيما دقيقا ، ونظم خالد الجيش تنظيما لم يسبق له مثيل ، بحيث جعله كتائب كتائب ، كل كتيبة الف رجل ، وعدد ذلك اربعين كتيبة ، وجعل خالد على كل كتيبة اميرا من الافوياء المشهود لهم بالشجاعة والبراعة ، ثم قال لأبى عبيدة : انى أحب ان تكون وراء الجيش كله ، لكى تكون اذا انهزم احد وراك استحيا منك ورجع الى القتال . ووافق ابو عبيدة على ذلك .

وتوجه خالد أيضا الى نساء المسلمين اللاتى كنّ وراء الجيش . ومعهن سيوف ، وعدة من السلاح ، فقال لهن : من رأيتموه مُوَلِّيا فاقتلنه.

واستعد المسلمون للمعركة ، واتجهوا بقلوبهم الى الله في اخلاص ويقين ، وخطب كل امير في من حوله ، يحثهم على الصبر والثبات ، وان ينصروا الله لينصرهم ويثبت أقدامهم .

واخذ فرسان المسلمين يبايع بعضهم بعضا على الموت .

والتحم الجيشان ، وكادت كثرة جيش الروم تهزم جانبا من المسلمين لولا ان ثبت رجال مستبسلون ، وحمل خالد بمن معه من الخيالة ، على الميسرة الرومية التي حملت على ميمنة المسلمين حتى جعلهم يتراجعون .

فرار وانهيار

وظلت الحرب دائرة طول اليوم ، وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر ايماء ، ثم استمرت الحرب دائرة الى الليل ، واخّر الناس صلاة المغرب والعشاء الى ان أذنَ الله بالنصر ، وكانت خيل المسلمين قد اكتسحت خيالة الروم ، فولوا منهزمين ، ثم اتجه القتال الى اولئك المشاة والمربوطين بالسلاسل لكى لايفروا،فكانت سلاسلهم سببا في نكبتهم الساحقة ، اذ جعل الذين تسلسلوا وقيّدوا بعضهم ببعض ، اذا سقط واحد منهم سقط الذين معه .

وقاتلت نساء المسلمين في هذا اليوم قتالا عظيما، وقتلن خلقا كثيرا من الروم .

تغير أوضاع

وبينما الحرب في شدتها ، والأبطال يتصارعون من كل جانب قدم رسول من نحو الحجاز ببريد فذهبوا به الى امير الجيش خالد بن الوليد ، فقالوا له : ما الخبر ؟

لكن ما أتى به الرسول في غاية الخطورة ، فتقدم الى خالد فقال له فيما بينه وبينه : ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد توفى ، وصار عمر بن الخطاب خليفة ، وقد امر ان يكون ابو عبيدة بن الجراح أميرا على الجيوش .

انها أشد لحظة من لحظات التاريخ ، واعظم محنة يبتلى بها قائد وجيش ، في وقت الالتحام الذى يتقرر فيه مصير ، ويخشى فيه من الوهن والضياع ، ولقد كان ابو بكر محبوبا للينه ، وكان الناس ينظرون الى عمر بن الخطاب انه رجل جاف غليظ ، قبل أن يختبروه ، ولو سرت همسة بالتغيير الذى حل بالخلافه وبالقيادة لصرفت كثيرا من المقاتلين عن جهادهم ، الى تساؤلهم وفتورهم

كتمان الى حين

لهذا كان خالد بن الوليد حكيما أجمل الحكمة، ورائعا أشد الروعة ، ومؤمنا أخلص الايمان ، لم يشغله أمر عن أمر ، ولم تثر نفسه لنفسه ، بل كتم الأمر ، ولم يظهر على وجهه ما يدل على ما سمع من الرسول ، الذى جاء بخبر الخليفة ، وبعزله ، وقال له والناس من حوله يسمعون : احسنت ، واخذ منه الكتاب ، فوضعه في كنانته ، واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، واوقف الرسول الذى جاء بالكتاب الى جانبه ، ودارت رحى الحرب على الروم ، وولوا منهزمين ،

ووصل خالد الى خيمة امير الروم ، وهو اخو « هرقل » ، وكان هـرب فيمن هـرب ، لكنه ادْرِك وقُتِل وظلت خيل المسلمين تتعقب الفارين قتلا واسرا ، حتى اصبحوا ، وكانت الغنائم التي استولوا عليها لاتحصى كثرة .

لكن المسلمين ، وقد علموا بعد نصرهم بخبر وفاة الخليفة ابى بكر ، لم يفرحوا بما وجدوا من الغنائم ، بقدر حزنهم على الصديق أبى بكر ، حين أعلمهم خالد بذلك ، وقال خالد حين عزّى المسلمين في الصدّيق : الحمد لله الذى قضى على ابى بكر بالموت وكان احب اليّ من عمر ،والحمد لله الذى ولّى عمر وكان ابغض اليّ من ابى بكر ، والزمنى حبّه .

بعض الاسباب

لسنا الآن بصدد البحث عن السبب او الأسباب التيجعلت عمر بن الخطاب يعزل خالد بن الوليد، ولكننا نسوق اهمها مما يذكر حول هذا الموضوع ، وهو انه كتب الى الأمصار « اني لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فَخَموه وفتنوا به ، فخفت ان يُوكَلوا اليه ، فأحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع » .

والذي يزيد في عظمة خالد بن الوليد ، وقد عزله عمر بن الخطاب من امرة الجيش ، لم من قيادة فرقة من الجيش ، ان خالدا حين حضرته الوفاة اوصى أن يكون عمر بن الخطاب هو الوصي على ذريته .

وكان حين حضرته الوفاة قال : لقد طلبت القتل في مظانه فلم يُقدَّر لي الا ان أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجَى عندى بعد لا اله الا الله من ليلة بِتّها وانا متترّس ، والسماء تُهلّنى بمطر الى الصبح ، حتى نغير على الكفار .

وقال ايضا « لقد حضرت كذا وكذا زحفا ، وما في جسدى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف ، او رمية بسهم ، او طعنة برمح ، وها انذا اموت على فراشي حتف أنفي ، كما يموت العير — أى الحمار — فلا نامت أعين الجبناء .

ولم ينسَ خالد الجهاد حتى في موته . فقد اوصى فقال : اذا انا متّ فانظروا الى سلاحى وفرسي فاجعلوه عدّة في سبيل الله .

أسرة خالد

ان مواقف خالد بن الوليد كثيرة ، وانتصاراته متتالية ، لم يهزم في جاهلية ولا اسلام ، كان دائما يقود الفرسان ، وهو من اسرة لها شان كريم في قريش ، وقريش كانت تدين لها العرب بالتقدير ، كان ابوه الوليد بن المغيرة من السادات ، وعمه هشام بن المغيرة كذلك ، وهشام هو والد عمرو الذى يكنى أبا جهل ، لعنه الله ، واذن فخالد هو ابن عم أبى جهل الذى كان من عتاة الجاهليين ، لكن الاسلامجعل خالدا من أعظم المؤمنين الخالدين.

وام خالد هي اخت ميمونة بنت الحارث ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي ايضا اخت لبابة زوج العباس بن عبد المطلب عم الرسول — فخالته هي ام المؤمنين ، وابن خالته الاخرى حبْر الأمّة وأعظم علمائها ، وهو عبد الله بن عباس .

وخالد بن الوليد بالنسبة الى عمر بن الخطاب ذو قرابة فامّ عمر هى حَنْتَمة بنت هشام بن المغيرة اخت أبي جهل ، وابنة عم خالد بن الوليد.

تاريخ

اسلم خالد سنة ثمان من الهجرة ، ومات سنة احدى وعشرين ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله المسلول . وقال عنه ابو بكر : أعجزت النساء ان يلدن مثل خالد . وسمع عمر بن الخطاب ام خالد تندبه وتقول :

انت خير من الف ألف من القو
م اذا ما كَبَتْ وجوه الرجال

فقال : صدقتْ والله ، انه كان لكذلك .

ولما طُعِن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفكر في مَن يكون اميرا للمؤمنين بعده كان مما قال: لو كان خالد بن الوليد حيًا لوليته الخلافة ، فاذا قدمْت على ربّى فقال لي من استخلفت على امة محمد ، لقلت : سمعت عبدك وخليلك رسول الله يقول : خالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين .

ان البطل العظيم الذى عرف قدر نفسه ، لايهمه ان يكون اميرا على الجيوش،او جنديا من الجنود، ما دام عمله خالصا لله رب العالمين . ■■

عبد الستار احمد فراج

الأسعار وأزمة



بقلم : الدكتور محمد علي الفرا

■ مما لا شك فيه ان ارتفاع الاسعار بات مشكلة تقلق بال الجميع ، وتؤرق حياتهم ، وتهدد البشرية بازمة غلاء حادة . . والواقع ان هذه الازمة ليست مقصورة على قطر من الاقطار ، ولا على بلد دون سواه ، وانما تعددت البلدان والاقطار حتى عمت المشكلة اركان المعمورة وان اختلفت حدتها ونسبتها بحسب طبيعة المكان وموقعه ، وشكل الانظمة فيه ، ونوعية الاجهزة التى تسيّر اموره ، ومقدار ارتباط المكان بغيره ، ومستوى معيشة سكانه .

الغلاء حديث الناس فى كل مكان

حديث الناس اليوم ، خاصتهم وعامتهم ، فى مشرقهم ومغربهم ، عن الغلاء لما له من ارتباط شديد بامور حياتهم . الكل يشكو من ارتفاع اثمان السلع والحاجيات بشكل غير مألوف ، بحيث عجزت كثير من الاسر عن تحقيق مستوياتها السابقة من حياة ورفاهية كانت بها تنعم . وتعالت اصوات الناس فى الصحف واجهزة الاعلام تطالب حكوماتها بعمل شيء جدى وفورى لمواجهة هذه الازمة التى استحكمت في عالمنا كما يستحكم المرض العُضال فى جسم الانسان .

الازمة على مراحل

ان المتتبع لمسار ارتفاع الاسعار يلحظ بوضوح انها منذ العقدين الاخيرين من بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، مرت فى اربع مراحل(1) انظر الجدول رقم (١) .

١ ــ المرحلة الاولى وتبدا من سنة ١٩٤٩ وتنتهى فى سنة ١٩٥٢ ، وفيها شهد العالم موجة غلاء عزاها المراقبون انذاك الى تخفيض الجنيه الاسترلينى والى الحرب الكورية ، مما رفع الاسعار بمعدل ١٤٠٪ خلال ٢١ شهرا .

وقد يتساءل البعض عن أثر تخفيض الجنيه الاسترلينى فى الغلاء انذاك ، ولماذا لم يكن الامر مقصورا على بريطانيا صاحبة هذا الجنيه ؟ والرّد

---

(1) The Economist, July 7-13, 1973, p. 71.

الغــــلاء فى العـــــالم

على ذلك هو أن العملة الاسترلينية كانت تتمتع يومها بثقل دولى كبير يفوق مالها الآن ، وكانت معظم أقطار العالم التابعة للنفوذ أو الاستعمار البريطانى تعتمد على الجنيه الاسترلينى كغطاء لعملتها أو تقع ضمن منطقته . وبناء عليه فان تخفيض الجنيه الاسترلينى معناه بالنسبة لتلك البلدان انخفاض فى القيمة الشرائية لعملتها ، اى ارتفاع فى اسعار السلع والحاجيات . واذا ما ارتفعت الاسعار فى مجموعة من البلاد او فى بعض السلع تأثرت البقية لما للارتباط القوى بين اقطار العالم وسلعه وعملاته من تأثير .

اما الحرب الكورية ، فعلى الرغم من كونها اقليمية ، وانها لم تتعد الا جزءا من شرق القارة الاسيوية ، الا انها اثرت على الاقتصاد الامريكى ونوعية الانتاج ، وكان لهذا اثره على العالم ، لما تتمتع به الولايات المتحدة من نفوذ عالمى واسع ، وارتباط شديد باقطاره وبلدانه .

٢ ـ المرحلة الثانية وتبدأ من سنة ١٩٥٢ وتنتهى فى سنة ١٩٦٢ . وتمتاز هذه الفترة بهدوء نسبى واستقرار فى الاحوال ، وثبات فى الاسعار .

٣ ـ المرحلة الثالثة ، وتبدأ من سنة ١٩٦٣ وتنتهى فى سنة ١٩٧١ . وفى هذه الفترة ارتفعت جميع السلع بحوالى ٢٠٪ عما كانت عليه فى المرحلة الثانية . ولعل المعادن كانت اكثر السلع التى قفز ثمنها .

ولعل من الاسباب الهامة لذلك حدوث كثير من الاضطرابات فى الاقطار المنتجة . اما الالياف فقد هبطت أسعارها بنسب بسيطة نظرا لتطور صناعة الالياف الصناعية .

٤ ـ المرحلة الرابعة، وتبدأ من سنة ١٩٧٢ وحتى الآن . وفى هذه الفترة ارتفعت جميع السلع بدون استثناء عما كانت عليه فى السابق . وبناء عليه يكون هذا الارتفاع هو الثانى من نوعه بعد الحرب العالمية الثانية . ويقدر الخبراء معدل نسبة هذا الارتفاع بنحو ٧٥٪ فى السنة ، وذلك بسبب تغيرات فى معادلات الصرافة ، وتذبذب اسعار كل من الاسترلينى والدولار .

جدول رقم (١) يبين نسبة الاسعار *
١٩٤٩ – ١٩٧٣

اسعار عام ١٩٦٣ = ١٠٠ فرضا

الاصناف	من سنة ١٩٤٩ الى سنة ١٩٥٢	من سنة ١٩٥٣ الى سنة ١٩٦٢	من سنة ١٩٦٣ الى سنة ١٩٧١	من سنة ١٩٧٢ وحتى الان
جميع الاصناف	٧٥ر٥–١١٠ر٦	١١٠–٨٨ر٧	١٠٠ر٥ – ١١٩ر٣	١٢٨ر٣–٢٠٤ر٧
الطعام	٦٨ر٦–٩٩ر٣	٩٧ر٤–٨١ر٩	١٠٠ر٩–١٣١ر٤	١٥٢ر٨–٢١٧ر٠
الاليـاف	٩٣ر٨–١٢٢ر١	١٠٤ر٥–٩٥ر٨	١٠٠ر٠–٨٢ر٩	١٢٩ر٧–١٩٦ر٤
المعـادن	٧١ر٩–١٢١ر٦	٩٩ر١–٩٦ر٧	٩٩ر١–١٨٦ر٤	١٨٣ر٢–٢٤٤ر٨

* حسبت أرقام هذا الجدول من بيانات مأخوذة عن The Economist, July 7-13 1973 pp. 70-71. هذا ويبين الجدول رقم (٢) القفزة الهائلة فى أسعار السلع فى الفترة الممتدة من سنة ١٩٦٣ حتى ٣١ أغسطس ١٩٧٣ .

جدول رقم (٢) يبين التغير المئوى السنوى للاسعار *
١٩٦٣ ـ ١٩٧٣

اسعار عام ١٩٦٣ = ١٠٠ فرضا

الاصـــناف	التغير المئوى فى الاسعار فى العام عن الذى قبله	التغير من عـام ١٩٦٣ حتى ٣١ اغسطس ١٩٧٣
جميع الاصناف	+ ٧٥ر٤	٢٤٧ر٤
الطعـــام	÷ ٧١ر٤	٢٤٩ر١
الاليـــاف	+ ٩٨ر٣	٢٢٩ر٢
المعـــادن	÷ ٦٣ر٤	٣٤٤ر٩
متنوعـــات	+ ٨٢ر٢	٢٣٤ر٠

* The Economist (Various)

من الجدول رقم (٢) نرى مقدار الزيادة الهائلة فى الاسعار ، فقد وصل التغير المئوى من عام ١٩٦٣ حتى ٣١ اغسطس ١٩٧٣ لجميع الاصناف الى ٢٤٧ر٤٪ وكانت المعادن اكثر الاصناف زيادة اذ بلغت ٣٤٤ر٩٪ ويبدو أن هذه الزيادة لن تتوقف ، فالزنك ارتفع سعره من ١٠٠ جنيه استرليني للطن الواحد في سنة ١٩٧٢ الى ٣٠٠ جنيه فى ٧ يوليو ١٩٧٣ . اما النحاس فقد اخذ سعره يرتفع فى كل شهر ، فمن ٦٧٠ جنيه للطن الواحد وذلك فى يونيو ١٩٧٣ الى ٧٠٠ جنيه فى اول يوليو ، والى ٨٥٣ جنيه فى ٢٨ يوليو ١٩٧٣.

ويرجع السبب فى هذا الى اضراب عمال المناجم فى شيلى ، والى القلاقل التى عمت انحاء البلاد ، وقد اجبر هذا الحكومة التشيلية على أن تعلق نحو ٧٥٪ من اتفاقياتها المتعلقة بتصدير النحاس. وطبيعى أن يكون لهذا الاجراء اثر كبير على زيادة الطلب من مناجم كل من زامبيا وكندا (٣) .

اسعار بعض السلع

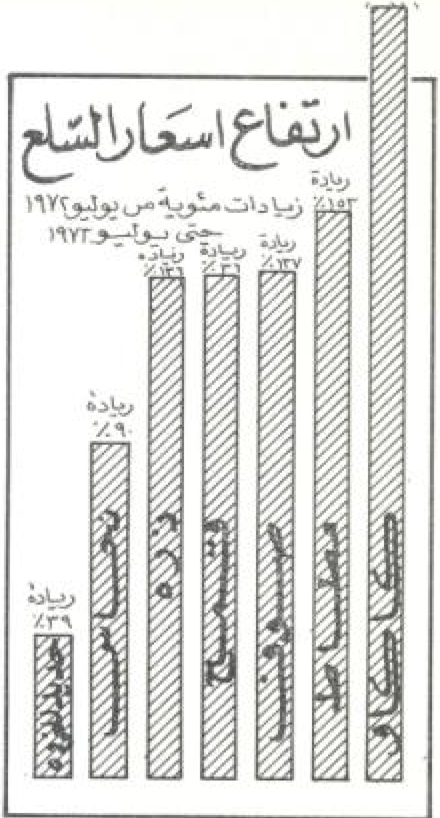
ولعل من اهم السلع التى قفز سعرها بشكل حاد : المطاط واللحوم والقمح والأرز وفول الصويا والصوف والكاكاو والرصاص ، ففى غضون اثنى عشر شهرا ، المنتهية فى ٣ يوليو ١٩٧٣ كانت نسبة الارتفاع ٩١٪ وهذا يدل دلالة واضحة على ان المعروض من هذه السلع اصبح دون المطلوب . وفيما يلى موجز لارتفاع اسعار هذه السلع .

المطاط : لقد تضاعف ثمن المطاط فى مدى عام واحد ، ففى يونيو ١٩٧٣ اصبح سعر الكيلو ٢٦ بنسا (اى نحو ٢٢٠ فلس).ويعزى هذا الارتفاع الى ان ماليزيا ـ وهى المنتج الرئيس للمطاط ـ اصبحت تحاول نقل سوقه العالمية من سنغافورة اليها (٢).

اللحوم : لم يزد الانتاج العالمى من اللحوم هذا العام الا بنسبة ضئيلة ، (نحو ١٪ فقط) وهى زيادة لا تتناسب مع الزيادة السكانية فى العالم ، علاوة على شدة الطلب على اللحوم فى الاقطار الصناعيةالتىشهدت تضخما فيالاسعار وتخفيضات فى قيمة عملاتها . هذا وقد انخفض ناتج الثروة الحيوانية فى بلدان السوق الاوروبية المشتركة بسبب السياسة المضطربة فيها ، التى شجعت المزارعين على تخفيض اعداد قطعان الماشية لمواجهة فائض منتجات الألبان (٤) .

القمح : بلغت صادرات القمح العالمية لهذا العام نحو ٤٨ ـ ٦٢ مليون طن ، فى مقابل ٦٩ مليون طن للعام الماضى ، فى حين أن مجموع الواردات العالمية تقدر بحوالى ٦٥ مليون طن لهذا العام . وقد جاء محصول القمح السوفييتى دون المستوى المطلوب ، فاضطر للاستيراد لسنتين

(٢) The Economist, July 14, 1973
(٣) نفس المرجع السابق .
(٤) Time, August 20,1973, p. 50



عن: TIME, AUGUST 20, 1973, P 50

متتاليتين . كما ان الارجنتين ـ وهى قطر مصدر ـ اضطرت لشراء القمح من الولايات المتحدة هـذا العام بسبب عجز محصولها عن تلبية التزاماتها الدولية المسبقة . وبناء عليه فقد وصل ثمن الطن الواحد من القمح فى انجلترا هذا العام ٦٣ جنيها اى ضعف ما كان عليه فى العام الماضى .

الصوف : نظرا لانخفاض أسعار الصوف فى فترة زمنية طويلة وبسبب الجفاف ، فقد قلت اعداد قطعان الاغنام فى استراليا ، وهى المصدر الرئيسى للصوف ، فمن ١٨٠ مليون راس فى سنة ١٩٧٠ ، الى ١٤٢ مليون راس فى مارس ١٩٧٣ . ومنذ ١٩٧٠/١٩٧١ ارتفعت اسعار الصوف من ١٢ سنتا امريكيا لكل كيلو غرام ، الى ٢ر٥٩ دولار.

الأرز : يعانى العالم طيلة هذا العقد من نقص فى انتاج الأرز ، حتى اصبح اليوم مشكلة سياسية ساخنة . وقد حظرت « تايلاند » ـ وهى اكبر مصدار له ـ تصدير الأرز ، بعد ان قام الاهالى هناك ـ وبخاصة فى بانكوك ـ باضطرابات فى شهر يوليو ١٩٧٣ بسبب غلاء اسعاره .

هذا وقد ارتفع سعر القطن ايضا ، وذلك فى ٢٥ اغسطس ١٩٧٣ بمعدل ٥٠٪ فى خلال شهرين فقط ، فاصبح الرطل الواحد منه يساوى ٧٧ سنتا امريكيا .

زيادة الاسعار لا تتكافأ مع زيادة الاجور

ان هذه الزيادة فى اسعار السلع لم تتكافأ مع ارتفاع الرواتب والاجور ، كما نرى فى الجدول رقم (٣)

جدول رقم (٣) يبين نسبة ارتفاع الاجور فى تسع اقطار صناعية متقدمة *

البلــد	نسبة الزيادة المئوية فى الاجور عن سنة ١٩٧٠	البلــد	نسبة الزيادة المئوية فى الاجور عن سنة ١٩٧٠
اليابان	٤٧	الدانمرك	٣٧
ايطاليا	٤٣	المانيا الغربية	٣٤
المملكة المتحدة	٤٠	هولنـدا	٣٤
ايرلنـدة	٤٠	بلجيكـا	٣٢
فرنسـا	٣٧	الولايات المتحدة	٢٠

* The Economist, August 11, 1973, p. 49

ولو قارنا الجدول رقم (٢) بالجدول رقم (٣) لتبين لنا ان مدى التغير المئوى السنوى فى الاسعار كان كبيرا للغاية ، اذ يتراوح بين ٤ر٦٣ و٣ر٩٨ بينما كانت نسبة الزيادة المئوية فى الاجور منخفضة للغاية وتتراوح بين ٥ر٦ و٥ر١٨ .

ان الزيادة الهائلة في الاسعار والتي تفوق زيادة الرواتب والأجور تسببت في انكماش الطلب على حساب مستوى المعيشة ، مما أدى الى بذل مزيد من العمل والجهد في القرب للمحافظة على المعدلات السابقة عن طريق تحقيق مداخيل اضافية . قيام العمال والموظفين في بعض الاحيان بالاضراب ، لاجبار المسئولين على رفع أجورهم ، وهذا يؤدي ـ ولا شك ـ الى وضع سيىء ، لأن مثل هذه الزيادة تؤدي الى ارتفاع في تكلفة الانتاج ، وبالتالي الى زيادة الاسعار وتضخم العملة ، وكاننا في هذه الحالة ندور في حلقة مفرغة .

في البلاد المتخلفة

واذا كان الوضع هكذا في الاقطار المتقدمة صناعيا، فان الحال في البلاد النامية سيىء للغاية، لعجز الحكومات فيها عن رفع الاجور ، على غرار ما تفعل حكومات البلدان المتقدمة ، لأن معظم اقتصادها يعتمد على المنح والقروض الأجنبية ، ناهيك بقطاعات الاقتصاد المتخلف في تلك البلدان، وذلك لأسباب ليس هذا مكان شرحها . اننا نكاد نرى اليوم عالمين مختلفين : احدهما غنى ، ويزداد غنى ، وآخر فقير ، ويزداد فقرا ، والهوة بينهما تتسع .

من الجدول رقم ٤ نرى ان نسبة ارتفاع تكاليف المعيشة في الدول المتخلفة او النامية ، أكثر مما هي في الدول المتقدمة صناعيا ، ذلك لاعتماد الاولى على استيراد معظم سلعها من الثانية، كما ان تكاليف المعيشة في الاقطار المتقدمة كانت مرتفعة من الاصل ، على عكس ما كانت عليه الاحوال في الدول النامية ، حيث كانت أسعار الحاجيات منخفضة نسبيا ، ولكن منذ سنة ١٩٦٣ اصبح الارتفاع فجائيا .

اسباب ارتفاع الاسعار

ارتفاع الاسعار له أسباب :

ارتفاع الأسعار مشكلة تعددت اسبابها وتشابكت، حتى اختلط السبب بالمسبب ، ولكن يمكننا أن نلحظ بعض العوامل الظاهرة التي لها علاقة وطيدة بهذه المشكلة ، وسنوجزها في الأمور الآتية :

١ ـ عوامل طبيعية

كثيرا ما تتسبب الطبيعة في رفع الأسعار ، نتيجة ما تلحقه بالمحاصيل من اضرار ، فالأمطار الغزيرة تغرق المزارع ، وتفسد الثمر ، وتغمر المحصول ، كما حدث هذا العام في كل من الهند وباكستان ، حيث اضرت فيضانات الامطار كثيرا من المزروعات ، وبخاصة الأرز ، وهو المحصول الرئيسي والطعام الأساسي لهذين القطرين . فلا عجب اذن ان تتحول باكستان من بلد مُصدّر للارز ، الى مُستورد له . وفي جمهورية اوكرانيا بالاتحاد السوفيتي تناقص محصول القمح سنتين متتاليتين ، نتيجة تقلبات جوية غير متوقعة ،

جدول رقم (٤) يبين ارتفاع تكاليف المعيشة في بعض اقطار من العالمين المتقدم والمتخلف ❋

البلد	نسبة الارتفاع من سنة ١٩٦٣ حتى سنة ١٩٧١	البلد	نسبة الارتفاع من سنة ١٩٦٣ حتى سنة ١٩٧١
دول متقدمة صناعية :		دول متخلفة :	
الدنمرك	٥٦	تركيا	٧٢
اليابان	٥١	الهند	٦٩
نيوزيلندة	٤٧	اسبانيا	٦٥
المملكة المتحدة	٤٥	العراق	٢٢
فرنسا	٣٦	ايران	٢٠

❋ 1972 Edition / Britannica Book of the Yeor, p. 577.

فاضطر الاتحاد السوفيتي ان يسد العجـــز بالاستيراد من الولايات المتحدة ، بعد ان كان مُصَدِّرا للقمح .

وكان للتقلبات المناخية هذا العام دور كبير في انتشار الجفاف بشرق افريقية ، مسببا المجاعة . ناهيك عن فيضانات الانهار ، وطغيان موجات المد البحرى في بعض الاقطار ، مما سبّب الالاف كثير من المحاصيل ، واغراق القرى والاراضي الزراعية، وهلاك الثروة الحيوانية فضـــلا عن الضحايا البشرية .

٢ ـ عوامل بشرية

وهي كثيرة ، ولها من الاهمية والخطر ما يفوق العوامل الطبيعية ولعل اهمها :

ا ـ الاسباب السياسية والحروب : كثيرا ما يكون للعوامل السياسية الدور الاكبر في ارتفاع السلع والحاجيات على المستوى العالمي . ومن الأمثلة على ذلك ارتفاع اسعار النحاس بسبب اضراب عمال المناجم في شيلي ، أكبر بلد منتج لهذا المعدن ، ثم ما تلا ذلك من انقلابات وفوضى سياسية عمت انحاء البلاد ، مما عطل الانتاج ، فكان لا بد والحالة هذه ان يرتفع السعر ،ويزداد الطلب على انتاج « زامبيا » التي يرتفع فيها تكاليف استخراجه وتصديره ، نتيجة أن حكومة « ايان سميث » العنصرية في روديسيا تغلق الحدود في وجه التجارة الزامبية .

هذا وما من احد الا ويقدر خسائر الحـــرب في جنوب شرق آسيا ، تلك الخسائر التي تختص بمختلف مظاهر الانتاج وبخاصة الزراعي . لقد اختفت مزارع الارز من كثير من الجهات في هذا الاقليم الذي كان منتجا رئيسيا لهذه الغلـــة ، ومصدرا لها ، فاصبح اليوم يستوردها ، لأنها الطعام الرئيسي للسكان هناك .

ناهيك بالاضرار الناجمة عن التجارب النووية ، والتي تقلل من الانتاجية الزراعية .

ب ـ الاسباب التي تعود الى تداعي نظام النقد الدولي : كلما تعرضت العملات الرئيسية في العالم لهزات عنيفة ، ادى هذا الى ارتفاع في اســـعار السلع والحاجيات. والمراقب لأزمة الغلاء في أواخر الستينات يتبين بوضوح مدى الارتباط بينها وبين ازمات النقد العالمية والتي اهمها :

١ ـ تخفيض الجنيه الاسترليني في ١٨ نوفمبر ١٩٦٧ بنسبة ١٤٫٣٪ وقد حذت حذو بريطانيـا ثلاث عشرة بلدا ، فقامت بتخفيض عملتها ، من بينها الدنمرك وايرلندة ونيوزيلندة واسبانيا .

٢ ـ تعليق سعر الذهب في سوق لندن ، وذلك في ١٧ مارس ١٩٦٨ بعد أن خسرت الـولايات المتحدة ما مقداره ثلاثة بلايين دولار من الذهب الى مشترين غير حكوميين . ونزلت نسبة احتياطى الذهب في الولايات المتحدة الى اقصى حد لها انذاك اى الى ٢٥٪ مما جعل الحكومة تلغى غطاء العملة الذهبي محليا .

٣ ـ وفي ١٠ اغسطس ١٩٦٩ خفضت فرنسا الفرنك بنسبة ١١٫١٪ .

٤ ـ وفي ٢٩ سبتمبر ١٩٦٩ سمح للمارك الالماني بالطفو ، ليوقف من حركة تدفق راس المال الى الداخل بشكل كبير على حساب العملات الاخرى. وفي ٢٤ اكتوبر ثبت المارك وذلك بأن رفع سعره بنسبة ٩٫٣٪ عن معدله السابق .

٥ ـ وفي مايو ١٩٧٠ سمح للدولار الكندى بالطفو ابتداء من اول يونيو وذلك لتوقف عملية تدفق الدولار الامريكي الى البلاد بشكل غير مرغوب .

٦ ـ وفي ٩ مايو ١٩٧١ سمح للمارك الالماني بالطفو مرة أخرى صعودا تحت تأثير تدهور الدولار الامريكي ولتلافي الآثار السيئة لمثل هذه النتائج فقد سمح « للجلدر » Guilder الهولندى بالطفو ، بينما ارتفعت قيمة الفرنك السويسرى والشلن النمساوى .

٧ ـ وفي ١٥ اغسطس ١٩٧١ اوقف تحويل الدولار الامريكي الى ذهب ، بعد أن كان يتم في السابق في الخارج عن طريق الحكومات والبنوك المركزية .

٨ ـ تخفيض الدولار في سنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ مرتين، بلغ مجموعهما اكثر من ٢٠٪ ، وكذلك تخفيض الاسترليني وتدني سعره بشكل محزن ، وارتفاع المارك الالماني .

ج ـ جشع التجار : كثيرا ما يغتنم التجـار الفرصة ، كي يرفعوا السلع ، بقصد تحقيق اقصى قدر ممكن من الربح لهم . وللتجار اساليب وطرائق منذ القدم يتهربون بها عن رقابة الحكومة، ولكن الأزمة تشتد اذا كانت السلطة في البلد لا تتدخل لحماية المستهلك من جشع التجار .

ولو نظرنا نظرة فاحصة وشاملة الى كثير من

السلع في أسواقنا اليوم لرأينا أن نسبة ارتفاع الاسعار مُبالغ فيها ، وانها لا تتمشى والاسباب التى سببتها ، والاهم من ذلك أن السلعة اذا ما ارتفع سعرها نتيجة أزمة طارئة ، فانها لن تعود الى سعرها الأصلى بعد انتهاء تلك الأزمة ، ذلك لان التاجر يرى في الأزمات فرصا يحقق عن طريقها امتيازات خاصة له . وقد يلجأ التجار الى خلق بعض الأزمات أحيانا عن طريق تخزين بعض السلع الضرورية لرفع سعرها في السوق .

وقد نجد أحيانا ان بعض السلع ينبغى ان ينخفض ثمنها ، نتيجة تخفيض في عملة البلد المصدر ، واحتفاظ البلد المستورد بنفس قيمة نقده . فمثلا حينما خفضت بريطانيا والولايات المتحدة نقدها بنسب كبيرة كان من المفروض ان تنخفض أثمان السلع في البلاد التى لم تنخفض عملتها (كالكويت مثلا) بنفس النسبة على الاقل . ولكن شيئا من هذا لم يحدث وانما حدث العكس . اما البلدان التى رفعت قيمة عملتها فنرى التاجر يسارع الى رفع اسعار سلعها . كما حدث في الصيف في السلع الالمانية .

د ـ ارتفاع مستوى المعيشة : لا شك في أن لارتفاع مداخيل الافراد اثرا كبيرا على رفع مستوى القدرة الشرائية عندهم ، ويزيد من استهلاكهم لكثير من السلع ، ويجعلهم قادرين على شراء سلع لم يكن دخلهم يسمح لهم بشرائها من قبل . وطبيعى انه كلما زاد الطلب ارتفع ثمن المطلوب من السلع .

ان هذه الزيادة المتلاحقة في اسعار النفط يرجع سببها أيضا الى ارتفاع اسعاره الحقيقيـــــة Realised Prices التى كانت في السابق أقل من الأسعار المعلنة Posted Prices .

هـ ـ الزيادة الطبيعية للسكان

لا شك في ان كل زيادة في السكان معناها زيادة عدد الافواه التى تتطلب الطعام ، الى جـانب السلع الأخرى التى يتطلبها الانسان . ولذلـك يقوم تنافس شديد بين ما هو معروض من طعام ولوازم اخرى . وكلما ازداد الاستهلاك نتيجة زيادة في السكان تصاعد الطلب وتناقص العرض . وقد تعرض الكثير من العلماء لهذه المشكلة الخطيرة التى تواجه البشرية ، فنرى ان شخصا مثل « مالتوس »يقول« بان السكان يتزايدون بمتوالية هندسية (٥) ، بينما الارزاق والموارد لا تتزايد الا بمتوالية حسابية (٦) » اى ان الزيادة في الموارد لا تتمشى ولا تتناسب مع زيادة السكان الرهيبة .

ورغم ان الوسائل العلمية والتكنولوجية قد قضت على وساوس « مالتوس » وتشاؤمه ـ الا انه قد آن الأوان لان يلتزم الانسان بسياســـة سكانية معقولة ، بحيث لا يترك الامر طليقا ، فان لكل وسيلة علمية او تكنولوجية حداً لا بد وان تتوقف عنده ، ويقدر علماء الديموجرافيا (الدراسـات السكانية) بان العالم يتزايد سنويا بنحو ٦٥ الى ٧٠ مليون نسمة ولو قسمنا هذه الزيادة على الزمن لكانت بمعدل ١٧٠ الف نسمة كل ٢٤ ساعة ، او خمسة اطفال يولدون في كل ثانية تمر علينا ، يبقى منهم على قيد الحياة طفلان فقط .

ونظرة استعراضية سريعة لتقديرات سـكان العالم نرى مقدار الزيادة الرهيبة ، فقد قدر والتر والكوكس Walter F. Willcox ، ســكان العالم في سنة ١٦٥٠ بنحو ٤٧٠ مليون نســمة ، تزايدوا في سنة ١٨٠٠ الى نحو ١٥٧١ مليون نسمة .

اما الامم المتحدة فقد حسبت سكان العالم في عام ١٩٢٠ بنحو ١٨١١ مليون نسمة ، تزايدوا في عام ١٩٦٠ الى نحو ٢٩٩٥ مليون نسمة . وفي سنة ١٩٧٠ بلغوا ٣٦٥٩ مليون نسمة ، ويقدر الخبراء بانهم في نهاية هذا القرن سيبلغون ٦٩٠٠ مليون نسمة اذا لم يتعرض العالم لحروب عالمية .

هذه الزيادات الرهيبة المتلاحقة من الأعداد البشرية لا بد من وضع حد لها ، والا فان الارض ستصبح عاجزة في النهاية عن استيعاب هــذه الزيادة . وقد آن الأوان لان يولى الانسان مشكلة تكاثره عناية خاصة ويضع حدا لها .

واخيرا فان هناك عوامل اخرى لها صلة بارتفاع اسعار السلع والحاجيات ، منها :

ارتفاع سعر الفائدة في المصارف ، وارتفاع اجور الشحن ، وازدياد اهمية النقابات العمالية ، وزيادة اجور العمال ورواتب الموظفين ، وتكتل الاتحادات العالمية للمنتجين . ■■

محمد على عمر الفرا

(٥) المتوالية الهندسية كالآتى : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ .

(٦) المتوالية الحسابية كالآتى : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ... (العربى) .

غُرْبَةُ القَلْبْ

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

ابيضَّ فَوْداه ، واسودَّت لياليه … ذوبُ الاسى كأسُه ، والهمُّ ساقيه
إن تَغربِ الشمسُ لا تُطفَأْ جوانحُه … أو تشرقِ الشمسُ لا تذهبْ دياجيه
عصفورُ أيكٍ سرَى في الجو منطلقا … نفَّاثُ سحر ، وبدع من أغانيه
تهفُو إليه وجوهُ الورد باسمةً … ويثنى الغصنُ زهوا إذ يناجيه
ولم يَرُعْهُ وقد آبَ المطافَ به … إلا وفي العُشِّ سهم بات يرميه
فارتدَّ مضطربا عن عشه ، فزعا … يقضى الليالىَ والأيامَ في التيه
كَلَّ الجناحين ليس الجوُّ يحمله … على المتون ، وليس العشُّ يؤويه
الطيرُ من حوله أبناء جِلْدته … شتانَ شتَّان ما فيها وما فيه
إذا ترنَّم صاغَ الحق أغنيةً … وسائر الطير في غِشٍّ وتمويه
وربَّ قائلِ صدقٍ عُدَّ ذا خطر … كأنما تخرجُ النيرانُ مِنْ فيه
وقد يكون الهدى سوءا ومفسدة … إذا الأراذلُ أبدَتْ حُكمها فيه
والنصح تقبله أذنٌ ، وترفُضه … أذنٌ ... فوقره ، وانظر أين تلقيه
ياطيرُ . ما كان أغنى النفسَ عن كبَد … ما ينفعُ العقلُ في دنيا المعاتيه
قد كنتُ مثلكَ طيرًا في الأنام ، فما … تركت للريح تسييرى وتوجيهى
وانحزت للحقِّ منهاجاً وأمنيةً … في عالم طينُه أسمى أمانيه
فصرت مغتربا لم يَحْنُه كَنَفٌ … وإن تكن حُجُرات الدَّار تحويه
حراً تعذّبه فيهم كرامته … مغرَّبا وهو يسعى بين أهليه
ما غربةُ القلب أرضٌ غيرُ موطنه … بل غربةُ القلب ناس لا تصافيه ■■

طرائف غربية

ثمن الحرية

● هوشي منه الزعيم الفيتنامي الذى اذل اكبر واقوى دول العالم فى حربه لتحقيق الحرية والاستقلال لبلاده قال له بعض الصحفيين الامريكيين يوما : « الا تريد ان تضع نهاية لهذه الحرب التي يموت فيها الألوف يوميا ؟ »

وقال الزعيم الذى كرس كل حياته من اجل قضية بلاده : « يجب ان تذكروا دائما انها ليست بلادى هى التى تقذف امريكا بالقنابل ، وانما انتم الذين تأتون لتدمروا بلدى وتقتلوا ابنائي » .

اما هؤلاء الأبناء الذين كان هوشي منه يشير اليهم فى كل احاديثه وتصريحاته فقد كانوا كل رجل وكل امراة وطفل فى فيتنام .. كانوا شعب فيتنام كله الذى يزيد تعداده على الثمانية عشر مليونا .



فقد عاش هوشي منه ومات دون ان يتزوج .. وعندما رحل ، كان هذا الشعب العظيم قد تعلم كيف يصنع الحياة من الموت ، ويحصد من الهزيمة نصرا ..

قال الجنرال الفرنسي ديجول يصف شعب فيتنام الذى دحر القوات الفرنسية فى دين بين فو : « لقد ذكرني موقف هذا الشعب البطل ، بما كنا نصنعه لتحرير فرنسا من الاحتلال النازى فى الحرب العالمية الثانية ونحن نعيش فى المنفى »

لقد مات هوشي منه قبل ان يرى النصر الذى حققه لشعبه على مدى ربع قرن من الزمان او ما يزيد .. وقبل ان يرى امريكا ، وهي تمد الى هذا الشعب يدها طالبة السلام ، وقبل ان يرى العدو والذى اراد احتلال بلاده ، وهو يساهم فى اعادة بناء ما دمرته قنابله طوال سني الحرب ، وهو يحاول مستميتا اخضاع

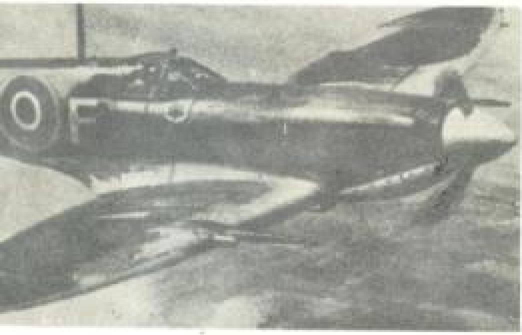
فيتنام واستعبادها » ...

قال صحفي امريكي يصف آخر حديث له مع الزعيم القائد قبل رحيله باشهر قليلة : « كان هوشي منه رجلا ضئيل الجسم قصير القامة ، احنت السنون ظهره ، ولكنني لا ادرى كيف احسست بانني اقف امام عملاق ، عندما دمعت عيناه وهو يقول لي : « انني لا اشعر بالحزن على ابنائي الذين يموتون فحسب ، بل انني احزن ايضا على هؤلاء الامريكيين الابرياء الذين ترسلهم حكومتهم ليعتدوا على بلادنا ويلقون حتفهم فوق اراضينا . انني فى دهشة كيف يغيب معنى « الحرية » عن البلد الذى كافح شعبه من اجل الحرية ، واقام فى قلبه تمثالا للحرية ! » .

الذ طبق صنعته نساء بريطانيا فى الحرب العالمية ٢

● قال هـ . ج . ولز (١٨٦٦ — ١٩٤٦) كاتب بريطانيا الكبير « كنت اتمنى الموت على ان اعيش لأرى اسلحة الدمار وهى تفتك بالبشر الأبرياء » ، وقال : « ان روح الشعب البريطاني هي التي حققت النصر لبلادنا فى الحرب التي كنت واحدا من الذين شاء سوء حظهم ان يعيشوا ويلاتها »

وقال ولز : « ان اعظم ما رايت وسط جحيم المعركة وطائرات العدو تحاول ان تدك وتدمر كل شيء بنيناه بعرقنا على مر السنين ، هو منظر الرجال وهم يحملون متاعهم ، ومنظر النساء وهن يحملن اطفالهن وغذاءهن وقد ساروا فى طوابير طويلة عبر الشوارع ، وعند مفترق الطرق ليهبطوا السلم ، وينزلوا معه الى الحياة تحت الأرض بعد ان راوا الموت يتهددهم فوقها ... لقد تحولت لندن كلها الى مدينة تعيش فى الانفاق » .



اما اعظم عمل رايته عندما اعلن سلاح الجو الملكي البريطاني عن حاجته الى المال لبناء طائرات جديدة ، وقدم كل قادر ما قدم من ماله ، حتى صغار التلاميذ فى المدارس كنت اراهم يقفون ليتبرعوا بينساتهم القليلة التي ادخروها من مصروفهم .

« اما النساء ، فقد حملن اوانيهن المعدنية وقصدن بها الى الفرن الكبير الذى راح يصهر فى جوفه الملايين من هذه الاواني ليحولها الى صفائح من المعدن .. حتى لم تكد تبقى آنية واحدة فى بيت اية سيدة فى انجلترا ..

« لقد تحولت هذه الأواني المعدنية الى طائرات سبيتفاير Spitfire ، تلك التي كانت مفاجاة للعدو فى سرعتها وفى قدرتها على المناورة والقتال ...

قال ونستون تشرشل رئيس الوزراء آنذاك ، وهو يرى الطائرة الجديدة فى الجو : « انها الذ طبق قدمته نساء لندن فى هذه الحرب .. ولكنه طبق يحمل سما زعافا ! »

■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

اوسع اللغات انتشارا فى العالم

● ما هى اوسع اللغات انتشارا فى العالم .. وما هى المكانة التى تحتلها اللغة العربية بينها ؟

ابراهيم صبري ـ عمان ـ الاردن

ـ لا ندري ما الذى تعنيه بعبارة اللغة الاوسع انتشارا على وجه الدقة . فان كنت تقصد اللغة التى تفوق غيرها من حيث كثرة الناطقين بها ، من ابنائها وداخل حدود بلادها ، كانت لغة اهل الصين ولهجة أهل الشمال منهم بالذات هى ضالتك المنشودة . فقد بلغ عدد الناطقين بهذه اللهجة التى تسمى جويو ، نحو ٥٣٠ مليونا .

اما ان كان المقصود هو اللغة التى تخطت حدود بلادها ، فانتشرت بين الكثيرين من ابناء الدول الاخرى، فضلا عن شيوعها بين أبنائها، وذلك نتيجة لاسباب تجارية وسياسية او عسكرية او غير ذلك من اسباب فلا مفر من اعتبار اللغة الانجليزية اللغة الاولى فى العالم من حيث سعة الانتشار .

فاللغة الانجليزية هى اللغة الام فى الجزر البريطانية والولايات المتحدة الامريكية وفى اكثر كندا وكذلك فى استراليا ونيوزيلندة . وقل مثل ذلك فى روديسيا واتحاد جنوب افريقيا وخاصة بين البيض من سكانهما وهم بنسبة تقل عن ٦٪ من مجموع السكان فى الاولى وتبلغ ٢٨٪ فى الثانية .

اضف الى ذلك أن اللغة الانجليزية تعتبر احدى اللغات الرسمية ان لم تكن اللغة الرسمية الغالبة فى الهند وكينيا ونيجيريا وتنزانيا واوغندا وكثير غيرها .. وقد أحصوا الذين يتخاطبون باللغة الانجليزية ويعتمدون عليها كلغة ام فى العالم فبلغ عددهم ٣١٥ مليون نسمة . هذا فى حين ان عدد سكان بريطانيا موطن اللغة الانجليزية الاصلى لا يجاوز ٥٥ مليون نسمة .

واليك فيما يلى احصاء باللغات الواسعة الانتشار فى العالم ، وبعدد المتكلمين بها ، لا فى الوقت الحاضر فحسب ولكن فى مطلع القرن التاسع عشر وفى القرن السادس عشر أيضا .

مجموع عدد الناطقين بهذه اللغات بالملايين

	حاليا	أيام نابليون	فى القرن السادس عشر
الانجليزية	٣١٥	٢٠	٥
الروسية (لاسكو)	١٨٠	٣١	٣
الاسبانية	١٤٥	٢٦	٩
الالمانية	١٠٠	٣٠	١٢
الفرنسية	٦٥	٣٢	١٤
الايطالية	٥٥	٢٥	١٠



وتجدر الاشارة الى لغتين اغفلهما هذا الاحصاء بالرغم من سعة انتشارهما، وقد بلغ عدد الناطقين بكل منهما نحو ١٠٠ مليون نسمة. أما اللغة الاولى فهي البرتغالية التي يتكلم بها أهل البرازيل واما اللغة الثانية فهي اللغة العربية المنتشرة كلغة ثانية في القارة الافريقية وفي كثير من الدول الاسلامية وكلغة أم في الوطن العربي وسكانه يقاربون ١٠٠ مليون نسمة. هذا ولا يخفى ان لغة الضاد كانت بلا نزاع اوسع لغات العالم انتشارا طيلة القرون الوسطى، ابتداء من القرن التاسع الميلادي.

(ي. ز)

انتصار متواضع تحققه المرأة العربية

الحد الادنى لما يجب أن تتضمنه تشريعات الاسرة والاحوال الشخصية

● وضع المرأة العربية في اليمن وضع سيىء للغاية .. كما لا بد تعلمون .. وحسبي ان اذكر ان المرأة اليمنية تضطر احيانا للزواج وهي في العاشرة من عمرها .. وانا لا اطمع في تحسين وضعها تحسينا جذريا بين عشية وضحاها .. ولكني استغرب كثيرا احجام (العربي) عن القيام بعمل ايجابي ما في هذا الصدد ..

سلوى . م .

صنعاء / اليمن .

ـ العربي مجلة ثقافية علمية ادبية . وهي تولي اهتمامها مشاكل العرب عامة، بما فيها مشاكل المرأة .. ولايخفي ان مجلة العربي ليست الجهاز الذي يتولى تغيير الاوضاع، وتحقيق الاصلاحات المنشودة. فهذه مهمة مناطة بالجمعيات والهيئات فضلا عن الحكومات .. وتختلف عنها مهمة « العربي » التي تقف عند حدود التثقيف والتوعية ولاتكاد تتعداها ..

وتجدر الاشارة هنا الى الندوة الدراسية التي عقدتها جامعة الدول العربية واشترك فيها عشر دول عربية ضمت وفودها عشرين امرأة و١٨ رجلا، بقصد البحث في أوضاع المرأة العربية في قوانين الاحوال الشخصية ..

ولعلك ترغبين في الاطلاع على ما انتهت اليها تلك الندوة من توصيات تناولت الطلاق وتعدد الزوجات وغير ذلك من مواضيع واليك فيما يلي موجزا بهذه التوصيات .

التوصية الاولى بشأن سن الزواج :

توصي الحلقة بان يتضمن تشريع كل دولة حدا أدنى لسن الزواج . وأن يضع التشريع الضمانات الكفيلة لتنفيذ ذلك . كما توصي الحلقة بأن تراعى كل دولة في تشريعها الا يكون هنالك تفاوت كبير في السن بين الزوجين .

التوصية الثانية : بشأن ولاية الجبر في الزواج :

توصي الحلقة بالا تكون هنالك ولاية جبر في الزواج، وان يخول الولي حق فسخ عقد الزواج في حالة عدم الكفاءة، على أن يترك تحديد مفهوم الكفاءة للعرف القائم في كل دولة .

التوصية الثالثة بشأن الزوجة العاملة :

توصي الحلقة بان يكون للزوجة حقها الكامل في العمل ما لم يشترط الزوج في عقد الزواج خلاف ذلك، ومع هذا فللزوجة ـ مع قيام هذا الشرط ـ ان تلجأ الى القاضي ليأذن لها بالعمل اذا جد من الظروف ما يقتضي ذلك .

كما توصي الحلقة بان يحق للزوج أن يلجا الى القاضي بطلب منع الزوجة من العمل اذا ترتب على استمرارها في عملها ضرر جسيم بالاسرة ..

التوصية الرابعة بشأن تعدد الزوجات :

توصي الحلقة بان يكون منع تعدد الزوجات هو الهدف الذى ينبغى ان تسعى اليه كل التشريعات العربية .

كما توصي الحلقة الدول العربية ـ كلا حسب ظروفها ـ ان تتخذ الخطوات التى تتفق مع اوضاعها ما يحقق هذا الهدف . على ان تتضمن تشريعاتها ـ لتحقيق هذا المنع ـ نصوصا تعاقب كل من يعدد الزوجات على خلاف حكم القانون .

(لم توافق وفود الكويت ودولة الامارات والمغرب على هذه التوصية) .

التوصية الخامسة : بشأن الطلاق :

أ ـ توصي الحلقة بان تضمن الدول العربية تشريعاتها ضرورة الرجوع الى القاضي قبل ايقاع الطلاق وان يقوم القاضي قبل الاذن بايقاع الطلاق بالتوفيق بين الزوجين بنفسه او عن طريق التحكيم .

ب ـ كما توصي الحلقة بضرورة تأثيم فعل الزوج بعقوبة رادعة ، اذا اوقع الطلاق بغير اذن القاضي ..

جـ ـ كذلك توصي الحلقة بان يتضمن التشريع سلطة القاضي في الحكم بالتعويض اذا اوقع الزوج طلاقا تعسفيا وان يكون التعويض في هذه الحالة تعويضا مجزيا يعوض الزوجة عما يلحق بها من ضرر .

(اعترضت وفود الكويت ودولة الامارات والمغرب على الفقرة ب) .

التوصية السادسة : بشأن حضانة الصغار :

توصي الحلقة بأن تنتهي حضانة النساء بالنسبة للفتاة بزواجها وتمام الدخول بها .. وبالنسبة للفتى ببلوغه سن الرابعة عشرة ..

ورفعت هذه التوصيات الى لجنة المرأة العربية المنبثقة من الجامعة العربية ، وفي دورتها الاخيرة التى انعقدت في ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٧٣ اقرت هذه التوصيات ووصفتها بانها الحد الادنى لما يجب أن تتضمنه تشريعات الاسرة والاحوال الشخصية دعما لمركز المرأة ، ووجهت نداءات حارة الى الدول العربية للاخذ بهذه التوصيات والعمل على وضعها موضع التنفيذ .

وكلفت لجنة المرأة الامانة العامة للجامعة برفع التوصيات الى مجلس جامعة الدول العربية وابلاغ الاعضاء بها ..

ترى هل يقر مجلس الجامعة هذه التوصيات قبل عام ١٩٧٥ العام الدولى للمرأة ؟؟

الامل كبير في ذلك يا أختاه المتسائلة من اليمن.

(س . ز)

رجال صاروا أمثالا

● يقول ابو تمام

اقدام عمرو في سماحة حاتم — في حلم أحنف في ذكاء اياس

فمن هؤلاء الذين ضربهم مثلا في مدة صفحات ؟

حامد ابراهيم / سوهاج / ج.م.ع

ـ في العرب كثيرون كانوا ذوى اقدام وشجاعة، واصحاب كرم وجود وسماحة ، وحلماء عظيمي الحلم ، والاذكياء في الغاية من الفطنة والالمعية ، لكن بعض الناس يرزقون شهرة ، فيطفون على سواهم ، وتجرى أسماؤهم على الالسنة ، بسبب بيت من الشعر يقال ، أو مثل ارسله احد العظماء.

والمقصود بمن ذكرهم ابو تمام هم :

١ ـ عمرو بن معد يكرب الزبيدى. وكان شجاعا حقا ، وله وقائع في الجاهلية والاسلام ، وهو صاحب السيف الذى يسمى « الصمصامة » توارثه اناس عن اناس ، حتى وصل الى الخليفة العباسي موسى الهادى ، وقال احد الشعراء :

حاز صمصامة الزبيدى عمرو
من جميع الانام موسى الامين

سيف عمرو ، وكان فيما سمعنـــــا
خير ما اغمدت عليــه الجفـــون

٢ ـ والثاني هو حاتم الطائي،من اهل الجاهلية، مشهور بالكرم والجود ، وله في ذلك قصص كثيرة وهو الذى يقول في بعض شعره لامرأته ماوية :

اماوي؟ اني لا اقــول لسائــل
اذا جاء يوما حلّ في مالــي النـذ"

٣ ـ والثالث هو الاحنف بن قيس ، زعيم بني تميم ، والذى يقول فيه معاوية بن ابي سفيان : اذا غضب غضب له مائة الف سيف .

٤ ـ والرابع هو اياس بن معاوية ، وكان قاضيا على البصرة ، في ايام الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وله حكايات تروى دلالة على شدة ذكائه .

(ع . ف)

لا حياة مع الياس ولا يأس مع الحياة

● قسا القدر علي قسوة ما بعدها قسوة عندما نزل الموت باسرتي فاختطف اشقائي السبعة الذين لقوا حتفهم في حادث سيارة .

لقد مضى على هذا الحادث المفجع عام تقريبا ، وما زلت اعيش في الم وحزن شديدين .. حتى اصبحت الحياة بالنسبة لي سرابا لا ارى فيه سوى تلك الصورة المفجعة .. صورة اخوتي السبعة وهم يرقدون امامي جثثا هامدة مضرجة في دمائها ..

انني اعيش في ظلام يا سيدى بلا امل ، فقد يئست من الحياة .. لم اعد اجد فيها شيئا يستحق ان اعيش من اجله ، لم اعد قادرا على متابعة دراستي الجامعية .

لقد حاولت ان اجد العلاج لهذه الحالة عند الاطباء النفسانيين ، ولكنني فشلت .. انني مازلت شابا في مقتبل العمر، حتى اختي الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة تشاركني الامي ، تدتحطم بيتها بعد ان طلقها زوجها .

ماذا افعل ، كيف اواجه هذه الحياة المرة .. ارحموني ، يرحمكم الله .. لقد اظلمت الدنيا في عيني ، حتى اصبحت اوثر الموت على الحياة .

ش . م ـ الاردن .

ـ مأساتك مؤلمة يا بنى ، ولكن ماذا يستطيع الانسان ان يفعل ازاء ارادة الله .. انها فاجعة المت بك ، وشاء القدر ان تعيش انت وشقيقتك لتواجها الحياة وحدكما بعد ان اختطف الموت بقية الاخوة الاحياء .

انها صدمة قاسية لاشك في ذلك ، ولكن يجب ان يكون ايمانك بالله عظيما .. ان الايمان وحده هو الذى يستطيع ان يخفف عنك الامك واحزانك. انك ما زلت شابا في مقتبل العمر ، والمستقبل امامك طويل ، والحياة من حولك مليئة بالخير .. لقد كانت صدمة لك ، ولن يكــون من السهل عليك ان تنساها ، ولكن يجب ان تذكر انك مازلت حيا ترزق ، وقد اراد الله لك ان تعيش ، ولكي تعيش ، فلا بد لك ان تشعر انك حي ، ولا يمكن لانسان حي ان يعيش بغير امل ..

حاول يابني ان تنسى المصيبة التي حلت بك انت وشقيقتك .. حاول ان تبدأ معها حياة جديدة .. تفرغ لدراستك واغرق نفسك في كتبك وسوف تجد في بطونها السلوى والعزاء .. ثم اسأل نفسك بعد هذا : « هل ينفع البكاء على شيء مضى وانقضى ؟ وما الذى استطيع انا ، او غيرى من البشر ان يفعله ازاء ارادة الله ومشيئته ؟ » فلا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس .

ثم لا تنس بعد ذلك قول الله تعالى في كتابه الكريم : « ... الذين اذا اصابتهم مصيبة ، قالوا

انا لله وانا اليه راجعون .. اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، واولئك هم المهتدون » .

تطلع الى الغد يابني ولا تنظر وراءك .. تطلع الى الحياة التي تنتظرك بعد تخرجك في الجامعة ، دع الامس يمضي بما حمله لك من الام واحزان ، وانتظر الغد ، ففي الغد سلوى وعزاء ، وفي الغد امل وشمس مشرقة ونور من بعد ظلام .

(م . ن)

الاذاعة الاولى فى العالم

● سمعت ان الاذاعة البريطانية هي الاذاعة الاولى في العالم قبل هذا صحيح ؟

اشرف خليل امام ـ الجيزة ـ ج٠م٠ع

ـ ظهرت الاذاعة الاولى في العالم في الولايات المتحدة الامريكية . كان ذلك في ٢/نوفمبر ١٩٢٠ ، حينما راح المذيع يسرد نتائج انتخابات الرئاسة الامريكية لتلك السنة . وقد تم ذلك في محطة اذاعية صغيرة لم تتجاوز قوة أجهزتها ٨٢٣ كيلو سيكل و ٥٠ واط . وكان لنجاح تلك المحطة التي امتلكتها شركة تجارية هي (وستنجهاوس) ان اصبح عدد المحطات الاذاعية العاملة في الولايات المتحدة ٨ محطات في سنة ١٩٢١ وتضاعف هذا العدد حتى بلغ ٥٦٤ محطة سنة ١٩٢٢ .

وفي هذه السنة الاخيرة بالذات ظهرت الاذاعة في بريطانيا لاول مرة . كان ذلك في لندن وفي ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ . ولم يكد يمضي يومان على ذلك حتى بدا البث الاذاعي الاقليمي في كل من المدينتين الكبيرتين نسبيا : مانشستر وبرمنجهام . وبدأت اذاعة لندن في بث دقات ساعة بج بن Big Ben اعتبارا من اليوم الاخير في سنة ١٩٢٣ ، وقد اصبحت تلك الدقات ، مع الزمن ، بمثابة الرمز او العلامة الفارقة لاذاعة لندن . وجدير بالذكر ان تلك الاذاعة اللندنية الرائدة ما زالت تنمو وتتفرع حتى اصبحت هيئة الاذاعة البريطانية ، البي بي سي B. B. C. ، تلك الهيئة العملاقة . وهذه هيئة ذات وضع خاص وفريد تقريبا .. فلاهي بالشركة التجارية كما هي الاذاعات في امريكا وفي لبنان ولا هي بالدائرة الحكومية كما هي الاذاعة في اكثر الدول العربية والاوربية وغيرها .

على ان هيئة الاذاعة البريطانية ، وان كانت مستقلة ولا تخضع للحكومة البريطانية ولا تتقيد بسياستها ، فانها مسؤولة لدى مجلس العموم البريطاني من التمسك بميثاقها ، وتنفيذ اهدافها ، وهي كما يحددها ذلك الميثاق : الامتاع والاعلام والتوجيه . ومجلس العموم هو الذي يمد هيئة الاذاعة البريطانية بالمخصصات المالية التي تحتاجها . وهي مخصصات ضخمة ولا ريب . وحسبنا ان نذكر ان اللغات التي تبث بها البي بي سي برامجها قد بلغت ٥٠ لغة او تزيد .

(ي . ز)



مسابقة العربي

روايات مشهورة فى الأدب الحديث

■ هذه طائفة من اسماء روايات منتشرة اليوم فى العالم العربى ، بعضها مؤلف بالعربية ، وبعضها مترجم اليها ، ومؤلفوها على حظ كبير من الشهرة والتقدير عالميا او عربيا . والمطلوب منك ان تختار اسماء عشر روايات وتكتب امام كل منها اسم مؤلفها .

وتيسيرا عليك كتبنا اسماء الروايات ، ثم كتبنا اسماء مؤلفيها على ترتيب آخر ، وعليك استخراج اسم كل مؤلف ، ووضعه امام اسم روايته .

اولا : اسماء الروايات :

١ ـ الحرب والسلام
٢ ـ قصة مدينتين
٣ ـ الاجنحة المتكسرة
٤ ـ الام فرتر
٥ ـ نداء المجهول
٦ ـ الارض الطيبة
٧ ـ بداية ونهاية
٨ ـ مرتفعات وذرنج
٩ ـ عودة الروح
١٠ ـ الام
١١ ـ زيفاجو
١٢ ـ العجوز والبحر
١٣ ـ سارة
١٤ ـ تاييس
١٥ ـ الجريمة والعقاب
١٦ ـ دعاء الكروان
١٧ ـ البؤساء
١٨ ـ زينب
١٩ ـ الفرسان الثلاثة
٢٠ ـ فتاة غسان

ثانيا : اسماء المؤلفين :

١ ـ همنجواى
٢ ـ نجيب محفوظ
٣ ـ الكسند دوماس
٤ ـ شارلز دكنز
٥ ـ طه حسين
٦ ـ مكسيم جوركي
٧ ـ عباس العقاد
٨ ـ بسترناك
٩ ـ اناتول فرانس
١٠ ـ محمد حسين هيكل
١١ ـ فكتور هوجو
١٢ ـ محمود تيمور
١٣ ـ بيرل بك
١٤ ـ اميلى برونتى
١٥ ـ توفيق الحكيم
١٦ ـ جيته
١٧ ـ جبران خليل جبران
١٨ ـ دستويفسكى
١٩ ـ جورج زيدان
٢٠ ـ تولستوى

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الاتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٨١ »

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو الثالث من شهر يناير (كانون الثانى) ١٩٧٤

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الاتي :

الجوائز ١٠٠ دينار

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة

النظرية الاقتصادية لابن خلدون

بحث الدكتورة : سفيتلانا باتسييفا

ترجمه عن الروسية : رضوان ابراهيم

■ تعتبر فترة القرون الوسطى اقل انتاجا في تاريخ الاراء الاقتصادية ، وان « نقط الانطلاق النظرية » للاقتصاد السياسي للراسمالية هي اراء المفكرين اليونانيين القدامى ، لا مؤلفي القرون الوسطى ، الا انه في تلك الفترة لم يذهب ممثلو المدرسة القانونية في اوربا الى ابعد من نظرية « السعر العادل » .

وقد انعكست المرحلة الجديدة لتطور الافكار الاقتصادية في البحث الاجتماعي التاريخي للمفكر العربي العظيم ، ابن خلدون ، في القرن الرابع عشر في كتابه « المقدمة » .

آراء ابن خلدون الاقتصادية لم تبدا دراستها الا في عام ١٩١٤

والآراء الاقتصادية لابن خلدون بالرغم من دورها الرئيسي في النظام العام لنظريته الاجتماعية لم تلق الا القليل من الايضاح والتفسير في المطبوعات الخاصة ، ولم تبدأ دراستها الا في عام ١٩١٤ على يد س . كولوزيو الذى لاحظ مدى الاهتمام الذى اعاره ابن خلدون لهذا العامل كعمل وتنظيم للملكية في نشاة المجتمع وتطوره .

ومنهج هذا البحث يتناول التطور الذى حدث في الثلاثينات والاربعينات من القرن العشرين لدى المؤلفين العرب والهنود ، فالعرض المفصل لآراء ابن خلدون الاقتصادية تضمنه كتاب للمحامي اللبناني صبحي محمصاني ، ذى النزعة المتحيزة ، ولكنه مرتبط بجملة مواقف ابن خلدون في كتابه من العقيدة الاسلامية ، كذلك يحاول الاقتصادى الهندى م . عبد القادر تقييم آراء ابن خلدون في ضوء التاريخ العام للاقتصاد السياسي .

وبتفصيل يفوق كل ماعرف لدى الباحثين الاخرين يفسر العالم المصرى محمد علي نشات النظرية الاقتصادية لابن خلدون ، ويلاحظ انها هي الأساس لكل نظريات ابن خلدون .

والعقيدة السياسية لمؤلف المقدمة مرتبطة بارائه الاقتصادية بصورة مباشرة ، لكن نشات يحللها من موقع الاقتصاد السياسى البورجوازى المادى السوقى ، ويحاول أن يتخذ من ابن خلدون سلفا في هذا الاتجاه .

وفي صورة نموذجية يطور شارل عيسوى هذه الفكرة

وانطلاقا من قاعدة النظرية التاريخية الاجتماعية لابن خلدون يتمثل موقفه في أن اتحاد البشر في مجتمع هو نتيجة للحاجة الى العمل المشترك للحصول على وسائل العيش .

المجتمع البشرى ، بدوى وحضرى

ويعتبر ابن خلدون أن العامل الأساسى الذى يقرر حياة المجتمع هو النشاط الاقتصادى للبشر ، وتبعا لأسلوب النشاط الاقتصادى يقسم ابن خلدون المجتمع البشرى الى نوعين أساسيين : بدوى وحضرى .

● المجتمعات تتطور بالعمل ومقداره .

● قيمة السلعة وما فيها من عمل .

● وظائف النقود من ذهب وفضة .

● آراء ابن خلدون في الاقتصاد سبقت من سبقوه ومهدت للاحقيه .

وعلاقة الحياة البدوية بالحياة الحضرية هي علاقة المرحلة السفلى بالمرحلة العليا لتطور المجتمع ، فالمرحلة السفلى هي مرحلة الانتاج البدائي القليل التفاوت ، والمستوى الادنى للحياة .

والمرحلة العليا هي مرحلة الانتاج المتنوع والمتطور ، والمستوى الرفيع للحياة .

والتحول من المرحلة السفلى الى المرحلة العليا هو نتيجة لحشد القوى العاملة في مكان واحد ، ونزوح سكان القرى الى المدن،وتحول شكل النشاط الاقتصادي الى تقسيم العمل نتيجة لتعقيده وصعوبته .

وحشد القوى العاملة ، وتقسيم العمل يسمحان بوجود فائض في الانتاج ، وهو شرط اساسي للتقدم المادي .

ومع وجود تقسيم العمل حيث يجرى انتاج كل محصول معين بصورة فردية ، يتخذ فائض الانتاج شكل السلعة ، أما العمل الفردي للمنتجين فهو محصول سلعي : « فالانسان متى اقتدر على نفسه،وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعواض عنها » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣) .

الكسب والتملك

وبتحليل الانتاج السلعي ـ يحدد ابن خلدون جملة الانتاج الناشيء عن العمل البشري بكلمة « الكسب » ، مشيرا الى أنه « المتملك حينئذ يسمى العبد وقدرته» (المقدمة،جـ ٢، ص ٢٧٢).

والكسب بصورته الكمية غير متجانس ، فانه يعني بالنسبة للانسان مقومات الحياة، أي المعاش، اذا لم يتجاوز مقداره ضرورات الحياة ، أما اذا تجاوز هذا القدر فانه يكون ثروة ، ويسمى رياشا أو متمولا ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣) .

لكن الكسب باعتباره حاجيات مادية له ملامح خاصة موحدة ، فهو يتضمن الامكانيات المحتملة لوجود الانتاج المفيد : « اعلم أن الكسب انما هو بالسعي في الاقتناء والقصد الى التحصيل » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤) .

وفي الثروة الثابتة « كسب » غير مفيد ، ولتوضيح هذا يلجأ ابن خلدون الى مثل شرعي « مثل الميراث ، فانه يسمى بالنسبة الى الهالك كسبا ، ولا يسمى رزقا ، اذ لم يحصل به منتفع » ـ (المقدمة ، حـ ٢ ، ص ٢٧٣) .

ثم ان الحاصل اذا لم ينتفع به الانسان في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة لمالكه رزقا ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣) .

ويوضح ابن خلدون أهمية الرزق بهذا المثال الشرعي : « وبالنسبة الى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقا » ـ (المقدمة ،جـ ٢ ، ص ٢٧٣).

والمنتج يحول الكسب الى رزق « لينفق ما آتاه الله في تحصيل حاجاته وضروراته » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣) .

وبهذه الطريقة يميز ابن خلدون في حاصل كل انتاج الكيفية الخاصة به بالنسبة للمجتمع ، مما يمكن او يستحيل الاستفادة به بالنسبة للمنتج المباشر .

فالناتج غير المفيد للمنتج في شكله المادي ، مفيد بقدرته على أن يخدم أناسا آخرين ، أي أن هذا الانتاج قد يعود بالفائدة المباشرة على المنتج في عملية المقايضة .

وقد أشار أرسطو الى أن كل انتاج يفيد اما باستهلاكه مباشرة أو عن طريق المقايضة ، ويلاحظ أن المقايضة « ليست الطريقة الطبيعية لاستهلاك الاشياء » .

« فالمقايضة ـ كما يقول هو ـ لا يمكن أن يكون لها مكان بلا معادل ، والمعادل ليس له تناسب في القياس .. لكنه في الواقع غير ممكن .. لأن الأشياء غير المتجانسة متناسبة في القدر » .

وبالاقتراب تماما من مفهوم القيمة يوقف أرسطو تحليله ، فالاوصاف المستفيضة لآراء أرسطو في القيمة يقدمها ماركس : « ان أرسطو يدل بنفسه على أن ما صنعه لا يمكن تحليله تماما في المستقبل ، وهو يعني تخلف مفهوم القيمة » .

ولم ير ارسطو ان السلع المختلفة تشتمل على الجوهر العام ، وهو العمل الانساني .

وكانت المحاولة الفاشلة للاقتراب من فهم انواع القيمة هي نظرية « السعر العادل » للمدرسيين في بواكير القرون الوسطى التي بدت في التطور المستمر الذي قام به المشرعون الرومانيون لانواع « القيمة الحقيقية » .

وفي تطور صورة هذه النظرية المصوغة في مؤلفات البرت فيليكي وتوما الاكويني قدما في تحليل العلاقات القيمية مفهوما عن نفقات العمل وحددا جميع « الاسعار العادلة » بدرجة فائدة الاشياء .

العمل الانساني منشىء القيم

ماذا تصنع المنتجات المتنوعة والمتساوية المقدار ، وما هو مقدار تساويها ؟

في الاجابة على هذا السؤال يخطو ابن خلدون خطوة جبارة الى الامام بالقياس الى جميع الاقتصاديين النظريين السابقين .

فابن خلدون يدعو العمل الانساني بانه منشىء القيمة ، بصرف النظر عن اية صورة معينة ، والعمل بشكل عام وفي كل مكان : « فلا بد من الاعمال الانسانية » في كل مكسوب ومتمول . لانه ان كان عملا بنفسه مثل الصنائع فظاهر ، وان كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بدّ فيه من العمل الانساني كما تراه .. وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرها ، مثل النجارة والحياكة ــ معهما الخشب والغزل ــ الا ان العمل فيهما اكثر ، فقيمته اكثر ، فلا بد من دخول قيمة العمل .. اذ لولا العمل لم تحصل قنيتها » ــ (المقدمة ، جـ ٢ ، ، ص ٢٧٥) .

وكان العائق الذي توقف امامه ارسطو هو الضيق الحرج في حدود الطريقة القديمة للانتاج ، وهو الذي قام بتذليله ابن خلدون في الظروف التاريخية الجديدة ، فقد حلل ابن خلدون المجتمع في الوقت الذي كانت تسوده العلاقات السلعية البسيطة التي تستند من ناحية الكيفية الى المساواة الخاصة بين اعمال صغار المنتجين .

وفي مجال التداول لم يكن يوجد سوى هذه المنتجات من الانتاج الصناعي أو الزراعي ، وكان التجهيز يتم بصعوبة ــ في ظروف الانتاج المنزلي ــ لكمية من المنتجات الصغيرة نسبيا .

وكان ابن خلدون اول اقتصادي معروف في ذلك الوقت استطاع ان يزيح الستر عن قيمة الاكتشاف العبقري للعمل كجوهر للقيمة ، وهذا كشف عظيم جدا ، وخاصة اذا قورن بالوضع الذي كان عليه علم الاقتصاد في عصره .

والحقيقة ان علم الاقتصاد لم يكن موجودا ، وانما كان يعتبر جزءا مؤلفا من علم الاخلاق وعلم الفقه .

وقد تعرض ابن خلدون اكثر من مرة بالنقد الماحق للعقيدة ، وحسب الانواع تتشابك الاخلاقيات مع الاقتصاديات ، وهكذا يشترط المعتزلة في « الرزق » ان يكون صالحا للتملك ، ويؤكدون ان الغصب والحرام لا يسمى رزقا .

ويشير ابن خلدون في تهكم الى ان « ما لا يملك لا يسمى رزقا ، والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر ، ويختص برحمته وهدايته من يشاء ، ولهم في ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها » ــ (المقدمة، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤) .

والجزء المكون للنظرية الدينية الاخلاقية هو الاراء الاقتصادية للمؤلفين الاوربيين فيما بين القرن الثالث عشر والقرن الخامس عشر ، وتتميز مذاهبهم الاقتصادية بالوحدة الرائعة ، لطابعهم السببي والاقتراب المعياري ، وبدلا من العلاقات السببية وحدها في الظواهر الاقتصادية بحثوا مطابقتها للقوانين الدينية والاخلاقية التي حملت الطابع المتسلط والمرتقى .

وقد كشف ابن خلدون جوهر القيمة ، ولكنه لم يستطع بحكم الظروف التاريخية ان يحدد الاختلاف بين القيمة والسعر ، ومن هنا كان تراجعه عن القانون الذي اكتشفه للقيمة .

ويشير ابن خلدون الى وضع كمية العمل المتضمن في الانتاج اساسا لكل كسب تحصل عليه الانسان في عملية انجاز السلعة ، فقيمة المنتجات متضمنة قبل كل شيء في العمل المبذول في انجازها .

« اذا تقرر هذا فاعلم ان ما يفيده الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله ، وهو القصد بالقنية ، اذ ليس هناك الا العمل ، وليس بمقصود بنفسه للقنية » ، اى ان العمل جوهر الانتاج ــ البيبليوجرافيا السوفييتية ــ (المقدمة ، جـ ٢، ص ٢٧٢) .

« فقد تبين ان المفادات والمكتسبات كلها او

اكثرها انما هى قيم الاعمال الانسانية » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥) .

سعر السلعة وقيمتها

وهذه الصياغة لقانون القيمة يمكن ان تنشأ فقط فى ظروف الاقتصاد السلعى البسيط ، حيث يظهر عمل قانون القيمة على سطح العلاقات السوقية .

ونتيجة لقانون اتفاق القيمة والسعر فى ظروف الاقتصاد السلعى البسيط كشف ابن خلدون عمل هذا القانون ، ولكن لهذا بالذات بقى الاختلاف بين سعر السوق للسلعة وبين قيمتها غير مفهوم بالنسبة له فى تلك الحالات التى نشأت فيها ، ويحاول ابن خلدون أن يوضح مجموعة كاملة من الانحرافات عن القيمة الى السعر السوقى للسلعة ، فيدخل قانون العرض والطلب .

وتسليما بتأثير الظواهر العارضة على القيمة يتراجع ابن خلدون نفسه فى كثير من الأحيان عن الأوضاع المتصورة لها .

وحجم القيمة ، ولو انه يتعلق فى الاساس بالعمل الانسانى الكامن فيه ، فانه يمكن أن يؤثر كذلك بالعوامل العارضة ، وهذا التراجع من ابن خلدون عن قانونه المكتشف للقيمة ، كان مقتبسا من الباحثين البورجوازيين الذين لم يوضحوا جذورها فى ظروف الانتاج والتسويق فى عصره ، ولكنهم استغلوها بمختلف الوسائل ، لان ابن خلدون لم يصرح هل غيره هو المنشىء الايجابى المعاصر « لنظرية القوى المحصلة للعوامل » .

وظائف النقود من ذهب وفضة

ولم يقدم ابن خلدون نظرية موسعة للنقود ، ولكن بالملاحظة الخاصة التى نلتقى بها فى الفصول المختلفة من كتابه يتبين أن ليس لديه فكرة واضحة عن وظائف النقود فى حدود الاقتصاد السلعى البسيط فحسب ، بل انه كذلك يقترب جدا من مفهوم طبيعتها الحقيقية ، وهو مفهوم النقود كانتاج خاص يتجسد فى العمل الانسانى بفضل الذهب والفضة ، يمكن أن يصبح مقياسا للقيمة .

« ان الأموال من الذهب والفضة والجواهر والأمتعة ، انما هى معادن ومكاسب ، مثل الحديد والنحاس ، والرصاص ، وسائر العقارات والمعادن ، والعمران يظهرها بالأعمال الانسانية ، ويزيدها أو ينقصها » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥) .

ولقد أصبح القياس لقيمة هذه المعادن انما يكون طبقا لندرتها ، وهذا يفهم ولو فى صور متفرقة ، وقد اقتبس ابن خلدون ذلك من ابن سينا ، فهو يقول : « ان حكمة الله فى الحجرين وندورهما أنهما قيم لمكاسب الناس ومتمولاتهم ، فلو حصل عليها بالصنعة لبطلت حكمة الله فى ذلك ، وكثر وجودهما ، حتى لا يحصل أحد من اقتنائهما على شىء » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨) .

ويرى ابن خلدون فى النقود تعبيرا عن العلاقات القيمية بين السلع والمعادن بشكل عام ومقدار القيمة : « .. ان الله تعالى خلق الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول ، وهما الذخيرة والقنية » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤) .

ومعيار القيمة هو الذهب والفضة ، وهما يفقدان وظيفتهما السلعية ، ويباعان ويشتريان مقابل الوظيفة الجديدة ، وظيفة أنهما وسيلة للتعامل : « والجواهر والأمتعة انما هى معادن ومكاسب ، والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها أو ينقصها » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦) .

وكانت العلاقات الاقتصادية الوثيقة بالسوق العالمية تقوم فى البلاد لهذا العصر ، ويرى ابن خلدون فى النقود و « وظائفها » العالمية وسيلة للتداول ، ويشير الى أن كمية النقود لا يمكن أن تتجاوز حاجة المجتمع اليها : « وما يوجد منها ـ أى الذهب والفضة والجواهر والأمتعة ـ فهو متناقل متوارث ، وربما انتقل من قطر الى قطر ، ومن دولة الى أخرى بحسب أغراضه ، والعمران الذى يستدعى له ، فان نقص المال فى المغرب وافريقيا فلم ينقص ببلاد الصقالبة والافرنج ، وان نقص فى مصر والشام فلم ينقص فى الهند والصين » ـ (المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥) .

وبقدر كبير فهم ابن خلدون جوهر النقود كوسيلة للتعبير عن العلاقات الخاصة باقتناء السلع ، فظهر ذلك من المقارنة بين آرائه وبين

نظرية ارسطو والمؤلفين الأوربيين في القرون الوسطى ، فارسطو ـ كما هو معروف ـ قدم بحثين عن النقود كسلعة خاصة محولة الى وسيلة للتداول ، ورمز مشروط للتداول ، ولكنه اعترافا بوظيفة النقود كمكافىء عام لا يعتبرها مقدارا للقيمة وانما شيئا مشروطا تماما مخالفا للطبيعة بالكلية » .

والجانب الضعيف في نظرية ارسطو عن النقود ورثته المدرسة القانونية في أوربا ، وممثلها الاكبر نيقولاي أوريزم (١٣٢٣ ـ ١٣٨٢) الذى كان يعتبر النقود ثروة مختلقة صناعيا ، منظمة لارادات الحكومات العادلة والظالمة .

ولنذكر ان في أوربا طبيعة حقيقية للقيمة والنقود ، في تطور صورتها تكشفت لأول ممثل سياسي كلاسيكي هو ف . بيتي (١٦٢٣ ـ ١٦٨٧) .

ولقد خطا ابن خلدون خلال بحثه السوقي عن النقود « كشيء مشروط تماما » ، وهو يشير الى وظيفتها كمقياس للقيمة ، وهذا المفهوم للنقود يوجد في العلاقات الطبيعية لنظريات ابن خلدون في العمل كجوهر للقيمة ، لان النقود ، ولكن ابن خلدون يرى الثروة الحقيقية للشعوب في العمل وناتج العمل .

المجتمع يتطور كلما زادت كمية العمل

ويجعل ابن خلدون تطور المجتمع منوطا بزيادة « كمية العمل » وعدد القوى العاملة في المدن . وهذه الحقيقة ـ وخاصة حشد الناس في المدن ـ يعتبرها ابن خلدون طريقا لتطور المجتمع ، وليست المصادفة في ظروف القرون الوسطى ذات المستوى الأدنى ، والتطور البطىء لوسائل الانتاج بصورة غير عادية ، ولكن زيادة عدد القوى العاملة واحتشادها في اماكن الانتاج .

وقد انطلق ابن خلدون من نقطة الاعتراف بالعمل كاساس للحياة الاجتماعية ، بالاضافة الى ان العمل في رايه يمثل الصورة العليا لناتج العمل، لانه وحده يكون « فائض » الانتاج الذى يزيد عن حاجات الناس .

والانتاج الكبير للعمل في المدن يدفع الناس الى ان يكونوا « فائض » الانتاج ، وهذا بدوره يخدم طموح الناس الى الترف : « والناس يبداون بالحصول على الضرورى البسيط ، ثم يحاولون ان يلبوا الاحتياجات الاقل ضرورة ، وبعد ذلك يسعون الى الترف » .

وابن خلدون يقسم الحاجات بصورة مبدئية الى درجتين مختلفتين : حاجات ضرورية ملحة ، وحاجات زائدة على الضرورى .

والاولى تؤدى الى تكوين المجتمع ، وبقدر ما تسد احتياجاته تنشا الثانية : « لأن الضرورى اصل ، والكمالي فرع ناشىء عنه » ـ (المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٢٤) .

والحاجة الضرورية تستحيل الى جزء من الاحتياجات العامة ، وتتوقف عن ان تكون قوة قائدة للحياة الاجتماعية ، وهذه القوة تصبح ضرورية « بالكامل » .

وانطلاقا من هذا ينشىء ابن خلدون نظرية التطور التقدمي للمجتمع : « فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ، ولهذا نجد التمدن غاية للبدوى يجرى اليها ، وينتهي بسعيه الى مقترحه منها ، ومتى حصل على الرياش الذى يحصل له به احوال الترف وعوائده عاج الى الدعة ، وأمكن نفسه الى قياد المدينة ... » ـ (المقدمة ، ج ١، ص ٢٢٤) .

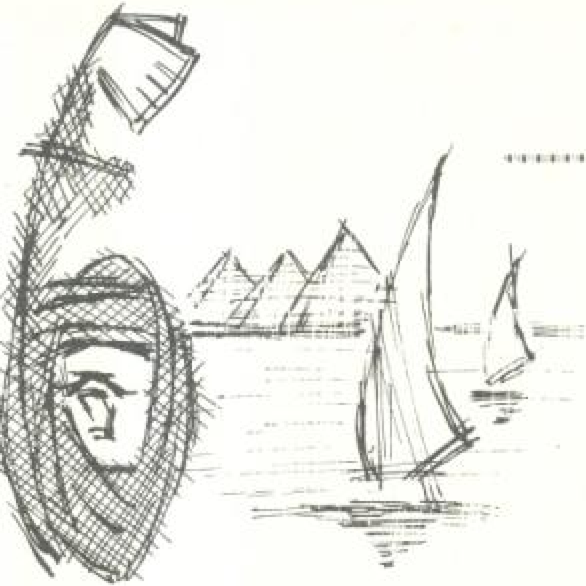
والحق يقال ان ابن خلدون نفسه قام بتغيير المبادىء ، وانطلق من الفرض المادى الصحيح الذى وضع في اساس نشاة الحياة الاجتماعية ـ الحاجة الموضوعية لكسب وسائل الحياة ، لكن التطور المطرد للمجتمع بوضح الرغبات الذاتية للناس .

ومع ذلك لاحظ ابن خلدون ان هذه الرغبات تنشا حينما توجد في الحياة الاجتماعية الفروض المادية ، اى بعض المدخرات .

وبهذه الصورة اصاب ابن خلدون دائرة العسر، اى ان سعى الناس الى حياة افضل يتوقف على مواقفهم المادية ، والمواقف المادية تتوقف على مساعيهم .

ولقد وصل ابن خلدون الى أعلى قمم الفهم الممكن في عصره لقوانين تطور المجتمع ، واقترب تماما من كشف كثير من القوانين الهامة للتطور الاجتماعي ، والمفهوم الذى كان مفروضا لعلماء المرحلة الجديدة من التاريخ . ■■

ترجمة : رضوان ابراهيم



لِقَاءُ الشَّقِيق

بقلم : مبارك المغربي

■ يا أخوةَ النيل ، يا أغلى أمانينا ... طبتُم ، وطابت بكم أمجادُ وادينا

أهلا بكم .. في الحنايا .. . في جوانحنا ... يا حبَّنا .. يا لقاءً بين أهلينا

أواصر الود ما زالت تقرِّبنا ... رغم العدا ، ودمُ القربى ينادينا

إنا – وقد كذب الواشون – لا محنٌ ... تقوى علينا .. ولا الأهوال تَثْنينا

إلفان صنوان .. . أعددنا لأمتنا ... جيلا جديدا صنعناه بأيدينا

إنا لكم ، ولنا أنتم ، فلا انقطعت ... منا الوشائجُ ما اخضرت روابينا

وما جرى نيلنا العملاق منحدرا ... صوب الكنانة يسقيها فيروينا

يا جيرة الدار ما دام الهوى فينا ... فلا نخاف أذاةً من أعادينا

لن يستريح لنا بالٌ وما فتئت ... تلك السوائم ترعى في أراضينا

حان القصاصُ .. فما معنى تحسرنا ! ... والثأر نادى .. فما جدوى تباكينا

لا يرهب الهولَ مشتاقٌ لمركبه ... ومن يرى الذود عن أوطانه دينا

إنا عزمنا – وملءُ الأرض غضبتُنا – ... أن نسترد لأهليها « فلسطينا »

وأن نُعيد لها .. . والشرق عزته ... قسرا .. ونسقي الردى من راح يسقينا

يا أهلَنا – يا أمانا من عوادينا ... ويا منارًا مدى الأيام يهدينا

عاشت أخوتُنا تحمي عروبتنا ... وعاش في قمة العلياء وادينا ! ■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

ابحاث علمية لانتاج سيارات جديدة اكثر امانا
٥٥ الف قتيل و ٢ مليون جريح في امريكا نتيجة حوادث سيارات خلال سنة واحدة

● حوادث الطرق فى جميع انحاء العالم فى ازدياد مستمر . . وضحايا هذه الحوادث اصبحوا الان يعدون بالالاف بين قتلى وجرحى . . ومن الاسباب التي تؤدى الى زيادة الحوادث القاتلة السرعة الكبيرة التي تسمح بها الطرق الواسعة الممهدة والسيارات ذات المحركات القوية.

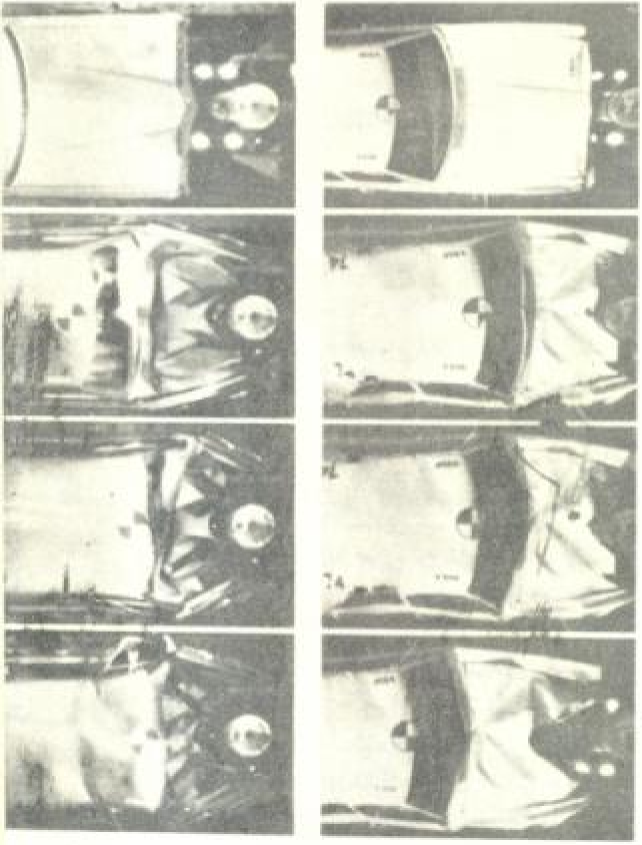
ونتيجة لزيادة حوادث السيارات اتجه العلماء الى دراسة امكانيات تعديل تصميم السيارات بحيث تصبح اكثر امانا بالنسبة لقائديها وركابها . وبدات هذه التجارب تأخذ اهمية خاصة فى الولايات المتحدة الامريكية حيث ان الاحصائيات الاخيرة قد اثبتت وقوع ١٦ مليون حادث تصادم سنويا فى طرقات امريكا وحدها . وينتج عن هذه الحوادث وفاة ٥٥ الف شخص واصابة ٢ مليون شخص بجروح تستدعي ادخالهم الى المستشفيات لعلاجهم .

وقد قامت ادارة ضمان سلامة المرور فى الطرق الرئيسية بالولايات المتحدة باقتراح عدة برامج لضمان سلامة ركاب السيارات والمارة فى الطرق من حوادث المرور . وكان الاهتمام الاكبر فى هذه البرامج منصبا على السيارات نفسها وادخال تحسينات عليها لضمان سلامة الركاب . ولكن اتضح من الدراسات للعديد من الاقتراحات ان المشكلة هي فى الواقع اشد تعقيدا مما كان متوقعا .

فمثلا يجب على الباحثين ان يأخذوا فى اعتبارهم حماية ركاب السيارة التي يصممونها الى جانب حماية ركاب السيارات الاخرى التي يحتمل ان تصطدم بها هذه السيارة ، فاذا كانت السيارة مقواة ومدعمة من الناحية الامامية بما يكفل لها امتصاص الصدمات العنيفة بالسيارات الاخرى ، فهذا يعنى ان هذه السيارة تحمى الركاب داخلها ولكنها تصبح خطرا داهما بالنسبة لركاب السيارات الاخرى التي قد تصطدم بها :

وهناك ايضا عدة نواح اخرى معقدة يجب أن تتم دراستها . . ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

اختلاف اشكال الحوادث بين المدن والريف . . فى الريف تكثر حوادث انقلاب السيارات . . وفى المدن تكثر حوادث اصطدام السيارات بعضها ببعض نتيجة للازدحام وتقاطع الطرقات . .



تمثل هذه الصور والتي التقطت بآلة تصوير سينمائية اصطدام سيارتين للتجارب، بحائط مصنوع من الصلب بسرعة ٥٨ ميلا بالساعة .. والصور الى اليسار لسيارة عادية والصور الى اليمين لسيارة مدعمة من الناحية الامامية ومزودة باجهزة خاصة تمنع انزلاق موتور السيارة واندفاعه داخل السيارة عند وقوع الاصطدام .

ويتضح من الصور ان الجزء المخصص للركاب في السيارة المدعمة لم يتأثر نفس تأثر السيارة العادية وهذا يعني نجاح التجارب في انتاج سيارة اكثر امانا لركابها .

ويقترح الدارسون ان يتم تصميم نوعين من السيارات ، نوع للاستخدام في المدن، ونوع آخر للاستخدام في المناطق الريفية والبعيدة عن العمران ، ويزود كل نوع بوسائل امان مصممة خصيصا لمنع وقوع الحوادث التي تكثر في كل منطقة الى ان يأتي الوقت الذي يتم فيه اكتشاف وسائل امن جديدة تقلل من حوادث القتل الناتجة من حوادث الاصطدام .

هناك حاجة شديدة لتوفير حماية افضل للمشاة في الشوارع من حوادث السيارات .. وقد اثبتت الاحصائيات في عام ١٩٧١ في الولايات المتحدة الامريكية ان ١٠٦٠٠ شخص من الذين قتلوا في حوادث سيارات كانوا من المشاة .. وكذلك اصيب ١٥٠ الف شخص أثناء عبورهم الشوارع مشيا على الاقدام بسبب حوادث أجتياح السيارات لهم .

وقد قامت احدى الهيئات العلمية بدراسة ٢٥ الف حادثة اصطدام وقعت في الطرق الرئيسية بالولايات المتحدة وخرجت من هذه الدراسة بعدة حقائق اهمها ان اكثر الحوادث عددا هو التصادم الامامي ويمثل ٥٩٪ من عدد الحوادث ولكن في نفس الوقت فهذا النوع من الحوداث لايؤدى الى احداث اضرار كبيرة بالسيارات او ينتج عنه قتل ركابها او اصابتهم اصابات خطيرة الا بنسبة تقل عن الانواع الاخرى من الحوادث .. وقد ثبت ان ٩ر٥٪ فقط من حوادث الاصطدام الامامي هي التي ينتج عنها

٣٧٠٠ مليون نسمة هم سكان الارض فى منتصف عام ٧١

● نشرت هيئة الأمم المتحدة فى شهر فبراير عام ١٩٧٢ كتابا احصائيا عن السكان فى العالم .. ومن المعلومات التى نشرت فى هذا الكتاب يتضح ان عدد سكان الكرة الأرضية وصل الى ٣٧٠٠ مليون نسمة فى منتصف عام ١٩٧١ وان نسبة المواليد بينهم تصل الى ٣٤ فى الألف فيما لا تتعدى نسبة الوفيات ١٤ فى الألف. وهذا يعنى أن الزيادة السنوية تصل الى ٢ ٪ مما يؤدى الى تضاعف عدد سكان العالم فى عام ٢٠٠٦ وذلك اذا استمرت نفس النسب على ما هى عليه .

وقد دلت المعلومات التى وردت فى كتاب الأمم المتحدة على ان نسب تزايد عدد السكان فى دول امريكا اللاتينية تصل الى ٢ر٨ ٪ وفى دول أفريقيا ٢ر٦ ٪ سنويا ، وفى دول آسيا ٢ر٣ ٪ سنويا ، اما فى امريكا الشمالية فتصل النسبة الى ١ر٣ ٪ سنويا، وفى الاتحاد السوفيتى الى ١ ٪ وتصل الى اقل معدل لها فى دول أوربا وهو ٠ر٨ ٪ .

وتدل الأرقام الواردة فى هذا الكتاب على ان مدينة شنغهاى فى الصين الشعبية تعتبر اكثر مدينة فى العالم ازدحاما بالسكان اذ يصل عدد سكانها ١٠ر٨٢٠ر٠٠٠ نسمة وتعتبر بذلك اكثر ازدحاما من طوكيو (عاصمة اليابان) والتى يصل عدد سكانها الى ٨ر٨٤١ر٠٠٠ نسمة .. وكذلك نيويورك والتى يبلغ عدد سكانها ٧ر٨٩٥ر٠٠٠ نسمة. وتعتبر بكين ولندن وموسكو المدن الثلاث الأخرى ، فى العالم ، التى يبلغ عدد سكانها اكثر من ٧ ملايين نسمة .

اضرار كبيرة للسيارات ، و ٩ر٦ ٪ ينتج عنها قتل ركاب أو اصابتهم اصابات خطرة .

اما النوع الاخر من الحوادث وهو حوادث الاصطدام الجانبي فبالرغم من انها تمثل ١٣ ٪ من نسبة الحوادث الا ان ٢٣ ٪ منها تسبب اضرارا جسيمة للسيارات و ١٦ ٪ تسبب قتل او اصابات الركاب اصابات خطرة .

وفى حوادث انقلاب السيارات وهي تمثل ٢١ ٪ من مجموع الحوادث فان ٢٣ ٪ منها تسبب اضرارا جسيمة للسيارات و ١٧ ٪ ينتج عنها قتل او اصابات خطرة للركاب .

وتمثل حوادث الاصطدام الخلفية التي ينتج عنها اصابة للركاب نسبة ضئيلة جداً من عدد الحوادث وهي لا تزيد عن ٤ر٥ ٪ ، وتدل هذه الاحصائيات على ان الاهتمام فى زيادة امان السيارات يجب ان ينصب على الناحية الامامية وكذلك تقوية جوانب السيارة وسقفها ، حيث ان حوادث الاصطدام الامامي والانقلاب والاصطدام الجانبي هي التي تتسبب فى اكثر الاصابات واخطرها .

وقد اثبتت التجارب التى اجريت على ان من بين الوسائل التي تخفف من حوادث القتل والاصابات الجسيمة استعمال أحزمة الامان . وقد تبين من

عدد سكان العالم يتضاعف في عام ٢٠٠٦

ويقول الكاتب ان أعلى متوسط للاعمار بين السيدات يوجد فى كل من السويد وهولندا ، فمتوسط عمر كل انثى تولد فى هاتين الدولتين يصل الى ٧٦٫٥ سنة. اما بالنسبة للرجال فاكبر متوسط للاعمار هو فى السويد اذ يصل متوسط عمر كل طفل ذكر يولد هناك الى ٧١٫٩ سنة .

وتوجد ٧ دول فقط يزيد فيها متوسط عمر الرجل عن المراة ، وهذه الدول كلها من افريقيا وآسيا وترتفع فيها نسبة المواليد وكذلك نسبة موت الأطفال .

وعن الزواج تقول الاحصائيات ان نسبة الزواج آخذة فى الهبوط فى كل من المانيا الغربية والنمسا والسويد ، فى حين أن هذه النسبة بدات ترتفع فى كل من كوبا وفرنسا وايطاليا وايرلندا مصر وروسيا .

اما الولايات المتحدة الامريكية فانها تعتبر الدولة الأولى من حيث زيادة نسبة حالات الطلاق والتى تصل هناك الى ٣٫٧ فى الالف من كل حالات الزواج التى تمت فى عام ١٩٧١ . وتلى الولايات المتحدة الامريكية فى الطلاق كل من بورتريكو وكوبا والصحراء الاسبانية والاتحاد السوفيتى الذى تبلغ نسبة الطلاق ٢٫٦ فى الالف .

وان دلت هذه الأرقام على شيء فانما تدل على أن العالم مقدم على مشكلة خطيرة خلال السنوات القادمة . . الا وهى مشكلة توفير الغذاء لهذه الأعداد المتزايدة من البشر .

الاحصائيات والتجارب ان الاصابات الخطرة فى حوادث الاصطدام تزداد بنسبة ٧٠٪ بين الركاب الذين لا يستعملون أحزمة الامان . وقد اثبتت التجارب ايضا ان احزمة الامان تكون فائدتها كبيرة فى حوادث الاصطدام الجانبي .

وتتلخص الدراسات الجارية الان لانتاج سيارة اكثر امانا فى النقاط الاتية :

تدعيم الناحية الامامية من السيارة بحيث لا يؤدى اصطدامها وهي تسير بسرعة اكثر من ٤٠ ميلا فى الساعة الى اصابة قائدها اصابات خطرة ويتم ذلك بتزويد السيارة من الامام ومن الداخل بمواد تساعد على امتصاص الصدمات .

استعمال مواد خاصة غير قابلة للحريق فى داخل السيارة وذلك لوقاية ركابها من خطر الحريق خاصة فى حوادث الانقلاب .

تزويد السيارات بأجهزة رادار تعمل على تعطيل السيارة وايقافها فى حالة اقترابها بدرجه خطرة من السيارة التي امامها .

تصميم نماذج جديدة من ابواب السيارات لا تنفتح او تتحطم اثناء الاصطدامات وبذلك تقلل من خطورة اندفاع الركاب خارج السيارة اثناء وقوع الاصطدام .

تغيير زجاج السيارات المستعمل حاليا بنوع آخر حديث اكثر امانا وصلابة . ■■

الدَّارُ المهْجُورَة

قصة للكاتب الفرنسي
اميل كابوديه
(١٨٣٥ - ١٨٧٣)

■ كان فيكونت مقاطعة بـ .... شابا جذابا دمث الخلق . كان ينعم وهو هادىء البال بدخل سنوى قدره ....ر٣٠ فرنك ، لكن لسوء حظه توفي عمه الذى كان دائما يمقت انفاق المال ، وترك له جميع ثرواته التى تبلغ مليوني فرنك تقريبا .

وبالقاء نظرة في أوراق أعمال عمه علم أنه صار مالكا لدار ذات طوابق عديدة في شارع فكتوريا يبلغ ايجارها ....ر٨٦ فرنك سنويا بعد اخراج ما عليها من ضرائب. قال الفيكونت الكريم لنفسه: « هذا كثير جدا ، كثير جدا . كان عمى قاسيا ، هذه الأجْرُ عالية جدا . اذا حمل انسان اسما كاسمي فلا ينبغي له أن يتصرف تصرف اللصوص، ساعلن تخفيض الايجارات،وسيبارك لي المستاجرون صنعي . »

وبهذه النية الحسنة أرسل الفيكونت الشاب في طلب بواب تلك الدار ، فجاء على الفور وانحنى أمام سيده . فقال الفيكونت له : « انطلق في الحال ، واخبر المستاجرين اني خفضت لهم الايجارات الى الثلثين » ان كلمة « تخفيض » ـ وهي الكلمة غير المسموعة سابقا ـ سقطت كالحجر على رأس برنارد البواب . لكن برنارد افاق بسرعة . انه لم يسمع جيدا ، انه لم يفهم . واخذ يقول متلعثما : « تخفيض الايجارات !! سيدى يمزح .. تخفيض .. سيدى بالطبع يقصد زيادة الايجارات » .

أجاب الفيكونت : « اني لم اكن في حياتي أكثر جدية مني في هذه الساعة يا صديقي . اني قلت واكرر ما قلت : « تخفيض الايجارات . »

عند ذلك زادت دهشة البواب حيرة واضطرابا ، وفقد من شدتها سيطرته على نفسه . قال : « ان سيدى لم يدرس الموضوع ، وسيأسف هذا المساء . تخفيض ايجارات !؟ لم يَسمع بهذا أحد من قبل يا سيدى !؟ اذا سمع النزلاء بهذا فماذا سيقولون عن سيدى !؟ وماذا سيقول الناس المجاورون !؟ حقا ... »



« سيدى بالطبع يقصد زيادة الايجارات». أجاب الفيكونت : « اني لم اكن في حياتي اكثر جدية مني في هذه الساعة يا صديقي . اني قلت واكرر ما قلت : تخفيض الايجارات .

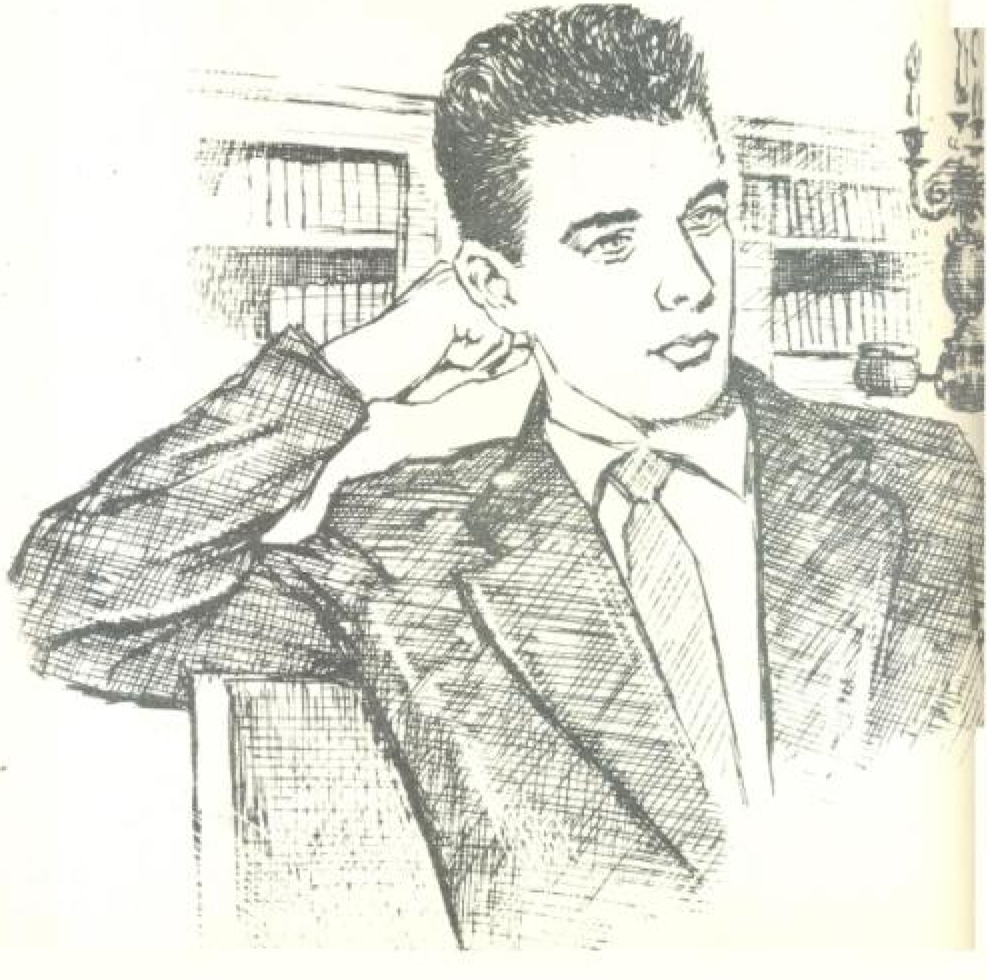
فقاطعه الفيكونت بقوله : « يا سيد برنارد ، يا صديقي ، اني افضل ان اطاع على الفور حينما اعطي امرا ، هل فهمتني ؟ اذهب . »

رجع برنارد مترنحا كأنه سكران ، وقد اضطربت كل افكاره . أكان يقظا ، ولم يكن فريسة حلم مزعج ؟ أكان برنارد ، او كان برنارد شخصا آخر ؟ كان يكرر : « تخفيض ايجـــارات !! تخفيض ايجارات !! ان هذا لا يصدق . لو كان المستأجرون سبق ان تذمروا .. لكنهم لم يتذمروا ، انهم على عكس ذلك ، جميعهم مسددون جيدون آه ! لو علم عمه بذلك لنهض من قبره . ابن اخيه قد جن ، هذا مؤكد . تخفيض ايجارات !! لا بد من ان يمتثل هذا الشاب امام مجلس عائلي . ستكون نهايته سيئة . »

كان برنارد شاحب اللون كثيرا حينما وصل الى غرفته حتى أن زوجته وابنته (اماندا) صاحتا فيه معا : « يا للسماء !! ماذا حدث ؟! ماذا جرى لك ؟! » اجاب بصوت متغير : « لا شيء لا شيء مطلقا .. » فقالت له مدام برنارد : « انك تخدعني . انت تخفي عني شيئا . لا تكتم عني شيئا فاني قوية . ماذا قال لك سيدك الجديد ؟ هل يريد ان يتخلص منا ؟ » اجاب : « ليت الأمر كذلك !! لكن تصوري .. انه قال لي بشفتيه .. هو نفسه قال لي .. آه ! لن تصدقيني مطلقا .. »

« نعم ، نعم ، استمر في الكلام ، ارجوك »

« سيكون لك ذلك . حسنا ، حينئذ قال لي ..



امرني ان اخبر المستاجرين جميعا .. انه خفض ايجاراتهم الى الثلثين !! هل سمعت ؟ خفض ايجارات المستاجرين .. »

لكن لا مدام برنارد ، ولا الآنسة برنارد ،سمعتاه الى النهاية ، انهما صارتا تتلويان من الضحك الشديد ، كانتا تكرران « تخفيض !! ما احسنها من نكتة !! تخفيض الايجارات !! »

الا ان برنارد غضب ، واكد انه ينبغي لهما ان يعاملاه بجد في بيته . حينذاك غضبت زوجته ايضا وتبع ذلك شجار .

قالت مدام برنارد : « ان مسيو برنارد ، بلا شك ، قد استوحى هذا الخيال من كاس خمر.» ولولا ان الآنسة اماندا وقفت حاجزا بينهما لتبادلا الضربات.واخيرا انطلقت مدام برنارد الى الفيكونت لتستطلع الحقيقة .

كان برنارد صادقا . انها باذنيها اللتين زانتهما حلقات كبيرة قد سمعت الكلمة التي لا تصدق . لكنها ـ وهي امراة حكيمة ـ طلبت من الفيكونت قصاصة من الورق بذلك ، لتامن المسئولية .

كان الاب والام والبنت يتجادلون في دارهم طول ذلك المساء . أيطيعون ، ام يجب عليهم أن ينذروا اقرباء هذا المجنون ؟ اخيرا قرروا أن يطيعوا .

في صباح اليوم التالي لبس برنارد احسن ثيابه، وذهب ليعلن الخبر العظيم على جميع المستاجرين. وبعد دقيقتين صارت الدار في شارع فكتوريا في حالة من الاضطراب لا يوصف . النزلاء الذين كانوا يسكنون في طابق واحد لم يكونوا كعادتهم من قبل ، اذ يكرم احدهم الآخر بلمسة قبعة ، لكنهم في تلك الساعة اجتمعوا معا ، واخذوا يتحدثون في الفة كبيرة وبحماس .

« اتعلم يا مسيو ؟ »

« انه امر غير طبيعي تماما . »

« انه لم يسمع مثله ابدا . »

« المالك قد خفض أجرتي . »

« الى الثلثين اليس كذلك . كذلك اجرتي . »

« امر محير !! لا بد انه خطأ من الاخطاء . »

لقد كان كثير منهم في شك برغم من تاكيدات عائلة برنارد وبرغم « قصاصة الورق » كتب ثلاثة منهم بالفعل الى الفيكونت ليخبروه بما حدث ، وينبهوه أن البواب قد فقد عقله . لكن الفيكونت أجاب مؤكدا ما قد قال برنارد لهم . وبعد ذلك لم يعد مجال للشك فبدات التساؤلات :

« لماذا خفض المالك الايجارات ؟! »

« نعم لماذا ؟ » .

« لا بد أن هنالك بالتاكيد أسبابا خطيرة لمثل خطوة كهذه . رجل ذكي ذو ادراك سليم لا يحرم نفسه من مال طيب لغير سبب !! لا بد أن هنالك ظروفا قاهرة أو مريبة . »

كان بعضهم يقول لبعض : « ان هنالك شيئا وراء ذلك كله . »

« لكن ما هذا الشيء ؟ »

كانوا يحاولون أن يتصوروه . واخذ كلهم ، من أسفل الدار الى أعلاها ، يبحثون عن الجواب في اعماق أدمغتهم . وبدا كل نزيل وكأنه مفكر يحاول بكل طاقته ان يحل مسالة مستعصية . وظهرت بلبلة مبهمة في كل مكان كالتي تحدث حينما يجد الانسان نفسه امام غموض رهيب . قال احدهم : « لا بد أن هذا الرجل ارتكب جريمة كبيرة لم تعرف ، وهو الآن يحاول ان يدفع ما عليه من دين للمجتمع . »

وقال آخرون : « انه امر غير مريح ان نعيش هكذا قريبا من رجل شرير !! لا ، ابدا ، حتى ولو كان نادما على ما قد فعل فقد يعود فيفعل أسوأ من فعلته هذه ! !»

وقال آخر : « قد يكون بناء الدار رديئا . »

كل منهم قد عرف شيئا واحدا هو ان الدار بالتأكيد قديمة جدا ، لذلك كان من الضروري ان تسند حينما احتفروا بالوعة في السنة الماضية في شهر آذار .

قال نزيل في الطابق الخامس : « قد يكون السقف متهاويا . » وقال آخر : « أو ربما كانت هناك مكنة تصنع النقود المزيفة في السرداب ، انى اسمع دائما أصواتا غريبة في الليل . » ويرى الآخر ان الدار مملوءة بالجواسيس . ويعتقد رجال الطابق الاول ان المالك ينوي اضرام النار في الدار لكي يكسب من المال مبلغا ضخما من شركة التأمين .

بعدئذ اخذت تحدث أمور غريبة . كانت تسمع في الطابق السادس والطوابق العليا الاخرى أصوات غير مألوفة ، لم يستطع احد ان يعرف ما هي . ثم انه في احدى الليالي ذهبت خادمة لسيدة عجوز في الطابق الرابع لتسرق خمرا من القبو فصادفت شبح المالك المتوفى يحمل باحدى يديه ورقة تسلم مبلغ الايجار .

تحول شعورهم من القلق الى الخوف ومن الخوف الى الرعب . عزم رجل في الطابق الاول كانت له اشياء ثمينة في غرفته ــ ان ينتقل من الدار ، وارسل اشعارا بذلك بواسطة البواب . ذهب برنارد واخبر الفيكونت فاجاب : « حسنا ، دع هذا الغبي يرحل . »

لكن في اليوم التالي اقتدى به رجل في الطابق الثاني مع انه لا يملك شيئا يخشى عليه، ثم آخرون في الطابق الخامس ، ثم اقتدوا بهم آخـــرون وآخرون ، حتى انه لم تحلّ نهاية الاسبوع الا وقد قدم الجميع اشعارا بمغادرة الدار .

كان كل منهم يتوقع نكبة مروعة فلم يعودوا يتذوقون طعم النوم . كانوا يسهرون طول الليل للحراسة جماعات جماعات . واعلن الخدم انهم سيغادرون الدار الملعونة ، ولا يمكثون فيها ابدا ، الا اذا زيدت اجورهم ثلاثة امثالها .

صار برنارد شبحا من شدة الخوف جعله مجرد خيال . وفي نفسه كانت ثلاثة وعشرون اعلاناتارجح في واجهة الدار كل منها يقول : « للايجار » .

كان برنارد يرافق احيانا المستأجرين الجدد الى غرف عديدة قائلا لهم : « بامكانكم ان تختاروا ما شئتم فكل المستأجرين قد قدموا اشـــعارا بالرحيل . انهم لا يعرفون السبب لكن اشياء قد حدثت ، آه !! نعم اشياء . وحدث شيء لم يعرف من قبل المالك قد خفض الايجارات !! » . فكانوا يهربون مرعوبين .

غادر الدار ثلاثة وعشرون نزيلا مع اثاثهم ، فصارت الدار من قعرها الى قمتها خالية . ولم تجد الفئران شيئا تقتات به فغادرتها ايضا . بقي البواب وحده ، وقد شاب من الخوف في غرفته. تقض مضجعه الاحلام المخيفة ، والاصـــوات الكئيبة التي جعلت شعر رأسه ينتصب . وما كانت مدام برنارد تنام خيرا من نومه.وأما (اماندا) فهربت من مسكن والدها . قبلت ان تتزوج حلاقا شابا ما كانت من قبل تطيق رؤيته .

واخيرا،اتخذ برنارد ذات صباح قراره الحاسم، انطلق الى الفيكونت ورمى اليه المفاتيح وهرب . وظلت هذه الدار المشؤومة الواقعةفيشارع فكتوريا مهجورةحتى يومنا هذا ، وقد نبت العشب في فنائها ولم يقصدها مستأجر . وشاع خبر هذه الدار في الحي ، وتأثرت بذلك الدور المجـــاورة من كل جانب فهبطت قيمتها .

تخفيض ايجارات !! من سمع بهذا ؟!

■■

ترجمة : علي حسن الشكرجي

السَّيِّد المسِيح

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى

■ وُلد الرفقُ يومَ مولدِ عيسى … والمروءاتُ والهدى والحياءُ
وازدهى الكون بالوليد، وضاءت … بسَناه من الثرى الأرجاءُ
وسَرَت آيةُ المسيح كما يسـ … ـري من الفجر في الوجود الضياء
تملأ الأرضَ والعوالمَ نورا … فالثرى مائجٌ بها وَضّاء
لا وعيدٌ ، لا صولةٌ ، لا انتقامٌ … لا حسامٌ ، لا غزْوةٌ ، لا دماء

بهذه الروحانية الحبيبة يناجي شوقي حبيبه عيسى المسيح (الشوقيات ٢٦/١) وفي دراستي لشعر شوقي وجدت فيضا من هذا الحب الغامر يتسامى به في نفس روحاني عجيب . اذ هتفت اعماق شوقي وسريرته بامجاد المسيح هتافا خالدا في اكثر من مائة قصيدة . وقد استقر في الطبيعة الانسانية ان من احب شيئا لهج بذكره وكان سمعه وبصره وطابع تفكيره ، بل كان شيئا يتمثل له بكل سبيل . وهذا الاتجاه في شعر شوقي لم يكن وليد صدفة او خاطرة او حادث معين . بل هو مذهب جرى فيه شوقي جريا متصل الحلقات من لدن شدا في الشعر الى ان اكمل رسالته . وسنحاول في هذه العجالة ان نوضح اسباب حبه للمسيح ثم نعرض شعره في ذلك عرضا موضحا .

اسباب حب شوقي للسيد المسيح

١ ـ كان لشوقي نسب ضارب في المسيحية ، ولعل هذا النسب له قبس من روح طبع شعره في هذا الاتجاه .. وقد كشف هو عن هذا النسب حينما قال ان له جدة مسيحية وقعت اسيرة حرب في وطنها (مورة) وهي لم تجاوز العاشرة ، فنشأت مسلمة وتبناها الملوك . وقال شوقي انها نالت الخير باسلامها ، وذلك في قصيدته (يرثي جدته) حيث يقول : (٣٩/٣) .

تَبِعْتِ محمدا من بعد عيسى … لخيرك في سنيك الأُولَيَات

٢ ـ روح التسامح التي اتسم بها شوقي في شعره ، يذكيها شعوره الوطني نحو مصر ـ وكثير من اهلها اقباط ـ فمصر مسلمين واقباطا ، امة واحدة بين عناصرها من صلات الود والمجاملة ما يقتضي التقديس لتعاليم المسيح . يقول في قصيدة « بطرس غالي باشا » : ١٥٤/٣ .

أعهدتَنا والقبطَ إلا أمةً … في الأرض واحدةً تروم مَراما
نُعلي تعاليمَ المسيح لأجلهم (١) … ويوقِّرون لأجلنا الإسلاما

(١) العربي : اخطأ شوقي واخطأ صاحب المقال ، فمسلمو مصر يحبون المسيح ويوقرون المسيح ، لانه نبيهم ، وجزء لا يتجزء من عقيدتهم ، وقرآنهم رفع عيسى عليه السلام الى مراتب لم تبلغها مراتب في الارض أو في السماء . وشوقي ما استطاع أن يرفع عيسى عليه السلام فوق ما رفعه القرآن . فعيسى ليس للمسيحيين وحدهم ، انه للمسلمين نبي كريم .

في شعر شوقي

"هتف شوقي بأمجاد عيسى، عليه السلام، في أكثر من مائة قصيدة"

الدينُ للديان جلَّ جلالُه
لو شاء ربُّك وحَّد الأقواما

٣ – نفوره من العصبية الدينية وما جرته على مصر من تدخل الاجانب واعتقاده ان العامل الاول في الاديان هو الوراثة لا البحث والاختيار. يقول في قصيدته (جورجي زيدان) ١٣٥/٣ .

لا تجعلوا الدينَ بابَ الشر بينكمُ
ولا محلَّ مباهاةٍ وإدلال
ما الدينُ إلا تراثُ الناس قبلكمُ
كل امرئٍ لأبيه تابعٌ تال

٤ – تعظيم شوقي للحقيقة المجردة ، وان ملوك هذه الحقيقة هم الانبياء ، فهم لهـذا جديرون بالحب المطلق الخالص . لهذا نراه يكثر من الهتاف بالانبياء في شعره ، لا سيما محمد والمسيح . يقول في قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل): ٢٦/١ .

إنما الأرضُ والفضاءُ لربي
وملوكُ الحقيقةِ الأنبياءُ
لهم الحبُّ خالصاً من رعايا
هم ، وكلُّ الهوى لهم والولاءُ
إنما ينكر الدياناتِ قومٌ
همْ بما ينكرونه أشقياء

٥ – كان عيسى مثالا للرحمة ، وكانت مريم مثالا للطهر ، وقد تغنى شوقي بهذين ورأى في المسيح وامه اعلى مثل ، لذلك يقول مخاطبا عيسى عليه السلام في قصيدته (الاندلس الجديدة) ٢٣٩/١ .

عيسى سبيلك رحمة ومحبة
في العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امرءاً
هان الضعاف عليه والأيتام

ويقول عن مريم والمسيح في قصيدته (ابو الهول) ١١٦/١ :

وآنستِ موسى وتابوتَه
ونورَ العصا والوصايا الغُرَرْ
وعيسى يلُمُّ رداءَ الحيا
ء ، ومريمَ تجمع ذيلَ الخَفَرْ

وفي قصيدة (ايها النيل) : ٧٦/٢ .

وصلاةُ مريمَ فوق زرعك لم يزل
يذكو لذكراها النباتُ ويَسْمُقُ
وخُطا المسيح عليك رُوحاً طاهرا
بركاتُ ربك والنسيمُ الغَيْدَقُ

عرض اشعاره في السيد المسيح

تلمس شوقي كل سبيل للحديث عن السيد المسيح ، واستطاع ان يخضع القول اخضاعا في رؤيا شعرية ساحرة ، فهو يتحدث عن البتول والانجيل وطب عيسى وميلاده واقباط مصر ومسيحيي الغرب ، حتى في هدايا بابانويل في عيد

الميلاد لا ينسى الهتاف بالمسيح وهو يتحدث عن لعبة ابنته (امينة) . ولو ذهبنا نعدد المناسبات مجردة لطال بنا القول . ولكننا سنتناولها مفصلة مشفوعة بالدليل :

السيدة مريم

اولا : اما حديثه عن العذراء مريم فقد كثر في مناسبات مختلفة وسمات متعددة ، فهو يتحدث عن مجد ايا صوفيا وكيف كانت كنيسته حافلة بتماثيل مريم والمسيح ثم صارت الى مسجد . قصيدة (مسجدآياصوفيا) ٢٧/٢ :

كنيسةٌ صارت إلى مسجدِ
هدية السيد للسيد
كانت لعيسى حرَماً ، فانتهتْ
بِنُصْرة الروح إلى أحمدِ
كانت بها العذراءُ من فضة
وكان روحُ الله من عسجد
عيسى من الأم لدى هالة
والأمُّ من عيسى لدى فرقدِ
جلاَّهما فيها وحلاّهما
مصوِّرُ الروم القدير اليد

وهو يصور ما كان للعذراء من مهابة وجلال فيقول في قصيدته (كوك صو) ٦٢/٢ :

كأن الخُوْدَ مريمَ في سُفورٍ
وراَئيها حواريٌّ وقسٌّ
تَهيَّبهَا الرجالُ فلا ضمير
يهم بها ولا عين تحس

ويتحدث عن مصر فيقول انها كانت ملجأ البتول في وقت ضيق ، وان ابن مريم جرّ فيها بردته ، وذلك في قصيدة (مصر) ٩٥/٢ :

ملعبٌ مثَّل القضاءُ عليه
في صِبا الدهر آيةَ الصِّدِّيق
وانتحاهَ الكليم آنس نارا
والتجاء البتول في وقت ضيق

ويقول في قصيدة (تحية المؤتمر الجغرافي) ٢٨٢/١ :

عيسى ابن مريم فيها جر بردته
وجر فيها العصا موسى بن عمرانا

حتى وهو في مسراته ومتعه لا ينسى ان مريم الطهور تصان لاجلها الفتيات المسيحيات . يقول في قصيدته (لبنان) ١٨٨/٢ :

قد جاءَ من سِحْرِ الجفون فصادني
وأتيت من سحر البيان فَصدتُب
لما ظفرتْ به على حَرَمِ الهوى
لابنِ البتول وللصلاة وهبتُه

ويتحدث عن العفة وسماحة النفس فيرى ان الرياضة النفسية تقتضي ان يشفق الانسان على حساده ويستغفر لعداته كما كان ابن مريم ،وذلك في قصيدته (الى عرفات) ٩٢/١ :

ولابتَّ إلا كابن مريم مشفقا
على حُسَّدى ، مستغفرا لعداتى

ويتحدث عن الصليب الاحمر فيوصيه ألا يحيد عن سبيل المسيح وامه في بث الرحمة والحنان على ضحايا الحرب :

واجعل وسيلتكَ المسيحَ وأمَّه
واضرعْ ، وسَلْ في خلقه الرحمانا
اللهُ جارُكَ من عَوانٍ لم تَهب
لله لا بيَعا ولا صُلبانا ! !

ثانيا ـ اما حديثه عن الانجيل والصلب والكنيسة والنواقيس والرهبان فقد فاض وتنوع ، اذ تلمس له كل سبيل ليشبع حاجة نفسه . تحدث عن شكسبير فطرق كثيرا من هذه المظاهر الدينية المسيحية .

أو قصة ككتاب الدهر جامعة
كلاهما فيه إضحاك وإبكاء

مهما تمثل تر الدنيا ممثلــــــة
أو تُنْلَ ، فهى من الإنجيل أجزاء

وهو يتحدث عن المعابد التى تقلبت بها الدهور والسياسات بين المسيحية والاسلام ، فمن كنائس صارت الى مساجد كما ذكرنا سابقا ، ومن مساجد صارت الى كنائس كما حدث في الاندلس بعد سقوط الدولة الاسلامية بهاحيث يقول في قصيدة (الرحلة الى الاندلس) ٢/٥٨ :

ورقيق من البيوت عتيـــــق
جاوز الألف غيرَ مذمـوم جرْس
أثرٌ من محمدٍ ، وتـــــراثٌ
صار للروحِ ذى الـولاء الأمس

وهو يناجى فؤاده ويذكر ايام لهوه وصباه ، فيقول ان فؤاده كان يهزه بالشوق والصبابة . اما الآن فهو يهزه باسباب الوقار والخشوع كما يهز الناقوس النساك ، وذلك في قصيدة (زحلة) ٢/٢٢٤ :

لم تبقَ منا ــ يافؤاد ــ بقيــــــةٌ
لفتُوّةٍ ، أو فَضْلةٌ لعـــــراك
كنا إذا صفقْتَ نستبقُ الهوى
ونشدُّ شدَّ العصبةِ الفتـــاك
واليــوم تبعث فيّ حين تهـزنى
ما يبعـث الناقوس فـى النُّســاك

اما الرهبان فهم شيوخ اطاعوه في الله فاذعن الملوك والرؤساء لما رسموا ، وان اهل ثيبة (العاصمة المصرية القديمة) احسنوا لقياهم واخلوا عنهم سر العبادة فى دين المسيح . يقول في (كبار الحوادث في وادى النيل) جـ ١ ص ٧٦ :

وأطاعتْه في الإلـــه شيــوخٌ
خُشّعٌ خُضّع لــــه ضعفـــاءُ
أذعن الناسُ والملوكُ إلى مـــا
رسموا ، والعقــولُ ، والعقلاء

فلهـم وقفــةٌ على كــل أرض
وعلى كل شـاطئٍ إرســاءُ
دخلــو (ثيبـــةً) فــأحسن لقيا
هم رجالٌ بثيبةٍ حكمـــاءُ
فهموا السرَّ حـين ذاقـوا ، وسهلٌ
أن ينال الحقـائقَ الفهمــاءُ
فإذا الهيــكل المقــدس ديــرٌ
وإذا الديـــرُ رونـقٌ وبهـــاء
وإذا ثيبةٌ لعيسى ، ومنفيـــــ
ـسُ ونيـــلُ الثـراء والبطحاءُ

ويتحدث عن القرآن الكريم وكيف انه نسخ التوراة وان الانجيل تخلف عنه وهو ذكاه . قصيدة الهمزية جـ ١ ص ٣٥ .

نسخت به التوراة وهــى مضيئـة
وتخلــف الإنجيــلُ وهو ذكــاء

بل هو يتخذ من المرافق والمنشات عند الفريقين وسيلة لمزج الحديث والربط بين ما للفريقين من اسباب الحياة ، ويدعو جبريل ان يرعى الصليب كما كرم الهلال ، وذلك في قصيدته (الهــلال والصليب الاحمران) جـ ١ ص ٢٩٥ :

وزد الهلال مـن الكــــرا
مــة ، والصليب من الرعــايه
فهما لربــك رايــــــةٌ
والحــرب للشيـطان رايــه
لم يخلــق الرحمــن أكـــ
ــثر منهمــا فــى البرِّ آيــه
لو خيّمــا فــى كربَــلا
لم يمنــع السِّبـطُ السقايــه
لو أدركا يــوم المســـــ
ــيح لعاونـــاه على النكايـــه

وهو يرثي رياض باشا فلا ينسى ان يتحدث عن مائدة المسيح ، وذلك في قصيدة الرثاء جـ ٣ ص ١٦ :

مائدة المسيح ليوم بؤس
حواليها وتقعد بائسات

وهو في ذكرى هيجو يشبه بيانه بالانجيل بصور مدى تأثيره فيقول في قصيدة الذكرى جـ ٣ ص ٧٨ :

ولقلت : يا قوم ، انظروا إنجيلكم
هل فيه من قلم الفقيد سطور

وهو في رثائه لتولستوي الروائي الروسي الشهير الذي تنازل عن ماله الجم ليساوي نفسه بالفقراء، بصور كتبه اناجيل، ذاهبا الى ان رواياته ومؤلفاته كانت اناجيل الثورة الروسية :

ويندب فلاحون انت منارهم
وأنت سراج غيبوه ، منير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضا
عليهم ، وتغشى دورهم ، وتزور
أيكفر بالاناجيل من تلك كتبه
أناجيل فيها منذر وبشير

وهو يوازن بين ارغن الدير والاذان فيجعل هذا قسيم ذاك حين يتحدث عن جورجي زيدان جـ ٣ ص ١٣٦ :

كأرغن الدير إكثارى وموقعه
وكالأذان على الأسماع إقلالى

وكان شوقي في زحلة حينما بلغه نعي سعد زغلول باشا ، فمحا النعي اعراس زحلة ودقت نواقيس بيعتها ونصب المأتم ديرها :

سائلوا زحلة عن أعراسها
هل مشى الناعي عليها فمحاها
فتح الأبواب ليلا ديرها
وإلى الناقوس قامت بيعتاها

وفي عيد الميلاد حيث تظهر في المجتمع هدايا بابانويل يتحدث عن لعبة ابنته امينة فيقول :

صغار بحلوان تستبشر
وروبتها الفرح الأكبر
تهز اللواء بعيد المسيح
وتحييه من حيث لا تشعر

ثالثا : طب عيسى ورحمته وحنانه ومحاسنه :ـ

ورد في وصف المسيح صورة تاريخية قديمة قيل انها كتبت في عصر الميلاد ، وكاتبها بيليوس حاكم الجليل من قبل الدولة الرومانية ليرفعها الى مجلس الشيوخ الروماني ، وفيها يقول : « انه في هذا الزمن ظهر رجل له قوى خارقة يسمى يسوع ، ويدعوه تلاميذه بابن الله ، وكان للرجل سمت نبيل وقوام بيّن الاعتدال ، يفيض وجهه بالحنان والهيبة معا ، فيحبه من يراه ويخشاه . شعره كلون الخمر منسرح غير مصقول ولكنه في جانب الاذن أجعد لماع . وجبينه صلت ناعم وليس في وجهه شية غير انه مشرب بنضرة متوردة . وسيماه كلها صدق ورحمة . وليس في فمه ولا انفه ما يعاب . وعيناه زرقاوان تلمعان. مخيف اذا لام او انب . وديع محبب اذا دعا وعلم . لم يره احد يضحك ، وراه الكثيرون يبكي. وهو طويل له يدان جميلتان مستقيمتان . وكلامه متزن رصين لا يميل الى الاطناب . وملاحته في مراه تفوق المعهود في اكثر الرجال .. » (عبقرية المسيح للعقاد ص ٩٢) .

وسواء اصحت هذه الرواية أم لم تصح ، فان شاعرنا شوقيا قد التقى معها في جوهرها من وصف السيد المسيح . فعيسى عنده له محاسن ذات سمت وجمال ، وهو رمز للرحمة والحنان كما قال عنه القرآن الكريم . لم يجد شوقي تمجيدا لشعر شكسبير اعظم من أن يقول عنه :

وكل معنى كعيسى في محاسنه
جادت به من بنات الشعر عذراء

ويقول مخاطبا توت عنخ آمون واصفا له بالهيبة والجلال في قصيدته عنه جـ ١ ص ٢٧٦ :

خرجت من القبور خروج عيسى
عليك جلالة في العالمينا

ويقول في قصيدة (يا شراعا وراء دجلة يجرى) :

سرْ على الماء كالمسيحِ رويـــــدًا
واجرِ في اليم كالشعاع الهـــادى

لقد اكثر شوقي من الحديث عن طب عيسى ، وجلى ذلك في صور مختلفة . فهو يخاطب حاكم البلاد في قصيدته عن الازهر جـ ١ ص ١٥٦ حيث يقول :

نظرًا وإحسانا إلى عُمْيانـــــــه
وكن المسيحُ مداويـًا ومجبّـــرا

والله لا تدرى. لعل كفيفَهـــم
يوما يكون أبا العلاء المبصـــرا

ان تقدم العلم في هذا العصر يطب الامم ، فان قرن بالاخلاق تذللت العلا بهما الصعاب . وكان العلم كالمسيح يرد الحياة الى الموتى . يقول في ذكرى المولد جـ ١ ص ٥٦ :

فإن قُرِنَتْ مكارمُهـــا بعلـــم
تذللت العـــلا بهمـــا الصعابا

وفي هذا الزمان مسيـــحُ علـــم
يردُّ على بنى الأمم الشبـــابا

ولما ذهب الوفد المصرى لمفاوضة (ملنر) على اثر ثورة ١٩١٩ قال شوقي في قصيدة (مشروع ملنر)جـ ١ ص ٦٨ يخاطب اعضاء الوفد المصرى :

بنى الألى أصبـــح إحسانهُم
دارت رحى الفن على قطبــــه

موسى وعيســـى نشآ بينهــم
في سعة الفكر وفـــى رُحْبـــه

وعالجـــا أول ما عالجـــا
من علل العــــالم أو طبـــه

وسيدنا محمد صلوات الله عليه احيا امما واجيالا بشريعته الهادية ، واخوه عيسى عليه السلام دعا الميت فقام له . جاء في قصيدة (نهج البردة) جـ ١ ص ٢٠٩ :

اخوك عيسى دعـــا ميتـًا فقام له
وأنت أحييت أجيالا من الرمـــم

والصليب الاحمر ما هو الا بنان المسيح قد وكل به الشفاء . يقول في قصيدته عنه جـ ١ ص ٢٨٤ :

والمس ُ جراحاتِ البريـــة شافيـــا
ماكنـــت إلا للمسيـــح بنانـــا

والدستور يداوى البصائر كما داوى عيسى الابصار ، قال يخاطب حاكم مصر في قصيدة توت عنخ آمون جـ ١ ص ٢٧٩ :

فَداوِ به البــصائرَ فهو عيســى
وفُلْكٌ براحتيــه المُقْعَدينــا

وهذه البيع والكنائس التي عزت وطالت ، كم سيختال فيها عامل طليح، وكم سمل القسوس بها عيونا :

ورُبّــة بيعةٍ عـــزت وطالـــت
بناها الناس أمس مسخّرينـــا

مشيدةٍ لهـــادى العُمْى عيســى
وكم سمل القسوسُ بهـــا عيونا

ولما نال صديقه نابغة الطب الدكتور على ابراهيم رتبة الباشوية سنة ١٩٣٠ قال يهنئه جـ ٤ ص ٦٥ :

أنامل مثلُ بنـــان المسيـــح
أواسي الجراح مواحي النـــدُب

وعيسى رمز البر الذى اجمع عليه الناس . فلما تركهم عيسى تفرقوا فيه حتى جاءهم محمد صلوات الله عليه . (ذكرى المولد) جـ ١ ص ٦٤ :

تفرقَ بعد عيسى الناسُ فيــــه
فلما جـــاء كان لهـــم متابـــا

امة المسيح

رابعا : امة عيسى – لشوقي في السياسة شعر تقريري يرتكز على دعائم نابعة من السياسة واحداثها ومن حركة التاريخ ، فهؤلاء الاوربيون من امة عيسى هم هؤلاء الذئاب الذين نهشوا لحوم البشرية المعذبة في الحروب الصليبية ، وفي الاستعمار الدامي وفي الحروب العالمية المعماة ، مع ان عيسى لم يكن سفاك الدماء ، ولا يهون عليه الضعاف والايتام . قال في قصيدته (الاندلس الجديدة – مدينة ادرنة وقد تغلب عليها البلغار سنة ١٩١٢) ج ١ ص ٢٣٩ :

عيسى ، سبيلُك رحمةٌ ومودة
في العالمين ، وعصمةٌ وسلام
ماكنت سفاكَ الدماء، ولا امرءاً
هان الضعافُ عليه والأيتام
يا حامل الآلام عن هذا الورى
كثرت عليه باسمك الآلامُ !
أنت الذى جعل العبادَ جميعهم
رحماً ، وباسمك تقطع الأرحام !
أنت القيامة في ولاية يوسف
واليوم باسمك مرتين تقام !
واليوم يهتف بالصليب عصائبٌ
همْ للإله ورُوحهِ ظُلاّم !
خلطوا صليبَك با لخناجر والمدَى
كلٌ أداةٌ للأذى وحِمام
أوَ ما تراهم ذبَّحوا جيرانهم
بين البيوت كأنهم أغنام ؟

فمن امة عيسى شعوب يمحون آيته في الرفق والسلام ثم يتشدقون بشان عيسى فكانما يعزون اكفانه ويهينون انسانه . قال وهو يتحدث عن روما مقر البابوية العالية :

بلدٌ كان للنصارى مَناراً
صار مُلك القسوس ، عَرشَ الديانه
وشعوبٌ يَمحون آيةَ عيسى
ثم يُعلون في البريةِ شانه
ويُهينون صاحب الروح ميتا
ويُعزون بعده أكفانه

نعم ما كان يليق باتباع عيسى رمز الحنان ان يكونوا جفاة سفاكى دماء . قال في قصيدته (نجاة) يهنىء الخليفة لما نجا من قنبلة القاها عليه نصارى الارمن سنة ١٩٠٥ :

تبرأ عيسى منهمو وصِحابُهُ
أأتباع عيسى ذى الحنان جفاةُ

ولم هذا التعصب الديني الذى جر على البلاد الويلات وكاد يهدد الوحدة الوطنية . ان الجهل هو الذى مد فيه النزاع . قال في قصيدته وداع وفراق – الاستانة :

أدارَ محمدٍ ، وتراث عيسى
لقد رضياك بينهما مَشاعا
فهل نبذ التعصبَ فيك قومٌ
يمد الجهلُ بينهم النزاعا
أرى الرحمنَ حصَّن مسجدَيْه
بأطول حائط منك امتناعا
فكنتِ لبيته المحجوج ركنا
وكنت لبيته الأقصى سِطاعا
نظرتُ على السماء مكانَ عيسى
فلم أر بيننا إلا ذِراعا

وهؤلاء الاتباع – اتباع عيسى – كمَنَ الغدر في

طبيعتهم ، ولم تعد لمواجهتهم سوى التفرق والانحلال .

أشياعُ عيسى أعدوا كل قاصمة
ولم نُعِدّ سوى حالات منفصم

مع ان المسيحية كم شربت كئوس الظلم من شهوات الظالمين ، شهداؤها كثيرون وضحاياها عديدون . قال في قصيدة (نهج البردة) جـ ١ ص ٢٠٩ :

سل المسيحيةَ الغراءَ كم شربت
بالصاب من شهوات الظالم الغَلِمِ
طريدةُ الشركِ يؤذيها و يوسعها
في كل حين قتالا ساطع الحَدَمِ
لولا حماةٌ لها هبوا لنصرتها
بالسيف ما انتفعت بالرفقِ والرحم
لولا مكان لعيسى عند مُرسلِه
وحرمةٌ وجبت للروح في القِدَم
لَسُمِّرَ البدنُ الطهرُ الشريف على
لوحين ، لم يَخْشَ مؤذيه ولم يجم
جلَّ المسيح ، وذاق الصلبَ شانئُه
إن العقاب بقدر الذنب والجُرُم
أخو النبيِّ وروحُ الله في نُزُلٍ
فوق السماء ، ودون العرش ، محترم

اما امة عيسى في مصر ــ وكان شوقي من اعظم دعاة الوحدة الوطنية ــ فقد توحدت هي وامة محمد بفضل ابوة النيل من قديم . يقول في قصيدته (يا شباب الديار) جـ ١ ص ١٩٧ :

إنما نحن ، مسلمين وقبطاً ،
أمةٌ وُحِّدت على الأجيال
سبق النيلُ بالأبوة فينا
فهو أصلٌ وآدم الجدُّ تالي
ما تحلى بكم يسوعُ ، ولا
كنا لطه ودينه بِجمَال
وإلى الله من سعى بصليب
في يديه ، ومن مشى بهلال

كما يقول في قصيدة اخرى :

ألم نك من قبل المسيح ابن مريم
وموسى وطه نعبد النيل جاريا
فهلا تساقينا ــ على حبه ــ الهوى
وهلا فديناه ضفافا وواديا ! ؟
ومازال منكم أهلُ دينٍ ورحمة
وفي المسلمين الخيرُ مازال باقيا

خاتمة

هذا هو المسيح في شعر شوقي . جلوناه في هذا البحث اكتسابا من خضم شوقي الزاخر . والحق ان (شوقي) غزير الشعر في الانبياء بصفة عامة. ولكنه خص عيسى عليه السلام بهذا الفيض الذى يعد مثار عجب في الواقع . فلم اجد فيما قرات من الشعر من يجارى (شوقي) في هذا الغرض . ولو كد شعراء المسيحية قرائحهم فيه ما اتوا بما اتى به شوقي . وهذه ولا شك احدى عجائب شاعرنا العظيم .

احمد عبد الرحمن عيسى
الهرم ــ مصر

طرائف

النميمة

● قال عطاء بن السائب : قدمتُ من مكة ـ بعد ان حضرت الموسم ـ فلقيني الشعبي ، فقال : « يا ابا زيد ، اطرفنا مما سمعت ». قلت : « سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط يقول : لا يسكن مكة سافك دم ، ولا آكل ربا ولا مشاء بنميم » . فعجبت منه حين عدل النميمة بسفك الدماء ، واكل الربا ، فقال الشعبي : « وما يُعجبك من هذا ؟ وهل تسفك الدماء وترتكب العظائم الا بالنميمة ؟ »

مدح

● كان خالد بن صفوان ـ على فضله ، وعلو شانه ـ احدَ البخلاء المعدودين ، روى انه اكل يوما جبنا وخبزا ، فرآه اعرابي فسلم عليه ، فقال خالد : « هلم الى الخبز والجبن فانه حِمْضُ العرب ، وهو يسيغ اللقمة ويفتق الشهوة ، وتطيب عليه الشهوة » ، فاخذ الاعرابي ياكل حتى لم يبق منه شيئا . فقال خالد :

سياسة

❋ لما قتل مصعب بن الزبير في حربه مع عبد الملك بن مروان ، وتصافق الجيشان ، قال عبد الملك بن مروان لاحد المقربين من مصعب ما خذل مصعبا الا صحبه ، ان اكثرهم قد راسلونا وعرضوا الطاعة علينا . وكانت رسائلهم تنهال علينا كل يوم . فقال الرجل يا امير المؤمنين : ان كثيرا من صحبك قد كتبوا الى مصعب بمثل ذلك ورسائلهم محفوظة عندنا . فقال عبد الملك : ائتني بها فجاء الرجل بصرة قراطيس وقال : هنا ما يعلمك بكل خفايا رجالك يا امير المؤمنين ، فسكت عبد الملك واطرق هنيهة ثم رفع راسه ، وقال : يا غلام الى بشيء من النفط والنار ، فلما احضروا ما اراد امر بحرق الصرة دون ان تفتح ، ولما اصبحت رمادا امر بها فذريت في الهواء وقال عبد الملك لا خائن في جيش عبد الملك .

★ ★ ★

بنو عذرة والحب

● اشتهرت قبيلة بنى عذرة في الحجاز بالحب العذرى ، ومن اشهر شعرائها العشاق ، جميل ابن معمر الذى احب بثينة فصار يضاف اليها فيقال : جميل بثينة ، ومنها عروة بن حزام وصاحبته عفراء ، وقد قيل لاعرابي من العذريين :« ما بال قلوبكم كانها قلوبُ طير ، تذوب كما يذوب الملح في الماء .. اما تتجلدون ؟ » فقال الاعرابي :« انا ننظر الى محاجر اعين لا تنظرون اليها » .

وقيل لاعرابي آخر ممن انت ؟ فقال : « انا من قوم اذا احبوا ماتوا » فقالت جارية سمعته : « عذرى ورب الكعبة » .

عربيـــة

وذم

« يا جارية زبدينا خبزا وجبنا . » فقالت : « ما بقي عندنا منه شيء » . فقال خالد : « الحمد الله الذى صرف عنا معرته ، وكفانا مؤنته ، والله انه ما علمته ليقدح في السن ، ويخشن في الحلق ، ويربو في المعدة ، ويعسر في المخرج » ، فقال الاعرابي : سبحان الله ، والله ما رايت قط قرب مدح من ذم اقرب من هذا . »

من الغاوين

● نظر طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك قط في انهم ذاهبون الى وليمة ، فاتبعهم ، فاذا هم شعراء السلطان جاءوا بمدائح لهم . فانشد كل منهم شعره ، واخذ جائزته ، ولم يبق الا الطفيلي ، وهو جالس ساكت . قيل له : انشد شعرك يا اخا العرب . فقال : لست بشاعر . فقيل له : اذن فمن انت ؟ فقال من الغاوين الذين قال الله تعالى في حقهم : « والشعراء يتبعهم الغاوون » ، فضحك منه السلطان واجازه .

المنافقــون

● اقبل عيينة بن حِصْن الى المدينة قبل اسلامه ، فلقيه ركب خارجون منها ، فقال : اخبروني عن هذا الرجل (يعني النبي صلى اللهعليه وسلم) فقالوا : الناس فيه ثلاثة رجال : رجل اسلم فهو معه يقاتل قريشا وافناء العرب (اى اخلاطهم) ، ورجل لم يسلم فهو يقاتله ، ورجل يظهر الاسلام اذا لقي اصحابه ، ويظهرلقريش انه معهم اذا لقيهم ، فقال عيينة : ما يسمى هؤلاء ؟ قالوا ، المنافقون . قال : فاشهدواانى منهم ، فما فيمن وصفتم احزمُ من هؤلاء . .

صخر وزوجته

● خرج صخر بن الشريد (اخوالخنســـاء) في غزوة فقاتل فيها قتالا شديدا ، فاصابه جرح كبير فمرض وطال به مرضه زمنا ، وحدث ان قال احد عوادة يوما لامراته سلمى : « كيف اصبح صخر اليوم ؟ » قالت : « لا حيا فيرجى ولا ميتا فينسى » . فسمع صخر كلامها فشق عليه ذلك . فقال لها : « انت القائلة كذا ؟ » قالت : « نعم غير معتذرةاليه » . ثم قال عائد آخر لأمه كيف اصبح صخر اليوم ؟ فقالت : « اصبح بحمد الله صالحا ، ولا يزال بحمد الله بخير ، ما رأينا سواده بيننا » . فقال صخر :

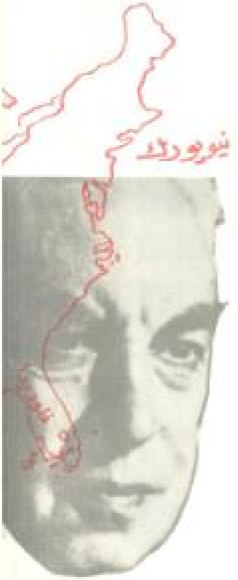
اري امَّ صخر ما تملُّ عيادتــي ... وملّت سُليمى مضجعي ومكانــي
وما كنت اخشى ان اكون جنــازةً ... عليك ، ومــن يغترُّ بالحدثــان ؟
فاى امرىء ســاوى بام حليلــة ... فــلا عــاش الا في اذى وهــوان

فلما افاق من مرضه عمد الى سليمى فطلقها ، ثم نكس من طعنته فمات .

كتاب الشهر

بالأمس البعيد

أطلقت أمريكا في العالم الحديث أول رصاصة للحرية



واليوم

تطلق أمريكا في العالم ألف رصاصة لخنق الحرية

لمؤلفه المؤرخ البريطاني : أرنولد توينبي

عرض : محمود محمود

■ كلنا نلمس أن موجة السخط على جميع الأوضاع السائدة في نظام الحكم ، وفي تقاليد المجتمع ــ تعم العالم اليوم . أكثر أهل الأرض غير راضين عن توزيع الثروة على أفراد الشعب وطبقاته المختلفة ، فهناك كثير من الأحيان فوارق شاسعة لا يبررها عقل ولا منطق ، ولا تستند الا على ماض أصبح لا بد أن يتغير .

والشباب في كل الأمم يتذمر من تحكم الشيوخ فيه بآراء يراها عتيقة بالية ، لم تؤد عنده حتى الآن الى خير البشرية وسعادتها .

والشعوب المستعمرة بانت على وعي شديد بأن شعوبا أخرى أكثر منها تقدما في علومها ومستواها الاجتماعي تستغلها لمصلحتها ، فتعمق بذلك الفوارق بين الشعوب النامية والشعوب التي نمت .

والملونين يحسون التمييز العنصري بينهم وبين البيض في كثير من مجالات الحياة . والنساء يرين أن الرجال قد سلبوهن حقوقهن الاجتماعية والسياسية على مدى القرون السابقة ، وقد حان الحين عندهن لكي تتغير الأوضاع .



هناك سخط شامل على جميع الاوضاع ادى الى ثورة في الفكر والعمل تدعو الى الانتقال الى مرحلة جديدة من العلاقات بين الامم والافراد . ولـو حللنا الدوافع الى الثورة في كافة المجالات لوجدناها كلها تدور حول محور واحد ، هو الرغبة في التحرر . بل ان التاريخ كله منذ بدايته يسير بدافع من رغبة الانسان في تحقيق حريته الكاملة . وقد عرفنا في الماضي ثورات متعددة نشبت هنا وهناك ، غير ان ثورة واحدة هي التي يمكن ان توصف بانها « عالمية » لان اثرها انتشر في جميع ارجاء العالم ، تلك هي ثورة القرن الثامن عشر التي بدات في امريكا باعلان الاستقلال ، ثم كان لها صداها في اوربا وآسيا وعدد كبير من البلدان الاخرى .

ونحن نحس اننا نخوض اليوم ثورة عالمية اخرى ، هي الثانية في التاريخ ــ ولا اقصد بالثورة تغيير نظام الحكم من ملكية الى جمهورية ، او من حاكم الى آخر ، وانما اقصد قلب الاوضاع ، واحداث التغيير في مختلف اوجه النشاط البشري والعلاقات الانسانية . ولا اقصد بالثورة ما يقوم في بلد واحد دون ان يكون له اثره في البلدان الاخرى . وانما اعنى الثورة التي يحسها كل انسان في كل مكان كثورة الشعوب المستغلة على الشعوب المستغلة ، او ــ بصورة اعم ــ ثورة الفقراء على الاغنياء .

كتاب جدير بالذكر

ولقد وقع بين يدي كتاب لمؤلفه المؤرخ البريطاني المعروف ارنولد توينبي عنوانه : « امريكا والثورة العالمية » .

ويحتوى الكتاب على ثلاث محاضرات القاها توينبي في جامعة بنسلفانيا بامريكا في العام الدراسي ١٩٦٢/١٩٦١ وعبر عن رايه في صراحة تامة وبغير تحفظ .

وبين لنا توينبي في محاضرته الاولى ان امريكا كانت قائدة الثورة العالمية عندما اعلنت استقلالها في القرن الثامن عشر ، وعندما كانت اوربا تعيش في رخاء نسبي اذا قيس الى جهاد الفلاحين النازحين الى امريكا الذين كانوا يجاهدون في سبيل اصلاح الارض والتخلص من الفقر والعوز . اما بعد ان حقق المهاجرون الى امريكا مستوى رفيعا من العيش ، واستخرجوا كنوز الارض من بطونها ، فقد تحولت امريكا من بلد يدعو الى الحرية ، ويثور من اجلها ، ويصدر الثورة الى غيرها من البلاد ــ الى بلد غني محافظ حريص على ما يملك وعلى مستوى معيشته المرتفع ، حتى لو كان ذلك على حساب المستويات في الشعوب الاخرى .

ثم ياخذ توينبي في المحاضرة الثانية في تحليل ونقد السياسة الامريكية الخارجية ، ويشرح العزلة الثقافية والاجتماعية التي يعيش فيها الامريكان منفصلين عن الشعوب الاخرى ، غير متعاطفين معها او شاعرين بمشكلاتها .

وفي المحاضرة الثالثة يقول توينبي ان « رخاء امريكا » هو العائق الاكبر في سبيل انخراطها في سلك البشرية العام الذي يتميز بالفقر والحاجة . ولكي تهبط امريكا عن هذا المستوى المرتفع الذي تستقر فيه ، ينبغي لها ان تقلع عن سياسة الاكثار من انتاج السلع الاستهلاكية ، والاعلان عنها ، بما يغري الناس بشرائها ، سواء كانت تدعو اليها ضرورة او لم تكن . ويحث امريكا على التخلي عن سياسة الترف والبذخ ، ويشير عليها بان تستبدل بهدفها المادي المحض هدفا روحانيا انبل واسمى .

تفصيل المحاضرات الثلاث

واعود بشيء من التفصيل الى مضمون هذه المحاضرات الثلاث لمزيد من الايضاح . يقول توينبي ان ما ترتكبه امريكا اليوم من اخطاء ليس الا صورة مكبرة لما ارتكبته انجلترا من قبل في القرن التاسع عشر ، حتى الحرب العالمية الاولى التي نشبت في عام ١٩١٤ . واذا كان هناك اختلاف بين الموقفين فمرداه الى زيادة وعي الشعوب

واحساسها بالقبض الواقع عليها ، وبضرورة ازالة الفوارق المادية بين الناس . واذا كانت اخطاء بريطانيا محدودة الاثر فاخطاء امريكا اليوم لها آثار عالمية ، نظرا لتشابك اطراف العالم ، وسرعة انتقال الافكار .

لم تعد تصرفات امريكا السياسية مقصورة عليها ، اذ لم تعد لشعب من الشعوب حياته الخاصة . كل عمل تقوم به امة من الامم يصبح عملا عاما ، فلا تستطيع امريكا ان ترتكب الما دون ان تحسه كافة الشعوب ، وهي التي جلبت على نفسها هذا الوضع العام بما توافر لديها من قوة حربية وثراء مادي .

وليس من شك في ان القوة والثراء لهما مزاياهما المعروفة ، ولكنا ننسى ان القوي والثري يدفع ايضا ضريبة قوته وثرائه ، فالقوي والثري اكبر مسئولية امام المجتمع ، وهو يؤاخذ على اخطائه اضعاف ما يؤاخذ به الضعيف والفقير ، بل كثيرا ما يحمل مسئولية مالم يقترف . وما ينطبق على الافراد ينطبق على الشعوب ، بل ان القوي الغني لو يبذل من قوته وماله في سبيل مصلحة الآخرين لاثار بذلك لدى هؤلاء الآخرين انفسهم الشك في نيته ، وقوبل بنكران الجميل وبالحقد والكراهية .

رصاصة للحرية أولى ترددت لها أصداء كثيرة

عندما كان المهاجرون الاوائل الى امريكا يكافحون في سبيل العيش ، ثم في سبيل الاستقلال ، كانوا محط انظار الشعوب الاخرى ومحل عطفها . فلما اطلق الفلاحون في ثورتهم الرصاصة الاولى في عام ١٧٧٥ فوق قنطرة كنكورد ، دوت هذه الطلقة في الدنيا باسرها ، وكانها القمر الصناعي انطلق في دورة حول العالم . كان لهذه الطلقة صداها في فرنسا قبل نهاية القرن الثامن عشر . كما كان لها صداها في امريكا اللاتينية ، وفي بلاد اليونان ، ورنت في آذان الناس في القارة الاوربية في عام ١٨٢٨ ـ في ايطاليا خاصة ، ثم دوت في باريس مرة اخرى في عام ١٨٧١ ، وكان لها اثرها في نشوب الثورة الروسية سنة ١٩٠٥ ، والثورة الفارسية سنة ١٩٠٦ ، والثورة التركية في عام ١٩٠٨ ، وتاثر بها مؤسسو المؤتمر الوطني في الهند ، ثم اخذت مسارها الى جميع حركات الاستقلال في جميع الاقطار الافريقية والاسيوية التي كانت خاضعة للاستعمار الغربي . وكان لها صداها في الصين سنة ١٩١١ ، وفي المكسيك قبل ذلك .

وفي عام ١٩١١ اتمت الطلقة دورة كاملة حول العالم ، وعادت الى العالم الجديد . ثم عبرت الاطلنطي مرة اخرى فسمعت روسيا صوت امريكا للمرة الثانية في عام ١٩١٧ ، وكذلك رددت تركيا هذا الصوت للمرة الثانية بعد الحرب العالمية الاولى،وكان هدف الثورة التركية حينئذ استيعاب الحضارة الغربية وتزعم مصطفى كمال (اتاتورك) هذه الحركة . ثم سمع رجع الصوت في الصين سنة ١٩٤٨ ، ومن هناك عبر المحيط الهادى ، وردد صداه العمال والمزارعون في بعض اقطار امريكا اللاتينية ، مطالبين برفع الاجور واعادة توزيع الاراضي . وفي سنة ١٩٦٠ ايقظ صوت الطلقة الامريكية الاولى مزارعي كوبا ، وتزعم الحركة فيدل كاسترو . ثم عبر الصوت المحيط الاطلنطي للمرة الثالثة وايقظ افريقيا كلها .

ثورة الفقر والغنى

هذه هي الدورة التي مرت بها رصاصة التحرير الاولى التي اطلقت في امريكا فوق قنطرة كنكورد في عام ١٧٧٥ ، وهذا الصوت الذى تردد في كل مكان هو صوت الفقير الشديد الفقر الذى يطالب بقدر من المساواة مع الغني الزائد الغنى . ولما كان نحو ثلاثة ارباع العالم من الفقراء فان الغالبية العظمى من الناس ـ عندما استجابت للثورة الامريكية ـ انما كانت تردد صوت الحرية الذى ينادى بتطبيق مبدا المساواة بين الافراد والطبقات والشعوب . ولقد احس الفقراء انه على اكتافهم كانت تقوم الحضارات فيما مضى من التاريخ ، دون ان يجنوا من ثمار هذه الحضارات شيئا يذكر . على الغالبية يقع عبء العمل ، وبنتاجه تتمتع الاقليات . ولم يكن للفقير سبيل الى التخلص من هذا الظلم البين . ولم يعرف كيف يغير الاوضاع القائمة .

ولما قامت الثورة الصناعية وتقدمت التكنولوجيا كثر الانتاج الذى يكفى الجميع ، فاصبحت دعوة الفقراء دعوة مقبولة عقلا ، وبات دفع مستوى

الطبقات الفقيرة امرا ممكنا ، ومن ثم فلقد كان لثورة الفقراء على الاغنياء ما يبررها .

ثورة التحرر ثورة كبيرة الأثر

هذه الثورة العامة التي انطلقت رصاصتها الاولى فوق قنطرة كنكورد بامريكا تعد من اروع الثورات في تاريخ البشر ، ولا يفوقها اثرا الا الثورات الدينية التي حاول بها الانبياء تغيير النفوس . تلك الرسالات الكبرى التي بشر بها الاسلام والمسيحية والبوذية وغيرها .

واذا كانت ثورة التحرير التي ابدعتها امريكا ليست دينية الا انها روحانية في صميمها . وقد تبدو اهدافها مادية الا انى اقول ان الاهداف المادية اسس لابد منها لكى تنبني عليها يقظة النفوس التي هي بمثابة القوى الدافعة للدعوة الى ثورة التحرير ، والتحرير هدف روحي يقصده الانسان .

وتطلعت الشعوب الى امريكا

ان الرصاصة التي اطلقت فوق قنطرة كنكورد لم توقظ الشعوب الاخرى لتصلح احوالها الداخلية فحسب ، بل حفزت هذه الشعوب الى التطلع الى امريكا باعتبارها رائدة الحركة التحررية الجديدة ، فهاجر كثير من المزارعين الاوربيين الى الولايات المتحدة ، ليصبحوا مزارعين امريكيين ، وتبعهم العمال الصناعيون بعدما اخذت الصناعة في التقدم ، واستمر تيار الهجرة الى امريكا بعد حروب نابليون ، حتى نشبت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ — عندئذ بدات اوربا تحد من هجرة ابنائها الى الخارج لكي تحتفظ بهم وقودا للحرب .

فات امريكا ان تحتفظ بدورها الطبيعي

غير انه من المؤسف ان امريكا لم تحتفظ بدورها الطبيعي بعد ما شبع المهاجرون وحققوا آمالهم . ولقد بدأ هذا الاحساس الجديد عند الامريكان — اعنى الاحساس بضرورة حماية انفسهم من هبوط المستوى المادى الذى يترتب على تدفق المهاجرين اليها — منذ نشوب الثورة الفرنسية ، التي راى الامريكان في شعاراتها التي تنادي بالحرية والاخاء والمساواة شيئا من المغالاة ، ثم بلغ الاحساس ذروته بعد نشوب الثورة الشيوعية في روسيا .

لقد كانت نيات امريكا في القرن الثامن عشر نيات طيبة ، ولكنها لم تتوقع كل ما نتج من دعوتها في مختلف اقطار العالم ، ولذلك فقد قلبت للحرية والمساواة ظهر المجن .

ان امريكا التي حملت لواء الثورة — ثورة التحرير من العوز في عام ١٧٧٥ ، وظلت تحمل راية العصيان حتى عام ١٩١٧ (اى نحو ١٤٢ عاما) امست آخر الدهر زعيمة — الثورة المضادة للدعوة الى المساواة والتحرير ، فهي الآن — بعدما حققت ثراءها — تدعو الى الاندفاع عن مصالحها الذاتية وحدها . اشعلت امريكا ثورة التحرير ، ولما سرت الثورة في الشعوب الاخرى اخذت امريكا تحمي نفسها من دعوات هي التي جاءت بها من قبل .

ثلاثة مواقف للتحول في امريكا

وهذا التحول في اتجاه امريكا يتمثل في ثلاثة مواقف : اولها رد الفعل في الولايات المتحدة للثورة البلشفية الروسية التي نشبت في عام ١٩١٧ ، ثم قانون الهجرة الذى صدر في عام ١٩٢١ ، واخيرا في قانون الهجرة الآخر الذى صدر في عام ١٩٢٤ .

اما فيما يتعلق بالموقف الاول فان الثراء الذى عم امريكا جعل اكثر ساكنيها من الاغنياء الذين يريدون ان يحتفظوا بثرائهم ، فكان من الطبيعي ان تقاوم امريكا الدعوة الاشتراكية وكل دعوة الى العدالة الاجتماعية .

واما قوانين الحد من الهجرة الى امريكا التي صدرت بعد الحرب العالمية الاولى فهي تمثل اتجاها جديدا في السياسة الامريكية ، اذ راى الامريكان ان المهاجرين يوزعون ولاءهم بين وطنهم القديم ووطنهم الجديد — امريكا — ولذلك فهم ليسوا امريكيين مخلصين . ولكي تتماسك الولايات المتحدة لابد لها من الوقوف في وجه المهاجرين الجدد ، حتى يتقادم العهد على المهاجرين الاوائل فينسوا اوطانهم الاولى .

وقد لاحظت امريكا كذلك ان المهاجرين الذين قصدوا اليها قبل الحرب العالمية الاولى لم يكونوا من افضل العناصر البشرية ، ولذلك كان لا بد من التاني والتدقيق في قبول المهاجرين الجدد ،

حتى لايتامرك من المهاجرين الا العناصر البشرية الممتازة . وعلى ذلك فتحديد الهجرة الى امريكا يحقق هدفا سياسيا كما يحقق هدفا عنصريا يرمى الى تحسين السلالة الامريكية ، وبخاصة بعدما اصبحت اوربا قارة فقيرة نسبيا بعد الحرب العالمية الاولى ، وكان الامريكان يخشون تدفق هؤلاء الفقراء الى بلادهم .

نعم ان الهجرة قد تدفع بعدد كبير من الفقراء الى البلد الجديد المقصود ، ولكنها في الوقت عينه تستزيد من الايدى العاملة التي تعاون في زيادة الانتاج ما دامت مجالات العمل في الدولة لاتزال ممكنة فسيحة، كما هي الحال في الولايات المتحدة.

غير ان امريكا كانت تتأثر بالعامل السيكولوجي، العامل النفسي ـ عامل خوف الغني من الفقير ـ كما تتأثر بالعامل السياسي الذي يهدف الى امركة امريكا ، اكثر مما كانت تتأثر بالعامل الاقتصادي .

وطالما كانت الهجرة من اوربا الى امريكا مباحة، كانت امريكا على صلة بالمجموعة البشرية ، لانها كانت امل الفقراء في تحقيق الثراء ، وكانت مفتوحة للاوربيين بخاصة . اما بعدما صدرت قوانين الحد من الهجرة فقد انفصلت امريكا عن الغلبية العالم الفقير ، وباتت في عزلة عن الدنيا وهذه العزلة هي العقوبة الحتمية التي يعاني منها المرء بعدما يحقق لراءً ، لم يريد أن يحمى ثراءه ونفسه من الطامعين فيه ، ولافرق في ذلك بين الشعوب والافراد .

بين روسيا والولايات *

ولكل هذا انقلب دور امريكا التاريخي واصبحت زعيمة المحافظين بعدما كانت مصدر الوحي للاحرار الثائرين . وتلقفت روسيا منها دور القيادة البشرية . فهل يستمر الوضع على هذه الحال ؟ امريكا عدوة الشعوب التي تهدف الى التحرر ، وروسيا صديقتها ؟ ! *

ان الفقر هو الحالة الطبيعية بين الناس ، والغنى استثناء من القاعدة . والغنى ـ فردا او شعبا ـ لا يسير في موكب البشرية العام ، ولا يمارس التجربة التي تخوضها جمهرة الفقراء ، فهو ليس زميلا لهم ، هو شخص ـ أو شعب ـ خارج عن المجتمع ، وعن العائلة البشرية الكبرى .

وبسبب هذه الحقائق العامة في تكوين البشر كانت دعوة روسيا الى الاشتراكية وتقليل الفوارق بين الطبقات اقرب الى نفوس الناس من الصلف والكبرياء الامريكي . وهذا هو لب الصراع بين هاتين الدولتين العظيمتين . واخشى ما تخشاه امريكا ان يكثر توابع روسيا ، فتصبح عزيزة الجانب ، لها من يناصرها اذا ما نشبت حرب بين الدولتين . ومن عجب ان امريكا تحاول بكل الوسائل المادية وبتقديم المعونات ـ ان تكسب ود الشعوب ، ولكن هيهات ! ذلك لانها تدفع وتمن ، وتعيش في بذخ نسبي ، وكان ثقافتها وحدها هي الثقافة المثالية ، فهي لا تحترم عادات الشعوب وتقاليدها . ولذلك فان رسالة الدبلوماسي الامريكي لا يمكن ان تنجح ، لانه يعيش بمعزل عن الاحساس العام ، في حين ان المبشرين الامريكيين قبل الحرب العالمية الثانية كانوا يمتزجون بافراد الشعوب المتخلفة ، فيؤدون رسالتهم الدينية اداء صحيحا . ولقد وقعت بريطانيا في هذا الخطأ ذاته عندما كانت لها امبراطورية ضخمة ، فكان الانجليز في المستعمرات يحيون منعزلين في احياء خاصة بهم ، ونواد لا تضم سواهم ، فلم تستطع ان تكسب القلوب او تظفر برضا الناس ، مهما قدمت من خير ، وفقدت امبراطوريتها في نهاية الامر .

انك اذا اردت ان تغزو قلب امرىء لا بد لك من ان تؤاكله وتشاربه ، وتساكنه احيانا ـ تأكل معه على حد التعبير العامي « العيش والملح » وهذا هو اساس فكرة « التناول » في الديانة المسيحية .

ليس الطعام والشراب والمعاشرة من الضرورات المادية التي لا غنى عنها فحسب ، انما هي كذلك رموز لموقف الاكل والشارب والمعاشر من اخوانه في الانسانية وليست حياة الانعزال والاكل الانفرادى وتجنب المعاشرة الا نوعا من انواع التفرقة العنصرية.

الولايات المتحدة في عزلة

ومن هذه الحقائق النفسية العامة يتبين في جلاء

* قال توينبي هذا قبل الوفاق الذي تم بين روسيا والولايات المتحدة .

ووضوح ان امريكا لا يمكن ان تسترد دورها الطبيعي القديم – دور الداعي الى الحرية – الا اذا اقلعت عن مسلكها الراهن القائم على العزلة والكبرياء . وما دامت روسيا باقية على سياستها التي تدعو الى المساواة ، والتي لا تتميز فيها بمستوى من العيش الرفيع ، فستبقى امريكا وحدها الدولة المنعزلة التي تحقد عليها كافة الشعوب .

ولقد ادركت روسيا هذه الحقيقة السيكولوجية فحدت من انتاج السلع الاستهلاكية ، وابتعدت عن حياة الترف والبذخ ، لانها عرفت ان حاجات المرء المادية محدودة ، وليس هناك ما يدعو الى اغرائه بسلع لا تسد حاجة طبيعية ، وليس استهلاكها الا من سبيل الاسراف الذى يمكن الاستغناء عنه .

ان طاقة الفرد على الاستهلاك المادى محدودة ، وان كان المرء ينشد اللانهائي واللامحدود فلن يتيسر له ذلك الا في البعد الروحاني الذى لا يمكن ان يبلغ حد التشبع . ويكون ذلك في مجالات المعرفة العلمية ، والفن ، والدين . اما الاستهلاك المادى المفرط فهو نوع من الاستعباد يتخلص منه المرء بشيء من الايمان الروحي .

ولذلك فان عائق الثراء الذى يبعد الثرى عن الفقير سوف يظل خاصا بامريكا وبعض البلدان الغربية التي تحذو حذوها ، لان روسيا لم تقع حتى الآن في هذا الفخ . ولكن من يدرى ؟ .

وما بقيت امريكا كذلك فسوف تبقى عدوة للمجموعة البشرية ، ويكاد الأمل ان يكون مفقودا في ان تؤسس دولتها على ركائز من فلسفة جديدة تستهين بالثراء ، وتمجد تبادل المحبة بين الناس ، وروح الاخاء والمساواة بين البشر . ■

سبتمبر ١٩٧٣

محمود محمود



من الكتب التي وصلتنا

عبرة النكسة

تأليف الدكتور عبد القادر يوسف

الناشر / مكتبة الأمل / السالمية / الكويت

● يحاول هذا الكتاب البحث بشيء من التعمق عن اسباب النكسة التي اصابت الامة العربية سنة١٩٦٧ فهو يبحث منذ البداية داخل انفسنا وبين ظهرانينا قبل البحث في الاسباب الخارجية ، فالسؤال الذى طرح نفسه منذ مساء اليوم التاسع من حزيران سنة ١٩٦٧ ما زال قائما هل كان بمقدورنا ان نوقف موجة العدوان ونقضي عليه في مهده ؟ وهل كنا في مستوى هذه المعركة التي فرضت علينا ؟ اما وقد وقع المحذور فلا بد من ان نناقش موضوع التأهب للمواجهة المصيرية بشيء من الموضوعية والتعمق .

لقد قسم المؤلف كتابه الى ستة فصول درس في الفصل الاول واقع الوطن العربي المجزأ ثم حاول المؤلف في الفصول التالية من هذا الكتاب ان يبحث عن اسباب النكسة التي اصابتنا مؤخرا وقد توصل الى ان الاسباب التي ادت الى النكسة تكاد تكون من مستوى واحد .

وكانت طريقة المؤلف في البحث مزيجا من المسح الوصفي الشامل لأوضاع الوطن العربي كما هي ، ومع استعراض تاريخي تحليلي لكثير من الاحداث والوقائع ، وقد دلل المؤلف على ان النكسة لم تكن هزيمة عسكرية فحسب وانما كانت ابعد واعمق من ذلك فجذورها تمتد الى سنوات طويلة من التخلف والتخاذل والفرقة وضياع الذات ، وبالتالي فاننا مسئولون عما حدث ، بل ان الامر يكمن في اعماق النفس العربية وفي تفكيرها واتجاهاتها وفي نوازعها المختلفة التي هي نتاج البيئة والتربية والثقافة ، كما يكمن في طبيعة مكونات القيم التي يدين بها الافراد والجماعات بالولاء .

الاسلام بين الدعـوة والدولـة

تاليف : عبد السلام ياسين
الناشر : مطبعة النجاح/الدار البيضاء / المغرب

● يعرض هذا الكتاب المنهاج النبوى وهـو منهاج التربية الاسلامية الكفيل بخلاص هذه الأمة وخلاص الانسانية قاطبة امام ضغط حاضر منهزم مظلم وتحديات مستقبل مبهم ، يسد افاقه علينا طاغوت الجاهلية بقيمها المادية ، والمؤلف يستعرض هنا النموذج الاسلامي المتالق في ماضيه الأول المشرق املا ونورا ، والذى ينشر الطهارة بعد أن عم الرجس وينشد الرفعة في وسط حمى العنف ، لما انحطت بالانسان حضارته الى درك حيوانيته .

وامامتحديات الانجازات الثورية المعاصرة يعرض المنهاج النبوى ، طريقا الى تعبئة اسلامية ليست التنمية السريعة هدفها ، ولكن تلتمس التنمية السريعة لتخلق الظروف المواتية ليحمل المسلمون رسالة ربهم الى خلقه بالهداية النبوية ، والسمت الاسلامى والرفعة والتؤدة .

الانسانية ضحية الجدلية الثورية العنيفة . التي تتدهور بالنوع البشرى في مسابقة الى الهاوية ، والاسلام وحده هو الكنز ، كفيل ان ينقل الانسانية من حاضرها المتردى خلال جدلية التجديد الايماني ، جدلية بين الجاهلية والاسلام بين الظلمة والنور .

ازمة بعض الحركات التقدمية في الوطن العربي

تاليف : حسين عباس أبو الحسن
الناشر : المكتبة العصرية / صيدا / لبنان

● مشاكل امتنا العربية كثيرة ، ثم هي متنوعة متشعبة ، فالأعداء محيطون بنا ، من الخارج استعمار وفي الداخل استغلال ، والتجزئة تاكل ارضها وخيراتها ، ثم الاقليمية وما تفوح منها من روائح انعزالية ، كثيرة هي هذه المشاكل ، اغتصاب ارض ، وتشريد شعب ، وكبت حريات ، وامتهان كرامات ، ورجعية تتحكم في الرقاب ظهرت في معظم مناطق الوطن العربي لتمارس ابشع انواع التسلط .

وهناك مرض ليس كتلك الامراض ، بل اخطر واجسم واكثر ضراوة انه مرض الفكر ، وتجزئة العقيدة ، وتعدد الاحزاب والحركات التي تنافست فيما بينها في رفع الشعارات البراقة ، و تبنّي معتقدات خلابة زائفة ، فانحرفت عن الهدف القومي الأصيل ، وجعلت من تعميق الخلافات ، وزرع الفتن والاحقاد ، وبذر الشقاق والتفرقة ـ اهدافا بديلة ، ومع ذلك جعل كلّ حزب نفسه أمل" الامة ورجاءها الاوحد ، ولا شك ان هنالك بعض الاحزاب والحركات الفكرية جديرة بالاحترام والاعتقاد ولكن اقلية منها ـ انحرفت بعد صواب ، وسيطر عليها طابع الاستجداء الفكرى ، فاصبحت اثرا بعد عين ، على أن معظم الاحزاب والحركات الفكرية لم تكنبالاصل جديرة" بالاحتراموالاعتقاد ، لانها ما ارادت من وجـودها الا تجزئة الفكـر والمعتقدات ، ولتبعد الانسان العربي عن موقعه لترميه في احضان الجهالة والضياع والانفلات .

مؤسس الدولة المشعشعية واعقابه في عربستان وخارجها

تاليف : جاسم حسن شبر
الناشر : مطبعة الاداب ـ النجف الاشرف/العراق

● هذا الكتاب تكملة لكتاب اخر صدر للمؤلف باسم « تاريخ المشعشعيين » يقدم صورة واضحة المعالم عن حياة الدولة المشعشعية التي برزت خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، وكان مؤسسها هو السيد محمد بن فلاح رئيس الدولة المشعشعية في منطقة عربستان في ايران ، ثم الحروب التي خاضتها هذه الدولة مع التركمانيين الذين حاولوا صد دعوة هذا الرجل وتشويه عقيدته بكل الوسائل الاعلامية آنذاك ، ثم ياتي على الدور الذى لعبه الصفويون والمحاولات التي قاموا بها لتشويه عقيدتهم كذلك ، وكيف استغلوا رجال الدين للكتابة ضد عقائدهم .

هـذه الدراسة تعتبر الاولى من نوعها عن المشعشعيين تبحث عن تاريخهم وبيان مقدرتهم العلمية والادبية وقوتهم العسكرية ونفوذهم السياسى . والمؤلف يحاول في هذا الكتاب بحث بعض الجوانب التي تتعلق بتراثهم العلمي والادبي والعقائدى وخاصة عقيدة رئيسهم السيد محمد بن فلاح ، حيث وقع الكتاب والمؤلفون في اخطاء كثيرة نتيجة اهمالهم الدراسة الموضوعية لحياته

والملابسات التي اكتنفت تاريخه في تلك الفترة المظلمة التي عاش فيها الرجل وقد قام المؤلف بدراسة عقيدتهم دراسة علمية جادة كما قام بتدوين اعقاب مؤسس هذه الدولة من الاسرة والبيوتات التي حملت اسمه .

المجتمع الاسلامي : اهدافه ، ودعائمه ، واوضاعه وخصائصه في ضوء الكتاب والسنة

تأليف : الدكتور مصطفى عبد الواحد

الناشر : مكتبة الامل / الكويت

● كتاب يرسم صورة شاملة للمجتمع المسلم حتى يراها كلا الفريقين .. الأصدقاء والاعداء على السواء، فيرى فيها المسلمون حقيقة مجتمعهم الذى رسمه لهم دينهم ، ويدركوا خصائصه الرائعة ويلمحوا نوره الباهر فيقلعوا عن الهدم ويتطلعوا الى البناء ، ويوم يتمكنون من اصلاح دينهم على المنهج الاسلامي سيجدون حقيقتهم ويدركون مكانتهم ومهمتهم في الحياة .

ان المبادىء لا تعاب بسوء تطبيقها او اعراض الناس عنها ، شقوة وجهلا ، وانسياقا وراء الأهواء والشهوات والمعول على صلاحية المبدا للتحقيق وبخاصة في التطبيق ، ولا يضر بعد ذلك ان يتعرض لغوائل الطباع وآفات الخلق فان ذلك داء كامن يمكن ان يعرض لكل قانون ومبدا ونظام وشريعة .

ولقد قام المجتمع المسلم حقيقة واقعة ، وحقق في فترة لا تزال مرجعا للانسانية يمكنها ان ترجع اليه ، ومشعلا يهدى الى طريق مستقيم وهذه الفترة المثالية على قصرها تحكى تجربة كاملة تشتمل على الجوانب الانسانية جميعا وعلى علاج كامل لكل ما يعرض للمجتمع من مشكلات، وهنا لا بد من ملاحظة الفرق بين المجتمع وبين الدولة في تاريخ الاسلام ، فلئن كان الاستبداد قد عرف طريقه الى الحكم في فترات طويلة في تاريخ الاسلام، وان كانت مظالم كثيرة قد اشاعها اصحاب الأهواء وفسدة الاخلاق فان ذلك لا يعني سقوط المجتمع المسلم .

المجتمع المسلم هو هذه الامة التي التف حول دينها في احرج الاوقات ، وحالك الظلمات وهي التي اقامت هذا الدين واصرت على تطبيقه حتى انحرف الحاكمون واهملت الدولة تطبيق شريعة الاسلام .

الشخصية والصراع المأساوى في المسرح الشعرى العربي

تأليف : عدنان بن ذريل

الناشر : مطابع الف باء الاديب ــ دمشق/سوريا .

● تتناول هذه الدراسة موضوعين ادبيين نفسيين في المسرح الشعرى العربي هما الشخصية ثم الصراع كما انجزهما رواد المأساة الشعرية التاريخية في ادبنا العربي الحديث ، وهم احمد شوقي ، وعزيز اباظة وعدنان مردم بك ، اذن فالمجال هنا مجال علمي نفسي وادبي وهو مجال يبين حقيقة الشخصية والصراع كما يبين فنية الاعمال المسرحية الشعرية العربية لهؤلاء الرواد الثلاثة وقيمتها في رسمها للشخصيات او تصويرها للصراعات في مسرحهم المأساوى التاريخي او العاطفي .

لقد كثر اللغط والتجني على المسرحية الشعرية العربية وعلى روادها وتنوعت الاحكام في فنيتها وقيمتها والمعيار الحقيقي في مثل هذه الاحوال لن يكون العلم ومناهجه ، وهذا ما حدا بالمؤلف الى اصطناع المناهج النفسية وحقائق علم النفس في معالجة هذين الموضوعين الاساسيين وهما الشخصية والصراع المأساوى في المسرح الشعرى العربي .

كان الدارسون والنقاد امثال الاستاذ عباس محمود العقاد ومحمود حامد شوكت ومحمد مندور ثم عبد المحسن عاطف سلام تحت تأثير عوامل مختلفة تتعلق بجدة الادب المسرحي ونقده او تتعلق بنفوسهم وثقافتهم واذواقهم يهربون من امر هذا المسرح الشعرى ويتجنون على الاعمال التي انجزت فيه اذ يذهبون مثلا الى انها اعمال غنائية بدائية ذات شخصيات بسيطة قليلة الالوان سطحية التحليل ضحلة الاغوار وعلى العكس من ذلك فان مناهج علم النفس ستظهر لنا بالبرهان ان هذه الاقاويل لا اساس لها من الصحة علميا ولا ادبيا ذلك ان شخصيات المسرح العربي الشعرى ــ تاريخية او عاطفية ــ كثيرة الحيوية متعددة الجوانب تندمج في ادوارها بصدق ، لتعيشها في كثير من الاحيان في اصرار وعناد ، كما ان صراعاتها متنوعة متباينة تقوم على اساس وطيد من ركائز نفسية واجتماعية وسياسية ، بل ان روادها الاوائل في هذا الفن استطاعوا ان يحركوها بنجاح على خشبة المسرح . ■■

قصة

عذاب

بقلم : حسن فتحى خليل

■ كلما مر بالسيارة العامة على هذا المكان لمح ذلك المحل .. والرجل الواقف بداخله يقلب العجين بين يديه .. ويصنعه فطيرا .. لكم كان يشتهي دائما ان يأكل واحدة من هذه الفطائر .. ولكن انّى له ذلك والسيارة تمرق به في سرعة .. الى عمله .. اين الوقت ؟ اين المزاج ؟ اين الراحة ؟ لعل هؤلاء الذين يأكلون في تأنٍ ، في المحل ، لديهم متسع من الوقت لذلك .. ولكنه مشغول دائما .. ومع انه يستيقظ في موعد مبكر الا انه لايملك دقيقة يخلو فيها الى نفسه ، فهو الذى يوقظ الأولاد وهم يعذبونه حتى يغادرون فراشهم ، وهو الذى يساعد أمهم في تحضير الشطائر ، وهو الذى يتعجلهم للخروج قبل موعد بدء الدراسة . وهو الذى يجرى بعد ذلك هنا وهناك ، ويحلق ذقنه في سرعة ، ويصلى ركعتى الصبح في عجلة ، ويلتقط ملابسه فيرتديها ويسرع بالخروج .

ويبدأ عذابه في محطة السيارات . احيانا يتأخر السيارة العامة فلا يدرى ماذا يفعل ؟ ليست معه كالعادة النقود الكافية ليركب تكسيا يصل به الى محل عمله .

تكسى ! ولماذا تكسى ؟ أاصرف ما معى من نقود من أجل الذهاب الى المصلحة بتكسي ؟ واذا استغرقنى العمل بعد الموعد القانوني هل يعطوننى شيئا ؟ ابدا .. المرتب لاغير ! .. والأولاد .. أليسوا هم احق بمثل هذه النقود ؟

النقود ! وابتسم ساخرا .. أين هى النقود ؟ هل هناك فائض لمثل هذه الامور ؟ انه أحيانا يخرج من المنزل وليس معه سوى اشتراك السيارة فقط .. ولا نقود بالمرة !

وتجيء السيارة مشحونة بالناس كأنها علبة السردين ، فيتعلق به ويأخذ مكانه بالقوة بين هذا الحشد من الراكبين الذين يضيقون به ويضيق بهم .. انه يختنق وهو محشور وسطهم .. ولكن ما حيلته ؟ يجب ان يذهب الى عمله ، في موعده.. ولو في آخر دقيقة ..

وتمرق السيارة في سرعة .. على طريق الكورنيش كورنيش الاسكندرية الجميل والبحر المتسع يملأ عينيه .. البحر .. احب شيء اليه .. في زرقته وهدوئه .. في اضطرابه وزوابعه .. انه يتمثله في كثير من الامور .. ان اجمل دقائق حياته هي تلك التى يمر فيها الاتوبيس على البحر ، وخاصة في الصباح من أيام الخريف .. وقد شمله الهدوء، وذهبت عنه جمهرة المصطافين والمستحمين .. لطالما يتوق الى ان يجالس البحر ، في هداة الصباح ولكنه مسوق الى العمل دائما ، فهو رجل ذو ضمير ، مخلص في عمله ، لايتغيب الا لعذر قهرى او لمرض .

وأيام الجمع ؟

كلها جلبة وضوضاء في المنزل.. يستيقظ متأخرا قليلا عما اعتاد في ايام العمل فتصك اذنيه الضجة الشاملة ، فالأم تصرخ في الاولاد .. والحمام يفتح بابه بين كل آونة واخرى ، والأولاد يدلفون اليه واحدا بعد الاخر يستحمون .. والأم تزعق ووابور الجاز بصوته المزعج .. وصفيحة الماء الساخن ..

اما هو فيحلق ذقنه ويدخل الحمام آخرهم .

ثم بعد ذلك يجتمعون على مائدة الافطار في وقت متأخر ، وبعدها يقضى وقته في قراءة الجريدة .. اليوم الوحيد الذى يقرأ فيه الجريدة في تمعن ، حتى يحين موعد صلاة الجمعة ، فيغادر المنزل الى المسجد القريب ، وبعد الصلاة يشترى بعض اللوازم من السوق ويعود الى المنزل .. للغداء .

هذا هو صباح الجمعة .. كله انشغال يحول



وصباح اليوم بعد ان غادر الاولاد المنزل الى المدرسة فاجأته زوجته تطلب منه نقودا .

ـ لا املك نقودا .. من أين اتى لك بها ...

ـ ولكنى اريد أن اشترى فستانا

ـ اجليه للشهر القادم

ـ هل اطلب ان تأجل بنت الجيران زواجها حتى تأتينى بالنقود ؟

بيته وبين البحر .

وأيام الأجازة الصيفية ؟

انه يقضيها بعيدا عن حبيبه البحر ، لايحتمل أبدا ما يفعله به المصطافون ، هذا الزحام الكبير واللحم المتراكم على الرمال ، كلا .. ليس هذا هو البحر الذى يحبه .. انه اشبه بسوق او حمام من الحمامات القديمة .. انه يرثى له .. ذلك المسكين !

لطالما تاق الى الانفراد بهذا البحر الهادىء .. ولكنه كان يؤجل رغبته تلك من يوم الى يوم ..

ويصل الى عمله .. وتأخذه الدوامة .. فينسى نفسه ، ولا يفيق الا والساعة قد قاربت الثانية .. فيستعد للعودة الى منزله .

روتين يومى واسبوعى .. لم يتخل عنه منذ سنوات طويلة .. حتى شعر بالملالة والسآمة من كل شىء ـ من البيت ، من السيارة العامة ، من العمل ، من الزملاء ، بل من الحياة نفسها ..

وصباح اليوم .. بعد أن غادر الأولاد المنزل الى المدرسة فاجأته زوجه تطلب منه نقودا .

ـ لا املك نقودا .. من اين اتى بها .. اعطيتك كل مرتبى منذ بداية الشهر .

ـ ولكنى اريد أن اشترى فستانا ..

ـ أجليه للشهر القادم .

ـ لايمكن تأجيله .. ساحضر به حفل زواج بنت الجيران فى الأسبوع القادم .. هل اطلب منها أن تؤجل زواجها حتى تأتينى بالنقود ؟

ـ لامورد لى سوى مرتبى .. هل بنت الجيران تتزوج وانا اسرق لآتى لك بفستان تحضرين به حفل زواجها ؟

وغضبت ولوت وجهها عنه .

فخرج . ضيق النفس .. حرج الصدر، والكآبة

تعتصر قلبه .

« يودى لو اشترى لها ذلك الفستان حقا *تعويضا لها عن متاعبها الكبيرة في المنزل* . ولكن من أين آتى بالنقود وهذا الغلاء الفاحش يلتهم مرتبي كله ؟! »

وركب السيارة العامة ـ كانت مزدحمة بشكل زاد من ضيق تنفسه واختناقه .. وضع يده في جيبه فاصطدمت بعدة قروش . ووجد نفسه فجأة زاهدا في الذهاب الى العمل .

ان هذا الروتين اليومي يأكل حياتي كلها .. لماذا لا اكسره مرة واحدة ؟ ماذا سيقولون ؟ لم يعد يهمني ، أنا متعب ، وروحي متعبة ، ونفسي متبرمة من كل شيء ..

وغادر السيارة في المحطة التي بها محل بائع الفطائر . ودخل المحل الواقع على طريق الكورنيش وجلس الى مائدة وصفق بيديه .

ـ واحد فطير ..

وانتظر وعيناه على الرجل الذى يكوّر العجينة ثم يفردها ثم يرشها بالسمن ثم يطويها .. ثم يدخلها الى النار ..

وجاءته الفطيرة ساخنة تعلوها طبقة من السكر ورائحتها زكية فسال لها لعابه .. والتهمها في تلذذ واشتهاء ..

واستراح قليلا .. ونظر في ساعته ، لقد انقضى موعد بدء العمل وتخيل زملاءه في الحجرة وهم يوصون الساعي خيرا بشطائر الفول والطعمية .

وضحك في نفسه .. لعلهم يتساءلون عن سبب تغيبه .. ولكنهم لن يتصوروا انه جالس الآن في هذا المحل وقد التهم فطيرة ساخنة لذيذة شهية !

ودخل شخص والتان فشعر بان عليه أن يغادر ذلك المحل الضيق فلم تكن هناك سوى ثلاث موائد .

وقام فوجد البحر في مواجهته ، وقد سكنت صفحته في هذا اليوم الهادىء من خريف الاسكندرية الجميل ..

اجمل فصول السنة هنا هو الخريف .. الجو لطيف منعش ، والشاطىء وقد اغتسل من المصطافين بعد رحيلهم ، والهدوء الذى يميز كل شيء .

وسار في خطوات متئدة على الكورنيش ، ورمق السماء بطرفه ، كانت صافية وضوء الشمس يملأ كل شيء .. السماء والماء والارض .. بهجة وجمالا ونورا .. واحس نسمة عذبة ترد الحياة الى نفسه .. فندت عنه زفرة حارة خارجة من صميم قلبه .. شعر بعدها ببعض الراحة .

وتابع سيره على الكورنيش قليلا .. قابله بعض المارة والسابلة .. ولكنه يريد الانفراد بالبحر .. وهذه فرصته اليوم التى كان يتوق اليها .. انه يضيق حتى بهؤلاء الافراد القلائل ..

فنزل من سلم جانبي الى الشاطىء وسار متأنيا .. وقدماه تغوصان في الرمال الندية .. ولكنه يشعر مع ذلك انه خفيف .. والماء يدانيه يكاد يلامسه .. والموج يزحف حتى يقارب قدميه .

وجعل يسير .. كان الشاطىء خاليا خاصة في مثل هذا الوقت المبكر الا من واحد او اثنين هناك من هواة الصيد داخل الماء .

وسار .. وقد شعر أن روحه تهيم سابحة في هذا الملكوت .. وجعل يعبّ من الطبيعة الصافية عبا .. ويملأ رئتيه من ذلك النسيم الهفهاف .. وسحرته صفحة البحر واضواء الشمس الباهرة تداعب امواجه المستلقية على صدره الحنون وتسبغ عليه شتى الألوان .. وهذا الضياء الباهر .. انه يدعوه بل ويدعو الناس جميعا الى أن يبتسموا للحياة ..

وابتسم .. لكم كان يود أن تكون الابتسامة من قلبه .. ولكنها كانت ابتسامة باهتة ، فالهموم ما زالت تثقله وتنوء به الاحزان .. لانه لم يتمكن من تلبية طلب زوجه .. وتخيل صورتها الآن في المنزل .. لعلها حزينة كاسفة البال ..

لقد تخلص اليوم من العمل .. من هـــذه الاوراق التى تتكدس فيفيها وسرعان ما يعود غيرها الى التكدس .

واستراح اليوم من وجه هذا الرئيس المتجهم الذى يفتعل العبوس كلما دخل عليه احد معتقدا ان هذا من مظاهر الرئاسة .. ولا يعطى مرؤوسيه من طرف لسانه اية حلاوة .. بل عجرفة دائمة .. مما يزيد من بغضهم للعمل .

وهذه الحجرة الضيقة التى تتشابك فيها مكاتب زملائه واحاديثهم التافهة واستظرافهم كلما دخلت عليهم احدى الموظفات الزميلات .

ومع هذا كله .. فهو منقبض الصدر .

لقد سئم كل شيء .. وروحه دائما في عذاب .. وخاصة اليوم .. لانه لا يملك نقودا يعطيها لزوجه الطيبة لتشترى الفستان .

وشعر بالتعب .

وما ان قابله احد الكازينوهات المبنية في الماء

.. حتى جلس واسند ظهره الى جداره .

واخرج زفرة اخرى حارة من اعماقه .

ووجد نفسه يخلع حذاءه وجوربه .. ويخلع سترته .. ويعرض جسمه وقدميه للشمس الدافئة .

اين منه هذه المتعة كل يوم ؟ انه يقبر نفسه في هذا المبنى الكريه الذى يعمل فيه بينما هذه الطبيعة السمحة الكريمة تفيض على هذا الكون ولا يستمتع بها الموظفون من امثاله .

ولكن من اين آكل انا والاولاد ؟ هل الطبيعة السمحة ستتكفل باطعامنا اذا انا اجتليتها كل يوم هكذا وعايشتها وتركت عملي ؟

وضحك في مرارة .. وهز كتفيه ..

من اين آتي لها بالفستان ..

في هذا الغلاء .. ما هذا ؟ كيف تذوب النقود وتتبخر هكذا في سرعة غريبة ؟! لم تعد لها أية قيمة.. كانت تكفينا من قبل ماكلا وملبسا وترويحا .. فاذا بها اليوم لا تكاد تكفي حتى المأكل فحسب.

ان عقله طوال اليوم في حساب .. ما تم صرفه وما بقي وكيف يوزع على الايام .. ان اول الشهر اصبح يوما بغيضا اليه .. حفنة من الجنيهات .. سرعان ما تتوزع في نفس اليوم .. ولا يبقى منها سوى القليل الذى لا يفى بشيء ..

واولاده الاربعة .. انه يحبهم اشد الحب ويعطف عليهم ارق العطف ويمنحهم كل ما يفيض به قلبه من الرفق والحنان .. يحاول ان يستجيب الى مطالبهم ما امكن وفي حدود امكاناته ... وينسى نفسه ..

وضحك ضحكات مريرة .. منذ سنوات لم يشتر حلة جديدة .. منذ سنوات وهو يبدل قمصانه القديمة .

لكم لبست كثيرا في صغرى واول شبابي .. ويكفيني هذا .. هم احق بكل شيء الآن ، بودى ان آتي لهم بكل ما يتمنونه .. ولكن الضغوط شديدة والحياة لم تعد سهلة هينة كما كانت من قبل .. لقد هدني الجرى والركض والمعاناة والمكابدة .. والناس ! ..

الناس ! ..

بالامس كان يشترى قطعة من الجبن وحاول ان يدفع الثمن الذى دفعه منذ ايام .

ـ الجبن غلا يا بيه .

ـ للمرة الثانية بعد الاسبوع الماضي ؟!

ـ ماذا تفعل .. السوق يا بيه ..

ماتت ضمائركم يا جشعون .. ماذا اقول ؟ حتى في المجمعات الاستهلاكية ، الاسعار تقفز يوما بعد يوم لتفس الصنف !

وفي عودته الى المنزل .. رأى الاستاذ وفاء .. وهش للقائه .. ولكن الاستاذ وفاء تجاوزه وكأنه لا يعرفه !

الاستاذ وفاء هذا منذ أسابيع وهو يتردد على لانهاء مصلحته .. وكان لطيفا يبادرني بالتحية المؤدبة الودودة والابتسامة الخلابة .. ويقدم السجائر ..

ـ شكرا لا ادخن .

ـ اية خدمة ممكن ان اؤديها لك ؟ .. الا تريد اى شيء من شركتنا ؟

ـ شكرا ..

ـ نحن اخوة يجب أن تطلب مني اى خدمة فانت تغرقني بخدماتك الكبيرة هذه لا ادرى كيف اشكرك .. ارجو ان تكون هذه فاتحة صلة متينة بيننا ..

وانتهت حاجته عندى على احسن ما يريد ..

وها هو ذا اليوم .. يتجاهلني .. واسمه وفاء ! .. اسماء ! يا غجر .. يا عديمي الأخلاق .. يا نفعيين .. يا اصحاب المصلحة فقط لا غير

لشد ما يغيظه كل ذلك ويضنيه .. ويعذبه ..لكم يود ان يجد في حياته شيئا من راحة وروح، من هدوء ورضا ، من عزاء وسلوى ..

ولكن قلبه دائما ثقيل .. والمشاعر المختلفة تنتهب نفسه وتتقاسم تفكيره .. والمعاناة والقلق الدائم يستوليان عليه .. لقد اصبحت الحياة شيئا مريرا جعلت احساسه راكدا فجمدت عاطفته ..

العاطفة ! ..

كدت ان انساها ! ..

وسمع من بعيد صوت الراديو .. كان في يد احد المارة على الكورنيش فوقه وقد فتحه عاليا.. وكان المطرب يغني . « كان لى حبيب .. »

وشعر بقلبه ينتفض فجأة في صدره ..واحساس غريب يسرى في جسده كله .

نعم .. كان لي حبيب ..

كان ذلك في ريق الشباب ، والفؤاد شبق .. وقلبانا يقتسمهما الابتهاج بالساعات العذاب التى كنا نقضيها معا .. كنت فارغ البال موفور النشاط

خالص القلب .. يملأ الأمل اعطاق .. كنت سعيدا سعادة السمك في الماء .. نفسي مشرقة متألقـة وقلبي رفيق رقيق ..

كانت سمراء طويلة رشيقة القد ، ينبعث من عينيها ضياء ينفذ الى صميم روحه .. وجهها مستدير .. شفتاها مكتنزتان قليلا .. وشعرها سبط اسود .

ـ بودى أن تتركيه يسترسل على كتفيك ..

ـ ولكني أحب ان اقصه هكذا ..

ـ اتوق أن اراه طويلا على كتفيك .. لألمسه ناعما بين يدى وادفن فيه وجهى ..

وفي اليوم التالي .. جاءته بخصلة صغيرة منه وقد عقدتها بشريط أحمر .

ـ هذه هديتي اليك .. حتى أكون معك دائما..

ـ أنت معي دائما .. في روحي .. وفي دمي .. انت حياتي كلها ..

وقبل ظاهر يدها فسحبتها في دلال .. ولكنه شدها وقبل باطنها أيضا !

وتقضت الايام والأمل يملأ اعطافهما ..

ـ اني معك اقهر المصاعب واحتمل الخطوب ..

لقد توفي والده وأصبح مسئولا عن اخوته الصغار .. وهو أكبرهم .. وبدأت اولى عذاباته!

كانت أسعد لحظاته حين توسد رأسه المكدود صدرها الحاني ، تلاطفه في حنو وتبتسم في وجهه. ابتساماتها هذه كانت تلمع في ليلي الحالك كأنها النجمة الهادية ..

واحتملت المسئولية .. وكانت هي الضوء الوحيد الذي ينير حياتي .. واعتقدنا في غمرة من عاطفتنا أن الحياة ستسير هادئة .. ما أمكن..

ـ جاءني خطيب .. ماذا افعل؟واهلي يصرون..

ـ أنت تعلمين ظروفي .. اخوتي .. والدتي .. من أين ؟

ـ ولكني أحبك ..

ـ دعينا نفكر .

وفكرا .. واضناهما التفكير ..

ـ لا حيلة لنا ..

ـ انت اذن تتخلى عني ..

ـ الظروف هي التي تقهرني .. لعله يسعدك بماله ..

ـ لن أتزوجه .. سأنتظرك مهما طالت السنون.

ـ بالله لا تزيدي عذابي .. كلا .. كلا .. لا تضيعي شبابك .. امامي شوط طويل ..

لا أدرى متى سينتهي ..

وبكت .. وكتم هو بكاءه .

وافترقا .. وتحطم الامل في قلبه .. وماتت الابتسامة على شفتيه ..

تزوجت .. ولم يرها سنين طويلة .. ولم يحاول ان يراها ..

وكبر اخوته .. وسار بهم في طريق الحياة الاشواط اللازمة . وفرغ الى نفسه أخيرا .

وتزوج .. وانجب اطفاله الاربعة ..

ومنذ شهور .. كان جالسا ينتظر أحد اصدقائه في مقهى السلطان حسين .. واذا به يراها فجأة .. عرفها لاول وهلة .. لم تتغير كثيرا .. كانت تغادر هي وزوجها سيارتهما الى سينما «ريالتو» في مواجهة المقهى .. ولمح خصلة من الشعر الابيض تلمع في راسها !

شكر الله انها لم تره .

افرض انها رأتني .. هل ستذكرني بعد كل هذه السنين الطويلة ؟! قطعا لقد غيرتني الهموم والمتاعب ! ..

لعلها تكون قد نسيتني .. طبعا نسيتني .. فهي لم تحاول أن تتصل بي أبدا ..

وعاد يزفر من اعماقه ..

وتمدد على الرمل في دفء الشمس ..وطوى سترته ووضعها تحت رأسه ، وأغمض عينيه نصف اغماضة .

و .. رآها .. تخرج من البحر .. كانت طويلة رشيقة القد كما هي .. شعرها الاسود اللامع المواج ينساب على كتفيها كما كان يشتهي ..

وجاءت اليه .. ورقدت بجانبه .. فأحس بقلبه يرف رفيفا عذبا .. لاول مرة منذ زمن بعيد!

وغمرته مشاعر من السعادة والبهجة لم يألفها في ايامه هذه ..

ومسحت وجهه كله بشفتيها .. نفس شفتيها المكتنزتين الدافئتين ..

ـ كلا لم انسك .. كيف أنساك وانت حبيب عمري ؟

وطوقته بذراعيها ..

واحس بدفئها ..

فاضاءت وجهه ابتسامة عريضة .. عريضة .. واغمض عينيه ..

واخلد للنعاس ! ■■

حسن فتحي خليل

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

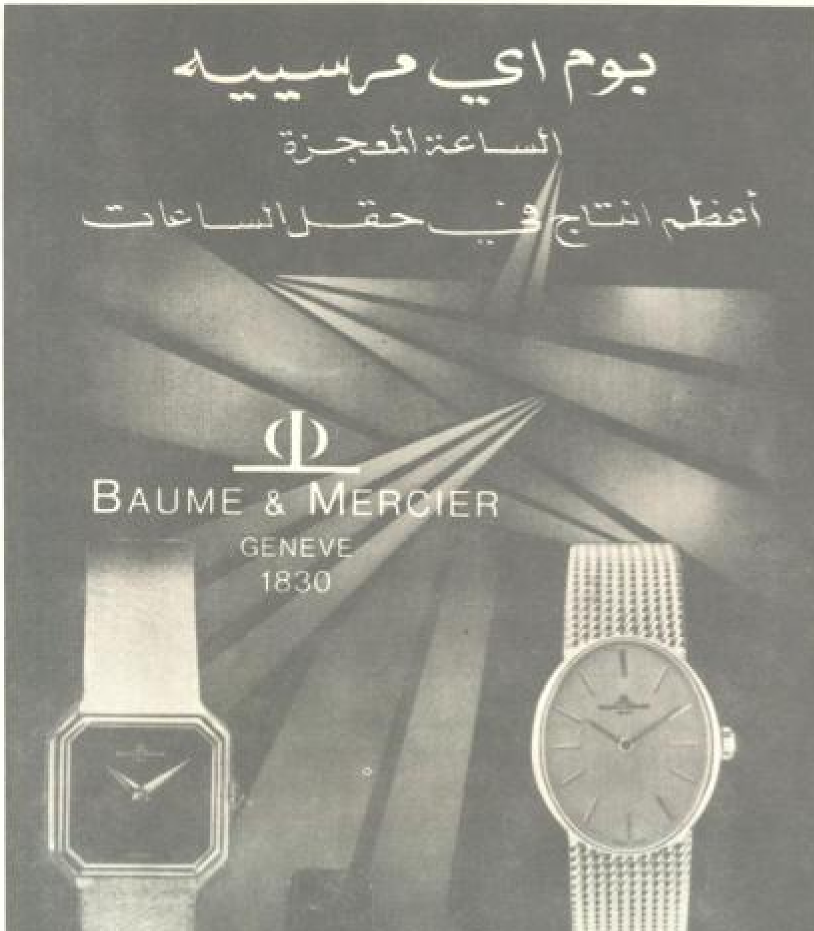
أول ديسمبر ١٩٧٣

(٢/٥١)

من الأعمال المختارة
جورج برنارد شو - ٢

- السلاح والإنسان
- كانديدا
- رجل المقادير

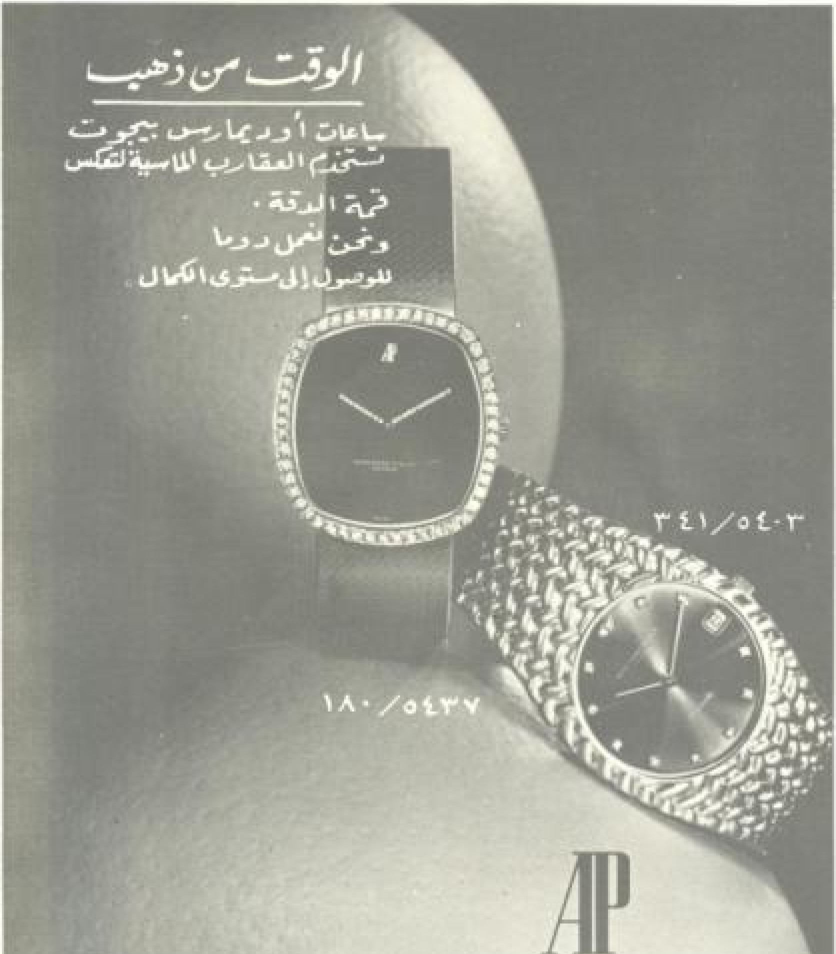
ترجمة وتقديم : محمود علي مراد
مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني



بوم اي مرسييه
الساعة المعجزة
أعظم انتاج في حقل الساعات
BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
غاية في الدقة
رائعة في الجمال
أوتوماتيكية
أكتها المرصعة بثلاثين
حجر كريم تعمل لمدة
٥٥ ساعة بدون تحريك
الوكيل العام :
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون
أحمد بهبهاني واخوانه
السالمية ت/ ١١٨٢٢٤



هدايا رائعة مفيدة تذكّر بأيام لاتنسى..
ان الذين يسافرون الى بلاد بعيدة يدركون الأهمية التي يعلقها الأهل والأصدقاء على
مايحملونه لهم من هدايا. مما يجعل الإختيار أمراً هاماً. ولتسهيل بحثك فقد أوجدت فيليبس مجموعة
متنوعة من المنتجات الفاخرة التي يحبها الجميع. خذ معك موسيقى لاينتهي أجلها في شكل مسجل كاسيت
أو راديو خفيف. ولعلك تختار كاسيت للسيارة؟ أو آلة حلاقة بطارية، أو - كتذكار
خاص - تلفزيون متنقل بشاشة عرضها ١١ بوصة. كل هذه المنتجات الممتازة من
فيليبس مصنوعة للعمل بإتقان طيلة عمرها الطويل. ولكن
أينما ذهبت فانك تجد، اذا اقتضى الأمر، محلات فيليبس
للصيانة. فإذا حملت معك منتجات فيليبس الرائعة
كهدايا، عدت بذكريات طيبة تدوم عدة سنوات.
PHILIPS



أبوظبي : محمد رسول خوري وأولاده
عمارة محمد رسول ص . ب ١٢٦
هاتف ٢٢٥٤٩

قطر : علي بن علي
ص.ب ٧٥ ـ الدوحة ت ٢٦٢٠١

البحرين : بهبهاني إخوان المحدودة
ص.ب ١٦٨ ت ٣٨٧٢

دبي : ابراهيم أحمد صديقي
ص.ب ٢١٢٣
هاتف ٢٢١٦٩

الكويت : أحمد يوسف بهبهاني
ص.ب ٥٦٧ ت ٤٢٧٠٧١

لبنان : مؤسسة جورج أبو فضل
ص.ب ١٣٣٢ ت ٢٥١٣١٥
بيروت

إنك في المقدمة حين تتعامل مع
البنك الوطني



بنك الكويت الوطني ش.م.ك
تأسس عام ١٩٥٢

مرآة اقتصاد الكويت

مؤسسات شقيقة : بنك الكويت المتحد ، لندن ، بنك دبي الوطني ، دبي ، بنك الريف ، ش.م.ل ، بيروت ، فرانس بنك الدولي ، باريس ، بنك البحرين والكويت ، ش.م.ب ، البحرين ، البنك الاوروبي العربي ، بروكسل ، البنك الاوروبي العربي ، ج.م.ب.هـ ، فرانكفورت



الـرفيـق لـوقـت الضيق
جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-410"

هذا هو جهاز الراديو FM-MW-SW / المسجلة كاسيت للذين يحبون الاستماع بالالحان الشجية.
فهو يلتقط أكثر الموجات القصيرة شعبية (٤ الى ١٢ ميغاهرتز)، بالإضافة الى الموجة المتوسطة وموجة FM التي تضم مفتاح AFC لالتقاط حساس حر من الانحراف - وهو شيء حيوي عند تسجيلات الاذاعات على هذه الموجة الحساسة للغاية.
وتصدر الاصوات عن الراديو والمسجلة كاسيت بواسطة مكبر اصوات نشيط قطره ١٢ سم، مركب في الجهة الامامية لمزيد من الجودة الصوتية. الطاقة القصوى: ١٫٥ وات.
اما خصائص المسجلة الكاسيت فانها تشمل التوقيف الأوتوماتيكي، وضابطة "سوني - او - ماتيك" لتعديل مستوى التسجيل أوتوماتيكيا، ومنظم الأصوات المتعدل دوماً، وما يكروفون ضمني بمكثف الكتريت، وقابلية العمل على التيار المتناوب، والبطاريات، والخلية الصالحة لإعادة التعبئة، وبطارية السيارة او الزورق. بالاضافة الى العديد من الأشياء الأخرى المناسبة التي توفر من الوقت والمشاكل.

جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-410"
الرفيق لوقت الضيق.

انه أفضل... لانه من صنع سوني

SONY. سوني



رفيـــقك في تنقـلاتـك :
جهاز الراديو/ المسجلة كاسيت "سوني CF-450"

هذا هو جهاز الراديو AM - FM / المسجلة كاسيت للذين يودّون استعماله وهم متنقلون!

ففيه خاصة سوني "سوينغ بالانس" التي تعني بانك تستطيع تسجيل الأصوات والاستماع الى تسجيلاتك وأنت تمشي او تركض في الطريق، وستكون الأصوات المسجلة ثابتة دائمًا وواضحة.

وفيه أيضًا خاصة للتوقيف الأوتوماتيكي عند انتهاء الشريط، ومايكروفون ضمني بمكثف الكتريك، وضابطة "سوني - او - ماتيك" التي تعدل الأصوات المرتفعة والمنخفضة أوتوماتيكيا. وباستطاعتك أيضًا ان تعدل مستوى الأصوات الى اي ارتفاع تريده.

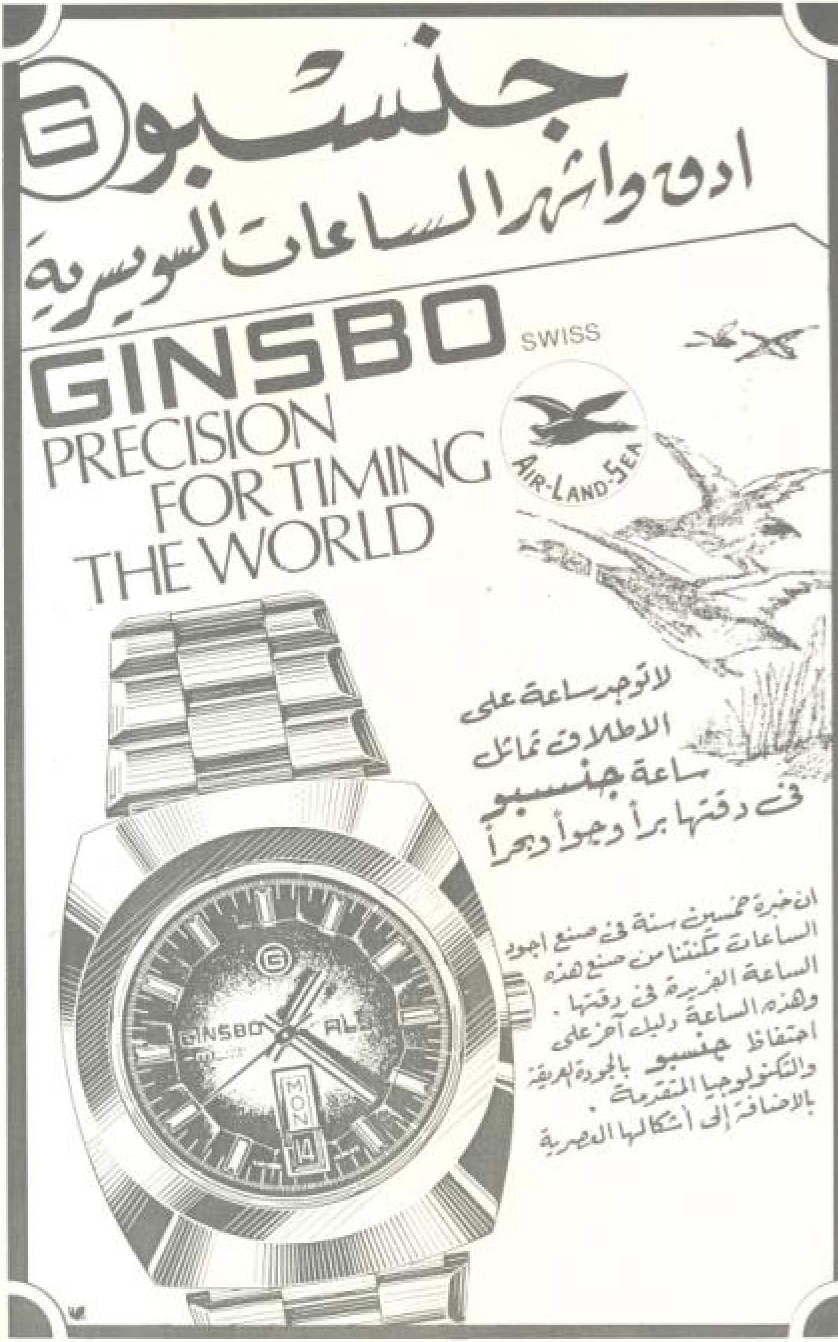
اما جهاز الراديو AM - FM الدقيق، فانه يضم مفتاح AFC الذي يمنع الانحراف الصوتي عند استقبال موجات FM لمزيد من الوضوح والمتعة عند الاستماع اليه.

جهاز CF-450 يعمل على التيار المتناوب (مع منتخب خاص لثلاث طاقات من التيار الكهربائي)، والتيار المتواصل من البطاريات، والخلية القابلة لاعادة التعبئة، وبطارية السيارة أو الزورق. طاقة القصوى ١،٥٠ وات.

جهاز الراديو / المسجلة كاسيت" سوني CF450"
رفيقك في تنقلاتك.

انه أفضل... لأنه من صنع سوني

SONY سوني



جنسبو
ادق واشهر الساعات السويسرية
GINSBO SWISS
PRECISION FOR TIMING THE WORLD
AIR-LAND-SEA
لاتوجد ساعة على الاطلاق تماثل ساعة جنسبو فى دقتها برأ وجوأ وبحرأ
ان خبرة خمسين سنة فى صنع اجود الساعات مكنتنا من صنع هذه الساعة الفريدة فى دقتها . وهذه الساعة دليل آخر على احتفاظ جنسبو بالجودة العريقة والتكنولوجيا المتقدمة بالاضافة إلى أشكالها العصرية .
GINSBO ALS
MON
14



"داتسون أخرى جديدة 120Y..؟"
"نعم.. بالتأكيد"

حيثما ذهبت داتسون الجديدة 120Y
فإنها موضع إعجاب الجميع. إنها النقطة
الهامة التي يدور حولها كل حديث.
ونحن في شركة نيسان قد سررنا بهذا
الإعجاب والتقدير لأننا فعلنا
ما بوسعنا لنجعل من 120Y السيارة
التي تحلم باقتنائها. حسنة التصميم،
سباقة، يعتمد عليها، ومزودة
بالكماليات الكثيرة.
إلا أن داتسون لا تترك لك الخيار عندما
يكون طلبك الراحة والنوعية الجيدة
في الهندسة والتصميم. إن 120Y هي

المتعة في القيادة.. وتصميمها الداخلي
مدهش، مرنة ومريحة مهما قست
الطرق. محركها الدقيق الصنع والبالغة
قدرته ١٢٠٠ سي سي يعطيك سرعة ١٥٠ كم في
الساعة وبمصروف زهيد من الوقود.
اقتن 120Y وكن فخوراً بها مثلنا.

Nissan puts people first

DATSUN

DATSUN NISSAN MOTOR CO., LTD.

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن طاقة اندونيسيا لبلوغ مرتبة احدى أغنى البلدان في آسيا

هل باستطاعته ان يخبركم عما في باطن الارض الاندونيسية من كميات كبرى من خامات الحديد والنحاس والقصدير والنيكل تنتظر من يستثمرها ؟ أو أن يوضح لكم كيف يمكن لهذه الموارد المعدنية أن تسهم في التنمية الصناعية ؟ أو كيف يمكن لاحتياطي النفط الاندونيسي أن يؤثر في الاستثمارات العالمية ؟ أو عن آثار الثورة الزراعية ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يشرح لكم كيف يمكن لاندونيسيا أن تتأثر بالتكامل الصناعي والتجاري في نطاق اقليمي ؟ أو ان يخبركم عن تكامل الاسواق المالية ؟ أو ان يتكهن بالنتائج المترتبة على المنافسة اليابانية ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية في المنطقة - حتى أن اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها .

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الاقصى - او في اي مكان آخر - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافورة ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن . ب . أ . غروب ليمتد .

نيوزيلنده - تشيس - ن . ب . أ . نيوزيلند غروب ليمتد .

ان لك صديقا في

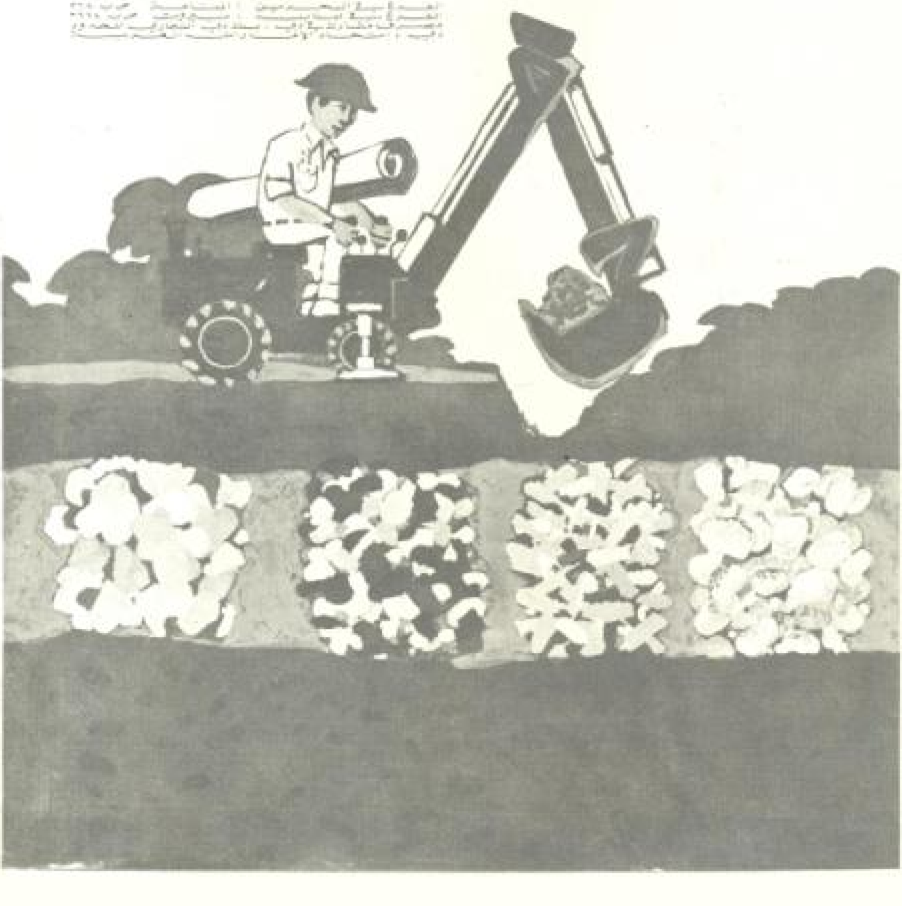
بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

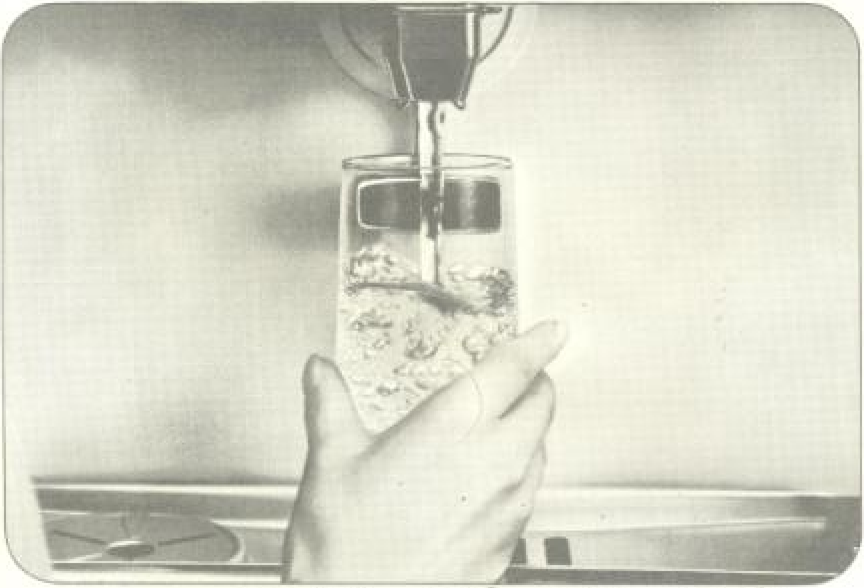
NATIONAL ASSOCIATION

المركز الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

[illegible]



مياه مبردة



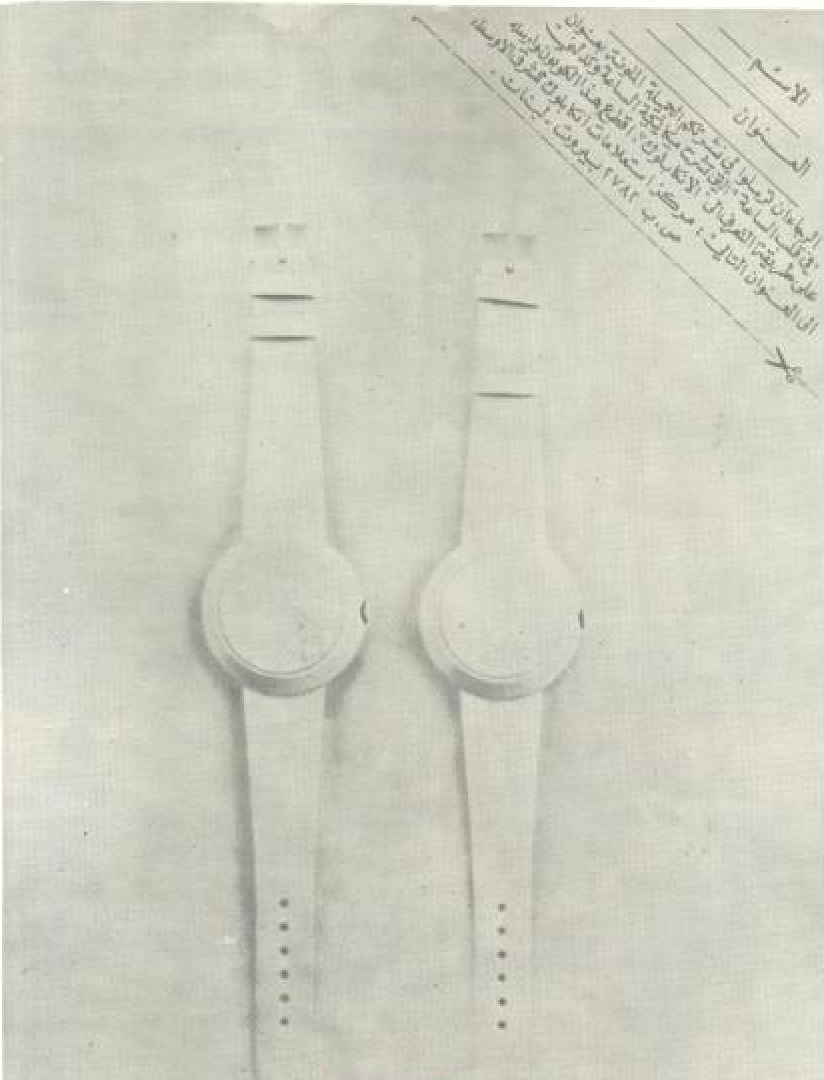
قوة في التبريد

من هيتاشي :
مبردان للماء قويان متينان وجذابان مصممان بطريقة مثالية للاستعمال في المكاتب والمطاعم والمتاجر .
وأعدت التصاميم لتختاروا ما يناسبكم منها . فالموديل RW-1502P الجديد أعد خصيصًا ليقام فوق الارض مباشرة .
اما موديل RW-1001B فهو موديل جديد أعدّ ليقام فوق المنصات . وتتوفر في كليهما كافة وسائل الصحة العامة . لقد صنعا من صلب وجهزا بخزانات الماء ومبردات من الفولاذ الذي لا يصدأ . ويتيح كلاهما لكم تعديل درجة التبريد حسب رغبتكم .
اهم ميزاتهما: المتانة وخلوهما من الخلل لأنهما من صنع هيتاشي . وفروا الحياة الهانئة للجميع باستعمال مبردات الماء . زوروا وكيل هيتاشي اليوم .



RW-1502P RW-1001B

HITACHI
هيتاشي


الإسم
العنوان
إلى العنوان التالي : مركز استعلامات انكابلوك للشرق الأوسط
ص.ب ١٧٨٢ بيروت ، لبنان .
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحوزونها ساعات
حقيقية ذات محل وربما لا تكون ...
الآن الساعاتي يعرف الفرق ، و"انكابلوك"
يعرف أيضاً ! ولهذا فإن مضاد الصدمات
"انكابلوك" الأصلي لا يوجد إلا في الساعات
الأصلية ذات محل .
والساعة ذات محل هي ساعة الرجل الخبير ،
وهي ساعة يعتمد عليها .
ذلك هو الفرق !
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركتا
بورشكاب ، لاشو دي فون ، سويسرا وبورشكاب فرنسا ، بيزانسون .

...التلفاز الجديد موديل TW-12EV . قياس ١٢ إنشاً
...ل تردد عالمي (VHF) باللونين الأسود والأبيض
...رات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صورة
...توازن واضحة ونقية من أي تشويش .
...٥ (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط
...بطاريات ١٢ واط) . شاشته مزودة بمصفٍّ خاص
...من عناء العينين . تصميمه رائع ويتماشى مع
...ـع أي غرفة . وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على
...كهربائي المنزلي (١١٠ - ١٢٠ فولط و ٢١٠ - ٢٥٠
... على البطاريات (١٢ فولط) . وبهذا .. تستطيع
...بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت .. مع
...ا - موديل TW-12EV
...الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما شيئان فقط
...ـب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني
...ا موديل AL-6503C . طاقته BTU -
...تكفي لتبريد أكثر من غرفة . أما خدمته فهي
...تدوم لحياة طويلة . ضوابطه صممت في

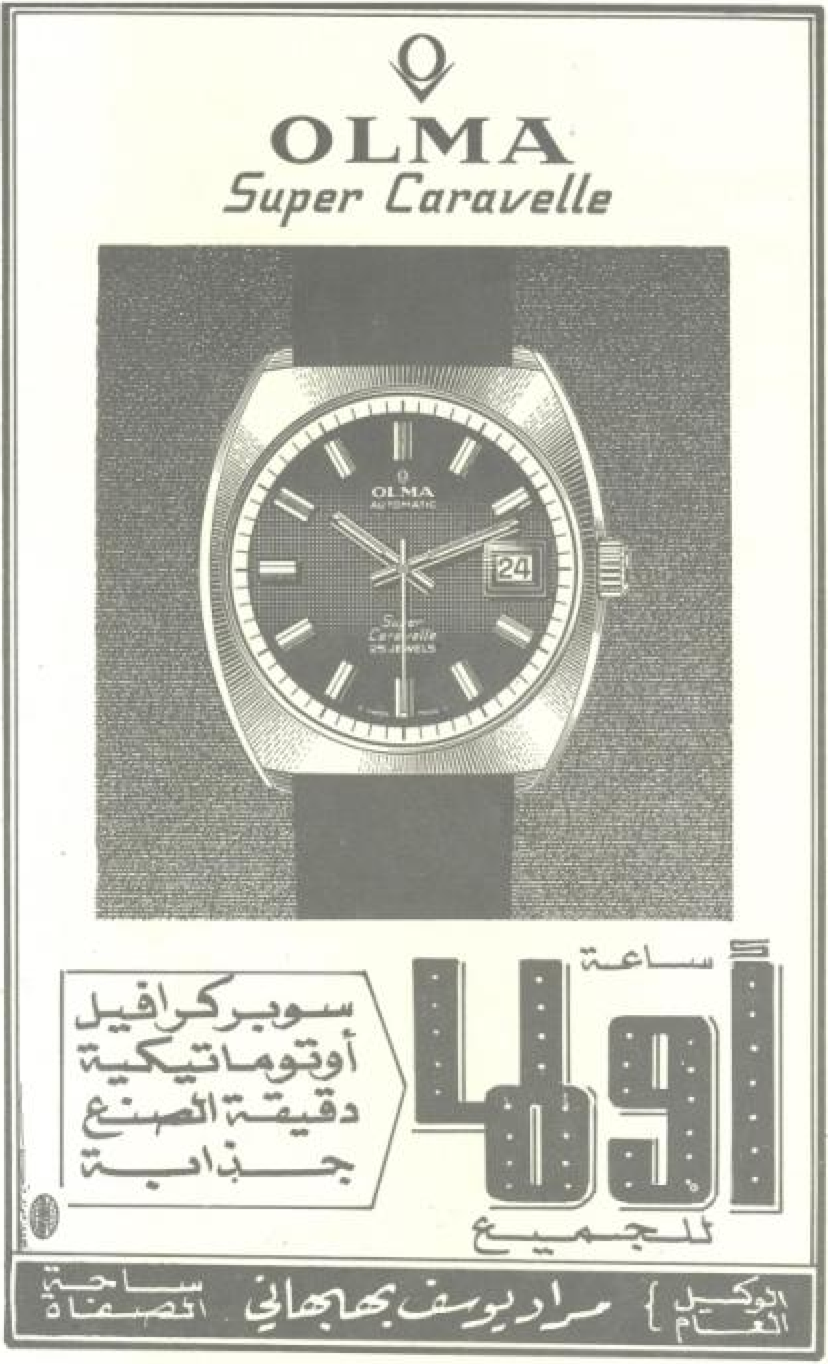
موضع يسهل معه استعمالها ، ومصفيه .. سهل التنظيف
هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها
جنرال لتزيد من راحة الإنسان .. وتجعل من مكيف
الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيونها موديل TW-12EV .
إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف إلى
حياتك نشاطاً نوعياً جديداً ...

GENERAL جنرال

الجمهورية العربية السورية : [illegible] ص.ب ٩٥٤ - دمشق (سوريا).
الإمارات العربية المتحدة : الشركة الوطنية للاستيراد والمقاولات ص.ب ٧٣٦ - أبوظبي.
الكويت : شركة الاتجار التجارية ذ.م.م. ص.ب ٢٨ - كويت.
البحرين : إبراهيم خليل [illegible] ص.ب ٦٧ - منامة.
الدار البيضاء : [illegible] - ١١٤ شارع المقاومة .
إيران : [illegible] رقم ٩ - طهران
ليبيا : [illegible] ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس
قطر : [illegible] ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة.

نوعية جديدة من جنرال تزيدك تسلية وراحة




OLMA
Super Caravelle
OLMA
AUTOMATIC
24
Super Caravelle
ساعة
أولما
للجميع
سوبر كرافيل
أوتوماتيكية
دقيقة الصنع
جذابة
الوكيل العام
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة

عندما تدخل الفائدة في الحساب..

لومبارد نورث سنترال يقدم تشكيلة واسعة من الحسابات

٩½٪

حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للودائع

تربح نقودك بنسبة ٩½٪ سنوياً مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر.
يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال
كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة

٩½٪

دائع ذات دخل شهري

ـد الأدنى للودائع ٢٠٠٠ جنيه

ودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه أو ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة،
ع فائدة بنسبة ثابتة قدرها ٩½٪ في السنة تدفع شهرياً دون حسم أي
ريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد منتظم
ن ايداع مبالغ لمدد أطول، وتعطى تفاصيل الفائدة الثابتة لدى الطلب.

١٠½٪

ودائع زمنية

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة تربح فائدة بنسبة
١٠½٪ سنوياً تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. وهناك
فوائد بنسب جذابة أخرى لمدد ثابتة طولها ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات.

بارد نورث سنترال ليمتد هو من أعضاء مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها مع
حتياطي على ٣٨٣ مليون جنيه استرليني. فتح الحساب هو في غاية البساطة. اكتب اليك الى
حسابات الودائع للحصول على تفاصيل هذه الحسابات ونسخة من كتيب الودائع رقم 182A

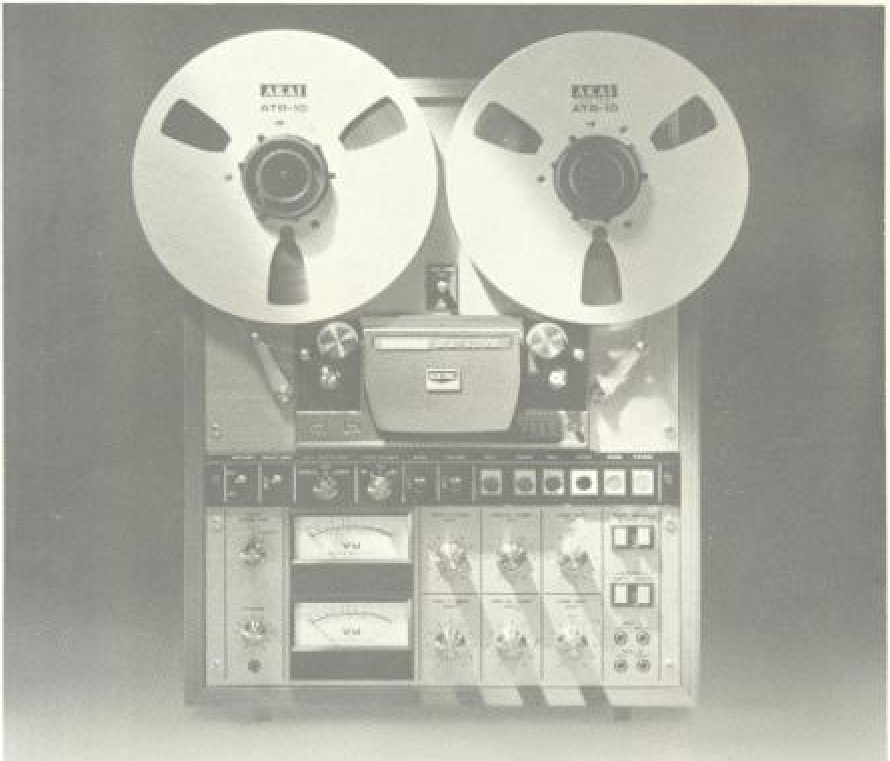
Lombard North Central

Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111
Branches throughout Great Britain – Depositors throughout the World



تيسوت
مهما كانت الساعة جذابة
فان من صميم عملها هو
اعطائك الوقت بدقة
TISSOT
لذلك رأيت تيسوت
على اعطائك مجموعة من الساعات التي تتدرج
من الموديلات العادية الى الموديلات
العصرية الجذابة التي لها اشكالا مختلفة ومتعددة :
مربعة مستديرة بيضاوية مستطيلة
وكلها تتميز بالفخامة والدقة وجودة الصنع
كل هذه الاسباب جعلت السويسريين الذين لهم دراية بصناعة
جميع الساعات يقتنون ساعات تيسوت اكثر من اي ساعة اخرى



صفاء موسيقي رائع لا يصدق



يمكنك الحصول على ما تنشده من نقاء ووضوح بمسجل "آكاي" GX-4000 الاستريوفوني "ديك" المزوّد بأربعة رؤوس من طراز "جي. اكس" ذات الشهرة العالمية من انتاج "آكاي" (مصنوعة من الزجاج وفريت الكريستال) التي تبقى خالية من الغبار وتكفل لك اداة موسيقية رائعة مدى الحياة. وهناك ايضاً الجهاز الاستريوفوني GX-4000 للمحترفين المجهز بدرجتين لتسجيل الصوت. ويكمل هذه المجموعة الجهاز AA-940 المضخم المؤالف FM/AM/MPX وجهاز مكبر الصوت SW-175.



أوديو وڤيديو

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD. Ohta-ku Tokyo, Japan


RADO
رادو
الساعة الوحيدة
في العالم
الغير قابلة
للخدش
UNIVERSE
أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر
FINE TOBACCOS
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
مارلبورو
رمز الجودة
A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

سَاعة بالأرقَـام

ذات أعداد كبيرة تُحرّك بأطراف الأصابع، مَع جَرس رَنّان أو منبّه راديو. تدار مَرّة واحدة فقط كل ٢٤ ساعة. وَيزداد إرتفاع الصَوت بصُورة متواصلة إذا لم تنهض فورًا.

راديو بموجَتين

موجَة AM وَأخرى FM مَع ساعة وَقف "تُهدهدك" للنوم مُدّة ٣ ساعات، ثمّ يتوقف الراديو اتومَاتيكيًا، بَعْد أن تكون قد استغرقت في نوم هَادئ.

مسَجّل كاسيت

لتخزين الموسيقى المسَجلة التي تشتريهَا، أو للتسجيل الشخصي بواسطة المكبّر المثبّت في الداخل، مَع جهَاز توقيت آلي للتسجيل أثناء غيابك أو أثناء النوم.

الموديل
M 5400 F



كلّ ذلك ضمن صندوق وَاحدٍ جذاب

SANYO سانيو

AAA/55/86/32